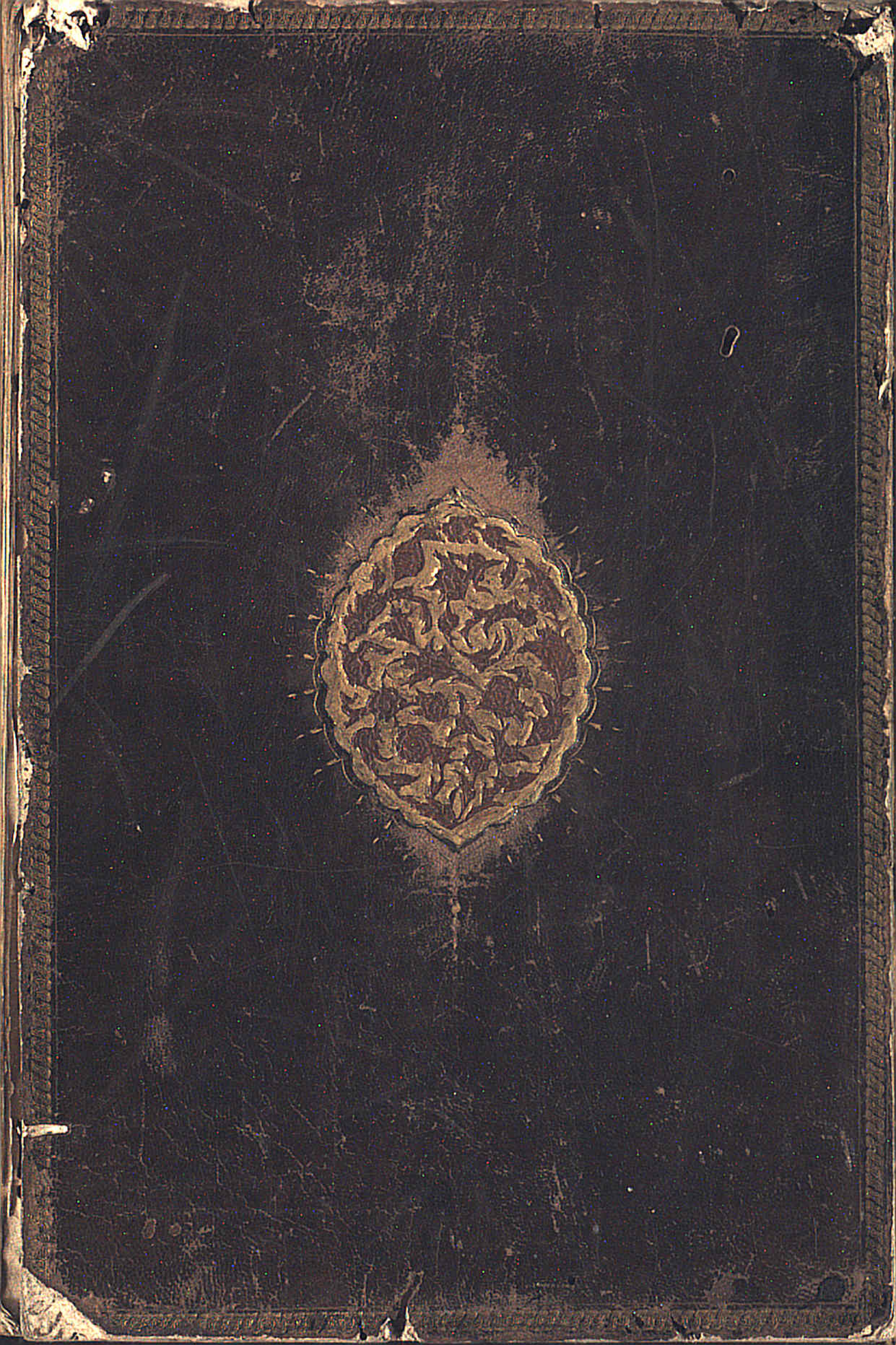


الجزو الاول من تفسير الخازن
عليه الرحمة



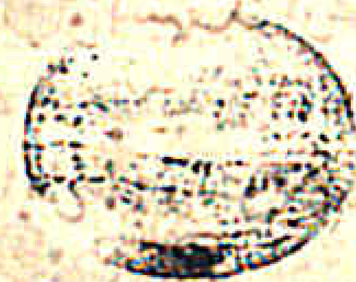
١

ألم يرضك الرحمن في سورة الضحى
فحاشاك أن ترضى وفينا معذب
من كتب العبد الراجي شفاعة
سيد الكونين حاجي بشير ناظر
الحرمين الشريفين
سنة ١١٤٣

الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاجي بشير آغاء دار السعادة
الشريفة لسنة ثمان وخمسين
ومائة وألف



قد انسلك في سلك ملك الفقير
ابرهيم بن محمد باشا





هذه النسخة الجليلة والمجلة الجميلة من وقف حضرت مولانا صاحب الخيرات الحسان
صاحب ذيل الجود والاحسان منور مصابيح المقاصد بأنوار العناية
مفتح معاقد المراصد بمفتاح الكفاية جامع محاسن العلم والعمل حائز [illegible]
الأكمل الآ وهو آغاء دار السعادة الحاج بشير وقفه للخير المزيد والاجر الكبير
من هو على كل شيء قدير حرره [illegible]
محمد امين المفتش باوقاف الحرمين الشريفين
عفا عنه

٢٩





الحمد لله الذي خلق الاشيا فقدرها تقديرا وصور شكل الانسان فاحسن تصويرا
وميزه بالعقل وجعله سميعا بصيرا وشرفه بما عرفه من العلم ونور قلبه تنويرا وهداه
الى معرفته فيا لها نعمة وفضلا كبيرا وانطق لسانه فاذعن بشكره تحميدا وتهليلا وتكبيرا
وارسل محمدا صلى الله عليه وسلم الى كافة الخلق بشيرا ونذيرا وانزل عليه كتابا منيرا
واودعه حكمة وحكما وترغيبا وتحذيرا وامر بحفظه تلاوة له وتحبيرا وعلم عباده بما
تفهيما وتبصيرا وضرب فيه الامثال ليزيل جهالة وتحييرا وجعله برهانا واضحا وصوا
لايحا وفرق فصله توفيرا في الصدور محفوظا وبالالسنة متلوا وفي الصحف مسطورا
يهدي للتي هي اقوم ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وجعل كل
بليغ عن الاتيان بسورة مثله حسيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران
لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا احمده على تواتر نعمه حمدا كثيرا واتوكل عليه مفو
ضا امري اليه ومستجيرا واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يجد وقلب قايلها
مطيبا مستنيرا واشهد ان محمدا عبده ورسوله الذي كساه عزا ومهابة وتوقيرا صلى
الله عليه وعلى اله واصحابه كما اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اما بعد فان الله تعالى
جل ذكره ونفذ امره ارسل محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين
وبشيرا للمومنين ونذيرا للخالفين اكمل به بنيان النبوة وختم به ديوان الرسالة واتم به
مكارم الاخلاق ونشر فضله في الافاق وانزل عليه نورا اهتدى به من الضلالة وانقذ
من الجهالة وحكم بالفوز والفلاح لمن تبعه وبالخسران لمن اعرض عنه بعدما سمعه واعجز
الخلايق عن معارضته حين تحداهم ان ياتوا بسورة من مثله في مقابلته ثم سهل على عباده المومنين
مع اعجازه تلاوته ويسر على الالسن قراءته امر فيه وزجر وبشر وانذر وذكر المواعظ
ليتذكر وضرب فيه الامثال ليتدبر وقص فيه من اخبار الماضين ليعتبر ودل فيه على
ايات التوحيد ليتفكر ثم لم يرض منا بسرد حروفه دون حفظ حدوده ولا باقامة كلماته
دون العمل بمحكماته ولا بتلاوته دون تدبر اياته في قراءته ولا بدراسته دون تعلم
حقايقه وتفهم دقايقه ولا حصول لهذه المقاصد منه الا بدراية تفسيره واحكامه
ومعرفة حلاله وحرامه واسباب نزوله واقسامه والوقوف على ناسخه ومنسوخه في خاصه
وعامه فانه ارسخ العلوم اصلا واسبغها فرعا وفضلا واكرمها نتاجا وانورها سراجا
فلا شرف الا وهو السبيل اليه ولا خير الا وهو الدال عليه وقد قيض الله تعالى له رجالا
موفقين وبالحق ناطقين حتى صنفوا في ساير علومه المصنفات وجمعوا في ساير فنونه المتفرقات
كل على قدر فهمه ومبلغ علمه نظرا للخلف فشكر الله سعيهم ورحم كافتهم ولما كان كتاب معالم
التنزيل الذي صنفه الشيخ الجليل والحبر النبيل الامام العالم الكامل محيي السنة قدوة

الامة



الامة وامام الايمة مفتي الفرق ناصر الحديث ظهير الدين ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي
قدس الله روحه ونور ضريحه من اجل المصنفات في علم التفسير واعلاها وانبلها واسناها
جامعا للصحيح من الاقاويل عاريا عن الشبه والتصحيف والتبديل محلى بالاحاديث النبوية
مطرزا بالاحكام الشرعية موشيا بالقصص الغريبة واخبار الماضين العجيبة مرصعا
باحسن الاشارات مخرجا باوضح العبارات مفرغا في قالب الجمال بافصح مقال فرحم الله
تعالى مصنفه واجزل ثوابه وجعل الجنة متقلبه وماابه ولما كان هذا الكتاب كما وصفت
احببت ان انتخب من غرر فوايده ودرر فرايده وزواهر نصوصه وجواهر فصوصه مختصرا
جامعا لمعاني التفسير ولباب التاويل والتعبير حاويا لخلاصة منقوله متضمنا لنكت
واصوله مع فوايد نقلتها وفرايد لخصتها من كتب التفاسير المصنفة في ساير علومه
المولفة ولم اجعل لنفسي تصرفا سوى النقل والانتخاب مجتنبا حد التطويل والاسهاب
وحذفت منه الاسناد لانه اقرب الى تحصيل المراد فما اوردت فيه من الاحاديث النبوية والاخبار
المصطفوية على تفسير اية او اثبات حكم فان الكتاب يطلب بيانه من السنة وعليهما مدار
الشرع واحكام الدين عزوته الى مخرجه وبينت اسم ناقله وجعلت عوض كل اسم حرفا يعرف
به ليهون على الطالب طلبه فما كان من صحيح ابي عبد الله محمد بن اسمعيل البخاري فعلامته قبل
ذكر اسم الصحابي الراوي للحديث خ وما كان من صحيح ابي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري
فعلامته م وما كان مما اتفقا عليه فعلامته ق وما كان من كتب السنن كسنن ابي داود والترمذي
والنساي فاني اذكر اسمه من غير علامة وما لم اجده في هذه الكتب ووجدت البغوي قد اخرجه
بسند له انفرد به قلت روى البغوي بسنده وما رواه البغوي باسناد الثعلبي قلت روى
البغوي باسناد الثعلبي وما كان فيه من احاديث زايدة او الفاظ متغيرة فاعتمدت في اخراجه
في تصحيح ما اخرجته من الكتب المعتبرة عند العلما كالجمع بين الصحيحين للحميدي وكتاب جامع
الاصول لابن الاثير الجزري ثم اني عوضت عن حذف الاسناد بشرح غريب الحديث وما يتعلق
به ليكون اكمل فايدة في هذا الكتاب واسهل على الطلاب وسعته بابلغ ما قدرت عليه من
الايجاز وحسن الترتيب مع التسهيل والتقريب وينبغي لكل مولف كتابا في فن قد سبق
اليه ان لا يخلو كتابه من خمس فوايد استنباط شي كان معضلا او جمعه ان كان مفرقا او شرحه
ان كان غامضا او حسن نظم وتاليف او اسقاط حشو وتطويل وارجو ان لا يخلو هذا الكتاب
عن هذه الخصال التي ذكرت وسميته لباب التاويل في معاني التنزيل والله تعالى اسال
التوفيق لاتمام ما قصدت واليه ارغب في تيسير ما اردت وان يجعله خالصا لوجهه
الكريم وان يتقبله مني انه هو السميع العليم وهو حسبي ونعم الوكيل عليه توكلت واليه
انيب وقبل ان اشرع في الكلام على التفسير اقدم مقدمة تتضمن ثلاثة فصول الفصل
الاول في فضل القران وتلاوته وتعليمه م عن زيد بن ارقم قال قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بما يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه
ثم اثنى وذكر ثم قال اما بعد ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب
واني تارك فيكم ثقلين كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث
على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي زاد في رواية كتاب الله
فيه الهدى والنور من استمسك به واخذ به كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة وفي رواية
الترمذي عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا
بعدي احدهما اعظم من الاخر وهو كتاب الله حبل ممدود من السما الى الارض وعترتي اهل بيتي

لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى يرفع بهذا الكتاب ويضع اخرين عن الحارث الاعور قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الاحاديث فدخلت على علي فقلت يا امير المومنين ترى الناس قد خاضوا في الاحاديث قال او قد فعلوها قلت نعم قال اما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا انها ستكون فتنة فقلت ما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله فيه نبأ ما كان قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدي الى صراط مستقيم خذها اليك يا اعور اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واسناده مجهول وفي الحارث مقال قوله هو الفصل اي الفاصل بين الحق والباطل ليس بالهزل اي هو جد كله ليس فيه شيء من الهزل والجبار في صفة الادمي هو المتسلط العاتي المتكبر على الناس قصمه الله اي اهلكه قوله هو حبل الله المتين الحبل يرد على وجوه منها العهد ومنها الامان فاذا اعتصم به الانسان تأدى الى الله الى جواره والذكر الشرف والحكيم المحكم العاري من الاختلاف والاضطراب والصراط المستقيم الطريق الواضح ومعنى لا تزيغ به الاهواء اي لا يميل عن الحق عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل الذي ليس في جوفه شيء من القران كالبيت الخرب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح خ عن عثمان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خيركم من تعلم القران وعلمه ق عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الماهر بالقران مع السفرة الكرام البررة والذي يقرا القران ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له اجران قوله الماهر هو الحاذق الكامل الحفظ الجيد التلاوة مع السفرة جمع سافر وهو الرسول من الملائكة سمي بذلك لانه يسفر برسالات الله الى انبيائه وقيل السفرة الكتبة من الملائكة والبررة المطيعون لله تعالى فيما امر به ومعنى كونه من الملائكة ان له منازل في الجنة يكون فيها رفيقا لهم وقوله يتتعتع اي يتردد في تلاوته لضعف حفظه له اجران اجر بسبب القران واجر بسبب تعبه فيها والمشقة التي تحصل له فيها وليس معناه ان له اجرا اكثر من الماهر بل الماهر افضل منه واكثر اجرا ق عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المومن الذي يقرا القران كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المومن الذي لا يقرا القران كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل الفاجر الذي يقرا القران كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل الفاجر الذي لا يقرا القران كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها فيه دليل على فضيلة حفاظ القران واستحباب ضرب الامثال لايضاح المقاصد عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر امثالها لا اقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب وقد رفعه بعضهم عن ابن مسعود ووقفه بعضهم عليه عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القران الى اخره كلما حل ارتحل اخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القران اقرا وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند اخر اية تقرا بها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجيء القران يوم القيامة فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال له اقرا وارق ويزاد بكل اية حسنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن سهل بن معاذ الجهني عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا القران وعمل به البس والداه تاجا يوم القيامة ضوؤه احسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا لو كانت فما ظنكم بالذي عمل بهذا اخرجه ابو داود وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا القران فاستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله به الجنة وشفعه في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وليس له اسناد صحيح ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي يتغنى بالقران يجهر به • معنى اذن في اللغة استمع ولا يحمل على الاصغاء فانه يستحيل على الله تعالى بل هو كناية عن تقريبه قارئ القران واجزال ثوابه وذلك لان سماع الله تعالى القراءة لا يختلف فوجب تاويل الحديث قوله يتغنى بالقران اي يحسن صوته به ويكون ذلك مع تحزين وترقيق في القراءة وقيل معناه يستغني به عن الناس والقول الاول اولى ويدل عليه سياق الحديث وهو قوله يجهر به خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقران

الفصل الثاني في وعيد من قال في القران برايه من غير علم ووعيد من اوتي القران فنسيه ولم يتعاهده

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القران بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وفي رواية من قال في القران برايه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله فليتبوأ معناه فليتخذ له مباءة اي منزلا من النار عن جندب بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في كتاب الله عز وجل برايه فاصاب فقد اخطا اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب وسئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن قوله تعالى وفاكهة وابا فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله بغير علم قال العلماء النهي عن القول في القران بالراي انما ورد في حق من يتاول القران على مراد نفسه وما هو تابع لهواه وهذا لا يخلو اما ان يكون عن علم او لا فان كان عن علم كمن يحتج ببعض ايات القران على تصحيح بدعته وهو يعلم ان المراد من الاية غير ذلك لكن غرضه ان يلبس على خصمه بما يقوي حجته على بدعته كما تستعمله الباطنية والخوارج وغيرهم من اهل البدع في المقاصد الفاسدة ليغروا بذلك الناس وان كان القول في القران بغير علم لكن عن جهل وذلك ان تكون الاية محتملة لوجوه فيفسرها بغير ما تحتمله من المعاني والوجوه فهذان القسمان مذمومان وكلاهما داخل في النهي والوعيد الوارد في ذلك فاما التاويل وهو صرف الاية على طريق الاستنباط الى معنى يليق بها محتمل لما قبلها وما بعدها وغير مخالف الكتاب والسنة فقد رخص فيه اهل العلم فان الصحابة رضي الله عنهم قد فسروا القران واختلفوا في تفسيره على وجوه وليس كل ما قالوه سمعوه من النبي صلى الله عليه وسلم على قدر ما فهموا من القران كما تكلموا في معانيه وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل فكان اكثر ما نقل عنه التفسير والله اعلم ق عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاهدوا هذا القران فوالذي

نفس محمد بيده لهو اشد تفلتا من الابل في عقلها ق عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة ان تعاهد عليها
امسكها وان اطلقها ذهبت الابل المعقلة التي حبست بالعقال وهذا مثل ضربه الله تعالى
لصاحب القرآن فعليه الحث على تعاهده بكثرة التلاوة والتكرار لئلا ينسى عن عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما لاحدهم ان يقول نسيت
اية كيت وكيت بل هو نُسّي استذكروا القرآن فانه اشد تفصيا من صدور الرجال من النعم
من عقلها وفي رواية لا يقل احدكم نسيت اية كذا وكذا بل هو نُسّي **قوله** بئسما لاحدهم
اي بئست الحالة حالة من حفظ القرآن ثم غفل عنه حتى نسيه **قوله** لا يقل احدكم نسيت
اية كذا وكذا معناه انه انما كره نسبة النسيان الى النفس لاجل ان الله تعالى هو المقدر للاشياء
كلها وهو الذي انساه اياه وقيل اصل النسيان الترك فكره ان يقول تركت القرآن او قصدت
الى نسيانه وقوله بل نُسّي هو بضم النون وتشديد السين وفتح الياء اي عوقب بالنسيان
على ذنب صدر منه او لسوء تعهده القرآن وقوله اشد تفصيا اي خروجا من صدور الرجال
وفي معناه تفلتا من الابل من عقلها اي تخلصا من العقال وهو الحبل الذي تربط به عن
سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ يقرأ
القرآن ثم ينساه الا لقي الله يوم القيامة اجذم اخرجه ابو داود • الاجذم قيل هو
مقطوع اليد وقيل هو مقطوع الحجة وقيل هو الذي به جذام عن انس بن مالك رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عُرضت علي اجور امتي حتى القذاة يخرجها الرجل
من المسجد وعرضت علي ذنوب امتي فلم ار ذنبا اعظم من سورة من القرآن او اية اوتيها
رجل ثم نسيها اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب ق عن عبد الله بن عمر رضي
الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسافروا بالقرآن الى ارض العدو مخافة
ان يناله العدو • اراد بالقرآن المصحف لا يجوز حمله الى بلاد العدو وهي بلاد الكفار للنهي
الوارد فيه ولو كتبت كتابا اليهم فيه اية من القرآن فلا باس بذلك لان النبي صلى الله
عليه وسلم كتب الى هرقل ملك الروم قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
عن عمران بن الحصين انه مر على رجل يقرأ ثم يسأل فاسترجع ثم قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من قرأ القرآن فليسأل الله به فانه سيجيء اقوام يقرؤون القرآن
يسألون به الناس اخرجه الترمذي عن صهيب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما امن بالقرآن من استحل محارمه اخرجه الترمذي وقال ليس اسناده بالقوي عن عقبة بن
عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة
والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

الفصل الثالث في جمع القرآن وترتيب نزوله وفي كونه نزل على سبعة احرف

خ عن زيد بن ثابت قال بعث الي ابو بكر لمقتل اهل اليمامة وعنده عمر فقال ابو بكر ان عمر
جاءني فقال ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن واني اخشى ان يستحر القتل
بالقراء في كل المواطن فيذهب من القرآن كثير واني ارى ان تأمر بجمع القرآن قال قلت
لعمر كيف افعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل
يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ورايت في ذلك الذي راى
عمر قال زيد فقال لي ابو بكر وانك رجل شاب عاقل لا نتهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه قال زيد فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال

ما كان باثقل علي مما امرني به من جمع القرآن فقلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر هو والله خير فلم يزل ابو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري
للذي شرح له صدر ابي بكر وفي رواية فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح
له صدر ابي بكر وعمر ورايت في ذلك الذي رايا قال فتتبعت القرآن اجمعه من الرقاع
والعسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت اخر سورة التوبة مع خزيمة او مع ابي خزيمة
الانصاري لم اجدها مع احد غيره لقد جاءكم رسول من انفسكم الى خاتمة سورة براءة فالحقتها
في سورتها قال فكانت الصحف عند ابي بكر حياته حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته حتى
توفاه الله ثم عند حفصة بنت عمر قال بعض الرواة اللخاف يعني الخزف خ عن انس
ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي اهل الشام في فتح ارمينية واذربيجان
مع اهل العراق فافزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا امير
المؤمنين ادرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فارسل
عثمان الى حفصة ان ارسلي الينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها اليك فارسلت بها
اليه فامر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث
ابن هشام رضي الله عنهم فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين اذا اختلفتم
انتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فانما نزل بلسانهم ففعلوا
حتى اذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف الى حفصة وارسل الى كل افق بمصحف
مما نسخوا وامر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة او مصحف ان يحرق قال ابن شهاب
واخبرني خارجة بن زيد انه سمع زيد بن ثابت يقول فقدت اية من سورة الاحزاب
حين نسخت الصحف قد كنت اسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها فالتمسناها
فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه فالحقناها في سورتها في المصحف قال في رواية ابن اليمان مع خزيمة بن ثابت
الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته شهادة رجلين زاد في رواية اخرى
قال ابن شهاب اختلفوا يومئذ في التابوت فقال زيد التابوه وقال عبد الله بن الزبير
وسعيد بن العاص التابوت فرفع اختلافهم الى عثمان فقال اكتبوه التابوت فانه
بلسان قريش **شرح** غريب الفاظ الحديثين وما يتعلق بهما **قوله** بعث الي ابو بكر
لمقتل اهل اليمامة اي لاوان قتلهم واراد بها الوقعة التي كانت باليمامة في زمان ابي بكر
الصديق وهي وقعة الردة مع اصحاب الردة فقتل فيها خلق كثير من قراء القرآن واليمامة
مدينة باليمن على يومين من الطائف وعلى اربعة ايام من مكة ولها عمائر وهي في تعداد
ارض نجد **قوله** استحر القتل اي كثر وينسب المكروه الى الحر والمحبوب الى البرد وشرح الصدر
سعته وقبوله الخير **قوله** فتتبعت القرآن اجمعه من الرقاع جمع رقعة وهي ما يكتب فيها
والعسب بضم العين والسين المهملتين جمع عسيب وهو جريد النخل وسعفه واللخاف حجارة بيض
رقاق واحدتها لخفة **قوله** يغازي اهل الشام اي مع اهل الشام في فتح ارمينية بكسر الهمزة
وتخفيف الياء الاخيرة سميت بارمين بن لنطي بن لومر بن يافث بن نوح وهو اول من نزلها سميت به
واذربيجان بفتح الهمزة وسكون الذال وغيره لك في ضبطهما وقال ابن جني فيها خمس موانع
من الصرف التعريف والتانيث والعجمة والتركيب والالف والنون وهي موضع من
بلاد العجم مشتمل على بلاد كثيرة **قوله** حتى وجدت اخر سورة التوبة مع خزيمة او ابي خزيمة
وفي الحديث الاخر فقدت اية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة بن ثابت

الانصاري من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية فاعلم ان المذكور في الحديث
الاول غير المذكور في الحديث الثاني وهما قضيتان فاما المذكور في الحديث الاول فهو ابو خزيمة
ابن اوس بن زيد بن اصرم بن ثعلبة بن عمرو بن مالك بن النجار الانصاري شهد بدرا وما بعدها
وتوفي في خلافة عثمان وهو الذي وجدت عنده اخر سورة التوبة كذا ذكره ابن عبد البر
واما المذكور في الحديث الثاني فهو ابو عمارة خزيمة بن ثابت بن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة
الخطمي الاوسي الانصاري يعرف بذي الشهادتين شهد بدرا وما بعدها وقتل يوم صفين
مع علي بن ابي طالب **قوله** فقدت اية من سورة الاحزاب الى قوله فوجدناها مع خزيمة
معناه انه كان يتطلب نسخ القران من الاصل الذي كتب بامر النبي صلى الله عليه وسلم
وبين يديه فلم يجد تلك الاية الا مع خزيمة وليس فيها اثبات القران بقول الواحد
لان زيدا كان قد سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلم موضعها من سورة الاحزاب
بتعليم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما صرح به الحديث قد كنت اسمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرا بها وتتبعه الرجال كان للاستظهار لا لاستحداث علم لان القران العزيز
كان محفوظا عند زيد وغيره من الصحابة فقد ثبت في الصحيح عن انس قال جمع القران على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة كلهم من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وابو
زيد وزيد يعني ابن ثابت قلت لانس من ابو زيد قال احد عمومتي اخرجاه في الصحيحين • اسم
ابي زيد سعد بن عبيد **واخرج** الترمذي من حديث ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خذوا القران من اربعة من ابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى
ابي حذيفة قال حديث حسن صحيح وتقدم حديث زيد بن ثابت وفيه ان القتل استحر بقراء
القران فثبت بمجموع هذه الاحاديث ان القران كان على هذا التاليف والجمع من زمن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانما ترك جمعه في مصحف واحد لان النسخ كان يرد على بعضه ويرفع
الشيء بعد الشيء من التلاوة كما كان ينسخ بعض احكامه فلو جمع في مصحف واحد ثم رفع
بعض تلاوته ادى ذلك الى الاختلاف واختلاط امر الدين فحفظ الله كتابه في القلوب
الى انقضاء زمن النسخ ثم وفق لجمعه الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وثبت بالدليل الصحيح
ان الصحابة انما جمعوا القران بين الدفتين كما انزله الله عز وجل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم من غير ان زادوا فيه او نقصوا منه شيئا والذي حملهم على جمعه ما جاء مبينا في
الحديث وهو انه كان مفرقا في العسب واللخاف وصدور الرجال فخافوا ذهاب بعضه
بذهاب حفظته ففزعوا فيه الى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابي بكر ودعوه الى
جمعه فراى في ذلك رايهم فامر بجمعه في موضع واحد باتفاق من جميعهم فكتبوه كما سمعوه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير ان قدموا او اخروا شيئا او وضعوا له ترتيبا لم ياخذوه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقن اصحابه ويعلمهم
ما ينزل عليه من القران على الترتيب الذي هو الان في مصاحفنا بتوقيف جبريل عليه السلام
اياه على ذلك واعلامه عند نزول كل اية ان هذه الاية تكتب عقيب اية كذا في سورة كذا
فثبت ان سعي الصحابة كان في جمعه في موضع واحد لا في ترتيبه فان القران مكتوب في اللوح
المحفوظ على النحو الذي هو في مصاحفنا الان وقد صح في حديث ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يعرض القران على جبريل عليه السلام في كل عام مرة في رمضان وانه عرض
في العام الذي توفي فيه مرتين ويقال ان زيد بن ثابت شهد العرضة الاخيرة التي
عرضها رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام وهي العرضة التي نسخ فيها

ما نسخ

ما نسخ وبقي ما بقي ولهذا اقام ابو بكر زيد بن ثابت في كتابة المصحف والزمه بها لانه قرا على
النبي صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفي فيه مرتين فكان جمع القران سببا لبقائه
في الامة رحمة من الله تعالى لعباده وتحقيقا لوعده في حفظه على ما قال تعالى انا نحن نزلنا
الذكر وانا له لحافظون **واعلم** ان الله تعالى انزل القران المجيد من اللوح المحفوظ جملة
واحدة الى سماء الدنيا في شهر رمضان في ليلة القدر ثم كان ينزله مفرقا على لسان جبريل
عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم مدة رسالته نجوما عند الحاجة وحدوث ما
يحدث على ما يشاء الله تعالى وترتيب نزول القران غير ترتيبه في التلاوة والمصحف
فاما ترتيب نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاول ما نزل من القران بمكة اقرا
باسم ربك الذي خلق • ثم ن والقلم • ثم يا ايها المزمل • ثم المدثر • ثم تبت يدا ابي لهب • ثم
اذا الشمس كورت • ثم سبح اسم ربك الاعلى • ثم والليل اذا يغشى • ثم والفجر • ثم والضحى
ثم الم نشرح • ثم والعصر • ثم والعاديات • ثم انا اعطيناك الكوثر • ثم الهاكم التكاثر
ثم ارايت • ثم قل يا ايها الكافرون • ثم الفيل • ثم قل هو الله احد • ثم والنجم • ثم عبس •
ثم سورة القدر • ثم البروج • ثم والتين • ثم لايلاف قريش • ثم القارعة • ثم القيامة •
ثم الهمزة • ثم المرسلات • ثم ق • ثم سورة البلد • ثم الطارق • ثم اقتربت الساعة •
ثم ص • ثم الاعراف • ثم الجن • ثم يس • ثم الفرقان • ثم فاطر • ثم مريم • ثم طه • ثم الواقعة
ثم الشعراء • ثم النمل ثم القصص • ثم بني اسرائيل • ثم يونس • ثم هود • ثم يوسف • ثم الحجر
ثم الانعام • ثم والصافات • ثم لقمان • ثم سبا • ثم الزمر • ثم المؤمن • ثم السجدة • ثم عسق
ثم الزخرف • ثم الدخان • ثم الجاثية • ثم الاحقاف • ثم الذاريات • ثم الغاشية •
ثم الكهف • ثم النحل ثم نوح • ثم ابراهيم • ثم الانبياء • ثم المؤمنون • ثم تنزيل السجدة • ثم
الطور • ثم الملك • ثم الحاقة • ثم سال سائل • ثم عم يتساءلون • ثم النازعات • ثم اذا
السماء انفطرت • ثم اذا السماء انشقت • ثم الروم • ثم العنكبوت **واختلفوا** في اخر
ما نزل بمكة فقال ابن عباس العنكبوت وقال الضحاك وعطاء المؤمنون وقال مجاهد
ويل للمطففين فهذا ترتيب ما نزل من القران بمكة فذلك ثلاث وثمانون سورة على
ما استقرت عليه روايات الثقات **واما ما نزل بالمدينة** فاحد وثلاثون سورة فاول
ما نزل بالمدينة سورة البقرة • ثم الانفال ثم ال عمران • ثم الاحزاب • ثم الممتحنة • ثم
النساء • ثم اذا زلزلت الارض ثم الحديد • ثم سورة محمد صلى الله عليه وسلم • ثم الرعد •
ثم سورة الرحمن • ثم هل اتى على الانسان • ثم الطلاق • ثم لم يكن • ثم الحشر • ثم الفلق •
ثم الناس • ثم اذا جاء نصر الله • ثم النور • ثم الحج • ثم المنافقون • ثم المجادلة • ثم الحجرات
ثم التحريم • ثم الصف • ثم الجمعة • ثم التغابن • ثم الفتح • ثم التوبة • ثم المائدة • ومنهم
من يقدم المائدة على التوبة فهذا ترتيب ما نزل من القران بالمدينة واختلفوا في سور
فقيل نزلت بمكة وقيل نزلت بالمدينة وسنذكرها في مواضعها ان شاء الله تعالى

فصل في كون القران نزل على سبعة احرف وما قيل في ذلك

• ق • عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرا سورة الفرقان في حياة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته فاذا هو يقرا على حروف كثيرة لم يقرئنيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكدت اساوره في الصلاة فتربصت حتى سلم فلببته بردائه
فقلت من اقراك هذه السورة التي سمعتك تقرؤها قال اقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت كذبت فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اقرانيها على غير ما قرات فانطلقت

به أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه **قوله** فكدت أساوره في الصلاة أي أواثبه وأقاتله وهو في الصلاة والتربص التثبت **قوله** فلببته بردائه هو بتشديد الباء الأولى ومعناه أخذت بمجامع ردائه في عنقه وجذبته به مأخوذ من اللبة وفيه بيان ما كانوا عليه من الاعتناء بالقرآن والذب عنه والمحافظة على لفظه كما سمعوه من غير عدول إلى ما تجوزه العربية وأما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر بإرساله فلأنه لم يثبت عنده ما يقتضي تعزيره ولأن عمر إنما نسبه إلى المخالفة في القراءة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم من جواز القراءة ووجوهها ما لا يعلمه عمر ولأنه إذا قرأ وهو ملببه لا يتمكن من حضور القلب وتحقيق القراءة تمكن المطلق **قوله** إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه قال العلماء أنزل على سبعة أحرف التخفيف والتسهيل واختلفوا في المراد بسبعة أحرف فقيل هو توسعة وتسهيل ولم يقصد به الحصر وقال الأكثرون هو حصر العدد في سبعة أحرف ثم قيل هي في سبع من المعاني كالوعد والوعيد والمحكم والمتشابه والحلال والحرام والقصص والأمثال والأمر والنهي وقيل هي في صورة التلاوة وكيفية النطق بكلمات القرآن من إدغام وإظهار وتفخيم وترقيق ومد وقصر وإمالة لأن العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه فيسر الله تعالى عليهم ليقرأ كل إنسان بما يوافق لغته ويسهل على لسانه **وقال** أبو عبيد هي سبع لغات من لغات العرب يمنها ومعدها وهي أفصح لغات العرب وأعلاها وقيل هي لغة قريش وهوازن وهذيل وأهل اليمن وقيل السبعة كلها لمضر وحدها وهي متفرقة في القرآن العزيز غير مجتمعة في كلمة واحدة وقيل بل هي مجتمعة في بعض الكلمات كقوله تعالى وعبد الطاغوت ويرتع ويلعب وباعد بين أسفارنا وبعذاب بئيس وقيل هي سبع قراءات وهو الصحيح الموافق للحديث لأن هذه السبعة ظهرت واستفاضت عن النبي صلى الله عليه وسلم وضبطها عنه الصحابة وأثبتها عثمان والجماعة في المصاحف وأخبروا بصحتها وحذفوا عنها ما لم يثبت متواترا وأن هذه الأحرف تختلف معانيها تارة وألفاظها أخرى وليست متضادة ولا متباينة فأما من قال إن المراد بالأحرف سبعة معان مختلفة كالأحكام والأمثال والقصص فخطأ محض لأن النبي صلى الله عليه وسلم أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الحروف وإبدال حرف بحرف وقد تقرر إجماع المسلمين أنه يحرم إبدال آية أمثال بآية أحكام وقول من قال المراد خواتيم الآي فيجعل مكان غفور رحيم سميع عليم فاسد أيضا وخطأ للإجماع على أنه لا يجوز تغيير نظم القرآن والله أعلم **ق** عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أقرأني جبريل على حرف فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف. معنى الحديث لم أزل أطلب من جبريل أن يطلب من الله الزيادة في الأحرف للتوسعة والتخفيف ويسأل جبريل ربه عز وجل فيزيده حتى انتهى إلى السبعة **م** عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال كنت في المسجد فدخل رجل يصلي فقرأ قراءة أنكرتها عليه ثم دخل آخر فقرأ قراءة سوى

قراءة صاحبه فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه فدخل آخر فقرأ سوى قراءة صاحبه فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرآ فحسّن النبي صلى الله عليه وسلم شأنهما فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدري ففضت عرقا وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقا فقال لي يا أبي أرسل إلي أن اقرأ على حرف واحد فرددت إليه أن هوّن على أمتي فرد إلي الثانية أن اقرأه على حرفين فرددت إليه أن هون على أمتي فرد إلي الثالثة أن اقرأه على سبعة أحرف ولك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها فقلت اللهم اغفر لأمتي اللهم اغفر لأمتي وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلي الخلق كلهم حتى إبراهيم **قوله** فسقط في نفسي من التكذيب ولا إذ كنت في الجاهلية معناه وسوس لي الشيطان تكذيبا للنبوة أشد مما كنت عليه في الجاهلية لأنه كان في الجاهلية غافلا ومشككا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب وقيل معناه أنه اعترته حيرة ودهشة ونزغ الشيطان في نفسه تكذيبا لم يعتقده وهذه الخواطر إذا لم يستمر عليها الإنسان لا يؤاخذ بها **قوله** ضرب في صدري ففضت عرقا قال القاضي عياض ضربه صلى الله عليه وسلم في صدره تثبيت له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم **قوله** وكأنما أنظر إلى الله تعالى فرقا الفرق بالتحريك الخوف والخشية والمعنى أنه غشيه من الهيبة والخوف والخجل حين ضربه ما أزال عنه ذلك الخاطر **قوله** تعالى ولك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها معناه مسألة مجابة قطعا وأما باقي الدعوات فمرجوة الإجابة وليست قطعية والله أعلم **وروى** البغوي بسنده عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن القرآن أنزل على سبعة أحرف لكل آية منه ويروى لكل حرف منه ظهر وبطن ولكل حد مطلع فقيل معناه الظهر لفظ القرآن والبطن تأويله وقيل الظهر ما حدث عن أقوام أنهم عصوا فعوقبوا فهو في الظاهر خبر وفي الباطن عظة وقيل الظهر التلاوة باللسان كما أنزل والبطن التدبر والتفهم والتفكر بالقلب فالتلاوة باللسان تكون بالتعليم والتلقين والتدبر والتفهم يكون بصدق النية وتعظيم الحرمة وإخلاص العمل وطيب المطعم من الحلال المحض **قوله** ولكل حد مطلع معناه مصعد يصعد إليه من معرفة علمه وقيل المطلع الفهم وقد يفتح الله تعالى على المتدبر والمتفكر في القرآن العزيز من التأويل والمعاني ما لا يفتحه على غيره وفوق كل ذي علم عليم

فصل في معنى التفسير والتأويل

فأما التفسير فأصله في اللغة من الفسر وهو كشف ما غطي وهو بيان المعاني المعقولة وكل ما يعرف به الشيء ومعناه فهو تفسير وقد يقال فيما يختص بمفردات الألفاظ وغريبها تفسير وقيل هو من التفسرة وهو الدليل الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض فكذلك المفسر يكشف عن معنى الآية وشأنها وقصتها وأما التأويل فاشتقاقه من الأول وهو الرجوع إلى الأصل يقال أولته فآل أي صرفته فانصرف وهو رد الشيء إلى الغاية المرادة منه وبيان غايته المقصودة منه فالتأويل بيان المعاني والوجوه المستنبطة الموافقة للفظ الآية والفرق بين التفسير والتأويل أن التفسير يتوقف على النقل المسموع والتأويل يتوقف على الفهم الصحيح والله أعلم

القول في الاستعاذة

ولفظها المختار أعوذ بالله من الشيطان الرجيم الموافقة قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومعنى أعوذ

بالله التجئ اليه وامتنع به مما اخشاه من عاذ يعوذ **من الشيطان** اصله من شطن اي تباعد
من الرحمة وقيل من شاط يشيط اذا هلك واحترق غضبا والشيطان اسم لكل عارم عاتٍ
من الجن والانس وشيطان الجن مخلوق من قوة النار فلذلك فيه القوة الغضبية **الرجيم**
فعيل بمعنى فاعل اي يرجم بالوسوسة والشر وقيل بمعنى مفعول اي مرجوم بالشهب عند
استراق السمع وقيل مرجوم بالعذاب وقيل مرجوم بمعنى مطرود عن الرحمة وعن الخيرات
وعن منازل الملأ الاعلى **واما** حكم الاستعاذة ففيه مسائل **المسئلة الاولى** اتفق
الجمهور على ان الاستعاذة سنة في الصلاة فلو تركها لم تبطل صلاته سواء تركها عمدا
او سهوا ويستحب لقارئ القرآن خارج الصلاة ان يتعوذ ايضا وحكي عن عطاء وجوبها
سواء كانت في الصلاة او غيرها وقال ابن سيرين اذا تعوذ الرجل في عمره مرة واحدة كفى في
اسقاط الوجوب **دليل الوجوب** ظاهر قوله تعالى فاستعذ والامر للوجوب وان النبي
صلى الله عليه وسلم واظب على التعوذ فيكون واجبا **ودليل الجمهور** ان النبي صلى الله عليه
وسلم لم يعلم الاعرابي الاستعاذة في جملة اعمال الصلاة وتاخير البيان عن وقته غير
جائز واجيب عن قوله تعالى فاستعذ بان معناه عند جماهير العلماء اذا اردت القراءة
فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلوة فاغسلوا معناه اذا اردتم القيام الى الصلوة
واجيب عن مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم بانه صلى الله عليه وسلم واظب على اشياء
كثيرة من افعال الصلاة ليست بواجبة كتكبيرات الانتقالات والتسبيحات في الصلاة
فكان التعوذ مثلها **المسئلة الثانية** وقت الاستعاذة قبل القراءة عند الجمهور
سواء كان في الصلاة او خارجها وحكي عن النخعي انه بعد القراءة وهو قول داود واحد
الروايتين عن ابن سيرين حجة الجمهور ما روي عن ابي سعيد الخدري قال كان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة بالليل كبر ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك
اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك ثم يقول الله اكبر كبيرا ثم يقول اعوذ بالله السميع العليم
من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه اخرجه الترمذي وقال هذا الحديث اشهر
حديث في الباب وقد تكلم في بعض رجاله وقال احمد لا يصح ولابي داود والنسائي عن ابي سعيد
نحوه وعن جبير بن مطعم انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا ادري
اي صلاة هي قال الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا والحمد لله كثيرا
والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه
ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود وقيل
الموتة الجنون لان من جن قد مات عقله وقيل همزه هو الذي يوسوسه في الصلاة ونفخه
هو الذي يلقيه من الشبه في الصلاة ليقطع عليه صلاته واحتج مخالف الجمهور بظاهر
قوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ واجيب عنه بما تقدم **وقال** مالك لا يتعوذ
في المكتوبة ويتعوذ في قيام رمضان بعد القراءة لنا ما تقدم من الادلة **المسئلة
الثالثة** المختار من لفظ الاستعاذة عند الشافعي اعوذ بالله من الشيطان الرجيم
وبه قال ابو حنيفة لموافقة قوله تعالى فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولحديث
جبير بن مطعم وقال احمد الاولى ان يقول اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
جمعا بين هذه الاية وبين قوله تعالى فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ولحديث ابي سعيد
وقال الثوري والاوزاعي الاولى ان يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع
العليم وبالجملة فالاستعاذة تطهير للقلب ومن لطائف الاستعاذة ان قوله اعوذ

بالله

بالله من الشيطان الرجيم اقرار من العبد بالعجز والضعف واعتراف من العبد بقدرة الباري
عز وجل وانه الغني القادر على دفع جميع المضرات والآفات واعتراف من العبد ايضا
بان الشيطان عدو مبين ففي الاستعاذة التجاء الى الله تعالى القادر على دفع وسوسة الشيطان
الغوي الفاجر وانه لا يقدر على دفعه عن العبد الا الله تعالى والله اعلم **تفسير سورة
الفاتحة** وهي سبع آيات بالاتفاق وسبع وعشرون كلمة ومائة واربعون حرفا
واختلف العلماء في نزولها فقيل نزلت بمكة وهو قول اكثر العلماء وقيل نزلت بالمدينة
وهو قول مجاهد وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة وسبب ذلك التنبيه على شرفها
وفضلها **ولها عدة اسماء** وكثرة الاسماء تدل على شرف المسمى وفضله فاول ذلك فاتحة الكتاب
سميت بذلك لانه بها افتتح القرآن وبها تفتتح كتابة المصاحف وبها تفتتح الصلاة
الثاني سورة الحمد سميت بذلك لافتتاحها بالحمد لله **الثالث** ام القرآن وام الكتاب
سميت بذلك لانها اصل القرآن وام كل شيء اصله وقيل هي امام لما يتلوها من السور
الرابع السبع المثاني سميت بذلك لانها تثنى في الصلاة ويقرأ بها في كل ركعة وقيل
لان الله تعالى استثناها لهذه الامة فذخرها لهم لم ينزلها على غيرهم وقيل لانها انزلت
مرتين **الخامس** الوافية سميت بذلك لانها لا تقسم في القراءة في الصلاة كما يقسم
غيرها من السور **السادس** الكافية سميت بذلك لانها تكفي عن غيرها في الصلاة ولا
يكفي عنها غيرها **فصل في ذكر فضلها خ** عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت
اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول
الله اني كنت اصلي فقال الم يقل الله استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم ثم قال لي
لاعلمنك سورة هي اعظم السور في القرآن قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدي فلما
اراد ان يخرج قلت يا رسول الله الم تقل لاعلمنك سورة هي اعظم سورة في القرآن
قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته ورواه مالك
في الموطأ عنه وقال فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم نادى ابي بن كعب وهو يصلي وذكر
نحوه وفيه حتى تعلم سورة ما انزل في التوراة ولا في الانجيل ولا في القرآن مثلها ورواه
الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي وهو
يصلي وذكر نحو رواية مالك في الموطأ وقال فيه حديث حسن صحيح **عن** ابي بن كعب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انزل الله في التوراة ولا في الانجيل مثل ام القرآن
وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل اخرجه الترمذي
والنسائي **عن** ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله
رب العالمين ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني اخرجه ابو داود والترمذي
وقال حديث حسن صحيح **م** عن ابن عباس قال بينا جبريل قاعد عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال هذا باب من السماء
فتح اليوم ولم يفتح قط الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض
لم ينزل قط الا اليوم فسلم وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة
الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ بحرف منهما الا اعطيته **قوله** سمع نقيضا هو بالقاف
والضاد المعجمة اي صوتا كصوت فتح الباب **م** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بام القرآن فهي خداج هي خداج هي خداج
غير تمام فقال فقلت يا ابا هريرة انا احيانا نكون وراء الامام فغمز ذراعي وقال اقرأ

بما في نفسك يا فارسي فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك
وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي
ما سأل فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال الرحمن
الرحيم قال اثنى علي عبدي واذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي وقال مرة
فوض الي عبدي واذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي
ما سأل واذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب
عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل **قوله** فهي خداج اي ناقصة. **قوله**
ذراعي اي كبر ساعدي بيده **قوله** قسمت الصلاة اراد بالصلاة هنا القراءة لانه فسرها
بها ولان القراءة ركن من اركانها وجزء من اجزائها **قوله** نصفين حقيقة هذه القسمة
التي جعلها بينه وبين عبده راجعة الى المعنى لا الى اللفظ لان هذه السورة من جهة المعنى
نصفها ثناء ونصفها مسألة ودعاء وقسم الثناء انتهى عند قوله تعالى اياك نعبد وقوله
واياك نستعين من قسم الدعاء ولهذا قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل
قوله حمدني عبدي ومجدني عبدي اي اثنى علي لان الحمد هو الثناء بجميل الفعال والتمجيد
هو الثناء بصفات الجلال وقيل التحميد والتمجيد التعظيم وقوله وربما قال فوض الي
عبدي وجه مطابقة هذا لقوله مالك يوم الدين يقال فوض فلان امره الى فلان
اذا رده اليه وعول فيه عليه وفي الحديث دليل على وجوب قراءة الفاتحة فانها
متعينة وهو مذهب الشافعي وجماعة وستأتي هذه المسألة ان شاء الله تعالى بعد
ذكر تفسير سورة الفاتحة والله اعلم **بسم الله الرحمن الرحيم** الباء في بسم
الله حرف خافض يخفض ما بعده مثل من وعن والمتعلق به مضمر محذوف لدلالة الكلام
عليه تقديره ابدأ بسم الله او بسم الله ابدأ او اقرأ وانما طولت الباء في بسم الله واسقطت
الالف طلبا للخفة وقيل لما اسقطوا الالف ردوا طوله على الباء ليدل طولها على الالف
المحذوفة واثبتت الالف في قوله تعالى فسبح باسم ربك العظيم لقلة استعماله وقيل
انما طولوا الباء لانهم ارادوا ان يستفتحوا كتاب الله بحرف معظم وقيل الباء حرف منخفض
الصورة فلما اتصلت ببسم الله ارتفعت واستعلت وقيل ان عمر بن عبد العزيز كان
يقول لكتابه طولوا الباء من بسم الله واظهروا السين ودوروا الميم تعظيما لكتاب الله
عز وجل والاسم هو المسمى عينه وذاته قال الله تعالى انا نبشرك بغلام اسمه يحيى
ثم نادى الاسم فقال يا يحيى وقال سبح اسم ربك وتبارك اسم ربك وهذا القول ليس
بقوي والصحيح المختار ان الاسم غير المسمى وغير التسمية فالاسم ما يعرف به ذات
الشيء وذلك لان الاسم هو الاصوات المقطعة والحروف المؤلفة الدالة على ذات
ذلك الشيء المسمى به فثبت بهذا ان الاسم غير المسمى وايضا فقد تكون الاسماء كثيرة والمسمى
واحد كقوله تعالى ولله الاسماء الحسنى وقد يكون الاسم واحدا والمسميات به كثيرة كالاسماء
المشتركة وذلك يوجب المغايرة وايضا فقوله فادعوه بها امر ان يدعى الله باسمائه فالاسم
آلة الدعاء والمدعو هو الله تعالى فالمغايرة حاصلة بين ذات المدعو وبين اللفظ المدعو
به واجيب عن قوله انا نبشرك بغلام اسمه يحيى بان المراد ذات الشخص المعبر عنه بيحيى
لا نفس الاسم واجيب عن قوله تعالى فسبح اسم ربك وتبارك اسم ربك بان معنى
هذه يقتضي اضافة الاسم الى الله تعالى واضافة الشيء الى نفسه محال وقيل كما
يجب تنزيه ذاته تعالى عن النقص فكذلك يجب تنزيه اسمائه وكون الاسم غير التسمية

هو ان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ المعين لتعريف ذات الشيء والاسم عبارة
عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر واختلفوا في اشتقاق الاسم فقال البصريون
من السمو وهو العلو فاسم الشيء ما علاه حتى ظهر به وعلا عليه فكانه علا على معناه وصار
علما له وقال الكوفيون من السمة وهي العلامة فكانه علامة لمسماه وحجة البصريين لو
كان اشتقاقه من السمة لكان تصغيره وسيم وجمعه اوسام واجمعوا على ان تصغيره سمي
وجمعه اسام واسماء **الله** هو اسم علم خاص لله تعالى تفرد به الباري سبحانه وتعالى
ليس بمشتق ولا يشركه فيه احد وهو الصحيح المختار دليله قوله تعالى هل تعلم له
سميا يعني لا يقال لغير الله وقيل هو مشتق من أله يأله الاهة مثل عبد الرجل يعبد
عبادة دليله ويذرك والهتك اي وعبادتك ومعناه المستحق للعبادة دون غيره وقيل
من الوله اي الفزع لان الخلق يولهون اليه اي يفزعون اليه في حوائجهم قال بعضهم

ولهت اليكم في بلايا تنوبني . فالفيتكم فيها كرايم محتد

وقيل اصله اله يقال الهت الى فلان اي سكنت اليه فكان الخلق يسكنون اليه ويطمئنون
بذكره وقيل اصله ولاه فابدلت الواو همزة سمي بذلك لان كل مخلوق واله نحوه اما
بالتسخير او بالارادة ومن هذا قيل الله محبوب كل الاشياء يدل عليه وان من شيء الا يسبح بحمده
ومن خصائص هذا الاسم الشريف انك اذا حذفت منه شيئا بقي الباقي يدل عليه
فان حذفت الالف بقي لله وان حذفت اللام واثبت الالف بقي اله وان حذفتهما بقي له وان
حذفت الالف واللامين معا بقي هو والواو عوض من الضمة وذهب بعضهم الى ان هذا
الاسم هو الاسم الاعظم لانه يدل على الذات وباقي الاسماء تدل على الصفات **الرحمن
الرحيم** قال ابن عباس هما اسمان رقيقان احدهما ارق من الآخر قيل هما بمعنى مثل ندمان
ونديم ومعناهما ذو الرحمة وانما جمع بينهما للتأكيد وقيل ذكر احدهما بعد الآخر تطميعا
لقلوب الراغبين اليه وقيل الرحمن فيه معنى العموم والرحيم فيه الخصوص فالرحمن
بمعنى الرازق في الدنيا وهو على العموم لكافة الخلق المؤمن والكافر والرحيم بمعنى العفو
والكافي للمؤمنين في الآخرة فهو على الخصوص ولذلك قيل رحمن الدنيا ورحيم الآخرة
ورحمة الله ارادة الخير والاحسان لاهله وقيل هي ترك عقوبة من يستحق العقاب واسداء
الاحسان الى من لا يستحق فهي على الاول صفة ذات وعلى الثاني صفة فعل وقيل الرحمن
يكشف الكروب والرحيم يغفر الذنوب وقيل الرحمن بتبيين الطريق والرحيم بالعصمة
والتوفيق

فصل في حكم البسملة وفيه مسألتان

المسألة الاولى في كون البسملة
من الفاتحة وغيرها من السور سوى سورة براءة واختلف العلماء في ذلك فذهب الشافعي
وجماعة من العلماء الى انها آية من الفاتحة ومن كل سورة ذكرت في اولها سوى سورة براءة
وهو قول ابن عباس وابن عمر وابي هريرة وسعيد بن جبير وعطاء وابن المبارك واحمد في احدى
الروايتين عنه واسحاق ونقل البيهقي هذا القول عن علي بن ابي طالب والزهري والثوري
ومحمد بن كعب وذهب الاوزاعي ومالك وابو حنيفة الى ان البسملة ليست باية من الفاتحة
زاد ابو داود ولا من غيرها من السور وانما هي بعض آية في سورة النمل وانما كتبت للفصل
والتبرك قال مالك ولا يستفتح بها في الصلاة المفروضة وللشافعي قول انها ليست
من اوائل السور مع القطع بانها من الفاتحة فاما حجة من منع كون البسملة آية من الفاتحة
وغيرها حديثا انس المشهور المخرج في الصحيحين وحديث عائشة قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين قالوا ولان

ما نزل به جبريل اقرأ باسم ربك الذي خلق ولم يذكر البسملة في أولها فدل على أنها ليست منها
قالوا ولأن محل القرآن لا يثبت إلا بالتواتر والاستفاضة ولأن الصحابة اجمعوا على عدد
كثير من السور منها سورة الملك ثلاثون آية وسورة الكوثر ثلاث آيات وسورة الإخلاص
أربع آيات فلو كانت البسملة منها لكانت خمسا وأما حجة من ذهب إلى إثباتها في أوائل السور
من جهة النقل فقد صح عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ البسملة في أول الفاتحة
في الصلاة وعدها آية وعن ابن عباس في قوله ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن
العظيم قال هي فاتحة الكتاب قيل فأين السابعة قال بسم الله الرحمن الرحيم أخرجهما
ابن خزيمة وغيره وروي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يعلم فصل السورة
وفي رواية انقضاء السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم أخرجه أبو داود والحاكم
أبو عبد الله في مستدركه وقال فيه صحيح على شرط الشيخين وروى الدارقطني عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأتم الحمد فاقرؤوا بسم الله الرحمن الرحيم فإنها
أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني وبسم الله الرحمن الرحيم أحد آياتها قال
الدارقطني في رجال إسناده كلهم ثقات وروي موقوفا وروى الدارقطني عن أم سلمة أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى آخرها قطعها
آية آية وعدها عد الأعراب وعد بسم الله الرحمن الرحيم آية ولم يعد عليهم وأخرج مسلم
في أفراده عن أنس رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا إذ
أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله قال أنزل علي آنفا سورة
فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر الحديث قال البيهقي أحسن ما احتج
به أصحابنا في أن بسم الله الرحمن الرحيم من القرآن وأنها من فواتح السور سوى سورة براءة
ما رويناه في جمع الصحابة كتاب الله عز وجل في المصاحف أنهم كتبوا بسم الله الرحمن الرحيم
على رأس كل سورة سوى سورة براءة فكيف يتوهم متوهم أنهم كتبوا فيها مائة وثلاث عشرة
آية ليست من القرآن قال وقد علمنا بالروايات الصحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه
كان يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة وروى الشافعي بسنده عن ابن عمر أنه كان
لا يدع بسم الله الرحمن الرحيم لأم القرآن والسورة التي بعدها زاد غيره عنه أنه كان يقول
لم كتبت في المصحف إن لم تقرأ وروى الشافعي عن ابن عباس أنه كان يفعله ويقول انتزع
الشيطان منهم خير آية في القرآن وفي أفراد البخاري من حديث أنس أنه سئل كيف كانت قراءة
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت مدا ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله
ويمد الرحمن ويمد الرحيم فقد ثبت بهذه الأدلة الصحيحة الواضحة أن البسملة من الفاتحة
ومن كل موضع ذكرت فيه وأيضا فإجماع الصحابة على إثباتها في المصاحف وأنهم طلبوا
بكتابة المصاحف تجريد كلام الله عز وجل المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرآنا وتدوينه
من أن يزيدوا فيه أو ينقصوا منه ولهذا لم يكتبوا فيه لفظة آمين وإن كان قد ورد أنه
كان يقولها بعد الفاتحة فلو لم تكن البسملة من القرآن في أوائل السور لما كتبوها وكان
حكمها حكم آمين

المسئلة الثانية في حكم الجهر بالبسملة والإسرار

إذا ثبت بما
تقدم من الأدلة أن البسملة آية من الفاتحة ومن غيرها من السور حيث كتبت كان حكمها في
الجهر والإسرار حكم الفاتحة فيجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية ويسر بها مع
الفاتحة في الصلاة السرية وممن قال بالجهر بالبسملة من الصحابة أبو هريرة وابن عباس
وابن عمر وابن الزبير ومن التابعين فمن بعدهم سعيد بن جبير وأبو قلابة والزهري وعكرمة

وعطا

وعطاء وطاووس ومجاهد وعلي بن الحسين وسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي وابن سيرين
وابن المنكدر ونافع مولى ابن عمر وزيد بن أسلم ومكحول وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار
ومسلم بن خالد وإليه ذهب الشافعي وهو أحد قولي ابن وهب صاحب مالك ويحكى أيضا
عن ابن المبارك وأبي ثور وممن ذهب إلى الإسرار بها من الصحابة رضي الله عنهم أبو بكر وعمر
وعثمان وعلي وابن مسعود وعمار بن ياسر وابن مغفل وغيرهم ومن بعدهم الحسن والشعبي
وإبراهيم النخعي وقتادة والأعمش والثوري وإليه ذهب مالك وأبو حنيفة وأحمد وغيرهم
أما حجة من قال بالجهر فقد روى جماعة من الصحابة منهم أبو هريرة وابن عباس وأنس
وعلي بن أبي طالب وسمرة بن جندب وأم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم جهر بالبسملة فمنهم
من صرح بذلك ومنهم من فهم ذلك من عبارته ولم يرد في صريح الإسرار بها عن النبي
صلى الله عليه وسلم إلا روايتان إحداهما ضعيفة وهي رواية عبد الله بن مغفل والأخرى
عن أنس وهي في الصحيح وهي معللة بما أوجب سقوط الاحتجاج بها وروى نعيم بن عبد الله
المجمر قال صليت وراء أبي هريرة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ثم قرأ بأم القرآن وذكر
الحديث وفيه ثم يقول إذا سلم إني لأشبهكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم
أخرجه النسائي وابن خزيمة في صحيحه وقال أما الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فقد ثبت
وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى الدارقطني بسنده عن أبي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم كان إذا قرأ وهو يؤم الناس افتتح ببسم الله الرحمن الرحيم وذكر
الحديث قال الدارقطني إسناده كلهم ثقات وعن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه
يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطني وقال البيهقي رواته مجروح وأخرجه
الحاكم أبو عبد الله وقال إسناده صحيح وليس له علة وفي رواية عن ابن عباس قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطني
وقال البيهقي إسناده مجروح وأخرجه الترمذي وقال ليس إسناده بذاك قال
الشيخ أبو شامة أي ليس مثل إسناد ما في الصحيح وكذا إذا انضم إلى ما تقدم
من الأدلة رجح على ما في الصحيح وعن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يجهر بالقراءة
ببسم الله الرحمن الرحيم أخرجه الدارقطني وقال إسناده صالح وفيه عن محمد بن
أبي السري العسقلاني قال صليت خلف المعتمر بن سليمان ما لا أحصي صلاة الصبح
والمغرب فكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فاتحة الكتاب وبعدها وسمعت
المعتمر يقول ما آلو أن أقتدي بصلاة أنس بن مالك وقال أنس ما آلو أن أقتدي بصلاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه الدارقطني وقال كلهم ثقات وأخرجه الحاكم
وقال رواة هذا الحديث كلهم ثقات قلت وفي الباب أحاديث وأدلة وإيرادات
وأجوبة من الجانبين يطول ذكرها وفي هذا القدر كفاية وبالله التوفيق والله أعلم
قوله تعالى **الحمد لله** لفظه خبر كأنه قال سبحانه وتعالى يخبر أن المستحق للحمد هو الله
تعالى ومعناه الأمر أي قولوا الحمد لله وفيه تعليم الخلق كيف يحمدونه والحمد والمدح أخوان
وقيل بينهما فرق وهو أن المدح قد يكون قبل الإحسان وبعده والحمد لا يكون إلا بعد الإحسان
وقيل إن المدح قد يكون منهيا عنه وأما الحمد فمأمور به والحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة
ويكون بمعنى الثناء بجميل الأفعال تقول حمدت الرجل على علمه وكرمه والشكر لا يكون
إلا على النعمة فالحمد أعم من الشكر إذ لا تقول شكرت فلانا على علمه فكل حامد شاكر
وليس كل شاكر حامدا وقيل الحمد باللسان قولا والشكر بالأركان فعلا والحمد ضد الذم

واللام في لله لام الاستحقاق كقولك الدار لزيد يعني انه المستحق للحمد لانه المحسن المتفضل على كافة الخلق على الاطلاق **رب العالمين** الرب بمعنى المالك كما يقال رب الدار ورب الشيء اي مالكه ويكون بمعنى التربية والاصلاح يقال رب فلان الضيعة يربها اذا اصلحها فالله تعالى مالك العالمين ومربيهم ومصلحهم ولا يقال الرب للمخلوق معرفا بل يقال رب الشيء مضافا والعالمين جمع عالم لا واحد له من لفظه وهو اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فيه جميع الخلق وقال ابن عباس هم الجن والانس لانهم المكلفون بالخطاب وقيل العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والجن والانس ولا يقال للبهائم عالم لانهما لا تعقل واختلف في مبلغ عددهم فقيل لله الف عالم في البحر واربعمائة في البر وقيل ثمانون الف عالم اربعون الفا في البر ومثلهم في البحر وقيل ثمانية عشر الف عالم عالم الدنيا منها عالم واحد وما العمران في الخراب الا كفسطاط في صحرا • الفسطاط الخيمة واشتقاق العالم من العلم وقيل من العلامة وانما سمي بذلك لانه دال على الخالق سبحانه وتعالى **الرحمن الرحيم** فالرحمن هو المنعم بما لا يتصور صدور جنسه من العباد فلا يقال لغير الله رحمن ويقال لغيره من العباد رحيم فان قلت قد سمي مسيلمة الكذاب برحمن اليمامة وهو قول شاعرهم فيه • وانت غيث الورى لا زلت رحمانا • قلت هو من باب تعنتهم في كفرهم ومبالغتهم في مدح صاحبهم فلا يلتفت الى قولهم هذا فان قلت قد ذكر الرحمن الرحيم في البسملة فما فايدة تكريرهما مرة ثانية قلت ليعلم ان العناية بالرحمة اكثر من غيرها من الامور وان الحاجة اليها اكثر فنبه سبحانه وتعالى بتكريره ذكر الرحمة على كثرتها وانه هو المتفضل بها على خلقه • قوله تعالى **مالك يوم الدين** يعني انه سبحانه وتعالى صاحب ذلك اليوم الذي يكون فيه الجزاء والملك هو المتصرف بالامر والنهي وقيل هو القادر على اختراع الاعيان من العدم الى الوجود ولا يقدر على ذلك الا الله تعالى وقيل مالك اوسع من ملك لانه يقال مالك العبد والدابة ولا يقال ملك الا للاشيا ولانه لا يكون مالكا للشيء الا وهو يملكه وقد يكون ملكا للشيء ولا يملكه وقيل ملك اولى لان كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا وقيل هما بمعنى واحد مثل فرهين وفارهين قال ابن عباس مالك يوم الدين قاضي يوم الحساب وقيل الدين الجزاء ويقع على الخير والشر يقال كما تدين تدان وقيل هو يوم لا ينفع فيه الا الدين وقيل الدين القهر يقال دنته فدان اي قهرته فذل فان قلت لم خص يوم الدين بالذكر مع كونه مالكا للايام كلها قلت لان ملك الاملاك يومئذ زايلة فلا ملك ولا امر يومئذ الا لله تعالى كما قال تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن وقال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار وقد يسمى في دار الدنيا احاد الناس بالملك وذلك على المجاز لا على الحقيقة • قوله عز وجل **اياك نعبد** رجع من الخبر الى الخطاب وفايدة ذلك ان من اول السورة الى هنا ثناء والثناء في الغيبة اولى ومن قوله اياك نعبد دعا والخطاب في الدعا اولى وقيل فيه ضمير اي قولوا اياك نعبد والمعنى اياك نخص بالعبادة ونوحدك ونطيعك خاضعين لك والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل وسمي العبد عبدا لذلته وانقياده وقيل العبادة عبارة عن الفعل الذي يؤدى به الفرض لتعظيم الله تعالى فقول العبد اياك نعبد معناه لا اعبد احدا سواك والعبادة غاية التذلل من العبد ونهاية التعظيم للرب سبحانه لانه العظيم المستحق للعبادة ولا تستعمل العبادة الا في الخضوع لله تعالى لانه مولي اعظم النعم وهي ايجاد العبد من العدم الى الوجود ثم هداه الى دينه فكان العبد حقيقا بالخضوع والذلة **واياك نستعين** اي منك نطلب المعونة على عبادتك وعلى جميع امورنا فان قلت الاستعانة

على العمل انما تكون قبل الشروع فيه فلم اخر الاستعانة على العبادة وما الحكمة فيه قلت ذكروا فيه وجوها **احدها** انه لا يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله نجعل التوفيق والاستطاعة مع الفعل فلا فرق بين التقديم والتاخير **الثاني** ان الاستعانة نوع تعبد فكانه ذكر جملة العبادة اولا ثم ذكر ما هو من تفاصيلها ثانيا **الثالث** كان العبد يقول شرعت في العبادة فانا استعين بك على اتمامها فلا يمنعني عن اتمامها مانع **الرابع** ان العبد اذا قال اياك نعبد حصل له الفخر وذلك منزلة عظيمة فيحصل بسبب ذلك العجب فاردف ذلك بقوله واياك نستعين ليزول ذلك العجب الحاصل بسبب تلك العبادة **اهدنا الصراط المستقيم** اي ارشدنا وقيل ثبتنا وهو كما تقول للقائم قم حتى اعود اليك ومعناه دم على ما انت عليه وهذا الدعا من المومنين مع كونهم على الهداية بمعنى سوال التثبيت وطلب مزيد الهداية لان الالطاف والهدايات من الله تعالى لا تتناهى وهذا مذهب اهل السنة والصراط الطريق قال جرير

• امير المومنين على صراط • اذا اعوج الموارد مستقيم •

اي على طريقة حسنة قال ابن عباس هو دين الاسلام وقيل هو القران وروي ذلك مرفوعا وقيل السنة والجماعة وقيل معناه اهدنا صراط المستحقين للجنة **صراط الذين انعمت عليهم** هذا بدل من الاول اي الذين مننت عليهم بالهداية والتوفيق وهم الانبيا والمومنون الذين ذكرهم الله في قوله فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وقال ابن عباس هم قوم موسى وعيسى الذين لم يغيروا ولم يبدلوا وقيل هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واهل بيته **غير المغضوب عليهم** يعني غير صراط الذين غضبت عليهم والغضب في الاصل ثوران دم القلب وارادة الانتقام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الغضب فانه جمرة توقد في قلب ابن ادم الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه واذا وصف الله به فالمراد منه الانتقام فقط دون غيره وهو انتقامه من العصاة وغضب الله لا يلحق عصاة المومنين انما يلحق الكافرين **ولا الضالين** اي وغير الضالين عن الهدى واصل الضلال الغيبوبة والهلاك يقال ضل الما في اللبن اذا غاب فيه وهلك وقيل غير المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى عن عدي بن حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضلال اخرجه الترمذي وذلك لان الله تعالى حكم على اليهود بالغضب فقال من لعنه الله وغضب عليه وحكم على النصارى بالضلال فقال ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل وقيل غير المغضوب عليهم بالبدعة ولا الضالين عن السنة والله اعلم **فصل في امين وحكم الفاتحة وفيه مسئلتان الاولى** السنة للقارئ بعد فراغه من الفاتحة ان يقول امين مفصولا عنها بسكتة وهو مخفف وفيه لغتان المد والقصر قال في المد • ويرحم الله عبدا قال امينا • وقال في القصر • امين فزاد الله ما بيننا بعدا • ومعنى امين اللهم اسمع واستجب وقال ابن عباس معناه كذلك يكون وقيل هو اسم من اسما الله تعالى وقيل هو خاتم الله على عباده يدفع الله به عنهم الافات (ق) عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا امن الامام فامنوا فان من وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه قال ابن شهاب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول امين وفي رواية للبخاري قال الامام يقول امين فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه **قوله** فمن وافق تامينه تامين الملائكة معناه وافقهم في وقت التامين فامن مع تامينهم وقيل وافقهم

مطلب غضب الله لا يلحق عصاة المؤمنين انما يلحق الكافرين

في الصفة والخشوع والإخلاص والقول الأول هو الصحيح واختلفوا في هؤلاء الملائكة فقيل هم
الحفظة وقيل غيرهم من الملائكة **وقوله** غفر له ما تقدم من ذنبه يعني يغفر له الذنوب
الصغائر دون الكبائر وقوله آمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول آمين
معناه أن هذه صيغة تأمينه صلى الله عليه وسلم **المسألة الثانية في حكم الفاتحة**
اختلف العلماء في وجوب قراءة الفاتحة فذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء
إلى وجوب الفاتحة وأنها متعينة في الصلاة ولا تجزئ إلا بها واحتجوا بما روي عن عبادة
ابن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب
أخرجاه في الصحيحين وبحديث أبي هريرة من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج
ثلاثا غير تمام الحديث وقد تقدم في فضل سورة الفاتحة وذهب أبو حنيفة إلى أن الفاتحة
لا تتعين على المصلي بل الواجب عليه قراءة آية من القرآن طويلة أو ثلاث آيات قصار واحتج
بقوله تعالى فاقرءوا ما تيسر منه وبقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الأعرابي المسيء صلاته
ثم اقرأ بما تيسر معك من القرآن أخرجاه في الصحيحين. دليل الجمهور ما تقدم من الأحاديث
فإن قيل المراد من الحديث لا صلاة كاملة قلنا هذا خلاف ظاهر الحديث ومما يدل عليه
حديث أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزئ صلاة لمن لم يقرأ فيها بفاتحة
الكتاب أخرجه الدارقطني وقال إسناده صحيح وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أمره أن يخرج فينادي لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب فما زاد أخرجه أحمد وأبو داود وأجيب
عن حديث الأعرابي بأنه محمول على الفاتحة فإنها متيسرة أو على ما زاد على الفاتحة أو
على العاجز عن قراءة الفاتحة والله أعلم **تفسير سورة البقرة** قال ابن عباس
هي أول ما نزل بالمدينة قيل سوى آية وهي قوله واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله فإنها
نزلت يوم النحر بمكة في حجة الوداع وهي مائتان وست وقيل وسبع وثمانون آية وستة
آلاف ومائة وإحدى وعشرون كلمة وخمسة وعشرون ألف حرف وخمسمائة حرف **فصل
في فضلها** م عن أبي أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرءوا
القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعا لأصحابه اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران
فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو كأنهما فرقان من طير صواف
يحاجان عن صاحبهما اقرءوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة
قال معاوية بن سلام بلغني أن البطلة السحرة **قوله** اقرءوا الزهراوين سميتا بذلك
لنورهما وهدايتهما بنا لكل مستنير أمر **قوله** كأنهما غمامتان أو غيايتان قال
أهل اللغة الغمامة والغياية كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة وغيرها والمعنى
أن ثوابهما يأتي كغمامتين. قوله فرقان من طير صواف الفرق الجماعة من الطير والصواف
جمع صافة وهي التي تصف أجنحتها عند الطيران. يحاجان المحاجة المجادلة والتخاصم
وإظهار الحجة والبطلة السحرة كما جاء في الحديث مبينا يقال لهم بطلة إذ جاءوا بالباطل
وفي الحديث دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة آل عمران وكذا باقي السور ولا أنه
لا كراهة في ذلك وكرهه بعض المتقدمين وقال إنما يقال السورة التي يذكر فيها البقرة
وكذا باقي السور والصواب هو الأول وبه قال الجمهور لورود النص به م عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من
البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكل شيء سنام وإن سنام القرآن سورة البقرة وفيها آية هي سيدة آي القرآن آية الكرسي

اخرجه

أخرجه الترمذي وقال حديث غريب **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل الم
قيل إن حروف الهجاء في أوائل السور من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه وهي سر الله في القرآن
فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها إلى الله تعالى وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها قال أبو بكر
الصديق في كل كتاب سر وسر الله في القرآن أوائل السور وقال علي بن أبي طالب إن
لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي وأورد على هذا القول أنه لا يجوز
أن يخاطب الله عباده بما لا يعلمون وأجيب عنه بأنه يجوز أن يكلف الله عباده بما
لا يعقل معناه كرمي الجمار فإنه مما لا يعقل والحكمة فيه هو كمال الانقياد والطاعة فكذلك
هذه الحروف يجب الإيمان بها ولا يلزم البحث عنها وقال آخرون من أهل العلم هي معروفة
المعاني ثم اختلفوا فيها فقيل كل حرف منها مفتاح اسم من أسماء الله تعالى فالألف مفتاح
اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه مجيد وقيل الألف آلاء الله واللام
لطفه والميم ملكه ويؤيد هذا أن العرب تذكر حرفا من كلمة تريد كلها قال الراجز
قلت لها قفي فقالت قاف. لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف. قولها قاف أي وقفت
فاكتفت بجزء الكلمة عن كلها والإيجاف الإسراع في السير قال ابن عباس الم أنا الله
أعلم وقيل هي أسماء الله مقطعة لو علم الناس تأليفها لعلموا اسم الله الأعظم ألا ترى
أنك تقول الر وحم ون فيكون مجموعها الرحمن وكذلك سائرها ولكن لم يتهيأ تأليفها جميعا
وقيل أسماء السور وبه قال جماعة من المحققين وقال ابن عباس هي أقسام وقيل أقسم الله بهذه
الحروف لشرفها وفضلها لأنها مباني كتبه المنزلة وأسمائه الحسنى وصفاته العلى
وإنما اقتصر على بعضها وإن كان المراد كلها كما تقول قرأت الحمد لله وتريد أنك قرأت
السورة بكمالها فكأنه تعالى أقسم بهذه الحروف أن هذا الكتاب هو الكتاب المثبت في
اللوح المحفوظ وقيل إن الله تعالى لما تحدى أمم بقوله فأتوا بسورة من مثله بعشر سور مثله
فعجزوا عنه أنزل هذه الأحرف ومعناه أن القرآن ليس هو إلا من مثل الأحرف وأنتم قادرون
عليها فكان يجب أن تأتوا بمثله فلما عجزتم عنه دل ذلك على أنه من عند الله لا من عند البشر
وقيل إنهم لما أعرضوا عن سماع القرآن وأراد الله صلاح بعضهم أنزل هذه الأحرف فكانوا
إذا سمعوها قالوا كالمتعجبين اسمعوا إلى ما يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم فإذا أصغوا إليه
وسمعوه رسخ في قلوبهم فكان ذلك سببا لإيمانهم وقيل إن الله تعالى خير أعقول الخلق في ابتداء
خطابه ليعلموا أن لا سبيل لأحد إلى معرفة خطابه إلا باعترافهم بالعجز عن معرفة كنه
حقيقة خطابه واعلم أن مجموع الأحرف المنزلة في أوائل السور أربعة عشر حرفا في تسع
وعشرين سورة وهي الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين
والطاء والسين والحاء والقاف والنون وهي نصف حروف المعجم وسيأتي الكلام على باقيها
في مواضعها إن شاء الله تعالى. وقوله تعالى **ذلك الكتاب** أي هذا الكتاب وهو القرآن وقيل
فيه إضمار والمعنى هذا الكتاب ذلك الكتاب الذي وعدتك به وكان الله قد وعد نبيه صلى الله
عليه وسلم أن ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يخلق على كثرة الرد فلما أنزل القرآن قال هذا
ذلك الكتاب الذي وعدتك به وقيل إن الله وعد بني إسرائيل أن ينزل كتابا ويرسل رسولا
من بني إسماعيل فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وبها من اليهود خلق كثير
أنزل هذه الآية المراد ذلك الكتاب أي هذا ذلك الكتاب الذي وعدت به على لسان موسى
أن أنزله على النبي الذي من ولد إسماعيل والكتاب مصدر بمعنى المكتوب وأصله الضم والجمع
ومنه يقال للجند كتيبة لاجتماعها فسمي الكتاب كتابا لأنه يجمع الحروف بعضها إلى بعض

والكتاب اسم من اسماء القرآن **لا ريب فيه** اي لا شك فيه انه من عند الله وانه الحق والصدق
وقيل هو خبر بمعنى النهي اي لا ترتابوا فيه فان قلت قد ارتاب فيه قوم فما معنى لا ريب فيه
قلت معناه انه في نفسه حق وصدق لمن حقق النظر عرف حقيقة ذلك **هدى للمتقين**
الهداية عبارة عن الدلالة وقيل هي دلالة بلطف وقيل الهداية الارشاد والمعنى هو
هدى للمتقين وقيل هو هاديا لا ريب في هدايته والمتقي اسم فاعل من وقاه فاتقى والتقوى
جعل النفس في وقاية مما يخاف وقيل التقوى في عرف الشرع حفظ النفس مما يؤثم
وذلك بترك المحظور وبعض المباحات قال ابن عباس المتقي من يتقي الشرك والكبائر
والفواحش وهو ماخوذ من الاتقاء وهو الحجز بين الشيئين يقال اتقى بترسه اذا جعله
حاجزا بينه وبين ما يقصده وفي الحديث كنا اذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى
الله عليه وسلم معناه كنا اذا اشتد الحرب جعلنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجزا
بيننا وبين العدو فكان المتقي يجعل امتثال اوامر الله واجتناب نواهيه حاجزا بينه
وبين النار وقيل المتقي هو من لا يرى نفسه خيرا من احد وقيل التقوى ترك ما حرم الله واداء
ما افترض وقيل التقوى ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة وقيل التقوى
ان لا يراك مولاك حيث نهاك وقيل التقوى الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
وفي الحديث جماع التقوى في قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية وقيل المتقي
هو الذي يترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس وخص المتقين بالذكر تشريفا لهم لان
مقام التقوى مقام شريف عزيز لانهم هم المنتفعون بالهداية ولو لم يكن للمتقين فضل
الا قوله هدى للمتقين لكفاهم فان قلت كيف قال هدى للمتقين والمتقون هم المهتدون
قلت هو كقولك للعزيز الكريم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة له الى ما هو
ثابت فيه كقوله اهدنا الصراط المستقيم **الذين يؤمنون بالغيب** اي يصدقون بالغيب
واصل الايمان في اللغة التصديق قال تعالى وما انت بمؤمن لنا اي بمصدق فاذا فسر
الايمان بهذا فانه لا يزيد ولا ينقص لان التصديق لا يتجزأ حتى يتصور كماله مرة ونقصه
اخرى والايمان في لسان الشرع عبارة عن التصديق بالقلب والاقرار باللسان والعمل
بالاركان واذا فسر بهذا فانه يزيد وينقص وهو مذهب اهل السنة من اهل الحديث
وغيرهم وفائدة هذا الخلاف تظهر في مسئلة وهي ان المصدق بقلبه اذا لم يجمع الى
تصديقه العمل بموجب الايمان من الصلاة والزكاة والصوم والحج ونحو ذلك من اركان
الدين هل يسمى مؤمنا ام لا فيه خلاف والمختار عند اهل السنة انه لا يسمى مؤمنا لقوله
صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن فنفى عنه اسم الايمان وكمال الايمان
وانكر اكثر المتكلمين زيادة الايمان ونقصانه وقالوا متى قبل الزيادة والنقص كان ذلك
شكا وكفرا وقال المحققون من متكلمي اهل السنة ان نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص
والايمان الشرعي يزيد وينقص بزيادة الاعمال ونقصانها وبهذا امكن الجمع بين ظواهر
نصوص الكتاب والسنة التي جاءت بزيادة الايمان ونقصانه وبين اصله من اللغة
وقال بعض المحققين ان نفس التصديق قد يزيد وينقص بكثرة النظر في الادلة والبراهين
وقلة امعان النظر في ذلك ولهذا يكون ايمان الصديقين اقوى واثبت من ايمان غيرهم
لانهم لا تعتريهم شبهة في ايمانهم ولا تتزلزل واما غيرهم من آحاد الناس فليس كذلك اذ
لا يشك عاقل ان نفس تصديق ابي بكر لا يساويه تصديق غيره من آحاد الامة وقيل انما
سمي الاقرار والعمل ايمانا لوجه من المناسبة لانه من شرائعه والدليل على ان الاعمال

مبحث الايمان يزيد وينقص

من

من الايمان ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون
شعبة افضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة
من الايمان اخرجاه في الصحيحين • البضع بكسر الباء ما بين الثلاثة الى العشرة والشعبة
القطعة من الشيء واماطة الاذى عن الطريق هو عزل الحجر والشوك ونحو ذلك والحياء
بالمد هو انقباض النفس عن فعل القبيح وانما جعل من الايمان وهو اكتساب لان المستحيي
ينزجر باستحيائه عن المعاصي فصار من الايمان وقيل الايمان ماخوذ من الامن فسمي المؤمن
مؤمنا لانه يؤمن نفسه من عذاب الله والاسلام هو الانقياد والخضوع فكل ايمان اسلام
وليس كل اسلام ايمانا اذا لم يكن معه تصديق وذلك ان الرجل قد يكون مسلما في الظاهر
غير مصدق في الباطن (ق) عن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا
للناس فاتاه رجل فقال يا رسول الله ما الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه
ورسله وتؤمن بالبعث الآخر قال يا رسول الله ما الاسلام قال ان تعبد الله لا تشرك
به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان قال
يا رسول الله ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فانك ان لا تراه فانه يراك
قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسئول عنها باعلم من السائل ولكن ساحدثك عن
اشراطها اذا ولدت الامة ربها فذاك من اشراطها واذا كانت العراة الحفاة رؤس
الناس فذاك من اشراطها واذا تطاول رعاء البهم في البنيان فذاك من اشراطها
في خمس لا يعلمهن الا الله ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة
وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام الى قوله ان الله عليم خبير قال ثم ادبر الرجل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ردوا علي الرجل فاخذوا ليردوه فلم يروا شيئا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم وفي افراد مسلم من
حديث عمر بن الخطاب نحو هذا الحديث وبمعناه وقد تقدم الكلام على معنى الايمان
والاسلام وبقي اشياء تتعلق بمعنى الحديث **فقوله** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما بارزا اي ظاهرا **وقوله** وتؤمن بالله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر هو بكسر الخاء
وقيل في الجمع بين قوله وتؤمن بلقاء الله وتؤمن بالبعث فان اللقاء يحصل بمجرد الانتقال
الى الدار الآخرة وهو الموت والبعث هو بعده عند قيام الساعة وفي تقييده بالآخر
وجه آخر وهو ان خروجه الى الدنيا بعث من الارحام وخروجه من القبر الى الآخرة
بعث آخر **قوله** ما الاحسان هو هنا الاخلاص في العمل وهو شرط في صحة الايمان
والاسلام لان من اتى بلفظ الشهادة واتى بالعمل من غير اخلاص لم يكن محسنا وقيل اراد
بالاحسان المراقبة وحسن الطاعة فان من راقب الله حسن عمله وهو المراد بقوله
فان لم تكن تراه فانه يراك واشراط الساعة علاماتها التي تظهر قبل قيامها **قوله**
اذا ولدت الامة ربها يعني سيدها والمعنى ان الرجل تكون له الامة فتلد له ولدا فيكون
ذلك الولد ربها وسيدها ورعاء البهم بكسر الراء وفتح الباء واسكان الهاء من البهم
وهي الصغار من اولاد الضأن والمعنى انه يبسط المال على اهل البادية واشباههم
حتى يتباهون في البناء ويسودون الناس فذلك من اشراط الساعة والله اعلم قوله تعالى
بالغيب الغيب مصدر وضع موضع الاسم فقيل للغائب غيب وهو ما كان مغيبا عن العيون
قال ابن عباس الغيب هنا كل ما امرت بالايمان به مما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة
والنار والصراط والميزان وقيل الغيب هنا هو الله تعالى وقيل القرآن وقيل الآخرة

وقيل بالوحي وقيل بالقدر وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا
اصحاب محمد وما سبقونا به فقال عبد الله بن مسعود ان امر محمد صلى الله عليه وسلم كان بيّنا
لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن احد قط افضل من ايمان بغيب ثم قرأ الم ذلك الكتاب
الى قوله واولئك هم المفلحون ويقيمون الصلوة اي يداومون عليها في مواقيتها بحدودها
واتمام اركانها وحفظها من ان يقع فيها خلل في فرايضها وسننها وادابها والمراد به الصلوة
الخمس والصلاة في اللغة الدعاء والرحمة ومنه وصل عليهم اي ادع لهم واصله من صليت
العود اذا لينته فكان المصلي يلين ويخشع وفي الشرع اسم لافعال مخصوصة من قيام
وركوع وسجود وقعود ودعاء مع النية ومما رزقناهم اي اعطيناهم من الرزق وهو اسم لما
ينتفع به من مال وولد واصله الحظ والنصيب ينفقون اي يخرجون ويتصدقون
في طاعة الله تعالى وسبيله ويدخل فيه انفاق الواجب كالزكاة والنذر والانفاق
على النفس وعلى من تجب نفقته عليه والانفاق في الجهاد اذا اوجب عليه والانفاق
في المندوب وهو صدقة التطوع ومواساة الاخوان ومن كلها مما مدح بها وادخل
من التي هي للتبعيض صيانة لهم وكفا عن السرف والتبذير المنهي عنهما في الانفاق
والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك اي يصدقون بالقرآن المنزل
عليك وبالكتب المنزلة على الانبياء من قبل كالتورية والانجيل والزبور وصحف الانبيا
كلها فيجب الايمان بذلك كله وبالآخرة يعني وبالدار الآخرة سميت آخرة لتأخرها عن
الدنيا وكونها بعدها هم يوقنون الايقان هو العلم والمعنى يستيقنون ويعلمون
انها كاينة اولئك اي الذين هذه صفتهم على هدى من ربهم اي على رشاد ونور من ربهم
وقيل على استقامة واولئك هم المفلحون اي الناجون الفايزون نجوا من النار وفازوا
بالجنة والمفلح الظافر بالمطلوب الذي انفتحت له وجوه الظفر بالمطلوب ولم تستغلق
عليه ويكون الفلاح بمعنى البقاء قال الشاعر

لو كان حي مدرك الفلاح * ادركه ملاعب الرماح *

يريد البقاء فيكون المعنى اولئك هم الباقون في النعيم المقيم والفلاح الظفر وادراك
البغية من السعادة والخير والبقاء والغنى واصل الفلاح الشق كما قيل ان الحديد
بالحديد يفلح اي يقطع فعلى هذا يكون المعنى اولئك هم المقطوع لهم بالخير في الدنيا
والآخرة واعلم ان الله عز وجل صدر هذه السورة باربع آيات انزلها في المؤمنين وآيتين
انزلهما في الكافرين وبثلاث عشرة آية انزلها في المنافقين فاما التي في الكفار فقوله
تعالى ان الذين كفروا اي جحدوا وانكروا واصل الكفر في اللغة الستر والتغطية
ومنه سمي الليل كافرا لانه يستر الاشياء بظلمته قال الشاعر في ليلة كفر النجوم
غمامها * اي سترها والكفر على اربعة اضرب كفر انكار وهو ان لا يعرف الله اصلا
ولا يعترف به ككفر فرعون وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري وكفر جحود وهو ان يعرف
الله بقلبه ولا يقر بلسانه ككفر ابليس وكفر عناد وهو ان يعرف الله بقلبه ويقر
بلسانه ولا يدين به ككفر امية بن ابي الصلت وابي طالب حيث يقول في شعر له

ولقد علمت بان دين محمد * من خير اديان البرية دينا *
لولا الملامة او حذار مسبة * لوجدتني سمحا بذاك مبينا *

وكفر نفاق وهو ان يقر بلسانه ولا يعتقد صحة ذلك بقلبه فجميع هذه الانواع كفر
وحاصله ان من جحد الله او انكر وحدانيته او انكر شيئا مما انزله على رسوله او انكر

نبوة محمد صلى الله عليه وسلم او احدا من الرسل فهو كافر فان مات على ذلك فهو في النار خالدا
فيها ولا يغفر الله له نزلت في مشركي العرب وقيل في اليهود سواء عليهم اي متساو لديهم
ءانذرتهم اي خوفتهم وحذرتهم والانذار اعلام مع تخويف فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا
ام لم تنذرهم لا يؤمنون اي لا يصدقون وهذه الآية في اقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة
في سابق علم الله الازلي انهم لا يؤمنون ثم ذكر سبب تركهم الايمان فقال تعالى ختم الله على
قلوبهم اي طبع عليها فلا تعي خيرا ولا تفهمه واصل الختم وحقيقته الاستيثاق من الشيء
لكي لا يخرج منه ما حصل فيه ولا يدخله ما خرج منه ومنه ختم الكتاب قال اهل السنة
حكم الله على قلوبهم بالكفر لما سبق من علمه الازلي فيهم وانما خص القلب بالختم لانه محل الفهم
والعلم وعلى سمعهم اي وختم على موضع سمعهم فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به لانهم مجوه ونبوا
عن الاصغاء اليه كانهما مستوثق منهما بالختم ايضا وذكر السمع بلفظ التوحيد ومعناه
الجمع قيل انما وحده لانه مصدر والمصدر لا يثنى ولا يجمع وعلى ابصارهم غشاوة
هذا ابتداء كلام والغشاوة الغطاء ومنه غاشية السرج اي وجعل على ابصارهم غشاوة
فلا يرون الحق وهي غطاء التعامي عن آيات الله ودلايل توحيده ولهم عذاب عظيم يعني
في الآخرة وقيل الاسر والقتل في الدنيا والعذاب الدائم في العقبى وحقيقة العذاب
هو كل ما يولم الانسان ويعنيه ويشق عليه وقيل هو الايجاع الشديد وقيل هو ما يمنع
الانسان من مراده ومنه الماء العذب لانه يمنع العطش والعظيم ضد الحقير قوله
عز وجل ومن الناس من يقول آمنا بالله نزلت في المنافقين عبد الله بن ابي ابن سلول
ومعتب بن قشير وجد بن قيس واصحابهم وذلك انهم اظهروا كلمة الاسلام ليسلموا بها من
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه واسروا الكفر واعتقدوه واكثرهم من اليهود وصفة
المنافق ان يعترف بلسانه بالايمان ويقر به وينكر بقلبه ويصبح على حال ويمسي على غيرها
والناس جمع انسان سمي به لانه عهد اليه فنسي قال الشاعر * وسميت انسانا لانك
ناسي * وقيل سمي انسانا لانه يستأنس بمثله وباليوم الآخر اي وآمنا باليوم الآخر وهو
يوم القيامة سمي بذلك لانه ياتي بعد الدنيا وهو آخر الايام المحدودة وما بعده
فلا حد له ولا آخر قال الله تعالى ردا على المنافقين وما هم بمؤمنين نفى عنهم الايمان بالكلية
يخادعون الله والذين آمنوا اي يخالفون الله والخديعة الحيلة والمكر واصله في الاخفا
والمخادع يظهر ضد ما يضمر ليتخلص فهو بمنزلة النفاق وهو خداعهم اي يظهرون نعيم
الدنيا ويعجله لهم بخلاف ما يغيب عنهم من عذاب الآخرة فان قلت المخادعة مفاعلة وانما
تجيء في الفعل المشترك والله تعالى منزه عن المشاركة قلت المفاعلة قد ترد لا على وجه
المشاركة تقول عافاك الله وطارقت النعل وعاقبت اللص فالمخادعة هنا عبارة عن
فعل الواحد والله يتعالى عن ان يكون منه خداع فان قلت كيف يخادع الله وهو يعلم
الضماير والاسرار فمخادعة الله ممتنعة فكيف يقال يخادعون الله قلت ان تعالى
ذكر نفسه واراد به رسوله صلى الله عليه وسلم وذلك تفخيم لامره وتعظيم لشانه وقيل
به المؤمنين واذا خادعوا المؤمنين فكانهم خادعوا الله تعالى وذلك انهم ظنوا ان النبي
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لم يعلموا حالهم ولتجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر
وهم على خلافه في الباطن وما يخدعون الا انفسهم اي ان الله تعالى يجازيهم على ذلك ويعاقبهم
عليه فلا يكونون في الحقيقة الا خادعين انفسهم وقيل ان وبال ذلك الخداع راجع اليهم لان
الله يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحون في الدنيا ويستوجبون العقاب

في اللغة هي النفس وذات الشيء وحقيقته وقيل للدم نفس لان به قوة البدن **وما يشعرون** اي وما يعلمون ان وبال خداعهم راجع عليهم **في قلوبهم مرض** اي شك ونفاق واصل المرض الضعف والخروج عن الاعتدال بالانسان وسمي الشك في الدين والنفاق مرضا لانه يضعف الدين كالمرض يضعف البدن **فزادهم الله مرضا** يعني ان الايات كانت تنزل تترا اية بعد اية فكلما كفروا باية ازدادوا كفرا ونفاقا **ولهم عذاب اليم** اي مؤلم يخلص وجعه الى قلوبهم **بما كانوا يكذبون** اي بتكذيبهم الله ورسوله في السر وقرئ بالتخفيف اي بكذبهم اذ قالوا امنا وهم غير مؤمنين **واذا قيل لهم** يعني للمنافقين وقيل لليهود والمعنى اذا قال لهم المؤمنون **لا تفسدوا في الارض** اي بالكفر وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن **قالوا انما نحن مصلحون** يعني يقولون ذلك كذبا **الا** كلمة تنبيه ينبه بها المخاطب **انهم هم المفسدون** يعني في الارض بالكفر وهو اشد الفساد **ولكن لا يشعرون** وذلك لانهم يظنون ان ما هم عليه من النفاق وابطان الكفر صلاح وهو عين الفساد وقيل لا يشعرون ما اعد الله لهم من العذاب **واذا قيل لهم** يعني للمنافقين وقيل لليهود **امنوا كما امن الناس** يعني المهاجرين والانصار وقيل عبد الله بن سلام واصحابه من مؤمني اهل الكتاب والمعنى اخلصوا في ايمانكم كما اخلص هؤلاء في ايمانهم لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان **قالوا انؤمن كما امن السفهاء** اي الجهال فان قلت كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم انؤمن كما امن السفهاء قلت كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم لا عند المؤمنين فاخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بذلك فرد الله ذلك عليهم بقوله **الا انهم هم السفهاء** يعني الجهال واصل السفه خفة العقل ورقة العلم وانما سمى الله المنافقين سفهاء لانهم كانوا عند انفسهم عقلاء رؤساء فقلب ذلك عليهم وسماهم سفهاء **ولكن لا يعلمون** يعني انهم كذلك. قوله تعالى **واذا لقوا الذين امنوا** يعني هؤلاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار **قالوا امنا** كايمانكم **واذا خلوا** اي رجعوا وقيل هو من الخلوة **الى** قيل بمعنى الباء اي بشياطينهم وقيل بمعنى مع اي مع شياطينهم والمراد بشياطينهم رؤساؤهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر كعب بن الاشرف من اليهود بالمدينة وابو بردة في بني اسلم وعبد الدار في جهينة وعوف ابن عامر في بني اسد وعبد الله بن الاسود بالشام ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان تابع له وقيل هم رؤساؤهم الذين شابهوا الشياطين في تمردهم **قالوا انا معكم** اي على دينكم **انما نحن مستهزؤن** اي بمحمد واصحابه بما نظهر لهم من الاسلام لنأمن من شرهم ونقف على سرهم ونأخذ من غنائمهم وصدقاتهم قال ابن عباس نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي واصحابه وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله بن ابي لاصحابه انظروا كيف ارد هؤلاء السفهاء عنكم فذهب فاخذ بيد ابي بكر الصديق فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار الباذل نفسه وماله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي ابن كعب الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اخذ بيد علي فقال مرحبا يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه وسيد بني هاشم ما خلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له علي اتق الله يا عبد الله ولا تنافق فان المنافقين شر خليقة الله تعالى فقال مهلا يا ابا الحسن الي تقول هذا والله ان ايماننا كايمانكم وتصديقنا كتصديقكم ثم تفرقوا فقال عبد الله لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فاثنوا عليه خيرا **الله يستهزئ بهم** اي يجازيهم جزاء استهزائهم بالمؤمنين فسمى

الجزاء باسمه لانه في مقابلته قال ابن عباس يفتح لهم باب الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى النار **ويمدهم** اي يتركهم ويمهلهم والمد والامداد واحد واصله الزيادة واكثر ما ياتي المد في الشر والامداد في الخير **في طغيانهم** اي في ضلالتهم واصل الطغيان مجاوزة الحد **يعمهون** اي يترددون في الضلالة متحيرين **اولئك** يعني المنافقين **الذين اشتروا الضلالة بالهدى** اي استبدلوا الكفر بالايمان وانما اخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعا على سبيل الاستعارة لان الشراء فيه اعطاء بدل واخذ اخر فان قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوا به والضلال الجور عن القصد وفقد الاهتداء **فما ربحت تجارتهم** اي ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل على راس المال واضاف الربح الى التجارة لان الربح فيها يكون **وما كانوا مهتدين** اي مصيبين في تجارتهم لان راس المال هو الايمان فلما اضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم. قوله عز وجل **مثلهم** المثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء اخر بينهما مشابهة ليبين احدهما الاخر ويصوره ولقد ضرب الله تعالى الامثال في كتابه وهو احد اقسام القران السبعة ولما ذكر الله تعالى حقيقة وصف المنافقين عقبه بضرب المثل زيادة في الكشف والبيان لانه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر وصف الشيء في نفسه ولان المثل تشبيه الشيء الخفي بالجلي فيتاكد الوقوف على ماهيته وذلك هو النهاية في الايضاح وشرطه ان يكون قولا فيه غرابة من بعض الوجوه **كمثل الذي استوقد نارا** اي لينتفع بها **فلما اضاءت** يعني النار **ما حوله** يعني حول المستوقد **ذهب الله بنورهم** فان قلت كيف وحد اولا ثم جمع ثانيا قلت يجوز وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا وقيل انما شبه قصتهم بقصة المستوقد وقيل معناه مثل كل واحد منهم كمثل الذي استوقد نارا **وتركهم في ظلمات لا يبصرون** قال ابن عباس نزلت في المنافقين يقول مثلهم في نفاقهم كمثل رجل اوقد نارا في ليلة مظلمة في مفازة فاستدفأ ورأى ما حوله فاتقى مما يخاف فبينما هو كذلك اذ طفئت ناره فبقي في ظلمة حائرا متخوفا فكذلك حال المنافقين اظهروا كلمة الايمان فامنوا بها على انفسهم واموالهم واولادهم وناكحوا المؤمنين وقاسموهم الغنائم فذلك نورهم فلما ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقيل ذهاب نورهم ظهور عقيدتهم للمؤمنين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ذهاب نورهم في القبر او على الصراط فان قلت ما وجه تشبيه الايمان بالنور والكفر بالظلمة قلت وجه تشبيه الايمان بالنور ان النور ابلغ الاشياء في الهداية الى المحجة المقصودة والى الطريق المستقيم وازالة الحيرة وكذلك الايمان هو الطريق الواضح الى الله تعالى والى جناته وشبه الكفر بالظلمة لان الضال عن الطريق المسلوك في الظلمة لا يزداد الا حيرة وكذلك الكفر لا يزداد صاحبه في الاخرة الا حيرة وفي ضرب المثل للمنافقين بالنار ثلاث حكم احدها ان المستضيء بالنار مستضيء بنور غيره فاذا ذهب ذلك بقي هو في ظلمة فكانهم لما اقروا بالايمان من غير اعتقاد قلوبهم فكان ايمانهم كالمستعار الثانية ان النار يحتاج في دوامها الى مادة الحطب لتدوم فكذلك الايمان يحتاج الى مادة الاعتقاد ليدوم الثالثة ان الظلمة الحادثة بعد الضوء اشد على الانسان

من ظلمة لم يجد قبلها ضياء فشبه حالهم بذلك ثم وصفهم الله تعالى فقال **صم**
اي عن سماع الحق لانهم لا يقبلونه واذا لم يقبلوه فكانهم لم يسمعوه **بكم** اي خرس عن
النطق بالحق فهم لا يقولونه **عمي** اي لا بصائر لهم يميزون بها بين الحق والباطل ومن
لا بصيرة له كمن لا بصر له فهو اعمى كانت حواسهم سليمة ولكن لما سد عن سماع الحق
اذانهم وابوا ان تنطق به السنتهم وان ينظروا اليه بعيونهم جعلوا كمن تعطلت
حواسه وذهب ادراكه قال الشاعر

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ... وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا

فهم لا يرجعون اي عن ضلالتهم ونفاقهم قوله تعالى **او كصيب** اي كاصحاب صيب وهو
المطر وكل ما نزل من الاعلى الى الاسفل فهو صيب **من السماء** اي من السحاب لان كل ما علاك
فاظلك فهو سماء وسمته قيل السقف لبيت سماء وقيل من السماء بعينها وانما ذكر الله تعالى
السماء وان كان المطر لا ينزل الا منها ليرد على من زعم ان المطر ينعقد من بخار الارض
وابطل مذهب الحكماء بقوله من السماء ليعلم ان المطر ليس من بخار الارض كما زعم الحكماء
فيه اي في الصيب **ظلمات** جمع ظلمة **ورعد** وهو الصوت الذي يسمع من السحاب **وبرق**
يعني النار التي تخرج منه قال ابن عباس الرعد اسم ملك يسوق السحاب والبرق لمعان
سوط من نور يزجر به السحاب وقيل الرعد اسم ملك يزجر السحاب اذا تبددت جمعها
وضمها فاذا اشتد غضبه يخرج من فيه النار فهي البرق والصواعق وقيل الرعد
تسبيح الملك وقيل اسمه **يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق** جمع صاعقة
وهي الصيحة التي يموت من يسمعها او يغشى عليه وقيل الصاعقة قطعة من العذاب
ينزلها الله على من يشاء عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت
الرعد والصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب **حذر الموت** اي مخافة الهلاك **والله محيط بالكافرين**
اي عالم بهم وقيل جامعهم وقيل يجمعهم ويعذبهم **يكاد البرق** اي يقرب يقال كاد يفعل ولم يفعل **يخطف
ابصارهم** اي يختلسها والخطف استلاب الشيء بسرعة **كلما** اي متى ما **اضاء لهم** يعني
البرق **مشوا فيه** اي في اضاءته **واذا اظلم عليهم قاموا** اي وقفوا متحيرين وهذا مثل
اخر ضربه الله تعالى للمنافقين ووجه التمثيل ان الله عز وجل شبههم في كفرهم ونفاقهم
بقوم كانوا في مفازة في ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات وهي ظلمة الليل وظلمة المطر
وظلمة السحاب من صفة تلك الظلمات ان الساري لا يمكنه المشي فيها ورعد من صفته
ان يضم السامعون اصابعهم الى اذانهم من هوله وبرق من صفته ان يخطف ابصارهم ويعميها
من شدة توقده فهذا مثل ضربه الله تعالى للقران وصنيع الكافرين والمنافقين معه فالمطر
هو القران لانه حياة القلوب كما ان المطر حياة الارض والظلمات ما في القران من ذكر
الكفر والشرك والنفاق والرعد ما خوفوا به من الوعيد وذكر النار والبرق ما فيه من
الهدى والبيان والوعد وذكر الجنة فالكافرون والمنافقون يسدون اذانهم عند قراءة
القران وسماعه مخافة ان تميل قلوبهم اليه لان الايمان عندهم كفر والكفر موت وقيل هذا
مثل ضربه الله تعالى للاسلام فالمطر هو الاسلام والظلمات ما فيه من البلاء والمحن والرعد
ما فيه من ذكر الوعيد والمخاوف في الاخرة والبرق ما فيه من الوعد يجعلون اصابعهم في
اذانهم يعني المنافقين اذا راوا في الاسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط
بالكافرين يعني لا ينفعهم الهرب لان الله من ورائهم يجمعهم ويعذبهم يكاد البرق يخطف ابصارهم

يعني

يعني دلائل الاسلام تزعجهم الى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلما اضاء لهم يعني للمنافقين
واصابته لهم من تركهم بلا ابتلاء ولا امتحان مشوا فيه يعني على المسالمة باظهار كلمة الايمان
وقيل كلما نالوا غنيمة وراحة في الاسلام ثبتوا وقالوا انا معكم واذا اظلم عليهم قاموا يعني
اذا راوا شدة وبلاء تاخروا **ولو شاء الله لذهب بسمعهم** اي بصوت الرعد **وابصارهم** بوميض
البرق وقيل لذهب بسمعهم وابصارهم الظاهرة كما اذهب اسماعهم وابصارهم الباطنة
ان الله على كل شيء قدير اي هو الفاعل لما يشاء لا منازع له فيه قوله عز وجل **يا ايها الناس**
قال ابن عباس يا ايها الناس خطاب لاهل مكة ويا ايها الذين امنوا خطاب لاهل المدينة
وهو هنا خطاب عام لسائر المكلفين **اعبدوا ربكم** قال ابن عباس وحدوا ربكم وكل ما ورد
في القران من العبادة فمعناه التوحيد واصل العبودية التذلل والعبادة غاية التذلل
ولا يستحقها الا من له غاية الافضال والانعام وهو الله تعالى **الذي خلقكم** اي ابتدع
خلقكم على غير مثال سبق **والذين من قبلكم** اي وخلق الذين من قبلكم **لعلكم** لعل وعسى حرفا
ترج وهما من الله واجب **تتقون** اي لكي تنجوا من العذاب وقيل معناه تكونوا على رجاء التقوى
بان تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله وحكم الله من ورائكم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
الذي جعل لكم الارض فراشا اي خلق لكم الارض بساطا ووطاء مذللة ولم يجعلها حزنة
لا يمكن القرار عليها والحزن ما غلظ من الارض **والسماء بناء** اي سقفا مرفوعا قيل اذا تامل
الانسان المتفكر في هذا العالم وجده كالبيت المعمور فيه كل ما يحتاج اليه فالسماء
مرفوعة كالسقف والارض مفروشة كالبساط والنجوم كالمصابيح والانسان كمالك البيت
وفيه ضروب النبات المهياة لمنافعه واصناف الحيوان مصروفة في مصالحه فيجب
على الانسان المسخر له هذه الاشياء شكر الله عليها **وانزل من السماء** يعني السحاب **ماء** يعني
المطر **فاخرج به** اي بذلك الماء **من الثمرات** اي من الوان الثمرات واصناف النبات **رزقا
لكم** وعلفا لدوابكم **فلا تجعلوا لله اندادا** يعني امثالا تعبدونهم كعبادة الله
والند المثل **وانتم تعلمون** يعني انكم بعقولكم تعلمون ان هذه الاشياء والامثال
لا يصح جعلها اندادا لله وانه واحد خالق لجميع الاشياء وانه لا مثل له ولا ضد له
قوله تعالى **وان كنتم في ريب** اي وان كنتم في شك لان الله تعالى علم انهم شاكون **مما
نزلنا على عبدنا** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لما تقرر اثبات الربوبية لله تعالى
وانه الخالق وانه لا ضد له اتبعه باقامة الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وما يدحض الشبهة في كون القران معجزة وانه من عند الله لا من عند نفسه كما تدعون فيه
وقوله على عبدنا اضافة تشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وان القران منزل عليه من عند
الله تعالى **فاتوا** امر تعجيز **بسورة** والسورة قطعة من القران معلومة الاول والاخر
وقيل السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سور البلد لارتفاعه سميت سورة لان القارئ
ينال بها منزلة رفيعة حتى يستكمل المنازل باستكمال سور القران **من مثله** اي مثل
القران وقيل الضمير في مثله راجع الى عبدنا يعني من مثل محمد صلى الله عليه وسلم
امي لم يحسن الكتابة ولم يجالس العلماء ولم ياخذ العلم عن احد ورد الضمير الى القران
اوجه واولى ويدل عليه ان ذلك مطابق لسائر الايات الواردة في التحدي وانما وقع
الكلام في المنزل الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القران منزل من عند الله فاتوا انتم
بسورة مما يماثله ويجانسه ولو كان الضمير مردودا الى محمد صلى الله عليه وسلم
لقال وان ارتبتم في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرانا من مثل محمد صلى الله عليه وسلم

وبدل على كون القرآن معجزا ما اشتمل عليه من الفصاحة والبلاغة في طرفي الإيجاز والإطالة
فتارة يأتي بالقصة باللفظ الطويل ثم يعيدها باللفظ الوجيز ولا يخل بالمقصود الأول
وأنه فارقت أساليبه أساليب الكلام وأوزانه أوزان الأشعار والخطب والرسائل ولهذا
تحدت العرب به فعجزوا عنه وتحيروا فيه واعترفوا بفضله وهم معدن البلاغة وفرسان
الفصاحة وعلم النظم والنثر من الأشعار والخطب والرسائل حتى قال الوليد بن المغيرة
في وصف القرآن والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر
وادعوا شهداءكم من دون الله أي استعينوا بآلهتكم التي تعبدونها من دون الله والمعنى
إن كان الأمر كما تقولون إنها تستحق العبادة فاجعلوا الاستعانة بها في دفع ما نزل
من أمر محمد صلى الله عليه وسلم وإلا فاعلموا أنكم مبطلون في دعواكم أنها آلهة وقيل
معناه وادعوا أناسا يشهدون لكم **إن كنتم صادقين** أن محمدا صلى الله عليه وسلم تقوله
من تلقاء نفسه **فإن لم تفعلوا** أي فيما مضى **ولن تفعلوا** فيما بقي وهذه الآية دالة على
عجزهم وأنهم لم يأتوا بمثل شيء منه وذلك لأن النفوس الأبية إذا قرعت بمثل هذا
التقريع استفرغت الوسع في الإتيان بمثل القرآن أو بمثل سورة منه ولو قدروا على
ذلك لأتوا به فحيث لم يأتوا بشيء ظهرت المعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وبان عجزهم
وهم أصل الفصاحة والبلاغة والقرآن من جنس كلامهم وكانوا أحرص شيء على إطفاء
نوره وإبطال أمره ثم مع هذا الحرص الشديد لم توجد المعارضة من أحد منهم ورضوا
بسبي الذراري والأموال والقتل وإذا ظهر عجزهم عن المعارضة صح صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم وإذا كان الأمر كذلك وجب ترك العناد وهو قوله تعالى **فاتقوا
النار** أي فآمنوا واتقوا بالإيمان النار **التي وقودها** أي حطبها **الناس والحجارة** قال
ابن عباس يعني حجارة الكبريت لأنها أكثر التهابا وقيل جميع الحجارة وفيه دليل على عظم
تلك النار وقوتها وقيل أراد بها الأصنام لأن أكثر أصنامهم كانت من حجارة وإنما قرن
الناس مع الحجارة لأنهم كانوا يعبدونها ويعتقدون فيها أنها تنفعهم وتشفع لهم فجعلها
الله عذابهم في نار جهنم **أعدت** أي هيئت **للكافرين** قوله عز وجل **وبشر الذين آمنوا**
أي أخبر المؤمنين وهذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم والبشارة إيراد الخبر السار على
سامع ليستبشر به ويظهر السرور في بشرة وجهه لأن الإنسان إذا فرح بشيء بشر
به ظهر ذلك على بشرة وجهه ثم كثر حتى وضع موضع الخبر سرا أو سوءا ومنه قوله فبشرهم
بعذاب أليم ولكن هو في السرور والخير أغلب **وعملوا الصالحات** أي الفعلات الصالحات
وهي الطاعات قيل العمل الصالح ما كان فيه أربعة أشياء العلم والنية والصبر
والإخلاص وقال عثمان بن عفان وعملوا الصالحات أي أخلصوا الأعمال يعني عن الرياء
أن لهم جنات جمع جنة وهي البستان الذي فيه أشجار مثمرة سميت جنة لاجتنانها
وتسترها بالأشجار والأوراق وقيل الجنة ما فيه نخل والفردوس ما فيه كرم **تجري
من تحتها الأنهار** أي من تحت أشجارها ومساكنها أي تجري المياه في الأنهار لأن الأنهار
لا تجري وقيل معناه تجري بأمرهم وفي الحديث أن أنهار الجنة تجري في غير أخدود
أي في غير شقوق والأخدود الشق **كلما رزقوا** أي أطعموا **منها** أي من الجنة **من ثمرة رزقا**
أي طعاما **قالوا هذا الذي رزقنا من قبل** أي في الدنيا وقيل إن ثمار الجنة متشابهة
في اللون مختلفة في الطعم فإذا رزقوا ثمرة بعد أخرى ظنوا أنها الأولى **وأتوا به**
أي بالرزق **متشابها** قال ابن عباس مختلفا في الطعوم وقيل يشبه بعضها بعضا في الجودة

ولا رداءة فيها وقيل يشبه ثمار الدنيا في الأسماء لا في الطعم (م) عن جابر بن عبد الله رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا
يتغوطون ولا يتمخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء ورشحهم
كرشح المسك وفي رواية ورشحهم المسك قوله يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس أي يجري على ألسنتهم
كما يجري النفس لا يشغلهم عن شيء كما أن النفس لا يشغل عن شيء قوله طعامهم جشاء يعني أن فضول
طعامهم يجري من الجشاء وهو تنفس المعدة والرشح العرق وقوله تعالى **ولهم فيها** أي في الجنات
أزواج أي من الحور العين **مطهرة** يعني من البول والغائط والحيض والولد وسائر الأقذار
وقيل من عجائز كن الشمط العمش طهرن من قذرات الدنيا وقيل طهرن من مساوي الأخلاق
قيل إن في الجنة جماع ما شئت ولا ولد **وهم فيها خالدون** أي لا يخرجون منها ولا يموتون
والخلد البقاء الدائم الذي لا انقطاع له (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد كوكب
دري في السماء إضاءة لا يبصقون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون أمشاطهم الذهب
ومجامرهم الألوة الألنجوج عود الطيب أزواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة
أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء وفي رواية ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء
اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا
(ق) عن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة
واحدة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا للمؤمن فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى
بعضهم بعضا عن أبي هريرة قال قلت يا رسول الله مم خلق الله الخلق قال من الماء قلت
الجنة ما بناؤها قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها
اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت
ولا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم أخرجه الترمذي بزيادة وقال ليس إسناده بذلك القوي
عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة مائة درجة
ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض والفردوس أعلاها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة
الأربعة ومن فوقها يكون العرش فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس أخرجه الترمذي
(م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة لسوقا يأتونها كل جمعة
فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون إلى
أهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم أهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا
وجمالا فيقولون وأنتم والله قد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا عن علي رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة لمجتمعا للحور العين يغنين بأصوات
لم يسمع الخلائق بمثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات
فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له أخرجه الترمذي وقال حديث غريب • قوله تعالى **إن الله
لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها** سبب نزول هذه الآية أن الله تعالى لما ضرب
المثل بالذباب والعنكبوت وذكر النحل والنمل قالت اليهود ما أراد الله بذكر هذه الأشياء
الخسيسة وقيل قال المشركون إنا لا نعبد إلها يذكر مثل هذه الأشياء وذلك لأن الكفار واليهود
كانوا مستغرقين في إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذلك فأنزل الله تعالى إن الله
لا يستحيي الحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به ويذم عليه وقيل هو
انقباض النفس عن القبائح هذا أصله في وصف الإنسان والله تعالى منزه عن ذلك كله

فاذا اوصف الله تعالى به يكون معناه الترك وذلك لان لكل فعل بداية ونهاية فبداية الحيا هو التغير الذي يلحق الانسان من خوف ان ينسب اليه ذلك الفعل القبيح ونهايته ترك ذلك الفعل القبيح فاذا ورد وصف الحيا في حق الله تعالى فليس المراد منه بدايته وهو التغير والخوف بل المراد منه ترك الفعل الذي هو نهاية الحيا وغايته فيكون معنى ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا اي لا يترك المثل لقول الكفار واليهود **ما** قيل صلة فيكون المعنى ان يضرب مثلا **بعوضة** وقيل ليس هي بصلة بل هي للابهام والنكرة والبعوض صغار البق وهو من عجيب خلق الله تعالى فانه في غاية الصغر وله خرطوم مجوف وهو مع صغره يغوص خرطومه في جلد الفيل والجاموس والجمل فيبلغ منه الغاية حتى ان الجمل يموت من قرصته **فما فوقها** يعني الذباب والعنكبوت وما هو اعظم منها في الجثة وقيل معناه فما دونها واصغر منها وهذا القول اشبه بالاية لان الغرض بيان ان الله تعالى لا يمتنع من التمثيل بالشي الصغير الحقير وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا بجناح البعوضة وهو اصغر منها وقد ضربت العرب المثل بالمحقرات فقيل هو احقر من ذرة واجمع من نملة واطيش من ذبابة والح من ذبابة **فاما الذين امنوا** يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران **فيعلمون انه** يعني ضرب المثل **الحق** يعني الصدق **من ربهم** الثابت الذي لا يجوز انكاره لان ضرب المثل من الامور المستحسنة في العقل عند العرب **واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا** اي بهذا المثل **يضل به كثيرا** من الكفار وذلك انهم يكذبونه فيزدادون به ضلالا **ويهدي به كثيرا** يعني المومنين يصدقونه ويعلمون انه حق **وما يضل به الا الفاسقين** يعني الكافرين وقيل المنافقين وقيل اليهود والفسق الخروج عن طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصفهم فقال تعالى **الذين ينقضون** اي يخالفون ويتركون واصل النقض الفسخ وفك المركب **عهد الله** اي امر الله واصل العهد حفظ الشي ومراعاته حالا بعد حال **من بعد ميثاقه** اي من بعد عقده وتوكيده وفي معنى هذا العهد اقوال احدها انه الذي اخذ عليهم يوم الميثاق وهو قوله تعالى الست بربكم قالوا بلى الثاني انه الذي اخذ على احبار اليهود في التوراة ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته وصفته الثالث المراد به الكفار والمنافقين الذين نقضوا عهد الله برمته الله تعالى واحكمه بما انزل في كتابه من الايات الدالة على توحيده **ويقطعون ما امر الله به ان يوصل** يعني الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وجميع الرسل فامنوا ببعض وكفروا ببعض وهم اليهود وقيل اراد به قطع الارحام التي امر الله بوصلها **ويفسدون في الارض** يعني بالمعاصي وتعويق الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران **اولئك هم الخاسرون** اي المغبونون واصل الخسار النقص ثم قال تعالى لمشركي العرب على وجه التعجب لكن فيه تبكيت وتعنيف لهم **كيف تكفرون بالله** يعني بعد نصب الدلايل ووضع البراهين الدالة على وحدانيته ثم ذكر الدليل فقال تعالى **وكنتم امواتا** يعني نطفا في اصلاب ابائكم **فاحياكم** يعني في الارحام والدنيا **ثم يميتكم** عند انقضاء اجالكم **ثم يحييكم** يعني بعد الموت للبعث **ثم اليه ترجعون** اي تردون في الاخرة فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل **هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا** يعني من المعادن والنبات والحيوان والجبال والبحار والمعنى كيف تكفرون بالله وقد خلق لكم ما في الارض جميعا لتنتفعوا به في مصالح الدين والدنيا اما مصالح الدين فهو التفكر والاعتبار في عجايب مخلوقات الله الدالة على وحدانيته

واما مصالح الدنيا فهو الانتفاع بما خلق فيها **ثم استوى الى السما** اي قصد واقبل على خلقها وقيل عمد وقال ابن عباس ارتفع وفي رواية عنه صعد قال الازهري معناه صعد امره كما ذكره صاحب المحكم وذلك ان الله خلق الارض ولا بن عمد الى خلق السما فان قلت كيف الجمع بين هذه وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها قلت الدحو البسط فيحتمل ان الله تعالى خلق جرم الارض ولم يبسطها ثم خلق السما وبسط جرم الارض بعد ذلك فان قلت هذا مشكل ايضا لان قوله تعالى خلق لكم ما في الارض جميعا يقتضي ان ذلك لا يكون الا بعد الدحو قلت يحتمل انه ليس هنا ترتيب وانما هو على سبيل تعديد النعم كقول الرجل لمن يذكره بما انعم عليه من النعم الم اعطك الم ارفع قدرك الم ادفع عنك ولعل بعض هذه النعم متقدمة على بعض والله اعلم **فسواهن سبع سموات** خلقهن سبع سموات مستويات لا صدع فيها ولا فطور وسياتي ذكر خلق الارض والسما عند قوله قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين في سورة حم السجدة ان شا الله تعالى **وهو بكل شي عليم** يعني يعلم الجزئيات كما يعلم الكليات ٭ قوله تعالى **واذ قال ربك** اي واذكر يا محمد اذ قال ربك وكل ما ورد في القران من هذا النحو فهذا سبيله وقيل اذ زايدة والاول اوجه **للملايكة** جمع ملك واصله ملاك وهي الرسالة واراد بالملايكة الذين كانوا في الارض وذلك ان الله تعالى خلق الارض والسما وخلق الملايكة والجن فاسكن الملايكة السما واسكن الجن الارض فعبدوا دهرا طويلا ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فافسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملايكة يقال لهم الجان ورأسهم ابليس وهم خزان الجنان فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى جزاير البحور وشعوب الجبال وسكنوا هم الارض وخفف الله عنهم العبادة واعطى الله ابليس ملك الارض وملك السما الدنيا وخزانة الجنة وكان ابليس رييسهم ومرشدهم واكثرهم علما فكان يعبد الله تارة في الارض وتارة في السما وتارة في الجنة فدخله العجب وقال ما اعطاني الله هذا الملك الا لاني اكرم الملايكة عليه فقال له ولجنده **اني جاعل في الارض خليفة** اي خالق وخليفة يعني بدلا منكم ورافعكم الي فكرهوا ذلك لانهم كانوا اهون الملايكة عبادة والمراد بالخليفة هنا ادم لانه خلف الجن وجا بعدهم وقيل لانه يخلفه غيره والصحيح انه انما سمي خليفة لانه خليفة الله في ارضه لاقامة حدوده وتنفيذ قضاياه **قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها** اي بالمعاصي **ويسفك الدما** يعني بغير حق كما فعل بنو الجان فان قلت من اين عرفوا ذلك حتى قالوا هذا القول قلت يحتمل ان يكون ذلك باخبار الله اياهم او قاسوا الشاهد على الغايب وقيل انهم لما راوا ان ادم خلق من اخلاط مركبة علموا انه يكون فيه الحقد والغضب ومنهما يتولد الفساد وسفك الدما فلهذا قالوا ذلك وقيل لما خلق الله تعالى النار رهبت الملايكة وقالوا لمن خلقت هذه النار قال لمن عصاني فلما قال اني جاعل في الارض خليفة قالوا ذلك فان قلت الملايكة معصومون فكيف وقع منهم هذا الاعتراض قلت ذهب بعضهم الى انهم غير معصومين واستدلوا على ذلك بوجوه منها قوله تعالى اتجعل فيها من يفسد فيها ومن ذهب الى عصمتهم اجاب عنه بان هذا السوال انما وقع على سبيل التعجب لا على سبيل الانكار والاعتراض فانهم تعجبوا من كمال حلم الله تعالى واحاطة علمه بما خفي عليهم ولهذا اجابهم بقوله اني اعلم ما لا تعلمون وقيل ان العبد المخلص في حب سيده يكره ان يكون له عبد اخر يعصيه فكان سوالهم على وجه المبالغة في اعظام الله عز وجل **ونحن نسبح بحمدك** اي نقول سبحان الله وبحمده وهي

صلاة الخلق وعليها يرزقون م عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي الكلام
افضل قال ما اصطفى الله لملائكته او لعباده سبحان الله وبحمده قال ابن عباس كل ما جاء في
القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلاة فيكون المعنى ونحن نصلي لك وقيل اصل التسبيح
تنزيه الله عما لا يليق بجلاله فيكون المعنى ونحن ننزهك عن كل سوء ونقيصة ومعنى بحمدك
حامدين لك او متلبسين بحمدك وقيل نسبح بحمدك فانه لولا انعامك علينا بالتوفيق لم نتمكن
من ذلك ونقدس لك اصل التقديس التطهير اي نطهرك عن النقائص وكل سوء ونصفك بما يليق
بعزك وجلالك من العلو والعظمة واللامرصلة وقيل معناه نطهر انفسنا لطاعتك وعبادتك
قال اني اعلم ما لا تعلمون قيل انه جواب لقول الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها فقال الله تعالى
اني اعلم من وجوه المصلحة والحكمة ما لا تعلمون وقيل اعلم ان فيهم من يعبدني ويطيعني وهم
الانبياء والاولياء والصالحون ومن يعصيني منكم وهو ابليس وقيل اعلم انهم يذنبون ويستغفرون
فاغفر لهم فصل في ماهية الملائكة وقصة خلق آدم عليه السلام قيل ان الملائكة
اجسام لطيفة هوائية خلقوا من النور تقدر ان تتشكل باشكال مختلفة مسكنهم في
السموات عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا
تسمعون أطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته
لله ساجدا اخرجه الترمذي بزيادة وقال حديث حسن غريب واما صفة خلق آدم عليه
السلام فقال وهب بن منبه لما اراد الله ان يخلق آدم اوحى الله الى الارض اني خالق منك
خليفة منهم من يطيعني ومنهم من يعصيني فمن اطاعني ادخلته الجنة ومن عصاني ادخلته
النار قالت الارض اتخلق مني خلقا يكون للنار قال نعم فبكت الارض فانفجرت منها العيون
الى يوم القيامة فبعث الله اليها جبريل ليأتيه بقبضة منها من احمرها واسودها وطيبها
وخبيثها فلما اتاها ليقبض منها قالت اعوذ بعزة الله الذي ارسلك ان لا تأخذ مني شيئا
فرجع جبريل الى مكانه وقال يا رب استعاذت بك مني فكرهت ان اقدم عليها فقال الله
لميكائيل انطلق فأتني بقبضة منها فلما اتاها ليقبض منها قالت له مثل ما قالت لجبريل
فرجع الى ربه فقال ما قالت له فقال لعزرائيل انطلق فأتني بقبضة من الارض فلما اتاها
قالت له الارض اعوذ بعزة الله الذي ارسلك ان تأخذ مني شيئا فقال وانا اعوذ بعزته
ان اعصي له امرا وقبض منها قبضة من جميع بقاعها من عذبها ومالحها وحلوها ومرها وطيبها
وخبيثها وصعد بها الى السماء فقال له ربه عز وجل وهو اعلم بما صنع فاخبره بما قالت الارض
وبما رد عليها فقال الله تعالى وعزتي وجلالي لاخلقن مما جئت به خلقا ولاسلطنك على قبض
ارواحهم لقلة رحمتك ثم جعل الله تلك القبضة نصفها في الجنة ونصفها في النار ثم تركها
ما شاء الله ثم اخرجها فعجنها طينا لازبا مدة ثم حمأ مسنونا مدة ثم صلصالا ثم جعلها جسدا
والقاه على باب الجنة فكانت الملائكة يعجبون لامر ما خلق هذا من صفة صورته لانهم
لم يكونوا رأوا مثله وكان ابليس يمر عليه ويقول لامر ما خلق هذا ونظر اليه فاذا هو اجوف
فقال هذا خلق لا يتماسك وقال يوما للملائكة ان فضل عليكم ما تصنعون قالوا نطيع ربنا
ولا نعصيه فقال ابليس في نفسه لئن فضل علي لاعصينه ولئن فضلت عليه لاهلكنه
فلما اراد الله تعالى ان ينفخ فيه الروح امرها ان تدخل في جسد آدم فنظرت فرأت مدخلا
ضيقا فقالت يا رب كيف ادخل هذا الجسد قال الله عز وجل ادخليه كرها وستخرجين
منه كرها فدخلت في يافوخه فوصلت الى عينيه فجعل ينظر الى سائر جسده طينا
فسارت الى ان وصلت منخريه فعطس فلما بلغت لسانه قال الحمد لله رب العالمين

ومي

وهي اول كلمة قالها فقال له الله تعالى رحمك ربك يا ابا محمد ولهذا خلقتك ولما بلغت الروح
الى الركبتين هم ليقوم فلم يقدر قال الله تعالى خلق الانسان من عجل فلما بلغت الى الساقين
والقدمين استوى قائما بشرا سويا لحما ودما وعظاما وعروقا وعصبا واحشاء وكسي
لباسا من ظفر يزداد جودة وحسنا كل يوم وجعل في جسده تسعة ابواب سبعة في رأسه
وهي الاذنان يسمع بهما والعينان يبصر بهما والمنخران يشم بهما والفم واللسان ليتكلم
به والاسنان يطحن بهما ما يأكله ويجد لذة المطعومات وبابان في اسفل جسده وهما القبل
والدبر يخرج منهما ثقل طعامه وشرابه وجعل عقله في دماغه وفكرته وعرامته في قلبه
وشرهه في كليته وغضبه في كبده ورعبه في رئته وضحكه في طحاله وفرحه وحزنه في
وجهه فسبحان من جعله يسمع بعظم ويبصر بشحم وينطق بلحم ويعرف بدم وركب فيه الشهوة
وحجزه بالحياء ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خلق الله تعالى آدم عليه السلام وطوله ستون
ذراعا ثم قال اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة فاستمع ما يحيونك به فانها تحيتك
وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة
الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص حتى الان م عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صور الله آدم تركه ما شاء الله ان يتركه فجعل ابليس
يطيف به ينظر ما هو فلما رآه اجوف عرف انه لا يتمالك عن ابي موسى قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع
الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل
والحزن والخبيث والطيب اخرجه الترمذي وابو داود قوله عز وجل وعلم آدم الاسماء
كلها سمي آدم لانه خلق من اديم الارض وقيل لانه كان آدم اللون وكنيته ابو محمد وقيل
ابو البشر ولما خلق الله آدم وتم خلقته علمه اسماء الاشياء وذلك ان الملائكة قالوا ليخلق
ربنا ما شاء فلن يخلق خلقا اكرم عليه منا وان كان فنحن اعلم منه لانا خلقنا قبله ورأينا
ما لم يره فاظهر الله فضل آدم عليهم بالعلم وفيه دليل لمذهب اهل السنة ان الانبياء
افضل من الملائكة وان كانوا رسلا قال ابن عباس علمه اسم كل شيء حتى القصعة والقصيعة
وقيل خلق الله كل شيء من الحيوان والجماد وغير ذلك وعلم آدم اسماءها كلها فقال يا آدم
هذا بعير وهذا فرس وهذه شاة حتى اتى على آخرها وقيل علم آدم اسماء الملائكة وقيل اسماء
ذريته وقيل علمه اللغات كلها ثم عرضهم يعني تلك الاشخاص وانما قال عرضهم ولم يقل
عرضها لان المسميات اذا جمعت من يعقل وما لا يعقل عبر عنه بلفظ من يعقل لتغليب العقلاء
عليهم كما يعبر عن الذكور والاناث بلفظ الذكور على الملائكة فقال يعني تعجيزا لهم انبئوني
اخبروني باسماء هؤلاء يعني تلك الاشخاص ان كنتم صادقين اي اني لم اخلق خلقا الا كنتم
افضل منهم واعلم قالوا يعني الملائكة سبحانك تنزيها لك وذلك لما ظهر عجزهم لا علم لنا
الا ما علمتنا اي انك اجل من ان نحيط بشيء من علمك الا ما علمتنا انك انت العليم اي بخلقك
وهو من اسماء الصفات التامة وهو المحيط بكل المعلومات الحكيم اي في امرك وله معنيان
احدهما انه القاضي العدل والثاني المحكم للامور كي لا يتطرق اليها الفساد قال يعني
الله تعالى يا آدم انبئهم باسمائهم وذلك لما ظهر عجز الملائكة فسمى كل شيء باسمه وذكر وجه
الحكمة التي خلق لها فلما انبأهم باسمائهم قال يعني الله تعالى الم اقل لكم يعني يا ملائكتي اني
اعلم غيب السموات والارض يعني ما كان وما سيكون وذلك انه سبحانه وتعالى علم احوال
آدم قبل ان يخلقه فلهذا قال لهم اني اعلم ما لا تعلمون واعلم ما تبدون يعني قول الملائكة

ابجعل فيها **وما كنتم تكتمون** يعني قولكم لن يخلق الله خلقا اكرم عليه منا وقال ابن عباس اعلم ما تبدون
من الطاعة وما كنتم تكتمون يعني ابليس من المعصية • قوله تعالى **واذ قلنا للملئكة اسجدوا**
لادم قيل هذا الخطاب مع الملئكة الذين كانوا سكان الارض والاصح انه خطاب مع جميع الملئكة
بدليل قوله فسجد الملئكة كلهم اجمعون الا ابليس **فسجدوا** يعني الملئكة وفي هذا السجود قولان
اصحهما انه كان لادم على الحقيقة ولم يكن فيه وضع الجبهة على الارض انما هو الانحنا وكان سجود
تحية وتعظيم لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له في قوله وخروا له سجدا فلما جا الاسلام
ابطل ذلك بالسلام وفي سجود الملئكة لادم معنى الطاعة لله تعالى وامتثال امره والقول الثاني
ان ادم كان كالقبلة وكان السجود لله تعالى كما جعلت الكعبة قبلة للصلاة والصلاة لله تعالى
وفي هذه الاية دليل لمذهب اهل السنة في تفضيل الانبيا على الملئكة **الا ابليس** سمي به لانه
ابلس من رحمة الله تعالى اي يئس وكان اسمه عزازيل بالسريانية وبالعربية الحارث فلما عصى
غير اسمه فسمي ابليس وغيرت صورته قال ابن عباس كان ابليس من الملئكة بدليل انه استثني
منهم وقيل انه من الجن لانه خلق من النار والملئكة خلقوا من النور ولانه اصل الجن كما ان
ادم عليه السلام اصل الانس والاول اصح لان الخطاب كان مع الملئكة فهو داخل فيهم ثم
استثناه منهم **ابى** اي امتنع من السجود فلم يسجد **واستكبر** اي تكبر وتعظم عن السجود لادم
وكان من الكافرين اي في علم الله تعالى وانه وجبت له النار للسابق في علم الله بشقاوته
م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة
فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويله وفي رواية يقول يا ويلي امر ابن ادم بالسجود
فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار • قوله تعالى **وقلنا يا ادم اسكن**
انت وزوجك الجنة اي اتخذها ماوى ومنزلا وليس معناه الاستقرار لانه لم يقل اسكنك
في الجنة لانه خلق لعمارة الارض ولما اسكن الله ادم في الجنة بقي وحده ليس معه من يستانس
به فالقى الله عليه النوم ثم اخذ ضلعا من اضلاع جنبه الايسر وهو الاقصر فخلق
منه حوا ووضع مكان الضلع لحما من غير ان يحس بذلك ادم ولم يجد المًا ولو وجد المًا لما عطف
رجل على امراة قط وسميت حوا لانها خلقت من حي فلما استيقظ ادم من نومه راها جالسة
كاحسن ما خلق الله فقال لها من انت قالت انا زوجتك حوا قال ولماذا خلقت قالت
لتسكن الي واسكن اليك واختلفوا في الجنة التي امر ادم بسكناها فقيل انها جنة كانت
في الارض بدليل انه لو كانت الجنة التي هي دار الجزا والثواب لما اخرج منها واجاب صاحب
هذا القول عن قوله اهبطا بان المراد من الهبوط التحول والانتقال فهو كقوله اهبطوا
مصرا والقول الصحيح انها الجنة التي هي دار الجزا والثواب لان الالف واللام للعهد
والجنة بين المسلمين وفي عرفهم انها التي هي دار الجزا والثواب وقيل كلا القولين ممكن
فلا وجه للقطع **وكلا منها رغدا** اي واسعا كثيرا **حيث شئتما** اي كيف شئتما ومتى شئتما
واين شئتما والمقصود منه الاطلاق في الاكل من الجنة بلا منع الا ما نهي عنه وهو قوله
تعالى **ولا تقربا هذه الشجرة** يعني بالاكل قيل انما وقع هذا النهي على جنس من الشجر وقيل
على شجرة مخصوصة قال ابن عباس هي السنبلة وقيل الكرمة وقيل هي شجرة التين وقيل
هي شجرة العلم وقيل الكافور وقيل ليس في ظاهر الكلام ما يدل على التبيين اذ لا حاجة
اليه لانه ليس المقصود تعرف عين تلك الشجرة وما لا يكون مقصودا لا يجب بيانه
فتكونا من الظلمين يعني ان اكلتما من هذه الشجرة ظلمتما انفسكما فمن جوز ارتكاب الذنوب
على الانبيا قال ظلم نفسه بالمعصية واصل الظلم وضع الشي في غير موضعه ومن لم يجوز

ذلك على الانبيا حمل الظلم على انه فعل ما كان الاولى ان لا يفعله وقيل حمل على انه فعل
هذا قبل النبوة فان قلت هل يجوز وصفنا الانبيا بالظلم وبظلم انفسهم قلت لا يجوز
ان يطلق عليهم ذلك لما فيه من الذم • قوله تعالى **فازلهما الشيطان عنها** اي استزلت
ادم وحوا ودعاهما الى الزلة وهي الخطيئة وسياتي الكلام ان شا الله تعالى على عصمة الانبيا
والجواب عما صدر منهم عند قوله عز وجل وعصى ادم ربه فغوى في سورة طه **فاخرجهما**
مما كانا فيه يعني من النعيم وذلك ان ابليس اراد ان يدخل الجنة ليوسوس لادم وحوا
فمنعته الخزنة فاتى الحية وكانت صديقة لابليس وكانت من احسن الدواب وكانت
لها اربع قوايم كقوايم البعير وكانت من خزان الجنة فسالها ان تدخله الجنة في فيها
فادخلته ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون وقيل انما راهما على باب الجنة لانهما كانا
يخرجان منها وكان ابليس بقرب الباب فوسوس لهما وذلك ان ادم لما دخل الجنة وراى
ما فيها من النعيم قال لو ان خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه واتاه من قبل الخلد وقيل
لما دخل الجنة وقف على ادم وحوا وهما لا يعلمان انه ابليس فبكى وناح نياحة احزنتهما
وهو اول من ناح فقالا له ما يبكيك قال ابكي عليكما لانكما تموتان فتفارقان ما انتما فيه
من النعمة فوقع ذلك في انفسهما واغتما ومضى ابليس ثم اتاهما بعد ذلك وقال يا ادم
هل ادلك على شجرة الخلد فابى ان يقبل منه فقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغترا
وما ظنا ان احدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حوا الى اكل الشجرة ثم ناولت ادم فاكل
منها قال ابراهيم بن ادهم اورثتنا تلك الاكلة حزنا طويلا قال ابن عباس قال الله تعالى
يا ادم الم يكن فيما ابحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى يا رب وعزتك ولكن
ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش
فيها الا كدا فاهبط من الجنة وعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وزرع وسقى حتى
اذا بلغ واشتد حصده ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه وخبزه ثم اكله فلم يبلغه
حتى بلغ منه الجهد وفي رواية اخرى عن ابن عباس ان ادم لما اكل من الشجرة التي نهي عنها
قال الله تعالى يا ادم ما حملك على ما صنعت قال يا رب زينته لي حوا قال فاني
اعقبتها ان لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها وادميتها في الشهر مرتين فرنت حوا عند
ذلك فقيل عليك الرنة وعلى بناتك والرنة الصوت فلما اكلا من الشجرة تهافت
عنهما ثيابهما وبدت سوآتهما واخرجا من الجنة فذلك قوله تعالى **وقلنا اهبطوا**
يعني انزلوا الى الارض يعني ادم وحوا وابليس والحية فهبط ادم في سرنديب من ارض
الهند على جبل يقال له نود واهبطت حوا بجدة وابليس بالايلة من اعمال البصرة والحية
باصبهان **بعضكم لبعض عدو** يعني العداوة التي بين المومنين من ذرية ادم وبين ابليس
واليه الاشارة بقوله عز وجل ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا والعداوة التي بين
ذرية ادم والحية عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الحيات
مخافة طلبهن فليس منا ما سالمناهن منذ حاربناهن اخرجه ابو داود وله عن ابن مسعود
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقتلوا الحيات كلهن فمن خاف من ثارهن
فليس مني وفي رواية اقتلوا الكبار كلها الا الجان الابيض الذي كانه قضيب فضة م
عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة جنا قد اسلموا
فاذا رايتم منهم شيئا فاذنوه ثلاثة ايام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان
وفي رواية ان لهذه البيوت عوامر فاذا رايتم منها شيئا فحرجوا عليها ثلاثا فان ذهب

والا فاقتلوه فانه كافر **ولكم في الارض مستقر** اي موضع قرار **ومتاع** بلغة ومستمتع
الى حين اي الى وقت انقضاء آجالكم. قوله عز وجل **فتلقى آدم** اي فتلقن والتلقي هو قبول
عن فطنة وفهم وقيل هو التعليم **من ربه كلمات** اي كانت سبب توبته وقيل ان تلك الكلمات
هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقيل قال لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب ظلمت
نفسي وعملت سوءا فتب علي انك انت التواب الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب
عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انك انت الغفور الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك
رب عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انك انت ارحم الراحمين وقيل قال آدم يا رب ارايت
ما اتيت اشيء ابتدعته من تلقاء نفسي ام شيء قدرته علي قبل ان تخلقني قال بل شيء قدرته
عليك قبل ان اخلقك قال يا رب فكما قدرته علي فاغفر لي وقيل ان الله امر آدم بالحج وعلمه
اركانه وطاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ربوة حمراء ثم صلى ركعتين ثم استقبل البيت
وقال اللهم انك تعلم سريرتي وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم
ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي فاوحى الله اليه يا آدم قد غفرت لك ذنوبك وقيل ان آدم لما اهبط
الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع راسه الى السماء حياء من الله تعالى وقيل هي ثلاثة اشياء
الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة
ولم ياكلا ولم يشربا اربعين يوما وقيل لو ان دموع اهل الارض جمعت لكان دموع داود اكثر
حيث اصاب الخطيئة ولو ان دموع داود ودموع اهل الارض جمعت لكانت دموع آدم اكثر
حيث اخرجه الله من الجنة **فتاب عليه** اي تجاوز عنه وغفر له واصل التوبة من تاب
يتوب اذا رجع فكان التائب رجع عن ذلك الذنب الذي كان عليه ولا تتحقق التوبة
الا بثلاثة امور علم وحال وعمل اما العلم فهو ان يعلم العبد ضرر الذنب وانه حجاب
عن الله تعالى واذا حصل هذا العلم تألم القلب فتحدث له حالة يحصل الندم وهو الحال
فيترك العبد الذنب ويعزم في المستقبل ان لا يعود اليه وهو العمل فاذا تحققت
هذه الثلاثة الامور حصلت التوبة وسياتي بسط هذا عند قوله تعالى توبوا الى الله
توبة نصوحا في سورة التحريم ان شاء الله تعالى **انه هو التواب** اي الرجاع على عباده
بقبول التوبة والتواب في وصف الله تعالى للمبالغة في قبول توبة عباده **الرحيم**
اي بخلقه وصف سبحانه وتعالى نفسه مع كونه توابا بانه رحيم **قلنا اهبطوا منها
جميعا** يعني هؤلاء الاربعة وقيل ان الهبوط الاول من الجنة الى السماء الدنيا والهبوط
الثاني من سماء الدنيا الى الارض وفيه ضعف لانه قال في الهبوط الاول ولكم في الارض
مستقر فدل على انه كان من الجنة الى الارض والاصح انه للتاكيد **فاما ياتينكم مني هدى**
فيه تنبيه على عظم نعم الله تعالى على آدم وحواء كانه قال واني اهبطتكم من الجنة الى
الارض فقد انعمت عليكم بهدايتي التي تؤديكم الى الجنة مرة اخرى على الدوام الذي
لا ينقطع وقيل المخاطب هم ذرية آدم يعني يا ذرية آدم اما ياتينكم مني رشد وبيان
وشريعة وقيل كتاب ورسول **فمن تبع هداي فلا خوف عليهم** يعني فيما يستقبلهم **ولا هم
يحزنون** اي على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة **والذين كفروا**
اي جحدوا **وكذبوا باياتنا** اي بالقرآن **اولئك اصحاب النار** اي يوم القيامة **هم فيها خالدون**
اي لا يخرجون منها ولا يموتون فيها. قوله تعالى **يا بني اسرائيل** اتفق المفسرون ان اسرائيل هو
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم اجمعين ومعنى اسرائيل عبد الله وقيل
هو صفوة الله والمعنى يا اولاد يعقوب **اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** اي اذكروا نعمتي

وانما

وانما عبر عنها بالذكر لان من ذكر النعمة فقد شكرها ومن جحدها فقد كفرها وقيل الذكر
يكون بالقلب ويكون باللسان وحد النعمة انها المنفعة المفعولة على جهة الاحسان الى
الغير ومعناه ان المضرة المحضة لا تكون نعمة ولو نفع الانسان منفعة وقصد نفسه
لا تكون نعمة اذا لم يقصد بها الغير ثم ان النعمة ثلاثة نعمة تفرد بها الله تعالى وهي
ايجاد الانسان ورزقه ونعمة وصلت الى الانسان بواسطة الغير لكن الله مكنه من ذلك
فالمنعم بها في الحقيقة هو الله تعالى ونعمة حصلت للانسان بسبب الطاعة وهي ايضا
من الله تعالى فالله هو المنعم المطلق في الحقيقة لان اصول النعم كلها منه واما النعم
المختصة ببني اسرائيل فكثيرة ولان قوله اذكروا نعمتي لفظها واحد ومعناه الجمع فمن
النعم ان الله انقذهم من فرعون وفلق البحر لهم واغرق فرعون وتظليل الغمام وانزال
المن والسلوى في التيه عليهم وانزال التوراة في نعم غير هذه كثيرة فان قلت اذا
فسرت النعمة بهذا فما كانت على المخاطبين بها بل كانت على ابائهم فكيف تكون نعمة عليهم
حتى يذكروها قلت انما ذكر المخاطبين بها لان فخر الاباء فخر الابناء ولان الابناء اذا اتقوا
ان الله قد انعم على ابائهم بهذه النعم فقد وجب عليهم ذكرها وشكرها وقيل ان هذه النعمة
هي ادراك المخاطبين بها زمن محمد صلى الله عليه وسلم وذكرها الايمان به **واوفوا بعهدي**
اي امتثلوا امري **اوف بعهدكم** اي بالقبول والثواب واصل العهد حفظ الشيء ومراعاته
حالا بعد حال ومنه سمي الموثق الذي تلزم مراعاته عهدا قيل اراد بالعهد جميع ما امر
الله به من غير تخصيص ببعض التكاليف دون بعض وقيل اراد به ما ذكر في سورة المائدة
وهو قوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا الى قوله لاكفرن
عنكم سيئاتكم فهذا قوله اوف بعهدكم وقيل هو قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا
فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة يعني شريعة التوراة وقيل هو قوله واذ اخذنا
ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله وقيل اراد بهذا العهد ما اثبته في كتب الانبياء
المتقدمة من وصف محمد صلى الله عليه وسلم وانه مبعوث في آخر الزمان وذلك
ان الله عهد الى بني اسرائيل على لسان موسى عليه السلام اني باعث من بني اسماعيل نبيا
اميا فمن تبعه وصدق النور الذي ياتي به غفرت له ذنبه وادخلته الجنة وجعلت
له اجرين اثنين وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته **واياي فارهبون** اي خافوني في نقضكم العهد
وآمنوا بما انزلت يعني بالقرآن **مصدقا لما معكم** يعني ان القرآن موافق لما في التوراة
من التوحيد والنبوة والاخبار وبعث محمد صلى الله عليه وسلم فالايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم والقرآن تصديق للتوراة لان التوراة فيها الاشارة الى بعث النبي صلى الله عليه
وسلم وانه مبعوث فمن آمن به فقد آمن بما في التوراة ومن كفر به فقد كذب التوراة
وكفر بها **ولا تكونوا اول كافر به** الخطاب لليهود نزلت في كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود
والمعنى ولا تكونوا يا معشر اليهود اول من كفر به فان قلت كيف جعلوا اول من كفر
به وقد سبقهم الى الكفر به مشركو العرب من اهل مكة وغيرهم قلت هذا تعريض
بهم والمعنى كان يجب ان تكونوا اول من آمن به لانكم تعرفون صفته ونعته بخلاف
غيركم وكنتم تستفتحون به على الكفار فلما بعث كان امر اليهود بالعكس وقيل معناه
ولا تكونوا اول كافر به من اليهود فيتبعكم غيركم على ذلك فتبوءوا باثمكم واثم غيركم
ممن تبعكم على ذلك **ولا تشتروا** اي ولا تستبدلوا **باياتي** اي ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم

التي في التورية **ثمنا قليلا** اي عوضا يسيرا من الدنيا لان الدنيا بالنسبة الى الآخرة كالشيء
اليسير الحقير الذي لا قيمة له والذي كانوا يأخذونه من الدنيا كالشيء اليسير بالنسبة
الى جميعها فهو قليل القليل فلهذا قال الله تعالى ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وذلك
ان كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود وعلماءهم كانوا يصيبون المآكل من سفلتهم وجهالهم
فكانوا ياخذون منهم في كل سنة شيئا معلوما من زروعهم وثمارهم ونقودهم وضروعهم
فخافوا انهم بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه ان تفوتهم تلك المآكل فغيروا
نعته وكتموا اسمه واختاروا الدنيا على الآخرة واصروا على الكفر **واياي فاتقون**
اي فخافون في امر محمد صلى الله عليه وسلم والتقوى قريب من معنى الرهبة والفرق بينهما
ان الرهبة خوف مع حزن واضطراب والتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف. قوله
عز وجل **ولا تلبسوا الحق بالباطل** اي ولا تكتبوا في التوراة ما ليس فيها فيختلط الحق المنزل
بالباطل الذي كتبتم وقيل معناه ولا تخلطوا الحق الذي انزلت عليكم من صفة محمد صلى
الله عليه وسلم في التوراة بالباطل الذي تكتمونه بايديكم من تغيير صفته وقيل لا تخلطوا
صفة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي الحق بالباطل اي بصفة الدجال وذلك لان لما
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حسده اليهود وقالوا ليس هو هذا الذي ننتظره وانما هو المسيح
ابن داود يعني الدجال وكذبوا فيما قالوا **وتكتموا الحق** يعني نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وانتم تعلمون يعني ان محمدا صلى الله عليه وسلم نبي مرسل وفيه تنبيه لسائر الخلق وتحذير
من مثله فصار هذا الخطاب وان كان خاصا في الصورة لكنه عام في المعنى فعلى كل احد
ان لا يلبس الحق بالباطل ولا يكتم الحق لما فيه من الضرر والفساد وفيه دلالة ايضا على
ان العالم بالحق يجب عليه اظهاره ويحرم عليه كتمانه **واقيموا الصلاة** يعني الصلوات
الخمس بمواقيتها وحدودها وجميع اركانها **وآتوا الزكوة** اي ادوا الزكوة المفروضة
عليكم في اموالكم **واركعوا مع الراكعين** اي صلوا مع المصلين ويعني محمدا صلى الله عليه
وسلم واصحابه وعبر عن الصلاة بالركوع لانه ركن من اركانها وهذا خطاب لليهود لان صلاتهم
ليس فيها ركوع فكانه قال لهم صلوا صلاة ذات ركوع فلهذا المعنى اعاده بعد قوله واقيموا الصلاة
لان الاول خطاب الكافة والثاني خطاب قوم مخصوصين وهم اليهود وفيه حث على اقامة
الصلاة في الجماعة فكانه قال صلوا مع المصلين في الجماعة. قوله تعالى **اتامرون الناس**
بالبر الاستفهام فيه للتقرير مع التوبيخ والتعجب من حالهم والبر اسم جامع لجميع اعمال
الخير والطاعات نزلت هذه الآية في علماء اليهود وذلك ان الرجل منهم كان يقول لقريبه
وحليفه من المسلمين اذا سأله عن امر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه فان امره حق
وقوله صدق وقيل ان جماعة من اليهود قالوا لمشركي العرب ان رسولا سيظهر منكم ويدعوكم
الى الحق وكانوا يرغبونهم في اتباعه فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم حسدوه
وكفروا به فبكتهم الله ووبخهم بذلك حيث انهم كانوا يأمرون الناس باتباعه قبل ظهوره
فلما ظهر تركوه واعرضوا عنه وقيل كانوا يأمرون الناس بالطاعة والصلاة والزكوة
وانواع البر ولا يفعلونه فوبخهم بذلك **وتنسون انفسكم** اي وتعدلون عما فيه نفعها والنسيان
عبارة عن السهو الحادث بعد حصول العلم والمعنى اتتركون انفسكم ولا تتبعون محمدا صلى الله
عليه وسلم **وانتم تتلون الكتاب** يعني تقرؤون التوراة وتدرسونها وفيها نعت محمد صلى
الله عليه وسلم وصفته وفيها ايضا الحث على الافعال الحسنة والاعراض عن الافعال
القبيحة والآثام **افلا تعقلون** يعني انه حق فتتبعونه والعقل قوة تهيئ لقبول العلم وقيل

للعلم

للعلم الذي يستفيده الانسان بتلك القوة عقل ومنه قول علي بن ابي طالب العقل عقلان
فمطبوع ومسموع. ولا ينفع مطبوع. اذا لم يك مسموع. كما لا تنفع الشمس. وضوء العين
ممنوع. واصل العقل الامساك لانه مأخوذ من عقال الدابة كعقل البعير بالعقال ليمتنع
من الشرود فكذلك العقل يمنع صاحبه من الكفر والجحود والافعال القبيحة ومعنى الآية
ان المقصود من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هو ارشاد الغير الى تحصيل المصلحة وتحذيره
عما يوقعه في المفسدة والاحسان الى النفس اولى من الاحسان الى الغير وذلك ان الانسان
اذا وعظ غيره ولم يتعظ هو فكانه اتى بفعل متناقض لا يقبله العقل فلهذا قال افلا تعقلون
وقيل ان من وعظ الناس يجتهد ان تنفذ موعظته الى القلوب فاذا خالف قوله فعله
كان ذلك سبب تنفير القلوب عن قبول موعظته **ق** عن اسامة بن زيد رضي الله تعالى عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار
فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى فيجتمع اليه اهل النار فيقولون
يا فلان ما لك الم تكن تامر الناس بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف
ولا آتيه وانهى عن المنكر وآتيه **قوله** فتندلق اي تخرج اقتاب بطنه اي امعاء بطنه
واحدها قتب وروى البغوي بسنده عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رايت ليلة اسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال
هؤلاء خطباء من امتك يامرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب افلا يعقلون
قيل مثل الذي يعلم الناس الخير ولا يعمل به كالسراج يضيء للناس ويحرق نفسه
وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه. ومن وعظ بفعله نفذت سهامه وقال بعضهم

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها. فاذا انتهت عنه فانت حكيم.
فهناك يسمع ما تقول ويقتدى. بالقول منك وينفع التعليم.

قوله عز وجل **واستعينوا بالصبر والصلوة** قيل ان المخاطبين بهذا هم المؤمنون لان من
ينكر الصلاة والصبر على دين محمد صلى الله عليه وسلم لا يقال له استعن بالصبر والصلاة
فلا جرم وجب صرفه الى من صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به وقيل يحتمل ان يكون
الخطاب لبني اسرائيل لان صرف الخطاب الاعظم يوجب تفكيك نظم القرآن ولان اليهود
لم ينكروا اصل الصلاة والصبر لكن صلاتهم غير صلاة المؤمنين فعلى هذا القول ان الله لما
امرهم بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والتزام شريعته وترك الرياسة وحب الجاه
والمال فقال لهم استعينوا بالصبر اي بحبس النفس عن اللذات وضموا الى ذلك الصلاة
فان عليكم ترك ما انتم فيه من حب الرياسة والجاه والمال وعلى القول الاول يكون معنى
الآية واستعينوا على حوائجكم الى الله وقيل على ما يشغلكم من انواع البلاء وقيل على طلب
الآخرة بالصبر وهو حبس النفس عن اللذات وترك المعاصي وقيل بالصبر على اداء الفرائض
وقيل الصبر هو الصوم لان فيه حبس النفس عن المفطرات وعن سائر اللذات وفيه انكسار
النفس والصلاة اي اجمعوا بين الصبر والصلاة وقيل معناه استعينوا بالصبر على
الصلاة وعلى ما يجب فيها من تصحيح النية واحضار القلب ومراعاة الاركان والآداب
مع الخشوع والخشية فان من اشتغل بالصلاة ترك ما سواها وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلاة اي اذا اهمه امر لجأ الى الصلاة وعن ابن عباس انه
نعي له اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس
ثم قام الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة. **وانها** يعني الصلاة وقيل

الاستعانة **لكبيرة** اي ثقيلة **الا على الخاشعين** يعني المؤمنين وقيل الخائفين وقيل المطيعين المتواضعين لله تعالى واصل الخشوع السكون والخاشع ساكن الى الطاعة وقيل الخشوع الضراعة واكثر ما يستعمل في الجوارح وانما كانت الصلاة ثقيلة على غير الخاشعين لان من لا يرجو لها ثوابا ولا يخاف على تركها عقابا فهي ثقيلة عليه والخاشع الذي يرجو لها ثوابا ويخاف على تركها العقاب فهي سهلة عليه **الذين يظنون** اي يستيقنون وقيل يعلمون **انهم ملاقوا ربهم** يعني في الاخرة وفيه دليل على ثبوت رؤية الله تعالى في الاخرة **وانهم اليه راجعون** يعني بعد الموت فيجزيهم باعمالهم • قوله تعالى **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** انما اعاد هذا الكلام مرة اخرى توكيدا للحجة عليهم وتحذيرا من ترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم **واني فضلتكم على العالمين** يعني على عالمي زمانكم وهذا التفضيل وان كان في حق الاباء ولكن يحصل به الشرف للابناء **واتقوا يوما** اي واخشوا عذاب يوم **لا تجزي** اي لا تقضي **نفس عن نفس شيئا** يعني حقا لزمها وقيل معناه لا تنوب نفس عن نفس يوم القيامة ولا ترد عنها شيئا مما اصابها بل يفر المرء من اخيه وامه وابيه **ولا تقبل منها شفاعة** اي في ذلك اليوم والمعنى لا تقبل الشفاعة اذا كانت النفس كافرة وذلك ان اليهود قالوا يشفع لنا اباؤنا فرد الله عليهم ذلك بقوله ولا تقبل منها شفاعة وقيل ان طاعة المطيع لا تقضي عن العاصي ما كان واجبا عليه وقيل معناه ان النفس الكافرة لو جاءت بشفيع لا يقبل منها **ولا يؤخذ منها عدل** اي فدية وهو مماثلة الشيء بالشيء **ولا هم ينصرون** اي لا يمنعون من العذاب • قوله عز وجل **واذ نجيناكم** اي واذكروا اذ خلصنا اسلافكم واجدادكم فعدها نعمة ومنة عليهم لانهم نجوا بنجاة اسلافهم **من آل فرعون** اي من اتباعه واهل دينه وفرعون اسم علم لمن كان يملك مصر من القبط والعمالقة وكان اسمه الوليد بن مصعب بن الريان وعمر اكثر من اربعمائة سنة **يسومونكم** اي يكلفونكم ويذيقونكم **سوء العذاب** اي اشد العذاب واسوأه وقيل يصرفونكم في العذاب مرة كذا ومرة كذا وذلك ان فرعون جعل بني اسرائيل خدما وخولا وصنفهم في الاعمال اصنافا فصنف يبنون ويزرعون وصنف يخدمونه ومن لم يكن في عمل وضع عليه الجزية وقال وهب كانوا اصنافا في عمل فرعون فذوو القوة يقطعون السواري من الجبال حتى قرحت ايديهم واعناقهم ودبرت ظهورهم من قطعها ونقلها وصنف ينقلون الطين يبنون له القصور وطائفة يضربون اللبن ويطبخون الآجر وطائفة نجارون وحدادون والضعفة منهم يضرب عليهم الخراج يعني الجزية ضريبة يؤدونها كل يوم فمن غربت عليه الشمس قبل ان يؤدي ضريبته غلت يمينه الى عنقه شهرا والنساء يغزلن الكتان وينسجنه وقيل تفسير يسومونكم سوء العذاب ما بعده وهو قوله تعالى **يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم** اي يتركونهم احياء وذلك ان فرعون راى في منامه كان نارا اقبلت من بيت المقدس واحاطت بمصر واحرقت كل قبطي بها ولم تتعرض لبني اسرائيل فهاله ذلك وسال الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد غلام يكون على يده هلاكك وزوال ملكك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل ووكل بالقوابل فكن يفعلن ذلك حتى قتل في طلب موسى اثني عشر الفا وقيل سبعين الفا واسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤوس القبط على فرعون وقالوا ان الموت قد وقع ببني اسرائيل فتذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هارون في السنة التي لا يذبح فيها وولد

موسى

موسى في السنة التي يذبح فيها **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** اي اختبار وامتحان والبلاء يطلق على النعمة العظيمة وعلى المحنة الشديدة فيختبر الله تعالى العبد على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر فان حمل قوله وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم على صنع فرعون كان من البلاء المحنة وان حمل على الانجاء كان من النعمة • قوله تعالى **واذ فرقنا بكم البحر** اي فصلنا بعضه من بعض وجعلنا فيه مسالك بسبب دخولكم البحر سمي بحرا لاتساعه وذلك انه لما دنا هلاك فرعون امر الله عز وجل موسى ان يسري ببني اسرائيل من مصر بالليل فامر موسى قومه ان يسرجوا السرج الى الصبح وان تستعير حلي القبط ليبقى لهم ويتبعوهم لاجل المال واخرج الله كل ولد زنا كان في القبط من بني اسرائيل الى بني اسرائيل وكل ابن ولد زنا كان في بني اسرائيل من القبط الى القبط حتى يرجع كل ولد الى ابيه والقى الله تعالى الموت على القبط فمات كل بكر لهم فاشتغلوا بدفنهم وقيل بلغ ذلك فرعون فقال لا اخرج في طلبهم حتى يصيح الديك فما صاح تلك الليلة ديك وخرج موسى في بني اسرائيل وهم ستمائة الف وعشرون الفا لا يعدون ابن عشرين سنة لصغره ولا ابن ستين سنة لكبره وكانوا يوم دخلوا مصر مع يعقوب اثنين وسبعين انسانا ما بين رجل وامراة فلما ارادوا المسير ضرب عليهم التيه فلم يدروا اين يذهبون فدعا موسى مشيخة بني اسرائيل وسالهم عن ذلك فقالوا ان يوسف لما حضره الموت اخذ على اخوته عهدا ان لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فلذلك اشتد علينا الطريق فسالهم عن موضع قبره فلم يعلموا فقام موسى ينادي انشد الله كل من يعلم اين قبر يوسف الا اخبرني به ومن لم يعلم صمت اذناه عن سماع قولي فكان يمر بالرجل وهو ينادي فلا يسمع صوته حتى سمعته عجوز منهم فقالت له ارايتك ان دللتك على قبره اتعطيني كل ما سالتك فابى عليها وقال حتى اسال ربي فامره ان يعطيها سؤلها فقالت اني عجوز لا استطيع المشي فاحملني معك واخرجني من مصر هذا في الدنيا واما في الاخرة فاسالك ان لا تنزل غرفة من غرف الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت انه في النيل في جوف الماء فادع الله ان يحسر عنه الماء فدعا الله فحسر عنه الماء ودعا الله ان يؤخر عنه طلوع الفجر حتى يفرغ من امر يوسف ثم حفر موسى ذلك الموضع فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر وحمله معه حتى دفنه بالشام فعند ذلك فتح لهم الطريق فسار موسى ببني اسرائيل وهو في ساقتهم وهارون في مقدمتهم ثم خرج فرعون في طلبهم في الف الف وسبعمائة الف وكان فيهم سبعون الفا من دهم الخيل سوى سائر الشيات وقيل كان فيهم مائة الف حصان ادهم وكان فرعون في سبعة الاف الف وكان بين يديه مائة الف ناشب ومائة الف حراب ومائة الف معهم الاعمدة وسار بنو اسرائيل حتى وصلوا البحر والماء في غاية الزيادة ونظروا حين اشرقت الشمس فاذا هم بفرعون في جنوده فبقوا متحيرين وقالوا يا موسى اين ما وعدتنا به كيف نصنع هذا فرعون خلفنا ان ادركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا فاوحى الله الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فضربه فلم يطعه فاوحى الله اليه ان كنه فضربه وقال انفلق يا ابا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وظهر فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط منهم طريق وارتفع الماء بين كل طريقين كالجبل العظيم وارسل الله الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا وخاضت بنو اسرائيل البحر كل سبط في طريق عن جوانبهم الماء كالجبال الضخم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط منهم قد هلك اخواننا فاوحى الله تعالى الى جبال الماء ان تشبكي فصار الماء كالشبابيك يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم

مطلب فرق البحر لموسى وغرق فرعون وقومه واستصحاب موسى جسد يوسف عليهما السلام

كلامه بعض حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى وإذ فرقنا بكم البحر **فأنجيناكم** يعني من فرعون **وأغرقنا**
آل فرعون وذلك أن فرعون لما وصل البحر فرآه منفلقاً قال لقومه انظروا إلى البحر كيف
انفلق من هيبتي حتى أدرك عبيدي الذين أبقوا مني ادخلوا البحر فهاب قومه أن يدخلوه و
قالوا له إن كنت رباً فادخل البحر كما دخل موسى وكان فرعون على حصان أدهم ولم يكن في خيل
فرعون فرس أنثى فجاء جبريل عليه السلام على فرس أنثى وديق فتقدمهم وخاض البحر فلما شم
أدهم فرعون ريحها اقتحم البحر في أثرها ولم يملك فرعون من أمره شيئاً واقتحمت الخيول
خلفه في البحر وجاء ميكائيل عليه السلام خلفهم يسوقهم وهو على فرس ويقول الحقوا بأصحابكم
حتى صاروا كلهم في البحر وخرج جبريل من البحر وهمّ أولهم بالخروج أمر الله البحر أن يأخذهم
فالتطم عليهم وغرقهم أجمعين وكان بين طرفي البحر أربع فراسخ وهو بحر القلزم وهو طرف
من بحر فارس وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له إساف وكان إغراق آل فرعون بمرأى من
بني إسرائيل فذلك قوله تعالى **وأنتم تنظرون** يعني إلى مهلككم وقيل إلى مصارعهم وقيل
إن البحر قذفهم حتى نظروا إليهم ووافق ذلك يوم عاشوراء فصام موسى عليه السلام ذلك
اليوم شكراً لله تعالى ○ قوله عز وجل **وإذ واعدنا موسى** من المواعدة وهي من الله الأمر
ومن موسى القبول وذلك أن الله تعالى وعده المجيء للميقات ○ موسى اسم عبري معرّب
فمو بالعبرانية الماء وشى هو الشجر سمي موسى لأنه أخذ من بين الماء والشجر ثم قلبت الشين
سيناً فسمي موسى **أربعين ليلة** أي انقضاء أربعين ليلة من ذي القعدة وعشر من ذي الحجة
وقرن التاريخ بالليل دون النهار لأن الأشهر العربية وضعت على سير القمر وقيل لأن
الظلمة أقدم من الضوء

ذكر القصة في ذلك

قال العلماء لما أنجى الله بني إسرائيل
من البحر وأغرق عدوهم لم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون إليهما وعد الله موسى أن ينزل
عليه التوراة فقال موسى لقومه إني ذاهب إلى الميقات ربي لآتيكم منه بكتاب فيه ما تأتون
وما تذرون وواعدهم أربعين ليلة واستخلف عليهم أخاه هارون فلما جاء الوعد أتاه جبريل
عليه السلام على فرس يقال له فرس الحياة لا يصيب شيئاً إلا حيي ليذهب بموسى إلى الميقات
ربه فرآه السامري وكان صائغاً اسمه ميخا وقال ابن عباس اسمه موسى بن ظفر وقيل كان من
أهل باجرى وقيل كرمان وقيل من بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة وكان منافقاً
يظهر الإسلام وكان من قوم يعبدون البقر فلما رأى جبريل على ذلك الفرس ورأى
موضع قدم الفرس يخضر في الحال قال في نفسه إن لهذا شأناً وقيل رأى جبريل حين
دخل البحر قدام فرعون فقبض قبضة من تراب فرسه وألقي في روعه أنه إذا ألقي
في شيء حيي ولما ذهب موسى إلى الميقات ومكث على الطور أربعين ليلة وأنزل الله عليه
التوراة في الألواح وكانت الألواح من زبرجد وقربه نجياً وأسمعه صرير الأقلام
قيل إنه بقي أربعين ليلة لم يحدث فيها حدثاً حتى هبط من الطور وكانت بنو إسرائيل قد
استعاروا حلياً كثيراً من القبط حين أرادوا الخروج من مصر بعلة عرس لهم فلما هلك
فرعون وقومه بقي ذلك الحلي في أيديهم فلما فصل موسى قال لهم السامري إن الحلي الذي
استعرتموه من القبط غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفيرة واقذفوه فيها حتى يرجع موسى
ويرى فيها رأيه وقيل إن هارون أمرهم بذلك فلما اجتمعت الحلي أخذها السامري وصاغها
عجلاً من ذهب مرصعاً بالجوهر وخار خورة وقيل كان يخور ويمشي وقال لهم السامري
هذا إلهكم وإله موسى فنسي أي فتركه هاهنا وخرج يطلبه وكانت بنو إسرائيل قد أخلفوا
العهد فعدوا اليوم مع الليلة يومين فلما مضى عشرون يوماً ولم يرجع موسى وقعوا

في الفتنة

قف في قصة ميقات موسى واتخاذ السامري العجل

في الفتنة وقيل كان موسى وعدهم ثلاثين ليلة ثم زيدت العشر فكانت فتنتهم في تلك العشر
فلما مضت الثلاثون ولم يرجع موسى ظنوا أنه قد مات ورأوا العجل وسمعوا قول السامري
عكف عليه ثمانية آلاف رجل يعبدونه وقيل عبدوه كلهم إلا هارون مع اثني عشر ألف
رجل وهذا أصح فذلك قوله تعالى **ثم اتخذتم العجل** يعني إلهاً **من بعده** أي من بعد موسى
وأنتم ظالمون أي وأنتم ضارون لأنفسكم بالمعصية حيث وضعتم العبادة في غير
موضعها **ثم عفونا عنكم** أي محونا ذنوبكم وتجاوزنا عنكم **من بعد ذلك** أي من بعد عبادتكم
العجل **لعلكم تشكرون** أي لكي تشكروا عفوي عنكم وحسن صنيعي إليكم وأصل الشكر هو تصور
النعمة وإظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها والشكر على ثلاثة
أضرب شكر القلب وهو تصور النعمة وشكر اللسان وهو الثناء على النعمة وشكر سائر
الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقها وقيل الشكر هو الطاعة بجميع الجوارح
في السر والعلانية وقيل حقيقة الشكر العجز عن الشكر وحكي أن موسى عليه السلام
قال إلهي أنعمت علي النعم السوابغ وأمرتني بالشكر وإنما شكري إياك نعمة منك
فأوحى الله تعالى إليه يا موسى تعلمت العلم الذي لا فوقه علم حسبي من عبدي أن يعلم
أن ما به من نعمة فهي مني وقال داود عليه السلام سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز
عن شكره شكراً كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة وقال الفضيل شكر كل نعمة
أن لا يعصى الله بعدها بتلك النعمة وقيل شكر النعمة ذكرها وقيل شكر النعمة أن لا تراها
البتة وترى المنعم وقيل الشكر لمن فوقك بالطاعة والثناء ولنظيرك بالمكافأة
ولمن دونك بالإحسان والإفضال ○ قوله عز وجل **وإذ آتينا موسى الكتاب** يعني التوراة
والفرقان قيل هو نعت الكتاب والواو زائدة والمعنى الكتاب المفرق بين الحلال والحرام
والكفر والإيمان وقيل الفرقان هو النصر على الأعداء والواو على أصلها **لعلكم تهتدون**
يعني بالتوراة **وإذ قال موسى لقومه** يعني الذين عبدوا العجل **يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم**
باتخاذكم العجل يعني إلهاً تعبدونه فكأنهم قالوا أي شيء نصنع قال **فتوبوا إلى بارئكم**
أي ارجعوا إلى خالقكم بالتوبة قالوا كيف نتوب قال **فاقتلوا أنفسكم** ليقتل البريء
منكم المجرم فإن قلت التوبة عبارة عن الندم على فعل القبيح والعزم على أن لا يعود
إليه وهذا مضاد للقتل فكيف يجوز تفسير التوبة بالقتل قلت ليس المراد تفسير
التوبة بالقتل بل بيان أن توبتهم لا تتم إلا بالقتل وإنما كان كذلك لأن الله تعالى
أوحى إلى موسى عليه السلام أن توبة المرتد لا تتم إلا بالقتل فإن قلت التائب من
الردة لا يقتل فكيف استحقوا القتل وقد تابوا من الردة قلت ذلك مما تختلف فيه
الشرائع فلعل شرع موسى كان يقتضي أن يقتل التائب عن الردة إما عاماً في حق الكل
أو خاصاً في حق الذين عبدوا العجل **ذلكم خير لكم عند بارئكم** يعني القتل وتحمل هذه
الشدة لأن الموت لا بد منه فلما أمرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لأمر الله تعالى وجلس
محتبين من الحبوة وهو ضم الساق إلى البطن بثوب وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه
إلى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو ملعون مردودة توبته وأصلتت القوم الخناجر والسيوف
وأقبلوا عليهم فكان الرجل يرى ابنه وأباه وأخاه وقريبه وصديقه وجاره فيرق له
فلم يمكنهم المضي لأمر الله تعالى فقالوا يا موسى كيف نفعل فأرسل الله تعالى عليهم سحابة
سوداء لا يبصر بعضهم بعضاً فكانوا يقتلون إلى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهارون
الله تعالى وبكيا وتضرعا إليه وقالا يا رب هلكت بنو إسرائيل البقية البقية فكشف

الله الشهادة عنهم وامرهم ان يكفوا عن القتل فتكشفت عن الوف من القتلى قال على بن ابى طالب
كان عدد القتلى سبعين الفا فاشتد ذلك على موسى فاوحى الله تعالى اليه اما يرضيك ان
ادخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقى مكفر عنه ذنوبه فذلك
قوله فتاب عليكم اى فعلتم ما امرتم به فتجاوز عنكم انه هو التواب اى الرجاع
بالمغفرة القابل للتوبة الرحيم بخلقه ٥ قوله عز وجل واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك
اى لن نصدقك حتى نرى الله جهرة اى عيانا وذلك ان الله عز وجل امر موسى ان ياتيه في ناس
من بنى اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين رجلا من خيارهم
وقال لهم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ففعلوا وخرج بهم موسى الى طور سينا لميقات
ربه فقالوا لموسى اطلب لنا ان نسمع كلام ربنا قال افعل فلما دنا من الجبل وقع عليه عمود
الغمام وتغشى الجبل كله فدخل موسى في الغمام وقال للقوم ادنوا حتى دخلوا في الغمام
وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع فلا يستطيع احد ان ينظر
اليه فضرب دونهم الحجاب وسمعوه يكلم موسى يامره وينهاه واسمعهم الله تعالى انى انا
الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر بيد شديدة فاعبدونى ولا تعبدوا
غيرى فلما فرغ موسى وانكشف الغمام اقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
انما قالوا جهرة توكيدا للرؤيا ليلا يتوهم متوهم ان المراد بالرؤية العلم فاخذتكم
الصاعقة قيل هى الموت وفيه ضعف لان قوله وانتم تنظرون يرده اذ لو كان المراد
منها الموت لامتنع كونهم ناظرين اليها وقيل ان الصاعقة هى سبب الموت واختلفوا
فى ذلك السبب فقيل ان نارا نزلت من السما فاحرقتهم وقيل جاءت صيحة من السما وقيل
ارسل جموعا من الملئكة فسمعوا بحسهم فخروا صعقين وانتم تنظرون اى ينظر بعضكم
الى بعض كيف ياخذه الموت فلما هلكوا جعل موسى يبكى ويتضرع ويقول الهى ماذا اقول
لبنى اسرائيل اذا اتيتهم وقد اهلكت خيارهم لو شئت اهلكتهم من قبل واياى اتهلكنا بما
فعل السفهاء منا فلم يزل يناشده ربه حتى احياهم الله رجلا بعد رجل بعدما ماتوا يوما
وليلة ينظر بعضهم الى بعض كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم بعثناكم اى احييناكم من
بعد موتكم اى لتستوفوا بقية اجالكم وارزاقكم ولو انهم كانوا ماتوا لانقضاء اجالهم
لم يبعثوا الا يوم القيامة لعلكم تشكرون قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام يعنى فى التيه
يقيكم حر الشمس وذلك انه لم يكن لهم فى التيه شى يسترهم ولا يستظلون به فشكوا الى موسى
فارسل الله غماما ابيض رقيقا يسترهم من الشمس وجعل لهم عمودا من نور يضى لهم بالليل
اذا لم يكن قمر وانزلنا عليكم المن والسلوى فى التيه والاكثرون على ان المن هو الترنجبين
وقيل هو شى كالصمغ يقع على الشجر طعمه كالشهد وقال وهب هو الخبز الرقاق واصل
المن هو ما يمن الله به من غير تعب ق عن سعيد بن زيد قال قال النبى صلى الله عليه وسلم
الكماة من المن وماوها شفاء للعين ومعنى الحديث ان الكماة شى انبته الله من غير
سعى احد ولا مؤنة فهو بمنزلة المن الذى كان ينزل على بنى اسرائيل وقوله وماؤها شفاء
للعين معناه ان يخلط مع الادوية فينتفع به لانه يقطر ما ومما بحثنا فى العين
وقيل ان تقطيره فى العين ينفع لكن لوجع مخصوص ولبس يدوا فى كل وجع فى العين
وكان هذا المن ينزل على اشجارهم فى التيه فى كل ليلة من وقت السحر الى طلوع الشمس كالثلج
لكل انسان صاع فقالوا يا موسى قد قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك ان يطعمنا
اللحم فارسل عليهم السلوى والسلوى هو طاير يشبه السمانى وقيل هو السمانى بعينه

فكان

وقف على هذا الطب النبوى

فكان الرجل منهم ياخذ ما يكفيه يوما وليلة فاذا كان يوم الجمعة اخذ ما يكفيه ليومين
لانه لم يكن ينزل يوم السبت شى كلوا اى وقلنا لهم كلوا من طيبات اى حلالات
ما رزقناكم اى لا تدخروا لغد فخالفوا وادخروا فدود وفسد فقطع الله منهم ذلك
وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنوا اسرائيل لم
يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا حوا لم تخن انثى زوجها الدهر قوله لم يخنز اللحم
ولم يتغير وما ظلمونا اى وما بخسوا حقنا ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعنى باخذهم اكثر
مما حد لهم فاستحقوا بذلك عذابى وقطع مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلا مؤنة
ولا تعب فى الدنيا ولا حساب فى العقبى ٥ قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية
سميت قرية لاجتماع الناس فيها قال ابن عباس هى اريحا وهى قرية الجبارين وكان فيها
من قوم عاد بقية يقال لهم العمالقة وراسهم عوج بن عنق فعلى هذا يكون القايل يوشع
ابن نون لانه هو الذى فتح اريحا بعد موت موسى لان موسى مات فى التيه وقيل هى بيت
المقدس فعلى هذا يكون القايل موسى والمعنى اذا خرجتم من التيه بعد مضى الاربعين
سنة ادخلوا بيت المقدس فكلوا منها حيث شئتم رغدا اى موسعا عليكم وادخلوا
الباب فمن قال ان القرية اريحا قال ادخلوا اى باب كان من ابوابها وكان لها سبعة
ابواب ومن قال ان القرية هى بيت المقدس قال هو حطة سجدا منحنين خضعا
متواضعين كالراكع ولم يرد به نفس السجود وقولوا حطة اى حط عنا خطايانا امروا
بالاستغفار وقال ابن عباس قولوا لا اله الا الله لانها تحط الذنوب والخطايا
على تقدير مسالتنا حطة نغفر لكم خطاياكم اى نسترها عليكم من الغفر وهو الستر
لان المغفرة تستر الذنوب وسنزيد المحسنين يعنى ثوابا فبدل اى فغير الذين ظلموا
قولا غير الذى قيل لهم اى قالوا قولا غير ما قيل لهم وذلك انهم بدلوا قول الحطة
بالحنطة فقالوا بلسانهم حنطا سمقاثا اى حنطة حمرا وذلك استخفافا منهم
بامر الله تعالى وقيل طوطى لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فابوا ذلك ودخلوا زحفا على
استاههم فخالفوا فى الفعل كما خالفوا فى القول وبدلوا ف عن ابى هريرة رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبنى اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا
حطة فبدلوا ودخلوا يزحفون على استاههم وقالوا حبة فى شعيرة فانزلنا على الذين
ظلموا رجزا من السما يعنى عذابا من السما قيل ارسل عليهم طاعونا فهلك منهم فى ساعة واحدة
سبعون الفا بما كانوا يفسقون اى يعصون ويخرجون عن امر الله تعالى ٥ قوله تعالى واذ
استسقى موسى لقومه اى طلب السقيا لقومه وذلك انهم عطشوا فى التيه فسالوا موسى
ان يستسقى لهم ففعل فاوحى الله اليه كما قال مبينا فقلنا اضرب بعصاك الحجر قال
وكانت العصا من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان فى الظلمة
نورا واسمها عليق وقيل نبعة حملها ادم معه من الجنة فتوارثها الانبيا حتى وصلت
الى شعيب فاعطاها موسى الحجر قال وهب لم يكن حجرا معينا بل كان موسى يضرب اى حجر كان
فيتفجر عيونا لكل سبط عين وكانوا اثنى عشر سبطا وقيل كان حجرا معينا بدليل انه عرفه
بالالف واللام قال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا على قدر راس الرجل وكان موسى يضعه
فى مخلاة فاذا احتاجوا الى الما وضعه وضربه بعصاه وقيل كان للحجر اربعة وجوه فى كل
وجه ثلاثة اعين لكل سبط عين وقيل كان من الرخام وقيل كان من الكدان وهى الحجارة اللينة
وقيل هو الحجر الذى وضع موسى عليه ثوبه ليغتسل ففر به فاتاه جبريل وقال ان الله يامرك

ان ترفع منه الحجر فلى فيه قدرة وتلك فيه معجزة فوضعته في مخلاته فلما سألوه السقيا قيل اضرب بعصاك الحجر فكانوا اذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه فينفجر منه عيونا لكل سبط عين تسيل اليهم في جدول وكانوا اذا ارادوا حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وييبس الحجر فذلك قوله تعالى **فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا** يعني على عدد اسباط بني اسرائيل والمعنى فضربه فانفجرت قال المفسرون انفجرت وانبجست بمعنى واحد وقيل انبجست اي عرقت وانفجرت سالت **قد علم كل اناس مشربهم** اي موضع شربهم لا يدخل سبط مع غيره **كلوا واشربوا** اي وقلنا لهم كلوا واشربوا **من رزق الله** يعني المن والسلوى والماء فهذا كله من رزق الله كان يأتيهم بلا مشقة ولا كلفة **ولا تعثوا في الارض مفسدين** العيث اشد الفساد في هذه الاية معجزة عظيمة لموسى عليه السلام حيث انفجر من الحجر الصغير ما روي منه الجمع الكثير ومعجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اعظم لانه انفجر الماء من بين اصابعه فروي الجم الغفير لان انفجار الماء من اللحم والدم اعظم من الحجارة • قوله عز وجل **واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد** وذلك انهم اكتفوا من المن والسلوى وملوه فاشتهوا غيره لان المواظبة على الطعام الواحد تكون سببا لنقصان الشهوة فان قلت هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت اراد بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل عدة الوان يداوم عليها في كل يوم لا يبدلها كانت بمنزلة الطعام الواحد **فادع لنا ربك** اي فاسأل لنا ربك **يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها** قال ابن عباس الفوم الخبز وقيل هو الحنطة وقيل هو الثوم **وعدسها وبصلها** انما طلبوا هذه الانواع لانها تعين على تقوية الشهوة او لانهم ملوا من البقاء في التيه فسألوا هذه الاطعمة التي لا توجد الا في البلاد وكان غرضهم الوصول الى البلاد لا تلك الاطعمة **قال** يعني موسى **أتستبدلون الذي هو ادنى** اي الذي هو اخس واردأ وهو الذي طلبوه **بالذي هو خير** يعني بالذي هو اشرف وافضل وهو ما هم فيه **اهبطوا مصرا** يعني فان ابيتم الا ذلك فائتوا مصرا من الامصار وقيل هو مصر البلد الذي كانوا فيه ودخول التنوين عليه كدخوله على نوح ولوط والقول هو الاول **فان لكم ما سألتم** يعني من نبات الارض **وضربت عليهم الذلة** اي جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم والزموا الذل والهوان وقيل الذلة الجزية وزي اليهودية وفيه بعد لانه لم تكن ضربت عليهم الجزية بعد **والمسكنة** اي الفقر والفاقة وسمي الفقير مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده عن الحركة فترى اليهود وان كانوا اغنياء مياسير كانهم فقراء فلا ترى احدا من اهل الملل اذل ولا احرص على المال من اليهود **وباؤا** اي رجعوا ولا يقال باء الا بشر **بغضب من الله** وغضب الله ارادة الانتقام ممن عصاه **ذلك** اي الغضب **بانهم كانوا يكفرون بآيات الله** اي بصفة محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم التي في التوراة ويكفرون بالانجيل والقرآن **ويقتلون النبيين** النبي معناه المخبر من انبأ ينبئ وقيل هو بمعنى الرفيع مأخوذ من النبوة وهو المكان المرتفع **بغير الحق** اي بغير جرم فان قلت قتل الانبياء لا يكون الا بغير حق فما فائدة ذكره قلت ذكره وصفا للقتل والقتل يوصف تارة بالحق وهو ما امر الله به وتارة بغير الحق وهو قتل العدوان فهو كقوله تعالى قل رب احكم بالحق فالحق وصف الحكم لا ان حكمه ينقسم الى الحق والجور يروى ان اليهود قتلت سبعين نبيا في اول النهار وقامت سوق بقلها

اخر

اخر وقتلوا زكريا ويحيى وشعيبا وغيرهم من الانبياء **ذلك بما عصوا** اي ذلك القتل والكفر بما عصوا امري **وكانوا يعتدون** اي يتجاوزون امري ويرتكبون محارمي • قوله تعالى **ان الذين امنوا والذين هادوا** يعني اليهود وسموا بذلك لقولهم انا هدنا اليك اي ملنا اليك وقيل لانهم هادوا اي تابوا عن عبادة العجل وقيل لانهم مالوا عن دين الاسلام وعن دين موسى **والنصارى** سموا بذلك لقول الحواريين نحن انصار الله وقيل لاعتزائهم الى قرية يقال لها ناصرة وكان المسيح ينزلها **والصابئين** اصله من صبأ اذا خرج من دين الى دين اخر سموا بذلك لخروجهم من الدين قال عمر وابن عباس هم قوم من اهل الكتاب قال عمر ذبائحهم ذبائح اهل الكتاب وقال ابن عباس لا تحل ذبائحهم ولا مناكحتهم وقيل هم قوم بين اليهود والمجوس لا تحل ذبائحهم ومناكحتهم وقيل هم بين اليهود والنصارى يحلقون اواسط رؤسهم وقيل هم قوم يقرون بالله ويقرؤن الزبور ويعبدون الملئكة ويصلون الى الكعبة اخذوا من كل دين شيئا والاقرب انهم قوم يعبدون الكواكب وذلك انهم يعتقدون ان الله تعالى خلق هذا العالم وجعل الكواكب مدبرة له فيجب على البشر عبادتها وتعظيمها وانها هي التي تعبد الله تعالى ولما ذكر الله هذه الطوائف قال **من امن بالله واليوم الاخر** فان قلت كيف قال في اول الاية ان الذين امنوا وقال في اخرها من امن بالله فما فائدة التعميم اولا ثم التخصيص اخرا قلت اختلف العلماء في حكم الاية فلهم فيه طريقتان احدهما انه اراد ان الذين امنوا على التحقيق ثم اختلفوا فيهم فقيل هم الذين في زمن الفترة وهم طلاب الدين مثل حبيب النجار وقس بن ساعدة وورقة بن نوفل وبحيرا الراهب وابو ذر الغفاري وسلمان الفارسي فمنهم من ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وتابعه ومنهم من لم يدركه فكانه قال تعالى ان الذين امنوا قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم والذين كانوا على الدين الباطل المبدل من اليهود والنصارى والصابئين من امن منهم بالله واليوم الاخر وبمحمد صلى الله عليه وسلم فلهم اجرهم عند ربهم وقيل هم المؤمنون من الامم الماضية وقيل هم المؤمنون من هذه الامة والذين هادوا يعني الذين كانوا على دين موسى ولم يبدلوا والنصارى الذين كانوا على دين عيسى ولم يغيروا والصابئين يعني في زمن استقامة امرهم من امن منهم ومات وهو مؤمن لان حقيقة الايمان تكون بالوفاة واما الطريقة الثانية فقالوا ان المذكورين بالايمان في اول الاية انما هو على طريق المجاز دون الحقيقة وهم الذين امنوا بالانبياء الماضين ولم يؤمنوا بك وقيل هم المنافقون الذين امنوا بالسنتهم ولم يؤمنوا بقلوبهم واليهود والنصارى والصابئين فكانه قال تعالى هؤلاء المبطلون كل من امن منهم الايمان الحقيقي صار مؤمنا عند الله وقيل المراد من قوله تعالى ان الذين امنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم في الحقيقة حين الماضي وثبتوا على ذلك في المستقبل وهو المراد من قوله من امن بالله واليوم الاخر **وعمل صالحا** اي في ايمانهم **فلهم اجرهم عند ربهم** اي جزاء اعمالهم **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** اي في الاخرة • قوله تعالى **واذ اخذنا ميثاقكم** اي عهدكم يا معشر اليهود **ورفعنا فوقكم الطور** يعني الجبل العظيم قال ابن عباس امر الله جبلا من جبال فلسطين فانقلع من اصله حتى قام على رؤسهم وسبب ذلك ان الله تعالى لما انزل التوراة على موسى وامرهم ان يعملوا باحكامها فأبوا ان يقبلوها لما فيها من الاصار يعني الاثقال والتكاليف الشاقة امر الله تعالى جبريل عليه السلام ان يقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان قدره فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم قدر قامة كالظلة وقيل لهم ان لم تقبلوا ما في التوراة

والا ارسلت هذا الجبل عليكم **خذوا** اى وقلنا لهم خذوا **ما اتيناكم** اى ما اعطيناكم **بقوة**
اى بجد واجتهاد **واذكروا ما فيه** اى ادرسوا ما فيه **لعلكم تتقون** اى لكى تنجوا من الهلاك فى الدنيا
والعذاب فى العقبى والا رضخت روسكم بهذا الجبل فلما راوا ان لا مهرب لهم قبلوا
وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصار ذلك سنة فى سجود اليهود لا يسجدون الا
على انصاف وجوههم ويقولون بهذا السجود رفع عنا العذاب **ثم توليتم** اى اعرضتم
من بعد ذلك اى من بعد ما قبلتم التورية **فلولا فضل الله عليكم ورحمته** اى بالامهال
لكنتم من الخاسرين اى المغبونين بذهابكم بالدنيا والعذاب فى العقبى قوله عز وجل **ولقد
علمتم الذين اعتدوا منكم** اى جاوزوا الحد **فى السبت** يقال سبتت اليهود لانهم يعظمون
ويقطعون فيه اعمالهم واصل السبت القطع **ذكر الاشارة الى القصة**

مطلب اعتداء اليهود فى السبت وقصة مسخهم

قال العلماء بالاخبار انهم كانوا فى زمن داود عليه السلام بقرية بارض ايلة وحرم الله
عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت فى البحر الا اجتمع
هناك حتى لا يرى الماء من كثرتها فاذا مضى السبت تفرقت الحيتان ولزمن قعر البحر
فذلك قوله تعالى اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم ثم ان
الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت ولم تنهوا عن اخذها
فى غيره فعمد رجال منهم فحفروا الحياض كبارا حول البحر وشرعوا منه اليها انهارا
فاذا كان عشية يوم الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج من البحر بالحيتان الى تلك
الحياض ولا يقدرون على الخروج منها لعمقها فاذا كان يوم الاحد اخذوها وقيل انهم
كانوا ينصبون الشصوص والحبايل يوم الجمعة ويخرجونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا
ولم تنزل بهم عقوبة فتجرؤا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا واخذوا وملحوا
واكلوا وباعوا واثروا فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية ثلاثة اصناف وكانوا نحوا
من سبعين الفا صنف امسك عن الصيد ونهى عن الاصطياد وصنف امسك ولم ينه وصنف
انهمكوا فى الذنب وهتكوا الحرمة وكان الصنف الناهون اثنى عشر الفا فلما ابى المجرمون
قبول نصحهم قالوا والله لا نساكنكم فى قرية واحدة فقسموا القرية بينهم بجدار فصبروا
على ذلك سنتين ثم لعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون
ذات يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين احد ولم يفتحوا الباب فلما ابطاوا تسوروا الجدار
عليهم فاذا هم جميعا قردة لهم اذناب وهم يتعاوون وقيل صار الشبان قردة والشيوخ
خنازير فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم يمكث مسخ فوق ثلاث ولم يتوالدوا وقال الله
تعالى **فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين** امر تحويل وتكوين ومعنى خاسئين مبعدين مطرودين
وقيل فيه تقديم وتاخير تقديره كونوا خاسئين قردة ولهذا لم يقل خاسيات **فجعلناها**
يعنى عقوبتهم بالمسخ **نكالا** اى عقوبة وعبرة **لما بين يديها وما خلفها** قيل معناه عقوبة لما
مضى من ذنوبهم وعبرة لمن بعدهم وقيل جعلنا عقوبة قرية اصحاب السبت عبرة لما بين يديها
من القرى التى كانت عامرة فى الحال وما خلفها اى وما يحدث بعدها من القرى ليتعظوا
بذلك وهو قوله تعالى **وموعظة للمتقين** اى المومنين من امة محمد صلى الله عليه وسلم
لئلا يفعلوا مثل فعلهم • قوله تعالى **واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة**

قصة البقرة

البقرة واحدة البقر وهى الانثى واصلها من البقر وهو الشق سميت بذلك لانها تشق
الارض للحراثة **الاشارة الى القصة** فى ذلك قال علماء السير والاخبار انه
كان رجل غنى فى بنى اسرايل وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله

ليرثه

ليرثه وحمله الى قرية اخرى والقاه على بابها ثم اصبح يطلب ثاره وجاء باناس الى موسى يدعى
عليهم بالقتل فجحدوا واشتبه امر القتيل على موسى فسالوا موسى ان يدعو الله تعالى ليبين لهم
ما اشكل عليهم فسال موسى ربه فى ذلك فامره بذبح بقرة وامره ان يضربه ببعضها
فقال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة **قالوا اتتخذنا هزوا** اى تخبرنا عن امر القتيل
وانت تستهزئ بنا وتامرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لبعد ما بين الامرين فى الظاهر
ولم يعلموا ما وجه الحكمة فيه **قال** يعنى موسى **اعوذ بالله** اى امتنع بالله **ان اكون من الجاهلين**
اى من المستهزئين بالمومنين وقيل من الجاهلين بالجواب لا على وفق السوال فلما علموا ان ذبح
البقرة عزم من الله تعالى استوصفوه اياها ولو انهم عمدوا الى اى بقرة كانت فذبحوها
لاجزت عنهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم وكان فى ذلك حكمة لله عز وجل وذلك انه كان
رجل صالح فى بنى اسرايل وله ابن طفل وله عجلة فاتى بها غيضة وقال اللهم انى استودعك
هذه العجلة لابنى حتى يكبر ومات ذلك الرجل وصارت العجلة فى الغيضة عوانا وكانت
تهرب من الناس فلما كبر ذلك الطفل وكان بارا بامه وكان يقسم ليلة ثلاثة اجزاء يصلى
ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق فيحتطب وياتى به السوق
فيبيعه بما شاء الله فيتصدق بثلثه وياكل بثلثه ويعطى امه ثلثه فقالت له امه يوما
يا بنى ان اباك ورثك عجلة استودعها الله فى غيضة كذا فانطلق وادع اله ابراهيم
واسماعيل واسحاق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل اليك ان شعاع
الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فاتى الفتى الغيضة
فراها ترعى فصاح بها فقال اعزم عليك باله ابراهيم واسماعيل واسحاق فاقبلت
البقرة حتى وقفت بين يديه فقبض على قرنها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى
وقالت ايها الفتى البار بامه اركبنى فانه اهون عليك فقال الفتى ان امى لم تامرنى
بذلك فقالت البقرة والله لو ركبتنى ما كنت تقدر على ابدا فانطلق فانك لو امرت
الجبل ان ينقلع من اصله لانقلع لبرك بامك فسار الفتى بها الى امه فقالت له امه انك
رجل فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع البقرة
فقال بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة ثلاثة
دنانير فانطلق الفتى بها الى السوق وبعث الله ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى
كيف بره بامه وهو اعلم فقال له الملك بكم هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط
عليك رضا امى فقال له الملك لك ستة دنانير ولا تستامر امك فقال له الفتى لو اعطيتنى
وزنها ذهبا لم اخذه الا برضا امى ورجع الفتى الى امه فاخبرها بالثمن فقالت ارجع
فبعها بستة دنانير ولا تبعها الا برضاى فرجع بها الى السوق واتى الملك فقال
استامرت امك فقال الفتى نعم انها امرتنى ان لا انقصها من ستة على رضاها فقال
الملك انى اعطيك اثنى عشر دينارا ولا تستامرها فابى الفتى ورجع الى امه فاخبرها
بذلك فقالت له امه ان الذى ياتيك ملك فى صورة ادمى ليجربك فاذا اتاك فقل له
اتامرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا ففعل فقال له الملك اذهب الى امك وقل لها امسكى
هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل فى بنى اسرايل فلا تبيعها الا
بملء مسكها ذهبا والمسك الجلد فامسكتها وقدر الله تعالى على بنى اسرايل ذبح البقرة
بعينها فما زالوا يستوصفون البقرة حتى وصفت لهم تلك البقرة بعينها مكافاة لذلك
الفتى على بره بامه فضلا من الله ورحمة فذلك قوله تعالى **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى**

اي ما بينهما **قال** يعني موسى **انه يقول** يعني الله عز وجل **انها بقرة لا فارض ولا بكر** اي لا كبيرة ولا صغيرة والفارض المسنة التي لا تلد والبكر الفتية التي لم تلد **عوان** اي نصف **بين ذلك** اي بين السنين **فافعلوا ما تؤمرون** اي من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها** قال ابن عباس شديد الصفرة وقيل صافي لونها وقيل الصفراء السوداء والاول اصح لانه يقال اصفر فاقع واسود حالك **تسر الناظرين** اي يعجبهم حسنها وصفاء لونها **قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي** اي اسائمة هي ام عاملة **ان البقر تشابه علينا** اي التبس واشتبه امره علينا **وانا ان شاء الله لمهتدون** اي الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الدهر **قال انه يقول انها بقرة لا ذلول** اي ليست مذللة بالعمل **تثير الارض** تقلبها للزراعة **ولا تسقي الحرث** اي ليست بسانية والسانية هي التي تستقي الماء من البير لسقي الارض **مسلمة** اي بريئة من العيوب **لا شية فيها** اي لا لون فيها غير لونها **قالوا الان جئت بالحق** اي بالبيان التام الذي لا اشكال فيه فطلبوها فلم يجدوا بقرة بكمال وصفها الا البقرة تلك التي فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا **فذبحوها وما كادوا يفعلون** اي وما قاربوا ان يفعلوا ما امروا به قيل لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة وقيل لعزة وجودها بهذه الاوصاف جميعا. قوله تعالى **واذ قتلتم نفسا** خوطبت الجماعة بذلك لوجود القتيل فيهم **فادارأتم فيها** قال ابن عباس اي اختلفتم واختصمتم من الدرء وهو الدفع لان المتخاصمين يدفع بعضهم بعضا **والله مخرج ما كنتم تكتمون** اي مظهر ما كتمتم من امر القتيل لا محالة ولا يتركه مكتوما **فقلنا اضربوه** يعني القتيل **ببعضها** اي ببعض البقرة قال ابن عباس ضربوه بالعظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل ضربوه بلسانها وقيل بعجب الذنب وقيل بفخذها اليمنى والاقرب انهم كانوا مخيرين في ذلك البعض وانهم اذا ضربوه باي جزء منها حصل المقصود ولانه ليس في القران ما يدل على ذلك البعض ما هو وذلك يقتضي التخيير وفي الاية اضمار تقديره فضربوه فحيي فقام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان يعني ابن عمه ثم سقط ميتا مكانه فحرم قاتله الميراث وفي الخبر ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة **كذلك** اي كما احيا الله عاميل صاحب البقرة **يحيي الله الموتى** يعني يوم القيامة **ويريكم اياته لعلكم تعقلون** اي تمنعون انفسكم عن المعاصي فان قلت كان حق هذه القصة ان يقدم ذكر القتيل اولا ثم ذكر ذبح البقرة بعد ذلك فما وجه ترتيب هذه القصة على هذا الترتيب قلت وجهه ان الله تعالى لما ذكر من قصص بني اسرايل وما وجد منهم من جنايات تم تقريعا لهم على ذلك وما وجد فيهم من الايات العظيمة وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين في نفس الامر فالاولى لتقريعهم على ترك المسارعة الى امتثال الامر وما يتبعه والثانية لتقريعهم على قتل النفس المحرمة فلو قدم ذكر قصة القتيل على قصة الذبح لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض من تثنية التقريع فلهذا قدم ذكر الذبح اولا ثم عقبه بذكر القتيل فان قلت ما فايدة ضرب القتيل ببعض البقرة والله تعالى القادر على ان يحييه ابتداء من غير ضرب بشي قلت الفايدة فيه ان تكون الحجة اوكد وعن الحيلة ابعد لاحتمال ان يتوهم متوهم ان موسى انما احياه بضرب من السحر او الحيلة فاذا احيي القتيل عند ما ضرب ببعض البقرة وبما فعلوه هم انتفت الشبهة وعلم ان ذلك من عند الله وبامره

كان

كان ذلك فان قلت هلا امروا بقتل غير البقرة قلت الكلام في غير البقرة لو امروا به كالكلام في البقرة ثم في ذبح البقرة فوايد منها ان التقرب بالقربان على ما كانت العادة جارية عندهم ومنها ان هذا القربان كان عندهم من اعظم القرابين ومنها تحمل المشقة العظيمة في تحصيلها بتلك الصفة ومنها حصول ذلك المال العظيم الذي احتاج صاحبها في ثمنها **فصل في حكم هذه المسئلة في شريعة الاسلام** اذا وقعت وذلك انه اذا وجد قتيل في موضع ولا يعرف قاتله فان كان ثم لوث على انسان ادعي عليه واللوث ان يغلب على الظن صدق المدعي بان اجتمع جماعة في بيت او صحراء ثم تفرقوا عن قتيل فيغلب على الظن ان القاتل فيهم او وجد قتيل في محلة او قرية وكلهم اعداء القتيل لا يخالطهم غيرهم فيغلب على الظن انهم قتلوه فان ادعى الولي على بعضهم حلف خمسين يمينا على من يدعي عليه وان كان الاولياء جماعة توزع الايمان عليهم فاذا حلفوا اخذوا الدية من عاقلة المدعى عليه ان ادعوا قتل خطا وان ادعوا قتل عمد فمن مال المدعى عليه ولا قود عليه في قول الاكثرين وذهب عمر بن عبد العزيز الى وجوب القود وبه قال مالك واحمد فان لم يكن ثم لوث فالقول قول المدعى عليه لان الاصل براءة ذمته من القتل وهل يحلف يمينا واحدة ام خمسين يمينا فيه قولان احدهما انه يحلف يمينا واحدة كما في سائر الدعاوي والثاني يحلف خمسين يمينا تغليظا لامر القتل وعند ابي حنيفة لا حكم للوث ولا يبدا بيمين المدعي بل اذا وجد قتيل في محلة يختار الامام خمسين رجلا من صلحاء اهلها فيحلفهم انهم ما قتلوه ولا يعرفون له قاتلا فان حلفوا اخذ الدية من سكانها والدليل على ان البداية بيمين المدعي عند وجود اللوث ما روي عن سهل بن ابي حثمة قال انطلق عبد الله بن سهل ومحيصة بن مسعود الى خيبر وهي يومئذ صلح فتفرقا فاتى محيصة الى عبد الله بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلا فدفنه ثم قدم المدينة فانطلق عبد الرحمن بن سهل ومحيصة وحويصة ابنا مسعود الى النبي صلى الله عليه وسلم فذهب عبد الرحمن يتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر كبر وهو احدث القوم سنا فسكت فتكلما فقال اتحلفون وتستحقون قاتلكم او قال صاحبكم قالوا كيف نحلف ولم نشهد ولم نر قال فتبريكم يهود بايمان خمسين منهم قالوا كيف ناخذ بايمان قوم كفار فعقله النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وفي رواية يقسم خمسون منكم على رجل منهم فيدفع برمته وذكر نحوه وزاد في رواية فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبطل دمه فوداه بمائة من ابل الصدقة اخرجاه في الصحيحين وجه الدليل من هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم بدا بايمان المدعين لتقوى جانبهم باللوث لان اليمين ابدا تكون لمن يقوى جانبه وعند عدم اللوث يكون من جانب المدعى عليه من حيث ان الاصل براءة ذمته فكان القول قوله مع يمينه والله اعلم قوله تعالى **ثم قست قلوبكم** اي يبست وجفت وقساوة القلب انتزاع الرحمة منه وقيل معناه غلظت واسودت **من بعد ذلك** اي من بعد ظهور الدلالات التي جاءهم بها موسى وقيل هو اشارة الى احياء القتيل بعد ضربه ببعض البقرة **فهي** يعني القلوب في الغلظ والشدة **كالحجارة** اي كالشي الصلب الذي لا تخلخل فيه **او** قيل او بمعنى بل وقيل بمعنى الواو اي و**اشد قسوة** فان قلت لم شبه قلوبهم بالحجارة ولم يشبهها بالحديد وهو اشد من الحجارة واصلب قلت لان الحديد قابل للين بالنار وقد لان لداود عليه السلام والحجارة ليست قابلة للين فلا تلين قط ثم فضل

الحجارة على القلب القاسي فقال **وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار** قيل اراد به جميع الحجارة وقيل اراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى ليسقي الاسباط والتفجير التفتح بالسعة والكثرة **وان منها لما يشقق فيخرج منه الما** يعني العيون الصغار التي هي دون الانهار **وان منها لما يهبط من خشية الله** اي ينزل من اعلى الجبل الى اسفله وخشيتها عبارة عن انقيادها لامر الله وانها لا تمتنع عما يريد منها وقلوبكم يا معشر اليهود لا تلين ولا تخشع فان قلت الحجر جماد لا يعقل ولا يفهم فكيف يخشى قلت ان الله قادر على افهام الحجر والجماد فيعقل ويخشى بالهامه لها ومذهب اهل السنة ان لله تعالى في الجمادات والحيوانات علما وحكمة لا يقف عليه غيره فلها صلاة وتسبيح وخشية يدل عليه قوله وان من شيء الا يسبح بحمده وقال تعالى والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجب على المرء الايمان به ويكل علمه الى الله تعالى م عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل ان ابعث واني لاعرفه الآن عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله شجر ولا جبل الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال كان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جذع في قبلته يقوم اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته فلما وضع له المنبر سمعت للجذع مثل اصوات العشار حتى نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه وفي رواية صاحت النخلة صياح الصبي فنزل النبي صلى الله عليه وسلم حتى اخذها فضمها اليه فجعلت تئن انين الصبي الذي يسكت حتى استقرت قال بكت على ما كانت تسمع من الذكر قال مجاهد ما تردى حجر من اعلى الى اسفل الا من خشية الله وذلك يشهد لما قلنا **وما الله بغافل عما تعملون** فيه وعيد وتهديد والمعنى ان الله بالمرصاد لهولاء القاسية قلوبهم وحافظ لاعمالهم حتى يجازيهم بها في الاخرة • قوله عز وجل **افتطمعون** خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لانه هو الداعي الى الايمان واتى به بلفظ الجمع تعظيما له وقيل هو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه لانهم كانوا يدعونهم الى الايمان ايضا ومعنى افتطمعون افترجون **ان يومنوا لكم** اي يصدقكم اليهود بما تخبرونهم وقيل معناه افتطمعون ان يومنوا لكم مع انهم لم يومنوا بموسى عليه السلام وكان هو السبب في خلاصهم من الذل وظهور المعجزات على يديه **وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله** قيل المراد من الفريق هم الذين كانوا مع موسى يوم الميقات وهم الذين سمعوا كلام الله تعالى وقيل المراد بهم الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهو الاقرب لان الضمير راجع اليهم في افتطمعون ان يومنوا لكم فعلى هذا يكون معنى يسمعون كلام الله يعني التورية لانه يصح ان يقال لمن يسمع التوراة يسمع كلام الله **ثم يحرفونه** اي يغيرون كلام الله ويبدلونه فمن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالفريق الذين كانوا مع موسى استدل بقول ابن عباس انها نزلت في السبعين الذين اختارهم موسى لميقات ربه وذلك انهم لما رجعوا الى قومهم بعد ما سمعوا كلام الله اما الصادقون منهم فانهم ادوا كما سمعوا وقالت طائفة منهم سمعنا الله يقول في اخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا وان شيتم فلا تفعلوا فكان هذا تحريفهم ومن فسر الفريق الذين يسمعون كلام الله بالذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان تحريفهم وتبديلهم صفة النبي صلى الله عليه وسلم واية الرجم من التوراة **من بعد ما عقلوه** اي علموا صحة كلام الله ومراده فيه ثم بعد ذلك خالفوه **وهم يعلمون** اي فساد مخالفته ويعلمون ايضا انهم كاذبون • قوله

حديث حنين الجذع

تعالى

تعالى **واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا** نزلت في اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس ان منافقي اليهود كانوا اذا لقوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم امنا بالذي امنتم به وان صاحبكم صادق وقوله حق وانا نجد نعته وصفته في كتابنا **واذا خلا بعضهم الى بعض** يعني كعب بن الاشرف وكعب بن اسد ووهب بن يهوذا ورؤسا اليهود لاموا منافقي اليهود على ذلك و**قالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم** يعني قص الله عليكم في كتابكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وقوله صدق **ليحاجوكم به** اي ليخاصمكم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا عليكم بقولكم فيقولون لكم قد اقررتم انه نبي حق في كتابكم ثم لا تتبعونه وذلك ان اليهود قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم امنوا به فانه نبي حق ثم لام بعضهم بعضا وقالوا اتحدثونهم بما فتح الله عليكم لتكون لهم الحجة عليكم **عند ربكم** اي في الدنيا والاخرة وقيل هو قول يهود بني قريظة بعضهم لبعض حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا اخوان القردة والخنازير فقالوا من اخبر محمدا بهذا ما خرج هذا الا منكم وقيل ان اليهود اخبروا المومنين بما عذبهم الله به على الجنايات فقال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما قضى الله عليكم من العذاب ليروا الكرامة لانفسهم عليكم عند الله **افلا تعقلون** اي ان ذلك لا يليق بما انتم عليه **اولا يعلمون** يعني اليهود **ان الله يعلم ما يسرون** اي ما يخفون **وما يعلنون** اي ما يبدون ويظهرون • قوله عز وجل **ومنهم** اي من اليهود **اميون** اي لا يحسنون الكتابة ولا القراءة جمع امي وهو المنسوب الى امه كانه باق على ما انفصل من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة **لا يعلمون الكتاب الا اماني** جمع امنية وهي التلاوة ومنه قول الشاعر

• تمنى كتاب الله اول ليله • تمني داود الزبور على رسل •

اي تلا كتاب الله وقال ابن عباس معناه غير عارفين بمعاني كتاب الله تعالى وقيل الاماني الاحاديث الكاذبة المختلقة وهي الاشيا التي كتبها علماوهم من عند انفسهم واضافوها الى الله تعالى وذلك من تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته وقيل غير ذلك وقيل هو من التمني وهو قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة وغير ذلك مما تمنوه فعلى هذا يكون المعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون اشيا لا تحصل لهم **وان هم الا يظنون** اي ليسوا على يقين **فويل** كلمة تقولها العرب لكل من وقع في هلكة واصلها في اللغة العذاب والهلاك وقال ابن عباس الويل شدة العذاب وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان يبلغ قعره اخرجه الترمذي وقال حديث غريب • الخريف السنة **للذين يكتبون الكتاب بايديهم** تاكيد للكتابة لانه يحتمل ان يامر غيره بان يكتب والمراد بالذين يكتبون الكتاب اليهود وذلك ان رؤسا اليهود خافوا ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق سفلتهم عن الايمان به فعمدوا الى صفته في التورية فغيروها وكانت صفته فيها حسن الوجه حسن الشعر اكحل العينين ربعة فغيروا ذلك وكتبوا مكانه طوال ازرق العينين سبط الشعر فكان اذا سالهم سفلتهم عن صفته قرأوا عليهم ما كتبوا **ثم يقولون هذا من عند الله** يعني هذه الصفة التي كتبوها فاذا نظروا الى النبي صلى الله عليه وسلم والى تلك الصفة يجدونه مخالفا لها فيكذبونه ويقولون انه ليس به **ليشتروا به** اي بما كتبوا **ثمنا قليلا** اي الماكل والرشا التي كانوا ياخذونها من سفلتهم قال الله تعالى **فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون** قوله تعالى **وقالوا**

اي اليهود **لن تمسنا النار الا اياما معدودة** اي قدرا مقدرا ثم يزول عنا العذاب قال ابن عباس قالت اليهود مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب بكل الف سنة يوما ثم ينقطع عنا العذاب بعد سبعة ايام وقيل انهم عنوا بالايام الاربعين يوما التي عبدوا فيها العجل وقيل ان اليهود زعموا ان الله عتب عليهم في امر فاقسم ليعذبنا اربعين يوما تحلة القسم فقال الله ردا عليهم وتكذيبا لهم **قل** اي يا محمد قل لليهود **اتخذتم عند الله عهدا** يعني موثقا ان لا يعذبكم الا هذه المدة **فلن يخلف الله عهده** اي وعده **ام تقولون على الله ما لا تعلمون بلى** اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار والمعنى بلى تمسكم النار ابدا **من كسب سيئة** السيئة اسم يتناول جميع المعاصي كبيرة كانت او صغيرة والسيئة هنا الشرك في قول ابن عباس **واحاطت به خطيئته** اي احدقت به من جميع جوانبه قال ابن عباس هي الشرك يموت عليه صاحبه وقيل احاطت به اي املكته خطيئته واحبطت ثواب طاعاته فعلى مذهب اهل السنة يتعين تفسير السيئة والخطيئة في هذه الاية بالكفر والشرك لقوله **فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** فان الخلود في النار هو للكفار من اليهود والمشركين **والذين امنوا وعملوا الصالحات** فان قلت العمل الصالح خارج عن اسم الايمان لانه تعالى قال والذين امنوا وعملوا الصالحات فلو دل الايمان على العمل الصالح لعد الايمان تكرارا قلت اجاب بعضهم بان الايمان وان كان يدخل فيه جميع الاعمال الصالحة الا ان قوله امن لا يفيد الا انه فعل فعلا واحدا من اعمال الايمان فلهذا احسن ان يقول والذين امنوا وعملوا الصالحات وقيل ان قوله امنوا يفيد الماضي وعملوا الصالحات يفيد المستقبل فكانه تعالى قال امنوا ولا يزالوا ودوموا عليه ابدا ويدخل فيه جميع الاعمال الصالحة **اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون** قوله عز وجل **واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل** يعني في التوراة والميثاق العهد الشديد **لا تعبدون الا الله** اي امرهم الله تعالى بعبادته فيدخل تحته النهي عن عبادة غيره لان الله تعالى هو المستحق للعبادة لا غيره **وبالوالدين احسانا** اي برا بهما ورحمة لهما ونزولا عند امرهما فيما لا يخالف امر الله تعالى ويوصل اليهما ما يحتاجان اليه ولا يؤذيهما البتة وان كانا كافرين بل يجب عليه الاحسان اليهما ومن الاحسان اليهما ان يدعوهما الى الايمان بالرفق واللين وكذا ان كانا فاسقين يامرهما بالمعروف بالرفق واللين من غير عنف وانما عطف بر الوالدين على الامر بعبادته لان شكر المنعم واجب ولله على عبده اعظم النعم لانه هو الذي خلقه واوجده بعد العدم فيجب تقديم شكره على شكر غيره ثم ان للوالد على الولد نعمة عظيمة لانهما السبب في كون الولد ووجوده ثم ان لهما عليه حق التربية ايضا فيجب شكرهما ثانيا **وذي القربى** اي القرابة لان حق القرابة تابع لحق الوالدين والاحسان اليهم انما هو بواسطة الوالدين فلهذا احسن عطف القرابة على الوالدين **واليتامى** جمع يتيم وهو الذي مات ابوه وهو طفل فاذا بلغ الحلم زال عنه اليتم وتجب رعاية حقوق اليتيم لثلاثة امور لصغره ويتمه وخلوه عمن يقوم بمصلحته اذ لا يقدر هو ان ينتفع بنفسه ولا يقوم بحوائجه **والمساكين** جمع مسكين وسياتي بيانه ان شاء الله تعالى وانما تاخرت درجة المساكين عن اليتامى لانه قد يمكن ان ينتفع بنفسه وينفع غيره بالخدمة **وقولوا للناس حسنا** فيه وجهان احدهما انه خطاب للحاضرين من اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فلهذا عدل من الغيبة الى الحضور والمعنى قولوا حقا وصدقا في شان محمد صلى الله عليه وسلم من سالكم عنه فاصدقوه وبينوا صفته ولا تكتموه قال ابن عباس

الوجه

الوجه الثاني ان المخاطبين بذلك هم الذين كانوا في زمن موسى واخذ عليهم الميثاق وانما عدل من الغيبة الى الحضور على طريق الالتفات كقوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقيل فيه حذف تقديره قلنا لهم في الميثاق وقولوا للناس حسنا ومعناه امروهم بالمعروف وانهوهم عن المنكر وقيل هو اللين في القول والعشرة وحسن الخلق **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة** ولما امرهم الله تعالى بهذه التكاليف الثمانية لتكون لهم المنزلة عنده بما التزموه بعد اخبر عنهم انهم ما وفوا بذلك بقوله فقال **ثم توليتم** اي اعرضتم عن العهد **الا قليلا منكم** يعني من الذين امنوا منهم كعبد الله بن سلام واصحابه فانهم وفوا بالعهد **وانتم معرضون** اي كاعراض ابائكم قوله تعالى **واذ اخذنا ميثاقكم** قيل خطاب لمن كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وقيل هو خطاب لابائهم وفيه تقريع لهم **لا تسفكون** اي لا تهرقون **دماءكم** اي لا يسفك بعضكم دم بعض وقيل معناه لا تسفكوا دماء غيركم فتسفك دماؤكم فكانكم انتم سفكتم دماء انفسكم **ولا تخرجون انفسكم من دياركم** اي لا يخرج بعضكم بعضا من داره وقيل لا تفعلوا شيئا تخرجون بسببه من دياركم **ثم اقررتم** اي بهذا العهد انه حق **وانتم تشهدون** يعني انتم يا معشر اليهود اليوم تشهدون وتعلمون ذلك **ثم انتم هؤلاء** يعني يا هؤلاء اليهود **تقتلون انفسكم** اي يقتل بعضكم بعضا **وتخرجون فريقا منكم من ديارهم** اي يخرج بعضكم بعضا من ديارهم **تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان** اي تتعاونون عليهم بالمعصية والظلم **وان ياتوكم اسارى** جمع اسير **تفدوهم** اي بالمال وهو استنقاذهم بالشراء وقرئ تفادوهم اي تبادلوهم وهو مفاداة الاسير بالاسير ومعنى الاية ان الله تعالى اخذ على بني اسرائيل في التوراة ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم من ديارهم وايما عبد او امة من بني اسرائيل وجدتموه فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه وكان بنو قريظة حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج وكان بين الاوس والخزرج حروب فكانت بنو النضير تقاتل مع حلفائهم وبنو قريظة تقاتل مع حلفائهم فاذا غلب احد الفريقين اخرجوهم من ديارهم واخربوها وكان اذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له مالا ليفدوه فعيرتهم العرب وقالوا كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فقالوا انا قد امرنا ان نفديهم فقالوا كيف تقاتلونهم فقالوا انا نستحي ان تستذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وفي الاية تقديم وتاخير تقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان **وهو محرم عليكم اخراجهم** وان ياتوكم اسارى تفدوهم فكان الله تعالى اخذ عليهم اربعة عهود ترك القتل وترك الاخراج وترك المظاهرة مع اعدائهم وفك اسرائهم فاعرضوا عن الكل الا الفداء قال الله تعالى **افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض** معناه ان وجدتموهم في يد غيركم فديتموهم وانتم تقتلونهم بايديكم فكان ايمانهم الفداء وكفرهم قتل بعضهم بعضا فذمهم على مناقضة افعالهم لانهم اتوا ببعض ما وجب عليهم وتركوا البعض **فما جزاء من يفعل ذلك منكم** يا معشر اليهود **الا خزي في الحيوة الدنيا** اي عذاب وهوان فكان خزي بني قريظة القتل والسبي وخزي بني النضير الاجلاء والنفي من منازلهم الى اريحا واذرعات من ارض الشام **ويوم القيامة يردون الى اشد العذاب** يعني عذاب النار **وما الله بغافل عما تعملون** فيه وعيد وتهديد عظيم **اولئك الذين اشتروا** اي استبدلوا **الحيوة الدنيا بالاخرة** لان الجمع بين

لذات الدنيا والآخرة غير ممكن فمن اشتغل بتحصيل لذات الدنيا فاتته لذات الآخرة
فلا يخفف عنهم العذاب فلا يهون عليهم ولا هم ينصرون اي ولا يمنعون من عذاب الله تعالى
قوله عز وجل ولقد آتينا اي اعطينا موسى الكتاب يعني التوراة جملة واحدة وقفينا اي
واتبعنا من التقفية وهو ان يتبعوا ثر الآخر من بعده اي من بعد موسى بالرسل يعني رسولا
بعد رسول وكانت الرسل من بعد موسى الى من عيسى عليهما السلام متواترة يظهر بعضهم
في اثر بعض والشريعة واحدة قيل ان الرسل بعد موسى يوشع بن نون واشمويل وداود وسليمان
وارميا وحزقيل والياس ويونس وزكريا ويحيى وغيرهم وكانوا يعملون ويحكمون بشريعة
موسى الى ان بعث الله تعالى عيسى عليه السلام فجاءهم بشريعة جديدة وغير بعض احكام التوراة
فذلك قوله وآتينا عيسى ابن مريم البينات اي الدلالات الواضحات وهي المعجزات من
احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وقيل هي الانجيل واسم عيسى بالسريانية ايشوع ومريم
بمعنى الخادم وقيل هو اسم علم لها كزيد من الرجال وايدناه اي وقويناه بروح القدس
قيل اراد بالروح الذي نفخ فيه والقدس هو الله تعالى واضاف روح عيسى اليه تشريفا
وتكريما وتخصيصا له كما تقول عبد الله وامة الله وبيت الله وناقة الله وقال ابن عباس
هو اسم الله الاعظم الذي كان عيسى يحيي به الموتى وقيل هو جبريل وقيل هو الانجيل لان
به حياة القلوب سماه روحا كما سمى القرآن روحا وقيل هو جبريل وسماه روحا ووصف
بالقدس وهو الطهارة لانه لم يقترف ذنبا قط وقيل القدس هو الله تعالى والروح
جبريل كما تقول عبد الله سمي جبريل روحا للطافته لانه روحاني خلق من النور وقيل سمي
لكانه من الوحي الذي هو سبب حياة القلوب وحمل روح القدس هنا على جبريل اولى لانه
تعالى قال وايدناه اي قويناه بجبريل وذلك انه امر ان يكون مع عيسى ويسير حيث سار
فلم يفارقه حتى صعد به الى السماء فلما سمعت اليهود بذكر عيسى قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما
زعمت عملت ولا كما تقص علينا من اخبار الانبيا فعلت فاتنا بما اتى به عيسى ان كنت صادقا
قال الله تعالى افكلما جاءكم يعني يا معشر اليهود رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم
اي تعظمتم عن الايمان به ففريقا كذبتم يعني مثل عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وفريقا تقتلون
يعني مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوه وذلك ان اليهود كانوا اذا جاءهم رسول كذبوه فان
تهيأ لهم قتلوه وانما كانوا يكذبون لكلام ادتهم الدنيا وطلب الرياسة فيها وقالوا يعني اليهود
قلوبنا غلف جمع اغلف وهو الذي عليه غشاوة فلا يعي ولا يفقه وقال ابن عباس غلف
بضم اللام جمع غلاف والمعنى ان قلوبنا اوعية للعلم فلا تحتاج الى علمك وقيل اوعية من
الوعي اي لا تسمع حديثا الا وعته الا حديثك فانها لا تعيه ولا تعقله ولو كان خيرا لفهمته
ووعته قال الله تعالى بل لعنهم الله بكفرهم اي طردهم وابعدهم من كل خير وسبب لعنهم
كفرهم انهم اعترفوا بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم انكروه وجحدوه فلهذا لعنهم الله
فقليلا ما يؤمنون اي لم يؤمن منهم الا قليل لان من آمن من المشركين كان اكثر منهم قوله تعالى
ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني القرآن مصدق لما معهم يعني التوراة وهذا التصديق
في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لان نبوته وصفته ثابتة في التوراة وكانوا يعني
اليهود من قبل اي من قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم يستفتحون اي يستنصرون به
على الذين كفروا يعني مشركي العرب وذلك انهم كانوا اذا حزبهم امر او دهمهم عدو يقولون
اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التوراة فكانوا ينصرون
وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه

قتل عاد وارم فلما جاءهم ما عرفوا يعني الذي عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم عرفوا نعته وصفته
وانه من غير بني اسرائيل كفروا به اي جحدوه وانكروه بغيا وحسدا فلعنة الله على
الكافرين بئسما اشتروا به انفسهم اي بئس شيئا الذي اختاروا لانفسهم حين استبدلوا
الباطل بالحق واشتروا بمعنى باعوا والمعنى بئس ما باعوا به حظ انفسهم ان يكفروا بما انزل
الله يعني القرآن بغيا اي حسدا ان ينزل الله من فضله يعني الكتاب والنبوة على من يشاء
من عباده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فباءوا اي فرجعوا بغضب على غضب اي مع غضب
قال ابن عباس الغضب الاول بتضييعهم التوراة وتبديلها والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله
عليه وسلم وللكافرين يعني الجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس كلهم والقرآن
وقيل بعبادتهم العجل عذاب مهين اي يهانون به واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله يعني
بالقرآن وقيل يعني بكل ما انزل الله على انبيائه قالوا نؤمن بما انزل علينا يعني بالتوراة
وما انزل على انبيائهم ويكفرون بما وراءه اي بما سواه من الكتب وقيل بما بعده يعني الانجيل
والقرآن وهو الحق يعني القرآن مصدقا لما معهم يعني التوراة قل يا محمد فلم تقتلون انبياء الله
من قبل انما اضاف القتل الى المخاطبين من اليهود وان كان سلفهم قتلوا لانهم رضوا بفعلهم
قيل اذا عملت المعصية في الارض فمن كرهها وانكرها بريء منها ومن رضيها كان من اهلها ان كنتم
مؤمنين اي بالتوراة وقد نهيتم فيها عن قتل الانبياء قوله عز وجل ولقد جاءكم موسى بالبينات
اي بالدلالات الواضحة والمعجزات الباهرة ثم اتخذتم العجل من بعده اي من بعد موسى
لما ذهب الى الميقات وانتم ظالمون انما كرره تبكيتا لهم وتاكيدا للحجة عليهم واذ اخذنا
ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا اي استجيبوا واطيعوا
اي فيما امرتم به قالوا سمعنا يعني قولك وعصينا يعني امرك قيل انهم لم يقولوا هذا
بالسنتهم ولكن لما سمعوه وتلقوه تلقوه بالعصيان فنسب ذلك اليهم واشربوا في قلوبهم
العجل بكفرهم اي تداخل حبه في قلوبهم والحرص على عبادته كما يتداخل الصبغ في الثوب
وقيل ان موسى امر ان يبرد العجل ويذري في النهر وامرهم ان يشربوا منه فمن بقي في قلبه
شيء من حب العجل ظهرت نخالة الذهب على شاربه قل بئسما يامركم به ايمانكم اي ان تعبدوا
العجل والمعنى بئس الايمان ايمان يامر بعبادة العجل ان كنتم مؤمنين اي بزعمكم وذلك انهم
قالوا نؤمن بما انزل علينا فكذبهم الله تعالى بذلك قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الآخرة
عند الله خالصة من دون الناس وذلك ان اليهود ادعوا دعاوى باطلة منها قولهم لن
يدخل الجنة الا من كان هودا وقولهم نحن ابناء الله واحباؤه فكذبهم الله والزمهم الحجة فقال
قل يا محمد لليهود ان كانت لكم الدار الآخرة يعني الجنة خالصة اي خاصة لكم من دون الناس
فتمنوا الموت اي فاطلبوه واسالوه لان من علم ان الجنة ماواه وانها له حن اليها ولا سبيل
الى دخولها الا بعد الموت فاستعجلوه بالتمني ان كنتم صادقين اي في قولكم ودعواكم روى
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه
وما بقي على وجه الارض يهودي الا مات قال الله تعالى ولن يتمنوه ابدا اي لعلمهم انهم
في دعواهم كاذبون بما قدمت ايديهم يعني من الاعمال السيئة وانما اضاف الاعمال
الى اليد لان اكثر جنايات الانسان تكون من يده والله عليم بالظالمين تخويف وتهديد
لهم وانما خصهم بالظلم لانه اعم من الكفر لان كل كافر ظالم وليس كل ظالم كافرا فلهذا كان
اعم وكانوا اولى به لتجدنهم اللام للقسم والنون للتوكيد تقديره والله لتجدنهم يا محمد
يعني اليهود احرص الناس على حياة اي حياة متطاولة والحرص اشد الطلب ومن الذين

اشركوا قيل هو متصل بما قبله ومعطوف عليه والمعنى واحرص من الذين اشركوا فان قلت
الذين اشركوا قد دخلوا تحت الناس في قوله احرص الناس فلم افردهم بالذكر قلت افردهم
بالذكر لشدة حرصهم وفيه توبيخ عظيم لليهود لان الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون الا
الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها فاذا زاد عليهم في الحرص من له كتاب وهو مقر بالبعث
والجزاء كان حقيقا بالتوبيخ العظيم وقيل ان الواو واو استئناف تقديره ومن الذين
اشركوا اناس يود احدهم وهم المجوس سموا بذلك لانهم يقولون بالنور والظلمة **يود** اى
يتمنى **احدهم لو يعمر الف سنة** اى تعمير الف سنة وانما خص الالف لانها نهاية العقود
وقيل لانها تحية المجوس فيما بينهم يقولون زه هزار سال اى عش الف سنة او الف نيروز
او الف مهرجان فهذه تحيتهم والمعنى ان اليهود احرص من المجوس الذين يقولون ذلك **وما
هو بمزحزحه** اى بمباعده **من العذاب** اى النار **ان يعمر** اى لو عمر طول عمره لا ينقذه من العذاب
والله بصير بما يعملون اى لا تخفى عليه خافية من احوالهم قوله عز وجل **قل من كان عدوا
لجبريل** قال ابن عباس سبب نزول هذه الاية ان عبد الله بن صوريا حبر من احبار اليهود
قال للنبي صلى الله عليه وسلم اى ملك يأتيك من السماء قال جبريل قال ذاك عدونا ولو
كان ميكائيل لآمنا بك ان جبريل ينزل بالعذاب والشدة والخسف وانه عادانا مرارا
واشد ذلك علينا ان الله انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بخت نصر
فلما كان وقته بعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فاخذه ليقتله فدفع عنه جبريل
وقال ان كان الله امره بهلاككم فلن تسلط عليه وان لم يكن هو فعلى اى حق تقتله
فلما كبر ذلك الغلام غزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا فانزل الله تعالى
هذه الاية وقيل قالوا ان الله امره ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا فاتخذناه
عدوا وقيل ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان له ارض باعلى المدينة وكان ممره اليها
على مدراس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يوما ما في اصحاب محمد احب الينا
منك وانا لنطمع فيك فقال عمر والله ما اتيتكم لحبكم ولا اسألكم لاني شاك في ديني
وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى اثاره في كتابكم
فقالوا من صاحب محمد الذي يأتيه من الملائكة قال جبريل قالوا ذاك عدونا يطلع
محمدا صلى الله عليه وسلم على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف وشدة وان ميكائيل
يجيء بالخصب والسلامة فقال لهم تعرفون جبريل وتنكرون محمدا قالوا نعم قال
فاخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله تعالى قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن
يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر اشهد انه من كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر
ومن كان عدوا لهما كان الله عدوا له ثم رجع عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فوجد
جبريل قد سبقه بالوحي فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الايات وقال
لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر والله لقد رأيتني بعد ذلك في دين الله اصلب من
الحجر والاقرب ان سبب هذه العداوة كون جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم
وسلم بالوحي لان قوله فانه نزله على قلبك مشعر بذلك وقوله **فانه نزله** يعني جبريل
نزل بالقرآن كناية عن غير مذكور **على قلبك** يا محمد وانما خص القلب بالذكر لانه محل
الحفظ **باذن الله** اى بامره **مصدقا** اى موافقا **لما بين يديه** اى لما قبله من الكتب
وهدى وبشرى للمؤمنين اى في القرآن هداية للمؤمنين الى الاعمال التي يترتب عليها
الثواب وبشرى لهم بثوابها اذا اتوا بها **من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل**

وميكال

وميكال لما بين في الاية الاولى ان من كان عدوا لجبريل لاجل انه نزل بالقرآن على قلب
محمد صلى الله عليه وسلم بين في هذه الاية ان كل من كان عدوا لاحد هؤلاء فانه عدو
لجميعهم وبين ان الله عدوه بقوله **فان الله عدو للكافرين** فاما عداوتهم لله فانها لا تضره
ولا تؤثر وعداوته لهم تؤديهم الى العذاب الدائم الذي لا ضرر اعظم منه وقيل المراد
من عداوتهم لله عداوة اوليائه وامتثال طاعته فهو كقوله الذين يحاربون الله ورسوله
اى يحاربون اولياء الله وامتثال طاعته وقوله وملائكته ورسله يعني ان من عادى احدا من
هؤلاء فقد عادى جميعهم ومن كفر بواحد منهم فقد كفر بجميعهم وجبريل وميكال انما خصهم
الله بالذكر وان كانا داخلين في جملة الملائكة لبيان شرفهما وفضلهما وعلو منزلتهما
وقدم جبريل على ميكال لفضله عليه ولان جبريل ينزل بالوحي الذي هو غذاء الارواح
وميكائيل ينزل بالمطر الذي هو سبب غذاء الابدان وجبريل وميكال اسمان اعجميان
ومعناهما عبد الله وعبيد الله لان جبر وميك بالسريانية هو العبد وايل هو الله
ولقد انزلنا اليك آيات بينات قال ابن عباس هو جواب لابن صوريا حيث قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية
بينة فنتبعك لها فانزل الله هذه الايات ومعنى بينات اى واضحات مفصلات
بالحلال والحرام والحدود والاحكام **وما يكفر بها** اى وما يجحد بهذه الايات **الا الفاسقون**
اى الخارجون عن طاعتنا وما امروا به **اوكلما عاهدوا عهدا** قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما اخذ عليهم من العهود في محمد صلى الله عليه وسلم وان يؤمنوا به قال
مالك بن الصيف والله ما عهد الينا في محمد عهد اى هو قولهم انه قد اظل زمان نبي مبعوث
وانه في كتابنا وقيل انهم عاهدوا الله عهودا كثيرة ثم نقضوها **نبذه** اى طرح العهد ونقضه
فريق منهم يعني من اليهود **بل اكثرهم لا يؤمنون** يعني كفر فريق منهم بنقض العهد وكفر فريق
منهم بالجحد للحق **ولما جاءهم رسول من عند الله** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **مصدق لما معهم**
يعني مصدق بصحة التوراة وبنبوة موسى وقيل ان التوراة بشرت بنبوة محمد صلى الله عليه
وسلم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كان مجرد مبعثه مصدقا للتوراة **نبذ فريق من الذين
اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم** قيل اراد بالكتاب القرآن وقيل التوراة وهو
الاقرب لان النبذ لا يكون الا بعد التمسك ولم يتمسكوا بالقرآن انما نبذهم التوراة فانهم
كانوا يقرءونها ولا يعملون بها وقيل انهم ادرجوها في الحرير وحلوها بالذهب ولم يعملوا بما فيها
كانهم لا يعلمون يعني انهم نبذوا كتاب الله ورفضوه عن علم به ومعرفة وانما حملهم على ذلك عداوة
النبي صلى الله عليه وسلم وهم علماء اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
وكتموا امره وكان اولئك النفر قليلا قوله تعالى **واتبعوا ما تتلوا الشياطين** يعني ان اليهود
نبذوا كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين ومعنى تتلو تقرأ من التلاوة وقيل معناه
تفتري وتكذب **على ملك سليمان** وهو قولهم ان سليمان ملك الناس بالسحر وقيل على ملك سليمان
اى على عهده وزمانه **وقصة ذلك** ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان
آصف هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك وكتبوا ودفنوه تحت كرسيه وذلك حين
نزع الله عنه الملك ولم يشعر بذلك وقيل ان بني اسرائيل اشتغلوا بتعلم السحر في زمانه
فمنعهم من ذلك سليمان واخذ كتبهم ودفنها تحت سريره فلما مات استخرجها الشياطين وقالوا
للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فاما صلحاء بني اسرائيل وعلماؤهم فانكروا ذلك وقالوا
معاذ الله ان يكون هذا من علم سليمان واما السفلة منهم فقالوا هذا هو علم سليمان واقبلوا

على تعلمه وتركوا كتب انبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم الى ان بعث الله تعالى
محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل عليه برآءة سليمان عليه السلام فقال تعالى واتبعوا ما تتلو
الشياطين على ملك سليمان **وما كفر سليمان** يعني بالسحر ولم يعمل به وفيه تنزيه سليمان عن السحر
وذلك ان اليهود انكروا نبوة سليمان وقالوا انما حصل له هذا الملك وسخرت الجن والانس
له بسبب السحر وقيل ان السحرة من اليهود زعموا انهم اخذوا السحر عن سليمان فبراه الله عن
ذلك وقيل ان بعض احبار اليهود قال الا تعجبون من محمد يزعم ان سليمان كان نبيا وما كان
الا ساحرا فانزل الله وما كفر سليمان يعني ان كون سليمان نبيا ينافي كونه ساحرا كافرا ثم
بين تعالى ان الذي براه منه لاحق بغيره فقال **ولكن الشياطين كفروا** يعني ان الذين
اتخذوا السحر لانفسهم هم الذين كفروا ثم بين سبب كفرهم فقال تعالى **يعلمون الناس السحر**
يعني ما كتبت لهم الشياطين من كتب السحر وقيل يحتمل ان يكون يعلمون يعني اليهود الذين عملوا به
واتبعوا وسمي السحر سحرا لخفا سببه ولانه يفعل في خفية وقيل معنى السحر الازالة وصرف
الشيء عن وجهه تقول العرب ما سحرك عن كذا اي ما صرفك عنه فكان الساحر
في صورة الحق فقد سحره عن وجهه اي صرفه هذا اصله من حيث اللغة واما حقيقته
فقد قيل انه عبارة عن التمويه والتخييل ومذهب اهل السنة ان له وجودا وحقيقة
والعمل به كفر وذلك اذا اعتقد ان الكواكب هي المؤثرة في قلب الاعيان وروي عن الشافعي
انه قال السحر يخيل ويمرض وقد يقتل حتى اوجب القصاص على من قتل به وقيل ان السحر
يؤثر في قلب الاعيان فيجعل الانسان على صورة الحمار والحمار على صورة الكلب وقد يطير
الساحر في الهوا وهذا القول ضعيف عند اهل السنة لانهم قالوا ان الله تعالى هو
الخالق الفاعل لهذه الاشيا عند عمل الساحر لذلك لان الله هو الفاعل لها المؤثر فيها
والاصح ان السحر يخيل ويؤثر في الابدان بالامراض والجنون والموت ويدل على ذلك ان
للكلام تاثيرا في الطباع فقد يسمع الانسان ما يكره فيحمر وقد مات اقوام بكلام سمعوه
والسحر بمنزلة العلل في الابدان **واما حكمه** فانه من الكبائر التي نهي عنها ويحرم تعلمه
لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات
قيل يا رسول الله وما هن قال الاشراك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق
واكل مال اليتيم والربا والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المومنات
اخرجاه في الصحيحين فعد رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر من الكبائر وقرنه بالشرك
وامرنا باجتنابه وقوله الموبقات يعني المهلكات والسحر على قسمين احدهما يكفر صاحبه
وهو ان يعتقد ان القدرة لنفسه في ذلك وهو المؤثر او يعتقد ان الكواكب هي المؤثرة
الفعالة فاذا انتهى به السحر الى هذه الغاية صار كافرا بالله ويجب قتله لما روي عن جندب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حد الساحر ضربه بالسيف اخرجه الترمذي والقسم
الثاني من السحر وهو التخييل الذي يشاكل النيرنجيات والشعبذة ولا يعتقد صاحبه
لنفسه فيه قدرة ولا ان الكواكب هي المؤثرة ويعتقد ان القدرة لله تعالى وانه هو المؤثر
فهذا القدر لا يكفر به صاحبه ولكنه معصية وهو من الكبائر ويحرم فعله فان قتل بسحره
قتل قصاصا لما روي عن مالك بلغه ان حفصة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قتلت جارية
لها سحرتها وقد كانت دبرتها فامرت بها فقتلت اخرجه في الموطا. قوله عز وجل **وما انزل على**
الملكين اي ويعلمون الذي انزل على الملكين والانزال هنا بمعنى الالهام والتعليم اي ما الهما
وعلما وقرئ في الشاذ الملكين بكسر اللام قال هما رجلان ساحران كانا ببابل وقيل علجان

وجهه

فصل السحر ما هو
على حقيقته في الشرع
وعلى حكمه

وجهه ان الملايكة لا يعلمون السحر والقراة المشهورة بفتح اللام فان قلت كيف يجوز ان
يضاف الى الله تعالى انزال ذلك على الملايكة وكيف يجوز للملايكة تعليم السحر قلت قال
ابن جرير الطبري ان الله تعالى عرف عباده جميع ما امرهم به وجميع ما نهاهم عنه ثم امرهم
ونهاهم بعد العلم منهم بما يومرون به وينهون عنه ولو كان الامر على غير ذلك لما كان للامر
والنهي معنى مفهوم والسحر مما نهى عباده بني ادم عنه فغير ممكن ان يكون الله تعالى علمه الملكين
اللذين سماهما في تنزيله وجعلهما فتنة لعباده من بني ادم كما اخبر عنهما انهما يقولان
لمن جاء يتعلم ذلك منهما انما نحن فتنة فلا تكفر ليختبر بهما عباده الذين نهاهم عن السحر
وعن التفريق بين المرء وزوجه فيمحص المومن بتركه التعلم منهما ويخزي الكافر بتعلم السحر
والكفر منهما ويكون الملكان في تعليمهما من علماه ذلك مطيعين لله تعالى اذ كان عن اذن
من الله تعالى لهما بتعليم ذلك وغير   سحر من سحر ممن تعلم ذلك منهما بعد نهيهما اياه عنه
بقولهما انما نحن فتنة فلا تكفر اذ كانا قد اديا ما امرا به وقال غيره انهما لا يتعمدان ذلك
بل يصفان السحر ويذكران بطلانه ويامران باجتنابه فالشقي من ترك نصحهما وتعلم السحر
من وصفهما والسعيد من قبل نصحهما وترك تعلم السحر منهما وقيل ان الله تعالى امتحن الناس
بهما في ذلك الزمان فالشقي من تعلم السحر منهما فيكفر به والسعيد من تركه فيبقى على
ايمانه ولله تعالى ان يمتحن عباده بما شا كما امتحن بني اسرائيل بنهر طالوت بقوله فمن
شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني **ببابل** قيل هي بابل العراق بارض الكوفة
سميت بذلك لتبلبل الالسنة بها عند سقوط صرح نمرود وقيل انها بابل دنباوند والاول
اصح واشتهر **هاروت وماروت** اسمان سريانيان **وقصة الاية** على ما ذكر
ابن عباس وغيره قالوا ان الملايكة لما راوا ما يصعد الى السما من اعمال بني ادم الخبيثة
في زمن ادريس عليه السلام عيروهم وقالوا هولاء الذين جعلتهم في الارض واخترتهم وهم
يعصونك فقال الله عز وجل لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لركبتم مثل
ما ركبوا قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك قال الله تعالى فاختاروا ملكين من
خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلح الملايكة واعبدهم
وكان اسم هاروت عزا وماروت عزايا فغير اسمهما لما قارفا الذنب وركب الله فيهم الشهوة
واهبطهما الى الارض وامرهما ان يحكما بين الناس بالحق ونهاهما عن الشرك والقتل بغير الحق
والزنا وشرب الخمر فكانا يقضيان بين الناس يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم
وصعدا الى السما فما مر عليهما شهر حتى افتتنا وقيل بل افتتنا في اول يوم وذلك انه
اختصم اليهما امراة يقال لها الزهرة وكانت من اجمل اهل فارس وكانت ملكة فلما راياها
اخذت بقلوبهما فقال احدهما لصاحبه هل يسقط في قلبك مثل الذي يسقط في نفسي قال
نعم فراوداها عن نفسها فابت وانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح خمر وفي
انفسهما ما فيها من الميل اليها فراوداها عن نفسها وعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا
الصلاة لغير الله عظيم وقتل النفس عظيم واهون الثلاثة شرب الخمر فشربا فلما
انتشيا وقعا بالمراة فزنيا بها فراهما انسان فقتلاه خوف الفضيحة وقيل انهما سجدا
للصنم وقيل جاءتهما امراة من احسن الناس تخاصم زوجها فقال احدهما للاخر هل سقط
في نفسك مثل الذي سقط في نفسي قال نعم قال هل لك ان تقضي لها على زوجها قال له صاحبه
اما تعلم ما عند الله من العقوبة والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله
من العفو والرحمة فسالاها نفسها فقالت لا الا ان تقضيا لي على زوجي فقضيا لها ثم سالاها

مطلب
قصة هاروت وماروت
والكلام على عصمة الملايكة

نفسها قالت لا الا ان تقتلاه فقال احدهما لصاحبه اما تعلم ما عند الله من العقوبة
والعذاب فقال له صاحبه اما تعلم ما عند الله من العفو والرحمة فقتلاه ثم سالاها
نفسها فقالت لا الا ان لي صنما تعبدان ان انتما صليتما معي عنده فعلت فقال احدهما
لصاحبه مثل القول الاول فرد عليه مثله فصليا معها عنده فمسخت شهابا وقال علي
ابن ابي طالب قالت لهما لن تدركاني حتى تخبراني بالذي تصعدان به الى السما فقالا باسم الله
الاكبر قالت فما انتما بمدركي حتى تعلماني اياه فقال احدهما للاخر علمها فقال اني
اخاف الله فقال الاخر فاين رحمة الله فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السما
فمسخها الله كوكبا فذهب بعضهم الى انها هي الزهرة بعينها وانكر اخرون هذا وقالوا
ان الزهرة من الكواكب السيارة السبعة التي اقسم الله بها فقال فلا اقسم بالخنس
الجوار الكنس والتي فتنت هاروت وماروت كانت امراة تسمى الزهرة لجمالها وحسنها
فلما بغت مسخها الله تعالى شهابا قالوا فلما امسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب
هما بالصعود الى السما فلم تطاوعهما اجنحتهما فلما رايا ما حل بهما قصدا ادريس النبي
صلى الله عليه وسلم واخبراه بامرهما وسالاه ان يشفع لهما الى الله عز وجل قالوا له
راينا ما يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع اهل الارض فاشفع لنا الى ربك
ففعل ذلك ادريس فخيرهما الله تعالى بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة فاختارا عذاب
الدنيا اذ علما انه ينقطع فهما ببابل يعذبان قيل انهما معلقان بشعورهما الى قيام
الساعة وقيل انهما منكوسان يضربان بسياط الحديد وقيل ان رجلا قصدهما ليتعلم
السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة اعينهما مسودة وجوههما ليس بين السنتهما
وبين الما الا قدر اربع اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما راى ذلك هاله فقال
لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا له من انت قال رجل من الناس فقالا من اي امة انت
قال من امة محمد صلى الله عليه وسلم قالا وقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم
فقالا الحمد لله واظهرا الاستبشار فقال الرجل مم استبشاركما قالا انه نبي الساعة
وقد دنا انقضا عذابنا

فصل في القول بعصمة الملايكة

اجمع المسلمون
على ان الملايكة مومنون فضلا واتفق ايمة المسلمين على ان حكم الرسل من الملايكة حكم النبيين
سوا في العصمة في باب البلاغ عن الله عز وجل وفي كل شي ثبتت فيه عصمة الانبيا فكذلك
الملايكة وانهم مع الانبيا في التبليغ اليهم كالانبيا مع اممهم ثم اختلفوا في غير المرسلين
من الملايكة فذهب طايفة من المحققين وجميع المعتزلة الى عصمة جميع الملايكة عن جميع
الذنوب والمعاصي واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية وذهب طايفة الى ان غير
المرسلين من الملايكة غير معصومين واحتجوا على ذلك بوجوه سمعية وعقلية منها قصة هاروت
وماروت وما نقله اهل الاخبار والسير ونقله ابن جرير الطبري في تفسيره عن جماعة
من الصحابة والتابعين فنقل قصة هاروت وماروت بالفاظ متقاربة عن علي بن ابي طالب
وابن مسعود وابن عباس وكعب الاحبار والسدي والربيع ومجاهد واجاب من ذهب
الى عصمة جميع الملايكة عن قصة هاروت وماروت بان ما نقله المفسرون واهل الاخبار
في ذلك لم يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك شي وهذه الاخبار انما اخذت
من اليهود وقد علم افترا وهم على الانبيا والملايكة وقد ذكر الله عز وجل في هذه الايات
افترا اليهود على سليمان عليه السلام ثم عطف على ذلك قصة هاروت وماروت ثانيا قالوا
ومعنى الاية وما كفر سليمان يعني بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك

اليهود

اليهود فاخبر عن افترايهم وكذبهم وذكروا ايضا في الجواب عن هذه القصة انها باطلة
وجوها **الاول** ان في القصة ان الله تعالى قال للملايكة لو ابتليتكم بما ابتليت به
بني ادم لعصيتموني قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نعصيك وفيه رد على الله تعالى وذلك
كفر وقد ثبت انهم كانوا معصومين قبل ذلك فلا يقع هذا منهم **الوجه الثاني** انهما خيرا
بين عذاب الدنيا وعذاب الاخرة وذلك فساد لان الله تعالى لا يخير من اشرك وان كانت
قد صحت توبتهما فلا عقوبة عليهما **الوجه الثالث** ان المراة لما فجرت كيف يعقل انها
صعدت الى السما وصارت كوكبا وعظم الله قدرها بحيث اقسم بها بقوله فلا اقسم
بالخنس الجوار الكنس فبان بهذه الوجوه ركاكة هذه القصة والله اعلم بصحة ذلك وسقمه
والاولى تنزيه الملايكة عن كل ما لا يليق بمنصبهم وقوله تعالى **وما يعلمان من احد** يعني
احدا **حتى** ينصحانه اولا و**يقولا انما نحن فتنة** اي ابتلا ومحنة **فلا تكفر** اي لا تتعلم السحر
فتعمل به فتكفر قيل يقولان انما نحن فتنة فلا تكفر سبع مرات فان ابى قبول نصحهما
وصمم على التعليم يقولان له ايت هذا الرماد فبل عليه فاذا فعل ذلك خرج منه
نور ساطع في السما فذلك الايمان والمعرفة وينزل شي اسود يشبه الدخان حتى يدخل
مسامعه وذلك غضب الله **فيتعلمون منهما** يعني من الملكين **ما يفرقون به بين المرء وزوجه**
اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين كالتمويه والتخييل والنفث
في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله تعالى عنده البغضا والنشوز والخلاف بين الزوجين
ابتلا من الله تعالى لا ان السحر له تاثير في نفسه بدليل قوله **وما هم** يعني السحرة **بضارين
به** اي بالسحر **من احد** اي احدا **الا باذن الله** اي بعلمه وقضايه وتكوينه فالساحر يسحر
والله تعالى يقدر ويكون ذلك بقضا الله تعالى وقدرته ومشيته **ويتعلمون ما يضرهم
ولا ينفعهم** يعني السحر لانهم يقصدون به الشر **ولقد علموا** يعني اليهود **لمن اشتراه** اي اختار
السحر **ما له في الاخرة من خلاق** يعني ما له نصيب في الجنة **ولبيس ما شروا به انفسهم**
اي باعوا حظ انفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق **لو كانوا يعلمون** فان قلت
كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على التوكيد والقسم ثم نفاه عنهم اخرا في
قوله لو كانوا يعلمون قلت لما لم يعملوا واشتغلوا بالسحر وتركوا العمل بكتاب الله وما جا
به الرسل عنادا منهم وبغيا وذلك على معرفة منهم بما في فعل ذلك من العقاب فجعلهم حين لم يعملوا
بعلمهم كانوا منسلخين منه **ولو انهم** يعني اليهود **امنوا** يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران
واتقوا يعني اليهودية والسحر وما يوثمهم **لمثوبة من عند الله** اي لكان ثواب الله اياهم **خير**
لهم يعني الثواب **لو كانوا يعلمون** يعني ذلك قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا**
سبب نزول هذه الاية ان المسلمين كانوا يقولون راعنا يا رسول الله من المراعاة اي ارعنا
سمعك وفرغه لكلامنا وكانت هذه اللفظة سبا قبيحا بلغة اليهود ومعناها عندهم اسمع
لا سمعت وقيل من الرعونة اذا ارادوا ان يحمقوا انسانا قالوا راعنا يعني احمق فلما سمعت
اليهود هذه الكلمة من المسلمين قالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا فاعلنوا به الان فكانوا
ياتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ رضي الله عنه ففطن
لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لين سمعتها من احد منكم يقولها لرسول الله صلى الله
عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تقولوا
راعنا اي لكي لا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم **وقولوا انظرنا**
اي انظر الينا وقيل معناه انتظرنا وتان بنا وفهمنا **واسمعوا** اي ما تومرون به

واطيعوا نهى الله تعالى عباده المؤمنين ان يقولوا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم راعنا لئلا يتطرق احد الى شتمه وامرهم بتوقيره وتعظيمه وان يتخيروا الخطاب له صلى الله عليه وسلم من الالفاظ احسنها ومن المعاني ارقها وان يسالوه بتبجيل وتعظيم ولين لا يخاطبوه بما يسر اليهود **وللكافرين** يعني اليهود **عذاب اليم ما يود** اي ما يحب **الذين كفروا من اهل الكتاب** يعني اليهود **ولا المشركين** يعني عبدة الاوثان لان الكفر اسم جنس تحته نوعان اهل كتاب وهم الذين بدلوا كتابهم وكذبوا الرسل وعبدة الاوثان وهم من عبد غير الله **ان ينزل عليكم من خير من ربكم** يعني ما انزل الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم والنبوة وانما كرهت اليهود واتباعهم من المشركين ذلك حسدا وبغيا منهم على المؤمنين وذلك ان اناسا قالوا لحلفائهم من اليهود امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ما هذا الذي تدعوننا اليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان خيرا فانزل الله هذه الاية تكذيبا لهم **والله يختص برحمته من يشاء** يعني انه تعالى يختص بنبوته ورسالته من يشاء من عباده ويتفضل بالايمان والهداية على من يشاء من خلقه رحمة منه لهم **والله ذو الفضل العظيم** يعني ان كل خير ناله عباده في دينهم ودنياهم فانه منه ابتدا وتفضلا عليهم من غير استحقاق منهم لذلك بل له الفضل والمنة على خلقه ، قوله تعالى **ما ننسخ من اية او ننسها** الاية سبب نزولها ان المشركين قالوا ان محمدا يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا ما يقول الا من تلقا نفسه كما اخبر الله تعالى عنهم بقوله واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر وانزل ما ننسخ من اية فبين بهذه الاية وجه الحكمة في النسخ وانه من عند الله لا من عند محمد صلى الله عليه وسلم واصل النسخ في اللغة يكون بمعنى النقل والتحويل ومنه نسخ الكتاب وهو ان ينقل من كتاب الى كتاب اخر وذلك لا يقتضي ازالة الصورة الاولى بل يقتضي اثبات مثله في كتاب اخر فعلى هذا المعنى يكون القران كله منسوخا وذلك انه نسخ من اللوح المحفوظ ونزل جملة واحدة الى سما الدنيا وقد يكون النسخ بمعنى الرفع والازالة وهو ازالة شي بشي يعتقبه كنسخ الشمس الظل والشيب الشباب فعلى هذا المعنى يكون بعض القران منسوخا وبعضه ناسخا وهو المراد من حكم هذه الاية وهو ازالة الحكم بحكم يعتقبه

فصل في حكم النسخ النسخ في اصطلاح العلما عبارة عن رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متاخر عنه والنسخ جايز عقلا وواقع سمعا خلافا لليهود فان منهم من لم ينكره عقلا لكنه منعه سمعا وشذت طايفة قليلة من المسلمين فانكرت النسخ احتج الجمهور من المسلمين على جواز النسخ ووقوعه بان الدلايل قد دلت على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته لا تصح الا مع القول بالنسخ وهو نسخ شرع من قبله فوجب القطع بالنسخ ولنا على اليهود الزامات **منها** ان الله تعالى حرم عليهم العمل في السبت ولم يحرمه على من كان قبلهم **ومنها** انه جا في التوراة ان الله تعالى قال لنوح عليه السلام عند خروجه من الفلك اني جعلت كل دابة ماكولا لك ولذريتك واطلقت ذلك لك ثم انه تعالى حرم على موسى وعلى بني اسرايل كثيرا من الحيوانات **ومنها** ان ادم عليه السلام كان يزوج الاخ للاخت وقد حرمه الله تعالى على من بعده وعلى موسى عليه السلام فثبت بهذا جواز النسخ وحيث ثبت جواز النسخ فقد اختلفوا فيه على وجوه احدها ان القران نسخ جميع الشرايع والكتب القديمة كالتوراة والانجيل وغيرهما والوجه الثاني المراد بالنسخ هو نسخ القران ونقله من اللوح المحفوظ الى سما الدنيا الوجه الثالث وهو

الصحيح

مباحث في الكلام على النسخ والرد على منكره

الصحيح الذي عليه الجمهور من العلما ان المراد من النسخ هو رفع بعض الايات بدليل اخر ياتي بعده وهو المراد بقوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها **نات بخير منها او مثلها** لان الاية اذا اطلقت فالمراد بها ايات القران لانه المعهود عندنا **مسيلة** قال الشافعي رضي الله عنه الكتاب لا ينسخ بالسنة المتواترة واستدل بهذه الاية وهو انه تعالى قال ما ننسخ من اية او ننسها نات بخير منها او مثلها وذلك انه يفيد انه هو الاتي والماتي به من جنس القران وما كان من جنس القران فهو قران وقوله نات بخير منها يفيد انه هو المتفرد بالاتيان بذلك الخير وهو القران الذي هو كلام الله دون السنة ولان السنة لا تكون خيرا من القران ولا مثله واحتج الجمهور على جواز نسخ الكتاب بالسنة بان اية الوصية للاقربين منسوخة بقوله صلى الله عليه وسلم لا وصية لوارث اجاب الشافعي بان هذا ضعيف لان كون الميراث حقا للوارث يمنع من صرفه الى الوصية فثبت ان اية الميراث ما نعة من الوصية وتقرير هذا وبسطه معروف في اصول الفقه ثم ان النسخ في القران على وجوه احدها ما رفع حكمه وتلاوته كما روي عن ابي امامة بن سهل ان قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرؤا سورة فلم يذكروا منها الا بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك سورة رفعت بتلاوتها وحكمها اخرجه البغوي بغير سند وقيل ان سورة الاحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع بعضها تلاوة وحكما **الوجه الثاني** ما رفع تلاوته وبقي حكمه مثل اية الرجم روي عن ابن عباس قال قال عمر بن الخطاب وهو جالس على منبر ان الله بعث محمدا بالحق وانزل عليه الكتاب فكان فيما انزل عليه اية الرجم فقراناها ووعيناها وعقلناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فاخشى ان طال بالناس زمان ان يقول قايل ما نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة انزلها الله وان الرجم في كتاب الله حق على من زنا اذا احصن من الرجال والنسا اذا قامت البينة او كان الحمل او الاعتراف اخرجه مسلم والبخاري **والوجه الثالث** ما رفع حكمه وثبت خطه وتلاوته وهو كثير في القران مثل اية الوصية للاقربين نسخت باية الميراث عند الشافعي وبالسنة عند غيره واية عدة الوفاة بالحول نسخت باية اربعة اشهر وعشرا واية القتال وهي قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مايتين الاية نسخت بقوله الان خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا الاية ومثل هذا كثير في القران واما معنى الاية فقوله ما ننسخ من اية اي نرفعها او نرفع حكمها او ننسها قرى بضم النون وكسر السين ومعناه نثبتها على قلبك وقال ابن عباس نتركها لا ننسخها وقيل معناه نامر بتركها فعلى هذا يكون النسخ الاول برفع الحكم واقامة غيره مقامه والانسا نسخها من غير اقامة غيره مقامه وقرى ننسأها بفتح النون والسين وبالهمزة ومعناه نوخرها فلا ننزلها او نرفع تلاوتها او نوخر حكمها كاية الرجم فعلى هذا يكون النسخ الاول رفع التلاوة والحكم وقال سعيد ابن المسيب وعطا ما ننسخ من اية هو ما نزل من القران جعلاه من نسخت الكتاب اذا نقلته الى كتاب اخر او ننسأها اي نوخرها ونتركها في اللوح المحفوظ فلا ننزلها **نات بخير منها** اي بما هو انفع لكم واسهل عليكم واكثر لاجوركم وليس معناه ان اية خير من اية لان كلام الله تعالى كله واحد **او مثلها** اي في المنفعة والثواب فما نسخ الى الايسر كان اسهل في العمل كالذي كان على المؤمنين من فرض قيام

القليل ثم نسخ ذلك فكان خيرًا لهم في عاجلهم لسقوط التعب والمشقة عليهم وما نسخ الى
الاشق كان اكمل في الثواب كالذي كان عليهم من صيام ايام معدودات في السنة فنسخ
ذلك وفرض صيام شهر رمضان فكان صوم شهر كامل في السنة اثقل على الابدان واشق
من صيام ايام معدودات فكان ثوابه اكمل واكثر واما المثل فكنسخ التوجه الى بيت
المقدس وصرفه الى المسجد الحرام واستوى الاجر في ذلك لان على المصلي التوجه الى
حيث امره الله تعالى **الم تعلم ان الله على كل شي قدير** اي من النسخ والتبديل والمعنى
الم تعلم يا محمد اني قادر على تعويضك مما نسخت من احكامي وغيرته من فرايضي التي كنت
افترضتها عليك ما اشاء مما هو خير لك ولعبادي المومنين وانفع لك ولهم عاجلا واجلا
الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعني انه تعالى المتصرف في السموات
والارض وله سلطانهما دون غيره يحكم فيهما وفيما فيهما بما يشاء من امره ونهيه ونسخه وتبديله
وهذا الخبر وان كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم لكن فيه تكذيب لليهود الذين
انكروا النسخ وجحدوا نبوة عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فاخبرهم
الله ان له ملك السموات والارض وان الخلق كلهم عبيده وتحت تصرفه يحكم فيهم
بما يشاء وعليهم السمع والطاعة **وما لكم** يعني يا معشر الكفار عند نزول العذاب
من دون الله اي مما سوى الله **من ولي ولا نصير** اي من قريب وصديق وقيل من وال
وهو القيم بالامور اي ناصر يمنعكم من العذاب وقيل في معنى الاية وليس لكم ايها
المومنون بعد الله من قيم بامركم ولا نصير يويدكم ويقويكم على اعدايكم • قوله تعالى
ام تريدون ان تسألوا رسولكم نزلت في اليهود وذلك انهم قالوا يا محمد ايتنا بكتاب
من السما جملة كما اتى موسى بالتوراة وقيل انهم سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا لن نومن لك حتى تاتي بالله والملايكة قبيلا كما سال قوم موسى موسى فقالوا
ارنا الله جهرة فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى اتريدون وقيل بل تريدون
ان تسالوا رسولكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **كما سيل موسى من قبل** وذلك ان موسى
سأله قومه فقالوا ارنا الله جهرة ففي الاية منعهم ونهيهم عن السوالات المقترحة
بعد ظهور الدلالات والمعجزات وثبوت الحجج والبراهين على صحة نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم **ومن يتبدل** اي يستبدل **الكفر بالايمان فقد ضل سوا السبيل** اي اخطا
قصد الطريق وقيل ان قوله ومن يتبدل الكفر بالايمان خطاب للمومنين واعلمهم
ان اليهود اهل غش وحسد وانهم يتمنون للمومنين المكاره فنهاهم الله تعالى ان
يقبلوا من اليهود شيا ينصحونهم به في الظاهر واخبرهم ان من ارتد عن دينه فقد
اخطا قصد السبيل • قوله عز وجل **ود كثير من اهل الكتاب** نزلت هذه الاية في
نفر من اليهود وذلك انهم قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد
لو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فنحن اهدى سبيلا منكم فقال لهم عمار
كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد فقال اني عاهدت ان لا اكفر بمحمد صلى الله
عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد
رضيت بالله ربا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وبالاسلام دينا وبالقران اماما
وبالكعبة قبلة وبالمومنين اخوانا ثم انهما اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبراه بذلك فقال لهما اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى ود اي تمنى كثير من اهل
الكتاب يعني اليهود **لو يردونكم** اي يا معشر المومنين **من بعد ايمانكم كفارا** اي ترجعون

الى ما كنتم عليه من الكفر **حسدا** اي يحسدونكم حسدا واصل الحسد تمني زوال النعمة عن صاحبها
وربما يكون مع ذلك سعي في ازالتها والحسد مذموم لما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال اياكم والحسد فان الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب
او قال العشب اخرجه ابو داود وقال اذا انعم الله على عبد نعمة فتمنى اخر زوالها فهذا هو
الحسد وهو حرام فان استعان بتلك النعمة على الكفر والمعاصي فتمنى اخر زوالها عنه
فليس بحسد ولا يحرم ذلك فانه لم يحسده على تلك النعمة من حيث انها نعمة بل من حيث انه
يتوصل بتلك النعمة الى الشر والفساد وقوله **من عند انفسهم** اي من تلقاء انفسهم لم يامرهم
الله بذلك **من بعد ما تبين لهم الحق** يعني في التوراة ان قول محمد صلى الله عليه وسلم
ودينه حق لا يشكون فيه فكفروا به حسدا وبغيا **فاعفوا واصفحوا** اي تجاوزوا عما
كان منهم من اساءة وحسد وكان هذا الامر بالعفو والصفح قبل ان يومر بالقتال **حتى ياتي
الله بامره** اي بعذابه وهو القتل والسبي لبني قريظة والاجلاء والنفي لبني النضير قال
ابن عباس هو امر الله له بقتالهم في قوله قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الاخر الاية
ان الله على كل شي قدير فيه وعيد وتهديد لهم **واقيموا الصلوة واتوا الزكوة** لما امر الله
بالعفو والصفح عن اليهود امرهم بما فيه صلاح انفسهم من اقام الصلاة وايتا الزكاة
الواجبتين ونبه بذلك على ساير الواجبات ثم قال تعالى **وما تقدموا لانفسكم من خير**
اي من طاعة وعمل صالح وقيل اراد بالخير المال يعني صدقة التطوع لان الزكاة تقدم
ذكرها **تجدوه عند الله** يعني ثوابه واجره حتى التمرة واللقمة مثل احد **ان الله بما
تعملون بصير** اي لا يخفى عليه شي من قليل الاعمال وكثيرها ففيه ترغيب في الطاعات واعمال
البر وزجر عن المعاصي • قوله تعالى **وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا** اي يهوديا
وقيل هو جمع هايد **او نصارى** وذلك ان اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا
ولا دين الا دين اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا ولا دين
الا دين النصرانية قيل نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا مع اليهود في مجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب بعضهم بعضا في دعواه قال الله تعالى **تلك امانيهم**
اي شهواتهم الباطلة التي تمنوها على الله من غير حق **قل** يعني يا محمد **هاتوا برهانكم** اي حجتكم
على دعواكم ان لا يدخل الجنة الا من كان يهوديا او نصرانيا دون غيرهم **ان كنتم صادقين** يعني فيما تدعون
قال الله تعالى ردا عليهم **بلى** اي ليس الامر كما تزعمون ولكن **من اسلم وجهه لله وهو محسن**
فانه الذي يدخل الجنة وينعم فيها ومعنى اسلم وجهه لله اخلص دينه لله وقيل اخلص
عبادته لله وقيل خضع وتواضع لله لان اصل الاسلام الاستسلام وهو الخضوع وانما خص
الوجه بالذكر لانه اشرف الاعضاء واذا جاد الانسان بوضع وجهه على الارض في السجود
فقد جاد بجميع اعضايه قال عمرو بن نفيل

• واسلمت وجهي لمن اسلمت • له الارض تحمل صخرا ثقالا •
• واسلمت وجهي لمن اسلمت • له المزن تحمل عذبا زلالا •

يعني بذلك استسلمت لطاعة من استسلم لطاعته الارض والمزن وهو محسن اي في عمله لله
فله اجره عند ربه اي ثواب عمله **ولا خوف عليهم** اي في الاخرة **ولا هم يحزنون** اي على
ما فاتهم من الدنيا • قوله عز وجل **وقالت اليهود ليست النصارى على شي وقالت النصارى
ليست اليهود على شي** نزلت في يهود المدينة ونصارى نجران وذلك ان وفد نجران لما قدموا
على النبي صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود وتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت

اليهود للنصارى ما انتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لليهود
ما انتم على شيء من الدين وكفروا بموسى والتوراة فانزل الله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى
على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء **وهم يتلون الكتاب** يعني وكلا الفريقين يقرؤن
الكتاب وليس في كتابهم هذا الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم لما فيه على كفرهم
وكونهم على الباطل وقيل ان الانجيل الذي تدين بصحته النصارى يحقق ما في التوراة من
نبوة موسى وما فرض الله فيها على بني اسرائيل من الفرائض وان التوراة التي تدين بصحتها اليهود
تحقق نبوة عيسى وما جاء به من عند ربه من احكام ثم كلا الفريقين قالوا ما اخبر الله عنهم
بقوله وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء مع علم
كل واحد من الفريقين ببطلان ما قاله **كذلك قال الذين لا يعلمون** يعني مشركي العرب
قالوا في نبيهم محمد واصحابه انهم ليسوا على شيء **مثل قولهم** يعني مثل قول اليهود للنصارى
والنصارى لليهود وقيل امم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود ولوط وصالح
وشعيب قالوا في انبيائهم ليسوا على شيء **فالله يحكم بينهم** اي يقضي بينهم يعني بين المحق
والمبطل **يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** يعني من امر الدين ٭ قوله تعالى **ومن
اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه** نزلت في خراب بيت المقدس وذلك ان
طيطوس الرومي غزا بني اسرائيل فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم وحرق التوراة وخرب
بيت المقدس فلم يزل خرابا الى ان بناه المسلمون في زمن عمر بن الخطاب فانزل الله تعالى
ومن اظلم اي ومن اكفر واعتى ممن منع مساجد الله يعني بيت المقدس ومحاريبه **ان يذكر
فيها اسمه** اي يعبد ويصلى له فيها **وسعى في خرابها** وقيل ان بخت نصر المجوسي من اهل
بابل هو الذي غزا بني اسرائيل وخرب بيت المقدس واعانه على ذلك النصارى من
اجل ان اليهود قتلوا يحيى بن زكريا **اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين** وذلك
ان بيت المقدس موضع حج النصارى وزيارتهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومي
او نصراني الا خائفا ان علم به قتل وقيل اخيفوا بالجزية والقتل فالجزية على الذمي
والقتل على الحربي وقيل خوفهم هو فتح مدائنهم الثلاث قسطنطينية ورومية وعمورية
لهم في الدنيا خزي يعني الصغار والذل والقتل والسبي **ولهم في الآخرة عذاب
عظيم** يعني النار وقيل ان الاية نزلت في مشركي مكة واراد بالمساجد المسجد الحرام وذلك
انهم منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ان يصلوا فيه في ابتداء الاسلام
ومنعوهم من حجه والصلاة فيه عام الحديبية واذا منعوا من يعمره بذكر الله تعالى
والصلاة فيه فقد سعوا في خرابه يعني مشركي مكة يقول الله تعالى افتحها عليكم
ايها المسلمون حتى تدخلوها وتكونوا اولى بها منهم ففتحها عليهم وامر النبي صلى الله عليه وسلم
ان ينادى في الموسم لما نزلت سورة براءة الا لا يحج البيت بعد هذا العام مشرك
فكان خوفهم في الشرع ان لا يمكن مشرك من دخول الحرم فان قلت كيف قيل مساجد
الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو اما بيت المقدس او المسجد الحرام
قلت يجوز ان يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن اذى صالحا واحدا
ومن اظلم ممن اذى الصالحين فان قلت اي القولين ارجح قلت رجح الطبري القول
الاول وقال ان النصارى هم الذين سعوا في خراب بيت المقدس بدليل ان مشركي مكة
لم يسعوا في خراب المسجد الحرام وان كانوا قد منعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض
الاوقات من صلاة فيه وايضا ان الاية التي قبلها وبعدها في ذم اهل الكتاب ولم يجر

لمشركي

لمشركي مكة ذكر ولا المسجد الحرام فتعين ان يكون المراد به بيت المقدس ورجح غيره القول
الثاني بدليل ان النصارى يعظمون بيت المقدس اكثر من اليهود فكيف يسعون في خرابه
وهو موضع حجهم وذكر ابن العربي في احكامه ان قولنا لنا وهو انه كل مسجد قال وهو
الصحيح لان اللفظ عام ورد بصيغة الجمع فتخصيصه ببعض المساجد او ببعض الازمنة
محال ٭ قوله عز وجل **ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله** سبب نزول
هذه الاية قال ابن عباس خرج نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قبل
تحويل القبلة الى الكعبة فاصابهم الضباب وحضرت الصلاة فتحروا القبلة وصلوا
فلما ذهب الضباب استبان لهم انهم لم يصيبوا فلما قدموا سالوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه الاية وعن عامر بن ربيعة عن ابيه قال كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سفر في ليلة مظلمة فلم ندر اين القبلة فصلى كل رجل منا على
حياله فلما اصبحنا ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فاينما تولوا
فثم وجه الله اخرجه الترمذي وقال الحديث غريب وقال ابن عمر نزلت في المسافر
يصلي التطوع حيث ما توجهت به راحلته **ق** عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يسبح على ظهر راحلته حيث كان وجهه يومئ وكان ابن عمر يفعله وفي رواية لمسلم كان النبي
صلى الله عليه وسلم يصلي على دابته وهو مقبل من مكة الى المدينة حيث ما توجهت وفيه
نزلت فاينما تولوا فثم وجه الله الاية وقيل نزلت في تحويل القبلة الى الكعبة وذلك
ان اليهود عيرت المؤمنين وقالوا ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا
وتارة يستقبلون هكذا فانزل الله هذه الاية وقيل انها نزلت في تخيير النبي صلى الله
عليه وسلم واصحابه ليصلوا حيث شاؤا من النواحي ثم انها نسخت بقوله تعالى فول
وجهك شطر المسجد الحرام ومعنى الاية ان لله المشرق والمغرب وما بينهما خلقا وملكا
وانما خص المشرق والمغرب اكتفاء عن جميع الجهات لان له كلها وما بينها خلقه وعبيده
وان على جميعهم طاعته فيما امرهم به ونهاهم عنه فما امرهم باستقباله فهو القبلة
فان القبلة ليست قبلة لذاتها بل ان الله تعالى جعلها قبلة وامر بالتوجه اليها فاينما
تولوا فثم وجه الله اي فهناك قبلة الله التي وجهكم اليها وقيل معناه فثم وجه الله
تعالى بعلمه وقدرته والوجه صفة ثابتة لله تعالى لا من حيث الصورة وقيل فثم رضى
الله اي تريدون بالتوجه اليه رضاه **ان الله واسع** من السعة وهو الغني اي يسع
خلقه كلهم بالكفاية والافضال والجود والتدبير وقيل هو واسع المغفرة **عليم**
اي بما عملكم ونياتكم حيث ما تصلوا او تدعوا لا يغيب عنه منها شيء **مسئلة** تتعلق بحكم
الاية وهي ان المسافر اذا كان في مفازة او بلاد الشرك واشتبهت عليه القبلة فانه
يجتهد في طلبها بنوع من الدلائل ويصلي الى الجهة التي ادى اليها اجتهاده ولا اعادة عليه
وان لم يصادف القبلة فان جهة الاجتهاد قبلته وكذا الغريق في البحر اذا بقي على
اللوح فانه يصلي على حسب حاله وتصح صلاته وكذا المشدود على جذع ونحوه بحيث
لا يمكنه الاستقبال ٭ قوله تعالى **وقالوا اتخذ الله ولدا** نزلت في يهود المدينة
حيث قالوا عزير ابن الله وفي نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفي مشركي
العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله **سبحانه** تنزيها له فنزه الله تعالى نفسه
عن اتخاذ الولد وعن قولهم وافترائهم عليه **خ** عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما

مطلب
ما لو اشتبهت على المصلي القبلة
في سفر ونحو

تكذيبه اياي فزعم اني لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه اياي فقوله لي ولد فسبحاني
ان اتخذ صاحبة او ولدا **بل له ما في السموات والارض** يعني عبيدا وملكا فكيف ينسب
اليه الولد وهو خالقهما وقيل ان الولد لا بد ان يكون من جنس الوالد والله تعالى منزه
عن التشبيه والنظير وقيل ان الولد انما يتخذ للحاجة اليه والانتفاع به عند عجز
الوالد وكبره والله تعالى منزه عن ذلك كله فاضافة الولد اليه محال **كل له قانتون**
يعني ان اهل السموات والارض مطيعون لله ومقرون له بالعبودية واصل القنوت لزوم
الطاعة مع الخضوع وقيل اصله القيام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة
طول القنوت فعلى هذا يكون معنى الآية كل له قائمون بالشهادة مقرون له بالوحدانية
وقيل قانتون اي مذللون مسخرون لما خلقوا له واختلف العلماء في حكم الآية فقال بعضهم
هو خاص ثم سلكوا في تخصيصه طريقين احدهما قالوا هو راجع الى عزير والمسيح والملائكة
الثاني قال ابن عباس هو راجع الى اهل طاعته دون سائر الكفار وذهب جماعة الى ان حكم
الآية عام لان لفظة كل تقتضي الشمول والاحاطة ثم سلكوا في الكفار طريقين احدهما
ان ظلالهم تسجد لله وتطيعه الثاني ان هذه الطاعة تكون في يوم القيامة ومن ذهب الى تخصيص
حكم الآية اجاب عن لفظة كل بانها لا تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت
من كل شيء ولم تؤت ملك سليمان فدل على ان لفظة كل لا تقتضي ذلك. قوله تعالى **بديع السموات
والارض** اي خالقها ومنشئها على غير مثال سبق وقيل البديع الذي يبتدع الاشياء اي يحدثها
مما لم تكن **واذا قضى امرا** اي قدره واراد خلقه وقيل اذا احكم امرا وحتمه واتقنه واصل
القضاء الحكم والفراغ والقضاء في اللغة على وجوه كلها ترجع الى انقطاع الشيء وتمامه
والفراغ منه **فانما يقول له كن فيكون** اي اذا احكم امرا وحتمه فانما يقول لذلك كن فيكون
ذلك الامر على ما اراد الله تعالى وجوده فان قلت المعدوم لا يخاطب فكيف قال فانما
يقول له كن فيكون قلت ان الله تعالى عالم بكل ما هو كائن قبل تكوينه واذا كان كذلك
كانت الاشياء التي لم تكن كانها كائنة لعلمه بها فجاز ان يقول لها كوني ويامرها بالخروج من
حال العدم الى حال الوجود وقيل اللام في قوله له لام اجل فيكون المعنى واذا قضى امرا
فانما يقول لاجل تكوينه وارادته كن فيكون فعلى هذا يذهب معنى الخطاب. قوله تعالى
وقال الذين لا يعلمون قال ابن عباس هم اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل هم النصارى وقيل هم مشركو العرب **لولا** اي هلا **يكلمنا الله** اي عيانا
بانك رسوله **او تاتينا آية** اي دلالة وعلامة على صدقك **كذلك قال الذين من قبلهم**
اي كفار الامم الخالية **مثل قولهم** وذلك ان اليهود سألوا موسى ان يريهم الله جهرة وان
يسمعهم كلام الله وسألوا من الآيات ما ليس لهم مسألته فاخبر الله عن الذين كانوا في زمن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم قالوا مثل ما قال من كان قبلهم **تشابهت قلوبهم** يعني ان
المكذبين للرسل تشابهت اقوالهم وافعالهم وقيل تشابهت في الكفر والقسوة والتكذيب
وطلب المحال **قد بينا الآيات** اي الدلالات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **لقوم يوقنون**
يعني ان آيات القرآن وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات الباهرات كافية
لمن كان طالبا لليقين وانما خص اهل الايقان بالذكر لانهم هم اهل التثبت في الامور
ومعرفة الاشياء على يقين. قوله عز وجل **انا ارسلناك بالحق** اي بالصدق وقال ابن عباس
بالقرآن وقيل بالاسلام وقيل معناه انا لم نرسلك عبثا بل ارسلناك بالحق **بشيرا**
اي مبشرا لاوليائي واهل طاعتي بالثواب العظيم **ونذيرا** اي منذرا ومخوفا لاعدائي

واهل

واهل معصيتي بالعذاب الاليم **ولا تسأل** قرئ بفتح التاء اي على النهي قال ابن عباس وذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ليت شعري ما فعل ابواي فنزلت هذه الآية والمعنى
انا ارسلناك لتبليغ ما ارسلت به لا لتسأل عن اصحاب الجحيم وقرئ ولا تسأل بضم التاء
وضم اللام على الخبر وقيل على النفي والمعنى انا ارسلناك بالحق لتبليغ ما ارسلت به فانما
عليك البلاغ ولست مسؤولا عمن كفر **عن اصحاب الجحيم** اي عن اهل الجحيم سميت النار جحيما
لشدة تأججها وقيل الجحيم معظم النار. قوله تعالى **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم** وذلك انهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه
انه ان امهلهم اتبعوه فانزل الله هذه الآية والمعنى انك وان هادنتهم فلا يرضون بها
وانما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك الا باتباع ملتهم وقال ابن عباس هذه في امر
القبلة وذلك ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبي صلى الله عليه وسلم
حين كان يصلي الى بيت المقدس فلما صرف الله القبلة الى الكعبة ايسوا منه ان يوافقهم
على دينهم فانزل الله تعالى ولن ترضى عنك اليهود يعني الا باليهودية ولا النصارى يعني
الا بالنصرانية وهذا شيء لا يتصور اذ لا يجتمع في رجل واحد شيئان في وقت واحد
وهو قوله حتى تتبع ملتهم يعني دينهم وطريقتهم **قل** اي يا محمد **ان هدى الله** يعني دين الله
الذي هو الاسلام **هو الهدى** اي يصح ان يسمى هدى **ولئن اتبعت** يا محمد **اهواءهم** يعني
اهواء اليهود والنصارى فيما يرضيهم عنك وقيل اهواءهم اقوالهم التي هي اهواء وبدع
بعد الذي جاءك من العلم اي البيان بان دين الله هو الاسلام وان القبلة هي قبلة ابراهيم
عليه السلام وهي الكعبة **ما لك من الله من ولي** يعني يلي امرك ويقوم به **ولا نصير** اي ينصرك
من عقابه وقيل في قوله ولئن اتبعت اهواءهم انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
به امته والمعنى اياكم اخاطب ولكم اؤدب وانهى فقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه وسلم
قد جاءكم بالحق والصدق وقد عصمته فلا تتبعوا انتم اهواء الكافرين ولئن اتبعتم اهواءهم
بعد الذي جاءكم من العلم والبيان ما لكم من الله من ولي ولا نصير. قوله عز وجل **الذين آتيناهم
الكتاب** قال ابن عباس نزلت في اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن ابي طالب
وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا
الراهب وقيل هم مؤمنو اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل المؤمنون عامة **يتلونه حق تلاوته** اي
يقرؤونه كما انزل لا يغيرونه ولا يحرفونه ولا يبدلون ما فيه نعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقيل يتبعونه حق اتباعه فيحلون حلاله ويحرمون حرامه ويعملون بمحكمه ويؤمنون
بمتشابهه ويقفون عنده ويكلون علمه الى الله تعالى وقيل معناه تدبروه حق تدبره
وتفكروا في معانيه وحقائقه واسراره **اولئك** يعني الذين يتلونه حق تلاوته **يؤمنون
به** اي يصدقون به فان قلنا ان الآية نزلت في اهل الكتاب فيكون المعنى ان المؤمن
بالتوراة الذي يتلوها حق تلاوتها هو المؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم لان في التوراة
نعته وصفته وان قلنا انها نزلت في المؤمنين عامة فظاهر **ومن يكفر به** اي يجحد
بما فيه من فرائض الله ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم **فاولئك هم الخاسرون** اي
خسروا انفسهم حيث استبدلوا الكفر بالايمان. قوله تعالى **يا بني اسرائيل اذكروا
نعمتي التي انعمت عليكم** اي اياديّ لديكم وصنيعي بكم واستنقاذي اياكم من ايدي عدوكم
في نعم كثيرة انعمت بها عليكم **واني فضلتكم على العالمين** اي واذكروا تفضيلي اياكم على

عالمي زمانكم وفي هذه الآية عظة لليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكررها في أول السورة وههنا للتوكيد وتذكيرا للنعم **واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس**
شيئا وفي هذه الآية ترهيب لهم والمعنى يا معشر بني إسرائيل المبدلين كتابي المحرفين له
خافوا عذاب يوم لا تغني فيه نفس عن نفس شيئا **ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة**
أي ولا يقبل منها فدية ولا يشفع لها شافع وهذا من العام الذي يراد به الخاص لقوله
تعالى ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ومعنى الآية ولا تنفعها شفاعة إذا وجب
عليها العذاب ولم تستحق سواه وقيل إنه رد على اليهود في قولهم إن آباءنا يشفعون لنا
ولا هم ينصرون أي ولا ناصر لهم ينصرهم من الله إذا انتقم منهم. قوله عز وجل **وإذ ابتلى**
إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن إبراهيم اسم أعجمي ومعناه أب رحيم وهو إبراهيم بن
تارخ وهو آزر بن ناحور بن ساروع بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام
ابن نوح عليه السلام وكان مولد إبراهيم بالسوس من أرض الأهواز وقيل ببابل وقيل
بكوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقيل بحران ولكن أباه نقله إلى أرض بابل وهي أرض
نمرود الجبار وإبراهيم عليه السلام يعترف بفضله جميع الطوائف قديما وحديثا
فأما اليهود والنصارى فإنهم مقرون بفضله ويتشرفون بالنسبة إليه وأنهم من أولاده
وأما العرب في الجاهلية فإنهم أيضا يعترفون ويتشرفون على غيرهم به لأنهم من أولاده
ومن ساكني حرمه وخدام بيته ولما جاء الإسلام زاده شرفا وفضلا فحكى الله تعالى عن
إبراهيم أمورا توجب على المشركين واليهود والنصارى قبول قول محمد صلى الله عليه
وسلم والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه لأن ما أوجبه الله على إبراهيم هو من خصائص
دين محمد صلى الله عليه وسلم وفي ذلك حجة على اليهود والنصارى ومشركي العرب
في وجوب الانقياد لمحمد صلى الله عليه وسلم والإيمان به وتصديقه وأصل الابتلاء
الامتحان والاختبار ليعرف حال الإنسان وسمي التكليف بلاء لأنه يشق على الأبدان
وقيل يختبر به حال الإنسان فإذا قيل ابتلي فلان بكذا يتضمن أمرين أحدهما تعرف
حاله والوقوف على ما يجهل من أمره والثاني ظهور جودته ورداءته وابتلاء الله العباد
ليس ليعلم أحوالهم والوقوف على ما يجهل منها لأنه عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية
لها على سبيل التفصيل من الأزل إلى الأبد ولكن ليعلم العباد أحوالهم من ظهور جودة
ورداءة وعلى هذا ينزل قوله تعالى وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات واختلفوا في تلك
الكلمات التي ابتلى الله بهما إبراهيم عليه السلام فقال ابن عباس هي ثلاثون سهما من
شرائع الإسلام لم يبتل بها أحدا فأقامها كلها إلا إبراهيم فكتب له البراءة فقال
وإبراهيم الذي وفى ومعنى هذا الكلام أنه لم يبتل أحد قبل إبراهيم فأما بعده فقد
أتى الأنبياء بجميع ما أمروا به من الدين خصوصا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
فقد أتى بجميع ما أمر به وهي عشرة مذكورة في سورة براءة في قوله التائبون
العابدون الآية وعشر في سورة الأحزاب في قوله إن المسلمين والمسلمات الآية
وعشر في سورة المؤمنون في قوله قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون
الآيات وهي مذكورة أيضا في سورة سأل سائل وعن ابن عباس أيضا قال ابتلاه
الله بعشرة أشياء من الفطرة خمسة في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق
والسواك وفرق شعر الرأس وخمسة في الجسد تقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق
العانة والختان والاستنجاء بالماء **ق** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول الفطرة خمس وفي رواية خمس من الفطرة الختان والاستحداد
وقص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الإبط **م** عن عائشة رضي الله عنها قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة قص الشارب وإعفاء اللحية والسواك
والاستنشاق بالماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الإبط وحلق العانة وانتقاص
الماء قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة وقال وكيع انتقاص الماء يعني
الاستنجاء قال العلماء الفطرة السنة وقيل الملة وقيل الطريقة ومعنى الأشياء
المذكورة في الحديث وأنها من الفطرة فقيل كانت على إبراهيم عليه السلام فرضا وهي لنا
سنة واتفقت علماء الأمة على أنها من الملة وأما معانيها فقد قيل قص الشارب
وإعفاء اللحية مخالفة للأعاجم فإنهم كانوا يقصون لحاهم ويوفرون شواربهم
أو يوفرونهما معا وذلك عكس الجمال والنظافة وأما السواك والمضمضة والاستنشاق
فلتنظيف الفم والأنف من الطعام والبلغم والوسخ وأما قص الأظفار فللجمال
والزينة فإنها إذا طالت قبح منظرها واحتوى الوسخ فيها وأما غسل البراجم وهي العقد
التي في ظهور الأصابع فإنها يجتمع فيها الوسخ ويتغير المنظر وأما حلق العانة ونتف
الإبط فللتنظيف عما يجتمع فيهما من الوسخ في الشعر وأما الاستنجاء فلتنظيف ذلك المحل
عن الأذى وأما الختان فلتنظيف القلفة عما يجتمع فيها من البول واختلف العلماء في
وجوبه فذهب الشافعي إلى أن الختان واجب لأنه تكشف له العورة ولا يباح ذلك إلا في
الواجب وذهب غيره إلى أنه سنة وأول من اختتن إبراهيم عليه السلام ولم يختتن أحد
قبله **ق** عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن إبراهيم بالقدوم
يروى القدوم بالتخفيف والتشديد فمن خفف ذهب إلى أنه اسم للآلة التي يقطع بها
ومن شدده قال هو اسم موضع **عن** يحيى بن سعيد أنه سمع سعيد بن المسيب يقول كان
إبراهيم خليل الرحمن أول الناس ضيف الضيف وأول الناس قص شاربه وأول الناس
رأى الشيب فقال يا رب ما هذا قال الرب تبارك وتعالى وقار يا إبراهيم قال رب
زدني وقارا أخرجه مالك في الموطأ وقيل في الكلمات إنها مناسك الحج وقيل ابتلاه الله تعالى
بسبعة أشياء بالكوكب والقمر والشمس فأحسن النظر فيهن وبالنار والهجرة وذبح ولده
والختان فصبر عليها وقيل إن الله اختبر إبراهيم بكلمات أوحاها إليه وأمره أن يعمل
بهن فأتمهن أي أداهن حق التأدية وقام بموجبهن حق القيام وعمل بهن من غير تفريط وتوان
ولم ينقص منهن شيئا واختلفوا هل كان هذا الابتلاء قبل النبوة أو بعدها فقيل كان قبل
النبوة بدليل قوله في سياق الآية إني جاعلك للناس إماما والسبب يتقدم المسبب وقيل
بل كان هذا الابتلاء بعد النبوة لأن التكليف لا يعلم إلا من جهة الوحي الإلهي وذلك بعد
النبوة والصواب أنه إن فسر الابتلاء بالكوكب والقمر والشمس كان ذلك قبل النبوة وإن
فسر بما وجب عليه من شرائع الدين كان ذلك بعد النبوة وقوله تعالى **قال إني جاعلك**
للناس إماما أي يقتدى بك في الخير ويأتمون بسنتك وهديك والإمام هو الذي يؤتم به
قال ومن ذريتي أي قال إبراهيم واجعل من ذريتي وأولادي أئمة يقتدى بهم **قال** الله **لا ينال**
أي لا يصيب **عهدي** أي نبوتي وقيل الإمامة **الظالمين** يعني من ذريتك والمعنى لا ينال
ما عهدت إليك من النبوة من كان ظالما من ذريتك وولدك. قوله تعالى **وإذ جعلنا البيت**
يعني البيت الحرام وهو الكعبة ويدخل فيه الحرم فإنه تعالى وصفه بكونه أمنا وهذا صفة
جميع الحرم **مثابة للناس** أي مرجعا من ثاب يثوب إذا رجع والمعنى يثوبون إليه من كل جانب

بحجته واَمنا اي موضعا ذا امن يامنون فيه من اذى المشركين فانهم كانوا لا يتعرضون لاهل مكة
ويقولون هم اهل الله وقال ابن عباس ملاذا وملجأ ف عن ابن عباس رضي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم فتح مكة ان هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم
القيامة وانه لم يحل القتال فيه لاحد قبلي ولم يحل لي الا ساعة من نهار فهو حرام بحرمة الله
الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى
خلاؤه فقال العباس يا رسول الله الا الاذخر فانه لقينهم وبيوتهم فقال الا الاذخر
معنى الحديث انه لا يحل لاحد ان ينصب القتال والحرب في الحرم وانما احل ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فقط ولا يحل لاحد بعده وقوله ولا يعضد شوكه اي لا يقطع
شوك الحرم واراد به ما لا يؤذي فاما المؤذي منه كالعوسج فلا باس بقطعه قوله ولا ينفر
صيده اي لا يتعرض له بالاصطياد ولا يهاج قوله ولا يلتقط لقطتها الا من عرفها اي ينشدها
والنشيد رفع الصوت بالتعريف واللقطة في جميع الارض لا تحل الا لمن عرفها حولا
فان جاء صاحبها اخذها والا انتفع بها الملتقط بشرط الضمان وحكم مكة في اللقطة
ان يعرفها على الدوام بخلاف غيرها من البلاد فانه محدود بسنة قوله ولا يختلى خلاه الخلا
مقصورا الرطب من النبات الذي يرعى وقيل هو اليابس من الحشيش وخلاؤه قطعه قوله
لقينهم القين الحداد. قوله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى قيل الحرم كله مقام ابراهيم
وقيل اراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة والمزدلفة والرمي وساير المشاهد
والصحيح ان مقام ابراهيم هو الحجر الذي يصلي عنده الايمة وذلك الحجر هو الذي قام عليه
ابراهيم عند بنا البيت وقيل كان اثر اصابع رجلي ابراهيم عليه السلام فيه فاندرس من كثرة
المسح بالايدي وقيل انما امروا بالصلاة عنده ولم يؤمروا بمسحه وتقبيله ف عن انس
ابن مالك قال قال عمر وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم
مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى الحديث **وكان بدو قصة المقام**
على ما رواه البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال اول ما اتخذت النسا المنطق من قبل
ام اسماعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابراهيم وبابنها اسماعيل
وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة
يومئذ احد وليس بها ما فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقا فيه ما
ثم قفى ابراهيم منطلقا فتبعته ام اسماعيل فقالت يا ابراهيم اين تذهب وتتركنا
بهذا الوادي الذي ليس فيه انيس ولا شي فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت اليها
فقالت له آلله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابراهيم
حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهولاء الدعوات ورفع
يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت
ام اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الما حتى اذا نفد ما في السقا عطشت
وعطش ابنها وجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه
فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل
ترى احدا فلم تر احدا فهبطت من الصفا حتى بلغت الوادي رفعت طرف درعها وسعت
سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى
احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي الناس بينهما
فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت ايضا

مطلب
انبان ابراهيم باسماعيل وامه
الى الحرم وعلى سبب السعي بين الصفا
والمروة وبنا الكعبة شرفها الله

فقالت

فقالت لقد اسمعت ان كان عندك غوث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه
او قال بجناحه حتى ظهر الما فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الما
في سقايها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله
ام اسماعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الما لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت
وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيتا لله يبنيه هذا الغلام
وابوه وان الله لا يضيع اهله وكان البيت مرتفعا من الارض كالرابية تاتيه السيول
فتاخذ عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من
جرهم مقبلين من طريق كدى فنزلوا في اسفل مكة فراوا طايرا عايفا فقالوا ان هذا
الطاير ليدور على ما لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ما فارسلوا جريا او جريين فاذا
هم بالما فرجعوا فاخبروهم فاقبلوا وام اسماعيل عند الما فقالوا اتاذنين لنا
ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الما قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى
الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسماعيل وهي تحب الانس فارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم
حتى اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم
حين شب فلما ادرك زوجوه امراة منهم وماتت ام اسماعيل فجا ابراهيم بعد ما تزوج
اسماعيل يطالع تركته فلم يجد اسماعيل فسال امراته عنه فقالت خرج يبتغي لنا وفي
رواية ذهب يصيد لنا ثم سالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بشر نحن في ضيق وشدة
وشكت اليه قال اذا جا زوجك اقري عليه السلام وقولي له يغير عتبة بابه فلما جاء
اسماعيل كانه آنس شيا فقال هل جاكم من احد قالت نعم جانا شيخ كذا وكذا فسالنا
عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته انا في جهد وشدة قال فهل اوصاك بشي
قالت نعم امرني ان اقرا عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذلك ابي امرني
ان افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث عنهم ابراهيم ما شا الله ان يلبث
ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امراته فسالها عنه فقالت خرج يبتغي لنا قال كيف انتم
وسالها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله تعالى فقال فما
طعامكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الما قال اللهم بارك لهم في اللحم والما قال
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم حب دعا لهم فيه قال فهما
لا يخلو عليهما احد بغير مكة الا لم يوافقاه وفي رواية فجا فقال اين اسماعيل فقالت
امراته ذهب يصيد فقالت امراته الا تنزل فتطعم وتشرب قال وما طعامكم
وما شرابكم قالت طعامنا اللحم وشرابنا الما قال اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم
قال فقال ابو القاسم بركة دعوة ابراهيم قال فاذا جا زوجك فاقري عليه السلام
ومريه يثبت عتبة بابه فلما جا اسماعيل قال هل اتاكم من احد قالت نعم اتانا شيخ
حسن الهيئة واثنت عليه فسالني عنك فاخبرته فسالني كيف عيشنا فاخبرته انا
بخير قال فاوصاك بشي قالت نعم يقرا عليك السلام ويامرك ان تثبت عتبة بابك
قال ذاك ابي وانت العتبة امرني ان امسكك ثم لبث عنهم ما شا الله ثم جا بعد ذلك
واسماعيل يبري نبلا له تحت دوحة قريبا من زمزم فلما راه قام اليه فصنعا كما
يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسماعيل ان الله امرني بامر قال
فاصنع ما امرك به ربك قال وتعينني قال واعينك قال فان الله امرني ان ابني بيتا ههنا
واشار الى اكمة مرتفعة على ما حولها فعند ذلك رفع القواعد من البيت فجعل

اسماعيل يأتي بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء ابراهيم بهذا الحجر فوضعه
له فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت
السميع العليم وفي رواية حتى اذا ارتفع البناء وضعف الشيخ عن نقل الحجارة فقام
على حجر المقام فجعل يناوله الحجارة ويقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وقيل
ان امرأة اسماعيل قالت لابراهيم انزل اغسل راسك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته
عن شقه الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق راسه الايمن ثم حولته الى شقه الايسر
فغسلت شق راسه الايسر فبقي اثر قدميه عليه **عن** عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت
الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذي
وقال هذا يروى عن ابن عمر موقوفا واختلفوا في قوله مصلى فمن فسر المقام بمشاهد الحج
ومشاعره قال مصلى مدعى من الصلاة التي هي الدعاء ومن فسر المقام بالحجر قال معناه واتخذوا
من مقام ابراهيم قبلة امروا بالصلاة عنده وهذا القول هو الصحيح لان لفظ الصلاة
اذا اطلق لا يعقل منه الا الصلاة المعهودة ذات الركوع والسجود ولان مصلى الرجل هو
الموضع الذي يصلي فيه **وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل** اي امرناهما والزمناهما واوجبنا
عليهما قيل انما سمي اسماعيل لان ابراهيم كان يدعو الله ان يرزقه ولدا ويقول في دعائه
اسمع يا ايل وايل بلسان السريانية هو الله فلما رزق الولد سماه به **ان طهرا بيتي** يعني
الكعبة اضافه اليه تشريفا وتفضيلا وتخصيصا اي ابنياه على الطهارة والتوحيد
وقيل طهراه من سائر الاقذار والانجاس وقيل طهراه من الشرك والاوثان وقول
الزور **للطائفين** يعني الدائرين حوله **والعاكفين** يعني المقيمين به المجاورين له **والركع
السجود** جمع راكع وساجد وهم المصلون وقيل الطائفين يعني الغرباء الواردين
الى مكة والعاكفين يعني اهل مكة المقيمين بها قيل ان الطواف للغرباء افضل والصلاة
لاهل مكة افضل. قوله تعالى **واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا** اشارة الى مكة وقيل
الى الحرم **بلدا آمنا** اي ذا امن يأمن فيه اهله وانما دعا ابراهيم لمكة بالامن لانه بلد ليس
فيه زرع ولا ثمر فاذا لم يكن آمنا لم يجلب اليه شيء من النواحي فيتعذر المقام به فاجاب
الله تعالى دعاء ابراهيم وجعله بلدا آمنا فما قصده جبار الا قصمه الله تعالى كما فعل
باصحاب الفيل وغيرهم من الجبابرة فان قلت قد غزا مكة الحجاج واخرب الكعبة قلت
لم يكن قصده بذلك مكة ولا اهلها ولا اخراب الكعبة وانما كان قصده خلع ابن الزبير
من الخلافة ولم يتمكن من ذلك الا بذلك فلما حصل قصده اعاد بناء الكعبة فبناها وشيدها
وحرم حرمتها واحسن الى اهلها واختلفوا اهل كانت مكة محرمة قبل دعوة ابراهيم
عليه السلام او حرمت بدعوته على قولين احدهما انها كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم
عليه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض وقول
ابراهيم عليه السلام اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم فهذا يقتضي
ان مكة كانت محرمة قبل دعوة ابراهيم والقول الثاني انها حرمت بدعوة ابراهيم
بدليل قوله عليه السلام ان ابراهيم حرم مكة واني حرمت المدينة وهذا يقتضي ان
مكة كانت حلالا قبل دعوة ابراهيم كغيرها من البلاد وانما حرمت بدعوة ابراهيم ووجه
الجمع بين القولين وهو الصواب ان الله تعالى حرم مكة يوم خلقها كما اخبر النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض ولكن لم يظهر ذلك

التحريم على لسان احد من انبيائه ورسله وانما كان تعالى يمنعها ممن ارادها بسوء ويدفع
عنها وعن اهلها الآفات والعقوبات فلم يزل ذلك من امرها حتى بوأها الله تعالى ابراهيم
واسكنها اهله فحينئذ سأل ابراهيم ربه عز وجل ان يظهر تحريم مكة لعباده
على لسانه فاجاب الله دعوته والزم عباده تحريم مكة فصارت مكة حراما بدعوة
ابراهيم وفرض على الخلق تحريمها والامتناع من استحلالها او استحلال صيدها او شجرها
فهذا وجه الجمع بين القولين وهو الصواب والله اعلم **وارزق اهله من الثمرات**
انما سأل ابراهيم ذلك لان مكة لم يكن بها زرع ولا ثمر فاستجاب الله تعالى له وجعل
مكة حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء **من آمن منهم بالله واليوم الآخر** يعني ارزق
المؤمنين من اهله خاصة وسبب هذا التخصيص ان ابراهيم عليه السلام لما سأل ربه
عز وجل ان يجعل النبوة والامامة في ذريته فاجابه الله بقوله لا ينال عهدي
الظالمين فصار ذلك تأديبا له في المسألة فلا جرم خص هاهنا بدعائه المؤمنين
دون الكافرين ثم اعلمه ان الرزق في الدنيا يستوي فيه المؤمن والكافر بقوله
قال ومن كفر فامتعه اي سأرزق الكافر ايضا **قليلا** اي في الدنيا الى منتهى اجله
وذلك قليل لانه ينقطع **ثم اضطره الى عذاب النار** اي من الجنة واكرمه وادفعه
الى عذاب النار والمضطر هو الذي لا يملك لنفسه الامتناع مما اضطر اليه **وبئس
المصير** اي وبئس المكان الذي يصير اليه الكافر هو العذاب. قوله عز وجل **واذ
يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل** وكانت قصة بناء الكعبة على ما ذكره
العلماء واصحاب السير ان الله خلق موضع البيت قبل ان يخلق الارض بالفي عام
فكانت زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الارض من تحتها فلما اهبط الله تعالى آدم
الى الارض استوحش فشكا الى الله تعالى فانزل الله عز وجل البيت المعمور وهو ياقوتة
من يواقيت الجنة له بابان من زمرد اخضر باب شرقي وباب غربي فوضعه على موضع
البيت وقال يا آدم اني اهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده
كما يصلى عند عرشي وانزل عليه الحجر الاسود وكان ابيض فاسود من لمس الحيض في الجاهلية
فتوجه آدم من الهند ماشيا الى مكة وارسل الله اليه ملكا يدله على
البيت فحج آدم البيت واقام المناسك فلما فرغ تلقته الملائكة وقالوا بر حجك يا آدم
لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام قال ابن عباس حج آدم اربعين حجة من الهند
الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ايام الطوفان فرفعه الله الى السماء الرابعة وهو
البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون اليه وبعث الله جبريل حتى
خبأ الحجر الاسود في جبل ابي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا
الى زمن ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى امر ابراهيم بعدما ولد له اسماعيل واسحاق
ببناء بيت يذكر فيه ويعبد فسأل الله ان يبين له موضعه فبعث الله له السكينة لتدله
على موضع البيت وهي ريح خجوج لها راسان تشبه الحية والخجوج من الرياح هي الشديدة
السريعة الهبوب وقيل هي الملتوية في هبوبها وامر ابراهيم ان يبني حيث تستقر السكينة
فتبعها ابراهيم حتى اتت موضع البيت فتطوقت عليه كتطويق الحجفة وقال ابن عباس
بعث الله تعالى سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير وابراهيم يمشي في ظلها الى ان
وقفت على موضع البيت ونودي منها يا ابراهيم ابن على قدر ظلها لا تزد ولا تنقص
وقيل ان الريح كنست له ما حول الكعبة حتى ظهر له اساس البيت الاول فذلك قوله

تعالى وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت فبنى وإسماعيل البيت فكان إبراهيم يبنيه وإسماعيل
يناوله الحجارة فذلك قوله تعالى وإذ يرفع إبراهيم القواعد جمع قاعدة وهي أس البيت
وقيل جدره من البيت قال ابن عباس بنى إبراهيم من خمسة أجبل من طور سينا وطور
زيتا وجبل لبنان من الشام والجودي جبل بالجزيرة وبنى قواعده من حراء جبل بمكة فلما انتهى
إبراهيم إلى موضع الحجر الأسود قال لإسماعيل ائتني بحجر أسود يكون للناس علما فأتاه
بحجر فقال ائتني بأحسن منه فمضى إسماعيل ليطلب حجرا أحسن فصاح أبو قبيس يا إبراهيم
إن لك عندي وديعة فخذها فقذف بالحجر الأسود فأخذه إبراهيم فوضعه مكانه
وقيل إن الله تعالى أمر إبراهيم وإسماعيل ببنيانه إملاك يعينونهما في بناء البيت
فلما فرغا من بنائه قالا ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وفي الآية إضمار تقديره
قائلين ربنا تقبل منا أي ما عملنا لك وتقبل طاعتنا إياك وعبادتنا لك إنك أنت
السميع أي لدعائنا العليم يعني بنياتنا • قوله تعالى ربنا واجعلنا مسلمين لك يعني
موحدين مخلصين مطيعين خاضعين لك فإن قلت الإسلام إما أن يكون المراد منه
الدين والاعتقاد أو الاستسلام والانقياد وقد كانا كذلك حالة هذا الدعاء
فما فائدة هذا الطلب قلت فيه وجهان أحدهما أن الإسلام عرض قائم بالقلب
وقد لا يبقى فقوله واجعلنا مسلمين لك يعني في المستقبل وذلك لا ينافي حصوله في الحال
الوجه الثاني يحتمل أن يكون المراد منه طلب الزيادة في الإيمان فكأنهما طلبا زيادة
اليقين والتصديق وذلك لا ينافي حصوله في الحال ومن ذريتنا أي ومن أولادنا أمة
أي جماعة مسلمة أي خاضعة منقادة لك وإنما أدخل من التي هي للتبعيض لأن الله
تعالى أعلمهما بقوله لا ينال عهدي الظالمين أن في ذريتهما الظالم فلهذا خص بعض
الذرية بالدعاء فإن قلت لم خصا ذريتهما بالدعاء قلت لأنهم أحق بالشفقة
والنصيحة قال الله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا ولأن أولاد الأنبياء إذا صلحوا
صلح بهم غيرهم ألا ترى أن المتقدمين من العلماء والكبراء إذا كانوا على السداد كيف
يتسببون لسداد من وراءهم وقيل أراد بالأمة أمة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل
قوله وابعث فيهم رسولا منهم وأرنا أي علمنا مناسكنا أي شرائع ديننا وأعلام حجنا
وقيل مناسكنا مذابحنا والنسك الذبيحة وقيل متعبداتنا وأصل النسك والناسك
العابد فأجاب الله دعاءهما وبعث جبريل فأراهما المناسك في يوم عرفة فلما بلغ عرفات
قال عرفت قال إبراهيم نعم فسمي ذلك الوقت عرفة والموضع عرفات وتب علينا أي تجاوز
عنا إنك أنت التواب أي المتجاوز عن عباده الرحيم بهم واحتج بقوله وتب علينا من
جوز الذنوب على الأنبياء ووجهه أن التوبة لا تطلب إلا بعد تقدم الذنب فلولا تقدم
الذنب لم يكن لطلب التوبة وجه وأجيب عنه بأن العبد وإن كان في طاعة ربه عز وجل
فإنه لا ينفك عن تقصير في بعض الأوقات إما على سبيل السهو أو ترك الأولى والأفضل
فكان هذا الدعاء لأجل ذلك وقيل يحتمل أن الله تعالى أعلم إبراهيم أن في ذريته من هو ظالم
فلا جرم سأل ربه التوبة لأولئك الظلمة والمعنى وتب على الظلمة من أولادنا حتى يرجعوا
إلى طاعتك فيكون ظاهر الكلام الدعاء لأنفسهما والمراد به ذريتهما وقيل يحتمل أنهما لما رفعا
قواعد البيت وكان ذلك المكان أحرى الأماكن بالإجابة فدعوا الله تعالى بذلك الدعاء ليجعلا
ذلك سنة وليقتدي من بعدهما بهما في ذلك الدعاء لأن ذلك المكان هو موضع التنصل من
الذنوب وسؤال التوبة والمغفرة من الله تعالى • قوله عز وجل ربنا وابعث فيهم رسولا

منهم يعني وابعث في الأمة المسلمة أو الذرية وهم العرب من ولد إسماعيل بن إبراهيم
عليهما السلام وقوله رسولا منهم يعني ليدعوهم إلى الإسلام ويكمل الدين والشرع وإذا
كان الرسول منهم يعرفون نسبه ومولده ومنشأه كان أقرب لقبول قوله ويكون أشفق
عليهم من غيره وأجمع المفسرون على أن المراد بقوله رسولا منهم محمد صلى الله عليه وسلم
لأن إبراهيم عليه السلام إنما دعا لذريته وهو بمكة ولم يبعث من ذريته بمكة غير محمد
صلى الله عليه وسلم فدل على أن المراد به محمد صلى الله عليه وسلم وروى البغوي بإسناده
عن عرباض بن سارية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني عند الله مكتوب خاتم
النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأخبركم بأول أمري أنا دعوة إبراهيم وبشارة
عيسى ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور ساطع أضاءت لها منه قصور
الشام قوله لمنجدل في طينته معناه أنه مطروح على وجه الأرض صورة من طين
لم تجر فيه الروح وأراد بدعوة إبراهيم قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم فاستجاب
الله دعاء إبراهيم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان وأنقذهم به من الكفر
والظلم وأراد ببشارة عيسى عليه السلام قوله في سورة الصف ومبشرا برسول
يأتي من بعدي اسمه أحمد يتلو عليهم أي يقرأ عليهم آياتك يعني ما يوحى إليه وهو
القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم لأن الذي كان يتلو عليهم هو القرآن
فوجب حمله عليه ويعلمهم الكتاب يعني معاني الكتاب وحقائقه لأن المقصود الأعظم
تعليم ما في القرآن من دلائل التوحيد والنبوة والأحكام الشرعية فلما ذكر الله
تعالى أولا أمر التلاوة وهي حفظ القرآن ودراسته ليبقى مصونا عن التحريف والتبديل
ذكر بعده تعليم حقائقه وأسراره والحكمة أي ويعلمهم الحكمة وهي الإصابة في القول
والعمل ووضع كل شيء موضعه وقيل الحكمة معرفة الأشياء بحقائقها واختلف
المفسرون في المراد بالحكمة ههنا فروى ابن وهب قال قلت لمالك ما الحكمة قال
المعرفة بالدين والفقه فيه والاتباع له وقال قتادة الحكمة هي السنة وذلك
لأن الله تعالى ذكر تلاوة الكتاب وتعليمه ثم عطف عليه بالحكمة فوجب أن يكون المراد
بها شيئا آخر وليس ذلك إلا السنة وقيل الحكمة هي العلم بأحكام الله التي لا يدرك
علمها إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم والمعرفة بها منه وقيل الحكمة هي الفصل
بين الحق والباطل وقيل هي معرفة الأحكام والقضاء وقيل هي فهم القرآن والمعنى
ويعلمهم ما في القرآن من الأحكام والحكمة وهي ما فيه من المصالح الدينية والأحكام الشرعية
وقيل كل كلمة وعظتك أو دعتك إلى مكرمة أو نهتك عن قبيح فهي حكمة ويزكيهم أي يطهرهم
من الشرك وعبادة الأوثان وسائر الأرجاس والرذائل والنقائص وقيل يزكيهم
من التزكية أي يشهد لهم يوم القيامة بالعدالة إذا شهدوا للأنبياء بالبلاغ
ثم ختم إبراهيم الدعاء بالثناء على الله تعالى فقال إنك أنت العزيز قال ابن عباس
الذي لا يوجد مثله وقيل هو الذي يقهر ولا يقهر وقيل هو المنيع الذي لا تناله
الأيدي وقيل العزيز القوي والعزة القوة من قولهم أرض عزاز أي صلبة قوية
الحكيم أي العالم الذي لا يخفى عليه خافية وقيل هو العالم بالأشياء وإيجادها على
غاية الإحكام • قوله تعالى ومن يرغب عن ملة إبراهيم سبب نزول هذه الآية أن
عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه إلى الإسلام مهاجرا وسلمة وقال لهما قد علمتما أن الله
تعالى قال في التوراة إني باعث من ولد إسماعيل نبيا اسمه أحمد فمن آمن به فقد اهتدى

ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فانزل الله ومن يرغب عن
ملة ابراهيم اى يترك دينه وشريعته وفيه تعريض باليهود والنصارى ومشركي
العرب لان اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب الى ابراهيم وانه الوصلة اليه لانهم
من بنى اسرائيل وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم والعرب يفتخرون به لانهم من ولد اسماعيل
ابن ابراهيم واذا كان كذلك فان ابراهيم هو الذى طلب بعثة هذا الرسول فى اخر الزمان
فمن رغب عن الايمان بهذا الرسول الذى هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابراهيم
ومعنى يرغب عن ملة ابراهيم اى يترك دينه وشريعته يقال رغب فى الشيء اذا
اراده ورغب عنه اذا تركه الا من سفه نفسه قال ابن عباس خسر نفسه وقيل
اهلك نفسه وقيل امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة وقيل الجهل وضعف
الراى فكل سفيه جاهل لان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعرف بان الله
خالقها وقد جاء من عرف نفسه فقد عرف ربه ومعناه ان يعرف نفسه بالذلة
والضعف والعجز والفنا ويعرف ربه بالعزة والقدرة والقوة والبقا ويدل
على هذا ان الله تعالى اوحى الى داود اعرف نفسك واعرفنى قال يا رب كيف اعرف
نفسى وكيف اعرفك قال اعرف نفسك بالضعف والعجز والفنا واعرفنى بالقوة
والقدرة والبقا ولقد اصطفيناه فى الدنيا اى اخترناه وانه فى الاخرة
لمن الصالحين يعنى الفائزين وقيل مع الانبيا فى الجنة اذ قال له ربه اسلم اى استقم
على الاسلام واثبت عليه لانه كان مسلما لان الانبيا انما نشاوا على الاسلام والتوحيد
قال ابن عباس قال له ذلك حين خرج من السرب وذلك عند استدلاله بالكوكب والقمر
والشمس واطلاعه على امارات الحدوث فيها وافتقارها الى محدث مدبر فلما عرف ذلك
قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين اى قال ابراهيم خضعت بالطاعة واخلصت
العبادة لمالك الخلايق ومدبرها ومحدثها وقيل معنى اسلم اخلص دينك وعبادتك لله
واجعلها سليمة وقيل الايمان من صفات القلب والاسلام من صفة الجوارح وان ابراهيم
كان مومنا بقلبه عارفا بالله فامره ان يعمل بجوارحه وقيل معناه اسلم نفسك الى الله
تعالى وفوض امرك اليه قال اسلمت اى فوضت امرى لرب العالمين قال ابن عباس وقد
حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملائكة حين القى فى النار ۞ قوله عز وجل ووصى بها ابراهيم
بنيه يعنى بكلمة الاخلاص وهى لا اله الا الله وقيل بالسنة الحنيفية وكان لابراهيم
ثمانية اولاد اسماعيل وامه هاجر القبطية واسحاق وامه سارة ومدين ومداين
ونفشان وزمران وبشق وسوح وامهم قطورا بنت يقطن الكنعانية تزوجها ابراهيم
حين وفاة سارة فان قلت لم قال ووصى بها ابراهيم بنيه ولم يقل امرهم قلت
لان لفظة الوصية اوكد من لفظة الامر لان الوصية انما تكون عند الخوف من الموت
وفى ذلك الوقت يكون احتياط الانسان لولده اشد واعظم وكانوا هم الى قبول
وصيته اقرب وانما خص بنيه بهذه الوصية لان شفقة الرجل على بنيه اكثر من شفقته
على غيرهم وقيل لانهم كانوا ايمة يقتدى بهم فكان صلاحهم صلاحا لغيرهم ويعقوب اى
ووصى يعقوب بمثل ما وصى به ابراهيم وسمى يعقوب لانه والعيص كانا توأمين فى بطن
واحد فتقدم العيص فى وقت الولادة فى الخروج من بطن امه وخرج يعقوب على اثره
اخذا بعقبه قاله ابن عباس وقيل سمى يعقوب لكثرة عقبه وكان له من الولد اثنا عشر
وهم روبيل وشمعون ولاوى ويهوذا وزبالون ويشجر ودان ونفتالى وجاد واشر ويوسف

وبنيامين ثم خاطب يعقوب بنيه بقوله يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين اى اختار لكم دين
الاسلام فلا تموتن الا وانتم مسلمون اى مومنون مخلصون والمعنى دوموا على الاسلام حتى
ياتيكم الموت وانتم مسلمون لانه لا يعلم فى اى وقت ياتى الموت على الانسان وقيل فى معنى
وانتم مسلمون اى محسنون الظن بالله عز وجل يدل عليه ما روى عن جابر قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن
بربه اخرجاه فى الصحيحين ۞ قوله تعالى ام كنتم شهداء جمع شهيد وهو بمعنى الحاضر
اى ما كنتم حاضرين اذ حضر يعقوب الموت اى حين احتضر وقرب من الموت نزلت فى اليهود
وذلك انهم قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ان يعقوب يوم مات اوصى بنيه باليهودية
فانزل الله هذه الاية تكذيبا لهم والمعنى ان كنتم يا معشر اليهود شهود يعقوب اذ حضره
الموت اى انكم لم تحضروا ذلك فلا تدعوا على انبيائى ورسلى الاباطيل وتنسبوهم الى
اليهودية فانى ما ابتعثت خليلى ابراهيم وولده واولادهم الا بدين الاسلام وبذلك
وصوا اولادهم وبه عهدوا اليهم ثم بين ما قال يعقوب لبنيه فقال تعالى اذ قال
يعنى يعقوب لبنيه يعنى الاولاد الاثنى عشر ما تعبدون من بعدى اى اى شيء تعبدون
من بعدى وقيل ان الله تعالى لم يقبض نبيا حتى يخيره بين الحياة والموت فلما خير يعقوب
وكان قد راى اهل مصر يعبدون الاوثان والنيران فقال انظرونى حتى اسال ولدى
واوصيهم فاجمعهم ولده وولد ولده وقال لهم ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد
الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق انما قدم اسماعيل لانه اكبر من اسحاق
وادخله فى جملة الاباء وان كان عما لان العرب تسمى العم ابا والخالة اما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عم الرجل صنو ابيه وقال فى عمه العباس ردوا على ابى الها واحدا
ونحن له مسلمون اى مخلصون العبودية تلك امة اشارة الى الامة المذكورة يعنى ابراهيم
واسماعيل واسحاق ويعقوب وولدهم قد خلت اى مضت لسبيلها والمعنى يا معشر اليهود
والنصارى دعوا ذكر ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والمسلمين من اولادهم
ولا تنحلوا عليهم ما ليس فيهم لها ما كسبت يعنى من العمل ولكم يعنى يا معشر اليهود والنصارى
ما كسبتم اى من العمل ولا تسالون عما كانوا يعملون يعنى كل فريق يسال عن عمله لا عن عمل غيره
قوله عز وجل وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قال ابن عباس نزلت فى رؤسا
اليهود كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وابى ياسر بن اخطب وفى
نصارى نجران السيد والعاقب واصحابهما وذلك انهم خاصموا المومنين فى الدين فكل
فريق منهم يزعم انه احق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى افضل الانبيا وكتابنا
التوراة افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد والقران
وقالت النصارى كذلك وقال كل واحد من الفريقين للمومنين كونوا على ديننا فلا دين الا
ذلك فانزل الله عز وجل قل يعنى يا محمد بل ملة ابراهيم يعنى اذا كان لا بد من الاتباع فنتبع
ملة ابراهيم لانه مجمع على فضله حنيفا اصله من الحنف وهو ميل واعوجاج يكون فى
القدم قال ابن عباس الحنيف هو المائل عن الاديان كلها الى دين الاسلام قال الشاعر

ولكنا خلقنا اذ خلقنا ۞ حنيفا ديننا عن كل دين ۞

والعرب تسمى كل من حج او اختتن حنيفا تنبيها على انه على دين ابراهيم وقيل الحنيفية
الختان واقامة المناسك مثلها يعنى ان الحنيفية هى دين الاسلام وهو دين ابراهيم
عليه السلام وما كان من المشركين يعنى ابراهيم وفيه تعريض باليهود والنصارى وغيرهم

من يدعي اتباع ملة ابراهيم وهو على الشرك ثم علم المؤمنين طريق الايمان فقال تعالى **قولوا**
امنا بالله يعني قولوا ايها المؤمنون لهؤلاء اليهود والنصارى الذين قالوا لكم كونوا هودا او نصارى
تهتدوا امنا بالله اي صدقنا بالله **وما انزل الينا** يعني القران **وما انزل الى ابراهيم**
اي وامنا بما انزل الى ابراهيم وهي عشر صحايف **واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط**
وهم اولاد يعقوب الاثنا عشر واحدهم سبط وكانوا انبيا وقيل السبط هو ولد الولد
وهو الحافد ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط
في بني اسرايل كالقبايل في العرب من بني اسمعيل وكان في الاسباط انبيا **وما اوتي موسى**
يعني التوراة **وعيسى** يعني الانجيل **وما اوتي النبيون من ربهم** والمعنى امنا ايضا بالتوراة
والانجيل والكتب التي اوتي جميع النبيين وصدقنا ان ذلك كله حق وهدى ونور وان
الجميع من عند الله وان جميع من ذكر الله من انبيايه كانوا على هدى وحق **لا نفرق بين**
احد منهم اي لا نؤمن ببعض الانبيا ونكفر ببعض كما تبرات اليهود من عيسى ومحمد صلى الله وسلم
عليهما واقرت ببعض الانبيا وكما تبرات النصارى من محمد صلى الله عليه وسلم واقرت
ببعض الانبيا بل نؤمن بكل الانبيا وان جميعهم كانوا على حق وهدى **ونحن له مسلمون**
اي ونحن لله تعالى خاضعون بالطاعة مذعنون له بالعبودية خ عن ابي هريرة قال
كان اهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا
بالله وما انزل الينا الاية ٠ قوله تعالى **فان امنوا** يعني اليهود والنصارى **بمثل ما امنتم**
به اي بما امنتم به ومثل صلة فهو كقوله ليس كمثله شي اي ليس مثله شي وقيل فان اتوا
بايمان كايمانكم وتوحيد كتوحيدكم فقد اهتدوا والمعنى ان حصلوا دينا اخر مثل دينكم
في الصحة والسداد فقد اهتدوا ولكن لما استحال ان يوجد دين اخر يساوي هذا الدين
في الصحة والسداد استحال الاهتدا بغيره لان هذا الدين مبناه على التوحيد والاقرار
بكل الانبيا وما انزل اليهم وقيل معناه فان امنوا بكتابكم كما امنتم بكتابهم **فقد اهتدوا**
وان تولوا اي اعرضوا **فانما هم في شقاق** اي في خلاف ومنازعة وقيل في عداوة ومحاربة
وقيل في ضلال واصله من الشق كانه صار في شق غير شق صاحبه بسبب عداوته
وقيل هو من المشقة لان كل واحد منهما يحرص على ما يشق على صاحبه ويؤذيه **فسيكفيكهم**
الله اي يكفيك الله يا محمد شر اليهود والنصارى وهو ضمان من الله تعالى لاظهار رسول
الله صلى الله عليه وسلم لانه اذا تكفل بشي انجزه وهو اخبار بغيب ففيه معجزة للنبي
صلى الله عليه وسلم وقد انجز الله وعده بقتل بني قريظة وسبيهم واجلا بني النضير وضرب
الجزية على اليهود والنصارى **وهو السميع** لاقوالهم **العليم** باحوالهم يسمع جميع ما ينطقون
به ويعلم جميع ما يضمرون من الحسد والغل وهو مجازيهم ومعاقبهم عليه ٠ قوله تعالى **صبغة**
الله قال ابن عباس دين الله وانما سماه صبغة لان اثر الدين يظهر على المتدين كما يظهر اثر
الصبغ على الثوب وقيل فطرة الله وقيل سنة الله وقيل اراد به الختان لانه يصبغ
المختتن بالدم قال ابن عباس ان النصارى اذا ولد لاحدهم مولود واتى عليه سبعة ايام
غمسوه في ماء لهم اصفر يسمونه ماء المعمودية وصبغوه به ليطهروه به مكان الختان فاذا
فعلوا ذلك به قالوا الان صار نصرانيا حقا فاخبر الله ان دينه الاسلام لا ما تفعله
النصارى **ومن احسن من الله صبغة** اي دينا وقيل تطهيرا لانه يطهر من اوساخ الكفر
ونحن له عابدون اي مطيعون **قل** يعني يا محمد لليهود والنصارى الذين قالوا ان دينهم خير

من

من دينكم وامروكم باتباعهم **اتحاجوننا في الله** اي اتخاصموننا وتجادلوننا في دين الله الذي
امرنا ان نتدين به والمحاجة المجادلة لاظهار الحجة وذلك انهم قالوا ان دينا اقدم من
دينكم وان الانبيا منا وعلى ديننا فنحن اولى بالله منكم فامر الله المؤمنين بان يقولوا لهم
اتحاجوننا في الله **وهو ربنا وربكم** اي نحن وانتم في الله سوا فانه ربنا وربكم **ولنا اعمالنا**
ولكم اعمالكم يعني ان لكل احد جزا عمله **ونحن له مخلصون** اي مخلصو الطاعة والعبادة
لله وفيه توبيخ لليهود والنصارى والمعنى وانتم به مشركون والاخلاص ان يخلص العبد
دينه وعمله لله تعالى فلا يشرك في دينه ولا يرائي بعمله قال الفضيل بن عياض ترك
العمل من اجل الناس ريا والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله عنهما
وهذه الاية منسوخة باية السيف ٠ قوله عز وجل **ام يقولون** يعني اليهود والنصارى
وهو استفهام ومعناه التوبيخ **ان ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط**
كانوا هودا او نصارى يعني اتزعمون ان ابراهيم وبنيه كانوا على دينكم وملتكم وانما
حدثت اليهودية والنصرانية بعدهم فثبت كذبكم يا معشر اليهود والنصارى
على ابراهيم وبنيه **قل** يا محمد **ءانتم اعلم** يعني بدينهم **ام الله** اي الله اعلم بذلك وقد اخبر
ان ابراهيم وبنيه كانوا مسلمين وان محمدا حق بنعته وصفته يجدون ذلك في كتبهم
فكتموه وجحدوه والمعنى ومن اظلم ممن كتم شهادة جاءته من عند الله فكتمها واخفاها
وما الله بغافل عما تعملون يعني من كتمانكم الحق فيما الزمكم به في كتابه من ان ابراهيم
وبنيه كانوا مسلمين حنفا وان الدين هو الاسلام لا اليهودية والنصرانية والمعنى
وما الله بساه عن عملكم بل هو محصيه عليكم ثم يجازيكم عليه في الاخرة **تلك امة قد خلت**
يعني ابراهيم وبنيه **لها ما كسبت** اي جزا ما كسبت **ولكم ما كسبتم** اي جزا ما كسبتم **ولا**
تسئلون عما كانوا يعملون يعني ان كل انسان انما يسال يوم القيامة عن كسبه وعمله
لا عن كسب غيره وعمله وفيه وعظ وزجر لليهود ولمن يتكل على فضل الابا وشرفهم
اي لا تتكلوا على فضل الابا فكل يؤخذ بعمله وانما كررت هذه الاية لانه اذا اختلفت
مواطن الحجاج والمجادلة حسن تكريرها للتذكير به وتاكيده وقيل انما كررت تنبيها للتهم
ولئلا يغتر والبشرف ابايهم ٠ قوله تعالى **سيقول السفهاء من الناس** اي الجهال من الناس
والسفه خفة في النفس لنقصان العقل في الامور الدينية والدنيوية ولا شك
ان ذلك في باب الدين اعظم لان العادل عن الامر الواضح في امر دنياه يعد سفيها
فمن كان كذلك في امر دينه كان اولى بهذا الاسم فلا كافر الا وهو سفيه ولهذا امكن
حمل هذا اللفظ على اليهود والمشركين والمنافقين فقيل نزلت هذه الاية في اليهود وذلك
انهم طعنوا في تحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة لانهم لا يرون النسخ وقيل نزلت
في مشركي مكة وذلك انهم قالوا قد تردد على محمد امره واشتاق مولده وقد توجه الى
نحو بلدكم فلعله يرجع الى دينكم وقيل نزلت في المنافقين وانما قالوا ذلك استهزاء
بالاسلام وقيل يحتمل ان لفظ السفها للعموم فيدخل فيه جميع الكفار والمنافقين واليهود
ويحتمل وقوع هذا الكلام من كلهم اذ لا فايدة في التخصيص ولان الاعدا يبالغون
في الطعن والقدح فاذا قالوا قولا قالوا او مجالا لا جالوا **ما ولاهم** يعني اي شي
صرفهم **عن قبلتهم التي كانوا عليها** يعني بيت المقدس والقبلة الجهة التي يستقبلها
الانسان وانما سميت قبلة لان المصلي يقابلها وتقابله ولما قال السفها ذلك رد الله
عليهم بقوله **قل** يا محمد **لله المشرق والمغرب** يعني له قطرا المشرق والمغرب وما بينهما

ملكا لا يستحق شيء ان يكون لذاته قبلة لان الجهات كلها شيء واحد وانما تصير قبلة لان الله تعالى
هو الذي جعلها قبلة فلا اعتراض عليه وهو قوله يهدي من يشاء يعني من عباده الى صراط مستقيم
يعني الى جهة الكعبة وهي قبلة ابراهيم عليه السلام • قوله عز وجل وكذلك جعلناكم
امة وسطا الكاف في قوله وكذلك كاف التشبيه جاء المشبه به وفيه وجوه احدها
انه معطوف على ما تقدم من قوله في حق ابراهيم ولقد اصطفيناه في الدنيا فكذلك
جعلناكم امة وسطا الثاني انه معطوف على قوله والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
فكذلك هديناكم وجعلناكم امة وسطا الثالث قيل معناه كما جعلنا قبلتكم وسطا
بين المشرق والمغرب كذلك جعلناكم امة وسطا يعني عدولا خيارا وخير الامور اوساطها
قال زهير • هم وسط يرضى الانام بحكمهم • اذا نزلت احدى الليالي بمعظم •
وقيل متوسطة والمعنى امة دين وسط بين الغلو والتقصير لانهما مذمومان في امر الدين
لا كغلو النصارى في عيسى ولا كتقصير اليهود في الدين وهو تحريفهم وتبديلهم وسبب
نزول هذه الاية ان رؤساء اليهود قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا
وان قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم محمد انا اعدل الناس فقال معاذ انا على حق
وعدل فانزل الله هذه الاية وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الا وان هذه الامة توفي سبعين امة هي اخرها وخيرها واكرمها على الله عز وجل
وقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس يعني يوم القيامة ان الرسل قد بلغتهم رسالات
ربهم وقيل ان امة محمد صلى الله عليه وسلم شهداء على من ترك الحق من الناس اجمعين ويكون
الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم عليكم شهيدا يعني عدلا مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى
يجمع الاولين والاخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الامم الم ياتكم نذير فينكرون
ويقولون ما جاءنا من نذير فيسال الله الانبياء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم فيسالهم
البينة وهو اعلم بهم اقامة للحجة فيقولون امة محمد تشهد لنا فيؤتى بامة محمد
صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم انهم قد بلغوا فتقول الامم الماضية من اين علموا وانما
اتوا بعدنا فيسال هذه الامة فيقولون ارسلت الينا رسولا وانزلت عليه كتابا اخبرتنا
فيه بتبليغ الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسال عن
حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم خ عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يجاء بنوح وامته يوم القيامة فيقال له هل بلغت فيقول نعم اي رب
فيسال امته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال لنوح من يشهد لك فيقول محمد
وامته فيجاء بكم فتشهدون ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم امة
وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا زاد الترمذي وسطا قال
عدلا • قوله تعالى وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي وما جعلنا صرفك عن القبلة
التي كنت عليها وهي بيت المقدس وانما حذف ذكر الصرف اكتفاء بدلالة اللفظ عليه
وقيل معناه وما جعلنا القبلة التي كنت عليها منسوخة وقيل معناه وما جعلنا القبلة
التي كنت عليها وهي الكعبة الا لنعلم من يتبع الرسول فان قلت ما معنى قوله الا لنعلم
وهو عالم بالاشياء كلها قبل كونها قلت اراد به العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب
فانه لا يتعلق بما هو عالم به في الغيب انما يتعلق بما يوجد والمعنى لنعلم العلم الذي يستحق
العامل عليه الثواب والعقاب وقيل العلم هنا بمعنى الرؤية اي لنرى ونميز من يتبع الرسول
في القبلة ممن ينقلب على عقبيه وقيل معناه الا لنعلم رسلي وحزبي واوليائي من المؤمنين

من يتبع

من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وكان من عادة العرب اضافة ما فعله الاتباع الى
الكبير كقولهم فتح عمر العراق وجبى خراجها وانما فعل ذلك اتباعه عن امره وقيل انما
قال الا لنعلم وهو بذلك عالم قبل كونه على وجه الرفق بعباده ومعناه الا لتعلموا انتم اذ كنتم
جهالا به قبل كونه فاضاف العلم الى نفسه رفقا بعباده المخاطبين وقيل معناه لنعلمنا
كانه تعالى سبق في علمه ان تحويل القبلة سبب لهداية قوم وضلالة اخرين ومعنى من
يتبع الرسول اي يطيعه في امر القبلة وتحويلها ممن ينقلب على عقبيه اي يرجع الى ما كان
عليه من الكفر فيرتد وفي الحديث انه لما تحولت القبلة الى الكعبة ارتد قوم الى اليهودية
وقالوا رجع محمد الى دين ابائه وان كانت اي وقد كانت لكبيرة يعني تولية القبلة ثقيلة
شاقة وقيل هي التولية من بيت المقدس الى الكعبة وقيل الكبيرة هي القبلة التي وجههم
اليها قبل التحويل وهي بيت المقدس وانما انث الكبيرة لتانيث القبلة وقيل لتانيث
التولية الا على الذين هدى الله يعني الصادقين في اتباع الرسول وما كان الله ليضيع
ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس وذلك ان حيي بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا
للمسلمين اخبرونا عن صلاتكم الى بيت المقدس ان كانت على هدى فقد تحولتم عنه وان كانت
ضلالة فقد دنتم الله تعالى بها مدة ومن مات عليها فقد مات على ضلالة فقال المسلمون
انما الهدى فيما امر الله به والضلالة فيما نهى الله عنه قالوا فما شهادتكم على من مات
قبل ان تحول القبلة الى الكعبة اسعد بن زرارة من بني النجار والبراء بن معرور من بني سلمة
وكانا من النقباء ورجال اخرون فانطلق عشائرهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
يا رسول الله قد صرفك الله الى قبلة ابراهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يصلون
الى بيت المقدس فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم الى بيت المقدس ان الله
بالناس لرؤوف رحيم يعني لا يضيع اجورهم والرافة اخص من الرحمة وارق وقيل الرافة
اشد الرحمة وقيل الرافة الرحمة وقيل في الفرق بين الرافة والرحمة ان الرافة مبالغة
في رحمة خاصة وهي دفع المكروه وازالة الضرر واما الرحمة فانها اسم جامع يدخل
فيه ذلك المعنى ويدخل فيه ايضا جميع الافضال والانعام فذكر الله الرافة اولا بمعنى
انه لا يضيع اعمالهم ثم ذكر الرحمة ثانيا لانها اعم واشمل • قوله عز وجل قد نرى تقلب
وجهك في السماء سبب نزول هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون
بمكة الى الكعبة فلما هاجر الى المدينة احب ان يستقبل بيت المقدس يتالف بذلك
اليهود وقيل ان الله تعالى امره بذلك ليكون اقرب الى تصديق اليهود اياه اذا صلى الى
قبلتهم مع ما يجدون من نعته وصفته في التوراة فصلى الى بيت المقدس بعد الهجرة
ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يحب ان يتوجه الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم
وقيل كان يحب ذلك من اجل ان اليهود قالوا يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل وددت لو حولني الله الى الكعبة فانها قبلة ابي
ابراهيم فقال له جبريل عليه السلام انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فسل انت ربك
فانك عند الله بمكان فعرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر
الى السماء رجاء ان ينزل جبريل بما يحب من امر القبلة فانزل الله قد نرى تقلب وجهك يعني
تردد وجهك وتصرف نظرك الى جهة السماء وهذه الاية وان كانت متاخرة في التلاوة
فهي متقدمة في المعنى لانها راس القصة واول ما نسخ من احكام الشرع امر القبلة
فلنولينك اي فلنحولنك ولنصرفنك قبلة اي فلنصرفنك عن بيت المقدس الى قبلة ترضاها

اى نحبها وتميل اليها **فول وجهك شطر المسجد الحرام** اى نحوه وتلقاءه واراد به الكعبة ق
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما دخل النبى صلى الله عليه وسلم البيت دعا فى نواحيه كلها
ولم يصل حتى خرج منه فلما خرج ركع ركعتين قبل الكعبة وقال هذه القبلة يعنى ان امر القبلة
قد استقر على هذا البيت فلا ينسخ بعد اليوم فصلوا الى الكعبة ابدا فهى قبلتكم ق عن البرا
ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اول ما قدم المدينة نزل على اجداده او قال اخواله من
الانصار وانه صلى قبل بيت المقدس ستة عشر او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان
تكون قبلته قبل البيت وانه صلى اول صلاة صلاها صلاة العصر وصلى معه قوم
فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على اهل مسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الكعبة فداروا كما هم قبل البيت وكانت اليهود
قد اعجبهم اذ كان يصلى قبل بيت المقدس وهى قبلة اهل الكتاب فلما ولى وجهه قبل البيت
انكروا ذلك قال البرا فى حديثه هذا وانه مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا
فلم ندر ما نقول فيهم فانزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم واختلف العلما فى وقت
مطلب تحويل القبلة وكم مدة تاريخ الصلاة الى بيت المقدس
تحويل القبلة فقال الاكثرون كان فى يوم الاثنين بعد الزوال للنصف من رجب على راس
سبعة عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقيل كان يوم الثلاثا
لثمانية عشر شهرا وقيل كان لستة عشر شهرا وقيل لثلاثة عشر شهرا وقيل نزلت
ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد بنى سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر
فتحول فى الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النسا والنسا مكان الرجال
فسمى ذلك المسجد مسجد القبلتين ووصل الخبر الى اهل قبا فى صلاة الصبح ق عن ابن عمر
قال بينما الناس بقبا فى صلاة الصبح اذ جاءهم آت فقال ان النبى صلى الله عليه وسلم
قد انزل عليه الليلة قرآن وقد امر ان يستقبل القبلة فاستقبلوها وكانت وجوههم
الى الشام فاستداروا الى الكعبة وقوله تعالى **وحيثما كنتم** يعنى من بر او بحر شرق او غرب
فولوا وجوهكم شطره اى نحو البيت وتلقاءه عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال ما بين المشرق والمغرب قبلة اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح
قيل اراد بالمشرق مشرق الشتا فى اقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف
فى اطول يوم من السنة فمن جعل مغرب الصيف فى هذا الوقت عن يمينه ومشرق الشتا
عن يساره كان مستقبلا للقبلة وهذا فى حق اهل المشرق لان المشرق الشتوى جنوبى متباعد
عن خط الاستوا بمقدار الميل والمغرب الصيفى شمالى متباعد عن خط الاستوا والذى
بينهما فهو سمت مكة والغرض لمن بمكة فى القبلة اصابة عين الكعبة ولمن بعد عن مكة
اصابة الجهة ويعرف ذلك بدلايل القبلة وليس هذا موضع ذكرها ولما تحولت القبلة
الى الكعبة قالت اليهود يا محمد ما هو الا شى ابتدعته من تلقا نفسك فتارة تصلى الى بيت
المقدس وتارة الى الكعبة ولو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان تكون صاحبنا الذى ننتظر
فانزل الله **وان الذين اوتوا الكتاب** يعنى اليهود **ليعلمون انه الحق من ربهم** يعنى امر القبلة
وتحويلها الى الكعبة ثم هددهم فقال الله تعالى **وما الله بغافل عما يعملون** يعنى وما انا
بساه عما يفعل هولاء اليهود فانا اجازيهم عليه فى الدنيا والاخرة وقرى تعملون بالتاء
قال ابن عباس يريد انكم يا معشر اليهود تطلبون مرضاتى وما انا بغافل عن ثوابكم وجزايكم
فانا اثيبكم على طاعتكم افضل الثواب واجزيكم احسن الجزا قوله تعالى **ولين اتيت**
الذين اوتوا الكتاب يعنى اليهود والنصارى **بكل اية** اى بكل معجزة وقيل بكل حجة وبرهان

وذلك

وذلك انهم قالوا ايتنا باية على ما تقول فانزل الله تعالى هذه الاية **ما تبعوا قبلتك** يعنى
الكعبة **وما انت بتابع قبلتهم** يعنى ان اليهود تصلى الى بيت المقدس والنصارى الى
المشرق وانت يا محمد تصلى الى الكعبة فكيف يكون سبيل الى اتباع قبلة احد هولاء
مع اختلاف جهاتهما فالزم انت قبلتك التى امرت بالصلاة اليها **وما بعضهم بتابع قبلة**
بعض يعنى وما اليهود بتابعة قبلة النصارى ولا النصارى بتابعة قبلة اليهود
لان اليهود والنصارى لا يجتمعون على قبلة واحدة **ولين اتبعت اهواءهم** يعنى مرادهم ورضاهم
لو رجعت الى قبلتهم **من بعد ما جاءك من العلم** اى فى امر القبلة وقيل معناه من بعد ما
وصل اليك من العلم من ان اليهود والنصارى مقيمون على باطل وعناد للحق **انك اذا**
لمن الظالمين يعنى ان فعلت ذلك كنت بمنزلة من ظلم نفسه وضرها قيل هذا الخطاب
للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة لانه صلى الله عليه وسلم لا يتبع اهواءهم
ابدا وقيل هو خطاب له خاصة فيكون ذلك على سبيل التذكير والتنبيه قوله عز
وجل **الذين اتيناهم الكتاب** يعنى علما اليهود والنصارى وقيل اراد مومنى اهل الكتاب
كعبد الله بن سلام واصحابه **يعرفونه** قيل يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم معرفة
جلية بالوصف المعين الذى يجدونه عندهم **كما يعرفون ابناءهم** اى لا يشكون فيه
ولا يشتبه عليهم كما لا تشتبه عليهم ابناوهم من ابنا غيرهم روى ان عمر بن الخطاب قال
لعبد الله بن سلام ان الله انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم الذين اتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة فقال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين
رايته كما اعرف ابنى ومعرفتى بمحمد صلى الله عليه وسلم اشد من معرفتى بابنى فقال عمر
فكيف ذلك فقال اشهد انه رسول الله حق من الله وقد نعته الله فى كتابنا ولا ادرى
ما تصنع النسا فقبل عمر راس عبد الله وقال وفقك الله يا ابن سلام فقد صدقت
وقيل الضمير فى يعرفونه يعود الى امر القبلة والمعنى ان علما اليهود والنصارى
يعرفون ان القبلة التى صرفتك اليها هى قبلة ابراهيم وقبلة الانبيا قبلك كما يعرفون
ابناءهم لا يشكون فى ذلك **وان فريقا منهم** اى من علما اهل الكتاب **ليكتمون الحق** يعنى
صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل امر القبلة **وهم يعلمون** يعنى ان كتمان الحق معصية
وقيل يعلمون ان صفة محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبة عندهم فى التوراة والانجيل وهم
مع ذلك يكتمونه **الحق** اى الذى يكتمونه هو الحق **من ربك فلا تكونن من الممترين** اى من
الشاكين فى ان الذين تقدم ذكرهم علموا صحة نبوتك وقيل يرجع الى امر القبلة والمعنى
ان بعضهم عاند وكتم الحق فلا تشك فى ذلك فان قلت النبى صلى الله عليه وسلم
لم يمتر ولم يشك فما معنى هذا النهى قلت هذا الخطاب وان كان للنبى صلى الله
عليه وسلم ولكن المراد به غيره والمعنى فلا تشكوا انتم ايها المومنون وقد تقدم نظير
هذا قوله تعالى **ولكل وجهة** اى ولكل اهل ملة قبلة والوجهة اسم للمتوجه اليه
وقيل الوجهة الهيئة والحالة فى التوجه الى القبلة وقيل فى قوله ولكل وجهة
ان المراد به جميع المسلمين اى ولكل اهل جهة من الافاق وجهة من الكعبة يصلون اليها
وقيل المراد بالوجهة المنهاج والشرع والمعنى ولكل قوم شريعة وطريقة لان الشرايع
مصالح للعباد فلهذا اختلفت الشرايع باختلاف الازمان والاشخاص **هو موليها**
اى هو مستقبلها والمعنى ان لكل اهل ملة وجهة هو مول وجهه اليها وقيل موليها
اى مختارها وقيل ان هو عايد الى اسم الله تعالى والمعنى ان الله تعالى هو موليها اياه وقيل

مولاها اي مصروفا اليها **فاستبقوا الخيرات** اي بادروا بالطاعات وقبولها لاوامر
فيه حث على المبادرة الى الاولية والافضلية فتمسك من جعل هذه الاية دليلا لمذهب الشافعي
في ان الصلاة في اول الوقت افضل لقوله فاستبقوا الخيرات لان ظاهر الامر للوجوب
فاذا لم يتحقق الوجوب فلا اقل من الندب **اينما تكونوا** يعني انتم واهل الكتاب **يات بكم الله
جميعا** يعني يوم القيامة فهو وعد لاهل الطاعة بالثواب ووعيد لاهل المعصية بالعقاب
ان الله على كل شي قدير اي على الاعادة بعد الموت والاثابة لاهل الطاعة والعقوبة
لمستحق العقوبة • قوله عز وجل **ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام**
اي من اي موضع خرجت في سفر وغيره فول وجهك يا محمد قبل المسجد الحرام ونحوه **وانه**
يعني التوجه اليه **للحق من ربك** اي الحق لا شك فيه فحافظ عليه **وما الله بغافل عما تعملون**
اي ليس هو بساه عن اعمالكم ولكنه محصيها لكم وعليكم فيجازيكم بها يوم القيامة **ومن
حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره** فان
قلت هل في هذا التكرار فايدة قلت فيه فايدة عظيمة جليلة وهي ان هذه الواقعة
اول الوقايع التي ظهر النسخ فيها في شرعنا فدعت الحاجة الى التكرار لاجل التاكيد
والتقرير وازالة الشبهة وايضاح البيان فحسن التكرار فيه لتعلم من جهة الى
جهة **لئلا يكون للناس عليكم حجة** قيل اراد بالناس اهل الكتاب وقيل هو على العموم
وقيل هم قريش واليهود فاما قريش فقالت رجع محمد الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها
قبلة ابيه وسيرجع الى ديننا كما رجع الى قبلتنا وقالت اليهود لم ينصرف محمد عن بيت
المقدس مع علمه انه حق الا انه يعمل برايه فعلى هذا يكون الاستثنا في قوله **الا الذين
ظلموا منهم** متصلا صحيحا والمعنى لا حجة لاحد عليكم الا مشركوا قريش واليهود فانهم
يجادلونك بالباطل والظلم وانما سمي الاحتجاج بالباطل حجة لان اشتقاقها من حجه اذا
غلبه فكما تكون صحيحة فكذلك قد تسمى حجة وتكون باطلة قال الله تعالى حجتهم داحضة
عند ربهم وقيل هذا الاستثنا منقطع عن الكلام الاول ومعناه لكن الذين ظلموا
منهم يجادلونكم بالباطل قال النابغة

• ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب •

اي لكن سيوفهم بهن فلول وليس بعيب وقيل في معنى الاية ان اليهود عرفوا ان الكعبة
قبلة ابراهيم ووجدوا في التوراة ان محمدا صلى الله عليه وسلم سيحول اليها فتكون
حجتهم انهم يقولون ان النبي الذي نجد في كتابنا سيحول الى الكعبة ولم تحول انت
فلما حول الى الكعبة ذهبت حجتهم الا الذين ظلموا اي الا ان يظلموا فيكتموا ما عرفوا
من الحق **فلا تخشوهم** اي فلا تخافوهم في انصرافكم الى الكعبة في تظاهرهم عليكم
بالمجادلة الباطلة فاني وليكم وناصركم اظهركم عليهم بالحجة والنصرة **واخشوني** اي
احذروا عقابي ان انتم عدلتم عما الزمتكم به وفرضته عليكم **ولاتم نعمتي عليكم** اي ولكي
اتم نعمتي عليكم بهدايتي اياكم الى قبلة ابراهيم لتتم لكم الملة الحنيفية وقيل تمام
النعمة الموت على الاسلام ودخول الجنة **ولعلكم تهتدون** اي لكي تهتدوا من الضلالة
ولعل وعسى من الله واجب • قوله تعالى **كما ارسلنا فيكم** الكاف للتشبيه تحتاج الى شي ترجع
اليه فقيل ترجع الى ما قبلها ومعناه ولاتم نعمتي عليكم كما ارسلنا فيكم وقيل ان ابراهيم
قال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة
مسلمة لك فبعث فيهم رسولا منهم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اجابة الدعوة

الثانية بان يجعل في ذريته امة مسلمة والمعنى كما اجبت دعوته ببعثة الرسول كذلك
اجبت دعوته بان اهديكم لدينه واجعلكم مسلمين واتم نعمتي عليكم ببيان شرايع الملة
الحنيفية وقيل ان الكاف متعلقة بما بعدها وهو قوله فاذكروني اذكركم والمعنى
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني ووجه التشبيه ان النعمة بالذكر جارية مجرى
النعمة بارسال الرسول وان قلنا انها متعلقة بما قبلها كان وجه التشبيه ان النعمة
في امر القبلة كالنعمة بالرسالة **فيكم** خطاب لاهل مكة والعرب وكذا قوله منكم
وفي ارساله رسولا منهم نعمة عظيمة عليهم لما فيه من الشرف لهم ولان المعروف من حال
العرب الانفة الشديدة من الانقياد للغير فكان بعثة الرسول منهم وفيهم اقرب
الى قبول قوله والانقياد له والمعنى كما ارسلنا فيكم يا معشر العرب **رسولا منكم**
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **يتلو عليكم اياتنا** يعني القران وذلك من اعظم النعم
لانه معجزة باقية على الدهر **ويزكيكم** اي ويطهركم من دنس الشرك والذنوب
وقيل يعلمكم ما اذا فعلتموه صرتم ازكيا مثل محاسن الاخلاق ومكارم الافعال **ويعلمكم
الكتاب** يعني احكام الكتاب وهو القران وقيل ان التعليم غير التلاوة فليس بتكرار
والحكمة يعني السنة والفقه في الدين **ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** يعني يعلمكم
من اخبار الامم الماضية والقرون الخالية وقصص الانبيا والخبر عن الحوادث
المستقبلة ما لم تكونوا تعلمون ذلك قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم **فاذكروني**
قيل الذكر يكون باللسان وهو ان يسبحه ويحمده ويمجده ونحو ذلك من الاذكار ويكون
بالقلب وهو ان يتفكر في عظمة الله وفي الدلايل الدالة على وحدانيته ويكون بالجوارح
وهو ان تكون مستغرقة في الاعمال التي امروا بها مثل الصلاة وساير الطاعات
التي للجوارح فيها فعل **اذكركم** اي بالثواب والرضى عنكم قال ابن عباس اذكروني بطاعتي
اذكركم بمعونتي وقيل اذكروني في النعمة والرخا اذكركم في الشدة والبلا وقال
اهل المعاني اذكروني بالتوحيد والايمان اذكركم بالجنان والرضوان وقيل اذكروني
بالاخلاص اذكركم بالخلاص اذكروني بالقلوب اذكركم بغفران الذنوب اذكروني
بالدعا اذكركم بالعطا **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي
وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا
وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة **قوله** عز وجل
انا عند ظن عبدي بي قيل معناه بالغفران اذا استغفر وبالقبول والاجابة
اذا دعا وبالكفاية اذا طلب الكفاية وقيل المراد منه تحقيق الرجا وتاميل العفو
وهذا اصح **قوله** وانا معه حين يذكرني يعني بالرحمة والتوفيق والهداية والاعانة
وقوله فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي النفس في اللغة لها معان منها ذات الشي
والله تعالى له ذات حقيقة ومنها الغيب فعلى هذا يكون المعنى فان ذكرني خاليا
ذكرته بالاثابة والمجازاة بما لا يطلع عليه احد **قوله** وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا
خير منهم الملا الاشراف الذين يرجع الى رايهم وهذا مما استدلت
به المعتزلة ومن وافقهم على تفضيل الملايكة على الانبيا واجيب عنه بان الذكر غالبا
يكون في جماعة لا نبي فيهم **قوله** وان تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا الى اخره وهذا
من احاديث الصفات ويستحيل ارادة ظاهره ولا بد من التاويل فعلى هذا يكون ذكر الشبر

مبحث الكلام على حديث انا عند ظن عبدي بي

والذراع والباع والمشي والهرولة استعارة فيكون المراد بتقرب العبد من الله التقرب
بالذكر والطاعة والعمل الصالح والمراد بتقرب الله من العبد قرب نعمه وألطافه وبره
وكرمه وإحسانه إليه وفيض مواهبه ورحمته عليه والمعنى كلما زاد بالطاعة والذكر
زدته بالبر والإحسان وإن أتاني يمشي بطاعتي أتيته هرولة أي صببت عليه الرحمة
صبا وسبقته بها (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه (ق) عن أبي موسى الأشعري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر كمثل الحي والميت
(م) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا
وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات. المفردون الذين هلك
القرن الذي كانوا فيه وبقوا وهم يذكرون الله ويقال تفرد الرجل إذا تفقه واعتزل
وقوله تعالى **واشكروا لي** يعني بالطاعة **ولا تكفرون** أي بالمعصية فمن أطاع الله فقد
شكره ومن عصاه فقد كفره. قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر
والصلوة** إنما خصهما بذلك لما فيهما من المعونة على العبادات أما الصبر فهو حبس النفس
على احتمال المكاره في ذات الله وتوطينها على تحمل المشاق في العبادات وسائر الطاعات
وتجنب الجزع وتجنب المحظورات ومن الناس من حمل الصبر على الصوم وفسره به ومنهم
من حمله على الجهاد وأما الاستعانة بالصلاة فلأنها يجب أن تفعل على طريق الخضوع
والتذلل للمعبود والإخلاص له وقيل استعينوا على طلب الآخرة بالصبر على الفرائض
وبالصلوات الخمس في مواقيتها على تمحيص الذنوب **إن الله مع الصابرين** أي بالعون والنصر
ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات نزلت فيمن قتل ببدر من المسلمين وكانوا أربعة عشر
رجلا ستة من المهاجرين وهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وعمير بن أبي وقاص بن أهيب
ابن عبد مناف بن زهرة الزهري أخو سعد بن أبي وقاص وذو الشمالين واسمه عمير بن عبد عمرو
ابن نضلة بن عمرو من خزاعة ثم من بني غبشان وعاقل بن البكير من بني سعد بن ليث من كنانة
ومهجع مولى عمر بن الخطاب وصفوان بن بيضاء من بني الحارث بن فهر ومن الأنصار ثمانية
وهم سعد بن خيثمة ومبشر بن عبد المنذر ويزيد بن الحارث بن فسحم وعمير بن الحمام ورافع
ابن المعلى وحارثة بن سراقة وعوف ومعوذ ابنا الحارث بن رفاعة بن سواد وهما ابنا
عفراء وقيل معهما كان الناس يقولون لمن قتل في سبيل الله مات فلان وذهب عنه نعيم الدنيا
ولذاتها فأنزل الله هذه الآية وقيل إن الكفار والمنافقين قالوا إن الناس يقتلون
أنفسهم طلبا لمرضاة محمد من غير فائدة فنزلت هذه الآية وأخبرت أن من قتل في سبيل
الله فإنه حي بقوله **بل أحياء** وإنما أحياهم الله عز وجل في الوقت لإيصال الثواب إليهم
وعن الحسن أن الشهداء أحياء عند الله تعرض أرزاقهم على أرواحهم فيصل إليهم الروح والريحان
والفرح كما تعرض النار على آل فرعون غدوة وعشيا فيصل إليهم الألم والوجع ففيه دليل
على أن المطيعين لله يصل إليهم ثوابهم ونعيمهم في قبورهم في البرزخ وكذا العصاة يعذبون
في قبورهم فإن قلت نحن نراهم موتى فما معنى قوله بل أحياء وما وجه النهي في قوله ولا
تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات قلت معناه لا تقولوا أموات بمنزلة غيرهم
من الأموات بل هم أحياء تصل أرواحهم إلى الجنان كما ورد أن أرواح الشهداء في حواصل
طير خضر تسرح في الجنة فهم أحياء من هذه الجهة وإن كانوا أمواتا من جهة خروج
الروح من أجسادهم وجواب آخر وهو أنهم أحياء عند الله تعالى في عالم الغيب لأنهم صاروا

فيه عدة من استشهد ببدر وأسمائهم رضي الله عنهم

الى

إلى الآخرة فنحن لا نشاهدهم كذلك ويدل على ذلك قوله تعالى **ولكن لا تشعرون** أي لا ترونهم
أحياء فتعلموا ذلك حقيقة وإنما تعلمون بإخبار الله إياكم به فإن قلت سائر المطيعين
لله من المسلمين يصل إليهم من نعيم الجنة في قبورهم فلم خص الشهداء بالذكر قلت إنما خصهم
لأن الشهداء فضلوا عليهم بمزيد النعيم وهو أنهم يرزقون من مطاعم الجنة ومآكلها وغيرهم
ينعمون بما دون ذلك وجواب آخر وهو أنه رد لقول من قال إن من قتل في سبيل الله مات
وذهب عنه نعيم الدنيا ولذاتها فأخبر الله بقوله بل أحياء بأنهم في نعيم دائم. قوله تعالى
ولنبلونكم أي ولنختبرنكم يا أمة محمد واللام جواب القسم تقديره والله لنبلونكم والابتلاء
لإظهار الطائع من العاصي لا ليعلم شيئا لم يكن عالما به فإنه سبحانه وتعالى عالم بجميع الأشياء
قبل كونها وحدوثها **بشيء** إنما قال بشيء ولم يقل بأشياء لئلا يوهم أن أشياء تدل على ضروب
من الخوف وكذا الباقي فلما قال بشيء كان التقدير بشيء من الخوف وبشيء من الجوع وقيل
معناه بشيء قليل من هذه الأشياء **من الخوف** قال ابن عباس يعني خوف العدو والخوف
توقع مكروه يحصل منه ألم في القلب **والجوع** يعني القحط وتعذر تحصيل القوت **ونقص
من الأموال** يعني بالهلاك أو بالخسران **والأنفس** أي ونقص من الأنفس بالموت والقتل **والثمرات**
يعني الجوائح في الثمار وقيل قد يكون بالجدب أيضا وبترك العمل والعمارة في الأشجار
وحكي عن الشافعي في تفسير هذه الآية قال الخوف خوف الله عز وجل والجوع صيام شهر
رمضان ونقص من الأموال يعني الزكاة والصدقات والأنفس يعني بالأمراض والثمرات
يعني بموت الأولاد لأن الولد ثمرة القلب عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملائكته أقبضتم
ولد عبدي فيقولون نعم فيقول أقبضتم ثمرة فؤاده فيقولون نعم فيقول فماذا قال عبدي فيقولون حمدك
واسترجع فيقول ابنوا له بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن فإن قلت ما الحكمة في تقديم تعريف هذا الابتلاء في قوله ولنبلونكم قلت
فيه حكم منها أن العبد إذا علم أنه مبتلى بشيء وطن نفسه على الصبر فإذا نزل به ذلك
البلاء لم يجزع ومنها أن الكفار إذا شاهدوا المؤمنين مقيمين على دينهم ثابتين عند
نزول البلاء صابرين له علموا بذلك صحة الدين فيدعوهم ذلك إلى المتابعة والدخول
فيه ومنها أن الله تعالى أخبر بهذا الابتلاء قبل وقوعه فإذا وقع كان ذلك إخبارا عن
غيب فيكون معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ومنها أن المنافقين إنما أظهروا الإيمان
طمعا في المال وسعة الرزق من الغنائم فلما أخبر الله أنه مبتلي عباده فعند ذلك يتميز
المؤمن من المنافق والصادق من الكاذب ومنها أن الإنسان في حال الابتلاء أشد إخلاصا
لله من حال الرخاء فإذا علم أنه مبتلى دام على التضرع والابتهال إلى الله تعالى ليحميه مما
عسى أن ينزل به من البلاء قال الله تعالى **وبشر الصابرين** يعني عند نزول البلاء والمعنى
وبشر يا محمد الصابرين على امتحاني بما أمتحنهم به من الشدائد والمكاره ثم وصفهم بقوله
تعالى **الذين إذا أصابتهم مصيبة** أي نائبة وابتلاء **قالوا إنا لله** يعني عبيدا وملكا
وإنا إليه راجعون يعني في الآخرة (م) عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في
مصيبتي واخلف لي خيرا منها إلا آجره الله في مصيبته وأخلف له خيرا منها قيل ما أعطي
أحد ما أعطيت هذه الأمة يعني الاسترجاع عند المصيبة ولو أعطيها أحد لأعطيها يعقوب
ألا تسمع إلى قوله عند فقد يوسف يا أسفى على يوسف وقيل في قول العبد إنا لله

وانا اليه راجعون تفويض منه الى الله وانه راض بكل ما نزل به من المصايب **اولئك** يعني من هذه صفته **عليهم صلوات من ربهم** قال ابن عباس اي مغفرة من ربهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى اي اغفر لهم وارحمهم وانما جمع الصلوات لانه عنى مغفرة بعد مغفرة ورحمة بعد رحمة **ورحمة** قال ابن عباس ونعمة والرحمة من الله انعامه وافضاله واحسان من الآدميين وقيل رقة وتعطف وقيل انما ذكر الرحمة بعد الصلاة لان الصلاة من الله الرحمة لاختلاف المعنى واتباع اللفظ وتفعل ذلك كثيرا اذا اختلف اللفظ واتفق المعنى وقيل كررهما للتاكيد اي عليهم رحمة بعد رحمة **واولئك هم المهتدون** يعني الى الاسترجاع وقيل الى الجنة الفايزون الى الثواب وقيل المهتدون الى الحق والصواب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه نعم العدلان ونعمت العلاوة فالعدلان الصلاة والرحمة والعلاوة الهداية

فصل في ذكر احاديث وردت في ثواب اهل البلاء واجر الصابرين. خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه يعني يبتليه بالمصايب حتى يأجره على ذلك ق عن ابي سعيد وابي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها عنه خطاياه. النصب التعب والاعيا والوصب المرض ق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصيبه اذى من مرض فما سواه الا حط الله به عنه سيأته كما تحط الشجرة ورقها ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المومن كمثل الزرع لا يزال الريح يفيئه ولا يزال المومن يصيبه البلا ومثل المنافق كمثل شجر الارزة لا تهتز حتى تستحصد وقيل الارزة شجرة معروفة بالشام وتعرف في العراق بالصنوبر والصنوبر ثمرها وقيل الارزة الثابتة في الارض عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبده خيرا عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده شرا امسك عنه حتى يوافي به يوم القيامة وبهذا الاسناد عن النبي صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلا في الدنيا وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط اخرجه الترمذي وله عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يود اهل العافية يوم القيامة حين يعطى اهل البلا الثواب لو ان جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض وله عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال البلا بالمومن والمومنة في نفسه وولده حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة وقال الحديث حسن صحيح خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ما لعبدي المومن عندي جزا اذا قبضت صفيه من اهل الدنيا ثم احتسبه الا الجنة عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبيا ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه فان كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة هون عليه فما يبرح البلا بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن. قوله عز وجل **ان الصفا والمروة من شعاير الله** الصفا جمع صفاة وهي الصخرة الصلبة الملسا وقيل هي الحجارة الصافية والمروة الحجر الرخو وجمع مرو ومروات وهذا ان اصلهما في اللغة وانما عنى الله بهما الجبلين المعروفين بمكة في طرفي المسعى ولذلك ادخل فيهما الالف واللام وشعاير الله اعلام دينه واصلها من الاشعار وهو الاعلام واحدتها شعيرة وكل ما كان معلما لقربان

يتقرب

قف على احاديث في فضل الصبر

يتقرب به الى الله تعالى من صلاة ودعا وذبيحة فهو شعيرة من شعاير الله ومشاعر الحج معالمه الظاهرة للحواس ويقال شعاير الحج فالمطاف والموقف والمنحر كلها شعاير والمراد بالشعاير هنا المناسك التي جعلها الله تعالى اعلاما للطاعة فالصفا والمروة منها حيث يسعى بينهما **فمن حج البيت** اي قصد البيت وهذا اصله في اللغة وفي الشرع عبارة عن افعال مخصوصة لاقامة المناسك **او اعتمر** اي زار العمرة والعمرة الزيارة ففي الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة **فلا جناح عليه** اي فلا اثم عليه واصله من جنح اذا مال عن القصد المستقيم **ان يطوف بهما** اي يدور بهما ويسعى بينهما وسبب نزول هذه الاية انه كان على الصفا والمروة صنمان يقال لهما اساف ونايلة فكان اساف على الصفا ونايلة على المروة وكان اهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة فانزل الله تعالى هذه الاية واذن في السعي بينهما واخبر انه من شعاير الله ق عن عاصم بن سليمان الاحول قال قلت لانس اكنتم تكرهون السعي بين الصفا والمروة قال نعم لانها كانت من شعاير الجاهلية حتى انزل الله تبارك وتعالى ان الصفا والمروة من شعاير الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما وفي رواية قال كانت الانصار يكرهون ان يطوفوا بين الصفا والمروة حتى نزلت ان الصفا والمروة من شعاير الله **فصل** اختلف العلما في حكم السعي بين الصفا والمروة في الحج والعمرة فذهب جماعة الى وجوبه وهو قول ابن عمر وجابر وعايشة وبه قال الحسن واليه ذهب مالك والشافعي وذهب قوم الى انه تطوع وهو قول ابن عباس وبه قال ابن سيرين وذهب الثوري وابو حنيفة الى انه ليس بركن وعلى من تركه دم وروي ابن الزبير ومجاهد وعطا ان من تركه فلا شي عليه واختلفت الرواية عن احمد في ذلك فروي عنه ان من ترك السعي بين الصفا والمروة لم يجزه حجه وروي عنه انه لا شي عليه في تركه عمدا ولا سهوا ولا ينبغي ان يتركه وقال الجمهور عنه انه تطوع وسبب هذا الاختلاف ان قوله فلا جناح عليه يصدق عليه انه لا اثم في فعله فيدخل تحته الواجب والمندوب والمباح فظاهر هذه الاية لا يدل على ان السعي بين الصفا والمروة واجب ولا ليس بواجب لان اللفظ الدال على القدر المشترك بين الاقسام الثلاثة لا دلالة فيه على خصوصية احدها فاذن لا بد من دليل خارج يدل على ان السعي واجب او غير واجب فحجة الشافعي ومن وافقه في ان السعي بين الصفا والمروة ركن من اركان الحج والعمرة ما روى الشافعي بسنده عن صفية بنت شيبة قالت اخبرتني بنت ابي تجراه واسمها حبيبة احدى نسا بني عبد الدار قالت دخلت مع نسوة من قريش دار آل بني حسين ننظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسعى بين الصفا والمروة فرايته يسعى وان ميزره ليدور من شدة السعي حتى لاقول اني لارى ركبته وسمعته يقول اسعوا فان الله كتب عليكم السعي ق عن عروة ابن الزبير قال قلت لعايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ارايت قول الله تعالى ان الصفا والمروة من شعاير الله فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما فما ارى على احد شيا ان لا يطوف بهما فقالت عايشة كلا لو كان كما تقول كانت فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما انما نزلت هذه الاية في الانصار كانوا يهلون لمناة وكانت مناة حذو قديد وكانوا يتحرجون ان يطوفوا بين الصفا والمروة فلما جاء الاسلام سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تبارك وتعالى ان الصفا والمروة من شعاير الله الاية م عن جابر في حديثه الطويل في صفة حجة الوداع قال

ثم خرج من الباب الى الصفا فلما دنا من الصفا قرأ **ان الصفا والمروة من شعائر الله** ابدأ
بما بدأ الله به فبدأ بالصفا الحديث فان قلت ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم سعى وجب علينا
السعي لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله عليه الصلاة والسلام خذوا عني مناسككم والامر
للوجوب ومن الفقه ان السعي اشواط سبعة من بقاع الحرم ويؤتى به في احرام
كامل فكان ركنا كطواف الزيارة واحتج ابو حنيفة ومن لا يرى وجوب السعي بقوله تعالى فلا
جناح عليه ان يطوف بهما وهذا لا يقال في الواجبات ثم اكد ذلك بقوله تعالى **ومن تطوع خيرا**
فبين انه تطوع وليس بواجب واجيب عن الاول بان قوله تعالى فلا جناح عليه ليس فيه الا
انه لا اثم على فاعله وهذا القدر مشترك بين الواجب وغيره كما تقدم بيانه فلا يكون فيه
دلالة على نفي الوجوب وعن الثاني وهو التمسك بقوله تعالى ومن تطوع خيرا فضعيف
لان هذا لا يقتضي ان يكون المراد من هذا التطوع هو الطواف المذكور اولا بل يجوز ان يكون
المقصود منه شيئا اخر يدل على ذلك قول الحسن ان المراد بقوله تعالى ومن تطوع خيرا
جميع الطاعات في الدين يعني فعل فعلا زائدا على ما افترض عليه من صلاة وصدقة
وصيام وحج وعمرة وطواف وغير ذلك من انواع الطاعات وقال مجاهد ومن تطوع خيرا
بالطواف بهما وهذا قول من لا يرى الطواف بهما فرضا وقيل معناه ومن تطوع خيرا
فزاد في الطواف بعد الواجب والقول الاول اولى للعموم **فان الله شاكر** اي مجاز
على الطاعة **عليم** اي بنيته وحقيقة الشاكر في اللغة هو المظهر للانعام عليه والشكر
هو تصور النعمة واظهارها والله تبارك وتعالى لا يوصف بذلك لانه لا تلحقه المنافع
والمضار فالشاكر في صفة الله تعالى مجاز فاذا وصف به اريد به انه المجازي على الطاعة
بالثواب الا ان اللفظ خرج مخرج التلطف للعباد مظاهرة في الاحسان اليهم وقوله
تعالى **ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى** نزلت في علماء اليهود الذين
كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم وغيرها من الاحكام التي كانت في التوراة
وقيل ان الاية على العموم في من كتم شيئا من امر الدين لان اللفظ عام والعبرة بعموم
اللفظ لا بخصوص السبب ومن قال بالقول الاول وانها في اليهود قال ان الكتم لا يصح
الا منهم لانهم كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الكتمان ترك اظهار الشيء مع
الحاجة الى بيانه واظهاره فمن كتم شيئا من امر الدين فقد عظمت مصيبته **عن** ابي هريرة
قال لولا ايتان انزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئا ابدا ان الذين يكتمون ما انزلنا من
البينات والهدى الى اخر الايتين وهل اظهار علوم الدين فرض كفاية او فرض عين فيه
خلاف والاصح انه اذا اظهره البعض بحيث يتمكن كل احد من الوصول اليه لم يبق مكتوما
وقيل متى سئل العالم عن شيء يعلمه من امر الدين يجب عليه اظهاره والا فلا **من بعد ما بيناه**
للناس في الكتاب يعني في التوراة من صفة محمد صلى الله عليه وسلم فعلى هذا يكون المراد
بالناس علماء بني اسرائيل ومن قال ان المراد بالكتاب جميع ما انزل الله على انبيائه من
الاحكام قال المراد بالناس العلماء كافة **اولئك** يعني الذين يكتمون ما انزل الله من البينات
والهدى **يلعنهم الله** اي يبعدهم الله من رحمته واصل اللعن في اللغة الطرد والابعاد
ويلعنهم اللاعنون قال ابن عباس جميع الخلائق الا الانس والجن وذلك ان البهائم
تقول انما منعنا القطر بمعاصي بني ادم وقيل اللاعنون هم الجن والانس لانه وصفهم
بوصف من يعقل وقيل ما تلاعن اثنان من المسلمين الا رجعت الى اليهود والنصارى
الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثم استثنى فقال **الا الذين تابوا** اي ندموا

على ما فعلوا ورجعوا عن الكفر الى الاسلام **واصلحوا** يعني الاعمال فيما بينهم وبين الله تعالى **وبينوا**
يعني ما كتموا من العلم **فاولئك اتوب عليهم** اي اتجاوز عنهم واقبل توبتهم **وانا التواب** اي المتجاوز
عن عبادي الرجاع بقلوبهم المنصرفة عني اليه **الرحيم** يعني بهم بعد اقبالهم علي. قوله عز وجل
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين قيل
هذا اللعن يكون يوم القيامة يؤتى بالكافر فيوقف فيلعنه الله ثم تلعنه الملائكة ثم يلعنه
الناس اجمعون فان قلت الكافر لا يلعن نفسه ولا يلعنه اهل دينه وملته فما معنى قوله
والناس اجمعين قلت فيه اوجه احدها انه اراد بالناس من يعتد به وهم المؤمنون
الثاني ان الكفار يلعن بعضهم بعضا يوم القيامة الثالث انهم يلعنون الظالمين والكافر
من الظالمين فيكون قد لعن نفسه **خالدين فيها** اي مقيمين في اللعنة وقيل في النار
وانما اضمرت لعظم شانها **لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون** اي لا يمهلون ولا يؤجلون
وقيل لا ينتظرون ليعتذروا وقيل لا ينظر اليهم نظر رحمة **فصل فيما يتعلق**
بهذه الاية من الحكم قال العلماء لا يجوز لعن كافر معين لان حاله عند الوفاة
لا تعلم فلعله يموت على الاسلام وقد شرط الله تعالى في هذه الاية اطلاق اللعنة على من مات
على الكفر ويجوز لعن الكفار بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله اليهود حرمت
عليهم الشحوم فجملوها فباعوها وذهب بعضهم الى جواز لعن انسان معين من الكفار بدليل
جواز قتاله واما العصاة من المؤمنين فلا يجوز لعنة احد منهم على التعيين واما على
الاطلاق فيجوز لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة
والحبل فتقطع يده ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الواشمة والمستوشمة واكل
الربا وموكله ولعن من غير منار الارض ومن انتسب لغير ابيه وكل هذا في الصحيح **والهكم**
اله واحد سبب نزول هذه الاية ان كفار قريش قالوا يا رسول الله صف لنا ربك
وانسبه فانزل الله هذه الاية وسورة الاخلاص ومعنى الواحد الانفراد وحقيقة الواحد
هو الشيء الذي لا يتبعض ولا ينقسم والواحد في صفة الله انه واحد لا نظير له وليس
كمثله شيء وقيل واحد في الوهيته وربوبيته ليس له شريك لان المشركين اشركوا معه
الالهة فكذبهم الله بقوله والهكم اله واحد يعني لا شريك له في الالهية ولا نظير له
في الربوبية والتوحيد هو نفي الشريك والقسيم والشبيه فالله تعالى واحد في افعاله
لا شريك له يشاركه في مصنوعاته وواحد في ذاته لا قسيم له وواحد في صفاته
لا يشبهه شيء من خلقه **لا اله الا هو** تقرير للوحدانية بنفي غيره من الالوهية واثباتها
له سبحانه وتعالى **الرحمن الرحيم** يعني انه المولي لجميع النعم اصولها وفروعها فلا شيء
سواه بهذه الصفة لان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه وهو المنعم على خلقه
الرحيم بهم **عن** اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله
الاعظم في هاتين الايتين والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم وفاتحة ال عمران
الم الله لا اله الا هو الحي القيوم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث صحيح وقيل
لما نزلت هذه الاية قال المشركون ان محمدا يقول الهكم اله واحد فليأتنا باية ان كان
من الصادقين فانزل الله **ان في خلق السموات والارض** وعلمهم كيفية الاستدلال على وحدانية
الصانع وردهم الى التفكر في اياته والنظر في عجائب مصنوعاته واتقان افعاله ففي
ذلك دليل على وحدانيته اذ لو كان في الوجود صانعان لهذه الافعال لاستحال اتفاقهما
على امر واحد ولامتنع في افعالهما التساوي في صفة الكمال فثبت بذلك ان خالق هذا

قف على حديث اسم الله الاعظم

العالم وهو المدبر له وهو واحد قادر مختار فبين سبحانه وتعالى من عجايب مخلوقاته ثمانية انواع
اولها قوله ان في خلق السموات والارض وانما جمع السموات لانها اجناس مختلفة كل سما من جنس
غير جنس الاخرى ووحد الارض لانها واحد وهو التراب والاية في السما سمكها وارتفاعها
بغير عمد ولا علاقة وما يرى فيها من الشمس والقمر والنجوم والاية في الارض مدها وبسطها
على الما وما يرى فيها من الجبال والبحار والانهار والمعادن والجواهر والاشجار والثمار
والنبات والنوع الثاني قوله تعالى واختلاف الليل والنهار اي تعاقبهما في المجي
والذهاب وقيل اختلافهما في الطول والقصر والزيادة والنقصان والنور والظلمة
وانما قدم الليل على النهار لان الظلمة اقدم والاية في الليل والنهار ان انتظام احوال
العباد بسبب طلب الكسب والمعيشة يكون في النهار وطلب النوم والراحة يكون في
الليل فاختلاف الليل والنهار انما هو لتحصيل مصالح العباد النوع الثالث قوله
والفلك التي تجري في البحر اي السفن واحده وجمعه سوا وسمي البحر بحرا لاتساعه
وانبساطه والاية في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الما وهي موقرة بالاثقال
والرجال فلا ترسب وجريانها بالريح مقبلة ومدبرة وتسخير البحر لحمل الفلك مع قوة
سلطان الما وهيجان البحر فلا ينجي منه الا الله تعالى النوع الرابع قوله تعالى بما
ينفع الناس يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات لطلب الارباح والاية في ذلك ان
الله تعالى لو لم يقو قلوب من يركب هذه السفن لما تم الغرض في تجاراتهم ومنافعهم وايضا
فان الله تعالى خص كل قطر من اقطار العالم بشي معين واحوج الكل الى الكل فصار ذلك
سببا يدعوهم الى اقتحام الاخطار في الاسفار من ركوب السفن وخوض البحر وغير ذلك
الخامس قوله وما انزل الله من السما من ما يعني المطر قيل اراد بالسما السحاب سمي سما لان
كل ما علاك فاظلك فهو سما خلق الله الما في السما ومنه ينزل الى السحاب ثم منه الى الارض
فاحيى به اي بالما الارض بعد موتها اي بعد يبسها وجدبها سماه موتا مجازا لانها اذا لم
تنبت شيا ولم يصبها المطر فهي كالميتة والاية في انزال المطر واحيا الارض به ان الله
تعالى جعله سببا لحياة الجميع من حيوان ونبات ونزوله عند وقت الحاجة بمقدار
المنفعة وعند الاستسقا والدعا وانزاله بمكان دون مكان النوع السادس قوله
وبث اي فرق فيها اي في الارض من كل دابة قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد كل ما دب على
وجه الارض من جميع الخلق من الناس وغيرهم والاية في ذلك ان جنس الانسان يرجع الى
اصل واحد وهو ادم ثم ترى ما فيهم من اختلاف الصور والاشكال والالوان والالسنة
والطبايع والاخلاق والاوصاف الى غير ذلك ثم يقاس على بني ادم ساير الحيوان النوع
السابع قوله وتصريف الرياح يعني في مهابها قبولا ودبورا وشمالا وجنوبا ونكبا
وهي الريح التي تاتي من غير مهب صحيح فكل ريح تختلف مهابها تسمى نكبا وقيل تصريفها في
احوالها مهابها لينة وعاصفة وحارة وباردة وسميت ريحا لانها تريح قال ابن عباس
رضي الله عنهما اعظم جنود الله الريح وقيل ما هبت ريح الا لشفا سقيم او ضده وقيل البشارة
في ثلاث رياح الصبا والشمال والجنوب والدبور هي الريح العقيم التي اهلك الله بها
عادا فلا بشارة فيها والاية في الريح انها جسم لطيف لا تمسك ولا ترى وهي مع ذلك في
غاية القوة تقلع الشجر والصخر وتخرب البنيان العظيم وهي مع ذلك حياة الوجود
فلو امسكت طرفة عين لمات كل ذي روح ولنتن ما على وجه الارض النوع الثامن قوله والسحاب
المسخر بين السما والارض اي الغيم المذلل سمي سحابا لسرعة سيره كانه يسحب والاية في

ذلك ان السحاب مع ما فيه من المياه العظيمة التي تسيل منها الاودية العظيمة يبقى معلقا
بين السما والارض ففي هذه الانواع الثمانية المذكورة في هذه الاية دلالة عظيمة على
وجود الصانع القادر المختار وانه الواحد في ملكه فلا شريك له ولا نظير وهو المراد
من قوله والهكم اله واحد لا اله الا هو وقوله لايات اي فيما ذكر من ذلك لايل مصنوعاته
الدالة على وحدانيته قيل انما جمع ايات لان في كل واحد مما ذكر من هذه الانواع ايات
كثيرة تدل على ان لها خالقا مدبرا مختارا لقوم يعقلون اي ينظرون بعيون عقولهم
ويتفكرون بقلوبهم فيعلمون ان لهذه الاشيا خالقا ومدبرا وصانعا قادرا على ما يريد
قوله عز وجل ومن الناس يعني المشركين من يتخذ من دون الله اندادا يعني اصناما يعبدونها
والند المثل المنازع فعلى هذا الاصنام انداد بعضها لبعض وليست انداد الله
تعالى لان الله ان يكون له ند او له مثل منازع وقيل الانداد الاكفا من الرجال وهم رؤساهم
وكبراوهم الذين يطيعونهم في معصية الله يحبونهم اي يودونهم ويميلون اليهم والحب
نقيض البغض واحببت فلانا اي جعلته معرضا بان يحبه والمحبة الارادة كحب الله
اي كحب المومنين الله والمعنى يحبون الاصنام كما يحب المومنون ربهم عز وجل وقيل معناه
يحبونهم كحبهم الله فيكون المعنى انهم يسوون بين الاصنام وبين الله في المحبة فمن قال
بالقول الاول لم يثبت للكفار محبة لله لكن جعلوا الاصنام شركا له في الحب والذين
امنوا اشد حبا لله اي اثبت واد وم على محبته لانهم لا يختارون مع الله سواه والمشركون
ان اتخذ واحد منهم صنما ثم راى اخر احسن منه طرحوا الاول واختاروا الثاني وقيل ان
الكفار يعدلون عن اصنامهم في الشدايد ويقبلون الى الله تعالى كما اخبر عنهم فاذا
ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمومنون لا يعدلون عن الله تعالى في السرا
ولا في الضرا ولا في الشدة ولا في الرخا وقيل ان المومنين يوحدون ربهم والكفار يعبدون
اصناما كثيرة فتنقص المحبة لصنم واحد وقيل انما قال والذين امنوا اشد حبا لله
لان الله احبهم اولا فاحبوه ومن شهد له المعبود بالمحبة كانت محبته اتم وسياتي بسط الكلام
في معنى المحبة عند قوله يحبهم ويحبونه ولو يرى الذين ظلموا قرى بالتا والمعنى ولو ترى
الذين اشركوا في شدة العذاب لرايت امرا عظيما وقرى باليا ومعناه ولو يرى الذين ظلموا
انفسهم عند رويتهم العذاب حين يرون العذاب ان القوة لله جميعا والمعنى انهم
شاهدوا من قدرة الله تعالى ما تيقنوا معه ان القوة له جميعا وان الامر ليس على ما كانوا عليه
من الشرك والجحود وان الله شديد العذاب قوله تعالى اذ تبرا اي تنزه وتباعد
الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب اي القادة من مشركي الانس من اتباع
وذلك يوم القيامة حين يجمع القادة والاتباع فيتبرا بعضهم من بعض عند نزول
العذاب بهم وعجزهم عن دفعه عن انفسهم فكيف عن غيرهم وقيل هم الشياطين يتبراون
من الانس والقول هو الاول وتقطعت بهم الاسباب يعني الوصلات التي كانت بينهم
في الدنيا يتواصلون بها من قرابة وصداقة وقيل الاعمال التي كانت بينهم يعملونها في الدنيا
وقيل العهود والحلف التي كانت بينهم اي بينهم يتوادون عليها واصل السبب في اللغة الحبل
الذي يصعد به النخل وسمي كل ما يتوصل به الى شي من ذريعة او قرابة او مودة سببا تشبيها
بالحبل الذي يصعد به وقال الذين اتبعوا يعني الاتباع لو ان لنا كرة اي رجعة الى الدنيا
فنتبرا منهم اي من المتبوعين كما تبراوا منا اليوم كذلك يريهم الله اي كما اراهم العذاب يريهم
الله اعمالهم حسرات عليهم لانهم ايقنوا بالهلاك والحسرة الغم على ما فات وشدة الندم عليه

لانه انحسر عنه الجهل الذي حمله على ما ارتكبه والمعنى ان الله تعالى يريهم السيئات التي عملوها
وارتكبوها في الدنيا فيتحسرون لم عملوها وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على تضييعها
وقيل ترفع لهم منازلهم في الجنة فيقال لهم هذه مساكنكم لو اطعتم الله ثم تقسم بين
المؤمنين فذلك حين يتحسرون ويندمون على ما فاتهم ولا ينفعهم الندم وما هم بخارجين من
النار قوله عز وجل يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا نزلت في ثقيف وخزاعة
وعامر بن صعصعة وبني مدلج فيما حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسائبة
والوصيلة والحام والحلال المباح الذي احله الشرع وانحلت عقدة الحظر عنه واصله
من الحل الذي هو نقيض العقد والطيب ما يستلذ والمسلم لا يستطيب الا الحلال وقيل الطيب
هو الطاهر لان النجس تكرهه وتعافه النفس ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي لا تسلكوا
سبيله وقيل معناه لا تأتموا به ولا تتبعوا آثاره وزلاته والمعنى احذروا ان تتعدوا ما احل
لكم الى ما يدعوكم اليه الشيطان وقيل هي النذور في المعاصي وقيل هي المحقرات من الذنوب
ثم بين علة هذا التحذير بقوله تعالى انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وقد اظهر الله تعالى
عداوته باباية السجود لآدم ثم بين عداوته ما هي فقال تعالى انما يأمركم بالسوء يعني
بالاثم والسوء ما يسوء صاحبه ويحزنه والفحشاء يعني بها المعاصي وما قبح من قول او فعل
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وقيل الفحشاء
الزنا وقيل البخل وان تقولوا على الله ما لا تعلمون يعني من تحريم الحرث والانعام ويتناول
ذلك جميع المذاهب الفاسدة التي لم يأذن بها الله ولم ترد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واعلم ان امر الشيطان ووسوسته عبارة عن هذه الخواطر حروف واصوات منتظمة
خفية تشبه الكلام في الخارج ثم ان فاعل هذه الخواطر هو الله تعالى والحادث لها في باطن
الانسان وانما الشيطان كالعرض والله هو المقدر له على ذلك وقد ورد في الصحيح
عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وانما قدر على
ذلك لايصال هذه الخواطر الى باطن الانسان قوله تعالى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل
الله هذه قصة مستأنفة والضمير في لهم يعود الى غير مذكور قال ابن عباس دعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم اليهود الى الاسلام فقال رافع بن خارجة ومالك بن عوف بل نتبع ما الفينا
عليه آباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم منا فانزل الله هذه الآية وقيل الآية متصلة بما قبلها
والضمير في لهم يعود على قوله ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا وهم مشركو العرب
قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا يعني من عبادة الاصنام وقيل ان الضمير في لهم يعود
على قوله يا ايها الناس كلوا والمعنى واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله يعني في تحليل ما حرموا
على انفسهم قالوا بل نتبع ما الفينا يعني وجدنا عليه آباءنا يعني من التحريم والتحليل قال
الله تعالى او لو كان آباؤهم يعني الذين يتبعونهم لا يعقلون شيئا يعني لا يعلمون شيئا من امر
الدين لفظه عام ومعناه خاص وذلك انهم كانوا يعقلون امر الدنيا ولا يهتدون اي الى
الصواب ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع
الا دعاء ونداء النعيق صوت راعي الغنم ويقال نعق الراعي بالغنم وحدها ومعنى الآية
ومثلك يا محمد ومثل الكفار في وعظهم ودعائهم الى الله كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي
لا تسمع الا صوتا فصار الداعي الى الله تعالى وهو الرسول صلى الله عليه وسلم بمنزلة الراعي
وصار الكفار بمنزلة الغنم المنعوق بها ووجه المثل ان الغنم تسمع الصوت ولا تفطن
للمراد وكذلك الكفار يسمعون صوت الرسول صلى الله عليه وسلم ولا ينتفعون به وقيل معنا

ومثل

ومثل الذين كفروا في قلة عقلهم وفهمهم عن الله تعالى ورسوله كمثل المنعوق به من البهائم
التي لا تفهم من الامر والنهي الا الصوت فيكون المعنى بالمثل المنعوق به خارج عن الناعق
وقيل معناه ومثل الذين كفروا في دعائهم الاصنام التي لا تفقه ولا تعقل كمثل الناعق
بالغنم فهو لا ينتفع من نعيقه بشيء غير انه عنا من الدعاء والنداء فكذلك الكافر ليس
له من دعاء الاصنام وعبادتها الا العناء والبلاء والفرق بين هذا القول والقول الذي
قبله ان المحذوف منا هو المدعو وهي الاصنام وفي القول الاول المحذوف هو الداعي
وهو الرسول صلى الله عليه وسلم صم بكم عمي لما شبههم بالبهائم زاد في تبكيتهم فقال لهم
لانهم اذا سمعوا الحق ودعاء الرسول ولم ينتفعوا به صاروا بمنزلة الاصم الذي لا يسمع
ولا يعقل كانه اصم ابكم اي عن النطق بالخير عمي اي عن طريق الهدى فهم لا يعقلون قيل
المراد به العقل الكسبي لان العقل الطبيعي كان حاصلا لهم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا
كلوا من طيبات ما رزقناكم قيل ان الامر في قوله كلوا قد يكون للوجوب كالاكل لحفظ النفس
ودفع الضرر عنها وقد يكون للندب كالاكل مع الضيف وقد يكون للاباحة اذا خلا من
هذه العوارض والطيب الحلال م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه
حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك قوله اشعث اغبر هو البعيد
العهد بالدهن والغسل والنظافة وقيل الطيب المستلذ من الطعام فاباح الله لهم ذلك
واشكروا الله يعني على نعمه ان كنتم اياه تعبدون اي اشكروا الله الذي رزقكم هذه النعم
ان كنتم تخصونه بالعبادة وتقرون انه الهكم لا غيره وقيل ان كنتم عارفين بالله وبنعمه فاشكروه
عليها قوله تعالى انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير لما امرنا الله في الآية التي
تقدمت باكل الطيبات التي هي الحلالات بين في هذه الآية انواعا من المحرمات اما الميتة
فكل ما فارقته الروح من غير ذكاة مما يذبح واما الدم فهو الجاري وكانت العرب تجعل
الدم في المصارين ثم تشويه وتأكله فحرم الله الدم واما الخنزير فانه اراد بلحمه جميع
اجزائه وانما خص اللحم بالذكر لانه المقصود لذاته بالاكل وما اهل به لغير الله يعني وما
ذبح للاصنام والطواغيت واصل الاهلال رفع الصوت وذلك انهم كانوا يرفعون اصواتهم
بذكر آلهتهم اذا ذبحوا لها فجرى ذلك مجرى حالهم وامرهم حتى قيل لكل ذابح مهل وان لم يجهر
بالتسمية فمن اضطر يعني الى اكل الميتة واحوج اليها غير باغ اصل البغي الفساد ولا عاد
اصله من العدوان وهو الظلم ومجاوزة الحد فلا اثم عليه اي فاكل فلا اثم عليه اي
فلا حرج عليه في اكلها ان الله غفور اي لمن اكله في حال الضرورة رحيم يعني حيث رخص
لعباده في ذلك فصل في حكم الآية وفيه مسائل الاولى في حكم الميتة اجمعت الامة

قف على مسايل تتعلق بالميتة والدم والخنزير وما استثني من ذلك

على تحريم اكل الميتة وانها نجسة واستثنى الشرع منها السمك والجراد اما السمك فلقوله صلى
الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه الجماعة غير البخاري ومسلم
قال الترمذي فيه حديث حسن صحيح واما الجراد فلما روي عن ابن ابي اوفى قال غزونا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات او ستا وكنا ناكل الجراد ونحن معه اخرجاه
في الصحيحين واختلف في السمك الميت الطافي على الماء فقال مالك والشافعي لا باس به
وقال ابو حنيفة رضي الله تعالى عنه واصحابه والحسن بن صالح بن حي انه مكروه وروي

عن علي بن ابي طالب انه قال ما طفا من صيد البحر فلا تاكله وقال ابن عباس وجابر بن عبد الله
وروي عن ابي بكر الصديق وابي ايوب اباحته واختلف في الجراد فقال الشافعي وابو حنيفة
لا باس باكل الجراد ما اخذته وما وجدته ميتا وروي مالك ان ما وجد ميتا فلا يحل وما
اخذ حيا يذكي ذكاة مثله بان يقطع راسه ويشوي فان غفل عنه حتى يموت فلا يحل

المسئلة الثانية في حكم الدم اتفق العلماء على ان الدم حرام نجس لا يوكل ولا ينتفع
به قال الشافعي تحرم جميع الدماء سواء كان مسفوحا او غير مسفوح وقال ابو حنيفة دم
السمك ليس بحرام قال لانه اذا يبس يبيض واستثنى الشارع من الدم الكبد والطحال
وروى الدارقطني عن عبد الرحمن بن اسلم عن ابيه عن عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال احل لنا من الدم دمان ومن الميتة ميتتان الحوت والجراد ومن الدم الكبد
والطحال وفي لفظ اخر احلت لنا ميتتان ودمان فاما الميتتان فالجراد والحوت واما
الدمان فالطحال والكبد واخرجه ابن ماجه واحمد بن حنبل قال احمد وعلي ابن المديني
عبد الرحمن بن زيد ضعيف واخوه عبد الله بن زيد عن ابيه عن ابن عمر مرفوعا وضعف
ابو بكر بن العربي هذا الحديث وقال يروى عن ابن عمر مرفوعا وموقوفا والصحيح الموقوف
واختلف في تخصيص هذا العموم في الكبد والطحال فقال مالك لا تخصيص لان الكبد
والطحال لحم ويشهد بذلك العيان الذي لا يفتقر الى برهان وقال الشافعي هما دمان
ويشهد لذلك الحديث فهو مخصص من العموم

المسئلة الثالثة في الخنزير اجمعت الامة
على ان الخنزير بجميع اجزائه محرم وانما ذكر الله تعالى لحمه لان معظم الانتفاع يتعلق به
ثم اختلفوا في نجاسته فقال جمهور العلماء انه نجس وقال مالك انه طاهر وكذلك كل
حيوان عنده لان علة الطهارة هي الحياة وللشافعي قولان في ولوغ الخنزير احدهما انه
كالكلب والقديم يكفي في ولوغه غسلة واحدة والفرق بينهما ان التغليظ في الكلب
تعبد لا يعقل معناه فلا يتعدى الى غيره

المسئلة الرابعة في حكم قوله وما اهل
به لغير الله من الناس من زعم ان المراد بذلك ذبائح عبدة الاوثان الذين كانوا يذبحون
لاصنامهم واجاز ذبيحة النصارى اذا سموا عليها باسم المسيح وهو مذهب عطاء ومكحول
والحسن والشعبي وسعيد بن المسيب لعموم قوله وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم
وقال مالك والشافعي وابو حنيفة لا يحل ذلك والحجة فيه انهم قالوا اذا ذبحوا على
اسم المسيح فقد اهلوا به لغير الله فوجب ان يحرم وروي عن علي بن ابي طالب انه
قال اذا سمعتموهم فكلوا فان الله قد احل ذبائحهم وهو اعلم بما يقولون

المسئلة الخامسة في حكم المضطر المضطر هو المكلف بالشي الملجا اليه المكره عليه والمراد
بالمضطر في قوله فمن اضطر اي خاف التلف حتى قيل من اضطر الى اكل الميتة فلم ياكل
منها حتى مات دخل النار والمضطر على ثلاثة اقسام اما باكراه او بجوع في مخمصة او
بفقر لا يجد شيا البتة فان التحريم يرتفع مع وجود هذه الاقسام بحكم الاستثنا
في قوله فلا اثم عليه وتباح له الميتة فاما الاكراه فيبيح ذلك الى زوال الاكراه واما
المخمصة فلا تخلو ان تكون دايمة فلا خلاف في جواز الشبع منها وان كانت نادرة فاختلف
العلما فيه وللشافعي قولان احدهما انه ياكل ما يسد به الرمق وبه قال ابو حنيفة
والثاني ياكل قدر الشبع وبه قال مالك

المسئلة السادسة في قوله غير
باغ ولا عاد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما معنى غير باغ غير خارج على السلطان
ولا عاد اي متعد يعني العاصي بسفره ان ياكل من الميتة اذا اضطر اليها ولا يترخص

ترخص

ترخص المسافر حتى يتوب وبه قال الشافعي رضي الله تعالى عنه لان اباحة الميتة له اعانة له على
فساده وذهب قوم الى ان البغي والعدو وان يرجعان الى الاكل وبه قال ابو حنيفة واباح
اكل الميتة للمضطر وان كان عاصيا وان معنى قوله غير باغ اي غير طالب الميتة وهو يجد غيرها
ولا عاد اي غير متعد ما حد له وقيل غير مستحل لها ولا متزود منها والله اعلم • قوله عز وجل
ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب نزلت في علماء اليهود ورؤسائهم وذلك انهم كانوا
يصيبون من سفلتهم الهدايا والمآكل وكانوا يرجون ان النبي المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى
الله عليه وسلم وهو من غيرهم خافوا على ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم فكتموا صفة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتموها فانزل الله ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب اي في
الكتاب من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونعته ووقت نبوته هذا قول المفسرين
وقال الامام فخر الدين الرازي وعند المتكلمين هذا ممتنع لان التوراة والانجيل قد
بلغا من الشهرة والتواتر حتى تعذر ذلك فيهما بل كانوا يكتمون التاويل لانه قد كان منهم
من لا يعرف الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا يذكرون لها تاويلات
باطلة ويصرفونها عن محاملها الصحيحة الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فهذا هو المراد بالكتمان فيصير المعنى ان الذين يكتمون معاني ما انزل الله من الكتاب
ويشترون به ثمنا قليلا اي عوضا يسيرا وهي المآكل التي كانوا ياخذونها من سفلتهم **اولئك
ما ياكلون في بطونهم الا النار** يعني ما يوديهم الى النار وهو الرشا والحرام فلما كان يفضي
ذلك بهم الى النار فكانهم اكلوها **ولا يكلمهم الله يوم القيامة** اي كلام رحمة وما يسرهم بل يكلمهم بالتوبيخ
وهو قوله اخسئوا فيها وقيل اراد به الغضب يقال فلان لا يكلم فلانا اذا غضب عليه
ولا يزكيهم اي ولا يطهرهم من دنس الذنوب **ولهم عذاب اليم** اي وجيع يصل المه الى قلوبهم
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة معناه انهم اختاروا الضلالة
على الهدى واختاروا العذاب على المغفرة لانهم كانوا عالمين بالحق ولكن كتموه واخفوه
وكان في اظهاره الهدى والمغفرة وفي كتمانه الضلالة والعذاب فلما اقدموا على
اخفا الحق وكتمانه كانوا بايعين الهدى بالضلالة والمغفرة بالعذاب **فما اصبرهم
على النار** اي ما الذي اصبرهم واي شي جسرهم على النار حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل
فهو استفهام بمعنى التوبيخ وقيل انه بمعنى التعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار
من غير مبالاة منهم فلما اقدموا على ما يوجب لهم النار مع علمهم بذلك صاروا كالراضين
بالعذاب والصابرين عليه تعجب من حالهم بقوله فما اصبرهم على النار **ذلك بان الله
نزل الكتاب** يعني ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فكفروا به وانكروه وقيل
معناه فعلنا بهم ذلك لان الله نزل الكتاب بالحق فحرفوه وبدلوه وقيل امنوا ببعض
وكفروا ببعض **وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق** اي خلاف ومنازعة **بعيد**
عن الحق • قوله عز وجل **ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب** هذا خطاب
لاهل الكتاب لان النصارى تصلي قبل المشرق واليهود قبل المغرب الى بيت المقدس وزعم
كل طايفة منهم ان البر في ذلك فاخبر الله تعالى ان البر ليس فيما زعموا ولكن فيما بينه
في هذه الاية وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو خطاب للمومنين وذلك ان الرجل
كان في ابتداء الاسلام اذا اتى بالشهادتين وصلى الى اي جهة كانت ثم مات على ذلك
وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرايض وصرفت
القبلة الى الكعبة انزل الله هذه الاية فقال تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم اي في صلاتكم

قبل المشرق والمغرب ولا تغلوا ذلك ولكن البر يعني ما بينته لكم والبر اسم جامع لكل الطاعات
واعمال الخير المقربة الى الله تعالى الموجبة للثواب والمؤدية الى الجنة ثم بين خصال البر
فقال تعالى من امن بالله واليوم الاخر اي ولكن البر من امن بالله فالمراد بالبر هنا الايمان
بالله والتقوى من الله واليوم الاخر وانما ذكر الايمان باليوم الاخر لان عبدة الاوثان كانوا
ينكرون البعث بعد الموت والملائكة اي ومن البر الايمان بالملائكة كلهم لان اليهود قالوا ان
جبريل عدونا والكتاب اي ومن البر الايمان بالكتاب قيل اراد به القران وقيل جميع الكتب
المنزلة لسياق ما بعده وهو قوله والنبيين يعني اجمع وانما خص الايمان بهذه الامور الخمسة لانه
يدخل تحت كل واحد منها اشياء كثيرة مما يلزم المؤمن ان يصدق بها واتى المال على حبه يعني من
اعمال البر اعطاء المال على حبه قيل ان الضمير راجع الى المال فالتقدير على هذا واتى المال
على حب المال ق عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اي الصدقة اعظم اجرا فقال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل
الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان قوله
حتى اذا بلغت الحلقوم يعني الروح وان لم يتقدم لها ذكر وقوله لفلان كذا هو كناية عن الموصى
له وقوله وقد كان لفلان كناية عن الوارث وقيل الضمير في حبه راجع الى الله تعالى
اي واتى المال على حبه وفي طلب مرضاته ذوي القربى يعني اهل قرابة المعطي وانما قدمهم
لانهم احق بالاعطاء عن سلمان بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة
على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة اخرجه النسائي ق ان ميمونة
اعتقت وليدة ولم تستاذن النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه
قالت اشعرت يا رسول الله اني اعتقت وليدتي قال او فعلت قالت نعم قال اما انك
لو اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك الوليدة الجارية واليتامى اليتيم هو الذي لا اب له
مع الصغر وقيل يقع على الصغير والبالغ اي واتى الفقراء من اليتامى والمساكين جمع
مسكين سمي بذلك لانه دائم السكون الى الناس لانه لا شيء له وابن السبيل يعني المسافر
المنقطع عن اهله سمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق وهو الضيف ينزل بالرجل
لانه انما وصل اليه من السبيل وهو الطريق والاول اشبه لان ابن السبيل اسم جامع
جعل للمسافر والسائلين يعني الطالبين المستطعمين عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للسائل حق ولو جاء على فرس اخرجه ابو داود وعن زيد
ابن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطوا السائل ولو جاء على فرس اخرجه مالك
في الموطا وعن ام   قالت قلت يا رسول الله ان المسكين ليقوم على بابي فما اجد شيئا
اعطيه اياه قال ان لم تجدي الا ظلفا محرقا فادفعيه اليه في يده اخرجه ابو داود
والترمذي وقال حديث حسن صحيح وفي رواية في الموطا عنها ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ردوا المسكين ولو بظلف محرق قوله ردوا المسكين لم يرد به رد الحرمان
وانما اراد رده بشيء يعطوه اياه ولو كان ظلفا محرقا وهو خف الشاة وفي كونه محرقا
مبالغة في قلة ما يعطى وفي الرقاب يعني المكاتبين وقيل هو فك النسمة وعتق الرقبة
وفداء الاسارى واقام الصلاة يعني المفروضة في اوقاتها واتى الزكاة يعني الواجبة
والموفون بعهدهم يعني ما اخذ الله من العهود على عباده بالقيام بحدوده والعمل بطاعته
وقيل اراد بالعهد ما يجعله الانسان على نفسه ابتداء من نذر وغيره وقيل العهد
الذي بينه وبين الناس مثل الوفاء بالمواعيد واداء الامانات اذا عاهدوا يعني اذا

وعدوا انجزوا واذا نذروا اوفوا واذا حلفوا بروا بايمانهم واذا قالوا صدقوا في اقوالهم
واذا ائتمنوا ادوا والصابرين في البأساء اي في الشدة والفقر والفاقة والضراء يعني
المرض والزمانة وحين البأس يعني القتال والحرب في سبيل الله تعالى وسمي الحرب
باسا لما فيه من الشدة م عن البراء رضي الله تعالى عنه قال كنا والله اذا احمر البأس
نتقي به وان الشجاع منا الذي يحاذي به يعني النبي صلى الله عليه وسلم قوله احمر البأس
اي اشتد الحرب ونتقي به اي نجعله وقاية لنا من العدو اولئك الذين صدقوا اي اهل
هذه الاوصاف هم الذين صدقوا في ايمانهم واولئك هم المتقون قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى نزلت في حي من احياء العرب اقتتلوا في الجاهلية
بسبب قتيل فكانت بينهم قتلى وجروح وجراحات كثيرة ولم ياخذ بعضهم من بعض حتى جاء
الاسلام وقيل نزلت في الاوس والخزرج وكان لاحد الحيين طول على الاخر في الكثرة والشرف
وكانوا ينكحون نساءهم بغير مهر واقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم وبالمرأة الرجل منهم
وبالرجل منا الرجلين منهم وجعلوا جراحاتهم ضعفي جراحات اولئك فرفعوا امرهم الى
النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وامر بالمساواة فرضوا وسلموا وقيل
انما نزلت هذه الاية لازالة الاحكام التي كانت قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وذلك ان اليهود كانوا يوجبون القتل فقط بلا عفو والنصارى يوجبون العفو بلا قتل
والعرب في الجاهلية كانوا يوجبون تارة ويوجبون اخذ الدية تارة وكانوا يتعدون
في الحكمين فان وقع القتل على شريف قتلوا به عددا وياخذون دية الشريف اضعاف
دية الخسيس فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم اوجب رعاية العدل وسوى
بين عباده في حكم القصاص فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب اي فرض عليكم
القصاص في القتلى فان قلت كيف يكون القصاص فرضا والولي مخير فيه بين
العفو او القصاص او اخذ الدية قلت ان القصاص فرض على القاتل للولي
لا على الولي وقيل ان اراد الولي القصاص فقد فرض عليكم القصاص المساواة
والمماثلة في القتل والدية والجراح من قص الاثر اذا اتبعه فالمفعول به يتبع
ما فعل به فيفعل مثل ذلك فلو قتل رجلا بعصا او خنقه او شدخ راسه بحجر فمات
فعلى القاتل مثل الذي قتل به وهو قول مالك والشافعي رضي الله تعالى عنهما
واحدى الروايتين عن احمد وقيل يقتل بالسيف وهو قول ابي حنيفة ورواية عن احمد
الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى ومعناه اذا تكافأ الدمان من الاحرار
المسلمين او الاحرار من المعاهدين او العبيد منهم فيقتل كل صنف اذا قتل بمثله الذكر
بالذكر والانثى بالانثى وبالذكر ولا يقتل مؤمن بكافر ولا حر بعبد ولا والد بولد
ويقتل الذمي بالمسلم والعبد بالحر والولد بالوالد هذا مذهب مالك والشافعي
واحمد ويدل عليه ما رواه البخاري في صحيحه عن ابي جحيفة انه قال سألت عليا
هل عندكم من النبي صلى الله عليه وسلم سوى القران وما في هذه الصحيفة قلت وما
في الصحيفة قال العقل وفكاك الاسير وان لا يقتل مؤمن بكافر وقد اخرج مسلم عن علي
نحو هذا من غير رواية ابي جحيفة العقل هو الدية والعاقلة الجماعة من اولياء
القاتل الذين يعقلون عن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لا تقام الحدود في المساجد ولا يقتل الوالد بالولد اخرجه الترمذي
وذهب اصحاب الراي الى ان المسلم يقتل بالذمي والحر بالعبد وهذه الاية مع الاحاديث

مبحث الكلام على القصاص وشرط التكافي بين الدماء

حجة لمذهب الشافعي ومن وافقه ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس
وان تلك واردة لحكاية ما كتب على بني اسرائيل في التوراة وهذه الاية خطاب للمسلمين
بما كتب عليهم وذهب اصحاب الراي الى ان هذه منسوخة بقوله النفس بالنفس وتقتل
الجماعة بالواحد يدل عليه ما روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر ان غلاما قتل غيلة
فقال عمر لو اشترك فيها اهل صنعاء لقتلتهم قال البخاري وقال المغيرة بن حكيم عن ابيه
ان اربعة قتلوا صبيا فقال عمر مثله وروى مالك في الموطا عن ابن المسيب ان عمر
قتل نفرا خمسة او سبعة برجل واحد قتلوه غيلة وقال لو تمالأ عليه اهل صنعاء
لقتلتهم جميعا . الغيلة ان يقتل الرجل غيلة ومكرا من غير ان يعلم ما يراد به وقوله
لو تمالأ اي تعاونوا واجتمعوا عليه . قوله تعالى فمن عفي له من اخيه شيء اي ترك له
وصفح عنه من الواجب عليه وهو القصاص في قتل العمد ورضي بالدية وهذا العفو هنا
قبول الدية في قتل العمد من اخيه اي من دم اخيه واراد بالاخ ولي المقتول وانما
قيل له اخ لانه لابس من قبل انه ولي الدم والمطالب به وقيل انما ذكره بلفظ الاخوة
ليعطف احدهما على صاحبه بما هو ثابت بينهما من الجنسية واخوة الاسلام وفي قوله
شيء دليل على ان بعض الاولياء اذا عفا سقط القود وثبتت الدية لان شيئا من الدم
قد بطل فاتباع بالمعروف اي فليتبع الولي القاتل بالمعروف فلا ياخذ اكثر من
حقه ولا يعنف واداء اليه باحسان اي على القاتل اداء الدية الى ولي الدم من غير
مماطلة امر كلا منهما بالاحسان فيما له وعليه وقيل في تقرير الاية واذا عفا ولي
الدم عن شيء يتعلق بالقاتل وهو وجوب القصاص فليتبع القاتل ذلك العفو برد
وليؤد ما وجب عليه من الدية الى ولي الدم باحسان من غير مطل ولا مدافعة وفي
الاية دليل على ان القاتل لا يصير كافرا وان الفاسق مؤمن بقوله يا ايها الذين امنوا
كتب عليكم القصاص فسماه مؤمنا بقوله حال ما وجب عليه القصاص وانما وجب
عليه بعد صدور القتل منه وقتل العمد العدوان من الكبائر بالاجماع فدل
على ان صاحب الكبيرة مؤمن ووجه ذلك من وجوه الاول ان الله تعالى خاطبه بعد
القتل بالايمان وسماه مؤمنا الوجه الثاني ان الله تعالى اثبت الاخوة بين القاتل وولي الدم
بقوله فمن عفي له من اخيه شيء واراد بالاخوة اخوة الايمان فلولا ان الايمان باق على
القاتل لم تثبت له الاخوة الوجه الثالث ان الله تعالى ندب الى العفو عن القاتل
والعفو لا يليق الا عن المؤمن لا عن الكافر وقوله تعالى ذلك تخفيف من ربكم ورحمة
يعني الذي ذكر من الحكم بشرع القصاص والعفو عن القصاص واخذ الدية تخفيف
من ربكم في حقكم ورحمة وذلك لان العفو واخذ الدية كان حراما على اليهود وكان
القصاص حتما في التوراة وكان في شرع النصارى اخذ الدية ولم يكتب عليهم
القصاص وقيل كان عليهم العفو دون القصاص واخذ الدية فخير الله هذه الامة
بين القصاص والعفو واخذ الدية توسعة عليهم وتيسيرا وتفضيلا لهم على غيرهم
فمن اعتدى بعد ذلك يعني بعد هذا التخفيف فقتل الجاني بعد العفو او قبول الدية
فله عذاب اليم وهو ان يقتل قصاصا ولا تقبل منه دية ولا يعفى عنه وقيل المراد
بالعذاب الاليم عذاب الاخرة . قوله تعالى ولكم في القصاص حياة اي بقاء وذلك
ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل قتل ترك القتل وامتنع منه فيكون فيه
بقاؤه وبقاء من هم بقتله وقيل ان نفس القصاص سبب للحياة وذلك ان القاتل

وفيه على ان مرتكب الكبيرة مؤمن وعلى خلافا للمعتزلة رد عليهم

اذا اقتص منه ارتدع غيره ممن كان يهم بالقتل واعلم ان هذا الحكم ليس مختصا بالقصاص الذي
هو القتل بل يدخل فيه جميع الجراح والشجاج وغيرها لان الجارح اذا علم انه اذا جرح
جرح لم يجرح فيكون ذلك سببا لبقاء الجارح والمجروح وربما انتهت الجراحة الى الموت فيقتص
من الجارح وقيل في معنى الاية ان الحياة سلامة من قصاص الاخرة فانه اذا اقتص منه
في الدنيا لم يقتص منه في الاخرة وفي ذلك حياته واذا لم يقتص منه في الدنيا اقتص منه
في الاخرة يا اولي الالباب اي يا ذوي العقول الذين يعرفون العواقب لان العاقل لا يريد
اتلاف نفسه باتلاف غيره لعلكم تتقون يعني لعلكم تنتهون عن القتل خوف القصاص قوله
عز وجل كتب عليكم اي فرض عليكم اذا حضر احدكم الموت اي قرب ودنا منه وظهرت اثاره
عليه من العلل والامراض المخوفة وليس المراد منه معاينة الموت لان في ذلك الوقت يعجز
عن الايصاء ان ترك خيرا يعني مالا وقيل ان لفظة الخير لا تطلق الا على المال الكثير وهو قول
الاكثرين واختلفوا في مقدار الكثير الذي تجب فيه الوصية فقيل الف درهم فما زاد
عليها وقيل سبعمائة فما فوقها وقيل ستون دينارا فما فوقها وقيل انه من خمسمائة الى الف
وقيل انه المال الكثير الفاضل عن العيال روي ان رجلا قال لعائشة اني اريد ان اوصي
فقالت كم مالك قال ثلاثة الاف درهم قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله
ان ترك خيرا وهذا شيء يسير فاتركه لعيالك الوصية اي الايصاء والوصية العقد
الى الغير بما يعمله وقيل هو القول الذي يستانف من الحال والقيام به بعد الموت
للوالدين والاقربين كانت الوصية في ابتداء الاسلام فريضة للوالدين والاقربين
على من مات وله مال وسبب ذلك ان اهل الجاهلية كانوا يوصون للابعدين طلبا للفخر
والشرف والرياء ويتركون الاقربين فقراء فاوجب الله تعالى الوصية للاقربين ثم نسخ هذه
الاية باية المواريث وبما روي عن عمرو بن خارجة قال كنت آخذا بزمام ناقة النبي صلى
الله عليه وسلم وهو يخطب فسمعته يقول ان الله اعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث
اخرجه النسائي وللترمذي نحوه وذهب ابن عباس الى ان وجوبها صار منسوخا في حق من يرث
وبقي وجوبها في حق من لا يرث من الوالدين والاقربين وهو قول الحسن ومسروق وطاوس
والضحاك ومسلم بن يسار وحجة هؤلاء ان الاية دالة على وجوب الوصية للوالدين
والاقربين ثم نسخ ذلك الوجوب في حق من يرث باية الميراث وبالحديث المتقدم فوجب
ان تبقى الاية دالة على وجوب الوصية للقريب الذي لا يرث فعلى قول هؤلاء النسخ يتناول
بعض احكام الاية وذهب الاكثرون من المفسرين والعلماء وفقهاء الحجاز والعراق الى ان
وجوبها صار منسوخا في حق الكافة وهي مستحبة في حق من لا يرث ويدل على استحباب
الوصية والحث عليها ما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ
له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد ان يوصي فيه ان يبيت ليلتين وفي رواية ثلاث ليال
الا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول ما مرت علي ليلة منذ سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك الا ووصيتي مكتوبة عندي اخرجه الجماعة قوله
ما حق امرئ الحق معناه يشتمل على الوجوب والندب والحث فيحمل هنا على الحث على الوصية
لانه لا يدري متى ياتيه الموت فربما اتاه بغتة فيمنعه عن الوصية بالمعروف اي
بالعدل الذي لا وكس فيه ولا شطط فلا يزيد على الثلث ولا يوصي للغني ويدع الفقير عن
سعد بن ابي وقاص قال جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع من
وجع اشتد بي فقلت يا رسول الله اني قد بلغ بي من الوجع ما ترى وانا ذو مال ولا يرثني

فقول الاكثرين ان الوصية للاقربين منسوخة باية الميراث وان الوصية لغير الوارث مندوبة

الا ابنة لي افاتصدق بثلثي مالي قال لا قلت فالشطر يا رسول الله قال لا قلت فالثلث قال الثلث والثلث كثير او قال كبير انك ان تذر ورثتك اغنيا خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس العالة الفقرا وقوله يتكففون الناس اي يتكففون المسألة من الناس كانه من الطلب بالاكف ق عن ابن عباس قال في الوصية لو ان الناس غضوا من الثلث الى الربع فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لسعد والثلث كثير وقال علي بن ابي طالب لان اوصي بالخمس احب الي من ان اوصي بالربع وان اوصي بالربع احب الي من ان اوصي بالثلث فمن اوصى بالثلث فلم يترك وقيل يوصي بالسدس او الخمس او الربع **حقا** اي ثابتا ثبوت نظر لا ثبوت فرض ووجوب **على المتقين** اي المومنين الذين يتقون الشرك **فمن بدله** اي غير الوصية من الاوليا والاوصيا وذلك التغيير اما ان يكون في الكتابة او في قسمة الحقوق او الشهود بان يكتموا الشهادة او يغيروها وانما ذكر الكناية في بدله مع ان الوصية مونثة لان الوصية بمعنى الايصا كقوله فمن جاءه موعظة اي وعظ والتقدير فمن بدل قول الميت او ما اوصى به **بعد ما سمعه** اي من الموصي وتحققه **فانما اثمه على الذين يبدلونه** اي ان اثم ذلك التبديل لا يعود الا على المبدل والموصي والموصى له بري منه **ان الله سميع** يعني لما اوصى به الموصي **عليم** يعني بتبديل المبدل **فمن خاف** اي علم وهو خطاب عام لجميع المسلمين **من موص جنفا** اي جورا في الوصية وعدولا عن الحق والجنف الميل **او اثما** اي ظلما **فاصلح بينهم** وقيل الجنف الخطا في الوصية والاثم العمد وقيل في معنى الاية انه اذا حضر رجل مريضا وهو يوصي فراه يميل في وصيته اما بتقصير او اسراف او وضع الوصية في غير موضعها فلا حرج عليه ان يامره بالعدل في وصيته وينهاه عن الجنف والميل وقيل اراد به اذا اخطا في وصيته او حاف متعمدا فلا حرج على وليه او وصيه او ولي امور المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته وبين الموصى لهم ويرد الوصية الى العدل والحق **فلا اثم عليه** اي لا جناح عليه في الصلح **ان الله غفور رحيم** اي لمن اصلح وصيته بعد الجنف والميل عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل والمراة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار ثم قرا ابو هريرة رضي الله عنه من بعد وصية يوصى بها او دين الى قوله ذلك الفوز العظيم اخرجه ابو داود والترمذي **قوله** فيضاران المضارة ايصال الضرر الى شخص ومعنى المضارة في الوصية ان لا يمضي وينقص بعضها او يوصي لغير اهلها او يحيف في الوصية ونحو ذلك ۰ قوله **يا ايها الذين امنوا كتب** اي فرض **عليكم الصيام** والصوم في اللغة الامساك يقال صام النهار اذا اعتدل وقام قايم الظهيرة ومنه قوله تعالى اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا لانه امساك عن الكلام والصوم في الشرع عبارة عن الامساك عن الاكل والشرب والجماع في وقت مخصوص وهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس مع النية **كما كتب على الذين من قبلكم** يعني من الانبيا والامم من لدن ادم الى عهدكم والمعنى ان الصوم عبادة قديمة ما اخلى الله امة لم يفرضه عليهم كما فرضه عليكم وذلك لان الصوم عبادة شاقة والشي الشاق اذا عم سهل عمله وقيل ان صيام شهر رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فصاموا رمضان زمانا فربما وقع في الحر الشديد والبرد الشديد وكان يشق ذلك عليهم في اسفارهم ويضرهم في معايشهم فاجتمع راي علمايهم ورؤسايهم ان يجعلوه في فصل من السنة معتدل بين الصيف والشتا فجعلوه في فصل الربيع ثم زادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصاموا اربعين يوما ثم بعد زمان اشتكى ملكهم

فمه فجعلوه عليه ان هو برا من وجعه ان يزيد في صومهم اسبوعا فبرا فزاد فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك بعد زمان ووليهم ملك اخر فقال ما شان هذه الثلاثة ايام فاتموه خمسين يوما فاتموه وقيل اصابهم موتان فقالوا زيدوا في صيامكم فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده وقيل ان النصارى فرض عليهم صوم رمضان فصاموا قبله يوما وبعده يوما ثم لم يزل الا يزيد وه يوما بعد يوم حتى بلغ خمسين فلذلك نهي عن صوم يوم الشك **لعلكم تتقون** يعني ما حرم عليكم في صيامكم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من كسر النفس وترك الشهوات من الاكل والجماع وغيرهما وقيل معناه لعلكم تتقون ما فعله النصارى من تغيير الصوم وقيل لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم من شعارهم **اياما معدودات** اي معدودات وقيل قليلات قيل انه كان في ابتدا الاسلام صوم ثلاثة ايام من كل شهر واجبا وصوم يوم عاشورا ثم نسخ ذلك بفريضة صوم رمضان قال ابن عباس اول ما نسخ بعد الهجرة امر القبلة ثم الصوم ق عن عايشة رضي الله عنها قالت كان يوم عاشورا تصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وامر بصيامه فلما فرض رمضان ترك عاشورا فمن شا صامه ومن شا تركه وقيل ان المراد من قوله اياما معدودات ايام شهر رمضان ووجهه ان الله تعالى قال اولا كتب عليكم الصيام وهذا يحتمل صوم يوم او يومين ثم بينه بقوله معدودات على انه اكثر من ذلك لكنها غير مخصوصة بعدد ثم بين حصرها بقوله شهر رمضان فاذا امكن ذلك فلا وجه لحمل الايام المعدودات على غير رمضان فتكون الاية غير منسوخة بقال ان فريضة رمضان نزلت في السنة الثانية من الهجرة وذلك قبل غزوة بدر بشهر وايام وكانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من رمضان على راس ثمانية عشر شهرا من الهجرة **فمن كان مريضا او على سفر فعدة** اي فافطر فعليه عدة **من ايام اخر** يعني غير ايام مرضه وسفره **وعلى الذين يطيقونه** اي يطيقون الصوم واختلف العلما في حكم هذه الاية فذهب اكثرهم الى انها منسوخة وهو قول عمر بن الخطاب وسلمة بن الاكوع وغيرهما وذلك انهم كانوا في ابتدا الاسلام مخيرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا ويفدوا وانما خيرهم الله تعالى لئلا يشق عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فصارت هذه الاية ناسخة للتخيير ق عن سلمة بن الاكوع قال لما نزلت هذه الاية وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان من اراد ان يفطر ويفتدي حتى نزلت هذه الاية التي بعدها فنسختها وفي رواية حتى نزلت هذه الاية فمن شهد منكم الشهر فليصمه وقال قتادة هي خاصة في حق الشيخ الكبير الذي يطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص له ان يفطر ويفدي ثم نسخ وقال الحسن هذا في المريض الذي يقع عليه اسم المرض وهو يستطيع الصوم خير بين الصيام وبين ان يفطر ويفدي ثم نسخ وذهب جماعة منهم ابن عباس الى ان الاية محكمة غير منسوخة ومعناها وعلى الذين يطيقونه في حال الشباب ثم عجزوا عنه عند الكبر فعليهم الفدية بدل الصيام وقرا ابن عباس وعلى الذين يطوقونه بضم اليا وفتح الطا والوا والمشددة المفتوحة اي يكلفون الصوم خ عن عطا انه سمع ابن عباس يقرا وعلى الذين يطوقونه فدية طعام مسكين قال ابن عباس ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمراة الكبيرة لا يستطيعان ان يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا **فدية طعام مسكين** الفدية الجزاء

ق: علي اولما فرض من الصوم وعلى اولما نسخ بعد الهجرة صام عاشورا وعلى انه عليه السلام فرض رمضان قبل البعثة ومنه

وفي ان الصوم عبادة قديمة وعلى سبب صوم النصارى خمسين يوما

ومن القدر الذي يبذله الانسان يتّقي به نفسه من تقصير وقع منه في عبادة ونحوها ويجب
على من افطر في رمضان ولم يقدر على القضاء لكبر ان يطعم مكان كل يوم مسكينا مدا من غالب
قوت البلد وهذا قول فقهاء الحجاز وقال بعض فقهاء العراق عليه لكل مسكين نصف صاع
عن كل يوم وقال بعضهم نصف صاع من البر وصاعا من غيره وقال ابن عباس يعطي كل مسكين
عشاءه وسحوره **فمن تطوع خيرا فهو خير له** يعني زاد على مسكين واحد فاطعم عن كل يوم مسكينين
فاكثر وقيل من زاد على القدر الواجب فاطعم صاعا وعليه مد فهو خير له **وان تصوموا
خير لكم** قيل هو خطاب مع الذين يطيقونه فيكون المعنى وان تصوموا ايها المطيقون
وتحملوا المشقة فهو خير لكم من الافطار والفدية وقيل هو خطاب مع الكافة وهو
الاصح لان اللفظ عام فرجوعه الى الكل اولى **ان كنتم تعلمون** يعني ان الصوم خير لكم وقيل
معناه اذا صمتم علمتم ما في الصوم من المعاني المورثة للخير والتقوى واعلم انه لا رخصة
لاحد من المسلمين المكلفين في افطار رمضان بغير عذر والاعذار المبيحة للفطر ثلاثة
احدها السفر والمرض والحيض والنفاس فهؤلاء اذا افطروا فعليهم القضاء دون
الكفارة الثاني الحامل والمرضع اذا خافتا على ولديهما افطرتا وعليهما القضاء والكفارة
واليه ذهب الشافعي وذهب اصحاب الرأي الى انه لا فدية عليهما الثالث الشيخ
الكبير والعجوز الكبيرة والمريض الذي لا يرجى برؤه فعليهم الكفارة دون القضاء قوله
عز وجل **شهر رمضان** يعني وقت صيامكم شهر رمضان سمي الشهر شهرا لشهرته يقال
للشيء اذا ظهر شهر وسمي الهلال شهرا لشهرته وبيانه وقيل سمي الشهر شهرا باسم
الهلال واما رمضان فاشتقاقه من الرمضاء وهي الحجارة الحماة في الشمس وقيل انه
لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا
الشهر ايام رمض الحر فسمي بها قيل ان رمضان اسم من اسماء الله تعالى فيكون معناه
شهر الله ان رمضان اسم لهذا الشهر كشهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان **الذي
انزل فيه القران** لما خص الله تعالى شهر رمضان بهذه العبادة العظيمة بين سبب
تخصيصه بانزال اعظم كتبه فيه والقران اسم لهذا الكتاب المنزل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وروي عن الشافعي انه كان يقول القران اسم وليس بمهموز
وليس هو من القراءة ولكنه اسم لهذا الكتاب كالتوراة والانجيل فعلى هذا القول
انه ليس بمشتق وذهب الاكثرون الى انه مشتق من القرء وهو الجمع فسمي قرانا لانه
يجمع السور والآيات بعضها الى بعض ويجمع الاحكام والقصص والامثال والآيات
الدالة على وحدانية الله قال ابن عباس انزل القران جملة واحدة من اللوح المحفوظ
في ليلة القدر من شهر رمضان فوضع في بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل به جبريل
على محمد صلى الله عليه وسلم نجوما في نحو ثلاث وعشرين سنة فذلك قوله تعالى فلا
اقسم بمواقع النجوم وروى ابو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انزلت صحف ابراهيم
في ثلاث ليال مضين من رمضان وفي رواية في اول ليلة من رمضان وانزلت توراة
موسى في ست ليال مضين من رمضان وانزل انجيل عيسى في ثلاث عشرة ليلة مضت
من رمضان وانزل زبور داود في ثمان عشرة ليلة بقين بعدها فعلى هذا يكون ابتدا
نزول القران على محمد صلى الله عليه وسلم في شهر رمضان وهو قول ابن اسحاق وابي سليمان
الدمشقي وقيل في معنى الآية شهر رمضان الذي نزل بفرض صيامه القران كما تقول
نزلت هذه الآية في الصلاة والزكاة ونحو ذلك من الفرائض يروى ذلك عن مجاهد

مطلب فيما يبيح الفطر في رمضان

مطلب في ان القران نزل ليلة القدر من رمضان وجميع الكتب نزلت في رمضان

والضحاك وهو اختيار الحسين بن الفضل **هدى للناس** يعني من الضلال **وبينات من
الهدى والفرقان** فان قلت هذا فيه اشكال وهو انه يقال ما معنى قوله وبينات
من الهدى بعد قوله هدى للناس قلت انه تعالى ذكر اولا انه هدى ثم الهدى على
قسمين تارة يكون هدى جليا وتارة لا يكون كذلك فكانه قال هو هدى ثم قال هو البين
من الهدى الفارق بين الحق والباطل وقيل ان القران هدى في نفسه فكانه قال ان القران
هدى للناس في الاجمال وبينات من الهدى والفرقان على التفصيل لان البينات هي
الدلالات الواضحات التي تبين الحلال والحرام والحدود والاحكام ومعنى الفرقان
الفارق بين الحق والباطل • قوله تعالى **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** اي من كان منكم
حاضرا مقيما غير مسافر فادركه الشهر فليصمه والشهود الحضور وقيل هو محمول
على العادة بمشاهدة الشهر وهو رؤية الهلال ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته اخرجاه في الصحيحين ولا خلاف انه يصوم رمضان
من رأى الهلال ومن اخبر به واختلف العلماء في وجه الخبر عنه منهم من قال يجزي خبر
الواحد قاله ابو ثور ومنهم من اجراه مجرى الشهادة في سائر الحقوق قاله مالك
ومنهم من اجراه له مجرى الاخبار فقبل فيه خبر الواحد واجراه مجرى الشهادة
فلا يقبل في اخره اقل من اثنين قاله الشافعي وهذا للاحتياط في امر العبادة لدخو
وخروجها **ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر** انما كرره لان الله تعالى ذكر
في الآية الاولى تخيير المريض والمسافر والمقيم الصحيح ثم نسخ تخيير المقيم الصحيح
بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلو اقتصر على هذا لاحتمل ان يشمل النسخ
الجميع فاعاد بعده ذكر الناسخ الرخصة للمريض والمسافر ليعلم ان الحكم باق على
ما كان عليه **فصل في حكم الآية** وفيه مسائل **المسئلة الاولى** اختلفوا في
المرض المبيح للفطر على ثلاثة اقوال احدها وهو قول اهل الظاهر اي مرض كان وهو
ما يطلق عليه اسم المرض فله ان يفطر تنزيلا للفظ المطلق على اقل احواله واليه
ذهب الحسن وابن سيرين القول الثاني وهو قول الاصم ان هذه الرخصة مختصة
بالمريض الذي لو صام لوقع في مشقة عظيمة تنزيلا للفظ المطلق على اكمل احواله
القول الثالث وهو قول اكثر الفقهاء ان المرض المبيح للفطر هو الذي يؤدي الى ضرر
في النفس او زيادة علة غير محتملة كالمحموم اذا خاف انه لو صام اشتدت حماه وصاحب
وجع العين يخاف لو صام ان يشتد وجع عينه فالمراد بالمرض ما يؤثر في تقويته
قال الشافعي اذا اجهده الصوم افطر والا فهو كالصحيح **المسئلة الثانية** الفطر
في السفر مباح والصوم جائز وبه قال عامة العلماء وقال ابن عباس وابو هريرة وبعض
اهل الظاهر لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه القضاء واحتجوا بقوله صلى
الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وحمله عامة العلماء على من يجهده الصوم
في السفر فالاولى له الفطر ويدل على ذلك ما روي عن جابر قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم في سفر فراى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صائم قال
ليس من البر الصيام في السفر اخرجه البخاري ومسلم وحجة الجمهور على جواز الصوم والفطر
في السفر ما روي عن انس رضي الله عنه قال سافرنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان
فلم يعب الصائم على المفطر ولا المفطر على الصائم اخرجاه في الصحيحين **المسئلة
الثالثة** اختلف العلماء في قدر السفر المبيح للفطر فقال الاوزاعي يوم واحد

مطلب الكلام على الاعذار المبيحة للفطر

وقال الشافعي واحمد ومالك اقله مسيرة ستة عشر فرسخا يومان وقال ابو حنيفة واصحابه اقله مسيرة ثلاثة ايام **المسئلة الرابعة** اذا استهل الشهر وهو مقيم ثم انشا السفر في اثنائه جاز له ان يفطر حالة السفر ويجوز له ان يصوم في بعض السفر وان يفطر في بعض ان احب يدل عليه ما روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم افطر وافطر الناس معه وكانوا ياخذون بالاحدث فالاحدث من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين الكديد اسم موضع وهو على ثمانية واربعين ميلا من مكة **المسئلة الخامسة** اختلفوا في الافضل فذهب الشافعي الى ان الصوم افضل من الفطر في السفر وبه قال مالك وابو حنيفة وقال احمد الفطر اولى وافضل من الصوم في السفر وقالت طايفة من العلماء هما سواء وافضل الامرين ايسرهما لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر **المسئلة السادسة** يبيح الفطر كل سفر مباح ليس سفر معصية فلا يجوز للعاصي بسفره ان يترخص برخص الشرع وقوله تعالى فعدة من ايام اخر معناه فافطر فعليه عدة من ايام اخر فظاهر مذهب انه يجوز قضاء الصوم متفرقا وان كان التتابع اولى وفيه ايضا وجوب القضا من غير تعيين لزمن القضا فيدل على جواز التراخي في القضا ويدل عليه ايضا ما روي عن عايشة قالت كان يكون علي الصوم من رمضان فما استطيع ان اقضي الا في شعبان الشغل بالنبي صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيحين **يريد الله بكم اليسر** اي التسهيل في مدة العبادة وهو اباحة الفطر للمريض والمسافر **ولا يريد بكم العسر** اي وقد نفى عنكم الحرج في امر الدين قيل ما خير رجل بين امرين فاختار ايسرهما الا كان ذلك احب الى الله تعالى **ولتكملوا العدة** اي عدة الايام التي افطرتم فيها بعذر المرض او السفر او الحيض لتقضوا بعددها وقيل اراد عدد ايام الشهر **ق** عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فان غم عليكم فاقدروا له وفي رواية فاكملوا العدة ثلاثين **ولتكبروا الله** فيه قولان احدهما انه تكبير ليلة العيد قال ابن عباس حق على المسلمين اذا راوا هلال شوال ان يكبروا وقال واجب اظهار التكبير في العيدين وبه قال مالك واحمد وابو يوسف ومحمد وقال ابو حنيفة لا يكبر في عيد الفطر ويكبر في عيد الاضحى وحجة الشافعي ومن وافقه قوله تعالى ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم قالوا معناه ولتكملوا عدة صوم رمضان ولتكبروا الله على ما هداكم اي اخر مدة العبادة القول الثاني في معنى ولتكبروا الله اي ولتعظموا الله شكرا على ما انعم به عليكم ووفقكم للقيام بهذه العبادة **على ما هداكم** اي ارشدكم الى طاعته والى ما يرضي به عنكم **ولعلكم تشكرون** الله على نعمته

فصل في فضل شهر رمضان وفضل صيامه

ق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل رمضان صفدت الشياطين وفتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار الصفد الغل اي شدت بالاغلال **ق** عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه **قوله** ايمانا واحتسابا اي طلبا لوجه الله وثوابه وقيل ايمانا بانه فرض عليه واحتسابا لثوابه عند الله وقيل معناه نية وعزيمة وهو ان يصوم على التصديق به والرغبة في ثوابه طيبة به نفسه غير كارهة **ق** عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن ادم يضاعف الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف قال الله تعالى الا الصوم

فانه

مطلب في فضل رمضان وفضل صيامه

فانه لي وانا اجزي به يدع شهوته وطعامه من اجلي للصايم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فيه اطيب عند الله من ريح المسك زاد في رواية والصيام جنة فاذا كان يوم صوم احدكم فلا يرفث يوميذ ولا يصخب فان شاتمه احد او قاتله فليقل اني صايم اني صايم **قوله** كل عمل ابن ادم له معناه ان له فيه حظا لاطلاع الخلق عليه الا الصوم فانه لا يطلع عليه احد وانما خص الصوم بقوله تعالى لي وان كانت جميع الاعمال الصالحة له وهو يجزي عليها لان الصوم لا يظهر من ابن ادم بقول ولا فعل حتى تكتبه الحفظة وانما هو من اعمال القلوب بالنية ولا يطلع عليه الا الله يقول الله تعالى انا اتولى جزاءه على ما احب لا على حساب ولا كتاب له **قوله** وللصايم فرحتان فرحة عند فطره بالطعام لما بلغ منه الجوع لتاخذ النفس حاجتها منه وقيل فرحة بما وفق له من اتمام الصوم الموعود عليه بالاداء وهو موفق له وفرحة عند لقاء ربه لما يرى من جزيل ثوابه **قوله** ولخلوف فم الصايم بضم الخاء وفتحها لغتان وهو تغير طعم الفم وريحه لتاخير الطعام ومعنى كونه اطيب عند الله من ريح المسك هو الثناء على الصايم والرضى بفعله لئلا يمتنع من المواظبة على الصوم الجالب للخلوف والمعنى ان خلوف فم الصايم ابلغ عند الله في القبول من ريح المسك عند احدكم **قوله** الصيام جنة اي حصن من المعاصي لان الصوم يكسر الشهوة فلا يواقع المعاصي **قوله** فلا يرفث كلمة جامعة لكل ما يريده الانسان من المراة وقيل هو التصريح بذكر الجماع والصخب الضجة والجلبة والصياح **ق** عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصايمون يوم القيامة يقال اين الصايمون فيقومون لا يدخل منه احد غيرهم فاذا دخلوا اغلق فلم يدخل منه احد وفي رواية ان في الجنة ثمانية ابواب منها باب يسمى الريان لا يدخله الا الصايمون عن ابي امامة قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله امرني بامر ينفعني الله به قال عليك بالصوم فانه لا مثل له وفي رواية اي العمل افضل فقال عليك بالصوم فانه لا عدل له اخرجه النساي قوله عز وجل **واذا سالك عبادي عني فاني قريب** قال ابن عباس قال يهود المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعانا وانت تزعم ان بيننا وبين السما خمسماية عام وان غلظ كل سما مثل ذلك فنزلت هذه الاية وقيل سال بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه وقيل انهم سالوا في اي ساعة ندعو ربنا فنزلت وقيل انهم قالوا اين ربنا فنزلت هذه الاية وهذا السوال لا يخلو اما ان يكون عن ذات الله او عن صفاته او عن افعاله اما السوال عن ذات الله تعالى فهو سوال عن القرب والبعد بحسب الذات واما السوال عن صفاته تعالى فهو ان يكون السايل سال هل يسمع ربنا دعانا واما السوال عن افعاله فهو ان يكون السايل سال هل يجيب ربنا دعانا اذا دعوناه فقوله تعالى واذا سالك عبادي عني يحتمل هذه الوجوه كلها قوله فاني قريب معناه قريب بالعلم والحفظ لا يخفى عليه شي وفيه اشارة الى سهولة اجابته لمن دعاه وانجاح حاجة من ساله **ق** عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر او قال توجه الى خيبر اشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير الله اكبر لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غايبا انكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم **قوله** اربعوا على انفسكم اي ارفقوا بها معناه امسكوا عن الجهر فانه

قريب يسمع دعاءكم. قوله تعالى: أجيب دعوة الداع إذا دعان أي أسمع دعاء عبدي الداعي إذا دعاني. وقيل الدعاء عبارة عن التوحيد والثناء على الله تعالى كقول العبد يا الله لا إله إلا أنت فقولك يا الله دعاء وقولك لا إله إلا أنت فيه توحيد وثناء على الله تعالى فسمي هذا دعاء بهذا الاعتبار وسمي قوله إجابة لتجانس اللفظ وفيه إشارة إلى أن العبد يعلم أن له ربا ومدبرا يسمع دعاءه إذا دعاه ولا يخيب رجاء من رجاه وذلك ظاهر فإن العبد إذا دعا ربه تعالى بإخلاص وتضرع أجاب الله دعوته. فإن قلت إنا نرى الداعي يبالغ في الدعاء والتضرع فلا يجاب فما وجه قوله أجيب دعوة الداع وقوله ادعوني أستجب لكم. قلت ذكر العلماء فيه أجوبة أحدها أن هذه الآية مطلقة وقد وردت آية أخرى مقيدة وهي قوله بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء والمطلق يحمل على المقيد. وثانيها أن معنى الدعاء هنا هو الطاعة ومعنى الإجابة هو الثواب وذلك في الآخرة. وثالثها أن معنى الآيتين خاص وإن كان لفظهما عاما فيكون المعنى أجيب دعوة الداع إذا وافق القضاء أو أجيبه إن كانت الإجابة خيرا له أو أجيبه إذا لم يسأل إثما أو محالا. ورابعها أن معناهما عام أي أسمع وهو معنى الإجابة المذكورة في الآية وأما إعطاء الأمنية فليس بمذكور فالإجابة حاصلة عند وجود الدعوة وقد يجيب السيد عبده ولا يعطيه سؤله. وخامسها أن للدعاء آدابا وشرائط وهي أسباب الإجابة فمن استكملها وأتى بها كان من أهل الإجابة ومن أخطأها كان من أهل الاعتداء في الدعاء فلا يستحق الجواب والله أعلم. وقوله تعالى: فليستجيبوا لي يعني إذا دعوتهم للإيمان والطاعة كما أني أجيبهم إذا دعوني لحوائجهم والإجابة في اللغة الطاعة فالإجابة من العبد الطاعة ومن الله الإثابة والعطاء. وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون أي لكي يهتدوا إلى مصالح دينهم ودنياهم.

فصل في الدعاء وآدابه

فصل في آداب الدعاء وأوقاته المناسبة والترغيب فيه

(ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له. هذا الحديث وفيه مذهبان مشهوران للعلماء أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يجب الإيمان به وأنه حق على ما يليق بالله ونكل علمه إلى الله تعالى ورسوله وأن ظاهره المتعارف في حقنا غير مراد ولا نتكلم في تأويله مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات. والمذهب الثاني مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف أنها تؤول على ما يليق به فعلى هذا نقل عن مالك وغيره أن معناه تنزل رحمته وأمره أو ملائكته وقيل إنه على الاستعارة ومعناه الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف. وفي الحديث الحث على الدعاء والترغيب فيه.

مطلب الكلام على مذهب السلف والخلف في أحاديث الصفات

عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن ربكم حيي كريم يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يردهما صفرا خائبتين أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب. الصفر الخالي يقال بيت صفر ليس فيه متاع. عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلا آتاه الله إياها أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم فقال رجل من القوم إذن نكثر قال الله أكثر أخرجه الترمذي. قوله الله أكثر معناه الله أكثر إجابة. عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه أخرجه الترمذي وقال حديث غريب. عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شيء أكرم على الله

من

من الدعاء أخرجه الترمذي. وله عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مخ العبادة. وله عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فتح له باب من الدعاء فتحت له أبواب الرحمة وما سئل الله شيئا أحب إليه من أن يسأل العافية وإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل. وله عن سلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر. وله عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يسأل الله يغضب عليه. (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول قد دعوت فلم يستجب لي. ولمسلم قال لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول الله ما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجيب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء. قوله يستحسر أي ينقطع عن السؤال وأصله من حسر الطرف إذا كل وضعف. (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا دعا أحدكم فلا يقل اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت وليعزم المسألة فإن الله تعالى لا مكره له. زاد البخاري ارزقني إن شئت ليعزم مسألته فإنه يفعل ما يشاء لا مكره له. ليعزم المسألة أي لا يكن في دعاء ربك مترددا بل اعزم وجد في المسألة. (م) عن فضالة بن عبيد قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له ولغيره إذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح.

قوله تعالى: أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم سبب نزول هذه الآية أنه كان في ابتداء الأمر إذا صام الرجل وأفطر حل له الطعام والشراب والجماع إلى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد قبلها فإذا صلى أو رقد حرم عليه ذلك كله إلى الليلة القابلة ثم إن عمر بن الخطاب واقع أهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أعتذر إلى الله وإليك من نفسي هذه الخاطئة إني رجعت إلى أهلي بعد ما صليت العشاء فوجدت رائحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت أهلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بمثل ذلك فنزلت في عمر وأصحابه أحل لكم أي أبيح لكم ليلة أراد بالليلة ليالي الصيام الرفث إلى نسائكم الرفث كلام يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وهو هنا كناية عن الجماع قال ابن عباس إن الله حيي كريم يكني فما ذكر من المباشرة والملامسة وغيرها فإنما عنى به الجماع. هن لباس لكم أي سكن لكم وأنتم لباس لهن أي سكن لهن وقيل لا يسكن شيء إلى شيء كسكون أحد الزوجين إلى الآخر وسمي كل واحد من الزوجين لباسا لتجردهما عند النوم واجتماعهما في ثوب واحد وقيل اللباس اسم لما يواري فيكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل كما جاء في الحديث من تزوج فقد أحرز ثلثي دينه. علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم قال ابن عباس رضي الله عنه يريد فيما ائتمنكم عليه وخيانتهم أنهم كانوا يباشرون في ليالي الصوم والمعنى تظلمونها بالمباشرة بعد العشاء وهو من الخيانة وأصل الخيانة أن يؤتمن الرجل على شيء فلا يؤدي فيه الأمانة يقال للعاصي خائن لأنه مؤتمن على دينه. فتاب عليكم أي تبتم فتاب عليكم وتجاوز عنكم. وعفا عنكم أي محا ذنوبكم. (خ) عن البراء بن عازب لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله تعالى علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم

وعفا عنكم الآية قال ابن عباس هذا مما نفع الله به الناس ورخص لهم ويسر **فالآن باشروهن** أي
جامعوهن فهو حلال لكم في ليالي الصوم وسميت المجامعة مباشرة لتلاصق بشرة كل واحد
بصاحبه **وابتغوا ما كتب الله لكم** أي ما قضى لكم في اللوح المحفوظ يعني الولد وقيل وابتغوا
الرخصة التي كتب الله لكم بإباحة الأكل والشرب والجماع في اللوح المحفوظ وقيل اطلبوا
ليلة القدر **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود** نزلت
في صرمة بن قيس بن صرمة الأنصاري ويقال قيس بن صرمة وذلك أنه ظل يعمل
في أرض له وهو صائم فلما أمسى رجع إلى أهله بتمر وقال لأهله قدمي الطعام فأرادت
المرأة أن تطعمه شيئا سخنا فأخذت تعمل له ذلك فلما فرغ فإذا هو قد نام وكان قد أعيا
من التعب فأيقظته فكره أن يعصي الله ورسوله وأبى أن يأكل وأصبح صائما مجهودا فلم
ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما أفاق أتى النبي صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال
يا أبا قيس ما لك أمسيت طليحا فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأنزل الله هذه الآية • وقوله طليحا أي معيا ولا مجهودا **خ** عن البراء قال كان أصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائما فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا
يومه حتى يمسي وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائما فلما حضر الإفطار أتى امرأته
فقال أعندك طعام قالت لا ولكن أنطلق فأطلب لك وكان يومه يعمل فغلبته عينه
فجاءت امرأته فلما رأته قالت خيبة لك فلما انتصف النهار غشي عليه فذكر ذلك للنبي صلى
الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم ففرحوا بها
فرحا شديدا ونزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من
الفجر ومعنى الآية وكلوا واشربوا في ليالي الصوم حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط
الأسود بياض النهار من سواد الليل وسميا خيطا لأن كلا منهما يبدو في الأفق ممتدا كالخيط
قال الشاعر • ولما أضاءت لنا سدفة • ولاح من الصبح خيط أنارا •
السدفة اختلاط الظلام السدف الفجر أيضا **ق** عن سهل بن سعد قال لما نزلت وكلوا
واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر فكان رجال إذا أرادوا
الصوم ربط أحدهم في رجله الخيط الأبيض والخيط الأسود ولا يزال يأكل حتى يتبين له
رؤيتهما فأنزل الله عز وجل بعده **من الفجر** فعلموا أنه إنما يعني الليل والنهار **ق** عن
عدي بن حاتم لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود عمدت إلى عقال أسود
وعقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت أنظر في الليل فلا يستبين لي فغدوت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار **ق**
عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى
يؤذن ابن أم مكتوم قال وكان ابن أم مكتوم رجلا أعمى لا ينادي حتى يقال له أصبحت أصبحت
واعلم أن الفجر الذي يحرم به على الصائم الطعام والشراب والجماع هو الفجر الصادق
المستطير المنتشر في الأفق سريعا لا الفجر الكاذب المستطيل فإن قلت كيف شبه
الصبح الصادق بالخيط والخيط مستطيل والصبح الصادق ليس بمستطيل قلت
إن القدر الذي يبدو من البياض من أول الصبح يكون دقيقا صغيرا ثم ينتشر فلهذا شبهه
بالخيط والفرق بين الفجر الصادق والفجر الكاذب أن الفجر الكاذب يبدو في الأفق
فيرتفع مستطيلا ثم يضمحل ويذهب ثم يبدو الفجر الصادق بعده منتشرا في الأفق
مستطيرا **م** عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغرنكم من سحوركم

أذان

أذان بلال ولا بياض الأفق المستطيل هكذا حتى يستطير هكذا وحكاه حماد بيديه قال يعني
معترضا وفي رواية الترمذي لا يمنعنكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر المستطيل
ولكن الفجر المستطير في الأفق فإذا تحقق طلوع الفجر الثاني وهو الصادق حرم على
الصائم الطعام والشراب والجماع إلى غروب الشمس وهو قوله تعالى **ثم أتموا الصيام
إلى الليل** يعني منتهى الصيام إلى الليل فإذا دخل الليل حصل الفطر **ق** عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أقبل الليل من ههنا وأدبر
النهار من ههنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم وهل يلزم الصائم أن يأكل عند
تحقق غروب الشمس شيئا فيه وجهان أحدهما نعم يلزمه ذلك لنهيه صلى الله عليه وسلم
عن الوصال والثاني لا لأنه قد حصل الفطر بمجرد دخول الليل سواء أكل أو لم يأكل
وتمسكت الحنفية بهذه الآية في أن صوم النفل يجب إتمامه قالوا لأن قوله تعالى
ثم أتموا الصيام إلى الليل أمر وهو للوجوب وهو يتناول كل الصيام وأجاب أصحاب الشافعي
عنه بأن هذا إنما ورد في بيان أحكام صوم الفرض وكان المراد منه صوم الفرض ويدل
على إباحة الفطر من النفل ما روي عن عائشة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم
ذات يوم فقال هل عندكم شيء قلنا لا قال فإني إذا صائم ثم أتانا يوما آخر فقلنا
يا رسول الله أهدي لنا حيس فقال أرينيه فلقد أصبحت صائما فأكل أخرجه مسلم
الحيس هو خلط الأقط والتمر والسمن وقد يجعل عوض الأقط دقيق أو فتيت وقيل
هو التمر ينزع نواه ويخلط بالسويق والأول أعرف • قوله عز وجل **ولا تباشروهن
وأنتم عاكفون في المساجد** الاعتكاف هو الإقبال على الشيء والملازمة له على
سبيل التعظيم وهو في الشرع عبارة عن الإقامة في المساجد على عبادة الله تعالى
وسبب نزول هذه الآية أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا
يعتكفون في المسجد فإذا عرضت لرجل منهم حاجة إلى أهله خرج إليها وخلا بها ثم اغتسل
ورجع إلى المسجد فنهوا عن ذلك حتى يفرغوا من اعتكافهم واعلم أن الله تعالى بين أن الجماع
يحرم على الصائم بالنهار ويباح له في الليل فكان يحتمل أن يكون حكم الاعتكاف
كحكم الصوم فبين الله تعالى في هذه الآية أن الجماع يحرم على المعتكف في النهار والليل
حتى يخرج من اعتكافه

فصل في حكم الاعتكاف

والاعتكاف سنة
ولا يجوز في غير المسجد وذلك لأن المسجد يتميز عن سائر البقاع بالفضل لأنه بني لإقامة
الطاعات والعبادات فيه ثم اختلفوا فنقل عن علي أنه لا يجوز إلا في المسجد
الحرام لقوله تعالى وطهر بيتي للطائفين والعاكفين فخصه به وقال عطاء لا يجوز
إلا في المسجد الحرام ومسجد المدينة وقال حذيفة يجوز في هذين المسجدين ومسجد بيت
المقدس وقال الزهري لا يصح إلا في الجامع وقال أبو حنيفة لا يجوز إلا في مسجد له إمام
ومؤذن وقال الشافعي وأحمد ومالك يجوز في سائر المساجد لعموم قوله وأنتم عاكفون
في المساجد إلا أن المسجد الجامع أفضل حتى لا يحتاج إلى الخروج من معتكفه لصلاة الجمعة
ق عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من
رمضان حتى توفاه الله تعالى ثم اعتكف أزواجه بعده **ق** عن ابن عمر رضي الله عنهما
أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان

فروع الفرع الأول

يجوز الاعتكاف بغير صوم والأفضل أن يصوم معه وقال أبو حنيفة الصوم
شرط في الاعتكاف ولا يصح إلا به وحجة الشافعي ما روي عن عمر رضي الله عنه قال

في الكلام على الاعتكاف

يا رسول الله اني نذرت في الجاهلية ان اعتكف ليلة في المسجد الحرام فقال له اوف بنذرك اخرجاه في الصحيحين ومعلوم انه لا يصح الصوم في الليل **الفرع الثاني** لا يتقدر للاعتكاف زمان عند الشافعي واقله لحظة ولا حد لاكثره فلو نذر اعتكاف ساعة صح نذره ولو نذر ان يعتكف مطلقا يخرج عن نذره باعتكاف ساعة قال الشافعي واحب ان يعتكف يوما وانما قال ذلك للخروج عن الخلاف فان اقل زمن الاعتكاف عند مالك وابي حنيفة يوم بشرط ان يدخل قبل طلوع الفجر ويخرج بعد غروب الشمس **الفرع الثالث** الجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسد به واما ما دون الجماع كالقبلة ونحوها فمكروه ولا يفسد به عند اكثر العلماء وهو اظهر قولي الشافعي والثاني يبطل به وهو قول مالك وقيل ان انزل بطل اعتكافه وان لم ينزل فلا وهو قول ابي حنيفة واما الملامسة بغير شهوة فجائزة ولا يفسد به الاعتكاف لما روي عن عائشة انها كانت ترجل النبي صلى الله عليه وسلم وهي حائض وهو معتكف في المسجد وهي في حجرتها يناولها راسه زاد في رواية ولا يدخل البيت الا لحاجة اذا كان معتكفا وفي رواية وكان لا يدخل البيت الا لحاجة الانسان اخرجاه في الصحيحين • الترجيل تسريح الشعر وقولها الا لحاجة حوائج الانسان كثيرة والمراد منها هنا كل ما يضطر الانسان اليه مما لا يجوز له فعله في المسجد وموضع معتكفه • وقوله تعالى **تلك حدود الله** يعني تلك الاحكام التي ذكرت في الصيام والاعتكاف من تحريم الاكل والشرب والجماع حدود الله وقيل حدود الله فرائض الله واصل الحد في اللغة المنع والحد الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط احدهما بالاخر وحد الشيء الوصف المحيط بمعناه المميز له عن غيره وقيل معنى حدود الله المقادير التي قدرها ومنع من مخالفتها **فلا تقربوها** فلا تأتوها ولا تتعرضوا فان قلت في الاية اشكالان اما الاول فانه قال تلك حدود الله وهو اشارة لما تقدم من الاحكام وبعضها فيه اباحة وبعضها فيه حظر فكيف قال في الجميع فلا تقربوها الاشكال الثاني انه تعالى قال في هذه الاية تلك حدود الله فلا تقربوها وقال في اية اخرى تلك حدود الله فلا تعتدوها وقال في اية اخرى ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده فكيف الجمع بين هذه الايات قلت الجواب عن السوالين من وجهين اما السوال الاول فجوابه ان الاحكام التي تقدمت فيما قبل وان كانت كثيرة الا ان اقربها الى هذه الاية قوله تعالى ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد وذلك يوجب تحريم الجماع في حال الاعتكاف وقال قبلها ثم اتموا الصيام الى الليل وذلك يوجب تحريم الاكل والشرب والجماع في النهار فلما كان الاقرب الى هذه الاية جانب التحريم قال تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها والجواب عن الاشكال الثاني ان من كان في طاعة الله تعالى والعمل بشرائعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي الحق والباطل لئلا يداني الباطل فيقع فيه فهو كقوله صلى الله عليه وسلم كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه وقيل اراد بحدوده هنا محارمه ومناهيه كقوله ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد ونحوها من التحريم فهي حدود لا تقرب **كذلك** اي كما بين لكم ما امركم به ونهاكم عنه كذلك **يبين الله اياته** اي معالم دينه واحكام شريعته **للناس** مثل هذا البيان الشافي الوافي **لعلهم يتقون** اي لكي يتقوا ما حرم عليهم فينجوا من العذاب • قوله تعالى **ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل** نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ارض فقال النبي صلى الله عليه وسلم للحضرمي الك بينة قال لا قال فلك يمينه فانطلق ليحلف

فقال

قف على وجوه من اكل الاموال بالباطل

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان حلف على ماله لياكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض فانزل الله هذه الاية والمعنى لا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل اي من غير الوجه الذي اباحه الله له واصل الباطل الشيء الذاهب **فصل في احكام الاية** فاكل المال بالباطل على وجوه **الاول** ان ياكله بطريق التعدي والنهب والغصب **الثاني** ان ياكله بطريق اللهو كالقمار واجرة المغني وثمن الخمر والملاهي ونحو ذلك **الثالث** ان ياكله بطريق الرشوة في الحكم وشهادة الزور **الرابع** الخيانة وذلك في الوديعة والامانة ونحو ذلك وانما عبر عن الاخذ بالاكل لانه المقصود الاعظم ولهذا وقع في المتعارف فلان ياكل اموال الناس بمعنى ياخذها بغير حقها **وتدلوا بها الى الحكام** اي وتلقوا امور تلك الاموال التي فيها الحكومة الى الحكام قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد ويخاصم الى الحاكم وهو يعلم ان الحق عليه وانه اثم بمنعه وقيل هو ان يقيم شهادة الزور عند الحاكم وهو يعلم ذلك وقيل في معناه ولا تاكلوا المال بالباطل وتنسبوه الى الحاكم وقيل تدلي بمال اخيك الى الحاكم وانت تعلم انك ظالم فان قضاءه لا يحل حراما وكان شريح القاضي يقول اني لاقضي لك واني لاظنك ظالما ولكن لا يسعني الا ان اقضي بما يحضرني من البينة وان قضائي لا يحل لك حراما (ق) عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع جلبة خصم بباب حجرته فخرج اليهم فقال انما انا بشر وانه ياتيني الخصم فلعل بعضهم ان يكون ابلغ من بعض وفي رواية الحن بحجته من بعض فاحسب انه صادق فاقضي له فمن قضيت له بحق مسلم فانما هي قطعة من النار فليحملها او ليذرها • قوله سمع جلبة خصم يعني اصوات خصوم وقوله الحن بحجته يقال فلان الحن بحجته من فلان اي اقوم بها منه واقدر عليها من اللحن بفتح الحاء وهو الفطنة **لتاكلوا فريقا** اي طائفة وقطعة **من اموال الناس بالاثم** يعني الظلم وقال ابن عباس باليمين الكاذبة وقيل بشهادة الزور **وانتم تعلمون** يعني انكم على الباطل • قوله عز وجل **يسالونك** اي يا محمد **عن الاهلة** نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ نورا ثم لا يزال ينقص حتى يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حال واحد فانزل الله يسالونك عن الاهلة وكان سبب سؤالهم على وجه الفائدة عن وجه الحكمة في تبيين حال الهلال في الزيادة والنقصان والاهلة جمع هلال وهو اول حال القمر حين يراه الناس اول ليلة من الشهر **قل هي مواقيت للناس** جمع ميقات والمعنى انا جعلنا ذلك لمصالح دينية ودنيوية ليعلم الناس اوقات حجهم وصومهم وافطارهم ومحال ديونهم واجال بيوعهم وعدة النساء واوقات الحيض وغير ذلك من الاحكام المتعلقة بالاهلة ولهذا خالف بينه وبين الشمس التي هي دائمة على حال واحدة **والحج** اي وللحج وانما افرد الحج بالذكر وان كان داخلا في جملة العبادات لفائدة عظيمة وهي ان العرب في الجاهلية كانت تحج بالعدد وتبدل الشهور فابطل الله ذلك من فعلهم واخبر ان الحج مقصور على الاشهر التي عينها لفرض الحج بالاهلة وانه لا يجوز نقل الحج عن تلك الاشهر التي عينها الله لذلك كما كانت العرب تفعل في النسيء **وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها** (خ) قال البراء نزلت هذه الاية فينا كانت الانصار اذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل ابواب البيوت فجاء رجل من الانصار فدخل من قبل بابه فكانه عير بذلك فنزلت وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها

وفي رواية كانوا اذا احرموا في الجاهلية اتوا البيت من ظهره فانزل الله تعالى هذه الآية
وقيل كان الناس في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا احرم الرجل منهم لم يدخل حايطا ولا
دارا ولا فسطاطا من بابه فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج
او يتخذ سلما فيصعد منه وان كان من اهل الوبر دخل وخرج من خلف الخبا ولا يدخل ولا يخرج
من الباب ويرون ذلك برا وكانت الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة ومن دان بدينهم
سموا احمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة فكانوا اذا احرموا لم يدخلوا بيتا
البتة ولم يستظلوا ابطل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حايطا فدخل رجل من
الانصار معه وقيل كانت الحمس لا يبالون ذلك ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دخل ذات يوم بيتا فدخل على اثره رجل من الانصار يقال له رفاعة بن التابوت من الباب
وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم دخلت من الباب
وانت محرم فقال رايتك دخلت فدخلت على اثرك فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اني احمسي فقال الرجل ان كنت احمسيا فانا احمسي رضيت بهديك وسمتك
ودينك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال الزهري كان ناس من الانصار اذا
اهلوا بالعمرة لم يحل بينهم وبين السما شي وكان الرجل يخرج مهلا بالعمرة فتبدو له
الحاجة بعد ما خرج من بيته فيرجع ولا يدخل من باب الحجرة من اجل سقف الباب
ان يحول بينه وبين السما فيفتح الجدار من ورايه ثم يقوم في حجرته فيامر بحاجته
حتى بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل زمن الحديبية بالعمرة فدخل حجرة
فدخل رجل من الانصار من بني سلمة على اثره فقال النبي صلى الله عليه وسلم لم فعلت
ذلك قال لاني رايتك دخلت فقال عليه الصلاة والسلام اني احمسي فقال الانصاري
وانا احمسي يقول انا على دينك فانزل الله تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت من
ظهورها **ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها** يعني في حال الاحرام وغيره
واتقوا الله لعلكم تفلحون قوله تعالى **وقاتلوا في سبيل الله** اي في طاعة الله وطلب
رضوانه **ق** عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة
ويقاتل حمية ويقاتل رياء اي ذلك في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله **الذين يقاتلونكم** كان في ابتدا الاسلام
امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر الى المدينة امر
بقتال من قاتلهم منهم بهذه الآية قال الربيع بن انس هذه اول آية نزلت في القتال
ثم امر الله بقتال المشركين كافة قاتلوا او لم يقاتلوا بقوله تعالى قاتلوا المشركين
كافة وبقوله اقتلوهم حيث ثقفتموهم فصارت آية السيف ناسخة لهذه الآية وقيل
انها محكمة ومعناها على هذا القول وقاتلوا في سبيل الله الذين اعدوا انفسهم للقتال
فاما من لم يعد نفسه للقتال كالرهبان والزمنى والمكافيف والمجانين فلا تقاتلوهم
فانهم لم يقاتلوكم وهو قوله تعالى **ولا تعتدوا** قال ابن عباس اي لا تقتلوا النساء
والصبيان والشيوخ والرهبان ولا من القى اليكم السلام **م** عن بريدة قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا امر اميرا على جيش او سرية اوصاه في خاصته بتقوى الله
وبمن معه من المسلمين خيرا ثم قال اغزوا في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا
تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا **قوله** ولا تغلوا الغلول الخيانة
وهو ما يخفيه احد الغزاة من الغنيمة وقوله ولا تغدروا اي ولا تنقضوا العهد

وقيل في معنى الآية ولا تعتدوا اي لا تبدؤوهم بالقتال فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة
بآية القتال قال ابن عباس لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية
وصالحوه على ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام يطوف بالبيت فلما تجهز رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لعمرة القضا خافوا ان لا تفي قريش بما قالوا ويصدوهم
عن البيت وكره المسلمون قتالهم في الشهر الحرام فانزل الله وقاتلوا في سبيل الله الذين
يقاتلونكم فاطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم في الشهر الحرام وفي الحرم ورفع عنهم
الحرج والجناح في ذلك وقال ولا تعتدوا بابتدائهم القتال **ان الله لا يحب المعتدين**
قوله عز وجل **واقتلوهم حيث ثقفتموهم** اي حيث وجدتموهم وادركتموهم في الحل والحرم
وتحقيق القول فيه ان الله تعالى امر بالجهاد معهم في الآية الاولى بشرط اقدام الكفار
على القتال وفي هذه الآية امر بالجهاد معهم سواء قاتلوهم ام لم يقاتلوهم واستثنى منه
المقاتلة عند المسجد الحرام **واخرجوهم من حيث اخرجوكم** اي واخرجوهم من ديارهم
كما اخرجوكم من دياركم **والفتنة اشد من القتل** يعني ان شركهم بالله اشد واعظم من
قتلكم اياهم في الحرم والحرام وانما سمي الشرك بالله فتنة لانه فساد في الارض
يودي الى الظلم وانما جعل اعظم من القتل لان الشرك ذنب يستحق صاحبه الخلود
في النار وليس القتل كذلك والكفر يخرج صاحبه من الامة وليس القتل كذلك فثبت
ان الفتنة اشد من القتل **ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه** اختلف
العلما في هذه الآية فذهب مجاهد في جماعة من العلما الى انها محكمة وانه لا يجوز ان
يقاتل في المسجد الحرام الا من قاتل فيه وهو قوله **فان قاتلوكم فاقتلوهم** اي فقاتلوهم
وثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان مكة لم تحل لاحد قبلي ولم
تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراما الى يوم القيامة
فثبت بهذا الخبر ان القتال في الحرم الا ان يقاتلوا فيقاتلوا ويكون دفعا لهم وذهب
قتادة الى ان هذه الآية منسوخة بقوله تعالى اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
فامر بقتالهم في الحل والحرم وقيل انها منسوخة بقوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر **فان الله
غفور** يعني لما سلف **رحيم** يعني بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة **وقاتلوهم** اي
وقاتلوا المشركين **حتى لا تكون فتنة** اي شرك والمعنى قاتلوهم حتى يسلموا ولا يقبل
من الوثني الا الاسلام او القتل بخلاف الكتابي والفرق بينهما ان اهل الكتاب
معهم كتب منزلة وفيها شرايع واحكام يرجعون اليها وان كانوا قد حرفوا وبدلوا
فامهلهم الله تعالى بحرمة تلك الكتب من القتل وامر باصغارهم واخذ الجزية
منهم لينظروا في كتبهم ويتدبروها فيقفوا على الحق منها فيتبعوه كفعل مومني اهل
الكتاب الذين عرفوا الحق فاسلموا واما عبدة الاصنام فلم يكن لهم كتاب يرجعون اليه
ويرشدهم الى الحق فكان امهالهم زيادة في شركهم وكفرهم فابى الله عز وجل ان يرضى
منهم الا بالاسلام او القتل **ويكون الدين لله** اي الطاعة والعبادة لله وحده فلا يعبد
من دونه شي **فان انتهوا** يعني عن القتال وقيل عن الشرك والكفر **فلا عدوان** اي
فلا سبيل **الا على الظالمين** قاله ابن عباس فعلى القول الاول تكون الآية منسوخة بآية
السيف وعلى القول الثاني الآية محكمة وقيل معناه فلا تظلموا الا الظالمين
سمي جزاء الظالمين ظلما على سبيل المشاكلة وسمي الكافر ظالما لوضعه العبادة في غير موضعها

فصل في حكمة اخذ الجزية من الكتابي
دون الوثني

قوله تعالى الشهر الحرام بالشهر الحرام نزلت في عمرة القضاء وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا في ذي القعدة سنة ست من الهجرة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح اهل مكة على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع من قابل فيقضي عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع في ذي القعدة سنة سبع فقضى عمرته فذلك قوله تعالى الشهر الحرام يعني ذا القعدة الذي دخلتم فيه مكة وقضيتم عمرتكم بالشهر الحرام الذي صددتم فيه عن البيت والحرمات جمع حرمة وانما جمعت لانه اراد حرمة الشهر وحرمة البلد وحرمة الاحرام قصاص والقصاص المساواة والمماثلة وهو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل والمعنى انهم لما منعوكم عن العمرة واضاعوا هذه الحرمات في سنة ست فقد قضيتموها على رغمهم في سنة سبع وقيل هذا في القتال ومعناه فان بدؤوكم بالقتال في الشهر الحرام فقاتلوهم فيه فانه قصاص فمن اعتدى عليكم اي بالقتال فاعتدوا عليه اي فقاتلوه بمثل ما اعتدى عليكم سمى الجزاء بالاعتداء على سبيل المشاكلة واتقوا الله واعلموا ان الله مع المتقين قوله عز وجل وانفقوا في سبيل الله يعني في الجهاد وذلك ان الله تعالى لما امر بالقتال والاشتغال به يحتاج الى الانفاق فامر به والانفاق هو صرف المال في وجوه المصالح الدينية كالانفاق في الحج والعمرة وصلة الرحم والصدقة وفي الجهاد وتجهيز الغزاة وعلى النفس والعيال وغير ذلك مما فيه قربة الى الله تعالى لان كل ذلك مما هو في سبيل الله لكن اطلاق هذه اللفظة ينصرف الى الجهاد خ عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات عن خريم ابن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق نفقة في سبيل الله كتب له بسبعمائة ضعف اخرجه الترمذي ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قيل الباء زائدة ومعناه ولا تلقوا ايديكم الى التهلكة عبر بالايدي عن النفس وقيل الباء على اصلها وفي الكلام حذف تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة كما يقال اهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب في هلاكها وقيل التهلكة كل شيء يصير عاقبته الى الهلاك وقيل التهلكة ما يمكن الاحتراز عنه ومعنى الاية النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب للهلاك قال ابن عباس انفق في سبيل الله وان لم يكن الا سهم او مشقص ولا يقولن احدكم لا اجد شيئا . السهم هو ما يرمى به والمشقص سهم فيه نصل عريض وقيل كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة فاما ان ينقطع بهم واما ان يكونوا عالة فامرهم الله تعالى بالانفاق على انفسهم في سبيل الله ومن لم يكن عنده شيء ينفق عليه في الغزو فلا يخرج لئلا يلقي نفسه في التهلكة وهو انه يهلك نفسه من الجوع والعطش والمشي وقيل نزلت الاية في ترك الجهاد عن ابي عمران واسمه اسلم قال كنا في مدينة الروم فاخرجوا الينا صفا عظيما من الروم فخرج اليهم من المسلمين مثلهم او اكثر وعلى اهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجماعة فضالة بن عبيد فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم فصاح الناس سبحان الله يلقي بيده الى التهلكة فقام ابو ايوب الانصاري فقال ايها الناس انكم لتتأولون هذه الاية هذا التأويل وانما نزلت هذه الاية فينا معشر الانصار لما اعز الله الاسلام وكثر ناصروه فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اموالنا

قد

قد ضاعت وان الله قد اعز الاسلام وكثر ناصروه فلو اقمنا في اموالنا فاصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم يرد علينا ما قلنا وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وكانت التهلكة الاقامة على الاموال واصلاحها وتركنا الغزو فما زال ابو ايوب شاخصا في سبيل الله حتى دفن بارض الروم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح مات ابو ايوب في اخر غزوة غزاها بارض قسطنطينية ودفن في اصل سورها فهم يتبركون بقبره ويستسقون به م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه به مات على شعبة من النفاق قال ابن المبارك فنرى ان ذلك كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الالقاء الى التهلكة هو ان يقنط من رحمة الله وهو ان الرجل يصيبه الذنب فيقول قد هلكت ليس لي توبة فييأس من رحمة الله فينهمك في المعاصي فهو القنوط فنهى الله عن ذلك وقيل في معنى الاية انفقوا في سبيل الله ولا تقولوا نخاف الفقر ان انفقنا فنهلك فنهوا ان يجعلوا انفسهم مهلكين بالانفاق خ عن حذيفة وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قال نزلت في النفقة واحسنوا اي في الانفاق على من يلزمكم مؤنته ونفقته وقيل واحسنوا في الانفاق فلا تسرفوا ولا تقتروا فنهوا عن الاسراف والاقتار في الانفاق وقيل معناه واحسنوا في اداء الفرائض ان الله يحب المحسنين اي يثيبهم على احسانهم . قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله قال ابن عباس هو ان تتمهما بمناسكهما وحدودهما وسننهما وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة اهلك وقيل هو ان تفرد لكل واحد منهما سفرا وقيل اتمامهما ان تكون النفقة حلالا وينتهي عما نهى الله عنه وقيل ان تخرج من بيتك لهما لا لتجارة ولا لحاجة وقيل اذا شرع فيهما وجب عليه الاتمام

فصل

واتفقت الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل اكل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وفي رواية وفي وجوب العمرة قولان للشافعي اصحهما انها واجبة وهو قول علي وابن عمر وابن عباس والحسن وابن سيرين وعطاء وطاوس وسعيد بن جبير ومجاهد واليه ذهب احمد بن حنبل والقول الثاني انها سنة ويروى ذلك عن ابن مسعود وجابر وابراهيم النخعي واليه ذهب مالك وابو حنيفة وحجة من اوجب العمرة ما في حديث الصبي بن معبد انه قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي واني اهللت بهما قال هديت لسنة نبيك صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود والنسائي باطول من هذا وجه الدليل انه اخبر عن وجوبهما عليه وصوبه عمر وبين انه مهتد بما رآه في وجوبهما لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انها لقرينتها في كتاب الله واتموا الحج والعمرة لله وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال الحج والعمرة فريضتان وعنه ليس احد من خلق الله الا وعليه حج وعمرة واجبتان من استطاع الى ذلك سبيلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما العمرة واجبة كوجوب الحج وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس لحجة مبرورة ثواب الا الجنة اخرجه النسائي والترمذي وزاد ما من مؤمن يظل يوما محرما الا غابت الشمس بذنوبه وقال حديث

فف على تاريخ وفاة ابي ايوب الانصاري وموضع قبره رضي الله عنه

مطلب الكلام على فضل الحج والخلاف في وجوب العمرة وما الافضل من الافراد والقران والتمتع وبماذا احرم عليه السلام في حجة الاسلام

حسن صحيح ووجه الدليل انه امر بالمتابعة بين الحج والعمرة والامر للوجوب ولانها قد نظمت
مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة كالحج وحجة من قال انها سنة ما روي عن جابر رضي
الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العمرة اواجبة هي قال لا وان تعتمروا
خير لكم اخرجه الترمذي واجيب عنه بان هذا الحديث يرويه حجاج بن ارطاة وحجاج ليس
ممن يقبل منه ما تفرد به لسوء حفظه وقلة مراعاته لما يحدث به واجمعت الامة على جواز
الحج والعمرة على ثلاثة انواع افراد وتمتع وقران فصورة الافراد ان يحج ثم بعد فراغه منه
يعتمر من ادنى الحل او يعتمر قبل اشهر الحج ثم يحج في تلك السنة وصورة التمتع ان يحرم بالعمرة
في اشهر الحج ويأتي باعمالها فاذا فرغ من اعمالها احرم بالحج من مكة في تلك السنة وانما سمي
تمتعا لانه يتمتع بمحظورات الاحرام بعد التحلل من العمرة الى ان يحرم بالحج وصورة القران
ان يحرم بالحج والعمرة معا في اشهر الحج فينويهما بتلبيه وكذلك لو احرم بالعمرة في اشهر
الحج ثم ادخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير قارنا واختلفوا في الافضل فذهب
مالك والشافعي الى ان الافراد افضل ثم التمتع ثم القران يدل عليه ما روي عن عائشة
رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم افرد الحج اخرجه مسلم وله عن ابن عمر رضي
الله عنهما قال اهللنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل بالحج مفردا وله عن جابر
رضي الله عنه قال قدمنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن نصرخ بالحج صراخا وعن ابن عمر
رضي الله عنهما قال افصلوا بين حجكم وعمرتكم فان ذلك اتم لحج احدكم واتم لعمرة ان يعتمر
في غير اشهر الحج اخرجه مالك في الموطأ وذهب الثوري وابو حنيفة الى ان القران
افضل يدل عليه ما روي عن انس رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلبي بالحج والعمرة جميعا وفي رواية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لبيك
حجا وعمرة اخرجاه في الصحيحين وذهب احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه الى ان
التمتع افضل يدل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال تمتع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان فاول من نهى عنه معاوية اخرجه الترمذي ق عن
ابن عمر رضي الله عنهما قال تمتع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بالعمرة
الى الحج واهدى فساق معه الهدي من ذي الحليفة وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاهل بالعمرة ثم اهل بالحج وتمتع الناس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعمرة الى
الحج وكان من الناس من اهدى ومنهم من لم يهد فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة قال للناس من كان منكم اهدى فلا يحل من شيء حرم منه حتى يقضي حجه ومن لم يكن منكم
اهدى فليطف بالبيت وبالصفا والمروة وليقصر وليحلل ثم ليهل بالحج وليهد فمن لم
يجد هديا فليصم ثلاثة ايام وسبعة اذا رجع الى اهله وطاف رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين قدم مكة فاستلم الركن اول شيء ثم خب ثلاثة اطواف من السبع
ومشى اربعة اطواف ثم ركع حين قضى طوافه بالبيت عند المقام ركعتين ثم سلم فانصرف
فاتى الصفا فطاف بالصفا والمروة سبعة اشواط ثم لم يحل من شيء حرم منه حتى
قضى حجه ونحر هديه يوم النحر وافاض وطاف بالبيت ثم حل من كل شيء حرم منه وفعل
مثل فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهدى وساق الهدي من الناس اختلفت
الروايات في حجة النبي صلى الله عليه وسلم هل كان مفردا او متمتعا او قارنا وهي ثلاثة
اقوال للعلماء بحسب مذاهبهم السابقة ورجحت كل طائفة نوعا وادعت ان حجة النبي
صلى الله عليه وسلم كذلك وطريق الجمع بين روايات الصحابة واختلافهم في حجته صلى الله

وسلم انه كان اولا مفردا ثم انه صلى الله عليه وسلم احرم بالعمرة بعد ذلك وادخلها على الحج
فصار قارنا فمن روى انه كان مفردا فهو الاصل ومن روى القران اعتمد اخر الامر ومن روى
التمتع ~~اراد التمتع~~ اراد التمتع اللغوي وهو الانتفاع والارتفاق وقد ارتفقوا بالقران
كارتفاق التمتع وزيادة وهو الاقتصار على فعل واحد وبهذا امكن الجمع بين الاحاديث
المختلفة في صفة حجة الوداع وهو الصحيح وذكر الشافعي في كتاب اختلاف الحديث
كلاما موجزا في ذلك فقال ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان منهم المفرد
والقارن والمتمتع وكل كان يأخذ منه امر نسكه ويصدر عن تعليمه فاضيف الكل اليه
على معنى انه امر به واذن فيه ويجوز في لغة العرب اضافة الفعل الى الامر به كما
تجوز اضافته الى فاعله كما يقال بنى فلان دارا واريد به انه امر ببنائها وكما روي
ان النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا فانما امر برجمه واختار الشافعي الافراد واحتج
في ترجيحه انه صح ذلك من رواية جابر وابن عمر وابن عباس وعائشة وهؤلاء لهم مزية في حجة
الوداع على غيرهم فاما جابر فهو احسن الصحابة سياقا لرواية حديث حجة الوداع
فانه ذكرها من حين خروج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة الى اخرها فهو اضبط لها
من غيره واما ابن عمر فصح عنه انه كان آخذا بخطام ناقة النبي صلى الله عليه وسلم في حجه
وانه سمعه يلبي بالحج واما ابن عباس فمحله من العلم والفقه في الدين معروف مع
كثرة بحثه عن احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عائشة فقربها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم معروف واطلاعها على باطن امره وظاهره مع كثرة فقهها وعلمها
ومن دلائل ترجيح الافراد ان الخلفاء الراشدين افردوا الحج بعد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وواظبوا عليه واركان الحج خمسة الاحرام والوقوف بعرفة والطواف والسعي
بين الصفا والمروة وحلق الرأس او التقصير وبهذه الاركان تمام الحج والعمرة قوله
تعالى فان احصرتم اصل الحصر في اللغة الحبس والتضييق ثم اختلف اهل اللغة في الحصر
والاحصار فقيل اذا رد الرجل عن وجه يريده فقد احصر واذا حبس فقد حصر وقال ابن السكيت
احصره المرض اذا منعه من السفر او حاجة يريدها وحصره العدو اذا ضيق عليه وقال
الزجاج الرواية عن اهل اللغة يقال للذي يمنعه الخوف والمرض احصر وللمحبوس حصر
وقال ابن قتيبة في قوله فان احصرتم هو ان يعرض للرجل ما يحول بينه وبين الحج من مرض
او كسر او عدو يقال احصر فهو محصر فان حبس في دار او سجن قيل حصر فهو محصور وذهب
قوم الى انهما بمعنى واحد قال الزجاج يقال للرجل من حصرك هنا ومن احصرك وقال احمد
بن يحيى الحصر والاحصار الحبس وحصر في الحبس اقوى من احصر وقيل الاحصار يقال
في المنع الظاهر كالعدو والمنع الباطن كالمرض والحصر لا يقال الا في المنع الباطن
وقوله فان احصرتم محمول على الامرين وبحسب اختلاف اهل اللغة في معناهما اختلف
الفقهاء في حكمهما فذهب قوم الى ان كل ما منع من عدو او مرض او ذهاب نفقة فانه يبيح له
التحلل من احرامه وهو قول عطاء ومجاهد وقتادة وهو مذهب ابي حنيفة ويدل عليه
ما روي عن عكرمة قال حدثني الحجاج بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
كسر او عرج فقد حل وعليه حجة اخرى قال عكرمة فذكرت ذلك لابي هريرة وابن عباس فقالا
صدق اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن وذهب قوم الى انه لا يباح
له التحلل الا بحبس العدو وهو قول ابن عمر وابن عباس وابن الزبير وبه قال مالك والليث
والشافعي واحمد وقالوا الحصر والاحصار بمعنى واحد واحتجوا بان نزول الاية كان في قصة

الحديبية في سنة ست وكان ذلك حبساً من جهة العدو وذلك أن كفار مكة منعوا النبي صلى الله
عليه وسلم وأصحابه من الطواف بالبيت فنزلت هذه الآية فحل النبي صلى الله عليه وسلم
من عمرته ونحر هديه وقضاها من قابل ويدل عليه أيضاً سياق الآية وهو قوله فإذا
أمنتم والأمن لا يكون إلا من خوف وثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لا حصر إلا حصر
العدو فثبت بذلك أن المراد من الإحصار هو حصر العدو دون المرض وغيره وأجيب عن
حديث الحجاج بن عمرو بأنه محمول على من شرط التحلل بالمرض ونحوه حال إحرامه ويدل على جواز
الاشتراط في الإحرام ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ضباعة بنت الزبير رضي الله
عنها أتت النبي صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله إني أريد الحج أفأشترط قال نعم قالت
كيف أقول قال قولي لبيك اللهم لبيك محلي من الأرض حيث تحبسني أخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح ولغيره أن ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي صلى الله عليه
وسلم حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث تحبسني وهو مذهب الشافعي وأحمد وإسحاق إذا اشترط
في الحج فعرض له مرض أو عذر أن يتحلل ويخرج من إحرامه ثم المحصر يتحلل بذبح الهدي
وحلق الرأس وهو المراد من قوله تعالى **فما استيسر من الهدي** ومعنى الآية فإن أحصرتم
دون تمام الحج أو العمرة فحللتم فعليكم ما استيسر من الهدي والهدي ما يهدى إلى البيت
وأعلاه بدنة وأوسطه بقرة وأدناه شاة قال ابن عباس شاة لأنه أقرب إلى اليسر
ومحل ذبح هدي المحصر حيث أحصر وإليه ذهب الشافعي لأن النبي صلى الله عليه وسلم ذبح
الهدي عام الحديبية بها وذهب أبو حنيفة إلى أنه يقيم على إحرامه ويبعث بهديه إلى
الحرم ويواعد من يذبحه هناك ثم يحل في ذلك الوقت **ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ
الهدي محله** أي مكانه الذي يجب أن يذبح فيه وفيه قولان أحدهما أنه الحرم فإن
كان حاجاً فمحله يوم النحر وإن كان معتمراً فمحله يوم يبلغ هديه إلى الحرم وهو قول أبي حنيفة
والقول الثاني محل ذبحه حيث أحصر سواء كان في الحل أو في الحرم ومعنى حيث يحل ذبحه
وأكله وهو قول مالك والشافعي وأحمد يدل عليه ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال
خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال كفار قريش دون البيت فنحر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وحلق رأسه أخرجه البخاري. قوله تعالى **فمن كان منكم مريضاً
أو به أذى من رأسه** معناه ولا تحلقوا رؤوسكم في حال الإحرام إلا أن تضطروا إلى
حلقه لمرض أو أذى وهو القمل والصداع **ففدية** فيه إضمار تقديره فحلق رأسه
فعليه فدية نزلت هذه الآية في كعب بن عجرة **(ق)** عن كعب بن عجرة قال أتى علي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأنا أوقد تحت قدر لي والقمل يتناثر على وجهي فقال أيؤذيك
هوام رأسك قال قلت نعم قال فاحلق وصم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين
أو انسك نسيكة لا أدري بأي ذلك بدأ وفي رواية قال فيّ نزلت هذه الآية فمن كان منكم
مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية **من صيام أو صدقة أو نسك** وذكر نحوه وفي أخرى
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو بالحديبية قبل أن يدخل مكة وهو محرم وذكره
وفي أخرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له ما كنت أرى أن الوجع بلغ بك ما أرى
أو ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك ما أرى أتجد شاة قلت لا قال فصم ثلاثة أيام أو أطعم
ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع قال كعب نزلت فيّ خاصة وهي لكم عامة ومعنى قوله
ففدية من صيام أي صوم ثلاثة أيام أو صدقة أي إطعام ستة مساكين لكل مسكين نصف
صاع أو نسك واحدتها نسيكة أي ذبيحة وأعلاها بدنة وأوسطها بقرة وأدناها شاة

وهذه الفدية على التخيير إن شاء ذبح أو صام أو تصدق وكل هدي أو إطعام يلزم المحرم فإنه لمساكين
الحرم إلا هدي المحصر فإنه يذبحه حيث أحصر وأما الصوم فله أن يصوم حيث شاء. قوله
تعالى **فإذا أمنتم** يعني من خوفكم وبرأتم من مرضكم وقيل إذا أمنتم من الإحصار **فمن تمتع بالعمرة
إلى الحج** قال ابن الزبير فمن أحصر حتى فاته الحج ولم يتحلل فقدم مكة فخرج من إحرامه بعمل
عمرة فاستمتع بإحلاله ذلك بتلك العمرة إلى السنة المقبلة ثم حج فيكون متمتعاً بذلك الإحلال
إلى إحرامه الثاني في العام القابل وقيل معناه فإذا أمنتم وقد حللتم من إحرامكم بعد
الإحصار ولم تعتمروا في تلك السنة ثم اعتمرتم في السنة القابلة في أشهر الحج ثم حللتم
فاستمتعتم بإحلالكم إلى الحج ثم أحرمتم بالحج فعليكم ما استيسر من الهدي وقال ابن عباس
هو الرجل يقدم معتمراً من أفق من الآفاق في أشهر الحج فقضى عمرته وأقام بمكة حلالاً حتى
أنشأ منها الحج فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعاً بإحلاله من العمرة إلى إحرامه بالحج ومعنى
التمتع في اللغة هو الاستمتاع بعد الخروج من العمرة والتلذذ بما كان محظوراً عليه في حال
الإحرام إلى إحرامه بالحج **فما استيسر من الهدي** يعني فعليه ما استيسر من الهدي وهو
شاة يذبحها يوم النحر فلو ذبح قبله بعدما أحرم بالحج أجزأه عند الشافعي كدماء الجبرانات
ولا يجزئه ذبحه عند أبي حنيفة قبل يوم النحر كدم الأضحية ولوجوب دم التمتع خمس شرائط
أحدها أن يقدم العمرة على الحج الثاني أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج الثالث أن يحج بعد
الفراغ من العمرة في هذه السنة الرابع أن يحرم بالحج من مكة ولا يعود إلى ميقات
بلده فلو رجع إلى الميقات وأحرم منه لم يكن متمتعاً الخامس أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام
فهذه الشروط في وجوب دم التمتع ومتى فقد شيء منها لم يكن متمتعاً ودم التمتع دم جبران
عند الشافعي فلا يجوز أن يأكل منه وقال أبو حنيفة هو دم نسك فيجوز أن يأكل منه وقوله
فمن لم يجد يعني الهدي **فصيام ثلاثة أيام في الحج** أي فعليه صيام ثلاثة أيام في وقت
اشتغاله بالحج قيل يصوم يوماً قبل يوم التروية ويوم التروية ويوم عرفة وقيل بل المستحب أن يصوم
في أيام الحج بحيث يكون يوم عرفة مفطراً فإن لم يصم قبل يوم النحر فقيل يصوم أيام
التشريق وبه قال مالك وأحمد وهو أحد قولي الشافعي وقيل يصوم بعد أيام التشريق
وهو رواية عن أحمد والقول الآخر للشافعي **وسبعة إذا رجعتم** يعني وصوموا سبعة
أيام إذا رجعتم إلى أوطانكم وأهليكم قاله ابن عباس وبه قال الشافعي فلو صام قبل
الرجوع إلى أهله لم يجزه عنده وقيل المراد من الرجوع الفراغ من أعمال الحج والأخذ في
الرجوع فعلى هذا يجزيه أن يصوم سبعة أيام بعد الفراغ من أعمال الحج وقبل الرجوع
إلى أهله وبه قال أبو حنيفة **تلك عشرة كاملة** يعني في الثواب والأجر وقيل كاملة
في قيامها مقام الهدي لأنه يحتمل أن يظن ظان أن الثلاثة قامت مقام الهدي فأعلم
الله أن العشرة بكمالها هي القائمة مقام الهدي وقيل فائدة التكرار التوكيد كقول الفرزدق

ثلاثة واثنان هن خمس ۞ وسادسة تميل إلى سهام ۞

وكان القرآن نزل بلغة العرب والعرب تكرر الشيء تريد به التوكيد وقيل فائدة ذلك
الفذلكة في علم الحساب وهو أن يعلم العدد مفصلاً ثم يعلمه جملة ليحتاط به من
جهتين فيتأكد ذلك قوله تعالى فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة
كاملة وقيل إن العرب لما كانوا لا يعلمون وكانوا يحتاجون إلى زيادة بيان وإيضاح
فلذلك قال تلك عشرة كاملة وقيل لفظه خبر ومعناه أمر أي أكملوها ولا تنقصوها
ذلك أي هذا الحكم الذي تقدم **لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام** قيل حاضروا

المسجد الحرام هم اهل مكة وهو قول مالك وقيل هم اهل الحرم وبه قال طاوس وقال ابن جريج
هم اهل عرفة والرجيع وضجنان ونخلة وقال الشافعي كل من كان وطنه من مكة على اقل
من مسافة القصر فهو من حاضري المسجد الحرام وقيل هم من دون الميقات وقال ابو حنيفة
حاضروا المسجد الحرام اهل الميقات والمواقيت ذو الحليفة والجحفة وقرن ويلملم
وذات عرق فمن كان من اهل هذه المواضع فما دونها الى مكة فهو من حاضري المسجد الحرام
وقيل حاضروا المسجد الحرام من تلزمه الجمعة فيه ومعنى الاية ان الاشارة اليه في قوله
ذلك يرجع الى اقرب مذكور وهو لزوم الهدي او بدله على المتمتع وهو الافاقي فاما المكي
اذا تمتع او قرن فلا هدي عليه ولا بدل لانه لا يجب عليه ان يحرم من الميقات فاقدامه
على التمتع لا يوجب خللا في حجه فلا يجب عليه الهدي ويدل على ذلك ما رواه البخاري
تعليقا من حديث عكرمة قال سئل ابن عباس عن متعة الحج فقال اهل المهاجرون والانصار
وازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع واهللنا فلما قدمنا مكة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي طفنا بالبيت
والصفا والمروة واتينا النساء ولبسنا الثياب وقال من قلد الهدي فانه لا يحل
من شيء حتى يبلغ الهدي محله ثم امرنا عشية التروية ان نهل بالحج فاذا فرغنا من المناسك
جئنا فطفنا بالبيت وبالصفا والمروة وقد تم حجنا وعلينا الهدي كما قال الله تعالى فما
استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج وسبعة اذا رجعتم اي الى امصاركم
الشاة تجزي فجمعوا بين نسكين في عام بين الحج والعمرة فان الله انزله في كتابه وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم واباحه للناس غير اهل مكة قال الله تعالى ذلك لمن لم يكن اهله
حاضري المسجد الحرام وفي الحديث زيادة قال الحميدي قال ابو مسعود الدمشقي هذا حديث
عزيز ولم اجده الا عند مسلم بن الحجاج ولم يخرجه في صحيحه من اجل عكرمة فانه لم يرو
عنه في صحيحه وعندي ان البخاري انما اخذه من مسلم وقوله تعالى **واتقوا الله** اي فيما فرض
عليكم وفيما نهاكم عنه في الحج وغيره **واعلموا ان الله شديد العقاب** يعني لمن خالف امره
وتهاون في حدوده وارتكب مناهيه ○ قوله عز وجل **الحج اشهر معلومات** يعني اشهر
الحج اشهر معلومات وقيل وقت الحج اشهر معلومات وهي شوال وذو القعدة وعشر
ليال من ذي الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر وبه قال عبد الله بن مسعود وجابر بن
عبد الله وعبد الله بن الزبير ومن التابعين الحسن وابن سيرين والشعبي وهو قول
الشافعي والثوري وابي ثور وحجة الشافعي ومن وافقه ان الحج يفوت بطلوع الفجر
الثاني من يوم النحر والعبادة لا تفوت مع بقاء وقتها فدل على ان يوم النحر ليس من
اشهر الحج وايضا ان الاحرام فيه لا يجوز فدل على انه وما بعده ليس من اشهر الحج
وقال ابن عباس اشهر الحج شوال وذو القعدة وعشرة ايام من ذي الحجة اخرها
يوم النحر وبه قال ابن عمر وعروة بن الزبير وعطاء وطاوس والنخعي وقتادة ومكحول
والضحاك والسدي وابو حنيفة واحمد بن حنبل وهو احدى الروايتين عن مالك
وحجة هذا القول ان يوم النحر هو يوم الحج الاكبر ولان فيه يقع طواف الافاضة
وهو تمام اركان الحج وقيل ان اشهر الحج شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله وهو
رواية عن ابن عمر وبه قال الزهري وهو الرواية الاخرى عن مالك وحجة هذا القول
ان الله تعالى ذكر اشهر الحج بلفظ الجمع واقل الجمع المطلق ثلاث ولان كل شهر كان اوله
من اشهر الحج كان اخره كذلك فان قلت هنا اشكال وهو ان الله تعالى قال قبل هذه الاية

يسلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج فجعل الاهلة كلها مواقيت للحج قلت قوله هي
مواقيت للناس والحج عام وهذه الاية وهي قوله تعالى اشهر معلومات خاص والخاص مقدم
على العام وقيل ان الاية الاولى مجملة وهذه الاية مفسرة لها فان قلت انه انما قال
اشهر بلفظ الجمع وعند الشافعي اشهر الحج شهران وعشر ليال وعند ابي حنيفة شهران
وعشرة ايام فما وجه هذا قلت ان لفظ الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله
تعالى فقد صغت قلوبكما وقيل انه نزل بعض الشهر منزلة جميعه كقولك رايتك
سنة كذا وانما رآه في ساعة منها ولا اشكال فيه على القول الثالث وهو قول من قال ان
اشهر الحج ثلاثة شوال وذو القعدة وذو الحجة بكماله **فمن فرض فيهن الحج** يعني فمن الزم
نفسه واوجب عليها فيهن الحج والمراد بهذا الفرض ما يصير به حاجا وهو فعل ينعقد له
ثم اختلفوا في ذلك الفعل فقال الشافعي ينعقد الاحرام بمجرد النية من غير حاجة
الى التلبية ووجهه ان فرض الحج عبارة عن النية فوجب ان تكون النية كافية في انعقاد
الحج وقال ابو حنيفة لا يصح الشروع في الاحرام بمجرد النية حتى ينضم اليه التلبية
او سوق الهدي ووجهه ان الحج عبادة لها تحليل وتحريم فلا بد من انضمام شيء اخر الى
النية كتكبيرة الاحرام مع النية في الصلاة وفي الاية دليل على ان الاحرام بالحج
لا ينعقد الا في اشهره وهو قول ابن عباس واليه ذهب الشافعي واحمد واسحاق لان
الله تعالى خصص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد في غيرها لم يكن لهذا التخصيص
وجه ولا فائدة وقال مالك والثوري وابو حنيفة ينعقد احرامه بالحج في جميع شهور
السنة ووجهه ان الاحرام التزام الحج فجاز تقديمه على الوقت كالنذر ولان الله تعالى
جعل الاهلة كلها مواقيت للناس والحج وقد تقدم الجواب عنه وقوله تعالى **فلا رفث**
قال ابن عباس الرفث الجماع وفي رواية عنه ان الرفث الغشيان والتقبيل والغمز وان
يعرض لها بالفحش من الكلام فعلى هذا التلفظ في غيبة النساء لا يكون رفثا قال حصين
ابن قيس اخذ ابن عباس بذنب بعيره يلويه وهو يحدو وهو يقول ○ وهن يمشين بنا
هميسا ○ ان يصدق الطير ننك لميسا ○ فقلت اترفث وانت محرم فقال ان الرفث
ما قيل عند النساء وقوله لميسا هو اسم امراة وقيل الرفث كلام يتضمن ما يستقبح
ذكره من ذكر الجماع ودواعيه فقوله فلا رفث يحتمل ان يكون نهيا عن تعاطي الجماع وان
يكون نهيا عن الحديث في ذلك لانه من دواعيه وقيل الرفث هو الفحش والخنا والقول
القبيح وقيل الرفث اللغو من الكلام ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم
صوم احدكم فلا يرفث يومئذ ولا يصخب **ولا فسوق** اصله الخروج عن الطاعة قال ابن عباس
هو المعاصي كلها وهو قول طاوس والحسن وسعيد بن جبير وقتادة والزهري والربيع
والقرظي وقال ابن عمر هو ما نهي عنه المحرم في حال الاحرام من قتل الصيد وتقليم
الاظفار واخذ الشعر وما اشبه ذلك وقيل هو التساب والتنابز بالالقاب ق
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج فلم
يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه **ولا جدال في الحج** قال ابن عباس الجدال في الحج
المراء وهو ان يماري الرجل صاحبه ويخاصمه حتى يغيظه وقيل هو قول الرجل الحج اليوم
ويقول الاخر غدا وقيل هو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حجة الوداع وقد احرموا
بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج
فهذا كان جدالهم وقيل هو ما كان عليه اهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم

بالمزدلفة وكان بعضهم يحج في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكلٌّ يقول الصواب فيما فعلته
فانزل الله تعالى ولا جدال في الحج والاخبار ان امر الحج قد استقر على ما فعله رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلا خلاف فيه بعده وذلك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان
الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض وقيل لا شك في الحج انه في ذي الحجة
فابطل النسئ وقيل ظاهر الاية خبر ومعناه نهي اي لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا
في الحج وانما نهى عن ذلك وامر باجتنابه في الحج وان كان اجتنابه ذلك في كل الاحوال
واجبا لان الرفث والفسوق والجدال في الحج اسمج واقطع منه في غيره **وما تفعلوا من خير**
يعلمه الله اي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم وهو الذي يجازيكم عليها حث على فعل الخير عقيب
النهي عن الشر وهو ان يستعملوا مكان الرفث الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى
ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة وقيل جعل فعل الخير عبارة عن ضبط الانفس
عن الشر حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وقيل انما ذكر الخير وان كان عالما بجميع افعال
العباد من الخير والشر لفائدة وهو انه تعالى اذا علم من العبد الخير ذكره واشهره
واذا علم منه الشر ستره واخفاه فاذا كان هذا فعله مع عبده في الدنيا فكيف
في العقبى وهو ارحم الراحمين واكرم الاكرمين **وتزودوا فان خير الزاد التقوى**
نزلت في ناس من اهل اليمن كانوا يخرجون الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون
نحج بيت ربنا افلا يطعمنا فاذا قدموا مكة سألوا الناس وربما افضى بهم الحال الى
النهب والغصب فانزل الله وتزودوا اي ما تتبلغون وتكفون به وجوهكم واتقوا
ابرامهم والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى وقيل في معنى الاية وتزودوا من التقوى
فان الانسان لا بد له من سفر في الدنيا ولا بد له فيه من زاد ويحتاج فيه الى الطعام
والشراب والمركب وسفر من الدنيا الى الاخرة ولا بد له فيه من زاد ايضا وهو تقوى
الله والعمل بطاعته وهذا الزاد افضل من الزاد الاول فان زاد الدنيا يوصل الى
مراد النفس وشهواتها وزاد الاخرة يوصل الى النعيم المقيم في الاخرة وفي هذا
المعنى قال الاعشى

اذا انت لم ترحل بزاد من التقى • ولاقيت بعد الموت من قد تزودا •
ندمت على ان لا تكون كمثله • وانك لم ترصد كما كان ارصدا •

واتقون اي وخافوا عقابي وقيل معناه واشتغلوا بتقواي وفيه تنبيه على كمال
عظمة الله جل جلاله **يا اولي الالباب** اي يا ذوي العقول الذين يعلمون حقائق الامور
قوله عز وجل **ليس عليكم جناح** اي حرج **ان تبتغوا فضلا من ربكم** يعني رزقا ونفعا
وهو الربح في التجارة **خ** عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز
اسواقا في الجاهلية فلما كان الاسلام فكانهم تأثموا ان يتجروا في المواسم فنزلت
ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج وقرأ ابن عباس هكذا وفي
رواية ان تبتغوا في مواسم الحج فضلا من ربكم • عكاظ معروفة بقرب مكة ومجنة
بفتح الميم وكسرها سوق بقرب مكة ايضا قال الازرقي هو باسفل مكة على بريد منها
وذو المجاز سوق عند عرفة وكانت العرب في الجاهلية يتجرون في هذه الاسواق ولها
مواسم فكانوا يقيمون بعكاظ عشرين يوما من ذي القعدة ثم ينتقلون الى مجنة فيقيمون
بها ثمانية عشر يوما عشرة ايام من اخر ذي القعدة وثمانية ايام من اول ذي الحجة ثم يخرجون
الى عرفة في يوم التروية وقال الداودي مجنة عند عرفة وعن ابي امامة التيمي قال

كنت

كنت اكري في هذا الوجه وكان الناس يقولون لي انه ليس لك حج فقال ابن عمر اليس تحرم
وتلبي وتطوف بالبيت وتفيض من عرفات وترمي الجمار قلت بلى قال فان لك حجا جاء رجل الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن مثل ما سألتني عنه فسكت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم يجبه حتى نزلت هذه الاية ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم فارسل
اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأها عليه وقال لك حج اخرجه ابو داود وقال
بعض العلماء ان اوقعت نقصا في اعمال الحج لم تكن مباحة وان لم توقع نقصا فيه فان
التجارة من المباحات التي الاولى تركها لتجريد العبادة عن غيرها لان الحج بدون التجارة
اكمل وافضل • قوله تعالى **فاذا افضتم** اي دفعتم والافاضة دفع بكثرة **من عرفات**
جمع عرفة سميت بذلك وان كانت بقعة واحدة لان كل موضع من تلك المواضع عرفة
فسمي مجموع تلك المواضع عرفات وقيل اسم الموضع واسم اليوم عرفة قال عطا
كان جبريل يري ابراهيم المناسك ويقول له عرفت فيقول عرفت فسمي ذلك المكان
عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك ان ادم لما اهبط وقع بالهند وحوا بجدة فجعل
كل واحد منهما يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات في يوم عرفة فتعارفا فسمي اليوم
عرفة والموضع عرفات وقال السدي ان ابراهيم عليه السلام لما اذن في الناس
بالحج واجابوه بالتلبية واتى من اتى امره الله ان يخرج الى عرفات ونعتها له فلما بلغ
الجمرة استقبله الشيطان يرده فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار
فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة الثالثة فرماه وكبر فطار
فلما راى الشيطان انه لا يطيعه ذهب فانطلق ابراهيم حتى اتى ذا المجاز فنظر اليه
فلم يعرفه فجازه فسمي ذا المجاز ثم انطلق ابراهيم حتى وقف بعرفات فعرفها بالنعت
فسمي الوقت عرفة والموضع عرفات حتى اذا امسى ازدلف الى جمع فسمي ذلك الموضع
مزدلفة وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما ان ابراهيم راى ليلة التروية في منامه
ان يؤمر بذبح ابنه فلما اصبح تروى يومه اجمع اي تفكر امن هذه الرؤيا من الله ام
من الشيطان فسمي يوم التروية ثم راى ذلك ليلة عرفة فلما اصبح عرف ان ذلك من
الله فسمي اليوم عرفة وقيل سمي بذلك لان الناس يعترفون في ذلك اليوم بذنوبهم
وقيل سمي عرفة من العرف وهو الطيب وسمي منى لما يمنى فيها من الدما اي يصب فتكون
فيه الفروث والدما فلا يكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عن مثل هذا فتكون طيبة
واعلم ان الوقوف بعرفة ركن من اركان الحج ولا يتم الحج الا به ومن فاته الوقوف في
وقته فقد فاته الحج ويدخل وقت الوقوف بعرفة بزوال الشمس من يوم عرفة ويمتد
الى طلوع الفجر الثاني من يوم النحر وذلك نصف يوم وليلة كاملة فمن وقف بعرفات
في هذا الوقت ولو لحظة واحدة من ليل او نهار فقد حصل الوقوف ويتم حجه وقال
احمد وقت الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة الى طلوع الفجر يوم النحر ووقت الافاضة
من عرفات بعد غروب الشمس فاذا غربت الشمس دفع من عرفات واخر صلاة المغرب
حتى يجمع بينها وبين العشا بمزدلفة **ق** عن اسامة بن زيد قال دفع رسول الله
صلى الله عليه وسلم من عرفة حتى اذا كان بالشعب نزل فبال ثم توضا فلم يسبغ الوضوء
فقلت الصلاة يا رسول الله فقال الصلاة امامك فركب فلما جاء المزدلفة نزل
فتوضا فاسبغ الوضوء ثم اقيمت الصلاة فصلى المغرب ثم اناخ كل انسان بعيره
في منزله ثم اقيمت العشاء فصلى ولم يصل بينهما شيئا • قوله تعالى **فاذكروا الله**

وفيه سبب تسمية عرفات بهذا الاسم على ذلك وعلى اصل مشروعيته وغيره ومنى بذلك

عند المشعر الحرام سمي مشعراً من الشعار وهي العلامة لانه من معالم الحج واصل الحرام
المنع فهو ممنوع من ان يفعل فيه ما لم يؤذن فيه والمشعر الحرام هو ما بين جبل مزدلفة
من مأزمي عرفة الى وادي محسر وليس المأزمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام
وقيل المشعر الحرام هو المزدلفة وسماه الله بذلك لان الصلاة والمبيت والدعاء عنده
من معالم الحج وقيل المشعر الحرام هو قزح وهو آخر حد المزدلفة والاول اصح وسميت
المزدلفة من الازدلاف وهو الاقتراب لانها منزلة من الله وقربة وقيل لنزول
الناس بها زلف الليل وقيل للاجتماع الناس بها وتسمى المزدلفة جمعاً لانه يجمع فيها بين المغرب
والعشاء وقيل المراد بالذكر عند المشعر الحرام هو الجمع بين صلاتي المغرب والعشاء
هناك ويدل عليه ان قوله فاذكروا الله امر وهو للوجوب ولا يجب هناك الا الصلاة
والذي عليه جمهور العلماء ان المراد بالذكر هو الدعاء والتلبية والتسبيح والتحميد
والتهليل والتكبير ق عن ابن عباس ان اسامة بن زيد كان ردف النبي صلى الله عليه وسلم
من عرفة الى المزدلفة ثم اردف الفضل من المزدلفة الى منى وكلاهما قال لم يزل النبي
صلى الله عليه وسلم يلبي حتى رمى جمرة العقبة عن جابر قال دفع رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى اتى المزدلفة فصلى بها المغرب والعشاء باذان واحد واقامتين ولم يسبح
بينهما شيئاً ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر حين تبين له باذان واقامة ثم ركب
القصواء حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة ودعا وكبر وهلل ووحد ولم يزل
واقفاً حتى اسفر جداً ودفع قبل ان تطلع الشمس هذا الحديث ذكره البغوي بغير
سند ولم اجده في الاصول قال العلماء وكان اهل الجاهلية يدفعون من عرفة قبل
ان تغيب الشمس ومن مزدلفة قبل طلوعها فكانوا يقولون اشرق ثبير كيما نغير
فنسخ الله احكام الجاهلية فاخر الافاضة من عرفة الى بعد الغروب وقدم
الافاضة من مزدلفة الى قبل طلوعها وثبير جبل بمكة ومعنى قولهم اشرق ثبير
ادخل ايها الجبل في الشروق وهو نور الشمس وقولهم كيما نغير اي ندفع للنحر
يقال اغار اذا اسرع ودفع في عدوه خ عن عمرو بن ميمون قال قال عمر كان اهل
الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس وكانوا يقولون اشرق ثبير فخالفهم
النبي صلى الله عليه وسلم فافاض قبل طلوع الشمس وقوله واذكروه كما هداكم
اي واذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية فهداكم لدينه ومناسك حجه
وان كنتم من قبله لمن الضالين اي لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه والهاء في من
قبله راجعة الى الهدى وقيل الى الرسول اي من قبل ارسال الرسول لمن الضالين وهو
كناية عن غير مذكور وقيل ترجع الى القرآن والمعنى واذكروه كما هداكم لكتابه الذي
انزله عليكم وان كنتم من قبل انزاله لمن الضالين قوله تعالى ثم افيضوا من حيث
افاض الناس اي لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس وفي المخاطبين بهذا قولان
احدهما انه خطاب لقريش قال اهل التفسير كانت قريش ومن دان بدينها وهم
الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم
ولا نخرج منه ويتعاظمون ان يقفوا مع سائر الناس بعرفات وكان سائر الناس يقفون
بعرفات فاذا افاض الناس من عرفات افاض الحمس من المزدلفة فامرهم الله ان
يقفوا بعرفات مع سائر الناس ثم يفيضوا منها الى جمع واخبرهم انه سنة ابراهيم
واسماعيل عليهما السلام ق عن عائشة رضي الله عنها قالت كان قريش ومن دان بدينها

يقفون

يقفون بالمزدلفة وكانوا يسمون الحمس وكان سائر العرب يقفون بعرفة فلما جاء
الاسلام امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يأتي عرفات فيقف بها ثم يفيض منها
فذلك قوله ثم افيضوا من حيث افاض الناس . قولها كانوا يسمون الحمس هو جمع احمس
واصله من الشدة والشجاعة وانما سميت قريش وكنانة حمساً لتشددهم في دينهم
فعلى هذا القول الناس هم جميع العرب سوى الحمس والقول الثاني ان الخطاب
لسائر المسلمين امرهم الله ان يفيضوا من حيث افاض ابراهيم وهو المراد بقوله من حيث
افاض الناس وقيل الناس هنا آدم وحده بدليل قراءة سعيد بن جبير ثم افيضوا من
حيث افاض الناسي بالياء وقيل هو آدم عليه السلام عهد اليه فنسي ووجه هذا
ان الوقوف بعرفات والافاضة منها شرع قديم وما سواه مبتدع محدث وقيل
المراد من هذه الآية الافاضة من مزدلفة الى منى يوم النحر قبل طلوع الشمس للرمي
والنحر واراد بالناس ابراهيم واسماعيل واتباعهما لانه كانت افاضتهم من المزدلفة
قبل طلوع الشمس ووجه هذا القول ان الافاضة من عرفات قد تقدم ذكرها في قوله
فاذا افضتم من عرفات ثم قال بعد ذلك ثم افيضوا من حيث افاض الناس فدل على
ان هذه الافاضة من المزدلفة الى منى لكن القول الاول هو الاصح الذي عليه جمهور
المفسرين فان قلت على القول الاول الذي هو قول جمهور المفسرين اشكال وهو
ان ظاهر الكلام لا يقتضي ذلك لان قوله تعالى فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله
والافاضة من عرفات قبل الافاضة من جمع فكيف قال ثم افيضوا من حيث افاض
فكانه قال فاذا افضتم من عرفات فافيضوا من عرفات وذلك غير جائز قلت
اجيب عن هذا الاشكال بان فيه تقديماً وتأخيراً وتقديره ثم افيضوا من حيث
افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا
من ربكم فاذا افضتم من عرفات فاذكروا فعلى هذا الترتيب يصح ان تكون هذه
الافاضة تلك الافاضة بعينها وقيل ان ثم في قوله ثم افيضوا بمعنى الواو اي
وافيضوا كقوله ثم كان من الذين آمنوا والافاضة الدفع ق عن هشام بن عروة عن
ابيه قال سئل اسامة بن زيد وانا جالس كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير
في حجة الوداع قال كان يسير العنق فاذا وجد فجوة نص قال هشام والنص فوق
العنق والعنق بفتح العين ضرب من السير السريع حتى يستخرج من الناقة اقصى وسعها
خ عن ابن عباس رضي الله عنهما انه دفع مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فسمع النبي
صلى الله عليه وسلم وراءه زجراً شديداً وضرباً للابل فاشار بسوطه اليهم وقال
يا ايها الناس عليكم بالسكينة فان البر ليس بالايضاع . الايضاع السير السريع
الشديد وقوله تعالى واستغفروا الله اي من مخالفتكم في الموقف ولجميع ذنوبكم
ان الله غفور رحيم يعني ان الله هو الستار لذنوب عباده برحمته والغفور يفيد المبالغة
في الغفر وكذا الرحيم وفيه دليل على انه يقبل التوبة من عباده التائبين ويغفر لهم
لانه تعالى لما امر المذنب بالاستغفار ثم انه تعالى وصف نفسه بانه كثير الغفران
كثير الرحمة دل ذلك على انه يغفر للمستغفرين ويرحم المذنبين بمنه وكرمه عز وجل
قوله تعالى فاذا قضيتم مناسككم اي فرغتم من حجكم وعبادتكم وذبحتم نسائككم اي
ذبائحكم وذلك بعد رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى فاذكروا الله يعني بالتحميد
والتمجيد والتهليل والتكبير والثناء عليه كذكركم آباءكم قال اهل التفسير كانت العرب

في الجاهلية اذا فرغوا من حجهم بين المسجد بمنى وبين الجبل وقيل عند البيت فيذكرون مفاخر
آبائهم ومآثرهم وفضائلهم ومحاسنهم ومناقبهم فيقول احدهم كان ابي كبير الجفنة رحب
الفناء يقري الضيف وكان كذا وكذا يعد مفاخره ومناقبه ويتناشدون في ذلك
الاشعار ويتكلمون بالمنثور والمنظوم من الكلام الفصيح وغرضهم بذلك الشهرة والسمعة
والرفعة بذكر مناقب سلفهم وآبائهم فلما من الله عليهم بالاسلام امرهم ان يكون ذكرهم
لله لا لآبائهم وقال اذكروني فانا الذي فعلت ذلك بكم وبهم واحسنت اليكم واليهم
وقال ابن عباس معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء وذلك ان الصبي اول
ما يفصح بالكلام يقول ابه امه لا يعرف غير ذلك فامرهم ان يذكروه كذكر الصبيان
الصغار الآباء **او اشد ذكرا** اي بل اشد ذكرا وقيل او بمعنى الواو اي واشد ذكرا اي
واكثر ذكرا من الآباء لانه هو المنعم على الآباء فهو المستحق للحمد والذكر مطلقا وسئل
ابن عباس عن هذه الآية فقيل له قد يأتي على الرجل اليوم لا يذكر فيه اباه فقال ليس
كذلك ولكن ان تغضب لله اذا عصي اشد من غضبك لوالديك اذا شتما **فمن الناس من
يقول ربنا آتنا في الدنيا** يعني ان المشركين كانوا يسألون الله تعالى في حجهم الدنيا ونعيمها
وكانوا يقولون اللهم اعطنا غنما وابلا وبقرا وعبيدا واماء وكان احدهم يقوم فيقول
اللهم ان ابي كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال فاعطني مثل ما اعطيته قال قتادة
هذا عبد نيته الدنيا لها انفق ولها عمل ونصب **خ** عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ان اعطي رضي
وان لم يعط سخط تعس وانتكس واذا شيك فلا انتقش **قوله** تعس عبد الدينار هذا
دعاء عليه وهو الوقوع على الوجه من العثار والخميصة ثوب من خز او صوف معلم
قوله وانتكس هذا دعاء عليه ايضا لان من انتكس على رأسه او في امره فقد خاب وخسر
قوله واذا شيك هذا فعل ما لم يسم فاعله يقال شاكته الشوكة اذا دخلت في
جسمه والانتقاش اخراج الشوكة من الجسم وانما كان همة المشركين الدنيا ولم يطلبوا
المثوبة والمغفرة ونعيم الآخرة لانهم كانوا ينكرون البعث **وما له في الآخرة من خلاق**
من حظ ولا نصيب **ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة**
يعني المؤمنين واعلم ان الله تعالى قسم الداعين فريقين فريقا قصروا في الدعاء على
طلب الدنيا وهم الكفار لانهم كانوا لا يعتقدون البعث والآخرة والفريق الثاني وهم
المؤمنون الذين جمعوا في الدعاء بين طلب الدنيا والآخرة وذلك لان الانسان خلق ضعيفا
محتاجا لا طاقة له بآلام الدنيا ومتاعبها فالاولى له ان يستعيذ بالله من شرها وآلامها
لانه لو اضطرب على الانسان عرق من عروقه لتشوش عليه حياته في الدنيا وتعطل عن
الاشتغال بطاعة الله تعالى فثبت بذلك ان طلب الدنيا في الدعاء من امر الدين فلذلك
قال تعالى اخبارا عن المؤمنين ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة
حسنة قيل الحسنة في الدنيا عبارة عن الصحة والامن والكفاية والتوفيق الى
الخير والنصر على الاعداء والولد الصالح والزوجة الصالحة **م** عن عبد الله بن عمرو
بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها
الزوجة الصالحة وقيل الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقيل
الحسنة في الدنيا الرزق الحلال والعمل الصالح وفي الآخرة المغفرة والثواب وقيل
من آتاه الله الاسلام والقرآن واهلا ومالا فقد اوتي في الدنيا حسنة وفي الآخرة

قف على ان طلب الدنيا في الدعا من امر الدين وعلى توجيه ذلك

حسنة

حسنة وقيل في الدنيا حسنة يعني عافية وفي الآخرة عافية **م** عن انس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد خفت فصار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم هل كنت تدعو الله بشيء او تسأله اياه قال نعم كنت اقول اللهم ما كنت
معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله
لا تطيقه ولا تستطيعه افلا قلت اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا
عذاب النار قال فدعا الله به فشفاه **ق** عن انس بن مالك رضي الله عنه قال كان اكثر دعاء
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب
النار **عن** عبد الله بن السائب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بين الركنين
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اخرجه ابو داود **اولئك**
اشارة الى المؤمنين الداعين بالحسنتين ووجه هذا القول ان الله ذكر حكم الفريق الاول
بما له فقال وما له في الآخرة من خلاق وقيل يرجع الى الفريقين جميعا **لهم** اي لكل فريق
من هؤلاء **نصيب** اي حظ **مما كسبوا** يعني من الخير والدعاء والثواب والجزاء على الدعاء
بالدنيا من جنس ما كسب ودعا **والله سريع الحساب** ذكروا في معنى الحساب ان الله يعلم
العباد بما لهم وعليهم بمعنى انه تعالى يخلق العلوم الضرورية في قلوبهم بمقادير اعمالهم
وكمياتها وكيفياتها وبمقادير ما لهم من الثواب وعليهم من العقاب وقيل ان المحاسبة
عبارة عن المجازاة ويدل عليه قوله تعالى وكاين من قرية عتت عن امر ربها ورسله
فحاسبناها حسابا شديدا وقيل ان الله تعالى يكلم عباده ويعرفهم احوال اعمالهم
وما لهم من الثواب والعقاب وقيل انه تعالى اذا حاسب عباده فحسابه سريع لانه
تعالى لا يحتاج الى عقد يد ولا روية فكر ووصف نفسه سبحانه بسرعة الحساب مع
كثرة الخلائق وكثرة اعمالهم يدل بذلك على كمال قدرته لانه تعالى لا يشغله شان عن شان
ولا يحتاج الى آلة ولا امادة ولا مساعد لا جرم قد كان قادرا على ان يحاسب جميع الخلائق
في قدر حلب شاة وقيل في معنى كونه سريع الحساب اي سريع القبول لدعاء عباده
والاجابة لهم وذلك انه تعالى يسأله السائلون في الوقت الواحد كل واحد منهم
اشياء مختلفة من امور الدنيا والآخرة فيعطي كل واحد مطلوبه من غير ان يشتبه
عليه شيء من ذلك لانه تعالى عالم بجميع احوال عباده واعمالهم وقيل في معنى الآية
ان اتيان القيامة قريب لان كل ما هو كاين وآت قريب لا محالة وفيه اشارة الى
المبادرة الى الدعاء والذكر وساير الطاعات وطلب الآخرة قوله تعالى **واذكروا
الله** يعني بالتوحيد والتعظيم والتكبير في ادبار الصلوات وعند رمي الجمار وذلك
انه يكبر مع كل حصاة من حصى الجمار فقد ورد في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم
كبر مع كل حصاة **في ايام معدودات** يعني ايام التشريق وهي ايام منى ورمي الجمار سميت
معدودات لقلتهن وهي ثلاثة ايام بعد يوم النحر اولها اليوم الحادي عشر من ذي الحجة
وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن وعطاء ومجاهد وقتادة ومذهب الشافعي وقيل
ان الايام المعدودات يوم النحر ويومان بعده وهو قول علي بن ابي طالب ويروى
عن ابن عمر ايضا وهو مذهب ابي حنيفة عن نبيشة الهذلي قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ايام التشريق ايام اكل وشرب وذكر الله تعالى ومن الذكر في هذه
الايام التكبير **خ** عن ابن عمر رضي الله عنهما كان يكبر بمنى تلك الايام وخلف الصلوات
وعلى فراشه وفي فسطاطه وفي ممشاه في تلك الايام جميعا وفي رواية انه كان يكبر

في قبته فيسمعه اهل المسجد فيكبرون ويكبر اهل الاسواق حتى ترتج اخرجه البخاري
بغير اسناد اجمع العلماء على ان المراد بهذا الذكر هو التكبير عند رمي الجمار وهو ان يكبر
مع كل حصاة يرمي بها في جميع ايام التشريق واجمعوا ايضا على ان التكبير في عيد
الاضحى وفي هذه الايام في ادبار الصلوات سنة واختلفوا في وقت التكبير فقيل
يبتدي من صلاة الظهر يوم النحر الى صلاة الصبح من اخر ايام التشريق فيكون التكبير
على هذا القول في خمسة عشر صلاة وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال الشافعي
في اصح اقواله قال الشافعي لان الناس فيه تبع للحاج وذكر الحاج قبل هذا الوقت
هو التلبية ويأخذون في التكبير يوم النحر من صلاة الظهر وقيل انه يبتدي من صلاة
المغرب ليلة النحر ويختم بصلاة الصبح من اخر ايام التشريق فيكون التكبير على هذا
القول في ثلاث وعشرين صلاة وهو قول علي بن ابي طالب ومكحول وبه قال ابو يوسف
ومحمد وقال ابن مسعود يبتدي به من صبح يوم عرفة ويختم بصلاة العصر من يوم
النحر فعلى هذا القول يكون التكبير في ثمان صلوات وبه قال ابو حنيفة وقال
احمد بن حنبل ان كان حلالا كبر عقب ثلاث وعشرين صلاة اولها صلاة الصبح من يوم
عرفة واخرها صلاة العصر من اخر ايام التشريق وان كان محرما كبر عقيب سبعة عشر
صلاة اولها الظهر من يوم النحر واخرها عصر ايام التشريق ولفظ التكبير عند الشافعي
ثلاثا نسقا الله اكبر الله اكبر الله اكبر وهو قول سعيد بن جبير والحسن وهو قول اهل
المدينة قال الشافعي وما زاد من ذكر الله فحسن ويروى عن ابن مسعود انه كبر مرتين
فيقول الله اكبر الله اكبر وهو قول اهل العراق وقوله تعالى **فمن تعجل في يومين**
اي فمن تعجل النفر الاول وهو في الثاني من ايام التشريق **فلا اثم عليه** اي فلا
جناح عليه وذلك انه يجب على الحاج المبيت بمنى الليلة الاولى والثانية من
ليالي ايام التشريق ليرمي كل يوم بعد الزوال احدى وعشرين حصاة يرمي عند كل
جمرة سبع حصيات ثم حيث رمى في اليوم الثاني واراد ان ينفر ويدع البيتوتة
الليلة الثالثة ورمي يومها فذلك واسع له لقوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا
اثم عليه يعني فلا اثم على من تعجل فنفر في اليوم الثاني في تعجله **ومن تاخر فلا
اثم عليه** يعني ومن تاخر الى النفر الثاني وهو اليوم الثالث من ايام التشريق
فلا اثم عليه في تاخره واعلم انه انما يجوز التعجيل لمن نفر بعد الزوال من اليوم
الثاني من ايام التشريق وقبل غروب الشمس من ذلك اليوم فان غربت عليه الشمس
وهو بمنى لزمه المبيت بها لرمي اليوم الثالث هذا مذهب الشافعي واكثر الفقهاء
وقال ابو حنيفة يجوز له ان ينفر ما لم يطلع الفجر لانه لم يدخل وقت الرمي
بعد ورخص لرعاة الابل واهل سقاية الحاج ترك المبيت بمنى ليالي منى فان قلت
قوله ومن تاخر فلا اثم عليه فيه اشكال وهو ان الذي اتى بافعال الحج كاملة تامة
فقد اتى بما يلزمه فما معنى قوله فلا اثم عليه انما يخاف من الاثم من قصر فيما يلزمه
قلت فيه اجوبة احدها انه تعالى لما اذن في التعجيل على سبيل الرخصة
احتمل ان يخطر ببال قوم ان من لم يجر على موجب هذه الرخصة فانه يأثم فازال
الله تعالى هذه الشبهة وبين انه لا اثم عليه في الامرين فان شاء عجل وان شاء اخر
الجواب الثاني ان من الناس من كان يتعجل ومنهم من كان يتاخر وكل فريق يصوب
فعله على فعل الاخر فبين الله تعالى ان كل واحد من الفريقين مصيب في فعله

وانه

قف المراد من الذكر في الاية
على ان المراد فالخلاف في ابتدائه
هو التكبير وعلى الخلاف
وانتهائه عقب الصلوات

وانه لا اثم عليه الجواب الثالث انما قال ومن تاخر فلا اثم عليه لمشاكلة
اللفظ الاول فهو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها ومعلوم ان جزاء السيئة
ليس بسيئة الجواب الرابع ان فيه دلالة على جواز الامرين فكانه قال
تعجلوا او تاخروا فلا اثم في التعجيل ولا في التاخير **لمن اتقى** اي ذلك التخيير
ونفي الاثم للحاج المتقي وقيل لمن اتقى ان يصيب في حجه شيئا مما نهاه الله عنه
من قتل صيد وغيره مما هو محظور في الحج وقيل معناه انه ذهب اثمه ان اتقى فيما
بقي من عمره وذلك ان الحاج يرجع مغفورا له بشرط ان لا يرتكب ما نهي عنه
فيما بقي من عمره وهو قوله **واتقوا الله** اي في المستقبل والتقوى عبارة عن فعل
الواجبات وترك المحظورات **واعلموا انكم اليه تحشرون** اي فيجازيكم باعمالكم
وفيه حث على التقوى قوله عز وجل **ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا**
نزلت في الاخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهرة واسمه ابي وانما سمي الاخنس
لانه خنس يوم بدر بثلثمائة رجل من بني زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذلك انه اشار على بني زهرة بالرجوع يوم بدر وقال لهم ان محمدا ابن
اختكم فان يك كاذبا كفاكموه الناس وان يك صادقا كنتم اسعد الناس به
قالوا نعم ما رايت قال اني ساخنس بكم فاتبعوني فسمي الاخنس بذلك
وكان الاخنس حلو الكلام حلو المنظر وكان ياتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويجالسه ويظهر الاسلام ويقول اني لاحبك ويحلف بالله على ذلك وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنيه في مجلسه وكان الاخنس منافقا فنزل فيه
ومن الناس من يعجبك قوله اي يروقك وتستحسنه ويعظم في قلبك في الحيوة
الدنيا يعني ان حلاوة كلامه فيما يتعلق بامر الدنيا **ويشهد الله على ما في قلبه**
يعني به قوله والله اني بك مؤمن ولك محب **وهو الد الخصام** اي شديد الجدال
في الباطل وقيل كاذب القول وقيل شديد القسوة في المعصية جدل بالباطل
يتكلم بالحكمة ويعمل بالخطيئة (ق) عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان ابغض الرجال الى الله تعالى الالد الخصم يعني الشديد في الخصومة
واذا تولى اي ادبر واعرض عنك بعد الالانة القول وحلاوة المنطق **سعى في الارض**
اي سار ومشى في الارض **ليفسد فيها** يعني يقطع الارحام ويسفك دماء المسلمين
ويهلك الحرث والنسل وذلك ان الاخنس بن شريق كان بينه وبين ثقيف
فبيتهم ليلا فاحرق زرعهم واهلك مواشيهم وقيل خرج الى الطائف مقتضيا
دينا له على غريم فاحرق له كدسا وعقر له اتانا وقيل معناه اذا تولى صار واليا
وملك الامر سعى في الارض ليفسد فيها يعني بالظلم والعدوان كما يفعله ولاة
السوء والظلمة وقيل يظهر ظلمه حتى يمنع الله بشوم ظلمه القطر فيهلك الحرث
والنسل بسبب منع القطر وقيل الاية في حق كل من كان موصوفا بهذه الصفات
والله لا يحب الفساد قال ابن عباس لا يرضى بالمعاصي واحتجت المعتزلة بهذه
الاية على ان المحبة عبارة عن الارادة واجيب عنه بان الارادة معنى غير المحبة
فان الانسان قد يريد شيئا ولا يحبه وذلك بان يتناول الدواء المر ولا يحبه فبان
الفرق بين المحبة والارادة وقيل ان المحبة مدح الشيء وتعظيمه والارادة
بخلاف ذلك **واذا قيل له اتق الله** اي خف الله في سرك وعلانيتك **اخذته العزة بالاثم**

اى حملته العزة وحمية الجاهلية على فعل الاثم وقيل بان يعمل الاثم وهو الظلم وترك
الالتفات الى الوعظ وعدم الاصغاء اليه واصل العزة المنعة والتكبر **فحسبه جهنم**
اى كافية له جهنم جزاء وعذابا وجهنم من اسماء النار التى يعذب بها الكفار فى الاخرة
قيل هو اسم اعجمى وقيل بل عربى سميت النار بذلك لبعد قعرها **ولبئس المهاد** اى الفراش
والمهاد التوطئة ايضا والمعنى ان المعذب بالنار يجعل تحته وفوقه قال ابن مسعود
رضى الله عنه من اكبر الذنوب عند الله تعالى ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك
عليك بنفسك وروى انه قيل لعمر اتق الله فوضع خده على الارض تواضعا لله تعالى
قوله تعالى **ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله** قال ابن عباس نزلت
هذه الاية فى سرية الرجيع وكانت بعد احد **خ** عن ابى هريرة رضى الله عنه قال
بعث النبى صلى الله عليه وسلم سرية عينا وامر عليهم عاصم بن ثابت وهو جد عاصم
ابن عمر بن الخطاب فانطلقوا حتى اذا كانوا بين عسفان ومكة ومرّا بحى من هذيل
يقال لهم بنو لحيان فتبعوهم بقريب من مائة رام فاقتصوا اثارهم حتى اتوا منزلا
نزلوه فوجدوا فيه نوى تمر تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب فتبعوا اثارهم حتى
لحقوهم فلما احس بهم عاصم واصحابه لجأوا الى فدفد وجاء القوم فاحاطوا بهم فقالوا
لكم العهد والميثاق ان نزلتم الينا ان لا نقتل منكم رجلا فقال عاصم اما انا فلا انزل
فى ذمة كافر اللهم اخبر عنا رسولك فقاتلوهم فرموهم حتى قتلوا عاصما فى سبعة نفر
بالنبل وبقى خبيب وزيد ورجل اخر فاعطوهم العهد والميثاق فنزلوا اليهم فاستمكنوا
منهم وحلوا اوتار قسيهم فربطوهم بها فقال الرجل الثالث الذى معهم هذا اول
الغدر وابى ان يصحبهم فقتلوه وانطلقوا بخبيب وزيد حتى باعوهما بمكة فاشترى
خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل وكان خبيب هو قتل الحارث يوم بدر فمكث عندهم
اسيرا حتى اذا اجمعوا قتله استعار موسى من بعض بنات الحارث ليستحد بها فاعارته
قالت فغفلت عن صبى لى فدرج اليه حتى اتاه فوضعه على فخذه فلما رايته فزعت
فزعة عرف ذلك منى وفى يده الموسى فقال اتخشين ان اقتله ما كنت لافعل ذلك ان شاء
الله وكانت تقول ما رايت اسيرا قط خيرا من خبيب لقد رايته ياكل من قطف عنب
وما بمكة يومئذ ثمرة وانه لموثق فى الحديد وما كان الا رزق رزقه الله خبيبا فلما خرجوا
به من الحرم ليقتلوه قال دعونى اصلى ركعتين ثم انصرف اليهم فقال لولا ان تروا ان ما بى
من الجزع من الموت لزدت فكان اول من سن الركعتين عند القتل وقال اللهم احصهم
عددا ثم قال

ولست ابالى حين اقتل مسلما • على اى شق كان لله مصرعى •
وذلك فى ذات الاله وان يشا • يبارك على اوصال شلو ممزع •

ثم قام اليه عقبة بن الحارث فقتله وبعث قريش الى عاصم ليؤتوا بشئ من جسده
بعد موته وكان قتل عظيما من عظمائهم فبعث الله عليهم مثل الظلة من الدبر فحمته
من رسلهم فلم يقدروا منه على شئ زاد فى رواية واخبر يعنى النبى صلى الله عليه وسلم
اصحابه يوم اصيبوا خبرهم • الفدفد الموضع الذى فيه غلظ وقوله وعالجوه اى
مارسوه واراد به انهم خادعوه ليتبعهم فابى وقوله ليستحد الاستحداد حلق العانة
والقطف العنقود من العنب **قوله** على اوصال شلو الشلو العضو من اعضاء الانسان
والممزع المفرق والظلة الشئ الذى يظل الانسان والدبر جماعة من النحل والزنابير

مطلب فى الكلام على اسلتها دعاء عاصم بن ثابت وخبيب بن عدى ومن معهما ولما اكرمهما الله تعالى به من الكرامات

قال

قال اهل التفسير ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة
انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء اصحابك يعلمونا دينك وكان ذلك منهم مكرا
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدى الانصارى ومرثد بن مرثد الغنوى
وخالد بن بكير وعبد الله بن طارق بن شهاب البلوى وزيد بن الدثنة وامر عليهم عاصم
بن ثابت بن ابى الافلح الانصارى وذكروا نحو حديث البخارى قالوا فصلبوا خبيبا حيا
فقال اللهم انك تعلم انه ليس احد حولى يبلغ سلامى رسولك فابلغه سلامى ثم
اتيه ابو سروعة عقبة بن الحارث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له
ابو ميسرة سلامان معه رمح فوضعه بين ثديى خبيب فقال له خبيب اتق الله فما
زاده ذلك الا عتوا فطعنه فانفذه فذلك قوله تعالى واذا قيل له اتق الله
اخذته العزة يعنى سلامان واما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن امية ليقتله
بابيه امية بن خلف فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس الى التنعيم ليقتله فى الحل
واجتمع رهط من قريش فيهم ابو سفيان بن حرب فقال له ابو سفيان حين قدم ليقتل
انشدك الله يا زيد اتحب ان محمدا عندنا الان مكانك تضرب عنقه وانك فى
اهلك فقال زيد والله ما احب ان محمدا الان فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة
تؤذيه وانا جالس فى اهلى فقال ابو سفيان ما رايت احدا يحب احدا كحب اصحاب
محمد ثم قتله نسطاس فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لاصحابه
ايكم ينزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال الزبير انا يا رسول الله وصاحبى
المقداد بن الاسود فخرجا يمشيان بالليل ويكمنان بالنهار حتى اتيا التنعيم ليلا
فاذا حول الخشبة اربعون من المشركين نشاوى وهم نيام فانزلاه عن خشبته فاذا
هو رطب ولم يتغير منه شئ بعد اربعين يوما ويده على جراحته وهى تبض دما
اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله الزبير على فرسه وسارا فانتبه الكفار
وقد فقدوا خبيبا فاخبروا قريشا فركب منهم سبعون فارسا فلما لحقوهم قذف
الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسمى بليع الارض وقال الزبير ما جراكم علينا
يا معشر قريش ثم رفع العمامة عن راسه وقال انا الزبير بن العوام وامى صفية
بنت عبد المطلب وصاحبى المقداد بن الاسود اسدان رابضان يدفعان
عن اشبالهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم انصرفتم
فانصرفوا الى مكة وقدم الزبير وصاحبه المقداد الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وجبريل عنده فقال يا محمد ان الملائكة تتباهى بهذين من اصحابك ونزلت
فى الزبير والمقداد ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله حين
شريا انفسهما لانزال خبيب عن خشبته وقال اكثر المفسرين نزلت فى
صهيب بن سنان الرومى وانما نسب الى الروم لانه كان منزلهم بارض الموصل
فاغارت الروم عليهم فسبته وهو غلام صغير فنشا بالروم وانما
كان من العرب من النمر بن قاسط قال سعيد بن المسيب وعطاء اقبل صهيب
مهاجرا الى النبى صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركى قريش فنزل عن راحلته
ونثل ما كان فى كنانته وقال والله لا تصلون الى او ارمى بكل سهم معى ثم اضرب
بسيفى ما بقى فى يدى وان شئتم دللتكم على مال دفنته بمكة وخليتم سبيلى فقالوا
نعم ففعل فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت ومن الناس من يشرى

نفسه ابتغاء مرضات الله الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربح البيع ابا يحيى وتلا عليه هذه الآية وقال الحسن اتدرون فيمن نزلت هذه الاية نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله فيابى ان يقولها فيقول المسلم والله لاشرين نفسي لله فتقدم فقاتل وحده حتى قتل وقيل نزلت هذه الاية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال ابن عباس اي من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله يقوم فيامر هذا بتقوى الله فاذا لم يقبل واخذته العزة بالاثم قال هذا وانا اشتري نفسي لله فقاتله وكان علي رضي الله عنه اذا قرا هذه الآية يقول اقتتلا ورب الكعبة وسمع رجل هذه الاية ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر انا لله وانا اليه راجعون قام رجل فامر بالمعروف ونهى عن المنكر فقتل عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واما تفسير الاية فذكر المفسرون ان المراد بهذا الشرى البيع ومنه قوله وشروه اي باعوه والمعنى ان المسلم باع نفسه بثواب الله تعالى في الدار الاخرة وهذا البيع هو ان يبذل نفسه في طاعة الله من صلاة وصيام وحج وجهاد وامر بمعروف ونهي عن منكر فكان ما يبذله من نفسه كالسلعة فصار كالبايع والله تعالى المشتري والثمن هو ثواب الله تعالى في الاخرة ابتغاء مرضات الله اي طلب رضى الله **والله رؤف بالعباد** اي من رأفة الله بعباده ان جعل النعيم الدايم في الجنة جزاء على العمل القليل المنقطع ومن رافته انه يقبل توبة عبده ومن رافته ان نفس العباد واموالهم له ثم انه تعالى يشتري ملكه بملكه فضلا منه ورحمة واحسانا قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا ادخلوا في السلم كافة** نزلت في مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وذلك انهم لما اسلموا اقاموا على تعظيم شرايع موسى فعظموا السبت وكرهوا لحوم الابل والبانها وقالوا ان ترك هذه الاشيا مباح في الاسلام وواجب في التوراة وقالوا يا رسول الله ان التوراة كتاب الله دعنا فلنقم به في صلاتنا بالليل فانزل الله هذه الاية وامرهم ان يدخلوا في السلم اي في شرايع الاسلام ولا يتمسكوا بالتوراة فانها منسوخة والمعنى استسلموا لله واطيعوه فيما امركم به وقيل هو خطاب لمن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين امنوا [illegible] بموسى وعيسى ادخلوا في السلم كافة اي الاسلام وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم حين اتاه عمر فقال انا نسمع احاديث من يهود تعجبنا فترى ان نكتب بعضها فقال النبي صلى الله عليه وسلم امتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقية ولو ان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي **قوله** امتهوكون اي متحيرون انتم في دينكم حتى تاخذوا من اليهود والنصارى وقوله لقد جئتكم بها يعني الملة الحنيفية بيضاء نقية اي لا تحتاج الى شيء وقيل يحتمل ان يكون خطابا للمنافقين من المؤمنين والمعنى يا ايها الذين امنوا بالسنتهم ادخلوا في السلم اي الانقياد لان اصل السلم الاستسلام وهو الانقياد كافة اي بجمعكم ولا تتفرقوا وقيل يحتمل ان يرجع الى الاسلام

والمعنى

والمعنى ادخلوا في احكام الاسلام وشرايعه كافة وهذا المعنى اليق بظاهر التفسير لانهم امروا بالقيام بها كلها قال حذيفة بن اليمان في هذه الاية الاسلام ثمانية اسهم فعد الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد خاب من لا سهم له **ولا تتبعوا خطوات الشيطان** يعني اثاره وما زين لكم من تحريم السبت ولحوم الابل وغير ذلك وقيل ولا تلتفتوا الى الشبهات التي يلقيها اليكم اصحاب الضلالة والغواية والاهواء المضلة لان من اتبع سنة انسان فقد اتبع اثره **انه لكم عدو مبين** يعني الشيطان فان قلت عداوته بايصال الضرر والقا الوسوسة فكيف يصح ذلك مع الاعتقاد ان الله هو الفاعل لجميع الاشيا قلت انه يحاول ايصال الضرر والبلاء الينا ولكن الله منعه عن ذلك ومعنى الوسوسة فمعلوم انه يزين المعاصي والقا الشبهات وكل شيء لو وقع الانسان في مخالفة الله تعالى فيصل بذلك عن الثواب فهذا من اعظم جهات العداوة فان قلت كيف وصف الشيطان بانه مبين مع انا لا نراه قلت ان الله تعالى بين عداوته ما هي فكانه بين وان لم يشاهد **فان زللتم** اي ملتم وضللتم وقال ابن عباس اشركتم **من بعد ما جاتكم البينات** اي الدلالات الواضحات **فاعلموا ان الله عزيز** اي في نقمته ممن خالفه غالب لا يعجزه شيء **حكيم** يعني انه لا ينتقم الا بحق والحكيم ذو الاصابة في الامور كلها وفي الاية وعيد وتهديد لمن في قلبه شك ونفاق او غيره شبهة في الدين قوله عز وجل **هل ينظرون** اي ينتظرون التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان **الا ان ياتيهم الله في ظلل** جمع ظلة **من الغمام** يعني السحاب الابيض الرقيق سمي غماما لانه يغم اي يستر وقيل هو شيء غير السحاب ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وهو كهيئة الضباب الابيض **والملائكة** اي تاتيهم الملائكة روى العكبري في تفسيره بسند متصل عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من الغمام طاقات ياتي الله عز وجل فيها محفوفا وذلك قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر قال عكرمة والملائكة حوله وقيل معناه حوله الغمام وقيل حوله الرب تبارك وتعالى واعلم ان هذه الاية من ايات الصفات وللعلماء في ايات الصفات واحاديث الصفات مذهبان احدهما وهو مذهب سلف هذه الامة واعلام اهل السنة الايمان والتسليم لما جا في ايات الصفات واحاديث الصفات وانه يجب علينا الايمان بظاهرها ونؤمن بها كما جاءت ونكل علمها الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم مع الايمان والاعتقاد بان الله تعالى منزه عن سمات الحدث وعن الحركة والسكون قال الكلبي هذا من الذي لا يفسر وقال سفيان بن عيينة كلما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره قراءته والسكوت عليه ليس لاحد ان يفسره الا الله ورسوله وكان الزهري والاوزاعي ومالك وابن المبارك وسفيان الثوري والليث بن سعد واحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه يقولون في هذه الاية وامثالها اقرؤها كما جاءت بلا كيف ولا تشبيه ولا تاويل هذا مذهب اهل السنة ومعتقد سلف الامة وانشد بعضهم في المعنى

عقيدتنا أن ليس مثل صفاته • ولا ذاته شيء عقيدة صائب •
نسلّم آيات الصفات بأسرها • وأخبارها للظاهر المتقارب •
ونؤيس عنها كنه فهم عقولنا • وتأويلنا فعل اللبيب الغالب •
ونركب للتسليم سفناً لأنها • لتسليم دين المرء خير المراكب •

المذهب الثاني وهو قول جمهور المتكلمين وذلك أنه أجمع جميع المتكلمين من العقلاء والمعتبرين من أصحاب النظر أنه تعالى منزه عن المجيء والذهاب ويدل على ذلك أن كل ما يصح عليه المجيء والذهاب لا ينفك عن الحركة والسكون وهما محدثان وما لا ينفك عن المحدث فهو محدث والله تعالى منزه عن ذلك فيستحيل ذلك في حقه تعالى فثبت بذلك أن ظاهر الآية ليس مراداً فلا بد من التأويل على سبيل التفصيل فعلى هذا قيل في معنى الآية هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بالآيات فيكون مجيء الآيات مجيئاً له على سبيل التفخيم لشأن الآيات وقيل معناه إلا أن يأتيهم أمر الله ويدل على هذا التأويل أن الله تعالى فسره في آية أخرى فقال هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك فصار هذا الحكم مفسراً لهذا المجمل في هذه الآية وقيل معناه يأتيهم الله بما وعد من الحسنات والعقاب فحذف ما يأتي به تهويلاً عليهم إذ لو ذكر ما يأتي به كان أسهل عليهم في باب الوعيد وإذا لم يذكر كان أبلغ وقيل يحتمل أن يكون الفاء بمعنى الباء لأن بعض الحروف يقوم مقام بعض فيكون المعنى هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بظلل من الغمام والملائكة والمراد العذاب الذي يأتي من الغمام مع الملائكة وقيل معناه هل ينظرون إلا أن يأتيهم قهر الله وعذابه في ظلل من الغمام فإن قلت لم كان إتيان العذاب في الغمام قلت لأن الغمام مظنة الرحمة ومنه ينزل المطر فإذا نزل منه العذاب كان أعظم وأقطع وقيل إن نزول الغمام علامة لظهور القيامة وأهوالها **وقضي الأمر** أي وجب العذاب وفرغ من الحساب وذلك فرض فصل القضاء بين العباد يوم القيامة **وإلى الله ترجع الأمور** أي إلى الله تصير أمور العباد في الآخرة فإن قلت هل كانت ترجع إلى غيره قلت إن أمور جميع العباد ترجع إليه في الدنيا والآخرة ولكن المراد من هذا إعلام الخلق أن المجازي على الأعمال بالثواب والعقاب وجواب آخر وهو أنه لما عبد قوم غيره في الدنيا وأضافوا أفعاله إلى سواه ثم إذا كان يوم القيامة انقطع ردوا إلى الله ما أضافوه إلى غيره في الدنيا قوله عز وجل **سل بني إسرائيل** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يسأل يهود المدينة وليس المراد بهذا السؤال العلم بالآيات لأنه صلى الله عليه وسلم قد علمها بإعلام الله إياه ولكن المراد بهذا السؤال التوبيخ والتقريع والمبالغة في الزجر عن الإعراض عن دلائل الله وترك الشكر وقيل المراد بهذا السؤال التقرير وتذكيرهم النعم التي أنعم بها على سلفهم **كم آتيناهم من آية بينة** أي من دلالة واضحة على نبوة موسى عليه السلام مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وإنزال المن والسلوى **ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته** يعني يغير الآيات التي جاءته من الله لأنها سبب الهدى والنجاة من الضلالة وقيل حجج الله

الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك أنهم أنكروها وبدلوها وقيل المراد بنعمة الله العهد الذي عهد إليهم فلم يفوا به **فإن الله شديد العقاب** يعني لمن بدل نعمة الله قوله عز وجل **زين للذين كفروا الحياة الدنيا** نزلت في مشركي العرب أبي جهل وأصحابه لأنهم كانوا يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا ويكذبون بالمعاد وقيل نزلت في المنافقين عبد الله بن أبي وأصحابه وقيل نزلت في رؤساء اليهود ويحتمل أنها نزلت في الكل والمزين هو الله بدليل قراءة من قرأ زين بفتح الزاي وذلك لا يمتنع أن يكون الله تعالى هو المزين لهم بما أظهر في الدنيا من الزهرة والنضارة والطيب واللذة وخلق الأشياء العجيبة والمناظر الحسنة فإنما فعل ذلك ابتلاء لعباده وذلك أنه جعل الدنيا دار ابتلاء وامتحان وركب في الطبائع الميل إلى اللذات وحب الشهوات لا على سبيل الإلجاء الذي لا يمكن تركه بل على سبيل التحبب الذي يميل النفس إليه مع إمكان ردها عنه فنظر الخلق إلى الدنيا أكثر من قدرها فأعجبتهم حسنها وزهرتها وزينتها فأحبوها وفتنوا بها وقيل إنما التزيين أن الله تعالى أمهلهم في الدنيا حتى أقبلوا عليها وأحبوها فكان هذا الإقبال هو المزين وقيل إن المزين هو الشيطان وغواة الجن والإنس وذلك أنهم زينوا الحرص على الدنيا وطلبها وقبحوا لهم أمر الآخرة وقيل وهموهم أن لا آخرة ليقبلوا على لذات الدنيا والحرص عليها وهذا التأويل ضعيف لأن قوله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا يتناول جميع الكفار فيدخل فيه الشيطان وغواة الجن والإنس وأن لكلهم مزين يزين لهم وهذا المزين لا بد وأن يكون مغايراً لهم فثبت بهذا ضعف قول المعتزلة **ويسخرون من الذين آمنوا** يعني أن الكفار يستهزئون بفقراء المؤمنين قال ابن عباس مثل عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيب ونظرائهم وقيل كانوا يقولون انظروا إلى هؤلاء الذين يزعم محمد أنه يغلب بهم **والذين اتقوا** يعني الفقراء من المؤمنين **فوقهم** أي فوق الكفار **يوم القيامة** لأن الفقراء في عليين والكفار والمنافقين في أسفل السافلين (ق) عن حارثة بن وهب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ جعظري مستكبر العتل الفظ الغليظ الشديد الخصومة الذي لا ينقاد للخير والجواظ الفاجر المختال في مشيه وقيل هو القصير البطين والجعظري الفظ الغليظ وقيل هو الذي يتمدح بما ليس فيه أو عنده (ق) عن أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين وأصحاب الجد محبوسون غير أن أصحاب النار قد أمر بهم إلى النار وقمت على باب النار فإذا عامة من دخلها النساء الجد بفتح الجيم الحظ والغنى وكثرة المال **والله يرزق من يشاء بغير حساب** قال ابن عباس يعطي كثيراً بغير مقدار لأن كل ما يدخل عليه الحساب فهو قليل والمعنى أنه يوسع لمن يشاء من عباده وقيل يرزقه في الدنيا ولا يحاسبه في الآخرة وقيل معناه أنه يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب وقيل معناه أنه يرزقه بغير استحقاق وقيل معناه أن الله تعالى لا يخاف نفاد ما في خزائنه حتى يحتاج إلى حساب ما يخرج منها لأن الحساب إنما يكون ليعلم قدر ما يعطي والله

عنى عالم بما يعطي ولا يخاف نفاد خزائنه لانها بين الكاف والنون وقيل
معناه ان الله تعالى يقتر الرزق على من يشاء ويبسط الرزق لمن يشاء ولا يعطي
كل احد على قدر حاجته بل يعطي الكثير لمن لا يحتاج ولا معارض له في حكمه
ولا محاسب فيما رزق ولا يقال له لم اعطيت هذا وحرمت هذا ولم اعطيت
هذا اكثر من ذلك لانه تعالى لا شريك له في ملكه ينازعه ولا يسأل عما
يفعل وقيل يحتمل ان يكون المراد منه ما يعطي الله المتقين في الآخرة
من الثواب والكرامة بغير محاسبة منه لهم على ما من به عليهم وذلك ان
نعيم الجنة لا انفاد له ولا انقطاع وقيل انه تعالى يعطي اهل الجنة الثواب
والاجر بقدر اعمالهم ثم يتفضل عليهم فذلك المتفضل منه لهم بغير حساب
قوله عز وجل **كان الناس امة واحدة** اي على دين واحد قيل هو آدم وذريته
كانوا مسلمين على دين واحد الى ان قتل قابيل هابيل فاختلفوا وقيل كان الناس
على شريعة واحدة من الحق والهدى من وفات آدم الى مبعث نوح وكانوا مؤمنين
ثم اختلفوا بعد وفاته وقيل ان العرب كانت على دين ابراهيم عليه السلام
الى ان غيره عمرو بن لحي وقيل كان الناس امة واحدة حين اخرجوا من ظهر
آدم لاخذ الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعترفوا بالعبودية
ولم يكونوا امة واحدة غير ذلك اليوم ثم لما ظهروا الى الوجود اختلفوا
بسبب البغي والحسد وقيل ان آدم وحده كان امة واحدة يعني اماما وقدوة
يقتدى به وانما ظهر الاختلاف بعده وقيل كان الناس امة واحدة في الكفر
والباطل بدليل قوله فبعث الله النبيين فان قيل أليس قد كان فيهم من
هو مسلم نحو هابيل وشيث وادريس ونحوهم فالجواب ان الغالب في ذلك الزمان
كان الكفر والحكم للغالب وقيل ان الاية دلت على ان الناس كانوا امة
واحدة وليس فيها ما يدل على انهم كانوا على ايمان او كفر فهو موقوف على دليل من
خارج **فبعث الله النبيين** وجملتهم مائة الف واربعة وعشرون الفا والرسل
منهم ثلثمائة وثلاثة عشر المذكور منهم باسم العلم ثمانية وعشرون نبيا
مبشرين يعني بالثواب لمن آمن واطاع **ومنذرين** يعني مخوفين بالعقاب
لمن كفر وعصى وانما قدم البشارة على الانذار لان البشارة تجري مجرى حفظ
الصحة للابدان والانذار يجري مجرى ازالة المرض ولا شك ان المقصود
هو الاول فكان اولى بالتقديم **وانزل معهم الكتاب** اي الكتب او يكون
التقدير وانزل مع كل واحد الكتاب **بالحق** اي بالعدل والصدق وجملة
الكتب المنزلة من السماء مائة واربعة كتب انزل على آدم عشر صحائف وعلى
شيث ثلاثون وعلى ادريس خمسون وعلى موسى عشر صحائف والتوراة وعلى داود
الزبور وعلى عيسى الانجيل وعلى محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم القرآن
ليحكم بين الناس يعني الكتاب وانما اضيف الحكم الى الكتاب وان
كان الحاكم هو الله لانه انزله والمعنى ليحكم الله بالكتاب الذي انزله
وقيل معناه ليحكم بين الناس كل نبي بكتابه المنزل عليه فاسناد الحكم الى
الكتاب والنبي مجاز والله هو الحاكم في الحقيقة **فيما اختلفوا فيه** اى في
الحق الذي اختلفوا فيه من بعد ما كانوا متفقين عليه **وما اختلف فيه** اى

في الحق

ای اختلف فيه في قوله وما اختلف فيه الآية

في الحق **الا الذين اوتوه** اي اعطوا الكتاب والمراد به التوراة والانجيل
والذين اوتوه اليهود والنصارى واختلافهم هو تكفير بعضهم بعضا بغيا
وحسدا وقيل اختلافهم هو تحريفهم وتبديلهم وقيل الكناية في فيه راجعة الى محمد
صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اختلف في امر محمد صلى الله عليه وسلم بعد وضوح
الدلالات في صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا اليهود الذين اوتوا الكتاب
بغيا منهم وحسدا **من بعد ما جاءتهم البينات** اي الدلالات الواضحات
على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **بغيا بينهم** يعني انه لم يبق لهم
عذر في العدول عنه وترك ما جاء به وانما تركوا اتباعه بغيا وحسدا وهو
طلب الدنيا بطلب الرياسة **فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه**
اي الى ما اختلفوا فيه **من الحق** وكان من اختلافهم الذين اختلفوا فيه
الجمعة فهدى الله تعالى هذه الامة الاسلامية اليها **ق** عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة
اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فهذا اليوم الذي اختلفوا
فيه فهدانا الله فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون يوم القيامة
بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم
فاختلفوا فيه فهدانا الله له زاد النسائي يعني يوم الجمعة فالناس لنا فيه تبع
اليهود غدا والنصارى بعد غد **م** عن ابي حذيفة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود
يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل
الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون
من اهل الدنيا الاولون يوم القيامة المقضي لهم يوم القيامة قبل
الخلائق وقد اختلفوا في شان القبلة فصلت اليهود نحو المغرب الى بيت
المقدس وصلت النصارى الى المشرق وهدانا الله الى الكعبة وقيل
اختلفوا في الصيام فهدانا الله لشهر رمضان واختلفوا في ابراهيم
فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا فهدانا الله
الى الحق فقلنا كان حنيفا مسلما واختلفوا في عيسى بن مريم فاليهود فرطوا
فيه والنصارى افرطوا فيه فهدانا الله في ذلك كله للحق فهدى الله
الذين آمنوا الى الحق الذي اختلف فيه من اختلف **باذنه** يعني بعلمه او بامره
وارادته **والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم** قوله عز وجل **ام حسبتم ان
تدخلوا الجنة** نزلت في غزوة الاحزاب وهي غزوة الخندق وذلك ان
المسلمين اصابهم ما اصابهم من الجهد والشدة والخوف والبرد وضيق العيش
الذي كانوا فيه يومئذ وقيل نزلت في غزوة احد وقيل لما دخل رسول
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المدينة في اول الهجرة اشتد عليهم الضر
لانهم خرجوا بلا مال وتركوا اموالهم وديارهم بايدي المشركين وآثروا رضى الله
ورسوله واظهرت اليهود العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسر قوم
النفاق فانزل الله تعالى هذه الاية تطييبا لقلوبهم ومعنى الاية احسبتم

والميم صلة وقيل بل حسبتم والمعنى اظننتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة
بمجرد الايمان ولم يصبكم مثل ما اصاب من كان قبلكم من اتباع الانبيا
والمرسلين من الشدايد والمحن والابتلاء والاختبار وهو قوله ولما ياتكم
مثل الذين خلوا من قبلكم اي شبه الذين مضوا قبلكم من النبيين واتباعهم
من المؤمنين مستهم البأساء اي اصابهم الفقر والشدة والمسكنة وهو
اسم من البؤس والضراء يعني المرض والزمانة وضروب الخوف وزلزلوا
اي وحركوا بانواع البلايا والرزايا واصل الزلزلة الحركة وذلك لان
الخايف لا يستقر بل لا يزال يضطرب ويتحرك لقلقه حتى يقول الرسول
والذين امنوا معه متى نصر الله وذلك لان الرسل اثبت من غيرهم واصبر
واضبط للنفس عند نزول البلا وكذا اتباعهم من المؤمنين والمعنى
انه بلغ بهم الجهد والشدة فلما بلغ بهم الحال في الشدة الى هذه الغاية
واستبطؤا النصر قيل لهم الا ان نصر الله قريب اجاب لهم الى طلبتهم والمعنى
هكذا كان حالهم لا يغيرهم طول البلاء والشدة عن دينهم الى ان ياتيهم
نصر الله فكونوا يا معشر المؤمنين كذلك وتحملوا الاذى والشدة
والمشقة في طلب الحق فان نصر الله قريب خ عن خباب بن الارت قال
شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل
الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ
الرجل فيحفر له في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على راسه
فيجعل نصفين ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما صده ذلك
عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى
حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون • قوله
عز وجل يسئلونك ماذا ينفقون نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا
ذا مال فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى من ننفق فانزل الله تعالى
يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير اي من مال والمعنى وما
تفعلوا من انفاق شي من المال قل او كثر فللوالدين وانما قدم
الانفاق على الوالدين لوجوب حقهما على الولد لانهما كانا السبب في
اخراجه من العدم الى الوجود والاقربين وانما ذكر بعد الوالدين الاقربين
لان الانسان لا يقدر ان يقوم بمصالح جميع الفقراء فتقديم القرابة
اولى من غيرهم واليتامى وانما ذكر بعد الاقربين اليتامى لصغرهم ولانهم لا يقدرون
على الاكتساب ولا لهم من ينفق عليهم والمساكين وانما اخرهم لان حاجتهم
اقل من حاجة غيرهم وابن السبيل يعني المسافرين فانه بسبب انقطاعه
عن بلده قد يقع في الحاجة والفقر نظرا الى هذا الترتيب الحسن العجيب
في كيفية الانفاق ثم لما فصل الله هذا التفصيل الحسن الكامل اتبعه
بالاجمال فقال وما تفعلوا من خير فان الله به عليم وما تفعلوا من خير
مع هولاء وغيرهم طلبا لوجه الله تعالى ورضوانه فان الله به عليم قال
ابن مسعود نسختها اية الزكاة وقال الحسن انها محكمة ووجه احكامها
ان الله تعالى ذكر فيها من يجب النفقة عليه مع فقره وهما الوالدان

وقال

وقال ابن زيد هذا في النفل وهو ظاهر الاية فمن احب التقرب الى الله
تعالى بالانفاق فالاولى به ان ينفق على الوجوه المذكورة في الاية فيقدم
الاولى فالاولى بقي في الاية سؤال وهو انه كيف طابق السؤال الجواب
وهو انهم سالوا عن بيان ما ينفقون فاجيبوا ببيان المصرف واجيب عن هذا
السؤال بانه قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو
المال ثم ضم الى جواب السؤال ما يكمل به المقصود وهو بيان المصرف
لان النفقة لا تعد نفقة الا ان تقع موقعها قال الشاعر •
• ان الصنيعة لا تعد صنيعة • حتى يصاب بها طريق المصنع •
قوله عز وجل كتب عليكم القتال اي فرض عليكم الجهاد واختلف العلما
في حكم الاية فقال عطا الجهاد تطوع والمراد من الاية اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه ذهب الثوري وحكي عن الاوزاعي
نحو وحجة هذا القول ان قوله كتب يقتضي الايجاب ويكفي العمل به
مرة واحدة وحجة من اوجبه على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوله
عليكم يقتضي تخصيص هذا الخطاب بالموجودين في ذلك الوقت وقيل بل
الاية على ظاهرها والجهاد فرض على كل مسلم ويدل على ذلك
ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد
واجب عليكم مع كل امير برا كان او فاجرا اخرجه ابو داود بزيادة فيه ق عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح لا هجرة بعد الفتح ولكن
جهاد ونية واذا استنفرتم فانفروا وعلى ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام
به البعض سقط الفرض عن الباقين وهذا القول هو المختار الذي عليه جمهور
العلما قال الزهري كتب الله القتال على الناس جاهدوا او لم يجاهدوا فمن
غزى فيها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به اعان وان استنفر نفر وان
استغني عنه قعد قال الله تعالى فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على
القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى ولو كان القاعد تاركا لم يعده بالحسنى
واختلف في الناسخ والمنسوخ في هذه الاية على ثلاثة اقوال احدها انها
محكمة ناسخة للعفو عن المشركين القول الثاني انها منسوخة لان فيها
وجوب الجهاد على الكافة ثم نسخ بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة
القول الثالث انها ناسخة من وجه ومنسوخة من وجه فالناسخ منها ايجاب
الجهاد مع المشركين بعد المنع منه والمنسوخ ايجاب الجهاد على الكافة
قوله وهو كره لكم اي القتال شاق عليكم وهذا الكره انما حصل من حيث نفور
الطبع عن القتال لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس وخطر الروح والخوف
لانهم كرهوه اذا امر الله وقيل نسخ الكره بقوله تعالى اخبارا عنهم وقالوا سمعنا
واطعنا وقيل انما كان كراهيتهم القتال قبل ان يفرض عليهم لما فيه من
الخوف والشدة وكثرة الاعدا فبين الله تعالى ان الذي تكرهونه
من القتال هو خير لكم من تركه لئلا تكرهونه بعد ان فرض عليكم وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم لفظة عسى توهم الشك مثل لعل
وهو من الله يقين وقيل انها كلمة مطمعة فهي لا تدخل في حصول الشك

للمشقة والمعنى ان الغزو فيه احدى الحسنيين اما الظفر والغنيمة واما
الشهادة والجنة وقيل ربما كان الشيء شاقا في الحال وهو سبب للمنافع الجليلة
في المستقبل ومثاله شرب الدوا المر فانه ينفر منه الطبع في الحال لكن
يتحمل هذه الكراهة والمشقة لتوقع حصول الصحة في المستقبل **وعسى
ان تحبوا شيئا** يعني القعود عن الغزو **وهو شر لكم** يعني لما فيه من فوت
الغنيمة والاجر وطمع العدو فيكم لانه اذا علم ميلكم الى الراحة والدعة
قصد بلادكم وحاول قتالكم واذا علم ان فيكم شهامة وجلادة على القتال
كف عنكم **والله يعلم** يعني ما في الجهاد من الغنيمة والاجر والخير **وانتم
لا تعلمون** يعني ذلك والمعنى ان العبد اذا علم قصور علمه وكمال علم الله ثم
ان الله تعالى امره بامر فان ذلك الامر فيه مصلحة عظيمة يجب على العبد
امتثال امر الله تعالى وان كان يشق على النفس في الحال قوله عز وجل
يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه سبب نزول هذه الاية ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمته في سرية في جمادى الاخرة
قبل قتال بدر بشهرين وامره على السرية وكتب له كتابا سرا على اسم الله تعالى
وقال له لا تنظر في الكتاب حتى تسير يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب فاقراه
على اصحابك ثم امض الى ما امرتك ولا تستكرهن احدا منهم فسار عبد الله
يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما
بعد فسر على بركة الله تعالى بمن معك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة
فارصد بها عير قريش لعلك تاتينا منها بخبر فقال سمعا وطاعة ثم
قال لاصحابه ذلك وقال انه نهاني ان استكره احدا منكم فمن كان يريد
الشهادة فلينطلق ومن يكره فليرجع ثم مضى ومضى اصحابه معه وكانوا
ثمانية رهط لم يتخلف عنه احد منهم حتى اذا كان بمعدن فوق الفرع بموضع من
الحجاز يقال له بحران اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما
كانا يتعقبانه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله في بقية اصحابه حتى نزل
في بطن نخلة بين مكة والطايف فبيناهم كذلك مرت بهم قريش تحمل
زبيبا وادما وتجارة للطايف وفي العير ابن الحضرمي والحكم بن كيسان
وعثمان بن عبد الله بن المغيرة ونوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم هابوهم وقد نزلوا قريبا منهم فقال عبد الله
بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم وليتعرض لهم فاذا
راوه محلوقا امنوا فحلقوا راس عكاشة بن محصن ثم اشرف عليهم فلما
راوه امنوا وقالوا عمار فلا باس علينا وكان ذلك في اخر يوم من جمادى الاخرة
وكانوا يرون انه رجب فتشاور القوم فيهم وقالوا لئن تركتموهم هذه
الليلة ليدخلن الحرم وليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم في مواقعة القوم فرمى
واقد بن عبد الله السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله فكان اول قتيل من
المشركين واسر الحكم وعثمان وكانا اول اسيرين في الاسلام وافلت نوفل
فاعجزهم واستاق المسلمون العير والاسيرين حتى قدموا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام وسفك

الدما

وسفك الدما واخذ الحرايب يعني المال وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين
وقالوا يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام وقاتلتم فيه فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعبد الله بن جحش واصحابه ما امرتكم
بالقتال في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان ياخذ شيئا من
ذلك وعنف المسلمون اصحاب السرية فيما صنعوا وقالوا لهم صنعتم ما لم تؤمروا
به فعظم ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السرية وظنوا انهم قد هلكوا
وسقط في ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا
هلال رجب فلا ندري اصبناه في رجب ام في جمادى واكثر الناس في ذلك فانزل
الله هذه الاية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس
فكان اول خمس في الاسلام واول غنيمة قسمت وقسم الباقي على اصحاب السرية
وبعث اهل مكة في فدا اسيريهم فقال بل نبقيهما حتى يقدم سعد وعتبة
وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان
فاسلم واقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بئر معونة
شهيدا واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا واما نوفل
فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه
فتحطما جميعا فقتله الله فطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث الدية فاما تفسير الاية
فقوله تعالى يسألونك يعني يا محمد عن الشهر الحرام يعني رجبا سمي بذلك
لتحريم القتال فيه وفي السايلين رسول الله صلى الله عليه وسلم قولان احدهما انهم
المؤمنون سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل اخطأوا ام اصابوا وقيل انه
ان المسلمين كانوا يعلمون ان القتال في الحرم وفي الاشهر الحرم لا يحل كما كتب
عليهم القتال فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال في الشهر
الحرام فنزلت هذه الاية والقول الثاني ان السايلين هم المشركون وانما
سالوه على وجه العيب على المسلمين فنزلت هذه الاية يسألونك عن الشهر
الحرام قتال فيه **قل** يا محمد **قتال فيه كبير** اي عظيم مستنكر واختلف العلما
في حكم هذه الاية على قولين احدهما انها محكمة وانه لا يجوز الغزو في الشهر
الحرام الا ان يقاتلوا فيه فيقاتلوا على سبيل الدفع روي عن عطا انه كان
يحلف بالله لا يحل للناس ان يغزوا في الشهر الحرام ولا ان يقاتلوا فيه
وما نسخت والقول الثاني الذي عليه جمهور العلما وهو الصحيح انها
منسوخة قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار القتال جائز في الشهر
الحرام وهذه الاية منسوخة بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وبقوله قاتلوا المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وغيرها **وصد عن
سبيل الله** هذا ابتدا كلام يعني وصدكم المسلمين عن الحج او وصدكم
عن الاسلام من يريده **وكفر به** اي بالله **والمسجد الحرام** اي وصدكم عن
المسجد الحرام **واخراج اهله منه** يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
اذوهم حتى هاجروا وتركوا مكة وانما جعلهم اهله لانهم كانوا هم القايمون
بحقوق المسجد الحرام دون المشركين **اكبر عند الله** اي اعظم وزرا عند الله

الحكم

من القتال في الشهر الحرام والفتنة اي الشرك الذي انتم عليه اكبر
من القتل يعني قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام فلما نزلت هذه الاية
كتب عبد الله بن انيس وقيل عبد الله بن جحش الى مؤمني مكة ان عيركم المشركون
بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم بالكفر واخراج الرسول صلى الله عليه وسلم
من مكة والمسلمين ومنعكم اياهم من البيت ولا يزالون يعني مشركي مكة
يقاتلونكم يعني يا معشر المؤمنين حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا
يعني الى دينهم وهو الكفر ان استطاعوا يعني ان قدروا على ذلك وفيه استبعاد
لاستطاعتهم وهو كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق
لا يظفر به ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر يعني من يطاوعهم منكم
فيرجع الى دينهم فيمت على ردته قبل ان يتوب فاولئك حبطت اعمالهم اي
بطلت اعمالهم في الدنيا والاخرة وهو ان المرتد يقتل وتبين زوجته ولا
يستحق الميراث من اقاربه المؤمنين ولا ينصر ان استنصر ولا يمد ولا يثنى
عليه ويكون ماله فيئا للمسلمين هذا في الدنيا ولا يستحق الثواب على اعماله
ويحبط اجره في الاخرة وظاهر الاية يقتضي ان الارتداد انما تتفرع عليه
الاحكام اذا مات المرتد على الكفر اما اذا اسلم بعد الردة لم يثبت عليه
عليه شيء من احكام الردة وفيه دليل للشافعي ان الردة لا تحبط الاعمال
بموت المرتد على ردته وعند ابي حنيفة ان الردة تحبط العمل وان اسلم
اولئك اصحاب النار يعني الذين ماتوا على الردة والكفر هم اصحاب النار
هم فيها خالدون اي لا يخرجون منها ابدا ان الذين امنوا والذين هاجروا
وجاهدوا في سبيل الله نزلت في عبد الله بن جحش واصحابه وذلك ان اصحاب
السرية قالوا يا رسول الله هل نؤجر على وجهنا هذا ونطمع ان يكون لنا غزوا
فانزل الله هذه الاية وعن جندب بن عبد الله قال لما كان من امر عبد الله
ابن جحش واصحابه وامر ابن الحضرمي ما كان قال بعض المسلمين ان لم يكونوا
اصابوا في سفرهم وزرا فليس لهم فيه اجر فانزل الله هذه الاية ان الذين
امنوا والذين هاجروا اي فارقوا مساكنهم وعشائرهم واموالهم وفارقوا
مساكنة المشركين في امصارهم ومجاورتهم في ديارهم فتحولوا عن المشركين
وعن بلادهم الى غيرها وجاهدوا يعني المشركين في سبيل الله اي في طاعة
الله فجعل الله لاصحاب هذه السرية جهادا اولئك يرجون رحمة الله اي
يطمعون في نيل رحمة الله بسبب رجاء الرحمة وقيل المراد من الرجاء هنا القطع
من اصل الثواب وانما دخل الشك في كميته وقدره قال قتادة اثنى الله على
اصحاب محمد احسن الثنا فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في
سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله هؤلاء هم خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل
رجاء يرجون رحمة الله كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب والله
غفور اي لذنوب عباده رحيم بهم والمعنى انه تعالى غفر لعبد الله بن جحش
واصحابه ما لم يعلموا به قوله عز وجل يسألونك عن الخمر والميسر
الاية نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ومعاذ بن جبل وجماعة
من الانصار رضي الله عنهم اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول

الله

الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فانزل الله تعالى هذه
الاية واصل الخمر في اللغة الستر والتغطية وسميت الخمر خمرا لانها
تخامر العقل اي تخالطه وقيل لانها تستره وتغطيه وجملة القول في تحريم
الخمر ان الله عز وجل انزل في الخمر اربع ايات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل
والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها في اول الاسلام وهي
لهم حلال ثم نزلت بالمدينة في جواب سؤال عمر ومعاذ يسألونك عن الخمر
والميسر قل فيهما اثم كبير فتركها قوم لقوله اثم كبير وشربها قوم لقوله
ومنافع للناس ثم ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعا اليه اناسا
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واطعمهم وسقاهم الخمر وحضرت
صلاة المغرب فقدموا احدهم ليصلي بهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما
تعبدون بحذف حرف لا الى اخر السورة فانزل الله عز وجل يا ايها الذين
امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم السكر
في اوقات الصلاة فكان الرجل يشربها بعد صلاة العشا فيصبح وقد زال السكر
فيصلي الصبح ويشربها بعد صلاة الصبح فيصحون وقت صلاة الظهر ثم ان
عتبان بن مالك اتخذ صنيعا يعني وليمة ودعا رجالا من المسلمين فيهم سعد
ابن ابي وقاص قد شوى له راس بعير فاكلوا وشربوا الخمر حتى اخذت منهم
فافتخروا عند ذلك وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة
فيها فخر قومه وهجاء الانصار فاخذ رجل من الانصار لحي البعير فضرب به راس
سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه
الانصاري فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا ويروى ان
حمزة بن عبد المطلب شرب الخمر يوما وخرج فلقي رجلا من الانصار وبيده
ناضح له والانصاري يتمثل ببيتين لكعب بن مالك يمدح قومه وهما

جمعنا مع الايواء نصرا وهجرة • فلم ير حي مثلنا في المعاشر
فاحياؤنا من خير احياء من مضى • وامواتنا من خير اهل المقابر

فقال حمزة اولئك المهاجرون وقال الانصاري بل نحن الانصار فتنازعا
فجرد حمزة سيفه وعدى على الانصاري فهرب الانصاري وترك ناضحه
فقطعه حمزة وجاء الانصاري مستعديا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخبره بفعل حمزة فغرم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ناضحا فقال عمر
اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فانزل الله تعالى الاية التي في المائدة
الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وذلك بعد غزوة
الاحزاب بايام والحكمة في وقوع التحريم على هذا الترتيب ان الله تعالى
علم ان القوم الفوا شرب الخمر وكان انتفاعهم بذلك كثيرا فعلم ان
الله لو منعهم من الخمر دفعة واحدة لشق عليهم ذلك فلا جرم استعمل هذا
التدريج وهذا الرفق قال انس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ للعرب عيش
اعجب منها وما حرم عليهم شيء اشد من الخمر ق عن انس قال ما كان لنا
خمر غير فضيخكم واني لقائم اسقي ابا طلحة وابا ايوب وفلانا اذ جاء رجل
فقال حرمت الخمر فقالوا اهرق هذه القلال يا انس فما سالوا عنها

ولا زاجر يعني خبر الرجل المفضح بالمعاد والخمر الممزوج من شراب يتخذ
من تمر مطبوخ والمنقوع والمشدوخ والمكسور والأسراف الصب والقلال
جمع قلة وهي الجرة الكبيرة **فصل** في تحريم الخمر ووعيد من يشربها
أجمع الأئمة على تحريم الخمر والتهديد من شربها ويفسق بذلك مع اعتقاد
تحريمها فإن استحلها كفر بذلك ويجب قتله ق عن ابن عمر أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا
ومات وهو يدمنها ولم يتب منها لم يشربها في الآخرة لفظ مسلم ص عن جابر
أن رجلا قدم من جيشان وجيشان من اليمن فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن شراب يشربونه بأرضهم من الذرة يقال له المزر فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أو مسكر هو قال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام وإن
على الله عهدا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال قالوا يا رسول الله
وما طينة الخبال قال عرق أهل النار أو عصارة أهل النار وعن ابن عباس أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر خمر وكل مسكر حرام ومن شرب مسكرا
بخست صلاته أربعين يوما فإن تاب تاب الله عليه وإن عاد
الرابعة كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال قيل وما طينة الخبال
يا رسول الله قال صديد أهل النار أخرجه أبو داود وعن عبد الله بن عمرو
ابن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر وجعلها
في بطنه لم تقبل له صلاة سبعا وإن مات فيها مات كافرا فإن أذهبت
عقله عن شيء من الفرائض وفي رواية من القرآن لم تقبل صلاته أربعين
يوما وإن مات فيها مات كافرا أخرجه النسائي عن عثمان بن عفان قال اجتنبوا
الخمر فإنها أم الخبائث وإنها والله لا تجتمع والإيمان أو ما أن الخمر لا يوشك أن
يخرج أحدهما صاحبه أخرجه النسائي موقوفا عليه وفيه دقة عن أنس قال
لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها وساقيها وآكل ثمنها وسع
ومعتصرها وشاربها وبايعها وحاملها والمحمولة إليه وبايعها ومبتاعها وآبيها
وآكل ثمنها أخرجه الترمذي **فصل** في أحكام تتعلق بالخمر وفيه مسائل
الأولى في ماهيتها قال العلماء الخمر عبارة عن عصير العنب النيء الشديد
الذي قذف بالزبد وكذلك نقيع الزبيب والتمر والمتخذ من العسل والحنطة
والشعير والأرز والذرة وكل ما أسكر فهو خمر وقال أبو حنيفة الخمر من العنب
والرطب ونقيع التمر والزبيب فإذا طبخ حتى ذهب ثلثاه حل شربه والمسكر
منه حرام واحتج على ذلك بما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كتب
إلى بعض عماله أن ارزق المسلمين من الطلاء ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه وفي
رواية أما بعد فاطبخوا شرابكم حتى يذهب منه نصيب الشيطان فإن
له اثنين ولكم واحد أخرجه النسائي • الطلاء بكسر الطاء والمد الشراب
المطبوخ من عصير العنب الذي ذهب ثلثاه وبقي ثلثه أيضا بما روي عن ابن
عباس قال حرمت الخمر بعينها قليلها وكثيرها والمسكر من كل شراب
أخرجه النسائي واستدل أيضا على أن المسكر حرام بما روي عن أبي الأحوص
عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بردة أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال اشربوا ولا تسكروا وعن عائشة نحوه أخرجه النسائي وقال هذا حديث غير
ثابت واستدل العلماء على أن الخمر من عدة أشياء بما روي عن ابن عمر قال على
منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أما بعد أيها الناس إنه قد نزل تحريم الخمر
وهو من خمسة العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والخمر ما خامر العقل
ثلاث وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عهد إلينا فيهن عهدا ننتهي
إليه الجد والكلالة وأبواب من أبواب الربا أخرجه البخاري ومسلم
ق عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن البتع فقال كل
شراب أسكر فهو حرام البتع شراب يتخذ من العسل كان أهل اليمن يشربونه عن النعمان
ابن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن من العنب خمرا وإن من البر
خمرا وإن من الشعير خمرا وإن من التمر خمرا أخرجه أبو داود وفي رواية
وإن من الذرة وإني أنهاكم عن كل مسكر وللترمذي نحوه وزاد وإن من العسل خمرا
خ عن ابن عباس أنه سئل عن الباذق فقال سبق محمد الباذق فما أسكر
فهو حرام قال الشراب الحلال الطيب وليس بعد الحلال الطيب إلا الحرام
الخبيث قال صاحب المطالع الباذق بفتح الذال المعجمة وهو الطلاء المطبوخ
من عصير العنب كان أول من صنعه وسماه بنو أمية وينقلوه عن اسم
الخمر وكل ما أسكر فهو خمر لأن الاسم لا ينقله عن معناه الموجود فيه
وقال ابن الأثير في النهاية الباذق الخمر تعريب باده وهو الاسم الخمر
بالفارسية أي لم يكن في زمانه أو سبق قوله فيها وفي غيرها من جنسها
وقيل معناه سبق حكم محمد صلى الله عليه وسلم أن ما أسكر فهو حرام
عن أم سلمة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كل مسكر ومفتر
أخرجه أبو داود • والمفتر كل شراب أحمى الجسد وصار فيه فتور وضعف
وانكسار واستدل العلماء أن ما أسكر كثيره فقليله حرام بما أخرجه الترمذي
وأبو داود عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل مسكر
حرام وما أسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام أخرجه أبو داود وللنسائي
وفي رواية والحسوة منه حرام • الفرق بالتحريك مكيال يسع ستة
عشر رطلا بالبغدادي وأجيب عن حديث عمر في الطلاء بأنه معارض لما
روي عن السائب بن يزيد أن عمر قال وجدت من فلان ريح شراب وزعم
أنه شرب الطلاء وأنا سائل عنه فإن كان يسكر جلدته فسأل فقيل إنه يسكر
فجلده عمر الحد تاما أخرجه مالك رضي الله عنه في الموطأ وأما حديث
ابن عباس فموقوف عليه ومعارض لما روي عنه في الباذق وقوله
والسكر من كل شراب وقد رواه الحافظ السكر بفتح السين قال صاحب
الغريبين السكر خمر الأعاجم ويقال لما يسكر المسكر وروى هذا الحديث
ابن حنبل وقال فيه والمسكر من كل شراب وقال موسى بن هارون وهو الصواب
وأما حديث أبي الأحوص ففيه وهمان أحدهما في سنده حديث قال عن
أبي بردة وإنما يرويه سماك عن القاسم عن ابن بريدة عن أبيه والوهم
الثاني في متنه حديث قال اشربوا ولا تسكروا وإنما يرويه الناس
ولا تشربوا مسكرا ويدل على صحة هذا ما رواه مسلم في صحيحه عن

عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كنت نهيتكم عن الاشربة في ظروف الادم واشربوا في كل وعاء غير ان لا تشربوا مسكرا
مسكرا وقال النسائي في حديث ابي الاحوص هذا حديث منكر غلط فيه ابو الاحوص
سلام بن سليم لا نعلم ان احدا تابعه عليه من اصحاب سماك واما حديث عائشة
فيه فهو غير ثابت كما تقدم من قول النسائي المسئلة الثانية في الحكم بنجاسة
الخمر وما يلحق بها بنجاسة العين ويدل على نجاستها قوله تعالى انما الخمر والميسر
والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه والرجس في اللغة النجس
والشيء المستقذر ولقوله تعالى فاجتنبوه فامر باجتنابها فكانت نجسة العين
ويدل على نجاستها ايضا انها محرمة التناول لا للاحترام ولان الناس مشغوفون
بها فينبغي ان يحكم بنجاستها تاكيدا للزجر عنها المسئلة الثالثة في تحريم بيعها
والانتفاع بها اجمعت الامة على تحريم بيع الخمر والانتفاع بها وتحريم ثمنها ويدل
على ذلك ما روي عن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عام فتح
مكة ان الله تعالى حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والاصنام اخرجاه في الصحيحين
مع زيادة اللفظ ق عن عائشة رضي الله عنها قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
حرمت التجارة في الخمر ق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بلغ عمر بن الخطاب
ان فلانا باع خمرا فقال قاتل الله فلانا الم يعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فجملوها فباعوها عن المغيرة بن شعبة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من باع الخمر فليشقص الخنازير اخرجه ابو
داود وقوله فليشقص الخنازير اي فليقطعها قطعا كما يقطع الشاة للبيع والمعنى
من استحل بيع الخمر فليستحل بيع الخنازير فانهما في التحريم سواء عن طلحة قال يا نبي
الله اني اشتريت خمرا لايتام في حجري فقال اهرق الخمر واكسر الدنان اخرجه الترمذي
وقال وقد روي عن انس ان ابا طلحة كان عنده خمر لايتام وهو اصح فان قلت فما
وجه قوله تعالى ومنافع للناس قلت منافعها اللذة التي توجد عند شربها
والفرح والطيب معها وما كانوا يصيبون من الربح في ثمنها وكان ذلك قبل
التحريم فلما حرمت الخمر حرم ذلك كله فصل الميسر هو القمار واشتقاقه
من اليسر لانه اخذ مال بسهولة من غير تعب وكذا قال ابن عباس رضي الله تعالى
عنه كان الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على اهله وماله فايهما قمر صاحبه
ذهب باهله فانزل الله هذه الاية واصل الميسر ان اهل الثروة من العرب
في الجاهلية كانوا يشترون جزورا فينحرونها ويجزئونها ثمانية وعشرين
جزءا ثم يسهمون عليها بعشرة اقداح يقال لها الازلام والاقلام واسماؤها
الفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح
والوغد وكانوا يسهمون للسبعة منهم ايضا للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب
ثلاثة اسهم وللحلس اربعة وللنافس خمسة اسهم وللمسبل ستة وللمعلى
سبعة وثلاثة من القداح لا نصيب لها وهي المنيح والسفيح والوغد قال
بعضهم لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح سميهن وغد ومنيح وسفيح ثم يجعلون
الاقداح في خريطة يسمونها الربابة ويضعونها على يد رجل عدل عندهم
يسمونه المجيل والمفيض فيجيلها في الخريطة ويخرج منها قدحا باسم

رجل منهم فان خرج اسمه اخذ نصيبه على قدر ما يخرج من القدح وان خرج
له قدح من الثلاثة التي لا نصيب لها لم ياخذ شيئا ويغرم ثمن الجزور كله
وقيل لا ياخذ ولا يغرم ويكون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون ذلك الجزور
الى الفقراء ولا ياكلون منه شيئا وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لا يفعل
ويسمونه البرم يعني البخيل الذي لا يخرج شيئا بين الاصحاب لبخله واما
حكم الاية فالمراد به جميع انواع القمار فكل شيء فيه قمار فهو من الميسر
وروي عن ابن سيرين ومجاهد وعطاء كل شيء فيه خطر فهو الميسر حتى لعب
الصبيان بالجوز والكعاب واما النرد فيحرم اللعب به سواء كان بعوض ام لا
ويدل على تحريمه ما روي عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
لعب بالنردشير فكانما صبغ يده في دم خنزير اخرجه مسلم وعن ابي موسى قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لعب بالنرد او بالنردشير فقد عصى الله ورسوله
اخرجه ابو داود وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال النرد والشطرنج
من الميسر واختلفوا في الشطرنج فمذهب ابي حنيفة انه يحرم اللعب به
سواء كان بعوض او بغير عوض ومذهب الشافعي انه مباح بشروط ذكرها الشافعي
فقال اذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان والصلاة عن النسيان
لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لان الميسر ما يوجب
دفع مال واخذ مال وهذا ليس كذلك وقوله تعالى قل فيهما يعني في
الخمر والميسر اثم كبير اي وزر عظيم وقيل ان الخمر عدو للعقل فاذا غلبت
على عقل الانسان ارتكب كل قبيح ففي ذلك اثم كبير منها اقدامه على شرب
المحرم ومنها فعل ما لا يحل فعله واما الاثم الكبير في الميسر فهو اكل المال
الحرام بالباطل وما يجري بينهما من الشتم والمخاصمة والمعاداة وكل ذلك
فيه اثام كبيرة ومنافع للناس يعني انهم كانوا يربحون في بيع الخمر قبل
تحريمها واما منافع الميسر فهو اخذ مال الغير بلا تعب وقيل ربما ان الواحد
منهم كان يقمر في المجلس الواحد مائة بعير فيحصل له المال الكثير وربما
كان يصرف الى المحتاجين فيكتسب بذلك الثناء والمدح وهو المنفعة واثمهما
اكبر من نفعهما يعني اثمهما بعد التحريم اكبر من نفعهما قبل التحريم
وقيل اثمهما الحاصل من قوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون
فهذه ذنوب يترتب عليها اثام كبيرة بسبب الخمر والميسر قوله تعالى ويسألونك
ماذا ينفقون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حثهم على الصدقة فقالوا
ماذا ننفق فقال الله تعالى قل العفو يعني الفضل والعفو ما فضل عن
قدر الحاجة وكان الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون
بالفاضل بحكم هذه الاية ثم نسخ ذلك باية الزكاة وقيل هو التصدق عن
ظهر غنى ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما
كان عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول وقيل هو
التوسط في الانفاق من غير اسراف ولا اقتار وقيل هو في صدقة
التطوع اذ لو كان المراد به الانفاق الواجب لبين الله قدره فلما لم يبينه

دل ذلك على ان المراد به صدقة التطوع **كذلك يبين الله لكم الآيات** يعني
يبين الله لكم الامور التي سألتم عنها من وجوه الانفاق ومصارفه **لعلكم**
تتفكرون في الدنيا والآخرة يعني فتأخذون ما يصلحكم في الدنيا وتنفقون
الباقي فينفعكم في الآخرة وقيل لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا فتزهدون
فيها وفي اقبال الآخرة وبقائها فترغبوا فيها قوله عز وجل **ويسألونك**
عن اليتامى قال ابن عباس لما نزلت ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما
تحرج المسلمون من اموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا اموالهم عن اموالهم
وتركوا مخالطتهم وربما كان يصنع لليتيم الطعام فيفضل منه فيتركونه ولا يأكلونه
فاشتد ذلك عليهم فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى
ويسألونك عن اليتامى **قل اصلاح لهم خير** اي اصلاح اموال اليتامى من غير
اخذ اجرة ولا عوض خير لكم اي اعظم اجرا وقيل هو ان يوسع على اليتامى من
طعام نفسه ولا يتوسع من طعام اليتيم **وان تخالطوهم** يعني في الطعام والخدمة
والسكنى وهذه اباحة المخالطة اي شاركوهم في اموالهم واخلطوها
باموالكم ونفقاتكم ومساكنكم وخدمكم ودوابكم فتصيبوا من اموالهم عوضا
من قيامكم باموالهم او تكافئوهم على ما يصيبون من اموالكم **فاخوانكم** اي فهم
اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من اموال بعض على وجه
الاصلاح **والله يعلم المفسد من المصلح** يعني المفسد لمال اليتيم والمصلح
له ويعلم الذي يقصد بالمخالطة الخيانة واكل مال اليتيم بغير حق
والذي يقصد الاصلاح **ولو شاء الله لاعنتكم** اي لضيق عليكم وما اباح لكم
مخالطتهم واصل العنت الشدة والمشقة والمعنى لكلفكم في كل شيء ما يشق
عليكم **ان الله عزيز حكيم** اي غالب يقدر ان يشق على عباده ويعنتهم ولكنه حكيم
لا يكلف عباده الا ما تتسع به طاقتهم قوله عز وجل **ولا تنكحوا المشركات**
حتى يؤمن نزلت في ابن مرثد بن ابي مرثد الغنوي واسم ابي مرثد كناز
ابن حصين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا
من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت به امرأة مشركة يقال لها عناق وكانت
خليلة في الجاهلية فاتته فقالت الا تخلو فقال ويحك يا عناق ان
الاسلام حال بيني وبين ذلك فقالت هل لك ان تتزوج بي قال نعم
ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم استأمره فقالت ابي تتبرم
فاستغاثت عليه فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما قضى حاجته بمكة
وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه بما كان من امره وامر عناق
وما لقي بسببها فقال يا رسول الله ان يحل لي ان اتزوجها فانزل الله هذه الآية
واصل النكاح في اللغة الوطء ثم كثر حتى قيل للعقد نكاح ومعنى الآية
ولا تنكحوا ايها المسلمون المشركات حتى يؤمن اي يصدقن بالله ورسوله وهو
الاقرار بالشهادة والتزام احكام المسلمين واختلف العلماء في حكم الآية
فقيل انها على كل مشركة يحرم نكاحها على كل مسلم من اي اجناس الشرك كانت
كالوثنية والمجوسية والنصرانية وغيرهم من اصناف المشركات ثم
استثنى الله من ذلك نكاح الحرائر الكتابيات بقوله تعالى والمحصنات

من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وقيل ان حكم الآية نزلت في مشركات
العرب الوثنيات خاصة ولم ينسخ منها شيء ولم يستثن وانما حكمها عام
مخصوص قال قتادة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن يعني مشركات العرب
اللاتي ليس لهن كتاب يقرأنه وبيان هذا في مسئلة وهي ان لفظة
المشرك يندرج فيه اهل الكتاب من اليهود والنصارى ويطلق عليهم
اسم الشرك بقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى
المسيح ابن الله ثم قال تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون
الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو
سبحانه عما يشركون فهذه الآية صريحة في شرك اليهود والنصارى
وقيل كل من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم وان زعم ان الله تعالى واحد
فهو مشرك وذلك ان من كفر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع صحة نبوته
صلى الله عليه وسلم ومعجزاته فقد زعم ان ما اتى به النبي صلى الله عليه
وسلم هو من عند غير الله فقد اشرك مع الله غيره فعلى هذا القول ايضا
يدخل فيه اليهود والنصارى لانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
ان اسم الشرك لا يتناول الا عبدة الاصنام وقيل ان الاسم الشرك
لا يتناول الا عبدة الاصنام فقط والاصح الاول لما تقدم من الادلة
فعلى قول من قال اسم الشرك لا يتناول الا الوثنيات تكون الآية
محكمة في حق الوثنيات منسوخة في حق الكتابيات قوله عز وجل **ولامة**
مؤمنة خير يعني انفع واصلح وافضل **من مشركة** يعني حرة **ولو اعجبتكم**
يعني بجمالها ومالها ونسبها فالامة المؤمنة افضل عند الله من الحرة المشركة
نزلت في خنساء وليدة كانت لحذيفة بن اليمان قال يا خنساء ذكرت في الملأ
الاعلى على سوادك ودمامتك ثم اعتقها وتزوجها وقيل نزلت في عبد الله
ابن رواحة كانت عنده جارية سوداء فغضب عليها يوما فلطمها ثم
فزع فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال وما هي يا عبد الله قال
تشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء
وتصلي قال هذه مؤمنة قال عبد الله فوالذي بعثك بالحق لاعتقنها
ولاتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا اتنكح امة وعرضوا
عليه حرة مشركة فانزل الله تعالى هذه الآية **ولا تنكحوا المشركين حتى**
يؤمنوا هذا خطاب لاولياء المرأة اي لا تزوجوا المسلمة من المشركين
حرم على المؤمنات ان ينكحوا مشركا من اي اصناف الشرك كان فانعقد
الاجماع على انه لا يجوز للمسلمة ان تتزوج بالمشرك **ولعبد مؤمن خير من**
مشرك يعني حر **ولو اعجبكم** يعني اعجبكم حسنه وماله وجماله **اولئك**
يدعون الى النار يعني يدعون الى الشرك الذي يؤدي الى النار **والله**
يدعو الى الجنة والمغفرة يعني انه تعالى لما بين هذه الاحكام
واباح بعضها وحرم بعضها فاعملوا بما امركم به وانتهوا عما نهاكم عنه
فانه من عمل بذلك استحق الجنة والمغفرة **باذنه** بتيسير الله وارادته
وتوفيقه **ويبين آياته للناس** اي يوضح ادلته وحججه في اوامره ونواهيه

واحكامه **لعلهم يتذكرون** اي فيتعظون قوله تعالى **ويسألونك عن المحيض**
م عن انس ان اليهود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في
البيوت فسأل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم فانزل
الله عز وجل ويسألونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء في المحيض الاية
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شيء الا النكاح فبلغ ذلك
اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل ان يدع من امرنا شيئا الا خالفنا فيه فجاء
اسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا افلا
نجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا انه قد وجد عليهما
فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فارسل في آثارهما فسقاهما فعرفنا انه لم يجد عليهما وجد الغضب واصل
الحيض السيلان والانفجار يقال حاض الوادي اذا سال وفاض ماؤه **قل
هو اذى** اي هو شيء تتقذرونه والاذى في اللغة ما يكره من كل شيء **فاعتزلوا
النساء في المحيض** اي فاجتنبوا مجامعتهن **ولا تقربوهن** يعني بالوطء والجماع
هو كالتأكيد لقوله فاعتزلوا النساء في المحيض **حتى يطهرن** يعني من الحيض
والمعنى ولا تقربوهن حتى يزول عنهن الدم وقرئ يطّهرن بتشديد الطاء ومعناه
يغتسلن **فاذا تطهرن** اي اغتسلن من حيضهن **فأتوهن من حيث امركم
الله** قال ابن عباس وطؤهن في الفرج ولا تعدوا الى غيره فاتقوا الذي امر
الله به ولا تأتوهن من غير المأتى به وقيل فأتوهن من الوجه الذي امركم
الله به وهو الطهر وقيل معناه ائتوهن من حيث يحل لكم غشيانهن وذلك
بان لا يكن صائمات ولا معتكفات ولا محرمات **فصل** في حكم الاية
وفيه مسائل المسألة الاولى اجمع المسلمون على تحريم الجماع في زمن الحيض
ومستحله كافر عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من اتى
حائضا او امرأة في دبرها او كاهنا فقد كفر بما انزل الله على محمد اخرجه
الترمذي وقال انما معنى هذا عند اهل العلم على التغليظ ومن فعله
وهو عالم بالتحريم عزره الامام وفي وجوب الكفارة قولان احدهما
انه يستغفر الله ويتوب اليه ولا كفارة عليه وهو قول ابي حنيفة والشافعي
في الجديد والقول الثاني انه يجب عليه الكفارة وهو القول القديم
للشافعي وبه قال احمد ابن حنبل لما روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
وسلم في الرجل يقع على امرأته وهي حائض قال يتصدق بنصف دينار وفي
رواية قال اذا كان دما احمر فدينار وان كان دما اصفر فنصف دينار اخرجه
الترمذي وقال قد رفعه بعضهم عن ابن عباس ووقفه بعضهم المسألة
الثانية اجمع العلماء على جواز الاستمتاع بالمرأة الحائض بما فوق السرة
ودون الركبة وجواز مضاجعتها وملامستها ويدل على ذلك ما روي عن
عائشة قالت كانت احدانا اذا كانت حائضا واراد رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يباشرها امرها ان تأتزر بازار في فور حيضتها ثم يباشرها وايكم
يملك اربه كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يملك اربه قالت كنت اغتسل
انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من اناء واحد وكلانا جنب وكان يأمرني

فاتزر فيباشرني وانا حائض اخرجاه في الصحيحين المراد بالمباشرة هنا
الاستمتاع بما دون الفرج وفور كل شيء اوله واشده وقولها يملك اربه
يروى بسكون الراء وهو العضو وبفتحها وهو الحاجة م عن عائشة رضي الله
عنها قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ناوليني الخمرة من المسجد قلت اني
حائض قال ان حيضتك ليست في يدك الخمرة حصيرة صغيرة منسوجة من
سعف النخل او غيره بقدر الكف وقوله من المسجد يعني ناولينيها من المسجد لانه صلى
الله عليه وسلم كان معتكفا في المسجد وعائشة في حجرتها فطلب منها الخمرة
وهي حائض المسألة الثالثة يحرم على الحائض الصلاة والصوم ودخول المسجد
وقراءة القرآن ومس المصحف وحمله فلو امنت الحائض من التلويث في عبورها
المسجد جاز في احد الوجهين فيه كالجنب والثاني لا لان حدثها اغلظ
ويجب على الحائض قضاء الصوم دون قضاء الصلاة لما روي عن معاذة العدوية
قالت سألت عائشة رضي الله عنها فقلت ما بال الحائض تقضي الصوم ولا
تقضي الصلاة قالت احرورية انت قلت لست بحرورية ولكني اسأل قالت
كان ~~رسول الله صلى الله عليه وسلم~~ يصيبنا ذلك فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر
بقضاء الصلاة اخرجاه في الصحيحين المسألة الرابعة لا يرتفع شيء مما
منعه الحائض بانقطاع الدم ما لم تغتسل او تتيمم عند عدم الماء الا الصوم
فانها اذا انقطع دمها بالليل ونوت الصوم فانه يصح وان اغتسلت في النهار
وذهب ابو حنيفة الى انه يجوز للزوج غشيانها اذا انقطع الدم لاكثر الحيض
وهو عشرة ايام عنده قبل الغسل ومذهب الشافعي وغيره من العلماء انه
لا يجوز غشيانها ما لم تغتسل من الحيض او تتيمم عند عدم الماء لان الله تعالى
علق جواز وطء الحائض بشرطين احدهما انقطاع الدم الثاني الغسل
فقال ولا تقربوهن حتى يطهرن يعني من الحيض فاذا تطهرن يعني اغتسلن
فأتوهن من حيث امركم الله فدل ذلك على ان الوطء لا يحل قبل الغسل
وقوله تعالى **ان الله يحب التوابين** يعني من الذنوب والتواب الذي كلما
اذنبوا جددوا التوبة وقيل التواب هو الذي لا يعود الى الذنب **ويحب
المتطهرين** يعني من الاحداث وسائر النجاسات بالماء وقيل المتطهرين من
الشرك وقيل هم الذين لم يصيبوا الذنوب قوله تعالى **نساؤكم حرث لكم**
الاية ق عن جابر قال كانت اليهود تقول اذا جامعها من ورائها جاء الولد
احول فنزلت نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وفي رواية الترمذي
تقول من اتى امرأة في قبلها من دبرها وذكر الحديث وعن ابن عباس قال
جاء عمر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هلكت قال وما اهلكك
قال حولت رحلي الليلة قال فلم يرد عليه شيئا فاوحى الله الى رسوله صلى
الله عليه وسلم هذه الاية نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم اقبل
وادبر واتق الدبر والحيضة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
قوله حولت رحلي هو كناية عن الاتيان في غير المحل المعتاد ولكن من جهة
ظهرها وعن ابن عباس قال كان هذا الحي من الانصار وهم اهل وثن مع
هذا الحي من يهود وهم اهل كتاب فكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا

فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم وكان من شان اهل الكتاب ان لا ياتون النسا
الا على حرف وذلك استر ما تكون المراة فكان هذا الحي من الانصار قد اخذوا
بذلك من فعلهم وكان هذا الحي من قريش يشرحون النسا شرحا منكرا ويتلذذون
بهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون المدينة تزوج رجل
منهم امراة من الانصار فذهب ان يصنع بها ذلك فانكرته عليه وقالت
انما كنا نوتى من حرف فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى سرى امرهما فبلغ ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل نساوكم حرث لكم فاتوا
حرثكم انى شئتم اي مقبلات ومدبرات ومستلقيات يعني بذلك موضع
الولد والحرث الستر وقيل الصورة لا جثة لها وقوله على حرف الحرف الجانب
وحرف كل شي جانبه وقوله يشرحون النسا يقال شرح فلان جاريته اذا وطيها
على قفاها واصل الشرح البسط وقوله سرى امرهما اي ارتفع وعظم وتفاخم
واصله من سرى البرق اذا لمع ق عن ام سلمة رضي الله عنها ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى نساوكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى
شئتم في صمام واحد ويروى في سمام واحد يعني احرجه الترمذي وقال حديث حسن
وقوله تعالى حرث لكم مزرع لكم ومنبت للولد وهذا على سبيل التشبيه
فجعل فرج المراة كالارض والنطفة كالبذر والولد كالنبات
فاتوا حرثكم انى شئتم يعني كيف شئتم اذا كان في القبل والمعنى كيف
شئتم مقبلة ومدبرة على كل حال اذا كان في الفرج وفي الاية دليل على تحريم
اتيان النسا في ادبارهن لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر ويويد
ذلك ما روى عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون
من اتى امراة في دبرها احرجه ابو داود وقال سعيد بن المسيب هذا في
العزل يعني انى شئتم فاعزلوا وان شئتم لا تعزلوا وسيل ابن عباس عن
العزل فقال حرثك ان شئت فعطش وان شئت فروى ويروى عنه انه قال
تستامر الحرة في العزل ولا تستامر الجارية وبه قال احمد وكره جماعة
العزل وقال هو الواد الخفي وروى نافع قال كنت امسك على ابن عمر المصحف
فقرا هذه الاية نساوكم حرث لكم قال تدري فيما انزلت هذه الاية
قلت لا قال نزلت في رجل اتى امراته في دبرها فشق عليه ذلك فنزلت هذه
الاية وروى عن عبد الله بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله بن عمر فقال له
يا ابا عمر ما حديث يحدث به نافع عن عبد الله انه لم يكن يرى باسا باتيان النسا
في ادبارهن فقال كذب العبد واخطا انما قال يوتون في فروجهن من ادبارهن
ويحكى عن مالك اباحة ذلك وانكره اصحابه واجمع جمهور العلما على تحريم اتيان
النسا في ادبارهن وقالوا ان الله حرم الفرج في حال الحيض لاجل النجاسة
العارضة فيه وهو الدم فاولى ان يحرم الدبر للنجاسة الملازمة ولان الله
تعالى نص على ذكر الحرث والحرث يكون نبات الولد فلا يجد العدول عنه الى
غيره وقوله تعالى **وقدموا لانفسكم** يعني الولد وقيل قدموا التسمية
والدعا عند الجماع **ق** عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو ان احدكم اذا اراد ان ياتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب

الشيطان

٨١

الشيطان ما رزقتنا فانه ان قدر بينهما ولد في ذلك لم يضره الشيطان ابدا
وقيل اراد به تقديم الافراط **ق** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم
قوله الا تحلة القسم يعني قدر ما يبر الله قسمه وهو قوله تعالى وان منكم الا
واردها فاذا وردها جاوزها فقد ابر قسمه وقيل قدموا لانفسكم يعني الخير والعمل
الصالح بدليل سياق الاية **واتقوا الله** اي احذروا ان تاتوا شيا مما نهاكم
عنه **واعلموا انكم ملاقوه** اي صايرون اليه في الاخرة ليجزيكم باعمالكم
وبشر المومنين يعني بالكرامة من الله تعالى قوله عز وجل **ولا تجعلوا الله
عرضة لايمانكم** نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه بشير ابن
النعمان شي فحلف عبد الله لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين
خصم له فكان اذا قيل له فيه يقول قد حلفت بالله ان لا افعل فلا يحل لي الا
ان يبر يميني فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي
الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث الافك والعرضة
ما يجعل معرضا للشي وقيل العرضة الشدة والقوة وكل ما يعترض فيمنع
عن الشي فهو عرض والمعنى ولا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر
والتقوى يدعى احدكم الى بر او صلة فيقول قد حلفت بالله لا افعله فيعتل
بيمينه في ترك البر والاصلاح **ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس** قيل
معناه لا تحلفوا بالله ان لا تبروا ولا تتقوا ولا تصلحوا بين الناس **م** عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فلياتها
وليكفر عن يمينه وقيل معناه لا تكثروا الحلف بالله وان كنتم بارين متقين
مصلحين فان كثرة الحلف بالله ضرب من الجرأة عليه **والله سميع** اي لحلفكم
عليم يعني بنياتكم قوله عز وجل **لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم** اللغو
كل ساقط مطروح في الكلام وما لا يعتد به وهو الذي يورد لا عن روية وفكر
واللغو في اليمين هو الذي لا عقد معه كقول القايل لا والله بلى والله على
سبق اللسان من غير قصد ونية وبه قال الشافعي ويعضده ما روى عن عايشة
قالت نزل قوله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم في قول الرجل لا والله
وبلى والله اخرجه البخاري موقوفا ورفعه ابو داود قال قالت عايشة قال
النبي صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل في بيته كلا والله وبلى والله ورواه
عنها ايضا موقوفا وقيل في معنى اللغو هو ان يحلف الرجل على شي يراه انه صادق
ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال ابو حنيفة لا كفارة عليه فيه ولا اثم عليه
عنه قال مالك رضي الله تعالى عنه في الموطا احسن ما سمعت في ذلك ان
اللغو حلف الانسان على الشي فيستيقن انه كذلك ثم يوجد بخلافه
فلا كفارة فيه قال والذي يحلف على الشي وهو يعلم انه فيه اثم او
كاذب ليرضي به احدا او يعتذر لمخلوق او يقتطع به مالا فهذا اعظم
من ان يكون فيه كفارة وانما الكفارة على من حلف انه لا يفعل الشي
المباح له فعله ثم يفعله او ان يفعله ثم لا يفعله مثل ان حلف ان لا
يبيع ثوبه بعشرة دراهم ثم يبيعه بذلك او يحلف ليضربن غلامه ثم

ثم لا يعذره وفائدة الخلاف الذي بين الشافعي وابي حنيفة في لغو اليمين ان
الشافعي لا يوجب الكفارة في قول الرجل كلا والله وبلى والله ويوجبها فيما اذا
حلف على شيء انه كان ثم بان انه لم يكن وابو حنيفة يحكم بعكس ذلك ومذهب
الشافعي هو قول عائشة والشعبي وعكرمة ومذهب ابي حنيفة هو قول ابن
عباس والحسن ومجاهد والنخعي والزهري وسليمان بن يسار وقتادة ومكحول
وقيل في معنى اللغو انه اليمين في الغضب وقيل هو ما يقع سهوا من غير قصد
البتة ومعنى لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين ولكن يؤاخذكم
بما كسبت قلوبكم لكن يعني يؤاخذكم بما عزمتم عليه وقصدتم له وكسب القلب
هو العقد والنية

فصل في بيان حكم الاية وفيه مسائل المسألة
الاولى لا ينعقد اليمين الا بالله وباسمائه وصفاته واما اليمين بالله هو قول
الرجل والذي نفسي بيده والذي اعبده ونحو ذلك والحلف باسمائه كقوله
والله الرحمن الرحيم والمهيمن ونحو ذلك فاذا حلف بشيء من ذلك ثم حنث
فعليه الكفارة المسئلة الثانية لا يجوز الحلف بغير الله والكعبة والنبي
والاب ونحو ذلك فان حلف بشيء من ذلك لا ينعقد يمينه ولا كفارة عليه
ويكره الحلف به لما روي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ادرك عمر وهو يسير في ركب وهو يحلف بابيه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بابائكم فمن كان حالفا فليحلف بالله او
ليصمت اخرجاه في الصحيحين المسئلة الثالثة اذا حلف على امر في المستقبل
فحنث فعليه الكفارة وان كان على امر ماض ولم يكن او على انه لم يكن فكان
فان كان عالما به حال حلفه بان يقول والله ما فعلت وقد فعل او لقد فعلت
وما فعل فهذه اليمين الغموس وهي من الكبائر سميت غموسا لانها تغمس
صاحبها في الاثم وتجب فيها الكفارة عند الامام الشافعي سواء كان عالما
او جاهلا وذهب ابو حنيفة الى انه لا كفارة عليه فان كان
عالما فهي كبيرة وان كان جاهلا فهي من لغو اليمين والله غفور يعني لعباده
فيما لغوا من ايمانهم التي اخبر انه لا يؤاخذهم عليها ولو شاء واخذهم والزمهم
الكفارة في العاجل والعقوبة عليها في الاجل حليم يعني في ترك معاجلة
العصيان بالعقوبة قال الحليمي في معنى الحليم الذي لا يحبس انعامه
وافضاله عن عباده لاجل ذنوبهم ولكن يرزق العاصي كما يرزق المطيع
ويبقيه وهو منهمك في معاصيه كما يبقي البر المتقي وقد يقيه الافات
والبلايا وهو غافل لا يذكر فضلا ان يدعوه كما يقيها الناسك الذي يدعو
ويسأله وقال ابو سليمان الخطابي الحليم ذو الصفح والاناة الذي لا
يغضب ولا يستفزه جهل جاهل ولا عصيان عاص ولا يستحق الصافح مع العجز
اسم الحليم انما الحليم هو الصفوح مع القدرة على الانتقام المتأني الذي
لا يعجل بالعقوبة قوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم يؤلون اي يحلفون
والالية اليمين قال كثير هو اليمين

قليل الالايا حافظ ليمينه • وان ندرت منه الالية برت

والايلاء في عرف الشرع هو اليمين على ترك الوطي كما اذا قال والله لا

اجامعك

اجامعك او لا اباضعك او لا اقربك قال ابن عباس رضي الله عنهما كان اهل الجاهلية
اذا طلب الرجل من امراته شيئا فابت ان تعطيه حلف ان لا يقربها السنة والسنتين
والثلاث فيدعها لا ايما ولا ذات بعل فلما كان الاسلام جعل الله ذلك للمسلمين اربعة
اشهر وانزل هذه الاية للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر تربص انتظار
اربعة اشهر والتربص والتثبت والانتظار فان فاؤ اي رجعوا عن اليمين
بالرضى والمعنى فان رجعوا عما حلفوا عليه من ترك جماعها فان الله غفور
رحيم للزوج اذا تاب من اضراره فان الله غفور رحيم لكل التائبين فروع
تتعلق بحكم الاية **الفرع الاول** اذا حلف انه لا يقرب زوجته ابدا او
مدة هي اكثر من اربعة اشهر يوقف الزوج ويؤمر بالفيء وهو الرجوع او الطلاق
وذلك بعد مطالبة الزوجة فان رجع عما قال بالوطي ان قدر عليه او بالقول
مع العجز عنه فان لم يفئ ولم يطلق طلق عليه الحاكم واحدة وهو قول عمر
وعثمان وابي الدرداء وابن عمر قال سليمان بن يسار ادركت بضعة عشر من
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون يوقف المولي وذهب اليه سعيد بن جبير
وسليمان بن يسار ومجاهد وبه قال مالك والشافعي واسحاق واحمد وقال
ابن عباس وابن مسعود اذا مضت مدة اربعة اشهر وقع عليها طلقة
بائنة وبه قال سفيان الثوري وابو حنيفة وقال سعيد بن المسيب والزهري
يقع عليها طلقة رجعية **الفرع الثاني** لو حلف لا يطأها اقل من اربعة
اشهر فليس بمول بل هو حالف فان وطيها قبل مضي المدة لزمه كفارة يمين
الفرع الثالث لو حلف لا يطأها اربعة اشهر فليس بمول بعد مضي المدة
وعند ابي حنيفة يكون موليا ويقع الطلاق بمضي المدة **الفرع الرابع**
مدة الايلاء اربعة اشهر في حق الحر والعبد جميعا عند الشافعي لانها مدة
ضربت لمعنى يرجع الى الطبع كمدة العنة عند مالك وابي حنيفة تتنصف مدة
الايلاء بالرق غير ان عند ابي حنيفة تتنصف المدة برق المراة وعند مالك
برق الزوج كما قال في الطلاق **الفرع الخامس** اذا وطئ خرج من الايلاء وتجب
عليه كفارة يمين وهذا قول اكثر العلماء وقيل لا كفارة عليه لان الله وعد المغفرة
فقال فان فاؤ فان الله غفور رحيم ومن قال بوجوب الكفارة عليه قال ذلك
في اسقاط العقوبة عنه لا في الكفارة قوله تعالى وان عزموا الطلاق
اي حققوه بالايقاع فان الله سميع يعني لاقوالهم عليم بنياتهم وفيه
دليل على انها لا تطلق ما لم يطلقها زوجها لانه تعالى شرط العزم قوله عز
وجل والمطلقات اي المخليات من حبال ازواجهن والمطلقة هي التي
يوقع الزوج عليها الطلاق يتربصن بانفسهن اي ينتظرن فلا يتزوجن
ثلاثة قروء جمع قرء والقروء اسم يقع على الحيض والطهر قال ابو عبيدة
الاقراء من الاضداد كالشفق للحمرة والبياض وقيل انه حقيقة في الحيض
مجاز في الطهر وقيل بالعكس واختلف في اصله فقيل اصله الجمع من قرأ
اي جمع لان وقت الحيض يجتمع الدم في الرحم وفي وقت الطهر يجتمع في البدن
وقيل اصله الوقت يقال رجع فلان لقرئه اي لوقته الذي كان فيه
لان الحيض يأتي في الوقت والطهر يأتي في الوقت ويجيء الخلاف امثل اللغة

في الاقراء اختلف الفقهاء على قولين احدهما ان الاقراء هي الحيض ويروى ذلك
عن عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وابي موسى وعبادة بن الصامت وابي الدرداء
وبه قال عكرمة والضحاك والسدي والاوزاعي وسفيان الثوري وابو حنيفة
واصحابه وقال احمد بن حنبل كنت اقول ان الاقراء هي الاطهار وانا اليوم
اذهب الى انها الحيض القول الثاني انها الاطهار يروى ذلك عن ابن
ثابت وابن عمر وعن عائشة وبه قال الزهري وابان بن عثمان ومالك والشافعي
وحجة من يقول ان الاقراء هي الحيض قوله صلى الله عليه وسلم للمستحاضة دعي
الصلاة ايام اقرائك يعني ايام حيضك لان المراة لا تدع الصلاة الا ايام حيضها
وحجة من يقول انها الاطهار ان ابن عمر طلق امراته وهي حائض فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شاء امسك وان شاء طلق
قبل ان يمس فتلك العدة التي امر الله ان تطلق لها فاخبر ان زمان العدة هو
الطهر لا الحيض ويعضده من اللغة قول الاعشى

ففي كل عام انت جاشم غزوة ۞ تشد لاقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفي الحي رفعة ۞ لما ضاع فيها من قروء نسائكا

اراد انه كان يخرج للغزو ولم يغش نساءه فيضيع اقراؤهن وانما يضيع بالسفر
ما لم يغش فيه من الطهر لا زمان الحيض وفائدة الخلاف ان مدة العدة عند الاول
اقصر وعند غيره اطول وذلك ان العدة اذا شرعت في الحيضة الثالثة
فقد بانت من زوجها وحلت للازواج ويروى عنها انها قالت الطهر القرء
وليست بالحيضة قال الشافعي والنساء بهذا اعلم لان هذا انما يبتلى به النساء
وان طلقها في حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها
وعلى قول من يجعل الاقراء حيضا وهو مذهب ابي حنيفة لا تنقضي عدتها ما لم
تطهر من الحيضة الثالثة اذا كان وقع الطلاق في حال الطهر او من الحيضة
الرابعة ان وقع في حال الحيض **فان قلت** ما معنى الاخبار عنهن بالتربص
في قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن **قلت** هو خبر في معنى الامر
وصورة الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر في صورة
الخبر واشعار بانه مما يجب ان يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن
الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونظيره قولهم في الدعاء يرحمك الله
اخرج في صورة الخبر ثقة بالاجابة فكانما قد وجدت الرحمة فهو يخبر عنها

فصل في احكام العدد وفيه مسائل المسالة الاولى عدة الحامل تنقضي
بوضع الحمل سواء المطلقة والمتوفى عنها زوجها وسواء في ذلك الحرة
والامة المسالة الثانية عدة المتوفى عنها سوى الحامل اربعة اشهر وعشرة
ايام سواء مات عنها زوجها قبل الدخول او بعده وسواء في ذلك الحائض
والامة والآيسة المسالة الثالثة عدة المطلقة بعد الدخول بها وهي
ضربان احدهما الحيض فعدتها بالاقراء وهي ثلاثة اقراء والضرب الثاني
الآيسات من الحيض اما لكبر او لم تكن تحض قط فعدتها ثلاثة اشهر
والمطلقة قبل الدخول فلا عدة عليها المسالة الرابعة عدة الامة نصف
عدة الحرة فيما له نصف وفي الاقراء قرآن لان القرء لا يتنصف قال عمر بن

الخطاب ينكح العبد اثنتين ويطلق تطليقتين وتعتد الامة بحيضتين
وقوله تعالى **ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن** قال ابن عباس يعني
الولد وقيل الحيض والمعنى انه لا يحل لهن اي كتمان ما خلق الله في رحمها من
الحيض والحمل ليبطلن بذلك الكتمان حق الزوج من المراجعة والولد **ان كن
يؤمن بالله واليوم الآخر** هذا وعيد شديد لتاكيد تحريم الكتمان وايجاب
اداء الامانة في الاخبار عما في الرحم من الحيض او الولد والمعنى ان هذا
من فعل المؤمنات وان كانت المؤمنة والكافرة فيه سواء وهو كقولك اد حقي ان
كنت مؤمنا يعني اداء الحقوق من افعال المؤمنين وتقول للذي يظلم ان
كنت مؤمنا فلا تظلمني والمعنى ان يمنعك ايمانك من الظلم وفي سبب وعيد
النساء بهذا قولان احدهما انه لاجل ما يستحقه الزوج من الرجعة قاله ابن
عباس والثاني لاجل الحاق الولد بغير ابيه قاله قتادة وقيل كانت المراة
اذا رغبت في زوجها تقول اني حائض وان كانت قد طهرت ليراجعها وان كانت
زاهدة فيه كتمت حيضها وتقول قد طهرت لتفوته فنهاهن الله عن ذلك
وامرهن باداء الامانة **وبعولتهن احق بردهن في ذلك** يعني ازواجهن
سمي الزوج بعلا لقيامه بامر زوجته واصل البعل السيد والمالك
والمعنى فازواجهن اولى برجعتهن وردهن اليهم في ذلك اي في حال العدة
فاذا انقضى وقت العدة فقد بطل حق الرجعة **ان ارادوا اصلاحا** يعني
ان اراد الزوج بالرجعة الاصلاح وحسن العشرة لا الاضرار بهن وذلك ان
اهل الجاهلية كانوا يراجعون ويريدون بالاضرار فنهى الله المؤمنين عن مثل
ذلك وامرهم بالاصلاح وحسن العشرة بعد الرجعة **ولهن** يعني وللنساء
على الازواج **مثل الذي عليهن** يعني للازواج **بالمعروف** وذلك ان حق
الزوجية لا يتم الا اذا كان كل واحد منهما يراعي حق الآخر فيما له وعليه
فيجب على الزوج ان يقوم بجميع حقها ومصالحها ويجب على الزوجة الانقياد
والطاعة له قال ابن عباس في معنى الآية اني احب ان اتزين للمراة
كما احب ان تتزين لي لان الله تعالى قال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
م عن جابر انه ذكر خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وقال
فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتقوا الله في النساء فانكم اخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن فرشكم
احدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم
رزقهن وكسوتهن بالمعروف قوله فاتقوا الله في النساء فيه الحث على الوصية
بهن ومراعاة حقوقهن ومعاشرتهن بالمعروف قوله فانكم اخذتموهن
بامانة ويروى بامانة الله قوله واستحللتم فروجهن بكلمة الله معناه باباحة
الله والكلمة هو قوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء وقيل الكلمة هي
قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل الكلمة هي كلمة التوحيد
وهي لا اله الا الله محمد رسول الله اذ لا تحل مسلمة لغير مسلم وقوله لا يوطئن فرشكم
احدا تكرهونه معناه ولا ياذن لاحد ان يتحدث اليهن وكان من عادة العرب
ان يتحدث الرجل مع النساء ولا يرون ذلك عيبا ولا يعدونه ريبة الى ان

نزلت اية الحجاب فهو اخص من ذلك وليس المراد بوطء الفراش نفس الزنا فان
ذلك حرام على كل الوجوه فلا معنى لاشتراط الكراهة فيه ولو كان المراد فيه
ذلك لم يكن الضرب فيه ضربا غير مبرح اذ كان فيه الحد والضرب والمبرح
وهو الشديد وقوله ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف يعني بالعدل
وفيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالاجماع قوله تعالى
وللرجال عليهن درجة اي منزلة ورفعة قال ابن عباس بما ساق اليهن من
المهر وانفق عليهن من المال وقيل ان فضيلة الرجال على النساء بامور منها
العقل والشهادة والميراث وصلاحية الامامة والقضاء وللرجل ان
يتزوج عليها ويتسرى وليس لها ذلك وبيد الرجل الطلاق وهو قادر على
تطليقها واذا طلقها رجعية فهو قادر على رجعتها وليس شيء من ذلك بيدها
والله عزيز اي غالب لا يمتنع عليه شيء **حكيم** اي في جميع احكامه وافعاله
روى البغوي بسنده عن ابي ظبيان ان معاذ بن جبل خرج في غزاة بعثه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فرأى رجالا يسجد بعضهم لبعض
فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو امرت احدا ان يسجد لاحد
لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قوله عز وجل **الطلاق مرتان** عن عروة
ابن الزبير قال كان الرجل اذا طلق زوجته ثم ارتجعها قبل ان تنقضي
عدتها كان له ذلك وان طلقها الف مرة فعمد رجل الى امرأته فطلقها
حتى اذا شارفت انقضاء عدتها ارتجعها ثم قال والله لا اويك الي ولا
تخلين ابدا فانزل الله تعالى الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح
فاستقبل الناس الطلاق جديدا من ذلك اليوم من كان يطلق او لم يطلق
اخرجه الترمذي وله عن عائشة قالت كان الناس والرجل يطلق امرأته
ما شاء الله ان يطلقها وهي امرأته اذا ارتجعها وهي في العدة وان طلقها
مائة او اكثر حتى قال رجل لامرأته والله لا اطلقك فتبيني مني ولا اويك
ابدا قالت وكيف ذلك قال اطلقك فكلما همت عدتك ان تنقضي
راجعتك فذهبت المرأة حتى دخلت على عائشة رضي الله تعالى عنها
فاخبرتها فسكتت عائشة حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته فسكت
النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزل القرآن الطلاق مرتان فامساك
بمعروف او تسريح باحسان قالت عائشة رضي الله عنها فاستأنف الطلاق
مستقبلا من كان طلق ومن لم يطلق ومعنى الاية ان الطلاق الرجعي
مرتان ولا رجعة بعد الثلاث الا ان تنكح زوجا غيره وهو التفسير قول
من جوز الجمع بين الطلاق الثلاث في دفعة واحدة وهو الشافعي وقيل
في معنى الاية ان التطليق الشرعي يجب ان يكون تطليقة على التفريق
دون الجمع والارسال دفعة واحدة وهو التفسير هو قول من قال ان الجمع
بين الثلاث حرام الا ان ابا حنيفة قال يقع الثلاث وان كان حراما
وقيل ان الاية دالة على عدد الطلاق الذي يكون للرجل فيه رجعة على
زوجته والعدد الذي تبين به الزوجة منه والمعنى ان عدد الطلاق
الذي لكم فيه رجعة على ازواجكم اذا كن مدخولا بهن تطليقتان وانه

لا رجعة

لا رجعة له بعد التطليقتين وان شرحها طلقها الثالثة **فامساك بمعروف**
يعني بعد الرجعة وذلك انه اذا راجعها بعد التطليقة فعليه ان يمسكها
بالمعروف وكل ما عرف في الشرع من اداء حقوق النكاح وحسن الصحبة
او تسريح باحسان يعني انه يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها من
غير مضارة وقيل هو انه اذا طلقها ادى اليها جميع حقوقها المالية ولا يذكرها
بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها **فروع** تتعلق باحكام الطلاق
الفرع الاول صريح اللفظ الذي يقع به الطلاق من غير نية ثلاث الطلاق
والفراق والسراح وعند ابي حنيفة الصريح هو لفظ الطلاق الفرع
الثاني الحر اذا طلق زوجته طلقة او طلقتين بعد الدخول بها فله مراجعتها
من غير رضاها ما دامت في العدة فاذا لم يراجعها حتى انقضت عدتها
او طلقها قبل الدخول بها او خالعها فلا تحل له الا بنكاح جديد باذنها واذن وليها
الفرع الثالث العبد يملك على زوجته الامة تطليقتين واختلف فيما اذا كان
حرا فالحر يملك على زوجته الامة ثلاث تطليقات والعبد يملك على زوجته الحرة
تطليقتين فالاعتبار بحال الزوج في عدد الطلاق وبه قال الشافعي ومالك
واحمد وذهب ابو حنيفة الى ان الاعتبار بالمرأة فالعبد يملك على زوجته
الحرة ثلاث تطليقات والحر يملك على زوجته الامة تطليقتين ثم شرع في حكم
الخلع فقال سبحانه وتعالى **ولا يحل لكم ان تأخذوا مما اتيتموهن** يعني اعطيتموهن
شيئا يعني من مهر او غيره ثم استثنى الخلع فقال تعالى **الا ان يخافا الا يقيما**
حدود الله نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي وقيل في حبيبة بنت سهل الانصارية
كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها وكانت بينهما كلام
فاتت اباها تشكو اليه وقالت انه يسيء الي ويضربني فقال ارجعي الى زوجك فاني
اكره للمرأة ان لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها قالت فرجعت اليه الثانية
وبها اثر الضرب فقال لها ارجعي الى زوجك فلما رأت اباها لا يشكيها اتت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها وارته اثارا بها من ضربه وقالت
يا رسول الله لا انا ولا هو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ثابت فقال
ما لك ولاهلك فقال والذي بعثك بالحق نبيا ما على وجه الارض احب الي
منها غيرك فقال لها ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت صدق يا رسول الله ولكن خشيت ان يهلكني حبا فاخرجني منه وقالت
يا رسول الله ما كنت احدثك حديثا ينزل عليك خلافه هو اكرم الناس حبا لزوجته
ولكني ابغضه فلا انا ولا هو قال ثابت اعطيتها حديقة كل نخل لها فلتردها
علي واخلي سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتملكين امرك قالت نعم
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها
ففعل **عن ابن عباس** ان امرأة ثابت بن قيس اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله ان ثابت بن قيس ما اعتب عليه في خلق ولا دين ولكني اكره الكفر
في الاسلام قال ابو عبد الله يعني تبغضه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تردين عليه حديقته قالت نعم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة
وطلقها تطليقة **قوله** ما اعتب يعني ما اجد عليه والمعتب الموجدة والحديقة البستان

من النخل إذ كان عليه الحائط ومعنى قوله تعالى إلا أن يخافا أي يعلما الزوجان من
أنفسهما أن لا يقيما حدود الله والمعنى تخاف المرأة أن تعصي الله في أمر زوجها ويخاف
الزوج أنه إذا لم تطلقه يعتدي عليها فنهى الله الرجل أن يأخذ من امرأته شيئا مما
أعطاها إلا أن يكون النشوز من قبلها وذلك أن تقول لا أطيع لك أمرا ولا أطأ لك
مضجعا وقرئ إلا أن يخافا بضم الياء ومعناه إلا أن يعلم ذلك منهما لما يعني يعلم
القاضي والوالي **فإن خفتم** يعني فإن خشيتم أي أشفقتم وقيل معناه فإن ظننتم
ألا يقيما حدود الله يعني ما أوجب الله على كل واحد منهما من طاعته فيما أمره
به من حسن الصحبة والمعاشرة بالمعروف وقيل هو يرجع إلى المرأة وهو سوء خلقها
أو استخفافها بحق زوجها **فلا جناح عليهما فيما افتدت به** لا جناح على المرأة في
النشوز إذا خشيت الهلاك والمعصية فيما إذا افتدت به نفسها وأعطت من
المال لأنها ممنوعة من إتلاف المال بغير حق ولا على الزوج فيما أخذ من المال إذا
أعطته المرأة طائعة راضية

فصل في حكم الخلع

وفيه مسائل
المسئلة الأولى قال الزهري والنخعي وداود لا يباح الخلع إلا عند الغضب
والخوف من أن لا يقيما حدود الله فإن وقع الخلع في غير هذه الحالة فهو فاسد
وحجة هذا القول أن الآية صريحة في أنه لا يجوز للزوج أن يأخذ من المرأة
عند طلاقها شيئا ثم استثنى الله تعالى حالة مخصوصة فقال إلا أن يخافا
ألا يقيما حدود الله فكانت هذه صريحة في أنه لا يجوز الأخذ في غير حالة الغضب
والخوف من أن لا يقيما حدود الله وذهب جمهور العلماء إلى أنه يجوز الخلع من غير
نشوز ولا غضب غير أنه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب عن ثوبان أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس
فحرام عليها رائحة الجنة أخرجه أبو داود والترمذي عن ابن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم أبغض الحلال إلى الله الطلاق أخرجه أبو داود ودليل الجمهور على
جواز الخلع من غير نشوز قوله تعالى فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا
مريئا فإذا جاز لها أن تهب مهرها من غير أن يحصل لها شيء بإزائه لما كان ذلك
في الخلع الذي تصير به مالكة نفسها أولى وأجيب عن الاستثناء المذكور في
هذه الآية محمول على الاستثناء المنقطع المسئلة الثانية الخلع على أكثر مما
أعطاها وبه قال أكثر العلماء وقيل لا يجوز أن يأخذ أكثر مما أعطاها وهو قول
علي وبه قال الشعبي والزهري والحسن وعطاء وطاوس وقال سعيد بن المسيب
بل يأخذ دون ما أعطاها حتى يكون الفضل له وحجة الجمهور أن الخلع عقد على
معاوضة فوجب أن لا يتقيد بمقدار معين كما أن للمرأة أن لا ترضى عند عقد
النكاح إلا بالكثير فكذلك للزوج أن لا يرضى عند المخالعة إلا بالبذل الكثير
وقد أظهرت الاستخفاف بالزوج حيث أظهرت بغضه وكراهته المسئلة
الثالثة اختلف العلماء في الخلع هل هو فسخ أو طلاق فقال الشافعي في
القديم إنه فسخ وقيل هو قول ابن عباس وطاوس وعكرمة وبه قال أحمد
وإسحاق وأبو ثور وقال الشافعي في الجديد إنه طلاق وهو الأظهر وهو قول
عثمان وعلي وابن مسعود والحسن والشعبي والنخعي وعطاء وابن المسيب ومجاهد
ومكحول والزهري وبه قال أبو حنيفة ومالك وسفيان الثوري وحجة القول

القديم

القديم أن الله تعالى ذكر الطلاق مرتين ثم ذكر بعده الخلع ثم ذكر الطلقة
الثالثة فقال فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ولو كان
الخلع طلاقا لكان الطلاق أربعا وحجة القول الجديد أنه لو كان فسخا لما
صح بالزيادة على المهر المسمى كالإقالة في البيع وأيضا لو كان الخلع فسخا فإذا
خالعها ولم يذكر وجب أن يجب المهر عليها كالإقالة فإن الثمن يجب رده وإن
لم يذكر فثبت أن الخلع ليس بفسخ وإذا بطل ذلك ثبت أنه طلاق وأيضا فإن
الطلقة الثالثة قوله أو تسريح بإحسان وفائدة الخلاف أنا إذا جعلناه طلاقا
ينقص به عدد الطلاق فإن تزوجها بعده كانت معه على طلقتين وإن جعلناه
فسخا بانت منه بثلاث قوله تعالى **تلك حدود الله** يعني هذه أوامر الله
ونواهيه وهو ما تقدم من أحكام الطلاق والرجعة والخلع وحدود الله ما منع
من مجاوزتها وقوله **فلا تعتدوها** أي فلا تجاوزوها **ومن يتعد حدود الله** أي
يجاوزها **فأولئك هم الظالمون** قوله عز وجل **فإن طلقها** يعني الطلقة
الثالثة **فلا تحل له من بعد** أي لا يحل له رجعتها بعد الطلاق الثلاث **حتى تنكح
زوجا غيره** يعني حتى تتزوج زوجا آخر غير المطلق فيجامعها والنكاح يتناول
العقد والوطء جميعا والمراد هنا الوطء نزلت في تميمة وقيل عائشة بنت
عبد الرحمن بن عتيك القرظي وكانت تحت ابن عمها رفاعة بن وهب بن عتيك
القرظي فطلقها ثلاثا ق عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت جاءت امرأة
رفاعة القرظي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إني كنت عند رفاعة
فطلقني فبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وإنما معه مثل هدبة
الثوب فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة
لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته قولها فبت طلاقي أي قطعه
والبت القطع وقولها مثل هدبة الثوب أي طرفه وهو كناية عن
الذكر وقوله حتى يذوق عسيلتك بضم العين تصغير العسل شبه لذة
الجماع بالعسل وهو كناية عنه وإنما أنث العسل لأن من العرب من يؤنثه
وقيل أنثه حملا له على المعنى لأن المراد منه النطفة وعبد الرحمن المذكور
هو عبد الرحمن بن الزبير بكسر الباء وفتح الزاي المشددة وروي أنها لبثت
ما شاء الله ثم رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن زوجي قد
مسني فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الأول فلن
أصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت
أبا بكر فقالت يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أرجع إلى زوجي الأول فإن
زوجي الآخر قد مسني فطلقني فقال لها أبو بكر رضي الله عنه قد شهدت
النبي صلى الله عليه وسلم حين أتيته وقال لك ما قال فلا ترجعي إليه فلما
قبض أبو بكر رضي الله عنه أتت عمر رضي الله عنه وقالت له مثل ما قالت
لأبي بكر فقال لها لئن رجعت إليه لأرجمنك ونزل قوله تعالى **فإن طلقها**
يعني الزوج الثاني بعد وطئها **فلا جناح عليهما** يعني على المرأة والزوج الأول
أن يتر[illegible] يعني بنكاح جديد [illegible] أي علما وأيقنا وقيل إن رجوا لأن
أحدا لا يعلم ما هو كائن إلا الله تعالى [illegible] يعني يقيما بينهما

الاصلاح وحسن الصحبة والعشرة وقيل معناه ان علما ان نكاحهما على غير
دلسة والمراد بالدلسة التحليل

فرع الأول

مذهب جمهور
العلماء ان المطلقة بالثلاث لا تحل للزوج المطلق منها الثلاث الا بشرائط
وهو ان تعتد منه ثم تتزوج بزوج آخر ويطأها ثم يطلقها ثم تعتد منه فاذا
حصلت هذه الشرائط فقد حلت للاول والا فلا وقال سعيد بن جبير وسعيد
ابن المسيب تحل بمجرد العقد والمذهب الاول هو الاصح واختلف العلماء في
اشتراط الوطء هل ثبت بالكتاب او بالسنة على ثلاثة اقوال الثالث وهو
المختار انه يثبت بهما الثاني اذا تزوج بالمطلقة ثلاثا ليحلها للاول فهذا
نكاح باطل وعقد فاسد وبه قال مالك واحمد لما روي عن ابن مسعود عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له اخرجه الترمذي
وقال حديث صحيح وروي انه قال هو التيس المستعار ولو تزوجها ولم يشترط
في النكاح انه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل اذا طلقها وانقضت
العدة غير انه يكره اذا كان في عزمهما ذلك وبه قال الشافعي وابو حنيفة
ودليل ذلك ان الاية دلت على ان الحرمة تنتهي بوطء مسبوق بعقد وقد
وجد ذلك فوجب القول بانتهاء الحرمة وقال نافع اتى رجل الى ابن عمر
فقال ان رجلا طلق امراته ثلاثا فانطلق اخ له من غير مؤامرة فتزوجها
ليحلها فقال لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى

يعني يعلمون ما امرهم به ونهاهم عنه وانما خص العلماء لانهم هم الذين
ينتفعون بذلك البيان قوله عز وجل

نزلت في ثابت بن يسار رجل من الانصار طلق امراته حتى اذا قرب انقضاء
عدتها راجعها وطلقها يقصد بذلك مضارتها فبلغن اجلهن اي قاربن
انقضاء عدتهن وشارفن منتهاها ولم يرد انقضاء العدة لانه لو انقضت
عدتها لم يكن للزوج امساكها فالبلوغ هنا بلوغ مقاربة كما يقال بلغ
فلان البلد اذا قاربه وشارفه فهذا من باب المجاز الذي يطلق اسم
الكل فيه على الاكثر وقيل ان الاجل اسم للزمان فيحتمل ان الزمان الذي
هو آخر زمان يمكن ايقاع الرجعة فيه بحيث اذا فات لا يبقى بعده مكنة
الرجعة وعلى هذا التاويل فلا حاجة بنا الى المجاز اي راجعوهن
وهو ان يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطء
اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن انفسهن
اي لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس وقيل بضرارهن
لتفتدي المراة بمالها اي لتظلموهن بمجاوزتكم في امرهن
حدود الله التي بينها لكم وقيل معناه لا تضاروهن على قصد الاعتداء عليهن
بمخالفة امر الله وتعريضها لعذاب الله
يعني بذلك ما بين الله من حلاله وحرامه وامره
ونهيه في وحيه وتنزيله ولا تتخذوا ذلك استهزاء ولعبا فمن وجب عليه
طاعة الله وطاعة رسوله ثم وصل اليه هذه الاحكام التي تقدم ذكرها

هذه الاحكام التي تقدم ذكرها في العدة والرجعة والخلع وترك المضارة
فلا تتخذوها هزوا ففيه تهديد عظيم ووعيد شديد وقيل هو راجع الى قوله
فامساك بمعروف او تسريح باحسان فكل من خالف امرا من امور الشرع
فهو متخذ آيات الله هزوا وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول
كنت لاعبا فنهوا عن ذلك عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ثلاث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة
اخرجه ابو داود والترمذي وقوله تعالى يعني
بالايمان الذي انعم به عليكم فهداكم له وسائر نعمه التي انعم بها عليكم
اي واذكروا النعمة فيما انزل عليكم يعني
القرآن يعني السنة التي علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنها
لكم وقيل المراد بالحكمة مواعظ القرآن اي بالكتاب الذي
انزله على نبيه صلى الله عليه وسلم يعني خافوا الله فيما امركم
به ونهاكم عنه يعني انه تعالى يعلم ما
اخفيتم من طاعة ومعصية في سر وعلن لا يخفى عليه شيء من ذلك قوله
تعالى نزلت في معقل بن يسار المزني
وفي اخته جميلة وكانت تحت ابي البداح عاصم بن عدي فطلقها
عن معقل بن يسار رضي الله تعالى عنه قال كان لي اخت تخطب الي وامنعها
من الناس فاتاني ابن عم لي فانكحتها اياه فاصطحبا ما شاء الله ثم طلقها
طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها فلما خطبت الي اتاني
يخطبها مع الخطاب فقلت له خطبت الي فمنعتها الناس واثرتك بها
فزوجتك ثم طلقتها طلاقا لك رجعة ثم تركتها حتى انقضت عدتها
فلما خطبت الي اتيتني تخطبها مع الخطاب والله لا انكحها ابدا ففي نزلت
هذه الاية واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن
ازواجهن الاية فكفرت عن يميني وانكحتها اياه اخرجه البخاري وقيل
ان جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه كانت له ابنة عم فطلقها زوجها
تطليقة فلما انقضت عدتها اراد ان يراجعها فابى جابر وقال طلقت
ابنة عمنا ثم تريد ان تنكحها الثانية وكانت المراة تريد زوجها قد رضيته
فنزلت هذه الاية واراد ببلوغ الاجل في قوله تعالى فبلغن اجلهن انقضاء
العدة بخلاف الاية التي قبل هذه قال الشافعي دل اختلاف الكلامين
على افتراق البلوغين خطاب للاولياء
والمعنى لا تضيقوا عليهن ايها الاولياء فتمنعوهن من مراجعة ازواجهن
بنكاح جديد تبتغون بذلك مضارتهن فهو خطاب عام لجميع الاولياء
وان كان سبب الاية خاصا واصل العضل التضييق ومنه قول
اوس بن حجر

وليس اخوك الدائم العهد بالذي • يذمك ان ولى ويرضيك مقبلا •
ولكنه النائي اذا كنت آمنا • وصاحبك الادنى اذا الامر اعضلا •

يعني اذا ضاق الامر وفي الامر دليل للشافعي ومن وافقه في ان المراة

لاتلي عقد النكاح ولا استاذن ولا تاذن فيه اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن عضل
ولا لنهي الولي عن العضل معنى وقوله **اذا تراضوا بينهم بالمعروف** يعني اذا
تراضى الخطاب والنساء والمعروف هنا ما وافق الشرع من عقد حلال ومهر جائز
وقيل هو ان يرضى كل واحد منهما بما التزمه لصاحبه بحق العقد حتى تحصل الصحبة
والعشرة الجميلة   اي ذلك الذي ذكر من النهي
يعني ان المومن هو الذي ينتفع بالوعظ دون
غيره   يعني انه خير لكم واطهر لقلوبكم واطيب عند الله
يعني ما في ذلك من الزكاة والتطهير   يعني ذلك
قوله عز وجل   يعني المطلقات اللاتي لهن اولاد من ازواجهن
وقيل المراد بهن جميع سواء كن مطلقات او مزوجات ويدل عليه ان اللفظ عام
وما قام دليل التخصيص فوجب تركه على عمومه ولانه ظاهر اللفظ فوجب حمله
هذا الخبر بمعنى الامر ليس امر ايجاب وانما هو امر ندب
واستحباب لان تربية الطفل بلبن امه اصلح له من لبن غيرها ولكمال شفقتها
عليه ويدل على انه لا يجب على الوالدة رضاع الولد قوله فان ارضعن لكم
فآتوهن اجورهن ولو وجب عليها الرضاع لما استحقت الاجرة وقال تعالى
وان تعاسرتم فسترضع له اخرى وهذا النص صريح في ذلك فاذا لم يوجد
من يرضع الطفل ولم يقبل غير لبن امه وجب عليها ارضاعه كما يجب على كل
احد مواساة المضطر وان رغبت الام في ارضاع ولدها فهي اولى به من
غيرها   الحول السنة واصله من حال يحول اذا انقلب
وانما قال كاملين للتوكيد لانه مما يتسامح فيه تقول اقمت عند فلان حولين ولم
تستكملهما فبين الله تعالى انهما حولان كاملان اربعة وعشرون شهرا وهذا
التحديد بالحولين ليس تحديد ايجاب ويدل على ذلك قوله بعده
فلما علق الاتمام بارادتنا علمنا انه غير واجب قلت
ان المقصود من هذا التحديد قطع التنازع بين الزوجين في مقدار زمن الرضاع
فقدر الله تعالى ذلك بالحولين حتى يرجعا اليه عند التنازع قال
ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عكرمة اذا وضعت الولد لستة اشهر
ارضعته حولين وان وضعته لسبعة ارضعته ثلاثة وعشرين شهرا
لقوله وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال في رواية الوالبي عنه هو حد
لكل مولود في اي وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين الا باتفاق من
الابوين فايهما اراد فطام الولد قبل الحولين فليس له ذلك الا اذا
اتفقا عليه يدل على ذلك قوله فان ارادا فصالا عن تراض منهما
وقيل فرض الله تعالى على الوالدات ارضاع الولد حولين كاملين ثم انزل
التخفيف فقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اي هذا منتهى الرضاع لمن
اراد ان يتم الرضاعة وليس فيما دون ذلك حد محدود وانما هو على مقدار
اصلاح الطفل وما يعيش به   يعني الاب وانما عبر عنه بهذا
لان الوالدات انما ولدن للاباء وكذلك ينسب الولد الى الاب
دون الام قال بعضهم

انما امهات الناس اوعية   مستودعات وللآباء ابناء
وقيل ان هذا تنبيه على ان الولد انما يلتحق بالوالد لكونه مولودا على
فراشه فكانه قال اذا ولدت المراة الولد لاجل الرجل وعلى فراشه وجب
عليه رعاية مصالحه   يعني طعامهن   اي لباسهن
اي على قدر الميسرة   يعني طاقتها
والمعنى ان ابا الولد لا يكلف في الانفاق عليه وعلى امه الا قدر ما
تتسع به مقدرته ولا يبلغ اسراف القدرة
يعني لا ينزع الولد من امه بعد ان رضيت بارضاعه ولا يدفع
الى غيرها وقيل معناه لا تكره على ارضاع الولد وقبل الصبي لبن غيرها
لان ذلك ليس بواجب عليها   يعني لا تلقي المراة
الولد الى ابيه وقد الفها تضاره بذلك وقيل معناه لا يلزم الاب
ان يعطي ام الولد اكثر مما يجب عليه لها اذا لم يرضع الولد من غير
امه فعلى هذا يرجع الضرار الى الوالدين فيكون المعنى لا يضار كل
واحد صاحبه بسبب الولد وقيل يحتمل ان يكون الضرار راجعا الى
الولد والمعنى لا يضار كل واحد من الابوين الولد فلا ترضعه حتى يموت
فيتضرر بذلك ولا ينفق عليه الاب او ينزعه من امه فيتضرر بذلك
فعلى هذا تكون الباء صلة والمعنى لا تضار والدة ولدها ولا اب ولده
يعني وعلى وارث ابي الولد اذا مات مثل ما
كان يجب عليه من النفقة والكسوة فيلزم وارث الاب ان يقوم مقامه
في القيام على الولد وقيل المراد بالوارث وارث الصبي الذي لو مات
الصبي ورثه فعلى هذا يكون الوارث مثل ما كان على ابي الصبي في حال
حياته واختلفوا في اي وارث هو فقيل هم عصبة الصبي كالجد والاخ
وابنه والعم وابنه وقيل هو كل وارث له من الرجال والنساء وبه قال
احمد فيجبرون على نفقة الصبي كل على قدر سهمه منه وقيل هو من كان
ذا رحم محرم منه وبه قال ابو حنيفة وقيل المراد بالوارث هو الصبي نفسه
فعلى هذا تكون اجرة رضاع الصبي في ماله فان لم يكن له مال فعلى
الام ولا يجبر على نفقة الصبي غير الابوين وبه قال مالك والشافعي
وقيل معناه وعلى الوارث ترك المضارة   يعني الوالدين
يعني فطام الولد قبل الحولين   اي على اتفاق
من الوالدين في ذلك   اي تشاوروا اهل العلم بذلك حتى يخبروا
ان الفطام قبل الحولين لا يضر بالولد والمشاورة استخراج الراي
بما فيه مصلحة   اي فلا اثم ولا حرج على الوالدين في
الفطام قبل الحولين اذا لم يضر بالولد
اي لاولادكم مراضع غير امهاتهم ارضاعهم او تعذر ذلك لعلة
بهن من انقطاع لبن وغيره ذلك او اردن التزويج
يعني الى المراضع   يعني لهن اجرة الرضاع بقدر
اي بالاحسان والاجمال امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة

مستبشرين بالرجوع ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما
امكن حتى يومن من تغريبهن بتطلع معاذير من اي ذكاة الله
فيما افرض عليكم من الحقوق وفيما اوجبت عليكم لاولادكم
يعني لا يخفى عليه خافية من جميع احوال الكم سرها وعلانيتها فانه
تعالى يراها ويعلمها قوله تعالى يعني يموتون واصل
التوفي اخذ الشيء وافيا فمن مات فقد استوفى عمره كاملا ويقال
توفي فلان بمعنى قبض واخذ اي ويتركون والمراد
بالازواج هنا النساء لان العرب تطلق اسم الزوج على المراة والرجل
اي ينتظرن يعني تنتظر هذه
المدة وانما قال عشرا بلفظ التأنيث لان العرب اذا ابهمت العدد
من الليالي والايام غلبوا الليالي حتى انهم ليقولون صمت عشرا من الشهر
لكثرة تغليبهم الليالي على الايام فاذا اظهروا مع العدد الايام قالوا صمنا عشرة ايام وقيل ان هذه الايام
ايام حزن وكلبس حداد فشبهها بالليالي على سبيل الاستعارة ووجه الحكمة
في ان الله تعالى حد العدة بهذا القدر لان الولد يركض في بطن امه لنفخ
مدة الحمل يعني يتحرك وقيل ان الروح تنفخ في الولد في مدة العشرة ايام
ويدل على ذلك ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين
يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه ملكا
يكتب رزقه واجله وعمله وشقيا وسعيد ثم ينفخ فيه الروح الحديث اخرجاه
في الصحيحين بزيادة فدل هذا الحديث على ان خلق الولد يجتمع في مدة
اربعة اشهر ويتكامل خلقته بنفخ فيه الروح في مدة الايام الزايدة

فصل في حكم عدة المتوفى عنها زوجها والاحداد وفيه مسائل

المسئلة الاولى عدة المتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشرا وعدة الامة
على نصف عدة الحرة شهران وخمسة ايام وبه قال جمهور العلماء وقال ابو بكر
الاصم عدة الامة كعدة الحراير وتمسك بظاهر هذه الاية وعدة الحامل
بوضع الحمل سواء فيه الحرة والامة ولو وضعت بعد وفاة زوجها بلحظة
حل لها ان تتزوج ويدل على ذلك ما روي عن سبيعة الاسلمية انها كانت
تحت سعد بن خولة وهي من بني عامر بن لوي وكان ممن شهد بدرا فتوفي
عنها في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعده وفاته
فلما تعلت من نفسها تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل
من بني عبد الدار فقال ما لي اراك تجملت للخطاب لعلك ترجين النكاح م
وانك والله ما انت بناكح حتى تمر عليك اربعة اشهر وعشرا قالت سبيعة
فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين امسيت واتيت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسألته عن ذلك فافتاني باني قد حللت حين وضعت حملي وامرني
بالتزوج ان بدا لي اخرجاه في الصحيحين وفيه قال ابن شهاب ولا ارى
باسا ان تتزوج حين وضعت وان كانت في دمها غير انه لا يقربها حتى تطهر
فعلى هذا يكون حكم الاية عاما في كل من توفي عنها زوجها بان تعتد اربعة

اشهر وعشرا ثم خص من هذا العموم اولات الاحمال بهذا الحديث وبقوله
تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن **المسئلة الثانية** يجب على
من توفي عنها زوجها الاحداد وهو ترك الزينة والطيب والدهن للرأس
بكل دهن والكحل المطيب فان اضطرت الى كحل فيه زينة فيرخص لها وبه
قال مالك وابو حنيفة وقال الشافعي تكتحل به بالليل وتمسحه بالنهار
عن ام سلمة قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفي ابو سلمة
وقد جعلت على صبرا فقال ما هذا يا ام سلمة فقلت انما هو صبر يا رسول الله
ليس فيه طيب فقال انه يشب الوجه فلا تجعليه الا بالليل وتنزعيه
بالنهار ولا تمتشطي بالطيب ولا بالحنا فانه خضاب قلت باي شيء امتشط
يا رسول الله قال بالسدر تغلفين به راسك اخرجه ابو داود والنسائي
نحوه **قوله** فانه يشب الوجه اي يوقده ويحسنه ويبوره من شب النار اذا
اوقدها قوله تغلفين به راسك اي تلطخي به راسك والتغليف هو الغمرة
على وجه المراة وكذا راسها اذا لطخته بشيء فاكثرت منه ولا يجوز لها
لبس الديباج والحرير والحلى والمصبوغ للزينة كالاحمر والاصفر
ويجوز ما صبغ لغير الزينة كالاسود والازرق ويجوز ان تلبس البياض
من البياض من الثياب والصوف والوبر **ق عن** زينب بنت ابي سلمة قالت
دخلت على ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي ابوها ابو
سفيان بن حرب فدعت ام حبيبة بطيب فيه صفرة خلوق او غيره
فدهنت به جارية ثم مست بعارضها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة
غير اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول لا يحل لامراة
تومن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة
اشهر وعشرا قالت زينب ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفي اخوها
فدعت بطيب فمست منه ثم قالت اما والله ما لي بالطيب من حاجة غير
اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر لا يحل لامراة تومن
بالله واليوم الاخر ان تحد فوق ثلاث الا على زوج اربعة اشهر وعشرا
م عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يحل لامراة
تومن بالله واليوم الاخر ان تحد على ميت فوق ثلاث الا على زوجها **م عن**
ام عطية قالت كنا ننهى ان نحد على ميت فوق ثلاث الا على زوج اربعة
اشهر وعشرا ولا نكتحل ولا نتطيب ولا نلبس ثوبا مصبوغا الا ثوب عصب
وقد رخص لنا عند الطهر اذا اغتسلت احدانا من حيضها في نبذة من
كست اظفار قولها الا ثوب عصب العصب بالعين والصاد المهملتين
من البرود الذي صبغ غزله قبل النسج قولها نبذة من كست الشيء اليسير
والكست لغة في القسط وهو شيء معروف يتبخر به **عن** ام سلمة
قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلبس المتوفى عنها زوجها المعصفر
من الثياب ولا الممشقة ولا الحلى ولا تختضب ولا تكتحل اخرجه ابو داود
قولها ولا الممشقة الثياب الممشقة هي المصبوغة بالمشق وهي المغرة
عن نافع ان صفية بنت عبيد اشتكت عينها وهي حاد على زوجها ابن عمر

البذة م

فلم تكتحل حتى عادت عيناها فرمدتا أخرجه مالك في الموطأ **المسألة الثالثة** اختلفوا في ابتداء المدة بسببها الوفاة أو العلم بالوفاة فقال بعضهم ما لم تعلم بوفاة زوجها لا تعتد بوفاة زوجها بانقضاء الأيام في العدة واحتجوا على ذلك بأن الله تعالى قال يتربصن بأنفسهن وذلك لا يحصل إلا بالقصد إلى التربص ولا يحصل ذلك إلا مع العلم وقال الجمهور السبب هو الموت فلو انقضت المدة أو أكثرها أو بعضها ثم بلغها خبر موت الزوج وجب أن تعتد بما انقضى ويدل على ذلك أن الصغيرة التي لا علم لها يكفي في انقضاء عدتها انقضاء هذه الأزمنة يعني المدة **المسألة الرابعة** أجمع العلماء على أن هذه الآية ناسخة لما بعدها من الاعتداد بالحول وإن كانت هذه الآية متقدمة في التلاوة وسنذكر تمام الكلام عليه في موضعه إن شاء الله تعالى والله تعالى أعلم وقوله تعالى **فإذا بلغن أجلهن** أي انقضت عدتهن **فلا جناح عليكم** خطاب للأولياء لأنهم يتولون العقد **فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف** يعني من التزين والتطيب والنقلة من المسكن الذي كانت معتدة فيه ونكاح من يجوز لها نكاحه وقيل إنما عني بذلك النكاح خاصة وقيل معنى قوله بالمعروف هو النكاح الحلال الطيب واحتج أصحاب أبي حنيفة على جواز النكاح بغير ولي بهذه الآية لأن إضافة الفعل إلى الفاعل محمول على المباشرة وأجاب أصحاب الشافعي بأن قوله تعالى فلا جناح عليكم خطاب للأولياء ولو صح العقد بغير ولي لما كان مخاطبا وأجيب عن قوله فيما فعلن في أنفسهن إنما هو التزين والتطيب بعد انقضاء العدة لا أنها تزوج نفسها **والله بما تعملون خبير** يعني أنه تعالى لا يخفى عليه خافية والخبير في صفة الله تعالى هو العالم بكنه الشيء وحقيقته من غير شك والخبير في صفة المخلوقين إنما يستعمل في نوع العلم وهو الذي يتوصل إليه بالاجتهاد والفكر والله تعالى منزه عن ذلك قوله تعالى **ولا جناح** أي لا حرج **عليكم فيما عرضتم به** أي لوحتم وأشرتم به والتعريض ضد التصريح ومعناه أن يضمن كلامه ما يصلح للدلالة على مقصوده وعلى غير مقصوده ولكن إشعاره بجانب المقصود أتم وأرجح وقيل هو الإشارة إلى الشيء بما يفهم السامع مقصوده من غير تصريح به وقيل التعريض من الكلام ما له ظاهر وباطن **من خطبة النساء** يعني المعتدات في عدتهن والخطبة بالكسر طلب النكاح والتماسه وقيل هو ذكر النساء والخطبة بالضم كلام منظوم له أول وآخر ومعنى الآية فيما عرضتم به من ذكر النساء عندهن والتعريض بالخطبة في العدة مباح وهو أن يقول إنك لجميلة وإنك لصالحة ومن غرضي التزويج وإني فيك لراغب وعسى الله أن ييسر لي امرأة صالحة ونحو ذلك من الكلام من غير تصريح بأن يقول إني أريد أن أنكحك أو أتزوجك ونحو ذلك ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى فيما عرضتم به من خطبة النساء هو أن يقول إني أريد التزويج وإن النساء لمن حاجتي ولوددت أنه تيسر لي امرأة صالحة أخرجه البخاري **وروي** أن سكينة بنت حنظلة تأيمت فدخل عليها أبو جعفر محمد بن علي الباقر في عدتها فقال

قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الإسلام فقالت سكينة غفر الله لك أتخطبني في عدتي وأنت يؤخذ عنك فقال إنما أخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وهي في عدة أبي سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير في يده صلى الله عليه وسلم من شدة تحامله عليها وكانت تلك خطبة **أو أكننتم** يعني أضمرتم **في أنفسكم** يعني من نكاحهن وقيل هو أن يدخل ويسلم ويهدي إن شاء ولا يتكلم بشيء والمقصود أنه لا حرج عليكم في التعريض للمرأة في عدة الوفاة ولا فيما يضمر الرجل في نفسه من الرغبة فيها **علم الله أنكم ستذكرونهن** يعني بقلوبكم لأن شهوة النفس والتمني لا يخلو منه أحد فلما كان هذا الحال كالشيء الشاق أسقط عنه الحرج **ولكن لا تواعدوهن سرا** اختلفوا في معنى هذا السر المنهي عنه فقيل الزنا كان الرجل يدخل على المرأة يعرض بالنكاح ومراده الزنا ويقول لها دعيني فإذا أوفيت عدتك أظهرت نكاحك فنهوا عن ذلك وقيل هو قول الرجل للمرأة لا تفوتيني نفسك فإني ناكحك وقيل هو أن يأخذ عليها العهد والميثاق أن لا تتزوج غيره وقيل هو أن يخطبها في العدة وقال الشافعي السر الجماع وهو رواية عن ابن عباس قال الكلبي لا تصفوا أنفسكم لهن بكثرة الجماع ويدل على أن لفظ السر كناية عن الجماع قول امرئ القيس

ألا زعمت بسباسة القوم أنني ... كبرت وأن لا يحسن السر أمثالي

بسباسة اسم امرأة وإنما وقع الكناية عن الجماع بالسر لأنه مما يسر والله تعالى حيي كريم فكنى عن لفظ الجماع الصريح ومعنى الآية لا تواعدوهن مواعدة سرية أو لا تواعدوهن بالشيء الموصوف بالسر وقيل معناه أن الله تعالى أذن في أول الآية في التعريض بالخطبة ومنع في آخرها عن التصريح بالخطبة **إلا أن تقولوا قولا معروفا** يعني هو ما ذكر من التعريض بالخطبة وقيل هو إعلام ولي المرأة أنه راغب في نكاحها **ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله** أي لا تحققوا العزم على عقد النكاح في العدة حتى تنقضي وإنما سماها الله تعالى كتابا لأنها فرضة **واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه** أي فخافوه **واعلموا أن الله غفور حليم** لا يعجل بالعقوبة قوله تعالى **لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة** أي ولم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة يعني ولم تعينوا لهن صداقا ولم توجبوه عليكم نزلت في رجل من الأنصار تزوج امرأة من بني حنيفة ولم يسم لها صداقا ثم طلقها قبل أن يمسها فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمتعها ولو بقلنسوتك **فإن قلت** هل على من طلق امرأته جناح بعد المسيس حتى يوضع عنه الجناح قبل المسيس فما وجه نفي الحرج والجناح عنه **قلت** فيه سبب قطع الوصلة وما جاء في الحديث أن أبغض الحلال إلى الله الطلاق فنفى الله الجناح عنه إذا كان الطلاق أروح من الإمساك وقيل معناه لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس أي وقت شئتم حائضا كانت المرأة

زوجها

او طعامًا لانه لا يسنة في طلاقهم قبل الدخول **ومتعوهن** اي اعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتعة والمتاع ما يتبلغ به الزاد **على الموسع** اي الغني الذي يكون في وسعة من غناه **قدره** اي قدر امكانه **وعلى المقتر** اي الفقير الذي هو في ضيق من فقره **قدره** اي قدر امكانه وطاقته **متاعا بالمعروف** يعني متعوهن تمتيعًا بالمعروف يعني من غير ظلم ولا حيف **حقا** اي ذلك التمتيع حقا لازمًا واجبًا **على المحسنين** يعني المطلقات بالتمتع وانما خص المحسنين بالذكر لانهم هم الذين ينتفعون بهذا البيان وقيل معناه من اراد ان يكون من المحسنين فهذا شانه وطريقه والمحسن هو المومن

فصل في بيان حكم الآية

وفيه فروع **الفرع الاول** اذا تزوج امراة ولم يفرض لها مهرًا ثم طلقها قبل المسيس يجب لها عليه المتعة وبه قال الشافعي وابو حنيفة واحمد قال مالك المتعة مستحبة ولو طلقها قبل الدخول وقد فرض لها مهرًا وجب لها نصف المهر المفروض ولا متعة لها **الفرع الثاني** المطلقة المدخول بها فيها قولان قال في القديم لا متعة لها لانها تستحق المهر كاملا وبه قال ابو حنيفة وهو احدى الروايتين عن احمد وقال في الجديد لها المتعة لقوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف وهو الرواية الاخرى عن احمد وقال ابن عمر لكل مطلقة متعة الا التي فرض لها المهر ولم يدخل بها زوجها فحسبها نصف المهر **الفرع الثالث** في قدر المتعة قال ابن عباس اعلاها خادم وأوسطها ثلاثة اثواب درع وازار وخمار واقلها دون ذلك وقال بعضهم متعة او شيء من الورق وهو مذهب الشافعي لانه قال اعلاها على الموسع خادم واوسطها واقلها مقنعة واوسطها ثمن واقلها ما له ثمن وحسن ثلاثون درهما **روي** ان عبد الرحمن طلق امراته وحممها يعني متعها جارية سوداء ومتع الحسن بن علي امراته بعشرة الاف درهم فقالت متاع قليل من حبيب مفارق وقال ابو حنيفة مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز وقال في احدى الروايتين عنه تتقدر بما يجزي فيه الصلاة وقال في الرواية الاخرى تتقدر بتقدير الحاكم والاية تدل على ان المتعة تعتبر بحال الزوج في اليسر والعسر وانه مفوض الى الاجتهاد كالنفقة التي اوجبها الله للزوجات وبين ان حال الموسع يخالف حال المعسر في ذلك

الفرع الرابع ومن حكم الاية ان من تزوج امراة بالغة برضاها على غير مهر صح النكاح ولها مطالبته بان يفرض لها صداقا فان دخل بها قبل الفرض فلها عليه مهر مثلها وان طلقها قبل الفرض وقبل الدخول فلها المتعة قوله تعالى **وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن** يعني تجامعوهن وذلك في المطلقة بعد تسمية المهر وقبل الدخول حكم الله بنصف المهر ولا عدة عليها وهو قوله **وقد فرضتم لهن فريضة** اي سميتم لهن مهرًا **فنصف ما فرضتم** اي فلهن نصف المهر المسمى ومذهب الشافعي ان الخلوة من غير مسيس لا توجب الا نصف المهر المسمى لان المسيس اما حقيقة في المس باليد او جعل كناية عن الجماع وايما كان فقد وجد الطلاق قبله وقال ابو حنيفة الخلوة الصحيحة تقرر المهر ومعنى الخلوة الصحيحة ان يخلو بها وليس هناك مانع

حتى ولا شرعي والحسي هو الرتق والقرن او يكون معهما ثالث والشرعي نحو الحيض والنفاس وصوم الفرض وصلاة الفرض والاحرام وسواء كان فرضًا او نفلا حجة مذهب الشافعي قال شريح لم اسمع ذكر الله في كتابه بابا ولا استرًا اذا زعم انه لم يمسها فلها نصف الصداق وقال ابن عباس اذا خلى بها ولم يمسها فلها نصف **فرع** لو مات احد الزوجين بعد التسمية وقبل المسيس فلها المهر كاملا وعليها العدة لان الزوج هو الميت **الا ان يعفون** يعني النساء المطلقات والمعنى الا ان تترك المراة نصيبها من الصداق فتهبه للزوج فيعود جميع الصداق للزوج **او يعفو الذي بيده عقدة النكاح** فيه قولان احدهما انه الولي وهو قول ابن عباس في رواية عنه والحسن وعلقمة وطاوس والشعبي والنخعي والزهري والسدي وبه قال الشافعي في القديم ومالك والقول الثاني انه الزوج وهو قول علي ورواية عن ابن عباس في الرواية الاخرى وجبير بن مطعم وسعيد بن المسيب وجبير ومجاهد والربيع وقتادة ومقاتل والضحاك ومحمد بن كعب القرظي وهو قول ابي حنيفة وقال الشافعي في الجديد واحمد وجمهور الفقهاء فعلى القول الاول يكون معنى الاية الا ان تعفو المراة اذا كانت ثيبا بالغة من اهل العفو عن نفسها للزوج او يعفو وليها اذا كانت بكرًا صغيرة او مجنونة لا تتصرف فيجوز عفو وليها فيترك نصيبها للزوج وانما يجوز عفو الولي بشروط وهي ان تكون بكرًا صغيرة ويكون الولي ابا او جدًا لان غيرهما لا يجوز للصغيرة وعلى القول الثاني ان الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وصحح هذا القول العشري والواحدي فيكون معنى الاية او يعفو الذي بيده عقدة النكاح يعني الزوج فيعطي المراة الصداق كاملا لان الله تعالى لما ذكر عفو المراة عن النصيب الواجب لها ذكر عفو الزوج عن النصيب الساقط عنه فيحسن للمراة ان تعفو ولا تطالب بشيء من الصداق وللرجل ان يعفو فيوفي لها المهر كاملا روي ان جبير بن مطعم تزوج امراة ثم طلقها قبل الدخول بها فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولان المهر حق المراة فليس لوليها ان يهب من مالها شيئا فكذلك المهر لانه مال لها **وان تعفو اقرب للتقوى** هذا خطاب للرجال والنساء جميعا وانما غلب جانب التذكير لان الذكورة هي الاصل والتانيث فرع عليه والمعنى وعفو بعضكم عن بعض ايها الرجال والنساء اقرب الى حصول التقوى وقيل هو خطاب للزوج والمعنى وليعف الزوج فيترك حقه الذي ساق من المهر اليها قبل الطلاق فهو اقرب للتقوى **ولا تنسوا الفضل بينكم** يعني ليتفضل بعضكم على بعض فيعطي الرجل الصداق كاملا او تترك المراة نصيبها من الصداق حثهما جميعا على الاحسان ومكارم الاخلاق **ان الله بما تعملون** يعني من عفو بعضكم لبعض عما وجب له عليه من حق **بصير** اي لا يخفى عليه شيء من ذلك قوله عز وجل **حافظوا على الصلوات** اي داوموا وواظبوا على الصلوات يعني الخمس المكتوبات امر الله عز وجل عباده بالمحافظة على الصلوات الخمس بجميع شروطها وحدودها واتمام اركانها وفعلها في اوقاتها المختصة بها

تأنيث الأوسط ووسط كل شيء خيره وأعدله وقيل الوسطى
يعني الفضلى من قولهم للأفضل أوسط وإنما أفردت وعطفت على الصلوات لانفرادها
بالفضل وقيل سميت وسطى لأنها وسط الصلوات

فصل

في ذكر اختلاف العلماء في الصلاة الوسطى وقد اختلف العلماء من الصحابة
فمن بعدهم في الصلاة الوسطى على مذاهب

الأول

أن الصلاة الوسطى هي
صلاة الفجر وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس ومعاذ وجابر وعطاء وعكرمة
ومجاهد والربيع بن أنس وبه قال مالك والشافعي ويدل على ذلك أن مالكا
بلغه أن علي بن أبي طالب وابن عباس كانا يقولان الصلاة الوسطى صلاة
الصبح أخرجه مالك في الموطأ وأخرجه الترمذي عن ابن عباس وابن عمر تعليقا
ولأنها بين صلاتي جمع فالظهر والعصر يجمعان وهما صلاتا نهار والمغرب
والعشاء يجمعان وهما صلاتا ليل وصلاة الفجر لا تقصر ولا تجمع إلى غيرها
ولأنها تأتي في وقت مشقة بسبب برد الشتاء وطيب النوم في الصيف
وفتور الأعضاء وكثرة النعاس وغفلة الناس عنها فخصت بالمحافظة
عليها لكونها معرضة للضياع ولأن الله تعالى عقبها وقوموا لله قانتين
والقنوت هو طول القيام وصلاة الفجر مخصوصة بطول القيام ولأن
الله تعالى خصها بالذكر في قوله وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا
يعني تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار فهي مكتوبة في ديوان حفظة الليل
وديوان حفظة النهار فدل ذلك على مزيد فضلها

المذهب الثاني

أنها صلاة الظهر وهو مذهب زيد بن ثابت وأسامة بن زيد وأبي سعيد
الخدري ورواية عن عائشة وبه قال عبد الله بن شداد وهو رواية عن أبي حنيفة
ويدل على ذلك ما روي عن زيد بن ثابت وعائشة قالا إن الصلاة الوسطى
صلاة الظهر أخرجه مالك في الموطأ عن زيد والترمذي عنهما تعليقا
وأخرجه أبو داود عن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر
بالهاجرة ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقيل
إن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين ولأن صلاة الظهر تأتي وسط النهار
وفي شدة الحر ولأنها تأتي بين البردين يعني صلاة الفجر وصلاة العصر

المذهب الثالث

أنها صلاة العصر وهو قول عبيدة السلماني
والحسن البصري وإبراهيم النخعي وقتادة والضحاك والكلبي ومقاتل
وبه قال أبو حنيفة وأحمد وداود وابن المنذر وقال الترمذي وهو قول
أكثر الصحابة فمن بعدهم وقال الماوردي من أصحابنا هذا مذهب
الشافعي لصحة الأحاديث فيه قال وإنما نص على أنها الصبح لأنه لم تبلغه
الأحاديث الصحيحة في العصر المتقدم ومذهبه اتباع الحديث ويدل
على صحة هذا المذهب ما روي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال يوم الأحزاب وفي رواية يوم الخندق ملأ الله
بيوتهم وقبورهم نارا كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس
وفي رواية شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر وذكر نحوه وزاد
في رواية أخرى ثم صلاها بين المغرب والعشاء أخرجاه في الصحيحين عن
ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال حبس المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس واصفرت فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله أجوافهم وقبورهم
نارا أو حشا الله أجوافهم وقبورهم نارا عن سمرة بن جندب أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الصلاة الوسطى صلاة العصر أخرجه الترمذي
وله عن ابن عباس مثله وقال في كل واحد منهما حسن صحيح عن أبي يونس
مولى عائشة قال أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفا وقالت إذا بلغت
هذه الآية فآذني حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى قال فلما
بلغتها آذنتها فأملت علي حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة
العصر وقوموا لله قانتين سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروي عن حفصة نحو ذلك ولأن صلاة العصر تأتي في وقت
اشتغال الناس بمعايشهم وكان الأمر بالمحافظة عليها أولى
ولأنها بين صلاتي نهار وهي الفجر والظهر وصلاتي ليل وهي المغرب
والعشاء وقد خصت بمزيد التأكيد والأمر بالمحافظة والتغليظ لمن
ضيعها ويدل على ذلك ما روي عن أبي المليح قال كنا مع بريدة في
غزوة فقال في يوم ذي غيم بكروا بصلاة العصر فإن النبي صلى الله
عليه وسلم قال من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله أخرجه البخاري
وقوله بكروا بالصلاة أي قدموها في أول وقتها عن ابن عمر
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وتر
أهله وماله وقوله وتر أي نقص وسلب أهله فبقي فردا بلا أهل ولا مال
ومعنى الحديث ليكن حذره من فوت صلاة العصر كحذره من موت أهله
وماله

المذهب الرابع

أنها صلاة المغرب قاله قبيصة بن ذؤيب
ووجه هذا المذهب أن صلاة المغرب تأتي بين بياض النهار وسواد
الليل ولأنها أزيد من ركعتين كما في الصبح وأقل من أربع ولا تقصر
في السفر وهي وتر النهار ولأن صلاة الظهر تسمى الأولى لأن ابتداء
جبريل كان بها وإذا كانت الظهر أول الصلوات كانت المغرب هي الوسطى

المذهب الخامس

أنها صلاة العشاء ولم ينقل عن أحد من السلف
فيها شيء وإنما ذكره بعض المتأخرين ووجه هذا القول أنها متوسطة
بين صلاتين لا تقصران وهما المغرب والصبح ولأنها أثقل صلاة على
المنافقين

المذهب السادس

الصلاة الوسطى هي إحدى الصلوات
الخمس لا بعينها لأن الله تعالى أمر بالمحافظة على الصلوات الخمس ثم عطف
الصلاة الوسطى وليس في الآية دليل على تعيينها وإذا كان كذلك أمكن أن
يقال في كل واحدة من الصلوات الخمس إنها هي الصلاة الوسطى أبهمها
الله على عباده مع ما خصها بمزيد التوكيد ترغيبا لهم في المحافظة على
أداء جميع الصلوات على صفة الكمال والتمام ولهذا السبب أخفى الله
ليلة القدر في شهر رمضان وأخفى ساعة الإجابة في يوم الجمعة وأخفى

اسمه الاعظم في جميع اسمائه ليحافظوا على ذلك كله وهذا من حسن الجمل رجع من التخلل قال محمد بن سيرين ان رجلا سال زيد بن ثابت عن الصلاة الوسطى فقال له حافظ على الصلوات الخمس تصبها وسئل الربيع بن خثيم عن الصلاة الوسطى فقال للسائل الوسطى واحدة منهن فحافظ على الكل تكن محافظا على الوسطى ثم قال ارايت لو علمتها بعينها كنت محافظا عليها ومضيعا سائرهن فقال له السائل لا قال الربيع انك ان حافظت عليهن فقد حافظت على الوسطى والصحيح من هذه الاقوال قولان قول من قال انها الصبح وقول من قال انها العصر واصح الاقوال كلها انها العصر للاحاديث الصحيحة الواردة فيها والله تعالى اعلم قوله عز وجل **وقوموا لله قانتين** اي طائعين فهو عبارة عن اكمال الطاعة واتمامها والاحتراز عن ايقاع الخلل فيها في اركانها وقيل لاهل كل دين يقومون فيها عاصين فقوموا انتم في صلاتكم طائعين وقيل القنوت هو الدعاء والذكر مثل قوله امن هو قانت وقيل لما امر بالمحافظة على الصلوات وجب ان يحمل هذا القنوت على ما فيها من الذكر والدعاء فمعنى الاية وقوموا لله داعين قانتين ذاكرين وقيل اخص القنوت بصلاة الصبح والوتر لهذا المعنى وقيل القنوت هو السكوت وهو عما لا يجوز التكلم به في الصلاة ويدل عليه ما روي عن زيد بن ارقم قال كنا نتكلم في الصلاة يكلم الرجل صاحبه وهو الى جنبه في الصلاة حتى نزلت وقوموا لله قانتين وامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام اخرجاه في الصحيحين وقيل القنوت هو طول القيام في الصلاة ويدل عليه ما روي عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصلاة طول القنوت اخرجه مسلم ومن القنوت ايضا طول الركوع والسجود وغض البصر والهدو في الصلاة وخفض الجناح والخشوع فيها وكان العلماء اذا قام احدهم يصلي يهاب الرحمن ان يلتفت او يقلب الحصى او يعبث بشيء او يحدث نفسه بشيء من امور الدنيا الا ناسيا قوله **فان خفتم فرجالا** اي رجالة **او ركبانا** يعني على الدواب جمع راكب والمعنى ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين حقوق الصلاة من اتمام الركوع والسجود والخضوع والخشوع لخوف عدو او غيره فصلوا مشاة على ارجلكم او ركبانا على دوابكم مستقبلي القبلة وغير مستقبليها وهذا في حال المقاتلة والمسايفة في وقت الحرب وصلاة الخوف قسمان احدهما ان يكون في حال القتال وهو المراد بهذه الاية وقسم في غير حال القتال وهو المذكور في سورة النساء في قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلاة وسيأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى في موضعه فاذا التحم القتال ولم يمكن تركه لاحد فمذهب الشافعي انهم يصلون ركبانا على الدواب ومشاة على الارجل الى القبلة والى غير القبلة يومون بالركوع والسجود ويكون السجود اخفض من الركوع ويحترزون عن الصياح فانه لا حاجة اليه وقال ابو حنيفة لا يصلي الماشي بل يؤخر الصلاة ويقضيها

لان النبي صلى الله عليه وسلم اخر الصلاة يوم الخندق فصلى الظهر والعصر والمغرب بعد ما غربت الشمس فيجب علينا الاقتدا به في ذلك واحتج الشافعي لمذهبه بهذه الاية واجيب عن تاخير النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بانه لم يكن نزل حكم صلاة الخوف فلما نزلت صلاة الخوف لم يوخر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك صلاة قط اما الخوف الحاصل لا بسبب القتال بل بسبب اخر كالهارب من الحرق او الغرق او سبع او غشيه سيل يخاف على نفسه الهلاك لو صلى صلاة الامن فله ان يصلي صلاة شدة الخوف بالايماء في حال العدو ولان قوله تعالى فان خفتم مطلق يتناول الكل **فان قلت** قوله تعالى فرجالا او ركبانا يدل على ان المراد منه خوف العدو وحال القتال **قلت** هو كذلك الا انه لما ثبت ان المراد منه دفع الضرر وهذا المعنى موجود هنا فوجب ان يكون الحكم كذلك كما هنا **وروي** عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال فرض الله الصلاة على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة اخرجه مسلم وقد عمل بظاهر هذا جماعة من السلف منهم الحسن البصري وعطا وطاوس ومجاهد وقتادة والضحاك واسحاق بن راهويه قالوا يصلي في حال شدة الخوف ركعة وقال مالك والشافعي وجمهور العلماء صلاة الخوف كصلاة الامن في عدد الركعات فان كان الخوف في الحضر وجب عليه ان يصلي اربع ركعات وان كان في السفر صلى ركعتين ولا يجوز الاقتصار على ركعة واحدة في حال من الاحوال وتأولوا حديث ابن عباس هذا ان المراد به ركعة مع الامام وركعة اخرى يأتي بها منفردا كما جاءت الاحاديث الصحيحة في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم في صلاة الخوف وهذا التاويل لا بد منه للجمع بين الاحاديث وقوله تعالى **فاذا امنتم** يعني من خوفكم **فاذكروا الله** اي فصلوا لله الصلوات تامة باركانها وسننها **كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون** فيه اشارة الى انعام الله تعالى علينا بالعلم ولولا هدايته وتعليمه ايانا لم نعلم شيئا ولم نصل الى معرفة شيء فله الحمد على ذلك قوله عز وجل **والذين يتوفون منكم** يعني يا معشر الرجال **ويذرون ازواجا** يعني زوجات **وصية لازواجهم** قرئ بالنصب على معنى فليوصوا وصية وبالرفع على معنى كتب عليكم الوصية **متاعا الى الحول** اي متعوهن متاعا وقيل جعل الله ذلك لهن متاعا والمتاع نفقة سنة لطعامها وكسوتها وما تحتاج اليه **غير اخراج** اي غير مخرجات من بيوتهن نزلت هذه الاية في رجل من الطائف يقال له حكيم بن الحارث هاجر الى المدينة ومعه ابواه وامرأته وله اولاد فمات فرفع ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية فاعطى النبي صلى الله عليه وسلم والديه ابويه واولاده ميراثه ولم يعط زوجته شيئا وامرهم ان ينفقوا عليها من تركة زوجها حولا وكان الحكم في ابتداء الاسلام انه اذا مات الرجل اعتدت زوجته حولا وكان يحرم على الوارث اخراجها من البيت قبل تمام الحول وكانت نفقتها وسكناها واجبة في مال زوجها تلك السنة وليس لها من الميراث شيء ولكنها تكون مخيرة فان شاءت اعتدت في بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وان شاءت خرجت قبل تمام الحول وليس لها نفقة ولا سكنى وكان يجب على الرجل ان يوصي بذلك فدلت هذه الاية على مجموع امرين احدهما ان لها النفقة

والسكنى من مال زوجها سنة والثاني ان عليها مدة سنة ثم ان الله تعالى نسخ هذين الحكمين
اما الوصية بالنفقة والسكنى فنسخ باية الميراث فجعل لها الربع والثمن عوضا عن
النفقة والسكنى ونسخ عدة الحول باربعة اشهر وعشرا فان قلت كيف نسخت
الاية المتقدمة المتاخرة قلت قد تكون الاية المتقدمة متقدمة في التلاوة
متاخرة في التنزيل كقوله تعالى سيقول السفهاء من الناس مع قوله قد نرى تقلب
وجهك في السماء قوله تعالى **فان خرجن فلا جناح عليكم** يعني يا معشر اولياء الميت
فيما فعلن في انفسهن من معروف يعني التزين للنكاح ولرفع الحرج عن الورثة
وجهان احدهما انه لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول
والوجه الثاني لا جناح عليكم في ترك منعهن من الخروج لان مقامها في بيت زوجها
حولا غير واجب عليها خيرها الله تعالى بين ان تقيم في بيت زوجها حولا ولها النفقة
والسكنى وبين ان تخرج ولا نفقة لها ولا سكنى ثم نسخ الله تعالى ذلك باربعة اشهر
وعشرا **والله عزيز** اي غالب قوي في انتقامه ممن خالف امره ونهيه وتعدى حدوده
حكيم فيما شرع من الشرائع وبين من الاحكام قوله تعالى **وللمطلقات متاع**
بالمعروف انما اعاد الله تعالى ذكر النفقة هنا لزيادة معنى وهو ان في غير هذه
الاية بيان حكم غير الممسوسة وفي هذه الاية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة
وقيل لانه لما نزل قوله تعالى ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره الى
قوله حقا على المحسنين فقال رجل من المسلمين ان فعلت احسنت وان لم ارد لم افعل
فانزل الله سبحانه وتعالى وللمطلقات متاع بالمعروف فجعل المتعة لهن بلام
التمليك وقال تعالى **حقا على المتقين** يعني المؤمنين الذين يتقون الشرك
وقد تقدم احكام المتعة **كذلك يبين الله لكم اياته** يعني يبين لكم ما يلزمكم
ويلزم ازواجكم ايها المؤمنون وعرفتكم احكامي والحق الذي يجب لبعضكم على
بعض في هذه الايات كذلك ابين لكم ساير احكامي في اياتي التي انزلتها على محمد
صلى الله عليه وسلم في هذا الكتاب **لعلكم تعقلون** اي لكي تعقلوا ما بينت
لكم من الفرايض والاحكام في دينكم وما فيه صلاح حالكم وصلاح دينكم قوله عز وجل
الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم قال اكثر المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان
وقع بها الطاعون فخرجت طايفة منها وبقيت طايفة فسلم الذين خرجوا
وهلك اكثر من بقي بالقرية فلما ارتفع الطاعون رجع الذين خرجوا الى
فقال الذين بقوا كان اصحابنا احزم منا رايا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا كما بقوا
ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وباء فيها فرجع الطاعون من قابل
فهرب عامة اهلها فخرجوا حتى نزلوا واديا افيح فلما نزلوا المكان يبتغون فيه
النجاة ناداهم ملك من اسفل الوادي وملك آخر من اعلاه ان موتوا فماتوا جميعا
ق ان عمر خرج الى الشام فلما جاء سرغ بلغه ان الوباء قد وقع بها فاخبره عبد
الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بارض فلا
تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم فيها فلا تخرجوا فرارا منه فحمد الله عمر
ثم انصرف وقيل انما فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امرهم
ان يخرجوا الى قتال عدوهم فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم ان
الارض التي ناتيها بها الوباء فلا ناتيها حتى ينقطع منها الوباء فارسل الله عليهم الموت فخرجوا

فرارا منه فلما راى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية
عبادك فارهم اية في انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار منك فلما خرجوا قال
لهم الله موتوا عقوبة لهم فماتوا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فاتى عليهم ثمانية
ايام حتى انتفخوا واروحت اجسادهم فخرج الناس اليهم فعجزوا عن دفنهم فحظروا حظيرة
دون السباع فذلك قوله تعالى الم تر يعني الم تعلم يا محمد باعلامي اياك وهو من
رؤية القلب قال اهل المعاني هو تعجيب تقول هل رايت مثل هذا كما تقول الم تر
الى صنيع فلان وكل ما في القرآن من قوله الم تر ولم يعاينه صلى الله عليه وسلم فهذا
معناه الى الذين خرجوا من ديارهم **وهم الوف** قيل هو من العدد واختلفوا في مبلغ
عددهم فقيل ثلاثة الاف وقيل ثمانية الاف وقيل بضعة وثلاثون وقيل اربعون
الفا وقيل سبعون الفا واصح الاقوال قول من قال انهم كانوا زيادة على عشرة الاف
لان الله تعالى قال وهم الوف والالوف جمع الكثير وجمع القليل الالاف وقيل معنى الوف
مؤتلفون جمع الف والاول اصح قالوا فاتى عليهم مدة وقد بليت اجسادهم وعريت عظامهم
فمر عليهم حزقيل بن بوذي وهو ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد موسى وذلك ان القيم بامر
بني اسرائيل بعد موسى كان يوشع بن نون ثم بعده كالب بن يوفنا ثم قام بعده حزقيل وكان
يقال له ابن العجوز لان امه كانت عجوزا فسالت الله الولد بعدما كبرت وعقمت فوهبه الله لها
وقيل هو ذو الكفل سمي بذلك لانه تكفل سبعين نبيا وانجاهم من القتل فلما مر
حزقيل على اولئك الموتى وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم فاوحى الله تعالى اليه اتريد ان
اريك اية قال نعم يا رب فاحياهم الله تعالى وقيل دعا حزقيل ربه ان يحييهم فاحياهم الله
تعالى وقيل انهم كانوا قوم حزقيل احياهم الله بعد ثمانية ايام وذلك انهم لما اصابهم ذلك خرج
في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يا رب كنت في قوم يسبحونك ويحمدونك ويكبرونك فبقيت وحيدا
لا قوم لي فاوحى الله اليه اني قد جعلت حياتهم اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله تعالى
فعاشوا وقيل انهم قالوا حين احيوا سبحانك ربنا وبحمدك لا اله الا انت ثم رجعوا الى قومهم
وعاشوا دهرا طويلا وسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد دسما مثل
الكفن حتى ماتوا لاجالهم التي كتبت لهم قال ابن عباس وانها لتوجد اليوم تلك الريح
في ذلك السبط من اليهود قال قتادة مقتهم الله على فرارهم فاماتهم عقوبة لهم ثم
بعثهم ليستوفوا بقية اجالهم ولو جاءت اجالهم لما بعثوا **فان قلت** كيف اميتوا
مرتين في الدنيا وقد قال الله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى **قلت**
ان موتهم عقوبة لهم كما قال قتادة وقيل ان موتهم واحياهم كان معجزة من معجزات ذلك
النبي ومعجزات الانبياء خوارق للعادات ونوادر فلا يقاس عليها فيكون تقديره قوله تعالى
الا الموتة الاولى عام مخصوص بمعجزات الانبياء فيكون تقديره فوق الا الموتة الاولى التي
ليست من معجزات الانبياء لانها من خوارق العادات وفي هذه الاية احتجاج على اليهود ومعجزة
عظيمة لنبينا صلى الله عليه وسلم حيث اخبرهم بامر لم يشاهدوه وهم يعلمون صحة ذلك
وفيه احتجاج على منكري البعث ايضا اذ قد اخبر الله تعالى وهو الصادق في خبره انه اماتهم
ثم احياهم في الدنيا فهو تعالى قادر على ان يحييهم يوم القيامة قوله تعالى **حذر الموت** اي
مخافة الطاعون وكان قد نزل بهم وقيل انهم امروا بالجهاد ففروا منه حذر الموت **فقال**
لهم الله موتوا اختلفوا انهم ماتوا عند قوله تعالى موتوا ويحتمل ان يكون ذلك امر تحويل فهو كقوله
كونوا قردة خاسئين **ثم احياهم** يعني بعد موتهم **ان الله لذو فضل على الناس** يعني انه تعالى

تفضل على اولئك الذين اماتهم واحياهم لانهم ماتوا على معصية فتفضل عليهم باعادتهم الى الدنيا ليتوبوا وقيل هو العموم فهو تعالى يتفضل على كافة الخلق في الدنيا ويخص المؤمنين يوم القيمة **ولكن اكثر الناس لا يشكرون** يعني ان اكثر من انعم الله عليه لا يشكره اما الكافر فانه لم يشكر اصلا واما المؤمن فلم يبلغوا غاية شكره قوله تعالى **وقاتلوا في سبيل الله** قيل هذا الخطاب للذين احيوا احياهم الله ثم امرهم بالجهاد فعلى هذا القول فيه اضمار تقديره وقيل لهم قاتلوا في سبيل الله وقيل هو خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومعناه لا تهربوا من الموت كما هرب هؤلاء فلم ينفعهم ذلك ففيه تحريض على المؤمنين على الجهاد **واعلموا ان الله سميع** يعني لما يقوله المتعلل على التخلف عن القتال **عليم** بما يضمره قوله عز وجل **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا** القرض كل ما يعطيه الانسان ليجازى عليه فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له قرضا على رجاء ما وعدهم به من الثواب لانهم يعملون لطلب الثواب وقيل القرض ما اسلفت من عمل صالح او سيء قال امية بن ابي الصلت

لكل امرئ سوف يجزى قرضه حسنا ... او سيئا او مدينا كالذي دانا

فاصل القرض في اللغة القطع سمي به لان المقرض يقطع من ماله شيئا فيعطيه ليرجع اليه مثله ومعنى الاية من ذا الذي يقدم لنفسه الى ما يرجوا ثوابه عنده ومعنى التلطف من الله تعالى في استدعاء عباده الى اعمال البر والطاعة وقيل في الاية اختصار تقديره من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه فهو كقوله ان الذين يؤذون الله اي يؤذون عباد الله وكما جاء في الحديث الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى يوم القيمة يا ابن ادم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي الحديث واختلفوا في المراد بهذا القرض فقيل هو الانفاق في سبيل الله وقيل هو الصدقة الواجبة وقيل هو صدقة التطوع لان الله تعالى سماه قرضا والقرض لا يكون الا تبرعا ولما روى الطبري بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال ابو الدحداح وان الله يريد منا القرض قال النبي صلى الله عليه وسلم نعم يا ابا الدحداح قال فناولني يدك فناوله يده قال فاني قد اقرضت ربي حائطي حائطا فيه ست مائة نخلة ثم جاء يمشي حتى اتى الحائط وام الدحداح فيه في عيالها فنادى يا ام الدحداح قالت لبيك قال اخرجي من الحائط فاني قد اقرضته ربي عز وجل زاد غيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم من عذق رداح لابي الدحداح وقيل في معنى يقرض الله ينفق في طاعته فيدخل فيه الواجب والتطوع وهو الاقرب **حسنا** يعني محتسبا طيبة بها نفسه وقيل هو الانفاق من المال الحلال في وجوه البر وقيل هو ان لا يمن بالقرض ولا يؤذي وقيل هو الخالص لله تعالى ولا يكون فيه رياء ولا سمعة **فيضاعفه له** يعني ثواب ما انفق **اضعافا كثيرة** قيل هو تضعيفا عنه الى سبعمائة ضعف وقال السدي هذا التضعيف لا يعلمه الا الله وهذا هو الاصح وانما ابهم الله ذلك لان ذكر المبهم في باب الترغيب اقوى من ذكر المحدود **والله يقبض ويبسط** قيل يقبض بامساك الرزق والتقتير على من يشاء ويبسط بالخلف والثواب وقيل انه تعالى لما امرهم بالصدقة وحثهم على الانفاق لخراته لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه واعانته والمعنى والله تعالى يقبض بعض القلوب حتى لا يقدر على الانفاق في الطاعة وعمل الخير ويبسط بعض القلوب حتى يقدر على فعل الطاعات والانفاق في

البر

البر وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني ادم بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك اخرجه مسلم ومثل هذا الحديث من احاديث الصفات التي يجب الايمان بها والسكوت عليها وامرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا اثبات جارحة هذا مذهب اهل السنة وسلف هذه الامة **واليه ترجعون** يعني في الاخرة فيجزيكم باعمالكم قوله تعالى **الم تر الى الملإ من بني اسرائيل** الملا اشراف القوم ووجوههم واصله الجماعة من الناس لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط **من بعد موسى** اي من بعد موت موسى **اذ قالوا** يعني اولئك الملا **لنبي لهم** اختلفوا في ذلك النبي فقيل هو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف بن يعقوب وقيل هو شمعون بن صفية بن علقمة من ولد لاوي بن يعقوب وانما سمي شمعون لان امه دعت الله ان يرزقها غلاما فاستجاب الله لها فولدت غلاما فسمته شمعون ومعناه سمع الله دعائي وتبدل السين بالعبرانية شينا وقال اكثر المفسرين هو شمويل بن بال وقيل ابن علقما فقيل انه من ولد هرون وتحرير قصته حقيقة ذلك النبي بعينه ليست مرادة من القصة انما المراد منها الترغيب في الجهاد دون ذلك

حاصل **ذكر الاشارة الى القصة** كان سبب مسألة اولئك الملا كذلك ان لما مات موسى عليه السلام وخلف من بعده في بني اسرائيل يوشع بن نون يقيم فيهم امر الله ويحكم بالتوراة حتى قبضه الله ثم خلف من بعده كالب بن يوقنا كذلك ثم حزقيل كذلك حتى قبضه الله فعظمت الاحداث بعده في بني اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم الياس نبيا فدعاهم الى الله تعالى وكانت الانبياء من بني اسرائيل من بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا من التورية ويأمرهم بالعمل باحكامها ثم خلف من بعد الياس اليسع فكان فيهم ما شاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى ثم خلف من بعده خلوف وعظمت فيهم الخطايا وظهر لهم عدو يقال لهم البلثانا وهم قوم جالوت وكانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني اسرائيل وغلبوا على كثير من ارضهم وسبوا كثيرا من ذراريهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما فضربوا عليهم الجزية واخذوا منهم توراتهم ولقي بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا كلهم الا امراة حبلى فحبسوها في بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها وجعلت المراة تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته شمويل ومعناه بالعبرانية اسمعيل تقول سمع الله دعائي فلما كبر الغلام اسلمته لتعلم التوراة في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام اتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جنب الشيخ وكان الشيخ لا يأمن عليه احدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا شمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ وقال يا ابتاه رايتك دعوتني فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فدعاه الثانية فقال الغلام دعوتني فقال نم فان دعوتك فلا تجبني فلما كانت الثالثة ظهر له جبريل عليه السلام وقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما اتاهم كذبوه وقالوا له استعجلت بالنبوة ولم تنلك وقالوا له ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله اية على نبوتك وانما كان قوام امر بني اسرائيل بالاجتماع على الملوك وطاعة الملوك انبياءهم وكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي هو الذي يقيم امره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من ربه

قال وهب فبعث الله شمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن حال ثم كان امر جالوت والعمالقة
ما كان فذلك قوله تعالى ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله جزم على جواب الامر فلما قالوا له
ذلك قال لهم يعني قال لهم النبي هل عسيتم هذا استفهام شك يقول لعلكم ان كتب عليكم اي
فرض عليكم القتال اي مع ذلك الملك ان لا تقاتلوا يعني لا تفوا بما قلتم وتجبنوا عن القتال
معه قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله فان قلت فما وجه دخول ان والعرب لا تقول
ما لك ان لا تفعل كذا ولكن تقول ما لك لا تفعل كذا قلت دخول ان وحذفها لغتان
صحيحتان فالاثبات كقوله ما لك ان لا تكون مع الساجدين والحذف كقوله ما لكم لا تؤمنون
وقيل معناه وما لنا في ان لا نقاتل فحذف حرف الجر وقيل ان هنا زائدة ومعناه لا نقاتل في
سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اي اخرج من غلب عليهم من ديارهم فظاهر الكلام
العموم وباطنه الخصوص لان الذين قالوا لنبيهم ابعث لنا ملكا كانوا في ديارهم وابنائهم
وانما المراد خروج من اسر منهم ومعنى الاية انهم قالوا لنبيهم انا انما كنا تركنا الجهاد لانا كنا
ممنوعين في بلادنا لا يظهر علينا عدونا فاذا بلغ ذلك منا فنطيع ربنا في جهاد عدونا
ونمنع نساءنا واولادنا قال الله تعالى فلما كتب عليهم القتال في الكلام حذف تقديره فسال
الله ذلك النبي فبعث لهم ملكا وكتب عليهم القتال تولوا يعني اعرضوا عن الجهاد وضيعوا امر الله
الا قليلا منهم يعني لم يتولوا عن الجهاد وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة
على ما سيأتي في قصتهم ان شاء الله تعالى والله عليم بالظالمين يعني هو عالم بمن ظلم نفسه
حين خالف امر ربه ولم يف بما قاله قوله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت
ملكا وذلك ان اشمويل سأل الله عز وجل ان يبعث لهم ملكا فاتي بعصا وقرن فيه دهن القدس
وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن
الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل فنش الدهن في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن
راسه بالدهن وملكه عليهم واسمه طالوت بالعبرانية شاول بن قيس من سبط بنيامين
ابن يعقوب وانما سمي طالوت لطوله وكان اطول من جميع الناس براسه ومنكبيه وكان
طالوت رجلا دباغا يعمل الاديم قاله وهب وقيل كان سقاء يستقي الماء على حمار
فضل حماره فخرج يطلبه وقال وهب ضلت حمر لابي طالوت فارسله ابوه ومعه غلام
في طلبها فمر على بيت اشمويل النبي فقال الغلام لطالوت لو دخلت على هذا النبي فسألناه عن
امر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له حاجتهما اذ نش
الدهن في القرن فقام اشمويل فقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال لطالوت
قرب راسك فقربه اليه فدهنه بدهن القدس وقال له انت ملك بني اسرائيل الذي امرني
الله تعالى ان املكك عليهم فقال له طالوت اوما علمت ان سبطي ادنى من سبط بني اسرائيل
قال بلى قال فباي اية قال باية انك ترجع وقد وجد ابوك حمره فكان كذلك ثم قال
لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا وقيل انه جلس عنده وقال الناس ملك
طالوت فاتت عظماء بني اسرائيل الى نبيهم اشمويل وقالوا له ما شان طالوت يملك علينا
وليس هو من بيت النبوة ولا المملكة وقد عرفت ان النبوة في سبط لاوي بن يعقوب
والمملكة في سبط يهودا بن يعقوب فقال لهم نبيهم اشمويل ان الله قد بعث لكم طالوت
ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا اي من اين يكون له الملك وكيف يستحقه ونحن احق
بالملك منه انما قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة
فسبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب وسبط المملكة سبط يهودا ومنه كان داود وسليمان عليهما

السلام

السلام ولم يكن طالوت من احد السبطين انما كان من سبط بنيامين فلهذا السبب انكروا كونه ملكا
وزعموا انهم احق بالملك منه ثم انهم اكدوا ذلك بقولهم ولم يؤت سعة من المال يعني انه فقير
والملك يحتاج الى المال قال يعني اشمويل النبي ان الله اصطفاه عليكم اي اختاره عليكم
وخصه بالملك وفي هذه الاية رد على بطلان قول من زعم من الشيعة ان الامامة موروثة
وذلك لان بني اسرائيل انكروا ان يكون ملكهم من غير بيت المملكة فرد الله عليهم واعلمهم ان هذا
شرط فاسد وان المستحق للملك من خصه الله به وزاده بسطة اي فضيلة وسعة في العلم
وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل في وقته وقيل انه اوحي اليه حين اتاه الملك وقيل هو العلم بالحرب
والجسم يعني بالطول وذلك انه كان اطول الناس براسه ومنكبيه وقيل بالجمال وكان
طالوت من اجمل بني اسرائيل وقيل المراد به القوة لانه العالم بالحروب والقوة على الاعداء
مما فيه حفظ الملك والله يؤتي ملكه من يشاء يعني انه تعالى هو الواسع الفضل والرزق والرحمة
وسعت رحمته كل شيء ووسع فضله ورزقه كل خلقه والمعنى انكم طعنتم في طالوت بكونه
فقيرا والله واسع الفضل والرزق فاذا فوض اليه الملك فتح عليه ابواب الرزق والمال
من فضله وسعته وقيل الواسع ذو السعة وهو الذي يعطي عن غنى عليم يعني الله تعالى
مع قدرته على اغناء الفقير عالم بما يحتاج اليه في تدبير نفسه وملكه والعليم هو العالم
بما كان وما يكون قوله عز وجل وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت وذلك انهم
سالوا اشمويل النبي فقالوا له ما اية ملكه فقال ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت وكان من قصة
التابوت على ما ذكره علماء السير والاخبار ان الله تعالى انزل على ادم عليه السلام تابوتا فيه
صور الانبياء وكان التابوت من خشب الشمشار طوله ثلاثة اذرع في عرض ذراعين
فكان عند ادم ثم صار الى شيث ثم توارثه اولاد ادم الى ان بلغ الى ابراهيم عليه السلام
ثم كان عند اسماعيل لانه كان اكبر اولاده ثم صار الى يعقوب ثم كان في بني اسرائيل الى ان وصل
الى موسى عليه السلام فكان يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه فكان عنده الى ان مات
ثم تداوله انبياء بني اسرائيل الى وقت اشمويل وكان في التابوت ما ذكر الله تعالى وهو قوله
تعالى فيه سكينة من ربكم واختلفوا في تلك السكينة ما هي فقال علي بن ابي طالب
هي ريح هفافة لها راسان ووجه كوجه الانسان وقال مجاهد هي شيء يشبه
الهرة له راس كراس الهرة وذنب كذنب الهرة وله جناحان وقيل له عينان لهما شعاع
وجناحان من زمرد وزبرجد وكانوا اذا سمعوا صوته تيقنوا النصر فكانوا اذا خرجوا
وضعوا التابوت قدامهم فاذا سار ساروا واذا وقف وقفوا وقال ابن عباس هي طست
من ذهب من الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وقال وهب هي روح من الله تعالى تتكلم
اذا اختلفوا في شيء فتخبرهم ببيان ما يريدون وقال عطاء بن ابي رباح هي ما يعرفون من الايات
التي يسكنون اليها فهو سكينة فيحمل على جميع ما قيل فيه لان كل شيء يسكن القلب اليه فهو
سكينة فيحمل على جميع ما قيل فيه ولم يرد فيه نص صريح فلا يجوز تصويب قول وتضعيف اخر
قوله تعالى وبقية مما ترك ال موسى وال هارون تحمله الملائكة يعني موسى وهارون
انفسهما بدليل قوله صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري لقد اوتيت مزمارا من مزامير
ال داود والمراد به داود نفسه واختلفوا في تلك البقية التي تركها موسى وهارون فقيل
هي رضاض من الالواح وعصى موسى قاله ابن عباس وقيل عصى موسى وعصى هارون وشيء من
الواح التوراة وقيل كانت العلم والتوراة وقيل كان فيه عصى موسى ونعلاه وعصى هارون
وعمامته وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل فكان التابوت بعد موسى يتداولونه

تحت العرش وكانوا اذا اختلفوا في شي تحاكموا اليه فيتكلم ويحكم بينهم وكانوا اذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به علي عدوهم فينصرون فلما عصوا وافسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم علي التابوت واخذوه منهم وكان السبب في ذلك ان الله كان عيلي وهو الشيخ الذي ربا اشمويل ابنان شابان وكان عيلي حبر بني اسرائيل وصاحب قربانهم فاحدث ابناه في القربان شيا لم يكن فيه وذلك انه كان مسوط القربان الذي كانوا يسوطونه به كلابين فما اخرجاه كان للكاهن الذي يسوطه فجعل ابناه كلاليب وكان النساء يصلين في بيت المقدس فيتشبثان بهن فاوحي الله الي اشمويل ان انطلق الي عيلي وقل له منعك حب الولد من ان تزجر ابنيك عن ان يحدثا في قرباني وقدسي شيا وان يعصياني فلانزعن الكهانة منك ومن ولدك ولاهلكنك واياهما فاخبره اشمويل بذلك ففزع وسار اليهم عدو ممن حولهم فامر عيلي ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا واخرجا معهما التابوت فلما تهيوا للقتال جعل عيلي يتوقع الخبر فجاءه رجل فاخبره ان الناس قد انهزموا وقد قتل ابناه قال فما فعل التابوت قال اخذه العدو وكان عيلي قاعدا علي كرسيه فشهق ووقع علي قفاه فمات فمرج امر بني اسرائيل وتفرقوا الي ان بعث الله طالوت ملكا فسالوا اشمويل البينة علي ملك طالوت فقال لهم نبيهم يعني اشمويل ان اية ملكه يعني علامة ملكه التي تدل علي صحته ان ياتيكم التابوت وكانت قصة رجوع التابوت علي ما ذكره اصحاب الاخبار ان الذين اخذوا التابوت من بني اسرائيل اتوا به قرية من قري فلسطين يقال لها ازدود فجعلوه في بيت اصنام لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد والصنم تحته فاخذوه ووضعوه فوقه وسمروا قدمي الصنم علي التابوت وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه واصبح الصنم ملقي تحت التابوت واصبحت اصنامهم منكسة فاخرجوا التابوت من بيت الاصنام ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذ اهل تلك الناحية وجع في اعناقهم حتي هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض اليس قد علمتم ان اله بني اسرائيل لا يقوم له شي فاخرجوه الي قرية اخري فبعث الله تعالي علي اهل تلك الناحية فارا فكانت الفارة تبيت مع الرجل فيصبح ميتا قد اكلت ما في جوفه فاخرجوه الي الصحرا ودفنوه في مخراة لهم فكان كل من تبرز هناك اخذه الباسور والقولنج فتحيروا فيه فقالت لهم امراة من بني اسرائيل كانت عندهم وهي من بنات الانبيا لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المراة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها علي ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل المنو تات سيرا ان و وكل الله ما لثور بن اربعة اهلا كسبعوت ها فابلاهن وتعتا يا وصبحا امر ائيل صنكم ابنيهما وقطعا احيا لهما ووضعا التابوت في ارض فيها حصاد لبني اسرائيل ووكيا الي اوصهما فلم تدع بني اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالي تحمله الملائكة وقال ابن عباس جات الملائكة بالتابوت تحمله بين السما والارض وهم ينظرون اليه حتي وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة في السما فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت في التيه خلفه يوشع بن نون فبقي هناك فاقبلت الملائكة تحمله حتي وضعته في دار طالوت فاصبح في داره فاقروا بملكه ان في ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين يعني قال لهم نبيهم اشمويل ان في مجي التابوت لكم

لاية لكم يعني علامة بينة الي ملك طالوت لكم ان كنتم مصدقين قيل فلما جاءهم التابوت واقروا بالملك لطالوت تاهبوا للخروج الي الجهاد فاسرعوا في طاعته وخرجوا معه فذلك قوله تعالي فلما فصل طالوت بالجنود يعني خرج بهم والفصل القطع يعني قطع مستقره شاخصا الي غيره فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم يومئذ سبعون الفا مقاتل وقيل ثمانون الفا وقيل مائة وعشرون الفا ولم يتخلف عنه الا كبير لكبره او مريض لمرضه او متخلف لعذره وذلك لما راوا التابوت لم يشكوا في النصر فسارعوا الي الجهاد وكان مسيرهم في حر شديد فشكوا الي طالوت قلة الما بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله ان يجري لنا نهرا قال طالوت ان الله مبتليكم بنهر يعني مختبركم به ليتبين طاعتكم وهو اعلم بذلك قال ابن عباس هو نهر فلسطين وقيل هو نهر بين الاردن وفلسطين فمن شرب منه فليس مني يعني فليس من اهل ديني وطاعتي ومن لم يطعمه يعني لم يذقه يعني الما فانه مني يعني من اهل طاعتي الا من اغترف غرفة بيده قري بضم الغين وفتحها لغتان وقيل الغرفة بالضم الذي يحصل في الكف من الما والغرفة بالفتح الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر فشربوا منه يعني من النهر الا قليلا منهم قيل لم يبق الا من لم يشربوا منه وقيل ثلثمائة وبضعة عشر كعدة اهل بدر وهو الصحيح ويدل علي ذلك ما روي عن البرا بن عازب رضي الله عنه قال كنا اصحاب محمد نتحدث ان عدة اصحاب بدر علي عدة اصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه الا مؤمن بضعة عشر وثلثمائة اخرجه البخاري وقيل من اغترف غرفة كما امر الله تعالي قوي قلبه وصح ايمانه وعبر النهر سالما والذين شربوا منه وخالفوا امر الله تعالي اسودت شفاههم وغلبهم العطش ولم يرووا وجبنوا وبقوا علي شط النهر ولم يجاوزوه وقيل جاوزوه كلهم ولكن الذين شربوا لم يحضروا القتال وانما قاتل اولئك القليل الذين لم يشربوا وهو قوله تعالي فلما جاوزه هو يعني جاوز النهر طالوت والذين امنوا معه يعني اولئك القليل قالوا يعني الذين شربوا وخالفوا امر الله وكانوا اهل شك ونفاق وقيل هم ممن يكون جاوز النهر مع طالوت المؤمن والمنافق والطائع والعاصي فلما راوا العدو قالوا المنافقون لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم المؤمنون بقولهم كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة وقيل لم يجاوز النهر مع طالوت الا المؤمنون خاصة لقوله تعالي فلما جاوزه هو والذين امنوا معه

فان قلت فعلي هذا القول من التاويل لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده

قلت يحتمل ان يكون اهل الايمان وهم الثلثمائة وبضعة عشر انقسموا الي قسمين حين راوا العدو وكثرته وقلة المؤمنين لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده فاجابهم القسم الاخر بقوله كم من فية قليلة غلبت فية كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ومعني لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون اي يستيقنون ويعلمون انهم ملاقوا الله اي ملاقوا ثواب الله ورضوانه في الدار الاخرة كم من فية قليلة الفية الجماعة لا واحد لها من لفظها كالرهط غلبت فية كثيرة باذن الله اي بقضا الله وارادته والله مع الصابرين يعني بالنصر والمعونة قوله عز وجل ولما برزوا يعني طالوت لجالوت وجنوده يعني المشركين ومعني برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر واستوي منها قالوا يعني المؤمنين اصحاب طالوت ربنا افرغ اي اصبب علينا صبرا وثبت اقدامنا اي قوي قلوبنا لنثبت اقدامنا وانصرنا علي القوم الكافرين وهم جالوت

وثمهم كانوا يعبدون الاصنام فسال المومنون الله ان ينصرهم على القوم الكافرين فهزموهم
باذن الله يعني ان الله تعالى استجاب دعا المومنين بان افرغ عليهم الصبر وثبت اقدامهم
ونصرهم على القوم الكافرين حتى انهم هزموهم باذن الله يعني بقضائه وارادته
واصل الهزيمة في اللغة الكسر يقال هزموهم وكسروهم وقتل داود جالوت وكان قصته
قتله على ما ذكره اهل التفسير واصحاب الاخبار انه عبر النهر فيمن عبر مع طالوت ايشا
ابو داود في ثلاثة عشر ابنا له وكان داود اصغرهم وكان يرمي بالمقذافة فقال
داود لابيه يوما يا ابتاه ما ارمي بقذافتي شيا الا صرعته فقال له ابوه ابشر يا بني فان الله
تعالى قد جعل رزقك في قذافتك ثم اتاه مرة اخرى فقال يا ابتاه لقد دخلت بين
الجبال فوجدت اسدا رابضا فركبته واخذت باذنيه فلم يهجني فقال له ابوه ابشر يا بني
فان هذا خير يريده الله بك ثم اتاه يوما اخر فقال يا ابتاه اني لامشي بين الجبال فاسبح
فما يبقى جبل الا سبح معي فقال يا بني ابشر فان هذا خير اعطاكه الله تعالى قالوا فارسل
جالوت الجبار الى طالوت ملك بني اسرائيل ان ابرز الي او ابرز الي من يقاتلني فان
قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت ونادى في عسكره من
قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجبه احد فسال طالوت
نبيهم ان يدعو الله تعالى فدعا الله فاتى بقرن فيه دهن القدس وتنور حديد فقيل له ان صاحبكم
الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على راسه فيغلي الدهن حتى يدهن منه راسه ولا يسيل على
وجهه بل يكون على راسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملاه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت
بني اسرائيل فجربهم فلم يوافقه احد منهم فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان في ولد ايشا من يقتل
جالوت فدعا طالوت ايشا وقال له اعرض علي بنيك فاخرج له اثني عشر رجلا امثال
السواري فجعل يعرضهم واحدا واحدا على القرن فلا يرى شيا فقال لايشا هل بقي لك ولد
غيرهم قال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا رب انه قد زعم انه لا ولد له غيرهم فقال
كذب فقال له النبي ان ربي قد كذبك فقال ايشا صدق ربي يا نبي الله ان لي ولدا صغيرا
يقال له داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فخلفته في الغنم
يرعاها وهو في شعب كذا وكان داود عليه السلام رجلا قصيرا مسقاما ازرق امعر
اصغر فدعا به طالوت ويقال انه خرج اليه فوجده في الوادي وقد سال الوادي ماء وهو
يحمل شاتين شاتين يعبر بهما السيل الى الزريبة التي يريح فيها غنمه فلما راه طالوت
قال هذا هو الرجل المطلوب لاشك فيه هذا ارحم بالبهائم منه بالناس ثم دعاه
طالوت ووضع القرن على راسه ففاض فقال له طالوت هل لك ان تقتل جالوت
واذوجك ابنتي واجري خاتمك في ملكي قال نعم فقال له هل انست من نفسك شيا تتقوى
به على قتله قال نعم انا ارعى الغنم فيجي الاسد او النمر او الذيب فياخذ شاة من الغنم
فاقوم فافتح لحييه عنها واخرقهما الى قفاه فاخذه طالوت ورده الى العسكر
فمر داود عليه السلام في طريقه بحجر فناداه يا داود احملني فاني الحجر الذي تقتل به
جالوت فحمله فوضع الثلاثة في مخلاته فلما رجع طالوت الى العسكر ومعه داود وتصافوا
للقتال برز جالوت يطلب المبارزة فانتدب له داود عليه السلام فاعطاه طالوت فرسا
وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس وسار قريبا ثم رجع الى طالوت فقال من حوله هو
جبن الغلام فجاء فوقف على طالوت فقال له ما شانك فقال له داود عليه السلام ان لم ينصرني
الله لم يغن عني هذا السلاح شيا وان نصرني فلا حاجة لي به فدعني اقاتل كما اريد قال

ثم

ثم اخذ داود مخلاته فتقلدها واخذ المقلاع بيده ومضى نحو جالوت وكان جالوت من
اشد الناس واقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة حديد وزنها ثلثماية رطل
فلما نظر الى داود وهو بيده وقع الرعب في قلبه فقال له جالوت انت تبرز لي قال نعم
وكان جالوت على فرس ابلق عليه السلاح التام قال اتيتني بالمقلاع والحجر كما يوتى الى الكلب
فقال نعم انت شر من الكلب قال جالوت لا جرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير
السما فقال داود عليه السلام او يقسم الله لحمك ثم قال داود باسم اله ابرهيم واخرج حجرا
ثم قال باسم اله اسحاق واخرج حجرا ثم قال باسم اله يعقوب واخرج الاحجار ووضعها في
مقلاعه فصارت الثلاثة حجرا واحدا وادارة في المقلاع ورمى به جالوت فسخر الله له الريح
فحملت الحجر حتى اصاب انف البيضة فخالط دماغ جالوت وخرج من قفاه وقتل من ورايه
ثلاثين رجلا وخر جالوت صريعا قتيلا فاخذه داود يجره حتى القاه بين يدي طالوت
ففرح بنو اسرائيل بذلك فرحا شديدا وهزم الله الجيوش ورجع طالوت بالناس الى المدينة
سالمين غانمين وجعل الناس يذكرون داود فجاء داود الى طالوت وقال انجز لي ما
وعدتني به فقال له اتريد ابنة الملك بغير صداق فقال داود ما شرطت علي صداقا وليس
لي شي فقال لا اكلفك الا ما تطيق انت رجل جري وفي جبالنا اعدا لنا غلف فاذا قتلت
منهم مايتي رجل وجيتني بغلفهم زوجتك ابنتي فاتاهم فجعل كلما قتل واحدا منهم
نظم غلفته في خيط حتى نظم مايتي غلفة فجا بها الى طالوت والقاها بين يديه وقال
ادفع الي امراتي فزوجه ابنته واجرى خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام
واحبوه واكثروا ذكره فحسده طالوت واراد قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال
له ذو العينين فاخبرت بذلك داود وقالت له انك مقتول الليلة قال ومن يقتلني
قالت ابي قال وهل اجرمت جرما يوجب القتل قالت حدثني بذلك من لا يكذب ولا عليك
ان تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال لها ان كان اراد ذلك فلا استطيع خروجا
لكن ايتيني بزق خمر فاتته به فوضعه في مضجعه على سريره وسجاه ودخل داود تحت السرير
فدخل طالوت نصف الليل فقال لابنته اين بعلك قالت هو نايم على سريره فضربه بالسيف
فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال يرحم الله داود ما اكثر شربه للخمر وخرج فلما اصبح
علم انه لم يفعل شيا فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لحقيق ان لا يدعني حتى يدرك
ثاره مني فاشتد حجابه وحراسه واغلق دونه ابوابه ثم ان داود اتاه ليلة وقد هدات العيون
واعمى الله عنه الحجبة ففتح الابواب ودخل عليه وهو نايم على فراشه فوضع سهما عند راسه
وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله وخرج فاستيقظ طالوت فبصر بالسهام
فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو
شا لوضع هذه السهام في حلقي وما انا بالذي امنه فلما كان من الليلة القابلة
اتاه ثانيا فاعمى الله عنه الحجاب فدخل وهو نايم واخذ ابريقه وضوءه وكوزه الذي يشرب
منه وقطع شعرات من لحيته وشيا من طرف ثوبه ثم خرج وتوارى فلما اصبح طالوت وراى
ذلك سلط على داود العيون وطلبه اشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما
فوجد داود يمشي في البرية فقال اليوم اقتله وركض في اثره فاشتد داود في عدوه وكان
اذا فزع لم يدرك فدخل غارا فاوحى الله الى العنكبوت فنسجت عليه فلما انتهى طالوت
الى الغار ونظر الى بنا العنكبوت فقال لو كان دخل ههنا لتخرق هذا النسج فانطلق طالوت وتركه
فخرج داود وحتى اتى الجبل المتعبدين فتعبد معهم وطعن العلما والعباد على طالوت في شان

داود فجعل طالوت لا ينهاه احد عن قتل داود الا قتله فقتل خلقا كثيرا من العلماء
والعباد حتى اتى بامراة تعلم الاسم الاعظم فامر خبازه بقتلها فرحمها الخباز فلم يقتلها
وكان يقول لعلنا نحتاج الى عالم فتركها فوقع في قلب طالوت التوبة والندم على ما فعل
واقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى المقابر فيبكي وينادي
انشد الله عبدا يعلم لي توبة الا اخبرني بها فلما اكثر ذلك سمعه مناد من القبور
يا طالوت اما ترضى ان قتلتنا حتى تؤذينا امواتا فازداد حزنا وبكاء فرحمه الخباز
على طالوت لما راى من حاله وقال ما لك ايها الملك فاخبره وقال هل تعلم لي توبة
او تعلم في الارض عالما اسأله عن توبتي فقال الخباز ايها الملك ان دللتك على عالم
يوشك ان تقتله فقال لا فتوثق منه باليمين فاخبره ان تلك المراة العالمة عنده
فقال انطلق بي اليها لاسألها عن توبتي قال نعم فانطلق به فلما قرب من الباب
قال له الخباز ايها الملك انها ان راتك فزعت ولكن ائت خلفي فلما دخلا عليها
قال لها الخباز الست تعلمين حقي عليك قالت بلى قال فان لي اليك
حاجة فتقضيها قالت نعم قال هذا طالوت قد جاءك يسألك هل له من توبة فلما سمعت
بذكر طالوت غشي عليها فلما افاقت قالت والله لا اعلم له توبة ولكن دلوني على قبر
نبي فانطلقوا بها الى قبر اشمويل فوقفت عليه ودعت وكانت تعلم الاسم الاعظم
نادت يا صاحب القبر فخرج ينفض التراب عن راسه فنظر الى ثلاثتهم قال ما لكم
اقامت القيامة قالت المراة لا ولكن هذا طالوت قد جاءك يسألك هل له من توبة
فقال اشمويل يا طالوت كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما اعلم لك من توبة
الا ان تتخلى عن ملكك وتخرج انت وولدك في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين
يديك ثم تقاتل انت حتى تقتل انت اخرهم ثم ان اشمويل سقط ميتا ورجع طالوت احزن
ما كان رهبة ان لا يتابعه بنوه على ما يريد وكان قد بكى حتى سقطت اشفار
عينيه ونحل جسمه فجمع اولاده وقال لهم ارايتم لو دفعت الى النار هل كنتم تفدونني منها
قالوا بلى نفديك بما نقدر عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما امركم به قالوا اعرض
علينا ما اردت فذكر لهم القصة قالوا وانك لمقتول قال نعم قالوا لا خير لنا في الحياة
بعدك قد طابت انفسنا بالذي سالت فتجهز هو وولده وخرج طالوت مجاهدا
في سبيل الله فتقدم اولاده فقاتلوا حتى قتلوا ثم شد هو من بعدهم فقاتل حتى قتل
وجاء قاتل طالوت الى داود ليبشره بقتله وقال له قد قتلت عدوك فقال له
داود ما انت بالحي بعده وقتله فكان ملك طالوت الى ان قتل اربعين سنة
فاتى بنو اسرائيل الى داود فملكوه عليهم واعطوه خزائن طالوت قال الكلبي والضحاك
ملك داود بعد قتل طالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا على
داود فذلك قوله تعالى **وآتاه الله الملك والحكمة** يعني النبوة جمع الله لداود
بين الملك والنبوة ولم يكن كذلك من قبل بل كانت النبوة في سبط والملك في سبط
وقيل الحكمة هي العلم مع العمل به **وعلمه مما يشاء** اي وعلم الله داود صنعة الدروع
فكان يصنعها ويبيعها وكان لا ياكل الا من عمل يده وقيل علمه منطق الطير وقيل علمه
الزبور وقيل هو الصوت الطيب والالحان ولم يعط الله احدا من خلقه مثل صوت داود
فكان اذا قرا الزبور تدنو منه الوحوش حتى ياخذ باعناقها وتظله الطير مصيخة له
ويركد الماء الجاري وتسكن الريح عند قراءته وقيل علمه الله سياسة الملك وضبطه وذلك

لانه

لانه لم يكن من بيت المملكة حتى يتعلم من ابائه وقال ابن عباس هو ان الله اعطاه
سلسلة موصولة بالمجرة وراسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النور
وحلقها مستديرة متصلة بالجوهر منضدة بقضبان اللؤلؤ الرطب فكان لا يحدث
في الهواء حدث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحدث ولا يمسها ذو عاهة
الا برا فكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى ان رفعت فمن تعدى على صاحبه وانكره حقا
اتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسلة فتنالها ومن كان كاذبا لم ينلها
فكانت كذلك الى ان ظهر فيهم المكر والخبث فبلغنا ان بعض ملوكهم اودع رجلا جوهرة
ثمينة فلما طلبها بالوديعة انكرها فتحاكما الى السلسلة فعمد الذي عنده
الجوهرة الى عكازة فنقرها وجعل الجوهرة فيها واعتمد عليها حتى اتيا السلسلة فقال
صاحب الجوهرة ردها علي الوديعة فقال لصاحبه ما اعلم لك عندي من وديعة قال ان
كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده وقيل للمنكر قم انت ايضا فتناولها
فقال لصاحب الجوهرة امسك عكازي فاخذها الرجل منه وقام المنكر الى السلسلة
وقال اللهم ان كنت تعلم ان الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب السلسلة مني
فمد يده فتناولها فتعجب القوم من ذلك وشكوا فيها فاصبحوا وقد رفع الله السلسلة
قوله تعالى **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض** يعني ولولا ان الله يدفع ببعض الناس
وهم اهل الايمان والطاعة له بعضا وهم اهل الكفر والمعاصي قال ابن عباس ولولا دفع
الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المسلمين وخربوا المساجد والبلاد
وقيل معناه ولولا دفع الله بالمؤمنين والابرار عن الكفار والفجار **لفسدت الارض** اي
لهلكت بمن فيها ولكن يدفع الله بالمؤمن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر وروى احمد بن حنبل
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمؤمن
الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرا ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الارض **ولكن الله ذو فضل على العالمين** يعني ان دفع الفساد بهذا الطريق انعام
وافضال على الناس كلهم **تلك آيات الله** يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف
واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالاية وهي التابوت واهلاك الجبابرة
على يد صبي **نتلوها عليك بالحق** اي باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في
كتبهم **وانك لمن المرسلين** يعني حيث تخبر بهذه الاخبار العجيبة والقصص القديمة
من غير ان تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار فدل ذلك على انك من المرسلين وان الذي
تخبر به وحي من الله تعالى قوله عز وجل **تلك الرسل** يعني جماعة الرسل الذين تقدم
ذكرهم في هذه السورة **فضلنا بعضهم على بعض** فيه دليل على جواز الشبهة
لمن اوجب التسوية بين الانبياء في الفضيلة لاستوائهم في القيام بالرسالة واجمعت
الامة على ان الانبياء بعضهم افضل من بعض وان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم افضلهم لعموم
رسالته وهو قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا **منهم** اي من
الرسل **من كلم الله** اي كلمه الله وهو موسى عليه السلام **ورفع بعضهم درجات**
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم رفع الله منصبه ومرتبته كافة على سائر الانبياء بما فضله عليهم
من الايات البينات والمعجزات الباهرات فما اوتي نبي من الانبياء اية ومعجزة الا واوتي
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثل ذلك وفضل محمد صلى الله عليه وسلم على غيره من الانبياء
بايات ومعجزات اخر مثل انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع اليه عند مفارقته وتسليم

الحجر والشجر عليه وكلام البهائم شاهدة برسالته ونبع الماء من بين اصابعه وغير ذلك من الآيات والمعجزات التي لا يحصى كثرتها واعظمها واظهرها معجزة وآية القرآن العظيم الذي عجز اهل الارض عن معارضته والاتيان بمثله وهو معجزة باقية الى يوم القيامة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه وبعثت الى الناس عامة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلت على الانبياء بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنائم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون **فان قلت** لم ذكره على سبيل الرمز والاشارة ولم يصرح باسمه صلى الله عليه وسلم قلت في هذا الابهام والرمز تفخيم فضله واعلاء قدره صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى لما فيه من الشهادة بانه العلم الذي لا يشتبه ولا يلتبس فهو كما يقول الرجل وقد فعل شيئا فعله بعضكم او احدكم ويريد نفسه فيكون افخم من التصريح به كما سئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه قوله تعالى بعني الحجج والادلة الباهرة والمعجزات الظاهرة على نبوته مثل ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى اي وقويناه بجبريل عليه السلام فكان معه الى ان رفعه الى السماء فان قلت لم خص موسى وعيسى عليهما السلام بالذكر من بين سائر الانبياء قلت لما اوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله تعالى وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية عظيمة وتاييد عيسى بروح القدس آية عظيمة ايضا فلما اوتي موسى وعيسى من الآيات العظيمة خصا بالذكر في باب التفضيل فعلى هذا كل من كان من الانبياء اعظم آيات واكثر معجزات كان افضل ولهذا احرز نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قصبات السبق في الفضل لانه اعظم الانبياء آيات واكثرهم معجزات فهو افضلهم صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين اي اراد الله واصل المشيئة الارادة يعني بعد الرسل الذين وصفهم الله اي الدلالات الواضحات من الله بما فيه مزدجر لمن هداه الله ووفقه يعني اختلف هؤلاء الذين من بعد الرسل اي ثبت على ايمانه بالله ورسوله بفضل الله اي ومنهم من لحقه الكفر بعد قيام الحجة ومجيء الرسل يعني ولو اراد الله ان يحجزهم عن الاقتتال والاختلاف لحجزهم عن ذلك يعني انه تعالى يوفق من يشاء من عباده لطاعته والايمان به فضلا منه ورحمة ويخذل من يشاء عدلا منه لا اعتراض عليه في ملكه وفعله سال رجل علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن القدر فقال يا امير المؤمنين اخبرني عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكه فاعاد السؤال فقال سر قد خفي عليك فلا تفتشه فاعاد السؤال فقال بحر عميق فلا تلجه قوله تعالى

قيل اراد بها الزكاة الواجبة وقيل اراد به صدقة التطوع والانفاق في وجوه الخير اي لا فدية فيه وانما سماه فداء لان الفداء شراء النفس من الهلاك والمعنى قدموا لانفسكم اليوم من اموالكم قبل ان ياتي يوم لا تجارة فيه فتكسب الانسان ما يفتدي به من العذاب اي ولا مودة ولا صداقة وظاهره نفي الخلة والشفاعة وقد دلت النصوص على ثبوت المودة والشفاعة بين المؤمنين فيكون هذا عاما مخصوص لانهم وضعوا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل

فصل

في فضل هذه الآية الكريمة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شيء سنام وان سنام القرآن البقرة وفيها آية سيدة آي القرآن آية الكرسي اخرجه الترمذي قوله ان لكل شيء سناما كل شيء علاه تشبيها بسنام البعير والمراد منه تعظيم هذه السورة والسيد الفاضل والشريف الكريم واصله من ساد يسود وقوله هي سيدة آي القرآن اي افضله عن ابي بن كعب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا المنذر اتدري اي آية في كتاب الله معك اعظم قلت الله لا اله الا هو الحي القيوم فضرب في صدري وقال ليهنك العلم ابا المنذر وعن عبد الله بن الاسقع ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءهم في صفة المهاجرين فسأله انسان اي آية في القرآن اعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله لا اله الا هو الحي القيوم اخرجه ابو داود وقال العلماء انما تميزت آية الكرسي بكونها اعظم آية في القرآن لما جمعت من اصول الاسماء والصفات من الالهية والوحدانية والحياة والعلم والقيومية والملك والقدرة والارادة فهذه اصول الاسماء والصفات وذلك لان الله تعالى اعظم مذكور فما كان ذكرا له من توحيد وتعظيم كان اعظم الاذكار وفي هذا الحديث حجة لمن يقول بجواز تفضيل القرآن بعضه على بعض وتفضيله على سائر كتب الله المنزلة ومنع من جواز تفضيل بعض القرآن على بعض ابو الحسن الاشعري وابو بكر الباقلاني قالا لان تفضيل بعضه على بعض يقتضي نقص المفضول وليس في كلام الله عز وجل نقص وتاول هؤلاء ما ورد من الاطلاق في لفظ اعظم وافضل في بعض الآيات والسور بمعنى عظيم وفاضل ومن اجاز تفضيل بعض القرآن على بعض من العلماء والمتكلمين قالوا هذا التفضيل راجع الى عظم اجر القارئ وجزيل ثوابه وقوله ان هذه الآية او هذه السورة اعظم او افضل بمعنى ان الثواب المتعلق بها اكثر وهذا هو المختار وهو معنى الحديث والله اعلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حين يصبح آية الكرسي وآيتين من اول حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم حفظ يومه ذلك حتى يمسي ومن قرأهما حين يمسي حفظ ليلته حتى يصبح اخرجه الترمذي وقال حديث غريب واما التفسير فقوله عز وجل يعني لا معبود بحق الا هو ونفى الالهية لما سواه واثبت الالهية له سبحانه وتعالى فهو كقولك لا كريم الا زيد فانه ابلغ من قولك زيد كريم يعني الباقي على الابد الدائم بالازل والحي في صفة الله هو الذي لم يزل موجودا وبالحياة موصوفا لم يحدث له الحياة بعد موت ولا يعترضه الموت بعد حياة وسائر الاحياء سواه يعتريهم الموت او العدم فكل شيء هالك الا وجهه سبحانه وتعالى قال مجاهد القيوم القائم على كل شيء ومعناه انه تعالى قائم بتدبير خلقه

وارزاقهم وجميع ما يحتاجون اليه وقيل هو القايم الدايم بلا زوال الموجود الذي يمتنع
عليه التغير وقيل هو القايم على كل نفس بما كسبت والقيوم فيعول من القيام وهو نعت
للقيام على الشي   السنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى
نعاسا وهو النوم الخفيف والوسنان بين النايم واليقظان والنوم هو الثقيل المزيل
للعقل والقوة وقيل السنة في الراس والنعاس في العين والنوم في القلب فالسنة اول
النوم والنوم هو غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع المعرفة بالاشيا والمعنى لا تاخذه
سنة فضلا عن ان ياخذه نوم لان النوم والسهو والغفلة محال على الله تعالى لان
هذه الاشيا عبارة عن عدم العلم وذلك نقص وآفة والله تعالى منزه عن النقص والآفات
ولان ذلك تغير والله تعالى منزه عن التغير   عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال
قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله عز وجل لا ينام ولا
ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه ويرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل
النهار قبل عمل الليل حجابه النور وفي رواية النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه
ما انتهى اليه بصره من خلقه **شرح ما يتعلق** بلفظ هذا الحديث
منقول من شرح مسلم للشيخ محيي الدين النووي قوله صلى الله عليه وسلم ان الله
لا ينام ولا ينبغي له ان ينام معناه الاخبار انه سبحانه وتعالى لا ينام وانه مستحيل
في حقه النوم لان النوم انغمار وغلبة على العقل يسقط به الاحساس والله تعالى منزه
عن ذلك وقوله يخفض القسط ويرفعه اراد بالقسط الميزان الذي يقع فيه
العدل ومعناه ان الله تعالى يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن فيه من اعمال العباد
المرتفعة اليه وقيل اراد بالقسط الرزق الذي هو قسط كل مخلوق ومعنى يخفض
يقبض ويضيق على من يشا ويرفعه اي يوسعه على من يشا وقوله يرفع اليه عمل
الليل قبل النهار يعني ان الحفظة من الملايكة يصعدون باعمال العباد في الليل
بعد انقضايه في اول النهار ويصعدون باعمال النهار بعد انقضايه في اول الليل
قوله حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه
سبحات بضم السين المهملة والبا الموحدة تحت وبضم التا في اخره جمع سبحة
ومعنى سبحات وجهه نوره وجلاله وبهاوه والحجاب اصله في اللغة المنع وحقيقة
الحجاب انما يكون للاجسام المحدودة والله تعالى منزه عن الجسم والحد فالمراد
به هنا الشي المانع من الرؤية وسمي ذلك الشي المانع نورا او نارا لانهما يمنعان من
الادراك في العادة والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى اليه بصره من خلقه
جميع المخلوقات لان بصره سبحانه وتعالى محيط بجميع الكاينات ولفظة من في
قوله من خلقه لبيان الجنس لا للتبعيض ومعنى الحديث لو زال المانع وهو الحجاب
المسمى نورا او نارا او تجلى لخلقه لاحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته هذا اخر
كلام الشيخ على هذا الحديث والله اعلم وروى الطبري بسنده عن ابن عباس في
قوله لا تاخذه سنة ولا نوم ان موسى عليه السلام سال الملايكة هل ينام الله فاوحى
الله تعالى الى الملايكة وامرهم ان يورقوه ثلاثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم اعطوه
قارورتين فامسكهما ثم تركوه وحذروه ان يكسرهما فجعل ينعس وهما في يده
في كل يد واحدة قال فجعل ينعس وينتبه حتى نعس نعسة فضرب احداهما بالاخرى فكسرهما
قال معمر انما هو مثل ضربه الله تعالى له يقول له فكذلك السموات والارض ورواه عن ابي هريرة

مرفوعا

مرفوعا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحكي موسى على المنبر قال وقع في نفس موسى هل ينام
الله وذكر نحو حديث ابن عباس قال بعض العلما ان صح هذا الحديث فيحمل على ان هذا السوال كان
من جهال قوم موسى كطلب الروية من موسى لان الانبيا عليهم السلام هم اعلم بالله من غيرهم
فلا يجوز ان ينسب الى موسى مثل هذا السوال والله اعلم قوله تعالى **له ما في السموات وما
في الارض** يعني ان الله تعالى مالك جميع ذلك بغير شريك ولا منازع وهو خالقهم وهم عبيده
وفي ملكه فان قلت لم قال له ما في السموات ولم يقل من في السموات قلت لما كان المراد
اضافة كل ما سواه اليه بالخلق والملك وكان الغالب فيهم من لا يعقل اجرى الغالب مجرى
الكل فعبر عنه بلفظة ما **من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه** اي بامره وهذا استفهام
انكار والمعنى لا يشفع عنده احد الا بامره وارادته وذلك لان المشركين زعموا ان الاصنام
تشفع لهم فاخبر انه لا شفاعة لاحد عنده الا ما استثناه بقوله الا باذنه يريد بذلك
شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وشفاعة بعض الانبيا والملايكة وشفاعة المومنين
بعضهم لبعض **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم** يعني ما بين ايديهم من الدنيا وما خلفهم
من الاخرة وقيل بعكسه لانهم يقدمون على الاخرة ويخلفون الدنيا وراء ظهورهم وقيل
يعلم ما كان قبلهم وما كان بعدهم وقيل يعلم ما قدموه بين ايديهم من خير وشر وما خلفهم
مما هم فاعلوه والمقصود من هذا انه سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه
شي من احوال جميع خلقه **ولا يحيطون بشي من علمه** يقال احاط بالشي اذا علمه وهو
ان يعلم وجوده وجنسه وقدره وحقيقته فاذا علمه ووقف عليه وحصره في قلبه
قيل قد احاط الله به والمراد بالعلم المعلوم والمعنى ان احدا لا يحيط بمعلومات الله
تعالى **الا بما شا** يعني ان يطلعهم عليه من علم غيبه ليدلهم على نبوتهم كما قال تعالى
فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول **وسع كرسيه السموات والارض** يقال
فلان يسع الشي سعة اذا احتمله واطاقه وامكنه القيام به واصل الكرسي في اللغة من
تركب الشي بعضه على بعض ومنه الكراسة لتركب بعضها على بعض والكرسي في العرف
اسم لما يقعد عليه سمي به لتركب خشباته بعضها على بعض واختلفوا في المراد بالكرسي
هنا على اربعة اقوال احدها ان الكرسي هو العرش نفسه قاله الحسن لان العرش
والكرسي اسم للسرير الذي يصح التمكن عليه القول الثاني ان الكرسي غير العرش وهو
امامه وهو فوق السموات السبع قال السدي ان السموات والارض في جوف الكرسي كحلقة
في فلاة والكرسي جنب العرش كحلقة في فلاة وعن ابن عباس ان السموات السبع في الكرسي ان
كذا هم سبعة القيت في ترس وقيل ان كل قايمة من قوايم الكرسي طولها مثل السموات
والارض وهو بين يدي العرش ويحمل الكرسي اربعة املاك لكل ملك اربعة وجوه واقدامهم
على الصخرة التي تحت الارض السابعة السفلى ملك على صورة ابي البشر ادم وهو يسال الرزق
والمطر لبني ادم من السنة الى السنة وملك على صورة الثور وهو يسال الرزق للانعام من
السنة الى السنة وملك على صورة السبع وهو يسال الرزق للوحوش من السنة الى السنة
وملك على صورة النسر وهو يسال الرزق للطير من السنة الى السنة وفي بعض الاخبار ان
بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور غلظ
كل حجاب مسيرة خمسماية عام لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة
العرش القول الثالث ان الكرسي هو الاسم الاعظم لان العلم يعتمد عليه كما ان الكرسي يعتمد
عليه قاله ابن عباس كرسيه علمه القول الرابع المراد بالكرسي الملك والسلطان والقدرة

لان الكرسي موضع الملك والسلطان فلا يبعد ان يكنى عن الملك بالكرسي على سبيل المجاز
ولا يؤده اي لا يثقله ولا يجهده ولا يشق عليه **حفظهما** اي حفظ السموات والارض
وهو العلي اي الرفيع فوق خلقه الذي ليس فوقه شيء فيما يجب له ان يوصف به من معاني الجلال
والكمال فهو العلي بالاطلاق المتعالي على الاشباه والانداد والاضداد وقيل العلي بالملك
والسلطنة والقهر فلا اعلى منه احد وقيل معنى العلو في صفة الله تعالى منقول
الى اقتداره وقهره واستحقاق صفات المدح جميعها على كل وجه وقيل معناه انه يعلو
ان يحيط به وصف الواصفين **العظيم** يعني انه ذو العظمة والكبرياء الذي لا شيء اعظم
منه وقال ابن عباس العظيم الذي قد كمل في عظمته وقيل العظيم هو ذو العظمة
والجلال والكمال وهو في صفة الله تعالى ينصرف الى عظيم الشان وجلالة القدر دون
العظم الذي هو من نعوت الاجسام قوله تعالى **لا اكراه في الدين** وسبب نزول
هذه الاية فيما روي عن ابن عباس قال كانت المراة من الانصار تكون مقلاة وهي
التي لا يعيش لها ولد فكانت تنذر لئن عاش لها ولد لتهوّدنه فاذا عاش جعلته
في اليهود فجاء الاسلام وفيهم منهم فلما اجليت بنو النضير كان فيهم عدد من اولاد
الانصار فارادوا استردادهم وقالوا هم ابناؤنا واخواننا فنزلت لا اكراه في الدين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير اصحابكم فان اختاروكم فهم منكم وان اختاروهم
فاجلوهم معهم وقيل كان لرجل من الانصار من بني سالم بن عوف ابنان يقال له
ابو الحصين ابنان فتنصرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة
في نفر من النصارى يحملون الزيت فلزمهما ابوهما وقال لا ادعكما حتى تسلما
فاختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ايدخل بعضي النار
وانا انظر فانزل الله تعالى لا اكراه في الدين فخلى سبيلهما وقيل نزلت في اهل الكتاب
اذا قبلوا بذل الجزية لم يكرهوا على الاسلام وذلك ان العرب كانت امة امية
ولم يكن لهم كتاب يرجعون اليه فلم يقبل منهم الا الاسلام او القتل ونزل في اهل
الكتاب لا اكراه في الدين يعني اذا قبلوا الجزية فمن اعطى الجزية منهم لم يكره على
الاسلام فعلى هذا القول تكون الاية محكمة ليست بمنسوخة وقيل بل الاية
منسوخة وكان ذلك في ابتداء الاسلام قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخت باية
القتال وهو قول ابن مسعود وقال الزهري سالت زيد بن اسلم عن قوله
الله تعالى لا اكراه في الدين قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر
سنين لا يكره احدا في الدين فابى المشركون الا ان يقاتلوه فاستاذن
الله تعالى في قتالهم فاذن له ومعنى لا اكراه في الدين اي في دين الاسلام
ليس فيه اكراه عليه **قد تبين الرشد من الغي** يعني ظهر ووضح وتميز الحق من
الباطل والايمان من الكفر والهدى من الضلالة بكثرة الايات والحجج الدالة على صحته **فمن يكفر بالطاغوت** يعني الشيطان وقيل هو الساحر والكاهن
وكل ... كل ما عبد من دون الله تعالى وقيل كل ما يطغي الانسان فهو طاغوت
فاعول من الطغيان **ويؤمن بالله** اي ويصدق بالله بانه ربه ومعبوده
من دون كل شيء كان يعبده وفيه اشارة الى انه لا بد للكافر ان يتوب اولا عن الكفر
ويتبرى منه ثم يؤمن بعد ذلك بالله فمن فعل ذلك صح ايمانه وهو قوله تعالى **فقد**
استمسك بالعروة الوثقى اي فقد تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين

والوثقى

تانيث الاوثق وقيل العروة الوثقى السبب الذي يوصل الى رضى الله تعالى وهو
الاسلام **لا انفصام لها** اي لا انقطاع لها حتى تؤديه الى الجنة والمعنى ان المتمسك
بالدين الصحيح الذي هو دين الاسلام كالمتمسك بالشيء الوثيق الذي لا يمكن
كسره ولا انقطاعه **والله سميع عليم** يعني انه تعالى سميع قول من كفر بالطاغوت
وامن بالله وتبرى عليم بما في قلبه من الايمان وقيل معناه سميع لدعائك اياهم
الى الاسلام عليم بحرصك على ايمانهم قوله عز وجل **الله ولي الذين امنوا** اي
ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم وقيل متولي امورهم فلا يكلهم الى غيره وقيل هو متولي هدايتهم
يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الكفر الى الايمان وكلما جاء في القران من
ذكر الظلمات والنور فالمراد به الكفر والايمان غير الذي في سورة الانعام وهو قوله
تعالى وجعل الظلمات والنور فالمراد به الليل والنهار وانما سمي الكفر ظلمة لالتباس
طريقه ولان الظلمة تحجب الابصار عن ادراك الحقائق فكذلك الكفر يحجب القلوب
عن ادراك حقائق الايمان وسمي الاسلام نورا لوضوح طريقه وبيان ادلته **والذين**
كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات اي من الهدى
الى الضلالة **فان قلت** كيف قال يخرجونهم من النور الى الظلمات وهم كفار
لم يكونوا في نور قط **قلت** هم اليهود كانوا مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم
وصحة نبوته قبل ان يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته وصفته فلما بعث كفروا
به وجحدوا نبوته وقيل هو على العموم في حق جميع الكفار ومنع الطاغوت
اياهم عن الدخول فيه اخراج من الايمان يعني صدهم الطاغوت عنه وحرمهم
خيره وان لم يكونوا دخلوا فيه قط فهو كقول الرجل لابيه اخرجتني من مالك اذا
اوصى به لغيره في حياته وحرمه منه وقول الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام
اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله ولم يكن قط في ملتهم **اولئك اصحاب النار**
هم فيها خالدون يعني الكفار والطاغوت اهل النار الذين يخلدون فيها
دون غيرهم قوله تعالى **الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه** يعني هل انتهى
اليك يا محمد خبر الذي خاصم ابراهيم وجادله لان الم تر كلمة يوقف بها المخاطب
على تعجب منها ولفظها استفهام فهو كما يقال الم تر الى فلان كيف يصنع معناه هل
رايت فلانا في صنعه والذي حاج ابراهيم هو نمرود بن كنعان الجبار وهو
اول من وضع التاج على راسه وتجبر في الارض وادعى الربوبية **ان اتاه الله الملك**
اي لان اتاه الله الملك فطغى وتجبر بسببه وكانت تلك المحاجة من بطر الملك
وطغيانه قال مجاهد ملك الارض اربعة مؤمنان وكافران فالمؤمنان سليمان
وذو القرنين واما الكافران فنمرود وبخت نصر واختلفوا في وقت هذه
المحاجة فقيل لما كسر ابراهيم الاصنام سجنه نمرود ثم اخرجه ليحرقه فقال له من
ربك الذي تدعونا اليه **اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت** وقيل بل كان
هذا بعد القائه في النار وذلك ان الناس قحطوا على عهد نمرود وكان الناس
يمتارون من عنده الطعام فكان اذا اتاه احد يمتار سأله من ربك فيقول
انت فيميره فخرج ابراهيم صلى الله عليه وسلم اليه يمتار لاهله الطعام فاتاه
فقال له من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت **قال انا احيي واميت قال**
ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر

قوده بغير طعام فرجع ابراهيم الى اهله فمر على كثيب رمل اعفر فاخذ منه تطييبا
لقلوب اهله اذا دخل عليهم فلما اتى اهله وضع متاعه ثم نام فقامت زوجته
سارة الى رحله ففتحته فاذا هو طعام اجود ما راه احد فصنعت منه خبزا فلما
انتبه قربته اليه فقال ابراهيم من اين هذا وكان عهده ان اهله ليس عندهم
طعام فقالت من الطعام الذي جئت به فعلم ابراهيم ان الله رزقه ذلك فحمد الله
تعالى ثم ان الله بعث الى نمرود الجبار ملكا ان آمن بي واتركك في ملكك
وهل رب غيري فجاءه الثانية فقال له مثل ذلك ثم اتاه الثالثة فرد عليه مثل ذلك
فقال له الملك اجمع جموعك ثلاثة ايام فجمع الجبار جموعه فامر الله الملك ففتح عليه بابا
من البعوض حتى سترت الشمس فلم يروها فبعثها الله عليهم فاكلت لحومهم وشربت
دماءهم فلم يبق الا العظام ونمرود ينظر ولم يصبه شيء من ذلك ثم بعث الله عليه
بعوضة فدخلت في منخره فمكثت في راسه اربعمائة سنة يضرب راسه بالمطارق
وكان ارحم الناس به من يجمع له يديه ثم يضرب بهما راسه فكان كذلك يعذب باربعمائة
سنة مدة ملكه حتى اماته الله عز وجل ومعنى اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي
ويميت قال يعني نمرود انا احيي واميت قال اكثر المفسرين دعا نمرود برجلين
فقتل احدهما واستحيى الآخر فجعل ذلك احياء فانتقل ابراهيم صلى الله عليه
وسلم الى حجة اخرى لا عجزا عن نصر حجته الاولى فانها كانت لازمة لانه اراد
بالاحياء احياء الميت فكان لابراهيم ان يقول لنمرود فاحي من امتّ ان كنت
صادقا ولكن انتقل الى حجة اخرى اوضح من الاولى لما راى من قصور فهم نمرود
وضعف رايه فانه عارض اللفظ بمثله ونسي اختلاف الفعلين فقال ابراهيم
فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر يعني تحير
نمرود ودهش وانقطعت حجته ولم يرجع اليه شيئا وعرف انه لا يطيق ذلك
فان قلت كيف بهت الذي كفر وكان يمكنه ان يقول لابراهيم سل
انت ربك حتى ياتي بها من المغرب قلت انما لم يقله لانه خاف ان لو سال ذلك
دعا ابراهيم ربه فكان ذلك زيادة في فضيحة نمرود وانقطاعه وقيل
ان الله تعالى صرفه عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه ومعجزة لابراهيم
صلى الله عليه وسلم وهو الصحيح والله لا يهدي القوم الظالمين يعني
لا يرشدهم الى الحجة يدحضون بها حجج اهل الحق عند المحاجة والمخاصمة
ويعني بالظالمين نمرود وقوله عز وجل او كالذي مر على قرية معطوفة
على الآية التي قبلها فالمعنى الم تر الى الذي حاج ابراهيم او كالذي مر على
قرية فيكون هذا عطفا على المعنى وقيل تقديره هل رايت كالذي حاج
ابراهيم وهل رايت كالذي مر على قرية وقيل الكاف زائدة والتقدير الم تر الى
الذي حاج ابراهيم او الى الذي مر على قرية واختلفوا في ذلك المار فروي
عن مجاهد انه كان كافرا شك في البعث وهذا قول ضعيف لقوله تعالى كم لبثت والله
تعالى لا يخاطب الكافر ولقوله تعالى ولنجعلك آية للناس وهذا اللفظ
لا يستعمل في حق الانبياء وقال قتادة وعكرمة والضحاك والسدي هو
عزير بن شرخيا وقال وهب بن منبه هو ارميا بن حلقيا من سبط هارون وهو
الخضر ومقصود القصة تعريف منكري البعث قدرة الله تعالى على احياء خلقه

بعد

اما انهم لا نعرف اسم ذلك المار على القرية فجائز ان يكون ذلك المار هو عزير
وجائز ان يكون ارميا وفي هذه القصة دلالة عظيمة لنبوة نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم لانه اخبر اليهود بما يجدونه في كتبهم ويعرفونه وهو لم يقرا
الكتب القديمة واختلفوا في تلك القرية فقيل هي بيت المقدس وذلك ان
لما خربها بخت نصر وقيل المراد بالاحياء هو عمارتها وقيل هي القرية التي اهلك
الله اهلها الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وقيل هي دير سابر اباد
وقيل هي سلماباذ وقيل هي دير هرقل وقيل هي قرية العنب وهي على فرسخين من
بيت المقدس وهي خاوية على عروشها اي ساقطة على سقوفها وذلك
ان السقوف سقطت اولا ثم وقعت الحيطان عليها بعد ذلك قال يعني ذلك
المار انى يحيي هذه الله بعد موتها فمن قال ان ذلك المار كان كافرا
وهو ضعيف انما حمله على الشك في قدرة الله تعالى ومن قال كان نبيا حمله على
سبيل الاستبعاد بحسب مجاري العرف والعادة لا على سبيل الانكار لقدرة
الله تعالى او كان المقصود منه طلب زيادة الدلالة لاجل التاكيد كما قال
ابراهيم عليه السلام ارني كيف تحيي الموتى ومعنى انى يحيي هذه الله متى
يحيي هذه القرية والمراد بالاحياء عمارتها فاحب الله ان يريه آية في نفسه
وفي احياء تلك القرية **وكان سبب القصة** في ذلك ما روي عن
وهب بن منبه ان الله تعالى بعث ارميا الى ناشية بن اموص ملك بني اسرائيل
ليسدده وياتيه بالخبر من الله تعالى فعظمت الاحداث في بني اسرائيل وركبوا
المعاصي فاوحى الله تعالى الى ارميا ان ذكر قومك نعمي عليهم وعرفهم احداثهم
وادعهم الي فقال ارميا يا رب اني ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني
مخذول ان لم تنصرني فقال الله تعالى اني ألهمك فقام ارميا فيهم ولم يدر
ما يقول فالهمه الله تعالى في الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها
ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله عز وجل واني حلفت
بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم ولاسلطن عليهم جبارا
قاسيا البسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد
الليل المظلم ثم اوحى الله تعالى الى ارميا اني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث
هم اهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارميا ذلك صاح وبكى وشق
ثيابه ونبذ الرماد على راسه فلما راى الله تعالى تضرعه وبكاءه ناداه
يا ارميا اشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم يا رب اهلكني قبل ان ارى
في بني اسرائيل ما لا اسر به فقال الله عز وجل وعزتي وجلالي لا اهلك
بني اسرائيل حتى يكون الامر في ذلك من قبلك ففرح ارميا بذلك
وطابت نفسه وقال لا والذي بعث موسى بالحق لا ارضى بهلاك بني اسرائيل
ثم اتى الملك فاخبره بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال
ان يعذبنا ربنا فبذنوبنا وان يعف عنا فبرحمته ثم انهم مكثوا بعد ذلك الوحي
ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتماديا في الشر فقل الوحي وذلك
حين اقترب هلاكهم فدعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله
عليهم بخت نصر البابلي فخرج في ستمائة الف راية يريد اهل بيت المقدس

فلما فصل بنا يراوا الى الخبر الى ملكهم من اسرائيل قال لارميا اين ما زعمت ان الله اوحى
اليك فقال ارميا ان الله لا يخلف الميعاد وانا به واثق فلما قرب الاجل بعث الله تعالى
الى ارميا ملكا قد تمثل له في صورة رجل من بني اسرائيل فقال له ارميا من انت قال
انا رجل من بني اسرائيل اتيتك استفتيك في اهل رحمي وصلت ارحامهم ولم آت اليهم الا
حسنا ولا يزيدهم اكرامي اياهم الا اسخاطا لي فافتني فيهم فقال له ارميا احسن
فيما بينك وبين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث اياما ثم اقبل اليه
في صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له ارميا من انت قال انا الذي اتيتك
استفتيك في شان اهلي فقال له ارميا اما ظهرت اخلاقهم بعد ذلك فيهم فقال
يا نبي الله والذي بعثك بالحق ما اعلم كرامة يأتيها احد من الناس الى رحمه الا قدمتها
اليهم وافضل فقال له ارميا ارجع اليهم واحسن اليهم اسال الله الذي يصلح عباده
الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فمكث اياما ثم ان بخت نصر نزل بجنوده بيت
المقدس فتوقع منهم بنو اسرائيل فقال ملكهم لارميا يا نبي الله اين ما وعدك الله
تعالى فقال اني بربي واثق ثم اقبل ذلك الملك الى ارميا وهو قاعد على جدار بيت
المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه فقال له ارميا
لن لهم ان ينتهوا عن الذي هم فيه فقال الملك يا نبي الله كل شيء كان يصيبني
منهم قبل اليوم كنت اصبر عليه واليوم رايتهم على عمل لا يرضي الله تعالى فدعا
ارميا عليهم اي عمل رايتهم قال على عظيم يسخط الله تعالى فغضبت لله عز وجل
فاتيتك لاخبرك واني اسالك بالله الذي بعثك بالحق ان تدعو الله عليهم ليهلكوا
فقال ارميا يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فابقهم وان
كانوا على عمل لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت الكلمة من فيه حتى ارسل الله عز وجل
صاعقة من السماء على بيت المقدس فالتهب مكان القربان واحرقت سبعة ابواب
من ابوابه فلما راى ذلك ارميا صاح وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه وقال
يا ملك السموات والارض اين ميعادك الذي وعدتني به فنودي انه لم يصبهم
ما اصابهم الا بفتياك ودعائك عليهم فاستيقن ارميا انها فتياه وان ذلك
السائل كان رسولا من الله اليه فخرج ارميا حتى خالط الوحوش ودخل
بخت نصر وجنوده بيت المقدس ووطئ الشام وقتل بني اسرائيل حتى افناهم
وخرب بيت المقدس وامر جنوده ان يملا كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه في
بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملوه ثم امرهم ان يجمعوا من كان في بلدان
بيت المقدس فاجتمع عنده من كان في بني اسرائيل من صغير وكبير فاختار
منهم سبعين الف صبي فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب كل رجل
منهم اربعة غلمة وكان في اولئك الغلمان دانيال عليه السلام وحنانيا وعزير
وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلاث فرق فثلثا قتلهم وثلثا سباهم وثلثا
اقرهم بالشام وكانت هذه الوقعة الاولى التي انزلها الله ببني اسرائيل بظلمهم
فلما ولى بخت نصر راجعا الى بابل ومعه سبايا بني اسرائيل اقبل ارميا
على حمار له ومعه عصير عنب وركوة وسلة تين حتى غشي ايليا وهي ارض بيت
المقدس فلما راى خرابها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها ومن قال ان المار كان عزير
قال ان بخت نصر لما خرب بيت المقدس واقدم بسبي بني اسرائيل وكان فيهم

عزير

عزير ودانيال وسبعة الاف من اهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على
حمار حتى نزل دير هرقل على شط دجلة فطاف في القرية فلم ير احدا وعامة شجرها
حامل فاكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة
وفضل العصير في زق لما راى القرية وهلاك اهلها قال انى يحيي هذه الله بعد
موتها وانما قال ذلك تعجبا لا شكا في البعث ورجعنا الى الحديث وهب قال ثم ان ارميا
ربط حماره بحبل جديد والقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح
مائة عام وامات حماره وبقي عصيره وتينه عنده واعمى الله عنه العيون فلم
يره احد وذلك ضحى ومنع لحمه من السباع والطير فلما مضى من وقت موته مدة
سبعين سنة ارسل الله تعالى ملكا الى ملك من ملوك فارس يقال له نوشك فقال
له ان الله يامرك ان تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس وايليا حتى يعود اعمر ما كان
فانتدب الملك في الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة الف عامل وجعلوا يعمرونها
واهلك الله بخت نصر ببعوضة دخلت دماغه ونجا الله من بقي من بني اسرائيل وردهم
جميعا الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا كاحسن ما كانوا
فلما مضت المائة احيا الله عينيه وسائر جسده ميت ثم احيا الله جسده
وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه تلوح بيض متفرقة فسمع صوتا
من السماء ايتها العظام البالية ان الله يامرك ان تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض
ثم نودي ان الله يامرك ان تكتسي لحما وجلدا فكان كذلك ثم نودي ان الله يامرك
ان تحيي فقام الحمار باذن الله ثم نهق وعمر الله ارميا فهو الذي يرى في الفلوات
فذلك قوله تعالى **فاماته الله مائة عام** اصل العام من العوم وهو السباحة
سميت السنة عاما لان الشمس تعوم في بروجها **ثم بعثه** اي ثم احياه واصله من بعث
الناقة اذا اقمتها من مكانها **قال كم لبثت** يعني قال الله له كم قدر الزمان الذي
مكثت فيه ميتا وقيل ان الهاتف من السماء قال له ذلك وقيل ان الله تعالى لما احياه بعث
اليه ملكا فسأله كم لبثت قال يعني ذلك المبعوث بعد ما انه لبث يوما وذلك
ان الله تعالى اماته ضحى في اول النهار واحياه بعد مائة سنة في آخر النهار قبل
ان تغيب الشمس **فقال لبثت يوما** وهو يرى ان الشمس قد غابت ثم التفت فراى بقية
من الشمس فقال **او بعض يوم قال** يعني قال الله له وقيل قال له الملك **بل لبثت**
مائة عام فانظر الى طعامك يعني التين الذي كان معه قبل موته **وشرابك**
يعني ذلك العصير **لم يتسنه** يعني لم تغيره السنون التي اتت عليه فكان التين
كانه قد قطف من ساعته والعصير كانه قد عصر من ساعته لم يتغير ولم ينتن
وانظر الى حمارك يعني انظر الى احياء حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض فركب الله
تعالى العظام بعضها على بعض ثم كساه اللحم والجلد واحياه وهو ينظر **ولنجعلك**
آية للناس قيل الواو زائدة مقحمة وقيل دخول الواو فيه دلالة على انها شرط لفعل
بعدها والمعنى وفعلنا ما فعلنا من الاماتة والاحياء لنجعلك آية للناس يعني عبرة
ودلالة على البعث بعد الموت قال اكثر المفسرين وقيل انه عاد الى قريته وهو شاب
اسود الراس واللحية واولاده واولاد اولاده شيوخ وعجائز شمط فكان ذلك آية
للناس **وانظر الى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما** قرئ بالزاي ومعناه
كيف نحييها يقال انشر الله الميت انشارا يعني احياه وقرئ بالراء ومعناه كيف نرفعها

من الارض ويردها الى اماكنها من الجسد ويركب بعضها على بعض والانشاز الرفع وانشز عامه قال ننشزها فنشراه رفعته والنشر النفخ واختلفوا في معنى الاية فقال الاكثرون انه اراد عظام الحمار ويحتمل ان الله تعالى لما احيا عزيرا او ارميا على اختلاف القولين فيه ثم قال انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه فنظر وبعث الله ريحا فجاءت بعظام الحمار من كل سهل وجبل فاجتمعت فركب بعضها على بعض حتى الكسرة من العظم رجعت الى موضعها فقام حمارا من عظام ليس عليه لحم ولا فيه دم ثم كسا الله تلك العظام اللحم والعروق والدم فصار حمارا ذا لحم ودم لا روح فيه ثم بعث الله ملكا فاقبل اليه يمشي حتى اخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه الروح فقام الحمار حيا باذن الله تعالى ثم اماته ثم بعثه ولم يمت حماره ثم قيل له انظر الى حمارك فنظر فراى حماره حيا قائما كهيئته يوم ربطه لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الرمة في عنقه جديدة لم تتغير ثم قيل له انظر الى العظام وذلك ان الله لما احيا منه عينيه فنظر فراى سائر جسده ميتا وفي الاية تقديم وتاخير تقديره وانظر الى حمارك وانظر الى العظام كيف ننشزها ولنجعلك اية للناس **وعن** ابن عباس وغيره من المفسرين لما احيا الله عزيرا بعد ما اماته مائة سنة ركب حماره حتى اتى محلته فانكره الناس وانكرهم وانكر منازله فانطلق على وهم حتى اتى منزله فاذا بعجوز عمياء مقعدة قد اتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت امة لهم وكان خرج عزير عنهم كانت بنت عشرين سنة وكانت قد عرفته وعقلته فقال لها عزير يا هذه هذا منزل عزير فقالت نعم وبكت وقالت ما رايت احدا يذكر عزيرا منذ كذا وكذا فقال انا عزير فقالت سبحان الله ان عزيرا فقدناه من مائة سنة ولم نسمع له بذكر فقال لها عزير ان الله اماتني مائة سنة ثم احياني قالت ان عزيرا كان رجلا مجاب الدعوة وكان يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية فادع الله ان يرد علي بصري حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح بيده على عينيها فصحتا فاخذ بيدها وقال لها قومي باذن الله فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت اليه وقالت اشهد انك انت عزير وانطلقت الى بني اسرائيل وهم في انديتهم ومجالسهم وابن لعزير شيخ ابن مائة سنة وثماني عشرة سنة وبنو بنيه شيوخ فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انا فلانة مولاتكم قد دعا لي عزير ربه فرد على بصري واطلق رجلي وزعم ان الله كان اماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس اليه وقال ابنه كان لابي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فنظروا اليها فراها فعرفوا انه عزير وقيل لما رجع عزير الى قريته وقد احرق بختنصر التوراة ولم يكن من الله عهد بين الخلائق بكى عزير على التوراة فاتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك الماء فمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني اسرائيل وقد علمه الله التوراة وبعثه نبيا فقال انا عزير فلم يصدقوه فقال اني عزير قد بعثني الله اليكم لاجدد لكم توراتكم قالوا فاملها علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه فقالوا ما جعل الله التوراة في قلب رجل بعد ما ذهبت الا انه ابنه فقالوا عزير ابن الله وسياتي القصة في سورة التوبة ان شاء الله تعالى وقوله تعالى فلما تبين له يعني فلما اتضح

يعني وقيل اراد بالعظام عظام هذا الرجل نفسه وذلك ان الله تعالى صح

لا عيانا فاما كان ينكره من احياء القرية وراه عيانا في نفسه **قال اعلم ان الله على كل شيء قدير** قرئ بجزم الميم موصولا على الامر يعني قال الله له اعلم وقرئ اعلم على قطع الالف ورفع الميم على الخبر عن العزيز قال انا يعني هذا اسم المعنى فلما تبين له وراى ذلك عيانا قال اعلم ان الله على كل شيء قدير يعني الاماتة والاحياء قوله عز وجل **واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى** اختلفوا في سبب هذا السؤال من ابراهيم عليه السلام فقيل انه مر على دابة ميتة وهي جيفة حمار وقيل بل كانت حوتا ميتة وقيل كان رجلا ميتا بساحل البحر وقيل بحر طبرية فراها وقد توزعتها دواب البر والبحر فاذا مد البحر جاءت الحيتان فاكلت منها واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت منها فاذا ذهبت السباع جاءت الطير فاكلت منها فلما راى ابراهيم ذلك تعجب منها وقال يا رب قد علمت انك لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطير واجواف دواب البحر فارني كيف تحييها لاعاين ذلك فازداد يقينا فعاتبه الله تعالى في **قال اولم تؤمن** يعني الم تصدق **قال بلى** يا رب قد علمت وامنت **ولكن ليطمئن قلبي** اي ليسكن قلبي عند المعاينة اراد ابراهيم عليه السلام ان يصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس كالمعاينة وقيل لما راى الجيفة على البحر وقد تناولتها السباع والطير ودواب البحر تفكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة ميت يحييه ربه ولم يكن ابراهيم عليه السلام شاكا في احياء الله الموتى ولا دافعا له ولكنه احب ان يرى ذلك عيانا كما ان المؤمنين يحبون ان يروا نبيهم محمدا صلى الله عليه وسلم ويحبون رؤية الله تعالى والجنة ويطلبونه ويسالونه في دعائهم مع الايمان الصحيح بذلك وزوال الشك عنهم فكذلك احب ابراهيم ان يصير الخبر له عيانا **وقيل** كان سبب هذا السؤال من ابراهيم انه لما احتج على نمرود فقال له ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود انا احيي واميت فقتل الرجلين واطلق الاخر فقال له ابراهيم ان الله تعالى يقصد الى جسد ميت فيحييه فقال له نمرود انت عاينته فلم يقدر ابراهيم ان يقول نعم فانتقل الى حجة اخرى ثم سال ربه ان يريه كيف يحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي بقوة حجتي فاذا قيل انت عاينته فاقول نعم وقال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابراهيم خليلا سال ملك الموت ربه ان ياذن له ان يبشر ابراهيم بذلك فاذن له فاتى ابراهيم ولم يكن في الدار فدخل داره وكان ابراهيم من اغير الناس كان اذا خرج اغلق بابه فلما جاء وجد في الدار رجلا فثار اليه لياخذه وقال من اذن لك ان تدخل داري فقال اذن لي رب هذه الدار فقال ابراهيم صدقت وعرف انه ملك الموت فقال له من انت فقال انا ملك الموت جئت ابشرك ان الله قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل وقال ما علامة ذلك قال ان يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك فحينئذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي انك اتخذتني خليلا وتجيبني اذا دعوتك وتعطيني اذا سالتك **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن احق بالشك من ابراهيم اذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ويرحم الله لوطا لقد كان ياوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لاجبت

الداعي **القول على معنى الحديث** وما يتعلق به اختلف العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم
نحن احق بالشك من ابراهيم على اقوال كثيرة فاصحها واكثرها ما نقل المزني وغيره من العلماء
ان الشك مستحيل في حق ابراهيم فان الشك في احيا الموتى لو كان متطرقا الى الانبيا لكنت
انا احق به من ابراهيم وقد علمتم اني لم اشك فاعلموا ان ابراهيم لم يشك وانما خص ابراهيم
بالذكر لكون الاية قد سبق الى بعض الاذهان الفاسدة منها احتمال الشك فنفى ذلك
عنه وقال الخطابي ليس في قوله نحن احق بالشك من ابراهيم اعتراف بالشك على نفسه
ولا على ابراهيم لكن فيه نفي الشك عنهما يقول اذا لم اشك انا في قدرة الله على احيا الموتى
فابراهيم اولى بان لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله
لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لاجبت الداعي وفيه الاعلام بان المسالة من
ابراهيم لم تعرض من جهة الشك لكن من قبل زيادة العلم بالعيان يفيد من المعرفة
والطمانينة ما لا يفيد بالاستدلال وقيل لما نزلت هذه الاية قال قوم شك ابراهيم
ولم يشك نبينا صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك
من ابراهيم ومعناه ان هذا الذي تظنونه شكا انا اولى به فانه ليس بشك وانما هو
طلب لمزيد اليقين وانما رجح ابراهيم صلى الله عليه وسلم على نفسه صلى الله عليه وسلم
تواضعا منه وادبا او قبل ان يعلم انه صلى الله عليه وسلم خير ولد ادم ولما تعنيه الاية
فقوله تعالى واذ قال ابراهيم اي واذكر يا محمد اذ قال ابراهيم وقيل انه معطوف
على قوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه الم تر اذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي
الموتى قال يعني الله لابراهيم اولم تؤمن الالف في اولم الف استثبات وايجاب كقول جرير
الستم خير من ركب المطايا • اي الستم كذلك والمعنى اولست قد امنت وصدقت باني
احيي الموتى قال بلى قد امنت وصدقت ولكن ليطمئن قلبي يعني سالتك ذلك
ارادة طمانينة القلب وزيادة اليقين وقوة للحجة وقال ابن عباس معناه ولكن
لاري من اياتك واعلم انك قد اجبتني **قال فخذ اربعة من الطير**
قيل خذ طاووسا وديكا وحمامة وغرابا وقيل نسرا بدل الحمامة **فان قلت**
لم خص الطير من جملة الحيوانات بهذه الحالة **قلت** لان الطير صفته
الطيران في السما والارتفاع في الهوى فكانت همة ابراهيم عليه السلام كذلك وهو
العلو في الوصول الى الملكوت فكانت معجزته مشاكلة لهمته فان قلت لم خص
هذه الاربعة الاجناس من الطير بالاحيا قلت فيه اشارة ففي الطاووس اشارة الى
ما في الانسان من حب الزينة والجاه وفي النسر اشارة لشدة الشغف بالاكل وفي
الديك اشارة الى شدة الشغف بحب النكاح وفي الغراب اشارة الى شدة الحرص
ففي هذه الطيور مشابهة لما في الانسان من حب هذه الاوصاف وفيه اشارة الى
ان الانسان اذا ازكى هذه الشهوات الذميمة لحق باعلى الدرجات وفاز بنيل السعادات
فصرهن قرئ بكسر الصاد ومعناه فقطعهن ومزقهن وقرئ بضم الصاد
ومعناه املهن **اليك** ووجههن وقيل معناه اجمعهن واضممهن اليك ثم قطعهن فحذف
اكتفا بقوله **ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا** لانه يدل عليه قال المفسرون
امر الله تعالى ابراهيم صلى الله عليه وسلم ان يذبح تلك الطيور وينتف ريشها ولحومها
ودمها بعضه ببعض ففعل ثم امره ان يجعل على كل جبل منهن جزءا واختلفوا في عدد
الاجزاء والاجبال فقال ابن عباس امر ان يجعل كل طائر اربعة اجزاء ويجعلها على

اربعة اجبل على كل جبل ربعا من كل طائر وقيل جبل على جهة الشرق وجبل على جهة الغرب
وجبل على جهة الشمال وجبل على جهة الجنوب وقيل جزاه سبعة اجزاء ووضعها على سبع
اجبل وامسك رؤوسهن بيده ثم دعاهن فقال تعالين باذن الله تعالى فجعل كل قطرة
من دم طائر تطير الى القطرة الاخرى وكل ريشة تطير الى الريشة الاخرى وكل عظم
يطير الى العظم الاخر وكل بضعة تطير الى الاخرى وابراهيم ينظر حتى لقيت كل جثة
بعضها بعضا في السما بغير رؤوس ثم اقبلن سعيا الى رؤوسهن كلما جا طائر مال
براسه فان كان راسه دنا منه وان لم يكن تاخر عنه حتى التقى كل طائر براسه فذلك
قوله تعالى **ثم ادعهن ياتينك سعيا** وقيل المراد بالسعي الاسراع والعدو وقيل المشي
والحكمة في سعي الطيور اليه دون الطيران لان ذلك ابعد من الشبهة لانه لو طارت
لتوهم متوهم انها غير تلك الطير وان ارجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه الشبهة
بقوله ياتينك سعيا وقيل المراد بالسعي الطيران وفيه ضعف لانه لا يقال للطائر
اذا طار سعى وقيل السعي هو الحكمة الشديدة **واعلم ان الله عزيز** يعني انه تعالى
غالب على جميع الاشيا لا يعجزه شي **حكيم** يعني في جميع اموره قوله تعالى **مثل الذين ينفقون**
اموالهم في سبيل الله قيل اراد به الانفاق في الجهاد وقيل هو الانفاق في جميع ابواب
الخير ووجوه البر فيدخل فيه الواجب والتطوع وفيه اضمار تقديره مثل صدقات
الذين ينفقون اموالهم **كمثل حبة** اي كمثل زارع حبة **انبتت** يعني اخرجت تلك
الحبة **سبع سنابل** جمع سنبلة **في كل سنبلة مائة حبة** **فان قلت**
فهل رايت سنبلة فيها مائة حبة حتى يضرب بها المثل **قلت** ذلك غير
مستحيل وما لا يكون مستحيلا يضرب به المثل جائز وان لم يوجد والمعنى في كل سنبلة
مائة حبة ان جعل الله ذلك فيها وقيل هو موجود في الدخن وقيل ان المقصود من الاية
انه اذا علم الانسان الطالب للزيادة والربح انه اذا بذر حبة واحدة اخرجت له سبعمائة
حبة ما كان ينبغي له ترك ذلك ولا التقصير فيه فكذلك ينبغي لمن طلب الاجر عند الله
في الاخرة ان لا يترك الانفاق في سبيل الله اذا علم انه يحصل له بالواحدة عشرة ومائة
وسبعمائة **والله يضاعف لمن يشا** يعني انه تعالى يضاعف هذه المضاعفة لمن يشا
وقيل معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشا من سبع الى سبعين الى سبعمائة الى ما يشا
من الاضعاف مما لا يعلمه الا الله **والله واسع** اي غني يعطي عن سعة وقيل
واسع القدرة على المجازاة وعلى الجود والافضال **عليم** يعني بنية من ينفق في سبيله وقيل
عليم بمقادير الانفاق وبما يستحق المنفق من الجزاء والثواب عليه قوله عز وجل
الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله قيل نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف
اما عثمان فجهز المسلمين في غزوة تبوك بالف بعير باقتابها واحلاسها فنزلت هذه
الاية وقال عبد الرحمن بن سمرة جا عثمان بالف دينار في جيش العسرة فصبها في حجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته يدخل يده فيها ويقلبها ويقول ما ضر عثمان ما عمل
بعد اليوم فانزل الله الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله واما عبد الرحمن فجا باربعة
الاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كان عندي ثمانية الاف
فامسكت لنفسي ولعيالي اربعة الاف واربعة الاف اقرضتها لربي عز وجل فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت ومعنى الذين ينفقون
المجاهدين في سبيل الله بالانفاق عليهم في حوائجهم ومؤنتهم **ثم لا يتبعون ما انفقوا**

منا ولا اذى اي يتبع نفقته التي انفقها عليهم بالمن والاذى وهو ان يمن عليه بعطايه فيقول قد اعطيتك كذا وكذا ويعدد نعمه عليه فيكدرها عليه والاذى هو ان يعيره فيقول كم تسال وانت فقير ابدا وقد بليت بك واراحني الله منك وامثال ذلك والمن في اللغة الانعام والمنة النعمة الثقيلة يقال من فلان على فلان اذا اثقله بالنعمة ويكون ذلك القول الصادر وهو كقول الشاعر

فمن علينا بالسلام فانما ٭ كلامك ياقوت ودر منظم

ومن المن بالقول ما هو مستقبح بين الناس مثل ان يمن على الناس بما اعطاه قال عبد الرحمن بن زيد كان ابي يقول اذا اعطيت رجلا شيئا ورايت ان سلامك يثقل عليه فلا تسلم عليه والعرب تمدح بترك المن وكتم النعمة وتذم على اظهاره والمن به قال قايلهم في المدح بترك المن

زاد معروفك عندي عظما ٭ انه عندك مستور حقير

تتناساه كان لم تاته ٭ وهو في العالم مشهور كبير

وقال قايلهم يذم المنان بالعطا

انت قليلا ثم اسرعت منة ٭ فنيلك ممنون بذاك قليل

واما الاذى فهو ما يصل الى الانسان من ضرر بقول او فعل اذا عرفت هذا فنقول المن هو اظهار المعروف الى الناس والمن عليهم به والاذى هو ان يشكو منهم بسبب ما اعطاهم فحرم الله تعالى على عباده المن بالمعروف والاذى فيه وذم فاعله

فان قلت قد وصف الله تعالى نفسه بالمنان فما الفرق **قلت** المنان في صفة الله تعالى معناه المتفضل فمن الله انما هو على عباده واحسانه اليهم بجميع ما هم فيه منة منه سبحانه وتعالى ومن العباد تعيير وتكدير فظهر الفرق بينهما وقوله تعالى لهم اجرهم يعني ثوابهم عند ربهم يعني في الاخرة ولا خوف عليهم يعني يوم القيمة ولا هم يحزنون يعني على ما خلفوا من الدنيا قول معروف اي كلام حسن ورد جميل على الفقير السايل وقيل عدة حسنة تعده بها وقيل دعا صالح يدعو له بظهر الغيب ومغفرة اي يستر عليه خلته وفقره ولا يهتك ستره وقيل هو ان يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه حال رده خير من صدقة يعني هذا القول المعروف والمغفرة خير من الصدقة التي يتبعها الى الفقير يتبعها اذى وهو ان يعطي الفقير الصدقة ويمن عليه بها ويعيره بقوله او يوذيه بفعل والله غني اي مستغن عن صدقة العباد والغني الكامل الغنى الذي لا يحتاج الى احد وليس كذلك الا الله تعالى حليم يعني انه تعالى حليم لا يعجل بالعقوبة على من يمن على عباده ويوذي بصدقته قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم يعني اجور صدقاتكم بالمن والاذى يعني على السايل الفقير وقال ابن عباس بالمن على الله والاذى لصاحبها ثم ضرب الله لذلك مثلا فقال تعالى كالذي اي كابطال الذي ينفق ماله رياء الناس اي مراياة لهم وسمعة ليروا نفقته ويقولوا انه سخي كريم ولا يومن بالله واليوم الاخر يعني ان الريا يبطل الصدقة فلا تكون النفقة مع الريا من فعل المومنين لكن من فعل المنافقين لان الكافر معلن بكفره غير مراي به فمثله اي مثل هذا المراي بصدقته ونفقته كمثل صفوان هو الحجر الاملس الصلب وهو واحد وجمع فمن جعله واحدا قال جمعه صفي عليه تراب

اي

اي على الصفوان تراب فاصابه وابل يعني المطر الشديد العظيم القطر فتركه صلدا يعني ترك المطر ذلك الصفوان صلدا اي املس لا شي عليه من ذلك التراب فهذا مثل ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرايي والمومن المان بصدقته ويوذي الناس يرى الناس ان لهولا اعمالا في الظاهر كما يرى التراب على هذا الصفوان فاذا جا المطر اذهبه وازاله وكذلك جا لهولا يوم القيمة تبطل اعمالهم وتضمحل لانها لم تكن لله تعالى كما اذهب الوابل ما على الصفوان من التراب لا يقدرون على شي مما كسبوا اي لا يقدرون على ثواب شي مما عملوا في الدنيا والله لا يهدي القوم الكافرين يعني الذين سبق في علمه انهم يموتون على الكفر روى البغوي بسنده عن محمود بن لبيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الريا يقول الله لهم يوم يجازي العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزا م عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركا عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه قوله عز وجل ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغا مرضات الله اي طلب رضا الله وتثبيتا من انفسهم يعني من الانفاق في طاعة الله وتصديق بثوابه وقيل معناه ان انفسهم موقنة مصدقة بوعد الله اياها بما انفقته وقيل يتصدقون يقينا واحتسابا وقيل المعنى انهم يخرجون زكاة اموالهم ويتصدقون باموالهم في ساير وجوه البر والطاعات طيبة انفسهم بما ينفقوا على يقين بثواب الله وتصديق بوعده يعلمون ان ما انفقوا خير لهم مما تركوا وقيل معناه على يقين باخلاف الله عليهم وقيل معناه اي يتثبتون في المواضع الذي يضعون فيه صدقاتهم قيل كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كان لله خالصة امضاها وان خالطه شك او ريا امسك كمثل جنة اي بستان قال العلما اذا كان في البستان نخل فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس بربوة هي المكان المرتفع عن الارض المستوي وانما ارتفع من الارض عن مسيل الما والاودية كان ثمرها احسن وازكا اذا كان لها من الما ما يرويها وقيل هي الارض المستوية الجيدة الطيبة اذا اصابها المطر انتفخت وربت فاذا كانت الارض بهذه الصفة كثر ريعها وحملت اشجارها اصابها وابل وهو المطر الكثير الشديد وقال بعضهم

ما روضة من رياض الحزن معشبة ٭ خضرا جاد عليها وابل هطل

اراد بالحزن ما غلظ وارتفع من الارض فاتت اكلها ضعفين اي فاعطت ثمرتها مثلين قيل انها حملت في سنة من الريع ما تحمل غيرها في سنتين وقيل اضعفت فحملت في السنة مرتين فان لم يصبها وابل فطل اي طش وهو المطر الخفيف الضعيف والمعنى ان لم يكن اصابها وابل واصابها طل فتلك حال هذه الجنة في نفقتها عند ربها فانها لا تنقص بالطل عن مقدار ثمرها بالوابل وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المومن المخلص في انفاقه وساير اعماله يقول الله تعالى كما ان هذه الجنة تريع وتزكو في كل حال ولا تخلف سوا كان المطر قليلا او كثيرا فكذلك يضعف الله صدقة المومن المخلص في صدقته وانفاقه الذي لا يمن ولا يوذي سوا قلت نفقته او كثرت والله بما تعملون بصير يعني انه تعالى لا يخفى عليه نفقة المخلص في صدقته الذي لا يمن بها

يا

ولا يؤذي والذي يمن بصدقته ويؤذي قوله تعالى **أيود أحدكم أن تكون له جنة من
نخيل وأعناب** هذه متصلة بما قبلها وهو قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى
أيود يعني أيحب أحدكم أن تكون له جنة أي بستان من نخيل وأعناب إنما خصهما بالذكر لأنهما
أشرف الفواكه وأحسنها ولما فيهما من الغذاء والتفكه **تجري من تحتها الأنهار** يعني
أن جري الأنهار دونها من تمام حسنها وسببا لزيادة ثمرتها **له فيها من كل الثمرات**
لأن ذلك من تمام كمال البستان وحسنه **وأصابه الكبر** يعني لصاحب هذه الجنة
وكثرت جهات حاجاته ولو لم يكن له كسب غير هذه فيكون في غاية الاحتياج إلى تلك
الجنة **فإن قلت** كيف عطف وأصابه الكبر على أيود وكيف يجوز عطف الماضي
على المستقبل **قلت** فيه وجهان أحدهما أن يكون له جنة حال ما أصابه
الكبر والوجه الثاني أنه عطف على المعنى فكأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة
وأصابه الكبر **وله ذرية ضعفاء** يعني أولادا صغارا عاجزة عن الحركة بسبب
الضعف والصغر **فأصابها** يعني أصاب تلك الجنة **إعصار فيه نار** الإعصار
ريح ترتفع إلى السماء وتستدير كأنها عمود وهذا مثل ضربه الله تعالى لعمل المنافق
والمرائي يقول مثل عمل المنافق والمرائي بعمله في حسنه كحسن جنة ينتفع بها صاحبها
فلما كبر وضعف وصار له أولاد ضعاف أصاب جنته إعصار فيه نار
فأحرقها وهو أحوج ما يكون إليها فحصل في قلبه من الغم والحسرة ما لا يعلمه
إلا الله لكبره وضعفه وضعف أولاده فهو لا يجد ما يعود به على أولاده وهم
لا يجدون ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة لا حيلة بأيديهم
فكذا حال من أتى يوم القيامة بأعمال حسنة فلم يقصد بها وجه الله تعالى بل
فيبطلها الله تعالى وهو في غاية الحاجة حين لا مستعتب له ولا توبة وعن
عبيد بن عمير قال عمر يوما لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيمن ترون نزلت
هذه الآية أيود أحدكم قالوا الله أعلم فغضب عمر وقال قولوا نعلم أو لا نعلم
فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين فقال عمر قل يا ابن أخي ولا تحقر
نفسك فقال ضرب الله مثلا لعمل قال لأي عمل قال لرجل غني يعمل بطاعة الله
ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله كلها **كذلك يبين الله لكم
الآيات** يعني كما بين لكم الله تعالى أمر الصدقة المقبولة وغير المقبولة كذلك
يبين الله لكم سائر الآيات سوى ذلك **لعلكم تتفكرون** أي تتعظون وقال
ابن عباس لعلكم تتفكرون في زوال الدنيا وإقبال الآخرة قوله تعالى **يا أيها
الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم** أي من خيار ما كسبتم وجياده وقيل
من حلاله يعني ما كسبتم بالتجارة والصناعة وفيه دليل على إباحة الكسب وأنه ينقسم
إلى طيب وخبيث (خ) عن خولة الأنصارية قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول إن هذا المال خضر حلو من أصابه بحقه بورك له فيه ورب متخوض فيما شاءت
نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة إلا النار أخرجه الترمذي المتخوض
الذي يأخذ المال من غير وجهه كما يخوض الإنسان في الماء بما لا يعنيه وعن أبي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لا يبالي المرء
ما أخذ منه أمن حلال أم من حرام (خ) عن المقدام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل

يده عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أطيب ما أكلتم من كسبكم
وإن أولادكم من كسبكم أخرجه الترمذي والنسائي واختلفوا في المراد بقوله تعالى
أنفقوا فقيل المراد به الزكاة المفروضة لأن الأمر للوجوب والزكاة واجبة فوجب صرف
الآية إليها وقيل المراد به صدقة التطوع وقيل إنه يتناول النفل والفرض جميعا لأن
المفهوم من هذا الأمر ترجيح جانب الفعل على الترك وهذا المفهوم قدر مشترك بين
الفرض والنفل فوجب أن يدخل تحت هذا الأمر فعلى القول الأول إن المراد من هذا
الإنفاق هو الزكاة فيتفرع عليه مسائل المسألة الأولى ظاهر الآية يدل على
وجوب الزكاة في كل مال يكتسبه الإنسان فيدخل فيه زكاة الذهب والفضة
والنعم وعروض التجارة لأن ذلك يوصف بأنه مكتسب وذهب جمهور العلماء إلى
وجوب الزكاة في مال التجارة وقال داود الظاهري لا تجب الزكاة بحكم التجارة
في العروض إلا أن ينوي بها التجارة في حال تملكه ودليل الجمهور ما روي عن سمرة
بن جندب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بإخراج الصدقة
من الذي نعد للبيع أخرجه أبو داود وعن أبي عمرو بن حماس أن أباه قال مررت
بعمر بن الخطاب وعلى عنقي أدمة أحملها فقال عمر ألا تؤدي زكاتك يا
حماس فقلت ما لي غير هذا وأهب في القرظ قال ذاك مال فضع فوضعتها فحسبها
فأخذ منها الزكاة فإذا حال الحول على عروض التجارة قومت فإن بلغت قيمتها عشرين
دينارا أو مائتي درهم أخرج منه ربع العشر المسألة الثانية في قوله **ومما أخرجنا
لكم من الأرض** ظاهر الآية يدل على وجوب الزكاة في كل ما خرج من الأرض
من النبات مما يزرعه الآدميون لكن جمهور العلماء خصصوا هذا العموم فأوجبوا
الزكاة في النخيل والكروم وفيما يقتات ويدخر من الحبوب وأوجب أبو حنيفة
الزكاة في كل ما يقصد من نبات الأرض كالفواكه والبقول والخضراوات كالبطيخ
والقثاء والخيار ونحو ذلك ودليل الجمهور ما روي عن معاذ أنه كتب إلى النبي صلى
الله عليه وسلم يسأله عن الخضراوات وهي البقول فقال ليس فيها شيء أخرجه
الترمذي وقال هذا الحديث ليس بصحيح وليس يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم
في هذا الباب شيء وإنما يروى هذا عن موسى بن طلحة عن النبي صلى الله عليه وسلم
مرسلا والعمل على هذا عند أهل العلم أنه ليس في الخضراوات صدقة **قلت**
وحديث موسى بن طلحة أخرجه الشيخ مجد الدين أبو البركات عبد السلام بن عبد الله
ابن تيمية الحراني في أحكامه عن عطاء بن السائب قال أراد عبد الله بن المغيرة
أن يأخذ من أرض موسى بن طلحة من الخضراوات صدقة فقال له موسى بن طلحة
ليس لك ذلك إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ليس في ذلك صدقة
رواه الأثرم في سننه وهو من أقوى المراسيل لاحتجاج من أرسله به وقال الزهري
والأوزاعي ومالك تجب الزكاة في الزيتون وتجب الزكاة في الثمار عند بدو
الصلاح وهو أن يحمر أو يصفر ووقت الإخراج بعد الاجتناء والجفاف وفي
الحبوب عند الاستواء ووقت الإخراج بعد الدياس والتصفية المسألة الثالثة
يجب إخراج العشر فيما سقي بالمطر والأنهار والعيون ونصف العشر فيما
سقي بنضح أو سانية ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال فيما سقت السماء والعيون أو كان عثريا العشر وما سقي بالنضح نصف العشر

اخرجه البخاري ولابي داود والنسائي قال فيما سقت السما والانهار والعيون او كان
بعلا العشر وما سقي بالسواني او النضح نصف العشر قال ابو داود البعل ما شرب
بعروقه ولم يتعن في سقيه وقال وكيع هو الذي ينبت من ما السما قوله او
كان عثريا اراد به الذي يشرب من الزرع وهو البعل وقد فسره وفي لفظ الحديث
والنضح هو السانية وكذلك السانية وهي الدابة التي يستقي عليها سوا كانت
من الابل او البقر ولا يجب العشر في الثمار والزروع حتى يبلغ خمسة اوسق والوسق
ستون صاعا وقال ابو حنيفة يجب العشر في كل قليل او كثير من الثمار والزروع
واحتج الجمهور في ايجاب النصاب بما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس فيما دون خمسة اوسق صدقة ولا فيما
دون خمس اواق ولا فيما دون خمس ذود صدقة وفي رواية ليس فيما دون خمسة
اوساق من تمر ولا حب صدقة اخرجاه في الصحيحين وممن قال ان المراد بقوله
تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما اخرجنا لكم من الارض صدقة التطوع احتج
بما روي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يغرس
غرسا او يزرع زرعا فياكل منه طير او انسان او بهيمة الا كان له به صدقة اخرجاه في الصحيحين
وقوله تعالى **ولا تيمموا الخبيث** اي ولا تقصدوا الخبيث الردي من اموالكم التي
منه تنفقون اي من الخبيث عن البراء بن عازب رضي الله عنه في قوله ولا تيمموا الخبيث
منه تنفقون قال نزلت فينا معشر الانصار كنا اصحاب نخل فكان الرجل ياتي من نخله
على قدر كثرته وقلته وكان الرجل ياتي بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد وكان
اهل الصفة ليس لهم طعام فكان احدهم اذا جاع اتى القنو فضربه بعصاه فيسقط
البسر والتمر فياكل وكان ناس ممن لا يرغب في الخير ياتي بالقنو فيه الشيص والحشف
وبالقنو قد انكسر فيعلقه فانزل الله تبارك وتعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون
ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه قال لو ان احدكم اهدي اليه مثل ما اعطى
لم ياخذه الا على اغماض وحيا قال فكنا بعد ذلك ياتي احدنا بصالح ما عنده اخرجه
الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح غريب وقيل كانوا يتصدقون بشرار
ثمارهم ورذالة اموالهم ويعزلون الجيد ناحية لانفسهم فانزل الله ولا تيمموا الخبيث
يعني الردي منه تنفقون يعني تتصدقون ولستم باخذيه يعني ذلك الشي الخبيث
الردي الا ان تغمضوا فيه اصل الاغماض في اللغة غض البصر واطباق الجفن
والمراد به هنا التجويز والمساهلة وذلك ان الانسان اذا راي ما يكره غمض
عينيه لئلا يري ذلك وقال ابن عباس معناه لو ان لاحدكم على رجل حقا فجاءه
بهذا لم ياخذه الا وهو يري انه قد اغمض عن حقه وتركه وقال البرا لو اهدي ذلك
ما اخذتموه الا على استحيا من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لي ما لا ترضون
لانفسكم اذا كان المال كله جيدا فليس له اعطا الردي لان اهل السهمان شركا
له فيما عنده وان كان كله رديا فلا باس باعطا الردي **واعلموا ان الله غني**
عن صدقاتكم يعني لم يامركم بالتصدق لعوز واحتياج اليها **حميد** اي محمود
في افعاله وقيل حميد بمعنى حامد اي يحمدكم على ما تفعلونه من الخير قوله عز وجل
الشيطان يعدكم الفقر اي يخوفكم بالفقر يقال وعدته خيرا واوعدته
شرا واذا لم يذكر الخير والشر قلت في الخير وعدته وفي الشر اوعدته والفقر

سوء الحال وقلة ذات اليد واصله من كسر فقار الظهر ومعنى الاية ان الشيطان
يخوفكم بالفقر فيقال للرجل امسك عليك مالك فانك اذا تصدقت افتقرت
ويامركم بالفحشاء يعني يوسوس لكم ويحسن لكم البخل ومنع الزكاة والصدقة قال
الكلبي كل فحشا في القران فهو الزنا الا هذا الموضع وفي هذه الاية لطيفة وهي ان
الشيطان يخوف الرجل اولا بالفقر ثم يتوصل بهذا التخويف الى ان يامره بالفحشا
وهي البخل وذلك لان البخل صفة مذمومة عند كل احد فلا يستطيع
الشيطان ان يحسن له البخل الا بتلك المقدمة وهي التخويف من الفقر فلهذا
قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر **ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة**
منه يعني مغفرة لذنوبكم وسترا لكم **وفضلا** يعني رزقا وخلفا فالمغفرة
اشارة الى منافع الاخرة والفضل اشارة الى منافع الدنيا وما يحصل من الرزق
والخلف عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر
وتكذيب بالحق واما لمة الملك فايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك
فليعلم انه من الله تعالى فليحمد الله ومن وجد الاخرى فليتعوذ بالله من الشيطان
ثم قرا الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء اخرجه الترمذي وقال
هذا حديث حسن غريب قوله ان للشيطان لمة بابن ادم اللمة الخطرة
الواقعة من الالمام وهو القرب من الشي والمراد بها هنا الهمة التي تقع في
القلب من فعل خير او شر والعزم فاما لمة الشيطان فوسوسة واما لمة الملك
فالهام من الله تعالى **والله واسع** اي غني قادر على اغنائكم واخلاف ما تنفقونه
عليم بما تنفقونه لا يخفى عليه خافية **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ما من يوم يصبح فيه العباد الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم
اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا **ق** عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى انفق ينفق عليك وفي
رواية يد الله ملاى لا يغيضها نفقة سحا الليل والنهار وقال ارايتم ما انفق منذ
خلق السموات والارض فانه لم يغض ما في يده وفي رواية فانه لم ينقص ما في يمينه
وكان عرشه على الما وبيده الميزان يخفض ويرفع وفي رواية وبيده الاخرى الفيض
والقبض يرفع ويخفض **ق** عن اسما بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنه قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انفقي ولا تحصي فيحصي عليك ولا توعي فيوعي الله
عليك قوله ولا توعي اي لا تشحي فيشح عليك اي فيجازيك بالتقتير في رزقك
ولا يخلف عليك ولا يبارك لك والمعنى لا تجمعي وتمنعي بل انفقي ولا تعدي
ولا تحصي قوله تعالى **يؤتي الحكمة من يشا** قال ابن عباس هو علم القران ناسخه
ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وقال
الضحاك القران والفهم فيه وانما قال ذلك لتضمن القران الحكمة وقال في القران
مائة وتسع ايات ناسخة ومنسوخة والف اية حلال وحرام لا يسع المؤمنين تركهن
حتى يتعلموهن ولا تكونوا كاهل النهروان يعني الخوارج تاولوا ايات من
القران في اهل القبلة وانما نزلت في اهل الكتاب فجهلوا علمها فسفكوا
بها الدما وانتهبوا الاموال وشهدوا على اهل السنة بالضلالة فعليكم بعلم القران

فانه من علم فيما نزل لم يختلف في شيء منه وقيل هي القرآن والعلم والفقه وقيل
هي الإصابة في القول والفعل وحاصل هذه الأقوال إلى شيئين العلم والإصابة
فيه ومعرفة الأشياء بذواتها وأصل الحكمة المنع ومنه حكمة الدابة لأنها تمنعها
قال الشاعر أبني حنيفة أحكموا سفهاءكم ه أي امنعوا سفهاءكم وقال السدي
الحكمة النبوة لأن النبي يحكم بين الناس فهو حاكم وقيل الحكمة الورع في دين
الله لأن الورع يمنع صاحبه من أن يقع في الحرام وما لا يجوز له فعله ومن يؤت
الحكمة يعني ومن يؤته الله الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا مستكثر لتعظيم معناه
فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب أي وما يتعظ بآي وعظه
الله إلا ذووا العقول الذين عقلوا عن الله أمره ونهيه قوله عز وجل
وما أنفقتم من نفقة يعني فيما فرضه الله عليكم من إعطاء زكاة وغيرها
أو نذرتم من نذر يعني بما أوجبتموه على أنفسكم في طاعة الله تعالى ه
ووفيتم به والنذر أن يوجب الإنسان على نفسه شيئا ليس بواجب فيقال نذرت
لله نذرا وأصله من الخوف لأن الإنسان إنما يعقد على نفسه النذر من خوف
التقصير في الأمر المهم والنذر في الشرع على ضربين مفسر وغير مفسر فالمفسر
أن يقول لله علي صوم أو عتق أو صدقة فيلزمه الوفاء به ولا يجزيه غيره وغير
المفسر هو أن يقول نذرت لله لا أفعل كذا ثم يفعله أو يقول لله علي نذر
من غير تسمية شيء فيلزمه فيه كفارة يمين عن عائشة قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله
فلا يعصه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نذر نذرا لم
يسمه فكفارته كفارة يمين ومن نذر نذرا لا يطيقه فكفارته كفارة يمين
ومن نذر نذرا أطاقه فليف به أخرجه أبو داود عن عمران بن حصين قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نذر في معصية وفيما لا يملك ابن آدم
أخرجه النسائي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن النذر
وقال إنه لا يأتي بخير وإنما يستخرج به من البخيل عن أبي هريرة أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال إن النذر لا يغني من ابن آدم شيئا لم يكن الله قدره له
ولكن النذر يوافق القدر فيخرج بذلك من البخيل شيئا ما لم يكن البخيل
يريد أن يخرج قال بعض العلماء يحتمل أن يكون سبب النهي عن النذر كون
الناذر يصير ملتزما ما لا يأتي به تكلفا من غير نشاط ويكون سببه
كونه يأتي به على سبيل المعارضة عن الأمر الذي طلبه فينتقص أجره وشأن العبادة
أن تكون متمحضة لله تعالى وقال بعضهم يحتمل أن يكون النهي لكونه قد يظن بعض
الجهلة أن النذر يرد القدر ويمنع من حصول المقدور فنهى عنه خوفا من اعتقاد
ذلك وسياق الحديث يؤكد هذا وقوله في بعض روايات الحديث أنه
لا يأتي بخير فمعناه أنه لا يرد شيئا من القدر وقوله فيخرج ذلك من البخيل ما لم
يكن البخيل يريد أن يخرج معناه أنه لا يأتي بهذه القربة تطوعا محضا مبتدئا
وإنما يأتي بها في مقابلة شيء يريده كقوله إن شفى مريضي فعلي كذا ونحو ذلك
مما يحصل بالنذر والله أعلم وقوله تعالى فإن الله يعلمه أي يعلم ما
أنفقتم ونذرتم فيجازيكم به وإنما قال يعلمه ولم يقل يعلمهما لأنه رد الضمير

على

على الآخر منهما كقوله ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا وقيل إن الكناية عادت
على ما في قوله وما أنفقتم لأنها اسم وهو كقوله وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة
يعظكم به ولم يقل بهما وما للظالمين يعني الواضعين الصدقة في غير موضعها
وقيل الذين يريدون بصدقاتهم الرياء والسمعة وقيل هم الذين ينفقون أموالهم في
الحرام من أنصار أي من أعوان يدفعون عنهم عذاب الله تعالى ففيه وعيد عظيم
لكل ظالم قوله تعالى إن تبدوا الصدقات أي تظهروا الصدقات والصدقة
ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة فيدخل فيها الزكاة الواجبة وصدقة
التطوع فنعما هي أي فنعم الخصلة هي وقيل معناه فنعم الشيء هي وقوله فنعم
شيئا إبداء الصدقات وإن تخفوها أي تستروا الصدقة وتؤتوها الفقراء
أي وتعطوها الفقراء في السر فهو خير لكم يعني إخفاء الصدقة أفضل من العلانية
وهو مقبول إذا كانت النية صادقة واختلفوا في المراد بالصدقة المذكورة في
الآية فقال الأكثرون المراد بها صدقة التطوع واتفق العلماء على أن كتمان
صدقة التطوع أفضل وإخفاؤها خير من إظهارها لأن ذلك أبعد من الرياء
وأقرب إلى الإخلاص ولا ذنبه يبعد عما تؤثره النفس من إظهار الصدقة وفي
صدقة السر أيضا فائدة ترجع إلى الفقير الآخذ وهي أنه إذا أعطي في السر
زال عنه الذل والانكسار وإذا أعطي في العلانية يحصل له الذل والانكسار
ويدل على أن صدقة السر أفضل ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل
وشاب نشأ في عبادة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود
إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وافترقا عليه ورجل ذكر الله خاليا
ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله
ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه أخرجاه
في الصحيحين ووجه جواز إظهار الصدقة يكون ذلك ممن قد أمن على نفسه
من مداخلة الرياء في عمله ويكون ممن يقتدي به في أفعاله فإذا أظهر الصدقة
تابعه غيره على ذلك وأما الزكاة فإظهار إخراجها أفضل من كتمانها كالصلاة
المكتوبة في الجماعة أفضل وصلاة التطوع في البيت أفضل ولأن في إظهار
الزكاة نفي التهمة عن المزكي وقيل إن الآية واردة في زكاة الفرض وكان إخفاؤها
خيرا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا لا يظنون بأحد من
أن يمنع الزكاة فأما اليوم في زماننا فإظهار الزكاة أفضل حتى لا يساء الظن به وقيل
إن الآية عامة في جميع الصدقات الواجبة والتطوع والإخفاء أفضل في كل صدقة
من زكاة وغيرها وقوله تعالى ويكفر عنكم سيئاتكم قيل إن من صلة زائدة
تقديره ونكفر عنكم سيئاتكم قال ابن عباس من جميع سيئاتكم وقيل دخل من
للتبعيض ليكون العباد على وجل ولا يتكلوا والمعنى نكفر عنكم الصغائر من
سيئاتكم وأصل التكفير في اللغة التغطية والستر والله بما تعملون خبير يعني
من إظهار الصدقات وإخفائها قوله تعالى ليس عليك هداهم قيل سبب نزول
هذه الآية أن ناسا من المسلمين كانت لهم قرابات وأصهار في اليهود وكانوا ينفعونهم
وينفقون عليهم قبل أن يسلموا فلما أسلموا كرهوا أن ينفعوهم وأرادوا بذلك أن

يسلموا وكانوا قبل ذلك يتصدقون على فقراء اهل المدينة فلما كثر المسلمون نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كي تحملهم الحاجة على الدخول الى الاسلام
لحرصه صلى الله عليه وسلم على اسلامهم فنزل ليس عليك هداهم ومعناه ليس عليك
هداية من خالفك حتى تمنعهم الصدقة لاجل ان يدخلوا في الاسلام فحينئذ تتصدق
عليهم فاعلمه الله تعالى انما بعث بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه فاما كونهم
مهتدين فليس ذلك اليك ولكن الله يهدي من يشاء يعني ان الله تعالى
يوفق من يشاء فيهديه الى الاسلام واراد بالهداية هنا هداية التوفيق واما هداية
البيان والدعوة فكانت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الاية
اعطوهم وتصدقوا عليهم وما تنفقوا من خير اي من مال فلانفسكم اي تنفعون
به انفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وقال الزجاج هذا خاص للمؤمنين
اعلمهم الله انه قد علم مرادهم بنفقتهم ما عنده وقيل معناه ولستم في صدقاتكم على
اقاربكم من المشركين تقصدون الا وجه الله وقد علم الله هذا من قلوبكم فانفقوا
عليهم اذا كنتم انما تبتغون بذلك وجه الله في صلة الرحم وسد خلة مضطر وقال
بعض العلماء لو انفقت على شر خلق الله لكان لك ثواب نفقتك واجمع العلماء انه لا يجوز
صرف الزكاة الا الى المسلمين وهم اهل السهمان المذكورون في سورة التوبة وجوز
ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وخالفه سائر العلماء في ذلك
فعلى هذا تكون الاية مختصة بصدقة التطوع اباح الله تعالى ان تصرف الى فقراء
المسلمين وفقراء اهل الذمة واما زكاة الفرض فلا يجوز صرفها الى اهل الذمة
بحال وما تنفقوا من خير يوف اليكم اي يوفر لكم جزاؤه وقال ابن عباس يجازيكم
به يوم القيامة ومعناه يؤدي اليكم جزاؤه وانما حسن ادخال الى مع التوفية لانها تضمنت معنى
التادية وانتم لا تظلمون اي لا تنقصون شيئا من ثواب اعمالكم قوله عز وجل للفقراء
الذين احصروا اختلفوا في موضع اللام في قوله للفقراء فقيل هو مردود على موضع
اللام من قوله فلانفسكم كانه قال وما تنفقوا من خير فللفقراء وانما تنفقون لانفسكم
وقيل معناه الصدقات التي سبق ذكرها للفقراء وقيل خبره محذوف تقديره للفقراء
الذين من صفتهم كذا وكذا حق واجب وهم فقراء المهاجرين كانوا نحوا من اربعمائة رجل لم يكن
لهم بالمدينة مساكن ولا عشائر وكانوا ياوون الى صفة في المسجد يتعلمون القرآن
بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهم اصحاب الصفة فحث الله تعالى الناس على مواساتهم فكان من عنده
فضل اتاهم به اذا امسى وقوله في سبيل الله يعني هم الذين حبسوا انفسهم على طاعة
الله لا يستطيعون ضربا في الارض يعني لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش
والكسب وهم اهل الصفة الذين تقدم ذكرهم وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد
في سبيل الله وقيل هم قوم اصابتهم جراحات في سبيل الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فصاروا زمنى احصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله يحسبهم الجاهل اغنياء
من التعفف اي يظن من لم يختبر حالهم انهم اغنياء من التعفف وهو تفعل من العفة
وهي ترك الشيء والكف عنه يعني التعفف اذا ترك السؤال ولزم القناعة والمعنى
يظنهم من لم يعرف حالهم اغنياء لاظهارهم التجمل وتركهم المسألة تعرفهم بسيماهم
السيما والسيمياء والسيمة العلامة التي يعرف بها الشيء واختلفوا في معناها هنا فقيل

هي التخشع والتواضع وقيل هي اثر الجهد من الحاجة والفقر وقيل هي صفرة الوانهم
من الجوع ورثاثة ثيابهم من الضر لا يسألون الناس الحافا يعني الحاحا قيل اذا كان
عنده غداء لا يسأل عشاء واذا كان عنده عشاء لا يسأل غداء وقيل لا يسألون الناس
الحافا لانه قال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وهو ترك المسألة فعلم بذلك انهم
لا يسألون البتة ولانه قال تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسألة من شانهم لما كانت الى
معرفتهم بالعلامة حاجة فمعنى الاية ليس يصدر منهم سؤال حتى يقع منهم الحاف
فهم لا يسألون الناس الحافا ولا غير الحاف ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس ق عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة
والتمرتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن به فيتصدق عليه
ولا يقوم فيسأل الناس لفظ البخاري خ عن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لان ياخذ احدكم احبله ثم ياتي الجبل فياتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها
خير له من ان يسأل الناس اعطوه او منعوه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء يوم القيامة ومسألته في وجهه خموش او
خدوش او كدوح قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من
الذهب اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي عن ابي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه ابو داود وقال
زاد هشام في حديثه وكانت الاوقية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين
درهما وفي رواية عطاء بن يسار من سأل منكم وله اوقية او عدلها فقد سأل الحافا
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل وله اربعون
درهما فهو ملحف اخرجه النسائي م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من سأل الناس تكثرا فانما يسأل جمرا فليستقل او ليستكثر قوله تعالى
وما تنفقوا من خير فان الله به عليم يعني انه تعالى يعلم مقادير الانفاق ويجازي
عليه وفيه حث على الصدقة والانفاق في الطاعة قوله تعالى الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية قال ابن عباس في رواية عنه نزلت هذه الاية
في علي بن ابي طالب كانت عنده اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا
وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وفي رواية عنه قال لما نزل للفقراء الذين
احصروا في سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة الى اهل الصفة وبعث علي
ابن ابي طالب في الليل بوسق من تمر فانزل الله تعالى فيهما الذين ينفقون اموالهم بالليل
والنهار يعني بنفقة الليل نفقة علي وبالنهار نفقة عبد الرحمن وفي الاية اشارة الى ان
صدقة السر افضل من صدقة العلانية لانه تعالى قدم نفقة الليل على نفقة النهار
وقدم السر على العلانية وقيل نزلت الاية في الذين يربطون الخيل للجهاد في سبيل الله
لانهم يعلفونها بالليل والنهار في السر والعلانية خ عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا في سبيل الله ايمانا واحتسابا وتصديقا
بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات وقيل ان
الاية عامة في الذين ينفقون اموالهم في جميع الاوقات ويعمون بها اصحاب الحاجات
والفاقات فلهم اجرهم عند ربهم اي جزاء اعمالهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون

يعني في الآخرة قوله عز وجل **الذين يأكلون الربا** أي يعاملون به وإنما خص بالأكل لأنه معظم الأمر المقصود من المال لأن المال لا يؤكل إنما يصرف في المأكول ثم يؤكل فنهى الله تعالى عن التصرف في الربا بما ذكر فيه من الوعيد (م) عن جابر رضي الله عنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء وأصل الربا في اللغة الزيادة يقال ربا الشيء يربو إذا زاد وكثر فالربا زيادة في المال **لا يقومون** يعني من قبورهم يوم القيامة **إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان** أي يصرعه وأصل الخبط الضرب والوطء وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط إذا كانت تضرب الأرض بقوائمها وتطأ الناس بأخفافها ومنه قولهم يخبط خبط عشواء للرجل الذي يتصرف في الأمور على غير اهتداء ويخبطه ويتخبطه الشيطان إذا مسه بخبل وجنون **من المس** يعني من الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس إذا كان به جنون ومعنى الآية أن آكل الربا يبعث يوم القيامة مثل المصروع الذي لا يستطيع الحركة الصحيحة لأن الربا ربا في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الاستواء قال سعيد بن جبير تلك علامة آكل الربا إذا استحله يوم القيامة وروى البغوي بسنده للثعلبي عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة الإسراء قال فانطلق بي جبريل إلى رجال كثير كل رجل بطنه مثل البيت الضخم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا قال فيقبلون مثل الإبل المنهومة يخبطون الحجارة والشجر لا يسمعون ولا يعقلون فإذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فيصرعون ثم يقوم أحدهم فيميل به بطنه فيصرع فلا يستطيعون أن يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون فيردونهم مقبلين ومدبرين فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة قال وآل فرعون يقولون اللهم لا تقم الساعة أبدا قال ويوم القيامة يقول أدخلوا آل فرعون أشد العذاب قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس قوله بطنه مثل البيت الضخم أي العظيم الكبير الغليظ وقوله منضدين أي موضوعين بعضهم على بعض والسابلة الطريق وقوله مثل الإبل المنهومة النهم بالتحريك إفراط في الشهوة في الطعام من الجياع قوله تعالى **ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا** أي ذلك الذي نزل بهم من العذاب بقولهم هذا واستحلالهم إياه وذلك أن أهل الجاهلية كان أحدهم إذا حل ماله على غريمه فطالبه به فيقول الغريم لصاحب الحق زدني في الأجل حتى أزيدك في المال فيفعلان ذلك وكانوا يقولون سواء علينا الزيادة في أول البيع بالربح أو عند المحل لأجل التأخير فكذبهم الله تعالى ورد عليهم ذلك بقوله **وأحل الله البيع وحرم الربا** يعني وأحل الله الأرباح في التجارة بالبيع والشراء وحرم الربا الذي هو زيادة في المال لأجل تأخير الأجل وذلك لأن الله تعالى خلق الخلق وهم عبيده وهو مالكهم يحكم فيهم بما يشاء ويستعبدهم بما يريد ليس لأحد أن يعترض عليه في شيء مما أحل وحرم وإنما على كافة الخلق الطاعة والتسليم لحكمه وأمره ونهيه وذكر بعض العلماء الفرق بين البيع والربا فقال إذا باع ثوبا يساوي عشرة بعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا للعشرين فلما حصل التراضي على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للآخر في المالية عنده فلم

يكن أخذ منه من صاحبه بغير عوض أما إذا باع عشرة دراهم بعشرين فقد أخذ العشرة الزائدة بغير عوض ولا يمكن أن يقال إن العوض هو الإمهال في مدة الأجل لأن الإمهال ليس مالا أو شيئا يشار إليه حتى يجعله عوضا عن العشرة الزائدة فقد ظهر الفرق بين الصورتين

فصل في حكم الربا وفيه مسائل

المسألة الأولى ذكروا في سبب تحريم الربا وجوها أحدها أن الربا يقتضي أخذ مال الغير بغير عوض لأن من يبيع درهما بدرهمين نقدا كان أو نسيئة فقد حصل له زيادة درهم من غير عوض فهو حرام الوجه الثاني إنما حرم عقد الربا لأنه يمنع الناس عن الاشتغال بالتجارة لأن صاحب الدراهم إذا تمكن من عقد الربا خف عليه تحصيل الزيادة من غير تعب ولا مشقة فيفضي ذلك إلى انقطاع منافع الناس بالتجارات وطلب الأرباح الوجه الثالث أن الربا هو سبب إلى انقطاع المعروف بين الناس من القرض فلما حرم الربا طابت النفوس بقرض الدراهم للمحتاج واسترجاع مثله لطلب الأجر من الله تعالى الوجه الرابع أن تحريم الربا قد ثبت بالنص ولا يجب أن يكون حكم جميع التكاليف معلومة للخلق فوجب القطع بتحريم الربا وإن كنا لا نعلم وجه الحكمة في ذلك المسألة الثانية اعلم أن الربا في اللغة هو الزيادة وطلب الزيادة بطريق التجارة غير حرام فثبت أن الزيادة المحرمة هو الربا وهو على صفة مخصوصة في مال مخصوص بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالورق ربا إلا هاء وهاء والبر بالبر ربا إلا هاء وهاء والشعير بالشعير ربا إلا هاء وهاء والتمر بالتمر ربا إلا هاء وهاء وفي رواية الورق بالورق ربا إلا هاء وهاء والذهب بالذهب ربا إلا هاء وهاء (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب وزنا بوزن مثلا بمثل والفضة بالفضة وزنا بوزن مثلا بمثل فمن زاد أو استزاد فقد أربى وفي رواية التمر بالتمر والحنطة بالحنطة والشعير بالشعير والملح بالملح مثلا بمثل يدا بيد فمن زاد أو استزاد فقد أربى إلا ما اختلفت ألوانه (م) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلا بمثل سواء بسواء يدا بيد فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدا بيد فنص رسول الله صلى الله عليه وسلم على جريان الربا في هذه الستة الأشياء وهي النقدان وأربعة أصناف من المطعومات وهي البر والشعير والتمر والملح فذهب عامة أهل العلم إلى أن حكم الربا ثبت في هذه الأشياء لأوصاف فيها فيتعدى إلى كل ما توجد تلك الأوصاف فيه ثم اختلفوا في تلك الأوصاف فذهب قوم إلى أن المعنى في جميعها واحد وهو النفع فأثبتوا الربا في جميع الأموال وذهب الأكثرون إلى أن الربا ثبت في الدراهم والدنانير بوصف وفي الأشياء المطعومة بوصف آخر واختلفوا في ذلك الوصف فذهب الشافعي ومالك إلى أنه ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب أصحاب الرأي إلى أنه ثبت بعلة الوزن فأثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل الحديد والنحاس والقطن ونحو ذلك وأما الأربعة الأشياء المطعومة بوصف آخر واختلفوا في ذلك الوصف فذهب الشافعي ومالك إلى أنه ثبت في الدراهم والدنانير بوصف النقدية وذهب أصحاب الرأي إلى أنه ثبت بعلة الوزن فأثبتوا الربا في جميع الموزونات مثل

والبر بالبر ربا

دنانير

الحديد والنحاس ونحو ذلك وأما الأربعة الأشياء المطعومة فذهب أصحاب الرأي إلى أن الربا ثبت فيها بعلة الوزن والكيل فأثبتوا الربا في جميع المكيلات والموزونات مطعوما كان أو غير مطعوم كالجص والنورة ونحوهما وذهب جماعة إلى أن العلة فيها الطعم مع الكيل والوزن فكل مطعوم مكيل أو موزون يثبت فيه الربا ولا يثبت فيما سوى ذلك مما ليس بمكيل ولا موزون وهو قول سعيد بن المسيب والشافعي في القديم وقال في الجديد يثبت الربا فيها بوصف الطعم فأثبت الربا في جميع الأشياء المطعومة من الثمار والفواكه والبقول والأدوية مكيلة كانت أو موزونة لما روي عن معمر بن عبد الله أنه أرسل غلامه بصاع قمح فقال بعه ثم اشتر به شعيرا فذهب الغلام فأخذ صاعا وزيادة بعض صاع فلما جاء معمرا أخبره بذلك فقال له معمر لم فعلت ذلك انطلق فرده ولا تأخذن إلا مثلا بمثل فإني كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الطعام بالطعام مثلا بمثل وكان طعامنا يومئذ الشعير قيل له فإنه ليس بمثله فقال إني أخاف أن يضارع أخرجه مسلم فجملة مال الربا عند الشافعي ما كان ثمنا أو مطعوما المسألة الثالثة الربا نوعان ربا فضل وهو الزيادة وربا نسيئة وهو الأجل فإن باع ما يدخل فيه الربا بجنسه مثل أن باع النقدين بجنسه كالذهب بالذهب أو المطعوم بجنسه كالحنطة بالحنطة ونحو ذلك فيشترط فيه التماثل والمساواة بمعيار الشرع فإن كان موزونا كالدراهم والدنانير فيشترط فيه المساواة في الوزن وإن كان مكيلا كالحنطة والشعير فيشترط في بيعه بجنسه المساواة في الكيل ويشترط التقابض في مجلس العقد وإن باع ما يدخل فيه الربا بغير جنسه نظر فإن باع بما لا يوافقه في علة الربا مثل أن باع مطعوما بأحد النقدين فلا ربا فيه كما لو باعه بغير مال الربا وإن باعه بما يوافقه في الوصف لا في الجنس مثل أن باع الدراهم بالدنانير أو باع الحنطة بالشعير أو كان مطعوما بمطعوم آخر من غير جنسه فلا يثبت فيه ربا التفاضل فيجوز بيعه متفاضلا ويثبت فيه ربا النسيئة فيشترط في بيعه التقابض في المجلس لقوله صلى الله عليه وسلم إلا يدا بيد وقوله ها وها فيه اشتراط التقابض في المجلس وتحريم النسيئة وقوله صلى الله عليه وسلم إلا سواء بسواء مثلا بمثل فيه إيجاب المماثلة وتحريم التفاضل عند اتفاق الجنس وقوله صلى الله عليه وسلم فإذا اختلفت هذه الأوصاف فبيعوا كيف شئتم فيه إطلاق التبايع مع التفاضل عند اختلاف الجنس مع اشتراط التقابض في المجلس وهو قوله صلى الله عليه وسلم إذا كان يدا بيد والله أعلم المسألة الرابعة في القرض ومن أقرض شيئا بشرط أن يرد عليه أفضل منه فهو قرض جر منفعة وكل قرض جر منفعة فهو ربا يدل عليه ما روي عن مالك قال بلغني أن رجلا أتى ابن عمر فقال إني أسلفت رجلا سلفا واشترطت عليه أفضل مما أسلفته فقال عبد الله بن عمر فذلك الربا أخرجه مالك في الموطأ فإن لم يشترط فضلا في وقت القرض فرد المستقرض أفضل مما أخذ جاز يدل عليه ما روي عن مجاهد أن ابن عمر استسلف دراهم فقضى صاحبها خيرا منها فأبى أن يأخذها وقال هذه خير من دراهمي فقال ابن عمر قد علمت ولكن نفسي بذلك طيبة أخرجه مالك في الموطأ وقوله تعالى **فمن جاءه موعظة من ربه** أي تذكير وتخويف وإنما ذكر الفعل لأن تأنيثه غير حقيقي

فجاز

فجاز تذكيره ولأن الوعظ والموعظة شيء واحد **فانتهى** أي عن أكل الربا **فله ما سلف** أي ما مضى من ذنبه قبل النهي مغفور له **وأمره إلى الله** يعني بعد النهي إن شاء عصمه حتى يثبت على الانتهاء وإن شاء خذله حتى يعود إلى أكل الربا وقيل معناه وأمره إلى الله فيما يأمره وينهاه ويحل له ويحرم عليه وليس إليه من أمر نفسه شيء وقيل إن الآية فيمن يعتقد تحريم الربا ثم يأكله فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه **ومن عاد** أي إلى أكل الربا بعد التحريم مستحلا له **فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** قوله عز وجل **يمحق الله الربا** أي ينقصه ويهلكه ويذهب بركته قال ابن عباس لا يقبل الله منه صدقة ولا حجا ولا جهادا ولا صلة **ويربي الصدقات** أي يزيدها وينميها ويبارك فيها في الدنيا ويضاعف أجرها في الآخرة **ق** عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله هذا لفظ مسلم وللبخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل **والله لا يحب كل كفار** يعني كل مصر على كفره مقيم عليه مستحل لأكل الربا **أثيم** يعني متماد في الإثم فيما نهي عنه من أكل الربا لا ينزجر عنه ولا يتركه وقيل يحتمل أن يكون الكفار راجعا إلى المستحل للربا والأثيم راجعا إلى من يفعله مع اعتقاد التحريم فتكون الآية جامعة للفريقين **قوله تعالى إن الذين آمنوا** يعني صدقوا بالله ورسوله **وعملوا الصالحات** أي المفروضة بأركانها وحدودها وأوقاتها **وآتوا الزكاة** يعني المفروضة عليهم وأدوها **لهم أجرهم عند ربهم** أي لهم ثوابها فما لهم في الآخرة **ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** أي يوم القيامة قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا** قيل نزلت في العباس بن عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد أسلفا في التمر فلما حضر وقت الجذاذ قال لهما صاحب التمر إن أنتما أخذتما حقكما كاملا لم يبق لي ما يكفي عيالي فهل لكما أن تأخذا النصف وتؤخرا النصف وأضعف لكما ففعلا فلما حل الأجل طلبا منه الزيادة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهما وأنزل الله عز وجل هذه الآية فسمعا وأطاعا وأخذا رؤوس أموالهما وقيل نزلت في العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين في الجاهلية يسلفان في الربا إلى بني عمرو بن عمير ناس من ثقيف فجاء الإسلام ولهما أموال عظيمة في الربا فأنزل الله تعالى الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع فيما رواه جابر من أفراد مسلم ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة وإن أول دم أضع من دمائنا دم ربيعة بن الحارث كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل وربا الجاهلية موضوع وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب فإنه موضوع كله وقيل نزلت في أربعة إخوة من ثقيف مسعود وعبد ياليل وحبيب وربيعة بني عمرو بن عمير بن مخزوم وكانوا يربون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم على الطائف أسلم هؤلاء الإخوة ثم إن عمرو الثقفي كانوا يداينون بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانوا يربون فلما ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وطلبوا رباهم من بني المغيرة

يعني الذي أمر الله به وأقاموا الصلاة

فقال بنو المغيرة والله ما نعطي الربا في الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين
فاختصموا الى عتاب بن اسيد وكان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فكتب
عتاب كتابا الى النبي صلى الله عليه وسلم بقصة الفريقين وكان ذلك مالا عظيما فانزل الله
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا اي واتركوا ما بقي من الربا والمعنى واتركوا طلب
ما بقي لكم من فضل على رؤوس اموالكم ان كنتم مؤمنين يعني اذ كنتم محققين
لايمانكم قولا وفعلا فان لم تفعلوا اي لم تتركوا ما بقي من الربا بعد نهيه فاذنوا
قرئ بكسر الذال اي المد على وزن امنوا ومعناه فاعلموا غيركم انكم حرب لله ورسوله
وقرئ فأذنوا بفتح الذال اي مع القصر ومعناه فاعلموا انتم وايقنوا بحرب من الله ورسوله
قال ابن عباس يقال لآكل الربا يوم القيامة خذ سلاحك للحرب قال اهل المعاني
حرب الله النار وحرب رسوله السيف واختلفوا في معنى المحاربة فقيل المراد بها المبالغة
في الوعيد والتهديد دون نفس الحرب وقيل بل المراد منه نفس الحرب وذلك ان من
اصر على اكل الربا وعلم به الامام قبض عليه واجرى فيه حكم الله من التعزير
والحبس الى ان تظهر منه التوبة وان كان آكل الربا ذا شوكة وصاحب عسكر حاربه
الامام كما يحارب الفئة الباغية قال ابن عباس من كان مقيما على اكل الربا لا ينزع
عنه فحق على امام المسلمين ان يستتيبه فان نزع اي تاب والا ضرب عنقه وان
تبتم اي فان تركتم اكل الربا ورجعتم عنه فلكم رؤوس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون
يعني لا تظلمون انتم الغريم بطلب زيادة على رأس المال ولا تظلمون انتم بنقصان
رأس المال فلما نزلت هذه قال بنو عمرو الثقفي ومن كان يعامل بالربا من غيرهم
بل نتوب الى الله تعالى فانه لا يدان لنا يعني لا قوة لنا بحرب الله ورسوله فرضوا
برؤوس اموالهم فشكا بنو المغيرة العسرة ومن كان عليه دين وقالوا اخرونا
الى ان ندرك الغلات فابوا ان يؤخروهم فانزل الله عز وجل وان كان ذو عسرة
يعني وان كان الذي عليه الحق من غرمائكم معسرا والعسرة ضيق الحال وهو
تعذر وجدان المال والاعسار الرجل اذا ضاق ولم يجد ما يؤديه في دينه فنظرة
اي فامهلوه وتأخير الى ميسرة اي الى وقت زمن اليسار وهو ضد الاعسار
وهو وجدان المال واعسر الرجل اذا ضاق ولم يجد ما يؤديه في دينه واختلفوا
في حكم الاية وهل الانظار يختص بالربا او هو عام في كل دين على قولين القول
الاول وهو قول ابن عباس وشريح والضحاك والسدي ان الاية في الربا وذكر
عن شريح ان رجلا خاصم رجلا اليه فقضى عليه وامر بحبسه فقال الرجل كان
عند شريح انه معسر والله تعالى يقول في كتابه وان كان ذو عسرة فنظرة الى
ميسرة فقال شريح انما ذلك في الربا وان الله تعالى قال في كتابه ان الله
يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل
ولا يأمرنا الله بشيء ثم يعذبنا عليه والقول الثاني وهو قول مجاهد وجماعة
من المفسرين ان حكم الاية عام في كل دين على كل معسر واحتجوا بان الله تعالى
قال وان كان ذو عسرة ولم يقل ذا عسرة ليكون الحكم عاما في جميع المعسرين
وان تصدقوا خير لكم يعني وان تصدقوا على المعسر بما عليه من الدين فتتركوا
رؤوس اموالكم للمعسر خير لكم وانما جاز هذا الحذف للعلم به لانه قد جرى ذكر
المعسر وذكر رأس المال فعلم ان التصدق راجع اليهما ان كنتم تعلمون يعني ان التصدق

خير

خير لكم والفضل لان فيه الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى

فصل

في ثواب انظار المعسر والوضع عنه وتشديد امر الدين والقضاء به (م) عن ابي قتادة
انه طلب غريما له فتوارى عنه ثم وجده فقال اني معسر فقال آلله قال فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول من سره ان ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر
او يضع عنه (م) عن ابي اليسر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انظر
معسرا او وضع عنه اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال كان رجل ممن كان قبلكم تاجرا يداين الناس فاذا رأى معسرا قال
لفتيانه تجاوزوا عنه لعل الله ان يتجاوز عنا فتجاوز الله عنه عن ابي موسى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعظم الذنوب عند الله ان يلقاه بها عبد بعد الكبائر
التي نهى الله عنها ان يموت رجل وعليه دين لا يدع له قضاء اخرجه ابو داود (خ)
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخذ اموال الناس يريد
اداءها ادى الله عنه ومن اخذ اموال الناس يريد اتلافها اتلفه الله (ق)
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغني ظلم زاد في رواية
واذا اتبع احدكم على ملي فليتبع (ق) عن كعب بن مالك انه تقاضى ابن ابي حدرد دينا
كان له عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فارتفعت اصواتهما
حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فخرج اليهما حتى كشف سجف
حجرته فنادى فقال يا كعب قلت لبيك يا رسول الله فاشار بيده ان ضع الشطر
من دينك قال كعب قد فعلت يا رسول الله قال قم فاقضه (ق) عن ابي هريرة قال
كان لرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سن من الابل فجاءه يتقاضاه فقال
اعطوه فطلبوا سنه فلم يجدوا الا سنا فوقها فقال اعطوه فقال اوفيتني وفاك
الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان خيركم احسنكم قضاء وفي رواية انه اغلظ
لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين استقضاه حتى هم به بعض اصحابه فقال
دعوه فان لصاحب الحق مقالا ثم امر له بافضل من سنه (م) عن ابي قتادة
الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قام فيهم فذكر لهم ان الجهاد في سبيل الله
والايمان بالله افضل الاعمال فقام رجل فقال يا رسول الله ارأيت ان قتلت في
سبيل الله تكفر عني خطاياي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ان قتلت
في سبيل الله وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كيف قلت قال ارأيت ان قتلت في سبيل الله اتكفر عني خطاياي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم وانت صابر محتسب مقبل غير مدبر الا الدين
فان جبريل قال لي ذلك عن محمد بن جحش قال كنا جلوسا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فرفع رأسه الى السماء ثم وضع راحته على جبهته ثم قال سبحان
الله ماذا انزل من التشديد فسكتنا وفزعنا فلما كان من الغد سألته يا رسول الله
ما هذا التشديد الذي نزل فقال والذي نفسي بيده لو ان رجلا قتل في سبيل الله
ثم احيي ثم قتل ثم احيي وعليه دين ما دخل الجنة حتى يقضى عنه دينه اخرجه
النسائي قوله تعالى واتقوا اي وخافوا يوما ترجعون فيه الى الله قرئ بفتح
التاء اي تصيرون فيه الى الله وقرئ بضم التاء وفتح الجيم اي تردون فيه الى الله ثم
توفى كل نفس ما كسبت يعني من خير او شر وهم لا يظلمون اي في ذلك اليوم وفي هذه الاية

وعيد شديد وزجر عظيم قال ابن عباس هذه اخر آية نزلت على محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جبريل ضعها على راس مائتين وثمانين من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى وعشرين يوما وقيل تسع ليال وقيل سبع ومات صلى الله عليه وسلم لليلتين خلتا من ربيع الاول في يوم الاثنين سنة احدى عشرة من الهجرة **وروى** الشعبي عن ابن عباس ان اخر اية نزلت اية الربا قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين** قال ابن عباس لما حرم الله الربا اباح السلم وقال اشهد ان السلف المضمون الى اجل مسمى قد احله الله في كتابه واذن فيه وقوله اذا تداينتم اي تعاملتم بدين او داين بعضهم بعضا والتداين تفاعل من الدين يقال داينته اذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد قوله تداينتم لان المداينة قد تطلق على المجازاة وعلى المعاطاة فقيده بالدين ليعرف المراد من اللفظ ويخلص احد المعنيين من الاخر وقيل انما قال بدين ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكره لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلا يحسن النظم بذلك وقيل انما ذكره تاكيدا **الى اجل مسمى** يعني الى مدة معلومة الاول والاخر مثل السنة والشهر ولا يجوز الى غير مدة معلومة كما لو قال الى الحصاد ونحوه والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محل الاجل بخلاف القرض فانه لا يلزم فيه الاجل عند اكثر اهل العلم ٥ عن ابن عباس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمر العام والعامين فقال لهم من اسلف في تمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى اجل معلوم وقوله تعالى **فاكتبوه** اي اكتبوا الدين الذي تداينتم به بيعا كان ذلك او سلما او قرضا واختلفوا في هذه الكتابة فقيل هي واجبة وهو مذهب عطا وابن جريج والنخعي واختيار محمد بن جرير الطبري وقيل الامر محمول على الندب والاستحباب فان ترك فلا باس وهو قول جمهور العلماء وقيل بل كانت الكتابة والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ بقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اوتمن امانته وهو قول الحسن والشعبي والحكم بن عيينة ثم بين الله تعالى كيفية الكتابة فقال **وليكتب بينكم كاتب** اي ليكتب الدين بين الطالب والمطلوب كاتب **بالعدل** اي بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم اجل ولا تاخيره وقيل ان فائدة الكتابة في حفظ المال من الجانبين لان صاحب الدين اذا علم ان حقه مقيد بالكتابة تعذر عليه طلب زيادة او تقديم المطالبة قبل حلول الاجل ومن عليه الدين اذا عرف ذلك تعذر عليه الجحود والنقص من اصل الدين الذي عليه فلما كانت هذه الفائدة في الكتابة امر الله تعالى بها **ولا ياب** اي ولا يمتنع **كاتب** ان يكتب واختلفوا في وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فقيل بوجوبها لان ظاهر الكلام نهي عن الامتناع عن الكتابة وايجابها على كل كاتب فاذا طولب بالكتابة وتحمل الشهادة من هو من اهلها وجب عليه ذلك وقيل هو فرض كفاية وهو قول الشعبي فان لم يوجد

الا

الا واحد وجب عليه ذلك وقيل هو على الندب والاستحباب وذلك ان الله تعالى لما علمه الكتابة وشرفه بها استحب له ان يكتب ليقضي حاجة اخيه المسلم ويشكر تلك النعمة التي انعم الله بها عليه وقيل كانت الكتابة وتحمل الشهادة واجبين على الكاتب والشاهد ثم نسخهما الله بقوله ولا يضار كاتب ولا شهيد **كما علمه الله** اي كما شرعه الله وامر به **فليكتب** وذلك ان يكتب بحيث لا يزيد ولا ينقص ويكتب ما يصلح ان يكون حجة عند الحاجة ولا يخص احد الخصمين بالاحتياط له دون الاخر وان يكون كل واحد منهما امنا من ابطال حقه وان يكون ما يكتبه متفقا عليه عند العلماء وان يحترز من الالفاظ التي يقع النزاع فيها وهذه الامور لا تحصل الا لمن هو فقيه عالم باللغة ومذاهب العلماء **وليملل الذي عليه الحق** يعني ان المطلوب الذي عليه الحق يقر على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه من الحق فيذكر قدره وجنسه وصفة الاجل ونحو ذلك والاملال والاملا لغتان فصيحتان معناهما واحد **وليتق الله ربه** يعني المملي **ولا يبخس** اي ولا ينقص **منه** اي من الحق الذي وجب **شيئا فان كان الذي عليه الحق سفيها** اي جاهلا بالاملا وقيل هو الطفل الصغير وقال الشافعي السفيه هو المبذر المفسد لماله ودينه **او ضعيفا** يعني شيخا كبيرا وقيل هو ضعيف العقل لعته او جنون **او لا يستطيع ان يمل هو** يعني لخرس او عمى او عجمة في كلامه او حبس او غيبة لا يمكنه الحضور عند الكاتب او جهله بما له وعليه فهؤلاء كلهم لا يصح اقرارهم ولا بد ان يقوم غيرهم وهو قوله تعالى **فليملل وليه** يعني ولي كل واحد من هؤلاء الثلاثة المحجور عليهم لانه متعذر في صحة الاقرار وقال ابن عباس اراد بالولي صاحب الدين يعني ان عجز الذي عليه الحق من الاملا فليملل صاحب الحق لانه اعلم بحقه **بالعدل** اي بالصدق **واستشهدوا شهيدين من رجالكم** يعني واشهدوا على حقوقكم شاهدين لان المقصود من الكتابة هو الاشهاد من رجالكم يعني من اهل ملتكم يعني من المسلمين الاحرار دون العبيد والصبيان وهذا قول اهل العلم واجاز شريح وابن سيرين شهادة العبيد وحجة هذا القول ان قوله من رجالكم عام يتناول العبيد وغيرهم وذلك لان عقل الانسان ودينه الذي يمنعه من الكذب فاذا اجتمعت هذه الشرائط فيه كانت شهادته معتبرة وحجة جمهور العلماء ولا ياب الشهداء اذا ما دعوا فهذا النص يقتضي ان تحمل الشهادة واجب عليه اذا طولب والعبد ليس كذلك فان للسيد اذا لم ياذن له في ذلك حرم عليه الذهاب الى اداء الشهادة فوجب ان لا يكون العبد من اهل الشهادة **فان لم يكونا رجلين** اي فان لم يكن الشاهد رجلان **فرجل وامراتان** اي فليشهد رجل وامراتان واجمع العلماء على ان شهادة النساء مع الرجال جائزة في الاموال فيثبت الحق بشهادة رجل وامراتان واختلفوا في غير الاموال فذهب سفيان الثوري واصحاب الراي الى انه يجوز شهادة النساء مع الرجال في سائر الحقوق غير العقوبات وذهب جماعة الى ان غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهبوا الى ان ما يطلع النساء عليه غالبا كالولادة والرضاع والبكارة والثيابة ونحوها يجوز شهادة رجل وامراتين او شهادة اربع نسوة واتفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة

ولا معقولة في العقوبات والحدود وقوله تعالى **ممن ترضون من الشهداء** يعني من
كان مرضيا عندكم في دينه وامانته والشرائط المعتبرة في العدالة وقبول الشهادة
عشرة وهي الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والعدالة والمروءة وان لا يجر بتلك
الشهادة منفعة الى نفسه ولا يدفع عنها بها مضرة ولا يكون معروفا بكثرة الغلط
والسهو وان لا يكون بينه وبين من يشهد عليه عداوة فشهادة الكافر مردودة لان
الكذاب لا تقبل شهادته فالذي يكذب على الله تعالى اولى بان ترد شهادته وجوز اصحاب
الراي شهادة اهل الذمة بعضهم على بعض ولا تقبل شهادة العبيد واجازها شريح
وابن سيرين وهو قول انس ولا قول المجنون معتبر حتى تصح شهادته ولا تجوز شهادة
الصبيان وسئل ابن عباس عن ذلك فقال لا تجوز لان الله تعالى قال ممن ترضون
من الشهداء والعدالة شرط وهو ان يكون الشاهد مجتنبا عن الكبائر غير
مصر على الصغائر والمروءة شرط وهي ما يتصل بآداب النفس مما يعلم ان تاركه
من نفسه يعني مما يستحيي امثاله من اظهاره الا غلب على ذلك قلت مروته
وترد شهادته فاسقا التهمة فلا تقبل شهادة العدو على العدو وان كان مقبول
الشهادة على غيره لانه متهم في حق عدوه لا في حق غيره ولا تقبل شهادة الرجل
لولده ووالدته وتقبل شهادته عليهما ولا تقبل شهادة من يجر بشهادته الى نفسه
نفعا عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز شهادة
خائن وخائنة ولا مجلود حدا ولا ذي غمر على اخيه ولا مجرب شهادته ولا القانع
اهل البيت لهم ولا ظنين في ولاء ولا قرابة قال الفزاري القانع التابع اخرجه
الترمذي قوله لا تجوز شهادة خائن اراد بالخائن الخيانة في الدين والمال
والامانة فان من ضيع شيئا من اوامر الله تعالى او ارتكب شيئا مما نهى الله عنه
لا يكون عدلا والغمر بكسر العين الحقد والقانع السائل المستطعم وقيل المنقطع الى قوم
يخدمهم فترد شهادته للتهمة في جر النفع الى نفسه لان التابع لاهل البيت ينتفع
بما يصيبهم والظنين بكسر الظاء المتهم قوله تعالى **ان تضل احداهما** اي تنسى
احدى المرأتين **فتذكر احداهما الاخرى** لان الغالب على طباع النساء النسيان واقيمت
المرأتان مقام الرجل الواحد حتى لو نسيت احداهما تذكرها الاخرى فتقول
حضرنا مجلس كذا وسمعنا كذا فيحصل بذلك التذكير وحكي عن سفيان بن عيينة
انه قال هو من الذكر اي تجعل احداهما الاخرى كذكر يعني ان شهادتهما
تصير كشهادة ذكر والقول الاول اصح لانه معطوف على تضل وهو النسيان
وقوله تعالى **ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا** يعني اذا دعوا لتحمل الشهادة وسماهم شهداء
لانهم يكونوا شهداء وهو امر ايجاب عند بعضهم وقال قوم تجب اذا لم يكن غيره فان
كان غيره فهو مخير وقيل امر ندب فهو مخير في جميع الاحوال فقال بعضهم
هذا في اقامة الشهادة واداها ومعنى الاية ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاداء
الشهادة التي تحملوها وقيل الاية في الامرين جميعا يعني في التحمل والاداء والاقامة
اذا كان فارغا وقيل الشاهد بالخيار ما لم يشهد فاذا شهد وجب عليه الاداء
ولا تسأموا اي ولا تملوا ولا تضجروا **ان تكتبوه** الضمير راجع الى الحق والدين
صغيرا كان **او كبيرا** قليلا كان الحق او الدين او كثيرا **الى اجله** يعني الى محل
الحق والدين **ذلكم** يعني ذلك الكتاب **اقسط عند الله** يعني اعدل عند الله لانه

امره واتباع امره اعدل من تركه **واقوم للشهادة** يعني ان الكتابة تذكر الشهود
وادنى الا ترتابوا يعني واحرى واقرب ان لا تشكوا في الشهادة **الا ان تكون تجارة**
حاضرة اي الا ان تقع تجارة حاضرة يدا بيد **تديرونها بينكم** اي فيما بينكم ليس
فيها اجل **فليس عليكم جناح** اي لا حرج عليكم **الا تكتبوها** يعني التجارة الحاضرة
والتجارة تقليب الاموال وتصريفها لطلب النماء والزيادة بالارباح وانما رخص الله
تعالى في الكتابة والاشهاد في هذا النوع من التجارة لكثرة ما يجري بين الناس فلو
كلفوا فيها الكتابة والاشهاد لشق ذلك عليهم ولانه اذا اخذ كل واحد من المتبايعين
حقه من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد فلا حاجة الى الكتابة
والاشهاد **واشهدوا اذا تبايعتم** يعني فيما جرت العادة في الاشهاد فيه واختلفوا
في هذا الامر فقيل هو للوجوب فيجب ان يشهد في صغير الحق وكبيره ونقده ونسيئته
وقيل امر ندب واستحباب وهو قول الجمهور وقيل انه منسوخ بقوله فان امن بعضكم
بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته قوله تعالى **ولا يضار كاتب ولا شهيد** هذا نهي
عن المضارة واصله يضارر بكسر الراء الاولى ومعناه لا يضار الكاتب فيأبى ان يكتب
والشاهد فيأبى ان يشهد او يضار الكاتب فيزيد او ينقص او يحرف ما يملي عليه
فيضر صاحب الحق وكذا الشاهد وقيل اصله يضارر بفتح الراء الاولى ومعناه ان
يدعو الرجل الكاتب والشاهد وهما مشغولان فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب
غيرنا فيقول الداعي ان الله امركما ان تجيبا اذا دعوتكما ويلح عليهما فيشغلهما عن
حاجتهما فنهى عن مضارتهما وامر ان يطلب غيرهما **وان تفعلوا** يعني ما نهيتكم
عنه من الضرار **فانه فسوق بكم** اي معصية وخروج عن الامر **واتقوا الله**
اي خافوا الله واحذروه فيما نهاكم عنه من المضارة وغيرها **ويعلمكم الله** يعني
ما يكون ارشادا لكم في امر الدنيا كما يعلمكم ما يكون ارشادا لكم في امر الدين **والله**
بكل شيء عليم يعني ان الله عالم بمصالح عباده لا يخفى عليه شيء من ذلك قوله
تعالى **وان كنتم على سفر** اي في سفر **ولم تجدوا كاتبا** يعني ولم تجدوا الات
الكتابة **فرهن** جمع رهن وقرئ فرهان **مقبوضة** يعني فارتهنوا ممن تداينونه
رهونا مقبوضة لتكون وثيقة لكم باموالكم واصل الرهن من الدوام يقال رهن
الشيء اذا دام وثبت والرهن ما وضع عند الانسان مما ينوب مناب ما اخذ منه
دينا **فان قلت** لم شرط الارتهان في السفر مع عدم الكاتب ولا يختص به
سفر دون حضر وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند
ابي الشحم اليهودي على طعام اخذه الى اجل ولم يكن ذلك في سفر ولا عند عدم
كاتب **قلت** ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة دون الحضر
ولكن لما كان السفر مظنة لاعواز الكاتب والاشهاد امر الله به على سبيل الارشاد
الى حفظ الاموال لمن كان على سفر بان يقيم التوثيق بالارتهان مقام الكتابة
والاشهاد واتفق العلماء على جواز الرهن في الحضر والسفر جميعا ومع وجود الكاتب
وعدمه وقال مجاهد لا يجوز الا في السفر عند عدم الكاتب لظاهر الاية واجاب
الجمهور عن ظاهر الاية ان الكلام انما خرج على الاعم الاغلب لا على سبيل الشرط
واتفق العلماء على ان الرهن لا يتم الا بالقبض وهو قوله فرهن مقبوضة يعني
ارتهنوا واقبضوا لان المقصود من الرهن هو استيثاق جانب صاحب الحق وذلك

لا يتم الا بالقبض فلو رهن ولم يسلم لم يجبر الراهن على التسليم فاذا سلم الراهن الرهن لزم
من جهته حتى لا يجوز له ان يسترجعه ما دام شيء من الحق باقيا قوله تعالى فان امن بعضكم
بعضا يعني فان كان الذي عليه الحق امينا عند صاحب الحق ولم يرتهن منه شيئا لحسن
ظنه به فليؤد الذي اؤتمن يعني فليؤد المديون الذي عليه الحق الذي كان
امينا في ظن الدائن الذي هو صاحب الحق امانته يعني حقه سمي الدين امانة وان
كان مضمونا لائتمانه عليه حيث امن من جحوده فلم يكتب ولم يشهد عليه ولم ياخذ
منه رهنا حث المديون على ان يكون عند ظن الدائن الذي ائتمنه وان يؤدي اليه حقه
الذي ائتمنه عليه ولم يرتهن منه عليه شيئا ثم زاد ذلك توكيدا بقوله وليتق الله
ربه اي المديون في اداء الحق عند حلول الاجل من غير مماطلة ولا جحود بل يعامله
المعاملة الحسنة كما احسن ظنه فيه ثم رجع الى خطاب الشهود فقال تعالى
ولا تكتموا الشهادة يعني اذا دعيتم الى اقامتها وادائها وذلك لان الشاهد
متى امتنع من اداء الشهادة وكتمها فقد ابطل بذلك حق صاحب الحق فلذلك
نهى عن كتمان الشهادة وبالغ في الوعيد عليه فقال تعالى ومن يكتمها يعني الشهادة
فانه آثم قلبه اي فاجر قلبه والآثم الفاجر وانما اضيف الاثم الى القلب لان الافعال
من الدواعي والصوارف انما تحدث في القلب فلما كان الامر كذلك اضيف الاثم
الى القلب وقيل ما اوعد الله على شيء كايعاده على كتمان الشهادة فانه تعالى قال
فانه آثم قلبه واراد به مسخ القلب نعوذ بالله من ذلك والله بما تعملون عليم يعني من بيان
الشهادة وكتمانها فيجازيكم عليه وفيه وعيد وتحذير لمن كتم الشهادة ولم يظهرها قوله تعالى
لله ما في السموات وما في الارض ملكا وملكا واهلها له عبيدا وهو مالكهم
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وهذا يقتضي ان حديث النفس
والخواطر الفاسدة التي ترد على القلب ولا يتمكن من دفعها فالمؤاخذة بها تجري مجرى
تكليف ما لا يطاق واجيب عن هذا بان الخواطر الحاصلة في القلب على قسمين
فمنها ما يوطن الانسان نفسه عليه ويعزم على اظهاره الى الوجود فهذا مما يؤاخذ
الانسان به والقسم الثاني ما يخطر بالبال ولا يمكن دفعه عن نفسه لكن يكرهه
ولا يعزم على فعله ولا اظهاره الى الوجود فهذا معفو عنه بدليل قوله لها
ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقال قوم ان هذه الاية خاصة ثم اختلفوا في وجه تخصيصها
فقال بعضهم هي متصلة بالاية التي قبلها وانما نزلت في كتمان الشهادة [illegible]
ومعنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم ايها الشهود من كتمان الشهادة او تخفوه اي
تخفوا الكتمان يحاسبكم به الله وهذا ضعيف لان اللفظ عام وان كان واردا عقيب
قضية فلا يلزم صرفه اليها وقال بعضهم ان الاية نزلت فيمن يتولى الكافرين
من المؤمنين والمعنى وان تبدوا اي تظهروا ما في انفسكم يعني من ولاية
الكفار او تخفوه فلا تظهروه يحاسبكم به الله وذهب اهل العلم الى ان الاية عامة
ثم اختلفوا فقال قوم هي منسوخة بالاية التي بعدها ويدل عليه ما روي عن ابي
هريرة قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ما في السموات وما في الارض
وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه الاية اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بركوا على الركب فقالوا اي رسول الله كلفنا
من الاعمال ما نطيق الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد انزلت عليك هذه

الاية

الاية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال
اهل الكتابين من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا
واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت بها السنتهم انزل الله في اثرها آمن
الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير
فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى فانزل الله عز وجل لا يكلف الله نفسا الا وسعها
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا قال نعم
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا
على القوم الكافرين اخرجه مسلم وله عن ابن عباس نحوه وفيه قد فعلت بدل نعم
ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تجاوز عن امتي
ما حدثت به انفسها ما لم يعملوا به او يتكلموا وفي رواية ما وسوست به صدورها
وقال قوم ان الاية غير منسوخة لان النسخ لا يرد الا على الامر والنهي ولا يرد
على الاخبار وقوله تعالى يحاسبكم به الله خبر فلا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا في تا
فقال قوم قد اثبت الله تعالى للقلب كسبا فقال بما كسبت قلوبكم وليس لله عبد
اسر عملا او اعلنه من حركة جارحة او همة قلب الا يعلمه الله ثم يخبره به ويحاسبه
عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب بما يشاء وقال آخرون في معنى الاية ان الله تعالى يحاسب
خلقه بجميع ما ابدوا من اعمالهم او اخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبتهم على ما اخفوه
مما لم يعملوا به هو بما يحدث لهم في الدنيا من النوائب والمصائب والامور التي
يحزنون عليها وهذا قول عائشة عن امية انها سالت عائشة عن قول الله عز
وجل ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وعن قوله من يعمل سوءا يجز به فقالت
ما سالني عنها احد منذ سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه معاتبة الله
العبد بما يصيبه من الحمى والنكبة حتى البضاعة يضعها في قميصه فيفقدها
فيفزع لها حتى ان العبد ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد بعبده
الشر امسك عليه بذنبه حتى يوافيه يوم القيامة وقال قوم في معنى الاية وان تبدوا
ما في انفسكم يعني ما عزمتم عليه او تخفوه اي ولا تبدوه وانتم عازمون عليه
يحاسبكم به الله فاما ما حدثت به النفس مما لم تعزموا عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا
الا وسعها ولا يؤاخذ به قال عبد الله ابن المبارك قلت لسفيان ايؤاخذ العبد
بالهمة فقال اذا كانت عزما اخذ بها وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف
فيرجع معنى هذه المحاسبة الى كونه تعالى عالما بكل ما في الضمائر مما ظهر او خفي
ومعنى الاية وان تبدوا ما في انفسكم فتعملوا به او تخفوه مما اضمرتم ونويتم يحاسبكم
به الله اي يخبركم به ويعرفكم اياه ثم يغفر للمؤمنين اظهارا لفضله ويعذب الكافرين
اظهارا لعدله فيروى عن ابن عباس ويدل عليه انه قال يحاسبكم به الله ولم يقل يؤاخذكم
به لان المحاسبة غير المؤاخذة ويدل عليه ايضا ما روي عن صفوان بن محرز المازني قال
بينا ابن عمر يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابا عبد الرحمن اخبرني بما سمعت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

وبلغ

يقول يدني المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا أتعرف ذنب كذا فيقول
رب أعرف مرتين فيقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم تطوى
صحيفة حسناته وأما الآخرون أو الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق
هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين أخرجاه في الصحيحين وقوله
تعالى فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء قال ابن عباس يغفر لمن يشاء الذنب العظيم
ويعذب من يشاء على الذنب الصغير لا يسأل عما يفعل وهم يسألون والله على كل شيء
قدير يعني أنه تعالى قادر على كل شيء كامل القدرة فيغفر للمؤمنين فضلا ويعذب
الكافرين عدلا قوله عز وجل آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه عن ابن عباس قال
لما نزلت هذه الآية وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله دخل قلوبهم منه
شيء لم يدخل من شيء فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله آمن الرسول بما أنزل إليه
من ربه والمؤمنون الآية لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا قال قد فعلت ربنا ولا تحمل علينا إصرا
كما حملته على الذين من قبلنا قال قد فعلت ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا
واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين قال قد فعلت أخرجه
الترمذي وقال حديث حسن وقال الزجاج لما ذكر الله تعالى في هذه السورة فرض
الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والإيلاء والحيض والجهاد وأقاصيص
الأنبياء وغير ذلك من الأحكام ختم السورة بذكر تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين بجميع ذلك ومعنى آمن الرسول صدق الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
والمعنى صدق الرسول أن هذا القرآن وجملة ما فيه من الشرائع والأحكام منزل من عند
الله عز وجل والمؤمنون يعني وصدق المؤمنون بذلك أيضا كل أي كل واحد
من المؤمنين آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله فهذه أربع مراتب من أصول
الإيمان وضرورياته فأما الإيمان بالله فهو أن الله واحد أحد لا شريك له ولا نظير له ونؤمن
بجميع أسمائه الحسنى وصفاته العليا وأنه حي قادر عالم على كل شيء وأما الإيمان
بالملائكة فهو أن يؤمن بوجودهم وأنهم معصومون مطهرون وأنهم السفرة الكرام
البررة وأنهم الوسائط بين الله تعالى وبين رسله وأما الإيمان بكتبه فهو أن
يؤمن بأن الكتب المنزلة من عند الله هي وحي الله إلى رسله وأنها حق وصدق من عند
الله تعالى بغير شك ولا ارتياب وأن القرآن لم يحرف ولم يبدل ولم يغير وأنه مشتمل
على المحكم والمتشابه وأن محكمه يكشف عن متشابهه وأما الإيمان بالرسل فهو
أن يؤمن بأنهم رسل الله إلى عباده وأمناؤه على وحيه وأنهم معصومون وأنهم
أفضل الخلق وأن بعضهم أفضل من بعض وقد أنكر بعضهم ذلك متمسكا بقوله
تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وأجيب عنه بأن المقصود من هذا الكلام
شيء آخر وهو إثبات نبوة الأنبياء والرد على اليهود والنصارى الذين يقرون
بنبوة موسى وعيسى وينكرون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقد ثبت بالنص
الصريح تفضيل بعض الأنبياء على بعض بقوله تلك الرسل فضلنا بعضهم على
بعض ومعنى قوله لا نفرق بين أحد من رسله فنؤمن ببعض ونكفر ببعض
كما فعلت اليهود والنصارى بل نؤمن بجميع رسله وفي الآية إضمار تقديره وقالوا
يعني المؤمنين لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا يعني سمعنا

أنه قولك وأطعنا أمرك والمعنى قال المؤمنون سمعنا قول ربنا فيما أمرنا به وأطعنا
فيما ألزمنا من فرائضه واستعبدنا به من طاعته وسلمنا له فيما أمرنا به ونهانا عنه
غفرانك ربنا أي نسألك غفرانك ربنا أو يكون المعنى اغفر لنا ربنا غفرانك وإليك
المصير يعني قالوا وإليك يا ربنا مرجعنا ومعادنا فاغفر لنا ذنوبنا **روى**
البغوي بغير سند عن حكيم أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله
عز وجل قد أثنى عليك وعلى أمتك فسل تعطه فسأل الله تعالى غفرانك ربنا وإليك المصير
لا يكلف الله نفسا إلا وسعها قيل يحتمل أن يكون ابتداء خبر من الله ويحتمل حكاية عن المؤمنين
وفيه إضمار كأنه قال تعالى عنهم وقالوا لا يكلف الله نفسا إلا وسعها يعني طاقتها والوسع اسم
لما يسع الإنسان ولا يضيق عليه قال ابن عباس وأكثر المفسرين إن هذه الآية نسخت حديث
النفس والوسوسة وذلك أنه لما نزلت إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه ضج المؤمنون
منها وقالوا يا رسول الله نتوب من عمل اليد والرجل واللسان فكيف نتوب من الوسوسة
وحديث النفس فنزلت هذه الآية والمعنى أنكم لا تطيقون أن تمتنعوا من الوسوسة
وحديث النفس كان ذلك مما لم تطيقوه وقال ابن عباس في رواية عنه هم المؤمنون
خاصة وسع الله عليهم أمر دينهم ولم يكلفهم ما لا يستطيعون كما قال تعالى يريد الله بكم
اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج وسئل
سفيان بن عيينة عن قوله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها قال إلا يسرها
ولم يكلفها طاقتها وهذا قول حسن لأن الوسع ما دون الطاقة وقيل معناه
أن الله تعالى لا يكلف نفسا وسعها فلا يتعبدها بما لا تطيق لها ما كسبت يعني
للنفس ما عملت من الخير فلها أجره وثوابه وعليها ما اكتسبت يعني من الشر
وعليها وزره وعقابه وقيل في معنى الآية إن الله تعالى لا يؤاخذ أحدا بذنب غيره
قوله عز وجل ربنا لا تؤاخذنا وهذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين
كيف يدعونه ومعناه قولوا ربنا لا تؤاخذنا أي لا تعاقبنا وإنما جاء بلفظ المفاعلة
وهو فعل واحد لأن المسيء قد أمكن من نفسه وطرق السبيل إليه بفعله فكأنه أعان
عليه من يعاقبه بذنبه ويأخذه به إن نسينا أو أخطأنا فيه وجهان أحدهما
أنه من النسيان الذي هو السهو وهو ضد التذكر قيل كان بنو إسرائيل إذا
نسوا شيئا مما أمروا به أو أخطؤوا فيحرم عليهم شيئا مما كان حلالا لهم من مطعم
أو مشرب على حسب ذلك الذنب فأمر الله المؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك
فإن قلت أليس فعل الناسي في محل العفو بدليل قوله صلى الله عليه
وسلم رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه فإذا كان النسيان في
محل العفو قطعا فما معنى طلب العفو عنه بالدعاء **قلت الجواب**
عنه من وجوه أحدها أن النسيان على ضربين أما الأول فهو ما كان من العبد على
وجه التضييع والتفريط وهو ترك ما أمر بفعله كمن رأى على ثوبه دما فأخر
إزالته عنه ثم نسي فصلى فيه وهو على ثوبه فيعد مقصرا إذ كان يلزمه المبادرة
إلى إزالته أما إذا لم يره فيعذر فيه وكذا لو ترك ما أمر بفعله على وجه السهو
أو ارتكب منهيا عنه من غير قصد إليه كأكل آدم عليه السلام من الشجرة التي نهي عنها
على وجه النسيان من غير عزم على المخالفة كما قال تعالى ولقد عهدنا إلى آدم
من قبل فنسي ولم نجد له عزما فمثل هذا يجب أن يسأل الله أن يعفو عنه ذلك ولما

الضرب الثاني فهو كمن ترك صلاة ثم نسيها او ترك دراسة القرآن بعد ان حفظه حتى نسيه
فهذا لا يبعد ان يؤاخذ بالنسيان لانه فرط فيه فثبت ان النسيان على قسمين واذا كان كذلك
صح طلب العفو والغفران عند النسيان الوجه من الجواب ان الصحابة رضي الله عنهم
كانوا من المتقين لله حق تقاته فان صدر منهم ما لا ينبغي فلا يكون الا على سبيل
السهو والنسيان فطلبهم العفو والغفران لما يقع منهم على سبيل السهو والنسيان
انما هو لشدة خوفهم وتقواهم الوجه الثالث ان المقصود من هذا الدعاء هو التضرع
والتذلل لله تعالى واما الخطأ في قوله او اخطأنا فعلى وجهين ايضا احدهما
ان يأتي العبد ما نهي عنه بقصد وارادة فذلك خطأه وهو به مأخوذ فيحسن
طلب العفو والغفران لذلك الفعل الذي ارتكبه الوجه الثاني ان يكون
الخطأ على سبيل الجهل والظن بان لو فعله كمن ظن ان وقت الصلاة لم يدخل
وهو في يوم غيم فاخرها حتى خرج وقتها فهذا من الخطأ الموضوع عن العبد
لكن طلب العفو والغفران لسبب تقصيره وقوله **ربنا ولا تحمل علينا اصرا**
يعني عهدا ثقيلا وميثاقا غليظا ولا تستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه
كما حملته على الذين من قبلنا يعني اليهود فلم يقوموا به فعذبتهم عليه وقيل
معناه ولا تشدد علينا كما شددت على اليهود من قبلنا وذلك ان الله تعالى فرض
عليهم خمسين صلاة وامرهم باداء ربع اموالهم زكاة ومن اصاب منهم ثوبه نجاسة
قطعها ومن اصاب ذنبا اصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحو هذا من الاثقال والاصار
التي كانت عليهم فسأل المؤمنون ربهم ان يعصمهم من امثال هذه التغليظات
والعهود الثقيلة وقد اجاب الله تعالى دعاءهم برحمته وخفف عنهم بفضله وكرمه
فقال تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج وقيل الاصر ذنب لا توبة له فسأل
المؤمنون ربهم ان يعصمهم من مثله **ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به** يعني
لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيق القيام به لثقل حمله علينا وتكليف ما لا يطاق
على وجهين احدهما ما ليس في قدرة العبد احتماله كتكليف الاعمى النظر والزمن
العدو فهذا النوع من التكليف لا يكلف الله عبده به تعالى الوجه الثاني من
تكليف ما لا يطاق هو ما في قدرة العبد احتماله مع المشقة الشديدة والكلفة
العظيمة كتكليف الاعمال الشاقة والفرائض الثقيلة كان في ابتداء الاسلام من
صلاة الليل واجبة ونحوه فهذا الذي سأل المؤمنون ربهم ان لا يحملهم ما لا طاقة
لهم به واستدلوا بهذه الآية على من يقول ان تكليف ما لا يطاق جائز اذ لو لم يكن
جائزا لما حسن طلبه بالدعاء من الله تعالى وقيل في قوله ربنا ولا تحملنا
ما لا طاقة لنا به هو حديث النفس والوسوسة وقيل هيجان الغلمة وقيل
هو الحب وقيل هو شماتة الاعداء وقيل هو الفرقة والقطيعة وقيل هو مسخ القردة
والخنازير نعوذ بالله من ذلك كله قوله تعالى **واعف عنا** اي تجاوز عن ذنوبنا
وامحها عنا **واغفر لنا** اي استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا **وارحمنا** اي تعطف علينا برحمة
تنجينا بها من عذابك فانه ليس بناج من عذابك الا من رحمته وقيل المعنى لا ننال العمل
الا بطاعتك ولا نترك معصيتك الا برحمتك واصل الرحمة رقة تقتضي الاحسان
الى المرحوم واذا وصف بها الله تعالى فليس يراد به الا الاحسان المجرد والتفضل
على العباد دون الرقة وقيل ان طلب العفو هو ان يسقط عنه عقاب ذنوبه

وطلب المغفرة هو ان يستر عليه صونا له عن الفضيحة كان العبد يقول
اطلب منك العفو واذا عفوت عني فاستره علي فاذا عفى الله عن العبد وستره
طلب الرحمة التي هي الانعام والاحسان ليفوز بالنعيم والثواب **انت مولانا**
اي ناصرنا وحافظنا ووليا ومتولي امرنا **فانصرنا على القوم الكافرين**
يعني الجاحدين الذين عبدوا غيرك وجحدوا وحدانيتك قال ابن عباس في قوله تعالى
غفرانك ربنا قال قد غفرت لكم وفي قوله لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال
لا اؤاخذكم ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال لا احملكم ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال
ولا احملكم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين
قال قد عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين كان معاذ اذا ختم
سورة البقرة قال آمين م عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لما اسري برسول
الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهي في السادسة اليها ينتهي
ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط من فوقها فيقبض منها قال
اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال فاعطي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك
من امته شيئا المقحمات قوله المقحمات الذنوب العظام التي تولج مرتكبها النار والاصل
الاقحام الولوج ق عن ابي مسعود الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه من كل ما يحذر من
هامة وشيطان فلا يقربه تلك الليلة وقيل كفتاه من قيام الليل م عن ابن
عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده جبريل عليه السلام اذ سمع نقيضا
من فوقه فرفع جبريل بصره الى السماء فقال هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط
الا اليوم فنزل منه ملك فقال هذا ملك نزل الى الارض لم ينزل قط الا اليوم فسلم
وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة
البقرة لن تقرأ بحرف منها الا اعطيته ه عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفي عام انزل منه آيتين
ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب ه آخر تفسير سورة البقرة والله اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية
وثلاثة آلاف واربعمائة وثمانون كلمة
واربعة عشر الفا وخمسمائة وخمسة عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو الحي القيوم قال المفسرون نزلت هذه الآيات في وفد
نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم اربعة عشر
رجلا من اشرافهم منهم ثلاثة نفر يؤول اليهم امرهم وهم العاقب وهو امير القوم
وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رايه والسيد واسمه الايهم وهو ثمالهم
وصاحب رحلهم الذي يقوم بامر طعامهم وشرابهم وابو حارثة بن علقمة وهو اسقفهم
وحبرهم وكان ملوك الروم يكرمونه لما علموا من علمه واجتهاده في دينهم فدخلوا مسجد
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يصلي العصر وعليهم ثياب الحبرات واردية في جمال

رجال لبني الحارث بن كعب يقول من رآهم ما رأينا وفدا مثلهم وقد حانت صلاتهم فقاموا الى
الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعوهم فصلوا الى المشرق فلما فرغوا تكلم السيد والعاقب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما قالا قد اسلمنا قبلك
قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعواكما لله ولدا واتخاذكما الصليب واكلكما الخنزير
قالا ان لم يكن عيسى ولد الله فمن ابوه وخاصموه جميعا في عيسى فقال لهم النبي صلى الله
عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه اباه قالوا بلى قال الستم
تعلمون ان ربنا قيم على كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك
شيئا الا ما علم قالوا لا قال الستم تعلمون ان ربنا صور عيسى حملته امه كما تحمل الانثى
ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي ثم كان يطعم ويشرب
ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل الله صدر سورة
آل عمران الى بضع وثمانين آية منها زاد بعضهم فقالوا يا محمد الست تزعم ان عيسى كلمة
الله وروح منه قال بلى قالوا فحسبنا وابوا الا الجحود فانزل الله ردا عليهم الم الله
لا اله الا هو الحي القيوم يعني انما زعمتم يا معشر النصارى في معرفة الاله
فهو الله لا اله الا هو فكيف تشركون له ولدا يعني تعالى ان احدا لا يستحق العبادة
سواه لانه الواحد الاحد ليس معه الهة ولا ند ولا مع ابتع ذلك ما يجري مجرى الادلة
عليه فقال تعالى الحي القيوم اما الحي في صفة الله تعالى فهو الدائم الباقي الذي
لا يصح عليه الموت واما القيوم فهو القائم بذاته والقائم بتدبير الخلق ومصالحهم
فيما يحتاجون اليه في معاشهم ومعادهم **نزل عليك الكتاب** يعني القرآن
بالحق اي بالصدق والعدل **مصدقا لما بين يديه** يعني لما قبله من الكتب
في التوحيد والنبوات والاخبار وبعض الشرائع وقوله لما بين يديه من مجاز
الكلام وذلك ان ما بين يديه فهو امامه فقيل لكل شيء يتقدم على الشيء فهو
بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره **وانزل التوراة والانجيل من قبل** فان قلت
لم قيل نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل منجما مفصلا
في اوقات كثيرة ونزل يقتضي التكثير وانزل التوراة والانجيل جملة واحدة **هدى
للناس** يعني ان التوراة والانجيل قبل القرآن كانت هدى للناس فان قلت
كيف وصف القرآن في البقرة بانه هدى للمتقين ووصف التوراة والانجيل هنا
بانهما هدى للناس قلت انما وصف القرآن بانه هدى للمتقين لانهم هم الذين انتفعوا
به واتبعوه ووصف هنا التوراة والانجيل بانهما هدى للناس لان المناظرة كانت
مع نصارى نجران وهم يعتقدون صحة التوراة والانجيل فلهذا السبب قال
هدى للناس وقيل ان قوله هدى للناس يعود الى الكتب الثلاثة يعني
القرآن المتقدم ذكره والتوراة والانجيل فانما وصف هذه الكتب بانها هدى
للناس لما فيها من الشرائع والاحكام **وانزل الفرقان** يعني الفارق بين الحق
والباطل قيل اراد به القرآن وانما اعاد ذكره تعظيما لشانه ومدحا له لكونه
فارقا بين الحق والباطل وقيل انما اعاد ذكره ليبين انه تعالى انزله بعد التوراة
والانجيل ليجعله فارقا بين ما اختلف فيه اليهود والنصارى في امر عيسى
عليه السلام وقيل المراد به الكتب الثلاثة لان كلها هدى للناس ومعرفة

بين الحلال والحرام والحق والباطل ذكره السدي في الآية تقديم وتأخير
تقديره وانزل التوراة والانجيل والفرقان هدى للناس **ان الذين كفروا بآيات
الله** يعني الكتب المنزلة وغيرها قيل اراد بهم نصارى نجران كفروا بالقرآن وبمحمد
صلى الله عليه وسلم وقيل ان خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ فهو يتناول كل من كفر
بشيء من آيات الله **لهم عذاب شديد والله عزيز** اي غالب لا يغلب **ذو انتقام**
يعني ممن كفر به والانتقام المبالغة في العقوبة قوله تعالى **ان الله لا يخفى عليه
شيء في الارض ولا في السماء** اي لا يخفى عليه شيء من اسرار العالم وهو المطلع على احوالهم
فقوله ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء اشارة الى كمال علمه المتعلق
بجميع المعلومات **هو الذي يصوركم في الارحام** التصوير جعل الشيء على صورة
والصورة هيئة يكون عليها الشيء بالتأليف والارحام جمع رحم **كيف يشاء** يعني
الصور المختلفة المتفاوتة في الخلقة ذكرا وانثى وابيض واسود وحسنا و
قبيحا كاملا وناقصا والمعنى انه الذي يصوركم في ظلمات الارحام مختلفة في
الشكل والطبع واللون وذلك من نطفة **ق** عن عبد الله بن مسعود قال حدثنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن
امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث
اليه ملكا باربع كلمات بكتب رزقه واجله وعمله وشقي او سعيد ثم ينفخ فيه
الروح فوالذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها
الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل
بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل
الجنة فيدخلها **ق** عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم
ملكا يقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقها
قال يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب ذلك في بطن
امه وقيل ان الآية واردة في الرد على النصارى وذلك ان عيسى عليه السلام
كان يخبر ببعض الغيب فيقول اكلت كذا وادخرت كذا وصنعت كذا وانه احيا الموتى وابرأ
الاكمه والابرص وخلق من الطين طيرا وادعت النصارى فيه الالهية وقالوا اما قدر
على الاحياء فرد الله تعالى عليهم ذلك واخبر ان الاله المستحق لهذا الاسم هو الذي
لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء وانه المصور في الارحام كيف يشاء وان
عيسى عليه السلام ممن صور في الرحم فتنبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد
مخلوق كغيره وانه يخفى عليه ما لا يخفى على الله عز وجل **لا اله الا هو العزيز
الحكيم** وهذا ايضا في الرد على النصارى حيث قالوا عيسى ولد الله فكانه قال كيف
يكون ولدا له وقد صوره الله في الرحم قوله عز وجل **هو الذي انزل عليك الكتاب**
يعني القرآن **منه آيات محكمات** يعني مبينات مفصلات احكمت عباراتها
من احتمال التأويل والاشتباه سميت محكمات من الاحكام كانه تعالى احكمها فمنع
الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها **هن ام الكتاب**
يعني هن اصل الكتاب الذي يعول عليه في الاحكام ويعمل به في الحلال والحرام
فان قلت كيف قال ام الكتاب ولم يقل امهات الكتاب **قلت**
لان الآيات في تكاملها واجتماعها كالآية الواحدة وكلام الله كله شيء واحد وقيل ان كل آية

يعني ام الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وامه اية يعني ان كل واحد منهما اية **واخر** جمع
اخرى **متشابهات** يعني ان لفظه يشبه لفظ غيره ومعناه يخالف معناه فان قلت
قد جعله هنا محكما ومتشابها وجعله في موضع اخر كله محكما فقال الر كتاب احكمت اياته
وجعله في موضع اخر كله متشابها فكيف الجمع بين هذه الايات قلت حيث جعله كله محكما
اراد انه كله حق وصدق ليس فيه عبث ولا هزل وحيث جعله كله متشابها اراد ان بعضه
يشبه بعضا في الحسن والحق والصدق وحيث جعل بعضه محكما وبعضه متشابها
فقد اختلف عبارات العلماء فيه فقال ابن عباس المحكمات الثلاث ايات التي في اخر
سورة الانعام وهي قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ونظيرها في بني
اسرائيل وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه الايات وعنه ان المحكمات هي الناسخ والمتشابهات
هي الايات المنسوخة وبه قال ابن مسعود وقتادة والسدي وقيل ان المحكمات
ما فيه من احكام الحلال والحرام والمتشابهات ما سوى ذلك يشبه بعضه بعضا ويصدق
بعضه بعضا وقيل المحكمات ما اطلع الله عباده على معناه والمتشابه ما استاثر الله
بعلمه فلا سبيل لاحد الى معرفته نحو الخبر عن اشراط الساعة مثل الدجال
ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وفناء الدنيا
وقيام الساعة فجميع هذا مما استاثر الله بعلمه وقيل ان المحكم ما لا يحتمل من التأويل
الا وجها واحدا والمتشابه ما احتمل اوجها وروي ذلك عن الشافعي وقيل المحكم هو سائر
القران والمتشابه هو الحروف المقطعة في اوائل السور قال ابن عباس ان رهطا
من اليهود منهم حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف ونظراؤهما اتوا النبي صلى الله عليه وسلم
فقال له حيي بلغنا انه انزل عليك الم فانشدك الله انزلت عليك قال نعم قال
ان كان ذلك حقا فاني اعلم مدة ملك امتك هي احدى وسبعون سنة فهل
انزل عليك غيرها قال نعم المص قال هذه اكثر من مائتين واحدى وسبعون سنة فهل
من غيرها قال نعم المر قال هذه اكثر من مائتين واحدى وسبعون سنة ولقد خلط
علينا فلا ندري ابكثيره ناخذ ام بقليله ونحن ممن لا نؤمن بهذا فانزل الله هذه
الاية فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه وقيل ان المحكم ما لم
تتكرر الفاظه والمتشابه ما تكررت الفاظه وقيل ان المحكم ما استقل بنفسه
ولم يحتج الى بيان والمتشابه ما احتاج الى بيان وقيل ان المحكم هو الامر والنهي والوعد
والوعيد والمتشابه هو القصص والامثال **فان قلت** انما انزل القران
لبيان الدين وارشاد العباد وهدايتهم فما فائدة المتشابه وهلا كان كله
محكما **قلت** ذكر العلماء لهذا السؤال اجوبة احدها ان القران
نزل بالفاظ العرب ولغاتهم وكلام العرب على ضربين احدهما الايجاز والاختصار
والموجز الذي لا يخفى على سامعه ولا يحتمل غير ظاهره والاطالة لبيان المراد
والتوكيد والضرب الثاني المجاز والكنايات والاشارات والتلويحات واغماض
بعض المعاني وهذا الضرب هو المستحسن عند العرب والبديع في كلامهم
فانزل الله تعالى القران على هذين الضربين ليتحقق عجزهم عن الاتيان بمثله
فكانه قال عارضوه باي الضربين شئتم ولو نزل كله محكما واضحا لقالوا هلا
نزل بالضرب المستحسن عندنا الجواب الثاني ان الله تعالى انزل المتشابه
لفائدة عظيمة وهي ان يشتغل اهل العلم بالنظر برد المتشابه الى المحكم

فيطول

فيطول بذلك فكرهم ويتصل بالبحث عن معانيه معرفتنا العالم والجاهل اهتمامهم فيثابوا
على تعبهم كما اثيبوا على عباداتهم ولو انزل القران كله محكما لاستوى في معرفته العالم والجاهل
ولم يتفضل العالم على غيره ولماتت الخواطر وخمدت الفكرة ومع الغموض تقع الحاجة الى الفكرة
والحيلة الى استخراج المعاني وقد قيل في عيب الغنا انه يورث البلادة وفي فضيلة الفقر لانه
يبعث الى الحيلة لانه اذا احتاج احتال الجواب الثالث ان اهل كل علم يجعلون في علومهم
معاني غامضة ومسائل دقيقة ليختبروا بذلك اذهان المتعلمين منهم في استخراج الجواب لانهم
اذا قدروا على استخراج المعاني الغامضة كانوا على الواضح اقدر فلما كان ذلك حسنا عند العلماء
جاز ان يكون ما انزل الله تعالى من المتشابه على هذا النحو الجواب الرابع ان الله تعالى انزل المتشابه
في كتابه ليختبر به عباده ليقف المؤمن عنده ويرد علمه الى عالمه فيعظم بذلك ثوابه ويرتاب
به المنافق فيداخله الزيغ فيستحق بذلك العقوبة كما ابتلى بني اسرائيل بالنهر والله اعلم بمراده
وقوله تعالى **فاما الذين في قلوبهم زيغ** اي ميل عن الحق وقيل الزيغ الشك ثم اختلفوا
في المعني بهم والمشار اليهم فقيل هم وفد نجران الذين خاصموا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عيسى عليه السلام وقالوا الست تزعم ان عيسى روح الله وكلمته قال بلى قالوا حسبنا فانزل
الله هذه الاية وقيل هم اليهود الذين طلبوا معرفة مدة بقاء هذه الامة واستخراجه بحساب
الجمل من الحروف المقطعة في اوائل السور وقيل هم المنافقون وقيل هم الخوارج وكان قتادة
يقول ان لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا ادري من هم وقيل هم جميع المبتدعة **فيتبعون**
ما تشابه منه يعني يحيلون المحكم على المتشابه والمتشابه على المحكم ويقولون ما بال هذه الاية
عمل بها كذا وكذا ثم نسخت وقيل كل من احتج لباطله بالمتشابه فهو المعني بهذه الاية **ق**
عن عائشة قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي انزل عليك الكتاب منه ايات محكمات
الى وما يذكر الا اولوا الالباب فقال فاذا رايتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين
سماهم الله فاحذروهم وقوله تعالى **ابتغاء الفتنة** اي طلب الشرك والكفر وقيل طلب الشبهات
ليضلوا بها جهالهم وقيل طلب افساد ذات البين **وابتغاء تأويله** اي تفسيره واصل
التأويل في اللغة المرجع والمصير تقول آل الامر الى كذا اذا رجع اليه وتسمى العاقبة
تأويلا لان الامر يصير اليه قال ابن عباس في قوله وابتغاء الفتنة اي طلب بقاء ملك محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بهم الكفار طلبوا متى يبعثون وكيف احياؤهم بعد الموت
وقيل هو طلب تفسير المتشابه وعلمه **وما يعلم تأويله الا الله** يعني تأويل المتشابه
وقيل لا يعلم انقضاء ملك هذه الامة الا الله لان انقضاء ملكها مع قيام الساعة ووقت
طلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى بن مريم وعلم الحروف المقطعة
واشباه ذلك مما استاثر الله بعلمه فالايمان به واجب وحقايق علومه مفوضة الى الله
تعالى وهذا قول اكثر المفسرين وهو مذهب ابن مسعود وابن عباس في رواية عنه
وابي بن كعب وعائشة واكثر التابعين فعلى هذا القول تم الكلام عند قوله الا الله
ثم يوقف عليه ثم ابتدا فقال تعالى **والراسخون في العلم** اي الثابتون وهم الذين اتقنوا
علمهم بحيث لا يدخل في علمهم شك **يقولون امنا به** قال ابن عباس تمامهم الراسخين في
العلم يعني انهم امنوا به ومن رسوخهم في العلم هو الايمان به وقال عمر بن عبد العزيز في هذه
الاية انتهى علم الراسخين في العلم بتأويل القران الى ان قالوا امنا به **كل من عند ربنا**
يعني المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وما علمنا منه وما لم نعلم فنحن متعبدون في المتشابه
بالايمان وبكل معرفته الى الله تعالى وفي المحكم يجب علينا الايمان به والعمل بمقتضاه وروي

عن ابن عباس انه قال تفسير القرآن على اربعة اوجه فمنه تفسير لا يسع احد جهله وتفسير
تعرفه العرب بالسنتها وتفسير تعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه الا الله وقيل ان الواو في قوله
والراسخون في العلم وهم مع علمهم يقولون آمنا به **روى** عن ابن عباس انه كان يقول
انا من الراسخين في العلم وعن مجاهد عنه انا ممن يعلم تاويله ووجه هذا القول ان الله تعالى
انزل كتابه لينتفع به عباده ولا يجوز ان يكون في القرآن شيء لا يعرفه احد من الامة وفي المراد
بالراسخين في العلم ههنا قولان احدهما انهم مؤمنو اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه
دليله قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم والقول الثاني ان الراسخين هم العلماء العاملون
بعلمهم سئل انس بن مالك رضي الله عنه عن الراسخين في العلم فقال العالم العامل بما علم
المتبع له وقيل الراسخ في العلم من وجد في علمه اربعة اشياء التقوى فيما بينه وبين الله
تعالى والتواضع فيما بينه وبين الناس والزهد فيما بينه وبين الدنيا والمجاهدة
فيما بينه وبين الناس **وما يذكر الا اولوا الالباب** اي وما يتعظ بما في القرآن الا ذوو العقول
وهذا ثناء من الله عز وجل على الذين قالوا آمنا به كل من عند ربنا قوله تعالى **ربنا**
ربنا لا تزغ قلوبنا اي ويقول الراسخون في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا اي لا تملها
عن الحق والهدى كما ازغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ **بعد اذ هديتنا** اي وفقتنا لدليل
والايمان بالمحكم والمتشابه من كتابك **وهب لنا من لدنك رحمة** اي اعطنا توفيقا وتثبيتا
للذي نحن عليه من الايمان والهدى وقيل هب لنا تجاوزا ومغفرة **انك انت الوهاب**
الهبة العطية الخالية عن الاعواض والاغراض والوهاب في صفة الله تعالى انه يعطي كل
احد على قدر استحقاقه عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان قلوب بني آدم كلها بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه
حيث يشاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا
على طاعتك هذا من احاديث الصفات وللعلماء فيه قولان احدهما الايمان به وامراره
كما جاء من غير تعرض لتاويل ولا تكييف ولا المعرفة بمعناه بل نؤمن به وانه حق ونكل
علمه الى مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا القول هو مذهب اهل السنة
من سلف الامة وخلفها من اهل الحديث وغيرهم والقول الثاني انه يتاول بحسب
ما يليق به وان ظاهره غير مراد قال تعالى ليس كمثله شيء فعلى هذا المراد هو المجاز
كما يقال فلان في قبضتي وفي كفي يريد انه تحت قدرته وفي تصرفه لا انه حال في كفه فمعنى
الحديث انه سبحانه وتعالى متصرف في قلوب عباده وغيرها كيف شاء ولا يمتنع عليه منها
شيء ولا يفوته ما اراده منها كما لا يمتنع على الانسان ما بين اصبعيه فخاطب رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصحابه بما يفهمونه ويعقلونه من انفسهم فانما ثنى لفظ الاصبعين
والقدرة واحدة لانه جرى على المعهود من التمثيل بحسب ما اعتاده وان كان غير
مقصود به التثنية والجمع وهذا مذهب جمهور المتكلمين وغيرهم من المتاخرين
وانما خص القلوب بالذكر لفائدة وهي ان الله تعالى جعل القلوب محلا للخواطر
والارادات والنيات وهي مقدمات الافعال ثم جعل سائر الجوارح تابعة للقلوب
في الحركات والسكنات والله اعلم قوله عز وجل **ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه**
اي ليوم الفصل للقضاء بينهم في اي في يوم لا ريب فيه اي لا شك فيه انه كائن وهو
يوم القيامة **ان الله لا يخلف الميعاد** هذا من بقية دعاء الراسخين في العلم وذلك انهم لما
طلبوا من الله ان يصرف قلوبهم عن الزيغ وان يخصهم بالهداية والرحمة وذلك من مصالح

الدين والدنيا ثم انهم اتبعوا ذلك بقولهم ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ومعناه انا
نعلم انك جامع الناس للجزاء في يوم القيامة ونعلم ان وعدك حق وانك لا تخلف الميعاد فمن
ازغت قلبه فهو هالك ومن مننت عليه بالهداية والرحمة فهو ناج من العذاب سعيد
قوله تعالى **ان الذين كفروا** قال ابن عباس هم قريظة وبنو النضير **لن تغني عنهم** اي لن
تنفع ولن تدفع **اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا** اي من عذاب الله شيئا وقيل من
بمعنى عند اي عند الله شيئا **واولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون** قال ابن عباس
كفعل آل فرعون وصنيعهم في الكفر وقيل كسنة آل فرعون وقيل كعادة آل فرعون
والمعنى ان عادة هؤلاء الكفار في تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحود الحق
كعادة آل فرعون فانهم كذبوا موسى وصدقوا فرعون **والذين من قبلهم** يعني كفار
الامم الماضية مثل عاد وثمود وغيرهم **كذبوا بآياتنا** يعني لما جاءتهم الرسل **فاخذهم**
الله بذنوبهم اي فعاقبهم بسبب تكذيبهم **والله شديد العقاب** وقيل معنى الآية
ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم عند حلول النقمة والعقوبة
مثل آل فرعون وكسائر الامم الخالية واخذناهم فلم تغن عنهم اموالهم ولا اولادهم
قوله عز وجل **قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون** قرئ بالياء والتاء فمن قرأ بالياء المنقوطة
تحت فمعناه بلغهم يا محمد انهم سيغلبون ويحشرون في الآخرة الى جهنم ومن قرأ
بالتاء المنقوطة فوق فمعناه قل لهم ستغلبون وتحشرون الى جهنم قيل اراد بالذين
كفروا مشركي قريش والمعنى قل لكفار مكة ستغلبون يوم بدر وتحشرون في الآخرة
الى جهنم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم الى جهنم
وقيل ان ابا سفيان جمع جماعة من قومه بعد وقعة بدر فانزل الله هذه الآية وقيل
ان هذه الآية نزلت في اليهود وقال ابن عباس ان يهود المدينة قالوا لما هزم رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذا والله الذي بشر به موسى النبي الذي لا ترد له راية وارادوا اتباعه
ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا العهد فانطلق كعب بن الاشرف
في ستين راكبا الى مكة ليستنفرهم فاجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانزل الله هذه الآية وقال ابن عباس وغيره لما اصاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قريشا يوم بدر ورجع الى المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع وقال
يا معشر اليهود احذروا من الله مثل الذي انزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان
ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل تجدون ذلك في كتابكم فقالوا يا محمد
لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة وانا لو قاتلناك
لعرفت انا نحن الناس فانزل الله عز وجل قل للذين كفروا يعني اليهود ستغلبون
اي ستهزمون وتحشرون يعني في الآخرة **الى جهنم وبئس المهاد** اي الفراش
والمعنى بئس ما مهد لهم في النار قوله تعالى **قد كان لكم آية في فئتين التقتا** قيل الخطاب
للمؤمنين يروى ذلك عن ابن مسعود والحسن وقيل هو خطاب للكفار فيكون معطوفا
على الذي قبله ويخرج على قول ابن عباس وقيل هو خطاب لليهود قال ابن جرير فان قلت
لم قال قد كان لكم آية ولم يقل قد كانت لان الآية مؤنثة قلت كلما كان تانيث غير
حقيقي يجوز تذكيره وقيل لانه رد المعنى الى ترك اللفظ وقال الفراء انما ذكر لانه حال
الصفة بين الفعل والاسم المؤنث فذكر الفعل وكلما جاء من هذا فهذا وجهه ومعنى

الآية فقد كان لكم آية أي عبرة ودلالة على صدق ما أقول إنكم ستغلبون في فئتين أي
فرقتين وأصلها في الحرب لأن بعضهم يفيء إلى بعض أي يرجع التقتا يعني يوم بدر **فئة
تقاتل في سبيل الله** أي في طاعة الله وهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا
ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا سبعة وسبعون من المهاجرين ومائتان وستة وثلاثون رجلا
من الأنصار وكان صاحب راية المهاجرين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصاحب راية الأنصار
سعد بن عبادة رضي الله عنه وكان فيهم سبعون بعيرا وكان معهم من السلاح ستة أدرع
وثمانية سيوف قوله تعالى **وأخرى كافرة** أي وفرقة أخرى كافرة وهم مشركو مكة
وكانوا تسعمائة وخمسين رجلا من المقاتلة وكان رأسهم عتبة بن ربيعة بن عبد شمس
وكان فيهم مائة فرس وكانت وقعة بدر أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعد الهجرة قوله تعالى **يرونهم مثليهم** قرئ بالتاء يعني ترون يا أهل مكة ضعفي
المسلمين يا معشر اليهود وذلك أن جماعة من اليهود كانوا قد حضروا قتال بدر لينظروا
على من تكون الدائرة ولمن النصر فرأوا المشركين مثلي عدد المسلمين ورأوا النصر للمسلمين
فكان ذلك معجزة وقرئ بالياء واختلفوا في وجه قراءة الياء فجعل بعضهم الرؤية
للمسلمين ثم له تأويلان أحدهما يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم **فإن قلت**
كيف الجمع بين قوله تعالى يرونهم مثليهم وبين قوله تعالى وإذ يريكموهم إذ التقيتم
في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم وكيف يقال إن المشركين استكثروا المسلمين أو
المسلمين استكثروا المشركين وإن الفئتين استويا في استقلال إحداهما الأخرى
قلت إن التقليل والتكثير كانا في حالتين مختلفتين وإن قلنا إن
الفئة الرائية لهم هم المسلمون فإنهم رأوا عدد المشركين عند بداية القتال على ما هم
عليه ثم قلل الله المشركين في أعين المسلمين حتى اجترؤا عليهم فقصروا على قتالهم
بذلك السبب قال ابن مسعود نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا ثم
نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا وفي رواية أخرى عنه قال
لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي كم تراهم قال أراهم مائة فأسرنا
منهم رجلا فقلنا كم كنتم قال ألفا وإن قلنا إن الفئة الرائية هم المشركون
على قول بعضهم إن الرؤية راجعة إلى المشركين يعني المشركون رأوا المسلمين مثليهم
قلل الله المسلمين في أعين المشركين في أول القتال ليجترؤا عليهم ولا ينصرفوا
فلما أخذوا في القتال كثر الله المسلمين في أعين المشركين ليجبنوا فيكون
ذلك سبب خذلانهم وقد روي أن المشركين لما أسروا يوم بدر قالوا للمسلمين
كم كنتم قالوا كنا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا قالوا المشركين ما كنا نراكم
إلا تضعفون علينا فكان في وقعة بدر أحوال في التكثير والتقليل وما ذلك
إلا لإظهار القدرة التامة قوله تعالى **رأي العين** أي في رأي العين **والله
يؤيد** أي يقوي **بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة** يعني الذي ذكر من النصر
وقيل رؤية الجيش مثليهم **لأولي الأبصار** أي الآية والعبرة الدلالة الموصلة إلى اليقين
المؤدية إلى العلم وأصلها من العبور كأنه طريق يعبر به فيوصلهم إلى مرادهم
وقيل العبرة هي التي يعبر بها من منزلة الجهل إلى منزلة العلم **زين للناس**
لذوي العقول والأبصار **حب الشهوات** قال أهل السنة المزين هو الله تعالى لأنه
تعالى خالق جميع أفعال العباد وأن الله تعالى خلق جميع ملاذ الدنيا وأباحها

لعبيده

لعبيده وإباحتها للعبد تزيين لها قال الله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا وقال
تعالى قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال تعالى إنا جعلنا
ما على الأرض زينة لها وقال تعالى كلوا مما رزقناكم حلالا طيبا فكل ذلك يدل على أن
المزين هو الله تعالى ومما يؤيد ذلك قراءة زين بفتح الزاي على تسمية الفاعل وقال
الحسن المزين هو الشيطان وهو قول طائفة من المعتزلة ويدل على ذلك أن الله تعالى
زهد في هذه الأشياء بأن أعلم عباده زوالها ولأن الله تعالى أطلق حب الشهوات
فيدخل فيه الشهوات المحرمة والمزين لذلك هو الشيطان ولأن الله تعالى ذكر هذه
الأشياء في معرض الذم للدنيا ويدل عليه آخر الآية وهو قوله والله عنده حسن المآب
ونقل عن أبي علي الجبائي من المعتزلة أنه ما كان حراما كان المزين له هو الشيطان
وكلما كان مباحا حسن ذلك كان المزين له هو الله تعالى والصحيح ما ذهب إليه أهل
السنة لأن الله تعالى خالق كل شيء ولا شريك له في ملكه وقوله تعالى **من النساء**
يعني المشتهيات لأن النفس تتوق إلى الشيء المشتهى **والبنين** إنما بدأ بذكر
النساء لأن الالتذاذ بهن أكثر والاستئناس بهن أكثر ولأنهن حبائل الشيطان
وأقرب إلى الافتتان **والبنين** إنما خص البنين بالذكر لأن حب الولد الذكر أكثر
من الأنثى ووجه حبه ظاهر لأنه يتكثر به ويعضده ويقوم مقامه وقد جعل الله
في قلب الإنسان حب الزوجة والولد لحكمة بالغة وهي بقاء التوالد ولولا تلك
المحبة لما حصل ذلك **والقناطير المقنطرة** جمع قنطار وسمي قنطارا من الإحكام من
والعقد يقال قنطرت الشيء إذا أحكمته ومنه القنطرة أي المحكمة الطاق واختلفوا في
القنطار هل هو محدود أو غير محدود على قولين أحدهما أنه محدود وهم اختلفوا
في حده فروي عن معاذ بن جبل أن القنطار ألف ومائتا أوقية وقال ابن عباس
ألف ومائتا مثقال وعنه اثنا عشر ألف درهم أو ألف دينار دية أحدكم وبه قال
الحسن وقال سعيد بن جبير هو مائة ألف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال
ومائة درهم ولقد جاء الإسلام يوم جاء وبمكة مائة رجل قد قنطروا وقال سعيد
بن المسيب وقتادة هو ثمانون ألفا وقال مجاهد سبعون ألفا وقال السدي
هو أربعة آلاف مثقال والقول الثاني أن القنطار ليس بمحدود وقال الربيع بن أنس
القنطار وزن لا يحد وهو اختيار ابن جرير الطبري وغيره وقال الحكم
القنطار ما بين السماء والأرض من مال وقال أبو نضرة القنطار ملء مسك ثور ذهبا
أو فضة وقيل القنطار من المال ما فيه عبور الحياة تشبيها بصورة القنطرة **المقنطرة**
المسكوكة المضروبة **من الذهب والفضة** إنما بدأ بهما من بين أصناف الأموال لأنهما قيم الأشياء
وإنما كانا محبوبين لأن مالكهما مالك لكل شيء قادر على ما يريد وهذه صفة كمال
وهي محبوبة وقيل سمي الذهب ذهبا لأنه يذهب ولا يبقى والفضة لأنها تنفض أي
تتفرق **والخيل المسومة** الخيل جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط سميت الأفراس
خيلا لاختيالها في مشيتها وقيل لأن الخيل لا يركبها أحد إلا وجد في نفسه مخيلة يعني
عجبا واختلفوا في معنى المسومة على ثلاثة أقوال الأول أنها من السيمة وهي العلامة
ثم القائلون بهذا القول اختلفوا في تلك العلامة فقيل هي الغرة والتحجيل التي تكون في
الخيل وقيل هي الخيل البلق وقيل هي المعلمة بالكي والقول الثالث أنها المطهمة الحسان
وتسويتها **والأنعام** جمع نعم وهي الإبل والبقر والغنم ولا يقال للجنس منها نعم إلا للإبل

خاصة فانه غلب عليها **والحرث** يعني الزرع **ذلك** يعني الذي ذكر من هذه الاصناف
متاع الحياة الدنيا اي الذي يستمتع به في الحياة الدنيا وهي زايلة فانية يشير الى ان
الحياة الدنيا متاع يفنى **والله عنده حسن المآب** اي المرجع ففيه اشارة الى التزهد في
الدنيا والترغيب في الاخرة وقيل هذه اشارة الى ان من اتاه الله في الدنيا كان الواجب
عليه ان يصرفها فيما يكون فيه صلاحه في الاخرة لانها السعادة القصوى قوله تعالى
قل اونبئكم اي اخبركم **بخير من ذلكم** يعني الذي ذكر من متاع الدنيا **للذين اتقوا**
قال ابن عباس في رواية عنه يريد المهاجرين والانصار اراد ان يصرفهم ويشوقهم الى
الاخرة قال العلما يدخل في هذا الخطاب كل من اتقى الشرك **عند ربهم** معناه انه
تعالى اعد لهم عنده خيرا مما كان في الدنيا وان كان محبوبا لحثهم على ترك ما يحبون لما
يرجون ثم فسر ذلك الخير فقال تعالى **جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج**
مطهرة ورضوان عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك
والخير كله في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط
احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واي شي افضل من ذلك
فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا وقيل ان العبد اذا علم ان الله تعالى
قد رضي عنه كان اتم لسروره واعظم لفرحه **والله بصير بالعباد** يعني انه تعالى عالم
بمن يؤثر ما عنده ممن يؤثر شهوات الدنيا فيجازي كلا على عمله فيثيب ويعاقب
على قدر الاعمال وقيل انه تعالى بصير بالذين اتقوا فلذلك اعد لهم الجنات قوله عز وجل
الذين يقولون ربنا اننا امنا اي صدقنا **فاغفر لنا ذنوبنا** اي استرها وتجاوز
عنا **وقنا عذاب النار** قوله تعالى **الصابرين** يعني على اداء الواجبات وعن المحرمات والمنهيات
وفي الباساء والضراء وحين الباس وقيل الصابرين على دينهم وعلى ما اصابهم **والصادقين**
يعني في ايمانهم وقال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت السنتهم وقلوبهم
في السر والعلانية والصدق يكون في القول والفعل هو الانصراف عنه قبل تمامه
والصدق في النية العزم على الفعل حتى يبلغه **والقانتين** يعني المطيعين لله
تعالى وقيل هم المصلون وهو عبارة عن دوام الطاعة والمواظبة عليها **والمنفقين**
يعني اموالهم في طاعة الله تعالى ويدخل فيه نفقة الرجل على نفسه وعلى اهله
وعلى اقاربه وصلة رحمه والزكاة والنفقة في جميع القربات **والمستغفرين بالاسحار**
يعني والمصلين بالسحر وهو الوقت يبدا لظلمة الليل الى طلوع الفجر وقيل كانوا
يصلون بالليل حتى اذا كان وقت السحر اخذوا في الدعا والاستغفار فكان هذا
دابهم في ليلهم قال نافع كان ابن عمر يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلاة
فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصلي الصبح وعن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا
حين يبقى ثلث الليل الاخر فيقول من يدعوني فاستجيب له من يسالني فاعطيه من
يستغفرني فاغفر له وفي لفظ مسلم فيقول انا الملك انا الملك من ذا الذي يدعوني
الحديث وله في رواية اخرى فيقول هل من سايل فيعطى هل من داع فيستجاب له
هل من مستغفر فيغفر له حتى ينفجر الصبح هذا الحديث من احاديث الصفات
وللعلما فيه وفي امثاله مذهبان معروفان مذهب السلف الايمان به واجراوه على ظاهره من

وفي

ونفي الكيفية عنه والمذهب الثاني هو مذهب من يتاول احاديث الصفات قال ابو سليمان
الخطابي انما ينكر هذا الحديث من يقيس الامور على ما يشاهده من النزول الذي هو
التدلي من اعلا الى اسفل والانتقال من فوق الى تحت وهذه صفة الاجسام فاما نزول
من لا يستولي عليه صفات الاجسام فان هذه المعاني غير متوهمة فيه وانما هو خبر عن
قدرته ورافته بعباده وعطفه عليهم واستجابة دعايهم ومغفرته لهم يفعل ما يشا
لا يتوجه على صفاته كيفية ولا على افعاله كمية سبحانه ليس كمثله شي وهو السميع البصير
وقيل في قوله والمستغفرين بالاسحار وصفهم الله تعالى بهولا عما وصف ثم بين
انهم مع ذلك لشدة خوفهم ووجلهم انهم يستغفرون بالاسحار وروي ان لقمان
قال لابنه يا بني لا تكن اعجز من الديك فانه يصوت بالاسحار وانت نايم على فراشك
وقيل هم الذين يصلون صلاة الصبح في جماعة فعلى هذا القول انما سميت
الصلاة استغفارا لانهم طلبوا بفعلها المغفرة قوله عز وجل **شهد الله انه لا اله الا هو**
قيل في سبب نزول هذه الاية ان حبرين من احبار الشام قدما على النبي صلى الله عليه
وسلم فلما ابصرا المدينة قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينة بصفة
مدينة النبي صلى الله عليه وسلم الذي يخرج في اخر الزمان فلما دخلا على النبي
صلى الله عليه وسلم عرفاه بالصفة فقالا له انت محمد قال نعم قالا وانت احمد
قال نعم قالا انا نسالك عن شي فان انت اخبرتنا به امنا بك وصدقناك قال
اسالاني قالا اخبرنا عن اعظم شهادة في كتاب الله عز وجل فانزل الله هذه
الاية فاسلم الحبران وقيل ان هذه الاية نزلت في نصارى نجران بينما ادعوا في
عيسى عليه السلام فقوله تعالى شهد الله يعني بين الله واظهر لان معنى
الشهادة تبيين واظهار وقيل معنى شهد الله حكم الله وقضى وقيل معناه اعلم
الله انه لا اله الا هو وذلك ببيان الدلايل لما امكن التوصل الى معرفة الوحدانية
وهو تعالى ارشد عباده الى معرفة توحيده بما ابدى من عجايب مصنوعاته وغرايب
مبتدعاته سئل بعض الاعراب ما الدليل على وجود الصانع فقال ان البعرة تدل على
البعير واثار القدم تدل على المسير فهيكل علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي
بهذه الكثافة اما يدلان على وجود الصانع الخبير قال ابن عباس خلق الله
تعالى الارواح قبل الاجسام باربعة الاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح
باربعة الاف سنة فشهد لنفسه قبل ان يخلق الخلق حين كان ولم يكن سما
ولا ارض ولا بر ولا بحر فقال تعالى شهد الله انه لا اله الا هو **والملايكة** اي
وشهد الملايكة بمعنى شهادة الله الاخبار والاعلام ومعنى شهادة الملايكة
والمومنين الاقرار والاعتراف بانه لا اله الا هو ولما كان كل واحد من هذين
الامرين يسمى شهادة حسن اطلاق لفظ الشهادة عليهما **واولو العلم** اي وشهدوا
اولو العلم بانه لا اله الا هو واختلفوا في اولي العلم فقيل هم الانبيا عليهم
السلام لانهم اعلم الخلق بالله وقيل هم علما اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المهاجرين والانصار وقيل هم علما مومني اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام
واصحابه وقيل هم جميع المومنين **قايما بالقسط** اي بالعدل ونصب على الحال
والقطع والمدح ومعناه انه تعالى قايم بتدبير خلقه كما يقال فلان قايم
بامر فلان يعني انه مدبر له متعهد لاسبابه وفلان قايم بحق فلان اي مجاز له

بان الله تعالى مدبر امر خلقه قايم بارزاقهم ومجازيهم باعمالهم **لا اله الا هو** وانما كرره للتاكيد
وقيل ان الاول وصف وتوحيد والثاني رسم وتعليم اي قولوا لا اله الا الله وقيل
فايدة التكرير والاعلام بان هذه الكلمة اعظم الكلام واشرفه وفيه حث على
العباد على تكريرها والاشتغال بها فانه من اشتغل بها فقد اشتغل بافضل
العبادات **العزيز** اي الغالب الذي لا يقهر **الحكيم** يعني في جميع افعاله **ان الدين
عند الله الاسلام** يعني ان الدين المرضي عند الله هو الاسلام كما قال تعالى ورضيت
لكم الاسلام دينا وفيه رد على اليهود والنصارى وذلك لما ادعت اليهود انه لا دين
افضل من اليهودية وادعت النصارى انه لا دين افضل من النصرانية فرد الله عليهم
ذلك فقال ان الدين عند الله الاسلام وقرئ ان الدين بفتح الهمزة ردا على ان الاولى
والمعنى شهد الله انه لا اله الا هو وشهد ان الدين عند الله الاسلام واصل الدين
في اللغة الجزاء يقال كما تدين تدان ثم صار اسما للملة والشريعة ومعناه الانقياد
للطاعة والشريعة قال الزجاج اسم لجميع ما تعبد الله به خلقه وامرهم بالاقامة
عليه والاسلام هو الدخول في السلم وهو الاستسلام والانقياد والدخول
في الطاعة وروى البغوي بسند الثعلبي عن غالب القطان قال اتيت الكوفة في
تجارة فنزلت قريبا من الاعمش فكنت اختلف عليه فلما كانت ذات ليلة
اردت ان انحدر الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر عند هذه الاية شهد الله
انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم قايما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم
قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله به لنفسه واستودع الله هذه الشهادة
وهي لي عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام وقالها مرارا قلت سمع فيها
شيا فصليت الصبح معه وودعته ثم قلت اني سمعتك ترددها فما بلغك
فيها قال والله لا حدثتك بها الى سنة فكتبت على بابه ذلك اليوم واقمت سنة
فلما مضت السنة قلت يا ابا محمد قد مضت السنة فقال حدثني ابو وايل عن عبد
الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله
عز وجل ان لعبدي هذا عندي عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدي
الجنة قوله تعالى **وما اختلف الذين اوتوا الكتاب** قال الكلبي نزلت في اليهود
والنصارى حين تركوا الاسلام والمعنى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب
في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم **الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم** يعني بيان
نعته وصفته في كتبهم وقال الربيع ان موسى عليه السلام لما حضره الموت
دعا سبعين رجلا من احبار بني اسرايل واودعهم التوراة واستخلف يوشع
ابن نون فلما مضى القرن الاول والثاني والثالث وقعت الفرقة والاختلاف
بينهم وهم الذين اوتوا الكتاب من ابناء اوليك السبعين حتى اهرقوا الدما
ووقع الشر والاختلاف وذلك بعد ما جاءهم العلم يعني ما في التورية
من الاحكام **بغيا بينهم** اي طلبا للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة
وقيل نزلت في نصارى نجران ومعناه وما اختلف الذين اوتوا الكتاب يعني
الانجيل واختلافهم كان في امر عيسى عليه السلام وما ادعوا فيه من الالهية
الا من بعد ما جاءهم العلم يعني بان الله واحد احد وان عيسى عبده ورسوله
بغيا بينهم يعني المعادلة والمخالفة **ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب**

فيه وعيد وتهديد لمن اصر على الكفر من اليهود والنصارى الستا على ما سميتنا
به يا محمد انما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فامر الله
نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يحتج عليهم بان اتبع امر الله الذي هم يقرون
به بقوله **فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله** اي اسلمت له بقلبي ولساني
وجميع جوارحي وانما خص الوجه بالذكر لانه اشرف جوارح الانسان الظاهرة
فاذا خضع وجهه لشي فقد خضع له ساير جوارحه وقيل اراد بالوجه
العمل اي اخلصت عملي لله وقصدت بعبادتي الى الله **ومن اتبعني** يعني ومن
اسلم كما اسلمت انا **وقل للذين اوتوا الكتاب** يعني اليهود والنصارى **والاميين**
يعني مشركي العرب **ااسلمتم** لفظه استفهام ومعناه امر اي اسلموا **فان اسلموا فقد
اهتدوا** يعني الى الفوز والنجاة في الاخرة فلما قرا رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذه الاية على اهل الكتاب قالوا قد اسلمنا فقال لليهود اتشهدون
ان موسى كليم الله وعبده ورسوله فقالوا معاذ الله ان يكون عبدا فانزل الله
تعالى **وان تولوا** اي اعرضوا **فانما عليك البلاغ** يعني تبليغ الرسالة وليس عليك
هدايتهم واختلف علما الناسخ والمنسوخ في الاية فذهب طايفة الى انها
محكمة والمراد بها تسلية النبي صلى الله عليه وسلم لانه كان يحرص على ايمانهم وتسليمهم
الاجابة وذهب طايفة الى انها منسوخة باية السيف **والله بصير بالعباد** يعني
انه تعالى عالم بمن يومن وبمن لا يومن قوله عز وجل **ان الذين يكفرون بايات الله**
اي يجحدون الايات وينكرونه وهم اليهود والنصارى **ويقتلون النبيين بغير حق
ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس** كان انبيا بني اسرايل ياتيهم الوحي ولم
يكن ياتيهم كتاب لانهم كانوا مامورين باحكام التورية فكانوا يذكرون قومهم
فيقتلون انبياءهم فيقوم رجال ممن امن بهم وصدقهم فيذكرونهم ويامرونهم
بالمعروف وينهونهم عن المنكر فيقتلونهم ايضا فهم الذين يامرون بالقسط يعني
بالعدل من الناس روى البغوي بسند الثعلبي عن ابي عبيدة بن الجراح قال
قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجل
امر بالمنكر ونهى عن المعروف ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون
النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس الى ان انتهى
الى قوله وما لهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا عبيدة
قتلت بنو اسرايل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام
مايةٌ واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرايل فامروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم
عن المنكر فقتلوهم جميعا من اخر النهار في ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله
في كتابه وانزل الاية فيهم **فبشرهم بعذاب اليم** انما دخلت الفا في قوله فبشرهم
مع انه خبر ان لانه في معنى الجزا والتقدير من كفر فبشره بعذاب اليم يوم القيمة
وهذا محمول على الاستعارة وهو ان انذار الكفار بالعذاب قام مقام بشرى
المحسنين بالثواب وفي هذه الاية توبيخ لليهود الذين كانوا في زمن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وان كان اسلافهم الذين قتلوا الانبيا لانهم رضوا
بفعلهم **اوليك الذين حبطت** اي بطلت **اعمالهم في الدنيا والاخرة** وبطلان العمل
هو ان لا يقبل في الدنيا ولا يجازى عليه في الاخرة **وما لهم من ناصرين** يعني

يمنعونهم من العذاب قوله تعالى **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب** نزلت في اليهود
يدعون إلى كتاب الله يعني القرآن وذلك أن اليهود دعوا إلى حكم القرآن فأعرضوا عنه
قال ابن عباس إن الله جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحكم القرآن على اليهود والنصارى أنهم على غير الهدى فأعرضوا عنه وروي عن ابن عباس
أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل بيت المدارس على جماعة من اليهود فدعاهم
إلى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على أي دين أنت يا محمد فقال على
ملة إبراهيم قالا إن إبراهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهلموا
إلى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه فأنزل الله هذه الآية فعلى هذا القول يكون
المراد بكتاب الله التوراة وروي عنه أيضا أن رجلا وامرأة من أهل خيبر زنيا وكان في كتابهم
الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم ورفعوا أمرهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورجوا أن يكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال النعمان بن أوفى وبحري بن
عمرو جرت عليهما يا محمد وليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيني
وبينكم التوراة قالوا قد أنصفت فقال من أعلمكم بالتوراة قالوا رجل أعور يقال
له عبد الله بن صوريا يسكن فدك فأرسلوا إليه فقدم المدينة وكان جبريل قد
وصفه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنت ابن
صوريا قال نعم قال أنت أعلم اليهود بالتوراة قال كذلك يزعمون فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة وقال له اقرأ فلما أتى على آية الرجم وضع
يده عليها وقرأ ما بعدها فقال عبد الله بن سلام يا رسول الله قد جاوزها ثم
قام ورفع كفه عنها وقرأها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود وفيها أن
المحصن والمحصنة إذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما وإن كانت المرأة حبلى تربص
بها حتى تضع ما في بطنها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما
فغضبت اليهود لذلك فأنزل الله عز وجل **ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب**
يعني علمهم الذي علموه من التوراة **يدعون إلى كتاب** يعني القرآن أو التوراة على اختلاف
الروايتين **ليحكم بينهم** أي ليقضي بينهم وإضافة الحكم إلى الكتاب هو على سبيل المجاز
ثم يتولى فريق منهم يعني الرؤساء والعلماء **وهم معرضون** يعني عن الحق وقيل
الذين تولوا هم العلماء والذين أعرضوا هم الأتباع **ذلك بأنهم** يعني ذلك التولي
والإعراض إنما حصل بسبب أنهم **قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات**
تقدم تفسيره في سورة البقرة **وغرهم** أي أطمعهم **في دينهم ما كانوا يفترون**
أي يختلقون ويكذبون قيل هو قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه وقيل هو قولهم
لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وقيل غرهم قولهم نحن على الحق وأنتم على الباطل
فكيف إذا جمعناهم أي فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم **ليوم** أي في يوم
لا ريب فيه أي لا شك فيه أنه كائن وواقع وهو يوم القيامة **ووفيت كل نفس
ما كسبت** فيه تهديد لهم واستعظام لما أعد لهم في ذلك اليوم وأنهم
يقعون فيما لا حيلة لهم فيه وأن ما حدثوا به أنفسهم وسهلوه عليها تعلل
بباطل وطمع فيما لا يكون ولا يحصل لهم قيل إن أول راية ترفع لأهل الموقف من رايات
الكفار راية اليهود فيفضحهم على رؤوس الأشهاد ثم يؤمر بهم إلى النار **وهم لا يظلمون**
أي لا ينقص من حسناتهم إن كانت لهم حسنة ولا يزاد على سيئاتهم قوله عز وجل

قل

قل اللهم مالك الملك قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه عز وجل
أن يجعل ملك فارس والروم في أمته فأنزل الله هذه الآية وقال ابن عباس لما فتح رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكة ووعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود
هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم وهم أعز وأمنع من ذلك ألم يكف محمدا
مكة والمدينة حتى طمع في ملك فارس والروم فأنزل الله هذه الآية وقيل إن اليهود
قالوا والله لا نطيع رجلا جاء ينقل النبوة من بني إسرائيل إلى غيرهم فنزلت هذه الآية
قل اللهم معناه يا الله فلما حذف حرف النداء زيد الميم في آخره وقيل إن الميم فيه معنى
أمّ وهو يا الله أمّنا بخير أي اقصدنا مالك الملك أي مالك العباد وما ملكوا وقيل
مالك ملك السموات والأرض وقيل معناه بيده الملك يؤتيه من يشاء وقيل معناه مالك
الملوك ووارثهم يوم لا يدعي الملك أحد غيره وفي بعض كتب الله المنزلة
أنا الله ملك الملوك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فإن العباد أطاعوني
جعلتهم عليهم رحمة وإن عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن
توبوا أعطفهم عليكم وقيل الملك هو القدرة والمالك هو القادر والمعنى أنه تعالى
قادر على كل شيء ومالك على كل مالك ومملوك وقادر ومقتدر وقيل معناه مالك الملك
أي جنس الملك يتصرف فيه كيف يشاء **تؤتي الملك من تشاء** يعني النبوة لأنها أعظم
مراتب الملك وذلك أن للأنبياء الأمر على بواطن الخلق وظواهرهم والملك ليس له أمر
إلا على ظواهر بعض الخلق وهو من يطيعه منهم وطاعة النبي واجبة على الكافة
وتنزع الملك ممن تشاء يعني بذلك نزع النبوة من بني إسرائيل وإتيانها
محمدا صلى الله عليه وسلم فإنه لا نبي بعده ولم يشركه في نبوته ورسالته أحد وقيل
تؤتي الملك من تشاء يعني محمدا وأصحابه وتنزع الملك ممن تشاء يعني من أبي جهل و
صناديد قريش وقيل تؤتي الملك من تشاء يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم وتنزع
الملك ممن تشاء يعني فارس والروم وقيل تؤتي الملك من تشاء يعني آدم وذريته
وتنزع الملك ممن تشاء يعني من إبليس وجنوده الذين كانوا في الأرض قبل آدم
وتعز من تشاء يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة **وتذل من تشاء**
يعني اليهود بأخذ الجزية منهم ونزع النبوة عنهم وقيل تعز المهاجرين والأنصار
وتذل فارس والروم وقيل تعز من تشاء يعني محمدا وأصحابه حين دخلوا مكة في
عشرة آلاف ظاهرين عليها وتذل من تشاء يعني أبا جهل وأصحابه حين قتلوا وألقوا
في قليب يوم بدر وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل
تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضا
وتذل من تشاء بالحرص والطمع **بيدك الخير** يعني النصر والغنيمة وقيل الألف
واللام تفيد العموم والمعنى بيدك كل الخيرات فإن قلت كيف قال بيدك الخير دون
الشر قلت لأن الكلام إنما وقع في الخير الذي يسوقه الله إلى عباده المؤمنين وهو
الذي أنكرته اليهود والمنافقون فقالوا بيدك الخير تؤتيه أولياءك على رغم أعدائك
وقيل إن قوله بيدك الخير لا ينافي أن يكون بيده غيره فتكون المعنى بيدك الخير
وبيدك ما سواه إلا أنه خص الخير بالذكر لأنه المنتفع به والمرغوب فيه **إنك على كل شيء قدير**
يعني من إيتاء الملك من تشاء وإعزاز من تشاء وإذلال من تشاء **تولج الليل في النهار** الآية
لما ذكر الله تعالى أنه مالك الملك أردفه بذكر قدرته الباهرة في حال الليل والنهار وفي المعاقبة

بينهما وحال اخراج الحي من الميت ثم عطف عليه انه يرزق من يشاء بغير حساب وفي ذلك
دلالة على انه من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة لذوي الافهام والعقول قادر
على ان ينزع الملك من فارس والروم واليهود ويذلهم ويوتيه العرب ويعزهم فقوله
تعالى يولج الليل في النهار يعني يدخل الليل في النهار وهو ان يجعل الليل قصيرا
وما نقص منه زايد في النهار حتى يكون النهار خمسة عشر ساعة وذلك غاية طول النهار
ويكون الليل تسع ساعات وذلك غاية قصر الليل **ويولج النهار في الليل** حتى يكون
الليل خمسة عشر ساعة وذلك غاية طول الليل ويكون النهار تسع ساعات وذلك
غاية قصره وقيل المراد انه تعالى ياتي بسواد الليل عقب ضوء النهار وياتي بضوء النهار
بعد ظلمة الليل والقول الاول اصح واقرب الى معنى الاية لانه اذا نقص الليل كان ذلك
القدر زيادة في النهار وبالعكس وهو معنى الولوج **وتخرج الحي من الميت وتخرج
الميت من الحي** يعني انه تعالى يخرج الانسان الحي من النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة
من الانسان ويخرج الفرخ وهو حي من البيضة وهي ميتة وبالعكس وكذلك ساير
الحيوانات وقيل يخرج النبات الغض الاخضر من الحب اليابس ويخرج النخلة من
النواة وبالعكس وقيل معناه انه تعالى يخرج المومن من الكافر والكافر من المومن
لان المومن حي الفواد والكافر ميته **وترزق من تشاء بغير حساب** يعني من غير
تضييق ولا تقتير بل تبسط الرزق لمن تشا وتوسعه عليه قوله تعالى **لا يتخذ
المومنون الكافرين اوليا من دون المومنين** قال ابن عباس كان الحجاج بن
عمرو وابن ابي الحقيق وقيس بن زيد يبطنون بنفر من الانصار ليفتنوهم عن دينهم
فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعيد بن خيثمة لاوليك النفر
اجتنبوا هولا اليهود لا يفتنوكم عن دينكم فابى اوليك النفر الا مباطنتهم فانزل
الله هذه الاية وقيل نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وغيره ممن كان يظهر المودة
لكفار مكة وقيل نزلت في عبد الله بن ابي واصحابه كانوا يتولون المشركين واليهود
وياتونهم بالاخبار يرجون ان يكون لهم الظفر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانزل الله هذه الاية ونهى المومنين عن مثل ذلك وقيل ان عبادة بن الصامت
كان له حلفا من اليهود فقال يوم الاحزاب ان معي خمسماية من اليهود وقد رايت
ان استظهر بهم على العدو فنزلت هذه الاية وقوله لا يتخذ المومنون
الكافرين اوليا يعني انصارا واعوانا من دون المومنين يعني من غير المومنين
والمعنى لا يجعل المومن ولايته لمن هو غير مومن نهى الله المومنين ان يوالوا الكفار
او يلاطفوهم لقرابة بينهم او لمحبة او معاشرة والمحبة في الله والبغض في الله
باب عظيم واصل من اصول الايمان **ومن يفعل ذلك** يعني موالاة الكفار من نقل
الاخبار اليهم واظهار عورة المسلمين او يودهم ويحبهم **فليس من الله في شي**
اي فليس من دين الله في شي وقيل معناه فليس من ولاية الله في شي وهذا امر
معقول من ولاية المولى معاداة اعدايه وموالاة الله وموالاة الكفار ضدان
لا يجتمعان **الا ان تتقوا منهم** اي الا ان تخافوا منهم مخافة ومعنى ان الله نهى
المومنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون الكفار غالبين
ظاهرين او يكون المومن في قوم كفار فيخافهم فيداريهم بلسانه وقلبه مطمين بالايمان
دفعا عن نفسه من غير ان يستحل دما حراما او مالا حراما او غير ذلك من المحرمات

او

او يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقاة لا تكون الا مع خوف القتل مع سلامة
النية قال الله تعالى الا من اكره وقلبه مطمين بالايمان ثم هذه التقية رخصة
فلو صبر على اظهار ايمانه حتى قتل كان له بذلك اجر عظيم وانكر قوم التقية اليوم
وقالوا انما كانت التقية في جدة الاسلام قبل استحكام الاسلام الدين وقوة
المسلمين فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام والمسلمين فليس لاهل الاسلام
ان يتقوا من عدوهم قال يحيى البكا قلت لسعيد بن جبير في ايام الحجاج ان
الحسن يقول لكم التقية باللسان والقلب مطمين بالايمان فقال سعيد
ليس في الاسلام تقية انما التقية في الحرب وقيل انما تجوز التقية لصون النفس
عن الضرر لان دفع الضرر عن النفس واجب بقدر الامكان **ويحذركم الله
نفسه** اي ويخوفكم الله ان تعصوه بان ترتكبوا المنهي او تخالفوا المامور او
توالوا الكفار فتستحقوا عقابه على ذلك كله **والى الله المصير** يعني ان الله
يحذركم عقابه اذا صرتم اليه في الاخرة قوله عز وجل **قل ان تخفوا ما في صدوركم**
يعني ما في قلوبكم من موالاة الكفار ومودتهم وانما ذكر الصدر لانه وعا القلب
او تبدوه يعني تبدوا مودة الكفار قولا وفعلا وقيل معناه ان تخفوا
ما في قلوبكم من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم او تبدوه اي تظهروه
بالحرب والمقاتلة **يعلمه الله** اي يحفظه عليكم ويجازيكم به **ويعلم ما في
السموات وما في الارض** يعني انه تعالى اذا كان لا يخفى عليه شي في السموات
ولا في الارض فكيف يخفى عليه حالكم وموالاتكم الكفار وميلكم اليهم بقلوبكم
والله على كل شي قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا يعني تجد كل
نفس جزا ما عملت محضرا يوم القيمة لم ينقص ولم يبخس منه شي **وما عملت من سو**
اي تجد ما عملت من الخير محضرا فتسر به وما عملت من سو **تود** اي تتمنى
لو ان بينها وبينه اي وبين ما عملت من السو **امدا بعيدا** اي مكانا
بعيدا قيل كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية وقيل معناه تود انها
لم تعمله ويكون بينها وبينه امدا بعيدا **ويحذركم الله نفسه** انما كرره لتاكيد
الوعيد **والله رؤف بالعباد** قيل معناه انه رؤف بهم حيث حذرهم نفسه
وعرفهم كمال قدرته وعلمه وانه يمهل ولا يهمل وقيل معناه انه رؤف بالعباد
حيث امهلهم للتوبة ولتدارك العمل الصالح وقيل انه تعالى لما قال ويحذركم
الله نفسه وهو وعيد اتبعه بقوله والله رؤف بالعباد وهو وعد ليعلم
العبد المومن ان رحمته ووعده غلبت وعيده وسخطه قوله تعالى **قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** نزلت في اليهود والنصارى حيث
قالوا نحن ابناء الله واحباؤه فنزلت هذه الاية فعرضها رسول الله صلى الله
عليه وسلم عليهم فلم يقبلوها وقال ابن عباس وقف رسول الله صلى الله عليه
وسلم على قريش وهم في المسجد وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض
النعام وجعلوا في اذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش
والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابراهيم واسماعيل فقالت قريش انما نعبدها حبا
لله ليقربونا الى الله زلفى فنزلت هذه الاية وقيل ان نصارى نجران قالوا
انما نقول هذا القول في عيسى حبا لله وتعظيما له فانزل الله قل يا محمد ان كنتم

تحبون الله فيما تزعمون فاتبعوني يحببكم الله لانه قد ثبتت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
بالدلايل الظاهرة والمعجزات الباهرة فوجب على كافة الخلق متابعته والمعنى قل ان
كنتم صادقين في ادعائكم اتباع محبة الله فكونوا منقادين لاوامره ومطيعين له
فاتبعوني فان اتباعي من محبة الله وطاعته قال العلماء ان محبة الله العبد لله
عبارة عن اعطايه واجلاله وايثار طاعته واتباع امره ومجانبة نهيه ومحبة
الله للعبد ثناؤه عليه ورضاه عنه وثوابه له وعفوه عنه فذلك قوله
تعالى **ويغفر لكم ذنوبكم** يعني ان يغفر له فيقدرنا لعنة العذاب **والله غفور
رحيم** يعني انه تعالى يغفر ذنوب من احبه ويرحمه بفضله وكرمه ولما نزلت هذه
الاية قال عبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين لاصحابه ان محمدا يجعل
طاعته كطاعة الله ويامرنا ان نحبه كما احب النصارى عيسى بن مريم فانزل
الله عز وجل **قل اطيعوا الله والرسول** يعني ان طاعة الله متعلقة بطاعة
رسوله صلى الله عليه وسلم فان طاعته لا تتم مع عصيان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولهذا قال الشافعي رحمه الله كل امر ونهي ثبت عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم جرى ذلك في الفريضة واللزوم مجرى ما امر الله به في
كتابه او نهى وقال ابن عباس فان طاعتكم لمحمد صلى الله عليه وسلم طاعتكم
لي فاما ان تطيعوني وتعصوا محمدا فلن اقبل منكم **فان تولوا** اي اعرضوا
عن طاعة الله ورسوله **فان الله لا يحب الكافرين** لا يرضى فعلهم ولا يغفر
لهم **خ** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل
امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة
ومن عصاني فقد ابى **ق** وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير
فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني قوله عز وجل **ان الله اصطفى
ادم ونوحا** قال ابن عباس قالت اليهود نحن من ابناء ابراهيم واسحاق
ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله هذه الاية والمعنى ان الله اصطفى
هولاء بالاسلام وانتم يا معشر اليهود على غير دين الاسلام ومعنى اصطفى
اختار من الصفوة وهي الخالص من كل شيء ادم هو ابو البشر ادم عليه
السلام ونوحا هو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه
السلام وحكى ابن الجوزي في تفسيره عن ابي سليمان الدمشقي ان اسم
نوح السكن وانما سمي نوحا لكثرة نوحه على نفسه **وال ابراهيم**
قيل اراد بال ابراهيم ابراهيم نفسه وقيل اراد ال ابراهيم اسماعيل واسحاق
ويعقوب وذلك ان الله تعالى جعل ابراهيم عليه السلام اصلا لشعبتين
فجعل اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام اصلا للعرب ومحمد صلى الله عليه
وسلم منهم فهو داخل في هذا الاصطفا وجعل اسحاق اصلا لبني اسرائيل
وجعل فيهم النبوة والملك الى زمن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
ثم جمع له ولامته النبوة والملك الى يوم القيمة وقيل اراد بال ابراهيم
من كان على دينه **وال عمران** واختلفوا في عمران هذا فقيل هو عمران
ابن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وهو والد موسى وهرون فيكون

ال عمران موسى وهرون او نفسه وقيل هو عمران بن ماثان وهو من ولد
سليمان بن داود عليهما السلام وعمران هذا هو والد مريم وابنها عيسى فعلى هذا يكون
المراد بال عمران مريم وابنها عيسى عليه السلام وانما خص هولاء بالذكر لان الانبيا
والرسل من نسلهم **على العالمين** اي اختارهم واصطفاهم على العالمين بما خصهم
من النبوة والرسالة **ذرية** اي اصطفى ذرية واصلها من ذرا بمعنى خلق وقيل
من الذر لان الله خلق بعضهم من بعض فالابنا من ذرية الاباء والابا من ذرية ادم
وهو من ذراه الله اي خلقه **بعضها من بعض** اي بعضها من ولد بعض وقيل بعضها
من بعض في التناصر والتعاضد وقيل بعضها على دين بعض **والله سميع عليم** يعني انه
تعالى سميع لاقوال العباد عليم بنياتهم وانما يصطفي لنبوته ورسالته من يعلم استقامته
قولا وفعلا قوله تعالى **واذ قالت امراة عمران** هي حنة بنت فاقوذ وعمران هو
عمران بن ماثان وقيل ابن اشيم وليس بعمران ابي موسى لان بينهما الف وثمانين سنة
وكان بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل في ذلك الزمن واحبارهم وملوكهم **رب اني
نذرت لك ما في بطني محررا** اي الحمل الذي في بطني نذرا محررا من ذلك والنذر
ما يوجبه الانسان على نفسه ومعنى محررا اي عتيقا خالصا مفرغا لعبادة
الله وخدمة الكنيسة لا اشغله بشيء من امور الدنيا قيل كان المحرر عندهم
اذا حرر جعل في الكنيسة فيقوم عليها ويخدمها ولا يبرح مقيما فيها حتى يبلغ
الحلم ثم يخير فان احب اقام فيها وان احب ذهب حيث شا فان اراد الخروج بعد
ان اختار الاقامة في الكنيسة لم يكن له ذلك ولم يكن احد من انبيا بني اسرايل
وعلمايهم الا من اولاده محررة لخدمة بيت المقدس ولم يكن يحرر الا الغلمان لان
لا تصلح الجارية لخدمة بيت المقدس لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت ام مريم
ما في بطنها وكانت القصة في ذلك على ما ذكره اصحاب السير والاخبار ان زكريا
وعمران تزوجا اختين فكانت اشاع بنت فاقوذ وهي ام يحيى عند زكريا وكانت
حنة بنت فاقوذ اخت اشاع عند عمران وهي ام مريم وكان قد امسك عن حنة
الولد حتى اسنت وكبرت وكانوا اهل بيت صالحين وهم من الله بمكان فبينما هي
في ظل شجرة بصرت بطاير يطعم فرخا فتحركت نفسها بذلك للولد فدعت الله ان
يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس
فيكون من سدنته وخدمته فلما حملت بمريم حررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو
فقال لها زوجها ويحك ما صنعت ارايت ان كان ما في بطنك انثى ولا يصلح
لذلك فوقعا جميعا في هم شديد من اجل ذلك ومات عمران وقيل ان تضع حنة
حملها ثم قال تعالى حاكيا عنها **فتقبل مني** يعني تدري والتقبل اخذ الشي على
الرضا واصله من المقابلة لانه يقابل بالجزا وهذا سوال من لا يريد بما فعله
الا الطلب لرضا الله تعالى والاخلاص في دعايه وعبادته **انك انت السميع** يعني
لتضرعي ودعائي **العليم** يعني بنيتي وما في ضميري قوله عز وجل **فلما وضعتها**
اي ولدت حملها وانما قال وضعتها لانه كان في علم الله انها جارية وكانت حنة ترجو
ان يكون غلاما **قالت** يعني حنة **رب اني وضعتها انثى** تريد بذلك اعتذارا
الى الله تعالى من اطلاقها النذر المتقدم فذكرت ذلك على سبيل الاعتذار لا على
سبيل الاعلام لان الله تعالى عالم بما في بطنها قبل ان تضعه **والله اعلم بما وضعت**

قري بجزم التا اخبارا عن الله تعالى والمعنى انه تعالى قال والله اعلم بالشي الذي وضعت
وقري وضعت برفع التا وهو من كلام ام مريم على تقدير انها لما قالت رب اني وضعتها انثى
خافت ان يكون اخبرت الله تعالى بذلك فازالت هذه الشبهة بقولها والله اعلم بما
وضعت **وليس الذكر كالانثى** يعني في خدمة الكنيسة والعباد الذين فيها وفي الكلام
تقديم وتاخير تقديره وليس الانثى كالذكر والمراد منه تفضيل الذكر على الانثى لان
الذكر يصلح للخدمة في الكنيسة ولا تصلح الانثى لذلك لضعفها وما يحصل لها
من الحيض ولانها عورة ولا يجوز لها الحضور مع الرجال وقيل في معنى الاية ان المقصود
منه هو تفضيل هذه الانثى على الذكر كانها قالت كان الذكر مطلوبي لخدمة المسجد
وهذه الانثى هي موهبة الله تعالى وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي هي
موهبة الله تعالى وكانت مريم من اجل النسا وافضلهن في وقتها واني سميتها مريم
يعني العابدة والخادمة وهي بلغتهم وارادت بهذه التسمية ان يعصمها الله على ان في
الدنيا واني اعيذها بك وذريتها اي امنعها واجيرها بك وذريتها من الشيطان الرجيم
يعني اللعين المطرود وذلك ان حنة ام مريم لما فاتها ما كانت تطلب من ان يكون
ولدها ذكرا فاذا هي انثى تضرعت الى الله تعالى ان يحفظها ويعصمها من الشيطان
الرجيم وان يجعلها من الصالحات العابدات ق عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما من بني ادم مولود الا نخسه الشيطان حين يولد
فيستهل صارخا من نخسه اياه الا مريم وابنها ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شيتم
واني اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم وللبخاري عنه قال كل بني ادم
يطعن الشيطان في جنبيه باصبعه حين يولد غير عيسى بن مريم ذهب يطعن
فطعن في الحجاب قوله تعالى **فتقبلها ربها بقبول حسن** يعني تقبل الله مريم
من حنة مكان الذكر المحرر يعني قبل ورضي قال الزجاج الاصل في العربية
فتقبلها بتقبل ولكن قبول محمول على قبلها قبولا كما كان يقال قبلت الشي قبولا
ويجوز قبولا اذا رضيته وقال ابو عمرو ليس في المصادر فعول بفتح الفا الا هذا
ولم اسمع فيه الضم وقيل معنى التقبل والقبول واحد وهما سوا وهو ان يرا الشي
ويأخذه وقيل معنى التقبل التكفل في التربية والقيام بشانها وانما قال بقبول
للجمع بين الامرين يعني التقبل الذي بمعنى التكفل والقبول الذي هو بمعنى الرضى
وانبتها نباتا حسنا معناه وانبتها فنبتت هي نباتا حسنا قال ابن عباس في
قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن اي سلك بها طريق السعدا وانبتها نباتا حسنا
يعني سوى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في اليوم ما ينبت
المولود في عام وكفلها زكريا قال اهل الاخبار لما ولدت حنة مريم اخذتها فلفتها
في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار ابنا هرون وهم يومئذ يلون
من بيت المقدس ما يلي الحجبة من الكعبة وقالت دونكم النذيرة فتنافسوا فيها الاحبار
لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا انا احق بها لان خالتها
عندي فقال له الاحبار لو تركت لاحق الناس بها لتركت لامها التي ولدتها ولكنا
نقترع عليها فيكون من خرج سهمه بها فانطلقوا وكانوا تسعة وعشرين رجلا
الى نهر جار قيل هو الاردن فالقوا اقلامهم في الما على ان من ثبت قلمه في الما
وصعد فهو اولى بها من غيره وكان على كل قلم مكتوب اسم كل واحد منهم وقيل

بل

بل كانوا يكتبون التوراة فالقوا اقلامهم التي كانت بايديهم فارتفع قلم زكريا فوق
الما ووقفت وانحدرت اقلامهم ورسبت في النهر وقيل جرى قلم زكريا مصعدا الى اعلا
وجرت اقلامهم مع جري الما الى اسفل فسهمهم زكريا وقرعهم وكان زكريا راس الاحبار
ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا قري بتشديد الفا ومعناه وضمها الله زكريا
وضمها اليه بالقرعة وقري بتخفيف الفا ومعناه وضمها زكريا الى نفسه بالقرعة هو
وقام بامرها وهو زكريا بن اذن بن مسلم بن صدوق من اولاد سليمان بن داود
عليهم السلام فلما ضم زكريا مريم الى نفسه بنى لها بيتا واسترضع لها المراضع وقيل
ضمها الى خالتها ام يحيى حتى اذا
لها محرابا في المسجد وجعل بابه في وسطه ولا يرقى اليه الا بسلم ولا يصعد اليها
غيره وكان ياتيها بطعامها وشرابها كل يوم فذلك قوله تعالى **كلما دخل عليها زكريا**
المحراب يعني الغرفة والمحراب اشرف المجالس ومقدمها وكذلك هو من المسجد وقيل
المحراب ما يرتقى اليه بدرج وقيل كان زكريا يغلق عليها سبعة ابواب فاذا دخل عليها
المحراب وجد عندها رزقا يعني فاكهة في غير وقتها فكان يجد عندها فاكهة الشتا
في الصيف وفاكهة الصيف في الشتا قال يعني زكريا يا مريم انى لك هذا اي من اين
لك هذه الفاكهة قالت يعني قالت مريم مجيبة لزكريا هو من عند الله يعني من الجنة
فيقول زكريا يا مريم انى لك هذا فتقول هو من عند الله تكلمت وهي صغيرة في المهد
كما تكلم ولدها عيسى عليه السلام وهو صغير في المهد وقال محمد بن اسحاق اصابت
بني اسرائيل ازمة وهي على ذلك من حالها حتى ضعف زكريا عن حملها وكفالتها فخرج
على بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل والله لقد كبرت سني وضعفت عن حمل بنت عمران
فايكم يكفلها بعدي فقالوا والله لقد جهدنا واصابنا من السنة ما ترى فتدافعوها
بينهم ثم لم يجدوا من حملها بدا فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم لرجل نجار
يقال له يوسف بن يعقوب وكان ابن عم مريم فحملها فعرفت مريم في وجهه شدة
ذلك عليه فقالت له يا يوسف احسن بالله الظن فان الله سيرزقنا فصار يوسف
يرزق لمكانها منه فكان ياتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا ادخله عليها في المحراب
انماه الله وزاده فيدخل زكريا عليها فيقول يا مريم انى لك هذا فتقول هو من عند
الله **ان الله يرزق من يشا بغير حساب** وهذا يحتمل ان يكون من تمام كلام مريم
ابتدا الكلام من الله عز وجل ومعناه انه تعالى يرزق من يشا بغير تقدير لكثرته او من
غير سبب وفي هذه الاية دليل على جواز كرامات الاوليا وظهور خوارق العادات على
ايديهم قال اهل الاخبار فلما راى زكريا ذلك قال ان الذي قدر على ان ياتي مريم
بالفاكهة في غير وقتها وحينها من غير سبب لقادر على ان يصلح زوجي ويهب لي
ولدا في غير حينه مع الكبر فطمع في الولد وذلك ان اهل بيته كانوا قد انقرضوا
وكان زكريا قد كبر وشاخ وايس من الولد قوله تعالى **هنالك دعا زكريا ربه**
يعني انه عليه السلام دخل محرابه وغلق الابواب وسال ربه الولد فقال رب هب لي
من لدنك ذرية طيبة يعني انه قال يا رب اعطني من عندك ولدا مباركا تقيا
صالحا رضيا والذرية تطلق على الواحد والجمع والذكر والانثى والمراد بها هنا
الواحد وانما قال طيبة لتانيث لفظ الذرية انك سميع الدعا اي سامعه ومجيبه
قوله تعالى فنادته الملائكة يعني جبريل عليه السلام وانما اخبر عنه بلفظ الجمع

تعظيما لشانه ولانه رئيس الملايكة وقيل انه بعث الاربعة جمعا من الملايكة بحريه وذلك على مجرى
العادة وهو قايم يصلي في المحراب اي في المسجد وذلك ان زكريا عليه السلام كان الحبر
الكبير الذي يقرب القربان ويفتح لهم الباب فلا يدخلون حتى ياذن لهم في الدخول
فبينما هو قايم يصلي في محرابه عند المذبح والناس ينتظرون ان ياذن في الدخول اذا هو
برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع زكريا منه فناداه جبريل عليه السلام يا زكريا ان الله
يبشرك بيحيى اي بولد اسمه يحيى قال ابن عباس سمي يحيى لان الله تعالى احيا به عقر امه
وقيل لان الله تعالى احيا قلبه بالايمان وقيل لان الله احياه بالطاعة حتى لم يهم بمعصية
مصدقا بكلمة من الله يعني عيسى بن مريم وانما سمي عيسى عليه السلام كلمة لان الله
تعالى قال له كن فكان من غير اب ولانه على خلاف العادة فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها
وقيل سمي كلمة لان عيسى عليه السلام كان يرشد الخلق الى الحقايق والاسرار الالهية
ويهتدى به كما يهتدى بكلام الله تعالى فسمي كلمة بهذا الاعتبار وقيل سمي كلمة
لان الله تعالى بشر به مريم على لسان جبريل وقيل لان الله تعالى اخبر الانبيا الذين
قبله في كتبه المنزلة عليهم انه يخلق نبيا من غير واسطة اب فلما جا قيل هذا هو تلك
الكلمة يعني الوعد الذي وعد انه يخلقه كذلك وكان يحيى اول من امن بعيسى بستة
اشهر وكانا ابني خالة وقتل يحيى قبل ان يرفع عيسى عليهما السلام وقيل ان ام يحيى
لقيت ام عيسى وهما حاملتان فقالت ام يحيى اني لاجد ما في بطني يسجد لما في بطنك
فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله يعني ان يحيى امن بعيسى وصدق به وسيدا من ساد
يسود والسيد هو الرئيس الذي يتبع وينتهى الى قوله وكان يحيى عليه السلام سيد
المومنين ورئيسهم في الدين والعلم والحلم وقيل السيد هو الحسن الخلق وقيل هو
الذي يطيع ربه وقيل هو الفقيه العالم وقيل سيدا في العلم والعبادة والورع وقيل
السيد هو الحليم الذي لا يغضبه شي وقيل السيد هو الذي يفوق قومه في جميع خصال
الخير وقيل هو السخي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد
ابن قيس على انا نبخله قال واي دا ادوى من البخل لكن سيدكم عمرو بن الجموح وحصورا
قال ابن عباس وغيره من المفسرين الحصور الذي لا ياتي النسا ولا يقربهن فعلى هذا هو
فعول بمعنى فاعل يعني انه حصر نفسه عن الشهوات واصله من الحصر وهو الحبس وقيل
هو العنين وقيل هو الفقير الذي لا مال له فيكون الحصور بمعنى المحصور يعني
الممنوع من النسا قال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع
ذلك ليغض بصره وفيه قول اخر وهو ان الحصور هو الممتنع عن الوطي مع القدرة عليه
وانما تركه للعفة والزهد فيه وهذا القول هو الصحيح وهو قول جماعة من المحققين
وهو اليق بمنصب الانبيا لان الكلام انما خرج مخرج المدح والثنا وذكر صفة النقص في معرض
المدح لا يجوز وايضا فان منصب النبوة يجل من ان يضاف الى احد منهم نقص اوانه فحمل
الكلام على منع النفس عن الوطي مع القدرة عليه اولى من حمله على ترك الوطي مع العجز عنه
ونبيا من الصالحين يعني انه من اولاد الانبيا الصالحين قوله تعالى قال يعني زكريا
رب اي يا رب قيل هو خطاب مع جبريل لان الاية المتقدمة دلت على ان الذي ناداه هم
الملايكة فعلى هذا القول يكون الرب هنا بمعنى السيد والمربي اي يا سيدي وقيل الخطاب
انه خطاب مع الله تعالى فيكون الرب بمعنى المالك وذلك انه لما بشرته الملايكة بالولد
تعجب ورجع في ازالة ذلك التعجب الى الله تعالى فقال رب انى يكون لي غلام يعني من اين يكون

وكيف يكون لي غلام وقد بلغني الكبر قيل هو من المقلوب ومعناه وقد بلغت الكبر وشخت وقيل
معناه وقد نالني الكبر وادركني الضعف **وامراتي عاقر** فان قلت كيف انكر زكريا الولد
بعد تبشير الملايكة اياه به وما معنى هذه المراجعة ولم تعجب من ذلك وبعد وعد الله اياه به
اكان شاكا في وعد الله او في قدرته قلت لم يشك زكريا عليه السلام في وعد الله وفي قدرته
وانما قال ذلك على سبيل الاستفهام والاستعلام والمعنى من اي جهة يكون لي الولد ايكون
بان الله تعالى يرد شبابي علي او يكون ونحن على حالنا من الكبر والضعف فاجابه
بقوله كذلك الله يفعل ما يشا وقال عكرمة والسدي لما سمع زكريا ندا الملايكة جاه الشيطان
فقال يا زكريا ان الصوت الذي سمعت ليس هو من الله وانما هو من الشيطان ولو كان من الله
لاوحاه اليك كما يوحي اليك في ساير الامور قال ذلك زكريا دفعا للوسوسة واعترض
عن الجواب بانه لا يجوز على انه يشتبه على الانبيا كلام الملايكة بكلام الشيطان اذ لو جوزنا
ذلك لارتفع الوثوق باخبارهم عن الوحي السماوي واجيب عن هذا الاعتراض بانه لما دلت
الدلايل على صدق الانبيا فيما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل
للشيطان فيه وذلك فيما يتعلق في الدين والشرايع فاما ما يتعلق بمصالح الدنيا
والولد فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة من خاطره قال الكلبي كان زكريا يوم بشر
بالولد ابن اثنين وتسعين سنة وقيل تسع وتسعين سنة وقال ابن عباس في رواية
الضحاك ابن ماية وعشرين سنة وكانت امراته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله
تعالى **وقد بلغني الكبر وامراتي عاقر** اي عقيم لا تلد **قال كذلك الله يفعل ما يشا**
يعني انه تعالى قادر على خلق الولد على الكبر يفعل ما يشا لا يعجزه شي قوله عز وجل **قال**
يعني زكريا **رب اجعل لي اية** اي علامة اعلم بها وقت حمل امراتي فازيد في العبادة
والشكر لك **قال ايتك** اي لا تقدر على تكليم الناس **ثلاثة ايام** اي مدة ثلاثة
ايام بلياليها قال جمهور المفسرين عقل لسانه عن تكليم الناس ثلاثة ايام مع ابقايه
على قدرة التسبيح والذكر ولذلك قال في اخر الاية واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي
والابكار يعني في ايام منعك من تكليم الناس وهذه من الايات الباهرة والمعجزات
الظاهرة لان قدرته على التسبيح والذكر مع عجزه عن تكليم الناس بامور الدنيا وذلك
مع صحة الجسم وسلامة الجوارح من اعظم المعجزات وانما منع عن الكلام مع الناس
ليخلص في هذه الايام لعبادة الله وذكره فلا يشغل لسانه بشي اخر توفيرا على قضا
حق هذه النعمة الحسنة ويشكر الله على اجابته فيما يطلب الاية من اجله وان يكون
ذلك دليلا له على وجود الحمل ليتم سروره بذلك وقال قتادة انما امسك لسانه
عن الكلام عقوبة لسواله الاية بعد مشافهة الملايكة اياه ببشارة الولد فلم يقدر
على الكلام ثلاثة ايام **الا رمزا** يعني الا اشارة والاشارة قد تكون باليد وبالعين
وبالايما بالراس وكانت اشارته بالاصبع المسبحة وقيل الرمز قد يكون باللسان من
غير تبيين كلام وهو الصوت الخفي شبه الهمس وقيل اراد به صوم ثلاثة ايام
لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا والقول الاول اصح لموافقة اهل اللغة عليه **واذكر ربك
كثيرا** وذلك لما منعه الله من الكلام في تلك المدة امره بالذكر فقال واذكر ربك
كثيرا فانك لا تمنع من ذلك ولا يحال بينك وبينه **وسبح** اي وعظم ربك ونزهه عن
النقايص وقيل وصل لربك وسميت الصلاة سبحة لان فيها تنزيه الرب سبحانه
وتعالى **بالعشي والابكار** فاما العشي فهو ما بين زوال الشمس الى غروبها ومنه سمي صلاتي

الظهر والعصر وصلاة العشي فهي ما بين زوال الشمس الى غروبها والابكار هو ما بين طلوع الفجر الى الضحى
قوله تعالى **واذ قالت الملائكة** يعني جبريل عليه السلام **يا مريم ان الله اصطفاك** اي اختارك
وطهرك يعني من مسيس الرجال وقيل من الحيض والنفاس وكانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب
واصطفاك اي واختارك **على نساء العالمين** اي على عالمي زمانها وقيل على جميع نساء العالمين فان قلت
هل فرق بين الاصطفاء الاول والثاني قلت ذكر العلماء في معناهما وجوها يحصل الفرق فقيل في
معنى الاصطفاء الاول ان الله تعالى اختار مريم وقبلها متعبدة محررة ولم يحرر قبلها انثى ولم
يجعل ذلك لغيرها من النساء وان الله بعث اليها رزقها من عنده وكفلها زكريا ومعنى الاصطفاء
الثاني ان الله تعالى وهب لها عيسى من غير اب واسمعها كلام الملائكة ولم يجعل ذلك لغيرها
من النساء ق عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خير نسائها
مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد قال ابو كريب واشار وكيع الى السماء والارض وقيل
اراد بهذه الاشارة تفسير الضمير في قوله خير نسائها معناه انها خير كل نساء بين السماء والارض
قال الشيخ محيي الدين النووي والاظهر ان معناه ان كل واحدة منهما خير نساء الارض في عصرها
واما التفضيل بينهما فمسكوت عنه ق عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال
كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل
الثريد على سائر الطعام قال العلماء معناه ان الثريد من كل طعام افضل من المرق وثريد اللحم
افضل من مرقه بلا ثريد وثريد ما لا لحم فيه افضل من مرقه بغير ثريد وفضل عائشة على
النساء زيادة فضل الثريد على غيره وليس في هذا التصريح بتفضيلها على مريم وآسية لاحتمال ان
المراد تفضيلها على نساء هذه الامة عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء
العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وآسية
امرأة فرعون اخرجه الترمذي قوله عز وجل **يا مريم اقنتي لربك** اي قالت الملائكة لها شفاها
اطيعي ربك وقيل معناه اطيلي القيام في الصلاة لربك قال الاوزاعي لما قالت الملائكة لها
ذلك قامت حتى تورمت قدماها وسالت دما وقيحا وحكي عن مجاهد نحوه **واسجدي واركعي
مع الراكعين** انما قدم السجود على الركوع لان الواو لا تقتضي الترتيب انما هو للجمع كانه قيل لها افعلي
الركوع والسجود وقيل انما قدم السجود على الركوع لانه كان كذلك في شريعتهم وقال ابن الانباري
امرها امرا عاما وحضها على فعل الخير فكانه قال لها استعملي السجود والركوع في كل حال
ولم يرد تقديم السجود على الركوع بل اراد العموم بالامر على اختلاف الحالين وانما قال اركعي مع
الراكعين ولم يقل مع الراكعات لان لفظ الراكعين اعم فيدخل فيه الرجال والنساء والصلاة مع
الرجال افضل واتم وقيل معناه افعلي كفعل الراكعين وقيل المراد به الصلاة في جماعة لان لفظ
الراكعين اعم فيدخل فيه الرجال والنساء اي صلي مع المصلين في جماعة قوله تعالى **ذلك من انباء
الغيب** يقول الله عز وجل لمحمد صلى الله عليه وسلم ذلك الذي ذكرت لك من حديث زكريا
ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام من اخبار الغيب **نوحيه اليك** اي نلقيه اليك يا محمد لانه
لا يمكنك ان تعلم اخبار الامم الماضية الا بوحينا اليك وانما قال نوحيه لانه رد الضمير الى ذلك
فلذلك ذكر اللفظ **وما كنت** يعني يا محمد **لديهم** هنالك عندهم **اذ يلقون اقلامهم**
يعني التي كانوا يكتبون بها في الماء لاجل الاقتراع **ايهم يكفل مريم** يعني يربيها ويقوم بمصالحها
قيل سبب منازعتهم في كفالة مريم حتى اقترعوا على ذلك انها كانت بنت عمران وكان رئيسهم
وكبيرهم فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها وقيل لان مريم حررت لعبادة الله وخدمة المسجد وكان
ابوها قد مات فلاجل ذلك رغبوا في كفالتها **وما كنت لديهم اذ يختصمون** يعني في كفالتها

وبينها قوله عز وجل **اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك** بكلمة منه معناه وما كنت لديهم
يا محمد اذ يختصمون وما كنت لديهم اذ قالت الملائكة يعني جبريل عليه السلام يا مريم ان الله يبشرك
والبشارة اخبار المرء بما يسره من خير **بكلمة منه** يعني برسالة من الله وخبر من عنده فهو كقول
القائل القى الي فلان كلمة سرني بها اي اخبرني خبرا فرحت به ومعنى الاية اذ قالت الملائكة لمريم يا مريم
ان الله يبشرك ببشرى من عنده وهي ولد يولد لك من غير بعل ولا فحل وذلك الولد اسمه المسيح
عيسى بن مريم وقال قتادة في قوله تعالى بكلمة منه هو قوله تعالى كن فسماه الله كلمة لانه
كان عن كلمته التي هي كن كما يقال لما قدر الله تعالى من شيء هذا قدر الله وقضاء الله يعني ان
هذا الامر عن قدره وقضائه حدث وقال ابن عباس الكلمة هي عيسى وانما سماه كلمة لانه
وجد عن الكلمة التي هي كن فان قلت ان كل مخلوق انما يوجد بواسطة الكلمة التي هي كن فلم
خص عيسى عليه السلام بهذا الاسم وسماه كلمة دون غيره قلت ان كل مخلوق وان وجد
حدوثه وخلقه بواسطة الكلمة الا ان هذا السبب ما هو المتعارف ولما كان حدوث
عيسى عليه السلام بمجرد الكلمة من غير واسطة اخرى فلا جرم كان اضافة حدوثه الى الكلمة
اتم واكمل وبهذا البناء وقيل حسن ان يسمى عيسى عليه السلام نفس الكلمة لانه حدث عنها فان
قلت الضمير في قوله اسمه عائد الى الكلمة وهي مؤنثة فلم ذكر الضمير قلت لان المسمى بها مذكر
ولهذا ذكر الضمير فان قلت لم قال اسمه المسيح بن مريم وهذه ثلاثة والاسم منها واحد وهو
عيسى واما المسيح فلقب وابن مريم صفة قلت الضمير في قوله اسمه يرجع الى عيسى والمسمى
علامة يعرف بها ويتميز عن غيره فكان قال الذي يعرف به ويتميز به عمن سواه هو مجموع
هذه الثلاثة واختلفوا لم سمي عيسى عليه السلام مسيحا وهل هو اسم مشتق او موضوع
فقيل انه موضوع واصله بالعبرانية مشيحا فغيرته العرب واصله عيسى ايشوع كما قالوا موسى
اصله موشى او ميشا وقال الاكثرون انه اسم مشتق ثم ذكروا فيه وجوها قال ابن عباس
سمي عيسى مسيحا لانه ما مسح ذا عاهة الا برئ منها وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه مسح
من الاقذار وقيل طهر من الذنوب وقيل انه خرج من بطن امه ممسوحا بالدهن وقيل
لان جبريل عليه السلام مسحه بجناحه حتى لا يكون للشيطان عليه سبيل وقيل لانه
كان يسيح في الارض ولا يقيم بمكان فكانه يمسح الارض اي يقطعها مساحة فعلى هذا
القول تكون الميم زائدة وقيل سمي مسيحا لانه كان مسيح القدمين لا اخمص له وسمي
الدجال مسيحا لانه ممسوح احدى العينين وقيل المسيح هو الصديق وبه سمي عيسى
عليه السلام وقد يكون المسيح بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال فعلى هذا تكون هذه
الكلمة من الاضداد قوله تعالى **وجيها** اي شريفا رفيعا ذا جاه وقدر **في الدنيا
والآخرة** اما وجاهته في الدنيا فبسبب النبوة وانه كان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي
الموتى واما وجاهته في الآخرة فبسبب علو منزلته عند الله وهو قوله تعالى **ومن المقربين**
يعني عند الله يوم القيامة لان اهل الجنة منازل ودرجات ومنازل الانبياء ودرجاتهم اعلا
من سواهم وقيل فيه تنبيه على علو منزلته وانه رفعه الله الى السماء **ويكلم الناس في المهد**
يعني ويكلم الناس صغيرا وهو في المهد وذلك قبل اوان الكلام وقصته والكلام الذي تكلم
به هو ما نبه الله عنه في سورة مريم وهو قوله تعالى اني عبد الله آتاني الكتاب الاية وتكلم
ببراءة امه لما رموها به اهل الريبة من القذف ويحكى ان مريم قالت كنت اذا خلوت انا
وعيسى حدثني وحدثته فاذا شغلني عنه انسان سبح وهو في بطني وانا اسمع ولما تكلم ببراءة
امه سكت بعد ذلك فلم يتكلم الا في الوقت الذي يتكلم فيه الصغير وقال ابن عباس تكلم عيسى

عيسى مح

ثم سكت ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغ النطق **وكهلا** يعني ويكلم الناس في حال الكهولة والكهل في اللغة هو الذي اجتمع قوته وكمل شبابه وهو الكهل عند العرب الذي جاوز الثلاثين وقيل هو الذي وخطه الشيب وهو السن الذي يستحكم فيه العقل ويستنبأ فيه الانبيا وقال ابن عباس لما كان لعيسى ثلاثون سنة ارسله الله تعالى فمكث في رسالته ثلاثين شهرا ثم رفعه الله وقال ابن وهب جاءه الوحي على راس ثلاثين سنة فمكث في نبوته ثلاث سنين ثم رفعه الله فمعنى الاية انه يكلم الناس وهو في المهد ببراءة امه وهو معجزة عظيمة ويكلم الناس في حال الكهولة بالدعوة والرسالة وقيل فيه بشارة لمريم اخبرها انه يبقى حتى يكتهل وقيل فيه اخبار بانه يتغير من حال الى حال ولو كان الها كما زعمت النصارى لم يدخل عليه التغير ففيه رد على النصارى الذين يدعون فيه الالهية وقال الحسين بن الفضل وكهلا يعني ويكلم الناس كهلا بعد نزوله من السماء وفي هذه نص على انه سينزل من السما الى الارض ويقتل الدجال وقال مجاهد الكهل الحكيم والعرب تمدح الكهولة لانها الحالة الوسطى في احتناك السن وكمال العقل وجودة الراي **ومن الصالحين** يعني انه من العباد الصالحين مثل ابراهيم واسحاق ويعقوب وموسى وغيرهم من الانبيا وانما ختم اوصاف عيسى عليه السلام بكونه من الصالحين بعد ما وصفه بالاوصاف العظيمة لان الصلاح من اعظم المراتب واشرف المقامات لانه لا يسمى المرء صالحا حتى يكون مواظبا على النهج الاصلح والطريق الاكمل في جميع اقواله وافعاله فلما وصفه الله تعالى بكونه وجيها في الدنيا والاخرة ومن المقربين وانه يكلم الناس في المهد وكهلا اردفه بقوله ومن الصالحين ليكمل له اعلا الدرجات واشرف المقامات قوله تعالى **قالت** يعني مريم **رب** يعني يا سيدي تقوله لجبريل لما بشرها بالولد وقيل تقوله لله عز وجل **انى يكون لي ولد** من اين يكون لي ولد **ولم يمسسني بشر** اي ولم يصبني رجل وانما قالت ذلك تعجبا لا استبعادا في قدرة الله تعالى اذ لم تكن العادة جرت ان يولد ولد من غير اب **قال كذلك الله يخلق ما يشا** يعني هكذا يخلق الله منك ولدا من غير ان يمسك بشر فنجعله اية للناس وعبرة فانه يخلق ما يشا ويصنع ما يريد قوله تعالى **اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون** يعني كما يريد **ويعلمه الكتاب** يعني الكتابة والخط باليد **والحكمة** يعني العلم والسنة واحكام الشرائع **والتوراة** يعني التي انزلت على موسى **والانجيل** يعني الذي انزل عليه وهذا من الاخبار من الله تعالى لمريم ما هو فاعل بالولد الذي بشرها به من الكرامة وعلو المنزلة **ورسولا الى بني اسرائيل** ويجعله رسولا الى بني اسرائيل وكان اول انبيا بني اسرائيل يوسف بن يعقوب واخرهم عيسى بن مريم عليهم السلام فلما بعث اليهم قال **اني قد جئتكم باية من ربكم** اي بعلامة من ربكم على صدق قولي وانما قال باية وقد جاء بايات كثيرة لان الكل دل على شي واحد وهو صدقه في الرسالة فلما قال عيسى ذلك لبني اسرائيل قالوا وما هذه الاية **اني اخلق لكم** اي اصور واقدر **من الطين كهيئة الطير** والهيئة الصورة المهياة من قولهم هيات الشي اذا قدرته واصلحته **فانفخ فيه** اي في الطين المهيا المصور **فيكون طيرا** قري بلفظ الجمع لان الطير اسم جنس يقع على الواحد والاثنين والجمع وقري فيكون طائرا على التوحيد على معنى يكون ما انفخ فيه طائرا وما اخلقه يكون طائرا وقيل انه لم يخلق غير الخفاش وهو الذي يطير في الليل وانما خص الخفاش لانه من اكمل الطير خلقا وذلك لانه يطير بلا ريش وله اسنان ويقال ان الانثى منها لها ثدي وتحيض ذكروا ان عيسى عليه السلام لما ادعى النبوة واظهر لهم المعجزات اخذوا يتعنتون عليه فطلبوا ان يخلق لهم خفاشا فاخذ طينا وصوره كهيئة الخفاش

والتوراة صح
والانجيل صح

ثم نفخ فيه فاذا هو طائر يطير بين السما والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز **باذن الله** معناه بتكوين الله وتخليقه والمعنى اني اعمل هذا التصوير فاما خلق الحياة فيه فهو من الله تعالى على سبيل اظهار المعجزة على يد عيسى عليه السلام **وابرئ الاكمه والابرص** اي واشفي الاكمه والابرص واصححهما واختلفوا في الاكمه فقال ابن عباس هو الذي ولد اعمى وقيل هو الاعمى وان كان بصيرا وقيل هو الاعمش وقيل هو الذي يبصر النهار ولا يبصر بالليل والابرص هو الذي به وضح وكان الغالب على زمان عيسى عليه السلام الطب فاراهم المعجزة من جنس ذلك الا انه ليس في علم الطب ابرا الاكمه والابرص فكان ذلك معجزة له ودليلا على صدقه قال وهب ربما اجتمع على عيسى عليه السلام من المرضى في اليوم الواحد نحو خمسين الفا من اطاق ان يمشي اليه مشى ومن لم يطق مشى عيسى عليه السلام اليه وكان يداويهم بالدعا على شرط الايمان برسالته **واحيي الموتى باذن الله** قال ابن عباس قد احيى اربعة انفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح وكلهم بقي وولد له الا سام بن نوح فاما عازر فكان صديقا لعيسى عليه السلام فارسلت اليه اخت عازر ان اخاك عازر يموت وكان بينهما مسيرة ثلاثة ايام فاتاه عيسى واصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت بهم الى قبره فدعا الله عيسى فقام عازر حيا باذن الله فخرج من قبره وعاش وولد له واما ابن العجوز فانه مر به وهو ميت على عيسى عليه السلام يحمل على السرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه واتى اهله وعاش وولد له واما ابنة العاشر فكان ياخذ العشور من الناس ماتت بنت له بالامس فدعا الله عيسى فاحياها بدعوته فعاشت وولد لها واما ابن نوح فان عيسى عليه السلام جا الى قبره ودعا الله باسمه الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف راسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان فقال اقد قامت القيامة فقال له عيسى لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم فقال له مت فقال بشرط ان يعيذني الله من سكرات الموت مرة اخرى فدعا الله عيسى ففعل **وانبئكم** يعني واخبركم **بما تاكلون** اي مما لم اعاينه **وما تدخرون في بيوتكم** اي وما ترفعونه فتخبئونه في بيوتكم لتاكلوه فيما بعد ذلك قيل كان عيسى عليه السلام يخبر الرجل بما اكل البارحة وبما ياكل اليوم وبما يخبؤه للعشا وقيل كان في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع اباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد اكل اهلك كذا وكذا وقد رفعوا لك كذا فينطلق الصبي الى اهله فيبكي على اهله حتى يعطوه ذلك الشي فيقولون من اخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر وجمعوهم في بيت فجا عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا هنا فقال وما في البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونوا ففتحوا عليهم الباب فاذا هم خنازير ففشا ذلك في بني اسرائيل وظهر فهموا به فخافت عليه امه فحملته على حمير لها وخرجت هاربة الى مصر وقال قتادة انما كان هذا في نزول المائدة وكان خوانا ينزل عليهم اينما كانوا فيه من طعام الجنة وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا فجعل عيسى يخبرهم بما اكلوا من المائدة وما ادخروا منها فمسخهم الله خنازير وفي هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ومعجزة عظيمة له وهو اخباره عن المغيبات مع ما تقدم له من الايات الباهرات من ابرا الاكمه والابرص واحيا الموتى باذن الله

واخباره عن الغيوب باعلام الله اياه ذلك وهو مما لا سبيل لاحد من البشر عليه الا الانبيا عليهم السلام فان قلت قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق قلت ان المنجم والكاهن لا بد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع اليها ويعتمد في اخباره عليها اما المنجم فانه يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب وامتزاجاتها وبواسطة حساب الرمل ونحو ذلك وقد يخطي في كثير مما يخبر به واما الكاهن فانه يستعين برايه من الجن وقد يخطي ايضا في كثير مما يخبر به واما اخبار الانبيا عليهم السلام عن المغيبات فليس الا بالوحي السماوي وهو من الله تعالى وليس باستعانة بواسطة حساب ولا غيره فحصل الفرق **ان في ذلك** يعني الذي تقدم ذكره من خلق الطير من الطين باذن الله وابرا الاكمه والابرص واخبار عن المغيبات **لاية لكم** اي لعبرة ودلالة على صدقي اني رسول من الله اليكم **ان كنتم مؤمنين** يعني مصدقين بذلك **ومصدقا** قيل انه عطف على قوله ورسولا وقيل هو عطف على الحال جئتكم باية من ربكم والمعنى وجئتكم مصدقا **لما بين يدي من التوراة** وذلك لان الانبيا عليهم السلام يصدق بعضهم بعضا فكل واحد منهم يصدق الذي قبله ويصدق ما انزل اليه من الكتب والشرائع والاحكام فلهذا قال عيسى عليه السلام ومصدقا لما بين يدي من التوراة **ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم** قال وهب بن منبه ان عيسى كان على شريعة موسى عليهما السلام وكان يسبت ويستقبل بيت المقدس فقال لبني اسرائيل اني لم ادعكم الى خلاف حرف مما في التوراة الا لاحل لكم بعض الذي حرم عليكم واضع عنكم الاصار وذلك ان الله تعالى كان قد حرم على اليهود بعض الاشيا عقوبة لهم على بعض ما صدر منهم من الجنايات كما قال تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فبقي ذلك التحريم مستمرا على اليهود الى ان جا عيسى عليه السلام فرفع عنهم تلك التشديدات التي كانت عليهم وقال قتادة كان الذي جا به عيسى الين مما جا به موسى وكان قد حرم عليهم فيما جا به موسى لحوم الابل والثروب والشحوم واشيا من الطير والحيتان زاد غيره فجاءهم عيسى بالتخفيف واحلها لهم فان قلت ان عيسى عليه السلام رفع كثيرا من احكام التوراة ورفع السبت ووضع الاحد وكان ذلك كله بامر الله فكان ذلك ناسخا لتلك الاحكام والشرائع والناسخ والمنسوخ حق وصدق **وجئتكم باية من ربكم** اي بحجة واضحة شاهدة على صدق رسالتي ثم خوفهم بقوله **فاتقوا الله** يعني يا معشر بني اسرائيل فيما امركم به ونهاكم عنه **واطيعون** يعني فيما دعوتكم اليه لان طاعة الرسول من توابع تقوى الله ومما ادعوكم اليه هو قولي **ان الله ربي وربكم فاعبدوه** لان جميع الرسل كانوا على دين واحد وهو التوحيد ولم يختلفوا في الله تعالى وفي هذه الاية حجة بالغة على نصارى وفد نجران ومن قال بقولهم من سائر النصارى باخبار الله عن عيسى عليه السلام انه كان بريا مما نسبه اليه النصارى وانه كان عبدا لله وخصه بنبوته ورسالته ثم ختم ذلك بقوله **هذا صراط مستقيم** يعني التوحيد قوله تعالى **فلما احس عيسى منهم الكفر** اي وجد وعرف وقيل راى والاحساس عبارة عن وجدان الشي بالحاسة والمعنى انهم تكلموا بكلمة الكفر فاحس ذلك عيسى منهم وعرف انهم مصرون عليه وعزموا على قتله

ذكر سبب القصة

قال اهل الاخبار والسير لما بعث الله عيسى عليه السلام الى بني اسرائيل وامره باظهار رسالته والدعا اليه نفوه واخرجوه من بينهم فخرج هو وامه يسيحان في الارض فنزلا في قرية على رجل فاضافهم واحسن اليهم وكان لتلك القرية ملك جبار متعد فجا ذلك الرجل في بعض الايام وهو مهموم حزين فدخل منزله ومريم عند امراته فقالت مريم ما شان زوجك اراه كئيبا حزينا قالت لا تسالي قالت مريم اخبريني لعل الله ان يفرج كربته قالت المراة ان لنا ملكا جبارا وقد جعل على كل رجل منا يوما يطعمه فيه هو وجنوده ويسقيهم الخمر وان لم يفعل عاقبه وان اليوم نوبتنا وليس عندنا سعة لذلك فقالت قولي له لا يهتم لذلك فاني امر ابني ان يدعو له فيكفى ذلك ثم قالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى ان فعلت ذلك وقع شر قالت مريم لا تبالي فانه قد احسن الينا واكرمنا فقال عيسى قولي له اذا قرب ذلك الوقت فاملا قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني ففعل الرجل ثم دعا الله عيسى عليه السلام فتحول ما في القدور مرقا ولحما وما في الخوابي خمرا لم ير الناس مثله فلما جا الملك واكل من ذلك الطعام وشرب من هذا الخمر قال من اين لك هذا الخمر فقال الرجل هو من ارض كذا فقال الملك ان خمري من تلك الارض وليست مثل هذه فقال هي من ارض اخرى فلما راه الملك قد خلط شدد عليه فقال الرجل انا اخبرك ان عندي غلاما لا يسال الله شيا الا اعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه في ملكه وقد مات قبل ذلك بايام وكان يحبه حبا شديدا فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى صار الماء خمرا ليدعون له ليستجيبن له حتى يحيي ابني فطلب عيسى وكلمه في ذلك فقال له عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا ابالي اليس اراه فقال له عيسى ان انا احييته تتركني وامي نذهب حيث شئنا قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما راه اهل مملكته انه قد عاش تبادروا الى السلاح وقالوا قد اكلنا هذا حتى اذا دنا اجله يريد ان يستخلف علينا ابنه فياكلنا كما اكلنا ابوه فتقاتلوا وظهر امر عيسى وقصدوا قتله وكفروا به وقيل ان اليهود كانوا عارفين بانه المسيح المبشر به في التوراة وانه ينسخ دينهم فلما اظهر عيسى الدعوة اشتد ذلك عليهم واخذوا في اذاه وطلبوا قتله وكفروا به فاستنصر عليهم كما اخبر الله عز وجل عنه بقوله **قال** يعني عيسى عليه السلام **من انصاري الى الله** اي مع الله وقيل معناه الى ان ابين امر الله واظهر دينه وقيل الى بمعنى في اي في ذات الله وسبيله وقيل الى في موضعها والمعنى من يضم نصرته الى نصرة الله **قال الحواريون نحن انصار الله** وذلك ان عيسى عليه السلام لما دعا بني اسرائيل الى الله تعالى تمردوا عليه وكفروا به فخرج يسيح في الارض فمر بجماعة يصطادون السمك وكانوا اثني عشر ورئيسهم شمعون ويعقوب فقال عيسى عليه السلام ما تصنعون قالوا نصطاد السمك قال افلا تمشون حتى نصطاد الناس قالوا ومن انت قال انا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله فسالوه اية تدلهم على صدقه وكان شمعون قد رمى شبكته في الما فدعا الله عيسى فاجتمع في تلك الشبكة من السمك ما كادت تتمزق من كثرته فاستعانوا باهل سفينة اخرى وملاوا السفينتين من السمك فعند ذلك امنوا وانطلقوا معه واختلفوا في الحواريين فقيل كانوا يصطادون السمك فلما امنوا بعيسى صاروا يصطادون الناس ويهدونهم الى الدين فسموا حواريين لبياض ثيابهم يقال حرت الشي بمعنى بيضته وقيل كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب اي يبيضونها وقيل ان مريم سلمت عيسى الى اعمال شتى وكان اخر من سلمته الى الحواريين وكانوا قصارين وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم عنده فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الصنعة

وانا خارج الى سفر ولا ارجع الى عشرة ايام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد اعلمت كل واحد
منها بخيط على اللون الذي يصبغ به فاريد ان تفرغ منها وقت قدومي وخرج المعلم الى سفره
فطبخ عيسى حبا واحدا على لون واحد وادخل فيه جميع الثياب وقال كوني باذن
الله على ما اريد منكي ثم قدم الحواري والثياب كلها في الحب فقال لعيسى ما فعلت فقال
قد فرغت منها فقال واين هي قال في الحب قال كلها قال نعم قال لقد افسدت على
الثياب قال عيسى لا ولكن قم فانظر فقام عيسى واخرج ثوبا احمر وثوبا اخضر
وثوبا اصفر وثوبا اسود حتى اخرجها كلها على الالوان التي يريد الحواري فجعل
الحواري يتعجب من ذلك وعلم ان ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا
فامن به هو واصحابه وهم الحواريون وقيل سموا حواريين لصفا قلوبهم ولما ظهر
عليهم من اثر العبادة ونورها وقيل الحواريون الاصفيا وكانوا اصفيا لعيسى
وخاصته وقيل الحواريون هم الخلفا وقيل هم الوزرا وكانوا خلفا عيسى ووزراه
وقيل الحواريون هم الانصار والحواري الناصر والحواري الرجل الذي يستعان
به **ق** عن جابر بن عبد الله قال ندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق
فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي حواري وحواري الزبير قال الحواريون نحن
انصار الله يعني انصار دين الله واعوانه **امنا بالله** اي صدقنا بان الله ربنا
ورب كل شي **واشهد** يعني انت يا عيسى **بانا مسلمون** قيل معناه واشهد بانا
منقادون لما تريد منا في نصرك والذب عنك ومستسلمون لامر الله عز وجل وقيل
هو اقرار منهم بان دينهم الاسلام وانه دين عيسى وكل الانبيا قبله لا اليهودية
والنصرانية ربنا امنا بما انزلت يعني قال الحواريون بعد اشهادهم عيسى عليهم بانهم
مسلمون **ربنا امنا بما انزلت** يعني بكتابك الذي انزلته على عيسى عليه السلام
واتبعنا الرسول يعني عيسى **فاكتبنا مع الشاهدين** يعني الذين يشهدون ا
لانبيايك بالصدق واتبعوا امرك ونهيك فاثبت اسماءنا مع اسمايهم واجعلنا في عدادهم
ومعهم فيما تكرمهم به وهذا يقتضي ان تكون للشاهدين الذين سال الحواريون
ان يكونوا معهم مزيد فضل عليهم فلهذا قال ابن عباس في قوله فاكتبنا مع الشاهدين
اي مع محمد صلى الله عليه وسلم وامته لانهم المخصوصون بتلك الفضيلة فانهم
يشهدون للرسل بالبلاغ وقيل مع الشاهدين يعني النبيين لان كل نبي شاهد
على امته قوله عز وجل **ومكروا** يعني كفار بني اسرايل الذين احس عيسى
منهم الكفر واصل المكر صرف الغير عما يقصده بضرب من الحيلة وقيل هو السعي
بالفساد في الخفية فاما مكرهم بعيسى فانهم دبروا في قتله وهموا به وذلك ان
عيسى عليه السلام بعد ان اخرجه قومه هو وامه رجع مع الحواريين وصاح فيهم
بالدعوة واظهر رسالته اليهم فهموا بقتله والفتك به فذلك مكرهم والمكر
من الخلق الخبث والخديعة والحيلة **ومكر الله** اي جازاهم على مكرهم فسمى الجزا باسم
الابتدا لانه في مقابلته وقيل مكر الله استدراج العبد واخذه بغتة من حيث لا يحتسب
ومكر الله في هذه الاية خاصة هو القا الشبه على صاحبهم الذي دلهم على عيسى
حين ارادوا قتله حتى قتل قال ابن عباس ان عيسى عليه السلام استقبل رهطا
من اليهود فلما راوه قالوا قد جا الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه

وامه

وامه فلما سمع عيسى ذلك دعا عليهم ولعنهم فمسخهم الله خنازير فلما راى ذلك يهودا
راس اليهود وملكهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا
اليه ليقتلوه فبعث الله عز وجل جبريل عليه السلام فادخله خوخة في سقفها روزنة
فرفعه الله من تلك الروزنة وامر يهودا ملك اليهود رجلا من اصحابه يقال
له ططيانوس ان يدخل الخوخة فيقتله فيها فلما دخلها لم ير عيسى وابطا عليهم
فظنوا انه يقاتله فيها والقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى
فاخذوه وقتلوه وصلبوه قال وهب بن منبه ان اليهود طرقوا عيسى في بعض الليل
ونصبوا خشبة ليصلبوه عليها فاظلمت الارض وارسل الله عز وجل الملايكة فحالت
بينه وبينهم فجمع عيسى عليه السلام الحواريين تلك الليلة واوصاهم وقال ليكفرن
بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت
اليهود تطلبه فاتى احد الحواريين الى اليهود وقال ما تجعلون لي ان دللتكم على
المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فاخذها ودلهم عليه فلما دخل البيت
الذي فيه المسيح القى الله شبه عيسى عليه ورفع الله عيسى واخذ الذي دل عليه
فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله فقتلوه وصلبوه وهم
يظنون انه عيسى فلما صلب الذي القي عليه شبه عيسى جات مريم وامراة اخرى
كان عيسى عليه السلام دعا لها فابراها الله من الجنون بدعوته فجعلتا تبكيان
عند المصلوب فجاهما عيسى عليه السلام وقال علام تبكيان ان الله عز وجل قد
رفعني ولم يصبني الا خير وهذا شي شبه لهم فلما كان بعد سبعة ايام قال
الله لعيسى اهبط الى مريم المجدلانية فانه لم يبك عليك احد بكاها ولم يحزن عليك احد
حزنها ثم لتجمع لك الحواريين فتبثهم في الارض دعاة الى الله عز وجل فاهبط
الله عز وجل فاشتعل الجبل نورا حين هبط فجمعت له الحواريين فبثهم دعاة
في الارض ثم رفعه الله تلك الليلة التي تدخن فيها النصارى فلما اصبح
الحواريون تكلم كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله
تعالى ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين يعني وهو افضل المجازين بالسيية
العقوبة قال السدي ان اليهود حبست عيسى في بيت ومعه عشرة من الحواريين
فدخل عليه رجل منهم وكان منافقا فالقي عليه شبه عيسى فاخذ وقتل
وصلب وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله عيسى عليه السلام قال لاصحابه ايكم
يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل منهم انا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل
ومنع الله عيسى ورفعه اليه فكساه الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم
والمشرب وطار مع الملايكة فهو معهم حول العرش وصار انسيا ملكيا ارضيا
سماويا قال اهل التاريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدته
ببيت لحم من ارض اوريشلم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على
ارض بابل واوحى الله الى عيسى على راس ثلاثين سنة ورفعه الله من بيت
المقدس ليلة القدر من رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته
ثلاث سنين وعاشت امه مريم بعد رفعه ست سنين قوله تعالى **اذ قال**
الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي اختلفوا في معنى هذا على طريقين
فالطريق الاول ان الاية على ظاهرها من غير تقديم ولا تاخير وذكروا في معناها

وجوه الاول معناه اني قابضك ورافعك الي من غير موت من قولهم توفيت الشيء
واستوفيته اذا اخذته وقبضته تاما والمقصود منه ان لا يصل اعداؤه من اليهود
اليه بقتل ولا غيره الوجه الثاني ان المراد بالتوفي النوم ومنه قوله عز وجل
الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فجعل النوم وفاة وكان عيسى
قد نام فرفعه الله وهو نائم لئلا يلحقه خوف فمعنى الآية اني منيمك ورافعك
الي الوجه الثالث ان المراد بالتوفي حقيقة الموت قال ابن عباس اني مميتك
قال وهب بن منبه ان الله تعالى توفى عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم رفعه
اليه وقيل ان النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم رفعه
واحياه اليه الوجه الرابع ان الواو في قوله ورافعك الي لا تفيد الترتيب والآية
تدل على ان الله تعالى يفعل به ما ذكر فاما كيف يفعل ومتى يفعل فالامر فيه
موقوف على الدليل وقد ثبت في الحديث ان عيسى سينزل ويقتل الدجال
وسنذكره ان شاء الله تعالى الوجه الخامس قال ابو بكر الواسطي معناه اني متوفيك
عن شهواتك وعن حظوظ نفسك ورافعك الي وذلك ان عيسى عليه
السلام لما رفع الى السماء صارت حالته حالة الملائكة في زوال الشهوة الوجه
السادس ان معنى التوفي اخذ الشيء وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس من
يخطر بباله ان الذي رفعه الله اليه هو روحه دون جسده كما زعمت النصارى
ان المسيح رفع لاهوته يعني روحه وبقي في الارض ناسوته يعني جسده فرد الله
تعالى عليهم بقوله اني متوفيك ورافعك الي فاخبر الله انه رفعه بتمامه الى السماء
بروحه وجسده جميعا الطريق الثاني ان في الآية تقديما وتأخيرا تقديره
اني رافعك الي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك الى الارض
وقيل لبعضهم هل تجد نزول عيسى في القرآن قال نعم قوله تعالى وكهلا وذلك
لانه لم يكتهل في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل
الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد زاد في رواية
وحتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة
اقرؤوا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته وفي رواية كيف انتم
اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وفي رواية فامكم منكم قال ابن ابي ذئب
تدري ما امكم منكم قلت تخبرني قال فامكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم
صلى الله عليه وسلم وفي افراد مسلم من حديث النواس بن سمعان قال فبينما هو
كذلك اذ بعث الله المسيح ابن مريم عليهما السلام فينزل عند المنارة البيضاء
شرقي دمشق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس بيني
وبينه يعني عيسى نبي وانه نازل فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الى
الحمرة والبياض بين ممصرتين كان راسه يقطر وان لم يصبه
بلل فيقاتل الناس على الاسلام فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع
الجزية ويهلك الله في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك المسيح الدجال ثم
يمكث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون اخرجه ابو داود

ونقل

ونقل بعضهم ان عيسى عليه السلام يدفن في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيقوم ابو بكر وعمر يوم القيامة بين نبيين محمد وعيسى صلى الله عليهما وسلم وقوله
تعالى **ومطهرك من الذين كفروا** اي مخرجك من بينهم ومنجيك **وجاعل الذين
اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة** يعني وجاعل الذين اتبعوك في التوحيد
وصدقوا قولك وهم اهل الاسلام من امة محمد صلى الله عليه وسلم فوق الذين كفروا
بالعز والنصر والغلبة بالحجة الظاهرة وقيل هم الحواريون الذين اتبعوا عيسى على
دينه وقيل هم النصارى فهم فوق اليهود لان ملك اليهود قد ذهب فلم يبق لهم
مملكة وملك النصارى باق فعلى هذا القول يكون الاتباع بمعنى المحبة والادعاء
لا اتباع الدين لان النصارى وان اظهروا متابعة عيسى عليه السلام فهم اشد
مخالفة له وذلك ان عيسى عليه السلام لم يرض بما هم عليه من الشرك والقول الاول
اصح لان الذين اتبعوه هم الذين شهدوا بانه عبد الله ورسوله وكلمته وهم المسلمون
وملكهم باق الى يوم القيامة **ثم الي مرجعكم** يعني يقول الله عز وجل الي المرجع
في الآخرة الذين اتبعوا عيسى وصدقوا به والذين كفروا به **فاحكم بينكم فيما
كنتم فيه تختلفون** يعني من الحق في امر عيسى ثم بين الحكم فقال تعالى **فاما
الذين كفروا** يعني الذين جحدوا نبوة عيسى وخالفوا ملته وقالوا فيه ما قالوا
من الباطل ووصفوه بما لا ينبغي من سائر اليهود والنصارى **فاعذبهم
عذابا شديدا في الدنيا** يعني بالقتل والسبي والذلة واخذ الجزية
منهم **والآخرة** اي واعذبهم في الآخرة بالنار **وما لهم من ناصرين** يعني ما
لهم من يمنعهم من عذابنا **واما الذين آمنوا** يعني بعيسى عليه السلام
وصدقوا بنبوته وانه عبد الله ورسوله وكلمته **وعملوا الصالحات** يعني عملوا
بما فرضت عليهم وشرعت لهم **فيوفيهم اجورهم** اي يعني جزاء اعمالهم لا ينقص
منه شيء **والله لا يحب الظالمين** اي لا يحب من ظلم غيره حقا له او وضع شيئا
في غير موضعه والمعنى انه تعالى لا يرحمهم ولا يثني عليهم بجميل قال تعالى
ذلك يعني الذي ذكرته لك من اخبار عيسى وامه مريم والحواريين وغير ذلك
نتلوه عليك اي نخبرك به يا محمد على لسان جبريل وانما اضاف ما يتلوه جبريل
الى نفسه سبحانه وتعالى لانه من عنده وبامره من غير تفاوت اصلا فاضافه
اليه **من الآيات** يعني من القرآن وقيل الآيات يعني العلامات الدالة على
نبوتك يا محمد لانها اخبار لا يعلمها الا من يقرأ ويكتب او من يوحى اليه وانت امي
لا تقرأ ولا تكتب فثبت ان ذلك من الوحي السماوي الذي انزل عليك **والذكر
الحكيم** اي المحكم الممنوع من الباطل وقيل المراد من الذكر الحكيم القرآن لانه
حاكم يستنبط منه جميع الاحكام وقيل الذكر الحكيم هو اللوح المحفوظ الذي منه
نزلت جميع كتب الله على رسله وهو لوح من درة بيضاء معلق بالعرش قوله عز وجل
ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب الآية اجمع اهل التفسير ان
هذه الآية نزلت في محاجة نصارى نجران قال ابن عباس ان رهطا من اهل نجران
قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم السيد والعاقب فقالوا للنبي صلى
الله عليه وسلم ما شأنك تذكر صاحبنا فقال ومن هو قالوا عيسى تزعم انه عبد الله
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجل انه عبد الله فقالوا فهل رأيت له مثلا او انبئت به

ثم خرجوا من عنده فجاءه جبريل عليه السلام فقال له قل لهم ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم
خلقه من تراب **وقيل** ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه عبد الله ورسوله وكلمته
القاها الى مريم العذراء البتول فغضبوا وقالوا يا محمد هل رايت انسانا قط من غير اب
فانزل الله ان مثل عيسى عند الله اي في الخلق والانشاء في كونه خلقه من غير اب كمثل ادم
في كونه خلقه من تراب من غير اب وام يعني الاية ان صفة خلق عيسى من غير اب
كصفة ادم في كونه خلقه من تراب لا من اب وام فهم اقروا بان الله خلق ادم من التراب
اليابس وهو ابلغ في القدرة فلم لا يقروا بان الله خلق عيسى بن مريم من غير اب بل
الشان في خلق ادم اعجب واغرب وتم الكلام عند قوله كمثل ادم لانه تشبيه كامل
ثم قال تعالى خلقه من تراب فهو خبر مستانف على جهة التفسير لحال خلق ادم
في كونه خلقه من تراب اي قدره جسدا من طين ثم قال له كن اي انشاه خلقا
بالكلمة وكذلك عيسى انشاه الله خلقا بالكلمة فعلى هذا القول ذكروا في الاية
اشكالا وهو انه تعالى قال خلقه من تراب ثم قال له كن فهذا يقتضي ان يكون
خلق ادم متقدما على قوله كن وهو لا تكوين بعد الخلق **واجيب** عن هذا
الاشكال بان الله تعالى اخبر انه خلقه من تراب لا من ذكر وانثى ثم ابتدا خبرا اخر
ثم قال اخبركم ايضا اني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة
ويحتمل ان يكون المراد انه تعالى خلقه جسدا من تراب ثم قال له كن بشرا فكان
فيصح النظم وقيل الضمير في قوله كن يرجع الى عيسى عليه السلام وعلى هذا
فلا اشكال في الاية **فان قلت** كيف شبه عيسى بادم وقد وجد عيسى
من غير اب ووجد ادم من غير اب ولا ام **قلت** هو مثيله في احد الطرفين
ولا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الاخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة
في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة
وهما في ذلك نظيران لان الموجود من غير اب وام اغرب في العادة من الوجود من
غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة شبهته اذا
نظر فيما هو اغرب مما استغرب به **وحكي** ان بعض العلماء اسر في بلاد الروم
فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فادم اولى لانه لا ابوين له
ولا ام قالوا وكان يحيي الموتى فقال حزقيل اولى لان عيسى احيا اربعة نفر
واحيا حزقيل ثمانية الاف قالوا وكان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس
اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما وقوله كن فيكون قال ابن عباس معناه
كن فكان فاريد بالمستقبل الماضي وقيل معناه ثم قال له كن واعلم يا محمد
ان ما قال له ربك كن فانه يكون لا محالة **الحق من ربك** الذي اخبرتك به
من تمثيل عيسى بادم هو الحق من ربك **فلا تكن من الممترين** اي من الشاكين
الذي لك ذلك وهذا خطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به امته
لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فهو كقوله تعالى يا ايها النبي اذا
طلقتم النساء والمعنى فلا تكونن من الممترين يا ايها السامع كائنا من كان لهذا
التمثيل والبرهان الذي ذكر فهو من باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة
قوله تعالى **فمن حاجك فيه** اي من جادلك في عيسى وقيل في الحق **من بعد**
ما جاءك من العلم يعني بان عيسى عبد الله ورسوله **فقل تعالوا** اي هلموا والمراد

به المجي واصله من العلو بالراي والعزم كما تقول تعال نتفكر هذه المسالة **ندع ابناءنا وابناءكم** اي
يدع كل مني ومنكم ابناءه **ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم** قيل اراد بالابناء الحسن والحسين
وبالنساء فاطمة وبالنفس نفسه صلى الله عليه وسلم وعليا رضي الله عنه وقيل هو العموم لجماعة
اهل الدين **ثم نبتهل** قال ابن عباس نتضرع في الدعاء وقيل معناه نجتهد ونبالغ في الدعاء
وقيل معناه نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله اي لعنة الله **فنجعل لعنة**
الله على الكاذبين يعني منا ومنكم في امر عيسى قال المفسرون لما قرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم هذه الاية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر في امرنا ثم
ناتيك غدا فلما خلا بعضهم ببعض قالوا للعاقب وكان كبيرهم وصاحب رايهم ما ترى يا عبد
المسيح قال لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولئن فعلتم ذلك لتهلكن
فان ابيتم الا الاقامة على ما انتم من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم
فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد احتضن الحسين واخذ بيد الحسن وفاطمة
تمشي خلفه وعلي يمشي خلفها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم اذا دعوت فامنوا فلما راهم
اسقف نجران قال يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا
من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا
يا ابا القاسم قد راينا ان لا نباهلك وان نتركك على دينك ونتركنا على ديننا فقال لهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فان ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم
فابوا ذلك فقال فاني اناجزكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على ان
لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا وان نؤدي اليك في كل سنة الفي حلة الف في
صفر والف في رجب زاد وثلاثين درعا عادية وثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا واربعة
وثلاثين رمحا عادية فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذي نفسي
بيده ان العذاب تدلى على اهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم الوادي
عليهم نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر ولما حال الحول على النصارى
كلهم حتى هلكوا **فان قلت** ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الصادق
من الكاذب منه ومن خصمه وذلك يختص به وبمن يباهله فما معنى ضم الابناء والنساء في
المباهلة **قلت** ذلك اكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرا
على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه فلذلك ضمهم في المباهلة ولم يقتصر
على تعريض نفسه لذلك وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته
هلاك استيصال ان تمت المباهلة وانما خص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم
بالقلب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل وانما قدمهم في الذكر على
النفس لينبه بذلك على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وفيه دليل قاطع وبرهان واضح على
صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ومخالف انهم اجابوا الى المباهلة
لانهم عرفوا صحة نبوته وما يدل عليها في كتبهم وقوله تعالى **ان هذا** يعني الذي قص عليك
يا محمد من خبر عيسى وانه عبد الله ورسوله **لهو القصص الحق** واصله من القص وهو تتبع
الاثر والقصص الخبر الذي يتابع فيه المعاني **وما من اله الا الله** انما دخلت من لتوكيد
النفي والمعنى ان عيسى ليس باله كما زعمت النصارى ففيه رد عليهم وعلى جميع من ادعى من
المشركين انهم الهة واثبات الالهية لله تعالى وحده لا شريك له في الالهية **وان الله لهو**
العزيز اي الغالب المنتقم ممن عصاه وخالف امره وادعى معه الها اخر **الحكيم** يعني في تدبيره

مبلة

وفيه رد على النصارى لان عيسى لم يكن كذلك فان تولوا يعني فان اعرضوا عن الايمان [illegible]
فان الله عليم بالمفسدين اي الذين يعبدون غير الله ويدعون الناس الى عبادة غيره
وفيه وعيد وتهديد لهم قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم
قال المفسرون لما قدم وفد نجران اجتمعوا باليهود واختصموا في ابراهيم صلى الله عليه وسلم
فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه واولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا
وهم على دينه واولى الناس به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين برئ من ابراهيم
ودينه بل كان ابراهيم حنيفا مسلما وانا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود
ما تريد الا ان نتخذك ربا وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود
في عزير فانزل الله عز وجل قل يا اهل الكتاب تعالوا اي هلموا الى كلمة يعني فيها انصاف
ولا ميل فيها لاحد على صاحبه والعرب تسمي كل قصة او قصيدة لها اول واخر
وشرح كلمة سواء اي عدل لا تختلف فيها التوراة والانجيل والقرآن وتفسير الكلمة
قوله ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من
دون الله وذلك ان النصارى عبدوا غير الله وهو المسيح واشركوا به وهو قولهم اب
وابن وروح القدس فجعلوا الواحد ثلاثة واتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من
دون الله وذلك انهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الشرك ويسجدون لهم فهذا معنى
اتخاذ بعضهم بعضا اربابا من دون الله فثبت ان النصارى قد جمعوا بين هذه الثلاثة
اشياء ومعنى الاية قل يا محمد لليهود والنصارى هلموا الى ما فيه النصف وهو ان لا نقول
عزير ابن الله وان لا نقول المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بشر مخلوق ولا نطيع احبارنا
ورهباننا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى الشرع ولا يسجد بعضنا لبعض
حرام فلا نسجد لغير الله وقيل معناه ولا نطيع احدا في معصية الله فان تولوا يعني فان اعرضوا
عما امرتهم به فقولوا انتم لهم اشهدوا بانا مسلمون اي مخلصون بالتوحيد لله والثنا
ق عن ابن عباس ان ابا سفيان اخبره ان هرقل ارسل اليه في ركب من قريش وكانوا
تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها ابا سفيان وكفار
قريش فاتوه وهم بايليا فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي بعث به دحية الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل فقراه فاذا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع
الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم اسلم يؤتك الله اجرك مرتين
فان توليت فان عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا
نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا
اشهدوا بانا مسلمون لفظ الحديث احد روايات البخاري وقد اخرجه باطول من هذا
وفيه زيادة قوله الاريسيين وفي رواية اليريسيين الاكارون الزراع والفلاح وقيل
هم اتباع عبد الله بن اريس رجل كان في الزمن الاول بعث الله نبيا فخالفه قومه وقيل هم
الاروسيون وهم نصارى اتباع عبد الله بن اروس وهم الاروسية وقيل هم الاريسون
بضم الهمزة وقيل هم الملوك الذين يخالفون انبياءهم وقيل هم المتبخترون وقيل هم اليهود
والنصارى الذين صدوهم عن الاسلام واتبعوك على كفرك قوله تعالى يا اهل الكتاب
لم تحاجون في ابراهيم قال ابن عباس اجتمع عند النبي صلى الله عليه وسلم نصارى نجران
واحبار اليهود فتنازعوا عنده فقالت الاحبار ما كان ابراهيم الا يهوديا وقالت النصارى

ما كان ابراهيم الا نصرانيا فانزل الله فيهم يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما
انزلت التوراة والانجيل الا من بعده ومعنى الاية ان اليهود والنصارى لما اختصموا
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في شان ابراهيم عليه السلام وادعت كل طايفة انه كان
منهم وعلى دينهم فبرا الله عز وجل ابراهيم مما ادعوا فيه واخبر ان اليهودية والنصرانية
انما حدثتا بعد نزول التوراة والانجيل وما نزلا الا بعد ابراهيم بزمان طويل فكان بين
ابراهيم وبين موسى ونزول التوراة عليه خمسماية سنة وخمسة وسبعون سنة وبين
موسى وعيسى الف سنة وستماية واثنان وثلاثون سنة وقال ابن اسحاق كان بين
ابراهيم وبين موسى خمسماية سنة وخمس وستون سنة وبين موسى وعيسى الف سنة
وستماية وعشرون سنة وللرد وا على هذا التاويل ايضا بان الاسلام ايضا انما حدث
بعد ابراهيم وموسى وعيسى بزمان طويل وكذلك نزل القرآن انما انزل بعد التوراة
والانجيل فكيف يصح ما ادعيتم في ابراهيم انه كان حنيفا مسلما

واجيب

عنه بان الله عز وجل اخبر في القرآن ان ابراهيم كان حنيفا مسلما وليس في التوراة والانجيل
ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا فصح وثبت ما ادعاه المسلمون وبطل ما ادعاه اليهود
والنصارى وهو قوله افلا تعقلون يعني بطلان قولكم يا معشر اليهود والنصارى حتى
لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هولاء ها للتنبيه وهي موضع النداء يعني يا هولاء
والمراد بهم اهل الكتاب يعني يا معشر اليهود والنصارى حاججتم اي جادلتم وخاصمتم
فيما لكم به علم يعني فيما وجدتم في كتبكم وانزل عليكم بيانه في امر موسى وعيسى وادعيتم
انكم على دينهما وقد انزلت التوراة والانجيل عليكم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم يعني
انه ليس في كتبكم ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا والله يعلم يعني ما كان ابراهيم
عليه من الدين وانتم لا تعلمون يعني ذلك والمعنى وانتم جاهلون بما تقولون في
ابراهيم ثم براه الله عز وجل عما قالوا فيه واعلمهم ان ابراهيم برى من دينهم فقال تعالى
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا يعني لم يكن كما ادعوه فيه ثم وصفه بما كان
عليه من الدين فقال تعالى ولكن كان حنيفا مسلما يعني مائلا عن الاديان كلها
الا الدين المستقيم وهو الاسلام وقيل الحنيف الذي يوحد ويختتن ويضحي ويستقبل
الكعبة في صلاته وهو احسن الاديان واسهلها واحبها الى الله عز وجل وما كان من
المشركين يعني الذين يعبدون الاصنام وقيل فيه تعريض بكون النصارى مشركين
لقولهم بالالهية المسيح وعبادتهم له قوله عز وجل ان اولى الناس بابراهيم يعني
اخصهم به واقربهم منه للذين اتبعوه يعني للذين كانوا في زمانه وامنوا به
واتبعوا شريعته وهذا النبي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والذين امنوا
يعني هذه الامة الاسلامية والله ولي المؤمنين يعني بالنصر والمعونة عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي ولاة من النبيين وان
وليي ابي وخليل ربي ابراهيم ثم قرا ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا
النبي والذين امنوا والله ولي المؤمنين اخرجه الترمذي روى الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس ورواه محمد بن اسحاق عن ابن شهاب باسناده

حديث هجرة الحبشة

قال لما هاجر جعفر بن ابي طالب واناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى ارض
الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من امر
بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند النجاشي من اصحاب محمد

صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا واهدوه الى النجاشي لعله اليكم
من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي رايكم فبعثوا عمرو بن العاصي
وعمارة بن ابي معيط معهما الهدايا الادم وغيره فركبا البحر حتى اتيا الحبشة فلما دخلا
على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا له ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولصلاحك
محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هولاء الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب
خرج فينا يزعم انه رسول الله ولم يتابعه احد منا الا السفهاء وانا كنا قد ضيقنا عليهم
الامر والجاناهم الى شعب بارضنا لا يدخل عليهم احد ولا يخرج منهم احد فقتلهم الجوع والعطش
فلما اشتد عليه الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم
وادفعهم الينا لنكفيكهم قالا واية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا
يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك قال فدعاهم
النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستاذن عليك حزب الله فقال النجاشي
مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله
وذمته فنظر عمرو الى صاحبه وقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به الملك
فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم
يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني
بالتحية التي يحييني بها من اتاني من الافاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك
وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا امرنا
بالتحية التي رضيها الله وهي السلام تحية اهل الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه
في التوراة والانجيل قال ايكم الهاتف يستاذن عليكم حزب الله قال جعفر انا قال
فتكلم قال انك ملك من ملوك الارض من اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام
ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين فيتكلم احدهما
ولينصت الاخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل
هذين الرجلين اعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا ابقنا من اربابنا فارددنا
عليهم فقال النجاشي اعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية
فقال جعفر سلهما هل اهرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة
قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال
النجاشي ان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو ولا قيراط فقال النجاشي فما
تطلبون منهم قال كنا وهم على دين واحد وامر واحد على دين ابائنا فتركوا ذلك
واتبعوا غيره فبعثنا قومنا لتدفعهم الينا فقال النجاشي وما هذا الدين الذي
كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه فقال جعفر اما الدين الذي كنا عليه فهو دين
الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة واما الذي تحولنا اليه فهو دين الله
الاسلام جاءنا به من عند الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال
النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي فضرب بالناقوس فضرب
فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم الله الذي
انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيامة نبيا مرسلا فقالوا اللهم
نعم قد بشرنا به عيسى فقال من امن به فقد امن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال
النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يامركم به وما ينهاكم عنه فقال يقرا علينا

كتاب

كتاب الله ويامرنا بالمعروف وينهانا عن المنكر ويامر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم
ويامرنا ان نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرا علي مما يقرا عليكم فقرا عليه سورة العنكبوت
والروم ففاضت عيناه واصحابه من الدمع وقالوا زدنا من هذا الحديث الطيب فقرا عليهم
سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي
ما تقولون في عيسى وامه فقرا عليهم سورة مريم فلما اتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي
من سواكه قدر ما يقذي العين وقال والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا ثم اقبل على
جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضي يقول امنون من سبكم او اذاكم غرم ثم
قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم فقال عمرو يا نجاشي ومن حزب
ابراهيم قال هولاء الرهط وصاحبهم الذي جاءوا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون
وادعوا دين ابراهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم
الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم ياخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا
في خير دار واكرم جوار وانزل الله عز وجل في ذلك اليوم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم
في ابراهيم وهو في المدينة ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين
امنوا والله ولي المومنين **ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم** نزلت في
معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود الى دينهم
فنزلت فيهم ودت طائفة اي تمنت جماعة من اهل الكتاب يعني اليهود لو يضلونكم
يعني عن دينكم ويردونكم الى الكفر **وما يضلون الا انفسهم** لان المومنين لا يقبلون
قولهم فيحصل لهم الاثم بتمنيهم اضلال المومنين **وما يشعرون** يعني ان وبال الاضلال
يعود عليهم لان العذاب يضاعف لهم بسبب ضلالهم وتمنيهم اضلال المسلمين وما
يشعرون على ذلك انما يضلون امثالهم واتباعهم واشياعهم **يا اهل الكتاب** الخطاب
لليهود **لم تكفرون بايات الله** يعني القران وقيل المراد بايات الله الواردة في
التوراة والانجيل من نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته وسبب كفرهم بالتوراة
والانجيل على هذا القول هو تحريفهم وتبديلهم ما فيهما من بيان نعت محمد صلى الله عليه
وسلم وصفته فالمشاركة بنبوته لانهم ينكرون ذلك **وانتم تشهدون** يعني ان نعته
وصفته مذكورة في التوراة والانجيل وذلك ان احبار اليهود كانوا يكتمون الناس
نعته وصفته فاذا خلا بعضهم ببعض اظهروا ذلك فيما بينهم وشهدوا انه حق **يا اهل
الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل** وذلك ان علماء اليهود والنصارى كانوا يعلمون
بقلوبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول من عند الله وان دينه حق وكانوا ينكرون ذلك
بالسنتهم وكانوا يجتهدون في القاء الشبهات والتشكيكات وذلك ان الساعي في اخفاء
الحق لا يقدر على ذلك الا بهذه الامور فقوله تعالى لم تلبسون الحق بالباطل معناه
تحريف التوراة وتبديلها فيخلطون المحرف الذي كتبوه بايديهم بالحق المنزل وقيل هو
خلط الاسلام باليهودية والنصرانية وذلك انهم تواطئوا على اظهار الاسلام في اول
النهار والرجوع عنه في اخره والمراد بذلك تشكيك الناس وقيل انهم كانوا يقولون
ان محمدا صلى الله عليه وسلم معترف بصحة نبوة موسى وانه حق ثم ان التوراة دالة على
ان شرع موسى لا ينسخ فهذا من تلبيساتهم على الناس **وتكتمون الحق** يعني نعت محمد
صلى الله عليه وسلم وصفته في التوراة وانتم تعلمون انه رسول من عند الله وان دينه حق
وانما كتمتم الحق عنادا وحسدا **وانتم تعلمون** ما تستحقون على كتمان الحق من العقاب

قوله عز وجل وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره هذا نوع آخر من تلبيسات اليهود قيل تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر وقرى عرينة فقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون اعتقاد القلب ثم اكفروا آخر النهار وقولوا إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا أن محمداً ليس هو بذلك المبعوث وظهر لنا كذبه فإذا فعلتم ذلك شك أصحاب محمد في دينه واتهموه وقالوا إنهم أهل كتاب وأعلم به منا فيرجعون عن دينهم وقيل هذا في شأن القبلة وذلك أنه لما صرفت إلى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الأشرف لأصحابه آمنوا بالذي أنزل على محمد في أمر الكعبة وصلوا إليها أول النهار ثم اكفروا آخره وارجعوا إلى قبلتكم الصخرة لعلهم يرجعون فيقولون هؤلاء أهل كتاب وهم أعلم فيرجعون إلى قبلتنا فأطلع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على سرهم وأنزل الله هذه الآية ووجه النهار أوله والوجه مستقبل كل شيء لأنه أول ما يواجه منه وأنشد في معناه

من كان مسروراً بمقتل مالك ... فليأت نسوتنا بوجه نهار

وقوله لعلهم يرجعون يعني عما لقيناه هذه الشبهة لعلهم يشكون في دينهم فيرجعون عنه ولما دبروا هذه الحيلة أخبر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بها فلم تتم ولم يحصل لها أثر في قلوب المؤمنين ولولا هذا الإعلام من الله تعالى لكان ربما أثر ذلك في قلوب بعض من كان في إيمانه ضعف قوله تعالى ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم هذا متصل بالأول وهو من قول اليهود يقول بعضهم لبعض ولا تؤمنوا أي لا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم أي وافق ملتكم التي أنتم عليها وهي اليهودية واللام في لمن صلة كقوله ردف لكم أي ردفكم قل إن الهدى هدى الله أي إن الدين دين الله والبيان بيانه وهذا خبر من الله تعالى ثم اختلفوا فيه فمنهم من قال هذا كلام معترض بين كلامين وما بعده متصل بالكلام الأول وهو إخبار عن قول اليهود بعضهم لبعض ومعنى الآية ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ولا تؤمنوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والآيات من فلق البحر وإنزال المن والسلوى عليكم وغير ذلك من الكرامات ولا تؤمنوا أو يحاجوكم عند ربكم لأنكم أصح ديناً منهم فلما أخبر الله تعالى عن اليهود بذلك قال في أثناء ذلك قل إن الهدى هدى الله والمعنى أن الذي أنتم عليه إنما صار ديناً بحكم الله وأمره فإذا أمر بدين آخر وجب اتباعه والانقياد لحكمه لأنه هو الذي يهدي إليه وأمر به وقيل معناه قل لهم يا محمد إن الهدى هدى الله وقد جئتكم به ولن ينفعكم في دفعه هذا الكيد الضعيف وقرأ الحسن والأعمش إن يؤتى بكسر الألف فيكون قول اليهود تاماً عند قوله إلا لمن تبع دينكم وما بعده من قول الله تعالى والمعنى قل يا محمد إن الهدى هدى الله وقد جئتكم به ولن ينفعكم في دفعه هذا الكيد الضعيف وقرأ الحسن والأعمش إن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم ويكون إن بمعنى الجحد أي ما يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا أمة محمد من الدين والهدى أو يحاجوكم عند ربكم يعني إلا أن يحاجوكم اليهود بالباطل فيقولون نحن أفضل منكم وقوله عند ربكم أي عند فعل ربكم ذلك بكم وقيل أو في قوله أو يحاجوكم بمعنى حتى ومعنى الآية ما أعطى الله أحداً مثل ما أعطيتم يا أمة محمد من الدين والحجة حتى يحاجوكم عند ربكم وقرأ ابن كثير أأن يؤتى بالمد على الاستفهام وحينئذ يكون في الكلام اختصار تقديره أأن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر اليهود من الكتاب والحكمة تحسدونه ولا تؤمنون به هذا قول قتادة

والربيع قالا هذا من قول الله تعالى يقول قل يا محمد إن الهدى هدى الله بأن أنزل كتاباً مثل كتابكم وبعث نبياً مثل نبيكم حسدتموه وكفرتم به قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقوله أو يحاجوكم على هذه القراءة رجوع إلى خطاب المؤمنين ويكون أو بمعنى أن لأنهما حرفا شرط وجزاء يوضع أحدهما موضع الآخر والمعنى وإن يحاجوكم يا معشر المؤمنين عند ربكم قل يا محمد إن الهدى هدى الله ونحن عليه ويحتمل أن يكون الجميع خطاباً للمؤمنين ويكون نظم الآية أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم يا معشر المؤمنين فإنه حسدوكم فقل إن الفضل بيد الله فإن حاجوكم فقل إن الهدى هدى الله ويحتمل أن يكون الخبر عن اليهود قد تم عند قوله لعلهم يرجعون وقوله ولا تؤمنوا من كلام الله تعالى يثبت به قلوب المؤمنين لئلا يشكوا عند تلبيس اليهود وتزويرهم في دينهم يقول الله تعالى لا تصدقوا يا معشر المؤمنين إلا لمن تبع دينكم ولا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم من الدين والفضل ولا تصدقوا أن يحاجوكم عند ربكم أو يقدروا على ذلك فإن الهدى هدى الله وإن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم فتكون الآية كلها خطاباً للمؤمنين عند تلبيس اليهود لئلا يرتابوا ولا يشكوا وقوله تعالى قل إن الفضل بيد الله يعني قل لهم يا محمد إن التوفيق للإيمان والهداية للإسلام بيد الله أي إنه مالك له وقادر عليه دونكم ودون سائر خلقه يؤتيه من يشاء يعني الفضل الذي هو دين الإسلام يعطيه من يشاء من عباده ويوفق لمن أراد من خلقه وفيه تكذيب لليهود في قولهم أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم فقال الله تعالى رداً عليهم قل لهم ليس ذلك لهم وإنما الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وأصل الفضل في اللغة الزيادة وأكثر ما يستعمل في زيادة الإحسان والفاضل الزائد على غيره في خصال الخير والله واسع عليم أي ذو سعة يتفضل على من يشاء عليم أي بمن يتفضل عليه وهو المتفضل أهل يختص برحمته أي بنبوته ورسالته وقيل بدينه الذي هو الإسلام وقيل بالقرآن من يشاء يعني من خلقه وفيه دليل على أن النبوة لا تحصل إلا بالاختصاص والتفضل لا بالاستحقاق لأن الله تعالى جعلها من باب التفضل وللفاعل أن يفعل ما يشاء إلى ما يشاء بغير استحقاق والله ذو الفضل العظيم قوله عز وجل ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك نزلت في اليهود أخبر الله عز وجل أن فيهم أمانة وخيانة وفيهم ... والقنطار عبارة عن المال الكثير والدينار عبارة عن المال القليل يقول منهم من يؤدي الأمانة وإن كثرت مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ومنهم من لا يؤديها وإن قلت وهم كفار أهل الكتاب مثل كعب بن الأشرف وأصحابه قال ابن عباس في هذه الآية أودع رجل من قريش عبد الله بن سلام ألفاً ومائتي أوقية من ذهب فأداها إليه فذلك قوله ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك يعني فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش ديناراً فخانه وجحده فلم يؤده إليه وقيل أهل الأمانة هم النصارى وأهل الخيانة هم اليهود لأن مذهبهم أنه يحل قتل من خالفهم في الدين وأخذ ماله بأي طريق كانت إلا ما دمت عليه قائماً قال ابن عباس يريد يقوم عليه ويطالبه بالإلحاح والخصومة والملازمة وقيل معناه إلا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائماً على رأسه متوكلاً عليه بالمطالبة له والتعنيف بالرفع إلى الحاكم وإقامة البينة عليه وقيل أراد أنه أودعه شيئاً ثم استرجعه منه في الحال وأنت قائم على رأسه لم تفارقه رده عليك وإن أخرت استرجاع ما أودعته أنكره ولم يرده عليك ذلك أي سبب ذلك الاستحلال والخيانة

يعني اليهود

بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل يعني أنهم يقولون ليس علينا إثم ولا حرج
في أخذ مال العرب وذلك أن اليهود قالوا أموال العرب حلال لنا لأنهم ليسوا على ديننا
ولا حرمة لهم في كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم وقيل إن اليهود قالوا
نحن أبناء الله وأحباؤه والخلق لنا عبيد فلا سبيل علينا إذا أكلنا أموال عبيدنا
وقيل إنهم قالوا إن الأموال كلها كانت لنا فما في يد العرب فهو لنا فإنهم ظلمونا
وغصبوها منا فلا سبيل علينا إذا أكلنا أموال عبيدنا وقيل إنهم قالوا إن الأموال
كلها كانت لنا فما في يد العرب فهو لنا فإنهم ظلمونا وغصبوها منا فلا سبيل
علينا في أخذها منهم بأي طريق كان وقيل إن اليهود كانوا يبايعون رجالا من
المسلمين في الجاهلية فلما أسلموا تقاضوهم بقية أموالهم فقالوا ليس لكم علينا
حق ولا عندنا قضاء لأنكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا
أنهم وجدوا ذلك في كتابهم فأكذبهم الله تعالى فقال ويقولون على الله
الكذب يعني اليهود وهم يعلمون يعني أنهم كاذبون ثم إن الله تعالى رد على اليهود قولهم
فقال بلى أي ليس الأمر كما قالوا بل عليهم سبيل ولفظة بلى لجحد نفي ما قبلها
فعلى هذا يحسن الوقوف عليها ثم يبتدئ من أوفى أي ولكن من أوفى بعهده أي
بعهد الله الذي عهد إليه في التوراة من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن
الذي أنزل عليه وبأداء الأمانة إلى من ائتمنه عليها وقيل الهاء في قوله بعهده راجعا
إلى الموفي واتقى يعني الكفر والخيانة ونقض العهد فإن الله يحب المتقين
يعني الذين يتقون الشرك ق عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن
كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا
وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر قوله تعالى إن الذين يشترون بعهد
الله وأيمانهم ثمنا قليلا قال عكرمة نزلت هذه الآية في أحبار اليهود ورؤسائهم أبي
رافع وكنانة بن أبي الحقيق وكعب بن الأشرف وحيي بن أخطب الذين كتموا ما عهد الله
إليهم في التوراة في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فبدلوه وكتبوا بأيديهم غيره
وحلفوا أنه من عند الله لئلا تفوتهم الرشا والمآكل التي كانوا يأخذونها من أتباعهم
وسفلتهم وقيل نزلت في ادعاء اليهود أنه ليس علينا في الأميين سبيل وكتبوا ذلك
بأيديهم وحلفوا أنه من عند الله وقيل نزلت في الأشعث بن قيس وخصم له ق عن عبد
الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على مال امرئ مسلم
بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان قال عبد الله ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا
قليلا إلى آخر الآية وفي رواية قال من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم
لقي الله وهو عليه غضبان فأنزل الله عز وجل تصديق ذلك إن الذين يشترون
بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا الآية فدخل الأشعث بن قيس الكندي فقال ما يحدثكم
أبو عبد الرحمن قلنا كذا وكذا فقال صدق فيّ نزلت كان بيني وبين رجل خصومة
في بئر فاختصمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم شاهداك أو يمينه قلت إنه إذن يحلف ولا يبالي فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من حلف على يمين صبر يقتطع بها مال امرئ مسلم هو فيها فاجر لقي الله وهو

علي

عليه غضبان ونزلت إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا إلى آخر الآية
أخرجه الترمذي وأبو داود ولأبي داود الحكومة كانت بين الأشعث وبين رجل
يهودي وقيل نزلت هذه الآية في رجل أقام سلعته في السوق فحلف لقد أعطي بها ما لم
يعطه ق عن عبد الله بن أبي أوفى أن رجلا أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد
أعطي بها ما لم يعطه ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم
ثمنا قليلا إلى آخر الآية وقيل الأقرب حمل الآية على الكل فقوله تعالى إن الذين يشترون
بعهد الله يدخل فيه جميع ما أمر الله به ويدخل فيه العهود والمواثيق المأخوذة
من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق وكل ذلك من
عند الله الذي يجب الوفاء به ومعنى إن الذين يشترون يستبدلون بعهد الله يعني
الأمانة وأيمانهم يعني الكاذبة ثمنا قليلا يعني شيئا يسيرا من حطام الدنيا
وذلك لأن المشتري يأخذ شيئا ويعطي شيئا فكل واحد من المعطي والمأخوذ ثمن للآخر
فهذا معنى الشراء أولئك يعني من هذه صفته لا خلاق لهم في الآخرة أي لا نصيب
لهم في الآخرة ونعيمها وجميع منافعها ولا يكلمهم الله يعني كلاما يسرهم به
أو ينفعهم وقيل هو بمعنى الغضب ولا ينظر إليهم أي لا يرحمهم ولا يحسن إليهم
ولا ينيلهم خيرا ولا يزكيهم أي لا يطهرهم من الذنوب ولا يثني عليهم بجميل ولهم
عذاب أليم يعني في الآخرة ق عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم رجل حلف
على سلعة لقد أعطي بها أكثر مما أعطي وهو كاذب ورجل حلف على يمين كاذبة بعد
العصر ليقتطع بها مال امرئ مسلم ورجل منع فضل ماء فيقول الله له اليوم أمنعك
فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك م عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب
أليم قال فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات فقلت خابوا وخسروا
من هم يا رسول الله قال المسبل سلعته والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب
م عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه
حرم الله عليه الجنة وأوجب الله له النار قالوا يا رسول الله وإن كان شيئا يسيرا
قال وإن كان قضيبا من أراك قوله عز وجل وإن منهم يعني من اليهود لفريقا
يعني طائفة وجماعة وهم كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف وحيي بن أخطب
وأبو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر يلوون ألسنتهم بالكتاب يعني بالتحريف
والتغيير والتبديل وتحريف الكلام تقليبه عن وجهه لأن المحرف يلوي لسانه
عن سنن الصواب بما يأتي به من عند نفسه قال القفال وتحتمل أن يكون المعنى
يلوون ألسنتهم الكتاب لأنهم يحرفون الكتاب عما هو عليه بألسنتهم فيأتون
به على القلب ونقل الإمام فخر الدين عن القفال قال يلوون ألسنتهم معناه
أن يعمدوا إلى اللفظة فيحرفونها في حركات الإعراب تحريفا يتغير به المعنى
وهذا كثير في لسان العرب فلا يبعد مثله في العبرانية فلما فعلوا ذلك في
الآيات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة كان ذلك هو المراد
من قوله يلوون ألسنتهم بالكتاب وقيل إنهم غيروا صفة النبي صلى الله عليه وسلم
من التوراة وبدلوها وآية الرجم وغير ذلك مما بدلوا وغيروا لتحسبوه من الكتاب

يعني ليظنوا ان الذي حرفوه وبدلوه من الكتاب الذي انزله الله على انبيائه وما هو
من الكتاب يعني ذلك الذي يزعمون انه من الكتاب ما هو منه ويقولون هو من عند الله
وما هو من عند الله يعني الذي يقولونه ويحرفونه وانما كرر هذا بلفظين مختلفين
مع اتحاد المعنى لاجل التأكيد ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون يعني انهم
كاذبون وقال ابن عباس ان الاية نزلت في اليهود والنصارى جميعا وذلك انهم
حرفوا التوراة والانجيل والحقوا في كتاب الله ما ليس منه قوله تعالى ما كان لبشر
ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة قيل ان نصارى نجران قالوا ان عيسى
امرهم ان يتخذوه ربا فقال الله تعالى ردا عليهم ما كان لبشر يعني عيسى عليه السلام
ان يؤتيه الله الكتاب يعني الانجيل وقال ابن عباس في قوله تعالى ما كان لبشر يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم ان يؤتيه الله الكتاب يعني القرآن وذلك ان ابا رافع من اليهود
والسيد من نصارى نجران قالا يا محمد تريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال
معاذ الله ان نأمر بعبادة غير الله وما بذلك امرني الله وما بذلك بعثني فانزل الله
هذه الاية ما كان لبشر اي ما ينبغي لبشر وهو جميع بني آدم لا واحد له من لفظه
كالقوم والرهط ويوضع موضع الواحد والجمع ان يؤتيه الله الكتاب والحكم يعني
الفهم والعلم وقيل هو امضاء الحكم عن الله والنبوة يعني المنزلة الرفيعة
ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ومعنى الاية انه لا يجتمع لرجل نبوة
مع القول للناس كونوا عبادا لي من دون الله وكيف يدعو الناس الى عبادة نفسه
دون الله وقد آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة وذلك ان الانبياء موصوفون
بصفات لا تحصل معها ادعاء الالهية والربوبية منها ان الله تعالى آتاهم الكتب
السماوية ومنها ايتاء النبوة ولا تكون الا بعد كمال العلم وكل هذه تمنع من هذه
الدعوى ولكن كونوا ربانيين يعني ولكن يقول لهم كونوا ربانيين فاضمر القول
على حسب مذهب العرب في جواز الاضمار اذا كان في الكلام ما يدل عليه واختلفوا
في معنى الرباني فقال ابن عباس معناه كونوا فقهاء علماء وعنه كونوا فقهاء
معلمين وقيل معناه حكماء علماء وقيل الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم
قبل كباره وقيل الرباني العالم الذي يعمل بعلمه وقيل الرباني العالم بالحلال
والحرام والامر والنهي وقيل الرباني الذي جمع بين علم البصيرة والعلم بسياسة
الناس ولما مات ابن عباس رضي الله عنهما قال محمد بن الحنفية اليوم مات رباني هذه
الامة قال سيبويه الرباني المنسوب الى الرب بمعنى كونه عالما به ومواظبا على
طاعته وزيادة الالف والنون للدلالة على كمال هذه الصفة وقال المبرد الربانيون
ارباب العلم واحدهم رباني وهو الذي يرب العلم ويرب الناس اي يعلمهم ويصلحهم
والالف والنون للمبالغة فعلى قول سيبويه الرباني منسوب الى الرب على معنى
التخصيص بمعرفة الرب وطاعته وعلى قول المبرد والرباني مأخوذ من التربية
وقيل الربانيون هم ولاة الامر والعلماء وهم الفريقان اللذان يطاعان
ومعنى الاية على هذا التأويل لا ادعوكم الى ان تكونوا عبادا لي ولكن ادعوكم الى ان
تكونوا ملوكا وعلماء ومعلمين الناس الخير ومواظبين على طاعة الله وعبادته
وقال ابو عبيدة احسب ان هذه الكلمة ليست عربية انما هي عبرانية او سريانية
وسواء كانت عربية او عبرانية فهي تدل على الذي علم وعمل بما علم وعلم الناس طرق

الخير

الخير وقوله تعالى بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون اي كونوا ربانيين بسبب
كونكم عالمين ومعلمين بسبب دراستكم الكتاب فدلت الاية على ان العلم والتعليم والدراسة
توجب كون الانسان ربانيا فمن اشتغل بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود ضاع علمه
وخاب سعيه قوله عز وجل ولا يأمركم قرئ بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول ان
فيكون مردودا على البشر وقيل على اضمار ان اي ولا ان يأمركم وقرئ برفع الراء على
الاستئناف وهو ظاهر ومعناه ولا يأمركم الله وقيل لا يأمركم محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل ولا يأمركم عيسى وقيل ولا يأمركم الانبياء ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا
يعني كفعل قريش والصابئين حيث قالوا الملائكة بنات الله وكفعل اليهود والنصارى
حيث قالوا في المسيح وعزير ما قالوا وانما خص الملائكة والنبيين بالذكر لان الذين وصفوا
بعبادة غير الله عز وجل من اهل الكتاب لم يحك عنهم الا عبادة الملائكة وعبادة المسيح
وعزير فلهذا المعنى خصهم بالذكر أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون انما قاله على
طريق التعجب والانكار يعني لا يقول هذا ولا يفعله قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
النبيين قال الزجاج موضع اذ نصب المعنى واذكر في اقاصيصك اذ اخذ الله وقال
الطبري معناه واذكروا يا اهل الكتاب اذ اخذ الله يعني حين اخذ الله ميثاق النبيين واصل
الميثاق في اللغة عقد يؤكد بيمين ومعنى ميثاق النبيين ما وثقوا به على انفسهم
من طاعة الله فيما امرهم به ونهاهم عنه وذكروا في معنى اخذ الميثاق وجهين احدهما
انه مأخوذ من الانبياء والثاني انه مأخوذ لهم من غيرهم فلهذا السبب اختلفوا في المعنى
بهذه الاية فذهب قوم الى ان الله تعالى اخذ الميثاق من النبيين خاصة قبل ان يبلغوا
كتاب الله ورسالاته الى عباده ان يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبي ان
يؤمن بمن يأتي بعده من الانبياء وينصره ان ادركه وان لم يدركه ان يأمر قومه بنصرته
ان ادركوه فاخذ الميثاق من موسى ان يؤمن بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد صلى الله
عليه وسلم وعليهم اجمعين وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل انما
اخذ الميثاق من النبيين في امر محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وهو قول علي وابن عباس
وقتادة والسدي فعلى هذا القول اختلفوا فقيل انما اخذ الله الميثاق على اهل
الكتاب الذين ارسل اليهم النبيين ويدل عليه قوله ثم جاءكم رسول من عند الله
مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وانما كان محمد صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى
اهل الكتاب دون النبيين وانما اطلق هذا اللفظ عليهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى
بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب والنبيون منا وقيل اخذ الله الميثاق على النبيين واممهم
جميعا في امر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد مع الاتباع
وهو قول ابن عباس قال علي بن ابي طالب ما بعث الله نبيا آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد
في امر محمد صلى الله عليه وسلم واخذ هو العهد على قومه ليؤمنن به ولئن بعث وهم احياء
لينصرنه وقيل المراد من الاية ان الانبياء كانوا يأخذون العهد والميثاق على اممهم بانه اذا
بعث محمد صلى الله عليه وسلم ان يؤمنوا به وينصروه وهذا قول كثير من المفسرين وقوله
لما آتيتكم من كتاب وحكمة قرئ بفتح اللام من لما وبكسرها مع التخفيف في القراءتين
فمن فتح اللام قال معنى الاية واذ اخذ الله ميثاق النبيين من اجل الذي آتاهم من
كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول يعني ذكر محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة ليؤمنن به
بالذي عندكم في التوراة من ذكره ومن قرأ بكسر اللام جعل قوله لتؤمنن به ما اخذ الميثاق

كما يقال اخذت ميثاقك لتفعلن لان اخذ الميثاق بمنزلة الاستحلاف فكان معنى
الاية واذ استحلف الله النبيين للذي اتاهم من كتاب وحكمة متى جاءهم رسول
مصدق لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه ثم جاءكم رسول يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم **مصدق لما معكم** وذلك ان الله وصفه في كتب الانبيا المتقدمة وشرح
فيها احواله فاذا جاءت صفاته واحواله مطابقة لما في كتبهم المنزلة لهم صار
مصدقا لها فيجب الايمان به والانقياد لقوله ولامره قوله لتؤمنن به
لام القسم تقديره والله **لتؤمنن به ولتنصرنه** قال البغوي قال الله عز
وجل للانبيا حين استخرج الذرية من صلب ادم والانبيا فيهم كالمصابيح
اخذ عليهم الميثاق في امر محمد صلى الله عليه وسلم وقال الامام فخر الدين الرازي
يحتمل ان يكون هذا الميثاق ما قرر في عقولهم من الدلايل الدالة على ان الانقياد
من الله واجب فاذا جاء رسول وظهرت المعجزات الدالة على صدقه فاذا
اخبرهم بعد ذلك ان الله امر الخلق بالايمان به عرفوا عند ذلك وجوبه تقدير
هذا الدليل في عقولهم فهذا هو المراد من الميثاق **قال أأقررتم** يعني قال
الله تعالى فان فسرنا اخذ الميثاق كان من النبيين كان معناه قال
الله تعالى للنبيين أأقررتم بالايمان به والنصرة له وان فسرنا بان اخذ
الميثاق كان على الامم كان معناه قال كل نبي لامته أأقررتم وذلك لانه
تعالى اضاف اخذ الميثاق الى نفسه وان كان النبيون اخذوه على الامم
فكذلك طلب هذا الاقرار واضافه الى نفسه وان وقع من الانبيا والمقصود
ان الانبيا بالغوا في اثبات هذا الميثاق وتاكيده على الامم وطالبوهم بالقبول
والكد واكدوا ذلك بالاشهاد **وأخذتم على ذلكم إصري** اي عهدي والاصر العهد
الثقيل وقيل سمي العهد اصرا لانه مما يؤصر اي يشد ويعقد **قالوا أقررنا**
اي قال النبيون اقررنا بما الزمتنا من الايمان برسلك الذين ترسلهم
مصدقين لما معنا من كتبك **قال فاشهدوا** يعني قال الله عز وجل للنبيين
فاشهدوا يعني انتم على انفسكم وقيل على اممكم واتباعكم الذين اخذتم
عليهم الميثاق وقيل قال الله للملايكة فاشهدوا فهو كناية عن غير مذكور
وقيل معناه فاعلموا وتبينوا لان اصل الشهادة العلم والبيان **وأنا معكم
من الشاهدين** يعني قال الله يا معشر الانبيا وانا معكم من الشاهدين
عليكم وعلى اتباعكم او قال للملايكة وانا معكم من الشاهدين عليهم **فمن تولى**
اي اعرض عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم ونصرته **بعد ذلك** الاقرار **فأولئك
هم الفاسقون** اي الخارجون عن الايمان والطاعة قوله عز وجل **أفغير دين الله
يبغون** وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا فادعى كل فريق منهم انه على دين ابراهيم
عليه السلام واختصموا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلا الفريقين بري من دين ابراهيم فغضبوا وقالوا لا نرضى بقضايك ولا
ناخذ بدينك فانزل الله افغير دين الله الهمزة للاستفهام والمراد منه الانكار
والتوبيخ يعني ابعد اخذ الميثاق عليهم ووضوح الدلايل لهم ان دين ابراهيم
هو دين الاسلام تبغون قري بالتاء على خطاب الحاضرين اي افغير دين الله
تطلبون يا معشر اليهود والنصارى وقري بالياء على الغيبة ردا على قوله

فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون **وله أسلم** اي خضع وانقاد **من في
السماوات والأرض طوعا وكرها** فالطوع الانقياد والاتباع بسهولة والكره ما كان
من ذلك بمشقة واباء من النفس واختلفوا في معنى قوله طوعا وكرها فقيل اسلم
اهل السماوات طوعا واسلم بعض اهل الارض طوعا وبعضهم كرها من خوف القتل
والسبي وقيل اسلم المومن طوعا وانقاد الكافر كرها وقيل هذا في يوم
اخذ الميثاق حين قال الست بربكم قالوا بلى فمن سبقت له السعادة قال ذلك
طوعا ومن سبقت له الشقاوة قال ذلك كرها وقيل اسلم المومن طوعا فنفعه
اسلامه يوم القيامة والكافر يسلم كرها منه عند الموت في وقت الياس فلم
ينفعه ذلك في القيامة وقيل انه لا سبيل لاحد من الخلق الى الامتناع على
الله في مراده فاما المسلم فينقاد لله تعالى فيما امره به او نهاه عنه طوعا
واما الكافر فينقاد لله كرها في جميع ما يقضي عليه ولا يمكنه دفع قضايه وقدره
عنه **وإليه ترجعون** قري بالتاء والياء والمعنى انه يرجع الخلق كلهم الى الله
يوم القيمة فهو وعيد عظيم لمن خالفه في الدنيا قوله تعالى **قل آمنا بالله**
لما ذكر الله عز وجل في الاية المتقدمة اخذ الميثاق على الانبيا في تصديق الرسول
صلى الله عليه وسلم الذي ياتي مصدقا لما معهم بين في هذه الاية ان من
صفة محمد صلى الله عليه وسلم كونه مصدقا لما معهم فقال تعالى قل امنا بالله
وانما وحد الضمير في قوله قل وجمع في قوله امنا لانه انما خاطبه بلفظ الواحد
ليدل هذا الكلام على انه المبلغ هذا التكليف عن الله تعالى الى الخلق لا هو
ثم قال امنا بالله تنبيها على انه حين قال هذا القول لا تبعه اصحابه فحسن
الجمع في قوله امنا ومعنى الاية قل يا محمد صدقنا بالله انه ربنا والهنا لا اله
لنا غيره ولا رب سواه وانما قدم الايمان بالله على غيره لانه الاصل **وما أنزل
علينا** يعني وقل يا محمد وصدقنا ايضا بما انزل علينا من وحيه وتنزيله
وانما قدم ذكر القران لانه اشرف الكتب ولانه لم يحرف ولم يبدل وغيره حرف
وبدل **وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط
وما أوتي موسى وعيسى** انما خص هولا الانبيا بالذكر لان اهل الكتاب يعترفون
بوجودهم ولم يختلفوا في نبوتهم والاسباط هم اولاد يعقوب الاثنى عشر وكانوا
انبيا ثم جمع جميع الانبيا فقال **والنبيون** اي وما اوتي النبيون **من ربهم
لا نفرق بين أحد منهم** وذلك ان اهل الكتاب يومنون ببعض النبيين
ويكفرون ببعض فامر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ان يخبر عن نفسه وعن
امته انه يومن بجميع الانبيا **فان قلت** لم عدي انزل في هذه الاية
بحرف الاستعلا وفيما تقدم من مثلها في البقرة بحرف الانتها
قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل
فجا تارة باحد المعنيين وتارة بالمعنى الاخر **ونحن له مسلمون** اي موحدون
مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا في عبادتنا قوله عز وجل **ومن يبتغ
غير الإسلام دينا فلن يقبل منه** يعني ان الدين المقبول عند الله هو دين
الاسلام وان كل دين سواه غير مقبول عنده لان الدين الصحيح ما يامر الله
به ويرضى عن فاعله ويثيبه عليه **وهو في الآخرة من الخاسرين** يعني الذين

ون

ويبقوا في الخسارة وهو حرمان الثواب وحصول العقاب **روى** ابن جرير الطبري
عن عكرمة في قوله ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قالت اليهود فنحن مسلمون
فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم ولله على الناس حج البيت فلم يحجوا
قوله تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم نزلت في اثني عشر رجلا
ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة واتوا مكة كفارا منهم الحارث بن سويد
الانصاري وطعيمة بن ابيرق ووحوح بن الاسلت وقال ابن عباس نزلت
في اليهود والنصارى وذلك ان اليهود كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
يستفتحون به على الكفار ويقرون به ويقولون قد اظل زمان نبي مبعوث
فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم كفروا بغيا وحسدا ومعنى كيف يهدي
الله كيف يرشد الله للصواب ويوفق للايمان قوما كفروا اي جحدوا نبوة
محمد صلى الله عليه وسلم بعد ايمانهم اي تصديقهم اياه واقرارهم به
وبما جاء به من عند ربه وشهدوا ان الرسول حق يعني وبعد ان اقروا
وشهدوا ان محمدا رسول الله الى خلقه وانه حق وصدق وجاءهم البينات
يعني بالحجج والبراهين والمعجزات الدالة اي لا يوفقهم الى الحق والصواب كما
سبق في علمه تعالى انهم ظالمون وقيل لا يهديهم في الآخرة الى الجنة
والثواب **فان قلت** كيف قال في اول الاية كيف يهدي الله قوما كفروا
وقال في آخرها والله لا يهدي القوم الظالمين وهذا تكرار **قلت**
ليس فيه تكرار لان قوله كيف يهدي الله قوما كفروا انما هو مختص باولئك
المرتدين عن الاسلام ثم انه تعالى عمم ذلك الحكم في آخر الاية فقال والله
لا يهدي القوم الظالمين يعني جميع الكفار المرتدين والكافر الاصلي
وانما سمي الكافر ظالما لانه وضع العبادة في غير موضعها اولئك جزاؤهم
يعني الذين كفروا بعد ايمانهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين خالدين فيها اي في اللعنة وقد تقدم تفسير هذه الاية
في سورة البقرة لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون اي ولا
يؤخرون عن وقت العذاب ولا يؤخر عنهم من وقت الى وقت ثم استثنى
سبحانه وتعالى فقال الا الذين تابوا من بعد ذلك يعني من بعد
ارتدادهم وكفرهم وذلك ان الحارث بن سويد الانصاري لما لحق بالكفار
ندم على ذلك فارسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل
لي من توبة ففعلوا فانزل الله الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا الاية
فبعث بها اليه اخوه الجلاس مع رجل من قومه فاقبل الى المدينة تائبا وقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته وحسن اسلامه واصلحوا اي وضموا
الى التوبة الاعمال الصالحة فبين ان التوبة وحدها لا تكفي حتى يضاف اليها
العمل الصالح وقيل معناه واصلحوا باطنهم مع الحق بالمراقبات وظاهرهم
مع الخلق بالعبادات والطاعات فان الله غفور رحيم اي غفور لقبائحهم
في الدنيا بالستر رحيم في الآخرة بالعفو وقيل غفور بازالة العقاب
رحيم باعطاء الثواب قوله عز وجل ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا
كفرا لن تقبل توبتهم نزلت في اليهود وذلك انهم كفروا بعيسى والانجيل

بعد

بعد ايمانهم بموسى وغيره من انبيائهم ثم ازدادوا كفرا يعني كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن وقيل نزلت في اليهود والنصارى وذلك انهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما
راوه بعد ايمانهم به قبل مبعثه لما ثبت عندهم من نعته وصفته في كتبهم ثم ازدادوا كفرا
يعني ذنوبا في حال كفرهم وقيل نزلت في جميع الكفار وذلك انهم اشركوا بالله بعد اقرارهم
بانه خالقهم ثم ازدادوا كفرا يعني باقامتهم على كفرهم حتى هلكوا عليه وقيل زيادة كفرهم
هو قولهم نتربص بمحمد ريب المنون وقيل نزلت في الاحد عشر رجلا من اصحاب الحارث
ابن سويد الذين ارتدوا عن الاسلام فلما رجع الحارث الى الاسلام اقاموا على كفرهم بمكة
وقالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا فمتى اردنا الرجعة ينزل فينا مثل ما نزل في الحارث فلما
فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فمن دخل منهم في الاسلام قبلت توبته ونزل فيمن
مات منهم على كفره ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الاية **فان قلت** قد
وعد الله قبول التوبة ممن تاب فما معنى قوله تعالى لن تقبل توبتهم **قلت** اختلف
المفسرون في معنى قوله تعالى لن تقبل توبتهم فقال الحسن وقتادة وعطاء والسدي
لن تقبل توبتهم حين يحضرهم الموت وهو وقت الحشرجة لان الله تعالى قال وليست التوبة
للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن فان الذي يموت
على الكفر لا تقبل توبته كانه قال ان اليهود والكفار المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا
ثم ماتوا على ذلك لن تقبل توبتهم وقال ابن عباس انهم الذين ارتدوا وعزموا على اظهار
التوبة لستر احوالهم والكفر في ضمائرهم وقال ابو العالية قوم تابوا من ذنوب عملوها
في حال الشرك فلم يتوبوا من الشرك فان توبتهم في حال الشرك غير مقبولة وقال
مجاهد لن تقبل توبتهم اذا ماتوا على الكفر وقال ابن جرير الطبري معنى لن تقبل
توبتهم بما ازدادوا من الكفر على كفرهم بعد ايمانهم لا من كفرهم لان الله تعالى وعد
ان يقبل التوبة عن عباده وانه قابل توبة كل تائب من كل ذنب بقوله الا الذين تابوا
من بعد ذلك واصلحوا فان الله غفور رحيم فعلم ان المعنى الذي لا يقبل التوبة منه
غير المعنى الذي يقبل منه فعلى هذا فالذي لا تقبل توبته هو الازدياد على الكفر
بعد الكفر لا يقبل الله منه توبة ما اقام على الكفر لان الله تعالى لا يقبل عمل مشرك
ما اقام على شركه فاذا تاب من شركه وكفره واصلح فان الله كما وصف نفسه غفور رحيم
وقوله تعالى واولئك هم الضالون يعني هؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم
ثم ازدادوا كفرا هم الذين ضلوا عن سبيل الحق واخطاوا منهاجه قوله تعالى ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار قال ابن عباس لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة دخل من كان من اصحاب الحارث بن سويد حيا في الاسلام فنزلت فيمن كان كافرا
من جميع اصناف الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام فالاية عامة في جميع
من مات على الكفر فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا اي قدر ما يملأ الارض
من مشرقها الى مغربها ولو افتدى به قيل معناه لو افتدى به والواو زائدة مقحمة
وقيل الواو على حالها وفائدتها انها للعطف والتقدير لو تقرب الى الله بملء الارض
ذهبا وقد مات على كفره لم ينفعه ذلك ولو افتدى من العذاب بملء الارض ذهبا
لم يقبل منه وهذا اكد في التغليظ لانه تصريح بنفي القبول من جميع الوجوه
فان قلت الكافر لا يملك شيئا في الآخرة فما وجه قوله فلن يقبل من
احدهم ملء الارض ذهبا **قلت** الكلام ورد على سبيل الفرض والتقدير والمعنى

لو ان الكافر فدى ملء الارض ذهبا يوم القيامة لبذله في تخليص نفسه من العذاب ولكن
لا يقدر على شيء من ذلك وقيل معناه لو ان الكافر انفق في الدنيا ملء الارض ذهبا ثم مات على
كفره لم ينفعه ذلك لان الطاعة مع الكفر غير مقبولة **اولئك** اشارة الى من مات على الكفر
لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين يعني ما لهم من مانعين يمنعونهم من العذاب **ق** عن انس بن مالك
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لاهون اهل النار عذابا يوم القيامة
لو ان لك ما في الارض من شيء اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقول اردت منك اهون من هذا
وانت في صلب آدم ان لا تشرك بي شيئا فابيت الا الشرك لفظ مسلم قوله عز وجل
لن تنالوا البر قال ابن عباس يعني الجنة وقيل البر هو التقوى وقيل هو الطاعة وقيل
معناه لن تنالوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا **حتى تنفقوا مما تحبون** وقيل
معناه لن تنالوا بر الله وهو ثوابه واصل البر التوسع في فعل الخير يقال بر العبد ربه
اي توسع في طاعته فالبر من الله الثواب ومن العبد الطاعة وقد يستعمل في الصدق
وحسن الخلق لانهما من الخير المتوسع فيه **ق** عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر وان البر يهدي الى الجنة وان الرجل
ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور وان الفجور يهدي الى
النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا **م** عن النواس بن سمعان قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم
ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس منك فعلى هذا يكون المعنى
عليكم بالاعمال الصالحة حتى تكونوا ابرارا وتدخلوا في زمرة الابرار ومن قال
ان لفظ البر هو الجنة قال معنى الاية لن تنالوا ثواب البر المؤدي الى الجنة حتى
تنفقوا مما تحبون يعني من جيد اموالكم وانفسها عندكم قال الله تعالى ولا
تيمموا الخبيث منه تنفقون وقيل هو ان تنفق من مالك ما انت محتاج اليه قال
الله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة **ق** عن ابي هريرة قال اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله اي الصدقة افضل قال ان تصدق
وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنى ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم
قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد كان واختلفوا في هذا الانفاق فقال
ابن عباس هو الزكاة المفروضة والمعنى لن تنالوا البر حتى تخرجوا زكاة اموالكم
فعلى هذا القول قيل ان الاية منسوخة باية الزكاة وفيه بعد لانه ترغيب
في اخراج الزكاة وقال ابن عمر الاية في جميع الصدقات وقال الحسن كل شيء انفق
المسلم من ماله مما يبتغي به وجه الله ويطلب ثوابه حتى التمرة فانه يدخل في قوله
تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون **ق** عن انس بن مالك قال كان ابو
طلحة اكثر الانصاري بالمدينة مالا وكان احب ماله اليه بيرحاء وكانت مستقبلة
المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال
انس فلما نزلت هذه الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام ابو طلحة الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الله تعالى يقول في كتابه لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون وان احب اموالي الي بيرحاء وانها صدقة لله عز وجل ارجو
برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بخ بخ مال رابح وقال ذلك مال اري ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة

افعل

افعل يا رسول الله فقسمها ابو طلحة في اقاربه وبني عمه قوله بخ بخ هي كلمة تقال عند
المدح والرضا وتكرر للمبالغة وهي مبنية على السكون فاذا وصلت جررت ونونت
فقلت بخ بخ وقيل بخ بخ قوله مال رابح اي ذو ربح وفي الرواية الاخرى ذلك مال رايح بالياء
معناه يروح عليك نفعه وثوابه وبيرحاء اسم موضع بالمدينة وهو حائط كان لابي طلحة
وروي عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية
من سبي جلولاء يوم فتحت فلما جاءت اعجبته فقال عمر ان الله عز وجل يقول لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها عمر وعن حمزة بن عبد الله بن عمر ان عبد الله بن
عمر خطرت على قلبه هذه الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال عبد الله فذكرت
ما اعطاني الله تعالى فما كان شيء احب الي من فلانة فقلت هي حرة لوجه الله تعالى قال
ولولا اني لا اعود في شيء جعلته لله لنكحتها **وعن عمرو** بن دينار قال لما نزلت هذه
الاية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون جاء زيد بن حارثة بفرس يقال لها سبل
كان يحبها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تصدق بهذه يا رسول الله فاعطاها
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد بن حارثة فقال يا رسول الله انما اردت
ان اتصدق بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبلت صدقتك وفي رواية
كان زيدا وجد في نفسه فلما راى ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم قال اما ان الله قد
قبلها **وروي** ان ابا ذر نزل به ضيف فقال للراعي ايتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة
فقال للراعي خنتني فقال الراعي وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه
فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقوله تعالى **وما تنفقوا من شيء**
يعني من اي شيء كان من طيب تحبونه او خبيث تكرهونه **فان الله به عليم** اي يعلمه
ويجازيكم به قوله تعالى **كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه
من قبل ان تنزل التوراة** سبب نزول هذه الاية ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه
وسلم انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان ابراهيم لا ياكل لحوم الابل والبانها وانت
تاكل ذلك كله فلست على ملته فقال النبي صلى الله عليه وسلم كان ذلك حلالا لابراهيم
قالوا كلما نحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وابراهيم حتى انتهى الينا فانزل الله
عز وجل كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه وهو يعقوب
من قبل ان تنزل التوراة يعني ليس الامر على ما تدعيه اليهود من تحريم لحوم الابل
على ابراهيم بل كان ذلك حلالا لابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وانما حرم
يعقوب بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في اولاده فانكر اليهود ذلك فامرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وطلب منهم ان يستخرجوا منها ان ذلك
كان حراما على ابراهيم فعجزوا عن ذلك وافتضحوا وبان كذبهم فيما ادعوه من حرمة
هذه الاشياء على ابراهيم وقيل ان اليهود انكروا شرع محمد صلى الله عليه وسلم
وادعوا ان النسخ غير جائز فابطل الله ذلك عليهم واخبر ان كل الطعام كان حلالا
لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فذلك الذي حرمه على نفسه كان حلالا
ثم صار حراما عليه وعلى اولاده فقد حصل النسخ وبطل قول اليهود بان النسخ غير
جائز فانكرت اليهود ذلك وقالوا بل كان ذلك حراما في زمن آدم الى هذا الوقت
فالزمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم باحضار التوراة وقال ان التوراة ناطقة
بان بعض انواع الطعام انما حرم بسبب ان اسرائيل حرمه على نفسه فخاف اليهود الفضيحة

واستنبطوا من أحبار التوراة فحصل بذلك كذبهم وأنهم ينسبون إلى التوراة ما ليس فيها
وبطل قولهم بأن النسخ غير جائز وفي هذا دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وذلك أنه صلى الله عليه وسلم كان رجلاً أمياً لم يقرأ الكتب ولم يعرف ما في التوراة فلما أخبر
أن ذلك ليس في التوراة علم أن الذي أخبر به صلى الله عليه وسلم أنه وحي من الله تعالى وقوله
كل الطعام يعني كل أنواع الطعام وأصناف المطعومات كان حلاً أي حلالاً لبني إسرائيل
إلا ما حرم إسرائيل على نفسه هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام واختلفوا
في الذي حرم يعقوب على نفسه فقيل حرم لحوم الإبل وألبانها **وروى** الطبري بسنده
عن ابن عباس أن عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا
القاسم أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل يعقوب
مرض مرضاً شديداً فطال سقمه منه فنذر لله نذراً لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن
أحب الطعام والشراب إليه وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل وأحب الشراب إليه
ألبانها فقالوا اللهم نعم وقال ابن عباس هي العروق وكان سبب ذلك أنه اشتكى
عرق النسا وكان أصل وجعه فيما روي عن الضحاك أن يعقوب كان نذر إن وهب
الله له اثني عشر ولداً وأتى بيت المقدس صحيحاً أن يذبح أحدهم وفي رواية
آخرهم فتلقاه ملك من الملائكة وقال يا يعقوب إنك رجل قوي فهل لك في الصراع
فعالجه فلم يصرع أحدهما صاحبه فغمزه الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك
ثم قال أما إني لو شئت أن أصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لأنك نذرت إن
أتيت بيت المقدس صحيحاً ذبحت آخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجاً
فلما قدم يعقوب بيت المقدس أراد ذبح ولده ونسي ما قال له الملك فأتاه الملك
وقال له إنما غمزتك للمخرج وقد وفى نذرك فلا سبيل لك إلى ذبح ولدك وقال
ابن عباس في خبر آخر أقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب من أخيه
العيص وكان يعقوب رجلاً بطشاً قوياً فلقيه ملك في صورة رجل فظن يعقوب
أنه لص فعالجه أن يصرعه فغمز الملك فخذ يعقوب وصعد إلى السماء ويعقوب
ينظر فهاج به عرق النسا ولقي منه شدة فكان لا ينام الليل من الوجع ويبيت
وله زقاء أي صياح فحلف يعقوب لئن شفاه الله أن لا يأكل عرقاً ولا طعاماً فيه
عرق فحرمه على نفسه فكان بنوه بعد ذلك يتتبعون العروق ويخرجونها من
اللحم ولا يأكلونها وقيل لما أصاب يعقوب ذلك وصف له الأطباء تجنب لحمان الإبل
فحرمها يعقوب على نفسه وقيل إنما حرم يعقوب لحوم الإبل تعبداً لله تعالى وسأل
ربه أن يجيز ذلك فحرمه الله على ولده وهو ظاهر الآية لأن الله تعالى قال كل
الطعام كان حلاً لبني إسرائيل ثم استثنى ما حرم إسرائيل على نفسه فوجب بحكم
الاستثناء أن يكون ذلك حراماً على بني إسرائيل أما قوله من قبل أن تنزل التوراة
فمعناه أن قبل إنزال التوراة كان كل أنواع الطعام كانت حلالاً لبني إسرائيل
سوى ما حرمه إسرائيل على نفسه أما بعد نزول التوراة فقد حرم الله تعالى عليهم
أشياء كثيرة من أنواع الطعام ثم اختلفوا في حال هذا الطعام المحرم على بني إسرائيل
بعد نزول التوراة فقال السدي حرم الله عليهم في التوراة ما كانوا حرموه على أنفسهم
قبل نزولها وقال عطية إنما كان حراماً عليهم بتحريم إسرائيل فإنه قال لئن عافاني

الله

الله تعالى لا آكله ولد لي ولم يكن ذلك محرماً عليهم في التوراة وقال الكلبي لم يحرمه
الله في التوراة وإنما حرم عليهم بعد نزول التوراة بظلمهم كما قال تعالى فبظلم من
الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقال تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا
إلى أن قال ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون فكانت بنو إسرائيل إذا أصابوا
ذنباً عظيماً حرم الله عليهم طعاماً طيباً أو صب عليهم رجزاً وهو الموت وقال الضحاك
لم يكن شيء من ذلك حراماً عليهم ولا حرمه الله في التوراة وإنما حرموه على أنفسهم اتباعاً
لأبيهم ثم أضافوا تحريمه إلى الله عز وجل فكذبهم الله تعالى فقال تعالى **قل فأتوا**
بالتوراة يعني قل لهم يا محمد فأتوا بالتوراة **فاتلوها** أي فاقرؤوها وما فيها حتى
يتبين أن الأمر كما قلتم **إن كنتم صادقين** يعني فيما ادعيتم فلم يأتوا بها وخافوا
الفضيحة فقال الله تعالى **فمن افترى على الله الكذب** الافتراء اختلاق الكذب والافتراء
الكذب والقذف والإفساد وأصله من فري الأديم أي قطعه لأن الكاذب يقطع
القول من غير حقيقة له في الوجود **من بعد ذلك** أي من بعد ظهور الحجة بأن التحريم
إنما كان من جهة يعقوب ولم يكن محرماً قبله **فأولئك هم الظالمون** أي هم المستحقون
للعذاب لأن كفرهم ظلم منهم لأنفسهم ولمن أضلوه عن الدين من بعدهم وهذا رد
على اليهود وتكذيب لهم حيث أرادوا براءة ساحتهم فيما نعى عليهم بما نطق به القرآن
من تحريم مساويهم التي كانوا يكتمونها **قل صدق الله** يعني قل يا محمد صدق فيما
أخبر أن ذلك النوع من الطعام صار حراماً على بني إسرائيل وأولاده بعد أن كانت
حلالاً لهم فصح القول بالنسخ وبطل قول اليهود وقيل معناه صدق الله في قوله إن لحوم
الإبل وألبانها كانت محللة لإبراهيم عليه السلام وإنما حرمت على بني إسرائيل بسبب
تحريمها إسرائيل على نفسه وقيل صدق الله في أن سائر الأطعمة كانت محللة لبني إسرائيل
وإنما حرمت على اليهود جزاء على قبائح أفعالهم ففيه تعريض بكذب اليهود والمعنى ثبت
أن الله تعالى الصادق فيما أنزل وأخبر وأنتم الكاذبون يا معشر اليهود **فاتبعوا ملة**
إبراهيم حنيفاً أي اتبعوا ما يدعوكم إليه محمد صلى الله عليه وسلم من ملة إبراهيم
وهي الإسلام وهو الدين الصحيح وهو الذي عليه محمد ومن آمن معه وإنما دعاهم
إلى ملة إبراهيم لأنها ملة محمد صلى الله عليه وسلم **وما كان من المشركين**
أي لم يدع مع الله إلهاً ولا عبد سواه قوله عز وجل **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة**
سبب نزول هذه الآية أن اليهود قالوا للمسلمين بيت المقدس قبلتنا وهو أفضل
من الكعبة وأقدم وهو مهاجر الأنبياء وقبلتهم وأرض المحشر وقال المسلمون بل الكعبة
أفضل فأنزل الله هذه الآية وقيل لما ادعت اليهود والنصارى أنهم على ملة إبراهيم
فأكذبهم الله تعالى وأخبر أن إبراهيم كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين وأمرهم
باتباعه فقال تعالى في الآية المتقدمة واتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً وكان من أعظم
شعائر ملة إبراهيم الحج إلى الكعبة ذكر في هذه الآية فضيلة البيت ليفرع عليه إيجاب
الحج وقوله إن أول بيت وضع للناس الأول هو السابق المتقدم على ما سواه وقيل
هو اسم للشيء الذي يوجد ابتداء سواء حصل عقيبه شيء آخر أو لم يحصل والمعنى إن أول بيت
وضع أي وضعه الله موضعاً للطاعات والعبادات وقبلة للصلوات وموضعاً للحج والطواف
وزاد فيه الخيرات وثواب الطاعات وكونه وضع للناس يعني يشترك فيه جميع الناس
كما قال تعالى سواء العاكف فيه والباد **فإن قلت** كيف أضافه إلى نفسه مرة

ف

ذكره وطهر بيتي وإضافته إلى الناس أمر بقوله وضع للناس **قلت** أما إضافته إلى نفسه فعلى سبيل التشريف والتعظيم له كقوله ناقة الله وأما إضافته إلى الناس فلأنه يشترك فيه جميع الناس لأنه موضع حجهم وقبلة صلواتهم الذي ببكة **قيل** إن بكة لغة في مكة والعرب تعاقب بين الباء والميم فيقولون ضربة لازب ولازم وقيل بكة اسم لموضع البيت ومكة اسم للبلد وفي اشتقاق بكة وجهان أحدهما أنه من البك الذي هو عبارة عن الدفع يقال بكه يبكه إذا دفعه وزاحمه فلهذا قال سعيد بن جبير سميت بكة لأن الناس يتباكون فيها أي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر ومجاهد وقتادة والوجه الثاني سميت بكة لأنها تبك أعناق الجبابرة أي تدقها ولم يقصدها جبار بسوء إلا قصمه الله تعالى وهذا قول عبد الله بن الزبير وأما مكة فسميت بذلك لقلة مائها من قول العرب مك الفصيل ضرع أمه وامتكه إذا مص كل ما فيه من اللبن وقيل لأنها تمك الذنوب أي تزيلها وسميت أم رحم لأن الرحمة تنزل بها والحاطمة لأنها تحطم من استخف بحرمتها ولأن الناس يحطم بعضهم بعضا من الزحمة وسميت أم القرى لأنها أصل كل بلدة ومن تحتها دحيت الأرض واختلف العلماء في كون البيت أول بيت وضع للناس على قولين أحدهما أنه أول في الوضع والبناء قال مجاهد خلق الله هذا البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرضين وفي رواية عنه أن الله خلق موضع البيت قبل أن يخلق شيئا من الأرض بألفي عام وقيل هو أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والأرض خلقه قبل الأرض بألفي عام وكان زبدة بيضاء على وجه الماء فدحيت الأرض من تحته وهذا قول ابن عمر ومجاهد وقتادة والسدي وقيل هو أول بيت بني على الأرض **وروى** عن علي بن الحسين بن علي أن الله تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وأمر الملائكة أن يطوفوا به ثم أمر الملائكة الذين في الأرض أن يبنوا بيتا في الأرض على مثاله وقدره فبنوا هذا البيت واسمه الضراح وأمر من في الأرض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور **وروى** أن الملائكة بنوه قبل خلق آدم بألفي عام وكانوا يحجونه فلما حجه آدم قالت الملائكة بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام وقال ابن عباس أنه أول بيت بناه آدم في الأرض وقيل أن آدم لما أهبط إلى الأرض استوحش فشكى الوحشة فأمره الله تعالى ببناء الكعبة فبناها وطاف بها وبقي ذلك البناء إلى زمان نوح فلما كان الطوفان رفع الله البيت إلى السماء وبقي موضع البيت أكمة بيضاء إلى أن بعث الله إبراهيم عليه السلام فأمره ببنائه القول الثاني أن المراد من الأولية كون هذا أول بيت وضع للناس مباركا وهدى وفيه مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا وقال الحسن هو أول مسجد عبد الله فيه وقال مطرف هو أول بيت وضع للعبادة وهو وقال الضحاك هو أول بيت وضع فيه البركة وأول بيت وضع للناس يحج إليه وأول بيت جعل قبلة للناس (ق) عن أبي ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الأرض قال المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال أربعون عاما ثم الأرض لك مسجد فحيثما أدركت الصلاة فصل زاد البخاري فإن الفضل فيه وقوله **مباركا** يعني ذا بركة وأصل البركة النمو والزيادة وقيل هو ثبوت الخير لأنه من برك وقيل هو أول بيت خص بالبركة وزيادة الخير وقيل لأن الطاعات وسائر العبادات تتضاعف ويزداد ثوابها عنده (ق) عن أبي هريرة رضي

الله

الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام **وهدى للعالمين** يعني أنه قبلة للمؤمنين يهتدون به إلى جهة صلاتهم وقيل لأن فيه دلالة على وجود الصانع المختار لما فيه من الآيات التي لا يقدر عليها غيره وقيل هو هدى للعالمين إلى الجنة لأن من قصده بأن صلى إليه أو حجه فقد أوجب الله تعالى له الجنة برحمته قوله تعالى **فيه آيات بينات** أي فيه دلالات واضحات على حرمته ومزيد فضله ثم اختلفوا في تفسير تلك الآيات فقيل هي قوله تعالى **مقام إبراهيم ومن دخله كان آمنا** وقيل الآيات غير مذكورة وهي ما يدل على فضل هذا البيت منها أن الطير لا تطير فوق الكعبة في الهوى بل تنحرف عنه إذا وصلت إليه يمينا وشمالا ومنها أن الوحش لا يؤذي بعضها بعضا في الحرم حتى أن الكلاب لا تهيج الصيد ولا تصطاد ومنها أن الطير إذا مرض منها شيء استشفى بالكعبة ومنها تعجيل العقوبة لمن انتهك حرمة البيت وما قصده جبار بسوء إلا أهلكه الله كما أهلك أصحاب الفيل وغيرهم ومن الآيات التي فيه الحجر الأسود والملتزم والحطيم وزمزم ومشاعر الحج التي فيه كلها من الآيات ومنها أن الآمر ببناء هذا البيت هو الجليل والمهندس له جبريل والباني هو إبراهيم الخليل والمساعد في بنائه هو إسماعيل فهذه فضيلة عظيمة لهذا البيت قوله تعالى مقام إبراهيم يعني الحجر الذي كان يقوم عليه عند بناء البيت وكان فيه أثر قدمي إبراهيم فاندرس من كثرة المسح بالأيدي ومن دخله كان آمنا قيل لما كانت الآية المذكورة عقب قوله إن أول بيت وضع للناس موجودة في جميع الحرم علم أن المراد بقوله ومن دخله كان آمنا جميع الحرم ويدل عليه أيضا دعوة إبراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد آمنا يعني من أن يهاج فيه وكانت العرب يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكان من دخل الحرم أمن من القتل والغارة وهو المراد من حكم الآية على قول أكثر المفسرين قال الله تعالى أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل في معنى الآية ومن دخله عام عمرة القضاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آمنا وقيل هو خبر بمعنى الأمر تقديره ومن دخله فأمنوه وهو قول ابن عباس حتى ذهب أبو حنيفة إلى أن من وجب عليه القتل قصاصا كان أو حدا إذا لجأ إلى الحرم فإنه لا يستوفى منه القصاص أو الحد في الحرم لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى ولا يكلم ويضيق عليه حتى يخرج من الحرم فيقام عليه الحد خارج الحرم وقال الشافعي إذا وجب عليه القصاص خارج الحرم استوفى منه في الحرم وأجمعوا على أنه لو قتل في الحرم أو سرق أو زنى فإنه يستوفى منه الحد في الحرم عقوبة له وقيل في معنى الآية ومن دخله معظما له متقربا بذلك إلى الله كان آمنا من العذاب يوم القيامة وقيل من دخله كان آمنا من الذنوب التي اكتسبها قبل ذلك قوله عز وجل **ولله على الناس حج البيت** أي ولله على الناس فرض حج البيت والحج أحد أركان الإسلام (ق) عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم الحج من أركان الإسلام الخمسة **من استطاع إليه سبيلا** يعني وفرض الحج واجب على من استطاع من أهل التكليف ووجد السبيل إلى حج البيت الحرام

فصل في فضل البيت والحج والعمرة

(ق) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أول بيت وضع للناس للذي

بكة مباركا تصلي فيها الكعبة قلت ثم اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون
عاما عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الحجر الاسود من الجنة
وهو اشد بياضا من اللبن فانما سودته خطايا بني ادم اخرجه الترمذي وقال
حديث صحيح وله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجر والله ليبعثنه الله
يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق وحسن وله
عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الركن
والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس نورهما لاضاءا ما بين
المشرق والمغرب قال الترمذي وهذا يروى عن ابن عمر موقوفا ق عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام
ومسجد الرسول والمسجد الاقصى ق عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد
الاقصى م عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس قد
فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل افي كل عام يا رسول الله فسكت حتى قالها ثلاثا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم عن ابن عمر قال جاء رجل
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما يوجب الحج قال الزاد والراحلة
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وابراهيم بن يزيد الخوزي المكي قد تكلم فيه
بعض اهل العلم من قبل حفظه ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وفي رواية قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حج لله عز وجل وفي لفظ من حج هذا
البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج كيوم ولدته امه اخرجه الترمذي وقال غفر له
ما تقدم من ذنبه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تابعوا بين
الحج والعمرة فانهما ينفيان الذنوب والفقر كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب
والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب الا الجنة وما من مؤمن يظل يومه محرما الا غابت
الشمس بذنوبه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وعن سهل بن
سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يلبي الا لبى ما عن
يمينه وشماله من حجر او شجر او مدر حتى تنقطع الارض من ها هنا وها هنا قال الترمذي
هذا حديث غريب وله عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طاف
بالبيت خمسين مرة خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه قال الترمذي هذا حديث
غريب **فصل** في احكام تتعلق بالحج قال العلماء الحج واجب على كل مسلم وهو
احد اركان الاسلام الخمسة ولوجوب الحج خمس شرائط الاسلام والعقل والبلوغ والحرية
والاستطاعة ولا يجب على الكافر والمجنون ولو حجا لم يصح لان الكافر ليس من اهل
القربة ولا حكم لقول المجنون ولا يجب على الصبي والعبد ولو حج صبي يعقل او عبد صح
حجهما تطوعا ولا يسقط الفرض فاذا بلغ الصبي وعتق العبد واجتمع فيهما شرائط
الحج وجب عليهما ان يحجا ثانيا ولا يجب على غير المستطيع لقوله تعالى ولله على الناس
حج البيت من استطاع اليه سبيلا فلو تكلف غير المستطيع الحج وحج صح حجه
وسقط عنه فرض حجة الاسلام والاستطاعة نوعان احدهما ان يكون مستطيعا
بنفسه والاخر ان يكون مستطيعا بغيره فاما المستطيع بنفسه فهو ان يكون

قويا قادرا على الذهاب ووجد الزاد والراحلة لما تقدم من حديث ابن عمر في الزاد والراحلة
لا يثبت لانه ليس بمتصل وانما المرفوع انما رواه ابراهيم بن يزيد عن محمد بن عباد عن ابن عمر عن
النبي صلى الله عليه وسلم وابراهيم متروك الحديث قال يحيى بن معين ابراهيم ليس بثقة
قال ابن المنذر واختلف العلماء في قوله من استطاع اليه سبيلا فقالت طائفة الاية
على العموم اذ لا نعلم خبرا ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا اجماعا لاهل العلم
يوجب ان يستثنى من ظاهر الاية بعضا فعلى كل مستطيع للحج يجد اليه السبيل
اي وجه كانت الاستطاعة الحج على ظاهر الاية قال وروينا عن عكرمة انه قال
الاستطاعة الصحة وقال الضحاك اذا كان شابا صحيحا فليؤجر نفسه بأكله وعقبه
حتى يقضي نسكه وقال مالك الاستطاعة على اطاقة الناس الرجل يجد الزاد
والراحلة ولا يقدر على المشي وآخر يقدر على المشي على رجليه وقالت طائفة الاستطاعة
الزاد والراحلة كذلك قال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد واحمد بن حنبل واحتجوا
بحديث ابن عمر المتقدم وقال الشافعي الاستطاعة وجهان احدهما ان يكون
الرجل مستطيعا واجدا من ماله ما يبلغه الحج فتكون استطاعته تامة ان كان
فعليه فرض الحج والثاني لا يقدر ان يثبت على الراحلة وهو قادر على من يطيعه
اذا امره ان يحج عنه او قادر على مال ويجد من يستأجره فيحج عنه فيكون هذا ممن
لزمه فرض الحج اما حكم الزاد والراحلة فهو ان يجد راحلة تصلح لمثله ووجد
الزاد وما يكفيه لذهابه ورجوعه فاضلا عن نفقته ونفقة من تلزمه نفقتهم
وكسوتهم وعن دين ان كان عليه ووجد رفقة يخرجون في وقت جرت العادة
بخروج اهل البلد في ذلك الوقت فان خرجوا قبله او اخروا الخروج الى وقت
لا يصلون الا ان يقطع اكثر من مرحلة لا يلزمه الخروج معهم ويشترط ان يكون
الطريق امنا فان كان فيه خوف من عدو مسلم او كافر او رصدي يطلب الخفارة
لا يلزمه ويشترط ان يكون المنازل المأهولة معمورة يجد فيها ما جرت العادة
بوجوده من الماء والزاد فان تفرق اهلها لجدب او غارت مياهها فلا يلزمه
الخروج ولو لم يجد الراحلة وهو قادر على المشي ولم يجد الزاد وهو قادر على
الاكتساب لا يلزمه الحج عند من جعل وجدان الزاد والراحلة شرطا لوجوب الحج
ويستحب له ان يفعل ذلك ويلزمه الحج عند مالك واما المستطيع بغيره فهو
ان يكون الرجل عاجزا بنفسه بان كان زمنا او به مرض لا يرجى برؤه وله مال
يمكنه ان يستأجر من يحج عنه فيجب عليه ان يستأجر من يحج عنه وان لم يكن له مال
وبذل له ولده او اجنبي الطاعة في ان يحج عنه لزمه الحج ان كان يعتمد على صدقه لان
وجوب الحج يتعلق بالاستطاعة ما روي عن ابن عباس قال كان الفضل بن عباس
رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت امرأة من خثعم تستفتيه فجعل الفضل
ينظر اليها وتنظر اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق
الاخر قالت يا رسول الله ان فريضة الله على عباده في الحج ادركت ابي شيخا كبيرا لا يستطيع
ان يثبت على الراحلة افأحج عنه قال نعم وذلك في حجة الوداع اخرجاه في الصحيحين قوله
تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين يعني ومن جحد ما الزم الله من فرض
الحج بنيته وكفر به فان الله غني عنه وعن حجه وعمله وعن جميع خلقه وقيل نزلت فيمن وجد
ما يحج به ثم مات ولم يحج فهو كفر به لما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله ولم يحج فلا عليه ان يموت
يهوديا او نصرانيا وذلك ان الله تعالى يقول ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا اخرجه الترمذي قال وهذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا
الوجه وفي اسناده مقال وهلال بن عبد الله مجهول والحارث يضعف في
الحديث وقيل هو الذي ان حج لم يره برا وان قعد لم يره اثما وقيل نزلت
في اليهود وغيرهم من اصحاب الملل حيث قالوا انا مسلمون فنزلت ولله على
الناس حج البيت فلم يحجوا وقالوا الحج الى مكة غير واجب وكفروا به فنزلت
ومن كفر فان الله غني عن العالمين فعلى هذا القول تكون هذه متعلقة
بما قبلها وقيل هو كلام مستانف ومعناه ومن كفر بالله واليوم الاخر
فان الله غني عن العالمين قوله تعالى **قل يا اهل الكتاب** قيل الخطاب
لعلماء اهل الكتاب الذين علموا صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الخطاب
لجميع اهل الكتاب اليهود والنصارى الذين انكروا نبوته **لم تكفرون بايات
الله** يعني الايات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه حق وصدق
والمعنى لم تكفرون بايات الله التي دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل المراد بايات الله القران ومحمد صلى الله عليه وسلم **والله شهيد
على ما تعملون** اي فالله شهيد على اعمالكم فيجازيكم عليها **قل يا اهل الكتاب
لم تصدون عن سبيل الله من امن** يعني لم تصرفون عن دين الله من امن
وكان صدهم عن سبيل الله بالقاء الشبه والشكوك وذلك بانكارهم صفة
محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم **تبغونها عوجا** يعني زيغا وميلا عن الحق
والعوج بالكسر الزيغ والميل عن الاستواء في الدين والقول والعمل وكل
ما لا يرى فاما الشيء الذي يرى كالحائط والقناة ونحو ذلك فيقال فيه عوج
بفتح العين والهاء في قوله تبغونها عائدة على السبيل والمعنى لم تطلبون
الزيغ والميل في سبيل الله بالقاء الشبه في قلوب الضعفة **وانتم شهداء**
قال ابن عباس يعني وانتم شهداء ان في التوراة مكتوبا نعت محمد صلى الله عليه
وسلم وصفته وان دين الله الذي لا يقبل غيره هو الاسلام وقيل معناه وانتم
شهداء تشهدون المعجزات التي تظهر على يد محمد صلى الله عليه وسلم
الدالة على نبوته **وما الله بغافل عما تعملون** وعيد وتهديد لهم وذلك انهم كانوا
يجتهدون ويحتالون بالقاء الشبهة في قلوب الناس ليصدوهم عن سبيل الله
والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم فلذلك قال الله تعالى وما الله بغافل عما
تعملون قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا
الكتاب** الاية قال زيد بن اسلم مر شاس بن قيس اليهودي وكان شيخا
عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين فمر بنفر من الاوس والخزرج وهم
في مجلس يتحدثون فيه فغاظه ما راى من الفتهم وصلاح ذات بينهم في
الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية وقال قد اجتمع
ملا بني قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من
اليهود كان معه فقال له اعمد اليهم واجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما
كان قبله وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار وكان يوم بعاث

يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل
فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين
على الركب وهما اوس بن قيظي احد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر احد
بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها
الان جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم
الظاهرة وهي الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضهم الى
بعض على دعواهم في الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم
فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهلية
وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع عنكم امر الجاهلية والف
بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزغة من الشيطان
وكيد من عدوهم فالقوا السلاح من ايديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضا
ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قال جابر
فما رايت يوما اقبح اولا واحسن اخرا من ذلك اليوم فانزل الله عز وجل **يا ايها
الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتاب** يعني شاسا
اليهودي واصحابه **يردوكم بعد ايمانكم كافرين** والكفر يوجب الهلاك في الدنيا
بوقوع العداوة والبغضاء وهيجان الفتنة والحرب وسفك الدماء وفي الاخرة
النار ثم قال **وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله**
وكلمة كيف للتعجب والتعجب انما يليق بمن لا يعلم السبب وذلك على الله محال فالمراد
منه المنع والتغليظ وذلك لان تلاوة ايات الله وهي القران حالا بعد حال
وكون رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشدكم الى مصالحكم وذلك يمنع من وقوع
الكفر فكان وقوع الكفر منهم بعيدا على هذا الوجه قال قتادة في هذه
الاية علمان بينان كتاب الله ونبي الله صلى الله عليه وسلم اما نبي الله فقد
مضى واما كتاب الله فقد ابقاه الله بين اظهركم رحمة منه ونعمة عن زيد
ابن ارقم قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما
بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال اما بعد الا
ايها الناس انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيب وانا تارك
فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا
به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي
اذكركم الله في اهل بيتي وقوله تعالى **ومن يعتصم بالله** اي يمتنع بالله ه
ويستمسك بدينه وطاعته واصل العصمة الامتناع من الوقوع في افة وفيه
حث لهم على الالتجاء الى الله تعالى في دفع شر الكفار عنهم **فقد هدي الى صراط
مستقيم** اي الى طريق واضح وهو طريق الحق المؤدي الى الجنة قوله تعالى **يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته** قال مقاتل بن حيان كان بين الاوس
والخزرج عداوة في الجاهلية وقتال فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى المدينة اصلح بينهم فافتخر بعد ذلك منهم رجلان وهما ثعلبة بن غنم من
الاوس واسعد بن زرارة من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين
ومنا حنظلة غسيل الملائكة ومنا عاصم بن ثابت بن افلح حمي الدبر ومنا سعد

ابن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه في بني قريظة وقال الخزرج منا اربعة احكموا القران ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو زيد ومنا سعد بن عبادة خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فتغضبا وانشدا الاشعار وتفاخرا فجاء الاوس والخزرج ومعهم السلاح فاتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فاصلح بينهم وانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى وان يشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وقال مجاهد هو ان تجاهدوا في الله حق جهاده ولا تاخذكم في الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على انفسكم وابائكم وابنائكم وعن انس قال لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه وقيل حق تقاته بمعنى واجب تقواه وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم واختلف العلماء في هذا القدر من هذه الاية هل هو منسوخ ام لا على قولين احدهما انه منسوخ وذلك انه لما نزلت هذه الاية شق ذلك على المسلمين وقالوا يا رسول الله ومن يقوى على هذا فانزل الله تعالى الناسخ هو قوله تعالى في سورة التغابن فاتقوا الله ما استطعتم وهذا قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد والسدي والقول الثاني انها محكمة غير منسوخة وهو رواية عن ابن عباس ايضا وبه قال طاوس وموجب هذا الاختلاف يرجع الى معنى الاية فمن قال انها منسوخة قال حق تقاته هو ان يأتي العبد بكل ما يجب لله ويستحقه فهذا يعجز العبد عن الوفاء به فتحصيله ممتنع ومن قال بانها محكمة قال ان حق تقاته اداء ما يلزم العبد على قدر طاقته فكان قوله فاتقوا الله ما استطعتم مفسرا لحق تقاته لا ناسخا ولا مخصصا فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقاه حق تقواه وقيل معنى حق تقاته كما يحق ان يتقى وذلك بان يجتنب جميع معاصيه وقيل في معنى قول ابن عباس هو ان يطاع فلا يعصى هذا صحيح والذي يصدر عن العبد على سبيل السهو والنسيان غير قادح فيه لان التكليف في تلك الحال مرفوع عنه وكذلك قوله وان يشكر فلا يكفر وذلك واجب على العبد حضور ما انعم الله عليه بالبال فاما عند السهو فلا يجب عليه وكذلك قوله وان يذكر ولا ينسى فان هذا انما يجب عند الدعاء والعبادة لا عند السهو والنسيان وقوله تعالى **ولا تموتن الا وانتم مسلمون** لفظ النهي واقع على الموت والمقصود الامر بالاقامة على الاسلام المعنى كونوا على الاسلام فاذا ورد عليكم الموت صادفكم على ذلك وقيل هذا في الحقيقة نهي عن ترك الاسلام المعنى لا تتركوا الاسلام فان الموت لا بد منه فاذا جاءكم صادفكم وانتم على الاسلام لانه لما كان يمكنهم الثبات على الاسلام حتى اذا اتاهم الموت اتاهم وهم على الاسلام صار الموت على الاسلام بمنزلة ما قد دخل في امكانهم وقيل معناه ولا تموتن الا وانتم مؤمنون وقيل مخلصون وقيل مفوضون الى الله اموركم محسنون الظن به عز وجل عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الاية اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون فقال لو ان قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن يكون طعامه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله عز وجل **واعتصموا بحبل الله**

جميعا اي تمسكوا بحبل الله والحبل هو السبب الذي يتوصل به الى البغية وسمي الايمان حبلا لانه سبب يتوصل به الى زوال الخوف وقيل حبل الله هو السبب الذي يتوصل به اليه وقيل حبل الله هو القران لانه ايضا سبب يوصل اليه وفي افراد مسلم من حديث زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا واني تارك فيكم ثقلين احدهما كتاب الله هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة الحديث عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذا القران هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ذكره البغوي بغير سند وقال ابن مسعود هو الجماعة وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذي امر به وان ما تكرهون في الجماعة والطاعة خير مما تحبون في الفرقة وقيل بحبل الله يعني بامر الله وطاعته **ولا تفرقوا** يعني كما تفرقت اليهود والنصارى وقيل ولا تفرقوا يعني كما كنتم متفرقين في الجاهلية مدابرين يعادي بعضكم بعضا ويقتل بعضكم بعضا وقيل معناه لا تحدثوا ما يكون عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها ففيه النهي عن التفرق والاختلاف والامر بالاتفاق والاجتماع لان الحق لا يكون الا واحدا وما عداه يكون جهلا وضلالا واذا كان كذلك وجب النهي عن الاختلاف في الدين وعن الفرقة لان كل ذلك كان عادة اهل الجاهلية فنهوا عنه **وروى** البغوي بسنده عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا من ولاه الله امركم ويسخط لكم قيل وقال واضاعة المال وكثرة السؤال قوله تعالى **واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا** قال محمد بن اسحاق وغيره من اهل الاخبار كان الاوس والخزرج اخوين لاب وام فوقعت بينهما عداوة بسبب قتيل ثم تطاولت تلك العداوة والحروب بينهم مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله تعالى ذلك بالاسلام والف بينهم بنبيه عليه الصلاة والسلام وسبب ذلك ان سويد بن الصامت اخا بني عمرو بن عوف وكان شريفا يسميه قومه الكامل لجلده ونسبه قدم مكة حاجا ومعتمرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث وامر بالدعوة فتصدى له النبي حين سمع به ودعاه الى الله عز وجل والى الاسلام فقال له سويد فلعل الذي معك مثل الذي معي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذي معك قال مجلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها علي فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن والذي معي افضل من هذا قران انزله الله عز وجل علي نور وهدى فتلا عليه القران ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول لحسن ثم انصرف الى المدينة فلم يلبث ان قتلته الخزرج يوم بعاث وان قومه ليقولون قد قتل وهو مسلم ثم قدم ابو الحيسر انس بن رافع ومعه فتية من بني عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاهم وجلس اليهم وقال لهم هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وما هو قال انا رسول الله بعثني الله الى العباد ادعوهم الى ان لا يشركوا بالله شيئا وانزل علي الكتاب ثم ذكر الاسلام وتلا القران عليهم فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا اي قوم هذا والله خير مما جئتم له فاخذ ابو الحيسر حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس وقال دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا فصمت اياس

وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة فكانت وقعة بعاث بين
الاوس والخزرج ثم لم يلبث اياس بن معاذ ان هلك فلما اراد الله عز وجل اظهار دينه
واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقي فيه
النفر من الانصار فعرض نفسه على القبايل من العرب كما كان يصنع في كل موسم فلقي عند
العقبة رهطا من الخزرج اراد الله بهم خيرا وهم ستة نفر اسعد بن زرارة وعوف بن
الحارث وهو ابن عفرا ورافع بن مالك العجلاني وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر
ابن نابي وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من انتم
قالوا نفر من الخزرج قال امن موالي يهود قالوا نعم قال افلا تجلسون حتى اكلمكم
قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم
القران كان مما صنع الله لهم به في الاسلام ان يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا
اهل كتاب وعلم وهم اهل اوثان وشرك وكانوا اذا كان بينهم شي قالوا ان نبيا الان
مبعوث قد اظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى
الله عليه وسلم اوليك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض يا قوم
تعلمون والله انه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم اليه فاجابوه وصدقوه
واسلموا وقالوا انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى
الله ان يجمعهم بك وسنقدم عليهم وندعوهم الى امرك فان يجمعهم الله عليك فلا رجل
اعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم فلما قدموا
المدينة ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم
فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان
العام المقبل وافا الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا وهم اسعد بن زرارة وعوف
ومعاذ ابنا عفرا ورافع بن مالك العجلاني وذكوان بن عبد القيس وعبادة بن
الصامت ويزيد بن ثعلبة وعباس بن عبادة وعقبة بن عامر وقطبة بن عامر
فهولا خزرجيون وابو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة من الاوس فلقوه بالعقبة
وهي العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النسا على ان لا يشركوا
بالله شيا ولا يسرقوا ولا يزنوا الاية فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم شيا من ذلك
فاخذتم بحده في الدنيا فهو كفارة وان ستر عليكم فامركم الى الله عز وجل ان شا
عذبكم وان شا غفر لكم قال وذلك قبل ان يفرض الحرب قال فلما انصرف القوم بعث
معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف وامره ان يقريهم القران ويعلمهم
الاسلام ويفقههم وكان يسمى مصعب بالمدينة المقري وكان منزله على اسعد بن زرارة
ثم ان اسعد بن زرارة خرج ومصعب فدخل به حايطا من حوايط بني ظفر فجلسا في
الحايط واجتمع اليهما رجال ممن اسلم فقال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير انطلق
الى هذين الرجلين اللذين اتيا دارنا ليسفها ضعفانا فازجرهما فان اسعد بن
خالتي ولولا ذلك لكفيتك وكان سعد بن معاذ واسيد بن حضير سيدي قومهما من بني
عبد الاشهل وهما يومئذ مشركان فاخذ اسيد بن حضير حربته ثم اقبل الى مصعب
واسعد وهما جالسان في الحايط فلما راه اسعد بن زرارة قال لمصعب هذا سيد
قومه قد جاك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس اكلمه فلما وقف عليهما متشتما
وقال ما جا بكما الينا تسفهان ضعفانا اعتزلانا ان كانت لكما في انفسكما حاجة فقال له

مصعب او تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كفينا عنك ما تكره قال انصفت
ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرا عليه القران قالا والله لعرفنا
الاسلام في وجهه قبل ان يتكلم في اشراقه وتهلله ثم قال ما احسن هذا واجمله
كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك وتشهد
شهادة الحق ثم صل ركعتين ثم قال ان ورايي رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد
من قومه وسارسله اليكما الان سعد بن معاذ ثم اخذ حربته فانصرف الى سعد
وقومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر سعد الى اسيد مقبلا قال احلف بالله لقد
جاكم اسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف اسيد على النادي
قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رايت بهما باسا وقد نهيتهما فقالا
لا نفعل الا ما احببت وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى اسعد بن زرارة
ليقتلوه وذلك انهم عرفوا انه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد مغضبا للذي
ذكره من بني حارثة فاخذ الحربة ثم قال والله ما اراك اغنيت شيا فانصرف
اليهما فلما راهما مطمينين عرف ان اسيدا انما اراد ان يسمع منهما فوقف عليهما
متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا
مني تغشانا في دارنا بما نكره وقد كان قال اسعد لمصعب جاك والله سيد
من وراه من قومه ان يتبعك لم يخالفك احد منهم فقال له مصعب او تقعد فتسمع فان رضيت
امرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره فقال سعد انصفت ثم
ركز الحربة وجلس فعرض عليه مصعب الاسلام وقرا عليه القران قالا فعرفنا والله
الاسلام في وجهه قبل ان يتكلم به في اشراقه وتهلله ثم قال كيف تصنعون اذا
اسلمتم ودخلتم في هذا الدين قالا تغتسل وتطهر ثوبك ثم تشهد شهادة
الحق ثم تصلي ركعتين فقام فاغتسل وطهر ثوبه وشهد شهادة الحق وركع ركعتين
ثم اخذ حربته واقبل عامدا الى نادي قومه ومعه اسيد بن حضير فلما راه مقبلا
قالوا نحلف والله لقد رجع سعد اليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم فلما وقف
عليهم قال يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون امري فيكم قالوا سيدنا وافضلنا رايا
وايمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسايكم علي حرام حتى تومنوا بالله ورسوله
قال فما امسى في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امراة الا مسلم ومسلمة ورجع اسعد
ابن زرارة ومصعب بن عمير الى منزل اسعد فاقام عنده يدعوا الناس الى الاسلام
حتى لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونسا مسلمون ومسلمات الا ما كان
من دار امية بن زيد وخطمة ووايل وواقف وذلك انه كان فيهم ابو قيس بن الاسلت
الشاعر وكانوا يسمعون منه ويطيعونه فوقف بهم عن الاسلام حتى هاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر واحد والخندق قالوا ثم ان مصعب بن
عمير رجع الى مكة وخرج معه من الانصار من المسلمين سبعون رجلا مع حجاج قومهم
من اهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من اوسط
ايام التشريق وهي بيعة العقبة الثانية قال كعب بن مالك وكان قد شهد ذلك
فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا عبد
الرحمن بن عمرو بن حرام ابو جابر اخبرناه وكنا نكتم من معنا من المشركين من قومنا
امرنا فكلمناه وقلنا يا ابا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من اشرافنا وانا نرغب بك

عما انت فيه ان تكون حطبا للنار غدا ودعوناه للاسلام فاسلم واخبرناه بميعاد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشهد معنا العقبة وكان نقيبا فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا
حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل مستخفين
تسلل القطا حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن سبعون رجلا ومعنا امرأتان
من نسائنا نسيبة بنت كعب ام عمارة احدى نساء بني النجار واسماء بنت عمرو بن عدي
ام منيع احدى نساء بني سلمة فاجتمعنا بالشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا
ومعه عمه العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج وكانت العرب يسمون هذا الحي
من الانصار الخزرج خزرجها واوسها ان محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا
ممن هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد ابى الا الانقطاع
اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه
فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم
فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة قال فقلنا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله
وخذ لنفسك ولربك ما شئت فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا
الى الله عز وجل ورغب في الاسلام ثم قال ابايعكم على ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم
ونساءكم وابناءكم قال فاخذ البراء بن معرور بيده ثم قال والذي بعثك بالحق نبيا
لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن اهل الحرب واهل الحلقة ورثناها
كابرا عن كابر فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو الهيثم
ابن التيهان فقال يا رسول الله ان بيننا وبين الناس حبالا يعني عهودا وانا قاطعوها
فهل عسيت ان فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم انتم مني وانا منكم
احارب من حاربتم واسالم من سالمتم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجوا
الي منكم اثني عشر نقيبا كفلاء على قومهم بما فيهم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم
فاخرجوا اثني عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس قال عاصم بن عمر
ابن قتادة ان القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس
ابن عبادة بن نضلة الانصاري يا معشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون
هذا الرجل انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون انكم اذا نهكت
اموالكم مصيبة واشرافكم قتلا اسلمتموه فمن الآن فهو والله خزي في الدنيا
والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف
فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا ناخذه على مصيبة الاموال
وقتل الاشراف فما لنا بذلك يا رسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك
فبسط يده فبايعوه واول من ضرب على يده البراء بن معرور ثم تتابع القوم قال
فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من راس العقبة بانفذ
صوت سمعته قط يا اهل الجباجب هل لكم في مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على
حربكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عدو الله هذا ازب العقبة يعني
شيطان العقبة اسمع اي عدو الله اما والله لافرغن لك ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارفضوا الى رحالكم فقال العباس بن عبادة بن نضلة والذي
بعثك بالحق لئن شئت لنميلن على اهل منى باسيافنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لم

لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم قال فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى اصبحنا
فلما اصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاءونا في منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج بلغنا انكم
جئتم صاحبنا هذا تستخرجونه من بين اظهرنا وتبايعونه على حربنا وانه والله ما حي من
العرب ابغض الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينه منكم قال فانبعث من هناك من مشركي قومنا
يحلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه وصدقوا لم يعلموا به وبعضنا ينظر الى
بعض وقام القوم وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومي وعليه نعلان جديدتان
قال فقلت له كلمة كاني اريد ان اشرك القوم بها فيما قالوا يا ابا جابر اما تستطيع ان تتخذ
وانت سيد من ساداتنا مثل نعلي هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرث فخلعهما من
رجليه ورمى بهما الي وقال والله لتنتعلنهما قال ابو جابر مه احفظت والله الفتى
فاردد اليه نعليه قال فقلت لا اردهما قال والله صالح لئن صدق الفأل لاسلبنه قال
ثم انصرف الانصار الى المدينة وقد شددوا العقد فلما قدموها اظهروا الاسلام
بها وبلغ ذلك قريشا فآذوا اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله قد جعل لكم اخوانا ودارا تامنون فيها فامرهم بالهجرة الى
المدينة واللحوق باخوانهم من الانصار فاول من هاجر الى المدينة ابو سلمة بن عبد الله
الاسدي المخزومي ثم عامر بن ربيعة ثم عبد الله بن جحش ثم تتابع اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ارسالا الى المدينة ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة
فجمع الله عز وجل اهل المدينة اوسها وخزرجها بالاسلام واصلح ذات بينهم بنبيه
عليه افضل الصلاة والسلام وانزل الله عز وجل واذكروا يعني يا معشر الانصار نعمة
الله عليكم يعني بالاسلام اذ كنتم اعداء يعني قبل الاسلام فالف بين قلوبكم
يعني بالاسلام وبنبيه عليه السلام فاصبحتم بنعمته اخوانا يعني فصرتم برحمته
وبدين الاسلام اخوانا في الدين والولاية بعد العداوة وكنتم يعني يا معشر الاوس
والخزرج على شفا حفرة من النار يعني على طرف حفرة مثل شفا البير ليس بينكم
وبين الوقوع في النار الا ان تموتوا على كفركم فانقذكم منها اي فخلصكم بالايمان من
الوقوع في النار كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون قوله عز وجل ولتكن
منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر اللام في قوله
ولتكن لام الامر اي لتكن منكم امة دعاة الى الخير منكم وقيل ان كلمة من في قوله منكم
للتبيين لا للتبعيض وذلك لان الله عز وجل اوجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
على كل الامة في قوله كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
فيجب على كل مكلف الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده او بلسانه او بقلبه عن
ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا
فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان
فعلى هذا يكون معنى الآية كونوا امة دعاة الى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن
المنكر ومن قال بهذا القول لفظ الفرض يقول ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فرض كفاية اذا قام به واحد سقط الفرض عن الباقين وقيل ان من هنا للتبعيض
وذلك لان في الامة من لا يقدر على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لعجز او ضعف فحسن
ادخال لفظة من في قوله ولتكن منكم امة وقيل ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
انما يختص بالعلماء وولاة الامور فعلى هذا يكون المعنى ليكن بعضكم آمرا بالمعروف وناهيا

عن المنكر ح عن النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل القائم في حدود الله والواقع
فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها فكان الذي في أسفلها
إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا
فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا والخير المذكور في
الآية هو كل شيء يرغب فيه من الأفعال الحسنة وقيل هو [illegible] الإسلام والمعنى
لتكن أمة أي جماعة دعاة إلى الإسلام وإلى كل فعل حسن يستحسن في الشرع والعقل
وقيل الدعوة إلى فعل الخير يندرج تحتها نوعان أحدهما الترغيب في فعل ما ينبغي وهو
الأمر بالمعروف والثاني الترغيب في ترك ما لا ينبغي وهو النهي عن المنكر فذكر الجنس
أولا وهو الخير ثم أتبعه بنوعيه مبالغة في البيان والمعروف اسم لكل فعل يعرف
بالعقل والشرع حسنه والمنكر ضد ذلك وهو ما عرف بالشرع والعقل قبحه
قوله تعالى **وأولئك هم المفلحون** تقدم تفسيره قوله عز وجل **ولا تكونوا كالذين
تفرقوا واختلفوا** يعني ولا تكونوا يا معشر المؤمنين كالذين تفرقوا يعني أهل
الكتاب وهم اليهود والنصارى في قول أكثر المفسرين واختلفوا أي في دين الله
وأمره ونهيه وقيل تفرقوا واختلفوا بمعنى واحد وإنما ذكرهما للتأكيد وقيل
تفرقوا بسبب العداوة واتباع الهوى واختلفوا في الدين فصاروا فرقا مختلفة
قال الربيع في هذه الآية هم أهل الكتاب نهى الله أهل الإسلام أن يتفرقوا أو يختلفوا كما
تفرق واختلف أهل الكتاب وقال ابن عباس أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن
الاختلاف والفرقة وأخبرهم أنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في الدين
وقال بعضهم هم المبتدعة من هذه الأمة وقال أبو أمامة هم الحرورية
قال عبد الله بن سداد وقف أبو أمامة وأنا معه على رؤوس الحرورية على درج جامع
دمشق فذرفت عيناه ثم قال كلاب أهل النار وكانوا مؤمنين فكفروا بعد
إيمانهم شر قتيل تحت أديم السماء وخير قتيل تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء
قلت فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الإسلام فكفروا بعد
إيمانهم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا الآية قوله أكفرتم بعد إيمانكم نحوه
الترمذي عن أبي غالب قال رأى أبو أمامة رؤوسا منصوبة على درج دمشق
فقال أبو أمامة كلاب أهل النار شر قتلى تحت أديم السماء خير قتلى من قتلوه
ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه إلى آخر الآية قلت لأبي أمامة أنت
سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاث
أو أربع حتى عد سبعا ما حدثتكموه وقال فيه هذا حسن وقوله تعالى **من بعد
ما جاءهم البينات** يعني الحجج الواضحات فعلموها ثم خالفوها إنما قال جاءهم ولم
يقل جاءتهم لجواز حذف علامة التأنيث من الفعل في التقديم تشبيها بعلامة
التثنية والجمع **وأولئك لهم عذاب عظيم** يعني لهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا عذاب
عظيم في الآخرة وفيه زجر عظيم للمؤمنين عن التفرق والاختلاف عن أبي ذر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه
أخرجه أبو داود وأراد بربقة الإسلام عقد الإسلام وأصله أن الربق حبل فيه عدة عرى
يشد بها البهم الواحدة من العرى ربقة **وروى البغوي** بسنده عن عمر بن الخطاب
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فإن الشيطان

مع الفذ وهو من الاثنين أبعد بحبوحة الجنة وسطها والفذ هو الواحد قوله تعالى
يوم تبيض وجوه وتسود وجوه يعني اذكروا يوم تبيض وجوه المؤمنين وتسود
وجوه الكافرين وقيل تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة وقيل
تبيض وجوه المخلصين وتسود وجوه المنافقين وفي بياض الوجوه وسوادها قولان
أحدهما أن البياض كناية عن الفرح والسرور والسواد كناية عن الغم والحزن
وهذا مجاز يستعمل يقال لمن نال بغيته وظفر بمطلوبه ابيض وجهه يعني من السرور
والفرح ولمن ناله مكروه اسود وجهه واربد لونه يعني من الحزن والغم قال الله تعالى
وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا يعني من الحزن فعلى هذا ابيضاض
الوجوه إشراقها وسرورها واستبشارها بعملها وذلك أن المؤمن إذا ورد القيامة على
ما قدم من خير وعمل صالح استبشر بثواب الله ونعمه عليه فإذا كان كذلك وسم
وجهه ببياض اللون وإشراقه واستنارته وابيضت صحيفته وأشرقت وسعى النور بين
يديه وعن يمينه وشماله وأما الكافر والظالم إذا ورد القيامة على ما قدم من قبيح
عمل وسيئات حزن واغتم لعلمه بعذاب الله فإذا كان كذلك وسم وجهه بسواد
اللون وكمودته واسودت صحيفته وأظلمت وأحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ
بفضل الله وسعة رحمته من الظلمات يوم القيامة والقول الثاني أن بياض الوجوه وسوادها
حقيقة يحصل في الوجه فيبيض وجه المؤمن ويكسى نورا ويسود وجه الكافر
ويكسى ظلمة لأن اللفظ البياض والسواد حقيقة فيهما والحكمة في بياض الوجوه
وسوادها أن أهل الموقف إذا رأوا بياض وجه المؤمن عرفوا أنه من أهل السعادة
وإذا رأوا سواد وجه الكافر عرفوا أنه من أهل الشقاوة **فأما الذين اسودت وجوههم
أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** أي فيقال لهم أكفرتم
والهمزة للتوبيخ والتقريع **فإن قلت** كيف قال أكفرتم بعد إيمانكم وهم لم يكونوا
مؤمنين فمن المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد إيمانهم **قلت** اختلف العلماء في ذلك
فروي عن أبي بن كعب أنه قال أراد به الإيمان يوم أخذ الميثاق حين قال ألست بربكم قالوا
بلى فآمن الكل فكل من كفر في الدنيا فقد كفر بعد الإيمان وقال الحسن هم المنا
وذلك أنهم تكلموا بالإيمان بألسنتهم وأنكروه بقلوبهم وقال عكرمة هم أهل الكتاب
وذلك أنهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه فلما بعث أنكروه وكفروا به وقيل
هم الذين ارتدوا في زمن أبي بكر الصديق وهم أهل الردة ق عن ابن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض وليرفعن إلي رجال منكم حتى إذا
أهويت إليهم لأناولهم اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما
أحدثوا بعدك ق عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن علي الحوض رجال
ممن صاحبني حتى إذا رفعوا إلي اختلجوا دوني فلأقولن أي رب أصحابي أصحابي فليقالن
لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك زاد في رواية فأقول سحقا لمن بدل بعدي خ عن أبي
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي أو قال
من أمتي فيحلؤون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي فيقول إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك
إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى وقيل هم الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب
وقاتلوه وهم الحرورية م عن زيد بن وهب أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي الذين ساروا
إلى الخوارج فقال علي أيها الناس إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج قوم من أمتي

فقون

يقرؤن القرآن ليس قراءتكم الى قراءتهم بشيء ولا صلاتكم الى صلاتهم بشيء ولا صيامكم
الى صيامهم بشيء يقرؤن القرآن يحسبون انه لهم وهو عليهم لا تجاوز صلاتهم تراقيهم
يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية وفي رواية سويد بن غفلة عنه يقرؤن
القرآن لا يجاوز ايمانهم حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية
فاينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيمة عن يسير
ابن عمرو قال قلت لسهل بن حنيف هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في
الخوارج شيئا قال سمعته يقول واهوى بيده الى العراق يخرج منهم قوم يقرؤن
القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام مروق السهم من الرمية وقيل هم
اهل البدع والاهواء من هذه الامة كالقدرية ونحوهم ومن قال بهذا القول
يقول كفرهم بعد ايمانهم هو خروجهم من الجماعة ومفارقتهم في الاعتقاد عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال فتنا كقطع
الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وقال
الحارث الاعور سمعت علي بن ابي طالب يقول على المنبر ان الرجل ليخرج من اهله
فما يؤوب اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه الآية ثم نادى هم الذين كفروا بعد الايمان ورب الكعبة وقوله تعالى
واما الذين ابيضت وجوههم يعني المؤمنين المطيعين لله عز وجل ففي
رحمة الله يعني ففي جنة الله وانما سميت الجنة رحمة لانها دار الرحمة وفيه اشارة
الى ان العبد وان عمل بالطاعات لا يدخل الجنة الا برحمة الله تعالى هم فيها خالدون
فان قلت ما كرر كلمة في ثلاث في كل واحدة يعني غير الاخرى المعنى انهم في رحمة الله
وانهم في الرحمة خالدون تلك آيات الله يعني القرآن وقيل هذه الآيات
التي تقدمت نتلوها عليك بالحق اي بالمعنى الحق لان كل المتلو حق وما الله يريد
ظلما للعالمين يعني لا يعاقب احدا بغير جرم واستحقاق للعقوبة وانما ذكر
الظلم هنا لانه قد تقدم ذكر العقوبة في قوله فاما الذين اسودت وجوههم
الى قوله فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اخبر انما يفعلوا فيها وفعلوا فيه
بسبب افعالهم المنكرة وانه لا يظلم احدا من خلقه ولله ما في السموات
وما في الارض لما ذكر الله انه لا يريد ظلما للعالمين لانه لا حاجة به الى
الظلم وذلك ان الظالم انما يظلم غيره ليزداد مالا او عزا او سلطانا او يتم
نقصا فيه بما يظلم غيره ولما كان الله عز وجل مستغنيا عن ذلك وله صفة
الكمال اخبر ان له ما في السموات وما في الارض وان جميع ما فيهما ملكه واهلها
عبيده وان كان ذلك كذلك يستحيل في حقه سبحانه وتعالى ان يظلم احدا من
خلقه لانهم عبيده وفي قبضته والى الله ترجع الامور يعني والى الله تصير
امور جميع الخلائق المؤمن والكافر والطائع والعاصي فيجازي الكل على
قدر استحقاقهم ولا يظلم احدا منهم قوله عز وجل كنتم خير امة اخرجت للناس
سبب نزول هذه الآية ان مالك بن الصيف ووهب بن يهودا اليهوديين قالا
لعبد الله بن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة نحن
افضل منكم وديننا خير مما تدعوننا اليه فانزل الله هذه الآية
واختلف في لفظة كان فقيل هي بمعنى الحدوث والوقوع والمعنى حدثتم ووجدتم

وخلقتم

وخلقتم خير امة وقيل كان هنا ناقصة وهي عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض
ولا يدل على انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما فعلى هذا التقدير
يكون المعنى كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم مذكورين في الامم الماضية بانكم
خير امة وقيل قوله خير امة تابع لقوله فاما الذين ابيضت وجوههم والتقدير
انه يقال لهم عند دخول الجنة كنتم في دنياكم خير امة فلهذا نلتم هذا استحقيتم
ما انتم فيه من بياض الوجوه والتنعيم المقيم وقيل كنتم بمعنى انتم وقيل انه يحتمل
كان بمعنى صار فقوله كنتم اي صرتم خير امة فاما المخاطبون بهذا منهم فيه
خلاف قال ابن عباس في قوله كنتم خير امة هم الذين هاجروا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وروى ابن جرير عن عمر بن الخطاب قال لو شاء الله لقال
انتم فكنا كلنا ولكن في خاصة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن
صنع مثل ما صنعتم كانوا خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف
وتنهون عن المنكر وقال الضحاك هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعني انهم كانوا هم الرواة الدعاة الذين امر الله عز وجل المسلمين باتباعهم
وطاعتهم ق عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير
الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر
بعده قرنين او ثلاثة ثم ان بعدهم قوما يشهدون ولا يستشهدون
ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن زاد في
رواية ويحلفون ولا يستحلفون ق عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجيء قوم تسبق شهادة
احدهم يمينه ويمينه شهادته قوله خير الناس قرني يعني اصحابه والقرن اهل كل زمان
مأخوذ من الاقتران فكانه الزمان الذي يقترن فيه اهل ذلك الزمان في اعمارهم
واحوالهم وقيل القرن اربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة ق عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدا انفق مثل
احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه النصيف النصف وقال ابن عباس في رواية
عطاء في قوله كنتم خير امة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم قال الزجاج كنتم خير امة
الخطاب فيه مع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في كل الامة ونظيره
قوله كتب عليكم الصيام كتب عليكم القصاص فان كل ذلك خطاب مع الحاضرين بحسب اللفظ
ولكنه عام في حق الكل كذا اما منا عن بهز بن حكيم عن ابيه عن جده انه سمع النبي صلى
الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس قال انتم تتمون سبعين
امة انتم خيرها واكرمها على الله تعالى اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واصل
الامة الجماعة المجتمعة على الشيء وامة محمد صلى الله عليه وسلم هم الجماعة الموصوفون
بالايمان بالله عز وجل وبمحمد صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة خ
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة الا من
ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى عن ابن عمر
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يجمع امتي او قال امة محمد على ضلالة
ويد الله على الجماعة ومن شذ شذ في النار اخرجه الترمذي عن ابي موسى قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امتي امة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة عذابها

في الدنيا الفتن والزلازل والقتل اخرجه ابو داود عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل امتي كمثل المطر لا يدري اوله خير ام اخره اخرجه الترمذي وله عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من سائر الامم وله عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم باب امتي الذي يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب المسرع المجد ثلاثا ثم انهم ليضاغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول قال الترمذي سألت محمدا يعني البخاري عن هذا الحديث فلم يعرفه وقال لخالد بن ابي بكر مناكير سالم بن عبد الله زاد غيره في الحديث وهم شركاء الناس في ثلاث سائر الابواب عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من امتي من يشفع في الفئام من الناس ومنهم من يشفع في القبيلة ومنهم من يشفع للعصبة ومنهم من يشفع للواحد اخرجه الترمذي عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من امتي سبعون الفا او سبعمائة الف متماسكين اخذ بعضهم ببعض حتى يدخل اولهم واخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر عن ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعدني ربي ان يدخل من امتي سبعون الفا لا حساب عليهم ولا عذاب ومع كل الف سبعون الفا وثلاث حثيات من حثيات ربي اخرجه الترمذي **وروى البغوي** باسناد الثعلبي عن عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتي وقوله تعالى اخرجت للناس معناه كنتم خير الامم اخرجت للناس في جميع الاعصار ومعنى اخرجت اظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وفصل معناه كنتم للناس خير امة اخرجت **خ** عن ابي هريرة قال كنتم خير امة اخرجت للناس قال خير الناس للناس يأتون بهم في السلاسل في اعناقهم حتى يدخلوا في الاسلام وقيل اخرجت صلة والتقدير كنتم خير امة للناس وقيل معناه ما اخرج للناس امة خيرا من امة محمد صلى الله عليه وسلم تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر هذا كلام مستأنف والمقصود منه بيان علة تلك الخيرية وكونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم والمعروف هو التوحيد والمنكر هو الشرك والمعنى تأمرون الناس بقول لا اله الا الله وتنهونهم عن الشرك **وتؤمنون بالله** اي وتصدقون بالله وتخلصون له بالتوحيد والعبادة **فان قلت** لم قدم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان لا بد ان يكون مقدما على كل الطاعات والعبادات **قلت** الايمان بالله امر مشترك فيه جميع الامم المؤمنة وانما فضلت هذه الامة الاسلامية بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر على سائر الامم واذا كان كذلك كان المؤثر في هذه الخيرية هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واما الايمان بالله فهو مشترك في هذا الحكم لانه ما لم يوجد الايمان لم يصر شيء من الطاعات معتبرا فثبت ان الموجب لهذه الخيرية لهذه الامة هو كونهم امرين بالمعروف ناهين عن المنكر فلهذا السبب حسن تقديم ذكر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على ذكر الايمان وقوله تعالى **ولو آمن اهل الكتاب** يعني ولو آمن اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالدين الذي جاء به **لكان خيرا لهم** يعني مما هم عليه من اليهودية والنصرانية وانما حملهم على ذلك حب الرياسة

واستتباع العوام ولو امنوا لحصلت لهم الرياسة في الدنيا والثواب العظيم في الاخرة وهو دخول الجنة **منهم** يعني من اهل الكتاب **المؤمنون** يعني عبد الله بن سلام واصحابه الذين اسلموا من اليهود والنجاشي واصحابه الذين اسلموا من النصارى **واكثرهم الفاسقون** اي المتمردون في الكفر وقيل ان الكافر قد يكون عدلا في دينه وهؤلاء مع كفرهم فاسقون قوله تعالى **لن يضروكم الا اذى** سبب نزول هذه الاية ان رؤساء اليهود عمدوا الى من امن منهم مثل عبد الله بن سلام واصحابه فاذوهم لاسلامهم فانزل الله تعالى لن يضروكم الا اذى يعني لن يضروكم ايها المؤمنون هؤلاء اليهود الا اذى يعني باللسان من طعن في دينكم او تهديد او القاء شبهة وتشكيك في القلوب وكل ذلك يوجب الاذى والغم **وان يقاتلوكم يولوكم الادبار** يعني منهزمين لخذلانهم **ثم لا ينصرون** يعني لا يكون لهم النصر عليكم بل تنصرون عليهم وفيه تثبيت لمن اسلم من اهل الكتاب لانهم كانوا يؤذونهم بالقول ويهددونهم ويخوفونهم فاعلمهم الله تعالى انهم لا يقدرون ان يجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يعتبر من الضرر بهم وعدم الغلبة والانتقام منهم وان عاقبتهم الخذلان والذل ثم قال تعالى **ضربت عليهم الذلة** يعني جعلت الذلة ملصقة بهم كالشيء يضرب على الشيء فيلتصق به والمراد بالذلة قتلهم وسبيهم وغنيمة اموالهم وقيل الذلة ضرب الجزية عليهم لانها ذلة وصغار وقيل ذلتهم انك لا ترى في اليهود ملكا قاهرا ولا رئيسا معتبرا بل هم مستضعفون في جميع البلاد **اينما ثقفوا** اي حيثما وجدوا وصودفوا **الا بحبل من الله** يعني الا بعهد من الله وهو ان يسلموا فيزول عنهم الذلة **وحبل من الناس** يعني المؤمنين ببذل الجزية والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس وهو ذمة الله وعهده وذمة المسلمين وعهدهم لا عز لهم الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من بذل الجزية وانما سمى العهد حبلا لانه سبب يوصل الى الامن وزوال الخوف **وباءوا بغضب من الله** اي رجعوا بغضب من الله واستوجبوه وقيل اصله من البواء وهو المكان والمعنى انهم مكثوا في غضب الله وحلوا فيه **وضربت عليهم المسكنة** يعني كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير خارجين منها قال الحسن المسكنة هي الجزية وذلك لان الله اخرج المسكنة عن الاستثناء وذلك يدل على انها باقية عليهم والباقي عليهم هو الجزية فدل ان المسكنة هي الجزية وقيل المراد بالمسكنة هو ان اليهودي يظهر من نفسه الفقر وان كان غنيا موسرا **ذلك** اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بالغضب **بانهم** اي بسبب انهم **كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون** اي ذلك الذي نزل بهم بسبب عصيانهم لله عز وجل واعتدائهم لحدوده فنزل بهم ما نزل قوله عز وجل **ليسوا سواء** قال ابن عباس لما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه قالت احبار اليهود ما امن بمحمد صلى الله عليه وسلم الا شرارنا ولولا ذلك ما تركوا دين ابائهم فانزل الله تعالى هذه الاية وفي قوله ليسوا سواء قولان احدهما انه كلام تام يوقف عليه والمعنى ان اهل الكتاب الذين سبق ذكرهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون ليسوا سواء وقيل معناه لا يستوي اليهود وامة محمد صلى الله عليه وسلم القائمة بامر الله الثابتة على الحق والقول الثاني ان قوله ليسوا سواء متعلق بما بعده ولا يوقف عليه وقوله **من اهل الكتاب امة قائمة**

فيه اختصار واضمار والتقدير ليسوا سوا من اهل الكتاب امة قايمة ومنهم امة مذمومة غير قايمة فترك ذكر الامة الاخرى اكتفا بذكر احد الفريقين وهذا على مذهب العرب ان ذكر احد الضدين يغني عن ذكر الاخر قال ابو ذويب

دعاني اليها القلب اني لامره ۞ مطيع فلا ادري ارشد طلابها ۞

اراد ام غير رشد فاكتفى بذكر احد الرشدين دون الاخر وقال الزجاج لا حاجة الى اضمار الامة المذمومة لانه قد جرى ذكر اهل الكتاب بقوله كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبيا بغير حق فاعلم الله ان منهم امة قايمة ولا حاجة الى ان تقول وامة غير قايمة وانما ابتدا بذكر فعل الاكثر منهم وهو الكفر والمشاقة ثم ذكر من كان مباينا لهم في فعلهم فقال ليسوا سوا من اهل الكتاب امة قايمة قال ابن عباس قايمة اي مهتدية قايمة على امر الله تعالى لم يضيعوه ولم يتركوه وقيل قايمة اي عادلة وقيل قايمة على كتاب الله وحدوده وقيل قايمة في الصلاة **يتلون ايات الله** اي يقرون كتاب الله عز وجل **اناء الليل** اي ساعاته **وهم يسجدون** يعني يصلون عبر بالسجود عن الصلاة لان التلاوة لا تكون في السجود وقيل هي صلاة التهجد بالليل وقيل هي صلاة العشا لان اليهود لا يصلونها وقيل يحتمل ان يراد بالسجود الخضوع والخشوع لان العرب تسمي الخشوع سجودا وقال عطا في قوله ليسوا سوا من اهل الكتاب امة قايمة يريد اربعين رجلا من اهل نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وامنوا به وكان عدة نفر من الانصار منهم اسعد بن زرارة والبرا بن معرور ومحمد بن مسلمة ومحمود بن مسلمة وابو قيس صرمة بن انس كانوا قبل الاسلام موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرايع الحنيفية حتى جاهم الله عز وجل بالنبي صلى الله عليه وسلم فامنوا به وصدقوه ثم وصفهم الله تعالى بصفات ما كانت في اليهود فقال **يومنون بالله واليوم الاخر** وذلك لان ايمان اهل الكتاب فيه شرك ويصفون اليوم الاخر بغير ما يصفه المومنون وقيل ان الايمان بالله يستلزم الايمان بجميع انبيايه ورسله واليهود يومنون ببعض الانبيا ويكفرون ببعض والايمان باليوم الاخر يستلزم الحذر من فعل المعاصي واليهود لا يحترزون منها فلم يحصل لهم الايمان الخالص بالله واليوم الاخر **ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر** يعني غير مداهنين كما يداهن اليهود بعضهم بعضا وقيل يامرون بالمعروف يعني بتوحيد الله والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وينهون عن المنكر يعني عن الشرك وعن كتم صفة محمد صلى الله عليه وسلم **ويسارعون في الخيرات** اي يبادرون اليها خوف الفوت وذلك لان من رغب في امر سارع اليه وقام به غير متوان عنه وقيل يبادرون في الخيرات غير متثاقلين ولا كسالى **واوليك** اشارة الى الموصوفين بما وصفوا به **من الصالحين** اي من جملة الصالحين الذين صلحت عند الله عز وجل ورضوا عنه واستحقوا ثناه عليهم وذلك لان الصلاح ضد الفساد فاذا حصل الصلاح للانسان فقد صلح لاعلا الدرجات واكمل المقامات وقيل يحتمل ان يريد بالصالحين المسلمين والمعنى واوليك الذين تقدم وصفهم من جملة المسلمين قوله تعالى **وما تفعلوا من خير فلن تكفروه** قرى بالياء لان الكلام

متصل بما قبله من ذكر مومني اهل الكتاب وذلك ان اليهود لما قالوا لعبد الله بن سلام ولصحابه انكم خسرتم بسبب هذا الدين الذي دخلتم فيه فاخبر الله انهم فازوا بالدرجات العلى وما تفعلوه من خير يجازيهم به ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل فيه كل فاعل للخير وقرى بالتا على انه ابتدا كلام وهو خطاب لجميع المومنين ويدخل فيه مومني اهل الكتاب ايضا ومعنى الاية وما تفعلوا من خير ايها المومنون فلن تكفروه اي فلن تعدموا ثوابه ولن تحرموه وتمنعوه بل يشكره لكم ويجازيكم به **والله عليم بالمتقين** فيه بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل الايمان والتقوى قوله عز وجل **ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيا** قال ابن عباس نزلت في بني قريظة والنضير وذلك لان روسا اليهود مالوا الى تحصيل الاموال في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانما كان مقصودهم بعداوته تحصيل الرياسة والاموال فقال الله عز وجل لن تغني عنهم اموالهم وقيل نزلت في مشركي قريش فان ابا جهل كان كثير الافتخار بالاموال ولذا انفق ابو سفيان مالا كثيرا في يوم بدر واحد على المشركين وقيل ان الاية عامة في حق جميع الكفار لان اللفظ عام ولا دليل يوجب التخصيص فوجب اجرا اللفظ على عمومه ومعنى الاية ان الذين كفروا لن تغني اي تدفع عنهم اموالهم بالفدية لو افتدوا بها من عذاب الله ولا اولادهم بالنصر وانما خص الاموال والاولاد بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه تارة بفدا المال وتارة بالاستعانة بالاولاد فاعلم الله تعالى ان الكافر لا ينفعه شي من ذلك في الاخرة ولا تخلصه من عذاب الله وهو قوله **واوليك اصحاب النار هم فيها خالدون** اي لا يخرجون منها ولا يفارقونها قوله تعالى **مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا** قيل اراد نفقة ابي سفيان واصحابه ببدر واحد في معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اراد نفقة اليهود على علمايهم وروسايهم وقيل اراد نفقات جميع الكفار وصدقاتهم في الدنيا وقيل اراد نفقة المرايي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله وذلك لان انفاقهم المال اما ان يكون لمنافع الدنيا او لمنافع الاخرة فان كان لمنافع الدنيا لم يبق له اثر في الاخرة في حق المسلم فضلا عن الكافر وان كان لمنافع الاخرة كمن يتصدق ويعمل اعمال البر فان كان كافرا فان الكفر محبط لجميع اعمال البر فلا ينتفع بما انفق في الدنيا لاجل الاخرة وكذلك المرايي الذي لا يريد بما ينفق وجه الله فانه لا ينتفع بنفقته في الاخرة ثم ضرب لذلك مثلا فقال تعالى **كمثل ريح فيها صر** فيه وجهان احدهما وهو قول اكثر المفسرين واهل اللغة ان الصر البرد الشديد وبه قال ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد والوجه الثاني ان الصر هو السموم الحارة التي تقتل وهي رواية عن ابن عباس وبه قال ابن الانباري من اهل اللغة وعلى الوجهين فالتشبيه صحيح والمقصود منه حاصل لانه سوا كان فيها برد فهو مهلك او حر فهو مهلك ايضا **اصابت** يعني الريح التي فيها صر **حرث قوم** اي زرع قوم **ظلموا انفسهم** يعني بالكفر والمعاصي ومنع حق الله فيه **فاهلكته** يعني فاهلكت الريح الزرع ومعنى الاية تمثيل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع اصابته ريح باردة فاهلكته او نار فاحرقته فلم ينتفع به اصحابه **فان قلت** الغرض في تشبيه ما انفقوا في بطلان ثوابه وعدم الانتفاع به بالحرث الذي هلك بالريح فكيف شبهه بالريح المهلكة للحرث **قلت** هو من التشبيه المركب وهو ما حصل

فيه المشابهة تبين ما هو المقصود من الجملتين وإن لم يحصل المشابهة بين الجملتين فعلى هذا لا يزال
الإشكال ومن التشبيه ما حصلت المشابهة بين المقصود من الجملتين وبين أجزاء كل واحدة
منهما فإذا جعلنا هذا المثل من هذا القسم ففيه وجهان أحدهما أن يكون التقدير فيه وجهان
أحدهما أن يكون التقدير مثل الكفر في إهلاك ما ينفقون كمثل الريح المهلكة للحرث الوجه الثاني
مثل ما ينفقون كمثل مهلك الريح وهو الحرث والمقصود من ضرب هذا المثل هو تشبيه ما ينفقون
بشيء يذهب بالكلية ولا يبقى منه شيء وقوله تعالى وما ظلمهم الله يعني بأن لم يقبل نفقاتهم
ولكن أنفسهم يظلمون يعني أنهم عصوا الله فاستحقوا عقابه فأبطل نفقاتهم وأهلك
حرثهم وقيل ظلموا حيث لم يأتوا بنفقاتهم مستحقة للقبول قوله عز وجل يا أيها الذين
آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الآية قال ابن عباس كان رجال من المسلمين
يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فأنزل الله
عز وجل هذه الآية ونهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم ويدل على صحة هذا القول
أن الآيات المتقدمة فيها ذكر اليهود فتكون هذه الآية كذلك وقيل كان قوم من المؤمنين
يصادقون المنافقين ويفشون إليهم الأسرار ويطلعونهم على الأحوال الخفية فنهاهم الله
عن ذلك وحجة هذا القول أن الله ذكر في سياق هذه الآية قوله وإذا لقوكم قالوا آمنا
وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ وهذه صفة المنافقين لا صفة اليهود
وقيل المراد بهذه جميع أصناف الكفار ويدل على صحة هذا القول سياق الآية لأن الله تعالى
قال لا تتخذوا بطانة من دونكم فمنع المؤمنين أن يتخذوا بطانة من غير المؤمنين فيكون
ذلك نهيا عن جميع الكفار والبطانة خاصة الرجل المطلع على سره واستعارته
من بطانة الثوب بدلالة قولهم لبست فلانا إذا اختصصته ويقال فلان شعاري
ودثاري وإنما الشعار الذي يلي الجسد وكذا البطانة والحاصل أن الذي يختص بالإنسان
ثم يسمى القريب بطانة لأنه يستبطن أمره ويطلع منه على ما لا يطلع عليه غيره
من دونكم قيل من صلة زائدة والتقدير لا تتخذوا بطانة دونكم وقيل من للتبيين
أي لا تتخذوا بطانة من دون أهل ملتكم والمعنى لا تتخذوا أولياء وأصفياء من غير
أهل ملتكم ثم بين سبحانه وتعالى علة النهي عن مباطنتهم فقال تعالى لا يألونكم
خبالا يعني لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد والخبال
لأن أصل الخبال الفساد والضرر الذي يلحق الإنسان فيورثه نقصان العقل
ودوا ما عنتم أي تودون عنتكم وهو ما يشق عليكم من الضر والشر والهلاك
والعنت المشقة قد بدت البغضاء من أفواههم أي ظهرت العداوة من أفواههم
بالشتيمة والوقيعة بين المسلمين وقيل بإطلاع المشركين على أسرار المؤمنين
وما تخفي صدورهم يعني من العداوة والغيظ أكبر أي أعظم مما يظهرون قد
بينا لكم الآيات يعني الدلالات على وجوب الإخلاص في الدين وموالاة
المؤمنين ومعاداة الكافرين إن كنتم تعقلون يعني ما بين لكم فتعملون به
قوله تعالى ها أنتم ها للتنبيه وأنتم كناية للمخاطبين من الذكور وأولاء اسم للمشار
إليهم في قوله تحبونهم والمعنى أنتم أيها المؤمنون تحبون هؤلاء اليهود الذين نهيتكم
عن مباطنتهم للأسباب التي بينكم وبينهم من القرابة والرضاع والمصاهرة والحلف
ولا يحبونكم يعني اليهود لما بينكم وبينهم من المخالفة في الدين وقيل تحبونهم يعني
تريدون لهم الإسلام وهو خير الأشياء ولا يحبونكم لأنهم يريدون لكم الكفر وهو شر الأشياء

لأن فيه هلاككم الأبد وقيل هم المنافقون تحبونهم لما أظهروا من الإيمان وأنتم لا تعلمون
ما في قلوبهم ولا يحبونكم لأن الكفر ثابت في قلوبهم وقيل تحبونهم بمعنى أنكم تفشون إليهم
أسراركم ولا يحبونكم أي لا يفعلون مثل ذلك معكم وتؤمنون بالكتاب كله يعني بجميع
الكتب وإنما ذكره بلفظ الواحد لأن المراد به الجمع لأنه ذهب به إلى الجنس
كقولهم كثر الدرهم في أيدي الناس والمعنى أنكم تؤمنون بالكتب كلها وهم لا يؤمنون
بشيء من كتابكم وإذا لقوكم قالوا آمنا يعني أن الذين وصفهم في هذه الآية بهذه
الأوصاف إذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا كإيمانكم وصدقنا كتصديقكم وهذه صفة
المنافقين وقيل هم اليهود وإذا خلوا أي خلا بعضكم إلى بعض عضوا عليكم الأنامل
من الغيظ الأنامل جمع أنملة وهي طرف الأصبع والمعنى أنه إذا خلا بعضهم ببعض
أظهروا العداوة وشدة الغيظ على المؤمنين لما يرون من ائتلافهم واجتماع كلمتهم
وصلاح ذات بينهم وعض الأنامل عبارة عن شدة الغيظ وهذا من مجاز الأمثال
وإن لم يكن ثمة عض كما يقال يعض يديه من الغيظ والغضب قل موتوا بغيظكم وهذا
دعاء عليهم أن يزداد غيظهم حتى يهلكوا به وذلك لما يرون من قوة الإسلام وعزة أهله
وما لهم في ذلك من الذل والخزي والمعنى ابقوا إلى الممات بغيظكم إن الله عليم بذات
الصدور يعني بالخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيها
لكونها حالة في القلب مستكنة به كنى عنها بذات الصدور والمعنى أنه تعالى عالم
بكل ما يحصل في قلوبكم من الخواطر فأخبره أنه عليم بما يسرونه من عض الأنامل غيظا
إذا خلوا وأنه عليم بما هو أخفى منه وهو ما يسرونه في قلوبهم قوله عز وجل إن تمسسكم
أي تصبكم أيها المؤمنون وأصل المس باليد ثم سمي كل ما يصل إلى الشيء ماسا له على سبيل
التشبيه كما يقال مسه نصب وتعب أي أصابه حسنة المراد بالحسنة منافع الدنيا
مثل ظهوركم على عدوكم وإصابة غنيمة منهم وتتابع الناس في الدخول في دينكم وخصب
معايشكم تسؤهم أي تحزنهم وتغمهم والمساءة ضد المسرة وإن تصبكم سيئة
أي مساءة من إخفاق سرية لكم أو إصابة عدو منكم أو اختلاف يقع بينكم أو جدب أو نكبة
ومكروه يصيبكم يفرحوا بها أي بما أصابكم من ذلك المكروه وإن تصبروا يعني على
أذاهم وقيل وإن تصبروا على طاعة الله وما ينالكم فيها من شدة وتتقوا أي تخافوا ربكم
وقيل وتتقوا ما نهاكم عنه وتتوكلوا عليه لا يضركم أي لا ينقصكم كيدهم أي عداوتهم
ومكرهم شيئا أي لأنكم في عناية الله وحفظه إن الله بما يعملون قرئ بالياء على الغيبة
والمعنى أنه عالم بما يعملون في عداوتكم وإذاكم فيجازيهم عليه وقرئ بالتاء على خطاب
الحاضر والمعنى أنه عالم بما تعملون أيها المؤمنون من الصبر والتقوى فيجازيكم عليه محيط
أي عالم بجميع ذلك حافظ له لا يعزب عنه شيء منه قوله تعالى وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين
مقاعد للقتال قال جمهور المفسرين أن هذا كان في يوم أحد وهو قول عبد الرحمن
ابن عوف وابن مسعود وابن عباس والزهري وقتادة والسدي والربيع وابن إسحاق وقال
الحسن ومجاهد ومقاتل إنه يوم الأحزاب ونقل عن الحسن أيضا أنه يوم بدر قال
ابن جرير الطبري والأصح لقوله تعالى إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا وقد اتفق العلماء
أن ذلك كان يوم أحد قال مجاهد والكلبي والواقدي غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم
من منزل عائشة فمشى على رجليه إلى أحد فجعل يصف أصحابه للقتال كما يقوم القدح قال
محمد بن إسحاق والسدي عن رجالهما أن المشركين نزلوا بأحد يوم الأربعاء فلما سمع

رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزولهم استشار اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول
ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله بن ابي واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة
ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا
منه فكيف وانت فينا فدعهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم
الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا
خائبين فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الراي وقال بعض اصحابه يا رسول الله
اخرج بنا الى هذه الاكلب لئلا يروا انا قد جبنا عنهم وضعفنا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اني قد رايت في منامي بقرا فاولتها خيرا ورايت في ذباب سيفي ثلما فاولتها
هزيمة ورايت اني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا
بالمدينة وتدعوهم فان اقاموا اقاموا بشر وان دخلوا علينا المدينة قاتلناهم
فيها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه ان يدخلوا عليه المدينة فيقاتلهم
في الازقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم
احد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم للقاء
القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزله ولبس لامته فلما راوه قد
لبس السلاح ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم
والوحي ياتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا يا رسول الله اصنع ما شئت فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد
اقام المشركون باحد يوم الاربعاء والخميس وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الجمعة بعد ما صلى باصحابه الجمعة وكان قد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار
فصلى عليه ثم خرج اليهم فاصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من
شوال سنة ثلاث من الهجرة وقيل كان نزوله في جانب الوادي وجعل ظهره
واصحابه الى احد وامر عبد الله بن جبير على الرماة وقال ادفعوا عنا بالنبل حتى
لا ياتونا من ورائنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اثبتوا في هذا المقام
فاذا عاينوكم ولوا الادبار فلا تطلبوا المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام ولما
خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم راي عبد الله بن سلول شق عليه ذلك وقال
لاصحابه اطاع الولدان وعصاني ثم قال لاصحابه ان محمدا انما يظفر بعدوه بكم وقد
وعد اصحابه ان اعداءهم اذا عاينوهم انهزموا فاذا رايتم اعداءهم فانهزموا انتم
فيتبعونكم فيصير الامر على خلاف ما قاله محمد لاصحابه فلما التقى الجمعان
وكان عسكر المؤمنين الفا وكان المشركون ثلاثة الاف فانخذل عبد الله بن
ابي بن سلول بثلثمائة من اصحابه من المنافقين وبقي مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم نحو سبعمائة من اصحابه فقواهم الله تعالى وثبتهم حتى هزموا المشركين
فلما راى المؤمنون انهزام المشركين طمعوا في ان تكون هذه الواقعة كوقعة
بدر فطلبوا المدبرين وخالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد الله ان
يفطمهم عن هذا الفعل لئلا يقدموا على مثله في مخالفة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وليعلموا ان ظفرهم يوم بدر انما كان ببركة طاعة الله وطاعة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم ان الله نزع الرعب من قلوب المشركين فكروا راجعين على المسلمين
فانهزم المسلمون وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من اصحابه منهم ابو بكر وعلي

والعباس

والعباس وطلحة وسعد وكسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج وجهه
يومئذ وكان من امر غزوة احد ما كان فذلك قوله تعالى واذ غدوت اي واذكر اذ
غدوت من اهلك يعني من منزل عائشة ففيه منقبة عظيمة لعائشة رضي الله عنها
لقوله من اهلك فنص الله تعالى على انها من اهله تبوئ المؤمنين اي تنزل المؤمنين
مقاعد للقتال اي مواضع ومواطن للقتال وقيل تتخذ عسكرا للقتال والله سميع
يعني لاقوالكم عليم يعني بنياتكم وبما في ضمائركم قوله عز وجل اذ همت طائفتان
منكم ان تفشلا اي تجبنا وتضعفا عن القتال والطائفتان بنو سلمة من الخزرج
وبنو حارثة من الاوس وكانا جناحي العسكر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج الى احد في الف رجل وقيل في تسعمائة وخمسين رجلا وكان المشركون ثلاثة
الاف فلما بلغوا الشوط وهو اسم حائط من حيطان المدينة وهو البستان انخذل
عبد الله بن ابي بثلث الناس ورجع في ثلثمائة وقال علام نقتل انفسنا فتبعهم ابو جابر
السلمي وقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله بن ابي لو نعلم قتالا
لاتبعناكم وهمت الطائفتان بالانصراف مع عبد الله بن ابي فعصمهم الله فثبتوا
ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس اضمروا ان يرجعوا فعزم
الله لهم على الرشد فثبتوا فذكرهم الله تعالى عظيم نعمته عليهم فقال اذ همت
طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما اي ناصرهما وحافظهما ومتولي امرهما
بالتوفيق والعصمة **فان قلت** الهم العزم على فعل الشيء والاية تدل
على ان الطائفتين عزمتا على الفشل وترك القتال وذلك معصية فكيف مدحهما
الله تعالى بقوله والله وليهما **قلت** الهم قد يراد به العزم وقد يراد به
حديث النفس واذا كان كذلك فحمل الهم على حديث النفس في هذه الاية اولى لانه
تعالى لا يؤاخذ بحديث النفس ويعضده قول ابن عباس انهم اضمروا ان يرجعوا فلما عزم
الله لهم على الرشد وثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مدحهم الله بقوله
والله وليهما ق عن جابر قال فينا نزلت اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما
قال نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني انها لم تنزل لقول الله والله
وليهما ففيه الاستبشار بما حصل لهم من الشرف العظيم وانزال فيهم اية ناطقة
مفصحة بان الله وليهم وان تلك الهمة التي هموا بها اخرجتهم عن ولاية الله تعالى
وقوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون التوكل تفعل من وكل امره الى غيره
اذا اعتمد عليه في كفايته والقيام به وقيل التوكل هو العجز والاعتماد على الغير وقيل
هو تفويض الامر الى الله تعالى ثقة بحسن تدبيره فامر الله تعالى عباده المؤمنين ان
لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه قوله عز وجل ولقد نصركم الله ببدر
اسم موضع بين مكة والمدينة معروف وقيل هو اسم لبئر هناك وكانت البئر لرجل
يقال له بدر فسميت به ذكر الله المؤمنين منته عليهم بالنصر يوم بدر وانتم اذلة
جمع ذليل وهو جمع قلة واراد به قلة العدد فان المسلمين كانوا ثلثمائة وبضعة عشر
وفي رواية وثلاثة عشر رجلا والمراد ضعف الحال وقلة السلاح والمركوب والمال
وعدم القدرة على مقاومة العدو وذلك انهم خرجوا على نواضح وكان النفر منهم
يتعقبون على البعير الواحد وكان اكثرهم رجالة ولم يكن معهم الا فرس واحد
وكان معهم السلاح والشوكة فنصر الله المؤمنين مع قلتهم على عدوهم مع كثرتهم

فاتقوا الله

يعني في الثبات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم **لعلكم تشكرون** يعني لكي تشكروا ما انعم
الله به عليكم من نصرته قوله تعالى **إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف
من الملائكة منزلين** اختلف المفسرون في أن هذا الوعد بإنزال الملائكة هل
حصل يوم بدر أم يوم أحد على قولين أحدهما أنه كان يوم بدر قال قتادة
كان هذا يوم بدر أمدهم الله بألف من الملائكة كما قال إذ تستغيثون ربكم
فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم
صاروا خمسة آلاف كما ذكر ها هنا **بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا
يمددكم ربكم بخمسة آلاف** فصبروا يوم بدر واتقوا فأمدهم الله بخمسة آلاف كما
وعد قال ابن عباس لم تقاتل الملائكة في المعركة إلا يوم بدر وفيما سوى ذلك
يشهدون القتال ولا يقاتلون إنما يكونون عددا أو مددا وقال الحسن هؤلاء الخمسة
آلاف ردء للمؤمنين إلى يوم القيامة وقال الشعبي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمسلمين يوم بدر أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين فشق ذلك
عليهم فأنزل الله ألن يكفيكم إلى قوله مسومين فبلغ كرزا الهزيمة فرجع ولم
يأتهم ولم يمدهم فلم يمدهم الله أيضا بالخمسة آلاف وكانوا قد أمدوا بألف من
الملائكة وفي صحيح البخاري من حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب واحتج لصحة هذا القول
أيضا بأن الله تعالى قال قبل هذه الآية ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة وظاهر
هذا يقتضي أن الله نصرهم حين قال النبي صلى الله عليه وسلم للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم
ربكم الآية ولأن العدد والعدد كانت يوم بدر قليلة فكان الاحتياج إلى الإمداد
أكثر القول الثاني أن هذا الوعد بإمداد الملائكة كان يوم أحد وهو قول عكرمة
والضحاك ومقاتل قال عمير بن إسحاق لما كان يوم أحد انجلى القوم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبقي سعد بن مالك يرمي وفتى شاب يتنبل له كلما فني النبل
أتاه به فنثره وقال ارم أبا إسحاق ارم أبا إسحاق مرتين فلما انجلت المعركة
سأل عن ذلك الرجل فلم يعرف ق عن سعد بن أبي وقاص قال رأيت عن يمين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين عليهما ثياب بياض يقاتلان
عنه كأشد القتال ما رأيتهما قبل ولا بعد يعني جبريل وميكائيل واحتج لصحة
هذا القول بأن المدد كان يوم بدر بألف من الملائكة كما نص عليه في سورة الأنفال
ولم يكن بثلاثة آلاف وخمسة آلاف كما هنا وأيضا فإن الكفار كانوا يوم بدر ألفا
أو ما يقرب منه وكان المسلمون على الثلث من ذلك فإنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر
فأنزل الله يوم بدر ألفا من الملائكة في مقابلة عدد الكفار فوقع النصر
يومئذ للمسلمين والهزيمة للكفار وكان عدد المسلمين يوم أحد ألفا وعدد
الكفار ثلاثة آلاف فناسب أن يكون المدد يومئذ للمسلمين ثلاثة آلاف
من الملائكة ليكون ذلك مقابلا لعدد الكفار كما في يوم بدر وأجيب عن الاحتجاج
الأول لأهل القول الأول بأنه تعالى لما أمدهم يوم بدر بألف كما ذكر في سورة الأنفال
ثم لما سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإمداد كرز للكفار فشق عليهم
وعدوا بأن يمدوا بثلاثة آلاف وخمسة آلاف لتقوى قلوبهم بذلك وأجيب عن
الثاني وهو أن الكفار كانوا يوم بدر ألفا فأنزل الله ألفا وفي يوم أحد كانوا ثلاثة

آلاف

آلاف فأنزل الله ثلاثة آلاف بأن هذا تفسير حسن ولله أن يزيد ما شاء في أي وقت شاء
ولهذا قال عكرمة في قوله بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر
قال فلم يصبروا ولم يتقوا يوم أحد فلم يمدوا ولو مدوا لم يهزموا يومئذ ولم يصبروا
ولم يتقوا إلا في يوم الأحزاب فأمدهم الله بالملائكة حين حاصروا قريظة عن عائشة
قالت لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ووضع السلاح واغتسل أتاه
جبريل فقال قد وضعت السلاح والله ما وضعناه اخرج إليهم قال فإلى أين قال
ها هنا وأشار إلى بني قريظة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم إليهم عن أنس قال كأني
أنظر إلى الغبار ساطعا في زقاق بني غنم موكب جبريل حين سار رسول الله صلى
الله عليه وسلم إلى بني قريظة وقال عبد الله بن أبي أوفى كنا نحاصر قريظة
والنضير ما شاء الله فلم يفتح علينا فرجعنا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بغسل فهو يغسل رأسه إذ جاءه جبريل عليه السلام فقال وضعتم أسلحتكم ولم
تضع الملائكة أوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف بها رأسه
ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا حتى أتينا قريظة والنضير فيومئذ أمدنا
الله بثلاثة آلاف من الملائكة ففتح لنا فتحا يسيرا وقال ابن جرير الطبري
وأولى الأقوال بالصواب أن الله تعالى أخبر عن نبيه صلى الله عليه وسلم أنه قال
للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة فوعدهم بثلاثة آلاف
مددا لهم ثم وعدهم بخمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم واتقوا الله ولا دلالة في الآية
على أنهم أمدوا بهم ولا على أنهم لم يمدوا بهم فقد يجوز أن الله أمدهم ويجوز أن
لا يكون أمدهم ولا يثبت ذلك إلا بنص تقوم به الحجة في ذلك وقد ثبت بنص القرآن
أنهم أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة كما في سورة الأنفال وأما يوم أحد
فالدلالة على أنهم لم يمدوا أبين منها بأنهم أمدوا وذلك أنهم لو أمدوا لم يهزموا ولم
ينل منهم ما نيل منهم **فإن قلت** فما تصنع بحديث سعد بن أبي وقاص
المتقدم في يوم أحد وأنه رأى ملكين عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وشماله **قلت**
إنما كان ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة لأنه صبر ولم ينهزم كما انهزم أصحابه
يوم أحد وأما التفسير فقوله تعالى إذ تقول للمؤمنين تعلق قول من قال إنه
كان يوم بدر فإن نظم الآية ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة إذ تقول للمؤمنين
ومن قال هو يوم أحد يقول نظم الآية أن الله ذكر قصة أحد ثم اعترض بقوله
ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فلذلك هو قادر على أن ينصركم في سائر المواطن
ثم رجع إلى القصة أحد فقال تعالى إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم ومعنى الكفاية هو
سد الخلة والقيام بالأمر ومعنى بلوغ المراد أن يمدكم ربكم الإمداد إعانة الجيش
بالجيش فما كان على جهة القوة والإعانة يقال فيه أمده إمدادا وما كان على جهة الزيادة
يقال فيه مده مدا وقيل المد في الشر والإمداد في الخير بثلاثة آلاف
من الملائكة منزلين إنما وعدهم بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويثقوا بنصر الله
ويعزموا على الثبات تصديقا لوعد الله أي بلى يمدكم وقيل بلى جواب لما بعد
يعني يكفيكم الإمداد فأوجب الكفاية إن تصبروا أي على لقاء عدوكم وتتقوا يعني
معصية الله ومخالفة نبيه صلى الله عليه وسلم ويأتوكم يعني المشركين من فورهم هذا
قال ابن عباس ابتداء الأمر يوجد فيه ثم يوصل بآخره ثم قال يعني من فورهم من وجههم

اراد ابتدا الحرب يوم بدر ومن قال معناه من غضبهم اراد ابتدا غضبهم لقتلاهم يوم
بدر لانهم رجعوا للحرب يوم احد من غضبهم ليوم بدر يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة
لم يمدوا بخمسة آلاف سوى الثلاثة المتقدمة منزلين اراد معهم ومن قال ان هذا الامداد
كان يوم بدر قال ان الله تعالى امدهم بالف فلما سمعوا ان كرز بن جابر المحاربي
يريد ان يمد المشركين فشق ذلك على المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين
ان يكفيكم ان يمدكم ربكم الاية على تقدير ان يجي للمشركين المدد فلما لم يمدوا امد
الله المؤمنين بغير الف **وروى** ابن الجوزي في تفسيره عن جبير بن مطعم عن علي
ابن ابي طالب قال بينا انا امتح من قليب بدر جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها ثم جاءت
ريح شديدة لم ار اشد منها الا التي قبلها ثم جاءت ريح شديدة لم ار اشد منها الا التي
كانت قبلها وكانت الريح الاولى جبريل نزل في الف **من الملائكة** وكان بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الريح الثانية ميكائيل نزل في الف من الملائكة
وكانوا عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم والريح الثالثة اسرافيل نزل في الف
من الملائكة عن يسار رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت عن يساره وهزم الله اعداءه
ومن الناس من ضم العدد القليل الى الكثير فقال لان الله تعالى ذكر الالف في سورة
الانفال وذكر هنا ثلاثة آلاف وخمسة آلاف فيكون المجموع تسعة آلاف وانما
حملناه على غزوة احد فيكون المجموع ثلاثة آلاف وان حملناه على غزوة احد
فيكون المجموع ثلاثة آلاف لانه ليس فيها ذكر الالف المفرد **مسومين** قرئ
بفتح الواو وكسرها فمن فتح الواو اراد ان الله سومهم ومعناه معلمين قد سوموا
فهم مسومون والمسومة التي لها العلامة ومنه العلامة يجعلها الفارس يوم
اللقاء ليعرف بها قال عنترة •

• انني انا ذاكم • شاك سلاحي في الحوادث معلم •

ومن كسر الواو نسب الفعل الى الملائكة والمعنى انهم اعلموا انفسهم بعلامات مخصوصة
او اعلموا خيلهم واختلفوا في تلك العلامة فقال عروة بن الزبير كانت الملائكة
على خيل بلق وعليهم عمائم صفر وقال علي بن ابي طالب وابن عباس كان عليهم عمائم
بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال هشام بن عروة والكلبي كانت عمائم
صفر مرخاة على اكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن
يعني الصوف المصبوغ في نواصي خيلهم واذنابها **وروى** ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت بالصوف الابيض في قلانسهم
ومغافرهم ذكره البغوي بغير سند وقيل كانت عمامة الزبير يوم بدر صفرا فنزلت
الملائكة كذلك وقيل كانوا قد سوموا انفسهم بسيما القتال قوله تعالى **وما جعله
الله** يعني هذا الوعد والمدد **الا بشرى لكم** يعني بشارة بانكم تنصرون
تستبشرون به **ولتطمئن** اي ولتسكن **قلوبكم به** اي فلا تجزع من كثرة عدوكم
وقلة عددكم **وما النصر الا من عند الله** يعني لا تحيلوا النصر على الملائكة والجند
وكثرة العدد فان النصر من الله لا من عند غيره والغرض ان يكون توكلهم على الله لا على
الملائكة الذين امدوا بهم وفيه تنبيه على الاعراض عن الاسباب والاقبال على مسبب
الاسباب **العزيز الحكيم** يعني فاستعينوا به وتوكلوا عليه لان العز له وهو كامل
القدرة والحكم وهو كامل العلم فلا يخفى عليه مصالح عباده **ليقطع طرفا**

من الذين كفروا هذا متعلق بقوله لقد نصركم الله ببدر والمعنى ان المقصود من نصركم
ببدر ليقطع طرفا اي ليهلك طائفة من الذين كفروا وقيل معناه ليهدم ركنا من
اركان الشرك بالقتل والاسر فقتل يوم بدر من قادتهم وساداتهم سبعون واسر
سبعون ومن حمل الاية على غزوة احد قال قد قتل منهم ستة عشر وكان النصر فيه للمسلمين
حتى خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم **او يكبتهم** اصل الكبت في اللغة صرع
الشيء على وجهه والمعنى انه يصرعهم على وجوههم والمراد منه القتل والهزيمة
او الاهلاك واللعن والخزي **فينقلبوا خائبين** اي بالخيبة لم ينالوا شيئا مما كانوا
املوه من الظفر قوله عز وجل **ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم**
اختلفوا في سبب نزول هذه الاية فقيل انها نزلت في اهل بئر معونة وهم سبعون رجلا
من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر معونة وهي بين مكة وعسفان
وارض هذيل وذلك في صفر سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد بعثهم
ليعلموا الناس القران والعلم وامر عليهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل
فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا في الصلوات
كلها يدعو على جماعة من تلك القبائل باللعن **خ** عن ابن عمر انه سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع في الركعة الاخيرة من الفجر اللهم العن فلانا وفلانا
وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فانزل الله عليه ليس لك من الامر
شيء الى قوله فانهم ظالمون **ق** عن ابي هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
راسه من الركعة الثانية قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي
ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم
سنين كسني يوسف زاد في رواية اللهم العن فلانا وفلانا الاحياء من العرب حتى
انزل الله ليس لك من الامر شيء الاية سماهم في رواية يونس اللهم العن رعلا وذكوان
وعصية عصت الله ورسوله قال ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله ليس لك من
الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وقيل انها نزلت يوم احد اختلفوا
في سببها فقيل ان عتبة بن ابي وقاص شج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسر
رباعيته **ق** عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسر رباعيته وشج في
وجهه شجة فجعل يسلت الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا
رباعيته وهو يدعوهم الى الله فانزل الله ليس لك من الامر شيء وقيل اراد النبي صلى
الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بالاستئصال فنزلت هذه الاية وذلك لعلمه ان اكثرهم
سيسلمون وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وقف على عمه حمزة وراى ما صنعوا به
من المثلة فاراد ان يدعو عليهم فنزلت هذه الاية قال العلماء وهذه الاشياء كلها محتملة
فلا يبعد حمل الاية في النزول على كلها ومعنى الاية ليس لك من امر مصالح عبادي شيء
الا ما اوحي اليك وان الله تعالى هو مالك امرهم فاما ان يتوب عليهم ويهديهم فيسلموا
او يهلكهم ويعذبهم ان اصروا على الكفر وقيل ليس لك مسالة هلاكهم والدعا عليهم
لانه تعالى اعلم بمصالحهم فربما تاب على من يشاء منهم وقيل معناه ليس لك من امر خلقي
شيء الا ما وافق امري انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان قوله او يتوب
عليهم معطوف على قوله ليقطع طرفا وقوله ليس لك من الامر شيء كلام معترض بين
المعطوف والمعطوف عليه والتقدير ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم او يتوب عليهم او

نعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شيء بل الامر امري في ذلك كله قال بعض العلماء
والحكمة في قوله صلى الله عليه وسلم من الدعاء عليهم ولعنهم ان الله تعالى علم من حال بعض الكفار
انه سيسلم فيتوب عليهم او سيولد لهم ولد يكون مسلما برا تقيا فلاجل هذا المعنى
منعه الله تعالى من الدعاء عليهم لان دعوته صلى الله عليه وسلم مجابة فلو دعا عليهم
بالهلاك اهلكوا جميعا لكن اقتضت حكمة الله وما سبق في علمه ابقاءهم ليتوب على
بعضهم وسيخرج من بعضهم ذرية مؤمنة صالحة ويهلك بعضهم بالقتل والموت
وهو قوله او يعذبهم فيحتمل ان يكون المراد تعذيبهم في الدنيا وهو القتل والاسر
او في الاخرة وهو عذاب النار **فانهم ظالمون** هو كالتعليل لتعذيبهم والمعنى انما
نعذبهم لانهم ظالمون ثم قال تعالى **ولله ما في السموات وما في الارض** وهذا تأكيد
لما قبله من قوله ليس لك من الامر شيء والمعنى انما يكون كل ذلك لمن له ما في السموات وما
في الارض وليس ذلك الا لله تعالى وليس لاحد معه امر **يغفر لمن يشاء** بفضله ورحمته
ويعذب من يشاء بعدله يحكم فيهم ما يشاء لا منازع له في حكمه ولا معارض له في فعله **والله
غفور رحيم** يعني انه تعالى يستر ذنوب عباده ويغفرها لهم ويرحمهم بترك العقوبة
عنهم عاجلا وانما يفعل ذلك على سبيل التفضل والاحسان الى عباده لا على سبيل
الوجوب عليه لانه تعالى لو ادخل جميع خلقه الجنة كان ذلك برحمته ولو ادخل جميع خلقه
النار كان ذلك بعدله لكن جانب المغفرة والرحمة غالب قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا
لا تأكلوا الربا اضعافا مضاعفة** اراد به ما كانوا يفعلونه في الجاهلية عند
حلول الدين من زيادة المال وتأخير الاجل كان الرجل في الجاهلية اذا كان له
على انسان دين فاذا جاء الاجل ولم يكن للمديون ما يؤدي قال له صاحب الدين زدني
في المال حتى ازيدك في الاجل فربما فعلوا ذلك مرارا فيصير الدين اضعافا مضاعفة
فنهى الله عز وجل عن ذلك وحرم اصل الربا ومضاعفته **واتقوا الله** يعني في امر
الربا فلا تأكلوه **لعلكم تفلحون** اي لكي تسعدوا وتبقوا به في الاخرة وقيل ان
الفلاح يتوقف على التقوى فلو اكل ولم يتق لم يحصل الفلاح وفيه دليل على ان
الربا من الكبائر لهذا عقبه بقوله **واتقوا النار التي اعدت للكافرين**
واتقوا ايها المؤمنون ان تستحلوا شيئا مما حرم الله فان من استحل شيئا مما حرم الله فهو كافر
بالاجماع ويستحق النار بذلك قال ابن عباس هذا تهديد للمؤمنين اي يستحلوا
ما حرم الله عليهم من الربا وغيره مما اوجب الله فيه النار وقال بعضهم هذه
الاية اخوف اية في القران حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم
يتقوه ويجتنبوا محارمه وقال الواحدي في هذه الاية تقوية لرجاء المؤمنين
رحمة من الله تعالى لانه قال اعدت للكافرين فجعلها معدة للكفار دون المؤمنين
واطيعوا الله يعني فيما امركم به ونهاكم عنه من اكل الربا وغيره **والرسول**
اي واطيعوا الرسول ايضا فان طاعته طاعة الله وقال محمد بن اسحاق في هذه
الاية معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد **لعلكم ترحمون**
اي لكي ترحموا ولا تعذبوا اذا اطعتم الله ورسوله فان طاعته مع معصية رسوله
ليست بطاعة قوله عز وجل **وسارعوا الى مغفرة من ربكم** يعني وبادروا وسابقوا
الى ما يوجب المغفرة من ربكم وهي الاعمال الصالحة المأمور بفعلها قال ابن عباس
الى الاسلام ووجهه ان الله تعالى ذكر المغفرة على سبيل التنكير والمراد منه المغفرة

العظيمة وذلك لا يحصل الا بسبب الاسلام لانه يجب ما قبله وعن ابن عباس ايضا
الى التوبة لان التوبة من الذنوب توجب المغفرة وقال علي بن ابي طالب الى اداء الفرائض
لان اللفظ مطلق فيعم الكل وكذا وجه من قال الى جميع الطاعات **وروي** عن انس
ابن مالك وسعيد بن جبير الى التكبيرة الاولى يعني تكبيرة الاحرام وقيل الى الاخلاص
في الاعمال لان المقصود من جميع العبادات هو الاخلاص وقيل الى الهجرة وقيل الى
الجهاد **وجنة** اي وسارعوا الى جنة وانما فصل بين المغفرة والجنة لان المغفرة
هي ازالة العقاب والجنة هي حصول الثواب وفيها اشعار بانه لا بد من المسارعة الى
التوبة الموجبة للمغفرة وذلك بترك المنهيات والمسارعة الى الاعمال الصالحة المؤدية
الى الجنة **عرضها السموات والارض** يعني كعرض السموات والارض
لان نفس السموات والارض ليس عرضا للجنة والمراد سعتها وانما خص العرض للمبالغة
لان الطول في العادة يكون اكثر من العرض تقول هذه صفة عرضها فكيف طولها
والمراد وصف الجنة بالسعة والبسطة فشبهت باوسع شيء علمه الناس وذلك انه لو جعلت
السموات والارض طبقا طبقا ثم وصل بعضها ببعض حتى يكون طبقا واحدا كان ذلك
مثل عرض الجنة فاما طولها فلا يعلمه الا الله تعالى وقيل المراد بالعرض السعة كما تقول
العرب بلاد عريضة اي واسعة عظيمة قال الشاعر

كأن بلاد الله وهي عريضة • على الخائف [illegible] حابل •

والاصل فيه ان ما اتسع عرضه دق فجعل العرض كناية عن السعة **وروي** ان هرقل
ارسل الى النبي صلى الله عليه وسلم انك كتبت تدعوني الى جنة عرضها السموات والارض
فاين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار
قيل معناه والله اعلم انه اذا دار الفلك حصل في جانب والليل في ضد ذلك
الجانب فكذلك الجنة في جهة العلو والنار في جهة السفل **وروي** طارق بن شهاب
ان ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب وعنده اصحابه فقالوا أرأيتم قولكم وجنة
عرضها السموات والارض فاين النار فقال لهم عمر أرأيتم اذا جاء الليل فاين يكون النهار
واذا جاء النهار فاين يكون الليل فقالوا انه لمثلها في التوراة ومعناه حيث يشاء الله
تعالى **فان قلت** قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون واراد بالذي وعد
به الجنة وعد هنا انها في السموات واذا كانت الجنة في السماء فكيف يكون
عرضها السموات والارض **قلت** المراد من قولنا انها في السموات انها فوق
السموات وتحت العرش كما سئل انس بن مالك عن الجنة افي السماء هي ام في الارض
فقال اي ارض وسماء تسع الجنة قيل له فاين هي قال فوق السموات تحت العرش وقد
وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم الفردوس فقال وسقفها عرش الرحمن وقال قتادة
كانوا يرون ان الجنة فوق السموات السبع وان جهنم تحت الارضين السبع وقيل ان باب
الجنة في السماء وعرضها كعرض السموات والارض **اعدت للمتقين** اي هيئت للمتقين
وفيه دليل على ان الجنة والنار مخلوقتان الان قوله تعالى **الذين ينفقون في السراء
والضراء** يعني في اليسر والعسر لا يتركون الانفاق في كلتي الحالتين في الغنى والفقر
والرخاء والشدة ولا في حال فرح وسرور ولا في حال محنة وبلاء وسواء كان لواحد منهم
في عرس او في حبس فانهم لا يدعون الاحسان الى الناس فاول ما ذكر الله من اخلاقهم الموجبة
للجنة السخاء لانه اشق على النفس وكانت الحاجة الى اخراج المال في ذلك الوقت اعظم الاحوال

للحاجة اليه في مجاهدة الاعداء ومواساة الفقراء من المسلمين عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار ولجاهل سخي احب الى الله من عابد بخيل اخرجه الترمذي ق عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فاما المنفق فلا ينفق الا سبغت او وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو اثره واما البخيل فلا يريد ان ينفق شيئا الا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع الجنة الدرع من الحديد ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك ق عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة اي فل هلم فقال ابو بكر يا رسول الله ذلك الذي لا توى عليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لارجو ان تكون منهم قوله اي فل هي ترخيم يا فلان وليس بترخيم والتوى الهلاك يعني ذاك الذي لا هلاك عليه قوله تعالى **والكاظمين الغيظ** يعني والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه والكظم حبس الشيء عند امتلائه وكظم الغيظ هو ان يمتلئ غيظا فيرد في جوفه ولا يظهره بقول ولا فعل ويصبر عليه ويسكت عنه ومعنى الاية انهم يكفون غيظهم عن الامضاء ويردون غيظهم في اجوافهم وهذا الوصف من اقسام الصبر والحلم عن سهل بن معاذ بن انس الجهني عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره من اي الحور شاء اخرجه الترمذي وابو داود ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب **وروى** عن عائشة ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء **والعافين عن الناس** يعني اذا جنى عليهم احد لم يؤاخذوه فتكون الاية على العموم وقيل اراد بالناس المماليك لسوء ادب يقع منهم فتكون على الخصوص وقيل العافون عمن ظلمهم واساء اليهم وهو قريب من القول الاول **والله يحب المحسنين** يحتمل ان تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويحتمل ان تكون للعهد فتكون اشارة الى المذكورين في الاية والاحسان الى الغير اما ان يكون بايصال النفع اليه او بدفع الضرر عنه وقيل الاحسان ان تحسن الى من اساء اليك فان الاحسان الى المحسن متاجرة وقيل المحسن هو الذي يعم باحسانه كل احد كالشمس والمطر والريح وقيل الاحسان وقت الامكان فليس عليك في كل وقت احسان وقيل الاحسان هذه الخصال المذكورة في هذه الاية فمن فعلها فهو محسن ولما كانت هذه الخصال احسانا الى الغير ذكر الله ثوابها بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله تعالى للعبد اعظم درجات الثواب قوله عز وجل **والذين اذا فعلوا فاحشة** قال ابن مسعود قال المؤمنون للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله كانت بنو اسرائيل اكرم على الله تعالى منا كان احدهم اذا اذنب ذنبا اصبحت كفارة ذنبه مكتوبة على عتبة بابه اجدع انفك اذنك افعل كذا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية **وروى** عطاء عن ابن عباس

انها نزلت في نبهان التمار اتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفي البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فنزلت هذه الاية وفي رواية ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخى بين رجلين احدهما انصاري والاخر ثقفي فخرج الثقفي في غزوة واستخلف اخاه الانصاري على اهله فاشترى لهم ذات يوم لحما فلما ارادت المرأة ان تأخذه منه دخل على اثرها وقبل يدها ثم ندم وانصرف ووضع التراب على رأسه وهام على وجهه فلما رجع الثقفي لم يستقبله الانصاري فسأل امرأته عن حاله فقالت لا اكثر الله في الاخوان مثله وذكرت له الحال والانصاري يسيح في الجبال تائبا مستغفرا فطلبه الثقفي حتى وجده فاتى به الى ابي بكر رجاء ان يجد عنده راحة وفرجا فقال الانصاري هلكت وذكر القصة فقال ابو بكر ويحك اما علمت ان الله يغار للغازي ما لا يغار للمقيم ثم لقيا عمر فقال لهما مثل ذلك فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهما مثل مقالتهما فانزل الله عز وجل والذين اذا فعلوا فاحشة يعني فعلة فاحشة خارجة عما اذن الله فيه والفاحشة ما عظم قبحه من الاقوال والافعال واصل الفحش القبح والخروج عن الحد قال جابر الفاحشة الزنا وقوله **او ظلموا انفسهم** وظلم النفس هو ما دون الزنا مثل القبلة والمعانقة واللمس والنظر وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس هي الصغيرة وقيل الفاحشة ما يكون فعله كاملا في القبح وظلم النفس هو اي ذنب كان **ذكروا الله** يعني ذكروا وعيد الله وعقابه وان الله سائلهم عن ذلك يوم العرض الاكبر وقيل ذكروا جلال الله الموجب للحياء منه وقيل ذكروا الله باللسان عند الذنوب وهو قوله **فاستغفروا لذنوبهم** يعني لاجل ذنوبهم فتابوا منها واقلعوا عنها نادمين على فعلها عازمين ان لا يعودوا اليها وهذه شروط صحة التوبة المقبولة **ومن يغفر الذنوب الا الله** وصف نفسه بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا الى فضله وكرمه واحسانه وعفوه ورحمته وفيه تنبيه على ان العبد لا يطلب المغفرة الا منه لانه القادر على عقاب المذنب وكذلك هو القادر على ازالة ذلك العقاب عنه فثبت انه لا يجوز طلب المغفرة الا منه **ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون** يعني ولم يقيموا على الذنوب ولم يثبتوا عليها ولكن تابوا منها وانابوا واستغفروا وقيل الاصرار هو ترك الاستغفار عن ابي بكر الصديق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة اخرجه ابو داود وقال حديث غريب وعنده عوض ولو عاد ولو فعل **وهم يعلمون** قال ابن عباس وهم يعلمون انها معصية وقيل وهم يعلمون ان الاصرار ضار وقيل معناه وهم يعلمون ان الله يملك مغفرة الذنب وان لهم ربا يغفرها وقيل وهم يعلمون ان الله لا يتعاظمه العفو عن الذنوب وان كثرت وقيل معناه وهم يعلمون انهم ان استغفروه غفر لهم قال ثابت البناني بلغني ان ابليس بكى حين نزلت هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة الى اخرها

فصل

في فضل الاستغفار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال اني كنت اذا سمعت حديثا من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعني الله منه بما شاء ان ينفعني واذا حدثني احد من اصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته

وانه حدثني ابو بكر وصدق ابو بكر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد
مؤمن او قال ما من رجل يذنب ذنبا فيقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله الا غفر
الله له ثم يقرا هذه الاية والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الى اخر
الاية اخرجه ابو داود والترمذي وقال الترمذي حديث قد رواه غير واحد عن عثمان
ابن المغيرة فرفعوه ورواه مسعر وسفيان عن عثمان بن المغيرة فوقفاه ولم
يرفعاه ولا يعرف لاسماء هذا الحديث عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه
من حيث لا يحتسب اخرجه ابو داود ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون
فيستغفرون فيغفر لهم ق عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه تبارك
وتعالى قال اذنب عبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى اذنب
عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنوب ويأخذ بالذنب ثم عاد فاذنب فقال
اي رب اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له
ربا يغفر الذنب ويأخذ بالذنب وفي رواية اعمل ما شئت فقد غفرت لك
قال عبد الاعلى لا ادري اقال في الثالثة او في الرابعة اعمل ما شئت عن انس قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى يا ابن ادم انك
ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا ابالي يا ابن ادم لو بلغت
ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا ابالي يا ابن ادم لو اتيتني
بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة
اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله عنان السماء بفتح العين قيل هو السحاب
وقيل هو ما عن لك منها اي ما ظهر لك منها وقراب الارض بضم القاف وروي بكسرها
والضم اشهر وهو ما يقارب ملأها عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم
واتوب اليه غفرت ذنوبه وان كان قد فر من الزحف اخرجه ابو داود والترمذي
والحاكم وقال حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم عن ابي الدرداء قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ذنب عسى الله ان يغفره او قال عسى ان
يغفره الله الا من مات مشركا او مؤمن قتل مؤمنا متعمدا اخرجه ابو داود
قوله تعالى اولئك اشارة الى من تقدم ذكره في قوله والذين اذا فعلوا
فاحشة الاية جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار معنى الاية
ان المطلوب بالتوبة امران احدهما الامن من العقاب واليه الاشارة بقوله مغفرة
من ربهم والثاني ايصال الثواب واليه الاشارة بقوله وجنات تجري من تحتها
الانهار ابدا ذلك لهم درجة لا يبخس واجر لا يوكس خالدين فيها اي في الجنات ونعم
اجر العاملين اي ونعم ثواب المطيعين لله الجنة قوله عز وجل قد خلت من قبلكم
سنن يعني قد انقضت من قبلكم سنة الله الماضية بالهلاك والاستئصال لانهم خالفوا
الانبياء والرسل للحرص على الدنيا وطلب لذاتها والبقاء فيها فانقرضوا ولم يبق منهم
احد وقيل السنن الطريقة المستقيمة والمثال المتبع لكل امة سنة ومنهاج
اذا اتبعوه رضي الله عنهم بذلك وقيل سنن اي شرائع وقيل سنن اي امم والسنة

الامة

الامة ومعنى الاية قد مضت وسلفت مني سنن فيمن كان قبلكم من الامم الماضية
الكافرة بامهالي واستدراجي اياهم حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم الذي اجلته لاهلاكهم
فسيروا في الارض امر ندب لا على سبيل الوجوب بل المقصود تعرفوا احوال الماضين
بقوله فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين رغب امة محمد صلى الله عليه وسلم
في تامل احوال الامم الماضية ليصير ذلك داعيا لهم الى الايمان بالله ورسوله والاعراض
عن الدنيا ولذاتها وفيه ايضا زجر للكفار عن كفرهم لانه اذا تامل احوال الكفار
واهلاكهم صار ذلك داعيا له الى الايمان لان النظر الى اثار المتقدمين له اثر في النفس
كما قيل ان اثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الاثار
وفي هذه الاية تسلية لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جرى لهم في غزوة
احد يقول فانما امهلت الكفار حتى يبلغ الكتاب اجله فيهم الذي اجلت لهم في
اهلاكهم ونصر محمد صلى الله عليه وسلم واوليائه واهلاك اعدائه قوله تعالى
هذا يعني القران وقيل هو اشارة الى ما تقدم من امره ونهيه ووعده ووعيده
بيان للناس يعني عامة وهدى يعني من الضلالة وموعظة للمتقين
يعني خاصة وقيل في الفرق بين البيان والهدى والموعظة لان العطف يقتضي
المغايرة فالبيان هو الدلالة التي تفيد ازالة الشبهة بعد ان كانت حاصلة
والهدى هو طريق الرشد المامور بسلوكه دون طريق الغي والموعظة هي الكلام
الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين فالحاصل ان البيان جنس تحته
نوعان احدهما الكلام الهادي الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى والثاني
الكلام الزاجر عما لا ينبغي في الدين وهو الموعظة وانما خص المتقين بالهدى
والموعظة لانهم هم المنتفعون بهما دون غيرهم قوله عز وجل ولا تهنوا ولا
تحزنوا نزلت في يوم احد حين امر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه بطلب القوم
مع ما اصابهم من الجراح فاشتد ذلك على المسلمين فانزل الله تعالى هذه الاية
وحث فيها اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على الجهاد وعلى ما اصابهم من الجراح
والقتل وكان قد قتل يوم احد من الانصار سبعون رجلا ومن المهاجرين خمسة
رجال منهم حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومصعب بن
عمير ومعنى الاية ولا تهنوا اي ولا تضعفوا عن الجهاد ولا تحزنوا يعني على
من قتل منكم لانهم في الجنة وانتم الاعلون يعني بالنصر والغلبة عليهم وان
العاقبة لكم وقال ابن عباس انهزم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب
فاقبل خالد بن الوليد في خيل المشركين يريد ان يعلوا عليهم الجبل فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلون علينا اللهم لا قوة لنا الا بك وثاب
نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى انهزموا
وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله تعالى وانتم الاعلون وقيل وانتم الاعلون
لان حالكم خير من حالهم لان قتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار وانتم تقاتلون
على الحق وهم يقاتلون على الباطل وقيل وانتم الاعلون في العاقبة لانكم تظفرون
بهم وتستولون عليهم ان كنتم مؤمنين اي اذ كنتم مؤمنين وقيل مؤمنين معناه
ان كنتم تصدقون بان ناصركم هو الله تعالى فصدقوا بذلك فانه حق وصدق قوله
تعالى ان يمسسكم قرح قرئ بضم القاف وفتحها وهما لغتان ومعناهما واحد

وقيل انه بالفتح مصدر وقيل بالضم اسم وقيل انه بالفتح اسم للجراحة وبالضم الم الجراحة
والآية خطاب للمسلمين حين انصرفوا من احد مع الحزن والكآبة يقول ان يمسسكم
ايها المسلمون قرح يوم احد **فقد مس القوم** يعني الكفار **قرح مثله** يعني يوم
بدر وقيل ان الكفار قد نالهم يوم احد مثل ما نالكم من الجراح والقتل فقد
قتل منهم نيف وعشرون رجلا وكثرت الجراحات فيهم **وتلك الايام نداولها**
بين الناس المداولة نقل الشيء من واحد الى آخر يقال تداولته الايدي اذا
انتقل من واحد الى آخر ويقال الدنيا دول اي تنتقل من قوم الى آخرين ثم منهم
الى غيرهم والمعنى ان ايام الدنيا هي دول بين الناس يوم لهؤلاء ويوم
لهؤلاء فكانت الدولة للمسلمين على المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين
رجلا واسروا سبعين وأديل المشركين من المسلمين يوم احد حتى جرحوا
سبعين وقتلوا خمسا وسبعين **خ** عن البراء بن عازب قال جعل النبي صلى الله
عليه وسلم على الرجالة يوم احد وكانوا خمسين رجلا وهم الرماة عبد الله
بن جبير فقال ان رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا من مكانكم حتى ارسل
اليكم وان رأيتمونا هزمنا القوم واوطأناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم
فهزمهم قال فانا والله رأيت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن واسوقهن
رافعات ثيابهن فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة اي قوم الغنيمة ظهر
اصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما
اتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين فذلك قوله والرسول يدعوكم في
اخراكم فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم غير اثني عشر رجلا فاصابوا منا سبعين
رجلا وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اصاب من المشركين يوم بدر اربعين
ومائة سبعين اسيرا وسبعين قتيلا فقال ابو سفيان أفي القوم محمد ثلاث
مرات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يجيبوه ثم قال أفي القوم ابن ابي
قحافة ثلاث مرات ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى
اصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال كذبت والله
يا عدو الله ان الذين عددت لاحياء كلهم وقد بقي لك ما يسوءك قال
يوم بيوم بدر والحرب سجال انكم ستجدون في القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤني
ثم اخذ يرتجز اعل هبل اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
الا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله اعلى واجل قال ابو
سفيان ان لنا العزى ولا عزى لكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا تجيبوه قالوا
يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال البغوي وقد
روي هذا المعنى عن ابن عباس وفي حديثه قال ابو سفيان يوم بيوم وان الايام
دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار
قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار لقوله وان جندنا لهم
الغالبون فكانت يوم احد للكفار على المسلمين لمخالفتهم امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم **وليعلم الله الذين آمنوا** يعني انما جعل الدولة
للكفار على المسلمين ليميز المؤمن المخلص ممن يرتد عن الدين اذا اصابته نكبة او شدة

وقيل

وقيل معناه وليعلم الله الذين آمنوا بما يظهر من صبرهم على جهاد عدوهم اي ليميزهم
بأعيانهم الا انه سبب العلم وهو ظهور الصبر حذف منا وقيل معناه ليعلم الله ذلك
واقعا منهم لان الله تعالى يعلم الشيء قبل وجوده ولا يحتاج الى سبب حتى يعلم والمعنى
ليقع ما علمه غيبا وشهادة للناس والمجازاة انما تقع على الواقع دون المعلوم
الذي لا يوجد وقيل معناه ليعلم اولياء الله فاضاف علمهم الى نفسه تفخيما وقيل
معناه ليحكم الله بالامتياز بين المؤمنين والمنافقين فوضع العلم موضع الحكم لان
الحكم لا يحصل الا بعد العلم **ويتخذ منكم شهداء** اي وليكرم قوما منكم
بالشهادة ممن اراد ان يكرمهم بها وذلك لان قوما من المسلمين فاتهم يوم بدر
فكانوا يتمنون لقاء العدو وان يكون لهم يوم كيوم بدر يقاتلون فيه العدو و
يلتمسون فيه الشهادة والشهداء جمع شهيد وهو من قتل من المسلمين بسيف
الكفار في المعركة واختلفوا في معنى الشهيد فقيل الشهيد الحي لقوله تعالى
بل احياء عند ربهم فارواحهم حية حضرت دار السلام وشهدتها وارواح غيرهم
لا تشهدها وقيل سمي شهيدا لان الله شهد له بالجنة وقيل سموا شهداء لانهم
يشهدون يوم القيامة مع الانبياء والصديقين على الامم لان الشهادة تكون
للافضل فالافضل من الامة ولان منصب الشهادة منصب عظيم ودرجة
عالية **والله لا يحب الظالمين** يعني المشركين وقيل هم الذين ظلموا انفسهم
بالمعاصي وقيل هم المنافقون الذين يظهرون الايمان بألسنتهم ويسرون الكفر
والمعنى والله لا يحب من كان لا يكون ثابتا على الايمان صابرا على الجهاد
وليمحص الله الذين آمنوا اي وليطهرهم من ذنوبهم ويزيلها عنهم واصل
المحص في اللغة التنقية والازالة **ويمحق الكافرين** اي يفنيهم ويهلكهم
ومعنى الآية ان قتلكم الكافرون فهو شهادة وتطهير لكم وان قتلتموهم افنيتم
ومحقتم واستأصلتموهم قوله عز وجل **ام حسبتم** اي بل حسبتم وظننتم والميم
صلة لانكار والمعنى لا تحسبوا ايها المؤمنون **ان تدخلوا الجنة** ونيل كرامتي
وثوابي **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم** قال الامام فخر الدين الرازي ظاهر
الآية يدل على وقوع النفي على العلم والمراد وقوعه على نفي المعلوم والتقدير ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يصدر الجهاد عنكم وتقريره ان العلم متعلق بالمعلوم
كما هو عليه فلما حصلت هذه المطابقة لا جرم حسن اقامة كل واحد منهما مقام
الآخر وقال الواحدي النفي في الآية واقع على العلم والمعنى على الجهاد دون العلم
وذلك لما فيه من الايجاز في انتفاء الجهاد لو كان لعلمه والتقدير ولما يكن المعلوم
من الجهاد الذي وجب عليكم فجاء النفي على العلم للايجاز على سبيل التوسع في الكلام
اذ المعنى مفهوم من غير اخلال وقال الزجاج المعنى ولما يقع العلم بالجهاد والعلم
بصبر الصابرين اي ولما يعلم الله ذلك واقعا منكم لانه يعلمه غيبا وانما يجازيهم
على عملهم وقال الطبري يقول ولما يتبين لعبادي المؤمنين المجاهد منكم على ما امرته
به **ويعلم الصابرين** يعني في الحرب وعلى ما نالهم في ذات الله عز وجل من جراح
والم ومكروه وفي هذه الآية معاتبة من انهزم يوم احد والمعنى ام حسبتم ايها المنهزمون
ان تدخلوا الجنة كما دخلها الذين قتلوا وبذلوا مهجهم لربهم عز وجل وصبروا
على الم الجرح والضرب وثبتوا لعدوهم من غير ان تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم

وقوله تعالى **ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه** قال ابن عباس لما أخبر الله
عز وجل المؤمنين على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم بما فعل بشهداء بدر يوم بدر من
الكرامة رغبوا في ذلك فتمنوا قتالا يستشهدون فيه فيلحقون بإخوانهم
فأراهم الله يوم أحد فلم يلبثوا أن انهزموا إلا من شاء الله منهم فأنزل الله هذه
الآية وقيل إن قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا فيه ويستشهدوا
فأراهم الله يوم أحد ومعنى قوله تمنون الموت أي تطلبون أسباب الموت وهي
القتال والجهاد من قبل أن تلقوه يعني من قبل أن تلقوا يوم أحد **فقد**
رأيتموه يعني رأيتم ما كنتم تتمنون والهاء في رأيتموه عائدة على الموت أي رأيتم
أسبابه يعني أنه لما شاهدتم من قتل من إخوانكم بين أيديكم وأنتم تنظرون
قيل ذكره تأكيدا وقال الزجاج معناه فقد رأيتموه وأنتم بصراء كما تقول رأيت
كذا وكذا وليس في عينيك علة أي رأيته رؤية حقيقة وقيل معناه وأنتم
تنظرون ما تمنيتم فلم انهزمتم قوله عز وجل **وما محمد إلا رسول قد خلت**
من قبله الرسل قال أهل المغازي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل
بالشعب من أحد في سبعمائة وجعل عبد الله بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين
رجلا وقال أقيموا بأصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من خلفنا
فإن كانت لنا أو علينا لا تبرحوا من مكانكم حتى أرسل إليكم فإنا لن نزال غالبين
ما ثبتم مكانكم فجاءت قريش وعلى ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم
عكرمة بن أبي جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف ويقلن الأشعار
فقاتلوا حتى حميت الحرب وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين
فهزموهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ سيفا وقال من يأخذ
هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى يثخن فأخذه أبو دجانة سماك
ابن خرشة الأنصاري فلما أخذه اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر في مشيته
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها لمشية يبغضها الله ورسوله إلا في
هذا الموضع فلما نظرت الرماة إلى المشركين وقد انكشفوا ورأوا أصحابهم
ينتهبون الغنيمة أقبلوا يريدون النهب فلما رأى خالد بن الوليد قلة
الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح في خيله
وحمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فهزموهم ورمى عبد الله بن قمئة
رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه في وجهه
وأثقله وتفرق عنه أصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة
ليعلوها فلم يستطع وكان قد ظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة فنهض
حتى استوى على الصخرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوجب طلحة
ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يجدعن الآذان والأنوف حتى اتخذت هند من ذلك قلائد وأعطتها وحشيا
وبقرت عن كبد حمزة رضي الله عنه وكان قد قتل يومئذ فأخذت منه قطعة
فلاكتها فلم تسغها فلفظتها وأقبل عبد الله بن قمئة يريد قتل النبي صلى الله
عليه وسلم فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقتله ابن قمئة وهو يرى أنه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال

إني قتلت محمدا صلى الله عليه وسلم وصرخ صارخ ألا إن محمدا قد قتل ويقال
إن الصارخ إبليس لعنه الله فانكفأ الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول إلي عباد الله إلي عباد الله فاجتمع إليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا
عنه المشركين ورمى سعد بن أبي وقاص حتى اندقت سية قوسه ونثل له
رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته وقال له ارم فداك أبي وأمي وكان أبو طلحة
رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين أو ثلاثة وكان الرجل يمر ومعه جعبة
النبل فيقول انثرها لأبي طلحة وكان إذا رمى يتشرف رسول الله صلى الله عليه
وسلم ينظر موضع نبله وأصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست وقى بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وأصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على
وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادت كأحسن ما كانت فلما انصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم أدركه أبي بن خلف الجمحي وهو يقول لا نجوت إن نجوت
فقال القوم يا رسول الله ألا يعطف عليه رجل منا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم دعوه حتى إذا دنا منه وكان أبي قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيقول عندي رمكة أعلفها كل يوم فرق ذرة أقتلك عليها فيقول له رسول الله
صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك إن شاء الله فلما دنا منه تناول رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله وطعنه في عنقه
وخدشه خدشة فتدهده عن فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول
قتلني محمد فاحتمله أصحابه وقالوا لا بأس عليك ما بك من بأس فقال بل لو كانت
هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم أليس قال لي أنا أقتلك فلو بزق علي
بعد تلك المقالة لقتلني بها فلم يلبث بعد ذلك إلا يوما حتى مات بموضع
يقال له سرف **خ** عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتد
غضب الله على من قتله نبي في سبيل الله اشتد غضب الله على قوم أدموا وجه
نبي الله قالوا وفشا في الناس أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض
المسلمين ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي فيأخذ لنا أمانا من أبي سفيان
وجلس بعض الصحابة وألقوا بأيديهم وقال أناس من أهل النفاق
إن كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الأول وقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك
يا قوم إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل وما تصنعون بالحياة بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات
عليه ثم قال اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء يعني المسلمين وأبرأ إليك مما جاء به
هؤلاء يعني المشركين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انطلق إلى الصخرة وهو يدعو الناس فأول من عرف رسول الله
صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تزهران تحت المغفر فناديت
بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار
إلي أن اسكت فانحازت إليه طائفة من أصحابه فلامهم النبي صلى الله عليه وسلم
على الفرار فقالوا يا نبي الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا الخبر بأنك قد
قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فأنزل الله عز وجل وما محمد إلا رسول
قد خلت من قبله الرسل ومعنى الآية فسيخلو محمد كما خلت الرسل من قبله

وكان اتباعهم ثبتوا متمسكين بدينهم بعد خلو انبيائهم فعليكم انتم ان تتمسكوا
بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده
بين ظهراني قومه ومحمد اسم علم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل اشادة
الى وصفه بذلك وتخصيصه بمعناه وهو الذي كثرت خصاله المحمودة والمستحق
لجميع المحامد لانه الكامل في نفسه صلى الله عليه وسلم فاكرم الله عز وجل نبيه
صلى الله عليه وسلم وسماه باسمين مشتقين من اسمه المحمود سبحانه وتعالى
فسماه محمدا واحمد وفي ذلك يقول حسان بن ثابت

الم تر ان الله ارسل عبده ۞ ببرهانه والله اعلى وامجد
اغر عليه للنبوة خاتم ۞ من الله مشهور يلوح ويشهد
وشق له من اسمه ليجله ۞ فذو العرش محمود وهذا محمد

ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء
انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي
يحشر الناس على قدمي وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وسماه الله
رؤوفا رحيما. م عن ابي موسى الاشعري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمي لنا نفسه اسماء فقال انا محمد وانا احمد والمقفي ونبي التوبة ونبي
الرحمة والمقفي هو اخر الانبياء الذي لا نبي بعده والرسول هو المرسل
وتكون بمعنى الرسالة والمراد هنا المرسل بدليل قوله وانك لمن المرسلين
افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم يعني انتقلبون على اعقابكم ان مات
محمد او قتل وترجعون الى دينكم الاول يقال لكل من رجع الى ما كان عليه رجع
وراءه ونكص على عقبيه وحاصل الكلام ان الله تعالى بين ان موت محمد صلى
الله عليه وسلم وقتله لا يوجب ضعفا في دينه ولا الرجوع عنه بدليل موت
سائر الانبياء قبله وان اتباعهم ثبتوا على دين انبيائهم بعد موتهم ومن
ينقلب على عقبيه يعني فيرتد عن دينه ويرجع الى الكفر فلن يضر الله
شيئا يعني بارتداده لان الله تعالى لا يضره كفر الكافرين لانه تعالى غني عن
العالمين وانما المرتد هو الذي ضر نفسه وسيجزي الله الشاكرين يعني
الثابتين على دينهم الذين لم ينقلبوا عنه لانهم شكروا نعمة الله عليهم
بالاسلام وثباتهم عليه فسماهم الله شاكرين لما فعلوا والمعنى وسيثيب
الله من شكره على توفيقه وهدايته وروى ابن جبير عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه في قوله وسيجزي الله الشاكرين قال الثابتين على دينهم ابا بكر
واصحابه وكان علي يقول ابو بكر امين الشاكرين وامين احباء الله وكان اشكرهم
واحبهم الى الله قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله اي بامر الله
وبقضائه وقدره وعلمه وذلك ان يامر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت
احد الا باذن الله وامره والمراد من الاية تحريض المسلمين على الجهاد وتشجيعهم
على لقاء العدو واعلامهم بان الجبن لا ينفع وان الحذر لا يدفع المقدور
وان احدا لا يموت قبل اجله وان خاض المهالك واقتحم المعارك واذا جاء الاجل
لم يندفع الموت بحيلة فلا فائدة في الخوف والجبن وفي الاية ايضا دليل ذكر حفظ
الله رسوله صلى الله عليه وسلم عند غلبة العدو وتخليصه منهم عند التقائهم

عليه

عليه وتسليم اصحابه له فانجاه الله تعالى من عدوه وسالمه مسلما ولم يضره شيء
كتابا مؤجلا يعني موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر والمعنى ان الله تعالى كتب
لكل نفس اجلا لا يقدر احد على تغييره او تقديمه او تاخيره وقيل الكتاب هو
اللوح المحفوظ لان فيه اجال جميع الخلق ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها يعني
من يرد بعمله وطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاء لعمله والمعنى
نؤته منها ما نشاء مما قدرناه له نزلت في الذين تركوا المركز يوم احد وطلبوا الغنيمة
ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها يعني من اراد بعمله الاخرة نؤته ثوابه فيها
نزلت في الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد واعلم ان هذه
الاية وان نزلت في الجهاد خاصة لكنها عامة في جميع الاعمال وذلك لان الاصل في ذلك
كله يرجع الى النية والقصد فان كان يريد بعمله الدنيا فليس له حظ الا فيها وكذلك
من اراد بعمله الدار الاخرة فحظه او فر ايضا فيها ق عن عمر بن الخطاب قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما الاعمال بالنيات وفي رواية بالنية وانما
لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن
كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها وفي رواية ينكحها فهجرته الى ما هاجر
اليه وروى البغوي بسنده عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من كانت نيته طلب الاخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله واتته الدنيا
وهي راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت
عليه امره ولا ياتيه منها الا ما كتب له وقوله تعالى وسنجزي الشاكرين يعني المؤمنين
المطيعين الذين لم يشغلهم شيء عن الجهاد ولم يريدوا باعمالهم الا الله والدار
الاخرة قوله عز وجل وكاين من نبي اي وكم من نبي قتل معه وقرئ قاتل
معه فمن قرا قتل بضم القاف فله وجهان احدهما ان يكون القتل راجعا الى النبي
وحده فعلى هذا يكون الوقف على قتل لان الكلام تام وفيه اضمار تقديره ومعه
ربيون كثير ويكون معناه قتل حالة ما كان معه ربيون كثير والمعنى ان كثيرا
من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعدهم ما وهنوا في دينهم ولا استكانوا بل
استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا مثلهم
الوجه الثاني ان القتل نال النبي ومن معه من الربيين ويكون المراد البعض
ويكون قوله فما وهنوا راجعا الى الباقين والمعنى وكاين من نبي قتل وبعض
من كان معه فما ضعف الباقون لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد
عدوهم فكان ينبغي لكم ان تكونوا كذلك الوجه الثالث ان يكون القتل نال
الربيين لا النبي والمعنى وكاين من نبي قتل ممن كان معه وعلى دينه ربيون كثير
ومن قرا قاتل معه ربيون كثير فالمعنى وكاين من نبي قاتل معه العدد الكثير
من اصحابه فاصابهم من عدوهم قروح وجراحات فما وهنوا لما اصابهم من
قتل اصحابهم والجهاد لعدوهم لان الذي اصابهم انما هو في سبيل الله وطاعته واقامة
دينه ونصرة نبيه فكان ينبغي لكم ان تفعلوا كذلك يا امة محمد وحجة هذه القراءة
ما روي عن سعيد بن جبير انه قال ما سمعنا ان نبيا قتل في القتال وقوله ربيون
كثير قال ابن عباس جموع كثيرة وقيل الربيون الالوف وقيل الربية الواحد الربيون
هم الاتباع فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله اي فما جبنوا عن الجهاد في سبيل الله

لما اصابهم وما ضعفوا عن مجاهدة عدوهم بما نالهم من الم الجراح وقتل الاصحاب
وما استكانوا يعني وما استسلموا وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا على امر
ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم وهذا تعريض بما اصابهم يوم احد من الوهن
والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعفهم عن مجاهدة
المشركين واستكانتهم لهم حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن ابي في
طلب الامان من ابي سفيان والمقصود من الاية حكاية ما جرى لسائر الانبياء
واتباعهم لتقتدي هذه الامة بهم وترغيب الذين كانوا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الجهاد والله يحب الصابرين يعني في الجهاد والمعنى ان من صبر على
تحمل الشدائد في طلب الاخرة ولم يظهر الجزع والعجز فان الله يحبه ومحبة الله
للعبد عبارة عن ارادة اكرامه واعزازه وايصال الثواب له وادخاله الجنة
مع اوليائه واصفيائه ثم قال تعالى وما كان قولهم يعني قول الربيين الا
ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا فيدخل فيه جميع الذنوب الصغائر والكبائر
واسرافنا في امرنا وما اسرفنا فيه فتخطينا الى العظام من الذنوب لان الاسراف
الافراط في الشيء ومجاوزة الحد فيه فيكون المعنى اغفر لنا ذنوبنا الصغائر
منها والكبائر وثبت اقدامنا لكي لا تزول ولا تعجز عند قتال العدو وذلك يكون
بان يلقي الخوف والرعب في قلوبهم وانصرنا على القوم الكافرين لان النصر
على الاعداء لا يكون الا من عند الله فبين تعالى انهم كانوا مستعدين عند القتال
الحرب بالدعاء والتضرع وطلب الاعانة والنصر من الله تعالى والغرض منه
ان يقتدي بهم في هذه الطريقة الحسنة امة محمد صلى الله عليه وسلم يعني هلا
فعلتم مثل ما فعلوا وقلتم مثل ما قالوا فآتاهم الله ثواب الدنيا يعني
النصر والغنيمة وقهر الاعداء والثناء الجميل ومغفرة الذنوب والخطايا
وحسن ثواب الاخرة يعني الجنة وما فيها من النعيم المقيم وانما خص ثواب
الاخرة بالحسن تنبيها على جلالته وعظمته لانه غير زائل ولم يشب بتنغيص
ولم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلته وانه مشوب بالكدر لما يشوبه من
التنغيص والله يحب المحسنين يعني الذين يفعلون مثل الذي فعلوا ولا
وهذا التعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين ان يقولوا مثل هذا عند لقاء
العدو وفيه دقيقة لطيفة على انهم كانوا لما اعترفوا بذنوبهم وكونهم
مسيئين سماهم الله محسنين قوله يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين
كفروا يعني اليهود والنصارى وقيل المنافقين في قولهم للمؤمنين
عند الهزيمة يوم احد ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وقيل معناه
ان تطيعوهم فيما يامرونكم به من ترك الجهاد يردوكم على اعقابكم يعني
يرجعوكم الى امركم الاول وهو الكفر والشرك بالله لان قبول
قولهم في الدعوة الى الكفر كفر فتنقلبوا خاسرين يعني مغبونين في
الدنيا والاخرة اما خسار الدنيا فهو طاعة الكفار والتذلل للاعداء واما
خسارة الاخرة فهو دخول النار وحرمان دار القرار بل الله مولاكم اي وليكم
وناصركم وحافظكم فاستغنوا به وهو خير الناصرين يعني انه تعالى قادر على نصركم
والمعنى لكم ان لا تطيعوا الكفار لينصروكم ويدفعوا عنكم فانهم عاجزون عن نصر انفسهم

فضلا عن غيرهم فاطلبوا النصر من الله تعالى فهو خير الناصرين قوله عز وجل
سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب وذلك ان ابا سفيان ومن معه لما ارتحلوا
يوم احد متوجهين الى مكة فلما بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ما صنعنا
قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا اليهم فاستاصلوهم
فلما عزموا على ذلك القى الله الرعب في قلوبهم يعني الخوف الشديد حتى رجعوا عما
هموا به فعلى هذا القول يكون الوعد بالقاء الرعب في قلوب الكفار مخصوصا بيوم
احد وقيل انه عام وان كان السبب خاصا لقوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب
مسيرة شهر فكانه تعالى قال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب منكم حتى
تقهروهم وتظهر دينكم على سائر الاديان وقد فعل الله تعالى ذلك بفضله
وكرمه حتى صار دين الاسلام ظاهرا على جميع الاديان والملل كما قال تعالى ليظهره
على الدين كله بما اشركوا بالله يعني انما كان القاء الرعب في قلوبهم بسبب اشراكهم
بالله ما لم ينزل به سلطانا يعني حجة وبرهانا وسميت الحجة سلطانا لان السلطان
مشتق من التسليط وهو ما يستضاء به وقيل السلطان القدرة والقوة وسميت
الحجة سلطانا لقوتها على دفع الباطل ومأواهم النار بين الله تعالى حال
الكفار في الدنيا وهو القاء الرعب والخوف في قلوبهم وبين حالهم في الاخرة
فقال تعالى ومأواهم النار اي مسكنهم وبئس مثوى الظالمين اي المسكن الذي
يستقرون فيه وقيل يقيمون فيه وكلمة بئس تستعمل في جميع المذام والمعنى
وبئس مقام الظالمين الذين ظلموا انفسهم باكتساب ما اوجب لهم عذاب
النار والاقامة فيها قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده قال محمد بن كعب
القرظي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى المدينة من احد وقد
اصابهم ما اصابهم قال ناس من الصحابة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا
الله النصر فانزل الله ولقد صدقكم الله وعده يعني بالنصر والظفر وذلك
ان الظفر كان للمسلمين في الابتداء وقيل ان الله وعد المؤمنين النصر باحد
فنصرهم فلما خالفوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا الغنيمة
هزموا اذ تحسونهم يعني اذ تقتلونهم قتلا ذريعا وحسا سريعا يعني تحسونهم
تستاصلونهم بالقتل باذنه يعني بعلم الله وامره وقيل بقضائه وقدره حتى اذا
فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم فالواو زائدة تقديره حتى
اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم فشلتم وقيل معناه ولقد صدقكم الله وعده
بالنصر الى ان كان منكم الفشل والتنازع والمعصية وقيل فيه معنى الشرط
وجوابه محذوف تقديره حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم منعكم
الله النصر ومعنى فشلتم ضعفتم والفشل الضعف مع جبن وتنازعتم يعني
الاختلاف وذلك ان الخلاف الذي وقع بينهم ان الرماة الذين كانوا مع عبد الله
ابن جبير لما انهزم المشركون قال بعضهم لبعض اي قوم ما نصنع ههنا
بها منا وقد انهزم المشركون ثم اقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لا نجاوز
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت عبد الله بن جبير امير القوم في نفر
يسير دون العشرة حتى كانت منية فلما راى خالد بن الوليد وعكرمة ابن
ابي جهل ذلك حملوا على الرماة الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير فقتلوا عبد الله

ابن جبير واصحابه واقبلوا على المسلمين وحولت الريح دبورا بعد ما كانت صبا
وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتتلون على غير شعار
يضرب بعضهم بعضا وما يشعرون من الدهش ونادى ابليس ان محمدا
قد قتل فكان ذلك سبب هزيمة المسلمين وقوله وعصيتم يعني امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به من لزوم المركز من بعد ما اراكم ما تحبون
يعني من النصر والظفر والغنيمة يا معشر المسلمين منكم من يريد الدنيا
يعني الذين تركوا المركز واقبلوا على النهب ومنكم من يريد الآخرة يعني
الذين ثبتوا مع اميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا قال عبد الله بن مسعود
ما شعرت ان احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان
يوم احد ونزلت هذه الآية ثم صرفكم عنهم يعني يا معشر المسلمين عنهم يعني
عن المشركين بالهزيمة ليبتليكم يعني ليمتحنكم وقيل لينزل عليكم البلاء
لتتوبوا اليه وتستغفروه وقيل معناه ليختبركم وهو اعلم فيتميز المؤمن
من المنافق ومن يريد الدنيا ممن يريد الآخرة ولقد عفا عنكم ايها المخالفون
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يستأصلكم بعد المخالفة والمعصية هو
وقيل عفا عن عقوبتكم ايها المخالفون والله ذو فضل على المؤمنين وهذا
من تمام النعمة على عباده المؤمنين ولانه نصرهم اولا ثم عفا عنهم عن المذنبين
منهم ثانيا لانه ذو الفضل والطول والاحسان وفي الآية دليل على ان صاحب
الكبيرة مؤمن وان الله تعالى يعفو بفضله وكرمه ان شاء لانه سماهم مؤمنين
مع ما ارتكبوه من مخالفة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كبيرة وعفا عنهم
بعد ذلك قوله عز وجل اذ تصعدون قيل هو متعلق بما قبله وهو لقد عفا
ولقد عفا عنكم اذ تصعدون لان عفوه عنهم لا بد ان يتعلق بامر اقترفوه وذلك
الامر هو ما بينه بقوله اذ تصعدون يعني هاربين في الجبل وقيل هو
ابتداء كلام لا تعلق له بما قبله والمعنى اذكروا اذ تصعدون قراءة الجمهور بضم
التاء وكسر العين من الاصعاد وهو الذهاب في الارض والابعاد فيها وقرئ في الشاذ
تصعدون بفتح التاء من الصعود وهو الارتقاء من اسفل الى اعلى كالصعود
في الجبل وعلى السلم ونحوه وللمفسرين في معنى الآية قولان احدهما انه صعودهم
في الجبل عند الهزيمة والثاني انه الابعاد في الارض حالة الهزيمة وقت
الهرب ولا تلوون على احد اي لا تعرجون ولا تقيمون على احد ولا يلتفت
بعضكم الى بعض من شدة الهرب والرسول يدعوكم في اخراكم اي في آخركم ومن
ورائكم يقول الي عباد الله انا رسول الله من كر فله الجنة فاثابكم غما
بغم يعني جازاكم بعد فراركم عن نبيكم صلى الله عليه وسلم وفشلكم عن عدوكم
غما بغم وسمى العقوبة التي عاقبهم بها ثوابا على سبيل المجاز لان لفظ الثواب
لا يستعمل في الاغلب الا في الخير وقد يجوز استعماله في الشر لانه ماخوذ من
ثاب اي رجع فاصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله سواء كان خيرا
او شرا فمتى حملنا لفظ الثواب على اصل اللغة كان الكلام صحيحا ومتى
حملناه على الاغلب كان على سبيل المجاز فهو كقول الشاعر

اخاف زيادا ان يكون عطاؤه ... اداهم سودا او محدرجة سمرا

فجعل

فجعل العطاء مكان العتاب لان الاداهم القيود وهي الحديد والمحدرجة هي
السياط والباء في قوله غما بغم بمعنى مع او بمعنى على لان حروف الجر ينوب بعضها عن بعض
وقيل الباء على بابها والمعنى غما متصلا بغم واختلفوا في معنى الغمين فقيل الغم
الاول هو ما فاتهم من الظفر والغنيمة والغم الثاني هو ما نالهم من القتل والهزيمة
وقيل الغم الاول ما اصابهم من القتل والجراح والغم الثاني هو ما سمعوا ان محمدا
صلى الله عليه وسلم قد قتل فانساهم غمهم الاول وقيل الغم الاول هو انهم غموا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمخالفة امره فجازاهم الله بذلك الغم القتل والهزيمة وقيل ان غمهم
الاول بسبب اشراف خالد بن الوليد مع خيل المشركين عليهم والغم الثاني حين اشرف
ابو سفيان عليهم وذلك ان ابا سفيان واصحابه وقفوا بباب الشعب فلما نظر
المسلمون اليهم غمهم ذلك وظنوا انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فاهمهم ذلك
وقوله تعالى لكيلا في لفظة لا قولان احدهما انها باقية على اصلها ومعناها
النفي فعلى هذا يكون الكلام متصلا بقوله ولقد عفا عنكم والمعنى ولقد عفا
عنكم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم لان عفوه يذهب كل هم وحزن
وقيل معناه فاثابكم غما انساكم الحزن على ما فاتكم وما اصابكم وقد روي انهم لما
سمعوا ان النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل نسوا ما اصابهم وما فاتهم والقول الثاني
ان لفظة لا صلة والمعنى لكي تحزنوا على ما فاتكم وما اصابكم عقوبة لكم على
مخالفتكم قال ابن عباس الذي فاتهم الغنيمة والذي اصابهم القتل والهزيمة
والله خبير بما تعملون اي عالم بجميع اعمالكم خيرها وشرها فيجازيكم عليها قوله
ثم انزل عليكم يا معشر المسلمين من بعد الغم الذي اصابكم امنة نعاسا يعني امنا
والامنة والامن واحد وقيل الامن يكون مع زوال سبب الخوف والامنة مع بقاء سبب الخوف
وكان سبب الخوف بعد باقيا والنعاس اخف النوم والمعنى اعقبكم بما نالكم من الخوف
والرعب ان امنكم امنة تنامون معها لان الخائف لا يكاد ان ينام فانهم [illegible]
يغشى طائفة منكم قال ابن عباس امنهم يومئذ بنعاس يغشاهم وانما
ينعس من يامن والخائف لا ينام (خ) عن انس عن ابي طلحة قال كنت فيمن تغشاه
النعاس يوم احد حتى سقط سيفي من يدي مرارا يسقط واخذه ويسقط واخذه
واخرجه الترمذي عنه قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد وذكره
نحو رواية البخاري وزاد والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم هم الا انفسهم
اجبن قوم وارعبه واخذله للحق وفي رواية اخرى له قال رفعت راسي يوم احد
فجعلت انظر وما منهم يومئذ احد الا يميد تحت حجفته من النعاس فذلك قوله ثم
انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا وقال الزبير بن العوام لقد رايتني مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف ارسل الله تعالى علينا النوم والله اني لاسمع
قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني ما اسمعه الا كالحلم يقول لو كان لنا من الامر
شيء ما قتلنا ها هنا فقوله تعالى يغشى طائفة منكم يعني المؤمنين وطائفة قد اهمتهم
انفسهم يعني المنافقين اراد الله ان يميز المؤمنين من المنافقين فاوقع النعاس
على المؤمنين حتى امنوا ولم يوقع النعاس على المنافقين فبقوا في الخوف وفي القاء النعاس
على المؤمنين دون المنافقين آية عظيمة ومعجزة باهرة لان النعاس كان سبب
امن المؤمنين وعدم النعاس على المنافقين كان سبب خوفهم وهو قوله تعالى

وطائفة قد اهمتهم انفسهم يعني حملتهم انفسهم على الهم لان اسباب الخوف وهي قصد
الاعداء كانت حاصلة عندهم يظنون بالله غير الحق يعني يظنون ان الله لا ينصر
محمدا واصحابه وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل وان امره يضمحل والمعنى يظنون
بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به ظن الجاهلية اي كظن اهل الجاهلية
يقولون يعني المنافقين هل لنا اي ما لنا من الامر من شيء وذلك انه لما شاور النبي
صلى الله عليه وسلم عبد الله بن ابي بن سلول رأس المنافقين في هذه الواقعة فاشار
عليه ان لا يخرج من المدينة فلما خالفه النبي صلى الله عليه وسلم خرج وقتل
من قتل قيل لعبد الله بن ابي قد قتل بنو الخزرج قال هل لنا من الامر من شيء وهو
استفهام على سبيل الانكار اي ما لنا امر يطاع وقيل المراد بالامر النصر والظفر
يعني ما لنا من هذا الذي يعدنا محمد به من النصر والظفر من شيء انما هو للمشركين
قل يعني قل يا محمد لهؤلاء المنافقين ان الامر كله لله يعني النصر والظفر
والقضاء والقدر كله لله وبيده يصرفه حيث يشاء ويدبره كيف احب يخفون في
انفسهم ما لا يبدون لك يعني من الكفر والشك في وعد الله عز وجل وقيل يخفون
الندم على خروجهم مع المسلمين وقيل الذي اخفوه هو قولهم هنا لحكاية عنهم
يقولون لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ها هنا وذلك ان المنافقين قال
بعضهم لبعض لو كان لنا عقول لم نخرج مع محمد الى قتال اهل مكة ولم يقتل رؤساؤنا
وقيل كانوا يقولون لو كنا على الحق ما قتلنا ها هنا وعن ابن عباس في قوله
تعالى يظنون بالله غير الحق يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر
شيء ما قتلنا ها هنا قيل ان الذي قال هل لنا من الامر من شيء هو عبد الله بن ابي
ابن سلول المنافق والذي قال لو كان لنا من الامر شيء معتب بن قشير قل اي
قل يا محمد لهؤلاء المنافقين لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل
الى مضاجعهم اي قضي عليهم القتل وقدر عليهم يعني الى مصارعهم التي يصرعون
بها وقت القتل ومعنى الاية ان الحذر لا ينفع مع القدر والتدبير لا يقاوم
التقدير فالذين قدر عليهم القتل قضاء وحكم به عليهم لا بد وان يقتلوا
والمعنى لو جلستم في بيوتكم لخرجتم منها ولظهر الذين قضى الله عليهم القتل
الى حيث يقتلون فيه وليبتلي الله ما في صدوركم اي وليختبر ما في صدوركم
ليعلمه مشاهدة كما علمه غيبا لان المجازاة انما تقع على ما علمه مشاهدة وقيل
معناه ليعاملكم معاملة المبتلي المختبر لكم وقيل معناه ليبتلي اولياء الله ما في
صدوركم فاضاف الابتلاء اليه تفخيما لشان اوليائه المؤمنين وليمحص ما في
قلوبكم قال قتادة اي يطهرها من الشك والارتياب بما يريكم من عجائب صنعه
من الامنة وصرف العدو واظهار سرائر المنافقين فعلى هذا يكون الخطاب
للمؤمنين خاصة وقيل معناه وليبين وليظهر ما في قلوبكم يعني من الاعتقاد
لله ولرسوله وللمؤمنين من العداوة فعلى هذا يكون الخطاب للمنافقين خاصة
والله عليم بذات الصدور يعني بالاشياء الموجودة في الصدور وهي الاسرار والضمائر
لانه عالم بجميع المعلومات قوله عز وجل ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان اي
انهزموا وهربوا يا معشر المسلمين فهو خطاب لمن كان مع النبي صلى الله عليه وسلم
من المؤمنين يوم احد باحد وكان قد انهزم اكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه

وسلم الا ثلاثة عشر رجلا وقيل اربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين ومن الانصار
سبعة فمن المهاجرين ابو بكر وعمر وعلي وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن
ابن عوف والزبير بن العوام وسعد بن ابي وقاص رضي الله عنهم انما استزلهم الشيطان
اي طلب زلتهم كما يقال استعجلته اي طلبت عجلته وقيل حملهم على الزلة وهي
الخطيئة وذلك ان الشيطان ابو مرة وسوس في قلوبهم لانهم اسرعهم بها ببعض ما كسبوا اي
طلب زلتهم كما يقال استعجلته اي طلبت عجلته يعني بمعصيتهم النبي صلى الله عليه
وسلم وتركهم المركز وقيل استزلهم الشيطان بتذكر خطايا سبقت لهم فكرهوا ان
يقتلوا قبل اخلاص التوبة منها والخروج من المظلمة وهذا اختيار الزجاج لانه قال لم يتولوا على جهة
المعاندة ولا على الفرار من الزحف رغبة في الدنيا وانما اذكرهم الشيطان خطايا
سلفت لهم فكرهوا لقاء الله الا على حالة يرضاها ولقد عفا الله عنهم يعني ولقد
تجاوز الله عن الذين تولوا يوم التقى الجمعان فلم يعاقبهم بذلك وغفر لهم قيل
ان عثمان عوتب في هزيمته يوم احد فقال ان ذلك وان كان خطأ لكن الله قد عفا عنه
وقرأ هذه الاية ان الله غفور يعني لمن تاب واناب حليم لا يعجل بالعقوبة ولم يستأصلهم
بالقتل قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين عبد
الله بن ابي واصحابه وقالوا لاخوانهم يعني في النفاق والكفر وقيل لاخوانهم في
النسب وكانوا مسلمين اذا ضربوا في الارض يعني اذا سافروا في الارض لتجارة او غيرها
او كانوا غزى جمع غاز اي في غزاة وفي الكلام حذف والمعنى على ذلك الحذف اذا ضربوا
في الارض فماتوا او كانوا غزى فقتلوا لو كانوا عندنا يعني مقيمين ما ماتوا وما قتلوا ليجعل
الله ذلك يعني قولهم وظنهم حسرة في قلوبهم يعني غما وتأسفا والله يحيي ويميت
هذا رد لقول المنافقين لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا والمعنى ان الامر بيد الله
وان المحيي والمميت هو الله فقد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد
عن الغزو كما يشاء فكيف ينفع الجلوس في البيت وهل يحمي احدا من الموت والله بما
تعملون بصير يعني انه تعالى مطلع على ما تعملون من خير او شر فيجازيكم به
فاتقوه ولا تكونوا مثل المنافقين لان مقصودهم تنفير المؤمنين عن الجهاد
بقولهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فان الله هو المحيي المميت فمن قدر له البقاء
لم يقتل في الجهاد ومن قدر له الموت لم يبق وان اقام في بيته عند اهله فلا تقولوا انتم
ايها المؤمنون لمن يريد الخروج الى الجهاد لا تخرج فتقتل فلان تموت في الجهاد
فتستوجب الثواب فان ذلك خير له من ان يموت في بيته بلا فائدة واليه الاشارة بقوله
تعالى ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله ورحمة يعني في العاقبة ورحمة
خير مما يجمعون يعني من الغنائم والمعنى ولئن تم عليكم ما تخافونه من القتل في سبيل
الله او الهلاك بالموت فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت والقتل في سبيل
الله خير مما يجمعون من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون
يعني لالى الله الرحيم الواسع الرحمة والمغفرة المثيب العظيم الثواب تحشرون
في الاخرة فيجازيكم باعمالكم وقد قسم بعضهم مقامات العبودية ثلاثة اقسام
فمن عبد الله خوفا من ناره امنه مما يخاف واليه الاشارة بقوله لمغفرة من الله ومن
عبد الله شوقا الى جنته اناله ما يرجو واليه الاشارة بقوله ورحمة لان الرحمة من
اسماء الجنة ومن عبد الله شوقا الى وجهه الكريم لا يريد غيره فهذا هو العبد المخلص

الذي يتجلى له الحق سبحانه وتعالى في دار كرامته وإليه الإشارة بقوله تعالى لإلى الله تحشرون
قوله عز وجل فبما رحمة من الله لنت لهم أي فبرحمة من الله وما صلة لنت لهم أي
سهلت لهم أخلاقك وكثر احتمالك ولم تسرع إليهم بالتعنيف على ما كان منهم يوم
أحد والمعنى فبما رحمة من الله هو توفيق الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم
للرفق والتلطف بهم وأن الله تعالى ألقى في قلب نبيه صلى الله عليه
وسلم داعية الرحمة واللطف حتى فعل ذلك معهم ولو كنت فظا يعني جافيا غليظ
القلب يعني قاسي القلب سيء الخلق قليل الاحتمال لانفضوا من حولك أي لتفرقوا
عنك ونفروا حتى لا يبقى حولك منهم أحد فاعف عنهم أي تجاوز عن زلاتهم
وما أتوا يوم أحد واستغفر لهم أي واسأل الله المغفرة لهم حتى تشفعك فيهم
وقيل فاعف عنهم فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحقوق الله وذلك
من تمام الشفقة عليهم وشاورهم في الأمر أي استخرج آراءهم واعلم ما عندهم
واختلف العلماء في المعنى الذي من أجله أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم
بالمشاورة لهم مع كمال عقله وجزالة رأيه وتواتر الوحي عليه ووجوب طاعته
على كافة الخلق فيما أحبوا وكرهوا فقيل هو عام مخصوص والمعنى وشاورهم
فيما ليس عندك من الله فيه عهد وذلك في أمر الحرب ونحوه من أمور الدنيا ليستظهر
برأيهم فيما تشاورهم فيه وقيل أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم
بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فإن ذلك أعطف لهم عليه وأذهب لأضغانهم فإن
سادات العرب كانوا إذا لم يشاوروا في الأمور شق ذلك عليهم وقال الحسن قد
علم الله تعالى أنه ما به إلى مشاورتهم حاجة ولكن أراد أن يستن به من بعده
من أمته وقيل إنما أمر بمشاورتهم ليعلم مقادير عقولهم وأفهامهم لا ليستفيد
منهم رأيا وروى البغوي بسنده عن عائشة أنها قالت ما رأيت رجلا أكثر
استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفق العلماء أن كل ما نزل
فيه وحي من الله تعالى لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشاور فيه الأمة وإنما
أمر أن يشاور فيما سوى ذلك من أمر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل أن يشاورهم
في أمر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه فيه شيء لأن النبي صلى الله عليه وسلم شاورهم
في أسارى بدر وهو من أمر الدين قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه الاستشارة
عين الهداية وقال قد خاطر من استغنى برأيه والتدبر قبل العمل يؤمنك من
الندم وقال بعض الحكماء ما استنبط الصواب بمثل المشاورة ومن فوائد المشاورة
أنه قد يعزم الإنسان على أمر فيشاور فيه فيتبين له الصواب في قول غيره فيعلم بذلك
عجز نفسه عن الإحاطة بفنون المصالح ومنها أنه إذا لم ينجح أمره علم أن امتناع
النجاح محض قدر فلم يلم نفسه وقال بعضهم في مدح المشاورة

وشاور إذا شاورت كل مهذب * لبيب أخا حزم لترشد في الأمر
ولا تك ممن يستبد برأيه * فتعجزه أو يستريح من الفكر
ألم تر أن الله قال لعبده * وشاورهم في الأمر حتما بلا نكر

وقوله تعالى فإذا عزمت يعني على المشاورة فتوكل على الله أي فاستعن بالله
في أمورك كلها وثق به ولا تعتمد إلا عليه فإنه ولي الإعانة والعصمة والتسديد والمقصود
أن لا يكون للعبد اعتماد على شيء إلا على الله تعالى في جميع أموره وأن المشاورة لا تنافي

التوكل

التوكل إن الله يحب المتوكلين يعني المتوكلين عليه في جميع أمورهم قوله تعالى إن ينصركم الله
يعني إن يعنكم الله بنصره ويمنعكم من عدوكم كما فعل بكم يوم بدر فلا غالب لكم يعني من
الناس لأن الله هو المتولي لنصركم وإن يخذلكم كما فعل يوم أحد فلم ينصركم ويكلكم
إلى أنفسكم لمخالفتكم أمره وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فمن ذا الذي ينصركم من
بعده أي من بعد خذلانه وعلى الله فليتوكل المؤمنون لا على غيره لأن الأمر كله لله
ولا راد لقضائه ولا دافع لحكمه فلا جرم فيجب أن يتوكل العبد في كل أموره على الله
تعالى لا على غيره وقيل التوكل أن لا تعصي الله من أجل رزقك ولا تطلب لنفسك
ناصرا غيره ولا لعملك شاهدا سواه (ق) عن عمران بن حصين قال قال نبي الله صلى
الله عليه وسلم يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفا بغير حساب قالوا ومن هم يا رسول
الله قال الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون
فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال أنت
منهم فقام آخر فقال يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة
عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على
الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا أخرجه
الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل وما كان لنبي أن يغل الآية قال
ابن عباس نزلت هذه الآية وما كان لنبي أن يغل في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال
بعض الناس لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها فأنزل الله الآية أخرجه
أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب وروي عن الضحاك قال بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فأنزل
الله تعالى وما كان لنبي أن يغل وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس في قوله
وما كان لنبي أن يغل يقول ما كان لنبي أن يقسم لطائفة من المسلمين ويترك طائفة
ويجور في القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بأمر الله ويحكم فيه بما أنزل الله يقول
ما كان الله ليجعل نبيا يغل من أصحابه فإذا فعل ذلك النبي استنوا به وقال مقاتل
والكلبي نزلت في غنائم أحد حين ترك الرماة المركز للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول
النبي صلى الله عليه وسلم من أخذ شيئا فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم
بدر فتركوا المركز ووقعوا في الغنائم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم
أعهد إليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري قالوا تركنا بقية إخواننا وقوفا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أنا نغل فلا نقسم فأنزل الله هذه الآية
وقال قتادة ذكر لنا أنها نزلت في طائفة غلت من أصحابه وقيل إن الأقوياء ألحوا عليه
يسألونه من المغنم فأنزل الله وما كان لنبي أن يغل يعني فيعطي قوما ويمنع آخرين
بل عليه أن يقسم بينهم بالسوية وقال محمد بن كعب القرظي ومحمد بن إسحاق بن يسار
هذا في شأن الوحي يقول وما كان لنبي أن يكتم شيئا من الوحي رغبة أو رهبة أو
مداهنة والغلول هو الخيانة وأصله أخذ الشيء في خفية يقال غل فلان يغل
ومن قرأ يغل بفتح الياء وضم الغين أي وما كان لنبي أن يخون لأن النبوة والخيانة لا يجتمعان
لأن منصب النبوة أعظم المناصب وأشرفها وأعلاها فلا تليق به الخيانة لأنها
في نهاية الدناءة والخسة والجمع بين الضدين محال فثبت بذلك أن النبي صلى الله
عليه وسلم لم يخن أمته في شيء من الغنائم ولا في الوحي وقيل المراد به الأمة لأنه قد ثبت

براءة ساحة النبي صلى الله عليه وسلم من الغلول والخيانة فدل ذلك على ان المراد بالغلول
غيره وقيل ان اللام فيه منقولة ومعناه ما للنبي ان يغل على نفي الغلول عن الانبياء وقيل
معناه ما كان لنبي الغلول اراد ما غل نبي قط نفى عن الانبياء الغلول وقيل معناه
وما كان يحل لنبي الغلول وان لم يحل لم يفعله وحجة هذه القراءة انهم نسبوا النبي
صلى الله عليه وسلم الى الغلول في بعض الروايات فبين الله تعالى بهذه الاية ان هذه
الخصلة لا تليق به ونفى عنه ذلك بقوله وما كان لنبي ان يغل وقرئ يُغَل بضم
الياء وفتح الغين وله معنيان احدهما ان يكون من الغلول ايضا ومعناه وما كان
لنبي ان يخان اي يخونه امته والثاني ان يكون من الاغلال ومعناه وما كان لنبي
ان يخون اي ينسب الى الخيانة **ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة** يعني بالشيء
الذي غله بعينه يحمله على ظهره يوم القيامة ليزداد فضيحة بما يحمله يوم القيامة وقيل
يمثل له ذلك الشيء في النار ثم يقال له انزل فخذه فينزل فيحمله على ظهره فاذا بلغ
موضعه وقع ذلك الشيء في النار فيكلف ان ينزل اليه ليخرجه فيفعل به ذلك ما شاء
الله تعالى وقيل معناه انه يأتي بما احتمل من اثمه فيجازى به يوم القيامة وهو قوله
تعالى **ثم توفى كل نفس ما كسبت** يعني من خير او شر والمعنى ان كل كاسب خيرا كان
ذلك الكسب او شرا فهو مجزي به يوم القيامة ويوفى جزاء عمله **وهم لا يظلمون**
يعني بل يعدل بينهم يوم القيامة في الجزاء فيجازي كل على عمله

فصل

في ذكر احاديث وردت في الغلول ووعيد الغال قد تقدم ان اصل الغلول هو اخذ
الشيء في خفية وان الخيانة الا انه قد صار في العرف مخصوصا بالخيانة في الغنيمة
وبهذا وردت الاحاديث (ق) عن ابي هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم امره حتى قال لا الفين احدكم يجيء يوم القيامة
على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك من الله شيئا
قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله
اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك لا الفين احدكم يجيء يوم القيامة
على رقبته صامت فيقول يا رسول الله اغثني فاقول لا املك لك شيئا قد ابلغتك
مسلم الرغاء صوت البعير والثغاء صوت الشاة والرقاع الثياب والصامت
الذهب والفضة (ق) عن ابي هريرة قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى خيبر ففتح الله علينا فلم نغنم ذهبا ولا ورقا غنمنا المتاع والطعام
والثياب ثم انطلقنا الى الوادي يعني وادي القرى ومع رسول الله صلى الله عليه
وسلم عبد له وهبه له رجل من جذام يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب
فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحل رحله فرمي بسهم
فكان فيه حتفه فقلنا هنيئا له الشهادة يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كلا والذي نفس محمد بيده ان الشملة لتلتهب عليه نارا اخذها من الغنائم
يوم خيبر لم تصبها المقاسم قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك او شراكين فقال اصبتها
يوم خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شراك من نار او شراكان من نار وفي
رواية نحوه وفيه ومعه عبد يقال له مدعم اهداه له احد بني الضباب وفيه اذ جاءه
سهم عائر الشراك سير النعل الذي يكون على ظهر القدم وشسع النعل والسهم
العائر هو السهم الذي لا يدرى من رماه (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال

كان على ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل يقال له كركرة فمات فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم هو في النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عباءة قد غلها عن زيد بن
خالد الجهني ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم توفي فذكروا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال صلوا على صاحبكم فتغيرت وجوه الناس لذلك فقال ان
صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا خرزا من خرز يهود لا يساوي درهمين
اخرجه ابو داود والنسائي عن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غل
فاحرقوا متاعه واضربوه اخرجه ابو داود والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر حرقوا متاع الغال وضربوه زاد في رواية
ومنعوه سهمه اخرجه ابو داود وقوله تعالى **افمن اتبع رضوان الله** يعني بترك الغلول
فلم يغل **كمن باء** اي رجع **بسخط من الله** يعني بغضب من الله والمعنى فعل السخط
الغضب الشديد المفضي للعقوبة وهو من الله انزال العقوبة بمن سخط عليه وقيل
في معنى الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر المسلمين باتباعه والخروج معه يوم
احد اتبعه المؤمنون وتخلف عنه جماعة من المنافقين فاخبر الله تعالى بحال من اتبعه
بقوله افمن اتبع رضوان الله وحال من تخلف عنه كمن باء بسخط من الله **ومأواه
جهنم وبئس المصير** يعني الغال او المتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون يعني هم ذوو درجات عند الله
قال ابن عباس يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفون المنازل
عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط من الله العذاب الاليم
والمعنى لمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ليسوا سواء بل هم درجات عند
الله على حسب اعمالهم وقيل الضمير في قوله هم درجات عائد على قوله
افمن اتبع رضوان الله فقط لان الغالب في العرف استعمال الدرجات لاهل الثواب
والدركات لاهل العذاب ولان الله تعالى وصف من باء بسخط من الله بان مأواه جهنم
وبئس المصير فدل على ان الضمير في قوله هم درجات عند الله وفيه تحريض على
العمل بطاعته وتحذير من العمل بمعاصيه قوله عز وجل **لقد من الله على
المؤمنين** يعني احسن اليهم وتفضل عليهم والمنة النعمة العظيمة وذلك في
الحقيقة لا يكون الا لله تعالى ومنه قوله تعالى الحمد من الله على المؤمنين **اذ بعث
فيهم رسولا من انفسهم** يعني من جنسهم عربيا مثلهم ولد ببلدهم ونشا بينهم
يعرفون نسبه وليس حي من احياء العرب الا وقد ولده وله فيهم نسب الا بني تغلب
فانهم كانوا نصارى وثبتوا على النصرانية فطهره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من ان
يكون له فيهم نسب وقيل اراد بالمؤمنين جميع المؤمنين ومعنى قوله تعالى من
انفسهم اي بالايمان والشفقة لا بالنسب ومن جنسهم ليس بملك ولا احد
من غير بني ادم وقيل من انفسهم يعني من انه من ولد اسماعيل بن ابراهيم الخليل
عليهما الصلاة والسلام ووجه المنة والانعام على المؤمنين ببعثة الرسول صلى الله
عليه وسلم لكونه داعيا لهم الى ما يخلصهم من العذاب العظيم ويوصلهم الى
الثواب في جنات النعيم وكونه من انفسهم ومن جنسهم لانه اذا كان اللسان واحدا
سهل الاخذ عنه فيما يجب عليهم وكانوا واقفين على جميع احواله واتصاله يعرفون
صدقه وامانته وكان ذلك اقرب الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم

شرف لهم وكان فيما خطب به ابو طالب حين زوج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة بنت
خويلد رضي الله عنها وقد حضره ذلك بنو هاشم ورؤساء مضر فقال الحمد لله الذي
جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا
سدنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام
على الناس وان ابني هذا محمد بن عبد الله لا يوزن به فتى الا رجح وهو والله بعد
هذا له نبأ عظيم وخطب جليل وقيل في وجه المنة ببعثة الرسول صلى الله عليه
وسلم ان الخلق جبلوا على الجهل ونقصان العقل وقلة الفهم وعدم الدراية
فمن الله على خلقه وانعم عليهم واحسن اليهم بان بعث فيهم رسولا من انفسهم
انقذهم من الضلالة وبصرهم من الجهالة وهداهم الى الصراط المستقيم وانما
خص المؤمنين بالذكر لانهم هم المنتفعون بما جاء به دون غيرهم **ويزكيهم**
اي ويطهرهم من دنس الكفر ونجاسة المحرمات والخبائث **ويعلمهم الكتاب والحكمة**
يعني القرآن والسنة التي سنها لهم على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم **وان كانوا
من قبل** اي من قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم **لفي ضلال مبين** يعني لفي
جهالة وحيرة عن الهدى عميا لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فهداهم الله
بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **اولما اصابتكم مصيبة** يعني ما اصابهم
يوم احد **قد اصبتم مثليها** يعني يوم بدر وذلك ان المشركين قتلوا من المسلمين
يوم احد سبعين وقتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين واسروا سبعين
وقيل ان المسلمين هزموا المشركين يوم بدر وهزموهم في اول الامر يوم احد
فلما عصوا الله ورسوله هزموا المشركين فحصل انهزام المشركين مرتين وانهزام
المسلمين مرة واحدة **قلتم انى هذا** اي من اين لنا هذا ان لا ننكوا عن الحرب
فقال الله تعالى انا ابلغهم عنكم وانزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
امواتا **بل احياء عند ربهم يرزقون** الى اخر الايات اخرجه ابو داود عن مسروق
قال سألنا عبد الله عن هذه الاية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل
احياء عند ربهم يرزقون فقال اما انا قد سألنا عن ذلك فقال ارواحهم في جوف
طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تاوي الى
تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال هل تشتهون شيئا قالوا اي شيء
نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث مرات فلما راوا انهم
لن يتركوا من ان يسألوا قالوا يا رب نريد ان ترد ارواحنا في اجسادنا حتى نقتل في
سبيلك مرة اخرى فلما راى ان ليس لهم حاجة تركوا ذكر ما يتعلق بهذا الحديث
قوله مسروق سألنا عبد الله هكذا جاء عبد الله غير منسوب وقد نسبه بعض الناس
فقال عبد الله بن مسعود بن عمر وقد ذكر ابو مسعود الدمشقي والحميدي في مسنده
عن عبد الله بن مسعود وهو الصحيح وهذا الحديث من نوع المسند لانه قد سألنا عن
ذلك فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وفي الحديث دليل على ان الجنة مخلوقة
الان خلافا للمعتزلة لقوله صلى الله عليه وسلم تسرح من الجنة حيث شاءت وهو مذهب
اهل السنة وفيه دليل على ان الارواح باقية لا تفنى بفناء الجسد وان المحسن
ينعم ويجازى بالثواب وان المسيء يعذب ويجازى بالعقاب قبل يوم القيامة وهو مذهب
اهل السنة ايضا قوله ارواحهم في جوف طير خضر وهذا ليس ببعيد لا سيما مع القول

بان الارواح اجسام لطيفة وقيل ان المنعم والمعذب من الارواح جزء من الجسد يبقى
فيه الروح وهو الذي يتلذذ بالنعيم ويتألم بالعذاب فغير مستحيل ان يصور الله تعالى
ذلك الجزء طائرا ويطير في جوف طير فيسرح في الجنة وتاوي الى تلك القناديل
وقد تعلق بهذا الحديث من يقول بالتناسخ من المبتدعة ويقول بانتقال الارواح وتنعيمها
في الصور الحسان المرفهة وتعذيبها في الصور القبيحة المسخرة ويزعمون ان هذا
هو الثواب والعقاب وهذا ضلال بين وهو قول سخيف وبدعة باطلة لما فيه من القول
من ابطال ما جاءت به الشرائع من الحشر والنشر والمعاد والجنة والنار وقد جاء في
بعض روايات هذا الحديث ما يرد عليهم وهو قوله حتى يرجعه الله الى جسده يوم
يبعثه يعني يحيي جميع جسده يوم يبعثه وهو يوم القيامة والله اعلم عن جابر قال
لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مهتم فقال ما لي اراك منكسرا قلت يا رسول
الله استشهد ابي يوم احد وترك عيالا ودينا فقال الا ابشرك بما لقي الله به اباك
قلت بلى قال ما كلم الله احدا قط الا من وراء حجاب وان الله احيا اباك وكلمه كفاحا
وقال يا عبدي تمن علي اعطك قال يا رب تحييني فاقتل فيك ثانية قال سبحانه انه
قد سبق مني انهم لا يرجعون فنزلت ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الاية اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب وقيل ان الاية نزلت في شهداء بئر معونة وهي
بئر بين مكة وعسفان وارض هذيل قال محمد بن اسحاق عن اشياخه من اهل العلم
قالوا قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بني عامر بن صعصعة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واهدى له هدية فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يقبلها وقال اني لا اقبل هدية مشرك ثم عرض عليه الاسلام واخبره بماله فيه من
وما اعد الله للمؤمنين وقرا عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد ان الذي
تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد فدعوهم الى امرك
رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اخشى عليهم اهل نجد
فقال ابو براء انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك فبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم المنذر بن عمرو اخا بني ساعدة في سبعين رجلا من خيار المسلمين وكان
يقال لهم القراء منهم الحارث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن اسماء بن الصلت
ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعي وعامر بن فهيرة مولى ابي بكر وذلك في صفر
سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد فساروا حتى نزلوا بئر معونة
وهي ارض بين ارض بني عامر وحرة بني سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض ايكم
يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان
انا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك
الماء فلما اتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل في كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال حرام بن ملحان يا اهل بئر معونة اني رسول رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليكم اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
فامنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضربه به في جنبه حتى
خرج من الشق الاخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن
الطفيل بني عامر على المسلمين فابوا ان يجيبوه الى ما دعاهم اليه وقالوا
لا نخفر ابا براء فقد عقد لهم عقدا وجوارا فاستصرخ عليهم قبائل بني سليم

عصية ورعلا وذكوان فاجابوه فخرجوا حتى لقوا القوم فاحاطوا بهم في رحالهم
فلما راوهم اخذوا السيوف فقاتلوا حتى قتلوا عن اخرهم الا كعب بن زيد فانهم
تركوه وبه رمق فارتث بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان في سرح
القوم عمرو بن امية الضمري ورجل من الانصار احد بني عمرو بن عوف فلم ينبئهما
بمصاب اصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله ان لهذا الطير لشانا
فاقبلا لينظرا فاذا القوم في دمائهم واذا الخيل التي اصابتهم واقفة فقال
الانصاري لعمرو بن امية الضمري ماذا ترى قال نلحق برسول الله صلى الله عليه
وسلم فنخبره فقال الانصاري لكني لا ارغب عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو
ثم قاتل القوم حتى قتل واخذ عمرو بن امية اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر
اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على
امه فلما قدم عمرو بن امية على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل ابي براء وقد كنت لهذا كارها متخوفا
فبلغ ذلك ابا براء فشق عليه اخفار عامر بن الطفيل اياه وما اصاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان فيمن اصيب عامر بن فهيرة مولى
ابي بكر الصديق فروى محمد بن اسحاق عن هشام بن عروة عن ابيه ان عامر
بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رايته رفع بين السماء والارض
حتى رايت السماء من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن ابي براء
ان عامر بن الطفيل اخفر ذمة ابيه فحمل على عامر بن الطفيل فطعنه فخر
عن فرسه قلت وذكر ابن الاثير الجزري في كتاب جامع الاصول له في قسم
الاسماء في ترجمة عامر بن الطفيل ان عامر بن الطفيل قدم على النبي صلى الله
عليه وسلم وهو ابن بضع وثمانين سنة ولم يسلم وعاد من عنده فخرج
له خراج في اصل اذنه اخذه منه مثل النار فاشتد عليه ومات منه عن انس
قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اقواما من بني سليم الى بني عامر في سبعين
وفي رواية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث خالا له اخا لام سليم واسمه حرام
في سبعين راكبا فلما قدموا قال لهم خالي اتقدمكم فان امنوني حتى ابلغهم
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والا كنتم مني قريبا فتقدم فامنوه فبينما هو
يحدثهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اومأوا الى رجل منهم فطعنه فانفذه
فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية اصحابه فقتلوهم الا رجلا
اعرج صعد الجبل قال همام واراه اخر معه فاخبر جبريل عليه السلام
النبي صلى الله عليه وسلم انهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وارضاهم قال فكنا نقرا
ان بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ثم نسخ بعد فدعا عليهم
اربعين صباحا على رعل وذكوان وبني لحيان وعصية الذين عصوا الله ورسوله وفي
رواية ان رعلا وذكوان وبني لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامدهم بسبعين رجلا من الانصار كنا نسميهم القراء في زمانهم كانوا يحطبون
بالنهار ويصلون بالليل حتى اذا كانوا ببئر معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقنت عليهم شهرا يدعو في الصبح على
احياء من العرب على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان قال انس فقرانا فيهم

قرآنا

قرآنا ثم ان ذلك رفع بلغوا قومنا ان قد لقينا ربنا فرضي عنا وارضانا ولمسلم
جاء ناس الى النبي صلى الله عليه وسلم فسالوه ان ابعث معنا رجالا يعلمونا القرآن
والسنة فبعث اليهم سبعين رجلا من الانصار وذكر نحو ما تقدم وقيل انها في احياء
الشهداء وذلك انهم كانوا اذا اصابتهم نعمة وخير تحسروا على الشهداء وقالوا نحن في
النعمة والرخاء وابناؤنا واباؤنا واخواننا في القبور فانزل الله هذه الاية تطييبا
لقلوبهم وتنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم فقال تعالى ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله اي ولا تظنن الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل احد
من امته والمعنى لا تظنن ظانا بان الذين قتلوا في سبيل الله امواتا يعني كالموتى
غيرهم ممن لم يقتل في سبيل الله احياء اي بل هم احياء وظاهر الاية يدل على
كون من قتل في سبيل الله حيا فاما ان يكون المراد انهم سيصيرون احياء في الاخرة او
يكون المراد انهم احياء في الحال وعلى تقدير انهم احياء في الحال فهل يكون المراد اثبات
الحياة الروحانية او اثبات الحياة الجسمانية فهذه ثلاثة اوجه في معنى احتمال
الحياة فمن قال بالوجه الاول وانهم سيصيرون احياء في الاخرة قال معنى الاية
بل هم احياء في الذكر وانهم يذكرون بخير اعمالهم وانهم استشهدوا في سبيل الله
وقيل بل هم احياء في الدين وهذا القول ليس بصواب لان الله اثبت لهم الحياة في
الحال بقوله بل احياء يعني في حال ما يقتلوا فانهم يحسون وهو الاحتمال الثاني
واختلفوا في معنى هذه الحياة هل هي للروح او للجسم او للروح معا فمن اثبت
الحياة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ارواح
الشهداء في حواصل طير خضر فخص الارواح دون الاجساد وقال بعض المفسرين
ان ارواح الشهداء تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيامة ومن اثبت
الحياة للروح والجسم معا قال يدل عليه سياق الاية وهو قوله عند ربهم
يرزقون فاخبر سبحانه وتعالى انهم يرزقون ويأكلون ويتنعمون كالاحياء وقيل
ان الشهيد لا يبلى في قبره ولا تأكله الارض **وروى** انه لما اراد معاوية
ان يجري الماء على قبور الشهداء امر ان ينادى من كان له قتيل فليخرجه وليحوله
من هذا الموضع قال جابر فخرجنا اليهم فاخرجناهم رطاب الابدان فاصاب
المسحاة اصبع رجل منهم فانبعثت دما وذكر البغوي بغير سند عن عبيد الله
ابن عمير قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من احد على
مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم تلا من المؤمنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان هؤلاء
شهداء عند الله يوم القيامة فاتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذي نفسي بيده
لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا عليه وقوله عند ربهم يعني في
محل كرامته وفضله يرزقون يعني من ثمار الجنة وتحفها **فرحين بما اتاهم الله
من فضله** يعني بما اعطاهم من الثواب والكرامة والاحسان والتفضل في دار النعيم
ويستبشرون اي يفرحون والاستبشار هو الفرح والسرور الذي يحصل
للانسان عند البشارة **بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم** يعني من اخوانهم الذين
تركوهم احياء في الدنيا على منهج الايمان والجهاد لعلمهم بانهم اذا استشهدوا ولحقوا
بهم ونالوا من الكرامة مثل ما نالوا هم بذلك مستبشرين وقيل ان الشهداء

سألوا الله عز وجل أن يخبر إخوانهم بما نالوا من الكرامة والخير ليرغبوا في الجهاد فأخبر الله
عز وجل أنه قد أنزلت على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرته بحالكم وما صرتم إليه من الكرامة
وأن محمداً صلى الله عليه وسلم قد أخبر إخوانكم بذلك ففرحوا واستبشروا **ألا خوف**
عليهم يعني في الآخرة **ولا هم يحزنون** يعني على ما فاتهم من نعيم الدنيا **يستبشرون**
بنعمة من الله وفضل لما بين الله تعالى أن الشهداء يستبشرون بالذين لم يلحقوا
بهم من خلفهم بين أيضاً أنهم يستبشرون لأنفسهم بما رزقوا من النعيم والفضل لأن الاستبشار
الأول كان بغيرهم والاستبشار الثاني لأنفسهم خاصة **وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين**
يعني كما أن الله تعالى لا يضيع أجر المجاهدين والشهداء كذلك لا يضيع أجر المؤمنين

فصل في فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله

عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد
في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن أن أدخله الجنة أو أرجعه
إلى مسكنه الذي خرج منه نائلاً ما نال من أجر أو غنيمة والذي نفس محمد
بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته حين كلم لونه
لون دم وريحه ريح مسك والذي نفس محمد بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت
خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون
سعة ويشق عليهم أن يتخلفوا عني والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في
سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل لفظ مسلم ق عن أنس أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لغدوة في سبيل الله أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا
وما فيها ق عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في
سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا
وما عليها عن فضالة بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم
على عمله إلا المرابط في سبيل الله فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتنة
القبر أخرجه أبو داود والترمذي عن معاذ بن جبل أنه سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة ومن سأل الله
القتل في سبيل الله صادقاً من نفسه ثم مات أو قتل كان له أجر شهيد ومن
جرح جرحاً في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت
لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ومن خرج به خراج في سبيل الله كان عليه
طابع الشهداء أخرجه أبو داود والنسائي وأخرجه الترمذي [illegible]
ق عن أبي سعيد قال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي الناس
أفضل قال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال رجل في
شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره خ عن أبي
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرساً في سبيل الله إيماناً
واحتساباً وتصديقاً بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم
القيامة يعني حسنات ق عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء
إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة وفي
رواية لما يرى من فضل الشهادة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى

الله

الله عليه وسلم قال يغفر للشهيد كل ذنب إلا الدين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما يجد الشهيد من مس القتل إلا كما يجد أحدكم
من القرصة أخرجه الترمذي والنسائي بمعناه عن أبي الدرداء قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته أخرجه أبو داود قوله
تعالى **والذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح** الآية قال
أكثر المفسرين أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا
على انصرافهم وتلاوموا فقالوا لا محمداً قتلتم ولا الكواعب أردفتم قتلتموهم
حتى إذا لم يبق إلا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأراد أن يرهب العدو ويريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب
أصحابه للخروج في طلب أبي سفيان فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من ألم الجراح
والقرح الذي أصابهم يوم أحد ونادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ألا لا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس فكلمه جابر بن عبد الله فقال
يا رسول الله إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع وقال لي يا بني إنه لا ينبغي
لي ولك أن نترك هؤلاء النسوة ولا رجل فيهن ولست بالذي أوثرك على نفسي
بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على أخواتك فتخلفت عليهن فأذن
له رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج معه وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
مرهباً للعدو وليبلغهم أنه خرج في طلبهم فيظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم
يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر
وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة
بن الجراح وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان في سبعين رجلاً من أصحابه
حتى بلغوا حمراء الأسد وهي من المدينة على ثمانية أميال ق عن عائشة
في قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا
منهم واتقوا أجر عظيم قالت لعروة يا ابن أختي كان أبواك منهم الزبير وأبو
بكر لما أصاب نبي الله ما أصاب يوم أحد فانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا
فقال من يذهب في إثرهم فانتدب منهم سبعون رجلاً كان فيهم أبو بكر والزبير
قالوا ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي بحمراء الأسد وكانت خزاعة
مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون
عنه شيئاً كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا
ما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله كان قد أعفاك فيهم ثم خرج معبد من عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء وقد
أجمعوا على الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد أصبنا جل
أصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم ولنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبداً
قال له ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله
قط يتحرقون عليكم تحرقاً وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا
على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط قال أبو سفيان ويلك
ما تقول قال والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد أجمعنا
الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فوالله إني أنهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رأيت

عليّ ان قلت ابياتا قال وما قلت قال قلت

كادت تهدّ من الاصوات راحلتي ... اذ سالت الارض بالجرد الابابيل
تردي باسد كرام لا تنابلة ... عند اللقاء ولا ميل معازيل
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم ... اذا تغطمطت البطحاء بالجيل
اني نذير لاهل البسل ضاحية ... لكل ذي اربة منهم ومعقول
من جيش احمد لا وخش قنابلة ... وليس يوصف ما انذرت بالقيل

قال فثنى ذلك ابا سفيان ومن معه ومرّ ركب من عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة لاجل الميرة قال فهل انتم مبلّغون عني محمدا رسالة ارسلكم بها واحمل لكم ابلكم هذه زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال اذا وافيتموه فاخبروه انا قد اجمعنا السير اليه والى اصحابه لنستاصل بقيتهم وانصرف ابو سفيان الى مكة ومرّ الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فاخبره بالذي قال ابو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى المدينة بعد الثالثة وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه الآية في غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابا سفيان يوم احد حين اراد ان ينصرف قال يا محمد موعد ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل خرج ابو سفيان في اهل مكة حتى نزل مجنّة من ناحية مرّ الظهران ثم القى الله الرعب في قلبه فبدا له الرجوع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان يا نعيم اني قد واعدت محمدا واصحابه ان نلتقي بموسم بدر الصغرى وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جراءة ولان يكون الخلف من قبلهم احب اليّ من ان يكون من قبلي فالحق بالمدينة فثبطهم واعلمهم اني في جمع كثير لا طاقة لهم بنا ولك عندي عشرة من الابل اضعها على يدي سهيل بن عمرو ويضمنها لك قال وجاء سهيل فقال له نعيم يا ابا يزيد اتضمن لي هذه القلائص وانطلق الى محمد واثبطه قال نعم فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد الناس يتجهزون لميعاد ابي سفيان فقال نعيم اين تريدون فقالوا واعدنا ابا سفيان ان نلتقي بموسم بدر الصغرى فقال نعيم بئس الراي رايتم اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد افتريدون ان تخرجوا اليهم وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لا يفلت منكم احد فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لاخرجن ولو وحدي فاما الجبان فانه رجع واما الشجاع فانه تاهب للقتال وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه حتى وافوا بدر الصغرى فجعلوا يلقون المشركين فيسالونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يريدون بذلك ان يرعبوا المسلمين فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدر الصغرى وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية يجتمعون اليها كل عام ثمانية ايام فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر ينتظر ابا سفيان وقد انصرف

وقد انصرف ابو سفيان من مجنة الى مكة فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه احدا من المشركين ووافوا السوق وكانت معهم تجارات ونفقات فباعوا فاصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين فذلك قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول اي اجابوا الله واطاعوه في جميع اوامره واطاعوا الرسول ايضا من بعد ما اصابهم القرح يعني من بعد ما نالهم من الم الجراح **للذين احسنوا منهم واتقوا** يعني احسنوا بطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجابوه الى الغزو واتقوا معصيته والتخلف عنه **اجر عظيم** يعني لهم ثواب جزيل وهو الجنة قوله عز وجل **الذين قال لهم الناس** هذه الآية متعلقة بالآية التي قبلها لان المراد بالذين من تقدم ذكرهم وهم الذين استجابوا لله والرسول وفي المراد بالناس وجوه احدها انه نعيم بن مسعود الاشجعي فيكون اللفظ عاما اريد به الخاص وانما جاز اطلاق لفظ الناس على الانسان الواحد لان ذلك الواحد اذا فعل فعلا او قال قولا ورضي به غيره حسن اضافة ذلك الفعل او القول الى الجماعة وان كان الفاعل واحدا فهو كقوله واذ قتلتم نفسا والقاتل واحد الوجه الثاني ان المراد بالناس الركب من عبد القيس قاله ابن عباس ومحمد بن اسحاق الوجه الثالث ان المراد بالناس المنافقين وذلك انهم لما راوا النبي صلى الله عليه وسلم يتجهز لميعاد ابي سفيان نهوا اصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم ان القوم قد اتوكم في دياركم فقتلوا الاكثر منكم وان خرجتم اليهم لم يبق منكم احد **ان الناس** يعني ابا سفيان واصحابه من رؤساء المشركين **قد جمعوا لكم** يعني الجموع الكثيرة لان العرب تسمي الجيش جمعا ويجمعونه جموعا **فاخشوهم** اي فخافوهم واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم **فزادهم ايمانا** يعني فزاد المسلمين ذلك التخويف تصديقا ويقينا وقوة في دينهم وثبوتا على نصر نبيهم صلى الله عليه وسلم وفي هذه الآية دليل لمن يقول بزيادة الايمان ونقصانه لان الله نص على وقوع الزيادة في الايمان **وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** اي كافينا الله هو الذي يكفينا امرهم ومنه قول امرئ القيس

وحسبك من غنى شبع وري

اي يكفيك الشبع والري ونعم الوكيل يعني نعم الموكول اليه في الامور كلها وقيل الوكيل هو الكفيل ووكيل الرجل في ماله هو الذي كفله وقام به والوكيل في صفة الله تعالى هو الكفيل بارزاق العباد ومصالحهم والذي يستقل بامورهم كلها (خ) عن ابن عباس قال في قوله تعالى ان الناس قد جمعوا لكم الى قوله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قوله تعالى **فانقلبوا** اي فانصرفوا ورجعوا بعد خروجهم والمعنى وخرجوا فانقلبوا فحذف الخروج لان الانقلاب يدل عليه **بنعمة من الله** اي بعافية لم يلقوا عدوا **وفضل** اي تجارة وربح وهو ما اصابوا في سوق بدر من الربح وقيل النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة **لم يمسسهم سوء** اي لم يصبهم اذى ولا مكروه من قتل وجراح **واتبعوا رضوان الله** يعني طاعة الله وطاعة رسوله وقيل انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم بمجرد خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم **والله ذو فضل عظيم** يعني انه تعالى تفضل عليهم بالتوفيق لما فعلوا وقيل تفضل عليهم بالقاء الرعب في قلوب المشركين حتى رجعوا قوله عز وجل **انما ذلكم الشيطان** يعني انما ذلكم القول المثبط هو الشيطان **يخوف** بالوسوسة التي القى ذلك في قلوبهم ليرهبوا المؤمنين ويخوفوهم ويجبنوهم وقوله يخوف **اولياءه**

يعني الشيطان يخوفكم يا معشر المؤمنين بأوليائه وقيل معناه يعظم أولياءه في صدوركم
لتخافوهم وقيل معناه يخوف أولياءه المنافقين ليقعدوا عن قتال المشركين والمعنى أن
الشيطان يخوف الكفار والمنافقين الذين يطيعونه ويؤثرون أمره وأولياء الله هم
المؤمنون الذين لا يخافون الشيطان إذا خوفهم ولا يطيعونه في أمرهم **فلا تخافوهم**
يعني فلا تخافوا أولياء الشيطان ولا تقعدوا عن قتالهم ولا تجبنوا عنهم **وخافون**
أي فجاهدوا في سبيلي مع رسولي فإني وليكم وناصركم **إن كنتم مؤمنين** يعني مصدقين بوعدي
إني متكفل لكم بالنصر والظفر قوله تعالى **ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر**
يعني هم كفار قريش وقيل هم المنافقون يسارعون إلى اليهود وقيل هم قوم ارتدوا
عن الإسلام والمعنى ولا يحزنك يا محمد من يسارع في الكفر ويجمع الجموع لمحاربتك فإن
هذا المقصود لا يحصل لهم وقيل يسارعون في الكفر ويجمع الجموع لمحاربتك فإن هذا
المقصود لا يحصل لهم وقيل يسارعون في الكفر سطا من تقدم الكفار على النبي صلى الله
عليه وسلم والمعنى يبادرون في نصرة الكفر ولا يحزنك فعلهم فإنك منصور عليهم
إنهم لن يضروا الله شيئا يعني بمسارعتهم في الكفر إنما يضرون أنفسهم بذلك وقيل معناه
لن يضروا أولياء الله شيئا **يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة** يعني ألا يجعل لهم
نصيبا في ثواب الآخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا في الكفر وفي الآية دليل على أن
الخير والشر بإرادة الله تعالى وفيه رد على القدرية والمعتزلة ولهم عذاب عظيم
يعني في الآخرة إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان يعني المنافقين آمنوا ثم كفروا
والمعنى أنهم استبدلوا الكفر بالإيمان لن يضروا إلا أنفسهم بذلك ولهم عذاب أليم
يعني في الآخرة قوله عز وجل ولا يحسبن الذين كفروا وقرئ تحسبن بالتاء والياء فمن
قرأ بالتاء فمعناه ولا تحسبن يا محمد إملاءنا للكفار خيرا لأنفسهم ومن قرأ بالياء قال
معناه ولا يحسبن الكفار إملاءنا لهم خيرا نزلت في مشركي مكة وقيل نزلت في يهود
بني قريظة والنضير إنما نملي لهم الإملاء الإمهال والتأخير وأصله من الملوة وهي
المدة من الزمان والمعنى ولا تظنن الذين كفروا أن إمهالنا إياهم بطول العمر
والإنساء في الأجل خير لأنفسهم ثم قال تعالى إنما نملي لهم ليزدادوا إثما يعني إنما نمهلهم
ونؤخر آجالهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين يعني في الآخرة **وروى**
الترمذي بسنده عن عبد الرحمن بن أبي بكرة عن أبيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قال فأي الناس شر قال من
طال عمره وساء عمله **وروى** ابن جرير الطبري بسنده عن ابن مسعود قال ما من
نفس برة ولا فاجرة إلا والموت خير لها وقرأ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم
خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وقرأ نزلا من عند الله وما عند الله خير
للأبرار قال ابن الأنباري قال جماعة من أهل العلم أنزل الله عز وجل هذه الآية
في قوم كانوا يعاندون الحق سبق في علمه أنهم لا يؤمنون فقال إنما نملي لهم
ليزدادوا إثما بمعاندتهم الحق وخلافهم الرسول صلى الله عليه وسلم وعن عقبة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأيت الله يعطي على المعاصي فإن ذلك استدراج
من الله لخلقه ثم تلا هذه الآية وقال الزجاج هؤلاء قوم أعلم الله نبيه صلى الله عليه
وسلم أنهم لا يؤمنون أبدا وأن بقاءهم يزيدهم كفرا وإثما وفي هذه الآية حجة ظاهرة
على القدرية حيث أخبر الله تعالى أنه يطيل أعمار قوم ويمهلهم ليزدادوا والكفر إثما

وكأنهم أعطوا الإيمان وأخذوا الكفر
كما يفعل المشتري من إعطاء شيء وأخذ
غيره بدلا عنه لن يضروا الله شيئا يعني
استبدالهم الكفر بالإيمان صح

وعيبا وقوله تعالى **ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب**
اختلف العلماء في سبب نزول هذه الآية فقال الكلبي قالت قريش يا محمد تزعم أن من خالفك
فهو في النار والله عليه غضبان وأن من أطاعك وتبعك على دينك فهو في الجنة والله عنه
راض فأخبرنا بمن يؤمن بك ومن لا يؤمن بك فأنزل الله هذه الآية وقال السدي قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت علي أمتي في صورها في الطين كما عرضت على آدم
وأعلمت من يؤمن بي ومن يكفر بي فبلغ ذلك المنافقين فقالوا استهزاء زعم محمد أنه
يعلم من يؤمن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ما بال أقوام طعنوا
في علمي لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة إلا أنبأتكم به فقام عبد الله بن حذافة
السهمي فقال من أبي يا رسول الله قال حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا
بالله ربا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبك نبيا فاعف عنا عفا الله عنك فقال
النبي صلى الله عليه وسلم فهل أنتم منتهون فهل أنتم منتهون ثم نزل عن المنبر فأنزل الله
هذه الآية وقيل إن المؤمنين سألوا أن يعطوا آية يفرقون بها بين المؤمن والمنافق
فنزلت هذه الآية وقيل إن قوما من المنافقين ادعوا أن إيمانهم كإيمان المؤمنين فأظهر
الله نفاقهم يوم أحد وأنزل هذه الآية واختلفوا في معنى الآية وحكمها فقال ابن عباس
وأكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين والمعنى ما كان الله ليذر المؤمنين
على ما أنتم عليه يا معشر الكفار والمنافقين من الكفر والنفاق حتى يميز الخبيث من
الطيب وقيل الخطاب للمؤمنين والمعنى ما كان الله ليذركم يا معشر المؤمنين على
ما أنتم عليه من اختلاط المؤمن بالمنافق والتباس بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث
من الطيب يعني المنافق من المؤمن المخلص فميز الله المؤمنين من المنافقين يوم أحد
لما أظهر المنافقون النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل إنما
حصل التمييز يوم أحد بإلقاء الجميع في الخوف والقتل والهزيمة فمن كان مؤمنا ثبت
على إيمانه وتصديق نبيه ولم يتزلزل ومن كان منافقا فظهر نفاقه وكفره وقيل معنى
الآية حتى يميز المؤمن من المنافق والكافر بالجهاد والهجرة وقيل في معنى الآية ما كان
الله ليذر المؤمنين في أصلاب الرجال المشركين وأرحام النساء المشركات والمعنى
ما كان الله ليدع أولادكم الذين جرى لهم الحكم بالإيمان على ما أنتم عليه من
الشرك حتى يميز الخبيث من الطيب يعني يفرق بينكم وبين من في أصلابكم
وأرحام نسائكم من المؤمنين فيحكم لأهل الإيمان بالجنة ولأهل الشرك والكفر
والنفاق بالنار وما كان الله ليطلعكم على الغيب الخطاب في قوله ليطلعكم
لكفار قريش الذين قالوا يا محمد أخبرنا عمن يؤمن بك ومن لا يؤمن والمعنى وما
كان الله ليبين لكم أيها الكفار المؤمن من الكافر فيقولون فلان مؤمن وفلان كافر
أو منافق لأنه لا يعلم الغيب أحد غيره وإن سنة الله جارية أنه لا يطلع على غيبه
أحدا من الناس فلا سبيل إلى معرفة المؤمن من الكافر والمنافق إلا بالامتحانات
بالآفات والمصائب فيتميز المؤمن المخلص بثباته على إيمانه ويتزلزل المنافق عند
المحن والبلايا وقيل في معنى وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب فيخبركم بالمؤمن والكافر
ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء يعني ولكن الله يصطفي ويختار من رسله من يشاء فيطلعه
على ما يشاء من غيبه فآمنوا بالله ورسله يعني أنه لما قامت الدلائل على صحة نبوة محمد

صلى الله عليه وسلم فلم يبق الا الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم وانما قال ورسله
على الجمع ولم يقل ورسوله على التوحيد بقوله والله يجتبي من رسله من يشاء ولانه اذا اقر
بجميع الرسل كان مقرا باحدهم وهذه صفة المؤمنين لانهم امنوا بجميع الرسل وان تؤمنوا
وتتقوا يعني وان تصدقوا من اجتبيته برسالتي واطلعته على ما شاء من غيبي واعلمته
المنافق منكم والمؤمن المخلص وتتقوا ربكم فيما امركم به ونهاكم عنه فلكم اجر عظيم
يعني فلكم بايمانكم واتقائكم ثواب جزيل وهو الجنة قوله عز وجل ولا يحسبن الذين
يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم يعني ولا يحسبن الذين يبخلون البخل
خيرا لهم بل هو شر لهم والبخل هو امساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه والبخيل
هو الذي يكثر منه البخل والاية دالة على ذم البخل **عن عبد الله** بن عمرو قال
خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اياكم والشح فانما هلك من كان قبلكم بالشح
امرهم بالبخل فبخلوا وامرهم بالفجور ففجروا اخرجه ابو داود وكان للحديث سبب
واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الاية فقال عبد الله بن مسعود وابو هريرة
وابن عباس في رواية ابي صالح عنه والشعبي ومجاهد نزلت هذه في الذين
يبخلون ان يؤدوا زكاة اموالهم ووجه هذا القول ان اكثر العلماء ذهبوا الى
ان البخل عبارة عن منع الواجب وان من منع المتطوع لا يكون بخيلا ويدل عليه
الوعيد الشديد في سياق الاية وهو قوله تعالى سيطوقون ما بخلوا به وهذا
لا يكون الا في ترك الواجب لا في التطوع وقال ابن عباس في رواية عطية عنه
وابن جريج عن مجاهد انها نزلت في احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه
وسلم ونبوته وهذا القول هو اختيار الزجاج ووجه هذا القول ان البخل
عبارة عن منع الخير والنفع ويدخل فيه العلم كما يقال فلان يبخل بعلمه وصحح
الطبري القول الاول واختاره وقوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة اي
سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق فان حملت معنى الاية على منع الزكاة
والبخل بها قال ابن مسعود وابن عباس يجعل ما منعه من الزكاة حية تطوق في
عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه ويدل على صحة هذا التأويل
ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه
يوم القيامة ثم ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم
تلا ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الاية اخرجه البخاري
قوله له زبيبتان قيل هما النكتتان السوداوان فوق عيني الحية وهما نقطتان
يكتنفان فاها وقيل هما زبدتان في شدقيها وقد جاء في الحديث تفسير
لهزمتيه بانهما شدقيه وقيل هما مضيغتان في اصل الحنك وقيل هما عند
منتهى اللحيين اسفل من الاذنين وكله متقارب ق عن ابي ذر قال
انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال
هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم اتقار ان قمت فقلت
يا رسول الله فداك ابي وامي من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا
وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم
ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيامة اعظم ما كانت

واسمنه

واسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى
يقضى بين الناس لفظ مسلم واخرجه البخاري بمعناه في موضعين وقيل في معنى الاية
انه يجعل في اعناقهم اطواق من نار وقيل يكلفون يوم القيامة ان ياتوا بما بخلوا
به من اموالهم في الدنيا وان حملنا تفسير البخل على البخل بالعلم وكتمانه فقال
ابن عباس في قوله سيطوقون ما بخلوا به اي يحملون وزره واثمه فيكون على طريق
التمثيل كما يقال قلدتك هذا الامر وجعلته في عنقك وقيل يجعل في رقابهم
طوقا من نار ويدل عليه **ما روي** عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من سئل علما يعلمه فكتمه الجمه الله بلجام من نار اخرجه الترمذي
وفي رواية ابي داود من سئل عن علم فكتمه الجمه الله بلجام من نار يوم القيامة
قيل في معنى الحديث انهم لما سئلوا عن العلم فكتموه ولم ينطقوا به بالسنتهم
ومن يخرج من افواههم عوضوا عن ذلك بلجام من نار في افواههم عقوبة لهم
والله اعلم ولله ميراث السموات والارض يعني انه سبحانه وتعالى الباقي الدائم
بعد فناء خلقه وزوال املاكهم فيموتون ويبقى فيرثهما سبحانه وتعالى وقيل
في معنى الاية وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وعلم وغير ذلك فما لهؤلاء
البخلاء يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله والله بما تعملون خبير قرئ
يعملون بالياء على الغيبة على طريقة الالتفات وهي ابلغ في الوعيد والمعنى
والله بما يعملون يعني البخلاء من منعهم الحقوق خبير فيجازيهم عليها وقرئ بالتاء على
خطاب الحاضر قوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء
قال الحسن وقتادة لما نزلت هذه الاية من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
قالت اليهود ان الله فقير يستقرض منا ونحن اغنياء **وذكر** الحسن ان القائل
هذه المقالة هو حيي بن اخطب وقال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن اسحاق
كتب النبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر الصديق الى يهود بني قينقاع
يدعوهم الى الاسلام والى اقامة الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا
حسنا فدخل ابو بكر ذات يوم بيت مدراسهم فوجد ناسا كثيرا قد اجتمعوا
على فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له اشيع فقال ابو بكر
لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جاءكم
بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فآمن وصدق واقرض الله
قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم
ان ربنا يستقرض اموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغني فان كان ما تقول
حقا فان الله اذا لفقير ونحن اغنياء فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة
شديدة وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت عنقك
يا عدو الله فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر
ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما حملك على ما
صنعت فقال يا رسول الله ان هذا عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم
اغنياء فغضبت لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص فانزل الله تصديقا لابي بكر
وتكذيبا لفنحاص ورد عليه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء
وهذه المقالة وان كانت قد صدرت من واحد من اليهود لكنهم رضوا بمقالته هذه

فنسبت الى جنبهم ولا يبخلوا لئلا يكونوا قالوا هذه المقالة عن عقيدة لذلك القول
او قالوه استهزاء وايهما كانت فهذه المقالة عظيمة القبح لا تصدر عن عاقل وانما
صدرت عن كافر متمرد في كفره وضلاله **سنكتب ما قالوا** يعني قولهم ان الله
فقير ونحن اغنياء لان ذلك كذب وافتراء والمعنى سنحفظ عليهم ما قالوا وقيل سنثبت
ذلك القول في صحائف اعمالهم التي تكتبها الحفظة عليهم حتى يقرؤوها يوم القيمة فهو
وعيد وتهديد **وقتلهم الانبياء بغير حق** قيل معناه سنكتب ما قال هؤلاء اليهود
ونكتب ما فعله اسلافهم فنجازي كلا الفريقين بما هو اهله وانما نسب قتل الانبياء
الى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وانما فعله اسلافهم
لانهم رضوا بفعلهم فنسب اليهم وقيل في معنى الاية سنكتب على هؤلاء ما قالوا
بانفسهم ونكتب عليهم ايضا رضاهم بقتل ابائهم الانبياء والفائدة في ضم
قتلهم الانبياء الى وصفهم الله تعالى بالفقر اعلاما بان ذلك انهما اخوان في
العظم وان هذا القول منهم ليس باول ما ارتكبوه من العظائم وانهم اصلاء في
الكفر والجهل والضلالة ولهم في ذلك سوابق وان من قتل الانبياء لا يستبعد منه الاجتراء
على مثل هذا القول العظيم الفحش والقبح **ونقول** يعني لهؤلاء الذين قالوا
هذه المقالة **ذوقوا عذاب الحريق** اي ننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة
ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص في الدنيا **ذلك** اي ذلك
العذاب المحرق جزاء فعلكم حيث وصفتم الله بالفقر واقدمتم على قتل الانبياء
بما قدمت ايديكم انما ذكر الايدي على سبيل المجاز لان الفاعل هو الانسان لا
اليد الا ان اليد لما كانت آلة الفعل حسن اسناد الفعل اليها ولان اكثر الاعمال
تكون باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب **وان الله ليس بظلام
للعبيد** اي فيعذب بغير ذنب بل هو سبحانه وتعالى عادل ومن العدل ان
يعاقب المسيء ويثيب المحسن قوله عز وجل **الذين قالوا ان الله عهد الينا**
قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهودا وزيد
ابن التابوت وفنحاص بن عازوراء وحيي بن اخطب من اليهود اتوا النبي صلى
الله عليه وسلم فقالوا يا محمد تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك كتابا
وان الله عهد الينا في التوراة ان لا نؤمن لرسول يزعم انه جاء من عند الله حتى
ياتينا بقربان تاكله النار فان جئتنا به صدقناك فانزل الله الذين قالوا
يعني قد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا يعني امرنا واوصانا في كتبه
ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار يعني فيكون ذلك دليلا
على صدقه وذكر الواحدي عن السدي انه قال ان الله تعالى امر بني اسرائيل
في التوراة من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى ياتيكم بقربان تاكله النار
حتى ياتيكم المسيح ومحمد فاذا اتياكم فامنوا بهما فانهما ياتيان بغير قربان زاد
غير الواحدي عنه قال وكانت هذه العادة باقية فيهم الى مبعث المسيح
عليه السلام ثم ارتفعت وزالت وقيل ان ادعاء هذا الشرط كذب على التوراة وهو
من كذب اليهود وتحريفهم ويدل على ذلك ان المقصود في الدلالة على صدق
النبي صلى الله عليه وسلم هو ظهور المعجزة الخارقة للعادة فاي معجزة اتى بها
النبي فقبلت منه كانت دليلا على صدقه ووجب على كافة الخلق اتباعه وتصديقه

والقربان كل ما يتقرب به العبد الى الله عز وجل من اعمال البر من نسك وصدقة وذبح
وكل عمل صالح ويدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الصوم جنة والصلاة قربان
يعني انهما مما يتقرب بهما الى الله عز وجل وكانت القرابين والغنائم لا تحل لبني
اسرائيل وكانوا اذا قربوا قربانا او غنموا غنيمة جمعوا ذلك وجاءت نار بيضاء
من السماء لا دخان لها ولها دوي وحفيف فتاكل ذلك القربان او الغنيمة وتحرقه
فيكون ذلك دليلا وعلامة على القبول فاذا لم يقبل بقي على حاله ولم تنزل نار
وقال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فياخذون الثروب واطايب اللحم
فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم نبيهم عليه السلام في البيت
ويناجي ربه عز وجل وبنو اسرائيل خارج البيت حول البيت فتنزل نار بيضاء
لها دوي وحفيف ولا دخان لها فتاكل ذلك القربان ثم قال الله عز وجل مجيبا
عن هذه الشبهة التي ذكرها هؤلاء اليهود واقامة للحجة عليهم **قل** يعني قل
يا محمد لهؤلاء اليهود **قد جاءكم** يعني يا معشر اليهود **رسل من قبلي** يعني مثل زكريا
ويحيى وعيسى عليهم السلام **بالبينات** يعني بالدلالات الواضحات على صدقهم
وبالذي قلتم يعني ما طلبتموه من القربان **فلم قتلتموهم** يعني فلم قتلتم الانبياء
الذين اتوا بما طلبتم منهم مثل زكريا ويحيى وسائر من قتلوا من الانبياء
واراد بذلك فعل اسلافهم وانما خاطب بذلك اليهود الذين كانوا في زمن النبي
صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا راضين بفعل اسلافهم **ان كنتم صادقين** يعني في
دعواكم ومعناه تكذيبهم لانك يا محمد قد علمت بصدقك فكذلك اباؤهم لما اتاهم
انبياؤهم بالقربان ثم قال تعالى مسليا لنبيه صلى الله عليه وسلم **فان كذبوك**
يعني هؤلاء اليهود **فقد كذب رسل من قبلك** يعني مثل نوح وهود وصالح
وابراهيم وغيرهم من الرسل **جاؤوا بالبينات** يعني بالدلالات الواضحات
والمعجزات الباهرات **والزبر** اي الكتب واحدها زبور وكل كتاب فيه حكمة فهو
زبور واصله من الزبر وهو الزجر وسمي الكتاب الذي فيه الحكمة زبورا لانه
يزبر اي يزجر عن الباطل ويدعو الى الحق **والكتاب المنير** اي الواضح المضيء وانما
عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه وفضله وقيل اراد بالزبر الصحف
وبالكتاب المنير التوراة والانجيل قوله تعالى **كل نفس ذائقة الموت** يعني ان كل
نفس مخلوقة ذائقة الموت ولا بد لها منه قيل لما نزلت قل يتوفاكم ملك
الموت قالوا يا رسول الله انما نزلت في بني ادم فاين ذكر الموت للجن والانعام والوحوش
والطير فنزلت هذه الاية وقيل لما خلق الله ادم عليه السلام اشتكت الارض الى
ربها عز وجل لما اخذ منها فوعدها ان يرد فيها ما اخذ منها فما احد يموت الا
ويدفن في التربة التي خلق منها **فان قلت** الحور والولدان نفوس مخلوقة
في الجنة لا تذوق الموت فما حكم لفظة كل في قوله كل نفس ذائقة الموت **قلت**
لفظة كل لا تقتضي الشمول والاحاطة بدليل قوله تعالى واوتيت من كل شيء
ولم تؤت ملك سليمان فتكون الاية من العام المخصوص ويحتمل ان يكون المراد
بهم المكلفين بدليل سياق الاية وهو قوله **وانما توفون اجوركم** يعني توفون جزاء
اعمالكم **يوم القيمة** ان كان خيرا فخير وان كان شرا فشر **فمن زحزح عن النار وادخل
الجنة فقد فاز** يعني فمن نجا وابعد عن النار وادخل الجنة فقد ظفر بالنجاة والنجاح

من الخوف وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور يعني ان العيش في هذه الدار الفانية يغر الانسان
بما يمنيه من طول البقاء وسينقطع عن قريب فوصفت بانها متاع ولانها تغر بزينتها
المحجوب ويتبعه ويخيل للانسان انه يدوم وليس بدائم والمتاع كل ما استمتع به
الانسان من مال وغيره والمتاع كالفاس والقدر والقصعة ونحوه والغرور ما يغر
الانسان مما لا يدوم وقيل الغرور الباطل ومعنى الاية ان منفعة الانسان
بالدنيا كمنفعته بهذه الاشيا التي يستمتع بها ثم تزول عن قريب وقيل متاع
متروك يوشك ان يضمحل ويزول فخذوا من هذا المتاع واعملوا فيه بطاعة الله ما
استطعتم قال سعيد بن جبير هي متاع الغرور لمن لم يشتغل بطلب الاخرة فاما
من اشتغل بطلب الاخرة فهي له متاع وبلاغ الى ما هو خير منها ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقروا ان
شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين زاد الترمذي وفي
الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها واقروا ان شئتم
فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع
الغرور وقوله عز وجل لتبلون اللام لام القسم تقديره والله لتبلون
اي لتختبرن فيوقع عليكم المحن ليعلم المومن من غيره والاختبار طلب المعرفة
ليعرف الجيد من الردي وذلك في وصف الله محال لان الله تعالى عالم بحقائق
الاشيا قبل ان يخلقها فعلى هذا يكون معنى الاختبار في وصف الله تعالى
انه يعامل العبد معاملة المختبر في اموالكم يعني بالابتلا في الاموال النقصان
منها وقيل بما فرض فيها من الحقوق وانفسكم يعني بالمصايب والامراض
والقتل وفقد الاقارب والعشاير خوطب بهذه الاية المسلمون ليوطنوا
انفسهم على احتمال الاذى وما سيلقون من الشدايد والمصايب ليصبروا
على ذلك حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم
ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها ويشمئز منها ولتسمعن من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا قال عكرمة نزلت في
ابي بكر الصديق وفنحاص بن عازورا وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث ابا بكر الى فنحاص سيد بني قينقاع ليستمده وكتب اليه معه كتابا
وقال لابي بكر لا تفتاتن علي بشي حتى ترجع فجا ابو بكر وهو متوشح
بالسيف الى فنحاص فاعطاه الكتاب فلما قراه قال فنحاص قد احتاج
ربك حتى نمده فهم ابو بكر ان يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله
عليه وسلم لا تفتاتن علي بشي حتى ترجع فنزلت الاية وقال الزهري نزلت
هذه الاية في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب بن الاشرف اليهودي وذلك انه
كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم
في شعره ق عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب بن
الاشرف فانه قد اذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة اتحب يا رسول الله ان
اقتله قال نعم قال ائذن لي فلاقل قال قل فاتاه فقال له وذكر
ما بينهم وقال ان هذا الرجل قد اراد الصدقة وقد عنانا فلما سمعه

قال وايضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه ونكره ان ندعه حتى ننظر الى اي شي يصير
امره قال وقد اردت ان تسلفني سلفا قال فما ترهنني قال ما تريد قال ترهنني نساكم قال انت
اجمل العرب انرهنك نساءنا قال له ترهنوني اولادكم قال يسب ابن احدنا فيقال رهن
في وسقين من تمر ولكن نرهنك اللامة يعني السلاح قال فنعم وواعده ان ياتيه بالحارث
وابي عبس بن جبر وعباد بن بشر قال فجاوا فدعوه ليلا فنزل اليهم قالت امراته
اني لاسمع صوتا كانه صوت دم قال انما هو محمد ورضيعي ابو نائلة ان الكريم لو دعي
الى طعنة ليلا لاجاب قال محمد اني اذا جا فسوف امد يدي الى راسه فاذا استمكنت
منه فدونكم قال فلما نزل نزل وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب قال نعم تحتي
فلانة اعطر نسا العرب قال فتاذن لي ان اشم منه قال نعم فشم فتناول فشم
ثم قال اتاذن لي ان اعود قال فاستمكن من راسه ثم قال دونكم فقتلوه زاد
في رواية ثم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه وزاد اصحاب السير والمغازي
فاختلفت عليه اسيافنا فلم تغن شيا قال محمد بن مسلمة فذكرت معولا في سيفي
فاخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن الا اوقدت عليه نار
قال فوضعته في ثندوته ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته ووقع عدو الله وقد
اصيب الحارث بن اوس بجرح في راسه اصابه بعض اسيافنا فخرجنا وقد ابطا
علينا صاحبنا الحارث ونزفه الدم فوقفنا له ساعة حتى اتانا يتبع اثارنا
فحملناه وجينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم اخر الليل وهو قايم يصلي فسلمنا
عليه فخرج علينا فاخبرناه بقتل كعب بن الاشرف وجينا براسه اليه وتفل على
جرح صاحبنا ورجعنا الى اهلنا فاصبحنا وقد خافت اليهود وقعتنا بعدو الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظفرتم به من رجال اليهود فاقتلوه وانزل
الله عز وجل في شان كعب بن الاشرف اليهودي لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين اشركوا يعني
مشركي العرب اذى كثيرا يعني بالاذى قول اليهود ان الله فقير ونحن اغنيا وما
اشبه ذلك من افترايهم وكذبهم على الله ورسوله وما كان كعب بن الاشرف يهجوا
النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين فهذا هو الاذى الكثير وان تصبروا وتتقوا
الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين يعني وان تصبروا على الاذى وتتقوا
فيما امركم به ونهاكم عنه لان الصبر عبارة عن احتمال الاذى والمكروه والتقوى
عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي فان ذلك من عزم الامور اي من صواب التدبير
الذي لا شك ان الرشد فيه ولا ينبغي لعاقل تركه واصله من قولك عزمت عليك
ان تفعل كذا اي الزمتك ان تفعله لا محالة ولا تتركه وقيل معناه فان ذلك مما قد
عزم عليكم فعله اي الزمتم الاخذ به قوله تعالى واذ اخذ الله اي واذكر يا محمد
وقت اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى والمراد منهم
العلما خاصة وقيل المراد بالذين اوتوا الكتاب العلما والاحبار من اليهود خاصة
واخذ الميثاق هو التوكيد والالزام لبيان ما اوتوه من الكتاب وهو قوله عز وجل
لتبيننه للناس يعني لتبينن ما في الكتاب وليظهرنه للناس حتى يعلموه وذلك ان الله
اوجب على علما التوراة والانجيل ان يشرحوا للناس ما في هذين الكتابين
وليظهروه للناس حتى يعلموه وذلك ان الله اوجب على علما التوراة والانجيل

ان يشرحوا للناس ما في التوراة من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
ولا يكتمونه شيئا ولا يخفون ذلك عن الناس فنبذوه يعني الكتاب وقيل الميثاق وراء
ظهورهم اي فطرحوه وضيعوه وتركوا العمل به واشتروا به ثمنا قليلا يعني المآكل
والرشا التي كانوا ياخذونها من عوامهم وسفلتهم فبيس ما يشترون ذمهم الله على
فعلهم ذلك واعلم ان ظاهر هذه الاية وان كان مخصوصا بعلماء اهل الكتاب وهم
اليهود والنصارى فلا يبعد ان يدخل فيه علماء هذه الامة الاسلامية لانهم اهل
كتاب وهو القران وهو اشرف الكتب **ق** قتادة هذا ميثاق اخذه الله
تعالى على اهل العلم فمن علم شيا فليعلمه واياكم وكتمان العلم فانه هلكة وقال
ايضا مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم لا ياكل
ولا يشرب وقال ايضا طوبى لعالم ناطق ومستمع واع هذا علم علما فبذله وهذا
سمع خيرا فوعاه وفيه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل علما
يعلمه فكتمه الجم بلجام من نار يوم القيمة وقال ابو هريرة لولا ما اخذ الله عز وجل
على اهل الكتاب ما حدثتكم بشي ثم تلا هذه الاية واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا
الكتاب الاية وقال الحسين بن عمارة اتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فالفيته
على بابه فقلت ارايت ان تحدثني فقال اما علمت اني قد تركت الحديث فقلت اما
ان تحدثني واما ان احدثك قال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عتيبة عن يحيى بن
الجزار قال سمعت علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول ما اخذ الله على اهل الجهل
ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثني اربعين حديثا قوله
عز وجل لا تحسبن قرئ بالتاء على الخطاب اي ولا تحسبن يا محمد الفارحين
وقرئ بالياء على الغيبة يعني ولا يحسبن الفارحون والمعنى ولا تحسبن الذين
يفرحون فرحهم منجيا لهم من العذاب نزلت هذه الاية في المنافقين عن
ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رجالا من المنافقين على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانوا اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو
تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا له واحبوا ان يحمدوا
بما لم يفعلوا فنزلت ولا تحسبن **الذين يفرحون بما اتوا** الاية وقيل نزلت في اليهود
ق عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف ان مروان قال اذهب يا رافع لبوابه الى ابن
عباس فقل لئن كان امرؤ منا فرح بما اتى واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا
لنعذبن اجمعون فقال ابن عباس ما لكم ولهذه الاية انما نزلت هذه الاية في
اهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه
للناس هذه الاية وتلا ابن عباس ولا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا **ويحبون
ان يحمدوا بما لم يفعلوا** وقال ابن عباس سالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شي
فكتموه اياه واخبروه بغيره فخرجوا وقد اروه ان قد اخبروه بما سالهم عنه
واستحمدوا بذلك اليه وفرحوا بما اوتوا من كتمانهم اياه ما سالهم عنه بما اوتوا
يعني يفرحون بما فعلوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا اي ويحبون ان يحمدهم
الناس على شي لم يفعلوه قيل عني بذلك قوم من احبار اليهود وكانوا يفرحون
باضلالهم الناس وبنسبة الناس اياهم الى العلم قال ابن عباس واذا اخذ

لله

الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب اليم يعني فنحاص واشيع
واشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا
للناس من الضلالة ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا ان تقول لهم الناس علماء وليسوا
باهل علم وقيل هم اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم
وذلك انهم كتبوا الى يهود العراق والشام واليمن ومن بلغهم كتابهم من اليهود في
الارض كلها ان محمدا ليس بنبي فاثبتوا على دينكم فاجتمعت كلمتهم على الكفر
ففرحوا بذلك وقالوا نحن اهل الصوم والصلاة واحبوا ان يحمدوا على ذلك وقيل
فرحوا بما اوتوا من تبديل التورية واحبوا ان يحمدهم الناس على ذلك وقيل
ان يهود خيبر اتت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نحن نعرفك ونصدقك
وقالوا لاصحابه نحن على رايكم ونحن لكم ردء وليس ذلك في قلوبهم واحبوا ان
يحمدهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون على ذلك **فلا تحسبنهم بمفازة من
العذاب** اي فلا تظننهم بمنجاة من العذاب الذي اعده الله لهم في الدنيا
من القتل والاسر وضرب الذلة والجزية والصغار **ولهم عذاب اليم** يعني في
الاخرة وهذه الاية وان كانت قد نزلت في اليهود والمنافقين خاصة فان
حكمها عام في كل من احب ان يحمد بما لم يفعل من الخير والصلاح او ينسب الى
العلم وليس هو كذلك قوله تعالى **ولله ملك السموات والارض** يعني انه
تعالى مالك لما فيهما جميعا يتصرف فيه كيف يشا وفيه تكذيب لمن قال ان الله فقير
ونحن اغنيا فقول الله عز وجل من له جميع ما حوته السموات والارض من شي كيف يكون
من هذا ملكه فقيرا **والله على كل شي قدير** يعني انه تعالى قادر على تعجيل العقوبة
لهم على ذلك القول ولكنه تفضل على خلقه بامهالهم توبة عز وجل **ان في خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب**
قال ابن عباس ان اهل مكة سالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم باية فنزلت
هذه الاية والمعنى تفكروا واعتبروا ايها الناس فيما خلقته واسسته من السموات
والارض لمعاشكم وارزاقكم وفيما عقبته بينكم من الليل والنهار واختلافهما
من الطول والقصر وجعلهما يختلفان ويعتقبان عليكم لكي تتصرفوا فيهما
لمعايشكم وتطلبوا ارزاقكم في النهار وتسكنون بالليل لراحة اجسادكم فاعتبروا
وتفكروا يا اولي الالباب يعني يا ذوي العقول الصافية الذين يتجاوزون بظاهرهم
للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهايم غافلين عما فيها
من عجايب مخلوقاته وغرايب مبتدعاته **ق** عن ابن عباس انه بات عند ميمونة
ام المومنين وهي خالته قال فقلت لانظرن الى صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فطرحت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسادة فاضطجعت في عرض الوسادة
واضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واهله في طولها فنام رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى انتصف الليل او قبله بقليل او بعده بقليل ثم استيقظ
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده ثم قرا العشر
الايات الخواتم من سورة ال عمران ثم قام الى شن معلقة فتوضا منها فاحسن
وضوءه ثم قام يصلي قال عبد الله بن عباس فقمت فصنعت مثل ما صنع ثم ذهبت
فقمت الى جنبه فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده اليمنى على راسي واخذ باذني

فقبلها ثم صلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم اوتر ثم
اضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح
وفي رواية فقمت عن يساره فاخذني فجعلني عن يمينه **وفي رواية** قال بت في
بيت خالتي ميمونة فتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اهله ساعة ثم رقد فلما
كان ثلث الليل الاخر قعد فنظر الى السما فقال ان في خلق السموات والارض واختلاف
الليل والنهار لايات لاولي الالباب وقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما
وقعودا وعلى جنوبهم قال علي بن ابي طالب وابن مسعود وابن عباس وقتادة
هذا في الصلاة يعني الذين يصلون قياما فان عجزوا فقعودا فان عجزوا
فعلى جنوبهم والمعنى انهم لا يتركون الصلاة في حال من الاحوال بل يصلون
في كل حال عن عمران بن حصين قال كانت لي بواسير فسالت النبي صلى الله
عليه وسلم عن الصلاة فقال صل قايما فان لم تستطع فقاعدا فان لم
تستطع فعلى جنب واخرجه الترمذي وقال فيه سالته عن صلاة المريض و
ذكر نحوه قال الشافعي رضي الله عنه ان صلى المريض يصلي جالسا ووجب عليه
ان يصلي على جنب ويومي براسه ايما وقال ابو حنيفة رحمه الله بل يصلي
مستلقيا على ظهره فان وجد خفة قعد وحجة الشافعي ظاهر الاية وهو
قوله وعلى جنوبهم وقوله صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين فان لم
تستطع فعلى جنب فنص على الجنب دون غيره وقال اكثر المفسرين اراد
به المداومة على الذكر في غالب الاحوال لان الانسان قل ان يخلو من احدى
هذه الثلاث حالات وهي القيام والقعود وكونه نايما على جنبه عن
عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل في كل
احيانه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعدا
لم يذكر الله فيه لم يكن كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضجعا لا يذكر
الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى احد ممشى لا يذكر الله فيه
الا كانت عليه من الله ترة اخرجه ابو داود والترة النقص وقيل هاهنا
التبعة وقوله تعالى ويتفكرون في خلق السموات والارض اصل الفكر
اعمال الخاطر في شي وتردد القلب في ذلك الشي وهو قوة مطرقة للعلم الى
المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل ولا يكون التفكر
الا فيما له صورة في القلب ولهذا قيل تفكروا في الا الله ولا تفكروا في
الله لان الله منزه ان يوصف بصورة فلذلك اخبر عن عباده
الصالحين بانهم يتفكرون في خلق السموات والارض وما ابدع فيهما من عجايب
مصنوعاته وغرايب مبتدعاته ليدلهم ذلك على كمال قدرة الصانع سبحانه
وتعالى ويعلمون ان لها خالقا قادرا مدبرا حكيما لان عظم اثاره وافعاله
تدل على عظم خالقها سبحانه وتعالى كما قيل

وفي كل شي له اية ۞ تدل على انه واحد

وقيل ان التفكر مطلوب من الفكر لان التفكر مستعمل في المعاني وهو فرك
الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها وقيل الفكرة تذهب الغفلة
وتجذب للقلب الخشية كما يجذب الما الزرع النبات وما جليت القلوب بمثل

الاحزان

الاحزان ولا استنارت بمثل الفكر **ربنا** اي ويقولون ربنا وقيل معناه يتفكرون
في خلق السموات والارض قايلين **ما خلقت هذا باطلا** يعني عبثا وهزلا بل
خلقته دليلا على وحدانيتك وكمال قدرتك **سبحانك** تنزيها لك عن ان تخلق
شيا عبثا لغير حكمة **فقنا عذاب النار** يعني انا قد صدقنا بوحدانيتك وان
لك جنة ونارا فقنا عذاب النار المقصود من قوله سبحانك فقنا عذاب النار تعليم
عباده كيفية الدعا فمن اراد ان يدعو فليقدم الثنا على الله اولا ويدل عليه
قوله سبحانك وبعد ذلك الثنا ياتي بالدعا ويدل عليه قوله فقنا عذاب
النار **ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته** اي اهنته واذللته وقيل
اهلكته وقيل فضحته والخزي في اللغة اذا ابه والخزي ضرب من الاستخفاف او
انكسار يلحق الانسان وهو الحيا المفرط **فان قلت** قد تمسكت
المعتزلة بهذه الاية وقالوا قد اخبر الله انه لا يخزي النبي والذين امنوا معه فوجب
ان كل من يدخل النار لا يكون مومنا لقوله انك من تدخل النار فقد اخزيته
والمومن لا يخزى **قلت** قد ذكر العلما في الجواب وجوها احدها ما روي
عن انس في تفسير قوله تعالى انك من تدخل النار فقد اخزيته قال من تخلده
وروي نحوه عن سعيد بن المسيب قال هي خاصة لمن لا يخرج منها وهذا الجواب
انما يصح على مذهب اهل السنة الذين يرون اخراج الموحدين من النار اما
على مذهب المعتزلة فلا يصح هذا الجواب لان من مذهبهم ان الفاسق مخلد
في النار وهو داخل في قوله فقد اخزيته الوجه الثاني في الجواب ان المدخل
في النار مخزي في حال دخوله وان كانت عاقبته ان يخرج منها ويحتمل الاية
على هذا فقد اخزيته بدخوله فيها وتخفف بيه بها ويدل على صحة هذا
ما روي عن عمرو بن دينار قال قدم علينا جابر بن عبد الله في عمرة فانتهيت
اليه انا وعطا فسالته عن هذه الاية ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته
فقال وما اخزاه حين احرقه بالنار ان دون ذلك لخزيا ان هذا الوجه هو
اختيار ابن جرير الطبري لان من ادخل النار فقد خزي بدخولها
ايا ما وان اخرج منها وذلك الخزي هو هتك المخزي وفضيحته وقال
ابن الانباري حمل الاية على العموم اولى من نقلها الى خصوص لا دليل
عليه الوجه الثالث في الجواب ما قاله اهل المعاني وهو ان المخزي يحتمل
معان منها الاهانة والاهلاك والابعاد وهذا للكفار ومنها الاخجال
يقال خزي خزاية اذا استحيا واذا عمل عملا يستحيى منه وخجل فيكون خزي
المومن الذي يدخل النار الحيا من المومنين بدخوله النار الى ان يخرج
منها وخزي الكافر الهلاك بالخلود في النار وحاصل هذا الجواب ان لفظ
الاخزا مشترك بين التخجيل والاهلاك واللفظ المشترك لا يمكن حمله
على طرفي النفي والاثبات على مقتضيه جميعا ومعنا ينسقط الاستدلال الوجه
الرابع في الجواب وهو الذي اختاره النحرير الرازي وصححه ان قوله تعالى
يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه لا يقتضي نفي الاخزا مطلقا وانما
يقتضي انه لا يحصل الاخزا حال ما يكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وهذا النفي
لا ينافيه اثبات الاخزا في الجملة لحال ما يكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم

تنبيه

بينهما

وهذا النفي لا ينافيه اثبات الاخزا في الجملة لاحتمال ان يحصل ذلك الاثبات في وقت
اخر والله اعلم قوله تعالى وما للظالمين يعني المشركين الذين وضعوا العبادة
في غير موضعها من انصار يعني ينصرونهم يوم القيمة او يمنعونهم من العذاب قوله
عز وجل ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان قال ابن عباس واكثر المفسرين
المنادي هو محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا قوله ادع الى سبيل ربك
بالحكمة وقوله وداعيا الى الله باذنه وقال محمد بن كعب القرظي المنادي هو القران
قال اذ ليس كل احد يلقى النبي صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول
ان كل احد يسمع القران فيفهمه كانه دعاه الله تعالى الى الايمان به فقد فاز به
وذلك لان القران يشتمل على الرشد والهدى وانواع الدلايل الدالة على
الوحدانية فصار كالداعي اليها واللام في الايمان بمعنى الى يعني ينادي الى الايمان
ان امنوا بربكم فامنا اي فصدقنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا اي كبائر ذنوبنا وكفر
عنا سياتنا اي صغائر ذنوبنا وقيل ان الغفر هو الستر والتغطية وكذلك
التكفير فانهما بمعنى واحد وانما ذكرهما للتاكيد لان الالحاح في الدعا والمبالغة
فيه مندوب اليه وقيل معناه اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سياتنا
المستقبل وقيل يريد بالغفران ما يزول بالتوبة من الذنوب وبالتكفير ما يكفر
بالطاعات من الذنوب وتوفنا مع الابرار يعني في جملتهم وزمرتهم والابرار هم الانبيا
والصالحون والمعنى توفنا على مثل اعمالهم يعني تكون في درجتهم يوم القيمة
وقيل توفنا في جملة اتباعهم واشياعهم ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك
يعني على السنة رسلك وقيل معناه واتنا ما وعدتنا على تصديق رسلك
فان قلت كيف سالوا الله انجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد **قلت**
معناه انهم طلبوا من الله تعالى التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد
وقيل هو من باب اللجا الى الله والتذلل له واظهار الخضوع والعبودية كما
ان الانبيا عليهم السلام يستغفرون الله مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون
بذلك التذلل لربهم سبحانه وتعالى والتضرع اليه واللجا اليه الذي هو
سيما العبودية وقيل معناه ربنا فاجعلنا ممن يستحق ثوابك وتوتيهم ما
وعدتهم على السنة رسلك لانهم لم يتيقنوا بذلك الدلايل لربهم سبحانه
وتعالى في التضرع اليه استحقاقهم لتلك الكرامة فسالوه ان يجعلهم
مستحقين لها وقيل انما سالوه تعجيل ما وعدهم من النصر على الاعدا
قالوا قد علمنا انك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل هلاكهم
وانصرنا عليهم ولا تخزنا يوم القيمة يعني ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا
في ذلك اليوم **فان قلت** قوله واتنا ما وعدتنا على رسلك يدل
على طلب الثواب ومعنى حصول الثواب انه رفع العقاب لا محالة فما معنى قوله
ولا تخزنا وهو طلب دفع العقاب عنهم **قلت** المقصود من الاية طلب
التوفيق على الطاعة والعصمة عن فعل المعصية كانهم قالوا وفقنا للطاعة
واذا وفقتنا لها فاعصمنا عن فعل ما يبطلها ويوقعنا في الخزي وهو الهلاك
ويحتمل ان يكون قوله ولا تخزنا يوم القيمة سبب لقوله تعالى وبدا لهم من
الله ما لم يكونوا يحتسبون فانه ربما ظن الانسان انه على عمل صالح فاذا كان يوم

القيمة ظهر له على غير ما ظن فيحصل الخجل والحسرة والندامة في موقف القيامة
فسالوا الله ان يزيل عنهم ذلك فقالوا ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد فاستجاب
لهم ربهم يعني اجاب دعاهم واعطاهم ما سالوه اني اي بانى وقال لهم اني لا اضيع
عمل عامل منكم يعني لا احبط عملكم ايها المومنون بل اثيبكم عليها واجزيكم بها من ذكر
او انثى يعني لا اضيع عمل عامل ذكر كان او انثى عن ام سلمة قالت قلت يا رسول
الله لا اسمع الله تعالى ذكر النسا في الهجرة بشي فانزل الله تعالى اني لا اضيع عمل عامل منكم
من ذكر او انثى بعضكم من بعض الى والله عنده حسن الثواب اخرجه الترمذي
وقوله تعالى بعضكم من بعض يعني في الدين والنصرة والموالاة وقيل كلكم من ادم
وحوى وقيل معنى الكاف اي بعضكم كبعض في الثواب على الطاعة والعقاب على
المعصية فهو كالمثال فلا فرق يعني على خلقي وسيرتي وقيل ان الرجال والنسا
في الطاعة على شكل واحد فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في
سبيلي يعني المهاجرين الذين هجروا الاوطانهم واهليهم واذاهم المشركون بسبب
اسلامهم ومتابعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فخرجوا مهاجرين الى الله ورسوله
وتركوا اوطانهم وعشايرهم لله ولرسوله ومعنى قوله في سبيلي في طاعتي وديني
وابتغا مرضاتي وهم المهاجرون الذين اخرجهم المشركون من مكة فهاجر طايفة الى
الحبشة وطايفة الى المدينة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد هجرته
فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة رجع اليه من كان هاجر الى
الحبشة من المسلمين وقاتلوا وقتلوا يعني وقاتلوا العدو واستشهدوا في
جهاد الكفار لاكفرن عنهم سياتهم يعني لامحون عنهم ذنوبهم ولاغفرنها لهم
ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله يعني ذلك الذي ذكرت
من تكفير سياتهم وادخالهم الجنة ثوابا من فضل الله واحسانه اليهم والله عنده حسن
الثواب وهذا تاكيد لكون ذلك الثواب الذي اعطاهم من فضله وكرمه لانه جواد
كريم **روى** ابن جرير الطبري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ثلاثة تدخل الجنة فقرا
المهاجرين الذين يتقى بهم المكاره اذا امروا سمعوا واطاعوا وان كانت لرجل
منهم حاجة الى سلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره وان الله عز وجل
يدعو يوم القيامة الجنة فتاتي بزخرفها وزينتها فيقول اين عبادي الذين
قاتلوا في سبيلي وقتلوا واوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة
فيدخلونها بغير عذاب ولا حساب وتاتي الملايكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن
نسبح لك الليل والنهار ونقدس لك من هولا الذين اثرتهم علينا فيقول الرب
عز وجل هولا عبادي الذين قاتلوا في سبيلي واوذوا في سبيلي فتدخل الملايكة
عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار قال بعضهم في هذه الاية
تعليم من الله لعباده كيف يدعو وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب
الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وقال جعفر الصادق من حزبه امر فقال
خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الايات وقال الحسن حكى
الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم قوله عز وجل لا يغرنك تقلب
الذين كفروا في البلاد نزلت في المشركين وذلك انهم كانوا في رخا ولين من العيش

يتجرون ويتنعمون فقال بعض المؤمنين ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من
الجهد فانزل الله هذه الاية لا يغرنك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
به غيره من الامة لانه صلى الله عليه وسلم لم يغتر قط والمعنى لا يغرنك ايها السامع
تقلب الذين كفروا في البلاد يعني ضربهم في الارض وتصرفهم في البلاد للتجارة
وطلب الارباح والمكاسب متاع قليل يعني ان ذلك متاع قليل وبلغة فانية
ومتعة زائلة ثم مأواهم جهنم يعني مصيرهم في الآخرة جهنم وبئس المهاد
اي وبئس الفراش ثم قال تعالى لكن الذين اتقوا ربهم يعني امرهم بتقوى
من الجهل بطاعته واتباع مرضاته واجتناب ما نهاهم عنه من معاصيه لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا اي جزاء وثوابا والنزل ما يهيأ
للضيف عند قدومه من عند الله يعني الجنة والكرامة والنعيم الدائم
الذي لا ينقطع وما عند الله خير للابرار يعني ذلك الذي اعد الله
للمطيعين الابرار خير مما يتقلب فيه هؤلاء الكفار من نعيم الدنيا ومتاعها
فانه قليل زائل ق عن عمر بن الخطاب قال جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا هو في مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت راسه اهب
معلقة فرأيت اثر الحصير في جنبه فبكيت فقال ما يبكيك قلت يا رسول الله ان
كسرى وقيصر فيما هم فيه وانت رسول الله فقال اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا
الآخرة لفظ البخاري المشربة الغرفة والعلية والمشارب العلالي قوله عز وجل
وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم قال ابن عباس نزلت
في النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة ومعناه بالعربية عطية وذلك انه لما مات نعاه
جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم قد مات
بغير ارضكم النجاشي فخرج الى البقيع وكشف له الى ارض الحبشة فابصر
سرير النجاشي فصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر له فقال المنافقون
انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني لم يره قط وليس على دينه
فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في اربعين رجلا من اهل نجران واثنين
وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى صلى الله
عليه وسلم فامنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصدقوه وقيل نزلت في عبد
الله بن سلام واصحابه الذين امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت
في جميع مؤمني اهل الكتاب وهذا القول اولى لانه لما ذكر احوال الكفار
واحوال اهل الكتاب وان مصيرهم الى الجنة فقال تعالى وان من اهل الكتاب
يعني بعض اليهود والنصارى اهل التوراة والانجيل لمن يؤمن بالله يعني من
يقر بوحدانية الله وما انزل اليكم يعني ويؤمن بما انزل اليكم ايها المؤمنون
يعني القرآن وما انزل اليهم يعني من الكتب المنزلة يعني من التوراة والكتب المنزلة
التوراة والانجيل والزبور خاشعين لله يعني خاضعين ومتواضعين له
غير مستكبرين لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا يعني لا يغيرون كتبهم ولا يحرفونها
ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والمآكل والرشا كما فعله
غيرهم من رؤساء اليهود اولئك اشارة الى من هذه صفته من اهل الكتاب لهم اجرهم

وسادة حشوها ليف وعند رجليه قرظا مصبوبا وعند راسه

عند

عند ربهم يعني لهم ثواب اعمالهم التي عملوها لله وذلك الثواب لهم ذخر عند الله
يوفيهم اياه يوم القيامة ان الله سريع الحساب يعني انه تعالى عالم بجميع المعلومات
لا يخفى عليه شيء من اعمال عباده فيجازي كل احد على قدر عمله لانه سريع الحساب
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا يعني على دينكم الذي انتم عليه ولا تدعوه
لشدة ولا لغيرها واصل الصبر حبس النفس عما لا تقتضيه شرع ولا عقل
والصبر لفظ عام تحته انواع من المعاني قال بعض الحكماء الصبر على ثلاثة اقسام
ترك الشكوى وقبول القضاء وصدق الرضا على طاعة الله وقيل على اداء الفرائض
وقيل على تلاوة القرآن وقيل اصبروا على امر الله تعالى وقيل اصبروا على البلاء
وقيل على الجهاد وقيل اصبروا على احكام الكتاب والسنة وصابروا اي الكفار
والاعداء وجاهدوهم ورابطوا يعني وداوموا على جهاد المشركين واثبتوا عليه
واصل المرابطة ان يربط هؤلاء خيولهم وهؤلاء خيولهم بحيث يكون كل من الخصمين
مستعدا لقتال الآخر ثم قيل لكل مقيم بثغر يدفع عمن وراءه
مرابط وان لم يكن له مركب مربوط خ عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد
في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط احدكم من الجنة خير
من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله او الغدوة خير من
الدنيا وما عليها م عن سلمان الخير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات فيه جرى عليه عمله
الذي كان يعمله واجري عليه رزقه وامن الفتان وقيل المراد بالمرابطة انتظار
الصلاة بعد الصلاة قال ابو سلمة بن عبد الرحمن لم يكن في زمن النبي صلى الله عليه
وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة ويدل على صحة
هذا التاويل ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا ادلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول
الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار
الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط اخرجه مسلم واتقوا الله لعلكم
تفلحون قال محمد بن كعب القرظي يقول الله عز وجل اتقوا الله فيما بيني
وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتموني وقال اهل المعاني في معنى هذه
الاية يا ايها الذين امنوا اصبروا على بلائي وصابروا على نعمائي ورابطوا على
مجاهدة اعدائي واتقوا محبة سواي لعلكم تفلحون بلقائي وقيل اصبروا على
النعماء وصابروا على البأساء والضراء ورابطوا في دار الاعداء واتقوا اله الارض
والسماء لعلكم تفلحون في دار البقاء وقيل اصبروا على الدنيا ومحنتها رجاء السلامة
وصابروا عند القتال بالثبات والاستقامة ورابطوا على مجاهدة النفس اللوامة
واتقوا ما يعقبكم الندامة لعلكم تفلحون غدا في دار الكرامة والله اعلم بمراده
واسرار كتابه

تفسير سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية وثلاثة آلاف وخمس واربعون
كلمة وستة عشر الف حرف وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها الناس خطاب للكافة كقوله يا بني آدم اتقوا ربكم اي احذروا ربكم ان تخالفوه فيما امركم به ونهاكم عنه ثم وصف نفسه بكمال القدرة فقال تعالى الذي خلقكم من نفس واحدة يعني من اصل واحد وهو آدم ابو البشر عليه السلام وانث الوصف على لفظ النفس وان كان المراد به الذكر فهو كما قال بعضهم

ابوك خليفة ولدته اخرى ٭ وانت خليفة ذاك الكمال ٭

انما قال ولدته اخرى لتانيث الخليفة وخلق منها زوجها يعني حوى وذلك ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام القى عليه النوم ثم خلق حوى من ضلع من اضلاعه اليسرى وهو قصيرى فلما استيقظ رآها جالسة عند راسه فقال لها ما انت قالت امراة قال لما خلقت قالت لتسكن الي فمال اليها والفها لانها خلقت منه واختلفوا في اي وقت خلقت حوى فقال كعب الاحبار ووهب وابن اسحاق خلقت قبل دخول الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس انها خلقت في الجنة بعد دخوله اياها وبث منهما يعني نشر واظهر من آدم وحوى رجالا كثيرا ونساء انما وصف الرجال بالكثرة دون النساء لان حال الرجال اتم واكمل وهذا كالتنبيه على ان اللائق بحال الرجال الظهور والاشتهار وبحال النساء الاخفاء والخمول واتقوا الله الذي تساءلون به انما كرر ذكر التقوى للتاكيد وان اهل ان يتقى والتساءل بالله هو كقولك اسالك بالله او حلفت عليك بالله واستشفع اليك بالله والارحام قرئ بفتح الميم ومعناه واتقوا الارحام ان تقطعوها وقرئ بكسر الميم هو كقوله سالتك بالله وبالرحم وناشدتك بالله وبالرحم لان العرب كان من عادتهم ان يقولوا ذلك والرحم القرابة وانما استعير اسم الرحم للقرابة لانهم خرجوا من رحم واحدة وقيل هو مشتق من الرحمة لان القرابة يتراحمون ويعطف بعضهم على بعض وفي الآية دليل على تعظيم حق الرحم والنهي عن قطعها ويدل على ذلك ايضا الاحاديث الواردة في ذلك (ق) عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط عليه في رزقه وينسا له في اثره فليصل رحمه قوله ينسا له في اثره اي يؤخر له في اجله (ق) عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع قال سفيان في روايته يعني قاطع رحم وعن الحسن قال من سالك بالله فاعطه ومن سالك بالرحم فاعطه وعن ابن عباس قال الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت عنه ان الله كان عليكم رقيبا يعني حافظا والرقيب في صفة الله تبارك وتعالى هو الذي لا يغفل عما خلق فيلحقه نقص ويدخل عليه خلل وقيل هو الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء من امر خلقه فبين بقوله ان الله كان عليكم رقيبا انه يعلم السر واخفى واذا كان كذلك فهو جدير بان يخاف ويتقى قوله تعالى وآتوا اليتامى اموالهم نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم كان في حجره فلما بلغ اليتيم طلب المال الذي له فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله

من الحوب الكبير ودفع الى اليتيم ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الصبي ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا كيف بقي الوزر قال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على والده والخطاب في قوله تعالى وآتوا للاولياء والاوصياء واليتامى جمع يتيم وهو الصبي الذي مات ابوه واليتم في اللغة الانفراد ومنه الدرة اليتيمة لانفرادها واسم اليتيم يقع على الصغير والكبير لغة لبقائه بعد الانفراد عن الآباء لكن في العرف اختص اسم اليتيم بمن لم يبلغ مبالغ الرجال فاذا بلغ الصبي وصار يستغني بنفسه عن غيره زال عنه اسم اليتيم وسئل ابن عباس عن اليتيم متى ينقطع عنه اسم اليتم قال اذا اونس منه الرشد وانما سماهم يتامى بعد البلوغ على مقتضى اللغة او لقرب عهدهم باليتم وان كان قد زال عنهم بالبلوغ وقيل المراد باليتامى الصغار الذين لم يبلغوا الحلم فعلى هذا وآتوا اليتامى اموالهم بعد البلوغ وتحقق الرشد وقيل معناه وآتوا اليتامى الصغار ما يحتاجون اليه من نفقة وكسوة والقول الاول هو الصحيح ان المراد باليتامى البالغين لانه لا يجوز دفع المال الى اليتيم الا بعد البلوغ وتحقق الرشد ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب يعني بالخبيث الذي هو حرام عليكم بالحلال من اموالكم واختلفوا في هذا التبديل فقال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي كان اولياء اليتيم ياخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردي فربما كان احدهم ياخذ الشاة السمينة ويجعل مكانها المهزولة وياخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول شاة بشاة ودرهم بدرهم فذلك تبديلهم فنهوا عنه وقال عطاء هو الربح في مال اليتيم وهو غر لا علم له بذلك وقيل انه التبدل بالخبيث وانما هو اخذه مستهلكا وذلك ان اهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والصغار وانما كان ياخذ الميراث الاكابر من الرجال وقيل هو اكل مال اليتيم عوضا عن اكل اموالهم فنهوا عن ذلك ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم يعني مع اموالكم وقيل معناه ولا تضموا اموالهم الى اموالكم في الانفاق واعلم ان الله تعالى نهى عن اكل مال اليتيم واراد به جميع التصرفات المهلكة للمال وانما ذكر الاكل لانه معظم المقصود انه كان حوبا كبيرا يعني ان اكل مال اليتيم بغير حق اثم كبير والحوب الاثم قوله عز وجل وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى يعني وان خفتم يا اولياء اليتامى ان لا تعدلوا فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب (ق) عن عروة انه سال عائشة عن قوله تعالى وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء الى قوله او ما ملكت ايمانكم قالت يا ابن اختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد ان ينتقص صداقها فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن قالت عائشة فاستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز وجل ويستفتونك في النساء الى قوله وترغبون ان تنكحوهن فبين الله لهم في هذه الآية ان اليتيمة اذا كانت

ذات جمال ومال رغبوا في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في اكمال الصداق واذا كانت
مرغوبة عنها في قلة المال والجمال تركوها والتمسوا غيرها من النساء قال فكما
يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا رغبوا فيها الا ان يقسطوا
لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق وقال الحسن كان الرجل من اهل المدينة
تكون عنده الايتام وفيهن من تحل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهي لا تعجبه
كراهية ان يدخل غريب فيشاركه في مالها ثم يسيء صحبتها ويتربص بها ان تموت
فيرثها فعاب الله ذلك عليهم وانزل هذه الاية **وقال** عكرمة في رواية
عن ابن عباس كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء الاكثر فاذا صار
معدما من مؤن نسائه صار الى مال يتيمه الذي في حجره فانفقه فقيل
لهم لا تزيدوا على اربع حتى لا يحوجكم الى اخذ اموال اليتامى وقيل كانوا
يتحرجون عن اموال اليتامى ويترخصون في النساء فيتزوجون ما شاؤوا فربما عدلوا
وربما لم يعدلوا فلما انزل الله تعالى في اموال اليتامى وآتوا اليتامى اموالهم
انزل ايضا هذه الاية وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى يقول فكما خفتم الا تقسطوا
في اليتامى فكذلك خافوا في النساء ان لا تعدلوا فيهن ولا تتزوجوا اكثر
مما يمكنكم القيام بحقهن لان النساء في الضعف كاليتامى وهذا قول سعيد بن جبير
وقتادة والضحاك والسدي ثم رخص الله في نكاح اربع فقال تعالى فانكحوا
ما طاب لكم من النساء يعني ما حل لكم من النساء واستدلت الظاهرية
بهذه الاية على وجوب النكاح قالوا لان قوله فانكحوا امر والامر للوجوب
واجيب عنه بان قوله تعالى فانكحوا انما هو بيان لما يحل من العدد في النكاح
وتمسكا ان يدخل في بيان ان النكاح ليس بواجب بقوله ومن لم يستطع منكم
طولا ان ينكح الى قوله ذلك لمن خشي العنت منكم وان تصبروا خير لكم فاخبر انه
تحكم في هذه الاية بان ترك النكاح خير من فعله وذلك يدل على انه ليس
بواجب ولا مندوب وقوله تعالى **مثنى وثلاث ورباع** معناه اثنين اثنين
وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا وهو غير منصرف لانه اجتمع فيه امران العدل
والوصف والواو بمعنى او في هذا الفصل لانه لما كانت او بمعنى الواو فالشق
جاز ان يكون الواو بمعنى او وقيل اذا الواو فاراد انه يجوز لكل احد ان
يختار لنفسه قسما من هذه الاقسام بحسب حاله فان قدر على نكاح اثنتين
فاثنتين وان قدر على ثلاث فثلاث وان قدر على اربع فاربع لا انه يضم
عددا الى عدد واجمعت الامة انه لا يجوز لاحد ان يزيد على اربع نسوة وان الزيادة
على اربع من خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي لا يشاركه فيه احد
من الامة ويدل على ان الزيادة على اربع غير جائزة وانه حرام ما روي
عن الحرث بن قيس او قيس بن الحرث قال اسلمت وعندي ثمان نسوة فذكرت
ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن اربعا اخرجه ابو
داود وعن ابن عمر ان غيلان بن سلمة الثقفي اسلم وله عشر نسوة في الجاهلية
فاسلمن معه فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتخير منهن اربعا اخرجه
الترمذي قال العلماء فيجوز للحر ان يجمع بين اربع نسوة حرائر ولا يجوز للعبد
ان ينكح اكثر من امراتين وهو قول اكثر العلماء لانه خطاب لمن ولي وملك وذلك

للاحرار دون العبيد وقال مالك في احدى الروايتين عنه وربيعة يجوز للعبد
ان يتزوج باربع نسوة واستدل بهذه الاية **واجاب الشافعي**
بان هذه مختصة بالاحرار ويدل عليه اخر الاية وهو قوله فان خفتم الا تعدلوا
فواحدة او ما ملكت ايمانكم والعبد لا يملك شيئا فثبت بذلك ان المراد من حكم الاية
الاحرار دون العبيد وهو قوله تعالى **فان خفتم** يعني فان خشيتم وقيل
فان علمتم **الا تعدلوا** يعني بين الازواج الاربع **فواحدة** يعني فانكحوا
واحدة **او ما ملكت ايمانكم** يعني وما ملكتم من السراري لانه لا يلزم فيهن
من الحقوق مثل ما يلزم في الحرائر ولا قسم لهن **ذلك ادنى** اي اقرب **الا تعولوا**
معناه ذلك اقرب من ان لا تعولوا فحذف لفظة من لدلالة الكلام عليه
ومعنى ان لا تعولوا اي لا تميلوا ولا تجوروا وهو قول اكثر المفسرين لان اصل
العول الميل يقال عال الميزان اذا مال وقيل معناه لا تجاوزوا ما فرض الله
عليكم ومنه عول الفرائض اذا جاوزت سهامها وقيل معناه ذلك ادنى الا تفتقروا
وقال الشافعي رحمه الله معناه ان لا تكثر عيالكم وقد انكر على الشافعي من
ليس له احاطة بلغة العرب فقال انما يقال من كثرة العيال اعال الرجل يعيل
اعالة اذا كثر عياله قال وهذا من خطا الشافعي لانه تفرد به ولم يوافقه عليه
احد وانما قال هذه المقالة من انكر على الشافعي وخطاه من لا علم له بلغة
العرب فقد **روى** الازهري في كتابه تهذيب اللغة عن عبد الرحمن بن
زيد بن اسلم في قوله ان لا تعولوا اي لا تكثر عيالكم وروى الازهري عن الكسائي
قال عال الرجل اذا افتقر واعال اذا كثر عياله قال ومن العرب الفصحاء من
يقول عال يعول اذا كثر عياله قال الازهري رحمه الله ويقوي قول الشافعي لان
الكسائي لا يحكي عن العرب الا ما حفظه وضبطه وقول الشافعي نفسه حجة لانه عربي
فصيح والذي اعترض عليه وخطاه عجل ولم يتثبت فيما قال ولا ينبغي للحضري
ان يعجل الى انكار ما لا يحفظه من لغات العرب هذا اخر كلام الازهري وبسط
الامام فخر الدين العبارة في هذا الموضع من تفسيره ورد على ابي بكر الرازي
وقال الطعن لا يصدر الا عن كثرة الغباوة وقلة المعرفة وحكى البغوي
عن ابي حاتم قال كان الشافعي اعلم بلسان العرب منا ولعله لغة ويقال
هي لغة حمير وقرا طلحة بن مصرف ان لا تعيلوا وهي حجة للشافعي **وآتوا النساء**
صدقاتهن نحلة قال الكلبي وجماعة هذا خطاب للاولياء قال ابو صالح
كان الرجل اذا زوج ايمة اخذ صداقها دونها فنهاهم الله عن ذلك وقيل
ان ولي المراة كان اذا زوجها فان كانت معهم في العشيرة لم يعطها من مهرها
قليلا ولا كثيرا واذا كان زوجها غريبا حملوها اليه على بعير ولا يعطونها
من مهرها غير ذلك فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يدفعوا الحق الى اهله
وقال الحضرمي كان اولياء النساء يعطي هذا اخته على ان يعطيه الاخر اخته ولا
مهر بينهما وهذا هو الشغار فنهاهم الله عن ذلك وامرهم بتسمية المهر في العقد
ق عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الشغار والشغار ان
يزوج الرجل ابنته على ان يزوجه الرجل ابنته وليس بينهما صداق وقيل الخطاب
للازواج وهذا اصح وهو قول الاكثرين لان الخطاب فيما قبل مع الناكحين وهم

الأزواج أمرهم الله بأن يؤتوا نساءهم الصدقات والصدقات المهور واحدها صدقة
بفتح الصاد وضم الدال نحلة يعني فريضة مسماة وقيل عطية وهبة وقيل نحلة
يعني عن طيب نفس وأصل النحلة العطية على سبيل التبرع وهو أخص من الهبة
وتسمى الصداق نحلة من حيث أنه لا يجب في مقابلته غير التمتع دون عوض
مالي (ق) عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق الشروط
أن توفوا بها ما استحللتم به الفروج وقوله تعالى فإن طبن يعني النساء
المنزوجات لكم يعني للأزواج عن شيء منه يعني من الصداق ومن هنا لبيان
الجنس لا للتبعيض لأنها لو وهبت المرأة لزوجها جميع صداقها جاز نفسا
نصب على التمييز والمعنى فإن طابت نفوسهن عن شيء من ذلك الصداق فوهبن
ذلك لكم فنقل الفعل من النفوس إلى أصحابها فخرجت النفس مفسرا
فلذلك وحد النفس وقيل لفظه واحد ومعناه الجمع فكلوه يعني ما وهبنه لكم
هنيئا مريئا يعني طيبا سائغا وقيل الهنيء الطيب المساغ الذي لا ينغصه
شيء والمريء المحمود العاقبة وفي الآية دليل على إباحة هبة المرأة
صداقها وأنها تملكه ولا حق للولي فيه قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم
اختلفوا في هؤلاء السفهاء من هم فقيل هم النساء نهى الله الرجال أن يؤتوا
النساء أموالهم سواء كن أزواجا أو بنات أو أمهات وقيل هم الأولاد خاصة هو
يقول لا تعط ولدك السفيه مالك الذي هو قيامك بعد الله فيفسده عليك
وقيل هي امرأتك وابنتك السفيهة قال ابن عباس لا تعمد إلى مالك الذي خولك
الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك وبنتك فيكونوا هم الذين يقومون
عليك ثم تنظر إلى ما في أيديهم أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذي تنفق
عليهم في رزقهم ومؤنتهم **وقال الكلبي** إذا علم الرجل أن امرأته
سفيهة مفسدة وأن ولده سفيه مفسد لا ينبغي له أن يسلط واحدا منهما على
ماله فيفسده وقال سعيد بن جبير هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤته
إياه وأنفق عليه منه حتى يبلغ وإنما أضاف المال إلى الأولياء لأنهم قوامها
ومدبروها فأصل السفه الخفة واستعمل في خفة النفس لنقصان العقل
في الأمور الدنيوية والدينية والسفيه المستحق للحجر هو الذي يكون
مبذرا في ماله ومفسدا في دينه فلا يجوز لوليه أن يدفع إليه ماله وقيل
إن السفه المذكور في هذه الآية ليس بموصفة ذم لهؤلاء وإنما سموا سفهاء
لخفة عقولهم ونقصان تمييزهم وضعفهم عن القيام بحفظ المال وقوله
تعالى ولا تؤتوا السفهاء يعني الجهال بموضع الحق أموالكم التي جعل الله
لكم قياما يعني قوام معايشكم يقال المال هو قوام الناس وقوام معاشهم
كن أنت قيم أهلك تنفق عليهم ولا تعط مالك امرأتك وولدك فيكونوا هم
الذين يقومون عليك ولما كان المال سببا للقيام بالمعاش سمي به إطلاقا
لاسم السبب على المسبب على سبيل المبالغة لأنه به يقام الحج والعبادة والجهاد
وأعمال البر وفكاك الرقاب من النار وارزقوهم فيها أي أطعموهم واكسوهم
يعني لمن يجب عليكم رزقه وكسوته وذلك لما نهى الله عن إيتاء المال للسفيه
أمر أن يجرى رزقه وكسوته وإنما قال وارزقوهم فيها ولم يقل منها لأنه أراد

اجعلوا

اجعلوا لهم فيها رزقا والرزق من الله تعالى هو العطية من غير حد ولا قطع ومعنى
المرزق من العباد هو الأجر الموظف المعلوم لوقت معلوم محدود وقولوا لهم قولا
معروفا يعني قولا جميلا لأن القول الجميل يؤثر في القلب فيزيل السفه وقيل معناه
عدوهم عدة جميلة من البر والصلة قال عطاء يقول إذا ربحت أعطيتك وإن
غنمت جعلت لك حظا وقيل معناه الدعاء أي ادعوا لهم كقوله رزقك الله وإن لم يكن ممن تجب
عليك نفقته فقل له عافانا الله وإياك بارك الله فيك وقيل معناه قولوا لهم قولا
تطيب به أنفسهم وهو أن يقول الولي لليتيم السفيه مالك عندي وأنا أمين
عليه فإذا بلغت ورشدت أعطيتك مالك وقال الزجاج معناه علموهم مع
إطعامكم وكسوتكم إياهم أمر دينهم وما يصلحهم مما يتعلق بالعلم والعمل
قوله عز وجل وابتلوا اليتامى الآية نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه
وذلك أن رفاعة مات وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمه إلى النبي صلى الله
عليه وسلم وقال له إن ابن أخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله ومتى أدفع
إليه ماله فأنزل الله هذه الآية وابتلوا اليتامى يعني اختبروهم في عقولهم
وأديانهم وحفظ أموالهم حتى إذا بلغوا النكاح أي مبلغ الرجال والنساء
فإن آنستم أي أبصرتم وعرفتم منهم رشدا يعني عقلا وصلاحا في الدين
وحفظا للمال وعلما بما يصلحه **فصل** في أحكام تتعلق بالحجر وفيه
مسائل **المسألة الأولى** الابتلاء يختلف باختلاف أحوال اليتامى فإن كان
ممن يتصرف بالبيع والشراء في الأسواق يدفع إليه شيء من المال وينظر في
تصرفه وإن كان ممن لا يتصرف في الأسواق فيختبر بنفقته على أهله
وعبيده وأجرائه وتصرفه في أحوال داره ويختبر في أمر بيتها وحفظ متاعها
وغزلها واستغزالها فإذا رأى حسن تدبير اليتيم وحسن تصرفه في
الأمور مرارا يغلب على الظن رشده دفع إليه ماله بعد بلوغه ولا يدفع
إليه ماله وإن كان شيخا يغلب عليه السفه حتى يؤنس منه الرشد
المسألة الثانية قال الإمام أبو حنيفة تصرف الصبي العاقل
المميز بإذن الولي صحيح واحتج أبو حنيفة على قوله بهذه الآية وذلك
لأن قوله وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح يقتضي أن هذا الابتلاء
إنما يحصل قبل البلوغ والمراد من هذا الابتلاء اختبار حاله في جميع تصرفاته
فثبت أن قوله وابتلوا اليتامى أمر للأولياء بالإذن لهم في البيع والشراء
قبل البلوغ أجاب الشافعي بأن ذلك ليس المراد بقوله وابتلوا اليتامى
الإذن لهم في التصرف حال الصغر بدليل قوله فإن آنستم منهم رشدا
فادفعوا إليهم أموالهم وإنما تدفع إليهم أموالهم بعد البلوغ وإيناس الرشد
فثبت بموجب هذه الآية أنه لا يدفع إليه ماله حال الصغر فوجب أن
لا يصح تصرفه حال الصغر وإنما المراد من الابتلاء هو اختبار عقله واستبراء
حاله في معرفة المصالح والمفاسد **المسألة الثالثة** في بيان البلوغ
وذلك بأربعة أشياء اثنان يشترك فيهما الرجال والنساء واثنان يختصان
بالنساء أما الذي يشترك فيه الرجال والنساء فأحدهما السن فإذا استكمل
المولود خمس عشرة سنة حكم ببلوغه غلاما كان أو جارية ويدل عليه ما روي

عن ابن عمر قال عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام أحد وانا ابن اربع عشرة
سنة فرد لي ثم عرضت عليه عام الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازني
اخرجاه في الصحيحين وهذا قول اكثر اهل العلم وقال ابو حنيفة بلوغ الجارية
باستكمال سبع عشرة سنة وبلوغ الغلام باستكمال ثمانية عشر سنة والثاني
الاحتلام فهو انزال المني الدافق سوا انزل باحتلام او جماع فاذا وجد
ذلك من الصبي والجارية حكم ببلوغهما لقوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم
ولقوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ خذ من كل حالم دينارا اما انبات الشعر الخشن
حول الفرج فهو يدل على البلوغ في اولاد المشركين لما **روي** عن عطية القرظي
قال كنت في سبي بني قريظة فكانوا ينظرون فمن انبت الشعر قتل ومن لم ينبت
لم يقتل فكنت ممن لم ينبت وهل يكون ذلك علامة على البلوغ في اولاد المسلمين
فيه قولان احدهما انه يكون بلوغا كما في اولاد المشركين والثاني لا يكون
ذلك بلوغا في حق اولاد المسلمين لانه يمكن الوقوف على مواليد اولاد المسلمين
والرجوع الى قول ابائهم بخلاف الكفار لانه لا يوقف على مواليدهم ولا يقبل
فيه قول ابائهم لكفرهم فجعل الانبات الذي هو امارة البلوغ بلوغا في
حقهم واما الذي يختص بالنسا فهو الحيض والحبل فاذا حاضت الجارية
بعد استكمال تسع سنين حكم ببلوغها وكذلك اذا ولدت حكم ببلوغها قبل
الوضع بستة اشهر لانها اقل مدة الحمل **المسألة الرابعة**
في بيان الرشد وهو ان يكون مصلحا في دينه وماله فالصلاح في الدين هو
اجتناب الفواحش والمعاصي التي تسقط بها العدالة والصلاح في المال
هو ان يكون مبذرا والتبذير ان ينفق ماله فيما لا يكون فيه محمدة دنيوية
ولا مثوبة اخروية او لا يحسن التصرف فيغبن في البيع والشرا فاذا
بلغ الصبي وهو مفسد لماله ودينه لم ينفك عنه الحجر ولا ينفذ تصرفه
في ماله وبه قال مالك والشافعي وقال ابو حنيفة اذا كان مصلحا لماله
زال عنه الحجر وان كان مفسدا لدينه واذا كان مفسدا لماله لا يدفع اليه
المال حتى يبلغ خمسة وعشرين سنة غير انه ينفذ تصرفه قبله والقرآن
حجة الشافعي في استدامة الحجر عليه لان الله تعالى قال فان آنستم
منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم امر بدفع المال بعد البلوغ وايناس
الرشد والمنافق والفاسق لا يكون رشيدا او بعد بلوغه خمسا وعشرين
سنة وهو مفسد لماله بالاتفاق غير رشيد فوجب ان لا يجوز دفع المال
اليه كما قبل بلوغ هذا السن **المسألة الخامسة** اذا بلغ
الصبي او الجارية واونس منه الرشد زال عنه الحجر ودفع اليه ماله سوا تزوج
او لم يتزوج وقال مالك ان كانت امراة لا يدفع اليها المال ما لم تتزوج
فاذا تزوجت دفع اليها مالها ولا ينفذ تصرفها الا باذن الزوج ما لم تكبر
وتجرب **المسألة السادسة** اذا بلغ الصبي رشيدا وزال عنه الحجر
ثم عاد سفيها ينظر فان كان مبذرا لماله حجر عليه وان كان مفسدا في
دينه فعلى وجهين احدهما انه يعاد عليه الحجر كما يستدام اذا بلغ وهو
بهذه الصفة والثاني لا حجر عليه لان حكم الدوام اقوى من حكم الابتدا وعند

ابي حنيفة رحمه الله لا حجر على البالغ العاقل بحال والدليل على اثبات الحجر من اتفاق
الصحابة ما روي عن هشام بن عروة عن ابيه ان عبد الله بن جعفر ابتاع ارضا بستين
الف درهم فقال علي لاتين عثمان ولاحجرن عليك فاتى ابن جعفر
الزبير فاعلمه بذلك فقال له الزبير انا شريكك في بيعك فاتى علي عثمان
فقال احجر على هذا فقال الزبير انا شريكه فقال عثمان كيف احجر على رجل في
بيع شريكه فيه الزبير وكان اتفاقا منهم على جواز الحجر حتى احتال الزبير
لدفعه وقوله تعالى فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافا الخطاب
للاوليا يعني ما يفعلوا الاوليا لا تاكلوا اموال اليتامى بغير حق وبدارا
ان يكبروا يعني لا تبادروا كبرهم ورشدهم فتفرطوا في انفاقها
وتقولوا ننفق كما نشتهي قبل ان يكبروا فيلزمكم تسليمها اليهم ثم
بين تعالى حال الاوليا وقسمهم قسمين فقال تعالى ومن كان غنيا
فليستعفف اي فليمتنع من اكل مال اليتيم ولا يرزاه قليلا ولا كثيرا
ومن كان فقيرا يعني محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه فليأكل
بالمعروف **وروى** ابو داود عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان
رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني فقير وليس لي شي ولي
يتيم فقال كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبادر ولا متاثل واختلف
العلماء في حكم هذه الاية فروي عن ابن عمر وابن عباس وابن جبير وابي
العالية وعبيدة السلماني وابي وائل ومجاهد ومقاتل انه ياخذ من
مال اليتيم على وجه القرض واختلف في انه هل يلزمه القضا فذهب
قوم الى انه يلزمه القضا اذا ايسر وهو المراد من قوله تعالى فليأكل
بالمعروف والمعروف القرض اي يستقرض من مال اليتيم اذا احتاج اليه
فاذا ايسر قضاه وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير قال عمر بن الخطاب
اني انزلت نفسي من مال الله تعالى بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت
استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف فاذا ايسرت قضيت وقال
قوم لا ضمان عليه ولا قضا بل يكون ما ياكله كالاجرة له على عمله وهو
قول الحسن والشعبي والنخعي وقتادة قال الشعبي لا ياكله الا ان
يضطر اليه كما يضطر الى الميتة ثم القائلون بجواز الاكل من مال
اليتيم اختلفوا في قوله فليأكل بالمعروف فقال عكرمة ياكل باطراف
اصابعه ولا يسرف ولا يكتسي منه ولا يلبس الكتان ولا الحلل ياكل ما يسد
به الجوع ويلبس ما يستر به العورة **وقال** الحسن ياكل من ثمر نخله
ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضا عليه فاما الذهب والفضة فلا ياخذ منهما
شيا فان اخذ وجب عليه رده وقال الكلبي المعروف ركوب الدابة وخدمة
الخادم وليس له ان ياكل من ماله شيا **وروي** ان رجلا قال لابن عباس
ان لي يتيما وان له ابلا افاشرب من لبن ابله فقال ابن عباس ان كنت تبغي
ضالة ابله وتهنا جرباها وتليط حوضها وتسقيها يوم ورودها فاشرب غير
مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وقال قوم المعروف ان ياخذ من مال اليتيم بقدر
قيامه واجرة عمله ولا قضا عليه وهو قول عايشة وجماعة من اهل العلم

وقوله تعالى فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم هذا امر ارشاد وليس بواجب امر الله تعالى الولي بالاشهاد على دفع المال الى اليتيم بعد البلوغ لتزول عنه التهمة وتنقطع الخصومة لانه اذا كانت عليه بينة كان ابعد ان يدعي عدم القبض وتظهر حينئذ امانة الوصي ويسقط عنه اليمين عند انكار اليتيم القبض وكفى بالله حسيبا يعني محاسبا ومجازيا وشاهدا قوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون نزلت هذه الاية في اوس بن ثابت الانصاري توفي وترك امراة يقال لها ام كجة وثلاث بنات منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه يقال لهما سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امراته ولا بناته شيئا من ماله وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير من الذكور وانما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا نعطي الارث الا من قاتل وحاز الغنيمة وحمى الحوزة فجاءت ام كجة امراة اوس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله مات اوس بن ثابت وترك ثلاث بنات وانا امراته وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطيا لي ولا لبناتي منه شيئا وهن في حجري ولا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ولدها لا يركبن فرسا ولا يحملن كلا ولا ينكين عدوا فانزل الله عز وجل هذه الاية وبين ان الارث غير مختص بالرجال بل هو امر مشترك فيه الرجال والنساء فقال تعالى للرجال يعني للذكور من اولاد الميت وعصبته نصيب اي حظ مما ترك الوالدان والاقربون يعني من الميراث وللنساء نصيب اي للاناث من اولاد الميت حظ مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه او كثر يعني من المال المخلف عن الميت نصيبا مفروضا يعني معلوما والفرض ما فرضه الله تعالى وهو اكد من الواجب فلما نزلت هذه الاية مجملة ولم يبين كم هو النصيب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة لا تفرقا من المال شيئا فان الله تعالى قد جعل لبناته نصيبا مما ترك ولم يبين كم هو حتى انظر ما ينزل فيهن فانزل الله تعالى يوصيكم الله في اولادكم الاية فلما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة ان ادفعا الى ام كجة الثمن مما ترك والى بناته الثلثين ولكما باقي المال قوله عز وجل واذا حضر القسمة يعني قسمة الميراث فعلى هذا القول يكون الخطاب للوارثين اولوا القربى يعني القرابة الذين لا يرثون واليتامى والمساكين انما قدم اليتامى لشدة ضعفهم وحاجتهم فارزقوهم منه اي فارضخوا لهم من المال قبل القسمة واختلف العلماء في حكم هذه الاية فقال قوم هذه الاية منسوخة باية المواريث وهذا قبل نزول اية المواريث فلما نزلت اية المواريث جعلت لاهلها ونسخت هذه الاية وهو رواية مجاهد عن ابن عباس وقول سعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وقتادة وقال قوم هي محكمة غير منسوخة وهو الرواية الاخرى عن ابن عباس وهو قول ابي موسى الاشعري والحسن وابي العالية والشعبي وعطاء بن ابي

رباح وسعيد بن جبير ومجاهد والنخعي والزهري ثم اختلف العلماء في هذا القول بانها محكمة هل هذا الامر على الوجوب ام على الندب فقيل احدهما انه واجب فقيل ان كان الوارث كبيرا وجب عليه ان يرضخ لمن حضر القسمة شيئا من المال بقدر ما تطيب به نفسه وان كان الوارث صغيرا وجب على الولي ان يعتذر اليهم ويقول اني لا املك هذا المال وهو للضعفاء [illegible] ابن عباس ان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كان الورثة صغارا اعتذر اليهم فيقول الولي او الوصي اني لا املك هذا المال وانما هو للصغار ولو كان لي منه شيء لاعطيتكم وان يكبروا فسيعرفون حقكم هذا هو القول المعروف وقال بعضهم ذلك حق واجب في مال الصغار والكبار فان كان الورثة كبارا تولوا اعطاءهم بانفسهم وان كانوا صغارا اعطى وليهم روى محمد بن سيرين ان عبيدة السلماني قسم اموال ايتام واوصى بشاة فذبحت وصنعت طعاما لاجل هذه الاية وقال لولا هذه الاية لكان هذا من مالي وقال الحسن والنخعي هذا الرضخ يختص بقسمة الاعيان فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما اشبه ذلك وقولوا لهم قولا معروفا وقيل كانوا يعطون التابوت والاواني ورث الثياب والمتاع الذي يستحيى من قسمته والقول الثاني ان هذا الامر ندب واستحباب لا على سبيل الفرض والايجاب وهذا القول هو الاصح الذي عليه العلماء اليوم واحتجوا لهذا القول بانه لو كان لهؤلاء حق معين لبينه الله تعالى كما بين سائر الحقوق فحيث لم يبين علمنا انه [illegible] غير واجب [illegible] ان المراد بالقسمة الوصية فاذا حضر الوصية من لا يرث [illegible] الحاضرين امروا الموصي ان يجعل لهم نصيبا من ثلثه [illegible] ويقول لهم مع ذلك قولا معروفا فان لم يوص لهم لا يتبع العطية بالمن والاذى قوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا يعني اولادا صغارا خافوا عليهم يعني الفقر وقيل هذا الخطاب للذين يجلسون عند المريض وقد حضره الموت فيقولون له انظر لنفسك فان اولادك وورثتك لا يغنون عنك شيئا قدم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلانا كذا وفلانا كذا حتى يأتي على عامة ماله فنهاهم الله عن ذلك وامرهم ان يأمروه بالنظر لولده ولا يزيد على الثلث في وصيته ولا يجحف والمعنى كما انكم تكرهون بقاء اولادكم في الضعف والجوع من غير مال فاخشوا الله ولا تحملوا المريض على ان يحرم اولاده الضعفاء من ماله وحاصل هذا الكلام كما انك لا ترضى مثل هذا الفعل لنفسك فلا ترضه لاخيك المسلم وكما انه لو كان هذا القائل هو الموصي لسره ان يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده ولا يدعهم عالة يتكففون الناس مع ضعفهم وعجزهم وقيل هو الرجل يحضره الموت فيريد ان يوصي فيقول له من حضره من الرجال اتق الله وامسك عليك مالك لولدك فيمنعوه الوصية لاقاربه من المحتاجين وقيل يحتمل ان يكون الاية خطابا لمن قرب اجله ويكون المقصود منه النهي عن تكثير الوصية لئلا يبقى ورثته فقراء ضعفاء بعده لان الاية نزلت بعد تحريم الثلث كان المراد منها انه يوصي بالثلث او باقل منه اذا خاف على

ق

إلى ورثته كما روي عن كثير من الصحابة أنهم وصوا بالقليل لأجل ذلك وكانوا يقولون الخمس في الوصية أفضل من الربع والربع أفضل من الثلث وقد ورد في الصحيح الثلث والثلث كثير لأن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس يعني يسألونهم بأكفهم وقيل هو خطاب لأولياء اليتامى والمعنى وليخش من يخاف على ولده من بعد موته أن يضيع مال اليتيم الضعيف الذي هو ذرية غيره إذا كان في حجره والمقصود من الآية أن من كان في حجره يتيم فليحسن إليه وليفعل به ما يحب أن يفعل بأولاده من بعده فليتقوا الله يعني في الأمر الذي تقدم ذكره وليقولوا قولا سديدا يعني المريض عند حضور الموت والقول السديد من الجالسين عند المريض هو أن يأمروه بأن يتصدق بدون الثلث ويترك الباقي لولده وورثته وأن لا يحيف في وصيته والقول السديد من الأوصياء وأولياء اليتامى أن يكلموهم كما يكلمون أولادهم ولا يؤذونهم بقول ولا فعل

قوله عز وجل إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما

قال مقاتل بن حيان نزلت في رجل من غطفان يقال له مرثد بن زيد ولي مال يتيم وكان اليتيم ابن أخيه فأكله فأنزل الله هذه الآية إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما يعني حراما بغير حق إنما يأكلون في بطونهم نارا يعني سيأكلون يوم القيامة نارا فسمي الذي يأكلون نارا لأنه يؤول إليه أمرهم يوم القيامة قال السدي يبعث آكل مال اليتيم ظلما يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وأذنيه وعينيه وأنفه يعرفه من رآه بأكل مال اليتيم وفي حديث [illegible] ي قال حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة [illegible] رت فإذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الإبل وقد وكل بهم من [illegible] نا ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وقيل إنما ذكر الأكل لنار على سبيل التمثيل والتوسع في الكلام والمراد أن أكل مال اليتيم ظلما يفضي به إلى النار وإنما خص الأكل بالذكر وإن كان المراد سائر أنواع الإتلافات وجميع التصرفات المؤدية المتلفة للمال لأن الضرر يحصل بكل ذلك لليتيم فعبر عن جميع ذلك بالأكل لأنه معظم المقصود وإنما ذكر البطون للتأكيد فهو كقوله رأيت بعيني وسمعت بأذني وسيصلون سعيرا يعني بأكلهم أموال اليتيم ظلما والسعير النار الموقدة المشتعلة ولما نزلت هذه الآية ثقل ذلك على الناس واحترزوا من مخالطة اليتامى وأموالهم بالكلية فشق ذلك على اليتامى فنزل قوله وإن تخالطوهم فإخوانكم وقد توهم بعضهم أن قوله وإن تخالطوهم ناسخ لهذه الآية وهذا غلط ممن توهمه لأن هذه الآية واردة في المنع من أكل أموال اليتامى ظلما وهذا لا يصير منسوخا لأن أكل مال اليتيم ظلما من أعظم الآثام وقوله وإن تخالطوهم فإخوانكم فإنها واردة على سبيل الإصلاح في أموال اليتامى والإحسان إليهم وهو من أعظم القرب قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين اختلف العلماء

في نزول هذه الآية فروي عن جابر قال مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني وأبو بكر وهما ماشيان فوجداني أغمي علي فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم صب وضوءه علي فأفقت فإذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله كيف أصنع في مالي كيف أقضي في مالي فلم يجبني بشيء حتى نزلت آية الميراث وفي رواية فقلت لا يرثني إلا كلالة فكيف الميراث فنزلت آية الفرائض وفي رواية أخرى فنزلت يوصيكم الله في أولادكم وفي رواية أخرى فلم يرد علي شيئا حتى نزلت آية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم أخرجه البخاري ومسلم وقال مقاتل والكلبي نزلت في أم كجة امرأة أوس بن ثابت وبناته وقال عطاء نزلت في سعد بن الربيع النقيب استشهد يوم أحد وترك امرأة وبنتين وأخا عن جابر رضي الله عنه قال جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هاتان ابنتا سعد بن الربيع قتل أبوهما معك يوم أحد شهيدا وإن عمهما أخذ مالهما فلم يدع لهما مالا ولا ينكحان إلا ولهما مال قال يقضي الله في ذلك فنزلت آية الميراث فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمهما فقال أعط ابنتي سعد الثلثين وأعط أمهما الثمن وما بقي فهو لك أخرجه الترمذي وقال السدي كان أهل الجاهلية لا يورثون الجواري ولا الضعفاء من الغلمان لا يرث الرجل من ولده إلا من أطاق القتال فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر وترك امرأة وخمس بنات فجاءت الورثة وأخذوا ماله فشكت امرأته إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية وقبل الشروع في تفسير هذه الآية الكريمة نقدم فصولا تتضمن أحكام الفرائض وأصول قواعدها

فصل في الحث على تعليم الفرائض اعلم أن علم الفرائض من أعظم العلوم قدرا وأشرفها ذخرا وأفضلها ذكرا وهي ركن من أركان الشريعة وفرع من فروعها في الحقيقة اشتغل الصدر الأول من الصحابة بتحصيلها وتكلموا في فصولها وفروعها ويكفي في فضلها أن الله عز وجل تولى قسمها بنفسه وأنزلها في كتابه مبينة من محل قدسه وقد حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تعليمها فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض والقرآن وعلموا الناس فإني مقبوض أخرجه الترمذي وقال فيه اضطراب وأخرجه أحمد بن حنبل وزاد فيه فإني امرؤ مقبوض والعلم مرفوع ويوشك أن يختلف اثنان في الفريضة فلا يجدان أحدا يخبرهما عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا الفرائض وعلموها فإنه نصف العلم وهو أول علم ينسى وأول شيء ينتزع من أمتي أخرجه ابن ماجه والدارقطني

فصل في بيان أحكام الفرائض إذا مات الميت فأول ما يبدأ به تجهيزه ثم قضاء ديونه إن كان عليه دين ثم إنفاذ وصاياه من ثلث ما بقي بعد ذلك ثم يقسم الباقي بين ورثته والوارثون من الرجال عشرة الابن وابن الابن وإن سفل والجد للأب والأخ للأب والأم وللأب وابناهما وإن سفلوا والعم والزوج والمعتق والوارثات من النساء سبع البنت وبنت الابن وإن سفلت والأم والجدة وإن علت والأخت من كل الجهات والزوجة والمعتقة [illegible] من هؤلاء لا يلحقهم حجب الحرمان بالغير وهم الأبوان والولدان والزوجان لأنه ليس بينهم وبين الميت واسطة ثم الورثة ثلاثة أصناف صنف يرث بالفرض المجرد وهم الزوجان والبنات والأخوات والأمهات والجدات وأولاد

الام وصنف يرث بالتعصيب تارة وبالفرض اخرى وهم الاب والجد فيرث بالتعصيب
اذا لم يكن للميت ولد فان كان له ابن ورث الاب بالفرض السدس وان كانت بنت
ورث السدس بالفرض واخذ الباقي بالتعصيب والعصبة اسم لمن يأخذ جميع
المال اذا انفرد ويأخذ ما فضل عن اصحاب الفرائض **فصل** واسباب الارث
ثلاثة نسب ونكاح وولاء فالنسب القرابة يرث بعضهم بعضا والنكاح هو ان يرث
احد الزوجين من صاحبه بسبب النكاح والولاء ان المعتق وعصابته يرثون
المعتق والاسباب التي تمنع الميراث اربعة اختلاف الدين فالكافر لا يرث المسلم ولا
المسلم يرث الكافر لما **روي** عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم اخرجاه في الصحيحين فاما الكفار
فيرث بعضهم بعضا مع اختلاف مللهم واديانهم لان الكفر كله ملة واحدة
وذهب بعضهم الى ان اختلاف الملل في الكفر يمنع التوارث ايضا حتى لا يرث
اليهودي من النصراني ولا النصراني من المجوسي والحجة اذ هب الزهري
والاوزاعي واحمد واسحاق لما روي عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يتوارث بين اهل ملتين اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن عبد
الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يتوارث اهل
ملتين شتى اخرجه ابو داود وحملها من يذهب على الاسلام والكفر لان الكفر عندهم
ملة واحدة فتوريث بعضهم من بعض لا يكون فيها اثبات التوارث بين ملتين
شتى والرق يمنع الارث لان الرقيق لا ملك ولا ملك له فلا يورث ولا يورث
والقتل يمنع الارث عمدا كان القتل او خطأ لما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاتل لا يرث اخرجه الترمذي وقال
هذا حديث لا يصح والعمل عليه عند اهل العلم لان القاتل لا يرث سواء كان
القتل عمدا او خطأ وقال بعضهم اذا كان القتل خطأ فانه يرث وهو قول
مالك وعمى الموت وهو ان يخفى موت المتوارثين وذلك بان غرقا وانهدم
عليهما بنا فلم يدر ايهما سبق موته فلا يرث احدهما الآخر بل يكون ميراث
كل واحد منهما لمن في حياته يقينا بعد موته من ورثته **فصل**
والسهام المحدودة في الفرائض المذكورة في كتاب الله عز وجل ستة النصف
والربع والثمن والثلثان والثلث والسدس فالنصف فرض خمسة فرض
الزوج عند عدم الولد وفرض البنت الواحدة للصلب او بنت الابن عند
عدم بنت الصلب وفرض الاخت الواحدة للاب والام اذا لم يكن ولد للاب والام
وفرض الاخت للاب عند عدم الشقيقة والربع فرض الزوج مع الولد
وفرض الزوجة مع عدم الولد والثمن فرض الزوجة مع الولد والثلثان
فرض البنتين فصاعدا والبنات الابن عند عدم ولد الصلب وفرض الاختين
فصاعدا للاب والام او للاب والثلث فرض ثلاثة فرض الام اذا لم يكن
للميت ولد ولا اثنان من الاخوة والاخوات الا في مسألتين احدهما زوج
وابوان والاخرى زوجة وابوان فان للام فيهما ثلث الباقي بعد نصيب الزوج
او الزوجة وفرض الاثنين فصاعدا من اولاد الام ذكرهم وانثاهم
فيه سواء وفرض الجد مع الاخوة اذا لم يكن في المسألة صاحب فرض وكان الثلث

حينئذ

خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة والسدس فرض سبعة فرض الاب اذا كان للميت
ولد وفرض الام اذا كان للميت ولد او ولد ابن او اثنان من الاخوة والاخوات وفرض
الجد اذا كان للميت ولد ومع الاخوة اذا كان في المسألة صاحب فرض وكان السدس
خيرا للجد من المقاسمة مع الاخوة وفرض الجدة والجدات وفرض الواحد من
اولاد الام ذكرا كان او انثى وفرض بنات الابن مع بنت الصلب تكملة للثلثين
وفرض الاخوات للاب مع الاخت للاب والام تكملة للثلثين ق عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فهو لاولى رجل ذكر
خ عن ابن عباس قال كان المال للولد والوصية للوالدين فنسخ الله من ذلك
ما احب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس
والثلث وجعل للمرأة الثمن والربع وللزوج الشطر والربع **فصل** روي
عن زيد بن ثابت قال ولد الابناء بمنزلة الابناء اذا لم يكن دونهم ابن ذكرهم
كذكرهم وانثاهم كانثاهم يرثون كما يرثون ويحجبون كما يحجبون ولا يرث ولد
ابن مع ابن ذكر فان ترك ابنة وابن ابن ذكر كان للبنت النصف ولابن الابن
ما بقي لقوله صلى الله عليه وسلم الحقوا الفرائض باهلها فما بقي فهو لاولى
رجل ذكر وفي هذا الحديث دليل على ان بعض الورثة يحجب البعض والحجب حجبان
حجب نقصان وحجب حرمان اما الاول وهو حجب النقصان فهو ان الولد وولد
الولد يحجب الزوج من النصف الى الربع والزوجة من الربع الى الثمن والام من
الثلث الى السدس وكذلك الاثنان من الاخوة والاخوات يحجبون الام من
الثلث الى السدس واما الثاني وهو حجب الحرمان فهو ان الام تسقط الجدات
وان اولاد الام وهم الاخوة للام يسقطون باربعة بالاب والجد وان علا وبالولد
وولد الابن وان اولاد الاب والام وهم الاخوة للاب والام يسقطون بثلاثة
بالاب والابن وابن الابن وان سفلوا ولا يسقطون بالجد على مذهب زيد
بن ثابت وهو قول عمر وعثمان وعلي وابن مسعود وبه قال مالك والاوزاعي
والشافعي واحمد واولاد الاب يسقطون بهؤلاء الثلاثة وبالاخ للاب والام
وذهب قوم الى ان الاخوة جميعا يسقطون بالجد كما يسقطون بالاب وهو قول
ابي بكر الصديق وابن عباس ومعاذ وابي الدرداء وعائشة وبه قال الحسن وعطاء
وطاوس وابو حنيفة والاقرب من العصبات يسقط الابعد منهم فاقربهم
الابن ثم ابن الابن وان سفل ثم الاب ثم الجد وان علا فان كان مع الجد احد
من الاخوة والاخوات للاب والام ثم الاخ للاب ثم بنو الاخوة يقدم اقربهم سواء
كان لاب وام او لاب فان استويا في الدرجة فالذي هو لاب وام اولى ثم العم لاب
وام ثم العم لاب ثم بنوهم على ترتيب بني الاخوة ثم عم الاب ثم عم الجد على هذا الترتيب
فان لم يكن احد من عصبات النسب وعلى الميت ولاء فالميراث للمعتق فان لم يكن
حيا فلعصبات المعتق واربعة من الذكور يعصبون الاخوات الابن وابن الابن
والاخ للاب والام والاخ للاب فلو مات عن ابن وبنت او عن اخ واخت لاب وام
او لاب يكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ولا يفرض للبنت والاخت وكذلك
ابن الابن يعصب من في درجته من الاخوات ومن فوقه اذا لم يأخذن من الثلثين شيئا
حتى لو مات عن بنتين وبنت ابن فللبنتين الثلثان ولا شيء لبنت الابن فان كان

في درجتها ابن ابن او اسفل منها ابن ابن كان الباقي بينهما للذكر مثل حظ الانثيين
والاخت للاب والام او للاب تكون مع البنت عصبة حتى لو ماتت عن بنت واخت كان
للبنت النصف والباقي وهو النصف للاخت ولو ماتت عن بنتين واخت كان
للبنتين الثلثان والباقي للاخت ويدل على ذلك ما روي عن هذيل بن شرحبيل
قال سئل ابو موسى عن ابنة وابنة ابن واخت فقال للابنة النصف وللاخت النصف
وائت ابن مسعود فسيتابعني فسئل ابن مسعود واخبر بقول ابي موسى فقال
لقد ضللت اذا وما انا من المهتدين اقضي فيها بما قضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم للابنة النصف ولابنة الابن السدس تكملة الثلثين
وما بقي فللاخت فاخبرنا ابا موسى بقول ابن مسعود فقال لا تسألوني ما دام
هذا الحبر فيكم اخرجه البخاري واما التفسير فقوله تعالى يوصيكم الله اي يعهد
اليكم ويفرض عليكم في اولادكم يعني في امر اولادكم اذا متم والوصية من الله ايجاب
وانما بدا الله تعالى بذكر ميراث الاولاد لان تعلق قلب الانسان بولده اشد
من تعلقه بغيره ولهذا قدم الله ذكرهم ثم قال للذكر مثل حظ الانثيين يعني
ان الولد الذكر له ميراث ضعف سهام الانثى فللذكر سهمان وللانثى
سهم فلو حصل مع الاولاد غيرهم من الورثة من اهل الفروض كالابوين
اخذوا فروضهم وما بقي بعد ذلك كان بين الاولاد للذكر مثل حظ الانثيين
فان كن يعني المتروكات من الاولاد نساء فوق اثنتين يعني بنتين فصاعدا
واجمع الامة على ان للبنتين الثلثين الا ما روي عن ابن عباس انه ذهب الى
ظاهر الاية وقال ان الثلثان فرض الثلاث من البنات لان الله تعالى قال
فان كن نساء فوق اثنتين فجعل الثلثين للنساء اذا زدن على اثنتين
وعنده ان فرض البنتين النصف كفرض الواحدة واجيب عنه بوجوه فيها
حجة لمذهب الجمهور ايضا الوجه الاول ان الله تعالى قال وان كانت
واحدة فلها النصف فجعل النصف للواحدة وذلك يمنع حصول النصف نصيبا
للبنتين الوجه الثاني ان في الاية تقديما وتاخيرا فالتقدير فان كن نساء
اثنتين فما فوقهما فلهن الثلثان الوجه الثالث ان لفظة فوق هاهنا
صلة والتقدير فان كن نساء اثنتين فهو كقوله فاضربوا فوق الاعناق يعني فاضربوا
الاعناق وانما سمى الاثنتين نساء بلفظ الجمع لان العرب تطلق على الاثنين جماعة
بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما الوجه الرابع قال علماء الجمهور
انما اعطينا البنتين الثلثين بدليل القران لان الله تعالى جعل للبنت
الواحدة النصف بدليل قوله وان كانت واحدة فلها النصف وجعل للاخت
الواحدة النصف بقوله ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف
ما ترك ثم جعل للاختين الثلثين بقوله فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان
فلما جعل للاختين الثلثين علمنا ان للبنتين الثلثين قياسا على
الاختين الوجه الخامس ان النبي صلى الله عليه وسلم قضى بالثلثين
لابنتي سعد بن الربيع وهذا نص صريح في المسالة وقوله تعالى وان
كانت واحدة يعني البنت واحدة فلها النصف يعني فرضها ولابويه
يعني ابوي الميت كناية عن غير مذكور وهما الوالدان لكل واحد منهما السدس

مما

مما ترك ان كان له ولد يعني ان للاب والام مع وجود الولد وولد الابن لكل واحد
منهما سدس الميراث واعلم ان اسم الولد يقع على الذكر والانثى فاذا مات الميت
وترك ابوين وولدا ذكرا او ذكرا وانثى او ترك بنات فان للام السدس بالفرض
وللاب السدس مع الولد الذكر بالفرض ومع البنات له السدس بالفرض
والسدس بالتعصيب وهو الباقي مما له ترك وله مع البنت الواحدة السدس
بالفرض والباقي بالتعصيب وهو الباقي من التركة وله مع البنت الواحدة
السدس بالفرض والباقي بالتعصيب فان لم يكن له ولد يعني للميت
وورثه ابواه فلامه الثلث يعني اذا مات الميت او ماتت عن ابوين وليس له وارث
سواهما فان الام تاخذ الثلث بالفرض ويأخذ الاب باقي المال بالفرض
والتعصيب فيكون المال بينهما اثلاثا للذكر مثل حظ الانثيين فان كان
مع الابوين احد الزوجين فيفرض للام ثلث الباقي بعد نصيب
الزوج او الزوجة فان كان له يعني للميت اخوة يعني ذكورا او اناثا
فلامه السدس يعني لام الميت سدس التركة اذا كان معها اب واجمع العلماء
على ان الثلاثة يحجبون الام من الثلث الى السدس وان الاخ الواحد والاخت
الواحدة لا يحجب الام من الثلث الى السدس واختلفوا في الاخوين فالاكثرون
من الصحابة يقولون ان الاخوين يحجبان الام من الثلث الى السدس وهو
قول عمر وعثمان وعلي وطلحة وزيد بن ثابت والجمهور وقال ابن عباس
لا يحجب الاخوة من الثلث الى السدس الا ان يكونوا ثلاثة قال ابن عباس
لعثمان لم صار الاخوان يردان الام من الثلث الى السدس وانما قال الله تعالى
فان كان له اخوة والاخوان في لسان قومك ليسا باخوة فقال عثمان يا بني ان
قومك حجبوها باخوين ولا استطيع نقض امر قد كان قبلي وانما نشا هذا
الاختلاف لانهم اختلفوا في اقل الجمع وفيه قولان احدهما ان اقل الجمع
اثنان وهو قول القاضي ابي بكر الباقلاني وحجة هذا القول ان الاثنين اذا
جمعت واحدا الى واحد فهما جماعة لان اصل الجمع ضم شيء الى شيء وقال
ابن الانباري التثنية عند العرب اول الجمع ومشهور في كلامهم ايقاع الجمع على
التثنية فمن ذلك قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين وهما داود وسليمان
ومنه قوله تعالى فقد صغت قلوبكما يريد قلباكما والقول الثاني ان
اقل الجمع ثلاثة وهو قول جمهور العلماء وهو الاصح انما حجب العلماء الام بالا
خوين
بدليل اتفقوا عليه وهو ان لفظ الاخوة ينطلق على الاخوين مما اراد وذلك
جائز في اللغة كما تقدم ثم ان الاخوة اذا حجبوا الام من الثلث الى السدس
فانهم لا يرثون شيئا البتة بل ياخذ الاب الباقي كرجل مات عن ابوين
واخوين فان للام السدس والباقي وهو خمسة اسداس للاب سدس بالفرض
بقية
والباقي بالتعصيب قال قتادة وانما حجب الاخوة الام من غير ان يرثوا مع
الاب شيئا معونة للاب لانه يقوم بشانهم وينفق عليهم دون الام من بعد
وصية يوصي بها او دين يعني ان هذه الانصبة والسهام انما تقسم بعد
قضاء الدين وانفاذ وصية الميت في ثلثه وذكر الوصية مقدم على الدين في
اللفظ لا في الحكم لان لفظة او لا توجب الترتيب وانما هي لاحد الشيئين كانه

كان فالدين بعد احد هذين مفردا او مضموما الى الاخر قال علي بن ابي طالب رضي
الله عنه انكم تقرؤون الوصية قبل الدين وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدين
قبل الوصية وهذا اجماع ان الدين مقدم على الوصية والارث مؤخر عنهما
لان الدين حق على الميت والوصية حق له وهما يتقدمان على حق الورثة
قوله تعالى **آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا**
قيل هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله
ولا تعلق لمعناه بمعنى الآية ومعنى هذا الكلام في قول ابن عباس ان الله عز
وجل يشفع المؤمنين بعضهم في بعض فاطوعكم لله تعالى من الآباء والابناء
ارفعكم درجة فانه كان الوالد ارفع درجة رفع الله اليه ولده وان كان الولد
ارفع من والديه رفع الله اليه والديه لتقر بذلك اعينهم فقال تعالى لا تدرون
ايهم اقرب لكم نفعا لان احدهم لا يعرف منفعة صاحبه له في الجنة وسيعلم انه
تنزلة عالية تكون سببا لرفعه اليها وقيل ان هذا الكلام معترض بينهما ومعناه
متعلق بمعنى الآية يقول آباؤكم وابناؤكم الذين يتولونكم لا تدرون ايهم
اقرب لكم نفعا اي لا تعلمون ايهم انفع لكم في الدين والدنيا فمنكم من يظن
ان الاب انفع له ولكن الله تعالى هو الذي دبر امركم على ما فيه المصلحة
لكم فاتبعوه ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم فتظنون من لا يستحق
المال يستحق من الميراث وتمنعون من يستحق الميراث **فريضة من الله**
يعني ما قدر من المواريث لاهلها فريضة واجبة **ان الله كان عليما
حكيما** يعني كان عالما بالاشيا قبل خلقها حكيما فيما قدر من الفرائض
وفرض من الاحكام وقيل معناه كان عليما بخلقه قبل ان يخلقهم حكيما حين فرض
للصغار مع الكبار ولم يخص الكبار بالميراث كما كانت العرب تفعل وفي معنى
لفظة كان ثلاثة اقوال احدها ان الله تعالى كان عليما بالاشيا قبل خلقها
ولم يزل كذلك الثاني حكى الزجاج عن سيبويه انه قال ان القوم لما شاهدوا
علما وحكمة ومغفرة وتفضلا فقيل لهم ان الله كان كذلك ولم يزل
والله على ما شاهدتم الثالث قال الخليل الخبر عن الله عز وجل بهذه الاشيا
كالخبر بالحال والاستقبال لان صفات الله لا يجوز عليها التزايد ولا التنقل
**قوله عز وجل ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد
فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها
او دين** هذا ميراث الازواج من الزوجات وقال في ميراث الزوجات من الازواج
ولهن يعني للزوجات **الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد
فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين** لما جعل الله في الموجب
النسبي حظ الرجل مثل حظ الانثيين جعل في الموجب السببي للرجل مثل حظ
الانثيين واعلم ان الواحدة من النسا لها الربع او الثمن وكذلك لو كن
اربع زوجات فانهن يشتركن في الربع او الثمن واسم الولد يطلق على الذكر
والانثى ولا فرق بين الولد وولد الابن وولد البنت في ذلك وسوا كان الولد
للرجل من الزوجة او من غيرها قوله تعالى **وان كان رجل يورث كلالة او
امراة** تقدير الاية وان كان رجل او امراة يورث كلالة واختلفوا في الكلالة

فذهب

فذهب اكثر الصحابة الى ان الكلالة من لا ولد له **روى** الشعبي قال سئل ابو بكر
الصديق رضي الله عنه عن الكلالة فقال سأقول فيها قولا برأيي فان كان صوابا فمن الله
وان كان خطأ فمني ومن الشيطان اراه ما خلا الوالد والولد فلما استخلف عمر قال اني
لاستحيي من الله ان ارد شيئا قاله ابو بكر وهذا قول علي وابن مسعود وزيد بن ثابت
واحدى الروايتين عن عمر وابن عباس وهذا القول هو الصحيح المختار ويدل على
صحته ان اشتقاق الكلالة من كلت الرحم بين فلان وفلان اذا تباعدت القرابة
بينهم فسميت القرابة البعيدة كلالة من هذا الوجه وقيل ان الكلالة في اصل اللغة عبارة
عن الاحاطة ومنه الاكليل لاحاطته بالراس فما عدا الوالد والولد من القرابة انما
سموا كلالة لانهم كالدائرة المحيطة بالانسان اما نسبة الولادة فليست كذلك
لان فيها تفرع البعض عن البعض وتولد البعض من البعض فهو كالشي الواحد الذي
يتزايد على نسق واحد فاما القرابة المغايرة لقرابة الولادة وهم الاخوة والاخوات
والاعمام والعمات وغيرهم فانما يحصل لنسبهم اتصال واحاطة بالمنسوب اليه فثبت
بذلك ان الكلالة عبارة عمن عدا الوالد والولد والرواية الاخرى عن عمر وابن عباس
ان الكلالة من لا ولد له وبه قال طاوس واحتج بهذا القول بقوله تعالى قل
الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وبيانه عند عامة العلماء ماخوذ
من حديث جابر بن عبد الله لان الاية نزلت فيه ولم يكن له يوم نزولها اب ولا ابن
لان اباه قتل يوم احد وآية الكلالة نزلت في آخر عمر النبي صلى الله عليه وسلم فصار
شأن جابر بيانا لمراد الاية التي في آخر السورة لنزولها فيه ثم اختلفوا في ان
الكلالة اسم لمن فمنهم من قال هو اسم للميت وهو قول علي بن ابي طالب وابن مسعود
وابن عباس لانه مات عن ذهاب طرفيه فكل عمود نسبه وقيل هو اسم للحي من الورثة
وهو قول ابي بكر الصديق وعليه جمهور العلماء الذين قالوا ان الكلالة من دون
الوالد والولد ويدل عليه حديث جابر انما يرثني كلالة اي يرثني ورثة ليسوا
بولد ولا والد فان كان المراد الوارثين فهم من عدا الوالد والولد وقال ابن زيد
الكلالة الذي لا ولد له ولا والد الحي والميت كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة
وهذا يورث بالكلالة وقال ابو الخير سأل رجل عقبة عن الكلالة فقال
الا تعجبون من هذا يسألني عن الكلالة وما اعضل باصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم شي ما اعضلت بهم الكلالة (ق) عن عمر قال ثلاث وددت ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان عهد الينا فيهن عهدا ينتهي اليه الجد والكلالة وابواب
من ابواب الربا وهذا طرف حديث في ذكر الخمر (ق) عن معدان بن ابي طلحة قال خطب عمر
ابن الخطاب فقال اني لا ادع بعدي شيئا اهم عندي من الكلالة ما راجعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم في شي ما راجعته في الكلالة وما اغلظ لي في شي ما اغلظ لي في
الكلالة حتى طعن باصبعه في صدري وقال يا عمر الا تكفيك آية الصيف التي في آخر
سورة النساء واني ان اعش اقض فيها بقضية يقضي بها من يقرأ القرآن ومن لا يقرأ
القرآن لفظ مسلم قوله الا تكفيك آية الصيف اراد ان الله عز وجل انزل في الكلالة
آيتين احداهما في الشتاء وهي التي في اول سورة النساء والاخرى في الصيف وهي التي
في آخر السورة وفيها من البيان ما ليس في آية الشتاء فلذلك احاله عليها وقوله عز
وجل **وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس** اراد به الاخ والاخت للام باتفاق

العلماء وقرأ سعد بن أبي وقاص وله أخ أو أخت من أم **فإن قلت** إن الله تعالى قال
وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة ثم قال تعالى وله أخ فذكر الرجل ولم يذكر المرأة
فما السبب فيه **قلت** هذا على عادة العرب فإنهم إذا ذكروا اسمين ثم أخبروا عنهما
وكانا في الحكم سواء ربما أضافوا أحدهما إلى الآخر وربما أضافوا إليهما فهو كقوله تعالى
واستعينوا بالصبر والصلاة ثم قال تعالى وإنها لكبيرة وقال الفراء إذا جاء حرفان في
معنى واحد جاز إسناد التفسير إلى أيهما أريد ويجوز إسناده إليهما أيضا
فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث وهذا إجماع العلماء أن أولاد الأم
إذا كانوا اثنين فصاعدا يشتركون في الثلث ذكرهم وأنثاهم فيه سواء قال أبو بكر
في خطبته ألا إن الآية التي أنزل الله في أول سورة النساء في شأن الفرائض أنزلها في
الولد والوالد والآية الثانية في الزوج والزوجة والإخوة من الأم والآية
الثالثة التي ختم بها السورة في الإخوة والأخوات من الأب والأم والآية التي ختم
بها سورة الأنفال أنزلها الله في أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله **وقوله**
تعالى من بعد وصية يوصى بها أو دين تقدم تفسيره وبقي شيء من
الأحكام نذكرها وذلك أن ظاهر الآية يدل على جواز الوصية بكل المال وببعضه
وفي معنى الآية ما روي عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق
امرئ مسلم له شيء يوصي فيه وفي رواية له شيء يريد أن يوصي به أن يبيت ليلتين وفي رواية
ثلاث ليال إلا ووصيته مكتوبة عنده قال نافع سمعت عبد الله بن عمر يقول
ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك إلا وعندي وصيتي
مكتوبة أخرجاه في الصحيحين ففي ظاهر الآية والحديث ما يدل على إطلاق الوصية
لكن ورد في السنة ما يدل على تقييد هذا المطلق وتخصيصه وهو قوله صلى الله
عليه وسلم في حديث سعد بن أبي وقاص قال الثلث والثلث كثير إنك أن تذر ورثتك
أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس أخرجاه في الصحيحين ففي هذا
الحديث دليل على أن الوصية لا تجوز بأكثر من الثلث وأن النقصان عن الثلث
جائز ولا تجوز الوصية لوارث ويدل عليه ما **روي** عن عمرو بن خارجة قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله عز وجل أعطى كل ذي حق حقه
فلا وصية لوارث أخرجه أبو داود وقوله تعالى غير مضار يعني غير مدخل
الضرر على الورثة بمجاوزة الثلث في الوصية وهو أن يوصي بأكثر من الثلث
وقيل هو أن يوصي بدين ليس عليه أو يقر بماله أو بأكثر ماله لأجنبي ويترك
ورثته عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل
ليعمل والمرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما
النار ثم قرأ أبو هريرة من بعد وصية يوصى بها أو دين إلى قوله ذلك الفوز العظيم
أخرجه أبو داود والترمذي وقال قتادة كره الله الضرار في الحياة وعند الموت
ونهى عنه وقدم فيه وقيل إن الإضرار في الوصية من الكبائر لأن مخالفة أمر الله عز
وجل كبيرة وقد نهى الله عن الإضرار في الوصية فدل على أن ذلك من الكبائر
واعلم أن الأولى بالإنسان أن ينظر عند الموت في قدر ما يخلف من المال ومن يخلف
من الورثة ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فإن كان ماله قليلا وفي الورثة كثرة
فالأولى به أن لا يوصي بشيء لقوله صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص إنك أن

تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وإن كان في المال كثرة
أوصى بحسب المال وبحسب الورثة وحاجتهم بعده في القلة والكثرة وقوله تعالى
وصية من الله أي فريضة من الله وقيل عهدا من الله إليكم فيما يجب لكم من ميراث
من مات منكم والله عليم يعني أنه تعالى عليم بمصالح عباده وبمضارهم وبما فرض
عليهم من الأحكام وقيل عليم بمن يجور في وصيته وبمن لا يجور حليم يعني أنه تعالى
ذو حلم وذو أناة في ترك العقوبة عمن جار في وصيته وقال أبو سليمان الخطابي
الحليم ذو الصفح والأناة الذي لا يستفزه غضب ولا يستخفه جهل جاهل والحليم
هو الصفوح مع القدرة المتأني الذي لا يعجل بالعقوبة قوله عز وجل تلك
حدود الله يعني الأحكام التي تقدم ذكرها في هذه السورة من أموال اليتامى
والوصايا والأنكحة والمواريث وإنما سماها حدودا لأن الشرائع كالحدود المضروبة
للمكلفين فلا يجوز لهم أن يتجاوزوها وقال ابن عباس يريد ما حد الله من فرائضه
ومن يطع الله ورسوله يعني في شأن المواريث ورضي بما قسم الله له وحكم عليه به
يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم
ومن يعص الله ورسوله يعني في شأن المواريث ولم يرض بقسمة الله ورسوله ويتعد
حدوده يعني ويتجاوز ما أمر الله تعالى يدخله نارا خالدا فيها وله
عذاب مهين **فإن قلت** كيف قطع للعاصي بالخلود في النار في هذه
الآية وهل فيها دليل للمعتزلة على قولهم إن العصاة والفساق من أهل الإيمان
يخلدون في النار **قلت** قال الضحاك المعصية هنا الشرك **وروى**
عكرمة عن ابن عباس في معنى الآية من لم يرض بقسمة الله ويتعدى ما قال الله يدخله
نارا وقال الكلبي يكفر بقسمة المواريث ويتعد حدود الله استحلالا وإذا ثبت ذلك
فمن رد حكم الله ولم يرض بقسمته كفر بذلك وإذا كفر كان حكمه حكم الكفار
في الخلود في النار إذا لم يتب قبل موته فإن مات وهو مصر على ذلك كان مخلدا
في النار بكفره فلا دليل في الآية للمعتزلة والله أعلم **قوله تعالى** واللاتي
جمع التي وهي كلمة يخص بها المؤنث خاصة يأتين الفاحشة يعني يفعلن
الفاحشة يقال أتيت أمرا قبيحا إذا فعلته والفاحشة في اللغة الفعلة القبيحة
وقيل الفاحشة عبارة عن كل فعل أو قول يعظم قبحه في النفوس ويقبح
ذكره في الألسنة حتى يبلغ الغاية في جنسه وذلك مخصوص بشهوة الفرج الحرام
ولذلك أجمعوا على أن الفاحشة هاهنا هي الزنا وإنما سمي الزنا فاحشة
لزيادة قبحه من نسائكم وقيل من الزوجات وقيل المراد به جنس النساء
فاستشهدوا عليهن أربعة منكم يعني من المسلمين وهذا خطاب
للأزواج أي اطلبوا أربعة من الشهود يشهدوا عليهن وقيل هو خطاب
للحكام أي اسمعوا شهادة أربعة عليهن ويشترط في هذه الشهادة العدالة
والذكورة قال عمر بن الخطاب إنما جعل الله الشهود أربعة سترا لكم دون
فواحشكم فإن شهدوا يعني الشهود بالزنا فأمسكوهن في البيوت
أي فاحبسوهن في البيوت والحكمة في حبسهن أن المرأة إنما تقع في الزنا عند
الخروج والبروز للرجال فإذا حبست في البيت لم تقدر على الزنا حتى
يتوفاهن الموت يعني يتوفاهن ملائكة الموت عند انقضاء آجالهن أو يجعل

الله لهن سبيلا وهذا الحكم كان في أول الإسلام قبل نزول الحدود وكانت المرأة إذا زنت حبست في البيت حتى تموت ثم نسخ الحبس بالحدود وجعل الله لهن سبيلا عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه كرب لذلك وتربد وجهه فأنزل الله عليه ذات يوم فلقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم

فصل اتفق العلماء على أن هذه الآية منسوخة ثم اختلفوا في ناسخها فذهب بعضهم إلى أن ناسخها هو حديث عبادة بن الصامت المتقدم وهذا على مذهب من يرى نسخ القرآن بالسنة وذهب بعضهم إلى أن الآية منسوخة بآية الجلد التي في سورة النور وقيل إن هذه الآية منسوخة بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وقال أبو سليمان الخطابي لم يحصل النسخ في هذه الآية ولا في الحديث وذلك لأن قوله تعالى فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا يدل على إمساكهن في البيوت ممدودا إلى غاية أن يجعل الله لهن سبيلا وأن ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الحديث فصار هذا الحديث بيانا لتلك الآية المجملة لا ناسخا لها وأجمع العلماء على أن جلد البكر الزاني مائة ورجم المحصن وهو الذي اجتمع فيه أربعة أوصاف البلوغ والعقل والحرية والإصابة في نكاح صحيح وهو الثيب واختلفوا في جلد الثيب ورجمه فذهبت طائفة إلى أنه يجب الجمع بينهما وبه قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري وإسحاق بن راهويه وداود وأهل الظاهر وروي عن علي بن أبي طالب أنه جلد شراحة الهمدانية يوم الخميس ورجمها يوم الجمعة وقال جلدتها بكتاب الله ورجمتها بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جماهير العلماء الواجب على المحصن الزاني الرجم وحده لأن النبي صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا والغامدية ولم يجلدهما وأما تغريب البكر الزاني ونفيه سنة فمذهب الشافعي وجماهير العلماء وقال أبو حنيفة وحماد لا يقضى بالنفي حدا إلا أن يراه الحاكم تعزيرا وقال مالك والأوزاعي لا نفي على النساء وروي مثله عن علي قالوا لأن المرأة عورة وفي نفيها تضييع لها وتعريض لها للفتنة وحجة الشافعي وجماهير العلماء ظاهر حديث عبادة بن الصامت وهو قوله صلى الله عليه وسلم البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة وروى نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب وغرب وأن أبا بكر ضرب وغرب وأن عمر ضرب وغرب وأما الزاني العبد فعليه جلد خمسين وفي تغريبه قولان فإن قلنا إنه يغرب ففيه قولان أصحهما أنه يغرب نصف سنة قياسا على جلده وإن كان الزاني مجنونا أو صبيا غير بالغ فلا حد عليه قوله عز وجل واللذان هو تثنية الذي يأتيانها يعني يأتيان الفاحشة منكم يعني من رجالكم ونسائكم وقيل هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير المعنيين بالآية الأولى وقيل المراد بما ذكر في الأولى النساء وهذه للرجال لأن الله تعالى حكم في الآية الأولى بالحبس في البيت على النساء وعلى اللائق بحالهن لأن المرأة إنما تقع في الفاحشة عند الخروج فإن حبست في البيت انقطعت مادة المعصية وأما الرجل فلا يمكن حبسه في البيت لأنه يحتاج إلى الخروج في

إصلاح معاشه واكتساب قوت عياله فجعلت عقوبة الرجل الزاني الأذى بالقول والفعل فآذوهما يعني عيروهما بالقول باللسان وهو أن يقال له أما خفت الله سبحانه وتعالى أما استحييت من الله حين زنيت وقال ابن عباس سبوهما واشتموهما وفي رواية عنه قال هو باللسان واليد يؤذى بالتعيير ويضرب بالنعال فإن تابا يعني من الفاحشة

وهما

وأصلحا يعني العمل فيما بعد فأعرضوا عنهما أي اتركوهما ولا تؤذوهما إن الله كان توابا رحيما يعني أنه تعالى يعود على عبده بفضله ومغفرته ورحمته إذا تاب إليه وهذا الحكم كان في ابتداء الإسلام كان حد الزاني الأذى بالتوبيخ والتعيير بالقول باللسان فلما نزلت الحدود وثبتت الأحكام نسخ ذلك الأذى بالآية التي في سورة النور وهي قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله الآية فثبت الجلد على البكر بنص الكتاب وثبت الرجم على الثيب المحصن بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم ماعزا وكان قد أحصن وسواء في هذا الحكم المسلم واليهودي لأنه ثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا وكانا قد أحصنا وقال أبو حنيفة لا رجم على اليهودي لأن المشرك ليس بمحصن وأجيب عنه بأن المراد بهذا الإحصان إحصان العفاف لا إحصان التزوج قوله تعالى إنما التوبة على الله يعني التوبة التي يقبلها الله فتكون على بمعنى عند وقيل على بمعنى من أي من الله وقال أهل المعاني إن الله عز وجل وعد قبول التوبة من المؤمنين في قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وإذا وعد الله شيئا أنجز ميعاده وصدق فيه فهو كقوله على الله أوجب على نفسه من غير إيجاب أحد عليه لأنه تعالى يفعل ما يريد للذين يعملون السوء يعني الذنوب والمعاصي سمي سوءا لسوء عاقبته إذا لم يتب منها بجهالة قال قتادة أجمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على أن كل شيء عصي الله به فهو جهالة عمدا كان أو غيره وكل من عصى الله فهو جاهل وقال ابن عباس من عمل السوء فهو جاهل من جهالته عمل السوء وكل من عصى الله سمي جاهلا وسمي فعله جهالة وإنما سمي من عصى الله جاهلا لأنه لم يستعمل ما معه من العلم بالثواب والعقاب وإذا لم يستعمل ذلك سمي جاهلا بهذا الاعتبار وقيل معنى الجهالة أن الإنسان يأتي الذنب مع العلم بأنه ذنب لكنه يجهل عقوبته وقيل معنى الجهالة هو اختيار اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب يعني يتوبون بعد الإقلاع عن الذنب بزمان قريب لكيلا يعد في زمرة المصرين وقيل القريب أن يتوب في صحته قبل مرض موته وقيل قبل موته وقيل قبل معاينة ملك الموت ومعاينة أهوال الموت وإنما سميت هذه المدة قريبة لأن كل ما هو آت فهو قريب وفيه تنبيه على أن عمر الإنسان وإن طال فهو قليل وأن الإنسان يتوقع في كل ساعة ولحظة نزول الموت به عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر أخرجه الترمذي الغرغرة أن يجعل المشروب في فم المريض فيردده في الحلق ولا يصل إليه ولا يقدر على بلعه وذلك عند بلوغ الروح إلى الحلقوم وروى البغوي بسنده عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الشيطان قال وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب

تبارك وتعالى وعزتي وجلالي وارتفاعي في مكاني لأنا أغفر لهم ما استغفروني وقيل في معنى الآية إن القريب هو أن يتوب الإنسان قبل أن يحيط السوء بحسناته فيحبطها **فأولئك يتوب الله عليهم** يعني يقبل توبتهم **وكان الله عليما حكيما** قال ابن عباس علم ما في قلوب المؤمنين من التصديق واليقين فحكم لهم بالتوبة قبل الموت ولو بقدر فواق ناقة وقيل معناه لأنه علم أنه إنما أتى تلك المعصية لاستيلاء الشهوة والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها وأناب عن قريب

قوله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات قال ابن عباس يريد الشرك وقال أبو العالية وسعيد بن جبير هم المنافقون وقال سفيان الثوري هم المسلمون ألا ترى أنه قال ولا الذين يموتون وهم كفار **حتى إذا حضر أحدهم الموت** يعني وقع في النزع وعاين ملائكة الموت وهي حالة السوق حين تشتد الروح للخروج من جسده **قال إني تبت الآن** قال المحققون قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الأحوال التي لا يمكن معها الرجوع إلى الدنيا بحال فلذلك لم تقبل توبة فرعون ولا إيمانه وهو قوله تعالى حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ويدل على ذلك أيضا قوله تعالى فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا

فإن قلت قد تعلقت الوعيدية بهذه الآية وقالوا أخبر الله تعالى أن عصاة المؤمنين إذا أمهلوا أمرهم إلى انقضاء آجالهم حصلوا على عذاب الآخرة مع الكفار لأن الله تعالى جمعهم في قوله أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما وأيضا إنه تعالى أخبر أنه لا توبة لهم عند معاينة الموت وأسبابه **قلت** ليس الأمر على ما زعموا فقد روي عن ابن عباس في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات يريد الشرك وقال سعيد بن جبير نزلت الآية الأولى في المؤمنين يعني قوله إنما التوبة على الله والوسطى في المنافقين يعني قوله وليست التوبة والأخرى في الكافرين يعني قوله ولا الذين يموتون وهم كفار وإذا كانت الآية نازلة في الكفار والمنافقين فلا وجه لحملها على المؤمنين وعلى تقدير أن تكون الآية نازلة في عصاة المؤمنين فقد روي عن ابن عباس في قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية ثم أنزل الله تعالى بعد ذلك إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فحرم الله المغفرة على من مات وهو كافر وأرجى أهل التوحيد إلى مشيئته ولم يؤيسهم من المغفرة فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة في حق المؤمنين

وقوله تعالى **ولا الذين يموتون وهم كفار** معناه لا توبة للكفار إذا ماتوا على كفرهم وإنما لم تقبل توبتهم في الآخرة لرفع التكليف في الآخرة ومعاينة ما وعدوا به من العقاب **أولئك أعتدنا لهم** أي هيأنا لهم **عذابا أليما** قوله تعالى **يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها** نزلت في أهل المدينة وذلك أنهم كانوا في الجاهلية وفي أول الإسلام إذا مات الرجل وخلف امرأة جاء ابنه من غيرها أو قريبه من ذوي عصبته فألقى ثوبه على تلك المرأة أو على خبائها صار أحق بها من نفسها ومن غيره فإن شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق الأول الذي أصدقها الميت وإن شاء زوجها غيره وأخذ هو صداقها وإن شاء عضلها ومنعها من الأزواج يضارها بذلك لتفتدي منه بما ورثت من الميت أو تموت هي فيرثها

فإن

فإن ذهبت المرأة إلى أهلها قبل أن يلقي عليها ولي زوجها ثوبه كانت أحق بنفسها وكانوا على ذلك حتى توفي أبو قيس بن الأسلت الأنصاري وترك امرأته كبيشة بنت معن الأنصارية فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقيل اسمه قيس بن أبي قيس فطرح ثوبه عليها فورث نكاحها ثم تركها ولم ينفق عليها يضارها بذلك لتفتدي منه فأتت كبيشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن أبا قيس توفي وورث نكاحي ابنه فلا هو ينفق علي ولا هو يدخل بي ولا يخلي سبيلي فقال اقعدي في بيتك حتى يأتي أمر الله فيك فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها يعني ميراث نكاح النساء وقيل معناه أن ترثوا أموالهن كرها يعني وهن كارهات **ولا تعضلوهن** أي ولا تمنعوهن من الأزواج وأصل العضل المنع **لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن** يعني لتضروهن فتفتدي ببعض ما لها قيل هو خطاب للأزواج قال ابن عباس هذا في الرجل تكون له المرأة وهو كاره لها ولصحبتها ولها عليه مهر فيضارها لتفتدي منه وترد إليه ما ساق إليها من المهر فنهى الله عن ذلك وقيل كان الرجل يطلق امرأته ثم يراجعها ثم يطلقها يضارها بذلك فنهوا عن ذلك وقيل هو خطاب لأولياء الميت نهاهم الله عن عضل المرأة ثم قال تعالى **إلا أن يأتين بفاحشة مبينة** يعني فيحل لكم ضرارهن ليفتدين منكم واختلفوا في الفاحشة المبينة فقيل هو النشوز وسوء الخلق وإيذاء الزوج وأهله وقيل الفاحشة هنا الزنا يعني أن المرأة إذا نشزت أو زنت حل للزوج أن يسألها الخلع وقيل كانت المرأة إذا أصابت فاحشة أخذ منها زوجها ما ساق إليها وأخرجها فنسخ الله ذلك بالحدود **وعاشروهن بالمعروف** قيل هو راجع إلى الكلام الذي قبله والمعنى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة بالمعروف هو الإجمال في القول والمبيت والنفقة وقيل هو أن يصنع لها كما يجب أن تصنع له **فإن كرهتموهن** يعني فإن كرهتم عشرتهن وصحبتهن وآثرتم فراقهن **فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** قال ابن عباس هو أن يرزق منها ولدا صالحا فيجعل الله في ولدها خيرا كثيرا فتنقلب تلك الكراهية محبة والنفرة رغبة وقيل في الآية ندب إلى إمساك المرأة مع الكراهية لها لأنه إذا كره صحبتها وتحمل ذلك المكروه طلبا للثواب وأنفق عليها وأحسن هو صحبتها استحق الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبى وقيل في معنى الآية إنكم إن كرهتموهن ورغبتم في فراقهن فربما جعل الله في تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا وذلك بأن تتخلص من هذا الزوج الكاره لها وتتزوج غيره خيرا منه قوله عز وجل **وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج** الخطاب للرجال والمراد بالزوج الزوجة قال المفسرون لما ذكر الله في الآية الأولى مضارة الزوجات إذا أتين بفاحشة وهي إما النشوز أو الزنا بين في هذه الآية تحريم المضارة إذا لم يكن من قبلها نشوز ولا زنا ونهى عن حبس الرجل حق المرأة إذا أراد طلاقها واستبدال غيرها **وآتيتم إحداهن قنطارا** يعني وإن كان ذلك الصداق مالا كثيرا وفي الآية دليل على جواز المغالاة في المهور **روي** أن عمر قال على المنبر ألا لا تغالوا في مهور نسائكم فقامت امرأة فقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وأنت تمنعنا وتلت الآية فقال كل الناس أفقه من عمر ورجع وقال امرأة أصابت ورجل أخطأ ورجع عن كراهة المغالاة وقد نهى الناس في صدقات

النسا حتى تبلغوا الا تولوا وقيل اذا خيرا المهورا بيصرها واستهلها **فلا تاخذوا منه شيئا**
يعني من القنطار الذي اتيتموهن لو جعلتم ذلك القدر لهن صداقا فلا تاخذوا منه
شيئا وذلك ان سوا العشرة اما ان يكون من قبل الزوج او من قبل الزوجة فان كان من
قبل الزوج واراد طلاق المراة فلا يحل له ان ياخذ من صداقها شيئا وان كان النشوز
من قبل المراة جاز له ذلك **اتاخذونه** استفهام بمعنى التوبيخ **بهتانا** اي ظلما وقيل
باطلا **واثما مبينا** يعني اتاخذونه بهتانا وهما اثمين فلا تفعلوا مثل هذا الفعل
مع قبحه في الشرع والعقل ثم قال تعالى **وكيف تاخذونه** كلمة تعجب والمعنى
لاي وجه تفعلون مثل هذا الفعل وكيف يليق بالعاقل ان ياخذ شيئا بذله لزوجته
عن طيب نفس وقيل هو استفهام معناه التوبيخ والتعظيم لاخذ المهر بغير حله ثم ذكر
السبب في ذلك فقال تعالى **وقد افضى بعضكم الى بعض** اصل الافضا في اللغة
الوصول يقال افضى اليه اي وصل اليه ثم للمفسرين في معنى الافضا في هذه الاية
قولان احدهما انه كناية عن الجماع وهو قول ابن عباس ومجاهد والسدي واختار
الزجاج وابن قتيبة ومذهب الشافعي لان عنده ان الزوج اذا طلق قبل المسيس
فلها ان يرجع بنصف المهر وان خلا بها والقول الثاني في معنى الافضا هو ان يخلو بها
وان لم يجامعها قال الكلبي الافضا هو ان يكون معها في لحاف واحد جامعها او لم يجامعها
وهذا القول هو اختيار الفرا ومذهب ابي حنيفة لان الخلوة الصحيحة عنده تقرر
المهر **واخذن منكم ميثاقا غليظا** قيل هو قول الولي عند العقد زوجتكها
على ما اخذ الله للنسا على الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان وقيل
هي كلمة النكاح المعقودة على الصداق وهي الكلمة التي تستحل بها فروج النسا
ويدل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله في النسا فانكم
اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله

قوله تعالى

ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا قال المفسرون كان اهل الجاهلية يتزوجون
ازواج ابائهم فنهاهم الله عن ذلك بهذه الاية

روي

انه لما توفي ابو قيس وكان
من صالحي الانصار خطب ابنه قيس امراة ابيه فقالت اني اتخذتك ولدا وانت من
صالحي قومك ولكني اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستامره فاتته فاخبرته
فانزل الله عز وجل ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا **الا ما قد سلف** يعني الا
ما مضى في الجاهلية قبل نزول التحريم فانه معفو عنه **انه كان فاحشة** انما
سماه فاحشة لان زوجة الاب في منزلة الام ونكاح الامهات حرام فلما كان ذلك
كذلك سماه الله فاحشة لانه من اقبح المعاصي **ومقتا** يعني انه يورث المقت من
الله وهو اشد البغض وغاية الخزي والخسار **وسا سبيلا** اي وبئس ذلك طريقا
لانه يودي الى مقت الله والعرب تسمي ولد الرجل من امراة ابيه مقتيا وكان منهم
الاشعث بن قيس وابي معيط بن ابي عمرو بن امية

روي

البغوي بسنده عن
البرا بن عازب قال مر بي خالي ومعه لوا فقلت اين تذهب قال بعثني النبي
صلى الله عليه وسلم الى رجل تزوج امراة ابيه اتيه براسه قوله عز وجل **حرمت
عليكم امهاتكم** بين الله عز وجل في هذه الاية المحرمات من النسا
بسبب الوصلة اما بسبب او نسب ح عن ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع
ثم تلا حرمت عليكم امهاتكم الاية فجملة المحرمات من النسا في الكتاب اربعة عشر

صنفا

صنفا اما المحرمات بالنسب فقوله حرمت عليكم امهاتكم جمع ام واصل امهات امات
واما زيدت الها للتوكيد والام هي الوالدة القريبة ويدخل في حكمها كل امراة رجع
النسب اليها من جهة الاب او من جهة الام بدرجة او درجات وهن جميع الجدات وان علون
فيحرم نكاح الام وجميع الجدات **وبناتكم** والبنت عبارة عن كل انثى رجع نسبها
اليك بالولادة بدرجة او درجات بانات كبنت البنت وان سفلت وكذا بنت
الابن **واخواتكم** جمع اخت وهي عبارة عن كل امراة شاركتك في اصليك فيدخل
فيه الاخوات من الاب والام والاخوات من الاب والاخوات من الام **وعماتكم**
جمع عمة وهي كل امراة شاركت اباك في اصليه ويدخل فيه جميع اخوات الاب واخوات
ابائه وان علون وقد تكون العمة من جهة الام ايضا وهي اخت ابي الام **وخالاتكم**
جمع خالة وهي كل امراة شاركت الام في اصليها فيدخل فيهن جميع اخوات الام واخوات
امهاتها وقد تكون الخالة من جهة الاب ايضا وهي اخت ام الاب **وبنات الاخ وبنات
الاخت** وهي عبارة عن كل امراة لاخيك ولاختك عليها ولادة ويرجع نسبها الى
الاخ او الاخت فيدخل فيهن جميع بنات اولاد الاخ او الاخت وان سفلن فهذه الاصناف
السبعة محرمة بسبب النسب بنص الكتاب وجملته انه يحرم على الرجل اصوله وفصوله
وفصول اول اصوله واول فصل من كل اصل بعده اصل فالاصول هن الامهات
والجدات والفصول هن البنات وبنات الاولاد وفصول اول اصوله هن الاخوات
وبنات الاخوة والاخوات واول فصل من كل اصل بعده اصل هن العمات والخالات
وان علون قال العلما كل امراة حرم الله نكاحها بالنسب والرحم فحرمتها مؤبدة
لا تحل بوجه من الوجوه

والصنف الثاني

المحرمات بالسبب
وهن سبع الاولى والثانية المحرمات بالرضاع وذلك في قوله تعالى **وامهاتكم اللاتي
ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة** كل انثى انتسبت باللبن
اليها فهي امك وبنتها اختك وانما نص الله على ذكر الام والاخت لينبه بذلك على
جميع الاصول والفروع فنبه بذلك انه تعالى اجرى الرضاع مجرى النسب ويدل
على ذلك ما روي عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحرم من الرضاع
ما يحرم من الولادة اخرجاه في الصحيحين ق عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بنت حمزة انها لا تحل لي يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب
وانها ابنة اخي من الرضاعة فكل من حرمت بسبب النسب حرم نظيرها بسبب
الرضاعة واعلم ان المرضعات امهات ولا يترتب عليه جميع احكام الامومة من
كل وجه فلا يتوارثان ولا يجب على كل واحد منهما نفقة الاخر وغير ذلك من الاحكام
وانما تثبت حرمة الرضاع بشرطين احدهما ان يكون ارضاع الصبي في حال الصغر
وذلك الى انتهاء سنتين من ولادته لقوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين
كاملين وقوله تعالى وفصاله في عامين عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الامعاء في الثدي وكان قبل الفطام اخرجه
الترمذي عن ابن مسعود قال لا رضاعة الا ما كان في الحولين اخرجه مالك في الموطا
باطول من هذا واخرجه ابو داود مختصرا قال قال عبد الله بن مسعود لا رضاع الا
ما شد العظم وانبت اللحم وقال ابو حنيفة مدة الرضاع ثلاثون شهرا لقوله وحمله وفصاله
ثلاثون شهرا وحمله الجمهور على اقل مدة الحمل واكثر مدة الرضاع لان اقل مدة الحمل

داخلة فيه وأقله ستة أشهر لشرط الثاني أن يوجد خمس رضعات **وروي** ذلك عن عائشة وبه قال عبد الله بن الزبير وإليه ذهب الشافعي ويدل على ذلك ما روي عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم الإملاجة ولا الإملاجتان وفي رواية أن رجلا من بني عامر بن صعصعة قال يا نبي الله هل تحرم الرضعة الواحدة قال لا (م) عن عائشة قالت كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن قولها فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن يحتمل أنه لم يبلغها نسخ ذلك وأجمعوا على أن هذا الا يتلى فهو مما نسخ تلاوة وبقي حكمه وذهب جمهور العلماء إلى أن قليل الرضاع وكثيره يحرم وهو قول ابن عباس وابن عمر وبه قال سعيد بن المسيب وإليه ذهب الثوري والأوزاعي ومالك وابن المبارك وأبو حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين عنه والرواية الأخرى كمذهب الشافعي واحتج من ذهب الجمهور بإطلاق الآية لأنه عمل بعموم القرآن وظاهره ولم يذكر عددا وأجاب الشافعي ومن وافقه في هذه المسألة بأن السنة مبينة للقرآن ومفسرة له وقوله تعالى **وأمهات نسائكم** يعني أنه إذا تزوج بامرأة حرمت عليه أمها الأصلية وجميع جداتها من قبل الأب والأم كما في النسب وكذا الرضاع أيضا وهو مذهب أكثر الصحابة وجميع التابعين وكل العلماء أن من تزوج امرأة حرمت عليه أمها بنفس العقد سواء دخل بها أو لم يدخل بها وجميع من الصحابة إلى أن أم المرأة إنما تحرم بالدخول بابنتها وهو قول علي وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر وأظهر الروايات عن ابن عباس والحجة اليوم على القول الأول وهو مذهب الجمهور ويدل على ذلك ما روي عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيما رجل نكح امرأة فلا يحل له أن ينكح أمها دخل بها أو لم يدخل أخرجه الترمذي وقوله تعالى **وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم** الربائب جمع ربيبة وهي بنت المرأة من رجل آخر سميت ربيبة لتربيته إياها في حجر الرجل وقوله دخلتم بهن كناية عن الجماع لا بنفس العقد فتحرم على الرجل بنات امرأته وبنات أولادها وإن سفلن من النسب والرضاع بعد الدخول بالزوجة فلو فارق زوجته قبل الدخول أو ماتت قبل دخوله بها جاز له أن يتزوج بنتها لأن الله تعالى أطلق تحريم الأمهات وعلق تحريم البنات بالدخول بالأم وقوله تعالى **وحلائل أبنائكم** يعني أزواج أبنائكم واحدتها حليلة والرجل حليل سميا بذلك لأن كل واحد منهما يحل لصاحبه وقيل لأن كل واحد يحل حيث يحل صاحبه في إزار واحد وقيل لأن كل واحد منهما يحل إزار صاحبه من الحل بمعنى الحل وجملته أنه يحرم على الرجل أزواج أبنائه وأبناء أولاده وإن سفلوا من النسب والرضاعة وذلك بنفس العقد **الذين من أصلابكم** إنما قال من أصلابكم احترازا عن المتبنى ليعلم أن زوجة المتبنى لا تحرم على الرجل الذي تبناه لأنه كان في صدر الإسلام بمنزلة الابن فنسخ الله ذلك وقوله تعالى ادعوهم لآبائهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجة زيد بن حارثة وكان قد تبناه فقال المشركون تزوج زوجة ابنه فأنزل الله تعالى وما جعل

المصة ولا المصتان أخرجه مسلم عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تحرم

وذهب

أدعياءكم أبناءكم وقال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم وقال تعالى **وأن تجمعوا بين الأختين** يعني لا يجوز للرجل أن يجمع بين الأختين في نكاح واحد سواء كانت الأخوة بينهما بنسب أو رضاع والجمع بين الأختين يقع على ثلاثة أوجه أحدها أن يجمع بينهما بعقد واحد فهذا العقد فاسد لا يصح فلو تزوج إحدى الأختين ثم تزوج الأخرى بعدها فإنا نحكم ببطلان نكاح الثانية فلو طلق الأولى طلاقا بائنا جاز له نكاح أختها الوجه الثاني من صور الجمع بين الأختين وهو أن يتزوج إحداهما ويشتري الأخرى فيملكها بملك اليمين فذهب بعض العلماء إلى أنه لا يجوز الجمع بينهما لأن ظاهر هذه الآية يقتضي تحريم الجمع مطلقا فوجب أن يحرم الجمع بينهما على جميع الوجوه وذهب بعضهم إلى جوازه والقول الأول أصح وأولى لما روي قبيصة بن ذؤيب أن رجلا سأل عثمان عن أختين مملوكتين لرجل هل يجمع بينهما فقال عثمان أحلتهما آية وحرمتهما آية فأما أنا فلا أحب أن أصنع ذلك فخرج من عنده فلقي رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عنه فقال أما أنا فلو كان لي من الأمر شيء لم أجد أحدا فعل ذلك إلا جعلته نكالا قال ابن شهاب أراه علي بن أبي طالب قال مالك أنه بلغه عن الزبير بن العوام مثل ذلك أخرجه في الموطأ وقوله تعالى **إلا ما قد سلف** يعني لكن ما قد مضى فهو معفو عنه بدليل قوله تعالى **إن الله كان غفورا رحيما** وقيل إن فائدة هذا الاستثناء أن أنكحة الكفار كانت صحيحة فلو أسلم عن أختين قيل له اختر أيهما شئت ويدل عليه ما روي عن الضحاك بن فيروز عن أبيه قال قلت يا رسول الله إني أسلمت وتحتي أختان قال طلق أيهما شئت أخرجه أبو داود

فروع تتعلق بحكم الآية

الأول لا يجوز الجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها أخرجاه في الصحيحين قال بعض الحكماء في حد ما يحرم الجمع كل امرأتين بينهما قرابة أو لبن وكان ذلك بينك وبين المرأة لم يجز لك نكاحها لم يجز لك الجمع بينهما

الفرع الثاني

المحرمات بالنسب سبعة أصناف ذكرت في الآية نسقا والمحرمات بالسبب صنفان صنف يحرم بالرضاع وهن الأمهات والأخوات على ما تقدم ذكره وصنف يحرم بالمصاهرة وهن أم المرأة وحليلة الابن وزوج الأب وقد تقدم ذكرها في قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية والربائب على التفصيل المذكور والجمع بين الأختين الفرع الثالث التحريم الحاصل بسبب المصاهرة إنما يحصل بنكاح صحيح فلو زنا بامرأة لم تحرم عليه أمها ولا ابنتها ولو أراد أن يتزوجهن وكذلك لا تحرم المزني بها على آباء الزاني ولا أبنائه إنما تتعلق الحرمة بنكاح صحيح أو بنكاح فاسد يجب به الصداق ويجب عليها العدة ويلحق به الولد وهذا قول علي وابن عباس وبه قال سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والزهري وإليه ذهب مالك والشافعي وفقهاء أهل الحجاز وذهب قوم إلى أن الزنا يتعلق به تحريم المصاهرة ويروى ذلك عن عمران بن حصين وأبي هريرة وبه قال جابر وإليه ذهب الحسن وأهل العراق ولو لمس امرأة أجنبية بشهوة أو قبلها بشهوة هل يحصل ذلك كالدخول في إثبات تحريم المصاهرة وكذلك لو لمس امرأة بشهوة هل يحصل كالوطء في تحريم الربيبة فيه قولان أصحهما أنه تثبت به حرمة المصاهرة وهو قول أكثر أهل العلم والثاني لا تثبت كما لا تثبت بالنظر بشهوة قوله تعالى **والمحصنات** يعني وحرمت المحصنات

من النساء واصل الاحصان في اللغة المنع والحصان بالفتح المرأة العفيفة
ويطلق الاحصان على المرأة ذات الزوج والحرة والعفيفة والمرأة المسلمة والمراد
من الاحصان في قوله والمحصنات ذوات الازواج من النساء فلا يحل لاحد نكاحهن
قبل مفارقة ازواجهن وهذه هي الثانية من النساء اللاتي حرمت بالسبب قال
ابو سعيد الخدري نزلت هذه الاية في نساء كن هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولهن ازواج فتزوجهن بعض المسلمين ثم قدم ازواجهن مهاجرين فنهى
المسلمين عن نكاحهن ثم استثنى فقال تعالى **الا ما ملكت ايمانكم** يعني السبايا
اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الحرب فيحل لمالكهن وطيهن بعد الاستبراء لان السبي
يرتفع به النكاح بينها وبين زوجها قال ابو سعيد الخدري بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم جيشا الى اوطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين فكرهوا
غشيانهن فانزل الله هذه الاية وقال ابن مسعود اراد انه اذا بيعت الجارية المزوجة
تقع الفرقة بينها وبين زوجها ويكون بيعها طلاقا فيحل للمشتري وطيها وقال
عطاء اراد بقوله الا ما ملكت ايمانكم ان تكون امته في نكاح عبده فيجوز له ان ينزعها
منه وقيل اراد بالمحصنات من النساء الحرائر ومعناه ان ما فوق الاربع منهن فانه
عليكم حرام الا ما ملكت ايمانكم فانه لا عدد عليكم في الجواري ولا حصر **كتاب الله عليكم**
يعني حرمت عليكم امهاتكم كتب عليكم هذا كتابا وقيل معناه الزموا كتاب الله وقيل
معناه الزموا كتابا من الله عليكم يعني كتب الله تحريم ما حرم عليكم من ذلك وتحليل
ما حلل ما حلل كتابا **واحل لكم ما وراء ذلكم** يعني واحل لكم ما سوى ذلكم
الذي ذكر من المحرمات وظاهر هذه الاية يقتضي حل كل من سوى المذكورات
من الاصناف المحرمات لكن قد دل الدليل على السنة بتحريم اصناف اخر سوى
ما ذكر فمن ذلك انه يحرم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها ومن ذلك المطلقة
ثلاثا فلا تحل لزوجها الاول حتى تنكح زوجا غيره ومن ذلك نكاح المعتدة فلا
تحل للازواج حتى تنقضي عدتها ومن ذلك من كان في نكاحه حرة لم يجز له ان يتزوج
بامة والقادر على طول الحرة لم يجز له ان يتزوج بالامة ومن ذلك ان من كان
عنده اربع نسوة حرم عليه ان يتزوج بخامسة ومن ذلك الملاعنة فانها محرمة
على الملاعن بالتابيد فهذه اصناف من المحرمات سوى ما ذكر في الاية فعلى
هذا يكون قوله تعالى واحل لكم ما وراء ذلكم بلفظ العموم لكن العموم دخله
التخصيص فيكون عام مخصوص وقوله تعالى **ان تبتغوا باموالكم** فيه اضمار
تقديره واحل لكم ما وراء ذلكم ان تبتغوا اي تطلبوا باموالكم يعني تنكحوا بالصداق او
تشتروا بثمن وفي الاية دليل على ان الصداق لا يتقدر بشي فيجوز على القليل والكثير
لاطلاق قوله تعالى ان تبتغوا باموالكم **محصنين** يعني متزوجين وقيل
متعففين **غير مسافحين** يعني غير زانين والسفاح الفجور واصله من السفح
وهو الصب وانما سمي الزنا سفاحا لان الزاني لا غرض له الا صب النطفة فقط
وقوله تعالى **فما استمتعتم به منهن** اختلفوا في معناه فقال الحسن ومجاهد
اراد ما انتفعتم وتلذذتم بالجماع من النساء بنكاح صحيح لان اصل الاستمتاع
في اللغة الانتفاع وكل ما انتفع به فهو متاع **فآتوهن اجورهن** يعني مهورهن
وانما سمي المهر اجرا لانه بدل المنافع وليس ببدل الاعيان كما سمي بدل منافع الدار

والدابة اجرا وقال قوم المراد من حكم الاية هو نكاح المتعة وهو ان ينكح امرأة الى مدة
معلومة بشيء معلوم فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بغير طلاق وتستبرئ رحمها
وليس بينهما ميراث وكان هذا في ابتداء الاسلام ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن المتعة وحرمها (م) عن سبرة بن معبد الجهني انه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا ايها الناس اني كنت اذنت لكم في الاستمتاع من النساء وان الله قد حرم ذلك الى يوم
القيامة فمن كان عنده منهن شي فليخل سبيله ولا تاخذوا مما اتيتموهن شيا والى هذا
ذهب جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم ان نكاح المتعة حرام والاية منسوخة
واختلفوا في ناسخها فقيل نسخت بالسنة وهو ما تقدم من حديث سبرة الجهني (ق) عن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن متعة النساء يوم خيبر
وعن اكل لحوم الحمر الانسية وهذا على مذهب من يقول ان السنة تنسخ القرآن ومذهب
الشافعي ان السنة لا تنسخ القرآن فعلى هذا قيل ان ناسخ هذه الاية قوله تعالى
في سورة المؤمنون والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم
غير ملومين والمنكوحة في المتعة ليست بزوجة ولا ملك يمين واختلفت الرواية
عن ابن عباس في المتعة فروي عنه ان الاية محكمة وكان يرخص في المتعة قال
عمارة سالت ابن عباس عن المتعة اسفاح هي ام نكاح فقال لا سفاح ولا نكاح قلت
فما هي قال المتعة كما قال الله تعالى قلت هل لها عدة قال نعم حيضة قلت هل
يتوارثان قال لا وروي ان الناس لما ذكروا الاشعار في فتيا ابن عباس بالمتعة
قال قاتلهم الله اني ما افتيت باباحتها على الاطلاق لكني قلت انما تحل للمضطر
كما تحل الميتة له وروي انه رجع عنه وكان يحرمها **روى** عطاء الخراساني عن ابن
عباس في قوله فما استمتعتم به منهن انها صارت منسوخة بقوله يا ايها النبي
اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن **وروى** سالم بن عبد الله بن عمر
ابن الخطاب صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال قوم ينكحون هذه المتعة
وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها لا اجد رجلا نكحها الا رجمته بالحجارة
وقال هدم المتعة النكاح والطلاق والعدة والميراث **قال الشافعي**
لا اعلم في الاسلام شيا احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة وقال ابو عبيد القاسم
اليوم مجمعون على ان متعة النساء قد نسخت بالتحريم نسخها الكتاب والسنة وهذا
قول اهل العلم جميعا من اهل الحجاز والشام والعراق من اصحاب الاثر والراي
وانه لا رخصة فيها لمضطر ولا لغيره قال ابن الجوزي في تفسيره وقد تكلف قوم
من مفسري القرآن فقالوا المراد بهذه الاية نكاح المتعة ثم نسخت بما روي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى عن متعة النساء وهذا تكلف لا يحتاج اليه لان النبي
صلى الله عليه وسلم اجاز المتعة ثم منع منها وحرمها فكان قوله منسوخا
بقوله واما الاية فانها لم تتضمن جواز المتعة لانه تعالى قال فيها ان تبتغوا باموالكم
محصنين فدل ذلك على النكاح الصحيح قال الزجاج ومعنى قوله فما استمتعتم
به منهن فما نكحتموهن على الشريطة التي جرت وهو قوله محصنين غير مسافحين اي
عاقدين التزويج وقال ابن جرير الطبري اولى التاويلين في ذلك بالصواب تاويل
من تاوله فما نكحتموه منهن فجامعتموهن فاتوهن اجورهن لقيام الحجة بتحريم الله
متعة النساء على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم **فريضة** يعني لازمة واجبة **ولا جناح**

وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ اختلفوا فيه فمن حمل ما قبله على نكاح
المتعة قال اراد انهما اذا عقدا عقدا الى اجل على مال فاذا تم الاجل فان شاءت المراة
زادت في الاجل وزاد الرجل في الاجر وان لم يرضيا فارقها وقد تقدم ان ذلك كان
جائزا ثم نسخ وحرم ومن حمل الاية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله
ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به يعني من الابراء من المهر او الافتداء او الاعتياض وقال
الزجاج معناه لا جناح عليكم ان تهب المراة للزوج مهرها وان يهب الرجل للمراة
التي لم يدخل بها نصف المهر الذي لا يجب عليه **ان الله كان عليما** يعني
بما يصلحكم ايها الناس في مناكحكم وغيرها من سائر اموركم **حكيما**
يعني فيما دبر لكم من التدبير وفيما يأمركم به وينهاكم عنه ولا يدخل حكمه خلل ولا زلل

فصل

في قدر الصداق وما يستحب منه اعلم انه لا تقدير لاكثر
الصداق لقوله تعالى وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا والمستحب
ان لا يغالي فيه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه الا لا تغالوا في صدقة النساء فانها لو
كانت مكرمة في الدنيا وتقوى عند الله لكان اولاكم بها نبي الله صلى الله عليه وسلم
ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئا من نسائه ولا انكح شيئا من بناته على
اكثر من اثنتي عشرة اوقية اخرجه الترمذي ولابي داود نحوه م عن ابي سلمة قال
سالت عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كم كان صداق رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت كان صداقه لازواجه ثنتي عشرة اوقية ونش قالت اتدري
ما النش قلت لا قال نصف اوقية فتلك خمسمائة درهم واختلف العلماء في اقل
الصداق فذهب جماعة الى انه لا تقدير لاقله بل كلما جاز ان يكون مبيعا
او ثمنا جاز ان يكون صداقا وهو قول ربيعة وسفيان الثوري والشافعي واحمد
واسحاق وقال قوم يتقدر الصداق بنصاب السرقة وهو قول مالك وابي حنيفة
غير ان نصاب السرقة عند مالك ثلاثة دراهم وعند ابي حنيفة عشرة
دراهم والدليل على ان الصداق لا يتقدر ما روي عن سهل بن سعد ق ان امراة
جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله قد وهبت نفسي لك
فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وصوبه ثم طاطا رسول
الله صلى الله عليه وسلم راسه فلما رات المراة انه لم يقض فيها شيئا جلست فقام
رجل من اصحابه فقال يا رسول الله ان لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها فقال
هل عندك من شيء قال لا والله يا رسول الله قال اذهب الى اهلك فانظر هل تجد
شيئا فذهب ثم رجع فقال لا والله ما وجدت شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انظر ولو خاتما من حديد فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ولا خاتما من
حديد ولكن هذا ازاري قال سهل ما له رداء فلها نصفه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما تصنع بازارك ان لبسته لم يكن عليها منه شيء وان لبسته لم يكن عليك
منه شيء فجلس الرجل حتى اذا طال مجلسه قام فرآه النبي صلى الله عليه وسلم موليا
فامر به فدعي فلما جاء قال ماذا معك من القرآن قال معي سورة كذا وسورة
كذا عددهما قال تقرؤهن عن ظهر قلبك قال نعم قال اذهب فقد ملكتكها بما
معك من القرآن وفي رواية فقد زوجتكها فعلمها من القرآن وفي رواية فقد
انكحتكها بما معك من القرآن اخرجاه في الصحيحين وهذا لفظ الحميدي ففي هذا

الحديث دليل على انه لا تقدير لاقل الصداق لانه قال التمس شيئا فهذا يدل على جواز اي
شيء كان من المال ثم قال ولو خاتما من حديد ولا قيمة له الا القليل التافه وفيه دليل
على انه يجوز ان يجعل تعليم القرآن صداقا وهو قول الشافعي ومنعه اصحاب الرأي عن
جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اعطى في صداق امراة ملء كفيه سويقا او تمرا فقد
استحل اخرجه ابو داود عن عبد الله بن عامر عن ابيه ان امراة من بني فزارة تزوجت على
نعلين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضيت من نفسك ومالك بنعلين
قالت نعم فاجازه اخرجه الترمذي وقال عمر بن الخطاب ثلاث قبضات من زبيب
مهر **قوله عز وجل** **ومن لم يستطع منكم طولا** يعني فضلا
وسعة وانما سمي الغنى طولا لانه ينال به المراد ما لا ينال مع الفقر والطول ههنا كناية
عن ما يصرف الى المهر والنفقة **ان ينكح المحصنات المؤمنات** يعني الحرائر
فمما ملكت ايمانكم يعني جارية اخيك المؤمن فان الانسان لا يجوز له ان يتزوج بجارية
نفسه **من فتياتكم المؤمنات** المعنى من لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج
الامة المؤمنة والفتيات الجواري المملوكات جمع فتاة يقال للامة فتاة و
للعبد فتى وفي الاية دليل على انه لا يجوز للحر نكاح الامة الا بشرطين احدهما
ان لا يجد مهر حرة لانه جرت العادة في الاماء بتخفيف مهورهن ونفقتهن وسبب
ذلك ثم استقل الى بعد هذا وهو الشرط الثاني وهو خوف العنت على نفسه وهو
قوله تعالى ذلك لمن خشي العنت منكم قال ابن عباس هو الزنا وهذا قول جابر
وابن عباس وسعيد بن جبير وطاوس ومسروق ومكحول وعمرو بن دينار واليه
ذهب مالك والشافعي واحمد وروي عن علي والحسن البصري وابن المسيب ومجاهد
والزهري انه يجوز للحر ان ينكح الامة وان كان موسرا وهو مذهب ابي حنيفة الا ان
يكون في نكاحه حرة والسبب في منع الحر من نكاح الامة الا عند خوف العنت ان الولد
يتبع الام في الرق والحرية واذا كانت الام رقيقة كان الولد رقيقا وذلك نقص في
حق الحر وفي حق ولده ولان حق السيد اعظم من حق الزوج فربما احتاج الزوج
فلا يجد اليها سبيلا لان للسيد حبسها لخدمته ولان مهرها ملك السيد فلا
تقدر على هبته من زوجها ولا ان تبرئه منه بخلاف الحرة فلهذا السبب منع الله من
نكاح الامة الا على سبيل الرخصة والاضطرار ويجوز للعبد نكاح الامة وان كان تحت
نكاحه حرة عند ابي حنيفة لا يجوز له اذا كانت تحته حرة كما يقول في الحر وفي الاية
دليل انه لا يجوز للمسلم حرا كان او عبدا نكاح الامة الكتابية لقوله تعالى **من
فتياتكم المؤمنات** يفيد جواز نكاح الامة المؤمنة دون الكتابية لان فيها نوعان
من النقص وهو هما الرق والكفر بخلاف الامة لان فيها نقص واحد وهو الرق
وهذا قول مجاهد والحسن واليه ذهب مالك والشافعي وقال ابو حنيفة يجوز التزوج
بالامة الكتابية وبالاتفاق يجوز وطء الامة الكتابية بملك اليمين وقوله تعالى
والله اعلم بايمانكم قال الزجاج اي اعملوا على الظاهر في الايمان فانكم متعبدون
بالظاهر والله يتولى السرائر والحقائق وقيل معناه لا تتعرضوا للباطن في الايمان
وخذوا بالظاهر فان الله اعلم بايمانكم **بعضكم من بعض** يعني ان كلكم
من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الاماء عند الضرورة وانما قيل لهم ذلك
لان العرب كانت تفتخر بالانساب والاحساب ويسمون ابن الامة الهجين فاعلم الله تعالى

ان ذلك الامر لا يلتفت اليه فلا يتعد احدكم بنفسه من التزوج بالاماء فانكم مستاوون
في النسب الى آدم وقيل معناه ان دينكم واحد وهو الايمان وانتم مستوية كون فيه فمتى
وقع لاحدكم الضرورة جاز له ان يتزوج بالامة عند خوف العنت وقال ابن عباس
يريد ان المؤمنين بعضهم اكفاء بعض **فانكحوهن باذن اهلهن** يعني اخطبوا
الاماء الى ساداتهن واتفق العلماء على ان نكاح الامة بغير اذن سيدها باطل لان الله
تعالى جعل اذن السيد شرطا في جواز نكاح الامة **وآتوهن اجورهن** يعني
مهورهن **بالمعروف** يعني من غير مطل ولا اضرار وقيل معناه من وآتوهن مهور
امثالهن واجمعوا على ان المهر للسيد لانها ملكه وانما اضيف ايتاء المهر الى الامة
لانه ثمن بضعهن **محصنات** يعني عفائف **غير مسافحات** يعني غير زانيات
ولا متخذات اخدان جمع خدن وهو الصاحب الذي يكون معك في كل
امر ظاهر وباطن واكثر ما يستعمل فيمن يصاحب بشهوة يقال خدن المرأة وخدينها
يعني حبها الذي يزني بها في السر قال الحسن المسافحة هي التي كل من دعاها
تبعته وذات اخدان هي التي تختص بواحد ولا تزني مع غيره فكانت العرب
في الجاهلية يحرم الاولى ويجوزون الثانية فلما كان هذا العرف معتبرا عندهم لا جرم
ان الله تعالى افرد كل واحد من هذين القسمين بالذكر ونص على تحريمهما معا
فاذا احصن قرئ بفتح الالف والصاد ومعناه حفظن فروجهن وقيل معناه
اسلمن وقرئ احصن بضم الالف وكسر الصاد ومعناه زوجن **فان اتين بفاحشة**
يعني زنا **فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب** يعني فعلى الاماء
اللاتي زنين نصف ما على الحرائر الابكار اذا زنين من الجلد فيجلد العبد للزنا
اذا زنا خمسين جلدة ولا فرق بين المملوك المتزوج وغير المتزوج فانه يجلد خمسين
ولا رجم عليه هذا قول اكثر العلماء وروي عن ابن عباس وطاوس انه لا حد على
مملوك يتزوج من المماليك اذا زنا لان الله تعالى قال فاذا احصن والذي لم يتزوج
ليس بمحصن [illegible] واجيب عنه بان معنى الاحصان عند الاكثرين الاسلام
وان كان المراد منه التزويج فليس المراد منه ان التزوج شرط لوجوب الحد عليه بل
المراد منه التنبيه على ان المملوك وان كان محصنا فلا رجم عليه انما حده الجلد
بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الآية وبيان انه بالجلد لا بالرجم ثابت بالحديث
وهو ما روي عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا زنت امة
احدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد
ولا يثرب عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر اخرجاه
في الصحيحين قوله ولا يثرب عليها اي لا يعيرها والتثريب كالتأنيب والتعيير
والاستقصاء في اللوم قال الشيخ محيي الدين النووي وهذا البيع المأمور به
في الحديث مستحب ليس بواجب عندنا وعند الجمهور وقال داود واهل الظاهر
هو واجب وفيه جواز بيع الشيء النفيس بالثمن الحقير وهذا البيع للشارع به يلزم
صاحبه ان يبين حالها للمشتري لانه عيب والاخبار بالعيب واجب **فان قيل**
كيف يكره شيئا ويرتضيه لاخيه المسلم **فالجواب** لعلها تستعف عند المشتري
بان يعفها بنفسه او يصونها لهيبته او بالاحسان اليها او يزوجها او غير ذلك والله اعلم
ذلك اشارة الى نكاح الامة **لمن خشي العنت منكم** يعني الزنا ومعنى

ذلك لمن خاف ان تحمله شدة الشبق والغلمة وشدة الشهوة على الزنا فانما يسمى الزنا
بالعنت لما يعقبه من المشقة وهي شدة العقوبة فاباح الله تعالى نكاح الامة بثلاث
شرائط عدم القدرة على نكاح الحرة وخوف العنت وكون الامة مؤمنة **وان تصبروا**
يعني عن نكاح الاماء متعففين **خير لكم** يعني كيلا يكون الولد عبدا رقيقا
والله غفور رحيم وهذا كالتوكيد لما تقدم يعني انه تعالى يغفر لكم ويرحمكم حيث
اباح لكم ما انتم محتاجون اليه **قوله تعالى يريد الله ليبين لكم** اللام
في قوله ليبين معناه ان يبين وقيل معناه ان يريد انزال هذه الآيات من اجل ان يبين
لكم دينكم ويوضح لكم شرعكم ومصالح اموركم وقيل يبين لكم ما يقربكم منه وقيل
يبين ان الصبر عن نكاح الاماء خير لكم **ويهديكم** اي ويرشدكم **سنن**
الذين من قبلكم اي شرائع من قبلكم في تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت
محرمة على من قبلكم وقيل معناه يرشدكم الى ما لكم فيه مصلحة كما بينه لمن كان قبلكم
وقيل معناه ويهديكم الى الملة الحنيفية وهي ملة ابراهيم عليه السلام **ويتوب**
عليكم يعني ويتجاوز عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم ويرجع بكم من المعصية
التي كنتم عليها الى طاعته وقيل لما بين لنا امر الشرائع والمصالح وارشدنا الى
طاعته فربما وقع منا تقصير وتفريط فيما امرنا به ونهينا عنه فلا جرم انه تعالى
ويتوب عليكم **والله عليم** يعني بمصالح عباده في امر دينهم ودنياهم **حكيم**
يعني فيما دبر من امورهم **والله يريد ان يتوب عليكم** قال ابن عباس معناه يريد
ان يخرجكم من كل ما يكره الى كل ما يحب ويرضى وقيل معناه يدلكم على ما يكون سببا لتوبتكم
التي يغفر لكم بها ما سلف من ذنوبكم وقيل معناه ان وقع منكم تقصير في دينه فيتوب
عليكم ويغفر لكم **ويريد الذين يتبعون الشهوات** قيل هم اليهود والنصارى
وقيل هم اليهود خاصة لانهم يقولون ان نكاح بنت الاخت من الاب حلال وقيل
هم المجوس لانهم يستحلون نكاح الاخوات وبنات الاخوة فلما حرمهن الله
قالوا انكم تحلون بنت الخالة وبنت العمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات
الاخ والاخت فنزلت هذه الآية وقيل هم الزناة يريدون ان تكونوا مثلهم **ان**
تميلوا يعني عن الحق وقصد السبيل بالمعصية **ميلا عظيما** يعني باتيانكم ما حرم الله
عليكم **يريد الله ان يخفف عنكم** يعني يسهل عليكم احكام الشرائع فهو عام في كل
احكام الشرع وجميع ما يسره لنا وسهله علينا احسانا منه الينا وتفضلا منه
ولطفا علينا ولم يثقل التكاليف علينا كما ثقلها على بني اسرائيل فهو كقوله تعالى
يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقوله تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج
وكما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت بالحنيفية السهلة السمحة
وقوله تعالى **وخلق الانسان ضعيفا** يعني عن قلة الصبر عن النساء فلا يصبر
عنهن وقيل انه لضعفه يستميله هواه فهو ضعيف العزم عن قهر الهوى وقيل
هو ضعيف في اصل الخلقة لانه خلق من ماء مهين قوله عز وجل **يا ايها الذين**
آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل يعني بالحرام الذي لا يحل في الشرع
كالربا والقمار والغصب والسرقة والخيانة وشهادة الزور واخذ المال باليمين
الكاذبة ونحو ذلك وانما خص الاكل بالذكر ونهى عنه تنبيها على غيره من جميع التصرفات
الواقعة على وجه الباطل لان معظم المقصود من الاموال الاكل وقيل يدخل فيه

اكل مال نفسه بالباطل ومال غيره اما اكل ماله بالباطل فهو انفاقه في المعاصي واما اكل
مال غيره فقد تقدم معناه وقيل يدخل في اكل المال بالباطل جميع العقود الفاسدة وقوله
تعالى **الا ان تكون تجارة عن تراض منكم** هذا الاستثناء منقطع لان التجارة عن تراض
ليست من جنس اكل المال بالباطل فكان الا هاهنا بمعنى لكن يحل اكله بالتجارة عن
تراض يعني بطيبة نفس كل واحد منكم وقيل هو ان يخير كل واحد من المتبايعين
صاحبه بعد البيع فيلزم والا فلهما الخيار ما لم يتفرقا لما **روي** عن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا تبايع الرجلان فكل واحد منهما بالخيار ما لم يتفرقا
وكانا جميعا او يخير احدهما الاخر فان خير احدهما الاخر فتبايعا على ذلك وان تفرقا
بعد ان تبايعا ولم يترك واحد منهما البيع فقد وجب البيع اخرجاه في الصحيحين وقوله
تعالى **ولا تقتلوا انفسكم** اي لا تقتلوا بعضكم بعضا وانما قال انفسكم لانهم
اهل دين واحد فهم كنفس واحدة وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في حجة
الوداع الا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض وقيل هذا نهي للانسان
عن قتل نفسه (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تردى من
جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدا مخلدا فيها ابدا ومن تحسى سما
فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها ابدا ومن قتل
نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجا بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها
ابدا قوله تردى التردي هو الوقوع من موضع عال الى اسفل قوله يتوجا
بها اي يضرب بها نفسه (ق) عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رجل
به جراح فقتل نفسه فقال الله تبارك وتعالى بدرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة
وفي رواية قال كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فاخذ سكينا فحز بها
يده فما رقا الدم حتى مات فقال الله تعالى بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه
الجنة وقيل في معنى قتل الانسان نفسه انه لا يفعل شيئا يستحق به القتل مثل ان يقتل
فيقتل به فيكون هو الذي تسبب في قتل نفسه وقيل معناه ولا تقتلوا انفسكم باكل
المال بالباطل وقيل معناه ولا تهلكوا انفسكم بان تعملوا عملا ربما ادى الى قتلها
ان الله كان بكم رحيما يعني انه تعالى من رحمته بكم نهاكم عن كل شيء تستوجبون
به مشقة او محنة وقيل انه تعالى امر بني اسرائيل بقتل انفسهم ليكون ذلك توبة وكان
بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الشاقة الصعبة **ومن يفعل
ذلك** يعني ما سبق ذكره من قتل النفس المحرمة لان الضمير يعود الى اقرب المذكورات
وقيل انه يعود الى قتل النفس واكل المال بالباطل لانهما مذكوران في اية واحدة
وقيل انه يعود الى كل ما نهى الله عنه من اول السورة الى هنا **عدوانا وظلما**
يعني بتجاوز الحد ووضع الشيء في غير موضعه فلذلك قيده بالعدوان والظلم لانه
قد يكون القتل بحق وهو القصاص وكذلك قد يكون اخذ المال بحق فلهذا السبب
قيده بالوعيد وما كان على وجه العدوان والظلم وهو قوله تعالى **فسوف
نصليه نارا** اي ندخله في الاخرة نارا يصلى فيها **وكان ذلك على الله
يسيرا** اي هينا لانه تعالى قادر على ما يريد قوله تعالى **ان تجتنبوا كبائر
ما تنهون عنه** اجتناب الشيء المباعدة عنه وتركه جانبا والكبيرة ما كبر وعظم
من الذنوب وعظمت عقوبته وقبل ذكر التفسير نذكر الاحاديث الواردة في

الكبائر فمن ذلك ما روي عن ابي بكرة قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
الا انبئكم باكبر الكبائر ثلاثا قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق
الوالدين الا وشهادة الزور وقول الزور وكان متكئا فجلس فما زال يكررها حتى
قلنا ليته سكت اخرجاه في الصحيحين (ق) عن انس بن مالك قال ذكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم الكبائر فقال الشرك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس وقال
الا انبئكم باكبر الكبائر قول الزور او قال شهادة الزور (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن قال
الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق واكل مال اليتيم واكل الربا
والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات (ق) عن ابن مسعود قال
سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الذنب اعظم عند الله قال ان تجعل لله ندا
وهو خلقك قلت ان ذلك لعظيم ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت
ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك (خ) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس
وفي رواية ان اعرابيا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الكبائر
قال الاشراك بالله قال ثم ماذا قال اليمين الغموس قلت وما اليمين الغموس قال
الذي يقتطع بها مال امرئ مسلم يعني بيمين هو فيها كاذب (ق) عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان من اكبر الكبائر شتم الرجل والديه قالوا وهل يشتم الرجل والديه قال
نعم يسب الرجل ابا الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه وفي رواية من اكبر الكبائر
ان يلعن الرجل والديه وذكر الحديث وقال عبد الله بن مسعود اكبر الكبائر
الاشراك بالله والامن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح
الله وعن سعيد بن جبير ان رجلا سال ابن عباس عن الكبائر اسبع هي قال هي الى سبعمائة
اقرب وفي رواية الى السبعين اقرب الا انه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار
وقال كل شيء عصي الله به فهو كبيرة فمن عمل شيئا منها فليستغفر الله فان الله لا يخلد في
النار من هذه الامة الا من كان راجعا عن الاسلام او جاحدا فريضة او مكذبا
بقدر وقال علي بن ابي طالب كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب فهو
كبيرة وقال سفيان الثوري الكبائر ما كان فيه المظالم فيما بينك وبين العباد
والصغائر ما كان بينك وبين الله تعالى لان الله كريم يغفر ويعفو واحتج
لذلك بما روي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي مناد
من بطنان العرش يوم القيامة يا امة محمد ان الله قد عفا عنكم جميعا المؤمنين
والمؤمنات تواهبوا المظالم وادخلوا الجنة برحمتي وقال مالك بن مغول
الكبائر ذنوب اهل البدع والسيئات ذنوب اهل السنة وقيل الكبائر ذنوب العمد
والسيئات الخطا والنسيان وما استكره عليه وحديث النفس المرفوع عن هذه
الامة وقال السدي الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب والسيئات مقدماتها وتوابعها
التي يجتمع فيها الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة واشباه ذلك
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن ادم نصيبه من الزنا
مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان
زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى

وقوله ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه لفظ مسلم الكبائر الشرك وما يؤدي إليه وما دونه فهو من السيئات فقد ثبت بما تقدم من الأدلة أن من الذنوب كبائر وصغائر وإلى هذا ذهب الجمهور من السلف والخلف وثبت بدلائل الكتاب والسنة وإذا ثبت انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر فقوله تعالى إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وهي كل ذنب عظم قبحه وعظمت عقوبته إما في الدنيا بالحدود وإما في الآخرة بالعقاب أو عليه نكفر عنكم سيئاتكم يعني نستر ما عليكم حتى تصير بمنزلة ما لم تعمل لأن أصل التكفير الستر والتغطية فصغائر الذنوب تكفر بالحسنات ولا يكفر كبائرها إلا بالتوبة والإقلاع عنها كما ورد في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لما بينهن زاد في رواية ما لم تغش الكبائر وزاد في رواية أخرى ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر أخرجه مسلم وقوله تعالى وندخلكم مدخلا كريما يعني حسنا شريفا وهو الجنة والمعنى إذا اجتنبتم الكبائر وأتيتم بالطاعات ندخلكم مدخلا تكرمون فيه قوله عز وجل ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض أصل التمني إرادة الشيء وتشهي حصول ذلك الأمر المرغوب فيه ومنه حديث النفس بما يكون وبما لا يكون وقيل التمني تقدير الشيء في النفس وتصويره فيها وذلك قد يكون عن تخمين وظن وقد يكون عن روية وأكثر التمني تصور ما لا حقيقة له وقيل التمني عبارة عن إرادة ما يعلم أو يظن أنه لا يكون عن مجاهد عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله يغزو الرجال ولا نغزو وإنما لنا نصف الميراث فأنزل الله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال مجاهد وأنزل إن المسلمين والمسلمات وكانت أم سلمة أول ظعينة قدمت المدينة مهاجرة أخرجه الترمذي وقال هذا حديث مرسل وقيل لما جعل الله للذكر مثل حظ الأنثيين من الميراث قالت النساء نحن أحوج إلى الزيادة من الرجال لأنا ضعفاء وهم أقوى وأقدر على طلب المعاش فأنزل الله هذه الآية وقيل لما نزلت قوله للذكر مثل حظ الأنثيين قال الرجال إنا نرجو أن نفضل على النساء بالحسنات في الآخرة فيكون لنا أجران على ضعف أجر النساء كما فضلنا عليهن في الميراث وقالت النساء إنا لنرجو أن يكون الوزر علينا نصف ما على الرجال كما لنا الميراث النصف من نصيبهم فنزلت هذه الآية والنهي عن التمني أن يتمنى الإنسان أن يحصل له مال غيره مع زوال تلك النعمة عن ذلك الغير فهذا القسم هو الحسد وهو مذموم لأن الله تعالى يفيض نعمه على من يشاء من عباده وهذا الحاسد يعترض على الله فيما يفعل وربما اعتقد في نفسه أنه أحق بتلك النعمة من ذلك الإنسان أيضا فهذا اعتراض على الله أيضا وهو مذموم القسم الثاني أن يتمنى مثل مال غيره ولا يحب أن يزول ذلك المال عن الغير فهذا هو الغبطة وهذا ليس بمذموم ومن الناس من منع منه أيضا قال لأن تلك النعمة ربما كانت مفسدة في حقه في الدين والدنيا قال الحسن لا يتمن مال فلان ولا مال فلان ولا تدري لعل هلاكك في هذا المال فليعلم العبد أن الله عز وجل أعلم بمصالح عباده فليرض بقضائه ولتكن أمنيته الزيادة من عمل الآخرة وليقل اللهم أعطني ما يكون صلاحا لي في ديني ودنياي ومعادي وقوله

للرجال

للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن قال ابن عباس يعني مما ترك الوالدان والأقربون من الميراث يقول للذكر مثل حظ الأنثيين وقيل هذا الاكتساب في الأجر يعني أن الرجال والنساء في الأجر في الآخرة سواء لأن الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها يستوي في ذلك الرجال والنساء وإن فضل الرجال في الدنيا على النساء وقيل للرجال نصيب مما اكتسبوا من أمر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن يعني من طاعة الأزواج وحفظ الفروج واسألوا الله من فضله قال ابن عباس يعني من رزقه وقيل من عبادته وهو السؤال وقيل التوفيق للعبادة وقيل لم يأمر الله عباده بالمسألة إلا ليعطيهم وفيه تنبيه على أن العبد لا يعين شيئا في الدعاء والطلب ولكن يطلب من فضل الله ما يكون سببا لصلاح دينه ودنياه وآخرته وقيل لما تمنى النساء أن يكونوا رجالا وأن يكون لهن مثل ما للرجال فنهاهن الله عن ذلك وأمرهن أن يسألوه من فضله فإنه أعلم بمصالح عباده إن الله كان بكل شيء عليما يعني أنه تعالى عليم بما يكون صلاحا للسائلين فليقتصر السائل على المجمل في الطلب فإن الله عليم بما يصلحه فلا يتمنى غير الذي قدر له قوله تعالى ولكل يعني من الرجال والنساء جعلنا موالي يعني ورثة من بني عم وإخوة وسائر العصبات مما ترك يعني يرثون مما ترك الوالدان والأقربون من ميراثهم فعلى هذا الوالدان والأقربون هم الموروثون والمعنى لكل شخص جعلنا ورثة ممن تركهم وهم والداه وأقربوه والقول الأول أصح لأنه روي عن ابن عباس وغيره والذين عاقدت أيمانكم وقرئ عقدت بغير ألف من التخفيف والمعاقدة المحالفة والمعاهدة والأيمان جمع يمين يحتمل أن يراد بها القسم أو اليد أو هما جميعا وذلك أنهم كانوا إذا تحالفوا أخذ كل واحد منهم بيد صاحبه وتحالفوا على الوفاء بالعهد والتمسك بذلك العقد وكان الرجل يحالف الرجل في الجاهلية ويعاقده فيقول دمي دمك وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك ترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك فيكون لكل واحد من الحليفين السدس في مال الآخر وكان الحكم ثابتا في الجاهلية وابتداء الإسلام فذلك قوله تعالى فآتوهم نصيبهم يعني أعطوهم حظهم من الميراث ثم نسخ الله هذا الحكم بقوله وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار لما قدموا المدينة وكانوا يتوارثون بتلك المؤاخاة دون النسب والرحم فلما نزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك نسختها ثم قال والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب يرث أحدهما الآخر فنسخ ذلك الأنفال فقال وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض وقال سعيد بن المسيب كانوا يتوارثون بالتبني بهذه الآية ثم نسخ ذلك وذهب قوم إلى أن الآية ليست بمنسوخة بل حكمها ثابت والمراد بقوله والذين عاقدت أيمانكم الحلفاء والمراد من قوله فآتوهم نصيبهم يعني من النصرة والنصيحة والموافاة والمصافاة ونحو ذلك فهذا لا تكون منسوخة وقيل نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن داود بن الحصين قال كنت أقرأ على أم سعد بنت الربيع وكانت يتيمة في حجر أبي بكر الصديق فقرأت والذين عاقدت أيمانكم فقالت لا تقرأ والذين عقدت أيمانكم إنما نزلت في أبي بكر وابنه عبد الرحمن حين أبى الإسلام فحلف أبو بكر أن لا يورثه فلما أسلم أمره الله أن يؤتيه نصيبه أخرجه أبو داود

وعلى هذا فلما اسلم امر الله ان يؤتيه نصيبه اخرجه ابو داود وعلى هذا فلا نسخ ايضا فمن
قال ان حكم الآية ماض قال انما كانت المعاقدة في الجاهلية على النصر لا غير والاسلام لم
يغير ذلك ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا حلف في الاسلام وايما حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة اخرجه
مسلم وقوله تعالى ان الله كان على كل شيء شهيدا قال عطاء يريد انه لم
يغب عنه علم ما خلق وبرأ فعلى هذا الشهيد العالم والمراد منه علمه بجميع الاشياء
وقيل الشهيد الشاهد على الخلق يوم القيامة بكل ما عملوه فعلى هذا الشاهد بمعنى
الخبير وفيه وعد للمطيعين ووعيد للعاصين المخالفين قوله عز وجل الرجال
قوامون على النساء نزلت في سعد بن الربيع وكان من النقباء وفي امراته حبيبة بنت
زيد بن ابي زهير وقيل امراته بنت محمد بن مسلمة وذلك انها نشزت عليه فلطمها
فانطلق ابوها معها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشته كريمتي فلطمها
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لتقتص من زوجها فانصرفت مع ابيها لتقتص منه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل اتاني فانزل الله هذه الآية
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذي اراد الله خير ورفع
القصاص فقوله تعالى الرجال قوامون على النساء اي مسلطون على تاديب
النساء والاخذ على ايديهن قال ابن عباس امروا عليهن فعلى المراة ان تطيع
زوجها في طاعة الله والقوام هو القائم بالمصالح والتدبير والتاديب فالرجل
يقوم بامر المراة ويجتهد في حفظها ولما اثبت القيام للرجال على النساء بين السبب
في ذلك فقال تعالى بما فضل الله بعضهم على بعض يعني ان الله تعالى فضل
الرجال على النساء بامور منها زيادة العقل والدين والولاية والشهادة
والجهاد والجمعة والجماعات وبالامامة لان منهم الانبياء والخلفاء والائمة ومنها ان
الرجل يتزوج باربع نسوة ولا يجوز للمراة غير زوج واحد ومنها زيادة النصيب
في الميراث والتعصيب في الميراث وبيده النكاح والطلاق والرجعة وله
الانتساب فهذا كله يدل على فضل الرجال على النساء قال تعالى وبما
انفقوا من اموالهم يعني وبما اعطوا من مهور النساء والنفقة عليهن عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو كنت آمرا احدا ان يسجد
لاحد لامرت الزوجة ان تسجد لزوجها اخرجه الترمذي فالصالحات
يعني المحسنات العاملات بالخير قانتات اي مطيعات لازواجهن وقيل
مطيعات لله حافظات للغيب لفروجهن في غيبة ازواجهن لئلا يلحق
الزوج العار بسبب زناها ويلحق به الولد الذي هو من غيره وقيل معناه حفظ
سر زوجها وحفظ ماله وما يجب على المراة من حفظ متاع البيت في غيبة زوجها
عن ابي هريرة قال قيل يا رسول الله اي النساء خير قال التي تسره اذا نظر
اليها وتطيعه اذا امر ولا تخالفه في نفسها ولا مالها بما يكره اخرجه النسائي
وروى البغوي بسند الثعلبي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم خير النساء امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك وان غبت عنها
حفظتك في مالها ونفسها ثم تلا الرجال قوامون على النساء الآية وقوله تعالى بما حفظ الله
يعني بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج وامرهم باداء المهور والنفقة لهن (ق)

عن

عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فان المراة
خلقت من ضلع وان اعوج ما في الضلع اعلاه فان ذهبت تقيمه كسرته وان تركته لم يزل
اعوج فاستوصوا بالنساء وقيل في معنى الآية بما حفظهن الله عصمهن ووفقهن
لحفظ الغيب وقيل بما حفظ الله من حقوقهن على ازواجهن حيث امرهم بالعدل بينهن
وامساكهن بمعروف او تسريح باحسان واللاتي تخافون اي تعلمون وقيل تظنون
نشوزهن اي تعليهن واصل النشوز الارتفاع ونشوز المراة هو بغضها لزوجها
ورفع نفسها عن طاعته والتكبر عليه وقيل دلالات النشوز قد تكون بالقول
والفعل فالقول مثل ان كانت تلبيه اذا دعاها وتخضع له اذا خاطبها والفعل
مثل ان كانت تقوم له اذا دخل عليها وتسارع الى امره اذا امرها فاذا خالفت هذه
الاحوال بان رفعت صوتها عليه او لم تجبه اذا دعاها ولم تبادر الى امره اذا امرها دل
ذلك على نشوزها على زوجها فعظوهن يعني اذا ظهر منهن امارات النشوز فعظوهن
بالتخويف بالقول وهو ان تقول لها اتقي الله وخافيه فان لي عليك حقا وارجعي عما
انت عليه واعلمي ان طاعتي فرض عليك ونحو ذلك فان اصرت على ذلك هجرها في المضجع
وهو قوله تعالى واهجروهن في المضاجع يعني ان لم ينزعن عن ذلك بالقول
فاهجروهن في المضاجع قال ابن عباس هو ان يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها
وقيل هو ان يعتزل عنها الى فراش آخر واضربوهن يعني اذا لم ينزعن بالهجران
فاضربوهن يعني ضربا غير مبرح ولا شائن وقيل هو ان يضربها بالسواك ونحوه
قال الشافعي الضرب مباح وتركه افضل عن عمرو بن الاحوص انه سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع يقول بعد ان حمد الله واثنى عليه وذكر ووعظ فذكر
في الحديث قصة فقال الا فاستوصوا بالنساء خيرا فانما هن عوان عندكم ليس تملكون
منهن شيئا غير ذلك الا ان ياتين بفاحشة مبينة فان فعلن فاهجروهن في المضاجع
واضربوهن ضربا غير مبرح فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اخرجه الترمذي
بزيادة فيه قال قوله عوان جمع عانية اي اسيرة يعني ان المراة في دخولها تحت حكم
زوجها بالاسير والضرب المبرح الشديد الشاق قوله تعالى فان اطعنكم فلا تبغوا
عليهن سبيلا اي لا تطلبوا عليهن طريقا تحتجون بها عليهن اذا قمن بالواجب عليهن لكم
عن حكيم بن معاوية عن ابيه قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة احدنا عليه
قال ان تطعمها اذا طعمت وتكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر
الا في البيت اخرجه الترمذي بزيادة فيه قوله لا تقبح اي لا تقل قبحك الله (ق)
عن عبد الله بن زمعة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلد احدكم امراته
جلد العبد ثم لعله يجامعها او قال يضاجعها من آخر اليوم عن اياس بن عبد
الله بن ابي ذباب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا اماء الله فجاء
عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذئرن النساء على ازواجهن فرخص في ضربهن
فاطاف بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون ازواجهن فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقد طاف بآل محمد نساء كثير يشكون ازواجهن ليس اولئك
بخياركم اخرجه ابو داود واياس بن عبد الله هذا قد اختلف في صحبته وقال
البخاري لا يعرف له صحبة قوله ذئرن يعني اجترأن يقال ذئرت المراة على زوجها اذا نشزت واجترأت
عليه واطاف بالشيء اذا احاط به وفي هذه الاحاديث دليل على ان الاولى ترك الضرب للنساء

فان احتاج الى ضربها لتأديب فلا يضربها ضربا شديدا وليكن ذلك متفرقا ولا
يوالي بالضرب على موضع واحد من بدنها وليتق الوجه لانه مجمع المحاسن ولا يبلغ
بالضرب عشرين سوطا وقيل ينبغي ان يكون الضرب بالمنديل واليد ولا يضرب
بالسوط والعصا وبالجملة فالتخفيف بابلغ شيء اولى في هذا الباب واختلف العلماء
فقال بعضهم حكم الاية مشروع على الترتيب فان ظاهر اللفظ وان دل على الجمع
الا ان فحوى الاية يدل على الترتيب **قال علي بن ابي طالب**
رضي الله عنه يعظها بلسانه فان انتهت فلا سبيل له عليها وان ابت هجر مضجعها
فان ابت ضربها فان لم تتعظ بالضرب بعث الحكم وقال آخرون هذا الترتيب مراعى
عند خوف النشوز اما عند تحقق النشوز فلا باس بالجمع بين الكل وقيل
انه له ان يعظها عند خوف النشوز وهل له ان يهجرها فيه احتمال وله
عند ظهور النشوز ان يعظها وان يهجرها ويضربها عن عمر عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا يسأل الرجل فيم ضرب امرأته اخرجه ابو داود ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فابت ان تجيء
فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح وفي رواية ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته الى فراشه
فتأبى عليه الا كان الذي في السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها وفي رواية
اذا باتت مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح **وفي اخرى**
حتى ترجع عن طلق بن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دعا الرجل امرأته
لحاجته فلتأته وان كانت على التنور اخرجه الترمذي وله عن معاذ بن جبل
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا الا قالت
زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو دخيل عندك يوشك ان
يفارقك الينا وله عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايما امرأة
ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة وقوله تعالى فان اطعنكم يعني فان
رجعن عن النشوز الى طاعتكم عند هذا التأديب فلا تبغوا عليهن سبيلا يعني
فلا تطلبوا عليهن الضرب والهجران على سبيل التعنت والايذاء وقيل معناه
ازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ وتجنوا عليهن العلل وقيل
معناه لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بايديهن **ان الله كان عليا**
كبيرا العلي في صفة الله تعالى معناه هو المترفع الذي يعلو عن وصف
الواصفين ومعرفة العارفين العلي بالاطلاق الذي يستحق جميع صفات المدح
والكبير هو المستغني عن غيره وذلك هو الله تعالى الموصوف بالجلال والعظمة
والكبرياء وكبر الشأن الذي يصغر كل احد لكبريائه وعظمته والمعنى ان الله
تعالى متعال من ان يكلف عباده ما لا يطيقونه وقيل ان النساء وان
ضعفن عن دفع ظلم الرجال عنهن فان الله علي كبير قادر ان ينتصف لهن ممن ظلمهن
من الرجال وقيل معناه ان الله مع علوه وكبريائه يقبل توبة العاصي اذا تاب
ويغفر له فان تابت المرأة من نشوزها فالاولى بكم ان تقبلوا توبتها وتتركوا
معاتبتها واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم فانتم
احق بالعفو عمن جنى عليكم قوله **وان خفتم** يعني وان علمتم وتيقنتم

وقيل معناه الظن اي ظننتم **شقاق بينهما** يعني بين الزوجين واصل الشقاق
المخالفة وكون كل واحد من المتخالفين في شق غير شق صاحبه او يكون اصله من شق
العصا وهو ان يقول كل واحد من الزوجين ما يشق على صاحبه لما عنده وذلك انه
اذا ظهر بين الزوجين شقاق ومخالفة واشتبه حالهما ولم يفعل الزوج الصلح
ولا الصفح ولا الفرقة وكذلك الزوجة لا تؤدي الحق ولا الفدية وخرجا
الى ما لا يحل قولا وفعلا **وقوله تعالى فابعثوا حكما من اهله**
وحكما من اهلها اختلفوا في المخاطبين بهذا ومن المأمور ببعثة الحكمين فقيل
المخاطب بذلك هو الامام او نائبه لان تنفيذ الاحكام الشرعية اليه وقيل المخاطب به
كل احد من صالحي الامة لان قوله تعالى فابعثوا خطاب الجمع وليس حمله على البعض
اولى من حمله على البقية فوجب حمله على الكل فعلى هذا يجب ان يكون امرا لاحاد
الامة سواء وجد الامام او لم يوجد فللصالحين ان يبعثوا حكما من اهله وحكما
من اهلها وايضا للزوجين فاذا حصل بينهما شقاق بعثا حكمين حكما من
اهله وحكما من اهلها **ان يريدا اصلاحا** يعني الحكمين وقيل الزوجين
يوفق الله بينهما يعني بالصلاح والالفة **روى الشافعي** بسنده
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه جاءه رجل وامرأة ومع كل واحد منهما فئام من
الناس فقال ما شأن هذين قالوا وقع بينهما شقاق قال علي فابعثوا حكما من
اهله وحكما من اهلها ثم قال للحكمين تدريان ما عليكما ان رأيتما ان تجمعا جمعتما
وان رأيتما ان تفرقا فرقتما فقالت المرأة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي وقال
الرجل اما الفرقة فلا فقال علي كذبت والله حتى تقر بمثل ما اقرت به قال
الشافعي والمستحب ان يبعث الحاكم عدلين ويجعلهما حكمين والاولى ان يكون
واحد من اهله وواحد من اهلها لانهما اعرف بحالهما من الاجانب واشد
طلبا للاصلاح فان كانا اجنبيين جاز وفائدة الحكمين ان يخلو كل
واحد منهما بصاحبه ويستكشف حقيقة الحال ليعرف ان رغبته في الاقامة
على النكاح او في المفارقة ثم يجتمعان فيفعلان ما هو الصواب من ايقاع طلاق
او خلع والحكمان وكيلان للزوجين وهل يجوز لهما تنفيذ امر يلزم الزوجين
دون رضاهما واذنهما في ذلك مثل ان يطلق حكم الرجل ويفتدي حكم المرأة بشيء
من مالها فللشافعي في ذلك قولان احدهما انه لا يجوز الا برضاهما وليس لحكم
الزوج ان يطلق الا باذنه ولا لحكم المرأة ان يختلع بشيء من مالها الا باذنها وهو
مذهب ابي حنيفة واحمد لان عليا توقف حين لم يرض الزوج وذلك حين
قال اما الفرقة فلا فقال له علي كذبت حتى تقر بمثل ما اقرت به فثبت ان تنفيذ
الامر موقوف على اقراره ورضاه ومعنى قول علي للزوج كذبت اي لست بمنصف
في دعواك حيث لم تقر بمثل ما اقرت به من الرضا بحكم كتاب الله لها وعليها
والقول الثاني انه يجوز بعث الحكمين دون رضاهما ويجوز لحكم الزوج ان يطلق
دون رضاه ولحكم المرأة ان يختلع دون رضاها اذا رأيا الصلاح في ذلك كالحاكم
يحكم بين الخصمين وان لم يكن على وفق مرادهما وبه قال مالك ومن قال بهذا القول
قال ليس المراد من قول علي للزوج حتى تقر ان رضاه شرط بل معناه ان
المرأة لما رضيت بما في كتاب الله فقال الرجل اما الفرقة فلا يعني ليست الفرقة في كتاب الله

فقال له كذبت حيث انكرت ان تكون الفرقة في كتاب الله بل هي في كتاب الله فان قوله
تعالى يوفق الله بينهما يشتمل على الفراق وعلى غيره لانه اذا لم يتوفق ان يخرج كل واحد منهما
من الاثم والوزر ويكون ذلك تارة بالفراق وتارة بصلاح حاليهما في الوصلة وقوله
تعالى **ان الله كان عليما خبيرا** يعني انه تعالى يعلم كيف يوفق بين المختلفين
ويجمع بين المتفرقين وفيه وعيد للزوجين وللحكمين ان سلكوا غير طريق الحق وقوله
عز وجل **واعبدوا الله** يعني وحدوه واطيعوه وعبادة الله تعالى عبارة عن كل
فعل يأتي به العبد لمجرد امر الله تعالى ويدخل فيه جميع اعمال القلوب واعمال الجوارح
ولا تشركوا به شيئا يعني واخلصوا له في العبادة ولا تجعلوا له في الربوبية
والعبادة شريكا لان من عبد مع الله غيره او اراد بعمله غير الله فقد اشرك به ولا يكون
مخلصا **ق** عن معاذ بن جبل قال كنت ردف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار
يقال له عفير فقال يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده وما حق العباد على الله
قلت الله ورسوله اعلم قال فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا
وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيئا فقلت يا رسول الله افلا ابشر
الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا قوله هل تدري ما حق الله على عباده قال
معناه ما يستحقه مما اوجبه وجعله متحتما عليهم ثم فسر ذلك الحق بقوله ان
يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وقوله وما حق العباد على الله انما قاله على سبيل
المقابلة لحقه عليهم لا لانهم يستحقون عليه شيئا ويجوز ان يكون من قول الرجل
لصاحبه حقك علي واجب اي متأكد قيامي به وقوله افلا ابشر الناس الخ انما
قال لا تبشرهم فيتكلوا لانه صلى الله عليه وسلم رأى ذلك اصلح لهم واحرى ان لا يتكلوا
على هذه البشارة ويتركوا العمل الذي يرفع لهم به الدرجات في الجنة وقوله
تعالى **وبالوالدين احسانا** تقديره واحسنوا بالوالدين احسانا يعني برا
بهما وعطفا عليهما وانما قرن الوالدين بعبادته وتوحيده لتأكد حقهما على الولد
واعلم ان الاحسان الى الوالدين هو ان يقوم بخدمتهما وان لا يرفع صوته عليهما ويسعى في
تحصيل مرادهما والانفاق عليهما بقدر القدرة **ق** عن ابي هريرة قال جاء رجل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي
قال امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم ابوك
وفي رواية قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك ادناك قوله ثم اباك فيه حذف
تقديره ثم بر اباك **م** عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم
انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر احدهما
ثم لم يدخل الجنة قوله تعالى **وبذي القربى** واحسنوا الى ذي القرابة وهم ذوو
رحمه من قبل ابيه وامه عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من سره ان يبسط له في رزقه وينسأ له في اثره فليصل رحمه معنى ينسأ
له في اثره يؤخر له في اجله وعمره وقوله تعالى **واليتامى والمساكين** اي واحسنوا
الى اليتامى وانما امر بالاحسان اليهم لان اليتيم مخصوص بنوعين من العجز الصغر
وعدم المشفق والمسكين هو الذي ركبه ذل الفاقة والفقر فتمسكن لذلك
خ عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في
الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا **ق** عن ابي هريرة

عن

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله
واحسبه قال وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم لا يفطر وقوله تعالى **والجار
ذي القربى والجار الجنب** اي واحسنوا الى الجار ذي القربى وهو الذي قرب
جواره منك والجار الجنب هو الذي بعد جواره عنك وقيل الجار ذي القربى هو القريب
والجار الجنب هو الاجنبي الذي ليس بينك وبينه قرابة **ق** عن ابن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه
سيورثه وعن عائشة مثله **خ** عن عائشة قالت قلت يا رسول الله ان لي جارين فالى
ايهما اهدي قال الى اقربهما منك بابا **م** عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يا ابا ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك **وفي رواية**
قال ان خليلي صلى الله عليه وسلم قال اذا طبخت مرقا فاكثر ماءه ثم انظر الى اهل
بيت من جيرانك فاصبهم منها بمعروف **ق** عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل ومن يا رسول الله قال الذي لا يأمن
جاره بوائقه ولمسلم لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه البوائق الغوائل
والشرور **ق** عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نساء المؤمنات لا تحقرن جارة
لجارتها ولو فرسن شاة معناه ولو ان تهدي لها فرسن شاة وهو الظلف واراد به الشيء
الحقير **ق** عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فلا يؤذي جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليسكت **والصاحب بالجنب** قال ابن عباس
هو الرفيق في السفر وقيل هي المرأة تكون معك الى جنبك وقيل هو الذي يصحبك
رجاء نفعك عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير
الاصحاب عند الله تعالى خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن **وقوله تعالى وابن السبيل** يعني
المسافر المجتاز الذي قد انقطع به وقال الاكثرون المراد بابن السبيل
الضيف يمر بك فتكرمه وتحسن اليه **ق** عن ابي شريح خويلد بن عمرو العدوي
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليكرم ضيفه جائزته قالوا وما جائزته يا رسول الله قال يومه وليلته
والضيافة ثلاثة ايام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه وقال ومن كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت زاد في رواية ولا يحل لرجل مسلم ان يقيم
عند اخيه حتى يؤثمه قالوا يا رسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولا شيء له يقريه
به قوله جائزته يومه وليلته الجائزة العطية اي يقري الضيف ثلاثة ايام
ثم يعطيه ما يجوز به من منهل الى منهل وقيل هو ان يكرم الضيف ثلاثة ايام
فاذا سافر اعطاه ما يكفيه يوما وليلة حتى يصل الى موضع آخر وقوله ان يقيم
عنده حتى يؤثمه اي يوقعه في الاثم لانه اذا اقام عنده ولم يقره ثم
بذلك وقوله تعالى **وما ملكت ايمانكم** يعني المماليك فاحسنوا اليهم
والاحسان اليهم ان لا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يؤذيهم بالكلام الخشن وان
يعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون اليه بقدر الكفاية عن ابي بكر الصديق
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة سيئ الملكة اخرجه الترمذي

عن رافع بن مكيث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم أخرجه
أبو داود (د) عن علي بن أبي طالب قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصلاة الصلاة واتقوا الله فيما ملكت أيمانكم (ق) عن المعرور بن سويد قال
رأيت أبا ذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها فسألته عن ذلك فذكر أنه ساب
رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بأمه فأتى الرجل النبي صلى الله
عليه وسلم فذكر ذلك له فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنك امرؤ فيك جاهلية
قلت على ساعتي هذه من كبر السن قال نعم هم إخوانكم جعلهم الله تحت
أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم
ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه وقوله تعالى **إن الله لا يحب من كان**
مختالا المختال المتكبر العظيم في نفسه لأنه لا يقوم بحقوق الناس **فخورا**
الفخور هو الذي يفخر على الناس ويعدد مناقبه تكبرا وتطاولا على من دونه
وقيل هو الذي يفخر على عباد الله بما أعطاه الله من نعمه ولا يشكره عليها وإنما ختم الله
هذه الآية بهذين الوصفين المذمومين لأن المختال والفخور يأنف من أقاربه
الفقراء ومن جيرانه الضعفاء فلا يحسن إليهم ولا يلتفت ينظر إليهم ولأن المختال
هو المتكبر ومن كان متكبرا فلا يقوم بحقوق الناس (خ) عن ابن عمر أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء (ق) عن أبي
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا
(ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي في حلة تعجبه
نفسه مرجل رأسه يختال في مشيته إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلجل في الأرض
إلى يوم القيامة (خ) عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الفخر
والخيلاء في الفدادين من أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم الفدادون هم الفلاحون
والحراثون وأصحاب الإبل والبقر المستكثرون منها المتكبرون على الناس بها

قوله تعالى **الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل**
نزلت في اليهود الذين بخلوا ببيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموها فعلى
هذا يكون المراد بالبخل كتمان العلم وقال ابن عباس نزلت في كردم بن زيد
وحيي بن أخطب ورفاعة بن زيد بن التابوت وأسامة بن حبيب ونافع
بن أبي نافع وبحري بن عمرو كانوا يأتون رجالا من الأنصار ويخالطونهم
ويقولون لهم لا تنفقوا أموالكم فإنا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون
فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقيل إن ذلك يحتمل أن يكون المراد بالبخل
كتمان العلم ومنع المال لأن البخل في كلام العرب منع السائل من فضل ما لديه
وإمساك المقتنيات وفي الشرع البخل عبارة عن إمساك الواجب ومنعه
ولما كان ذلك أمكن حمله على منع المال ومنع العلم **ويكتمون ما آتاهم الله**
من فضله يعني الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكان عندهم من العلم
وقيل هم الأغنياء الذين كتموا الغنى وأظهروا الفقر وبخلوا بالمال **وأعتدنا**
للكافرين يعني الجاحدين نعمة الله عليهم **عذابا مهينا** يعني في الآخرة
عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق أخرجه الترمذي وقال حديث غريب

قوله عز وجل **والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس** يعني للفخار والسمعة
وليقال ما أسخاهم وما أجودهم لا يريدون بما أنفقوا وجه الله تعالى (م) عن أبي
هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى
الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه نزلت هذه الآية
في اليهود وقيل في المنافقين لأن الرياء ضرب من النفاق وقيل نزلت في مشركي مكة
المنفقين أموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم **ولا يؤمنون بالله ولا باليوم**
الآخر ولا يصدقون بتوحيد الله ولا بالمعاد الذي فيه جزاء الأعمال أنه كائن **ومن**
يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا يعني من يكن الشيطان صاحبه وخليله
فبئس الصاحب وبئس الخليل الشيطان وإنما اتصل الكلام هنا بذكر الشيطان
تقريعا لهم على طاعة الشيطان والمعنى من يكن عمله بما يسول له الشيطان فبئس
العمل عمله وقيل هذا في الآخرة يجعل الله الشياطين قرناءهم في النار يقرن مع
كل كافر شيطان في سلسلة في النار ثم وبخهم الله وعيرهم على ترك الإيمان
فقال تعالى **وماذا عليهم** يعني وأي شيء عليهم أي وبال وتبعة تلحقهم **لو آمنوا**
بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله أي أي وبال عليهم في الإيمان بالله
والإنفاق في سبيله ابتغاء مرضاته **وكان الله بهم عليما** يعني لا يخفى
عليه شيء من أعمالهم لا الذين ينفقون أموالهم لأجل الرياء والسمعة وفيه وعيد
وتهديد لهم **قوله عز وجل** **إن الله لا يظلم مثقال ذرة** نظم الكلام
وماذا عليهم لو آمنوا وأنفقوا فإن الله لا يظلم ولا يبخس ولا ينقص أحدا من ثواب
عمله مثقال ذرة يعني وزن ذرة وقال ابن عباس الذرة رأس نملة حمراء وقيل
الذرة كل جزء من أجزاء الهباء الذي يكون في الكوة إذا كان فيها ضوء
الشمس لا وزن لها وهذا مثل ضربه الله تعالى لأقل الأشياء والمعنى أن الله تعالى
لا يظلم أحدا شيئا لا قليلا ولا كثيرا لكنه خرج الكلام على أصغر شيء يعرفه الناس
وإن تك حسنة يضاعفها يعني الحسنة يكثر أمثالها وقيل هذا عند الحساب
ثم يبقى له من الحسنات مثقال ذرة ضاعفها الله له إلى سبعمائة وإلى أجر عظيم
وقال قتادة لأن تفضل حسناتي على سيئاتي بمثقال ذرة أحب إلي من الدنيا
وما فيها (م) عن أنس بن مالك في قوله تعالى إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك
حسنة يضاعفها قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة
يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل
بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها عن عبد
الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى يستخلص
رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعين سجلا
كل سجل مثل مد البصر ثم يقول أتنكر من هذا شيئا أظلمك كتبتي الحافظون
فيقول لا يا رب فيقول أفلك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى بلى إن لك عندنا
حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة
مع هذه السجلات فيقال إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة
فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء أخرجه الترمذي (ت)

عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يضرب الجسر
على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر
قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة
يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير
وكاجاود الخيل والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار
جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من احد منكم
باشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيمة لاخوانهم الذين
في النار وفي رواية فما انتم باشد مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمنين
يومئذ للجبار اذا راوا انهم قد نجوا في اخوانهم فيقولون ربنا انهم كانوا يصومون
معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار
فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف ساقه والى ركبتيه ثم
يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقال ارجعوا فمن وجدتم في قلبه
مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر
فيها ممن امرتنا احدا ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير
فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا وكان ابو
سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال
ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فيقول الله تبارك
وتعالى شفعت الملائكة وشفع النبيون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض
قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما فيلقيهم
في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل
الا ترونها تكون الى الحجر والى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون
منها الى الظل يكون ابيض فقالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية
قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله
الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة
فما رايتموه فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين
فيقول لكم عندي افضل من هذا فيقولون ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول
رضاي فلا اسخط عليكم ابدا لفظ مسلم وهو بعض حديث وقال بعضهم
هذه الاية واردة في الخصوم ويدل عليه ما روي عن عبد الله بن مسعود
قال اذا كان يوم القيمة جمع الله الاولين والاخرين ثم ينادي مناد من عند
الله الا من كان يطلب مظلمة فليجي الى حقه فلياخذه قال فيفرح المرء
ان يكون له الحق على والده او ولده او زوجته او اخيه فياخذ منه وان كان
صغيرا ومصداق ذلك في كتاب الله فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون ويؤتى بالعبد وينادي مناد على رؤس الاولين والاخرين
هذا فلان بن فلان من كان له عليه حق فليات الى حقه ثم يقال له آت هؤلاء
حقوقهم فيقول اي رب من اين وقد ذهبت الدنيا فيقول الله تبارك وتعالى
لملائكته انظروا الى اعماله الصالحة فاعطوهم منها فان بقي مثقال ذرة من
حسنة قالت الملائكة يا ربنا وهو اعلم بذلك اعطينا كل ذي حق حقه وبقي له

مثقال

مثقال ذرة من حسنة فيقول للملائكة ضعفوها لعبدي وادخلوه بفضل رحمتي الجنة
ومصداق ذلك في كتاب الله ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من
لدنه اجرا عظيما اي الجنة وان كان عبدا شقيا قالت الملائكة الهنا فنيت حسناته وبقي
طالبون كثير فيقول الله تبارك وتعالى خذوا من سيئاتهم فاضيفوها الى سيئاته
ثم ركبوا له كتابا الى النار اخرجه البغوي بغير سند عن ابن مسعود موقوفا عليه
واسنده ابن جرير الطبري عن ابن مسعود فمعنى الاية على هذا التاويل ان الله لا يظلم
مثقال ذرة للخصم على خصمه بل ياخذها له منه ولا يظلم مثقال ذرة تبقى له
بل يثيبه عليها ويضاعفها له فذلك قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها اي
يجعلها اضعافا كثيرة **ويؤت من لدنه** يعني من عنده **اجرا عظيما** يعني الجنة والمعنى
ويعط من عنده اجرا عظيما يعني عوضا عن حسنة وذلك العوض هو الجنة وقال
ابو هريرة اذا قال الله عز وجل اجرا عظيما فمن يقدر قدره

قوله تعالى

فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني فكيف يكون حال هؤلاء المشركين والمنافقين
يوم القيمة اذا جئنا من كل امة بشهيد قال ابن عباس يعني بنبيها
انه بلغ يعني كل امة يشهد عليها ولها **وجئنا بك** يا محمد **على هؤلاء شهيدا**
يعني تشهد على هؤلاء الذين سمعوا القرآن وخوطبوا به بما عملوا ق عن ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا علي القرآن فقلت يا رسول الله
اقرا عليك وعليك انزل قال اني احب ان اسمعه من غيري قال فقرات عليه سورة
النساء حتى جئت الى هذه الاية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على
هؤلاء شهيدا قال حسبك الان قال فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان زاد
مسلم شهيدا ما دمت فيهم او قال ما كنت فيهم شك احد رواته وقوله تعالى
يومئذ يعني يوم القيمة **يود** اي يتمنى **الذين كفروا** يعني جحدوا وحدانية
الله تعالى **وعصوا الرسول** يعني فيما امرهم به من توحيد الله عز وجل **لو تسوى
بهم الارض** يعني لو صاروا ترابا وسويت عليهم وقيل انهم ودوا لو يدفنوا لانهم
انما كانوا في الارض وهي مستوية عليهم وقال الكلبي يقول الله تبارك وتعالى
للبهائم والوحوش والطيور والسباع كوني ترابا فتسوى بهن الارض فعند
ذلك يتمنى الكافر لو كان ترابا **ولا يكتمون الله حديثا** قال ابن عباس
في رواية عطاء ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم
ولا كفروا به ولا نافقوا فعلى هذا القول يكون ذا الكتمان ما كتموا في الدنيا من
صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته وهو كلام متصل بما قبله وقيل هو كلام مستانف
قال سعيد بن جبير سال رجل ابن عباس فقال له اني اجد في القرآن اشياء تختلف علي
قال هات ما يختلف عليك قال فهات قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا وقوله
تعالى والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فقال ليغفر الله لاهل الاسلام ذنوبهم
ويدخلهم الجنة فيقول المشركون تعالوا نقول ما كنا مشركين فيقولون والله
ربنا ما كنا مشركين رجاء ان يغفر لهم فيختم على افواههم وتنطق ايديهم وارجلهم بما
كانوا يعملون فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا
وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله
وقال الحسن انها مواطن ففي موطن لا تتكلم ولا تسمع الا همسا وفي موطن يتكلمون

ويكذبون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفي موطن يعترفون على أنفسهم وهو قوله تعالى فاعترفوا بذنوبهم وفي موطن لا يتساءلون وفي موطن يسألون الرجعة وآخر تلك المواطن يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم وهو قوله تعالى ولا يكتمون الله حديثا

قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى جمع سكران سبب نزول هذه الآية ما روي عن علي بن أبي طالب قال صنع لنا ابن عوف طعاما فدعانا فأكلنا وسقانا خمرا قبل أن تحرم الخمر فأخذت منا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون قال فخلطت فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وأخرج أبو داود ولفظه أن رجلا من الأنصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاهما قبل أن تحرم الخمر فحضرت الصلاة فأمهم علي في المغرب فقرأ قل يا أيها الكافرون فخلط فيها فنزلت لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون

وروى ابن جرير الطبري عن ابن عباس أن رجالا كانوا يأتون الصلاة وهم سكارى قبل أن تحرم الخمر فقال الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون الآية فمعنى هذا فقيل المراد بالصلاة هي الأفعال التي هي نفس الصلاة ذات الركوع والسجود وهو قول الأكثرين والمعنى لا تصلوا وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون والقول الثاني أن المراد بالصلاة موضع الصلوة وهو المسجد وإطلاق لفظ الصلاة على المسجد محتمل فيكون من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ويدل عليه قوله تعالى لهدمت صوامع وبيع وصلوات والمراد بالصلوات مواضعها فثبت أن إطلاق لفظ الصلاة والمراد موضعها جائز واعلم أن هذا النهي عن قربان الصلاة في حالة السكر إنما كان قبل تحريم الخمر وكانوا يشربونها في غير أوقات الصلاة ثم نزل تحريم الخمر بعد ذلك ونسخت هذه الآية وقال الضحاك المراد بالسكر سكر النوم يعني لا تقربوا الصلوة عند غلبة النوم ويدل عليه ما روي عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا نعس أحدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فإن أحدكم إذا صلى وهو ناعس لا يدري لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه أخرجاه في الصحيحين

وقوله تعالى ولا جنبا يعني ولا تقربوا الصلوة وأنتم جنب والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لأنه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الإجناب وأصل الجنابة البعد وسمي الذي أصابته الجنابة جنبا لأنه يجتنب الصلوة والمسجد وقيل لمجانبته الناس حتى يغتسل إلا عابري سبيل العابري لما مر فيه من العبور وهو قطع الطريق من هذا الجانب إلى الجانب الآخر واختلف العلماء في معنى قوله إلا عابري سبيل على قولين أحدهما أن المراد بالعبور هو العبور في المسجد وذلك أن قوما من الأنصار كانت أبوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا ممر لهم إلا في المسجد فرخص لهم في العبور فيه فعلى هذا القول يكون المراد بالصلاة موضع الصلاة والمعنى لا تقربوا المسجد وأنتم جنبا إلا مجتازين فيه إما للخروج منه أو للدخول فيه مثل أن يكون قد نام

في المسجد فأجنب فيجب الخروج منه أو يكون الماء في المسجد فيه فلا بأس أن يكون طريقه عليه فيمر فيه من غير إقامة وهذا قول ابن مسعود وأنس بن مالك والحسن وسعيد بن المسيب وعكرمة والضحاك وعطاء الخراساني والنخعي والزهري وإليه ذهب الشافعي وأحمد القول الثاني أن المراد بقوله إلا عابري سبيل المسافرين والمعنى ولا تقربوا الصلاة وأنتم جنبا إلا أن تكونوا مسافرين ولم تجدوا الماء فتيمموا منع الجنب من الصلوة حتى يغتسل إلا أن يكون في سفر ولا ماء معه فيتيمم ويصلي إلى أن يجد الماء فيغتسل وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة فجعل عابري سبيل المسافر يمنع الجنب من العبور في المسجد وهو مذهب أبي حنيفة ورجح ابن جرير الطبري والواحدي القول الأول ويدل على صحته وجهان أحدهما أن المسافر الجنب لا يصح صلاته بدون التيمم ولم يذكر التيمم هنا فيحتاج إلى إضمار شيئين عدم الماء وذكر التيمم وعلى القول الأول لا يحتاج إلى إضمار شيء الوجه الثاني أن الله تعالى ذكر حكم السفر وعدم الماء وجواز التيمم بعد هذا فلا يجوز أن يحمل هذا على حكم مذكور في الآية ويدل عليه أن جميع القراء استحسنوا الوقف على قوله حتى تغتسلوا يعني إلى أن تغتسلوا وفيه دليل على أن حكم الجنابة باق على الجنب إلى غاية هي الاغتسال

فصل في أحكام تتعلق بالآية

اختلف العلماء في العبور في المسجد فأباحه قوم على الإطلاق وهو قول الحسن وبه قال مالك والشافعي ومنعه بعضهم على الإطلاق وهو قول أصحاب الرأي وقال قوم يتيمم للعبور في المسجد واختلف العلماء في المكث في المسجد أيضا للجنب فمنع أكثر أهل العلم وقالوا لا يجوز للجنب المكث في المسجد بحال لما روي عن عائشة قالت جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجوه بيوت أصحابه شارعة في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيئا رجاء أن ينزل لهم رخصة فخرج إليهم بعد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يصنع القوم شيئا رجاء أن ينزل لهم رخصة فخرج إليهم بعد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فإني لا أحل المسجد لحائض ولا جنب أخرجه أبو داود وجوز أحمد المكث في المسجد بشرط الوضوء وبه قال المزني من أصحاب الشافعي وأجاب أحمد عن حديث عائشة بأن في بعض رواته مجهول وقال عبد الحق لا يثبت من قبل إسناده واستدل أحمد لمذهبه بما روي عن عطاء بن يسار قال رأيت رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسون في المسجد وهم مجنبون إذا توضؤوا وضوء الصلاة أخرجه سعيد بن منصور في سننه واحتج لمذهب الجمهور بعموم الآية وبما روي عن أم سلمة قالت دخل النبي صلى الله عليه وسلم صرحة هذا المسجد فنادى بأعلى صوته أن المسجد لا يحل لجنب ولا حائض أخرجه ابن ماجه ويحرم على الجنب أيضا الطواف وقراءة القرآن كما يحرم عليه فعل الصلاة ويدل عليه أيضا ما روي عن علي بن أبي طالب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته ثم يخرج فيقرأ القرآن ويأكل معنا اللحم ولا يحجبه وربما قال ولا يحجزه من القرآن شيء ليس الجنابة أخرجه أبو داود والنسائي

والترمذي ولفظه كان يقرئنا القرآن على كل حال ما لم يكن جنبا وقال حديث حسن
صحيح **عن ابن عمر** قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقرأ الجنب ولا الحائض
ولا النفساء من القرآن شيئا اخرجه الدارقطني ويجب الغسل باحد شيئين بانزال
المني وهو الماء الدافق او بايلاج الحشفة في الفرج وان لم ينزل ويدل
على ذلك ما روي عن عائشة قالت سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل
يجد البلل ولا يذكر احتلاما قال يغتسل وعن الرجل يرى انه احتلم ولا يجد
بللا قال لا غسل عليه قالت ام سلمة والمرأة ترى ذلك اعليها غسل قال نعم
اخرجه ابو داود والترمذي ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا جلس بين شعبها الاربع ثم جهدها فقد وجب الغسل زاد في رواية
وان لم ينزل **قوله تعالى وان كنتم مرضى** جمع مريض
واراد به المرض الذي يضره معه امساس الماء مثل الجدري والحروق بالنار ونحو ذلك وان
كان على بعض اعضائه جراحة او به قروح يخاف من استعمال الماء التلف او زيادة
الوجع فانه يتيمم ويصلي مع وجود الماء وان كان بعض اعضائه صحيحا وبعضها
جريحا غسل الصحيح ويتيمم على الجريح في الوجه واليدين لما روي عن جابر
قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في راسه ثم احتلم فسأل اصحابه هل
تجدون لي رخصة في التيمم فقالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء فاغتسل
فمات فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال قتلوه قتلهم
الله الا سألوا اذا لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال انما كان يكفيه ان يتيمم ويعصر
او قال يعصب شك الراوي على جرحه خرقة ثم يمسح عليها ويغسل سائر جسده
اخرجه ابو داود والدارقطني ولم يجوز اصحاب الرأي الجمع بين التيمم والغسل
قالوا ان كان اكثر اعضائه او بدنه صحيحا غسل الصحيح ولا يتيمم عليه وان
كان الاكثر جريحا اقتصر على التيمم والحديث حجة لمن اوجب الجمع بين الغسل
والتيمم وقوله تعالى **او على سفر** اي وكنتم مسافرين واراد به السفر الطويل
والقصير وعدم الماء فانه يتيمم ويصلي ولا اعادة عليه لما روي عن ابي ذر
قال اجتمعت غنيمة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر ابد
فيها فبدوت الى الربذة فكانت تصيبني الجنابة فامكث الخمس والست فاتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو ذر فسكت فقال ثكلتك امك ابا ذر لامك
الويل فدعا بجارية سوداء فجاءت بعس فيه ماء فسترتني بثوب واستترت بالراحلة
فاغتسلت فكاني القيت عني جبلا فقال الصعيد الطيب وضوء المسلم
ولو الى عشر سنين فاذا وجدت الماء فامسه جلدك فان ذلك خير اخرجه
ابو داود والعس قدح من فخار يحمل فيه الماء للوضوء والاغتسال فاذا لم
يكن الرجل مريضا ولا على سفر وعدم الماء في موضع لا يعدم فيه غالبا فانه
يتيمم ويصلي ثم يعيد اذا وجد الماء [illegible] عليه وبه قال [illegible] وقال
مالك والاوزاعي لا اعادة عليه وقال ابو حنيفة يؤخر الصلاة حتى يجد الماء وقوله
تعالى **او جاء احد منكم من الغائط** الغائط المكان المطمئن من الارض وجمعه
الغيطان وكانت عادة العرب اتيان الغائط للحدث وكنوا به عن الحدث
وذلك ان الرجل منهم كان اذا اراد قضاء الحاجة طلب غائطا من الارض

يعني

يعني مكانا منخفضا من الارض يحجبه عن اعين الناس فسمي الحدث بهذا الاسم
فهو من باب تسمية الشيء باسم مكانه وقوله تعالى **او لامستم النساء** قرئ بهما وفي
سورة المائدة لامستم النساء ولمستم بغير الف واختلف العلماء في معنى الملامسة
على قولين احدهما انه الجماع وهو قول علي وابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة ووجه
هذا القول ان الله كنى باللمس عن الجماع لان اللمس يوصل اليه قال ابن عباس ان الله
حيي كريم يكني عن الجماع بالملامسة والقول الثاني ان المراد باللمس هنا التقاء
البشرتين سواء كان بجماع او بغير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبي
والنخعي ووجه هذا القول ان اللمس حقيقة في اللمس باليد فاما حمله على الجماع
فمجاز والاصل حمل الكلام على الحقيقة لا المجاز واما قراءة من قرأ او لامستم
والملامسة مفاعلة من اللمس لا يدل على المجامعة ايضا على الاطلاق لانه قد
ورد في الحديث النهي عن بيع الملامسة قال ابو عبيد في معناها هي ان
تقول اذا لمست ثوبي او لمست ثوبك فقد وجب البيع فالملامسة في الحديث
بمعنى اللمس باليد واذا كانت مستعملة في غير المجامعة لم يدل عليه قوله
تعالى او لامستم النساء على صريح الجماع بل حمله على الاصل الموضوع له وهو
اللمس باليد **فصل** في احكام تتعلق بالآية وفيه مسائل المسألة
الاولى اذا افضى الرجل بشيء من بدنه الى شيء من بدن المرأة ولا حائل بينهما ينتقض
وضوؤهما وهو قول ابن مسعود وابن عمر وبه قال الزهري والاوزاعي والشافعي لما
روى الشافعي بسنده عن ابن عمر انه قال قبلة الرجل امرأته وجسها بيده من الملامسة
فمن قبل امرأته او جسها بيده فعليه الوضوء واخرجه مالك في الموطأ قال
الشافعي وبلغنا عن ابن مسعود مثله وقال مالك والليث بن سعد واحمد
واسحاق اذا كان اللمس بشهوة انتقض الوضوء وان لم يكن بشهوة فلا وحجة
عليه ما روي عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل امرأة من نسائه ثم
خرج الى الصلاة ولم يتوضأ قال عروة من هي الا انت فضحكت اخرجه الترمذي
وابو داود واجيب عن هذا الحديث بانه ليس بثابت قال الترمذي لانه لا يصح اسناده
قال وسمعت محمد بن اسماعيل يضعف هذا الحديث وقال حبيب بن ابي ثابت لم يسمع من
عروة وضعف يحيى بن سعيد القطان هذا الحديث وقال هو شبه لا شيء وفيه
ضعف من وجه آخر وهو ان عروة هذا ليس بعروة بن الزبير ابن اخت عائشة
انما هو شيخ مجهول قال البيهقي يعرف بعروة المزني وانما المحفوظ عن عائشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل وهو صائم كذا رواه الثقات عن عائشة
وقال ابو حنيفة لا ينتقض الوضوء باللمس الا ان يحدث الانتشار وقال
قوم لا ينتقض بحال وهو قول ابن عباس وبه قال الحسن والثوري واحتج من
لم يوجب الوضوء باللمس بما روي عن عائشة انها قالت كنت انام بين يدي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ورجلاي في قبلته فاذا سجد غمزني فقبضت رجلي
فاذا قام بسطتهما والبيوت يومئذ ليس فيها مصابيح اخرجاه في الصحيحين
واجاب من اوجب الوضوء باللمس عن هذا الحديث بانه يحتمل ان يكون غمزه لها على
حائل **المسألة الثانية** اختلف قول الشافعي في لمس المحارم كالام والبنت
والاخت او اجنبية صغيرة فاصح القولين عنه انه لا ينتقض الوضوء والثاني انه ينتقض

الوضوء وما أخذ القولين عند أصحاب الشافعي المرددين التعلق بعموم الآية
في قوله أو لامستم النساء أو النظر إلى المعنى في التقييد باللمس وهو تحرك الشهوة
فإن أخذنا بعموم الآية فينتقض الوضوء بلمس المحارم وإن أخذنا بالمعنى
فلا ينتقض وفي الملموس قولان والملموس هو الذي لا فعل منه في المباشرة رجلا
كان أو امرأة واللامس هو فاعل اللمس وإن لم يقصد المباشرة فأحد القولين أنه
ينتقض وضوء اللامس والملموس لعموم الآية لأنه لمس وقع بين الرجل والمرأة
فينتقض وضوء كل منهما والقول الثاني أنه ينتقض وضوء اللامس دون الملموس
لما روي عن عائشة قالت فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من
الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو ساجد وهما منصوبتان
وهو يقول اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ
بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أخرجه مسلم فلو
انتقض وضوءه صلى الله عليه وسلم لقطع الصلاة ولو لمس شعر امرأة أو سنها أو
ظفرها فلا وضوء عليه **المسألة الثالثة** في الحدث وهو الخارج
من السبيلين عينا كان كالبول والغائط أو أثرها كالريح ونحوها فإذا حصل
شيء من ذلك فلا يصح صلاته ما لم يتوضأ أو يتيمم عند عدم الماء لما روي
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا
أحدث حتى يتوضأ فقال رجل من أهل حضرموت ما الحدث يا أبا هريرة
قال فساء أو ضراط أخرجاه في الصحيحين أما خروج النجاسة من غير السبيلين
كالفصد والحجامة والرعاف والقيء ونحوها فذهب قوم إلى أنه لا وضوء من خروج
هذه الأشياء **فيروى** ذلك عن ابن عمر وابن عباس وبه قال عطاء وطاوس
والحسن وابن المسيب وإليه ذهب مالك والشافعي لما روي عن أنس قال احتجم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فصلى ولم يتوضأ ولم يزد على غسل محاجمه أخرجه الدارقطني
وذهب قوم إلى إيجاب الوضوء من ذلك منهم سفيان الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي
وأحمد وإسحاق واتفق هؤلاء على أن خروج القليل منه لا ينقض الوضوء ويدل
على انتقاض الوضوء بخروج هذه الأشياء ما روي عن معدان بن أبي طلحة
عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قاء فتوضأ قال معدان فلقيت
ثوبان في مسجد دمشق فذكرت له ذلك فقال صدق أنا صببت له وضوءه
أخرجه الترمذي وقال هو أصح شيء في هذا الباب **المسألة الرابعة** من نواقض
الوضوء زوال العقل بجنون أو إغماء أو نوم لما روي عن علي قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم العين وكاء السه فمن نام فليتوضأ أخرجه أبو داود وابن ماجه
ويستثنى من ذلك النوم اليسير قاعدا متمكنا بمحل الحدث إلى الأرض ويدل
على ذلك ما روي عن أنس قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرون
العشاء الآخرة حتى تخفق رؤوسهم ثم يصلون ولا يتوضؤون أخرجه أبو داود وذهب
قوم إلى أن النوم لا ينقض الوضوء بكل حال وهو قول أبي موسى وعائشة
وبه قال الحسن وإسحاق والمزني وذهب قوم إلى أنه لو نام قائما أو قاعدا أو
ساجدا أو راكعا في الصلاة فلا وضوء عليه حتى يضطجع فإنه إذا اضطجع
استرخت مفاصله أخرجه أحمد بن حنبل وضعف بعضهم هذا الحديث

المسألة الخامسة من نواقض الوضوء مس الفرج من نفسه أو غيره فذهب قوم
إلى أنه يوجب الوضوء وهو قول عمر وابن عمر وابن عباس وسعد بن أبي وقاص وأبي هريرة
وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وإليه ذهب الأوزاعي والشافعي
وأحمد وإسحاق غير أن الشافعي قال ينتقض الوضوء إذا مس ببطن الكف فإن الرجل
والمرأة في ذلك سواء ويدل على ذلك ما روي عن بسرة بنت صفوان أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من مس ذكره فلا يصلي حتى يتوضأ أخرجه الترمذي
وقال حديث صحيح ولأبي داود والنسائي نحوه **وعن** أم حبيبة قالت سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من مس فرجه فليتوضأ أخرجه ابن ماجه
وصححه أحمد وأبو زرعة وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أفضى بيده
إلى ذكره ليس دونه ستر فقد وجب عليه الوضوء أخرجه أحمد بن حنبل وذهب
قوم إلى أن مس الذكر لا يوجب الوضوء وهو قول علي وابن مسعود وأبي الدرداء
وحذيفة وبه قال الحسن وإليه ذهب الثوري وابن المبارك وأصحاب الرأي
واحتجوا بما روي عن طلق بن علي قال قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجاء رجل كأنه بدوي فقال يا نبي الله ما ترى في مس الرجل ذكره بعد ما
توضأ فقال هل هو إلا بضعة منه أو قال بضعة منك أخرجه أبو داود والترمذي
والنسائي بنحوه معناه وأجاب من أوجب الوضوء من مس الذكر عن حديث
طلق بن علي بأنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان في أول الهجرة وهو
يبني المسجد وأبو هريرة متأخر الإسلام وقد روى انتقاض الوضوء بمس
الذكر فيكون حديث أبي هريرة ناسخا لحديث طلق بن علي وأيضا فإن حديث
طلق يرويه عنه ابنه قيس بن طلق وهو ليس بالقوي عند أهل الحديث وقوله
تعالى **فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا** **اعلم** أن التيمم من خصائص
هذه الأمة خصها الله به ليسهل عليهم إتيان العبادة ويدل على ذلك ما روي
عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلاث
جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا وجعلت
تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء أخرجه مسلم وكان سبب بدء التيمم ما روي عن
عائشة قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره حتى إذا
كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس إلى أبي
بكر فقالوا ألا ترى إلى ما صنعت عائشة أقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم
وبالناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم
واضع رأسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس
وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله
أن يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصبح على
غير ماء فأنزل الله عز وجل آية التيمم فتيمموا فقال أسيد بن حضير وهو أحد النقباء
ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر قالت عائشة فبعثنا البعير الذي كنت عليه فوجدنا
العقد تحته أخرجاه في الصحيحين قوله بالبيداء البيداء المفازة والقفر

وكل صحراء فهي بيداء وجمعها بيد وذات الجيش اسم موضع وهو على بريد من المدينة
وقوله فبعثنا البعير اي اثرناه قوله تعالى فلم تجدوا ماء هذا معطوف على
ما قبله والمعنى او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فطلبتم الماء لتطهروا
به فلم تجدوه بعينه او اعوزكم فلم تجدوه بثمن ولا بغيره لان المحدث مامور
بالتطهير بالماء فاذا اعوزه الماء عدل عنه الى التيمم بعد طلب الماء قال الشافعي
اذا دخل وقت الصلاة طلب الماء فلم يجده تيمم وصلى ثم اذا دخل وقت الصلاة
الثانية وجب عليه الطلب مرة اخرى وقال ابو حنيفة لا يجب عليه الطلب للصلاة
الثانية حجة الشافعي قوله تعالى فلم تجدوا ماء فعدم الوجدان يشعر
بسبق الطلب فلا بد من كل مرة من سبق الطلب واجمعوا على انه لو وجد الماء لكنه
يحتاج اليه لعطشه او عطش حيوان محترم فانه يجوز له التيمم مع وجدان ذلك
الماء وقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اصل التيمم في اللغة القصد
يقال تيممت فلانا اذا قصدته وهو في الشرع عبارة عن افعال مخصوصة
عند عدم الماء الشادية الصلاة واختلفوا في الصعيد الطيب فقال قتادة
الصعيد الارض التي ليس فيها شجر ولا نبات وقال ابن زيد الصعيد المستوي
من الارض وكذلك قال الليث الصعيد الارض المستوية التي لا شيء فيها
وقال الفراء الصعيد هو التراب وكذلك قال ابو عبيد في قوله صلى الله عليه وسلم
اياكم والقعود بالصعدات قال الصعدات الطرق ماخوذ من الصعيد وهو
التراب وقيل الصعيد وجه الارض البارز وهو اختيار الزجاج قال الصعيد
وجه الارض ولا ابالي اكان في الموضع تراب ام لا لان الصعيد ليس هو التراب
انما هو وجه الارض ونقل الربيع عن الشافعي في تفسير الصعيد فقال لا يقع اسم
الصعيد الا على تراب ذي غبار فاما البطحاء الغليظة والرقيقة فلا يقع عليها
اسم الصعيد فان خالطه تراب او مدر يكون له غبار كان الذي خالطه هو
الصعيد قال ولا يتيمم بنورة ولا بكحل ولا زرنيخ كل هذه حجارة هذا كلام
الشافعي في تفسير الصعيد وهو المعتمد في اللغة وقوله فيه بذلك حجة وقد
وافقه في ذلك الفراء وابو عبيد في انه التراب وجميع الاقوال في الصعيد صحيحة
في اللغة لكن المراد به هنا هو التراب وقد قال ابن عباس في قوله صعيدا هو
التراب واختلف اهل العلم فيما يجوز به التيمم فذهب الشافعي الى انه يختص بما
يقع عليه اسم التراب مما له غبار يعلق بالوجه واليدين لان النبي صلى الله عليه وسلم
قال جعلت لي الارض مسجدا وترابها طهورا فخص التراب بالتطهير ولان الله تعالى
وصف الصعيد بالطيب والطيب من الارض هو الذي ينبت فيه النبات يدل عليه قوله
والبلد الطيب يخرج نباته فعلى هذا ما لا ينبت فليس بطيب ولنا ايضا قوله
تعالى في سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه وكلمة من
للتبعيض هنا ولا يتاتى ذلك في الصخر الذي لا تراب عليه وايضا فانه
يقال للغبار صعيد لانه ماخوذ من الصعود وهو الارتفاع ولا يكون ذلك في
الصخر ومما اشبهه وذهب ابو حنيفة ومالك الى انه يجوز التيمم بكل ما هو
من جنس الارض كالرمل والحصى والنورة والزرنيخ ونحو ذلك حتى لو ضرب يده
على صخرة ملساء لا غبار عليها صح تيممه عندهم واحتج ابو حنيفة ومن وافقه

بظاهر الآية قالوا لان التيمم هو القصد والصعيد اسم لما تصاعد من الارض
فقوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا اي اقصدوا ارضا فوجب ان يكون ما يكون مجزيا
التقدير كافيا واجيب عنه بما تقدم من الدليل في قوله منه وان
لفظة من تكون للتبعيض قالوا ولما روي عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال جعلت لي الارض مسجدا وطهورا واجيب عنه بان هذا مجمل يفسره ما تقدم
من حديث حذيفة في تخصيص التراب والمفسر يقضي على المجمل وجوز بعضهم
التيمم بكل ما هو متصل بالارض من شجر ونبات ومدر ونحو ذلك قالوا لان اسم
الصعيد يقع على ما يصعد على الارض واجيب عنه بما تقدم من الدلالة وقوله
تعالى فامسحوا بوجوهكم وايديكم الوجه الممسوح في التيمم وهو المحدود في
الوضوء واختلف العلماء فيما يجب مسحه من اليد فذهب اكثر اهل العلم منهم
ابن عمر وابنه سالم والحسن وهو مذهب ابي حنيفة والشافعي الى انه يمسح الوجه
واليدين الى المرفقين بضربتين وصورة ذلك ان يضرب كفيه على التراب ويمسح
بهما وجهه ولا يجب ايصال التراب الى ما تحت الشعور ثم يضرب ضربة اخرى
ويفرق اصابعه فيمسح يديه الى المرفقين ويدل عليه ما روي عن جابر
عن النبي صلى الله عليه وسلم التيمم ضربتان ضربة للوجه وضربة لليدين
الى المرفقين رواه البيهقي ولم يضعفه وروى الشافعي عن ابراهيم بن محمد
عن ابي الحويرث عن الاعرج عن ابن الصمة قال مررت على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يبول فسلمت عليه فلم يرد علي حتى قام الى الجدار فحته بعصا كانت معه
ثم وضع يديه على الجدار فمسح وجهه وذراعيه ثم رد علي هذا حديث منقطع
لان الاعرج وهو عبد الرحمن بن هرمز لم يسمع هذا من ابن الصمة انما سمعه من
عمير مولى ابن عباس عن ابن الصمة وكذا هو مخرج في الصحيحين عن عمير مولى
ابن عباس قال دخلنا على ابي جهيم بن الحارث فقال ابو الجهيم اقبل رسول الله صلى
الله عليه وسلم من نحو بير جمل فلقيه رجل فسلم عليه فلم يرد النبي صلى الله
عليه وسلم حتى اقبل على الجدار فوضع يده على الحائط فمسح بوجهه ويديه
ثم رد عليه السلام ولابي داود عن نافع قال انطلقت مع ابن عمر في حاجة
الى ابن عباس فلما ان قضى حاجته وكان من حديثه يومئذ ان قال مر رجل
في سكة من سكك المدينة فلقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خرج من
غائط او بول فسلم عليه الرجل فلم يرد عليه حتى اذا كاد الرجل ان يتوارى
في السكة ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على حائط ومسح بها وجهه ثم
ضرب ضربة اخرى فمسح بها ذراعيه ثم رد عليه السلام وقال لم يمنعني ان ارد عليك
الا اني لم اكن على طهر وفي رواية فمسح ذراعيه الى المرفقين فهذه احاديث في
الباب قال البيهقي اشار الى صحة اسناده وفيه دليل على ان الحكم في مسح الوجه
واليدين بضربتين وايضا المسح الى المرفقين وفيه دليل على ان التيمم لا يصح
ما لم يعلق بالوجه واليدين غبار التراب لان النبي صلى الله عليه وسلم حت الجدار
بالعصا ولو كان مجرد الضرب كافيا لما كان حته وذهب الزهري الى
انه يمسح اليدين الى المنكبين ويدل عليه ما روي عن عمار بن ياسر انه قال
تمسحوا وهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصعيد لصلاة الفجر فضربوا باكفهم الصعيد

ثم مسحوا بوجوههم مسحة واحدة ثم عادوا فضربوا بأكفهم الصعيد مرة أخرى فمسحوا
بأيديهم كلها إلى المناكب والآباط ثم بطون أيديهم أخرجه أبو داود وذهب جماعة
إلى أن التيمم ضربة واحدة للوجه والكفين وهو قول علي وابن عباس وبه قال
الشعبي وعطاء ومكحول وإليه ذهب الأوزاعي ومالك وأحمد وإسحاق وداود
الظاهري واحتجوا بما **روي** عن عمار بن ياسر قال بعثني النبي صلى الله عليه وسلم
في حاجة فأجنبت فلم أجد الماء فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة ثم أتيت النبي
صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال إنما كان يكفيك أن تقول بيديك هكذا
ثم ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين وظاهر كفيه وباطنهما
ووجهه وفي رواية إنما كان يكفيك أن تقول هكذا وضرب بيديه الأرض فنفض يديه فمسح
وجهه وكفيه أخرجاه في الصحيحين وحجته أن اليد اسم لهذه الجارحة وحدها
عند بعض أهل اللغة من أطراف الأنامل إلى الكوع وهي اليد المقطوع في حد
السرقة وقال أبو إسحاق الزجاج حدها من أطراف الأنامل إلى الكوع الكتف
فمن ذهب إلى أن الممسوح في التيمم هو الكف قال إن حد اليد هو المقطوع في حد
السرقة ومن ذهب إلى أن الممسوح في التيمم إلى المناكب والآباط نظر إلى مسمى
اليد يطلق على جميعها ومن ذهب إلى أن الممسوح في التيمم إلى المرفقين قال
إن التيمم بدل عن الوضوء واليد المغسولة في الوضوء هي الممسوحة في التيمم فيحمل
المطلق الذي في قوله تعالى فامسحوا بوجوهكم وأيديكم على المقيد الذي
في قوله تعالى في آية الوضوء فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأجاب
من ذهب إلى هذا عن حديث عمار بأن المراد منه بيان صورة الضرب وليس المراد
منه جميع ما يحصل به التيمم

فصل

وأركان التيمم خمسة الأول
تراب طاهر خالص له غبار يعلق بالوجه واليدين ويجوز بالرمل إذا كان
عليه غبار الثاني قصد الصعيد فلو تعرض لهبوب الريح لم يكفه ولو يممه غيره
بإذنه لعجزه جاز وإن كان قادرا فوجهان الثالث نقل التراب إلى الوجه
واليدين الرابع نية استباحة الصلاة فلو نوى رفع الحدث لم يصح والكمال أن
ينوي استباحة الفرض والنفل الخامس مسح الوجه واليدين إلى المرفقين
بضربتين والترتيب ولا يصح التيمم للصلاة إلا بعد دخول وقتها ولا يجوز الجمع
بين صلاتي فرض بتيمم واحد وهو قول علي وابن عباس وابن عمر وبه قال
الشعبي والنخعي وقتادة وإليه ذهب مالك والشافعي وأحمد وإسحاق وذهب جماعة
إلى أن التيمم كالوضوء فيجوز تقديمه على الوقت ويجوز أن يصلي به ما شاء من الفرائض
ما لم يحدث وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والزهري والثوري وأصحاب
الرأي واتفقوا على أنه يجوز أن يصلي بتيمم واحد ما شاء من النوافل قبل الفرض
وبعده إلى أن يدخل وقت الصلاة الأخرى وله أن يقرأ القرآن إن كان جنبا
ويشترط طلب الماء في التيمم بأن يطلبه في رحله وعند رفقائه وإن كان
في صحراء لا حائل دون نظره نظر حواليه وإن كان دون نظره حائل قريب من تل
أو جدار أو نحوه عدل عنه لأن الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا ولا يقال
لم يجد إلا لمن طلب ولا يشترط طلب عند أبي حنيفة فإن رأى الماء ولا يقدر عليه
لمانع من عدو أو سبع يمنعه من الذهاب إليه أو كان الماء في بئر وليس معه آلة الاستقاء

فهو

فهو كالعادم فيتيمم ويصلي ولا إعادة عليه والله أعلم قوله تعالى إن الله كان عفوا
يعني متجاوزا عن ذنوب عباده بالعفو والصفح عفورا ستورا على عباده بغفر الذنوب
وبسترها وفيه تنبيه على أن الله تعالى رخص لعباده أمر العبادة وسهلها عليهم
لأن من كانت عادته أن يغفر الذنوب ويعفو عنها بأن يرخص للعاجزين أمر العبادة
كان أولى قوله عز وجل ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب نزلت في يهود
المدينة وقال ابن عباس نزلت في رفاعة بن زيد ومالك بن دخشم اليهوديين كانا
إذا تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا ألسنتهما وعاباه فأنزل الله ألم تر
إلى الذين أوتوا نصيبا يعني ألم ينته علمك يا محمد إلى هؤلاء الذين أوتوا نصيبا من
الكتاب يعني أعطوا حظا من علم التوراة وذلك أنهم عرفوا نبوة موسى من التوراة دون
وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم منها فلذلك أتى بمن التي هي للتبعيض وقيل
إنهم علموا التوراة ولم يؤتوا العمل بها **يشترون الضلالة** يعني يؤثرون تكذيب
محمد صلى الله عليه وسلم ليأخذوا بذلك الرشا ويحصل لهم الرياسة وإنما ذكره
بلفظ الشرى لأنه استبدال شيء بشيء وقيل فيه إضمار يعني يستبدلون الضلالة
بالهدى **ويريدون** يعني اليهود **أن تضلوا السبيل** يعني عن السبيل والمعنى أنهم
يتوصلون إلى إضلال المؤمنين والتلبيس عليهم لكي يخرجوا عن الإسلام
والله أعلم بأعدائكم يعني أنه سبحانه وتعالى أعلم بكنه ما في قلوب اليهود من
العداوة والبغضاء لكم يا معشر المؤمنين فلا تستنصحوهم فإنهم أعداؤكم **وكفى بالله**
وليا يعني متوليا أمركم والقائم به ومن كان الله تعالى وليه لم يضره عداوة
أحد **وكفى بالله نصيرا** يعني وهو ينصركم عليهم فثقوا بولايته ونصره قوله
تعالى **من الذين هادوا** قيل هو بيان للذين أوتوا نصيبا من الكتاب والتقدير ألم
تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا وقيل هو متعلق بما قبله
والتقدير وكفى بالله نصيرا من الذين وقيل هو ابتداء الكلام وفيه حذف تقديره
من الذين هادوا قوم **يحرفون الكلم** أي يزيلونه ويغيرونه ويبدلونه **عن**
مواضعه يعني يغيرون صفة محمد صلى الله عليه وسلم من التوراة وقال
ابن عباس كانت اليهود يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألونه عن الأمر
فيخبرهم به فيرى أنهم يأخذون بقوله فإذا خرجوا من عنده حرفوا كلامه
وقيل المراد بالتحريف إلقاء الشبه الباطلة والتأويلات الفاسدة وهو
تحريف اللفظ من معناه الحق إلى معنى الباطل **ويقولون سمعنا وعصينا** يعني
سمعنا قولك ونحن عصينا أمرك وذلك أنهم كانوا إذا أمرهم النبي صلى الله عليه
وسلم بشيء قالوا في الظاهر سمعنا وقالوا في الباطن عصينا وقيل إنهم كانوا يظهرون
ذلك القول عنادا واستخفافا **واسمع غير مسمع** هذه كلمة تحتمل المدح والذم
فأما معناها في المدح اسمع غير مسمع مكروها وأما معناها في الذم فإنهم كانوا
يقولون اسمع منا ولا نسمع منك وقيل إنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم
اسمع ثم يقولون في أنفسهم لا سمعت وقيل معناه غير مقبول منك ما تدعو
إليه وقيل معناه غير مسمع جوابا يوافقك ولا كلاما ترضيه **وراعنا** أي
ويقولون راعنا يريدون بذلك نسبته إلى الرعونة وقيل معناه أرعنا سمعك أي
اصرف سمعك إلى كلامنا وأنصت إلى قولنا ومثل هذا لا يخاطب به الأنبياء بل إنما يخاطبون

بالاجلال والتعظيم والتبجيل والتكريم ليا بألسنتهم وطعنا في الدين اصله لويا لانه من لويت
الشيء اذا فتلته والمعنى انهم يفتلون الحق فيجعلونه باطلا لان راعنا من المراعاة
فيحولونه من الرعونة وكانوا يقولون لاصحابهم انما نشتمه ولا يعرف ولو كان
نبيا لعرف ذلك فاظهر الله تعالى على خبث ضمائرهم وما في قلوبهم من العداوة
والبغضاء ثم قال تعالى ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا يعني ولو انهم قالوا بدل
قولهم سمعنا وعصينا سمعنا واطعنا واسمع يعني بدل قولهم لا اسمعت وانظرنا يعني بدل
قولهم راعنا اي انتظرنا لنفهم لكان خيرا لهم يعني عند الله واقوم يعني اعدل
واصوب ولكن لعنهم الله بكفرهم يعني طردهم وابعدهم من رحمته بكفرهم يعني بمحمد صلى
الله عليه وسلم فلا يؤمنون الا قليلا يعني فلا يؤمن الا نفر قليل منهم عبد الله
ابن سلام واصحابه وقيل اراد بذلك القليل من اعترافهم بان الله خلقهم ورزقهم
قوله تعالى يا ايها الذين اوتوا الكتاب خطاب لليهود آمنوا بما نزلنا يعني القرآن
مصدقا لما معكم يعني التوراة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كلم احبار
اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن الاشرف فقال يا معشر اليهود اتقوا الله
واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذي جئتكم به لحق قالوا ما نعرف ذلك واصروا على
الكفر فانزل الله عز وجل هذه الآية وامرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد
فقال تعالى من قبل ان نطمس وجوها اصل الطمس ازالة الاثر بالمحو وذكروا في المراد
بالطمس هاهنا وجهين احدهما ان يحمل على حقيقته والثاني ان يحمل على مجازه اما من
حمله على الحقيقة فقال هو محو تخطيط صور الوجوه قال ابن عباس نجعلها كخف البعير
وقيل نعميها فيكون المراد بالوجه العين فنردها على ادبارها يعني فنجعلها
على هيئة ادبارها وهي الاقفاء وقيل نردها فنجعل الوجوه الى خلف والاقفاء الى
قدام وانما جعل الله هذا عقوبة لهم لما فيه من تشويه الخلقة والمثلة والفضيحة
وعند هذا يحصل لهم الغم ويكثر الحسرات فعلى هذا يكون هذا الوعيد مخصوصا
بيوم القيامة واما من حمل الطمس على المجاز فقال المراد به نطمسها عن الهدى
فنردها على ادبارها يعني على ضلالتها وقيل المراد بالطمس طمس القلب
والبصيرة فنردها على ادبارها يعني بتغيير احوالهم فنلبسهم الصغار والذلة
بعد العز وقيل المراد بالطمس محو آثارهم من المدينة وردهم الى اذرعات
واريحا من ارض الشام من حيث جاءوا وهو اجلاء بني النضير **فان قلت**
قد اوعدهم بطمس الوجوه ان لم يؤمنوا ولم يؤمنوا فلم يفعل بهم ذلك
قلت هذا الاشكال انما يرد على من فسر الطمس بتغيير الوجوه ومحو
تخطيطها وحمله على حقيقته والجواب عن هذا ان هذا مشروط بعدم الايمان
وقد آمن منهم ناس فرفع عن الباقين **روي** ان عبد الله بن سلام لما سمع هذه
الآية جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتي اهله فاسلم وقال يا رسول
الله ما كنت ارى ان اصل اليك حتى يحول وجهي الى قفاي وكذلك روي عن كعب
الاحبار انه لما سمع هذه الآية في خلافة عمر بن الخطاب اسلم وقال يا رب
اسلمت مخافة ان يصيبني وعيد هذه الآية فكان هذا الوعيد
مشروطا بان لا يؤمن احد منهم وهذا الشرط لم يوجد لانه آمن منهم
جمع كثير في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام واصحابه فمات

الشرط

الشرط لفوات المشروط وقيل ان الطمس باق في اليهود فيكون فيهم طمس ومسخ
قبل يوم القيامة وقيل انه تعالى جعل الوعيد باحد شيئين اما بالطمس او باللعنة وهو
قوله او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت اي نجعلهم قردة كما فعلنا باوائلهم
وقيل المراد من لعنتهم الطرد والابعاد من الرحمة والكناية في نلعنهم تعود الى
المخاطبين في قوله يا ايها الذين اوتوا الكتاب وهو على طريقة الالتفات كما في
قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم ويحتمل ان يكون معناه من قبل
ان نطمس وجوها ونلعن اصحاب الوجوه فجعل الكناية في ذلك او نلعنهم من ذكر
اصحاب الوجوه اذ كان في الكلام دلالة عليه **وقوله تعالى** وكان امر الله
مفعولا يعني لا بد ان يحل بهم ذلك ان لم يؤمنوا فلا راد لحكمه ولا ناقض لامره
على معنى انه لا يمتنع عليه شيء يريد ان يفعله وقيل معناه وكان ما يأمر الله مفعولا
والامر هاهنا في موضع المأمور سمي امرا لانه عن امره كان والمعنى وكان امر الله
مفعولا قوله عز وجل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
قال ابن جرير الطبري معناه يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا فان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء [illegible] في الآية
دلالة على ان اليهودي يسمى مشركا في عرف الشرع **وقيل** ان الآية نزلت في
وحشي واصحابه وذلك لما قتل حمزة رضي الله عنه ورجع الى مكة ندم على صنيعه هو
واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على ما صنعنا
وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك بمكة تقول والذين لا يدعون مع الله
الها آخر الى آخر الآيات وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله
وزنينا فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا
الآيتين فبعث بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فلما قرؤوها كتبوا اليه
ان هذا شرط شديد ونخاف ان لا نعمل عملا صالحا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا انا نخاف ان لا نكون من اهل
المشيئة فنزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية فبعث بها اليهم
فدخلوا في الاسلام ورجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال
لوحشي اخبرني كيف قتلت حمزة فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك عني فلحق بالشام
فكان به الى ان مات **وقيل** لما نزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
الآية قام رجل فقال يا رسول الله والشرك فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلاثا
فنزلت هذه الآية ومعنى الآية ان الله لا يغفر لمشرك مات على شركه ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء يعني ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء من اصحاب الذنوب والآثام ففي
الآية دليل على ان صاحب الكبيرة اذا مات من غير توبة فانه في خطر المشيئة
ان شاء عفا عنه وادخله الجنة بفضله وكرمه وان شاء عذبه بالنار ثم ادخله الجنة
برحمته واحسانه لان الله تعالى وعد المغفرة لما دون الشرك فان من مات على الشرك
فهو مخلد في النار لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وفي
الآية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا لا يجوز في الحكمة ان يغفر لصاحب كبيرة
وعند اهل السنة ان الله تعالى يفعل ما يشاء لا مكره له ولا حجر عليه ويدل على ذلك ايضا
ما روي عن ابن عمر قال كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على

كبيرة شهدنا انه من اهل النار حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادة وقال ابن عباس لعمر بن الخطاب يا امير المؤمنين
الرجل يعمل من الصالحات لم يدع من الخيرات شيئا الا عمله غير انه مشرك قال عمر
هو في النار فقال ابن عباس الرجل لم يدع شيئا من الشر الا عمله غير انه لم يشرك
بالله شيئا قال عمر الله اعلم **قال ابن عباس** اني لارجو له كما انه
لا ينفع مع الشرك عمل كذلك لا يضر مع التوحيد ذنب فسكت عمر **عن علي**
ابن ابي طالب قال ما في القرآن احب الي من هذه الآية ان الله لا يغفر ان يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
م عن جابر قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل
النار وقوله تعالى ومن يشرك بالله يعني يجعل معه شريكا غيره فقد افترى
اي اختلق اثما عظيما يعني ذنبا عظيما غير مغفور ان مات عليه قوله تعالى الم تر الى
الذين يزكون انفسهم نزلت في رجال من اليهود اتوا باطفالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا محمد هل على هؤلاء من ذنب قال لا قالوا وما نحن الا كهيئتهم ما عملنا
بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملنا بالليل يكفر عنا بالنهار فانزل الله تعالى
هذه الآية **وقيل** نزلت في اليهود والنصارى حين قالوا ابناء الله واحباؤه
وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى والتزكية هنا عبارة عن
مدح الانسان نفسه بالصلاة والدين ومنه تزكية الشاهد حتى يصير
عدلا قال الله تعالى ولا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى وذلك لان التزكية
متعلقة بالتقوى وهي صفة في الباطن فلا يعلم حقيقتها الا الله تعالى
ولا تصلح التزكية الا من عند الله تعالى فلهذا قال الله تعالى بل الله يزكي
من يشاء ويدخل في هذا النهي كل من زكى نفسه بصلاح او وصفها بزكاء
العمل وبزيادة الطاعة والتقوى وبزيادة الزلفى عند الله وهذه اشياء
لا يعلمها الا الله تعالى فلهذا قال فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى يعني
يزكون انفسهم يزعمون انهم ازكياء لانهم برؤوا انفسهم من الذنوب فقال
الله تعالى ردا عليهم بل الله يزكي من يشاء فيجعله زكيا ولا يظلمون فتيلا
يعني ان الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تلك التزكية حق عقابهم من غير ظلم وقيل
معناه ان الذين زكاهم الله لا ينقصون من ثواب طاعاتهم شيئا والفتيل هو
المفتول فتسمى ما يكون في شق النواة فتيلا لكونه على هيئته وقيل
الفتيل هو ما يفتله بين اصابعك من وسخ وغيره ويضرب به المثل في الشيء
الحقير الذي لا قيمة له انظر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم انظر يا محمد
الى هؤلاء اليهود كيف يفترون على الله الكذب يعني قولهم انهم لا ذنوب
لهم وتزكيتهم انفسهم وكفى به اي بذلك الكذب اثما مبينا قوله عز
وجل الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت نزلت في كعب بن الاشرف
وسبعين راكبا من اليهود وقدموا مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله
صلى الله عليه وسلم فنزل كعب بن الاشرف على ابي سفيان فاحسن مثواه

مطلب الفتيل

ونزل

ونزلت اليهود على قريش في دورهم فقال لهم اهل مكة انتم اهل كتاب
ومحمد صاحب كتاب ولا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردتم ان نخرج معكم
فاسجدوا لهذين الصنمين ففعلوا ذلك فذلك قوله تعالى يؤمنون
بالجبت والطاغوت ثم قال كعب بن الاشرف لاهل مكة ليجئ منكم ثلاثون رجلا
ومنا ثلاثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب هذا البيت لنجهدن على
قتال محمد ففعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب بن الاشرف انك امرؤ تقرأ الكتاب
وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى سبيلا نحن ام محمد فقال كعب اعرضوا
علي دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقري
الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل
الحرم ومحمد فارق دين آبائه وقطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم
ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى سبيلا مما عليه محمد فانزل الله
الم تر يعني يا محمد الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعب بن الاشرف
واصحابه من اليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت يعني بسجودهم للصنمين واختلف
العلماء فيهما فقيل الجبت والطاغوت كل معبود دون الله عز وجل وقيل هما صنمان
كانا لقريش وهما اللذان سجد اليهود لهما طلبا لمرضات قريش وقيل الجبت
اسم للاصنام والطاغوت شياطين الاصنام ولكل صنم شيطان يعبر عنها
ويكلم الناس فيغترون بذلك وقيل الجبت الكاهن والطاغوت الساحر
عن قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
العيافة والطيرة والطرق من الجبت اخرجه ابو داود وقال الطرق الزجر والعيافة
الخط وقيل العيافة هو زجر الطيور وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا خرج
لامر زجر طيرا فاذا اخذت ذات اليمين مضى في حاجته وان اخذت ذات الشمال
رجع فنهوا عن ذلك والطرق هو الضرب بالحجارة والحصى على طريق الكهانة فنهوا
عنه والطيرة ان يتطير بالشيء فيرى الشؤم فيه والتشاؤم وقيل هو من
التطير وهو زجر الطائر والخط هو الضرب بالرمل لاستخراج الضمير وقيل الجبت
كل ما حرم الله تعالى والطاغوت كل ما يطغي الانسان وقيل الجبت حيي بن
اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف اليهوديان وكانا طاغية اليهود ويقولون
يعني كعب بن الاشرف واصحابه للذين كفروا يعني لكفار قريش هؤلاء
يعني انتم يا اهل مكة اهدى من الذين آمنوا سبيلا يعني طريقا اولئك الذين لعنهم الله
يعني كعب بن الاشرف واصحابه ومن يلعن الله يعني يطرده من رحمته فلن تجد له
نصيرا يعني ينصره قوله تعالى ام لهم نصيب من الملك هذا استفهام انكار
يعني ليس لهم من الملك شيء البتة وذلك ان اليهود كانوا يقولون نحن اولى بالملك
والنبوة فكيف نتبع العرب فاكذبهم الله تعالى وابطل دعواهم فاذا لا يؤتون الناس نقيرا
هذا جواب الجزاء المضمر تقديره ولئن كان لهم نصيب وحظ من الملك فلا يؤتون
الناس منه نقيرا وصفهم بالبخل في هذه الآية ووصفهم بالجهل في الآية المتقدمة
ووصفهم بالحسد في الآية الآتية وهذه الخصال كلها مذمومة فتنفي بذلك
الملك وهي حاصلة فيهم والنقير هي النقطة التي تكون على ظهر النواة ومنها
تنبت النخلة ويضرب به المثل في الشيء الحقير التافه الذي لا قيمة له قوله عز وجل

عون
مطلب النقير

من فضله

أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله أصل الحسد تمني زوال النعمة عن من هو مستحق لها وربما يكون ذلك مع سعي في زوالها وصف الله اليهود بشر خصلة وهي الحسد والمراد بالناس محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وإنما جاز أن يقع عليه لفظ الجمع وهو واحد لأنه صلى الله عليه وسلم اجتمع فيه من خصال الخير والتزكية ما لا يجتمع في مثله في جماعة ومن هذا القبيل يقال فلان أمة وحده يعني أنه يقوم مقام أمة وقيل المراد بالناس النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأن لفظ الناس جمع وحمله على الجمع أولى وقيل المراد بالفضل النبوة لأنها أعظم المناصب وأشرف المراتب وقيل حسدوه على ما أحل الله له من النساء وكان له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغله أمر النبوة عن الاهتمام بأمر النساء فأكذبهم الله ورد عليهم بقوله **فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة** يعني أنه قد حصل في أولاد إبراهيم صلى الله عليه وسلم جماعة كثيرون جمعوا بين الملك والنبوة مثل داود وسليمان عليهما السلام فلم يشغلهم الملك عن أمر النبوة والمعنى كيف تحسدون محمدا صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وأنتم لا تحسدونهم والمراد بالكتاب التوراة وبالحكمة النبوة **وآتيناهم ملكا عظيما** يعني فلم يشغلهم عن النبوة ثم فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان بكثرة النساء فإنه كان لداود مائة ولسليمان ألف امرأة ثلثمائة حرة وسبعمائة سرية ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ إلا تسع نسوة فلما لم يكن ذلك مستبعدا في حقهم وما انتقصا في نبوتهما **فمنهم** يعني اليهود **من آمن به** بالنبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل إليه كعبد الله بن سلام وأصحابه **ومنهم من صد عنه** أي أعرض عنه ولم يؤمن به **وكفى بجهنم سعيرا** يعني وكفى في عذاب من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم سعيرا قوله تعالى **إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا** هذا وعيد من الله عز وجل للذين أقاموا على كفرهم وتكذيبهم بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود وغيرهم من سائر الكفار والمعنى أن الذين جحدوا ما أنزلت على رسولي محمد من آياتي الدالة على توحيدي وصدق رسولي محمد صلى الله عليه وسلم سوف نصليهم نارا أي ندخلهم نارا نشويهم فيها **كلما نضجت جلودهم** يعني احترقت **بدلناهم جلودا غيرها** يعني غير الجلود المحترقة قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كأمثال القراطيس **وروي** أن هذه الآية قرئت عند عمر بن الخطاب فقال عمر للقارئ أعدها فأعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ بن جبل عندي تفسيرها تبدل كل ساعة مائة مرة فقال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره البغوي بغير سند وقال الحسن تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة **(ق)** عن أبي هريرة يرفعه ما بين منكبي الكافر في النار مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع **(م)** عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر أو قال ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثة **فإن قلت** كيف تعذب جلود لم تكن في الدنيا ولم تعص **قلت** يعاد الجلد الأول

كل

كل مرة وإنما قال جلودا غيرها لتبديل صفتها كما تقول صغت من خاتمي خاتما غيره فالثاني هو الأول لكن الصياغة بدلت الصفة وقيل إن العذاب للجملة الحساسة وهي النفس التي عصت وإذا كان كذلك فغير مستحيل أن يخلق الله للكافر في كل ساعة من الجلود ما لا يحصى لتحترق ويصل الألم إليه وقيل المراد بالجلود السرابيل وهي قوله سرابيلهم من قطران والمعنى كلما نضجت سرابيلهم واحترقت بدلناهم سرابيل من قطران غيرها لأن الجلود لو احترقت لفنيت وفي فنائها راحتها وقد أخبر الله عنهم أنهم لا يموتون فيها ولا يخفف عنهم من عذابها ولأن الجلد أحد أجزاء الجسم فثبت أن التبديل إنما هو للسرابيل وقيل يبدل الجلد من نفس الكافر فيخرج من لحمه جلدا وقيل إن الله تعالى يلبس أهل النار جلودا لا تألم لتكون زيادة في عذابهم كلما احترق جلد بدلهم جلدا غيره وقوله تعالى **ليذوقوا العذاب** أي إنما فعلنا بهم ذلك ليجدوا ألم العذاب وكربه وشدته وإنما أتي بلفظ الذوق مع أنهم من عظم العذاب الذي نالهم أخبار أبان إحساسهم به في كل حال كإحساس الذائق في تجدد وجدان الذوق من غير نقصان في الإحساس **إن الله كان عزيزا** يعني في انتقامه ممن ينتقم من خلقه لا يغلبه شيء ولا يمتنع عليه أحد **حكيما** يعني في تدبيره وقضائه وأنه لا يفعل إلا ما هو الصواب **والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم** يعني سوف ندخلهم يوم القيامة **جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها** يعني باقين فيها **أبدا** يعني ذلك الخلود بغير نهاية ولا انقطاع **لهم فيها** يعني في الجنات **أزواج مطهرة** من الحيض والنفاس وسائر أقذار الدنيا **وندخلهم ظلا ظليلا** يعني كنينا لكن الظل لا ينسخه الشمس ولا يؤذيهم فيه حر ولا برد وذلك الظل هو ظل الجنة **فإن قلت** إذا لم يكن في الجنة شمس تؤذي حرها فما فائدة وصفها بالظل الظليل **قلت** إنما خاطبهم بما يعقلون ويعرفونه وذلك لأن بلاد العرب في غاية الحرارة فكان الظل عندهم من أعظم أسباب الراحة واللذاذة فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا قوله عز وجل **إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها** قال البغوي نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي من بني عبد الدار وكان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح أغلق عثمان باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل له إنه مع عثمان فطلبه منه فأبى وقال لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه المفتاح فلوى علي بن أبي طالب يده وأخذ منه المفتاح وفتح الباب ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح وأن يجمع له بين السقاية والسدانة فأنزل الله هذه الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه ففعل ذلك فقال له عثمان أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال علي لقد أنزل الله عز وجل في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فأسلم فكان المفتاح معه إلى أن مات فدفعه إلى أخيه شيبة فالمفتاح والسدانة في أولادهم إلى يوم القيامة قلت وفيما ذكره البغوي رحمه الله من إسلام عثمان بن طلحة يوم الفتح ودفعه المفتاح وقوله

لو اعلم انه رسول الله لم امنعه المفتاح نظر والصحيح ما حكاه ابو عمر بن عبد البر
وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الي المدينة في هدنة الحديبية
سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن العاص مقبلا من عند النجاشي
فرافقهما وهاجر معهما فلما راهم النبي صلى الله عليه وسلم قال رمتكم مكة بافلاذ
كبدها يعني انهم وجوه اهل مكة فاسلموا ودفع عثمان بن طلحة المفتاح
الي النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرده النبي صلى الله عليه وسلم اليه وقال
خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم ولم يذكر واسوا
العباس السقاية والله اعلم **وثبت في الصحيحين** من حديث ابن عمر
قال اقبل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف اسامة على القصوى
ومعه بلال وعثمان حتى اناخ عند البيت ثم قال لعثمان ائتنا بالمفتاح فجاءه
بالمفتاح ففتح الباب وذكر الحديث **وذكر** ابن الجوزي في تفسيره هذه
من رواية ابي صالح عن ابن عباس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة
طلب مفتاح البيت من عثمان بن طلحة فذهب ليعطيه اياه فقال له العباس
بابي انت وامي اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده مخافة ان يعطيه العباس
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح فاعاد العباس قوله وكف عثمان
يده فقال النبي صلى الله عليه وسلم هات المفتاح ان كنت تؤمن بالله واليوم الاخر
فقال هاكه يا رسول الله بامانة الله فاخذ المفتاح ففتح البيت ونزل
جبريل بهذه الاية فدعا عثمان ودفعه اليه ففي هذه الرواية ايضا ما يدل
على تقدم اسلام عثمان بن طلحة على فتح مكة لان قوله صلى الله عليه وسلم
لعثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الاخر مما يدل على ذلك فعلى هذا القول يكون
الخطاب في قوله ان الله يامركم للنبي صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل
امره ان يرد مفتاح البيت الى عثمان بن طلحة وقيل الخطاب في قوله ان الله
يامركم ان تؤدوا الامانات الي اهلها للولاة امور المسلمين من الامرا والحكام
وغيرهم ويدل عليه سياق الاية وهو قوله واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا
بالعدل ومعنى الاية ان الله يامركم يا ولاة الامور ان تؤدوا ما ائتمنتم عليه
من امور رعيتكم وان توفوهم حقوقهم وان تعدلوا بينهم **وقيل** ان الاية
عامة في جميع الامانات ولا تمنع من خصوص السبب عموم الحكم فيدخل في ذلك
جميع الامانات التي تحملها الانسان وينقسم ذلك الي ثلاثة اقسام القسم
الاول رعاية الامانة في عبادة الله عز وجل وهو فعل المامورات وترك المنهيات قال
ابن مسعود الامانة لازمة في كل شيء حتى في الوضوء والغسل من الجنابة والصلاة
والزكاة والصوم وسائر انواع العبادات **القسم الثاني** هو رعاية
الامانة في نفسه وهو ما انعم الله به عليه من سائر اعضائه فامانة اللسان
حفظه من الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك وامانة العين غضها عن
المحارم وامانة السمع ان لا يشتغل بسماع شيء من اللهو والفحش واكاذيب ونحوه
ثم سائر الاعضاء على نحو ذلك القسم الثالث هو رعاية امانة العبد مع سائر
عباد الله تعالى فيجب عليه رد الودائع والعواري الي اربابها الذين ائتمنوه عليها
ولا يخونهم فيها **عن** ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ادّ الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابو داود والترمذي وقال
حديث حسن غريب ويدخل في ذلك وفاء الكيل والميزان فلا يطفف فيهما ويدخل
في ذلك ايضا عدل الامرا والملوك في الرعية ونصح العلما للعامة فكل ذلك من هذه
الاشيا من الامانات التي امر الله عز وجل بادائها الي اهلها **وروى**
البغوي بسنده عن انس قال قل ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال
لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له قوله تعالى واذا حكمتم بين
الناس ان تحكموا بالعدل يعني وان الله يامركم ان تحكموا بين الناس
بالعدل فيجب على الحاكم ان ياخذ الحق ممن وجب عليه لمن وجب له واصل
العدل هو المساواة في الاشيا فكل ما خرج عن الظلم والاعتداء سمي عدلا
قال بعض العلما ينبغي للقاضي ان يسوي بين الخصمين في
خمسة اشيا في الدخول عليه والجلوس بين يديه والاقبال عليهما والاستماع منهما
والحكم بالحق فيما لهما وعليهما وحاصل الامر فيه ان يكون مقصود الحاكم بحكمه ايصال
الحق الي مستحقه وان لا يمتزج ذلك بغرض اخر عن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر
من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم
وما ولوا عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب
الناس الي الله يوم القيامة وادناهم عنده مجلسا امام عادل وابغض الناس الى
الله وابعدهم عنه مجلسا امام جائر اخرجه الترمذي وقوله تعالى ان الله نعما
يعظكم به اي نعم الشي الذي يعظكم به وهو اداء الامانات والحكم بالعدل
ان الله كان سميعا بصيرا يعني انه تعالى سميع لما تقولون بصير بما تفعلون
فاذا حكمتم فهو يسمع حكمكم واذا اديتم الامانة فهو يبصر فعلكم قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ق
عن ابن عباس قال نزلت قوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم
الاية في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي اذ بعثه رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سرية وقال السدي نزلت في خالد بن الوليد وذلك انه بعثه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية وفيها عمار بن ياسر فلما قربوا من
القوم هربوا منهم وجاء رجل الى عمار وقد اسلم فامنه عمار فرجع الرجل
فجاء خالد فاخذ مال الرجل فقال عمار اني قد امنته وقد اسلم فقال
خالد اتجير علي وانا الامير فتنازعا وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاجاز امان عمار ونهاه ان يجير الثانية على امير فانزل الله تعالى اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم واصل الطاعة الانقياد وهو امتثال الامر
فطاعة الله عز وجل امتثال اوامره فيما امر والانقياد لذلك الامر وطاعة
الله واجبة على كافة الخلق وكذا طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم واجبة
ايضا لقوله تعالى واطيعوا الرسول فاوجب طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم
على الخلق واختلف العلما في اولي الامر الذين اوجب طاعتهم بقوله واولي الامر
منكم قال ابن عباس وجابر هم الفقها والعلما الذين يعلمون الناس معالم
دينهم وهو قول الحسن والضحاك ومجاهد وقال ابو هريرة هم الامرا والولاة وحكي

رواية عن ابن عباس ايضا قال علي بن ابي طالب حق على الامام ان يحكم بما انزل الله
ويؤدي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا (ق) عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن
عصاني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير
فقد عصاني (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على المرء
المسلم السمع والطاعة فيما احب او كره الا ان يؤمر بمعصية فان امر بمعصية
فلا سمع ولا طاعة (خ) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسمعوا واطيعوا
وان استعمل عليكم عبد حبشي كان راسه زبيبة ما اقام فيكم كتاب الله وقال
ميمون بن مهران هم امراء السرايا والبعوث وهي رواية عن ابن عباس ايضا
ووجه هذا القول ان الاية نازلة فيهم وقال عكرمة اراد باولي الامر
ابا بكر وعمر لما روي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اني لا ادري ما بقائي فيكم فاقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر اخرجه
الترمذي وقيل هم جميع الصحابة لما روي عن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم اخرجه رزين في كتابه
وروى البغوي بسنده عن الحسن عن انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل اصحابي في امتي كالملح في الطعام لا يصلح الطعام الا بالملح
قال الحسن فقد ذهب ملحنا فكيف نصلح قال الطبري واولى الاقوال
بالصواب قول من قال هم الامراء والولاة لصحة الاخبار عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالامر بطاعة الائمة والولاة فيما كان لله عز وجل طاعة
وللمسلمين مصلحة **قال الزجاج** وجملة اولي الامر من يقوم بشان
المسلمين في امر دينهم وجميع ما ادى الى صلاحهم قال العلماء طاعة الامام
واجبة على الرعية ما دام على الطاعة فاذا زال عن الحق الكتاب فلا طاعة له
وانما تجب طاعته فيما وافق الحق وقوله تعالى فان تنازعتم في شيء
يعني اختلفتم في شيء من امر دينكم والتنازع اختلاف الاراء واصله
من انتزاع الحجة وهو ان كل واحد من المتنازعين ينتزع الحجة لنفسه
فردوه الى الله والرسول اي ردوا ذلك الامر الذي تنازعتم فيه الى كتاب
الله عز وجل والى رسوله صلى الله عليه وسلم ما دام حيا وبعد وفاته
فردوه الى سنته فالرد الى كتاب الله وسنة رسول الله واجب فان وجد ذلك الحكم
في كتاب الله اخذ به فان لم يوجد في كتاب الله ففي سنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فان لم يوجد في السنة فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله ورسوله
ان يقول لما لا يعلم الله ورسوله اعلم ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر يعني
افعلوا ذلك الذي امرتكم به ان كنتم تؤمنون بالله وان طاعته واجبة
عليكم وتؤمنون بالمعاد الذي فيه جزاء الاعمال وفي [illegible] للعلماء الاية
دليل على ان من لا يعتقد وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ومتابعة السنة
والحكم بالاحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون مؤمنا بالله
واليوم الاخر ذلك خير يعني رد الحكم الى الله ورسوله خير واحسن تاويلا
يعني واحمد عاقبة وقيل معناه ذلك اي ردكم ما اختلفتم فيه الى الله ورسوله

احسن

احسن تاويلا منكم لدوا عظم اجرا قوله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل
اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به قال
ابن عباس نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي
ننطلق الى محمد وقال المنافق بل ننطلق الى كعب بن الاشرف وهو الذي سماه الله الطاغوت
فابى اليهودي ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى المنافق ذلك اتى
معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما خرجا
من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر فاتيا عمر فقال اليهودي اختصمت انا
وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصمي اليك فقال عمر
للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما عمر رويدا حتى اخرج اليكما فدخل عمر البيت واخذ
السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي بين من لم
يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الاية وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل
فسمي الفاروق وقال السدي كان ناس من اليهود قد اسلموا ونافق بعضهم وكانت
قريظة حلفاء الخزرج والنضير حلفاء الاوس وكان اذا قتل رجل من قريظة رجلا من بني
النضير قتل به واخذ ديته مائة وسق من تمر واذا قتل رجل من النضير رجلا من بني
قريظة لم يقتل به واعطى ديته ستين وسقا فلما جاء الله بالاسلام وهاجر النبي
صلى الله عليه وسلم الى المدينة فقتل رجل من النضير رجلا من قريظة فاختصموا
في ذلك فقال بنو النضير كنا وانتم قد اصطلحنا على ان نقتل منكم ولا تقتلوا
منا وديتنا مائة وسق وديتكم ستون وسقا فنحن نعطيكم ذلك فقالت الخزرج
هذا شيء كنتم فعلتموه في الجاهلية لكثرتكم وقلتنا فقهرتمونا على ذلك فاليوم
نحن اخوة في الدين وقد فضلكم علينا فقال المنافقون منهم ننطلق الى ابي بردة
الكاهن الاسلمي وقال المسلمون من الفريقين بل ننطلق الى النبي صلى الله عليه وسلم
فابى المنافقون وانطلقوا الى ابي بردة الكاهن ليحكم بينهم فقال اعظموا اللقمة
يعني الخطر فقالوا لك عشرة اوسق فقال لا بل مائة وسق ديتي فابوا ان يعطوه
الا عشرة اوسق وابى ان يحكم بينهم فانزل الله عز وجل اية القصاص وانزل هذه
الاية الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك الزعم والزعم
بضم الزاي وفتحها القول واكثر ما يستعمل الزعم بمعنى القول الذي لا يتحقق
وقيل هو حكاية قول يكون مظنة للكذب ولهذا قيل زعم مطية الكذب والمراد به
في هذه الاية الكذب لان الاية نازلة في المنافقين وظاهر الاية يدل على انها نازلة
في الذين نافقوا من مؤمني اهل الكتاب ويدل عليه قوله امنوا بما انزل اليك وما
انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت يعني كعب بن الاشرف في قول ابن عباس
سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو
ابو بردة الكاهن في قول السدي وقد امروا ان يكفروا به يعني بالطاغوت
لان الكفر به ايمان بالله عز وجل ويريد الشيطان ان يضلهم يعني عن طريق الهدى
والحق ضلالا بعيدا واذا قيل لهم يعني للمنافقين تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول
يعني هلموا الى حكم الله الذي انزله في كتابه والى رسوله ليحكم به رايت المنافقين يصدون
عنك صدودا يعني يعرضون عنك وعن حكمك اعراضا واي اعراض وانما اعرض المنافقون
عن حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم علموا انه صلى الله عليه وسلم يحكم بينهم بالحق الصريح

ولا يقبل الرشا قوله عز وجل **فكيف اذا اصابتهم مصيبة** يعني فكيف حال هولاء
المنافقين وكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة يعني ونقمة **بما قدمت ايديهم** يعني
تصيبهم عقوبة بسبب ما قدمت ايديهم وهو التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم ورضاهم بحكم الطاغوت دون حكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقيل المصيبة هي قتل عمر رضي الله عنه المنافق وقيل هي كل مصيبة
تصيب المنافقين في الدنيا والاخرة **ثم جاوك** يعني المنافقين حين تصيبهم هذه
المصايب يعتذرون اليك **يحلفون بالله ان اردنا** اي ما اردنا بالتحاكم الى غيرك
الا احسانا يعني في التحاكم الى غيرك لا اساءة **وتوفيقا** يعني بين الخصمين دون
المخالفة لك في حكمك وقيل جا اوليا المنافق الذي قتله عمر يطلبون ديته
وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا في حكمه ويوفق بينه وبين
خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم بما حكم به من قتل صاحبنا فاهدر الله دم ذلك
المنافق **اوليك الذين يعلم الله ما في قلوبهم** يعني من النفاق **فاعرض عنهم**
يعني عن عقوبتهم وقيل عن قبول عذرهم **وعظهم** يعني باللسان والمراد به
زجرهم بالوعظ عن النفاق والمكر والكذب وتخويفهم لعذاب الاخرة **وقل لهم
في انفسهم قولا بليغا** يعني قولا بليغا يوثر في قلوبهم موقعه وهو التخويف بالله
عز وجل وقيل هو ان يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا من النفاق وقيل هو ان يقول
لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لان هذا القول يبلغ في نفوسهم
كل مبلغ وقيل معناه فاعرض عنهم في الملا وقل لهم في انفسهم اذا خلوت
بهم قولا بليغا اي اغلظ لهم في القول خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا
لهم بالنصيحة لانها في السر انجح وقيل هذا الاعراض منسوخ باية القتال
وقد تكلم العلما في حد البلاغة فقال بعضهم البلاغة ايصال المعنى الى الفهم
في احسن صورة من اللفظ وقيل البلاغة حسن العبارة مع صحة المعنى وقيل
البلاغة سرعة الايجاز مع الافهام وحسن التصرف من غير اضجار وقيل
احسن الكلام ما قلت الفاظه وكثرت معانيه وقيل خير الكلام ما شوق اوله
الى سماع اخره وقيل لا يستحق الكلام اسم البلاغة الا اذا سابق لفظه معناه
ومعناه لفظه ولم يكن لفظه الى السمع اسبق من معناه الى القلب وقيل المراد
بالقول البليغ في الاية ان يكون حسن الالفاظ وحسن المعاني مشتملا على
الترغيب والترهيب والاعذار والانذار والوعيد والوعد بالثواب والعقاب
فان الكلام اذا كان كذلك عظم وقعه في القلوب واثر في النفوس قوله تعالى
وما ارسلنا من رسول قال الزجاج لفظة من هنا صلة موكدة والمعنى وما
ارسلنا رسولا **الا ليطاع باذن الله** يعني بامر الله والمعنى انما اوجبت طاعة
الرسول بامر الله لانه الذي اذن في ذلك وامر به وقيل معناه بعلم الله وقضائه
اي طاعته تكون باذن الله لانه اذن فيه فتكون طاعة الرسول صلى الله عليه
وسلم طاعة الله ومعصيته معصية الله والمعنى وما ارسلنا من رسول الا فرضت
طاعته على من ارسلته اليهم وانت يا محمد من الرسل الذين فرضت طاعتهم على من
ارسلتهم اليهم ففيه توبيخ وتقريع للمنافقين الذين تركوا حكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ورضوا بحكم الطاغوت **ولو انهم اذ ظلموا انفسهم** يعني الذين تحاكموا

الي

الى الطاغوت ظلموا انفسهم بالتحاكم **جاوك** يعني جاوك تائبين من النفاق والتحاكم
الى الطاغوت منيبا ان تنبهوا من المخالفة **فاستغفروا الله** يعني من ذلك
الذنب بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذائك برد حكمك والتحاكم الى
غيرك **واستغفر لهم الرسول** يعني من مخالفتهم التحاكم الى غيره وانما قال واستغفر
لهم الرسول ولم يقل واستغفرت لهم اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتفخيما
له وتعظيما لاستغفاره وانهم اذا جاوه فقد جاوا من خصه الله برسالته وجعله
سفيرا بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فان الله تعالى لا يرد شفاعته فلهذا
السبب عدل الى طريقة الالتفات من لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة **لوجدوا
الله توابا رحيما** يعني لو انهم تابوا من ذنوبهم ونفاقهم واستغفرت لهم لعلموا
ان الله يتوب عليهم ويتجاوز عنهم ويرحمهم **قوله عز وجل** **فلا وربك
لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم** نزلت هذه الاية في الزبير بن العوام
ورجل من الانصار (ق) عن عروة بن الزبير عن ابيه ان رجلا من الانصار خاصم
الزبير عند النبي صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة التي يسقون بها النخل فقال
الانصاري سرح الما يمر فابا عليه فاختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك ثم قال
يا رسول الله ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال
للزبير اسق يا زبير ثم احبس الما حتى يرجع الى الجدر فقال الزبير والله اني لا احسب
ان هذه الاية نزلت في ذلك فلا وربك لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم زاد
البخاري فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينيذ للزبير حقه وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك قد اشار على الزبير براي اراد فيه سعة له وللانصاري
فلما احفظ الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى رسول الله صلى الله عليه
وسلم للزبير حقه في صريح الحكم قال الزبير والله ما احسب هذه الاية نزلت الا في
ذلك فلا وربك الاية وقوله اختصما في شراج الحرة الشراج مسايل الما التي
تكون من الجبل وتنزل الى السهل الواحدة شرجة بسكون الرا والحرة الارض
الحمرا المتلبسة بالحجارة السود وقوله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعني تغير وهو قوله فلما احفظ اي اغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله
حتى يرجع الى الجدر هو بفتح الجيم يعني اصل الجدار فاستوعى له اي استوفى له
حقه في صريح الحكم وهو ان من كان ارضه اقرب الى فم الوادي فهو اولى باول
الوادي وحقه تمام السقي فرسول الله صلى الله عليه وسلم اذن للزبير في السقي على
وجه المسامحة فلما ابى خصمه ذلك ولم يعترف بما اشار به رسول الله صلى الله
عليه وسلم من المسامحة لاجله امر الزبير باستيفا حقه على التمام وحمل خصمه على
مر الحق وعلى هذا القول تكون الاية مستانفة لا تعلق لها بما قبلها قال
البغوي **وروي** انهما لما خرجا مرا على المقداد فقال لمن كان القضا فقال
الانصاري لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودي كان مع المقداد فقال قاتل
الله هولا يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضا يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا
مرة في حياة موسى فدعانا موسى الى التوبة منه فقال فاقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ
قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم

من الصدق لو أمرني محمد أن أقتل نفسي لفعلت وقال مجاهد والشعبي نزلت هذه الآية في
بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما إلى الطاغوت وعلى هذا القول تكون الآية
متصلة بما قبلها فقوله فلا وربك معناه فوربك فعلى هذا تكون لا مزيدة لتأكيد
معنى القسم وقيل لا رد لكلام سبق كأنه قال ليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا
وهم يخالفون حكمك ثم استأنف القسم فقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك
فيما شجر بينهم يعني فيما اختلفوا فيه من الأمور واشكل عليهم حكمه وقيل فيما التبس
عليهم يقال شاجره في الأمر إذا نازعه فيه وأصله التداخل والاختلاط وتشاجر
الكلام إذا دخل بعضه في بعض واختلط ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت
يعني ضيقا مما قضيت وقيل شكا مما قضيت بل يرضوا بقضائك ويسلموا تسليما
يعني وينقادوا لأمرك انقيادا ولا يعارضونك في شيء من أمرك وقيل معناه ويسلموا ما تنازعوا
فيه لحكمك قوله تعالى ولو أنا كتبنا عليهم يعني فرضنا وأوجبنا عليهم الضمير
في عليهم يعود إلى المنافقين وقيل يعود الضمير على الكافة فيدخل فيه المنافق
وغيره أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم يعني كما كتبنا على بني إسرائيل القتل
والخروج من مصر ما فعلوه إلا قليل منهم معناه لم يفعله إلا القليل منهم نزلت
في ثابت بن قيس بن شماس وذلك أن رجلا من اليهود قال والله لقد كتب الله علينا
القتل والخروج ففعلنا فقال ثابت والله لو كتب الله علينا ذلك لفعلنا وهو من
القليل الذي استثنى الله وقيل لما نزلت هذه الآية قال عمر وعمار بن ياسر
وابن مسعود وناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم القليل الذين ذكرهم
الله والله لو أمرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال إن من أمتي لرجالا الإيمان أثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي ومن قال
إن الضمير في عليهم يعود إلى المنافقين قال معنى ما فعلوه إلا قليل منهم يعني
رياء وسمعة والمعنى أنا لما كتبنا عليهم إلا طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم والرضى
بحكمه ولو أنا كتبنا عليهم القتل والخروج عن الدور والوطن ما كان فعله إلا نفر
يسير منهم وقرئ إلا قليلا منهم بالنصب وتقديره إلا أن يكون قليلا منهم ولو أنهم
فعلوا ما يوعظون به يعني ولو أنهم فعلوا ما كلفوا به من طاعة الرسول صلى الله
عليه وسلم والرضى بحكمه لكان خيرا لهم يعني في الدنيا والآخرة وإنما سمى
ذلك التكليف لأن أوامر الله تعالى وتكاليفه مقرونة بالوعد والوعيد والثواب
والعقاب وما كان كذلك يسمى وعظا وأشد تثبيتا يعني تحقيقا وتصديقا
لإيمانهم والمعنى أن ذلك أقرب إلى ثبات إيمانهم وتصديقهم وإذا لآتيناهم من
لدنا أجرا عظيما يعني ثوابا وافرا جزيلا وإذا جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا
يكون من هذا الخير والتثبيت قال هو أن نؤتيهم من لدنا أجرا عظيما ولهديناهم
صراطا مستقيما قال ابن عباس معناه ولأرشدناهم إلى دين مستقيم يعني دين
الإسلام وقيل معناه ولهديناهم إلى الأعمال الصالحة التي تؤدي إلى الصراط
المستقيم وهو الصراط الذي يمر عليه المؤمنون إلى الجنة لأن الله تعالى ذكر الأجر
العظيم ثم ذكر الصراط المستقيم بعده لأنه هو المؤدي إلى الجنة قوله عز وجل ومن
يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم الآية نزلت في ثوبان مولى
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر

عنه

عنه فأتاه ذات يوم وقد تغير لونه يعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما غير لونك يا ثوبان قال يا رسول الله ما بي مرض ولا وجع غير
أني إذا لم أرك استوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك ثم إني إذا ذكرت الآخرة
أخاف لا أراك لأنك ترفع إلى عليين مع النبيين وإني وإن دخلت الجنة كنت في منزلة
هي أدنى من منزلتك وإن لم أدخل الجنة لا أراك أبدا فنزلت هذه الآية وقيل
إن بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كيف يكون الحال وأنت يا رسول
الله في الدرجات العلا ونحن أسفل منك فكيف نراك فأنزل الله هذه الآية ومن يطع الله
يعني في أداء الفرائض واجتناب النواهي والرسول أي ويطع الرسول في السنن التي
سنها فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم يعني بالهداية والتوفيق في الدنيا وبدخول
الجنة في الآخرة من النبيين يعني أن المطيعين مع النبيين في الجنة لانتزههم
رؤية الأنبياء في الجنة ومجالستهم لا أنهم يكونون في درجتهم في الجنة لأن ذلك
يقتضي التسوية في الدرجة بين الفاضل والمفضول والصديقين الصديق الكثير
الصدق فعيل من الصدق والصديقون هم أتباع الرسل الذين اتبعوهم على منهاجهم
بعدهم حتى لحقوا بهم وقيل الصديق هو الذي صدق بكل الدين حتى
لا يخالجه فيه شك والمراد بالصديقين في هذه الآية أفاضل أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم كأبي بكر فإنه هو الذي سمي بالصديق من هذه الأمة وهو أفضل
أتباع الرسل والشهداء هم الذين استشهدوا في سبيل الله وقيل هم الذين
استشهدوا يوم أحد والصالحين جمع صالح وهو الذي استوت سريرته وعلانيته
في الخير وقيل الصالح من اعتقاده صواب وعمله في سنة وطاعة وقيل المراد
بالنبيين هنا محمد صلى الله عليه وسلم وبالصديقين أبو بكر وبالشهداء
عمر وعثمان وعلي وبالصالحين سائر الصحابة وحسن أولئك رفيقا يعني
المشار إليهم وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون رفيقا فيه معنى
التعجب كأنه قال وما أحسن أولئك رفيقا يعني في الجنة والرفيق الصاحب سمي
رفيقا لارتفاقك به وبصحبته وإنما وحد الرفيق وهو صفة الجمع لأن العرب
تعبر به عن الواحد والجمع وقيل معناه وحسن كل واحد من أولئك رفيقا
عن أنس أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الساعة فقال متى الساعة
قال وما أعددت لها قال لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله فقال أنت مع من أحببت
قال أنس فأنا أحب النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي
إياهم وإن لم أعمل بأعمالهم قوله تعالى ذلك إشارة إلى ما تقدم ذكره من وصف
الثواب الفضل من الله يعني الذي أعطى الله المطيعين من الأجر العظيم وكفى
بالله عليما يعني بجزاء من أطاعه وقيل معناه وكفى بالله عليما بعباده يوفقهم
لطاعته وفيه دليل على أنهم لم ينالوا تلك الدرجة بطاعتهم بل إنما نالوها بفضل
الله تعالى ورحمته ويدل عليه ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لن يدخل أحدا منكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا
إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة لفظ البخاري ولمسلم نحوه قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر احتراز عن مخوف والمعنى احذروا
واحترزوا من عدوكم فلا تمكنوه من أنفسكم وقيل المراد بالحذر هاهنا السلاح

يعني حذركم واسلحتكم وعدتكم لقتال عدوكم وانما سمى السلاح حذرا لان به يتقى ويحذر وقيل معناه احذروا عدوكم ولقائل ان يقول اذا كان المقدور كائنا فما ينفع الحذر **فالجواب** عنه بانه لما كان الكل بقضاء الله وقدره كان الامر باخذ الحذر من قضاء الله وقدره **فانفروا ثبات** اي اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية **او انفروا جميعا** يعني او اخرجوا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم الى جهاد عدوكم **وان منكم لمن ليبطئن** نزلت في المنافقين وانما قال منكم لاجتماعهم مع اهل الايمان في الجنسية والنسب واظهار كلمة الاسلام لا في حقيقة الايمان والمعنى وان منكم لمن ليتاخرن وليتثاقلن عن الجهاد وهو عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وكان راس المنافقين **فان اصابتكم مصيبة** اي قتل وهزيمة **قال** يعني هذا المنافق **قد انعم الله علي** يعني بالقعود **اذ لم اكن معهم** يعني مع المؤمنين **شهيدا** يعني حاضرا الوقعة فيصيبني ما اصابهم **ولئن اصابكم فضل من الله** اي فتح وغنيمة **ليقولن** يعني هذا المنافق **كان لم تكن بينكم وبينه مودة** اي معرفة ومودة في الدين والمعنى كانه ليس من اهل دينكم وذلك ان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين في الظاهر **يا ليتني كنت معهم** في تلك الغزوة التي غنم فيها المؤمنون **فافوز فوزا عظيما** اي فاخذ نصيبا وافرا من الغنيمة **قوله عز وجل** **فليقاتل في سبيل الله** هذا خطاب للمنافق اي فليخلص الايمان وليقاتل في سبيل الله وقيل هو خطاب للمؤمنين المخلصين اي فليقاتل المؤمنون في سبيل الله **الذين يشرون الحياة الدنيا بالاخرة** اي يبيعون يقال شريت بمعنى بعت لانه استبدال العوض بالعوض والمعنى فليقاتل المؤمنون الكافرين الذين يبيعون حياتهم في الدنيا بثواب الاخرة وما وعد الله فيها لاهل الايمان والطاعة وقيل معناه فليقاتل في سبيل الله الذين يبتغون الحياة الدنيا ويختارون الاخرة وثوابها على الدنيا الفانية **ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل** فيستشهد **او يغلب** يعني يظفر بعدوه من الكفار **فسوف نؤتيه** يعني في كلا الحالتين الشهادة او الظفر نؤتيه فيهما **اجرا عظيما** يعني ثوابا وافرا (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي وايمان بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر او غنيمة لفظ مسلم **قوله تعالى** **وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله** قال المفسرون هذا حض من الله على الجهاد في سبيله لاستنقاذ المؤمنين المستضعفين من ايدي الكفار وفيه دليل على ان الجهاد واجب والمعنى لا عذر لكم في ترك الجهاد وقد بلغ حال المستضعفين ما بلغ من الضعف والاذى **والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان** قال ابن عباس يريد ان قوما من المسلمين استضعفوا فحبسوا وعذبوا وقيل كان قوم بمكة يلقون من المشركين اذى شديدا وكان اهل مكة قد اجتهدوا ان يفتنوا قوما من المؤمنين عن دينهم بالاذى لهم وكانوا مستضعفين في ايديهم ولم يكن لهم بمكة قوة يمتنعون بها من المشركين فعلى هذا يكون معنى الاية وما لكم لا تقاتلو

في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين وقال ابن عباس معناه وعن المستضعفين لان المراد صرف الاذى عنهم (خ) عن ابن عباس في قوله وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين الاية قال كنت انا وامي من المستضعفين **وفي رواية** ابن ابي مليكة قال تلا ابن عباس الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان قال كنت انا وامي ممن عذر الله انا من الولدان وامي من النساء قال الحميدي في هذه الرواية الثانية من حديث ابن عباس يكون معنى والمستضعفين الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان فانهم ممن عذر الله في ترك القتال والولدان جمع وليد وهو الصبي الصغير **الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية** يعني مكة **الظالم اهلها** يعني الظالم اهلها انفسهم بالشرك لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم وذلك ان المستضعفين لما منعهم المشركون من الهجرة من مكة الى المدينة دعوا الله عز وجل فقالوا ربنا اخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم اهلها بالشرك **واجعل لنا من لدنك وليا** يعني وليا يلي امرنا **واجعل لنا من لدنك نصيرا** يعني ينصرنا ويمنعنا من العدو فاستجاب الله دعاءهم وجعل لهم من لدنه خير ولي وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولى امرهم ونصرهم واستنقذهم من ايدي المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب بن اسيد وكان ابن ثمانية عشر سنة وكان ينصر المظلوم من الظالمين وياخذ للضعيف من القوي قوله عز وجل **الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله** يعني في طاعة الله واعلاء كلمته وابتغاء مرضاته **والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت** يعني في طاعة الشيطان **فقاتلوا اولياء الشيطان** اي فقاتلوا ايها المؤمنون حزب الشيطان وجنوده وهم الكفار **ان كيد الشيطان كان ضعيفا** الكيد السعي في الفساد على جهة الاحتيال ومعنى كيده مكره بالمؤمنين بتحريضه اولياءه الكفار يوم بدر وكونه ضعيفا لانه خذل اولياءه لما راى الملائكة قد نزلت يوم بدر وكان النصر لاولياء الله وحزبه على اولياء الشيطان وحزبه وادخال كان في قوله كان ضعيفا لتاكيد ضعف كيد الشيطان قوله تعالى **الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة** قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقدامة بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص وجماعة من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا يلقون من المشركين اذى كثيرا بمكة قبل ان يهاجروا فكانوا يقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فانهم قد اذونا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا ايديكم فاني لم اومر بقتالهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يعني قيل لهم كفوا ايديكم عن قتالهم وادوا ما فرض عليكم من الصلاة والزكاة وفيه دليل على ان فرض الصلاة والزكاة كان قبل فرض الجهاد **فلما كتب عليهم القتال** اي فرض عليهم جهاد المشركين وامروا بالخروج الى بدر **اذا فريق منهم** يعني اذا جماعة من الذين سالوا ان يفرض عليهم الجهاد **يخشون الناس** يعني يخافون مشركي مكة **كخشية الله او اشد خشية** يعني او اشد خشية **وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال** يعني لم فرضت علينا الجهاد **لولا اخرتنا الى اجل قريب** يعني هلا تركتنا ولم تفرض علينا القتال حتى نموت باجالنا والقائلون لهذا القول هم المنافقون لان هذا القول لا يليق

بالمؤمنين وقيل قاله بعض المؤمنين وانما قالوا ذلك خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم تابوا
عن هذا القول قل اي قل لهم يا محمد متاع الدنيا قليل يعني ان منفعتها والاستمتاع
بالدنيا قليل لانه فان زائل والآخرة يعني وثواب الآخرة خير لمن اتقى يعني
اتقى الشرك ومعصية الرسول صلى الله عليه وسلم ولا تظلمون فتيلا اي ولا تنقصون
من اجوركم قدر فتيل م عن المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما الدنيا في الآخرة الا مثل ما يجعل احدكم اصبعه هذه واشار يحيى بالسبابة في اليم فلينظر
بم يرجع قوله عز وجل اينما تكونوا يدرككم الموت نزلت في المنافقين الذين قالوا
في قتلى احد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بهذه الآية وقيل
نزلت في الذين قالوا ربنا لم كتبت علينا القتال فرد الله عليهم بقوله اينما تكونوا
يدرككم الموت يعني ينزل بكم الموت فبين تعالى انه لا خلاص لهم من الموت واذا كان
لا بد لهم من الموت كان القتل في سبيل الله وجهاد اعدائه افضل من الموت على الفراش
لان الجهاد موت يحصل به سعادة الآخرة ثم بين تعالى انه لا يسلم من الموت ولا ينجي
منه شيء بقوله ولو كنتم في بروج مشيدة والبروج في كلام العرب الحصون
والقلاع والمشيدة المرفوعة المطولة وقيل هي المطلية بالشيد وهو الجص
وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله نزلت في المنافقين واليهود وذلك
ان المدينة كانت ذات خير وارزاق ونعم عند مقدم النبي صلى الله عليه وسلم فلما ظهر
نفاق المنافقين وعناد اليهود امسك الله عنهم بعض الامساك فقالت المنافقون
واليهود ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل واصحابه
فقال الله تعالى وان تصبهم يعني المنافقين واليهود حسنة اي خصب ورخص
في السعر يقولوا هذه من عند الله يعني من فضل الله وان تصبهم سيئة اي جدب في
الثمار وغلاء في السعر يقولوا هذه من عندك يعني من شؤم محمد واصحابه وقيل
المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل والهزيمة يوم احد
يعني من عندك انت الذي حملتنا عليه يا محمد فعلى هذا القول يكون هذا اخبارا
عن المنافقين خاصة قل اي قل لهم يا محمد كل من عند الله يعني الحسنة
والسيئة والخصب والجدب والغنيمة والهزيمة والظفر والقتل فاما الحسنة فانعام
من الله واما السيئة فابتلاء منه فما لهؤلاء القوم اي فما شأن هؤلاء القوم المنافقين
واليهود الذين قالوا ما قالوا لا يكادون يفقهون حديثا يعني لا يفهمون
معاني القرآن لان الاشياء كلها من الله عز وجل خيرها وشرها

قوله تعالى ما اصابك من حسنة يعني من خير ونعمة فمن الله يعني من فضل الله عليك يتفضل
بها احسانا وامتنانا اليك وما اصابك من سيئة يعني من بلية ومكروه ومشقة واذى
فمن نفسك يعني فمن قبل نفسك وبذنبك اكتسبته نفسك استوجبت ذلك به وقيل
المخاطب بهذا الكلام من لا احد بما انه عام وتقديره ما اصابك ايها الانسان
وقيل الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره من الامة لان النبي صلى الله
عليه وسلم بري لان الله عز وجل قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقد عصمه
من حين بعثه فهو معصوم فيما يستقبل حتى يموت ويدل على ان المراد بهذا الخطاب
غيره قوله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النساء خاطبه وحده ثم جمع الكل بقوله
اذا طلقتم النساء لمعنى قوله فمن نفسك اي بعقوبة بذنبك يا ابن آدم كذا

قاله

قاله قتادة والكلبي ما اصابك من خير فالله هداك له وما عاقبك عليه وما اصابك
من امر تكرهه فبذنبك عقوبة لك لذلك الذنب وقد تعلق بظاهر هذه الآية القدرية
وقالوا نفى الله السيئة عن نفسه ونسبها الى الانسان بقوله وما اصابك من سيئة
فمن نفسك ولا متعلق لهم بها لانه ليس المراد من الآية حسنة الكسب من الطاعات
ولا السيئة المكتسبة من فعل المعاصي بل المراد من الحسنة والسيئة في هذه الآية
ما يصيب الانسان من النعم والمحن وذلك ليس من فعل العبد لانه لا يقال في
الطاعة والمعصية اصابني انما يقال اصبتها ويقال في النعم والمحن اصابني بدليل
انه لم يذكر عليه ثوابا ولا عقابا فهو كقوله تعالى واذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا
هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ولما ذكر الله حسنات الكسب
وسيئاته وعد عليها بالثواب والعقاب فقال تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها فبطل بهذا قول القدرية **وقال**
بعضهم لو كانت الآية على معنى ما يقوله اهل القدر لقال ما اصبت من
حسنة وما اصبت من سيئة ولم يقل ما اصابك لان العادة جرت بقول
الانسان اصابني خير او مكروه واصبت حسنة وسيئة **وقيل** في معنى الآية
ما اصابك من حسنة اي النصر والظفر يوم بدر فمن الله اي من فضل الله وما
اصابك من سيئة اي قتل وهزيمة يوم احد فمن نفسك يعني بذنوب اصحابك
وهو مخالفتهم اياك. **فان قلت** كيف وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من
عند الله وبين قوله وما اصابك من سيئة فمن نفسك فاضاف السيئة الى فعل
العبد في هذه الآية **قلت** اما اضافة الاشياء كلها الى الله تعالى في
قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان الله تعالى هو خالقها وموجدها
واما اضافة السيئة الى فعل العبد على سبيل الادب فهو كقوله تعالى واذا مرضت
فهو يشفين فاضاف المرض الى نفسه على طريق الادب ولا يشك عاقل ان الممرض هو
الله تعالى وقيل هذه متصلة بما قبلها وفيه اضمار وتقديم وتأخير تقديره
فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما اصابك من حسنة
فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك قل كل من عند الله وقال ابن المبارك
في معنى الآية ما اصابك الله به من حسنة وما اصابك به من سيئة فالعلة
راجعة الى الله تعالى وارسلناك للناس رسولا يعني وارسلناك يا محمد الى
كافة الناس رسولا لتبلغهم رسالتي وما ارسلتك به ولست رسولا الى العرب خاصة
كما قاله بعض اليهود وقيل انك رسول الى الخلق كافة العرب وغيرهم وكفى بالله
شهيدا يعني على ارسالك للناس كافة فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك
واتباعك وقيل معناه وكفى بالله شهيدا على تبليغك ما ارسلت به الى الناس وقيل
معناه وكفى بالله شهيدا على ان الحسنة والسيئة من الله قوله عز وجل
من يطع الرسول فقد اطاع الله سبب نزول هذه الآية ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن احبني فقد احب الله فقال
بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى
ابن مريم ربا فانزل الله هذه الآية من يطع الرسول يعني فيما امر به ونهى عنه فقد اطاع
الله يعني طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم طاعة الله تعالى لانه هو امر بها وقال الحسن

جعل الله طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم طاعته وقامت به الحجة على المسلمين وقال الشافعي ان كل فريضة فرضها الله تعالى في كتابه كالحج والصلاة والزكاة لولا بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ما كنا نعرف كيف نأتيها ولا كان يمكننا اداء شيء من العبادات واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه المنزلة من الشرع كانت طاعته على الحقيقة طاعة الله **ومن تولى** اي اعرض عن طاعته **فما ارسلناك عليهم حفيظا** يعني حافظا تحفظ اعمالهم عليهم فكل امرهم الى الله قال المفسرون وكان هذا قبل ان يؤمر بالقتال ثم نسخ ذلك بآية القتال

قوله تعالى ويقولون طاعة نزلت في المنافقين وذلك ان المنافقين كانوا يقولون باللسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم آمنا بك وصدقناك فمرنا بأمرك طاعة اي امرنا وشأننا طاعة **فاذا برزوا من عندك** اي خرجوا من عندك **بيت طائفة منهم غير الذي تقول** التبييت كل امر يفعل بالليل يقال هذا امر مبيت اذا دبر بالليل وقضي بليل فقوله بيت والمعنى انهم قالوا وقدروا امرا بالليل غير الذي اعطوك بالنهار من الطاعة وقيل معنى بيت غير وبدل طائفة منهم غير الذي تقول يعني غير الذي عهدت اليهم فعلى هذا يكون التبييت بمعنى التبديل وانما خص طائفة من المنافقين بالتبييت في قوله منهم وكلمة من للتبعيض لانه تعالى علم ان منهم من يبقى على كفره ونفاقه ومنهم من يرجع عنه ويتوب فخص من يصر على النفاق بالذكر وقيل ان طائفة منهم اجتمعوا في الليل وبيتوا ذلك القول فخصهم بالذكر **والله يكتب** اي يثبت ويحفظ عليهم **ما يبيتون** يعني ما يزورون ويغيرون ويقدرون وقال ابن عباس يكتب ما يسرون من النفاق **فاعرض عنهم** اي لا تعاقبهم بالجهر ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وخلهم وضلالتهم فانا منتقم منهم وقيل لا تخبر باسمائهم **وتوكل على الله** اي فوض امرك الى الله في شأنهم فان الله يكفيك امرهم وينتقم لك منهم **وكفى بالله وكيلا** يعني ناصرا لك عليهم

قوله عز وجل **افلا يتدبرون القرآن** اصل التدبر النظر في عواقب الامور والتفكر في ادبارها ثم استعمل في كل تفكر وتأمل يقال تدبرت الشيء اذا نظرت في عاقبته ومعنى تدبر القرآن تأمل معانيه والتفكر في حكمه وتبصر ما فيه من الآيات قال ابن عباس افلا يتدبرون القرآن فيتفكرون فيما فيه فيرون تصديق بعضه لبعض وما فيه من المواعظ والذكر والامر والنهي وان احدا من الخلق لا يقدر عليه قال العلماء ان الله تعالى احتج بالقرآن وبالتدبر فيه على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والحجة في ذلك من ثلاثة اوجه احدها فصاحته التي عجز الخلائق عن الاتيان بمثله في اسلوبه الثاني اخباره عن الغيوب وهو ما يطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على احوال المنافقين وما يحوم من مكرهم وكيدهم فيفضحهم بذلك وغير ذلك من الاخبار عن احوال الاولين واخبارهم وما يأتي في المستقبل من امور الغيب التي لا يعلمها الا الله تعالى الثالث سلامته عن الاختلاف والتناقض وهو المراد بقوله تعالى **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** قال ابن عباس يعني تفاوتا وتناقضا وفي رواية عنه لو كان من عند مخلوق لكان فيه كذب واختلاف وقيل معناه لوجدوا

في اخباره عن الغيب عما يكون وبما قد كان اختلافا كثيرا لان الغيب لا يعلمه الا الله واذا كان كذلك ثبت انه من عند الله وانه ليس فيه اختلاف ولا تناقض وقيل لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا من حيث البلاغة والفصاحة والمعنى لو كان من عند مخلوق لكان على قياس الكلام المخلوق بعضه فصيح بليغ حسن وبعضه مرذول ركيك فاسد فلما كان القرآن جميعه على منهاج واحد في الفصاحة والبلاغة ثبت انه من عند الله والمعنى افلا يتفكرون في القرآن فيعرفون بعدم التناقض فيه وصدق ما يخبر به عن الغيوب انه كلام الله عز وجل واما ان يكون من عند غير الله لا يخلو عن تناقض واختلاف فلما كان القرآن ليس فيه تناقض واختلاف علم انه من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه سواه

قوله تعالى **واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به** وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يبعث البعوث والسرايا فاذا غلبوا او غلبوا بادر المنافقون يستخبرون عن حالهم ثم يشيعونه ويتحدثون به قبل ان يحدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضعفون به قلوب المؤمنين فانزل الله هذه الآية واذا جاءهم يعني المنافقين امر من الامن يعني خبر بفتح وغنيمة او الخوف يعني القتل والهزيمة اذاعوا به اي افشوا ذلك الخبر واشاعوه بين الناس يقال اذاع السر واذاع به اذا اشاعه واظهره قال الشاعر

اذاع به في الناس حتى كأنه ... بعلياء نار اوقدت بثقوب

ولو ردوه يعني الامر الذي تحدثوا به **الى الرسول** يعني انهم لم يتحدثوا به حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي يتحدث به ويظهره **والى اولي الامر منهم** يعني ذوي العقول والرأي والبصيرة بالامور منهم وهم كبار الصحابة كابي بكر وعمر وعثمان وعلي وقيل هم امراء السرايا والبعوث وانما قال منهم على حسب الظاهر لان المنافقين كانوا يظهرون الايمان فلهذا قال والى اولي الامر منهم **لعلمه الذين يستنبطونه منهم** اي يستخرجون تدبيره بذكائهم وفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها وهم العلماء الذين علموا ما ينبغي ان يكتم من الامور وما ينبغي ان يذاع منها والنبط الماء الذي يخرج من البئر اول ما تحفر والاستنباط استخراجه لما يخرجه الرجل بفضل ذكائه وصفاء ذهنه وفطنته من المعاني والتدبير فيما يعضل يقال استنبط الفقيه المسألة اذا استخرجها باجتهاده وفهمه وفي الآية دليل على جواز القياس وان من العلم ما يدرك بالاستنباط وهو القياس عليها ومعنى الآية ولو ان هؤلاء المنافقين والمذيعين ردوا الامر من الامن او الخوف الى الرسول والى اولي الامر وطلبوا معرفة الحال فيه من جهتهم لعلموا حقيقة ذلك منهم وانهم اولى بالبحث عنه فانهم اعلم بما ينبغي او يباح او يكتم قوله عز وجل **ولولا فضل الله عليكم ورحمته** يعني ولولا فضل الله عليكم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن ورحمته بالتوفيق والهداية **لاتبعتم الشيطان** يعني فيما يأمركم به من الكفر والضلالة **الا قليلا** اختلف العلماء في هذا الاستثناء والى ماذا يرجع فقيل هو راجع الى الاذاعة وهو قول ابن عباس والتقدير واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به الا قليلا فاخرج بعض المنافقين والمؤمنين عن هذه الاذاعة لانهم لم يذيعوا ما علموا من امر السرايا وهذا القول اختيار الفراء وابن جرير الطبري وقيل راجع الى المستنبطين وهو قول الحسن وقتادة واختاره ابن قتيبة والتقدير لعلمه الذين يستنبطونه منهم الا قليلا

فعلى هذا القولين في الآية تقديم وتأخير وقيل انه راجع الى اتباع الشيطان وهو
قول الضحاك واختاره الزجاج ومعلوم ان صرف الاستثناء الى ما يليه ويتصل به اولى من
صرفه الى الشيء البعيد وتقديره ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا
قليلا منكم وهم قوم اهتدوا وامنوا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزال
القران مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وقس بن ساعدة الايادي قوله
تعالى **فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك** نزلت في مواعدة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابا سفيان بحرب وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعده موسم بدر
الصغرى بعد حرب احد وذلك في ذي القعدة فلما بلغ الميعاد دعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله هذه الاية فقاتل في سبيل
الله يعني لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين لا تكلف الا نفسك
يعني لا تكلف فرض غيرك بل جاهد في سبيل الله ولو وحدك فان الله ناصرك
لا الجنود وقد وعدك النصر عليهم وهو لا يخلف الميعاد فخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا الى بدر الصغرى فكفاهم الله القتال ورجعوا سالمين
وعاتب الله من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاية على ترك الجهاد
والخروج معه وفي الاية دليل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اشجع الناس
واعلمهم بامور القتال ومكايده لان الله تعالى امره بالقتال وحده ولو لم يكن
اشجع الناس لما امره بذلك ولقد اقتدى به ابو بكر الصديق في قتاله اهل الردة
الذين منعوا الزكاة فعزم على الخروج الى قتالهم ولو وحده **وحرض المؤمنين**
يعني حثهم على الجهاد ورغبهم في الثواب وليس عليك في شانهم الا التحريض فحسب
لا التعنيف بهم **عسى الله** اي لعل الله **ان يكف باس الذين كفروا** اي لعل الله
ان يمنع باس الكفار وشدتهم وقد فعل وذلك ان ابا سفيان بدا له عن القتال
فلم يخرج الى الموعد **والله اشد باسا** اي اعظم صولة **واشد تنكيلا** يعني
واشد عذابا وعقوبة من غيره قوله عز وجل **من يشفع شفاعة حسنة
يكن له نصيب منها** الشفاعة ماخوذة من الشفع وهو ان يصير الانسان نفسه
شفعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسالة الى المشفوع اليه فعلى هذا قيل
ان المراد بالشفاعة المذكورة في الاية هي شفاعة الانسان لغيره ليجلب له
بشفاعته نفعا او يخلصه من بلاء نزل به **وقيل** هي الاصلاح بين الناس
ومعنى الاية من يصير شفعا لوتر اصحابك يا محمد فيشفعهم في جهاد عدوهم يكن
له نصيب منها اي حظ وافر من اجل شفاعته وهو ثواب الله وكرامته **ومن يشفع
شفاعة سيئة** قيل هي النميمة ونقل الحديث لايقاع العداوة بين الناس وقيل
اراد بالشفاعة السيئة دعاء اليهود على المسلمين وقيل معناه ومن يشفع كفره
بقتال المؤمنين **يكن له كفل** اي ضعف وقيل نصيب **منها** اي من وزرها
وكان الله على كل شيء مقيتا قال ابن عباس يعني مقتدرا ومجازيا
واقات على الشيء قدر عليه قال الشاعر

وذي ضغن كففت النفس عنه ۞ وكنت على اساءته مقيتا

يعني قادرا على اساءته اليه وقيل معناه شاهدا وحفيظا على الاشياء **ق** عن
ابي موسى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاءه رجل يسال او طالب حاجة اقبل علينا

بوجهه

بوجهه وقال اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان رسوله ما شاء وفي رواية كان اذا
جاءه طالب حاجة اقبل على جلسائه فقال اشفعوا تؤجروا وليقض الله على لسان رسوله
ما شاء قوله عز وجل **واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها** التحية تفعلة
من حييت واصلها من الحياة ثم جعل السلام تحية لكونها خارجا عن حصول الحياة
وسبب الحياة في الدنيا او في الاخرة والتحية ان يقال حياك الله اي جعل لك حياة وذلك
اخبار ثم يجعل دعاء وهذه اللفظة كانت العرب تقولها فلما جاء الاسلام بدل
ذلك بالسلام وهو المراد في الاية يعني اذا سلم عليكم المسلم فاجيبوه باحسن مما
سلم عليكم وانما اختير لفظ السلام على لفظة حياك الله لانه اتم واحسن واكمل لان
معنى السلام السلامة من الافات فاذا دعا الانسان بطول الحياة بغير سلامة كانت
حياته مذمومة منغصة واذا كان في حياته سليما كان اتم واكمل فلهذا السبب
اختير لفظ السلام **او ردوها** يعني اوردوا عليه كما سلم عليكم **ان الله كان على
كل شيء حسيبا** يعني محاسبا ومجازيا والمعنى انه تعالى على كل شيء من السلام
بمثله او باحسن منه مجازي عليه

فصل في فضل السلام والحث عليه

ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اي الاسلام خير قال تطعم الطعام وتقرا السلام على من عرفت ومن لم تعرف قوله
اي السلام خير يعني اي خصال الاسلام خير **م** عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا الا ادلكم على
شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم عن عبد الله بن سلام قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس افشوا السلام واطعموا الطعام وصلوا
الارحام وصلوا والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام اخرجه الترمذي وقال
حديث صحيح عن ابي امامة قال امرنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان نفشي السلام
اخرجه ابن ماجه

فصل في احكام تتعلق بالسلام وفيه مسائل

المسالة الاولى في كيفية السلام **ق** عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق
الله تعالى ادم قال اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك
فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام عليك ورحمة الله
فزادوه ورحمة الله قال العلماء يستحب لمن يبتدئ بالسلام ان يقول السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته فياتي بضمير الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم
السلام ورحمة الله وبركاته فياتي بواو العطف في قوله وعليكم عن عمران بن الحصين
قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم فرد عليه ثم جلس
فقال النبي صلى الله عليه وسلم عشر ثم جاء اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد
عليه فجلس فقال عشرون ثم جاء اخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد
عليه فجلس فقال ثلاثون اخرجه الترمذي وابو داود وقال الترمذي حديث
حسن وقيل اذا قال المسلم السلام عليكم فيقول المجيب وعليكم السلام ورحمة الله
واذا قال السلام عليكم ورحمة الله فيقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وهي مثله
وبركاته واذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ردها مثلها فقال ابن عباس ان
السلام انتهى الى البركة ويستحب للمسلم ان يرفع صوته بالسلام ليسمع المسلم عليه فيجيبه
ويشترط ان يكون الرد عليه على الفور فان اخره ثم رد لم يعد جوابا وكان اثما

يترك الرد. المسألة الثانية في حكم السلام: الابتداء بالسلام سنة مستحبة ليس بواجب وهو سنة على الكفاية فإن كانوا جماعة فسلم واحد منهم كفى عن جميعهم ولو سلم كلهم كان أفضل وأكمل قال القاضي حسين من أصحاب الشافعي ليس لنا سنة على الكفاية إلا هذا وفيه نظر لأن تشميت العاطس سنة على الكفاية أيضاً كالسلام ولو دخل على جماعة في بيت أو مجلس أو مسجد وجب عليه أن يسلم على الحاضرين لقوله صلى الله عليه وسلم أفشوا السلام والأمر للوجوب أو يكون ذلك سنة مؤكدة لأن السلام من شعار أهل الإسلام فيجب إظهاره أو يتأكد استحبابه وأما الرد على المسلم فقد أجمع العلماء على وجوبه ويدل عليه قوله تعالى وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها والأمر للوجوب ولأن ترك الرد إهانة للمسلم فيجب ترك الإهانة فإن كان المسلم عليه واحداً وجب الرد عليه وإن كانوا جماعة كان رد السلام في حقهم فرض كفاية فلو رد واحد منهم سقط فرض الرد عن الباقين وإن تركوه كلهم أثموا **عن علي بن أبي طالب** رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يجزي عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويجزي عن الجلوس أن يرد أحدهم أخرجه أبو داود. المسألة الثالثة في آداب السلام السنة أن يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير وفي رواية للبخاري قال يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير وإذا التقى رجلان فالمبتدئ بالسلام هو الأفضل **لما روي** عن أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أولى الناس بالله عز وجل من بدأهم بالسلام أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي ولفظه قال قيل يا رسول الله الرجلان يلتقيان أيهما يبدأ بالسلام فقال أولاهما بالله قال الترمذي حديث حسن ويستحب أن يبدأ بالسلام قبل الكلام والحاجة والسنة إذا مر بجماعة صبيان صغار أن يسلم عليهم لما روي عن أنس أنه مر على صبيان فسلم عليهم وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله أخرجاه في الصحيحين وفي رواية لأبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على غلمان يلعبون فسلم عليهم وأما السلام على النساء فإن كن جمعاً أجانب كن في موضع أو مسجد فيستحب أن يسلم عليهن إذا لم يخف على نفسه أو عليهن فتنة لما روي عن أسماء بنت يزيد قالت مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فسلم علينا أخرجه أبو داود وفي رواية الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في المسجد يوماً وعصبة من النساء قعود فألوى بيده بالتسليم قال الترمذي حديث حسن وإن مر على امرأة مفردة أجنبية فإن كانت جميلة فلا يسلم عليها ولو سلم فلا تجيب عليه لأنه لم يستحق الرد وإن كانت عجوزاً لا يخاف عليه ولا عليها الفتنة سلم عليها وردت عليه وحكم النساء مع النساء حكم الرجال مع الرجال في السلام يسلم بعضهن على بعض. المسألة الرابعة في الأحوال التي يكره السلام فيها لمن ذلك يبول أو يتغوط أو يجامع ونحو ذلك لا يسلم عليه فلو سلم لا يستحق المسلم جواباً لما روي عن ابن عمر أن رجلاً مر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبول فسلم فلم يرد عليه أخرجه مسلم قال الترمذي إنما يكره هذا إذا كان على الغائط أو البول

ويكره

ويكره السلام على من في الحمام وقيل إن كانوا متزرين بالمآزر يسلم عليهم وإلا فلا ويكره التسليم على النائم والناعس والمصلي والمؤذن في حال الأذان والتالي في حال الصلاة والأذان والتلاوة ويكره الابتداء بالتسليم في حال الخطبة لأن الجلوس مأمورون بالإنصات للخطبة ويكره أن يبدأ المبتدع بالتسليم عليه وكذلك المعلن بفسق وكذلك الظلمة ونحوهم فلا يسلم على هؤلاء. المسألة الخامسة في حكم السلام على أهل الذمة اليهود والنصارى اختلف العلماء فيه فذهب أكثرهم إلى أنه لا يجوز ابتداؤهم بالسلام وقال بعضهم إنه ليس بحرام بل هو مكروه كراهة تنزيه ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه أخرجه مسلم وإذا سلم يهودي أو نصراني على مسلم فيرد عليه فيقول عليك بغير واو العطف لما روي أن يهودياً أتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال السام عليكم فرد عليه القوم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما قال قالوا الله ورسوله أعلم سلم يا نبي الله قال لا ولكنه قال كذا وكذا ردوه علي فردوه فقال قلت السام عليكم قال نعم فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك أي عليك ما قلت أخرجه الترمذي فلو أتى بواو العطف وميم الجمع فقال وعليكم جاز لأنا نجاب عليهم في الدعاء ولا يجابون علينا ويدل على ذلك ما روي عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سلم عليه ناس من يهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقال وعليكم فقالت عائشة وغضبت ألم تسمع ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم وإنا نجاب عليهم ولا يجابون علينا أخرجه مسلم وإذا مر المسلم على جماعة فيهم مسلمون ويهود ونصارى يسلم عليهم ويقصد بتسليمه المسلمين لما روي عن أسامة بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين واليهود فسلم عليهم أخرجه الترمذي والله أعلم.

قوله تعالى الله لا إله إلا هو ليجمعنكم هذه لام القسم وتقديره والله الذي لا إله إلا هو ليجمعنكم الله في الموت وفي القبور إلى يوم القيامة يعني إلى يوم الحشر والبعث سميت القيامة قيامة لقيام الناس من قبورهم بعد الموت وقيل لقيامهم للحساب نزلت هذه الآية في منكري البعث لا ريب فيه يعني لا شك في ذلك اليوم أنه كائن ومن أصدق من الله حديثاً يعني لا أحد أصدق من الله فإنه لا يخلف الميعاد ولا يجوز عليه الكذب والمعنى أن القيامة كائنة لا شك فيها ولا ريب قوله عز وجل فما لكم في المنافقين فئتين اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقيل نزلت في الذين تخلفوا يوم أحد من المنافقين فلما رجعوا قال بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله صلى الله عليه وسلم اقتلهم يا رسول الله فإنهم منافقون وقال بعضهم اعف عنهم فإنهم قد تكلموا بكلمة الإسلام (ق) عن زيد بن ثابت قال لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد رجع ناس ممن خرج معه فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين قالت فرقة نقتلهم وقالت فرقة لا نقتلهم فنزلت فما لكم في المنافقين فئتين وقال النبي صلى الله عليه وسلم إنها طيبة تنفي الرجال كما ينفي الكير خبث الحديد وقيل نزلت في قوم خرجوا إلى المدينة فأسلموا ثم استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج

الى مكة ليأتوا ببضائع لهم يتجرون فيها فخرجوا واقاموا بمكة فاختلف المسلمون فيهم
فقائل يقول هم منافقون وقائل يقول هم مؤمنون وقيل نزلت في ناس من قريش قدموا
المدينة واسلموا ثم ندموا على ذلك فخرجوا كهيئة المتنزهين فلما تباعدوا
عن المدينة كتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على الذي فارقناك عليه من
الايمان ولكنا اجتوينا المدينة واشتقنا الى ارضنا ثم انهم خرجوا في تجارة الى الشام
فبلغ ذلك المسلمين فقال بعضهم نخرج اليهم ونقتلهم ونأخذ ما معهم لانهم
رغبوا عن ديننا وقالت طائفة منهم كيف تقتلون قوما على دينكم وان لم يذروا ديارهم
وكان هذا بعين النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساكت لا ينهى احدا من الفريقين فنزلت
هذه الاية **وقيل** نزلت في قوم اسلموا بمكة ولم يهاجروا وكانوا يظاهرون المشركين
وقيل نزلت في عبد الله بن ابي بن سلول المنافق لما تكلم في حديث الافك ومعنى الاية
فما لكم يا معشر المؤمنين في المنافقين فئتين اي صرتم في امرهم فرقتين فرقة تذب
عنهم وفرقة تباينهم وتعاديهم فنهى الله الفرقة الذين تذبون عنهم وامر المؤمنين
جميعا ان يكونوا على منهاج واحد في التباين لهم والتبري منهم ثم اخبر عن كفرهم
بقوله والله اركسهم يعني نكسهم في كفرهم وارتدادهم وردهم الى احكام الكفار
بما كسبوا اي بسبب ما كسبوا من اعمالهم الخبيثة وقيل بما اظهروا
من الارتداد بعد ما كانوا على النفاق أتريدون ان تهدوا من اضل الله
هذا خطاب للفئة التي دافعت عن المنافقين والمعنى اتحبون ايها المؤمنون
هداية هؤلاء المنافقين الذين اضلهم الله عن الهدى ومن يضلل الله يعني
عن الهدى فلن تجد له سبيلا يعني فلم تجد له طريقا يهديه فيها الى الحق والهدى
قوله تعالى ودوا يعني تمنى اولئك الذين رجعوا عن الايمان الى ان ارتدوا الى الكفر
لو تكفرون يعني تكفرون انتم يا معشر المؤمنين كما كفروا فتكونون سواء في الكفر
فلا تتخذوا منهم اولياء يعني من الكفار مع المؤمنين سوا لانهم حتى
يهاجروا يعني يسلموا ويهاجروا في سبيل الله معكم وهي الهجرة الاخرى والهجرة
على ثلاثة اوجه الاولى هجرة المؤمنين في اول الاسلام من مكة الى المدينة
الثانية هجرة المنافقين وهي الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله
مخلصين صابرين محتسبين كما حكى الله عنهم في هذه الاية منع المؤمنين
عن موالاة المنافقين حتى يهاجروا في سبيل الله الهجرة الثالثة هجرة المؤمنين
ما نهى الله عنهم فان تولوا يعني فان اعرضوا عن الاسلام والهجرة واختاروا الاقامة
على الكفر فخذوهم هو الخطاب للمؤمنين اي خذوهم ايها المؤمنون واقتلوهم
حيث وجدتموهم يعني اين وجدتموهم في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم وليا
يعني في هذه الحالة ولا نصيرا يعني ينصركم على اعدائكم لانهم اعداء ثم استثنى
الله عز وجل طائفة منهم فقال تعالى الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم
ميثاق هذا الاستثناء يرجع الى القتل لا الى الموالاة لان موالاة الكفار والمنافقين
لا تجوز بحال ومعنى يصلون ينتسبون اليهم او يتصلون اليهم او يدخلون فيهم
بالحلف والجوار وقال ابن عباس يريد يلجؤن الى قوم بينكم وبينهم ميثاق
اي عهد وهم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن
عويمر الاسلمي عند خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال

من قومه وغيرهم ولجأ اليه فلهم من الجوار مثل ما لهلال وفي رواية عن ابن عباس قال اراد بالقوم
الذين بينكم وبينهم ميثاق بني بكر بن زيد مناة كانوا في الصلح والهدنة وقيل هم خزاعة
والمعنى ان من دخل في عهد من كان داخلا في عهدكم فهم ايضا داخلون في عهدكم او جاؤكم
حصرت صدورهم يحتمل ان يكون عطفا على الذين وتقديره الا الذين يتصلون بالمعاهد
او يتصلون بالذين حصرت صدورهم فلا تقتلوهم وقيل يحتمل ان يكون عطفا على صفة
قوم وتقديره الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم عهد او يصلون الى قوم حصرت
صدورهم فلا تقتلوهم ومعنى حصرت اي ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون
قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم لانهم اقاربهم وهم بنو مدلج كانوا عاهدوا
ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم ان يقاتلوكم يعني ضاقت صدورهم
عن قتالكم للعهد الذي بينكم وبينهم او يقاتلوا قومهم يعني من امن منهم وقيل معناه انهم
لا يقاتلونكم مع قومهم ولا يقاتلون قومهم معكم يعني ضاقت صدورهم لذلك عن قتالكم
والقتال معكم وهم قوم هلال الاسلميون وبنو بكر نهى الله عن قتال هؤلاء المرتدين اذا
اتصلوا باهل عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوي عهد فله حكمهم في حقن الدم وذلك
لان الله تعالى اوجب قتال الكفار الا من كان معاهدا او لجأ الى معاهد وترك القتال
فانه لا يجوز قتل هؤلاء وعلى هذا القول فالقول بالنسخ لازم لان الكافر وان ترك
القتال فقتاله جائز وقال جماعة من المفسرين ان معاهدة المشركين وموادعتهم
في هذه الاية منسوخة باية السيف وذلك لان الله تعالى لما اعز الاسلام واهله امر
ان لا يقبل من مشركي العرب الا الاسلام او القتل ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم
يذكر الله تعالى منته على المسلمين بكف باس المعاهدين وذلك ان الله القى الرعب في قلوبهم
على قتال المسلمين وكفهم عن قتالكم ومعنى التسليط منا هو تقوية قلوبهم على قتال
المسلمين ولكن قذف الرعب في قلوبهم وكفهم عن المسلمين فان اعتزلوكم يعني فان
اعتزلوكم عن قتالكم فلم يقاتلوكم يوم فتح مكة مع قومهم والقوا اليكم السلم يعني
الانقياد والصلح فانقادوا واستسلموا فما جعل الله لكم عليهم سبيلا يعني بالقتل
والقتال قال بعض المفسرين ان هذا منسوخ باية القتال وهي قوله اقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم وقال بعضهم هي غير منسوخة لانا اذا حملنا على المعاهدين فكيف يمكن
ان يقال انها منسوخة **قوله عز وجل** ستجدون اخرين قال ابن عباس هم اسد
وغطفان كانوا من حاضري المدينة تكلموا بكلمة الاسلام رياء وهم غير مسلمين وكان
الرجل منهم يقول له قومه بماذا امنت فيقول امنت بهذا القرد والعقرب والخنفساء واذا لقوا
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لهم انا على دينكم يريدون بذلك الامن من الفريقين
وفي رواية اخرى عن ابن عباس انها نزلت في بني عبد الدار وكانوا بهذه الصفة يريدون
ان يأمنوكم يعني يريد باظهار الايمان لكم ان يأمنوكم فلا تتعرضوا لهم ويأمنوا قومهم
يعني باظهار الكفر لهم فلا يتعرضوا لهم كلما ردوا الى الفتنة يعني كلما دعوا الى الشرك
اركسوا فيها رجعوا الى الشرك وعادوا اليه منكوسين على رؤسهم فيه فان لم يعتزلوكم يعني
فان لم يكفوا عن قتالكم حتى يسيروا الى مكة ويلقوا اليكم السلم اي ولم يلقوا اليكم الصلح ويكفوا
عن قتالكم [illegible] يعني اسرى واقتلوهم حيث ثقفتموهم يعني حيث ادركتموهم [illegible] واولئكم يعني
اهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا يعني حجة ظاهرة بالقتل والقتال
وقيل الحجة الواضحة هو ظهور عداوتهم وانكشاف حالهم بالكفر والغدر قوله تعالى وما كان لمؤمن

ان يقتل مؤمنا الا خطأ الآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه اتى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه لاهله فخرج
هاربا الى المدينة وتحصن في اطم من آطامها والاطم الحصن فجزعت امه لذلك جزعا
شديدا وقالت لابنيها الحارث وابي جهل ابني هشام وهما اخوا عياش لامه والله
لا يظلني سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى تأتوني به فخرجا في طلبه وخرج معهم
الحارث بن زيد بن ابي انيسة حتى اتوا المدينة فاتوا عياشا وهو في الاطم فقالا له انزل
فان امك لم يؤوها سقف بعدك وقد حلفت لا تأكل ولا تشرب حتى ترجع اليها ولك الله
علينا ان لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع امه واوثقوا
له بالله نزل اليهم فاخرجوه من المدينة واوثقوه وجلده كل واحد منهم مائة
جلدة ثم قدموا به على امه فلما اتاها قالت والله لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي
آمنت به ثم تركوه موثقا في الشمس ما شاء الله فاعطاهم الذي ارادوا فاتاه الحارث بن
زيد فقال يا عياش اهذا الذي كنت عليه لئن كان هدى لقد تركت الهدى ولئن
كان ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا القاك خاليا الا
قتلتك ثم ان عياشا اسلم بعد ذلك وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلم الحارث
ابن زيد بعده وهاجر وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير
بظهر قباء اذ لقي الحارث فقتله فقال له الناس ويحك يا عياش اي شيء صنعت انه قد اسلم
فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله قد كان من امري وامر
الحارث ما قد علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزل وما كان لمؤمن ان يقتل
مؤمنا الا خطأ ومعنى الآية وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة وما كان له سبب
جواز قتله وقيل معناه ما كان له ذلك فيما اتاه من ربه وعهد اليه لانه حرم
قتل المؤمن من كل وجه وقوله تعالى الا خطأ استثناء منقطع معناه لكن ان وقع
خطأ فتحرير رقبة وقيل معناه ما كان ذلك فيما اتاه من ربه وعهد اليه لانه
حرم قتل المؤمن من كل وجه وقوله تعالى الا خطأ استثناء منقطع معناه لكن ان وقع
خطأ فتحرير رقبة وقيل معناه ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا البتة الا ان يخطئ المؤمن
فكفارة خطائه ما ذكر من بعد والخطأ فعل الشيء من غير قصد وتعمد ومن قتل مؤمنا
خطأ فتحرير رقبة مؤمنة يعني فعليه اعتاق رقبة مؤمنة كفارة ودية مسلمة الى اهله
اي وعليه دية كاملة مسلمة الى اهل القتيل الذين يرثونه الا ان يصدقوا يعني الا
ان يتصدق اهل القتيل على القاتل بالدية ويعفوا عنه فان كان يعني المقتول من قوم عدو
لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة اراد به اذا كان رجل مسلم في دار الحرب وهو مستقر مع
قوم كفار فقتله من لم يعلم باسلامه فلا دية عليه وعليه الكفارة وقيل المراد منه
اذا كان المقتول مسلما في دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار واهله الذين يرثونه
في دار الحرب وهم حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان الحارث بن زيد من
قوم كفار حرب للمسلمين فكان فيه الكفارة تحرير رقبة دون الدية لانه لم يكن بين قومه
وبين المسلمين عهد وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق اي عهد فدية مسلمة الى اهله وتحرير
رقبة مؤمنة يعني انه اذا كان المقتول كافرا معاهدا او ذميا فيجب فيه الدية والكفارة فمن لم يجد
يعني الرقبة فصيام شهرين متتابعين اي فعليه صيام شهرين متتابعين بدلا عن الرقبة
توبة من الله يعني جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطأ وكان الله عليما يعني بمن قتل خطأ حكيما

يعني

يعني فيما حكم به عليه من الدية والكفارة

فصل

في احكام تتعلق بالآية وفيه مسائل
المسألة الاولى في بيان صفة القتل قال الشافعي القتل على ثلاثة اقسام عمد وشبه عمد
وخطأ اما العمد المحض فهو ان يقصد قتل انسان بما يقتل به غالبا فقتل به ففيه القصاص
عند وجود التكافؤ او دية حالة مغلظة في مال القاتل واما شبه العمد فهو ان يقصد
ضرب انسان بما لا يقتل مثله غالبا مثل ان يضربه بعصا خفيفة او رماه بحجر صغير
فمات فلا قصاص عليه ويجب عليه دية مغلظة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين
واما الخطأ المحض فهو ان لا يقصد قتله بل يقصد شيئا آخر فاصابه فلا قصاص عليه بل تجب
فيه دية مخففة على عاقلته مؤجلة الى ثلاث سنين ومن صور قتل الخطأ ايضا ان يتعمد
رمي مشرك او كافر فيصيب مسلما او يقصد قتل انسان يظنه مشركا بان كان عليه
لباس المشركين او شعارهم فالصورة الاولى خطأ في الفعل والثانية خطأ في القصد
المسألة الثانية في حكم الديات ودية الحر المسلم مائة من الابل فاذا عدمت الابل
فيجب قيمتها من الدراهم والدنانير في قول وفي قول يجب بدل مقدر وهو الف دينار
او اثنا عشر الف درهم ويدل على ذلك ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال
كانت الدية على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانمائة دينار او ثمانية آلاف درهم
قال وكانت دية اهل الكتاب يومئذ على النصف من دية المسلم فكانت كذلك
حتى استخلف عمر فقام خطيبا فقال ان الابل قد غلت ففرضها عمر على اهل الذهب
الف دينار وعلى اهل الورق اثني عشر الف درهم وعلى اهل البقر مائتي بقرة وعلى
اهل الشاء الفي شاة وعلى اهل الحلل مائتي حلة قال وترك دية اهل الكتاب
فلم يرفعها فيما رفع من الدية اخرجه ابو داود وقد ذهب قوم الى ان الواجب في
الدية مائة من الابل او الف دينار او اثنا عشر الف درهم وهو قول عروة بن الزبير
والحسن البصري وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم الى انها مائة من الابل او الف دينار
او عشرة آلاف درهم وهو قول سفيان الثوري واصحاب الرأي ودية المرأة نصف دية
الذكر الحر ودية اهل الذمة والعهد ثلث دية المسلم ان كان كتابيا وان كان
مجوسيا فخمس الثلث ثمانمائة درهم وهو قول سعيد بن المسيب واليه ذهب الشافعي
وذهب قوم الى ان دية الذمي والمعاهد مثل دية المسلم روي ذلك عن ابن مسعود وهو
قول سفيان الثوري واصحاب الرأي وقال قوم دية الذمي نصف دية المسلم وهو قول
عمر بن عبد العزيز وبه قال مالك واحمد والاصل في ذلك ما روى عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دية المعاهد نصف دية الحر
اخرجه ابو داود وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عقل اهل الذمة نصف عقل
المسلمين وهم اليهود والنصارى اخرجه النسائي فمن ذهب الى ان دية اهل الذمة ثلث
دية المسلم اجاب عن هذا الحديث بان الاصل في ذلك كان النصف ثم رفعت زمن
عمر دية المسلم ولم ترفع دية الذمي فبقيت على اصلها وهو قدر الثلث من دية المسلم والدية
وقتل العمد وشبه العمد مغلظة فيجب ثلاثون حقة وثلاثون جذعة واربعون خلفة
في بطونها اولادها وهذا قول عمر وزيد بن ثابت رضي الله عنهما واليه ذهب الشافعي
لما روي عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل متعمدا
دفع الى اولياء المقتول فان شاؤا قتلوا وان شاؤا اخذوا الدية وهي ثلاثون حقة وثلاثون
جذعة واربعون خلفة وما صولحوا عليه فهو لهم وذلك لتشديد العقل اخرجه

الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عقبة بن اوس عن رجل من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم قال خطب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فقال الا ان قتيل العمد بالسوط
والعصا والحجارة مائة من الابل اربعون ثنية الى بازل عامها كلهن خلفة وفي رواية
اخرى الا ان كل قتيل خطأ العمد او شبه العمد قتيل السوط والعصا مائة من الابل منها
اربعون في بطونها اولادها اخرجه النسائي **وذهب قوم** الى ان الدية المغلظة
ارباع خمس وعشرون بنت مخاض وخمس وعشرون بنت لبون وخمس وعشرون
حقة وخمس وعشرون جذعة وهذا قول الزهري وربيعة واليه ذهب مالك واحمد
واصحاب الراي واما دية الخطأ فمخففة وهي اخماس بالاتفاق غير انهم اختلفوا
في تقسيمها فذهب قوم الى انها عشرون بنت مخاض وعشرون بنت لبون وعشرون
ابن لبون وعشرون حقة وعشرون جذعة وهذا قول عمر بن عبد العزيز وسليمان بن
يسار والزهري وربيعة وبه قال مالك والشافعي وابدل قوم بني اللبون بنات مخاض
يروى ذلك عن ابن مسعود وبه قال احمد واصحاب الراي والدية في قتل الخطأ وشبه
العمد على العاقلة وهم العصبات من الذكور ولا يجب على الجاني منها شي لان النبي
صلى الله عليه وسلم اوجبها على العاقلة ودية الاعضاء والاطراف حكمها مبين في
كتب الفقه ودية اعضاء المراة على النصف من دية اعضاء الرجل والله اعلم

المسالة الثالثة في حكم الكفارة والكفارة اعتاق رقبة مومنة تجب في مال
القاتل سواء كان المقتول مسلما او معاهدا رجلا كان او امراة حرا كان او
عبدا فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فالقاتل ان كان واجدا
للرقبة او قادرا على تحصيلها بوجود الثمن فاضلا عن نفقته ونفقة عياله وحاجته
من مسكن ونحوه فعليه الاعتاق ولا يجوز له ان ينتقل الى الصوم فان عجز عن الرقبة
او عن تحصيل ثمنها فعليه صوم شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا في خلال
الشهرين او نسي النية او نوى صوما اخر وجب عليه الاستيناف وان افطر يوما
بعذر مرض او سفر هل ينقطع التتابع اختلف العلماء فيه فمنهم من قال ينقطع
التتابع وعليه الاستيناف للشهرين وهو قول النخعي واظهر قولي الشافعي لانه افطر
مختارا ومنهم من قال لا ينقطع التتابع وعليه ان يبني وهو قول سعيد بن المسيب
والحسن والشعبي ولو حاضت المراة في خلال الشهرين افطرت ايام الحيض ولا ينقطع
التتابع فاذا طهرت بنت لانه امر كتبه الله على النساء ولا يمكن الاحتراز عنه فان عجز
عن الصوم فهل ينتقل عنه الى الاطعام فيطعم ستين مسكينا فيه قولان احدهما
انه ينتقل الى الاطعام كما في كفارة الظهار والثاني لا ينتقل لانه لم يذكر له
بدلا فقال فصيام شهرين متتابعين توبة من الله فنص على الصوم وجعل ذلك
عقوبة لقاتل الخطأ والله اعلم **قوله عز وجل** ومن يقتل مومنا
متعمدا نزلت في مقيس بن صبابة الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد
اخاه هشاما قتيلا في بني النجار فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له
فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني فهر الى بني النجار ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يامركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابة ان تدفعوه الى اخيه مقيس
فيقتص منه وان لم تعلموه ان تدفعوا اليه ديته فابلغهم الفهري ذلك فقالوا
سمعا وطاعة لله ولرسوله ما نعلم له قاتلا ولكنا نودي اليه ديته فاعطوه مائة من

الابل فانصرفا راجعين نحو المدينة فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال اي شي صنعت تقبل
دية اخيك فتكون عليك سبة اقتل الفهري الذي معك فتكون نفس مكان نفس
وفضل الدية فتغفل الفهري الذي معه فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا منها
وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا وقال

قتلت به فهرا وحملت عقله ... سراة بني النجار ارباب فارع
وادركت ثاري واضطجعت موسدا ... وكنت الى الاصنام اول راجع

فنزلت فيه ومن يقتل مومنا متعمدا يعني قاصدا لقتله فجزاوه جهنم خالدا فيها
يعني بكفره وارتداده وهو الذي استثناه النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة عمن
امنه من اهلها فقتل وهو متعلق باستار الكعبة وغضب الله عليه يعني لاجل
كفره وقتله المومن متعمدا ولعنه يعني وطرده عن رحمته واعد له عذابا عظيما

اختلف العلما في حكم هذه الاية هل هي منسوخة ام لا وهل لمن قتل
مومنا متعمدا توبة ام لا فروي عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس المن قتل
مومنا متعمدا من توبة قال لا فتلوت عليه الاية التي في الفرقان والذين لا يدعون
مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق الى اخر الاية قال هذه اية مكية
نسختها اية مدنية ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم **وفي رواية** قال اختلف اهل الكوفة
في قتل المومن فرحلت الى ابن عباس فقال نزلت في اخر ما نزل ولم ينسخها شي وفي رواية
اخرى قال ابن عباس نزلت هذه الاية بالمدينة والذين لا يدعون مع الله الها اخر
الى قوله مهانا فقال المشركون وما يغني عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد
قتلنا النفس التي حرم الله واتينا الفواحش فانزل الله الا من تاب وامن وعمل عملا
صالحا الى اخر الاية زاد في رواية واما من دخل في الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له اخرجاه
في الصحيحين **وروي** عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه ناظر ابن عباس في هذه
الاية فقال من اين لك انها محكمة فقال ابن عباس تكاثف الوعيد فيها وقال ابن مسعود
انها محكمة وما تزداد الا شدة وعن خارجة بن زيد قال سمعت زيد بن ثابت يقول
انزلت هذه الاية ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم خالدا فيها بعد التي في الفرقان
والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق بستة
اشهر اخرجه ابو داود والنسائي وزاد النسائي في رواية له بثمانية اشهر قال
زيد بن ثابت لما نزلت الاية التي في الفرقان والذين لا يدعون مع الله الها اخر
عجبنا من لينها فلبثنا سبعة اشهر ثم نزلت الغليظة بعد اللينة فنسخت اللينة واراد
بالغليظة هذه الاية التي في سورة النساء وباللينة اية الفرقان وذهب الاكثرون
من علماء السلف والخلف الى ان هذه الاية منسوخة واختلفوا في ناسخها فقال بعضهم
نسختها التي في الفرقان وليس هذا القول بالقوي لان اية الفرقان نزلت قبل اية النساء
والمتقدم لا ينسخ المتاخر وذهب الجمهور ممن قال بالنسخ الى ان ناسخها الاية التي في
النساء ايضا وهي قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
واجاب من ذهب الى انها منسوخة عن حديث ابن عباس المتقدم المخرج في الصحيح
بان هذه الاية خبر عن وقوع العذاب بمن فعل ذلك الامر المذكور في الاية والنسخ لا يدخل
الاخبار ولين سلمنا انه يدخلها النسخ لكن الجمع بين الايتين ممكن بحيث لا يبقى بينهما تعارض
وذلك بان يحمل مطلق اية النساء على تقييد اية الفرقان فيكون المعنى فجزاوه جهنم الا من تاب

وقال بعضهم ما ورد عن ابن عباس إنما هو على سبيل التشديد والمبالغة في الزجر
عن القتل فهو كما روي عن سفيان بن عيينة أنه قال إن لم يقتل يقال له لا توبة لك
وإن قتل ثم ندم ثم جاء تائبا يقال له لك توبة وقيل إنه قد روي عن ابن عباس مثل
ما روي عنه أيضا أن توبته تقبل وهو قول أهل السنة ويدل عليه الكتاب والسنة أما
الكتاب فقوله تعالى وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله إن الله
يغفر الذنوب جميعا وأما السنة فلما روي عن جابر بن عبد الله قال جاء أعرابي إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال من مات لا يشرك بالله شيئا
دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار أخرجه مسلم (ق) عن عبادة بن الصامت
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس فقال بايعوني على أن لا تشركوا
بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق وفي رواية
ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا
تعصوني في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فستره
الله عليه فأمره إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه فبايعناه على ذلك

فصل وقد تعلقت المعتزلة والوعيدية بهذه الآية لصحة مذهبهم على أن
الفاسق يخلد في النار وأجاب علماء السنة بأن الآية نازلة في كافر قتل مسلما
وهو مقيس بن صبابة فتكون الآية على هذا مخصوصة وقيل الوعيد لمن قتل مسلما
مستحلا لقتله ومن استحل قتل مؤمن كان كافرا وهو مخلد في النار بسبب
كفره وعن أبي مجلز في قوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم قال هي جزاؤه
فإن شاء الله أن يتجاوز عن جزائه فعل أخرجه أبو داود وقيل إن الخلود لا يقتضي التأبيد
بل معناه دوام الحالة التي هو عليها ويدل عليه قول العرب للأيام خوالد وذلك الخلود
لكنها لا تدوم بقاؤها وإذا ذكر الخلود في حق الكفار قرنه بذكر التأبيد كقوله
خالدين فيها أبدا فإذا قرن الخلود بهذه اللفظة علم أن المراد منها الدوام الذي
لا ينقطع وإذا ثبت هذا كان معنى الخلود المذكور في الآية أنه تعالى يخلد قاتل
المؤمن عمدا في النار الحين ثم إنه يخرجه منها بفضل رحمته وكرمه فإنه قد ثبت
في أحاديث الشفاعة الصحيحة إخراج جميع الموحدين من النار وقيل إن قاتل
المؤمن عمدا عدوانا إذا تاب قبلت توبته بدليل قوله تعالى قل للذين كفروا إن
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فإذا كانت التوبة من الكفر مقبولة فلأن تقبل من القاتل
أولى والله أعلم قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا
الآية قال ابن عباس نزلت في رجل من بني مرة بن عوف يقال له مرداس بن نهيك
وكان من أهل فدك لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
تريدهم وكان على السرية رجل يقال له غالب بن فضالة الليثي فهربوا منه وأقام
ذلك الرجل المسلم فلما رأى الخيل خاف أن لا يكونوا مسلمين فألجأ غنمه إلى عاقول
من الجبل وصعد هو الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فعرف أنهم
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لا إله إلا الله محمد رسول
الله السلام عليكم فتغشاه أسامة بن زيد بسيفه فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه الخبر فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك
وجدا شديدا وقد كان سبقهم الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أقتلتموه إرادة ما معه

ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسامة بن زيد هذه الآية فقال أسامة يا رسول
الله استغفر لي فقال كيف أنت بلا إله إلا الله تقولها ثلاث مرات قال أسامة فما زال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يكررها حتى وددت أني لم أكن أسلمت إلا يومئذ ثم استغفر
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أعتق رقبة **وروى** أبو ظبيان عن أسامة
قال قلت يا رسول الله إنما قالها خوفا من السلاح فقال أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم
أقالها خوفا أم لا **وفي رواية** عن ابن عباس قال مر رجل من بني سليم على نفر
من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه غنم له فسلم عليهم فقالوا ما سلم
عليكم إلا ليتعوذ منكم فعمدوا إليه فقتلوه وأخذوا غنمه فأتوا بها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأنزل الله عز وجل هذه الآية يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله يعني
إذا سافرتم للجهاد فتبينوا من البيان يقال تبينت الأمر إذا تأملته قبل الإقدام
عليه وقرئ فتثبتوا من التثبت وهو خلاف العجلة والمعنى قفوا وتثبتوا حتى
تعلموا المؤمن من الكافر وتعرفوا حقيقة الأمر الذي تقدموا عليه ولا تقولوا
لمن ألقى إليكم السلام يعني التحية يعني لا تقولوا لمن حياكم بهذه التحية
إنما قالها تعوذا فتقدموا عليه بالسيف لتأخذوا ماله ولكن كفوا عنه واقبلوا
منه ما أظهر لكم وقرئ السلم بفتح السين من غير ألف ومعناه الاستسلام
والانقياد أي استسلم وانقاد لكم وقال لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل السلام
والسلم بمعنى واحد أي لا تقولوا لمن سلم عليكم لست مؤمنا يعني لست من أهل الإيمان
فتقتلوه بذلك قال العلماء إذا رأى الغزاة في بلد أو قرية أو حي من العرب شعائر
الإسلام يجب عليهم أن يكفوا عنهم ولا يغيروا عليهم لما روي عن عصام المزني قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بعث جيشا أو سرية يقول لهم إذا رأيتم مسجدا
أو سمعتم مؤذنا فلا تقتلوا أحدا أخرجه أبو داود والترمذي وقال له أكثر الفقهاء
لو قال اليهودي أو النصراني أنا مؤمن لا يحكم بإيمانه لأنه يدعي أن الذي هو عليه إيمان
ولو قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فعند بعض العلماء لا يحكم بإسلامه حتى يتبرأ من
دينه الذي كان عليه ويعترف أنه دين باطل وذلك لأن بعض اليهود يزعم أن محمدا رسول
إلى العرب خاصة لا أنه رسول إلى الكافة فإذا اعترف أن محمدا رسول الله إلى كافة الخلق
وأن الذي كان عليه من اليهودية والنصرانية باطل صح إسلامه وحكم بصحة دينه قوله
تعالى تبتغون عرض الحياة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام من حطام
الدنيا سريع النفاد والذهاب وعرض الدنيا منافعها ومتاعها فعند الله مغانم
كثيرة أي غنائم كثيرة من رزقه لتغنمكم بها عن قتل من يظهر الإسلام
ويتعوذ به وقيل معناه فعند الله ثواب كثير لمن اتقى قتل المؤمن كذلك كنتم
من قبل يعني كما كان هذا الذي ألقى إليكم السلام فقلتم له لست مؤمنا فقتلتموه كنتم
أنتم من قبل يعني من قبل أن يعزكم الله بدينه كنتم تستخفون أنتم بدينكم كما استخفى هذا
الذي قتلتموه بدينه من قومه حذرا على نفسه منهم وقيل معناه كذلك كنتم تأمنون
في قومكم بهذه الكلمة فلا تخفروا من قالها ولا تقتلوه وقيل معناه كذلك كنتم من
قبل مشركين فمن الله عليكم يعني بالإسلام والهداية فلا تقتلوا من قال
لا إله إلا الله وقيل معناه من عليكم بإعلان الإسلام بعد الإخفاء وقيل من عليكم بالتوبة
فتبينوا أي فلا تعجلوا بقتل مؤمن وهو تأكيد للأمر بالتبيين إن الله كان بما تعملون خبيرا

ايه قلا تتمنوا وتولوا ليتنا القتل وكونوا لجنة زين من ذلك محتاطين فيه قوله عز وجل **لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر** الاية خ عن زيد بن ثابت قال تملي علي رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فجاء ابن ام مكتوم وهو يمليها علي فقال والله يا رسول الله لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان اعمى فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي حتى ثقلت علي حتى خفت ان ترض فخذي ثم سري عنه فانزل الله عز وجل غير اولي الضرر
ق عن البراء بن عازب لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا فجاء بكتف فكتبها وشكى ابن ام مكتوم ضرارته فنزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر وفي رواية اخرى قال لما نزلت لا يستوي القاعدون من المؤمنين قال النبي صلى الله عليه وسلم ادعوا فلانا فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف فقال اكتب لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله وخلف النبي صلى الله عليه وسلم ابن ام مكتوم فقال يا رسول الله انا ضرير فنزلت مكانها لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله هذه الرواية الثانية اخرجها ابن الاثير في كتابه جامع الاصول واضافها الى البخاري ومسلم ولم اجدها في كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي وفي هذه الاية فضل الجهاد في سبيل الله والحث عليه فقوله تعالى لا يستوي القاعدون من المؤمنين يعني لا يستوي المتخلفون عن الجهاد في سبيل الله من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله غير اولي الضرر يعني غير اولي الزمانة والضعف في البدن والبصر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر اقعدهم عن الجهاد م عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة رجالا ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم حبسهم المرض خ عن انس قال رجعنا من غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اقواما خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعبا ولا واديا الا وهم معنا حبسهم العذر خ عن ابن عباس قال لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون الى بدر وقوله تعالى **فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة** يعني فضيلة في الاخرة قال ابن عباس اراد بالقاعدين هنا اولي الضرر فضل الله المجاهدين على اولي الضرر درجة لان المجاهد باشر الجهاد بنفسه وماله مع النية واولوا الضرر كانت لهم نية ولم يباشروا الجهاد فنزلوا عن المجاهدين درجة **وكلا** يعني المجاهدين والقاعدين **وعد الله الحسنى** يعني الجنة باعمالهم **وفضل الله المجاهدين** يعني في سبيل الله على القاعدين يعني الذين لا عذر لهم ولا ضرر **اجرا عظيما** يعني ثوابا جزيلا ثم فسر ذلك الاجر العظيم فقال تعالى **درجات منه** قال قتادة كان يقال للاسلام درجة والهجرة في الاسلام درجة والجهاد في الهجرة درجة والقتل في الجهاد درجة وقال ابن زيد الدرجات هي سبع وهي التي ذكرها الله تعالى في سورة براءة حين قال ذلك بانهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة الى قوله ولا يقطعون واديا الا كتب لهم وقال ابن محيريز الدرجات سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس الجواد المضمر سبعون سنة م عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رضي بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد رسولا وجبت له الجنة فعجب لها ابو سعيد فقال اعدها علي يا رسول الله فاعادها عليه ثم قال واخرى يرفع الله بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء

والارض قال وما هي يا رسول الله قال الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من امن بالله ورسوله واقام الصلاة واتى الزكاة وصام رمضان وحج كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله او جلس في ارضه التي ولد فيها فقالوا افلا نبشر الناس بذلك قال ان في الجنة مائة درجة اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سالتم الله فاسالوه الفردوس الاعلى فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تتفجر انهار الجنة **فان قلت** قد ذكر الله عز وجل في الاية الاولى درجة واحدة وذكر في هذه الاية درجات فما وجه الحكمة في ذلك **قلت** اما الدرجة الاولى فيفضل الله المجاهدين على القاعدين من عذر ضرر ولا عذر فضلوا عليهم بدرجات كثيرة وقيل يحتمل ان تكون الدرجة الاولى درجة المدح والتعظيم والدرجات درجات الجنة ومنازلها كما في الحديث والله اعلم **قوله تعالى ومغفرة** يعني لذنوبهم ستيرة لها وصفحا عنها **ورحمة** يعني رافة بهم **وكان الله غفورا** يعني لذنوب عباده المؤمنين **رحيما** يعني بهم يتفضل عليهم بمغفرته ورحمته عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال ايما عبد من عبادي خرج مجاهدا في سبيل الله ابتغاء مرضاتي ضمنت له ان ارجعه ان رجعته بما اصاب من اجر او غنيمة وان قبضته غفرت له ورحمته اخرجه النسائي **فصل** اعلم ان الجهاد ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين ان يدخل العدو دار قوم من المؤمنين وبلادهم فيجب على كل مكلف من الرجال ممن لا عذر له ولا ضرر به من تلك البلدة الخروج الى العدو دفعا عن انفسهم وعن اهليهم وجيرانهم وسواء في ذلك الحر والعبد والغني والفقير فيجب على الكافة وهو في حق من بعد عنهم من المسلمين فرض كفاية فان لم تقع الكفاية بمن نزل بهم العدو يجب مساعدتهم على من قرب منهم من المسلمين وبعد عنهم وان وقعت الكفاية بالنازلين بهم فلا فرض على الابعدين الا على طريق الاختيار ولا يدخل في هذا الفرض اعني فرض الكفاية الفقراء والعبيد فاذا كان الكفار قارين في بلادهم فعلى الامام ان لا يخلي كل سنة من غزاة يغزو هو فيها اما بنفسه او بسراياه حتى لا يبطل الجهاد وللاختيار لمطيق الجهاد مع وقوع الكفاية بغيره ان لا يقعد عنه ولكن لا يفترض عليه لان الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب بقوله وكلا وعد الله الحسنى ولو كان فرضا على الكفاية لاستحق القاعد والمتخلف عن الجهاد العقاب لا الثواب والله اعلم قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم الاية نزلت في اناس تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا منهم قيس بن الفاكه بن المغيرة وقيس بن الوليد بن المغيرة واشباههما فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار فانزل الله هذه الاية ان الذين توفاهم الملائكة يعني ملك الموت واعوانه وهم ستة ثلاثة منهم يلون قبض ارواح المؤمنين وثلاثة يلون قبض ارواح الكفار وقيل اراد به ملك الموت وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم كما يخاطب الواحد بلفظ الجمع والتوفي هنا قولان احدهما انه قبض ارواحهم والثاني حشرهم الى النار فعلى القول الثاني يكون المراد بالملائكة الزبانية الذين يلون تعذيب الكفار ظالمي انفسهم يعني بالشرك وقيل بالمقام في دار الشرك وذلك لان الله

لم يقبل الاسلام من احد بعد الهجرة الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى يهاجر اليه ثم نسخ
ذلك بعد فتح مكة بقوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية
اخرجاه في الصحيحين وقيل ظالمي انفسهم بخروجهم مع المشركين يوم بدر وتكثير
سوادهم حتى قتلوا معهم فضربت الملائكة وجوههم وادبارهم قالوا فيم كنتم
سؤال توبيخ وتقريع يعني قالت الملائكة لهؤلاء الذين قتلوا في اي الفريقين كنتم في
فريق المسلمين ام في فريق المشركين فاعتذروا بالضعف عن مقاومة المشركين وهو قوله
تعالى اخبارا عنهم قالوا كنا مستضعفين في الارض يعني عاجزين في الارض يعني ارض مكة
قالوا يعني قال لهم الملائكة الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها يعني الى المدينة
وتخرجوا من بين اظهر المشركين فاكذبهم الله في قولهم كنا مستضعفين واعلمنا
بكذبهم فاولئك يعني من هذه صفتهم مأواهم جهنم يعني منزلهم جهنم وساءت مصيرا
يعني بئس المصير مصيرهم الى جهنم ثم استثنى اهل العذر ومن علم ضعفه منهم
فقال تعالى الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة يعني
لا يقدرون على حيلة ولا نفقة ولا قوة لهم على الخروج من مكة ولا يهتدون
سبيلا يعني ولا يعرفون طريقا يسلكونه من مكة الى المدينة فاولئك يعني
المستضعفين واهل الاعذار عسى الله ان يعفو عنهم يعني يتجاوز عنهم بفضله
واحسانه وعسى من الله واجب لانه اطماع وترجي والله تعالى اذا اطمع عبدا وصله اليه
وكان الله عفوا غفورا قال ابن عباس كنت انا وامي ممن عذر الله يعني من المستضعفين
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو لهؤلاء المستضعفين في الصلاة
(ق) عن ابي هريرة قال لما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من الركعة الثانية
قال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة والمستضعفين
بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف
قوله عز وجل ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة قال
الزجاج يعني مراغما مهاجرا يعني يجد في الارض مهاجرا لان المهاجر لقومه
والمراغم لهم بمنزلة واحدة وان اختلف اللفظان وهو ماخوذ من الرغام وهو
التراب يقال رغم انفه اذا الصق بالتراب وذلك لان الانف عضو شريف
والتراب ذليل حقير فجعلوا قولهم رغم انفه كناية عن حصول الذل وبعد
راغمت فلانا يعني هجرته وعاديته ولم ابال ان رغم انفه ويقوي ذلك قول بعض
اهل اللغة هو الخروج عن بلاد العدو برغم انفه وقيل معناه ان الرجل
اذا هاجر عن قومه خرج مراغما لهم اي مغاضبا لهم ومقاطعا وقال الفراء
المراغم المضطرب والمذهب في الارض وانشد الزجاج في المعنى •
• الى بلد غير داني المحل • بعيد المراغم والمضطرب •
فعلى هذا يكون معنى الاية يجد مذهبا يذهب اليه اذا رأى ما يكرهه هذا
قول اهل اللغة في معنى المراغمة وقال ابن عباس يجد متحولا يتحول اليه من ارض
الى ارض وقال مجاهد يجد متزحزحا عما يكره وقيل يجد متقلبا يتقلب اليه
وقيل المراغمة والمهاجرة واحد يقال راغمت قومي اي هاجرتهم وسميت المهاجرة
مراغمة لانه يهاجر قومه مراغما لهم وقوله وسعة يعني في الرزق وقيل يجد سعة من
الضلالة الى الهدى وقيل يجد سعة في الارض التي يهاجر اليها قال ابن عباس لما

نزلت

نزلت الاية التي قبل هذه سمعها رجل من بني ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع بن
ضمرة فقال والله ما انا ممن استثنى الله عز وجل واني لاجد حيلة ولي من المال
ما يبلغني الى المدينة وابعد منها والله لا ابيت الليلة بمكة اخرجوني فخرجوا به
يحملونه على سرير حتى اتوا به التنعيم فادركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال
اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك رسولك ثم مات فبلغ
خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم واوفى اجرا
وضحك المشركون وقالوا ما ادرك ما طلب فانزل الله عز وجل ومن يخرج من بيته مهاجرا
الى الله ورسوله ثم يدركه الموت يعني قبل ان يصل الى مهاجره فقد وقع اجره على الله
يعني فقد وجب اجره بهجرته على الله بايجابه على نفسه بحكم الوعد والتفضل والكرم
لا بحكم الاستحقاق والتحتم قال بعض العلماء ويدخل في حكم الاية من قصد فعل طاعة
من الطاعات ثم عجز عن اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا وقال بعضهم
انما يكتب له اجر ذلك القدر الذي عمله واتى به اما تمام الاجر فلا والقول الاول اصح
لان الاية انما نزلت في معرض الترغيب في الهجرة وان من قصدها ولم يبلغها بل
مات دونها فقد حصل له ثواب الهجرة كاملا وكذلك كل من قصد فعل
طاعة ولم يقدر على اتمامها كتب له ثوابها كاملا وكان الله غفورا رحيما يعني
يغفر له ما كان منه من القعود قبل الهجرة الى ان خرج مهاجرا قوله عز وجل
واذا ضربتم في الارض يعني اذا سافرتم فيها فليس عليكم جناح اي حرج واثم ان تقصروا
من الصلاة يعني من اربع ركعات الى ركعتين وذلك في صلاة الظهر والعصر
والعشاء واصل القصر في اللغة التضييق وقيل هو ضم الشيء الى اصله وفسر ابن
الجوزي القصر بالنقص ولم ار لاحد من اهل التفسير واللغة وقيل معنى
قصر الصلاة جعلها قصيرة بترك بعض ركعاتها او بعض اركانها تخفيفا
ولهذا السبب ذكروا في تفسير قصر الصلوة المذكور في الاية قولين احدهما
انه في عدد الركعات وهو رد الصلاة الرباعية الى ركعتين والقول الثاني ان
المراد من القصر ادخال التخفيف في ادائها بان يكتفي بالايماء والاشارة
من الركوع والسجود والقول الاول اصح ويدل عليه لفظة من في قوله ان تقصروا من
الصلاة ولفظة من هنا للتبعيض وذلك يوجب جواز الاقتصار على بعض الصلوة
فثبت بهذا ان معنى القصر باسقاط بعض ركعات الصلاة وقوله ان خفتم ان يفتنكم
يعني يغتالكم ويقتلكم في الصلاة الذين كفروا وظاهر هذا يدل على ان
جواز القصر مخصوص بحال الخوف واستدل على صحة ذلك بقوله تعالى ان خفتم ان
يفتنكم الذين كفروا لان عدم الشرط يقتضي عدم المشروط فعلى هذا لا يجوز
القصر عند الامن واجيب عن هذا الشرط بخبر الاحاد لانه يقتضي نسخ القران
بخبر الواحد وذهب جمهور اهل العلم الى ان القصر في حال الامن في السفر جائز ويدل
عليه ما روي عن يعلى بن امية قال قلت لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلاة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقد امن الناس فقال عجبت مما عجبت
منه فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم
فاقبلوا صدقته اخرجه مسلم وعن عبد الله بن خالد بن اسيد انه قال لابن عمر كيف
تقصروا الصلوة وانما قال الله عز وجل ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ان

خفتم

خفتم أن يفتنكم الذين كفروا فقد أمن الناس فقال عجبت مما عجبت منه فسألت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته
أخرجه مسلم **وعن عبد الله** بن خالد بن أسيد أنه قال لابن عمر كيف تقصر
الصلاة وإنما قال الله عز وجل ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم
أن يفتنكم الذين كفروا فقال ابن عمر يا ابن أخي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أتانا ونحن ضلال فعلمنا فكان فيما علمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا أن
نصلي ركعتين في السفر أخرجه النسائي وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرج من المدينة إلى مكة لا يخاف إلا رب العالمين فصلى ركعتين أخرجه
الترمذي والنسائي وأجاب الجمهور عن قوله تعالى إن خفتم أن كلمة إن تفيد حصول
الشرط ولا يلزم أن عند عدم الشرط يلزم عدم المشروط فقوله تعالى إن خفتم
يقتضي أن عند عدم الخوف لا تحصل رخصة القصر وإذا كان كذلك كانت
الآية ساكتة عن حال الأمن فإثبات الرخصة حال الأمن بخبر الواحد يكون إثباتا
لحكم سكت عنه القرآن وذلك غير ممتنع إنما الممتنع إثبات الحكم بخبر الواحد على خلاف
ما دل عليه القرآن **فإن قلت** إذا كان هذا الحكم ثابتا في حال الأمن والخوف
فما فائدة تقييده بحال الخوف **قلت** إنما نزلت الآية على غالب أسفار النبي صلى الله
عليه وسلم وأكثرها لم يخل عن خوف العدو فذكر الله عز وجل هذا الشرط من حيث
إنه هو الأغلب في الوقوع وقوله تعالى إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا أي ظاهروا
العداوة فلعلهم بعد الرخصة لكم في قصر الصلوة [illegible] إلى قتالكم واغتيالكم
سبيلهم وإنما قال عدوا ولم يقل أعداء لأنه يستوي فيه الواحد والجمع

فصل

في أحكام تتعلق بالآية وفيه مسائل المسألة الأولى في حكم القصر قصر الصلاة
في حال السفر جائز بإجماع الأمة وإنما اختلفوا في جواز الإتمام في حال السفر
فذهب أكثر العلماء إلى أن القصر واجب في السفر وهو قول عمر وعلي وابن
عمر وجابر وابن عباس وبه قال الحسن وعمر بن عبد العزيز وقتادة وهو قول
مالك وأبي حنيفة ويدل على ذلك ما روي عن عائشة قالت فرض الله الصلاة حين
فرضها ركعتين ثم أتمها في الحضر وأقرت صلاة السفر على الفريضة الأولى وفي
رواية أخرى قالت فرضت الصلاة حين فرضت ركعتين ركعتين في الحضر والسفر
فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر أخرجاه في الصحيحين وذهب
قوم إلى جواز الإتمام في السفر لكن القصر أفضل يروى ذلك عن عثمان وسعد
ابن أبي وقاص وإليه ذهب الشافعي وأحمد وهي رواية عن مالك أيضا ويدل
على ذلك ما روى البغوي بسنده الثعلبي عن عائشة قالت كل ذلك فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم قصر وأتم وعن عائشة أنها اعتمرت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم من المدينة إلى مكة حتى إذا قدمت مكة قالت يا رسول
الله بأبي أنت وأمي قصرت وأتممت وأفطرت وصمت فقال أحسنت يا عائشة
وما عاب علي أخرجه النسائي وظاهر القرآن يدل على ذلك لأن الله تعالى قال
فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ولفظ لا جناح إنما يستعمل في الرخصة
لا فيما يكون حتما وأجيب عن حديث عائشة فرض الله الصلاة ركعتين بأن
معناه فرضت ركعتين أولا وزيد في صلاة الحضر ركعتان على سبيل التحتم وأقرت

صلاة السفر على جواز الاقتصار عليها وثبت جواز الإتمام بدليل آخر فوجب المصير إليه ليمكن
الجمع بين الأحاديث ودلائل الشرع **المسألة الثانية** اختلفوا في صلاة المسافر إذا صلى ركعتين
ركعتين هل هي مقصورة أم غير مقصورة فذهب قوم إلى أنها غير مقصورة وإنما فرض صلاة
المسافر ركعتان تمام غير قصر روي ذلك عن ابن عمر وجابر بن عبد الله وإليه ذهب سعيد بن جبير
والسدي وأبو حنيفة فعلى هذا يكون معنى القصر المذكور في الآية هو تخفيف ركوعها وسجودها
وقد تقدم الجواب عنه وذهب قوم إلى أنها مقصورة وليست بأصل وهو قول مجاهد وطاوس
وإليه ذهب الشافعي وأحمد **المسألة الثالثة** مذهب الشافعي ومالك والجمهور أنه يجوز القصر
في كل سفر مباح وشرط بعضهم كونه سفر حج أو عمرة أو جهاد أو سفر طاعة ولا يجوز القصر في سفر المعصية
وقال أبو حنيفة والثوري يجوز ذلك **المسألة الرابعة** اختلف العلماء في مسافة القصر فقال
داود وأهل الظاهر يجوز القصر في قصير السفر وطويله وروي ذلك عن أنس أيضا وقال عمرو بن
دينار قال لي جابر بن زيد اقصر بعرفة وأما عامة أهل العلم فإنهم لا يجوزون القصر في السفر
القصير واختلفوا في حد الطويل الذي يجوز فيه القصر فقال الأوزاعي مسيرة يوم وكان ابن عمر
وابن عباس يقصران ويفطران في مسيرة أربعة برد وهي ستة عشر فرسخا وإليه ذهب مالك وأحمد
وإسحاق وقول الحسن والزهري قريب من ذلك فإنهما قالا مسيرة يومين وإليه ذهب الشافعي فقال
مسيرة ليلتين قاصدتين ستة عشر فرسخا كل فرسخ ثلاثة أميال فيكون ثمانية وأربعين ميلا
بالهاشمي والميل ستة آلاف ذراع والذراع أربع وعشرون إصبعا معترضة معتدلة والإصبع
ست شعيرات معترضات معتدلات وقال الثوري وأبو حنيفة وأهل الكوفة لا يقصر في أقل
من ثلاثة أيام

فصل

وقيل في قوله تعالى إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا كلام متصل
بما بعده منفصل عما قبله تقديره وإن خفتم روي عن أبي أيوب الأنصاري أنه قال نزل قوله
تعالى فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة هذا القدر ثم بعد حول سألوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن صلاة الخوف فنزل إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين
كانوا لكم عدوا مبينا وإذا كنت فيهم الآية ومثله في القرآن كثير يجيء الخبر بتمامه ثم ينسق
عليه خبر آخر وهو في الظاهر كالمتصل به وهو منفصل عنه قوله عز وجل وإذا كنت فيهم فأقمت
لهم الصلاة الآية روى ابن عباس وجابر أن المشركين لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه قاموا إلى الظهر يصلون جميعا ندموا ألا كانوا أكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم
فإن لهم بعدها صلاة هي أحب إليهم من آبائهم وأمهاتهم يعني صلاة العصر فإذا قاموا إليها
فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبريل فقال يا محمد إنها صلاة الخوف وإن الله عز وجل يقول
وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فعلمه صلاة الخوف وروي عن أبي عياش الزرقي في سبب نزول
هذه الآية قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعسفان وعلى المشركين خالد بن الوليد
فصلينا الظهر فقال المشركون لقد أصبنا غرة وفي رواية غفلة لو حملنا عليهم وهم في
الصلاة فنزلت آية القصر بين الظهر والعصر قوله تعالى وإذا كنت فيهم هذا خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وإذا كنت فيهم يا محمد في أصحابك وشهدت معهم القتال فأقمت
لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك يعني إذا حل وقت الصلاة فأقمتها لأصحابك فاجعلهم
فرقتين فلتقف فرقة منهم معك فتصلي بهم وليأخذوا أسلحتهم اختلفوا في الذين
أمرهم الله بأخذ السلاح فقيل هم الذين قاموا معه إلى الصلاة فإنهم يأخذون أسلحتهم
في الصلاة فعلى هذا القول إنما يأخذ ما لا يشغلهم عن الصلاة ولا يؤذي
به من إلى جنبه كالسيف والخنجر وذلك لأنه أقرب إلى الاحتياط وأمنع للعدو من الإقدام عليهم

فاذا كان السلاح يشغل بحركته وثقله عن الصلاة كالترس الكبير او يؤذي من الى جنبه كالرمح فلا
يأخذه وقيل اراد بهم الطائفة الذين بقوا في وجه العدو فانهم يأخذون اسلحتهم للحراسة
وقيل يحتمل انه يكون امر للفريقين بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى الاحتياط فاذا سجدوا فليكونوا
من ورائكم يعني صلوا الذين معك وفرغوا من الصلاة فليكونوا من ورائكم يعني فلينصرفوا
الى مكان الذين هم في وجه العدو للحراسة ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك
يعني ولتأت الطائفة التي كانت في وجه العدو فليصلوا معك يعني يصلوا معك الركعة
الثانية التي بقيت عليك ويتموا بقية صلاتهم وليأخذوا حذرهم واسلحتهم يعني انه تعالى
جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي في دفع العدو فلذلك جعله
ما خوذا مع السلاح **فان قلت** لم ذكر في اول الآية الاسلحة فقط وذكر هنا الحذر
والاسلحة **قلت** لان العدو قلما يتنبه للمسلمين في اول الصلوة بل يظنون كونهم قائمين
في المحاربة والمقاتلة فاذا قاموا الى الركعة الثانية ظهر للكفار ان المسلمين في الصلاة
فحينئذ ينتهزون الفرصة في الاقدام على المسلمين فلا جرم ان الله تعالى امرهم في هذا
الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع اخذ الاسلحة ود الذين كفروا يعني تمنى الكفار
لو تغفلون يعني لو وجدوكم غافلين عن اسلحتكم وامتعتكم يعني حوائجكم التي بها
بلاغكم في اسفاركم فتسهون عنها فيميلون عليكم ميلة واحدة يعني فيقصدونكم
ويحملون عليكم حملة واحدة وانتم مشتغلون بصلاتكم عن اسلحتكم وامتعتكم فيصيبون
منكم غرة فيقتلونكم **فصل** في احكام تتعلق بالآية وصفة صلاة الخوف وفيه
مسائل المسئلة الاولى قال ابو يوسف والحسن بن زياد من اصحاب ابي حنيفة صلاة الخوف
كانت خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لغيره بعده فعلها وقال المزني من
اصحاب الشافعي كانت ثابتة ثم نسخت واحتج لهذا القول بان الله تعالى خاطب نبيه صلى
الله عليه وسلم بها فقال تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة وظاهر هذا يدل على
ان اقامة الصلوة مشروطة بكون النبي صلى الله عليه وسلم فيهم فدل على تخصيصه بها ولان كلمة
اذا تفيد الشرط وذهب جمهور الفقهاء الى ان هذا الحكم لما ثبت في حق النبي صلى الله عليه
وسلم بحكم هذه الآية وجب ان يثبت في حق غيره من امته لقوله تعالى فاتبعوه ولقوله
صلى الله عليه وسلم صلوا كما رأيتموني اصلي ولان ذلك اجماع الصحابة على فعلها وقد
روي عن علي بن ابي طالب انه صلى صلاة الخوف باصحابه ليلة الهرير وكذلك ابو موسى
صلى باصحابه صلاة الخوف وكذلك حذيفة بن اليمان صلاها باصحابه بطبرستان وليس
لهم مخالف في الصحابة واجيب عن قوله تعالى واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة بان
هذا وان كان قد خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم فان سائر امته داخلون في هذا الحكم
فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء الا ان يرد النص بتخصيصه صلى الله عليه وسلم
بحكم دون امته كقوله تعالى خالصة لك وتقليبه قوله واذا كنت فيهم خذ من اموالهم صدقة
فاذا كان هو المخاطب بها وقد ثبت حكم اخذ الزكاة لمن بعده من الائمة كان كذلك
قوله واذا كنت فيهم واجيب عن لفظة اذا بان مقتضاه الثبوت عند الثبوت واما العدم
عند العدم فغير مسلم المسئلة الثانية قال الخطابي صلاة الخوف انواع صلاها النبي
صلى الله عليه وسلم في ايام مختلفة واشكال متباينة يتحرى في ذلك كله ما هو احوط
للصلاة وابلغ في الحراسة فهي مع اختلاف صورها متفقة المعنى فمن انواع صلاة
الخوف ما اذا كان العدو في غير جهة القبلة فرق الامام اصحابه فرقتين فتقف طائفة

وجاه

وجاه العدو وتحرس ويصلي بالطائفة الاخرى ركعة فاذا قام الى الثانية ثبت قائما واتموا لانفسهم الصلاة
ثم يسلم بهم ويدل على ذلك ما روي عن يزيد بن رومان عن صالح بن خوات عمن صلى
مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم ذات الرقاع صلاة الخوف ان طائفة صفت معه وطائفة وجاه
العدو فصلى بالتي معه ركعة ثم ثبت قائما واتموا لانفسهم ثم انصرفوا وجاه العدو وجاءت
الطائفة الاخرى فصلى بهم الركعة التي بقيت من صلاته ثم ثبت جالسا فاتموا لانفسهم ثم سلم
بهم اخرجاه في الصحيحين الذي صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم هو سهل بن ابي حثمة وقد
اخرجاه من رواية اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى باصحابه وذكر نحوه وهذا هو
مختار الشافعي لانه اشد موافقة لظاهر القرآن لان قوله ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا
فليصلوا معك وهذا يدل على ان الطائفة الاولى قد صلت وقوله فليصلوا معك ظاهره يدل
على ان جميع صلاة الطائفة الثانية حصلت مع الامام وكونه احوط لامر الصلوة من حيث انه
لا يكثر فيها العمل من المجيء والذهاب وكونها احوط لامر الحرب والحراسة من حيث انه اذا لم يكونوا في
الصلوة كان امكن للحراسة وللكر والفر والهرب ان احتاجوا اليه وقد ذهب قوم الى ان الطائفة
تصلي مع الامام ركعة ثم تذهب الى وجه العدو فتحرس وهم في صلاتهم ثم تأتي الطائفة
الثانية فتصلي مع الامام الركعة الثانية ويسلم الامام ولا يسلمون بل يذهبون الى وجه
العدو وترجع الطائفة الاولى الى موضع الامام فتقضي بقية صلاتها ثم تذهب ثم تأتي الطائفة
الثانية الى موضع الامام فتقضي بقية صلاتها يروى عن ابن مسعود وهو مذهب ابي حنيفة
ويدل على ذلك ما روي عن ابن عمر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فاتى
فكبر فصلى خلفه طائفة منا وطائفة مواجهة العدو فركع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ركعة وسجد سجدتين ثم انصرفوا ولم يسلموا واقبلوا على العدو فصفوا مكانهم وجاءت
الطائفة الاخرى فصفوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ركعة وسجد سجدتين
ثم سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تم له ركعتين واربع سجدات ثم قامت الطائفتان
فصلى كل انسان منهم لنفسه ركعة وسجد سجدتين اخرجه النسائي قال ابو بكر البيهقي سمع الزهري
من ابن عمر ولم يسمع هذا منه والذي اخرجاه في الصحيحين عن ابن عمر قال صلى النبي
صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف باحدى الطائفتين ركعة والطائفة الاخرى مواجهة
العدو ثم انصرفوا وقاموا في مقام اصحابهم مقبلين على العدو وجاء اولئك فصلى بهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ركعة ثم قضى هؤلاء ركعة وهؤلاء ركعة **وفي رواية اخرى**
قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف في بعض ايامه فقامت طائفة معه
وطائفة بازاء العدو فصلى بالذين معه ركعة وجاء الآخرون فصلى بهم ركعة وقضت
الطائفتان ركعة ركعة وبهذه الرواية المخرجة في الصحيحين اخذ الاوزاعي
واشهب المالكي وهو جائز عند الشافعي ايضا ثم قيل ان الطائفتين قضوا ركعتهم
الباقية معا وقيل متفرقين وهو الصحيح والفرق بين الروايتين ان الطائفة الاولى
ادركت اول الصلاة وهم في حكم من خلف الامام واما الطائفة الثانية فلم تدرك اول الصلاة
والمسبوق فيما يقضي كالمنفرد في حكم صلاته المسئلة الثالثة فيما اذا كان العدو
في ناحية القبلة وصورة هذه الصلاة ما روي عن جابر بن عبد الله قال شهدت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة الخوف فصففنا صفين خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم والعدو
بيننا وبين القبلة فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وكبرنا جميعا ثم ركع وركعنا جميعا ثم رفع
راسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه وقام الصف المؤخر في نحر العدو

فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم السجود وقام الصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود وقاموا ثم تقدم الصف المؤخر وتأخر الصف المقدم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم وركعنا جميعا ثم رفع رأسه من الركوع ورفعنا جميعا ثم انحدر بالسجود والصف الذي يليه الذي كان مؤخرا في الركعة الأولى فقام الصف المؤخر في نحر العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء بأمرائهم أخرجه مسلم بتمامه وأخرج البخاري طرفا منه وهذه صلاة الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة التي تسمى غزوة ذات الرقاع وبهذا الحديث أخذ الشافعي ومن وافقه فيما إذا كان العدو في جهة القبلة المسألة الرابعة إذا اشتد الحرب والتحم القتال صلوا رجالا أو ركبانا يومئون بالركوع والسجود إلى أي جهة كانت عند العدو مثل الرمح فلهم وعند أبي حنيفة أنهم لا يصلون في هذه الحالة فإذا أمنوا قضوا ما فاتهم من الصلاة وفي صلاة الخوف صور أخرى مذكورة في كتب الفقه وليس هذا موضعها والله أعلم **قوله تعالى** ولا جناح عليكم أي ولا إثم ولا حرج عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم قال ابن عباس رخص لهم في وضع السلاح في حال المطر وحال المرض لأن السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين وخذوا حذركم يعني راقبوا عدوكم ولا تغفلوا عنه أمرهم بالتحفظ والتحرز والاحتياط لئلا يجترئ العدو عليهم قال ابن عباس نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وذلك أنه غزا بني محارب وبني أنمار فنزلوا ولا يرون من العدو أحدا فوضع الناس السلاح فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادي والسماء ترش بالمطر فسال الوادي فحال الوادي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه فجلس تحت الشجرة فبصر به غورث بن الحارث المحاربي فقال قتلني الله إن لم أقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم على رأسه وقد سل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك مني الآن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ثم قال اللهم اكفني غورث بن الحارث بما شئت فأهوى غورث بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكب لوجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر السيف من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ السيف ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن فقال لا أحد فقال أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله قال لا ولكني أشهد أن لا أقاتلك أبدا ولا أعين عليك عدوا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لأنت خير مني قال النبي صلى الله عليه وسلم أجل أنا أحق بذلك منك فرجع غورث إلى أصحابه فقالوا له يا غورث ويلك ما منعك منه فقال والله لقد أهويت له بالسيف لأضربه به فوالله ما أدري من زلخني بين كتفي فخررت لوجهي وذكر لهم حاله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادي فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادي إلى أصحابه وأخبرهم الخبر وقرأ عليهم هذه الآية ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف جريحا أن يضع أسلحتكم وخذوا حذركم يعني من عدوكم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا يعني يهانون فيه قوله عز وجل فإذا قضيتم الصلاة يعني فإذا فرغتم من صلاة الخوف فاذكروا الله يعني بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وأثنوا على الله في جميع أحوالكم قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإن ما أنتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله عز وجل واللجأ

والتضرع إليه ق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه وقيل المراد بالذكر الصلاة يعني فصلوا لله قياما يعني في حال الصحة وقعودا في حال المرض وعلى جنوبكم يعني في حال الزمانة والجراح فإذا اطمأننتم يعني فإذا أمنتم وسكنت قلوبكم وأصل الطمأنينة سكون القلب فأقيموا الصلاة يعني فأتموها أربعا فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة نزول السفر والمعنى فإذا صرتم مقيمين في أوطانكم فأتموا الصلاة تامة أربعا من غير قصر وقيل معناه فأقيموا الصلاة بإتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة سكون القلب عن الاضطراب والأمن بعد الخوف إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا يعني فرضا موقتا والكتاب ها هنا بمعنى المكتوب يعني مكتوبة موقتة في أوقات محدودة فلا يجوز إخراجها عن أوقاتها على أي حال كان من خوف أو أمن وقيل معناه فرضا واجبا مقدرا في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتين قوله تعالى ولا تهنوا في ابتغاء القوم سبب نزول هذه الآية أن أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا يوم أحد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم فشكوا ألم الجراحات فقال الله تعالى ولا تهنوا يعني ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم يعني في طلب أبي سفيان وأصحابه أورد عليهم الحجة في ذلك وألزمهم بها فقال تعالى إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون يعني أن حصول الألم قدر مشترك بينكم وبينهم ولستم مما تكابدون من الوجع وألم الجراح مختصا بكم بل هم كذلك فإذا لم يكن الألم مانعا لهم عن قتالكم فكيف يكون مانعا لكم عن قتالهم وكيف لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أولى بالصبر منهم لأنكم مقرون بالحشر والنشر والثواب والعقاب والمشركون لا يقرون بذلك كله فأنتم أيها المؤمنون أولى بالجهاد منهم وهو قوله تعالى وترجون من الله ما لا يرجون يعني وتؤملون من الله من الثواب في الآخرة ما لا يرجون وقيل ترجون النصر والظفر في الدنيا وإظهار دينكم على الأديان كلها وكان الله عليما حكيما يعني أنه تعالى لا يأمركم بشيء إلا وهو يعلم أنه مصلحة لكم قوله عز وجل **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق** قال ابن عباس نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب حتى انتهى إلى الدار ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله ما أخذها وما له بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه واتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي فأخذوه منه فقال اليهودي دفعها إلي طعمة بن أبيرق وشهد في ذلك وشهد له جماعة من اليهود فقالت بنو ظفر وهم قوم طعمة انطلقوا بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجادل عن صاحبهم طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودي وأن يقطع يده فأنزل الله هذه الآية إنا أنزلنا إليك يعني يا محمد الكتاب يعني القرآن بالحق يعني بالصدق وبما أمر في الأمر والنهي والفصل **لتحكم بين الناس بما أراك الله** يعني بما علمك الله وأوحى إليك وإنما سمي العلم اليقيني رؤية لأنه جرى مجرى الرؤية في قوة الظهور روي عن ابن عمر أنه قال لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فإن الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد رأيه لأن الرأي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لأن الله تعالى كان يريه إياه وإن رأي أحدنا يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون دلت هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم إلا بالوحي الإلهي والنص المنزل عليه ولا تكن يعني يا محمد للخائنين خصيما يعني ولا تكن لأجل الخائنين وهم قوم طعمة مخاصما عنهم

ويجادل عن طعمة مدافعا عنهم ومعينا له واستغفر الله يعني مما هممت به من معاقبة اليهودي
وقيل من جدالك عن طعمة مدافعا عنه ومعينا له واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما يعني
لذنوب عباده يسترها عليهم ويغفرها لهم رحيما يعني بعباده المؤمنين

فصل

وقد تمسك بهذه الاية من يرى جواز صدور الذنب من الانبياء وقالوا لو لم يقع من الرسول
صلى الله عليه وسلم ذنب لما امر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا به من وجوه احدها ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل المنهي عنه في قوله ولا تكن للخائنين خصيما ولم
يخاصم عن طعمة لما سأله قوم طعمة ان يذب عنه وان يلحق السرقة باليهودي توقف
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر ما يأتيه من الوحي السماوي والامر الالهي فنزلت
هذه الاية واعلم بان طعمة كذاب وان اليهودي بريء من السرقة وانما مال صلى الله عليه
وسلم الى نصرة طعمة وهم بذلك بسبب ... في الظاهر من المسلمين فامره الله بهذا
الاستغفار لهذا القدر الوجه الثاني ان قوم طعمة لما شهدوا عليه عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم ببراءة طعمة من السرقة ولم يظهر في الحال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ما يوجب القدح في شهادتهم هم بان يقضي على اليهودي بالسرقة فلما
اطلعه الله على كذب قوم طعمة عرف انه لو وقع ذلك الامر لكان خطأ في نفسه فامره
الله بالاستغفار منه وان كان معذورا الوجه الثالث يحتمل ان الله تعالى امره بالاستغفار
لقوم طعمة لذبهم عن طعمة فان استغفاره صلى الله عليه وسلم يحتمل ان يكون لذنب
قد سبق قبل النبوة وان يكون لذنوب امته الوجه الرابع ان درجات النبي صلى الله عليه
وسلم اعلى الدرجات ومنصبه اشرف المناصب فلعلو درجته وشرف منصبه هو
وكمال معرفته بالله عز وجل مما يقع منه على وجه التأويل او السهو وامر من امور الدنيا
فانه ذنب بالنسبة الى منصبه صلى الله عليه وسلم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين
وذلك بالنسبة الى مقاماتهم ودرجاتهم والله اعلم قوله تعالى ولا تجادل عن الذين يختانون
انفسهم يعني ولا تجادل يا محمد عن الذين يظلمون انفسهم بالخيانة يريد قوم طعمة ومن
عاونه وذب عنه من قومه وانما سماهم خائنين لان من اقدم على ذنب فقد خان
نفسه لانه اوقعها في العذاب وحرمها من الثواب ولهذا قيل لمن ظلم غيره انما ظلم
نفسه وقيل المراد بهذا الجمع كل من خان خيانة فلا تخاصم لخائن ولا تجادل عنه ان
الله لا يحب من كان خوانا اثيما يعني خوانا بسرقته الدرع اثيما برميه اليهودي وهو
بريء وانما قال تعالى خوانا اثيما على المبالغة لان الله تعالى علم من طعمة الافراط
في الخيانة وركوب المآثم ويدل على ذلك انه لما نزل فيه القرآن لحق بمكة مرتدا
على دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته فسقط عليه حجر من الحائط
فلما اصبحوا اخرجوه من مكة فلحق ركبا فتعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع
به فحملوه حتى اذا جن عليه الليل عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا في طلبه
فادركوه فرموه بالحجارة حتى مات وكانت هذه حاله فلكثرة الخيانة والاثم
فلذلك وصفه الله تعالى بالمبالغة في الخيانة والاثم قال بعضهم اذا عثرت من رجل
على سيئة فاعلم ان لها اخوات وروي عن عمر انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي
وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه يا امير المؤمنين فقال كذبت ان الله
لا يؤاخذ عبده في اول مرة قوله عز وجل يستخفون من الناس يعني يستترون
حياء من الناس يريد بذلك بني ظفر بن الحارث وهم قوم طعمة بن ابيرق يستخفون من الناس

يعني

يعني ولا يستترون ولا يستحيون من الله ولا يستخفون منه واصل الاستخفاء الاستتار وانما فسر الاستخفاء
بالاستحياء على المعنى لان الاستحياء من الناس يوجب الاستتار منهم وهو معهم يعني والله معهم
بالعلم والقدرة لا يخفى عليه شيء من حالهم لانه تعالى لا يخفى عليه خافية وكفى بهذه الاية
زجرا للانسان عن ارتكاب الذنوب اذ يبيتون ما لا يرضى من القول يعني يضمرون ويقدرون
ويزورون في اذهانهم واصل التبييت تدبير الفعل بالليل وذلك ان قوم طعمة قالوا فيما
بينهم نرفع الامر الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قول طعمة ويقبل يمينه لانه مسلم
ولا يسمع قول اليهودي لانه كافر فلم يرض الله تعالى بذلك منهم فاطلع نبيه صلى الله عليه
وسلم على سرهم وما هموا به وكان الله بما يعملون محيطا يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء
من اسرار عباده وهو مطلع عليهم ومحيط بهم لا يخفى عليه خافية ها انتم هؤلاء
ها للتنبيه يعني يا هؤلاء الذين هو خطاب لقوم من المؤمنين كانوا يذبون عن طعمة
وعن قومه جادلتم عنهم يعني خاصمتم عنهم بسبب انهم كانوا يرونهم في الظاهر مسلمين
واصل الجدال شدة الفتل لان كل واحد من الخصمين يريد ان يفتل صاحبه عما هو عليه
والمعنى هبوا انكم خاصمتم وجادلتم عن طعمة وقومه في الحياة الدنيا وقيل هو خطاب
لقوم طعمة وفي قراءة ابن مسعود جادلتم عنه والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة في
الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة يعني اذا اخذه بعذابه فهو استفهام بمعنى
التوبيخ والتقريع ام من يكون عليهم وكيلا يعني حافظا ومحاميا عنهم من بأس الله اذا انزل
بهم قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه نزلت هذه الاية في ترغيب طعمة في التوبة
وعرضها عليه وقيل نزلت في قومه الذين جادلوا وقيل هي عامة في كل مسيء ومذنب
لان خصوص السبب لا يمنع من اطلاق الحكم ومعنى الاية ومن يعمل سوءا يسوء به
غيره كما فعل طعمة بالسرقة من قتادة وانما خص ما يتعدى الى الغير باسم السوء
لان ذلك يكون في الاكثر ايضا لا للضرر الى الغير او يظلم نفسه يعني فيما يختص
به من الحلف الكاذب ونحو ذلك وقيل معناه ومن يعمل سوءا اي قبيحا او يظلم نفسه يعني
بما دون الشرك وقيل السوء كلما يأثم به الانسان والظلم هو الشرك فما دونه ثم يستغفر الله
يعني من ذنوبه يجد الله غفورا رحيما ففي هذه الاية دليل على حكمين احدهما ان
التوبة مقبولة عن جميع الذنوب الكبائر والصغائر لان قوله تعالى ومن يعمل سوءا او
يظلم نفسه عم الكل والحكم الثاني ان ظاهر الاية يقتضي ان مجرد الاستغفار كاف
وقال بعضهم انه مقيد بالتوبة لانه لا ينفع الاستغفار مع الاصرار على الذنوب ومن
يكسب اثما يعني ومن يعمل ذنبا يأثم به فانما يكسبه على نفسه يعني انما يعود وباله
كسبه عليه والكسب عبارة عما يفيد جر منفعة او دفع مضرة وكان الله تعالى يقول
يا ايها الانسان ان الذنب الذي ارتكبته انما عادت مضرته عليك فاني منزه عن الضرر
والنفع فاكثر من الاستغفار ولا تيأس من قبول التوبة فاني لغفار لمن تاب وهذه الاية
نزلت في طعمة ايضا وكان الله عليما يعني بسارق الدرع حكيما يعني اذ حكم عليه بالقطع
وقيل معناه عليما بما في قلب عبده عند اقدامه على التوبة حكيما تقتضي حكمته ان يتجاوز
عن التائب ويغفر له ويقبل توبته ومن يكسب خطيئة او اثما قيل ان الخطيئة هي الصغيرة
من الذنوب والاثم هو الكبيرة وقيل الخطيئة هي الذنب المختص بفاعله والاثم الذنب المتعدي
الى الغير وقيل الخطيئة هي سرقة الدرع والاثم هو يمينه الكاذبة ثم يرم به بريئا يعني ثم
يقذف بما جناه بريئا منه وهو نسبة السرقة الى اليهودي ولم يسرق **فان قلت**

المطلقة والاثم اثنان فكيف وحد الضمير في قوله ثم يرم به **قلت** معناه ثم يرم باحد هذين المذكورين
بريا وقيل معناه ثم يرم بهما فاكتفى باحدهما عن الآخر وقيل انه يعود الضمير الى الاثم وحده لانه
اقرب مذكور وقيل ان الضمير يعود الى الكسب ومعناه ثم يرم بما كسب فقد احتمل بهتانا البهتان
من البهت وهو الكذب الذي يتحير في عظمه واثما مبينا يعني ذنبا بينا لانه بكسبه الاثم اثم وبرميه
البري باثمه فقد جمع بين الامرين قوله عز وجل ولولا فضل الله عليك ورحمته وهذه الآية
متعلقة بقصة طعمة بن ابيرق وقومه حيث لبسوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم امر
صاحبهم فقوله تعالى ولولا فضل الله عليك يا محمد بالنبوة ورحمته يعني بالعصمة وما اوحى
اليك من الاطلاع على اسرارهم فهو خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لهمت طائفة منهم
يعني من بني ظفر وهم قوم طعمة ان يضلوك يعني عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل وقيل
معناه يخطئوك في الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدفع عن طعمة وذلك لان قوم طعمة عرفوا
انه سارق ثم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يدفع عنه ويبرئه عن السرقة ويرمي بها
اليهودي وما يضلون الا انفسهم يعني ان وبال ذلك يرجع عليهم بسبب تعاونهم على الاثم
وشهادتهم انه بري وهم لما اقدموا على ذلك رجع وباله عليهم وما يضرونك من شيء يعني انهم
وان سعوا في القائك في الباطل فانت ما وقعت فيه لانك بنيت الامر على ظاهر الحال وما خطر
ببالك ان الامر على خلاف ذلك وقيل معناه وما يضرونك من شيء في المستقبل بوعده
اياك بادامة العصمة وانه لا يضره احد وانزل الله عليك الكتاب يعني القرآن والحكمة يعني
القضايا واوحى بهما بيان الحكم على الخطأ من تكييف يضرونك بالغفائل في الشبهات وعلمك
ما لم تكن تعلم يعني من احكام الشرع وامور الدين وقيل علمك من علم الغيب ما لم تكن
تعلم وقيل معناه وعلمك من خفيات الامور واطلعك على ضمائر القلوب وعلمك احوال
المنافقين وكيدهم ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما يعني ولم يزل فضل الله عليك
يا محمد عظيما فاشكره على ما اولاك من احسانه ومن عليك بنبوته وعلمك ما انزل عليك من كتابه
وحكمته وعصمك ممن حاول اضلالك فان الله هو الذي تولاك بفضله وشملك باحسانه
وكفاك غائلة من ارادك بسوء ففي هذه الآية تنبيه من الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه
وسلم على ما حباه من الطافه وشمله من فضله واحسانه ليقوم بواجب حقه قوله تعالى
لا خير في كثير من نجواهم يعني من نجوى قوم طعمة وقيل هي عامة في جميع ما يتناجى الناس
به والنجوى هو الاسرار في التدبير وقيل النجوى ما تفرد به قوم سرا كان ذلك او جهرا
ومناجيته ساررته واصله ان تخلو في نجوة من الارض وقيل اصله من النجاة والمعنى لا خير
في كثير مما يدبرونه ويتناجون به الا من امر بصدقة يعني الا في نجوى من امر بصدقة وقيل
معناه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث الا فيما اذا كان من اعمال
الخير وقيل هو استثناء منقطع تقديره لكن من امر بصدقة وحث عليها او معروف يعني او
امر بطاعة الله وما يجيزه الشرع واعمال البر كلها معروف لان العقول تعرفها او اصلاح
بين الناس يعني الاصلاح بين المتباينين والمتخاصمين ليتراجعا الى ما كانا فيه من الالفة
والاجتماع على ما اذن الله فيه وامر به عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى قال صلاح ذات البين
وان فساد ذات البين هي الحالقة اخرجه الترمذي وابو داود وقال الترمذي
ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال هي الحالقة لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق
الدين خ عن سهل بن سعد ان اهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فاخبر رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقال اذهبوا بنا نصلح بينهم ق عن ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط قالت سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الكذاب الذي يصلح بين اثنين او قال بين الناس فيقول خيرا
او ينمي خيرا زاد مسلم في رواية له قالت ولم اسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس الا في ثلاث يعني
الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل امرأته وحديث المرأة زوجها ومن يفعل ذلك يعني
هذه الاشياء التي ذكرها ابتغاء مرضات الله يعني طلب رضاه لان الانسان اذا فعل ذلك خالصا لوجه
الله نفعه وان فعلها رياء وسمعة لم ينفعه ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات
الحديث فسوف نؤتيه يعني في الآخرة اذا فعل ذلك ابتغاء مرضات الله اجرا عظيما لا حد له لانه
سماه عظيما واذا كان كذلك فلا يعلم قدره الا الله عز وجل قوله عز وجل ومن يشاقق الرسول
نزلت في طعمة ابن ابيرق ايضا وذلك انه لما سرق وظهرت عليه السرقة خاف على نفسه القطع والفضيحة
هرب الى مكة كافرا مرتدا عن الدين فانزل الله عز وجل فيه ومن يشاقق الرسول يعني يخالفه
في التوحيد والايمان واصله من المشاقة وهو كون كل واحد منهما في شق غير شق الآخر
من بعد ما تبين له الهدى اي وضح له التوحيد والحدود وظهر له صحة الاسلام وذلك ان
طعمة كان قد تبين له بما انزل فيه واظهر من سرقته ما يدل على صحة دين الاسلام فعادى
الرسول صلى الله عليه وسلم واظهر الشقاق ورجع عن الاسلام ويتبع غير سبيل المؤمنين يعني
ويتبع غير طريق المؤمنين وما هم عليه من الايمان ويتبع عبادة الاوثان نوله ما تولى اي نكله
في الآخرة الى ما تولى في الدنيا ونتركه وما اختار لنفسه ونصله جهنم يعني ونلزمه جهنم
واصله من الصلاء وهو لزوم النار وقت الاستدفاء وساءت مصيرا يعني وبئس المرجع الى النار
روي ان الشافعي سئل عن آية من كتاب الله تدل على ان الاجماع حجة فقرأ القرآن ثلاثمائة مرة
حتى استخرج هذه الآية وهي قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وذلك لان اتباع غير سبيل
المؤمنين وهو مفارقة الجماعة حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبا
وذلك لان الله تعالى الحق الوعيد بمن يشاقق الرسول ويتبع غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا
ان اجماع الامة حجة قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به نزلت في طعمة بن ابيرق ايضا لكونه
مات مشركا وقال ابن عباس نزلت هذه الآية في شيخ من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا نبي الله اني شيخ منهمك في الذنوب غير اني لم اشرك بالله منذ عرفته وآمنت به
ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراءة على الله عز وجل وما توهمت طرفة عين
اني اعجز الله هربا واني لنادم مستغفر تائب فما حالي عند الله فانزل الله هذه الآية ان الله
لا يغفر ان يشرك به فهذا نص صريح بان الشرك غير مغفور اذا مات صاحبه عليه لانه قد
ثبت ان المشرك اذا تاب من شركه وآمن قبلت توبته وصح ايمانه وغفرت ذنوبه كلها التي عملت
في حال الشرك ويغفر ما دون ذلك يعني ما دون الشرك لمن يشاء يعني لمن يشاء من اهل
التوحيد قال العلماء لما اخبر الله انه يغفر الشرك بالايمان والتوبة علمنا انه يغفر ما دون
الشرك بالتوبة وهذه المشيئة فيمن لم يتب من ذنوبه من اهل التوحيد فاذا مات صاحب
الكبيرة او الصغيرة من غير توبة فهو في خطر المشيئة ان شاء غفر له وادخله الجنة بفضله ورحمته
وان شاء عذبه ثم يدخله الجنة بعد ذلك ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا يعني فقد
ذهب عن طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه **فان قلت** لم كررت هذه الآية
بلفظ واحد في موضعين من هذه السورة وما فائدة ذلك **قلت** فائدة ذلك التأكيد
ان الآية الاولى المتقدمة نزلت في سبب ونزلت هذه الآية في سبب آخر وهو ان الآية المتقدمة نزلت
في سبب سرقة طعمة بن ابيرق ونزلت هذه في سبب ارتداده وموته على الشرك قوله عز وجل

ان يدعون من دونه الا اناثا نزلت في اهل مكة يعني ما يعبدون من دون الله الا اناثا الا كل
من عبد شيئا فقد دعاه لحاجته وفي قراءة اناثا اراد الواحد منها انهم كانوا يسمون اصنامهم باسما
الاناث فيقولون اللات والعزى ومناة قال الحسن كانوا يقولون لصنم كل قبيلة
انثى بني فلان والقول الثاني اناثا يعني امواتا قال الحسن كل شيء لا روح فيه كالحجر والخشبة
هي اناث قال الزجاج والموات كلها يخبر عنها كما يخبر عن المؤنث تقول هذه الحجر تعجبني
وهذه الدراهم تنفعني ولان الانثى ارذل درجة من الذكر والميت ارذل درجة من الحي
كما ان الموات ارذل من الحيوان وقد يطلق اسم الانثى على الجماد القول الثالث ان
بعضهم كان يعبد الملائكة ويقول هي بنات الله وان يدعون يعني وما يعبدون الا شيطانا
مريدا قال ابن عباس لكل صنم شيطان يدخل في جوفه ويتراءى للسدنة والكهنة
ويكلمهم فلذلك قال الله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا وقيل هو ابليس لانه هو
اغواهم واغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة والمريد والمارد
هو المتمرد العاتي الخارج عن الطاعة لعنه الله اي ابعده الله وطرده عن رحمته وقال
يعني ابليس لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعني حظا مقدرا معلوما فكل ما اطيع
فيه ابليس فهو نصيبه ومفروضه واصل الفرض القطع والمعنى النصيب هم الذين
يتبعون خطواته ويقبلون وساوسه ولاضلنهم عن طريق الحق والمراد به التزيين
والوسوسة والا فليس اليه من الاضلال شيء قال بعضهم لو كان الاضلال الى ابليس
لاضل جميع الخلق ولامنينهم قال ابن عباس يريد تسويف التوبة وتأخيرها وقال
الكلبي امنيهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث وقيل امنيهم ادراك الجنة مع عمل المعاصي وقيل
ازين لهم ركوب الاهوال والاهواء الداعية الى العصيان وقيل امنيهم طول البقاء في الدنيا
ونعيمها ليؤثروها على الاخرة ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام يعني ليقطعونها ويشقونها
وهي البحيرة وذلك انهم كانوا يشقون اذان الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء
الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها ولا يردونها عن ماء ولا مرعى وسول
ابليس ان هذا قربة ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال ابن عباس يعني دين الله وتغيير دين
الله هو تحليل الحرام وتحريم الحلال وقيل تغيير خلق الله هو تغيير الفطرة التي فطر الخلق
عليها ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه
وينصرانه ويمجسانه وقيل تحمل الاية على التغيير على تغيير احوال تتعلق بظاهر
الخلق مثل الوشم ووصل الشعر ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات
والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله اخرجاه من رواية ابن مسعود
ولهما عن اسما قالت لعن النبي صلى الله عليه وسلم الواصلة والمستوصلة وقيل تغيير خلق
الله هو الاختصاء وقطع الاذان حتى ان بعض العلماء حرمه وكره انس خصاء الغنم
وجوزه بعض العلماء لان فيه غرضا ظاهرا (ق) عن سعد بن ابي وقاص قال لولا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم رد على عثمان بن مظعون التبتل لاختصينا التبتل هو ترك النكاح
والانقطاع للعبادة عن نافع قال كان ابن عمر يكره الاختصاء ويقول فيه تغيير الخلق
اخرجه مالك في الموطأ ومعناه في ترك الاختصاء تمام الخلق يعني زيادته وقال ابن زيد
هو التخنث وهو ان يتشبه الرجل بالنساء في حركاتهن وكلامهن ولباسهن ونحو ذلك وقيل
تغيير الخلق هو ان الله تعالى خلق الانعام للركوب والاكل فحرموها على انفسهم وخلق
الشمس والقمر والنجوم والاحجار لمنفعة الناس فعبدوها من دون الله ومن يتخذ الشيطان

وليا

وليا من دون الله يعني يتخذه ربا ويطيعه فيما يأمره به وقيل الولي من الموالاة والمولى الناصر فقد
خسر خسرانا مبينا لان طاعة الشيطان توصله الى نار جهنم وهو غاية الخسران فان قلت في الاية
سؤالات الاول قال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا والنصيب المفروض هو الشيء المقدر
القليل وقال في موضع اخر لاحتنكن ذريته الا قليلا وقال لاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين وهذا استثناء القليل من الكثير فكيف وجه الجمع **فالجواب**
ان الكفار الذين هم حزب الشيطان وان كانوا اكثر من المؤمنين في العدد لكنهم اقل من
المؤمنين في الفضل والشرف وعلو الدرجة عند الله والمؤمنون وان كانوا اقل من الكفار
لكنهم اكثر منهم لان لهم الفضل والشرف والسؤدد والغلبة في الدنيا وعلو الدرجة
في الاخرة وانشد بعضهم في هذا المعنى

وهم الاقل اذا تعد عشيرة ۝ والاكثرون اذا يعد السؤدد

وقيل ان ابليس لما لم ينل من آدم ما اراد وراى الجنة والنار علم ان لهذه اهلا ولهذه
اهلا فقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا يعني الذين هم اهل النار السؤال الثاني
من اين لابليس العلم بالعواقب حتى يعلم فيقول ولاضلنهم ولاغوينهم ولامرنهم وقال
في الاعراف ولا تجد اكثرهم شاكرين وقال في بني اسرائيل لاحتنكن ذريته الا قليلا
فالجواب من ثلاثة اوجه احدها ان ابليس ظن انه يتبعه منهم من هذه الامور التي
يريدها منهم فحصل له ما ظنه ويدل على ذلك قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس
ظنه فاتبعوه الوجه الثاني قال ابن الانباري المعنى لاجتهدن ولاحرصن في ذلك لا انه
كان يعلم الغيب الوجه الثالث قال الماوردي من الجائز ان يكون قد علم ذلك من
الملائكة بخبر من الله تعالى ان اكثر الخلق لا يؤمنون وقوله تعالى يعدهم
ويمنيهم يعني الشيطان يعد حزبه واولياءه ويمنيهم بوعده وتمنيته اياهم ما يوقع في قلب
الانسان من طول العمر وقيل ما اراد من الدنيا ومن نعيمها ولذاتها وكل ذلك غرور
فيجب على العاقل ان لا يلتفت الى شيء منها لانه ربما لم يطل عمره ولم يحصل له مراده منها
ولئن طال عمره وحصل مقصوده فالموت وراءه فينغص عليه ما هو فيه وقيل يعدهم
ويمنيهم بان لا جنة ولا نار ولا بعث فاجتهدوا في تحصيل اللذات الدنيوية وما يعدهم
الشيطان الا غرورا يعني باطلا وضلالا اولئك يعني الذين اتخذوا الشيطان وليا
مأواهم جهنم يعني مرجعهم ومستقرهم جهنم ولا يجدون عنها يعني عن جهنم محيصا
يعني مفرا ومعدلا يعني لا يعدلون عنها الى غيرها ولابد لهم من ورودها والخلود
فيها لما ذكر وعيد الكفار اتبعه بوعيد المؤمنين فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم
جنات تجري من تحتها الانهار يعني من تحت المساكن والغرف خالدين فيها يعني في الجنات
ابدا يعني بلا نهاية ولا غاية والابد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا انقطاع له
ولا يتجزأ كما يتجزأ غيره من الازمنة لانه لا يقال ابد كذا كما يقال زمن كذا وفي قوله خالدين
فيها ابدا دليل على ان الخلود لا يفيد التأبيد والدوام لانه لو افاد ذلك لزم التكرار وهو
خلاف الاصل فعلم بذلك ان الخلود عبارة عن طول الزمان لا على الدوام فلما اتبع الخلود
بالابد علم انه يراد به الدوام الذي لا ينقطع وقوله تعالى وعد الله حقا يعني وعد الله
الذي ذكر وعدا حقا ومن اصدق من الله قيلا يعني ليس احد اصدق من الله وهو توكيد بليغ
لنزول وعد الله حقا قوله تعالى ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب الامنية افعولة من
التمني والتمني تقدير شيء في النفس وتصويره فيها والامنية هي الصورة الحاصلة في النفس

في تمنيه

من تمني الشيء اذا قدّره وفي المخاطب بقوله ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب قولان
احدهما انه خطاب للمسلمين واهل الكتاب اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال اهل الكتاب
نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم فنحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبيا
وكتابنا يقضي على الكتب وقد امنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن اولى بالله منكم والقول
الثاني انه خطاب لمشركي مكة في قولهم لا نبعث ولا نحاسب وخطاب لاهل الكتاب
في قولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة والمعنى ليس الامر بالاماني انما الامر
بالعمل الصالح من يعمل سوءا يجز به قال الضحاك يعني ليس لكم ما تمنيتم ولا اهل
الكتاب ما تمنوا ولكن من يعمل سوءا يعني شركا فمات عليه يجز به النار وقال الحسن
هذا في حق الكفار خاصة لانهم يجازون بالعقاب على الصغير والكبير ولا يجزى المؤمن
سيئ عمله يوم القيامة ولكن يجزى باحسن عمله ويتجاوز عن سيئاته ويدل على صحة هذا
القول سياق الآية وهو قوله ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا وهذا هو الكافر فاما
المؤمن فله ولي ونصير وقال آخرون هذه الآية في حق كل من عمل سوءا من مسلم وكافر
قال ابن عباس هي عامة في حق كل من يعمل سوءا يجز به الا ان يتوب قبل ان يموت فيتوب
الله عليه وقال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه لما نزلت هذه الآية شقت على المسلمين
مشقة شديدة وقالوا يا رسول الله واينا لم يعمل سوءا غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون في
الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزي بالسيئة نقصت واحدة من عشره
وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلب آحاده اعشاره واما ما كان جزاء في الآخرة فيقابل
من حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطى الجزاء في الجنة
فيؤتي كل ذي فضل فضله ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي هريرة قال
لما نزلت من يعمل سوءا يجز به بلغت من المسلمين مبلغا شديدا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها والشوكة يشاكها
اخرجه مسلم وعن ابي بكر الصديق قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت من
يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابا بكر الا اقرئك آية انزلت علي قلت بلى يا رسول الله فاقرانيها فلا اعلم الا اني وجدت
انقصاما في ظهري فتمطيت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شانك يا ابا بكر
قلت يا رسول الله بابي انت وامي واينا لم يعمل سوءا وانا لمجزيون بما عملنا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما انت يا ابا بكر والمؤمنون فيجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا
الله وليس لكم ذنوب واما الآخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا به يوم القيامة اخرجه
الترمذي وقال هذا حديث غريب وفي اسناده مقال وقد روي هذا الحديث
من غير وجه عن ابي بكر وليس له اسناد صحيح وقوله ولا يجد له من دون الله وليا
ولا نصيرا قال ابن عباس يريد وليا يمنعه ولا نصيرا ينصره فان قلت ان هذه الآية
خاصة في حق الكفار فتأويلها ظاهر وان قلت انها في حق كل عامل سوء من مسلم وكافر
فانه لا ولي لاحد من دون الله يوم القيامة وانما ينصر المؤمنون لان ولي الجميع الله وشفاعة
الشافعين تكون باذن الله فليس يمنع احد احدا عن الله قوله تعالى ومن يعمل من
الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن قال مسروق لما نزلت من يعمل سوءا يجز به قال
اهل الكتاب نحن وانتم سواء فنزلت هذه الآية قال المفسرون بين الله تعالى فضيلة
المؤمنين على غيرهم ولفظة من في قوله من الصالحات للتبعيض لان احدا لا يقدر ان

يستوعب

يستوعب جميع الصالحات بالعمل وانما يعمل بعضها ويستحق الثواب فاولئك يدخلون الجنة ولا
يظلمون نقيرا النقير نقرة في ظهر النواة منها تنبت النخلة قال ابن عباس يريد
لا ينقصون قدر النواة وهذا على سبيل المبالغة في نفي الظلم ووعد بتوفية جزاء اعمالهم
من غير نقصان قوله عز وجل ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن لما بين الله
تعالى ان الجنة لمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن شرح الايمان وبين فضله فقال تعالى ومن
احسن دينا يعني ومن احكم دينا والدين هو المشتمل على اظهار كمال العبودية والخضوع
والانقياد لله عز وجل وهو الدين الذي كان عليه ابراهيم عليه الصلاة والسلام واعلم
ان دين الاسلام مبني على امرين احدهما الاعتقاد واليه الاشارة بقوله اسلم وجهه
لله يعني انقاد لله وخضع له في سره وعلانيته وقيل معناه اخلص طاعته لله وقيل
فوض امره الى الله والامر الثاني من مباني الاسلام العمل واليه الاشارة بقوله وهو محسن
يعني في عمله لله فيدخل فيه فعل الحسنات والخيرات واداء الطاعات وترك السيئات
وقال ابن عباس في تفسير قوله وهو محسن يريد وهو موحد لله عز وجل
لا يشرك به شيئا قال بعض العلماء وانما صار دين الاسلام احسن الاديان لان فيه طاعة
ورضاه وانما حسن الاعمال وانما خص الوجه بالذكر في قوله اسلم وجهه لله لانه
اشرف الاعضاء فاذا انقاد الوجه لله وخضع له فقد انقاد لله جميع الاعضاء لانها
تابعة له واتبع ملة ابراهيم يعني دين ابراهيم عليه السلام حنيفا يعني مسلما مخلصا
والحنيف المائل ومعناه المائل عن الاديان كلها الى الاسلام لان ما سواه من الاديان
باطل وحنيفا يجوز ان يكون حالا لابراهيم ويجوز ان يكون حالا للمتبع كما تقول رأيت
راكبا قال ابن عباس ومن دين ابراهيم عليه السلام الصلاة الى الكعبة والطواف بها
ومناسك الحج والختان ونحو ذلك **فان قلت** ان ظاهر هذه الآية يقتضي ان شرع محمد
صلى الله عليه وسلم هو نفس شرع ابراهيم عليه السلام وعلى هذا لم يكن لمحمد صلى الله عليه
وسلم شرع مستقل به وليس الامر كذلك فما الجواب **قلت** ان شرع ابراهيم وملته
داخلان في شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع زيادات كثيرة حسنة حصلت بها
لمحمد صلى الله عليه وسلم فمن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتبع ملة ابراهيم
عليه السلام لانها داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم وشرع ابراهيم داخل في شرع
محمد صلى الله عليه وسلم وانما قال تعالى واتبع ملة ابراهيم لان ابراهيم صلى الله عليه وسلم
كان يدعو الى توحيد الله وعبادته ولهذا اخصه بالذكر لانه كان مقبولا عند جميع
الامم فان العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه وكذلك اليهود والنصارى فاذا
ثبت هذا وان شرعه كان مقبولا عند الامم وان شرع محمد صلى الله عليه وسلم وملته مع
شرع ابراهيم وملته لزم الخلق الدخول في دين محمد صلى الله عليه وسلم وقبول شرعه
وملته وقوله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا يعني صفيا والخلة صفاء المودة وقيل
الخلة الافتقار والانقطاع فخليل الله المنقطع اليه وسمي ابراهيم خليلا لانه انقطع
الى الله في كل حال وقيل الخلة الاختصاص والاصطفاء وسمي ابراهيم خليلا لانه والى
في الله وعادى في الله وقيل لانه تخلق باخلاق حسنة وخلال كريمة وقيل الخليل المحب
الذي ليس في محبته خلل وسمي ابراهيم خليل الله لانه احبه محبة كاملة ليس فيها نقص
ولا خلل وانشد في معنى الخلة التي هي بمعنى المحبة

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبه سمي الخليل خليلا

وقيل الخليل من الخلة بفتح الخاء وهي الحاجة سميت خلة للاختلال الذي يلحق الانسان بها
وسمي ابراهيم خليلا لانه جعل فقره وفاقته الى الله عز وجل وخلة الله للعبد هي تمكينه
من طاعته وعصمته وتوفيقه وستره حالة وتصرفه والثناء عليه فقد اثنى الله عز وجل على
ابراهيم عليه السلام وجعله اماما للناس يقتدى به واختلفوا في السبب الذي من اجله
اتخذ الله ابراهيم خليلا فقال ابن عباس كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم ابا الضيفان وكانت
منزله على ظهر الطريق يضيف من مر به من الناس فاصاب الناس سنة قحط
فقصد الناس باب ابراهيم يطلبون منه الطعام وكانت الميرة تاتيه من صديق له بمصر
في كل سنة فبعث ابراهيم غلمانه الى خليله الذي بمصر فقال خليله لغلمان ابراهيم لو كان ابراهيم
انما يريده للطعام لنفسه احتملنا ذلك له وقد دخل علينا مثل ما دخل على الناس من الشدة
فرجع غلمان ابراهيم بغير طعام فمروا ببطحاء من الرمل سهلة فقالوا لو حملنا من هذه
البطحاء لئلا يرى الناس انا قد جئنا بغير شيء فانا نستحيي ان نمر بهم وابلنا فارغة فملؤوا
من ذلك الرمل الغرائر ثم اتوا الى ابراهيم صلى الله عليه وسلم فاعلموه وسارة
نائمة فاهتم لذلك ولمكان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع
النهار فقالت سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا بلى قالت فجاؤوا بشيء قالوا نعم فقامت الى الغرائر
ففتحتها فاذا هي ملأى باجود دقيق يكون حوارى فامرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس فاستيقظ
ابراهيم فوجد ريح الطعام فقال يا سارة من اين لك هذا فقالت من عند خليلك المصري فقال
هذا من عند خليلي الله قال فيومئذ اتخذه الله خليلا وقيل لما اراه الله ملكوت السموات
والارض وحاج قومه في الله ودعاهم الى توحيده ومنعهم من عبادة النجوم والشمس والقمر والاوثان
وبذل نفسه للالقاء في النيران وبذل ولده للقربان وماله للضيفان اتخذه الله خليلا
وقيل لما دخل عليه الملائكة ظنهم ضيفا فقرب اليهم عجلا سمينا وقال كلوا على شرطين
تسموا الله في اوله وتحمدوه في اخره فقال جبريل انت خليل الله فمن يومئذ سمي ابراهيم خليل الله
م عن انس قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا خير البرية فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذلك ابراهيم خليل الله

فصل

وقد اتخذ الله محمدا صلى الله عليه وسلم
خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فقد ثبت في الصحيحين عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر خليلا وعن ابن مسعود عن
النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكنه اخي وصاحبي
وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا اخرجه مسلم فقد ثبت بهذين الحديثين الخلة للنبي صلى الله
عليه وسلم وزاد على ابراهيم عليه السلام بالمحبة فمحمد صلى الله عليه وسلم خليل الله وحبيبه
فقد جاء في حديث عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الا وانا حبيب الله ولا فخر
اخرجه الترمذي باطول منه قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض قال اهل المعاني
لما دعا الله الخلق الى الطاعة وعبادته والانقياد لامره بين سعة ملكه ليرغب الخلق اليه بالطاعة
له وانما قال ما في السموات وما في الارض ولم يقل من لانه ذهب به مذهب الجنس والذي
يعقل واذا اريد به الجنس ذكر بلفظة ما وكان الله بكل شيء محيطا يعني عالما علم احاطة
وهو العلم بالشيء من كل وجه حتى لا يشذ عنه نوع الا علمه وقيل يجوز ان يكون معناه محيطا
بالقدرة عليه قوله عز وجل ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن الاية قال ابن عباس
نزلت في بنات ام كجة وقد تقدمت قصتهن في اول السورة وقالت عائشة هي اليتيمة تكون في حجر
الرجل وهو وليها فيرغب في نكاحها اذا كانت ذات جمال ومال باقل من سنة صداقها واذا كانت

غير مرغوب فيها لقلة المال والجمال تركها وفي رواية قالت هي اليتيمة تكون في حجر الرجل
قد شركته في ماله فيرغب عنها ان يتزوجها لدمامتها ويكره ان يزوجها غيره فيدخل عليه
ويشركه في ماله فيحبسها حتى تموت فيرثها فنهاهم الله عن ذلك وانزل هذه الاية فقال ويستفتونك
يعني ويستخبرونك يا محمد في شان النساء وحالهن والاستفتاء طلب الفتوى وهو اظهار ما اشكل
من الاحكام الشرعية وكشفه وتبيينه قال المفسرون والذي استفتوه فيه هو ميراث النساء
وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت اية المواريث قالوا يا رسول الله
كيف نورث المراة والصغير فانزل الله هذه الاية قل الله يفتيكم فيهن يعني قل يا محمد الله
يفتيكم في شان النساء وحالهن وما يتلى عليكم في الكتاب يعني يفتيكم فيما يتلى عليكم والمعنى
ان الله يفتيكم في النساء وما انزل في كتابه عليكم وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ والغرض
منه تعظيم حال هذه الاية التي تتلى عليكم وانها في اللوح المحفوظ وان العدل والانصاف في حقوق
اليتامى من اعظم الامور عند الله تعالى التي تجب مراعاتها وان المخل بها ظالم في يتامى النساء يعني
في النساء اليتامى وقيل في اليتامى اولاد النساء الاية نزلت في يتامى ام كجة اللاتي لا تؤتونهن
ما كتب لهن يعني ما فرض لهن من الميراث وهذا على قول من يقول ان الاية نازلة في ميراث اليتامى
والصغار وعلى القول الاخر معناه ما كتب لهن من الصداق وترغبون ان تنكحوهن يعني
وترغبون في نكاحهن لجمالهن ودمامتهن وتمسكوهن رغبة في اموالهن ق عن عائشة قالت
هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد ان ينتقص صداقها ن
فنهوا عن نكاحهن الا ان يقسطوا لهن في اكمال الصداق وامروا بنكاح من سواهن قالت
عائشة واستفتى الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فانزل الله عز وجل ويستفتونك
في النساء الى قوله وترغبون ان تنكحوهن فبين لهم ان اليتيمة اذا كانت ذات جمال ومال رغبوا
في نكاحها ولم يلحقوها بسنتها في اكمال الصداق واذا كانت مرغوبة عنها في قلة المال والجمال
تركوها والتمسوا غيرها قال فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم ان ينكحوها اذا
رغبوا فيها الا ان يقسطوا لها ويعطوها حقها الاوفى من الصداق وقوله تعالى ن
والمستضعفين من الولدان يعني ويفتيكم في المستضعفين من الولدان وهم الصغار
ان تعطوهم حقوقهم لان العرب في الجاهلية كانوا لا يورثون الصغار فامرهم الله تعالى بذلك
وامرهم ان يعطوهم حقهم من الميراث وان تقوموا لليتامى بالقسط يعني بالعدل في مهورهن
ومواريثهن وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما يعني فيجازيكم عليه قوله تعالى
وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا ق عن عائشة في قوله تعالى وان امراة
خافت من بعلها نشوزا او اعراضا قالت نزلت في المراة تكون عند الرجل لا يستكثر منها فيريد طلاقها
ويتزوج غيرها فتقول له امسكني لا تطلقني ثم تزوج غيري فانت في حل من النفقة
علي والقسمة لي قالت فذلك قوله فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما صلحا والصلح خير وقيل
نزلت في عمرة بنت محمد بن مسلمة وقيل اسمها خولة وفي زوجها سعد بن الربيع وقيل رافع بن
خديج تزوجها وهي شابة فلما كبرت تزوج عليها امراة اخرى شابة واثرها عليها وجفا
الاولى فاتت ابنة محمد بن مسلمة تشكوا زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه
الاية وقيل كان لرجل امراة قد كبرت وله منها اولاد فاراد ان يطلقها ويتزوج غيرها فقالت
لا تطلقني ودعني اقوم على اولادي واقسم لي كل شهرين ان شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان
كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فانزل الله هذه الاية
وان امراة خافت يعني علمت وقيل ظنت وقيل المراد نفس الخوف لان الخوف لا يحصل الا عند ظهور الامارات

المراة تتجافى وترفعه من نفسها يعني من زوجها والبعل هو السيد وسمي الزوج بعلا لانه سيد المراة
نشوزا يعني بغضا وقيل هو ترك مضاجعتها واصله من النشز وهو ما ارتفع من الارض والنشوز قد
يكون من الزوجين وهو ان يكره كل واحد منهما صاحبه فنشوز الزوج هو ان يعرض عن المراة
وهو قوله تعالى او اعراضا يعني بوجهه عنها ويعبس في وجهها او يترك مضاجعتها او يسي
عشرتها او يشتغل بغيرها وقيل المراد من النشوز اظهار الخشونة في القول والفعل والمراد
من الاعراض السكوت عن الخير والشر والايذا او يعرض عنها بوجهه او يشتغل بغيرها
فلا جناح عليهما يعني فلا حرج ولا اثم على الزوج والمراة ان يصالحا يعني المصالحة وقرى
ان يصلحا بضم اليا وكسر اللام من الاصلاح بينهما صلحا يعني في القسمة والنفقة وهو ان
يقول الزوج للمراة انك قد كبرت ودخلت في السن واني اريد ان اتزوج امراة شابة جميلة
اوثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا فان رضيت فاقيمي وان كرهت ذلك فارقتك وخليت
سبيلك فان رضيت بذلك كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك وان لم ترض بدون حقها
كان على الزوج ان يوفيها حقها من القسم والنفقة او يسرحها باحسان وان امسكها ووفاها
حقها مع الكراهة لها كان هو المحسن قال ابن عباس فان صالحته على بعض حقها من
القسم والنفقة جاز وان انكرت ذلك بعد الصلح كان ذلك لها ولها حقها والصلح خير
يعني اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من
الفرقة عن ابن عباس قال خشيت سودة ان يطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
لا تطلقني وامسكني واجعل يومي لعايشة ففعل فنزلت فلا جناح عليهما ان يصالحا بينهما
صلحا والصلح خير فما اصطلحا عليه من شي فهو جايز اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم لعايشة يومين يومها ويوم سودة
واحضرت الانفس الشح الشح اقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وانما قال واحضرت
الانفس الشح لانه كالامر اللازم للنفوس لانها مطبوعة عليه ومعنى الاية ان كل واحد
من الزوجين يشح بنصيبه من الاخر فالمراة تشح على مكانها من زوجها والرجل يشح عليها بنفسه
اذا كان غيرها احب اليه منها وان تحسنوا وتتقوا هذا خطاب للازواج يعني وان تحسنوا
ايها الازواج الصحبة والعشرة وتتقوا الله في حق المراة فانها امانة عندكم وقيل معناه
وان تحسنوا بالاقامة معهن على الكراهية وتتقوا ظلمها والجور عليها فان الله كان بما
تعملون خبيرا يعني فيجازيكم باعمالكم **قوله عز وجل** ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين
النساء يعني ولن تقدروا ان تسووا بين النساء في الحب وميل القلب لان ذلك مما لا تقدرون
عليه وليس من كسبكم ولو حرصتم يعني على العدل والتسوية بينهن وقيل معناه ولو
حرصتم على ذلك فلا تميلوا كل الميل يعني الى التي تحبونها في القسم والنفقة والمعنى انكم
لستم منتهين عن حصول التفاوت في الميل القلبي لان ذلك خارج قدرتكم ووسعكم
ولكنكم منهيون عن اظهار ذلك الميل في القول والفعل عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امراتان فلم يعدل بينهما جا يوم القيمة وشقه
ساقط اخرجه الترمذي وعن ابي داود من كانت له امراتان فمال الى احدهما
جا يوم القيمة وشقه مايل عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فيعدل
ويقول اللهم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك يعني القلب اخرجه ابو داود
والترمذي والنساي وقوله تعالى فتذروها كالمعلقة يعني فتدعوا الاخرى التي
لا تميلون اليها كالمتوطة لا ايما ولا ذات بعل كالشي المعلق لا هو في السما ولا على الارض وقيل

معناه

معناه فتذروها كالمسجونة لا هي مخلصة فتتزوج ولا هي ذات بعل فيحسن اليها وان تصلحوا
يعني بالعدل في القسم وتتقوا يعني الجور في القسم فان الله كان غفورا يعني لما حصل من الميل
الى بعضهن دون بعض رحيما يعني بكم حيث لم يكلفكم ما لا تقدرون عليه وان يتفرقا
يعني ان لم يصطلحا واختارا الفرقة يغن الله كلا من سعته يعني من فضله ورزقه والمعنى
يغني الزوج بامراة اخرى والمراة بزوج اخر وقيل معناه يعوض الزوج بما يحب والمراة بما تحب
ويوسع عليهما وفي هذا تسلية لكل واحد من الزوجين بعد الطلاق وكان الله واسعا
يعني واسع الفضل والرحمة وقيل هو الواسع القدرة والعلم والرزق وقيل هو الغني الذي
وسع جميع مخلوقاته غناه حكيما يعني فيما امر به ونهى عنه **فصل** فيما يتعلق بحكم
الاية وجملته ان الرجل اذا كانت تحته امراتان او اكثر يجب عليه التسوية بينهن في فعل القسم
عصى الله عز وجل في ذلك وعليه القضا للمظلومة والتسوية شرط في البيتوتة اما في
الجماع فلا لان ذلك يدور على النشاط وميل القلب وليس ذلك اليه ولو كانت في نكاحه
حرة وامة يقسم للحرة ليلتين وللامة ليلة واحدة واذا تزوج جديدة على قديمات
كن عنده فانه يخص الجديدة بان يبيت عندها سبع ليال ان كانت الجديدة بكرا وان كانت
ثيبا خصها بثلاث ليال ثم انه يستانف القسم ويسوي بينهن ولا يجب عليه قضا هو في
هذه الليالي للقديمات ويدل على ذلك ما روي ابو قلابة عن انس قال من السنة اذا
تزوج البكر على الثيب اقام عندها سبعا وقسم واذا تزوج الثيب اقام عندها ثلاثا
وقسم قال ابو قلابة لو شيت لقلت ان انسا رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم اخرجاه في الصحيح
واذا سافر الرجل الى حاجة جاز له ان يحمل معه بعض نسايه بشرط ان يقرع بينهن ولا يجب عليه
ان يقضي الليالي التي غاب عنهن مدة سفره وان طالت اذا لم يزد مقامه في البلد على مدة المسافرين
ويدل على ذلك ما روي عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا
اقرع بين نسايه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه اخرجه البخاري مع زيادة فيه واذا
اراد الرجل سفر نقلة وجب عليه اخذ نسايه معه قوله تعالى ولله ما في السموات وما
في الارض يعني عبيدا وملكا قال اهل المعاني لما ذكر الله تعالى انه يغني كلا من سعته وفضله
اشار الى ما يوجب الرغبة اليه في طلب الخير منه لان من ملك السموات والارض لا تفنى خزاينه
ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى واصحاب الكتب
القديمة واياكم يعني ووصيناكم يا اهل القران في كتابكم ان اتقوا الله يعني بان تتقوا الله
وهو ان توحدوه وتطيعوه وتحذروه ولا تخالفوا امره والمعنى ان الامر بتقوى الله
شريعة قديمة اوصى الله بها جميع الامم السالفة في كتبهم وان تكفروا يعني وان تجحدوا
ما اوصاكم به فان لله ما في السموات وما في الارض يعني فان لله ملايكة في السموات
والارض هم اطوع له منكم وقيل معناه انه تعالى خالق السموات والارض وما فيهن ومالكهم
والمنعم عليهم باصناف النعم ومن كان كذلك يحق لكل احد ان يتقيه ويرجوه وكان الله غنيا
يعني عن جميع خلقه غير محتاج اليهم ولا الى طاعتهم حميدا يعني محمودا على نعمه عليهم
ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا قال ابن عباس يعني شهيدا على
ان له فيهن عبيدا وقيل معناه وكفى بالله دافعا ومجيرا **فان قلت** ما الفايدة
في تكرير قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض **قلت** الفايدة
في ذلك ان لكل اية معنى تختص به اما الاية الاولى فمعناها ان لله ما في السموات وما في الارض
وهو يوصيكم بتقوى الله فاقبلوا وصيته وقيل لما قال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته بين

ان له ما في السموات وما في الارض وانه قادر على اغناء جميع الخلائق وهو المستغني عنهم واما
الاية الثانية فانه تعالى قال وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في الارض والمراد منه
انه تعالى منزه عن طاعات الطائعين وعن ذنوب المذنبين وانه لا يزداد جلاله
بالطاعات ولا ينتقص بالمعاصي وقيل لما بين ان له ما في السموات وما في الارض ودل
بعد ذلك وكان الله غنيا حميدا فالمراد منه انه تعالى هو الغني وله الملك فاطلبوا منه
ما تطلبون فهو يعطيكم لان له ما في السموات وما في الارض واما الثالثة فقوله
تعالى ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا يعني فتوكلوا عليه ولا تتوكلوا
على غيره فانه المالك لما في السموات والارض وقيل تكريرها تقرير لما هو موجب تقواه
لتتقوه وتطيعوه ولا تعصوه لان التقوى والخشية اصل كل خير قوله عز وجل
ان يشأ يذهبكم ايها الناس قال ابن عباس يريد المشركين والمنافقين ويأت بآخرين يعني بغيركم
هو خير منكم واطوع له وفيه تهديد للكفار والمعنى انه يهلككم ايها الكفار كما اهلك من
كان قبلكم اذ كفروا وكذبوا رسله وكان الله على ذلك قديرا يعني وكان الله على ذلك الاهلاك
والاعادة غيركم قادرا بليغا في القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده لم يزل ولا يزال موصوفا
بالقدرة على جميع الاشياء قوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا يعني من كان يريد
بعمله عرضا من الدنيا نزلت في مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقرون بان الله خالقهم
ولا يقرون بالبعث يوم القيامة فكانوا يتقربون الى الله ليعطيهم من خير الدنيا ويصرف
عنهم شرها وقيل نزلت في المنافقين لانهم كانوا لا يصدقون بيوم القيامة وانما كانوا
يطلبون بجهادهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عاجل الدنيا وهو ما ينالونه من
الغنيمة فعند الله ثواب الدنيا والآخرة يعني ان الذين يطلبون باعمالهم وجهادهم ثواب الدنيا وما ينالونه من الغنيمة صح يخطئون في قصدهم لان الله عنده ثواب الدنيا وثواب الاخرة فلو كانوا عقلاء
لطلبوا ثواب الاخرة حتى يحصل لهم ذلك ويحصل لهم ثواب الدنيا على سبيل التبعية
والمعنى ان من اراد بعمله الدنيا اتاه الله منها ما اراد وصرف عنه من شرها ما اراد
وليس له ثواب في الاخرة يؤتيه من الدنيا ما قدر له ويجزى في الاخرة خير الجزاء وكان
الله سميعا بصيرا يعني لاقوالهم وما يسرونه من طلب ثواب الدنيا بصيرا يعني بنياتهم وما في
نفوسهم وقيل سميعا لمن يطلب الدنيا بعمله ومن يطلب الاخرة بعمله قوله عز وجل
يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله قال السدي ان فقيرا وغنيا اختصما
الى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صغوه مع الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغني فانزل
الله هذه الاية وامره بالقيام بالقسط مع الغني والفقير وقيل ان هذه الاية متعلقة
بقصة طعمة بن ابيرق وفيه خطاب لقومه الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل
فامرهم الله تعالى ان يكونوا قائمين بالقسط شاهدين لله على كل حال ولو على انفسهم
واقاربهم فقال تعالى كونوا قوامين بالقسط القوام مبالغة في القيام بالعدل
في جميع الشهادات واجتناب الجور فيها قال ابن عباس كونوا قوامين بالعدل في الشهادة
على من كانت شهداء لله يعني اقيموا شهاداتكم لوجه الله كما امركم فيها بقول الحق في
شهادتكم ولو على انفسكم يعني ولو كانت الشهادة على انفسكم امر الله العبد بان يشهد
على نفسه بالحق وهو ان يقر على نفسه وذلك لان الاقرار يشبه الشهادة في كونه موجبا للحق
عليه او الوالدين والاقربين يعني ولو كانت الشهادة على الوالدين والاقربين من
ذوي رحمه واقاربه والمعنى قولوا الحق ولو على انفسكم وعلى الوالدين او على الاقارب
فاقيموا الشهادة عليهم لله تعالى ولا تحابوا غنيا لغناه ولا ترحموا فقيرا لفقره فذلك

قوله

قوله تعالى ان يكن يعني المشهود عليه غنيا او فقيرا فالله اولى بهما يعني منكم والمعنى
كلوا امرهم الى الله فهو اعلم بهم وبحالهم وانما قال بهما على التثنية لانه رد الضمير الى المعنى
دون اللفظ يعني فالله اولى بالغني والفقير فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا يعني
فلا تتبعوا الهوى واتقوا الله ان تعدلوا عن الحق في اداء الشهادة وقيل معناه اتركوا
متابعة الهوى حتى تصيروا موصوفين بصفة العدل لان العدل عبارة عن ترك متابعة الهوى وان
تلووا قرئ بواوين ومعناه يلوي الشاهد لسانه الى غير الحق قال ابن عباس يلوي
لسانه بغير الحق ولا يقيم الشهادة على وجهها او تعرضوا يعني او يعرض الشاهد عن الشهادة
فيكتمها ولا يقيمها يقال لويته حقه اذا دفعته عنه ومطلته به وقيل معناه وان تلووا
عن القيام باداء الشهادة او تعرضوا عنها فتتركوها وقيل معناه التحريف والتبديل
والشهادة من قولهم لويت الشيء اذا قلبته وقيل هو خطاب مع الحكام يقول وان تلووا
يعني تميلوا الى احد الخصمين دون الاخر او تعرضوا عنه بالكلية وقرئ تلوا بواو واحدة
من الولاية وهو خطاب للحكام ايضا ومعناه فان تلوا امور المسلمين وتقيموا بها او تعرضوا
عنهم فان الله كان بما تعملون خبيرا يعني انه تعالى يجازي المحسن باحسانه والمسيء باساءته
يجازيكم باعمالكم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا امنوا بالله ورسوله قال
ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن
اخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن اخيه ويامين بن يامين فهؤلاء مؤمنو اهل الكتاب
اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة وعزير
ونكفر بما سوى ذلك من الكتب والرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل امنوا بالله
وبرسوله محمد وبالقرآن وبكل كتاب كان قبله فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين امنوا امنوا
يعني بمحمد والقرآن وموسى والتوراة امنوا بالله ورسوله امنوا حقيقيا مقرا بجميع رسله
وقيل هو خطاب لاهل الكتاب جميعا والمعنى يا ايها الذين امنوا بموسى والتوراة
وبعيسى والانجيل امنوا بمحمد والقرآن وقيل هو خطاب للمنافقين والمعنى يا ايها
الذين امنوا بالسنتهم ولم تؤمن قلوبهم امنوا بقلوبكم حتى ينفعكم الايمان لان الايمان
باللسان لا ينفع من غير مواطأة القلب وقيل هو خطاب للمؤمنين والمعنى يا ايها
الذين امنوا في الماضي والحال امنوا في المستقبل ودوموا واثبتوا على الايمان
والكتاب الذي نزل على رسوله يعني القرآن والكتاب الذي انزل من قبل يعني وامنوا
بالقرآن وبجميع الكتب التي انزلها على انبيائه قبل القرآن ليكون الكلام حثا لجميع
الكتب ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا بعيدا قوله
عز وجل ان الذين امنوا ثم كفروا ثم امنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا قال ابن عباس نزلت
في اليهود امنوا بموسى ثم كفروا بعبادتهم العجل ثم امنوا بعد ذلك ثم كفروا بعيسى والانجيل
ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وقيل انهم امنوا بموسى ثم كفروا بعده
ثم امنوا بداود ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في المنافقين
وذلك انهم امنوا ثم كفروا يعني بعد الايمان ثم امنوا يعني بالسنتهم وهو اظهارهم الايمان
لتجري عليهم احكام المؤمنين ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم على الكفر وقيل هو في قوم
اخذوا ثانيا الكفر وقيل هم قوم امنوا ثم ارتدوا الى الكفر ثم امنوا ثم ارتدوا الى الكفر
ثم ازدادوا كفرا يعني بموتهم عليه وذلك ان من تكرر منه الايمان بعد الكفر والكفر بعد
الايمان مرات كثيرة يدل على انه لا وقع للايمان في قلبه ومن كان كذلك لم يكن مؤمنا بالله

إيمانا صحيحا وازديادهم الكفر هو استهزاؤهم وتلاعبهم بالإيمان وقيل هذا المتلاعب
بالدين هل تقبل توبته أم لا فحكي عن علي بن أبي طالب أنه قال لا تقبل توبته بل يقتل
وذهب أكثر أهل العلم إلى أن توبته مقبولة وقوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم يعني ما أقاموا
على الكفر وما تواطؤوا عليه وذلك لأن الله تعالى أخبر أنه يغفر الكفر إذا تاب منه بقوله قل
للذين كفروا إن ينتهوا يعني عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف يعني من كفرهم ولا ليهديهم
سبيلا يعني طريق هدى وقيل لا يجعلهم بكفرهم مهتدين قوله تعالى بشر المنافقين
بأن لهم عذابا أليما يعني أخبرهم يا محمد وإنما وضع بشر مكان أخبر تهكما بهم وقيل
البشارة كل خبر يتغير به بشرة الوجه سارا كان ذلك الخبر أو غير سار وقيل معناه اجعل
موضع بشارتك لهم العذاب لأن العرب تقول تحيتك الضرب أي هذا بدل من تحيتك قال الشاعر

وخيل قد دلفت لها بخيل ۔ تحية بينهم ضرب وجيع

ثم وصف الله تعالى المنافقين فقال تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون
المؤمنين يعني يتخذون اليهود أولياء وأنصارا أو بطانة من دون المؤمنين وذلك أن
المنافقين كانوا يقولون إن محمدا لا يتم أمره فتولوا اليهود فقال الله تعالى ردا على
المنافقين أيبتغون عندهم العزة يعني يطلبون من عند اليهود القوة والمعونة
والظهور على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه فإن العزة لله جميعا يعني فإن القوة والقدرة
والغلبة لله جميعا وهو الذي يعز أولياءه ويذل أعداءه كما قال تعالى ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين وقد نزل عليكم يا معشر المسلمين في الكتاب يعني القرآن أن إذا سمعتم
آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها قال المفسرون الذي نزل عليهم في النهي عن مجالستهم هو
قوله تعالى في سورة الأنعام وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم
حتى يخوضوا في حديث غيره وهذه أنزلت بمكة لأن المشركين كانوا يخوضون في القرآن
ويستهزئون به في مجالسهم ثم إن أحبار اليهود بالمدينة كانوا يفعلون مثل فعل المشركين
وكان المنافقون يجلسون إليهم ويخوضون معهم في الاستهزاء بالقرآن فنهى الله المؤمنين
عن القعود معهم بقوله فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره يعني حتى يأخذوا في
حديث آخر غير الاستهزاء بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس دخل في هذه
الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة إنكم إذا مثلهم يعني إنكم أيها الجالسون
مع المستهزئين بآيات الله ورضيتم بذلك فأنتم وهم في الكفر سواء قال العلماء وهذا
يدل على أن من رضي بالكفر فهو كافر ومن رضي بمنكر أو خالط أهله كان في الإثم
بمنزلتهم إذا رضي به وإن لم يباشره فإن جلس إليهم ولم يرض بفعلهم بل كان ساخطا
له وإنما جلس على سبيل التقية والخوف فالأمر فيه أهون من المجالسة مع الرضا وإن جلس
مع صاحب بدعة أو منكر ولم يخض في بدعته أو منكره فيجوز الجلوس معه مع الكراهة وقيل لا يجوز
بحال والأول أصح إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني أنهم اجتمعوا
في الدنيا على الاستهزاء بآيات الله فكذلك يجمعهم في عذاب جهنم يوم القيامة قوله
عز وجل الذين يتربصون بكم نزلت في المنافقين والمعنى ينتظرون ما يحدث بكم
من خير أو شر فإن كان لكم فتح من الله يعني ظفر على عدو وغنيمة تنالونها منهم قالوا
يعني المنافقين ألم نكن معكم يعني في الوقعة والفتح فأعطونا من الغنيمة وقيل معناه ألم
نكن على دينكم وإن كان للكافرين نصيب يعني دولة وظفر على المسلمين قالوا يعني المنافقين
للكفار ألم نستحوذ عليكم الاستحواذ هو الاستيلاء والغلبة يقال استحوذ على فلان أي

على

غلب عليه والمعنى ألم نغلبكم ونتمكن منكم ونستولي عليكم ثم لم نفعل ذلك وقيل معناه
ألم نغلبكم على رأيكم ونمنعكم من المؤمنين يعني من الدخول في دينهم وقيل معناه ألم
نمنع عنكم المؤمنين بتخذيلنا إياهم عنكم ومراسلتنا إياكم بأخبارهم وأسرارهم فهاتوا
نصيبنا مما أصبتم منهم وإنما قال فتحا لإظهار المنة على الكفار **فإن قلت** لم سمى ظفر
المؤمنين فتحا وسمى ظفر الكافرين نصيبا **قلت** تعظيما لشأن المؤمنين وتخسيسا
لحظ الكفار لأن ظفر المسلمين أمر عظيم تفتح له أبواب السماء حتى ينزل النصر على المسلمين
وأما ظفر الكفار فما هو إلا حظ دني ونصيب خسيس لا يبقى منه إلا الخزي في الدنيا ولهم
في الآخرة العقوبة بسبب ذلك النصيب الذي نالوه من المسلمين فالله يحكم بينكم
يوم القيامة يعني المؤمنين والمنافقين والمعنى أنه وضع السيف عن
المنافقين في الدنيا لأجل كلمتهم بل أخر عذابهم إلى يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين
على المؤمنين سبيلا وفيه قولان أحدهما وهو قول علي بن أبي طالب وابن عباس أن المراد به
في القيامة بدليل عطفه على قوله فالله يحكم بينكم يوم القيامة **روي** أن رجلا سأل علي بن أبي
طالب عن هذه الآية ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا وهم يقتلوننا فقال ادنه ادنه لن
يجعل الله للكافرين يوم القيامة على المؤمنين سبيلا والقول الثاني أن هذا في الدنيا والمعنى
أن حجة المؤمنين غالبة في الدنيا على الكافرين وليس لأحد أن يغلبهم بالحجة وقيل معناه
أن الله لن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلا بالشرع فإن شريعة الإسلام ظاهرة إلى يوم
القيامة ويتفرع على ذلك مسائل من أحكام الفقه منها أن الكافر لا يرث المسلم ومنها
أن الكافر إذا استولى على مال المسلم لم يملكه بدليل هذه الآية ومنها أن الكافر ليس له
أن يشتري عبدا مسلما ومنها أن المسلم لا يقتل بالذمي بدليل هذه الآية قوله تعالى
إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم يعني يعاملون الله سبحانه وهو مجازيهم على خداعهم
وقيل معناه يخادعون رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم يظهرون له الإيمان ويبطنون
الكفر وهو خادعهم يعني والله يجازيهم بالعقاب وقيل إنهم يعطون نورا يوم القيامة
كما يعطى المؤمنون فيمضي المؤمنون بنورهم على الصراط ويطفأ نور المنافقين وإذا
قاموا إلى الصلاة يعني المنافقين قاموا كسالى يعني متثاقلين وسبب هذا الكسل
أنهم يستثقلونها لأنهم لا يرجون بفعلها ثوابا ولا يريدون بها وجه الله عز وجل
ولا يخافون على تركها عقابا لأنه إذا لم يحبها الفاعل خوف الناس فلذلك لم يفعلها إلا على
وجه الكسل والفتور يراءون الناس يعني أنهم لا يقومون إلى الصلاة إلا لأجل الرياء والسمعة
لا لأجل الدين ولا يرون أنها واجبة عليهم قال قتادة والله لولا الناس ما صلى المنافق
ولا يذكرون الله إلا قليلا قال ابن عباس إنما قال ذلك لأنهم يفعلونه رياء وسمعة ولو
أرادوا بذلك القليل وجه الله لكان كثيرا وقيل لأن الله تعالى لم يقبله ولو قبله لكان
كثيرا وقيل المراد بذكر الله الصلاة والمعنى أنهم لا يصلون إلا قليلا لأنهم متى لم يكن معهم
أحد من المؤمنين فإنهم لا يصلون وإذا كانوا مع المؤمنين يتكلفون فعلها مذبذبين
بين ذلك يعني أنهم متحيرون مترددون بين الكفر والإيمان لأنهم ليسوا مع المؤمنين
المخلصين ولا مع المشركين المصرحين بالشرك وهو قوله تعالى لا إلى هؤلاء ولا إلى
هؤلاء يعني ليسوا من المؤمنين حتى يجب لهم ما يجب للمؤمنين وليسوا من الكفار فيؤخذ منهم
ما يؤخذ من الكفار ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يعني طريقا إلى الهدى عن ابن عمر
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه

مرة والى هذه مرة وفي لفظ كمثل الشاة العائرة بين الغنمين بالعين المهملة ومعناه المتحيرة
المترددة لا تدري لايهما تتبع ومعنى تعير تتردد وتذهب يمينا وشمالا مرة
الى هذه ومرة الى هذه لا تدري اي الجهتين تذهب وهذا مثل المنافق مرة مع المؤمنين
ومرة مع الكافرين او ظاهره مع المؤمنين وباطنه مع الكافرين قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين لما ذم الله عز وجل المنافقين بكونهم
مذبذبين بين ذلك نهى المؤمنين ان يتخلقوا باخلاق المنافقين فيتولوا الكفار
من دون اهل ملتكم ودينكم فتكونوا لمن اوجب له النار من المنافقين والسبب في هذا
النهي ان الانصار بالمدينة كان لهم من بني قريظة حلف ومودة ورضاع فقالوا يا رسول الله
من نتولى فقال المهاجرين اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا يعني اتريدون
ايها المتخذون الكفار اولياء ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة باتخاذكم
الكفار اولياء من دون المؤمنين فتستوجبوا بذلك النار كما يكون مصير المنافقين من
النار فقال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار يعني في الطبق الذي
في قعر جهنم والنار سبع دركات بعضها فوق بعض سميت طبقات جهنم دركات لانها
متداركة متتابعة وقيل الدرك بيت يقفل عليهم فتتوقد النار من فوقهم ومن تحتهم
وقيل هي توابيت من حديد مقفلة عليهم في النار **فان قلت** لم كان المنافق
اشد عذابا من الكافر **قلت** لان المنافق مثل الكافر في الكفر وزيادة وهو انه ضم الى كفره
نوعا اخر من الكفر اخبث منه وهو الاستهزاء بالاسلام والمسلمين واطلاع اسرار
المسلمين ونقلها الى الكفار فلهذا السبب جعل الله عذاب المنافقين اشد عذابا من
الكفار والمنافق من اظهر الايمان وابطن الكفر وقيل هو الذي يصف الاسلام بلسانه ولا
يعمل بشرائعه ولا يتقيد بقيوده ولا يدخل تحت احكامه واما تسمية من ارتكب
ما يفسق منافقا فللتغليظ وفيه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو
منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن
خان فان هذه الخصال الصفات للمنافقين فمن فعلها فقد تشبه بالمنافقين وقوله
تعالى ولن تجد لهم نصيرا يعني ولن تجد يا محمد لهؤلاء المنافقين ناصرا ينصرهم
من عذاب الله اذا نزل بهم ثم استثنى الله عز وجل من تاب من المنافقين فقال تعالى
الا الذين تابوا يعني من النفاق واصلحوا يعني اصلحوا الاعمال فعملوا بما امر الله به
وادوا فرائضه وانتهوا عما نهاهم عنه واعتصموا بالله يعني وتمسكوا بعهد الله ووثقوا به
واخلصوا دينهم لله يعني واخلصوا طاعتهم واعمالهم التي عملوها لله واراد وجه الله ولم يريدوا
رياء وسمعة فهذه الامور الاربعة اذا حصلت فقد كمل الايمان فلذلك قال تعالى فاولئك
يعني التائبين من النفاق مع المؤمنين يعني في الجنة وقيل مع بمعنى من اي من المؤمنين
وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما يعني في الاخرة قوله تعالى ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم وامنتم هذا استفهام تقرير معناه انه تعالى لا يعذب الشاكر المؤمن فان تعذيبه
لا يزيد في ملكه وترك عقوبته لا ينقص من سلطانه لانه الغني الذي لا يحتاج الى شيء من
ذلك فلا يعاقب احدا انما يعاقب لامر اوجبه العدل والحكمة فان قمتم بشكر نعمته
وامنتم به فقد ابعدتم انفسكم من عذابه وقال اهل المعاني فيه تقديم وتاخير تقديره ان
امنتم وشكرتم لان الايمان مقدم على سائر الطاعات وان الشكر لا ينفع مع عدم الايمان
ولان الواو لا توجب الترتيب وقيل هو على اصله والمعنى ان العاقل ينظر بعين

بصيرته اولا الى ما عليه من النعمة العظيمة في ايجاده وخلقه فيشكر على ذلك شكرا
مبهما ثم اذا انتهى النظر الى معرفة المنعم عليه امن به ثم شكره شكرا مفصلا فكان ذلك الشكر المبهم
متقدما على الايمان فلذلك قدم الشكر على الايمان في الذكر وكان الله شاكرا يعني مثيبا لـ
عباده المؤمنين موفيا اجورهم والشكر من الله الرضا بالقليل من اعمال عباده واضعاف
الثواب عليه وقيل لما امر الله عباده بالشكر سمى الجزاء شكرا على سبيل الاستعارة
فالمراد من الشاكر في صفة الله تعالى كونه مثيبا على الشكر عليما يعني بحق شكركم وايمانكم
فيجازيكم على ذلك **قوله عز وجل** لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم قال
اهل المعاني يعني ان الله تعالى لا يحب الجهر بالسوء ولا غير الجهر به ايضا من القول يعني من
القول القبيح الا من ظلم قيل هو استثناء متصل والمعنى الا جهر من ظلم وقيل هو استثناء
منقطع ومعناه لكن المظلوم يجوز ان يجهر بظلم الظالم قال العلماء لا يجوز اظهار احوال
الناس المستورة المكتومة لان ذلك يصير سببا لوقوع الناس في الغيبة ووقوع ذلك الشخص
في الريبة لكن من ظلم فيجوز له اظهار ظلمه فيقول سرق مني او غصب ونحو ذلك وان
شتم جاز له ان يشتم بمثله ولا يزيد شيئا على ذلك ويدل لذلك ما روي عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى الاول وفي رواية
فعلى البادي منهما حتى يعتدي المظلوم اخرجه مسلم قال ابن عباس لا يحب الله ان
يدعو احد على احد الا ان يكون مظلوما فانه قد رخص له ان يدعو على من ظلمه
وذلك قوله الا من ظلم وان يصبر فهو خير له وقال الحسن البصري هو الرجل يظلم
الرجل فلا يدع عليه ولكن يقول اللهم اعني عليه اللهم استخرج لي حقي اللهم
حل بينه وبين ما يريده ونحوه من الدعاء وقيل نزلت الاية في الضيف اذا نزل
بقوم فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته فله ان يشكو ما صنع به قال مجاهد هو
الرجل ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فيخرج من عنده فيقول اساء ضيافتي وقيل
انها نزلت في ابي بكر الصديق وذلك ان رجلا نال منه والنبي صلى الله عليه وسلم
حاضر فسكت عنه ابو بكر مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر
يا رسول الله يشتمني فلم تقل له شيئا حتى اذا رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب
عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان فقمت ونزلت هذه الاية وكان
الله سميعا يعني لدعاء المظلوم عليما بما في قلبه فليتق الله ولا يقول الا الحق
قوله تعالى ان تبدوا خيرا قال ابن عباس يريد من اعمال البر كالصوم والصدقة
والضيافة والصلة وقيل معناه ان تبدوا خيرا بدلا من السوء او تخفوه يعني
تخفوا الخير فلم تظهروه وقيل معناه ان تبدوا حسنة فتعملوا بها تكتب لكم عشرا
وان هممتم بها ولم تعملوها كتبت لكم واحدة وقيل ان جميع مقاصد الخيرات على كثرتها محصورة
في قسمين احدهما صدق النية مع الخالق والثاني التخلق مع الخلق فالذي يتعلق
بالخلق ينحصر في قسمين ايضا وهما ايصال النفع اليهم في السر والعلانية والى هذه
الاشارة بقوله ان تبدوا خيرا او تخفوه او دفع الضرر عنهم والى هذه الاشارة بقوله
او تعفوا عن سوء فدخل في هاتين الكلمتين جميع اعمال البر وجميع دفع
الضرر وقيل المراد بالخير المال والمعنى ان تبدوا الصدقة فتعطوها الفقراء
جهرا او تخفوها فتعطوها سرا وتعفوا عن مظلمة فان الله كان عفوا قديرا
يعني لم يزل ذو عفو مع قدرته على الانتقام فاعفوا انتم عن ظلمكم واقتدوا بسنة الله

عز وجل لتعفوا عنكم يوم القيامة لأن أهل الكرم التجاوز والعفو عنكم وقيل معناه إن الله كان
عفوا لمن عفى قديرا على إيصال الثواب إليه قوله عز وجل **إن الذين يكفرون**
بالله ورسله نزلت في اليهود وذلك أنهم آمنوا بموسى والتوراة وكفروا
بعيسى والإنجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم أجمعين والقرآن وقيل نزلت في اليهود
والنصارى جميعا وذلك أن اليهود آمنوا بموسى وكفروا بعيسى ومحمد والنصارى آمنوا
بعيسى وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين **ويريدون أن يفرقوا بين**
الله ورسله يعني ويريدون أن يفرقوا بين الإيمان بالله والإيمان برسله ولا يصح
الإيمان بالله مع التكذيب ببعض رسله **ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا** يعني
دينا بين الإيمان بالبعض دون البعض يتخذونه مذهبا يذهبون إليه ودينا
يدينون به **أولئك** يعني من هذه صفته **هم الكافرون حقا** يعني يقينا وإنما قال
تأكيدا لكفرهم لئلا يتوهم متوهم أن الإيمان ببعض الرسل يزيل اسم الكفر عنهم
وليعلم أن الكفر ببعض الأنبياء كالكفر بكلهم لأن الدليل الذي يدل على نبوة البعض
وهو المعجزة لزم منه أنه حيث وجدت المعجزة حصلت النبوة وقد وجدت المعجزة
لجميع الأنبياء فلزم الإيمان بجميعهم **وأعتدنا** يعني وهيأنا **للكافرين عذابا**
مهينا يعني يهانون فيه **والذين آمنوا بالله ورسله** يعني والذين صدقوا بوحدانية
الله ونبوة جميع أنبيائه وأن جميع ما جاءوا به من عند الله حق وصدق **ولم يفرقوا**
بين أحد منهم يعني من الرسل بل آمنوا بجميعهم وهم المؤمنون **أولئك** يعني من
هذه صفته **سوف نؤتيهم أجورهم** يعني جزاء إيمانهم بالله وبجميع كتبه ورسله **وكان**
الله غفورا رحيما يعني أنه تعالى لما وعدهم بالثواب أخبرهم أنه يتجاوز عن سيئاتهم
ويغفرها لهم ويرحمهم فهو كالترغيب لليهود والنصارى في الإيمان بمحمد صلى
الله عليه وسلم لأنهم إذا آمنوا غفر لهم ما كان منهم في حال الكفر قوله تعالى **يسألك**
أهل الكتاب يعني يسألك يا محمد أهل الكتاب وهم اليهود وذلك أن كعب بن
الأشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت نبيا
فأتنا بكتاب جملة واحدة من السماء كما أتى موسى بالتوراة وقيل قالوا لرسول الله صلى
الله عليه وسلم **أن تنزل عليهم كتابا من السماء** مخصصا بهم وقيل سألوه أن ينزل
عليهم كتابا إلى فلان وكتابا إلى فلان لنشهد لك بأنك رسول الله وكان هذا
السؤال من اليهود سؤال تعنت واقتراح لا سؤال استرشاد وانقياد والله
تعالى لا ينزل الآيات على اقتراح العباد لأن معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم
كانت قد تقدمت وظهرت فكان طلب الزيادة من باب التعنت قوله
تعالى **فقد سألوا موسى أكبر من ذلك** يعني أعظم من الذي سألوك يا محمد وفيه
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والتوبيخ والتقريع لليهود حيث سألوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم سؤال تعنت والمعنى لا يعظمن عليك يا محمد سؤالهم ذلك
فإنهم من فرط جهلهم واجترائهم على الله لو أتيتهم بكتاب من السماء لما آمنوا بك
وإنما أسند السؤال إلى اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم
وإن وجد هذا السؤال من آبائهم الذين كانوا في أيام موسى عليه السلام
لأنهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم وشاكلين لهم في التعنت فقالوا
يعني أسلاف هؤلاء اليهود **أرنا الله جهرة** يعني عيانا والمعنى أرناه نره جهرة

وذلك أن سبعين من بني إسرائيل خرجوا مع موسى عليه السلام إلى الجبل فقالوا ذلك
وقد تقدمت القصة في سورة البقرة **فأخذتهم الصاعقة بظلمهم** يعني بسبب
ظلمهم وسؤالهم الرؤية **ثم اتخذوا العجل** يعني إلها وهم الذين خلفهم موسى مع
أخيه هارون حين خرج إلى ميقات ربه **من بعد ما جاءتهم البينات** يعني الدلالات
الواضحات الدالة على صدق موسى وهي العصا واليد وفلق البحر وغير ذلك
من المعجزات الباهرات **فعفونا عن ذلك** يعني عن ذلك الذنب العظيم فلم
نستأصل عبدة العجل والمقصود من هذا تسلية النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى
أن هؤلاء الذين يطلبون منك يا محمد أن تنزل عليهم كتابا من السماء إنما يطلبونه
عنادا ولجاجا فإني قد أنزلت التوراة جملة واحدة على موسى وآتيته من المعجزات
الباهرات والآيات البينات ما فيه كفاية ثم إنهم طلبوا الرؤية على سبيل العناد
وعبدوا العجل وكل ذلك يدل على جهلهم وأنهم مجبولون على اللجاج والعناد وفي قوله
فعفونا عن ذلك استدعاء إلى التوبة والمعنى أن أولئك الذين أجرموا لما تابوا عفونا
عنهم فتوبوا أنتم فنعفو عنكم **وآتينا موسى سلطانا مبينا** يعني حجة واضحة
تدل على صدقه وهي المعجزات الباهرات التي أعطاها الله عز وجل لموسى عليه
السلام قوله عز وجل **ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم** يعني ورفعنا فوقهم الجبل
المسمى بالطور بسبب أخذ ميثاقهم وذلك أن بني إسرائيل امتنعوا من قبول
التوراة والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى أظلهم ليخافوا فلا ينقضوا العهد
والميثاق **وقلنا لهم** يعني والطور مظلهم **ادخلوا الباب سجدا** فخالفوا ودخلوا
وهم يزحفون على أستاههم **وقلنا لهم لا تعدوا في السبت** يعني وقلنا لهم
لا تجاوزوا في يوم السبت إلى ما لا يحل لكم فيه وذلك أنهم نهوا أن يصطادوا السمك في يوم
السبت فتجاوزوا ما حد لهم واعتدوا واصطادوا فيه وقيل المراد به النهي عن العمل والكسب
في يوم السبت **وأخذنا منهم ميثاقا غليظا** يعني وأخذنا منهم عهدا مؤكدا شديدا
بأنهم يعملون بما أمرهم الله به وأن ينتهوا عما نهاهم عنه ثم إنهم نقضوا ذلك الميثاق وهو
قوله تعالى **فبما نقضهم ميثاقهم** يعني فبنقضهم وما صلة للتوكيد والمعنى
فبسبب نقضهم ميثاقهم لعناهم وسخطنا عليهم وفعلنا بهم ما فعلنا **وكفرهم بآيات**
الله وجحودهم بآيات الله الدالة على صدق أنبيائه **وقتلهم الأنبياء** يعني بعد
قيام الحجة والدلالة على صحة نبوتهم **بغير حق** يعني بغير استحقاق لذلك القتل
وقولهم قلوبنا غلف يعني وبقولهم على قلوبنا أغطية وغشاوة فهي لا تفقه
ما تقول جمع أغلف وقيل هو جمع غلاف يعني قلوبنا أوعية للعلم فلا حاجة بنا
إلى ما تدعونا إليه ثم رد الله عليهم بقوله **بل طبع الله عليها بكفرهم** يعني بل
ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم **فلا يؤمنون إلا قليلا** يعني إيمانهم بموسى والتوراة
وكفرهم بما سواه من الأنبياء والكتب وقيل لا يؤمنون قليلا ولا كثيرا وقيل المراد بالقليل
هو عبد الله بن سلام وأصحابه الذين آمنوا من اليهود قوله تعالى **وبكفرهم وقولهم**
على مريم بهتانا عظيما يعني حين رموها بالزنا وذلك أنهم أنكروا قدرة الله تعالى
على خلق الولد من غير أب ومنكر قدرة الله كافر فالمراد بقوله وبكفرهم هو إنكارهم
قدرة الله تعالى والمراد بقولهم على مريم بهتانا عظيما هو رميهم إياها بالزنا وإنما
سماه بهتانا عظيما لأنه قد ظهر عند ولادة مريم من المعجزات ما يدل على براءتها من ذلك

فلهذا السبب وصف الله قول اليهود على مريم بالبهتان العظيم قوله عز وجل **وقولهم**
إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ادعت اليهود أنهم قتلوا عيسى عليه السلام
وصدقتهم النصارى على ذلك فكذبهم الله عز وجل جميعا ورد عليهم بقوله **وما قتلوه**
وما صلبوه وفي قوله رسول الله قولان أحدهما أنه من قول اليهود فيكون المعنى أنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم على زعمه والقول الثاني أنه من قول الله لا على وجه الحكاية
عنهم وذلك أن الله أبدل ذكرهم في عيسى عليه السلام القول القبيح بالقول الحسن
رفعا لدرجته عما كانوا يذكرونه من القول القبيح وقوله تعالى **ولكن شبه لهم** يعني
ألقي شبه عيسى على غيره حتى قتل وصلب واختلف العلماء في صفة التشبيه الذي
شبه على اليهود في أمر عيسى عليه السلام فروى الطبري بسنده عن وهب بن منبه
قال أتى اليهود عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين في بيت فأحاطوا بهم فلما دخلوا
عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم سحرتمونا لتبرزن لنا عيسى
أو لنقتلنكم جميعا فقال عيسى لأصحابه من يشتري نفسه منكم اليوم بالجنة فقال
رجل منهم أنا فخرج إليهم وقال أنا عيسى وقد صوره الله على صورة عيسى
فأخذوه فقتلوه وصلبوه فمن ثم شبه لهم وظنوا أنه عيسى وأنهم قد قتلوا عيسى
وظنت النصارى مثل ذلك ورفع الله عيسى من يومه ذلك **وفي رواية**
أخرى عن وهب أن عيسى عليه السلام قال لأصحابه ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح
الديك ثلاث مرات وليبيعني بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا
وكانت اليهود تطلبه فأخذوا سمعون أحد الحواريين فقالوا هذا من أصحاب
عيسى فجحد وقال ما أنا بصاحبه فتركوه ثم أخذه آخر فجحد كذلك فلما
أصبح أتى بعض الحواريين إلى اليهود وكان منافقا فقال ما تجعلون لي إن
أدللتكم على المسيح فجعلوا له ثلاثين درهما فدلهم عليه فألقى الله شبه عيسى
على ذلك المنافق الذي دل عليه فأخذوه فقتلوه وصلبوه وهم يظنون أنه
عيسى وقال قتادة إن أعداء الله اليهود زعموا أنهم قتلوا عيسى وصلبوه وذكر
لنا أن نبي الله عيسى بن مريم عليه السلام قال لأصحابه أيكم يقذف عليه شبهي
وله الجنة فإنه مقتول فقال رجل منهم أنا يا نبي الله فأخذ ذلك الرجل فقتل
وصلب ورفع الله عيسى إلى السماء وقيل إن اليهود حبسوا عيسى في بيت وجعلوا
عليه رقيبا يحفظه فألقى الله شبه عيسى على ذلك الرقيب فأخذ فقتل وصلب
ورفع الله عز وجل عيسى في ذلك الوقت قال الطبري وأولى الأقوال
بالصواب ما ذكرناه عن وهب بن منبه من أن شبه عيسى عليه السلام ألقي على جميع
من كان مع عيسى في البيت حين أحيط به وبهم من غير مسألة عيسى إياهم
ذلك ليخزي الله بذلك اليهود وينقذ به نبيه عيسى عليه السلام من كل
مكروه أرادوه به من قتل وغيره وليبتلي من أراد ابتلاءه من عباده ويحتمل أن
يكون الذي شبه على بعض أصحابه بعد ما تفرق عنه أصحابه ورفع الله عيسى
عليه السلام وبقي ذلك فأخذ فقتل وصلب وظن أصحابه واليهود أن الذي
قتلوه وصلبوه هو عيسى لما رأوا من شبهه به وخفي أمر عيسى عليهم وكانت
حقيقة ذلك أمر عند الله تعالى فلذلك قال تعالى وما قتلوه وما صلبوه
ولكن شبه لهم **وإن الذين اختلفوا فيه** يعني في قتل عيسى وهم اليهود **لفي شك منه**

يعني

يعني من قتله وذلك أن اليهود لما قتلوا ذلك الشخص المشبه بعيسى وكان قد ألقي الشبه
على وجه ذلك الشخص دون جسده فلما قتلوه نظروا إلى جسده فرأوه غير جسد عيسى
فقالوا الوجه وجه عيسى والجسد غيره فهذا هو اختلافهم فيه وقيل إن اليهود لما حبسوا
عيسى وأصحابه في البيت دخل عليه رجل منهم ليخرجه إليهم فألقى الله شبه عيسى على وجه
ذلك الرجل فأخذ وقتل ورفع الله عز وجل عيسى إلى السماء ففقدوا صاحبهم فقالوا
إن كنا قتلنا المسيح فأين صاحبنا وإن كنا قتلنا صاحبنا فأين عيسى فهذا هو اختلافهم
فيه وقيل الذين اختلفوا فيه هم النصارى فبعضهم يقول إن القتل وقع على ناسوت
عيسى دون لاهوته وبعضهم يقول وقع القتل عليهما جميعا وبعضهم يقول إنه ما قتل
وبعضهم يقول إنه رفع إلى السماء فهذا هو اختلافهم قال الله تعالى **ما لهم به من علم**
يعني أنهم قتلوا من قتلوه على شك منهم فيه ولم يعرفوا حقيقة ذلك المقتول هل هو عيسى
أم غيره **إلا اتباع الظن** يعني لكن يتبعون الظن في قتله ظنا منهم أنه عيسى لا عن
علم وحقيقة **وما قتلوه يقينا** قال ابن عباس يعني لم يقتلوا ظنهم يقينا فعلى
هذا القول تكون الهاء في قتلوه عائدة على الظن والمعنى ما قتلوا ذلك الظن
يقينا ولم يزل ظنهم ولم يرتفع ما وقع لهم من الشبه في قتله فهو كقول العرب قتله علما
وقتله يقينا يعني علمه تاما وأصل ذلك أن القتل للشيء يكون عن قهر واستيلاء
وغلبة ومعنى الآية على هذا لم يكن علمهم بقتل عيسى علما كاملا تاما إنما كان
ظنا منهم أنما قتلوه ولم يكن لذلك حقيقة وقيل إن الهاء في قتلوه عائدة على
عيسى والمعنى وما قتلوا المسيح يقينا كما ادعوا أنهم قتلوه وقيل إن قوله يقينا
يرجع إلى ما بعده تقديره وما قتلوه **بل رفعه الله إليه** يقينا والمعنى أنهم
لم يقتلوا عيسى ولم يصلبوه ولكن الله رفعه إليه وطهره من الذين كفروا
وخلصه ممن أراده بسوء وقد تقدم كيف كان رفعه في سورة آل عمران بما فيه كفاية
وقوله تعالى **وكان الله عزيزا** يعني في اقتداره على من يشاء من عباده **حكيما**
يعني في إنجاء عيسى عليه السلام وتخليصه من اليهود وقيل عزيزا في انتقامه من
اليهود فسلط عليهم ططيوس بن اسبيانوس الرومي فقتل منهم مقتلة عظيمة
حكيما حكم باللعنة والغضب على اليهود حيث ادعوا هذه الدعوة الكاذبة قوله
تعالى **وإن من أهل الكتاب** يعني وما من أحد من أهل الكتاب **إلا ليؤمنن به** يعني
بعيسى عليه السلام وأنه عبد الله ورسوله وروحه وكلمته هذا قول ابن عباس
وأكثر المفسرين وقال عكرمة في قوله إلا ليؤمنن به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم
وهذا القول لا وجه له لأنه لم يجر للنبي صلى الله عليه وسلم ذكر قبل هذه الآية
حتى يرجع الضمير إليه فقول الأكثرين أولى لأنه تقدم ذكر عيسى عليه السلام فكان
عود الضمير إليه أولى **قبل موته** اختلف المفسرون في هذا الضمير إلى من يرجع
فقال ابن عباس وأكثر المفسرين إن الضمير يرجع إلى الكتابي والمعنى وما
من أحد من أهل الكتاب إلا آمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابي ولكن يكون
ذلك الإيمان عند الحشرجة حين لا ينفعه إيمانه سواء احترق أو تردى من
شاهق أو سقط عليه جدار أو أكله سبع أو مات فجأة فقيل له أرأيت إن خر من
فوق بيت قال يتكلم به في الهواء فقيل له أرأيت إن ضربت عنقه قال يتلجلج بها
لسانه وقال شهر بن حوشب إن اليهودي إذا حضره الموت ضربت الملائكة وجهه

وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول امنت انه عبد الله ورسوله ويقول
للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله وابن الله فيقول امنت انه عبد الله واهل
الكتاب يؤمنون به ولكن حيث لا ينفعهم ذلك الايمان وذهب جماعة من اهل
التفسير الى ان الضمير يرجع الى عيسى عليه السلام وهو رواية ابن عباس ايضا والمعنى
وما من احد من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله
من السما في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا امن بعيسى حتى تكون الملة
واحدة وهي ملة الاسلام قال عطا اذا نزل عيسى الى الارض لا يبقى يهودي ولا
نصراني ولا احد يعبد غير الله الا امن بعيسى وانه عبد الله وكلمته ويدل على صحة
هذا القول ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير
ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد زاد في رواية حتى تكون السجدة
الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول ابو هريرة اقرؤا ان شئتم وان من اهل
الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته الاية وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن
الجزية وليتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحنا والتباغض والتحاسد
وليدعون الى المال فلا يقبله احد اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث
دليل على ان عيسى ينزل في اخر الزمان في هذه الامة ويحكم بشريعة محمد صلى
الله عليه وسلم وانه لا ينزل نبيا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة بل يكون حاكما
من حكام هذه الامة ولما من ائمتهم لقوله عليه الصلاة والسلام فيكسر الصليب
يعني فيكسره حقيقة ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه وكذلك قتل الخنزير
وقوله ويضع الجزية يعني لا يقبلها من احد من اليهود والنصارى ولا يقبل
من احد الا الاسلام او القتل وعلى هذا قد يقال هذا خلاف ما هو حكم الشرع
اليوم فان الكتابي اذا بذل الجزية وجب علينا قبولها منه ولم يجز قتله ولا اجباره
على الاسلام والجواب ان هذا الحكم ليس مستمرا الى يوم القيمة بل هو مقيد بما قبل
نزول عيسى عليه السلام وقد اخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم بنسخه وليس الناسخ
هو عيسى عليه السلام بل الناسخ لهذا الحكم هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم
لانه هو المبين للنسخ وان عيسى عليه السلام يحكم بشريعة محمد صلى الله عليه
وسلم فدل على ان الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم والله اعلم قال الزجاج هذا القول بعيد يعني قول من
قال ان ايمان اهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله في اخر الزمان [illegible]
لعموم قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قال والذين يبقون يومئذ
يعني عند نزوله شرذمة قليلة منهم واجاب اصحاب القول الاول عن هذا القول يعني
الذين يقولون ان ايمان اهل الكتاب بعيسى انما يكون عند نزوله في اخر
الزمان لا ينكران هذا ان على العموم ولكن المراد بهذا العموم الذين يشاهدون
ذلك الوقت ويدركون نزوله فيؤمنون به ويكون معنى الاية وما من احد من
اهل الكتاب ادرك ذلك الوقت الا امن بعيسى عند نزوله من السما وصحح الطبري
هذا القول وقال عكرمة في معنى الاية وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن بمحمد صلى

عليه

عليه وسلم قبل موت الكتابي فلا يموت يهودي ولا نصراني حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه
وسلم وذلك عند الحشرجة حين لا ينفعه ايمانه وقوله تعالى **ويوم القيمة يكون عليهم
شهيدا** يعني يكون عيسى عليه السلام شاهدا على اليهود انهم كذبوه وطعنوا فيه
وعلى النصارى انهم اتخذوه ربا واشركوا به ويشهد على تصديق من صدقه منهم وامن
به قال قتادة معناه انه يكون شهيدا يوم القيمة انه قد بلغ رسالة ربه واقر على
نفسه بالعبودية قوله عز وجل **فبظلم من الذين هادوا** يعني فبسبب ظلم منهم
حرمنا عليهم طيبات احلت لهم يعني ما حرمنا عليهم الطيبات التي كانت حلالا
لهم الا بظلم عظيم ارتكبوه وذلك الظلم هو ما ذكر من نقضهم الميثاق وما عدد
عليهم من انواع الكفر والكبائر العظيمة مثل قولهم اجعل لنا الها كما لهم الهة
وكقولهم ارنا الله جهرة وكعبادتهم العجل فبسبب هذه الامور حرم الله عليهم
طيبات كانت حلالا عليهم وهي ما ذكر في سورة الانعام في قوله وعلى الذين
هادوا حرمنا كل ذي ظفر **وقال الطبري** في معنى الاية فحرمنا
على اليهود الذين نقضوا ميثاقهم الذي واثقوا ربهم وكفروا بايات الله وقتلوا
انبياءهم وقالوا البهتان على مريم وفعلوا ما وصفهم الله به في كتابه طيبات من المأكل
وغيرها التي كانت لهم حلالا عقوبة لهم بظلمهم الذي اخبر الله عنهم في كتابه
وروي عن قتادة قال عوقب القوم بظلم ظلموه وبغي بغوه حرمت عليهم اشيا
ببغيهم وظلمهم ونقل الواحدي وابن الجوزي عن مقاتل قال كان الله حرم على
اهل التورية ان ياكلوا الربا ونهاهم ان ياكلوا اموال الناس ظلما بالباطل وصدوا
عن دين الله وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فحرم الله عليهم عقوبة لهم ما ذكر
في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية قال الواحدي فاما وجه تحريم
الطيبات عليهم كيف ومتى كان وعلى لسان من حرم عليهم فلم اجد فيه شيا انتهى
اليه فتركته ولقد انصف الواحدي فيما قال فان هذه الاية في غاية الاشكال
وبيانه ان الله تعالى لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه وقد ذكر المفسرون في بعض
الظلم المذكورة في الاية ما تقدم ذكره وكلها ذنوب في المستقبل **فان قلت**
علم الله تعالى وقوع هذه الذنوب منهم قبل وقوعها فحرم عليهم ما حرم من الطيبات
التي كانت لهم حلالا عقوبة لهم على ما سيقع منهم **قلت** جوابه ما تقدم
وهو ان الله لا يعاقب على ذنب قبل وقوعه وهذا لم يذكره الامام فخر الدين في تفسير
هذه الاية ما ذكره المفسرون بل ذكر تفسيرا اجماليا فقال اعلم ان انواع الذنوب
محصورة في نوعين الظلم للخلق والاعراض عن الدين الحق اما ظلم الخلق فاليه
الاشارة بقوله **وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه**
ثم انهم مع ذلك في غاية الحرص على طلب المال فتارة يحصلونه بطريق الربا
مع انهم قد نهوا عنه وتارة يحصلونه بطريق الرشوة وهو المراد بقوله **واكلهم اموال
الناس بالباطل** فهذه الانواع هي الذنوب التي شدد عليهم بسببها في الدنيا
وفي الاخرة اما التشديد في الدنيا فهو ما تقدم من تحريم الطيبات عليهم واما
التشديد في الاخرة فهو ما تقدم من تحريم الطيبات عليهم واما التشديد في
الاخرة فهو المراد بقوله تعالى **واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما** قال
المفسرون انما قال منهم لان الله علم ان قوما منهم سيؤمنون فيامنون من العذاب

قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم يعني من اليهود وهذا استثناء استثنى الله عز وجل من
آمن من اهل الكتاب ممن تقدم وصفهم وصفتهم في الايات التي تقدمت قبلها فيما تقدم حال
كفار اليهود والجهال منهم وبين في هذه الاية حال من هداه الله منهم وارشده للعمل بما علم
فقال لكن الراسخون في العلم ولكن هنا يعني الاستدراك والاستثناء والراسخون في العلم
الثابتون في العلم البالغون فيه اولو البصائر النافذة والعقول الصافية وهم عبد الله بن
سلام واصحابه الذين اسلموا من اهل الكتاب لانهم رسخوا في العلم وعلموا حقيقته فاوصلهم
ذلك الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون يعني بالله ورسله يؤمنون
بما انزل اليك يعني بالقران الذي انزل اليك وما انزل من قبلك يعني ويؤمنون
بسائر الكتب التي انزلها الله على انبيائه من قبلك يا محمد وفي المراد بالمؤمنين هنا قولان
احدهما انهم اهل الكتاب فيكون المعنى لكن الراسخون في العلم منهم وهم المؤمنون
والقول الثاني انهم هم المهاجرون والانصار من هذه الامة فيكون قوله والمؤمنون ابتداء
كلام مستانف يؤمنون بما انزل اليك يعني انهم يصدقون بالقران الذي انزل اليك
يا محمد وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة اختلف العلماء في وجه نصبه فحكي عن
عائشة وابان بن عثمان انه غلط من الكتاب ينبغي ان تكتب والمقيمون الصلاة
وقال عثمان بن عفان ان في المصحف لحنا ستقيمه العرب بالسنتها فقيل له الا تغيره
فقال دعوه فانه لا يحل حراما ولا يحرم حلالا وذهب عامة الصحابة وسائر العلماء
بعدهم الى انه لفظ صحيح ليس فيه خطا من كاتب ولا غيره واجب
كما روي عن عثمان وعائشة وابان بن عثمان بان هذا بعيد جدا لان الذين جمعوا
القران هم اهل اللغة والفصاحة والقدرة على ذلك فكيف يتركون في كتاب الله لحنا
يصلحه غيرهم فلا ينبغي ان ينسب هذا اليهم قال ابن الانباري ما روي عن عثمان
لا يصح لانه غير متصل ومحال ان يؤخر عثمان شيئا فاسدا ليصلحه غيره ولان القران
منقول بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن ثبوت اللحن فيه
وقال الزمخشري في الكشاف ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف
وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب يعني كتاب سيبويه ولم يعرف مذاهب العرب
وما لهم في النصب على الاختصاص والمدح من الافتنان وهو باب واسع قد ذكره
سيبويه على امثلة وشواهد وربما غبي عليه ان السلف الاولين كانوا ابعد
همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله عز وجل
ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم ثم اختلف العلماء في
المقيمين الصلوة انهم الراسخون في العلم ام غيرهم على قولين احدهما انهم هم وانما نصب
على المدح والمعنى اذكر المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة قالوا والعرب تفعل
ذلك في صفة الشيء الواحد ونعته اذا تطاولت بمدح او ذم فربما خالفوا بين اعراب
اوله واوسطه احيانا ثم رجعوا باخره الى اعراب اوله وربما اجروا اعراب اخره على
اعراب اوسطه وربما اجروا ذلك على نوع واحد من الاعراب واستشهدوا على صحة
الاية

لا يبعدن قومي الذين هم ❊ سم العداة وافة الجزر ❊
النازلين بكل معترك ❊ والطيبون معاقد الازر ❊

وهذا على معنى اذكر النازلين وهم الطيبون ومن هذا المعنى قوله [illegible]

المطعمين

المطعمين وهم المعينون والقول الثاني ان المقيمين الصلاة غير الراسخين في العلم
وموضع المقيمين الصلاة خفض بالعطف على قوله تعالى بما انزل اليك وعلى هذا القول
يكون معنى الاية والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالمقيمين الصلوة
وهم الانبياء لانه لم يخل شرع احد منهم من اقامة الصلوة وقيل المراد بهم الملائكة لانهم
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وصحح الزجاج القول الاول واختاره وقوله تعالى
والمؤتون الزكاة عطف على والمؤمنون لانه من صفتهم والمؤمنون بالله واليوم الاخر
يعني والمصدقون بوحدانية الله تعالى وبالبعث بعد الموت وبالثواب والعقاب اولئك يعني
من هذه الاوصاف صفته سنؤتيهم اجرا عظيما يعني سنعطيهم على ما كان من طاعة الله
واتباع امره ثوابا عظيما وهو الجنة قوله عز وجل انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح
والنبيين من بعده قال ابن عباس قال [illegible] وعدي بن زيد يا محمد ما نعلم ان الله
انزل على بشر من شيء بعد موسى فانزل الله هذه الايات وقيل هو جواب لاهل الكتاب
عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء جملة واحدة
فاجاب الله عز وجل عن سؤالهم بهذه الاية فقال انا اوحينا اليك يا محمد كما اوحينا الى
نوح والنبيين من بعده والمعنى انكم يا معشر اليهود تقرون بنبوة نوح وجميع
الانبياء المذكورين في هذه الاية [illegible] عشر نبيا والمعنى ان الله تعالى اوحى الى هولاء
الانبياء وانتم يا معشر اليهود معترفون بذلك وما انزل الله على احد من هولاء
المذكورين كتابا جملة واحدة مثل ما انزل على موسى فلما لم يكن عدم انزال الكتاب
جملة واحدة على احد هولاء الانبياء قادحا في نبوته فكذلك لم يكن انزال
القران على محمد صلى الله عليه وسلم قادحا في نبوته بل قد انزل عليه كما انزل عليهم
قال المفسرون وانما بدا الله عز وجل بذكر نوح عليه السلام لانه اول نبي بعث
بشريعة واول نذير على الشرك وانزل الله عز وجل عليه عشر صحائف وكان اول من
عذبت امته لردهم دعوته واهلك اهل الارض بدعائه وكان ابا البشر كادم عليهما السلام
وكان اطول الانبياء عمرا عاش الف سنة لم تنقص قوته ولم يشب ولم ينقص له سن وصبر
على اذى قومه طول عمره ثم ذكر الانبياء من بعده جملة بقوله تعالى والنبيين من
بعده ثم خص جماعة من الانبياء بالذكر لفضلهم وشرفهم فقال واوحينا الى ابراهيم
واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب وكانوا اثني عشر وعيسى
وايوب ويونس وهرون وسليمان واتينا داود زبورا يعني واتينا داود كتابا
مزبورا يعني مكتوبا وقيل الزبور بالفتح اسم للكتاب الذي انزل على داود وهو مائة
وخمسون سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام بل كلها تسبيح وتقديس
وتحميد وثناء على الله عز وجل ومواعظ وكان داود عليه السلام يخرج الى البرية
فيقوم ويقرا الزبور ويقوم علماء بني اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء
ويقوم الجن خلف الناس والشياطين خلف الجن وتجي الدواب التي في الجبال فيقمن
بين يديه وترفرف الطير على رؤس الناس يستمعون لقراءة داود ويتعجبون
منها فلما قارف الذنب زال عنه ذلك وقيل له كان ذلك انس الطاعة وهذا
ذل المعصية (ق) عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو رايتني البارحة وانا استمع لقراءتك لقد اعطيت مزمارا من مزامير ال
داود فقال [illegible] والله يا رسول الله لو علمت انك تستمع لقراءتي

لحسن بها لك تحبيرا التحبير تحسين الصوت بالقراءة قال بعض العلماء انما لم يذكر موسى
عليه السلام في هذه الاية لان الله انزل عليه التوراة جملة واحدة وكان المقصود بذكر
من ذكر من الانبياء في الاية انه لم ينزل على احد منهم كتابا جملة واحدة فلهذا لم يذكر
موسى عليه السلام قوله تعالى **ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل** لما نزلت
هذه الاية قالت اليهود وما لموسى لم يذكر فانزل الله هذه الاية وفيها ذكر موسى عليه
السلام والمعنى ولو حينا الى رسل قد قصصناهم عليك من قبل يعني سميناهم
في القرآن وعرفناك اخبارهم والحوادث فيهم **ورسلا لم نقصصهم عليك**
اي لم نسمهم ولم نعرفك اخبارهم قال اهل المعاني الذي ذكره الله بذكرهم من
الانبياء يدل على تفضيلهم على من لم يذكر ولم يسم وقوله تعالى **وكلم الله موسى تكليما**
يعني خاطبه مخاطبة من غير واسطة لان تاكيد كلم بالمصدر يدل على تحقيق
الكلام وان موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى بلا شك لان افعال المجاز لا تؤكد
بالمصادر فلا يقال اراد الحائط ان يسقط ارادة وهذا رد على من يقول ان الله تعالى
خلق كلاما في محل فسمع موسى ذلك الكلام وقال الفراء العرب تسمي ما يوصل
الى الانسان كلاما باي طريق وصل لكن لا تحققه بالمصدر فاذا حقق بالمصدر
لم يكن الا حقيقة الكلام فدل قوله تعالى تكليما على ان موسى سمع كلام الله حقيقة من
غير واسطة روى الطبري بسنده من عدة طرق عن كعب الاحبار قال لما كلم الله
عز وجل موسى عليه السلام كلمه بالالسنة كلها قبل كلامه يعني كلام موسى بلسانه
فجعل موسى يقول يا رب لا افهم حتى كلمه بلسانه اخر الالسنة فقال يا رب هكذا
كلامك قال لو سمعت كلامي على وجهه لم تك شيئا قال موسى يا رب هل في خلقك شيء
يشبه كلامك قال لا واقرب خلقي شبها بكلامي اشد ما يسمع الناس من الصواعق
قال بعض العلماء كما ان الله تعالى خص موسى عليه السلام بالتكلم وشرفه ولم يكن
ذلك قادحا في نبوة غيره من الانبياء فكذلك انزال التوراة جملة واحدة لم يكن
قادحا في نبوة من انزل عليه كتابا متفرقا من الانبياء قوله عز وجل **رسلا مبشرين ومنذرين**
يعني انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ومن اولئك النبيين رسلا الى
خلقي مبشرين من اطاعني واتبع امري وصدق رسلي بالثواب الجزيل في الجنة ومنذرين
من عصاني وخالف امري وكذب رسلي بالعذاب الاليم في النار وقيل هو جواب
عن سؤال اليهود ولم انزل الكتاب جملة واحدة والمعنى ان المقصود من بعثة الرسل
هو ارشاد الخلق الى معرفة الله وتوحيده والايمان به والاشتغال بعبادته والانذار
من خالف ذلك وهذا المقصود يحصل بانزال الكتاب جملة واحدة وبانزاله
نجوما متفرقة بل انزاله متفرقا اولى وذلك انه لو تقوس قبل بعثة الرسل
وانزال الكتاب عليهم لم يكن يعرف شيئا من العبادات ولم يتعلمها فاذا انزل الكتاب
جملة واحدة وفيه جميع التكاليف ربما حصل في بعض تعويق العباد بعد ورود تلك
التكاليف وتثقل عليهم كما اخبر عن قوم موسى بقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم
كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه فلم يقبلوا احكام
التوراة الا بعد شدة فلهذا السبب كان انزال الكتاب نجوما متفرقة اولى وقوله
تعالى **لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** يعني بعد ارسال الرسل
وانزال الكتب والمعنى لئلا يحتج الناس على الله في ترك التوحيد والطاعة بعدم

الرسل فيقولوا لولا ارسلت الينا رسولا وما انزلت علينا كتابا وفيه دليل على انه لو لم يبعث
الرسل لكان للناس عليه حجة في ترك التوحيد والطاعة وفيه دليل على ان الله لا يعذب
الخلق قبل بعثة الرسل كما قال الله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
وفيه دليل لمذهب اهل السنة على ان معرفة الله تعالى لا تثبت الا بالسمع لان
قوله لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل يدل على ان قبل بعثة الرسل يكون لهم
حجة في ترك الطاعات والعبادات **فان قلت** كيف يكون للناس على الله
حجة قبل الرسل والخلق محجوجون بما نصب من الادلة التي النظر فيها موصل الى
معرفته ووحدانيته كما قيل
وفي كل شيء له اية تدل على انه واحد
قلت الرسل منبهون من رقاد الغفلة والجهالة وباعثون الخلق الى النظر
في تلك الدلائل التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى ويبينون لها وهم روابط
بين الله وخلقه ويبينون احكام الله التي افترضها على عباده ومبلغون رسالته
اليهم (ق) عن المغيرة بن شعبة قال قال سعد بن عبادة لو رايت رجلا مع امراتي
لضربته بالسيف غير مصفح فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
اتعجبون من غيرة سعد والله لانا اغير منه والله اغير مني ومن اجل غيرة الله
حرم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا احد احب اليه العذر من الله من اجل
ذلك بعث المنذرين والمبشرين ولا احد احب اليه المدحة من الله ومن اجل
ذلك وعد الجنة لفظ البخاري وفي لفظ لمسلم ولا شخص احب اليه العذر من الله
ومن اجل ذلك بعث الله المرسلين مبشرين ومنذرين قوله تعالى **وكان الله عزيزا**
يعني في انتقامه ممن خالف امره وعصى رسله **حكيما** يعني في ارسال الرسل قوله
تعالى **لكن الله يشهد بما انزل اليك** قال ابن عباس دخل على رسول الله صلى
الله عليه وسلم جماعة من اليهود فقال لهم اني والله اعلم انكم لتعلمون اني رسول الله فقالوا
ما نعلم ذلك فانزل الله هذه الاية وفي رواية عن ابن عباس قال ان رؤساء مكة اتوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا سالنا عنك اليهود وعن صفتك في كتابهم
فزعموا انهم لا يعرفونك فانزل الله عز وجل لكن الله يشهد بما انزل اليك والمعنى ان
جحدك هؤلاء اليهود يا محمد وكفروا بما اوحينا اليك وقالوا ما انزل الله على بشر من
شيء فقد كذبوا فيما ادعوا فان الله يشهد لك بالنبوة ويشهد بما انزل اليك من كتابه
ووحيه والمعنى ان اليهود وان شهدوا ان القرآن لم ينزل عليك يا محمد لكن الله
يشهد بانه انزله عليك وشهادة الله انما عرفت بسبب انه انزل هذا القرآن البالغ
في الفصاحة والبلاغة الى حيث عجز الاولون والاخرون عن معارضته والاتيان
بمثله فكان ذلك معجزا واظهار المعجزة شهادة بكون المدعي صادقا فلا جرم قال
الله تعالى لكن الله يشهد لك يا محمد بالنبوة بواسطة هذا القرآن الذي انزله اليك
انزله بعلمه يعني انه تعالى لما قال لكن الله يشهد بما انزل اليك بين صفة ذلك
الانزال وهو انه تعالى انزله بعلم تام وحكمة بالغة وقيل معناه انزله وهو عالم
بانك اهل لما انزله عليك وانك مبلغه الى عباده وقيل معناه انزله بما علم من مصالح
عباده في انزاله عليك **والملائكة يشهدون** يعني يشهدون بان الله انزله
عليك ويشهدون بتصديقك وانما عرفت شهادة الملائكة لان الله تعالى اخبر بشهادتهم

شهدت الملائكة بذلك لشيء وقد ثبت ان الله يشهد بانه انزله بعلمه وكذلك الملائكة يشهدون بذلك **وكفى بالله شهيدا** يعني وحسبك يا محمد ان الله يشهد لك بذلك وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد معه احد غيره ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن شهادة اهل الكتاب له فان الله يشهد له وملائكته كذلك قوله عز وجل **ان الذين كفروا** يعني جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهم اليهود **وصدوا عن سبيل الله** يعني منعوا غيرهم عن الايمان به بكتمان صفته والقاء الشبهات في قلوب الناس وهو قولهم لو كان محمد صلى الله عليه وسلم رسولا لاتى بكتاب من السماء جملة واحدة كما اتى موسى بالتوراة **قد ضلوا ضلالا بعيدا** يعني عن طريق الهدى **ان الذين كفروا وظلموا** يعني كفروا بالله وظلموا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان صفته وظلموا غيرهم بالقاء الشبهات في قلوبهم **لم يكن الله ليغفر لهم** يعني لمن علم منهم انهم يموتون على الكفر وقيل معناه لم يكن الله ليستر عليهم قبائح افعالهم بل يفضحهم في الدنيا ويعاقبهم عليها بالقتل والسبي والجلاء وفي الآخرة بالنار وهو قوله **ولا ليهديهم طريقا** يعني ينجون فيها من النار وقيل لا ليهديهم طريقا الى الاسلام لانه قد سبق في علمه انهم لا يؤمنون **الا طريق جهنم** يعني لكنه تعالى يهديهم الطريق المؤدي الى جهنم وهي اليهودية لما سبق في علمه انهم اهل لذلك **خالدين فيها** يعني في جهنم **ابدا وكان ذلك على الله يسيرا** معناه هينا قوله تعالى **يا ايها الناس** هذا خطاب عام يدخل فيه جميع الكفار من اليهود والنصارى وعبدة الاصنام وغيرهم وقيل هو خطاب لمشركي العرب **قد جاءكم الرسول** يعني محمدا صلى الله عليه وسلم **بالحق** يعني بدين الاسلام الذي ارتضاه الله لعباده وقيل جاء بالقرآن الذي هو الحق **من ربكم** يعني من عند ربكم **فآمنوا خيرا لكم** يعني فآمنوا بما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم يكن الايمان به خيرا لكم يعني من الكفر الذي انتم عليه **وان تكفروا** يعني وان تجحدوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وتكذبوا بما جاءكم به من الحق من ربكم **فان لله ما في السموات والارض** يعني فان الله هو الغني عن ايمانكم لان له ما في السموات والارض ملكا وعبيدا ومن كان كذلك لم يكن محتاجا الى شيء وانه قادر على ما يشاء **وكان الله عليما** يعني بما يكون منكم لا يخفى عليه شيء من اعمال عباده فيجزي كل عامل بعمله **حكيما** يعني في تكليفكم مع علمه بما يكون منكم قوله عز وجل **يا اهل الكتاب** نزلت هذه الاية في النصارى وذلك ان الله تعالى لما اجاب عن شبه اليهود فيما تقدم من الايات تمم ذلك بابطال ما يعتقده النصارى واصناف النصارى اربعة اليعقوبية والملكانية والنسطورية والمرقوسية فاما اليعقوبية والملكانية فقالوا في عيسى انه الله وقالت النسطورية انه ابن الله وقالت المرقوسية ثالث ثلاثة وقيل انهم يقولون ان عيسى جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن عيسى وباقنوم روح القدس الحياة الحالة فيه فتقدير عندهم الاله ثلاثة وقيل انهم يقولون في عيسى ناسوتيه ولاهوتيه فناسوتيته من قبل الام ولاهوتيته من قبل الاب تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ويقال ان الذي اظهر هذا للنصارى رجل من اليهود يقال له بولص ليفسد ودس هذا في دين النصارى ليضلهم بذلك وستاتي قصته في سورة التوبة

ان

ان شاء الله تعالى وقيل يحتمل ان يكون المراد باهل الكتاب اليهود والنصارى جميعا فانهم غلوا في امر عيسى عليه السلام فاما اليهود فانهم بالغوا في التقصير في امره حتى حطوه من منزلته حيث جعلوه مولودا لغير رشده وغلت النصارى في رفع عيسى عن منزلته ومقداره حيث جعلوه الها فقال الله تعالى ردا عليهم جميعا **يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم** واصل الغلو مجاوزة الحد وهو في الدين حرام والمعنى لا تفرطوا في امر عيسى فلا تحطوه عن منزلته ولا ترفعوه فوق قدره ومنزلته **ولا تقولوا على الله الا الحق** يعني لا تقولوا ان لله شريكا او ولدا وقيل معناه لا تصفوا الله بالحلول والاتحاد في بدن انسان ونزهوا الله تعالى عن ذلك ولما منعهم الله من الغلو في دينهم ارشدهم الى طريق الحق في امر عيسى عليه السلام فقال تعالى **انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله** يعني انما المسيح هو عيسى ابن مريم ليس له نسب غير هذا وانه رسول الله فمن زعم غير هذا فقد كفر واشرك **وكلمته** يعني قوله تعالى كن فكان بشرا من غير اب ولا واسطة **القاها الى مريم** يعني اوصلها الى مريم **وروح منه** يعني انه كسائر الارواح التي خلقها الله وانما اضافه الى نفسه على سبيل التشريف والتكريم كما يقال بيت الله وناقة الله وهذه نعمة من الله يعني انه هو المتفضل بها وقيل الروح هو الذي نفخ جبريل عليه السلام في جيب درع مريم فحملت باذن الله وانما اضافه الى نفسه بقوله منه لانه وجد بامر الله وقال بعض المفسرين ان الله لما خلق ارواح البشر جعلها في صلب ادم عليه السلام وامسك عنده روح عيسى فلما اراد الله ان يخلقه ارسل بروحه مع جبريل الى مريم فنفخ في جيب درعها فحملت بعيسى عليه السلام وقيل ان الروح والنفخ متقاربان في كلام العرب فالروح عبارة عن نفخ جبريل عليه السلام وقوله منه يعني ان ذلك النفخ كان بامره واذنه وقيل ادخل التنكير في قوله وروح على سبيل التعظيم والمعنى وروح واي روح من الارواح الشريفة القدسية العالية المطهرة وقيل من اضافة لتلك الروح الى نفسه لاجل التشريف والتكريم (ق) عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق ادخله الله الجنة على ما كان من العمل وقوله تعالى **فآمنوا بالله ورسله** يعني فصدقوا يا اهل الكتاب بوحدانية الله وانه لا ولد له وصدقوا رسله فيما جاءكم به من عند الله وصدقوا بان عيسى عليه السلام من رسل الله فآمنوا به ولا تجعلوه الها وهو قوله تعالى **ولا تقولوا ثلاثة** يعني ولا تقولوا الآلهة ثلاثة وذلك ان النصارى يقولون اب وابن وروح القدس وقيل انهم يقولون ان الله بالجوهر ثلاثة اقانيم وذلك انهم اثبتوا ذاتا موصوفا بصفات ثلاثة دليل انهم يجوزون على تلك الذات الحلول في عيسى وفي مريم فاثبتوا ذواتا متعددة ثلاثة وهذا هو محض الكفر فلهذا قال الله تعالى ولا تقولوا ثلاثة **انتهوا خيرا لكم** يعني يكون الانتهاء عن هذا القول خيرا لكم من القول بالتثليث ثم نزه الله تعالى نفسه عن قول النصارى بالتثليث فقال تعالى **انما الله اله واحد** ثم نزه نفسه عن الولد فقال **سبحانه ان يكون له ولد** يعني لا ينبغي ان يكون له ولد لان الولد جزء من الاب وتعالى الله عن التجزية وعن صفات الحدوث **له ما في السموات وما في الارض** يعني انه تعالى

له ملك السموات والارض وما فيهما عبيده وملكه وعيسى ومريم من جملة من فيهما فهما
عبيده وملكه واذا كانا عبيدين له فكيف يعقل مع هذا ان له ولدا وزوجة تعالى
الله عن ذلك كله علوا كبيرا وهذا بيان لتنزيهه عما نسب اليه من الولد والمعنى
ان جميع ما في السموات والارض خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه لان التجزية
انما تصح في الاجسام والله تعالى منزه عن صفات الاجسام والاعراض **وكفى بالله**
وكيلا يعني ان الله تعالى كاف في تدبير جميع خلقه فلا حاجة له الى غيره وكل الخلق
يحتاجون اليه وفقراء اليه وهو غني عنهم قوله تعالى **لن يستنكف المسيح ان**
يكون عبدا لله وذلك ان وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه
عبد الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بعار على عيسى ان يكون عبدا لله
فنزلت لن يستنكف المسيح يعني لن يانف ولم يتعظم والاستنكاف الاستكبار مع الانفة
يقال نكفت من كذا واستنكفت منه اي انفت منه واصله من نكفت الشي نحيته ونكفت
الدمع اذا نحيته باصبعك من خدك والمعنى لن يتقبض ولن يمتنع ولن يانف المسيح
ان يكون عبدا لله **ولا الملائكة المقربون** يعني ولن يستنكف الملائكة المقربون
وهم حملة العرش والكروبيون وافاضل الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل
وعزرائيل ان يكونوا عبيدا لله لانهم في ملكه ومن جملة خلقه وقيل لما ادعت النصارى
في عيسى انه ابن الله وذلك لما راوا منه خوارق العادات من احيا الموتى وابرا الاكمه
والابرص وغير ذلك من المعجزات اجاب الله تعالى عن هذه الشبهة التي وقعت
للنصارى بان عيسى مع شرف قدره وكرامته لن يستنكف ان يكون عبدا لله وكذلك
الملائكة المقربون فانهم مع كرامتهم وعلو منزلتهم لن يستنكفوا ان يكونوا عبيدا
لله وقد يستدل بهذه الاية من يقول بتفضيل الملائكة على البشر ووجه الدليل
ان الله تعالى ارتقى من عيسى الى الملائكة ولا يرتقى الا من الادنى الى الاعلى ولا حجة
لهم فيه والجواب عنه ان الله تعالى لم يقل ذلك رفعا لمقامهم على مقام البشر بل
قاله ردا على من يقول ان الملائكة بنات الله او انهم الهة كما رد على النصارى
قولهم ان المسيح ابن الله وقاله ايضا ردا على النصارى فانهم يقولون بتفضيل
الملائكة يعني كما ان المسيح عبد الله فكذلك الملائكة عبيد الله وقوله تعالى
ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر يعني ومن يتعظم عن عبادة الله ويانف
من التذلل والخضوع بالطاعة من جميع خلقه **فسيحشرهم اليه جميعا**
يعني فسيجمعهم يوم القيامة لموعدهم الذي وعدهم حيث لا يملكون لانفسهم
شيا **فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم** يعني يوفيهم
جزاء اعمالهم الصالحة **ويزيدهم من فضله** يعني ويزيدهم على ما اعطاهم من الثواب
على اعمالهم الصالحة من التضعيف على ذلك ما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر **واما الذين استنكفوا واستكبروا** يعني الذين
انفوا وتكبروا عن عبادة الله تعالى **فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم**
من دون الله يعني من سوى الله يلي امرهم **وليا** يعني ينجيهم من عذابه **ولا نصيرا**
يعني ولا ناصرا ينصرهم منه ويدفع عنهم عقوبته فان قلت في الاية سؤال وهو ان التفصيل
غير مطابق للمفصل لان التفصيل اشتمل على ذكر فريقين وهو قوله فاما الذين
امنوا فيوفيهم اجورهم واما الذين استنكفوا واستكبروا والمفصل اشتمل على ذكر

فريق

فريق واحد وهو قوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فالجواب انه لا اشكال
فيه وهو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحماه ومن خرج عليه
نكل به وصحة ذلك بوجهين احدهما انه حذف ذكر احد الفريقين لدلالة
التفصيل عليه لان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني والوجه الثاني ان الاحسان
الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قال ومن يستنكف
عن عبادته ويستكبر فسيعذبهم بالحسرة والغم اذا راوا اجور المطيعين العاملين
لله تعالى قوله عز وجل **يا ايها الناس** خطاب للكافة **قد جاءكم برهان**
من ربكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به من البينات من ربه
عز وجل وانما سماه برهانا لما معه من المعجزات الباهرات التي تشهد بصدقه
ولان البرهان دليل على اقامة الحق وابطال الباطل والنبي صلى الله
عليه وسلم كان كذلك وبرهانا لله تعالى جعله حجة قاطعة قطع به عذر
جميع الخلائق **وانزلنا اليكم نورا مبينا** يعني القران وانما سماه نورا لان
به تتبين الاحكام كما تتبين الاشياء بالنور بعد الظلام ولانه سبب لوقوع
نور الايمان في القلب فسماه نورا لهذا المعنى **فاما الذين امنوا بالله**
يعني صدقوا بوحدانية الله وبما ارسل من رسول وانزل من كتاب **واعتصموا به**
يعني بالله في ان يثبتهم على الايمان ويعصمهم من زيغ الشيطان وقيل
يعني واعتصموا اي وتمسكوا بالنور وهو القران الذي انزله على
نبيه محمد صلى الله عليه وسلم **فسيدخلهم في رحمة منه** يعني فسيدخلهم
في رحمته التي ينجيهم بها من اليم عذابه قال ابن عباس الرحمة الجنة **وفضل**
يعني ما يتفضل به عليهم بعد ادخالهم الجنة مما لا عين رات ولا اذن سمعت
ولا خطر على قلب بشر **ويهديهم اليه صراطا مستقيما** يعني ويوفقهم
لاصابة فضله الذي تفضل به عليهم ويسددهم لسلوك منهج من انعم
عليه من اهل طاعته ويرشدهم لدينه الذي ارتضاه لعباده وهو دين الاسلام
قوله تعالى **يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة** نزلت في جابر
ابن عبد الله الانصاري **ق** عن جابر بن عبد الله قال مرضت فاتاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر يعوداني ماشيين فاغمي علي فتوضا النبي صلى الله عليه
وسلم ثم صب علي من وضوئه فافقت فاذا النبي صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله كيف اصنع في مالي كيف اقضي في مالي فلم يرد علي شيا حتى نزلت
اية الميراث يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وفي رواية فقلت يا رسول
الله انما يرثني كلالة فنزلت اية الميراث قال شعبة فقلت لمحمد بن المنكدر
يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ولابي داود قال اشتكيت وعندي
سبع اخوات فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفخ في وجهي فافقت فقلت
يا رسول الله الا اوصي لاخواتي بالثلثين قال احسن قلت بالشطر قال
احسن ثم خرج وتركني فقال يا جابر لا اراك ميتا من وجعك هذا ان الله
قد انزل فبين الذي لاخواتك فجعل لهن الثلثين قال فكان جابر يقول
انزلت هذه الاية في يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة والنبي صلى الله عليه
وسلم في مسير له والى جنبه حذيفة بن اليمان فبلغها النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة

وبلغها حذيفة عمر بن الخطاب وهو يسير خلفه فلما استخلف عمر سأل حذيفة عنها ورجاء ان يكون عنده تفسيرها فقال له حذيفة والله انك لعاجز ان ظننت ان امارتك تحملني ان احدثك فيها ما لم احدثك يومئذ فقال له عمر لم ارد هذا رحمك الله واما التفسير فقوله تعالى يستفتونك يعني يسألونك ويستخبرونك عن معنى الكلالة يا محمد قل الله يفتيكم في الكلالة يعني ان الله هو يخبركم عما سألتم عنه من امر الكلالة وقد تقدم في اول السورة الكلام على معنى الكلالة من حيث الاشتقاق وغيره ولان اسم الكلالة يقع على الوارث وعلى الموروث فان وقع على الوارث فهم من سوى الوالد والولد وان وقع على الموروث فهو من مات ولا يرثه احد من الابوين ولا احد من الاولاد وقوله تعالى **ان امرؤ هلك** يعني مات سمي الموت هلاكا لانه اعدام في الحقيقة **ليس له ولد** يعني ولا والد فاكتفى بذكر احدهما على الآخر ويدل على المحذوف ان السؤال عن الفتيا انما كان في الكلالة وقد تقدم ان الكلالة من ليس له ولد ولا والد **وله اخت** يعني ولذلك الهالك اخت واراد بالاخت من ابيه وامه او من ابيه **فلها نصف ما ترك** يعني فلاخت الميت نصف تركته وهو فرضها اذا انفردت والباقي المال لبيت المال اذا لم يكن للميت عصبة وهذا مذهب زيد بن ثابت وبه قال الشافعي وعند ابي حنيفة واهل العراق يرد الباقي عليها فان كان للميت بنت اخذت النصف بالفرض وتأخذ الاخت النصف الباقي بالتعصيب لا بالفرض لان الاخوات مع البنات عصبة وقوله تعالى **وهو يرثها ان لم يكن لها ولد** يعني ان الاخت اذا ماتت وتركت اخاها من الاب والام او من الاب فانه يستغرق جميع ميراث الاخت اذا انفرد ولم يكن للاخت ولد وهذا هو الاصل في جميع العصبات وانفرادهم بجميع المال فاما الاخ من الام فانه صاحب فرض لا يستغرق جميع المال وقد تقدم بيانه **فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك** اراد اثنتين فصاعدا وهو ان من مات وترك اختين او اخوات فلهن الثلثان مما ترك الميت **وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين** يعني وان كان المتروكون من الاخوة رجالا ونساء فللذكر مثل نصيب اثنتين من اخواته الاناث **يبين الله لكم ان تضلوا** يعني يبين الله لكم هذه الفرائض والاحكام لئلا تضلوا وقيل معناه كراهية ان تضلوا وقيل يبين الله لكم الضلالة لتجتنبوها **والله بكل شيء عليم** يعني بمصالح عباده التي حكم بها من قسمة المواريث وبيان الاحكام وغير ذلك لان علمه محيط بكل شيء (ق) عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال ان آخر سورة نزلت تامة سورة التوبة وان آخر آية نزلت آية الكلالة وفي رواية لمسلم قال آخر آية نزلت يستفتونك **وروي** عن ابن عباس ان آخر آية نزلت آية الربا وآخر سورة نزلت اذا جاء نصر الله والفتح وروي عنه ان آخر آية نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم عاش بعد نزول سورة النصر سنة ونزل بعدها سورة براءة وهي آخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها ستة اشهر هكذا ذكره البغوي وفيه نظر لانه قد ثبت في الصحيحين من حديث ابي بكر الصديق ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه في الحجة التي امره عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس يوم النحر الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ثم

اردف

اردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي طالب فامره ان يؤذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن معنا في اهل منى يوم النحر الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وكانت حجة ابي بكر هذه سنة تسع قبل حجة الوداع بسنة قال البغوي ثم نزلت في طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة وتسمى آية الصيف ثم نزلت وهو واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم فعاش بعدها احدى وثمانين يوما ثم نزلت آية الربا ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وعاش النبي صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وعشرين يوما (ك)

آخر تفسير سورة النساء والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة المائدة

نزلت بالمدينة الا قوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم فانها نزلت بعرفة في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته وقال ايها الناس ان سورة المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها (ك)

فان قلت لم خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة من بين سور القرآن بقوله فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وكل سور القرآن يجب ان يحل حلالها ويحرم حرامها

قلت هو كذلك وانما خص هذه السورة للزيادة في الاعتناء بها فهو كقوله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم فلا تظلموا فيهن انفسكم فاكد اجتناب الظلم في هذه الاربعة اشهر وان كان لا يجوز الظلم في شيء من جميع اشهر السنة وانما افرد هذه الاربعة اشهر بالذكر لزيادة الاعتناء بها وقيل انما خص النبي صلى الله عليه وسلم هذه السورة لان فيها ثمانية عشر حكما لم ينزلها غيرها في سور القرآن قال البغوي عن ميسرة قال ان الله تعالى انزل في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها في غيرها وهي قوله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما اكل السبع وما ذبح على النصب وان تستقسموا بالازلام وما علمتم من الجوارح مكلبين وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وتمام بيان الطهر في قوله اذا قمتم الى الصلاة والسارق والسارقة ولا تقتلوا الصيد وانتم حرم ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام وقوله شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود** يعني العهود قاله الجماعة واختلفوا في المراد بهذه العقود التي امر الله تعالى بالوفاء بها فقال ابن جريج هذا خطاب لاهل الكتاب والمعنى يا ايها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة اوفوا بالعهود التي عهدتها اليكم في شأن محمد صلى الله عليه وسلم والايمان به وقيل هو خطاب للمؤمنين امرهم بالوفاء بالعقود قال ابن عباس عهود الايمان وما اخذه على عباده في القرآن فيما احل وحرم وقيل هي العقود التي كانت في الجاهلية كان يعاقد بعضهم بعضا على النصر والموازرة على من حاول ظلمه او بغاه بسوء وذلك هو معنى الحلف الذي كانوا يتعاقدونه بينهم قال قتادة ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اوفوا بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا في الاسلام وقيل بل هي العقود التي يتعاقدها الناس بينهم وما يعقده الانسان على نفسه والعقود خمس عقد

اليمين وعقدة النكاح وعقدة العهد وعقدة البيع وعقدة الشركة زاد بعضهم
وعقدة الحلف قال الطبري واولى الاقوال عندنا بالصواب ما قاله ابن عباس
ان معناه اوفوا ايها المؤمنون بعقود الله التي اوجبها عليكم وعقدها فيما احل
وحرم والزمكم فرضه وبين لكم حدوده وانما قلنا ان هذا القول اولى بالصواب
لان الله تعالى اتبعه بالبيان عما احل لعباده وحرم عليهم فقال تعالى **أحلت
لكم بهيمة الانعام** وهذا خطاب للمؤمنين خاصة والبهيمة اسم لكل ذي اربع
من الحيوان لكن خص في التعارف لما عدا السباع والضواري والوحوش وانما سميت
بهيمة لانها ابهمت عن العقل والتمييز قال الزجاج كل حي لا يميز فهو بهيمة والانعام
جمع النعم وهي الابل والبقر والغنم ولا يدخل فيها ذوات الحافر في قول جميع اهل
اللغة واختلفوا في معنى الاية فقال الحسن وقتادة بهيمة الانعام الابل
والبقر والغنم والمعز وعلى هذا القول انما اضاف البهيمة الى الانعام ليعرف
جنسها لان الانعام وما احل منها لو افردها فقال البهيمة لدخل فيها ما يحل وما
يحرم من البهائم فلهذا قال احلت لكم بهيمة الانعام وقال ابن عباس هي الاجنة
التي توجد ميتة في بطون امهاتها اذا ذبحت او نحرت ذهب اكثر العلماء الى تحليلها
وهو مذهب الشافعي ويدل عليه ما روي عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال في الجنين ذكاته ذكاة امه اخرجه الترمذي وابن ماجه وفي رواية
ابي داود قال قلنا يا رسول الله ننحر الناقة ونذبح البقرة والشاة ونجد في بطنها
الجنين انلقيه ام نأكله قال كلوه ان شئتم فان ذكاته ذكاة امه **وروى**
الطبري عن ابن عمر في قوله احلت لكم بهيمة الانعام قال ما في بطنها قال عطية
العوفي قلت ان خرج ميتا اكله قال نعم هو بمنزلة رئتها وكبدها وعن ابن عباس
قال الجنين من بهيمة الانعام وعنه ان بقرة نحرت فوجد في بطنها جنين فاخذ
ابن عباس بذنب الجنين وقال هذا من بهيمة الانعام وشرط بعضهم الاشعار وتمام
الخلق قال ابن عمر ذكاة ما في بطنها ذكاتها اذا تم خلقه ونبت شعره ومثله عن
سعيد بن المسيب وقال ابو حنيفة لا يحل اكل الجنين اذا خرج ميتا بعد ذكاة الام
وقوله تعالى **الا ما يتلى عليكم** يعني في القران تحريمه واراد به قوله تعالى حرمت عليكم
الميتة الى اخر الاية فهذا الذي يتلى علينا وهو ما استثناه الله عز وجل من بهيمة الانعام
غير محلي الصيد وانتم حرم يعني احلت لكم الانعام كلها والوحشية ايضا من
الظباء والبقر والحمر غير محلي صيدها وانتم محرمون في حال الاحرام فلا يجوز للمحرم
ان يقتل صيدا في حال احرامه **ان الله يحكم ما يريد** يعني ان الله يقضي في خلقه
ما يشاء من تحليل ما اراد تحليله وتحريم ما اراد تحريمه وفرض ما يشاء ان يفرضه عليهم
من احكامه وفرائضه بما فيه مصلحة لعباده قوله تعالى **يا ايها الذين امنوا لا تحلوا
شعائر الله** نزلت في الحطم واسمه شريح بن هند بن ضبيعة البكري اتى المدينة وحده
وخلف خيله خارج المدينة ودخل وحده على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم الى ما تدعو الناس فقال الى شهادة ان لا اله الا الله واقام
الصلوة وايتاء الزكاة فقال حسن الا ان لي امراء لا اقطع امرا دونهم ولعلي اسلم
واتي بهم فخرج من عنده وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه
يدخل عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان فلما خرج ابن شريح قال النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم لقد دخل بوجه كافر وخرج بقفا غادر وما الرجل بمسلم فمر
بسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق به وهو يرتجز ويقول

قد لفها الليل بسواق حطم * ليس براعي ابل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم * باتوا نياما وابن هند لم ينم
بات يقاسيها غلام كالزلم * خدلج الساقين ممسوح القدم

فتبعوه فلم يدركوه فلما كان في العام القابل خرج شريح حاجا مع حجاج بكر بن
وائل من اليمامة ومعه تجارة عظيمة وقد قلد الهدي فقال المسلمون يا رسول
الله هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بيننا وبينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
انه قد قلد الهدي فقالوا يا رسول الله هذا شيء كنا نفعله في الجاهلية فابى النبي
صلى الله عليه وسلم فانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله قال
ابن عباس هي المناسك وكان المشركون يحجون ويهدون فاراد المسلمون ان يغيروا
عليهم فنهاهم الله عن ذلك وقيل الشعائر الهدي اذا اشعرت واشعارها ان يطعن
في صفحة سنام البعير بحديدة حتى يسيل دمه فيكون ذلك علامة بانها هدي وهي
سنة في الابل والبقر دون الغنم ويدل عليه ما روي عن عائشة قالت فتلت
قلائد هدي النبي صلى الله عليه وسلم ثم اشعرها وقلدها ثم بعث بها الى
البيت فما حرم عليه شيء كان له حلالا اخرجاه في الصحيحين (ق) عن ابن عباس رضي الله
عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بذي الحليفة ثم دعا بناقته
فاشعرها في صفحة سنامها الايمن وسلت الدم عنها وقلدها نعلين ثم ركب راحلته
فلما استوت به على البيداء اهل بالحج وعند ابي حنيفة لا يجوز اشعار الهدي بل قال
يكره ذلك وقال ابن عباس في معنى الاية لا تحلوا شعائر الله هي ان تصيد وانت محرم
وقيل شعائر الله شرائع الله ومعالم دينه والمعنى لا تحلوا شيئا من فرائضه التي افترض
عليكم واجتناب نواهيه التي نهى عنها **ولا الشهر الحرام** اي ولا تحلوا الشهر
الحرام بالقتال فيه والشهر الحرام هو الذي كانت العرب تعظمه وتحرم القتال في
الجاهلية فيه فلما جاء الاسلام لم ينقض هذا الحكم بل اكده والمراد بالشهر الحرام
ذو القعدة وقيل رجب ذكرهما ابن جرير وقيل المراد باحلال الشهر
الحرام النسيء قال مقاتل كان جنادة بن عوف يقوم في سوق عكاظ فيقول الا اني قد
احللت كذا وحرمت كذا يعني به الاشهر فنهى الله عن ذلك ويأتي تفسير النسيء
في سورة براءة **ولا الهدي ولا القلائد** الهدي ما يهدى الى بيت الله من بعير
او بقرة او شاة او غير ذلك مما يتقرب به الى الله تعالى والقلائد جمع قلادة
وهي التي تشد في عنق البعير وغيره والمعنى ولا الهدي ذوات القلائد كما قال الشاعر

حلفت برب مكة والمصلى * واعناق الهدي مقلدات

فعلى هذا القول انما عطف القلائد على الهدي مبالغة في التوصية بها لانها
من اشرف البدن المهداة والمعنى ولا تستحلوا الهدي خصوصا المقلدات منها
وقيل اراد اصحاب القلائد وذلك ان العرب في الجاهلية كانوا اذا ارادوا الخروج
من الحرم قلدوا انفسهم وابلهم من لحاء الشجر فكانوا يامنون بذلك
فلا يتعرض لهم احد فنهى الله المؤمنين عن ذلك الفعل ونهاهم عن استحلال نزع
شيء من شجر الحرم ولا امين البيت الحرام يعني ولا تستحلوا القاصدين الى البيت الحرام

وهو الكعبة شرفها الله وعظمها **يبتغون** يعني يطلبون **فضلاً من ربهم** يعني الرزق والأرباح في التجارة ورضواناً يعني يطلبون رضى الله عنهم بزعمهم لأن الكافر لا حظ له في الرضوان لكن يظن أن فعله ذلك طلباً للرضوان فيجوز أن يوصف به بناء على ظنه وقيل إن المشركين كانوا يقصدون بحجهم ابتغاء رضوان الله وإن كانوا لا ينالونه فلا يبعد أن يحصل لهم بسبب ذلك القصد نوع من الحرمة وهو الأمن على أنفسهم وقيل كان المشركون يلتمسون بحجهم ما يصلح لهم دنياهم ومعاشهم فيها وقيل ابتغاء الفضل هو للمؤمنين والمشركين عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنين خاصة وذلك أنهم كانوا يحجون جميعاً **فصل** اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآية فقال قوم هذه الآية منسوخة إلى هنا لأن قوله تعالى لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام يقتضي حرمة القتال في الشهر الحرام وفي الحرم وذلك منسوخ بقوله تعالى واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقوله تعالى ولا آمين البيت الحرام يقتضي حرمة منع المشركين عن البيت الحرام وذلك منسوخ بقوله فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا قال ابن عيسى كان المؤمنون والمشركون يحجون البيت جميعاً فنهى الله المؤمنين أن يمنعوا أحداً أن يحج البيت أو يتعرضوا له من مؤمن أو كافر ثم أنزل الله بعد هذا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وقال آخرون لم ينسخ من ذلك شيء سوى القلائد التي كانت في الجاهلية يتقلدونها من لحاء شجر الحرم قال الواحدي وذهب جماعة إلى أنه لا منسوخ في هذه السورة وأن هذه الآية محكمة قالوا ما ندبنا إلى أن نخيف من يقصد بيته من أهل الشرك يعني في الشهر الحرام ولا في غيره وفضل الشهر الحرام عن غيره بالذكر تعظيماً وتفضيلاً وحرم علينا أخذ الهدي من المهدين وصرفه عن بلوغ محله وحرم علينا القلائد التي كانوا يتقلدونها في الجاهلية وهذا غير مقبول لأن الظاهر ما عليه جمهور العلماء أن الله عز وجل قد أحل قتال أهل الشرك في الأشهر الحرم وغيرها وكذلك أجمعوا على منع من قصد البيت بحج أو عمرة من المشركين بقوله تعالى إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا والله أعلم وقوله تعالى **وإذا حللتم** يعني من إحرامكم **فاصطادوا** هذا أمر إباحة لأن الله حرم الصيد على المحرم حالة إحرامه بقوله تعالى غير محلي الصيد وأنتم حرم وأباحه له إذا حل من إحرامه بقوله وإذا حللتم فاصطادوا وإنما قلنا إنه أمر إباحة لأنه ليس بواجب على المحرم إذا حل من إحرامه أن يصطاد ونظيره قوله تعالى فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض معناه أنه قد أبيح لكم ذلك بعد الفراغ من الصلاة **ولا يجرمنكم** قال ابن عباس لا يحملنكم وقيل معناه لا يكسبنكم ولا يدعونكم **شنآن قوم** يعني بغض قوم وعداوتهم **أن صدوكم** يعني لأن صدوكم **عن المسجد الحرام** والمعنى لا يحملنكم عداوة قوم على الاعتداء لأن صدوكم عن المسجد الحرام لأن هذه السورة نزلت بعد قصة الحديبية وكان الصد قد تقدم أن تعتدوا عليهم يعني بالقتل وأخذ الأموال وتعاونوا على البر والتقوى يعني ليعن بعضكم بعضاً على ما يكسب البر والتقوى قال ابن عباس البر متابعة السنة ولا تعاونوا على الإثم والعدوان يعني ولا يعن بعضكم بعضاً على الإثم وهو الكفر والعدوان وهو الظلم وقيل الإثم المعاصي والعدوان البدعة م عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال البر حسن الخلق

والإثم

والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس واتقوا الله يعني واحذروا الله أن تعتدوا ما أمركم به أو تجاوزوا إلى ما نهاكم عنه إن الله شديد العقاب يعني لمن خالف أمره ففيه وعيد وتهديد عظيم **قوله عز وجل** **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير** لما بين الله تعالى في أول السورة ما أحل للناس من بهيمة الأنعام بقوله أحلت لكم بهيمة الأنعام ثم إن الله تعالى استثنى من ذلك بقوله إلا ما يتلى عليكم فذكر ذلك المستثنى بقوله حرمت عليكم الميتة فكل ما فارقته الروح مما يذبح بغير ذكاة فهو ميتة وسبب تحريم الميتة أن الدم لطيف جداً فإذا مات الحيوان حتف أنفه احتبس ذلك الدم وبقي في العروق فيفسد ويحصل منه ضرر عظيم والدم فهو المسفوح الجاري وكانت العرب في الجاهلية تجعل الدم في المصارين وتشويه وتأكله فحرم الله ذلك ولحم الخنزير وأراد به جميع أجزائه وأعضائه وإنما خص اللحم بالذكر لأنه المقصود وقد تقدم في سورة البقرة أحكام هذه الثلاثة أشياء وما استثنى الشارع من الميتة والدم وهو السمك والجراد والكبد والطحال وذكرنا الدليل على إباحة ذلك واختلاف العلماء في ذلك وقوله تعالى وما أهل لغير الله به يعني ما ذكر على ذبحه غير اسم الله وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا يذكرون أسماء أصنامهم عند الذبح فحرم الله ذلك بهذه الآية وبقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه والمنخنقة قال ابن عباس كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى إذا ماتت أكلوها فحرم الله ذلك والمنخنقة من جنس الميتة لأنها لما ماتت ولم يسل دمها ولم يفترق بينهما إلا أن الميتة تموت بلا سبب أحد والمنخنقة تموت بسبب الخنق والموقوذة يعني المقتولة بالخشب وكانت العرب في الجاهلية يضربون الشاة بالعصا حتى تموت ويأكلونها فحرم الله ذلك والمتردية يعني التي تتردى من مكان عال فتموت أو في بئر فتموت والتردي هو السقوط من سطح أو من جبل ونحوه وهذه المتردية تلحق بالميتة فيحرم أكلها ويدخل في هذا الحكم إذا رمى بهيمة صيداً فتردى ذلك الصيد من جبل أو من مكان عال فمات فإنه يحرم أكله لأنه لا يعلم هل مات بالتردي أو بالسهم والنطيحة يعني التي تنطحها شاة أخرى حتى تموت وكانت العرب في الجاهلية تأكل ذلك فحرمه الله تعالى لأنها في حكم الميتة فأما الهاء في هذه الكلمات التي تقدمت أعني المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة فإنما دخلت لأنها صفات لموصوف مؤنث وهو الشاة كأنه قال حرمت عليكم الشاة المنخنقة والموقوذة والمتردية وخصت الشاة لأنها من أعم ما يأكله الناس والكلام إنما يخرج على الأعم الأغلب ثم يلحق به غيره **فإن قلت** لم أثبتت الهاء في النطيحة مع أنها في الأصل منطوحة فعدل بها إلى النطيحة وفي مثل هذا الموضع تكون الهاء محذوفة تقول كف خضيب وعين كحيل يعني كف مخضوبة وعين مكحولة **قلت** إنما تحذف الهاء من الفعيلة إذا كانت صفة لموصوف تقدمها فإذا لم يذكر الموصوف وذكرت الصفة ووضعتها موضع الموصوف تقول رأيت قتيلة بني فلان بالهاء لأنك إذا لم تدخل الهاء لم يعرف أرجل هو أم امرأة فعلى هذا إنما دخلت الهاء في النطيحة لأنها صفة لموصوف غير مذكور وهو الشاة وقال ابن السكيت قد تأتي فعيلة بالهاء وهي في تأويل مفعولة يخرج مخرج الأسماء ولا يذهب بها مذهب النعوت نحو النطيحة والذبيحة والرمية وأكيلة السبع [illegible] بني فلان وقوله تعالى وما أكل السبع قال قتادة كان أهل الجاهلية إذا جرح السبع شيئاً فقتله أو أكل منه أكلوا ما بقي منه فحرمه الله تعالى والسبع اسم لما يقع على كل حيوان له ناب ويعدو على الناس والدواب فيفترس بنابه كالأسد والذئب والنمر والفهد ونحوه وفي الآية محذوف تقديره وما أكل السبع منه لأن

ما اكل السبع فقيد بعد فلا حكم له انما الحكم منه **الا ما ذكيتم** يعني الا ما ادركتموه وقد بقيت
فيه حياة مستقرة من هذه الاشيا المذكورة والظاهر ان هذا الاستثنا يرجع الى جميع المحرمات
المذكورة في الاية من قوله تعالى والمنخنقة الى وما اكل السبع وهذا قول علي بن ابي طالب
وابن عباس والحسن وقتادة وقال ابن عباس يقول الله تعالى الا ما ذكيتم من هذا كله وفيه
روح فاذبح فهو حلال وقال الكلبي هذا الاستثنا مما اكل السبع خاصة والقول هو
الاول واما كيفية ادراكها فقال اكثر اهل العلم من المفسرين ان ادركت ذكاته بان يوجد
له عين تطرف او ذنب يتحرك فاكله جايز قال ابن عباس اذا طرفت بعينها او ركضت برجلها
او تحركت فاذبح فهو حلال وذهب بعض اهل العلم الى ان السبع اذا جرح فاخرج الحشوة
او قطع الجوف قطعا يوئيس منه الحياة فلا ذكاة لذلك وان كان به حركة ورمق لانه قد
صار الى حالة لا يوثر فيها الذبح وهو مذهب مالك واختاره الزجاج وابن الانباري
لان معنى التذكية ان يلحقها وفيها بقية تشخب معها الاوداج وتضطرب اضطراب المذبوح
لوجود الحياة فيه قبل ذلك والا فهو كالميتة واصل الذكاة في اللغة تمام الشي فالمراد
من التذكية تمام قطع الاوداج وانهار الدم ويدل عليه ما روي عن رافع بن خديج
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما انهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوه ليس السن والظفر
وساحدثكم عن ذلك اما السن فعظم واما الظفر فمدى الحبشة اخرجاه في الصحيحين
واقل الذبح في الحيوان المقدور عليه قطع المري والحلقوم والكماله قطع الودجين مع
ذلك والحلقوم بعد الفم وهو موضع النفس والمري مجرى الطعام والودجان عرقان
يتقطعان عند الذبح والة الذبح فكلما انهر الدم وفرى الاوداج من حديد وغيره
الا السن والظفر لما تقدم من نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقوله تعالى
وما ذبح على النصب يعني وحرمت ما ذبح على النصب والنصب يحتمل ان يكون جمعا
واحده نصاب وان يكون واحدا وجمعه انصاب وهو الشي المنصوب قيل كان حول الكعبة
ثلثماية وستون حجرا منصوبة كان اهل الجاهلية يعبدونها ويعظمونها ويذبحون لها وليست
هذه الحجارة باصنام انما الاصنام الصور المنقوشة وقال ابن عباس هي الاصنام المنصوبة
والمعنى وما ذبح على اسم النصب او لاجل النصب فهو حرام **وان تستقسموا بالازلام**
يعني وحرم عليكم الاستقسام بالازلام وهو طلب القسم والحكم من الازلام وهي القداح
وكانت ازلامهم سبع قداح مستوية مكتوب على واحد منها امرني ربي وعلى واحد نهاني
ربي وعلى واحد منكم وعلى واحد من غيركم وعلى واحد ملصق وعلى واحد العقل
وعلى واحد غفل اي ليس عليه شي وكانت العرب في الجاهلية اذا ارادوا سفرا او تجارة او
نكاحا او اختلفوا في نسب او امر قتيل او تحمل عقل او غير ذلك من الامور العظام جاوا الى
هبل وكانت اعظم صنم لقريش بمكة وجاوا بماية درهم واعطوها صاحب القداح
حتى يجيلها لهم فان خرج امرني ربي فعلوا ذلك الامر وان خرج نهاني ربي لم يفعلوه
واذا جالوا على نسب فان خرج منكم كان وسطا فيهم وان خرج من غيركم كان حلفا فيهم
وان خرج ملصق كان على حاله وان اختلفوا في العقل وهو الدية فمن خرج عليه قدح
العقل تحمله وان خرج الغفل جالوا ثانيا حتى يخرج المكتوب عليهم فنهاهم الله عن ذلك
وحرمه وسماه فسقا وقيل الازلام كعاب فارس والروم التي كانوا يتقامرون بها وقيل
كانت الازلام للعرب والكعاب للعجم وهي النرد وكلها حرام لا يجوز اللعب بها عن
قطن بن قبيصة عن ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول العيافة والطيرة

والطرق

والطرق من الجبت اخرجه ابو داود قال الطرق الزجر والعيافة الخط وقيل العيافة زجر الطير
والطرق الضرب بالحصى والجبت كل ما عبد من دون الله عز وجل وقيل الجبت الكاهن وروى
البغوي بسند الثعلبي عن ابي الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكهن
واستقسم بالازلام او تطير طيرة تردة عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلا يوم القيمة
وقوله تعالى **ذلكم فسق** يعني ما ذكر من هذه المحرمات في الاية لان المعنى حرم عليكم
تناول كذا وكذا فانه فسق والفسق ما يخرج من الحلال الى الحرام وقيل ان الاشارة عايدة
الى الاستقسام بالازلام والاول اصح **اليوم يئس الذين كفروا من دينكم** يعني يئسوا ان
ترجعوا عن دينكم الى دينهم كما راوا وذلك انهم كانوا يطمعون في ان يعود المسلمون الى
دينهم فلما قوي الاسلام ايسوا من ذلك وذلك هذا اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم عام حجة الوداع فعند ذلك يئس الكفار من بطلان دين الاسلام وقيل
ان ذلك هو يوم عرفة فنزلت هذه الاية والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة وقيل لم
يرد يوما بعينه وانما المعنى الان يئس الذين كفروا من دينكم وهذا كما تقول اليوم قد كبرت
تريد الان قد كبرت وتقول فلان كان يزورنا وهذا اليوم يخوفنا لم يرد يوما بعينه
وانما المعنى الان يئس الذين كفروا من دينكم يعني وهو الان يخوفنا ولم يقصد اليوم قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا • ويوم نسا ويوم نسر

اراد فزمان علينا وزمان لنا ولم يقصد بيوم لحد معين **فلا تخشوهم** فلا تخافوا الكفار
ايها المومنون الذين امنوا ان يظهروا على دينكم فقد زال الخوف عنكم باظهار دينكم **واخشون**
اي وخافوا مخالفة امري واخلصوا الخشية لي قوله عز وجل **اليوم اكملت لكم دينكم** نزلت
هذه الاية في يوم الجمعة بعد العصر في يوم عرفة والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات
على ناقته العضبا فكادت عضد الناقة تندق وبركت لثقل الوحي وذلك في حجة الوداع
سنة عشر من الهجرة **ق** عن طارق بن شهاب قال جا رجل من اليهود الى عمر بن الخطاب فقال
يا امير المومنين اية في كتابكم تقرونها لو علينا نزلت معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيدا
قال فاي اية قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقال
عمر اني لاعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي انزلت فيه نزلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعرفات في يوم الجمعة اشار عمر الى ان ذلك اليوم كان عيدا لنا وعن ابن عباس
انه قرا اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وعنده يهودي
فقال لو نزلت هذه الاية علينا لاتخذناها عيدا قال ابن عباس فانها نزلت في يوم عيدين
في يوم جمعة ويوم عرفة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال ابن عباس كان في
ذلك اليوم خمسة اعياد يوم جمعة ويوم عرفة وعيد لليهود وعيد للنصارى وعيد للمجوس
ولم تجتمع اعياد اهل الملل في يوم واحد قبله ولا بعده وروي انه لما نزلت هذه الاية بكى عمر فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر فقال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا
فاما اذا كمل فانه لم يكمل شي الا نقص قال صدقت فكانت هذه الاية نعي رسول الله صلى الله
عليه وسلم عاش بعدها احدى وثمانين يوما ومات صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لليلتين
خلتا من ربيع الاول وقيل لاثنتي عشرة ليلة وهو الاصح سنة احدى عشرة من الهجرة
واما تفسير الاية فقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم يعني بالفرايض هذا معنى قول ابن عباس
وقال سعيد بن جبير وقتادة معنى اكملت لكم دينكم حيث لم يحج معكم مشرك وخلا الموسم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وقيل معناه اني اظهرت دينكم على الاديان وامنتكم من

عدوكم بأن كفيتكم ما كنتم تخافونه وقيل كمال الدين لهذه الأمة أنه لا يزول ولا ينسخ وأن
شريعتهم باقية إلى يوم القيامة وقيل إكمال الدين لهذه الأمة أنهم آمنوا بكل نبي وكل كتاب
ولم يكن هذا لغير هذه الأمة وقال ابن الأنباري اليوم أكملت شرائع الإسلام على غير نقصان
كان قبل هذا الوقت وذلك أن الله عز وجل كان يتعبد خلقه بالشيء في وقت ثم يزيد عليه
في وقت آخر فيكون الوقت الأول تامًّا في وقته وكذلك الوقت الثاني تامًّا في وقته
فهو كما يقول القائل عندي عشرة كاملة ومعلوم أن العشرين أكمل منها والشرائع التي تعبد
الله عز وجل بها عباده في الأوقات المختلفة مختلفة وكل شريعة منها كاملة في وقت
التعبد بها وكمل الله عز وجل الشرائع في اليوم الذي ذكره وهو يوم عرفة ولم يوجد في ذلك
أن الدين كان ناقصًا في وقت من الأوقات ونقل الإمام فخر الدين الرازي عن القفال أن
الدين ما كان ناقصًا البتة بل كان أبدًا كاملًا كانت الشرائع النازلة من عند الله
كافية في ذلك الوقت إلا أنه تعالى كان عالمًا في أول وقت البعثة بأن ما هو كامل في هذا
اليوم ليس بكامل في الغد ولا صلاح فيه فلا جرم كان ينسخ بعد الثبوت وكان يزيد بعد
العدم وأما في آخر زمن البعثة فأنزل الله شريعة كاملة وحكم ببقائها إلى يوم القيامة والشرع
أبدًا كان كاملًا إلا أن الأول كمال إلى يوم مخصوص والثاني كمال إلى يوم القيامة فلأجل
هذا المعنى قال اليوم أكملت لكم دينكم ثم قال تعالى **وأتممت عليكم نعمتي** يعني بإكمال
الدين والشريعة لأنه لا نعمة أتم من الإسلام وقال ابن عباس حكم لهم بدخول الجنة وقيل معناه
أنه تعالى أنجز لهم ما وعدهم في قوله ولأتم نعمتي عليكم فكان من تمام النعمة أن دخلوا مكة
آمنين وحجوا مطمئنين لم يخالطهم أحد من المشركين **ورضيت لكم الإسلام دينا**
يعني واخترت لكم الإسلام دينا من بين الأديان وقيل معناه ورضيت لكم الاستسلام
لأمري والانقياد لطاعتي فيما شرعت لكم من الفرائض والأحكام والحدود ومعالم الدين
الكاملة لكم وإنما قال تعالى ورضيت لكم الإسلام دينا يوم نزلت هذه الآية وإن الله تعالى لم
يزل راضيًا بدين الإسلام فيما مضى قبل نزول هذه الآية لأنه لم يزل يصرف نبيه صلى الله
عليه وسلم وعباده المؤمنين من حال إلى حال وينقلهم من مرتبة إلى مرتبة أعلى منها حتى
أكمل لهم شرائع الدين ومعالمه وبلغ بهم أقصى درجاته ومراتبه ثم أنزل عليهم هذه
الآية ورضيت لكم الإسلام دينا يعني بالصفة التي هو اليوم بها وهو نهاية الكمال
وأتممت الآن عليه فالزموه ولا تفارقوه روى البغوي بسنده عن جابر بن عبد الله سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال جبريل يقول الله عز وجل هذا دين ارتضيته لنفسي
ولن يصلحه إلا السخاء وحسن الخلق فأكرموه بهما ما صحبتموه وروى الطبري عن قتادة
قال ذكر لنا أنه يمثل لأهل كل دين دينهم يوم القيامة فأما الإيمان فيبشر أصحابه وأهله
ويعدهم في الخير حتى يجيء الإسلام فيقول يا رب أنت السلام وأنا الإسلام فيقول إياك
اليوم أقبل وبك أجزي وقوله تعالى **فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم**
هذه الآية من تمام ما تقدم ذكره في المطاعم التي حرمها الله تعالى ومتصلة بها والمعنى
أن المحرمات كانت محرمة إلا أنها قد تحل في حالة الاضطرار إليها ومن قوله تعالى ذلكم فسق
إلى هنا اعتراض وقع بين الكلامين والغرض منه تأكيد ما تقدم ذكره في معنى التحريم
لأن تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والإسلام الذي هو المرضي
عند الله ومعنى الآية فمن اضطر أي أجهد وأصيب بالضر الذي لا يمكنه معه الامتناع
من أكل الميتة وهو قوله تعالى في مخمصة يعني في مجاعة والمخمصة خلو البطن من الغذاء عند

الجوع

الجوع غير متجانف لإثم يعني غير مائل إلى إثم أو منحرف إليه والمعنى فمن اضطر إلى أكل
الميتة أو إلى غيرها في المجاعة فليأكل غير متجانف لإثم وهو أن يأكل فوق الشبع وهو قول
فقهاء العراق وقيل معناه غير متعرض لمعصية في مقصده وهو قول فقهاء الحجاز **فإن الله
غفور رحيم** يعني لمن أكل من الميتة في حال الجوع والاضطرار قوله عز وجل **يسألونك
ماذا أحل لهم** **روى** الطبري بسنده عن أبي رافع قال جاء جبريل إلى النبي صلى الله
عليه وسلم يستأذن عليه فأذن له فلم يدخل فقال قد أذنا لك يا رسول الله قال أجل ولكنا
لا ندخل بيتًا فيه كلب قال أبو رافع فأمرني أن أقتل كل كلب بالمدينة فقتلت حتى انتهيت إلى
امرأة عندها كلب ينبح عليها فتركته رحمة لها ثم جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فأخبرته فأمرني بقتله فرجعت إلى الكلب فقتلته فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا رسول الله ما يحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها قال فسكت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأنزل الله يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح
مكلبين وروي عن عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث أبا رافع في قتل الكلاب فقتل
حتى بلغ العوالي فدخل عاصم وسعد بن أبي خيثمة وعويم بن ساعدة على النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا ماذا أحل لنا فنزلت يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما
علمتم من الجوارح مكلبين قال ابن الجوزي وأخرج حديث أبي رافع الحاكم في صحيحه
قال البغوي فلما نزلت هذه الآية أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقتناء الكلاب
التي ينتفع بها ونهى عن إمساك ما لا نفع فيه منها **ق** عن أبي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمسك كلبًا فإنه ينقص كل يوم من عمله قيراط إلا
كلب حرث أو ماشية ولمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبًا ليس بكلب صيد
ولا ماشية ولا أرض فإنه ينقص من أجره قيراطان كل يوم وقال سعيد بن جبير نزلت هذه
الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو زيد الخيل الذي سماه رسول الله
صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يا رسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب وبالبزاة فماذا يحل
لنا فنزلت هذه الآية قال البغوي وهذا القول أصح في سبب نزولها وأما التفسير فقوله
تعالى يسألونك يعني يسألك أصحابك يا محمد ما الذي أحل لهم أكله من المطاعم والمآكل
كأنهم لما تلا عليهم خبائث المآكل سألوا عما أحل لهم **قل أحل لكم الطيبات**
يعني قل لهم يا محمد أحل لكم الطيبات يعني ما ذبح على اسم الله عز وجل وقيل الطيبات
كل ما تستطيبه العرب وتستلذه من غير أن يرد بتحريمه نص من كتاب أو سنة واعلم أن
العبرة في الاستطابة والاستلذاذ بأهل المروءة والأخلاق الجميلة من العرب فإن أهل
البادية منهم يستطيبون أكل جميع الحيوانات فلا عبرة بهم ولقوله تعالى ويحل لهم
الطيبات ويحرم عليهم الخبائث فإن الخبيث غير مستطاب فصارت هذه الآية الكريمة نصا فيما
يحل ويحرم من الأطعمة وقوله تعالى **وما علمتم من الجوارح مكلبين** يعني وأحل صيد
ما علمتم من الجوارح فحذف ذكر الصيد وهو مراد في الكلام لدلالة الباقي عليه ولأنهم
سألوا عن الصيد وقيل إن قوله وما علمتم من الجوارح ابتداء الكلام خبره فكلوا مما أمسكن
عليكم وعلى هذا القول يصح معنى الكلام من غير إضمار والجوارح جمع جارحة وهي الكواسب
من السباع والطير كالفهد والنمر والكلب والبازي والصقر والعقاب والشاهين
والباشق من الطير مما يقبل التعليم سميت جوارح من الجرح لأنها تجرح الصيد عند إمساكه
وقيل سميت جوارح لأنها تكسب والجوارح الكواسب من جرح واجترح إذا اكتسب ومنه قوله تعالى

والذين اجترحوا السيئات يعني اكتسبوا وقوله ويعلم ما جرحتم بالنهار اي كسبتم وقوله مكلبين يعني
حالين والمكلب هو الذي يغري الكلاب على الصيد وقيل هو مؤدب الجوارح ومعلمها
وانما اشتق له هذا الاسم من الكلب لانه اكثر احتياجا الى التعليم من غيرها من الجوارح
تعلمونهن يعني تعلمون الجوارح الاصطياد مما علمكم الله يعني من العلم الذي علمكم
الله ففي الاية دليل على انه لا يجوز صيد جارحة ما لم تكن معلمة وصفة التعليم
هو ان الرجل يعلم جارحة الصيد وذلك بان يوجد فيها امور منها انه اذا ارسلت
على الصيد استرسلت واذا زجرت انزجرت واذا اخذت الصيد امسكت ولم تاكل منه
شيئا ومنها انه لا ينفر منه اذا اراد ان يجيبه اذا دعاه فهذا تعليم جميع الجوارح فاذا
وجد ذلك منها مرارا كانت معلمة واقلها ثلاث مرات فانها تحل قتلها اذا جرحت
بارسال صاحبها (ق) عن عدي بن حاتم قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
انا قوم نصيد بهذه الكلاب فقال اذا ارسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله فكل مما امسكن
عليك الا ان ياكل الكلب فلا تاكل فاني اخاف ان يكون انما امسك على نفسه وان خالطها
كلاب لم يذكر اسم الله عليها فامسكن وقتلن فلا تاكل فانما سميت على كلبك ولم تسم على
غيره وفي رواية فانك لا تدري ايها قتل وسالته عن صيد المعراض فقال اذا اصبت
بحده فكل واذا اصبت بعرضه فقتل فانه وقيذ فلا تاكل واذا رميت الصيد فوجدته
بعد يوم او يومين ليس به الا اثر سهمك فكل وان وقع في الماء فلا تاكل واختلف العلماء فيما
اذا اخذت الكلاب الصيد واكلت منه شيئا فذهب اكثر اهل العلم الى تحريمه يروى
ذلك عن ابن عباس وهو قول عطاء وطاوس والشعبي وبه قال الثوري وابن المبارك
واصحاب الراي وهو اصح قولي الشافعي ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم وان اكل فلا
تاكل فانما امسك على نفسه ورخص بعضهم في اكله يروى ذلك عن ابن عمر وسلمان
الفارسي وسعد بن ابي وقاص وبه قال مالك لما روي عن ابي ثعلبة الخشني ان
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد الكلب اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل وان
اكل منه اخرجه ابو داود واما غير المعلم من الجوارح اذا اخذت صيدا او المعلم اذا خرج
بغير ارسال صاحبه فاخذ وقتل فانه لا يحل الا ان يدركه حيا فيذبحه فيحل (ق) عن
ابي ثعلبة الخشني قال قلت يا رسول الله انا بارض قوم اهل كتاب افناكل في انيتهم وبارض
صيد اصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي المعلم فما يصلح لي قال اما ما ذكرت
من انية اهل الكتاب فان وجدتم غيرها فلا تاكلوا فيها وان لم تجدوا فاغسلوها
وكلوا فيها وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك المعلم فذكرت
اسم الله عليه فكل وما صدت بكلبك غير المعلم فادركت ذكاته فكل وقوله تعالى **فكلوا
مما امسكن عليكم** دخلت في قوله مما للتبعيض لانه انما حل اكل بعض الصيد
وهو اللحم دون الفرث والدم وقيل انها من زائدة فهو كقوله تعالى كلوا من ثمره اذا
اثمر **واذكروا اسم الله عليه** قال ابن عباس يعني اذا ارسلت جارحك فقل بسم الله
وان نسيت فلا حرج ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعدي اذا ارسلت كلبك وذكرت اسم الله
فكل فعلى هذا يكون الضمير في عليه عائدا الى ما علمتم من الجوارح اي سموا الله عليه
عند ارساله وقيل الضمير عائد الى ما امسكن عليكم والمعنى سموا الله عليه اذا ادركتم
ذكاته وقيل يحتمل ان يكون الضمير عائدا الى الاكل يعني واذكروا اسم الله عليه عند الاكل
فعلى هذا تكون التسمية شرطا عند ارسال الجوارح وعند الذبيحة وعند الاكل وسياتي

بيان هذه المسالة في سورة الانعام عند قوله ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه **واتقوا الله**
يعني واحذروا مخالفة الله يعني فيما احل لكم وحرم عليكم **ان الله سريع الحساب** يعني
اذا حاسب عباده يوم القيامة ففيه تخويف لمن خالف امره وفعل ما نهاه عنه قوله عز وجل
اليوم احل لكم الطيبات انما كرر احلال الطيبات للتاكيد لانه كانه قال اليوم احل لكم
الطيبات التي سالتم عنها ويحتمل ان يراد باليوم اليوم الذي انزلت فيه هذه الاية او اليوم
الذي تقدم ذكره في قوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم اليوم اكملت لكم دينكم ويكون
الغرض من ذكر هذا الحكم انه قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي يعني
انه كما اكمل الدين واتم النعمة فكذلك اتم النعمة باحلال الطيبات وقيل ليس المراد
باليوم يوما معينا وقد تقدم الكلام في ذلك اليوم وفي معنى الطيبات في الاية
المتقدمة قوله تعالى **وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم** يعني ذبائح اهل الكتاب
حل لكم وهم اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من سائر الامم قبل مبعث النبي
صلى الله عليه وسلم فاما من دخل في دينهم بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهم من تنصر
من العرب من بني تغلب فلا تحل ذبيحته روي عن علي بن ابي طالب قال لا تاكلوا من ذبائح
نصارى العرب بني تغلب فانهم لم يتمسكوا بشيء من النصرانية الا بشرب الخمر وبه قال
ابن مسعود وهو مذهب الشافعي ان من دخل في دين اهل الكتاب بعد نزول القران فانه
لا تحل ذبيحته وسئل ابن عباس عن ذبائح نصارى العرب فقال لا باس به ثم قرا ومن يتولهم
منكم فانه منهم وهذا قول الحسن وعطاء بن ابي رباح والشعبي وعكرمة وقتادة
والزهري والحكم وحماد وهو مذهب ابي حنيفة ومالك واحد الروايتين عن احمد والرواية
الاخرى مثل مذهب الشافعي واجمعوا على تحريم ذبائح المجوس وسائر اهل الشرك من مشركي
العرب وعبدة الاصنام ومن لا كتاب له واجمعوا على ان المراد بطعام الذين اوتوا الكتاب
ذبائحهم خاصة لان ما سوى الذبائح فهي محللة قبل ان كانت لاهل الكتاب وبعد
ان صارت لهم فلا يبقى لتخصيصها باهل الكتاب فائدة ولان ما قبل هذه الاية في بيان حكم
الصيد والذبائح فحمل هذه الاية عليه اولى ولان ما سوى الطعام لا يختلف من تولاه
من كتابي وغيره وانما تختلف الذكاة فلما خص اهل الكتاب بالذكر دل على ان المراد بطعامهم
ذبائحهم واختلف العلماء فيما لو ذبح يهودي او نصراني على غير اسم الله تعالى ابن عمر
لا يحل ذلك وهو قول ربيعة وذهب اكثر اهل العلم الى انه يحل وسئل الشعبي وعطاء عن
النصراني يذبح باسم المسيح فقالا يحل فان الله قد احل ذبائحهم وهو يعلم ما يقولون
وقال الحسن اذا ذبح اليهودي او النصراني وذكر غير اسم الله وانت تسمع فلا تاكل
واذا غاب عنك فكل فقد احله الله لك وقد زعم قوم ان هذه الاية اقتضت
اباحة ذبائح اهل الكتاب مطلقا وان ذكروا غير اسم الله فيكون هذا ناسخا
لقوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وليس الامر كذلك ولا نسخ لان الاصل
انهم يذكرون الله عند الذبح فيحمل امرهم على هذا فان تيقنا انهم ذبحوا على غير اسم الله لم تاكله
ولا وجه للنسخ وقوله تعالى **وطعامكم حل لهم** يعني ان ذبائحكم حلال لهم وهذا
يدل على انهم مخاطبون بشريعتنا وقال الزجاج معناه ويحل لكم ان تطعموهم من طعامكم
فجعل الخطاب للمؤمنين على معنى ان التحليل يعود الى اطعامنا اياهم لا اليهم لانه لا يمتنع
ان يحرم الله تعالى ان يطعمهم من ذبائحنا وقيل ان الفائدة في ذكر ذلك ان اباحة المناكحة
غير حاصلة من الجانبين واباحة الذبائح كانت حاصلة في الجانبين لا جرم ذكر الله ذلك

بينهما على التعيين بين النوعين ثم قال تعالى **والمحصنات من المؤمنات** قال مجاهد من الحرائر
فعلى هذا القول لا تدخل الأمة المؤمنة في هذا التحليل ومن أجاز نكاحهن أجازه بشرطين
خوف العنت وعدم طول الحرة وقال ابن عباس المحصنات العفائف فعلى هذا القول لا يحل
نكاح الزانية لأنها لم تدخل في هذا التحليل وأباح العلماء نكاحها إذا تابت وحسنت
توبتها روى طارق عن ابن شهاب أن رجلا أراد أن يزوج أخته فقالت إني أخشى أن أفضح
أبي قد بغيت فأتى عمر فذكر له ذلك فقال له أليس قد تابت قال بلى قال فزوجها
وقيل إنما خص المحصنات بالذكر من الحرائر والعفائف ليحث المؤمنين على تخير النساء ليكون
الولد كريم الأصل من الطرفين وقوله تعالى **والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب**
من قبلكم يعني وأحل لكم المحصنات من أهل الكتاب اليهود والنصارى قال
ابن عباس يعني الحرائر من أهل الكتاب وقال الحسن والشعبي والنخعي والضحاك يريد العفائف
من أهل الكتاب فعلى قول ابن عباس لا يجوز التزوج بالأمة الكتابية وهو مذهب الشافعي
قال لأنه اجتمع في حقها نوعان من النقصان الكفر والرق وعلى قول الحسن ومن وافقه يجوز التزوج
بالأمة الكتابية وهو مذهب أبي حنيفة لعموم هذه الآية واختلف العلماء في حكم هذه
المسألة فذهب جمهور الفقهاء إلى جواز التزوج بالذميات من اليهود والنصارى
روي أن عثمان بن عفان تزوج بنائلة بنت الفرافصة على نسائه وهي نصرانية وأن طلحة
ابن عبيد الله تزوج يهودية وروي عن ابن عمر كراهية ذلك ويحتج بقوله تعالى ولا تنكحوا
المشركات حتى يؤمن وكان يقول لا أعلم شركا أعظم من قولها إن ربها عيسى وأجاب
الجمهور عن قوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن بأنه عام خص بهذه الآيات فأباح الله
تعالى المحصنات من أهل الكتاب وحرم من سواهن من أهل الشرك وقال سعيد بن المسيب
والحسن يجوز التزوج بالذميات والحربيات من أهل الكتاب لعموم قوله تعالى والمحصنات
من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وأكثر جمهور العلماء أن ذلك مخصوص بالذميات دون الحربيات
من أهل الكتاب قال ابن عباس من نساء أهل الكتاب من يحل لنا ومنهم من لا يحل لنا وقرأ قاتلوا
الذين لا يؤمنون بالله إلى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون والمراد بهم أهل
الذمة دون أهل الحرب من أهل الكتاب وقوله **إذا آتيتموهن أجورهن** يعني مهورهن
وهو العوض الذي يبذل للزوج المرأة **محصنين غير مسافحين** يعني متعففين
بالتزويج غير زانيين **ولا متخذي أخدان** يعني ولا متفردين ببغية واحدة
قد خادنها وخادنته واتخذها لنفسه صديقة يفجر بها وحده حرم الله الجماع على
جهة السفاح وهو الزنا واتخاذ الصديق وهو الأخدان وأحله على جهة الإحصان وهو
التزويج بعقد صحيح **ومن يكفر بالإيمان** يعني ومن يجحد ما أمر الله به من توحيده
ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به من عند الله **فقد حبط عمله** يعني فقد
بطل ثواب عمله الذي كان عمله في الدنيا وخاب وخسر في الدنيا والآخرة وقيل
معنى الآية ومن يكفر بشرائع الإيمان وتكاليفه فقد خاب وخسر وقال قتادة هو
ذكر لنا أن ناسا من المسلمين قالوا كيف نتزوج نساءهم يعني نساء أهل الكتاب وهم على غير
ديننا فأنزل الله تعالى ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين
وقيل لما أباح الله تعالى نكاح الكتابيات قلن فيما بينهن لولا أن الله قد رضي أعمالنا
لم يبح للمؤمنين تزويجنا فأنزل الله هذه الآية والمعنى أن تزويج المسلمين إياكن ليس
بالذي يخرجكن من الكفر وقيل لأهل الكتاب وإن حصلت لهم في الدنيا فضيلة بإباحة

ذبائحهم

ذبائحهم ونكاح نسائهم إلا أن ذلك غير حاصل لهم في الآخرة لأن كل من كفر بالله وجحد
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين وقيل إن من أحل ما
حرم الله أو حرم ما أحل الله أو جحد شيئا مما أنزل الله فقد كفر بالله وحبط عمله المتقدم
يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة يعني إذا أردتم القيام إلى الصلاة ومنه
قوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله أي إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله
ومنه قولهم في الكلام إذا اتجرت فاتجر في البر أي إذا أردت التجارة وعلى هذا القول
يقتضي وجوب الوضوء عند كل صلاة وهو ظاهر الآية وممن ذهب داود الظاهري وذهب
جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم إلى أنه يجزي عدة صلوات بوضوء واحد وأجيب
عن ظاهر الآية بأن المعنى إذا قمتم إلى الصلاة وأنتم على غير طهر فحذف ذلك
لدلالة المعنى عليه وهذا الحذف من اختصارات القرآن وهو كثير جدا ولأن النبي صلى الله
عليه وسلم جمع يوم الخندق بين أربع صلوات بوضوء واحد (ق) عن أبي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى
يتوضأ أخرجاه في الصحيحين وقيل في معنى الآية إذا قمتم إلى الصلاة من النوم وقيل
هو أمر ندب من قام إلى الصلاة أن يجدد لها طهارة وإن كان على طهر ويدل عليه
ما روي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضأ على طهر كتب الله
له عشر حسنات أخرجه الترمذي وقيل هو إعلام من الله إلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن لا وضوء عليه إلا إذا قام إلى الصلاة دون غيرها من الأعمال ويدل عليه
ما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما من الخلاء فقدم إليه
الطعام فقالوا ألا نأتيك بوضوء فقال إنما أمرت بالوضوء إذا قمت إلى الصلاة أخرجه
مسلم والقول الأول هو المختار في معنى الآية وفروض الوضوء المذكورة في هذه الآية
أربعة الأول غسل الوجه وهو قوله تعالى **فاغسلوا وجوهكم** واستدل الشافعي
على وجوب النية عند غسل الوجه بهذه الآية وحجته أن الوضوء مأمور به وكل ما
أمر به يجب أن يكون منويا ولما روي في الصحيحين من حديث عمر بن الخطاب أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى والوضوء من الأعمال
فيجب أن يكون منويا وإنما قلنا إن الوضوء مأمور به وأنه من أعمال الدين لقوله
تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء والإخلاص عبارة
عن النية الخالصة ومتى كانت النية الخالصة معتبرة كان أصل النية في جميع
الأعمال التي يتقرب بها إلى الله تعالى معتبرا واستدل أبو حنيفة لعدم وجوب النية
في الوضوء بهذه الآية قال إن النية ليست شرطا لصحة الوضوء لأن الله تعالى
أوجب غسل الأعضاء الأربعة في هذه الآية ولم يوجب النية فيها فإيجاب النية
زيادة على النص والزيادة على النص نسخ ونسخ القرآن بخبر الواحد والقياس
غير جائز وأجيب عنه بأنا إنما أوجبنا النية في الوضوء بدلالة القرآن وهو قوله
تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين أما حد الوجه فمن منابت
الرأس إلى منتهى الذقن طولا ومن الأذن إلى الأذن عرضا لأنه مأخوذ من المواجهة
فيجب غسل جميع الوجه في الوضوء ويجب إيصال الماء إلى ما تحت الحاجبين وأهداب
العينين والعذارين والشارب والعنفقة وإن كانت كثة وأما اللحية فإن
كانت كثة لا ترى البشرة من تحتها لا يجب غسل ما تحتها ويجب غسل ما تحت

اللحية الخفيفة وهل يجب امرار الما على ظاهر ما نزل من اللحية عن الذقن فيه قولان احدهما وبه قال ابو حنيفة لا يجب لان الشعر النازل عن حد الوجه لا يجب غسله والقول الثاني يجب امرار الما على ظاهره لان الوجه ماخوذ من المواجهة فتدخل جميع اللحية في حكم الوجه الفرض الثاني قوله تعالى **وايديكم الى المرافق** يعني واغسلوا ايديكم الى المرافق والمرفق بالكسر هو من الانسان اعلى الذراع واسفل العضد وذهب جمهور العلما الى وجوب ادخال المرفقين في الغسل ونقل عن مالك والشعبي وزفر وابي بكر بن داود الظاهري انه لا يجب ادخال المرفقين في الغسل واختاره ابن جرير الطبري ونقل عن مالك وسيل عن قول الله عز وجل فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق فقال والذي امر به ان يبلغ المرفقين في الغسل لا يجاوزهما وحجة اصحاب هذا القول ان كلمة الى لانتها الغاية وما يجعل غاية للحكم يكون خارجا عنه كما في قوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل ولان الحد لا يدخل في المحدود فوجب ان لا يجب غسل المرفقين في الوضو وحجة الجمهور ان كلمة الى هنا بمعنى مع ومنه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اي مع اموالكم ويعضده من السنة ما صح من حديث ابي هريرة انه توضا فغسل وجهه فاسبغ الوضو ثم غسل اليمنى ثم اشرع في العضد ثم يده اليسرى ثم اشرع في العضد ثم قال هكذا رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتوضا والجواب عن الحجة المتقدمة ان الحد اذا كان من جنس المحدود فلا يدخل فيه الفرض الثالث قوله تعالى **وامسحوا برؤسكم** اختلف العلما في القدر الذي يجب مسحه من الراس فقال مالك يجب مسح جميعه وهو احدى الروايتين عن احمد والرواية الاخرى عنه انه يجب مسح اكثره وقال ابو حنيفة يجب ربعه وفي رواية اخرى عنه يجب مسح قدر ثلاثة اصابع منه وقال الشافعي الواجب مسح ما ينطلق عليه اسم المسح فالمراد به الصاق المسح بالراس وما مسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح بالراس فاخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب واخذ الشافعي باليقين فاوجب مسح ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان السنة وهو ما روي عن المغيرة بن شعبة ان النبي صلى الله عليه وسلم مسح بناصيته وعلى العمامة والخفين متفق عليه وقدر الناصية بربع الراس الفرض الرابع قوله تعالى **وارجلكم الى الكعبين** اختلف العلما في هذا الحكم وهل فرض الرجلين المسح او الغسل فروي عن ابن عباس انه قال الوضو غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن قتادة ايضا ويروى عن انس انه قال نزل القران بالمسح والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس في الرجلين غسل انما نزل فيهما المسح والسنة بالغسل وعن عكرمة قال ليس على الرجلين غسل انما نزل فيهما المسح وعن الشعبي انه قال انما هو المسح في الرجلين الا ترى انه ما كان عليه الغسل جعل عليه التيمم وما كان عليه المسح اهمل وهو مذهب الامامية من الشيعة ان الواجب في الرجلين المسح وقال جمهور العلما من الصحابة والتابعين فمن بعدهم والايمة الاربعة واصحابهم ان فرض الرجلين هو الغسل وقال داود الظاهري يجب الجمع بينهما وقال الحسن البصري ومحمد بن جرير الطبري المكلف مخير بين المسح والغسل وسبب هذا الاختلاف اختلاف القرا في الحرف فقرا نافع وابن عامر والكسائي

وحفص

وحفص عن عاصم وارجلكم بفتح اللام عطفا على الغسل فيكون من المؤخر الذي معناه التقديم ويكون المعنى فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق وارجلكم الى الكعبين وامسحوا برؤسكم وقال اصحاب هذه القراة انما امر الله عباده بغسل الارجل دون مسحها ويدل عليه ايضا فعل النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه والتابعين فمن بعدهم وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة وابو بكر عن عاصم وارجلكم بكسر اللام عطفا على المسح اما قراة النصب فالمعنى فيها ظاهر لانه عطف على المغسول لوجوب غسل الرجلين على مذهب الجمهور فلا يقدح فيه قول من خالف واما قراة الكسر فقد اختلفوا في معناه والجواب عنه فقال ابو حاتم وابن الانباري وابو علي الكسر عطف على الممسوح غير ان المراد بالمسح في الارجل الغسل وقال ابو زيد المسح خفيف الغسل تقول العرب تمسحت للصلوة يعني توضات قال ابو حاتم وذلك ان المتوضي لا يرضى بصب الما على اعضايه حتى يمسحها مع الغسل فسمي الغسل مسحا بهذا الاعتبار فعلى هذا الراس والرجل ممسوحان الا ان مسح الراس اخف والذي يدل على ان المراد بالمسح في الرجل الغسل ذكره في التحديد وهو قوله تعالى الى الكعبين لان التحديد انما جا في المغسول ولم يجي في الممسوح فلما وقع التحديد مع المسح علم انه في حكم الغسل لانه قد يتسق بالشي على غيره والحكم فيهما مختلف كما قال الشاعر

يا ليت بعلك قد غدا ۝ متقلدا سيفا ورمحا

والمعنى وحاملا رمحا لان الرمح لا يتقلد به وكذلك قول الاخر ۝ علفتها تبنا وما بارد ۝ المعنى وسقيتها ما بارد وكذلك المعنى في الاية وامسحوا برؤسكم واغسلوا ارجلكم فلما لم يذكر الغسل وعطف الارجل على الروس في الظاهر اكتفي بقيام الدليل على ان الارجل مغسولة من مفهوم الاية والاحاديث الصحيحة الواردة بغسل الرجلين في الوضو واما من كسر اللام في الارجل على مجاورة اللفظ دون الحكم واستدل بقولهم جحر ضب خرب وقال الخرب نعت للجحر لا للضب وانما اخذ اعراب الضب للمجاورة فليس بجيد لان الكسر على المجاورة انما يحمل على الضرورة في الشعر وانما يصار اليه حيث يحصل الامن من الالتباس لان الخرب لا يكون نعتا للضب بل للجحر ولان الكسر بالجوار انما يكون بدون حرف العطف اما مع حرف العطف فلم تتكلم به العرب وقوله تعالى الى الكعبين فيه دليل قاطع على وجوب غسل الكعبين كما في وجوب غسل الرجلين كما في قوله تعالى وايديكم الى المرافق والكعبان هما العظمات الناشزان عند مفصل الساق والقدم هذا قول جمهور العلما من اهل الفقه واللغة وقالت الشيعة ومن قال بمسح الرجلين فقال الكعب عبارة عن عظم مستدير على ظهر القدم ويدل على بطلان هذا القول ان الكعب لو كان على ما ذكروه لكان في كل رجل كعبا واحدا فكان ينبغي ان يقال وارجلكم الى الكعب كما في قوله تعالى الى المرافق فلما قال الى الكعبين علم ان لكل رجل كعبان فبطل ما قالوه وثبت قول الجمهور

فصل

في ذكر فروض الوضو المتقدم ان الفروض المذكورة في هذه الاية اربعة وهي غسل الوجه وغسل اليدين الى المرفقين ومسح الراس وغسل الرجلين الى الكعبين وتقدم انه لا دلالة في هذه الاية على وجوب النية في الوضو فصارت فرضا خامسا وزاد مذهب الشافعي ومالك واحمد الى وجوب الترتيب في الوضو وهو ان يغسل الاعضا في الوضو على الولا كما ذكر الله في هذه الاية فيغسل اولا وجهه ثم يديه ثم يمسح راسه ثم يغسل رجليه فصار الترتيب فرضا سادسا وذهب ابو حنيفة الى ان الترتيب في الوضو غير واجب احتج الشافعي على وجوب الترتيب بهذه الاية وذلك ان الله تعالى امر بغسل الوجه ثم بغسل اليدين ثم بمسح الراس ثم بغسل الرجلين فوجب ان يتبع الفعل

مرتبا كما امر الله تعالى ولقوله صلى الله عليه وسلم في حجة حديث حجة الوداع ابدا بما بدا الله به
وهذا الحديث وان ورد في قصة السعي بين الصفا والمروة فان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب ولان نقل فعل النبي صلى الله عليه وسلم في الوضوء ما ورد الا مرتبا كما ورد في نص الاية
ولم ينقل عنه ولا عن غيره من الصحابة انه توضا منكسا او غير مرتب فثبت ان ترتيب افعال
الوضوء كما امر الله تعالى ونص عليه في هذه الاية واحتج ابو حنيفة لمذهبه بهذه الاية
ايضا وذلك ان الواو لا توجب الترتيب واذا قلنا بوجوب الترتيب صار ذلك زيادة على
النص وذلك غير جائز واجيب عنه بانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه توضا الا مرتبا
كما ذكر وبيان الكتاب انما يوخذ من السنة

فصل في ذكر الاحاديث التي وردت في

الوضوء وفضله ق عن حمران مولى عثمان بن عفان ان عثمان دعا باناء فافرغ على كفيه ثلاث
مرات فغسلهما ثم ادخل يمينه في الاناء فمضمض واستنشق ثم غسل وجهه ثلاثا ويديه الى
المرفقين ثلاث مرار ثم مسح براسه ثم غسل رجليه ثلاث مرار الى الكعبين ثم قال
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا نحو وضوئي هذا ثم قال من توضا نحو وضوئي هذا ثم
صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه ق عن عبد الله بن زيد بن عاصم
الانصاري قيل له توضا لنا وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا باناء فافرغ منه على
يديه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها فغسل وجهه ثلاثا ثم ادخل يده فاستخرجها
فغسل يديه الى المرفقين مرتين مرتين ثم ادخل يده فاستخرجها فمسح براسه فاقبل بيديه
وادبر ثم غسل رجليه الى الكعبين ثم قال هكذا كان وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم
زاد في رواية بعد قوله فاقبل بيديه وادبر بدا بمقدم راسه ثم ذهب بهما الى قفاه
ثم ردهما حتى رجع الى المكان الذي بدا منه عن عبد خير قال اتانا علي كرم الله وجهه
وقد صلى فدعا بطهور فقلنا ما يصنع بالطهور وقد صلى ما يريد الا ليعلمنا فاتي
باناء فيه ماء وطست فافرغ في الاناء على يمينه فغسل يديه ثلاثا ثم تمضمض واستنشق
ثلاثا فمضمض ونثر من كف ياخذ منه ثم غسل وجهه ثلاثا وغسل يده اليمنى ثلاثا
وغسل الشمال ثلاثا ثم جعل يده في الاناء فمسح راسه مرة واحدة ثم غسل رجله اليمنى
ثلاثا ورجله اليسرى ثلاثا ثم قال من سره ان يعلم وضوء رسول الله صلى الله عليه
وسلم فهو هذا اخرجه ابو داود وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رجلا اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف الطهور فدعا بماء في اناء فغسل كفيه ثلاثا ثم غسل
وجهه ثلاثا ثم غسل ذراعيه ثلاثا ثم مسح براسه فادخل اصبعيه السباحتين في اذنيه
ومسح بابهاميه على ظاهر اذنيه ثم غسل رجليه ثلاثا ثم قال هكذا الوضوء فمن زاد على
هذا او نقص فقد اساء وظلم اخرجه ابو داود وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مسح براسه واذنيه ظاهرهما وباطنهما اخرجه الترمذي وصححه ق عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا لم يغسل عقبه فقال ويل للاعقاب من النار م
عن جابر قال اخبرني عمر بن الخطاب ان رجلا توضا فترك موضع ظفر على قدمه فابصره
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارجع فاحسن وضوءك قال فرجع فتوضا ثم صلى اخرجه
مسلم عن خالد عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا
يصلي وفي قدمه لمعة قدر الدرهم لم يصبها الماء فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يعيد
الوضوء والصلاة اخرجه ابو داود ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال تخلف عنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها فادركنا وقد ارهقتنا الصلاة ونحن نتوضا

فجعلنا نمسح على ارجلنا فنادى باعلى صوته ويل للاعقاب من النار مرتين او ثلاثا عن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا مرة مرة اخرجه البخاري عن ابي هريرة ان النبي
صلى الله عليه وسلم توضا مرتين مرتين اخرجه ابو داود والترمذي قال وقد روي عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم توضا ثلاثا ثلاثا م عن عقبة بن عامر قال كانت علينا رعاية
الابل فجاءت نوبتي ارعاها فروحتها بعشي فادركت رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما
يحدث الناس فادركت من قوله ما من مسلم يتوضا فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلي ركعتين
يقبل عليهما بقلبه ووجهه الا وجبت له الجنة فقلت ما اجود هذه فاذا قائل بين يدي يقول
التي قبلها اجود فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اني قد رايتك جئت انفا قال ما منكم من
احد يتوضا فيبلغ الوضوء او يسبغ الوضوء ثم يقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
واشهد ان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء م عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا توضا العبد المسلم او المؤمن فغسل وجهه
خرج من وجهه كل خطيئة نظر اليها بعينيه مع الماء او مع اخر قطر الماء فاذا غسل رجليه
خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء او مع اخر قطر الماء حتى يخرج نقيا من الذنوب ق
عن نعيم بن عبد الله المجمر عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان امتي يدعون
يوم القيامة غرا محجلين من اثار الوضوء فمن استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل وفي
رواية قال رايت ابا هريرة يتوضا فغسل وجهه فاسبغ الوضوء ثم غسل يده اليمنى حتى
اشرع في العضد ثم غسل اليسرى حتى اشرع في العضد ثم مسح راسه ثم غسل رجله
اليمنى حتى اشرع في الساق ثم غسل رجله اليسرى حتى اشرع في الساق ثم قال هكذا
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضا وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم
الغر المحجلون يوم القيامة من اسباغ الوضوء فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله وفي
رواية لمسلم قال سمعت خليلي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المسلم
حيث يبلغ الوضوء ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من توضا على طهر كتب
الله له به عشر حسنات اخرجه الترمذي خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا صلاة لمن لا وضوء له ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله اخرجه ابو داود وابن ماجه
قوله تعالى **وان كنتم جنبا فاطهروا** اي اغتسلوا والمراد الاغتسال من الجنابة وذلك
على الرجل والمراة باحد شيئين اما بخروج المني على اي صفة كان من احتلام او غيره او التقاء
الختانين وان لم يكن معه انزال فاذا حصل وجب الغسل ق عن عائشة ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة بدا فغسل يديه ثم يفرغ بيمينه على شماله فيغسل فرجه ثم
يتوضا كما يتوضا للصلاة ثم يدخل اصابعه في الماء فيخلل بها اصول شعره ثم يصب
على راسه ثلاث غرفات بيديه ثم يفيض الماء على سائر جسده واما قوله تعالى **وان كنتم
مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا
صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه** فقد تقدم تفسيره واحكامه في تفسير
سورة النساء وفي قوله تعالى منه دليل على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب
وقوله تعالى **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج** يعني من ضيق فيما فرض عليكم من الوضوء
والغسل والتيمم عند عدم الماء **ولكن يريد ليطهركم** يعني من الاحداث والذنوب والخطايا
لان الوضوء تكفير للذنوب **وليتم نعمته عليكم** يعني ببيان الشرائع والاحكام وما تحتاجون اليه
من امر دينكم **لعلكم تشكرون** يعني تشكرون نعمته عليكم بان طهركم من الاحداث

والذنوب وما جعل عليكم في الدين من حرج قوله تعالى **واذكروا نعمة الله عليكم** يعني ما أنعم به عليكم من النعم كلها لأن كثرة النعم وذكرها يوجب مزيدا لشكر المنعم عليه والاشتغال بطاعة المنعم به والانقياد لأمره وهو الله تعالى **وميثاقه الذي واثقكم به** يعني واذكروا عهده الذي عاهدكم به أيها المؤمنون **إذ قلتم سمعنا وأطعنا** وذلك حين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما أحبوا وكرهوا وقيل الميثاق هو الذي أخذه عليهم في يوم ألست بربكم قالوا بلى **واتقوا الله** يعني فيما أخذه عليكم من الميثاق فلا تنقضوه **إن الله عليم بذات الصدور** يعني أن الله تعالى عالم بما في قلوب عباده من خير وشر قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله** قال ابن عباس يريد أنهم يقومون لله بحقه ومعنى ذلك هو أن يقوموا لله بالحق في كل ما يلزمهم القيام به من العمل بطاعته واجتناب نواهيه **شهداء بالقسط** يعني تشهدون بالعدل **ولا يجرمنكم شنآن قوم** ولا يحملكم بغض قوم **على أن لا تعدلوا** على ترك العدل فيهم لعداوتهم **اعدلوا** أمر الله بالعدل في كل أحد القريب والبعيد والصديق والعدو **هو أقرب للتقوى** أي العدل هو أقرب للتقوى **واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون** يعني أن الله تعالى خبير بجميع أعمالكم مطلع عليها ويجزيكم بها من عدل ومن لم يعدل قوله تعالى **وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات** يعني عملوا بما أمرهم الله به ووفوا بالعهود التي عاهدهم عليها **لهم مغفرة وأجر عظيم** هذا بيان للوعد كأنه لما قدم ذكر الوعد فقيل أي شيء هذا الوعد فقال لهم مغفرة وأجر عظيم وإذا وعدهم أنجز لهم الوعد فإنه تعالى لا يخلف الميعاد **والذين كفروا وكذبوا بآياتنا** يعني والذين جحدوا وحدانية الله ونقضوا عهوده ومواثيقه وكذبوا بما جاءت به الرسل من عنده **أولئك** يعني من هذه صفته **أصحاب الجحيم** هذه الآية نص قاطع في أن الخلود في النار ليس إلا للكفار لأن المصاحبة تقتضي الملازمة كما يقال فلان صاحب فلان يعني الملازم له قوله عز وجل **يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله** يعني اذكروا نعمة الله عليكم بالدفع عنكم مع سائر نعمه التي أنعم بها عليكم ثم وصف تلك النعمة التي ذكرهم بها وأمرهم بالشكر عليها فقال تعالى **إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم** بالقتل والبطش بكم فصرفهم عنكم وحال بينهم وبين ما أرادوه بكم ثم اختلف أهل التفسير في سبب نزول هذه الآية وفي صفة هذه النعمة التي أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بذكرها والشكر عليها فقال قتادة نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخلة حين أراد بنو ثعلبة وبنو محارب أن يفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه إذا اشتغلوا بالصلاة فأطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك وأنزل صلاة الخوف وقال الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم محاصرا غطفان بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم أن أقتل محمدا قالوا وكيف تقتله قال أفتك به قالوا وددنا أنك فعلت ذلك فأتى النبي صلى الله عليه وسلم والنبي صلى الله عليه وسلم متقلد سيفه فقال يا محمد أرني سيفك فأعطاه إياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر إليه مرة وإلى النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثم قال من يمنعك مني يا محمد قال الله فتهدده أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأغمد السيف ومضى فأنزل الله هذه الآية وقال مجاهد وعكرمة والكلبي بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو الساعدي وهو أحد النقباء ليلة العقبة في ثلاثين راكبا من المهاجرين والأنصار إلى بني عامر بن صعصعة

فخرجوا

فخرجوا فلقوا عامر بن الطفيل فقتل المنذر وأصحابه إلا ثلاثة نفر كانوا في طلب ضالة لهم أحدهم عمرو بن أمية الضمري فلم يرعهم إلا والطير تحوم في السماء يسقط من بين مناقيرها علق الدم فقال أحد النفر الثلاثة قتل أصحابنا ثم تولى يشتد حتى لقي رجلا من المشركين فاختلفا ضربتين فلما خالطته الضربة رفع رأسه إلى السماء وفتح عينيه فقال الله أكبر الجنة ورب العالمين ورجع صاحباه فلقيا رجلين من بني سليم وكان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين قومهما موادعة فانتسبا إلى بني عامر فقتلاهما وقدم قومهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم يطلبون الدية فخرج النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف حتى دخلوا على كعب بن الأشرف وبني النضير ليستعينهم في عقلهما وكانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ترك القتال وعلى أن يعينوه في الديات وقيل أراد أن يستقرضهم دية رجلين قتلا فقالوا نعم يا أبا القاسم قد آن لك أن تأتينا وتسألنا حاجة اجلس حتى نطعمك ونعطيك الذي تسألنا فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فخلا بعض اليهود ببعض وقالوا إنكم لن تجدوا محمدا أقرب منه الآن فمن يظهر منكم على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه فقال عمرو بن جحاش أنا فجاء إلى رحا عظيمة ليطرحها على النبي صلى الله عليه وسلم فأمسك الله يده ونزل جبريل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم راجعا إلى المدينة وقال خرج معه علي بن أبي طالب فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي لا تبرح مكانك حتى يخرج إليك أصحابي فمن خرج إليك منهم فسألك عني فقل توجه إلى المدينة ففعل ذلك حتى تناهوا إليه ثم تبعوه إلى المدينة وأنزل الله عز وجل الآية يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم يعني اليهود أن يبسطوا إليكم أيديهم يقال بسط يده إليه إذا بطش به ولو أدنى يده إلى المبطوش به ليقتله **فكف أيديهم عنكم** يعني أنه تعالى منعهم مما أرادوه بكم **واتقوا الله** يعني فيما أمركم به ونهاكم عنه **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** أمر الله تعالى المؤمنين بالتوكل عليه لأنه هو الكافي في عبادة جميع أمورهم فإذا فعلوا ذلك وتوكلوا عليه حفظهم ودفع عنهم شر من أرادهم بسوء كما كف أيدي اليهود عنهم لما أرادوا أن يقتلوهم وهذه القصة أولى بالصواب لأنه عقب الآية بذم اليهود وذكر قبيح أفعالهم وخيانتهم وذلك قوله تعالى **ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل** لما ذكر الله في الآية المتقدمة نقض عزمات اليهود وما أرادوا به من كيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أتبعهم بذكر أسلافهم وما نقضوه من المواثيق لليهود ومعنى الآية أن الله أخذ ميثاقهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وأن يعملوا بما في التوراة من الأحكام والتكاليف **وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا** اختلف العلماء في معنى النقيب فقال ابن عباس النقيب الضمين وقال قتادة هو الشهيد على قومه وقيل هو الأمين الكفيل وقيل هو الباحث عن القوم وعن أحوالهم

ذكر القصة في ذلك

قال أصحاب الأخبار والسير إن الله عز وجل وعد موسى عليه السلام أن يورثه وقومه الأرض المقدسة وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون فأمر الله موسى أن يسير ببني إسرائيل إلى الأرض المقدسة وقال إني قد كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج إليها وجاهد من فيها من العدو فإني ناصركم عليهم وخذ من قومك اثني عشر نقيبا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء منهم على ما أمروا به فاختار موسى النقباء وسار ببني إسرائيل حتى قربوا من أريحا مدينة الجبارين بعث هؤلاء النقباء يتجسسون له الأخبار ويعلمون علمها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عناق

وعناق أمه وهي إحدى بنات آدم عليه السلام وكان طوله ثلاثة آلاف ذراع وثلاثمائة ذراع
وثلاثة وثلاثين ذراعا وثلث ذراع هكذا نقله البغوي وفيه نظر لأن آدم عليه السلام
كان طوله على ما ورد في الأحاديث الصحيحة ستون ذراعا قال وكان عوج يحتجز السحاب
ويشرب منه ويتناول الحوت من قعر البحر فيشويه في عين الشمس ويروى أن الماء لما
طبق على الأرض من جبل وغيره ما بلغ ركبتي عوج وقال لنوح عليه السلام احملني معك
في السفينة فقال له نوح عليه السلام اخرج عني يا عدو الله فإني لم أومر بك وعاش عوج
ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى عليه السلام وذلك أنه قد اقتلع صخرة من
الجبل على قدر عسكر موسى وكان فرسخا في فرسخ وحملها على رأسه ليطبقها عليهم فبعث
الله الهدهد فنقب الصخرة وقورها بمنقاره فوقعت في عنقه فصرعته فأقبل موسى عليه
السلام وهو مصروع فقتله قال فلما لقي عوج النقباء أخذهم وجعلهم في حجزته وكان على رأسه حزمة
حطب وانطلق بهم إلى امرأته وقال انظري إلى هؤلاء الذين يريدون قتالنا وطرحهم بين
يديها وقال ألا أطحنهم برجلي فقالت امرأته بل خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ويقال إنه
جعلهم في كمه وأتى بهم إلى الملك فنثرهم بين يديه فقال لهم الملك ارجعوا إلى قومكم
فأخبروهم بما رأيتم وكان ثمارهم العنقود من العنب لا يحمله إلا خمسة أنفس منهم
بينهم في خشبة ويدخل في شطر الرمانة إذا نزع منها حبها خمسة أنفس فرجع النقباء وقال
بعضهم لبعض يا قوم إنكم إن أخبرتم بني إسرائيل خبر القوم رجعوا عن نبي الله موسى ولكن
اكتموا عن بني إسرائيل خبر القوم وأخبروا موسى وهرون بما رأيتم فيريان رأيهما فأخذ
بعض النقباء على بعض الميثاق بذلك فلما رجعوا إلى بني إسرائيل نكثوا العهود والمواثيق
وأخبر كل رجل سبطه بما رأى إلا رجلان منهم وهما يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فإنهما
وفيا بالعهود ولم ينكثا الميثاق فذلك قوله تعالى ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل **وبعثنا
منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم** فيه حذف تقديره وقال الله للنقباء إني معكم يعني
بالنصر والمعونة وقيل هو خطاب لعامة بني إسرائيل والقول الأول أولى لأن الضمير يعود
إلى أقرب مذكور وكان عوده إلى النقباء أولى لأنه ابتداء الكلام فقال للخطاب لبني إسرائيل
لئن أقمتم الصلاة وهذه جملة شرطية مركبة من خمسة أمور وهي قوله لئن أقمتم الصلاة
وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا وجزاء الشرط
قوله تعالى **لأكفرن عنكم سيئاتكم** فذلك إشارة إلى إزالة العقاب وقوله تعالى **ولأدخلنكم
جنات تجري من تحتها الأنهار** وإشارة إلى إيصال الثواب ومعنى الآية لئن أقمتم
الصلاة المكتوبة وآتيتم الزكاة المفروضة وآمنتم برسلي يعني بجميع رسلي وإنما أخر
ذكر الإيمان بالرسل لأن اليهود كانوا مقرين بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ولا يؤمنون
ببعض الرسل فقال الله لهم إنه لا يتم لكم ذلك ولا يحصل المقصود إلا بالإيمان بجميع الرسل
وقوله تعالى وعزرتموهم يعني ونصرتموهم بأن تردوا أعداءهم عنهم وقيل معناه ووقرتموهم
وعظمتموهم والقول هو الأول وأقرضتم الله قرضا حسنا يعني بالصدقات المندوبة لأن
الزكاة تقدم ذكرها فلا فائدة في تسمية هذا القرض بالزكاة **فإن قلت**
كيف قال وأقرضتم الله قرضا حسنا ولم يقل إقراضا حسنا لأن مصدر أقرضتم الإقراض
قلت إن قوله قرضا أخرج مصدرا من معناه لا من لفظه وذلك أن أقرض بمعنى
قرض فكان معنى الكلام وأقرضتم الله فقرضتم قرضا حسنا ونظير ذلك قوله تعالى
والله أنبتكم من الأرض نباتا إذ كان معناه فنبتم نباتا وقوله تعالى لأكفرن عنكم سيئاتكم

يعني

يعني إذا فعلتم ذلك يا بني إسرائيل محوت عنكم سيئاتكم وغفرتها لكم ولأدخلنكم جنات
تجري من تحتها الأنهار **فمن كفر بعد ذلك منكم** يعني بعد أخذ العهد والميثاق **فقد ضل
سواء السبيل** يعني فقد أخطأ الطريق المستقيم وهو طريق الدين الذي شرعه والهدى
الذي أمر باتباعه قوله تعالى **فبما نقضهم ميثاقهم** أي فبنقضهم ميثاقهم وذلك
أن بني إسرائيل نقضوا ميثاق الله وعهده بأن كذبوا الرسل الذين جاؤوا من بعد موسى وقتلوا
أنبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرائضه **لعناهم** يعني جازيناهم على ذلك بأن أبعدناهم
وطردناهم عن رحمتنا وأصل اللعنة الإبعاد عن الرحمة **وجعلنا قلوبهم قاسية** يعني
غليظة يابسة لا تلين لأن القسوة خلاف اللين والرقة وقيل معناه أن قلوبهم ليست
خالصة الإيمان بل إيمانهم مشوب بالكفر والنفاق **يحرفون الكلم عن مواضعه**
يعني يغيرون حدود التوراة وأحكامها ويبدلون نعت محمد صلى الله عليه وسلم ونعته
من التوراة وقيل هو تحريفهم معاني ألفاظ التوراة بالتأويل **ونسوا حظا مما ذكروا به**
يعني وتركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته وصفته
ولا تزال تطلع على خائنة منهم قال ابن عباس يعني على معصية منهم وكانت خيانتهم
نقض العهد ومظاهرتهم المشركين على حرب محمد صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمه
ونحو ذلك من خياناتهم التي ظهرت **إلا قليلا منهم** يعني أنهم لم يخونوا ولم ينقضوا العهد
وهم عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا من أهل الكتاب **فاعف عنهم واصفح** أي
فاعف عن زلاتهم ما لم يجحدوا واصفح عن جرمهم وعن مؤاخذتهم وهذا الأمر بالعفو والصفح
عن أهل الكتاب منسوخ بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية
التي في سورة براءة قاله قتادة وقيل إنها غير منسوخة بل نزلت في قوم كان بينهم وبين
النبي صلى الله عليه وسلم عهد فغدروا ونقضوا ذلك العهد فأظهر الله تعالى نبيه صلى
الله عليه وسلم على ذلك وأنزل هذه الآية فلم تنسخ وذلك أنه يجوز أن يعفو عن غدرة
فعلوها ما لم ينصبوا حربا ولم يمتنعوا من أداء الجزية والصغار وعلى هذا القول بأنها
غير منسوخة يكون معنى الآية فاعف عن جرمهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم قبل ذلك
وقيل معناه فاعف عن صغائرهم لأنهم ما داموا باقين بالعهد **إن الله يحب المحسنين**
يعني إذا عفوت عنهم فأنت محسن والله يحب المحسنين **ومن الذين قالوا
إنا نصارى أخذنا ميثاقهم** لما ذكر نقض اليهود الميثاق أتبعه بذكر نقض النصارى
الميثاق وأن سبيل النصارى مثل سبيل اليهود في نقض العهد والميثاق وإنما قال تعالى ومن
الذين قالوا إنا نصارى ولم يقل من النصارى لأنهم الذين ابتدعوا هذا الاسم وتسموا به
أنفسهم لا أن الله تعالى سماهم به أخذنا ميثاقهم يعني كتبنا عليهم في الإنجيل أن يؤمنوا
بمحمد صلى الله عليه وسلم **فنسوا حظا مما ذكروا به** يعني وتركوا ما أمروا به
من الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم **فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم
القيامة** قال قتادة لما تركوا العمل بكتاب الله وعصوا رسله وضيعوا فرائضه وعطلوا
حدوده ألقى الله العداوة والبغضاء بينهم وقيل العداوة والبغضاء هي الأهواء المختلفة
وفي الهاء والميم من قوله تعالى بينهم قولان أحدهما أن المراد بهم اليهود والنصارى فإن
العداوة والبغضاء حاصلة بينهم إلى يوم القيامة والقول الثاني أن المراد بهم فرق النصارى
فإن كل فرقة منهم تكفر الأخرى **وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون** يعني أن الله تعالى
يخبرهم في الآخرة بأعمالهم التي عملوها في الدنيا فيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى

يا أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب يعني أن محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر كثيرا مما أخفوا
وكتموا من أحكام التوراة والإنجيل وذلك أنهم أخفوا آية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم
وغير ذلك ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك وأظهره وهذه معجزة للنبي
صلى الله عليه وسلم لأنه لم يقرأ كتابهم ولم يعلم ما فيه فكان إظهار ذلك معجزة له هو
ويعفو عن كثير يعني مما كتموه فلا يتعرض له ولا يؤاخذهم به لأنه لا حاجة
إلى إظهاره والفائدة في ذلك أنهم يعلمون كون النبي صلى الله عليه وسلم عالما بما
يخفونه وهو معجزة له أيضا فيكون ذلك داعيا لهم إلى الإيمان به قد جاءكم من الله نور
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم إنما سماه الله نورا لأنه يهتدى به كما يهتدى بالنور
في الظلام وقيل النور هو الإسلام وكتاب مبين يعني القرآن يهدي به الله
يعني يهدي الله بالكتاب المبين من اتبع رضوانه أي اتبع ما رضيه الله وهو دين
الإسلام لأنه يمدحه وأثنى عليه سبل السلام قال ابن عباس يريد دين الإسلام
لأنه دين الله وهو السلام وسبيله دينه الذي شرع لعباده وبعث به رسله وأمر عباده
باتباعه وقيل سبل السلام دار السلام فيكون من باب حذف المضاف ويخرجهم من
الظلمات إلى النور يعني من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان بإذنه يعني بتوفيقه
وهدايته ويهديهم إلى صراط مستقيم يعني دين الإسلام قوله عز وجل لقد
كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قال ابن عباس هؤلاء نصارى نجران
فإنهم قالوا هذه المقالة وهو مذهب اليعقوبية والملكية من النصارى لأنهم يقولون في
المسيح إنه الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وإنما قالوا هذه المقالة الخبيثة لأنهم
يقولون بالحلول وأن الله قد حل في بدن عيسى فلما كان اعتقادهم ذلك لا جرم حكم
الله عليهم بالكفر ثم ذكر الله ما يدل على فساد مذهبهم فقال تعالى قل يعني يا محمد لهؤلاء
النصارى الذين يقولون هذه المقالة فمن يملك يعني يقدر أن يدفع من الله شيئا يعني
من أمر الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه يعني يعدم المسيح وأمه ومن في
الأرض جميعا ووجه الاحتجاج على النصارى بهذا أن المسيح لو كان إلها كما يقولون
لقدر على دفع أمر الله إذا أراد إهلاكه وإهلاك أمه وغيرهما ولله ملك السموات
والأرض وما بينهما إنما قال وما بينهما ولم يقل وما بينهن لأنه أراد ما بين هذين النوعين
أو الصنفين من الأشياء أنها ملكه وأهلها عبيده وعيسى وأمه من جملة عبيده يخلق
ما يشاء يعني من غير اعتراض عليه فيما يخلق لأنه خلق آدم من غير أب وأم وخلق عيسى من أم بلا
أب وخلق سائر الخلق من أب وأم والله على كل شيء قدير يعني أن الله تعالى لا يعجزه
شيء أراده فلا اعتراض لأحد من خلقه عليه قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن
أبناء الله وأحباؤه قال ابن عباس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمان وابن أصاد
وبحري بن عمرو وشاس بن عدي فكلموه وكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاهم
إلى الله وحذرهم نقمته فقالوا ما تخوفنا يا محمد نحن والله أبناء الله وأحباؤه كقول
النصارى فأنزل الله عز وجل فيهم وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه الآية
وسبب هذه الآية ما حكاه السدي قال أما اليهود فإنهم قالوا إن الله أوحى إلى بني
إسرائيل أن ولدك بكري من الولد فأدخلهم النار فيكونون بها أربعين يوما حتى
تطهرهم وتأكل خطاياهم ثم ينادي مناد أن أخرجوا كل مختون من ولد إسرائيل فأخرجهم

فذلك

207

260

فذلك قولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وأما النصارى فإن فريقا منهم يقولون
المسيح ابن الله وكذبوا فيما قالوا على الله تعالى وأما وجه قول اليهود فإنهم يعنون أنه
حدبه وعطفه عليهم كالأب المشفق على الولد وأما وجه قول النصارى فإنهم لما
قالوا في المسيح إنه ابن الله وادعوا أنه منهم فكأنهم قالوا نحن أبناء الله لهذا السبب وقيل
إن اليهود لما قالوا هذه المقالة هي من باب حذف المضاف والمعنى نحن أبناء رسل الله وأحباء
الله وأما النصارى فإنهم تأولوا قول المسيح أذهب إلى أبي وأبيكم وقوله إذا صليتم فقولوا يا أبانا
الذي في السماء ليتقدس اسمك فذهبوا إلى ظاهر هذه المقالة ولم يعلموا المراد
من المسيح إن صحت هذه المقالة عنه فإن تأويلها أي بره ورحمته وعطفه على عباده الصالحين
كالأب الرحيم لولده وجملة الكلام في ذلك أن اليهود والنصارى كانوا يرون لأنفسهم
فضلا على من سواهم بسبب أسلافهم الأفاضل حتى انتهوا في تعظيم أنفسهم إلى أن قالوا
نحن أبناء الله وأحباؤه فأبطل الله عز وجل دعواهم وكذبهم فيما قالوا بقوله تعالى
قل فلم يعذبكم بذنوبكم معناه ليس الأمر كما تزعمون بل يعذبكم
الله وأنتم قد أقررتم على أنفسكم يعني أنه يعذبكم أربعين يوما وهل رأيتم والدا يعذب
ولده بالنار وهل تطيب نفس من يحب أن يعذب حبيبه بالنار بل أنتم بشر ممن خلق
يعني بل أنتم يا معشر اليهود والنصارى كسائر بني آدم تجزون بالإساءة والإحسان
وقوله تعالى يغفر لمن يشاء يعني لمن تاب من اليهودية والنصرانية ويعذب من يشاء
يعني من مات على اليهودية والنصرانية وقيل معناه يهدي من يشاء فيغفر له ويميت من
يشاء على كفره فيعذبه ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يعني أنه تعالى يملك
ذلك لا شريك له في ذلك فيعارضه وهو الذي يملك المغفرة لمن يشاء والتعذيب لمن يشاء
وفيه دليل على أنه تعالى لا ولد له لأن من يملك السموات والأرض يستحيل أن يكون له
شبيه من خلقه أو شريك في ملكه وإليه المصير يعني وإلى الله مرجع العباد في الآخرة
فيجازيهم بأعمالهم قوله تعالى يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على
فترة من الرسل قال ابن عباس قال معاذ بن جبل وسعد بن عبادة وعقبة بن
وهب لليهود يا معشر اليهود اتقوا الله فوالله إنكم لتعلمون أنه رسول الله لقد كنتم
تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع بن حريملة ووهب بن
يهودا ما قلنا ذلك لكم وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بشيرا ولا نذيرا
بعده فأنزل الله هذه الآية يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يعني محمدا صلى الله عليه
وسلم يبين لكم يعني أحكام الدين والشرائع على فترة من الرسل قال ابن عباس يعني
على انقطاع من الرسل واختلف العلماء في قدر مدة الفترة فروي عن سلمان قال
فترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة أخرجه البخاري وقال
قتادة كانت الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ستمائة سنة وما شاء
الله من ذلك وعنه أنه خمسمائة سنة وستون سنة وقال ابن السائب خمسمائة وأربعون سنة
وقال الضحاك أنها أربعمائة وبضع وثلاثون سنة ونقل ابن الجوزي عن ابن عباس على فترة
من الرسل قال على انقطاع منهم قال وكان بين ميلاد عيسى وميلاد محمد صلى الله عليه
وسلم خمسمائة وتسع وستون سنة وهي الفترة وكان بين عيسى ومحمد أربعة من الرسل
فذلك قوله إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال والرابع لا أدري من
هو فكانت تلك السنين مائة وأربع وثلاثون سنة نبوة وسائرها فترة قال أبو سليمان

الدمشقي والرابع والله أعلم خالد بن سنان الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي
ضيعه قومه قال الامام فخر الدين الرازي والفائدة في بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترة
الرسل ان التحريف والتغيير كان قد تطرق الى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول
زمانها وتسبب ذلك اختلاط الحق بالباطل والكذب بالصدق فصار ذلك عذرا ظاهرا
في اعراض الخلق عن العبادات لان لهم ان يقولوا الهنا عرفنا انه لابد من عبادتك ولكنا
ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله في هذا الوقت محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر
فذلك قوله عز وجل **أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير** يعني لئلا تقولوا وقيل
معناه كراهية ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير في هذا الوقت **فقد جاءكم بشير ونذير**
يعني فقد ارسلت اليكم محمدا صلى الله عليه وسلم لازالة هذا العذر **والله على كل
شيء قدير** يعني انه تعالى قادر على بعثة الرسل في وقت الحاجة اليهم قوله عز وجل
وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم قال ابن عباس اذكروا أيادي
الله وقيل معناه اذكروا أيادي الله وأيامه التي انعم فيها عليكم قال الطبري هذا تعريف
من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قديم تمادي هؤلاء اليهود في الغي وبعدهم عن
الحق وسوء اختيارهم لانفسهم وشدة مخالفتهم لانبيائهم مع كثرة نعم الله عليهم وتتابع أياديه
والائه لديهم وتسلية بذلك لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم عما نزل به من مقاساتهم
وتقلبهم في ذات الله عز وجل **إذ جعل فيكم أنبياء** يعني ان موسى عليه السلام ذكر قومه
بني اسرائيل بأيام الله عندهم وبما انعم عليهم فقال اذكروا نعمة الله عليكم ان فضلكم
بأن جعل فيكم انبياء قال الكلبي هم السبعون الذين اختارهم موسى من قومه وانطلقوا بهم
الى الجبل وأيضا كان انبياء بني اسرائيل من اولاد يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليهم
السلام وهؤلاء الاثنا عشر من أكابر الانبياء وأولاد يعقوب هم الاسباط انبياء على قول
الاكثرين وموسى وهرون عليهما السلام وأيضا فان الله تعالى اعلم موسى انه يبعث من بعده
في بني اسرائيل انبياء فانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل من الانبياء فكان هذا شرفا
عظيما لهم ونعمة ظاهرة عليهم **وجعلكم ملوكا** يعني وجعلكم احرارا تملكون
انفسكم بعد ان كنتم عبيدا في أيدي القبط قال ابن عباس يعني جعلكم اصحاب خدم
وحشم قال قتادة كانوا اول من ملك الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروى عن ابي سعيد
الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامرأة ودابة
كتب ملكا ذكره البغوي بغير سند وسال رجل عبد الله بن عمرو بن العاص فقال
ألسنا من فقراء المهاجرين فقال له عبد الله ألك امرأة تأوي اليها قال نعم قال ألك مسكن
تسكنه قال نعم قال انت من الاغنياء قال فان لي خادما قال فانت من الملوك وقال
الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية ومن كان مسكنه واسعا وفيه ماء جار
فهو ملك **وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين** يعني من عالمي زمانكم يذكرهم ما انعم الله
به عليهم من فلق البحر لهم وتظليل الغمام وغير ذلك من النعم التي انعم الله بها عليهم
قوله تعالى **يا قوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم** لما ذكر موسى قومه ما انعم
الله عليهم امرهم بالخروج الى جهاد عدوهم فقال ادخلوا الارض المقدسة يعني
المطهرة سميت مقدسة لانها طهرت من الشرك وصارت مسكنا للانبياء والمؤمنين وقيل
المقدسة المباركة قال الكلبي صعد ابراهيم صلى الله عليه وسلم جبل لبنان فقيل له انظر
فما ادرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك والارض هي الطور وما حوله وقيل هي اريحا

وفلسطين وبعض الاردن وقيل هي دمشق وقيل هي الشام كلها قال كعب الاحبار وجدت في
كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله في ارضه وبها اكثر عباده التي كتب الله لكم يعني كتب الله لكم
في اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقيل فرض الله عليكم دخولها وامركم بسكناها وقيل وهبها
لكم **فان قلت** كيف قال الله تعالى ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم وقوله
فانها محرمة عليهم وكيف الجمع بينهما **قلت** فيه وجوه احدها انها كانت هبة من الله
ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم الوجه الثاني ان اللفظ وان كان عاما لكن المراد
منه الخصوص فصار كانه مكتوب لبعضهم وحرام على بعضهم فان يوشع بن نون وكالب بن
يوفنا دخلاها وكانا ممن خوطب بهذا الخطاب الوجه الثالث انه قال انها محرمة عليهم
اربعين سنة فلما مضت الاربعون دخلوها وكانت مساكنا لهم كما وعدهم الله تعالى
وقوله تعالى **ولا ترتدوا على أدباركم** يعني ولا ترجعوا القهقرى مرتدين على أعقابكم
الى ورائكم ولكن امضوا لامر الله الذي امركم به وان خالفتم ما امركم الله به **فتنقلبوا
خاسرين** يعني فترجعوا خائبين لانكم رددتم امر الله قوله عز وجل **قالوا** يعني قوم موسى
يا موسى إن فيها يعني في الارض المقدسة **قوما جبارين** يعني قوما عاتين لا طاقة لنا
بهم ولا قوة لنا تثبت لهم وسموا اولئك القوم جبارين لشدة بطشهم وعظم خلقهم
وكانوا ذوي اجسام عظيمة واشكال هائلة وهم من العمالقة بقية قوم عاد واصل الجبار
في صفة الانسان فعال من جبره على الامر يعني اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس
على ما يريد وقيل انه ماخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا كانت طويلة مرتفعة لا تصل
الايدي اليها ويقال رجل جبار اذا كان طويلا عظيما قويا تشبيها بالجبار من
النخل **وإنا لن ندخلها** يعني ارض الجبارين التي امرهم الله بدخولها **حتى يخرجوا
منها** حتى يخرج الجبارون من الارض المقدسة وانما قالوا ذلك استبعادا لخروج الجبارين
من ارضهم **فإن يخرجوا منها فإنا داخلون** يعني اليها قال العلماء بالاخبار ان النقباء
لما خرجوا يتجسسون الاخبار لموسى عليه السلام فلما رجعوا الى موسى اخبروه خبر القوم
وما عاينوه منهم قال لهم موسى لا تخبروا بني اسرائيل بهذا فيجبنوا ويضعفوا عن قتالهم
وقيل ان النقباء الاثني عشر لما خرجوا من ارض الجبارين قال بعضهم لبعض لا تخبروا
بني اسرائيل بما رايتم فلما رجعوا اخبروا موسى فامرهم ان لا يخبروا بني اسرائيل بذلك
فخالفوا امره ونقضوا العهد واخبر كل رجل من النقباء سبطه بما راى الا يوشع بن نون
وكالب فانهما كتما ووفيا بالعهد فلما علم بنو اسرائيل بذلك ونشأ ذلك فيهم رفعوا
اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا في ارض مصر ولا يدخلنا الله ارضهم فيكون نساؤنا
واموالنا واولادنا غنيمة لهم وجعل الرجل من بني اسرائيل يقول لصاحبه تعالوا نجعل لنا
راسا وننصرف الى مصر فلما قال بنو اسرائيل ذلك وهموا بالانصراف الى مصر خر موسى
وهرون ساجدين وخرق يوشع وكالب ثيابهما وهما اللذان اخبر الله عنهما بقوله **قال
رجلان من الذين يخافون** يعني يخافون الله ويراقبونه **أنعم الله عليهما** يعني بالهداية
والوفاء بالعهد **ادخلوا عليهم الباب** يعني قال الرجلان وهما يوشع بن نون وكالب
ابن يوفنا لبني اسرائيل ادخلوا على الجبارين باب مدينتهم **فإذا دخلتموه فإنكم غالبون**
لان الله وعدكم بالنصر وان الله منجز لكم وعده **وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين** يعني
يقول الرجلان لقوم موسى ثقوا بالله فانه معكم وناصركم ان كنتم مصدقين بان الله ناصركم
ولا يهولنكم عظم اجسامهم فانا قد رأيناهم وكانت اجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلما

قالا ذلك أراد بنو إسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصوا أمرهما وقالوا ما أخبر الله عنهم بقوله تعالى **قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا** يعني قالت قوم موسى لموسى إنا لن ندخل مدينة الجبارين أبدا يعني مدة حياتنا **ما داموا فيها** يعني مقيمين فيها **فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون** إنما قالوا هذه المقالة لأن مذهب اليهود التجسيم فكانوا يجوزون الذهاب والمجيء على الله تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا قال بعض العلماء إن كانوا قالوا ذلك على وجه الذهاب من مكان إلى مكان فهو كفر وإن كانوا قالوه على وجه الخلاف لأمر الله وأمر نبيه موسى فهو فسق وقال بعضهم إنما قالوه على وجه المجاز والمعنى اذهب أنت وربك معين لك ولكن قوله فقاتلا يفسد هذا التأويل وقال بعضهم إنما أرادوا بقولهم أنت وربك أخاه هرون لأنه كان أكبر من موسى والأصح أنما قالوا ذلك جهلا منهم بالله تعالى وصفاته وصفة نبوته تعالى وما قدروا الله حق قدره

خ عن ابن مسعود قال شهدت من المقداد بن الأسود مشهدا لأن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما عدل به أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدعو على المشركين يوم بدر فقال يا رسول الله إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك فكأنه سري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية إنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يديك ومن خلفك فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسره قوله تعالى **قال** يعني قال موسى عليه السلام **رب** أي يا رب **إني لا أملك إلا نفسي وأخي** يعني إنا لا أملك إلا نفسي وأخي لا يملك إلا نفسه وقيل معناه لا أملك إلا نفسي ونفس أخي لأنه كان يطيعه وإذا كان كذلك فقد ملكه وإنما قال موسى لا أملك إلا نفسي وأخي وإن كان في طاعته يوشع بن نون وكالب بن يوفنا لاختصاص هرون به ولم يثق لأمتنا بأخيه ويحتمل أن يكون معناه وأخي في الدين ومن كان على دينه وطاعته فهو أخوه في الدين فعلى هذا الاحتمال يدخل الرجلان في قوله وأخي ثم قال **فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين** أي افصل وقيل احكم بيننا وبين القوم الفاسقين يعني الخارجين عن طاعتك وإنما قال موسى ذلك لما رأى بني إسرائيل وما فعلوه من مخالفة أمر الله وهمهم بيوشع وكالب غضب موسى لذلك ودعا عليهم فاستجاب الله تعالى دعاء موسى عليه السلام **فقال** الله عز وجل **فإنها محرمة عليهم** يعني فإن الأرض المقدسة محرمة عليهم ومعناه أن تلك البلدة محرمة عليهم أبدا ولم يرد تحريم تعبد وإنما أراد تحريم منع فأوحى الله تعالى إلى موسى لأحرمن عليهم دخول الأرض المقدسة غير عبدي يوشع وكالب ولأتيهنهم في هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الأيام التي كانوا يتجسسون فيها سنة ولألقين جيفهم في هذه القفار وأما أبناؤهم الذين لم يعملوا الشر فيدخلونها فذلك قوله تعالى فإنها يعني الأرض المقدسة محرمة عليهم قال أكثر أهل العلم هذا تحريم منع لا تحريم تعبد وقيل يحتمل أن يكون تحريم تعبد فيجوز أن يكون الله تعالى أمرهم بأن يمكثوا في تلك المفازة في الشدة والبلية عقابا لهم على سوء صنيعهم **أربعين سنة** قال الربيع الكلام عند قوله فإنها محرمة عليهم ثم قال أربعين سنة يتيهون في الأرض يعني المحرمة فإنها مؤبدة حتى هلكوا ولم يدخلها غيرهم وقيل معناه أي الأرض المقدسة محرمة عليهم أربعين سنة ثم يدخلونها وتفتح لهم وقوله تعالى **يتيهون في الأرض** يعني يتحيرون فيها يقال تاه يتيه إذا تحير واختلفوا في قدر الأرض التي تاهوا فيها فقيل قدر ستة فراسخ وقيل تسعة فراسخ في اثني عشر فرسخا وقيل تسعة

فراسخ

فراسخ في ثلاثين فرسخا وكان القوم ستمائة ألف مقاتل وكانوا يرتحلون ويسيرون يومهم أجمع فإذا أمسوا إذا هم في الموضع الذي رحلوا منه وكان ذلك التيه عقوبة لبني إسرائيل ما خلا موسى وهرون ويوشع وكالب فإن الله تعالى سهله عليهم وأعانهم عليه كما سهل على إبراهيم النار وجعلها بردا وسلاما **فإن قلت** كيف يعقل بقاء هذا الجمع العظيم في هذا المقدار الصغير من الأرض أربعين سنة بحيث لم يخرج منه أحد **قلت** هذا من باب خوارق العادات في أزمان الأنبياء غير مستبعد فإن الله على كل شيء قدير وقيل إذا فسرنا ذلك التحريم بتحريم التعبد زال هذا الإشكال لاحتمال أن الله حرم عليهم الخروج من تلك الأرض بل أمرهم بالمكث أربعين سنة في المشقة والمحنة جزاء لهم على سوء صنيعهم ومخالفتهم أمر الله ولما حصل بنو إسرائيل في التيه شكوا إلى موسى عليه السلام حالهم فأنزل الله عليهم المن والسلوى وأعطوا من الكسوة ما هي قائمة لهم وينشأ الناشئ معهم فتكون على مقداره وهيئته وسأل موسى ربه أن يسقيهم فأتى بحجر أبيض من جبل الطور فكان إذا نزل ضربه بعصاه فيخرج منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط منهم عين وأرسل الله عليهم الغمام يظلهم في التيه ومات في التيه من دخله ممن جاوز عشرين سنة غير يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ولم يدخل أريحاء من قال لن ندخلها أبدا واختلفوا أن موسى عليه السلام مات في التيه أم خرج منه فقيل إن موسى وهرون ماتا في التيه جميعا

قصة وفاة موسى وهرون عليهما السلام

فأما هرون فإنه كان أكبر من موسى بسنة قال السدي أوحى الله عز وجل إلى موسى إني متوفي هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل فإذا بشجرة لم ير مثلها وإذا ببيت مبني وفيه سرير عليه فرش وفيه رائحة طيبة فلما رأى هرون ذلك البيت أعجبه وقال يا موسى إني أحب أن أنام على هذا السرير قال نم قال إني أخاف أن يأتي رب هذا البيت فيغضب علي قال لا تخف أنا أكفيك رب هذا البيت نم قال يا موسى نم أنت معي فإن جاء رب هذا البيت غضب علي وعليك جميعا فلما ناما أخذ هرون الموت فلما وجد مسه قال يا موسى خدعتني فلما قبض هرون رفع البيت والسرير وهرون إلى السماء وذهبت الشجرة فرجع موسى إلى بني إسرائيل وليس هرون معه فقالت بنو إسرائيل حسد موسى هرون فقتله لحبنا إياه قال موسى ويحكم إن هرون كان أخي أفتروني أقتله فلما أكثروا عليه قام فصلى ركعتين ثم دعا الله فنزل السرير حتى نظروا إليه وهو بين السماء والأرض فصدقوه ثم رفع وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه صعد موسى عليه السلام وهرون إلى الجبل فمات هرون وبقي موسى فقالت بنو إسرائيل لموسى أنت قتلته فآذوه فأمر الله الملائكة فحملوه حتى مروا به على بني إسرائيل وتكلمت الملائكة بموته فصدقت بنو إسرائيل أنه مات وبرأ الله موسى مما قالوه ثم إن الملائكة حملوه ودفنوه فلم يطلع على موضع قبره أحد إلا الرخم فجعله الله أصم أبكم **وأما وفاة موسى** عليه السلام فقال ابن إسحاق كان صفي الله موسى عليه السلام قد كره الموت وأعظمه فأراد الله أن يحبب إليه الموت فنبأ يوشع بن نون فكان موسى يغدو ويروح إليه ويقول له يا نبي الله ما أحدث الله إليك فيقول له يوشع يا نبي الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شيء مما أحدث الله إليك حتى كنت أنت الذي تبتدئ به وتذكره ولا يذكر له شيئا فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت

ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل ملك الموت إلى موسى فلما جاءه صكه ففقأ عينه فرجع إلى

ربه فقال أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت فرد الله عليه عينه فقال ارجع إليه فقل له يضع
يده على متن ثور فله بكل ما غطت يده من شعرة سنة قال أي رب ثم ماذا قال ثم الموت
قال فالآن فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق عند الكثيب الأحمر وفي رواية
لمسلم قال جاء ملك الموت إلى موسى فقال أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت
ففقأها ثم ذكر معنى ما تقدم **قال** الشيخ محيي الدين النووي قال
المازري قد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث وأنكر تصوره قالوا كيف يجوز على موسى
فقء عين ملك الموت وأجاب العلماء عنه بأجوبة أحدها أنه لا يمتنع أن يكون الله
قد أذن لموسى في هذه اللطمة ويكون ذلك امتحانا للملطوم والله تعالى يفعل في خلقه
ما شاء ويمتحنهم بما أراد الثاني أن موسى لم يعلم أنه ملك من عند الله وظن أنه رجل قصده
يريد نفسه فدافعه عنها فأدت المدافعة إلى فقء عينه لا أنه قصدها بالفقء
قال الشيخ وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين واختاره
المازري والقاضي عياض قالوا وليس في الحديث تصريح بأنه قصد فقء عينه **فإن
قيل** كيف اعترف موسى حين جاءه ثانيا بأنه ملك الموت **فالجواب**
أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم أنه ملك الموت فاستسلم بخلاف المرة الأولى وأما
سؤال موسى الإدناء من الأرض المقدسة فلشرفها وفضل من فيها من المدفونين
من الأنبياء وغيرهم وفيه دليل على استحباب الدفن في المواضع الفاضلة والمواطن
المباركة والقرب من مدافن الصالحين قال بعض العلماء وإنما سأل موسى الإدناء
ولم يسأل نفس بيت المقدس لأنه خاف أن يكون قبره مشهورا عندهم فيفتتن به
الناس والله أعلم قال وهب بن منبه فخرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة
يحفرون قبرا لم ير شيئا أحسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة
فقال لهم يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا لعبد كريم على ربه فقال
إن هذا العبد من الله بمنزلة ما رأيت مثله كاليوم قط فقالت الملائكة يا صفي الله تحب
أن يكون لك قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه إلى ربك ثم تنفس
أسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل إن ملك الموت
أتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه **وكان** عمر موسى عليه
السلام مائة سنة وعشرون سنة فلما مات موسى عليه السلام وانقضت الأربعون
سنة وبعث الله يوشع نبيا إلى بني إسرائيل فأخبرهم أن الله قد أمره بقتال الجبارين
فصدقوه وتابعوه فتوجه ببني إسرائيل إلى أريحا وهي مدينة الجبارين ومعه
تابوت الميثاق فأحاط بأريحا ستة أشهر فلما كان في السابع نفخوا في القرون
وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين
وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون
على عنق الرجل من الجبابرة يضربونها حتى يقطعوها وكان القتال يوم
الجمعة فبقيت منهم بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال
اللهم اردد علي الشمس وقال للشمس إنك في طاعة الله وأنا في طاعة الله وسأل
الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من أعداء الله قبل دخول السبت فرد
الله عليه الشمس وزيد في النهار ساعة حتى قتلهم جميعا وتتبع ملوك الشام

فاستباح

فاستباح منهم إحدى وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض الشام وصارت كلها لبني
إسرائيل وفرق عماله في نواحيها وجمع الغنائم فجاءت النار لتأكلها فلم تطعمها فقال إن
فيكم غلولا فليبايعني من كل قبيلة رجل فبايعوه فلصقت يد رجل بيده فقال فيكم
الغلول فجاءوا برأس ثور من ذهب مكلل باليواقيت والجوهر قد غله رجل منهم فجعله
في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان وفي الحديث الصحيح
ما يدل على صحة هذا وهو ما روي عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا
نبي من الأنبياء فقال لقومه لا يتبعني رجل ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني
بها ولم يبن بها ولا أحد بنى بيوتا ولم يرفع سقفها ولا رجل اشترى غنما أو خلفات
وهو ينتظر ولادها فغزا فأدنى من القرية صلاة العصر أو قريبا من ذلك
فقال للشمس إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا فحبست حتى فتح الله عليه
فجمع الغنائم فجاءت يعني النار لتأكلها فلم تطعمها فقال إن فيكم غلولا فليبايعني من
كل قبيلة رجل فلزقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب
فوضعها فجاءت النار فأكلتها زاد في رواية فلم تحل الغنائم لأحد قبلنا ثم أحل الله
لنا الغنائم لما رأى ضعفنا وعجزنا فأحلها لنا أخرجه البخاري ومسلم ﻫ

شرح غريب هذا الحديث قوله لا يتبعني رجل ملك بضع
امرأة البضع بضم الباء كناية عن فرج المرأة ولم يبن بها أي لم يدخل عليها والخلفات
النوق الحوامل وقوله للشمس إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علي قال الشيخ
محيي الدين قال القاضي عياض اختلف الناس في حبس الشمس المذكورة هنا فقيل
ردت إلى ورائها وقيل وقفت ولم ترد وقيل بطء حركتها وذلك من معجزات النبوة قال
ويقال إن الذي حبست عليه الشمس يوشع بن نون قال القاضي وقد روي أن نبينا
محمدا صلى الله عليه وسلم حبست له الشمس مرتين إحداهما يوم الخندق حين
شغلوا عن صلاة العصر حتى غربت الشمس فردها الله عليه حتى صلى العصر ذكر
ذلك الطحاوي وقال رواته ثقات والثانية صبيحة ليلة الإسراء حين انتظر العير
حين أخبر بوصولها مع شروق الشمس ذكره يونس بن بكير في زيادته على سيرة
ابن إسحاق قال وهب ثم مات يوشع بن نون ودفن في جبل أفرايم وكان عمره
مائة سنة وستا وعشرين سنة وقيل إن الذي فتح أريحا هو موسى عليه السلام وكان يوشع
ابن نون على مقدمته فسار إليهم بمن بقي من بني إسرائيل فدخلها يوشع وقاتل
الجبابرة ثم دخلها موسى وأقام بها ما شاء الله تعالى ثم قبضه الله إليه ولا يعلم أحد
قبره وهذا أصح الأقاويل لاتفاق العلماء أن موسى عليه السلام هو الذي قتل عوج
ابن عناق وهذا القول هو اختيار الطبري ونقل عن السدي قال غضب موسى على
قومه فدعا عليهم فقال أي رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي الآية فقال الله عز وجل فإنها
محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلما ضرب عليهم التيه ندم موسى وأتاه
قومه الذين كانوا يطيعونه فقالوا له ما صنعت بنا يا موسى فمكثوا في التيه فلما
خرجوا منه رفع المن والسلوى وأكلوا البقول والتقى موسى وعوج فنزا موسى في السماء
عشرة أذرع وكانت عصاه عشرة أذرع وكان طوله عشرة أذرع فأصاب كعب
عوج فقتله قال الطبري ولو كان قتل موسى إياه قبل مصيره في التيه لم تخرج
بنو إسرائيل لأنه كان من أعظم الجبارين وروي عن نوف قال كان سرير عوج ثمانمائة

ذراع قال وان اهل العلم باخبار الاولين يجعلون على ان بلعم بن باعورا كان ممن اعان الجبارين بالدعاء على موسى لانه كان يعلم الاسم الاعظم فدعا عليه موسى وستاتي قصته في سورة الاعراف ان شاء الله تعالى وقوله تعالى **فلا تأس على القوم الفاسقين** يعني لا تحزن عليهم لانهم اهل مخالفة وخروج عن الطاعة وقيل لما ندم موسى على ما دعا على قومه اوحى الله اليه فلا تأس على القوم الفاسقين قال الزجاج وجائز ان يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم اي لا تحزن يا محمد على قوم لم يزل شانهم المعاصي ومخالفة الرسل قوله عز وجل **واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق** يعني اذكر لقومك واخبرهم خبر ابني آدم وهما هابيل وقابيل في قول جمهور المفسرين ونقل عن الحسن والضحاك ان ابني آدم اللذين قربا القربان ما كانا ابني آدم لصلبه وانما كانا رجلين من بني اسرائيل ويدل عليه قوله تعالى في آخر القصة من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس الآية والصحيح ما ذهب اليه جمهور المفسرين لان الله تعالى قال في آخر القصة فبعث الله غرابا يبحث في الارض لانه لم يعلم ما يصنع بالمقتول حتى تعلم من فعل الغراب بالحق اي اخبرهم خبرا متلبسا بالحق والصدق لانه من عند الله وموافقا لما في الكتب المتقدمة وهم يعلمون صحته ومقصود هذا الخبر هو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كانوا يحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم **اذ قربا قربانا** القربان اسم لما يتقرب به الى الله عز وجل من صدقة او ذبيحة او نسك وغير ذلك باسم

ذكر قصة القربان وسببه وقصة قتل قابيل هابيل

ذكر اهل العلم بالاخبار والسير ان حوى كانت تلد لآدم في كل بطن غلاما وجارية فكان جميع ما ولدته اربعين ولدا في عشرين بطنا اولهم قابيل وتوامته اقليما واخرهم عبد المغيث وتوامته ام المغيث ثم بارك الله في نسل آدم قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد ولده اربعين الفا واختلفوا في مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشي آدم حوى بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوامته اقليما في بطن ثم هابيل وتوامته ليوذا في بطن وقال محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حوى في الجنة قبل ان يصيب الخطيئة فحملت بقابيل واخته فلم تجد عليهما وحما ولا وصبا ولا طلقا ولم تر دما وقت الولادة فلما هبطا الى الارض تغشاها فحملت بهابيل وتوامته فوجدت عليهما الوحم والوصب والطلق والدم وكان اذا كبر اولاده زوج غلام هذا البطن جارية بطن اخرى وكان الرجل منهم يتزوج اية اخواته شاء غير توامته التي ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نساء الا اخواتهم فلما كبر قابيل واخوه هابيل وكان بينهما سنتين فلما بلغوا امر الله آدم ان يزوج قابيل ليوذا اخت هابيل ويزوج هابيل اقليما اخت قابيل وكانت اقليما احسن من ليوذا فذكر آدم ذلك لهما فرضي هابيل وسخط قابيل وقال هي اختي وانا احق بها ونحن من اولاد الجنة وهما من اولاد الارض فقال له ابوه آدم انها لا تحل لك فابى ان يقبل ذلك وقال ان الله لم يامرك بهذا وانما هو من رايك فقال لهما آدم قربا لله قربانا فايكما يقبل قربانه فهو احق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت من السماء نار بيضاء فاكلتها وان لم تكن مقبولة لم تنزل النار واكلته الطير والسباع فخرجا من عند آدم ليقربا القربان وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من طعام رديء واضمر في نفسه لا ابالي ايقبل مني ام لا لا يتزوج اختي احد غيري وكان هابيل صاحب غنم

فعمد

فعمد الى كبش في غنمه فقربه واضمر في نفسه رضا الله فوضعا قربانهما على جبل ثم دعا آدم فنزلت النار من السماء فاكلت قربان هابيل ولم تاكل قربان قابيل فذلك قوله تعالى **فتقبل من احدهما** يعني هابيل **ولم يتقبل من الآخر** يعني قابيل فغضب قابيل اذ لم يتقبل قربانه فاضمر لاخيه الحسد الى ان اتى آدم مكة لزيارة البيت وغاب عنهم فاتى قابيل هابيل وهو في غنمه **قال لاقتلنك** قال له هابيل ولم تقتلني قال قابيل لان الله تقبل قربانك ورد قرباني وتريد ان تنكح اختي الحسناء وانكح اختك الدميمة فيتحدث الناس بانك خير مني ويفتخر ولدك على ولدي فقال له هابيل وما ذنبي **انما يتقبل الله من المتقين** يعني ان حصول التقوى شرط في قبول الاعمال فلذلك كان اخذ القربان منه دون الآخر لان التقوى من اعمال القلوب وكان قد اضمر في قلبه الحسد لاخيه فلم يتقبل قربانه وتوعده بالقتل وقال لما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى وانما يتقبل الله من المتقين فاجابه بجواب مختصر وقيل يحتمل ان يكون خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم فكان تعالى يبين للنبي صلى الله عليه وسلم انه لم يتقبل قربانه لانه لم يكن متقيا وانما يتقبل الله من المتقين ثم قال تعالى اخبارا عن هابيل **لئن بسطت الي يدك** يعني لئن مددت الي يدك **لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك** يعني ما انا بمنتصر لنفسي بل استسلم لامر الله وقيل معناه ما كنت لابتدئك بالقتل وذلك ان الله كان قد حرم عليهم قتل النفس بغير نفس ظلما وقال مجاهد كان قد كتب عليهم اذا اراد الرجل ان يقتل رجلا تركه ولا يمتنع منه وقيل ان المقتول كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه فاستسلم له خوفا من الله فذلك قوله **اني اخاف الله رب العالمين** والمعنى اني اخاف الله في بسط يدي اليك ان بسطتها لقتلك ليعاقبني على ذلك قوله عز وجل اخبارا عن هابيل **اني اريد ان تبوء باثمي** يعني ترجع باثم قتلي **واثمك** حتى ترجع باثم قتلي الى اثم معاصيك التي عملتها من قبل **فان قلت** كيف قال هابيل اني اريد وارادة القتل والمعصية من الغير لا تجوز **قلت** اجاب ابن الانباري عن هذا بان قال ان قابيل لما قال لاخيه هابيل لاقتلنك وعظه هابيل وذكره الله واستعطفه وقال لئن بسطت الي يدك الآية فلم يرجع فلما رآه هابيل قد صمم على القتل واخذ له الحجارة ليرميه بها قال له هابيل عند ذلك اني اريد ان تبوء باثمي واثمك اي اذا قتلتني ولم تندفع قتلك اياي الا بقتلي اياك فحينئذ يلزمك اثم قتلي اذا قتلتني فكان هذا عدلا من هابيل واليه اشار الزجاج بقوله فقال معناه ان قتلتني فانا مريد ذلك فهذه الارادة منه بشرط ان يكون قاتلا له والانسان اذا تمنى ان يكون اثم دمه على قاتله لم يلم على ذلك وعلى هذا التاويل قال بعضهم معناه اني اريد ان تبوء بعقاب اثمي واثمك فحذف المضاف وما باثم بعقاب ذلك الاثم ذكره الواحدي وقال الزمخشري ليس ذلك بحقيقة الارادة لكن لما علم انه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام للقتل طلبا للثواب فكانه صار مريدا لقتله مجازا وان لم يكن مريدا حقيقة **فتكون من اصحاب النار** يعني الملازمين لها **وذلك جزاء الظالمين** يعني جهنم جزاء من قتل اخاه ظلما قوله تعالى **فطوعت له نفسه قتل اخيه** يعني زينت له وسهلت ذلك عليه القتل وذلك ان الانسان اذا تصور ان قتل النفس من اكبر الكبائر صار ذلك صارفا له عن القتل فلا يقدم عليه فاذا سهلت عليه نفسه

هذا الفعل فعله يعني كلفته نفسه هذا هو المراد من قوله تعالى فطوعت له نفسه قتل اخيه **فقتله**
قال ابن جريج لما قصد قابيل قتل هابيل لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس وقد اخذ طيرا
فوضع راسه على حجر ثم رضخه بحجر آخر وقابيل ينظر فعلمه القتل فرضخ قابيل راس هابيل بين
حجرين وهو مستسلم صابر وقيل بل اغتاله وهو نائم فقتله واختلف في موضع قتله فقال
ابن عباس على جبل ثور وقيل على عقبة حراء وقيل بالبصرة عند مسجدها الاعظم وكان
عمر هابيل يوم قتل عشرين سنة وقوله تعالى **فاصبح من الخاسرين** قال ابن عباس
خسر دنياه وآخرته اما دنياه فاسخط والديه وبقي بلا اخ واما آخرته فاسخط ربه وصار
الى النار **ق** عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس
ظلما الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل قوله تعالى
فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه قال اصحاب
الاخبار لما قتل قابيل هابيل تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لانه اول ميت من بني آدم
على وجه الارض فقصدته السباع لتاكله فحمله قابيل على ظهره في جراب اربعين يوما
وقال ابن عباس سنة حتى اروح وانتن فاراد الله ان يري قابيل سنته في موتى بني آدم في
الدفن فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه
حفيرة ثم القاه فيها وواراه بالتراب وقابيل ينظر فذلك قوله تعالى فبعث الله غرابا
يبحث في الارض يعني يحفرها ويثير ترابها ليريه كيف يواري سوءة اخيه يعني ليري الله
او ليري الغراب قابيل كيف يواري ويستر جيفة اخيه فلما راى ذلك قابيل من فعل
الغراب **قال يا ويلتا** اي يا هلكتا او ويلي او حسرتي وهي كلمة تحسر وتلهف وتستعمل عند
وقوع الداهية وذلك انه ما كان يعلم كيف يدفن المقتول فلما علم ذلك من فعل الغراب
علم ان الغراب اكثر علما منه وعلم انه انما قدم على قتل اخيه بسبب جهله وعدم
معرفته فعند ذلك تلهف وتحسر على ما فعله وقال يا ويلتا وفيه اعتراف على نفسه
باستحقاق العذاب **اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب** يعني مثل هذا الغراب الذي
وارى الغراب الآخر **فاواري سوءة اخي** يعني فاستر جيفته وعورته عن اعين الناس
فاصبح من النادمين يعني على حمله على ظهره مدة سنة لا على قتله وقيل
لما ندم لاجل ذلك لا لاجل انه جنى جناية واقترف ذنبا عظيما بقتله فلم يكن
ندمه ندم توبة وخوف واستغفار من فعله فلاجل ذلك لم ينفعه الندم قال
المطلب بن عبد الله بن حاطب لما قتل ابن آدم اخاه رجفت الارض بمن عليها سبعة
ايام وشربت الارض دم المقتول كما تشرب الماء فناداه الله تعالى اين اخوك هابيل
فقال ما ادري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم اخيك ليناديني من
الارض فلم قتلت اخاك قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ
ان تشرب دما بعده ابدا **ويروى** عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل
كان آدم بمكة فاشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه واغبرت الارض فقال
آدم قد حدث في الارض حدث فاتى الهند فوجد قابيل قد قتل هابيل وقيل
لما رجع آدم سال قابيل عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك
اسود جلدك وقيل ان آدم مكث بعد قتل هابيل مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر فقال

تغيرت البلاد ومن عليها ۞ فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون ۞ وقل بشاشة الوجه المليح

ويروى عن ابن عباس انه قال من قال ان آدم قال شعرا فقد كذب وان محمدا صلى الله عليه
وسلم والانبياء كلهم في النهي سواء ولكن لما قتل هابيل رثاه آدم وهو سرياني فلما قال آدم
مرثيته قال لشيث يا بني انت وصيي احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه
فلم يزل ينتقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو
اول من خط العربية وكان يقول الشعر فنظر في المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر
الى المقدم فوزنه شعرا وزاد فيه ابياتا منها

ومالي لا اجود بسكب دمع ۞ وهابيل تضمنه الضريح
ارى طول الحياة علي غما ۞ فهل انا من حياتي مستريح

قال الزمخشري ويروى انه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون
وقد صح ان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر قال الامام فخر الدين الرازي ولقد
صدق صاحب الكشاف فيما قال فان ذلك الشعر في غاية الركاكة لا يليق الا بالحمقى
من المعلمين فكيف ينسب الى من جعل الله علمه حجة على الملائكة قال اصحاب الاخبار فلما
مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمسين سنة ولدت له حواء
شيثا وتفسيره هبة الله يعني انه خلف من هابيل وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار
وعلمه عبادة الخلق في كل ساعة وانزل عليه خمسين صحيفة وصار وصي آدم وولي
عهده واما قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تامن من تراه
فاخذ بيد اخته اقليما وهرب بها الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس وقال له
انما اكلت النار قربان هابيل لانه كان يعبد النار فانصب انت نارا تكون لك ولعقبك
فبنى بيت النار فهو اول من عبد النار وكان قابيل لا يمر به احد الا رماه بالحجارة
فاقبل ابن لقابيل اعمى ومعه ابنه فقال للاعمى ابنه هذا ابوك قابيل فرماه
بحجارة فقتله فقال ابن الاعمى لابيه قتلت اباك قابيل فرفع الاعمى يده ولطم
ابنه فمات فقال الاعمى ويل لي قتلت ابي برميتي وقتلت ابني بلطمتي فلما مات
قابيل علقت احدى رجليه بفخذه وعلق بها فهو معلق بها الى يوم القيامة ووجهه
الى الشمس حيث دارت عليه حظيرة من نار في الصيف وحظيرة من ثلج في الشتاء
فهو يعذب بذلك الى يوم القيامة قالوا واتخذ اولاد قابيل آلات اللهو من الطبول
والزمور والعيدان والطنابير وانهمكوا في اللهو وشرب الخمر وعبادة النار والفواحش
حتى

حتى غرقهم الله تعالى جميعا بالطوفان في زمن نوح عليه السلام فلم يبق من ذرية
قابيل احد وابقى الله ذرية شيث ونسله الى يوم القيامة قوله تعالى **من اجل ذلك**
يعني بسبب ذلك القتل الذي حصل وقيل الاجل في اللغة الجناية يقال اجل عليهم
شرا اي جنى عليهم شرا **كتبنا** اي فرضنا واوجبنا **على بني اسرائيل** فان قلت
من اجل ذلك معناه من اجل ما مر من قصة قابيل وهابيل كتبنا على بني اسرائيل
وهذا مشكل لانه لا مناسبة بين واقعة قابيل وهابيل وبين وجوب القصاص على
بني اسرائيل قلت قال بعضهم هو من تمام الكلام الذي قبله والمعنى فاصبح من
النادمين من اجل ذلك يعني من اجل انه قتل هابيل ولم يواره ويروى عن نافع انه
كان يقف على قوله من اجل ذلك ويجعله تمام الكلام الاول فعلى هذا يزول الاشكال
لكن جمهور المفسرين واصحاب المعاني على ان قوله من اجل ذلك ابتداء الكلام وليس يوقف
عليه فعلى هذا قال بعضهم ان قوله من اجل ذلك ليس هو اشارة الى قصة قابيل وهابيل

بل هو اشارة الى ما هو مذكور في هذه القصة من انواع المفاسد الحاصلة بسبب هذا القتل
الحرام منها قوله فاصبح من الخاسرين وفيه اشارة الى انه حصلت له خسارة في الدين والدنيا
والآخرة ومنها قوله فاصبح من النادمين وفيه اشارة الى انه حصل في انواع الندم والحسرة
والحزن مع انه لا دافع لذلك البتة فقوله من اجل ذلك كتبنا على بني اسرائيل اي من اجل ذلك
الذي ذكرنا في اثناء القصة من انواع المفاسد المتولدة من القتل العمد المحرم شرعنا
القصاص على القاتل **فان قلت** فعلى هذا يكون شرعية القصاص حكم ثابت في جميع
الامم فما الفائدة بتخصيصه ببني اسرائيل **قلت** ان وجوب القصاص وان كان
عاما في جميع الاديان والملل لان التشديد المذكور هاهنا في حق بني اسرائيل غير ثابت في
جميع الاديان والملل لانه تعالى حكم في هذه الآية بان من قتل نفسا فكانما قتل الناس جميعا
ولا شك ان المقصود منه المبالغة في عقاب قاتل النفس عدوانا وان اليهود مع علمهم بهذه
المبالغة العظيمة اقدموا على قتل الانبياء والرسل وذلك يدل على قساوة قلوبهم وبعدهم
عن الله عز وجل ولما كان الغرض من ذكر هذه القصة تسلية النبي صلى الله عليه وسلم على
ما اقدم عليه اليهود بالفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم وباصحابه فتخصيص بني اسرائيل
في هذه القصة بهذه المبالغة مناسب للكلام وتوكيد للمقصود والله اعلم بمراده وقوله
عز وجل **انه من قتل نفسا** يعني قتل نفسا ظلما **بغير نفس** يعني بغير قتل نفس لا على
وجه القصاص ليقاد من قاتل النفس على وجه العدوان المحرم **او فساد في الارض**
هو عطف على بغير نفس يعني وبغير فساد في الارض فيستحق به القتل لان القتل على
اسباب كثيرة منها القصاص وهو المراد من قوله من قتل نفسا بغير نفس ومنها الشرك والكفر
بعد الايمان به ومنها قطع الطريق ونحو ذلك وهو المراد من قوله او فساد في الارض **فكانما
قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا** قال مجاهد من قتل
نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها بقتل الناس جميعا ومن سلم من قتلها فكانما سلم
من قتل الناس جميعا وقال ابن عباس من قتل نبيا او امام عدل فكانما قتل الناس جميعا
ومن شد عضد نبي او امام عدل فكانما احيا الناس جميعا وقيل معناه ان من قتل
نفسا محرمة يجب عليه من القصاص مثل الذي يجب عليه لو قتل الناس جميعا ومن احياها
يعني من غرق او حرق او وقوع في هلكة فكانما احيا الناس جميعا يعني ان له من الثواب
مثل ثواب من احيا الناس جميعا وقيل معناه من استحل قتل مسلم بغير حقه فكانما
استحل قتل الناس جميعا لانهم لا يسلمون منه ومن تورع عن قتل مسلم فكانما تورع عن قتل الناس
جميعا فقد سلموا منه قال اهل المعاني تولد من احياها على المجاز لان المحيي هو الله
تعالى في الحقيقة فيكون المعنى ومن نجاها من الهلاك فكانما نجا جميع الناس منه سئل
الحسن عن هذه الآية اهي لنا كما كانت لبني اسرائيل فقال اي والذي لا اله غيره كانت
دماء بني اسرائيل اكرم على الله من دمائنا **ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات** يعني ولقد
جاءت بني اسرائيل رسلنا ببيان الاحكام والشرائع والدلالات الواضحات **ثم ان كثيرا
منهم بعد ذلك** يعني بعد مجيء الرسل وبعد ما كتبنا عليهم تحريم القتل **في الارض
لمسرفون** يعني بالقتل لا ينتهون عنه وقيل معناه لمجاوزون حد الحق وانما
قال تعالى وان كثيرا منهم لانه تعالى علم ان منهم من يؤمن بالله ورسوله وهم قليل من
كثير قوله عز وجل **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله** قال ابن عباس
نزلت في قوم من اهل الكتاب كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق

فنقضوا

فنقضوا العهد وافسدوا في الارض فخير الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان شاء ان يقتل وان
شاء ان يصلب وان شاء ان يقطع ايديهم وارجلهم من خلاف وهذا قول الضحاك ايضا وقال
الكلبي نزلت في قوم هلال بن عويمر وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم وادع هلال
بن عويمر وهو ابو بردة الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال الى
النبي صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بني كنانة يريدون الاسلام
بقوم هلال ولم يكن هلال شاهدا فشدوا عليهم فقتلوهم واخذوا اموالهم
فنزل جبريل عليه السلام بالقضاء فيهم بهذه الآية وقال سعيد بن جبير نزلت هذه
الآية في قوم من عرينة وعكل اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام
وهم كذبة فاستوخموا المدينة فبعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابل الصدقة
فارتدوا وقتلوا الراعي واستاقوا الابل **ق** عن انس بن مالك ان ناسا من عكل وعرينة
قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم وتكلموا بالاسلام فقالوا يا نبي الله انا كنا اهل ضرع
ولم نكن اهل ريف فاستوخموا المدينة فامر لهم النبي صلى الله عليه وسلم بذود وراع
وامرهم ان يخرجوا فيه فيشربوا من البانها وابوالها فانطلقوا حتى اذا كانوا ناحية
الحرة كفروا بعد اسلامهم وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم واستاقوا الذود
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فبعث الطلب في آثارهم فامر بهم فسمروا اعينهم
وقطعوا ايديهم وتركوا في ناحية الحرة حتى ماتوا على حالهم قال قتادة بلغنا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعد ذلك يحث على الصدقة وينهى عن المثلة زاد في
رواية قال قتادة فحدثني ابن سيرين ان ذلك كان قبل ان تنزل الحدود وفي رواية
للبخاري ان اناسا من عرينة اجتووا المدينة فرخص لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ياتوا ابل الصدقة فيشربوا من البانها وابوالها فقتلوا الراعي واستاقوا الذود
فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتي بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم وتركهم
في الحرة يعضون الحجارة زاد في رواية قال ابو قلابة فاي شيء اشد مما صنع هؤلاء
ارتدوا عن الاسلام وقتلوا وسرقوا وفي رواية الجماعة ان قوما من عكل او قال من عرينة
قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة فامر لهم النبي صلى الله عليه وسلم
بلقاح وامرهم ان يشربوا من ابوالها والبانها فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعي
رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا النعم فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهم من
اول النهار فارسل في آثارهم فما ارتفع النهار حتى جيء بهم فامر بهم فقطعت ايديهم
وارجلهم وسملت اعينهم والقوا في الحرة يستسقون فلا يسقون قال ابو قلابة فهؤلاء
قوم سرقوا وقتلوا وكفروا بعد ايمانهم وحاربوا الله ورسوله زاد في رواية له وانزل
الله عز وجل انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا
الآية **شرح غريب هذا الحديث** وحكمه قولهم انا كنا اهل ضرع
يعني اهل ماشية وبادية نعيش باللبن ولسنا من اهل المدن والريف هي الارض التي
فيها الزرع والخصب والجمع ارياف قوله استوخموا المدينة يعني انها لم توافق امزجتهم
وكذا قوله فاجتووا المدينة وهو معناه والذود من الابل ما بين الثلاثة الى العشرة
والحرة هي ارض ذات حجارة سود وهي هنا اسم لارض بظاهر المدينة معروفة وقوله
فسمر اعينهم معناه انه احمى مسامير الحديد وكحل بها اعينهم حتى ذهب بصرها وقوله
وينهى عن المثلة ان تقطع اطراف الحيوان وتشوه خلقته ومثلة القتيل ان يقطع انفه

وأذنيه ومذاكيره ونحو ذلك واختلف العلماء في حكم هذا الحديث فقيل هو منسوخ لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن المثلة وقيل حكمه ثابت غير السمل والمثلة وقيل إن هذه الآية ناسخة لما فعله النبي صلى الله عليه وسلم بهم وقيل كان ذلك قبل أن تنزل الحدود فلما نزلت الحدود وجب الأخذ بها والعمل بمقتضاها وقيل نزلت هذه الآية معاتبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليماً من الله تعالى إياه عقوبتهم وما يجب عليهم فقال تعالى إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله واعلم أن المحاربة لله غير ممكنة وفي معناها للعلماء قولان أحدهما أن المحاربين لله هم المخالفون أمره الخارجون عن طاعته لأن كل من خالف أمر إنسان فهو حرب له فيكون المعنى يخالفون الله ورسوله ويعصون أمرهما والقول الثاني معناه يحاربون أولياء الله وأولياء رسوله فهو من باب حذف المضاف **ويسعون في الأرض فساداً** يعني بحمل السلاح والخروج على الناس وقتل النفس وأخذ الأموال وقطع الطريق

واختلفوا في حكم هؤلاء المحاربين الذين يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون في البلد وهذا قول الأوزاعي ومالك والليث بن سعد والشافعي وقال أبو حنيفة المكابرون في الأمصار ليس لهم حكم المحاربين في استحقاق الحد عليهم هذا الحد ثم ذكر الله تعالى عقوبة هؤلاء المحاربين وما يستحقونه فقال تعالى **أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض** وللعلماء في أو المذكورة في هذه الآية قولان أحدهما أنه للتخيير وهو قول ابن عباس في رواية عنه وبه قال الحسن وسعيد بن المسيب والنخعي ومجاهد وهو أن الإمام مخير في أمر المحاربين فإن شاء قتل وإن شاء صلب وإن شاء قطع وإن شاء نفي من الأرض كما هو ظاهر الآية والقول الثاني أن لفظ أو للبيان وليست للتخيير وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وهو قول أكثر العلماء لأن الأحكام تختلف فتترتب هذه العقوبات على ترتيب الجرائم وهذا كما روي عن ابن عباس في قطاع الطريق قال إذا قتلوا وأخذوا المال قتلوا وصلبوا وإذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا وإذا أخذوا المال ولم يقتلوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف وإذا أخافوا السبيل ولم يقتلوا ولا أخذوا مالاً نفوا من الأرض وهذا قول قتادة والأوزاعي والشافعي وأصحاب الرأي واختلفوا في كيفية الصلب فقيل يصلب حياً ثم يطعن في بطنه برمح حتى يموت قال الشافعي يقتل ثم يصلى عليه ثم يصلب وإنما يجمع بين القتل والصلب إذا قتل وأخذ المال ويصلب على الطريق في ممر الناس ليكون ذلك زاجراً لغيره عن الإقدام على مثل هذه المعصية واختلفوا في تفسير النفي من الأرض المذكور في الآية فقيل إن الإمام يطلبهم ففي كل بلد وجدوا نفوا عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون حتى تقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعد والشافعي وقال أبو حنيفة وأهل الكوفة النفي هو الحبس لأنه نفي من الأرض لأن المحبوس لا يرى أحداً من أحبابه ولا ينتفع بلذات الدنيا وطيباتها فهو منفي من الأرض في الحقيقة إلا من تلك البقعة الضيقة التي هو فيها قال مكحول إن عمر بن الخطاب أول من حبس في السجون يعني من هذه الأمة وقال أحبسه حتى أعلم منه التوبة ولا أنفيه إلى بلد آخر فيؤذيهم ثم قال تعالى **ذلك** يعني الذي ذكر في هذه الآية من الحدود

لهم

لهم يعني للمحاربين **خزي في الدنيا** أي عذاب وهوان وفضيحة **ولهم في الآخرة عذاب عظيم** هذا الوعيد في حق الكفار الذين نزلت الآية فيهم فأما من أجرى حكم الآية على المحاربين من المسلمين فيقول العذاب العظيم عنهم في الآخرة لأن المسلم إذا عوقب بجنايته في الدنيا كانت عقوبته كفارة له وإن لم يعاقب في الدنيا فهو في خطر المشيئة إن شاء عذبه بجنايته ثم يدخله الجنة وإن شاء عفى عنه وأدخله الجنة هذا مذهب أهل السنة وقوله تعالى **إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم** يعني لكن الذين تابوا من شركهم وحربهم لله ورسوله ومن السعي في الأرض بالفساد من قبل أن تقدروا عليهم يعني أن لا سبيل لكم على شيء من العقوبات المذكورة في الآية المتقدمة **فاعلموا أن الله غفور** يعني لمن تاب من الشرك **رحيم** يعني به إذا رجع عما يسخط الله عز وجل وهذا قول معظم أهل العلم إن المراد بهذا الاستثناء المشرك المحارب إذا آمن وأصلح قبل القدرة عليه فإنه يسقط عنه جميع الحدود التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية وأنه لا يطالب بشيء مما أصاب من مال أو دم قال أبو إسحاق فجعل الله التوبة للكفار تدرأ عنهم الحدود التي وجبت عليهم في كفرهم ليكون ذلك أدعى لهم إلى الدخول في الإسلام فهذا حكم المشرك المحارب إذا آمن وأصلح وكذلك لو آمن بعد القدرة عليه لم يطالب بشيء بالإجماع وأما المسلم المحارب إذا تاب واستأمن قبل القدرة عليه فقال السدي هو كالكافر إذا آمن لم يطالب بشيء إلا إذا أصيب عنده مال بعينه فإنه يرده على أهله وهذا مذهب مالك والأوزاعي غير أنه قال يؤخذ بالدم إذا طالبه وليه فأما ما أصاب من الدماء والأموال ولم يطلبها أولياؤها فلا يتبعه الإمام بشيء من ذلك وهذا حكم علي بن أبي طالب في حارثة بن زيد وكان قد خرج محارباً فتاب قبل أن يقدر عليه فأمنه على نفسه وكذلك جاء رجل مراد إلى أبي موسى الأشعري وهو على الكوفة في خلافة عثمان بعدما صلى المكتوبة فقال يا أبا موسى هذا مقام العائذ بك أنا فلان بن فلان المرادي كنت قد حاربت الله ورسوله وسعيت في الأرض بالفساد وإني قد تبت من قبل أن يقدر علي فقام أبو موسى فقال إن هذا فلان المرادي وإنه كان حارب الله ورسوله وسعى في الأرض فساداً وإنه قد تاب من قبل أن يقدر عليه فلا يتعرض له أحد إلا بخير وقال الشافعي يسقط عنه بتوبته قبل القدرة عليه حد الله ولا يسقط عنه بها ما كان من حقوق بني آدم من قصاص أو مظلمة في مال أو غيره وأما إذا تاب بعد القدرة فظاهر الآية أن التوبة لا تنفعه وتقام عليه الحدود قال الشافعي ويحتمل أن يسقط كل حد لله عز وجل بالتوبة قوله تعالى **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله** أي خافوا الله بترك المنهيات **وابتغوا إليه الوسيلة** يعني واطلبوا إليه التقرب بطاعته والعمل بما يرضيه وإنما قلنا ذلك لأن مجامع التكاليف محصورة في نوعين لا ثالث لهما أحدهما التورع عن ترك المنهيات وإليه الإشارة بقوله اتقوا الله والثاني التقرب إلى الله تعالى بالطاعات وإليه الإشارة بقوله وابتغوا إليه الوسيلة والوسيلة فعيلة من وسل إليه إذا تقرب إليه ومنه قول عنترة: إن الرجال لهم إليك وسيلة أي قربة وقيل في معنى الوسيلة المحبة أي تحببوا إلى الله عز وجل **وجاهدوا في سبيله** أي وجاهدوا العدو في طاعته وابتغاء مرضاته **لعلكم تفلحون** يعني لكي تسعدوا بالخلود في جنته لأن الفلاح اسم

جامع للخلاص من كل مكروه والفوز بكل محبوب قوله عز وجل **﴿إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيمة ما تقبل منهم﴾** يعني أن الكافر لو ملك الدنيا ودنيا أخرى مثلها معها ثم فدى نفسه من العذاب يوم القيمة لم يتقبل منه ذلك الفدى **﴿ولهم عذاب أليم﴾** والمقصود من هذا أن العذاب لازم للكفار وأنهم لا سبيل لهم إلى الخلاص منه بوجه من الوجوه عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى لأهون أهل النار عذابا لو كانت لك الدنيا كلها لكنت مفتديا بها فيقول نعم فيقول قد أردت منك أيسر من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي ولا أدخلك النار وأدخلك الجنة فأبيت إلا الشرك هذا لفظ مسلم وفي رواية البخاري قال يجاء بالكافر يوم القيمة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له لقد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك أن لا تشرك بي **﴿يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم﴾** فيه وجهان أحدهما أنهم يقصدون الخروج من النار ويطلبونه ولكن لا يستطيعون ذلك وقيل إذا حملهم لهب النار إلى فوق طلبوا الخروج منها فلا يقدرون عليه والوجه الثاني أنهم يتمنون الخروج من النار بقلوبهم ولهم عذاب مقيم يعني ولهم عذاب دائم ثابت لا يزول عنهم ولا ينتقل أبدا قوله عز وجل **﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾** قال ابن السائب نزلت في طعمة بن أبيرق وقد مضت قصته في سورة النساء وإنما سمي السارق سارقا لأنه يأخذ الشيء الذي ليس له أخذه في خفاء ومنه استرق السمع مستخفيا والسارق هنا مرفوع بالابتداء لأنه لم يقصد واحدا بعينه إنما هو كقولك من سرق فاقطع يده والمراد باليد المذكورة هنا اليمين قاله الحسن والشعبي والسدي وكذلك هو في قراءة عبد الله بن مسعود فاقطعوا أيمانهما وإنما قال أيديهما ولم يقل يديهما لأنه أراد يمينا من هذا ويمينا من هذا فجمع فإنه ليس للإنسان إلا يمين واحدة وكل شيء موحد من أعضاء الإنسان إذا ذكر مضافا إلى اثنين فصاعدا جمع والمراد باليد هنا الجارحة وحدها عند جمهور أهل اللغة من رؤوس الأصابع إلى الكوع فيجب قطعها في حد السرقة من الكوع وقوله تعالى **﴿جزاء بما كسبا﴾** يعني ذلك القطع جزاء على فعلهم **﴿نكالا من الله﴾** يعني عقوبة من الله **﴿والله عزيز﴾** في انتقامه ممن عصاه **﴿حكيم﴾** يعني فيما أوجبه من قطع يد السارق . . . .

فصل

في بيان حكم الآية وفيه مسائل المسألة الأولى اقتضت هذه وجوب القطع على كل سارق وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم في السرقة ق عن عائشة أن قريشا أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشفع في حد من حدود الله ثم قام فاختطب ثم قال إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها وعن عائشة قالت أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بسارق فقطعه فقالوا ما كنا نراك تبلغ به هذا قال لو كانت فاطمة لقطعتها أخرجه النسائي ق عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده قال الأعمش يرون أنه بيض الحديد وأن من الحبال ما يساوي دراهم أخرجه البخاري ومسلم أما السارق

الذي

الذي يجب عليه القطع فهو البالغ العاقل العالم بتحريم السرقة فلو كان حديث عهد بالإسلام ولا يعلم أن السرقة حرام فلا قطع عليه **المسألة الثانية** اختلف العلماء في قدر النصاب الذي يقطع به فذهب أكثر العلماء إلى أنه ربع دينار أو متاعا قيمته ربع دينار فيقطع وهذا قول أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبه قال عمر بن عبد العزيز والأوزاعي والشافعي ويدل عليه ما روي عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقطع يد السارق إلا في ربع دينار فصاعدا أخرجاه في الصحيحين وذهب مالك وأحمد وإسحاق إلى أنه ثلاثة دراهم أو قيمتها لما روي عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قطع سارقا في مجن قيمته ثلاثة دراهم أخرجه الجماعة المجن الترس ويروى عن أبي هريرة أن قدر النصاب الذي تقطع به اليد خمسة دراهم وبه قال ابن أبي ليلى لما روي عن أنس قال قطع أبو بكر في مجن قيمته خمسة دراهم وفي رواية قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه النسائي وقال الرواية الأولى أصح وذهب قوم إلى أنه لا يقطع في أقل من دينار أو عشرة دراهم ويروى ذلك عن ابن مسعود وإليه ذهب سفيان الثوري وأبو حنيفة لما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من قطع في مجن قيمته دينار أو عشرة دراهم أخرجه أبو داود وقال إذا سرق نصابا تاما من المال في حرز لا شبهة له فيه قطعت يده اليمنى من الكوع ولا يجب القطع بسرقة ما دون النصاب وقال ابن عباس وابن الزبير والحسن القدر غير معتبر فيجب القطع في القليل والكثير وكذا الحرز غير معتبر أيضا عندهم وإليه ذهب داود الظاهري واحتجوا بعموم الآية فإن قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما يتناول القليل والكثير وسواء سرق من حرز أو غير حرز **المسألة الثالثة** الحرز هو ما جعل للسكنى وحفظ الأموال كالدور والمضارب والخيم التي يسكنها الناس ويحفظون أمتعتهم فيها فكل ذلك حرز وإن لم يكن فيه حافظ ولا عنده وسواء سرق من ذلك وهو مفتوح الباب أو مغلق فأما ما كان في غير بناء ولا خيمة فإنه ليس بحرز إلا أن يكون عنده من يحفظه أما نباش القبور فإنه يقطع وهو قول مالك والشافعي وأحمد وقال ابن أبي ليلى والثوري والأوزاعي وأبو حنيفة لا قطع عليه وإن سرق شيئا من غير حرز كثمر من بستان لا حارس له أو حيوان من برية ولا راعي لها أو متاع في بيت منقطع عن البيوت فلا قطع عليه عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الثمر المعلق فقال من أصاب بفيه منه من ذي حاجة غير متخذ خبنة فلا شيء عليه أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي وزاد فيه ومن خرج بشيء منه فعليه غرامة مثليه والعقوبة ومن سرق منه شيئا بعد أن يؤويه الجرين فبلغ ثمن المجن فعليه القطع ومن سرق دون ذلك فعليه غرامة مثليه والعقوبة قوله غير متخذ خبنة الخبنة بالخاء المعجمة وبعدها باء موحدة ثم نون وهو ما يحمله الإنسان في حضنه وقيل هو ما يأخذه في خبنة ثوبه وهو ذيله وأسفله والجرين موضع التمر الذي يجفف فيه مثل البيدر للحنطة وروى مالك في الموطأ عن أبي حسين المكي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا قطع في ثمر معلق ولا في حريسة الجبل فإذا آواه المراح أو الجرين فالقطع فيما بلغ ثمن المجن هكذا رواه مالك منقطعا وفي رواية من حديث عبد الله بن عمرو المتقدم فإن هذه الرواية عن ابن الحجي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وجده هو عبد الله بن عمرو بن العاص قوله ولا في حريسة الجبل من العلماء من يجعل الحريسة السرقة نفسها يقال حرس يحرس حرسا إذا سرق فهو

من يحفظها المحروسة ومعنى الحديث أنه ليس فيما يحرس في الجبل إذا سرق قطع لأنه ليس بحرز وقيل حريسة الجبل هي الشاة التي يدركها الليل قبل أن تصل إلى المراح والمراح بضم الميم هو الموضع الذي تأوي إليه الماشية بالليل عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس على خائن ولا منتهب ولا مختلس قطع أخرجه الترمذي والنسائي

المسألة الرابعة إذا سرق مالا له فيه شبهة كالولد يسرق من مال والده أو الوالد يسرق من مال ابنه أو العبد يسرق من مال سيده أو الشريك يسرق من مال الشريك فلا قطع على أحد من هؤلاء فيه

المسألة الخامسة إذا سرق أول مرة قطعت يده اليمنى من الكوع وإذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم واختلفوا فيما إذا سرق مرة ثالثة فذهب أكثرهم إلى أنه تقطع يده اليسرى فإن سرق مرة رابعة قطعت رجله اليمنى ثم إذا سرق بعد ذلك يعزر ويحبس حتى تظهر توبته يروى هذا عن أبي بكر وهو قول قتادة وبه قال مالك والشافعي لما روي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السارق قال إن سرق فاقطعوا يده ثم إن سرق فاقطعوا رجله ذكره البغوي بغير سند وذهب قوم إلى أن من سرق بعد ما قطعت يده ورجله فلا قطع عليه بل يحبس وروي عن علي أنه قال إني أستحيي أن لا أدع له يدا يستنجي بها ولا رجلا يمشي بها وهذا قول الشعبي والنخعي والأوزاعي وبه قال أحمد وأصحاب الرأي قوله تعالى **فمن تاب من بعد ظلمه** يعني من بعد ما ظلم نفسه بالسرقة **وأصلح** يعني وأصلح العمل في المستقبل **فإن الله يتوب عليه** يعني فإن الله يغفر له ويتجاوز عنه **إن الله غفور** يعني لمن تاب **رحيم** به

فصل وهذه التوبة مقبولة فيما بينه وبين الله فأما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند أكثر العلماء لأن الحد جزاء على الجناية ولا بد من التوبة بعد القطع وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل عن أبي أمية المخزومي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بلص قد اعترف اعترافا ولم يوجد معه متاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما إخالك سرقت فقال بلى فأعاد عليه مرتين أو ثلاثا كل ذلك يعترف فأمر به فقطع ثم جيء به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر الله وتب إليه فقال الرجل أستغفر الله وأتوب إليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم تب عليه أخرجه أبو داود والنسائي بمعناه وإذا قطع السارق يجب عليه غرم ما سرق من المال عند أكثر أهل العلم وقال الثوري وأصحاب الرأي لا غرم عليه فلو كان المسروق باقيا عنده يجب عليه أن يرده إلى صاحبه وتقطع يده لأن القطع حق الله والغرم حق الآدمي فلا يمنع أحدهما بالآخر والله أعلم قوله عز وجل **ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به جميع الناس وقيل معناه ألم تعلم أيها الإنسان فيكون الخطاب لكل فرد من الناس أن الله له ملك السموات والأرض يعني أن الله مدبر لأمر ما في السموات والأرض ومتصرف وخالق من فيهما ومالكهم لا يمتنع عليه شيء مما أراده فيهما لأن ذلك كله في ملكه وإليه أمره **يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء** قال ابن عباس يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء الكبيرة وقيل يعذب من يشاء على معصيته وكفره بالقتل والقطع وغير ذلك في الدنيا ويغفر لمن يشاء بالتوبة عليه فينقذه من الهلكة والعذاب

وإنما قدم التعذيب على المغفرة لأنه في مقابلة قطع السرقة على التوبة وهذه الآية فاضحة للقدرية والمعتزلة في قولهم بوجوب الرحمة للمطيع والعذاب للعاصي لأن الآية دالة على أن التعذيب والرحمة مفوضة إلى المشيئة والوجوب ينافي ذلك وجواب آخر وهو أنه تعالى أخبر أن له ملك السموات والأرض والمالك له أن يتصرف في ملكه كيف شاء وأراد ولا اعتراض لأحد عليه في ملكه ويؤكد ذلك قوله **والله على كل شيء قدير** يعني أنه تعالى قادر على تعذيب من أراد تعذيبه من خلقه وغفران ذنوب من أراد إسعاده وإنقاذه من الهلكة من خلقه لأن الخلق كلهم عبيده وفي ملكه قوله تعالى **يا أيها الرسول** هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وهو خطاب تشريف وتكريم وتعظيم وقد خاطبه الله عز وجل بيا أيها النبي في مواضع كثيرة من كتابه وبيا أيها الرسول في موضعين هذا أحدهما والآخر قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وقوله **لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر** يعني لا تهتم بموالاة الكفار ولا تبال بهم فإني ناصرك عليهم وكافيك شرهم **من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم** يعني المنافقين لأنهم أظهروا الإيمان بالقول وكتموا الكفر وهذه صفة المنافقين **ومن الذين هادوا** أي وطائفة من اليهود قال الزجاج وهذا يحتمل وجهين أحدهما أن الكلام تم عند قوله ومن الذين هادوا ثم ابتدأ الكلام بقوله **سماعون للكذب** ويكون تقديره لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من المنافقين ومن الذين هادوا ثم وصف الكل بكونهم سماعون للكذب والوجه الثاني أن الكلام تم عند قوله ولم تؤمن قلوبهم ثم ابتدأ فقال تعالى ومن الذين هادوا سماعون للكذب أي ومن الذين هادوا قوم سماعون للكذب أي يسمعون الكذب من رؤسائهم ويقبلون منهم والسمع يستعمل والمراد منه القبول كما تقول لا تسمع من فلان أي لا تقبل منه وقيل معناه سماعون لأجل أن يكذبوا عليك وذلك أنهم كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون من عنده ويقولون سمعنا منه كذا وكذا ولم يسمعوا ذلك منه بل كذبوا عليه وقوله تعالى **سماعون للكذب** يعني بني قريظة يعني أنهم جواسيس وعيون **لقوم آخرين** وهم أهل خيبر **لم يأتوك** يعني أهل خيبر لم يأتوك ولم يحضروا عندك يا محمد

ذكر القصة في ذلك قال علماء التفسير إن رجلا وامرأة من أشراف يهود خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم عندهم في حكم التوراة فكره اليهود رجمهما لشرفهما وقالوا إن هذا الرجل بيثرب يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ليس في كتابه الرجم ولكن الضرب فأرسلوا إلى إخوانكم بني قريظة فإنهم جيرانه وصلح معه فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم اسألوا محمدا عن الزانيين إذا أحصنا ما حدهما فإن أمركم بالجلد فاقبلوا منه وإن أمركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه وأرسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على بني قريظة والنضير وقالوا لهم إنكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث وذلك أن فلانا وفلانة قد زنيا وقد أحصنا فنحب أن تسألوه عن قضائه في ذلك فقالت لهم بنو قريظة والنضير إذا والله يأمركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم فيهم كعب بن الأشرف وكعب بن أسد وسعيد بن عمرو ومالك بن الصيف وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد أخبرنا عن الزاني والزانية إذا أحصنا ما حدهما

في كتابك فقال هل ترضون بابن صوريا قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بآية الرجم فأمرهم
بذلك فأبوا أن يأخذوا به فقال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بينك وبينهم ابن
صوريا ووصفه لهم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا أمرد
أبيض أعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا له نعم قال فأي رجل هو فيكم
فقالوا هو أعلم يهودي بقي على وجه الأرض بما أنزل الله على موسى عليه السلام في التوراة
قال فأرسلوا إليه ففعلوا فلما جاء قال له النبي صلى الله عليه وسلم أنت ابن صوريا
قال نعم قال أنت أعلم يهودي قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهود تجعلونه
بيني وبينكم قالوا نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لابن صوريا أنشدك بالله الذي
لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى وأخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وأنجاكم
وأغرق آل فرعون وبالذي ظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى وأنزل
عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على المحصن فقال ابن
صوريا اللهم نعم والذي ذكرتني به لولا خشية أن ينزل علينا العذاب إن كذبت
أو غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال إذا شهد أربعة رهط
عدول أنه أدخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا
والذي أنزل التوراة على موسى هكذا أنزل الله في التوراة على موسى فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم فما كان أول ما ترخصتم به في أمر الله تعالى فقال ابن صوريا
كنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد فكثر
الزنا في أشرافنا حتى زنى ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنى رجل آخر في أسرة من
قومه فأراد الملك رجمه فقام قومه دونه وقالوا والله لا نرجمه حتى نرجم فلانا
لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنصنع شيئا دون الرجم يكون على الشريف
والوضيع فوضعنا الجلد والتحميم وهو أن يجلد أربعين جلدة بحبل مطلي بقار
ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين ووجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما
فجعلوا ذلك مكان الرجم فقالت اليهود لابن صوريا ما أسرع ما أخبرته وما كنت لما
أثنينا عليك بأهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا أن نغتابك فقال لهم ابن صوريا
إنه قد أنشدني بالتوراة ولولا خشية أن ينزل علينا العذاب لما أخبرته فأمر النبي
صلى الله عليه وسلم بهما فرجما عند باب المسجد وقال اللهم إني أول من أحيا أمرك
إذ أماتوه فأنزل الله هذه الآية ق عن ابن عمر قال إن اليهود جاؤوا إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن امرأة منهم ورجلا زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما تجدون في التوراة في شأن الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال
عبد الله بن سلام كذبتم إن فيها الرجم فأتوا بالتوراة فنشروها فوضع أحدهم يده
على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع
يده فإذا فيها آية الرجم فقالوا صدق يا محمد فيها آية الرجم فأمر بهما النبي صلى الله
عليه وسلم فرجما قال فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة وفي رواية أخرى
لما قال أتي النبي صلى الله عليه وسلم برجل وامرأة من اليهود قد زنيا فقال لليهود
ما تصنعون بهما قالوا نسخم وجوههما ونخزيهما قال فأتوا بالتوراة فاتلوها إن
كنتم صادقين فجاؤوا بها فقالوا لرجل ممن يرضون أعور اقرأ فقرأ حتى انتهى إلى موضع
منها فوضع يده عليها فقال ارفع يدك فرفع يده فإذا آية الرجم تلوح فقال يا محمد

إن فيها الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا فأمر بهما فرجما فرأيته يحني زاد في رواية أخرى
فرجما قريبا من موضع الجنائز قرب المسجد م عن البراء بن عازب قال مر على النبي صلى
الله عليه وسلم بيهودي محمم مجلود فدعاهم فقال هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم
قالوا نعم فدعا رجلا من علمائهم فقال أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا
تجدون حد الزاني في كتابكم قال لا ولولا أنك نشدتني لم أخبرك نجد الرجم ولكنه كثر
في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد
فقلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع فجعلنا التحميم والجلد مكان
الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه فأمر
به فرجم فأنزل الله تعالى يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إلى قوله إن أوتيتم
هذا فخذوه يقول ائتوا محمدا فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم
فاحذروا فأنزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ومن
لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون
في الكفار كلها التحميم هو تسويد الوجه بالحممة وهو الفحم وقوله ما تجدون في
التوراة حد الزاني قال العلماء هذا السؤال من النبي صلى الله عليه وسلم ليس لتقليدهم
ولا لمعرفة الحكم منهم وإنما هو لإلزامهم بما يعتقدونه في كتابهم ولعله صلى الله عليه
وسلم كان قد أوحي إليه أن الرجم في التوراة الموجودة في أيديهم لم يغيروه كما غيروا
أشياء منها أو أخبره بذلك من أسلم من أهل الكتاب وهو عبد الله بن سلام كما في حديث
ابن عمر المتفق عليه وكذلك لم يخف عليه صلى الله عليه وسلم حين كتموه وقوله
تعالى **يحرفون الكلم** يعني يغيرون حدود الله التي أوجبها عليهم في التوراة وذلك
أنهم بدلوا الرجم بالجلد والتحميم وقال الحسن إنهم يغيرون ما يسمعونه من النبي
صلى الله عليه وسلم بالكذب عليه وقال ابن جرير الطبري يحرفون حكم الكلم فحذف
ذكر الحكم لمعرفة السامعين به **من بعد مواضعه** يعني من بعد أن وضعه الله
مواضعه وفرض فروضه وأحل حلاله وحرم حرامه **فإن قلت** كيف قال الله
عز وجل هنا يحرفون الكلم من بعد مواضعه وقال في موضع آخر يحرفون الكلم عن مواضعه
فهل من فرق بينهما **قلت** نعم بينهما فرق وذلك أنا إذا فسرنا يحرفون الكلم
عن مواضعه بالتأويلات الباطلة فيكون معنى قوله يحرفون الكلم عن مواضعه
بالتأويلات الفاسدة لتلك النصوص وليس فيه بيان أنهم يحرفون تلك اللفظة من
الكتاب وأما قوله يحرفون الكلم من بعد مواضعه ففيه دلالة على أنهم جمعوا بين الأمرين
يعني أنهم كانوا يذكرون التأويلات الفاسدة وكانوا يحرفون اللفظ من الكتاب فقوله
بأنه قوله يحرفون الكلم عن مواضعه إشارة إلى التأويل الباطل وفي قوله من بعد
مواضعه إشارة إلى إخراجه من الكتاب بالكلية وقوله تعالى **يقولون** يعني اليهود
إن أوتيتم هذا فخذوه يعني إن أفتاكم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا منه
وإن لم تؤتوه فاحذروا يعني وإن لم يفتكم بذلك وأفتاكم بالرجم فاحذروا أن
تقبلوه **ومن يرد الله فتنته** يعني كفره وضلالته **فلن تملك له من الله شيئا** يعني فلا
تقدر على دفع أمر الله فيه **أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم** قال ابن عباس يعني أن
يخلص نياتهم وقيل معناه لم يرد الله أن يهديهم وفي هذه الآية دلالة على أن الله تعالى لم يرد
إسلام الكافر وأنه لم يطهر قلبه من الشك والشرك ولو فعل ذلك لآمن وهذه الآية

من اشد الآيات على القدرية **لهم في الدنيا خزي** يعني للمنافقين واليهود اما خزي المنافقين فبالفضيحة وهتك استارهم باظهار نفاقهم وكفرهم واما خزي اليهود فباخذ الجزية والقتل والسبي والاجلاء من ارض الحجاز الى غيرها **ولهم في الآخرة عذاب عظيم** يعني الخلود في النار للمنافقين واليهود قوله عز وجل **سماعون للكذب اكالون للسحت** نزلت في حكام اليهود مثل كعب بن الاشرف ونظرائه كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم قال الحسن كان الحاكم اذا اتاه احد برشوة جعلها في كمه ثم يريها اياه ويتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فيسمع الكذب ويأكل الرشوة وهي السحت واصل السحت الاستئصال يقال سحته اذا استأصله وسميت الرشوة في الحكم سحتا لانها تستأصل دين المرتشي والسحت كله حرام يحمل عليه شدة الشره وهو يرجع الى الحرام الخسيس الذي لا يكون له بركة ولا لآخذه مروءة ويكون في حصوله عار بحيث يخفيه لا محالة ومعلوم ان حال الرشوة كذلك فلذلك حرمت الرشوة على الحاكم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الراشي والمرتشي في الحكم اخرجه الترمذي واخرجه ابو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال الحسن انما ذلك في الحكم اذا رشوته ليحق لك باطلا او يبطل عنك حقا وقال ابن مسعود الرشوة في كل شيء فمن شفع شفاعة ليرد بها حقا او يدفع بها ظلما فاهدي اليه فقبل فهو سحت فقيل له يا ابا عبد الرحمن ما كنا نرى ذلك الا الاخذ على الحكم فقال الاخذ على الحكم كفر قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون قوله عز وجل **فان جاؤك** يعني اليهود **فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا** خير الله رسوله صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم فان شاء حكم وان شاء ترك قال الحسن ومجاهد والسدي نزلت في اليهوديين اللذين زنيا وقال قتادة نزلت في رجلين من قريظة والنضير قتل احدهما الآخر قال ابن زيد كان حيي بن اخطب قد جعل للنضيري ديتين وللقرظي دية واحدة لانه كان من بني النضير فقالت قريظة لا نرضى بحكم حيي ونتحاكم الى محمد فانزل الله هذه الآية يخير نبيه صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم

فصل اختلف علماء التفسير في حكم هذه الآية على قولين احدهما انها منسوخة وذلك ان اهل الكتاب كانوا اذا ترافعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيرا ان شاء حكم بينهم وان شاء اعرض عنهم ثم نسخ ذلك بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله فلزمه الحكم بينهم وزال التخيير وهذا القول مروي عن ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والسدي والقول الثاني انها محكمة وحكام المسلمين بالخيار اذا ترافعوا اليهم فان شاؤوا حكموا بينهم وان شاؤوا اعرضوا عنهم وهذا القول يروى عن الحسن والشعبي والنخعي والزهري وبه قال احمد لانه لا منافاة بين الآيتين اما قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم ففيه التخيير بين الحكم والاعراض واما قوله وان احكم بينهم بما انزل الله ففيه كيفية الحكم اذا حكم بينهم قال الامام فخر الدين الرازي ومذهب الشافعي انه يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بين اهل الكتاب اذا تحاكموا اليه لان في امضاء حكم الاسلام صغارا لهم فاما المعاهدون الذين لهم مع المسلمين عهد الى مدة فليس بواجب على الحاكم ان يحكم بينهم بل يتخير في ذلك وهذا التخيير المذكور في هذه الآية مخصوص بالمعاهدين واما اذا تحاكم مسلم وذمي وجب على الحاكم الحكم بينهم لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم اهل الذمة

والله اعلم

وقوله تعالى **وكيف يحكمونك وعندهم التوراة** هذا تعجيب من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في تحكيم اليهود اياه مع علمهم بما في التوراة وتركهم قبول ذلك الحكم مع اعتقادهم صحته وعدولهم الى الحكم من يجحدون نبوته طلبا للرخصة لا جرم ان الله تعالى اظهر جهلهم وعنادهم لانهم حكموا النبي صلى الله عليه وسلم في امر الزانيين ثم اعرضوا عن حكمه وفي هذه الآية تقريع لليهود فكيف يجعلونك حكما بينهم فيرضون بحكمك وعندهم التوراة **فيها حكم الله** يعني الرجم الذي حاكموا اليك من اجله **ثم يتولون من بعد ذلك** يعني من بعد ما في كتابهم لا يرضون ثم يعرضون عن حكمك الموافق لما في كتابهم **وما اولئك** يعني اليهود **بالمؤمنين** يعني بكتابهم كما يزعمون وقيل معناه وما اولئك بالمصدقين لك قوله عز وجل **انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور** سبب نزول هذه الآية استفتاء اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم في امر الزانيين وقد سبق بيانه والهدى هو البيان لان التوراة يبين صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويبين ما تحاكموا فيه والنور هو الكاشف للشبهات الموضح للمشكلات والتوراة كذلك وقيل الفرق بين الهدى والنور ان الهدى محمول على بيان الاحكام والشرائع والنور محمول على بيان احكام التوحيد والنبوة والمعاد **يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا** اراد بالنبيين الذين بعثوا بعد موسى عليه السلام **وذلك** ان الله بعث في بني اسرائيل الوفا من الانبياء ليس معهم كتاب انما بعثوا باقامة ما في التوراة من احكامها ومعنى اسلموا اي انقادوا لامر الله تعالى والعمل بكتابه وهذا على سبيل المدح لهم وفيه تعريض باليهود لانهم بعداء عن الاسلام الذي هو دين الانبياء عليهم السلام وقال الحسن والزهري وعكرمة وقتادة والسدي يحتمل ان يكون المراد بالنبيين الذين اسلموا هو محمد صلى الله عليه وسلم وانما ذكر بلفظ الجمع تعظيما وذلك لانه صلى الله عليه وسلم حكم على اليهود بالرجم وكان هذا الحكم في التوراة قال ابن الانباري هذا رد على اليهود والنصارى لان الانبياء عليهم السلام كانوا موصوفين باليهودية والنصرانية بل كانوا مسلمين لله تعالى منقادين لامره وقوله للذين هادوا يعني اليهود يحكم بالتوراة فيما بينهم ويحملهم على احكامها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم كما في التوراة ولم يوافقهم على ما ارادوا من الجلد وقال الزجاج وجائز ان يكون المعنى على التقديم والتأخير على معنى انا انزلنا التوراة فيها هدى ونور للذين هادوا يحكم بها النبيون الذين اسلموا **بما استحفظوا من كتاب الله** يعني بما استودعوا من كتاب الله وقيل ان يحفظوا كتاب الله فلا ينسوه وقيل هو ان يحفظوه ولا يضيعوا احكامه وشرائعه وقد اخذ الله على العلماء حفظ كتابه من الوجهين معا وذلك بان يحفظوا كتاب الله في صدورهم ويدرسوه بالسنتهم لئلا ينسوه وان لا يضيعوا احكامه ولا يهملوا شرائعه فاذا فعلوا ذلك كانوا قائمين بحفظه **وكانوا عليه شهداء** يعني ان هؤلاء النبيين والربانيين والاحبار كانوا شهداء على كتاب الله تعالى ويعلمون انه حق وصدق وانه من عند الله **فلا تخشوا الناس واخشون** هذا خطاب لحكام اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني لا تخافوا احدا من الناس في اظهار صفة محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالرجم واخشون يعني في كتمان ذلك **ولا تشتروا باياتي ثمنا قليلا** يعني ولا تستبدلوا بآيات الله واحكامه ثمنا قليلا يعني الرشوة فان كل متاع الدنيا قليل **ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون** يعني اليهود لما انكروا حكم الله تعالى المنصوص عليه في التوراة وقالوا انه غير واجب عليهم فهم كافرون على الاطلاق بموسى والتوراة ومحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الثلاث آيات وهي قوله ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون

فقال جماعة من المفسرين ان الايات الثلاث نزلت في الكفار ومن غير حكم الله من اليهود لان المسلم وان
ارتكب كبيرة لا يقال انه كافر وهذا قول ابن عباس وقتادة والضحاك ويدل على صحة هذا القول
ما روي عن البراء بن عازب قال انزل الله تبارك وتعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الكافرون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون
في الكفار كلها اخرجه مسلم **وعن** ابن عباس قال ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
الى قوله الفاسقون هذه الايات الثلاث في ترك الحكم بما انزل الله رد الكتاب الله فهو كافر ظالم
فاسق قال عكرمة ومن لم يحكم بما انزل الله جاحدا به كفر ومن اقر به ولم يحكم به فهو ظالم فاسق
وهذا قول ابن عباس ايضا واختيار الزجاج لانه قال من زعم ان حكما من احكام الله التي اتت بها
الانبياء باطل فهو كافر وقال طاوس قلت لابن عباس الكافر من لم يحكم بما انزل الله فقال به
كفر وليس بكفر ينقل عن الملة كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ونحو هذا روي
عن عطاء فقال هذا كفر دون كفر وقال ابن مسعود والحسن والنخعي هذه الايات الثلاث عامة
في اليهود وفي هذه الامة فكل من ارتشى وبدل الحكم فحكم بغير حكم الله فقد كفر وظلم وفسق واليه
ذهب السدي لانه ظاهر الخطاب وقيل هذا فيمن علم نص حكم الله ثم رده عيانا عمدا وحكم بغيره
واما من خفي عليه النص او اخطأ في التاويل فلا يدخل في هذا الوعيد والله اعلم بمراده قوله تعالى
والعين بالعين يعني تفقا بها والانف بالانف يعني يجدع به والاذن بالاذن تقطع بها
والسن بالسن يعني تقلع به وسائر الاطراف والاجزاء فيجري بينها القصاص كذلك وقوله تعالى
والجروح قصاص يعني فيما يمكن ان يقتص منه وهذا التعميم بعد التخصيص لان الله تعالى
ذكر النفس والعين والانف والاذن فخص هذه الاربعة بالذكر ثم قال تعالى والجروح قصاص على
سبيل العموم فيما يمكن ان يقتص منه كاليد والرجل والذكر والانثيين وغيرها واما ما لا يمكن
القصاص فيه كرض في لحم او كسر في عظم او جراحة في البطن يخاف منها التلف فلا قصاص في ذلك
وفيه الارش والحكومة **واعلم** ان هذه الاية دالة على ان هذا الحكم كان شرعا في التوراة
فمن قال شرع من قبلنا يلزمنا الا ما نسخ منه بالتفصيل قال هذه الاية حجة في شرعنا ومن
انكره قال انها ليست بحجة علينا واصل هذه المسألة ان امة النبي صلى الله عليه وسلم
وامته بعد البعثة هل هم متعبدون بشرع من تقدم من الانبياء فنقل عن اصحاب ابي حنيفة
وبعض اصحاب الشافعي وعن احمد في احدى الروايتين عنه انه كان متعبدا بما صح من شرايع من
قبله بطريق الوحي اليه لا من جهة كتبهم المبدلة ونقل الائمة ونقل اربابها ونقل ابن الحاجب من
المتاخرين هذا المذهب وهو انه صلى الله عليه وسلم كان بعد البعث متعبدا بشرع من قبله فيما
لم ينسخ من الاحكام الباقية قبل شريعته لكنه لم يعتبر فيه الوحي وهو الحق والا لم يبق للنزاع
معنى اذ لا ينكر احد كون النبي صلى الله عليه وسلم متعبدا بعد البعثة بما اوحي اليه سواء كان
من شريعة من قبله ام لا وذهب الاشاعرة والمعتزلة الى المنع من ذلك وهو اختيار الشريف
الآمدي من المتاخرين واحتج الاولون بصحة مذهبهم ان الاجماع منعقد على صحة الاستدلال
وكيفية علمهم فيها ان النفس بالنفس الاية مع انه من شريعة من تقدم لانه مذكور في التوراة
ومكتوب على بني اسرائيل ولولا انا متعبدون بشريعة من قبلنا ما صح هذا الاستدلال وقوله
تعالى فمن تصدق به يعني بالقصاص فلم يقتص من الجاني فهو كفارة له في هاء له قولان
احدهما ان الهاء فيه كناية عن المجروح وولي المقتول وذلك ان المجروح وولي المقتول اذا تصدق
على الجاني اذا تصدق بالقصاص كان ذلك كفارة لذنوبه وهذا قول ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن
العاص والحسن ويدل عليه ما روي عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

ما من رجل يصاب بشيء في جسده فيتصدق به الا رفعه الله به درجة وحط عنه به خطيئة اخرجه الترمذي
وعن انس قال ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه شيء فيه قصاص الا امر فيه بالعفو اخرجه
ابو داود والنسائي والقول الثاني ان الضمير في قوله له يعود الى الجارح والقاتل يعني ان المجني عليه
اذا عفى عن الجاني كان ذلك العفو كفارة الذنب الجاني لا يؤاخذ به في الآخرة وهذا قول ابن عباس ومجاهد
ومقاتل كما ان القصاص كفارة له فاما اجر العافي فعلى الله تعالى وقوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل
الله فاولئك هم الظالمون يعني لانفسهم حيث لم يحكموا بما انزل الله عز وجل وقفينا على آثارهم
يعني وعقبنا على آثار النبيين الذين اسلموا بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة
يعني ان عيسى عليه السلام كان مصدقا بان التوراة منزلة من عند الله عز وجل وكان العمل بها
واجبا قبل ورود النسخ عليها فان عيسى عليه السلام نسخ بعض احكام التوراة وخالفها
واتيناه الانجيل فيه هدى ونور يعني فيه هدى من الجهالة وضياء من عمى البصيرة ومصدقا لما بين
يديه من التوراة هذا ليس بتكرير للاول لان في الاول الاخبار بان عيسى عليه السلام مصدقا
لما بين يديه من التوراة وفي الثاني الاخبار بان الانجيل مصدق للتوراة فظهر الفرق بين اللفظين
وانه ليس بتكرار وهدى وموعظة للمتقين انما قال وهدى مرة اخرى لان الانجيل يتضمن البشارة
بمحمد صلى الله عليه وسلم فيكون سببا لاهتداء الناس الى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانما كون الانجيل
موعظة لما فيه من المواعظ البليغة والزواجر والامثال وانما خص المتقين بالذكر لانهم هم الذين
ينتفعون بالمواعظ قوله تعالى وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه قال اهل المعاني قوله وليحكم
يحتمل وجهين احدهما ان يكون المعنى وقلنا ليحكم اهل الانجيل فيكون هذا اخبارا عما فرض عليهم
في وقت انزاله عليهم من الحكم بما تضمنه الانجيل ثم حذف القول لان ما قبله من قوله وكتبنا وقفينا
يدل عليه وحذف القول كثير والوجه الثاني ان يكون قوله وليحكم ابتداء وفيه امر للنصارى بالحكم
بما في كتابهم وهو الانجيل **فان قلت** كيف جاز ان يؤمروا بالحكم بما في الانجيل
بعد نزول القرآن قلت ان المراد بهذا الحكم الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لان ذكره في الانجيل موجود والحكم
بتصديق نبوته فاذا كانوا امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد حكموا بما في الانجيل وقوله ومن لم
يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون يعني فاولئك هم الخارجون عن طاعة الله عز وجل
قوله عز وجل وانزلنا اليك الكتاب الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وانزلنا اليك يا محمد القرآن
بالحق يعني بالصدق الذي لا شك فيه مصدقا لما بين يديه من الكتاب يعني انه يصدق الكتب
الذي انزلها الله على انبيائه ومهيمنا عليه قال ابن عباس يعني شاهدا على الكتب التي هي
قبله ومنه **قول** حسان
ان الكتاب مهيمن لنبينا ••• والحق يعرفه ذوو الالباب
يريد انه شاهد ومصدق لنبينا صلى الله عليه وسلم وانما كان القرآن مهيمنا على الكتب التي قبله لانه
الكتاب الذي لا ينسخ ولا يمكن تغييره ولا تبديله واذا كان القرآن كذلك كانت شهادته على التوراة
والانجيل والزبور وجميع الكتب المنزلة حق وصدق وقيل المهيمن الامين وانما كان القرآن امينا
على الذي قبله فما اخبر اهل الكتب عن كتبهم فان كان في القرآن فقد صدقوا والا فلا فاحكم
بينهم بما انزل الله يعني اذا ترافع اهل الكتاب اليك يا محمد فاحكم بينهم بالقرآن الذي انزله الله
اليك ولا تتبع اهواءهم يعني ولا تتبع اهواء هؤلاء اليهود في الحكم وقال ابن عباس لا تاخذ باهوائهم
في جلد المحصن عما جاءك من الحق يعني ولا تنحرف عن الحق الذي جاءك من عند الله متبعا اهواءهم
وقوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا الخطاب في قوله منكم للامم الثلاثة امة
موسى وامة عيسى وامة محمد صلى الله عليه وسلم اجمعين بدليل ان الله عز وجل قال قبله

انا انزلنا التورية فيها هدى ونور ثم قال بعد ذلك وقفينا على اثارهم بعيسى ابن مريم ثم قال
وانزلنا اليك الكتاب ثم جمع فقال لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا والشرعة الشريعة يعني لكل امة
شريعة فللتورية شريعة وللانجيل شريعة وللقران شريعة والدين واحد وهو التوحيد واصل
الشريعة من الشرع وهو البيان والاظهار يقال شرع بين واوضح وقيل ان الشرع في اللغة والشريعة في
كلام العرب المشرعة التي يشرعها الناس فيشربون ويستقون منها وقيل
الشريعة الطريقة ثم استعير ذلك للطريقة الالهية المؤدية الى الدين والمنهاج الطريق الواضح
قال بعضهم الشريعة والمنهاج عبارة عن معنى واحد والتكرير للتاكيد والمراد بهما الدين وقال
اخرون بينهما فرق لطيف وهو ان الشريعة التي امر الله بها عباده والمنهاج الطريق الواضح المؤدي
الى الطريقة الشريعة قال ابن عباس في قوله شرعة ومنهاجا سنة وسبيلا **قال**
ابن عباس قتادة سبيلا وسنة فالسنة مختلفة للتورية شريعة وللانجيل شريعة وللقران
شريعة يحل الله عز وجل فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه والدين والذي
لا يقبل غيره هو التوحيد والاخلاص لله الذي جاءت به جميع الرسل عليهم السلام وقال علي ابن ابي
طالب الايمان منذ بعث ادم عليه السلام شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله ولكل قوم
شريعة ومنهاج قال العلماء وردت ايات دالة على عدم التباين في طريقة الانبياء منها قوله شرع لكم
من الدين ما وصى به نوحا الى قوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ومنها قوله اولئك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده ووردت ايات دالة على حصول التباين بينهم منها هذه الاية وهي قوله
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وطريق الجمع بين هذه الايات ان كل اية دلت على عدم التباين فهي
دالة على اصول الدين من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وكل ذلك جاءت به
الكتب من عند الله ولم يختلفوا فيه واما الايات الدالة على حصول التباين بينهم فمحمولة على الفروع
وما يتعلق بظواهر العبادات فجائز ان يتعبد الله عباده في كل وقت بما شاء فهذه طريق الجمع بين
الايات والله اعلم باسرار كتابه واحتج بهذه من قال ان شرع من قبلنا لا يلزمنا لان قوله لكل جعلنا
منكم شرعة ومنهاجا يدل على ان كل رسول جاء بشريعة خاصة ولا يلزم امة رسول الاقتداء
بشريعة رسول اخر قال تعالى **ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة** يعني جماعة متفقة على
شريعة واحدة ودين واحد لا اختلاف فيه **ولكن ليبلوكم** يعني ولكن اراد ان يختبركم **فيما
اتاكم** يعني من الشرائع المختلفة هل تعملون بها او لا فيتبين بذلك المطيع من العاصي
والموافق من المخالف **فاستبقوا الخيرات** هذا خطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم يعني
فبادروا يا امة محمد بالاعمال الصالحات التي تقربكم الى الله تعالى **الى الله مرجعكم جميعا** يعني
المطيع والعاصي والموافق والمخالف **فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** يعني فيخبركم في
الاخرة بما كنتم فيه تختلفون من امر الدين والدنيا والمعاني فيخبركم في الاخرة بما لا تشكون معه
فيفصل بين المحق والمبطل والطائع والعاصي بالثواب والعقاب قوله تعالى **وان احكم بينهم
بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم** قال ابن عباس ان كعب بن اسد وعبد الله بن صوريا وشاس
ابن قيس قال بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا يا محمد
قد عرفت انا احبار اليهود واشرافهم وسادتهم وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود ولم يخالفونا
وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك ونصدقك فابى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية وان احكم بينهم بما انزل الله يعني الحكم بينهم يا محمد
بالحكم الذي انزله الله في كتابه ولا تتبع اهواءهم يعني فيما امروك به قال العلماء ليس في هذه
الاية تكرار لما تقدم وانما انزلت في حكمين مختلفين اما الاية الاولى نزلت في شان رجم المحصن

وان اليهود طلبوا منه ان يجلده وهذه الاية نزلت في الدماء والديات حين تحاكموا اليه في امر قتيل
كان بينهم قال بعض العلماء هذه الاية ناسخة للتخيير في قوله فاحكم بينهم او اعرض عنهم وقوله
تعالى **واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك** قال ابن عباس وعبد الله بن صوريا يعني
واحذر يا محمد هؤلاء اليهود الذين جاؤا اليك ان يصرفوك ويصدوك بمكرهم وكيدهم ويحملوك على ترك
العمل بترك ما انزل اليك في كتابه واتباع اهوائهم **فان تولوا** يعني فان اعرضوا عن الايمان بك
والرضى بالحكم بما انزل الله **فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم** يعني فاعلم يا محمد ان الله
يريد ان يعجل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم وانما خص بعض الذنوب لان الله جازاهم في الدنيا على
بعض ذنوبهم بالقتل والسبي والجلاء واخر مجازاتهم على باقي ذنوبهم في الاخرة **وان كثيرا من الناس
لفاسقون** يعني اليهود لانهم ردوا حكم الله تعالى **افحكم الجاهلية يبغون** يعني احكم الجاهلية
يطلب هؤلاء اليهود قال ابن عباس يعني بحكم الجاهلية ما كانوا عليه من الضلال والجور في الاحكام وتحريفهم
اياها عما امر الله بها وقال مقاتل كانت بين بني النضير وقريظة دماء وهما حيان من اليهود وذلك
قبل ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فلما بعث وهاجر الى المدينة تحاكموا اليه فقالت بنو قريظة
بنو النضير اخواننا ابونا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد فان قتل بنو النضير منا قتيلا اعطونا
سبعين وسقا من تمر وان قتلنا منهم قتيلا اخذوا منا مائة واربعين وسقا وارش جراحتنا على النصف
من جراحتهم فاقض بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دم القرظي وفاء من دم
النضيري ودم النضيري وفاء من دم القرظي ليس لاحدهما فضل على الاخر في دم ولا عقل ولا جراحة
فغضب بنو النضير وقالوا لا نرضى بحكمك فانك لنا عدو وانك لتولينا وضعنا وتصغرنا فانزل
الله افحكم الجاهلية يبغون وقرئ بالتاء على الخطاب والمعنى قل لهم يا محمد افحكم الجاهلية تبغون
ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون يعني اي حكم احسن من حكم الله ان كنتم موقنين
ان لكم ربا وانه عدل في احكامه **قوله** عز وجل **يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود
والنصارى اولياء** اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الاية وان كان حكمها عاما لجميع المؤمنين
لان خصوص السبب لا يمنع عموم الحكم فقال قوم نزلت هذه الاية في عبادة بن الصامت رضي الله عنه
وعبد الله بن ابي بن سلول راس المنافقين وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لي اولياء من اليهود
كثير عددهم شديدة شوكتهم واني ابرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم ولا مولى لي الا الله ورسوله
فقال عبد الله بن ابي لكني لا ابرأ من ولاية اليهود لاني اخاف الدوائر ولا بد لي منهم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم يا ابا الحباب ما نفست به من ولاية اليهود على عبادة بن الصامت فهو لك دونه فقال
اذن اقبل فانزل الله هذه الاية وقال السدي لما كانت وقعة احد اشتد الامر على طائفة
من الناس وتخوفوا ان يديل عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين انا الحق بفلان اليهودي واخذ
منه امانا اني اخاف ان يدال علينا اليهود وقال رجل اخر انا الحق بفلان النصراني من اهل الشام واخذ
منه امانا فانزل الله هذه الاية ينهاهما عن موالاة اليهود والنصارى وقال عكرمة نزلت في ابي لبابة
ابن عبد المنذر حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة حين حاصرهم فاستشاروه في النزول
وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل اصبعه على حلقه اشارة انه الذبح وانه يقتلكم فانزل الله
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى انصارا واعوانا على اهل الايمان بالله ورسوله واخبر
انه من اتخذهم انصارا واعوانا وخلفاء من دون الله ورسوله والمؤمنين فانه منهم وان الله ورسوله
والمؤمنين منه براء **بعضهم اولياء بعض** يعني ان بعض اليهود انصار بعض على المؤمنين
وان النصارى كذلك يد واحدة على من خالفهم في دينهم وملتهم **ومن يتولهم منكم فانه منهم**
يعني ومن يتولى اليهود والنصارى دون المؤمنين فينصرهم على المؤمنين فهو من اهل دينهم وملتهم

لانه لا يتولى احدا الا وهو راض به وبدينه واذا رضيه رضي دينه صار منهم وهذا تعليم من الله تعالى وتشديد عظيم في مجانبة اليهود والنصارى وكل من خالف دين الاسلام **ان الله لا يهدي القوم الظالمين** يعني ان الله لا يوفقهم من وضع الولاية في غير موضعها فيتولى اليهود والنصارى مع علمه لعداوتهم لله ولرسوله وللمؤمنين روي ان ابا موسى الاشعري قال قلت لعمر بن الخطاب ان لي كاتبا نصرانيا فقال ما لك وله قاتلك الله الا اتخذت حنيفا يعني مسلما اما سمعت قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض قلت له دينه ولي كتابته فقال لا اكرمهم اذا اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ ابعدهم الله قلت انه لا يتم امر البصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه مات فما تصنع بعده فما تعمل بعد موته فاعمله الان واستغن عنه بغيره من المسلمين قوله تعالى **فترى الذين في قلوبهم مرض** يعني فترى يا محمد الذين في قلوبهم شك ونفاق **يسارعون فيهم** يعني يسارعون في مودة اليهود وموالاتهم ومناصحتهم لانهم كانوا اهل ثروة ويسار وكانوا يغشونهم ويخالطونهم لاجل ذلك نزلت في عبد الله بن ابي المنافق واصحابه من المنافقين **يقولون** يعني المنافقين **نخشى ان تصيبنا دائرة** الدائرة من دوائر الدهر كالدولة تدول والمعنى ويقول المنافقون انما نخالط اليهود لانا نخشى ان يدور علينا الدهر بمكروه ويعنون بذلك المكروه الهزيمة في الحرب والقحط والجدب والحوادث المخوفة قال ابن عباس معناه نخشى ان لا يتم امر محمد فيدور علينا الامر كما كان قبل محمد **فعسى الله ان ياتي بالفتح او امر من عنده** قال المفسرون عسى من الله واجب لان الكريم اذا اطمع في خير فعله وهو بمنزلة الوعد لتعلق النفس به ورجائها له فعسى الله ان ياتي بالفتح لرسوله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واظهار دينه على الاديان كلها واظهار المسلمين على اعدائهم من الكفار اليهود والنصارى وقد فعل الله ذلك بمنه وكرمه فاظهر دينه ونصر عبده **وقيل** اراد بالفتح فتح مكة وقيل فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك ونحوهما من بلادهم او امر من عنده يعني ان الله تعالى يقطع اصل اليهود من الحجاز ويخرجهم من بلادهم بلا كلفة وتعب ولا يكون للناس فيه فعل البتة كما القى في قلوبهم الرعب فاخلوا ديارهم وخرجوا بانفسهم ورحلوا الى الشام وقوله تعالى **فيصبحوا على ما اسروا في انفسهم نادمين** يعني فيصبح المنافقون الذين كانوا يوالون اليهود نادمين على ما حدثوا به انفسهم ان امر محمد لا يتم وقيل ندموا على دس الاخبار الى اليهود **ويقول الذين امنوا** يعني ويقول الذين امنوا في وقت اظهار الله نفاق المنافقين **اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم** وذلك ان المؤمنين كانوا يتعجبون من حال المنافقين عندما اظهروا الميل الى موالاة اليهود والنصارى فقالوا ان المنافقين حلفوا بالله جهد ايمانهم انهم لمعنا ومن انصارنا والان كيف صاروا موالين لاعدائنا من اليهود محبين للاختلاط بهم فبان كذب المنافقين في ايمانهم الباطلة **حبطت اعمالهم** اي بطل كل خير عملوه لاجل ما اظهروا من النفاق وموالاة اليهود يعني **فاصبحوا خاسرين** يعني انهم خسروا في الدنيا بافتضاحهم وخسروا في الاخرة بالحباط ثواب اعمالهم وحصلوا بالعذاب الاليم المقيم **قوله** عز وجل **يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه** يعني من يرجع منكم عن دينه الحق الذي هو عليه وهو دين الاسلام فيبدله ويغيره بدخوله في الكفر بعد الايمان فيختار اما اليهودية والنصرانية او غيرهما من اصناف الكفر فلن يضر الله شيئا واخبر الله بحصر رجوعه عن الدين الصحيح الذي هو دين الاسلام قال الحسن علم الله تعالى ان قوما سيرجعون عن الاسلام بعد موت نبيهم صلى الله عليه وسلم فاخبرهم انه سياتي بقوم يحبهم ويحبونه وذكر صاحب الكشاف ان احدى عشرة فرقة من العرب ارتدت ثلاث في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بنو مدلج ورئيسهم ذو الخمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده

واخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله تعالى على يد فيروز الديلمي فبيته وقتله فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بقتله ليلة قتل فسر المسلمون بذلك وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد واتى خبر قتله في اخر ربيع الاول وبنو حنيفة وهم قوم مسيلمة الكذاب تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وسياتي قصة قتله فيما بعد وبنو اسد وهم قوم طليحة ابن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد فقاتله فانهزم بعد القتال الى الشام **ثم** اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وارتد سبع فرق في خلافة ابي بكر الصديق وهم فزارة قوم عيينة بن حصن الفزاري وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة اليربوعي وبعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها من مسيلمة الكذاب وكندة قوم الاشعث بن قيس الكندي وبنو بكر بن وائل قوم الحطم بن زيد فكفى الله امرهم على يد ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفرقة واحدة ارتدت على خلافة عمر بن الخطاب وهم غسان قوم جبلة بن الايهم واختلف العلماء في المعني بقوله تعالى **فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه** فقال علي بن ابي طالب والحسن وقتادة هم ابو بكر واصحابه الذين قاتلوا اهل الردة ومانعي الزكاة وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قبض ارتد عامة العرب كما تقدم تفصيله الا اهل المدينة واهل مكة واهل البحرين من بني عبد القيس فانهم ثبتوا على الاسلام ونصر الله بهم الدين ولما ارتد من ارتد من العرب ومنعوا الزكاة هم ابو بكر بقتالهم وكره ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ودمه الا بحقها وحسابه على الله فقال ابو بكر والله لاقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فان الزكاة حق المال والله لو منعوني عناقا او قال عقالا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال انس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعي الزكاة وقالوا هم اهل القبلة فتقلد ابو بكر سيفه وخرج وحده فلم يجدوا بدا من الخروج على اثره فقال ابن مسعود كرهنا ذلك في الابتداء وحمدناه عليه في الانتهاء وقال ابو بكر ابن عياش سمعت ابا حصين يقول ما ولد بعد النبيين افضل من ابي بكر الصديق لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال اهل الردة وقالت عائشة توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وارتدت العرب واشرأب النفاق ونزل بابي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها وبعث ابو بكر الصديق خالد بن الوليد في جيش كثير الى بني حنيفة باليمامة وهم قوم مسيلمة الكذاب فاهلك الله مسيلمة على يد وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة فكان وحشي يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد بذلك وحشي انه في حال الجاهلية قتل حمزة وهو خير الناس وفي حال اسلامه قتل مسيلمة الكذاب وهو شر الناس **وقال** قوم المراد بقوله تعالى فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الاشعريون قوم ابي موسى الاشعري روي عن عياض بن غنم الاشعري قال لما نزلت هذه الاية فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا يعني ابا موسى الاشعري اخرجه الحاكم في المستدرك وقيل هم اهل اليمن عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم ارق افئدة والين قلوبا الايمان يمان والحكمة يمانية وقال السدي نزلت في الانصار لانهم هم الذين نصروا

رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعانوا على إظهار الدين وقيل هم أحياء من أهل اليمن ألفان من النخع
وخمسة آلاف من أهل كندة وبجيلة وثلاثة آلاف من أخلاط الناس جاهدوا في سبيل الله يوم
القادسية على خلافة عمر وعلى هذا التقدير يكون هذه الآية إخبارا عن الغيب وقد وقع
الخبر على وفق ما أخبر الله تعالى فيكون هذه الآية معجزة وأما معنى المحبة فيقال أحببت فلانا بمعنى
جعلت قلبي معرضا بأن يحبه والمحبة إرادة ما تراه أو تظنه خيرا ومحبة الله تعالى على العبد
إنعامه عليه وتوفيقه وهدايته إلى طاعته وأن يثني عليه ويرضى عنه ومحبة العبد لله عز وجل
أن يسارع إلى طاعته وابتغاء مرضاته وأن يفعل ما يوجب له الزلفى لديه جعلنا الله ممن يحبهم
ويحبونه بمنه وكرمه **أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** وهذا من صفات الحزب الذين
اصطفاهم الله تعالى ووصفهم بقوله يحبهم ويحبونه يعني أنهم أرقاء رحماء لأهل دينهم ولإخوانهم
من المؤمنين ولم يرد ذل الهوان بل أراد لين جانبهم لإخوانهم المؤمنين وهم مع رقتهم ورحمتهم
ولين جانبهم أشداء أقوياء غلاظ على أعدائهم الكافرين قال علي بن أبي طالب أذلة على المؤمنين يعني
أهل رقة على أهل دينهم أعزة على الكافرين أهل غلظة على من خالفهم في دينهم قال ابن عباس
تراهم كالولد لوالده وكالعبد لسيده وهم في الغلظة على الكافرين كالسبع على فريسته وقال
ابن الأنباري أثنى الله على المؤمنين بأنهم يتواضعون للمؤمنين إذا لقوهم ويعنفون بالكافرين
إذا لقوهم **وقيل** إن الذل هنا بمعنى الشفقة والرحمة لأنه قال رحماء للمؤمنين مشفقين
عليهم على وجه التذلل والتواضع وإنما أتى بلفظ على حتى يدل على علو منصبهم وفضيلة التواضع
ويدل على صحة هذا سياق الآية وهو قوله أعزة على الكافرين يعني أنهم أشداء أقوياء على أنفسهم
وعلى أعدائهم **يجاهدون في سبيل الله** يعني أنهم ينصرون دين الله **ولا يخافون لومة لائم** يعني
لا يخافون عذل عاذل في نصرهم الدين وذلك أن المنافقين كانوا يراقبون الكفار ويخافون لومهم
فبين الله تعالى في هذه الآية أن من كان قويا في الدين فإنه لا يخاف في نصر دين الله بيده أو بلسانه
لومة لائم وهذه صفة المؤمنين المخلصين أتباعهم لله تعالى **(ق)** عن عبادة بن الصامت
قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره
وعلى أن لا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف لومة لائم ثم قال تعالى **ذلك فضل
الله يؤتيه من يشاء** ذلك إشارة إلى ما تقدم ذكره في وصفهم بمحبة الله ولين جانبهم للمؤمنين
وشدتهم على الكافرين وأنهم يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم كان ذلك من فضل الله
تعالى تفضل به عليهم ومن إحسانه إليهم **والله واسع عليم** يعني أنه تعالى واسع الفضل
عليم بمن يستحقه **قوله** تعالى **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا** قال ابن عباس نزلت
هذه الآية في عبادة بن الصامت حين تبرأ من موالاة اليهود وقال أتولى الله ورسوله والمؤمنين
يعني أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله نزلت في عبد الله بن سلام وذلك أنه
جاء إلى محمد صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن قومنا قريظة والنضير قد هجرونا وفارقونا
وأقسموا أن لا يجالسونا فنزلت هذه الآية فقرأها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله
بن سلام رضينا بالله ربا وبرسوله نبيا وبالمؤمنين أولياء وقيل الآية عامة في حق جميع المؤمنين
لأن المؤمنين بعضهم أولياء بعض فعلى هذا يكون قوله تعالى **الذين يقيمون الصلاة ويؤتون
الزكاة وهم راكعون** صفة لكل مؤمن ويكون المراد بذكر هذه الصفات تمييز المؤمنين عن المنا
فقين لأن المنافقين كانوا يدعون الإيمان أنهم مؤمنون إلا أنهم لم يكونوا يداومون على فعل الصلاة
والزكاة فوصف الله تعالى المؤمنين بأنهم يقيمون الصلاة يعني بإتمام ركوعها وسجودها في مواقيتها
ويؤتون الزكاة يعني ويؤدون زكاة أموالهم إذا وجبت عليهم أما قوله تعالى وهم راكعون ففي هذا

التفسير فيه وجوه أحدها أن المراد من الركوع هنا الخضوع والمعنى أن المؤمنين يصلون ويزكون وهم
منقادون خاضعون لأوامر الله ونواهيه الوجه الثاني أن يكون المراد منه أن من شأنهم إقامة الصلاة
وإيتاء الزكاة وإنما خص الركوع بالذكر تشريفا له الوجه الثالث قيل إن هذه الآية نزلت وهم ركوع
وقيل نزلت في شخص معين وهو علي بن أبي طالب قال السدي مر بعلي سائل وهو راكع في المسجد
فأعطاه خاتمه فعلى هذا قال العلماء العمل القليل في الصلاة لا يفسدها والقول بالعموم أولى وإن
كان قد وافق وقت نزولها صدقة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو راكع ويدل على ذلك ما روي
عن عبد الملك بن سليمان قال سألت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عن هذه الآية إنما وليكم الله ورسوله
والذين آمنوا من هم فقال المؤمنون فقلت إن ناسا يقولون هو علي فقال علي من الذين آمنوا
وقوله تعالى **ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا** يعني ومن يتول القيام بطاعة
الله ونصر رسوله والمؤمنين قال ابن عباس يريد المهاجرين والأنصار ومن يأتي بعدهم **فإن حزب
الله** يعني أنصار دين الله **هم الغالبون** لأن الله ناصرهم على عدوهم والحزب في اللغة أصحاب
الرجل الذين يكونون معه على رأيه وهم القوم الذين يجتمعون لأمر حزبهم يعني أهمهم قوله عز وجل
يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا قال ابن عباس كان رفاعة بن
زيد بن التابوت وسويد بن الحرث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما
فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعنى اتخذوا دينكم هزوا أنهم أظهروا الإسلام بألسنتهم قولا وهم مع ذلك
يبطنون الكفر ويسرونه **من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم** يعني اليهود **والكفار** يعني عبدة الأصنام
وإنما فصل بين أهل الكتاب والكفار وإن كان أهل الكتاب من الكفار لأن كفر المشركين من عبدة الأصنام
أغلظ وأفحش من كفر أهل الكتاب **أولياء** يعني لا تتخذوهم أولياء وأنصارا **واتقوا الله إن كنتم
مؤمنين** يعني مؤمنين حقا لأن المؤمن يأبى موالاة أعداء الله عز وجل **قوله** تعالى **وإذا
ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا** قال الكلبي كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا نادى إلى الصلاة وقام المسلمون إليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا وصلوا لا صلوا ويضحكوا
على طريق الاستهزاء فأنزل الله هذه الآية وقال السدي نزلت هذه الآية في رجل من النصارى كان
بالمدينة فكان إذا سمع المؤذن يقول أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله يقول حرق
الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو وأهله نيام فطارت منها شرارة فاحترق البيت واحترق
هو وأهله وقيل إن الكفار والمنافقين كانوا إذا سمعوا الأذان حسدوا المسلمين على ذلك فدخلوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد أبدعت شيئا لم نسمع بمثله فيما مضى من الأمم قبلك
فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت الأنبياء قبلك ولو كان فيه خير لكان أولى الناس به الأنبياء
فمن أين لك صياح كصياح البعير فما أقبح هذا الصوت وهذا الأمر فأنزل الله عز وجل ومن أحسن
قولا ممن دعا إلى الله الآية وأنزل وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا **ذلك بأنهم
قوم لا يعقلون** يعني أن هزوهم ولعبهم من أفعال السفهاء والجهال الذين لا عقل لهم قوله تعالى
قل يا أهل الكتاب الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني قل يا محمد لهؤلاء اليهود والنصارى الذين
اتخذوا دينك هزوا ولعبا **هل تنقمون منا** يعني هل تكرهون منا أو تعيبون علينا **إلا أن
آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل** وهذا على سبيل التعجب من فعل أهل الكفار والمعنى
هل تجدون علينا في الدين إلا الإيمان بالله وما أنزل إلينا وما أنزل على جميع الأنبياء من قبل وهذا
ليس مما ينكر أو ينقم منه وهذا كما قال بعضهم

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

يعني أنه ليس فيهم عيب لأن ذلك وهذا ليس بعيب بل هو مدح عظيم لهم قال ابن عباس أتى رسول

الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فيهم ابو ياسر بن اخطب ورافع بن ابي رافع وعازر وزيد
وخالد وازر بن ابي ازر واشيع فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل
الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط الى قوله ونحن له مسلمون الاية
فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم
فانزل الله هذه الاية قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل
من قبل ومعناه هو ديننا الحق وطريقنا المستقيم فلم تنقمونه علينا **وان اكثركم فاسقون** يعني
انكم انما كرهتم ايماننا وتعيبونه علينا مع علمكم بانا على الحق بسبب فسقكم وانا اقمتم على
الدين الباطل لحب الرياسة ولاخذ الاموال بالباطل وانما قال اكثركم لانه تعالى علم ان من اهل الكتاب
من يؤمن بالله ورسوله **قوله** عز وجل **قل هل انبئكم بشر من ذلك** هذا جواب اليهود
لما قالوا ما نعرف دينا شرا من دينكم والمعنى قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين قالوا هذه المقالة هل اخبركم
بشر من ذلك الذي ذكرتم ونقمتم علينا من ايماننا بالله وما انزل علينا **مثوبة عند الله** يعني
جزاء فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان لا بالعذاب يعني الثواب فكيف جاءت في الاساءة قلت وضعت
المثوبة موضع العقوبة على طريقة قولهم تحية بينهم ضرب وجيع ومنه قوله تعالى فبشرهم بعذاب
اليم والمعنى قل انبئكم بشر من اهل ذلك الدين مثوبة **فان قلت** هذا يقتضي ان
الموصوفين بذلك الدين محكوم عليهم بالشر لانه تعالى قال بشر من ذلكم ومعلوم ان الامر ليس كذلك
فالجواب قلت جوابه ان الكلام خرج على حسب قولكم واعتقادكم فان اليهود حكموا بان اعتقاد
ذلك الدين شر فقيل لهم هب ان الامر كذلك لكن من لعنه الله وغضب عليه واشر صورته
شر من ذلك وهو قوله تعالى من لعنه الله ومعناه هل انبئكم بمن لعنه الله او بمن لعنه الله ويعني
لعنه ابعده وطرده من رحمته **وغضب عليه** يعني وانتقم منه لان الغضب ارادة الانتقام من
العصاة **وجعل منهم القردة والخنازير** يعني من اليهود من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم من
جعلهم قردة وخنازير قال ابن عباس ان الممسوخين كلاهما اصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة
ومشايخهم مسخوا خنازير وقيل ان مسخ القردة كان في اصحاب السبت من اليهود ومسخ الخنازير
كان في الذين كفروا بعد نزول المائدة في زمن عيسى عليه السلام ولما نزلت هذه الاية عير المسلمون اليهود
وقالوا لهم يا اخوان القردة والخنازير فافتضحوا ونكسوا رؤوسهم **وعبد الطاغوت** يعني وجعل منهم عبد الطاغوت
يعني من اطاع الشيطان فيما سول له والطاغوت هو الشيطان وقيل هو العجل وقيل هو الكهان والا
حبار وجملته ان كل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وهو الطاغوت **اولئك** يعني
الملعونين والمغضوب عليهم والممسوخين **شر مكانا** يعني من غيرهم ونسب الشر الى المكان والمراد
به اهله فهو من باب الكناية **وقيل** اراد ان مكانهم سقر ولا مكان اشر منه **واضل عن سواء**
السبيل يعني واخطأ عن قصد طريق الحق قوله تعالى **واذا جاؤكم قالوا آمنا** قال قتادة نزلت في
اناس من اليهود دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه انهم مؤمنون راضون بالذي
جاء به وانهم متمسكون بضلالتهم وكفرهم فكانوا يظهرون الايمان وهم في ذلك منافقون فاخبر
نبيه صلى الله عليه وسلم بحالهم وشأنهم **وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به** يعني انهم دخلوا
كافرين وخرجوا كافرين لم يتعلق بقلوبهم شيء من الايمان فهم كافرون في حالتي الدخول والخروج **والله**
اعلم بما كانوا يكتمون يعني من الكفر الذي في قلوبهم قوله عز وجل **وترى كثيرا منهم** الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم يعني وترى يا محمد كثيرا منهم من اليهود وكلمة من يحتمل ان تكون للتبعيض ويحتمل
ان هذه الافعال المذكورة في هذه الاية ما كان يفعلها كل اليهود فلهذا قال وترى كثيرا منهم
يسارعون والمسارعة في الشيء المبادرة اليه بسرعة لكن لفظة المسارعة انما تستعمل في الخير وضده

قوله

قوله تعالى يسارعون في الخيرات وضدها العجلة وجاءت في الشر في الاقل وانما ذكرت لفظة المسارعة ليعلم انهم
يسارعون **في الاثم والعدوان واكلهم السحت** لفائدة وهي انهم كانوا لا يتجاسرون على هذه المنكرات كانهم
محقون فيها والاثم اسم جامع لجميع المعاصي والمنهيات فيدخل تحت العدوان واكل السحت
فلهذا ذكر الله العدوان واكل السحت بعد الاثم والمعاصي وقيل الاثم ما كتموه من التوراة
والعدوان ما زادوا فيها والسحت هو الرشى وما كانوا يأكلونه من غير وجهه **لبئس ما كانوا يعملون**
يعني لبئس العمل كان عمل اليهود يعملون وهو مسارعتهم في الاثم والعدوان واكلهم السحت
قوله تعالى **لولا** يعني هلا وهي هنا بمعنى التحضيض والتوبيخ **ينهاهم الربانيون**
والاحبار قال الحسن الربانيون علماء اهل الانجيل والاحبار علماء اهل التوراة وقال غيره كلهم من
اليهود لانه متصل بذكرهم **عن قولهم الاثم** يعني الكذب **واكلهم السحت** والمعنى هلا ينهى
الاحبار والرهبان اليهود عن قولهم الاثم واكلهم السحت **لبئس ما كانوا يصنعون** يعني
الاحبار والرهبان اذا لم ينهوا غيرهم عن المعاصي وهذا يدل على ان تارك النهي عن المنكر بمنزلة
مرتكبه لان الله تعالى ذم الفريقين في هذه الاية قال ابن عباس ما في القرآن اشد توبيخا من
هذه الاية وقال الضحاك ما في القرآن اخوف عندي منها قوله عز وجل **وقالت اليهود**
يد الله مغلولة نزلت هذه الاية في فنحاص اليهودي قال ابن عباس ان الله كان قد بسط على اليهود
حتى كانوا اكثر الناس اموالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا به كف
عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص يد الله مغلولة يعني محبوسة مقبوضة
عن الرزق والبذل والعطاء فنسبوا الله تعالى الى البخل والقبض تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ولما قال
هذه المقالة الخبيثة فنحاص ولم ينهه بقية اليهود ورضوا بقوله لا جرم ان الله تعالى اشركهم معه
في هذه المقالة فقال تعالى اخبارا عنهم وقالت اليهود يد الله مغلولة يعني نعمته مقبوضة
عنا **وقيل** معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا بقدر ما يبر به قسمه وذلك
قدر ما عبد آباؤنا العجل والقول الاول اصح لقوله تعالى ينفق كيف يشاء واعلم ان غل اليد وبسطها
مجاز عن البخل والجود بدليل قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
ولا تبسطها كل البسط والسبب ان الايدي آلة لكل الاعمال لا سيما لدفع المال وانفاقه وامساكه
فاطلقوا اسم السبب على المسبب واسندوا الجود والبخل الى اليد مجازا فقيل للجواد الكريم فياض اليد
ومبسوط اليد وقيل للبخيل مقبوض اليد وقوله تعالى **غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا** يعني امسكت
ايديهم عن كل خير وطردوا عن رحمة الله وقال الزجاج رد الله عليهم فقال انا الجواد الكريم وهم البخلاء
وايديهم هي المغلولة الممسوكة وقيل هذا دعاء على اليهود علمنا الله كيف ندعو عليهم وقال غلت
ايديهم في نار جهنم فعلى هذا هو من الغل حقيقة اي شدت ايديهم الى اعناقهم وطرحوا في النار
جزاء لهم على هذا القول وصحة هذا ومعنى ولعنوا بما قالوا عذبوا بسبب ما قالوا فمن لعنهم انهم مسخوا
في الدنيا قردة وخنازير وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية وفي الآخرة لهم عذاب النار وقوله
تعالى **بل يداه مبسوطتان** يعني ان الله تعالى جواد كريم ينفق كيف يشاء وهو جواب لليهود ورد
عليهم عما افتروه واختلقوه تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وانما اجيبوا بهذا الجواب على قدر كلامهم
واما الكلام في اليد فقد اختلف العلماء في معناها على قولين احدهما وهو مذهب جمهور السلف
وعلماء اهل السنة وبعض المتكلمين ان يد الله صفة من صفات ذاته كالسمع والبصر والوجه
فيجب علينا الايمان بها والتسليم وغيرها مما جاء في الكتاب والسنة بلا كيف ولا تشبيه ولا
تعطيل قال الله تعالى لما خلقت بيدي وقال النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] وقال النبي صلى
الله عليه وسلم عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين والقول الثاني قول جمهور المتكلمين واهل التأويل

فانهم قالوا اليد تذكر في اللغة على وجوه احدها الجارحة وهي معلومة وثانيها النعمة تقول لفلان عندي
يد اشكره عليها وثالثها القدرة قال الله تعالى اولي الايدي والابصار فسروه بذي القوة والعقول
ويقال لا يد لك بهذا الامر والمعنى سلب كمال القدرة ورابعها الملك يقال هذه الضيعة في يد
فلان اي في ملكه ومنه قوله تعالى الذي بيده عقدة النكاح اي يملك ذلك اما الجارحة فمنتفية في صفة
الله عز وجل لان العقل دل على انه يمتنع ان تكون يد الله عبارة عن جسم مخصوص وعضو مركب من الاجزاء
والابعاض تعالى الله عن الجسمية والكيفية والتشبيه علوا كبيرا فامتنع بذلك ان تكون يد الله بمعنى
الجارحة واما سائر المعاني التي فسرت اليد بها فحاصلة لان اكثر العلماء من المتكلمين زعموا ان اليد في حق
الله عبارة عن القدرة وعن الملك وعن النعمة وهاهنا اشكالان احدهما ان اليد اذا فسرت بها بمعنى
القدرة فقدرة الله واحدة ونص القرآن ناطق باثبات اليدين في قوله تعالى بل يداه مبسوطتان واجيب
عن هذا الاشكال بان اليهود لما جعلوا قولهم يد الله مغلولة كناية عن البخل اجيبوا على وفق كلامهم
فقال بل يداه مبسوطتان اي ليس الامر على ما وصفتموه من البخل بل هو جواد كريم على
سبيل الكمال فان من اعطى بيديه فقد اعطى على الكمال الوجه الاشكال الثاني ان اليد اذا فسرت بالنعمة ونص
القرآن ناطق باثبات النعمة ونعم الله غير محصورة ولا معدودة ومنه قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا
تحصوها واجيب عن هذا الاشكال بان التثنية بحسب الجنس ثم يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع
كثيرة لا نهاية لها مثل نعمة الدنيا ونعمة الدين ونعمة الظاهر ونعمة الباطن ونعمة النفع ونعمة الدفع فالمراد
بالتثنية المبالغة في وصف النعمة لجانب اصحاب القول الاول عن هذا بان قالوا ان الله تعالى اخبر عن ادم
انه خلقه بيده فلو كان معنى خلقه لادم بقدرته او بنعمته وعطيته لم يكن لخصوصية ادم بذلك وجه مفهوم
لان جميع خلقه مخلوق بقدرته وجميعهم في ملكه ومتقلبين في نعمه فلما خص ادم عليه السلام بقوله
تعالى لما خلقت بيدي دون خلقه علم بذلك اختصاصه وتشريفه على غيره ونقل الامام فخر الدين
الرازي عن ابي الحسن الاشعري قولان ان اليد صفة قائمة بذات الله تعالى وهي صفة سوى القدرة
من شانها التكوين على سبيل الاصطفاء والذي يدل عليه انه تعالى جعل وقوع خلق ادم بيده على سبيل
الكرامة لادم واصطفائه له فلو كانت اليد عبارة عن القدرة امتنع كون ادم مصطفى بذلك لان
ذلك حاصل في جميع المخلوقات فلا بد من اثبات صفة اخرى وراء القدرة يقع بها الخلق والتكوين على
سبيل الاصطفاء هذا اخر كلامه **واجيب** عن قولهم بان التثنية بحسب الجنس ثم
يدخل تحت كل واحد من الجنسين انواع كثيرة لان الاسم اذا ثني لا يؤدي الى اثنين باعيانهما دون الجمع
ولا يؤدي عن الجنس ايضا قالوا وخطانه في كلام العرب ان يقال ما اكثر الدرهمين في ايدي الناس بمعنى
ما اكثر الدراهم في ايديهم لان الدرهم يؤدي عن الجمع فثبت بهذا الباب قول من قال لان اليد صفة
من صفاته تعالى تليق بجلاله وانها ليست بجارحة كما تقول المجسمة تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا
ينفق كيف يشاء يعني انه تعالى ينفق برزق كما يريد ويختار فيوسع على من يشاء ويقتر على من
يشاء لا اعتراض عليه في ملكه ولا فيما يفعله ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى انفق انفق عليك وقال يد الله ملأى لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ارأيتم
ما انفق منذ خلق السموات والارض فانه لم ينقص ما بيده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يرفع
ويخفض وهذا الحديث ايضا من احاديث الصفات فيجب الايمان به وامراره كما جاء من غير تشبيه
ولا تكييف وقوله تعالى وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا يعني
كلما نزلت عليك اية من القرآن كفروا بها فازدادوا شدة في كفرهم زيادة منه فيه والقينا بينهم العداوة
والبغضاء الى يوم القيامة يعني اليهود والنصارى وقيل الى ذلك بين طوائف اليهود فجعلهم
مختلفين في دينهم متعادين متباغضين الى يوم القيامة فان بعض اليهود جبرية وبعضهم

قدرية

وبعضهم مشبهة وكذلك النصارى فرقا كالملكية والنسطورية واليعقوبية والمارونية فان قلت
فهذا المعنى ايضا حاصل بين فرق المسلمين فكيف يكون ذلك عيبا على اليهود والنصارى
حتى يذموا به قلت هذه البدع التي حصلت في المسلمين انما حدثت بعد عصر النبي صلى الله عليه وسلم
وعصر الصحابة والتابعين اما في الصدر الاول فلم يكن شيء من ذلك حاصلا بينهم فحسن جعل ذلك عيبا على
اليهود والنصارى في ذلك العصر الذي نزل فيه القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما اوقدوا
نارا للحرب اطفأها الله يعني كلما افسدوا اليهود وخالفوا حكم الله بعث الله عليهم من يهلكهم فافسدوا
فبعث الله عليهم بخت نصر البابلي ثم افسدوا فبعث الله عليهم طيطوس الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم
المجوس وهم الفرس ثم افسدوا وقالوا يد الله مغلولة فبعث الله المسلمين فلا تزال اليهود في ذلة ابدا
وقال مجاهد معنى الاية كلما مكروا مكرا في حرب محمد صلى الله عليه وسلم اطفاه الله تعالى وقال السدي
كلما اجمعوا امرهم على شيء ليفسدوا به امر محمد صلى الله عليه وسلم فرقه الله تعالى وكلما اوقدوا نارا في حرب
محمد صلى الله عليه وسلم اطفأ الله واخمد نارهم وقذف في قلوبهم الرعب وفرقهم ونصر نبيه ودينه
ويسعون في الارض فسادا يعني ويجتهدون في رد دين الاسلام ومحو ذكر محمد صلى الله عليه وسلم من
كتبهم **وقيل** انهم يسعون بالمكر والكيد والحيل ليس يقدرون على غير ذلك والله لا يحب
المفسدين يعني ان الله لا يحب من كانت هذه صفته قال قتادة لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من اذل
الناس فيها وهم ابغض خلق الله اليه قوله تعالى ولو ان اهل الكتاب امنوا يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم
وصدقوه بما جاء به واتقوا يعني اليهودية والنصرانية لكفرنا عنهم سيئاتهم يعني محونا عنهم ذنوبهم
التي عملوها قبل الاسلام لان الاسلام يجب ما قبله ولادخلناهم جنات النعيم يعني مع المسلمين يوم
القيامة ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل يعني اقاموا احكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما من الوفاء بالعهود
والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم لان نعته وصفته موجدان فيهما **فان قلت** كيف يأمر اهل الكتاب
باقامة التوراة والانجيل مع انهما منسوخان قلت انما امرهم الله تعالى باقامة ما فيهما من الايمان بمحمد صلى
الله عليه وسلم لانه غير منسوخ موافق لما في القرآن وقوله تعالى وما انزل اليهم من ربهم فيه قولان
احدهما ان المراد به كتب انبيائهم القديمة مثل كتاب شعياء وكتاب ارمياء وزبور داود وفي هذه الكتب
ايضا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم والقول الثاني ان المراد بما انزل اليهم من ربهم هو القرآن لانهم مامورون
بالقرآن بالايمان به فكانه نزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم يعني ان اليهود لما
اصروا على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وثبتوا على كفرهم ويهوديتهم اصابهم الله بالقحط والشدة
حتى بلغوا الى حيث قالوا يد الله مغلولة فاخبر الله انهم لو تركوا اليهودية والكفر الذي هم عليه لانقلبت
تلك الشدة بالخصب والسعة وهو قوله تعالى لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم قال ابن عباس يعني
بالبركات لانزلت عليهم السماء المطر ولاخرجت لهم الارض النبات والمراد من ذلك توسعة الرزق عليهم منهم
امة مقتصدة اي عادلة والاقتصاد الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير واصله من القصد
لان من عرف مقصوده اطلبه من غير اعوجاج منه والمراد بالامة المقتصدة من امن من اهل الكتاب من
عبد الله بن سلام واصحابه والنجاشي واصحابه الذين اسلموا وكثير منهم يعني من اهل الكتاب الذين
اقاموا على كفرهم مثل كعب بن الاشرف ورؤساء اليهود ساء ما يعملون يعني بئس ما يعملون في اقامتهم
على كفرهم قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل يا ايها
الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك الاية روي عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله صلى
الله عليه وسلم ضاق ذرعا وعرف ان من الناس من يكذبه فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في
عيب اليهود وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم الى الاسلام فقالوا اسلمنا قبلك وجعلوا
يستهزئون به ويقولون تريد ان نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى حنانا فلما راى النبي صلى

الله عليه وسلم ذلك منهم سكت فانزل الله هذه الآية وامره ان يقول لهم يا اهل الكتاب لستم على شيء الآية
وقيل نزلت هذه الآية في امر الجهاد وذلك ان المنافقين كرهوه فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك
في بعض الاحايين عن الحث على الجهاد لما علم كراهية بعضهم له فانزل الله هذه الآية يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك يعني جاهدهم ولا تراقبن احدا ولا تترك شيئا مما انزل اليك من ربك وان اخفيت
شيئا من ذلك في وقت من الاوقات فما بلغت رسالته وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته
قال ابن عباس يعني ان كتمت آية مما انزل اليك من ربك لم تبلغ رسالتي يعني انه صلى الله عليه وسلم لو ترك
ابلاغ البعض كان كمن لم يبلغ شيئا مما انزل اليه وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكتم شيئا مما اوحي
اليه فقد كذب روى مسروق عن عائشة قالت من حدثك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا مما
ما اوحي اليه فقد كذب ثم قرأت يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك اخرجاه في
الصحيحين بزيادة فيه وقوله تعالى والله يعصمك من الناس يعني يحفظك يا محمد ويمنعك
منهم والمراد بالناس هنا الكفار فان قلت اليس قد شج راسه وكسرت رباعيته يوم احد وقد اوذي
بضروب من الاذى فكيف يجمع بين ذلك وبين قوله والله يعصمك من الناس قلت المراد منه انه يعصمه
من القتل فلا يقدر عليه احد اراده بالقتل ويدل على صحة ذلك ما روي عن جابر انه غزا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل معهم فادركتهم القايلة في واد كثير العضاه فنزل رسول
الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس يستظلون بالشجر فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت
شجرة فعلق بها سيفه ونمنا نومة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا واذا
عنده اعرابي فقال ان هذا اخترط علي سيفي وانا نايم فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال من
يمنعك مني فقلت الله ثلاثا ولم يعاقبه وجلس وفي رواية اخرى قال جابر كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فاذا اتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه
وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخترطه فقال
تخافني فقال لا فقال فمن يمنعك مني قال الله فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجاه
في الصحيحين وزاد في رواية له ان اسم ذلك الرجل غورث بن الحرث (ق) عن عائشة رضي الله عنها
قالت سهر رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمه المدينة فقال ليت رجلا من اصحابي يحرسني الليلة
قالت فبينا نحن كذلك سمعنا خشخشة السلاح فقال من هذا قال سعد بن ابي وقاص فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء بك فقال وقع في نفسي خوف على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فجيت احرسه فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نام وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يحرس ليلا حتى نزلت والله يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
راسه من القبة فقال لهم ايها الناس انصرفوا فقد عصمني الله اخرجه الترمذي وقال هذا حديث
غريب وقيل في الجواب عن هذا ان هذه الآية نزلت بعد ما شج راسه في يوم احد لان
سورة المائدة من اخر القران نزولا وقوله تعالى ان الله لا يهدي القوم الكافرين قال ابن عباس
معناه لا يرشد من كذبك واعرض عنك وقال ابن جرير الطبري معناه ان الله لا يوفق للرشد من
حاد عن سبيل الحق وجار عن قصد السبيل وجحد ما جيت به من عند الله ولم ينته الى امر الله وطاعته
فيما فرض اليه واوجبه وقوله تعالى قل يا اهل الكتاب لستم على شيء يعني قل يا محمد لهولاء اليهود
والنصارى لستم على شيء مما تدعون انكم عليه مما جاءكم به موسى عليه السلام يا معشر اليهود ولا مما جاءكم
به عيسى يا معشر النصارى فانكم احدثتم وغيرتم قال ابن عباس جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم رافع
ابن حارثة وسلام بن مشكم ومالك ابن الصيف ورافع بن حرملة وقالوا يا محمد الست تزعم انك
على ملة ابراهيم ودينه وتومن بما عندنا من التوراة وتشهد انها حق فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم بلى ولكنكم احدثتم وجحدتم ما فيها مما اخذ عليكم من الميثاق وكتمتم منها ما امرتم ان تبينوه للناس
فانا بريء من احداثكم قالوا فانا ناخذ بما في ايدينا وما انزل اليكم من ربكم الآية وقد تقدم معنى اقامة
التوراة والانجيل وانه يلزمهم العمل بما فيهما ومن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وتقدم تفسير وما انزل
اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا قوله تعالى فلا تاس على
القوم الكافرين يعني فلا تحزن يا محمد على هولاء اليهود الذين جحدوا نبوتك ولم يومنوا بك فانما يعود
ضرر ذلك الكفر عليهم قوله عز وجل ان الذين امنوا والذين هادوا والصابيون والنصارى
لما بين الله عز وجل ان اهل الكتاب ليسوا على شيء ما لم يومنوا بين في هذه الآية ان هذا الحكم عام في كل اهل الملل
وانه لا يحصل لهم فضيلة ولا منقبة الا اذا امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا يرضاه ومن العمل الصالح
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم لانه لا يتم الايمان الا به وقد تقدم تفسير هذه الآية في سورة البقرة
وقوله تعالى والصابيون وظاهر الاعراب يقتضي ان يقال والصابيين وكذا قراه ابي بن
كعب وابن مسعود وابن كثير من السبعة وقرئ الجمهور بالرفع ومذهب الخليل وسيبويه انه ارتفع الصا
بيون بالابتدا على نية التاخير كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى والصابيون من امن بالله
واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابيون كذلك فحذف خبره والحكمة في العطف
الصابيين على من قبلهم هي ان الصابيين اشد الفرق المذكورين في هذه الآية ضلالا فكانه قال كل هولاء
الفرق اذا امنوا واتوا بالعمل الصالح قبل الله توبتهم حتى الصابيون فانهم اذا امنوا كانوا ايضا كذلك
وانما سموا صابيين لانهم صبوا على الاديان كلها بمعنى خرجوا لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في
دينهم ولم يتبعوا ما جاءت به الرسل عند الله فان قلت قد قال الله تعالى في اول الآية ان الذين امنوا ثم
قال في اخر الآية من امن فما فايدة هذا التكرار قلت فايدته ان المنافقين كانوا يظهرون ويزعمون
انهم مومنون ففي هذا التكرار تحقيق اخراجهم من قبيل المومنين فيكون معنى الآية ان الذين امنوا
بالسنتهم لا بقلوبهم ثم قال من امن يعني من ثبت على ايمانه ورجع عن نفاقه منهم وقيل فيه فايدة اخرى
وهي ان الايمان يدخل تحته اقسام كثيرة واشرفها الايمان بالله واليوم الاخر ففايدة التكرير التنبيه
على ان اشرف اقسام الايمان هذين القسمين وفي قوله من امن بالله فيه حذف تقديره من امن بالله
واليوم الاخر منهم وانما حسن هذا الحذف لكونه معلوما عند السامعين وعمل صالحا يعني
وضم الى ايمانه العمل الصالح وهو الذي يراد به وجه الله تعالى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
يعني في الاخرة قوله عز وجل لقد اخذنا ميثاق بني اسرايل يعني اخذنا العهود عليهم في التوراة
بان يعملوا بما فيها من التوحيد والعمل بما امرناهم به والانتهاء عما نهيناهم عنه وارسلنا اليهم رسلا
يعني ليبينوا لهم الشرايع والاحكام كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم يعني بما يخالف هواهم
ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرايع فريقا كذبوا يعني من الرسل الذين
جاءتهم وفريقا يقتلون يعني من الرسل وكان فيمن كذبوا عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وكان فيمن قتلوا
زكريا ويحيى عليهما السلام وانما فعلوا ذلك نقضا للميثاق وجراة على الله عز وجل ومخالفة لامره
قوله تعالى وحسبوا يعني وظن هولاء الذين كذبوا الرسل وقتلوا الانبيا الا تكون فتنة
يعني ان لا يعذبهم الله ولا يبتليهم بذلك وسبب ذلك الظن الفاسد انهم كانوا يعتقدون
ان كل رسول جاءهم بشرع اخر غير شرعهم يجب عليهم تكذيبه وقتله فلهذا السبب حسبوا ان لا
يكون فعلهم ذلك فتنة يبتلون بها وقيل انما قدروا على ذلك لاعتقادهم ان اباءهم واسلافهم يدفعون
عنهم العذاب في الاخرة فعموا وصموا يعني انهم عموا عن الحق فلا يبصرونه وصموا عنه فلم يسمعوه
وهذا العمى هو كناية عن عمى البصيرة لا البصر وكذلك الصمم هو كناية عن منع نفوذ الحق قال
بعض المفسرين سبب هذا العمى والصمم عبادتهم العجل في زمن موسى عليه السلام ثم تاب الله

عليهم يعني انهم لما تابوا من عبادتهم العجل تاب الله عليهم ثم عموا وصموا يعني بذلك الذين زمان زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام ثم عموا وصموا يعني بسبب الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم كثير منهم من اليهود لان بعضهم امن بمحمد صلى الله عليه وسلم مثل عبد الله بن سلام واصحابه والله بصير بما يعملون يعني من قتل الانبيا وتكذيب الرسل قوله عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم لما حكى الله عن اليهود ما حكاه من نقضهم الميثاق وقتلهم الانبيا وتكذيبهم الرسل وغير ذلك شرع في الاخبار عن كفر النصارى وما هم عليه من فساد الاعتقاد فقال تعالى لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهذا قول اليعقوبية والملكانية من النصارى لانهم يقولون ان مريم ولدت الها ولانهم يقولون ان الاله حل وعلا في ذات عيسى واتحد به فصار الها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم يعني وقد كان المسيح قال هذا لبني اسرائيل عند مبعثه اليهم وهذا تنبيه على ما هو الحجة القاطعة على فساد قول النصارى وذلك لانه عليه السلام لم يفرق بينه وبين غيره في العبودية والاقرار لله بالربوبية وان دلائل الحدوث ظاهرة عليه انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة يعني انه من يجعل له شريكا من خلقه فقد حرم الله عليه الجنة يعني اذا مات على شركه ومأواه النار يعني انه يصير الى النار في الاخرة وما للظالمين يعني وما للمشركين الذين ظلموا انفسهم بالشرك من انصار يعني ما لهم من انصار ينصرونهم ويمنعونهم من العذاب يوم القيامة قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وهذا قول المرقوسية و[illegible] والنسطورية من النصارى وفي تفسير قول النصارى طريقان احدهما وهو قول اكثر المفسرين انهم ارادوا بهذه المقالة ان الله ومريم وعيسى الهة ثلاثة وان الالهية مشتركة بينهم وان كل واحد منهم اله ويبين ذلك قوله تعالى للمسيح أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فقوله ثالث ثلاثة فيه اضمار تقديره ان الله احد ثلاثة الهة او واحد من ثلاثة قال الواحدي ولا يكفر من يقول ان الله ثالث ثلاثة ولم يرد انه ثالث ثلاثة لانه ما من اثنين الا والله ثالثهما بالعلم ويدل عليه قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما والطريق الثاني ان المتكلمين حكوا عن النصارى انهم يقولون جوهر واحد ثلاثة اقانيم اب وابن وروح القدس وهذه الثلاثة اله واحد كما ان الشمس اسم يتناول القرص والشعاع والحرارة وعنوا بالاب الذات وبالابن الكلمة وبالروح الحياة واثبتوا الذات والكلمة والحياة وقالوا ان الكلمة هي التي كلام الله اختلطت بجسد عيسى اختلاط الما باللبن وزعموا ان الاب اله والابن اله والروح اله والكل اله واحد واعلم ان هذا الكلام معلوم البطلان ببديهة العقل فان الثلاثة تكون واحدا والواحد لا يكون ثلاثة ولا يرى في الدنيا مقالة اشد فسادا ولا اظهر بطلانا من مقالة النصارى وعلى هذا فالذي اخبر الله عنهم في قوله لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة فهذا معنى مذهبهم وان لم يصرحوا بانه واحد من ثلاثة الهة فلذلك لازم لهم وانما يبتعدون من هذه العبارة لانهم اذا قالوا ان كل واحد من الاقانيم اله واحد فيه مناقضة لما قالوا اولا وهذا بيان قول النصارى ثم رد الله عليهم فقال تعالى وما من اله الا اله واحد يعني انه ليس في الوجود اله واحد موصوف بالوحدانية لا ثاني له ولا شريك له ولا والد له ولا ولد له ولا صاحبة له الا الله تعالى وان لم ينتهوا عما يقولون يعني وان لم ينته النصارى عن هذه المقالة الخبيثة ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم يعني ليصيبن الذين اقاموا على هذا القول الخبيث وهذا الذي ليس برضى عذاب اليم وجيع في الاخرة ولما قال تعالى منهم لعلمه السابق ان من النصارى من يؤمن ويخلص ويترك هذا القول ويعلم

انه فاسدهم ثم ندب سائر النصارى الى التوبة من هذه المقالة الخبيثة فقال تعالى افلا يتوبون الى الله يعني من قولهم بالتثليث ويستغفرونه وهذا استفهام بمعنى الامر اي توبوا اليه واستغفروه من هذا الذنب العظيم فانه تعالى يغفر الذنوب والله غفور يعني لمن استغفره وتاب اليه رحيم به وبسائر خلقه قوله عز وجل ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل يعني ان المسيح رسول من الله عز وجل ليس باله كالرسل الذين كانوا من قبله لم يكونوا الهة وانما اتى عيسى عليه السلام بالمعجزات الدالة على رسالته صدقهم وامه صديقة يعني انها كثيرة الصدق وقيل سميت مريم صديقة لانها صدقت بآيات ربها وكتبه وقوله تعالى كانا يأكلان الطعام فيه احتجاج على قول النصارى بالالهية المسيح يعني ان المسيح وامه مريم كانا بشرين يأكلان الطعام ويعيشان به كسائر بني ادم فكيف يكون الها من يحتاج الى الطعام ولا يعيش الا به وقيل معناه انه لو كان الها كما يزعمون لدفع عن نفسه الم الجوع وقيل هذا كناية عن الحدث وذلك ان كل من اكل وشرب لا بد له من الغائط والبول ومن كانت هذه صفته فكيف يكون الها وبالجملة فان فساد قول النصارى اظهر من ان يحتاج الى اقامة دليل عليه ثم قال تعالى انظر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي انظر يا محمد كيف نبين لهم الآيات يعني الدالة على بطلان قولهم ثم انظر انى يؤفكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم قل أتعبدون من دون الله اي قل يا محمد لهؤلاء النصارى اتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني لا يستطيع ان يضركم مثل ما يضر الله به من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا يقدر ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم الله به من صحة الابدان وسعة الارزاق فان الضار والنافع هو الله تعالى لا من تعبدون من دونه ومن لا يقدر على الضر والنفع لا يكون الها والله هو السميع العليم يعني انه تعالى سميع لاقوالكم وكفركم عليم بما في ضمائركم قوله عز وجل قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الغلو مجاوزة الحد وذلك ان الحق بين طرفي الافراط والتفريط ومجاوزة الحد والتقصير مذمومة في الدين غير الحق يعني لا تغلوا في دينكم غلوا باطلا غير الحق وذلك انهم خالفوا الحق في دينهم ثم غلوا في الامر عليه وكلا الفريقين من اليهود والنصارى غلوا في عيسى عليه السلام اما غلو اليهود فبالتقصير في حقه حتى نسبوه الى غير رشده واما غلو النصارى فبمجاوزة الحد في حقه حتى جعلوه الها وكلا الغلوين مذموم ولا تتبعوا اهوا قوم قد ضلوا من قبل الاهوا جمع هوى وهو ما تدعو اليه شهوة النفس قال الشعبي ما ذكر الله تعالى الهوى في القرآن الا وذمه وقال ابو عبيدة لم نجد الهوى يوضع الا موضع الشر لانه لا يقال فلان يهوى الخير انما يقال فلان يحب الخير ويريده والخطاب في قوله ولا تتبعوا اهوا قوم لليهود والنصارى الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهوا عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه من الضلالة باهوائهم وهو المراد بقوله اهوا قوم قد ضلوا من قبل اخبر الله تعالى انهم كانوا على ضلالة واضلوا كثيرا يعني من اتبعهم على ضلالتهم واهوائهم وضلوا عن سوا السبيل يعني واخطؤوا عن قصد طريق الحق قوله تعالى لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود قال اكثر المفسرين هم اصحاب السبت لما اعتدوا في السبت واصطادوا الحيتان فيه قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعل لهم خنازير فمسخوا خنازير وسيأتي قصتهم وقال بعض العلما ان اليهود كانوا يفتخرون بابائهم ويقولون نحن من اولاد الانبيا عليهم السلام [illegible] وقيل ان داود وعيسى بشرا بمحمد صلى الله عليه وسلم ولعنا من يكفر به ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون يعني ذلك اللعن بسبب اعتدائهم وعصيانهم ثم فسر الاعتداء والمعصية فقال تعالى كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ولا عن الاصرار عليه لبئس ما كانوا يفعلون اللام في لبئس لام القسم اي اقسم لبئس ما كانوا يفعلون يعني من ارتكاب المعاصي والعدوان عن عبد الله بن مسعود

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما دخل النقص على بني اسرائيل انه كان
الرجل يلقى الرجل فيقول يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ثم يلقاه من الغد وهو
على حاله فلا يمنعه ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم
ببعض ثم قال لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا
يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين
كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم الى قوله فاسقون ثم قال كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون
عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق اطرا ولتقصرنه على الحق قصرا زاد في
رواية او ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم يلعنكم كما لعنهم اخرجه ابو داود واخرجه الترمذي
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم
ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على
لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان متكئا فقال لا والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحق اطرا قال الترمذي هذا الحديث
حسن غريب **قوله** اكيله وشريبه وهو المواكل والمشارب والقعيد فعيل بمعنى فاعل
وقوله لتأطرنه اطرا الاطر العطف يعني لتعطفنه ولتردنه الى الحق الذي خالفه والقصر
الحبس على الحق قوله عز وجل ترى كثيرا منهم يعني من اليهود مثل كعب بن الاشرف واصحابه
يتولون الذين كفروا يعني يوالون المشركين من اهل مكة وذلك حين خرجوا اليهم ليجيشوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس معناه ترى كثيرا من المنافقين يتولون
اليهود لبئس ما قدمت لهم انفسهم اي بئس ما قدموا من العمل لمعادهم في الآخرة ان سخط
الله عليهم يعني بما فعلوا من موالاة الكفار وفي العذاب هم خالدون يعني في الآخرة ولو كانوا
يؤمنون بالله والنبي يعني ولو كان هؤلاء الذين يتولون الكفار يؤمنون بالله ويصدقون
محمدا صلى الله عليه وسلم وانه نبي مبعوث الى كافة الخلق وما انزل اليه يعني يؤمنون بما جاء به من
القرآن الذي انزل اليه من ربه ما اتخذوهم اولياء يعني ما اتخذوا الكفار انصارا واعوانا من
دون المؤمنين ولكن كثيرا منهم فاسقون يعني ولكن اكثرهم خارجون عن طاعة الله وامره وانما قال
كثيرا لانه علم ان منهم من سيؤمن مثل عبد الله بن سلام واصحابه قوله تعالى لتجدن اشد الناس
عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا اللام في قوله لتجدن لام القسم تقديره والله يا محمد
لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا بك وصدقوك اليهود والذين اشركوا وصفوا بشدة عداوة
اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق وجعلهم قرناء المشركين عبدة الاصنام في العداوة للمؤمنين
وذلك حسدا منهم للمؤمنين ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى
ووصف لين عريكة النصارى وسهولة قبولهم الحق فمذهب اليهود انه يجب عليهم ايصال
الشر والاذى الى من خالفهم في الدين باي طريق كان مثل القتل ونهب المال او بانواع المكر والكيد
والحيل ومذهب النصارى خلافه واليهود مخصوصون بالحرص الشديد وطلب المال ومن كان كذلك
كان شديد العداوة لغيره واما النصارى فان فيهم من هو معرض عن الدنيا ولذاتها وترك طلب
الرياسة ومن كان كذلك فانه لا يحسد احدا ولا يعاديه بل يكون لين العريكة في طلب الحق
فلهذا قال تعالى ذلك بان منهم يعني من النصارى قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون
ولم يرد به كل النصارى فان معظم النصارى في عداوة المسلمين كاليهود بل الآية نزلت
فيمن آمن منهم مثل النجاشي واصحابه والقس والقسيس اسم رئيس النصارى والجمع قسيسون
وقال قطرب القس والقسيس العالم بلغة الروم وهذا مما وقع الوفاق فيه بين اللغتين

(هامش: ايصال)

يعني الحبشية والرومية واما الرهبان فهو جمع راهب وقيل الرهبان واحد وجمعه رهابين وهم سكان
الصوامع فان قلت كيف مدحهم الله بذلك مع قوله ورهبانية ابتدعوها قلت انما مدحهم الله في مقابلة
ذم اليهود ووصفهم بشدة العداوة للمؤمنين ولا يلزم من هذا القدر ان يكون مدحا على الاطلاق وقيل
انما مدح من آمن منهم بمحمد صلى الله عليه وسلم بوصفهم بالتمسك بدين عيسى الى ان بعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم فآمنوا به واتبعوه **فان قلت** كفر النصارى اشد واغلظ من كفر اليهود
لان النصارى ينازعون في الالهيات فيدعون ان لله ولدا واليهود انما ينازعون في النبوات فينكرون
بعضهم وينكرون بعضهم فلم ذم اليهود ومدح النصارى قلت انما هو مدح في مقابلة ذم وليس هو
مدح على الاطلاق وقد تقدم الفرق بين شدة عداوة اليهود ولين النصارى فلذلك ذم اليهود
ومدح النصارى الذين آمنوا منهم واختلف العلماء فيمن نزلت هذه الآية فقيل نزلت في النجاشي ملك الحبشة
واسمه اصحمة واصحابه الذين اسلموا معه **ذكر** قصة الهجرة الاولى وسبب نزول هذه الآية
قال ابن عباس وغيره من المفسرين في قوله ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى قالوا
ان قريشا ائتمرت ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت كل قبيلة على من آمن منهم فآذوهم وعذبوهم فافتتن
من افتتن منهم وعصم الله من شاء منهم ومنع الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بعمه ابي طالب فلما رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل باصحابه ولم يقدر ان يمنعهم من المشركين ولم يؤمر بعد بالجهاد
امر اصحابه بالخروج الى ارض الحبشة وقال ان بها ملكا صالحا لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا
اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجا فخرج اليها احد عشر رجلا واربع نسوة سرا وهم عثمان بن عفان
وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الله
ابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف وابو حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب
ابن عمير وابو سلمة بن عبد الاسد وزوجته ام سلمة بنت امية وعثمان بن مظعون وعامر
ابن ربيعة وامرأته ليلى بنت ابي حثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء فخرجوا الى البحر واخذوا
سفينة بنصف دينار الى ارض الحبشة وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث النبي صلى الله
عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج بعدهم جعفر بن ابي طالب وتتابع المسلمون فكان جميع من
هاجر الى ارض الحبشة من المسلمين اثنان وثمانون رجلا سوى النساء والصبيان فلما علمت
قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه بهدايا الى النجاشي وبطارقته ليردهم اليهم فدخل
عمرو بن العاص وقال له ايها الملك انه قد خرج فينا رجل سفه عقول احلامنا وزعم انه نبي
وانه قد بعث اليك برهط من اصحابه ليفسدوا عليك قومك فاحببنا ان نأتيك ونخبرك
خبرهم وان قومك يسألونك ان تردهم اليهم فقال حتى نسألهم فامر بهم فاحضروا فلما دخلوا عليه
سلموا فقال الرهط من المشركين ايها الملك الا ترى انا صدقناك انهم لم يحيوك بتحيتك التي تحيا بها
فقال لهم الملك ما منعكم ان تحيوني بتحيتي قالوا انا حييناك بتحية اهل الجنة وتحية الملائكة فقال
لهم النجاشي ما يقول صاحبكم في عيسى وامه فقال جعفر بن ابي طالب يقول هو عبد الله ورسوله
وكلمة الله وروح منه القاها الى مريم العذراء ويقول في مريم انها العذراء البتول قال فاخذ
النجاشي عودا من الارض وقال والله ما زاد صاحبكم على ما قال عيسى قدر هذا العود فكره المشركون
قوله وتغيرت وجوههم فقال هل تعرفون شيئا مما انزل على صاحبكم قالوا نعم قال اقرؤوا فقرأ جعفر
سورة مريم وهناك قسيسون ورهبان وسائر النصارى فعرفوا ما قرأ فانحدرت دموعهم
مما عرفوا من الحق فانزل الله فيهم ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون الى آخر
الآيتين فقال النجاشي لجعفر واصحابه اذهبوا فانتم سيوم بارضي يعني آمنون فرجع عمرو وصاحبه
خائبين واقام المسلمون عند النجاشي بخير دار وخير جوار الى ان هاجر رسول الله صلى الله عليه

وسلم في المدينة وعلى امره وقهر اعداه وذلك في ست من الهجرة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم على
يد عمرو بن امية الضمري ان يزوجه ام حبيبة بنت ابي سفيان وكانت قد هاجرت مع زوجها ومات عنها فارسل
النجاشي جارية يقال لها ابرهة واذنت لخالد بن سعيد في نكاحها فانكحها رسول الله صلى الله
عليه وسلم على صداق مبلغه اربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله صلى الله عليه وسلم النجاشي
فارسل اليها بجميع الصداق على يد جاريتها ابرهة فلما جاءتها بالدنانير وهبتها منها خمسين دينارا
فلم تاخذها وقالت ان الملك امرني لا اخذ منك شيا وقالت انا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد
صدقت بمحمد صلى الله عليه وسلم وامنت به وحاجتي اليك ان تقريه مني السلام قالت نعم وقد
امر الملك نساه ان يبعثن اليك وحاجتي اليك عني بما عندهن من دهن وعود وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يراه عندها فلا ينكره قالت ام حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله صلى الله
عليه وسلم يحاصر خيبر فخرج من خرج اليه ممن قدم من الحبشة واقمت بالمدينة حتى قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فدخلت عليه فكان يسالني عن النجاشي فقرات عليه السلام من ابرهة جارية
الملك فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها السلام وانزل الله عز وجل عسى الله ان يجعل بينكم
وبين الذين عاديتم منهم مودة يعني ابا سفيان وذلك بتزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة
ولما بلغ ابا سفيان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ام حبيبة فقال ذلك الفحل لا يجدع
انفه وبعث النجاشي بعد خروج جعفر واصحابه الى النبي صلى الله عليه وسلم ابنه ارها في ستين من
اصحابه وكتب اليه يا رسول الله اني اشهد انك رسول الله صلى الله عليه وسلم صادقا مصدقا
وقد بايعتك وبايعت ابن عمك جعفر واسلمت لله رب العالمين وقد بعثت اليك ابني
ارها وان شيت ان اتيك بنفسي فعلت والسلام عليك يا رسول الله فركبوا في سفينة في اثر
جعفر حتى اذا كانوا في وسط البحر غرقوا ووافى جعفر واصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
بخيبر ووافى مع جعفر سبعون رجلا عليهم ثياب الصوف منهم اثنان وستون رجلا وثمانية
من الشام فقرا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة يس الى اخرها فبكى القوم حين سمعوا
القران وامنوا وقالوا ما اشبه هذا بما كان ينزل على موسى عليه السلام فانزل الله هذه الاية
ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر
وهم السبعون وكانوا من اصحاب الصوامع وقيل نزلت في ثمانين رجلا اربعين
من نصارى نجران من بني الحرث بن كعب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية روميون قال قتادة
نزلت في ناس من اهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه السلام فلما بعث محمد صلى
الله عليه وسلم امنوا به وصدقوه فاثنى الله عليهم بقوله ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين
قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون يعني لا يتعظمون عن
الايمان والاذعان للحق قوله عز وجل واذا سمعوا ما انزل الى الرسول يعني واذا سمعوا القران
الذي انزل الى الرسول يريد محمدا صلى الله عليه وسلم ترى اعينهم تفيض من الدمع يقال فاض الاناء
اذا امتلا حتى يخرج منه ما فيه وصفهم الله بسيل الدمع عند البكا ورقة القلب عند سماع القران قال
ابن عباس يريد النجاشي واصحابه لما قرا عليهم جعفر بن ابي طالب سورة مريم قال فما زالوا يبكون حتى
فرغ جعفر من القراة مما عرفوا من الحق يعني الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق يقولون
يعني القسيسين والرهبان الذين سمعوا القران من جعفر عند النجاشي ربنا امنا يعني بالقران
وشهدنا انه حق وصدق فاكتبنا مع الشاهدين يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين يشهدون
بالحق وما لنا لا نومن بالله وما جانا من الحق قال ابن عباس لما رجع الوفد من عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى قومهم فلاموهم على ترك دينهم فاجابهم بهذا الجواب ومعنى الاية وما لنا لا نومن

بوحدانية

بوحدانية الله تعالى وما جانا من الحق من عنده على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ونطمع يعني ونرجو
بذلك الايمان ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين يعني مع امة محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
فاثابهم الله بما قالوا يعني بالتوحيد الذي قالوه وانما علق الثواب وهو قوله تعالى جنات
تجري من تحتها الانهار بمجرد القول المؤذن بحقيقة الاخلاص واستكانة القلب لان القول اذا
ما اقترن بالمعرفة فهو الايمان الحقيقي الموعود عليه بالثواب وقال ابن عباس بما قالوا يريد بما سالوا
يعني قولهم فاكتبنا مع الشاهدين خالدين فيها يعني في الجنات وذلك جزاء المحسنين يعني
المومنين الموحدين المخلصين في ايمانهم والذين كفروا وكذبوا باياتنا لما ذكر الله عز وجل الوعد
لمومني اهل الكتاب وما اعد لهم في الجنات ذكر الوعيد لمن اقام منهم على كفره وتكذيبه واطلق القول
بذلك ليكون هذا الوعيد لمن جرا مجراهم في الكفر والتكذيب فقال والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب الجحيم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قال علما التفسير ان النبي صلى الله
عليه وسلم ذكر الناس يوما ووصف القيامة فرق الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة في بيت عثمان
ابن مظعون الجمحي وهم ابو بكر وعمر وعلي بن ابي طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وابو ذر الغفاري
وسالم مولى ابي حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسي ومعقل بن مقرن وتشاوروا واتفقوا على
انهم يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا مذاكيرهم ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفرش
ولا ياكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النسا ولا الطيب ولا يسيحوا في الارض فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه
فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامراته احق ما بلغني عن زوجك
واصحابه فكرهت ان تكذب وكرهت ان تبدي سر زوجها فقالت يا رسول الله ان كان قد اخبرك عثمان
فقد صدق فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جا عثمان اخبرته بذلك فاتى هو واصحابه العشرة
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الم انبا انكم اتفقتم على كذا وكذا
فقالوا بلى يا رسول الله وما اردنا الا الخير فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لم اومر بذلك
ثم قال صلى الله عليه وسلم ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام
واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النسا فمن رغب عن سنتي فليس مني ثم جمع الناس وخطبهم فقال
ما بال اقوام حرموا النسا والطعام والطيب وشهوات الدنيا اما اني لست امركم ان تكونوا قسيسين
ورهبانا فانه ليس في ديني ترك اللحم والنسا ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتي ورهبانيتهم الجهاد
واعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وحجوا واعتمروا واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وصوموا رمضان
واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فاولئك
بقاياهم في الديارات والصوامع فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تحرموا ما احل الله لكم
يعني الطيبات اللذيذات التي تشتهيها الانفس وتميل اليها القلوب من المطاعم الطيبة والمشارب
اللذيذة فاعلم الله عز وجل بهذه الاية ان شريعة نبيه صلى الله عليه وسلم غير ما عزموا عليه من
ترك الطيبات وانه لا ينبغي ان يجتنب الطيبات المباحات فان من اعتقد تحريم شي احله الله فقد
كفر فاما ترك لذة الدنيا وشهواتها والانقطاع الى الله والتفرغ لعبادته من غير اضرار بالنفس ولا تفويت
حق الغير ففضيلة لا منع منها بل مامور بها وقوله تعالى ولا تعتدوا يعني ولا تجاوزوا
الحلال الى الحرام وقيل معناه ولا تجبوا انفسكم فسمى جب المذاكير اعتدا وقيل معناه ولا تعتدوا
بالاسراف في الطيبات ان الله لا يحب المعتدين يعني المجاوزين الحلال الى الحرام وقوله تعالى وكلوا
مما رزقكم الله يعني وكلوا ايها المومنون من رزق الله الذي رزقكم واحله لكم من المطاعم والمشارب
قال عبد الله بن المبارك الحلال ما اخذته من وجهه والطيب ما غذا ونما فاما الجامد كالطين
والتراب وما لا يغذي فمكروه الا على وجه التداوي عن ابن عباس ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه

وعلم بالجحر فنفع اليه الذراع وكان يحبه فنهش منها قالت عائشة وكان الذراع احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن كان لا يجد اللحم الا غبا وكان لا يعجل اليه الذراع لانه اعجلها نضجا اخرجه الترمذي وقوله تعالى واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون هذا تأكيد للوصية بما امر الله وزاد التوكيد بقوله الذي انتم به مؤمنون لان الايمان به يوجب التقوى في الانتهاء الى ما امر به وعن ما نهى عنه وفي الاية دليل على ان الله عز وجل قد تكفل برزق كل احد من عباده فان لم يرزقه لم يكن كما قال وكلوا مما رزقكم الله واذا تكفل برزق العبد وجب ان لا يبالغ في الطلب والحرص على الدنيا وان يعول على وعد الله وتكفله فانه تعالى اكرم من ان يخلف الوعد والله اعلم قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم قال ابن عباس لما نزلت يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا يا رسول الله كيف نصنع بايماننا التي حلفنا عليها وكانوا قد حلفوا على ما اتفقوا عليه فانزل الله هذه الاية لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم وقد تقدم تفسير اللغو في الايمان في سورة البقرة وقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان يعني ولكن يؤاخذكم بما تعمدتم وقصدتم به اليمين ومنه قول الفرزدق وقلت

ولست بماخوذ بلغو تقوله • اذا لم تعمد عاقدات العزائم •

وفي الاية حذف تقديره ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف هذه اللفظة معلوم عند السامع فكفارته يعني فكفارة ايمانكم التي عقدتموها اذا حنثتم اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم يعني من اقصد ذلك لان من الناس من يسرف في طعام اهله ومنهم من يقتر عليهم فامر الله بالعدل في اداء الكفارة وقيل اراد بالاوسط في القيمة ان لا يكون غاليا من اعلا الموجود ولا من خسيس القيمة من ارديء الموجود بل الوسط في القيمة وقيل اراد بالوسط الافضل قال ابن عباس كل شيء في كتاب الله اوسط فهو افضل فعلى هذا يكون المعنى من خير ما تطعمون اهليكم وافضله او كسوتهم هو معطوف على محل اوسط اي تطعمون المساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم فكذلك فاكسوهم من اوسط الكسوة او تحرير رقبة يعني عتق رقبة والمراد جملة الشخص

فصل في حكم الاية وفيه مسائل •

المسئلة الاولى في بيان الكفارة ونوعها وهي اربعة انواع النوع الاول من الكفارات الاطعام فيجب اطعام عشرة مساكين واختلفوا في قدر ما يطعم لكل مسكين فذهب قوم الى انه يطعم لكل مسكين مدا من الطعام بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث بالبغدادي من غالب قوت البلد وكذلك سائر الكفارات وهذا قول ابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وسليمان بن يسار وعطا والحسن واليه ذهب الشافعي ومالك ويروى عن عمر وعلي وعائشة انه يطعم لكل مسكين مدان من بر وهو نصف صاع وبه قال اهل العراق وقال ابو حنيفة ان اطعم من الحنطة فنصف صاع وان اطعم من غيرها فصاع وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير ومجاهد وقال احمد بن حنبل يطعم لكل مسكين مدا من البر ونصف صاع من غيرها مثل التمر والشعير ومن شرط الاطعام تمليك الطعام للمساكين فلو عشاهم او غداهم لم يجزه وقال ابو حنيفة يجزيه ذلك ولا اخراج الدقيق والخبز في الكفارة بل اخراج الحب وجوزه ابو حنيفة ولا يجوز صرف الكل الى مسكين واحد في عشرة ايام النوع الثاني من الكفارة الكسوة واختلف العلماء في قدرها فذهب الى انه يكسو كل مسكين ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة ازار او رداء او قميص او عمامة او سراويل او كساء ونحو ذلك وهذا قول ابن عباس والحسن ومجاهد وعطا وطاوس واليه ذهب الشافعي وقال مالك يجب ان يكسو كل مسكين ما تجوز به الصلاة فيكسو الرجل ثوبا والمراة ثوبين درعا وخمارا وقال احمد للرجل

ثوبا

ثوبا وللمراة ثوبين درعا وخمارا وهو ادنى ما تجزئ فيه الصلاة وقال ابن عمر يجب قميص ورداء وقال ابو موسى الاشعري يجب قميصان ثوبان وهو قول سعيد بن المسيب وابن سيرين وقال ابراهيم النخعي يجب ثوب جامع كالملحفة النوع الثالث من الكفارات العتق فيجب اعتاق رقبة مؤمنة وكذلك يجب في جميع الكفارات مثل كفارة الظهار والجماع والقتل فان الله قيد الرقبة فيه بالايمان في كفارة القتل ومذهب الشافعي ان المطلق يحمل على المقيد ولا يجوز اعتاق المرتد في الكفارة بالاجماع ويشترط ان تكون الرقبة سليمة الرق حتى لو اعتق في الكفارة مكاتبا او ام ولد او عبدا اشتراه بشرط العتق او اشترى قريبه الذي يعتق عليه فكل هؤلاء لا يجزي في اعتاق الكفارة وجوز اصحاب الراي عتق المكاتب في الكفارة اذا لم يود من نجوم الكتابة شيئا وجوزوا عتق القريب في الكفارة ويشترط ان تكون الرقبة سليمة من كل عيب يضر بالعمل فلا يجزي مقطوع اليد او الرجل ولا الاعمى ولا الزمن والمجنون المطبق ويجوز عتق الاعور والاصم ومقطوع الاذنين والانف لان هذه العيوب كلها لا تضر بالعمل وعند ابي حنيفة كل عيب يفوت جنسا من المنفعة يمنع الجواز النوع الرابع من الكفارات الصوم وهو قوله تعالى فمن لم يجد يعني الكفارة فصيام ثلاثة ايام يعني فاذا عجز لزمه كفارة اليمين عن الاطعام والكسوة او العتق وجب صيام ثلاثة ايام قال الشافعي اذا كان عنده قوته وقوت عياله يومه وليلته وفضل ما يطعم عشرة مساكين لزمته الكفارة بالاطعام فان لم يكن عنده هذا القدر جاز له الصيام وقال ابو حنيفة يجوز له الصيام اذا لم يكن عنده من المال ما تجب فيه الزكاة فجعل من لا زكاة عليه عادما وقال ابو الحسن اذا لم يجد درهمين صام وقال سعيد بن جبير ثلاثة دراهم واختلفوا في وجوب التتابع في الصيام عن كفارة اليمين على قولين احدهما انه يجب التتابع فيحمل على قولين احدهما انه يجب التتابع فيه قياسا على كفارة الظهار والقتل وهو قول ابن عباس ومجاهد وعطا وطاوس وقتادة واليه ذهب ابو حنيفة واحمد واحد قولي الشافعي والقول الثاني لا يجب التتابع في كفارة اليمين فان شاء تابع وان شاء فرق والتتابع افضل وبه قال الحسن ومالك وهذا القول الثاني للشافعي **المسئلة الثانية** كلمة او للتخيير بين الاطعام والكسوة والعتق فان شاء اطعم وان شاء كسى وان شاء اعتق فبايها اخذ المكفر فقد اصاب وخرج عن العهدة المسئلة الثالثة لا يجوز صرف شيء من الكفارات الا الى مسلم حر محتاج فلو صرف الى ذمي او عبد او غني لا يجزيه وجوز ابو حنيفة صرفها الى اهل الذمة واتفقوا على ان صرف الزكاة الى اهل الذمة لا يجوز المسئلة الرابعة اختلفوا في تقديم الكفارة فذهب قوم الى جوازه لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير اخرجه الترمذي ق عن عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اتيتها عن مسئلة وكلت اليها وان اتيتها من غير مسئلة اعنت عليها واذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيرا منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك وهذا قول عمر وابن عباس وعامة الفقهاء وبه قال الحسن وابن سيرين وبه ذهب مالك والاوزاعي والشافعي الا ان الشافعي قال ان كفر قبل الحنث بالصوم فانه لا يجوز لانه بدني انما يجوز بالطعام او الكسوة او العتق وقال ابو حنيفة لا يجوز تقديم الكفارة على الحنث **وقوله** ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره من الاطعام او الكسوة او العتق او الصوم عند العجز عن الكفارة كفارة ايمانكم اذا حلفتم يعني وحنثتم لان الكفارة لا تجب بمجرد اليمين وفيه اشارة الى ان تقديم الكفارة على اليمين لا يجوز وتجوز بعد اليمين وقبل الحنث كما تقدم واحفظوا ايمانكم يعني قللوا ايمانكم ففيه النهي عن كثرة الحلف ومنه قول الشاعر •

قليل الالايا حافظ ليمينه • وصفه بانه لا يحلف وقيل في معنى الاية واحفظوا ايمانكم عن الحنث اذا حلفتم لئلا تحتاجوا الى التكفير وهذا اذا لم يحلف على ترك مندوب او فعل مكروه فان حلف على ذلك

فالافضل بل الاولى ان يحنث نفسه ويكفر لما روي عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني والله ان شاء الله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا كفرت عن يميني واتيت الذي هو خير اخرجاه في الصحيحين قوله تعالى **كذلك يبين الله لكم اياته** يعني كما بين لكم كفارة ايمانكم اي اذا حنثتم كذلك يبين الله لكم جميع ما تحتاجون اليه في امر دينكم **لعلكم تشكرون** يعني نعمة الله التي انعم بها عليكم ان بين الله لكم اياته ومعالم دينه قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس** لما انزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم وقوله تعالى وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا وكانت الخمر والميسر مما يستطاب عندهم بين الله في هذه الاية ان الخمر والميسر غير داخلين في جملة الطيبات المحللات بل هما من جملة المحرمات والخمر كل ما خامر العقل فغطاه والميسر القمار وقد تقدم تفسيرهما في سورة البقرة والانصاب هي الحجارة التي كانوا ينصبونها للعبادة ويذبحون عندها والازلام هي القداح التي كانوا يستقسمون بها وتقدم تفسير ذلك رجس خبيث مستقذر **من عمل الشيطان** يعني من تزيينه واغوائه ودعائه اياكم اليها والمراد انها من عمل يديه **فاجتنبوه** يعني كونوا جانبا منه والضمير في قوله فاجتنبوه عائد الى الرجس لانه اسم جامع للكل كانه قال ان هذه الاربعة اشياء كلها رجس فاجتنبوه **لعلكم تفلحون** يعني لكي تدركوا الفلاح اذا اجتنبتم هذه المحرمات التي هي رجس **قوله** تعالى **انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر** اختلفوا في سبب نزول هذه الاية فروي ابو ميسرة ان عمر بن الخطاب قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الاية التي في سورة البقرة يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير الاية فدعي عمر فقرئت عليه فقال اللهم بين لنا في الخمر والميسر بيانا شافيا فنزلت التي في سورة النساء يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى فدعي عمر فقرئت عليه ثم قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت الاية التي في سورة المائدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فدعي عمر فقرئت عليه فقال انتهينا انتهينا اخرجه الترمذي من طريقين وقال في رواية لابي ميسرة هذا اصح واخرجه ابو داود والنسائي وروى مصعب بن سعد عن ابيه قال صنع رجل من الانصار طعاما فدعانا وشربنا وذلك قبل ان تحرم حتى انتشينا فتفاخرت الانصار وقريش وقالت الانصار نحن افضل منكم فقال سعد بن ابي وقاص المهاجرون خير منكم فاخذ رجل من الانصار لحي جمل فضرب به انف سعد ففزره فاتى سعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فنزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر الى قوله فهل انتم منتهون وقال ابن عباس نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الانصار شربوا حتى ثملوا عبث بعضهم ببعض فلما صحوا جعل الرجل يرى الاثر بوجهه ولحيته فيقول فعل بي هذا اخي فلان وكانوا اخوة ليس في قلوبهم ضغائن فانزل الله تعالى تحريم الخمر في هذه الاية يا ايها الذين امنوا انما الخمر الى قوله فهل انتم منتهون واما تفسير الاية فقوله تعالى انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء يعني انما يزين لكم الشيطان شرب الخمر بالقداح والقمار وهو الميسر ويحسن ذلك لكم ارادة ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء بسبب شرب الخمر لانها تزيل عقل شاربها فيتكلم بالفحش وربما افضى ذلك الى المقاتلة وذلك سبب ايقاع العداوة والبغضاء بين شاربيها واما الميسر فقال قتادة كان الرجل في الجاهلية يقامر على اهله وماله فيقمر فيقعد حزينا سليبا ينظر الى ماله في يد غيره فيورث ذلك العداوة والبغضاء فنهى الله عن ذلك وتقدم ما فيه والله اعلم بما يصلح خلقه فظهر بذلك ان الخمر والميسر سببان عظيمان في ايقاع العداوة والبغضاء بين الناس وهذا فيما يتعلق

بامر الدنيا وفيهما مفاسد تتعلق بامر الدين وهي قوله تعالى **ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة** لان شرب الخمر يشغل عن ذكر الله وعن فضل الصلاة وكذلك القمار يشغل صاحبه عن ذكر الله وعن الصلاة فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام في الاية الاولى ثم افرد الخمر والميسر في هذه الاية قلت لان الخطاب مع المؤمنين بدليل قوله تعالى يا ايها الذين امنوا والمقصود نهيهم عن شرب الخمر واللعب بالقمار وانما ضم الانصاب والازلام الى الخمر والميسر لا جرم افردهما بالذكر في اخر الاية والله اعلم وقوله تعالى **فهل انتم منتهون** لفظه استفهام ومعناه الامر اي انتهوا ومعناه من ابلغ ما ينهى به لانه تعالى ذم الخمر والميسر واظهر قبحهما للمخاطب كانه قيل قد تلي عليكم فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم منتهون مع هذه الامور ام انتم على ما انتم عليه كانكم لم توعظوا ولم تزجروا وفي هذه الاية تحريم شرب الخمر لان الله تعالى قرن الخمر والميسر بعبادة الاصنام وقال فهل انتم منتهون ومعناه الامر وقد صح من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل شراب اسكر فهو حرام اخرجاه في الصحيحين وزاد الترمذي وابو داود ما اسكر الفرق منه فملء الكف منه حرام الفرق بالتحريك اناء يسع ستة عشر رطلا عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر لم تقبل له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم يقبل الله له صلاة اربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد الرابعة لم يقبل الله له اربعين صباحا فان تاب لم يتب الله عليه وسقاه الله من نهر الخبال **قال** يا ابا عبد الرحمن وما نهر الخبال قال صديد اهل النار اخرجه الترمذي وقال حديث حسن واخرجه النسائي وعنه قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة اليه اخرجه ابو داود **واطيعوا الله واطيعوا الرسول** يعني فيما امركم به او نهاكم عنه **واحذروا** اي احذروا مخالفة الله ومخالفة رسوله صلى الله عليه وسلم فيما امركم به او نهاكم عنه **فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين** وهذا وعيد وتهديد لمن اعرض عن امر الله ونهيه كانه قال فاعلموا انكم بسبب توليكم واعراضكم قد استحققتم العذاب والسخط قوله تعالى **ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا** الاية عن البراء بن عازب قال مات ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهم يشربونها فلما نزل تحريمها قال ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف باصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها قال فنزلت ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعنى الاية ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اي لا حرج ولا اثم عليهم فيما شربوا من الخمر واكلوا من مال القمار في وقت الاباحة قبل التحريم وقال ابن قتيبة لم اطعم خبزا ولا ماء ولا نوما **قال الشاعر**

فان شئت حرمت النساء سواكم ◦ وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

النقاخ الماء والبرد النوم **اذا ما اتقوا** يعني اذا ما اتقوا الشرك وقيل اتقوا ما حرم الله عليهم **وامنوا** يعني بالله ورسوله **وعملوا الصالحات** اي وازدادوا من عمل الصالحات **ثم اتقوا وامنوا** يعني اتقوا الخمر والميسر بعد التحريم فعلى هذا تكون الاولى اخبارا عن حال من مات وهو يشربها قبل التحريم انه لا جناح عليه والثانية خطاب لمن بقي بعد التحريم امروا باتقائها والايمان بتحريمها **ثم اتقوا** يعني ما حرم عليهم في المستقبل **واحسنوا** يعني العمل وقيل المراد بالاتقاء الاول فعل التقوى وبالثاني المداومة عليها وبالثالث اتقاء الظلم مع ضم الاحسان اليه ثم قال تعالى **والله يحب المحسنين** يعني ان الله تعالى يحب المتقربين اليه بالايمان والاعمال الصالحة والتقوى والاحسان وهذا ثناء ومدح لهم على الايمان والتقوى والاحسان لان هذه المقامات من اشرف الدرجات واعلاها عن عبد الله بن مسعود قال لما نزلت هذه الاية ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي انت منهم ومعناه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل

له ان ابن مسعود منهم يعني من الذين امنوا وعملوا الصالحات والتقوى والاحسان قال نعم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد نزلت هذه الاية عام الحديبية وكانوا محرمين فابتلاهم الله تعالى فكانت الوحوش تغشى رحالهم من كثرتها فهموا باخذها وصيدها فانزل الله هذه الاية يا ايها الذين امنوا ليبلونكم اللام فيه لام القسم اي ليختبرن طاعتكم عن معصيتكم والمعنى يعاملكم معاملة المختبر بشيء من الصيد يعني بصيد البر دون البحر واراد الصيد في حالة الاحرام دون الاحلال ليس بفتنة من الفتن العظام حتى تزل عنها اقدام الثابتين ويكون التكليف فيها صعبا شاقا كالابتلاء ببذل الاموال والارواح وانما هو ابتلاء سهل كما ابتلي اصحاب السبت بصيد السمك فيه لكن الله عز وجل بفضله وكرمه عصم امة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يبسطوا ايديهم في حالة الابتلاء فلم يعصم اصحاب السبت فمسخوا قردة وخنازير وقوله تعالى تناله ايديكم يعني الفرخ والبيض وما لا يقدر ان يفر من صغار الصيد ورماحكم يعني كبار الصيد مثل حمر الوحش ونحوها قال ابن عباس في قوله تناله ايديكم ورماحكم هو الضعيف من الصيد وصغيره يبتلي الله به عباده في احرامهم حتى لو شاؤوا تناولوه بايديهم فنهاهم الله ان يقربوه ليعلم الله اي ليرى الله فانه قد علمه وهو مجاز لانه تعالى عالم لم يزل والمعنى يعاملكم معاملة المختبر وقيل معناه ليظهر المعلوم وهو خوف الخائف وقيل هو من باب حذف المضاف والتقدير ليعلم اولياء الله من يخافه بالغيب يعني من يخاف الله ولم يره فلا يصطاد في حالة الاحرام شيئا فمن اعتدى بعد ذلك يعني فصاد في حالة الاحرام بعد النهي فله عذاب اليم يعني في الدنيا قال ابن عباس هو ان يوسع ظهره وبطنه جلدا او تسلب ثيابه وهو قول اكثر المفسرين في معنى الاية لانه قد يسمى الجلد عذابا وهو قوله وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين

قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم جمع حرام اي لا تقتلوا الصيد وانتم محرمون بالحج او العمرة وقيل المراد منه دخول الحرم يقال احرم اذا عقد الاحرام واحرم اذا دخل الحرم وقيل هما مرادان بالاية فلا يجوز قتل الصيد للمحرم ولا في الحرم نزلت هذه الاية في ابي اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو محرم ثم صار هذا الحكم عاما فلا يجوز قتل الصيد ولا التعرض له ما دام محرما ولا في الحرم والمراد بالصيد كل حيوان متوحش ماكول اللحم وهو قول الشافعي وقال ابو حنيفة كل حيوان متوحش سواء كان ماكولا او لم يكن فيجب عنده الضمان على قاتل سبع او نمر ونحو ذلك واستثنى الشارع خمس فواسق فانه يجوز قتلهن (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح الغراب والحداة والعقرب والفارة والكلب العقور وفي رواية خمس لا جناح على من قتلهن في الحرم والاحرام (ق) عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب كلهن فواسق يقتلن في الحرم الغراب والحداة والعقرب والفارة والكلب العقور ولمسلم خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم وذكر نحوه وفي رواية للنسائي قال خمس يقتلهن المحرم الحية والعقرب والفارة والغراب الابقع والكلب العقور قال ابن عيينة الكلب العقور كل سبع ضار يعقر وقاس الشافعي عليها جميع ما لا يؤكل لحمه قال لان الحديث يشتمل على اعيان بعضها سباع ضارية وبعضها هوام قاتلة وطير لا يدخل في معنى السباع ولا هي من معنى الهوام وانما هو حيوان مستخبث اللحم وتحريم الاكل يجمع الكل فاعتبره ورتب عليه الحكم وذهب اصحاب الراي الى وجوب الجزاء في كل ما لا يؤكل لحمه الا الاعيان المذكورة في الحديث وقاسوا عليها الذئب فلم يوجبوا فيه كفارة وقوله تعالى ومن قتله منكم متعمدا قال مجاهد والحسن وابن زيد هو الذي يتعمد قتل الصيد مع نسيانه الاحرام فعليه الجزاء اما اذا تعمد قتل الصيد ذاكرا لاحرامه فلا جزاء عليه لانه اعظم من ان يكون له كفارة وقال ابن عباس والجمهور يحكم عليه بالجزاء وان تعمد القتل مع ذكر الاحرام وهذا مذهب عامة الفقهاء اما اذا قتل الصيد خطأ بان قصد غيره بالرمي فاصابه فهو كالعمد في وجوب الجزاء وهذا مذهب جمهور المفسرين والفقهاء

قال

قال الزهري نزل القران بالعمد وجرت السنة في الخطأ يعني الحقت المخطئ بالمتعمد في وجوب الجزاء وقال سعيد بن جبير لا ارى في الخطأ شيئا وهذا قول شاذ لا يوجد به فجزاء مثل ما قتل من النعم يعني فجزاء عليه جزاء من النعم مثل ما قتل والمثل والمشبه واحد واختلفوا في هذه المماثلة اي بالخلقة ام بالقيمة والذي عليه جمهور العلماء من الصحابة فمن بعدهم ان المماثلة في الخلقة معتبرة لان ظاهر الاية يدل على ذلك وما لا مثل له فالقيمة وقال ابو حنيفة المثل الواجب في قتل الصيد هو القيمة لان الصيد المقتول اذا لم يكن له مثل فانه يضمن بالقيمة وهذا لا نزاع فيه فكان المراد بالمثل هو القيمة في هذه الصورة فوجب ان يكون في سائر الصور كذلك لان اللفظ الواحد لا يجوز حمله الا على معنى واحد واجيب عنه بان حقيقة المماثلة امر معلوم فيجب رعايتها باقصى الامكان وان لم يكن رعايتها الا بالقيمة وجب الاكتفاء به للضرورة وحجة الشافعي ومن وافقه في اعتبار المماثلة بالخلقة ان الصحابة حكموا في بلدان شتى وازمان مختلفة بالاحكام بالمثل من النعم فحكموا في النعامة ببدنة وهي لا تساوي بدنة وفي حمار الوحش ببقرة وهي لا تساوي وكذا في الضبع بكبش فدل ذلك على انهم انما نظروا الى ما يقرب من الصيد شبها من حيث الخلقة فحكموا به ولم يعتبروا القيمة ويجب في الظبي شاة وفي الارنب عناق وفي الضب سخلة وفي اليربوع جفرة ويجب في الحمامة وهو كل ما عب وهدر كالفواخت والقمري وذوات الاطواق شاة وما سواه من الطير ففيه القيمة في الطعام المكان الذي اصيب فيه وروي عن عثمان وابن عباس انهما حكما في حمام الحرم بشاة وروي عن عمر انه قضى في الضبع بكبش وفي الغزال بعنز وفي الارنب بعناق وفي اليربوع بجفرة وقوله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم يعني يحكم بالجزاء في قتل الصيد ذوا عدل منكم رجلان صالحان عدلان من اهل ملتكم ودينكم وينبغي ان يكونا فقيهين فينظران الى اشبه الاشياء من النعم فيحكمان به قال ميمون بن مهران جاء اعرابي الى ابي بكر الصديق فقال اني اصبت من الصيد كذا وكذا فسال ابو بكر ابي بن كعب فقال الاعرابي اني اتيتك اسالك وانت تسال غيرك فقال ابو بكر وما انكرت من ذلك قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم فشاورت صاحبي فاذا اتفقنا على شيء امرناك به وقوله تعالى يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة يعني ان الكفارة هديا يساق الى الكعبة وسميت الكعبة كعبة لارتفاعها والعرب تسمي كل بيت مرتفع كعبة وانما اريد بالكعبة كل الحرم لان الذبح لا يقع في الكعبة وعندها ملاقيا لها انما يقع في الحرم وهو المراد بالبلوغ فيذبح الهدي بمكة ويتصدق به على مساكين الحرم هذا مذهب الشافعي وقال ابو حنيفة له ان يتصدق به حيث شاء اذا وصل الهدي الى الكعبة او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما ذهب الشافعي ومالك وابو حنيفة الى ان كلمة او في هذه الاية للتخيير وقال احمد وزفر من اصحاب ابي حنيفة انها للترتيب وهما روايتان عن ابن عباس قال الشافعي اذا قتل صيدا له مثل فهو مخير بين ثلاثة اشياء ان شاء ذبح المثل من النعم وتصدق به على مساكين الحرم وان شاء صام عن كل مد من الطعام يوما وقال ابو حنيفة يصوم عن كل نصف صاع يوما وعن احمد روايتان كالقولين واصل هذه المسالة ان الصوم مقدر بطعام اليوم فعند الشافعي مقدر بالمد وعند ابي حنيفة مقدر بنصف صاع وله ان يصوم حيث شاء لانه لا نفع فيه للمساكين وذهب جمهور الفقهاء الى ان الخيار في تعيين احد هذه الثلاثة اشياء الى قاتل الصيد الذي وجب عليه الكفارة لان الله اوجب عليه احد هذه الثلاثة على التخيير فوجب ان يكون هو المخير بين ايها شاء وقال محمد بن الحسن من اصحاب ابي حنيفة الى الحكمين لان الله تعالى قال يحكم به ذوا عدل منكم ومن قال ان كلمة او للترتيب قال ان لم يجد الهدي اشترى طعاما وتصدق به فان كان معسرا صام عن وقال مالك ان لم يخرج المثل من النعم يقوم الصيد فان شاء صرف تلك القيمة الى شيء من النعم وان شاء الى الطعام فيتصدق به وان شاء صام عن كل نصف صاع من بر او صاع من غيره يوما واختلفوا في موضع التقويم

فقال جمهور الفقهاء يقوم في المقام الذي قتل فيه الصيد وقال الشعبي يقوم بمكة بثمن مكة لانه يصرف بها وقوله تعالى **ليذوق وبال امره** يعني جزاء ذنبه والوبال في اللغة الشيء الثقيل الذي يخاف ضرره في المرعى وبيل اذا كان فيه وخامة وانما سمي الله ذلك وبالا لان اخراج الجزاء ثقيل على النفس لان فيه تنقيص للمال وهو ثقيل على النفوس لان فيه ايلاما الا البدن **عفا الله عما سلف** يعني قبل التحريم **ومن عاد** يعني الى قتل الصيد مرة ثانية **فينتقم الله منه** يعني في الاخرة والانتقام المبالغة في العقوبة وهذا الوعيد لا يمنع ايجاب الجزاء وهذا قول جمهور العلماء وقد روي عن ابن عباس والنخعي وداود الظاهري انه اذا قتل الصيد مرة ثانية عامدا فلا جزاء عليه لانه وعده بالانتقام منه قال ابن عباس اذا قتل المحرم صيدا متعمدا سئل هل قتلت قبله شيا من الصيد فان قال نعم لم يحكم عليه وقيل له اذهب فينتقم الله منك وان قال لم اقتل قبله شيا حكم عليه فان عاد بعد ذلك لم يحكم عليه ولكن يملأ ظهره وصدره ضربا وكذلك حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيد وج وهو واد بالطائف **والله عزيز ذو انتقام** يعني ممن عصاه اذا اتلف المحرم شيا من الصيد الذي لا مثل له من النعم مثل البيض وطائر صغير دون الحمام فتجب القيمة فيقوم ثم يشتري بقيمته طعاما ويتصدق به على محاويج الحرم او يصوم عن كل مد يوما قوله تعالى **احل لكم صيد البحر وطعامه** المراد بالصيد ما صيد من البحر والمراد بالبحر جميع المياه العذبة والمالحة فاما طعامه فاختلفوا فيه فقيل هو ما قذفه البحر ورمى به الى الساحل يروى ذلك عن ابي بكر وعمر وابن عمر وابي ايوب وقتادة **وقيل** صيد البحر طريه وطعامه مالحه يروى ذلك عن سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب والسدي ويروى عن ابن عباس ومجاهد كالقولين وجملة حيوان البحر على قسمين سمك وغير سمك فاما السمك فجميعه حلال على اختلاف اجناسه وانواعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي ولا فرق بين السمك ان يموت بسبب او بغير سبب فيحل اكله وقال ابو حنيفة لا يحل الا ان يموت بسبب وما عدا السمك فسمان قسم يعيش في البر والبحر كالضفدع والسرطان فلا يحل اكلهما وقال سفيان ارجو ان لا يكون بالسرطان باس واختلفوا في الجراد فقيل هو من صيد البحر فيحل اكله للمحرم وذهب جمهور العلماء الى انه من صيد البر وانه لا يحل للمحرم اكله في حال الاحرام فان اصاب جرادة فعليه صدقة قال عمر في الجرادة صدقة تمرة وعنه وعن ابن عباس قبضة من طعام وكذلك طير الماء هو من صيد البر ايضا وقال احمد يوكل كل ما في البحر الا الضفدع والتمساح قال التمساح يفترس وياكل الناس وقال ابن ابي ليلى ومالك يباح كل ما في البحر وذهب جماعة الى ان ما له نظير من البر يوكل نظيره في حيوان البحر مثل بقر الماء ونحوه وما لا يوكل نظيره مثل كلب الماء وخنزير الماء فلا يحل اكله قوله تعالى **متاعا لكم وللسيارة** يعني ينتفع به المقيمون والمسافرون فيتزودون منه **وقوله** تعالى **وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما** ذكر الله تعالى تحريم الصيد على المحرم في ثلاثة مواضع من هذه السورة احدها من اول السورة وهو قوله غير محلي الصيد وانتم حرم والثاني قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم والثالث قوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما كل ذلك لتاكيد تحريم قتل الصيد على المحرم واختلف العلماء هل يجوز للمحرم ان ياكل من لحم صيد صاده غيره فذهب قوم الى انه لا يحل ذلك بحال يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول طاوس واليه ذهب الثوري واحتجوا على ذلك بما روي عن الصعب بن جثامة الليثي انه اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم حمارا وحشيا وهو بالابواء او بودان فرده عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى ما في وجهه من الكراهة قال انا لم نرده عليك الا انا حرم اخرجاه في الصحيحين وذهب جمهور العلماء الى انه يجوز للمحرم ان ياكل لحم الصيد اذا لم يصده بنفسه ولا صيد له ولا باشارته ولا اعانة عليه وهذا قول عمر وعثمان وابي هريرة وبه قال عطا

ومجاهد وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك والشافعي واحمد واصحاب الراي ويدل عليه ما روي عن ابي قتادة انه قال كنت جالسا مع رجال من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في منزل في طريق مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم امامنا والقوم محرمون وانا غير محرم عام الحديبية فابصروا حمارا وحشيا وانا مشغول اخصف نعلا فلم يوذنوا لي واحبوا لو ابصرته فالتفت فابصرته فقمت الى الفرس فاسرجته ثم ركبته ونسيت السوط والرمح فقلت لهم ناولوني السوط والرمح قالوا لا والله لا نعينك عليه فغضبت فنزلت فاخذتهما ثم ركبت فشددت على الحمار فعقرته ثم جئت به وقد مات فوقعوا فيه ياكلونه ثم انهم شكوا في اكلهم اياه وهم حرم فرحنا وخبات العضد فادركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالناه عن ذلك فقال معكم منه شيء فقلت نعم فناولته العضد فاكلها وهو محرم زاد في رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انما هي طعمة اطعمكموها الله وفي رواية هو حلال فكلوه وفي رواية قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل منكم احد امره ان يحمل عليها او اشار اليها قالوا لا قال فكلوا ما بقي من لحمها اخرجاه في الصحيحين واجاب صاحب المذهب عن حديث الصعب بن جثامة بانه انما رده النبي صلى الله عليه وسلم لانه ظن انه انما صيد لاجله والمحرم لا ياكل ما صيد لاجله **واتقوا الله** يعني فلا تستحلوا الصيد في حال الاحرام ولا في الحرم ثم حذرهم بقوله **الذي اليه تحشرون** يعني في الاخرة فيجازيكم باعمالكم **قوله** عز وجل **جعل الله الكعبة البيت الحرام** جعل يعني صير وقيل معناه بين وحكم وقال مجاهد سمي البيت كعبة لتربيعه وقيل لارتفاعه عن الارض وسمي البيت الحرام لان الله حرمه وعظمه وشرفه وعظم حرمته وحرم ان يصاد عنده وان يختلى خلاه وان يعضد شجره واراد بالبيت الحرام جميع الحرم لما صح من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة فقال ان هذا البلد حرمه الله تعالى يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيامة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه وقوله تعالى **قياما للناس** اصله قواما لانه سبب لقوام مصالح الناس في امر دينهم ودنياهم واخرتهم اما في امر الدين فانه به يقوم الحج وتتم المناسك واما في امر الدنيا فانه يجبى اليه ثمرات كل شيء ويامنون فيه من النهب والغارة فلو لقي الرجل قاتل ابيه او ابنه في الحرم لم يهجه واما في امر الاخرة فان البيت جعل لقيام المناسك عنده وجعلت تلك المناسك التي تقام عنده اسبابا لعلو الدرجات وتكفير الخطيئات وزيادة الكرامات والمثوبات فلما كانت الكعبة الشريفة سببا لحصول هذه الاشيا كانت سببا لقيام الناس ومصالحهم **والشهر الحرام** يعني وجعل الشهر الحرام وذا الحجة والمحرم ورجب الفرد يعني وكذلك جعل الاشهر الحرم يامنون فيها من القتال وذلك ان العرب كان يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض وكانوا اذا دخلت الاشهر الحرم امسكوا عن القتال والغارة فيها فكانوا يامنون في الاشهر الحرم فكانت سببا لقيام مصالح الناس **والهدي والقلائد** يعني وكذلك جعل الهدي والقلائد سببا لقيام مصالح الناس وذلك انهم كانوا يامنون بسوق الهدي الى البيت الحرام على انفسهم من ذلك وكذلك كانوا يامنون اذا قلدوا انفسهم من لحي شجر الحرم فلا يتعرض لهم احد **ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض** يعني ان الله تعالى عالم بما في الارض من مصالح العباد وما يحتاجون اليه فجعل الكعبة البيت الحرام والشهر الحرام والهدي والقلائد يامنون بها لانه تعالى علم مصالح العباد وكما يعلم ما في السموات وما في الارض لانه تعالى عالم بجميع المعلومات الكليات والجزئيات وهو **قوله** تعالى **وان الله بكل شيء عليم** يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية **اعلموا ان الله شديد العقاب** يعني لمن انتهك محارمه واستحلها **وان الله غفور رحيم** يعني لمن تاب واناب ولما ذكر الله انواع رحمته بعباده ذكر بعدها انه شديد العقاب لان الايمان لا يتم الا بحصول الرجا والخوف ثم ذكر بعده ما يدل على سعة رحمته وانه غفور رحيم قوله تعالى **ما على الرسول الا البلاغ** يعني ليس على رسولنا الذي ارسلناه اليكم الا تبليغ ما ارسلناه به من الانذار بما فيه قطع الحجة

الحج في الآية تشديد عظيم في ايجاب القيام بما امر الله وان الرسول صلى الله عليه وسلم قد فرغ مما وجب عليه
من التبليغ وقامت الحجة عليكم بذلك ولزمتكم الطاعة فلا عذر عليكم في التفريط **والله يعلم**
ما تبدون وما تكتمون يعني انه تعالى لا يخفى عليه شيء من احوالكم ظاهرا وباطنا **قل لا يستوي**
الخبيث والطيب يعني لا يستوي الحلال والحرام في الدرجة والرتبة ولا يعتدل الردي والجيد
ولا المسلم والكافر ولا الصالح والطالح **ولو اعجبك كثرة الخبيث** يعني ولو سرك كثرة الخبيث لان
عاقبته عاقبة سوء والمعنى ان اهل الدنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدنيا وما عند الله خير وابقى
لان زينة الدنيا ونعيمها يزول وما عند الله يدوم وقال ابن الجوزي روى جابر بن عبد الله ان رجلا
قال يا رسول الله ان الخمر كانت تجارتي فهل ينفعني ذلك المال ان عملت فيه بطاعة الله فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وقال مقاتل نزلت في شريح بن ضبيعة البكري
وحجاج بن بكر وقد تقدمت القصة في اول السورة **فاتقوا الله** يعني فيما امركم به ونهاكم عنه ولا
تتعدوه **يا اولي الالباب** يعني يا ذوي العقول السليمة **لعلكم تفلحون** قوله عز وجل **يا ايها**
الذين آمنوا لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فروي
عن انس بن مالك قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو
تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا قال فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجوههم لهم خنين فقال رجل من ابي فقال فلان فنزلت هذه الآية لا تسألوا عن اشياء
ان تبد لكم تسؤكم وفي رواية اخرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى
الظهر فقام على المنبر فذكر الساعة فذكر فيها امورا عظاما ثم قال من احب ان يسألني عن شيء
فليسأل فلا تسألوني عن شيء الا اخبرتكم به ما دمت في مقامي فاكثر الناس البكاء واكثر ان يقول
سلوني فقام عبد الله بن حذافة السهمي **فقال** من ابي فقال ابوك حذافة ثم اكثر ان يقول
سلوني فبرك عمر على ركبتيه وقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا فسكت ثم قال عرضت
علي الجنة والنار انفا في عرض هذا الحائط فلم ار كاليوم في الخير والشر قال ابن شهاب فاخبرني عبيد
الله بن عبد الله بن عتبة قال قالت ام عبد الله بن حذافة لعبد الله بن حذافة ما سمعت قط اعق
منك امنت ان تكون امك قارفت بعض ما تقارف اهل الجاهلية فتفضحها على اعين الناس
فقال عبد الله بن حذافة لو الحقني بعبد اسود للحقته زاد في رواية اخرى قال قتادة يذكر هذا
الحديث عند هذه الآية لا تسألوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم اخرجاه في الصحيحين خ
عن ابن عباس كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من ابي ويقول
الرجل تضل ناقته اين ناقتي فانزل الله فيهم هذه الآية يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن اشياء ان
تبد لكم تسؤكم الآية كلها **وقيل** نزلت هذه الآية في سؤال الحج عن علي بن ابي طالب قال لما نزلت
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قالوا يا رسول الله في كل عام فسكت فقالوا يا رسول
الله في كل عام قال لا ولو قلت نعم لوجبت فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تسألوا عن
اشياء ان تبد لكم تسؤكم اخرجه الترمذي وقال حديث غريب م عن ابي هريرة قال خطبنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا فقال رجل افي كل عام فسكت حتى قالها ثلاثا
ثم قال ذروني ما تركتكم ولو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم وانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم
على انبيائهم فاذا امرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فدعوه وروى مجاهد عن ابن
عباس لا تسألوا عن اشياء قال هي البحيرة والوصيلة والسائبة والحام الا ترى انه يقول بعد ذلك
ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة الآية وقال عكرمة انهم كانوا يسألون الآيات فنهوا عن ذلك ثم
قال ان تبد لكم اي تظهر لكم وتبين لكم تسؤكم يعني ان امرتكم بها فان من سأل عن الحج لم يأمن ان يؤمر به فلا يقدر

عليه

عليه فيشق ذلك عليه **وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم** معناه ان صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم
من فرض او نهي او حكم وليس في ظاهره شرح ما تحتاجون اليه ومست حاجتكم اليه فاذا سألتم عنه حينئذ تبد لكم
ومثال هذا ان الله عز وجل لما بين عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها والحامل ولم يكن فيه عدة المولى لها
على عدة التي ليست ذات قرء والحامل فسألوا عنها فانزل الله عز وجل بيانها في قوله تعالى واللائي
يئسن من المحيض من نسائكم الآية **عفا الله عنها** يعني عن مسألتكم عن الاشياء التي سألتم عنها رسول
الله صلى الله عليه وسلم التي كره الله لكم السؤال عنها فلم يؤاخذكم بها ولم يعاقبكم عليها **والله غفور** يعني
لمن تاب منكم **حليم** فلم يعجل بعقوبتكم وقال عطاء غفور يعني لما كان في الجاهلية حليم يعني عن
عقابكم منذ امنتم وصدقتم وقال بعض العلماء الاشياء التي يجوز السؤال عنها هي ما يترتب عليه امر
الدين والدنيا من مصالح العباد وما عدا ذلك فلا يجوز ق عن سعد بن ابي وقاص ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان اعظم المسلمين جرما من سأل عن شيء لم يحرم على الناس فحرم من اجل مسألته
ق عن المغيرة بن شعبة انه كتب الى معاوية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن قيل وقال
واضاعة المال وكثرة السؤال عن معاوية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاغلوطات اخرجه ابو
داود الاغلوطات صعاب المسائل التي يغلط فيها العلماء ويؤيد ذلك قول ابي هريرة شرار الناس الذين
يسألون عن شرار المسائل الذين يغلطون بها العلماء وعن سلمان قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الاشياء فقال الحلال ما احل الله في كتابه والحرام ما حرمه الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفي عنه فلا
تتكلفوا وعن ابي ثعلبة الخشني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها
وحرم اشياء فلا تقربوها وترك اشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها هذان الحديثان اخرجهما رزين في
جامع الاصول ولم يخرجهما في الكتب الستة ثم **قال** تعالى **قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا**
بها كافرين قال المفسرون يعني قوم صالح سألوا الناقة ثم عقروها فاصبحوا بها كافرين وقوم موسى قالوا
ارنا الله جهرة فكان هذا السؤال وبالا عليهم وقوم عيسى سألوا نزول المائدة عليهم ثم كذبوا بها فكانه
تعالى يقول ان اولئك سألوا فلما اعطوا سؤلهم كفروا به فلا تسألوا انتم فلعلكم ان اعطيتم سؤلكم
ساءكم ذلك **ما جعل الله** اي ما انزل الله ولا احكم به ولا شرعه ولا امر به **من بحيرة** البحيرة
من البحر وهو الشق يقال بحرت الناقة اذا شققت اذنها والبحيرة بمعنى مفعولة **ولا سائبة** يعني
المسيبة المخلاة **ولا وصيلة** الوصيلة هي الشاة وكانت العرب في الجاهلية اذا ولدت لهم ذكرا
وانثى قالوا وصلت اخاها **ولا حام** والحام هو الفحل من الابل يحمي ظهره فلا يركب ولا ينتفع به
قال ابن عباس في بيان هذه الاوصاف البحيرة هي الناقة اذا انتجت خمسة ابطن لم يركبوها ولم يجزوا وبرها ولم يمنعوها
الماء والكلأ نظروا الى الخامس ولدها فان كان ذكرا نحروه واكله الرجال والنساء وان كانت انثى بحروا
اذنها وتركوها وان كان انثى شقوا اذنها وتركوها وحرموا على النساء منافعها وكانت منافعها للرجال
خاصة فاذا ماتت حلت للرجال والنساء **وقيل** كانت الناقة اذا انتجت اثنتي عشرة سنة كلها اناثا
سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من انثى شقت اذنها ثم
خلي سبيلها مع امها وهي البحيرة بنت السائبة وقيل السائبة البعير الذي يسيب لاجل نذر وذلك ان
الرجل من اهل الجاهلية كان اذا مرض او غاب له قريب نذر فقال ان شفاني الله او شفي مريضي او قدم غائبي فناقتي هذه سائبة ثم يسيبها فلا تحبس عن ماء ولا مرعى ولا يجتز وبرها ولا يركبها احد بمنزلة البحيرة
والوصيلة من الغنم كانت الشاة اذا ولدت سبعة ابطن نظروا فان كان السابع ذكرا ذبحوه واكل منه
الرجال والنساء وان كانت انثى تركوها في الغنم وان كانت ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا
الذكر فلم يذبح من اجل الانثى والحام هو الفحل اذا ركب ولد ولده وقيل هو الفحل اذا نتج من صلبه عشرة
ابطن قالوا حمى ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى فاذا مات اكله الرجال والنساء ق عن سعيد

يعني

ابن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها احد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها
لآلهتهم لا يحمل عليها شي وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن عامر الخزاعي
يجر قصبه في النار ولمسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت عمرو بن لحي بن
قمعة بن خندف اخا بني كعب وهو يجر قصبه في النار خ عن عايشة قالت قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم رايت جهنم يحطم بعضها بعضا ورايت عمرو يجر قصبه وهو اول من سيب السوايب
القصب بضم القاف وسكون الصاد المهملة الامعا كان اهل الجاهلية تفعل هذا في جاهليتهم
فلما بعث الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم ابطل ذلك بقوله ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة
ولا وصيلة ولا حام يعني ما بحر الله من بحيرة ولا سيب من سائبة ولا وصل من وصيلة ولا حمى
من حام ولا اذن فيه ولا امر به ولكنكم انتم فعلتم ذلك من عند انفسكم م عن ابن مسعود ان
اهل الاسلام لا يسيبون وان اهل الجاهلية كانوا يسيبون **وقوله** تعالى ولكن الذين
كفروا يفترون على الله الكذب يعني بقولهم ان الله امرنا بها واكثرهم لا يعقلون اراد بالاكثر
الاتباع لا تعقل وان هذا كذب وافترا على من الروسا على الله عز وجل واذا قيل لهم تعالوا الى
ما انزل الله والى الرسول يعني واذا قيل لهولا الذين بحروا البحاير وفعلوا هذه الاشيا ويضيفونها
الى الله كذبا تعالوا الى ما انزل الله يعني في كتابه والى الرسول يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
الذي انزل عليه كتابه ليبين لكم كذب ما تضيفونه الى الله ويبين لكم الشرايع والاحكام وان الذي تفعلونه
ليس بشي قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا يعني قد اكتفينا بما اخذناه من الدين عن ابائنا تبعا
قال الله ردا عليهم اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيا ولا يهتدون يعني انما يصح الاهتدا بالعالم المهتدي
الذي يبني قوله على الحجة والبرهان والدليل وان اباءهم كانوا كذلك فيصح اقتداوهم بهم قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال بعض العلما هذه الرخصة من الله تعالى ومعناه
احفظوا انفسكم من ملابسة الذنوب والاصرار على المعاصي لانك اذا قلت عليك زيدا معناه الزم
زيدا **وقيل** معناه عليكم انفسكم فاصلحوها واعملوا في خلاصها من عذاب الله عز وجل وانظروا لها
فيما يقربها من الله عز وجل لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يعني لا يضركم كفر من كفر اذا كنتم مهتدين واطعتم
الله عز وجل فيما امركم به ونهاكم عنه قال سعيد بن جبير ومجاهد نزلت هذه الاية في اهل الكتاب اليهود
والنصارى عليكم يعني عليكم انفسكم لا يضركم من ضل من اهل الكتاب خذوا منهم الجزية واتركوهم وقيل
لما قبل الجزية من اهل الكتاب قال بعض الكفار كيف تقبل الجزية من بعض دون بعض فنزلت هذه الاية
وقيل ان المومنين كان يشتد عليهم بقا الكفار على كفرهم فقيل لهم عليكم انفسكم واجتهدوا في صلاحها
لا يضركم ضلال الضالين ولا جهل الجاهلين اذا كنتم مهتدين فان قلت هل يدل ظاهر هذه الاية
على جواز ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قلت لا يدل على ذلك والذي عليه اكثر الناس ان المطيع لله
عز وجل لا يكون مواخذا بذنوب اصحاب المعاصي فاما وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فثابت بدليل
الكتاب والسنة عن قيس بن ابي حازم عن ابي بكر رضي الله عنه انه قال ايها الناس انكم تقروون هذه الاية
يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الناس اذا راوا الظالم فلم ياخذوا على يديه اوشك ان يعمهم الله بعقاب منه وقال قوم
في معنى الاية عليكم انفسكم اذا امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يقبل منكم قال ابن مسعود مروا
بالمعروف وانهوا عن المنكر ما قبل منكم فان رد عليكم فعليكم انفسكم ثم قال ان القران نزل منه اي قد
مضى تاويلهن قبل ان ينزلن ومنه اي وقع تاويلهن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنه
اي قد وقع تاويلهن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بيسير ومنه اي يقع تاويلهن يوم القيامة
وما ذكر من الحساب والجنة والنار فما دامت قلوبكم واهواكم واحدة ولم تلبسوا شيعا ولم يذق بعضكم باس

بعض فامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر فاذا اختلفت قلوبكم واهواكم والبستم شيعا واذاق بعضكم
باس بعض فامرو نفسه فعند ذلك جا تاويل هذه الاية وقيل لابن عمر لو جلست في هذه الايام فلم تامر
ولم تنه فان الله يقول عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال ابن عمر انها ليست لي ولا لاصحابي
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ليبلغ الشاهد الغايب فكنا نحن الشهود وانتم الغايب
ولكن هذه الاية لاقوام يجيئون من بعدنا ان قالوا لم يقبل منهم وعن ابي امية الشعباني قال اتيت
ابا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع بهذه الاية قال اية اية قلت يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم
لا يضركم من ضل اذا اهتديتم قال اما والله لقد سالت عنها خبيرا سالت عنها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا
موثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك ودع العوام فان من ورايكم ايام الصبر
فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عملكم وفي رواية
قيل يا رسول الله اجر خمسين رجلا منا او منهم قال لا بل اجر خمسين منكم اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب **وقيل** في معنى الاية ان العبد اذا عمل بطاعة الله واجتنب نواهيه لا يضره
من ضل وهلك قال ابن عباس في قوله عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم يقول اذا
ما العبد اطاعني فيما امرته من الحلال والحرام فلا يضره من ضل بعده اذا عمل بما امرته به وعن صفوان
ابن محرز قال دخل على شاب من اهل الاهوا فذكر شيا من امره فقال له صفوان الا ادلك على خاصة
الله التي خص بها اولياءه يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم وقال الحسن
لم يكن مومن فيما مضى ولا مومن فيما بقي الا والى جانبه منافق يكره عمله وقيل في معنى الاية لا يضركم من كفر
بالله وحاد عن قصد السبيل من اهل الكتاب اذا اهتديتم انتم قال سعيد بن جبير نزلت هذه الاية
في اهل الكتاب وقال ابن زيد كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت اباك وضللتهم وفعلت وفعلت
وكان ينبغي لك ان تنصرهم وتفعل وتفعل فقال الله عز وجل يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم قال الطبري واولى هذه الاقوال واصح التاويلات عندنا في هذه الاية ما روي عن
ابي بكر الصديق وهو العمل بطاعة الله واداء ما لزم من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاخذ على يد
الظالم حتى يرجع عن ظلمه وقال عبد الله بن المبارك هذه الاية اوكد اية في وجوب الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والاخذ على يد الظالم لان الله تعالى قال عليكم انفسكم يعني اهل دينكم بان يعظ
بعضكم بعضا بان يرغبه في الخيرات وينفره عن القبايح والمكروهات والذي يوكد ذلك ان معنى قوله
تعالى عليكم انفسكم اي احفظوا انفسكم وهذا المراد بحفظ النفس ولا يتم ذلك الا بالامر بالمعروف
والنهي عن المنكر والله اعلم الى الله مرجعكم جميعا يعني في الاخرة الطايع والعاصي والضال والمهتدي
فينبيكم بما كنتم تعملون يعني فيخبركم باعمالكم ويجزيكم عليها **قوله** تعالى يا ايها الذين امنوا
شهادة بينكم سبب نزول هذه الاية ما روي ان تميم بن اوس الداري وعدي بن بدا خرجا من المدينة
في تجارة الى الشام ومعهما نصرانيان ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام
مرض بديل فكتب كتابا فيه جميع ما معه من المتاع والقاه في متاعه ولم يخبر صاحبيه بذلك
فلما اشتد وجعه اوصى الى تميم وعدي وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله اذا رجعا الى المدينة
ومات بديل ففتشا متاعه فوجدا فيه انا من فضة منقوشا بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فغيباه
ثم انهما قضيا حاجتهما وانصرفا الى المدينة فدفعا المتاع الى اهل البيت ففتشوه فاصابوا الصحيفة
وفيها تسمية ما كان معه فجا اهل الميت الى تميم وعدي فقالوا هل باع صاحبنا شيا من متاعه قالا لا قالوا
فهل اتجر تجارة قالا لا قالوا فهل طال مرضه فانفق على نفسه شيا قالا لا قالوا انا وجدنا في متاعه
صحيفة فيها تسمية ما كان معه وانا فقدنا انا من فضة مموها بالذهب فيه ثلثمائة مثقال فضة

قال لا ندري إنما أوصى إلينا بشيء وأمرنا أن ندفعه إليكم فدفعناه وما لنا علم بالإناء فاختصموا إلى
النبي صلى الله عليه وسلم فأصرّا على الإنكار وحلفا فأنزل الله هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم
لا يضركم من ضل إذا اهتديتم شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت قال تميم بريء الناس منها غيري وغير
عدي بن بدّاء وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام بتجارتهما قبل الإسلام فأتيا الشام بتجارتهما وقدم
عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن أبي مريم بتجارة ومعه جام من فضة يريد به الملك وهو عُظم
تجارته فمرض فأوصى إليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله قال تميم فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه
بألف درهم ثم اقتسمناه أنا وعدي فلما أتينا أهله دفعنا إليهم ما كان معنا وفقدوا الجام فسألونا عنه
فقلنا ما ترك غير هذا ولا دفع إلينا غيره قال تميم فلما أسلمت بعد قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
تأثمت من ذلك فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر وأديت إليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم أن عند صاحبي
مثلها فأتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم البينة فلم يجدوا فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم
به على أهل دينه فحلف فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت
إلى قوله أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم فقام عمرو بن العاص ورجل آخر فحلفا فنزعت الخمسمائة من
عدي قال الترمذي هذا حديث غريب وليس إسناده بصحيح **قلت** الترمذي وقد روي عن ابن عباس
شيء من هذا على الاختصار من غير هذا الوجه قال ابن عباس خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري وعدي بن
بدّاء فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم فلما قدما بتركته فقدوا جاماً من فضة مخوصاً بالذهب فأحلفهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم وجدوا الجام بمكة فقيل اشتريناه من تميم وعدي فقام رجلان من أولياء السهمي
فحلفا بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وأن الجام لصاحبهم قال وفيهم نزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا
شهادة بينكم يعني ليشهد ما بينكم لأن الشهادة إنما يحتاج إليها عند وقوع التنازع والتشاجر **إذا
حضر أحدكم الموت** يعني إذا قارب وقت حضور الموت **حين الوصية اثنان** لفظه خبر ومعناه
الأمر يعني ليشهد اثنان عند حضور الموت وإرادة الوصية **ذوا عدل منكم** يعني من أهل دينكم وملتكم
يا معشر المؤمنين واختلفوا في هذين الاثنين فقيل هما الشاهدان اللذان يشهدان على وصية الموصي
وقيل هما الوصيان لأن الآية نزلت فيهما ولأنه قال تعالى فيقسمان بالله والشاهد لا يلزمه يمين
وجعل الوصي اثنين تأكيداً فعلى هذا تكون الشهادة بمعنى الحضور كقولك شهدت وصية فلان بمعنى حضرت
أو آخران من غيركم يعني من غير أهل دينكم وملتكم وهذا قول ابن عباس وأبي موسى الأشعري وسعيد
ابن المسيب وابن جبير والنخعي والسعدي وابن سيرين وشريح ومجاهد وأكثر المفسرين وقيل معناه من غير
عشيرتكم وقبيلتكم وهم مسلمون واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال إبراهيم النخعي وجماعة هي
منسوخة كانت شهادة أهل الذمة مقبولة في الابتداء ثم نسخت **بقوله** تعالى واستشهدوا
شهيدين من رجالكم لأن إجماع الأمة على أن شهادة الفاسق لا تجوز فشهادة الكفار وأهل الذمة لا تجوز
بطريق الأولى وذهب قوم إلى أنها ثابتة لم تنسخ وهو قول ابن عباس وأبي موسى الأشعري وسعيد بن
المسيب وابن جبير وابن سيرين وبه قال أحمد بن حنبل قالوا إذا لم نجد مسلمين يشهدان على وصيته
وهو في أرض غربة فليشهد كافرين على أي دين كان من أهل الكتاب أو من عبدة الأصنام فشهادتهم
جائزة في هذا الموضع ولا يجوز شهادة كافر على مسلم إلا في وصية في سفر ولم يجد أحداً من المسلمين
حضره ليشهده على وصيته فأشهد رجلين من أهل الكتاب فقدما الكوفة فأتيا أبا موسى فأخبراه
وقدما بتركته ووصيته فقال أبو موسى هذا أمر لم يكن بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فأحلفهما بعد العصر بالله ما خانا وما كذبا بعد الذي كان في عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا بدلا ولا كتما ولا غيرا وإنها لوصية الرجل وتركته فأمضى شهادتهما أخرجه
أبو داود وقال قوم في قوله ذوا عدل منكم يعني من عشيرتكم وحيكم أو آخران من غيركم من غير عشيرتكم

وحيكم

ولأن الآية كلها في المسلمين وهذا قول الحسن والزهري وعكرمة وقالوا لا تجوز شهادة كافر في شيء من
الأحكام وهذا مذهب الشافعي ومالك وأبي حنيفة غير أن أبا حنيفة أجاز شهادة أهل الذمة فيما
بينهم بعضهم على بعض واحتج من قال بأن هذه الآية محكمة بأن سورة المائدة من آخر القرآن نزولاً وليس
فيها منسوخ واحتج من قال بجواز شهادة غير المسلم في هذا الموضع بأن الله تعالى قال في أول الآية يا أيها
الذين آمنوا فعم بهذا الخطاب جميع المؤمنين ثم قال اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم فعلم بذلك أنهما
من غير المؤمنين ولأن الآية دالة على وجوب اليمين على هذين الشاهدين وقد أجمع المسلمون على
أن الشاهد المسلم لا يجب عليه يمين ولأن الميت إذا كان في أرض غربة ولم يجد مسلماً يشهده على وصيته
ضاع ماله وربما كان عليه ديون أو عنده وديعة فيضيع ذلك كله وإذا كان ذلك كذلك احتاج إلى شهادة
من حضر من أهل الذمة وغيرهم من الكفار حتى لا يضيع ما له وتنفذ وصيته فهذا كالمضطر الذي أبيح
له أكل الميتة في حال الاضطرار والضرورات قد تبيح شيئاً من المحظورات واحتج من منع ذلك بأن الله
تعالى قال ممن ترضون من الشهداء والكفار ليسوا مرضيين ولا عدول فلا تسمع شهادتهم غير مقبولة في حالة
من الأحوال **وقوله** تعالى **إن أنتم ضربتم في الأرض** يعني إن أنتم سافرتم في الأرض **فأصابتكم
مصيبة الموت** يعني نزل بكم أسباب الموت فأوصيتم إليهما ودفعتم مالكم إليهما **تحبسونهما**
يعني إن اتهمهما بعض الورثة وادعوا عليهما خيانة فالحكم فيه أن توقفوهما **من بعد الصلاة** يعني
من بعد صلاة العصر لأن جميع أهل الأديان يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الحلف الكاذب وقيل
من بعد صلاة أهل دينهما لأنهما إذا كانا كافرين لا يحترمان صلاة العصر **فيقسمان بالله**
يعني فيحلفان بالله قال الشافعي الأيمان تغلظ في الدماء والطلاق والعتاق والمال إذا بلغ مائتي درهم
بالزمان والمكان فيحلف بعد العصر إن كان بمكة بين الركن والمقام وإن كان بالمدينة فعند
المنبر وفي بيت المقدس فعند الصخرة وفي سائر البلاد في أشرف المساجد وأعظمها **إن ارتبتم** يعني إن
شككتم أيها الورثة في قول الشاهدين وصدقهما فحلفوهما وهذا إذا كانا كافرين أما إذا كانا مسلمين فلا يمين
عليهما لأن تحليف الشاهد المسلم غير مشروع **لا نشتري به ثمناً** يعني لا نبيع عهد الله بشيء من الدنيا
ولا نحلف بالله كاذبين لأجل عوض نأخذه أو حق نجحده **ولو كان ذا قربى** يعني ولو كان المشهود
له ذا قرابة منا وإنما خص القربى بالذكر لأن الميل إليهم أكثر من غيرهم **ولا نكتم شهادة
الله** إنما أضاف الشهادة إليه لأنه أمر بإقامتها ونهى عن كتمانها **إنا إذاً لمن الآثمين** يعني إن كتمنا
الشهادة أو خنا فيها ولما نزلت هذه الآية صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا تميماً وعدياً
وحلفهما عند المنبر بالله الذي لا إله إلا هو أنهما لم يخونا شيئاً مما دفع إليهما فحلفا على ذلك فخلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم سبيلهما ثم ظهر الإناء بعد ذلك قال ابن عباس وجد الإناء بمكة فقالوا اشتريناه
من تميم وعدي **وقيل** لما طالت المدة أظهروه فبلغ ذلك بني سهم فأتوهما في ذلك فقالا إنا
كنا اشتريناه منه فقالوا لهما ألم تزعما أن صاحبنا لم يبع شيئاً من متاعه قالا لم يكن عندنا بينة
فكرهنا أن نقر لكم به فكتمناه لذلك فرفعوهما إلى النبي صلى الله عليه وسلم **فإن
عثر** يعني فإن اطلع وظهر والعثور الهجوم على أمر لم يهجم عليه غيره وكل من اطلع على أمر كان قد
خفي عليه قيل له قد عثر عليه **على أنهما استحقا إثماً** يعني الوصيين ومعنى الآية فإن حصل
العثور والوقوف على أن الوصيين كانا استوجبا الإثم بسبب خيانتهما وأيمانهما الكاذبة **فآخران**
يعني من أولياء الميت وأقربائه **يقومان مقامهما** يعني مقام الوصيين في اليمين **من الذين استحق
عليهم** يعني من الذين استحق عليهم الإثم وهم الورثة والمعنى إذا ظهرت خيانة الحالفين وبان
كذبهما يقوم اثنان آخران من الذين جنى أهل الميت وعشيرته **الأوليان** يعني بأمر الميت وهم
أهله وعشيرته **فيقسمان بالله** يعني فيحلفان بالله **لشهادتنا أحق من شهادتهما** يعني

ايماننا احق واصدق من ايمانهما وما اعتدينا يعني في ايماننا وقولنا ان شهادتنا احق من شهادتهما
انا اذا لمن الظالمين ولما نزلت هذه الاية قام عمرو بن العاص والمطلب بن ابي وداعة السهميان
وهما من اهل الميت وحلفا بالله بعد العصر ودفع الانا اليهما وانما ردت اليمين على اولياء الميت لان
الوصيين ادعيا ان الميت باعهما وانكر ورثة الميت ذلك ومثل ذلك ان الوصي اذا اخذ شيئا من مال الميت
وقال انه اوصى لي به وانكر ذلك الورثة ردت اليمين عليه ولما اسلم تميم الداري بعد هذه القصة
كان يقول صدق الله وصدق رسوله انا اخذت الانا فانا اتوب الى الله واستغفره وقوله
تعالى ذلك ادنى ان ياتوا بالشهادة على وجهها يعني ذلك الذي حكمنا به من رد اليمين على اولياء
الميت بعد ايمانهم ادنى اي اجدر واحرى ان ياتوا بالشهادة على وجهها يعني ان ياتي الوصيان وسائر
الناس بالشهادة على وجهها فلا يخونوا فيها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اي واقرب الى ان
يخاف الوصيان ان ترد الايمان على اولياء الميت فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فربما
لا يحلفون كاذبين اذا خافوا هذا الحكم واتقوا الله يعني وخافوا الله ان تحلفوا ايمانا كاذبة وتخونوا
امانة واسمعوا يعني المواعظ والزواجر وقيل معناه واسمعوا سمع اجابة والله لا يهدي القوم
الفاسقين يعني والله لا يرشد من كان على معصيته وهذا تهديد وتخويف ووعيد لمن خالف حكم الله
تعالى او خان امانته وحلف ايمانا كاذبة وهذه الاية الكريمة من اصعب ما في القران من الايات نظما واعرابا
وحكما والله اعلم باسرار كتابه قوله عز وجل يوم يجمع الله الرسل قال الزجاج هي متصلة بما قبلها
تقديرها واتقوا الله يوم يجمع الله الرسل وقيل تقديره والله لا يهدي القوم الفاسقين
يوم يجمع الله الرسل اي لا يهديهم الى الجنة في ذلك اليوم وهو يوم القيامة وقيل انها منقطعة عما
قبلها وتقديره اذكر يا محمد يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة فيقول ماذا اجبتم يعني
فيقول الله تبارك وتعالى للرسل ماذا اجابكم اممكم وما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم
في دار الدنيا الى توحيدي وطاعتي وفائدة هذا السؤال توبيخ امم الانبياء الذين كذبوهم قالوا
يعني الرسل لا علم لنا قال ابن عباس لا علم لنا لحادث فيهم لانك تعلم ما اضمروا وما اظهروا
ونحن لا نعلم الا ما اظهروا وعلمك فيهم انفذ من علمنا وعلى هذا القول انما نفوا العلم
عن انفسهم وان كانوا علماء لان علمهم صار كلا علم عند علم الله وفي رواية اخرى معناه لا علم لنا الا
علم انت اعلم به منا وهذا القول قريب من الاول وقيل معناه لا علم لنا بوجه الحكمة عن سؤالك ايانا
عن امر انت اعلم به منا وقيل معناه لا حقيقة لعلمنا بعاقبة امرهم لانا كنا نعلم ما كان من افعالهم
واقوالهم وقت حياتهم فينا ولا نعلم ما كان منهم بعد وفاتنا ولا نعلم ما احدثوا بعدنا ومنه ما اخبر
عن عيسى عليه السلام بقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم
ومنه ما روي عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبني حتى
اذا رفعوا الي اختلجوا دوني فلاقولن اي رب اصحابي فيقال لي انك لا تدري ما احدثوا بعدك زاد
في رواية فاقول سحقا لمن بدل بعدي اخرجاه في الصحيحين وقال جمع من المفسرين ان للقيامة اهوالا
وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك ويذهلون عن الجواب ثم
اذا ثابت عليهم عقولهم يشهدون على اممهم بالتبليغ وهذا فيه ضعف ونظر لان الله تعالى قال في حق
الانبياء لا يحزنهم الفزع الاكبر وذكر الامام فخر الدين وجها اخر وهو ان الرسل عليهم السلام لما علموا ان
قولهم لا يفيد خيرا ولا يدفع شرا الله عالم لا يجهل وحليم لا يسفه وعادل لا يظلم علموا ان قولهم
لا يفيد قولا ولا يدفع شرا فراوا ان الادب في السكوت وفي تفويض الامر الى علم الله تعالى وعدله
فقالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب يعني انك تعلم ما غاب عنا من باطن الامور ونحن نعلم
ما نشاهد ولا نعلم ما في البواطن وقيل معناه انك لا يخفى عليك ما عندنا من العلوم وان

الذي

الذي سالتنا عنه ليس يخفى عليك لانك انت علام الغيوب ومعناه العالم باصناف المعلومات على تفاوتها
لا يخفى عليه خافية وبناء فعال بنا على التكثير ودلت الاية على جواز اطلاق العلام على الله تعالى ولا يجوز
اطلاق العلامة عليه قوله عز وجل اذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك قال بعضهم ان اذ قال
الله تعالى يا عيسى صلته لماذا اجبتم ولما كان المراد بقوله للرسل ماذا اجبتم توبيخ للامم المكذبة ومن تمرد
منهم على الله وكان اشد الامم احتياجا وافتقارا الى التوبيخ والملامة النصارى الذين يزعمون انهم
اتباع عيسى عليه السلام وجه ذلك ان جميع الامم انما كان طعنهم في انبيائهم التكذيب لهم وطعن هؤلاء
النصارى تعدى الى اوليا الحق جلاله حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الزوجة والولد
فذكر الله في هذه الاية من انواع نعمه على عيسى عليه السلام التي تدل على انه عبد وليس باله والفائدة
في ذكر هذه الحكاية تنبيه النصارى على قبح مقالتهم وفساد اعتقادهم وتوكيد الحجة عليهم وقيل
فائدة ذلك اسماع الامم يوم القيامة ما خص الله تعالى به عيسى عليه السلام من الكرامة وقيل
موضع اذ رفع بالابتدا على العطف ومعناه اذكر اذ قال الله يا عيسى وانما خرج اذ قال الله على لفظ الماضي
دون المستقبل لانه ورد على حكاية الحال وقيل تقديره اذ يقول الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك لفظه
واحد والمراد به الجمع لان الله تعالى عدد نعمه عليه في هذه الاية والمراد ذكرها وشكرها وعلى والدتك يعني
بنعمته عليهما عليهما السلام ان الله تعالى انبتها نباتا حسنا وطهرها واصطفاها على نساء العالمين
ثم ذكر نعمه على عيسى عليه السلام فقال تعالى اذ ايدتك بروح القدس يعني جبريل عليه السلام
لان القدس هو الله تعالى واضافه اليه على سبيل التشريف والتعظيم كاضافة بيت الله وناقة
الله وقيل اراد بروح القدس الروح المطهرة لان الارواح تختلف بالماهية فمنها روح طاهرة
مقدسة ومنها روح كدرة خبيثة ظلمانية فخص الله عيسى بالروح المقدسة الطاهرة والنورانية
المشرقة تكلم الناس في المهد يعني تكلمهم طفلا في حال الصغر وكهلا يعني في حال
الكهولة من غير ان يتفاوت كلامك في هذين الوقتين وهذه معجزة عظيمة وخاصة شريفة لم تكن
لاحد قبله قال ابن عباس ارسل الله عيسى عليه السلام وهو ابن ثلاثين سنة فمكث في رسالته
ثلاثين شهرا ثم رفعه الله اليه واذ علمتك الكتاب والحكمة يعني الكتابة وهي الخط والحكمة يعني العلم
والاطلاع على اسرار العلوم والتوراة والانجيل اي وعلمتك التوراة التي انزلتها
على موسى والانجيل الذي انزلته عليك واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني يعني واذ تجعل
وتصور من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها ذكر هنا فيها وفي سورة ال عمران فيه فالضمير
في قوله فيها يعود الى الهيئة ويجعل الهيئة مصدرا كما يقع اسم الخلق على المخلوق وذلك لان النفخ لا يكون
في الهيئة انما يكون في المتهيئ المهيئة ويجوز ان يعود الضمير الى الطير لانها مونثة قال الله
تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات واما الضمير المذكور في ال عمران في قوله فيه يعود الى الكاف
يعني في ذلك الشي المماثل لهيئة الطير فيكون طيرا باذني وانما كرر قوله باذني تاكيدا لكون
ذلك الخلق واقعا بقدرة الله تعالى وتخليقه لا بقدرة عيسى عليه السلام وتخليقه لان المخلوق
لا يخلق شيئا انما خالق الاشيا كلها هو الله تعالى لا خالق لها سواه وانما كان الخلق لهذا الطير معجزة
لعيسى عليه السلام اكرمه الله تعالى بها وكذا قوله تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذني
يعني وتشفي الاكمه وهو الاعمى المطموس البصر والابرص معروف ونظائره واذ تخرج الموتى يعني
من قبورهم احياء باذني تفعل ذلك كله باذني والفاعل لهذه الاشيا في الحقيقة كلها هو الله
لانه المبرئ للاكمه والابرص وهو محيي الموتى وهو على كل شي قدير وانما كانت هذه الاشيا معجزات
لعيسى عليه السلام وقعت باذن الله تعالى وقدرته وقوله تعالى واذ كففت بني اسرائيل عنك
يعني واذكر نعمتي عليك اذ كففت وصرفت عنك اليهود ومنعتهم منك حين ارادوا قتلك اذ جئتهم

بالبينات يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي ذكرت في هذه الآية وذلك ان عيسى عليه السلام
لما اتى بهذه المعجزات العجيبة الباهرة وقصد اليهود قتله فخلصه الله منهم ورفعه الى السماء فقال الذين
كفروا منهم يعني فقال الذين استمروا على كفرهم من اليهود ولم يؤمنوا بهذه المعجزات ان هذا الا سحر مبين
يعني ما جاءهم به عيسى من المعجزات قوله عز وجل واذ اوحيت الى الحواريين يعني الهمتهم وقذفت في قلوبهم
فهو وحي الهام كما اوحى الى ام موسى والى النحل والحواريون هم اصحاب عيسى وخواصه ان آمنوا بي وبرسولي
يعني عيسى عليه السلام قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون لما وفقهم الله للايمان قالوا آمنا وانما قدم ذكر
الايمان على الاسلام لان الايمان من اعمال القلوب والاسلام هو الانقياد والخضوع في الظاهر والمعنى
انهم آمنوا بقلوبهم وانقادوا بظواهرهم قوله تعالى اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع
ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء قال المفسرون هذا على الجواز ولا لاحد ان يتوهم على الحواريين انهم
شكوا في قدرة الله تعالى لكنه كما يقول الرجل لصاحبه هل تستطيع ان تقوم معي وهو يعلم انه يقدر على القيام
وانما قصد بقوله هل تستطيع هل يسهل عليك وهل يخف ان تقوم معي فكذلك معنى الآية لان الحواريين
كانوا مؤمنين عارفين بالله عز وجل ومعترفين بكمال قدرته وانما قالوا ذلك ليحصل لهم مزيد الطمأنينة
كما قال ابراهيم عليه السلام ولكن ليطمئن قلبي ولا شك ان في مشاهدة هذه الآية العظيمة ثواب مزيد
الطمأنينة في القلب ولهذا السبب قالوا وتطمئن قلوبنا وقال بعضهم هو على ظاهره وقد اغلط القوم وقالوا
ذلك قبل استحكام الايمان والمعرفة في قلوبهم وكانوا بشرا فقالوا هذه المقالة فرد الله عليهم عند غلطهم بقوله
قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين يعني اتقوا الله ان كنتم مؤمنين لانه سؤال تعنت وقيل امرهم بالتقوى وقيل
معناه اتقوا الله ان تسألوه شيئا لم يسأله احد من الامم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الآيات بعد الايمان
قالوا نريد ان نأكل منها يعني قال الحواريون مجيبين لعيسى عليه السلام انما نطلب نزول المائدة
علينا لكي نأكل منها فان الجوع قد غلبنا وقيل معناه نريد ان نأكل للتبرك بها لا اكل حاجة
وتطمئن قلوبنا يعني وتسكن قلوبنا ونستيقن قدرة الله تعالى لانا وان علمنا قدرة الله بالدليل
فاذا شاهدنا نزول المائدة ازددنا اليقين وقويت الطمأنينة ونعلم ان قد صدقتنا يعني ونزداد
ايمانا ويقينا بانك رسول الله ونكون عليها من الشاهدين يعني لله بالوحدانية ولك بالرسالة والنبوة
وقيل معناه ونكون لك من الشاهدين عند بني اسرائيل اذا رجعنا اليهم فلما قالوا ذلك امرهم عيسى
ان يصوموا ثلاثين يوما وقال لهم انكم اذا صمتم ذلك وافطرتم فلا تسألون الله تعالى شيئا الا اعطاكم
ففعلوا ذلك وسألوا نزول المائدة فعند ذلك قال عيسى ابن مريم اللهم قيل انه اغتسل
ولبس المسح وصلى ركعتين وطأطأ راسه وبكى ثم دعا فقال اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء
تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا يعني عائدة من الله علينا وحجة وبرهانا والعيد يوم السرور
واصله من عاد يعود اذا رجع والمعنى نتخذ ذلك اليوم الذي تنزل فيه المائدة عيدا نعظمه نحن ونصلي
فيه نحن ومن يجيء من بعدنا فانزلت في يوم الاحد فاتخذه النصارى عيدا وقال ابن عباس معناه ناكل
منها اول الناس كما ياكل آخرهم وآية منك يعني وتكون المائدة دلالة على قدرتك وحجة على نبيك
وحجة بصدق رسولك وارزقنا اي ارزقنا ذلك من عندك وقيل ارزقنا الشكر
على هذه النعمة وانت خير الرازقين يعني وانت خير من تفضل ورزق قال الله مجيبا لعيسى
اني منزلها عليكم يعني المائدة فمن يكفر بعد منكم يعني بعد نزول المائدة فاني اعذبه عذابا
يعني جنسا من العذاب لا اعذبه احدا من العالمين يعني من عالمي زمانهم فجحدوا وكفروا بعد نزول
المائدة فمسخوا خنازير قال الزجاج ويجوز ان يكون هذا العذاب معجلا في الدنيا ويجوز ان يكون
مؤخرا الى الآخرة قال عبد الله بن عمرو ان اشد الناس عذابا يوم القيامة المنافقون ومن كفر من اصحاب
المائدة وآل فرعون واختلفوا في نزول المائدة فقال الحسن ومجاهد لم تنزل المائدة لان الله تعالى

لما اوعدهم على كفرهم بالعذاب بعد نزول المائدة خافوا ان يكفر بعضهم فاستعفوا وقالوا لا نريدها
فلم تنزل عليهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله تعالى اني منزلها ان سألتم نزولها والصحيح الذي عليه
جمهور العلماء والمفسرين انها نزلت لان الله تعالى قال اني منزلها عليكم وهذا وعد من الله بانزالها ولا
خلف في خبره ووعده ويدل على ذلك ما روي عن عمار بن ياسر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزلت
المائدة من السماء خبزا ولحما وامروا ان لا يخونوا ولا يدخروا لغد فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا
قردة وخنازير اخرجه الترمذي وقال قد روي عن عمار من طريق موقوفا وهو اصح قال ابن عباس ان عيسى
عليه السلام قال لهم صوموا ثلاثين يوما ثم اسألوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا فلما فرغوا قالوا
يا عيسى انا لو عملنا عملا لاحد فقضيناه لاطعمنا وسألوا المائدة فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها
عليها سبعة ارغفة وسبعة احوات حتى وضعوها بين ايديهم فاكل منها آخر الناس كما اكل اولهم وقال
سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى صوفا وبكى وقال اللهم ربنا انزل علينا
مائدة من السماء الآية فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي
تهوي اليهم منقضة حتى سقطت بين ايديهم فبكى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم
اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون الى شيء لم ينظروا مثله ولم يجدوا ريحا اطيب من
ريحه فقال عيسى عليه السلام ليقم احسنكم عملا فيكشف عنها ويسم الله فقال شمعون
الصفا راس الحواريين انت اولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء
كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس فيها شوك
ولا عليها فلوس تسيل من الدسم وعند راسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث
واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى
الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا هذا ام من طعام الجنة فقال عيسى ليس شيء مما ترون
من طعام الدنيا ولا من طعام الجنة ولكنه شيء افتعله الله بقدرته العالية كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم
من فضله فقالوا يا روح الله كن اول من ياكل منها فقال معاذ الله ان آكل منها يأكل منها من سألها فخافوا
ان ياكلوا منها فدعى لها اهل الفاقة والمرضى والبرص والجذام والمقعدين فقال كلوا من رزق الله لكم الهنا
ولغيركم البلاء فاكلوا منها وهم الف وثلاثمائة رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى وصدروا عنها
وهم شباعا واذا السمكة كهيئتها حين نزلت ثم طارت المائدة صعودا وهم ينظرون اليها حتى توارت
ولم ياكل منها مريض او زمن او مبتلى الا عوفي ولا فقير الا استغنى وندم من لم ياكل منها فمكثت اربعين
صباحا تنزل ضحى فاذا نزلت اجتمع اليها الاغنياء والفقراء والكبار والصغار والرجال والنساء ياكلون
منها ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفيء طارت وهم ينظرون اليها حتى تتوارى
عنهم وكانت تنزل غبا يوما تنزل ويوما لا تنزل فاوحى الله عز وجل الى عيسى عليه السلام اجعل
مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فشكوا وشككوا الناس فيها وقالوا اترون المائدة حقا
تنزل من السماء فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اني شرطت ان من كفر بعد نزولها عذبته عذابا
لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام عند ذلك ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر
لهم فانك انت العزيز الحكيم فمسخ الله منهم ثلاثمائة وثلاثين رجلا باتوا ليلتهم مع نسائهم على فرشهم
ثم اصبحوا خنازير يسعون في الطرقات ياكلون العذرة من الكناسات والحشوش فلما رأى الناس ذلك
فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا ولما ابصرت الخنازير عيسى عليه السلام يدعوهم باسمائهم
فيشيرون برؤوسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة ايام ثم هلكوا وقال كعب انزلت المائدة
منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل شيء الا اللحم وقال ابن عباس انزلت المائدة
كل شيء الا اللحم والخبز وقال الكلبي كان عليها خبز ورز وبقل وقال وهب ابن منبه انزل الله تعالى

او صفة من شعير وحيتانا فكان القوم يأكلون ويخرجون ثم يجي اخرون فياكلون حتى اكلوا باجمعهم
وفضل وقال قتادة كانت تنزل عليهم بكرة وعشيا حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرائيل وقال الكلبي
ومقاتل نزل الله سمكا وخمسة ارغفة فاكلوا منها ما شا الله والناس الف ونيف فلما رجعوا الى قراهم
ونشروا الحديث ضحك من لم يشهد منهم وقالوا ويحكم انما سحر اعينكم فمن اراد الله به خيرا اثبته ومن
اراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا خنازير ليس فيهم صبي ولا امراة فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم
يتوالدوا فلم ياكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ **قوله** عز وجل واذ قال الله يا عيسى ابن مريم
ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله اختلف المفسرون في وقت هذا القول
فقال السدي قال الله لعيسى هذا القول حين رفعه الى السما بدليل الحرف اذ للماضي وقال سائر المفسرين
انما يقول الله له هذا القول يوم القيامة بدليل قوله يوم يجمع الله الرسل وذلك يوم القيامة
واجيب عن حرف اذ بمعنى بانها قد تجي بمعنى اذا كقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت **وقال** الراجز
ثم جزاك الله عني اذ جزى • جنات عدن في السموات العلا
ولفظ الاية في قوله ءانت قلت للناس لفظ استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ لمن ادعى ذلك على
عيسى عليه السلام من النصارى لان عيسى عليه السلام لم يقله فان قلت اذا كان عيسى عليه السلام
لم يقل هذه المقالة فما وجه هذا السوال مع علم الله تعالى بانه لم يقله قلت وجه هذا السوال
تثبيت الحجة على قومه واكذاب لهم في ادعايهم ذلك عليه وانكارهم به هو كما يقول القايل لاخر
فعلت كذا وهو يعلم انه لم يفعله وانما اراد تعظيم ذلك الفعل فنفى عن نفسه هذه المقالة وقال ما قلت
لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم فاعترف بالعبودية وانه ليس باله كما يزعمون وادعت
فيه النصارى فان قلت ان النصارى لم يقولوا بالهية مريم فكيف قال اتخذوني وامي الهين من دون
الله قلت ان النصارى لما ادعت في عيسى انه اله وراوا انها ولدته لزمهم بهذه المقالة في سبيل
التبعية وقوله تعالى اخبارا عن عيسى عليه السلام قال سبحانك يعني تنزيها لك عن المعيبة النقا
وبراءة لك من العيوب قال ابو روق اذا سمع عيسى عليه السلام هذا الخطاب وهو قوله ءانت قلت للناس
اتخذوني وامي الهين من دون الله ارتعدت مفاصله وانفجرت من اصل كل شعرة من اصل جسده عين من
دم قال مجيبا لله تعالى سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق اي كيف اقول هذا الكلام ولست
باهل ولست استحق العبادة حتى ادعوا الناس اليها ولما بين انه ليس له ان يقول مثل هذه وبين ا
المقام مقام التواضع والخشوع لعظمة الله تعالى شرع في بيان هل ذلك وقع منه ام لا فقال ان كنت
قلته فقد علمته اسند العلم الى الله تعالى وهذا هو غاية الادب واظهار المسكنة لعظمة الله
تعالى وتفويض الامر الى علمه ثم **قال** تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك يعني تعلم
ما اعلم ولا اعلم ما تعلم وقال ابن عباس تعلم ما في غيبي ولا اعلم ما في غيبك وقيل معناه تعلم
ما اخفي ولا اعلم ما تخفي وقيل معناه تعلم ما اقول وافعل ولا اعلم ما تقول وتفعل والنفس عبارة
عن ذات الشي يقال نفس الشي وذاته بمعنى واحد وقال الزجاج النفس عبارة عن جملة الشي وحقيقته
تقول تعلم جميع ما اعلم من حقيقة امري ولا اعلم حقيقة امرك وقيل معناه تعلم معلومي ولا اعلم
معلومك وانما ذكر هذا الكلام على سبيل المشاكلة والمطابقة وهو من فصيح الكلام ثم قال
انك انت علام الغيوب يعني تعلم ما كان وما سيكون وهذا تاكيد لما تقدم من قوله تعالى تعلم
ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب قوله تعالى اخبارا عن عيسى ما قلت لهم الا
ما امرتني به يعني ما قلت لهم الا قولا امرتني به ان اعبدوا الله يعني قلت لهم اعبدوا الله
ربي وربكم يعني وحده ولا تشركوا به شيا وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم يعني وكنت
اعلم ما تفعلون واحصره ما دمت مقيما فيهم فلما توفيتني يعني فلما رفعتني الى السما فالمراد به

وفاة الرفع لا الموت كنت انت الرقيب عليهم يعني الحفيظ عليهم المراقب لاعمالهم واحوالهم والرقيب
الحافظ الذي لا يغيب عنه شي وانت على كل شي شهيد يعني انت شهدت مقالتي فيهم وانت
الشهيد عليهم بعد ما رفعتني اليك لا يخفى عليك خافية فتعالى هذا الشهيد هنا بمعنى الشاهد لما
كان وما يكون ويجوز ان يكون الشهيد هنا بمعنى العليم يعني انت العالم بكل شي فلا يعزب عن علمه شي قوله
عز وجل اخبارا عن عيسى عليه السلام ان تعذبهم يعني ان تعذب هولا الذين قالوا هذه المقالة
بان تميتهم على كفرهم فانهم عبادك لا يقدرون على دفع ضرك عنهم ولا جلب نفع لانفسهم وانت
العادل فيهم لانك اوضحت لهم طريق الحق فجحدوا عنه وكفروا وان تغفر لهم يعني [illegible]
عن كفرهم منهم بان تهديهم الى الايمان فان ذلك بفضلك ورحمتك فانك انت العزيز يعني في الا
نتقام ممن تريد الانتقام منه لا يمتنع عليك ما تريده الحكيم في افعالك كلها وهذا التفسير
انما يصح على قول السدي لانه قال كان سوال الله عز وجل لعيسى عليه السلام حين رفعه الى السما
قبل يوم القيامة واما على قول جمهور المفسرين ان هذا السوال انما يقع يوم القيامة ففي قوله وان
تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اشكال وهو انه لا يليق بعيسى عليه السلام طلب المغفرة مع علمه
ان الله تعالى لا يغفر لمن مات على الشرك **والجواب** عن هذا الاشكال من وجوه احدها انه ليس
هذا على طريق طلب المغفرة ولو كان كذلك لقال فانك انت الغفور الرحيم ولكنه على تسليم الامر الى الله
وتفويضه لما اراده فيهم لانه العزيز في ملكه الحكيم في فعله فيجوز في حكمته وسعة مغفرته ورحمته انه
يغفر للكفار لكنه تعالى اخبر انه لا يفعل ذلك بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به الوجه الثاني قيل
معناه ان تعذبهم يعني باقامتهم على كفرهم الى الموت وان تغفر لهم يعني لمن امن منهم وتاب ورجع عن كفره
الوجه الثالث قال ابن الانباري لما قال الله لعيسى ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون
الله لم يقع لعيسى الا ان النصارى حكت عنه الكذب لانه لم يقل ذلك وقول الكذب ذنب فيجوز ان يسال
له المغفرة والله اعلم بمراده في اسرار كتابه م عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم
تلا قول الله عز وجل في ابراهيم رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني الاية وقال عيسى ان
تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال
الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فسله ما يبكيك فاتاه جبريل عليه السلام فاخبره
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال والله اعلم **فقال** الله يا جبريل اذهب الى محمد فقل
له انا سنرضيك في امتك ولا نسوك عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام حتى اصبح باية والاية
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم اخرجه النساي قوله قال الله هذا
يوم ينفع الصادقين صدقهم جمهور العلما على ان المراد بهذا القول اليوم يوم القيامة والمعنى
ان صدقهم في الدنيا ينفعهم في الاخرة لانه يوم الاثابة والجزا ولما تقدم من صدقهم في الدنيا تبين نفعه
يوم القيامة والمراد بالصادقين النبيين والمومنين لان الكفار لا ينفعهم صدقهم يوم القيامة
قال قتادة متكلمان يخطبان يوم القيامة عيسى عليه السلام فانه يقوم فيقول ما قص الله عنه
ما قلت لهم الا ما امرتني به الاية فكان صادقا في الدنيا والاخرة فنفعه صدقه واما المتكلم الاخر فابليس
فانه يقول وما كان لي عليكم من سلطان الاية فصدق عدو الله فيما قال ولم ينفعه صدقه وقال عطا هذا
يوم من ايام الدنيا لان الاخرة دار جزا لا دار عمل وذهب في هذا القول الى ظاهر الاية من الصدق النافع
انما يكون في الدنيا وهذا القول موافق لمذهب السدي حيث يقول ان هذه المخاطبة جرت مع عيسى عليه
السلام والوجه ما ذهب اليه الجمهور ثم ذكر الله تعالى ما لهم من الثواب على صدقهم لهم جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا فهذا اشارة الى ما يحصل لهم من الثواب الدايم الذي لا انقطا
له ولا انتها رضي الله عنهم يعني بطاعتهم له ورضوا عنه يعني بما اعطاهم من ثوابه وجزيل كرامته

ذلك اشارة الى ما ذكره من ثوابهم الفوز العظيم يعني انهم فازوا بالجنة ورضوا الله عنهم ونجوا من
النار لله ملك السموات والارض وما فيهن عظم الله عز وجل نفسه عما قالته النصارى يعني
ان الذي له ملك السموات والارض هو الذي يستحق الالهية لا ما قالت النصارى من الهية المسيح
وامه لانهما من جملة من في السموات والارض فما عبيده وفي ملكه وقيل هو جواب سؤال مضمر
في الكلام لانه كانه لما وعد الصادقين بالثواب العظيم فقيل من يعطيهم ذلك فقال الذي له ملك
السموات والارض وهو على كل شيء قدير والله اعلم باسرار كتابه

سورة الانعام

فصل في ذكر نزولها روى مجاهد عن ابن عباس ان سورة الانعام مما نزل بمكة وهذا
قول الحسن وقتادة وجابر بن زيد وروى يوسف بن مهران عن ابن عباس قال نزلت سورة الانعام جملة
ليلا بمكة وحولها سبعون الف ملك وروى ابو صالح عن ابن عباس قال هي مكية نزلت جملة
واحدة نزلت ليلا وكتبوها من ليلتهم غير ست آيات منها فانها مدنيات وهي قوله تعالى قل تعالوا اتل
ما حرم ربكم عليكم الى آخر الثلاث آيات وقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره الآية وقوله تعالى ومن اظلم
ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي الى آخر الآيتين وذكر مقاتل نحو هذا وزاد آيتين وهو قوله
تعالى والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق الآية وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب
يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الآية وروي عن ابن عباس وقتادة انهما قالا هي مكية الا آيتين نزلتا
بالمدينة قوله وما قدروا الله حق قدره وقوله وهو الذي انشأ جنات معروشات وغير معروشات
الآية ولما نزلت سورة الانعام ومعها سبعون الف ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل
بالتسبيح والتحميد قال النبي صلى الله عليه وسلم سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا
قال البغوي وروي عنه مرفوعا صلى عليه اولئك السبعون الف ملك ليله ونهاره وذكره بغير سند

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذي خلق السموات
والارض قال كعب الاحبار هذه الآية اول آية في التوراة وآخر آية في التوراة قوله تعالى وقل الحمد
لله الذي لم يتخذ ولدا الآية وفي رواية عنه ان آخر آية في التوراة آخر سورة هود قال ابن عباس
افتتح الله الخلق بالحمد لله فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختمهم بالحمد فقال تعالى
وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين وفي قوله الحمد لله تعليم العباد كيف يحمدونه اي
قولوا الحمد لله وقال اهل المعاني لفظه خبر ومعناه الامر اي احمدوا الله وانما جاء على صيغة الخبر
وفيه معنى الامر لانه ابلغ في البيان من حيث انه جمع الامرين ولو قال احمدوا الله لم يجمع الامرين فكان
قوله الحمد لله ابلغ في البيان وقد تقدم معنى الحمد في تفسير فاتحة الكتاب بما فيه مقنع الذي خلق
السموات والارض اي احمدوا الله الذي خلق السموات والارض وانما خصهما بالذكر لانهما اعظم
المخلوقات فيما يرى العباد لان السماء بغير عمد ترونها وفيها العبر والمنافع والارض مسكن الخلق
وفيها العبر والمنافع وجعل الظلمات والنور الجعل هنا بمعنى الخلق وخلق الظلمات والنور
قال السدي يريد بالظلمات ظلمات الليل وبالنور نور النهار وقال الحسن يعني بالظلمات الكفر
وبالنور الايمان وقيل يعني بالظلمات الجهل وبالنور العلم **وقيل** الجنة والنار قال
قتادة خلق الله السموات قبل الارض وخلق الظلمة قبل النور وخلق الجنة قبل النار روي عن عبد
الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم القى عليهم
من نوره فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل ذكره البغوي بغير سند ثم الذين كفروا
بربهم يعدلون يعني والذين كفروا بعد هذا البيان بربهم يشركون واصل العدل مساواة الشيء
بالشيء والمعنى انهم يعدلون بالله غير الله فيجعلون له عديلا من خلقه فيعبدون الحجارة
مع اقرارهم بان الله خلق السموات والارض وقال النضر بن شميل الباء في قوله بربهم بمعنى عن

يعدلون ويتخذون من العدول عن الشيء وقيل دخول ثم في قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون دليل على معنى
لطيف وهو انه تعالى دل على انكاره على الكفار العدل به وعلى تعجيب المؤمنين من ذلك ومثال ذلك
ان تقول لرجل اعطيتك واحسنت اليك وانت تشكوني وتجحد احساني اليك فتقول ذلك منكرا عليه
ومتعجبا من فعله قوله تعالى هو الذي خلقكم من طين يعني انه تعالى خلق آدم من طين وانما خاطب
ذريته بذلك لانه اصلهم وهم من نسله وذلك لما انكر المشركون البعث وقالوا من يحيي العظام وهي
رميم اعلمهم بهذه الآية انه خلقهم من طين وهو القادر على اعادة خلقهم وبعثهم بعد الموت قال
السدي لما اراد الله عز وجل ان يخلق آدم بعث جبريل الى الارض لياتيه بقبضة منها فقالت الارض
اني اعوذ بالله منك ان تقبض مني فرجع ولم ياخذ منها شيئا فقال يا رب عاذت بك فبعث الله ميكائيل
فاستعاذت فرجع فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال وانا اعوذ به ان اخالف امره واخذ من وجه
الارض فخلط الحمراء والسوداء والبيضاء فلذلك اختلفت الوان بني آدم ثم عجنها بالماء العذب والملح فلذلك
اختلفت اخلاقهم ثم قال الله لملك الموت رحم جبريل وميكائيل الارض ولم ترحمها لا جرم
اجعل ارواح من اخلق من هذا الطين بيدك عن ابي موسى الاشعري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض
منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب اخرجه ابو داود والترمذي
قوله تعالى ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده اختلف العلماء في معنى ذلك فقال الحسن
وقتادة والضحاك الاجل الاول من وقت الولادة الى وقت الموت والاجل الثاني من وقت الموت
الى البعث وهو البرزخ ويروى نحو ذلك عن ابن عباس قال لكل احد اجلان اجل الى الموت واجل من الموت
الى البعث الى اجل فان كان الرجل برا تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث الى اجل العمر وان كان فاجرا
قاطعا للرحم نقص من اجل العمر وزيد في اجل البعث وذلك قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في
كتاب وقال مجاهد وسعيد بن جبير الاجل الاول اجل الدنيا والاجل الثاني اجل الآخرة وقيل الاجل
هو الوقت المقدر واجل كل انسان مقدر معلوم عند الله لا يزيد ولا ينقص والاجل الثاني هو يوم
القيامة وهو ايضا معلوم مقدر عند الله لا يعلمه وقال ابن عباس في رواية عطاء عنه ثم قضى اجلا
يعني النوم تقبض فيه الروح ثم ترجع عند الانتباه واجل مسمى عنده هو اجل الموت وقيل هما واحد
ومعناه ثم قضى اجلا يعني قدر مدة الاعمار التي تنتهون اليها واجل مسمى عنده لا يعلمه الا هو والمراد
بقوله عنده يعني في اللوح المحفوظ الذي لا يطلع عليه غيره ثم انتم تمترون يعني ثم انتم
تشكون في البعث قوله عز وجل وهو الله في السموات وفي الارض يعني وهو الاله في السموات وفي
الارض **وقيل** معناه وهو المعبود في السموات وفي الارض وقال محمد بن جرير الطبري معناه
وهو الله في السموات يعلم سركم وجهركم في الارض وقال الزجاج فيه تقديم وتاخير وهو الله يعلم
سركم وجهركم في السموات وفي الارض وقيل معناه وهو المنفرد بالتدبير في السموات وفي الارض
لا شريك له فيهما والمراد بالسر ما يخفيه الانسان في ضميره فهو من اعمال القلوب وبالجهر ما يظهره
الانسان من اعمال الجوارح والمعنى ان الله لا يخفى عليه خافية في السموات ولا في الارض ويعلم
ما تكسبون يعني من خير او شر فان قلت في الآية سؤال وهو ان الكسب اما ان يكون من اعمال القلوب
وهو المسمى بالسر او من اعمال الجوارح وهو المسمى بالجهر فالاعمال لا تخرج عن هذين النوعين يعني السر والجهر
فقوله ويعلم ما تكسبون يقتضي عطف الشيء على نفسه وذلك غير جائز فما معنى ذلك والجواب
عنه يعني انه يجب حمل قوله ويعلم ما تكسبون على ما يستحقه الانسان على فعله وكسبه والا
لزم عطف الشيء على نفسه ذكره الامام فخر الدين وما تاتيهم يعني لاهل مكة من آية من آيات

رسالتهم يعني من المعجزات الباهرات التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير
ذلك وقيل المراد بالآيات آيات القرآن إلا كانوا عنها معرضين يعني إلا كانوا لها تاركين وبها مكذبين
فقد كذبوا بالحق يعني بآيات القرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أتى به من المعجزات لما جاءهم
يعني لما جاءهم الحق من عند ربهم كذبوا به فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن يعني فسوف
يأتي أخبار استهزائهم إذا عذبوا في الآخرة قوله ألم يروا الخطاب لكفار مكة يعني ألم ير هؤلاء
المكذبين بآياتي كم أهلكنا من قبلهم من قرن يعني مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الأمم الماضية
والقرون الخالية والقرن الأمة من الناس وأهل كل زمان قرن سموا بذلك لاقترانهم في الوجود في ذلك
الزمان وقيل سمي قرنا لأنه زمان بزمان وأمة بأمة واختلفوا في مقدار القرن فقيل ثمانون
سنة وقيل مائة وعشرون سنة وقيل أربعون سنة وقيل ثلاثون سنة وقيل مائة وعشرون سنة وقيل
مائة سنة وهو الأصح لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بسر المازني إنك تعيش
قرنا فعاش مائة سنة فعلى هذا القول المراد بالقرن أهله الذين وجدوا فيه ومنه قول النبي صلى الله عليه
وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم يعني أصحابه وتابعيهم وتابعي التابعين
مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم يعني أعطيناهم ما لم نعطكم يا أهل مكة وقيل أمددنا لهم في العمر
والبسطة في الأجسام والسعة في الأرزاق مثل ما أعطى قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وأرسلنا
السماء عليهم مدرارا مفعالا من الدر يعني وأرسلنا المطر متتابعا في أوقات الحاجة إليه والمراد
بالسماء المطر يعني بذلك كثرة المطر وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم يعني وفجرنا لهم العيون تجري من تحتهم
والمراد منه البساتين فأهلكناهم بذنوبهم يعني بسبب ذنوبهم وكفرهم وأنشأنا من بعدهم قرنا
آخرين يعني وخلقنا من بعد هلاك أولئك القرن أهل قرن آخرين وفي هذه الآية ما يوجب الاعتبار
والموعظة بحال من مضى من الأمم السابقة والقرون الخالية فإنهم مع ما كانوا فيه من القوة وسعة الرزق
وكثرة الأتباع أهلكناهم لما كفروا وطغوا فكيف حال من هو أضعف منهم وأقل عددا وعددا وهذا
يوجب الاعتبار والانتباه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة قوله عز وجل ولو نزلنا عليك
كتابا في قرطاس الآية قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية ونوفل بن خويلد
قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنه من
عند الله وأنك رسوله فأنزل الله هذه الآية ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس يعني مكتوبا في رق يعني مكتوبا
في قرطاس وهو الكاغد والصحيفة التي يكتب فيها فلمسوه بأيديهم يعني فعاينوه ومسوه بأيديهم وإنما
ذكر اللمس ولم يذكر المعاينة لأنه أبلغ في إيقاع العلم بالشيء من الرؤية لأن المرئيات قد يدخلها التخييل
كالسحر ونحوه بخلاف الملموس لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين يعني لو نزلت عليهم كتابا كما سألوا
لما آمنوا به ولقالوا هذا سحر مبين كما قالوا في انشقاق القمر وإنه لا ينفع معهم شيء لما سبق فيهم من علمي بهم وقالوا
يعني مشركي مكة لولا يعني هلا أنزل عليه يعني على محمد ملك يعني نراه عيانا ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر
يعني لفرغ من الأمر ولوجب العذاب وهذه سنة الله في الكفار أنهم متى اقترحوا آية ثم لم يؤمنوا استوجبوا
العذاب واستؤصلوا ثم لا ينظرون يعني ثم إنهم لا يمهلون ولا يؤخرون طرفة عين بل يعجل لهم العذاب
ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا يعني ولو أرسلنا إليهم ملكا لجعلناه في صورة رجل وذلك أن البشر لا يستطيع
أن ينظروا إلى الملائكة في صورهم التي خلقوا عليها ولو نظر إلى الملك ناظر لصعق عند رؤيته ولذلك كانت
الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الإنس كما جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي وكما جاء
الملكان إلى داود عليه السلام في صورة رجلين وكذلك أتى الملائكة إلى إبراهيم ولوط عليهما السلام ولما
رأى النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته التي خلق عليها صعق لذلك وغشي عليه قوله تعالى

وللبسنا عليهم ما يلبسون يقال لبست الأمر على القوم إذا شبهته عليهم وجعلته مشكلا ولبست
عليه الأمر إذا خلطته عليه حتى لا يعرف جهته ومعنى الآية ولخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا
فلا يدروا أملك هو أم آدمي وقيل في معنى الآية إنا إذا جعلنا الملك في صورة البشر لظنوه
بشرا فيعودون المسألة بحالها إنا لا نرضى برسالة البشر ولو فعل الله عز وجل ذلك صار فعل
الله مثل فعلهم في التلبيس وإنما كان تلبيسا لأنهم يظنون أنه ملك وليس بملك ويظنون أنه
بشر وليس هو ببشر وإنما كان فعلهم تلبيسا لأنهم لبسوا على ضعفتهم في أمر النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا إنما هو بشر مثلكم ولو رأوا الملك رجلا لحقهم من اللبس مثل ما لحق ضعفاءهم فيكون
اللبس نقمة من الله وعقوبة لهم على ما كان منهم من التخليط في السؤال واللبس على الضعفاء
قوله عز وجل ولقد استهزئ برسل من قبلك يعني كما استهزؤا بك يا محمد
وفي هذه الآية تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له عما كان في تكذيب المشركين إياه
واستهزائهم به إذ جعل له أسوة في ذلك بالأنبياء الذين كانوا قبله فحاق أي فنزل وقيل
أحاط وقيل حل بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن والمعنى فنزل العذاب بهم ووجب
عليهم من النقمة والعذاب جزاء استهزائهم وفي هذه الآية تحذير للمشركين الذين يفعلون بنبيهم
كما فعل من كان قبلهم بأنبيائهم فينزل بهم مثل ما نزل بهم قل سيروا في الأرض أي قل يا محمد لهؤلاء
المستهزئين سيروا في الأرض معتبرين ومتفكرين وقيل هو سير الأقدام ثم انظروا فعلى القول
الأول يكون النظر نظر فكر وعبرة وهو بالبصيرة لا بالبصر وعلى القول الثاني يكون المراد
بالنظر نظر العين والمعنى ثم انظروا بأعينكم إلى آثار الأمم الخالية والقرون الماضية وهو
قوله تعالى كيف كان عاقبة المكذبين يعني كيف كان جزاء المكذب به وكيف أورثهم
الكفر والتكذيب الهلاك فحذركم يا أهل مكة عذاب الأمم الخالية قوله
عز وجل قل لمن ما في السموات والأرض قل لله هذا سؤال وجواب والمعنى قل يا محمد لهؤلاء
المكذبين العادلين بربهم لمن ملك من في السموات والأرض فإن أجابوك وإلا فأخبرهم أن ذلك لله الذي
قهر كل شيء وملك كل شيء واستعبد كل شيء لا للأصنام التي تعبدونها أنتم فإنها موات لا تملك
شيئا ولا تملك لغيرها ملكا لا لأنفسها ضرا ولا نفعا وإنما أمره بالجواب عقب السؤال ليكون أبلغ في
التأكيد وآكد في الحجة ولما بين الله تعالى كمال قدرته وتصرفه في سائر مخلوقاته أردفه بكمال رحمته
وإحسانه إليهم فقال تعالى كتب على نفسه الرحمة يعني أنه تعالى أوجب وقضى على نفسه الرحمة
وهذا استعطاف منه للمتولين عنه إلى الإقبال عليه وإخبار بأنه رحيم لعباده وأنه لا يعجل بالعقوبة ويقبل
التوبة والإنابة ممن تاب وأناب (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قضى الله الخلق ولمسلم لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي
وفي رواية للبخاري إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب
عنده فوق العرش وفي رواية لهما إن الله لما خلق الخلق ولمسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب
كتبه على نفسه فهو موضوع عنده زاد البخاري على العرش ثم اتفقا إن رحمتي تغلب غضبي (ق) عن
أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده
تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الدابة حافرها
عن ولدها خشية أن تصيبه زاد البخاري في رواية له فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة
لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النار العذاب ولمسلم
إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام فبها يتعاطفون وبها
يتراحمون وبها تعطف الوحش على ولدها وأخر الله تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم

القيامة م عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق يوم خلق السموات
والأرض مائة رحمة كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض فجعل منها في الأرض رحمة فبها تعطف
الوالدة على ولدها والوحش والطير بعضها على بعض فإذا كان يوم القيامة أكملها بهذه الرحمة
ق عن عمر قال قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبي فإذا امرأة من السبي تسعى قد تحلب
ثديها إذ وجدت صبيا في السبي فأخذته فألصقته ببطنها فأرضعته فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار وهي تقدر أن لا تطرحه قلنا لا والله فقال
الله أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها وقوله تعالى ليجمعنكم لام القسم تقديره والله ليجمعنكم
إلى يوم القيامة يعني في يوم القيامة وقيل معناه في قبوركم إلى يوم القيامة لا ريب فيه أي لا شك
فيه أنه آت الذين خسروا أنفسهم يعني بالشرك بالله أو غبنوا أنفسهم وغبنوها باتخاذهم الأصنام
فعرضوا أنفسهم لسخط الله وأليم عقابه فكانوا كمن خسر شيئا وأصل الخسار الغبن يقال خسر الرجل إذا
إذا غبن في بيعه فهم لا يؤمنون يعني لما سبق لهم من الخسران فهو الذي حملهم على الامتناع من الإيمان
قوله تعالى وله ما سكن في الليل والنهار يعني وله ما استقر وقيل وله ما سكن وما تحرك فاكتفى
بذكر أحدهما عن الآخر وقيل إنما خص السكون بالذكر لأن النعمة فيه أكثر وقال ابن جرير كل ما طلعت عليه
الشمس وغربت فهو من ساكن الليل والنهار فيكون المراد جميع ما حصل في الأرض من الدواب والحيوانات والطير
وغير ذلك مما في البر والبحر وهذا يفيد الحصر والمعنى أن جميع الموجودات ملك لله تعالى لا لغيره وهو
السميع لأقوالهم وأصواتهم العليم بسرائرهم وأحوالهم قوله عز وجل قل أغير الله أتخذ وليا
قال مقاتل لما دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دين آبائه فأنزل الله هذه الآية فقال قل لهم يا محمد
أغير الله أتخذ وليا يعني ربا ومعبودا أو ناصرا وهو استفهام ومعناه الإنكار أي لا أتخذ غير الله
وليا فاطر السموات والأرض أي خالق السموات والأرض ومبدعهما ومبديهما وهو يطعم ولا يطعم
يعني وهو يرزق ولا يرزق وصف الله عز وجل نفسه بالغنى عن الخلق وباحتياج الخلق إليه لأن
من كان من صفته أنه يطعم الخلق لاحتياجهم إليه وهو لا يطعم لاستغنائه سبحانه وتعالى عن الإطعام
ومن ذلك وجب أن يتخذ ربا وناصرا ووليا ومعبودا قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم يعني من
هذه الأمة والإسلام بمعنى الاستسلام يعني أمرت أن أستسلم لأمر الله وأنقاد إلى طاعته ولا تكونن
من المشركين يعني وقيل لي يا محمد لا تكونن من المشركين قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب
يوم عظيم يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك إلى عبادة غيره إن ربي أمرني أن أكون أول من أسلم
ونهاني عن عبادة شيء سواه وإني أخاف إن عصيت ربي العذاب يوم عظيم وهو عذاب يوم القيامة
من يصرف عنه يعني العذاب يومئذ يعني يوم القيامة فقد رحمه يعني بأن أنجاه من العذاب ومن
أنجاه من العذاب فقد رحمه وأثابه لا محالة وإنما ذكر الرحمة مع صرف العذاب لئلا يتوهم أنه
صرف العذاب فقط بل يحصل الرحمة مع صرف العذاب عنه وذلك الفوز المبين يعني أن صرف العذاب
وحصول الرحمة هو النجاة والفلاح المبين قوله تعالى وإن يمسسك الله بضر يعني شدة
وبلية والضر اسم جامع لما ينال الإنسان من ألم ومكروه وغير ذلك مما في معناه فلا كاشف له
إلا هو يعني فلا يدفع ذلك الضر إلا الله عز وجل وإن يمسسك بخير يعني بعافية ونعمة والخير اسم
جامع لكل ما ينال الإنسان من لذة وفرح وسرور ونحو ذلك فهو على كل شيء قدير يعني
من دفع الضر وجلب الخير وهذه الآية خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى لا تتخذ وليا
سوى الله لأنه هو القادر على أن يمسك بضر وهو القادر على دفعه عنك وهو القادر على إيصال
الخير إليك وإنه لا يقدر على ذلك إلا الله تعالى فاتخذه وليا وناصرا ومعينا وهذا الخطاب وإن
كان للنبي صلى الله عليه وسلم فهو عام لكل أحد والمعنى وإن يمسسك الله بضر أيها الإنسان فلا

ووليا

كاشف

كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير أيها الإنسان فهو على كل شيء قدير من دفع الضر وإيصال
الخير عن ابن عباس قال كنت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال لي يا غلام إني أعلمك كلمات
احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن
بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعت
على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف أخرجه الترمذي
وزاد فيه رزين تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة وفيه وإن استطعت أن تعمل لله بالرضى في
اليقين فافعل فإن لم تستطع فإن الصبر على ما تكره خير كثير واعلم أن النصر مع الصبر
والفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين قال ابن الأثير وقد جاء نحو هذا أو نحوه
بطوله في مسند أحمد بن حنبل قوله عز وجل وهو القاهر فوق عباده يعني وهو الغالب
لعباده القاهر لهم وهم مقهورون تحت قدرته وهو القاهر كالقهار ومعناه الذي يدبر خلقه بما
يريد فيقع في ذلك ما يشق عليهم ويثقل ويغم ويحزن ويفقر ويميت ويذل خلقه فلا يستطيع أحد
من خلقه رد تدبيره والخروج من تحت قهره وتقديره وهو المعنى القاهر في صفة الله تعالى القادر القاهر
الذي لا يعجزه شيء أراده ومعنى فوق عباده هنا أنه قهره قد استعلى على خلقه فهم تحت التسخير والتذليل
بما علاهم به من الاقتدار والقهر الذي لا يقدر أحد على الخروج منه ولا ينفك عنه فكل من قهر شيئا فهو
مستعل عليه بالقهر والغلبة وقال ابن جرير الطبري يعني القاهر المتعبد خلقه العالي عليهم بتذليله
إياهم فهو فوقهم بقهره إياهم وهم دونه وقيل فوق عباده هو صفة الاستعلاء الذي تفرد به الله عز
وجل وهو الحكيم يعني في أمره وتدبيره عباده الخبير يعني بالعالم وما يصلحهم قوله عز
وجل قل أي شيء أكبر شهادة قال الكلبي أتى أهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
يا محمد أرنا من يشهد أنك رسول الله فإنا لا نرى أحدا يصدقك ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى
فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر فأنزل الله عز وجل قل يعني يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يكذبونك
ويجحدون نبوتك من قومك أي شيء أكبر شهادة يعني أعظم شهادة فإن أجابوك وإلا قل
أنت يا محمد الله شهيد بيني وبينكم قال مجاهد أمر محمد صلى الله عليه وسلم أن يسأل قريشا أي شيء
أكبر شهادة ثم أمره أن يخبرهم فيقول الله شهيد بيني وبينكم يعني يشهد لي بالحق وعليكم
بالباطل الذي تقولوا والحاصل أنهم طلبوا شاهدا مقبول القول يشهد له بالنبوة وهو المراد
بقوله وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به يعني أن الله عز وجل يشهد لي بالنبوة لأنه أوحى إلي
هذا القرآن وهو معجزة لأنكم أنتم الفصحاء البلغاء وأصحاب اللسان وقد عجزتم عن معارضته فإنه
معجز وإذا كان معجزا كان نزوله على شهادة من الله بأني رسوله وهو المراد بقوله لأنذركم
به يعني أوحي إلي هذا القرآن لأخوفكم به وأحذركم مخالفة أمر الله عز وجل ومن بلغ يعني
وأنذر من بلغه القرآن ممن يأتي بعدي إلى يوم القيامة من العرب والعجم وغيرهم من سائر الأمم وكل
من بلغ إليه القرآن وسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم نذير له قال محمد بن كعب القرظي من بلغه
القرآن فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم وكلمه وقال أنس بن مالك لما نزلت هذه الآية كتب رسول
الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى وقيصر وكل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل خ عن عبد الله بن
عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا
حرج ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار شرح ما يتعلق بهذا الحديث قيل الأمر
بالإبلاغ ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم إلى من بعده من قرآن وسنة وقوله عن بني إسرائيل ولا
حرج الحرج الضيق والإثم ومعنى الحديث أنه مهما قلتم عن بني إسرائيل فإنهم كانوا في حال أكثر مما
قلتم وأوسع وليس هذا فيه إباحة الكذب في الأخبار عن بني إسرائيل لكن معناه الرخصة في

الحديث عنهم على بعض المواضع وان لم يتحقق ذلك بنقل الاثار فقد تعذر وبعد المسافة وطول المدة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ اوعى له من سامع اخرجه الترمذي وله عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نضر الله امرأ سمع منا شيئا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو افقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه عن ابن عباس قال قال تسمعون ويسمع منكم ويسمع ممن يسمع منكم اخرجه ابو داود موقوفا **أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى** يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين جحدوا نبوتك واتخذوا آلهة غيري أئنكم أيها المشركون تشهدون أن مع الله يعني الأصنام التي كانوا يعبدونها وانما قال أخرى لأن الجمع يلحقه التأنيث كما قال الله تعالى ولله الأسماء الحسنى فما بال القرون الأولى ولم يقل الأول ولا الأولين **قل لا أشهد** يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين لا أشهد بما تشهدون به أن مع الله آلهة أخرى بل أجحد ذلك وأنكره **قل إنما هو إله واحد** يعني قل لهم إنما الله إله واحد ومعبود واحد لا شريك له وبذلك أشهد **وإنني بريء مما تشركون** يعني وانا بريء من كل شيء تعبدونه سوى الله وفي هذه الآية دليل على اثبات التوحيد لله عز وجل وابطال كل معبود سواه لان كلمة انما تفيد الحصر ولفظة الواحد صريح في التوحيد ونفي الشريك فثبت بذلك ايجاب التوحيد وسلب كل شريك والتبري من كل معبود سوى الله تعالى قال العلماء يستحب لمن أسلم ان يأتي بالشهادتين ويتبرأ من كل دين خالف الاسلام **قوله** تعالى وانني بريء مما تشركون قوله عز وجل **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم** المراد بالذين آتيناهم الكتاب علماء اليهود والنصارى الذين كانوا في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم وذلك ان كفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انا سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر وانكروا معرفتك فبين الله عز وجل ان شهادتهم له كما تنبئ على صحة نبوته وبين في هذه الآية انهم يعرفونه وانهم كذبوا في قولهم انهم لا يعرفونه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة واسلم عبد الله بن سلام قال له عمر بن الخطاب ان الله عز وجل انزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بمكة الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فكيف هذه المعرفة قال عبد الله بن سلام يا عمر لقد عرفته حين رأيته كما اعرف ابني ولأنا أشد معرفة بمحمد صلى الله عليه وسلم مني بابني فقال عمر وكيف ذاك قال انه رسول الله حقا ولا ادري ما يصنع النساء وقوله تعالى **الذين خسروا أنفسهم** يعني اهلكوا انفسهم وغبنوها واوبقوها في نار جهنم بانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وفي الذين خسروا انفسهم قولان احدهما انه صفة للذين الاولى ويكون المقصود من ذلك وعيد المعاندين الذين يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم ويجحدون نبوته وهم كفار اهل الكتاب يعني **فهم لا يؤمنون** يعني به والقول الثاني انه كلام مبتدأ لا تعلق له بالاول وهم كفار مكة الذين لا يؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم وذكروا في معنى الخسار وجهين احدهما انه الهلاك الدائم الذي حصل لهم بسبب كفرهم وانكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والوجه الثاني انه جعل لكل واحد من بني آدم منزلا في الجنة ومنزلا في النار فاذا كان يوم القيامة جعل الله للمؤمنين منازل الكفار التي في الجنة فذلك هو الخسران **قوله** تعالى **ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا** يعني ومن اشد عدوانا واخطأ فعلا واعظم كفرا ممن اختلق على الله كذبا فزعم ان له شريكا من خلقه والها يعبد من دونه كما قالت المشركون من عبدة الاصنام وادعت ان له صاحبة وولدا كما قالت النصارى **أو كذب بآياته** يعني كذب بحججه واعلام ادلته التي اعطاها رسله كما كذبت النصارى اليهود بمعجزات الانبياء وقيل معناه او كذب بآيات القرآن الذي انزله على محمد صلى الله عليه وسلم

انه لا يفلح الظالمون يعني لا ينجح القائلون على الله الكذب والمفترون على الله الباطل **ويوم نحشرهم جميعا** يعني اذكر يوم نحشر العابدين والمعبودين وهو يوم القيامة **ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون** يعني انها تشفع لكم عند ربكم قوله عز وجل **ثم لم تكن فتنتهم** يعني قولهم وجوابهم وقال ابن عباس معذرتهم والفتنة التجربة فلما كان سؤالهم تجربة لاظهار ما في قلوبهم قيل له فتنة قال الزجاج في قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف وذلك ان الرجل يفتتن بمحبوب ثم يصيبه فيه محنة فيتبرأ من محبوبه فيقال لم تكن فتنته الا هذا كذلك الكفار فتنوا بمحبة الاصنام ثم لما رأوا العذاب تبرؤوا منها يقول الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم ومحبتهم للاصنام الا ان تبرؤوا منها وهو **قوله** تعالى **إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين** وذلك اذا شاهدوا يوم القيامة مغفرة الله تعالى لاهل التوحيد فيقول بعضهم لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع اهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على افواههم وتشهد جوارحهم عليهم بالشرك والكفر قال الله تعالى **انظر كيف كذبوا على أنفسهم** يعني انظر يا محمد بعين البصيرة والتأمل الى حال هؤلاء المشركين كيف كذبوا على انفسهم يعني باعتذارهم بالباطل وتبريهم من الاصنام والشرك الذي كانوا عليه واستعمالهم الكذب مثل ما كانوا عليه في دار الدنيا وذلك لا ينفعهم وهو قوله **وضل عنهم** يعني زال عنهم وذهب **ما كانوا يفترون** يعني ما كانوا يكذبون وهو قولهم ان الاصنام تشفع لهم وتنصرهم فبطل ذلك كله في ذلك اليوم قوله تعالى **ومنهم من يستمع إليك** الآية قال الكلبي اجتمع ابو سفيان بن حرب وابو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة والنضر بن الحرث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وامية وابي ابنا خلف والحارث بن عامر يستمعون القرآن فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد قال ما ادري ما يقول الا اني اراه يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضية واخبارها فقال ابو سفيان اني لارى بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل كلا لا تقر بشيء من هذا وفي رواية للموت اهون علينا من هذا فانزل الله تعالى ومنهم من يستمع اليك يعني الى كلامك وقولك يا محمد **وجعلنا على قلوبهم أكنة** يعني اغطية جمع كنان **أن يفقهوه** يعني لئلا يفقهوه وبكراهية ان يفقهوه **وفي آذانهم وقرا** يعني وجعلنا في آذانهم صمما وثقلا وفي هذا دليل على ان الله تعالى يقلب القلوب فيشرح بعضها للهدى والايمان فيقبله ويجعل بعضها في اكنة فلا تفقه كلام الله ولا تؤمن به **وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها** يعني كل معجزة من المعجزات الدالة على صدقك لا يؤمنوا بها يعني لا يصدقوا بها ولا يقروا انها دالة على صدقك **حتى إذا جاؤوك يجادلونك** يعني انهم اذا رأوا الآيات واستمعوا القرآن اتوا جاؤا اليك يجادلونك ويخاصمونك لا يؤمنون بها **يقول الذين كفروا إن هذا** اي ما هذا القرآن **إلا أساطير الأولين** يعني احاديث الاولين من الامم الماضية واخبارهم واقاصيصهم وما سطروا يعني وما كتبوا والاساطير جمع اسطورة واسطارة **وقيل** واحدها سطر واسطار جمعه واساطير جمع الجمع فعلى هذا لو قال قائل لم عابوا القرآن وجعلوه اساطير الاولين وقد سطر الاولون في كتبهم الحكم والعلوم النافعة وما لا يعاب قائله فاجيب عنه بانهم انما نسبوا القرآن الى اساطير الاولين بمعنى انه ليس بوحي من الله تعالى وانما هو اخبار مجردة كما تروى اخبار الاولين وقيل في معنى اساطير الاولين انها الترهات وهي عند العرب طرق غامضة ومسالك وعرة مشكلة يقول قائلهم اخذنا في الترهات بمعنى عدلنا عن الطريق الواضح الى الطريق المشكل الذي لا يعرف فجعلت الترهات مثلا لما لا يعرف ولا يتضح من الامور المشكلة الغامضة التي لا اصل لها قوله عز وجل **وهم ينهون عنه** يعني ينهون الناس عن اتباع محمد

صلى الله عليه وسلم **وينأون عنه** يعني ويتباعدون عنه بأنفسهم نزلت في كفار مكة كانوا
يصدون الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وعن الاجتماع به وينهونهم عن استماع القرآن
وكانوا هم كذلك وقال ابن عباس نزلت في أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى
المشركين عن أذى النبي صلى الله عليه وسلم ويمنعهم منهم وينأى هو بنفسه عن الإيمان به حتى يبعد
حتى روي أنه اجتمع إليه رؤوس المشركين وقالوا له خذ شابا من أصبحنا وجها وادفع إلينا محمدا
فقال لهم ما أنصفتموني أدفع إليكم ابني لتقتلوه وأربي لكم ابنكم وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم
دعا أبا طالب إلى الإيمان فقال لولا أن تعيرني قريش لأقررت بها عينك ولكن أذب عنك ما حييت
وقال في ذلك أبياتا

والله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وأبشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتني وعرفت أنك ناصحي ... ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا قد علمت بأنه ... من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وقوله تعالى **وإن يهلكون إلا أنفسهم** يعني لا يرجع وبال كفرهم وفعلهم إلا عليهم
وما يشعرون يعني بذلك قوله تعالى **ولو ترى إذ وقفوا على النار** يعني في النار فوضع على
في موضع في كقوله على ملك سليمان أي في ملك سليمان وقيل معناه أنهم عرضوا على النار وجواب لو محذوف
والمعنى ولو ترى الكفار الذين ينهون عنك وينأون عنك يا محمد في تلك الحالة لرأيت أمرا عجيبا
وموضعا فظيعا **فقالوا** يعني الكفار **يا ليتنا نرد** يعني إلى الدنيا **ولا نكذب بآيات ربنا
ونكون من المؤمنين** تمنوا أن يردوا إلى الدنيا مرة حتى يؤمنوا ولا يكذبوا بآيات ربهم فرد الله
عليهم ذلك فقال تعالى **بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل** يعني ليس الأمر كما قالوا لو ردوا إلى الدنيا
لآمنوا بل ظهر لهم ما كانوا يسرون في الدنيا من الكفر والمعاصي وقيل ظهر لهم ما كانوا يجحدون من قبل
قولهم والله ربنا ما كنا مشركين فأخفوا شركهم وكتموه فأظهر الله عليهم حين شهدت عليهم جوارحهم
بما كتموا وستروا من شركهم **وقيل** ظهر لهم ما أخفوا من الكفر فعلى هذا تكون الآية في المنافقين
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون يعني في قولهم لو رددنا إلى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا
ونكون من المؤمنين **وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين** وهذا خبر عن حال منكري
البعث وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما أخبر الكفار عن أحوال القيامة وأهوالها وما أعد
الله في الآخرة من الثواب للمؤمنين المطيعين وما أعده من العقاب للكفار والعاصين
قالوا يعني الكفار إن هي أي ما هي إلا حياتنا الدنيا أي ليس لنا غير هذه الدنيا التي نحن فيها
وما نحن بمبعوثين يعني بعد الموت وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هذا خبر من الله عن هؤلاء
الكفار الذين وقفوا على النار أنهم لو ردوا إلى الدنيا لقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين
قوله عز وجل **ولو ترى إذ وقفوا على ربهم** يعني على حكم ربهم وقضائه ومسألته وقيل معناه
عرضوا على ربهم **قال أليس هذا بالحق** أي يقول الله يوم القيامة أليس هذا البعث والنشر بعد
الموت الذي كنتم تنكرونه في الدنيا وتكذبون به وتقولون لا بعث ولا نشور حقا **قالوا بلى وربنا**
يعني أنهم اعترفوا بما كانوا ينكرونه فأجابوا فقالوا بلى والله إنه لحق وقيل تقول لهم خزنة النار
بأمر الله أليس هذا بالحق يعني البعث حقا فأجابوا بقولهم بلى وربنا قال ابن عباس للقيامة
مواقف ففي موقف ينكرون ويقولون والله ربنا ما كنا مشركين وفي موقف يعترفون بما كانوا ينكرونه
في الدنيا **قال فذوقوا العذاب** أي يقول الله لهم ذلك والخزنة تقول لهم ذلك بأمر الله تعالى وإنما

بلى

خص

وإنما خص لفظ الذوق لأنهم في كل حال يجدون ألم العذاب وجدان الذائق في شدة الإحساس
بما كنتم تكفرون يعني هذا العذاب بسبب كفركم وجحودكم البعث بعد الموت قوله تعالى
قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يعني خسروا أنفسهم بسبب تكذيبهم بالمصير إلى الله تعالى بالبعث
بعد الموت وهذا الخسران هو فوت الثواب العظيم في دار النعيم المقيم وحصول العذاب الأليم
في دركات الجحيم **حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة** يعني جاءتهم القيامة فجاءة سميت ساعة لسرعة
الحساب فيها لأن حساب الخلائق يوم القيامة يكون في ساعة أو أقل من ذلك **قالوا** يعني
منكري البعث وهم كفار قريش ومن سلك سبيلهم في الكفر والاعتقاد **يا حسرتنا** يعني
يا ندامتنا والحسرة التلهف على الشيء الفائت وذكرت على وجه النداء للمبالغة والمراد تنبيه
المخاطبين على ما وقع بهم من الحسرة **على ما فرطنا** يعني قصرنا **فيها** يعني في الدنيا لأنها
موضع التفريط في الأعمال الصالحة والمعنى يا حسرتنا على الأعمال الصالحة التي فرطنا فيها في دار
الدنيا **وقال** محمد بن جرير الطبري الهاء والألف في قوله فيها تعود إلى الصفقة ولكن
اكتفى بدلالة قوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله عليها في ذكرها إذ كان معلوما أن الخسران
لا يكون إلا في صفقة بيع قد جرى ومعنى الآية قد وكس الذين كذبوا بلقاء الله ببيعهم الإيمان
الذي يستوجبون به رضوان الله وجنته بالكفر الذي يستوجبون به سخط الله وعقوبته وهم لا يشعرون بذلك حتى تقوم الساعة فإذا جاءتهم الساعة بغتة
رأوا ما لحقوا من الخسران في بيعهم قالوا حينئذ يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وروى الطبري بسنده
عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يا حسرتنا قال يرى أهل النار منازلهم
من الجنة فيقولون يا حسرتنا وقوله تعالى **وهم يحملون أوزارهم** يعني أثقالهم على ظهورهم
والأوزار الخطايا والذنوب وأصل الوزر الثقل والحمل يقال وزرته إذا حملته وإنما قيل للذنوب
أوزار لأنها تثقل ظهر من يحملها قال قتادة والسدي إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله
أحسن شيء صورة وأطيبه ريحا فيقول له هل تعرفني فيقول لا فيقول أنا عملك الصالح طالما ركبتني
في الدنيا الطيب الصالح فاركبني فقد طالما ركبتك في الدنيا فذلك قوله يوم نحشر المتقين
إلى الرحمن وفدا يعني ركبانا وأما الكافر فيستقبله أقبح شيء صورة وأنتنه ريحا فيقول
هل تعرفني فيقول لا فيقول أنا عملك الخبيث طالما ركبتني في الدنيا فأنا اليوم أركبك
فذلك معنى قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقال عمرو بن هانئ يحشر مع كل كافر عمله في
صورة رجل قبيح كلما رأى هولا من صورته وقبحه زاده خوفا فيقول له بئس الجليس أنت فيقول
أنا عملك طالما ركبتني فلأركبنك اليوم حتى أخزيك على رؤوس الخلائق فيركبه ويتخطى به
الناس حتى يقف بين يدي ربه تعالى فذلك قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم وقال
الزجاج الثقل كما يذكر في الوزن فقد يذكر في الحال والصفة يقال وزر على كلام فلان بمعنى
كرهته فالمعنى أنهم يقاسون من العقاب ذنوبهم مقاساة يثقل ذلك عليهم فعلى هذا
القول يكون قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم مجازا عما يقاسونه من شدة العذاب وقيل
في معنى الآية إن أوزارهم لا تزايلهم كما يقول شخصك نصب عيني أي ذكرك ملازم لي **ألا ساء
ما يزرون** يعني بئس الشيء شيئا يحملونه وقال ابن عباس بئس الحمل حملوا قوله عز وجل **وما الحياة
الدنيا إلا لعب ولهو** أي باطل وغرور لا بقاء لها وهذا فيه رد على منكري البعث في قولهم إن
هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين فقال الله ردا عليهم ومكذبا لهم وما الحياة الدنيا إلا
لعب ولهو وهل المراد بهذه الحياة حياة المؤمن أو الكافر فيه قولان أحدهما أن المراد بها حياة
الكافر لأن المؤمن لا يزداد بحياته في الدنيا إلا خيرا لأنه يحصل في أيام حياته من الأعمال الصا

لحة

والطاعة وما يكون سببا لحصول السعادة في الآخرة واما الكافر فانه كان حياته في الدنيا وبالا عليه قال
ابن عباس يريد حياة اهل الشرك والنفاق والقول الثاني ان هذا عام في حياة المؤمن والكافر لان
الانسان يلتذ باللعب واللهو ثم عند انقضائه يحصل له الحسرة والندامة لان الذي كان فيه من
اللعب واللهو سريع الزوال لا ابقا له فبان بهذا التقرير ان المراد بهذه الحياة حياة المؤمن والكافر
وانه عام فيهما وانما شبه الحياة الدنيا باللعب واللهو لسرعة زوالها وتقرعرها كالشي الذي يتعجب
وقيل معناه ان امر الدنيا والعمل بها لهو ولعب فاما فعل الخير والعمل الصالح فهو من فعل الآخرة
وان كان وقوعه في الدنيا وقيل معناه وما اهل الحياة الدنيا الا اهل لعب ولهو لانه لا يجدي
ولاشتغالهم عما امروا به نسبوا الى اللعب واللهو وقوله تعالى وللدار الآخرة يعني الجنة
واللام فيه لام القسم تقديره وانه الدار الآخرة خير يعني من الدنيا وافضل لان الدنيا سريعة
الزوال ولا انقطاع للذين يتقون يعني الشرك وقيل يتقون اللعب واللهو افلا تعقلون
ان الآخرة افضل من الدنيا فيستعملون لها قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون
يعني قد نعلم يا محمد انه ليحزنك الذي يقوله المشركون لك قال السدي التقى الاخنس بن شريق وابو
جهل بن هشام فقال الاخنس لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق ام كاذب لانه
ليس هنا احد يسمع كلامك غيري فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط ولكن
اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فانزل الله
هذه الآية وقال ناجية بن كعب قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم ما نتهمك ولا نكذبك ولكنا نكذب
الذي جيت به فانزل الله هذه الآية عن علي بن ابي طالب ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم
انا لا نكذبك ولكن نكذب الذي جيت به فانزل الله فيهم فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات
الله يجحدون اخرجه الترمذي من طريقين وقال في احدهما وهذا اصح ففي هذه الآية تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم وتعزية عما يواجهه به قومه لانهم كانوا يعتقدون صدقه وانه ليس بكذاب
وانما حملهم على تكذيبه في الظاهر الحسد والظلم فانهم لا يكذبونك اي انهم لا يكذبونك
في السر لانهم قد عرفوا انك صادق ولكن الظالمين يعني الكافرين بآيات الله يجحدون
يعني في العلانية وذلك انهم جحدوا القرآن بعد معرفة صدق الذي انزل عليه لعنادهم وكفرهم
كما قال تعالى في حق غيرهم وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقيل ظاهر
الآية يدل على انهم لم يكذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وانما جحدوا آيات الله وهي القرآن الدال على
صدقه فعلى هذا يكون المعنى فانهم لا يكذبونك فانهم قد عرفوا صدقك وانما جحدوا صحة
نبوتك ورسالتك قوله عز وجل ولقد كذبت رسل من قبلك يعني ولقد كذبت الامم الخالية
رسلهم كما كذبك قومك فصبروا على ما كذبوا واوذوا يعني ان الرسل عليهم السلام صبروا
على تكذيب قومهم اياهم وصبروا على اذاهم فاصبر انت يا محمد على تكذيب قومك واذاهم لك
كما صبر من كان قبلك من الرسل وهذا فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وازالة لحزنه على
تكذيب قومه له واذاهم اياه حتى اتاهم نصرنا يعني اهلاك من كذبهم ولا مبدل لكلمات الله
يعني ولا ناقض لما حكم الله به من اهلاك المكذبين ونصر المرسلين كما قال ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى كتب الله لاغلبن
انا ورسلي ولا خلف فيما وعد الله به وقوله تعالى ولقد جاءك من نبا المرسلين يعني
ولقد انزلت عليك في القرآن من اخبار المرسلين ما فيه تسلية لك وتسكين قلبك وقال
الاخفش من هنا صلة كما تقول اصابنا من مطر وقال غيره بل هي للتبعيض لان الواصل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص بعض الانبيا واخبارهم بما قال تعالى منهم من قصصنا

عليك

عليك ومنهم من لم نقصص عليك قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم ذكر ابن الجوزي
في سبب نزول هذه الآية ان الحارث بن عامر اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش
فقال ائتنا بآية كما كانت الانبيا تاتي قومها بالآيات فان فعلت آمنا بك فنزلت هذه
الآية رواه ابو صالح عن ابن عباس ومعنى الآية وان كان عظم عليك يا محمد اعراض هولاء
المشركين عنك وعن تصديقك والايمان بك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على
ايمان قومه اشد الحرص وكان اذا سالوه آية احب ان يريهم الله ذلك طمعا في ايمانهم فقال الله
عز وجل فان استطعت ان تبتغي اي تطلب وتتخذ نفقا في الارض يعني سربا في الارض
والنفق سرب في الارض يخلص منه الى مكان آخر او سلما في السما يعني او تتخذ سلما الى
السما والسلم المصعد وهو مشتق من السلامة فتاتيهم بآية يعني بالآية التي سالوا
عنها ومعنى الآية وان كان كبر وعظم عليك اعراض قومك عن الايمان بك فان قدرت ان
تذهب الى الارض او تصعد الى السما فتاتيهم بآية تدلهم على صدقك فافعل فاته حذف
جواب الشرط لانه معلوم عند السامع والمقصود من هذا ان يقطع رسول الله صلى الله عليه
وسلم طمعه عن ايمانهم ولا يتاذى بسبب اعراضهم عنه وعن الايمان به ويدل عليه قوله تعالى
ولو شا الله لجمعهم على الهدى اخبر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم انهم انما تركوا الايمان
واعرضوا عنه واقبلوا على الكفر بمشيئة الله تعالى ونافذ قضائه فيهم وانه لو شا لجمعهم على
الهدى يعني بان لو شا الله فلا تكونن من الجاهلين يعني بان لو شا الله لجمعهم على الهدى
وانه يومن بك بعضهم دون بعض وقيل معناه لا يشتد تحرك على تكذيبهم ولا
تجزع من اعراضهم عنك فتقارب حال الجاهلين الذين لا صبر لهم وانما نهاه عن هذه الحالة
وغلظ له الخطاب تبعيدا له عن هذه الحالة قوله عز وجل انما يستجيب الذين يسمعون
يعني المومنين الذين فتح الله اسماع قلوبهم فهم يسمعون الحق ويستجيبون ويتبعونه
وينتفعون به دون من ختم الله على سمع قلبه وهو قوله والموتى يعني الكفار الذين
لا يسمعون ولا يستجيبون يبعثهم الله يعني يوم القيامة ثم اليه يرجعون فيجزيهم
باعمالهم وقالوا يعني روسا كفار قريش لولا يعني هلا نزل عليه آية من ربه
يعني الملك ليشهد لمحمد بالنبوة وقيل الآية المعجزة الباهرة كمثل معجزات الانبيا قل
يعني قل لهم يا محمد ان الله قادر على ان ينزل آية يعني انه تعالى قادر على ايجاد ما طلبوه
وانزال ما اقترحوا من الآيات والمعجزات الباهرات ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني ماذا
عليهم فيه من العذاب ان لم يومنوا بها وقيل معناه انهم لا يعلمون ان الله قادر على انزال
الآيات وقيل انهم لا يعلمون وجه المصلحة في انزالها قوله تعالى وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم قال العلما جميع ما خلق الله
عز وجل لا يخرج عن هاتين الحالتين اما ان يدب على الارض او يطير في الهوى حتى الحقوا
حيوان الما بالطير لان الحيتان تسبح في الما كما ان الطير يسبح في الهوى وانما خص ما في
الهوى والارض بالذكر دون ما في السما وان كان ما في السما مخلوقا
له لان الاحتجاج بالمشاهد اظهر واولى مما لا يشاهد وانما ذكر الجناح في قوله بجناحيه
للتاكيد كقولك كتبت بيدي ونظرت بعيني الا امم امثالكم قال مجاهد اي اصناف مصنفة
تعرف باسمائها يريد ان كل جنس من الحيوان امة فالطير امة والهوام امة والدواب امة
والسباع امة تعرف باسمائها مثل بني آدم يعرفون باسمائهم كما يقال الانس والناس ويدل
على ان كل جنس من الدواب امة ما روي عن ابي عيسى عبد الله بن مغفل عن النبي صلى الله

عليه وسلم قال لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها فاقتلوا منها كل اسود بهيم اخرجه ابو داود
والترمذي والنسائي فان قلت ثبت بالاية والحديث ان الدواب والطير امم امثالنا وهذه المماثلة
قلت اختلف العلماء في وجه هذه المماثلة فقيل ان الحيوانات هذه تعرف الله وتوحده
وتسبحه وتصلي له كما انتم تعرفون الله وتوحدونه وتسبحونه وتصلون له وقيل انها مخلوقة
لله كما انتم مخلوقون لله عز وجل وقيل انها يفهم بعضها عن بعض ويألف بعضها بعضا كما ان
جنس الانسان يألف بعضهم بعضا ويفهم بعضهم عن بعض وقيل امثالكم في طلب
الرزق وتوقي المهالك ومعرفة الذكر والانثى وقيل امثالكم في الخلق والموت والبعث بعد الموت
للحساب حتى يقتص للجماء من القرنا وهو قوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء يعني في
اللوح المحفوظ لانه يشتمل جميع احوال المخلوقات وقيل ان المراد بالكتاب القرآن يعني ان القرآن
مشتمل على جميع الاحوال ثم الى ربهم يحشرون يعني الدواب والطير قال ابن عباس
حشرها موتها وقال ابو هريرة يحشر الله الخلق يوم القيامة البهائم والدواب والطير وكل شيء
فيأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتؤدن
الحقوق الى اهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء قوله عز وجل والذين
كذبوا باياتنا يعني بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذبوا بحجج الله وادلته على توحيده
صم يعني عن سماع الحق وبكم يعني عن النطق به والمعنى انهم في حال كفرهم وتكذيبهم كمن لا يسمع
ولا يتكلم في الظلمات يعني في ظلمات الكفر حائرين مترددين فيها لا يهتدون سبيلا من يشا
الله يضلله يعني عن الايمان ومن يشا يجعله على صراط مستقيم يعني ومن يشا جعله على دين
الاسلام وفي هذا دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى فمن احب هدايته وفقه بفضله
واحسانه للايمان به ومن احب ضلالته تركه على كفره وذلك عدل منه لانه تعالى هو الفاعل المختار
لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قوله تعالى قل ارايتكم يعني قل يا محمد لهولاء الكفار الذين
تركوا عبادة الله عز وجل وعبدوا غيره من الاصنام اخبروني لقول العرب ارايتك بمعنى اخبرنا
بحالك واصله ارايتم والكاف فيه للتأكيد ان اتاكم عذاب الله يعني قبل الموت مثل ما نزل
بالامم الماضية الكافرة من الغرق والخسف والصواعق ونحو ذلك من العذاب او اتتكم الساعة يعني
القيامة اغير الله تدعون يعني في كشف العذاب عنكم ان كنتم صادقين يعني في دعواكم يعني
الايمان لان الكفار كانوا اذا نزل بهم شدة وبلاء رجعوا الى الله بالتضرع والدعاء وتركوا الاصنام فقيل
لهم ارجعوا الى الله في حال الشدة والبلاء ولا تعبدونه ولا تطيعونه في حال اليسر والرخاء بل اياه
تدعون يعني بل تدعون الله ولا تدعون غيره في كشف ما نزل بكم فيكشف ما تدعون اليه ان شاء
يعني فيكشف الضر الذي تدعون من اجله وانما قيد الاجابة بالمشيئة رعاية للمصلحة وان كانت
الامور كلها بمشيئة الله تعالى وتنسون ما تشركون يعني وتتركون دعاء الاصنام التي تعبدونها
ولا تدعونها لعلمكم انها لا تضر ولا تنفع وقيل معناه انكم في ترككم دعاء الاصنام بمنزلة
من نسيها وهذا معنى قول الحسن لانه قال تعرضون عنها اعراض الناسي لها قوله تعالى ولقد
ارسلنا الى امم من قبلك في الاية محذوف والتقدير ولقد ارسلنا الى امم من قبلك يا محمد رسلا
فخالفوهم وكفروا وحسن هذا الوجه الحذف لكونه معلوما عند السامع فاخذناهم بالباساء
يعني بالفقر الشديد واصله من البؤس وهو الشدة والمكروه وقيل البأساء شدة الجوع والضراء
يعني الامراض والاوجاع والزمانة لعلهم يتضرعون يعني يخضعون ويتوبون والتضرع التخشع
والتذلل للانقياد وترك التمرد واصله من الضراعة وهي الذلة ومقصود الاية ان الله
تعالى اعلم نبيه صلى الله عليه وسلم انه قد ارسل من قبله رسلا الى اقوام بلغوا في القسوة

الى

الى ان اخذوا بالباساء والضراء وهي الشدة في النفس والمال فلم يخضعوا ولم يتضرعوا ففيه تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم فلولا يعني فهلا اذ جاءهم باسنا تضرعوا معناه نفي التضرع فلم يتضرعوا
ولكن قست قلوبهم يعني ولكن غلظت قلوبهم فلم تضرع ولم تخشع بل قاموا على كفرهم وتكذيبهم
رسلهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون يعني من الكفر والتكذيب وتزيين الشيطان اغواؤه
بما في المعصية من اللذة قال ابن عباس يريد زين الشيطان الضلالة التي كانوا عليها فاصروا على
معاصي الله عز وجل قوله عز وجل فلما نسوا ما ذكروا به اي تركوا ما وعظوا به وقيل تركوا
العمل بما امرتهم به الرسل وانما كان النسيان بمعنى الترك لان التارك للشيء معرضا عنه كانه قد
صيره بمنزلة ما قد نسي فتحنا عليهم ابواب كل شيء يعني بدلنا مكان الباساء الرخاء والسعة
في الرزق والعيش ومكان الضر النعمة والصحة والسلامة في الابدان والاجسام وذلك استدراج منه لهم
وقيل فتحنا عليهم ابواب كل شيء من الخير كان مغلقا عنهم حتى اذا فرحوا بما اوتوا يعني فرحوا
بما اوتوا من السعة والصحة في الابدان والمعيشة فظنوا ان ما كان نزل بهم من الشدة لم يكن انتقاما
من الله تعالى وانهم لما فتح الله عليهم ما فتح من الخير والسعة فرحوا به وظنوا ان ذلك باستحقاقهم
وهذا فرح بطر كما فرح قارون بما اوتي من الدنيا اخذناهم بغتة يعني جاءهم عذابنا فجاة حيث
لا يشعرون قال الحسن مكر بالقوم ورب الكعبة وقال اهل المعاني انما اخذوا في حال الرخاء
والسلامة ليكون اشد لتحسرهم على ما فاتهم من حال السلامة والعافية والتصرف في ضروب اللذة
فاخذناهم في امن ما كانوا واعجب ما كانت الدنيا اليهم فاذا هم مبلسون اي ايسون من كل خير
وقال الفراء المبلس اليائس المنقطع رجاؤه ولذلك يقال لمن يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون
له جواب قد ابلس وقال الزجاج المبلس الشديد الحزن والحسرة وقال ابو عبيدة اليائس النادم
الحزين والابلاس هو الاطراق من الحزن والندم روي عن عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا رايت الله تعالى يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك استدراج
ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الاية ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري وقوله تعالى فقطع
دابر القوم الذين ظلموا يعني اخرهم والمعنى انهم استوصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية والحمد
لله رب العالمين قال الزجاج حمد الله نفسه على ان قطع دابرهم واستاصل شافتهم ومعنى
هذا ان قطع دابرهم نعمة انعمها الله تعالى على الرسل الذين ارسلوا اليهم فكذبوهم فذكر الحمد
تعليما للرسل ولمن امن بهم ليحمدوا الله على كفايته اياهم شر الذين ظلموا وليحمد محمد صلى الله عليه
وسلم واصحابه ربهم اذا اهلك المشركين المكذبين وقيل معناه الثناء الكامل والشكر
الدائم لله رب العالمين على انعامه على رسله واهل طاعته باظهار حجتهم على من خالفهم واهلاك
اعدائهم واستيصالهم بالعذاب قوله تعالى قل ارايتم يعني قل يا محمد لهولاء المشركين ان اخذ
الله سمعكم يعني الذي تسمعون به فاصمكم حتى لا تسمعون شيئا وابصاركم يعني واخذ ابصاركم
التي تبصرون بها فاعماكم حتى لا تبصروا شيئا اصلا وختم على قلوبكم حتى لا تفقهوا شيئا اصلا
ولا تعرفوا شيئا مما تعرفون من امور الدنيا وانما ذكر هذه الاعضاء الثلاثة لانها اشرف اعضاء
الانسان فاذا تعطلت هذه الاعضاء اختل نظام الانسان وفسد امره وبطلت مصالحه في
الدين والدنيا ومقصود هذا الكلام ذكر ما يدل على وجود الصانع الحكيم المختار وتقريره ان
القادر على ايجاد هذه الاعضاء واخذها هو الله تعالى المستحق للعبادة لا الاصنام التي تعبدونها
وهو قوله تعالى من اله غير الله ياتيكم به يعني ياتيكم بما اخذ الله منكم لان الضمير في به يعود على
معنى الفعل ويجوز ان يعود على السمع الذي ذكر اولا ويندرج تحته غيره انظر الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره اي انظر يا محمد كيف نصرف الايات يعني كيف نبين

لهم العلامات الدالة على التوحيد والنبوة ثم هم يصدفون يعني يعرضون عنها مكذبين
لها قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة يعني فجأة أو جهرة يعني معاينة ترونه عند
نزوله قال ابن عباس ليلا أو نهارا هل يهلك إلا القوم الظالمون يعني المشركون لأنهم
ظلموا أنفسهم بالشرك قوله عز وجل وما نرسل المرسلين إلا مبشرين يعني لمن آمن بالثواب
ومنذرين يعني لمن أقام على كفره بالعقاب والمعنى ليس في إرسالهم أن يأتوا الناس بما
يقترحون عليهم من الآيات إنما أرسلوا بالبشارة والنذارة فمن آمن وأصلح يعني آمن بهم
وأصلح العمل لله فلا خوف عليهم يعني حين يخاف أهل النار ولا هم يحزنون إذا حزن غيرهم
والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب يعني يصيبهم العذاب بما كانوا يفسقون يعني بسبب ما كانوا
يكفرون ويخرجون عن الطاعة قوله تعالى قل لا أقول لكم الخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين لا أقول لكم عندي خزائن الله نزلت حين اقترحوا عليه
الآيات فأمره الله تعالى أن يقول لهم إنما بعثت بشيرا ونذيرا ولا أقول لكم عندي خزائن الله
جمع خزانة وهو اسم للمكان الذي يخزن فيه الشيء وخزن الشيء إحرازه بحيث لا تناله الأيدي والمعنى
ليس عندي خزائن رزق فأعطيكم منها ما تريدون فإنهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم
إن كنت رسولا من الله فاطلب منه أن يوسع علينا عيشنا ويغني فقرنا فأخبر أن ذلك بيد الله
تعالى لا بيدي ولا أعلم الغيب يعني فأخبركم بما مضى وبما سيقع في المستقبل وذلك بأنهم
قالوا أخبرنا بمصالحنا ومضارنا في المستقبل حتى نستعد لتحصيل المصالح ودفع المضار
فأجابهم بقوله ولا أعلم الغيب فأخبركم بما تريدون ولا أقول لكم إني ملك وذلك بأنهم قالوا
ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ويتزوج النساء فأجابهم بقوله ولا أقول
لكم إني ملك لأن الملك يقدر على ما لا يقدر عليه البشر ويشاهد ما لا يشاهدون فلست أقول
شيئا من ذلك ولا أدعيه فتنكرون قولي وتجحدون أمري وإنما نفى عن نفسه الشريفة هذه الأشياء
تواضعا لله تعالى واعترافا له بالعبودية وأن لا يقترحوا عليه الآيات العظام إن أتبع إلا
ما يوحى إلي يعني ما أخبركم إلا بوحي من الله أنزله علي ومعنى الآية أن الله أمر النبي صلى الله عليه
وسلم أن يعلمهم بأنه لا يملك خزائن الله التي منها يرزق ويعطي وأنه لا يعلم الغيب فيخبر بما كان وبما
سيكون وأنه ليس بملك حتى يطلع على ما لا يطلع عليه البشر إنما يتبع ما يوحى إليه من ربه عز
وجل فما أخبر عنه من غيب يوحي الله إليه وظاهر الآية يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما كان يجتهد في شيء من الأحكام بل جميع أوامره ونواهيه إنما كانت بوحي من الله إليه قل هل يستوي
الأعمى والبصير يعني المؤمن والكافر والضال والمهتدي والعالم والجاهل أفلا تتفكرون يعني
أنهما لا يستويان قوله عز وجل وأنذر به يعني وخوف بالقرآن والإنذار إعلام مع تخويف الذين
يخافون أن يحشروا إلى ربهم قال ابن عباس يريد المؤمنين لأنهم يخافون يوم القيامة وما فيه
من شدة الأهوال وقيل معنى يخافون يعلمون والمراد بهم كل معترف بالبعث من مسلم
وكتابي وإنما خص الذين يخافون الحشر بالذكر دون غيرهم وإن كان إنذاره صلى الله عليه وسلم
لجميع الخلائق لأن الحجة عليهم أوكد من غيرهم لاعترافهم بصحة المعاد والحشر وقيل المراد بهم
الكفار لأنهم لا يعتقدون صحته ولذلك قال يخافون أن يحشروا إلى ربهم وقيل المراد بالإنذار
جميع الخلائق فيدخل فيه كل مؤمن معترف بالحشر وكل كافر منكر له لأنه ليس أحد إلا وهو يخاف
الحشر سواء اعتقد وقوعه أو كان يشك فيه ولأن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وإنذاره
لجميع الخلق ليس لهم من دونه يعني من دون الله ولي أي قريب ينفعهم ولا شفيع يعني
يشفع لهم وهذا فيه إشكال وهو إن فسرنا الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم أن المراد بهم الكفار

فلا

فلا إشكال فيه لقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع وإن فسرنا الذين يخافون أن
يحشروا إلى ربهم أن المراد بهم المؤمنين ففيه الإشكال لأنه قد ثبت بصحيح النقل شفاعة نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم للمذنبين من أمته وكذلك تشفع الملائكة والأنبياء والمرسلون والمؤمنون
بعضهم لبعض والجواب عن هذا الإشكال أن الشفاعة لا تكون إلا بإذن الله لقوله عز وجل
من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه وإن كانت الشفاعة بإذن الله صح قوله ليس لهم من دونه ولي ولا
شفيع حتى يأذن الله لهم في الشفاعة فإذا أذن لهم فيها كان للمؤمنين ولي وشفيع لعلهم يتقون
يعني ما نهيتهم عنه قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه
قال سلمان وخباب بن الأرت فينا نزلت هذه الآية جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن
الفزاري وهما من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قاعدا مع صهيب وبلال
وعمار وخباب في نفر من ضعفاء المؤمنين فلما رأوهم حوله حقروهم فأتوه فقالوا يا رسول الله
لو جلست في صدر المسجد ونفيت عنا هؤلاء وأرواح جبابهم وكانت عليهم جباب صوف لها رائحة
ليس عليهم غيرها لجالسناك وأخذنا عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما أنا
بطارد المؤمنين قالوا فإنا نحب أن تجعل لنا منك مجلسا تعرف به العرب فضلنا فإن وفود العرب
تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هؤلاء الأعبد فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا فإذا نحن فرغنا
فاقعد معهم إن شئت قال نعم قالوا فاكتب لنا عليك بذلك كتابا قال فأتى بالصحيفة ودعا عليا
ليكتب قال ونحن قعود في ناحية إذ نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم
بالغداة والعشي إلى قوله أليس الله بأعلم بالشاكرين فألقى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيفة
من يده ثم دعانا فأتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة وكنا نقعد معه فإذا
أراد أن يقوم قام وتركنا فأنزل الله تبارك واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
الآية فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا بعد ذلك وندنو منه حتى كادت ركبنا
تمس ركبته فإذا بلغ الساعة التي يريد أن يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذي
لم يمتني حتى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات روي عن سعد بن أبي
وقاص قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر فقال المشركون للنبي صلى الله عليه
وسلم اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا قال وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان
لست أسميهما فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل
الله عز وجل ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه أخرجه مسلم وقال
الكلبي قالوا له يعني أشراف قريش اجعل لنا يوما ولهم يوما قال لا أفعل قالوا فاجعل المجلس
واحدا وأقبل علينا وول ظهرك إليهم فأنزل الله هذه الآية وقال ابن مسعود مر الملأ من قريش
بالنبي صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وعمار وبلال وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد
رضيت بهؤلاء بدلا من قومك أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا أنحن نكون تبعا لهؤلاء اطردهم
فلعلك إن طردتهم أن نتبعك فنزلت هذه الآية وقال عكرمة جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة
ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل في أشراف بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب عم النبي صلى
الله عليه وسلم فقالوا يا أبا طالب لو أن ابن أخيك محمدا يطرد عنا موالينا وحلفاءنا فإنهم عبيدنا وعتقاؤنا
كان أعظم في صدورنا وأطوع له عندنا وأدنى لاتباعنا إياه وتصديقنا له قال فأتى أبو طالب
النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه به فقال عمر بن الخطاب لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون
وإلى ما يصيرون من قولهم فأنزل الله هذه الآية وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم إلى قوله
أليس الله بأعلم بالشاكرين فجاء عمر فاعتذر من مقالته [illegible] بين هذه الروايات والرواية الأولى

ونا

عن سلمان وخباب بن الارت فرق كثير وبعد عظيم وهو اسلام سلمان وهو بالمدينة وكان اسلام المؤلفة
قلوبهم بعد الفتح وسورة الانعام مكية والصحيح ما روي عن ابن مسعود والكلبي وعكرمة في ذلك
ويعضده حديث سعد بن ابي وقاص المخرج في صحيح مسلم والله اعلم واما معنى الاية فقوله ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم يعني لا تطرد هؤلاء
الضعفاء عنك ولا تبعدهم عن مجلسك لاجل ضعفهم وفقرهم ثم وصفهم فقال تعالى الذين يدعون
ربهم بالغداة والعشي قال ابن عباس يعبدون ربهم بالغداة والعشي يعني صلاة الصبح وصلاة
العصر ويروى عنه ان المراد منه الصلوات الخمس وانما ذكر هذين الوقتين تنبيها على شرفهما ولا
مواظبين عليهما مع بقية الصلاة ولانه الصلاة تشتمل على القراءة والدعاء والذكر فعبر بالدعاء
عن الصلاة بهذا المعنى قال مجاهد صليت الصبح مع سعيد بن المسيب فلما سلم الامام ابتدر
الناس القاص فقال سعيد ما اسرع الناس الى هذا المجلس قال مجاهد فقلت يتاولون قوله تعالى
يدعون ربهم بالغداة والعشي قال او في هذا هو انما ذلك في الصلاة التي انصرفنا عنها الان
وقال ابن عباس ان ناسا من الفقراء كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ناس من اشراف الناس نؤمن
لك واذا صلينا فاخر هؤلاء الذين معك فليصلوا خلفنا وقيل المراد منه حقيقة الدعاء
والذكر والمعنى انهم كانوا يذكرون ربهم ويدعونه طرفي النهار يريدون وجهه يعني يطلبون
بعبادتهم وطاعتهم وجه الله مخلصين في عبادتهم لله وقال ابن عباس يطلبون ثواب الله تعالى
ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء يعني لا يكلف امرهم ولا يكلفون امرك وقيل
ما عليك حساب رزقهم فتملهم وتطردهم عنك ولا رزقك عليهم انما الرزاق لجميع الخلق هو الله تعالى
فلا تطردهم عنك فتطردهم فتكون من الظالمين يعني بطردهم عنك وعن مجلسك فقوله فتطردهم
جواب النفي وهو قوله ما عليك من حسابهم من شيء وقوله فتكون من الظالمين جواب النهي وهو
قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام
بهذه الاية فقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم لما هم بطرد الفقراء عن مجلسه لاجل الاشراف عاتبه الله
على ذلك ونهاه عن طردهم وذلك يقدح في العصمة وقوله فتطردهم فتكون من الظالمين والجواب
عن هذا الاحتجاج ان النبي صلى الله عليه وسلم ما طردهم ولا هم بطردهم لاجل الاستخفاف بهم والا
ستنكاف من فقرهم وانما كان هذا الهم لمصلحة وهي التلطف بهؤلاء الاشراف في ادخالهم في الاسلام
فكان ترجيح هذا الجانب اولى وهو اجتهاد منه فاعلمه الله تعالى ان ادناء هؤلاء الفقراء اولى من الهم
بطردهم فقربهم منه وادناهم واما قوله فتطردهم فتكون من الظالمين ان الظلم في اللغة وضع
الشيء في غير موضعه فهو من باب ترك الافضل والاولى لا من باب ترك الواجبات والله اعلم قوله
عز وجل وكذلك فتنا بعضهم ببعض يعني وكذلك ابتلينا الغني بالفقير والفقير بالغني
والشريف بالوضيع والوضيع بالشريف فكل احد مبتلى بضده فكان ابتلاء الاغنياء الشرفاء حسدهم لفقراء
الصحابة على كونهم سبقوهم الى الاسلام وتقدموا عليهم فامتنعوا من الدخول في الاسلام لذلك
فكان ذلك فتنة وابتلاء لهم واما فتنة الاغنياء بالفقراء فلا يرون من سعة رزقهم وخصب
عيشهم فكان ذلك فتنة لهم ليقولوا يعني الاغنياء والرؤساء اهؤلاء من الله عليهم من بيننا يعني من
على الفقراء والضعفاء بالاسلام ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا اعتراض من الكفار
على الله تعالى فاجابهم بقوله اليس الله باعلم بالشاكرين يعني الله تعالى اعلم بحالهم وبا
حوالهم واعلم بالشاكرين من الكافرين واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم قال عكرمة
نزلت في الذين نهى الله نبيه عن طردهم فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا راهم بداهم بالسلام
وقال عطاء نزلت في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم بن ابي عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة

وجعفر

وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن ابي الارقم وابي سلمة بن عبد الاسد وقيل ان
الاية على اطلاقها في كل مؤمن وقيل لما جاء عمر بن الخطاب واعتذر من مقالته التي تقدمت في رواية
عكرمة وقال ما اردت الا الخير فنزلت واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم
يعني فرض ربكم وقضى ربكم على نفسه الرحمة وهذا يفيد الخوف وسبب هذا ان الله سبحانه وتعالى
يتصرف في عباده كيف شاء واراد فاوجب على نفسه الرحمة على سبيل الفضل والكرم لانه اكرم الاكرمين
وارحم الراحمين انه من عمل منكم سوءا بجهالة قال مجاهد كل من عمل ذنبا او خطيئة فهو بها جاهل واختلفوا
في سبب هذا الجهل فقيل لانه جاهل بمقدار ما استحقه من العقاب وما فاته من الثواب وقيل انه
لما فعل فعل الجهالة نسب الى الجهل وان لم يكن ثم تاب من بعده يعني من بعد ارتكابه
ذلك السوء ورجع عنه واصلح يعني اصلح العمل في المستقبل وقيل اخلص توبته في
ندمه على فعله فانه غفور رحيم يعني لمن تاب من ذنوبه رحيم بعباده قال خالد بن دينار كنا
اذا دخلنا على ابي العالية قال واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على
نفسه الرحمة الاية عن ابي سعيد الخدري قال جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم
ليستتر ببعض من العري وقارئ يقرأ علينا اذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا فلما
فلما قام علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت القارئ ثم سلم فقال ما كنتم تصنعون قلنا
يا رسول الله كان قارئ لنا يقرأ علينا وكنا نستمع الى كتاب الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحمد لله الذي جعل من امتي من امرت ان اصبر نفسي معهم وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسطنا ليعدل بنفسه فينا ثم قال بيده هكذا فتحلقوا وبرزت وجوههم قال فما رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عرف منهم احدا غيري ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يا معشر صعاليك
المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة
عام اخرجه ابو داود قوله عز وجل وكذلك نفصل الايات يعني وكما فصلنا لك يا محمد
في هذه السورة دلائلنا على صحة التوحيد وابطال ما هم عليه من الشرك كذلك نبين ونفصل لك ادلتنا
وحججنا وبراهيننا على تقرير كل حق ينكره اهل الباطل ولتستبين قرئ بالتاء على الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم يعني ولتعرف يا محمد وتستبين لك سبيل المجرمين يعني طريق هؤلاء المجرمين وقرئ
بالياء على الغيبة ومعناه وليظهر ويتضح سبيل المجرمين يوم القيامة اذا صاروا الى النار قوله تعالى
قل اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله اي نهيت ان
اعبد الاصنام التي تعبدونها انتم من دون الله وقيل تدعونها عند شدائدكم من دون الله لان الجماد
اخس من ان تعبد او تدعى وانما كانوا يعبدونها على سبيل الهوى وهو قوله قل لا اتبع اهواءكم
يعني في عبادة الاصنام وطرد الفقراء قد ضللت اذا يعني ان عبدتها وما انا من المهتدين
يعني لو عبدتها قل يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين اني على بينة من ربي قال ابن عباس يعني
على يقين من ربي وقيل البينة الدلالة التي تفصل بين الحق والباطل والمعنى اني على بيان وبصيرة
في عبادة ربي وكذبتم به يعني وكذبتم بالبيان الذي جئت به من عند ربي وهو القرآن والمعجزات
الباهرات والبراهين الواضحات التي تدل على صحة التوحيد وبطلان وفساد الشرك ما عندي ما تستعجلون
به يعني هذا العذاب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم وكانوا
يستعجلونه به استهزاء وكانوا يقولون يا محمد ائتنا بما تعدنا يعني من نزول العذاب فامر الله نبيه
صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم ما عندي ما تستعجلون به لان انزال العذاب لا يقدر عليه الا الله
ولا يقدر احد على تقديمه ولا تاخيره وقيل كانوا يستعجلون بالايات التي طلبوها واقترحوها
فاعلم الله ان ذلك عنده ليس عند احد من خلقه وقيل كانوا يستعجلون بقيام الساعة ومنه

قوله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها إن الحكم إلا لله يعني الحكم الذي يفصل به بين الحق
والباطل والثواب للطائع والعقاب للعاصي أي ما الحكم المطلق إلا لله ليس معه حكم فهو يفصل
بين المختلفين ويقضي بإنزال العذاب إذا شاء يقص الحق قرئ بالصاد المهملة ومعناه يقول الحق
لأن كل ما أخبر به فهو حق وقرئ يقضي بالضاد المعجمة من القضاء يعني أن الله تعالى يقضي القضاء الحق
وهو خير الفاصلين يعني وهو خير من بين وفصل وميز بين المحق والمبطل لأنه لا يقع في حكمه
وقضائه جور ولا حيف على أحد من خلقه قل لو أن عندي ما تستعجلون به يعني من إنزال العذاب والاستعجال
المطالبة بالشيء قبل وقته فلذلك كانت العجلة مذمومة والإسراع تقديم الشيء في وقته فلذلك كانت
السرعة محمودة والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين المستعجلين لنزول العذاب لو أن عندي ما تستعجلون
به لم أمهلكم ساعة ولكن الله حليم ذو أناة لا يعجل بالعقوبة على من عصاه وقوله تعالى
لقضي الأمر بيني وبينكم يعني لانفصل ما بيني وبينكم ولأتيتكم بما تستعجلون به من
العذاب والله أعلم بالظالمين يعني أعلم بما تستحقونه من العذاب والوقت الذي تستحقونه فيه
وقيل علم الله سبحانه أن بعض من كان يستعجل بالعذاب فلذلك أخره عنهم وقال والله أعلم بالظالمين
وبأحوالهم وقوله عز وجل وعنده مفاتح الغيب المفتاح الذي يفتح به المغلاق جمعه مفاتيح
ويقال فيه مفتح بكسر الميم وجمعه مفاتح والمفتح بفتح الميم الخزانة وكل خزانة كانت لصنف
من الأشياء فهي مفتح وجمعه مفاتح فقوله وعنده مفاتح الغيب يحتمل أن يكون المراد منه المفاتيح
التي يفتح بها ويحتمل أن يكون المراد منه الخزائن فعلى هذا التفسير الأول فقد جعل للغيب مفاتيح
على طريق الاستعارة لأن المفاتيح هي التي يتوصل بها إلى ما في الخزائن المستوثق منها بالأغلاق
فمن علم كيف يفتح بها ويتوصل إلى ما فيها فهو عالم فكذلك ههنا أن الله تعالى لما كان عالما بجميع
المعلومات ما غاب منها وما لم يغب عبر عن هذا المعنى بهذه العبارة وعلى التفسير الثاني يكون
المعنى وعنده خزائن الغيب والمراد منه القدرة الكاملة على كل الممكنات ثم اختلف قول المفسرين
في قوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو فقيل مفاتح الغيب خمس وهي ما روي عن عبد
الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله تعالى لا يعلم
أحد ما يكون في غد إلا الله تعالى ولا يعلم أحد ما يكون في الأرحام إلا الله تعالى ولا تعلم نفس
ماذا تكسب غدا ولا تدري نفس بأي أرض تموت ولا يدري أحد متى يجيء المطر وفي رواية أخرى
ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم ما في غد إلا الله ولا يعلم متى الساعة إلا الله أخرجه البخاري
وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب خزائن الأرض وعلم نزول العذاب وقال عطاء هو ما غاب
عنكم من الثواب والعقاب وقيل هو انقضاء الآجال وعلم أحوال العباد من السعادة
والشقاوة وخواتيم أعمالهم وقيل هو علم ما لم يكن بعد أن يكون أم لا يكون كيف يكون وما لا يكون أن
لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود أوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم كل شيء إلا مفاتح الغيب وقال
ابن عباس إنها خزائن غيب السموات والأرض من الأقدار والأرزاق ويعلم ما في البر والبحر
قال مجاهد البر المفاوز والقفار والبحر القرى والأمصار لا يحدث فيهما شيء إلا وهو يعلمه وقال
جمهور المفسرين هو البر والبحر المعروف لأن جميع الأرض إما بر وإما بحر وفي كل واحد منهما من عجائب
مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ما يدل على عظيم قدرته وسعة علمه وما تسقط من ورقة إلا يعلمها
يريد ساقطة وثابتة والمعنى أنه يعلم عدد ما يسقط من الورق وما يبقى على الشجر من ذلك ويعلم
كيف انقلبت ظهرا لبطن إلى أن تسقط على الأرض ولا حبة في ظلمات الأرض يعني قيل هو الحب المعروف
يكون في بطن الأرض قبل أن ينبت وقيل هي الحبة التي في الصخرة التي في أسفل الأرضين ولا
رطب ولا يابس قال ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما لا

ينبت وقيل المراد بالرطب الحي واليابس الميت وقيل هو عبارة عن كل شيء لأن جميع الأشياء إما رطبة وإما
يابسة فإن قلت إن جميع هذه الأشياء داخلة تحت قوله وعنده مفاتح الغيب فلم أفرد هذه الأشياء
بالذكر وما فائدة ذلك قلت لما قال الله تعالى وعنده مفاتح الغيب على سبيل الإجمال ذكر ذلك من
بعض ذلك الإجمال ما يدل على التفصيل فذكر هذه الأشياء المحسوسة ليدل بها على غيرها فقدم
ذكر البر والبحر لما فيهما من العجائب والغرائب من المدن والقرى والمفاوز والجبال وكثرة ما فيهما
من المعادن والحيوان وأصناف المخلوقات ما يعجز الوصف عن إدراكها ثم ذكر بعد ذلك ما هو أقل
من ذلك وهو مشاهد لكل أحد لأن الورقة الساقطة والثابتة يراها كل أحد لكن لا يعلم
عددها وكيفيتها إلا الله تعالى ثم ذكر بعد ذلك ما هو أضعف من الورقة وهي الحبة ثم ذكر بعد
ذلك مثالا لا يجمع الكل وهو الرطب واليابس فذكر هذه الأشياء وأنه لا يخرج شيء منها عن علمه سبحانه
وتعالى فصارت هذه الأشياء المحسوسة دالة على عظمة عظيمة وقدرة عالية وعلم واسع فسبحانه العليم الخبير
قوله تعالى إلا في كتاب مبين فيه قولان أحدهما أن الكتاب المبين هو علم الله
الذي لا يتغير ولا يبدل والثاني أن المراد بالكتاب المبين هو اللوح المحفوظ لأن الله كتب فيه علم
ما يكون وما قد كان قبل أن يخلق السموات والأرض وفائدة إحصاء الأشياء كلها في هذا الكتاب لتقف
الملائكة على إنفاذ علمه وأنه نبه بذلك على تعظيم الحساب وأعلم عباده أنه لا يفوته شيء مما
يصنعون لأن من أثبت ما لا ثواب فيه ولا عقاب في كتاب فإلى إثبات ما فيه ثواب وعقاب أسرع
قوله تعالى وهو الذي يتوفاكم بالليل يعني يقبض أرواحكم إذا نمتم بالليل ويعلم ما جرحتم ما كسبتم
بالنهار ثم يبعثكم فيه أي يوقظكم فيه أي في النهار ليقضى أجل مسمى يعني أجل الحياة إلى الممات يريد
استيفاء العمر على التمام ثم إليه مرجعكم يعني في الآخرة ثم ينبئكم أي يخبركم بما كنتم تعملون وهو
القاهر فوق عباده يعني وهو العالي عليهم بقدرته لأن كل من قهر شيئا وغلبه فهو مستعل عليه
بالقهر والقدرة فهو كما يقال أمر فلان فوق أمر فلان يعني أنه أقدر منه وأغلب هذا مذهب أهل
التأويل وتأويله يعني لفظة فوق في قوله وهو القاهر فوق عباده وأما مذهب السلف فيها فإمرارها
كما جاءت من غير تكييف ولا تأويل ولا إطلاق على جهة والقاهر هو الغالب لغيره المذلل له والله
تعالى هو القاهر لخلقه فقهر كل شيء بقدرته فقهر الحياة بالموت والإيجاد بالإعدام والغنى بالفقر
والنور بالظلمة وقوله تعالى ويرسل عليكم حفظة يعني أنه سبحانه من جملة قهره لعباده إرسال الحفظة
عليهم والمراد بالحفظة الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم من الخير والشر والطاعة والمعصية وغير
ذلك من الأقوال والأفعال قيل إن لكل إنسان ملكين ملكا عن يمينه وملكا عن شماله فإذا
عمل حسنة كتبها صاحب اليمين وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال اصبر لعله
يتوب منها فإن لم يتب منها كتبها عليه صاحب الشمال وفائدة جعل الملائكة موكلين بالإنسان أنه إذا علم
أن له حافظا من الملائكة موكلا به يحفظ عليه أقواله وأفعاله في صحائف تنشر له وتقرأ عليه يوم
القيامة على رؤوس الأشهاد كان أزجر له عن فعل القبيح وترك المعاصي وقيل المراد بقوله
ويرسل عليكم حفظة هم الملائكة الذين يحفظون بني آدم ويحفظ أجله وعمله حتى إذا جاء أحدكم الموت
توفته رسلنا يعني أعوان ملك الموت الموكلين بقبض أرواح البشر فإن قلت قال الله تعالى في آية
أخرى الله يتوفى الأنفس حين موتها وقال في آية أخرى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال
هنا توفته رسلنا فكيف الجمع بين هذه الآيات قلت وجه الجمع بين هذه الآيات أن المتوفي في الحقيقة
هو الله تعالى فإذا حضر أجل العبد أمر الله ملك الموت بقبض روحه ولملك الموت أعوان من الملائكة
يأمرهم بنزع روح ذلك العبد من جسده فإذا وصلت إلى الحلقوم تولى قبضها ملك الموت نفسه فحصل
الجمع بين الآيات وقيل المراد من قوله توفته رسلنا ملك الموت وحده وإنما ذكر بلفظ الجمع تعظيما له

وقال مجاهد جعلت الارض لملك الموت مثل الطست يتناول من حيث شاء وجعلت له اعوان يتوفون الانفس ثم يقبضها منهم وقال ايضا ما من اهل بيت شعر ولا مدر الا وملك الموت يطيف بهم كل يوم مرتين وقيل ان الارواح اذا كثرت عليه يدعوها فتستجيب له وقوله وهم لا يفرطون يعني الرسل لا يقصرون فيما امروا ولا يضيعون قوله تعالى ثم ردوا الى الله مولاهم الحق يعني ثم رد العباد بالموت الى الله في الآخرة وانما قال مولاهم الحق لانهم كانوا في الدنيا تحت ايدي موالي بالباطل وهو الله مولاهم وسيدهم ومالكهم بالحق الا له الحكم يعني لا حكم الا لله وهو اسرع الحاسبين يعني انه تعالى اسرع من حسب لانه لا يحتاج الى فكر وروية وعقد يد فيحاسب خلقه بنفسه لا يشغله حساب بعضهم عن بعض قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر يعني يا محمد قل لهؤلاء الكفار الذين يعبدون الاصنام من دون الله من الذي ينجيكم من ظلمات البر والبحر اذا اضللتم فيه وتحيرتم واظلمت عليكم الطرق ومن الذي ينجيكم من ظلمات البحر اذا ركبتم فيه واخطأتم الطريق واظلمت عليكم السبل فلم تهتدوا وقيل ظلمات البر والبحر مجاز عما فيهما من الشدائد والاهوال وقيل حمله على الحقيقة اولى فظلمة البر هي ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب فيحصل من ذلك الخوف الشديد لعدم الاهتدا الى الطريق الصواب وظلمة البحر ما اجتمع فيه من ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة الرياح العاصفة والامواج الهائلة فيحصل من ذلك ايضا الخوف الشديد من الوقوع في الهلاك فالمقصود ان اجتماع هذه الاسباب الموجبة للخوف الشديد لا يرجع الانسان فيها الا الى الله سبحانه وتعالى لانه هو القادر على كشف الكروب وازالة الشدايد وهو المراد من قوله تدعونه تضرعا وخفية يعني فاذا اشتد بكم الامر تخلصون له الدعا تضرعا منكم اليه واستكانة جهرا وخفية يعني سرا وحالا لئن انجيتنا من هذه يعني قائلين في حال الدعا والتضرع لئن انجيتنا من هذه الظلما وخلصتنا من الهلاك لنكونن من الشاكرين يعني لك على هذه النعمة والشكر هو معرفة النعمة مع القيام لمن انعم بها قل الله ينجيكم منها يعني من الظلمات والشدايد التي انتم فيها ومن كل كرب يعني وهو الذي ينجيكم من كل كرب ايضا والكرب هو الغم الشديد الذي ياخذ بالنفس ثم انتم تشركون يريد انهم يقرون بان الذي انجاهم من هذه الشدايد هو الله تعالى ثم انهم بعد ذلك الاقرار يشركون معه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع قوله عز وجل قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم اي قل يا محمد لقومك ان الله هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم يعني الصيحة والحجارة والريح والطوفان كما فعل بقوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط او من تحت ارجلكم يعني الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب وقارون وقال ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم يعني ايمة السوء والسلاطين الظلمة او من تحت ارجلكم يعني عبيد السوء وقال الضحاك من فوقكم يعني من قبل كباركم او من تحت ارجلكم يعني السفلة او يلبسكم شيعا جمع شيعة وكل قوم اجتمعوا على امر فهم شيعة واشياع واصله من التشيع ومعنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا وقيل الشيعة هم الذين يتقوى بهم الانسان قال الزجاج في قوله او يلبسكم شيعا يعني يخلط امركم خلط اضطراب لا خلط اتفاق فيجعلكم فرقا مختلفين يقاتل بعضكم بعضا وهو معنى قوله ويذيق بعضكم باس بعض قال ابن عباس قوله او يلبسكم شيعا يعني الاهوا المختلفة ويذيق بعضهم باس بعض يعني انه يقتل بعضكم بيد بعض وقال مجاهد يعني اهوا مختلفة وهو ما كان فيهم من الفتن والاختلاف وقال ابن زيد هو الذي فيه الناس اليوم من الاختلاف والاهوا وسفك بعضهم دما بعض ثم اختلف المفسرون فيمن عنى بهذه الاية فقال قوم عني بها المسلمين من امة محمد صلى الله عليه وسلم وفيهم نزلت هذه الاية قال ابو العالية في قوله قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم الاية قال هن اربع وكلهن عذاب فجا اثنان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس واربعين سنة وعشرين سنة ثم البسوا شيعا واذيق بعضهم باس بعض وبقيت

اثنتان وهما لا بد واقعتان يعني الخسف والمسخ وعن ابي بن كعب نحوه من اربع خلال وكلهن واقع قبل يوم القيامة مضت اثنتان بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ثم البسوا شيعا واذيق بعضهم باس بعض واثنتان فاثنتان لا محالة الخسف والرجم وقال مجاهد في قوله من فوقكم او من تحت ارجلكم لامة محمد فاعفاهم منه او يلبسكم شيعا ما كان فيهم من الفتن والاختلاف زاد غيره ويذيق بعضكم باس بعض يعني ما كان فيهم من القتال بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم خ عن جابر قال لما نزلت هذه الاية قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك او يلبسكم شيعا ويذيق بعضهم باس بعض قال هذا اهون او هذا ايسر م عن سعد بن ابي وقاص انه اقبل مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم من العالية حتى اذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا ثم انصرف الينا فقال سالت ربي ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سالت ربي ان لا يهلك امتي بالسنة فاعطانيها وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها عن خباب بن الارت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة فاطالها فقالوا يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها قال اجل انها صلاة رغبة ورهبة اني سالت الله فيها ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سالته ان لا يهلك امتي بسنة فاعطانيها وسالته ان لا يسلط الله عليهم عدوا من غيرهم فاعطانيها وسالته ان لا يذيق بعضهم باس بعض فمنعنيها اخرجه الترمذي قوله تعالى انظر كيف نصرف الايات يعني انظر يا محمد كيف نبين دلايلنا وحججنا لهولا المكذبين لعلهم يفقهون يعني ويعتبرون فينزجروا او يرجعوا عما هم عليه من الكفر والتكذيب قوله تعالى وكذب به قومك يعني بالقران وهو الحق يعني انه كتاب منزل من عند الله وقيل الضمير في به يرجع الى العذاب وهو الحق يعني بانه نازل بهم ان اقاموا على كفرهم وتكذيبهم وقيل الضمير فيه يرجع الى تصريف الايات وهو الحق لكونهم كذبوا كونها من عند الله قل لست عليكم بوكيل اي قل يا محمد لهولا المكذبين لست عليكم بحافظ حتى اجازيكم على تكذيبكم واعراضكم عن قبول الحق بل انما انا منذر والله هو المجازي لكم على اعمالكم وقيل معناه انما ادعوكم الى الله والى الايمان به ولم اومر بحربكم فعلى هذا القول تكون الاية منسوخة باية السيف وقيل في معنى الاية قل لست عليكم بوكيل يعني حفيظا انما اطالبكم بالظاهر من الاقرار والعمل لا بما تحويه الضماير والسراير فعلى هذا تكون الاية محكمة لكل نبا مستقر اي لكل خبر من اخبار القرون حقيقة ومنتهى ينتهي اليه اما في الدنيا واما في الآخرة وقيل لكل خبر يخبر الله به وقت ومكان يقع فيه من غير خلف ولا تاخير فكان ما وعدهم من العذاب في الدنيا وقع يوم بدر وسوف تعلمون يعني صحة ذلك الخبر اما في الدنيا واما في الآخرة قوله تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا الخطاب في اذا رايت للنبي صلى الله عليه وسلم اذا رايت يا محمد هولا المشركين الذين يخوضون في اياتنا يعني القران الذي انزلناه اليك والخوض في اللغة هو الشروع في الما والعبور فيه ويستعار في الاخذ في الحديث والشروع فيه يقال تخاوضوا في الحديث وتفاوضوا فيه لكن اكثر ما يستعمل الخوض في الحديث على وجه اللعب والعبث وما يذم عليه ومنه قوله وكنا نخوض مع الخائضين وقيل الخطاب في واذا رايت لكل احد من الناس والمعنى واذا رايت ايها الانسان الذين يخوضون في اياتنا وذلك ان المشركين كانوا اذا جالسوا المومنين وقعوا في الاستهزا بالقران وبمن انزله وبمن انزل عليه فنهاهم الله ان يقعدوا معهم في وقت الاستهزا بقوله فاعرض عنهم يعني فاتركهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره يعني حتى يكون خوضهم في غير القران والاستهزا من مجالستهم واما ينسينك الشيطان يعني فقعدت معهم ولا تقعد بعد الذكرى يعني اذا ذكرت نهيي فلا تقعد وقم عنهم مع القوم الظالمين يعني المشركين قوله تعالى وما على الذين يتقون من حسابهم من شي قال ابن عباس لما نزلت هذه الاية واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم

قالوا نعم قال فكيف قال المشركون لو كنا نتحرج في المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون ابدا وفي
رواية قال المسلمون انا نخاف الاثم حين نتركهم ولا ننهاهم فانزل الله هذه الاية وما على الذين يتقون
يعني يتقون الشرك والاستهزاء **فصل** قال سعيد بن جبير وابن جريج ومقاتل هذه الاية
منسوخة بالاية التي في سورة النساء في قوله تعالى وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم ايات الله
يكفر بها ويستهزأ بها وذهب الجمهور الى انها محكمة لا نسخ فيها لانها خبر والخبر لا يدخله النسخ لانها
انما دلت على ان كل انسان مختص بحساب نفسه لا بحساب غيره وقيل انما ابيح لهم القعود معهم
بشرط التذكرة والموعظة فلا تكون منسوخة قوله عز وجل وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا يعني
الذين اتخذوا دينهم الذي امروا به ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا وقيل ان الكفار كانوا اذا
سمعوا القرآن لعبوا ولهوا عند سماعه وقيل ان الله جعل لكل قوم عيدا فاتخذ كل قوم دينهم يعني عيدهم
لعبا ولهوا يلعبون فيه ويلهون الا المسلمون فانهم اتخذوا عيدهم صلاة وتكبيرا وفعل الخير فيه
مثل عيد الفطر وعيد النحر ويوم الجمعة وغرتهم الحياة الدنيا يعني انهم اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لاجل
انهم غرتهم الحياة الدنيا وغلب حبها على قلوبهم فاعرضوا عن دين الحق واتخذوا دينهم لعبا ولهوا ومعنى
الاية وذر يا محمد الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا واتركهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم وهذا يقتضي
الاعراض عنهم ثم نسخ ذلك الاعراض باية السيف وهو قول قتادة والسدي وقيل انه خرج مخرج التهديد
فهو كقوله ذرني ومن خلقت وحيدا وهو قول مجاهد فعلى هذا تكون الاية محكمة وقيل المراد بالاعراض
عنهم ترك معاشرتهم ومخالطتهم لا ترك الانذار والتخويف ويدل عليه قوله وذكر به يعني وذكر
بالقرآن وعظ به هؤلاء المشركين ان تبسل نفس بما كسبت اي لئلا تبسل نفس واصل البسل في
اللغة التحريم وضم الشيء ومنعه ومنه عليك بسل اي حرام ممنوع فمعنى تبسل نفس بما كسبت ترتهن
وتحبس في جهنم وتحرم من الثواب بسبب ما كسبت من الاثام وقيل تفضح والمعنى وذكرهم بالقرآن
ومواعظه وعرفهم الشرائع لكيلا تهلك نفس وترتهن في جهنم بسبب الجنايات التي اكتسبت في الدنيا
فتحرم الثواب في الاخرة ليس لها يعني لتلك النفس التي هلكت من دون الله ولي اي قريب يلي امرها
ولا شفيع يشفع لها في الاخرة وان تعدل كل عدل لا يؤخذ يعني وان تفتدي بكل فداء والعدل الفداء لا يؤخذ
منها يعني ذلك العدل وتلك الفدية اولئك الذين ابسلوا اشارة الى الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم
الحياة الدنيا ابسلوا بما كسبوا يعني اسلموا الى الهلاك بسبب ما اكتسبوا لهم شراب من حميم وعذاب
اليم بما كانوا يكفرون ذلك لهم بسبب كفرهم **قوله تعالى** قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا
يضرنا يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين دعوك الى دين ابائك اندعوا يعني انعبد من دون الله
يعني الاصنام التي لا تنفع من عبدها ولا تضر من ترك عبادتها ونرد على اعقابنا يعني ونرد الى الشرك بعد
اذ هدانا الله يعني لدين الاسلام والتوحيد كالذي استهوته الشياطين في الارض يعني كالذي ذهبت
به الشياطين فالقته في هوية من الارض واضله من الهوي وهو النزول من اعلى الى اسفل حيران يعني
حائرا لا يهتدي الى الاصل مرادا يتردد فيه فلم يهتد الى الصواب ولا المخرج منه له اصحاب يدعونه الى الهدى
يعني لهذا المتحير الذي استهوته الشياطين اصحاب على الطريق المستقيم ائتنا يعني يقولون له ائتنا
وهذا المثل ضربه الله لمن يدعو الى عبادة الاصنام التي لا تنفع ولا تضر ولمن يدعو الى عبادة الله عز وجل الذي
يضر وينفع يقول مثلهما كمثل رجل في رفقة ضل به الغول والشيطان عن الطريق المستقيم وجعل الغيلان
يدعونه اليهم فبقي حيرانا لا يدري اين يذهب فان اجاب الغيلان ضل وهلك وان اجاب اصحابه اهتدى
وسلم قل ان هدى الله هو الهدى يعني ان طريق الله الذي اوضحه لعباده ودينه الذي شرعه
لهم هو الهدى والنور والاستقامة لا عبادة الاصنام ففيه زجر عن عبادتها كانه يقول لا تفعل ذلك
فان هدى الله هو الهدى لا هدى غيره وامرنا لنسلم يعني وامرنا ان نسلم ونخلص العبادة لرب العالمين

لانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره وان اقيموا الصلاة واتقوه يعني وامرنا باقامة الصلاة والتقوى لان
فيهما ما يقرب اليه وهو الذي اليه تحشرون يعني في يوم القيامة فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل وهو الذي
خلق السموات والارض بالحق يعني اظهارا للحق فعلى هذا تكون الباء بمعنى اللام والاية جعل صنعه
دليلا على وحدانيته وقيل خلقهما بكمال قدرته وشمول علمه واتقان صنعه وكل ذلك حق وقيل خلقهما
بكلامه الحق وهو قوله كن وفيه دليل على ان كلام الله تعالى ليس بمخلوق لانه لا يخلق مخلوق بمخلوق
ويوم يقول كن فيكون قيل انه راجع الى خلق السموات والارض والمعنى واذكر يوم قال للسموات والارض كن
فيكون **وقيل** يرجع الى القيامة ويدل عليه سرعة البعث والحساب كانه قال ويوم يقول للخلق
موتوا فيموتون وقوموا للحساب فيقومون احياء قوله الحق يعني ان قول الله عز وجل وتعالى للشيء اذا
اراده كن فيكون حق وصدق وهو كائن لا محالة وله الملك يوم ينفخ في الصور انما اخبر عن ملكه
يومئذ وان كان الملك له سبحانه وتعالى خالصا في كل وقت في الدنيا والاخرة لانه لا منازع له يومئذ
يدعي الملك وانه المنفرد بالملك يومئذ وان من كان يدعي الملك بالباطل من الجبابرة والفراعنة وسائر
الملوك الذين كانوا في الدنيا قد زال ملكهم واعترفوا ان الملك لله الواحد القهار وانه لا منازع له
فيه وعلموا ان الذي كانوا يدعونه من الملك في الدنيا باطل وغرور واختلف العلماء في الصور المذكور
في الاية فقال قوم هو قرن ينفخ فيه وهو لغة اهل اليمن قال مجاهد الصور قرن كهيئة البوق ويدل
على صحة هذا القول ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه اخرجه ابو داود والترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كيف انعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته واصغى سمعه ينتظر
ان يؤمر فينفخ فكان ذلك ثقل على اصحابه فقالوا كيف نفعل يا رسول الله وكيف نقول قال قولوا
حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا وربما قال توكلنا على الله اخرجه الترمذي وقال ابو عبيدة
الصور جمع صورة والنفخ فيها احياؤها بنفخ الروح فيها وهذا قول الحسن ومقاتل والقول الاول
اصح لما تقدم من الحديث ولقوله تعالى في اية اخرى ثم نفخ فيه اخرى ولاجماع اهل السنة ان المراد بالصور
هو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل النفخة الاولى نفخة الصعق والنفخة الثانية نفخة البعث للحساب وقوله تعالى عالم الغيب
والشهادة يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن عباده وما يشاهدونه فلا يغيب عن علمه شيء وهو الحكيم يعني
في جميع افعاله وتدبيره خلقه الخبير يعني بكل ما يفعلونه من خير وشر قوله تعالى واذ قال
ابراهيم لابيه آزر اختلف العلماء في لفظ آزر فقال محمد بن اسحاق والكلبي والضحاك آزر
اسم ابي ابراهيم وهو تارخ فتارخ ضبطه بعضهم بالحاء وبعضهم بالخاء المعجمة فعلى هذا يكون لابي
ابراهيم اسمان آزر وتارخ مثل يعقوب واسرائيل اسمان لرجل واحد فيحتمل ان يكون اسمه
الاصلي آزر وتارخ لقب له وبالعكس فالله سماه آزر وان كان عند النسابين والمؤرخين
اسمه تارخ ليعرف بذلك وكان آزر ابو ابراهيم من كوثى وهي قرية من سواد الكوفة وقال سليمان التيمي
آزر سب وعيب ومعناه في كلامهم المعوج وقيل الشيخ الهرم وهو بالفارسية وهو على مذهب من
يجوز ان في القرآن الفاظا فارسية **وقيل** هو المخطئ فكان ابراهيم عابه وذمه بسبب
كفره وزيغه عن الحق وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم كان والد ابراهيم يعبده وانما
سماه بهذا الاسم لان من عبد شيئا او احبه جعل اسم ذلك المعبود او المحبوب اسما له فهو كقوله يوم ندعوا
كل اناس بامامهم وقيل معناه واذ قال ابراهيم لابيه يا عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه والصحيح هو
الاول لان آزر اسم لابي ابراهيم لان الله تعالى سماه به وما نقل عن النسابين والمؤرخين ان اسمه تارخ
ففيه نظر انما نقلوه عن اصحاب الاخبار واهل السير من اهل الكتاب ولا عبرة بنقلهم وقد اخرج البخاري
في افراده من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم عليه السلام اباه آزر

يوم القيامة وهو على وجه آزر قترة وغبرة الحديث فسماه النبي صلى الله عليه وسلم آزر أيضا ولم يقل
أباه تارخ فثبت بهذا أن اسمه الأصلي آزر لا تارخ والله أعلم. وقوله تعالى أتتخذ أصناما آلهة
معناه اذكر يا محمد لقومك قول إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة تعبدها وتجعلها من دون الله الذي
خلقك ورزقك والأصنام جمع صنم وهو التمثال الذي يتخذ من خشب أو حجارة أو حديد أو ذهب
أو فضة على صورة الإنسان وهو الوثن إني أراك وقومك في ضلال مبين يعني يقول إبراهيم لأبيه
آزر إني أراك وقومك الذين يعبدون الأصنام معك ويتخذونها آلهة في ضلال مبين يعني
بين لمن أبصره أنه ضلال لا يشك أن هذه الأصنام لا تضر ولا تنفع وهذه الآية احتجاج على مشركي
العرب بأحوال إبراهيم ومحاجته لأبيه وقومه لأنهم كانوا يعظمون إبراهيم صلى الله عليه وسلم
ويعترفون بفضله فلا جرم ذكر الله قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه في معرض الاحتجاج
على المشركين. **قوله** وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض معناه وكما أرينا إبراهيم البصيرة
في دينه والحق في خلاف قومه وما كانوا عليه من الضلال في عبادة الأصنام نريه ملكوت السموات
فلهذا السبب عبر عن هذه الرؤية بلفظ المستقبل في قوله وكذلك نري إبراهيم لأنه تعالى كان
أراه بعين البصيرة أن أباه وقومه على غير الحق فجازاه الله تعالى بأن أراه بعد ذلك ملكوت
السموات والأرض فحسنت هذه العبارة لهذا المعنى والملكوت الملك زيدت التاء للمبالغة كالرهبوت
والرغبوت والرحموت من الرحمة والرغبة والرهبة قال ابن عباس يعني خلق السموات والأرض وقال
مجاهد وسعيد بن جبير يعني آيات السموات والأرض وذلك أن إبراهيم أقيم على صخرة وكشف له عن السموات
والأرض حتى رأى العرش والكرسي وما في السموات من العجائب وحتى رأى مكانه في الجنة فذلك قوله
وآتيناه أجره في الدنيا يعني أريناه مكانه في الجنة وكشف له عن الأرض حتى نظر إلى أسفل الأرضين
ورأى ما فيها من العجائب قال البغوي روي عن سلمان ورفعه بعضهم عن علي لما رأى إبراهيم
ملكوت السموات والأرض أبصر رجلا على فاحشة فدعا عليه فهلك ثم أبصر آخر فدعا عليه فهلك
ثم أبصر آخر فأراد أن يدعو عليه فقال له تبارك وتعالى يا إبراهيم إنك رجل مجاب الدعوة فلا
تدعون على عبادي فإنما أنا من عبدي على ثلاث خلال إما أن يتوب إلي فأتوب عليه وإما أن
أخرج منه نسمة تعبدني وإما أن يبعث إلي فإن شئت عفوت وإن شئت عاقبت وفي رواية
فإن تولى فإن جهنم من ورائه وقال قتادة ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم وملكوت الأرض
الجبال والشجر والبحار واختلف في هذه الرؤية هل كانت بعين البصر أو بعين البصيرة على قولين
أحدهما أنها كانت بعين البصر الظاهر فشق لإبراهيم السموات حتى رأى العرش وشق له الأرض حتى
رأى ما في بطنها والقول الثاني أن هذه الرؤية كانت بعين البصيرة لأن ملكوت السموات عبارة
والأرض عبارة عن الملك وذلك لا يعرف إلا بالعقل فثبت بهذا أن هذه الرؤية كانت بعين البصيرة
إلا أن يقال بأن المراد بملكوت السموات والأرض نفس السموات والأرض. **وقوله** تعالى وليكون
من الموقنين عطف على المعنى ومعناه وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض ليستدل به وليكون
من الموقنين واليقين عبارة عن علم يحصل بسبب التأمل بعد زوال الشبهة لأن الإنسان في
أول الحال لا ينفك عن شبهة وشك فإذا كثرت الدلائل وتوافقت صارت سببا لحصول اليقين
والطمأنينة في القلب وزالت الشبهة عند ذلك قال ابن عباس في وليكون من الموقنين جلى له
الأمر سره وعلانيته فلم يخف عليه شيء من أعمال الخلائق فلما جعل يلعن أصحاب الذنوب قال الله تعالى
إنك لا تستطيع هذا فرده الله كما كان قبل ذلك فمعنى الآية على هذا القول وكذلك أريناه ملكوت
السموات والأرض ليكون ممن يوقن علم كل شيء حسا وخبرا. قوله تعالى فلما جن عليه الليل يقال جن
الليل وأجن إذا أظلم وغطى كل شيء وأجنه الليل وجن عليه إذا ستره بسواده رأى كوكبا قال هذا ربي

ذكر القصة في ذلك قال أهل التفسير

وأصحاب الأخبار والسير ولد إبراهيم عليه السلام في زمن نمرود بن كنعان الملك وكان نمرود
أول من وضع التاج على رأسه ودعا الناس إلى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا له إنه
يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين أهل الأرض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه
ويقال إنهم وجدوا ذلك في كتب الأنبياء وقال السدي رأى نمرود في منامه كأن كوكبا قد طلع
فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهان وسألهم
عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك في هذه السنة يكون هلاكك وزوال ملكك على يديه
وأهل بيتك فأمر بذبح كل غلام يولد في تلك السنة في ناحيته وأمر بعزل النساء عن الرجال وجعل على كل عشرة
رجلا يحفظهم فإذا حاضت المرأة خلى بينها وبين زوجها لأنهم كانوا لا يجامعون في الحيض فإذا
طهرت من الحيض حالوا بينهما قالوا فرجع آزر فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فواقعها فحملت بإبراهيم
وقال محمد بن إسحاق بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده إلا ما كان من أم إبراهيم فإنه
لم يعلم بحبلها لأنها كانت جارية صغيرة لم يعرف الحبل في بطنها وقال السدي خرج نمرود بالرجال
إلى العسكر وعزلهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود فمكث بذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة إلى المدينة
فلم يأمن عليها أحدا من قومه إلا آزر فبعث إليه فأحضره إلى عنده وقال له إن لي إليك حاجة
أحب أن أوصيك بها ولم أبعثك فيها إلا لثقتي بك فأقسمت عليك أن لا تدنو من أهلك
فقال آزر أنا أشح على ديني من ذلك فأوصى بحاجته فدخل المدينة وقضى حاجة الملك
ثم قال لو دخلت على أهلي فنظرت إليهم فلما دخل على أم إبراهيم ونظر إليها لم يتمالك حتى
واقعها فحملت من ساعتها بإبراهيم. **قال** ابن عباس لما حملت أم إبراهيم قال الكهان
لنمرود إن الغلام الذي أخبرناك به قد حملت به أمه الليلة فأمر نمرود بذبح الغلمان فلما
دنت ولادة أم إبراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها
فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء ثم رجعت فأخبرت زوجها
بابنها وأنها ولدت وأن الولد في موضع كذا فانطلق أبوه إليه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سربا
عند النهر فواراه فيه وسد بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف إليه فترضعه
وقال محمد بن إسحاق لما وجدت أم إبراهيم الطلق خرجت ليلا إلى مغارة كانت قريبا منها فولدت
فيها إبراهيم وأصلحت من شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه باب المغارة ثم رجعت إلى بيتها
وكانت تختلف إليه لتنظر ما فعل فتجده حيا وهو يمص إبهامه قال أبو روق قالت أم إبراهيم
لأنظرن إلى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبنا ومن أصبع سمنا ومن أصبع عسلا
ومن أصبع تمرا وقال محمد بن إسحاق كان آزر قد سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت
غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان إبراهيم يشب في اليوم كالشهر وفي الشهر كالسنة
فلم يمكث في المغارة إلا خمسة عشر شهرا حتى قال لأمه أخرجيني فأخرجته عشاء فنظر وتفكر في خلق
السموات والأرض وقال إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربي الذي ما لي إله غيره
ونظر في السماء فرأى كوكبا قال هذا ربي ثم أتبعه بصره ينظر إليه حتى غاب فلما أفل قال لا أحب
الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي وأتبعه بصره ينظر إليه حتى غاب ثم طلعت الشمس قال
هذا ربي وأتبعه بصره إلى آخره ثم رجع إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته وعرف ربه وبرئ
من دين قومه إلا أنه لم يبادئهم بذلك فلما رجعت به أمه أخبرته أنه ابنها وأخبرته
بما صنعت به فسر بذلك وفرح فرحا شديدا وقيل إنه مكث في السرب سبع سنين وقيل ثلاث

عشرة سنة قالوا ابراهيم وهو في السرب قال لامه من ربي قالت انا قال فمن ربك قالت ابوك قال
فمن رب ابي قالت اسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت ارايت الغلام الذي كنا نحدث انه يغير دين
اهل الارض ثم اخبرته بما قال فاتاه ابوه آزر فقال ابراهيم يا ابتاه من ربي قال امك قال فمن رب امي قال
انا قال فمن ربك قال نمرود قال فمن رب نمرود فلطمه لطمة وقال اسكت فلما جن عليه الليل دنا من باب
السرب فنظر من خلال الصخرة فابصر كوكبا قال هذا ربي ويقال انه قال لابويه اخرجاني فاخرجاه من
السرب حين غابت الشمس فنظر ابراهيم الى الابل والخيل والغنم فسال اباه ما هذه قال ابل وخيل وغنم
فقال ابراهيم ما لهذه بد من ان يكون لها رب وخالق ثم نظر فاذا المشتري قد طلع ويقال انها الزهرة
وكانت تلك الليلة من اخر الشهر فتاخر طلوع القمر فراى الكوكب قبل القمر فذلك قوله عز وجل فلما جن
عليه الليل يعني سود ظلامه راى كوكبا قال هذا ربي ثم اختلف العلماء في وقت هذه الرؤية وفي وقت
هذا القول هل كان قبل الطلوع او بعده على قولين احدهما انه كان قبل البلوغ في حال طفوليته وذلك
قبل قيام الحجة عليه فلم يكن لهذا القول الذي صدر من ابراهيم في هذا الوقت اعتبار ولا يترتب
عليه حكم لان الاحكام انما تثبت بعد البلوغ **وقيل** ان ابراهيم لما خرج من السرب في حال
صغره ونظر الى السماء وما فيها من العجائب ونظر الى الارض وما فيها من العجائب وكان قد خصه الله
بالعقل الكامل والفطرة السليمة تفكر في هذه وقال لا بد لهذا الخلق من خالق مدبر وهو الله الخالق
ثم نظر في حال تفكره فراى الكوكب وقد ازهر فقال هذا ربي على ما سبق الى وهمه وذلك في حال
طفوليته وقبل استقرار معرفة الرب سبحانه وتعالى واستدل اصحاب هذا القول على
صحته بقوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين قالوا وهذا يدل على نوع تحير وذلك
لا يكون الا في حال الصغر وقبل البلوغ وقيام الحجة وهذا القول ليس بسديد ولا مرضي لان الانبياء
معصومون في كل حال من الاحوال وانه لا يجوز ان يكون لله عز وجل رسول ياتي عليه وقت
من الاوقات الا وهو لله عارف وله موحد ومن كل منقصة منزه ومن كل معبود سواه بري وكيف
يتوهم هذا على ابراهيم وقد عصمه وطهره وآتاه رشده من قبل واراه ملكوت السموات وراى الكوكب
قال معتقدا هذا ربي حاشا ابراهيم صلى الله عليه وسلم من ذلك لان منصبه اعلى واشرف من ذلك
صلى الله عليه وسلم والقول الثاني الذي عليه جمهور المحققين ان هذه الرؤية وهذا القول بعد
بلوغ ابراهيم وحين شرفه الله بالنبوة واكرمه بالرسالة ثم اختلف اصحاب هذا القول في تاويل الاية
ومعناها فذكروا فيها وجوها **الوجه الاول** ان ابراهيم عليه السلام اراد ان يستدرج قومه
بهذا القول ويعرفهم جهلهم وخطاهم في تعظيم النجوم وعبادتها لانهم كانوا يرون ان كل الامور اليها
فاراهم ابراهيم انه معظم ما عظموه فلما افل الكوكب والقمر والشمس اراهم النقص الداخل على النجوم
بسبب الغيبوبة والافول ليثبت خطا ما كانوا يعتقدون فيها من الالوهية ومثل هذا مثل
الحواري الذي ورد على قوم يعبدون صنما فاظهر تعظيمه فاكرموه لذلك حتى صاروا يصدرون
عن رايه في كثير من امورهم الى ان دهمهم عدو لا قبل لهم به فتشاوروا في امر هذا العدو فقال الراي
عندي ان تدعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما نزل بنا فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون اليه فلم يغن
شيئا فلما تبين لهم انه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع دعاهم الحواري وامرهم ان يدعوا الله عز وجل
ويسالوه ان يكشف عنهم ما نزل بهم فدعوا الله مخلصين فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فاسلموا
جميعا **الوجه الثاني** ان ابراهيم عليه السلام قال هذا القول على سبيل الاستفهام
وهو استفهام انكار وتوبيخ لقومه تقديره اهذا ربي الذي تزعمون واسقاط حرف الاستفهام
كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى فان مت فهم الخالدون يعني افهم الخالدون والمعنى ايكون
هذا ربا ودليل النقص فيه ظاهر **الوجه الثالث** ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك على

وجه

الاحتجاج على قومه بقوله هذا ربي بزعمكم فلما غاب قال لو كان الها كما تزعمون لما غاب فهو كقوله ذق
انك انت العزيز الكريم يعني عند نفسك وبزعمك وكما اخبر عن موسى عليه السلام بقوله تعالى وانظر الى
الهك الذي ظلت عليه عاكفا يريد الهك بزعمك **الوجه الرابع** ان في هذه الاية اضمارا تقديره يقولون
هذا ربي واضمار القول كثير في كلام العرب ومنه قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل
ربنا تقبل منا **الوجه الخامس** ان الله تعالى قال في حقه وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات
والارض وليكون من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل والفاء تقتضي التعقيب فدل هذا ان
هذه الواقعة بعد ان اراه ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه
الليل راى كوكبا والفاء تقتضي التعقيب فدل هذا ان هذه الواقعة بعد ان اراه الله ملكوت السموات
والارض بعد الايقان ومن كان معه بهذه المنزلة العالية الشريفة لا يليق بحاله ان يعبد الكوكب
او يتخذه ربا فاما الجواب عن قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين فان الانبياء عليهم
السلام لم يزالوا يسالوا الله التثبيت ومنه قوله واجنبني وبني ان نعبد الاصنام اما قوله
تعالى فلما افل يعني غاب والافول غيبوبة النيرات قال يعني ابراهيم لا احب الافلين
يعني لا احب ربا يغيب ويطلع لان امارات الحدوث فيه ظاهرة قوله تعالى فلما راى القمر بازغا
يعني طالعا منتشر الضوء قال هذا ربي معناه ما تقدم في الكلام في الكوكب فلما افل
يعني غاب قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين يعني ان لم يثبتني على الهدى وليس
المراد انه لم يكن مهتديا لان الانبياء لم يزالوا على الهداية من اول الفطرة وفي الاية دليل على ان
الهداية من الله تعالى لان ابراهيم اضاف الهداية الى الله تعالى فلما راى الشمس بازغة
يعني طالعة قال هذا ربي يعني هذا الطالع او انه اشار الى الضياء والنور لانه راى
الشمس اضوا من الكوكب والقمر وقيل انما قال هذا ولم يقل هذه لان تانيث الشمس غير حقيقي
فلهذا اتى بلفظ التذكير هذا اكبر يعني من الكوكب والقمر فلما افلت يعني فلما
غابت الشمس قال يا قوم اني بريء مما تشركون يعني انه لما اثبت ابراهيم عليه السلام بالدليل
القطعي ان هذه النجوم ليست بالهة ولا تصلح للربوبية تبرا منها واظهر لقومه انه بريء مما
يشركون ولما اظهر خلاف قومه وتبرا من شركهم اظهر ما هو عليه من الدين الحق فقال اني
وجهت وجهي يعني طاعتي اي صرفت وجه عبادتي وقصدت بتوحيدي للذي فطر السموات
والارض حنيفا يعني للذي خلقهما وابتدعهما حنيفا يعني مائلا عن عبادة كل شيء سوى
الله تعالى واصل الحنف الميل وهو ميل عن طريق الضلالة الى طريق الاستقامة وقيل
الحنيف الذي يستقبل الكعبة في صلاته وما انا من المشركين تبرا من الشرك الذي كان
عليه قومه **قوله** تعالى وحاجه قومه يعني وخاصمه قومه وذلك لما اظهر ابراهيم
عليه السلام عيب آلهتهم التي كانوا يعبدونها واظهر التوحيد لله عز وجل خاصمه قومه وجادلوه
في ذلك فقال اتحاجوني في الله يعني اتجادلونني في توحيدي لله وقد هداني وقد بين لي
الطريق الهداية الى توحيده ومعرفته وقال البغوي ولما رجع ابراهيم الى ابيه وصار من الشباب
بحالة سقط عنه طلب الذابحين وضمه آزر الى نفسه جعل يصنع الاصنام ويجمعها
ويعطيها ابراهيم ليبيعها فيذهب ابراهيم وينادي من يشتري ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها
احد فاذا بارت عليه ذهب بها الى نهر فصوب فيه رؤوسها وقال اشربي استهزاء بقومه وبما هم
فيه من الضلالة حتى فشا استهزاؤه بها في قومه واهل قريته فحاجه قومه يعني خاصمه
وجادله قومه في دينه قال يعني ابراهيم اتحاجوني في الله وقد هداني يعني الى
توحيده ومعرفته ولا اخاف ما تشركون به وذلك انهم قالوا احذر الاصنام فانا نخاف ان

عسى ان يخبل او يجنون لعيبك آلهتنا فاجابهم بقوله ولا اخاف ما تشركون به فانها جمادات لا تضر
ولا تنفع وانما يكون الخوف ممن يقدر على النفع والضر وهو قوله الا ان يشاء ربي شيئا يعني ان شاء
ربي شيئا كان مما يشاء لانه قادر على النفع والضر وانما قال ابراهيم ذلك لاحتمال ان الانسان
قد يصيبه في بعض حالاته وايام عمره ما يكرهه فلو اصابه مكروه نسبوه الى الاصنام فنفى هذه
الشبهة بقوله الا ان يشاء ربي شيئا وهو استثناء منقطع وليس هو من الاول في شي والمعنى ولكن
ان شاء ربي شيئا كان وسع ربي كل شيء علما يعني احاط علمه بكل شي فلا يخرج شي عن علمه افلا تتذكرون
يعني افلا تعتبرون ان هذه الاصنام جماد لا تضر ولا تنفع وان النافع الضار هو الذي خلق
السموات والارض ومن فيهما وكيف اخاف ما اشركتم يعني وكيف اخاف الاصنام التي اشركتم
بها لانها جماد لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع ولا تخافون انكم اشركتم بالله يعني
وانتم لا تخافونه وانتم اشركتم بالله وهو من اعظم الذنوب ما لم ينزل به عليكم سلطانا
يعني ما ليس لكم فيه حجة وبرهان فاي الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون يعني يقول
من اولى بالامن من العذاب في يوم القيامة الموحد ام المشرك الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم وهذا فصل قضاه الله بين ابراهيم وبين قومه يعني ان الذي يستحق الامن يوم
القيامة هم الذين آمنوا يعني آمنوا بالله وحده ولم يشركوا به شيئا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشرك ق عن ابن مسعود قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم
بظلم شق ذلك على المسلمين وقالوا اينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس
ذلك انما هو الشرك الم تسمعوا قول لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وفي
رواية ليس هو كما تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه وذكره قيل في معنى قوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
يعني ولم يخلطوا ايمانهم بشي من معاني الظلم وذلك بان يفعل بعض ما نهى الله عنه او يترك ما امر
الله به فعلى هذا القول تكون الاية على العموم لان الله لم يخص به معنى من معاني الظلم دون غيره
والصحيح ان الظلم المذكور في هذه الاية هو الشرك لما تقدم من حديث ابن مسعود ان النبي صلى
الله عليه وسلم فسر الظلم هنا بالشرك وفي الاية دليل على ان من مات لا يشرك بالله شيئا كان
عاقبته الامن من النار لقوله اولئك يعني الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم لهم الامن
يوم القيامة من عذاب النار وهم مهتدون يعني الى سبيل الرشاد وقوله تعالى وتلك حجتنا
آتيناها ابراهيم على قومه يعني ما جرى بين ابراهيم وبين قومه واستدلاله على حدوث الكوكب والقمر
والشمس بالافول وقيل انه خاصم قومه المشركين فقال اي الفريقين احق بالامن من يعبد الها
واحدا مخلصا له الدين والعبادة ام يعبد اربابا كثيرا فقالوا من يعبد الها واحدا فقضوا
على انفسهم فكانت حجة ابراهيم عليهم نرفع درجات من نشاء يعني بالعلم والفهم والعقل والفضيلة
كما رفعنا درجات ابراهيم حتى اهتدى الى المحاجة قومه وقيل نرفع درجات من نشاء بالنبوة في الدنيا
والعلم والحكمة وفي الاخرة بالثواب على الاعمال الصالحة ان ربك حكيم عليم يعني ان الله تعالى حكيم في جميع
افعاله عليم بجميع احوال الخلق لا يفعل شيئا الا بحكمة وعلم قوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب
لما اظهر ابراهيم عليه السلام دينه وغلب خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية والدلائل الصحيحة
التي فهمه الله تعالى اياها واهداه اليها عدد نعمه عليه واحسانه اليه فان رفع درجته في عليين
وابقى النبوة في ذريته الى يوم الدين فقال تعالى ووهبنا له يعني لابراهيم واسحاق يعني ابنه
ابن اسحاق وهو ولد الولد كلا هدينا يعني هدينا جميعهم الى سبيل الرشاد وقوله تعالى
ونوحا هدينا من قبل يعني ما جرى بين ابراهيم وبين قومه واستدلاله على حدوث الكوكب والقمر
والشمس بالافول وقيل لما قالوا لابراهيم انك تخاف علينا من الهتنا لسبك اياها اما تخافون

انتم

انتم منها اذا سويتم بين الصغير والكبير بين الصغير والكبير في العبادة ان يغضب الكبير عليكم وقيل
انه خاصم قومه المشركين فقال اي الفريقين احق بالامن من يعبد الها واحدا مخلصا له الدين والعبادة
ام يعبد اربابا كثيرة فقالوا من يعبد الها واحدا فقضوا على انفسهم فكانت هذه حجة ابراهيم عليهم
ومن ذريته يعني بالعلم والفهم والعقل والفضيلة كما رفعنا درجات ابراهيم حتى اهتدى
الى محاجة قومه وقيل نرفع درجات من نشاء بالنبوة في الدنيا والعلم والحكمة وفي الاخرة
بالثواب على الاعمال الصالحة داود وسليمان يعني ان الله حكيم في جميع افعاله عليم
بجميع احوال الخلق لا يفعل شيئا الا بحكمة وعلم قوله عز وجل وايوب ويوسف لما اظهر ابراهيم
عليه السلام دينه وغلب خصمه بالحجج القاطعة والبراهين القوية والدلائل الصحيحة التي فهمه
الله تعالى اياها واهداه اليها عدد نعمه عليه واحسانه اليه فان رفع درجته في عليين وابقى النبوة
في ذريته الى يوم الدين فقال تعالى ووهبنا له يعني لابراهيم واسحاق يعني ابنه لصلبه ويعقوب
يعني ابن اسحاق وهو ولد الولد وموسى وهارون كلا هدينا يعني هدينا جميعهم الى سبيل الرشاد ووفقناهم
الى طريق الحق والصواب ونوحا هدينا من قبل يعني من قبل ابراهيم ارشدنا نوحا ووفقناه للحق
والصواب ومننا عليه بالهداية ومن ذريته اختلفوا في هذا الضمير الى من يرجع فقيل يرجع الى
ابراهيم يعني ومن ذرية ابراهيم وقيل يرجع الى نوح وهو اختيار جمهور المفسرين لان الضمير يرجع الى
اقرب مذكور ولان الله تعالى ذكر في جملة هذه الذرية لوطا وهو ابن اخي ابراهيم ولم يكن من ذريته
فثبت بهذا ان هذه الكناية ترجع الى نوح وقال الزجاج كلا القولين جائز لان ذكرهما جميعا قد
جرى وداود وهو ابن ايشا وكان ممن اتاه الله الملك والنبوة وكذلك سليمان بن داود وايوب
هو ايوب بن موص بن رازح بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم ويوسف هو ابن يعقوب بن اسحاق
ابن ابراهيم وموسى هو ابن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وهارون هو اخو
موسى وكان اكبر منه بسنة وكذلك نجزي المحسنين يعني وكما جزينا ابراهيم على توحيده
وصبره على اذى قومه كذلك نجزي المحسنين على احسانهم وزكريا هو ابن اذن بن بركيا ويحيى
هو ابن زكريا وعيسى هو ابن مريم بنت عمران والياس قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان
مثل يعقوب واسرائيل وقال محمد بن اسحاق هو الياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران
وهذا هو الصحيح لان اصحاب الانساب يقولون ان ادريس جد نوح لان نوحا ابن لامك بن متوشلح بن
اخنوخ وهو ادريس وصحابه اهتدوا ولان الله تعالى نسب الياس في هذه الاية الى نوح وجعله من ذريته كل
من الصالحين يعني ان كل من ذكر من الانبياء من الصالحين واسماعيل هو ابن ابراهيم وانما اخر ذكره
الى هنا لانه ذكر اسحاق وذكر اولاده من بعده على نسق واحد فلهذا السبب اخر ذكر ابراهيم الى اسماعيل
الى هنا واليسع هو ابن اخطوب بن العجوز ويونس هو ابن متى ولوطا هو ابن اخي ابراهيم وكلا فضلنا
على العالمين يعني على عالمي زمانهم ويستدل بهذه الاية من يقول ان الانبياء افضل من الملائكة واعلم
ان الله تعالى ذكر هنا ثمانية عشر نبيا من الانبياء عليهم السلام من غير ترتيب لا بحسب الزمان ولا بحسب
الفضل لان الواو لا تقتضي الترتيب ولكن هنا لطيفة اوجبت هذا الترتيب وهي ان الله تعالى خص كل
طائفة من طوائف الانبياء عليهم السلام بنوع من الكرامة والفضل فذكر اولا نوحا وابراهيم واسحاق
ويعقوب لانهم اصول الانبياء واليهم يرجع انسابهم جميعا ثم من المراتب المعتبرة بعد النبوة الملك
والقدرة والسلطان وقد اعطى الله داود وسليمان عليهما السلام من ذلك حظا وافرا ومن المراتب الصبر عند
نزول البلاء والمحن والشدائد وقد خص الله بهذه ايوب عليه السلام ثم عطف على هاتين المرتبتين من
جمع بينهما وهو يوسف عليه السلام فانه صبر على البلاء والشدة الى ان اعطاه الله ملك مصر مع النبوة
ثم من المراتب المعتبرة في تفضيل الانبياء عليهم السلام كثرة المعجزات وقوة البراهين وقد خص

احمد بذلك ذكرهما الله موسى وهارون من ذلك بالحظ الوافر من المراتب المعتبرة الزهد في الدنيا والاعراض
عنها وقد خص الله بذلك زكريا ويحيى وعيسى والياس عليهم السلام ولهذا السبب وصفهم بانهم
من الصالحين ثم ذكر الله من بعد هولا الانبيا من لم يبق له اتباع ولا شريعة وهم اسماعيل واليسع
ولوط فاذا اعتبرنا هذه اللطيفة على هذا الوجه كان هذا الترتيب من احسن شي يذكر والله اعلم
بمراده واسرار كتابه قوله تعالى ومن اباهم يعني ومن اباء الذين سميناهم ومن هنا للتبعيض لان
من اباهم من لم يكن مسلما وذرياتهم يعني ومن ذرياتهم اي بعضهم لان عيسى ويحيى لم يكن
لهما ولد وكان في ذرية بعضهم من هو كافر كابن نوح واخوانهم يعني ومن اخوانهم والمعنى ان الله
تعالى وفق اباء المذكورين ومن اخوانهم وذرياتهم للهداية وخالص الدين وهو قوله تعالى واجتبيناهم
يعني اخترناهم واصطفيناهم وهديناهم يعني وارشدناهم الى صراط مستقيم
اي الى دين الحق ذلك هدى الله قال ابن عباس ذلك دين الله الذي كان عليه هولا الانبيا
وقيل المراد بهدى الله معرفة الله وتنزيهه عن الشركا والاضداد والانداد يهدي به
من يشا من عباده يعني يوفق من يشا من عباده ويرشده الى دينه وطاعته وخلع الاضداد
والشركا ولو اشركوا يعني هولا الذين سميناهم لحبط عنهم يعني لبطل وذهب عنهم ما كانوا
يعملون من الطاعات قبل ذلك لان الله تعالى لا يقبل مع الشرك من الاعمال شيا قوله عز
وجل اولئك الذين اتيناهم الكتاب والحكم والنبوة يعني اولئك الذين سميناهم من الانبيا اعطيناهم
الكتب التي انزلنا عليهم واتيناهم العلم والفهم وشرفناهم بالنبوة وانما قدم ذكر الكتاب والحكمة
على النبوة وان كانت النبوة هي الاصل لان منصب النبوة اشرف المراتب والمناصب فذكر اولا الكتاب
والحكم لانتهائه الى النبوة فان يكفر بها هولا يعني فان يجحد بدلايل التوحيد والنبوة كفار
قريش فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين قال ابن عباس هم الانصار واهل المدينة وقيل هم
المهاجرون والانصار وقال الحسن وقتادة هم الانبيا الثمانية عشر الذين تقدم ذكرهم واختاره الزجاج
قال والدليل عليه قوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقال ابو رجا العطاردي
هم الملايكة وفيه بعد لان اسم القوم لا ينطلق الا على بني ادم وقيل هم الفرس قال ابن زيد كل
من لم يكفر فهو منهم سوا كان ملكا او نبيا او من الصحابة او التابعين وفي الاية دليل على ان الله تعالى
ينصر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويقوي دينه ويجعله غالبا على الاديان كلها وقد حصل ذلك فهو اخبار
عن الغيب قوله تعالى اولئك الذين هدى الله يعني النبيين الذين تقدم ذكرهم لانهم هم المخصوصون
بالهداية فبهداهم اقتده اشارة الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني فبشرايعهم وسننهم اعمل واصل
الاقتدا في اللغة طلب موافقة الثاني للاول في فعله وقيل امره ان يقتدي بهم في امر الدين الذي امرهم
ان يجمعوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن جميع النقايص التي لا تليق بجلاله في الاسما
والصفات والافعال المرضية والصفات الرفيعة الكاملة مثل الصبر على اذى السفها والعفو عنهم
وقيل امره ان يقتدي بشرايعهم الا ما خصه دليل اخر فعلى هذا القول يكون دليلا على ان شرع من
قبلنا شرع لنا

فصل احتج العلما بهذه الاية على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
افضل من جميع الانبيا عليهم وبيانه ان جميع خصال الكمال وصفات الشرف كانت متفرقة فيهم فكان
نوح صاحب احتمال على اذى قومه وكان ابراهيم صاحب كرم وبذل ومجاهدة في الله عز وجل وكان
اسحاق ويعقوب من اصحاب الصبر على البلا والمحن وكان داود وعليه السلام وسليمان من اصحاب
الشكر على النعمة قال الله فيهم اعملوا ال داود شكرا وكان ايوب صاحب صبر على البلا قال الله
فيه انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وكان يوسف قد جمع بين الحالتين يعني الصبر
والشكر وكان موسى صاحب الشريعة الظاهرة والمعجزة الباهرة وكان زكريا ويحيى وعيسى والياس

من اصحاب الزهد في الدنيا وكان اسماعيل صاحب صدق وكان يونس صاحب تضرع واخبات ثم
ان الله تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقتدي بهم جميع الخصال المحمودة المتفرقة فيهم فثبت
بهذا البيان انه صلى الله عليه وسلم كان افضل الانبيا لما اجتمع فيه من هذه الخصال التي كانت
متفرقة في جميعهم والله اعلم قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا يعني قل يا محمد لا اطلب
على تبليغ الرسالة جعلا وقيل لما امره الله تعالى بالاقتدا بالنبيين وكان من جملة هداهم عدم
طلب الاجر على ايصال الدين وابلاغ الشريعة لا جرم اقتدى بهم فقال لا اسالكم عليه اجرا ان هو
يعني ما هو يعني القران الا ذكرى للعالمين يعني القران موعظة وذكرى لجميع العالمين من الجن والانس
وفيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان مبعوثا الى جميع الخلق من الجن والانس وان دعوته عمت
الخلايق قوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره قال ابن عباس ما عظموا الله حق عظمته
وعنه ان معناه ما امنوا ان الله على كل شي قدير وقال ابو العالية ما وصفوا الله حق صفته وقال
وقال الاخفش ما عرفوا الله حق معرفته يقال قدر الشي اذا حزره وسبره واراد ان يعلم مقداره
يقال قدره يقدره بالضم قدرا ثم يقال لمن عرف شيا هو يقدر قدره واذا لم يعرفه بصفاته يقال فيه
انه لا يقدر قدره فقوله وما قدروا الله حق قدره يصح في جميع الوجوه المذكورة في معناه اذ قالوا
ما انزل الله على بشر من شي يعني من الذين قالوا ما انزل الله على بشر من شي ما قدروا الله حق قدره
ولا عرفوه حق معرفته اذ لو عرفوه حق معرفته لما قالوا هذه المقالة ثم اختلف العلما فيمن نزلت
الاية على قولين احدهما انها نزلت في كفار قريش وهذا على قول من يقول ان جميع هذه الاية مكية
وهو قول السدي وروي ذلك عن مجاهد وصححه الطبري قال لان من اول السورة الى هذا الموضع
هو خبر عن المشركين من عبدة الاصنام وكان قوله وما قدروا الله حق قدره موصولا بذلك غير مفصول
عنه فلا يكون قوله اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي خبرا عن غيرهم واورد فخر الدين الرازي اشكالا
وهو ان كفار قريش ينكرون نبوة جميع الانبيا فكيف يمكن الزامهم بنبوة موسى وايضا فما بعد هذه
الاية لا يليق بكفار قريش انما يليق بحال اليهود واجاب عنه بان كفار قريش كانوا مختلطين باليهود
وقد سمعوا منهم ان موسى جاءهم بالتورية وبالمعجزات الباهرات وانما انكر كفار قريش نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم فيمكن الزامهم بقوله قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى واجاب عن كون سياق الاية
لا يليق بحال اليهود بان كفار قريش واليهود كانوا مشتركين في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
فلا يبعد ان بعض الاية يكون خطابا لكفار قريش وبعضها خطابا لليهود القول الثاني في سبب
نزول هذه الاية وهو قول جمهور المفسرين انها نزلت في اليهود وهذا على قول من يقول ان هذه
الاية نزلت بالمدينة وانها من الايات المدنيات التي في السور المكية قال ابن عباس نزلت سورة
الانعام بمكة الا ست ايات منها قوله وما قدروا الله حق قدره فانها نزلت بالمدينة ثم اختلف
القايلون بهذا القول في اسم من نزلت هذه الاية فيه فقال سعيد بن جبير جا رجل من اليهود
يقال له مالك بن الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انشدك
الله الذي انزل التورية على موسى اما تجد في التورية ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا
سمينا فغضب وقال ما انزل الله على بشر من شي فقال له اصحابه الذين معه ويحك ولا على موسى فقال
والله ما انزل الله على بشر من شي فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على
بشر من شي قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس الاية قال البغوي وفي
القصة ان مالك ابن الصيف لما سمعت منه تلك المقالة عتبوا عليه وقالوا اليس انزل الله
على موسى فلم قلت ما انزل الله على بشر من شي فقال مالك بن الصيف اغضبني [illegible] كعب بن
الاشرف وقال السدي نزلت هذه الاية في فنحاص بن عازورا اليهودي وهو القايل هذه المقالة

وقال ابن عباس قالت اليهود يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم فقالوا والله ما انزل الله من السما كتابا
فانزل الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي قل من انزل الكتاب
الذي جا به موسى الاية وقال محمد بن كعب القرظي جا ناس من يهود الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو
محتب فقالوا يا ابا القاسم الا تاتينا بكتاب من السما كما جا به موسى الواحا يحملها من عند الله فانزل
الله يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السما الاية التي في سورة النسا فلما حدثهم
باعمالهم الخبيثة جثى رجل منهم وقال ما انزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا احد شيا فانزل
الله وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شي واورد الرازي على هذا القول
اشكالا ايضا وهو انه قال ان اليهود مؤمنين بانزال التورية على موسى فكيف يقولون ما انزل الله على
بشر من شي مع اعترافهم بانزال التورية ولم يجب عن هذا الاشكال بشي واجيب عنه بان المراد باليهود
مراد اليهود انكار انزال القران على محمد صلى الله عليه وسلم فقط فلهذا الزموا بما لا بد لهم من الاقرار
به من انزال التورية على موسى **فقال** تعالى قل من انزل الكتاب الذي جا به موسى
اي قل يا محمد لهولاء الذين انكروا انزال القران عليك بقولهم ما انزل الله على بشر من شي من انزل
التورية على موسى وفي هذا الالزام توبيخ اليهود بسوء جهلهم واقدامهم على انكار الحق الذي لا ينكر
نورا وهدى للناس يعني التورية ضيا من ظلمة الضلالة وبيانا يفرق بين الحق والباطل
من دينهم وذلك قبل ان تبدل وتغير تجعلونه قراطيس يكتبونه في قراطيس مقطعة
تبدونها يعني القراطيس المكتوبة وتخفون كثيرا يعني وتخفون كثيرا مما كتبوه
في القراطيس وهو ما عندهم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته في التورية ومما اخفوه ايضا
اية الرجم وكانت مكتوبة عندهم في التورية وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم اكثر المفسرين
على ان هذا خطاب لليهود ومعناه انكم علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ما لم تعلموا
انتم ولا اباؤكم قال الحسن جعل لهم علم ما جا به محمد صلى الله عليه وسلم فضيعوه ولم ينتفعوا
به وقال مجاهد هذا خطاب للمسلمين يذكرهم النعمة فيما علمهم على لسان نبيه محمد صلى الله
عليه وسلم قل الله هذا راجع الى قوله قل من انزل الكتاب الذي جا به موسى فان اجابوك
يا محمد والا فقل انت الله الذي انزله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون يعني دعهم يا محمد فيما هم
فيه يخوضون من باطلهم وكفرهم بالله ومعنى يلعبون يستهزئون ويسخرون وقيل معناه
يا محمد انك اذا اقمت الحجة عليهم وبلغت في الاعذار والانذار هذا المبلغ العظيم فحينئذ لم يبق
عليك من امرهم شي فذرهم فيما هم فيه من الخوض واللعب وفيه وعيد وتهديد للمشركين وقال بعضهم
هذا منسوخ باية السيف وفيه بعد لانه مذكور لاجل التهديد والوعيد قوله تعالى وهذا
كتاب انزلناه مبارك يعني وهذا القران كتاب انزلناه من عندنا عليك يا محمد كثير الخير
والبركة دائم النفع يبشر المؤمنين بالثواب ويزجر عن القبيح والمعصية واصل البركة النما والزيادة
وثبوت الخير مصدق الذي بين يديه يعني من الكتب المنزلة من السما على الانبيا يعني انه
موافق لما في التورية والانجيل وساير الكتب لانها اشتملت جميعا على التوحيد والتنزيه من كل عيب
ونقيصة ويدل على البشارة والنذارة فثبت بذلك كون القران مصدقا لجميع الكتب المنزلة ولتنذر
وقرئ بالتاء يعني ولتنذر يا محمد وبالياء ومعناه ولينذر الكتاب ام القرى ولعظمها بركة وقيل لانها
قبلة اهل الارض ام القرى يعني جميع البلاد والقرى التي حولها شرقا وغربا والذين يؤمنون
بالاخرة يؤمنون به يعني والذين يصدقون بقيام الساعة وبالمعاد والبعث بعد
الموت يصدقون بهذا الكتاب وانه منزل من عند الله عز وجل وقيل يصدقون ببعث الرسول صلى الله
عليه وسلم وذلك ان الذي يؤمن بالاخرة يؤمن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب ومن كان كذلك

فانه

فانه يرغب في تحصيل الثواب ورد العقاب عنه وذلك لا يحصل الا بالنظر التام فاذا نظر وتفكر علم بالضرورة
ان دين محمد اشرف الاديان وشريعته اعظم الشرايع وهم على صلاتهم يحافظون يعني يداومون عليها
في اوقاتها والمعنى ان الايمان بالاخرة يحمل على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك يحمل على المحافظة على
الصلوات وفايدة تخصيص الصلاة بالذكر دون ساير العبادات التنبيه على انها اشرف العبادات بعد
الايمان بالله تعالى فاذا حافظ العبد عليها يكون محافظا على جميع العبادات والطاعات قوله عز
وجل ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا يعني ومن اعظم خطا واجهل فعلا ممن اختلق على الله كذبا
فزعم ان الله بعثه نبيا وهو في زعمه كذاب مبطل او قال اوحي الي ولم يوح اليه شي قال قتادة نزلت
هذه الاية في مسيلمة الكذاب وهو ابن ثمامة وقيل مسيلمة بن حبيب من بني حنيفة وكان صاحب
نيرنجات وكهانة تنبأ وسجع ادعى النبوة باليمن وزعم ان الله اوحى اليه وكان قد ارسل الى النبي صلى الله
عليه وسلم رسولين فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اتشهدان ان مسيلمة نبي قالا نعم
فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتل لضربت اعناقكما (ق) عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا نايم اذ اوتيت خزاين الارض فوضع في يدي
سواران من ذهب فكبرا علي واهماني فاوحي الي ان انفخهما فنفختهما فطارا فاولتهما الكذابين
الذين انا بينهما صاحب صنعا وصاحب اليمامة وفي لفظ الترمذي **قال** قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم رايت في المنام كان في يدي سوارين فاولتهما كذابين يخرجان من بعدي
يقال لاحدهما مسيلمة صاحب اليمامة والعنسي صاحب صنعا قوله فاوحي الي ان انفخهما يروى
بالحا المهملة ومعناه الرمي والدفع من نفحت الدابة برجلها اذا رمحت برجلها ويروى بالخا المعجمة
من النفخ يريد انه نفخهما فطارا عنه وهو قريب من الاول فاما مسيلمة الكذاب فانه ادعى النبوة
باليمامة من اليمن وتبعه قوم من بني حنيفة وكان صاحب نيرنجات فاغتر قومه بذلك وقتل
مسيلمة الكذاب في زمن خلافة ابي بكر الصديق قتله وحشي قاتل حمزة بن عبد المطلب وكان وحشي
يقول قتلت خير الناس يعني حمزة وقتلت شر الناس يعني مسيلمة واما الاسود العنسي بالنون فهو
كعبهلة بن كعب وكان يقال له ذو الحمار ادعى النبوة باليمن في اخر عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقتل والنبي صلى الله عليه وسلم حي لم يمت وذلك قبل موته واخبر اصحابه بقتله وقتله فيروز الديلمي
فقال النبي صلى الله عليه وسلم قتله فيروز يعني قتله الاسود العنسي فمن قال ان هذه الاية يعني
قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شي نزلت في مسيلمة الكذاب
والاسود العنسي يقول هذه الاية مدنية وهو قول البعض على النسخ وتقدم ذكره في اول السورة
ومن قال ان هذه الاية مكية قال انها نزلت في شانهما يقول انها من الاخبار عن الغيب فقد ظهر ذلك فيما بعد والله
اعلم وقوله تعالى ومن قال سانزل مثل ما انزل الله قال السدي نزلت في عبد الله بن
ابي سرح القرشي وقد كان اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فكان اذا املى عليه سميعا بصيرا
كتب عليما حكيما واذا املى عليه عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين املاها عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اكتبها فهكذا انزلت فشك عبد الله بن ابي سرح وقال لين كان محمد صادقا لقد اوحي الي مثل
هذا الكلام كما اوحي اليه فارتد عن الاسلام ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله الى الاسلام بعد ذلك فاسلم
قبل فتح مكة والنبي صلى الله عليه وسلم نازل بمر الظهران وقال ابن عباس نزل قوله ومن قال سانزل مثل
ما انزل الله نزلت في المستهزئين وهو جواب لقولهم لو نشا لقلنا مثل هذا قال العلما وقد دخل
في حكم هذه الاية كل من افترى على الله كذبا في ذلك الزمن وبعده لانه لا يمنع خصوص السبب عموم

الحكم ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت يعني ولو ترى يا محمد هؤلاء الظالمين إذ نزل بهم الموت لرأيت
أمرا عظيما وغمرات شدائده وسكراته وغمرة كل شيء معظمه وأصلها الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها ثم
وضعت في موضع الشدائد والمكاره والملائكة باسطوا أيديهم يعني بالعذاب يضربون وجوههم
وأدبارهم وقيل باسطوا أيديهم لقبض أرواحهم أخرجوا أنفسكم يعني يقولون لهم أخرجوا أنفسكم
فإن قلت إنه لا قدرة لأحد على إخراج روحه من بدنه فما فائدة هذا الكلام قلت
معناه يقولون لهم أخرجوا أنفسكم كرها لأن المؤمن يحب لقاء الله بخلاف الكافر وقيل معناه يقولون لهم
خلصوا أنفسكم من هذا العذاب إن قدرتم على ذلك فيكون هذا القول توبيخا لهم لأنهم لا يقدرون
على خلاص أنفسهم من هذا العذاب في ذلك الوقت اليوم تجزون عذاب الهون يعني الهوان بما
كنتم تقولون على الله غير الحق يعني ذلك العذاب الذي تجزونه بما كنتم تقولون على الله غير الحق
وكنتم عن آياته تستكبرون يعني وبسبب ما كنتم تتعظمون عن الإيمان بالقرآن ولا تصدقونه
قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى يعني وحدانا لا مال معكم ولا زوج ولا ولد ولا خدم هذا
خبر من الله عز وجل عن حال الكافر يوم القيامة وكيف يحشرون إليه وماذا يقول لهم في ذلك اليوم
وفي قوله للكافر ولقد جئتمونا فرادى تقريع وتوبيخ لهم لأنهم صرفوا جهدهم في الدنيا إلى تحصيل المال
والولد والجاه وأفنوا أعمارهم في عبادة الأصنام فلم يغن عنهم كل ذلك شيئا يوم القيامة فبقوا
فرادى من كل ما حصلوه في الدنيا كما خلقناكم أول مرة يعني جئتمونا حفاة عراة غرلا يعني
قلفا كما ولدتكم أمهاتكم في الدنيا لا شيء عليهم ولا معهم (ق) عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول تحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء جميعا
ينظر بعضهم إلى بعض قال الأمر أشد من أن يهمهم ذلك روى الطبري بسنده عن عائشة أنها قرأت
قول الله عز وجل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة فقالت يا رسول الله واسوأتاه
إن الرجال والنساء يحشرون جميعا ينظر بعضهم إلى سوأة بعض فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه لا ينظر الرجال إلى النساء ولا النساء إلى الرجال شغل
بعضهم عن بعض وقوله تعالى وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم يعني وتركتم الذي أعطيناكم
وملكناكم من الأموال والأولاد والخدم والخول ما أعطى الله العبد وخوله فيه من المال والعبيد وراء
ظهوركم يعني في الدنيا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء يعني أن المشركين زعموا
أنهم إنما عبدوا هذه الأصنام لأنها تشفع لهم عند الله يوم القيامة لأنها شركاء الله تعالى الله عن ذلك
فإذا كان يوم القيامة توبخ الله المشركين وقرعهم بهذه الآية ثم قال تعالى لقد تقطع بينكم قرئ بنصب
النون من بينكم ومعناه لقد تقطع ما بينكم من الوصل ويكون معناه لقد تقطع الأمر بينكم وقرئ بينكم
برفع النون لقد تقطع وصلكم والبين من الأضداد يكون وصلا ويكون هجرا وضل عنكم ما كنتم
تزعمون يعني وذهب وبطل ما كنتم تكذبون في الدنيا **قوله** عز وجل إن الله فالق
الحب والنوى لما تقدم الكلام على تقرير التوحيد وتقرير النبوة أردفه بذكر الدلائل الدالة على كمال
قدرته وعلمه وحكمته تنبيها على أن المقصود الأعظم هو معرفة الله سبحانه وتعالى على جميع
صفاته وأفعاله وأنه مبدع الأشياء وخالقها ومن كان كذلك كان هو المستحق للعبادة لا هذه
الأصنام التي كانوا يعبدونها وتعريف منه خطأهم إذ كانوا عابديها والمعنى أن الذي يستحق العبادة
دون غيره هو الذي فلق الحب والنوى والنواة عنصر النخلة وفي معنى فلق قولان أحدهما بمعنى
خلق ومعنى الآية على هذا القول أن الله خالق الحب والنوى وهو قول ابن عباس في رواية
العوفي عنه وبه قال الضحاك ومقاتل قال الواحدي ذهبوا بفالق مذهب فاطر وأنكر الطبري
هذا القول وقال لا يعرف في كلام العرب فلق الله الشيء بمعنى خلق ونقل الأزهري عن الزجاج جوازه

فقال

فقال وقيل الفلق الخلق لأن ما خلق الخالق تبين لأن الأكثر عن انفلاق ومعنى هذا على الكلام أن جميع
الأشياء كانت قبل الوجود في العدم فلما أوجدها الله تعالى وأخرجها من العدم إلى الوجود فكأنه فلقها
وأظهرها والقول الثاني وهو قول الأكثرين أن الفلق هو الشق ثم اختلفوا في معناه على قولين أحدهما
وهو مروي عن ابن عباس قال فلق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة وهو قول الحسن والسدي وابن
زيد قال الزجاج يشق الحبة اليابسة والنواة اليابسة فيخرج منهما ورقا أخضر والقول الثاني وهو قول
مجاهد أنه الشقان اللذان في الحب والنوى والحب هو الذي ليس له نوى كالحنطة والشعير والأرز وما
أشبه ذلك والنوى جمع نواة وهي ما كان في داخل الثمر كالرطب والخوخ والمشمش وما أشبه ذلك ومعنى
قوله فالق الحب والنوى وذلك إذا وقعت الحبة والنواة في الأرض الرطبة ثم مر على ذلك قدر من الزمان
أظهر الله تبارك وتعالى من تلك الحبة ورقا أخضر ويخرج من ذلك الورق سنبلة يكون فيها الحب
ويخرج من النواة شجرة صاعدة في الهوى وعروق ضاربة في الأرض فسبحان من أوجد جميع الأشياء
بقدرته وأبدعها وخلقها **وقوله** تعالى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي
قال ابن عباس في رواية عنه يخرج من النطفة بشرا حيا ويخرج النطفة الميتة من الحي وهذا قول الكلبي
ومقاتل قال الكلبي يخرج النطفة الحية من النطفة الميتة ويخرج الفرخ من البيضة ويخرج النطفة
الميتة والبيضة الميتة من الحي وقال ابن عباس في رواية أخرى يخرج المؤمن من الكافر فجعل الإيمان بمنزلة
الحياة والكفر بمنزلة الموت وهذا قول الحسن وقيل معناه يخرج الطائع من العاصي والعاصي من الطائع
وقال السدي يخرج النبات الحي من الحب والحب من النبات وهذا اختيار الطبري لأنه عقبه قوله إن الله يخرج
الحي من الميت ولكن النسب عطف الاسم على الفعل قلت قوله ومخرج الميت من الحي عطف على قوله فالق
الحب والنوى وقوله يخرج الحي من الميت كالبيان والتفسير لقوله فالق الحب والنوى اليابس
وإخراج النبات والشجر منه من جنس إخراج الحي من الميت لأن النامي من النبات في حكم الحيوان وقوله
ذلكم الله يعني ذلكم الله المدبر الخالق الصانع لهذه الأشياء المحيي المميت فأنى تؤفكون
يعني فإلى أين تصرفون عن الحق فتعبدون غير الله الذي خالق الأشياء كلها وفيه دليل أيضا على صحة البعث
بعد الموت لأن القادر على إخراج البدن من النطفة قادر على إخراج البدن من النطفة قادر على الجزاء
من الثواب والحساب قوله تعالى فالق الإصباح أي شاق عمود الصبح يدل على أنه تعالى فالق
الصبح والظلمة هي التي تنفلق بالصبح فما معنى ذلك قلت ذكر العلماء فيه وجوها الأول أن يكون
المراد فالق ظلمة الإصباح وذلك لأن الصبح صبحان الصبح الأول وهو البياض المستطيل الصاعد
في الأفق كذنب السرحان وهو الذئب ثم تعقبه ظلمة بعد ذلك ويسمى هذا الصبح الفجر الكاذب
لأنه يبدو في الأفق الشرقي ثم يمحي ويذهب ثم يطلع بعده الصبح الثاني وهو الضوء المستطير
في جميع الأفق الشرقي ويسمى الفجر الصادق لأنه ليس بعده ظلمة فالحاصل من هذا أن يكون المعنى
فالق ظلمة الصبح الأول بنور الصبح الوجه الثاني أنه تعالى كما شق ظلمة الليل بنور الصبح
فكذلك يشق نور الصبح بضياء النهار فيكون معنى قوله فالق الإصباح أي فالق الصباح بنور
النهار الوجه الثالث أن يراد فالق ظلمة الإصباح وهي الغبش في آخر الليل الذي يلي الصبح
الوجه الرابع أنه يكون المعنى فالق الإصباح الذي هو الفجر إذا انصدع الفجر والفلق وسمي الفجر فلقا بمعنى
مفلوق الوجه الخامس الفالق بمعنى الخالق أي خالق الإصباح وعلى هذا القول يزول الإشكال والصبح هو
الضوء الذي يبدو أول النهار والمعنى أنه تعالى مبدي ضوء الصبح وخالقه ومنوره وقوله تعالى
وجاعل الليل سكنا السكن ما سكنت إليه واسترحت به يريد أن الناس يسكنون في الليل سكون
راحة لأن الله جعل الليل لهم كذلك قال ابن عباس إن كل ذي روح يسكن فيه لأن الإنسان قد
أتعب نفسه بالنهار فاحتاج إلى زمان يستريح فيه ويسكن عن الحركة وذلك هو الليل والشمس

والقمر حسبانا يعني ان الله تعالى قدر حركة الشمس في الفلك بحساب معلوم قال ابن عباس يجريان الى اجل
جعل لهما يعني بعدد الايام والشهور والسنين وقال الكلبي منازلهما بحساب لا يجاوزانه حتى
ينتهيا الى اقصى منازلهما ذلك اشارة الى ما تقدم ذكره في هذه الاية من الاشيا التي خلقها
بقدرته وكمال علمه وهو المراد بقوله ذلك تقدير العزيز العليم فالعزيز اشارة الى كمال قدرته
والعليم اشارة الى كمال علمه قوله عز وجل وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر
والبحر جعل هنا بمعنى خلق يعني والله الذي خلق لكم هذه النجوم لتهتدوا بها اذا ضل المسافر
الطريق وتحيرتم فيه فامتن بها على عباده بان جعل لهم النجوم يهتدوا بها الى المسالك والطرق
في البر والبحر الى حيث يريدونه ويستدلون بالنجوم ايضا على القبلة فيستدلون بها على ما يريدونه
في ليلهم وبحركة الشمس وبالليل بحركة الكواكب ومن منافعها ايضا ان الله تعالى خلقها زينة للسما
كما قال تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين قد فصلنا الايات
يعني قد بينا الايات الدالة على توحيدنا وكمال قدرتنا لقوم يعلمون ان ذلك مما يدل به
على وجود الصانع المختار وكمال علمه وقدرته قوله تعالى وهو الذي انشاكم من نفس واحدة يعني والله
الذي انشاكم ابتدا خلقكم ايها الناس من ادم عليه السلام فهو ابو البشر كلهم وحوى مخلوقة منه
ومعنى ايضا لان الله خلقها من ضلعه ومن بنات ادم فثبت ان جميع الخلق من ادم عليه السلام
فمستقر ومستودع قرئ فمستقر بكسر القاف وفتحها فالذي قر في مكانه واستقر فمن كسر
القاف قال المستقر بمعنى القار والمعنى منكم مستقر في الارحام ومن فتح القاف جعله مكانا فالمستقر
بمعنى المقر فيكون المعنى لكم مقر واما المستودع فهو مثل اودع فيجوز ان يكون اسما للانسان
الذي استودع ذلك المكان ويجوز ان يكون المكان نفسه فمن قرا فمستقر بفتح القاف جعل المستودع
مكانا والمعنى فلكم مكان استقرار ومكان استيداع ومن كسر القاف جعل المعنى فمنكم مستقر
ومنكم مستودع يعني منكم من استقر ومنكم من استودع والفرق بين المستقر والمستودع معرض
بان يرد ولهذا اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذين اللفظين فروي عن ابن عباس انه قال
المستقر في ارحام الامهات والمستودع في اصلاب الابا ثم قرا ونقر في الارحام ما نشا
ويدل على هذا القول ان المكث في بطن الام اكثر من صلب الاب فجعل المستقر في الرحم والمستودع في
الصلب وروي عنه انه قال بالعكس يعني المستقر صلب الاب والمستودع رحم الام ووجه
هذا القول ان النطفة حصلت في صلب الاب قبل رحم الام فوجب جعل المستقر في الرحم والمستودع
في الصلب وروي عنه انه قال بالعكس يعني المستودع صلب الاب على الصلب والمستودع
على الرحم وقال ابن مسعود المستقر في الرحم الى ان يولد والمستودع في القبر الى ان يبعث
وقال مجاهد المستقر على ظهر الارض في الدنيا لقوله ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين والمستودع
عند الله في الاخرة وقال الحسن المستقر في القبر والمستودع في القبر الى ان يبعث وقال مجاهد
المستقر على ظهر الارض في الدنيا وكان يقول يا ابن ادم انت مستودع في اهلك ان
تلحق بصاحبك يعني القبر وقيل المستودع في القبر والمستقر في الجنة او النار لان
المقام فيهما يقتضي الخلود والتابيد قد فصلنا الايات يعني قد بينا الدلايل الدالة على
التوحيد بالبراهين الواضحة والحجج القاطعة لقوم يفقهون يعني لقوم يفهمون عن الله اياته
ودلايله الدالة على توحيده لان الفقه هو الفهم قوله عز وجل وهو الذي انزل من السماء
ما يعني المطر وقيل ان الله ينزل المطر من السما الى السحاب ومن السحاب الى الارض فاخرجنا به
يعني بالما الذي انزلناه من السما نبات كل شي يعني من كل شي ينبت وينمو من جميع اصناف النبات
وقيل معناه اخرجنا بالما الذي انزلناه من السما غذا كل شي من الانعام والبهايم والطير والوحش

وارزاق

وارزاق بني ادم واقواتهم ما يتغذون فينبتون عليه وينمون فاخرجنا منه خضرا يريد خضر
مثل عور واعور والاخضر هو جميع الزرع والبقول الرطبة نخرج منه حبا متراكبا يعني يخرج
من ذلك الاخضر سنابل فيها الحب يركب بعضها فوق بعض مثل سنبل القمح والشعير والارز
والذرة وساير الحبوب وفي تقديم الزرع على النخل دليل على الافضلية ولان حاجة الناس اليه
اكثر لانه القوت المالوف ومن النخل من طلعها قنوان دانية يعني من ثمرها يقال اطلعت
طلعها وطلعها كفراها قبل ان ينشق عن الاغريض يسمى طلعا ايضا وهو ما يكون في قلب الطلع
والطلع اول ما يبدو ويخرج من ثمر النخل كالكيزان يكون فيه العرق فاذا شق عنه كيزانه سمي
عرقا وهو القنو وجمعه قنوان مثل صنو وصنوان دانية اي قريبة التناول ينالها القايم
والقاعد وقال مجاهد متدلية وقال الضحاك قصار ملتصقة بالارض وفيه اختصار وحذف
تقديره من النخل ما قنوانها دانية قريبة ومنها ما هي بعيدة عالية فاكتفى بذكر القريبة عن البعيدة
لسبق الافهام اليها ولانها اسهل تناولا من البعيدة لان البعيدة تحتاج الى كلفة وجنات
من اعناب والزيتون والرمان يعني شجر الزيتون وشجر الرمان مشتبها قال قتادة مشتبها
ورقها مختلفا ثمرها لان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان وغير متشابه يعني ومنها غير متشابه
في الورق والطعم واعلم ان الله تعالى ذكر في هذه الاية اربعة انواع من الشجر بعد ذكر الزرع
وانما قدم الزرع على ساير الاشجار لان الزرع غذا وثمار الاشجار فواكه والغذا مقدم على
الفواكه وانما قدم النخلة على غيرها لان ثمرها يجري مجرى الغذا وفيها من المنافع والخواص
ما ليس في غيرها من الاشجار وانما ذكر العنب عقب النخلة لانه من اشرف انواع الفواكه ثم ذكر عقبه
الزيتون لما فيه من البركة والمنافع الكثيرة في الاكل وساير وجوه الاستعمال ثم ذكر
عقيبه الرمان لما فيه من المنافع ايضا لانه فاكهة ودوا ثم قال تعالى انظروا الى ثمره اذا اثمر
وينعه يعني ونضجه وادراكه والمعنى انظروا نظر استدلال واعتبار كيف اخرج الله تعالى هذه
الثمرة الرطبة اللطيفة من هذه الشجرة الكثيفة اليابسة وهو قوله ان في ذلكم لايات لقوم
يومنون يعني يصدقون ان الذي اخرج هذا النبات وهذه الثمار قادر على ان يحيي الموتى
ويبعثهم وانما احتج الله عليهم بتصريف ما خلق ونقله من حال الى حال وهو ما يعلمونه قطعا
ويشاهدونه من احيا الارض بعد موتها واخراج ساير انواع النبات والثمار منها وانه لا يقدر
على ذلك احد الا الله تبارك وتعالى فالله تعالى كذلك قادر على ان يحييهم بعد موتهم ويبعثهم
ليوم القيامة وانما احتج عليهم بهذه الاشيا لانهم كانوا ينكرون البعث قوله تعالى وجعلوا
لله شركا الجن قال الحسن معناه اطاعوا الجن في عبادة الاوثان وهو اختيار الزجاج قال
معناه انهم اطاعوا فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركا لله وقال الكلبي نزلت في الزنادقة
اثبتوا الشرك لابليس في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس
خالق الظلمة والسباع والحيات والعقارب ونقل هذا القول ابن الجوزي عن ابن السايب
ونقله الرازي عن ابن عباس قال الامام فخر الدين وهذا مذهب المجوس وانما قال ابن عباس
هذا قول الزنادقة لان المجوس يلقبون بالزنادقة لان الكتاب الذي زعم زردشت
انه نزل من السما سماه بالزند والمنسوب اليه زندي ثم عرب فقيل زنديق فاذا جمع قيل
زنادقة ثم ان المجوس قالوا كل ما في هذا العالم من الخير فهو من يزدان يعني العالم وجميع
ما في العالم من الشر فهو من الظلمة يعني ابليس ثم اختلف المجوس فالاكثرون منهم على
ان ابليس محدث وله في كيفية حدوثه اقوال عجيبة والاقلون منهم قالوا انه قديم وعلى
كلا القولين فقد اتفقوا على انه شريك الله في تدبير هذا العالم فما كان من خير فمن الله

وما كان من شر فمن ابليس تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فان قلت فعلى هذا القول فلم اثبتوا لله شريكا واحدا وهو ابليس فكيف حكى الله انهم جعلوا له شركاء قلت ومعنى الاية وجعلوا الجن شركاء لله واختلفوا في معنى هذه الشركة فمن قال ان الاية في كفار العرب قال انهم لما اطاعوا الجن فيما امروهم به من عبادة الاصنام فقد جعلوهم شركاء لله ومن قال الاية في المجوس فقد اثبتوا الهين اثنين النور والظلمة وقيل ان كفار العرب قالوا الملائكة بنات الله وهم شركاؤه تعالى فعلى هذا القول فقد جعلوا الملائكة من الجن وذلك انهم مستورون عن الاعين وقوله وخلقهم في معنى الكناية قولان احدهما انها تعود الى الجن فيكون المعنى والله خالق الخالق فكيف يكون شريك الله من هو محدث مخلوق والقول الثاني ان الكناية تكون للجاعلين لله شركاء فيكون المعنى وجعلوا لله الذي خلقهم شركاء لا يخلقون شيئا وهذا كالدليل القاطع بان المخلوق لا يكون شريكا لله وكل ما في الكون محدث مخلوق والله تعالى هو الخالق لجميع ما في الكون فامتنع ان يكون لله شريك في ملكه وخرقوا له بنين وبنات بغير علم اي اختلقوا وكذبوا يقال اختلق واخترق على فلان اذا كذب عليه وذلك ان النصارى وطائفة من اليهود ادعوا ان لله تعالى ابنا وكفار العرب ادعوا ان الملائكة بنات الله وكذبوا على الله جميعا فيما ادعوه وقوله بغير علم بغير علم كالدليل على ما هو القاطع على فساد قول من يدعي ان لله ولدا ثم نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد وعن هذه الاقاويل الفاسدة فقال تعالى سبحانه وتعالى عما يصفون فقوله سبحانه فيه تنزيه الله عما لا يليق بجلاله وقوله تعالى يعني المتعالي عن كل اعتقاد باطل وقول فاسد ويكون المعنى المتعالي عن اتخاذ الولد والشريك وقوله عما يصفون يعني عما يصفونه من الكذب قوله عز وجل بديع السموات والارض الابداع عبارة عن تكوين الشيء على غير مثال سبق والله تعالى خلق السموات والارض على غير مثال سبق انى يكون له ولد يعني من اين يكون له الولد ولم تكن له صاحبة لان الولد لا يكون الا من صاحبة انثى ولا ينبغي ان يكون لله صاحبة لانه ليس كمثله شيء فكيف يكون الولد لمن لا مثل له واذا نسب اليه الولد والصاحبة فقد جعل له مثل والله متعال عن المثلية وهذه الاية حجة قاطعة على قول النصارى وخلق كل شيء يعني انه تعالى عالم بجميع خلقه لا يعزب عن علمه شيء وعلمه محيط بكل شيء عليم به قوله تعالى وهو بكل شيء عليم يعني ذلكم الله الذي من صنعته انه خلق السموات والارض وابدعهما وانه بكل شيء عليم هو الهكم ربكم الذي يستحق العبادة لا من تدعون من دونه من الاصنام لانها جماد لا تخلق ولا تنصر ولا تنفع ولا تعلم والله تعالى هو الخالق الضار النافع لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه يعني انه الذي يستحق العبادة فاعبدوه واطيعوه وهو على كل شيء وكيل يعني انه تعالى على كل شيء خلق رقيب حفيظ يقوم بارزاق جميع خلقه قوله عز وجل لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار قال جمهور المفسرين معنى الادراك الاحاطة بكنه الشيء وحقيقته فالابصار ترى الباري جل جلاله ولا تحيط به كما ان القلوب تعرفه ولا تحيط به وقال سعيد بن المسيب في تفسير قوله لا تدركه الابصار لا تحيط به الابصار وقال ابن عباس كلت ابصار المخلوقين عن الاحاطة به

فصل انما تمسك بظاهر الاية قوم من اهل البدع وهم اهل الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة وقالوا ان الله تبارك وتعالى لا يراه احد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا لان الله اخبر ان الابصار لا تدركه وادراك البصر عبارة عن الرؤية اذ لا فرق بين قولك ادركته ببصري ورايته ببصري فثبت بذلك ان قوله لا تدركه الابصار بمعنى لا تراه الابصار وهذا يفيد العموم ومذهب اهل السنة ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وفي الجنة وان رؤيته غير مستحيلة عقلا واحتجوا لصحة مذهبهم بتظاهر ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف الامة على اثبات رؤية الله تبارك وتعالى للمؤمنين في الاخرة قال الله تبارك وتعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ففي هذه الاية دليل على ان المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة وقال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون قال الشافعي رحمه الله حجب قوما بالمعصية وهي الكفر فثبت ان قوما يرونه بالطاعة وهي الايمان وقال مالك لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الكفار بالحجاب وقال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وفسروا هذه الزيادة بالنظر الى وجه الله تبارك وتعالى يوم القيامة واما دلائل السنة فما روي عن جرير بن عبد الله البجلي قال كنا قعودا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم يوم القيامة عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب اخرجه البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضامون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى ربه مخليا به يوم القيامة قال نعم قال قلت وما اية ذلك في خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله اجل واعظم اخرجه ابو داود واما الدلائل العظيمة فقد احتج اهل السنة ايضا بهذه الاية واما الادلة العظيمة فقد احتج على رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وتقريره انه تعالى تمدح بقوله تعالى لا تدركه الابصار فلو لم يكن جائز الرؤية لما حصل هذا التمدح لان المعدوم لا تصح رؤيته فصح ان قوله لا تدركه الابصار يفيد المدح وهذا يدل على كونه تعالى جائز الرؤية وتحقيق هذا ان الشيء اذا كان في نفسه بحيث تمتنع رؤيته فحينئذ لا يلزم من عدم رؤيته مدح وتعظيم اما اذا كان في نفسه جائز الرؤية على حجب الابصار عنه كانت القدرة دالة على المدح والعظمة فثبت ان هذه الاية دالة على انه تعالى جائز الرؤية واذا ثبت هذا وجب القطع بان المؤمنين يرونه يوم القيامة لان موسى صلى الله عليه وسلم **بقوله** ارني انظر اليك وذلك يدل على جواز الرؤية لانه لا يسأل نبي مثل موسى ما لا يجوز ويمتنع وقد علق الله الرؤية على استقرار الجبل بقوله فان استقر مكانه فسوف تراني واستقرار الجبل جائز والمعلق على الجائز جائز واما الجواب عن تمسك المعتزلة بظاهر هذه الاية على نفي الرؤية فاعلم ان الادراك غير الرؤية لان الادراك هو الاحاطة بكنه الشيء وحقيقته والرؤية المعاينة للشيء من غير احاطة وقد تكون الرؤية بلا ادراك كما قال تعالى في قصة موسى قال اصحاب موسى انا لمدركون قال كلا وكان قوم فرعون قد راوا موسى ولم يدركوهم لكن قاربوا ادراكهم اياهم فنفى موسى الادراك مع اثبات الرؤية بقوله تعالى كلا فالله تعالى يجوز ان يرى في الاخرة من غير ادراك ولا احاطة بالمرئي وهو انه من كان محدودا له جهات والله تعالى منزه عن الحد والجهة لانه القديم الذي لا نهاية لوجوده فعلى هذا انه يرى ولا يدرك وقال قوم مراد الاية مخصوصة بالدنيا قال ابن عباس في معنى الاية لا تدركه الابصار في الدنيا وهو يرى في الاخرة وعلى هذا القول فلا فرق بين الادراك والرؤية قالوا ويدل على هذا التخصيص قوله وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فقوله يومئذ ناضرة مقيد بيوم القيامة وعلى هذا يمكن الجمع بين الايتين وقال السدي النظار نظاران نظار معاينة ونظار علم فمعنى قوله لا تدركه الابصار لا يدركه علم العلماء ونظرهم ولا يحيطون به علما وهذا وجه حسن ايضا والله اعلم وقوله تعالى وهو يدرك الابصار يعني انه تعالى يرى جميع المرئيات ويبصر جميع المبصرات لا يخفى عليه شيء منها ويعلم حقيقتها ويطلع على ما فيها هو تعالى لا تدركه ابصار المبصرين وهو يدركها وهو اللطيف الخبير قال ابن عباس اللطيف

بأوليائه الخبير بهم وقال الزهري معنى اللطيف الرفيق بعباده وقيل الموصل الشيء إليك برفق
ولين وقيل هو الذي ينسي عباده ذنوبهم لئلا يخجلوا وأصل اللطف دقة النظر في الأشياء وقال
أبو سليمان الخطابي في كتابه اللطيف هو البر بعباده يلطف بهم من حيث لا يعلمون ويوصل
إليهم مصالحهم من حيث لا يحتسبون وقال الأزهري اللطيف في أسماء الله تعالى معناه الرفيق
بعباده حيث يثني عليهم عند الطاعة ولم يقطع عنهم بره وإحسانه عند المعصية وقيل هو اللطيف
بعباده أن تدركه الأبصار وهو يدركها **قوله** تعالى قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر
جمع البصيرة وهي الدلالة التي توجب البصر بالشيء والعلم به والمعنى قد جاءكم القرآن الذي فيه
البيان والحجج التي تبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل وبيان الآيات والبراهين
ليست في نفسها بصائر إلا أن لقوتها توجب البصائر لمن عرفها ووقف على حقائقها فلما كانت
هذه الآيات والحجج والبراهين أسبابا لحصول البصائر سميت الآيات بصائر فمن أبصر يعني فمن
عرف الآيات واهتدى بها إلى الحق فلنفسه يعني فلنفسه أبصر ولها عمل لأن نفعه يعود ونفع
ذلك عليه ومن عمي يعني ومن جهل ولم يعرف الآيات ولم يستدل بها فعليها يعني
فعلى نفسه عمي ولها ضر وكان وبال ذلك العمى عليه لأن الله تعالى غني عن خلقه وما أنا
عليكم بحفيظ يعني وما أنا عليكم برقيب أحصي عليكم أعمالكم وأفعالكم إنما أنا رسول من
ربكم أبلغكم ما أرسلت به إليكم والله هو الحفيظ عليكم لا يخفى عليه شيء من أموالكم وأحوالكم
وقيل معناه لا أقدر أن أدفع عنكم ما يريده الله بكم وقيل معناه لست آخذكم بالإيمان أخذ الحفيظ
الوكيل وهذا كان قبل الأمر بقتال المشركين فعلى هذا القول تكون الآية منسوخة بآية السيف
وعلى القول الأول ليست منسوخة والله أعلم وكذلك نصرف الآيات يعني وكذلك نبين
الآيات ونفصلها في كل وجه كما فصلناها وبيناها فيما قبل وليقولوا درست يعني
وكذلك نصرف الآيات لتلزمهم الحجة بها وليقولوا درست وقيل اللام فيه لام العاقبة ومعناه
عاقبة أمرهم أن يقولوا درست يعني قرأت على غيرك يقال درس الكتاب يدرسه درسا ودراسة إذا
كثر قراءته وذلك للحفظ قال ابن عباس وليقولوا يعني أهل مكة حين تقرأ عليهم القرآن درست
يعني تعلمت من يسار وجبر وكانا عبدين من سبي الروم ثم قرأت علينا تزعم أنه من عند الله وقال
الفراء معناه تعلمت من اليهود وفي دارست بالألف بمعنى قارأت الكتاب من المدارسة التي هي
بين اثنين يعني يقولون قرأت على أهل الكتاب وقرأوا عليك **وقرئ** درست
بفتح الدال والراء والسين وسكون التاء ومعناه أن هذه الأخبار التي تتلوها علينا قديمة
درست وامحت من قولهم درس الأثر إذا محي وذهب أثره ولنبينه لقوم يعلمون يعني
القرآن وقيل معناه نصرف الآيات لقوم يعلمون قال ابن عباس يريد أولياءه الذين هداهم
إلى سبيل الرشاد وقيل معنى الآية وكذلك نصرف الآيات ليسعد بها قوم ويشقى بها آخرون
فقد أعرض عنها وقال للنبي صلى الله عليه وسلم درست أو دارست فهو شقي ومن تبين له الحق
وفهم معناها وعمل بها فهو سعيد وقال أبو إسحاق إن السبب الذي أداهم إلى أن قالوا درست
هو تلاوة الآيات عليهم وهذه اللام تسميها العرب لام الصيرورة يعني صار عاقبة أمرهم
أن قالوا درست فصار ذلك سببا لشقاوتهم وفي هذا دليل على أن الله تعالى جعل تصريف الآيات
سببا لضلالة قوم وشقاوتهم وسعادة قوم وهدايتهم قوله تعالى اتبع ما أوحي إليك من ربك الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم يعني اتبع يا محمد ما أمرك به ربك في وحيه الذي أوحاه إليك وهو
القرآن فاعمل به وبلغه إلى عبادي ولا تلتفت إلى قول من يقول دارست أو درست وفي قوله
اتبع ما أوحي إليك من ربك تقوية لقلب النبي صلى الله عليه وسلم وإزالة الحزن الذي حصل

له بسبب قولهم درست ونحو قولهم له تعالى لا إله إلا هو سبحانه وتعالى واحدا فردا صمدا
لا شريك له وإذا كان كذلك فالذي تحت طاعته ولا يجوز تركها بسبب جهل الجاهلين وزيغ الزا
وقوله تعالى وأعرض عن المشركين فقيل المراد منه في الحال لا الدوام وإذا كان كذلك
لم يكن النسخ وقيل المراد ترك مقاتلتهم فعلى هذا يكون الأمر بالإعراض منسوخا بآية القتال
قوله عز وجل ولو شاء الله ما أشركوا قال الزجاج ولو شاء الله لجعلهم مؤمنين وهذا نص صريح
في أن شركهم كان بمشيئة الله تعالى خلافا للمعتزلة في قولهم لم يرد من أحد الكفر والشرك فالآية
رد عليهم وما جعلناك عليهم حفيظا يعني وما جعلناك يا محمد على هؤلاء المشركين رقيبا ولا
حافظا تحفظ عليهم أعمالهم وقال ابن عباس في رواية عطاء وما جعلناك عليهم حفيظا
تمنعهم مني ومعناه أنك لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب وإنما بعثت مبلغا فلا تهتم بشركهم
فإن ذلك بمشيئة الله تعالى وما أنت عليهم بوكيل يعني وما أنت عليهم بقيم تقوم
بأرزاقهم وما أنت عليهم بمسيطر وعلى القول الأول تكون الآية منسوخة بآية السيف
وعلى قول ابن عباس لا تكون منسوخة قوله عز وجل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
فيسبوا الله عدوا بغير علم قال ابن عباس لما نزلت إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب آلهتنا أو لنهجون ربك فنهاهم الله أن يسبوا أوثانهم
فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال قتادة كان المؤمنون يسبون أوثان الكفار فيردون ذلك
عليهم فنهاهم الله عن ذلك لئلا يسبوا الله فإنهم قوم جهلة لا علم لهم بالله عز وجل وقال
السدي لما حضرت أبا طالب الوفاة قالت قريش انطلقوا بنا لندخل على هذا الرجل فلنأمره
أن ينهى عنا ابن أخيه فإنا نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب كان عمه يمنعه فلما مات
قتلوه فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحرث وأمية وأبي ابنا خلف وعقبة بن
أبي معيط وعمرو بن العاص والأسود بن أبي البختري إلى أبي طالب فقالوا يا أبا طالب أنت
كبيرنا وسيدنا وإن محمدا قد آذانا وآذى آلهتنا فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا ولندعه
وإلهه فدعاه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم **فقال** له أبو طالب إن هؤلاء قومك
وبنو عمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يريدون قالوا نريد أن تدعنا وآلهتنا
وندعك وإلهك فقال له أبو طالب قد أنصفك قومك فاقبل منهم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم أرأيتم إن أعطيتكم هذا فهل أنتم معطيّ كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب ودانت لكم العجم
وأدت لكم الخراج فقال أبو جهل نعم وأبيك لنعطينكها وعشرة أمثالها فما هي فقال قولوا لا إله
إلا الله فأبوا ونفروا فقال أبو طالب قل غيرها يا ابن أخي قال يا عم ما أنا بالذي أقول غيرها ولو
أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت غيرها إرادة أن يؤيسهم فقالوا لتكفن عن شتمك آلهتنا
أو لنشتمنك ولنشتمن من يأمرك فأنزلت ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله يعني
ولا تسبوا أيها المؤمنون الأصنام التي يعبدها المشركون فيسبوا الله عدوا بغير علم يعني
فيسبوا الله ظلما بغير علم لأنهم جهلة بالله عز وجل قال الزجاج نهوا في ذلك الوقت قبل
القتال أن يلعنوا الأصنام التي يعبدها المشركون وقال ابن الأنباري هذه الآية منسوخة
أنزلها الله عز وجل والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة فلما قواه بأصحابه نسخ هذه الآية ونظائرها بقوله
اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل إنما نهوا عن سب الأصنام وإن كان في سبها طاعة
وهو مباح لما يترتب على ذلك من المفاسد التي هي أعظم من ذلك وهو سب الله عز وجل وسب
رسوله وذلك من أعظم المفاسد فلذلك نهوا عن سب الأصنام وقيل لما نزلت هذه الآية قال
النبي صلى الله عليه وسلم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله لا تسبوا آلهتهم فظاهر الآية وإن

كان نهياً عن سب الأصنام فحقيقة النهي عن سب الله تعالى لأنه سبب لذلك وقوله تعالى كذلك زينا لكل أمة عملهم يعني كما زينا لهؤلاء المشركين عبادة الأصنام وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل أمة عملهم من الخير والشر والطاعة والمعصية وفي هذه الآية دليل على تكذيب القدرية والمعتزلة حيث قالوا لا يحسن من الله خلق الكفر وتزيينه وقوله تعالى ثم إلى ربهم مرجعهم يعني المؤمن والكافر والطائع والعاصي فينبئهم بما كانوا يعملون يعني في الدنيا ويجازيهم على ذلك قوله عز وجل وأقسموا بالله جهد أيمانهم قال محمد بن كعب القرظي والكلبي قالت قريش يا محمد إنك تخبرنا أن موسى كان له عصا يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عيناً وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى فأتنا بآية حتى نصدقك ونؤمن بك فقال النبي صلى الله عليه وسلم أي شيء تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهباً وابعث لنا بعض موتانا نسأله عنك أحق ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن فعلت بعض ما تقولون أتصدقونني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين وسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يدعو الله عز وجل أن يجعل الصفا ذهباً فجاءه جبريل فقال له ما شئت إن شئت أصبح ذهباً ولكن إن لم يصدقوا فلنعذبنهم وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تائبهم فأنزل الله عز وجل وأقسموا بالله جهد أيمانهم يعني أوكد ما قدروا عليه من الأيمان وأشدها قال الكلبي ومقاتل إذا حلف الرجل بالله فهو جهد يمينه لئن جاءتهم آية يعني كما جاءت من قبلهم من الأمم ليؤمنن بها يعني ليصدقن بها قل يعني يا محمد إنما الآيات عند الله يعني أن الله تعالى هو القادر على إنزالها وما يشعركم يعني وما يدريكم ثم اختلف العلماء في المخاطبين بقوله وما يشعركم فقيل هو خطاب للمشركين الذين أقسموا بالله وقيل هو خطاب للمؤمنين واختلفوا في قوله أنها إذا جاءت لا يؤمنون فقرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر عن عاصم إنها بكسر الألف على الابتداء وقالوا تم الكلام عند قوله وما يشعركم على معنى وما يدريكم ما يكون منكم ثم ابتدأ فقال إنها إذا جاءت أيضاً لا يؤمنون فمن جعل الخطاب للمشركين قال معناه وما يشعركم أيها المؤمنون أنها إذا جاءت آمنوا لأن المؤمنين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله أن يريهم ما اقترحوا حتى يؤمنوا فخاطبهم الله تعالى بقوله وما يشعركم ثم ابتدأ فقال إنها إذا جاءت لا يؤمنون لأن المؤمنين كانوا يسألو وهذا في قوم مخصوصين حكم الله عليهم بأنهم لا يؤمنون وذلك لسابق علمه فيهم وقرأ الباقون أنها بفتح الألف وجعلوا في ذلك الخطاب للمؤمنين لأن المؤمنين هم الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنزال الآيات حتى يؤمن المشركون بها إذا رأوها لأن المشركين كانوا حلفوا أنهم إذا جاءتهم آية آمنوا وصدقوا واتبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنزال الآيات لذلك فقال الله تعالى وما يشعركم أيها المؤمنون أن الآيات إذا جاءت هؤلاء المشركين لا يؤمنون ثم على هذا اختلفوا في لفظة قوله لا يؤمنون فقيل هي صلة والمعنى وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون وقيل هي على بابها وفيه حذف والمعنى أنها إذا جاءت يؤمنون أو لا يؤمنون وقيل أن بمعنى لعل في قوله تعالى وكذلك في قراءة أبي بن كعب لعلها إذا جاءت وهذا سائغ في كلام العرب تقول العرب ائت السوق أنك تشتري لنا شيئاً بمعنى لعلك ومنه قول عدي بن زيد

أعاذل ما يدريك أن منيتي ... إلى ساعة في اليوم أو في ضحى الغد

يعني لعل منيتي قوله تعالى ونقلب أفئدتهم وأبصارهم قال ابن عباس ونحول بينهم وبين

الإيمان

الإيمان فلو جئناهم بالآيات التي سألوها لما آمنوا بها ونقلب هو تحويل الشيء وتحريكه عن وجه إلى وجه آخر لأن الله تعالى إذا صرف القلوب والأبصار عن الإيمان بقيت على الكفر كما لم يؤمنوا به أول مرة يعني كما لم يؤمنوا بما قبل ذلك من الآيات الذي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل انشقاق القمر وغير ذلك من المعجزات الباهرة وقيل أول مرة يعني الآيات التي جاء بها موسى وغيره من الأنبياء وقال ابن عباس المرة الأولى دار الدنيا يعني لو ردوا من الآخرة إلى الدنيا نقلب أفئدتهم وأبصارهم عن الإيمان فلا يؤمنوا كما لم يؤمنوا به أول مرة قبل مماتهم وفي الآية دليل على أن الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء وأن القلوب والأبصار بيده وفي تصريفه فيقيم ما شاء منها ويزيغ ما أراد منها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك يعني ونقلب أفئدتهم فنزيغها عن الإيمان ونقلب أبصارهم عن رؤية الحق ومعرفة الصواب وإن جاءتهم الآية التي سألوها فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا بالله ورسوله وبما جاء من عند الله تعالى فهذا تكون الكناية في به عائدة على الإيمان بالقرآن وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل سؤالهم الآيات التي اقترحوها وقوله تعالى ونذرهم في طغيانهم يعمهون يعني ونترك هؤلاء المشركين الذين سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون في تمردهم على الله واعتدائهم عليه يترددون لا يهتدون إلى الحق قوله عز وجل ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة قال ابن جريج نزلت في المستهزئين وذلك أنهم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من قريش فقالوا يا محمد ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك أحق ما تقول أم باطل وأرنا الملائكة يشهدون لك أنك رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ائتنا بالله والملائكة قبيلاً فنزلت هذه الآية جواباً لهم والمعنى ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة حتى يشهدون لك بالرسالة وكلمهم الموتى يعني كما يسألوا وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً يعني وجمعنا عليهم كل شيء قبلاً وقيل القبيل الكفيل بصحة ما يقول ما آمنوا به وهو قوله ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله يعني إلا أن يشاء الله الإيمان منهم وفيه دليل على أن جميع الأشياء بمشيئة الله تعالى حتى الإيمان والكفر وموضع الحجة أن الأشياء المحشورة منها ناطق ومنها صامت فإذا أنطق الله الكل حتى يشهدون لك بصحة ما تقول كان ذلك في غاية الإعجاز وقيل قبلاً كالمقابلة بمعنى المواجهة وحشرنا عليهم كل شيء مواجهة ومعاينة ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله أخبر الله أن الإيمان بمشيئته لا كما ظنوا أنهم متى شاؤوا آمنوا وقال ابن عباس ما كانوا ليؤمنوا هم أهل الشقاء إلا أن يشاء الله هم أهل السعادة الذين سبق لهم في علمه أنهم يدخلون في الإيمان وصحح الطبري قول ابن عباس قال لأن الله عم بقوله ما كانوا ليؤمنوا القوم الذي تقدم ذكرهم في قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها ثم استثنى منهم أهل السعادة وهم الذين سالم الإيمان وقوله تعالى ولكن أكثرهم يجهلون يعني يجهلون أن ذلك كذلك ويحسبون أن الإيمان إليهم متى شاؤوا آمنوا ومتى شاؤوا كفروا وليس الأمر كذلك بل الإيمان والكفر بمشيئة الله تعالى فمن شاء له الإيمان آمن ومن شاء له الكفر كفر وفي هذا دليل لمذهب أهل السنة أن الأشياء كلها بمشيئة الله تعالى ورد على القدرية والمعتزلة في قولهم أن الله أراد الإيمان من جميع الكفار قوله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً قيل هو منسوق على قوله تعالى وكذلك زينا لكل أمة عملهم أي كما فعلنا ذلك كذلك جعلنا وقيل معناه كما جعلنا لمن قبلك من الأنبياء أعداء كذلك جعلنا لك أعداء وفيه تعزية للنبي صلى الله عليه وسلم وتسلية له يقول الله تعالى كما ابتليناك بهؤلاء القوم فكذلك جعلنا لكل نبي قبلك عدواً شياطين الإنس والجن اختلف العلماء في معنى شياطين الإنس والجن على قولين أحدهما أن المراد شياطين من الإنس وشياطين من الجن والشياطين كل عات متمرد من الجن والإنس وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء

طين

وهو قول مجاهد وقتادة قالوا وشياطين الانس اشد تمردا من شياطين الجن لان شيطان
الجن اذا عجز عن اغواء المومن الصالح واعياه ذلك استعان على اغوايه بشيطان الانس ليفتنه
ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل تعوذت بالله من شيطان الجن والانس قلت يا رسول الله وهل للانس من شياطين
قال نعم هم شر من شياطين الجن ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري وقال مالك بن
دينار ان شيطان الانس اشد علي من شيطان الجن وذلك اني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان
الجن وشيطان الانس يجيني فيجرني الى المعاصي **القول** الثاني ان الجميع من ولد
ابليس واضيف الشياطين الى الانس على معنى انهم يغوونهم وهذا قول عكرمة والضحاك
والكلبي والسدي ورواية عن ابن عباس قالوا والمراد بشياطين الانس التي مع الانس وبشياطين
الجن التي مع الجن وذلك ان ابليس قسم جنده فريقين فجعل فريقا منهم الى الجن
وفريقا منهم الى الانس فالفريقان شياطين الجن والانس بمعنى انهم يغوونهم ويضلونهم وكلا الفريقين
اعدا للنبي صلى الله عليه وسلم ولاوليايه من المومنين والصالحين ومن ذهب الى هذا القول قال
يدل على صحته ان لفظ الاية يقتضي اضافة الشياطين الى الجن والانس والاضافة تقتضي المغايرة
فعلى هذا تكون الشياطين نوع مغاير للانس والجن وهم اولاد ابليس وقوله تعالى **يوحي بعضهم
الى بعض** يعني يلقي ويسر بعضهم الى بعض ويناجي بعضهم بعضا وهو الوسوسة التي يلقيها
لمن يريد اغواه فعلى القول الاول شياطين الجن والانس يسر بعضهم الى بعض ما يفتنون به
المومنين والصالحين وعلى القول الثاني ان اوليا ابليس يلقي بعضهم بعضا في كل حين فيقول
شياطين الانس لشياطين الجن كذلك فذلك وحي بعضهم الى بعض وقوله **زخرف القول**
يعني باطل القول والزخرف هو الباطل من الكلام الذي قد زين ووشي بالكذب وكل
شي حسن مموه فهو كذب زخرف **غرورا** يعني الشياطين يغرون بذلك القول المكذب المزخرف
غرورا وذلك ان الشياطين يزينون الاعمال القبيحة لبني ادم ويغرونهم بها غرورا **ولو شا
ربك ما فعلوه** يعني ما فعلوا الوسوسة التي يلقونها الشياطين في قلوب بني ادم والمعنى ان
الله تعالى لو شا لمنع الشياطين من القا الوسوسة الى الجن والانس ولكن الله يمتحن من يشا من
عباده بما يعلم ان الاجزل له في الثواب اذا صبر على المحنة **فذرهم وما يفترون** اي خلهم
يا محمد وما زين لهم ابليس وغرهم به من الكفر والمعاصي فاني من ورايهم **ولتصغى اليه افيدة
الذين لا يومنون بالاخرة** قال ابن عباس ولتميل اليه واصل الصغو في اللغة الميل يقال
اصغى لي كذا مال اليه ويقال صغوت اصغو وصغيت اصغى لغتان قال ابن الانباري اللام في ولتصغى
متعلقة بفعل مضمر معناه وفعلنا بهم كذا لكي تصغى الى الباطل افيدة الذين لا يومنون بالاخرة
والضمير في اليه يرجع الى زخرف القول والمعنى ان قلوب الكفار تميل الى زخرف القول وباطله
وتحبه وترضى به وهو قوله **وليرضوه** يعني يرضون بذلك القول المزخرف الباطل **وليقترفوا
ما هم مقترفون** يعني وليكتسبوا من الاعمال الخبيثة ما هم مكتسبون قوله عز وجل **افغير
الله ابتغي حكما** اي قل يا محمد لهولا المشركين افغير الله اطلب حكما قاضيا يقضي بيني وبينكم
وذلك انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما فامره الله تعالى ان
يجيبهم بهذا الجواب والحكم والحاكم واحد عند اهل اللغة غير ان بعض العلما من اهل المعاني قال
الحكم اكمل من الحاكم لان الحاكم من شانه ان يحكم والحكم اهل ان يتحاكم اليه وهو الذي لا يحكم الا بالحق
فالله حكم لا يحكم فلما انزل الله على نبيه القران وقد حكم له بالنبوة وهو قوله تعالى **وهو الذي
انزل اليكم الكتاب مفصلا** يعني مبينا فيه امره ونهيه ووعده ووعيده وفيه الحكم بيني وبينكم

والذين اتيناهم الكتاب يعني علما اليهود والنصارى **يعلمون انه منزل من ربك بالحق**
يعني يشهدون ان هذا القران منزل من عند الله وذلك لما ثبت عندهم من الدلايل الدالة
على ذلك وقيل المراد بهم علما الصحابة وروسا وهم مثل ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ونظرايهم
يعلمون ان هذا القران منزل من ربك بالحق فامنوا به وصدقوه **فلا تكونن من الممترين**
يعني فلا تكونن يا محمد من الشاكين ان علما اهل الكتاب يعلمون ان هذا القران حق ويعلمون
انه منزل من عند الله وذلك لما ثبت عندهم من الدلايل الدالة على ذلك وقيل معناه فلا
تكونن في شك مما قصصنا عليك انه حق وصدق فهو من باب التهييج لانه صلى الله عليه
وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد
به غيره والمعنى فلا تكونن ايها الانسان السامع لهذا القران في شك انه منزل من عند
الله لما فيه من الاعجاز الذي لا يقدر على مثله الا الله تبارك وتعالى قوله تعالى **وتمت كلمات
ربك** وقري كلمات ربك على الجمع فمن قرا على التوحيد قال الكلمة قد يراد بها الكلمات
الكثيرة اذا كانت مضبوطة بضابط واحد كقولهم قال الشاعر في كلمته يعني في قصيدته
وكذلك القران كلمة واحدة لانه في واحد في اعجاز النظم وقوله حقا وصدقا ومن قرا
بالجمع قال لان الله تعالى قال في سياق الاية لا مبدل لكلماته فوجب الجمع في اللفظ الاول
اتباعا للثاني **صدقا وعدلا** يعني صدقا فيما وعد وعدلا فيما حكم وقيل ان القران
مشتمل على الاخبار والاحكام فهو صادق فيما اخبر عن القرون الماضية والامم الخالية
وعما هو كاين الى قيام الساعة وفيما اخبر عن ثواب المطيع في الجنة وعقاب العاصي في النار
وهو عدل فيما حكم من الامر والنهي والحلال والحرام وساير الاحكام **لا مبدل لكلماته** يعني
لا مغير لقضايه ولا راد لحكمه ولا خلف لمواعيده وقيل لما وصف كلماته بالتمام في قوله
وتمت كلمات ربك والتمام في كلام الله لا يقبل النقص والتغيير والتبديل قال تعالى لا مبدل
لكلماته دليل على ان السعيد لا ينقلب شقيا ولا الشقي ينقلب سعيدا فالسعيد من
سعد فيسلم فينقلب سعيدا باسلامه واجيب عنه بان الاعتبار بالخاتمة فمن ختم له
بالسعادة كان قد كتب سعيدا في الازل ومن ختم له بالشقاوة كان شقيا في الازل والله
اعلم وقوله تعالى **وهو السميع** يعني لما يقول العباد **العليم** يعني باحوالهم قوله عز وجل
وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله قال المفسرون ان المشركين جادلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين في اكل الميتة وذلك انهم قالوا للمسلمين كيف
تاكلون مما قتلتم ولا تاكلون مما قتل ربكم فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
وان تطع اكثر من في الارض في اكل الميتة وكان الكفار يوميذ اكثر اهل الارض يضلوك عن
سبيل الله يعني يضلوك عن دين الله الذي شرعه لك وبعثك به وقيل معناه لا تطعهم
في معتقداتهم الباطلة فانك ان تطعهم يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن طريق
الحق ومنهج الصدق ثم اخبر عن حال الكفار وما هم عليه فقال تعالى **ان يتبعون الا
الظن** يعني ان هولا الكفار الذين يجادلونك ما يتبعون في دينهم الذي هم عليه
الا الظن وليسوا على بصيرة وحق في دينهم وليسوا بقاطعين انهم على حق لانهم اتبعوا
اهواهم وتركوا التماس الصواب والحق والمتبوع واقتصروا على اتباع الظن والجهل **وان هم
الا يخرصون** يعني يكذبون واصل الخرص الحزر والتخمين ومنه خرص النخلة اذا
حزر كمية ثمرها على الظن من غير تعين وسمي الكذب خرصا لما يدخله من الظنون الكاذبة
وقيل ان كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له خرص لان قايله لم يقله عن علم ويقين

إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين يعني وهو أعلم أيضاً بمن كان
على هدى واستقامة وسداد لا يخفى عليه شيء من خلقه فأخبر تعالى أنه أعلم بالفريقين الضال
والمهتدي وأنه يجازي كلاً بما يستحق قوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه هذا جواب لقول
المشركين حيث قالوا للمسلمين إنكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربكم فقال الله تعالى للمسلمين
فكلوا أنتم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح إن كنتم بآياته مؤمنين وقيل كانوا يحرمون أصنافاً
من النعم ويحرمون ويحلون الميتة فقيل أحلوا ما أحل الله وحرموا ما حرم الله فعلى هذا القول
تكون الآية خطاباً للمسلمين وهو الأصح لقوله في آخر الآية إن كنتم بآياته مؤمنين وما لكم
ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه يعني وأي شيء لكم من أن لا تأكلوا وما يمنعكم من أن لا تأكلوا
مما ذكر اسم الله عليه وهذا تأكيد في إباحة ما ذبح على اسم الله وقد فصل لكم ما حرم عليكم يعني
وقد بينت الحلال من الحرام فيما تطعمون وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد فصل لكم ما حرم
عليكم المحرمات المذكورة في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به
وأورد الإمام فخر الدين الرازي هاهنا إشكالاً وقال إن سورة الأنعام مكية وسورة المائدة
من آخر ما أنزل الله بالمدينة وقوله وقد فصل لكم يجب أن يكون ذلك المفصل متقدماً على هذا
المحل والمدني متأخر عن المكي فيمتنع كونه متقدماً ثم قال بل الأولى أن يقال قوله تعالى هذه
الآية قوله تعالى قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً
أو لحم خنزير وهذه الآية وإن كانت مذكورة بعد هذه الآية بقليل إلا أن هذا القدر من التأخر
لا يمنع أن يكون هو المراد قال كاتبه وقد ذكر المفسرون وجهاً وهو أن الله علم أن سورة المائدة
متقدمة على سورة الأنعام في الترتيب لا في النزول فحسن عود الضمير في قوله وقد فصل لكم
ما حرم عليكم إلى ما هو متقدم في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية والله أعلم بمراده
وقوله تعالى إلا ما اضطررتم إليه يعني إلا أن تدعوكم الضرورة إلى أكله بسبب
شدة المجاعة فيباح لكم ذلك عند الاضطرار وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم يعني وإن
كثيراً من الذين يجادلونكم في أكل الميتة ويحتجون عليكم في ذلكم بقولهم إنكم تأكلون ما تذبحون ولا
تأكلون ما يذبح الله وإنما قالوا هذه المقالة لترجح لهم بغير علم منهم بصحة ما يقولون بل
يتبعون أهواءهم ليضلوا أنفسهم وأتباعهم بذلك وقيل المراد به عمرو بن لحي فمن دونه من المشركين لأنه
أول من بحر البحائر وسيب السوائب وأباح الميتة وغير دين إبراهيم عليه السلام إن ربك هو أعلم
بالمعتدين يعني إن ربك يا محمد هو أعلم بمن يتعدى حدوده فأحل ما حرم الله وحرم ما أحل الله
فهو يجازيهم على سوء صنيعهم قوله عز وجل وذروا ظاهر الإثم وباطنه يعني وذروا أيها
الناس ما يوجب الإثم وهي الذنوب والمعاصي كلها سرها وعلانيتها قليلها وكثيرها قال الربيع
ابن أنس نهى الله تعالى عن ظاهر الإثم وباطنه أن يعمل به سراً وعلانية وقال سعيد بن جبير في
هذه الآية الظاهر منه قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف ونكاح المحارم
من الأمهات والبنات والأخوات والباطن الزنا وقال السدي أما الظاهر فالزواني في الحوانيت
وهن أصحاب الرايات وأما الباطن فالمرأة يتخذها الرجل صديقاً فيأتيها سراً وقال الضحاك
كان أهل الجاهلية يستسرون بالزنا ويرون أن ذلك حلال ما كان سراً فحرم الله السر والعلانية
وقال ابن زيد ظاهر الإثم طواف الرجال بالبيت عراة وباطنه طواف النساء بالليل عراة
وكان أهل الجاهلية يفعلون ذلك إلى أن جاء الإسلام فنهى الله عن ذلك كله وقيل
إن ذلك النهي عام في جميع المحرمات التي نهى الله عنها وهو الأصح لأن تخصيص العام بصورة
بعينه من غير دليل لا يجوز فعلى هذا القول يكون معنى الآية وذروا ما أعلنتم به وما أسررتم من

الذنوب

الذنوب لخوف الله عز وجل لا لخوف الناس وقيل المراد بظاهر الإثم أفعال الجوارح وباطنه أفعال
القلوب فيدخل في ذلك الحسد والكبر والعجب وإرادة السوء للمسلمين ونحو ذلك وقوله تعالى
إن الذين يكسبون الإثم يعني إن الذين يعملون بما نهاهم الله عنه ويرتكبون ما حرم عليهم
من المعاصي وغيرها سيجزون يعني في الآخرة بما كانوا يقترفون يعني بما كانوا يكتسبون
في الدنيا من الآثام وظاهر هذا النص يدل على عقاب المذنب أنه مخصوص بمن لم يتب لأن
المسلمين أجمعوا على أنه إذا تاب العبد من الذنب توبة صحيحة لم يعاقب وزاد أهل السنة في
ذلك فقالوا المذنب إذا لم يتب فهو في خطر المشيئة إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه بفضله
وكرمه قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه قال ابن عباس الآية في تحريم
الميتات وما في معناها من المنخنقة وغيرها وقال عطاء الآية في تحريم الذبائح التي كانوا يذبحونها
على اسم الأصنام

فصل اختلف العلماء في ذبيحة المسلم إذا لم يذكر اسم
الله عليها فذهب قوم إلى تحريمها سواء تركها عامداً أو ناسياً وهو قول ابن سيرين والشعبي ونقله
الإمام فخر الدين عن مالك ونقل عن عطاء أنه قال كل ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام أو شراب
فهو حرام واحتجوا في ذلك بظاهر هذه الآية وقال الثوري وأبو حنيفة إن ترك التسمية عامداً
لا تحل وإن تركها ناسياً حل وقال الشافعي تحل الذبيحة سواء ترك التسمية عامداً أو ناسياً
ونقل البغوي عن ابن عباس ومالك ونقل ابن الجوزي عن أحمد روايتين فيما إذا ترك التسمية
عامداً وإن تركها ناسياً حلت فمن أباح أكل الذبيحة التي لم يذكر اسم الله عليها قال المراد من
الآية الميتات وما ذبح على اسم الأصنام بدليل أنه قال تعالى في سياق الآية وإنه لفسق وأجمع
العلماء أن ذبيحة المسلم التي ترك التسمية عليها لا تفسق واحتجوا أيضاً في إباحتها بما روى
البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت قالوا يا رسول الله إن هنا أقواماً حديثاً عهدهم
بشرك يأتونا بلحمان لا ندري يذكرون اسم الله عليها أم لا قال اذكروا أنتم اسم الله وكلوا قالوا
لو كانت التسمية شرطاً للإباحة لكان الشك في وجودها مانعاً من أكلها كالشك في أصل
الذبح وقول الشافعي في أول الآية وإن كان عاماً بحسب الصيغة إلا أن آخرها لما حصلت فيه
هذه القيود الثلاثة وهي قوله تعالى وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم
وإن أطعتموهم إنكم لمشركون علمنا أن المراد من هذا العموم هو الخصوص والفسق ذكر اسم غير الله
في الذبح كما قال في آخر السورة قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه إلى قوله أو
فسقاً أهل لغير الله به فصار هذا الفسق الذي أهل لغير الله به مفسراً لقوله وإنه لفسق
وإذا كان كذلك كان قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق مخصوصاً بما أهل
لغير الله به والله أعلم وقوله تعالى وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم يعني
إن الشياطين يوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم ويخاصموا محمداً صلى الله عليه
وسلم وذلك أن المشركين قالوا يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها
قالوا فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال وما قتله الكلب والصقر حلال وما قتله
الله حرام فأنزل الله عز وجل هذه الآية وقال عكرمة لما نزلت هذه الآية في تحريم الميتة
كتبت فارس وهم المجوس إلى مشركي قريش أن خاصموا محمداً وقالوا له إن ما ذبحت فهو حلال وما
ذبحه الله فهو حرام فأنزل الله وإن الشياطين يعني مردة الإنس وهم المجوس ليوحون إلى
أوليائهم يعني مشركي قريش وكان بين فارس والعرب موالاة ومكاتبة على الروم فعلى هذا يكون
المراد بالوحي المكاتبة في خفية وإن أطعتموهم يعني في أكل الميتة وما حرم الله عليكم إنكم
لمشركون يعني أنكم مثلهم في الشرك قال الزجاج فيه دليل على أن من أحل شيئاً مما حرم الله أو

حرم شيئا مما احل الله فهو مشرك وانما سمي مشركا لانه اثبت حاكما غير الله عز وجل ومن كان كذلك
فهو مشرك قوله عز وجل اومن كان ميتا فاحييناه يعني اومن كان ميتا بالكفر فاحييناه بالايمان
وانما جعل الايمان الكفر ميتا لانه جعل الايمان حياة لان الحي بصير يهتدي به الى رشده ولما
كان الايمان يهديه الى النور العظيم والحياة الابدية شبهه بالحياة وجعلنا له نورا يمشي به في الناس
يعني وجعلنا له نورا يستضيء به في الناس ويهتدي به الى قصد السبيل قيل النور هو الاسلام
لانه يخلص من ظلمات الكفر كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور وقال قتادة هو كتاب الله القرآن
لانه بينة من الله مع المؤمنين كمن مثله في الظلمات يعني كمن هو في ظلمة الكفر وظلمة الجهالة
وظلمة عمى البصيرة ليس بخارج منها يعني من تلك الظلمات وهذا مثل ضربه الله تعالى لحال المؤمن
والكافر فبين ان المؤمن المهتدي بمنزلة من كان ميتا فاحياه واعطاه نورا يهتدي به في مصالحه
وان الكافر بمنزلة من هو في ظلمات منغمس فيها ليس بخارج منها فيكون متحيرا على الدوام ثم
اختلف المفسرون في هذين المثالين هل هما مخصوصان بانسانين معينين او هما عامان في كل
مؤمن وكافر فذكروا في ذلك قولين احدهما ان الاية في رجلين معينين ثم اختلفوا فيهما فقال
ابن عباس في قوله تعالى وجعلنا له نورا يمشي به في الظلمات يريد ابا جهل بن هشام وذلك ان
ابا جهل رمى النبي صلى الله عليه وسلم بفرث فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وكان حمزة قد رجع من صيد
وبيده قوس وحمزة لم يؤمن بعد فاقبل حمزة غضبانا حتى علا ابا جهل وجعل يضربه بالقوس
وجعل ابو جهل يتضرع الى حمزة ويقول يا ابا يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب
الهتنا وخالف اباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم عقولا تعبدون الحجارة من دون الله اشهد
ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فاسلم حمزة يومئذ فانزل الله هذه الاية وقال الضحاك
نزلت في عمر بن الخطاب وابي جهل وقال عكرمة والكلبي نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل وقال مقاتل
نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي نزلت في عمار وابي جهل وذلك ان ابا جهل قال زاحمنا بنو
عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن
حتى ياتينا وحي كما ياتيه فنزلت هذه الاية والقول الثاني وهو قول الحسن في اخرين ان هذه الاية
عامة في حق كل مؤمن وكافر وهذا هو الصحيح لان المعنى اذا كان حاصلا في الكل دخل فيه كل احد
وقوله تعالى كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون قال اهل السنة المزين هو الله تعالى ويدل
عليه قوله زينا لهم اعمالهم ولان حصول الفعل يتوقف على حصول الدواعي وحصولها لا يكون الا
بخلق الله تعالى فدل ذلك على ان المزين هو الله تعالى وقالت المعتزلة المزين هو الشيطان ويرده
ما تقدم وقوله تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها يعني وكما جعلنا في مكة
اكابر وعظماء وقيل هو معطوف على ما قبله ومعناه كما زينا للكافرين ما كانوا يعملون كذلك جعلنا
في كل قرية اكابر جمع الاكبر ولا يجوز ان يكون مضافا لانه لا يتم المعنى بل في الاية تقديم وتأخير
تقديره وكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها اكابر وانما جعل المجرمين لانهم اقدر على المكر والغدر
وترويج الباطل بين الناس من غيرهم وانما حصل ذلك لاجل رياستهم وذلك سنة الله انه جعل في كل
قرية اتباع الرسل ضعفاءهم وجعل فساقهم اكابرهم ليمكروا فيها قال ابو عبيدة المكر الخديعة
والحيلة والغدر والفجور زاد بعضهم والغيبة والنميمة والايمان الكاذبة وترويج الباطل بين
الناس من غيرهم وانما حصل ذلك لاجل رياستهم قال ابن عباس معناه ليقولوا فيها الكذب
وقال مجاهد جلس على كل طريق من طرق مكة اربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى
الله عليه وسلم ويقولون هو كذاب ساحر كاهن فكان هذا مكرهم وما يمكرون الا بانفسهم
يعني ما يحيق المكر الا بهم لان وبال مكرهم يعود عليهم وما يشعرون يعني ان وبال ذلك المكر

يعود

عليهم ويضرهم قوله عز وجل واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله
يعني من النبوة وذلك ان الوليد بن المغيرة قال للنبي صلى الله عليه وسلم لو كانت النبوة حقا
لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا فانزل الله هذه الاية وقال مقاتل نزلت
في ابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي
يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا وحي كما ياتيه فانزل الله هذه الاية واذا
جاءتهم اية يعني حجة بينة ودلالة واضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قالوا يعني الوليد
بن المغيرة وابا جهل بن هشام او كل واحد من رؤساء الكفر ويدل عليه الاية التي قبلها وهي قوله
تعالى وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها فكان مكر كفار قريش ان قالوا لن نؤمن
لك حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قولان احدهما وهو المشهور ان القوم ارادوا ان تحصل
يعني من النبوة وانما قالوا هذه المقالة الخبيثة حسدا منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وفي قولهم
لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله قولان احدهما وهو المشهور ان القوم ارادوا ان
تحصل لهم النبوة والرسالة كما حصلت للنبي صلى الله عليه وسلم وان يكونوا متبوعين
لا تابعين والقول الثاني وهو قول الحسن وهو منقول عن ابن عباس ان المعنى واذا جاءتهم
من القرآن تامرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم قالوا لن نؤمن لك يعني لن نصدقك
حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني يوحى الينا ويأتينا جبريل يصدقك فعلى هذا القول
ان القوم لم يطلبوا النبوة وانما طلبوا ان تخبرهم الملائكة بصدق محمد صلى الله عليه
وسلم وانه رسول من الله تعالى وعلى القول الاول انهم طلبوا ان يكونوا انبياء ويدل على صحة هذا
القول سياق الاية وهو قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته يعني انه تعالى
يعلم من يستحق الرسالة فيشرفه بها ويعلم من لا يستحقها ومن ليس باهل لها وانتم ليسوا لها
باهل وان النبوة لا تحصل لمن يطلبها خصوصا لمن عنده حسد ومكر وغدر وقال اهل
المعاني الابلغ في تصديق الرسل ان لا يكونوا قبل البعثة مطاعين في قومهم لان الطعن
كان يتوجه عليهم فيقال انما كانوا رؤساء مطاعين فاتبعهم قومهم لاجل ذلك فكان الله تعالى
اعلم بمن يستحق الرسالة فجعلها ليتيم ابي طالب دون ابي جهل والوليد وغيرهما من اكابر
قريش ورؤسائها وقوله تعالى سيصيب الذين اجرموا صغار اي ذلة وهوان وقيل
الصغار هو الذل الذي يصغر الى المرء نفسه عند الله عند الله يعني هذا من عند
الله وقيل ان هذا الصغار ثابت لهم عند الله فعلى هذا القول انما يحصل لهم الصغار في
الاخرة وقيل معناه سيصيبهم صغار بحكم الله به عليهم في الدنيا وعذاب شديد
يعني في الاخرة بما كانوا يمكرون يعني انما حصل لهم هذا الصغار والعذاب بسبب
مكرهم وحسدهم وطلبهم ما لا يستحقونه قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح
صدره للاسلام والايمان يقال شرح الله صدره فانشرح اي وسع وسعه لقبول الايمان
والخير فتوسع وذلك ان الانسان اذا اعتقد في عمل من الاعمال ان له نفعا زائدا وخيرا
راجحا وربحا ظاهرا مال بطبعه اليه وقويت رغبته فيه فتسمى هذه الحالة سعة النفس وانشراح
الصدر وقيل الشرح الفتح والبيان يقال شرح فلان امره اذا اوضحه واظهره وشرح
المسألة اذا كانت مشكلة فاوضحها وبينها فقد ثبت ان للشرح معنيان احدهما الفتح ومنه
يقال شرح الكافر بالكفر صدرا اي فتحه بقبوله ومنه قوله تعالى من شرح بالكفر صدرا افمن
شرح الله صدره للاسلام يعني فتحه ووسعه لقبوله والثاني ان الشرح نور يقذفه الله في
قلب العبد فيعرف بذلك النور الحق فيقبله وينشرح صدره له ومعنى الاية فمن يرد الله

يهديه يشرح صدره للإيمان بالله وبرسوله وبما جاء به من عنده فيوفقه له ويشرح صدره لقبوله
ويهونه عليه ويسهله له بفضله وكرمه ولطفه به وإحسانه إليه فعند ذلك يستنير الإسلام
في قلبه فيضيء به ويتسع له صدره ولما نزلت هذه الآية سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن
شرح الصدر فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح فقيل لذلك أمارة قال
نعم الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وأسنده
الطبري عن ابن مسعود قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت عليه هذه الآية
فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام قال إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح فقالوا
هل لذلك من آية يعرف بها قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد
للموت قبل لقاء الموت **وقوله تعالى** ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا
يعني يجعل صدره ضيقا حتى لا يدخله الإيمان وقال الكلبي ليس للخير فيه منفذ وقال ابن عباس
إذا سمع ذكر الله اشمأز قلبه وإذا سمع ذكر الأصنام ارتاح إلى ذلك وقرأ عمر بن الخطاب هذه الآية
وعنده أعرابي من كنانة فقال له ما الحرجة فيكم قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الأشجار
التي لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء فقال عمر كذلك قلب المنافق لا يصل إليه شيء من الخير
وأصل الحرج الضيق وهو مأخوذ من الحرجة وهي الأشجار الملتفة بعضها إلى بعض حتى لا يصل
إليها شيء وقرأ ابن عباس هذه الآية فقال هل هنا أحد من بني بكر قال رجل نعم قال ما الحرجة
فيكم قال الوادي الكثير الشجر المستمسك الذي لا طريق فيه فقال ابن عباس كذلك قلب الكافر
قال أهل المعاني لما كان القلب محلا للعلوم والاعتقادات وصف الله تعالى قلب من يريد
هدايته بالانفساح والانشراح ونوره فقال لما أودعه من الإيمان بالله ورسوله ووصف
قلب من يريد ضلالته بالضيق الذي هو خلاف الشرح والانفساح فدل ذلك على أن الله صير قلب
الكافر بحيث لا يعي علما ولا استدلالا على توحيد الله تعالى والإيمان به وفي الآية دليل على أن
جميع الأشياء بمشيئة الله تعالى وإرادته حتى إيمان المؤمن وكفر الكافر وقوله تعالى كأنما
يصعد في السماء يعني أن الكافر إذا دعي إلى الإسلام كأنه قد كلف أن يصعد إلى السماء ولا يقدر على ذلك
وقيل يجوز أن يكون المعنى كأن قلب الكافر يصعد إلى السماء نبوا عن الإسلام وتكبرا وقيل
ضاق عليه المذهب فلا يجد إلا أن يصعد إلى السماء وليس يقدر على ذلك وقيل هو من المشقة وصعوبة
الأمر فيكون المعنى أن الكافر إذا دعي إلى الإسلام فإنه يتكلف مشقة وصعوبة في ذلك كمن
يتكلف الصعود إلى السماء وليس يقدر على ذلك كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون الكاف
في كذلك تفيد التشبيه وفيه وجهان الأول معناه أن جعله الرجس عليهم الوجه الثاني قال
الزجاج أي مثل ما قصصنا عليك كذلك يجعل الله الرجس قال ابن عباس الرجس الشيطان
أي يسلطه الله عليهم وقال مجاهد الرجس ما لا خير فيه وفي رواية عن ابن عباس أن الرجس العذاب
وقال الزجاج الرجس في الدنيا اللعنة وفي الآخرة العذاب قوله عز وجل وهذا صراط ربك
مستقيما يعني وهذا الذي بينا لك يا محمد في هذه السورة وغيرها من سور القرآن هو صراط ربك
يعني مستقيما دينه الذي شرع لعباده ورضيه وجعله مستقيما يعني الإسلام وقال ابن
مسعود يعني القرآن لأنه يؤدي من تبعه وعمل به إلى طريق الاستقامة والسداد قد فصلنا
الآيات يعني قد فصلنا آيات القرآن بالوعد والوعيد والثواب والعقاب والحلال والحرام
والأمر والنهي وغير ذلك من أحكام القرآن لقوم يذكرون يعني لمن يتذكر بها ويتعظ بما فيها
من المواعظ والعبر قال عطاء يعني أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان لهم
دار السلام عند ربهم يعني الجنة في قول جميع المفسرين قال الحسن والسدي السلام هو

الله تعالى وداره الجنة ومعنى السلام هو الله تعالى وداره الجنة في أسماء الله تعالى ذي السلام
ووجه سلاما لأنه تعالى ذو السلامة من جميع الآفات والنقائص فعلى هذا القول أضيفت
الدار إلى الاسم السلام الذي هو اسم الله تعالى إضافة تشريف وتعظيم كما قال الكعبة تعظيم
بيت الله وللنبي صلى الله عليه وسلم عبد الله في قوله وأنه لما قام عبد الله يدعوه والجنة لصحة
معنا أن إضافة الدار إلى الله تعالى نهاية في تشريفها وتعظيمها فكان ذكر الإضافة مبالغة في
تعظيم أمرها **وقيل** إن السلام صفة للدار لأنها دار السلامة الدائمة التي لا تنقطع
فعلى هذا يكون السلام بمعنى السلامة كأنه قال لهم دار السلامة التي لا يلحقون فيها شيئا
يكرهونه وقيل سميت بذلك لأن جميع حالاتها مقرونة بالسلامة كما قال تعالى في وصفها
ادخلوها بسلام آمنين والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم وقال تحيتهم فيها
سلام وقال سلام قولا من رب رحيم وقال لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما وقوله عند ربهم
يعني أن الجنة معدة مهيأة لهم عند ربهم حتى يوصلهم إليها وهو وليهم بما كانوا يعملون يعني أنه
تعالى يتولى أمرهم وإيصال المنافع إليهم ويدفع المضار عنهم وقيل معناه أنه يتولاهم في الدنيا
بالتوفيق والهداية وفي الآخرة بالجزاء والجنة وقيل المولى هو الناصر والقريب يعني أنه تعالى ينصرهم
في الدنيا ويقربهم في الآخرة بسبب أعمالهم الصالحة التي كانوا يتقربون بها إليه في الدنيا قوله تعالى
ويوم يحشرهم جميعا أي اذكر يا محمد يوم يحشر العادلين بالله الأصنام مع أوليائهم الشياطين
يعني يحشر المشركين والشياطين جميعا يا معشر الجن فيه حذف تقديره فيقول لهم يا معشر الجن والمعشر
الجماعة والمراد من الجن الشياطين قد استكثرتم من الإنس يعني من إضلالهم وإغوائهم وقال
ابن عباس معناه أضللتم كثيرا من الإنس وهذا التفسير لا بد له من تأويل آخر لأن الجن لا يقدرون
على إضلال الإنس وإغوائهم بأنفسهم لأنه لا يقدر على الأشياء أحد إلا الله لأنه هو المنفرد في خلقه
بما شاء فوجب أن يكون المعنى قد استكثرتم من الدعاء إلى الإضلال مع مصادفة القبول
من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض يعني استمتع الجن
بالإنس والإنس بالجن فأما استمتاع الإنس بالجن فقال الكلبي كان الرجل في الجاهلية إذا سافر
فنزل بأرض قفر وخاف على نفسه من الجن قال أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه
فيبيت في جوارهم وأما استمتاع الجن بالإنس فهو أنهم قالوا قد سدنا الإنس مع الجن حتى عاذوا
بنا فيزدادون بذلك شرفا في قومهم وعظما في أنفسهم وقيل استمتاع الإنس بالجن هو ما كانوا
يلقون إليهم من الأراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم الأمور التي كانوا يهوونها وتسهيل
سبيلها عليهم واستمتاع الجن بالإنس طاعة الإنس للجن فيما يزينون لهم من الضلالة
والمعاصي وقيل استمتاع الإنس بالجن هي طاعة الإنس للجن فيما يأمرونهم وينقادون لحكمهم
فصاروا كالرؤساء للإنس والجن كالأتباع **وقيل** إن قوله ربنا استمتع بعضنا
ببعض هو من كلام الإنس خاصة لأن استمتاع الجن بالإنس وبالعكس أمر نادر لا يكاد يظهر
أما استمتاع الإنس بعضهم ببعض ظاهر فوجب حمل الكلام عليه وبلغنا أجلنا الذي أجلت
لنا يعني ذلك الاستمتاع كان إلى أجل معين ووقت محدود ثم ذهب وبقيت الحسرة والندامة
قال الحسن والسدي الأجل الموت وقيل هو وقت البعث للحساب في يوم القيامة قال
يعني قال الله لهؤلاء المذكورين الذين استمتع بعضهم ببعض من الجن والإنس النار مثواكم
يعني أن النار مقامكم ومنزلكم فيها ومصيركم إليها خالدين فيها يعني مقيمين في نار
جهنم أبدا إلا ما شاء الله اختلفوا في هذا الاستثناء فقيل معناه خالدين فيها إلا مدة
بعثهم ووقوفهم للحساب إلى حين دخولهم إلى النار فإن هذا الوقت ليسوا خالدين فيه

في النار وقيل المراد من هذا الاستثناء هو اوقات نقلهم من عذاب الى عذاب اخر وذلك انهم قد
يستغيثون منه فينقلون الى النار من النار فينقلون الى الزمهرير ثم يستغيثون
منه فينقلون الى النار فكان مدة نقلهم هو المراد من هذا الاستثناء ونقل جمهور المفسرين
عن ابن عباس انه قال ان هذا الاستثناء يرجع الى قوم سبق فيهم علم الله تعالى انهم يسلمون
ويصدقون النبي صلى الله عليه وسلم فيخرجون من النار قال البغوي هذا التاويل فيكون ما في
قوله الا ما شا الله بمعنى من يعني الا من شا الله ونقل الطبري عن ابن عباس انه كان يتاول
هذا الاستثناء ان الله عز وجل جعل امر هولا القوم في مبلغ عذابهم الى مشيئته وقال في هذه
الاية انه لا ينبغي لاحد ان يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا نارا قال الزجاج والقول
الاول اولى لان معنى الاستثنا انما هو من يوم القيامة لان قوله ويوم نحشرهم جميعا هو
يوم القيامة ثم قال خالدين فيها منذ يبعثون الا ما شا الله من مقدار حشرهم من قبورهم
ومقدار مدة محاسبتهم ان ربك حكيم يعني في مقدار حشره وتدبير خلقه وتصريفه اياهم
في مشيئته من حال الى حال وغير ذلك من افعاله وقيل حكيم فيما يفعله من ثواب
الطائع وعقاب العاصي وفي سائر وجوه المجازاة عليم يعني بعواقب امور خلقه وما هم اليه
صائرون كما قال انما حكمت لهولا الكفار بالخلود في النار لعلمي بانهم يستحقون ذلك قوله عز وجل
وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا الكاف في كذلك كاف التشبيه تقتضي شيا تقدم
ذكره فالتقدير كما انزلت العذاب بالجن والانس الذين استمتع بعضهم ببعض كذلك نولي بعض
الظالمين اي نسلط بعضهم على بعض فناخذ من الظالم بالظالم كما جا في الاثر من اعان ظالما
سلطه الله عليه وقال قتادة نجعل بعضهم اوليا بعض فالمومن ولي المومن حيث كان واين
كان والكافر ولي الكافر حيث كان واين كان وفي رواية اخرى عن قتادة قال يتبع بعضهم بعضا
في النار من الموالاة وقيل معناه نولي ظلمة الانس ظلمة الجن وظلمة الجن ظلمة الانس يعني نكل
بعضهم الى بعض وقال ابن عباس في تفسير هذه الاية هو ان الله تعالى اذا اراد بقوم خيرا ولى
عليهم خيارهم واذا اراد بقوم شرا ولى عليهم شرارهم فعلى هذا القول ان الرعية متى كانوا ظالمين
سلط عليهم ظالما مثلهم فمن اراد ان يخرج من ظلم ذلك الظالم فليتركوا الظلم وقوله تعالى
بما كانوا يكسبون يعني نسلط عليهم من يظلمهم بسبب اعمالهم الخبيثة التي اكتسبوها قوله تعالى
يا معشر الجن والانس المعشر كل جماعة امرهم واحد والجمع معاشر الم ياتكم رسل منكم اختلف
العلما في معنى هذه الاية وهل كان من الجن رسول وانما كانت الرسل من الانس واجابوا عن قوله رسل
منكم يعني من احدكم يعني الانس فحذف المضاف فهو كقوله يخرج منهما اللولو والمرجان وانما يخرج
من احدهما وهو الملح دون العذب وانما جاز ذكرهما لما قد جمع في قوله مرج البحرين وهو جائز في كل
ما اتفق في اصله فلذلك لما اتفق ذكر الجن مع الانس جاز مخاطبتهما الى ما ينصرف الى احد الفريقين
وهم الانس وهذا قول الفرا والزجاج ومذهب جمهور اهل العلم قال الواحدي وعليه دل كلام
ابن عباس لانه قال يريد انبيا من جنسهم ولم يكن من جنس الجن الى انه ارسل من الجن رسلا كما ارسل
من الانس رسلا منهم قال الضحاك من الجن رسل كما من الانس رسل فظاهر الاية يدل على ذلك لانه
تعالى قال الم ياتكم رسل منكم فخاطب الفريقين جميعا واجيب عن ذلك بان الله تعالى قال يا معشر
الجن والانس الم ياتكم رسل منكم وهذا يقتضي كون الرسل من الانس لا من الجن ويحتمل ايضا ان
يقال ان كافة الرسل كانوا من الانس لان الله تعالى يلقي الداعية في قلوب قوم من الجن حتى يسمعوا
كلام الرسل من الانس ثم ياتوا قومهم من الجن فيخبروهم بما سمعوا من الرسل وينذروهم به كما قال
تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القران فلما حضروه قالوا انصتوا فلما قضي ولوا
الي

الى قومهم منذرين فكان اولئك النفر من الجن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومهم وهذا
مذهب مجاهد فانه قال الرسل من الانس لا من الجن ويحتمل ايضا ان يقال ان كافة الرسل كانوا
من الانس لان الله تعالى يلقي الداعية في قلوب قوم من الجن حتى يسمعوا كلام الرسل من الانس
حتى ياتوا قومهم من الجن فيخبروهم بما سمعوا من الرسل وينذرونهم والنذر من الجن ونحو
ذلك قال ابن جرير وابو عبيدة وقيل كان الرسل يبعثون الى الجن من الجن بواسطة رسل
الانس والله اعلم بمراده واسرار كتابه وقوله تعالى يقصون عليكم اياتي يعني يخبرونكم
بما اوحي اليهم من اياتي الدالة على توحيدي وتصديق رسلي وينذرونكم لقاء يومكم هذا يعني
ويخوفونكم ويحذرونكم لقاء عذابي في يومكم هذا وهو يوم القيامة وذلك ان الله تعالى يقول
يوم القيامة لكفار الانس والجن على سبيل التقريع والتوبيخ ما اخبر به كتابه وهو قوله ها
يا معشر الجن والانس الاية فيجيبونه بما اخبر عنهم في قوله تعالى قالوا يعني كفار الجن والانس
شهدنا على انفسنا اعترفوا بان الرسل قد اتتهم وبلغتهم رسالات ربهم وانذرتهم لقاء
يومهم هذا وانهم كذبوا الرسل ولم يومنوا بهم وذلك حين شهدت عليهم جوارحهم بالشرك قال
الله تعالى وغرتهم الحياة الدنيا يعني انما كان ذلك بسبب انهم غرتهم الحياة الدنيا ومالوا
اليها وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين يعني في الدنيا فان قلت كيف اقروا على
انفسهم في هذه الاية بالكفر وجحدوا الشرك والكفر في قوله والله ربنا ما كنا مشركين قلت
يوم القيامة يوم طويل والاحوال فيه مختلفة فاذا راوا ما حصل للمومنين من الخير والفضل
والكرامة انكروا الشرك بعد ذلك الانكار رجا ينفعهم وقالوا والله ربنا ما كنا مشركين فحينئذ
يختم على افواههم وتشهد عليهم جوارحهم بالشرك والكفر فذلك قوله تعالى وشهدوا على
انفسهم انهم كانوا كافرين فان قلت لم كرر شهادتهم على انفسهم قلت شهادتهم
الاولى اعتراف منهم بما كانوا عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتكذيب الرسل وفي قوله وشهدوا
على انفسهم ذم لهم وتخطية لرايهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحياة
الدنيا ولذاتها فكان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والمقصود
من شرح حالهم تحذير السامعين وزجرهم عن الكفر والمعاصي قوله عز وجل ذلك اشارة
الى ما تقدم ذكره من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سو العاقبة وقال الزجاج معناه ذلك
الذي قصصنا عليك من امر الرسل وامر عذاب من كذبهم ان لم يكن ربك يعني لانه لم
يكن ربك مهلك القرى بظلم قال الكلبي معناه لم يكن ليهلكهم بذنوبهم من قبل ان ياتيهم
الرسل فتنهاهم فان رجعوا والا اتاهم العذاب وهذا قول جمهور المفسرين قال الفرا
يجوز ان يكون المعنى لم يكن ليهلكهم بظلم منه واهلها غافلون فعلى قول الجمهور
يكون الظلم فعلا للكفار وهو شركهم وذنوبهم التي عملوها وعلى قول الفرا انه لو اهلكهم قبل
بعثة الرسل لكان ظالما والله عز وجل يتعالى عن الظلم والقول الاول اصح لانه تعالى
يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد عليه في شي من افعاله غير انه اخبر انه لا يعذب
قبل بعثة الرسل ولو فعل ذلك لم يكن ظالما منه قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا يعني
ولكل عامل بطاعة الله او بمعصيته درجات يعني منازل يبلغها بعمله ان كان خيرا فخيرا
وان كان شرا فشرا وانما سميت درجات لتفاضلها بالارتفاع والانحطاط كتفاضل الدرج
وهذا انما يكون في الثواب والعقاب على قدر اعمالهم في الدنيا فمنهم من هو اعظم ثوابا ومنهم
من هو اشد عقابا وهو قول جمهور المفسرين وقيل ان قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا
يختص باهل الطاعة لان لفظ الدرجة لا يليق باهل الجحيم وقوله تعالى وما ربك بغافل عما

يعملون مختص باهل الكفر والمعاصي ففيه وعيد وتهديد لهم والقول الاول اصح لان علمه تعالى
شامل لكل المعلومات فيدخل فيه المؤمن والكافر والطايع والعاصي وانه عالم باعمالهم على
التفصيل التام فيجزي كل عامل على قدر عمله وبما يليق به من ثواب او عقاب قوله عز وجل
وربك الغني يعني عن خلقه وذلك انه تعالى لما بين ان لكل عامل بطاعة او معصية درجة
على قدر عمله بين ان تخصيص المطيعين بالثواب والعاصين بالعقاب ليس لانه محتاج الى
طاعة المطيع او منتقص بمعصية العاصي بل هو الغني على الاطلاق وان جميع الخلق فقرا
اليه **ذو الرحمة** قال ابن عباس باوليايه واهل طاعته وقال الكلبي بخلقه ذو التجاوز ومنهم
في رحمته تاخير العذاب عن المذنبين لعلهم يتوبون ويرجعون **ان يشا يذهبكم** يعني
يهلككم الخطاب لاهل مكة ففيه وعيد وتهديد لهم **ويستخلف** يعني وينشي ويخلف
من بعدكم يعني من بعد اهلاككم **ما يشاء** يعني من خلقا غيركم امثل واطوع منكم **كما
انشاكم من ذرية قوم اخرين** اختلفت عبارات المفسرين في هذه اللفظة فقال البغوي اباء
الماضين قرنا بعد قرن وهم اهل سفينة نوح عليه السلام وقال الامام فخر الدين الرازي
في قوله تعالى ويستخلف من بعدكم يعني من بعد اذهابكم لان الاستخلاف لا يكون الا على طريق
البدل من فايت واما قوله ما يشا فالمراد منه خلق ثالث او رابع واختلفوا فيه فقال بعضهم
خلقا اخر من امثال الجن والانس قال القاضي وهو الاجود الاقرب لان القوم يعلمون بالعادة
انه تعالى قادر على انشا امثال هذا الخلق فمتى كل خلق ثالث ورابع يكون اولى من دلالة القدرة
فكانه تعالى نبه على ان قدرته ليست مقصورة على جنس دون جنس من الخلق الذين يصلحون
لرويته العظيمة التي هي الثواب فبين بهذا الطريق انه تعالى لرحمته لهولا الاقوام الحاضرين
ابقاهم وامهلهم ولو شا لاماتهم وافناهم وابدل منهم سواهم ثم بين انه تعالى قوى قدرته
على ذلك فقال كما انشاكم من ذرية قوم اخرين لان المراد انه تعالى خلق الانسان
من نطفة ليس فيها من صورته قليل ولا كثير فوجب ان يكون ذلك بمحض القدرة والحكمة واذا
كان كذلك فكما قدر على تصوير هذه الاجسام بهذه الخاصة فكذلك يقدر على تصويرهم
خلقا اخر مخالفا لهذا اخر كلامه وقال الطبري كما انشاكم من ذرية قوم اخرين يقول كما
احدثكم وابتدعكم من بعد خلق اخرين كانوا قبلكم ومعنى من في هذا الموضع التعقيب
كما يقال في الكلام اعطيتك من دينارك ثوبا يعني مكان الدينار ثوبا لا ان الثوب من
الدينار بعض كذلك الذين خوطبوا بقوله كما انشاكم لم يرد باخبارهم هذا الخبر انهم
انشاوا من اصلاب قوم اخرين ولكن معناه ما ذكرنا اهلكوا قبلهم **قوله** تعالى **ان ما توعدون
لات وما انتم بمعجزين** يعني ان ما توعدون به من مجي الساعة والبعث بعد الموت والحشر للحساب
يوم القيامة يدرككم بعد الموت **قل** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد
يا قوم اي قل لقومك من كفار قريش **اعملوا على مكانتكم** وقرئ مكاناتكم على الجمع
والمكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان
ومكانة كما يقال مقام ومقامة فقوله اعملوا على مكانتكم فيكون معناه اعملوا على
تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم ويحتمل ان يكون معناه اعملوا على
حالاتكم التي انتم عليها كما يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله مكانتك يا فلان
اي اثبت على ما انت عليه لا تتغير عنه وقال ابن عباس معناه اعملوا على ناحيتكم **اني
عامل** يعني اني عامل على مكانتي التي انا عليها وما امرني به ربي والمعنى اثبتوا
على ما انتم عليه من الكفر والعداوة فاني ثابت على الاسلام والمصابرة فان قلت

ظاهر

ظاهر الاية يدل على امر الكفار بالاقامة على ما هم عليه من الكفر والعداوة فاني ثابت على الاسلام
والمصابرة فان ثبت وذلك لا يجوز قلت معنى الامر الوعيد والتهديد والمبالغة في الزجر عما هم
عليه من الكفر فكانه قال اقيموا اما انتم عليه من الكفر رضيتم لا تنسكم بالعذاب الدايم فهو كقوله
تعالى اعملوا ما شيتم ففيه تفويض امر العمل اليهم على سبيل الزجر والتهديد وليس فيه اطلاق
لهم في عمل ما ارادوه من الكفر والمعاصي وقوله تعالى **فسوف تعلمون** يعني لمن تكون له العاقبة
المحمودة لنا او لكم وقيل معناه فسوف تعلمون عند نزول العذاب بكم انا كان على الحق في عمله نحن
ام انتم **من تكون له عاقبة الدار** يعني فسوف تعلمون غدا في يوم القيامة لمن تكون عاقبة الدار
وهي الجنة **انه لا يفلح الظالمون** قال ابن عباس معناه انه لا يسعد من كفر بي واشرك بي هذه الاية
قولان احدهما انها محكمة وهذا على قول من يقول المراد بها ترك القتال قوله تعالى **وجعلوا لله مما
ذرا من الحرث والانعام نصيبا** الاية لما بين الله عز وجل قبح طريقة الكفار وما كانوا عليه من انكار
البعث وغير ذلك عقبه بذكر انواع من جهالاتهم واحكامهم الفاسدة تنبيها على ضعف عقولهم
وفساد ما كانوا عليه في الجاهلية فقال تعالى وجعلوا لله مما ذرا يعني مما خلق من الحرث يعني الزرع
والثمر والانعام يعني ومن الانعام وهي الابل والبقر والغنم نصيبا يعني قسما وجزا قال المفسرون
كان المشركون في الجاهلية يجعلون لله من حروثهم وثمارهم وانعامهم وساير اموالهم نصيبا فاجعلوه
من ذلك لله صرفوه الى الضيفان والمساكين وما جعلوه للاصنام انفقوه عليها وعلى خدمتها
فان سقط منه شي مما جعلوه لله في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني عن هذا وان سقط
شي من نصيب الاوثان فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة اليه وكانوا اذا هلك
شي مما جعلوه لله لم يبالوا به واذا انتقص شي مما جعلوه للاوثان جبروه بما جعلوه لله فذلك
قوله تعالى وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا وللاصنام نصيبا **فقالوا
هذا لله بزعمهم** يعني بقولهم الذي هو غير حقيقة لان معنى زعم حكاية في قولهم هذا لله
بزعمهم وان كانت الاشيا كلها لله لا انهم نصيب الاصنام مع نصيب الله وهو قولهم **وهذا لشركاينا**
يعني الاصنام وانما سموا الاصنام شركا لانهم جعلوا لها نصيبا من اموالهم ينفقونه عليها **فما كان
لشركايهم** يعني ما جعلوه لها من الحرث والانعام **فلا يصل الى الله** يعني فلا يعطونه المساكين
ولا ينفقونه على الضيفان **وما كان لله فهو يصل الى شركايهم** والمعنى انهم كانوا يعرفون ما جعلوه
للاصنام وقال قتادة كانوا اذا اصابتهم سنة اي قحط او شدة استعانوا بما جعلوه لله ولا
يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركايهم ولم ياكلوا منه شيا وقال الحسن والسدي كانوا اذا هلك ما جعلوه
لشركايهم اخذوا بدله مما جعلوه لله ولا يفعلون ذلك فيما جعلوه لشركايهم فلذلك ذمهم الله تعالى
فقال **سا ما يحكمون** يعني بيس ما يحكمون ويقضون وذلك انهم رجحوا جانب الاصنام على جانب
الله عز وجل في الرعاية والحفظ وهذا سفه منهم وقيل ان الاشيا كلها لله عز وجل وهو خلقها
فلما جعلوا للاصنام جزا من المال وهي لا تملك ولا تخلق ولا تضر ولا تنفع نسبوا الى
الاسا في الحكم والمقصود من ذلك بيان ما كانوا عليه في الجاهلية من تلك الاحكام
الفاسدة التي لم يرد بها شرع ولا نص ولا يحتملها عقل قوله عز وجل **وكذلك** عطف على
قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا يعني كما فعلوا جهلا منهم كذلك زين
لكثير منهم قتل اولادهم شركاوهم والمعنى ان جعلهم لله نصيبا من اموالهم ولشركايهم نصيبا
وذلك في غاية الجهل بمعرفة الخالق المنعم لانهم جعلوا الاصنام مثله في استحقاق النصيب
وكذلك اقدامهم على قتل اولادهم في غاية الجهالة ايضا فلا تر قال ومثل ذلك الذي فعلوه
في القسمة جهلا وخطا وضلالا كذلك **زين** يعني حسن **لكثير من المشركين قتل اولادهم**

يعني به واد البنات احيا مخافة الفقر والعيلة شركاؤهم يعني شياطينهم امروا ان يقتلوا اولادهم
خشية الفقر وسميت الشياطين شركا لانهم اطاعوهم فيما امروهم به من معصية الله وقتل الاولاد
فاشركوهم مع الله في وجوب طاعتهم واضيف الشركا الى المشركين لانهم اطاعوهم واتخذوهم اربابا
وقال الكلبي شركاؤهم سدنة الهتهم يعني خدامها وهم الذين كانوا يزينون ويحسنون للكفار
قتل الاولاد وكان الرجل في الجاهلية يقوم ويحلف لين ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم
كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله فعلى هذا القول الشركا هم السدنة وخدام الاصنام
سموا شركا لانهم اشركوهم في الطاعة ليردوهم يعني ليهلكوهم بذلك الفعل الذي امروهم به
والارداء في اللغة الاهلاك قال ابن عباس ليردوهم في النار وليلبسوا عليهم دينهم
يعني وليخلطوا عليهم دينهم قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك في دينهم وكانوا على دين
اسماعيل عليه السلام فرجعوا عنه لتلبيس الشياطين وانما فعلوا ذلك ليزيلوهم عن الدين
الحق الذي كان عليه اسماعيل وابراهيم عليهما الصلاة والسلام فوضعوا لهم هذه الاوضاع الفا
سدة وزينوها لهم ولو شا الله ما فعلوه ولو شا الله لعصمهم من ذلك الفعل القبيح الذي زين
لهم من تحريم الحرث والانعام وقتل الاولاد اخبر الله عز وجل ان جميع الاشيا بمشيته وارادته
اذ لو لم يشا ما فعلوا ذلك فذرهم يعني فاتركهم يا محمد وما يفترون يعني وما يختلقون
من الكذب على الله فان الله لهم بالمرصاد قوله تعالى وقالوا يعني المشركين هذه انعام
وحرث حجر اي حرام واصله المنع من الانتفاع منه بتحريمه وقيل هو من التضييق والحبس لانهم
كانوا يحبسون اشيا من انعامهم وحروثهم لالهتهم قال مجاهد يعني بالانعام البحيرة والسايبة
والوصيلة والحام لا يطعمها الا من نشا بزعمهم وانعام حرمت ظهورها يعني الحوامي وهي
التي حموا ظهورها عن الركوب فكانوا لا يركبونها يعني باكلها خدام الاصنام والرجال دون النسا
وانعام لا يذكرون اسم الله عليها يعني لا يذكرون اسم الله عليها عند الذبح وانما كانوا يذكرون
عليها اسما الاصنام وقيل معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الخير لانه لما جرت
العادة بذكر الله على فعل كل خير ذموا على فعل ترك الخير افترا عليه يعني انهم كانوا يفعلون
هذه الافعال ويزعمون ان الله امرهم بها وذلك اختلاق وكذب على الله عز وجل سيجزيهم بما كانوا
يفترون فيه وعيد وتهديد لهم على افترايهم على الله الكذب قوله عز وجل وقالوا ما في بطون
هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا يعني نسانا قال ابن عباس وقتادة والشعبي
اراد اجنة البحاير والسوايب فما ولد منها حيا فهو خالص للرجال دون النسا وما ولد منها ميتا
اكله الرجال والنسا جميعا وهو قوله تعالى وان يكن ميتة فهم فيه شركا وادخلت الها في خالصة
للتاكيد والمبالغة كقولهم رجل علامة ونسابة وقال الفرا ادخلت الها لتانيث الانعام
لان ما في بطونها مثلها فانث بتانيثها وقال الكسائي خالص وخالصة واحد مثل وعظ وعظة
وقيل اذا كان اللفظ عبارة عن مونث جاز تانيثه على المعنى وتذكيره على اللفظ كما في هذه الاية
فانه انث خالصة على المعنى وذكر محرم على اللفظ سيجزيهم وصفهم يعني سيجزيهم بسبب وصفهم
على الله الكذب انه حكيم عليم فيه وعيد وتهديد يعني تعالى حكيم بما يفعله عليم بقدر استحقاقهم
قوله تعالى قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم قال عكرمة نزلت فيمن يئد البنات
من ربيعة ومضر وكان الرجل يشارط الرجل ان يستحيي جارية ويئد اخرى فاذا كانت الجارية
التي توءد غدا الرجل وراح من عند امراته وقال انت علي كظهر امي ان رجعت اليك
ولم تئديها فتخذ لها في الارض خدا وترسل الى نسايها فيجتمعن عندها ثم يتداولونها بينهم
حتى اذا بصرته راجعا دستها في حفرتها ثم سوت عليها التراب وقال قتادة هذا من صنيع اهل

الجاهلية

الجاهلية كان احدهم يقتل ابنه مخافة السبي والفاقة ويغذو كلبه اما سبب الخسران المذكور في قوله
قد خسر الذين قتلوا اولادهم ان الولد نعمة عظيمة انعم الله بها على الوالد فاذا تسبب الرجل في ازالة
هذه النعمة عنه وابطالها فقد استوجب الذم وخسر في الدنيا والاخرة اما خسارته في الدنيا فقد
سعى في نقص عدده وازال ما انعم الله به عليه واما خسارته في الاخرة فقد استحق بذلك العذاب
العظيم وقوله سفها بغير علم يعني فعلوا ذلك للسفاهة وهي الخفة والجهالة المذمومة وسبب
حصول هذه السفاهة هو قلة العلم بل عدمه لان الجهل هو الغالب عليهم قبل بعثة رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولهذا سموا جاهلية وقوله تعالى وحرموا ما رزقهم الله يعني البحاير
والسوايب والحامي وبعض الحروث وبعض الانعام المذمومة وزعموا ان الله امرهم بذلك وذلك افترا
على الله وكذب وهذا من اعظم الجهالة لانه الجراة على الله والكذب عليه من اعظم الذنوب واكبر الكباير
ولهذا قال تعالى قد ضلوا يعني بفعلهم عن طريق الحق والرشاد وما كانوا مهتدين يعني الى طريق
الحق والصواب في فعلهم خ قال ابن عباس اذا سرك ان تعلم جهل العرب فاقرا ما فوق الثلاثين والماية
من سورة الانعام قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم الى قوله قد ضلوا وما كانوا مهتدين
قوله عز وجل وهو الذي انشا جنات معروشات يعني والله الذي ابدع وخلق جنات
يعني بساتين معروشات وغير معروشات يعني مسموكات مرتفعات وغير مرتفعات واصل العرش في
اللغة شي مسقوف يجعل عليه الكرم وجمعه عروش يقال عرشت الكرم اعرشه عرشا وعرشته تعريشا
اذا جعلته كهيئة السقف واعترش العنب العريش اذا علاه وركبه واختلفوا في معنى قوله معروشات
فقال ابن عباس المعروشات ما انبسط على الارض وانتشر مما يعرش مثل الكرم والقرع والبطيخ ونحو
ذلك وغير معروشات ما قام على ساق ونسق كالنخل والزرع وساير الشجر وقال الضحاك كلاهما في
الكرم خاصة لان منه ما يعرش ومنه ما لم يعرش بل يبقى على وجه الارض منبسطا وقيل المعروشات
ما عرشه الناس في البساتين واهتموا به فرسوه من كرم وغيره وغير معروشات هو ما انبته الله في
البراري والجبال من كرم او شجر والنخل والزرع يعني وانشا النخل والزرع وهو جميع الحبوب
التي تقتات وتدخر مختلفا اكله يعني به اختلاف المطعوم في الثمار كالحلو والحامض والجيد والردي
ونحو ذلك والزيتون والرمان متشابها يعني في المنظر وغير متشابه يعني في المطعم كالرمانتين
لونهما واحد وطعمهما مختلف وقيل ان ورق الزيتون يشبه ورق الرمان ولكن ثمرهما مختلفة
في الجنس والطعم كلوا من ثمره اذا اثمر لما ذكر ما انعم الله به على عباده من خلق هذه الجنات
المحتوية على انواع من الثمار ذكر ما هو المقصود الاصلي وهو الانتفاع بها فقال تعالى كلوا من ثمره
اذا اثمر وهذا امر اباحة وتمسك بهذا بعضهم فقال الامر قد يرد لغير الوجوب لان هذه الصيغة
مفيدة لرفع الحجر والحرج وقال بعضهم المقصود منه اباحة الاكل قبل اخراج الحق الواجب عليه فيه لان
رعاية حق النفس مقدمة على رعاية حق الغير وقيل انما قال تعالى كلوا من ثمره اذا اثمر بصيغة
الامر ليعلم ان المقصود من خلق هذه الاشيا التي انعم الله بها على عباده هو الاكل واتوا حقه
يوم حصاده يعني يوم جداده وقطعه واختلفوا في هذا الحق المامور باخراجه فقال ابن عباس
وانس بن مالك هو الزكاة المفروضة وهذا قول طاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب
ومحمد بن الحنفية قال قتادة في قوله واتوا حقه يوم حصاده الصدقة المفروضة ذكر لنا ان
نبي الله صلى الله عليه وسلم سن فيما سقت السما والعين السايحة او سقاه الغيل والغيل
الندا او سقاه كان بعلا العشر كاملا وان سقي بنضح او سانية فنصف العشر وهذا
فيما يكال من الثمر او الزرع او بلغ خمسة اوسق وذلك ثلثماية صاع وجب فيها حق الزكاة
وفي رواية عن ابن عباس في قوله تعالى واتوا حقه يوم حصاده قال هو العشر ونصف العشر

فان قلت على هذا التفسير اشكال وهو ان فرض الزكاة كان بالمدينة وهذه السورة مكية
فكيف يمكن حمل قوله واتوا حقه يوم حصاده على الزكاة المفروضة قلت ذكر ابن الجوزي في
تفسيره عن ابن عباس وقتادة ان هذه الاية نزلت بالمدينة فعلى هذا القول تكون الاية
محكمة نزلت في حكم الزكاة وان قلنا ان هذه الاية مكية تكون منسوخة باية الزكاة لانه
قد روي عن ابن عباس انه قال نسخت اية الزكاة كل صدقة في القران وقيل في قوله واتوا
حقه يوم حصاده انه حق سوى الزكاة فرض يوم الحصاد وهو اطعام من حضر وترك ما سقط
من الزرع والثمر وهذا قول علي ابن الحسن وعطا ومجاهد وحماد قال ابراهيم هو الضغث
وقال الربيع هو لقاط السنبل وقال مجاهد كانوا يعلقون العذق عند الصرام فياكل منه من مر وقال
يزيد ابن الاصم كان اهل المدينة اذا صرموا النخل يجيئون بالعذق فيعلقونه من جانب
المسجد فيجي المسكين فيضربه بعصاه فما سقط منه فياكله فعلى هذا القول هل هذا الامر
امر وجوب او استحباب وندب فيه قولان احدهما انه امر وجوب فيكون منسوخا باية الزكاة
ولقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الاعرابي هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع والقول الثاني
انه امر ندب واستحباب فتكون الاية محكمة وقال سعيد بن جبير كان هذا حقا يؤمر
باخراجه في ابتدا الاسلام ثم صار منسوخا بايجاب العشر ولقول ابن عباس نسخت اية الزكاة
كل صدقة في القران واختار هذا القول الطبري وصححه واختار الواحدي والرازي القول الاول
وصححه **فان قلت** فعلى القول الاول كيف تؤدى الزكاة يوم الحصاد والحب في السنبل
وانما يجب الاخراج بعد التنقية والجفاف **قلت** معناه قدروا اخراج الواجب منه يوم
الحصاد فانه قريب من زمان التنقية والجفاف ولان النخل يجب اخراج الحق منه يوم حصاده
وهو الصرام والزرع محمول عليه الا انه لا يمكن اخراج الحق منه الا بعد التصفية وقيل معناه
واتوا حقه الذي وجب يوم حصاده بعد التصفية وقيل ان فائدة ذكر الحصاد ان الحق لا يجب
بنفس الزرع وبلوغه انما يجب يوم حصاده وحصوله في يد مالكه لا فيما يتلف من الزرع قبل حصوله
في يد مالكه وقوله تعالى ولا تسرفوا الاسراف تجاوز الحد فيما يفعله الانسان وان كان في
الانفاق اشهر وقيل السرف تجاوز ما حد لك وسرف المال انفاقه في غير منفعة ولهذا قال
سفيان ما انفقت في غير طاعة الله فهو سرف وان كان قليلا قال ابن عباس في رواية عنه
عمد ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسماية نخلة فقسمها في يوم واحد ولم يترك لاهله شيا
فانزل الله هذه الاية ولا تسرفوا قال السدي معناه لا تعطوا اموالكم وتقعدوا فقرا قال
الزجاج فعلى هذا لو اعطى الانسان كل ماله ولم يوصل الى عياله شيا فقد اسرف لانه قد صح
في الحديث ابدا بمن تعول وقال سعيد بن المسيب معناه لا تمنعوا الصدقة فتاويل الاية
على هذا القول لا تجاوزوا الحد في البخل والامساك حتى تمنعوا الواجب من الصدقة وهذان
القولان يشتركان في ان المراد من الاسراف مجاوزة الحد الا ان الاول في البذل والاعطا والثاني
في الامساك والبخل وقال مقاتل معناه لا تشركوا الاصنام في الحرث والانعام وهذا القول
ايضا يرجع الى مجاوزة الحد لان من اشرك الاصنام في الحرث والانعام فقد جاوز ما حد له وقال
الزهري معناه لا تنفقوا في معصية الله عز وجل وقال مجاهد الاسراف ما قصرت به في حق
الله تعالى ولو كان ابو قبيس ذهبا فانفقته في طاعة الله تعالى لم تكن مسرفا ولو انفقت
درهما او مدا في معصية الله كنت مسرفا وقال ابن زيد انما خوطب بهذا السلطان نهي
ان ياخذ من رب المال فوق الذي الزم الله ماله يقول الله عز وجل للسلاطين لا تسرفوا
اي لا تاخذوا بغير حق فكانت الاية بين السلطان وبين الناس وقوله تعالى انه لا يحب

المسرفين

المسرفين فيه وعيد وزجر عن الاسراف في كل شي لان من لا يحبه الله فهو من اهل النار قوله تعالى ومن
الانعام يعني وانشا من الانعام حمولة وهي كل ما يحمل عليها من الابل وفرشا يعني صغار
الابل التي لا تحمل قال ابن عباس الحمولة هي الكبار من الابل والفرش هي الصغار من الابل وقال في
رواية اخرى عنه ذكرها الطبري اما الحمولة فالابل والخيل والبغال والحمير وكل شي يحمل عليه واما الفرش
فالغنم وقال الربيع بن انس الحمولة الابل والبقر والفرش المعز والضان فالحمولة كل ما يحمل عليه من
الانعام والفرش ما لا يصلح للحمل سمي فرشا لانه يفرش للذبح ولانه قريب من الارض لصغره كلوا
مما رزقكم الله يعني كلوا مما احله الله لكم من هذه الانعام والحرث ولا تتبعوا خطوات الشيطان
يعني لا تتبعوا طريقه لا تسلكوا طريقه واثاره في تحريم الحرث والانعام كما فعله اهل الجاهلية
يعني الشيطان انه لكم عدو مبين يعني انه مبين العداوة لكم ثم بين الحمولة والفرش فقال عز وجل
ثمانية ازواج يعني وانشا من الانعام ثمانية ازواج يعني ثمانية اصناف والزوج في اللغة
الفرد اذا كان معه اخر من جنسه لا ينفك عنه فيطلق لفظ الزوج على الواحد كما يطلق على الاثنين
فيقال للذكر زوج وللانثى زوج من الضان اثنين يعني الذكر والانثى والضان ذوات الصوف
من الغنم والواحد ضاين والانثى ضاينة والجمع ضوان ومن المعز اثنين يعني الذكر والانثى والمعز
ذوات الشعر من الغنم والواحد ماعز والجمع معزى قل الذكرين حرم ام الانثيين استفهام
انكار قل يا محمد لهولا الجهلة الذكرين من الضان والمعز فانها لا تشتمل الا على ذكر او انثى حرم عليكم
ام الانثيين منهما فان كان حرم الانثيين من الغنم فكل ذكورها حرام وان كان حرم الانثيين منهما فكل
اناثها حرام اما اشتملت عليه ارحام الانثيين يعني ام حرم ما اشتملت عليه ارحام الانثيين
من الضان والمعز فانها لا تشتمل الا على ذكر او انثى نبئوني بعلم اي اخبروني وفسروا لي ما حرمتم
بعلم ان كنتم صادقين يعني ان الله حرم ذلك عليكم ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين وهذه
اربعة ازواج اخر بقية الثمانية قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين
وتفسير هذه الاية نحو ما تقدم في هذه الاية تقريع وتوبيخ من الله تعالى لاهل الجاهلية بتحريمهم
ما لم يحرمه الله وذلك انهم كانوا يقولون هذه انعام وحرث حجر وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا وحرموا البحيرة والسايبة والوصيلة والحام وكانوا يحرمون بعضها
على الرجال والنسا وبعضها على النسا دون الرجال كما اخبر الله عنهم في كتابه فلما جا الاسلام
وثبتت الاحكام جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم وكان خطيبهم مالك بن عوف الجشمي فقال
يا محمد بلغنا انك تحرم اشيا مما كان اباونا يفعلونه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمتم
اصنافا من النعم على غير اصل وانما خلق الله هذه الازواج الثمانية للاكل والانتفاع بها فمن اين
جا هذا التحريم من قبل الذكر ام من قبل الانثى فسكت مالك بن عوف وتحير ولم يتكلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لمالك يا مالك الا تتكلم قال بل انت تكلم واسمع منك قال المفسرون فلو قال
جا التحريم من قبل الذكر بسبب الذكورة وجب ان يحرم جميع الذكور ولو قال بسبب الانوثة وجب
ان يحرم جميع الاناث وان كان باشتمال الرحم فينبغي ان يحرم الكل لان الرحم لا يشتمل الا على ذكر وانثى
واما تخصيص التحريم بالولد الخامس او السابع او بالبعض دون البعض فمن اين ذلك التحريم
فاحتج الله على بطلان ذلك التحريم فاحتج الله على بطلان دعواهم بهذه الاية واعلم
نبيه صلى الله عليه وسلم ان كل ما قالوه من ذلك واضافوه الى الله فهو كذب على الله وانه لم
يحرم شيا من ذلك وانهم اتبعوا في ذلك اهواهم وخالفوا امر ربهم وذكر الامام فخر الدين في
معنى الاية وجهين اخرين ونسبهما الى نفسه فقال ان الكلام لما ورد على سبيل الاستدلال
على بطلان قولهم بل هو استفهام على سبيل الانكار يعني انكم لا تقرون بنبوة نبي ولا تعرفون

بتربية شارع فكيف تحكمون بان هذا يحل وهذا يحرم والوجه الثاني انكم حكمتم بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام مخصوصا بالابل فالله تعالى بين ان النعم عبارة على هذه الانواع الاربعة ومي الضان والمعز والابل والبقر فكيف خصصتم الابل بهذا الحكم دون هذه الانواع الثلاثة قوله تعالى ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء الجهلة من المشركين الذين يزعمون ان الله حرم عليهم ما حرموا على انفسهم من الانعام والحرث هل شاهدتم الله حرم هذا عليكم ووصاكم به فانكم لا تقرون بنبوة احد من الانبيا فكيف تثبتون هذه الاحكام وتنسبونها الى الله عز وجل ولما احتج الله عليهم بهذه الحجة وبين انه لا مستند لهم في ذلك قال تعالى فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم يعني فمن اشد ظلما واعدى على الحق ممن يكذب على الله ويضيف تحريم ما لم يحرمه الله الى الله ليضل الناس بغير علم بذلك ويصدهم عن سبيل الله جهلا منه ليس هو على بصيرة وعلم في ذلك الذي ابتدعه ونسبه الى الله ويقول ان الله امر بهذا قيل اراد به عمرو بن لحي لانه اول من بحر البحاير وسيب السوايب وغير دين ابراهيم عليه السلام ويدخل في هذا الوعيد من كان على طريقته او ابتدع شيا لم يامر الله به ولا رسوله ونسب ذلك الى الله تعالى لان اللفظ عام فلا وجه للتخصيص فكل من ادخل في دين الله ما ليس فيه فهو داخل في هذا الوعيد ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني ان الله لا يرشد ولا يوفق من كذب على الله واضاف اليه ما لم يشرعه لعباده

قوله عز وجل قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه اعلم ان الله تعالى لما بين طريقة شاذة طريقة اهل الجاهلية وما كانوا عليه من التحليل والتحريم عند انفسهم واتباع اهوايهم فيما احلوه وحرموه من المطعومات اتبعه بالبيان الصحيح في ذلك وبين ان التحريم والتحليل لا يكون الا بوحي سماوي وشرع نبوي فقال تعالى قل اي قل يا محمد لهولا المشركين الجاهلين الذين يحللون ويحرمون من عند انفسهم لا اجد فيما اوحي الي وقيل انهم قالوا فما المحرم اذا فنزل قل لا اجد فيما اوحي الي محرما يعني شيا محرما على طاعم يطعمه يعني على اكل اكله الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا يعني سايلا مصبوبا او لحم خنزير فانه رجس اي نجس او فسقا اهل لغير الله به يعني ما ذبح على غير اسم الله تعالى فبين الله تعالى في هذه الاية ان التحريم والتحليل لا يكون الا بوحي به وان المحرمات محصورة في الاربعة اشيا المذكورة في هذه الاية وهي الميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير وما ذبح على غير اسم الله وهذا يقتضي ان التحريم لا يخرج عن هذه الاربعة وذلك انه ثبت ان لا طريق الى معرفة المحرمات الا بالوحي وثبت ان الله تعالى نص في هذه الاية يروى ذلك عن ابن عباس وعايشة وسعيد بن جبير وهو مذهب مالك واحتجوا على ذلك بان هذه الاية محكمة لانها خبر لا يدخل النسخ واحتجوا ايضا بان هذه الاية وان كانت مكية لكن يعضدها اية مدنية وهي قوله تعالى في سورة البقرة انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل به لغير الله وكلمة انما تفيد الحصر فصارت هذه الاية المدنية مطابقة للاية المكية في الحكم وذهب جمهور العلما الى ان هذا التحريم لا يختص بهذه الاشيا المنصوص عليها في هذه الاية لان المحرم بنص الكتاب هو ما ذكر في هذه الاية وقد حرمت السنة اشيا فوجب القول بها منها تحريم الحمر الاهلية وكل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير عن المقدام بن معدي كرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على اريكته فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالا استحللناه وما وجدنا فيه حراما حرمناه وانما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله تعالى اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ولابي داود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اني اوتيت الكتاب ومثله معه الا يوشك رجل شبعان على اريكته

يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فاحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه الا لا يحل لكم الحمار الاهلي ولا كل ذي ناب من السباع ولا لقطة معاهد الا ان يستغني عنها صاحبها ومن نزل بقوم فعليهم ان يقروه فان لم يقروه فله ان يعقبهم بمثل قراه عن ابن عباس قال كان اهل الجاهلية ياكلون اشيا ويتركون اشيا تقذرا فبعث الله نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل كتابه واحل حلاله وحرم حرامه فما احل فهو حلال وما حرم فهو حرام وما سكت عنه فهو عفو وتلى قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الاية اخرجه ابو داود م عن ابن عباس قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن اكل لحوم الحمر الاهلية وعن كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير م عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى يوم خيبر عن اكل لحوم الحمر الاهلية ق عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمر الاهلية واذن في الخيل وفي رواية اكلنا من خيبر الخيل وحمر الوحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمار الاهلي عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن اكل الهر واكل ثمنه وقد استثنى الشارع من الميتة السمك والجراد ومن الدم الكبد والطحال واباح اكل ذلك **وقد** تقدم دليله والاصل في ذلك عند الشافعي ان كل ما لم يرد فيه نص بتحريم ولا تحليل فان كان امر الشرع بقتله كما ورد في الصحيح خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم الحية والعقرب والفارة والحداة والكلب العقور وروي عن سعيد بن ابي وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل اربع من الدواب النملة والنحل والهدهد والصرد اخرجه ابو داود فهذا كله حرام لا يحل اكله وما سوى ذلك فالمرجع فيه الى الاغلب من عادة العرب فما يستطيبه الاغلب منهم فهو حلال وما يستخبثه الاغلب منهم ولا ياكلونه فهو حرام لان الله خاطبهم بقوله احل لكم الطيبات فما استطابوه فهو حلال فهذا القدر مما يحل ويحرم من المطعومات **واما الجواب** عن هذه الاية الكريمة فمن وجوه احدها ان يكون المعنى لا اجد محرما مما كان اهل الجاهلية يحرمونه من البحاير والسوايب وغيرها الا ما اوحي الي في هذه الاية الوجه الثاني ان يكون هذا المراد وقت نزول هذه الاية لم يكن محرما غير ما ذكر ونص عليه في هذه الاية ثم حرم بعد نزولها اشيا اخر الوجه الثالث يحتمل ان هذا اللفظ العام خصص بدليل اخر وهو ما ورد في السنة الوجه الرابع ان ما ذكر في هذه الاية محرم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما ورد في السنة من المحرمات والله اعلم بقي في الاية احكام في قوله تعالى او دما مسفوحا وهو ما سال من الحيوان في حال الحياة او عند الذبح فان ذلك الدم حرام نجس وما دون ذلك كالكبد والطحال فانهما حلال لانهما دمان جامدان وقد ورد الحديث باباحتهما ولا ما اختلط باللحم من الدم لانه غير سايل قال عمران بن حدير سالت ابا مجلز عما يختلط باللحم من الدم لانه غير سايل قال عمران وعن القدر يرى فيها حمرة الدم فقال لا باس بذلك انما نهى عن الدم المسفوح وقال ابراهيم النخعي لا باس بالدم في عرق او مخ الا المسفوح وقال عكرمة لولا هذه الاية لتتبع المسلمون في العروق ما تتبع اليهود وقوله تعالى فمن اضطر غير باغ ولا عاد لما بين الله المحرمات في هذه الاية ثم اباح اكلها عند الاضطرار من غير بغي ولا عدوان وفي قوله فان ربك غفور رحيم دليل على الرخصة والاباحة عند الاضطرار قوله تعالى وعلى الذين هادوا يعني اليهود حرمنا كل ذي ظفر قال ابن عباس هو البعير والنعامة ونحو ذلك من الدواب وقيل كل ما لم يكن مشقوق الاصابع من البهايم والطير مثل البعير والنعامة والاوز والبط قال القتيبي هو كل ذي مخلب من الطير وكل ذي حافر من الدواب وسمي الحافر ظفرا على الاستعارة ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما يعني شحم الجوف وهو الثروب وشحم الكليتين

إلا ما حملت ظهورهما يعني إلا ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما من الشحم فإنه
غير محرم عليهم وقال السدي وأبو صالح الألية مما حملت ظهورهما وهذا القول مختص بالغنم
لأن البقر ليس لها ألية أو الحوايا وهي المباعر في قول ابن عباس وجمهور المفسرين واحدتها
حاوية وحوية وقيل الحوايا المباعر والمصارين غير محرم على اليهود أو ما اختلط بعظم يعني
من شحم الألية لأنه اختلط بالعصعص وكذا الشحم المختلط بالعظام التي تكون في الجنب والرأس
والعين فكل هذا حلال على اليهود فحاصل هذا أن الذي حرم عليهم شحم الثرب وشحم الكلية وما
عدا ذلك فهو حلال عليهم (ق) عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول عام الفتح بمكة إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم
الميتة فإنه يطلى بها السفن ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال لا هو حرام ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك قاتل الله اليهود إن الله لما حرم عليهم شحومها جملوه ثم باعوه
فأكلوا ثمنه قوله جملوه يعني أذابوه يقال جملت الشحم وأجملته إذا أذبته وجملته أكثر وأفصح وقوله
تعالى ذلك جزيناهم أي ذلك التحريم جزيناهم عقوبة ببغيهم يعني بسبب بغيهم وظلمهم
وقتل الأنبياء وأخذ الربا واستحلالهم أموال الناس بالباطل وإنا لصادقون يعني في الإخبار
عن بغيهم وفي الإخبار عن تخصيصهم بهذا التحريم فإن كذبوك يعني فإن كذبك اليهود يا محمد
فيما أخبرناك أنا حرمنا عليهم وحللنا لهم مما بيناه في هذه الآية المتقدمة فقل ربكم ذو رحمة
واسعة يعني بتأخير العقوبة عنكم فإن رحمته تسع المسيء والمحسن فلا يعجل بالعقوبة على من
كذبه أو عصاه ولا يرد بأسه يعني ولا يرد عذابه ونقمته إذا جاء وقتها عن القوم المجرمين
يعني الذين كذبوا الأنبياء وهم الكفار واليهود **وقوله** عز وجل سيقول الذين أشركوا
لما لزمتهم الحجة وتيقنوا بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله أخبر الله تعالى عنهم
بما سيقولونه فقال تعالى سيقول الذين أشركوا يعني مشركي قريش والعرب لو شاء الله ما أشركنا
ولا آباؤنا يعني من قبل قال المفسرون جعلوا قولهم لو شاء الله ما أشركنا حجة على إقامتهم على الكفر
والشرك وقالوا إن الله قادر على أن يحول بيننا وبين ذلك ولا حرمنا من شيء يعني ما حرموه
من البحائر والسوائب وغير ذلك فقال الله عز وجل ردا وتكذيبا لهم كذلك كذب الذين من قبلهم
يعني من كفار الأمم الخالية الذين كانوا قبل قومك كذبوا أنبياءهم وقالوا مثل قول هؤلاء حتى ذاقوا
بأسنا يعني عذابنا **فصل** استدل القدرية والمعتزلة بهذه الآية فقالوا إن
القوم لما قالوا لو شاء الله ما أشركنا كذبهم الله ورد عليهم بقوله كذلك كذب الذين من قبلهم وأيضا
فإن الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار صريح مذهبهم الجبرية وهو قولهم لو شاء الله منا أن لا نشرك لم
نشرك ولمنعنا عن هذا الكفر وحيث لم يمنعنا عنه ثبت أنه مريد لذلك وإذا أراده منا امتنع تركه منا
والجواب عن هذا أن الله تعالى حكى عن هؤلاء الكفار أنهم قالوا لو شاء الله ما أشركنا ثم ذكر عقيبه كذلك
كذب الذين من قبلهم وهذا التكذيب ليس هو في قولهم لو شاء الله ما أشركنا بل ذلك القول
حق وصدق ولكن الكذب في قولهم إن الله أمرنا به ورضي ما نحن عليه كما أخبر عنهم في سورة
الأعراف وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها فرد الله تعالى عليهم
بقوله قل إن الله لا يأمر بالفحشاء والدليل أن التكذيب في قولهم إن الله أمرنا بهذا ورضي به منا
لا في قولهم لو شاء الله ما أشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان خبرا من الله
عن كذبهم في قولهم لو شاء الله ما أشركنا لقال كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف فكان ينسبهم
إلى الكذب لا إلى التكذيب وقال الحسين بن الفضل لو قالوا هذه المقالة تعظيما لله وإجلالا
له ومعرفة بحقه وبما يقولون لما عابهم بذلك ولكنهم قالوا هذه المقالة تكذيبا وجدلا من

غير

غير معرفة بالله وبما يقولون وقيل في معنى الآية إنهم كانوا يقولون الحق بهذه الكلمة وهو قوله لو شاء
الله ما أشركنا إلا أنهم كانوا يعدونه عذرا لأنفسهم ويجعلونه حجة لهم في ترك الإيمان والرد عليهم
في ذلك أن أمر الله بمعزل عن مشيئته وإرادته فإنه تعالى مريد لجميع الكائنات غير آمر لجميع ما يريد وعلى
العبد أن يتبع أمره وليس له أن يتعلق بمشيئته فإن مشيئته لا تكون عذرا لأحد عليه في فعله
فهو تعالى شاء الكفر من الكافر ولا يرضى به ولا يأمر به ومع هذا فيبعث الرسل إلى العبد ويأمره بالإيمان
وورود الأمر على خلاف الإرادة غير ممتنع فالحاصل أنه تعالى حكى عن الكفار أنهم يتمسكون بمشيئة
الله تعالى في شركهم وكونهم فأخبر الله تعالى أن هذا التمسك فاسد باطل فإنه لا يلزم من ثبوت المشيئة
لله تعالى في كل الأمور دفع دعوة الأنبياء عليهم السلام والله أعلم **وقوله** تعالى قل هل عندكم
من علم أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين القائلين لو شاء الله ما أشركنا ولكنه رضي ما نحن عليه من الشرك هل
عندكم من علم يعني بدعواكم ما تدعون من علم يعني من حجة وكتاب يوجب اليقين من العلم فتخرجوه
لنا يعني فتظهروا ذلك العلم لنا وتبينوه كما بينا لكم خطأ قولكم وفعلكم وتناقض قولكم واستحالته
في العقول إن تتبعون إلا الظن يعني فيما أنتم عليه من الشرك وتحريم ما لم يحرمه الله عليكم وتحسبون
أنكم على حق وإنما هو باطل وإن أنتم إلا تخرصون يعني وما أنتم في ذلك كله إلا تكذبون وتقولون
على الله الكذب الباطل قوله تعالى قل فلله الحجة البالغة قل يا محمد لهؤلاء المشركين حين عجزوا عن إظهار
علم أو حجة لهم فلله الحجة البالغة يعني التامة على خلقه بإنزال الكتاب وإرسال الرسل قال
الربيع بن أنس لا حجة لأحد عصى الله وأشرك به ولكن لله الحجة البالغة على عباده فلو شاء
لهداكم أجمعين يعني ولو شاء الله لوفقكم أجمعين للهداية ولكنه لم يشأ ذلك وفيه دليل
على أنه تعالى لم يشأ إيمان الكافر ولو شاء لهداه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قل هلم شهداءكم
الذين يشهدون أن الله يعني هاتوا وادعوا شهداءكم وهلم كلمة دعوة إلى الشيء يستوي فيه
الواحد والاثنين والجمع والذكر والأنثى وفيه لغة أخرى يقال للواحد هلم وللاثنين هلما وللجمع
هلموا وللأنثى هلمي واللغة الأولى أفصح أن الله حرم هذا وهذا الكلام تنبيه من الله
باستدعاء الشهود من الكافرين على تحريم ما حرموه على أنفسهم وقالوا إن الله أمرنا به ليظهروا
أن لا شاهد لهم على ذلك وإنما اختلقوه من عند أنفسهم فإن شهدوا فلا تشهد معهم
وهذا تنبيه أيضا على كونهم كاذبين في شهادتهم فلا تشهد أنت يا محمد معهم لأنهم في شهادتهم كاذبون
ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا يعني إن وقع منهم شهادة فإنما هي باتباع الهوى فلا تتبع
أنت يا محمد أهواءهم ولكن اتبع ما أوحي إليك من كتابي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه والذين لا يؤمنون بالآخرة أي ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم
يعدلون يعني يشركون **قوله** عز وجل قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم لما بين
الله تعالى فساد مقالة الكفار فيما زعموا أن الله تعالى أمرهم بتحريم ما حرموه على أنفسهم فكأنهم
سألوا وقالوا أي شيء حرم الله فأمر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم تعالوا
تعالوا من الخاص الذي صار عاما وأصله أن يقوله من كان في مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر
واتسع فيه حتى عم وقيل أصله أن تدعو الإنسان إلى مكان مرتفع وهو من العلو وهو ارتفاع
المنزلة فكأنه دعاه إلى ما فيه رفعة وشرف ثم كثر في الاستعمال وهو من العلو وهو ارتفاع والمعنى
تعالوا وهلموا أيها القوم أتل عليكم يعني أقرأ ما حرم ربكم عليكم يعني الذي حرم ربكم عليكم حقا
يقينا لا شك فيه ولا ظنا ولا كذبا كما تزعمون أنتم بل هو وحي أوحاه الله إلي ألا تشركوا به
شيئا فإن قلت ترك الإشراك واجب فما معنى قوله ألا تشركوا به شيئا لأنه كالتفصيل لما أجمله
في قوله حرم ربكم عليكم وذلك لا يجوز قلت الجواب عنه من وجوه أحدها الوجه الأول أن يكون

موضع ان رفع معناه هو ان لا تشركوا الوجه الثاني ان يكون محله النصب واختلفوا في وجه انتصابه فقيل معناه حرم عليكم ان لا تشركوا على الاغراء وقيل فرض عليكم ان لا تشركوا به شيئا ومعنى هذا الاشراك الذي حرمه الله ونهى عنه هو ان يجعل شريكا من خلقه او يطيع مخلوقا في معصية الخالق او يريد بعبادته وعمله غيره ومنه قوله تعالى ولا يشرك بعبادة ربه احدا وقوله عز وجل وبالوالدين احسانا اي وفرض عليكم ووصاكم بالوالدين احسانا وانما ثنى بالوصية بالاحسان الى الوالدين لان اعظم النعم على الانسان نعمة الله لانه الذي اخرجه من العدم الى الوجود وخلقه واوجده بعد ان لم يكن شيئا ثم بعد نعمة الله نعمة الوالدين لانهما السبب في وجود الانسان ثم ما لهما عليه في حق التربية والشفقة والحفظ من المهالك في حال صغره ولا تقتلوا اولادكم من املاق يعني من خوف الفقر والاملاق الافتقار والمراد بالقتل واد البنات وهن احياء وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية فنهاهم الله تعالى عن ذلك وحرمه عليهم نحن نرزقكم واياهم يعني لا تيدوا بناتكم خوف العيلة والفقر فاني رازقكم واياهم لان الله تعالى اذا تكفل برزق الوالد والولد وجب على الوالد القيام بحق الولد وتربيته والاتكال في حق امر الرزق على الله عز وجل ولا تقربوا الفواحش يعني الزنا ما ظهر منها وما بطن يعني علانيته وسره وكان اهل الجاهلية يستقبحون الزنا في العلانية ولا يرون به باسا في السر فحرم الله تعالى الزنا في السر والعلانية وقيل ان الاولى ان يحمل لفظ الفواحش على العموم في جميع الفواحش على العموم في جميع الفواحش المحرمات والمنهيات فيدخل فيه الزنا وغيره لان المعنى الموجب لهذا النهي هو كونه فاحشة فحمل اللفظ على العموم اولى من تخصيصه بنوع الفواحش وايضا فان السبب اذا احترز عن المعاصي في الظاهر ولم يحترز منها في الباطن دل ذلك على ان احترازه عنها ليس لاجل عبودية الله وطاعته فيما امره ونهى عنه ولكن لاجل الخوف من رؤية الناس ومذمتهم ومن كان كذلك استحق العقاب ومن ترك المعصية ظاهرا وباطنا لاجل خوف الله وتعظيما لامره استوجب رضوان الله وثوابه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق حرم الله تعالى قتل النفس الا بالحق وقتلها من جملة الفواحش المقدم ذكرها في قوله تعالى ولا تقربوا الفواحش وانما افرد قتل النفس بالذكر تعظيما لامر القتل وانه من اعظم الفواحش والكبائر وقيل انما افرده بالذكر لانه تعالى اراد ان يستثني منه ولا يمكن ذلك الاستثناء من جملة الفواحش الا بالاخراج فلذلك قال ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق وهو الذي ابيح قتله من ردة او قصاص او زنا بعد احصان وهو الذي يوجب الرجم ق عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرء مسلم يشهد ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة وقوله تعالى ذلكم يعني ما ذكر من الاوامر والنواهي المحرمات وصاكم به يعني امركم به واوجبه عليكم لعلكم تعقلون يعني لكي تفهموا ما في هذه التكاليف من الفوائد والمنافع فتعملوا بها قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن يعني ولا تقربوا مال اليتيم الا بما فيه صلاحه وتثميره وتحصيل الربح له قال مجاهد هو التجارة فيه وقال الضحاك هو ان يسعى له فيه ولا ياخذ من ربحه شيئا هذا اذا كان اليتيم بالمال غنيا غير محتاج فلو كان الوصي فقيرا فله ان ياكل بالمعروف حتى يبلغ اشده يعني احفظوا مال اليتيم الى ان يبلغ اشده فاذا بلغ اشده فادفعوا اليه ماله فاما الاشد هو استحكام قوة الشباب والسن حتى يتناهى في الشباب الى حد الرجال قال الشعبي ومالك الاشد الحلم حتى تكتب له الحسنات وتكتب عليه السيئات وقال ابو العالية حتى يعقل وتجتمع قوته وقال الكلبي الاشد عشرون سنة وقال السدي الاشد ثلاثون سنة وقال مجاهد الاشد ثلاث وثلاثون سنة وهذه الاقوال التي نقلت عن المفسرين في هذه الاية انما هي نهاية الاشد

ابتداوه

ابتداوه والمراد بالاشد في هذه الاية هو ابتدا بلوغ الحلم مع ايناس الرشد وهذا هو المختار في هذه الاية وقوله تعالى واوفوا الكيل والميزان بالقسط يعني بالعدل من غير زيادة ولا نقصان لا نكلف نفسا الا وسعها يعني طاقتها وما يسعها في ايفا الكيل والميزان وانما لم يكلف المعطي ان يعطي اكثر مما وجب عليه ولم يكلف صاحب الحق الرضى باقل من حقه حتى لا تضيق نفسه عنه بل امر كل واحد بما يسعه مما لا حرج عليه فيه واذا قلتم فاعدلوا يعني في الحكم والشهادة ولو كان ذا قربى يعني المحكوم عليه وكذا المشهود عليه وقيل ان الامر بالعدل في القول هو اعم من الحكم والشهادة بل يدخل فيه وكذا ٢ يعني المحكوم عليه وكذا المشهود عليه كل قول حتى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير زيادة فيه ولا نقصان فادا الامانة وغير ذلك في جميع الاقوال التي يعتبر فيها العدل والصدق وبعهد الله اوفوا يعني ما عهد الى عباده ووصاهم به واوجبه عليهم او ما اوجبه الانسان على نفسه كنذر ونحوه فيجب الوفا به ذلكم يعني الذي ذكر في هذه الايات وصاكم به يعني بالعمل به لعلكم تذكرون يعني لعلكم تتعظون وتتذكرون فتاخذون ما امركم به قوله عز وجل وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه يعني وان هذا الذي وصيتكم به وامرتكم به في هاتين الايتين هو صراطي يعني طريقي وديني الذي ارتضيته لعبادي مستقيما يعني قويما لا اعوجاج فيه فاتبعوه يعني فاعملوا به وقيل ان الله تعالى لما بين في الايتين المتقدمتين ما وصى به مفصلا اجمله في هذه الاية اجمالا يقتضي دخول جميع ما تقدم ذكره فيه ويدخل فيه ايضا جميع احكام الشريعة وكلما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في دين الاسلام هو المنهج القويم والصراط المستقيم والدين الذي ارتضاه لعباده المؤمنين وامرهم باتباع جملته وتفصيله ولا تتبعوا السبل يعني الطرق المختلفة والاهوا المضلة والبدع الردية وقيل السبل المختلفة مثل اليهودية والنصرانية وسائر الملل والاديان المخالفة لدين الاسلام فتفرق بكم عن سبيله يعني فتميل بكم هذه الطرق المختلفة المضلة عن دينه وطريقه الذي ارتضاه لعباده روى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوا اليه وقرا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل الاية ذلكم وصاكم به يعني باتباع دينه وصراطه الذي لا اعوجاج فيه لعلكم تتقون يعني الطرق المختلفة والسبل المضلة قال ابن عباس هذه الايات محكمات في جميع الكتب لم ينسخهن شي وهن محرمات على بني ادم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن ابن مسعود قال من سره ان ينظر الى الصحيفة التي عليها خاتم محمد صلى الله عليه وسلم فليقرا هؤلا الايات قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الايات الى قوله لعلكم تتقون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى ثم اتينا موسى الكتاب يعني التوراة فان قلت اتيان موسى الكتاب كان قبل نزول القران وحرف ثم للتعقيب فما معنى ذلك قلت دخلت ثم لتاخير الخبر لا لتاخير النزول والمعنى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم وهو كذا وكذا الى قوله لعلكم تتقون ثم اخبركم انا اتينا موسى الكتاب وقيل ان المحرمات المذكورة في قوله تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم محرمات على جميع الامم وجميع الشرائع فتقدير الكلام ذلكم وصاكم به يا بني ادم قديما وحديثا ثم بعد ذلك اتينا موسى الكتاب يعني بعد ايجاب هذه المحرمات وقيل معناه قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ثم قل بعد ذلك يا محمد انا اتينا موسى الكتاب فحذف لفظ قل لدلالة الكلام عليه وقوله تعالى تماما على الذي احسن اختلف اهل التفسير فقيل معناه تماما على المحسنين من قومه فيكون الذي بمعنى من اي تماما على من احسن

من قومه لانه كان منهم محسن ومسيء ويدل على قراءة ابن مسعود تماما على الذين احسنوا وقيل معناه تماما
على كل من احسن اي اتممنا فضيلة موسى على المحسنين وهم الانبياء والمومنون اي اتممنا فضله عليهم
بالكتاب وقيل الذي احسن هو موسى فيكون الذي بمعنى ما اي على ما احسن وتقديره واتينا موسى
الكتاب اتماما للنعمة عليه لاحسانه في الطاعة والعبادة وتبليغ الرسالة واداء الامر وقيل
الاحسان بمعنى العلم وتقديره واتينا موسى الكتاب تماما على الذي احسن موسى من العلم والحكمة
زيادة له على ذلك وقيل معناه تماما مني على احساني الى موسى وتفصيلا لكل شيء يعني
وتبيانا لكل شيء يحتاج اليه الى شرايع الدين واحكامه وهدى يعني فيه هدى من الضلالة
ورحمة يعني انزلناه عليهم رحمة مني عليهم ورحمة مني عليهم لعلهم بلقاء ربهم يومنون قال ابن
عباس لكي يومنون بالبعث ويصدقوا بالثواب والعقاب قوله عز وجل وهذا كتاب انزلناه
مبارك يعني القران لانه كثير الخير والنفع والبركة ولا يتطرق اليه نسخ فاتبعوه يعني فاعملوا بما
فيه من الاوامر والنواهي والاحكام واتقوا يعني مخالفته لعلكم ترحمون يعني لكي ترحموا بالتقوى
رحمة الله وقيل معناه لكي ترحموا على جزاء التقوى ان تقولوا يعني لئلا تقولوا وقيل معناه كراهية
ان تقولوا يعني انزلناه اليكم الكتاب كراهية انما انزل الكتاب وقيل يجوز ان يكون متعلقة
بما قبلها فيكون المعنى واتقوا ان تقولوا فهذا خطاب لاهل مكة والمعنى واتقوا يا اهل مكة
ان تقولوا انما انزل الكتاب اسم جنس لانه المراد به التورية والانجيل على طايفتين من قبلنا
يعني اليهود والنصارى وان كنا اي وقد كنا وقيل وان كنا عن دراستهم يعني عن قراءتهم لغافلين
يعني لا علم لنا بما فيها لانه ليس بلغتنا والمراد بهذه الاية اثبات الحجة على اهل مكة وقطع عذرهم بانزال
القران على محمد صلى الله عليه وسلم بلغتهم والمعنى وانزلنا القران بلغتهم لئلا يقولوا يوم القيامة
ان التورية والانجيل انزلا على طايفتين من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيهما فقطع الله عذرهم
بانزال القران عليهم بلغتهم او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وذلك ان جماعة من الكفار
قالوا لو انزل علينا ما انزل على اليهود والنصارى لكنا خيرا منهم واهدى وانما قالوا ذلك لاعتمادهم
على صحة عقولهم وجودة فطنتهم وذهنهم قال الله عز وجل فقد جاءكم بينة من ربكم يعني
جاءكم القران فيه بيان وحجة واضحة تعرفونها وهدى من الضلالة ورحمة يعني وهو رحمة ونعمة
انعم الله بها عليكم فمن اظلم اي لا احد اظلم واكفر ممن كذب بايات الله وصدف عنها يعني واعرض
عنها سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب يعني اسوء العذاب واشده بما كانوا يصدفون
اي ذلك العذاب بجزاؤهم بسبب اعراضهم وتكذيبهم بايات الله قوله تعالى هل ينظرون هو لابعد
تكذيبهم الرسل وانكارهم القران وصدهم عن ايات الله وهو استفهام ومعناه النفي وتقدير الاية
انهم لا يومنون بك الا اذا جاءتهم احدى هذه الامور الثلاث فاذا جاءهم احدها امنوا وذلك حين
لا ينفعهم ايمانهم الا ان تاتيهم الملائكة يعني لقبض ارواحهم وقيل ان تاتيهم بالعذاب
او ياتي ربك يعني للحكم وفصل القضاء بين الخلق يوم القيامة وقد تقدم الكلام في معنى الاية في
سورة البقرة عند قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام بما فيه كفاية وان المجي والاتيان
على الله تعالى محال فيجب امرارها بلا تكييف او ياتي بعض ايات ربك قال جمهور المفسرين هو طلوع الشمس من مغربها
ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن امنت من قبل او طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الارض اخرجه مسلم عن ابي سعيد
عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله او ياتي بعض ايات ربك قال طلوع الشمس من مغربها اخرجه الترمذي
وقال حديث غريب ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس
من مغربها تاب الله عليه عن صفوان بن عسال المرادي قال قال رسول الله صلى الله عليه ان من قبل

المغرب مسيرة عرضه او قال يسير الراكب في عرضه اربعين او سبعين سنة خلقه الله تعالى يوم خلق
السموات والارض مفتوحا للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه اخرجه الترمذي وقال حسن صحيح عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا راها
الناس امن من عليها وفي رواية فاذا طلعت وراها الناس امنوا اجمعون فذلك حين لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع رسول
الله صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قلنا الساعة فقال انها لن تقوم حتى تروا
قبلها عشر ايات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم وثلاث
خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تطرد الناس الى محشرهم
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال ستا طلوع الشمس من مغربها
والدخان والدجال والدابة وخويصة احدكم وامر العامة عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال حفظت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم انسه بعد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اول الايات
خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى
على اثرها قريبا وروى الطبري بسنده عن عبد الله بن مسعود في تفسير هذه الاية قال تصبحون
والشمس والقمر ههنا من قبل المغرب كالبعيرين القرينين زاد في رواية عنه فذلك حين لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وبسنده عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوما اتدرون اين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله اعلم قال انها تذهب الى
مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي من حيث جيت فتصبح طالعة
من مطلعها لا تنكر الناس منها شيا حتى تنتهي فتخر ساجدة في مستقرها تحت العرش فيقال لها اطلعي
من مغربك فتصبح طالعة من مغربها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون اي يوم ذلكم قالوا
الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا
وبسنده عن ابي ذر قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم على حمار فنظر الى الشمس حين
غربت قال انها تغرب في عين حامية تنطلق حتى تخر لربها ساجدة تحت العرش حتى ياذن لها فاذا اراد
ان يطلعها من مغربها حبسها فتقول يا رب ان مسيري بعيد فيقول لها اطلعي من حيث غبت
فذلك حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا وروى بسنده عن ابن
عباس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية فقال لهم عباد الله توبوا الى الله قبل ان
ياتيكم بعذاب فانكم توشكون ان تروا الشمس من قبل المغرب فاذا فعلت حبست التوبة وطوي العمل
فقال الناس هل لذلك من علامة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اية تلك
الليلة ان تطول كقدر ثلاث ليال فيستيقظ الذين يخشون ربهم فيصلون له ثم يقضون صلاتهم
والليل مكانه لم ينقص ثم ياتون مضاجعهم فينامون حتى اذا استيقظوا والليل مكانه فاذا راوا ذلك
خافوا ان يكون ذلك بين يدي امر عظيم فاذا اصبحوا وطال عليهم راث عنهم طلوع الشمس فبينما هم
ينتظرونها فطلعت عليهم من قبل المغرب فاذا فعلت ذلك لم ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت من
قبل قال ابن عباس لا ينفع مشركا ايمانه عند الايات وينفع اهل الايمان عند الايات ان كانوا اكتسبوا
خيرا قبل ذلك وقال ابن الجوزي قيل ان الحكمة في طلوع الشمس من مغربها ان الملحدة والمنجمين زعموا
ان ذلك لا يمكن يكون فيريهم الله قدرته فيطلعها من المغرب كما اطلعها من المشرق فيتحقق عجزهم
وقيل بل ذلك بعض الايات الثلاث الدابة او ياجوج وماجوج او طلوع الشمس من مغربها
يروى عن ابن مسعود انه قال التوبة معروضة على ابن ادم ان قبلها ما لم تخرج احدى ثلاث الدابة
او طلوع الشمس من مغربها او ياجوج وماجوج ويروى عن عايشة قالت اذا خرج اول الايات طرحت

التوبة وجفت الحفظة وشهدت الأجساد على الأعمال ويروى عن أبي هريرة أنه قال في قوله تعالى أو يأتي
بعض آيات ربك قال هي مجموع الآيات الثلاث طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض وأصح الأقوال
في ذلك ما تظاهرت عليه الأحاديث الصحيحة وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه طلوع الشمس من
مغربها وقوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل يعني لا ينفع
من كان مشركا إيمانه ولا تقبل توبته فأما عند ظهور هذه الآية العظيمة التي تضطرهم إلى الإيمان
والتوبة أو كسبت في إيمانها خيرا يعني أو عملت قبل ظهور هذه الآية خيرا من عمل صالح وتصديق بعد
نزول الآية كما قبل منه قبل ذلك فأما من آمن من شرك أو تاب من معصية عند ظهور هذه الآية فلا
يقبل منه لأنها حالة اضطرار كما لو أرسل الله عذابا على أمة فآمنوا وصدقوا فإنهم لا ينفعهم إيمانهم
ذلك لمعاينتهم الأهوال الشدائد التي تضطرهم إلى الإيمان والتوبة وقوله قل انتظروا
يعني ما وعدتم به من مجيء الآية فنبيه وعيد وتهديد إنا منتظرون يعني ما وعدكم ربكم من العذاب
يوم القيامة أو قبلها في الدنيا قال بعض المفسرين وهذا إنما ينتظر من تأخر في الوجود من المشركين
والمكذبين بمحمد صلى الله عليه وسلم إلى ذلك الوقت والمراد بهذا أن المشركين إنما يمهلون قدر مدة
الدنيا فإذا ماتوا أو ظهرت الآيات لم ينفعهم الإيمان وحلت بهم العقوبة اللازمة أبدا وقيل
إن قوله قل انتظروا إنا منتظرون المراد منه الكف عن قتال الكفار فتكون الآية منسوخة بآية
القتال وعلى القول الأول تكون الآية محكمة قوله عز وجل إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا
يعني أحزابا متفرقة في الضلالة ومعنى فرقوا دينهم أنهم لم يجتمعوا عليه وهو دين إبراهيم
الحنيفية السهلة أديانا مختلفة كاليهودية والنصرانية وعبدة الأصنام ونحو ذلك من الأديان المختلفة
ومن قرأ فارقوا دينهم قال معناه باينوه وتركوه من المفارقة للشيء وقيل إن معنى القراءتين يرجع
إلى شيء واحد في الحقيقة وهو أن من فرق دينه فآمن ببعض وفارق بعضا فقد فارق دينه في
الحقيقة ثم اختلفوا في المعني بهذه الآية فقال الحسن هم جميع المشركين لأن بعضهم عبد الأصنام
وقالوا هذه شفعاؤنا عند الله وبعضهم عبد الملائكة وقالوا إنهم بنات الله وبعضهم عبد
الكواكب فكان هذا تفريق دينهم وقال مجاهد هم اليهود وقال ابن عباس وقتادة والسدي والضحاك
هم اليهود والنصارى لأنهم تفرقوا فكانوا فرقا مختلفة وقال أبو هريرة في هذه الآية هم أهل
الضلالة من هذه الأمة وروي ذلك مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن
الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وليسوا منك هم أهل البدع وأهل الشبهات
وأهل الضلالة من هذه الأمة أسنده الطبري فعلى هذا يكون المراد من هذه الآية الحث على
أن تكون كلمة المسلمين واحدة وأن لا يتفرقوا في الدين ولا يبتدعوا البدع المضلة وروي
عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة إن الذين فرقوا دينهم
وكانوا شيعا هم أصحاب البدع والأهواء من هذه الأمة ذكره البغوي بغير سند عن العرباض
ابن سارية قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ثم أقبل بوجهه علينا فوعظنا موعظة
بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب فقال رجل يا رسول الله كأن هذه موعظة
مودع فما تعهد إلينا فقال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم
عبد حبشي فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة
بدعة وكل بدعة ضلالة أخرجه أبو داود والترمذي عن معاوية قال قام فينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة
وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي

الجماعة

وهي الجماعة زاد في رواية وإنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه التجا
ري تفاعل من الجري وهو الوقوع في الأهواء الفاسدة والبدع المضلة تشبيها بجري الفرس والكلب قال ابن
مسعود إن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور
محدثاتها رواه جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا وقوله تعالى لست منهم في شيء يعني في
قتالهم فعلى هذا تكون الآية منسوخة بآية القتال وعلى هذا قول من يقول إن المراد من الآية اليهود
والنصارى والكفار ومن قال من الآية أهل الأهواء والبدع من هذه الأمة قال معناه لست منهم في
شيء أي أنت منهم بريء وهم منك برآء تقول العرب إن فعلت كذا فلست منك ولست مني أي كل واحد
منا بريء من صاحبه إنما أمرهم إلى الله يعني في الجزاء والمكافأة ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون يعني إذا
وردوا القيامة قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها يعني عشر حسنات مثلها
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها يعني مثلها في مقابلتها واختلفوا في هذه الحسنة والسيئة
على قولين أحدهما أن الحسنة قول لا إله إلا الله والسيئة هي الشرك بالله وأورد على هذا القول أن
كلمة التوحيد لا مثل لها حتى يجعل جزاء قائلها عشر أمثالها وأجيب عنه بأن جزاء الحسنة قدر معلوم
عند الله وهو يجازي على قدر إيمان المؤمن بما شاء من الجزاء وإنما قال عشر أمثالها للترغيب في الإيمان
لا للتحديد وكذلك جزاء السيئة بمثلها من جنسها والقول الثاني أن اللفظ عام في كل حسنة يعملها
العبد أو سيئة وهذا أولى لأن حمل اللفظ على العموم أولى قال بعضهم التقدير بالعشرة ليس للتحديد
لأن الله يضاعف لمن يشاء حسناته إلى سبعمائة ويعطي من يشاء بغير حساب وإعطاء الثواب
لعامل الحسنة فضل من الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وجزاء السيئة بمثلها عدل منه سبحانه
وتعالى أو يغفر وهو قوله تعالى وهم لا يظلمون يعني لا ينقص من ثواب الطائع ولا يزاد على
عذاب العاصي (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أحسن أحدكم إسلامه
فكل حسنة يعملها تكتب له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وكل سيئة تكتب له بمثلها حتى يلقى
الله تعالى (م) عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى
من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة مثلها أو أغفر ومن تقرب مني
شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة
ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة بعد أن لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى وإذا أراد عبدي سيئة فلا تكتبوها
عليه حتى يعملها فإن عملها فاكتبوها بمثلها وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة
وإذا أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة فإن عملها فاكتبوها له بعشر
أمثالها إلى سبعمائة لفظ البخاري وفي لفظ مسلم عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قالت
الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له
بمثلها وإن تركها فاكتبوها له حسنة وإنما تركها من جرائي زاد الترمذي من جاء بالحسنة فله عشر
أمثالها قوله عز وجل قل يعني قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك إنني هداني ربي إلى صراط
مستقيم يعني قل لهم أرشدني ربي إلى الطريق القويم وهو دين الإسلام الذي ارتضاه الله
لعباده المؤمنين دينا قيما يعني هداني صراطا مستقيما دينا قيما وقيل يحتمل أن يكون محمولا
على المعنى تقديره وعرفني دينا قيما يعني دينا مستقيما لا عوج فيه ولا زيغ وقيل قيما ثابتا
مقوما لأمور معاشي ومعادي وقيل هو من قام وهو أبلغ من القائم ملة إبراهيم والملة
بالكسر الدين والشريعة يعني هداني وعرفني دين إبراهيم وشريعته حنيفا الأصل في الحنيف
الميل وهو ميل عن الضلالة إلى الاستقامة والعرب تسمي كل من اختتن أو حج حنيفا تنبيها

على انه على دين ابراهيم عليه السلام وما كان من المشركين يعني ابراهيم صلى الله عليه وسلم وفيه رد
على كفار قريش لانهم يزعمون انهم على دين ابراهيم فاخبر الله تعالى ان ابراهيم لم يكن من المشركين وممن
يعبد الاصنام قل ان صلاتي اي قل يا محمد ان صلاتي ونسكي قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك
والسدي اراد بالنسك في هذا الموضع الذبيحة في الحج والعمرة وقيل النسك العبادة والناسك
العابد وقيل المناسك اعمال الحج وقيل النسك كل ما يتقرب به الى الله تعالى من صلاة وحج وذبح
وعبادة ونقل الواحدي عن ابن الاعرابي قال النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة
وقيل للمتعبد ناسك لانه خلص نفسه من دنس الاثام وصفاها كالسبيكة المخلصة
من الخبث وفي قوله ان صلاتي ونسكي دليل على ان جميع العبادات يؤديها العبد على الاخلاص
لله ويؤكد هذا في اخر قوله لله رب العالمين لا شريك له وفيه دليل على ان جميع العبادات لا تؤدى
الا على وجه التمام والكمال لان ما كان لله لا ينبغي ان يكون الا كاملا تاما على اخلاص العبادة
له فان كانت بهذه الصفة من العبادات كانت مقبولة ومحياي ومماتي اي حياتي وموتي بخلق الله
وقضائه وقدره اي هو يحييني ويميتني وقيل معناه ان محياي بالعمل الصالح ومماتي اذا مت على
الايمان لله رب العالمين وقيل معناه ان طاعتي في حياتي لله وجزائي بعد مماتي من الله وحاصل
هذا الكلام ان الله امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يبين ان صلاته ونسكه وسائر عباداته
وحياته ومماته كلها واقعة بخلق الله وقضائه وقدره وهو المراد بقوله لله رب العالمين لا شريك له
يعني في العبادة والخلق والقضاء والقدر وسائر افعاله لا يشاركه احد من خلقه وبذلك امرت
يعني قل يا محمد وبهذا التوحيد امرت وانا اول المسلمين قال قتادة يعني من هذه الامة
وقيل معناه وانا اول المستسلمين لقضائه وقدره قوله عز وجل قل اغير الله ابغي ربا اي قل
يا محمد لهؤلاء الكفار اغير الله اطلب سيدا والها وهو رب كل شيء يعني وهو سيد كل شيء
ومالكه لا يشاركه فيه احد وذلك ان الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ارجع الى ديننا قال
ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلي احمل عنكم اوزاركم فقال الله عز وجل ردا
عليه ولا تكسب كل نفس الا عليها يعني ان اثم الجاني عليه لا على غيره ولا تزر وازرة وزر اخرى
يعني لا تؤخذ نفس اثمة باثم اخرى ولا تحمل نفس حاملة حمل اخرى ولا يؤخذ احد بذنب اخر
ثم الى ربكم مرجعكم يعني يوم القيامة فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون يعني
في الدنيا من الاديان والملل قوله تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الارض يعني والله
الذي جعلكم خلائف في الارض يا امة محمد فان الله اهلك من كان قبلكم من الامم الخالية واستخلفكم
فجعلكم خلائف منهم في الارض تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم وذلك لان محمدا صلى الله عليه
وسلم خاتم الانبياء وهو اخرهم وامته اخر الامم ورفع بعضكم فوق بعض درجات يعني
ان الله تعالى خالف بين احوال عباده فجعل بعضهم فوق بعض في الخلق والرزق والشرف والعقل
والقوة والفضل فجعل منهم الحسن والقبيح والغني والفقير والشريف والوضيع والعالم والجاهل
والقوي والضعيف وهذا التفاوت بين الخلق في الدرجات ليس لاجل العجز او الجهل او البخل
فان الله سبحانه وتعالى منزه عن صفات النقص وانما هو لاجل الابتلاء والامتحان وهو قوله
تعالى ليبلوكم فيما اتاكم يعني ليعاملكم معاملة المختبر والمبتلي وهو اعلم باحوال عباده
والمعنى ليبتلي الغني بغناه والفقير بفقره والشريف بشرفه والوضيع بدناءته والعبد والحر
وغيرهم من جميع اصناف خلقه لينظر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب لان العبد اما ان
يكون مقصرا فيما كلف به واما ان يكون موفيا ما امر به فان كان مقصرا كان نصيبه التخويف
والترغيب وهو قوله تعالى ان ربك سريع العقاب يعني لاعدائه واهلاكهم في الدنيا وانما

وصف العقاب بالسرعة لان كل ما هو ات فهو قريب وان كان العبد موفيا حقوق الله تعالى فيما
امره به او نهاه عنه كان نصيبه الترغيب والتشريف والتكريم وهو قوله تعالى وانه لغفور يعني
لذنوب اوليائه واهل طاعته رحيم يعني بجميع خلقه والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الاعراف مكية روي ذلك عن ابن عباس

وبه قال الحسن ومجاهد وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وقتادة وروي عن ابن عباس ايضا انها مكية
الا خمس ايات اولها واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الى قوله واذ اخذ ربك وهي مايتان
وست ايات وثلاثة الاف وثلثمائة وثلاث وخمسة وعشرون كلمة واربعة عشر الف حرف وعشرة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل المص قال ابن عباس معناه
انا الله افصل وعنه انا الله اعلم وافصل وعنه ان المص قسم اقسم الله به وهو اسم من اسماء الله تعالى
وقال قتادة المص من اسماء القران وقال الحسن هو اسم السورة وقال السدي هو بعض اسمه تعالى
المصور وقال ابو العالية الالف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه لطيف والميم مفتاح اسمه
مجيد والصاد مفتاح اسمه صادق وصبور وقيل هي حروف تحوي معاني دل الله بها خلقه على مراده
وقد تقدم بسط الكلام في معاني الحروف المقطعة في اوائل السور في اول سورة البقرة كتاب انزل
اليك يعني هذا كتاب انزله الله اليك يا محمد وهو القران فلا يكن في صدرك حرج منه
يعني فلا يضيق صدرك بالابلاغ وتادية ما ارسلت به الى الناس لتنذر به يعني انا انزلنا
اليك الكتاب يا محمد لتنذر به من امرتك بانذاره وذكرى للمؤمنين يعني ولتذكر وتعظ به
المؤمنين وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم تقديره كتاب انزلناه اليك لتنذر به وذكرى
للمؤمنين فلا يكن في صدرك حرج منه قال ابن عباس فلا تكن في شك منه لان الشاك لا يكون الا
من ضيق الصدر وقلة الاتساع لتوجيه ما حصل له قوله تعالى اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم
اي قل يا محمد لهؤلاء اتبعوا ايها الناس ما انزل اليكم من ربكم من القران الذي فيه الهدى والنور
والبيان قال الحسن يا ابن ادم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت
اية الا ويجب ان تعلم فيما انزلت وما معناها وبنحو هذا قال الزجاج اي اتبعوا القران وما اتى به
النبي صلى الله عليه وسلم فانه مما انزل لقوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ومعنى
الاية ان الله تعالى لما امر رسوله صلى الله عليه وسلم بالانذار في قوله لتنذر به فكان معنى الكلام
انذر القوم وقل لهم اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم وقيل خطاب للكفار اتبعوا
ايها المشركون ما انزل اليكم من ربكم واتركوا ما انتم عليه من الشرك والكفر ويدلكم عليه قوله تعالى
ولا تتبعوا من دونه اولياء معناه ولا تتخذوا الذين يدعونكم الى الكفر والشرك اولياء فتتبعوهم
يعني والمعنى ولا تتولوا من دونه شياطين الجن والانس فيامرونكم بعبادة الاصنام واتباع البدع
والاهواء الفاسدة قليلا ما تذكرون يعني ما تتعظون الا قليلا قوله عز وجل وكم من قرية
اهلكناها لما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالابلاغ والانذار وامر امته باتباع ما انزل اليهم
حذرهم نقمته وباسه ان لم يتبعوا ما امر الله به فذكر في هذه الاية ما في ترك المتابعة والاعراض
عن امره من الوعيد فقال تعالى وكم من قرية اهلكناها قيل فيه حذف تقديره وكم من اهل قرية لان
المقصود من الاهلاك اهل القرية وقيل ليس فيه حذف لان اهلاك القرية اهلاك لاهلها فجاءها
باسنا اي عذابنا فان قلت مجيء الباس وهو العذاب انما يكون قبل الاهلاك فكيف قال اهلكناها
فجاءها باسنا قلت معناه وكم من قرية حكمنا باهلاكها فجاءها باسنا وقال الفراء ان الاهلاك
والباس قد يقعان معا كما يقال اعطيتني فاحسنت لي فلم يكن الاحسان قبل العطاء ولا بعده وانما

وقفا معًا وقال غيره لا فرق بين قولك اعطيتني فاحسنت الي واحسنت الي فاعطيتني فيكون احدهما
بدلا من الاخر **بياتا** يعني ليلا اي جاءها عذابنا ليلا قبل ان يصبحوا **او هم قايلون** من القيلولة وهي
نوم نصف النهار او استراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم والمعنى جاءها باسنا غفلة
وهم غير متوقعين له ليلا وهم نايمون او نهارا وهم قايلون وقت الغفلة ومقصود الاية انه
جاءهم العذاب على حين غفلة منهم من غير تقدم امارة تدلهم على وقت نزول العذاب وفيه وعيد
وتخويف للكفار لانه قيل لهم لا تغتروا باسباب الامن والراحة فان عذاب الله اذا نزل نزل دفعة
واحدة **فما كان دعواهم** يعني فما كان دعا اهل القرية التي جاءهم باسنا والدعوى تكون بمعنى الادعا
وبمعنى الدعا قال سيبويه تقول العرب اللهم اشركنا في صالح دعوى المسلمين ومنه قوله دعواهم فيها
سبحانك اللهم **اذ جاءهم باسنا** يعني عذابنا **الا ان قالوا انا كنا ظالمين** يعني انهم لم يقدروا
على رد العذاب عنهم وكان حاصل امرهم الاعتراف بالجناية وذلك حين لا ينفع الاعتراف **فلنسئلن
الذين ارسل اليهم** يعني لنسئل الامم الذين ارسلت اليهم الرسل ماذا عملتم فيما جاءكم به الرسل
ولنسئلن المرسلين يعني ولنسئلن الرسل الذين ارسلتهم الى الامم هل بلغتم رسالاتي
واديتم الى الامم ما امرتم بتاديته اليهم او قصرتم في ذلك قال ابن عباس في هذه الاية يسئل
الناس عما اجابوا المرسلين ويسئل المرسلين عما بلغوا وعنه انه قال يوضع الكتاب يوم
القيامة فيتكلم الرسل بما كانوا يعملون وقال السدي يسئل الامم ما عملوا فيما جاءت به
الرسل ويسئل الرسل هل بلغوا ما ارسلوا به **فان قلت** قد اخبر عنهم في الاية
الاولى بانهم اعترفوا على انفسهم بالظلم في قوله انا كنا ظالمين فما فايدة هذا السوال
مع اعترافهم على انفسهم بذلك **قلت** لما اعترفوا انهم كانوا ظالمين مقصرين سئلوا
بعد ذلك عن سبب هذا الظلم او التقصير والمقصود من هذا التقريع والتوبيخ للكفار
فان قلت قد اخبر عنهم في الاية الاولى بانهم اعترفوا على انفسهم بالظلم في قوله انا كنا
ظالمين فما فايدة هذا السوال مع اعترافهم على انفسهم بذلك قلت لما اعترفوا انهم كانوا
ظالمين مقصرين فما الفايدة في سوال الرسل مع العلم بانهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من
ارسلوا اليهم من الامم قلت اذا كان يوم القيامة انكر الكفار تبليغ الرسل وقالوا ما جانا
من بشير ولا نذير فكان مسيلة الرسل على وجه الاستشهاد لهم على من ارسلوا اليه
من الامم انهم قد بلغوا رسالات ربهم الى من ارسلوا اليه من الامم فتكون هذه المسئلة كالتقريع
والتوبيخ ايضا لانهم انكروا تبليغ الرسل فيزداد بذلك خزيهم وسواتهم وعذابهم
وقوله تعالى **فلنقصن عليهم بعلم** يعني فلنخبرن الرسل ومن ارسلوا اليهم بعلم بيقين
بما عملوا في الدنيا **وما كنا غايبين** يعني عنهم وعن افعالهم وعن الرسل فيما بلغوا وعن الامم
فيما اجابوا فان قلت كيف الجمع بين قوله فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين
وبين قوله فلنقصن عليهم وما كنا غايبين فاذا كان عالما فما فايدة هذا السوال قلت
قلت فايدة سوال الامم والرسل مع علمه سبحانه وتعالى بجميع المعلومات التوبيخ والتقريع
للكفار لانهم اذا اقروا على انفسهم كان ابلغ في المقصود فاما سوال استرشاد واستنباط
فهو منفي عن الله عز وجل لانه عالم بجميع الاشيا قبل كونها وفي حال كونها وبعد كونها فهو
العالم بالكليات والجزييات وعلمه بظاهر الاشيا كعلمه بباطنها قوله تعالى **والوزن يومئذ
الحق** يعني والوزن يوم سوال الامم والرسل وهو يوم القيامة العدل وقال مجاهد الوزن
المراد بالوزن هنا القضا ومعنى الحق العدل وذهب جمهور المفسرين الى ان المراد بالوزن
وزن الاعمال بالميزان وذلك ان الله عز وجل ينصب ميزانا له لسان وكفتان كل كفة

ما بين المشرق والمغرب قال ابن الجوزي جاء في الحديث ان داود عليه السلام سال ربه ان يريه الميزان
فاراه اياه فقال الهي من يقدر ان يملا كفته حسنات فقال يا داود اذا رضيت عن عبدي ملاتها
بتمرة واحدة وقال حذيفة جبريل صاحب الميزان يوم القيامة فيقول له ربه عز وجل زن بينهم
ورد من بعضهم على بعض وليس ثم ذهب ولا فضة فيرد على المظلوم من الظالم ما وجد له من
حسنة وان لم تكن له حسنة اخذ من سيات المظلوم فيرد على سيات الظالم فيرجع الرجل وعليه
مثل الجبال **فان قلت** اليس الله عز وجل يعلم مقادير اعمال العباد فما الحكمة في وزنها قلت
فيه حكم من اظهار العدل وان الله عز وجل لا يظلم عباده ومنها امتحان الخلق بالايمان بذلك في
الدنيا واقامة الحجة عليهم في العقبى ومنها تعريف العبد ما له من خير وشر وحسنة وسيئة
ومنها اظهار علامة السعادة والشقاوة ونظيره انه تعالى اثبت اعمال العباد في اللوح المحفوظ
ثم في صحايف الحفظة الموكلين ببني ادم من غير جواز النسيان عليه سبحانه وتعالى ثم اختلف
العلماء في كيفية الوزن فقال بعضهم توزن صحايف الاعمال المكتوب فيها الحسنات والسيات ويدل
على ذلك حديث البطاقة وهو ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الله عز وجل سيخلص رجلا من امتي على رووس الخلايق يوم القيامة فينشر له تسعة
وتسعين سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم يقول اتنكر من هذا شيا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا
يا رب فيقول الك عذر فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى ان لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك
اليوم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل
مع اسم الله شي اخرجه الترمذي واحمد بن حنبل وقال ابن عباس يوتى بالاعمال الحسنة على صورة
حسنة وبالاعمال السيئة على صورة سيئة قبيحة فتوضع في الميزان فعلى قول ابن عباس ان الاعمال
تتصور صورا وتوضع تلك الصور في الميزان ويخلق الله في تلك الصورة ثقلا وخفة ونقل البغوي
عن بعضهم انما توزن الاشخاص واستدل لذلك بما روي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة اخرجاه في الصحيحين وهذا
الحديث ليس فيه دليل على ما ذكر من وزن الاشخاص في الميزان لان المراد بقوله لا يزن عند الله جناح
بعوضة مقداره وحرمته لا وزن جسده ولحمه والصحيح قول من قال ان صحايف الاعمال توزن او نفس
الاعمال تتجسد وتوزن والله اعلم بحقيقة ذلك **وقوله** تعالى **فمن ثقلت موازينه** جمع
ميزان واورد على هذا انه ميزان واحد فما وجه الجمع واجيب عنه بان العرب قد توقع لفظ الجمع على الواحد
وقيل انه ينصب لكل عبد ميزان وقيل انما جمعه لان الميزان يشتمل على الكفتين والشاهين واللسان
ولا يتم الوزن الا باجتماع ذلك كله وقيل هو جمع موزون يعني رجحت اعماله الحسنة الموزونة التي لها
وزن وقدر **فاولئك هم المفلحون** يعني هم الناجون غدا والفايزون بثواب الله وجزايه **ومن
خفت موازينه** يعني موازين الكفار اعماله بدليل **فاولئك الذين خسروا انفسهم** يعني غبنوا انفسهم
حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته **بما كانوا باياتنا يظلمون** يعني بسبب ذلك الخسران انهم كانوا
بحجج الله وادلة توحيده يجحدون ولا يقرون بما روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين حضره الموت قال
في وصيته لعمر بن الخطاب انما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا
وثقله عليهم وحق للميزان يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه
يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق للميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون
خفيفا قوله عز وجل **ولقد مكناكم في الارض** يعني مكناكم ايها الناس في الارض والمراد من التمكين
التمليك وقيل معناه جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا واقدرناكم على التصرف فيها **وجعلنا لكم فيها
معايش** يعني معيشة يعني به جميع وجوه المنافع التي تحصل بها الارزاق وتعيشون

فيها أيام حياتكم وهي على قسمين أحدهما ما أنعم الله به على عباده من الزرع والثمار وأنواع المآكل والمشارب والثاني ما يحصل من المكاسب والأرباح في أنواع التجارات والصنائع وكلا القسمين في الحقيقة إنما يحصل بفضل الله وإنعامه وتمكينه لعباده وكثرة الإنعام توجب الطاعة للمنعم بها والشكر له عليها ثم بين تعالى أنه مع هذا الإفضال على عباده وإنعامه عليهم لا يقومون بشكره كما ينبغي فقال تعالى **قليلاً ما تشكرون** يعني على ما صنعت إليكم وأنعمت به عليكم وفيه دليل على أنهم قد يشكرون لأن الإنسان قد يذكر نعم الله فيشكره عليها فلا يخلو في بعض الأوقات من الشكر على النعم وحقيقة الشكر تصور النعمة وإظهارها ويضاده الكفر وهو نسيان النعمة وسترها **ولقد خلقناكم ثم صورناكم** يعني ولقد خلقناكم أيها الناس المخاطبون بهذا الخطاب وقت نزوله في ظهر أبيكم آدم ثم صورناكم في أرحام النساء صوراً مخلوقة فإن **قلت** على هذا التفسير يكون قوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم يقتضي أن الأمر بالسجود لآدم كان وقع بعد خلق المخاطبين بعد الخطاب وتصويرهم لأن كلمة ثم للتراخي ومعلوم أن الأمر ليس كذلك بل كان السجود لآدم قبل خلق ذريته قلت يحتمل أن يكون المعنى ولقد خلقناكم ثم صورناكم أيها المخاطبون ثم أخبرناكم أنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فتكون كلمة ثم تفيد ترتيب خبر على خبر ولا تفيد ترتيب المخبر على الخبر وفي معنى الآية ولقد خلقناكم يعني آدم ثم صورناكم وقيل إن الخلق والتصوير يرجع إلى آدم وحده والمعنى ولقد خلقناكم يعني آدم حكمنا بخلقه ثم صورناكم يعني آدم يعني صورة من طين **ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم** يعني بعدما كان أكمل خلقه وقد تقدم في سورة البقرة الكلام في معنى هذا السجود وأنه كان على سبيل التحية وقيل بل كان السجود لله وكان ذلك بأمر الله تعالى وهل كان هذا الأمر بالسجود لجميع الملائكة ففيه خلاف تقدم ذكره وقوله تعالى **فسجدوا** يعني الملائكة **إلا إبليس** يعني فسجد الملائكة لآدم إلا إبليس **لم يكن من الساجدين** له وظاهر الآية يدل على أن إبليس كان من الملائكة على أنه خلق من نار والملائكة من نور وإنما استثناه من الملائكة لأنه كان مأموراً بالسجود مع الملائكة فلما لم يسجد أخبر الله عنه أنه لم يكن من الساجدين لآدم ولهذا استثنى منهم قوله عز وجل **قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك** يعني قال الله عز وجل لإبليس أي شيء منعك من السجود لآدم إذ أمرتك به فعلى هذا التأويل تكون كلمة لا في قوله ألا تسجد صلة زائدة وإنما دخلت للتوكيد والتقدير ما منعك أن تسجد فهو كقوله لا أقسم أي أقسم **وقوله** وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون أي يرجعون وقوله لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله أي ليعلم أهل الكتاب وهذا قول الكسائي والفراء والزجاج والأكثرين وقيل إن كلمة لا هنا على أصلها مفيدة وليست بزائدة لأنه لا يجوز أن يقال إن كلمة من كتاب الله زائدة ولا معنى لها وعلى هذا القول حكى الواحدي عن أحمد بن يحيى أن لا في هذه الآية ليست زائدة ولا توكيد إلا أن معنى قوله ما منعك أن لا تسجد من قال لك لا تسجد فترك حمل نظم الكلام على معناه وهذا القول حكاه أبو بكر عن الفراء وقال الطبري الصواب في ذلك أن في الكلام محذوفاً تقديره ما منعك من السجود فأحوجك أن لا تسجد فترك ذكر أحوجك استغناء بمعرفة السامعين ونقل الإمام فخر الدين الرازي عن القاضي قال ذكر الله المنع وأراد الداعي فكأنه قال ما دعاك إلى أن لا تسجد لأن مخالفة الله عز وجل حالة عظيمة يتعجب منها ويسأل عن الداعي إليها فإن قلت لم سأله عن المنع من السجود وهو عالم به قلت للتوبيخ والتقريع له ولإظهار معاندته وكفره وافتخاره بأصله وحسده لآدم ولذلك لم يجب عليه **قال** يعني قال إبليس مجيباً لله عما سأله عنه **أنا خير منه** فإن قلت قوله أنا خير منه ليس بجواب عما سأله عنه في قوله ما منعك أن لا تسجد فلم يجب بما منعه من السجود فإنه كان ينبغي له أن يقول منعني كذا وكذا ولكنه قال أنا خير منه قلت استأنف قصة أخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وفيها دليل على موضع الجواب وهو قوله

خلقتني

خلقتني من نار وخلقته من طين والنار خير من الطين والنور وإنما قال أنا خير منه لما رأى أنه أشد منه قوة وأفضل منه فضلاً وذلك لفضل الجنس الذي خلق منه وهو النار على الطين الذي خلق منه آدم فجهل عدو الله إبليس وجه الحق وأخطأ طريق الصواب لأن من المعلوم أن من جوهر النار الخفة والطيش والارتفاع والاضطراب وهذا الذي حمل إبليس الخبيث مع الشقاء الذي سبق له من الله تعالى في الكتاب السابق على الاستكبار على السجود لآدم عليه السلام والاستخفاف بأمر ربه فأورده ذلك العطب والهلاك ومن المعلوم أن من جوهر الطين الرزانة والأناة والصبر والحلم والحياء والتثبت وهذا كان الداعي لآدم عليه السلام مع السعادة السابقة التي سبقت له من الله تعالى في الكتاب إلى التوبة من خطيئته ومسألته ربه العفو عنه والمغفرة ولذلك كان ابن سيرين يقول أول من قاس إبليس فأخطأ وقال ابن سيرين أيضاً ما عبدت الشمس والقمر إلا بالقياس وأصل هذا القياس الذي قاسه إبليس لما رأى أن النار أفضل من الطين وأقوى فقال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ولم يدر أن الفضل لمن جعله الله فاضلاً وأن الأفضلية والخيرية لا تحصل إلا بسبب فضيلة الأصل والجوهر وأيضاً الفضيلة إنما تحصل بسبب الطاعة وقبول الأمر فالمؤمن الحبشي خير من الكافر القرشي فإن الله تعالى خص صفيه آدم عليه السلام بأشياء لم يخص بها غيره وهو أن خلقه بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وعلمه أسماء كل شيء وأورثه الاجتباء والتوبة والهداية إلى غير ذلك مما خص الله به آدم عليه السلام للعناية التي سبقت له من القدم **وقوله** تعالى **قال فاهبط منها** يعني قال الله عز وجل لإبليس اهبط من الجنة وقيل من السماء إلى الأرض والهبوط الانحدار لا انحدار من فوق على سبيل القهر والهوان والاستخفاف **فما يكون لك أن تتكبر فيها** يعني فليس لك أن تتكبر في الجنة عن أمري وطاعتي لأنه لا ينبغي أن يسكن في الجنة وفي السماء متكبر مخالف لأمر الله عز وجل فأما غير الجنة والسماء قد يسكنها المستكبر عن طاعة الله وهم الكفار والساكنون في الأرض **فاخرج إنك من الصاغرين** يعني إنك من الأذلاء المهانين والصغار الذل والمهانة قال الزجاج استكبر عدو الله إبليس فابتلاه الله بالصغار والذلة وقيل كان له ملك الأرض فأخرجه الله منها إلى جزائر البحر الأخضر وعرشه عليه فلا يدخل الأرض إلا خائفاً كهيئة السارق مثل شيخ عليه أطمار رثة يروع فيها حتى يخرج منها **قال** يعني إبليس عند ذلك **أنظرني** يعني أخرني وأمهلني فلا تمتني **إلى يوم يبعثون** يعني من قبورهم وهي النفخة الأخيرة عند قيام الساعة وهذا من جهالة الخبيث إبليس لأنه سأل ربه الإمهال وقد علم أنه لا سبيل لأحد من خلق الله إلى البقاء في الدنيا ولكنه كره أن يذوق الموت فطلب البقاء والخلود فلم يجب إلا إلى ما سأل **قال** الله له **إنك من المنظرين** يعني من المؤخرين الممهلين وقد بين الله تعالى مدة النظر والمهلة في سورة الحجر فقال إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم وذلك هو النفخة الأولى حتى يموت الخلق كلهم **فإن قلت** ما وجه قوله إنك من المنظرين وليس أحد ينظر سواه **قلت** معناه الذين تقوم عليهم الساعة منظرون إلى ذلك الوقت بآجالهم فهو منهم **قال** يعني إبليس **فبما أغويتني** يعني فبأي شيء أضللتني فعلى هذا تكون ما استفهامية ثم الكلام عند قوله أغويتني ثم ابتدأ فقال لأقعدن صراطك المستقيم وقيل الباء للقسم تقديره فبإغوائك إياي وقيل معناه فبما أوقعت في قلبي من الغي الذي كان سبب هبوطي من السماء وأضللتني عن الهدى **لأقعدن لهم صراطك المستقيم** يعني لأجلسن على صراطك القويم وهو طريق الإسلام وقيل المراد بالصراط المستقيم الطريق الذي يسلكونه إلى الجنة وذلك بأن أوسوس إليهم وأزين لهم الباطل وما يكسبهم المآثم وقيل المراد بالصراط المستقيم طريق مكة يعني يمنعهم من الهجرة وقيل المراد به الحج والقول الأول أولى لأنه يعم الجميع ومعنى الآية لأصدن بني آدم عن عبادتك وطاعتك

ولأغوينهم ولأضلنهم كما أضللتني عن سبرة بن أبي الفاكه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه فقعد له عن طريق الاسلام فقال تسلم وتذر دينك ودين ابايك
وابا ابيك فعصاه واسلم وقعد له بطريق الهجرة وقال تهاجر وتذر ارضك وسماءك وانما مثل
المهاجر كمثل الفرس في الطول فعصاه فقعد له بطريق الجهاد فقال تجاهد هو النفس والمال فتقاتل فتقتل
فتنكح المراة ويقسم المال فعصاه فجاهد قال النبي فمن فعل ذلك كان حقا على الله ان يدخله الجنة اخرجه النسائي
وقوله تعالى اخبارا عن ابليس ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن
شمائلهم قال ابن عباس من بين ايديهم يعني من قبل الاخرة فاشككهم فيها ومن خلفهم يعني من
قبل الدنيا فارغبهم فيها وعن ايمانهم اشبه عليهم امر دينهم وعن شمائلهم اشهي لهم المعاصي وانما جعل
الاخرة من بين ايديهم في هذا القول لانهم منقلبون اليها وصايرون اليها فعلى هذا الاعتبار فالدنيا
خلفهم لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن عباس في رواية عنه من بين ايديهم من قبل دنياهم يعني ازينها
في قلوبهم ومن خلفهم من قبل الاخرة فاقول لا بعث ولا جنة ولا نار وعن ايمانهم من قبل حسناتهم
وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم وانما جعل الدنيا من بين ايديهم في هذا القول لان الانسان يسعى فيها
فيجاهدها ويشاهدها فهي حاضرة بين يديه والاخرة غايبة عنه فهي خلفه وقال الحكم بن عتيبة
من بين ايديهم يعني من قبل الدنيا فازينها لهم ومن خلفهم من قبل الاخرة فاثبطهم عنها وعن ايمانهم يعني
من قبل الحق فاصدهم عنه وعن شمائلهم من قبل الباطل فازينه لهم وقال قتادة اتاهم من بين ايديهم
فاخبرهم انه لا بعث ولا جنة ولا نار ومن خلفهم من امر الدنيا فزينها لهم ودعاهم اليها اتاك
يا ابن ادم من كل وجه غير انه لم ياتك من فوقك فلم يستطع ان يحول بينك وبين رحمة الله تعالى
وقال مجاهد ياتيهم من بين ايديهم وعن ايمانهم حيث يبصرون وعن خلفهم وعن شمائلهم حيث لا
يبصرون ومعنى الاية هذا انهم يخطئون ومن حيث لا يبصرون انهم يخطئون ولا يعلمون انهم يخطئون
وقيل من بين ايديهم فيما بقي من اعمارهم فلا يقدمون فيه على طاعة ومن خلفهم يعني ما مضى من اعمارهم
فلا يتوبون عما اسلفوا فيه من معصية وعن ايمانهم يعني من قبل الغنى فلا ينفقونه ولا
يشكرون ومن خلفهم يعني من قبل الفقر فلا يمتنعون فيه محظورا نالوه قال شقيق البلخي ما من
صباح الا وياتيني الشيطان من الجهات الاربع من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي اما
من بين يدي فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فاقرا واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا
واما من خلفي فيخوفني من وقوع اولادي في الفقر فاقرا وما من دابة في الارض الا على الله رزقها واما
من قبل يميني فياتيني من الثنا فاقرا والعاقبة للمتقين واما من قبل شمالي فياتيني من قبل الشهوات
فاقرا وحيل بينهم وبين ما يشتهون وقيل ان ذكر هذه الجهات الاربع انما اريد بها التاكيد
والمبالغة في القا الوسوسة في قلب ابن ادم وانه لا يقصر في ذلك ومعنى الاية على هذا القول ثم
لاتينهم من جميع الوجوه الممكنة بجميع الاعتبارات وقوله تعالى ولا تجد اكثرهم شاكرين يعني ولا تجد
يا رب اكثر بني ادم شاكرين لك على نعمك التي انعمت بها عليهم وقال ابن عباس معناه ولا تجد اكثرهم
موحدين فان قلت كيف علم الخبيث ابليس ذلك حتى قال ولا تجد اكثرهم شاكرين قلت قاله ظنا
فاصاب ويشهد قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل انه كان عازما على المبالغة في تزيين
الشهوات وتحسين القبايح وعلم ميل بني ادم الى ذلك فقال هذه المقالة وقيل انه راه مكتوبا في اللوح
المحفوظ فقال هذه المقالة على سبيل اليقين والقطع والله اعلم بمراده قوله عز وجل قال اخرج منها
اي قال الله لابليس حين طرده عن بابه وابعده عن جنابه وذلك بسبب مخالفته وعصيانه اخرج
منها يعني من الجنة فانه لا ينبغي ان يسكن فيها العصاة مذءوما يعني مطرودا مبعودا وقال ابن
عباس صغيرا ممقوتا وقال قتادة لعينا مقيتا وقال الكلبي ملوما مقصيا من الجنة ومن كل خير

مدحورا

لمن

لمن تبعك منهم يعني من بني ادم لاملان جهنم منكم اجمعين لام القسم اقسم الله ان من تبع ابليس
من بني ادم واطاعه ان يملا جهنم منه ومن كفر من بني ادم وابليس ومن ذريته ومن تبعه ومن تبعهم
قوله تعالى ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة يعني حوا الجنة
وذلك بعد ان اهبط منها ابليس واخرجه وطرده من الجنة فكلا من حيث شئتما يعني فكلا من
ثمار الجنة من اي مكان شئتما فان قلت قال في سورة البقرة وكلا بالواو وقال هنا فكلا بالفا فما
الفرق قال الامام فخر الدين الرازي ان الواو تفيد الجمع المطلق والفا تفيد الجمع على سبيل التعقيب
فالمفهوم من الفا نوع داخل تحت المفهوم من الواو ولا منافاة بين النوع والجنس ففي سورة البقرة ذكر
الجنس وهنا ذكر النوع ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين تقدم في سورة البقرة الكلام
على تفسير هذه الاية مستوفاه قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان يعني فوسوس اليهما والوسوسة
حديث يلقيه الشيطان في قلب الانسان يقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا مكررا واصله من صوت
الحلي ومعنى وسوس لهما فعل الوسوسة والقاها اليهما فان قلت كيف وسوس اليهما
وادم وحوا في الجنة وابليس قد اخرج منها قلت ذكر الامام فخر الدين في الجواب عن هذا
السوال عن الحسن انه قال كان يوسوس من الارض الى السما الى الجنة بالقوة الفوقية التي جعلها الله
وقال مسلمة الاصبهاني بل كان ادم وابليس في الجنة لان هذه الجنة كانت بعض جنات الارض
والذي يقوله بعض الناس من ان ابليس دخل في جوف الحية فدخلت به الحية الى الجنة فقصة مشهورة
ركيكة وقال اخرون ان ادم وحوا ربما قربا من باب الجنة وكان ابليس واقفا من خارج الجنة على بابها
فقرب احدهما من الاخر فحصلت الوسوسة هناك فان قلت ان ادم عليه السلام قد عرف ما بينه
وبين ابليس من العداوة فكيف قبل قوله قلت يحتمل ان يقال ان ابليس لقي ادم مرارا كثيرة ورغبه في هذه
الشجرة ورغبه في اكل هذه الشجرة بطرق كثيرة منها نيل الخلد ومنها قوله وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين
فلاجل هذه المواظبة والمداومة على هذا التمويه اثر كلام ابليس في ادم حتى اكل من الشجرة ليبدي
لهما ما ووري عنهما من سواتهما ليظهر لهما ما غطي وستر من عوراتهما وقوله ما ووري ماخوذ
من المواراة وهو الستر يقال واريته بمعنى سترته والسواة فرج الرجل والمراة سمي بذلك لان ظهوره
يسوء الانسان وفي الاية دليل على ان كشف العورة من المنكرات المحرمات واللام في قوله ليبدي
لهما لام العاقبة وذلك لان ابليس لم يقصد بالوسوسة ظهور عورتهما وانما كان قصده حملهما على المعصية
فقط فكان عاقبة امرهما ان بدت عوراتهما وقال يعني قال ابليس لادم وحوا ما نهاكما ربكما عن
هذه الشجرة يعني عن الاكل من هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين يعني نهاكما
عن هذه الشجرة لكيلا تكونا ملكين من الملائكة تعلمان الخير والشر وتكونا من الباقين الذين لا
يموتون وانما اطمع ابليس لادم بهذا لانه علم ان الملائكة لهم المنزلة والقرب من العرش فاستشرف
لذلك ادم وطمع وانه يعيش مع الملائكة لطول اعمارهم او يكونا مع الخالدين الذين لا يموتون ابدا
فان قلت ظاهر الاية يدل على ان الملك افضل من الانبيا لان ادم عليه السلام طلب
ان يكون من الملائكة كان ذلك الطلب قبل ان يشرف بالنبوة وكانت هذه الواقعة على زمان
النبوة بعد ان شرف بها ادم انما طلب ان يكون من الملائكة لطول اعمارهم او من الخالدين لا لانهم
افضل منه حتى يلحق بهم في الفضل لانه طلب اما ان يكون من الملائكة لطول اعمارهم او من الخالدين
الذين لا يموتون ابدا وقوله تعالى وقاسمهما اي واقسم وحلف لهما وهذا من المفاعلة التي تختص
بالواحد اني لكما لمن الناصحين قال قتادة حلف لهما بالله حتى خدعهما وقد يخدع المومن بالله
تعالى اني خلقت قبلكما وانا اعلم منكما فاتبعاني ارشدكما وقال بعض العلما من خدعنا بالله خدعنا
له فدلاهما بغرور يعني فخدعهما بغرور يقال ما زال فلان يدلي فلانا بغرور يعني ما زال يخدعه

ويكلمه بزخرف من القول باطل قال الازهري واصله ان الرجل العطشان يتدلى في البير لياخذ الماء ولا يجد فيها ماء فوضعت التدلية موضع الطمع فيما لا فايدة فيه والغرور اظهار النصح مع ابطان الغش وهو ان ابليس حطهما من منزلة الطاعة الي حالة المعصية لان التدلي لا يكون الا من علو يعني الي سفل ومعني الاية ان ابليس غر ادم باليمين الكاذبة وكان ادم يظن ان احدا لا يحلف بالله كاذبا فلما حلف ابليس ظن ادم انه صادق فاغتر به **فلما ذاقا الشجرة** يعني طعما من ثمرة الشجرة وفيه دليل علي انهما تناولا اليسير من ذلك قصدا الي معرفة طعمه لان الذوق يدل علي الاكل اليسير **بدت لهما سواتهما** يعني ظهرت لهما عوراتهما قال ابن عباس قبل ان ازدردا اخذتهما العقوبة والعقوبة ان بدت وظهرت لهما سواتهما وتهافت عنهما لباسهما حتي ابصر كل واحد منهما ما ووري عنه من عورة صاحبه وكانا لا يريان ذلك وقال وهب كان لباسهما من النور لا يري هذا عورة هذه ولا هذه عورة هذا فلما اصابا الخطيئة بدت لهما سواتهما وقال قتادة كان لباس ادم في الجنة ظفرا كله فلما وقع في الذنب كشط عنه وبدت سواته **وطفقا** يعني واقبلا وجعلا **يخصفان عليهما من ورق الجنة** يعني انهما لما بدت سواتهما جعلا يرقعان ويلزقان عليهما من ورق الجنة وهو ورق التين حتي صار كهيئة الثوب وقال الزجاج جعلا يرقعان ورقة علي ورقة ليستروا سواتهما وفي الاية دليل علي ان كشف العورة من ابن ادم قبيح الا تري انهما بادرا الي ستر العورة لما تقرر في عقلهما من قبح كشفها روي ابي بن كعب عن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال كان ادم رجلا طويلا كانه نخلة سحوق كثير شعر الراس فلما وقع في الخطيئة بدت له سواته وكان لا يراها في الجنة فانطلق هاربا فوضعت له شجرة من شجر الجنة فحبسته بشعرة فقال لها ارسليني فقالت لست بمرسلتك فناداه ربه يا ادم امني تفر قال لا يا رب ولكن استحييتك ذكره البغوي بغير سند واسنده الطبري من طريقين موقوفا ومرفوعا **قوله** تعالى **وناداهما ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة** يعني ان الله تعالى نادي ادم وحوي وخاطبهما فقال الم انهكما عن اكل ثمرة هذه الشجرة **واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين** يعني الم اعلمكما ان الشيطان قد بان عداوته لكما بترك السجود حسدا وبغيا قال ابن عباس لما اكل ادم من الشجرة قيل له لم اكلت من الشجرة التي نهيتك عنها قال حوي امرتني قال فاني اعطيتها ان تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها فرنت حوي عند ذلك رنة فقيل لها الرنة عليك وعلي ولدك قال محمد بن قيس ناداه ربه يا ادم لم اكلت منها وقد نهيتك قال اطعمتني حوي قال لحوي لم اطعمته قالت امرتني الحية قال للحية لم امرتها قالت امرني ابليس قال الله تعالى اما انت يا حوي فكما ادميت الشجرة تدمين كل شهر واما انت يا حية فاقطع رجليك فتمشين علي وجهك وسيشدخ راسك من لقيك واما انت يا ابليس فملعون مدحور يعني مطرود عن الرحمة وقيل ناداه ربه يا ادم لم اكلت منها وقد نهيتك اما خلقتك بيدي اما نفخت فيك من روحي اما اسجدت لك ملايكتي اما اسكنتك جنتي في جواري قوله عز وجل **قالا ربنا ظلمنا انفسنا** وهذا اخبار من الله تعالى عن ادم عليه السلام وحوي واعترافهما علي انفسهما بالذنب والندم علي ذلك والمعني قالا يا ربنا انا ظلمنا انفسنا من الاساءة اليها بمخالفة امرك وطاعة عدونا وعدوك مالم يكن لنا ان نطيعه فيه من اكل الشجرة التي نهيتنا عن اكلها **وان لم تغفر لنا** يعني وان انت لم تستر علينا ذنبنا **وترحمنا** يعني وتتفضل علينا برحمتك **لنكونن من الخاسرين** يعني من الهالكين قال قتادة قال ادم يا رب ارايت ان تبت اليك واستغفرتك قال اذا ادخلك الجنة واما ابليس فلم يسأله التوبة وسال النظرة فاعطي كل واحد منهما ما سال وقال الضحاك في قوله ربنا ظلمنا انفسنا قال هي الكلمات التي تلقاها ادم من ربه عز وجل

فصل وقد استدل من يري صدور الذنب من الانبيا عليهم السلام بهذه الاية واجيب عنه بان درجة الانبيا في الرفعة والعلو والمعرفة بالله عز وجل مما حملهم

علي الخوف منهم منه والاشفاق بالمواخذة بما لا يواخذ به غيرهم وانما عوتبوا بامور صدرت منهم علي سبيل التاويل واستهونهم بسبب ذلك خايفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الي علو منصبهم ومعاص بالنسبة الي كمال طاعتهم لا انها ذنوب كذنوب غيرهم ومعاص كمعاصي غيرهم فكان ما صدر منهم مع طهارتهم ونزاهتهم وعمارة بواطنهم بالوحي السماوي والذكر القدسي وعمارة ظواهرهم بالعمل الصالح والخشية لله عز وجل ذنوب وهي حسنات بالنسبة الي غيرهم حسنات كما قيل حسنات الابرار سيات المقربين يعني انهم يرونها بالنسبة الي احوالهم كالسيات وهي حسنات لغيرهم وقد تقدم في سورة البقرة ان اكل ادم من الشجرة كان قبل النبوة او بعده والخلاف فيه فاغني عن الاعادة والله اعلم **قوله تعالى قال اهبطوا** قال الامام فخر الدين ان الذي تقدم ذكره هو ادم وحوي وابليس وقوله اهبطوا يجب ان يتناول هولا الثلاثة وقال الطبري قال الله تعالى لادم وحوي وابليس والحية يعني اهبطوا من السما الي الارض ادم وحوي وابليس والحية **بعضكم لبعض عدو** يعني ان العداوة ثابتة بين ادم وابليس **ولكم في الارض مستقر** يعني موضع قرار تستقرون فيه وقال ابن عباس في قوله ولكم في الارض مستقر القبور **ومتاع الي حين** يعني ولكم فيها متاع تستمتعون به الي انقطاع الدنيا قال ابن عباس في قوله تعالى ومتاع الي حين يعني الي يوم القيامة والي انقطاع الدنيا **قال فيها تحيون** ايضا قال الله عز وجل لادم وذريته وابليس واولاده فيها تحيون يعني في الارض تعيشون ايام حياتكم **وفيها تموتون** يعني وفي الارض تكون وفاتكم وموضع قبوركم **ومنها تخرجون** يعني ومن الارض يخرجكم ربكم ويحشركم للحساب يوم القيامة قوله عز وجل **يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم** اعلم ان الله عز وجل لما امر ادم وحوي بالهبوط الي الارض وجعلها مستقرا لهم انزل الله عليهم كل ما يحتاجون اليه من مصالح الدين والدنيا فكان مما انزل عليهم اللباس الذي يحتاج اليه في الدين والدنيا فاما منفعته في الدين فانه ستر العورة وسترها شرط في صحة الصلاة واما منفعته في الدنيا فانه يمنع الحر والبرد فامتن الله علي عباده بما انزل عليهم لباسا يواري سواتهم فقال تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سواتكم يعني لباسا تسترون به عوراتكم **فان قلت** ما معني قوله تعالى انزلنا عليكم لباسا قلت ذكر العلما وجوها احدها انه بمعني خلق اي خلقنا لكم لباسا الوجه الثاني ان الله تعالى انزل المطر من السما وهو سبب نبات اللباس فكانه انزل عليهم الوجه الثالث ان جميع بركات الارض تنسب الي السما والي الانزال كما قال تعالى وانزلنا الحديد **وريشا** الريش للطاير معروف وهو لباسه وزينته والمعني وانزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سواتكم ولباسا لزينتكم لان التزين غرض صحيح كما قال تعالى لتركبوها وزينة وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله جميل يحب الجمال واختلفوا في معني الريش المذكور في الاية فقال ابن عباس وريشا يعني مالا وهو قول مجاهد والضحاك والسدي لان المال مما يتزين به ويقال ريش الرجل اذا تمول وقال ابن زيد الريش الجمال وهو يرجع الي الزينة ايضا وقيل ان الرياش في كلام العرب الاثاث وما ظهر من الثياب والمتاع مما يلبس او يفرش والريش ايضا المتاع والاموال عندهم وربما استعملوه في الثياب والكسوة دون ساير المال يقال انه لحسن الريش يعني لحسن الثياب وقيل الريش والرياش يستعمل ايضا في الخصب ورفاهية العيش **ولباس التقوي** اختلف العلما في معناه فمنهم من حمله علي نفس الملبوس وحقيقته ومنهم من حمله علي المجاز اما من حمله علي نفس الملبوس فاختلفوا ايضا في معناه فقال ابن الانباري لباس التقوي هو اللباس الاول وانما اعاده اخبارا ان ستر العورة من التقوي وذلك خير وقيل انما اعاده لاجل ان يخبر عنه بانه خير لان العرب في الجاهلية كانوا يتعبدون بالتعري وخلع الثياب في الطواف بالبيت فاخبر ان ستر العورة في الطواف هو لباس التقوي وذلك خير وقال زيد بن علي لباس التقوي الات الحرب التي يتقي بها في الحروب كالدرع والمغفر وذلك نحو وقيل لباس التقوي هو

الصوف والخشن من الثياب التي يلبسها هو الصوف والخشن من الثياب التي يلبسها اهل الزهد والورع وقيل
هو ستر العورة في الصلاة واما من حمل لباس التقوى على المجاز فاختلفوا في معناه فقال قتادة والسدي
لباس التقوى هو الايمان لان صاحبه يتقي به من النار وقال ابن عباس التقوى هو العمل الصالح وقال الحسن
هو الحيا لانه يبعث على التقوى وقال عثمان بن عفان لباس التقوى هو السمت الحسن وقال عروة بن الزبير
لباس التقوى خير لصاحبه اذا اخذ به مما خلق الله من لباس التجمل وزينة الدنيا وهو قوله تعالى ذلك
خير يعني ان لباس التقوى خير من لباس الجمال والزينة وانشدوا في المعنى

اذا انت لم تلبس لباسا من التقى ٭ عريت وان واري القميص قميص

وقوله تعالى ذلك من آيات الله يعني انزال اللباس عليكم يا بني ادم من ايات الله الدالة على
معرفته وتوحيده لعلهم يذكرون يعني لعلهم يذكرون نعمة عليهم فيشكرونها قوله تعالى يا بني
ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة قيل هذا الخطاب للذين كانوا يطوفون بالبيت عراة
والمعنى لا يخدعنكم بغروره ولا يضلنكم فيزين لكم كشف عوراتكم في الطواف وانما ذكر قصة ادم هنا ليعرف
عداوة ابليس له ليحذر بذلك اولاد ادم فقال تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من
الجنة يعني ادم وحوي والمعنى ان من قدر على اخراج ابويكم من الجنة يعني ادم وحوي والمعنى ان من قدر على
اخراج ابويكم من الجنة بوسوسته وشدة عداوته فانه يقدر على فتنتكم بطريق الاولى فحذر الله
عز وجل بني ادم فتنته التي بها انكر عباده عنها وحذر الله عز وجل بني ادم وامرهم بالاحتراز عن
وسوسة الشيطان وغروره [illegible] وقوله تعالى ينزع عنهما لباسهما انما اضاف
اللباس الى الشيطان وان لم يباشر ذلك لان نزع لباسهما كان بسبب وسوسة الشيطان وغروره
فاسند اليه واختلفوا في اللباس الذي نزع عنهما فقال ابن عباس كان لباسهما الظفر فلما اصاب الخطيئة
نزع عنهما وبقيت الاظفار تذكرة وزينة ومنافع وقال وهب بن منبه كان لباس ادم وحوي نورا وقال
مجاهد كان لباسهما التقى وفي رواية عنه التقوى وقيل كان لباسهما من ثياب الجنة وهذا القول
اقرب لان اطلاق اللباس يطلق عليه ولان لفظ النزع لا يكون الا بعد اللباس ليريهما سواتهما
يعني ليري ادم عورة حوي ويري حوي عورة ادم وكان قبل ذلك لا يري بعضهم سواة بعض انه يراكم
هو وقبيله يعني ان ابليس يراكم يا بني ادم هو وقبيله انما اعاد الكناية في قوله هو ليحسن العطف
والقبيل جمع قبيلة وهي الجماعة المجتمعة التي يقابل بعضهم بعضا وقال الليث كل جيل من
جن او انس قبيل ومعنى يراكم هو وقبيله اي من هو من نسله قال ابن عباس هو ولده وقوله من حيث
لا ترونهم يعني انتم يا بني ادم قال العلما ان الله خلق في عيون الجن ادراكا يرون به ذلك الادراك
الانس ولم يخلق في عيون الانس هذا الادراك فلم يروا الجن وقالت المعتزلة الوجه في ان الانس لا يرون
الجن لرقة اجسام الجن ولطافتها والوجه في روية الجن للانس كثافة اجسام الانس والوجه في روية
الجن بعضهم بعضا ان الله تعالى قوى شعاع ابصار الجن وزاد فيها حتى يروا بعضهم بعضا ولو جعل
في ابصارنا هذه القوة لرايناهم ولكن لم يجعلها لنا وحكى الواحدي وابن الجوزي عن ابن عباس انه قال ان الله
تعالى جعلهم يجرون من بني ادم مجرى الدم وجعل صدور بني ادم مسكنا لهم الا من عصمه الله تعالى كما قال
تعالى الذي يوسوس في صدور الناس فهم يرون بني ادم وبني ادم لا يرونهم وقال مجاهد قال ابليس لنا اربعة
نرى ولا نرى ونخرج من تحت الثرى ويعود شيخنا فتى وقال مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤ نة
الا من عصم الله انا جعلنا الشياطين اوليا يعني اعوانا وقرنا للذين لا يومنون قال الزجاج يعني سلطناهم عليهم
يزيدون في غيهم قوله عز وجل واذا فعلوا فاحشة قال ابن عباس ومجاهد هي طوافهم بالبيت
عراة الرجال والنسا وقال عطا هي الشرك والفاحشة اسم لكل فعل قبيح فيدخل فيه جميع المعاصي والكبائر
فيمكن حملها على الاطلاق وان كان السبب مخصوصا بما ورد من طوافهم عراة ولما كانت هذه الافعال التي كان

اهل

اهل الجاهلية يفعلونها ويعتقدون انها طاعات وهي في نفسها فواحش ذمهم الله عليها ونهاهم عنها فاحتجوا
هذه الافعال بما اخبر الله عنهم وهو قوله تعالى قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها فذكروا لانفسهم عذرين
من احدهما محض التقليد وهو قولهم وجدنا عليها هذا الفعل اباءنا وهذا التقليد باطل لانه باطل لا اصل له
والعذر الثاني قولهم ان الله امرنا بها وهذا العذر ايضا باطل وقد اجاب عنه بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء
والمعنى ان هذه الافعال التي كان اهل الجاهلية يفعلونها هي في انفسها قبيحة منكرة فكيف يامر الله بها
والله لا يامر بالفحشاء بل يامر بما فيه مصالح العباد ثم قال تعالى رادا عليهم اتقولون على الله ما لا تعلمون يعني
انكم ما سمعتم كلام الله ابتدا من غير واسطة ولا اخذتموه عن الانبيا الذين هم وسايط بين الله وبين عباده
في تبليغ اوامره ونواهيه واحكامه لانكم تنكرون نبوة الانبيا فكيف تقولون على الله ما لا تعلمون
قوله تعالى قل امر ربي بالقسط اي قل يا محمد لهولا الذين يقولون على الله ما لا يعلمون
امر ربي بالقسط يعني بالعدل وهذا قول مجاهد والسدي وقال ابن عباس بلا اله الا الله فالامر بالقسط
في هذه الاية يشتمل على معرفة الله تعالى بذاته وصفاته وافعاله وانه واحد لا شريك له واقيموا
وجوهكم عند كل مسجد فان قلت قل امر ربي بالقسط خبر وقوله واقيموا وجوهكم عند كل مسجد
امر وعطف الامر على الخبر لا يجوز فما معناه قلت فيه اضمار وحذف تقديره قل امر ربي بالقسط وقال
واقيموا وجوهكم عند كل مسجد فحذف قال لدلالة الكلام عليه ومعنى الاية في قول مجاهد والسدي
وجهوا وجوهكم حيث ما كنتم في الصلاة الى الكعبة وقال الضحاك معناه اذا حضرت الصلاة وانتم
عند المسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم اصلي في مسجدي او في مسجد قومي وقيل معناه اجعلوا سجودكم
لله خالصا وادعوه مخلصين له الدين اي واعبدوه مخلصين العبادة والطاعة والدعا لله عز وجل
لا لغيره كما بداكم تعودون قال ابن عباس ان الله عز وجل بدا خلق بني ادم مومنا وكافرا كما قال تعالى
هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن ثم يعيدهم يوم القيامة كما بدا خلقهم مومنا وكافرا ويحتج لهذا القول
قوله في سياق الاية فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة فانه كالتفسير له ويدل على صحة ذلك
ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات عليه اخرجه مسلم زاد البغوي في
روايته المومن على ايمانه والكافر على كفره وقال محمد بن كعب من ابتدا الله خلقه على الشقوة صار الى
ما ابتدا عليه خلقه وان عمل بعمل اهل السعادة كما ان ابليس كان يعمل بعمل اهل السعادة ثم صار الى
الشقاوة ومن ابتدا خلقه على السعادة صار اليها وان عمل باعمال اهل الشقا كما ان السحرة كانوا يعملون
بعمل اهل الشقا ثم صاروا الى السعادة ويصح هذا القول ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل النار ثم يختم له عمله بعمل اهل الجنة اخرجه مسلم وقال الحسن
ومجاهد في معنى الاية كما بداكم وخلقكم في الدنيا ولم تكونوا شيئا فاحياكم ثم يميتكم كذلك تعودون احيا
يوم القيامة ويشهد لصحة هذا القول ما روي عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بموعظة فقال ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده
وعدا علينا انا كنا فاعلين اخرجه البخاري ومسلم وقوله تعالى فريقا هدى يعني هداهم
الله تعالى الى الايمان به ومعرفته ووفقهم الله تعالى لطاعته وعبادته وفريقا حق عليهم الضلالة
وخذلهم حتى وجبت عليهم الضلالة السابقة التي سبقت لهم في الازل انهم اشقيا وفيه دليل على ان
الهدى والضلال من الله عز وجل ولما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة فالقى عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطاه ضل اخرجه
الترمذي وقوله تعالى انهم اتخذوا الشياطين اوليا من دون الله يعني ان الفريق الذي
حق عليهم الضلالة اتخذوا الشياطين نصرا واعوانا اطاعوهم فيما امروهم به من الكفر والمعاصي والمعنى ان الداعي
الذي دعاهم الى الكفر والمعاصي انهم اتخذوا الشياطين اوليا من دون الله لان الشياطين يقدرون على اضلال

الجنة ثم يختم له عمله بعمل اهل النار
وان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل
اهله

لحد وقوله تعالى **ويحسبون أنهم مهتدون** يعني أنهم على ضلالتهم يظنون ويحسبون أنهم على هداية وحق وفيه دليل على أن الكافر الذي يظن أنه في دينه على الحق والجاحد والمعاند في الكفر سواء قوله عز وجل **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** ق عن ابن عباس قال كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول من يعيرني تطوافا وتجعله على فرجها وتقول

• اليوم يبدو بعضه أو كله • فما بدا منه فلا أحله •

فنزلت هذه الآية خذوا زينتكم عند كل مسجد أخرجه مسلم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال بالنهار والنساء بالليل وذكر الحديث زاد في رواية أخرى عنه فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا وقال مجاهد كان أحدهم إذا قدم حاجا أو معتمرا يقول لا ينبغي لي أن أطوف في ثوب قد عصيت فيه فيقول من يعيرني مئزرا فإن قدر عليه وإلا طاف عريانا فأنزل الله فيه ما تسمعون خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال الزهري إن العرب كانت تطوف بالبيت عراة إلا الحمس وهم قريش وأحلافهم من جاء من غير الحمس وضع ثيابه وطاف في ثوب أحمسي فإنه لا يحل له أن يلبس ثيابه فإن لم يجد من يعيره من الحمس فإنه يلقي ثيابه ويطوف عريانا وإن طاف في ثياب نفسه ألقاها إذا قضى طوافه يحرمها فيجعلها حراما عليه فلذلك قال الله خذوا زينتكم عند كل مسجد والمراد من الزينة لبس الثياب التي تستر العورة قال مجاهد ما يواري عورتكم ولو عباءة وقال الكلبي الزينة ما يواري العورة عند كل مسجد لطواف وصلاة وقوله تعالى خذوا زينتكم وظاهره الوجوب فيه دليل على أن ستر العورة واجب في الصلاة والطواف وفي كل حال **وقوله تعالى وكلوا واشربوا** قال الكلبي كانت بنو عامر لا يأكلون في أيام حجهم إلا قوتا وكانوا لا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون نحن أحق أن نفعل ذلك يا رسول الله فأنزل الله عز وجل وكلوا واشربوا يعني اللحم والدسم **ولا تسرفوا** يعني بتحريم ما لم يحرمه الله من أكل اللحم والدسم قال ابن عباس كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن الحسين بن واقد قد جمع الله الطب كله في نصف آية كلوا واشربوا ولا تسرفوا الآية دليل على أن جميع المطعومات والمشروبات حلال إلا ما خصه الشرع بدليل في التحريم لأن الأصل في جميع الأشياء الإباحة إلا ما حظره الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل **إنه لا يحب المسرفين** يعني أن الله لا يحب من أسرف في المأكول والمشروب والملبوس وفي هذه الآية وعيد وتهديد لمن أسرف في هذه الأشياء لأن محبة الله عبارة عن رضاه عن العبد وإيصال الثواب إليه وإذا لم يحبه علم الله تعالى ليس راض عنه فدلت الآية على الوعيد الشديد في الإسراف قوله تعالى **قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده** يعني قل يا محمد لهؤلاء الجهلة من العرب الذين يطوفون بالبيت بالبيت عراة من حرم عليكم زينة الله التي خلقها لعباده أن تتزينوا بها وتلبسوها في الطواف وغيره في تفسير الزينة قولان أحدهما وهو قول جمهور المفسرين أن المراد من الزينة هنا اللباس الذي يستر العورة والقول الثاني ذكره الإمام فخر الدين الرازي أنه يتناول جميع أنواع الزينة فيدخل تحته جميع أنواع الملبوس والحلي ولولا أن النص ورد بتحريم استعمال الحرير والذهب على الرجال في هذا العموم ولكن ورد النص بالتحريم على الرجال دون النساء **والطيبات من الرزق** يعني ومن حرم الطيبات من الرزق التي أخرجها الله لعباده وخلقها لهم وذكروا في معنى الطيبات في هذه الآية أقوالا أحدها أن المراد بالطيبات اللحم والدسم الذي كانوا يحرمونه على أنفسهم أيام الحج يعظمون بذلك حجهم فرد عليهم بقوله قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثاني وهو قول ابن عباس أن الجاهلية كانوا يحرمون أشياء أحلها الله من الزرع وغيرها وهو قوله تعالى قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا وهو هنا وأنزل الله من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق والقول الثالث أن الآية على العموم فيدخل تحته كل ما يستلذ ويشتهى من

سائر

وسائر المطعومات إلا ما ورد نص بتحريمه **قل هي للذين آمنوا** يعني قل يا محمد إن الطيبات التي أخرج الله من رزقه للذين آمنوا **في الحياة الدنيا** غير خالصة لهم لأنه يشركهم فيها المشركون **خالصة** لهم **يوم القيامة** يعني لا يشركهم فيها أحد لأنه لا حظ للمشركين يوم القيامة في الطيبات من الرزق وقيل معناه خالصة لهم يوم القيامة من التكدير والتنغيص والغم لأنه قد يقع لهم في الحياة الدنيا في تناول الطيبات من الرزق كدر وتنغيص فأعلم أنها خالصة في الآخرة من ذلك كله **كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون** يعني كذلك نبين الحلال مما أحللت والحرام مما حرمت لقوم علموا أني أنا الله وحدي لا شريك لي فأحلوا ما أحللت لهم وحرموا ما حرمت قوله عز وجل **قل إنما حرم ربي الفواحش** جمع فاحشة وهو ما قبح وفحش من قول أو فعل والمعنى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجردون من الثياب عراة ويحرمون أكل الطيبات مما أحل الله لهم إن الله لم يحرم ما تحرمونه بل أحله الله لعباده وطيبه وإنما حرم ربي الفوا من الأفعال والأقوال **ما ظهر منها وما بطن** يعني علانيته وسره ق عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا أحد أحب إليه المدح من الله من أجل ذلك مدح نفسه أصل الغيرة ثوران الغضب وهيجان الحفيظة بسبب المشاركة فيما يختص به الإنسان ومنه غيرة أحد الزوجين على الآخر لاختصاص كل منهما بصاحبه ولا يرضى أن يشاركه أحد فيه فلذلك يذب عنه ويمنعه من غيره وأما الغيرة في وصف الله تعالى فهو منعه من ذلك وتحريمه له ويدل على ذلك من غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن وقد يحتمل أن غيرته تغيير حال فاعل ذلك بعقاب الله تعالى والله أعلم وقوله عز وجل **والإثم** يعني وحرم الإثم واختلفوا في الفرق بين الفاحشة والإثم فقيل الفواحش الكبائر لأنه قد تفاحش قبحها وتزايد والإثم عبارة عن الصغائر من الذنوب فعلى هذا يكون معنى الآية قل إنما حرم ربي الكبائر والصغائر وقيل الفاحشة اسم لما يجب الحد من الذنوب والإثم اسم لما لا يجب فيه الحد وهذا القول هو قريب من الأول واعترض على هذين القولين بأن الإثم في أصل اللغة الذنب فيدخل فيه الكبائر والصغائر وقيل إن الفاحشة اسم الكبيرة والإثم اسم لمطلق الذنب سواء كان كبيرا أو صغيرا والفائدة فيه أنه تعالى لما حرم الله الكبيرة بقوله قل إنما حرم ربي الفواحش أردفه بتحريم مطلق الذنب لئلا يتوهم متوهم بأن التحريم مقصور على الكبائر فقط وقيل إن الفاحشة وإن كانت بحسب اللغة اسم لكل ما تفاحش من قول أو فعل لكنه قد صار في العرف مخصوصا بالزنا لأنه إذا أطلق لفظ الفاحشة لم يفهم منه إلا ذاك فوجب حمل لفظ الفاحشة على الزنا وأما الإثم فقد قيل إنه اسم من أسماء الخمر وهو قول الحسن وعطاء قال الجوهري وقد يسمى الخمر إثما واستدل عليه بقول الشاعر

• شربت الإثم حتى ضل عقلي • كذاك الإثم يذهب بالعقول •

وقال ابن سيده صاحب المحكم وعندي أن تسمية الخمر بالإثم لأن شربها إثم وبهذا المعنى يظهر الفرق بين اللفظين وأنكر أبو بكر الأنباري تسمية الخمر بالإثم قال لأن العرب ما سمته إثما قط في جاهلية ولا في إسلام ولكن قد يكون الخمر داخلا تحت الإثم لقوله تعالى قل فيهما إثم كبير وقوله تعالى **والبغي بغير الحق** والكبر والاستطالة على الناس ومجاوزة الحد في ذلك كله ومعنى البغي بغير الحق هو أن يطلب ما ليس له بحق فإذا طلب ما له بحق خرج من أن يكون بغيا **وأن تشركوا** أي وحرم أن تشركوا **بالله ما لم ينزل به سلطانا** هذا فيه تهكم بالمشركين والكفار لأنه لا يجوز أن ينزل حجة وبرهانا بأن يشرك به غيره لأن الإشراك ليس على ثبوته حجة ولا برهان ممتنع فلما امتنع حصول الحجة والبينة على صحة القول بالشرك وجب أن يكون باطلا على الإطلاق فإن قلت البغي والإشراك داخلان تحت الفاحشة والإثم لأن الشرك من أعظم الفواحش وأعظم الإثم وكذا البغي أيضا من الفواحش وأعظم الإثم قلت إنما أفردهما بالذكر للتنبيه على عظيم قبحهما كأنه قال من الفواحش المحرمة البغي والشرك

فكانه بين جملته ثم تفصيله وقوله تعالى وان تقولوا على الله ما لا تعلمون تقدم تفسيره قوله تعالى
ولكل امة اجل الاجل الوقت الموقت لانقضاء وقت المهلة ثم في هذا الاجل المذكور في الاية قولان
احدهما انه اجل العذاب والمعنى ان لكل امة كذبت رسلها وقتا معينا واجلا مسمى امهلهم الى ذلك الوقت
فاذا جاء اجلهم يعني فاذا جاء وقت عذابهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون يعني
فلا يؤخرون ولا يمهلون قدر ساعة ولا اقل من ساعة وانما ذكرت الساعة لانها اقل اسماء الاوقات في
العرف وهذا حين سالوا نزول العذاب فاخبرهم الله ان لهم وقتا اذا جاء ذلك الوقت وهو وقت اهلاكهم
واستيصالهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون والقول الثاني ان المراد بهذا الاجل هو اجل
الحياة والعمر فاذا انقضى ذلك الاجل وحضر الموت فلا يؤخر ساعة ولا يقدم ساعة وعلى هذا القول
يلزم ان يكون لكل واحد اجل لا يقع فيه تقديم ولا تاخير وانما قال الله تعالى لكل امة لتقارب اعمار
اهل كل عصر فكانهم كانوا واحدا في مقدار العمر وعلى هذا القول ايضا يكون المقتول ميتا باجله
خلافا لمن يقول ان المقتول قطع عليه اجله قوله عز وجل يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم
هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط وجزاء هذا الشرط هو الفاء وما بعدها من الشرط
والجزاء وقوله فمن اتقى واصلح يعني منكم وانما قال الرسل بلفظ الجمع وان كان المراد به واحدا وهو
النبي صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبياء وهو مرسل الى كافة الخلق فذكره بلفظ الجمع على سبيل
التعظيم فعلى هذا يكون الخطاب في قوله يا بني ادم لاهل مكة ومن يلحق بهم وقيل اراد جميع الرسل
وعلى هذا فالخطاب في قوله يا بني ادم عام في كل بني ادم وانما قال منكم يعني من جنسكم ومثلكم
من بني ادم لان الرسول اذا كان من جنسهم كان اقطع لعذرهم واثبت للحجة عليهم لانهم يعرفونه
ويعرفون احواله فاذا اتاهم بما لا يليق بقدرته ولا بقدرة امثاله علموا ان ذلك الذي اتى به
معجزة له وحجة على من خالفه يقصون عليكم اياتي يعني يقرؤون عليكم كتابي وادلة احكامي
وشرايعي التي شرعت لعبادي فمن اتقى يعني فمن اتقى الشرك ومخالفة رسلي واصلح يعني
العمل الذي امرته به رسلي فعمل بطاعتي وتجنب معصيتي وما نهيته عنه فلا خوف عليهم يعني
حين يخاف غيرهم يوم القيامة من العذاب ولا هم يحزنون يعني على ما فاتهم من دنياهم
التي تركوها والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها يعني وجحد اياتنا وكذب رسلنا
اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يعني لا يخرجون منها ابدا قوله تعالى فمن اظلم ممن افترى
على الله كذبا يعني فمن اظلم ظلما ممن يقول على الله ما لم يقله ويجعل له شريكا من خلقه وهو منزه عن الشريك
والولد او كذب باياته يعني او كذب بالقرآن الذي انزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم
اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب يعني ينالهم حظهم مما قدر لهم وكتب في اللوح المحفوظ واختلفوا
في ذلك النصيب على قولين احدهما ان المراد به هو العذاب والمعنى ينالهم في الكتاب ثم اختلفوا فيه فقال
الحسن والسدي ما كتب لهم من العذاب وقضى عليهم من سواد الوجوه وزرقة العيون وقال ابن عباس في
رواية عنه كتب لمن يفتري على الله كذبا ان وجهه اسود قال الزجاج هو المذكور في قوله فانذرتكم نارا
تلظى وفي قوله اذ الاغلال في اعناقهم فهذه الاشياء نصيبهم من الكتاب على قدر ذنوبهم في كفرهم
والقول الثاني ان المراد بالنصيب المذكور في الكتاب هو شيء سوى العذاب ثم اختلفوا فيه فقال ابن عباس
في رواية اخرى عنه وعن مجاهد وسعيد بن جبير وعطية في قوله ينالهم نصيبهم من الكتاب قال هو
السعادة والشقاوة وقال ابن عباس ما كتب عليهم من الاعمال وقال في رواية اخرى عنه من عمل خيرا
جزي به وقال قتادة جزاء اعمالهم التي عملوها وقيل يعني ذلك ينالهم نصيبهم مما وعدوا في الكتاب
من خير او شر قاله مجاهد والضحاك وفي رواية عن ابن عباس ايضا وقال الربيع بن انس ينالهم ما كتب
لهم من الكتاب من الرزق وقال محمد بن كعب القرظي عمله ورزقه وعمره وقال ابن زيد ينالهم نصيبهم

من

من الكتاب من الاعمال والارزاق والاعمار فاذا فني هذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم وصحح الطبري هذا القول
وقال لان الله تعالى اتبع ذلك بقوله حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم فابان ان الذي ينالهم هو ما قدر
لهم في الدنيا فاذا فني توفتهم رسل ربهم قال الامام فخر الدين وانما حصل الاختلاف لان لفظ النصيب
محتمل لكل الوجوه وقال بعض المحققين حمله على العمر والرزق اولى لانه تعالى بين انهم وان بلغوا في الكفر
ذلك المبلغ العظيم فانه ليس بمانع عظيم اذ ينالهم ما كتب لهم من رزق وعمر وتفضيلا من الله سبحانه وتعالى
لكي يصلحوا ويتوبوا قوله تعالى حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم يعني حتى اذا جاءت هؤلاء الذين يفترون
على الله الكذب رسلنا ملك الموت واعوانه ليقبض ارواحهم عند استكمال اعمارهم وارزاقهم لان لفظ الوفاة
يفيد هذا المعنى قالوا يعني قال رسل الله وهم الملائكة للكفار اينما كنتم تدعون من دون الله
وهذا سؤال توبيخ وتقريع وتبكيت لا سؤال استعلام والمعنى اين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله وتدعونهم
ليدفعوا عنكم ما جاءكم من امر الله قالوا يعني الكفار مجيبين للرسل ضلوا عنا يعني بطلوا
وذهبوا عنا وتركونا عند حاجتنا اليهم فلم ينفعونا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين يقول الله
تعالى وشهد هؤلاء الكفار عند معاينة العذاب انهم كانوا جاحدين وحدانية الله واعترفوا على انفسهم
بذلك قوله عز وجل قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس يعني يقول الله عز وجل
يوم القيامة لمن افترى عليه الكذب وجعل له شريكا من خلقه ادخلوا في امم يعني في جملة امم قد خلت يعني
قد مضت وسلفت ولما قال قد خلت ولم يقل قد خلوا لانه اطلق الضمير على الجماعة يعني في جملة جماعات
قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار اي ادخلوا جميعا في النار التي هي مستقركم وماواكم وانما عنى
بالامم الجماعات والاحزاب واهل الملل الكافرة من الجن والانس كلما دخلت امة يعني كلما دخلت جماعة
في النار لعنت اختها يعني كلما دخلت امة النار لعنت اختها اي اهل ملتها في الدين لا في النسب قال
السدي كلما دخلت اهل ملة النار لعنوا اصحابهم على ذلك الدين فيلعن المشركون المشركين واليهود اليهود
والنصارى النصارى والصابيون الصابيين والمجوس المجوس تلعن الاخرة الاولى حتى اذا اداركوا
يعني تداركوا وتلاحقوا فيها جميعا يعني تلاحقوا واجتمعوا في النار جميعا وادرك بعضهم بعضا
واستقروا في النار قالت اخراهم لاولاهم قال ابن عباس يعني قال اخر كل امة لاولاها وقال السدي
قالت اخراهم الذين كانوا في اخر الزمان لاولاهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين وقال مقاتل يعني قال
اخرهم دخولا النار وهم الاتباع لاولاهم دخولا وهم القادة بدخول النار اولا ربنا هؤلاء اضلونا
يعني تقول الاتباع ربنا هؤلاء القادة الرؤساء اضلونا عن الهدى وزينوا لنا طاعة الشيطان وقيل
انما قال المتاخرون ذلك لانهم كانوا يعتقدون تعظيم المتقدمين من اسلافهم فسلكوا سبيلهم في
الضلالة واتبعوا طريقتهم فيما كانوا عليه قالوا ربنا هؤلاء اضلونا لانا اتبعنا سبيلهم فاتهم عذابا
ضعفا من النار اي اضعف عليهم العذاب قال ابو عبيدة الضعف هو مثل الشيء مرة واحدة قال
الازهري والذي قاله ابو عبيدة هو ما يستعمله الناس في مجاز كلامهم ما زال وليس بمقصور على مثليه
وجايز في كلام العرب هذا ضعفه اي مثلاه وثلاثة امثاله لان الضعف في الاصل زيادة غير محصورة
واولى الاشياء به ان يجعل عشرة امثاله فاقل الضعف محصور وهو المثل واكثره غير محصور وقال
الزجاج في تفسير هذه الاية فاتهم عذابا ضعفا اي مضاعفا لان الضعف في كلام العرب على
ضربين احدهما المثل والاخر ان يكون في معنى تضعيف الشيء اي زيادته قال يعني قال الله لكل ضعف
يعني لاولاكم ضعف ولاخراكم ضعف وقيل معناه للتابع ضعف وللمتبوع ضعف لانهم قد دخلوا في الكفر
جميعا ولكن لا تعلمون يعني ما اعد الله لكل فريق من العذاب وقرئ بالياء ومعناه لا يعلم كل فريق
ما اعد الله من العذاب للفريق الاخر قوله تعالى وقالت اولاهم يعني في الكفر وهم القادة لاخراهم
يعني الاتباع فما كان لكم علينا من فضل يعني قد ضللتم كما ضللنا وكفرتم كما كفرنا وقيل في معنى الاية

قالت كلما دخلت امة لعنت في الدنيا لاخراها الذين جاؤا من بعدهم تسلكوا سبيل من مضى قبلهم فما كان
لكم علينا من فضل وقد علمتم ما حل بنا من عقوبة الله تعالى بسبب كفرنا ومعصيتنا اياه وجاءتكم
رسلهم بذلك الرسل والنذر فما رجعتم عن ضلالتكم وكفركم فذوقوا العذاب وهذا يحتمل ان يكون من
قول القادة للاتباع والامة الاولى للاخرى التي بعدها ويحتمل ان يكون من قول الله يعني يقول للجميع
فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون يعني بسبب ما كنتم تكسبون من الكفر والاعمال الخبيثة قوله
عز وجل ان الذين كذبوا باياتنا يعني كذبوا بدلائل التوحيد لم يصدقوا بها ولم يتبعوا رسلنا
واستكبروا عنها اي تكبروا عن الايمان بها والتصديق لها وانفوا عن اتباعها والانقياد لها والعمل
بمقتضاها تكبرا لا تفتح لهم ابواب السماء اي لا تفتح لارواحهم اذا خرجت من اجسادهم ولا يصعد
لهم الى الله عز وجل في وقت حياتهم قول ولا عمل لان ارواحهم واقوالهم واعمالهم كلها خبيثة وانما يصعد
الى الله الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه لا تفتح لهم ابواب السماء لارواح الكفار وتفتح لارواح المومنين
وفي رواية عن ابن عباس قال لا يصعد لهم قول ولا عمل وقال ابن جريج لا تفتح لهم ابواب السماء لارواحهم
ولا لاعمالهم وروى الطبري بسنده عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح
الفاجر وانه يصعد بها الى السماء قال فيصعدون بها فلا يمرون على ملا من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح
الخبيث قال فيقولون فلان باقبح اسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء فيستفتحون
له فلا يفتح لهم ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج
الجمل في سم الخياط وقيل في معنى الاية لا تنزل عليهم البركة والخير لان ذلك لا ينزل الا من السماء فاذا لم
تفتح لهم ابواب السماء فلا ينزل عليهم من الرحمة والبركة شي وقوله تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج
الجمل في سم الخياط الولوج الدخول والجمل معروف وهو الذكر من الابل وسم الخياط ثقب الابرة قال الفرا
الخياط والمخيط ما يخاط به والمراد به الابرة في هذه الاية وانما خص الجمل بالذكر من بين سائر الحيوانات
لانه اكبر من سائر الحيوانات جسما عند العرب قال الشاعر جسم الجمال واحلام العصافير
وصف من هجاه بهذا بعظم الجسم مع صغر العقل فجسم الجمل من اعظم الاجسام وثقب الابرة من اضيق
المنافذ فكان ولوج الجمل مع عظم جسمه في ثقب الابرة الضيق محالا فكذلك دخول الكفار الجنة محال
ولما وقف دخولهم الجنة على حصول الشرط وكان وقوع هذا الشرط محالا فثبت ان الوقوع في الحال
محال فوجب بهذا الاعتبار دخول الكفار الجنة مايوسا منه قطعا وقال بعض اهل المعاني لما علق الله
دخولهم الجنة بولوج الجمل في سم الخياط وهو خرق الابرة كان ذلك نفيا لدخولهم الجنة على التابيد
وذلك لان العرب اذا علقت ما يجوز كونه باستحالة كون ذلك الجائز وهذا كقولك لا افعله حتى يشيب
الغراب ويبيض القار ومنه قول الشاعر

اذا شاب الغراب اتيت اهلي • وصار القار كاللبن الحليب

وقوله تعالى وكذلك نجزي المجرمين اي ومثل الذي وصفنا نجزي المجرمين يعني الكافرين لانه تقدم
في صفتهم انهم كذبوا بايات الله واستكبروا وهذه صفة الكفار فوجب حمل المجرمين على انهم
الكفار ولما بين الله عز وجل ان الكفار لا يدخلون الجنة ابدا بين انهم من اهل النار
ووصف ما اعد لهم فيها فقال تعالى لهم من جهنم مهاد يعني لهم من نار جهنم فراش
واصل المهاد التمهيد الذي يقعد عليه ويضطجع عليه كالفراش والبساط ومن فوقهم غواش
جمع غاشية وهو الغطاء كاللحاف ونحوه ومعنى الاية ان النار محيطة بهم من تحتهم ومن فوقهم قال
محمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي المهاد الفراش والغواش اللحف وكذلك نجزي الظالمين يعني وكذلك
نكافي ونثيب المشركين الذين وضعوا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل والذين امنوا
وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها لما ذكر الله تعالى وعيد الكافرين وما ذكر لهم في الاخرة

اتبعه

اتبعه بذكر وعيد المومنين وما اعد لهم في الاخرة فقال والذين امنوا وعملوا الصالحات يعني والذين صدقوا
الله ورسوله واقروا بما جاءهم به من وحي الله وتنزيله عليه من شرائع دينه وعملوا بما امرهم به واطاعوه
في ذلك وتجنبوا ما نهاهم عنه لا نكلف نفسا الا وسعها من الاعمال وما يعمل عليها ودخل في طوقها
وقدرتها وما لا حرج في طوقها وقدرتها وما لا حرج فيه عليها ولا ضيق قال الزجاج الوسع ما يقدر
عليه وقال مجاهد معناه الا ما افترض عليها يعني وسعها الذي تقدر عليه ولا تعجز عنه وقد غلط من
قال الوسع بذل المجهود وقال اكثر اصحاب المعاني ان قوله تعالى لا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض وقع
في المبتدا والخبر والتقدير ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون وانما
حسن وقوع الكلام بين المبتدا والخبر لانه من جنس هذا الكلام لانه تعالى لما ذكر عملهم الصالح ذكر ان العمل
من وسعهم وطاقتهم وغير خارج عن قدرتهم وفيه تنبيه للكفار على ان الجنة مع عظم قدرها
ومحلها يوصل اليها بالعمل الصالح السهل من غير كلفة ولا مشقة صعبة وقال قوم من اصحاب
المعاني موضعه رفع من تمام الخبر والعائد محذوف لانه قال لا نكلف نفسا منهم الا وسعها
فحذف العائد للعلم به وقوله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل يعني وقلعنا واخرجنا
ما في صدور المومنين من غش وحسد وحقد وعداوة كانت بينهم في الدنيا ومعنى الاية ازلنا تلك
الاحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في الدنيا فجعلناهم اخوانا على سرر متقابلين لا يحسد
بعضهم بعضا على شي خص الله به بعضهم دون بعض ومعنى نزع الغل تصفية الطباع واسقاط
الوساوس ومنعها من ان ترد على القلب روي عن علي قال فينا والله اهل بدر نزلت ونزعنا ما في
صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين وروي عنه ايضا انه قال اني لارجو ان اكون انا وعثمان
وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم ونزعنا ما في صدورهم من غل وقيل ان الحسد والغل يزول بدخولهم
الجنة (خ) عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المومنون من
النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم
في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن الله لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحد
اهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا وقال السدي في هذه الاية ان اهل الجنة اذا سيقوا الى الجنة
فلما وجدوا عند بابها شجرة في اصل ساقها عينان فشربوا من احداهما فنزع ما في صدورهم
من غل فهو الشراب الطهور واغتسلوا من الاخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فلن يشعثوا ولن
يشحبوا بعدها ابدا وقيل ان درجات اهل الجنة متفاوتة في العلو والكمال فبعض اهل
الجنة اعلى من بعض فاخرج الله عز وجل الغل والحسد من صدورهم
فلا يحسد صاحب الدرجة النازلة صاحب الدرجة العالية وان رد على هذا كيف يتصور ان الانسان
يرى الدرجات العالية والنعم العظيمة وهو محروم عنها ثم لا يتصل اليها فكيف لا يميل بطبعه
اليها ولا يغتم بسبب حرمانه منها وان كان في نعيم ولذة واجيب عن هذا بان الله تعالى قد ازال
الحقد والحسد من قلوب اهل الجنة حتى تكامل لهم اللذة والسرور حتى ان احدهم لا يرى نفسه
الا كاملا وزيادة من النعيم الذي هو فيه يرضى بما هو فيه ولا يحسد احدا ابدا ولا يكدر نعيمه
ولذته بكدر ورود وهيجه وقوله تعالى تجري من تحتهم الانهار لما اخبر الله بتمام النعم على اهل
الجنة من ازالة الغل والحسد والحقد من صدورهم اخبر بما انعم عليهم من اللذات والخيرات
والمسرات وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا يعني المومنين اذا دخلوا الجنة قالوا الحمد لله الذي وفقنا
وارشدنا للعمل الذي هو ثوابه وتفضل علينا برحمته واحسانه بما هو كله الحمد على ذلك وصرف
عنا عذاب جهنم بفضله وكرمه وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله يعني وما كنا نرشد لذلك

العمل الذي هو ثواب لولا ان ارشدنا الله اليه ووفقنا بفضله ومنه وكرمه وفي الاية دليل على ان
المهتدي من هداه الله ومن لم يهده الله فليس بمهتد لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني ان اهل النعيم
اذا راوها وراوا ما اعد الله لهم فيها من النعيم قالوا لقد جاءت رسل ربنا بالحق يعني لنا اذا
راوا ما اعد الله لهم ما وعدهم الرسل عيانا ونودوا ان تلكم الجنة ونادى مناد يا اهل الجنة
ان هذه تلكم الجنة التي كانت الرسل وعدتكم بها في الدنيا واختلفوا في المنادي فقيل هو الله
عز وجل وقيل الملائكة ينادون بامر الله عز وجل **وقيل** هذا النداء يكون في الجنة
وعن ابي سعيد وابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى مناد
ان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تصحوا فلا تسقموا
ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تباسوا ابدا فذلك قوله عز وجل ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها
بما كنتم تعملون وقوله تعالى اورثتموها بما كنتم تعملون روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما من احد الا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فاما الكافر فانه يرث المومن منزله من النار
والكافر في النار والمومن يرث الكافر منزله من الجنة زاد في رواية فلذلك قوله اورثتموها بما كنتم
تعملون قال بعضهم لما سمى الله الكافر ميتا بقوله اموات غير احياء سمى المومن حيا بقوله لينذر من كان حيا
وفي الشرع ان الاحيا يرثون الاموات فقال اورثتموها يعني ان المومن حي وهو يرث الكافر منزله
من الجنة لانه في حكم الميت وقيل معناه ان امرهم يؤول الى الجنة كما ان الميراث يؤول الى الوارث
وقيل اورثتموها عن الاعمال الصالحة التي عملوها لان الجنة جعلت ثوابا وجزا لهم على الاعمال
ولا يعارض هذا القول ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لن يدخل الجنة احد بعمله وانما
يدخلونها برحمة الله واقسام الدرجات والمنازل بالاعمال وقيل ان العمل الصالح لن يناله المومن
فلم يبلغها الا برحمة الله وتوفيقه وان كان العمل الصالح سببه الرحمة كان دخول الجنة في الحقيقة
برحمة الله وجعلها الله ثوابا وجزا لهم على تلك الاعمال الصالحة التي عملوها في دار الدنيا والله
اعلم **قوله تعالى** ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار يعني ونادى اهل
الجنة اهل النار وهذا النداء انما يكون بعد استقرار اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار فيقول
اهل الجنة يا اهل النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا يعني ما وعدنا في الدنيا على السنة
رسله من الثواب على الايمان به وبرسله وطاعته حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا يعني
من العذاب على الكفر قالوا نعم فاذن مؤذن بينهم قال اهل النار مجيبين لاهل الجنة نعم وجدنا ذلك حقا
فان قلت هذا النداء من كل اهل الجنة لكل اهل النار او البعض للبعض قلت ظاهر قوله ونادى اصحاب
الجنة اصحاب النار يفيد العموم والجمع واذا قابل الجمع يوزع الفرد على الفرد فكل فريق من اهل الجنة
ينادي من كان يعرفه من الكفار في دار الدنيا **فان قلت** اذا كانت الجنة في السماء والنار
في الارض فكيف يمكن ان يبلغ هذا النداء وكيف يصح ان يقع قلت ان الله تعالى قادر على ان
يقوي الاصوات والاسماع فيصير البعيد كالقريب وقوله تعالى فاذن مؤذن بينهم يعني نادى
مناد واعلم لان اصل الاذان في اللغة الاعلام والمعنى نادى مناد اسمع الفريقين وهذا
المنادي من الملائكة وقيل انه اسرافيل صاحب الصور ذكره الواحدي ان لعنة الله على الظالمين
يعني يقول المؤذن ان لعنة الله على الظالمين ثم فسر الظالمين منهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله
يعني الذين يمنعون الناس من الدخول في الاسلام ويبغونها عوجا يعني ويحاولون ان يغيروا
دين الله وطريقته التي شرع لعباده ويبدلونها وقيل معناه انهم يصلون لغير الله ويعظمون
ما لم يعظم الله وذلك انهم طلبوا سبيل الله بالصلاة لغير الله وتعظيم ما لم يعظم الله فاخطوا
الطريق وضلوا عن السبيل وهم بالاخرة كافرون يعني وهم بكون الاخرة واقعة جاحدون

منكرون

منكرون لما قوله عز وجل وبينهما حجاب يعني وبين الجنة والنار وقيل بين اهل الجنة
واهل النار حجاب وهو المذكور بقوله فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من
قبله العذاب وقال مجاهد الاعراف حجاب بين الجنة والنار وقال السدي وبينهما حجاب
هو السور وهو الاعراف وعلى الاعراف رجال الاعراف جمع عرف وهو كل مرتفع من الارض
ومنه قيل عرف الديك لارتفاعه على ما سواه من جسده سمي بذلك لانه بسبب ارتفاعه صار اعرف واتى
مما يتخفض وقال السدي انما سمي الاعراف لان اصحابه يعرفون الناس وقال ابن عباس الاعراف الشيء
المشرف وعنه قال الاعراف سور كعرف الديك وعنه ان الاعراف تل بين الجنة والنار حبس عليه ناس
من اهل الذنوب بين الجنة والنار واختلف العلماء في صفة الرجال الذين اخبر عنهم انهم على الاعراف
وما السبب الذي من اجله صاروا هنالك فروي عن حذيفة انه سئل عن اصحاب الاعراف فقال هم قوم استوت
حسناتهم وسياتهم فقصرت سياتهم بهم عن الجنة وخلفت بهم حسناتهم عن النار فوقفوا هنالك على
السور حتى يقضي الله فيهم قال بعضهم انما جعلوا على الاعراف لانها درجة متوسطة بين الجنة والنار
فهم لا من اهل الجنة ولا من اهل النار لكن الله يدخلهم الجنة بفضله ورحمته لانه ليس في الاخرة دار
الا الجنة او النار وقال ابن مسعود يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته اكثر بواحدة
دخل الجنة ومن كانت سياته اكثر بواحدة دخل النار وان الميزان يخف ويثقل بمثقال حبة فمن استوت
حسناته وسياته كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الاعراف فاذا نظروا الى اهل النار قالوا ربنا
لا تجعلنا مع القوم الظالمين فهناك يقول الله لم يدخلوها وهم يطمعون فكان الطمع دخولا قال ابن
مسعود العبد اذا عمل حسنة كتبت له بها عشر واذا عمل سيئة لم تكتب الا واحدة ثم قال هلك من غلبت وحداته
عشراته وقال ابن عباس الاعراف سور بين الجنة والنار واصحاب الاعراف قوم استوت حسناتهم
وسياتهم فهم بذلك المكان حتى اذا اراد الله ان يعافيهم انطلق بهم الى نهر يقال له الحياة حافتاه قصب
الذهب مكلل باللؤلؤ ترابه المسك فالقوا فيه حتى تصلح الوانهم وتبدو في نحورهم شامة بيضاء يعرفون
بها يسمون مساكين اهل الجنة ذكره ابن جرير حتى اذا اصلحت الوانهم اتى بهم الرحمن تبارك وتعالى
فقال تمنوا ما شئتم فيتمنون حتى اذا انقطعت امنيتهم قال لكم الذي تمنيتم ومثله سبعون ضعفا
فيدخلون الجنة وفي نحورهم شامة بيضاء يعرفون بها يسمون مساكين اهل الجنة ذكره ابن جرير في تفسيره
وقال سهيل بن سعد اصحاب الاعراف قوم خرجوا في الغزو بغير اذن ابائهم ورواه
الطبري بسنده الى يحيى بن شبل مولى لبني هاشم عن محمد بن عبد الرحمن عن ابيه قال سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن اصحاب الاعراف فقال هم قوم قتلوا عصاة لابائهم فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار
ومنعهم معصيتهم ابائهم ان يدخلوا الجنة وفي رواية اخرى انهم قوم [illegible]
رضوا ابائهم دون امهاتهم وامهاتهم دون ابائهم وروي عن ابراهيم وذكر عن صالح مولى التوأمة
عن ابن عباس انهم اولاد الزنا وقيل انهم الذين ماتوا في الفترة وقيل لان احرار اصحاب الاعراف
في الاعراف الجنة وهم الذين ماتوا في الفترة والله اعلم [illegible] وقيل انهم اولاد
المشركين الذين ماتوا اطفالا وهذا القول يرجع معناه الى القول الذي قبله لانه داخل حكمه وهذه
الاقوال تدل على ان اصحاب الاعراف دون اهل الجنة في الدرجات وان كانوا يدخلون الجنة برحمة الله وقال
مجاهد اصحاب الاعراف قوم صالحون فقهاء علماء فعلى هذا القول انما يكونون على الاعراف على سبيل
والنزهة وليرى غيرهم شرفهم وفضلهم وقيل انهم الانبياء حكاه ابن الانباري وانما اجلسهم الله على
ذلك المكان العالي تمييزا لهم على سائر اهل القيامة ولاظهار فضلهم وعلو مرتبتهم وليكونوا مشرفين
على اهل الجنة والنار مطلعين على احوالهم ومقادير ثواب اهل الجنة وعقاب اهل النار وقال مجاهد ابو
مجلز اصحاب الاعراف ملائكة يعرفون الفريقين بسيماهم حتى يعرفون اهل الجنة واهل النار [illegible]

لابي مجلز ان الله تعالى يقول وعلى الاعراف رجال وانت تقول انهم ملايكة فقال ان الملايكة ذكور
ليسوا باناث وضعف الطبري قول ابي مجلز قال لان لفظ الرجال في لسان العرب لا يطلق الا على الذكر
من بني ادم دون اناثهم وساير الخلق وحاصل هذه الاقوال ان اصحاب الاعراف افضل من اهل الجنة لانهم
اعلا منهم منزلة وافضل وقيل انما اجلسهم الله في ذلك المكان العالي ليميزوا بين اهل الجنة والنار
والله اعلم بمراده واسرار كتابه **قوله تعالى** يعرفون كلا بسيماهم يعني اصحاب الاعراف
يعرفون اهل النار بسيماهم وذلك بسواد وجوههم فان قلنا ان اصحاب الاعراف من استوت حسناتهم
وسيئاتهم وهم دون اهل الجنة في الدرجة فاوقفهم الله تعالى على الاعراف ليكونوا درجة متوسطة بين
بين الجنة والنار فاذا راوا اهل الجنة عرفوهم ببياض وجوههم نادوهم ان سلام عليكم وهو قوله تعالى
ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني نادى اصحاب الاعراف اصحاب الجنة ان سلام عليكم يعني سلمتم
من الافات وحصل لكم الامن والسلامة واذا راوا اهل النار عرفوهم بسواد وجوههم قالوا ربنا لا تجعلنا
مع القوم الظالمين وان قلنا ان اصحاب الاعراف هم الاشراف والافاضل من اهل الجنة كان جلوسهم على الاعراف
ليطلعوا على احوال اهل الجنة واهل النار ثم ينقلهم الله عز وجل الى الدرجات العلية في الجنة وقوله
تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون يعني في دخول الجنة قال الحسن ما جعل الله ذلك الطمع في قلوبهم
الا لكرامة يريدها بهم وقوله تعالى واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار يعني واذا صرفت ابصار
اصحاب الاعراف تلقاء اصحاب النار يعني وجاههم وحيالهم فنظروا اليهم والى سواد وجوههم وما هم فيه
من العذاب قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بالشرك وقال ابن
عباس ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل النار عرفوهم وقالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين
والمعنى ان اصحاب الاعراف اذا نظروا الى اهل النار وما هم فيه من العذاب تضرعوا الى الله وسالوه
ان لا يجعلهم منهم قوله تعالى ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعني ونادى اصحاب الاعراف رجالا كانوا
عظماء في الدنيا من اهل النار يعرفونهم بسيماهم يعني بسيما اهل النار قالوا يعني اصحاب الاعراف
لهولاء الذين عرفوهم في النار ما اغنى عنكم جمعكم يعني ما كنتم تجمعون من المال والعدد في الدنيا وما كنتم
تستكبرون يعني ما اغنى عنكم تكبركم عن الايمان شيا قال الكلبي ينادونهم وهم على السور يا وليد
ابن المغيرة يا ابا جهل بن هشام يا فلان ويا فلان ثم ينظرون الى الجنة فيرون فيها الفقراء والضعفاء
ممن كانوا يستهزون بهم مثل سلمان وصهيب وخباب وبلال واشباههم فيقولون اصحاب الاعراف
لاوليك الكفار اهولاء لفظه استفهام يعني هولاء الضعفاء الذين اقسمتم بالله لا ينالهم الله برحمة
يعني انكم حلفتم انهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا الجنة ثم يقول الله لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة
بفضلي ورحمتي لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون وقيل ان اصحاب الاعراف اذا قالوا لاهل النار
ما اخبر الله عنهم قال لهم اهل النار ان اوليك دخلوا الجنة وانتم لم تدخلوها فيعيرونهم بذلك
ويقسمون انهم لا يدخلون الجنة ولا ينالهم الله برحمة ثم تقول الملايكة لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة
برحمة الله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون **قوله عز وجل** ونادى اصحاب النار اصحاب
الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قال ابن عباس لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة
طمع اهل النار في الفرج فقالوا يا رب ان لنا قرابات من اهل الجنة فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم فياذن
لهم فينظرون الى قراباتهم وما هم فيه من النعيم فيعرفونهم وينظر اهل الجنة الى قراباتهم من اهل النار فلم
يعرفوهم لسواد وجوههم فينادي اصحاب النار اصحاب الجنة باسمايهم فينادي الرجل اباه واخاه
فيقول قد احترقت افض علي من الماء فيقال لهم اجيبوهم فيقولون ان الله حرمهما على الكافرين
ومعنى الاية ان اهل النار يستغيثون باهل الجنة اذا استقروا فيها وذلك عند نزول البلاء
باهل النار وما يلقون من شدة العطش والجوع عقوبة من الله على ما سلف منهم في الدنيا من الكفر

والمعاصي يقول اهل النار وما يلقون من شدة العطش والجوع عقوبة من الله على ما سلف منهم في الدنيا من
الكفر والمعاصي يقول اهل النار لاهل الجنة يا اهل الجنة افيضوا علينا من الماء يعني صبوا علينا من الماء
او مما رزقكم الله واطعمونا مما رزقكم الله ووسعوا علينا من طعام الجنة ان الله حرمهما على الكافرين
وهذا الجواب يفيد الحرمان قال بعضهم لما كانت شهواتهم في الدنيا في لذة الاكل والشرب عذبهم الله بشدة
الجوع والعطش فسالوا ما كانوا يعتادونه في الدنيا من طلب الاكل والشرب فاجيبوا بان الله حرمهما
على الكافرين ومعنى الاية ان اهل الجنة ثم وصف الكافرين فقال تعالى الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا
يعني انهم تلاعبوا بدينهم الذي شرع لهم ولهوا عنه واصل اللهو ما يشغل الانسان عما يعنيه
ويهمه يقال لهيت بكذا ولهيت عن كذا اي اشتغلت عنه قال ابن عباس هم المستهزون وذلك انهم
كانوا اذا دعوا الى الايمان سخروا ممن دعاهم اليه وهزوا به اغترارا بالله عز وجل **وقيل**
هو ما زين لهم الشيطان من تحريم البحاير والسوايب والمكاء والتصدية حول البيت وساير الخصال الذميمة
التي كانوا يفعلونها في الجاهلية وقيل معنى دينهم عيدهم اتخذوه لهوا ولعبا لا يذكرون الله فيه وغرتهم
الحياة الدنيا يعني وخدعتهم عاجل ما هم فيه من خفض العيش والدعة وشغلهم ما هم فيه من ذلك
عن الايمان بالله ورسوله وعن الاخذ بنصيبهم من الاخرة حتى اتتهم المنية وهم على ذلك والغرة
غفلة في اليقظة وهو طمع الانسان في طول العمر وحسن العيش وكثرة المال والجاه ونيل الشهوات
فاذا حصل ذلك صار محجوبا عن الدين وطلب الخلاص لانه غرق في الدنيا بلذاته وما هو فيه من
ذلك ولما وصفهم بهذه الصفات الذميمة قال فاليوم يعني يوم القيامة ننساهم كما نسوا لقاء يومهم
هذا يعني فاليوم نتركهم في العذاب المهين جياعا عطاشا كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا وهذا
قول ابن عباس ومجاهد والسدي قال ابن عباس نسيهم من الخير ولم ينسهم من الشر وقيل نعاملهم
معاملة من نسي فنتركهم في النار كما تركوا العمل واعرضوا عن الايمان لاعراض الناسي وسمى تعالى جزاء
نسيانهم بالنسيان على المجاز لان الله تعالى لم ينس شيا فهو كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة
مثلها فيكون المراد من هذا النسيان ان الله تعالى لا يجيب دعاءهم ولا يرحم ضعفهم وذلهم بل
يتركهم في النار كما تركوا الايمان والعمل وما كانوا باياتنا يجحدون يعني ونتركهم في النار كما
كانوا بدلايل وحدانيتنا يكذبون **قوله تعالى** ولقد جيناهم يعني ولقد جينا هولاء
الكفار بالقران الذي انزلناه عليك يا محمد بكتاب فصلناه على علم اي بيناه على علم منا بتفصيله وتبيينه
هدى ورحمة لقوم يومنون اي جعلنا القران هاديا وذا رحمة لقوم يومنون هل ينظرون الا تاويله
يعني هل ينتظر هولاء الكفار الذين كذبوا باياتنا وجحدوها ولم يومنوا بها الا تاويله يعني هل ينتظرون
ويترقبون ما وعدوا به على السنة الرسل من العذاب وان مصيرهم الى النار والتاويل ما يؤول
اليه الشيء يوم ياتي تاويله يعني يوم القيامة لانه يوم الجزاء وما تاول اليه امورهم يقول الذين
نسوه من قبل يعني يقول الذين تركوا العمل بالقران ولم يومنوا به يوم القيامة عند معاينة
العذاب قد جاءت رسل ربنا بالحق اقروا على انفسهم واعترفوا حين لا ينفعهم ذلك الاعتراف
والاقرار والمعنى ان الكفار اقروا ان الذي جاءت به الرسل من الايمان والتصديق والحشر والنشر
والبعث يوم القيامة والثواب والعقاب حق وصدق وانما اقروا بهذه الاشيا لانهم شاهدوها
معاينة وذلك حين لا ينفعهم وصاروا انفسهم في العذاب قالوا فهل لنا من شفعاء فيشفعوا
لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل يعني انه ليس لنا طريق الى الخلاص مما نحن فيه من العذاب فنبدل
الكفر بالتوحيد والايمان والمعاصي بالطاعة والانابة قد خسروا انفسهم يعني ان الذين طلبوه
لا يحصل لهم فتبين خسرانهم واهلكوا انفسهم لانهم كانوا في الدنيا اولا فلم يعملوا بطاعة الله
ولو ردوا الى الدنيا لعادوا لما كانوا عليه من الكفر والعصيان السابق علم الله فيهم وضل عنهم

ما كانوا يفترون يعني وبطل وذهب عنهم ما كانوا يزعمون ويكذبون في الدنيا من ان الاصنام
تشفع لهم فلما افضوا الى الاخرة ذهب ذلك عنهم وعلموا انهم كانوا في دعواهم كاذبين قوله عز وجل
ان ربكم الله يعني ان سيدكم وما لككم ومصلح اموركم وموصل الخيرات اليكم ويدفع المكاره هو
الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اصل الخلق في اللغة التقدير المستقيم ويستعمل
في ابداع الشي من غير اصل سبق ولا ابتدا سبق ولا ابتدا تقدم فقوله خلق السموات والارض يعني
ابدعهما وانشا خلقهما من غير مثال سبق وقدر احوالهما في ستة ايام فان قلت اليوم
عبارة عن مقدار من الزمان وذلك المقدار هو من طلوع الشمس الى غروبها فكيف قال في ستة ايام
ولم يكن شمس ولا سما قلت معناه في مقدار ستة ايام فهو كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا يعني على مقادير
البكر والعشي في الدنيا لان الجنة لا ليل فيها ولا نهار واختلف العلما في اليوم الذي ابتدا الله عز
وجل بخلق الاشيا فقيل في اليوم السبت وهو قول محمد بن اسحاق وغيره ويدل على صحة هذا
القول ما روي مسلم في افراده من حديث ابي هريرة قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي
فقال خلق الله تعالى التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين
وخلق المكروه يوم الثلاثا وخلق النور يوم الاربعا وخلق فيها الدواب يوم الخميس وخلق ادم بعد
العصر من يوم الجمعة في اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وهذا الحديث
وان كان في صحيح مسلم ففيه مقال وقد انكره بعض العلما لما فيه من المخالفة للاية الكريمة لان
الله تعالى يقول خلق السموات والارض في ستة ايام وقال في اية اخرى ولقد خلقنا السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام والذي في الحديث ان بعض الخلق وقع في سبعة ايام وذلك مجموع ايام
الاسبوع فلهذا السبب انكره من انكره من العلما وقد ذكر الازهري في كتاب تهذيب اللغة ما يقوي
الحديث وقال ابن الانباري السبت القطع وسمي يوم السبت لان الله تعالى ابتدا الخلق يوم الاحد
السبت وقطع فيه بعض خلق الارض وقيل ان ابتدا الخلق كان يوم الاحد وهو قول عبد الله
ابن سلام وكعب الاحبار والضحاك ومجاهد واختاره ابن جرير الطبري قال الطبري خلق الله
السموات والارض في ستة ايام وذلك يوم الاحد والاثنين والثلاثا والاربعا والخميس والجمعة
وروي بسنده عن مجاهد قال بدو الخلق العرش والما وبدو الخلق يوم الاحد والاثنين والثلاثا والا
ربعا والخميس وجمع في يوم الجمعة وتهودت اليهود يوم السبت ويوم من الستة ايام كالف سنة
مما تعدون ويعضد هذا القول ما حكاه صاحب المحكم بن سيده قال وسمي سابع الاسبوع سبتا لان
ابتدا الخلق كان في يوم الاحد الى الجمعة ولم يكن في السبت خلق قال اصحاب الاخبار والسير والتواريخ
ان الله تعالى خلق التربة التي هي الارض بلا دحو ولا بسط في يوم الاحد والاثنين ثم استوى الى
السما فسواهن سبع سموات في يومين وهما الثلاثا والاربعا ثم دحي الارض وبسطها وطحاها
واخرج منها ماءها ومرعاها وخلق دوابها ووحشها وجميع ما فيها في يومين وهما الخميس والجمعة وخلق
ادم في يوم الجمعة اخر الخلق في اخر ساعة من ساعات الجمعة وقيل خلق الله عز وجل التربة يوم الاحد
ثم استوى الى السما فخلقها وجميع ما فيها يوم الاثنين والثلاثا ثم مد الارض ودحاها يوم الاربعا
والخميس وخلق ادم يوم الجمعة واسكنه الجنة هو وزوجته حوا ثم اهبطهما الى الارض في اخر ساعة من
يوم الجمعة وقيل اول ما خلق الله القلم ثم اللوح فكتب فيهما ما كان وما سيكون وما خلق وما هو خالق
الى يوم القيامة ثم خلق الظلمة والنور ثم خلق العرش ثم خلق السما في درة بيضا ثم خلق التربة التي خلقها
اولا ثم خلق جميع ما فيهما من جبال وشجر ودواب وغير ذلك ثم خلق ادم وهو الخلق في اخر ساعة من ساعات
الجمعة وفيها اهبط الى الارض فتكامل جميع الخلق في ستة ايام كل يوم مقدار الف سنة وهذا قول
جمهور العلما وقيل في ستة ايام من ايام الدنيا فان قلت ان الله عز وجل قادر ان يخلق جميع

الخلق في لحظة واحدة فهو قوله وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر فما الفايدة في خلق السموات والارض في ستة
ايام وما الحكمة في ذلك قلت ان الله سبحانه وتعالى وان هو كان قادرا على خلق جميع الاشيا في لحظة واحدة
الا ان الله تعالى جعل لكل شي حدا محدودا ووقتا معلوما فلا يدخل في الوجود الا في ذلك الوقت والمقصود
في ذلك تعليم عباده التثبت والتاني في الامور وقال سعيد بن جبير كان الله عز وجل قادرا على خلق
السموات والارض في لمحة ولحظة فخلقهن في ستة ايام تعليما لخلقه التثبيت والتاني في الامور كما في
الحديث التاني من الله والعجلة من الشيطان وقيل ان الشي اذا احدث دفعة واحدة فلعله لا
يخطر ببال بعضهم ان ذلك الشي انما وقع على سبيل الاتفاق فاذا احدث شيا بعد شي على سبيل
المصلحة والحكمة كان ذلك ابلغ في القدرة واقوى في الدلالة وقيل ان الله تعالى اراد
ان يوقع في كل يوم امرا من امره حتى تستعظمه الملايكة وغيرهم ممن شاهده وقيل ان التعجيل في الخلق ابلغ
في القدرة والتثبيت ابلغ في الحكمة فاراد الله تعالى اظهار حكمته في خلق الاشيا بكن فيكون وقوله
تعالى ثم استوى على العرش العرش في اللغة السرير وقيل هو ما علا فاظل وسمي مجلس
السلطان عرشا اعتبارا لعلوه ويكنى به عن العز والسلطان والمملكة فالعرش على الاستعارة
والمجاز ويقال فلان ثل عرشه يعني ذهب عزه وملكه وسلطانه قال الراغب في كتاب مفردات
القران وعرش الله عز وجل مما لا يعلمه البشر الا بالاسم على الحقيقة وليس هو كما تذهب اليه اوهام
العامة فانه لو كان كذلك لكان حاملا له تعالى عن ذلك وليس كما قال قوم انه الفلك الاعلى
والكرسي فلك الكواكب واما استوى بمعنى استقر فقد رواه البيهقي في كتابه الاسما والصفات
بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها وقال اما الاستوا فالمتقدمون من اصحابنا
كانوا لا يفسرونه ولا يتكلمون فيه كنحو مذهبهم في امثال ذلك وروي بسنده عن عبد الله بن وهب
قال كنا عند مالك بن انس فدخل رجل فقال يا ابا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف
استواوه قال فاطرق مالك واخذته الرحضا ثم رفع راسه فقال الرحمن على العرش استوى
كما وصف نفسه ولا يقال له كيف وكيف عنه مرفوع وانت رجل سوء صاحب بدعة اخرجوه
فاخرج الرجل وفي رواية يحيى بن يحيى قال كنا عند مالك بن انس فجا رجل فقال يا ابا عبد الله الرحمن
على العرش استوى كيف استواوه فاطرق مالك براسه حتى علاه الرحضا ثم قال الاستوى
غير مجهول والكيف غير معقول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة وما اراك الا مبتدعا
فامر به ان يخرج روي البيهقي بسنده عن ابن عيينة قال كلما وصف الله به نفسه في كتابه
فتفسيره تلاوته والسكوت عنه قال البيهقي والاثار عن السلف في مثل هذا كثيرة وعلى
هذه الطريقة يدل مذهب الشافعي واليه ذهب احمد بن حنبل والحسين بن الفضل البجلي
ومن المتاخرين ابو سليمان الخطابي قال البغوي اهل السنة يقولون الاستوا على العرش
صفة الله بلا كيف يجب على الرجل الايمان به ويكل العلم فيه الى الله عز وجل وذكر حديث
مالك ابن انس مع الرجل الذي ساله عن الاستوى وقد تقدم وروي عن سفيان الثوري
والاوزاعي والليث بن سعد وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم من علما السنة
في هذه الايات التي جاءت في الصفات المتشابهة امروها كما جاءت بلا كيف وقال الامام فخر
الدين الرازي بعد ذكره الدلايل العقلية والسمعية انه لا يمكن حمل قوله تعالى ثم استوى
على العرش على الجلوس والاستقرار وشغل المكان والحيز وعند هذا حصل للعلما الراسخين
مذهبان الاول ان يقطع بكونه تعالى متعاليا عن المكان والجهة ولا نخوض في تاويل
الاية على التفصيل بل نفوض علمها الى الله تعالى وهو الذي قررناه في تفسير قوله وما يعلم
تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون امنا به وهذا المذهب هو الذي نختاره ونقول

به ونعتمد عليه والمذهب الثاني ان نخوض في تأويله على التفصيل وفيه قولان ملخصان
الاول ما ذكره القفال فقال العرش في كلامهم هو السرير الذي يجلس عليه الملك ثم العرش كناية
عن نفس الملك يقال ثل عرشه اي انتقض ملكه واذا استقام له ملكه واطرد امره وحكمه
قالوا استوى على عرشه واستوى على سرير ملكه هذا ما قاله القفال والذي قاله القفال
حق وصواب ثم قال فالله تعالى دل على ذاته وصفاته وكيفية تدبيره العالم على الوجه
الذي الفوه من ملوكهم واستقر في قلوبهم عظمة الله جل جلاله وكمال قدرته وذلك مشروط
بنفي التشبيه والمراد منه نفاذ القدرة وجريان المشيئة قالوا ويدل على صحة قوله في سورة
يونس ثم استوى على العرش يدبر الامر جرى مجرى التفسير لقوله استوى واورد على هذا
القول بان الله تعالى لم يكن مستويا على الملك قبل خلق السموات والارض والله تعالى منزه
عن ذلك **واجيب** عنه بان الله تعالى كان قبل خلق السموات والارض مالكا لها لكن
لا يصح ان يقال شبع زيد الا بعد اكل الطعام فاذا فسر العرش بالملك صح ان يقال انه تعالى
انما استوى ملكه بعد خلق السموات والارض والقول الثاني ان يكون استوى بمعنى استولى
وهذا مذهب المعتزلة وجماعة من المتكلمين واحتجوا عليه بقول الشاعر

ثم استوى بشر على العراق • من غير سيف ودم مهراق •

وعلى هذا القول انما خص العرش بالاخبار عنه بالاستيلا عليه لانه اعظم المخلوقات ورد
هذا القول بان العرب لا تعرف استوى بمعنى استولى وانما يقال استولى فلان على كذا اذا
لم يكن في ملكه ثم ملكه واستولى عليه والله تعالى لم يزل مالكا للاشيا كلها ومستوليا عليها
فاي تخصيص للعرش ههنا دون غيره من المخلوقات ونقل البيهقي عن ابي الحسن الاشعري ان
الله تعالى فعل في العرش فعلا سماه استوا كما فعل في غيره فعلا سماه رزقا ونعمة وغيرها
من افعاله ثم لم يكيف الاستوى الا انه جعله من صفات الفعل لقوله تعالى ثم استوى على العرش
وثم للتراخي والتراخي انما يكون من الافعال وافعال الله تعالى توجد بلا مباشرة منه اياها
ولا حركة **وحكى** الاستاذ ابو بكر بن فورك عن بعض اصحابنا انه قال استوى بمعنى علا
من العلو قال ولا يريد علي بذلك علوا بالمسافة والتحيز والكون في المكان متمكنا فيه ولكن
نريد معنى في الخبر عنه وانه ليس كما يجري بطبع طبيعي او يحيط به قطر ووصف الله تعالى
بذلك طريقة الخبر ولا يتعدى ما ورد به الخبر قال البيهقي وهو على هذه الطريقة من صفات
الذات وكلمة ثم تعلقت بالمستوى عليه لا بالاستوى وقد اشار الاشعري الى هذه الطريقة
حكاية فقال قال بعض اصحابنا انه صفة ذات قال وجوابي هو الاول وهو ان الله تعالى
مستو على عرشه كما اخبر فقال الرجل انما معنى قوله استوى اي استولى فقال له ابن الاعرابي
العرب لا تقول استوى على الشي فلان حتى يكون له مضاد فايهما غلب قيل لمن غلب قد
استولى عليه والله تعالى لا مضاد له فهو على عرشه كما اخبر لا كما يظنه البشر والله اعلم
وقوله تعالى يغشي الليل النهار يعني انه تعالى ياتي بالليل على النهار
فيغطيه ويلبسه حتى يذهب بنوره وفيه حذف تقديره ويغشي النهار الليل وانما يظهر
النهار لدلالة الكلام عليه يطلبه حثيثا يعني سريعا وذلك انه كان يعقب احدهما الاخر
ويخلفه فكانه يطلبه حكى الامام فخر الدين عن القفال انه قال ان الله تعالى لما اخبر عباده
باستوايه على العرش اخبر عن استمرار امور المخلوقات على وفق مشيته واراهم ذلك
فيما يشاهدونه منها لينضم العيان الى الخبر وتزول الشبهة من كل الجهات قال الامام
واعلم انه سبحانه وتعالى وصف هذه الحركة بالسرعة الشديدة وذلك لان تعاقب الليل

والنهار انما يحصل بحركة الفلك الاعظم وتلك الحركة اشد الحركات سرعة فان الانسان اذا كان في اشد
عدوه بمقدار رفع رجله ووضعها يتحرك الفلك الاعظم ثلاثة الاف ميل وهي الف فرسخ فلهذا قال يطلبه
حثيثا لسرعة حركته **والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره** معنى التسخير التذليل وقال الزجاج وخلق
هذه الاشيا جاريات في مجاريها بامره وقال المفسرون يعني تسخيرهن تذليلهن لما يراد منهن
من طلوع وغروب وسير ورجوع اذ ليس هن قادرات بانفسها وانما هن يتصرفن في مصرفهن على
ارادة المدبر لهن الحكيم في تدبيرهن وتصريفهن على ما اراد منهن والمراد بالامر في قوله بامره نفاذ
ارادته لان الغرض من هذه الاية تبيين قدرته وعظمته ومنهم من حمل الامر على الامر الذي هو الكلام وقال
انه تعالى امر هذه الاجرام بالسير الدائم والحركة المستمرة الى انقضا الدنيا وخراب هذا العالم
فان قلت ان الشمس والقمر من النجوم فلم افردهما بالذكر ثم عطف عليهما ذكر النجوم
قلت انما افردهما بالذكر لبيان شرفهما على سائر الكواكب لما فيهما من الاشراق والنور
وسيرهما في المنازل لمعرفة الاوقات فهو كقوله من كان عدوا لله وملايكته وكتبه ورسله وجبريل
وميكال فعطف جبريل وميكال على ذكر الملايكة لبيان شرفهما وفضلهما على غيرهما من الملايكة
وقوله تعالى الا له الخلق والامر يعني له الخلق لانه خلقهم وله ان يامرهم بما اراد وله ان يحكم فيهم
بما شا وعلى هذا المعنى الامر هنا الذي هو نقيض النهي واستخرج سفيان بن عيينة من هذا
المعنى ان كلام الله عز وجل ليس بمخلوق فقال ان الله تعالى فرق بين الخلق والامر فمن جمع بينهما
فقد كفر يعني ان من جعل الامر الذي هو كلامه من جملة ما خلقه فقد كفر لان المخلوق لا يقوم بمخلوق
مثله وقيل معناه ان جميع ما في العالم لله عز وجل والخلق له لانه خلقهم وجميع الامور تجري بقضايه
وقدره فهو يخترعها وينشيها فلا يبقى بعد هذا لاحد شي **وقيل** المراد بالامر هنا الارادة
الارادة لان الغرض من الاية تعظيم القدرة وفي الاية دليل على انه لا خالق الا الله عز وجل ففيه
رد على من يقول على ان الشمس والقمر والكواكب وله الامر المطلق وليس لاحد امر غيره فهو الامر والناهي
الذي يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا اعتراض لاحد من خلقه عليه **تبارك الله** يعني تمجد وتعظم
وارتفع وقال الزجاج تبارك تفاعل من البركة ويعني البركة الكثرة من كل خير وقيل معناه تعالى
وتعظم الله **رب العالمين** يعني هو الذي يستحق التعظيم وذلك ان الله تعالى افتتح هذه الاية
بقوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض وذكر اشيا من عظيم خلقه وان له الخلق والامر
والنهي والقدرة عليهم ختم الاية بالثنا عليه لانه هو المستحق للمدح المطلق والثنا والتعظيم
وقال ابن عباس معناه تبارك باسمه يتبرك في كل شي وقال المحققون معنى هذه الصفة ثبت
ودام كما لم يزل ولا يزال واصل البركة الثبوت ويقال تبارك الله ولا يقال متبارك ولا مبارك
لانه لم يرد فيه التوقيف **قوله عز وجل ادعوا ربكم** قيل معناه اعبدوا ربكم لان الدعا
طلب الخير من الله وهذه صفة العبادة ولانه تعالى عطف عليه قوله وادعوه خوفا وطمعا والعطوف
يجب ان يكون مغايرا للمعطوف عليه وقيل المراد به حقيقة الدعا وهو الصحيح لان الدعا هو
السوال والطلب هو نوع من انواع العبادة لان الداعي لا يقدم على الدعا الا اذا عرف من نفسه
الحاجة الى ذلك المطلوب وهو عاجز عن تحصيله وعرف ان ربه تبارك وتعالى يسمع الدعا ويعلم
حاجته وهو قادر على ايصالها الى الداعي فعند ذلك يعرف العبد نفسه بالعجز والنقص ويعرف
ربه بالقدرة والكمال وهو المراد من قوله **تضرعا** يعني ادعوا ربكم تذللا واستكانة وهو اظهار
الذل في النفس والخشوع يقال ضرع فلان لفلان اذا ذل له وخشع وقال الزجاج تضرعا يعني
تملقا وحقيقته ان تدعوه خاضعين خاشعين متعبدين بالدعا له تعالى **وخفية**
يعني سرا في انفسكم وهو ضد العلانية والادب في الدعا ان يكون خفيا لهذه الاية قال الحسن

بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعا ولا يسمع
لهم صوت ان كان همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان الله
تعالى ذكر عبدا صالحا ورضي فعله فقال تعالى اذ نادى ربه ندا خفيا ق عن ابي موسى الاشعري
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم
ولا غايبا انكم تدعون سميعا بصيرا وهو معكم والذي تدعونه اقرب الى احدكم من عنق راحلته قال
ابو موسى وانا خلفه اقول لا حول ولا قوة الا بالله في نفسي فقال يا عبد الله بن قيس الا ادلك على
كنوز الجنة قلت بلى يا رسول الله لا حول ولا قوة الا بالله قوله صلى الله عليه وسلم اربعوا
انفسكم اي ارفقوا بها واقصروا عن الصياح في الدعا وقوله تعالى انه لا يحب المعتدين يعني
في الدعا وقال ابو مجلز هم الذين يسألون منازل الانبيا عن عبد الله بن مغفل انه سمع ابنه يقول
اللهم اني اسألك القصر الابيض عن يمين الجنة اذا دخلتها قال اي بني سل الله الجنة وتعوذ به من
النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الطهور
والدعا اخرجه ابو داود وقال ابن جريج من الاعتدا رفع الصوت والندا والصياح في الدعا وقيل
الاعتدا المجاوزة للحد في كل من خالف امر الله ونهيه فقد اعتدى ودخل تحت قوله تعالى انه
لا يحب المعتدين وفرع بعض ارباب الطريقة على قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية هل الافضل
اظهار العبادات ام لا فذهب بعضهم الى ان اخفا العبادات والطاعات افضل من اظهارها
لهذه الاية ولكونها افضل من الريا وذهب بعضهم الى ان اظهارها افضل ليقتدي به الغير
فيعمل مثله وتوسط الشيخ محمد بن علي الحكيم الترمذي فقال ان كان خايفا على نفسه من الريا
فالاولى اخفا العبادات صونا لعمله من البطلان وان كان قد بلغ في الصفا وقوة اليقين الى
التمكين بحيث صار الريا عن سابقة الريا كان الاولى في حقه الاظهار لتحصل فايدة الاقتدا
به وذهب بعضهم الى ان اظهار العبادات المفروضات افضل من اخفايها فالصلاة المكتوبة
في المسجد افضل من صلاته في بيته وصلاة النفل في البيت افضل من صلاتها في المسجد وكذا
اظهار الزكاة افضل من اخفايها واخفا صدقة التطوع افضل من اظهارها وقياس على هذا
ساير العبادات **قوله تعالى** ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها يعني ولا تفسدوا
ايها الناس في الارض بالمعاصي والكفر والدعا الى غير طاعة الله بعد اصلاح الله اياها ببعثة
الرسل وبيان الشرايع والدعا الى طاعة الله تعالى وهذا معنى قول الحسن والسدي والضحاك
والكلبي وقال عطية لا تعصوا في الارض فيمسك المطر ويهلك الحرث بسبب معاصيكم فعلى
هذا يكون معنى قوله بعد اصلاحها يعني بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب وقيل معنى
الاية ولا تفسدوا في الارض شيا بعد ان اصلحه الله تعالى فيدخل فيه المنع من اتلاف النفس
بالقتل وافسادها بقطع بعض الاعضا وافساد الاموال بالغصب والسرقة واخذها من الغير
بوجوه وافساد الاديان بالكفر واعتقاد البدع والاهوا المضلة وافساد الانساب بالاقدام
على الزنا وافساد العقول بسبب شرب المسكر وذلك لان المصالح المعتبرة في الدنيا هي هذه
الخمسة فمنع الله من ادخال الفساد في هيتها وقوله تعالى وادعوه خوفا وطمعا اصل
الخوف انزعاج في الباطن لمن لا يومن من المضار وقيل هي توقع مكروه يحصل فيما بعد والطمع
توقع محبوب يحصل له والمعنى وادعوه خوفا منه ومن عقابه وطمعا فيما عنده من جزيل ثوابه
وقال ابن جريج معناه خوف العدل وطمع الفضل وقيل معناه ادعوه خوفا من الريا والذكر في
الدعا وطمعا في الاجابة فان قلت قال في اول الاية ادعوا ربكم تضرعا وخفية وقال هنا وادعوه
وهذا عطف الشي على نفسه فما الفايدة في ذلك قلت الفايدة فيه ان المراد بقوله تعالى ادعوا

ربكم

ربكم اي ليكن الدعا مقرونا بالتضرع والاخبات وقوله تعالى وادعوه خوفا وطمعا ان فايدة الدعا احد
هذين الامرين فكانت الاية الاولى في بيان شرط صحة الدعا وقيل معناه كونوا جامعين في انفسكم
بين الخوف والرجا في اعمالكم كلها ولا تطمعوا انكم وفيتم حق الله في العبادة والدعا وان اجتهدتم
فيهما ان رحمة الله اصل الرحمة رقة تقتضي الاحسان الى المرحوم وتستعمل تارة في الرقة
المجردة وتارة في الاحسان المجرد عن الرقة واذا وصف بها الباري جل وعز فليس يراد بها الا
الاحسان المجرد دون الرقة فرحمة الله عز وجل عبارة عن الافضال والانعام على عباده وايصال
الخير اليهم وقيل هي ارادة الله ايصال الخير والنعمة الى عباده فعلى القول الاول تكون الرحمة من صفات
الافعال وعلى القول الثاني تكون من صفات الذات قريب من المحسنين قال سعيد بن جبير الرحمة
ههنا الثواب فرجع النعت الى المعنى دون اللفظ وقيل ان تانيث الرحمة ليس بحقيقي واذا كان
كذلك جاز فيه التذكير والتانيث واعترض عن الاخرة واذا كان كذلك عند اهل اللغة وكون الرحمة
قريب من المحسنين لان في كل ساعة من الساعات في ادبار عن الدنيا واقبال على الاخرة واذا
كان كذلك كان الموت اقرب اليه من الحياة وليس بينهم وبين رحمة الله التي هي الثواب في الاخرة
الا الموت وهو قريب من الانسان **قوله عز وجل** وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته
قرا نشرا بالنون اراد جمع نشور وهي الريح الطيبة الهبوب التي تهب من كل ناحية وقيل هو جمع
ناشر يقال انشر الله الريح بمعنى احياها وقال ابو عبيدة النشر الطيبة اللينة التي تنشي السحاب
وقال ابن الانباري النشر المنتشرة الواسعة الهبوب وقيل النشر خلاف الطي فيمكن انها كانت بانقطاعها
كالمطوية فانتشرت بمعنى ارسلت وقرا بشرا بالباء جمع بشيرة وهي التي تبشر بالمطر والريح هو الهوا المتحرك
يمنة ويسرة والرياح اربعة الصبا وهي الشرقية والدبور وهي الغربية والشمال وهي التي تهب من تحت
القطب الشمالي والجنوب وهي القبلية وعن عمر ان الرياح ثمان اربع منها عذاب وهي العاصف والقاصف
والصرصر والعقيم واربع منها رحمة وهي الناشرات والمبشرات والمرسلات والذاريات بين يدي رحمته
يعني امام المطر الذي هو رحمته وانما سماه رحمة لانه سبب لحياة الارض الميتة قال ابو بكر بن الانباري
اليدان تستعملهما العرب في المجاز على معنى التقدمة تقول هذه تكون الفتن بين يدي الساعة يريدون
قبل ان تقوم الساعة تشبيها وتمثيلا اذ كانت يد الانسان تقدمه كذلك الرياح تتقدم المطر
وتوذن به عن ابي هريرة قال اخذت الناس ريح بطريق مكة وعمر حاج فاشتدت فقال عمر لمن حوله
ما بلغكم في الريح فلم يرجعوا اليه شيا وبلغني الذي سال عنه عمر من امر الريح فاستحثثت راحلتي حتى
ادركت عمر وكنت في موخر الناس فقلت يا امير المومنين اخبرت انك سالت عن الريح فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الريح من روح الله تاتي بالرحمة وتاتي بالعذاب فاذا
رايتموها فلا تسبوها واسالوا الله من خيرها واستعيذوا بالله من شرها رواه الشافعي بطوله واخرج
ابو داود المسند منه وقال كعب الاحبار لو حبس الله الريح عن عباده ثلاثة ايام لانتن اكثر اهل
الارض **وقوله تعالى** حتى اذا اقلت سحابا ثقالا يقال اقل فلان الشي اذا حمله
واشتقاق الاقلال من اقللت كان من يرفع شيا يراه قليلا والسحاب جمع سحابة وهو الغيم فيه ما
او لم يكن فيه ما سمي سحابا لانسحابه في الهوا والمعنى اذا حملت هذه الرياح سحابا ثقالا بما فيها
من الما قال السدي ان الله تبارك وتعالى يرسل الرياح فتاتي بالسحاب من بين الخافقين وهو
طرف السما والارض حيث يلتقيان فتخرجه من ثم تنشره فيبسطه في السما كيف يشاء ثم تفتح له
ابواب السما فيسيل الما على السحاب ثم يمطر السحاب بعد ذلك وقيل ان الله تعالى دبر بحكمته ان
الرياح تحرك تحريكا شديدا فتثير السحاب ثم ينضم بعضه الى بعض فيتراكم وينعقد ويحمل الما ثم
تسير فيه الى حيث يشا الله عز وجل وهو قوله تعالى سقناه لبلد ميت يعني الى بلد فتكون اللام

يعني الى وقيل معناه لاجل حياة بلد ميت وانما قال سقناه لان لفظ السحاب مذكر وان كان جمع سحابة فكان ورود الكناية عنه على سبيل التذكير جاريا نظرا الى اللفظ قال الازهري قال الليث البلد كل موضع من الارض عامر وغير عامر قال او مسكون والطائفة منها بلدة فالجمع بلاد زاد غيره والمفازة تسمى بلدة لكونها مسكن الوحش والجن قال الاعشى

• وبلدة مثل ظهر الترس موحشة • للجن بالليل في حافاتها زجل •

ومعنى الاية انا سقنا السحاب الى بلد ميت محتاج الى الماء لم ينزل فيه غيث ولم ينبت فيه خضرة **فانزلنا به الماء** اختلفوا في الضمير في قوله تعالى الى ماذا يعود فقال الزجاج وابن الانباري جائز ان يكون المعنى فانزلنا بالبلد الميت الماء وجائز ان يكون وانزلنا بالسحاب الماء لان السحاب آلة لانزال الماء **فاخرجنا به** يعني بذلك الماء لان انزال الماء كان سببا لاخراج الثمرات وقيل يحتمل ان يكون المعنى فاخرجنا بذلك الميت **من كل الثمرات** يعني فاخرجنا بذلك البلد بعد موته وجدوبه من اصناف الثمار والزروع **كذلك نخرج الموتى** يعني كما احيينا البلد الميت كذلك نخرج الموتى احياء من قبورهم بعد فنائهم ودروس آثارهم واختلفوا في وجه التشبيه فقيل ان الله تعالى كما يخلق النبات بواسطة انزال المطر كذلك يحيي الموتى بواسطة انزال المطر ايضا قال ابو هريرة وابن عباس ان الناس اذا ماتوا في النفخة الاولى امطر الله عليهم ماء من تحت العرش يدعى ماء الحيوان اربعين سنة فينبتون كما ينبت الزرع من الماء **وفي رواية** اربعين يوما فينبتون في قبورهم نبات الزرع حتى اذا كملت اجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقى عليهم النوم فينامون في قبورهم فاذا نفخ في الصور النفخة الثانية عاشوا ثم يخرجون من قبورهم وهم يجدون طعم النوم في رؤوسهم واعينهم كما يجد النائم حين يستيقظ من نومه فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا فيناديهم المنادي هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال مجاهد اذا اراد الله ان يخرج الموتى امطر السماء حتى تشق عنهم الارض ثم يرسل الارواح فتعود كل روح الى جسدها فكذلك يحيي الموتى بالمطر كاحيائه الارض **وقيل** انما وقع التشبيه باصل الاحياء والمعنى انه تعالى كما احيى البلد الميت بعد جدبه وموته فانبت فيه الزرع والشجر وجعل فيه الثمر كذلك يحيي الله الموتى ويخرجهم من قبورهم احياء بعد ان كانوا امواتا ورمما بالية لان من قدر على اخراج الثمر الرطب من الخشب اليابس قادر على ان يحيي ويخرجهم من قبورهم الى حشرهم ونشرهم **لعلكم تذكرون** الخطاب لمنكري البعث يقول انكم شاهدتم الاشجار وهي مزهرة مورقة مثمرة في ايام الربيع والصيف ثم انكم شاهدتموها يابسة عارية من تلك الازهار والاوراق والثمار ثم ان الله تعالى احياها مرة اخرى فالقادر على احيائها بعد موتها والمعنى انما وصفت ما وصفت كان هو الذي تعبد ويحيي قوله تعالى **والبلد الطيب** يعني الارض الطيبة التربة السهلة السمحة **يخرج نباته باذن ربه** يعني اذا اصابه المطر اخرج نباته باذن ربه عز وجل **والذي خبث لا يخرج الا نكدا** يعني والبلد الذي خبث ارضه فهي سبخة لا يخرج نباته الا نكدا يعني عسرا بمشقة وكلفة **قال الشاعر**

• لا تنجز الوعد ان وعدت وان • اعطيت اعطيت تافها نكدا •

يعني بالتافه القليل وبالنكد العسير ومعناه انك اعطيت اعطيت القليل بعسر ومشقة قال المفسرون هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فشبه المؤمن بالارض الحرة الطيبة وشبه نزول القرآن على قلب المؤمن بنزول المطر على الارض الطيبة فاذا نزل المطر عليها اخرجت انواع الازهار والثمار وكذلك المؤمن اذا سمع القرآن وانتفع به وظهرت منه الطاعات والعبادات وانواع الاخلاق الحميدة وشبه الكافر بالارض الرديئة الغليظة السبخة التي لا ينتفع بها وان اصابها المطر فكذلك الكافر اذا سمع القرآن لا ينتفع به ولا يزيده الا عتوا وكفرا وان عمل الكافر

حسنة في الدنيا كانت بمشقة وكلفة ولا ينتفع بها في الآخرة قال ابن عباس هذا مثل ضربه الله للمؤمن يقول هو طيب وعمله طيب كما ان البلد الطيب ثمره طيب ثم ضرب مثل الكافر كالبلدة السبخة المالحة التي خرجت منها البركة فالكافر خبيث وقال مجاهد هذا مثل ضربه لآدم وذريته كلهم من خبيث وطيب ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله من الهدى والعلم كمثل غيث اصاب ارضا منها طائفة طيبة قبلت الماء فانبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا واصاب منها طائفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله عز وجل ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به اخرجاه في الصحيحين **وقوله تعالى كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون** يعني كما ضربنا هذا المثل كذلك نبين الآيات الدالة على التوحيد آية بعد آية وحجة بعد حجة لقوم يشكرون الله على انعامه عليهم بالهداية وجنبهم سبيل الضلالة وانما خص الشاكرين بالذكر لانهم هم الذين انتفعوا بسماع القرآن قوله عز وجل **لقد ارسلنا نوحا الى قومه** اعلم ان الله تعالى لما ذكر الآيات المتقدمة دلائل آثار قدرته وصنعته الدالة على توحيده وربوبيته واقامة الادلة القاطعة على صحة البعث وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن اعراض قومه عن قبول الحق فقط بل قد اعرض عنه سائر الامم الخالية والقرون الماضية وفيه تنبيه على ان عاقبة اولئك الذين كذبوا الرسل كانت الى الخسار والهلاك في الدنيا وفي الآخرة العذاب العظيم فمن كذب محمدا صلى الله عليه وسلم من قومه كانت عاقبته مثل اولئك الذين خلوا من قبلهم من الامم المكذبة وفي ذكر هذه القصص دليل على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لا يقرأ ولا يكتب ولا يلتقي احدا من علماء زمانه وقد اتى بمثل هذه القصص والاخبار عن القرون الماضية والامم الخالية مما لم ينكره عليه احد علم بذلك انه انما اتى به من عند الله عز وجل وانه اوحي اليه ذلك فكان ذلك دليلا واضحا وبرهانا قاطعا على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم **فقوله** تعالى لقد ارسلنا نوحا الى قومه لقد ارسلنا نوحا جواب قسم محذوف تقديره والله لقد ارسلنا نوحا بن لامك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس عليه السلام ومعنى ارسلنا يعني بعثنا نوحا وهو اول نبي بعثه الله بعد ادريس عليه السلام وكان نوح نجارا وقيل معنى الارسال ان الله تعالى حمله رسالة ليؤديها الى قومه فعلى هذا التقدير فانها تكون متضمنة للبعث ايضا ويكون البعث كالتابع لانه اصل قال ابن عباس بعث وهو ابن اربعين سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل ابن مائتين وخمسين سنة وقيل وهو ابن مائة سنة قال ابن عباس سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه واختلفوا في سبب نوحه فقيل لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شأن ابنه كنعان وقيل لانه مر بكلب مجذوم فقال له اخسأ يا قبيح فاوحى الله اليه اعبتني ام عبت الكلب **فقال** يعني نوحا لقومه **يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره** يعني اعبدوا الله فانه هو الذي يستحق العبادة لا غيره فانه ليس لكم اله معبود سواه فانه هو الذي يستوجب ان يعبد **اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم** يعني ان لم تقبلوا ما امركم من عبادة الله واتباع امره وطاعته واليوم الذي خافه عليهم اما يوم الطوفان واهلاكهم فيه او يوم القيامة وانما قال اخاف على الشك وان كان على يقين من حلول العذاب بهم ان لم يؤمنوا به لانه لم يعلم وقت نزول العذاب بهم ايعاجلهم ام يتأخر العذاب عنهم الى يوم القيامة **قال الملأ من قومه** وهم الجماعة الاشراف **انا لنراك** يعني يا نوح **في ضلال مبين** يعني في خطأ وزوال عن الحق بين **قال** يعني نوحا **يا قوم ليس بي ضلالة** يعني ما بي ما تظنون من الضلال **ولكني رسول من رب العالمين** يعني ارسلني اليكم لانذركم واخوفكم ان لم تؤمنوا وقوله تعالى

ابلغكم رسالات ربي يعني في تحذيري اياكم عقابه على كفركم ان لم تؤمنوا به وانصح لكم يقال نصحته
ونصحت له كما يقال شكرته وشكرت له والنصح ارادة الخير لغيره كما يريد لنفسه وقيل النصح تحري
قول او فعل فيه صلاح للغير وقيل حقيقة النصح تعريف وجه المصلحة مع خلوص النية من شوائب
المكروه والمعنى انه قال ابلغكم جميع تكاليف الله وشرائعه وارشدكم الى الوجه الاصلح والارشد
والاصوب لكم وادعوكم الى ما دعاني اليه واحب لكم ما احب لنفسي قال بعضهم والفرق بين ابلاغ
الرسالة ان يعرفكم جميع اوامر الله ونواهيه وجميع انواع التكاليف التي اوجبها عليهم واما النصيحة
فهو ان يرغبهم في قبول تلك الاوامر والنواهي والعبادات ويحذرهم عذابه ان عصوه واعلم من
الله ما لا تعلمون يعني واعلم انكم ان عصيتم امره عاقبكم بالطوفان والغرق في الدنيا
ويعذبكم في الاخرة عذاب عظيم وقف وقيل اعلم ان مغفرة الله لمن تاب وعقوبته لمن اصر على
الكفر وقيل لعل الله اطلعه على سر من اسراره فقال واعلم من الله ما لا تعلمون او عجبتم الف
استفهام والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا استفهام انكار معناه اكذبتم وعجبتم
ان جاءكم ذكر من ربكم يعني وحيا من ربكم على رجل منكم تعرفونه وتعرفون نسبه وذلك
لان كونه منهم يزيل التعجب وقيل لعل الله اطلعه على سر من اسراره فقال واعلم من الله ما لا تعلمون
لينذركم الف استفهام والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف وهذا الاستفهام استفهام
انكار معناه اكذبتم وعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم يعني وحيا من ربكم على رجل منكم تعرفونه
وتعرفون نسبه وذلك لان كونه منهم يزيل التعجب وقيل المراد بالذكر الكتاب الذي انزله الله على
نوح عليه السلام سماه ذكرا كما سمي القرآن ذكرا وقيل المراد بالذكر المعجزة التي جاء بها نوح عليه السلام
فعلى هذا يكون على بمعنى مع اي رجل منكم قال الفراء على ههنا بمعنى مع لينذركم يعني
جاءكم لاجل ان ينذركم ولتتقوا اي ولاجل ان تتقوا ولعلكم ترحمون لان المقصود من ارسال
الرسول الانذار والمقصود من الانذار التقوى عن كل ما لا ينبغي والمراد بالتقوى الفوز بالرحمة
في الدار الاخرة فكذبوه يعني فكذبوا نوحا فانجيناه يعني من الطوفان والغرق والذين معه
يعني من امن من قومه معه في الفلك يعني في السفينة واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا
قوما عمين قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالى وقال الزجاج عموا عن الحق والايمان يقال
رجل عم في البصيرة واعمى في البصر وانشدوا من قول زهير حيث قال

واعلم علم اليوم والامس قبله ... ولكنني عن علم ما في غد عم

قال مقاتل عموا عن نزول العذاب بهم وهو الغرق قوله تعالى والى عاد اخاهم هودا
اي وارسلنا الى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهي عاد الاولى اخاهم هودا
يعني اخاهم في النسب لا في الدين وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص وقال
وقال ابن اسحاق هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح واتفقوا على ان هودا عليه السلام
لم يكن اخاهم في الدين ثم اختلفوا في سبب الاخوة مع انه حصلت فقيل انه كان واحدا من القبيلة
ثم ذكروا في تفسير هذه الاخوة وجهين الاول قال الزجاج انه كان من بني ادم ومن جنسهم
لا من الملائكة ويكفي هذا القدر في تسمية الاخوة والمعنى انا ارسلنا الى عاد واحدا من جنسهم
مثل الملك او الجن والثاني انه اخاهم يعني صاحبهم والعرب تسمي صاحب القوم اخاهم وكانت منازل
عاد بالاحقاف باليمن والاحقاف الرمل التي عند عمان وحضرموت قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره اي اعبدوا الله وحده لا تجعلوا معه الها اخر فانه ليس لكم اله غيره والفرق بين قوله في
قصة نوح فقال وههنا قال ان نوحا كان مواظبا على دعوة قومه غير متوان فيها لان الفاء
تدل على التعقيب واما هود فلم يكن كذلك بل كان دون نوح في المبالغة في الدعاء فاخبر الله عنه

بقوله قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون يعني افلا تخافون عقابه بعبادتكم غيره ولما
كانت هذه القصة مسوقة على قصة قوم نوح وقد علموا ما حل بهم من الغرق حسن قوله هنا
افلا تتقون يعني افلا تخافون ما نزل بهم من العذاب فقال هناك اني اخاف عليكم عذاب يوم
عظيم قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك في سفاهة يعني انا لنراك يا هود في حمق
وضلالة عن الحق والصواب اخبر الله عن قوم نوح انهم قالوا له انا لنراك في ضلال مبين حين تعب
في اصلاح سفينة في ارض ليس فيها من الماء شيء واما هود عليه السلام فانه لما زيف عبادة الاصنام
ونسب من عبدها الى السفه وقلة العقل قابلوه بمثله فقالوا انا لنراك في ضلالة جعلت سفاهة
وانا لنظنك من الكاذبين يعني في دعواك انك رسول من رب العالمين قال يعني هود للملأ
الملأ الذين نسبوه الى السفه يا قوم ليس بي سفاهة يعني ليس الامر كما تدعون انني في سفاهة ولكني
رسول من رب العالمين يعني اليكم ابلغكم رسالات ربي يعني اؤدي اليكم ما ارسلني به من
اوامره ونواهيه وشرائعه وتكاليفه وانا لكم ناصح امين يعني فيما امركم به من عبادة الله عز وجل وترك
ما سواه امين يعني على تبليغ الرسالة واداء النصح والامين الثقة على ما اؤتمن عليه حكى الله عن
نوح وانصح لكم وحكى عن هود وانا لكم ناصح فالاول بصيغة الفعل والثاني بصيغة اسم الفاعل
والفرق بينهما ان صيغة الفعل تدل على تجدده ساعة بعد ساعة فكان نوح يدعو قومه ليلا
ونهارا كما اخبر الله تعالى عنه بقوله قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلما كان ذلك
من عادته ذكره بصيغة الفعل فقال وانصح لكم واما هود فلم يكن كذلك بل كان يدعوهم وقتا دون
وقت فلهذا قال وانا لكم ناصح امين والمدح للنفس باعظم صفات المدح غير لائق بالعقلاء وانما فعل
هود ذلك وقال هذا القول لانه كان يجب عليه اعلام قومه بذلك ومقصوده الرد عليهم في قولهم
انا لنراك في ضلال وانا لنظنك من الكاذبين فوصف نفسه بالامانة وانه امين في تبليغ ما ارسل
به من عند الله فعليه تقرير للرسالة والنبوة وفيه دليل على جواز مدح الانسان نفسه في موضع
الضرورة الى مدحها او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم يعني اعجبتم ان انزل
الله وحيه على رجل تعرفونه لينذركم باس ربكم ويخوفكم عقابه واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد
قوم نوح يعني واذكروا نعمة الله عليكم اذ اهلك قوم نوح وجعلكم تخلفونهم في الارض وزادكم
في الخلق بسطة يعني طولا وقوة قال السدي والكلبي كانت قامة الطويل منهم مائة ذراع وقامة
القصير ستون ذراعا وقف سبعون ذراعا وعن ابن عباس ثمانون ذراعا وقال مقاتل
اثنا عشر ذراعا وقال وهب كان راس احدهم مثل القبة العظيمة فاذكروا آلاء الله يعني نعم
الله وفيه اضمار تقديره واذكروا نعمة الله عليكم واعملوا عملا يليق بذلك الانعام وهو ان تؤمنوا
به وتتركوا ما انتم عليه من عبادة الاصنام لعلكم تفلحون يعني لكي تفوزوا بالفلاح وهو
الفلاح البقاء في الاخرة قالوا يعني قال قوم هود مجيبين له اجئتنا يا هود لنعبد الله وحده
ونذر ما كان يعبد اباؤنا فاتنا بما تعدنا يعني من العذاب ان كنت من الصادقين يعني من قولك انك
رسول الله قال يعني قال هود مجيبا لهم قد وقع يعني نزل ووجب عليكم من ربكم رجس وغضب
اي عذاب وسخط اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم يعني وضعتم لها اسماء من عند انفسكم
بغير دليل فانتظروا يعني العذاب اني معكم من المنتظرين يعني نزول العذاب بكم فانجيناه يعني
فانجينا هودا عند نزول العذاب بقومه والذين معه برحمة منا يعني وانجينا اتباعه الذين امنوا به
وصدقوه لانهم كانوا مستحقين للرحمة وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا يعني واهلكنا الذين كذبوا هودا
من قومه واراد بالايات معجزات هود الدالة على صدقه وهذا اهلاك استيصال فاهلكهم جميعا ولم يبق
منهم احد وما كانوا مؤمنين يعني لانهم كانوا مصدقين لم يكونوا مصدقين بالله ولا برسوله هود عليه

والاولى ذكر الاسماء على سبيل الانكار عليهم
لان الاصنام لا حقيقة لها وذلك بعد وقوعهم
ما انزل الله بها من سلطان يعني حجة وبرهان
على صحة ما تسميتم وانكم سميتموها انتم
من عند انفسكم

السلام وكانت قصة عاد على ما ذكر محمد ابن اسحاق واصحاب السير والاخبار قالوا جميعا كانت منازل
عاد وجماعتهم حين بعث الله فيهم هودا عليه السلام الاحقاف والاحقاف الرمل فيما بين عمان
وحضرموت من ارض اليمن وكانوا قد فسقوا في الارض كلها وقهروا اهلها بفضل قوتهم التي جعلها الله
فيهم وكانوا اصحاب اوثان يعبدونها من دون الله عز وجل صنم يقال له صدا وصنم يقال له صمود
وصنم يقال له الهبا فبعث الله فيهم هودا عليه السلام وهو من اوسطهم نسبا وافضلهم موضعا
فامرهم ان يوحدوا الله ولا يجعلوا معه الها غيره وان يكفوا عن ظلم الناس لم يامرهم بغير ذلك فيما
ذكر فابوا عليه وكذبوه وقالوا من اشد منا قوة واتبعه منهم ناس فامنوا به وهم يسير يكتمون ايمانهم
وكان ممن صدقه وامن به رجل يقال له مرثد بن سعد بن عفير وكان يكتم ايمانه فلما عتوا على الله
وكذبوا نبيهم واكثروا في الارض الفساد وتجبروا وبنوا بكل ريع اية واتخذوا المصانع لعلهم يخلدون
فلما فعلوا ذلك امسك الله عليهم المطر ثلاث سنين حتى جهدهم ذلك وكان الناس في ذلك الزمان
اذا نزل بهم بلا او جهد يطلبون الفرج من الله عز وجل وذلك عند بيته الحرام بمكة مومنهم ومشركهم وكان
يجتمع بمكة ناس كثير مختلفة اديانهم وكلهم معظم لمكة معترف بحرمتها ومكانها من الله عز وجل وكان
البيت معروفا مكانه من الحرم وكان سكان مكة يومئذ العماليق لان اباهم كان عمليق بن لاوذ بن نوح
وكان سيد العماليق يومئذ رجل يقال له معاوية بن بكر وكانت امه معاوية كلهدة بنت الخيبري وهو
رجل من عاد فكانت عاد اخوال معاوية سيد العماليق فلما قحط عاد وقل عليهم المطر قالوا جهزوا
منكم وفدا الى مكة يستسقوا لكم فانكم قد هلكتم فبعثوا قيل بن عير ولقيم بن هزال بن هزيل وعتيل
ابن صد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما يكتم اسلامه وجلهمة بن الخيبري خال معاوية
ابن بكر سيد العماليق ولقمان بن عاد فانطلق كل رجل من هولا القوم ومعه جماعة من قومه فبلغ عدة
وفد عاد سبعون رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن
الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان
وهما قينتان لمعاوية بن بكر فلما راى معاوية بن بكر طول مقامهم عنده وقد بعثهم قومهم ليستغيثوا
لهم من البلا الذي اصابهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالي واصهاري وهولا مقيمون عندي
وهم ضيفي نازلين علي والله ما ادري كيف اصنع فاني استحي ان امرهم بالخروج لما بعثوا اليه
فيظنون انه ضيق مني بمقامهم عندي وقد هلك من وراهم من قومهم جهدا وعطشا قال او كما
ذلك من امره الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ان ذلك يحركهم

فقالت معاوية

الا يا قيل ويحك قم فهينم • لعل الله يصحبنا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا • قد امسوا لا يبينون الكلاما
من العطش الشديد فليس نرجو • به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساوهم بخير • فقد امست نساوهم ايامى
وان الوحش تاتيهم جهارا • ولا تخشى لعادي سهاما
وانتم هاهنا فيما اشتهيتم • نهاركم وليلكم التماما
فقبح وفدكم من وفد قوم • ولا لقوا التحية والسلاما

فقال معاوية هذا الشعر وغنتهم الجرادتان وسمع القوم ما غنتا به قال بعضهم لبعض
يا قوم انما بعثكم قومكم ليستغيثوا بكم من هذا البلا الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم
واستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد بن عفير انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم
وانبتم الى ربكم سقيتم واظهر اسلامه عند ذلك وقال

• عصت عاد رسولهم فامسوا • عطاشا لا تبلهم السما •
• لهم صنم يقال له صمود • يقابله صدا والهبا •
• فبصرنا الرسول سبيل رشد • فابصرنا الهدى وجلا العما •
• وان اله هود هو الهي • على الله التوكل والرجا •
• زاد في رواية •
• لهم حكم الاله وليس جور • وحكم الله اذ غلب الهوا •
• على عاد وعاد شر قوم • فقد هلكوا وليس لهم بقا •
• واني لن افارق دين هود • طوال الدهر او ياتي الفنا •

فقالت جلهمة بن الخيبري مجيبا لمرثد بن سعد حين قال ما ذكر من مقالته وعرف انه قد اتبع
دين هود وامن به الا يا سعد فانك من قبيل • ذوي كرم وامك من ثمود •
• فانا لا نطيعك ما بقينا • ولسنا فاعلين كما تريد •
• اتامرنا لنترك دين رفد • وهل والصد والعبود •
• ونترك دين ابا كرام • ذوي راي ونتبع دين هود •

ثم قال جلهمة لمعاوية بن بكر وابيه بكر احبسا عنا مرثدا فلا يقدمن معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك
ديننا ثم خرجوا الى مكة يستسقون لعاد فلما ولوا الى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر
حتى ادركهم بمكة قبل ان يدعوا الله عز وجل بشي مما خرجوا اليه فلما انتهوا اليه قام يدعو الله وبها وفد عاد
يدعون فقال مرثد اللهم اعطني سولي وحدي ولا تدخلني فيما يدعوك به وفد عاد وقام قيل بن عير
راس وفد عاد فقال اللهم اعط قيلا ما سالك وقال الوفد معه واجعل سولنا مع سوله وكان قد
تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد وكان سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعوتهم قام لقمان فقال اللهم
اني جيتك وحدي في حاجتي فاعطني سولي وسال طول العمر فعمر سبعة انسر **وقال** قيل بن عير
حين دعا يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشا الله سحايبا ثلاثا
بيضا وحمرا وسودا ثم نادى مناد من السحاب يا قيل اختر لنفسك ولقومك من السحايب فقال
قيل قد اخترت السحابة السودا فانها اكثر السحاب ما فناداه مناد اخترت رمادا رمددا لا تبقي
من ال عاد احدا وساق الله السحابة السودا التي اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى
خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما راوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا
يقول الله عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم تدمر كل شي بامر ربها وكان اول من
ابصر ما فيها وعرف انها ريح مهلكة امراة من عاد يقال لها مهدد فلما عرفت ما فيها صاحت ثم صعقت
فلما ان افاقت قالوا لها ما ذا رايت قالت رايت الريح فيها كشهب النار امامها رجال يقودونها
فسخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما فلم تدع من عاد احدا الا اهلكته واعتزل هود ومن
معه من المومنين في حظيرة ما يصيبهم ومنعهم من الريح الا ما تلين عليه الجلود وتلذ به الانفس
وانها لتمر وفيهما بالظعن من العاد فتحملهم بين السما والارض وتدمغهم بالحجارة وخرج وفد عاد
من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبينما هم عنده اذا قبل عليهم رجل اليه رجل على ناقة
له في ليلة مقمرة وذلك مسي ثالثة من مصاب عاد فاخبرهم الخبر فقالوا له اين فارقت هودا فقال فارقتهم
بساحل البحر وكانهم شكوا فيما حدثهم به وكانت هزيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة وقال السدي بعث
الله عز وجل الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السما والارض فلما راوها
تبادروا الى البيوت فدخلوها واغلقوا الابواب فجات الريح ففلعت ابوابهم ودخلت عليهم فاهلكتهم فيها
ثم اخرجتهم من البيوت فلما اهلكهم ارسل الله عليهم طيرا سودا فنقلتهم الى البحر فالقتهم فيه وقيل ان الله

هود واصحابه

تعالى امر الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية ايام يسمع لهم انين تحت الرمل ثم امر الريح فكشفت عنهم الرمل ثم احتملتهم فرمت بهم في البحر ولم تخرج ريح قط الا بمكيال الا يومئذ فانها عتت على الخزنة فغلبتهم فلم يعلموا كم كان مكيالها وفي الحديث انها خرجت على مثل حرق الخاتم وقيل ان مرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عنز حين دعوا بمكة قيل لهم قد اعطيتم مناكم فاختاروا لانفسكم غير انه لا سبيل الى الخلود ولا بد من الموت فقال مرثد اللهم اعطني برا وصدقا فاعطي ذلك وقال لقمان اللهم اعطني عمرا فقيل له اختر فاختار عمر سبعة انسر فكان ياخذ الفرخ حين يخرج من بيضه حتى اذا مات اخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى اتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان السابع من النسور اسمه لبد فلما مات لبد مات لقمان معه واما قيل فانه اختار لنفسه ما يصيب قومه فقيل انه الهلاك فقال لا ابالي لا حاجة لي بالبقا بعد قومي فاصابه الذي اصاب عادا فهلك ومن بعدهن الوفد الذين خرجوا يستسقون لعاد فان الريح لما خرجوا من الحرم فاهلكتهم فلما اهلك الله عادا ارتحل هود ومن معه من المومنين من ارضهم بعد هلاك قومه الى موضع يقال له الشحر من بلاد اليمن فنزل هناك ثم ادركه الموت فدفن بارض حضرموت يروى عن علي بن ابي طالب قبر هود عليه السلام بحضرموت في كثيب احمر وقال عبد الرحمن بن سابط بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسماعيل في تلك البقعة ويروى ان النبي من الانبيا اذا هلك قومه جا هو والصالحون من قومه الى مكة يعبدون الله حتى يموتوا بها

قوله عز وجل وإلى ثمود أخاهم صالحا يعني وارسلنا الى ثمود وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وهو اخو جديس بن عابر وكانت مساكن ثمود بالحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى وما حوله ومعنى الكلام الى بني ثمود اخاهم صالحا لان ثمود قبيلة قال ابو عمرو بن العلا سميت ثمود لقلة مائها والثمد الما القليل وقيل سموا ثمود باسم ابيهم الذي ينتسبوا اليه اخاهم صالحا يعني في النسب لا في الدين وهو صالح بن عبد بن اسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني قال لهم صالح حين ارسله الله اليهم يا قوم وحدوا الله ولا تشركوا به شيئا فما لكم من اله يستحق ان يعبد سواه قد جاءتكم بينة من ربكم يعني جاتكم حجة من ربكم وبرهان على صدق ما اقول وادعوا اليه من عبادة الله تعالى وعلى تصديقي باني رسول الله اليكم ثم فسر تلك البينة فقال هذه ناقة الله لكم آية يعني انها علامة على صدقي قال العلما ووجه كون الناقة اية معجزة على صدق صالح ومعجزة خارقة للعادة خرجت من صخرة في الجبل وكونها لا من ذكر ولا من انثى وكمال خلقها من غير حمل ولا تدريج لانها خلقت في ساعة وخرجت من الصخرة وقيل لانه كان لها شرب يوم ولجميع قبيلة ثمود شرب يوم وهذا من المعجزة ايضا لانها ناقة تشرب ما تشرب قبيلة معجزة وكانوا يحلبونها في يوم شربها قدر ما يكفيهم جميعهم ويقوم لهم مقام الما وهذا ايضا معجزة وقيل ان سائر الوحوش والحيوانات كانت تمتنع من شرب الما في يوم شرب الناقة وتشرب الحيوانات الما في غير يوم الناقة وهذا ايضا معجزة وانما اضافها الى الله في قوله هذه ناقة الله على سبيل التشريف والتفضيل كما يقال بيت الله وقيل لان الله خلقها بغير واسطة ذكر وانثى وقيل لانه لم يملكها احد الا الله تعالى وقيل لانها كانت حجة الله على قوم صالح فذروها تاكل في ارض الله يعني فذروا الناقة تاكل العشب من ارض الله لان الارض لله والناقة ايضا وليس لكم في ارض الله شي لانه هو الذي انبت فيها العشب ولا تمسوها بسوء يعني ولا تطردوها ولا تقربوها بشي من انواع الاذى ولا تعقروها فياخذكم عذاب اليم يعني بسبب عقرها واذاها واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد يعني ان الله اهلك عادا وجعلكم تخلفونهم في الارض وتعمرونها وبوأكم يعني واسكنكم وانزلكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا يعني القصور من سهول الارض لان القصور انما تبنى من اللبن والاجر المتخذ من الطين السهل اللين وتنحتون الجبال بيوتا يعني وتشقون من الجبال بيوتا وقيل كانوا يسكنون السهول في الصيف والجبال في الشتا وهذا يدل على انهم كانوا متنعمين مترفين فاذكروا آلاء الله اي

فاذكروا

اي فاذكروا نعمة الله عليكم واشكروه عليها ولا تعثوا في الارض مفسدين قال قتادة معناه ولا تسيروا في الارض مفسدين فيها والعيث اشد الفساد وقيل اراد به النهي عن عقر الناقة وقيل هو على ظاهره فيدخل فيه النهي عن جميع انواع الفساد قال الملا الذين استكبروا من قومه يعني قال الاشراف الذين تعظموا عن الايمان الذين تعظموا بصالح للذين استضعفوا يعني المساكين لمن آمن منهم يعني قال الاشراف المتعظمون في انفسهم لاتباعهم الذين آمنوا بصالح وهم الضعفا من قومهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه يعني ان الله ارسله الينا واليكم قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون يعني قال الضعفا انا بما ارسل الله به صالحا من الدين والهدى والحق مصدقون قال الذين استكبروا يعني عن امر الله والايمان به وبرسوله صالح إنا بالذي آمنتم به كافرون يعني جاحدون منكرون فعقروا الناقة يعني فعقرت ثمود الناقة والعقر قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره وعتوا عن أمر ربهم اي تكبروا عن امر ربهم وعصوه والعتو الغلو في الباطل والتكبر عن الحق والمعنى انهم عصوا الله وتركوا امره في الناقة وكذبوا نبيهم صالحا عليه السلام وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا يعني من العذاب إن كنت من المرسلين يعني ان كنت كما تزعم انك رسول الله فان الله ينصر رسله على اعدائه وانما قالوا ذلك لانهم كانوا مكذبين في كل ما اخبرهم به من العذاب فعجل الله لهم ذلك فقال تعالى فأخذتهم الرجفة قال الفرا والزجاج الرجفة الزلزلة الشديدة العظيمة وقال مجاهد والسدي هي الصيحة ويحتمل انهم اخذتهم الزلزلة من تحتهم والصيحة من فوقهم حتى هلكوا وهو قوله تعالى فأصبحوا في دارهم جاثمين يعني فاصبحوا في ارضهم وبلدهم جاثمين وحد الدار كما يقال دار الحرب اي بلد الحرب وداري بني فلان يعني ارضهم ومحلتهم وجمع في آية اخرى فقال في ديارهم لانه اراد ما لكل واحد منهم من الديار والمساكن وقوله جاثمين يعني باركين والجثوم للناس والطير بمنزلة البروك للبعير وجثوم الطير هو وقوعه لاطيا بالارض في حال نومه وسكونه بالليل والمعنى انهم اصبحوا جاثمين موتى على وجوههم لا يتحركون فتولى عنهم يعني فاعرض عنهم صالح في وقت هذا التولي قولان احدهما انه تولى عنهم بعد ان ماتوا وهلكوا ويدل عليه قوله فاصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم والفا للتعقيب تدل على انه حصل هذا التولي بعد جثومهم وموتهم والقول الثاني انه تولى عنهم وهم احيا قبل موتهم وهلاكهم ويدل عليه انه خاطبهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين وهذا الخطاب لا يليق الا بالاحيا فعلى هذا القول يحتمل ان يكون في الاية تقديم وتاخير تقديره فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين واجاب اصحاب القول الاول عن هذا انه خاطبهم بعد هلاكهم وموتهم توبيخا وتقريعا كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين القوا في القليب فجعل يناديهم باسمائهم الحديث وفيه فقال عمر يا رسول الله كيف تكلم اقواما قد جيفوا فقال ما انتم باسمع لما اقول لهم ولكن لا يجيبون وقيل انما خاطبهم صالح بذلك ليكون عبرة لمن ياتي بعدهم فينزجر عن مثل تلك الطريقة التي كانوا عليها وكانت قصة ثمود على ما ذكره محمد بن اسحاق ووهب بن منبه وغيرهما من اصحاب السير والاخبار قالوا جميعا ان عادا لما هلكت وانقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فدخلوا فيها وكثروا وعمروا حتى ان احدهم يبني المسكن من المدر فينهدم والرجل حي فلما راوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا وكانوا في سعة من العيش والرخا فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث الله اليهم صالحا نبيا وكانوا قوما عربا وكان صالح من اوسطهم نسبا وافضلهم بيتا وحسبا فبعثه الله اليهم صالحا نبيا وكانوا قوما عربا وكان صالح من اوسطهم نسبا وافضلهم بيتا وحسبا فبعثه الله اليهم وهو غلام فلم يزل يدعوهم الى الله

والعباد ثم حتى بعظ وكبر فلم يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما الح عليهم صالح بالدعا والتبليغ
واكثر لهم التحذير والتخويف سألوه ان يريهم اية تكون مصداقا على ما يقول فقال لهم صالح اي اية تريدون
فقالوا تخرج معنا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون فيه اصنامهم وذلك يوم معلوم من السنة فقالوا
تدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا قال لهم صالح نعم
فخرجوا باصنامهم الى عيدهم وخرج صالح معهم ودعوا اوثانهم وسألوها ان لا يستجاب لصالح في شي مما
يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن حراش وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة
لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفا وبرا عشرا والمخترجة ما شاكلت
البخت من الابل فان فعلت امنا بك وصدقناك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت لتصدقني
ولتؤمنن بي قالوا نعم قال فصلى صالح ركعتين ودعا ربه عز وجل فتمخضت الصخرة كما تمخض النتوج
بولدها ثم تحركت الهضبة عن ناقة عشرا جوفا وبرا كما سألوا ونعتوا غير انه لا يعلم ما بين جنبيها
الا الله عز وجل عظما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فامن به جندع بن عمرو
ورهط معه من قومه واراد بقية اشراف ثمود ان يؤمنوا به ويصدقوه فنهاهم ذواب بن عمرو بن لبيد
والحباب وكان صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر وكان كاهنهم وكانوا من اشراف ثمود فلما خرجت
الناقة من الصخرة قال لهم صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها
سقبها في ارض ثمود ترعى الشجر وتشرب الما وانما كانت ترد الما غبا فاذا كان يوم ورودها وضعت
راسها في بير في الحجر يقال لها بير الناقة فما ترفع راسها حتى تشرب كل ما فيها فلا تدع قطرة
ثم ترفع راسها فتتفشج لهم فيحلبون ما شاوا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملوا
اوانيهم كلها ثم تصدر الناقة من غير الفج الذي وردت منه ولا تقدر ان تصدر من حيث وردت
حتى اذا كان من الغد كان يوم ثمود فيشربون ما شاوا من الما ويدخرون ما شاوا ليوم الناقة
فهم على ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر بظهر الوادي فتهرب منها
مواشيهم الابل والبقر والغنم فتهبط الى بطن الوادي فتكون في حرة وجدبة واذا كان الشتا
فتشتو الناقة في بطن الوادي فتهرب المواشي الى ظهره فتكون في البرد والجدب
فاضر ذلك بمواشيهم للامر الذي يريده الله بهم والبلا والاختبار فكبر ذلك عليهم وعتوا عن امر
ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة فاجمعوا على عقرها وكانت امرأتان من ثمود يقال لاحداهما
عنيزة بنت غنم بن مجلز وتكنى بام غنم وكانت عجوزا مسنة وهي امرأة ذواب بن عمرو وكانت
ذات بنات حسان وذوات مال من ابل وبقر وغنم والامرأة الاخرى يقال لها صدوق بنت المحيا
وكانت جميلة غنية ذات مواشي كثيرة وكانتا من اشد الناس عداوة لصالح عليه السلام
وكانتا تحبان عقر الناقة لما اضرت بمواشيهما فتحيلتا في عقر الناقة فدعت صدوق رجلا
من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل فابى عليها فدعت ابن
عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت له نفسها على ان يعقر الناقة وكانت
من احسن الناس وجها واكثرهم مالا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف
وكان رجلا احمر ازرق قصيرا يزعمون انه كان من زنية ولم يكن لسالف ولكنه ولد على فراشه
فقالت عنيزة لقدار اي بناتي شئت اعطيتك على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا
في قومه ق عن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي
عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم
منيع في رهطه مثل ابي زمعة قوله انبعث اي قام بسرعة والعارم الخبيث الشرير والعرامة
الشدة والقوة والشراسة والمنيع الممتنع ممن اراده قال اصحاب الاخبار فانطلق قدار بن سالف

ومصدع

ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر فكانوا تسعة رهط فانطلق قدار ومصدع
واصحابهما فرصدوا الناقة حين صدرت عن الما وقد كمن لها قدار في اصل صخرة على طريقها وكمن لها
مصدع في اصل صخرة اخرى فمرت على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت ام غنم
عنيزة وامرت ابنتها فسفرت عن وجهها وكانت من احسن الناس وجها ثم ذامرته ذمرته تعني
حثته على عقرها واغرته به فشد قدار على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت
رغاة واحدة تحذر سقبها من الجبل ثم طعن في لبتها فنحرها فخرج اهل البلد فاقتسموا لحمها
فلما راى سقبها ذلك انطلق هاربا حتى اتى جبلا منيعا يقال له صنو وقيل قارة
واتى صالح فقيل له ادرك الناقة فقد عقرت فاقبل نحوها وخرج اهل البلد يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون
يا نبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه
فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا في طلبه فراوه على الجبل فذهبوا لياخذوه فاوحى الله الى الجبل
ان تطاول فتطاول حتى ما تناله الطير وجا صالح فلما راه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا
ثلاثا ثم انفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغوة اجل يوم تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك
وعد غير مكذوب وقال ابن اسحاق تبع السقب اربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم
مصدع بن مهرج واخوه ذواب فرماه مصدع بسهم فاصاب قلبه ثم جره برجله فانزلوه والقوا لحمه
مع لحم امه وقال لهم صالح انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم يهزؤن به ومتى ذلك
يا صالح وما اية ذلك وكانوا يسمون الايام في ذلك الوقت الاحد اول والاثنين اهون والثلاثا
دبار والاربعا جبار والخميس مونس والجمعة العروبة والسبت شيار وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعا
فقال لهم صالح حين قالوا ذلك تصبحون غدا يوم مونس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم
العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم
اول فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلم فان كان صادقا عجلناه قبلنا
وان كان كاذبا كنا قد الحقناه بناقته فاتوه ليلا ليبيتوه فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما ابطوا
على اصحابهم اتوا الى منزل صالح فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلتهم ثم هموا به
فقامت عشيرته دونه وقالوا لا تقتلونه ابدا فانه قد وعدكم العذاب انه نازل بكم بعد ثلاث فان
كان صادقا لم تزيدوا ربكم الا غضبا عليكم وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنه
تلك الليلة فاصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كانما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم
وانثاهم فايقنوا بالعذاب وايقنوا ان صالحا قد صدقهم فيما قال فطلبوه ليقتلوه فهرب منهم
فلجا الى بطن من ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم واسمه نفيل ويكنى بابي هدب وهو
مشرك فغيب صالحا فلم يقدروا عليه فغدوا على اصحاب صالح ليدلوهم عليه فقال رجل من اصحاب
صالح يقال له مبدع بن هرم يا نبي الله انهم يعذبوننا لندلهم عليك قال نعم فدلوهم علي فاتوا ابا
هدب فكلموه في امر صالح فقال هو عندي وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم ما نزل
بهم من العذاب فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون في وجوههم فلما امسوا صاحوا باجمعهم الا قد
مضى يوم من الاجل فلما اصبحوا في اليوم الثاني اذا وجوههم محمرة كانما خضبت بالدم فصاحوا
وضجوا وبكوا وايقنوا بانه العذاب فلما امسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل
وحضركم الموت العذاب فلما اصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كانما طليت بالقار فصاحوا
جميعا الا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح من بين اظهرهم ومن اسلم معه
الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما اصبحوا في اليوم تكفنوا وتحنطوا والقوا بانفسهم
الى الارض يقلبون ابصارهم الى السما مرة والى الارض مرة لا يدرون من اين ياتيهم العذاب فلما

اشتد الضحى يوم الاحد اتتهم صيحة عظيمة من السماء فيها صوت كل صاعقة من السماء وصوت كل شيء له صوت
في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم وهلكوا جميعا الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت سلق
وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق الله رجليها بعدما عاينت العذاب وما اصاب ثمود
فخرجت مسرعة حتى اتت وادي القرى فاخبرتهم بما عاينت من العذاب الذي اصاب ثمود ثم استسقت ماء
فسقيت فلما شربت ماتت وذكر السدي في عقر الناقة قال اوحى الله عز وجل الى صالح
عليه السلام وعلى نبينا صلى الله عليه وسلم ان قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك صالح فقالوا
ما كنا لنفعل فقال صالح انه سيولد في شهركم غلام يعقرها فيكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد
لنا في هذا الشهر ولد الا قتلناه قال فولد لتسعة منهم في ذلك الشهر اولاد فذبحوهم ثم ولد للعاشر
ولد فابى ان يذبحه لانه كان لم يولد له قبل ذلك وكان الولد الذي ولد له احمر ازرق فنبت نباتا
سريعا فكان اذا مر بالتسعة فراوه قالوا لو كانوا ابناؤنا احياء لكانوا مثل هذا الغلام فغضب
التسعة على صالح لانه سبب قتل ابنائهم فتقاسموا بالله يعني فتحالفوا بالله لنبيتنه واهله
وقالوا نخرج فيرى الناس انا قد خرجنا الى السفر فناتي الغار فنكون فيه حتى اذا كان الليل وخرج
صالح الى مسجده اتيناه فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكون فيه حتى ننصرف الى رحلنا فنقول
ما شهدنا مهلك اهله وانا لصادقون فيصدقوننا فيظنون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح
لا ينام معهم في القرية بل كان يبيت في مسجد له خارج القرية فاذا اصبح اتاهم فيعظهم
ويذكرهم فاذا امسى خرج الى مسجده فتعبد فيه قال فانطلق التسعة الى الغار فدخلوا فسقط
عليهم فقتلوا فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على امرهم لينظروا ما فعل اولئك النفر فراوهم
وهم رضخ فرجعوا وهم يقولون ما رضي بقتل اولادهم حتى قتلهم فاجتمع اهل القرية على قتل
الناقة وقال ابن اسحاق كان التسعة قد تقاسموا على تبييت صالح بعد عقر الناقة وقال السدي
وغيره لما ولد للعاشر ولده سماه قدارا فكان يشب شبابا سريعا فلما كبر جلس مع ناس يشربون الخمر
فارادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم يوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة
فاشتد ذلك عليهم وقالوا ما نصنع نحن بلبن هذه الناقة ولو كنا ناخذ هذا الماء الذي تشربه
الناقة فنسقيه لانعامنا وزروعنا كان خيرا لنا **فقال** ابن العاشر هل لكم ان اعقرها
لكم قالوا نعم فعقروها **ق** ابن عمر لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن
الذين ظلموا انفسهم ان يصيبكم ما اصابهم الا ان تكونوا باكين ثم قنع راسه واسرع السير حتى جاوز
الوادي وفي رواية لمسلم لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين ثم ذكر مثله وله عن ابن عمر ان الناس نزلوا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر ارض ثمود فاستقوا من ابارها وعجنوا به العجين فامرهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يهريقوا ما استقوا ويعلفوا الابل العجين وامرهم ان يستقوا
من البئر التي كانت تردها الناقة وللبخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك
امرهم ان لا يشربوا من ابارها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجنا منها واستقينا فامرهم النبي صلى الله عليه
وسلم ان يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء وفي بعض الاحاديث قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تسالوا رسولكم الايات هؤلاء قوم صالح سالوا رسولهم فبعث الله الناقة فكانت ترد من
هذا الفج وتشرب ماءهم يوم ورودها واراهم مرتقى الفصيل من القارة فعتوا عن امر ربهم فعقروها
فاهلكهم الله من تحت اديم السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو
ابو ثقيف كان في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه فدفن
ودفن معه غصن من ذهب واراهم قبر ابي رغال فنزل القوم فابتدروه باسيافهم وحفروا عنه
واستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح اربعة الاف فخرج بهم صالح الى حضرموت

فلما

فلما دخلها مات صالح فسمي حضرموت فلما بنى الاربعة الالاف مدينة وسموها حاضورا ارتحلوا وقال قوم من
اهل العلم توفي صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة واقام في قومه عشرين سنة
قوله عز وجل **ولوطا** يعني وارسلنا لوطا **وقيل** معناه واذكر يا محمد لوطا وهو لوط بن
هاران بن تارخ ابن اخي ابراهيم وابراهيم **اذ قال لقومه** يعني اهل سدوم واليهم كان قد ارسل وذلك
ان لوطا عليه السلام لما هاجر مع عمه ابراهيم عليه السلام الى الشام نزل ابراهيم ارض فلسطين ونزل
لوط الاردن فارسله الله الى اهل سدوم يدعوهم الى الله وينهاهم عن فعلهم القبيح وهو قوله تعالى
اتاتون الفاحشة يعني اتفعلون الفعلة الخبيثة التي هي غاية في القبح وكانت فاحشتهم اتيان
الذكران في ادبارهم **ما سبقكم بها من احد من العالمين** من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة
معنى الاستغراق والثانية للتبعيض والمعنى ما سبقكم ايها القوم بهذه الفعلة الفاحشة احد
من العالمين قبلكم وفي هذا الكلام توبيخ لهم وتقريع على فعلهم تلك الفاحشة قال عمرو بن دينار ما
نرى ذكرا على ذكر في الدنيا حتى كان قوم لوط **انكم لتاتون الرجال** يعني في ادباركم **شهوة
من دون النساء** يعني ادبار الرجال اشهى عندكم من فروج النساء **بل انتم** يعني ايها القوم **قوم مسرفون**
يعني مجاوزون الحلال الى الحرام وانما ذمهم وعيرهم ووبخهم بهذا الفعل الخبيث لان الله
تبارك وتعالى خلق الانسان وركب فيه شهوة النكاح لبقاء النسل وعمران الدنيا وجعل النساء محلا
لتلك الشهوة وموضع النسل فاذا تركهن الانسان وعدل عنهن الى غيرهن من الرجال فكانما
قد اسرف واعتدى لانه وضع الشيء في غير موضعه الذي خلق له لان ادبار الرجال ليس محلا للولادة
التي هي مقصودة بتلك الشهوة المركبة في الانسان **وكانت** قصة قوم لوط على ما
ذكره محمد بن اسحاق وغيره من اهل الاخبار والسير انه كانت قرى قوم لوط مخصبة ثمار وزروع
لم يكن في الارض مثلها فقصدهم الناس فاذوهم وضيقوا فعرض لهم ابليس في صورة شيخ وقال لهم
ان فعلتم بهم كذا وكذا نجوتم منهم فابوا فلما الح الناس عليهم وقصدوهم اصابوا غلمانا حسانا
صباحا فاخبثوا واستحكم ذلك فيهم قال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغرباء وقيل استحكم ذلك الفعل
فيهم حتى نكح بعضهم بعضا وقال ان اول من عمل عمل قوم لوط ابليس وذلك لان بلادهم اخصبت
فقصدها اهل البلدان فتمثل لهم ابليس في صورة شاب امرد فدعا الى نفسه فكان اول من نكح في
دبره فامر الله السماء ان تحصبهم والارض ان تخسف بهم وقوله تعالى **وما كان جواب قومه** يعني
وما كان جواب قوم لوط للوط اذ وبخهم على فعلهم القبيح وركوبهم ما حرم الله تعالى عليهم
العمل من العمل الخبيث **الا ان قالوا** يعني قال بعضهم لبعض **اخرجوهم من قريتكم** يعني اخرجوا
لوطا واتباعه واهل دينه من بلدكم **انهم اناس يتطهرون** يعني انهم اناس يتنزهون عن فعلكم
وعن ادبار الرجال لانه موضع النجاسة ومن تركه فقد تطهر فلهذا قال انهم اناس يتطهرون من فعل المعاصي
والاثام **فانجيناه واهله** يعني فانجينا لوطا ومن امن معه واتبعه على دينه وقيل المراد باهله
المتصلين به بسبب النسب والمراد باهله ابنتاه **الا امراته** يعني زوجته **كانت من الغابرين**
يعني كانت من الباقين في العذاب لانها كانت كافرة وقيل معناه كانت من الباقين المعمرين قد
اتى عليها دهر طويل ثم هلكت مع من هلك من قوم لوط وانما قال من الغابرين ولم يقل من الغابرات لانها
هلكت مع الرجال فغلب ذكر الرجال فقال من الغابرين **وامطرنا عليهم مطرا** يعني حجارة من سجيل قد عجنت
بالكبريت والنار يقال مطرت السماء وامطرت وقال ابو عبيدة يقال في العذاب امطر وفي الرحمة مطر **فانظر
كيف كان عاقبة المجرمين** يعني انظر يا محمد كيف كان عاقبة هؤلاء الذين كذبوا بالله ورسوله وعملوا
الفواحش كيف اهلكناهم قال مجاهد نزل جبريل عليه السلام فادخل جناحه تحت مدائن قوم لوط
فاقتلعها ورفعها الى السماء ثم قلبها فجعل اعلاها اسفلها ثم اتبعوا بالحجارة وقوله **فانظر كيف**

كان عاقبة المجرمين وان كان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لكن المراد به غيره من امته ليعتبروا بما
جرى على اولئك فينزجروا بذلك الاعتبار عن الافعال القبيحة والفواحش الخبيثة قوله عز وجل
والى مدين اخاهم شعيبا يعني ارسلنا الى مدين اكثر المفسرين على ان مدين اسم رجل وهو مدين وقيل
مدين ابن ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا افضل الصلاة والسلام فعلى هذا يكون المعنى وارسلنا
الى اهل مدين والصحيح هو الاول وقوله اخاهم شعيبا يعني في النسب لانه الذي وشعيب
هو ابن ذيبر بن مدين بن ابراهيم عليه السلام قاله عطا وقال محمد بن اسحاق هو شعيب بن ميكيل بن يشجر
ابن مدين بن ابراهيم عليه السلام وام ميكيل بنت لوط عليه السلام وقيل هو شعيب عليه السلام
ابن ثيرون بن مدين بن ابراهيم عليه السلام وكان شعيب اعمى وكان يقال له خطيب الانبيا لحسن
مراجعته قومه وكان قومه اهل كفر وبخس في المكيال والميزان قال يعني شعيبا يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم يعني قد جاءتكم حجة وبرهان من ربكم بحقيقة ما اقول
وصدق ما ادعي من النبوة والرسالة اليكم لانه لا بد لكل نبي معجزة تدل على صدق ما جاء به من عند الله غير
ان تلك المعجزة كانت لشعيب لم تذكر في القران وليست كل ايات الانبيا مذكورة في القران وقيل اراد
بالبينة مجي شعيب بالرسالة اليهم وقيل اراد بالبينة الموعظة وهي قوله تعالى فاوفوا الكيل والميزان
يعني فاتموا الكيل والميزان واعطوا الناس حقوقهم وهو قوله تعالى ولا تبخسوا الناس اشياءهم يعني
لا تظلموا الناس حقوقهم ولا تنقصوهم اياها فتطففوا الكيل والوزن يقال بخس فلان في الكيل والوزن
اذا انتقصه وطففه ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها يعني بعد ان اصلحها الله ببعثة
الرسل واقامة العدل وكل نبي يبعث الى قوم فهو صلاحهم ذلكم يعني الذي ذكرت لكم وامرتكم
به من الايمان بالله ووفاء الكيل وترك الظلم والبخس خير لكم يعني مما انتم عليه من الكفر وظلم الناس
ان كنتم مؤمنين يعني مصدقين بما اقول ولا تقعدوا بكل صراط توعدون يعني ان شعيبا قال
لقومه الكفار ولا تقعدوا على كل طريق من الدين والحق تمنعون الناس من الدخول فيه وتهددونهم على
ذلك وذلك انهم كانوا يجلسون على الطرقات ويخوفون من يريد الايمان بالله وبرسوله شعيب وهو
قوله تعالى وتصدون عن سبيل الله من امن به يعني وتمنعون من يريد الايمان بالله وبرسوله شعيب
وتقولون ان شعيبا كذاب وتخوفونه بالقتل قال ابن عباس كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من
اتى عليهم ان شعيبا الذي تريده كذاب فلا يفتنكم عن دينكم وتبغونها عوجا يعني وتريدون
اعوجاج الطريق عن الحق وعدولها عن القصد وقيل معناه وتلتمسون لها الزيغ والضلال ولا
تستقيموا على طريق الهدى والرشاد واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم يعني ان شعيبا عليه السلام
ذكرهم نعمة الله عليهم قال الزجاج يحتمل ذلك ثلاثة اوجه كثر عددكم وكثركم بالغنى بعد الفقر
وكثركم بالقدرة بعد الضعف ووجه ذلك انهم اذا كانوا فقرا ضعفا فهم بمنزلة القليل والمعنى انه
كثركم بعد القلة واعزكم بعد الذلة فاذكروا نعمه عليكم وامنوا به وانظروا كيف كان عاقبة
المفسدين يعني وانظروا نظر اعتبار ما نزل بمن قبلكم من الامم السالفة والقرون الخالية حين
عتوا على ربهم وعصوا رسله من العذاب والهلاك واقرب الامم اليكم قوم لوط فانظروا كيف
نزل عليهم حجارة من السما لما عصوه وكذبوا رسله وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت
به وطائفة لم يؤمنوا يعني وان اختلفتم في رسالتي فصرتم فرقتين فرقة امنت بي وصدقت
برسالتي وفرقة كذبت وجحدت رسالتي فاصبروا فيه وعيد وتهديد حتى يحكم الله بيننا يعني
حتى يقضي الله ويفصل بيننا فينجي المؤمنين الصادقين وينصرهم ويهلك المكذبين الجاحدين
ويعذبهم وهو خير الحاكمين يعني انه حاكم عادل منزه عن الجور والميل والحيف في حكمه وانما قال
خير الحاكمين لانه قد يسمى بعض الاشخاص حاكما على سبيل المجاز والله تعالى هو الحاكم في الحقيقة

فلهذا

فلهذا قال وهو خير الحاكمين قال الملأ الذين استكبروا من قومه يعني قال الجماعة من اشراف قومه الذين
تكبروا عن الايمان بالله وبرسوله وتعظموا عن اتباع شعيب لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك
من قريتنا او لتعودن في ملتنا يعني ان قوم شعيب اجابوه بان قالوا لا بد من احد امرين اما اخراجك
ومن معك على دينك من بلدنا او لترجعن الى ديننا وملتنا وما نحن عليه وهذا فيه اشكال وهو ان
شعيبا عليه السلام لم يكن قط على ملتهم حتى يرجع الى ما كان عليه فما معنى قوله او لتعودن في
ملتنا واجيب عن هذا الاشكال بان اتباع شعيب كانوا قبل الايمان به على ملة اولئك
الكفار فخاطبوا شعيبا واتباعه كلهم جميعا فدخل هو في الخطاب وان لم يكن على ملتهم قط وقيل
معناه لتصيرن الى ملتنا فوقع العود على معنى الابتدا كما تقول قد عاد علي فلان مكروه يعني قد
لحقني منه ذلك وان لم يكن قد سبق منه مكروه كما قال الشاعر

فان تكن الايام تحسن مرة • الي فقد عادت لهن ذنوب

اراد ان صارت لهن ذنوب ولم يرد ان ذنوبا كانت لهن قبل الاحسان وقوله تعالى قال اولو كنا كارهين
يعني لا نعود في ملتكم ولو كرهتمونا واجبرتمونا على الدخول فيها فلا نقبل ولا ندخل قد افترينا
على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها يعني ان شعيبا اجاب قومه اذ دعوه ومن امن
الى العود الى ملتهم والدخول فيها فقال قد افترينا يعني قد اختلقنا على الله كذبا وتخرصنا عليه من
القول باطلا ان نحن رجعنا الى ملتكم وقد علمنا فساد ما انتم عليه من الملة والدين وقد انقذنا الله
وخلصنا منها وبصرنا خطاها وهذا ايضا فيه من الاشكال مثل ما في الاول وهو ان شعيبا
عليه السلام ما كان في ملتهم قط حتى يقول ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها والجواب عنه
مثل ما اجيب عن الاشكال الاول وهو انه يقول ان الله نجا قومه الذين امنوا به من تلك الملة الباطلة
على ان شعيبا نظم نفسه في جملتهم وان كان بريا مما كانوا عليه من الكفر فاجرا الكلام على حكم
التغليب وقيل معناه نجانا الله منها لما علمنا قبح ملتكم وفسادها فكانه خلصنا منها
وقوله تعالى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشا الله ربنا يعني وما يكون لنا ان نرجع الى ملتكم
ونترك الحق الذي نحن عليه الا ان يشا الله ربنا يعني الا ان يكون قد سبق لنا في علم الله ان نعود فيها
حينئذ يمضي قضا الله وقدره وينفذ سابق مشيته علينا وقال الواحدي يعني العود والذي عليه
اهل العلم في هذه الاية ان شعيبا واصحابه قالوا ما كنا لنرجع الى ملتكم بعد اذ وقفنا الله على انها ضلالة
تكسب دخول النار الا ان يريد الله اهلاكنا فامورنا راجعة الى الله غير خارجة عن قبضته يسعد
من يشا ويشقي من يشا بالمعصية وهذا من شعيب وقومه استسلام للمشية ولم تزل الانبيا
والاكابر يخافون العاقبة وانقلاب الامر الا ترى الى قول الخليل ابراهيم عليه السلام واجنبني وبني
ان نعبد الاصنام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت
قلبي على دينك قال الزجاج المعنى وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يكون قد سبق في علم
الله ومشيته ان نعود فيها وتصديق قوله وسع ربنا كل شي علما يعني انه تعالى يعلم ما يكون
قبل ان يكون وما سيكون وانه تعالى كان عالما في الازل بجميع الاشيا فالسعيد من سعد في علم
الله والشقي من شقي في علم الله تعالى على الله توكلنا يعني على الله نعتمد واليه نستند في
امورنا كلها فانه الكافي لمن توكل عليه والمعنى على الله توكلنا لا على غيره لكنه ترك الاسباب
ونظر الى مسبب الاسباب ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق لما ايس شعيب من ايمان قومه
دعا بهذا الدعا فقال ربنا افتح اي اقض وافصل واحكم بيننا وبين قومنا بالحق يعني بالعدل
الذي لا جور فيه ولا حيف وانت خير الفاتحين يعني خير الحاكمين قال الفرا في اهل عمان يسمون

الفاتح وقال غيره من اهل اللغة هو لغة مراد وانشد بعضهم

الا ابلغ بني عصم رسولا • فاني عن فتاحتكم غني •

اراد عني عن حاكمكم وقاضيكم وقال ابن عباس ما كنت ادري ما معني قوله ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق وانت خير الفاتحين حتي سمعت ابنة ذي يزن تقول تعالي افاتحك يعني اقاضيك وهذا
قول قتادة والسدي وابن جريج وجمهور المفسرين ان الفاتح هو القاضي والحاكم يسمي بذلك لانه
يفتح اغلاق الاشكال بين الخصوم ويفصلها وقال الزجاج وجائز ان يكون معناه ربنا اظهر امرنا
حتي ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف والمراد منه ان ينزل عليهم عذابا يدل على انهم مبطلون وعلى كون
شعيب وقومه محقين وعلي هذا القول فالفتح يراد به الكشف والتمييز وقال الملأ الذين كفروا
من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون يعني وقال الجماعة من اشراف قوم شعيب ممن كفر به
للآخرين منهم لئن اتبعتم شعيبا علي دينه وتركتم دينكم وملتكم وما انتم عليه انكم اذا لخاسرون
يعني انكم لمغبونون في فعلكم فاخذتهم الرجفة يعني الزلزلة الشديدة فاصبحوا في دارهم
جاثمين قال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم فارسل عليهم حرا شديدا فاخذ بانفاسهم
فلا ينفعهم ظل ولا ماء فدخلوا في الاسراب ليبردوا فيها فوجدوها اشد حرا من الظاهر فخرجوا هربا
الي البرية فبعث الله عليهم سحابة فيها ريح طيبة باردة فاظلتهم وهي الظلة فوجدوا لها بردا
ونسيما فنادي بعضهم بعضا حتي اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم الهبها الله
عليهم نارا ورجفت بهم الارض من تحتهم فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي وصاروا رمادا وروي ان الله
تعالي حبس عنهم الريح سبعة ايام ثم سلط عليهم الحر حتي هلكوا وقال قتادة بعث الله شعيبا
الي اصحاب الايكة والي مدين فاما اصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة واما اهل مدين فاخذتهم
الصيحة صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا قال ابن عباس ابن الجبلي كان ابو جاد وهوز وحطي وكلمن
وسعفص وقرشت ملوك مدين وكان ملكهم في زمن شعيب يوم الظلة اسمه كلمن فلما هلك
قالت ابنته شعرا تبكيه وترثيه به

كلمن هد ركني • هلكه وسط المحله •
سيد القوم اتاه • هلكه نار تحت ظله • جعلت نارا عليهم • دارهم كالمضمحله •

قوله تعالي الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها يعني كأن لم يقيموا فيها ولا
ينزلوها يوما من الدهر يقال غنيت بالمكان اي اقمت به والمغاني المنازل التي بها اهلها واحدها مغني
قال الشاعر • ولقد غنوا فيها بانعم عيشة • في ظل ملك ثابت الاوتاد •
اراد فيها اقاموا وقيل في معني الاية كأن لم يعيشوا فيها متنعمين مستغنين يقال غني الرجل
اذا استغني وهو من الغني الذي هو ضد الفقر الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين يعني خسروا
انفسهم باهلاكهم فتولي عنهم يعني اعرض عنهم شعيب شاخصا من بين اظهرهم حين اتاهم العذاب
وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم يعني انه قال لهم ذلك لما تيقن نزول العذاب
بقومه واختلفوا هل كان ذلك القول قبل نزول العذاب او بعده علي قولين سبقا في قصة صالح
عليه السلام وقوله تعالي فكيف آسى يعني احزن علي قوم كافرين والاسي اشد الحزن وانما اشتد
حزنه علي قومه لانهم كانوا كثيرين وكان يتوقع منهم الاستجابة والايمان فلما نزل بهم ما نزل من العذاب
عزي نفسه فقال كيف احزن علي قوم كافرين لانهم الذين اهلكوا انفسهم باصرارهم علي الكفر وقيل
في معني الاية ان شعيبا قال لقد اعذرت لكم في الابلاغ والنصيحة والتحذير فلم تسمعوا قولي
ولم تقبلوا نصحي فكيف احزن عليكم يعني لستم مستحقين بان احزن عليكم فعلي القول الاول انه حصل
لشعيب حزن علي قومه وعلي القول الثاني لم يحزن عليهم والله اعلم قوله تعالي وما ارسلنا

في قرية من نبي فيه اضمار وحذف تقديره فكذبوه الا اخذنا اهلها بالبأساء والضراء قال ابن
مسعود البأساء الفقر والضراء المرض وهو قول الحسن يعني مؤكدين قال البأساء كلما نالهم من الشدة وضيق العيش
والضراء الضر وسوء الحال لعلهم يضرعون يعني انما فعلنا بهم ذلك لكي يتضرعوا ويتوبوا والتضرع
الخضوع والانقياد لامر الله عز وجل والمراد من هذه الاية ان الله عز وجل لما عرف نبيه محمدا صلى الله
عليه وسلم احوال الانبياء مع اممهم المكذبة وقص عليه من اخبارهم وعرف سنته في الامم الذين خلوا
من قبله وما صاروا اليه من الهلاك او العذاب عرفه في هذه الاية انه قد ارسل رسلا الي امم اخر فكذبوا
رسلهم فاخذناهم بالبأساء والضراء كمن فعل بقوم من كذب رسله وفيه تخويف وتحذير لكفار قريش وغيرهم
من الكفار لينزجروا عما هم عليه من الكفر والتكذيب ثم بين تعالي انه لا يجري تدبيره في اهل القري
علي نمط وسنة واحدة انما يدبرهم بما يكون الي الايمان اقرب وهو قوله تعالي ثم بدلنا
مكان السيئة الحسنة لان ورود النعمة علي البدن والمال بعد الشدة والضيق يستدعي
للطاعة والاشتغال بالشكر قال اهل اللغة السيئة كل ما يسوء صاحبه والحسنة كل ما يستحسنه
الطبع والعقل فالسيئة والحسنة هنا الشدة والرخاء والمعني انه بدل تعالي مكان البأساء
والضراء النعمة والسعة والخصب والصحة في الابدان فاخبر الله تعالي في هذه الاية انه يأخذ اهل
المعاصي والكفر تارة بالشدة وتارة بالرخاء علي سبيل الاستدراج وهو قوله تعالي حتي عفوا
يعني انه فعل ذلك بهم حتي كثروا وكثرت اموالهم يقال عفا الشيء اذا كثر وطال قال مجاهد حتي
كثرت اموالهم واولادهم وقالوا يعني من غرتهم وغفلتهم بعد ما صاروا الي الرخاء والسعة
قد مس آباءنا الضراء والسراء يعنون قالوا هكذا عادة الدهر قديما وحديثا لنا ولآبائنا ولم يكن
ما مسنا من الشدة والضر عقوبة من الله علي ما نحن عليه فكونوا علي ما انتم عليه كما كان آباؤكم
من قبل فانهم لم يتركوا دينهم لما اصابهم ما اصابهم من الضر والبأساء قال الله تعالي فاخذناهم بغتة
يعني اخذناهم فجاءة آمن ما كانوا ليكون ذلك اعظم لحسرتهم وهم لا يشعرون يعني بنزول
العذاب بهم والمراد بذكر هذه القصة اعتبار من سمعها لينزجر عما هو عليه من العذاب قوله عز وجل
ولو ان اهل القري آمنوا واتقوا يعني لما بين الله تعالي في هذه الاية انهم لو آمنوا يعني بالله ورسله
واطاعوه فيما امرهم به واتقوا يعني ما نهي الله عنه وحرمه عليهم لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
فبركات السماء المطر وبركات الارض النبات والثمار وجميع ما فيها من الخيرات والانعام والارزاق
والامن والسلامة من الآفات وكل ذلك من فضل الله واحسانه علي عباده واصل البركة ثبوت
الخير الالهي في الشيء وسمي المطر بركة السماء لثبوت البركة فيه وكذا ثبوت البركة في نبات الارض
لانه نشأ عن بركات السماء وهي المطر وقال البغوي اصل البركة المواظبة علي الشيء اي تابعنا عليهم
بالمطر من السماء والنبات من الارض ورفعنا عنهم القحط والجدب ولكن كذبوا يعني فعلنا بهم
ذلك ليؤمنوا فما آمنوا ولكن كذبوا يعني الرسل فاخذناهم بانواع العذاب بما كانوا يكسبون
يعني اخذناهم بسبب كسبهم الاعمال الخبيثة قوله عز وجل افأمن اهل القري هو استفهام
بمعني الانكار وفيه وعيد وتهديد وزجر والمراد بالقري مكة وما حولها وقيل هو عام في كل اهل
القري الذين كفروا وكذبوا ان يأتيهم بأسنا يعني عذابنا بياتا يعني ليلا وهم نائمون
اومن اهل القري ان يأتيهم بأسنا ضحي وهم يلعبون يعني وهم ساهون لاهون غافلون عما
يراد بهم والمقصود من الآية انه خوفهم بنزول العذاب وهم في غاية الغفلة وهي حال النوم
بالليل وحال الضحي بالنهار لانه الوقت الذي يغلب علي الانسان التشاغل فيه بامور الدنيا وامور
الدنيا كلها لعب ويحتمل ان يكون المراد خوضهم في كفرهم وذلك لعب ايضا لانه يضر ولا ينفع

أفأمنوا مكر الله يعني استدراجه إياهم بعذابه من حيث لا يشعرون وعلى هذا الوجه فيكون بمعنى التحذير وسمي هذا العذاب مكرا لنزوله بهم في غفلة عنه لا يشعرون به فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها يعني أنه لا يأمن أن يكون ما أعطاه من النعمة مع كفرهم استدراجا إلا من خسر في آخرته وهلك أهلكنا الذين كانوا من قبلهم فورثوها عنهم وخلفوهم فيها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم يعني ولو نشاء أخذناهم وعاقبناهم بسبب كفرهم ونطبع أي ونختم على قلوبهم فهم لا يسمعون يعني لا يسمعون موعظة ولا يقبلون الإيمان ونطبع منقطع عما قبله والمعنى ونطبع على قلوبهم ويجوز أن يكون معطوفا على الماضي ولفظه لفظ المستقبل والمعنى ولو شئنا طبعنا على قلوبهم تلك القرى يعني هذه القرى التي ذكرنا لك يا محمد أمرها وأمر أهلها وهي قرى قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وقوم شعيب نقص عليك من أنبائها يعني نخبرك عنها وعن أخبار أهلها وما كان من أمرهم وأمر رسلهم الذين أرسلوا إليهم لتعلم يا محمد أنا ننصر رسلنا والذين آمنوا معهم على أعدائنا وأعدائهم من أهل الكفر والعناد وكيف أهلكناهم بكفرهم ومخالفتهم رسلهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير لكفار قريش أن يصيبهم مثل ما أصابهم ولقد جاءتهم يعني لأهل تلك القرى رسلهم بالبينات يعني جاءتهم بالمعجزات الباهرات والبراهين الدالة على صدقهم فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل اختلف أهل التفسير في معنى ذلك فقيل معناه فما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكناهم من أهل القرى ليؤمنوا عند إرسالنا إليهم رسلهم بما كذبوا من قبل ذلك وهو يوم أخذ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام فأقروا باللسان وأضمروا التكذيب وهذا معنى قول ابن عباس والسدي قال ابن عباس آمنوا كرها يوم الميثاق وقال مجاهد فما كانوا لو أحييناهم بعد الهلاك ومعاينتهم العذاب ليؤمنوا بما كذبوا قبل هلاكهم وقيل معناه فما كانوا ليؤمنوا قبل مجيء الرسل بما سبق لهم في علم الله أنهم يكذبون به حين أخرجهم من أصلاب آدم عليه السلام قال أبي بن كعب كان سبق لهم علم يوم أقروا له بالميثاق أنهم لا يؤمنون به وقال الربيع بن أنس يحق على العباد أن يؤمنوا ويأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربهم وأن لا ينالوا علم ما أخفى عنهم فإن علمه نافذ فيما كان وما يكون وفي ذلك قال تعالى ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين قال نفذ علمه فيهم أيهم المطيع من العاصي حيث خلقهم في أصل آدم عليه السلام قال الطبري وأولى الأقوال بالصواب قول أبي بن كعب والربيع بن أنس وذلك أن من سبق في علم الله أنه لا يؤمن فلا يؤمن أبدا وقد كان سبق في علم الله أنه لا يؤمن فلا يؤمن أبدا وقد كان سبق في علم الله لمن هلك من الأمم الذين قص خبرهم في هذه السورة أنهم لا يؤمنون أبدا فأخبر عنهم أنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم به مكذبون في سابق علمه قبل مجيء الرسل عند مجيئهم إليهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين يعني كما طبع على قلوب كفار الأمم الخالية وأهلكهم كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين الذين كتب عليهم أنهم لا يؤمنون من قومك وما وجدنا لأكثرهم من عهد يعني وما وجدنا لأكثر الأمم الخالية والقرون الماضية الذين قصصنا خبرهم عليك يا محمد من وفاء بالعهد الذي عهدناه إليهم وأوصيناهم به يوم أخذ الميثاق قال ابن عباس إنما أهلك الله أهل القرى لأنهم لم يكونوا حفظوا ما وصاهم به وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين أي وما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين خارجين عن طاعتنا وأمرنا

قوله عز وجل ثم بعثنا من بعدهم موسى يعني ثم بعثنا من بعد الأنبياء الذين تقدم ذكرهم وهم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام موسى بآياتنا يعني بحججنا وأدلتنا الدالة على صدقه مثل اليد والعصا ونحو ذلك من الآيات التي جاء

بها

بها موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه قيل إن كل من ملك مصر كان يسمى فرعون مثل ما كان يسمى ملك الفرس كسرى وملك الروم قيصر وملك الحبشة النجاشي وكان اسم فرعون الذي أرسل إليه موسى عليه السلام الوليد بن مصعب بن الريان وكان ملك القبط والملأ الأشراف فلهذا خصوا بالذكر لأنه إذا آمن الأشراف آمن الأتباع فظلموا بها يعني فجحدوا بها لأن الظلم وضع الشيء في غير موضعه ولما كانت هذه الآيات معجزات ظاهرة قاهرة ثم كفروا بها فوضعوا الكفر موضع الإيمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين أي انظر يا محمد يعني بالعقل والبصيرة كيف فعلنا بهم وكيف أهلكناهم وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين يعني أن موسى لما دخل على فرعون دعاه إلى الله وإلى الإيمان بربه وقال إني رسول يعني إليك مرسل وإني رسول من رب العالمين يعني أن الله الذي خلق الخلق وهو سيدهم ومالكهم هو الذي أرسلني إليك حقيق أي واجب على أن لا أقول على الله إلا الحق يعني أني رسول والرسول لا يقول على الله إلا الحق في وصفه وتنزيهه وتوحيده وأنه لا إله غيره قد جئتكم ببينة من ربكم يعني ببرهان على صدق ما أدعي من الرسالة والمراد بالبينة معجزته وهي العصا واليد البيضاء ثم إن موسى عليه السلام لما فرغ من تبليغ رسالته زيد على ذلك الحكم فقال موسى فأرسل معي بني إسرائيل يعني خل عنهم وأطلقهم من أسرك وكان فرعون قد استعبد بني إسرائيل واستعملهم في الأعمال الشاقة قال فرعون إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين يعني أن فرعون قال لموسى عليه السلام بعد تبليغ الرسالة إن كنت جئت من عند من أرسلك ببينة تدل على صدقك فأتني بها وأحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك فيما قلت فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين أي بين والثعبان الذكر من الحيات وصفه هنا بأنه ثعبان والثعبان من الحيات العظيم الضخم ووصفه في آية أخرى كأنها جان والجان الحية الصغيرة والجمع بين هذين الوصفين أنها كانت في عظم الجثة كالثعبان العظيم وفي خفة الحركة كالحية الصغيرة وهي الحيات قال ابن عباس والسدي إنه لما ألقى العصا صارت حية عظيمة صفراء شعراء فاغرة فاها بين لحييها ثمانون ذراعا وارتفعت من الأرض بقدر ميل وقامت على ذنبها واضعة لحيها الأسفل في الأرض ولحيها الأعلى سور القصر وتوجهت نحو فرعون لتأخذه فوثب فرعون عن سريره هاربا وأحدث وقيل إنه أحدث في ذلك اليوم أربعمائة مرة وقيل إنها أخذت قبة فرعون بين أنيابها وحملت على الناس فانهزموا وصاحوا وقتل بعضهم بعضا فمات منهم في ذلك اليوم خمسة وعشرون ألفا ودخل فرعون البيت وصاح يا موسى أنشدك بالذي أرسلك أن تأخذها وأنا أؤمن بك وأرسل معك بني إسرائيل فأخذها فعادت في يده عصا كما كانت وفي كون الثعبان مبينا وجوه الأول أنه تبين وتميز ذلك عما جاءت به السحرة من التمويه والتلبيس وبذلك تتميز معجزات الأنبياء عن تمويه السحرة وتخييلهم الوجه الثاني أنهم شاهدوا العصا قد انقلبت حية ولم يشتبه ذلك عليهم فلذلك قال ثعبان مبين أي بين الوجه الثالث أن ذلك الثعبان لما كان معجزة لموسى عليه السلام كان بان صدق قول موسى أنه رسول من رب العالمين ونزع يده النزع في اللغة عبارة عن إخراج الشيء عن مكانه والمعنى أنه أخرج يده من جيبه أو من تحت إبطه فإذا هي بيضاء للناظرين قال ابن عباس وغيره أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء يعني من غير برص وقيل إن موسى أدخل يده من تحت إبطه فإذا هي بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس وكان موسى عليه السلام آدم اللون ثم ردها إلى جيبه فأخرجها فإذا هي كما كانت ولما كان البياض المفرط عيبا في الجسد وهو البرص قال الله تعالى بيضاء من غير سوء يعني من غير برص والمعنى فإذا هي بيضاء للناظرين ولا يكون بيضاء للناظر

الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يتعجب

فصل

في بيان المعجزة وكونها دليلا

علي صدق الرسول اعلم ان الله تبارك وتعالي قادر علي خلق المعرفة والايمان في قلوب عباده
ابتدا وتحقيقا من غير واسطة ولكن ارسل اليهم رسلا تعرفهم معالم دينه وجميع تكليفاته وذلك
الرسول بين الله عز وجل وبين عباده يبلغهم كلامه ويعلمهم احكامه وجايز ان يكون ذلك الواسطة
من غير البشر كالملايكة مع الانبيا وجايز ان يكون الواسطة من جنس البشر كالانبيا مع اممهم ولا
مانع لهذا من جهة العقل واذا جاز هذا في دليل العقل وقد جات الرسل عليهم السلام بمعجزات دلت
علي صدقهم فوجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجزة مع التحدي قايم مقام قول الله عز وجل صدق
عبدي فاطيعوه واتبعوه فكان معجز النبي شاهد علي صدقه فيما يقوله وسميت المعجزة معجزة لان
لان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي ضربان ضرب منها علي نوع قدرة البشر ولكن عجزوا عنه فعجزهم
عنه دل علي فعل الله ودل علي صدق نبيه صلي الله عليه وسلم الضرب الثاني ما هو خارج عن قدرة
البشر كاحيا الموتي وقلب العصا حية واخراج ناقة من صخرة وكلام الشجر والجماد والحيوان ونبع الماء
من بين الاصابع وغير ذلك من المعجزات التي عجز البشر عن مثلها فاذا اتي النبي بشي من تلك المعجزات الخارقة
للعادات علم ان ذلك من عند الله وان الله عز وجل هو الذي اظهر ذلك المعجزة علي يديه ليكون حجة
له علي صدقه فيما يخبر عنه عن الله عز وجل وقد ثبت بدليل العقل والبرهان القاطع ان الله تعالي
قادر علي خلق الاشيا وابداعها من غير اصل واخراجها من العدم الي الوجود وانه قادر علي خلق
الاعيان وخوارق العادات والله اعلم **قوله** تعالي قال الملا من قوم فرعون ان هذا
يعني موسي لساحر عليم يعنون انه لياخذ باعين الناس حتي يخيل لهم ان العصي صارت حية وترى
الشي بخلاف ما هو عليه كما اراهم يده بيضا وهو ادم اللون وانما قالوا ذلك لان السحر كان هو الغالب
في ذلك الزمان فلما اتي بما يعجز عنه غيره قالوا انه لساحر عليم فان قلت قد اخبر الله في هذه السورة
ان هذا الكلام من قول الملا لفرعون وقال في سورة الشعرا قال فرعون للملا حوله ان هذا لساحر
عليم فكيف الجمع بينهما قلت لا يمتنع ان يكون قاله فرعون اولا ثم انهم قالوه بعده فاخبر الله عنهم
بهذا القول ثم ان الملا من قومه وهم خاصته سمعوه منه ثم انهم بلغوه الي العامة فاخبر الله عز
وجل بهذا عن الملا واخبر هناك عن فرعون وقوله تعالي يريد ان يخرجكم من ارضكم يعني يريد موسي
ان يخرجكم ايها القبط من ارض مصر فماذا تامرون يعني فاي شي تشيرون ان نفعل به وقيل
ان هو قوله فماذا تامرون من قول الملا كان كلام فرعون ثم عند قوله يريد ان يخرجكم من ارضكم
فقال الملا مجيبين لفرعون فماذا تامرون وانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد علي عادة الملوك
في التعظيم والتفخيم والمعني فما تامرون وانما خاطبوه بلفظ الجمع وهو واحد علي عادة الملوك
ان نفعل به والقول الاول اصح لسياق التي بعده وهو قوله تعالي قالوا ارجه واخاه اخرهما
ولا تعجل بقتلهما فتصير عجلتك عليك لا لك والارجا التاخير في اللغة **وقيل** معناه احبسه
احبسه واخاه وهذا قول ضعيف لان الارجا في اللغة هو التاخير لا الحبس ولان فرعون ما كان
يقدر علي حبس موسي بعد ان راي من امر العصي ما راي وارسل في المداين جمع مدينة واشتقاقها
من مدن بالمكان اذا اقام به يعني مداين صعيد مصر حاشرين يعني رجالا يحشرون اليك السحرة
من جميع مداين الصعيد والمعني انهم قالوا لفرعون ارسل الي هذه المداين رجالا من اعوانك وهم
الشرط يحشرون اليك من فيها من السحرة باقصي مداين الصعيد فان غلبهم موسي صدقناه واتبعناه
وان غلبوه علمنا انه ساحر فذلك قوله ياتوك يعني الشرط بكل ساحر وقري سحار والفرق

بين

بين الساحر والسحار ان الساحر هو المبتدي في صناعة السحر فيتعلم ولا يعلم والسحار هو الماهر
الذي يتعلم منه السحر وقيل الساحر من يكون سحره وقتا دون وقت والسحار الذي يدوم سحره ويعمل
في كل وقت عليم يعني بما هو بصناعة السحر وقال ابن عباس وابن اسحاق والسدي ان فرعون لما راي من
سلطان الله وقدرته في العصا قال انا لا نغالب موسي الا بمن هو اعلم منه فاتخذ غلمانا من بني اسرائيل
وبعث بهم الي مدينة يقال لها الفرما يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كثيرا وواعد فرعون موسي موعدا
ثم بعث الي السحرة فجاوا معهم معلميهم فقال فرعون للمعلم ماذا صنعت قال قد علمتهم سحرا لا يطيقه
سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا من السما فانه لا طاقة لهم به ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك ساحرا
الا اتي به واختلفوا في عدد السحرة الذي جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين اثنان منهم
من القبط وهم روسا القوم وسبعون من بني اسرائيل وقال الكلبي كان الذي يعلمهم رجلين مجوسيين
من اهل نينوي وكانوا سبعين غير رئيسهم وقال كعب الاحبار كانوا اثني عشر الفا وقال محمد بن اسحاق
كانوا خمسة عشر الفا وقال عكرمة كانوا سبعين الفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين الفا وقال السدي
كانوا بضعا وثمانين الفا وقيل راس القوم شمعون ويوحنا **وقوله** عز وجل وجا السحرة
فرعون يعني لما اجتمعوا وجاوا الي فرعون قالوا ان لنا لاجرا يعني جعلا وعطا تكرمنا به ان كنا نحن
الغالبين يعني موسي قال الامام فخر الدين ولقايل ان يقول كان حق الكلام ان يقول وجا السحرة فرعون
فقالوا بالفا وجوابه هو تقدير انسايل سال لما قالوا اذا جاوا فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا ان كنا
نحن الغالبين قال نعم يعني قال لهم فرعون لكم الاجر والعطا وانكم لمن المقربين يعني ولكم المنزلة
الرفيعة عندي مع الاجر والمعني ان فرعون قال للسحرة اني لا اقتصر بكم علي الاجر بل ازيدكم عليه
وتلك الزياده اني اجعلكم من المقربين قالوا يعني السحرة يا موسي اما ان تلقي يعني عصاك واما ان
نكون نحن الملقين يعني عصينا وحبالنا وفي هذه الاية دقيقة لطيفة وهي ان السحرة
راعوا مع موسي عليه السلام حسن الادب حين قدموه علي انفسهم في الالقا لا جرم ان الله عز وجل
عوضهم حيث تادبوا مع نبيه موسي صلي الله عليه وسلم ان من عليهم بالهداية ولما راعوا
الادب اولا واظهروا ما يدل علي رغبتهم في ذلك قال لهم موسي القوا يعني انتم فقدمهم علي نفسه
في الالقا فان قلت كيف جاز لموسي ان يامر بالالقا وقد علم انه سحر وفعل السحر كفر قلت
ذكر العلما فيه اجوبة احدها ان معناه ان كنتم محقين في فعلكم فالقوا والا فلا تلقوا الجواب الثاني
انما امرهم بالالقا لتظهر معجزته صلي الله عليه وسلم لانهم اذا لم يلقوا حبالهم وعصيهم لم تظهر معجزة
موسي في عصاه الجواب الثالث ان موسي علم انهم لابد ان يلقوا تلك الحبال والعصي وانما وقع التخيير
في التقديم والتاخير فاذن لهم في التقديم لتظهر معجزته ايضا بغلبهم لانه لو القي اولا لم يكن لهم غلب
وظهور عليهم فلهذا المعني امرهم بالالقا فلما القوا سحروا اعين الناس يعني صرفوا اعين الناس عن
ادراك حقيقة ما فعلوه من التمويه والتخييل وهذا هو السحر وهذا هو الفرق بين السحر الذي هو
فعل البشر وبين معجزة الانبيا الذي هو فعل الله وذلك لان السحر قلب الاعين وصرفها عن
ادراك ذلك الشي والمعجزة قلب نفس الشي وحقيقته كقلب عصي موسي عليه السلام حية واسترهبوهم
يعني ارهبوهم وافزعوهم بما فعلوه من السحر وهو قوله تعالي وجاوا يعني السحرة بسحر
عظيم وذلك انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا حيات كامثال الجبال قد ملات الوادي يركب
بعضها بعضا وقيل انهم طلوا تلك الحبال بالزيبق وجعلوا داخل تلك العصي زيبقا ايضا والقوها
علي الارض فلما اثر حر الشمس فيها تحركت والتوي بعضها علي بعض حتي تخيل للناس انها حيات وقيل
ان الارض كانت سعتها ميلا في ميل فصارت كلها حيات وافاعي ففزع الناس من ذلك واوجس في
نفسه خيفة موسي وهذه الخيفة لم تحصل لموسي عليه السلام لاجل سحرهم لانه عليه السلام كان علي ثقة

سبعه

حبالهم وعصيهم

ويتبين من الله تعالى انهم لن يغلبوه وهو غالبهم وكان عالما بان ما اتوا به على وجه المعارضة للمعجزة فهو من
باب السحر والتخييل وذلك باطل ومع هذا الجزم يمتنع حصول الخوف لموسى من ذلك بل كان خوفه عليه الصلاة
والسلام لاجل تفرق الناس واضطرابهم بما راوا من تلك الحيات فخاف موسى عليه السلام ان يتفرقوا
قبل ظهور معجزته وحجته فلذلك اوجس في نفسه خيفة موسى **قوله تعالى**
وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك يعني فالقاها فإذا هي تلقف اي تبتلع ما يأفكون يعني ما يكذبون
فيه من السحر لان اصل الافك قلب الشيء عن وجهه ومنه قيل للكذاب افاك لانه يقلب الكلام عن وجهه
الصحيح الى الباطل قال المفسرون اوحى الله الى موسى عليه الصلاة والسلام ان لا تخف والق عصاك
فالقاها فصارت حية عظيمة حتى سدت الافق قال ابن زيد فكان اجتماعهم بالاسكندرية فيقال بلغ ذنب
الحية من وراء البحر ثم فتحت فاها ثمانين ذراعا فاذا هي تلقف يعني تبتلع كل شيء اتوا به من السحر فكانت
تبتلع حبالهم وعصيهم واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت الحية القوم الذين حضروا ذلك الجمع
ففزعوا ووقع الفزع ووقع الزحام عليهم فمات من ذلك الزحام خمسة وعشرون الفا ثم اخذها موسى
فصارت في يده عصا كما كانت اول مرة فلما راوا السحرة ذلك عرفوا انه من امر السماء وليس بسحر وعرفوا ان
ذلك ليس من قوة البشر وقدرتهم فعند ذلك خروا سجدا وقالوا امنا برب العالمين وذلك قوله تعالى
فوقع الحق يعني فظهر الحق الذي جاء به موسى وبطل ما كانوا يعملون يعني من السحر وذلك ان السحرة
قالوا لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلا فقدت وتلاشت في عصى موسى علموا ان
ذلك امر من امر الله وقدرته فغلبوا هنالك يعني فعند ذلك غلب فرعون وسحرته وجموعه وانقلبوا
صاغرين يعني ورجعوا ذليلين مقهورين والقي السحرة ساجدين يعني ان السحرة لما عاينوا
عظيم قدرة الله تعالى وكبريائه قد رعتهم مقابلته بسحرهم خروا لله ساجدين وذلك ان الله عز وجل الهمهم
معرفته والايمان به قالوا امنا برب العالمين فقال فرعون اياي تعنون قالوا بل رب موسى وهارون
قال مقاتل قال موسى لكبير السحرة تؤمن بي ان غلبتك فقال لآتين بسحر لا يغلبه سحر ولئن غلبتني
لأومنن بك **وقيل** ان الحبال والعصي التي كانت مع السحرة كانت حمل ثلثمائة بعير فلما
ابتلعتها عصى موسى كلها قال بعضهم لبعض هذا امر خارج عن حد السحر وما هو الا من امر السماء فامنوا
وصدقوا فان قلت كان يجب ان ياتوا بالايمان قبل السجود فما فائدة تقديم السجود على الايمان
قلت لما قذف الله عز وجل في قلوبهم الايمان والمعرفة خروا سجدا لله تعالى شكرا على ما هداهم
اليه والهمهم به من الايمان بالله وتصديق رسله ثم اظهروا بعد ذلك ايمانهم وقيل لما راوا من
عظيم قدرة الله وسلطانه في امر العصى وانه ليس يقدر على ذلك احد من البشر وزالت كل شبهة
كانت في قلوبهم بادروا الى السجود لله تعظيما لشانه لما راوا من عظيم قدرته ثم انهم اظهروا
الايمان قال ابن عباس لما رايت عرفت ان ذلك من امر السماء وليس بسحر خروا سجدا وقالوا امنا برب
العالمين رب موسى وهارون **قوله عز وجل** قال امنتم له قبل ان اذن لكم يعني قال فرعون
للسحرة امنتم بموسى وصدقتموه قبل ان امركم واذن لكم فيه ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة
يعني ان هذا الصنع الذي صنعتموه في المدينة قبل خروجكم الى هذا الموضع وذلك ان فرعون
راى موسى يحدث كبير السحرة فظن فرعون ان موسى وكبير السحرة قد تواطؤوا عليه وعلى اهل مصر
وهو قوله تعالى لتخرجوا منها اهلها وتستولوا عليها انتم فسوف تعلمون فيه وعيد وتهديد
يعني فسوف تعلمون ما افعل بكم ثم فسر ذلك الوعيد فقال تعالى لاقطعن ايديكم وارجلكم من
خلاف وهو ان يقطع احدى اليدين واحدى الرجلين فيخالف بينهما في القطع ثم لاصلبنكم
اجمعين يعني على شاطئ نيل مصر قال ابن عباس اول من صلب واول من قطع الايدي فرعون
قالوا يعني مجيبين لفرعون حين وعدهم بالقتل انا الى ربنا منقلبون يعني انا الى ربنا راجعون

واليه

واليه صائرون في الآخرة وما تنقم منا يعني وما تكره منا وما تطعن علينا وقال عطاء معناه وما
لنا عندك من ذنب تعذبنا عليه الا ان امنا بايات ربنا لما جاءتنا ثم فزعوا الى الله وسالوه
الصبر على تعذيب فرعون اياهم فقالوا ربنا افرغ علينا صبرا اي اصبب علينا صبرا كاملا
تاما ولهذا اتى بلفظ التنكير يعني صبرا واي صبر عظيم وتوفنا مسلمين يعني واقبضنا على دين
الاسلام وهو دين خليلك ابرهيم عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس كانوا في اول النهار سحرة
وفي اخر النهار شهداء قال الكلبي ان فرعون قطع ايديهم وارجلهم وصلبهم وقال غيره انه لم يقدر عليهم
لقوله تعالى لا يصلون اليكما باياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون **قوله تعالى** وقال الملا
من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض يعني ارض مصر واراد بالافساد فيها انهم
يفسدونهم بامرهم بمخالفة فرعون وهو قوله ويذرك والهتك يعني ويذره ليذرك ويذر الهتك
فلا يعبدك ولا يعبدها قال ابن عباس كان لفرعون بقرة يعبدها وكان اذا راى بقرة حسنة
امرهم بعبادتها ولذلك اخرج لهم السامري عجلا وقال السدي كان فرعون قد اتخذ لقومه اصناما
وكان يامرهم بعبادتها وقال لهم انا ربكم ورب هذه الاصنام وذلك قوله انا ربكم الاعلى والاقرب
ان يقال ان فرعون كان دهريا منكرا لوجود الصانع فكان يقول مدبر هذا العالم السفلي هو
الكواكب فاتخذ اصناما على صورة الكواكب وكان يعبدها ويامر بعبادتها وكان يقول في نفسه
انه هو المطاع والمخدوم في الارض فلهذا قال انا ربكم الاعلى وقرا ابن مسعود وابن عباس والضحاك
ويذرك والاهتك بكسر الالف ومعناه ويذرك وعبادتك لان فرعون كان يعبد ولا
يعبد **وقيل** اراد بالالهة الشمس والكواكب لانه كان يعبدها قال الشاعر

تزودنا مع الكعبا قصرا ۰ فاعجلنا الالهة ان تؤوبا

اراد بالالهة الشمس قال يعني فرعون مجيبا لقومه حين قالوا له اتذر موسى وقومه
قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم يعني نتركهن احياء وذلك ان قوم فرعون لما ارادوا
حمل فرعون ان يفعل بموسى عليه السلام شيئا مما ارادوا به لقوة موسى بما معه من المعجزة عدل الى
قومه فقال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وقال ابن عباس كان قد ترك القتل في بني اسرائيل
بعد ما ولد موسى فلما جاءهم موسى بالرسالة وكان من امره ما كان قال فرعون اعيدوا عليهم القتل
فاعادوا القتل على بني اسرائيل والمعنى ان فرعون قال انما يتقوى موسى فنحن نسعى في تقليل عدد
قومه بالقتل لتقل شوكته ثم بين فرعون انه قادر على ذلك وانا فوقهم قاهرون يعني بالغلبة
والقدرة عليهم ولما بني اسرائيل ما نزل شكوا الى موسى ما نزل قال موسى لقومه يعني لما شكوا
اليه استعينوا بالله واصبروا يعني استعينوا بالله على فرعون وقومه فيما نزل بكم من البلاء
فان الله هو الكافي لكم واصبروا على ما نالكم من المكاره في انفسكم وابنائكم ان الارض يعني ارض
مصر وان كانت الارض كلها لله تعالى يورثها من يشاء من عباده ۰ وهذا اطماع من موسى
لبني اسرائيل ان يهلك فرعون وقومه ويملك بنو اسرائيل ارضهم وبلادهم بعد اهلاكهم وهو قوله
تعالى والعاقبة للمتقين يعني ان النصر والظفر للمتقين على عدوهم وقيل اراد الجنة يعني ان عاقبة
المتقين الصابرين الجنة قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا قال ابن عباس
لما امنت السحرة تبع موسى ستمائة الف من بني اسرائيل والمعنى ان بني اسرائيل لما سمعوا ما قال فرعون
ووعيدهم بمعاودة القتل مرة ثانية قالوا لموسى قد اوذينا من قبل ان تاتينا يعني بالرسالة وذلك
ان بني اسرائيل كانوا مستضعفين في يد فرعون وقومه وكان يستعملهم في الاعمال الشاقة نصف النهار
فلما جاء موسى بالرسالة وجرى عليه ما جرى شدد فرعون في استعمالهم فكان يستعملهم جميع النهار
واعاد القتل عليهم فقالوا اوذينا من بعد ما جئتنا يعني بالرسالة والجواب عن هذا الابهام

بان موسى عليه السلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة والمشقة فظنوا ان ذلك
يكون على الفور فلما راوا انه قد زادت الشدة عليهم قالوا اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعد ما جئتنا
يعني بالرسالة والجواب عن هذا الابهام بان موسى عليه السلام كان قد وعدهم بزوال ما كانوا فيه من الشدة
والمشقة فظنوا ان ذلك يكون على الفور فلما راوا انه قد زادت الشدة عليهم قالوا اوذينا من قبل ان
تاتينا ومن بعد ما جئتنا فمتى يكون ما وعدتنا به من زوال ما نحن فيه فقال موسى مجيبا لهم قال عسى
ربكم ان يهلك عدوكم يعني فرعون وقومه ويستخلفكم في الارض يعني ويجعلكم تخلفونهم في ارضهم
بعد هلاكهم فينظر كيف تعملون يعني فيرى ربكم كيف تعملون من بعدهم قال الزجاج فيرى ذلك منكم
لان الله تعالى لا يجازيهم على ما يعلمه منهم وانما يجازيهم على ما يقع منهم من العمل قوله عز وجل ولقد اخذنا
آل فرعون بالسنين يعني بالجدب والقحط تقول اصابتهم السنة يعني اخذهم الجدب في السنة ويقال
استنوا كما يقال اجدبوا قال الشاعر • ورجال مكة مسنتون عجاف •
ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف ومعنى الاية ولقد اخذنا آل فرعون
بالجدب والقحط والجوع سنة بعد سنة ونقص من الثمرات يعني وتلاف الغلات بالآفات قال
قتادة بالسنين فلاهل البوادي واما نقص الثمرات فلاهل الامصار لعلهم يذكرون يعني لعلهم
يتعظون فيرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي لان ذلك الشدة ترقق القلوب وترغب فيما عند الله عز
وجل من الخير ثم بين الله تعالى انهم عند نزول تلك المحن عليهم والشدة لم يزدادوا الا عتوا وكفرا فقال
تعالى فاذا جاءتهم الحسنة يعني الغيث والخصب والسعة والعافية والسلامة من الآفات
قالوا لنا هذه اي نحن مستحقون لها ونحن اهلها على العادة التي جرت لنا في سعة الارزاق
وصحة الابدان فلم يروا ذلك من فضل الله عليهم فيشكروه على انعامه وان تصبهم سيئة يعني تشاءموا
واصله يتطيروا والتطير التشاؤم في قول جميع المفسرين يطيروا بموسى ومن معه يعني قالوا ما اصابنا
بلاء الا حين رأيناهم وما ذلك الا بشؤم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر وكان ملك
فرعون اربعمائة سنة وعاش ستمائة سنة وعشرين سنة لم ير مكروها قط ولو كان حصل له في تلك
المدة جوع يوم او حمى ليلة او وجع ساعة لما ادعى الربوبية الا انما طائرهم عند الله يعني ان ما يصيبهم
من الخير والجدب والخير والشر كله من الله قال ابن عباس طائرهم ما قضي لهم وقدر عليهم من عند الله
وفي رواية عنه شؤمهم عند الله ومعناه ان جاءهم بكفرهم بالله وقيل الشؤم العظيم هو الذي لهم
عند الله ومعناه ان ما لهم بكفرهم من عذاب النار ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني ما اصابهم من الله
تعالى وانما قال اكثرهم لا يعلمون لان اكثر الخلق يضيفون الحوادث الى الاسباب ولم يضيفوها الى القضا
والقدر قوله تعالى وقالوا يعني قوم فرعون وهم القبط لموسى عليه السلام مهما تاتنا به من آية
يعني من عند ربك فهي عندنا سحر وهو قولهم لتسحرنا بها يعني لتصرفنا عما نحن عليه من الدين فما
نحن لك بمؤمنين يعني بمصدقين وكان موسى عليه السلام رجلا حديدا مستجاب الدعوة فدعا عليهم
فاستجاب الله دعاه فقال تعالى فارسلنا عليهم الطوفان قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة
ومحمد بن اسحاق دخل كلام بعضهم في بعض قالوا لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا ابى هو وقومه
الا الاقامة والتمادي في الشر فتابع الله عز وجل الآيات فاخذهم اولا بالسنين وهو القحط ونقص
الثمرات واراهم قبل ذلك من المعجزات اليد والعصى فلم يؤمنوا فدعا عليهم موسى وقال يا رب ان عبدك
فرعون علا في الارض وبغى وعتى وان قومه قد نقضوا العهد رب فخذهم بعقوبة تجعلها عليهم نقمة
ولقومي عظة ولمن بعدهم آية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء فارسل عليهم المطر من السماء
وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مختلطة مشتبكة فامتلأت بيوت القبط حتى قاموا في الماء الى
تراقيهم ومن جلس منهم غرق ولم يدخل من ذلك الماء في بيوت بني اسرائيل شيء وركد الماء على ارضهم

فلم

فلم يقدروا على الحرث ولم يعملوا شيئا ودام ذلك الماء عليهم سبعة ايام من السبت وقال مجاهد وعطا
الطوفان الموت وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة اهل اليمن وقال ابو قلابة الطوفان الجدري
وهم اول من عذبوا به ثم بقي في الارض وقال مقاتل الطوفان الماء طفا فوق حروثهم فعند ذلك قالوا
يا موسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا المطر فنحن نؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى عليه
السلام ربه فرفع عنهم الطوفان وانبتت لهم تلك السنة شيئا لم ينبته قبل ذلك من الكلأ والزرع
والثمر واخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الماء الا نعمة علينا فلم يؤمنوا واقاموا شهرا في عافية
فبعث الله عليهم الجراد فاكل عامة زرعهم وثمارهم وورق الشجر حتى اكل الابواب وسقوف البيوت
والخشب والثياب والامتعة حتى اكل مسامير الحديد التي في الابواب وغيرها وابتلي الجراد بالجوع وكان
لا يشبع وامتلأت دور القبط ولم يصب بني اسرائيل من ذلك شيء فضجوا وعجوا وقالوا يا موسى ادع لنا ربك
لئن كشفت عنا هذا الرجز لنؤمنن لك واعطوه عهد الله وميثاقه بذلك فدعا موسى ربه عز وجل فكشف
الله عنهم الجراد بعد ما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت وفي الخبر مكتوب على كل جرادة جند الله الاعظم
وقيل ان موسى خرج الى الفضا فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد من حيث جاء وكان بقي من
زروعهم وثمارهم بقية فقالوا قد بقي لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركي ديننا فلم يفوا ولم يؤمنوا بما عاهدوا
عليه وعادوا الى اعمالهم الخبيثة فاقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله عز وجل عليهم القمل واختلفوا
فيه فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ان القمل هو السوس الذي يخرج من الحنطة وقال مجاهد وقتادة
والسدي والكلبي القمل الدبا وهو صغار الجراد وقال عطاء الخراساني هو القمل نفسه وكان الحسن يقرأ
بفتح القاف وسكون الميم قال اصحاب الاخبار امر الله عز وجل موسى عليه السلام ان يمشي
الى كثيب اهيل بقرية من قرى مصر تسمى عين الشمس فمشى موسى عليه السلام الى ذلك الكثيب فضربه
بعصاه فانثال عليهم القمل فتتبع ما بقي من حروثهم وزروعهم وثمارهم فاكلها ولحس الارض وكان يدخل
بين ثوب احدهم وجسمه فيعضه فاذا اكل احدهم طعاما امتلأ قملا قال سعيد بن المسيب القمل الذي
يخرج من الحبوب وكان الرجل منهم يخرج بعشرة اجربة الى الرحا فلا يرد منها الا ثلاثة اقفزة فلم
يصابوا ببلاء كان اشد عليهم من القمل واخذت اشعارهم وابشارهم وحواجبهم واشفار عيونهم ولزم جلودهم
كانه الجدري عليهم ومنعهم النوم والقرار فصرخوا بموسى انا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا هذا البلاء فدعا
موسى ربه فرفع عنهم القمل بعد ما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت فنكثوا بعد ذلك ورجعوا الى
اخبث ما كانوا عليه من الخبيثة وقالوا ما كنا قط احق ان نستيقن انه ساحر منا اليوم يجعل الرمل دوابا
فدعا موسى عليهم بعد ما اقاموا شهرا في عافية فارسل الله عليهم الضفادع فامتلأت منه بيوتهم
وافنيتهم واطعمتهم وآنيتهم فلا يكشف احد اناء الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل منهم يجلس في الضفادع
فتبلغ الى حلقه فاذا اراد ان يتكلم يثب الضفدع فيدخل فيه وكانت تثب في قدورهم فتفسد عليهم
طعامهم وتطفي نيرانهم وكان احدهم اذا اضطجع ركبته الضفادع حتى تكون عليه ركاما فلا يستطيع
ان ينقلب الى شقه الآخر واذا اراد ان ياكل سبقه الضفدع الى فيه ولا يعجن احدهم عجينا الا امتلأ
ضفادع فلقوا من ذلك بلاء شديدا وروى عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما
ارسلها الله عز وجل على آل فرعون سمعت واطاعت وجعلت تقذف نفسها في القدور وهي تغلي على النار
وفي التنانير وهي تفور فاثابها الله عز وجل بحسن طاعتها برد الماء فلما راوا ذلك بكوا وشكوا الى
موسى ما يلقون من الضفادع وقالوا هذه المرة نتوب ولا نعود فاخذ موسى عليهم العهود والمواثيق
ثم دعا الله عز وجل فكشف عنهم الضفادع بعد ما اقامت من السبت الى السبت فاقاموا في عافية
شهرا ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم فدعا عليهم موسى فارسل الله عليهم عز وجل الدم فسال النيل
عليهم دما عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا ليس لنا شراب الا الدم فقال انه سحركم فقالوا من اين سحرنا

ونحن لا نجد في أوعيتنا شيئا من الماء إلا دما عبيطا فكان فرعون يجمع بين القبطي والإسرائيلي في إناء واحد فيكون ما يلي الإسرائيلي ماء وما يلي القبطي دما ويقومان إلى الجرة فيها الماء فيخرج للقبطي دما وللإسرائيلي ماء حتى إن المرأة من آل فرعون تأتي إلى المرأة من بني إسرائيل حين جهدهم العطش فتقول لها اسقيني من مائك فتصب لها من قربتها فيصير في الإناء دما ثم إن فرعون لعتراه العطش حتى إنه ليضطر إلى مضغ الأشجار الرطبة فإذا مضغت يصير ماؤها ملحا أجاجا فمكثوا على ذلك سبعة أيام لا يشربون إلا الدم وقال زيد بن أسلم إن الدم الذي سلطه الله عز وجل عليهم كان الرعاف فأتوا موسى وشكوا إليه ما يلقون وقالوا ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنحن نؤمن بك ونرسل معك بني إسرائيل فدعا موسى ربه فكشف ذلك عنهم فلم يؤمنوا فذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات يتبع بعضها بعضا وتفصيلها أن كل عذاب كان يدوم عليهم أسبوعا وبين كل عذابين مدة شهر فاستكبروا يعني عن الإيمان فلم يؤمنوا وكانوا قوما مجرمين يعني آل فرعون قوله تعالى ولما وقع عليهم الرجز يعني ولما نزل بهم العذاب الذي ذكره في الآية المتقدمة من الطوفان وما بعده وقال سعيد بن جبير الرجز الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس التي تقدمت نزل بهم الطاعون حتى مات منهم في اليوم الواحد سبعون ألفا فأمسوا وهم لا يتدافنون ق عن أسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني إسرائيل وعلى من كان قبلكم فإذا سمعتم به في أرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقوله تعالى وقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك يعني بما أوصاك وقيل بما أنبأك وقيل بما عهد عندك من إجابة دعوتك لئن كشفت عنا الرجز يعني العذاب الذي وقع بنا لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل يعني لنصدقن بما جئت به ولنخلين بني إسرائيل حتى يذهبوا حيث شاؤوا فلما كشفنا عنهم الرجز يعني بدعوة موسى إلى أجل هم بالغوه يعني إلى الوقت الذي أجل لهم وهو وقت الغرق في اليم إذا هم ينكثون يعني إذا هم ينقضون العهد الذي التزموه فلم يفوا به

واعلم

إنما ذكر الله في هذه الآيات من معجزات في الحقيقة دالة على صدق موسى عليه السلام وجه ذلك أن العذاب كان مختصا بآل فرعون دون بني إسرائيل فاختصاص القبطي دون الإسرائيلي معجز وكون بني إسرائيل في أمان منه وعافية وقوم فرعون في شدة وعذاب وبلاء مع اتحاد المساكن معجز أيضا فإن اعترض معترض وقال إن الله تعالى علم من آل فرعون أنهم لا يؤمنون بتلك المعجزة فما الفائدة في توالیها عليهم وإظهار الكثير منها

فالجواب

على مذهب أهل السنة أن الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وأما على قول المعتزلة في رعاية المصلحة فلعله تعالى علم من قوم فرعون أن بعضهم كان يؤمن بتوالي تلك المعجزات وظهورها فلهذا السبب والاها عليهم والله أعلم بمراده قوله عز وجل فانتقمنا منهم يعني كافأناهم عقوبة لهم على سوء صنيعهم وأصل الانتقام في اللغة سلب النعمة بالعذاب فأغرقناهم في اليم والمعنى أنه تعالى لما كشف عنهم العذاب مرات فلم يؤمنوا ولم يرجعوا عن كفرهم فلما بلغوا الأجل الذي أجل لهم انتقم منهم بأن أهلكهم بالغرق فذلك قوله فأغرقناهم في اليم يعني البحر واليم الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه قال الأزهري اليم معروف لفظة سريانية عربتها العرب ويقع اسم اليم على البحر الملح والبحر العذب ويدل على ذلك قوله أن اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم والمراد به نيل مصر وهو عذب بأنهم كذبوا بآياتنا يعني أهلكناهم وأغرقناهم بسبب أنهم كذبوا بآياتنا الدالة على وحدانيتنا وصدق نبينا وكانوا عنها يعني عن آياتنا غافلين يعني معرضين

وقيل

كانوا عن حلول النقمة بهم غافلين ولما كان الإعراض عن الآيات وعدم الالتفات إليها كالغفلة عنها سموا غافلين يجوز إلا أن الغفلة ليست من فعل الإنسان قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون يعني

ومكنا

ومكنا القوم الذين كانوا يستعبدون ويغلبون على أن فرعون وقومه كانوا قد تسلطوا على بني إسرائيل فقتلوا أبناءهم واستخدموهم فصاروا مستضعفين تحت أيديهم مشارق الأرض ومغاربها يعني أرض الشام ومصر وأراد بمشارقها ومغاربها جميع جهاتها ونواحيها وقيل أراد بمشارق الأرض ومغاربها الأرض المقدسة وهو بيت المقدس وما يليه من الشرق والغرب وقيل أراد جميع جهات الأرض قوله تعالى التي باركنا فيها يدل على أنها الأرض المقدسة التي باركنا فيها بالثمار والأشجار والزروع والخصب والسعة وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل يعني وتمت كلمة الله وهي وعده إياهم بالنصر على عدوهم والتمكين في الأرض من بعدهم

وقيل

كلمة الله هي قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض الآية والحسنى صفة للكلمة وهي تأنيث الأحسن وإتمامها إنجاز ما وعدهم به من تمكينهم في الأرض وإهلاك عدوهم بما صبروا يعني إنما حصل لهم ذلك التمام وهو ما أنعم الله به عليهم من إنجاز وعده عليهم بسبب صبرهم على دين وأذى فرعون لهم ودمرنا يعني وأهلكنا والدمار الهلاك باستئصال ما كان يصنع فرعون وقومه في أرض مصر من العمارات والبنيان وما كانوا يعرشون يعني يسقفون من ذلك البنيان وقال مجاهد وما كانوا يبنون من البيوت والقصور وقال الحسن وما كانوا يعرشون من الثمار والأعناب قوله عز وجل وجاوزنا ببني إسرائيل البحر يعني وقطعنا ببني إسرائيل البحر بعد إهلاك فرعون وقومه وإغراقهم فيه يقال جاز الوادي وجاوزه إذا قطعه وخلفه وراء ظهره وقال الكلبي عبر موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه وإغراقهم فيه يقال جاز الوادي وجاوزه إذا قطعه فصامه شكرا لله عز وجل فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم يعني فمر بنو إسرائيل بعد مجاوزة البحر على قوم يعكفون أي يقيمون ويواظبون على أصنام لهم يعني تماثيل كانوا يعبدونها من دون الله قال ابن جريج كانت تلك الأصنام تماثيل كانوا يعبدونها من دون تماثيل بقر وذلك أول شأن العجل قال قتادة كان أولئك القوم من لخم وكانوا نزولا بالرقة ساحل البحر

وقيل

كان أولئك الأقوام من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم قالوا يعني قال بنو إسرائيل لموسى لما رأوا ذلك التمثال يا موسى اجعل لنا إلها يعني مثالا نعبده ونعظمه قال البغوي ولم يك ذلك شكا من بني إسرائيل في وحدانية الله تعالى وإنما معناه اجعل لنا شيئا نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله تعالى وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة جهلهم وقال غيره هذا يدل على غاية جهل بني إسرائيل وذلك أنهم توهموا أنه يجوز عبادة غير الله بعد ما رأوا الآيات الدالة على وحدانيته تعالى وكمال قدرته وهي الآيات التي توالت على قوم فرعون حتى أغرقهم الله في البحر بكفرهم وعبادتهم غير الله فحملهم جهلهم على أن قالوا لنبيهم موسى عليه السلام اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فرد موسى عليه السلام بقوله كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون فأغرقهم في البحر والحاكم منه عن أبي واقد الليثي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى غزوة حنين مر بشجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله هذا كما قال قوم موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم أخرجه الترمذي

وقوله تعالى

إن هؤلاء متبر ما هم فيه أي مهلك والتتبير الإهلاك وباطل ما كانوا يعملون والبطلان عبارة عن عدم الشيء إما بعدم ذاته أو بعدم فائدته ونفعه والمراد من بطلان عملهم أنه لا يعود عليهم من ذلك العمل نفع ولا يدفع عنهم ضر لأنه عمل لغير الله فكان باطلا لا نفع فيه قال أغير الله أبغيكم إلها قال بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة حكم عليهم بالجهالة وقال مجيبا لهم على سبيل التعجب والإنكار عليهم أغير الله أبغيكم إلها يعني أطلب لكم وأبتغي لكم إلها وهو فضلكم على العالمين يعني والمعنى أن الإله ليس هو شيئا يطلب ويتخير ويلتمس بل الإله هو الذي فضلكم على العالمين لأنه القادر على الإنعام والإفضال فهذا هو الذي يستحق أن يعبد ويطاع لا عبادة غيره

ومعنى قوله تعالى فضلكم على العالمين لانه القادر على الانعام والافضال فهذا هو الذي يستحق ان يعبد
ويطاع يعني على عالمي زمانكم وقيل فضلهم بما خصهم به من الايات الباهرة التي لم تحصل لغيرهم وان كان غيرهم
افضل منهم قوله عز وجل **واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون**
نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم هذه الاية تقدم تفسيرها في سورة البقرة والفائدة في ذكرها في هذا
الموضع انه تعالى هو الذي انعم عليهم بهذه النعم العظيمة فكيف يليق بكم الاشتغال بعبادة غيره حتى تقولوا
اجعل لنا الها كما لهم آلهة قوله عز وجل **وواعدنا موسى ثلاثين ليلة** يعني وواعدنا موسى لمناجاتنا
ثلاثين ليلة وهي ذو القعدة **واتممناها بعشر** يعني عشر ذي الحجة وهذا قول ابن عباس ومجاهد قال
المفسرون ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل اذا اهلك الله عدوهم فرعون ان ياتيهم بكتاب من
عند الله عز وجل فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما اهلك فرعون سال موسى عز وجل فيه
بيان ما ياتون وما يذرون فلما اهلك فرعون سال موسى ربه عز وجل ان ينزل عليهم الكتاب الذي
وعد به بنو اسرائيل فامره ان يصوم ثلاثين يوما فصامها فلما تمت انكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب
وقيل بل اكل من ورق الشجر فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته
فامره بالسواك فامره الله ان يصوم ثلاثين يوما فصامها فلما تمت انكر خلوف فمه فتسوك بعود خرنوب
وقيل بل اكل من ورق الشجر فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك فامره
الله ان يصوم عشر ذي الحجة وقال اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك فكانت
فتنة بني اسرائيل في تلك العشر التي زادها الله لموسى وقيل ان الله تعالى امر موسى عليه السلام ان
يصوم ثلاثين يوما ويعمل فيها ما يتقرب به الى الله ثم كلمه واعطاه الالواح في العشر الذي زاده
فلهذا قال واتممناها بعشر وهذا التفصيل الذي ذكره هنا هو تفصيل ما اجمله في سورة البقرة
وهو قوله تعالى واذ وعدنا موسى اربعين ليلة فذكره هنا فذكره هنا على الاجمال وذكره هنا على
التفصيل **وقوله تعالى** **فتم ميقات ربه اربعين ليلة** يعني فتم الوقت الذي قدره
الله لصوم موسى وعبادته اربعين يوما وليلة لان الوقت هو الوقت الذي قدر ان يعمل فيه عمل
من الاعمال فلهذا قيل مواقيت الحج **وقال موسى لاخيه هارون اخلفني في قومي واصلح**
يعني كن انت خليفتي فيهم من بعدي حتى ارجع **واصلح** يعني واصلح امور بني اسرائيل
واحملهم على عبادة الله تعالى وقال ابن عباس يريد الرفق بهم والاحسان اليهم **ولا تتبع سبيل**
المفسدين يعني ولا تسلك طريق المفسدين في الارض ولا تطعهم والمقصود من هذا الامر التاكيد
لان هارون عليه السلام لم يكن ممن يتبع طريق المفسدين فهو كقوله ولكن ليطمئن قلبي وكقوله
للقاعد يعني دم على ما انت عليه من القعود قوله تعالى **ولما جاء موسى لميقاتنا** يعني للوقت
الذي وقتناه ان ياتي فيه لميقاتنا وهو قوله **وكلمه ربه** وفي الاية دليل على ان الله عز
وجل كلم موسى عليه السلام واختلف الناس في كلام الله تعالى فقال الزمخشري كلمه ربه من غير
واسطة كما يكلم الملك وتكليمه ان يخلق الكلام منطوقا في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في الالواح
هذا كلامه وهذا مذهب المعتزلة ولا تمسك له بطلانه وفساده لان الشجرة وذلك الجرم لا يقول
انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري فثبت بذلك بطلان ما قالوه وذهب
الحنابلة ومن وافقهم الى ان كلام الله حروف واصوات متقطعة وانه قديم وذهب جمهور المتكلمين
الى ان كلام الله تعالى صفة مغايرة لهذه الحروف والاصوات وتلك الصفة قديمة ازلية والقائلون
بهذا القول قالوا ان موسى عليه السلام سمع تلك الصفة الازلية الحقيقية قالوا انه لا يبعد
رؤية ذاته وليست جسما ولا عرضا كذلك لا يبعد سماع كلامه مع ان كلامه ليس بصوت ولا حرف
ومذهب اهل السنة وجمهور العلماء من السلف والخلف ان الله تعالى متكلم بكلام قديم وسكتوا

عن الخوض في تاويله وحقيقته وقال اهل التفسير والاخبار لما جاء موسى عليه السلام لميقات
ربه تطهر وطهر ثيابه وصام ثم اتى طور سيناء وفي القصص ان الله تعالى انزل ظلمة تغشت الجبل
على اربع فراسخ من كل ناحية وطرد عنه الشيطان وهوام الارض ونحى عنه الملكين وكشط عنه
السما فراى الملائكة قياما في الهوى وراى العرش بارزا وادناه ربه حتى سمع صريف الاقلام
على الالواح وكلمه الله تعالى وناجاه واسمعه كلامه وكان جبريل عليه السلام معه فلم يسمع من
كلام الله تعالى به موسى فاستحلى كلام ربه جل وعز واشتاق الى رؤيته **فقال رب ارني انظر اليك**
قال الزجاج فيه اختصار تقديره ارني نفسك انظر اليك وقال ابن عباس معناه اعطني انظر
اليك وانما سال الرؤية **وقيل** انما سال الرؤية ظنا منه بانه تعالى يرى في الدنيا
وقال الله تعالى له **لن تراني** يعني انه ليس لبشر ان يراني في الدنيا ولا يطيق النظر
في الدنيا من نظر الي في الدنيا مات فقال موسى عليه السلام يا رب الهي سمعت كلامك فاشتقت
الى النظر اليك ولان انظر اليك ثم اموت احب الي من ان اعيش ولا اراك وقال السدي لما كلم الله
موسى عليه السلام غاص عدو الله ابليس في الارض حتى خرج من بين قدمي موسى فوسوس اليه ان
مكلمك شيطان فعند ذلك علم موسى فقال رب انظر اليك قال يعني قال الله تعالى
لموسى لن تراني **فصل وقد تمسك في نفي الرؤية** من اهل
البدع الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة بظاهر هذه الاية وهو قوله تعالى لن تراني وقالوا لن تكون
للتاكيد والدوام ولا حجة لهم في ذلك ولا دليل ولا يشهد لهم كتاب ولا حجة ولا سنة وما قالوا
في ان لن للتابيد خطا بين ودعوى على اهل اللغة والعربية ولم يقل به احد ويدل على صحة ذلك قوله
تعالى في صفة اليهود ولن يتمنوه ابدا مع انهم يتمنون الموت يوم القيامة بدليل قوله ونادوا يا مالك
ليقض علينا ربك وقوله يا ليتها كانت القاضية فان قالوا ان لن معناها تاكيد النفي كلا التي
تنفي في المستقبل قلنا ان صح هذا التاويل فيكون معنى لن تراني محمولا على الدنيا اي لن تراني
في الدنيا جمعا بين دلائل الكتاب والسنة فانه قد ثبت في الحديث الصحيح ان المؤمنين يرون
ربهم عز وجل يوم القيامة في الدار الاخرة وايضا فان موسى عليه السلام كان عارفا بالله وبما
يجب ويجوز ويمتنع على الله عز وجل وفي الاية دليل على انه سال الرؤية ولو كانت الرؤية ممتنعة
على الله لما سالها موسى وحيث سالها علمنا ان الرؤية جائزة على الله عز وجل وايضا فان الله تعالى
علق رؤيته على استقرار الجبل وهو **قوله تعالى** **ولكن انظر الى الجبل فان استقر**
مكانه فسوف تراني امر جائز الوجود في نفسه واذا كان كذلك ثبت ان رؤيته جائزة الوجود
لان رؤيته جائزة الوجود لان استقرار الجبل غير مستحيل عند التجلي اذ جعل الله تعالى له قوة
على ذلك والمعلق بما لا يستحيل لا يكون محالا والله اعلم بمراده قال وهب ومحمد بن اسحاق لما
سال موسى عليه السلام ربه عز وجل وايضا فان الله تعالى علق رؤيته على استقرار الجبل الرؤية
ارسل الرياح والصواعق والرعد والبرق والظلمة حتى احاطت بالجبل الذي عليه موسى عليه
السلام اربع فراسخ من كل جانب وامر الله ملائكة السموات ان يعترضوا على موسى عليه السلام فمرت به ملائكة
السما الدنيا كثيران البقر تنبع افواههم بالتسبيح والتقديس باصوات عظيمة كصوت الرعد
الشديد فقال موسى رب اني كنت عن هذا غنيا ثم امر الله تعالى ملائكة السما الثانية ان اهبطوا
على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه مثال الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع
العبد الضعيف موسى بن عمران مما راى وسمع واقشعرت كل شعرة في راسه وبدنه ثم قال لقد ندمت
على مسالتي فهل ينجيني من مكاني الذي انا فيه شيء فقالت له الملائكة ورئيسهم يا موسى اصبر
لما سالت فقليل من كثير ما رايت ثم امر الله تعالى ملائكة السما الرابعة ان اهبطوا على موسى

فاعترضوا عليه فهبطوا عليه لا يشبههم شيء من الذين مروا قبلهم ألوانهم كلهيب النار وسائر خلقهم
كالثلج الأبيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شيء من الذين مروا قبلهم فاصطكت
ركبتاه وارعد قلبه واشتد بكاؤه وقال خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران اصبر لما سألت فقليل
من كثير ما رأيت ثم أمر الله تعالى ملائكة السموات السبع السماء الخامسة أن اهبطوا على موسى فاعترضوا
عليه فهبطوا عليه سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم بصره ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم
فامتلأ جوفه خوفا واشتد حزنه واشتد بكاؤه فقال له خير الملائكة ورئيسهم يا ابن عمران مكانك
حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على موسى فهبطوا
عليه وفي يد كل واحد منهم مثل النخلة العظيمة الطويلة نارا أشد من ضوء الشمس ولباسهم كلهب
النار إذا سبحوا وقدسوا جاوبهم من كان قبلهم من الملائكة كلهم يقولون بشدة أصواتهم
سبوح قدوس رب العزة أبدا لا يموت في رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع
صوته يسبح معهم وهو يبكي ويقول يا رب اذكرني ولا تنس عبدك فلا أدري أتقلب مما أنا فيه
أم لا إن خرجت احترقت وإن قمت مت فقال له كبير الملائكة ورئيسهم قد أوشكت يا ابن عمران
يشتد خوفك وينخلع قلبك فاصبر للذي سألت ثم أمر الله أن يحمل عرشه في ملائكة السماء السابعة
فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة الرب سبحانه وتعالى ورفعت الملائكة أصواتهم جميعا
سبحان الملك القدوس رب العزة أبدا لا يموت فارتج الجبل لشدة أصواتهم واندك كل شجرة كانت فيه
وخر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ليس معه روحه فأرسل الله تعالى برحمته الروح
فتغشيه وقلب عليه الحجر الذي كان عليه موسى فصار عليه كهيئة القبة لئلا يحترق
موسى وأقامت الروح مثل اللامي فلما أفاق موسى قام يسبح ويقول آمنت بك ربي وصدقت بك
انه لا يراك أحد فيحيى من نظر إلى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب
الأرباب وملوك الملوك وإله الآلهة العظيم لا يعدلك شيء ولا يقوم لك شيء تبت إليك الحمد لله لا شريك
لك ما أعظمك وما أجلك يا رب العالمين فذلك **قوله تعالى** فلما تجلى ربه للجبل جعله
دكا قال ابن عباس ظهر نور ربه للجبل فجعله ترابا واسم الجبل زبير وقال الضحاك أظهر الله من نور الحجب
مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب الأحبار ما تجلى للجبل من عظمة الله تعالى إلا مثل سم
الخياط حتى صار دكا وقال السدي ما تجلى إلا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس أن النبي
صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال هكذا ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر فساخ الجبل
ذكره البغوي هكذا بغير سند وأخرجه الترمذي أيضا عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية
وقال هكذا ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال حماد هكذا
وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة أصبعه اليمنى فساخ الجبل وخر موسى صعقا قال الترمذي
حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة ويروى عن سهل بن سعد الساعدي أن الله
أظهر من سبعين ألف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا يعني مستويا بالأرض وقال ابن عباس
جعله ترابا وقال سفيان ساخ الجبل حتى وقع في البحر فهو يذهب فيه وقال عطية العوفي صار
رملا هائلا وقال الكلبي جعله الله دكا يعني كسرا جبالا يعني صغارا **وقيل** إنه صار لعظمة
الله تعالى ستة أجبل فوقع ثلاثة بالمدينة وهي أحد وورقان ورضوى ووقع ثلاثة بمكة وهي
ثور وثبير وحراء وقوله تعالى **وخر موسى صعقا** قال ابن عباس والحسن يعني مغشيا عليه
وقال قتادة يعني ميتا والأول أصح لقوله تعالى **فلما أفاق** والميت لا إفاقة له إنما يقال أفاق
من غشيته قال الكلبي صعق موسى يوم الخميس وهو يوم عرفة وأعطي التوراة يوم الجمعة يوم النحر
وقال الواقدي لما خر موسى صعقا قالت ملائكة السموات ما لابن عمران وسؤال الرؤية في بعض الكتب

ان

ملائكة السموات أتوا موسى وهو مغشي عليه فجعلوا يركلونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت
في رؤية رب العزة فلما أفاق من غشيته ورجع عقله إليه وعرف أنه سأل أمرا عظيما لا ينبغي له **قال**
سبحانك يعني تنزيها لك من النقائص كلها **تبت إليك** يعني بعد مسألتي الرؤية بغير إذنك وقيل
من سؤال الرؤية في الدنيا **وقيل** لما كانت الرؤية مخصوصة بمحمد صلى الله عليه وسلم فمعناه قال
سبحانك تبت إليك يعني من سؤال ما ليس لي وقيل لما سأل الرؤية ومنعها قال تبت إليك من هذا
السؤال وحسنات الأبرار سيئات المقربين **وأنا أول المؤمنين** يعني أنك لا ترى في الدنيا وقيل
أنا أول المؤمنين يعني من بني إسرائيل وفي الآيات سؤالات الأول في الرؤية عين النظر فقال أرني
أنظر إليك وعلى هذا يكون التقدير أرني حتى أراك والجواب أن معنى قوله أرني اجعلني متمكنا من رؤيتك
حتى أنظر إليك وأراك السؤال الثاني كيف قال لن تراني ولم يقل لن تنظر إلي حتى يكون مطابقا لقوله
أنظر إليك والجواب أن النظر لما كان مقدمة الرؤية كان المقصود هو الرؤية لا النظر الذي لا رؤية
معه السؤال الثالث كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر إلى الجبل بما قبله والمراد منه تعظيم
أمر الرؤية وأنه لا يقوى على رؤية الله تعالى إلا من قواه الله تعالى بمعونته وتأييده ألا ترى أنه لما أثر
التجلي في الجبل اندك وانقطع فهذا هو المراد من هذا لأنه لا يدل على تعظيم أمر الرؤية والله تعالى
أعلم بمراده **قوله عز وجل** قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي
يعني قال الله لموسى يا موسى إني اخترتك واتخذتك صفوة والاصطفاء استخلاص الصفوة والاجتباء
والمعنى إني فضلتك واجتبيتك على الناس وفي هذا تسلية لموسى عليه السلام عن منع الرؤية حين
طلبها لأن الله تعالى عدد عليه نعمه الجليلة التي أنعم بها عليه وأمره أن يشتغل بشكرها كأنه قال له إن كنت
منعت من الرؤية التي طلبتها فقد أعطيتك من النعم العظيمة كذا وكذا فلا يضيقن صدرك
بسبب منع الرؤية وانظر سائر أنواع النعم التي خصصتك بها وهي الاصطفاء على الناس برسالاتي وبكلامي
من غير واسطة لأن غيره من الرسل سمع كلام الله بواسطة الملك **فإن قلت** كيف قال اصطفيتك
على الناس برسالاتي مع أن كثيرا من الأنبياء قد أعطي الرسالة **قلت** ذكر العلماء في السؤال أجوبة
أحدها ما ذكره البغوي فقال لما لم تكن الرسالة على العموم في حق الناس كافة استقام قوله اصطفيتك
على الناس وإن شاركه فيه غيره كما يقول الرجل للرجل خصصتك بمشورتي وإن كان قد شاور غيره
إذا لم تكن المشورة على العموم فيكون مستقيما وفي هذا الجواب نظر لأن من جملة من اصطفاه الله برسالته
محمدا صلى الله عليه وسلم وهو اول افضل من موسى عليه السلام فلا يستقيم هذا الجواب الجواب الثاني
ذكره الإمام فخر الدين الرازي فقال إن الله تعالى بين أن حصر بمجموع أمرين أحدهما الرسالة
مع الكلام بغير واسطة وهذا المجموع ما حصل لغيره فثبت أنه إنما حصل التخصيص ههنا لأنه سمع
ذلك الكلام بغير واسطة بسبب قربه الشرف بناء على العرف الظاهر لأن من سمع كلام الملك المعظم من فيه
كان أعلم وأشرف ممن سمعه بواسطة الحاجب وفيه نظر أيضا لأن محمدا صلى الله عليه وسلم اصطفاه لرسالته
وكلمه ليلة المعراج بغير واسطة وفرض عليه وعلى أمته الصلوات وخاطبه بما [illegible] قوله
تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى ورفعه إلى حيث سمع صريف الأقلام وهذا كله يدل على مزيد الفضل
والشرف على موسى وغيره من الأنبياء فلا يستقيم هذا الجواب أيضا والذي يعتمد في الجواب عن هذا
السؤال أن الله اصطفى موسى عليه السلام برسالته وبكلامه على الناس الذين كانوا في زمانه لم يكن في
ذلك الوقت أعلى منصبا ولا أشرف ولا أفضل منه وهو صاحب الشريعة لما نزلت التوراة فدل ذلك
أنه اصطفاه على ناس زمانه كما اصطفى قومه على عالمي زمانهم وهو قوله تعالى يا بني إسرائيل اذكروا
نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين قال المفسرون يعني عالمي زمانهم وقوله تعالى
فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين يعني ما فضلتك وكرمتك به وكن من الشاكرين يعني على نعمائي

عليك وفي القصة دليل ان موسى عليه السلام كان بعد ما كلمه ربه لا يستطيع احد ان ينظر اليه لما غشي
وجهه من النور فلم يزل على وجهه برقع حتى مات وقالت له زوجته انا ايم منك منذ كلمك ربك فكشف لها عن
وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها وخرت ساجدة وقالت ادع الله ان يجعلني
زوجتك في الجنة قال ذلك لك ان لم تتزوجي بعدي فان المراة لاخر ازواجها قوله تعالى وكتبنا له
في الالواح قال ابن عباس يريد الواح التورية والمعنى وكتبنا لموسى في الالواح التورية وفي
الحديث كانت من سدر الجنة طول اللوح اثنى عشر ذراعا وجاء في الحديث خلق الله ادم بيده وكتب التورية
بيده وغرس شجرة طوبى بيده وقال الحسن كانت الالواح من خشب وقال الكلبي من زبرجدة خضراء وقال سعيد
ابن جبير من ياقوتة حمراء وقال ابن جريج من زمرد امر الله جبريل حتى جاء بها من جنة عدن وكتبها بالقلم الذي
كتب به الذكر واستمد من نهر النور وقال الربيع ابن انس كانت الالواح من برد وقال وهب امره الله بقطع الالواح
من صخرة صماء لينها الله فقطعها بيده ثم شقها باصبعه وسمع موسى صرير القلم بالكلمات العشرة وكان ذلك
في اول يوم من ذي الحجة وكان طول الالواح عشرة اذرع على طول موسى وقيل ان موسى عليه السلام
خر صعقا يوم عرفة واعطاه الله التورية يوم النحر وهذا اقرب الى الصحيح واختلفوا في عدد الالواح
فقيل فروي عن ابن عباس انها كانت سبعة الواح وروي عنه انها كانت لوحان واختاره الفراء قيل
قال وانما جمعت على عادة العرب اطلاق الجمع على الاثنين وقال وهب كانت عشرة الواح وقال مقاتل
كانت تسعة وقال الربيع ابن انس نزلت التورية وهي وقر سبعين بعيرا يقرأ الجزء منها في سنة
ولم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع بن نون وعزير وعيسى عليهم وعلى نبينا السلام والمراد بقوله
لم يقرأها ويحفظها على ظهر قلبه الا هؤلاء الاربعة وقال الحسن هذه الاية في التورية بالف اية يعني
قوله وكتبنا له في الالواح من كل شيء يعني يحتاج اليه من امر دينه موعظة يعني نهيا عن
الجهل وحقيقة الموعظة التذكير والتحذير مما يخاف عاقبته وتفصيلا لكل شيء يعني وتبيينا
لكل شيء من الامر والنهي والحلال والحرام والحدود والاحكام مما يحتاج اليه من امور الدين وروى الطبري
بسنده عن وهب بن منبه قال كتب له يعني في التورية لا تشرك بي شيئا من اهل السماء ولا من اهل
الارض فان كل ذلك خلقي ولا تحلف باسمي كاذبا فان من حلف باسمي كاذبا فلا ازكيه وروى
البغوي باسناد الثعلبي عن كعب الاحبار ان موسى عليه السلام نظر في التورية فقال اني اجد امة
خير الامم اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والكتاب
الاخر ويقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال رب اجعلهم امتي قال هي
امة محمد يا موسى فقال اني اجد امة هم الحامدون رعاة الشمس المحكمون اذا ارادوا امرا قالوا نفعل
ان شاء الله فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة ياكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون
يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون والمستجاب لهم فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال
يا رب اني اجد امة اذا اشرف احدهم على شرف كبر واذا هبط واديا حمد الله الصعيد لهم طهور والارض
لهم مسجد حيث كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء
غر محجلون من اثار الوضوء فاجعلهم امتي قال هي امة محمد صلى الله عليه وسلم قال يا رب اني اجد امة اذا هم
احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة بمثلها واذا عملها كتبت له عشر امثالها الى سبع مائة ضعف
فاجعلهم امتي قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفيتهم
فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا احدا منهم الا مرحوما فاجعلهم امتي
قال هي امة محمد قال رب اني اجد امة مصاحفهم في صدورهم يلبسون الوان ثياب اهل الجنة ويصفون في صلاتهم
صفوف الملائكة اصواتهم في مساجدهم كدوي النحل لا يدخل النار احد منهم ابدا الا من يرى
الحسنات مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر فلما عجب موسى من الخير الذي اعطاه الله تعالى لمحمد صلى الله عليه

وسلم

وسلم وامته قال يا ليتني من اصحاب محمد فاوحى الله اليه ثلاث ايات يرضيه بهن يا موسى اني اصطفيتك
على الناس برسالاتي وبكلامي الى قوله سأريكم دار الفاسقين ومن قوم موسى امة يهدون بالحق
وبه يعدلون قال فرضي موسى كل الرضى وقوله تعالى فخذها بقوة يعني وقلنا لموسى اذ كتبنا له
في الالواح من كل شيء فخذها بجد واجتهاد وقيل معناه فخذها بقوة قلب وصحة عزيمة ونية
صادقة لان من اخذ شيئا بضعف نية اداه الى الفتور وامر قومك ياخذوا باحسنها قال
ابن عباس يحلوا حلالها ويحرموا حرامها ويتدبروا امثالها ويعملوا بمحكمها ويقفوا عند متشابهها
وكان موسى اشد عبادة من غيره من قومه فامر بما لم يؤمروا وقيل ظاهر قوله وامر قومك ياخذوا
باحسنها يدل على ان بين التكليفين فرقا ليكون في هذا التفضيل فائدة وهي ان التكليف كان على موسى
اشد لانه تعالى لم يرخص له ما رخص لغيره من قومه فان قلت ظاهر قوله ياخذوا باحسنها
يدل على ان فيها ما ليس بحسن وذلك لم يقل به احد فما معنى قوله ياخذوا باحسنها قلت ان التكاليف
كلها حسن وبعضها احسن كالقصاص حسن والعفو احسن وكالانتصار حسن والصبر احسن منه
فامروا ان ياخذوا بالاشد على انفسهم ليكون ذلك اعظم في الثواب فهو كقوله اتبعوا احسن ما انزل اليكم من
ربكم وكقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وقيل ان الحسن يدخل تحته الواجب والمندوب
والمباح والاحسن الاخذ بالاشد والاشق على النفس وقيل معناه باحسنها بحسنها وكلها حسن
وقوله تعالى سأريكم دار الفاسقين قال مجاهد يعني مصيركم في الاخرة وقال الحسن وعطاء يريد
جهنم يحذركم ان تكونوا مثلهم وقال قتادة سأدخلكم الشام فاريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا
الله لتعتبروا بها وقال عطية العوفي يعني دار فرعون وقومه وهي مصر وقال السدي يعني منازل
الكفار وقال الكلبي هي منازل عاد وثمود والقرون الذين هلكوا فكانوا يمرون عليهم اذا سافروا
قوله عز وجل سأصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال ابن عباس يريد الذين
يتجبرون على عبادي ويحاربون اوليائي سأصرفهم عن قبول اياتي والتصديق بها حتى لا يؤمنوا بي
عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم الحق وقال سفيان بن عيينة سأمنعهم فهم القران وقيل معناه
سأصرفهم عن التفكر في خلق السموات والارض وما فيهما من الايات والعبر وقيل حكم الاية
لاهل مصر خاصة واراد بالايات الايات التسع التي اعطاها الله موسى والاكثرون على ان الاية
عامة وفيه دليل لمذهب اهل السنة على ان الله تعالى يهدي من يشاء ويصرف عن اياته من يشاء
وقوله الحق من يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ومعنى الذين يرون انهم افضل الخلق وان لهم من
الحق ما ليس لغيرهم والتكبر بهذه الصفة لا يكون الا لله عز وجل لانه هو الذي له القدرة والفضل
الذي ليس لاحد سواه فالتكبر في صفة الله عز وجل صفة مدح وفي صفة الانسان صفة ذم لانه
تكبر بما ليس له ولا يستحقه وقيل التكبر اظهار كبر النفس على غيرها فهو صفة ذم في حق جميع العباد
وقوله يتكبرون من الكبر لا من التكبر اي يتفعلون التكبر ويرون انهم افضل من غيرهم فكذلك
يتكبرون في الارض بغير الحق بالباطل وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد
يعني طريق الحق والهدى والسداد والصواب لا يتخذوه سبيلا يعني لا يختاروه لانفسهم طريقا
يسلكونه الى الهداية وان يروا سبيل الغي يعني طريق الضلال يتخذوه سبيلا ذلك بانهم
كذبوا باياتنا يعني ذلك الذي اختاروه لانفسهم من ترك الرشد واتباع الغي بسبب انهم كذبوا
بايات الله الدالة على توحيده وكانوا عنها غافلين يعني عن التفكر فيها والاتعاظ بها والذين
كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة يعني ولقاء الدار الاخرة التي فيها الثواب والعقاب حبطت اعمالهم
يعني بطلت فصارت كان لم تكن والمعنى انه قد يكون في الذين يكذبون بايات الله من يعمل البر
والاحسان فبين الله تعالى بهذه الاية ان ذلك ليس بنافعهم مع كفرهم وتكذيبهم بايات الله ولقائه

والنجب هل يجزون الا ما كانوا يعملون يعني هل يجزون في العقبى الا جزاء العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا
قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده يعني من بعد انطلاق موسى الى الجبل لمناجاة ربه من حليهم التي كانوا
استعاروها من فرعون وذلك ان بني اسرائيل كان لهم عيدا او استعاروا من القبط الحلي ليتزينوا به في
عيدهم فبقي عندهم الى ان اهلك الله فرعون وقومه فبقي الحلي لبني اسرائيل ملكا لهم فلذلك قال تعالى من
حليهم فلما ابطى موسى عليهم جمع السامري ذلك الحلي وكان رجلا مطاعا في بني اسرائيل فلذلك قال
تعالى واتخذ قوم موسى والمتخذ هو واحد فنسب الفعل الى الكل لانه كان برضاهم فكانهم اجمعوا عليه
والسامري كان رجلا صايغا فصاغ لهم عجلا جسدا من ذلك الحلي وهو الذهب والفضة
والقى في ذلك العجل من تراب اثر فرس جبريل فتحول العجل جسدا لحما ودما له خوار وهو صوت البقر
وهذا معنى قول ابن عباس والحسن وقتادة وجمهور اهل التفسير وقيل كان جسدا لا روح
فيه وكان يسمع منه صوت وقيل ان ذلك الصوت كان حفيف الريح وكيفية ذلك انه جعله مجوفا
ووضع في جوفه انابيب على وضع مخصوص فاذا هب الريح دخلت في تلك الانابيب يسمع لها صوت
كصوت البقر والقول الاول اصح لانه كان يخور وقيل انه خار مرة واحدة وقيل انه كان يخور كثيرا
وكلما خار سجدوا له واذا سكت رفعوا رؤسهم قال وهب كان يسمع منه الخوار ولا يتحرك وقال السدي
كان يخور ويمشي الم يروا يعني الذين عبدوا العجل انه وهو الصحيح والجواب عن قوله واتخذ
قوم موسى انه خرج على الاغلب وكذا قوله الم يروا انه يعني العجل الذي عبدوه لا يكلمهم
ولا يهديهم سبيلا يعني ان هذا العجل لا يمكنه ان يتكلم بصواب ولا يهدي الى رشد ولا يقدر
على ذلك ومن كان كذلك كان جمادا او حيوانا عاجزا وعلى كلا التقديرين لا يصلح ان يعبد
اتخذوه وكانوا ظالمين يعني لانفسهم حيث اعرضوا عن عبادة الله تعالى الحي الذي يضر وينفع
واشتغلوا بعبادة العجل الذي لا يضر ولا ينفع ولا يتكلم ولا يهديهم الى رشد وصواب
قوله عز وجل ولما سقط في ايديهم يعني ولما ندموا على عبادة العجل تقول
العرب لكل نادم على امر سقط في يده وذلك لان من شان من اشتد ندمه على امر ان يعض يده او يضرب
على فخذه فتصير يده مسقوطا فيها لان السقوط عبارة عن النزول من اعلا الى اسفل ورأوا انهم
قد ضلوا يعني وتيقنوا انهم على الضلالة في عبادتهم العجل قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر
لنا يعني يتب علينا ويتجاوز عنا لنكونن من الخاسرين يعني الذين خسروا انفسهم بوضعهم العبادة
في غير موضعها وهذا كلام من اعترف بعظيم ما قدر عليه من الذنب على ما صدر منه ورغب الى
الله تعالى في اقالة عثرته واعترافهم على انفسهم بالخسران ان لم يغفر لهم ربهم ويرحمهم وهذا
كلام التايب النادم على ما فرط منه وانما قالوا ذلك لما رجع موسى عليه السلام اليهم وهو قوله تعالى
ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا يعني ولما رجع موسى من مناجاة ربه الى قومه بني اسرائيل
رجع غضبان اسفا لان الله كان قد اخبره انه فتن قومه وان السامري قد اضلهم فكان موسى في حال
رجوعه غضبان اسفا قال ابو الدرداء الاسف اشد الغضب وقال ابن عباس والسدي الغضب اشد
الحزن وقال الواحدي والقولان متقاربان لان الغضب من الحزن والحزن من الغضب فاذا جاءك ما تكره
ممن هو دونك غضبت واذا جاءك ممن هو فوقك حزنت فتسمى احدى هاتين الحالتين حزنا والاخرى غضبا
فعلى هذا كان موسى عليه السلام غضبان على قومه لاجل عبادتهم العجل اسفا حزينا لان الله
فتنهم وان الله تعالى كان اعلمه بذلك فحزن لاجل ذلك قال يعني موسى بئسما خلفتموني
اي بيس الفعل فعلتم بعد ذهابي ايكم وهذا الخطاب يحتمل ان يكون لعبدة العجل من السامري واتباعه
او لهرون والمومنين من بني اسرائيل فعلى هذا الاحتمال الاول في انه خطاب لعباد العجل يكون
المعنى بيس ما خلفتموني حيث عبدتم العجل وتركتم عبادة الله وعلى الاحتمال الثاني هو ان يكون

الخطاب

الخطاب لهرون ومن معه من المومنين يكون المعنى لبيسما خلفتموني حيث لم تمنعوهم من عبادة
غير الله وقد رايتم معنى الامر بتوحيد الله واخلاص العبادة له ونفي الشركا عنه وحال بني اسرائيل
على ذلك ومن حق الخلفا ان يسيروا بسيرة مستخلفهم وقوله اعجلتم امر ربكم يعني العجلة
التقدم بالشي قبل وقته ولذلك صارت مذمومة لان معناها عمل الشي في اول وقته ولقايل ان يقول
لو كانت العجلة مذمومة لم يقل موسى عليه السلام وعجلت اليك رب لترضى ومعنى الاية اعجلتم
ميعاد ربكم فلم تصبروا له وقال الحسن اعجلتم وعد ربكم الذي وعدكم من الاربعين وذلك انهم قدروا
انه لم يات على راس الثلاثين فقد مات وقيل اعجلتم بسخط ربكم بعبادة العجل وقال الكلبي
معناه اعجلتم بعبادة العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم ولما ذكر الله ان موسى رجع الى قومه غضبان اسفا ذكر بعده
ما اوجبه الغضب فقال تعالى والقى الالواح يعني التي فيها التورية وكان حاملا لها فالقاها
من شدة الغضب قالت الرواة واصحاب الاخبار كانت التورية سبعة اسباع فلما القى موسى الالواح
وتكسرت فرفع منها ستة اسباع وبقي سبع واحد فرفع منها ما كان من اخبار الغيب وبقي ما فيه
المواعظ والاحكام والحلال والحرام وروي ان الله تعالى اخبر موسى بفتنة قومه وعرف موسى ان ما اخبره
الله حق وصدق ومع ذلك لم يلق التورية من يده فلما رجع الى قومه وعاين ذلك وشاهده القى التورية
وهذا كما قيل ليس الخبر كالمعاينة واخذ براس اخيه يجره اليه وقيل انه يشعر راسه ولحيته من شدة
غضبه وقال ابن الانباري لما رجع موسى ووجد قومه مقيمين على المعصية اكبر ذلك واستعظمه واقبل
على اخيه هارون يلومه ومد يده الى راسه لشدة موأخذته عليه اذ لم يلحق به فيعرفه خبر بني اسرائيل
فيرجع قوله تعالى قال يعني هارون ابن ام ان القوم يعني الذين عبدوا العجل
استضعفوني يعني استذلوني وقهروني وكادوا يقتلونني اي وقاربوا وهموا ان يقتلوني فلا
تشمت بي الاعداء اصل الشماتة الفرح ببلية من تعاديه ويعاديك يقال شمت فلان بفلان اذا سر
بمكروه نزل به والمعنى لا تسر الاعداء بما تنال مني من مكروه ولا تجعلني مع القوم الظالمين يعني
الذين عبدوا العجل قال رب اغفر لي يعني ان موسى عليه السلام لما تبين له عذر اخيه هارون قال رب اغفر لي
ما صنعت الى اخي هارون يريد مما اظهر من المواخذة عليه في وقت الغضب ولاخي يعني واغفر لاخي
هارون ان كان وقع منه تقصير في الانكار على عبادة العجل وادخلنا يعني جميعا في رحمتك يعني
في سعة رحمتك وانت ارحم الراحمين وهذا فيه دليل على الترغيب في الدعا لان من هو ارحم
الراحمين ترجى منه الرحمة وفيه تقوية لطمع الداعي في نجاح طلبته ان الذين اتخذوا العجل يعني الها معبودا
من دون الله سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا يعني سينالهم عقوبة من ربهم وهو ان يسب
كونهم وعبادتهم العجل وذلة في عاجل الحياة الدنيا ثم للمفسرين في هذه الاية قولان احدهما ان
المراد بالذين اتخذوا العجل باشروا عبادته وعلى هذا القول ففي الاية سوال وهو ان اولئك الاقوام الذين
اتخذوا العجل تابوا الى الله بقتلهم انفسهم كما امرهم الله فتاب عليهم فكيف ينالهم الغضب والذلة مع التوبة
والجواب ان ذلك الغضب انما حصل لهم في الدنيا وهو نفس القتل فكان ذلك القتل غضبا عليهم
والمراد بالذلة هو استسلامهم انفسهم للقتل واعترافهم على انفسهم بالضلال والخطا فان قلت السين
في قوله سينالهم للاستقبال فكيف يكون للماضي قلت هذا الكلام انما هو خبر عما اخبر الله موسى عليه
السلام حين اخبره بافتتان قومه واتخاذهم العجل فاخبره الله في ذلك الوقت انه سينالهم غضب
من ربهم وذلة فكان هذا الكلام سابقا لوقوعه وهو القتل امرهم الله به بعد ذلك وقال ابن جريج وارد
كان له وجه لكن جميع المفسرين على خلافه القول الثاني ان المراد بالذين اتخذوا العجل اليهود الذين
كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس هم الذين ادركوا النبي صلى الله عليه وسلم
وآباؤهم الذين عبدوا العجل وارادوا بالغضب عذاب الآخرة وبالذلة في الدنيا الجزية وقال عطية

العوض سيما الاولاد الذين عبدوا العجل وهم الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واراد بالغضب
والذلة ما اصاب بني النضير وبني قريظة من القتل والجلاء وعلى هذا القول ففي تقرير الاية وجهان
الاول ان العرب تعير الابنا بقبائح افعال الاباء كما تفعل ذلك في المناقب تقول للابنا فعلتم كذا
وانما فعل ذلك من مضى من ابائهم فكذلك هاهنا وصف اليهود الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بانهم اتخذوا العجل وان كان اباوهم فعلوا ذلك ثم حكم على اليهود الذين كانوا في زمنه بانهم سينالهم
غضب في الاخرة وذلة في الحياة الدنيا الوجه الثاني ان تكون الاية من باب حذف المضاف لدلالة
الكلام عليه **وقوله تعالى** وكذلك نجزي المفترين يعني وكما جزينا هولاء الذين اتخذوا
العجل هكذا نجزي كل من افترى على الله كذبا او عبد غيره وقال ابو قلابة هي والله جزا كل مفتر الى يوم
القيامة ان يذله الله وقال سفيان ابن عيينة هكذا في كل مبتدع الى يوم القيامة وقال مالك
ابن انس ما من مبتدع الا وهو يجد فوق راسه ذلة ثم قرا هذه الاية قال والمبتدع مفتر في دين الله
والذين عملوا السيئات يعني عملوا الاعمال السيئة ويدخل في ذلك كل ذنب كبير وصغير حتى الكفر
فما دونه ثم تابوا من بعدها يعني من بعد توبتهم لان الله تعالى يغفر الذنوب ويرحم التائبين وفي
الاية دليل على ان السيئات باسرها صغيرها وكبيرها مشتركة في التوبة وان الله تعالى يغفرها
جميعا بفضله ورحمته وتقدير الاية من اتى بجميع السيئات ثم تاب الى الله تعالى واخلص التوبة
فان الله يغفرها له ويقبل توبته وهذا من اعظم البشاير للمذنبين التائبين قوله عز وجل ولما سكت عن
موسى الغضب اخذ الالواح يعني سكن لان السكوت اصله الامساك عن الشي ولما كان السكوت بمعنى
السكون استعير في سكون الغضب لان الغضب لا يتكلم لكنه لما كان بفورته والالحاح في
نفس الغضب كان بمنزلة الناطق فان سكت تلك الفورة كان بمنزلة السكوت عما كان متكلما به
وقيل معناه ولما سكت موسى عن الغضب فهو من المقلوب كما تقول ادخلت القلنسوة في
راسي والمعنى ادخلت راسي في القلنسوة والقول الاول اصح لانه قول اهل اللغة والتفسير اخذ الالواح
يعني التي القاها قال الامام فخر الدين وظاهر هذا يدل على ان الالواح لم تنكسر ولم يرفع من التوراة
شي وفي نسختها النسخ عبارة عن النقل والتحويل فاذا نسخت كتابا من كتاب حرفا بحرف فقد
نسخت ذلك الكتاب فهو نقلك ما في الاصل الى الفرع فعلى هذا قيل اراد بها الالواح لانها نسخت
من اللوح المحفوظ وقيل اراد بها النسخة المكتتبة من الالواح التي اخذها موسى بعد ما انكسرت
وقال ابن عباس وعمرو بن دينار لما القى الالواح فتكسرت صام اربعين يوما فردت عليه وفيها ما في
الاول بعينه فيكون نسختها وعلى قول من قال ان الالواح لم تنكسر واخذها موسى بعينها بعد ما القاها
يكون معنى وفي نسختها المكتوب فيها هدى ورحمة قال ابن عباس هدى من الضلالة ورحمة
من العذاب للذين هم لربهم يرهبون يعني للخائفين من ربهم قوله عز وجل واختار موسى
قومه سبعين رجلا لميقاتنا الاختيار افتعال من لفظ الخير يقال اختار الشي اذا
اخذ خيره وخياره والمعنى واختار موسى من قومه فحذف كلمة من وذلك سائغ في العربية لدلالة
الكلام عليه قال اصحاب الاخبار ان موسى عليه السلام اختار من كل سبط من قومه ستة نفر
فكانوا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم اجر مثل من
خرج فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وقيل انه لم يجد الا ستين شيخا فاوحى الله اليه
ان يختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا فامرهم ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا
ثيابهم ثم ذهب بهم الى ميقات ربه واختلف اهل التفسير في ذلك الميقات فقيل انه الميقات
الذي كلمه فيه ربه وسال فيه الروية وذلك لما خرج الى طور سينا اخذ معه هولا السبعين فلما
دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود من الغمام حتى تغشى الجبل كله ودخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا

حتى

حتى دخلوا في الغمام ووقعوا سجدا وسمعوا الله وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل كذا لا تفعل كذا فلما انكشف
الغمام اقبلوا على موسى وقالوا لن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الصاعقة وهو المراد من الرجفة
المذكورة في هذه الاية وقال السدي ان الله امر موسى ياتيه في بني اسرائيل يعتذرون اليه من عبادة العجل
ووعدهم موعدا فاختار موسى من قومه سبعين رجلا ثم ذهب بهم الى ميقات ربه ليعتذروا فلما اتوا ذلك
المكان قالوا لن نومن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة فانك قد كلمته فارناه فاخذتهم الصاعقة
فماتوا فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول رب ماذا اقول لبني اسرائيل اذا اتيتهم وقد اهلكت
خيارهم رب لو شيت اهلكتهم من قبل واياي وقال محمد بن اسحاق اختار موسى من بني اسرائيل سبعين
رجلا الخير فالخير وقال انطلقوا الى الله فتوبوا اليه مما صنعتم وسلوه التوبة على من تركتم وراكم
من قومكم صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم فخرج بهم الى طور سينا لميقات وقته له ربه وكان لا ياتيه
الا باذنه وخرجوا معه للقادية فقالوا لموسى اطلب لنا نسمع كلام ربنا فقال افعل ودنا موسى
فدخل فيه وقال للقوم ادنوا فكان موسى اذا كلمه ينظر اليه فضرب دونه بالحجاب ودنا القوم حتى
دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى فدخل موسى فيه وقال للقوم ادنوا يامره
وينهاه افعل ولا تفعل فلما فرغ من امره انكشف عن موسى الغمام فاقبل اليهم فقالوا له لن نومن لك
حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة وهي الصاعقة فماتوا جميعا فقام موسى يناشد ربه ويدعوه
ويرغب اليه ويقول له لو شيت اهلكتهم من قبل واياي وقال ابن عباس كان الله امر موسى ان يختار من
قومه سبعين رجلا فاختار سبعين رجلا فبرز بهم ليدعوا ربهم فكان فيما دعوا الله ان قالوا اللهم
اعطنا ما لم تعطه احدا قبلنا ولا تعطه احدا بعدنا فكره الله ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة
من اجل انهم دعوا على موسى انه قتل هارون قال علي بن ابي طالب انطلق موسى وهارون الى سفح
جبل فنام هارون على سرير فتوفاه الله فرجع موسى الى بني اسرائيل فقالوا له انت قتلته حسدا على
خلقه ولينه وكان هارون حسن الخلق محببا في بني اسرائيل فقال لهم موسى اختاروا من شيتم فاختاروا
سبعين رجلا فلما انتهوا اليه قالوا يا هارون من قتلك قال ما قتلني احد ولكن الله توفاني فاخذتهم
الرجفة فجعل موسى يرجع يمينا وشمالا ويقول يا رب لو شيت اهلكتهم من قبل واياي
وقيل انما اخذتهم الرجفة لتركهم فراق عبدة العجل لانهم كانوا معهم قال ابن عباس انما
تناولتهم الرجفة لانهم لم يزايلوا القوم حين نصبوا العجل وقد كرهوا ان يجامعوهم عليه قال ابن جريج فلم يخرجوا
ودعوا الله انهم ... وقال مجاهد واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا للميقات
والميقات الموعد فلما اخذتهم الرجفة يعني لما خرج موسى بالسبعين من قومه يدعون الله ويسالونه
ان يكشف عنهم البلاء فلم يستجب لهم علم موسى انهم قد اصابوا من المعصية ما اصاب قومهم قال محمد
ابن كعب القرظي لم يستجب لهم من اجل انهم لم ينهوهم عن المنكر ولم يامروهم بالمعروف
فاخذتهم الرجفة فماتوا ثم احياهم الله تعالى **وقوله تعالى** فلما اخذتهم الرجفة اصل الرجف
الاضطراب الشديد الذي يحصل معه التغير والهلاك ولهذا اختلفوا في تلك الرجفة هل حصل
بها هلاكهم او موتهم ام لا وظاهر الروايات التي تقدمت انهم ماتوا بسبب تلك الرجفة وقال وهب
ابن منبه لم تكن تلك الرجفة موتا ولكن القوم لما راوا تلك الهيبة اخذتهم الرعدة وقلقلوا ورجفوا
حتى كادت ان تبين مفاصلهم فلما راى موسى ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه فقدهم وكانوا
له وزرا على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا موسى وبكى وناشد ربه فكشف الله عنهم تلك
الرجفة فاطمانوا وسمعوا كلام ربهم فذلك قوله تعالى فلما اخذتهم الرجفة قال
يعني موسى رب لو شيت اهلكتهم من قبل يعني من قبل خروجنا للميقات واياي وذلك
انه خاف ان يتهمه بنو اسرائيل على السبعين اذا لم يرجع بهم ولم يصدقوه بانهم ماتوا فقال

رب لو شئت اهلكتهم يعني قبل خروجهم الى الميقات واياي معهم فكان بنوا اسرائيل بها يبنون ذلك ولا يتهمونني
اتهلكنا بما فعل السفهاء منا قال الفرا ظن موسى باتخاذ اصحاب العجل فقال اتهلكنا بما فعل السفهاء منا
يعني عبدة العجل وانما هلكوا بسبب مسألتهم الرؤية وقولهم ارنا الله جهرة وهذا قول ابن الانباري وقال
ابن المبرد هذا استفهام استعطاف اي لا تهلكنا بفعلهم ثم قال تلك الفتنة كانت اختبارا منك وابتلا
ان هي الا فتنتك قال الواحدي الكناية في هي تعود الى الفتنة كما تقول ان هو الا زيد والمعنى
ان تلك الفتنة التي وقع فيها السفهاء لم تكن الا فتنتك اي اختبارك وابتلاوك وهذا تاكيد لقوله
اتهلكنا بما فعل السفهاء منا لان معناه لا تهلكنا بما فعلهم فان تلك الفتنة كانت اختبارا
منك وابتلا اضللت بها قوما فافتتنوا وهديت قوما فعصمتهم حتى ثبتوا في دينك وهو المراد من
قوله تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء قال الواحدي وهذه الاية من الحجج الظاهرة على القدرية
التي لا تبقي لهم معها عذر انت ولينا يعني انت ربنا ناصرنا وحافظنا وهذا يفيد الحصر اي لا ولي لنا
ولا ناصر ولا حافظ الا انت فاغفر لنا سأل موسى عليه السلام لنفسه ولقومه الغفران اما لنفسه
فلقوله تعالى ان هي الا فتنتك وهذا فيه اقدام على الحضرة القدسية فلهذا السبب سأل موسى الغفران
له ولقومه وارحمنا اي واشملنا برحمتك التي وسعت كل شيء وانت خير الغافرين يعني ان كل
من سواك انما يغفر الذنب طلبا للثناء الجميل ولدفع ضرر واما انت يا رب فتغفر ذنوب عبادك لا لطلب
عوض ولا غرض بل لمحض الفضل والكرم فانت خير الغافرين قوله تعالى واكتب لنا فيها
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الاخرة يعني قال موسى في دعائه واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة
اي واجعل لنا من كتبت له حسنة وهي ثواب الاعمال الصالحة وفي الاخرى واكتب لنا في الاخرة مغفرة لذنوبنا
انا هدنا اليك قال ابن عباس معناه انا تبنا اليك وهذا قول جميع المفسرين واصل الهود الرجوع برفق
قال بعضهم وبه سميت اليهود وكان اسم مدح قبل نسخ شريعتهم فلما نسخت شريعتهم صار اسم ذم وهذا
لازم لهم قال يعني قال الله عز وجل لموسى عليه السلام عذابي اصيب به من اشاء يعني من خلقي وليس
لاحد علي اعتراض لان الكل ملكي وعبيدي ومن تصرف في خالص ملكه فليس لاحد عليه اعتراض ورحمتي
وسعت كل شيء يعني ان رحمته وسعت كل شيء عمت خلقه كلهم وقال بعضهم هذا من العام اريد به الخاص
فرحمة الله عمت البر والفاجر في الدنيا وهي للمؤمنين خاصة في الدنيا والاخرة ولكن الكافر رزق ويدفع
عنه ببركة المؤمن لسعة رحمة الله له فاذا كان يوم القيامة وجبت للمؤمنين خاصة قال جماعة من المفسرين
لما نزلت ورحمتي وسعت كل شيء تطاول ابليس اليها وقال انا من ذلك الشيء فقال الله تعالى فساكتبها للذين
يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم باياتنا يؤمنون فايس ابليس منها وقالت اليهود نحن نتقي
ونؤتي الزكاة ونؤمن بايات ربنا فنزعها الله من اليهود واثبتها لهذه الامة فقال الذين يتبعون
الرسول النبي الامي الاية وقال نوف البكالي لما اختار موسى من قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال الله عز
وجل لموسى اجعل لكم الارض مسجدا وطهورا تصلون حيث ادركتكم الصلاة الا عند مرحاض وحمام او قبر
واجعل السكينة في قلوبكم واجعلكم تقرؤن التورية عن قلوبكم يقرؤها الرجل والمراة والحر والعبد
والصغير والكبير فقال موسى ذلك لقومه فقالوا لا نريد ان نصلي الا في الكنائس لا نستطيع
حمل السكينة في قلوبنا ولا نستطيع ان نقرا التورية على ظهر قلوبنا ولا نريد ان نقراها الا نظرا
قال الله تعالى فساكتبها للذين يتقون الى قوله اولئك هم المفلحون فجعلها الله لهذه الامة فقال
موسى اجعلني نبيهم قال نبيهم منهم قال اجعلني منهم قال انك لن تدركهم قال موسى يا رب اتيتك بوفد بني
اسرائيل فجعلت وفادتنا لغيرنا فانزل الله تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون فرضي موسى
اما التفسير فقوله الذين يتقون يعني الشرك وسائر ما نهوا عنه لان جميع التكاليف محصورة في نوعين
الاول التروك وهي الاشياء التي يجب على الانسان تركها والاحتراز عنها والاتقاء منها والى الاشارة

بقوله

بقوله الذين يتقون والثاني الافعال المامور بها وتلك الاعمال بدنية او قلبية اما البدنية فاليه
الاشارة بقوله ويؤتون الزكاة وهذه وان كانت في حق المال لكن يختص البدن باخراجها والتحمل واعمال
القلبية فالايمان والمعرفة والى الاشارة بقوله والذين هم باياتنا يؤمنون قوله عز وجل
الذين يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التورية ذكر الامام فخر الدين
في معنى الاية هذه التبعية وجهين احدهما ان المراد بذلك ان يتبعوه باعتقاد نبوته من حيث وجدوا
صفته في التورية اذ لا يجوز ان يتبعوه في شرائعه قبل ان يبعث الى الخلق وفي قوله والانجيل ان
المراد وسيجدونه مكتوبا في الانجيل لان من المحال ان يجدوه فيه قبل ما انزل الله الانجيل الوجه الثاني
ان المراد من لحق من بني اسرائيل زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين تعالى ان هولاء اللاحقين
لا يكتب لهم رحمة الاخرة الا اذا اتبعوه قال وهذا القول اقرب لان اتباعه قبل ان يبعث لا يمكن فبين
هذه الاية ان هذه الرحمة لا يفوز بها من بني اسرائيل الا من اتقى واتى الزكاة وامن بالايات في زمن موسى
عليه السلام ومن كانت هذه صفته في ايام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان مع ذلك متبعا للنبي
صلى الله عليه وسلم في شرائعه فعلى هذين الوجهين يكون المراد بقوله الذين يتبعون الرسول من بني
اسرائيل خاصة وجمهور المفسرين على خلاف ذلك فانهم قالوا المراد به جميع امته الذين امنوا به
واتبعوه سوا كان من بني اسرائيل وغيرهم واجمع المفسرون على ان المراد بقوله الذين يتبعون الرسول
محمد صلى الله عليه وسلم وصفه بكونه رسولا لانه الواسطة بين الله وبين خلقه المبلغ رسالاته
واوامره ونواهيه وشرائعه اليهم ثم وصفه بكونه نبيا وهذا ايضا من اعلا المراتب واشرفها وذلك
يدل على انه رفيع الدرجة عند الله المخبر عنه ثم وصفه بالامي قال ابن عباس هو نبيكم صلى الله
عليه وسلم كان اميا لا يكتب ولا يقرا ولا يحسب قال الزجاج في معنى الامي هو الذي على صفة
امة العرب اكثرهم لا يكتب ولا يقرا ولا يحسب قال اهل التحقيق وكونه صلى الله عليه وسلم كان
اميا من اكبر معجزاته واعظمها وبيانه انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذا الكتاب العظيم الذي اعجز
الخلائق فصاحته وبلاغته وكان يقروه عليهم بالليل والنهار من غير زيادة فيه ولا نقصان
منه ولا يتغير فذلك دليل على معجزته وهو قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى وقيل انه لو كان
يحسن الكتابة ثم اتى بهذا القران العظيم لكان متهما فيه لاحتمال انه كتبه ونقله من غيره فلما
اتى وهو امي بهذا الكتاب العظيم الذي فيه علم الاولين والاخرين والمغيبات كان ذلك دليلا على كونه معجزة له
صلى الله عليه وسلم واوصافه فان الكتابة تعين على الاستعانة بالعلوم وتحصيلها على انه
اتى بهذه المرتبة والاداب الحسنة مع عدم الكتابة والاشتغال على كونه معجزة له
صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الامي انه منسوب الى ام القرى وهي مكة وقوله تعالى الذي يجدونه
مكتوبا عندهم في التورية والانجيل يعني يجدون صفته ونعته ونبوته مكتوبا عندهم في التورية والانجيل
وكانوا يعرفونه فكتموا ذلك وبدلوه وغيروه حسدا له وخوفا على زوال رياستهم
(خ) عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت له اخبرني
عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية فقال انه لموصوف في التورية ببعض صفته في القران
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل
ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر
ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا
صما وقلوبا غلفا شرح غريب الفاظه الفظ السيء الخلق والغليظ الجافي القاسي وقوله سخاب
بالسين والصاد وهو الكثير الصياح في الاسواق والاعوجاج ضد الاستقامة واراد بالملة

العوجا الكفر والقلب الاغلف الذي لا يصل اليه شي يعني شبهه بالاغلف كانه في غلاف وروى البغوي
بسنده عن كعب الاحبار قال اني اجد في التورية مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ ولا سخاب في
الاسواق ولا يجزي بالسيئة ولكن يعفو ويصفح امته الحامدون يحمدون الله في كل منزلة ويكبرونه
على كل نجد ياتزرون على انصافهم ويوضئون اطرافهم صفهم في الصلاة وصفهم في القتال سوا مناديهم
ينادي في جو السماء لهم في جوف الليل دوي كدوي النحل مولده بمكة ومهاجره بطيبة وملكه بالشام وقوله
يامرهم بالمعروف يعني يامرهم بالايمان وتوحيد الله وينهاهم عن المنكر يعني عن الشرك وقيل
المعروف ما عرف في الشريعة والسنة والمنكر ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وقال عطا يامرهم بالمعروف بخلع
الانداد ومكارم الاخلاق وصلة الارحام ويحل لهم الطيبات يعني بذلك ما كان محرما عليهم في التورية
من الطيبات وهو لحوم الابل وشحم الغنم والمعز والبقر وقيل هو ما كانوا يحرمونه على انفسهم اهل
الجاهلية من البحاير والسوايب والوصايل والحامي وقيل هو ما كانوا يحرمونه على انفسهم اهل الجاهلية من
المستلذات التي تشتهيها الانفس ويحرم عليهم الخبائث قال ابن عباس يريد الميتة والدم ولحم
الخنزير وقيل هو كل ما يستخبثه الطبع وتستقذره النفس فان الاصل في المضار الحرمة الا ما له دليل منفصل
بالحل ويضع عنهم اصرهم يعني ثقلهم والاصل الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه عن
الحركة لثقله والمراد بالاصر هنا العهد والميثاق الذي على بني اسرايل ان يعملوا بما في التورية من الاحكام
وكانت تلك الشدايد والاغلال التي كانت عليهم يعني ويضع الاثقال والشدايد التي كانت
عليهم في الدين والشريعة وذلك مثل قتل النفس في التوبة وقطع الاعضا الخاطية وقرض النجاسة
عن البدن والثوب بالمقراض وتعيين القصاص في القتل وتحريم اخذ الدية وترك العمل في السبت
وان صلاتهم لا تجوز الا في الكنايس وتتبع العروق في اللحم وغير ذلك من الشدايد التي كانت على بني
اسرايل شبهت بالاغلال مجازا لان التحريم يمنع من الفعل كما ان الغل يمنع من الفعل وقيل شبهت
بالاغلال التي تجمع اليد الى العنق كما ان اليد لا تمتد مع وجود الغل فكذلك لا تمتد الى الحرام الذي
نهيت عنه وكانت هذه الاثقال في شريعة موسى عليه السلام فلما جا محمد صلى الله عليه وسلم
نسخ هذا كله ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السهلة السمحة فالذين امنوا
به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وعزروه يعني ووقروه وعظموه المنع والنصرة وتعزير النبي
تعظيمه واجلاله ودفع الاعدا عنه ومن قوله تعالى ونصروه يعني على اعدايه
واتبعوا النور الذي انزل معه يعني القران سمي القران نورا لان به يستنير قلب المومن
فيخرج به من ظلمات الشك والجهالة الى ضيا اليقين والعلم اولئك هم المفلحون يعني الناجون
الفايزون بالهداية قوله عز وجل قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد للناس اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض ففي الاية
دليل على عموم رسالته الى كافة الخلق لان قوله يا ايها الناس خطاب عام يدخل فيه جميع الناس ثم امره
الله عز وجل بان يقول اني رسول الله اليكم جميعا وهذا يقتضي كونه مبعوثا الى جميع الناس عن
جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى
قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض
طيبة وطهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب على العدو بين
يدي مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت
لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى
الى كل احمر واسود وقيل اراد بالاحمر العجم وبالاسود العرب وقيل اراد بالاحمر الانس وبالاسود الجن
فعلى هذا تكون رسالته صلى الله عليه وسلم عامة الى كافة الخلق من الانس والجن م عن ابي هريرة

ان

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبيا بست اعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت
الغنايم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبوة وقوله تعالى الذي له ملك
السموات والارض لما امر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم بان يقول يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
اردفه بما يدل على صحة دعواه يعني الذي له ملك السموات والارض وهو مدبرهما ومالك امرهما هو الذي ارسلني
اليكم وامرني بان اقول لكم اني رسول الله اليكم جميعا لا اله الا هو يحيي ويميت وصف الله نفسه بالالهية
وانه لا شريك له فيهما وانه القادر على احيا خلقه واماتتهم ومن كان كذلك فهو القادر على ارسال الرسل
الى خلقه فامنوا بالله ورسوله لما اثبت الله رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بان يقول للناس اني رسول الله
اليكم جميعا امر جميع خلقه بالايمان به وبرسوله وذلك لان الايمان بالله هو الاصل والايمان برسوله
فرع عليه فلهذا بدا بالايمان بالله ثم ثنى بالايمان برسوله فقال فامنوا بالله ورسوله ثم وصفه
فقال تعالى النبي الامي وتقدم معناهما الذي يومن بالله وكلماته قال
قتادة يعني اياته وهي القران وقال السدي ومجاهد اراد بكلماته عيسى بن مريم لانه خلق بقوله كن فكان
وقيل هي على العموم يعني يومن بجميع كلمات الله تعالى واتبعوه يعني واقتدوا به ايها الناس فيما
يامركم به وانتهوا عما ينهاكم عنه وقيل المتابعة على قسمين متابعة في الاقوال ومتابعة في الافعال اما المتابعة
في الاقوال بان يمتثل التابع جميع ما امره به المتبوع على طريقة الامر والنهي والترغيب والترهيب واما
المتابعة في الافعال بان يقتدي به في جميع افعاله وادابه الا ما خص به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وثبت بالدليل انه من خصايصه فلا متابعة فيه وقوله تعالى لعلكم تهتدون ترشدوا وتصيبوا الحق
والصواب في متابعتكم اياه قوله عز وجل ومن قوم موسى يعني من بني اسرايل امة اي جماعة يهدون بالحق
يعني يهتدون بالحق ويستقيمون عليه ويعملون به ويرشدون اليه وبه يعدلون يعني بالحق يحكمون
وبالعدل ياخذون ويعطون وينصفون واختلفوا في هولا من هم فقيل هم الذين اسلموا من بني اسرايل
مثل عبد الله بن سلام واصحابه فانهم امنوا بموسى والتورية وامنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران
واعترض على هذا بانهم كانوا قليلين ولفظ الاية يقتضي الكثرة واجيب عنه بانهم كانوا مخلصين
في الدين جاز اطلاق لفظ الامة عليهم كما في قوله تعالى ان ابراهيم كان امة وقيل هم قوم بقوا على
الدين الحق الذي جا به موسى عليه السلام قبل التحريف والتبديل ودعوا الناس اليه وقال السدي وابن
جريج وجماعة من المفسرين ان بني اسرايل لما قتلوا انبياهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرا سبط منهم
مما صنعوا واعتذروا وسالوا الله تعالى ان يفرق بينهم وان يبعدهم عنهم ففتح الله لهم نفقا في الارض
فساروا فيه حتى خرجوا من ورا الصين فهم هناك حنفا مسلمين مستقبلين قبلتنا قال ابن جريج
قال ابن عباس سار ولهم في السرب سنة ونصفا رواه الطبري وحكى البغوي عن الكلبي والضحاك
والربيع قالوا هم خلف الصين باقصى الشرق على نهر الرمل يجري يسمى اردان ليس لاحد منهم مال
دون صاحبه يمطرون بالليل ويصحون بالنهار ويزرعون ولا يصل اليهم احد منا وهم على الحق
وذكر لنا ان جبريل عليه السلام ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون
من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا ان من
ادرك منكم احمد فليقرا مني السلام فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم على موسى عليه السلام واقراهم
عشر سور من القران نزلت عليه بمكة وامرهم بالصلاة والزكاة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون
فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وهذه الحكاية ضعيفة من وجوه الاول ان قولهم ان احدا منا لا يصل اليهم
واذا كان الامر كذلك فمن ذا الذي اوصل خبرهم الينا الوجه الثاني قولهم ان جبريل ذهب بالنبي صلى
الله عليه وسلم اليهم ليلة اسري به وهذا لم يرد بنقل صحيح ولا رواه احد من ايمة الحديث ولا
يلتفت الى قول الاخباريين والقصاص في ذلك الوجه الثالث قولهم انهم بلغوا النبي صلى الله عليه

وسلم سلام موسى وقد صح في حديث المعراج انه سلم عليه في السماء السادسة وايضا فانهم اقروا ومعهم عشر سور
وقد نزلت عليه بمكة اكثر من ذلك وكان فرض الزكاة بالمدينة فكيف يامرهم بما قبل وبعض بها فاذا ثبت
ما ذكرناه بطلان هذه الرواية فالمختار في تفسير هذه الاية اما ان تكون نزلت في قوم متمسكين
بدين موسى قبل التبديل والتغيير ثم ماتوا وهم على ذلك واما ان تكون قد نزلت فيمن اسلم من اليهود
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن سلام واصحابه والله اعلم بمراده **قوله عز وجل**
وقطعناهم يعني وفرقنا بني اسرائيل اثنتي عشرة اسباطا امما يعني من اولاد يعقوب لان يعقوب
هو اسرائيل واولاده الاسباط وكانوا اثني عشر ولدا امما يعني جماعات وقبائل واوحينا الى موسى
اذ استسقاه قومه يعني في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست يعني انفجرت وقيل عرقت
وهو الانبجاس منه اي من الحجر اثنتا عشرة عينا يعني لكل سبط عين قد علم كل اناس مشربهم
يعني لا يدخل سبط على سبط في مشربهم وظللنا عليهم الغمام يعني في التيه يقيهم حر الشمس وانزلنا
عليهم المن هو الترنجبيل والسلوى وجنس من الطير جعل الله عز وجل ذلك طعاما لهم في التيه
كلوا من طيبات ما رزقناكم اي وقلنا كلوا وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون في الكلام حذف
تركه ذكره للاستغناء عنه ودلالة الكلام عليه تقديره وكلوا من طيبات ما رزقناكم فجحدوا ذلك وسئموا
وقالوا لن نصبر على طعام واحد وسالوا غيره لان المكلف اذا امر بشيء فتركه وعدل عنه الى غيره يكون ذلك
عاصيا بفعله ذلك فلهذا قال وما ظلمونا وما دخلوا علينا في ملكنا او سلطاننا نقصا بمعصيتهم ما سالوا
ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني بمخالفتهم ما امروا به وقد تقدم بسط الكلام على تفسير هذه الاية في سورة
البقرة **وقوله تعالى** واذ قيل لهم اسكنوا اي اذكر يا محمد لقومك اذ قيل لهم يعني لبني اسرائيل اسكنوا
هذه القرية يعني بيت المقدس وقيل في سورة البقرة ادخلوا هذه القرية ولا منافاة بينهما لانه لا بد من السكنى
في موضع لابد له من الدخول اليه وكلوا منها حيث شئتم يعني وكلوا من ثمار القرية وزروعها وحبوبها وبقولها
حيث شئتم واين شئتم وقال في البقرة فكلوا بالفاء وهنا بالواو والفرق بينهما ان الدخول حالة مقتضية
للاكل عقب الدخول فحسن دخول الفاء وعقب السكنى فيكون الاكل حاصلا متى شاء وانما قال في سورة البقرة
رغدا ولم يقله هنا لان الاكل عقيب الدخول الذ والكائنا ما الاكل مع السكنى والاستمرار فليس كذلك فحسن
دخول لفظة رغدا هناك بخلافه هنا وقولوا حطة اي حط عنا ذنوبنا وادخلوا الباب سجدا وقال
في سورة البقرة عكس اللفظ ولا منافاة في ذلك لان المقصود من ذلك تعظيم امر الله واظهار الخضوع والخشوع
فلم يتفاوت الحال بحسب التقديم والتاخير نغفر لكم خطاياكم يعني نغفر لكم ذنوبكم ولا نواخذكم بها وانما
قال هنا خطيئاتكم وفي البقرة خطاياكم لان المقصود غفران ذنوبهم سواء كانت قليلة او كثيرة اذا اتوا
بالدعاء والتضرع سنزيد المحسنين وقال في سورة البقرة وسنزيد المحسنين بالواو ومعناه انه قد وعد
المسيئين بالغفران وبالزيادة للمحسنين من الثواب واسقاط الواو لا يخل بهذا المعنى لانه استئناف
مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم
قولا غير الذي قيل لهم يعني غير الذين ظلموا انفسهم بمخالفة امر الله من بني اسرائيل فقالوا غير الذي قيل
لهم وامروا به وذلك انهم امروا ان يقولوا حطة فقالوا حنطة في شعيرة فكان ذلك تبديلهم وتغييرهم
فارسلنا عليهم رجزا من السماء يعني بعثنا عليهم عذابا من السماء اهلكهم ولا منافاة بين قوله في سورة البقرة
انزلنا لانهما لا يكونا الا من العلو الى اسفل **وقيل** بينهما فرق وهو ان الانزال لا يشعر
بالكثرة والارسال يشعر بذلك فكانه تعالى بدا بانزال العذاب قليلا ثم ارسل عليهم كثيرا بما كانوا يظلمون
يعني ارسلنا العذاب عليهم بسبب ظلمهم ومخالفتهم امر الله وقال في البقرة بما كانوا يفسقون والجمع بينهما
انهم لما ظلموا انفسهم بما غيروا وبدلوا فسقوا بذلك وخرجوا عن طاعة الله تعالى وقد تقدمت هذه القصة
ايضا في سورة البقرة قوله عز وجل واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر الخطاب للنبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم اي اسأل يا محمد هؤلاء اليهود الذين هم جيرانك اي حال اهل القرية وهذا السؤال سؤال توبيخ لا سؤال
استعلام لانه صلى الله عليه وسلم كان قد علم حال هذه القرية بوحي الله عز وجل واخباره اياه بحالهم وانما
المقصود من هذا السؤال التقرير عند اليهود واقدامهم على الكفر والمعاصي وان اصرارهم على الكفر بمحمد
صلى الله عليه وسلم وانكار نبوته ومعجزاته ليس بشيء قد حدث منهم في زمانه بل اصرارهم على الكفر كان
حاصلا لاسلافهم في قديم الزمان وفي القديم بهذه القصة معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان اميا لم يقرا
الكتب القديمة ولم يعرف اخبار الاولين ثم اخبرهم بما جرى لاسلافهم في قديم الزمان وانه بسبب
مخالفتهم امر الله عز وجل مسخوا قردة واختلفوا في هذه القرية قال ابن عباس بين مصر والمدينة والطور
وقيل بين مدين والطور على شاطئ البحر وقال الزهري هي طبرية الشام وفي رواية ابن عباس
قال هي مدين وقال وهب هي مقنا بين مدين وعيونا يعني عن القرية التي كانت على ساحل البحر وقريبة
منه اذ يعدون في السبت يعني يتجاوزون حد الله فيه وما امرهم به من تعظيمه فخالفوا امر الله
وصادوا فيه السمك اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا يعني ظاهرة على الماء كثيرة وقال الضحاك
تاتيهم متتابعة يتبع بعضها بعضا وقيل كانت تاتيهم يوم السبت مثل الكباش السمان البيض ويوم
لا يسبتون لا تاتيهم يعني الحيتان كذلك نبلوهم يعني مثل هذا الاختبار الشديد نختبرهم ونحن
اعلم بحالهم بما كانوا يفسقون يعني ان في الابتلاء والاختبار بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة
الله وما امروا به قال اهل التفسير ان اليهود امروا بيوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلوا به
وهو ان الله امرهم بتعظيمه ونهاهم عن العمل فيه وحرم عليهم فيه الصيد فلما اراد الله ان يبتليهم كانت
الحيتان تظهر لهم في يوم السبت ينظرون اليها في البحر فاذا انقضى السبت ذهبت فلم تظهر الى السبت
المقبل فلما ابتلوا به فوسوس اليهم الشيطان وقال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد وانما نهاكم عن الاكل
فاصطادوا **وقيل** انه وسوس اليهم انكم انما نهيتم عن الاخذ فاتخذوا حياضا على ساحل
البحر فتاتي اليها الحيتان يوم السبت فاذا كان يوم الاحد اخذوها ففعلوا ذلك زمانا ثم انهم تجرءوا
على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد حل لنا فاصطادوا واكلوا وباعوا وصار اهل القرية
احزابا ثلاثا وكانوا نحوا من سبعين الفا ثلث نهوا عن الاصطياد وثلث سكتوا لم ينهوا وقالوا
للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم وثلث هم اصحاب الخطيئة الذين خالفوا امر الله فاصطادوا وباعوا
واكلوا فلما لم ينتهوا عما هم فيه من المعصية قال الناهون لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية
بينهم بجدار للناهين باب يدخلون ويخرجون منه وللعاصين باب ولعنهم داود عليه السلام
وكانوا في زمنه فاصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم شانا لعل الخمر
قد غلبتهم فعلوا على الجدار الذي بينهم فاذا هم قد مسخوا قردة ففتحوا عليهم الباب ودخلوا اليهم
فصار القردة يعرفون انسابهم من الناس ولم يعرف الناس انسابهم من القردة فجعلت القردة تاتي انسابها
من الناس فتشم ثيابهم فيقول لهم اهلوهم الم ننهكم فتقول القردة براسها نعم فنجا الناهون وهلك
سائرهم فذلك **قوله** تعالى واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم
عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم واختلفوا في القائلين بهذه المقالة فقال بعض المفسرين
ان اهل القرية افترقوا ثلاث فرق فرقة اعتدت واصابت الخطيئة وفرقة نهتهم عن ذلك الفعل
وفرقة امسكت عن الصيد وسكتت عن موعظة المعتدين وقالوا للناهين لم تعظون قوما الله مهلكهم
يعني انهم لاموهم على موعظة قوم يعلمون انهم غير منقطعين ولا منزجرين فقالت الفرقة الناهية
الذين لاموهم معذرة الى ربكم يعني ان موعظتنا اياهم معذرة الى ربكم لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
واجب علينا فوعظنا لهم لاعذر لنا عند الله ولعلهم يتقون اي وجائز عندنا ان ينتفعوا
بالموعظة فيتقوا الله ويتركوا ما هم فيه من الصيد وقال بعضهم ان اهل القرية كانوا فرقتين فرقة

نهت وزجرت عن الشر وفرقة عملت السوء فعلى هذا يكون الذين قالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم الفرقة المعتدية وذلك أن الفرقة الناهية قالوا للفرقة المعتدية اتقوا الله قبل أن ينزل بكم عذاب شديد إن لم تنتهوا عما أنتم عليه فيه فقالت لهم الفرقة المعتدية لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا أي لم تعظونا وقد علمتم أن الله مهلكنا أو ينزل علينا عذابه والقول الأول أصح لأنهم لو كانوا فرقتين لكان قولهم معذرة إلى ربكم خطابا من الناهية للمعتدية وقوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أي فلما تركوا ما وعظوا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وهم الفرقة الناهية وأخذنا الذين ظلموا يعني الفرقة المعتدية العاصية بعذاب بئيس أي شديد وجيع من البأس وهو الشدة بما كانوا يفسقون يعني إنا أخذناهم بالعذاب بسبب فسقهم واعتدائهم وخروجهم عن طاعتنا روى عكرمة عن ابن عباس قال أسمع الله عز وجل يقول أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فلا أدري ما فعلت الفرقة الساكتة وجعل يبكي قال عكرمة فقلت له جعلني الله فداك ألا تراهم قد أنكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وإن لم يقل الله أنجيتهم لم يقل أهلكتهم قال فأعجبه قولي ورضي به وأمر لي ببردين فكسانيهما وقال نجت الساكتة وقال يمان بن رباب نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون والذين قالوا معذرة إلى ربكم وأهلك الله الذين أخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان وهذه أشد آية في ترك النهي عن المنكر وقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قال ابن عباس عتوا عن ترك ما نهوا عنه وتمردوا في العصيان من اعتدائهم في السبت واستحلالهم ما حرم الله عليهم من صيد السمك وأكله فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين يعني صاغرين مبعدين من كل خير قال قتادة فلما عتوا عما نهوا عنه مسخهم فصيرهم قردة تتعاوى بعد ما كانوا رجالا ونساء وقال ابن عباس جعل الله منهم القردة والخنازير فزعم أن شباب القوم صاروا قردة وأن المشيخة صاروا خنازير وقيل إنهم بقوا ثلاثة أيام ينظر الناس إليهم ثم هلكوا جميعا

قوله عز وجل

وإذ تأذن ربك الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ومعنى تأذن أذن والأذان الإعلام يعني أعلم ربك وقيل حكم ربك وقيل قال ربك يعني أقسم ربك لأن اللام في قوله ليبعثن جواب القسم لأن قوله وإذ تأذن ربك جاري مجرى القسم لكونه جزما وجواب القسم ليبعثن عليهم واختلفوا في الضمير عليهم إلى من يرجع فقيل يقتضي أن يكون راجعا إلى قوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين لكن قد علم أن الذين مسخوا لم يبق منهم أحد فيحتمل أن يكون المراد الذين بقوا منهم فألحق الذل بهم وقيل بأن المراد سائر اليهود من بعدهم لأن الذين بقوا من أهل القرية كانوا صالحين والذي بعثه الله على اليهود هو بختنصر وسنجاريب وملوك الروم فساموهم سوء العذاب وقيل المراد بقوله ليبعثن عليهم اليهود الذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي بعثه الله عليهم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته فالزمن لم يسلم منهم الصغار والذلة والجزية لازمة اليهود إلى يوم القيامة فإن ورد على هذا بأن في آخر الزمان يكون لهم عزة وذلك عند خروج الدجال لأن اليهود أتباعه وأشياعه وأجيب بأن تلك العزة التي تحصل لهم في نفسه غاية الذلة لأنهم يدعون الألوهية للدجال فيزدادون كفرا إلى كفرهم فإذا هلك الدجال أهلكهم المسلمون جميعا وقتلوهم فذلك هو الذلة والصغار المشار إليه بقوله ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب وهذا نص في أن العذاب إنما يحصل لهم في الدنيا مستمرا عليهم إلى يوم القيامة وقيل فسر هذا العذاب بالإهانة والذلة وأخذ الجزية منهم فإذا انتقلوا إلى الآخرة كان عذابهم أشد وأعظم وهو قوله تعالى إن ربك لسريع العقاب يعني لمن أقام على الكفر ففيه دليل على أنه يجمع لهم مع ذل الدنيا عذاب الآخرة مستمرا عليهم في الدنيا والآخرة ثم ختم الآية بقوله تعالى وإنه لغفور رحيم يعني لمن آمن منهم ورجع عن الكفر واليهودية ودخل

في دين الإسلام قوله عز وجل وقطعناهم في الأرض أمما يعني وفرقنا بني إسرائيل في الأرض جماعات متفرقة فلا تكاد تجد بلدا إلا وفيه من اليهود طائفة وجماعة قال ابن عباس في كل الأرض يدخلها قوم من اليهود منهم الصالحون يعني من هؤلاء الذين وصفهم الله من بني إسرائيل الصالحون وهم من آمن بالله ورسوله وثبت على دينه قبل مبعث عيسى عليه السلام وإنما وصفهم بذلك قبل ارتدادهم عن دينهم وكفرهم بربهم ذكره الطبري ولم يذكر غيره وروى البغوي وغيره من المفسرين عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بالصالحين الذين أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود وآمنوا به والصحيح ما ذكره الطبري يدل عليه قوله بعد فخلف من بعدهم خلف والخلف إنما كان بعد هؤلاء الذين وصفهم بالصلاح من بني إسرائيل

وقوله تعالى

ومنهم دون ذلك يعني الذين كفروا من بني إسرائيل وبدلوا وغيروا وبلوناهم يعني جميعهم الصالح وغيره وهي بلوي اختبار وامتحان بالحسنات يعني الخصب والعافية والسيئات يعني الجدب والشدة لعلهم يرجعون يعني لكي يرجعوا إلى طاعة ربهم ويتوبوا إليه قال أهل المعاني كل واحد من الحسنات والسيئات إذا فسرت بالنعم والشدة تدعو إلى طاعة الله تعالى أما النعمة فيزداد عليها شكرا فيرغب في الطاعة وأما الشدة فيخاف عاقبتها فيرهب منها قوله تعالى فخلف من بعدهم يعني من بعد هؤلاء الذين وصفناهم خلف يعني خلف سوء والمعنى يعني حدث من بعدهم وتبدل من بعدهم بدل سوء يقال منه هو خلف صدق بفتح اللام وخلف سوء بسكونها فأكثر ما يقال بالمدح بفتح اللام وفي الذم بسكونها وقد يحرك في الذم ويسكن في المدح قال حسان بن ثابت في المدح

لنا القدم الأولى إليك وخلفنا • لأولنا في طاعة الله تابع •

يسكن اللام في قوله وخلفنا وهو يريد المدح وقال لبيد في الذم

• ذهب الذين يعاش في أكنافهم • وبقيت في خلف كجلد الأجرب •

يسكن اللام وهو يريد الذم وأصله من الفساد يقال خلف اللبن إذا فسد وتغير السقاء وقيل الردي من القول خلف وخلف الشيء تغير ومنه خلوف فم الصائم والمعنى جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم خلف والخلف القرن الذي يجيء بعد قرن كان قبله ورثوا الكتاب يعني انتقل إليهم الكتاب من آبائهم والمراد بالكتاب التوراة يأخذون عرض هذا الأدنى العرض بفتح الراء جميع متاع الدنيا كما يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والعرض بسكون الراء جميع المال سوى الدراهم والدنانير والمعنى أنهم كانوا يأخذون الرشا في الأحكام وعلى تبديل الكلام وتغييره وذلك الذي يأخذونه من حطام الدنيا هو الشيء التافه الخسيس الحقير لأن الدنيا بأسرها فانية حقيرة والراغب فيها أحقر منها فاليهود ورثوا التوراة وعلموا ما فيها وضيعوا العمل بما فيها وتركوه وأخذوا الرشا في الأحكام ويعلمون أنه حرام ثم إنهم مع إقدامهم على هذا الذنب العظيم وإصرارهم عليه ويقولون سيغفر لنا يعني ذنوبنا فيتمنون على الله الأباطيل الكاذبة عن شداد بن أوس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله أخرجه الترمذي وقال في قوله صلى الله عليه وسلم دان نفسه يعني حاسبها في الدنيا قبل أن تحاسب يوم القيامة وموضع الاستشهاد من الحديث على الآية

قوله

وتمنى على الله لأن اليهود كانوا يقدمون على الذنوب ويقولون سيغفر لنا وهذا هو التمني بعينه وقوله تعالى وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه وهذا إخبار عن حرصهم على الدنيا وإصرارهم على الذنوب والمعنى أنهم إذا أتاهم شيء من الدنيا أخذوه حلالا كان أو حراما ويتمنون على الله المغفرة وإن وجدوا من الغد مثله أخذوه قال السدي كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضيا إلا ارتشى في الحكم فيقال له ما لك ترتشي فيقول سيغفر لي فيطعن عليه الآخرون فإذا مات ونزع الحكم وجعل مكانه آخر ممن كان يطعن عليه ارتشى أيضا يقول الله عز وجل وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني ألم يؤخذ على هؤلاء المرتشين في أحكامهم اليهود

والمواثيق في الكتاب وهو التوراة الا يقولوا على الله الا الحق يعني انا اخذنا عليهم الميثاق على ان يقولوا الحق
فقالوا الباطل وخالفوا امر الله وهو قولهم سيغفر لنا والمراد من هذا التوبيخ والتقريع لليهود في ادعائهم
على الله الباطل قال ابن عباس هو ما يوجبون على الله من غفران ذنوبهم التي لا يزالون يعودون فيها
ولا يتوبون منها ودرسوا ما فيه يعني ما في الكتاب والمعنى انهم ذاكرون لما اخذ عليهم من العهود والموا
ثيق
في الكتاب لانهم كانوا درسوه لم يتركوه ولكن درسوه وضيعوا العمل به والدار الاخرة يعني وما في الدار
الاخرة مما اعد الله لاوليائه واهل طاعته العاملين بما امرهم الله من كتابه فلم يغيروا ولم يبدلوا ولم
يرتشوا في الاحكام خير للذين يتقون يعني يتقون الله ويخافون عقابه افلا تعقلون يعني
افلا يعقل هولاء الذين يرضون بعرض الدنيا ان ما في الاخرة خير وابقى لانها دار المتقين والذين
يمسكون بالكتاب يقال مسكت الشي وتمسكت به وامسكت والمراد بالتمسك بالكتاب مثل عبد
الله بن سلام واصحابه لانهم تمسكوا بالكتاب الاول فلم يحرفوه ولم يغيروه فاداهم ذلك التمسك
الى الايمان بالكتاب الثاني وهو القران واقاموا الصلاة يعني وداوموا على اقامتها في مواقيتها
وانما افردها بالذكر وان كانت الصلاة واحدة في التمسك بالكتاب تنبيها على عظم قدرها
وانها من اعظم العبادات بعد الايمان بالله وبرسوله انا لا نضيع اجر المصلحين قوله عز
وجل واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة يعني واذكر يا محمد اذ قلعنا الجبل ورفعناه
فوق بني اسرائيل كانه ظلة يعني جعلناه فوقهم كالظلة والظلة كل ما علا على الانسان كالسقف
ونحوه وظنوا يعني وعلموا وايقنوا انه واقع بهم يعني الجبل خذوا يعني وقلنا
لهم خذوا واضمار القول كثير في القران وكلام العرب ما اتيناكم يعني التورية بقوة يعني
بجد واجتهاد واذكروا ما فيه يعني واعملوا بما فيه من الاحكام لعلكم تتقون قال اصحاب
الاخبار ان بني اسرائيل لما ابوا ان يقبلوا احكام التورية لما فيها من التكاليف الشاقة امر الله جبريل
فرفع جبلا عظيما حتى صار على رءوسهم كالظلة فلما نظروا الى الجبل فوق رءوسهم خروا ساجدين فسجد
جبلا
كل واحد على خده وحاجبه الايسر وجعل ينظر بعينه اليمنى الى الجبل خوفا ان يسقط عليه
وكذلك لا تسجد اليهود الا على شق وجوههم اليسرى قوله تعالى واذ اخذ ربك
من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى الاية عن مسلم
ابن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك
وتعالى خلق ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هولاء للجنة وبعمل اهل
الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هولاء للنار وبعمل اهل النار يعملون
فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق العبد
للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله الجنة واذا خلق العبد
للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله النار اخرجه مالك
في موطئه وابو داود والترمذي وقال حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع عمر وقد ذكر عن
بعضهم في هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا قلت ذكر الطبري في بعض طرق هذا الحديث
الرجل فقال عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله ادم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة
هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة وجعل بين عيني كل انسان منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على ادم
فقال اي رب من هولاء قال هولاء ذريتك فراى رجلا منهم فاعجبه وبيص ما بين عينيه فقال يا رب
من هذا قال داود فقال رب كم جعلت عمره قال ستين سنة قال يا رب زده من عمري اربعين سنة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انقضى عمر ادم الا اربعين جاءه ملك الموت فقال ادم اولم

يبق من عمري اربعين سنة قال اولم تعطها ابنك داود فجحد ادم فجحدت ذريته ونسي ادم فاكل من الشجرة
فنسيت ذريته وخطئ فخطئت ذريته اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح فاما تفسير الاية
فقوله تعالى واذ اخذ ربك يعني واذكر يا محمد اذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم يعني من ظهور بني ادم
وانما لم يذكر ظهر ادم وان كان الله اخرج جميع الذرية من ظهره لان الله تعالى اخرج ذرية
ادم بعضهم من ظهر بعض على نحو ما يتوالد الاولاد من الاباء فلذلك قال تعالى من بني ادم من ظهورهم
فاستغنى عن ذكر ظهر ادم عليه السلام لما علم انهم كلهم بنو ادم واخرجوا من ظهره فترك ذكر ظهر ادم
عليه السلام لما علم انهم كلهم بنو ادم واخرجوا من ظهره فترك ذكر ظهر ادم استغناء للعلماء في تفسير
هذه الاية مذهبان احدهما وهو مذهب اهل التفسير والاثر وظاهر ما جاءت به الروايات عن السلف
فيما روي عن ابن عباس من طرق كثيرة روايات مختلفة رواها عنه الطبري باسانيد فمنها عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اخذ الله الميثاق من ظهر ادم بنعمان يعني عرفة
فاخرج من صلبه كل ذرية ذراها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا وقال الست بربكم قالوا بلى شهد
نا
ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وعن ابن عباس في هذه قال مسح ربك ظهر ادم فخرجت
كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة بنعمان هذا الذي وراء عرفة واخذ ميثاقهم الست بربكم
قالوا بلى شهدنا وعن ابن عباس ايضا قال ان اول ما اهبط الله ادم الى الارض اهبطه بدهنا
ارض الهند فمسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو بارئها الى يوم القيامة ثم اخذ عليهم واشهدهم على
انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين وفي رواية
فجف القلم بما كان الى يوم القيامة وفي رواية عنه لما خلق الله ادم اخذ ميثاقه انه ربه وكتب
رزقه واجله ومصائبه واستخرج ذريته كالذر وكتب ارزاقهم واجالهم ومصائبهم وفي رواية عنه
قال ان الله عز وجل مسح صلب ادم فاستخرج كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فاخذ منهم
الميثاق ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وتكفل لهم بالارزاق ثم اعادها في صلبه فليس احد
من الخلق الا وقد تكلم فقال بلى وان القيامة لا تقوم حتى يولد من كان يومئذ اشهد على نفسه
وقال السدي اخرج الله ادم من الجنة ولم يهبط من السماء ثم مسح صفحة ظهره اليمنى فاخرج منه
كهيئة الذر بيضا فقال ادخلوا الجنة برحمتي ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه كهيئة الذر
سودا فقال ادخلوا النار ولا ابالي فذلك حين يقول اصحاب اليمين واصحاب الشمال ثم اخذ منهم
الميثاق فقال الست بربكم قالوا بلى فاعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية
زاد في رواية وذلك حين يقول وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قال محمد بن كعب القرظي
اقروا له بالايمان والمعرفة الارواح قبل خلق اجسادها وقال مقاتل مسح صفحة ظهره اليمنى
فاخرج منه ذرية سودا بيضا كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منها ذرية
سودا امثال الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فقال يا ادم هولاء ذريتك ثم قال الست
بربكم قالوا بلى فاعطاه طائعين قال للبيض هولاء في الجنة برحمتي وهم اصحاب اليمين وقال
للسود هولاء للنار ولا ابالي وهم اصحاب الشمال ثم اعادهم جميعا في صلب ادم فاهل القبور محبوسون
حتى يخرج اهل الميثاق جميعا وروي ان الله تعالى قال لهم جميعا اعلموا انه لا اله غيري وانا ربكم
لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيئا فاني سانتقم ممن اشرك بي ولم يومن بي واني مرسل اليكم رسلا يذكرونكم
عهدي وميثاقي ومنزل عليكم كتبا فتكلموا جميعا وقالوا شهدنا انك ربنا لا رب لنا غيرك فاخذ بذلك
مواثيقهم ثم كتب اجالهم وارزاقهم ومصائبهم فنظر اليهم ادم فراى منهم الغني والفقير وحسن الصورة
ودون ذلك فقال رب هلا سويت بينهم فقال اني احب ان اشكر فلما قررهم بتوحيده واشهد بعضهم على بعض
اعادهم الى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ منه الميثاق وقال الزجاج وجائز ان يكون

الله تعالى جعل لأمثال الذر عقلاً وفهماً تعقل به كما في النملة قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم
وكما قال وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وقال ابن الأنباري مذهب أصحاب الحديث وكبرا أهل العلم
في هذه الآية أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من صلبه وأصلاب أولاده وهم في صور الذر وأخذ عليهم الميثاق
أنه خالقهم وأنهم مصنوعه فاعترفوا بذلك وقبلوه وذلك بعد أن ركب فيهم عقولاً عرفوا بها ما عرض
عليهم كما جعل للجبال عقولاً حين خوطبوا بقوله يا جبال أوبي معه وكما جعل للبعير عقلاً حين سجد
للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك الشجرة حين سمعت لأمره وانقادت ومعنى قوله ألست بربكم على هذا
التفسير قال الذرية ألست بربكم فهو إيجاب للربوبية واعتراف على أنفسهم بالعبودية وفي قوله
شهدنا قولان أحدهما أنهم لما أقروا له بالربوبية قال الله تعالى للملائكة اشهدوا قالوا شهدنا
على إقرارهم فعلى هذا القول يحسن الوقف على قوله تعالى بلى لأن كلام الذرية تم وانقطع وقوله
شهدنا كلام مستأنف والقول الثاني أن قوله شهدنا من كلام الذرية والمعنى شهدنا على أنفسنا بهذا
الإقرار وعلى هذا لا يحسن الوقف على بلى لأن كلام الذرية والمعنى شهدنا على أنفسنا بهذا الإقرار لتعلقه
بما بعده **وقوله تعالى** (أن يقولوا) قرئ بالتاء على خطاب الذرية معناه لئلا تقولوا
أيها الذرية (يوم القيامة إنا كنا عن هذا) يعني الميثاق (غافلين) وقرئ أن يقولوا بالياء على الغيبة
ومعناه لئلا يقول الذرية إنا كنا عن هذا غافلين والمذهب الثاني في مذهب هذه الآية وهو مذهب
أهل الكلام والنظر أنه تعالى أخرج الذرية وأنشأهم بعد أن كانوا نطفاً في أصلاب الآباء وهم أولاد بني آدم
فأخرج الذرية إلى الدنيا على ترتيبهم في الوجود وأشهدهم على أنفسهم بما ركب عليهم من العقول وأراهم من
عجائب خلقه وغرائب صنعه ودلائل وحدانيته فبهذا الإشهاد صاروا كأنهم قالوا بلى وأشهدهم على أنهم
أنه ربهم وذلك بما أظهر لهم من دلائل آياته وبراهينه التي تضطرهم إلى أن يعلموا أنه خالقهم وبارئهم
وربهم ونافذ الحكم فيهم فلما عرفوا ذلك دعاهم ذلك إلى التصديق بوحدانيته وربوبيته فقال بلى شهدنا
على أنفسنا على المجاز لا على الحقيقة وهذا النوع من المجاز والاستعارة مشهور في كلام العرب
فكل من بلغ وعقل فقد أخذ عليه الميثاق وهو العقل والتكليف فيكون معنى الآية وإذ أخذ ربك
من بني آدم من بني آدم وشهدهم على أنفسهم بما ركب فيهم من العقل الذي يكون به الفهم والتكليف
ويترتب على صاحبه الثواب والعقاب يوم القيامة **فإن قلت** فما المختار من هذين
المذهبين في تفسير هذه الآية **قلت** المذهب الأول هو المختار لأن جمهور المفسرين من السلف
ورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم **فإن قلت** إذا كان المختار من تفسير هذه
الآية هو مذهب السلف في ذلك وأن الله تعالى أخرج الذرية من ظهر آدم لأخذ الميثاق عليهم كما ورد في
الحديث أيضاً فكيف يحمل تفسير هذه الآية على هذا القول **قلت** قد صح الحديث بأن الله مسح ظهر
آدم فأخرج ذريته وأخذ عليهم الميثاق ولا منافاة بين الآية والحديث كما تقدم في تفسير ألفاظ
الآية من أن الله أخرج ذرية آدم من ظهره على سبيل التوالد بعضهم من بعض كما في الآية الخارج وكلهم
من بعضهم بأجمعهم من ظهر آدم الذي هو أصلهم فبهذا الطريق أمكن الجمع بين الآية والحديث إذ ليس
في معنى ألفاظ الآية ما يدل على بطلان ذلك أو نفيه وقد ورد بثبوت ذلك وصحته فوجب المصير
إليه والأخذ به جمعاً بين الآية والحديث وحكى الواحدي عن صاحب النظم أنه قال ليس بين قوله
صلى الله عليه وسلم أن الله مسح ظهر آدم فأخرج منه ذريته وبين الآية اختلاف بحمد الله تعالى لأنه تعالى
إذا أخرجهم من ظهر آدم فقد أخرجهم من ظهور ذريته لأن ذرية آدم ذرية بعضهم من بعض قال
وحصل الفائدة بهذا الفصل بالله تعالى أثبت الحجة على كل منفوس ممن بلغ ولم يبلغ بالميثاق الذي
أخذ عليهم وزاد على من بلغ منهم الحجة بالآيات والدلائل التي نصبها والرسل المنفذة إليهم مبشرين
ومنذرين وبالمواعظ وقال الغزنوي فائدة أخذ الميثاق في القدم أن من مات منهم صغيراً دخل الجنة

باقراره بالميثاق الأول وهذا على قول من يقول إن أطفال المشركين يدخلون الجنة إذا ماتوا صغاراً
فأما من لا يحكم لهم بالجنة فإنه يقول من كان من أهل الشقاوة من الذرية السوداء إنما أقروا بالمعرفة
كرهاً فلم يغن عنهم ذلك شيئاً ومن بلغ وعقل لم يغن عنه إقراره بالميثاق الأول شيئاً حتى يوحد ويصدق
عند بلوغه وعقله بأن الله ربه وخالقه ويصدق رسوله فيما جاء به من عنده وإنما فعل ذلك لئلا يقول
الكفار إنا كنا عن هذا الميثاق أو الإيمان بأن الله ربنا غافلين أو لئلا يقولوا إنما أشرك
آباؤنا ونحن نسير على آثارهم ظناً منهم أن الحق ما كانوا عليه **فإن قلت** ذلك الميثاق لا
يذكره أحد اليوم فكيف يكون حجة عليهم اليوم وكيف يذكرونه يوم القيامة حتى يحتج عليهم به **قلت** لما أخرج
الذرية من صلب آدم ركب فيهم العقول وأخذ عليهم الميثاق فلما أعيدوا إلى صلب آدم بطل ما ركب فيهم فتوالدوا
ناسين ذلك الميثاق لاقتضاء الحكمة الإلهية نسيانهم له ثم ابتدأهم بالخطاب على ألسنة
الرسل وأصحاب الشرائع فقام مقام الذكر إذ الدار دار تكليف وامتحان ولو لم ينسوه
لانتفت المحنة والابتلاء والتكليف فقامت الحجة عليهم لإمدادهم بالرسل وإعلامهم بجريان أخذ الميثاق
عليهم بذلك قامت الحجة عليهم بذلك أيضاً يوم القيامة لإخبار الرسل إياهم بذلك الميثاق في الدنيا
فمن أنكره كان معانداً ناقضاً للعهد ولزمتهم الحجة ولا تسقط الحجة عنهم بنسيانهم وحفظهم بعد إخبار
الصادق صاحب الشرع والمعجزات الباهرات **وقوله تعالى** (أو تقولوا) يعني الذرية
(إنما أشرك آباؤنا من قبل) يعني إنما أخذت الميثاق عليهم لئلا يقول المشركون آباؤنا من قبل (وكنا ذرية
من بعدهم) يعني وكنا أتباعاً لهم فاقتدينا بهم في الشرك (أفتهلكنا) يعني أفتعذبنا (بما فعل
المبطلون) قال المفسرون هذا قطع لعذر الكفار فلا يستطيع أحد من الذرية أن يقول يوم القيامة
إنما أشرك آباؤنا من قبلنا ونقضوا العهد والميثاق وكنا نحن الذرية من بعدهم مقلدين لهم واقتدينا
بهم وكنا في غفلة عن هذا الميثاق فلا ذنب لنا فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا وقد أخذ عليهم جميعاً
الميثاق وجاءتهم الرسل وذكروهم به وثبتت عليهم الحجة بذلك يوم القيامة وأما الذين حملوا معنى الآية
على أن المراد منه مجرد نصب الدلائل وإظهارها للعقول لئلا يقولوا إنما أشرك آباؤنا على سبيل
التقليد لآبائنا لأن نصب أدلة التوحيد قائم معهم ولا عذر لهم في الإعراض عنه والإقبال على تقليد
الآباء في الشرك **وقوله تعالى** (وكذلك نفصل الآيات) يعني ليتدبرها العباد فيرجعوا إلى الحق والإيمان
ويعرضوا عن الباطل والكفر وهو المراد من قوله (ولعلهم يرجعون) يعني عن الشرك إلى التوحيد وقيل
معناه ولعلهم يرجعون إلى الميثاق الأول (واتل عليهم) يعني واقرأ على قومك يا محمد (نبأ) يعني
خبر (الذي آتيناه آياتنا) اختلفوا فيه فقال ابن عباس هو بلعام بن باعوراء وقال مجاهد بلعام
ابن باعر وقال ابن مسعود هو بلعام بن أبر وقال عطية قال ابن عباس إنه كان من بني إسرائيل وفي
رواية أخرى عنه أنه كان من الكنعانيين من مدينة الجبارين وقال مقاتل هو من مدينة البلقاء **وكانت
قصته** على ما ذكره ابن عباس وابن إسحاق والسدي وغيرهم من أصحاب الأخبار والسير أن موسى
عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام إلى بلعام وكان عنده
اسم الله الأعظم فقالوا إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وإنه قد جاء يخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بني
إسرائيل وأنت رجل مجاب الدعوة فاخرج وادع الله أن يردهم عنا فقال ويلكم نبي الله ومعه الملائكة
والمؤمنون فكيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم وإني إن فعلت هذا ذهبت دنياي وآخرتي فراجعوه
وألحوا عليه فقال حتى أؤامر ربي وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به في المنام فآمر في الدعاء فقيل له في المنام لا تدع
عليهم فقال لقومه إني قد آمرت ربي وإني قد نهيت فأهدوا له هدية فقبلها ثم راجعوه فقالوا ادع عليهم فقال حتى
أؤامر ربي فآمر فلم يجر إليه شيء فقال قد وامرت فلم يحر إلي شيء فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم
لنهاك كما نهاك في المرة الأولى فلم يزالوا يتضرعون إليه حتى فتنوه فافتتن فركب أتاناً له متوجهاً إلى جبل يطلعه

على عسكر بني اسرائيل فقال له ذلك الجبل جبل حسبان فلما سار عليها غير بعيد ربضت فنزل عنها
فضربها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها حتى اذا ازلقها اذن الله عز وجل لها في الكلام فانطقها
له فكلمته حجة عليه فقالت ويحك تذهب الى نبي الله والمومنين فتدعو عليهم يا بلعام اتدري اين
تذهب اما ترى الملايكة امامي يردوني عن وجهي هذا ويحك تذهب الى نبي الله والمومنين فتدعو عليهم
فلم ينزع فخلى الله سبيل الاتان فانطلقت به حتى اذا اشرفت به على جبل حسبان ومعه قومه فجعل
يدعو عليهم فلم يدع عليهم بشي الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف الله لسانه
الى بني اسرائيل فقال له قومه يا بلعام اتدري ما تصنع انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا ما لا املكه
هذا شي قد غلب الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره **فقال** لقومه قد ذهبت مني الدنيا
والاخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فسامكر لكم واحتال لكم جملوا النساء وزينوهن واعطوهن السلع ثم
ارسلوهن الى عسكر بني اسرائيل ليبعنها فيهم ومروهن ان لا تمنع امراة نفسها من رجل راودها فانه ان
زنى رجل منهم بواحدة منهن كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخل النساء العسكر مرت امراة من الكنعانيين
اسمها كسبي بنت صور على عظيم بني اسرائيل يقال له زمري بن شلوم وكان راس سبط شمعون بن يعقوب
فقام الى المراة واخذ بيدها حين اعجبه جمالها ثم اقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام وقال اني
لاظنك تقول هذا حرام عليك فقال اجل هي حرام عليك لا تقربها فقال والله لا نطيعك في هذا
ثم دخل بها الى قبته فوقع عليها فارسل الله عز وجل الطاعون على بني اسرائيل في ذلك الوقت وكان
فنحاص بن العيزار بن هارون وكان صاحب امر موسى وكان رجلا قد اعطي بسطة في الخلق
وقوة في البطش وكان غايبا حين صنع زمري بن شلوم ما صنع فجا والطاعون يجوس في بني اسرائيل فاخبر
الخبر فاخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فطعنهما بحربته
فانتظمهما ثم خرج بهما رافعهما الى السماء وقد اخذ الحربة بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته
واسند الحربة الى لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن عصاك ورفع الطاعون
عن بني اسرائيل فحسب من مات منهم في ذلك الطاعون فيما بين ان اصاب ذلك الرجل المراة الى ان قتله
فنحاص وجدوا قد هلك سبعون الفا في ساعة واحدة من النهار فمن هنالك يعطي
بنو اسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها القشة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته
واخذه اياها بذراعه واسناده اياها بلحيته ويعطونهم البكر من كل اموالهم لانه كان بكر العيزار وفي
بلعام انزل الله عز وجل واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها الاية وقال مقاتل ان ملك
البلقا قال لبلعام ادع الله على موسى فقال بلعام انه من اهل ديني ولا ادعو عليه فنصب خشبة
ليصلبه عليها فلما راى ذلك خرج على اتان له ليدعو على موسى فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان
ووقفت فضربها فقالت لم تضربني فاني مامورة وهذه نار امامي قد منعتني ان امشي فرجع الى
الملك فاخبره بذلك فقال لتدعون عليه والا صلبتك فدعى على موسى بالاسم الاعظم ان لا يدخل المدينة
فاستجيب له ووقع موسى ومن معه من بني اسرائيل في التيه بدعا بلعام عليه فقال موسى يا رب
باي ذنب وقعنا في التيه قال بدعا بلعام قال كما سمعت دعاه علي فاسمع دعاي عليه ان تنزع منه الاسم
الاعظم والايمان فنزع الله منه المعرفة وسلخه منها فخرجت من صدره كحمامة بيضا فذلك قوله تعالى
واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا فانسلخ منها **فان قلت** هذه القصة ذكرها جماعة من
المفسرين وفيها ان موسى دعى على بلعام بان ينزع عنه الاسم الاعظم والايمان او يرضى له بذلك فما الجواب
من وجوه احدها منع صحة هذه القصة لانها من الاسرائيليات ولا يلتفت الى ما سطره اهل الاخبار اذا
خالف الاصول الوجه الثاني ان سبب وقوع بني اسرائيل في التيه هو عبادتهم العجل وقولهم لموسى اجعل
لنا الها فكان ذلك هو سبب وقوعهم في التيه لا دعا بلعام عليهم الوجه الثالث على تقدير صحة

هذه

هذه القصة وان موسى عليه السلام ادعى على بلعام فان موسى عليه السلام لم يدع عليه الا بعد ان علم
عنه ان بلعام كفر وارتد عن الايمان بدعايه على موسى وايثاره الحياة الدنيا فدعى عليه مقابلة لدعايه
عليه والله اعلم بحقيقة ذلك كله والمقصود من ذلك تنزيه منصب النبوة عما نقله اصحاب الاخبار
في كتبهم من غير نظر ولا بحث عن معناه وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد
ابن اسلم نزلت هذه الاية في امية بن ابي الصلت الثقفي وكانت قصته انه كان قد قرا الكتب القديمة
وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا ورجا ان يكون ذلك هو الرسول فلما ارسل محمد صلى الله عليه وسلم
وشرفه الله بالنبوة حسده وكذبه وكان امية بن ابي الصلت صاحب شعر وحكمة ومواعظ حسنة فقصد
بعض الملوك فلما رجع مر على قتلى اهل بدر فسال عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل
اقرباه فلما مات امية اتت اخته فارعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن وفاة اخيها فقالت بينا هو راقد اتاه اثنان فكشفا سقف البيت ونزلا فقعد احدهما
عند راسه والاخر عند رجليه فقال الذي عند راسه اوعى قال وعى قال ازكى قال ابى قالت فسالته عن ذلك
قال خير اريد بي فصرف عني ثم غشي عليه فلما افاق من غشيته قال

كل عيش وان تطاول دهرا ... صاير مرة الى ان يزولا
ليتني كنت قبل ما قد بدا لي ... في قلال الجبال ارعى الوعولا
ان يوم الحساب يوم عظيم ... شاب فيه الصغير يوما ثقيلا

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشديني من شعر اخيك فانشدته بعض قصايده فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم امن شعره وكفر قلبه فانزل الله عز وجل واتل عليهم نبا الذي اتيناه اياتنا
فانسلخ منها الاية وفي رواية عن ابن عباس انها نزلت في البسوس وهو رجل من بني اسرائيل وكان قد
اعطي ثلاث دعوات مستجابات وكانت له امراة له منها اولاد فقالت له اجعل لي منها دعوة فقال لك
منها واحدة فما تريدين قالت ادع الله ان يجعلني اجمل امراة في بني اسرائيل فدعا لها فصارت اجمل النسا
فلما علمت انه ليس في بني اسرائيل مثلها رغبت عنه فغضب ودعا عليها فصارت كلبة نباحة والنا
يعيرونه بذلك فدعا الله ان يردها بحالها فذهبت فيها دعوتان فجا بنوها الى ابيهم وقالوا ليس
لنا على هذا الامر قرار قد صارت امنا كلبة نباحة والناس يعيرونا بذلك فادع الله ان
يردها الى حالها الاول فدعا الله تعالى فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات جميعا والقول الا
الاولى اشهر وقال الحسن وابن كيسان نزلت في منافقي اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون
النبي صلى الله عليه وسلم بنعته وصفته كما يعرفون ابناهم **ثم** انكروه وقال قتادة
هذا مثل ضربه لمن عرض عليه الهدى فلم يقبله وقوله تعالى اتيناه اياتنا قال ابن عباس كان
يعلم اسم الله الاعظم وفي رواية اخرى عن ابن عباس كان يعلم اسم الله الاعظم وقال ابن
زيد كان لا يسال الله شيا الا اعطاه وقال السدي كان يعلم اسم الله الاعظم وفي رواية اخرى
عن ابن عباس اوتي كتابا وقال ان الله تعالى اتاه حجة وادلة وهي الايات التي اوتيها فانسلخ
منها يعني خرج من الايات التي كان الله اتاه اياها كما تنسلخ الحية من جلدها وقال ابن عباس
نزع منه العلم فاتبعه الشيطان يعني لحقه وادركه وصيره الشيطان لنفسه تابعا في معصية
الله فخالف امر ربه واطاع الشيطان وهواه **وقوله تعالى** فكان من الغاوين
يعني رفعنا درجته ومنزلته بتلك الايات التي اوتيها وقال ابن عباس لرفعناه بعلمه بها
والعمل بها وعطا معناه ولو شينا لرفعناه عن الكفر وعصمناه بالايات ولو شينا
لرفعناه بها ولكنه سكن الى الدنيا ومال اليها ورضي بها واصله من الخلود وهو الدوام والمقام
والارض هنا عبارة عن الدنيا لان الارض عبارة عن المعاوز وفيها المدن والضياع والمعادن

والنبات ومنها يستخرج ما يعاش به في الدنيا فالدنيا كلها هي الأرض **واتبع هواه** يعني
انقاد وأعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات واتبع الهوى فخسر دنياه وآخرته ووقع في هاوية الردى
والهلاك وهذه الآية من أشد الآيات على العلماء الذين يريدون بعلمهم الدنيا وشهوات النفس
ويتبعون الهوى وذلك لأن الله عز وجل خص هذا الرجل بآياته وحكمته وعلمه اسمه الأعظم
وجعل دعاءه مستجابا ثم إنه لما اتبع هواه وركن إلى الدنيا ورضي بها عوضا عن الآخرة نزع عنه ما كان
أعطيه وانسلخ من الدين فخسر الدنيا والآخرة ومن الذي يسلم من الميل إلى الدنيا واتباع الهوى إلا من
عصمه الله بالورع وثبته بالعلم وبصره بعيوب نفسه عن كعب بن مالك الأنصاري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جائعان أرسلا في غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف
لدينه أخرجه الترمذي ثم ضرب الله عز وجل مثلا لهذا الرجل الذي آتاه آياته فانسلخ منها واتبع
هواه **فقال تعالى** **فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث** يقال لهث
الكلب يلهث إذا أدلع لسانه من العطش وشدة الحر وعند الإعياء والتعب وهذا مثل ضربه الله
عز وجل لمن آتاه آياته وحكمته فتركها وعدل عنها واتبع هواه وآثر دنياه وترك آخرته بأخس الحيوان
وهو الكلب في أخس أحواله وهي اللهث لأن الكلب في حال اللهث لا يقدر على نفع نفسه ولا ضرها
في الآخرة لأن التمثيل به على أنه يلهث على كل حال إن حملت عليه أو تركته كان لاهثا وذلك عادة منه
وطبيعة وهي مداومته على اللهث دائما فكذلك من آتاه الله العلم والدين وأغناه عن التعرض لحطام
الدنيا الخسيسة ثم إنه مال إليها وطلبها كانت حالته كحالة الكلب اللاهث وقيل إن العالم إذا توسل
به إلى طلب الدنيا فإنه يظهر علومه عند غير أهلها ويدلع لسانه في تقرير تلك المسائل وبيانها وذلك
لأجل ما يحصل عنده من حرارة الحرص الشديد وشدة العطش لطلب الدنيا فكانت حالته شبيهة بحالة
الكلب الذي أدلع لسانه من التعب اللهث في غير حاجة ولا ضرورة ومعنى إنه تحمل عليه يلهث أو تتركه
يلهث يعني إن شددت عليه وطردته لهث أو تركته على حاله لهث لأن اللهث طبيعة أصلية فيه فكذلك
حال الحريص على الدنيا إن وعظته فهو حريص لا يقبل الوعظ ولا ينجع فيه وإن تركته ولم تعظه
فهو حريص أيضا لأن الحرص على طلب الدنيا صار طبيعة له لازمة كما أن اللهث طبيعة لازمة
للكلب **ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا** يعني هذا المثل الذي ضربناه للذي آتيناه آياتنا فانسلخ
منها مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فعم بهذا المثل جميع من كذب بآيات الله وجحدها فوجه التمثيل
بينهم وبين الكلب اللاهث أنهم إن جاءتهم الرسل لم يهتدوا وإن تركوا فلم يهتدوا أيضا
بل هم ضلال في كل حال ثم قال تعالى **فاقصص القصص** وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
يعني فاقصص القصص يا محمد على قومك أخبار من كفر بآيات الله **لعلهم يتفكرون** يعني
لعلهم فيتعظون **وقيل** هذا المثل لكفار مكة أنهم كانوا يتمنون هاديا يهديهم ويدعوهم
إلى طاعة الله فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى الله وإلى طاعته وهم يعرفون
صدقه كذبوه فلم يقبلوا منه ثم قال تعالى **ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا** يعني بئس
مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا **وأنفسهم كانوا يظلمون** يعني بتكذيبهم بآياتنا قوله عز
وجل **من يهد الله فهو المهتدي** يعني من يرشده الله إلى دينه فهو المهتدي وقيل معناه من يتولى
الله هدايته وإرشاده فهو المهتدي **ومن يضلل** يعني ومن يتولى الله إضلاله **فأولئك هم الخاسرون**
يعني في الآخرة وفي الآية دليل على أن الله تعالى هو الهادي المضل **ولقد ذرأنا** يعني خلقنا **لجهنم**
كثيرا من الجن والإنس أخبر الله أنه خلق كثيرا من الجن والإنس وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة
ومن خلقه للنار فلا حيلة له في الخلاص منها واستدل البغوي على صحة هذا التأويل بما روي
عن عائشة قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة صبي من الأنصار فقلت يا رسول

الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه فقال أو غير ذلك يا عائشة إن الله خلق
للجنة أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم أخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم
أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لأنه ليس مكلفا وتوقف
فيه بعض من لا يعتد به لحديث عائشة هذا وأجاب العلماء عنه بأنه لعله صلى الله عليه وسلم نهاها
عن المسارعة إلى القطع من غير أن يكون عندها دليل قاطع كما أنكر على سعد بن أبي وقاص في قوله إني لأراه
مؤمنا فقال أو مسلما الحديث ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم قال هذا قبل أن يعلم أن
أطفال المسلمين في الجنة فلما علم قال ذلك وأما أطفال المشركين ففيهم ثلاثة مذاهب قال الأكثرون
هم في النار تبعا لآبائهم وتوقفت طائفة فيه والثالث وهو الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل
الجنة ويستدل له بأشياء منها حديث إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم حين رآه النبي صلى الله عليه
وسلم في الجنة وحوله أولاد الناس فقالوا يا رسول الله وأولاد المشركين فقال وأولاد المشركين رواه البخاري
في صحيحه ومنها قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولا يتوجه على المولود التكليف ولا
يلزمه قول الرسول حتى يبلغ وهذا متفق عليه والله أعلم وفي الآية دليل صحيح واضح لمذهب
أهل السنة أن الله خالق أعمال العباد جميعا خيرها وشرها لأن الله بين بصريح اللفظ أنه خلق كثيرا
من الجن والإنس للنار ولا مزيد على بيان الله عز وجل لأن العاقل لا يختار لنفسه دخول النار فلما
عمل بما يوجب عليه دخول النار علم أن له من يضطره إلى ذلك العمل الموجب لدخول النار وهو الله عز
وجل **وقيل** اللام في لجهنم لام العاقبة أي عاقبتهم جهنم ثم وصفهم فقال تعالى **لهم قلوب**
لا يفقهون بها يعني لا يعلمون بها ولا يعقلون بها وأصل الفقه في اللغة الفهم والعلم بالشيء
ثم صار علما على أهل العلم في الدين لشرفه على غيره من العلوم وإنما لغة الرجل فقيه إذا فهم
ومعنى الآية لهم قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله ولا يتدبرونها ولا يعلمون بها الخير والهدى لإعراضهم
عن الحق وتركهم قبوله **ولهم أعين لا يبصرون بها** يعني لا يبصرون بها طريق الخير ولا ينظرون بها إلى آيات
الله وأدلة توحيده **ولهم آذان لا يسمعون بها** يعني لا يسمعون آيات القرآن ومواعظه فيعتبرون
بها قال أهل المعاني إن الكفار لهم قلوب لا يفقهون بها مصالحهم المتعلقة بالدنيا ولهم أعين يبصرون
بها المرئيات وآذان يسمعون بها الكلمات وهذا لا يشك فيه ولما وصفهم الله عز وجل بأنهم لا يفقهون
ولا يبصرون ولا يسمعون مع وجود هذه الحواس المدركة علم بذلك أن المراد بذلك ما يرجع إلى مصالح
الدين وما فيه نفعهم في الآخرة وهذا حاصل هذا الكلام أنهم مع وجود هذه الحواس لا ينتفعون بها
فيما ينفعهم في أمور الدين والعرب تقول مثل ذلك لمن ترك استعمال بعض جوارحه فيما لا يصلح له ومنه
قول الشاعر: وعوراء الكلام صممت عنها ❊ وإني لو أشاء بها سميع
فإنه أثبت له صمما مع وجود السمع قال مجاهد لهم قلوب لا يفقهون بها شيئا من أمر الآخرة ولهم أعين لا يبصرون
بها الهدى ولهم آذان لا يسمعون بها الحق ثم ضرب لهم مثلا فقال تعالى **أولئك كالأنعام** يعني الذين
ذرأهم لجهنم وهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية هم كالأنعام وهي البهائم التي لا تفهم ولا تعقل
وذلك أن الإنسان وسائر الحيوانات مشتركة في هذه الحواس الثلاثة التي هي القلب والبصر
والسمع وإنما فضل الإنسان على سائر الحيوانات بالعقل والإدراك والفهم المؤدي إلى معرفة الحق من
الباطل والخير والشر فإذا كان الكافر لا يعرف ذلك ولا يدركه فلا فرق بينه وبين الأنعام التي لا تدرك
شيئا ثم قال تعالى **بل هم أضل** يعني بل الكفار أضل من الأنعام لأن الأنعام تعرف ما يضرها وما
ينفعها والكافر لا يعرف ذلك فصار أضل من الأنعام ولأن الأنعام لم تعط القوة العقلية والإنسان
قد أعطيها فإذا لم يستعمل العقل فيما ينفعه صار أخس حالا من الحيوان وقيل إن الأنعام مطيعة
لله عز وجل والكافر غير مطيع لله عز وجل فصارت الأنعام أفضل ثم قال تعالى **أولئك هم الغافلون**

يعني ضرب هذه الامثال لهم قوله تعالى (ولله الاسماء الحسنى) قال مقاتل ان رجلا دعا الله في صلاته
ودعا الرحمن فقال بعض مشركي مكة قال ابن الجوزي هو ابو جهل ان محمدا واصحابه يزعمون انهم يعبدون
ربا واحدا فما بال هذا يدعو اثنين فانزل الله الاية ومعنى الاسماء الحسنى والحسنى تانيث الاحسن ومعنى
الاية ان اسماء الله المقدسة كلها حسنى وليس المراد ان فيها ما ليس بحسن والحسنى من الاسماء الحسنى ليست
الا لله لان هذا اللفظ يفيد الحصر وقيل ان الاسماء دالة على معاني فهي انما حسنت بحسن معانيها
ولا معنى للحسن في حق الله تبارك وتعالى الا ذكره بصفات الكمال ونعوت الجلال وهي محصورة في نوعين
احدهما عدم افتقاره الى غيره الثاني افتقار غيره اليه والله هو المسمى بالاسماء الحسنى عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة والله وتر يحب
الوتر قال البخاري احصاها حفظها وفي رواية الترمذي ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها
دخل الجنة هو الله الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم • الملك • القدوس • السلام • المؤمن • المهيمن
• العزيز • الجبار • المتكبر • الخالق • البارئ • المصور • الغفار • القهار • الوهاب • الرزاق • الفتاح
• العليم • القابض • الباسط • الخافض • الرافع • المعز • المذل • السميع • البصير • الحكم • العدل
• اللطيف • الخبير • الحليم • العظيم • الغفور • الشكور • العلي • الكبير • الحفيظ • المقيت
• الحسيب • الجليل • الكريم • الرقيب • المجيب • الواسع • الحكيم • الودود • المجيد • الباعث
• الشهيد • الحق • الوكيل • القوي • المتين • الولي • الحميد • المحصي • المبدئ • المعيد • المحيي • المميت
• الحي • القيوم • الواجد • الماجد • الواحد • الصمد • القادر • المقتدر • المقدم • المؤخر • الاول
• الاخر • الظاهر • الباطن • الوالي • المتعالي • البر • التواب • المنتقم • العفو • الرؤوف • مالك
• الملك ذو الجلال والاكرام • المقسط • الجامع • الغني • المغني • المانع • الضار • النافع • النور • الهادي
• البديع • الوارث • الرشيد • الصبور • قال الترمذي حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح ولا نعرفه
الا من حديث صفوان بن صالح وهو ثقة عند اهل الحديث قال وقد روي هذا الحديث من غير
وجه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الاسماء التي في هذا
الحديث قال ابن الاثير وفي رواية ذكرها رزين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قوله ولله الاسماء
الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون فقال ان الله تبارك وتعالى
تسعة وتسعين اسما الحديث قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله اتفق العلماء على ان هذا
الحديث ليس فيه حصر لاسمائه سبحانه وتعالى وليس معناه انه ليس له اسماء غير هذه التسعة والتسعين
وانما المقصود من الحديث ان هذه التسعة والتسعين اسما من احصاها دخل الجنة فالمراد الاخبار
عن دخول الجنة باحصائها لا الاخبار بحصر الاسماء ولهذا جاء في الحديث الاخر اسألك بكل اسم سميت به
نفسك او استأثرت به في علم الغيب عندك وقد ذكر الحافظ ابو بكر بن العربي المالكي عن بعضهم
ان لله الف اسم قال ابن العربي وهذا قليل فيه وقوله صلى الله عليه وسلم من احصاها دخل الجنة تقدم
فيه قول البخاري ان معناه حفظها وهو قول اكثر المحققين ويعضده الرواية الاخرى من حفظها
دخل الجنة وقيل المراد من الاحصاء العد اي عدها في الدعاء بها وقيل معناه من اطاقها وحسن
المراعاة لها والمحافظة على ما تقتضيه وصدق بمعانيها وعمل بمقتضاها دخل الجنة وقيل معناه
احصاها احضر بباله عند ذكرها معناها وتفكر في مدلولها معتبرا متدبرا ذاكرا راغبا راهبا
معظما لها ولمسماها ومقدسا لذات الله سبحانه وتعالى وانه يخطر بباله عند ذكر كل اسم الوصف
الدال عليه وقوله ان الله وتر يحب الوتر الوتر الفرد ومعناه في وصف الله تعالى انه الواحد الذي لا شريك
له ولا نظير وفيه تفضيل الوتر في الاعمال لان اكثر الطاعات وتر وفيه دليل على اعظم اسمائه
سبحانه وتعالى الله لاضافة الاسماء اليه فيقال الرؤوف والكريم لله اللطيف اسم وقد قيل ان

لفظة

اسم هو الاسم الاعظم قال ابو القاسم القشيري فيه دليل على ان الاسم هو المسمى اذ لو كان غيره لكانت
الاسماء لغيره وقوله (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها) وقال الامام فخر الدين دلت الاية على ان
الاسم غير المسمى لانها تدل على ان اسماء الله كثيرة ولا شك ان الله واحد فلزم القطع بان الاسم غير المسمى
وقوله وايضا فقوله ولله الاسماء الحسنى يقتضي اضافة الاسماء الى الله واضافة الشيء الى نفسه محال
وقال غيره الاسم عبارة عن اللفظ الدال على الشيء المسمى به فهو غيره وقال اهل اللغة انما جعل الاسم
تنويها على المعنى لان المعنى تحت الاسم والتسمية غير الاسم لان التسمية عبارة عن تعيين اللفظ
المعين لتعريف ذات الشيء والاسم عبارة عن تلك اللفظة المعينة والفرق ظاهر قال العلماء كما يجب
تنزيه الله عن جميع النقائص فكذلك يجب تنزيه اسمائه ايضا (وقوله تعالى) فادعوه بها
يعني ادعوا الله باسمائه التي سمى بها نفسه او سماه بها رسوله ففيه دليل على ان اسماء الله تعالى توقيفية
لا اصطلاحية ومما يدل على صحة هذا القول ويؤكده انه يجوز ان يقال يا جواد ولا يجوز ان يقال يا سخي
ويجوز ان يقال يا عالم ولا يجوز ان يقال يا عاقل ويجوز ان يقال يا حكيم ولا يجوز ان يقال
يا طبيب وللدعاء شرائط منها ان يعرف الداعي معاني الاسماء التي يدعو بها ويستحضر في قلبه عظمة
المدعو سبحانه وتعالى ويخلص النية في دعائه مع كثرة التعظيم والتبجيل والتقديس لله تعالى ويقدم
المسألة مع اعتقاد الاجابة ويعترف لله عز وجل بالربوبية وعلى نفسه بالعبودية فاذا فعل العبد
ذلك عظم موقع الدعاء وكان له تأثير عظيم وقوله تعالى (وذروا الذين يلحدون في اسمائه) معنى
الالحاد في اللغة الميل عن القصد والعدول عن الاستقامة وقال ابن السكيت الملحد العادل عن الحق
المدخل فيه ما ليس فيه يقال الحد في الدين ولحد اذا عدل عنه ومال الى غيره قال المحققون الالحاد يقع
في اسماء الله على وجوه احدها اطلاق اسماء الله عز وجل فسموا اللات والعزى ومناة واشتقاق
اللات من الاله والعزى من العزيز ومناة من المنان وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد الوجه
الثاني وهو قول اهل المعاني ان الالحاد في اسماء الله هو تسميته بما لم يسم به نفسه ولم يرد فيه نص
من كتاب ولا سنة لان اسماء الله كلها توقيفية كما تقدم فلا يجوز فيها غير ما ورد في الشرع بل ندعو الله
باسمائه التي وردت في الدعاء والسنة على وجه التعظيم الوجه الثالث مراعاة حسن الادب في الدعاء
فلا يجوز ان يقال يا ضار يا مانع يا خالق الخلق الوجه الرابع ان لا يسمي الله العبد باسم لا يعرف معناه
فانه ربما سماه باسم لا يليق اطلاقه على جلال الله سبحانه وتعالى فلا يجوز ان يسمي به لما فيه من الغرابة
(وقوله تعالى) سيجزون ما كانوا يعملون يعني في الاخرة فيه وعيد وتهديد لمن الحد في
اسماء الله عز وجل (وممن خلقنا امة) يعني جماعة وعصابة (يهدون بالحق وبه يعدلون) قال ابن عباس
يريدون امة محمد صلى الله عليه وسلم وهم المهاجرون والانصار والتابعون لهم باحسان قال
قتادة بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأ هذه الاية قال هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم
مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون (ق) عن معاوية قال وهو يخطب قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال من امتي امة قائمة بامر الله لا يضرهم من خذلهم
ولا من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم على ذلك وفي الاية دليل على انه لا يخلو زمان من قائم بالحق يعمل
به ويهدي اليه (والذين كذبوا باياتنا) يعني به جميع المكذبين بايات الله وهم الكفار وقيل المراد
بهم اهل مكة والاول اولى لان صيغة العموم تتناول الكل الا ما دل الدليل على خروجه منه (سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون) وقال الازهري سنستدرجهم قليلا قليلا من حيث لا يحتسبون وذلك
ان الله يفتح عليهم من النعيم ما يغتبطون به ويركنون اليه ثم ياخذهم على غرتهم اغفل ما يكون
وقيل معناه سنقربهم الى ما يهلكهم ونضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم لانهم
كانوا اذا اتوا جرما او اقدموا على ذنب فتح الله عليهم من ابواب الخير والنعمة في الدنيا فيزدادوا بذلك

ثم ادياني النبي والضلالة وبقيد رجوت في الذنوب والمعاصي فياخذهم الله اخذة واحدة اغفل
ما يكونون عليه وقال الضحاك معناه كلما جددوا معصية جددنا نعمة وقال الكلبي نزين
اعمالهم ثم نهلكهم بها وقال سفيان الثوري نسبغ عليهم النعم ثم نسلبهم الشكر وروي ان عمر بن الخطاب
لما حمل عليه كنوز كسرى قال اللهم اني اعوذ بك ان اكون مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون قال اهل المعاني الاستدراج ان يندرج الشي الى الشي في خفية قليلا ومنه درج
الصبي اذا قارب بين خطاه في المشي ومنه درج الكتاب اذا طواه شيا بعد شي واملي لهم يعني
وامهلهم واطيل مدة اعمارهم ليتمادوا في الكفر والمعاصي ولا اعاجلهم بالعقوبة ولا افتح لهم
باب التوبة ان كيدي متين يعني اخذي بعذابي شديد والمتين من كل شي هو القوي الشديد وقال ابن عباس
معناه ان مكري شديد قال المفسرون نزلت هذه الاية في المستهزئين من قريش وذلك ان الله تعالى
امهلهم ثم قتلهم في ليلة واحدة وفي الاية دليل على مسالة القضا والقدر وان الله تعالى يفعل ما يشا
ويحكم ما يريد لا يسال عما يفعل وهم يسالون **قوله تعالى** اولم يتفكروا ما بصاحبهم يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة يعني جنون قال قتادة ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قام على الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا فخذا يا بني فلان يا بني فلان اني لكم نذير مبين
وكان يحذرهم باس الله ووقايعه فقال قايلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يصوت الى الصباح
فانزل الله عز وجل اولم يتفكروا والتفكر التامل واعمال الخاطر في الامر والمعنى اولم يتفكروا
فيعلموا ما بصاحبهم من جنة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة والجنة حالة من الجنون وادخال
لفظة من في قوله من جنة يوجب ان لا يكون به نوع من انواع الجنون وانما نسبوه الى الجنون وانما نسبوه
الى الجنون ومن يرى منه لانهم راوا انه صلى الله عليه وسلم خالفهم في الاقوال والافعال لانه كان معرضا
عن الدنيا ولذاتها مقبلا على الاخرة ونعيمها مشتغلا بالدعا الى الله عز وجل وانذارهم
باسه ونقمته ليلا ونهارا من غير ملال ولا ضجر فعند ذلك نسبوه الى الجنون فبراه الله من الجنون
وقال تعالى ان هو يعني ما هو الا نذير مبين ثم حثهم على النظر المودي الى العلم بالوحدانية
فقال تعالى اولم ينظروا يعني نظر اعتبار واستدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق
الله من شي والمقصود التنبيه على ان الدلالة على الوحدانية ووجود الصانع القديم غير مقصورة
على ملكوت السموات والارض بل كل شي خلقه الله وبراه فيه دليل على وحدانية الله تعالى وانا
قدرته كما قال **الشاعر**

وفي كل شي له اية ❊ تدل على انه واحد

وان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم والمعنى لعل اجلهم يكون قد اقترب فيموتوا على الكفر
قبل ان يومنوا فيصيروا الى النار واذا كان الامر كذلك وجب على العاقل المبادرة الى التفكر
والاعتبار والنظر المودي الى الفوز بالنعيم المقيم فباي حديث بعده يعني بعد القران يومنون
يعني يصدقون والمعنى فباي كتاب بعد الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يصدقون
وليس بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي ولا بعد كتابه كتاب لانه خاتم الانبيا وكتابه خاتم
الكتب لانقطاع الوحي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر علة اعراضهم عن الايمان فقال تعالى
من يضلل الله فلا هادي له يعني ان اعراض هولا عن الايمان لاضلال الله اياهم ولولا
هداه لامنوا ويذرهم في طغيانهم يعمهون يعني نتركهم في ضلالتهم وعماهم في الكفر يترددون
سبيلا قوله عز وجل يسالونك عن الساعة ايان مرساها قال قتادة قالت قريش لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابة فاسر الينا متى الساعة فانزل الله هذه الاية
وقال ابن عباس قال حسل بن ابي قشير وشمول بن زيد وهما من اليهود لرسول الله صلى الله
عليه وسلم يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا كما تقول فانا نعلم متى هي فانزل الله عز وجل

يسالونك

يسالونك يا محمد عن الساعة يعني القيامة سميت ساعة لانها تقوم في ساعة غفلة وبغتة
ولان الحساب للخلايق يقضي فيها في ساعة واحدة ايان سوال استفهام عن الوقت الذي تقوم
فيه الساعة ومعنى متى مرساها قال ابن عباس يعني منتهاها متى هي وقوعها قال والساعة
الوقت الذي يموت فيه الخلايق واصل الارسا الثبات يقال رسا يرسو اذا ثبت قل اي يا محمد
قل انما علمها عند ربي اي لا يعلم الوقت الذي تقوم فيه الا الله استاثر الله بعلمها
فلم يطلع عليه احدا ومنه حديث الايمان وسوال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم قال فاخبرني عن
الساعة قال ما المسوول عنها باعلم من السايل قال المحققون وسبب اخفا علم الساعة ووقت
قيامها عن العباد ليكونوا على خوف وحذر منها لانهم اذا لم يعلموا متى يكون ذلك الوقت كانوا على
وجل وخوف واشفاق منها فيكون ذلك ادعا لهم الى الطاعة والتوبة وازجر لهم عن المعصية لا يجليها
لوقتها الا هو قال مجاهد لا ياتي بها الا هو وقال السدي لا يرسلها لوقتها الا هو
والتجلية اظهار الشي بعد خفايه والمعنى لا يظهرها لوقتها الا هو والمعنى الا الله ولا يقدر على ذلك
غيره ثقلت في السموات والارض يعني ثقل امرها وخفي علمها على اهل السموات والارض وكل شي
خفي فهو ثقيل شديد وقال الحسن اذا جات ثقلت وعظمت على اهل السموات والارض وانما ثقلت
عليهم لان فيها فناهم وموتهم وذلك ثقيل على القلوب لا تاتيكم الا بغتة يعني فجاة
على حين غفلة من الخلق ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولتقومن
الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ولتقومن الساعة
وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه
ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة
العهد بالنتاج **قوله** يليط حوضه ويروي يلوط حوضه يعني يطينه ويصلحه يقال
لاط حوضه يليط ويلوط واصله من اللصوق والاكلة بضم الهمزة اللقمة وقوله تعالى يسالونك
كانك حفي عنها يعني يسالونك عن الساعة كانك حفي بهم يعني بارك شفيق عليهم
وفي هذا القول تقديم وتاخير تقديره يسالونك عنها كانك حفي بهم قال ابن عباس يقول
كانك بينك وبينهم مودة وكانك صديق لهم قال ابن عباس لما سال الناس محمدا صلى الله عليه وسلم
عن الساعة سالوه سوال قوم كانهم يرون ان محمدا صلى الله عليه وسلم حفي بهم فاوحى الله اليه انما
علمها عنده استاثر بعلمها فلا يطلع عليها ملكا ولا رسولا وقيل معناه يسالونك عنها كانك
حفي بها اي عالم بها من قولهم احفيت في المسالة اذا بالغت في السوال عنها حتى علمتها قل يعني
يا محمد انما علمها عند الله يعني استاثر الله بعلمها فلا يعلم متى الساعة الا الله عز وجل فان
قلت قوله يسالونك كانك حفي عنها فيه تكرار قلت ليس فيه تكرار لان السوال الاول سوال عن
وقت قيام الساعة والسوال الثاني سوال عن احوالها وثقلها وشدايدها فلا يلزم التكرار
فان قلت عبر عن الجواب في السوال الاول بقوله علمها عند ربي وعن … الجواب
في السوال الثاني علمها عند الله فهل من فرق بين الصورتين في الجوابين **قلت** نعم فرق لطيف
وهو انه لما كان السوال الاول واقعا عن وقت قيام الساعة عبر عنه الجواب فيه بقوله علم ذلك عند
الله لانه اعظم الاسما ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني لا يعلمون ان علمها عند الله وانه استاثر
بعلم ذلك حتى لا يسالوا عنه وقيل ان اكثر الناس لا يعلمون السبب الذي من اجله اخفي علم وقت
قيامها المغيب عن الخلق قوله عز وجل قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا قال ابن عباس ان اهل
مكة قالوا يا محمد الا يخبرك ربك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فنشتريه فنربح فيه وعند
الغلاء وبالارض التي تريد ان تجدب فنرتحل منها الى ما قد اخصب فانزل الله قل لا املك لنفسي

أي قل يا محمد لا أقدر ولا أملك لنفسي نفعاً أي اجتلاب نفع بأن أربح فيما أشتريه ولا أخسر يعني ولا
أقدر أن أدفع عن نفسي ضراً نزل بها بأن أرتحل إلى الأرض الخصبة وأترك الجدبة إلا ما شاء الله
يعني ما أملكه وأقدر عليه ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير يعني لو كنت أعلم الخصب
والجدب لاستكثرت من المال وما مسني السوء يعني الضر والفقر والجوع وقال ابن جريج معناه لا أملك
لنفسي نفعاً ولا ضراً من الهدى والضلالة ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير يعني من العمل
الصالح وقيل معناه أن أهل مكة لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة أنزل الله
الآية الأولى وهذه الآية ومعناه إني لا أدري علم الغيب حتى أخبركم عن وقت قيام الساعة وذلك
لما طلبوه بالإخبار عن الغيوب فذكر أن قدرته قاصرة عن علم الغيب **فإن قلت** قد أخبر
صلى الله عليه وسلم عن المغيبات وقد جاءت أحاديث في الصحيح بذلك وهو من أعظم معجزاته صلى الله
عليه وسلم فكيف الجمع بينه وبين قوله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير قلت يحتمل أن
يكون قاله صلى الله عليه وسلم على سبيل التواضع والأدب والمعنى لا أعلم الغيب إلا أن يطلعني
الله عليه ويقدره لي ويحتمل أن يكون قال ذلك قبل أن يطلعه الله عز وجل على الغيب فلما أطلعه
الله أخبر به كما قال فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ويكون أخرج هذا الجواب مخرج الجواب
عن سؤالهم ثم بعد ذلك أظهره الله تعالى على أشياء من المغيبات فأخبر عنها ليكون ذلك معجزة له ودلالة
على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وقوله السوء يعني الجنون وذلك أنهم نسبوه إلى الجنون وقيل
معناه ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من تحصيل الخير واحترزت عن الشر حتى أصير بحيث لا يمسني
السوء **وقيل** معناه ولو كنت أعلم الغيب لأعلمتكم بقيام الساعة حتى تؤمنوا وما مسني
السوء يعني تكذيبكم لو كنت نبياً لعلمت متى تقوم الساعة إن أنا إلا نذير يعني ما أنا إلا رسول
أرسلني الله إليكم أنذركم وأخوفكم عقابه إن لم تؤمنوا وبشير يعني وأبشركم بثوابه لقوم يؤمنون
يعني يصدقون قوله عز وجل هو الذي خلقكم من نفس واحدة يعني آدم عليه السلام وجعل
منها زوجها يعني وخلق منها زوجها حواء وقد تقدم خلق حواء من ضلع آدم في أول سورة النساء
ليسكن إليها يعني ليأنس بها ويأوي إليها فلما تغشاها يعني واقعها وجامعها كنى به عن
الجماع أحسن كناية لأن الجماع إتيان الرجل المرأة وقد غشيها وتغشاها إذا علاها وتجللها حملت
حملاً خفيفاً يعني النطفة والمني لأن أول ما تحمل النطفة وهي خفيفة عليها فمرت به يعني
أنها استمرت بذلك الحمل فقامت وقعدت وهو خفيف عليها فلما أثقلت أي صارت إلى حال الثقل
وكبر ذلك الحمل ودنت من ولادتها دعوا الله ربهما يعني أن آدم وحواء دعوا الله ربهما لئن
آتيتنا صالحاً يعني لئن أعطيتنا بشراً سوياً مثلنا لنكونن من الشاكرين يعني لنعمائك علينا قال
المفسرون لما هبط آدم وحواء الأرض ألقيت الشهوة في نفس آدم فأصاب حواء فحملت من ساعتها
فلما كبر الحمل وثقل الولد أتاها إبليس فقال لها ما الذي في بطنك قالت ما أدري قال إني أخاف
أن يكون بهيمة وكلباً أو خنزيراً أترين في الأرض إلا بهيمة أو نحوها قالت إني أخاف بعض ذلك
وقال وما يدريك من أين يخرج أمن دبرك أو من فيك أو يشق بطنك فيقتلك فخافت حواء
من ذلك فذكرته لآدم فلم يزالا في غم من ذلك ثم عاد إليها إبليس فقال إني من الله بمنزلة فإن دعوت
الله أن يجعله خلقاً سوياً مثلك ويسهل عليك خروجه فتسميه عبد الحارث وكان اسم إبليس في
الملائكة الحارث فذكرت ذلك حواء لآدم فقال لعله صاحبنا الذي قد علمت فعاودها إبليس فلم
يزل بهما حتى غرهما فلما ولدت سمياه عبد الحارث وقال ابن عباس كانت تلد حواء لآدم فتسميه عبد الله
وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فأتاهما إبليس فقال إن سركما أن يعيش لكما ولد
فسمياه عبد الحارث فعاش عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حملت

حواطا

طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فسمته فعاش وكان ذلك من وحي الشيطان
وأمره أخرجه الترمذي وقال حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة وقال قد رواه بعضهم
ولم يرفعه وقوله وذلك وحي الشيطان يعني من وسوسته وحديثه كما أخبر عنهما مرتين مرة
في الجنة ومرة في الأرض قال ابن عباس لما ولد له أول ولد أتاه إبليس فقال إني سأنصح لك في
شأن ولدك هذا سمه عبد الحارث وكان اسمه في السماء الحارث فقال أعوذ بالله من طاعتك إني أطعتك
في أكل الشجرة فأخرجتني من الجنة فلن أطيعك فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولد آخر فقال أطعني
وإلا مات كما مات الأول فعصاه فمات ولده فقال لا أزال أقتلهم حتى تسميه عبد الحارث فلم يزل به
حتى سماه عبد الحارث فذلك قوله عز وجل فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما قال ابن عباس
أشركه في طاعته في غير عبادة ولم يشرك بالله ولكن أطاعه وقال قتادة أشركاه في الاسم ولم
يشركاه في العبادة وقال عكرمة ما أشرك آدم ولا حواء وكان لا يعيش لهما ولد فأتاهما الشيطان
فقال إن سركما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فهو قوله جعلا له شركاً بكسر الشين مع التنوين
ومعناه شركة وقال أبو عبيدة معناه حظاً ونصيباً وقرئ شركاء بضم الشين على الجمع شريك
يعني إبليس عبر عن الواحد بلفظ الجمع يعني جعلا له شريكاً إذ سميا ولدهما عبد الحارث قال العلماء
ولم يكن ذلك شركاً في العبادة ولا أن الحارث ربهما لأن آدم عليه السلام كان نبياً معصوماً من
الشرك ولكن قصدا بتسميتهما الولد بعبد الحارث أن الحارث كان سبب نجاة الولد وسلامته وسلامة
أمه **وقد** يطلق اسم العبد على من لا يراد به أنه مملوك كما قال الشاعر

وإني لعبد الضعيف ما دام ثاويا

أخبر عن نفسه أنه لعبد الضعيف ما دام عنده
مع بقاء الحرية عليه وإنما أراد بالعبودية خدمة الضيف والقيام بحقه كما يقوم العبد بواجب
حقوق سيده وقد يطلق اسم الرب بغير الألف واللام على غير الله كقول يوسف عليه السلام لعزيز
مصر إنه ربي أحسن مثواي أراد به المربي ولم يرد به أنه ربه ومعبوده فكذلك قال وإنما أخبر عن
آدم جعلا له شركاء فيما آتاهما لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين ولأن منصب النبوة أشرف المناصب
وأعلاها فعاتبه الله تعالى على ذلك لأنه نظر إلى السبب والله أعلم بمراده وأسرار كتابه قال العلماء وعلى
هذا فيكون الكلام عند قوله فيما آتاهما ثم ابتدأ في الخبر عن الكفار بقوله فتعالى الله عما يشركون
تنزه نفسه سبحانه وتعالى عن إشراك المشركين من أهل مكة وغيرهم وحملا على العموم ولو أراد آدم
وحواء لقال فتعالى الله عما يشركان على التثنية لا على الجمع وقال بعض أهل المعاني ولو أريد به
ما سبق في معنى الآية فتستقيم أيضاً من حيث أنه كان الأولى بهما أن لا يفعلا ما أتيا به من الإشراك
في التسمية وكان الأولى أن يسميا عبد الله لا عبد الحارث وفي معنى الآية قول آخر وهو أنه راجع إلى جميع المشركين
من ذرية آدم وهو قول الحسن وعكرمة ومعناه وجعل أولادهما له شركاً فحذف ذلك الأولاد وأقامهما مقامهم
كما أضاف فعل الآباء إلى الأبناء بقوله ثم اتخذتم العجل وإذ قتلتم نفساً فعيرهم به اليهود والذين كانوا موجودين
زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من فعل آبائهم وقال عكرمة خاطب كل واحد من الخلق بقوله هو الذي
خلقكم من نفس واحدة أي خلق كل واحد من أبيه وجعل منها زوجها أي وجعل من جنسها زوجها آدمية مثله
وهذا قول حسن إلا أن القول الأول أصح لأنه قول السلف مثل ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب
وغيرهم من المفسرين وورد الحديث بذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم **وقيل** هم اليهود والنصارى
رزقهم الله أولاداً فهودوهم ونصروهم وقال ابن كيسان هم الكفار سموا أولادهم بعبد العزى وعبد شمس وعبد
الدار ونحو ذلك وقوله تعالى أيشركون قرئ بالتاء على خطاب الكفار وبالياء على الغيبة ما لا يخلق
شيئاً يعني إبليس والأصنام وهم يخلقون أي وهم مخلوقون فإن قلت كيف وحد يخلق ثم جمع فقال
وهم يخلقون قلت إن لفظة ما تقع على الواحد والاثنين والجمع فهي من صيغ الوحدان بحسب ظاهر

اللفظ وجمع قوله وهم يخلقون رعاية لجانب المعنى فان قلت كيف جمع بالواو والنون لمن لا يعقل وهو
جمع من يعقل في الناس قلت لما اعتقد عابدوا الاصنام انها تعقل وتميز ورد على الجمع بناء على ما
يعتقدونه ويتصورونه وقوله تعالى ولا يستطيعون لهم نصرا يعني ان الاصنام لا تقدر على نصر من
اطاعها وعبدها ولا تنتصر ممن عصاها والنصر المعونة على الاعدا والمعنى ان المعبود الذي تجب
عبادته يكون قادرا على ايصال النفع ودفع الضر وهذه الاصنام ليست كذلك فكيف يليق بالعابد
ان يعبدها ثم قال تعالى ولا انفسهم ينصرون يعني لا يقدرون على ان يدفعوا عن انفسهم مكروها
فان من اراد كسرها قدر عليه وهي لا تقدر على دفعه عنها ثم خاطب المومنين فقال تعالى وان
تدعوهم الى الهدى يعني وان تدعوا ايها المومنون المشركون الى الهدى لا يتبعوكم لان الله تعالى
حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلون الهداية سواء عليكم ادعوتموهم يعني الى الدين والهدى
يعني الهداية ام انتم صامتون اي ساكتون عن دعائهم فهم في كلا الحالتين لا يومنون
قوله ان الله تعالى لما بين في الاية المتقدمة عجز الاصنام بين في هذه الاية انه لا علم
لها البتة والمعنى ان هذه الاصنام التي يعبدها المشركون معلوم من حالها انها لا تضر ولا تنفع
ولا تسمع لمن دعاها الى خير وهدى ثم قوى هذا المعنى بقوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
وذلك ان المشركين كانوا اذا وقعوا في شدة وبلا تضرعوا الى اصنامهم فاذا لم يكن لهم الى الاصنام
حاجة سكتوا وصمتوا فقيل لهم لا فرق بين دعائكم الاصنام او سكوتكم عنها فانها عاجزة
في كل حال قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم يعني ان الاصنام التي تعبدها هولاء
المشركون انما هي مملوكة لله امثالهم وقيل انها مسخرة من الله مثل ما انتم مسخرون منقادون
وقال مقاتل في قوله عباد امثالكم انها الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والقول
الاول اصح وفيه سوال وهو انه وصفها بانها عباد مع انها جماد والجواب ان المشركين لما ادعوا
ان الاصنام تضر وتنفع وجب ان يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الالفاظ على وفق
معتقدهم تبكيتا لهم وتوبيخا كذلك قال فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين يعني ان الله
وجواب الجمهور ان هذا اللفظ انما ورد في معرض الاستهزاء بالمشركين والمعنى ان قصارى هذه
الاصنام التي تعبدونها ان تكون احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد الله امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم
عبدتموهم وجعلتموهم الهة وجعلتم انفسكم لهم عبيدا ثم وصفهم بالعجز فقال تعالى
الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها
يعني ان قدرة الانسان المخلوق انما تكون بهذه الجوارح الاربعة فانها الات يستعين بها في جميع
اموره والاصنام ليس لها من هذه الاعضا والجوارح شي فهم مفضلون عليهم بهذه الاعضا لان
الرجل الماشية افضل من الرجل العاجزة عن المشي وكذلك اليد الباطشة افضل من اليد العاجزة
عن البطش والعين الباصرة افضل من العين العاجزة عن الادراك والاذن السامعة افضل من الاذن
العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان ان الانسان افضل من هذه الاصنام العاجزة بكثير بل لا فضل
لها البتة لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالانسان العاقل
الافضل ان يشتغل بعبادة الاخس الادون الارذل الذي لا فضل له البتة ولا يضر ولا ينفع
فامتنع بهذه الحجة كون الاصنام الهة ثم قال تعالى قل ادعوا شركاكم اي قل يا محمد لهولاء المشركين
ادعوا شركاكم هذه الاصنام التي تعبدونها مع اعترافكم بعجزها ثم كيدون يعني انتم وشركاوكم
وهذا متصل بما قبله في استكمال الحجة عليهم لانهم لما زعموا بعبادة من لا يملك ضرا ولا نفعا
قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان معبودي يملك الضر والنفع فلو اجتهدتم في كيدي لم تصلوا
الى ضري لان الله يدفع عني وقال الحسن كانوا يخوفونه بالهتهم فقال الله تعالى قل ادعوا

شركاكم

شركاكم ثم كيدون فلا تنظرون اي لا تمهلون واعجلوا في كيدكم انتم وشركاوكم ان وليي الله يعني
ان الذي يتولى حفظي ونصري عليكم هو الله الذي نزل الكتاب يعني القران والمعنى كما ايدني بانزال
الكتاب كذلك يتولى حفظي ونصري وهو يتولى الصالحين يعني يتولاهم بنصره وحفظه فلا يضرهم
عداوة من عاداهم من المشركين وغيرهم ممن ارادهم بسوء وكادهم بشر قال ابن عباس يريد الصالحين الذين لا
يعدلون بالله شيا ولا يعصونه وفي هذا مدح للصالحين لان من تولاه الله حفظه فلا يضره شي قوله عز
وجل والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون هذه الاية قد تقدم تفسير
والفايدة في تكريرها ان الاية الاولى مذكورة على جهة التقريع والتوبيخ وهذه الاية مذكورة على جهة الفرق
بين من تجوز العبادة وهو الله الذي يتولى الصالحين بنصره وحفظه وبين الاصنام ليست كذلك فلا تكون
معبودة وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون قال الحسن المراد بهذا
المشركين الى الهدى لا يسمعوا دعاكم لانهم اذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يا محمد وهم لا يبصرون
يعني ببصاير قلوبهم وذهب اكثر المفسرين الى ان هذه الاية ايضا واردة في صفات الاصنام لانها جماد لا تضر ولا
تسمع ولا تبصر قوله تعالى خذ العفو العفو هنا الفضل وما جا بلا كلفة والمعنى اقبل الميسور من
اخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستقصوا عليك فتتولد منه العداوة والبغضا وقال مجاهد خذ العفو
من اخلاق الناس واعمالهم من غير تجسيس وذلك مثل قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الاشيا والعفو والمساهلة
في كل شي خ عن عبد الله بن الزبير قال ما نزلت خذ العفو وامر بالعرف الا في اخلاق الناس وفي رواية قال امر الله
نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من اخلاق الناس كذا في جامع الاصول في الجمع بين الصحيحين للحميدي
قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من اخلاق الناس او كما قال وقال ابن عباس يعني خذ ما عفا لك من
اموالهم ما اتوك به من شي فخذه وكان هذا قبل ان تنزل براة بفرايض الصدقات وتفصيلها وما انتهت اليه
وقال السدي خذ العفو اي الفضل من المال نسختها اية الزكاة وقال الضحاك خذ ما عفى من اموالهم وكان هذا
قبل ان تفرض الصدقة المفروضة وامر بالعرف يعني وامر بكل ما امرك الله به وهو كل ما عرفته بالوحي
من الله عز وجل وكل ما يعرف في الشرع وقال عطا بقول لا اله الا الله واعرض عن الجاهلين امر الله تعالى نبيه
صلى الله عليه وسلم ان يصفح عن الجاهلين وهذا قبل ان يومر بقتال الكفار فلما امر بقتالهم صار الامر بالاعراض
عنهم منسوخا باية القتال قال بعضهم اول هذه الاية واخرها منسوخ واوسطها محكم يريد نسخ اولها
اخذ الفضل من نسخ بفرض الزكاة والامر بالمعروف محكم والاعراض عن الجاهلين منسوخ باية القتال وقيل
انه لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل ما هذا قال لا ادري حتى اسال ثم
رجع فقال ان ربك يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك ذكره البغوي بغير سند
وقال جعفر الصادق امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وليس في القران اية اجمع
لمكارم من هذه عن عايشة قالت لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا في
الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال قوله
عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ قال زيد لما نزلت خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن
الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بالغضب يا رب فانزل الله واما ينزغنك من الشيطان نزغ
فاستعذ بالله انه سميع عليم ونزغ الشيطان عبارة عن وساوسه ونخسه في القلب وقيل النزغ الازعاج
واكثر ما يكون عند الغضب واصله الازعاج بالحركة الى الشر والافساد يقال نزغت
بين القوم اذا افسدت بينهم وقال الزجاج النزغ ادنى حركة تكون ومن الشيطان ادنى وسوسة
والمعنى واما يصيبنك يا محمد ويعرض لك من الشيطان وسوسة ونخسة فاستعذ بالله يعني
فاستجر بالله والجا اليه دفعه عنك انه سميع يعني لدعايك عليم بحالك وقيل ان الشيطان

تحريضاً لانه يحمل الانسان على ما لا ينبغي في حالة الغضب والغيظ فامر الله بالالتجا اليه والتعوذ به في تلك الحالة فهي تجري مجرى العلاج لذلك المرض

فصل

واحتج الطاعنون في عصمة الانبيا بهذه الاية فقالوا لو كان النبي معصوما لم يكن للشيطان عليه سبيل حتى ينزغ في قلبه ويحتاج الى الاستعاذة والجواب من وجوه الاول ان معنى الكلام ان حصل في قلبك نزغ من الشيطان فاستعذ بالله ولم يحصل ذلك له البتة فهو كقوله لئن اشركت وهو بري من الشرك البتة والوجه الثاني على تقدير انه لو حصل وسوسة من الشيطان لكن الله عز وجل عصم نبيه صلى الله عليه وسلم عن قبولها وثباتها في قلبه عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملايكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي الا ان الله اعانني عليه فاسلم انا من شره وفتنته ومن فتح قال معناه ان اسلم من الاسلام يعني صار مومنا لا يامرني الا بخير قال القاضي عياض واعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه وفي الحديث اشارة الى التحذير من فتنة القرين ووسوسته واغوايه اعلمنا انه معنا لنحترز منه بحسب الامكان والله اعلم الوجه الثالث يحتمل ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه واما ينزغنك ايها الانسان من الشيطان نزغ فاستعذ بالله فهو كقوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله قوله عز وجل **ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف** وقرئ طايف **من الشيطان** وهما لغتان ومعناه الشي يلم بالانسان وقيل بينهما فرق فالطايف ما يطوف حول الانسان والطيف الوسوسة وقيل الطايف ما طاف به من وسوسة الشيطان والطيف اللمم والمس وقال الازهري الطيف في كلام العرب الجنون وقيل للغضب طيف لان الغضبان يشبه المجنون وقيل سمي الجنون والغضب والوسوسة طيفا لانه لمة من الشيطان تشبه لمة الخيال فذكر في الاية الاولى النزغ وهو اخف من الطيف المذكور في هذه الاية لان حالة الشيطان مع الانبيا اضعف من حالة مع غيرهم **تذكروا** يعني عرفوا ان ما حصل لهم من وسوسة الشيطان وكيده قال سعيد بن جبير هو الرجل يغضب الغضب فيذكر الله فيكظم غيظه وقال مجاهد هو الرجل يلم بالذنب فيذكر الله فيقوم ويدعه **فاذا هم مبصرون** يعني انهم يبصرون مواقع الخطا والتفكر بالتذكر والتفكر وقال السدي اذا زلوا تابوا وقال مقاتل اذا اصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف انه نزغ من الشيطان فابصر ونزع عن مخالفة الله عز وجل **واخوانهم** يعني واخوان الشياطين من المشركين **يمدونهم** اي يمدهم الشيطان **في الغي** قاله وقال الكلبي لكل كافر اخ من الشياطين من المشركين يمدونهم اي يطيلون لهم في الاغوا حتى يستمروا عليه وقيل يزيدونهم في الضلالة **ثم لا يقصرون** يعني لا يكفون عن الضلالة ولا يتركونها وهذا بخلاف حال المومنين المتقين لان المومن اذا اصابه طيف من الشيطان تذكر وعرف ذلك فنزع عنه وتاب واستغفر والكافر مستمر في ضلالته لا يتذكر ولا ... وقال ابن عباس لا الانس يقصرون عما يعملون من السيات ولا الشياطين يمسكون عنهم فعلى هذا القول يحمل قوله لا يقصرون على فعل الانس والشياطين جميعا قوله عز وجل **واذا لم تاتهم باية** يعني واذا لم تات المشركين يا محمد باية معجزة باهرة **قالوا لولا اجتبيتها** يعني لولا افتعلتها وانشاتها من قبل نفسك واختيارك تقول العرب اجتبيت الكلام اذا اختلقته وافتعلته وقال الكلبي كان اهل مكة يسالون النبي صلى الله عليه وسلم الايات تعنتا فاذا تاخرت اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها يعني هلا احدثتها وانشاتها من عندك **قل** اي قل يا محمد لهولا المشركين الذين يسالون الايات **انما اتبع ما يوحى الي من ربي** يعني القران الذي انزل علي وليس لي ان اقترح الايات والمعجزات **هذا بصاير من ربكم** يعني هذا القران حجج وبرهان واصل البصاير الابصار وهو ظهور الشي حتى يبصره الانسان

فلما كان القران سببا لبصاير العقول في دلايل التوحيد والنبوة والمعاد اطلق عليه اسم البصيرة فهو من باب تسمية السبب باسم المسبب **وهدى** يعني وهو هدى **ورحمة** يعني وهو رحمة من الله **لقوم يومنون** وهنا لطيفة وهي في الفرق بين هذه المراتب الثلاث وذلك ان الناس متفاوتون في درجات العلوم فمنهم من بلغ الغاية في التوحيد حتى صار كالمشاهد وهم اصحاب عين اليقين ومنهم من بلغ درجة الاستدلال والنظر وهم اصحاب علم اليقين ومنهم المسلم المستسلم وهم عامة المومنين وهم اصحاب حق اليقين فالقران في حق الاولين وهم السابقون بصاير وفي حق القسم الثاني وهم المستدلون هدى وفي حق القسم الثالث وهم عامة المومنين رحمة **قوله تعالى واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون** لما ذكر الله تعالى عظم شان القران بقوله هذا بصاير من ربكم وهدى ورحمة اتبعه بما يجب من تعظيم شانه عند قراته فقال تعالى واذا قرئ عليكم القران ايها المومنون فاستمعوا له يعني اصغوا اليه باسماعكم لتفهموا معانيه وتتدبروا مواعظه وانصتوا امر وظاهر الامر الوجوب فمقتضاه ان يكون الاستماع والسكوت واجبين وللعلما في ذلك اقوال القول الاول وهو قول الحسن واهل الظاهر ان تجري هذه الاية على العموم ففي اي وقت واي موضع قرئ القران يجب على كل احد الاستماع له والسكوت القول الثاني انها نزلت في تحريم الكلام في الصلاة روي عن ابي هريرة انهم كانوا يتكلمون في الصلاة بحوايجهم فامروا بالسكوت والاستماع لقراة القران وقال عبد الله كنا نسلم بعضنا على بعض في الصلاة سلام على فلان وسلام على فلان فجا القران واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا القول الثالث انها نزلت في الجهر بالقراة خلف الامام وروي عن ابي هريرة قال نزلت هذه الاية في رفع الاصوات وهم خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود انه سمع اناسا يقرون مع الامام فلما انصرف قال اما ان لكم ان تفقهوا واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا كما امركم الله وقال الكلبي كانوا يرفعون اصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار القول الرابع انها نزلت في السكوت عند الخطبة يوم الجمعة وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطا قال مجاهد الانصات للامام يوم الجمعة وقال عطا وجب الصموت في اثنين عند الرجل يقرا القران وعند الامام وهو يخطب وهذا القول اختاره جماعة وفيه بعد لان الاية مكية والخطبة انما وجبت بالمدينة وحكا واتفقوا على انه يجب الانصات حال الخطبة بدليل وهو ما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك انصت والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت اخرجاه في الصحيحين واختلف العلما في القراة خلف الامام فذهب جماعة الى ايجابها سوا جهر الامام بالقراة او اسر يروى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وابن عباس ومعاذ وهو قول الاوزاعي واليه ذهب الشافعي وذهب قوم الى انه يقرا فيما اسر الامام فيه القراة ولا يقرا فيما اذا جهر ويروى عن ابن عمر وهو قول عروة بن الزبير والقاسم بن محمد وبه قال الزهري ومالك وابن المبارك واحمد واسحاق وذهب قوم الى انه لا يقرا سوا اسر الامام او جهر يروى ذلك عن جابر واليه ذهب اصحاب الراي حجة من لا يرى القراة خلف الامام ظاهر هذه الاية حجة من قال يقرا في السرية دون الجهرية قال ان الاية تدل على الجهر الا بالاستماع وحملنا مدلول السنة على صلاة السرية جمعا بين دلايل الكتاب والسنة وحجة من اوجب القراة خلف الامام ولم يفرق بين السرية والجهرية قالوا واذا قرئ الفاتحة خلف الامام يتبع سكتاته ولا ينازعه في القراة ولا يجهر بالقراة خلفه ويدل عليه ما روي عن عبادة بن الصامت قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فثقلت عليهم القراة فلما انصرف قال الم تقرون ورا امامكم قال قلنا يا رسول الله اي والله قال لا تفعلوا الا بام القران فانه لا صلاة لمن لم يقرا بها اخرجه الترمذي بطوله واخرجاه في الصحيحين مختصرا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرا القران بفاتحة الكتاب (م) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يقرأ فيها بفاتحة الكتاب فهي خداج يقولها ثلاثا غير تمام فقيل لابي هريرة
انا نكون وراء الامام فقال اقرأ بها في نفسك وذكر الحديث وقوله عز وجل لعلكم ترحمون يعني لكي يرحمكم
ربكم باتباعكم ما امركم به من اوامره ونواهيه قوله عز وجل واذكر ربك في نفسك الخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم ويدخل فيه غيره من امته لانه عام لسائر المكلفين قال ابن عباس يعني بالذكر
انما يكمل اذا وقع الذكر بهذه الصفة لان ذكر النفس اقرب الى الاخلاص والبعد عن الرياء وقيل
المراد بالذكر في النفس ان يستحضر في قلبه عظمة المذكور جل جلاله واذا كان الذكر باللسان عاريا
عن ذكر القلب كان عديم الفائدة لان فائدة الذكر حضور القلب واستشعار عظمة المذكور تعالى
تضرعا يعني تتضرع اليه الرجل يتضرع ضراعة اذا خضع وذل واستكان لغيره وخيفة ودون الجهر
من القول يعني وخوفا والمعنى يتضرع اليه ويخاف من عذابه وقال مجاهد وابن جريج امر
ان يذكروه في الصدور بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت في الدعاء وهاهنا لطيفة
وهي قوله واذكر ربك في نفسك فيه استشعار بقرب العبد من الله عز وجل وهو مقام الرجاء
لان لفظ الرب مشعر بالتربية والرحمة والفضل والاحسان فان تذكر العبد انعام الله عليه
واحسانه اليه فعند ذلك يقوى مقام الرجاء ثم اتبعه بقوله تضرعا وخيفة وهذا مقام الخوف
فاذا حصل في قلب العبد داعية الخوف والرجاء قوي ايمانه والمستحب ان يكون الخوف اغلب
على العبد في حال صحته وقوته فاذا قارب الموت ودنا اجله فيستحب ان يغلب رجاؤه
على خوفه عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال كيف
تجدك قال ارجو الله يا رسول الله واني اخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمعان
في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو منه وامنه مما يخاف اخرجه الترمذي
وقوله تعالى بالغدو جمع غدوة والآصال جمع اصيل وهو ما بين صلاة
العصر الى المغرب والمعنى اذكر ربك بالبكر والعشيات وانما خص هذين الوقتين بالذكر لان الا
نسان يقوم بالغداة من النوم الذي هو اخو الموت فاستحب له ان يستقبل هذه الحالة
الانتباه من النوم وهو وقت الحياة من موت النوم بالذكر ليكون اول اعماله ذكر الله عز وجل واما
وقت الآصال وهو آخر النهار فان الانسان يريد ان يستقبل النوم الذي هو اخو الموت فيستحب
له ان يشتغل بالذكر لانها حالة الموت ولعله لا يقوم من تلك النومة فيكون موته على ذكر الله
عز وجل وهو المراد من قوله تعالى ولا تكن من الغافلين يعني عما يقربك الى الله عز وجل وقيل ان
اعمال العباد تصعد اول النهار وآخره فيصعد عمل الليل عند صلاة الفجر ويصعد عمل النهار
بعد العصر الى المغرب فاستحب له الذكر في هذين الوقتين ليكون في جميع اوقاته
مشتغلا بما يقربه الى الله تعالى من صلاة او ذكر قوله عز وجل ان الذين عند ربك يعني الملائكة
لما امر الله عز وجل رسوله والمؤمنين بالذكر في حالة التضرع والخوف اخبر ان الملائكة الذين عنده
مع علو مرتبتهم وشرفهم وعصمتهم لا يستكبرون عن عبادته وطاعته لانهم عبيده خاضعون
لعظمته وكبريائه عز وجل ويسبحونه لا لغيره فان قلت التسبيح والسجود داخلان
في قوله لا يستكبرون عن عبادته لانهما من جملة العبادة فكيف افردهما بالذكر قلت اخبر الله عز
وجل عن حالة الملائكة انهم خاضعون لعظمته لا يستكبرون عن عبادته ثم اخبر عن صفة
عبادتهم وانهم يسبحونه ولما كانت الاعمال تنقسم الى قسمين اعمال القلوب وهي تنزيه الله عن كل
سوء وهو الاعتقاد القلبي عبر عنه بقوله ويسبحونه وعبر عن اعمال الجوارح بقوله وله يسجدون
ليوافق الملائكة المقربين في عباداتهم (ق) عن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يقرأ القرآن فيقرأ سورة فيها سجدة فيسجد ونسجد معه حتى ما يجد بعضنا موضعا لمكان

جبهته

جبهته في غير وقت صلاة (م) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ
ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي يقول يا ويلتا امر ابن آدم بالسجود فسجد
فله الجنة وامرت بالسجود فابيت فلي النار (م) عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول عليك بكثرة السجود فانك لا تسجد لله سجدة الا رفعك بها درجة وحط عنك بها خطيئة
والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الانفال

مدنية كلها الا
سبع آيات نزلت بمكة وهي من قوله واذ يمكر بك الذين كفروا الى آخر سبع آيات والاصح انها نزلت بالمدينة
وان كانت الواقعة بمكة وهي خمس وسبعون آية وألف وخمسة وسبعون كلمة وخمسة آلاف وثمانون حرفا بسم
الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس
سورة الانفال قال نزلت في بدر واختلف اهل التفسير في سبب نزولها فقال ابن عباس لما كان يوم
بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا ومن اتى بكذا فله كذا
ومن قتل قتيلا فله كذا فسارع الشبان وثبت الشيوخ تحت الرايات فلما فتح الله عليهم جاؤوا
يطلبون ما جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال لهم الاشياخ لا تذهبوا به دوننا فلا تستأثروا
علينا فانا كنا ردءا لكم ولو انكشفتم لثبتم الينا فتنازعوا فانزل الله عز وجل يسألونك عن الانفال الاية
قال اهل التفسير وقام ابو اليسر بن عمرو الانصاري اخو بني سلمة فقال يا رسول الله انك وعدت ان من
قتل قتيلا فله كذا وانا قد قتلنا سبعين وقام سعد بن معاذ فقال والله ما منعنا ان نطلب
ما طلب هؤلاء زهادة في الاخرة ولا جبن عن العدو ولكن كرهنا ان نعري مصافك فيعطف عليك خيل
من المشركين فيصيبونك فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله ان
الناس كثير والغنيمة دون ذلك فان تعط هؤلاء الذين ذكرت لا يبقى لاصحابك كبير شيء فنزلت هذه
الاية يسألونك عن الانفال وقال محمد بن اسحاق امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في العسكر
فجمع واختلف المسلمون فيه فقال من جمعه هو لنا وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل كل امرئ
ما اصاب وقال الذين كانوا يقاتلون العدو لولا نحن ما اصبتموه وقال الذين يحرسون رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد كنا نرى ان نقاتل العدو ولكنا خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم غرة العدو فقمنا
دونه فما انتم باحق منا فنزلت هذه الاية وروى مكحول عن ابي امامة الباهلي قال سألت
عبادة بن الصامت عن الانفال فقال فينا معشر اصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل
وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا وجعله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول
الله صلى الله عليه وسلم بيننا عن بواء يقول على سواء وكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات
البين وعن سعد بن ابي وقاص قال لما كان يوم بدر جئت بسيف فقلت يا رسول الله قد شفى
صدري من المشركين او نحو هذا هب لي هذا السيف فقال هذا ليس لي ولا لك فقلت
عسى ان يعطى هذا من لا يبلي بلائي فجاءني الرسول فقال انك سألتني وليس لي وانه قد صار لي
وهو لك فنزلت يسألونك عن الانفال الاية اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح
واخرجه مسلم في جملة حديث طويل يتضمن فضائل سعد ولفظ مسلم فيه قال اصاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم غنيمة عظيمة فاذا فيها سيف فاخذته فاتيت به رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت نفلني هذا السيف فانا من قد علمت حاله فقال رده من حيث اخذته فانطلقت
به حتى اردت ان القيه في القبض لامتني نفسي فرجعت اليه فقلت اعطنيه فشد لي صوته رده
من حيث اخذته فانزل الله عز وجل يسألونك عن الانفال وقال ابن عباس كانت الغنائم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم خاصة ليس لاحد فيها شيء وما اصاب سرايا المسلمين من شيء اتوه به فمن
حبس منه ابرة او سلكا فهو غلول واما تفسير قوله يسألونك عن الانفال استخبارا يعني يسألك

اصحابك يا محمد عن حكم الانفال وعلمها وهو سوال استفتا لا سوال طلب وقال الضحاك وعكرمة هو
سوال طلب وقوله عن الانفال اي من الانفال وعن بمعنى من وقيل عن صلة اي يسالونك الانفال
والانفال هي الغنايم في قول ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة واصل النفل الزيادة سميت الغنايم
انفالا لانها زيادة من الله عز وجل لهذه الامة على الخصوص واكثر المفسرين على انها في غنايم
نزلت في غنايم بدر وقال عطا هي ما شذ من المشركين الى المسلمين بغير قتال من عبد او امة او
متاع هو للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيه ما يشا قل الانفال لله والرسول قل لهم يا محمد
الانفال لله والرسول ان الانفال حكمها لله ورسوله يقسمانها كيف شا واختلف العلما في حكم
هذه الاية فقال مجاهد وعكرمة والسدي هذه الاية منسوخة نسخها الله بقوله واعلموا انما غنمتم من
شي فان لله خمسه وللرسول الاية كانت الغنايم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يقسمها كيف شا
ولمن شا ثم نسخها الله بالخمس وقال بعضهم هذه الاية ناسخة من وجه منسوخة من وجه وذلك
ان الغنايم كانت حراما على الامم الذين من قبلنا في شرايع انبيايهم فاحلها الله لهذه الامة بهذه
الاية وجعلها ناسخة لشرع من قبلنا ثم نسخت باية الخمس وقال عبد الرحمن بن زيد انها محكمة وهي
احد الروايات عن ابن عباس ومعنى الاية على هذا القول قل الانفال لله والرسول يضعها حيث
امر الله وقد بين الله مصارفها في قوله واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول الاية
وصح من حديث ابن عمر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فغنمنا ابلا فاصاب كل
واحد منا اثني عشر بعيرا ونفلنا بعيرا بعيرا اخرجاه في الصحيحين فعلى هذا تكون الاية
محكمة وللامام ان ينفل من شا من الجيش ما شا قبل التخميس فاتقوا الله يعني اتقوا الله
بطاعته واتقوا الفتنة واتركوا المنازعة والمخاصمة في الغنايم واصلحوا ذات بينكم اي اصلحوا
الحال فيما بينكم بترك المنازعة والمخالفة وبتسليم امر الغنايم الى الله ورسوله واطيعوا الله
ورسوله فيما يامركم به وينهاكم عنه ان كنتم مومنين يعني ان كنتم مصدقين بوعد الله
ووعيده قوله عز وجل انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم لما امر الله تعالى بطاعته
وطاعة رسوله في الاية المتقدمة ثم قال بعده ان كنتم مومنين لان الايمان يستلزم الطاعة وبين
في هذه الاية صفات المومنين واحوالهم فقال تعالى انما المومنون ولفظة انما تفيد الحصر والمعنى
ليس المومنون الذين يخالفون الله ورسوله انما المومنون الصادقون في ايمانهم الذين اذا ذكر الله
وجلت قلوبهم اي خضعت وخافت ورقت قلوبهم وقيل اذا خوفوا بالله انقادوا خوفا
من عقابه وقال اهل الحقايق الخوف على قسمين خوف العقاب وهو خوف العصاة وخوف الهيبة
والعظمة وهو خوف الخواص لانهم يعلمون عظمة الله عز وجل فيخافونه اشد خوف واما العصاة
فيخافون عقابه فالمومن اذا ذكر الله وجل قلبه وخاف على قدر مرتبته في ذكر الله عز وجل فان
قلت انه تعالى قال في هذه الاية وجلت قلوبهم يعني خافت وقال في اية اخرى وتطمين قلوبهم
بذكر الله فكيف الجمع بينهما قلت لا منافات بين هاتين الحالتين لان الوجل هو خوف العقاب
والاطمينان انما يكون من ثلج اليقين وشرح الصدر بنور المعرفة والتوحيد وهذا مقام الخوف
والرجا وقد جمعا في اية واحدة وهي قوله تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين
جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله عند ذكر رحمته ورجا ثوابه وهذا حاصل في قلب المومن ثم قال
واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا يعني واذا قرى عليهم ايات القران زادتهم بذلك ايمانا
وتصديقا لان زيادة الايمان بزيادة التصديق وذلك يحمل وجهين الوجه الاول وهو الذي
عليه عامة اهل العلم على ما حكاه الواحدي ان كل من كانت الدلايل عنده اكثر واقوى كان
ايمانه ازيد لانه عند حصول كثرة الدلايل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين فتكون

معرفته بالله اقوى فيزداد ايمانه الوجه الثاني انهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله ولما
كانت التكاليف متوالية في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلما تجدد تكليف صدقوا به فيزداد
بذلك الاقرار تصديقا وايمانا لان المعلوم ان من صدق انسانا في شيين كان اكثر ممن صدقه
في شي واحد فقوله تعالى واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا معناه انهم كلما سمعوا اية جديدة اتوا
باقرار جديد وتصديق جديد فكان ذلك زيادة في ايمانهم واختلف الناس في ان الايمان هل يقبل
الزيادة والنقص ام لا فالذين قالوا ان الايمان عبارة عن التصديق القلبي قالوا لا يقبل الزيادة
لاجماع اهل اللغة على ان الايمان هو عبارة عن التصديق والاعتقاد بالقلب وذلك لا يقبل الزيادة
لاجماع اهل الحديث ومن قال ان الايمان عبارة عن مجموع امور ثلاثة وهو التصديق بالقلب والاقرار باللسان
والعمل بالجوارح والاركان فقد استدلوا على ذلك من هذه من وجهين احدهما ان قوله زادتهم ايمانا
صريح في ان الايمان يقبل الزيادة ولو كان عبارة على التصديق بالقلب فقط لما قبل الزيادة
واذا قبل الزيادة فقد قبل النقص الوجه الثاني انه ذكر في هذه الاية اوصافا متعددة من احوال
المومنين ثم قال تعالى بعد ذلك اوليك هم المومنون حقا وذلك يدل على ان تلك الاوصاف
داخلة في مسمى الايمان وروي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان
بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحيا
شعبة من الايمان اخرجاه في الصحيحين ففي هذا الحديث دليل على ان الايمان له اعلى وادنى واذا
كان كذلك كان قابلا للزيادة والنقص قال عمير بن حبيب وكانت له صحبة ان الايمان يزيد
وينقص قيل له فما زيادته قال اذا ذكرنا الله وحمدناه فذلك زيادته واذا سهونا وغفلنا
فذلك نقصانه وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي ان للايمان فرايض وشرايط وشرايع وحدودا
وسننا فمن استكملها فقد استكمل الايمان ومن لم يستكملها فلم يستكمل الايمان وقوله تعالى وعلى
ربهم يتوكلون معناه يفوضون جميع امورهم اليه فلا يرجون غيره ولا يخافون سواه واعلم
ان المومن اذا كان واثقا بوعد الله ووعيده كان من المتوكلين عليه لا على غيره وهي درجة عالية
ومرتبة شريفة لان الانسان يصير بحيث لا يبقى له اعتماد في شي من اموره الا على الله عز وجل واعلم
ان هذه المراتب الثلاث اعني الوجل عند ذكر الله وزيادة الايمان عند تلاوة القران والتوكل على الله من
اعمال القلوب ولما ذكر الله هذه الصفات الثلاث اتبعها بصفتين من اعمال الجوارح فقال تعالى
الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون يعني يقيمون الصلاة المفروضة بحدودها
واركانها في اوقاتها وينفقون اموالهم فيما امرهم الله به من الانفاق فيه ويدخل فيه النفقة في
الزكاة وفي الحج وفي الجهاد وغير ذلك من الانفاق في انواع البر والقربات ثم قال تعالى اوليك يعني
من هذه صفتهم هم المومنون حقا يعني يقينا لا شك في ايمانهم قال ابن عباس بريوا من الكفر وقال قتادة استحقوا
الايمان واحقه الله لهم وفيه دليل على انه لا يجوز ان يصف احد نفسه بكونه مومنا حقا لان الله انما وصف
بذلك اقواما مخصوصين على اوصاف مخصوصة وكل احد لا يتحقق وجود تلك الاوصاف فيه وهذا
يتعلق بمسيلة اصولية وهي ان العلما اتفقوا على انه يجوز للرجل ان يقول انا مومن واختلفوا في انه
هل يجوز له ان يقول انا مومن حقا ام لا فقال اصحاب ابي حنيفة الاولى ان يقول انا مومن ان شا الله
واستدلوا على هذا القول بوجوه الاول ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شا الله وكذا
القول في القايم والقاعد فكذلك هذه المسيلة يجب فيها ان يكون المومن مومنا حقا ولا يجوز
ان يقول انا مومن ان شا الله تعالى الوجه الثاني انه تعالى قال اوليك هم المومنون حقا فقد
حكم الله بكونهم مومنين حقا وفي قوله انا مومن ان شا الله تشكيك فيما قطع لهم به وذلك لا يجوز وقال
اصحاب الشافعي الاولى ان يقول الرجل انا مومن ان شا الله واحتج لصحة هذا القول بوجوه

دون

ث

الاولى ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك ان شاء الله وكذا القول في القائم والقاعد فكذلك هذه المسئلة
يجب فيهما ان يكون المومن مومنا حقا ولا يجوز ان يقول انا مومن ان شاء الله الاول ان الايمان عندهم
عبارة عن الاعتقاد والاقرار والعمل وكون الانسان اتيا بالاعمال الصالحة المقبولة امر مشكوك فيه
والشك في احد اجزاء الماهية يوجب الشك في الماهية فيجب ان يقول انا مومن ان شاء الله وان
كان اعتقاده واقراره صحيحا وعند اصحاب ابي حنيفة ان الايمان عبارة عن الاعتقاد فيخرج العمل
في مسمى الايمان فلم يلزم حصول الشك الوجه الثاني قولنا انا مومن ان شاء الله ليس على سبيل
الشك ولكن اذا قال الرجل انا مومن فقد مدح نفسه باعظم المدائح فربما حصل له بذلك عجب واذا
قال ان شاء الله زال ذلك العجب وحصل الانكسار روي ان ابا حنيفة لم تستثني في ايمانك فقال
قتادة اتباعا لابراهيم عليه السلام في قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فقال لابي
حنيفة هلا اقتديت به في قوله اولم تومن قال بلى فانقطع قتادة قال بعضهم كان لقتادة ان
يقول ان ابراهيم بعد ما قال بلى قال ولكن ليطمئن قلبي فطلب مزيد الطمانينة الوجه الثالث ان الله
تعالى ذكر في اول الاية انما المومنون ولفظة انما تفيد الحصر يعني انما المومنون الذين هم كذا وكذا
ثم ذكر بعد ذلك اوصافا خمسة وهي الخوف من الله والاخلاص والتوكل على الله والاتيان
بالصلاة كما امر الله وايتاء الزكاة كذلك ثم قال بعد ذلك اولئك هم المومنون حقا يعني من اتى
بجميع هذه الاوصاف كان مومنا حقا ولا يمكن لاحد ان يقطع بحصول هذه الصفات فكان الاولى
ان يقول انا مومن ان شاء الله وقال ابن ابي نجيح سال رجل الحسن فقال امومن انت فقال الحسن
ان كنت تسالني بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة والنار والبعث والحساب
فانا بها مومن وان كنت تسالني عن قوله انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الاية فلا ادري
انا منهم ام لا قال علقمة كنا في سفر فلقينا قوما فقلنا من القوم قالوا نحن المومنون حقا فلم ندر
ما نجيبهم حتى لقينا عبد الله بن مسعود فاخبرناه بما قالوا فقال فما رددتم عليهم قلنا لم نرد
عليهم شيئا قال هلا قلتم لهم امن اهل الجنة انتم وقال سفيان الثوري من زعم انه مومن حقا عند الله ثم لم
يشهد انه في الجنة فقد امن بنصف الاية دون النصف الاخر الوجه الخامس ان المومن لا يكون مومنا
حقا الا اذا اتى بالايمان ومات عليه وهذا لا يحصل الا عند الموت فلهذا السبب حسن ان يقال انا
مومن ان شاء الله فالمراد بهذا الاستثناء الى الخاتمة **واجاب** اصحاب هذا الحديث القول
وهم اصحاب الشافعي عن ادلة اصحاب ابي حنيفة بقولهم ان المتحرك لا يجوز ان يقول انا متحرك
ان شاء الله الفرق بين وصف الانسان بين كونه مومنا وبين وصفه بكونه متحركا ان الايمان يتوقف
حاله على الخاتمة والحركة فعلي يتبين فحصل الفرق بينهما والجواب عن الوجه الثاني وهو قولهم
ان الله تعالى قال اولئك هم المومنون حقا فقد حكم لهم بكونهم مومنين حقا ان الله تعالى حكم للموصوفين
بتلك الصفات المذكورة في الاية بكونهم مومنين حقا اذا اتوا بتلك الاوصاف الخمسة وهذا
لا يقدر عليه احد ان ياتي بتلك الاوصاف على الحقيقة ونحن نقول ان ذلك حقا ان من اتى به
بتلك الاوصاف على الحقيقة كان مومنا حقا ولكن لا يقدر على ذلك احد والله تعالى اعلم
وقوله تعالى لهم درجات عند ربهم يعني لهم مراتب بعضها اعلى من بعض لان المومنين
تتفاوت احوالهم في الاخذ بتلك الاحوال المذكورة فلهذا تتفاوت مراتبهم في الجنة لان درجات
الجنة على قدر الحظوظ في الاعمال قال عطا درجات الجنة يرتقون فيها باعمالهم وقال الربيع بن انس
سبعون درجة ما بين كل درجتين مائة درجة لو ان العالمين اجتمعوا في احداهن لوسعتهم
ومغفرة يعني لهم مغفرة يعني ولهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم يعني ما اعد لهم في الجنة
وصفه بكونه كريما لان منافع الجنة لهم دائمة عليهم مقرونة بالاكرام والتعظيم قوله تعالى

كما اخرجك ربك من بيتك بالحق اختلفوا في الجالب لهذه الكاف ما هو فقال المبرد تقديره قل الانفال
لله والرسول وان كرهوا كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان كرهوا وقيل معناه امض لامر ربك في
الانفال وان كرهوا كما مضيت لامر ربك في الخروج من البيت لطلب العير وهم كارهون وقيل معناه
فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم فان ذلك خير لكم كما ان اخراج محمد صلى الله عليه وسلم من بيته بالحق
خير لكم وان كرهه فريق منكم وقيل هو راجع الى قوله لهم درجات عند ربهم تقديره وعد المومنين
بالدرجات حق حتى ينجزه الله تعالى كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وجواب يجادلونك في الحق
وقيل الكاف بمعنى القسم تقديره واذكر يا محمد اذ اخرجك ربك من بيتك بالحق وقيل المراد
بهذا الاخراج اخراجه من مكة الى المدينة للهجرة وقال جمهور المفسرين المراد بهذا الاخراج هو خروجه
من المدينة الى بدر ومعناه كما امرك ربك بالخروج من بيتك بالمدينة بالحق يعني بالوحي لطلب المشر[كين]
وان فريقا من المومنين لكارهون يعني للقتال وانما كرهوه لقلة عددهم وقلة سلاحهم وكثرة
عدوهم وكثرة سلاحهم يجادلونك في الحق وذلك ان المومنين لما ايقنوا بالقتال كرهوا
ذلك وقالوا لم تعلمنا انا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما خرجنا لطلب العير فذلك جدالهم
بعد ما تبين يعني تبين لهم انك لا تصنع شيئا الا بامر ربك وتبين لهم صدقك في الوعد
كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون يعني الى الموت شبه حالهم في فرط فزعهم بحال من يجر
الى القتل ويساق الى الموت وهو ينظر اليه ويعلم انه اتيه واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
يعني احدى الفرقتين فرقة ابي سفيان مع العير وفرقة ابي جهل مع النفير انها لكم يعني
احدى الفرقتين لكم قال ابن عباس وعروة بن الزبير ومحمد بن اسحاق والسدي اقبل ابو سفيان
ابن حرب من الشام في عير قريش في اربعين راكبا من كفار قريش منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل
الزهري وفيهم تجارة كثيرة وهي اللطيمة يريد اللطيمة الجمال التي تحمل القطن والبر غير الميرة حتى
اذا كانوا قريبا من بدر فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم خبرهم فندب اصحابه اليهم فاخبرهم بكثرة
المال وقلة العدو وقال هذه قريش فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها فانتدب
الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا
فلما سمع ابو سفيان بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم استاجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه الى
مكة وامره ان ياتي قريشا يستنفرهم ويخبرهم ان محمدا في اصحابه قد عرض لعيرهم فخرج ضمضم سريعا
الى مكة وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رات رؤيا قبل قدوم ضمضم بثلاثة ايام ارعبتها فبعثت
الى اخيها العباس بن عبد المطلب فقالت يا اخي والله لقد رايت الليلة رؤيا افظعتني وخشيت
ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة قال لها وما رايت قالت رايت راكبا اقبل على بعير له حتى وقف
بالابطح ثم صرخ باعلى صوته الا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث فارى الناس اجتمعوا
اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه فبينما هم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ مثلها باعلى
صوته الا انفروا يا آل غدر الى مصارعكم في ثلاث ثم مثل به بعيره على راس ابي قبيس فصرخ
مثلها ثم اخذ صخرة فارسلها فاقبلت تهوي حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت
من بيوت مكة ولا دار من دورها الا دخلها منها فلقة فقال العباس والله ان هذه لرؤيا
فاكتميها ولا تذكريها لاحد ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة وكان صديقا للعباس فذكرها
رؤيا عاتكة له واستكتمه اياها فذكرها الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش
بمكة قال العباس فغدوت اطوف بالبيت وابو جهل بن هشام في نفر من قريش فقال لي يا ابا الفضل اذا
فرغت من طوافك فاقبل الينا قال العباس فلما فرغت من طوافي اقبلت اليهم حتى جلست معهم فقال
لي ابو جهل يا بني عبد المطلب متى حدثت هذه النبية فيكم قلت وما ذاك قال الرؤيا التي رات عاتكة

عاتكة قال وما رأت قال يا بني عبد المطلب أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى يتنبأ نساؤكم لقد
زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال انفروا في ثلاث فسنتربص بكم هذه الثلاث فإن يك ما قالت
حقا فسيكون وإن تمض الثلاث ولم يكن من ذلك شيء نكتب عليكم كتابا بأنكم أكذب بيت في العرب
قال العباس فوالله ما كان مني إليه كبير شيء إلا أني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون عاتكة رأت
شيئا ثم تفرقنا فلما أمسيت لم يبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني فقلن أقررتم لهذا
الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ولم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت
قال قلت والله قد فعلت ما كان مني إليه من شيء وايم الله لأتعرضن له فإن عاد لأكفينكه قال فغدوت
في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا حديد مغضب أرى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه
منه قال فدخلت المسجد فرأيته فوالله إني لأمشي نحوه أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأقع به وكان
أبو جهل رجلا خفيفا حديد الوجه حديد اللسان حديد النظر إذ خرج نحو باب المسجد يشتد
قال العباس فقلت في نفسي ما له لعنه الله أكل هذا فرقا مني أن أشاتمه قال وإذا هو
قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره وقد جدع بعيره
وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان
وقد عرض لها محمد صلى الله عليه وسلم في أصحابه ولا أرى أن تدركوها الغوث الغوث
قال فشغله عني وشغلني عنه ما جاء من الأمر فتجهز الناس سراعا ولم يتخلف من أشراف قريش
أحد إلا أبا لهب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما اجتمعت قريش
للمسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فقالوا نخشى أن يأتونا من
خلفنا فكاد ذلك أن يثنيهم فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان من
أشراف بني بكر فقال أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجت قريش
سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه لليال مضت من شهر رمضان حتى
بلغ واديا يقال له ذفران فأتاه الخبر عن مسير قريش ليمنعوا عن عيرهم فسار رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى إذا كان بالروحاء أخذ عينا للقوم فأخبره بخبرهم وبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم عينا له من جهينة حليفا للأنصار يدعى أريقط فأتاه بخبر القوم
وسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام وقال إن الله
وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريشا وكانت العير أحب إليهم فاستشار
رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في طلب العير وحرب النفير فقام أبو بكر فقال
وأحسن فقام عمر فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما
أمرك الله فنحن معك والله ما نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا
إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون
فوالذي نفسي بيده بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد يعني مدينة الحبشة لجالدنا
معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشيروا علي أيها الناس وإنما يريد الأنصار
وذلك أنهم عدد الناس وحين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله إنا برآء من
ذمامك حتى تصل إلى دارنا فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه
أبناءنا ونساءنا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار
ترى عليها نصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى
عدو من بلادهم فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله

لكأنك

لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو
الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله
لما أردت فوالذي بعثك بالحق نبيا لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك
ما تخلف منا أحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر عند الحرب صدق عند
اللقاء ولعل الله عز وجل أن يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله فسر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك فقال سيروا على بركة الله وأبشروا
فإن الله عز وجل قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم
عن أنس بن مالك أن عمر بن الخطاب حدث عن أهل بدر قال إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول هذا مصرع فلان غدا إن شاء الله تعالى قال
عمر فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدود التي حدها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فجعلوا في بئر بعضهم على بعض فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إليهم فقال
يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا فقال عمر يا رسول
الله كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون
أن يردوا علي شيئا فذلك قوله تعالى وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم يعني طائفة
أبي سفيان مع العير وطائفة أبي جهل مع النفير وتودون أي وتريدون وتتمنون أن غير
ذات الشوكة تكون لكم والمعنى وتتمنون أن العير التي ليس فيها قتال ولا شوكة تكون
لكم والشوكة الشدة والقوة وقيل السلاح ويريد الله أن يحق الحق بكلماته أي يظهر الحق
ويعليه بكلماته حتى يأمره إياكم بالقتال وقيل بعداته التي سبقت لكم من إظهار
الدين وإعزازه ويقطع دابر الكافرين أي ويستأصلهم حتى لا يبقى أحد منهم ليحق
الحق أي ليثبت الإسلام ويبطل الباطل يعني ويفني الكفر ولو كره المجرمون يعني
المشركين وفي الآية سؤال وهو أن قوله يريد الله أن يحق الحق ثم قال بعده ليحق الحق وهذا
تكرير فما فائدته والجواب أنه ليس فيه تكرير لأن المراد بالأول تثبيت ما وعد في هذه الواقعة
من النصرة والظفر بالأعداء والمراد بالثاني تقوية القرآن والدين [illegible] وإظهار شأن الشريعة
لأن الذي وقع يوم بدر من نصر المؤمنين مع قلتهم وقهر الكافرين مع كثرتهم كان سببا لإعزاز الدين
وقوته ولهذا السبب قرنه بقوله ويبطل الباطل يعني الذي هو الشرك السؤال الثاني الحق
حقا والمراد من إظهار الباطل باطلا وذلك بإظهار دليل الحق وتقويته وقمع رؤساء الباطل
وقهرهم قوله عز وجل إذ تستغيثون ربكم أي فاذكر يا محمد إذ تستجيرون
بربكم من عدوكم وتطلبون منه الغوث والنصر وفي المستغيثين قولان أحدهما أنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحده وإنما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم عن ابن عباس قال حدثني عمر
ابن الخطاب قال لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وهم ألف وأصحابه
ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة ثم مد يديه
فجعل يهتف بربه يقول اللهم أنجز لي ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد
في الأرض فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ
رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه
سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف
من الملائكة مردفين فأمده قال سماك فحدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يشتد في
أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم إذ

نظر الى المشرك امامه خر مستلقيا فنظر اليه فاذا قد حطم انفه وشق وجهه كضربة السيف فاخضر ذلك اجمع فجا الانصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صدقت ذلك من مدد السما الثالثة فقتلوا يوميذ سبعين واسروا سبعين **فاستجاب لكم** يعني فاجاب دعاكم **اني ممدكم** يعني ممدكم اصله بانى ممدكم اي مرسل اليكم مددا وردا لكم **بالف من الملايكة مردفين** يعني يردف بعضهم بعضا يعني يتبع بعضهم بعضا روي انه نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة وميكائيل عليه السلام في خمسمائة في صور الرجال على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوها على اكتافهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما ناشد ربه وقال ابو بكر ان الله منجز لك ما وعدك خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال يا ابا بكر اتاك نصر الله هذا جبريل اخذ بعنان فرس يقوده على ثناياه النقع خ عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل اخذ براس فرسه عليه اداة الحرب يعني الة الحرب قال ابن عباس كان سيما الملايكة يوم بدر عمائم بيض ويوم حنين عمائم خضر ولم تقاتل الملايكة في يوم سوى يوم بدر من الايام وكانوا يكونون فيما سواه عددا ومددا **وروي** عن ابي اسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرا انه قال بعد ما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعي بصري لاريتكم الشعب الذي خرجت منه الملايكة وقد تقدم الكلام في آل عمران هل قاتلت الملايكة ام لا والصحيح انهم قاتلوا يوم بدر لما تقدم من حديث ابن عباس في الذي ضربه بالسيف فحطم انفه وشق وجهه وكانوا فيما سوى يوم بدر مددا وعونا وقيل انهم لم يقاتلوا وانما نزلوا ليكثروا سواد المسلمين ويثبتوهم ويدل عليه قوله تعالى **ولتطمين به قلوبكم** وهذا يحقق انهم انما نزلوا كذلك لا للقتال والصحيح هو الاول وانهم قاتلوا يوم بدر ولم يقاتلوا في سواه من الايام **وقوله تعالى** **وما النصر الا من عند الله** يعني ان الله هو ينصركم ايها المومنون فثقوا بنصره ولا تتكلوا على قوتكم وشدة باسكم وفيه تنبيه على ان الواجب على العبد المسلم ان لا يتوكل الا على الله في جميع احواله ولا يثق بغيره فان الله تعالى بيده النصر والاعانة **ان الله عزيز** يعني انه تعالى قوي منيع لا يقهره شي ولا يغلبه غالب بل هو يقهر كل شي ويغلبه **حكيم** يعني في تدبيره ونصره ينصر من يشا ويخذل من يشا من عباده قوله تعالى **اذ يغشاكم النعاس امنة منه** اي واذكروا اذ تلقي عليكم النعاس وهو النوم الخفيف امنة منه اي امنا من الله لكم من عدوكم ان يغلبكم قال عبد الله بن مسعود النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلاة من الشيطان والفايدة في كون النعاس امنة في القتال لان الخايف على نفسه لا ياخذه النوم فصار حصول النوم وقت الخوف الشديد دليلا على الامن وازالة الخوف وقيل انهم لما خافوا على انفسهم لكثرة عدوهم وعددهم وقلة المسلمين وقلة عددهم وعددهم وعطشوا عطشا شديدا القي عليهم النوم حتى حصلت لهم الراحة وزال عنهم الكلال والعطش وتمكنوا من قتال عدوهم وكان ذلك النوم نعمة في حقهم لانه كان خفيفا بحيث لو قصدهم العدو لعرفوا وصوله اليه وقدروا على دفعه عنهم وقيل في كون هذا النوم امنة من الله انه وقع عليهم النعاس دفعة واحدة فناموا كلهم مع كثرتهم وحصول النعاس بهذا الجمع العظيم مع وجود الخوف الشديد امر خارج عن العادة فلهذا السبب قيل ان ذلك النعاس كان في حكم المعجزة لانه امر خارق للعادة وقوله تعالى **وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به** يعني المطر وذلك ان المسلمين نزلوا يوم بدر على كثيب رمل اعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وكان المشركون قد سبقوهم الى ماء بدر فنزلوا واصبح المسلمون على غير ما وبعضهم محدث وبعضهم جنب واصابهم العطش فوسوس اليهم الشيطان وقال

تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانتم اوليا الله وقد غلبكم المشركون على الما وانتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون ان تظهروا على عدوكم فانزل الله مطرا سال الوادي فشرب منه المسلمون واغتسلوا وتوضوا وسقوا الركاب وملوا الاسقية واطفا الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت انفسهم وعظمت النعمة من الله عليهم بذلك وكان دليلا على حصول النصر والظفر فذلك قوله تعالى وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به يعني من الاحداث والجنابة **ويذهب عنكم رجز الشيطان** يعني وسوسته التي القاها في قلوبكم **وليربط على قلوبكم** يعني بالنصر واليقين والربط في اللغة الشد وكل من صبر على امر فقد ربط نفسه عليه قال الواحدي ويشبه ان يكون على صلة والمعنى وليربط قلوبكم بالصبر وما اوقع فيها من اليقين وقيل ان لفظة على ليست بصلة لانها تفيد الاستعلا فتكون القلوب امتلات من ذلك الربط حتى كانه علا عليها وارتفع فوقها **ويثبت به الاقدام** يعني ان ذلك المطر لبد الارض وقوى الرمل حتى ثبتت عليه الاقدام بالصبر وقوة القلب لان من يكون ضعيف القلب لا يثبت قدمه بل يفر وينهزم بعد اللقا **وقوله تعالى** **اذ يوحي ربك الى الملايكة اني معكم** يعني ان الله تعالى اوحى الى الملايكة الذين امد بهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اني معكم بالنصر والمعونة **فثبتوا الذين امنوا** اي قووا قلوبهم واختلفوا في كيفية هذه التقوية والتثبيت فقيل كان للشيطان قوة في القا الوسوسة في قلب ابن ادم بالشر وكذلك للملك قوة في القا الالهام في قلب ابن ادم بالخير ويسمى ما يلقي الشيطان وسوسة وما يلقي الملك لمة والهاما فهذا هو التثبيت وقيل ان ذلك التثبيت هو حضورهم معهم القتال ومعونتهم معهم اي ثبتوهم بقتالكم معهم المشركين وقيل معناه بشروهم بالنصر والظفر فكان الملك يمشي في صورة رجل امام الصف ويقول ابشروا فان الله ناصركم عليهم **سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب** يعني الخوف وكان ذلك نعمة من الله على المومنين حيث القى الرعب والخوف في قلوب الكافرين **فاضربوا فوق الاعناق** قيل هو خطاب مع المومنين فيكون منقطعا عما قبله وقيل خطاب مع الملايكة فيكون متصلا بما قبله قال ابن الانباري ما كانت الملايكة تعرف قتال بني ادم فعلمهم الله تعالى ذلك بقوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا قال ابن عكرمة يعني الروس لانها فوق الاعناق وقال الضحاك فاضربوا الاعناق وفوق صلة **وقيل** معناه فاضربوا على الاعناق فيكون فوق بمعنى على **واضربوا منهم كل بنان** يعني كل مفصل وقال ابن عباس يعني الاطراف وهي جمع بنانة وهي اطراف اصابع اليدين سميت بذلك لان بها اصلاح الاحوال التي يمكن الانسان ان يبين ما يريد ان يفعله بيديه وانما خصت بالذكر من دون ساير الاطراف لان الانسان بها يقاتل وبها يمسك السلاح في الحرب وقيل انه تعالى امرهم بضرب اعلا الجسد وهو الراس وهو اشرف الاعضا وبضرب البنان وهو اضعف الاعضا فيدخل في ذلك كل عضو في الجسد وقيل امرهم بضرب الراس وفيه هلاك الانسان وبضرب البنان وفيه تبطيل حركة من قطع بنانه فتعطل عن ذلك كله روي عن ابي داود المازني وكان شهد بدرا قال اني لاتبع رجلا من المشركين لاضربه اذ وقع راسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت انه قد قتله غيري وعن سهل بن حنيف قال لقد رايتنا يوم بدر وان احدنا ليشير بسيفه الى المشرك فيقع راسه عن جسده قبل ان يصل اليه السيف وروي عكرمة عن ابي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاسلام قد دخل علينا اهل البيت فاسلمت ام الفضل وكان العباس يهاب قومه وكان

بكر خلقهم وكان ذلك مما كثير متفرق في قومه وكان عدو الله ابو لهب قد
تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما جاء الخبر عن مصاب اصحاب بدر
كبته الله واخزاه ووجدنا في انفسنا قوة وعزا قال ابو رافع وكنت رجلا ضعيفا
وكنت اعمل القداح انحتها في حجرة زمزم فوالله اني لجالس انحت القداح وعندي ام
الفضل جالسة اذ اقبل الفاسق ابو لهب يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره
الى ظهري فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم
فقال ابو لهب الي يا ابن اخي اخبرني كيف كان امر الناس قال لا شيء والله ان كان الا ان لقيناهم
فمنحناهم اكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على
خيل بلق بين السماء والارض والله ما تليق شيئا ولا يقوم لها شيء قال ابو رافع فرفعت
طرف الحجرة بيدي ثم قلت تلك والله الملائكة فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة فثاورته
فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك علي يضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل الى عمود من
عمد الحجرة فضربته به فلقت رأسه شجة منكرة وقالت استضعفته ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا
فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله تعالى بالعدسة فقتلته وروى مقسم عن ابن عباس قال
كان الذي اسر العباس ابو اليسر كعب بن عمرو اخو بني سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس
رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي اليسر كيف اسرت العباس قال يا رسول الله
لقد اعانني عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد اعانك عليه ملك كريم وكانت وقعة بدر صبيحة يوم الجمعة السابع عشر من رمضان
في السنة الثانية من الهجرة النبوية وقوله تعالى ذلك يعني الذي وقع بهم من القتل والاسر يوم
بدر بانهم شاقوا الله ورسوله يعني بانهم خالفوا الله ورسوله والمشاقة المخالفة واصلها
المجانبة كأنهم صاروا في شق والمؤمنون في شق وشاقوا دين الله ثم قال تعالى ومن يشاقق الله ورسوله
فان الله شديد العقاب يعني ان الذي نزل بهم في ذلك اليوم من القتل والاسر قليل فيما اعد الله
لهم من العقاب يوم القيامة ثم قال تعالى ذلكم اشارة الى القتل والاسر الذي نزل بهم فذوقوه
يعني عاجلا في الدنيا لان ذلك يسير بالاضافة الى الاجل الذي عجل الله لهم في الاخرة من العذاب
وهو قوله تعالى وان للكافرين عذاب النار يعني في الاخرة عن ابن عباس قال لما فرغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم من بدر قيل له عليك العير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح
لك ان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك الله ما وعدك قال صدقت اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا يعني
مجتمعين متزاحفين بعضكم الى بعض والتزاحف التداني في القتال واصل الزحف الدبيب يقال زحف الرجل
كما يزحف الصبي قبل ان يمشي وسمي مشي الطائفتين بعضهم الى بعض في القتال زحفا لان كل طائفة تمشي
كالمائلة الى صاحبتها مشيا رويدا وقيل الزحف المشي
قليلا الى الشيء فلا تولوهم الادبار يعني فلا تولوهم ظهوركم منهزمين منهم فان المنهزم يولي
ظهره ودبره ومن يولهم يومئذ دبره يعني يوم الزحف عند القتال الا متحرفا
لقتال يعني الا المستطرد الى القتال يريد يخدع عدوه يريه انه منهزم وقصده طلب الكر على العدو
والعود اليه وهذا من احد ابواب الحرب وخدعها ومكايدها او متحيزا الى فئة يعني او منضما
وصائرا الى جماعة من المؤمنين يريدون العود الى القتال فقد باء بغضب من الله يعني من
انهزم من المؤمنين المسلمين وقت الحرب الا في هاتين الحالتين وهو التحرف للقتال والتحيز
الى فئة من المسلمين فقد رجع بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير فصل

في حكم هذه الاية اختلف العلماء في ذلك فقال ابو سعيد الخدري هذا في اهل بدر خاصة لانه ما كان يجوز
لهم الانهزام يوم بدر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم يكن فئة يتحيزون اليها دون النبي
صلى الله عليه وسلم كان معهم ولم يكن فئة يتحيزون اليها دون النبي صلى الله عليه وسلم ولو انحازوا
انحازوا الى المشركين ولانها اول غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه والمسلمون معه فشدد الله
عليهم امر الانهزام وحرمه عليهم يوم بدر فاما بعد ذلك فان المسلمين بعضهم فئة لبعض فيكون
الفار متحيزا الى فئة فلا يكون فراره كبيرة وهذا قول الحسن وقتادة والضحاك قال يزيد بن ابي
حبيب اوجب الله النار لمن فر يوم بدر فلما كان بعد ذلك اليوم فان المسلمين بعضهم فئة لبعض اوجب
الله النار لمن فر يوم بدر فلما كان يوم احد قال تعالى انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا
الله عنهم ثم كان يوم حنين بعده فقال تعالى ثم وليتم مدبرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على
من يشاء وقال عبد الله بن عمر كنا في جيش بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاص الناس حيصة فانهزمنا
فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون قال بل انتم الكرارون انا فئة المسلمين قوله فحاص الناس حيصة
يعني جالوا جولة يطلبون الفرار من العدو والحيص الميل عن الحرب وقال محمد بن سيرين لما قتل ابو عبيد
جاء الخبر الى عمر بن الخطاب فقال لو انحاز الي لكنت له فئة انا فئة كل مسلم وقال بعضهم حكم
الاية عام فيتناول جميع الصور وان كانت الاية نزلت في غزاة بدر العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب وجاء في الحديث من الكبائر الفرار من الزحف وقال عطاء بن ابي رباح هذه الاية منسوخة
بقوله الان خفف الله عنكم فليس لقوم ان يفروا من مثليهم فنسخت بذلك الاية هذه العدة وعلى هذا اكثر
اهل العلم ان المسلمين اذا كانوا على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا منهم قال ابن عباس من فر
من ثلاثة لم يفر ومن فر من اثنين فقد فر قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم سبب نزول
هذه الاية انهم لما انصرفوا عن قتال اهل بدر كان الرجل يقول انا قتلت فلانا ويقول الاخر انا قتلت
فلانا فنزلت هذه الاية ومعناه فلم تقتلوهم بقوتكم ولكن الله قتلهم يعني بنصره اياكم وتقويتكم
عليهم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بامداده اياكم بالملائكة قال الزمخشري الفاء في قوله فلم تقتلوهم
انتم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قال اهل التفسير والمغازي لما
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا يعني نزلوا بدرا ووردت عليهم روايا قريش وفيهم اسلم
غلام اسود لبني الحجاج وابو يسار غلام لابي العاص بن سعيد فاخذوهما واتوا بهما الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اين قريش قالا هم وراء الكثيب الذي
ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم كم القوم قالا كثير
قال ما عددهم قالا ما ندري قال كم ينحرون في كل يوم قالا يوما عشرة ويوما تسعة فقال صلى الله عليه
وسلم القوم ما بين التسعمائة الى الالف قال لهما فمن فيهم من اشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة والبختري
بن هشام وامية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذه مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها فلما اقبلت قريش ورآها رسول الله صلى الله عليه وسلم
تصوب من العقنقل وهو الكثيب الرمل وجاء الى الوادي فقال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها
وفخرها تحادك وتكذب رسولك فنصرك الذي وعدتني اياه جبريل عليه السلام وقال خذ قبضة من
تراب فارمهم بها فلما التقى الجمعان تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم كفا من حصباء عليه تراب فرمى
في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه يعني قبحت الوجوه فلم يبق مشرك الا ودخل في عينيه وفمه ومنخريه
من ذلك التراب شيء فانهزموا وتبعهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وقال قتادة وابن زيد ذكر لنا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ يوم بدر فذلك قوله عز وجل وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
اذ ليس في وسع احد من البشر ان يرمي كفا من حصباء في وجوه جيش فلا يبقى منهم عين الا وقد دخلها

قال مجاهد

ثلاث حصيات فرمى بحصاة من ميمنة القوم وبحصاة من ميسرة القوم وبحصاة بين اظهرهم وقالت شاهت الوجوه فانهزموا

فيها من ذلك شي فصورة الرمي صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثيرها صدر من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتأثيرها صدر من الله عز وجل فلهذا المعنى صح النفي والاثبات وقيل في معنى الآية
وما بلغت اذ رميت ولكن الله بلغ رميك وقيل وما رميت بالرعب في قلوبهم حين انهزموا **وليبلي
المؤمنين منه بلاء حسنا** يعني ولينعم على المؤمنين نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة والاجر والثواب
وهذا الجواب المغني ان البلاء هنا بمعنى النعمة **ان الله سميع** يعني لدعائكم **عليم** باحوالكم وقوله
تعالى **ذلكم** يعني الذي ذكرت من امر القتل والرمي والبلاء الحسن من الظفر بهم والنصر عليهم فعلنا
ذلك الذي فعلنا **وان الله** يعني واعلموا ان الله مع ذلك **موهن** اي مضعف **كيد
الكافرين** يعني مكرهم وكيدهم **قوله** عز وجل **ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح** هذا خطاب
مع المشركين الذين قاتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وذلك ان ابا جهل قال يوم
بدر لما التقى الجمعان قال اللهم اينا كان افجر يعني نفسه ومحمدا صلى الله عليه وسلم قاطع للرحم
فاحنه اليوم وقيل انه قال اللهم اينا كان خيرا عندك فانصره وقيل اللهم انصر اهدى الفئتين
وخير الفريقين وافضل الجمعين اللهم من كان افجر واقطع للرحم فاحنه اليوم وقيل انه اللهم
ان كان هو خيرا عندك فانصره وقيل اللهم انصر اهدى الفئتين فانزل الله ان تستفتحوا ومعنى
الآية ان تستحكموا الله على اقطع الحزبين للرحم واظلم الفئتين فينصر المظلوم على الظالم فقد
جاءكم الفتح يعني جاءكم الله بنصره المظلوم على الظالم والحق على الباطل والمقطوع على القاطع
ق عن عبد الرحمن بن عوف قال اني لواقف في الصف يوم بدر فنظرت عن يميني وعن شمالي
فاذا انا بغلامين من الانصار حديثة اسنانهما فتمنيت ان اكون بين اصلح منهما فغمزني احدهما
فقال اي عم هل تعرف ابا جهل قلت نعم فما حاجتك اليه يا ابن اخي قال اخبرت انه يسب محمدا صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده ان رايته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الاعجل منا فتعجبت
من ذلك وغمزني الآخر فقال لي مثلها فلم انشب ان نظرت الى ابي جهل يجول في الناس فقلت الا تريان
هذا صاحبكما الذي تسألان عنه قال فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخبراه فقال كل واحد منهما انا قتلته فقال هل مسحتما سيفيكما قالا لا
فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كلاكما قتله وقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسلبه لمعاذ بن جبل عمرو بن الجموح والرجلان معاذ بن الجموح ومعاذ بن عفراء ق عن انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينظر لنا ما صنع ابو جهل فانطلق ابن مسعود فوجده
قد ضربه ابنا عفراء حتى برد قال فاخذ بلحيته فقال انت ابو جهل وفي كتاب البخاري انت ابو جهل
هكذا قال انس قال اهل فوق رجل قتلتموه او قال قتله قومه وفي رواية فقال ابو جهل فلو قتلني
عن عبد الله بن مسعود قال مررت فاذا ابو جهل صريع قد ضربت رجله فقلت يا عدو الله يا ابا
يا ابا جهل قد اخزى الله الآخر قال ولا اهاب عند ذلك فقال ابعد من رجل قتله قومه فضربته
بسيف غير طائل فلم يغن شيئا حتى سقط سيفه من يده فضربته حتى برد اخرجه ابو داود واخرجه
البخاري مختصرا قال انه اتى ابا جهل يوم بدر وبه رمق قال هل اعمد من رجل قتلتموه وقال عكرمة
قال المشركون والله ما نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فانزل الله عز وجل ان تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح وقال السدي والكلبي كان المشركون لما خرجوا الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم مكة اخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر على الجندين
اهدى واهدى الفئتين واكرم الحزبين وافضل الدينين ففيه نزلت ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
يعني ان تستنصروا فقد جاءكم النصر وهو على ما سألوه فكان النصر لاهدى الفئتين وهم
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن اسحاق حدثني عبد الله بن ابي بكر قال قال معاذ بن

عمرو

عمرو بن الجموح لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه امر بابي جهل بن هشام ان يلتمس في
القتلى وقال اللهم لا يعجزنك فلما سمعتها جعلته من شأني فعمدت نحوه فضربته ضربة اطنت
قدمه بنصف ساقه قال وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي
واجهضني القتال فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما آذتني جعلت عليها
قدمي ثم تمطيت بها حتى طرحتها ثم مر بابي جهل معاذ بن عفراء وهو عقير فضربه حتى اثبته وتركه
وبه رمق ثم مر به عبد الله بن مسعود قال عبد الله وجدته باخر رمق فعرفته فوضعت رجلي على
عنقه ثم قلت هل اخزاك يا عدو الله قال وبما اخزاني اعمد من رجل قتلتموه اخبرني لمن الدائرة
قلت لله ولرسوله روي ابن مسعود انه قال قال لي ابو جهل لقد ارتقيت يا رويعي الغنم مرتقا
صعبا ثم احتززت راسه ثم جئت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله هذا راس
عدو الله ابي جهل فقال الله الذي لا اله الا هو مرة اخرى فقلت نعم والله الذي لا اله غيره ثم القيته بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله تعالى وقال ابي بن كعب هذا خطاب لاصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل للمسلمين ان تستفتحوا اي تستنصروا فقد جاءكم الفتح
اي النصر خ عن خباب بن الارت قال شكونا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة
له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل
فيحفر له حفيرة في الارض فيجعل فيها ثم يؤتى بالمنشار فيوضع على راسه فيجعل نصفين
ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه والله ليتمن الله هذا الامر
حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون
قلت استدل البغوي بهذا الحديث على ما فسر به ابي بن كعب الآية وفيه نظر لان هذه
الواقعة المذكورة في الحديث كانت بمكة والآية مدنية ولا تعلق للحديث بتفسير الآية والله
اعلم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم لما دعا الله ببدر ووعده انجاز ما وعده من احدى الطائفتين
والح في الدعاء والمسألة حتى سقط رداؤه قال الله تعالى مجيبا له ان تستفتحوا يعني تطلبوا
النصر والانجاز لما وعدكم الله به فقد جاءكم الفتح يعني فقد حصل لكم ما طلبتم فاشكروا الله
على ما انعم به عليكم من اجابة دعائكم وانجاز ما وعدكم به فقد جاءكم الفتح يعني فقد حصل لكم
ما طلبتم وهذا القول اولى لان قوله فقد جاءكم الفتح لا يليق الا بالمؤمنين هذا اذا
فسرنا الفتح بالنصر والظفر على الاعداء اما اذا فسرنا بالقضاء والحكم لم يمتنع ان يراد به الكفار
اما قوله تعالى **وان تنتهوا فهو خير لكم** هذا خطاب للكفار يعني وان تنتهوا عن قتال محمد
صلى الله عليه وسلم وعن تكذيبه فهو خير لكم في الدين والدنيا اما في الدين فان تؤمنوا
به فيحصل لكم بذلك الفوز بالثواب والخلاص من العقاب واما في الدنيا فهو الخلاص من
القتل والاسر **وان تعودوا نعد** يعني وان تعودوا لقتال محمد صلى الله عليه وسلم نعد
بتسليطه عليكم ونصره عليكم **ولن تغني عنكم فئتكم شيئا** يعني جماعتكم شيئا يعني لا تغني عنكم
شيئا **ولو كثرت** يعني جماعاتكم **وان الله مع المؤمنين** يعني بالنصر عليكم يا معشر الكفار
وقوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله** يعني في امر الجهاد لان فيه بذل
المال والنفس **ولا تولوا عنه** يعني عن الرسول صلى الله عليه وسلم لان التولي لا يصح الا في حق
الرسول صلى الله عليه وسلم لا في حق الله والمعنى لا تعرضوا عنه وعن معونته في الجهاد **ولا
تولوا عنه** يعني وهم لا يتعظون ولا ينتفعون بما سمعوا من القرآن والمواعظ وهذه صفة
المنافقين **ان شر الدواب عند الله** يعني ان شر من دب على وجه الارض من خلق عند الله
الصم عن سماع الحق **البكم** عن النطق به فلا يقولونه **الذين لا يعقلون** يعني لا يفهمون عند الله

امره ونهيه ولا يعقلونه وانما سماهم دوابا لقلة انتفاعهم بعقولهم قال ابن عباس هم نفر من
بني عبد الدار بن قصي كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقتلوا
جميعا يوم احد وكانوا اصحاب اللواء ولم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويبط بن حرملة
ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم يعني سماع تفهم وانتفاع بقوله الحق ولو علم الله قال الامام
فخر الدين ان كان ما كان حاصلا فيجب ان يعلمه الله فعدم علم الله بوجوده من لوازم عدمه
فلا جرم حسن التعبير عن عدمه في نفسه بعدم علم الله بوجوده وتقرير الكلام لو حصل فيهم
خير لاسمعهم الله الحجج والمواعظ سماع تعليم وتفهم ولو اسمعهم بعد ان علم ان لا خير فيهم
لم ينتفعوا بما سمعوا من المواعظ والدلائل لتولوا وهم معرضون يعني لتولوا عن سماع الحق
وهم معرضون عنه لعنادهم وجحودهم الحق بعد ظهوره وقيل انهم كانوا يقولون
للنبي صلى الله عليه وسلم احي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة فنؤمن
فقال الله تعالى ولو احيا لهم قصيا وسمعوا كلامه لتولوا وهم معرضون قوله عز وجل يا ايها
الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول يعني اجيبوهما بالطاعة والانقياد لما يامرانكم اذا دعاكم
يعني الرسول صلى الله عليه وسلم انما وحد الضمير في قوله اذا دعاكم لان استجابة الرسول
صلى الله عليه وسلم استجابة لله تعالى وانما يذكر احدهما مع الاخر للتوكيد واستدل اكثر
الفقهاء بهذه الاية على ان ظاهر الامر للوجوب لان كل من امره الله ورسوله صلى الله عليه
وسلم بفعل فقد دعاه اليه وهذه الاية تدل على انه لا بد من الاجابة في كل ما دعا الله ورسوله
اليه (خ) عن ابي سعيد بن المعلى قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم اجبه ثم اتيته فقلت يا رسول الله كنت اصلي قال الم يقل الله استجيبوا
لله وللرسول ثم ذكر الحديث عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على ابي بن كعب
وهو يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابي فالتفت ابي فلم يجبه وصلى ابي فخفف
ثم انصرف فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ما منعك ان تجيبني اذ دعوتك فقال يا رسول الله
اني كنت في الصلاة قال افلم تجد فيما اوحى الله الي استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم
قال بلى ولا اعود ان شاء الله تعالى وذكر الحديث اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قيل هذه
الاجابة مختصة بالنبي صلى الله عليه وسلم لانه ليس لاحد ان يقطع صلاته لدعاء احد اخر
وقيل لو دعاه احد لامر لا يحتمل التاخير فله ان يقطع صلاته وقوله تعالى لما
يحييكم يعني اذا دعاكم لما فيه حياتكم قال السدي هو الايمان لان الكافر ميت فيحيى بالايمان
وقال قتادة هو القران لان فيه حياة القلوب وفيه النجاة والعصمة في الدارين وقال مجاهد
هو الحق وقال محمد بن اسحاق هو الجهاد لان الله تعالى اعزهم به بعد الذل وقيل هو الشهادة لان
الشهداء احياء عند ربهم يرزقون واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه قال ابن عباس يحول بين
المؤمن وبين الكفر ومعاصي الله ويحول بين الكافر وبين الايمان وطاعة الله وهذا قول سعيد
ابن جبير والضحاك والسدي وقال مجاهد يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع ان يؤمن
او يكفر الا باذنه وقد دلت البراهين العقلية على هذا القول لان احوال القلوب اعتقادات
ودواعي وتلك الاعتقادات والدواعي لا بد ان يتقدمها الارادة وتلك الارادة لا بد لها من
فاعل مختار وهو الله تعالى فثبت بذلك ان المتصرف في القلب كيف شاء هو الله تعالى عن عبد
الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان قلوب بني ادم بين
اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اللهم

اللهم مصرف القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك عن انس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر
ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلنا يا رسول الله امنا بك وبما جئت به فهل تخاف
علينا قال نعم ان القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء اخرجهما الترمذي وهذا
الحديث من احاديث الصفات يجب على المرء المسلم ان يمره على ما جاء مع الاعتقاد والجزم بتنزيه الله
تعالى عن الجارحة والجسم وقيل في معنى الاية ان الله عز وجل يحول بين المرء وقلبه حتى لا يدري
ما يصنع ولا يعقل شيئا وقيل ان القوم لما دعوا الى القتال والجهاد وكانوا في غاية الضعف
والقلة والذلة خافت قلوبهم وضاقت صدورهم فقيل لهم قاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله
يحول بين المرء وقلبه فيبدل الخوف امنا والجبن جراءة وقوله تعالى وانه اليه تحشرون يعني في
الاخرة فيجزي كل عامل بعمله فيثيب المحسن ويعاقب العاصي وقوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن
الذين ظلموا منكم خاصة لما اخبر الله ان يحول بين المرء وقلبه حذر من وقوع الفتن والمعنى واحذروا
فتنة ان نزلت بكم لم تقتصر على الظالم خاصة بل تتعدى اليكم جميعا وتصل الى الصالح والطالح واراد
بالفتنة الاختبار وقيل تقديره واتقوا فتنة ان لم تتقوها اصابتكم جميعا الظالم وغير الظالم
قال الحسن نزلت هذه الاية في علي وعمار وطلحة والزبير قال الزبير لقد قرانا هذه الاية زمانا وما
نرى انا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها يعني ما كان منهم في يوم الجمل ونحوه وقال السدي ومقاتل
والضحاك وقتادة هذا في قوم مخصوصين من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اصابتهم الفتنة
يوم الجمل وقال ابن عباس امر الله عز وجل المؤمنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله بالعذاب
فيصيب الظالم وغير الظالم روى البغوي بسنده عن ابن عدي بن عدي الكندي قال حدثني مولانا
انه سمع جدي يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة
بعمل الخاصة ولكن يعذب الخاصة بعمل العامة يروا المنكر بين اظهرهم وهم قادرون على ان
فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة والذي ذكره ابن الاثير في جامع الاصول عن عدي بن
عميرة الكندي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت الخطيئة في الارض كان من شهدها كمن غاب عنها اخرجه
ابو داود وعن جرير بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يكون في قوم يعمل
فيهم بالمعاصي يقدرون على ان يغيروا عليه فلم يغيروا الا اصابهم الله منه بعقاب قبل ان يموتوا
اخرجه ابو داود وقال ابن زيد اراد بالفتنة افتراق الكلمة ومخالفة بعضهم بعضا عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير
من الماشي والماشي خير من الساعي من تشرف لها تستشرفه ومن وجد ملجا او معاذا فليعذ به
فان قلت ظاهر قوله تعالى واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يعم الظالم
وغير الظالم كما تقدم تفسيره فكيف يليق برحمة الله وكرمه ان يوصل الفتنة الى من لم يذنب قلت
انه تعالى مالك الملك وخالق الخلق وهم عبيده وفي ملكه يتصرف فيهم كيف يشاء لا يسال عما يفعل
وهم يسالون فيحسن ذلك منه على سبيل المالكية او لانه تعالى علم اشتمال ذلك على انواع من
انواع المصلحة والله اعلم بمراده وقوله تعالى واعلموا ان الله شديد العقاب فيه تحذير ووعيد
واتقوا الفتنة التي حذركم الله تعالى منها قوله تعالى واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون
في الارض لما امر الله المؤمنين بطاعة الله وطاعة رسوله وحذر من الفتنة ذكرهم نعمته عليهم
فقال تعالى واذكروا يا معشر المؤمنين المهاجرين اذ انتم قليل يعني في العدد مستضعفون في
الارض يعني في ارض مكة في ابتداء الاسلام تخافون ان يتخطفكم الناس يعني كفار مكة وقال
عكرمة كفار العرب وقال وهب بن منبه يعني فارس والروم فآواكم يعني الى المدينة وايدكم بنصره
يعني وقواكم بالانصار وقال الكلبي وقواكم يوم بدر بالملائكة ورزقكم من الطيبات يعني الغنائم

اخذها ولم يحلها لاحد قبلكم **لعلكم تشكرون** يعني تشكرون الله على نعمه عليكم قوله تعالى **يا ايها الذين آمنوا
لا تخونوا الله والرسول** قال الزهري والكلبي نزلت هذه الآية في ابي لبابة هارون بن عبد المنذر
الانصاري من بني عوف بن مالك وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود قريظة احدى
يهود قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه
اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول
الله صلى الله عليه وسلم واريحا من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك
الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة بن عبد المنذر وكان مناصحا
لهم لان ماله وولده وعياله كان عنده فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم فقالوا يا ابا لبابة
ما ترى اننزل على حكم سعد بن معاذ فاشار ابو لبابة بيده الى حلقه انه الذبح فلا تفعلوا قال ابو
لبابة والله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق على وجهه
ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق
طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال اما لو
جاءني لاستغفرت له اما اذ فعل فاني لا اطلقه حتى يتوب الله عليه فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه
وسلم خبره قال اما لو جاءني لاستغفرت له اما اذ فعل فاني لا اطلقه حتى يتوب الله عليه فمكث سبعة
ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل يا ابا لبابة قد تيب عليك
فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده ثم قال
ابو لبابة ان تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تصدق به ونزل فيه يا ايها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول
وقال السدي كانوا يسمعون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيفشونه حتى يبلغ المشركين فنزلت هذه
الآية وقال جابر بن عبد الله ان ابا سفيان خرج من مكة فاتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم في موضع
كذا وكذا فاخرجوا اليه واكتموا قال فكتب رجل من المنافقين اليه ان محمدا يريدكم فخذوا
حذركم فانزل الله لا تخونوا الله والرسول **وتخونوا اماناتكم** ومعنى الآية لا تخونوا الله والرسول
وتخونوا اماناتكم **وانتم تعلمون** انها امانة قف معناه وانتم تعلمون ان ما فعلتم من
الاشارة الى الحلق خيانة واصل الخيانة من الخون وهو النقص لان من خان شيئا فقد انتقصه والخيانة
ضد الامانة وقيل في معنى الآية لا تخونوا الله والرسول فانكم اذا فعلتم فقد خنتم اماناتكم وقال ابن
عباس معناه لا تخونوا الله بترك فرائضه ولا تخونوا الرسول بترك سنته ولا تخونوا اماناتكم
قال ابن عباس هي ما يخفى عن اعين الناس من فرائض الله تعالى والاعمال التي ائتمن عليها العباد
وقال قتادة اعلموا ان دين الله امانة فليؤدوها الى من ائتمنه عليها ومنه الحديث عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك اخرجه
ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب وقوله عز وجل **واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة**
قيل ان هذا ايضا نزل في ابي لبابة وذلك لان امواله واولاده كانت في بني قريظة فلذلك قال ما قال خوفا عليهم
وقيل انه عام في جميع الناس وذلك انه لما كان الاقدام على الخيانة في الامانة من حب المال والولد
نبه الله تعالى بقوله واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة على انه يجب على العاقل ان يحذر من المضار
المتولدة من حب المال والولد لان ذلك يشغل القلب ويصيره محجوبا عن خدمة المولى وهذا من
اعظم الفتن وروى البغوي بسنده عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي الى حضنه
وقال اما انهم مبخلة مجبنة وانهم لمن ريحان الجنة واخرج الترمذي عن عمر بن عبد العزيز قال
زعمت المراة الصالحة خولة بنت حكيم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو

محتضن

محتضن ابني ابنته وهو يقول انكم لتبخلون وتجبنون وتجهلون وانكم لمن ريحان الجنة ولمن رزق
الله والريحان في اللغة الرزق وقوله تعالى **وان الله عنده اجر عظيم** يعني لمن ادى الامانة ولم
يخن الامانة وفيه تنبيه على ان سعادة الآخرة وهو ثواب الآخرة افضل من سعادة الدنيا وهو المال
والولد قوله عز وجل **يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله** يعني بطاعته وترك معاصيه **يجعل لكم
فرقانا** يعني يجعل لكم نورا وتوفيقا في قلوبكم تفرقون به الحق والباطل والفرقان اصله الفرق
بين الشيئين لكنه ابلغ من اصله لانه يستعمل في الفرق العظيم بين الحق والباطل والحجة والشبهة
قال مجاهد يجعل لكم مخرجا في الدنيا والآخرة وقال مقاتل مخرجا في الدين من الشبهات وقال عكرمة
نجاة اي يفرق بينكم وبين ما تخافون وقال محمد بن اسحاق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به
حقكم ويخفي بطلان من خالفكم قف وقيل يفرق بينكم وبين الكفار بان يظهر دينكم ويعليه
ويبطل الكفر ويوهنه **ويكفر عنكم سيئاتكم** يعني ويمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم **ويغفر لكم**
ويستر عليكم بان لا يفضحكم في الدنيا ولا في الآخرة **والله ذو الفضل العظيم** لانه هو الذي يفعل
ذلك بكم فله الفضل العظيم عليكم وعلى غيركم من خلقه ومن كان كذلك فانه اذا وعد بشيء وفى
به وقيل انه يتفضل على الطائعين بقبول الطاعات ويتفضل على العاصين بغفران السيئات وقيل معناه
ان بيده الفضل العظيم فلا يطلب من عند غيره قوله تعالى **واذ يمكر بك الذين كفروا** لما ذكر الله تعالى
المؤمنين نعمه عليهم بقوله واذكروا اذ انتم قليل مستضعفون في الارض ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم
نعمه عليه فيما جرى عليه بمكة من قومه لان هذه السورة مدنية وهذه الواقعة كانت بمكة قبل ان
هاجر الى المدينة والمعنى واذكر يا محمد اذ يمكر بك الذين كفروا وكان هذا المكر على ما ذكره ابن عباس
وغيره من اهل التفسير قالوا جميعا ان قريشا فرقوا لما اسلمت الانصار ان يتفاقم امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكان رؤوسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وابو سفيان وطعيمة بن عدي
والنضر بن الحارث وابو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه ابنا الحجاج
وامية بن خلف واعترضهم ابليس في صورة شيخ فلما رأوه قالوا من انت قال انا شيخ من نجد
سمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقالوا ادخل فدخل فقال ابو
البختري اما انا فارى ان تأخذوا محمدا وتحبسوه في بيت مقيدا وتشدوا وثاقه وتسدوا باب البيت
غير كوة تلقوا اليه الطعام والشراب وتتربصوا به ريب المنون كما هلك من قبله من الشعراء
فصرخ عدو الله ابليس وهو الشيخ النجدي وقال بئس الرأي رأيتم لئن حبستموه ليخرجن امره من وراء الباب
الذي اغلقتم دونه الى اصحابه فيوشك ان يثبوا عليكم فيقاتلوكم ويأخذوه من بين ايديكم فقالوا
صدق الشيخ النجدي فقال هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي فقال اما انا فارى ان تحملوه على
بعير وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واين وقع اذا غاب عنكم واسترحتم منه فقال ابليس
ما هذا لكم برأي ان تعمدوا الى رجل قد افسد عليكم سفهاءكم فتخرجوه الى غيركم فيفسدهم الم تروا
الى حلاوة منطقه وطلاقة لسانه واخذ القلوب بما تسمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك
ليذهب ويستميل قلوب قوم آخرين ثم يسير بهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فقالوا صدق الشيخ النجدي
فقال ابو جهل والله لاشيرن عليكم برأي ما ارى غيره ان تأخذوا من كل بطن من قريش
شابا نسيبا وسطا فتيا ثم يعطى كل فتى سيفا صارما ثم يضربونه جميعا ضربة رجل واحد فاذا قتلوه
تفرق دمه في القبائل كلها ولا اظن هذا الحي من بني هاشم يقوون على حرب قريش كلها وانهم اذا
راوا ذلك قبلوا العقل فتؤدي قريش ديته فقال ابليس صدق هذا الفتى هذا اجودكم رأيا
والقول ما قال لا ارى غيره فتفرقوا على قول ابي جهل لعنه الله وهم مجمعون عليه فاتى جبريل
عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك وامره ان لا يبيت في مضجعه الذي كان

يبيت فيه واذن الله عز وجل له عند ذلك بالخروج الى المدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
علي ابن ابي طالب ان يبيت في مضجعه وقال اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك منهم امر تكرهه
ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضة من تراب واخذ الله عز وجل ابصارهم عنه فجعل ينثر
التراب على رؤوسهم وهو يقرا انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الى قوله فهم لا يبصرون ومضى الى الغار
من ثور هو وابو بكر وخلف عليا بمكة حتى يؤدي عنه الودائع التي قبله وكانت الودائع توضع عنده
لصدقه وامانته قالوا وبات المشركون يحرسون عليا وهو على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحسبون انه النبي صلى الله عليه وسلم فلما اصبحوا ثاروا اليه ليقتلوه فراوا عليا فقالوا اين صاحبك
فقال لا ادري فاقتصوا اثره وارسلوا في طلبه فلما بلغوا الغار راوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا
لو دخله لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث في الغار ثلاثا ثم خرج الى المدينة فذلك قوله تعالى
واذ يمكر بك الذين كفروا والمكر احتيال في خفية ليثبتوك اي ليحبسوك ويوثقوك لان كل
من شد شيئا واوثقه فقد اثبته لانه لا يقدر على الحركة او يقتلوك كما اشار عليهم ابو جهل او يخرجوك
يعني من مكة ويمكرون يعني ويحتالون ويدبرون في امرك ويمكر الله يعني ويجازيهم الله جزاء مكرهم
فسمي الجزاء مكرا لانه في مقابلته وقيل معناه ويعاملهم الله معاملة مكرهم والمكر هو التدبير وهو من
الله التدبير بالحق والمعنى انهم احتالوا في ابطال امر محمد صلى الله عليه وسلم والله تعالى اظهره وقواه ونصره
فضاع فعلهم وتدبيرهم وظهر فعل الله وتدبيره والله خير الماكرين فان قلت كيف
قال والله خير الماكرين ولا خير في مكرهم قلت يحتمل ان يكون المراد والله اقوى الماكرين
فوضع خير موضع اقوى وفيه تنبيه على ان كل مكر يبطل بفعل الله وقيل يحتمل ان يكون المراد ان
مكرهم فيه خير بزعمهم فقال تعالى في مقابلة ذلك والله خير الماكرين وقيل ليس المراد التفضيل بل ان
مكر الله خير مطلق قوله عز وجل واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل
هذا نزلت في النضر بن الحرث بن علقمة من بني عبد الدار وذلك انه كان يختلف الى ارض فارس والحيرة
فيسمع اخبارهم عن رستم واسفنديار واحاديث العجم وكان يمر بالعباد من اليهود والنصارى فيراهم
يقرؤون التوراة والانجيل ويركعون ويسجدون ويبكون فلما جاء مكة وجد النبي صلى الله عليه وسلم
قد اوحي اليه وهو يقرا ويصلي فقال النضر بن الحارث قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا الذي جاء به محمد
لو نشاء لقلنا مثل هذا فرحمهم الله بذ نعيم الحق الذي لا شبهة فيه يا دعايهم الباطل بقولهم لو نشاء
لقلنا مثل هذا بعد التحدي وابان عجزهم عن ذلك ولو قدروا ما تخلفوا عنه وهم اهل الفصاحة
وفرسان البلاغة فبان بذلك كذبهم في قولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين
يعني اخبار الماضين قوله تعالى واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم نزلت في النضر بن الحرث ايضا قال ابن عباس لما قص
رسول الله صلى الله عليه وسلم شان القرون الماضية قال النضر بن الحرث لو شئت لقلت مثل
هذا فقال له عثمان بن مظعون اتق الله فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال وانا اقول الحق
قال فان محمدا يقول لا اله الا الله قال وانا اقول لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله يعني الاصنام ثم قال
اللهم ان كان هذا هو الحق يعني القران الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني ان كان الذي يقوله
محمد صلى الله عليه وسلم من امر التوحيد وادعاء النبوة وغير ذلك هو الحق فامطر علينا حجارة من السماء
كما امطرت على قوم لوط او ائتنا بعذاب اليم يعني مثل ما عذبت به الامم الماضية وفي النضر بن الحرث
نزل سال سائل بعذاب واقع قال عطاء لقد نزل في النضر بن الحرث بضع عشرة اية فحاق به ما سال من
العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة من قريش صبرا طعيمة بن عدي
وعقبة بن ابي معيط والنضر بن الحرث وروي انس بن مالك ان الذي قال ذلك ابو جهل عن انس

قال

قال قال ابو جهل اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء الاية فنزلت وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم الاية فلما اخرجوه نزلت وما لهم ان لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد
الحرام قوله عز وجل وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اختلفوا في معنى هذه الاية فقال محمد بن اسحاق
هذه الاية متصلة بما قبلها وهي حكاية عن المشركين وذلك انهم قالوا ان الله لا يعذبنا ونحن نستغفر
ولا يعذب امة ونبيها معها فقال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم يذكر جهالتهم وغرتهم
واستفتاحهم على انفسهم فقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ثم قال تعالى ردا عليهم وما لهم ان لا
يعذبهم الله وان كنت بين اظهرهم وان كانوا يستغفرون وهم يصدون عن المسجد الحرام وقال
اخرون هذا كلام مستانف يقول الله عز وجل اخبارا عن نفسه تعالى وتقدس وما كان الله
معذبهم وانت فيهم واختلفوا في معناه فقال الضحاك وجماعة تاويلها وما كان الله ليعذبهم
وانت يا محمد مقيم فيهم بين اظهرهم قالوا انزلت هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو
مقيم بمكة ثم لما خرج منها بقيت بقية من المسلمين يستغفرون فانزل الله وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون ثم لما خرج اولئك المسلمون من بين اظهر الكفار اذن الله في فتح مكة فهو العذاب
الذي وعدهم وقال ابن عباس لم يعذب الله قرية حتى يخرج نبيها منها والذين امنوا معه ويلحق
بحيث امر فقال الله وما كان الله ليعذبهم وانت مقيم فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
يعني المسلمين فلما خرجوا قال الله وما لهم ان لا يعذبهم الله وقال بعضهم هذا الاستغفار
راجع الى المشركين وذلك انهم كانوا يقولون بعد فراغهم من الطواف غفرانك غفرانك
وقال يزيد بن رومان قالت قريش اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
فلما امسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم فقال الله تعالى وما كان الله معذبهم وهم
يستغفرون اي لو استغفروا ولكنهم لم يكونوا يستغفرون ولو اقروا بالذنب واستغفروا
لكانوا مؤمنين وقيل هذا دعاء لهم الى الاسلام والاستغفار بهذه الكلمة كالرجل
يقول لعبده لا اعاقبك وانت تطيعني اي اطعني حتى لا اعاقبك وقال مجاهد وعكرمة وهم
يستغفرون اي يسلمون يعني لو اسلموا لما عذبوا وقال ابن عباس وفيهم من سبق له من الله عز
وجل العناية انه يؤمن ويستغفر مثل ابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل
وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وغيرهم وقال مجاهد وهم يستغفرون اي وفي اصلابهم من يستغفر
وقيل ان الكفار لما بالغوا وقالوا ان كان محمد محقا في قوله فامطر علينا حجارة من السماء فاخبر الله
ان محمدا محق في قوله وانه مع ذلك لا يمطر على اعدائه ومكذبي نبوته حجارة من السماء ما دام بين
اظهرهم وذلك تعظيما له صلى الله عليه وسلم واورد على هذا انه لما كان اقام ما تغاضى نزول
العذاب بهم فكيف قال في غير هذه الاية قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم فالمراد من العذاب الاول
هو عذاب الاستيصال والمراد من العذاب الثاني هو قوله يعذبهم الله بايديكم هو عذاب القتل
والسبي والاسر وذلك دون عذاب الاستيصال قال اهل المعاني دلت هذه الاية على ان الاستغفار
امان وسلامة من العذاب عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انزل الله
علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون
فاذا مضيت تركت فيهم الاستغفار الى يوم القيامة اخرجه الترمذي وقوله تعالى وما لهم
ان لا يعذبهم الله يعني اي شيء يمنعهم من ان يعذبهم الله يعني بعد خروجك من بين اظهرهم
لان الله تعالى بين في الاية الاولى لا يعذبهم وهو مقيم فيهم وبين في هذه العذاب فقيل هو القتل
والاسر يوم بدر وقيل اراد به عذاب الاخرة وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الاستيصال واراد

بهذه الاية العذاب بالسيف وقيل اراد بالعذاب الاول عذاب الدنيا وبهذا العذاب عذاب الاخرة
وقال الحسن الاية الاولى وهو قوله وما الله ليعذبهم منسوخة بقوله وما لهم الا يعذبهم
الله وفيه بعد لان الاخبار لا يدخلها النسخ ثم بين ما لاجله يعذبهم فقال تعالى وهم
يصدون عن المسجد الحرام يعني وهم يمنعون المومنين عن الطواف بالبيت وذلك حين صدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية وما كانوا اولياءه قال الحسن
كان المشركون يقولون اولياء المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله وما كانوا اولياءه يعني ليسوا اولياء
المسجد الحرام ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني ولكن المشركين لا يعلمون
ذلك **قوله تعالى** وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية لما ذكر الله تعالى
الكفار ليسوا باولياء البيت الحرام ذكر عقيبه السبب في ذلك وهو ان صلاتهم عنده كانت مكاء
وتصدية والمكاء في اللغة الصفير يقال مكا الطير يمكو اذا صفر والمكاء اسم طائر ابيض يكون بالحجاز
له صفير وقيل هو طائر يالف الريف سمي بذلك لكثرة مكائه يعني تصفيره والتصدية
التصفيق وفيه اصله واشتقاقه قولان احدهما انه من الصدى وهو الصوت الذي يرجع من الجبل
كالمجيب للمتكلم ولا يرجح قوله الى في الثاني قال ابو عبيدة اصله تصدد فابدلت الدال الواحدة
يا قال الازهري والمكاء والتصدية ليسا بصلاة ولكن الله اخبر انهم جعلوا مكان الصلاة التي
امروا بها المكاء والتصدية قال حسان بن ثابت صلاتهم التصدي والمكاء قال ابن عباس كانت قريش
يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون وقال مجاهد كان نفر من بني عبد الدار يعارضون
النبي صلى الله عليه وسلم في الطواف ويستهزؤن به ويدخلون اصابعهم في افواههم ويصفقون
فالمكاء جعل الاصابع في الشدق والتصدية الصفير وقال جعفر بن ربيعة سألت ابا سلمة
ابن عبد الرحمن عن قوله الا مكاء وتصدية فجمع كفيه ثم نفخ فيهما صفيرا وقال مقاتل كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قام رجلان عن يمينه يصفران ورجلان
عن يساره يصفقان ليخلطا على النبي صلى الله عليه وسلم صلاته وهم من بني عبد الدار فعلى قول
ابن عباس المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له فهو كقول العرب من كان نوع عبادة لهم وعلى قول
غيره كان نوع اذى للنبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس اصح لان الله سمى ذلك صلاة **فان
قلت** كيف سماها صلاة وليس ذلك من جنس الصلاة **قلت** انهم كانوا يعتقدون
ذلك المكاء والتصدية صلاة فخرج ذلك على حسب معتقدهم وفيه وجه اخر وهو ان من كان
المكاء والتصدية صلاته فلا صلاة له فهو كقول العرب من كان السخا عيبه فلا عيب له وقال سعيد
ابن جبير التصدية صدهم المومنين عن المسجد الحرام وعن الدين والصلاة فعلى هذا التصدية
من الصد وهو المنع وقوله تعالى فذوقوا العذاب يعني عذاب القتل والاسر في الدنيا وقيل يقال
لهم في الاخرة فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يعني بسبب كفركم في الدنيا قوله عز وجل
ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله لما ذكر الله عبادة الكفار البدنية وهي
المكاء والتصدية ذكر بعده عبادتهم المالية التي لا جدوى لها في الاخرة قال الكلبي ومقاتل نزلت في
المطعمين يوم بدر وكانوا اثني عشر رجلا ابو جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة ابن عبد
شمس ونبيه ومنبه ابنا الحجاج وابو البختري بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حزام وابي بن
خلف وزمعة بن الاسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب وكلهم من قريش فكان
يطعم كل واحد منهم الجيش في كل يوم عشر جزر واسلم من هولاء العباس بن عبد المطلب عم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحكيم بن حزام وقال الحكم بن عتيبة نزلت في ابي سفيان بن حرب حين انفق
على المشركين يوم احد اربعين اوقية وكل اوقية اربعون مثقالا وقال ابن ابزى استاجر ابو سفيان

يوم

يوم احد الفين اربعين اوقية كل اوقية اربعون مثقالا وقال ابن ابزى استاجر ابو سفيان يوم احد
الفين ليقاتل بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لما اصيب من اصيب من قريش يوم بدر ورجع
ابو سفيان بعيره الى مكة مشى عبد الله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية في رجال
ممن من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد وتركم وقتل خياركم فاعينونا
بهذا المال على حربه لعلنا ندرك منه ثارا بمن اصيب منا ففيهم نزلت ان الذين كفروا ينفقون اموالهم
على امثالهم من المشركين ليتقووا بها على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين فسينفقونها
يعني اموالهم في ذلك الوجه ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون يعني ما انفقوا من اموالهم يكون عليهم
حسرة وندامة يوم القيامة لان اموالهم تذهب ويغلبون ولا يظفرون بما يأملون والذين كفروا
يعني منهم لان منهم من اسلم فلهذا قال والذين كفروا يعني من المنفقين اموالهم الى جهنم يحشرون
يعني يساقون الى النار ليميز الله الخبيث من الطيب يعني ليفرق بين الكفار وهم الفريق
الخبيث وبين فريق المومنين وهو الفريق الطيب وهذا معنى قول ابن عباس فانه قال
يميز اهل السعادة من اهل الشقاوة وقال ليميز العمل الخبيث من العمل الطيب فيجازي
على العمل الخبيث النار وعلى العمل الطيب الجنة **وقيل** المراد به انفاق الكفار
في سبيل الشيطان وانفاق المسلمين في سبيل الله ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه
جميعا يعني بعضه فوق بعض فيجعله في جهنم يعني الخبيث اولئك هم الخاسرون اشارة الى المنفقين
في سبيل الشيطان او الى الخبيث هم الخاسرون على انهم خسروا الدنيا والاخرة لانهم
اشتروا باموالهم عقاب الاخرة قوله تعالى قل يعني قل يا محمد للذين كفروا ان ينتهوا يعني
عن الشرك يغفر لهم ما قد سلف يعني ما قد مضى من كفرهم وذنوبهم قبل الاسلام وان يعودوا
فقد مضت سنة الاولين يعني في هلاك اعدائه ونصر اوليائه ومعنى الاية قل للكفار
ان انتهوا عن الكفر ودخلوا في دين الاسلام والتزموا شرائعه يغفر لهم ما قد سلف من كفرهم
وشركهم وان عادوا الى الكفر واصروا عليه فقد مضت سنة الاولين بالهلاك اعدائه ونصر اوليائه
واوليائه واجمع العلماء على ان الاسلام يجب ما قبله واذا اسلم الكافر والمرتد [illegible]
البدنية والمالية وهو ساقطة الاسلام [illegible] قال يحيى
ابن معاذ الرازي توحيد لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر ارجو ان لا يعجز عن هدم ما بعده
من ذنب وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال ابن عباس يعني حتى لا يكون شرك وقال الحسن حتى لا يكون
بلاء ويكون الدين كله لله يعني تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره وقال
قتادة حتى يقال لا اله الا الله عليها قاتل النبي صلى الله عليه وسلم واليها دعا وقال محمد
ابن اسحاق في قوله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله يعني لا يفتن مومن عن
دينه ويكون التوحيد لله خالصا ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الانداد والاشركاء فان انتهوا
يعني عن الشرك وقتال المومنين واذاهم فان الله بما يعملون بصير يعني فان الله لا يخفى
عليه شيء من اعمال العباد وبيانهم حتى يوصل اليهم ثوابهم وان تولوا يعني وان اعرضوا عن الايمان
واصروا على الكفر وعادوا الى قتال المسلمين وايذائهم فاعلموا يعني فاعلموا ايها المومنون ان الله مولاكم
يعني انه ناصركم ووليكم وحافظكم نعم المولى ونعم النصير يعني الله هو نعم المولى ونعم
النصير **قوله عز وجل** واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول الغنيمة
[illegible] واختلف العلماء في الفيء والغنيمة هل هما اسم لشيء واحد او مختلفان
في التسمية فقال عطاء بن السائب الغنيمة ما ظهر المسلمون عليه من اموال المشركين فاخذوه عنوة
واما الارض فهي في وقال سفيان الثوري الغنيمة ما اصاب المسلمون من مال الكفار عنوة بقتال

اوليائه

دات

فقيل الخمس وأربعة أخماس لمن شهد الوقعة وأما الفيء فما صولحوا عليه بغير قتال فليس فيه خمس فهو لمن سمى
الله وقيل الغنيمة ما أخذ من أموال الكفار عنوة عن قهر وغلبة والفيء ما لم يوجف عليه بخيل ولا
ركاب فذكر الله في هذه الآية حكم الغنيمة فقال تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء يعني من أي شيء كان حتى
الخيط والمخيط فأن لله خمسه وللرسول فذكر أكثر المفسرين والفقهاء أن قوله لله افتتاح كلام على
سبيل التبرك وإنما أضافه إلى نفسه تعالى لأنه هو الحاكم فيه فيقسمه كيف شاء وليس المراد منه أن سهما
منه لله مفردا لأن الدنيا والآخرة كلها لله وهذا قول الحسن وقتادة وعطاء وإبراهيم النخعي سهم
الله وسهم رسوله واحد والغنيمة تقسم خمسة أخماس أربعة أخماسها لمن قاتل عليها وأحرزها
والخمس الباقي لخمسة أصناف كما ذكر الله عز وجل للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
وقال أبو العالية يقسم خمس الخمس على ستة أسهم سهم لله عز وجل فيصرف إلى الكعبة والقول الأول
أصح أن خمس الغنيمة يقسم على خمسة أسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان له في حياته واليوم
هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الإسلام وهذا قول الشافعي وأحمد وروى الأعمش عن إبراهيم
قال كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكراع والسلاح وقال
قتادة هو للخليفة وقال أبو حنيفة سهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته مردود في الخمس فيقسم
الخمس على أربعة أصناف المذكورين في الآية وهم ذوو القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل **قوله
تعالى** ولذي القربى يعني أن سهما من خمس الخمس لذوي القربى وهم أقارب رسول الله صلى
الله عليه وسلم واختلفوا فيهم فقالت قوم هم جميع قريش وقال قوم هم الذين لا تحل لهم الصدقة
وقال مجاهد وعلي بن الحسين هم بنو هاشم وقال الشافعي هم بنو هاشم وبنو المطلب وليس
لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء وإن كانوا إخوة ويدل عليه ما روي عن جبير بن مطعم قال
جئت أنا وعثمان بن عفان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أعطيت بني المطلب
وتركتنا ونحن وهم بمنزلة واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بنو المطلب وبنو هاشم
شيء واحد وفي رواية أعطيت بني المطلب من خمس الخمس وتركتنا وفي رواية قال جبير ولم
يقسم النبي صلى الله عليه وسلم لبني عبد شمس ولا لبني نوفل شيئا أخرجه البخاري وفي رواية أبي
داود أن جبير بن مطعم جاء هو وعثمان بن عفان يكلمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما
قسم من الخمس في بني هاشم وبني عبد المطلب فقلت يا رسول الله قسمت لإخوتنا بني المطلب
ولم تعطنا شيئا وقرابتنا وقرابتهم واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بنو هاشم
وبنو المطلب شيء واحد وفي رواية للنسائي قال لما كان يوم خيبر وضع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ذوي القربى في بني هاشم وبني المطلب وترك بني نوفل وبني عبد شمس فانطلقت أنا
وعثمان بن عفان حتى أتينا النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا يا رسول الله هؤلاء بنو هاشم
لا ننكر فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم فما بال إخواننا بني عبد المطلب أعطيتهم
وتركتنا وقرابتنا واحدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا وبنو المطلب لا نفترق
في جاهلية ولا إسلام وإنما نحن وهم شيء واحد وشبك بين أصابعه واختلف أهل العلم
في سهم ذوي القربى هل هو ثابت فيعطى فقراؤهم وأغنياؤهم من خمس الخمس للذكر مثل حظ
الأنثيين وهو قول مالك والشافعي وذهب أبو حنيفة وأصحاب الرأي إلى أنه غير ثابت
قالوا سهم النبي صلى الله عليه وسلم وسهم ذوي القربى مردود في الخمس فيقسم الخمس على ثلاثة
أصناف اليتامى والمساكين وابن السبيل فيصرف إلى فقراء ذوي القربى مع هذه الأصناف
دون أغنيائهم وحجة الجمهور أن الكتاب والسنة يدلان على سهم ذوي القربى وكذا الخلفاء
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يعطون ذوي القربى ولا يفضلون فقيرا على غني

لأن

لأن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى العباس بن عبد المطلب مع كثرة ماله وكذا الخلفاء بعده
كانوا يعطونه وألحقه الشافعي بالميراث الذي يستحق باسم القرابة غير أنه يعطى القريب والبعيد
ويفضل الذكر على الأنثى فيعطى الذكر سهمين والأنثى سهما وقوله تعالى واليتامى جمع يتيم ويعطى
من خمس الخمس لليتامى واليتيم الذي له في سهم في الخمس هو الصغير المسلم الذي لا أب له فيعطى مع
الحاجة إليه والمساكين وهم أهل الفاقة والحاجة من المسلمين وابن السبيل وهو المسافر
البعيد عن ماله فيعطى من خمس الخمس مع الحاجة إليه فهذا مصرف خمس ويقسم أربعة أخماسها الباقية
بين الغانمين الذين شهدوا الواقعة وحازوا الغنيمة فيعطى للفارس ثلاثة أسهم سهم له وسهمان
لفرسه ويعطى الراجل سهم واحد لما روي عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قسم في النفل للفرس
سهمان وللراجل سهم وله رواية نحوه بإسقاط لفظ النفل أخرجه البخاري ومسلم وفي رواية
أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسهم للرجل ولفرسه ثلاثة أسهم سهما له وسهمين
لفرسه وهذا قول أهل العلم وإليه ذهب الثوري والأوزاعي ومالك وابن المبارك والشافعي
وأحمد وإسحاق وقال أبو حنيفة للفارس سهمان وللراجل سهم ويرضخ للعبد
والنسوان والصبيان إذا حضروا القتال ويقسم العقار الذي استولى عليه المسلمون
كالمنقول وعند أبي حنيفة يتخير الإمام في العقار بين أن يقسمه بينهم وبين أن يجعله وقفا
على المصالح وظاهر الآية يدل على أنه لا فرق بين العقار والمنقول ومن قتل قتيلا من المسلمين
في القتال يستحق سلبه من رأس الغنيمة لما روي عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه أخرجه الترمذي وأخرجه البخاري ومسلم
في حديث طويل والسلب كل ما يكون على المقتول من ملبوس وسلاح والفرس الذي كان
راكبه ويجوز للإمام أن ينفل بعض الجيوش من الغنيمة لزيادة عناء وبلاء يكون منهم في الحرب
يخصهم به من بين سائر الجيش ثم يجعلهم أسوة الجماعة في سهام الغنيمة ق عن ابن عمر أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم نفل الربع في البداءة والثلث في الرجعة أخرجه أبو داود
واختلف العلماء في أن النفل من أين يعطى فقال قوم من خمس الخمس من سهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو قول سعيد بن المسيب وبه قال الشافعي وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه
عبادة بن الصامت قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر وبرة من جنب بعير فقال
أيها الناس إنه لا يحل لي مما أفاء الله عليكم قدر هذه إلا الخمس والخمس مردود عليكم أخرجه النسائي
وقال قوم هو من الأربعة أخماس بعد إفراز الخمس كسهام الغزاة وهو قول أحمد وإسحق وذهب
قوم إلى أن النفل من رأس الغنيمة قبل التخميس كالسلب للقاتل وأما الفيء وهو ما أصابه المسلمون
من أموال الكفار بغير إيجاف خيل ولا ركاب بأن صالحهم على مال يؤدونه وكذا الجزية وما
أخذ من أموالهم إذا دخلوا دار الإسلام للتجارة أو يموت أحد منهم في دار الإسلام ولا وارث له
فهذا كله فيء ومال الفيء كان خالصا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مدة حياته وقال عمر إن الله قد
خص رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الفيء بشيء لم يخص به أحدا غيره ثم قرأ ما أفاء الله على رسوله
منهم الآية فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة وكان ينفق على أهله وعياله نفقة
سنتهم من هذا المال ثم ما بقي يجعله مجعل مال الله في الكراع والسلاح واختلف أهل العلم في مصرف
الفيء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للأئمة بعده وللشافعي فيه قولان أحدهما أنه
للمقاتلة الذين أثبتت أسماؤهم في ديوان الجهاد لأنهم هم القائمون مقام النبي صلى الله عليه وسلم
في إرهاب العدو والقول الثاني أنه لمصالح المسلمين ويبدأ بالمقاتلة فيعطون منه كفايتهم
ثم بالأهم فالأهم من المصالح واختلف أهل العلم في تخميس الفيء فذهب الشافعي إلى أنه يخمس وخمسه لأهل

الخمس من الغنيمة على خمسة اسهم واربعة اخماسه للمقاتلة وللمصالح وذهب الاكثرون الى انه يخمس
بل يصرف جميعه مصرفا واحدا ولجميع المسلمين فيه حق عن مالك بن انس قال ذكر عمر يوما الفيء فقال
ما انا احق بهذا الفيء منكم وما احد منا احق به من احد الا انا على منازلنا من كتاب الله وقسمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجل وقدمه والرجل وبلاده والرجل وعياله والرجل وحاجته اخرجه ابو
داود واخرج البغوي بسنده عنه انه سمع عمر بن الخطاب يقول ما على وجه الارض احد الا وله
مسلم الا له في هذا الفيء حق الا ما ملكت ايمانكم وقوله تعالى ان كنتم آمنتم بالله يعني واعلموا
ايها المؤمنون ان خمس الغنيمة مصروف الى من ذكر في هذه الآية من الاصناف فاقطعوا عنه
اطماعكم واقنعوا باربعة اخماس الغنيمة ان كنتم آمنتم بالله وصدقتم بوحدانيته وما انزلنا
على عبدنا يعني وآمنتم بالمنزل على عبدنا محمد صلى الله عليه وسلم يسألونك عن الانفال
الآية يوم الفرقان يعني يوم بدر قال ابن عباس يوم الفرقان يوم بدر فرق الله عز وجل فيه
بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان يعني يوم جمع المؤمنين وجمع الكفار وهو يوم بدر وهو
اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان راس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا
يوم الجمعة لتسع عشرة او لسبع عشرة من رمضان واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة
وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الالف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة
على سبعين واسر منهم مثل ذلك والله على كل شيء قدير يعني على نصركم ايها المؤمنون مع قلتكم
وكثرة اعدائكم قوله تعالى اذ انتم اي اذكروا نعمة الله عليكم يا معشر المسلمين اذ انتم بالعدوة
الدنيا يعني بشفير الوادي الادنى من المدينة والدنيا تانيث الادنى وهم يعني المشركين
بالعدوة القصوى يعني بشفير الوادي الاقصى من المدينة مما يلي مكة والقصوى تانيث الاقصى
والركب اسفل منكم يعني ابا سفيان واصحابه وهي عير قريش التي خرجوا لاجلها وكانوا في موضع
اسفل من موضع المؤمنين اي ساحل البحر على ثلاثة اميال من بدر ولو تواعدتم يعني انتم والمشركين
لاختلفتم في الميعاد وذلك ان المسلمين خرجوا لياخذوا العير وخرج الكفار ليمنعوها من المسلمين
فالتقوا على غير ميعاد والمعنى ولو تواعدتم انتم والكفار على القتال لاختلفتم انتم وهم لقلتكم
وكثرة عدوكم ولكن يعني ولكن الله جمعكم بغير ميعاد والمعنى ولو تواعدتم انتم والكفار على
القتال لاختلفتم انتم وهم لقلتكم وكثرة عدوكم ليقضي يعني ولكن الله جمعكم بغير ميعاد ليقضي الله امرا
كان مفعولا يعني من نصر اوليائه واعزاز دينه واهلاك اعدائه واعداء دينه
ليهلك من هلك عن بينة يعني ليموت من مات عن بينة راها وعبرة عاينها وحجة قامت عليه ويحيى
من حي عن بينة يعني ويعيش من عاش على بينة راها وعبرة شاهدها وحجة قامت عليه
وقال محمد بن اسحاق معناه ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه ويؤمن من آمن على مثل ذلك
لان الهلاك هو الكفر والحياة هو الايمان ونحوه قال قتادة ليضل من ضل على بينة ويهتدي
من اهتدى على بينة وان الله لسميع عليم يعني لسميع دعائكم ويعلم نياتكم ولا يخفى عليه خافية
قوله عز وجل اذ يريكهم الله يعني واذكر يا محمد نعمة الله عليك اذ يريك المشركين في
منامك قليلا يعني في نومك قال مجاهد اراهم الله في منامه قليلا فاخبر النبي صلى الله
عليه وسلم اصحابه بذلك وكان تثبيتا لهم وقال محمد بن اسحاق فكان ما اراه الله من ذلك نعمة
من نعمه عليهم يشجعهم بها على عدوهم وكف بها عنهم ما تخوف عليهم من ضعفهم لعلمه
بما فيهم وقيل لما ارى الله النبي صلى الله عليه وسلم كفار قريش في منامه قليلا فاخبر بذلك
اصحابه فقالوا رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم حق فصار ذلك سببا لجراتهم على عدوهم وقوة
لقلوبهم وقال الحسن ان هذه الاراءة كانت في اليقظة والمراد من المنام العين لانها موضع النوم

ولو

ولو اراكهم كثيرا لفشلتم يعني لجبنتم والفشل ضعف مع جبن والمعنى ولو اراكهم كثيرا
فذكرت لاصحابك لفشلوا وجبنوا عنهم ولتنازعتم في الامر يعني اختلفتم في الاقدام
عليهم والاحجام عنهم وقيل معناه التنازع في الامر هو الاختلاف الذي يكون عند مخاصمة
ويجاذبة كل واحد الى جهة والمعنى لاضطرب امركم واختلف كلمتكم ولكن الله سلم
يعني ولكن الله سلمكم من التنازع والمخالفة فيما بينكم وقيل معناه ولكن الله سلمكم من
الهزيمة والفشل انه عليم بذات الصدور يعني انه تعالى يعلم ما في الصدور من الجراة والجبن
والصبر والجزع وقال ابن عباس معناه انه عليم بما في صدوركم من الحب لله عز وجل واذ يريكموهم
اذ التقيتم في اعينكم قليلا يعني ان الله تعالى قلل عدد المشركين في اعين المؤمنين يوم بدر لما التقوا
في القتال ليتاكد في اليقظة ما راه النبي صلى الله عليه وسلم في منامه واخبر به اصحابه قال ابن مسعود
لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا
كم كنتم قال الفا ويقللكم في اعينهم يعني ويقللكم يا معشر المؤمنين في اعين المشركين قال السدي
قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال ابو جهل الآن اذ برز لكم محمد واصحابه
فلا ترجعوا حتى تستاصلوهم انما محمد واصحابه اكلة جزور يعني لقلتهم في عينه ثم قال فلا تقتلوهم
واربطوهم في الحبال يقوله من القدرة على نفسه والحكمة في تقليل المشركين في اعين المؤمنين
تصديق رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وتقوى بذلك قلوب المؤمنين وتزداد جرأتهم عليهم ولا يجبنوا
عن قتالهم والحكمة في تقليل المؤمنين في اعين المشركين لئلا يهربوا واذا استقلوا عدد المسلمين
لم يبالغوا في الاستعداد والتاهب لقتالهم فيكون ذلك سببا لظهور المؤمنين عليهم فان قلت
كيف يمكن التقليل الكثير وتكثير القليل قلت ذلك ممكن مع القدرة الالهية فان الله تعالى
على ما يشاء قدير ويكون ذلك معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم من خوارق العادات فلا ينكر ذلك
ليقضي الله امرا كان مفعولا يعني امرا كائنا من اعلاء كلمة الاسلام ونصر اهله واذلال كلمة الشرك
وخذلان اهله فان قلت قد قال في الآية المتقدمة ليحصل استيلاء المؤمنين على المشركين
على وجه القهر والغلبة ليكون ذلك معجزة دالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمقصود من ذكر الآية لانه تعالى قلل عدد الفريقين في اعين بعضهم بعضا لحكمة التي
قضاها فلذلك قال ليقضي الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يعني في الآخرة
فيجازي كل عامل على قدر عمله فالمحسن باحسانه والمسيء باساءته او يعفو قوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا اذا لقيتم فئة يعني جماعة كافرة فاثبتوا يعني لقتالهم ولا تنهزموا واثبتوا انفسكم
في لقاء العدو وقتالهم ولا تجبنوها بالتولي واذكروا الله كثيرا يعني كونوا ذاكرين
الله عند لقاء عدوكم ذكرا كثيرا بقلوبكم والسنتكم امر الله عباده المؤمنين واولياءه الصالحين
الا يفتروا عن ذكره في اشد الاحوال وذلك عند لقاء العدو وقتاله وفيه تنبيه على ان الانسان
لا يجوز ان يخلو قلبه ولسانه عن ذكر الله وقيل المراد من هذا الذكر هو الدعاء بالنصر على العدو
وذلك لا يحصل الا بمعونة الله تعالى فامر الله عباده ان يسألوه النصر على العدو عند اللقاء
ثم قال تعالى لعلكم تفلحون يعني وكونوا على رجاء الفلاح والنصر فان قلت ظاهر الآية يوجب
الثبات على كل حال وذلك يوهم انها ناسخة لآية التحرف والتحيز قلت المراد من الثبات هو الثبات
عند المحاربة والمقاتلة في الجملة وآية التحرف والتحيز لا يقدح في حصول هذا الثبات في المحاربة
بل كان الثبات في المقصود لا يحصل الا بذلك التحرف والتحيز ثم قال تعالى مؤيدا لذلك واطيعوا
الله ورسوله يعني في امر الجهاد والثبات عند لقاء العدو ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم
يعني ولا تختلفوا فان التنازع والاختلاف يوجب الفشل والضعف والجبن وقوله تعالى

واصبروا يعني عند لقاء عدوكم ولا تنهزموا عليهم إن الله مع الصابرين يعني بالنصر والمعونة (ق)
عن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أيامه التي لقي فيها العدو وانتظر حتى مالت
الشمس فقام فيهم فقال أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية فإذا لقيتم فاصبروا
واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب ومجري
السحاب وهازم الأحزاب وانصرنا عليهم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا
لقاء العدو فإذا لقيتموهم فاصبروا **قوله عز وجل** ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم
بطرا يعني فخرا وأشرا وقيل البطر الطغيان في النعمة وذلك أن النعم إذا كثرت من الله على العبد فإن صرفها
إلى المفاخرة على الأقران وكاثر بها أبناء الزمان وأنفقها في غير طاعة الرحمن فذلك هو البطر في النعمة
وإن صرفها في طاعة الله تعالى وابتغاء مرضاته فذلك شكرها وهذا معنى قول الزجاج البطر الطغيان
في النعمة وترك شكرها ورئاء الناس الرياء إظهار الجميل ليراه الناس مع إبطان القبيح والفرق بين
الرياء والنفاق إظهار الإيمان مع إبطان الكفر والرياء إظهار الطاعة مع إبطان المعصية ويصدون
عن سبيل الله يعني ويمنعون الناس عن الدخول في دين الله نزلت هذه الآية في
كفار قريش حين خرجوا إلى بدر ولهم فخر وبغي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد أقبلت
بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به قال ابن عباس إن أبا سفيان
لما رأى أنه قد أحرز عيره أرسل إلى قريش إنكم إنما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها
الله فارجعوا فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها
سوق كل عام فنقيم عليه ثلاثا وننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا
القيان وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدا فامضوا زاد غيره فقال فلما وافوا بدرا
سقوا كؤوس الحمام عوض الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهى الله عباده المؤمنين
أن يكونوا مثلهم والمعنى لا يكونن أمركم أيها المؤمنون رياء وسمعة ولا لالتماس ما عند الناس ولكن
أخلصوا لله تعالى النية وقاتلوا احتسابا في نصر دينكم ومؤازرة نبيكم صلى الله عليه وسلم ولا تعملوا
إلا لذلك ولا تطلبوا إلا ذلك ولا تطلبوا غيره والله بما يعملون محيط فيه وعيد وتهديد يعني
أنه تعالى عالم بجميع الأشياء لا يخفى عليه خافية من علمه لأنه محيط بأعمال العباد كلها فيجازي المحسنين
ويعاقب المسيئين قوله تعالى وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم يعني اذكروا أيها المؤمنون نعمة الله
عليكم إذ زين لهم الشيطان أعمالهم يريد إبليس للمشركين أعمالهم الخبيثة وقال لا غالب لكم اليوم من
الناس وإني جار لكم قال بعضهم كان تزيينه وسوسته إلقاؤها في قلوبهم من غير أن يتحول
في صورة غير صورته وقال جمهور المفسرين تصور إبليس في غير صورته في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وكان
تزيينه أن قريشا لما اجتمعت على السير إلى بدر ذكرت الذي بينها وبين بني بكر بن الحرث من الحروب
فكاد ذلك أن يثنيهم فتبدى لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم المدلجي وكان من أشراف بني كنانة
فقال أنا جار لكم من أن يأتيكم من كنانة شيء تكرهونه فخرجوا سراعا وقال ابن عباس جاء إبليس يوم بدر
في جند من الشياطين معه رايته في صورة رجل من رجال بني مدلج سراقة بن مالك بن جعشم فقال
الشيطان المدلجي وكان من أشراف بني كنانة لا تخف إنا جار لكم من أن يأتيكم من كنانة فقال الشيطان
للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس انتزع إبليس يده أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب
فرمى بها وجوه المشركين فولوا مدبرين وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس لعنه الله فلما رآه وكانت
يده في يد رجل من المشركين انتزع إبليس يده ثم ولى مدبرا وشيعته فقال الرجل يا سراقة أتزعم أنك
جار لنا فقال إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة
وقوله إني جار لكم يعني مجير لكم من كنانة فلما تراءت الفئتان يعني التقى الجمعان رأى إبليس الملائكة

قد نزلوا من السماء علم عدو الله إبليس أنه لا طاقة له بهم نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم يعني رجع
القهقرى روي مدبرا هاربا على قفاه وقال الكلبي لما التقى الجمعان كان إبليس في صف المشركين على صورة
سراقة بن مالك بن جعشم فبلغ ذلك سراقة فقال بلغني أنكم تقولون إني هزمت الناس فوالله
ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا أتيتنا في يوم كذا وكذا فحلف لهم فلما أسلموا علموا أن ذلك
كان شيطانا قال الحسن في قوله إني أرى ما لا ترون قال رأى إبليس جبريل عليه السلام معتجرا ببرد يمشي
بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس ما ركب وقال قتادة قال إبليس إني أرى ما لا
ترون وصدق وقال إني أخاف الله وكذب ما به مخافة الله ولكن علم أنه لا قوة له ولا منعة فأوردهم
وأسلمهم وتلك عادة عدو الله إبليس لمن أطاعه إذا التقى الحق والباطل أسلمهم وتبرأ منهم وقيل إنه خاف
أن يأخذه جبريل فيعرفهم حاله فلا يطيعوه وقيل معناه إني أخاف الله أن يصدق وعده لأوليائه لأنه كان
على ثقة من أمره وقيل لما رأى الملائكة قد نزلت من السماء خاف أن تكون القيامة والله شديد العقاب
قيل معناه إني أخاف الله لأنه شديد العقاب فعلى هذا يكون تمام قول إبليس وقيل تم الكلام عند
قوله إني أخاف الله وقوله والله شديد العقاب ابتداء كلام يقول الله والله شديد العقاب
لمن خالف الله وكفر به عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما رأى الشيطان
يوما هو فيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه في يوم عرفة وما ذاك إلا لما يرى من تنزل
الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام إلا ما رأى يوم بدر قيل وما رأى يوم بدر قال أما إنه قد رأى جبريل يزع الملائكة أخرجه
مالك في الموطأ تامة قوله أدحر والأحقر أبعد والدحر الإبعاد والطرد مع الإهانة
وقوله يزع الملائكة أي يكفهم ويحبسهم لئلا يتقدم بعضهم على بعض والوازع هو الذي يتقدم ويتأخر
في الصف ليصلحه **فإن قلت** كيف يقدر إبليس على أن يتصور بصورة البشر وإذا تشكل بصورة
البشر فكيف يسمى شيطانا **قلت** إن الله عز وجل أعطاه قوة وأقدرهم على أن يتشكلوا بصورة البشر
لكن النفس الباطنة لم تتغير فلم يلزم من تغير الصورة تغير الحقيقة قوله عز وجل إذ يقول
المنافقون يعني من أهل المدينة والذين في قلوبهم مرض أي شك وارتياب وهم قوم من أهل مكة تكلموا
بالإسلام ولم يقو الإسلام في قلوبهم ولم يتمكن فلما خرج كفار قريش إلى حرب رسول الله صلى الله عليه
وسلم خرجوا معهم إلى بدر فلما رأوا قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا غر هؤلاء دينهم يعني
أن هؤلاء قليلون فكيف يلاقون أضعافهم فقد غرهم دينهم الإسلام على ذلك وحملهم على قتل أنفسهم
رجاء الثواب في الآخرة فقتلوا جميعا يوم بدر وقال مجاهد إن فئة من قريش وهم قيس بن الوليد بن المغيرة
والحرث بن زمعة بن الأسود بن المطلب وعلي بن أمية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا جميعا
مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالوا غر هؤلاء دينهم ثم قال تعالى ومن يتوكل على الله يعني ومن يسلم أمره إلى الله ويثق
بفضله ويعول على إحسانه فإن الله حافظه وناصره لأنه عزيز لا يغلبه شيء حكيم يعني
فيما قضى وحكم فيوصل الثواب إلى أوليائه والعقاب إلى أعدائه قوله عز وجل ولو ترى إذ يتوفى
الذين كفروا الملائكة يعني ولو عاينت يا محمد وشاهدت إذ تقبض الملائكة أرواح الذين كفروا
عند الموت لرأيت أمرا عظيما ومنظرا فظيعا وعذابا شديدا ينالهم في ذلك الوقت يضربون وجوههم
وأدبارهم اختلفوا في وقت الضرب فقيل هو عند الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وأدبارهم
بسياط من نار وقيل إن الذين كفروا قتلوا يوم بدر من المشركين كانت الملائكة تضرب وجوههم وأدبارهم
وقال ابن عباس كان المشركون إذا أقبلوا بوجوههم على المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف
وإذا ولوا أدبارهم ضربت الملائكة أدبارهم وقال ابن جريج يريد ما أقبل من أجسادهم وأدبر يعني
يضربون جميع أجسادهم وذوقوا عذاب الحريق يعني وتقول الملائكة عند القتل ذوقوا عذاب

الحريق يعني وتقول الملائكة عند القتل وذوقوا عذاب الحريق كا قيل كان مع الملائكة مقامع من حديد محمية بالنار يضربون بها الكفار فتلتهب النار في جراحاتهم وقال ابن عباس تقول لهم الملائكة ذلك بعد الموت قال الحسن هذا يوم القيامة تقول لهم الزبانية ذوقوا عذاب الحريق ذلك يعني الذي نزل بكم من القتل والضرب والحريق بما قدمت ايديكم يعني انما حصل لكم بسبب ما كسبت ايديكم من الكفر والمعاصي فان قلت اليد ليست محلا للكفر وانما محله القلب لان الاعتقاد محله القلب وظاهر الاية يقتضي ان فاعل هذا الكفر هو اليد وذلك ممتنع قلت اليد هنا عبارة عن القدرة لان اليد لها العمل والقدرة هي المؤثرة في العمل فجعل اليد كناية عن القدرة وقوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد يعني ان الله لا يعذب احدا من خلقه الا بجرم اجترمه لانه لا يظلم احدا من خلقه وانما نفى الله الظلم عن نفسه مع انه يعذب الكافر على كفره والعاصي على عصيانه لانه متصرف في ملكه كيف يشاء فمن كان كذلك استحال نسبة الظلم اليه فلا يتوهم ان الله تعالى مع خلقه كفر الكافر وتعذيبه عليه ظالم فلهذا قال تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد لانهم في ملكه وتحت قدرته فهو يتصرف فيهم كيف يشا **قوله تعالى** كدأب آل فرعون يعني ان عادة هولاء الكفار في كفرهم كعادة آل فرعون فجوزي هولاء بالقتل والاسر يوم بدر كما جوزي آل فرعون بالاغراق واصل الدأب في اللغة ادامة العمل يقال فلان يدأب في كذا اذا داوم عليه ويتعب نفسه وتعب نفسه فيه ثم سميت العادة دأبا لان الانسان يداوم على عادته ويواظب عليها قال ابن عباس معناه ان آل فرعون ايقنوا ان موسى نبي من الله تعالى فكذبوه فكذلك هولاء لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق كذبوه فانزل الله بهم عقوبته كما انزل بآل فرعون والذين من قبلهم يعني من قبل آل فرعون كفروا بآيات الله يعني ان عادة هولاء الكفار في كفرهم كعادة يعني ان عادة الامم السالفة في كفرهم بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم يعني بسبب كفرهم وذنوبهم ان الله قوي يعني في اخذه وانتقامه من كفر وكذب رسله شديد العقاب يعني لمن كفر وكذب رسله ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم يعني ان الله تعالى انعم على اهل مكة بان اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وبعث اليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فقابلوا هذه النعم بان تركوا شكرها وكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وغيروا ما بانفسهم فسلبهم الله تعالى النعمة واخذهم بالعقاب قال السدي نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم انعم به على قريش فكفروا به وكذبوه فنقله الى الانصار وان الله سميع يعني لاقوال الخلق لا يخفى عليه شي من كلامهم عليم يعني بما في صدورهم من خير او شر فيجازي كل واحد على قدر عمله كدأب آل فرعون يعني ان هولاء الكفار الذين قتلوا يوم بدر غيروا نعمة الله عليهم كصنيع آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم يعني اهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالحجارة وبعضهم بالريح وبعضهم بالمسخ كذلك اهلكنا كفار قريش بالسيف واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين يعني الاولين والآخرين فان قلت فما فائدة تكرير هذه الآية مرة ثانية قلت فيها فوائد منها ان الكلام الثاني يجري مجرى التفصيل للكلام الاول لان الآية الاولى فيها ذكر اخذهم وفي الآية الثانية ذكر اغراقهم فذلك تفسير للاول الفائدة الثانية انه ذكر في الآية الاولى انهم كفروا بآيات الله وفي الآية الثانية انهم كذبوا بآيات ربهم ففي الاولى اشارة الى انهم انكروا بآيات الله وجحدوها وفي الآية الثانية اشارة الى انهم كذبوا بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب قوله تعالى ان شر الدواب عند الله يعني في علمه وحكمه الذين كفروا فهم لا يؤمنون والمعنى ان شر الدواب من الانس الكفار المصرين على الكفر نزلت في يهود بني قريظة رهط كعب بن الاشرف الذين عاهدت منهم قيل من صلة يعني الذين عاهدتهم وقيل هي للتبعيض لان المعاهدة مع بعض القوم وهم الرؤسا والاشراف ثم ينقضون عهدهم في كل مرة قال المفسرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عاهد يهود بني قريظة ان لا يحاربوه

يحاربوه

يحاربوه ولا يعاونوا عليه فنقضوا العهد واعانوا مشركي مكة بالسلاح على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم قالوا نسينا واخطانا فعاهدهم الثانية فنقضوا العهد ايضا ومالوا الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم على مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم لا يتقون يعني انهم لا يخافون في نقض العهد لان عادة من يرجع الى دين وعقل وحزم ان يتقي نقض العهد حتى يسكن الناس الى قوله ويثقون بكلامه فبين الله عز وجل ان من جمع بين الكفر ونقض العهد انه من شر الدواب فاما تثقفنهم في الحرب يعني فاما تجدن هولاء الذين نقضوا عهدك وتظفر بهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم قال ابن عباس معناه فنكل بهم وقال سعيد بن جبير انذر بهم من خلفهم واصل التشريد في اللغة التفريق مع الاضطراب ومعنى الاية انك اذا ظفرت بهولاء الكفار الذين نقضوا العهد فافعل بهم فعلا من القتل والتنكيل تفرق به جمع كل ناقض للعهد حتى يخافك من وراءهم من اهل مكة واليمن لعلهم يذكرون يعني لعل ذلك النكال يمنعهم من نقض العهد وإما تخافن يعني واما تعلمن يا محمد من قوم يعني معاهدين خيانة يعني نقضا للعهد بما يظهر لك منهم من آثار الغدر كما ظهر من بني قريظة والنضير فانبذ اي فاطرح اليهم يعني عهدهم وارم به اليهم على سواء يعني على طريق ظاهر مستو يعني اعلمهم قبل حربك اياهم انك قد فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون انت وهم في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهموا انك نقضت العهد او لا بنصب الحرب معهم ان الله لا يحب الخائنين يعني في نقض العهد عن سليم بن عامر عن رجل من حمير قال كان بين معاوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم ليقرب حتى اذا انقضى العهد غزاهم فجاءهم رجل على فرس او برذون وهو يقول الله اكبر وفاء لا غدر فاذا هو عمرو بن عبسة فارسل اليه معاوية فسأله فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي امدها او ينبذ اليهم على سواء فرجع معاوية اخرجه ابو داود واخرج الترمذي عن سليم بن عامر نفسه بلا زيادة ورجل من حمير وعبد الله اكبر مرة واحدة وحاشية دابة او فرس واما حكم الاية فقال اهل العلم اذا ظهرت آثار نقض العهد ممن هادن الامام من المشركين بامر ظاهر مستفيض استغنى الامام عن نبذ العهد واعلامهم وان ظهرت الخيانة بامارات تلوح وتتضح له من غير امر مستفيض فحينئذ يجب على الامام ان ينبذ اليهم العهد ويعلمهم بالحرب وذلك لان قريظة كانوا قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم اجابوا ابا سفيان ومن معه من المشركين الى مظاهرتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فحصل لرسول الله صلى الله عليه وسلم خوف الغدر به وباصحابه فههنا يجب على الامام ان ينبذ اليهم على سواء ويعلمهم بالحرب واما اذا ظهر نقض العهد ظهورا مقطوعا به فلا حاجة للامام الى نبذ العهد بل يفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم باهل مكة لما نقضوا العهد بقتل خزاعة وهم في ذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرعهم الا جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم بمر الظهران وذلك على اربع فراسخ من مكة وقوله تعالى ولا تحسبن قرئ بالتاء على الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ولا تحسبن يا محمد الذين كفروا سبقوا يعني فاتوا وقرئ بالياء على الغيبة ومعناه ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا يعني خلصوا من القتل والاسر يوم بدر انهم لا يعجزون يعني انهم بهذا السبق لا يعجزون الله من الانتقام منهم اما في الدنيا بالقتل واما في الآخرة بعذاب النار وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فيمن فاته من المشركين ولم ينتقم منهم فاعلمه الله انهم لا يعجزون **قوله تعالى** واعدوا لهم ما استطعتم من قوة الاعداد اتخاذ الشي لوقت الحاجة اليه وفي المراد بالقوة اقوال احدها انها جميع انواع الاسلحة والآلات التي تكون لكم قوة في الحرب على قتال عدوكم الثاني انها الحصون والمعاقل الثالث الرمي وقد جاءت مفسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه

عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ألا إن القوة الرمي ثلاثا أخرجه مسلم (خ) عن أبي أسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين
صففنا لقريش إذا أكثبوكم يعني غشوكم وفي رواية أكثروكم فارموهم واستبقوا نبلكم وفي رواية
وفي رواية إذا أكثبوكم فعليكم بالنبل (م) عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ستفتح عليكم الروم ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه (م) عن فقيم اللخمي قال قلت لعقبة
ابن عامر تختلف بين هذين الغرضين وأنت شيخ كبير يشق عليك فقال عقبة لولا كلام سمعته من رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم أعانه قال قلت وما ذاك قال سمعته يقول من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا
أو قد عصى عن أبي نجيح السلمي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ بسهم فهو له درجة
في الجنة فبلغت يومئذ عشر أسهما قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رمى بسهم في سبيل
الله فهو عدل محرر أخرجه الترمذي والنسائي بمعناه وعنده فهو له عدل رقبة محررة وأخرجه أبو داود
أيضا عن عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل ليدخل بالسهم الواحد
ثلاثة نفر الجنة صانعه يحتسب في عمله الخير والرامي به والممد به وفي رواية ومنبله فارموا واركبوا
وأن ترموا أحب إلي من أن تركبوا كل لهو باطل ليس من اللهو محمود إلا ثلاثة تأديب الرجل فرسه
وملاعبته أهله ورميه بقوسه ونبله فإنهن من الحق ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فإنها نعمة
تركها أو كفرها أخرجه أبو داود وأخرجه الترمذي مختصرا إلى نبله (خ) عن سلمة بن الأكوع قال مر النبي صلى
الله عليه وسلم على نفر من أسلم ينتضلون بالسوق فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارموا بني إسماعيل فإن
أباكم كان راميا ارموا وأنا مع بني فلان فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ارموا وأنا معكم كلكم **القول الرابع** أن المراد بالقوة جميع ما يتقوى به في الحرب على العدو
فكل ما هو آلة يستعان بها في الجهاد فهو من جملة القوة المأمور باستعدادها وقوله صلى الله عليه
وسلم الحج عرفة وقوله الندم توبة فهذا لا ينفي اعتبار غيره بل يدل على أن هذا المذكور من أفضل المقصود
وأجله فكذا هاهنا يعني الآية على الاستعداد للقتال في الحرب وجهاد العدو بجميع ما يمكن من الآلات
كالرمي بالنبل والنشاب والسيف والدرع وتعليم الفروسية كل ذلك مأمور به إلا أنه من فروض الكفايات
وقوله تعالى ومن رباط الخيل يعني اقتناءها وربطها للغزو في سبيل الله والربط شد الفرس وغيره
بالمكان للحفظ وسمي المكان الذي يخص بإقامة حفظة فيه رباطا والمرابطة إقامة المسلمين بالثغور
لحراستها فيها وربط الخيل للجهاد من أعظم ما يستعان به روي أن رجلا قال لابن سيرين إن فلانا أوصى
بثلث ماله للحصون فقال ابن سيرين يشترى به الخيل ويربطها في سبيل الله وقال عكرمة القوة الحصون
ومن رباط الخيل يعني الإناث ووجه هذا أن العرب تربط الإناث من الخيل بالأفنية للنسل وروي
خالد بن الوليد أنه كان لا يركب في القتال إلا الإناث لقلة صهيلها وعن ابن محيريز قال كانت الصحابة
يستحبون ذكور الخيل عند الصفوف وإناث الخيل عند البيات والغارات **وقيل** ربط الفحول أولى
من الإناث لأنها أقوى على الكر والفر والعدو فكانت المحاربة عليها أولى من الإناث وقيل إن لفظ
الخيل عام فيتناول الفحول والإناث فأي ذلك ربط بنية الغزاة كان في سبيل الله (م) عن عروة بن الجعد
البارقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والغنيمة
(خ) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الخير في نواصيها الخيل إلى يوم القيامة عن أبي
هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده
فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال الخيل ثلاثة هي لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فأما الذي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل
الله وفي رواية لأهل الإسلام فأطال لها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة

كانت

كانت له حسنات ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفا أو شرفين كانت له آثارها وأرواثها حسنات
ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقيها كان ذلك له حسنات فهي لذلك الرجل أجر ورجل
ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي لذلك الرجل ستر ورجل
ربطها فخرا ورياء ونواء لأهل الإسلام فهي على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحمر
فقال ما أنزل الله فيها شيئا إلا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره الطيل الحبل الذي تشد به الفرس وقت الرعي والاستنان الجري والشرف الشوط الذي ينتهي إليه الفرس
وقوله تغنيا يعني استغناء بها عن الطلب لما في أيدي الناس وأما حق ظهورها فهو أن يحمل عليها منقطعا
بالرفقة عن الذات وقوله لأهل الإسلام النوى المعاداة يقال ناوأت الرجل مناوأة إذا عاديته
وقوله تعالى ترهبون به عدو الله وعدوكم يعني تخوفون بتلك القوة وبذلك الرباط عدو الله
وعدوكم يعني الكافرين من أهل مكة وغيرهم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه تخزون به عدو الله
وعدوكم وذلك أن الكفار إذا علموا أن المسلمين متأهبون للقتال والجهاد ومستعدون له
مستكملين لجميع الأسلحة وآلات الحرب وإعداد الخيل مربوطة للجهاد خافوهم فلا يقصدون دار
الإسلام بل يصير ذلك سببا لدخول الكفار في الإسلام أو بذل الجزية للمسلمين وقوله تعالى وآخرين
من دونهم يعني ويرهبون آخرين من دونهم اختلف العلماء فيهم فقال مجاهد هم بنو قريظة
وقال السدي هم فارس وقال ابن زيد هم المنافقون لقوله تعالى لا تعلمونهم لأنهم معكم
يقولون بألسنتهم لا إله إلا الله الله يعلمهم يعني أنهم منافقون وأورد على هذا القول
أن المنافقين لا يخافون لأنهم يظهرون كلمة الإسلام فكيف يخوفون بإعداد القوة ورباط الخيل
وأجيب عن هذا الإيراد أن المنافقين إذا شاهدوا قوة الإسلام وكثرة أهله وأسلحتهم
كان ذلك مما يخوفهم ويحزنهم فكان ذلك إرهابهم وقال الحسن هم كفار الجن ورجح هذا القول الطبري
قال لأن الله تعالى قال لا تعلمونهم الله يعلمهم حتى نعلم أحوالهم وأماكنهم دونكم ويعضد هذا القول
ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الجن والشيطان لا يخبل أحدا في داره فرس عتيق ذكر
هذا الحديث ابن الجوزي وغيره من المفسرين بغير إسناد وقال الحسن صهيل الخيل يرهب الجن وقوله
تعالى وما تنفقوا من شيء في سبيل الله قيل أراد به نفقة الجهاد والغزو وقيل هو عام في كل وجوه الخير
والطاعة فيدخل فيه نفقة الجهاد وغيره يوف إليكم يعني أجره في الآخرة ويعجل لكم عوضه في الدنيا
وأنتم لا تظلمون يعني وأنتم لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئا قوله تعالى وإن جنحوا للسلم فاجنح لها
لما أمر الله تعالى عباده المؤمنين بإعداد القوة وما يرهب العدو وأمرهم بعد ذلك أن يقبلوا منهم
الصلح وهو قوله تعالى فاجنح لها أي مل إليها إلى المصالحة روي عن الحسن وقتادة أن هذه
الآية منسوخة بآية السيف وقيل إنها غير منسوخة لكنها تتضمن الأمر بالصلح إذا كان فيه
مصلحة ظاهرة فإذا رأى الإمام أن يصالح أعداءه من الكفار وفيه قوة فلا يجوز أن يهادنهم سنة
كاملة وإن كانت القوة للمشركين جاز أن يهادنهم عشر سنين ثم إنهم نقضوا العهد قبل انقضاء المدة
وقوله تعالى وتوكل على الله يعني فوض أمرك إلى الله فيما عقدته معهم ليكون عونا لك في جميع أحوالك
إنه هو السميع يعني لأقوالكم العليم بأحوالكم قوله عز وجل وإن يريدوا أن يخدعوك يعني
يغدروا بك قال مجاهد يعني بني قريظة والمعنى إن أرادوا بإظهار الصلح خديعة لتكف عنهم
فإن حسبك الله يعني فإن الله كافيك بنصره ثم ذكر في سائر أيامك هو الذي أيدك بنصره يعني
وأيدك بالمؤمنين يعني الأنصار فإن قلت إذا كان الله قد أيده بنصره فأي حاجة إلى نصر المؤمنين
قلت التأييد والنصر من عند الله عز وجل وحده لكنه يكون من أسباب باطنة غير معلومة فأما الذي
يكون بالأسباب الباطنة هو المراد بقوله هو الذي أيدك بنصره لأن أسبابه باطنة بغير وسائط

معلومة وأما التي تكون بالأسباب فهو المراد بقوله وبالمؤمنين لأن أسبابه ظاهرة وهم المؤمنون والله
تعالى هو مسبب الأسباب وهو الذي قواهم ونصرهم ثم بين كيف أيده بالمؤمنين فقال تعالى وألف بين
قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم وذلك أن العرب
كان فيهم من الحمية الشديدة والأنفة العظيمة والأنفس القوية والعصبية والانطواء على الضغينة
في أدنى شيء حتى لو أن رجلا من قبيلة لطم لطمة واحدة قاتل عنه أهل قبيلته حتى يدركوا ثأرهم
لا يكاد يأتلف منهم قلبان فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وآمنوا به واتبعوه
انقلبت تلك الحالة فائتلفت قلوبهم واجتمعت كلمتهم وزالت حمية الجاهلية من قلوبهم وأبدلت
تلك الضغائن والتحاسد بالمودة والمحبة لله وفي الله واتفقوا على الطاعة وصاروا أنصارا
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأعوانا يقاتلون عنه ويحوطونه وهم الأوس والخزرج وكانت بينهم
في الجاهلية حروب عظيمة ومعاداة شديدة ثم زالت تلك الحروب وحصلت الألفة والمحبة وهذا
مما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل وصار ذلك معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الأنصار
ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي وعالة فأغناكم الله بي وفي الآية
دليل على أن القلوب بيد الله يصرفها كيف شاء وأراد وذلك لأن تلك الألفة والمحبة إنما
حصلت بسبب الإيمان واتباع محمد صلى الله عليه وسلم ثم إنه تعالى ختم هذه الآية بقوله إنه عزيز
حكيم يعني أنه تعالى قادر قاهر يمكنه التصرف في القلوب فيقلبها من العداوة إلى المحبة ومن النفرة إلى
الألفة وكل ذلك على وجه الحكمة والصواب يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين روى سعيد
ابن جبير عن ابن عباس أن هذه الآية نزلت في إسلام عمر بن الخطاب قال سعيد بن جبير أسلم مع النبي
صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنزلت
هذه الآية فعلى هذا القول أراد بقوله ومن اتبعك من المؤمنين الأنصار والآية نزلت بالمدينة وقيل
أراد جميع المهاجرين والأنصار ومعنى الآية يا أيها النبي حسبك الله وحسب من اتبعك [illegible] عز وجل
وعدهم بالنصر وقد تكفل الله لهم بالنصر يسهل عليه الثبات مع الأعداء وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من
الذين كفروا فحاصله يوجب وجوب ثبات الواحد من المؤمنين في مقابلة العشرة من الكفار بأنهم قوم
لا يفقهون يعني أن المشركين لا يقاتلون لطلب ثواب ولا خوف عقاب إنما يقاتلون حمية فإذا صدقتموهم
في القتال فإنهم لا يثبتون معكم الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا
مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال لما
نزلت إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين كتب عليهم أن لا يفر واحد منهم من عشرة ولا عشرون
من مائتين ثم نزلت الآن خفف الله عنكم الآية فلما خفف الله عنهم من العدة نقص عنهم من الصبر
بقدر ما خفف عنهم وظاهر هذا أن قوله الآن خفف الله عنكم ناسخ لما تقدم في الآية الأولى وكان
هذا الأمر يوم بدر فرض الله تعالى على الرجل الواحد من المؤمنين قتال العشرة من الكفار فثقل ذلك على
المؤمنين فنزل الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا يعني في قتال الواحد العشرة إلى اثنين فإذا
كان المؤمنون على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم أن يفروا وأيما رجل فر من ثلاثة فلم يفر ومن فر من اثنين
فقد فر والله مع الصابرين يعني بالنصر والمعونة قال سفيان قال ابن شبرمة وأرى الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر مثل ذلك قوله تعالى ما كان لنبي أن يكون له أسرى روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لما
كان يوم بدر وجيء بالأسارى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هؤلاء فقال أبو بكر يا رسول
الله قومك وأهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم وخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار
قال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك قدمهم نضرب أعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكني
من فلان نسيب لعمر فأضرب عنقه فإن هؤلاء أئمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله انظر واديا

كثير

كثير الحطب فأدخلهم فيه ثم أضرمه عليهم نارا فقال له العباس قد قطعت رحمك فسكت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عمر وقال
ناس يأخذ بقول ابن رواحة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن الله ليلين قلوب رجال
حتى تكون ألين من اللبن ويشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل
إبراهيم عليه السلام قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ومثلك يا عبد الله مثل موسى
عليه السلام قال رب اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم الآية فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب
الأليم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم أنتم عالة فلا يفلتن أحد منكم أحدا منهم إلا
بفداء أو بضرب عنق قال عبد الله بن مسعود إلا سهيل بن بيضاء فإني سمعته يذكر الإسلام فسكت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيتني في يوم أخوف أن تقع علي الحجارة من ذلك اليوم حتى
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا سهيل بن بيضاء قال ابن عباس قال عمر بن الخطاب فهوي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت وأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد جئت فإذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يبكيان قلت يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك
فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي للذي
عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة كانت قريبة من
نبي الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض الآية
أخرج هذا الحديث الترمذي مختصرا وقال في الحديث قصة وهي هذه القصة التي ذكرها البغوي وأخرج مسلم
في أفراده من حديث عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال ابن عباس لما أسروا الأسارى قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر ما ترون في هؤلاء الأسارى فقال أبو بكر يا رسول الله هم بنو العم والعشيرة
أرى أن تأخذ منهم الفدية تكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم إلى الإسلام فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما ترى يا ابن الخطاب قال قلت والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكن أرى
أن تمكنا فنضرب أعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكني من فلان نسيبا لعمر فأضرب عنقه فإن
هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان
من الغد جئت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر قاعدين يبكيان فقلت يا رسول الله أخبرني
من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه
الشجرة لشجرة قريبة منه وأنزل الله عز وجل ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض إلى قوله فكلوا مما غنمتم
حلالا طيبا فأحل الله الغنيمة لهم ذكر الحميدي هذا الحديث في أفراد مسلم من مسند عمر بن الخطاب
الآية فقوله تعالى ما كان لنبي أن يكون له أسرى يعني ما ينبغي ولا يجب لنبي وقال أبو عبيدة معناه لم يكن
لنبي ذلك فلا يكن لك يا محمد والمعنى ما كان لنبي أن يحبس كافرا قادرا عليه وصار في يده أسيرا للفداء
والمن والأسرى جمع أسير والأسارى جمع الجمع حتى يثخن في الأرض يعني حتى يبالغ في قتل أعدائه والإثخان في كل شيء عبارة عن قوته
وشدته يقال قد أثخنه المرض إذا اشتدت قوته عليه والمعنى حتى يبالغ في قتل المشركين ويغلبهم ويقهرهم
فإذا حصل ذلك فله أن يقدم على الأسر فيأسر الأسارى تريدون عرض الدنيا الخطاب لأصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم يعني تريدون أيها المؤمنون عرض الدنيا بأخذكم الفداء من المشركين والعرض
منافع الدنيا عرضا لأنه لا ثبات لها ولا دوام فكأنها تعرض ثم تزول بخلاف منافع الآخرة فإنها دائمة
بلا زوال ولا انقطاع لها والله يريد الآخرة يعني والله يريد لكم ثواب الآخرة بقهركم المشركين ونصركم
دين الله ونصركم الدين لأنها دائمة بلا زوال والله عزيز حكيم لا يقهر ولا يغلب حكيم يعني في تدبير مصالح
عباده قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما كان هذا يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل فلما كثروا واشتد

سلطانهم انزل الله سبحانه في الاسارى فاما منا بعد واما فدا فجعل الله نبيه والمومنين صلى الله عليه وسلم بالخيار وان شاوا قتلوهم وان شاوا استعبدوهم وان شاوا فادوهم وان شاوا اعتقوهم قال الامام فخر الدين اي هذا الكلام يوهم ان قوله فاما منا بعد واما فدا يزيد حكم الاية التي في تفسيرها وليس الامر كذلك لان كلتا الايتين متوافقتان وكلتاهما تدلان على انه لا بد من تقديم الاثخان ثم بعده اخذ الفدا قال العلما كان الفدا لكل اسير اربعين اوقية وروي انه اربعون درهما فيكون مجموع ذلك الف وستماية درهم قال قتادة كان الفدا يومئذ لكل اسير اربعة الاف

فصل قد استدل بهذه الاية من يقدح في عصمة الانبيا عليهم السلام وبيانه من وجوه الاول ان قوله ما كان لنبي ان يكون له اسرى صريح في النهي عن اخذ الاسارى وقد وجد ذلك يوم بدر الوجه الثاني ان الله امر النبي عليه السلام بقتل الكفار وهو الاثخان ... بالحكم باخذ الفدا وهو محرم وذلك ذنب الرابع ان النبي صلى الله عليه وسلم وابا بكر رضي الله عنه قعدا يبكيان لاجل اخذ الفدا وخوف العذاب وقرب نزوله والجواب عن الوجه الاول ان قوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض وقد حصل لان الصحابة قتلوا يوم بدر سبعين رجلا من عظما المشركين وصناديدهم واسروا سبعين وليس من شرط الاثخان في الارض قتل جميع الناس ثم بعد الاثخان يجوز الاسر فدلت هذه الاية على جواز الاسر بعد الاثخان وقد حصل والجواب عن الوجه الثاني ان الامر بالقتل انما كان مختصا بالصحابة لاجماع المسلمين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يومر بمباشرة القتال اي قتال الكفار بنفسه واذا ثبت ان الامر بالقتل كان مختصا بالصحابة رضي الله تعالى عنهم كان الذنب صادرا منهم لا من النبي صلى الله عليه وسلم والجواب عن الوجه الثالث وهو ان النبي عليه السلام حكم باخذ الفدا وهو محرم فنقول لا نسلم ان اخذ الفدا كان محرما واما قوله تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة ففيه عتاب لطيف لاجل اخذ عرض الدنيا من الاسارى والمبادرة اليه ولا يدل ايضا على تحريم الفدا اذ لو كان محرما في علم الله لمنعهم من اخذه مطلقا والجواب عن الوجه الرابع وهو ان النبي عليه السلام وابا بكر قعدا يبكيان يحتمل ان يكون لاجل بعض الصحابة رضي الله عنهم لمخالفتهم الامر بالقتل واستغالهم بالاسر استوجب بذلك الفعل العذاب فبكى النبي عليه السلام خوفا

يعني لاصابكم بسبب ما اخذتم من الفدا قبل ان تومروا به عذاب عظيم قال محمد بن اسحاق لم يكن من المومنين احد ممن حضر الا احب الغنايم الا عمر بن الخطاب فانه اشار على رسول الله بقتل الاسرى وسعد بن معاذ فانه قال يا رسول الله كان الاثخان في القتل احب الي من استبقا الرجال فقال عليه السلام لو نزل عذاب من السما ما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ رضي الله عنهما **فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا** يعني فقد احللت لكم الغنايم واخذ الفدا فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وروي انه لما نزلت هذه الاية لقد ذكر الاية الاولى كف اصحاب رسول الله عما اخذوا من الفدا فنزلت فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله تعالى الغنايم بهذه الاية لهذه الامة وقيل كانت قبل ذلك حراما على سائر الامم الماضية صح من حديث جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه ان النبي عليه السلام قال واحلت لي الانعام ولم تحل لاحد قبلي **ق** عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فلم تحل الغنايم لاحد من قبلنا ثم احل الله لنا الغنايم وذلك بان الله راى ضعفنا وعجزنا فاحلها لنا وقوله تعالى **واتقوا الله ان الله غفور رحيم** يعني وخافوا الله ان تعودوا ان تفعلوا اشيا من قبل انفسكم قبل ان تومروا به واعلموا ان الله قد غفر لكم ما قدمتم عليه من هذا الذنب ورحمكم وقيل في قوله واتقوا الله اشارة الى المستقبل وقوله ان الله غفور رحيم اشارة الى الحالة الماضية قوله تعالى **يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسارى** نزلت هذه الاية في العباس بن عبد المطلب عم رسول الله وكان احد العشرة الذين ضمنوا ان يطعموا الناس الذين خرجوا من مكة الى بدر وكان قد خرج ومعه عشرون اوقية من ذهب ليطعم بها اذا جاءت نوبته فكانت يوم الوقعة ببدر نوبته فاراد ان يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا فلم يطعم شيا وبقيت العشرون اوقية معه فلما اسر اخذت منه فكلم رسول الله ان يحسبها العشرين اوقية من فدايه فابى رسول الله وقال اما شي خرجت تستعين به علينا فلا اتركه لك وكلفه فدا ابني اخيه عقيل ونوفل بن الحرث فقال العباس يا محمد تتركني اتكفف قريشا ما بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذي دفعته ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني

في وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم يعني بنيه فقال العباس وما يدريك يعني يا ابن اخي قال اخبرني به ربي فقال العباس انا اشهد انك لصادق واشهد ان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله لم يطلع عليه احد الا الله تعالى وامر ابني اخيه عقيل ونوفل بن الحرث فاسلما فذلك قوله تعالى يا ايها النبي قل لمن في ايديكم **من الاسارى** يعني الذين اسرتموهم واخذتم منهم الفدا **ان يعلم الله في قلوبكم خيرا** يعني ايمانا وتصديقا **يوتكم خيرا مما اخذ منكم** يعني من الفدا **ويغفر لكم** يعني ما سلف منكم قبل الايمان **والله غفور** يعني لمن امن وتاب من كفره ومعاصيه **رحيم** يعني باهل طاعته قال العباس فابدلني الله خيرا مما اخذ مني عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير ادناهم يضرب بعشرين الف مكان العشرين اوقية واعطاني زمزم وما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي عز وجل قوله تعالى **وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل** وقيل معناه وان نقضوا العهد ورجعوا الى الكفر فقد خانوا الله بذلك **فامكن منهم** يعني فامكن المومنين منهم ببدر حتى قتلوا منهم واسروا منهم وهذا نهاية الامكان وفيه بشارة للنبي صلى الله عليه وسلم بانه يتمكن من كل من يخونه وينقض عهده **والله عليم** يعني بما في بطونهم وضمايرهم من ايمان وتصديق او خيانة ونقض عهد **حكيم** يعني بان يجازي كلا بعمله الخير من الثواب والشر بالعقاب

قوله تعالى

ان الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله يعني ان الذين امنوا بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وصدقوا بما جاءهم به وهاجروا يعني وهجروا ديارهم وقومهم في ذات الله عز وجل وابتغا رضوانه وهم المهاجرون الاولون وجاهدوا يعني وبذلوا انفسهم في سبيل الله يعني طاعة الله وابتغا رضوانه **والذين اووا ونصروا** يعني اووا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من اصحابه من المهاجرين واسكنوهم منازلهم ونصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الانصار **اولئك** يعني المهاجرين والانصار **بعضهم اوليا بعض** يعني في العون والنصرة دون اقاربهم من الكفار وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة فكان المهاجرون والانصار يتوارثون دون اقربايهم وذوي ارحامهم وكان من امن منهم ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة فتوارثوا بالارحام حيثما كانوا وصار ذلك منسوخا بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وقوله تعالى **والذين امنوا ولم يهاجروا** يعني امنوا واقاموا بمكة **ما لكم من ولايتهم من شي** يعني من الميراث **حتى يهاجروا** يعني الى المدينة **وان استنصروكم في الدين** يعني استنصركم الذين امنوا ولم يهاجروا **فعليكم النصر** يعني فعليكم نصرهم واعانتهم **الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق** اي عهد فلا تنصروهم عليهم **والله بما تعملون بصير** **والذين كفروا بعضهم اوليا بعض** يعني في النصر والمعونة وذلك ان كفار قريش كانوا معادين اليهود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم تعاونوا عليه جميعا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه يعني في الميراث وهو ان يرث الكفار بعضهم من بعض **الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه الا تاخذوا في الميراث بما امرتكم به وقال ابن جريج الا تعاونوا وتناصروا وقال ابن اسحاق جعل الله المهاجرين والانصار اهل ولاية في الدين دون من سواهم وجعل الكافرين بعضهم اوليا بعض ثم قال تعالى الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير يعني لا يتولى المومن الكافر دون المومن ولا ريب ان الفتنة في الارض تقوى الكفار والفساد الكبير هو ضعف المسلمين **والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين اووا ونصروا اولئك هم المومنون حقا**

يعني لا شك في إيمانهم ولا ريب لأنهم حققوا إيمانهم بالهجرة والجهاد وبذل النفس والمال في نصر الدين **لهم مغفرة** يعني لذنوبهم **ورزق كريم** يعني في الجنة **فإن قلت** ما معنى هذا التكرار **قلت** ليس فيه تكرار لأنه تعالى ذكر في الآية الأولى حكم ولاية المهاجرين والأنصار بعضهم بعضا ثم ذكر في هذه الآية ما من به عليهم من المغفرة والرزق الكريم وقيل إن إعادة الشيء مرة أخرى تدل على مزيد الاهتمام فلما ذكرهم أولا ثم عاد ذكرهم ثانيا دل على تعظيم شأنهم وعلو مرتبتهم ودرجاتهم وهذا هو الشرف العظيم لأنه تعالى ذكر في هذه الآية من وجوه المدح ثلاثة أنواع أحدها قوله أولئك هم المؤمنون حقا وهذا يفيد الحصر وقوله تعالى حقا يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محقين في طريق الدين وتحقيق هذا القول أن من فارق أهله وداره التي نشأ فيها وبذل النفس والمال كان مؤمنا حقا النوع الثاني قوله تعالى لهم مغفرة وتنكير لفظ المغفرة أي مغفرة لا يعلمها غيرهم والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم النوع الثالث قوله تعالى ورزق كريم وكل شرف وعظم في بابه قيل له كريم والمعنى أن لهم في الجنة رزقا لا يلحقهم فيه غضاضة ولا تعب وقيل إن المهاجرين كانوا على طبقات فمنهم من هاجر إلى أرض الحبشة ثم هاجر إلى المدينة وهم أصحاب الهجرتين ومنهم من هاجر بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة فذكر أهل الأولى أصحاب الهجرة الثانية والله تعالى أعلم بمراده **والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم** اختلفوا في بعد فقيل من بعد صلح الحديبية وهي الهجرة الثانية وقيل من بعد نزول هذه الآية وقيل من بعد غزوة بدر والأصح أن المراد به أهل الهجرة الثانية لأنها بعد الهجرة الأولى لأن الهجرة انقطعت بعد فتح مكة لأنها صارت دار إسلام بعد الفتح ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية أخرجاه في الصحيحين وقال الحسن الهجرة غير منقطعة قال ويجاب عن هذا بأن المراد من الهجرة المخصوصة من مكة إلى المدينة فأما من كان من المؤمنين في بلد يخاف على إظهار دينه من كثرة الكفار وجب عليه أن يهاجر إلى بلد لا يخاف فيه على إظهار دينه وقوله تعالى **فأولئك منكم** يعني أنهم منكم وأنتم منهم لكن فيه دليل على أن مرتبة المهاجرين الأولين أشرف وأعظم من مرتبة المهاجرين المتأخرين بالهجرة لأن الله تعالى ألحق المهاجرين المتأخرين بالمهاجرين السابقين وجعلهم منهم وذلك معرض المدح والشرف ولولا أن المهاجرين الأولين أفضل وأشرف لما صح هذا الإلحاق وقوله تعالى **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه كانوا يتوارثون بالهجرة والإخاء حتى نزلت هذه الآية وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في الميراث فبين بهذه الآية أن سبب القرابة أولى وأقوى من سبب الهجرة والإخاء ونسخ بهذه الآية ذلك التوارث وقوله في كتاب الله يعني في حكم الله وقيل أراد به في اللوح المحفوظ وقيل أراد به القرآن وهو أن قسمة المواريث مذكورة في سورة النساء من كتاب الله وهو القرآن وتمسك أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية في توريث ذوي الأرحام وقد أجاب عنه الشافعي بأنه لما قال في كتاب الله كان معناه في حكم الله الذي بينه في سورة النساء فصارت هذه الآية مقيدة بالأحكام التي ذكرها في سورة النساء من قسمة المواريث وإعطاء أهل الفروض فروضهم وما بقي فللعصبات وقوله تعالى **إن الله بكل شيء عليم** يعني أنه تعالى عالم بكل شيء لا يخفى عليه خافية والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة التوبة

وهي مدنية بإجماعهم قال ابن الجوزي سوى آيتين وآخرهما لقد جاءكم رسول من أنفسكم فإنها نزلت بمكة وهي مائة وتسع وعشرون آية وقيل مائة وثلاثون آية وهي أربعة آلاف كلمة وعشرة آلاف وأربعمائة وثمانون حرفا ولهذه السورة أسماء عشرة سورة التوبة وسورة براءة وهذان اسمان مشهوران ومنها المقشقشة قال ابن عمر سميت بذلك لأنها تقشقش من النفاق أي تبرئ منه ومنها المبعثرة لأنها تبعثر عن أخبار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها ومنها الفاضحة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه لأنها فضحت المنافقين وسورة العذاب قاله حذيفة ومنها المخزية لأن فيها خزي المنافقين ومنها المدمدمة سميت بذلك لأن فيها هلاكا للمنافقين ومنها المشردة سميت بذلك لأنها شردت جميع المنافقين وفرقتهم ومنها المثيرة سميت بذلك لأنها أثارت مخازي المنافقين وكشفت عن أحوالهم وهتكت أستارهم عن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه قال قلت لابن عباس رضي الله تعالى عنه سورة التوبة فقال بل هي الفاضحة ما زالت تنزل ومنهم ومنهم حتى ظنوا أن لا يبقى أحد إلا ذكر فيها قال قلت سورة الأنفال قال نزلت في بدر قال قلت سورة الحشر قال قل سورة بني النضير أخرجاه في الصحيحين والله أعلم

فصل في بيان سبب ترك كتابة التسمية في أول هذه السورة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال قلت لعثمان ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين فقرنتم بينهما ولم تكتبوا سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطوال ما حملكم على ذلك فقال عثمان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد وكان إذا نزل عليه شيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أوائل ما أنزل بالمدينة وكانت براءة من آخر القرآن نزولا وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا أنها منها فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطوال أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن قال الزجاج والشبه الذي بينهما أن في الأنفال ذكر العهود وفي براءة نقضها وقال قتادة هما سورة واحدة وقال محمد بن الحنفية قلت لأبي يعني علي بن أبي طالب لم لا تكتبوا في براءة بسم الله الرحمن الرحيم قال يا بني إن براءة نزلت بالسيف وإن بسم الله الرحمن الرحيم أمان وسئل سفيان بن عيينة عن هذا فقال لأن التسمية رحمة والرحمة أمان وهذه السورة نزلت في المنافقين وقال المبرد لم تفتتح هذه السورة ببسم الله الرحمن الرحيم لأن التسمية افتتاح للخير وأول هذه السورة وعيد ونقض عهود فلذلك لم تفتتح بالتسمية وسئل أبي بن كعب عن هذا فقال إنها نزلت في آخر القرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر في كل سورة بكتابة بسم الله الرحمن الرحيم ولم يأمر في براءة بذلك فضمت إلى الأنفال لشبهها بها وقيل إن الصحابة اختلفوا في أن سورة الأنفال وسورة براءة هل هما سورة واحدة أم سورتان فقال بعضهم سورة واحدة لأنهما نزلتا في القتال ومجموعهما مائتان وست آيات فكانت هي السورة السابعة من السبع الطوال وقال بعضهم هما سورتان فلما حصل هذا الاختلاف بين الصحابة تركوا فرجة بينهما لقول من يقول إنهما سورتان ولم يكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم على قول من يقول إنهما سورة واحدة

اما التفسير فقوله تعالى **براءة من الله ورسوله** يعني هذه براءة من الله ورسوله واصل
البراءة في اللغة انقطاع العصمة يقال برئت من فلان ابرأ براءة اي انقطعت بيننا العصمة
ولم يبق بيننا علقة وقيل معناها ها هنا التباعد مما تكره مجاورته قال المفسرون لما
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك وكان المنافقون يرجفون الاراجيف
وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر
الله عز وجل بنقض عهودهم وذلك قوله تعالى واما تخافن من قوم خيانة الاية ففعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امر به ونبذ اليهم عهودهم قال الزجاج
اي قد برئ الله ورسوله من اعطائهم العهود والوفاء بها اذا نكثوا **الى الذين عاهدتم من المشركين**
الخطاب مع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وان كان النبي صلى
الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم وعاقدهم لانه هو الذي عاقدهم واصحابه
بذلك راضون فكانهم عقدوا وعاهدوا **فسيحوا في الارض** اي فسيروا في الارض
مقبلين ومدبرين امنين غير خائفين احدا من المسلمين واصل السياحة الضرب
في الارض والاتساع فيها والبعد عن مواضع العمارة قال ابن الانباري قوله فسيحوا
فيه مضمر اي فقل لهم سيحوا وليس هذا من باب الامر بل المقصود منه الاباحة
والاطلاق والاعلام بحصول الامان وزوال الخوف يعني سيحوا في الارض وانتم
امنون من القتل والقتال **اربعة اشهر** يعني مدة اربعة اشهر واختلف العلماء
في هذا التاجيل وفي هؤلاء الذين برئ الله ورسوله اليهم من العهود التي كانت بينهم
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مجاهد هذا التاجيل من الله للمشركين
فمن كانت مدة عهده اقل من اربعة اشهر رفعه الى اربعة اشهر ومن كانت
مدته اكثر حطه الى الاربعة اشهر ومن كان عهده بغير اجل معلوم محدود حده
باربعة اشهر ثم هو بعد ذلك حرب لله ولرسوله يقتل حيث ادرك ويوسر الا ان يتوب
ويرجع الى الايمان **وقيل** ان المقصود من هذا التاجيل ان يتفكروا ويحتاطوا
لانفسهم ويعلموا انه ليس لهم بعد هذه المدة الا الاسلام او القتل فيصير
هذا داعيا لهم الى الدخول في الاسلام ولئلا ينسب المسلمون الى الغدر ونكث
العهد وكان ابتداء هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاؤه الى عشر من ربيع الاخر
فاما من لم يكن له عهد فانما اجله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك خمسون يوما
وقال الزهري الاشهر الاربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم لان هذه
الاية نزلت في شوال والقول الاول اصوب وعليه الاكثرون قال الكلبي انما كانت
الاربعة اشهر لمن كان له عهد دون الاربعة اشهر فاتم الله له الاربعة اشهر
فاما من كان عهده اكثر من اربعة اشهر فهذا امر باتمام عهده بقوله فاتموا اليهم
عهدهم الى مدتهم وقيل كان ابتداؤها في العاشر من ذي القعدة واخرها العاشر
من ربيع الاول لان الحج كان في تلك السنة في العاشر من ذي القعدة بسبب النسي ثم صار
في السنة المقبلة في العاشر من ذي الحجة وفيها حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان الزمان قد استدار الحديث وقال الحسن امر الله عز وجل رسوله
صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله من المشركين فقال تعالى وقاتلوا في سبيل
الله الذين يقاتلونكم الاية فقاتله من المشركين وكان لا يقاتل الا من قاتله ثم
امره بقتال المشركين والبراءة منهم واجلهم اربعة اشهر فلم يكن لاحد منهم اجل اكثر

من اربعة اشهر لا من كان له عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكان الاجل لجميعهم
اربعة اشهر واحل دماء جميعهم من اهل العهود وغيرهم بعد انقضاء الاجل وقال محمد بن
اسحاق ومجاهد وغيرهما نزلت في اهل مكة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عاهد قريشا عام الحديبية على ان يضعوا الحرب عشر سنين يامن فيها الناس ودخلت
خزاعة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت بنو بكر في عهد قريش ثم عدت
بنو بكر على خزاعة فنالوا منهم واعانتهم قريش بالسلاح فلما تظاهر بنو بكر وقريش
على خزاعة ونقضوا عهدهم خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى وقف على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال

لاهم اني ناشد محمدا * حلف ابينا وابيه الاتلدا
كنت لنا ابا وكنا ولدا * ثمت اسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا ابدا * وادع عباد الله ياتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا * في فيلق كالبحر يجري مزبدا
ابيض مثل الشمس يسمو صعدا * ان سيم خسفا وجهه تربدا
ان قريشا اخلفوك الموعدا * ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نصرت ان لم انصركم وتجهز الى مكة ففتحها
سنة ثمان من الهجرة فلما كانت سنة تسع اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يحج فقيل
له ان المشركين يحضرون ويطوفون بالبيت عراة فبعث ابا بكر رضي الله تعالى عنه تلك
السنة اميرا على الموسم ليقيم للناس الحج وبعث معه اربعين اية من صدر براءة ليقراها على اهل الموسم
ثم بعث عليا على ناقته العضباء ليقرا على الناس صدر براءة وامره ان يؤذن بمكة ومنى
وعرفة ان قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم من كل مشرك
ولا يطوف بالبيت عريان فرجع ابو بكر فقال يا رسول الله بابي انت وامي انزل في شاني
شيء فقال لا ولكن لا ينبغي لاحد ان يبلغ هذا الا رجل من اهلي اما ترضى يا ابا بكر
انك كنت معي في الغار وانك معي على الحوض قال بلى يا رسول الله فسار ابو بكر اميرا
على الحاج وعلي بن ابي طالب يؤذن ببراءة فلما كان قبل يوم التروية بيوم قام ابو بكر
فخطب الناس وحدثهم عن مناسكهم واقام للناس الحج والعرب في تلك السنة على منازلهم
التي كانوا عليها في الجاهلية من امر الحج حتى اذا كان يوم النحر قام علي بن ابي طالب فاذن
في الناس بالذي امر به وقرا عليهم اول سورة براءة قال يزيد بن تبيع سالنا عليا
باي شيء بعثت في الحجة قال بعثت باربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان بينه
وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد فهو الى مدته ومن لم يكن له عهد فاجله
اربعة اشهر ولا يدخل الجنة الا نفس مؤمنة ولا يجتمع المشركون والمسلمون بعد
عامهم هذا في الحج ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر حجة الوداع (ق) عن
ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان ابا بكر بعثه في الحجة التي امره رسول الله صلى الله
عليه وسلم في رهط يؤذن في الناس يوم النحر الا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف
بالبيت عريان **وفي رواية** ثم اردف النبي صلى الله عليه وسلم بعلي بن ابي
طالب فامره ان يؤذن ببراءة قال ابو هريرة فاذن معنا في اهل منى ببراءة ان لا يحج
بالبيت بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وفي رواية ذوابه ويوم الحج

الاكبر يوم النحر والحج الاكبر الحج وانما قيل الاكبر من اجل قول الناس العمرة الحج الاصغر قال فنبذ ابو بكر الى الناس في ذلك فلم يحج في العام القابل الذي حج فيه النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع مشرك وانزل الله تعالى في العام الذي نبذ فيه ابو بكر الى المشركين يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله الاية

فصل قد توهم متوهم ان في بعث علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه بقراءة اول براءة عزلا لابي بكر عن الامارة وتفضيلا لعلي على ابي بكر وذلك جهل من هذا المتوهم ويدل على ان ابا بكر لم يزل اميرا على الموسم في تلك السنة اول حديث ابي هريرة رضي الله تعالى عنه المتقدم ان ابا بكر لم يزل اميرا على الموسم بعثه في رهط يؤذنون في الناس الحديث وفي لفظ ابي داود والنسائي قال بعثني ابو بكر فيمن يؤذن يوم النحر بمنى ان لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان فقوله بعثني ابو بكر دليل على ان ابا بكر كان هو الامير على الناس وهو الذي اقام للناس حجهم وعلمهم مناسكهم **واجاب** العلماء عن بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ليؤذن في الناس ببراءة لان عادة العرب جرت ان لا يتولى تقرير العهد ونقضه الا سيد القبيلة وكبيرها او رجل من اقاربه وكان علي بن ابي طالب اقرب الى النبي صلى الله عليه وسلم من ابي بكر لانه ابن عمه ومن رهطه فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم ليؤذن ببراءة ازاحة لهذه العلة لئلا يقولوا هذا على خلاف ما نعرفه من عادتنا في نقض العهود وعقدها وقيل لما خص ابا بكر بتوليته على الموسم خص عليا بهذه الرسالة تطييبا لقلبه ورعاية لجانبه وقيل انما بعث عليا في هذه الرسالة حتى يصلي خلف ابي بكر ويكون جاريا مجرى التنبيه على امامة ابي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث ابا بكر اميرا على الحج وولاه الموسم وقد بعث عليا خلفه ليقرا على الناس براءة فكان ابو بكر الامام وعلي المؤتم وكان ابو بكر الخطيب وعلي المستمع وكان ابو بكر المتولي امر الموسم والامير على الناس ولم يكن ذلك لعلي فدل على تقديم ابي بكر على علي وفضله عليه والله اعلم وقوله تعالى واعلموا انكم غير معجزي الله يعني ان هذا الامهال ليس لعجز عنكم ولكن لمصلحة ولطف بكم ليتوب تائب وقيل معناه فسيحوا في الارض اربعة اشهر عالمين انكم لا تعجزون الله بل هو يعجزكم وقيل معناه انما امهلهم هذه المدة لانه لا يخاف الفوت ولا يعجزه شي وان الله مخزي الكافرين يعني بالقتل والعذاب في الاخرة

قوله عز وجل واذان من الله ورسوله الاذان في اللغة الاعلام ومنه الاذان للصلاة لانه اعلام بدخول وقتها والمعنى واعلام صادر من الله ورسوله واصل الى الناس يوم الحج الاكبر اختلفوا في يوم الحج الاكبر فروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه يوم عرفة وروي ذلك عن عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد بن المسيب وعن علي بن ابي طالب قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الاكبر فقال يوم النحر اخرجه الترمذي وقال ويروى موقوفا عليه وهو اصح وعن عمر رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها فقال اي يوم هذا فقالوا هذا يوم الحج الاكبر اخرجه ابو داود وروي ذلك عن عبد الله بن ابي اوفى والمغيرة بن شعبة وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدي

وروى ابن جريج عن مجاهد ان يوم الحج الاكبر حين الحج ايام منى كلها وكان سفيان الثوري يقول يوم الحج الاكبر ايام منى كلها لان اليوم يطلق ويراد به الحين والزمان كقولك يوم صفين ويوم الجمل لان الحروب دامت في هذه الايام كلها ويطلق عليها يوم واحد وقال عبد الله بن الحرث بن نوفل يوم الحج الاكبر الذي حج فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين لانه اجتمع حج المسلمين وعيد اليهود وعيد النصارى وعيد المشركين ولم يجتمع مثل ذلك قبله ولا بعده فعظم ذلك اليوم عند المسلمين والكافرين واختلفوا لم سمي الحج الاكبر فقال مجاهد الحج الاكبر القران لانه قرن بين الحج والعمرة وقيل الحج الاكبر لاجتماع اعياد جميع الملل في ذلك اليوم **وقال** الزهري والشعبي وعطاء الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة وانما قيل لها الاصغر لنقصان اعمالها عن الحج وقيل سمي الحج الاكبر لموافقة حجة رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع وكان ذلك اليوم يوم الجمعة وودع الناس فيه وخطبهم وعلمهم مناسكهم وذكر في خطبته ان الزمان قد استدار وابطل النسي وجميع احكام الجاهلية وقيل الحج الاكبر اجتماع اعياد جميع الملل في ذلك اليوم **وقوله تعالى** ان الله بري من المشركين ورسوله فيه حذف والتقدير واذان من الله ورسوله بان الله بري من المشركين وانما حذفت الباء لدلالة الكلام عليها وفي رفع رسوله وجوه **الاول** انه رفع بالابتداء وخبره مضمر والتقدير ان الله بري من المشركين ورسوله ايضا بري **الثاني** التقدير بري الله ورسوله من المشركين **الثالث** ان اسم الله في محل الرفع بالابتداء وبري خبره ورسوله عطف على المبتدا الاول **فان قلت** لا فرق بين قوله براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين وبين قوله ان الله بري من المشركين ورسوله فما فائدة هذا التكرار **قلت** المقصود من الاية الاولى البراءة من العهد ومن الاية الثانية البراءة التي هي نقيض الموالاة الجارية مجرى الزجر والوعيد والذي يدل على صحة هذا الفرق انه قال في اول براءة من الله ورسوله الى يعني براءة اليهم وهنا في الثانية بري منهم وقوله تعالى فان تبتم يعني فان رجعتم عن شرككم وكفركم فهو خير لكم يعني من الاقامة على الشرك وهذا ترغيب من الله في التوبة والاقلاع عن الشرك الموجب لدخول النار وان توليتم يعني اعرضتم عن الايمان والتوبة عن الشرك فاعلموا انكم غير معجزي الله فيه وعيد عظيم واعلام لهم بان الله تعالى قادر على انزال العذاب بهم وهو قوله تعالى وبشر الذين كفروا بعذاب اليم يعني في الاخرة ولفظ البشارة هنا انما ورد على سبيل الاستهزاء كما يقال تحيتهم الضرب واكرامهم الشتم وقوله تعالى الا الذين عاهدتم من المشركين هذا الاستثناء راجع الى قوله تعالى براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين الا من عهده الذين عاهدتم من المشركين وهم بنو ضمرة حي من كنانة امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم باتمام عهدهم الى مدتهم وكان قد بقي من مدتهم تسعة اشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا العهد وهو قوله تعالى ثم لم ينقصوكم شيئا يعني من عهودهم التي عاهدتموهم عليها ولم يظاهروا يعني ولم يعاونوا عليكم احدا من عدوكم وقال صاحب الكشاف وجهه ان يكون مستثنى من قوله

تسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين
عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا في الارض الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم
فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان
امروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا الى عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا
الوفي كالغادر يعني الوفي بالعهد والناكث له والغادر فيه **قوله عز وجل**
فاذا انسلخ الاشهر الحرم يعني فاذا انقضت الاشهر الحرم ومضت وهي رجب
وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد ومحمد بن اسحاق هي شهور العهد سمي
بذلك حرمتها لحرمة نقض العهد فيها فمن كان له عهد فعهده اربعة اشهر ومن
لا عهد له فاجله الى انقضاء المحرم وذلك خمسون يوما وقيل انما قيل لها حرم على
المومنين دماء المشركين والتعرض لهم **فان قلت** على هذا القول هذه
المدة هي الخمسون يوما بعض الاشهر الحرم والله تعالى يقول فاذا انسلخ الاشهر
الحرم **قلت** لما كان هذا القدر من الاشهر متصلا بما مضى اطلق عليه اسم الجمع
والمعنى فاذا مضت المدة المضروبة التي يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم يعني في الحل والحرم وهذا امر اطلاق يعني اقتلوهم في اي وقت
واي مكان وجدتموهم وخذوهم اي واسروهم قال ابن عباس يريد ان
تحصنوا فاحصروهم وامنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم من دخول مكة والتصرف
في بلاد الاسلام واقعدوا لهم كل مرصد يعني كل طريق والمرصد الموضع الذي
يقعد فيه العدو من رصدت الشي ارصده اذا ترقبته والمعنى كونوا لهم رصدا حتى
تاخذوهم من اي وجه توجهوا وقيل معناه اقعدوا لهم بطريق مكة حتى لا يدخلوها
فان تابوا يعني من الشرك ورجعوا الى الايمان واقاموا الصلوة يعني واقاموا
الصلوة المفروضة باركانها واتوا الزكوة الواجبة عليهم طيبة بها انفسهم
فخلوا سبيلهم يعني الى الدخول الى مكة والتصرف في بلادهم ان الله غفور
يعني لمن تاب ورجع من المشركين الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة رحيم
يعني باوليائه واهل طاعته وقال الحسين بن الفضيل نسخت هذه الاية
كل اية فيها ذكر الاعراض عن المشركين والصبر على اذى الاعداء قوله تعالى
وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله وان استامنك يا محمد
احد من المشركين الذين امرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الاشهر الحرم ل
ليسمع كلام الله الذي انزلته عليك وهو القران فاجره حتى يسمعه ويعرف ما له
من الثواب ان امن وما عليه من العقاب ان اصر على الشرك ثم ابلغه مامنه
يعني ان لم يسلم ابلغه الموضع الذي يامن فيه وهو دار قومه وان قاتلك بعد ذلك
وقدرت عليه فاقتله ذلك بانهم قوم لا يعلمون اي لا يعلمون دين الله عز وجل وتوحيده
اي فهم يحتاجون الى سماع كلام الله عز وجل قال الحسن هذه الاية محكمة الى يوم القيمة
كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله هذا على وجه التعجب
ومعناه الجحد ان لا يكون لهم عهد عند الله ولا عند رسوله وهم يغدرون
وينقضون العهد ثم استثنى فقال تعالى الا الذين عاهدتم عند المسجد
الحرام قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه هم قريش وقال قتادة هم اهل مكة
الذين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية وقال السدي

ومحمد

ومحمد بن عباد ومحمد بن اسحاق هم بنو خزيمة وبنو الديل قبائل من بني بكر الذين
كانوا دخلوا في عهد قريش وعقدهم يوم الحديبية وقال مجاهد هم اهل العهد من خزاعة
فما استقاموا لكم يعني ما اقاموا على العهد واعانوا بني بكر على خزاعة فضرب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح اربعة اشهر لهم يختارون امرهم اما ان
يسلموا واما ان يلحقوا باي بلاد شاؤوا فاسلموا بعد الاربعة اشهر والصواب
من ذلك قول من قال انهم من قبائل بني بكر وهم خزيمة وبنو مدلج من ضمرة وبنو
الديل وهم الذين كانوا قد دخلوا على عهد قريش يوم الحديبية ولم يكن نقض العهد
الا قريش وبنو الديل من بني بكر فامروا باتمام العهد لمن لم ينقض وهم بنو ضمرة
وانما كان الصواب هذا القول لان هذه الايات نزلت بعد نقض قريش العهد
وذلك قبل فتح مكة لان بعد الفتح كيف يقول لشي مضى فما استقاموا لكم فاستقيموا
لهم وانما هم الذين قال الله فيهم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم
شيا كما نقضكم قريش ولم يظاهروا عليكم احدا كما ظاهرت قريش بني بكر على خزاعة
وهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى ان الله يحب المتقين
يعني ان الله تعالى يحب الذين يوفون بالعهد اذا عاهدوا ويتقون نقضه كيف
وان يظهروا عليكم قيل هذا مردود على الاية الاولى تقديره كيف يكون لهم
عهد وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة وقال الاخفش معناه كيف
لا تقتلونهم وهم الذين ان يظهروا عليكم اي يظفروا بكم ويغلبوكم لا يرقبوا اي
لا يحفظوا وقيل معناه لا ينتظروا وقيل معناه لا يراعوا فيكم الا قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنه يعني قرابة وقيل رحما وهذا معنى قول ابن عباس
ايضا وقال قتادة الال الحلف وقال ابن سيرين السدي هو العهد وكذلك
الذمة وانما كرر للتاكيد واختلاف اللفظين وقال ابو مجلز ومجاهد الال
هو الله عز وجل ومنه قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه لما سمع كلام مسيلمة
الكذاب ان هذا كلام لم يخرج من ال يعني من الله وعلى هذا القول يكون معنى
الاية لا يرقبون الله فيكم ولا يحفظونه ولا يراعونه ولا ذمة يعني ولا يحفظون
عهدا يرضونكم بافواههم وتابى قلوبهم يعني يطيعونكم بالسنتهم بخلاف
ما في قلوبهم واكثرهم فاسقون **فان قلت** الموصوفين بهذه هم
الصفة كفار والكفر اخبث وافحش من الفسق فكيف وصفهم بالفسق في
معرض الذم فما الفائدة في قوله واكثرهم فاسقون **قلت** قد يكون
الكافر عدلا في دينه وقد يكون فاسقا خبيث الفسق في دينهم فالمراد بوصفهم
كونهم فاسقين مع كفرهم فيكون ابلغ في الذم وانما قال اكثرهم فاسقون ولم يقل
كلهم فاسقين لان منهم من وفى بالعهد ولم ينقضه واكثرهم نقضوا العهد فلهذا
قال تعالى واكثرهم فاسقون وقوله تعالى اشتروا بايات الله ثمنا قليلا يعني
استبدلوا بايات القران والايمان بها عرضا قليلا من متاع الدنيا وذلك انهم
لما نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم بسبب اكلة اطعمهم
ابو سفيان حلفاءهم وترك حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدوا عن سبيله
يعني وقد منعوا الناس عن الدخول في دين الله قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه
وذلك ان اهل الطائف امدوهم بالاموال ليقووهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم

انهم انما كانوا يعملون يعني من الشرك ونقض العهد ومنعهم الناس عن دخول دين
الاسلام لا يرقبون في مؤمن الّا ولا ذمة يعني ان هولاء المشركين لا يراعون في مؤمن
عهدا ولا ذمة اذا قدروا عليه قتلوه فلا تبقوا انتم عليهم كما لم يبقوا عليكم اذا ظهروا
عليكم واولئك هم المعتدون يعني في نقض العهد قوله عز وجل فان تابوا يعني
فان رجعوا عن الشرك الى الايمان وعن نقض العهد الى الوفاء به واقاموا الصلوة
يعني المفروضة عليهم بجميع حدودها واركانها وآتوا الزكوة يعني وبذلوا الزكاة
المفروضة عليهم طيبة بها انفسهم فاخوانكم في الدين يعني اذا فعلوا ذلك فهم اخوانكم
لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون يعني ونبين حجج ادلتنا
ونوضح بيان آياتنا لمن يعلم ذلك ويفهمه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه حرمت هذه
الآية دماء اهل القبلة وقال ابن مسعود امرتم بالصلاة والزكوة فمن لم يزك فلا صلاة
له وقال ابن زيد افترضت الصلوة والزكوة جميعا لم يفرق بينهما وابى ان يقبل الصلوة
الا بالزكوة وقال يرحم الله ابا بكر ما كان افقهه يعني بذلك ما ذكره ابو بكر في حق مانع
الزكوة وهو قوله والله لا افرق بين شيئين جمع الله بينهما يعني الصلاة والزكوة ق
عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم قال عمر
ابن الخطاب لابي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فمن قال لا اله الا الله فقد
عصم مني ماله ونفسه الا بحقه وحسابه على الله عز وجل فقال ابو بكر والله
لاقاتلن من فرق بين الصلوة والزكوة فان الزكوة حق المال والله لو منعوني
عناقا كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها
قال عمر فوالله ما هو الا ان رايت ان قد شرح الله صدر ابي بكر للقتال فعرفت
انه الحق عن انس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة
الله وذمة رسوله وقوله عز وجل وان نكثوا ايمانهم يعني وان نقضوا
عهودهم التي عاهدتموهم عليها الا يقاتلوكم ولا يظاهروا عليكم احدا من اعدائكم وطعنوا
في دينكم يعني وعابوا دينكم الذي انتم عليه وقدحوا فيه وشتموه وفي هذا
دليل على ان الذمي اذا طعن في دين الاسلام وعابه ظاهرا لا يبقى له عهد والمراد
بهولاء الذين نقضوا العهد كفار قريش وهو قوله تعالى فقاتلوا ائمة
الكفر يعني رؤس المشركين وقادتهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه
نزلت في ابي سفيان بن حرب والحرث بن هشام وسهيل بن عمرو وابي جهل
وابنه عكرمة وسائر رؤساء قريش وهم الذين نقضوا عهدهم وهموا باخراج
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل اراد جميع الكفار وانما ذكر الائمة لانهم
الرؤساء والقادة ففي قتالهم قتال الاتباع وقال مجاهد هم فارس والروم
وقال حذيفة بن اليمان ما قوتل اهل هذه الآية بعد ولم يأت اهلها ولعل
حذيفة اراد بذلك الذين يظهرون مع الدجال من اليهود فانهم ائمة الكفر
في ذلك الزمان والله تعالى اعلم بمراد حذيفة وقوله تعالى انهم لا ايمان لهم
يعني جمع يمين يعني لا عهد لهم وقيل معناه انهم لا وفاء لهم بالعهد وقرئ
لا ايمان لهم بكسر الهمزة ومعناه لا دين لهم ولا تصديق وقيل لا يؤمنون لا ايمان

اي

اي اقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تاسروهم لعلهم ينتهون اي لكي ينتهوا عن الطعن
في دينكم ويرجعون عن الكفر الى الايمان ثم حض المؤمنين على جهاد الكفار وبين
السبب في ذلك فقال تعالى الا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم يعني نقضوا
عهودهم وهم الذين نقضوا عهد الصلح بالحديبية واعانوا بني بكر على خزاعة
وهموا باخراج الرسول يعني من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة وهم
بدءوكم يعني بالقتال اول مرة يعني يوم بدر وذلك انهم قالوا لا ننصرف حتى
نستاصل محمدا واصحابه وقيل اراد بداءتهم بقتال خزاعة حلفاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتخشونهم يعني اتخافونهم ايها المؤمنون فتتركون
قتالهم فالله احق ان تخشوه يعني في ترك القتال ان كنتم مؤمنين يعني
ان كنتم تصدقون بوعد الله ووعيده قوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله
بايديكم يريد بالتعذيب القتل يعني يقتلهم الله بايديكم فان قلت
كيف الجمع بين قوله يعذبهم الله بايديكم وبين قوله وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم قلت المراد بقوله وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم عذاب
الاستيصال يعني وما كان الله ليستاصلهم بالعذاب جميعا وانت فيهم
والمراد بقوله قاتلوهم يعني الذين نقضوا العهد وبدؤا بالقتال
فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بقتال من قاتلهم او نقض
عهدهم والفرق بين العذابين ان عذاب الاستيصال يتعدى الى المذنب
وغير المذنب والى المخالف والموافق وعذاب القتل لا يتعدى الا الى المذنب
المخالف وقوله تعالى ويخزهم يعني ويذلهم بالقهر والاسر وينزل بهم
الذل والهوان وينصركم عليهم يعني بان يظفركم بهم ويشف صدور
قوم مؤمنين يعني ويبرئ داء قلوبهم مما كانوا ينالونه من الاذى منهم
ومن المعلوم ان من طال تأذيه من خصمه ثم مكنه الله منه فانه يفرح بذلك
ويعظم سروره ويكون ذلك سببا لقوة اليقين وثبات العزيمة قال مجاهد
والسدي اراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث اعانت
قريش بني بكر على خزاعة حتى قتلوا فيهم ثم شفى الله تعالى صدور خزاعة
من بني بكر حين اخذوا ثارهم منهم بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
ويذهب غيظ قلوبهم يعني ويذهب وجد قلوبهم بما نالوهم من بني بكر
وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ارفعوا السيف الا خزاعة من بني
بكر الى العصر ذكره البغوي بغير سند ثم قال تعالى ويتوب الله على من يشاء
وهذا كلام مستانف ليس له تعلق بالاول لان المعنى ويهدي الله من يشاء الى الاسلام
فيمن عليه بالتوبة عن الشرك والكفر وهداه الى الاسلام كما فعل بابي سفيان
ابن حرب وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو فكان هولاء من ائمة الكفر ورؤسا
المشركين ثم من الله عليهم بالاسلام يوم فتح مكة فاسلموا والله عليم يعني بمن يريد
من عباده ومن سبقت له العناية الازلية بالسعادة فيتوب عليه ويهديه الى
الاسلام حكيم يعني في جميع افعاله قوله تعالى ام حسبتم ان تتركوا هذا من
الاستفهام المعترض في وسط الكلام ولذلك ادخلت فيه ام ليفرق بينه وبين
الاستفهام المبتدا والمعنى اظننتم ايها المؤمنون ان تتركوا فلا تؤمروا بالجهاد

ولا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم
يعني بالعلم المعلوم لان وجود الشيء يلزمه معلوم الوجود عند الله تعالى لاجرم
جعل علم الله تعالى بوجوده قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى ونقل
الزجاج عن الواحدي اي العلم الذي يجازي عليه لانه انما يجازي على ما عملوا
كما ذكره ابن عباس رضي الله تعالى عنه وغيره من ائمة الحديث قوله تعالى ولم
يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة قال ابن عباس رضي
الله تعالى عنه وقد نقل عن الفراء ان الوليجة البطانة من المشركين فيتخذونهم
يفشون اليهم اسرارهم كما قد ذكره الواحدي عن الزجاج وعكرمة وقال
قتادة وليجة يعني خيانة وقال الضحاك خديعة وقال عطاء اولياء يعني
لا يتخذ المؤمنون اولياء من دون الله ورسوله والمؤمنين وقال ابو عبيدة
كل شيء ادخلته في شيء ليس منه فهو وليجة والرجل يكون في القوم وليس منهم وليجة
من الولوج فوليجة الرجل من يختصه بدخوله امره دون الناس وقال الراغب
الوليجة كلما يتخذه الانسان معتمدا عليه وليس من قولهم فلان وليجة في القوم
اذا دخل فيهم وليس منهم والمقصود من هذا نهي المؤمنين عن موالاة المشركين
وان يفشوا اليهم اسرارهم والله خبير بما تعملون يعني من موالاة المشركين
والاخلاص العمل لله وحده وقوله تعالى ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله
يعني به المسجد الحرام وقرئ مساجد الله على الجمع والمراد به المسجد الحرام ايضا
وانما ذكره بلفظ الجمع لانه قبلة المساجد كلها وسبب نزول هذه الآيات
جماعة من رؤساء قريش اسروا يوم بدر ومنهم العباس بن عبد المطلب عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل عليهم نفر من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يعيرونهم بالشرك وجعل علي بن ابي طالب يوبخ العباس بسبب
قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم فقال العباس ما لكم تذكرون
مساوينا وتكتمون محاسننا فقيل له وهل لكم محاسن قال نعم ونحن افضل منكم
نعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني يعني الاسير فنزلت
هذه الآية ما كان للمشركين اي ما ينبغي للمشركين ان يعمروا مسجد الله واوجب
الله على المسلمين منعهم من ذلك لان المساجد انما تعمر لعبادة الله تعالى وحده
فمن كان كافرا بالله فليس له ان يعمر مساجد الله واختلفوا في المراد بالعمارة
المعروفة من بناء المساجد وتشييدها ومرمتها عند خرابها فيمنع منه
الكافر حتى لو اوصى ببنيانه مسجد لم تقبل وصيته والقول الثاني ان المراد من
بالعمارة دخول المسجد والقعود فيه فيمنع الكافر من دخول المسجد بغير اذن
مسلم حتى لو دخل بغير اذن مسلم عزر وان دخل باذن لم يعزر ويدل على جواز دخول
الكافر المسجد بالاذن ان النبي صلى الله عليه وسلم شد ثمامة بن اثال الى سارية
من سواري المسجد وهو كافر والاولى تعظيم المساجد ومنعهم من دخولها
وقوله تعالى شاهدين على انفسهم بالكفر يعني لا يعمرون المساجد
في حال كونهم شاهدين وقيل تقديره وهم شاهدون فلما حذفت وهم نصبت
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه شهادتهم على انفسهم بالكفر سجودهم للاصنام
وذلك ان كفار قريش كانوا قد نصبوا اصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد

وكانوا

وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا طوفة سجدوا للاصنام فلم يزدادوا بذلك
من الله تعالى الا بعدا وقال الحسن انهم لم يقولوا نحن كفار ولكن كلامهم بالكفر شهادة
عليهم وقال السدي شهادتهم على انفسهم بالكفر هو ان النصراني يسأل من انت فيقول
نصراني واليهودي يقول يهودي والمشرك يقول مشرك وقال ابن عباس رضي الله تعالى
عنه وفي رواية عنه شاهدين على رسوله بالكفر لانه من انفسهم اولئك حبطت
اعمالهم يعني الاعمال التي عملوها في حال الكفر من اعمال البر مثل قرى الضيف وسقي
الحجيج وفك العاني لانها لم تكن لله فلم يكن لها ثبات مع الكفر وفي النار هم
خالدون يعني من مات منهم على كفره قوله عز وجل انما يعمر مساجد
الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلاة وآتى الزكاة لما بين الله
عز وجل ان الكافر ليس له ان يعمر مساجد الله بين في هذه الآية من هو المستحق لعمارة
المساجد وهو من آمن بالله فان الايمان بالله شرط في عمارة المسجد لان المسجد
عبارة عن الموضع الذي يعبد الله فيه فمن لم يكن مؤمنا بالله امتنع ان يعمر موضعا
يعبد الله فيه واليوم الآخر يعني وآمن باليوم الآخر لانه حق كان لان عمارة
المسجد لاجل عبادة الله وجزاء الجزاء انما يكون في الآخرة فمن انكر الآخرة لم يعبد
الله ولم يعمر مسجد فان قلت لم يذكر الايمان برسول الله مع ان الايمان
به شرط في صحة الايمان قلت ان الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم
داخل في الايمان بالله فمن آمن بالله واليوم الآخر فقد آمن برسول الله لانه من جهته
عرف الايمان بالله واليوم الآخر لانه هو الداعي الى ذلك وقيل ان المشركين كانوا يقولون
ان محمدا انما ادعى النبوة طلبا للرياسة والملك فاخبر الله عز وجل ان محمدا
صلى الله عليه وسلم انما دعا الى الايمان بالله واليوم الآخر لا لطلب الرياسة
والملك فلهذا لذلك قال انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وترك
ذكر الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل انه تعالى ذكر بعد الايمان بالله
واليوم الآخر اقام الصلاة وآتى الزكاة وذلك كان مما جاء به رسول الله صلى
الله عليه وسلم فمن اقام الصلاة وآتى الزكاة فقد آمن برسول الله صلى الله عليه
وسلم واعلم ان الاعتبار باقامة الصلاة وايتاء الزكاة في عمارة المساجد ان
الانسان اذا عمر المسجد لازمه لاقامة الصلاة فيه ولا يشتغل بعمارة المساجد
الا اذا كان مؤديا للزكاة لان الزكاة واجبة وعمارة المساجد نافلة ولا
يشتغل الانسان بالنافلة الا بعد اكمال الفريضة الواجبة عليه وقوله تعالى
ولم يخش الا الله يعني ولم يخف في الدين غير الله ولم يترك امر الله لخشية الناس
فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين وعسى من الله واجب يعني واولئك هم
المهتدون المتمسكون بطاعة الله التي تؤدي الى الجنة عن ابي سعيد الخدري
رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم الرجل
يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان فان الله عز وجل يقول انما يعمر مساجد
الله من آمن بالله واليوم الآخر الآية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
ق عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا
الى المسجد او راح اعد الله تعالى له في الجنة نزلا كلما غدا او راح النزل ما يهيأ
للضيف عند نزوله بالقوم ق عن عثمان بن عفان قال سمعت رسول الله صلى الله

عليه وسلم يقول من بنى مسجدا يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتا في الجنة وفي
رواية بنى له في الجنة مثله وعن انس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من بنى مسجدا صغيرا كان او كبيرا بنى الله له بيتا في الجنة اخرجه
الترمذي عن عمرو بن عبسة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من بنى لله مسجدا
ليذكر الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة اخرجه النسائي قوله تعالى اجعلتم
سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام الاية عن النعمان بن بشير قال
كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل ما ابالي ان لا اعمل عملا
بعد الاسلام الا ان اعمر المسجد الحرام وقال اخر الجهاد في سبيل الله افضل مما قلتم
فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا اصواتكم عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوم
الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فانزل
الله عز وجل اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم
الاخر الى اخرها وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه حين اسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا
بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج فانزل الله
تعالى هذه الاية واخبر ان عمارتهم المسجد الحرام وقيامهم على السقاية
لا ينفعهم مع الشرك بالله فان الايمان والجهاد مع النبي خير مما هم عليه وقال
الحسن والشعبي ومحمد بن كعب القرظي نزلت في علي بن ابي طالب والعباس
ابن عبد المطلب وطلحة بن شيبة افتخروا فقال طلحة انا صاحب البيت بيدي مفاتيحه
وقال العباس انا صاحب السقاية وقال علي انا ما ادري ما تقولون لقد صليت
الى القبلة ستة اشهر قبل الناس وانا صاحب الجهاد فانزل الله هذه الاية
اجعلتم سقاية الحاج والسقاية مصدر كالرعاية والحماية وهي سقي الحاج وكان
العباس بن عبد المطلب بيده سقاية الحاج وكان يليها في الجاهلية فلما جا
الاسلام واسلم العباس اقره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وعمارة
المسجد الحرام يعني بناءه وتشييده ومرمته كمن امن بالله واليوم الاخر
فيه حذف تقديره كايمان من امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله
اي وكجهاد من جاهد في سبيل الله وقيل السقاية والعمارة بمعنى الساقي والعامر
تقديره اجعلتم ساقي الحاج وعامر المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر
وجاهد في سبيل الله بحال من سقى الحاج وعمر المسجد الحرام وهو مقيم على شرك
وكفر لان الله لا يقبل عملا الا مع الايمان به والله لا يهدي القوم الظالمين
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى
السقاية فاستسقى فقال ابن عباس والعباس يا فضل اذهب الى امك فأت
رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها فقال اسقني فقال
يا رسول الله انهم يجعلون ايديهم فيه قال اسقني فشرب منه ثم اتى
زمزم وهم يسقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال
لولا ان تغلبوا لنزلت حتى اضع الحبل على هذه يعني عاتقه عن بكر بن عبد الله
المزني قال كنت جالسا مع ابن عباس عند الكعبة فاتاه اعرابي فقال ما لي
ارى بني عمكم يسقون العسل واللبن وانتم تسقون النبيذ امن حاجة
بكم ام بخل فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه الحمد لله ما بنا من حاجة ولا بخل

انما

انما قدم النبي صلى الله عليه وسلم على راحلته وخلفه اسامة فاستسقى فاتيناه
باناء من نبيذ فشرب وسقى فضله اسامة فقال احسنتم واجملتم كذا فاصنعوا
فلا نريد تغيير ما امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم النبيذ تمر ينقع في الماء غدوة
ويشرب عشيا او ينقع عشيا ويشرب غدوة وهذا حلال فان غلا وحمض حرم قوله
عز وجل الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم
وانفسهم اعظم درجة عند الله يعني ان من كان موصوفا بهذه الصفات يعني
الايمان والهجرة والجهاد في سبيل الله بالمال والنفس كان اعظم درجة عند الله
ممن افتخر بالسقاية وعمارة المسجد الحرام وانما لم يذكر القسم المرجوح لبيان فضل
القسم الراجح على الاطلاق على من سواهم والمراد بالدرجة المنزلة والرفعة
عند الله في الاخرة واولئك يعني من هذه صفتهم هم الفائزون يعني بما
الدنيا والاخرة يبشرهم ربهم يعني يخبرهم ربهم والبشارة الخبر السار الذي
يفرح الانسان عند سماعه وتستنير بشرة وجهه عند سماع ذلك الخبر السار
ثم ذكر ذلك الذي يبشرهم به فقال تعالى برحمة منه ورضوان وهذا اعظم
البشارات لان الرحمة والرضوان من الله عز وجل على العبد نهاية مقصوده
وجنات لهم فيها نعيم مقيم يعني ان نعيم الجنة دائم غير منقطع ابدا
خالدين فيها يعني في الجنات وفي النعيم ابدا يعني لا انقطاع له ان الله
عنده اجر عظيم يعني لمن عمل بطاعته وجاهد في سبيله قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم الاية قال مجاهد هذه الاية
نزلت متصلة بما قبلها نزلت في قصة العباس وطلحة وامتناعهما عن الهجرة
وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه لما امر النبي صلى الله عليه وسلم الناس
بالهجرة الى المدينة فمنهم من تعلق به اهله واولاده يقولون ننشدك الله ان
لا تضيعنا فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة فانزل الله تعالى هذه الاية
وقال مقاتل نزلت في التسعة الذين ارتدوا عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى
المؤمنين عن موالاتهم وانزل الله يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم
اولياء يعني بطانة واصدقاء تفشون اليهم اسراركم وتؤثرون المقام معهم
على الهجرة قال بعضهم حمل هذه الاية على ترك الهجرة مشكل لان السورة
نزلت بعد الفتح وهي من اواخر القران نزولا والاقرب ان يقال ان الله تعالى
لما امر المؤمنين بالتبري من المشركين قالوا كيف يمكن ان يقاطع الرجل اباه واخاه
وابنه فذكر الله ان مقاطعة الرجل اهله واقاربه في الدين واجبة فالمؤمن
لا يوالي الكافرين وان كانوا اباه واخاه وابنه وهو قوله تعالى اولياء
ان استحبوا الكفر على الايمان يعني ان اختاروا الكفر واقاموا عليه
وتركوا الايمان بالله ورسوله ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون يعني
ومن يختار المقام معهم على الهجرة والجهاد فقد ظلم نفسه بمخالفة امر الله تعالى
واختيار الكفار على المؤمنين ولما نزلت هذه الاية قال الذين اسلموا ولم يهاجروا
ان نحن هاجرنا ضاعت اموالنا وذهبت تجارتنا وخربت دورنا وقطعنا ارحامنا
فانزل الله تعالى قل اي قل يا محمد لهؤلاء الذين قالوا هذه المقالة ان كان
اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وقرئ على الجمع وعشيراتكم

العشيرة هم الادنون من اهل الانسان الذين يعاشرونه دون غيرهم **وأموال
اقترفتموها** يعني اكتسبتموها **وتجارة تخشون كسادها** يعني بفراقكم لها
ومساكن ترضونها يعني تستوطنونها راضين بسكناها **احب اليكم من الله
ورسوله** يعني احب اليكم من الهجرة الى الله ورسوله **وجهاد في سبيله** بين الله تعالى
انه يجب تحمل جميع المضار في الدنيا ليبقى الدين سليما واخبر انه ان كانت رعاية هذه
المصالح الدنيوية عندكم اولى من طاعة رسوله ومن المهاجرة في سبيل الله **فتربصوا**
اي فانتظروا **حتى يأتي الله بأمره** اي بقضائه وهذا امر تهديد وتخويف وقال
مجاهد ومقاتل يعني بفتح مكة **والله لا يهدي القوم الفاسقين** يعني الخارجين
عن طاعته وفي هذا دليل على انه اذا وقع تعارض بين مصالح الدين على مصالح
الدنيا وجب على المسلم ترجيح مصالح الدنيا **قوله عز وجل لقد نصركم
الله** النصر المعونة على الاعداء واظهارا للمسلمين عليهم **في مواطن كثيرة**
يعني اماكن كثيرة والمراد به غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه
وبعوثه وكانت غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ذكر في الصحيحين
من حديث زيد بن ارقم سبع عشرة غزوة زاد بريدة في حديثه قاتل في ثمان
منهن ويقال جميع غزواته وسراياه وبعوثه سبعون وقيل ثمانون وهو قوله
لقد نصركم الله في مواطن كثيرة **ويوم حنين** يعني ونصركم الله في يوم حنين ايضا
فاعلم انه هو الذي يتولى نصر المؤمنين في كل موقف وموطن ومن يتولى
نصره فلا غالب له وحنين اسم واد قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة
عشر ميلا وقال عروة هو الى قرب ذي المجاز **وكانت غزوة حنين**
على ما نقله الرواة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه
ايام من شهر رمضان فخرج الى حنين لقتال هوازن وثقيف في اثني عشر الفا
من المهاجرين والانصار والفين من الطلقاء وقال عطاء كانوا ستة عشر الفا
وقال الكلبي كانوا عشرة الاف وكانوا يومئذ اكثر ما كانوا قط وكان المشركون
اربعة الاف من هوازن وثقيف وكان على هوازن مالك بن عوف النصري وعلى
ثقيف كنانة بن عبد ياليل فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال
له سلمة بن سلامة بن وقش لن نغلب اليوم عن قلة فساء رسول الله صلى
الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل وفي رواية فلم يرض الله قوله ووكلهم
الى انفسهم وذكر ابن الجوزي عن سعيد بن المسيب ان القائل لذلك ابو بكر الصديق
رضي الله تعالى عنه وحكى ابن جرير كذلك ان القائل لذلك رسول الله صلى الله
عليه وسلم واسناد هذه الكلمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه بعد لانه صلى
الله عليه وسلم كان في جميع احواله متوكلا على الله عز وجل لا يلتفت الى كثرة عدد
ولا الى غيره بل نظره الى ما يأتي من عند الله عز وجل من النصر والمعونة قالوا
فلما التقى الجمعان اقتتلوا قتالا شديدا فانهزم المشركون وخلوا عن الذراري
ثم تنادوا يا حماة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون
وقال قتادة ذكر لنا ان الطلقاء انجفلوا يومئذ بالناس فلما انجفل القوم
هربوا (ق) عن ابي اسحاق قال جاء رجل الى البراء فقال أكنتم وليتم يوم حنين
يا ابا عمارة فقال اشهد على نبي الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ولكنه انطلق اخفاء

من

غزوة حنين

من الناس وحسر الى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل
كأنها رجل من جراد فانكشفوا فاقبل القوم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو
سفيان بن الحارث يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول انا النبي لا كذب
انا ابن عبد المطلب اللهم نزل نصرك قال ابو خيثمة ثم صفهم قال البراء كنا والله اذا
احمر البأس نتقي به وان الشجاع منا الذي يحاذي به النبي صلى الله عليه وسلم
ولمسلم عن ابي اسحاق قال قال رجل للبراء بن عازب يا ابا عمارة فررتم يوم حنين
قال لا والله ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه خرج شبان اصحابه
واخفاؤهم حسرا ليس عليهم سلاح او كثير سلاح فلقوا قوما رماة لا يكاد يسقط لهم
سهم جمع هوازن وبني نصر فرشقوهم رشقا ما يكادون يخطئون فاقبلوا هناك
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته
البيضاء وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب يقود به بغلته فنزل ودعا
واستنصر وهو يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب **وروى**
شعبة عن ابي اسحاق قال قال البراء ان هوازن كانوا قوما رماة ولما لقيناهم
حملنا عليهم فانهزموا فاقبل المسلمون على الغنائم فاستقبلونا
بالسهام فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ولكنه انطلق اخفاء من
الناس الاخفاء جمع خفيف وهم المسترعون من الناس الذين ليس لهم ما يعوقهم
والحسر جمع حاسر وهو الذي لا درع عليه يقال اذا رمي القوم باسرهم الى جهة
واحدة رمينا رشقا والرجل من الجراد القطعة الكثيرة منه وقوله كنا اذا
احمر البأس يعني اذا اشتد الحرب والبأس بالموحدة من تحت الشدة والخوف
قال الكلبي كان حول رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ثلثمائة من المسلمين
قال وانهزم سائر الناس وقال غيره لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ غير
عمه العباس بن عبد المطلب وابن عمه ابي سفيان بن الحرث وايمن ابن ام ايمن
قتل يوم حنين بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ايمن اخو اسامة
ابن زيد لامه اسمها بركة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته (م) عن
ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم حنين فلزمت انا وابو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة بيضاء اهداها
له فروة بن نفاثة الجذامي فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين
فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار قال العباس وانا آخذ
بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان آخذ
بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي عباس
ناد اصحاب السمرة فقال العباس وكان رجلا صيتا فقلت باعلى صوتي اين اصحاب
السمرة قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على اولادها
فقالوا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوا والكفار والدعوة في الانصار يقولون يا معشر
الانصار يا معشر الانصار ثم قصرت الدعوة على بني الحرث بن الخزرج فنظر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس قال ثم اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات

فرمى بهن في وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فذهبت انظر فاذا القتال
على هيئته فيما ارى قال فوالله ما هو الا ان رماهم بحصياته فما زلت ارى حدهم كليلا
وامرهم مدبرا قوله حمي الوطيس اي اشتد الحرب قال الخطابي هذه الكلمة لم تسمع قبل
ان يقولها النبي صلى الله عليه وسلم من العرب وهي مما اقتضبه وانشاه قالوا والوطيس
في اللغة التنور وقوله حدهم كليلا اي لا يقطع شيئا **عن سلمة** بن الاكوع قال
غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينا قال فلما غشوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم نزل عن بغلته ثم قبض قبضة من تراب الارض ثم استقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم به وجوههم ثم قال شاهت الوجوه شاهت الوجوه فما
خلق الله تعالى انسانا الا وملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم
الله وقسم غنائمهم الى المسلمين اخرجه مسلم زيادة فيه قال سعيد بن جبير
امد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة الاف من الملائكة مسومين
وروى ان رجلا من بني نصر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال اين
الخيل البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراه فيكم الا كهيئة
الشامة وما كان قتلنا الا بايديهم فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك
فقال تلك الملائكة وروي ان رجلا من المشركين قال يوم حنين لما التقينا
واصحاب محمد لم يقفوا لنا حلب شاة ان كشفناهم فبينا نحن نسوقهم حتى انتهينا
الى صاحب البغلة البيضاء فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فتلقانا عنده رجال بيض الوجوه حسان الوجوه فقالوا لنا شاهت الوجوه
ارجعوا قال فانهزمنا وركبوا اكتافنا وكانت اياها واختلفوا هل قاتلت
الملائكة يوم حنين على قولين والصحيح انها لم تقاتل الا يوم بدر وانما كانت
الملائكة يوم حنين مددا وعونا **وذكر البغوي** ان الزهري قال
بلغني ان شيبة بن عثمان قال استدبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم حنين وانا اريد قتله بطلحة بن عثمان وعثمان ابي طلحة وكانا قد قتلا
يوم احد فاطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم عما في نفسي فالتفت الي وضرب
في صدري قال اعيذك بالله يا شيبة فارعدت فرائصي فنظرت اليه وهو احب
الي من سمعي وبصري فقلت اشهد انك رسول الله قد اطلعك الله على ما في نفسي
فلما هزم الله المشركين وولوا مدبرين انطلقوا حتى اتوا اوطاس وبها عيالهم
واموالهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الاشعريين يقال له ابو
عامر وامره على الجيش فسار الى اوطاس فاقتتلوا بها وقتل دريد بن الصمة
وهزم الله المشركين وسبى المسلمون عيال المشركين وهرب اميرهم مالك بن عوف
النصري فاتى الطائف فتحصن بها واخذ ماله واهله فيمن اخذ وقتل ابو عامر
امير المسلمين قال الزهري اخبرني سعيد بن المسيب انهم اصابوا يومئذ
ستة الاف سبي ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى الطائف فحاصرهم بقية ذلك
الشهر فلما دخل ذو القعدة وهو شهر حرام انصرف عنهم واتى الجعرانة فاحرم
بها بعمرة وقسم غنائم حنين واوطاس وتالف اناسا منهم ابو سفيان بن حرب
والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو والاقرع بن حابس فاعطاهم (ق) عن انس بن مالك
رضي الله تعالى عنه ان ناسا من الانصار قالوا يوم حنين افاء الله على رسوله من اموال

هوازن

هوازن ما افاء فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي رجالا من قريش المائة من الابل
فقالوا يغفر الله لرسول الله يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال انس فحدثت
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم فارسل الى الانصار فجمعهم في قبة من ادم ولم
يدع معهم غيرهم فلما اجتمعوا جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما حديث بلغني
عنكم فقال له فقهاء الانصار اما ذوو آرائنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئا واما اناس منا حديثة
اسنانهم فقالوا يغفر الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا
تقطر من دمائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني اعطي رجالا حديثي عهد
بكفر اتالفهم افلا ترضون ان يذهب الناس بالاموال وترجعون الى رحالكم برسول الله صلى
الله عليه وسلم فما تنقلبون به خير مما ينقلبون به قالوا بلى يا رسول الله قد رضينا قال فانكم ستجدون
بعدي اثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله على الحوض قالوا سنصبر زاد في
رواية انس فلم نصبر عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال لما افاء الله على رسوله يوم حنين
قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيئا فكانهم وجدوا اذ لم يصبهم ما اصاب
الناس فخطبهم فقال يا معشر الانصار الم اجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين
فالفكم الله بي وعالة فاغناكم الله بي كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله امن
قال لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا الا ترضون ان يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون
بالنبي الى رحالكم لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس واديا او شعبا
لسلكت وادي الانصار وشعبها الانصار شعار والناس دثار وعن رافع بن خديج
قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا سفيان بن حرب وصفوان بن امية
وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عباس بن مرداس دون
ذلك فقال عباس بن مرداس

اتجعل نهبي ونهب العبيد ... بين عيينة والاقرع
فما كان حصن ولا حابس ... يفوقان مرداس في مجمع
وما كنت دون امرئ منهما ... ومن تخفض اليوم لا يرفع

قال فاتم له رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة (خ) عن المسور بن مخرمة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين فسالوه ان يرد عليهم اموالهم
وسبيهم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان معي من ترون واحب الحديث الي
اصدقه فاختاروا احدى الطائفتين اما المال واما السبي وقد كنت استانيت بكم
وفي رواية وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظرهم بضع عشرة ليلة حين قفل من
الطائف فلما تبين لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم انتظرهم حين قفل من الطائف بضع
عشرة ليلة فلما تبين لهم ان النبي صلى الله عليه وسلم غير راد عليهم الا احدى الطائفتين
قالوا انا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو
اهله ثم قال اما بعد فان اخوانكم هؤلاء جاؤوا تائبين واني رايت ان ارد عليهم سبيهم
فمن احب منكم ان يطيب ذلك فليفعل قال الناس قد طيبنا ذلك لهم يا رسول الله
فقال لهم انا لا ندري من اذن منكم ممن لم ياذن فارجعوا حتى يرفعوا الينا
عرفاؤكم امركم فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبروه انهم قد طيبوا واذنوا هذا الذي بلغنا من سبي هوازن وانزل الله في قصة
حنين لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم يعني حتى قلتم لن نغلب
اليوم عن قلة فلم تغن عنكم كثرتكم شيئا يعني ان الظفر بالعدو ليس بكثرة العدد ولكن

إنما يكون بنصر الله ومعونته **وضاقت عليكم الأرض بما رحبت** يعني بسعتها وفضائها **ثم وليتم مدبرين** يعني منهزمين **ثم أنزل الله سكينته** يعني بعد الهزيمة والسكينة الطمأنينة والأمنة وهي فعيلة من السكون وذلك أن الإنسان إذا خاف رجف فؤاده فلا يزال متحركا وإذا أمن سكن فؤاده وثبت فلما كان الأمن موجبا للسكون جعل لفظ السكينة كناية عن الأمن وقوله تعالى **على رسوله وعلى المؤمنين** إنما كان إنزال السكينة على المؤمنين لأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان هو ساكن القلب ليس عنده اضطراب كما حصل للمؤمنين من الهزيمة والاضطراب في مبدأ الوقعة ثم من الله عليهم بإنزال السكينة عليهم حتى رجعوا إلى قتال عدوهم بعد الهزيمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت لم يتغير **وأنزل جنودا لم تروها** يعني الملائكة لتثبيت المؤمنين وتشجيعهم وتخذيل المشركين وتجبينهم لا للقتال لأن الملائكة لم تقاتل إلا يوم بدر **وعذب الذين كفروا** يعني بالقتل والأسر وسبي العيال وسلب الأموال **وذلك جزاء الكافرين** يعني في الدنيا إذا أفضوا إلى الآخرة كان لهم عذاب أشد من ذلك العذاب وأعظم **ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء** يعني فيهديه إلى الإسلام كما فعل بمن بقي من هوازن حيث أسلموا وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم تائبون فمنّ الله تعالى عليهم وأطلق سبيهم **والله غفور رحيم** لمن تاب بعباده قوله تعالى **يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس** قيل أراد بالمشركين عبدة الأصنام وغيرهم من اليهود والنصارى والنجس الشيء القذر من الناس وغيرهم وقيل النجس الشيء الخبيث وأراد بهذه النجاسة نجاسة الحكم لا نجاسة العين سموا نجسا من الدم لأن الفقهاء اتفقوا على طهارة أبدانهم وقيل هم أنجاس العين كالكلب والخنزير حتى قال الحسن بن صالح من مس مشركا فليتوضأ **وروي** عن الزيدية من الشيعة قالوا والقول الأول أصح وقال قتادة سماهم نجسا لأنهم يجنبون فلا يغتسلون ويحدثون فلا يتوضئون **فلا يقربوا المسجد الحرام** والمراد منعهم من دخول الحرم لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام ويؤكد هذا قوله تعالى سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام أراد به الحرم لأنه أسري به صلى الله عليه وسلم من بيت أم هانئ قال العلماء وجملة بلاد الإسلام في حق الكفار ثلاثة أقسام أحدها الحرم فلا يجوز للكافر أن يدخله بحال ذميا كان أو مستأمنا لظاهر الآية وبه قال الشافعي وأحمد ومالك فلو جاء رسول من دار الكفر والإمام في الحرم فلا يأذن له في دخول الحرم بل يخرج إليه بنفسه ويبعث إليه من يسمع رسالته خارج الحرم وجوز أبو حنيفة وأهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم القسم الثاني من بلاد الإسلام الحجاز وحده ما بين اليمامة واليمن ونجد والمدينة الشريفة قيل نصفها تهامي ونصفها حجازي وقيل كلها حجازي وقال ابن الكلبي حد الحجاز ما بين جبلي طيء وطريق العراق سمي حجازا لأنه حجز بين تهامة ونجد وقيل لأنه حجز بين نجد والسراة وقيل لأنه حجز بين نجد وتهامة والشام قال الحربي وتبوك من الحجاز فيجوز للكفار دخول أرض الحجاز بالإذن ولكن لا يقيم فيها أكثر من مقام المسافر وهو ثلاثة أيام م عن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب فلا أترك فيها إلا مسلما زاد في رواية لغير مسلم وأوصى فقال أخرجوا المشركين من جزيرة العرب فلم يتفرغ لذلك أبو بكر وأجلاهم عمر في خلافته وأجل لمن يقدم تاجرا ثلاثا عن ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمع دينان في جزيرة العرب أخرجه مالك في الموطأ مرسلا عن جابر

رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم قال سعيد بن عبد العزيز جزيرة العرب من أقصى عدن أبين إلى ريف العراق في الطول ومن جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام والقسم الثالث سائر بلاد الإسلام فيجوز للكافر أن يقيم فيها بعهد وأمان وذمة ولكن لا يدخلون المساجد إلا بإذن مسلم وقوله تعالى **بعد عامهم هذا** يعني العام الذي حج فيه أبو بكر رضي الله عنه بالناس وفيه نادى علي ببراءة وأن لا يحج بعد العام مشرك وهو سنة تسع من الهجرة **وإن خفتم عيلة** يعني فقرا وفاقة وذلك أن أهل مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون يجلبون إلى مكة الطعام ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خاف أهل مكة الفقر وضيق المعيشة فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وإن خفتم عيلة **فسوف يغنيكم الله من فضله** قال عكرمة فأغناهم الله بأن أنزل المطر مدرارا وكثر خيرهم وقال مقاتل أسلم أهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة إلى مكة فكفاهم الله ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقتادة عوضهم الله منها الجزية فأغناهم بها **إن شاء** قيل إنما اشترط المشيئة في الغنى المطلوب ليكون الإنسان دائم التضرع والابتهال إلى الله تعالى في طلب الخيرات ودفع الآفات وأن ينقطع العبد أمله من كل أحد إلا من الله عز وجل فإنه هو القادر على كل شيء وقيل إن المقصود من هذا الشرط تعليم رعاية الأدب كما في قوله لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله **إن الله عليم** يعني بما يصلحكم **حكيم** يعني أنه تعالى لا يفعل شيئا إلا عن حكمة وصواب فمن حكمه أن منع المشركين من دخول الحرم وأوجب الجزية والذل والصغار على أهل الكتاب فقال تعالى **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر** قال مجاهد نزلت هذه الآية حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتال الروم فغزا بعد نزولها غزوة تبوك وقال الكلبي نزلت في قريظة والنضير من اليهود فصالحهم فكانت أول جزية أصابها أهل الإسلام وأول ذل أصاب أهل الكتاب بأيدي المسلمين وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المسلمين والمعنى قاتلوا أيها المؤمنون القوم الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر **فإن قلت** اليهود والنصارى يزعمون أنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر فكيف أخبر عنهم أنهم لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر **قلت** إيمانهم بالله ليس كإيمان المؤمنين وذلك أن اليهود يعتقدون التجسيم والتشبيه والنصارى يعتقدون الحلول ومن اعتقد ذلك ليس يؤمن بالله وأما إيمانهم باليوم الآخر فليس كإيمان المؤمن وذلك أنهم يعتقدون بعثة الأرواح دون الأجساد ويعتقدون أن أهل الجنة لا يأكلون فيها ولا يشربون ولا ينكحون ومن اعتقد ذلك فليس إيمانه كإيمان المؤمنين وإن زعم أنه مؤمن وقوله تعالى **ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله** يعني لا يحرمون الخمر والخنزير وقيل معناه أنهم لا يحرمون ما حرم الله في القرآن ولا ما حرم رسوله في السنة وقيل معناه لا يعملون بما في التوراة والإنجيل بل حرفوهما وأتوا بأحكام من قبل أنفسهم **ولا يدينون دين الحق** يعني ولا يعتقدون صحة الإسلام الذي هو دين الحق وقيل الحق هو الله تعالى ومعناه ولا يدينون دين الله ودينه هو الإسلام بدليل قوله تعالى إن الدين عند الله الإسلام وقيل معناه ولا يدينون دين أهل الحق وهم المسلمون ولا يطيعون الله كطاعتهم **من الذين أوتوا**

الكتاب يعني اعطوا الكتاب وهم اليهود والنصارى **حتى يعطوا الجزية** وهو ما يعطي المعاهد من اهل الكتاب على عهده وهي الخراج المضروب على رقابهم سميت جزية للاجتزاء بها في حقن دمائهم **عن يد** يعني عن قهر وغلبة يقال لكل من اعطى شيا كرها من غير طيب نفس اعطى عن يد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه يعطونها نقدا لانسية وقيل يعطونها مع اقرارهم بانعام المسلمين عليهم بقبولها منهم **وهم صاغرون** من الصغار وهو الذل والاهانة يعطون الجزية وهم اذلا مقهورون وقال عكرمة يعطون الجزية وهم قيام والقابض جالس وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه توخذ الجزية من احدهم وتوطا عنقه وقال الكلبي اذا اعطوا يصفع قفاه وقيل هو ان يوخذ بلحيته ويضرب في لهزمتيه ويقول له ادّ حق الله يا عدو الله وقال الشافعي الصغار هو جريان احكام المسلمين عليهم

فصل في بيان حكم الاية

اجمعت الامة على جواز اخذ الجزية من اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى اذا لم يكونوا عربا واختلفوا في الكتابي العربي وفي غير اهل الكتاب من كفار العجم فذهب الشافعي الى ان الجزية على الاديان لا على الانساب فتوخذ من اهل الكتاب عربا كانوا او عجما ولا توخذ من عبدة الاوثان بحال واحتج بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه بعث خالد بن الوليد الى اكيدر دومة فاخذوه فاتوا به فحقن دمه وصالحه على الجزية اخرجه ابو داود والشافعي وهو رجل من العرب يقال انه من غسان واخذ من اهل ذمة اليمن وعامتهم عرب وذهب مالك والاوزاعي الى ان الجزية توخذ من جميع الكفار الا المرتد وقال ابو حنيفة توخذ من اهل الكتاب على العموم وتوخذ من مشركي العجم ولا توخذ من مشركي العرب وقال ابو يوسف لا توخذ من العربي كتابيا كان او مشركا وتوخذ من العجمي كتابيا كان او مشركا واما المجوس فاتفقت الصحابة على الاخذ منهم ويدل عليه ما روي عن بجالة بن عبدة قال لم يكن عمر اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذها من مجوس هجر اخرجه البخاري وعن جعفر بن محمد عن ابيه ان عمر ابن الخطاب ذكر المجوس فقال ما ادري كيف اصنع في امرهم فقال عبد الرحمن ابن عوف اشهد اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول سنوا بهم سنة اهل الكتاب اخرجه مالك في موطئه عن ابن شهاب قال بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ الجزية من مجوس البحرين وان عمر اخذها من مجوس فارس وان عثمان اخذها من البربر اخرجه مالك في الموطا وفي امتناع عمر عن اخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذها منهم دليل على ان راي الصحابة كان على انها لا توخذ من كل مشرك وانما توخذ من اهل الكتاب واختلفوا في ان المجوس هل هم من اهل الكتاب فروي عن علي بن ابي طالب انه قال كان لهم كتاب يدرسونه فاصبحوا وقد اسري على كتابهم فرفع من بين اظهرهم واتفقوا على تحريم ذبائحهم ومناكحتهم بخلاف اهل الكتاب واما من دخل في دين اليهود والنصارى من غيرهم من المشركين نظر فان كانوا دخلوا فيه قبل النسخ والتبديل يقرون بالجزية وتحل مناكحتهم وذبائحهم وان دخلوا في دينهم بعد النسخ بمجيء محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ شريعتهم بشريعته فلا يقرون بالجزية ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم ومن شككنا في امرهم انهم هل دخلوا فيه بعد النسخ او

قبله يقرون بالجزية تغليبا لحقن الدم ولا تحل ذبائحهم ومناكحتهم تغليبا للتحريم فهم نصارى العرب من تنوخ وبهرا وبني تغلب اقرهم عمر بالجزية وقال لا تحل لنا ذبائحهم واما الصابئة والسامرة فسبيلهم سبيل اهل الكتاب فهم في اهل الكتاب كاهل البدع في المسلمين واما قدر الجزية فاقلها دينار ولا يجوز ان ينقص ويقبل الدينار من الغني والفقير والمتوسط ويدل عليه ما روي عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما وجهه الى اليمن امره ان ياخذ من كل حالم يعني محتلم دينارا او عدله من المعافري ثياب تكون باليمن اخرجه ابو داود فالنبي صلى الله عليه وسلم امره ان ياخذ من كل محتلم وهو البالغ دينارا ولم يفرق بين الغني والفقير والمتوسط وفيه دليل على انه لا توخذ الجزية من الصبيان والنساء وانما توخذ من الاحرار البالغين وذهب قوم الى ان على كل موسر اربعة دنانير وعلى كل متوسط دينارين وعلى كل فقير دينارا وهو قول اصحاب الراي ويدل عليه ما روي عن اسلم ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه جعل الجزية على اهل الذهب اربعة دنانير وعلى اهل الورق اربعين درهما ومع ذلك ارزاق المسلمين وضيافة ثلاثة ايام اخرجه مالك في الموطا قال اصحاب الشافعي الجزية دينار ولا يزاد على الدينار الا بالتراضي فاذا رضي اهل الذمة بالزيادة ضرب على المتوسط دينارين وعلى الغني اربعة دنانير قال العلماء انما اقروا اهل الكتاب على دينهم الباطل بخلاف اهل الشرك حرمة لاباءهم الذين انقرضوا على الدين الحق من شريعة التوراة والانجيل قبل النسخ والتبديل وايضا فان بايديهم كتبا قديمة فربما تفكروا فيها فيعرفون صدق محمد صلى الله عليه وسلم رجاء ان يعرفوا الحق فيرجعوا اليه بان يومنوا ويصدقوا اذا راوا محاسن الاسلام وقوة دلايله وكثرة الداخلين فيه والله اعلم

قوله عز وجل **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم** الاية لما ذكروا في الاية المتقدمة ان اليهود والنصارى لا يومنون بالله ولا يدينون دين الحق بين في هذه الاية واخبر عنهم انهم اثبتوا لله ولدا ومن جوز ذلك على الله فقد اشرك به لانه لا فرق بين من يعبد صنما وبين من يعبد المسيح فقد بان بهذا انهم لا يومنون بالله ولا يدينون دين الحق وقد تقدم سبب اخذ الجزية منهم وابقاوهم على هذا الشرك وهو حرمة الكتب القديمة التي بايديهم ولعلهم يتفكرون فيها ويعرفون الحق فيرجعون اليه **روى** سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم جماعة من اليهود سلام بن مشكم والنعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فقالوا كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا وانت لا تزعم ان عزيرا ابن الله فنزلت هذه الاية وقال عبيد بن عمير انما قال هذه المقالة رجل واحد من اليهود واسمه فنحاص بن عازوراء وهو الذي قال ان الله فقير ونحن اغنياء فعلى هذين القولين القايل لهذه المقالة جماعة من اليهود او واحد وانما نسب ذلك الى اليهود وقالت اليهود جريا على عادة العرب في ايقاع اسم الجماعة على الواحد تقول العرب فلان يجالس الملوك ولعله لم يجالس الا واحدا منهم **وروى** عطية العوفي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه قال انما قالت اليهود ذلك من اجل

ان عزيرا كان فيهم وكانت التوراة عندهم والتابوت فاضاعوا التوراة وعملوا بغير
الحق فرفع الله تعالى عنهم التابوت وانساهم التوراة ونسخها من صدورهم فدعا
الله عزير وابتهل اليه ان يرد اليه التوراة فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله عز وجل نزل
نور من السما فدخل جوفه فعادت اليه فاذن في قومه وقال يا قوم قد اتاني الله التوراة
وردها الي فطفق يعلمهم ثم مكثوا ما شا الله ثم ان التوراة وان التابوت
نزل بعد ذهابه منهم فلما راوا التابوت عرضوا ما كان يعلمهم عزير عليه في
التابوت فوجدوه مثله فقالوا ما اوتي عزير هذا الا انه ابن الله وقال
الكلبي ان بخت نصر لما غزا بيت المقدس وظهر على بني اسرائيل وقتل من
قرا التوراة وكان عزير اذ ذاك صغيرا فلم يقتله لصغره فلما رجع بنو
اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرا التوراة بعث الله عزيرا ليجدد
لهم التوراة وكان يكون لهم اية بعد ما اماته الله مائة سنة قال فاتاه ملك
باناء فيه ماء فشرب منه فمثلت له التوراة في صدره فلما اتاهم قال
انا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت كما تزعم فامل علينا التوراة فكتبها لهم من
صدره ثم ان رجلا منهم قال ان ابي حدثني عن جدي ان التوراة في خابية
دفنت في كرم فانطلقوا معه حتى اخرجوها فعارضوها بما كتب لهم عزير
فلم يجدوه غادر حرفا منها فقالوا ان الله لم يقذف التوراة في قلب عزير الا
انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله فعلى هذين القولين ان هذا القول
كان فاشيا في اليهود جميعا ثم انه انقطع ودرس فاخبر الله تعالى عنهم واظهره
عليهم فلا عبرة بانكار اليهود ذلك فان خبر الله عز وجل اصدق واثبت من
انكارهم واما قول النصارى المسيح ابن الله فكان السبب فيه انهم كانوا على
الدين الحق بعد رفع عيسى عليه الصلاة والسلام احدى وثمانين سنة يصلون
الى القبلة ويصومون حتى وقع بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود
رجل شجاع يقال له بولص قتل جماعة من اصحاب عيسى عليه الصلاة والسلام
ثم قال بولص لليهود ان كان الحق مع عيسى فقد كفرنا والنار مصيرنا فنحن
مغبونون ان دخلنا النار ودخلوا الجنة فاني ساحتال واضلهم حتى
يدخلوا النار معنا ثم انه عمد الى فرس كان يقاتل عليه فعرقبه واظهر الندامة
والتوبة ووضع التراب على راسه ثم انه اتى الى النصارى فقالوا له من انت قال
انا عدوكم بولص قد نوديت من السما انه ليس لك توبة حتى تتنصر وقد تبت
فاتيتكم فادخلوه الكنيسة ونصروه وادخلوه بيتا فيها فلم يخرج منه
سنة حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال قد نوديت ان الله قد قبل توبتك
فصدقوه واحبوه وعلا شانه فيهم ثم انه عمد الى ثلاثة رجال اسم
الواحد منهم نسطور والاخر يعقوب والاخر ملكا فعلم نسطور ان عيسى ومريم
والاله ثلاثة وعلم يعقوب ان عيسى ليس بانسان ولكنه ابن الله وعلم ملكا
ان عيسى هو الله لم يزل ولا يزال فلما استمكن ذلك فيهم دعا كل واحد منهم في
الخلوة وقال له انت خالصتي فادع الناس الى ما علمتك وامره ان يذهب الى
ناحية من البلاد ثم قال لهم اني رايت عيسى عليه السلام في المنام وقد رضي
عني وقال لكل واحد منهم اني ساذبح نفسي تقربا الى عيسى عليه الصلاة والسلام

ثم ذهب الى المذبح فذبح نفسه وتفرق اولئك الثلاثة فذهب واحد الى الروم
وواحد الى بيت المقدس والاخر الى ناحية اخرى واظهر كل واحد مقالته ودعا
الناس اليها قال فتبعه على ذلك طوائف من الناس فتفرقوا واختلفوا ووقع
القتال وكان ذلك سبب قولهم المسيح ابن الله **قال الامام** فخر الدين
الرازي بعد ان حكى هذه الحكاية والاقرب عندي ان يقال لعله ذكر لفظ الابن
في الانجيل على سبيل التشريف كما ورد لفظ الخليل في حق ابراهيم عليه الصلاة والسلام
على سبيل التشريف فيه ثم بالغوا وفسروا لفظة الابن بالبنوة الحقيقية
والجهال قبلوا ذلك منهم قال وفشا هذا المذهب الفاسد في اتباع عيسى عليه
الصلاة والسلام والله اعلم بحقيقة الحال **ذلك قولهم بافواههم** يعني
انهم يقولون ذلك بالسنتهم من غير علم يرجعون اليه قال اهل المعاني لم يذكر
الله قولا مقرونا بالافواه والالسن الا كان ذلك القول زورا وكذبا لا حقيقة
له **يضاهون** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه يشابهون والمضاهاة المشابهة
وقال مجاهد يواطئون وقال الحسن يوافقون **قول الذين كفروا من قبل** قال
قتادة معناه ان النصارى ضاهت قول اليهود من قبلهم فقالوا المسيح ابن الله
كما قالت اليهود عزير ابن الله وقال مجاهد معناه يضاهون قول المشركين من
قبل لان المشركين كانوا يقولون الملائكة بنات الله وقال الحسن شبه الله كفر اليهود
والنصارى بكفر الذين مضوا من الامم الخالية الكافرة وقال القتيبي يريد ان
من كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يقولون ما قال
اولهم **قاتلهم الله** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه لعنهم الله وقال ابن جريج
قتلهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة ولكنه بمعنى التعجب اي حق ان
يقال لهم هذا القول تعجبا من بشاعة قولهم كما يقال لمن فعل فعلا يتعجب منه
قاتله الله ما اعجب فعله **انى يؤفكون** يعني انى يصرفون عن الحق
بعد وضوح الدليل في اقامة الحجة بان الله واحد احد فجعلوا له ولدا تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا وهذا التعجب راجع الى الخلق لان الله لا يتعجب من
شي ولكن هذا الخطاب على عادة العرب في مخاطباتهم فالله تعالى عجب نبيه
صلى الله عليه وسلم من تركهم الحق واصرارهم على الباطل قوله تعالى **اتخذوا
احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله** يعني اتخذ اليهود والنصارى
علماءهم وقراءهم والاحبار العلماء من اليهود والرهبان اصحاب الصوامع من
النصارى اربابا من دون الله يعني انهم اطاعوهم في معصية الله تعالى وذلك
انهم احلوا لهم اشيا وحرموا عليهم اشيا من قبل نفوسهم فاطاعوهم فيها فاتخذوهم
كالارباب لانهم عبدوهم واعتقدوا فيهم الالهية عن عدي بن حاتم قال
اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح
عنك هذا الوثن وسمعته يقرا في سورة براة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا
من دون الله قال اما انهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا اذا احلوا لهم شيا
استحلوه واذا حرموا عليهم شيا حرموه اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب وقد قال عبد الله بن المبارك

وهل بدل الدين الا الملوك ◦ واحبار سوء ورهبانها

والمسيح ابن مريم يعني اتخذوه إلهاً وذلك لما اعتقدوا فيه النبوة والحلول اعتقدوا
فيه الإلهية وما أمروا يعني وما أمروا في الكتب الإلهية المنزلة عليهم وعلى ألسنة
أنبيائهم إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لأنه المستحق للعبادة لا غيره لا إله إلا هو سبحانه
عما يشركون أي تعالى الله وتنزه عن أن يكون له شريك في العبادة والأحكام
أو أن يكون له شريك في الألوهية مستحق التعظيم والإجلال يريدون يعني
يريد رؤساء اليهود والنصارى أن يطفئوا نور الله بأفواههم يعني يريدون
إبطال دين الله الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم بتكذيبهم إياه وقيل المراد من
النور الدلائل الدالة على صحة نبوته صلى الله عليه وسلم وهي أمور أحدها
المعجزات الباهرات الخارقة للعادة التي قد ظهرت على يد النبي صلى الله عليه وسلم
الدالة على صدقه وثانيها القرآن العظيم الذي نزل عليه من عند الله فهو معجزة
له باقية على الأبد الدالة على صدقه وثالثها أن دينه الذي أمر به وهو دين الإسلام
ليس فيه شيء سوى تعظيم الله والثناء عليه والانقياد لأمره ونهيه واتباع طاعته
والأمر بعبادته والتبري من كل معبود سواه فهذه أمور نيرة ودلائل واضحة في
صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فمن أراد إبطال ذلك بكذب وكفر وحقد خاب
سعيه وبطل عمله ثم إن الله تعالى وعد نبيه صلى الله عليه وسلم بمزيد النصر وإعلاء
الكلمة وإظهار الدين بقوله ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون يعني
ويأبى الله إلا أن يعلي دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به رسوله محمداً صلى الله
عليه وسلم ولو كره الكافرون **قوله عز وجل** هو الذي أرسل رسوله
يعني إن الله الذي يأبى إلا أن يتم نوره هو الذي أرسل رسوله يعني محمداً صلى الله
عليه وسلم بالهدى يعني بالقرآن الذي أنزله عليه وجعله هادياً إليه
ودين الحق يعني دين الإسلام ليظهره أي ليعليه على الدين كله يعني على سائر
الأديان وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه الهاء في ليظهره عائدة إلى الرسول
صلى الله عليه وسلم والمعنى ليعلمه شرائع الدين كله فيظهره عليها حتى
لا يخفى عليه شيء منها وقال غيره من المفسرين إنها راجعة إلى الدين الحق والمعنى
ليظهر دين الإسلام على الأديان كلها وهو أن لا يعبد إلا الله قال أبو هريرة
والضحاك وذلك عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام فلا يبقى أهل دين
إلا دخلوا في الإسلام ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن أبي هريرة رضي
الله تعالى عنه في حديث نزول عيسى عليه الصلاة والسلام قال النبي صلى
الله عليه وسلم ويهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام عن المقداد قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على وجه الأرض بيت مدر ولا وبر
إلا أدخله الله كلمة الإسلام إما بعز عزيز أو بذل ذليل إما يعزهم فيجعلهم من أهله
فيعزوا به وإما أن يذلهم فيدينون له أخرجه البغوي بغير سند م عن عائشة
رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يذهب الليل والنهار
حتى تعبد اللات والعزى فقلت يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله تعالى
هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله أن ذلك تام
قال إنه سيكون ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتوفى كل من كان في
قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم

قال

قال الشافعي فقد أظهر الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم على الأديان بأن أبان
لكل من سمعه أنه الحق وما خالفه من الأديان باطل قال وأظهره بأن جماع أهل الشرك دينان
دين أهل الكتاب ودين الأميين فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأميين حتى دانوا
بالإسلام طوعاً وكرهاً وقتل أهل الكتاب وسبى حتى دان بعضهم بالإسلام وأعطى
بعضهم الجزية وهم صاغرون وجرى عليهم حكمه فقد أظهره على الدين كله ولو كره
المشركون **قوله تعالى** يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار
والرهبان قد تقدم تفسير الأحبار والرهبان وأن الأحبار من اليهود والرهبان
من النصارى وفي قوله إن كثيراً دليل على أن الأقل من الأحبار والرهبان لم يأكلوا
أموال الناس بالباطل ولعلهم الذين كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وعبر عن أخذ الأموال بالأكل في قوله تعالى ليأكلون أموال الناس بالباطل
لأن المقصود الأعظم من جميع الأموال الأكل فسمي الشيء باسم ما هو أعظم مقاصده
واختلفوا في السبب الذي من أجله أكلوا أموال الناس بالباطل فقال قيل إنهم
كانوا يأخذون الرشا من سفلتهم على تخفيف الشرائع والمسامحة في الأحكام وقيل
إنهم كانوا يكتبون بأيديهم كتباً يحرفونها أي يبدلونها ويقولون هذه من عند الله
ويأخذون بها ثمناً قليلاً وهي المآكل التي كانوا يصيبونها من سفلتهم على تغيير
نعت النبي صلى الله عليه وسلم وصفته من كتبهم لأنهم كانوا يخافون لو آمنوا به
وصدقوه لذهبت عنهم تلك المآكل وقيل إن التوراة كانت مشتملة على آيات
دالة على نعت النبي صلى الله عليه وسلم فكان الأحبار والرهبان يذكرون في
تأويلها وجوهاً فاسدة باطلة ويحرفون معانيها طلباً للرياسة وأخذ الأموال
ومنع الناس عن الإيمان وذلك قوله تعالى ويصدون عن سبيل الله يعني
ويمنعون الناس عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والدخول في دين الإسلام
والذين يكنزون الذهب والفضة أصل الكنز في اللغة جمع المال
بعضه على بعض وحفظه ومال مكنوز أي مجموع واختلفوا في المراد بهؤلاء الذين
ذمهم الله تعالى بسبب كنز الذهب والفضة فقيل هم أهل الكتاب قال معاوية
ابن أبي سفيان لأن الله تعالى وصفهم بالحرص الشديد على أخذ أموال الناس
بالباطل ثم وصفهم بالبخل الشديد وهو جمع المال ومنع إخراج الحقوق
الواجبة وقال ابن عباس والسدي نزلت هذه الآية في مانعي الزكاة من
المسلمين وذلك أنه لما ذكر قبح طريقة الأحبار والرهبان في الحرص على
أخذ المال بالباطل حذر المسلمين من ذلك وذكر وعيد من جمع المال ومنع حقوق
الناس منه وقال أبو ذر نزلت في أهل الكتاب بالحرص على أخذ أموال الناس
بالباطل ثم ذكر بعده وعيد من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه سواء كان
من أهل الكتاب أو من المسلمين م عن زيد بن وهب قال مررت بالربذة فإذا
أبو ذر فقلت ما أنزلك هذا المنزل قال كنت في الشام فاختلفت أنا ومعاوية
في هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فقال
معاوية نزلت في أهل الكتاب فقلت نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك
كلام فكتب إلى عثمان يشكوني فكتب إلي عثمان أن أقدم المدينة فقدمت المدينة فكثر
علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك فذكرت ذلك لعثمان قال إن شئت تنحيت

فكنت قريبا فذلك الذي انزلني هذا المنزل ولو امروا علي حبشيا لسمعت واطعت
واختلف العلماء في معنى الكنز فقيل هو كل مال وجبت فيه زكاة فلم يؤد زكاته
وروي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما انه قال له اعرابي اخبرني عن قول الله
عز وجل والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم
بعذاب اليم قال ابن عمر من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له هذا كان قبل ان تنزل
الزكاة فلما نزلت جعلها الله تعالى طهرا للاموال اخرجه البخاري وفي رواية
مالك عن عبد الله بن دينار قال سمعت عبد الله بن عمر وهو يسال عن الكنز ما هو
فقال هو المال الذي لا تؤدى زكاته ورواه الطبري بسنده عن ابن عمر قال
كل ما اديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا تحت الارض وكل ما لم تؤد زكاته
فهو الكنز الذي ذكره الله تعالى في القرآن يكوى به صاحبه وان لم يكن مدفونا
وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال اربعة آلاف فما دونها
نفقة وما فوقها كنز وقال الكنز كلما فضل من المال عن حاجة صاحبه اليه
وروى الطبري بسنده عن ابي امامة قال توفي رجل من اهل الصفة فوجد في
مئزره دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم كية ثم توفي آخر فوجد في مئزره
ديناران فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيتان كان هذا في اول الاسلام قبل
ان تفرض الزكاة فكان يجب على كل من كان عنده فضل معه شيء من المال اخراجه
لاحتياج غيره اليه فلما فرضت الزكاة نسخ ذلك الحكم **عن ابن عباس**
رضي الله تعالى عنهما قال لما نزلت هذه الآية والذين يكنزون الذهب والفضة
كبر ذلك على المسلمين فقال عمر انا افرج عنكم فانطلق فقال يا نبي الله
انه كبر على اصحابك هذه الآية فقال ان الله لم يفرض الزكاة الا ليطيب ما بقي من
اموالكم وانما فرض المواريث وذكر كلمة لتكون لمن بعدكم قال فكبر عمر رضي الله
تعالى عنه ثم قال له الا اخبرك بخير ما يكنز المرء المرأة الصالحة اذا نظر اليها
سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته اخرجه ابو داود وعن ثوبان
قال لما نزلت والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله
قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فقال بعض اصحابه
انزلت في الذهب والفضة فلو علمنا اي المال خير اتخذناه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم افضله لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة صالحة تعين
المؤمن على ايمانه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن والصحيح من هذه
الاقوال القول الاول وهو ما ذكرنا عن عمر ان كل مال اديت زكاته فليس بكنز
ولا يحرم على صاحبه اكتنازه وان كثر وان كل مال لم تؤد زكاته فصاحبه
معاقب عليه وان قل اما اذا كان مما تجب فيه الزكاة ويستحق على منع الزكاة
الوعيد من الله تعالى الا ان يتفضل الله عز وجل عليه بعفوه وغفرانه
ويدل على ذلك ما روي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها الا اذا
كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فاحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها
جبينه وجنبه وظهره كلما بردت اعيدت له في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة حتى يقضي الله تعالى بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار

قيل

قيل يا رسول الله فالبقر والغنم قال ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي حقها الا
اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لا يفقد منها شيء ليس فيها عقصاء ولا جلحاء
ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما مر عليه اولاها رد عليه اخراها
في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي الله تعالى بين العباد فيرى سبيله اما
الى الجنة واما الى النار اخرجه مسلم بزيادة فيه قوله كلما ردت اعيدت له
هكذا هو في بعض النسخ في صحيح مسلم ردت بضم الراء وفي بعضها بردت بالباء وهذا
هو الصواب والرواية الاولى هي رواية الجمهور قوله حلبها هو بفتح اللام وحكي اسكا نها
وهو ضعيف قوله بقاع قرقر هو المستوي من الارض الواسع الاملس والعقصاء هي
الشاة الملتوية القرنين وانما استثناها لانها لا تؤلم بنطحها وكذا الجلحاء وهي
التي لا قرن لها وكذا العضباء هي الشاة المكسورة القرن عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يؤد
زكاته مثل له شجاع اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه
يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون
بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الآية الشجاع الحية والاقرع صفة له لطول
العمر لان من طال عمره تمعط شعره وذهب وهي صفة اخبث الحيات والزبيبتان
هما الزبدتان في الشدقين واللهزمتان عظمان نابتان في اللحيين تحت
الاذنين قوله تعالى ولا ينفقونها في سبيل الله يعني لا يؤدون زكاتها
وانما قال ينفقونها ولم يقل ينفقونهما لانه رد الكناية الى المال المكنوز وهو
اعيان الذهب والفضة وقيل رد الكناية الى الفضة لانها اغلب اموال الناس
فبشرهم بعذاب اليم يعني للكافرين الذين لا يؤدون زكاة اموالهم ق
عن ابي ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة
فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قال فجئت حتى جلست فلم اتقار حتى
قمت فقلت يا رسول الله فداك ابي وامي من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال
هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم
ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها الا جاءت يوم القيامة اعظم
ما كانت واسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت
عليه اولاها حتى يقضى بين الناس هذا لفظ مسلم واخرجه البخاري
في موضعين وقوله تعالى يوم يحمى عليها يعني على الكنوز تدخل النار فيكوى
عليها ويوقد عليها حتى تبيض من شدة الحرارة في نار جهنم فتكوى بها جباههم
يعني بالكنوز حين كنزوها وجنوبهم وظهورهم قال ابن مسعود لا يوضع
دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم
في موضع على حدته قال بعض العلماء انما خص هذه الاعضاء بالكي من بين سائر
الاعضاء لان الغني صاحب المال اذا اتاه الفقير السائل يطلب منه شيئا فيبدو واصله
اثار الكراهة والمنع فعند ذلك يقبض وجهه ويكلح ويجمع اساريره وجهه ويتجعد
جبينه ثم اذا كرر السائل الطلب ناء بجانبه عن السائل وولاه ظهره واعرض عنه واستقبل
جهة اخرى وهي النهاية في الرد والغاية في المنع الدال على كراهية العطاء والبذل
وهذا دأب مانعي البر والاحسان قال وعادة البخلاء فلذلك خص هذه الاعضاء الثلاثة

بالكي يوم القيمة وهو قوله تعالى هذا ما كنزتم لانفسكم اي يقال لهم ذلك يوم القيمة
فذوقوا ما كنتم تكنزون اي فذوقوا عذاب ما كنزتم في الدنيا من الاموال ومنعتم حق
الله منها ق عن الاحنف بن قيس قال قدمت المدينة فبينا انا في حلقة فيها ملاء من قريش
اذ جاء رجل خشن الثياب خشن الجسد خشن الوجه فقام عليهم فقال بشر الكانزين
برضف يحمى عليه في نار جهنم فيوضع على حلمة ثدي احدهم حتى يخرج من نغض كتفيه
ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل قال فوضع القوم رؤسهم
فما رايت احدا منهم رجع اليه شيا قال فادبر فاتبعته حتى جلس الى سارية فقلت
ما رايت هولاء الا كرهوا ما قلت لهم فقلت ان هولاء لا يعقلون شيا زاد في رواية لمسلم
وفي زيادة لم اذكرها عن البخاري فقلت من هذا قالوا ابو ذر قال فقمت اليه
فقلت ما شي سمعتك تقول قبيل فقال ما قلت الا شيا سمعته من نبيهم صلى الله عليه وسلم
قوله عز وجل ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا وهو
المحرم وصفر وربيع الاول وربيع الاخر وجمادي الاول وجمادي الاخر ورجب
وشعبان ورمضان وشوال وذو القعدة وذو الحجة وهذه شهور السنة القمرية
التي هي مبنية على سير القمر في المنازل وهي شهور العرب التي يعتد بها المسلمون
في صيامهم ومواقيت حجهم واعيادهم وسائر امورهم وايام هذه الشهور ثلاثماية
وخمسة وخمسون يوما والسنة الشمسية عبارة عن دور الشمس في الفلك دورة
تامة وهي ثلثماية وخمسة وستون يوما وربع يوم فتنقص السنة الهلالية
عن السنة الشمسية عشرة ايام فبسبب هذا النقصان تدور السنة
الهلالية فيقع الصوم والحج تارة في الشتاء وتارة في الصيف قال المفسرون
وسبب نزول هذه الاية من اجل النسي التي كانت العرب تفعله في الجاهلية فكان
يقع حجهم تارة في وقته وتارة في المحرم وتارة في صفر وتارة في غيره من تلك
الشهور فاعلم الله عز وجل ان عدد شهور سنة المسلمين التي تعبدوا بها اثني عشر
شهرا على منازل القمر وسيره فيها وهو قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله
يعني في علمه وحكمه اثنا عشر شهرا في كتاب الله يعني في اللوح المحفوظ
الذي كتب الله تعالى فيه جميع احوال الخلق وما ياتون وما يذرون وقيل
اراد بكتاب الله القران لان فيه ايات تدل على الحساب ومنازل القمر وقيل اراد
بكتاب الله الحكم الذي اوجبه وامر عباده بالاخذ به يوم خلق السموات والارض
يعني ان هذا الحكم حكم به وقضاه يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر
شهرا منها يعني من الشهور اربعة حرم وهي رجب فرد وذو القعدة وذو
الحجة والمحرم ثلاثة متوالية وانما سميت حرما لان العرب في الجاهلية كانت
تعظمها وتحرم فيها القتال حتى لو ان احدهم لقي قاتل ابيه وابنه واخيه في هذه
الاربعة الاشهر لم يهجه ولما جاء الاسلام لم يزدها الا حرمة وتعظيما ولان الحسنات
والطاعات فيها تتضاعف وكذلك السيات ايضا اشد من غيرها فلا يجوز
فيها انتهاك حرمة الاشهر الحرم ذلك الدين القيم يعني ذلك الحساب المستقيم
والعدد الصحيح المستوي فالدين هنا بمعنى الحساب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
الكيس من دان نفسه يعني حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت وقيل ان الدين
القيم الحكم الذي لا يغير ولا يبدل والقيم هنا بمعنى الدائم الذي لا يزول فالواجب

على

على المسلمين الاخذ بهذا الحساب والعدد في صومهم وحجهم واعيادهم اي وبياعاتهم وا
جل ديونهم وغير ذلك من سائر احكام المسلمين المرتبة على الشهور ق عن ابي بكرة
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات
والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو
الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان اي شهر هذا قلنا الله ورسوله
اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس هذا يوم النحر قلنا بلى قال
فان دماءكم واموالكم واعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم
هذا وستلقون ربكم فيسالكم عن اعمالكم الا فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم
رقاب بعض الا ليبلغ الشاهد الغايب فلعل بعض من يبلغه يكون اوعى له من بعض
من سمعه ثم قال الا هل بلغت قلنا نعم قال اللهم اشهد وقوله تعالى فلا تظلموا
فيهن انفسكم قيل الكناية في فيهن ترجع الى جميع الاشهر اي لا تظلموا انفسكم
في جميع اشهر السنة بفعل المعاصي وترك الطاعات لان المقصود منع الانسان
من الاقدام على المعاصي والفساد مطلقا في جميع الاوقات الى الممات وقيل ان الكناية
ترجع الى الاشهر الحرم وهو قول اكثر المفسرين وقال قتادة العمل الصالح
اعظم اجرا في الاشهر الحرم والظلم فيهن اعظم فيما سواهن وان كان الظلم على
كل حال عظيما وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه لا تظلموا فيهن انفسكم يريد
باستحلال الحرم والغارة فيهن قال محمد بن اسحاق وابن يسار لا تجعلوا حلالها
حراما ولا حرامها حلالا كما فعل اهل الشرك وهو النسي وقيل ان الانفس مجبولة
بطبعها على الظلم والفساد والامتناع عنه على الاطلاق شاق على النفس
لا جرم انه خص بعض الاوقات بمزيد التعظيم والاحترام ليمتنع الانسان في
بعض الاوقات عن فعل الظلم والقبايح والمنكرات فلربما تركها في بعض الاوقات
فتصير هذه الاوقات التي هي الاشهر الحرمة المعظمة سببا لترك الظلم وفعل
المعاصي وغيرها من الاشهر فهذا وجه الحكمة في تخصيص بعض الاشهر على بعض بمزيد
التشريف والتعظيم وكذلك الامكنة وقوله تعالى وقاتلوا المشركين كافة
كما يقاتلونكم كافة يعني قاتلوا المشركين باجمعكم مجتمعين على قتالهم كما انهم
يقاتلونكم على هذه الصفة والمعنى تعاونوا وتناصروا على قتالهم وكونوا عباد
الله مجتمعين على قتالهم اي ولا تخاذلوا ولا تدابروا ولا تفشلوا ولا تجبنوا عن
قتالهم وكونوا عباد الله مجتمعين متوافقين في مقاتلة اعدائكم من المشركين واختلف
العلماء في تحريم القتال في الاشهر الحرم فقال قوم كان حراما ثم نسخ بقوله وقاتلوا
المشركين كافة يعني في الاشهر الحرم وفي غيرهن وهو قول قتادة وعطاء الخراساني
والزهري وسفيان الثوري قالوا لان النبي صلى الله عليه وسلم غزا هوازن بحنين
والطايف بثقيف وحاصرهم في شوال وبعض ذي القعدة وقال اخرون انه
غير منسوخ وقال ابن جريج حلف بالله عطاء بن ابي رباح ما يحل للناس ان يغزوا
في الحرم ولا في الاشهر الحرم وما نسخت الا ان يقاتلوا فيها واعلموا ان الله مع المتقين
يعني بالنصر والمعونة على اعدايهم قوله تعالى انما النسيء زيادة في الكفر النسي
في اللغة عبارة عن التاخير في الوقت ومنه النسيئة في البيع ومعنى النسي المذكور
في الاية هو تاخير الاشهر الحرم شهر حرام الى شهر اخر وذلك ان العرب في الجاهلية

كانت تعتقد حرمة الاشهر الحرم وتعظيمها وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابراهيم عليه الصلاة
والسلام قال وكانت معايش العرب من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن
ذلك ثلاثة اشهر متوالية وربما وقعت حروب في بعض الاشهر الحرم وكانوا يكرهون
تاخير حربهم الى الاشهر الحلال فنسئوا اعني اخروا التحريم شهرا الى شهر الى اخر
فكانوا يوخرون تحريم المحرم الى صفر فيستحلون المحرم ويحرمون صفر فاذا احتاجوا
الى تاخير تحريم صفر اخروه الى ربيع الاول فكانوا يصنعون هكذا يوخرون
شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها وكانوا يحجون في شهر ويحجون من
قابل في شهر اخر قال مجاهد كانوا يحجون في كل شهر عامين وكذلك في شهور
السنة فوافقت حجة ابي بكر رضي الله تعالى عنه في السنة التاسعة قبل حجة الوداع
في السنة الثانية من ذي القعدة ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام المقبل
حجة الوداع فوافق حجه في شهر ذي الحجة وهو شهر الحج المشروع فوقف بعرفة
في اليوم التاسع وخطب الناس في اليوم العاشر بمنى واعلمهم ان اشهر النسيء قد
تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ما وضع عليه حساب الاشهر يوم خلق
السموات والارض وهو قوله صلى الله عليه وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئته
يوم خلق السموات والارض الحديث المتقدم وامرهم بالمحافظة على ذلك لئلا
يتبدل في مستانف الايام واختلفوا في اول من سن النسيء فقال ابن عباس رضي الله
تعالى عنه والضحاك وقتادة ومجاهد اول من سن النسيء بنو مالك من كنانة وكان
يليه ابو ثمامة جنادة بن عوف بن امية الكناني قال الكلبي اول من فعل
ذلك رجل من بني كنانة يقال له نعيم وكان يكون على الناس في الموسم فاذا هم
الناس بالصدر قام فخطب فيقول لا مرد لما قضيت انا الذي لا اعاب ولا اجاب
فيقول له المشركون لبيك ثم يسالونه ان ينسئهم شهرا يغيرون فيه فيقول ان صفر
في هذا العام حرام فاذا قال ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة
من الرماح وان قال حلال عقدوا الاوتار لعشي وركبوا الاسنة في الرماح واغاروا
وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذي ادرك
النبي صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هو رجل من بني كنانة
يقال له القلمس قال شاعرهم ومنا ناسي الشهر القلمس وكانوا يفعلون ذلك
اذا اجتمعت العرب في الموسم **وروى** جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنه ان اول من سن النسيء عمرو بن لحي ومعد بن جندف والذي صح من حديث
ابي هريرة وعايشة ان عمرو بن لحي اول من سيب السوايب وقال فيه النبي صلى
الله عليه وسلم رايت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فهذا اما ورد في تفسير
النسيء الذي ذكره الله في قوله انما النسيء زيادة في الكفر يعني زيادة
كفر على كفرهم وسبب هذه الزيادة انهم امروا بايقاع ذلك في وقته
من الاشهر الحرم ثم انهم بسبب اغراضهم الفاسدة اخروه الى وقت اخر بسبب
ذلك النسيء فاوقعوه في غير وقته من الاشهر الحرم فكان ذلك هو زيادة في كفرهم
يضل به الذين كفروا قرى يضل بفتح اليا وكسر الضاد المعجمة ومعناه يضل
بالنسيء الذين كفروا اتباعهم من الناس وهو ايضا ضلال في انفسهم وقرى يضل
بضم اليا وفتح الضاد المعجمة ومعناه ان كبارهم اضلوهم وحملوهم عليه وقرى

يضل به

يضل به الذين كفروا بضم اليا وكسر الضاد ومعناه يضل به الله الذين كفروا او يضل
به الشيطان الذين كفروا بتزيينه ذلك لهم وقيل معناه يضل به الذين كفروا اتباعهم
والاخذين بافعالهم وهذا الوجه اقوى الوجهين في تفسير قراة من قرا يضل بضم
اليا وكسر الضاد المعجمة **يحلونه عاما ويحرمونه عاما** يعني يحلون ذلك الانسا
عاما ويحرمونه عاما والمعنى يحلون ذا الشهر المحرم عاما فيجعلونه حلالا لا يغيرون فيه
ويحرمونه عاما فيجعلونه محرما لا يغيرون فيه **ليواطيوا** يعني ليوافقوا **عدة ما حرم
الله** يعني انهم ما احلوا شهرا من الحرم الا حرموا مكانه شهرا من الحلال ولم يحرموا
شهرا من الحلال الا احلوا مكانه شهرا من الحرم لاجل ان يكون عدد الاشهر الحرم
اربعة كما حرم الله فيكون موافقة في العدد لا في الحكم فذلك قوله تعالى
فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه زين لهم
الشيطان هذا العمل **والله لا يهدي القوم الكافرين** يعني انه تعالى لا يرشد
من هو كافر اثم كما سبق في الازل انه من اهل النار **قوله عز وجل يا ايها الذين
امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض** نزلت هذه
الاية في الحث على غزوة تبوك وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف
امر بالجهاد لغزو الروم وكان ذلك في زمان عسرة من الناس وشدة من الحر حين
طاب الظلال ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى
كانت غزوة تبوك فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد واستقبل سفرا
بعيدا ومفازا وعددا كثيرا فجلى للمسلمين امرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم فشق
عليهم الخروج فانزل الله عز وجل هذه الاية يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم
يعني قال لكم رسول الله انفروا في سبيل الله اي اخرجوا الى الجهاد وقيل الاستنفار
الناس للامام اذا احثهم على الخروج الى الجهاد ودعاهم اليه ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم واذا استنفرتم فانفروا والاسم النفير اثاقلتم اي تثاقلتم وتباطاتم
عن الخروج الى الغزو والى الارض يعني ولزمتم ارضكم ومساكنكم وانما استثقل ذلك
الغزو لشدة الزمان من ضيق الوقت وشدة الحر وبعد المسافة والحاجة الى كثرة
الاستعداد من العدد والزاد وكان ذلك الوقت وقت ادراك الثمار بالمدينة
وطيب ظلالها وكان العدو كثيرا فاستثقل الناس ترك الغزو فعاتبهم الله تعالى
بقوله **ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة فما متاع الحيوة الدنيا في
الاخرة الا قليل** يعني ان لذات الدنيا ونعيمها زايل بعيد عن قليل ونعيم الاخرة
على الابد فلهذا السبب كان متاع الدنيا قليلا بالنسبة الى نعيم الاخرة وفي
الاية دليل على وجوب الجهاد في كل حال وفي كل وقت لان الله تعالى نص على ان
تثاقلهم عن الجهاد امر منكر فلو لم يكن الجهاد واجبا لما عاتبهم على ذلك التثاقل
ويوكد هذا الوعيد المذكور في الاية الاتية وهي قوله **الا تنفروا** يعني فان لم
تنفروا ايها المومنون الى ما استنفركم رسول الله صلى الله عليه وسلم **يعذبكم
عذابا اليما** يعني في الاخرة لان العذاب الاليم لا يكون الا في الاخرة وقيل ان
المراد به احتباس المطر في الدنيا قال نجدة بن نفيع سالت ابن عباس رضي الله عنه
عن هذه الاية فقال استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من احياء العرب
فتثاقلوا فامسك الله عنهم المطر فكان ذلك عذابهم **ويستبدل قوما غيركم**

اي رضيتم بخفض العيش ودعة الدنيا عوضا من نعيم الاخرة

يعني خيرا منكم وأطوع قال سعيد بن جبير هم أبناء فارس وقيل هم أهل اليمن وفيه تنبيه على أن الله عز وجل قد تكفل بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم وإعزاز دينه فإن سارعوا معه إلى الخروج إلى حيث استنفر وحصلت النصرة بهم وفتح أجرهم على الله عز وجل وإن تثاقلوا وتخلفوا عنه حصلت النصرة بغيرهم وحصلت العتبى لهم ولئلا يتوهموا أن إعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ونصرته لا تحصل إلا بهم وهو قوله تعالى ولا تضروه شيئا قيل الضمير راجع إلى الله تعالى يعني ولا تضروا الله شيئا لأنه غني عن العالمين وإنما تضرون أنفسكم بترككم الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل الضمير راجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ولا تضروا محمدا صلى الله عليه وسلم شيئا فإن الله تعالى ناصره على أعدائه ولا يخذله والله على كل شيء قدير يعني أنه تعالى قادر على كل شيء فهو ينصر نبيه ويعز دينه قال الحسن وعكرمة هذه الآية منسوخة بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال الجمهور هذه الآية محكمة لأنها خطاب لقوم استنفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينفروا كما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه وعلى هذا التقدير فلا نسخ

قوله عز وجل إلا تنصروه فقد نصره الله

يعني إلا تنصروا محمدا صلى الله عليه وسلم أيها المؤمنون هذا خطاب لمن تثاقل عن الخروج معه إلى تبوك فأعلم الله عز وجل أنه هو المتكفل بنصر رسوله وإعزاز دينه وإعلاء كلمته أعانوه أو لم يعينوه وأنه قد نصره عند قلة الأولياء وكثرة الأعداء فكيف بهم اليوم وهو في كثرة من العدد والعدد إذ أخرجه الذين كفروا يعني أنه تعالى نصره في الوقت الذي أخرجه كفار مكة من مكة حين مكروا به وأرادوا قتله ثاني اثنين يعني وهو أحد اثنين وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق إذ هما في الغار يعني إذ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر في الغار والغار ثقب عظيم يكون في الجبل وهذا الغار في جبل ثور وهو قريب من مكة إذ يقول لصاحبه لا تحزن يعني يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر الصديق لا تحزن وذلك أن أبا بكر خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهم فجزع من ذلك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن إن الله معنا يعني بالنصر والمعونة قال الشعبي عاتب الله عز وجل أهل الأرض جميعا في هذه الآية غير أبي بكر وقال الحسين بن الفضل من قال إن أبا بكر لم يكن صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كافر لإنكاره نص القرآن وفي سائر الصحابة إذا أنكر يكون مبتدعا ولا يكون كافرا عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (ق) عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه قال نظرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما قال الشيخ محيي الدين النووي معناه ثالثهما بالنصر والمعونة والحفظ والتسديد وهو داخل في قوله تعالى إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وفيه بيان عظيم توكل النبي صلى الله عليه وسلم حتى في هذا المقام وفيه فضيلة لأبي بكر وهي من أجل مناقبه والفضيلة من أوجه أحدها هذا اللفظ الدال على أن الله ثالثهما

ومنها

ومنها بذل نفسه ومفارقته أهله وماله ورياسته في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وملازمته النبي صلى الله عليه وسلم ومعاداة الناس فيه ومنها جعله نفسه وقاية وغير ذلك روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه ذكر عنده أبا بكر فقال وددت أن عملي كله مثل عمله يوما واحدا من أيامه وليلة واحدة من لياليه أما ليلته فليلة سار فيها مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغار فلما انتهيا إليه قال والله لا تدخله حتى أدخل قبلك فإن كان فيه شيء أصابني دونك فدخله فكسحه ووجد في جانبه ثقبا فشق إزاره وسدها به وبقي منه ثقبان فألقمهما رجليه ثم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجره ونام فلدغ أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما لك يا أبا بكر قال لدغت فداك أبي وأمي فتفل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده ثم انتقض عليه وكان سبب موته وأما يومه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب وقالوا لا نؤدي الزكاة فقال لو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه فقلت يا خليفة رسول الله تألف الناس وارفق بهم فقال لي أجبار في الجاهلية وخوار في الإسلام إنه قد انقطع الوحي وتم الدين أينقص وأنا حي أخرجه في جامع الأصول ولم يرقم عليه علامة لأحد قال البغوي وروي أنه حين انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الغار جعل يمشي ساعة بين يديه وساعة من خلفه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك يا أبا بكر فقال أذكر الطلب فأمشي خلفك ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك فلما انتهيا إلى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى أستبرئ الغار فدخله فاستبرأه ثم قال انزل يا رسول الله فنزل وقال له إن أقتل فأنا رجل واحد من المسلمين وإن قتلت هلكت الأمة

ذكر سياق الهجرة

وهو من أفراد البخاري عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريد يا أبا بكر فقال أبو بكر أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي فقال ابن الدغنة فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فأنا لك جار فارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف ابن الدغنة في أشراف كفار قريش فقال إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقري الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وفي رواية فأنفذت قريش جوار ابن الدغنة وأمنوا أبا بكر وقالوا لابن الدغنة مر أبا بكر فليعبد ربه في داره وليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر فلبث أبو بكر كذلك يعبد ربه

ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ في غير داره ثم بدا لابي بكر فابتنى مسجدا بفناء
داره وكان يصلي فيه فيتقصف عليه نساء المشركين وابناؤهم يعجبون منه وينظرون
اليه وكان ابو بكر رجلا بكاء لا يملك عينيه اذا قرا القران فافزع ذلك اشراف
قريش من المشركين فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا انا كنا
اجرنا ابا بكر بجوارك على ان يعبد ربه في داره فقد جاوز ذلك فابتنى
مسجدا بفناء داره فاعلن بالصلوة والقراءة وانا قد خشينا ان يفتن نساءنا
وابناءنا فانهه فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فعل وان ابى
الا ان يعلن بذلك فسله ان يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك
ولسنا مقرين لابي بكر الاستعلان قالت عائشة رضي الله تعالى عنها
فاتى ابن الدغنة الى ابي بكر فقال قد علمت الذي عاقدت لك عليه فاما
ان تقتصر على ذلك واما ان ترجع الي ذمتي فاني لا احب ان تسمع العرب اني
اخفرت في رجل عقدت له فقال ابو بكر فاني ارد اليك جوارك وارضى بجوار الله
والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم
اني اريت دار هجرتكم سبخة ذات نخل بين لابتين وهما الحرتان فهاجر من
هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان بارض الحبشة الى المدينة وتجهز
ابو بكر قبل المدينة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني ارجو
ان يؤذن لي فقال ابو بكر وهل ترجو ذلك بابي انت وامي قال نعم فحبس
ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلف راحلتين كانتا عنده
من ورق السمر وهو الخبط اربعة اشهر قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة
فبينما نحن يوما جلوس في بيت ابي بكر في نحر الظهيرة قال قائل هذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم متقنعا في ساعة لم يكن ياتينا فيها فقال ابو بكر
فدى له ابي وامي ما جاء به في هذه الساعة الا امر قالت فجاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له فدخل فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لابي بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابي انت وامي يا رسول
الله قال فاني قد اذن لي في الخروج قال ابو بكر الصحبة بابي انت وامي يا رسول
الله خذ احدى راحلتي هاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت
فجهزناهما احث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب فقطعت بنت ابي بكر
قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين قالت
ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار في جبل ثور فمكثا فيه ثلاث
ليال يبيت عندهما عبد الرحمن بن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن فيدلج
من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع امرا يكادان به
الا وعاه حتى ياتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر
ابن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها عليهما حين تذهب ساعة
من العشاء فيبيتان في رسل حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس يفعل
ذلك كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدي هاديا خريتا والخريت الماهر
بالهداية قد غمس حلفا في ال العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش

فامناه

فامناه فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال فاتاهما صبح ثلاث
فارتحلا فانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الديلي فاخذ بهم طريق الساحل
وفي رواية الساحل قال ابن شهاب فاخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو
ابن اخي سراقة بن مالك بن جعشم ان اباه اخبره انه سمع سراقة بن مالك بن جعشم
يقول جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابي بكر دية لكل واحد منهما لمن قتله او اسره فبينما انا جالس في
مجلس من مجالس قومي بني مدلج اقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس
فقال يا سراقة اني رايت انفا اسودة بالساحل ولعلها محمد واصحابه قال
سراقة فعرفت انهم هم فقلت له انهم ليسوا بهم ولكنك رايت فلانا وفلانا انطلقوا
باعيننا ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فامرت جاريتي ان تخرج بفرسي وهي
من وراء اكمة فتحبسها علي واخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الارض
وخفضت عاليه حتى اتيت فرسي فركبتها فرفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت بي
فرسي فخررت عنها فقمت فاهويت يدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها
اضرهم ام لا فخرج الذي اكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى اذا سمعت
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت
يدا فرسي في الارض حتى بلغتا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد
تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لاثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان
فاستقسمت بالازلام فخرج الذي اكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت
فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية واخبرتهم
اخبار ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسالاني الا ان
قال اخف عنا فسالته ان يكتب لي كتاب امن فامر عامر بن فهيرة
فكتب لي في رقعة من ادم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن شهاب
عن عروة بن الزبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الزبير في ركب
من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسا الزبير رسول الله صلى
الله عليه وسلم وابا بكر ثياب بياض وسمع المسلمون بالمدينة مخرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم من مكة فكانوا كل ساعة يغدون غداة الى الحرة
فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما اطالوا انتظارهم
فلما اووا الى بيوتهم اوفى رجل من اليهود على اطم من اطامهم لامر ينظر اليه
فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه مبيضين يزول بهم السراب
فلم يملك اليهودي ان قال باعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي
تنتظرون فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف
وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام ابو بكر للناس وجلس رسول
الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحيي ابا بكر حتى اصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاقبل ابو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم عند

ذلك فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة
وأسس المسجد الذي أسس على التقوى وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ركب
راحلته فسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجال من المسلمين وكان مربدا للتمر لسهل وسهيل
غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين بركت راحلته هذا إن شاء الله المنزل ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلامين
فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا لا بل نهبه لك يا رسول الله ثم بناه مسجدا
فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن وهو يقول وهو ينقل اللبن

هذا الحمال لا حمال خيبر * هذا أبر ربنا وأطهر
اللهم إن الأجر أجر الآخره * فارحم الأنصار والمهاجره

فتمثل بشعر رجل من الأنصار لم يسم لي قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الأحاديث
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تمثل ببيت شعر تام غير هذه الأبيات أخرجه
البخاري بطوله

شرح غريب ألفاظ الحديث

قولها لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين تعني أنهما كانا تبعا للنبي في الطاعة
وبرك الغماد بفتح الباء من برك وكسر الغين المعجمة اسم موضع بينه وبين مكة
خمس ليال مما يلي ساحل البحر إلى المدينة من بلاد غسان وقيل هو قليب ماء
لبني ثعلبة قوله تكسب المعدوم فيه قولان أحدهما أنه لقوة سعده وحظه
من الدنيا لا يتعذر عليه كسب كل شيء المعدوم الذي يتعذر كسبه على غيره
والقول الثاني أنه يملك الشيء المعدوم المتعذر من لا يقدر عليه فقيه وصف
بالإحسان والكرم والكل ما يثقل حمله من حقوق الناس وصلة الأرحام والقيام
بأمر العيال وإقراء الضيف ونوائب الحق ما ينوب الإنسان من المغارم وقضاء
الحقوق لمن يقصده أنا لك جار أي حام وناصر وهو أمنع عنك والاستعلان الإعلان
إظهار الحق وقوله تقصف الناس عليه يعني ازدحموا عليه والذمة العهد
والأمان وإخفارها نقضها واللابة الجبل والحرة الأرض التي تعلوها حجارة
سود يقال أقبل التي على رسلك بكسر الراء أي على هينتك والراحلة البعير القوي
على الحمل والسفر والظهيرة وقت شدة الحر والنطاق حبل أو نحوه تشد المرأة
وسطها وترفع ثوبها من تحته تعطف طرفا من أعلاه إلى أسفله لئلا يصل إلى الأرض
وقوله ثقف لقن يقال ثقف الرجل ثقافة إذا صار حاذقا فطنا واللقن السريع
الفهم والإدلاج بتخفيف الدال السير أول الليل وبتشديدها السير آخره والمنحة
الشاة ذات اللبن والرسل بكسر الراء وسكون السين المهملتين وهو اللبن
ينعق الراعي بالغنم أي إذا دعا بها لتجتمع إليه والغلس ظلام آخر الليل
والخريت تقدم شرحه في الحديث وهو الماهر وأراد به هداية الطريق
وهو الدليل وقد غمس فلان حلفا في آل فلان إذا أخذ بنصيب من عهدهم
وحلفهم والأسودة الأشخاص والأكمة التل المرتفع من الأرض يقال قرب
الفرس يقرب تقريبا إذا عدا عدوا دون الإسراع والكنانة هي الجعبة
التي تجعل فيها السهام والأزلام القداح التي كانوا قبل ذلك يستقسمون بها
عند طلب الحوائج كالعادة لمعتاد العرب يقال ما رزأت فلانا شيئا أي ما رزئته

شيئا والمراد أنهم كانوا ما أخذوا منه شيئا وقوله أوفى أي أشرف واطلع والأطم البناء
المرتفع كالحصن وقوله مبيضين هو بكسر الباء أي هم ذوو ثياب بيض والمربد
الذي فيه موضع التمر كالبيدر وقوله هذا الحمال هو بالحاء المهملة يعني هذا
الحمل والمحمول من اللبن أبر عند الله وأطهر وأبقى ذخرا وأدوم منفعة في الآخرة
لا حمال خيبر يعني ما يحمل من خيبر من التمر والزبيب والطعام المحمول منها والمعنى
أن ذلك الحمل الذي يحمله من اللبن لأجل عمارة المسجد أفضل عنده مما يحمل من خيبر
وقد روي هذا الجمال بالجيم من الجمل والرواية الأولى أشهر وأكثر والله أعلم قال
الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الغار أرسل الله تعالى
زوجا من حمام حتى باضا في أسفل النقب ونسجت العنكبوت بيتا وقيل نبتت ثمامة
على فم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعل الطلب
يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون لو دخل هذا الغار لتكسر بيض
الحمام وتفسخ بيت العنكبوت ووجدت في بعض التفاسير شعرا وقد نسبه
إلى أبي بكر الصديق وهو قوله

قال النبي ولم يجزع يوقرني * ونحن في سدف في ظلمة الغار
لا تخش شيئا فإن الله ثالثنا * وقد تكفل لي منه بإظهار
وإنما كيد من تخشى بوادره * كيد الشياطين قد كادت لكفار
والله مهلكهم طرا بما صنعوا * وجاعل المنتهى منهم إلى النار

وقوله تعالى فأنزل الله سكينته عليه يعني فأنزل الله الطمأنينة والسكون
على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس على أبي بكر رضي الله تعالى عنه
لأن النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليه السكينة من قبل ذلك والله أعلم

فصل

في الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدالة على فضل أبي بكر الصديق رضي الله عنه
منها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما اختفى في الغار من الكفار كان مطلعا على
حال أبي بكر الصديق في سره وإعلانه وأنه من المؤمنين الصادقين المصدقين
المخلصين فاختار صحبته في ذلك المكان المخوف لعلمه بحاله ومنها أن هذه الهجرة
كانت بإذن الله تعالى فخص الله بصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم أبا بكر دون
غيره من أهله وعشيرته وهذا التخصيص يدل على شرف أبي بكر وفضله على
غيره ومنها أن الله تعالى عاتب أهل الأرض بقوله إلا تنصروه فقد نصره الله
سوى أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وهذا دليل على فضله ومنها أن أبا بكر
لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ولا حضر بل كان ملازما له وهذا
دليل على صدق محبته وصحة صحبته له ومنها مواساته للنبي صلى الله عليه وسلم
في الغار وبذل نفسه له وهذا دليل على فضله ومنها أن الله تعالى جعله ثاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله ثاني اثنين إذ هما في الغار وفي هذا
نهاية الفضيلة لأبي بكر رضي الله تعالى عنه وقد ذكر بعض العلماء أن أبا بكر
كان ثاني رسول الله صلى الله عليه وسلم في أكثر الأحوال فمنها أن النبي صلى الله
عليه وسلم دعا الخلق إلى الإيمان بالله فكان أبو بكر أول من آمن ثم دعا أبو بكر
إلى الإيمان بالله ورسوله فاستجاب له عثمان وطلحة والزبير فآمنوا على يد أبي
بكر ثم حملهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقف في

في موقف من غزواته الا وابو بكر معه في ذلك الموقف ومنها انه لما مرض صلى الله عليه وسلم قام مقامه في الامامة وكان ثانيه ومنها انه ثانيه في تربته وفي هذا دليل على فضل ابي بكر رضي الله تعالى عنه ومنها ان الله تعالى نص على صحبة ابي بكر دون غيره بقوله اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ومنها انزال السكينة على ابي بكر واختصاصه بها دليل على فضله والله اعلم **وقوله تعالى** وايده بجنود لم تروها يعني وايد النبي صلى الله عليه وسلم بانزال السكينة ليصرفوا وجوه الكفار وابصارهم عن رؤيته وقيل القى الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا وقال مجاهد والكلبي اعانه بالملائكة يوم بدر فاخبر الله تعالى انه نصره وصرف عنه كيد الاعداء وهو في الغار في حال القلة والخوف ثم نصره بالملائكة يوم بدر وجعل كلمة الذين كفروا السفلى يعني كلمة الشرك هي سفلى الى يوم القيامة وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه يعني قول لا اله الا الله فهي باقية الى يوم القيامة عالية وقيل ان كلمة الذين كفروا هي ما كانوا قدروا فيما بينهم من الكيد بالنبي صلى الله عليه وسلم ليقتلوه وكلمة الله انه وعده بالنصر والظفر بهم فكان ما وعده الله حقا وصدقا قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعني انفروا للغزو على الصفة التي تخف عليكم الجهاد وعلى الصفة التي يثقل عليكم وهذان الوصفان يدخل تحتهما اقسام كثيرة فلهذا اختلفت عبارات المفسرين فيها فقال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة يعني شبابا وشيوخا وقال ابن عباس نشاطا وغير نشاط وقال عطية العوفي ركبانا ومشاة وقال ابو صالح خفافا من المال يعني فقرا وثقالا يعني اغنياء وقال ابن زيد الخفيف الذي لا ضيعة له والثقيل الذي له الضيعة يكره ان يدع ضيعته وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال خفافا اهل الميسرة من المال وثقالا يعني مستكثرين منه وقيل مشاغيل وغير مشاغيل وقيل اصحاء ومرضا وقيل عزابا ومتاهلين وقيل خفافا من الحاشية والاتباع وثقالا مستكثرين منهم وقيل خفافا يعني مسرعين في الخروج الى الغزو ساعة سماع النفير وثقالا يعني بعد التروي فيه والاستعداد له والصحيح ان هذا عام لان هذه الاحوال كلها داخلة تحت قوله تعالى انفروا خفافا وثقالا يعني على اي حالة كنتم فيها **فان قلت** فعلى هذا يلزم الجهاد لكل احد حتى المريض والزمن والفقير وليس الامر كذلك فما معنى هذا الامر **قلت** من العلماء من حمله على الوجوب ثم انه نسخ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه نسخت هذه الاية بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة الاية قال السدي فيه نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الاية ومنهم من حمل هذا الامر على الندب قال مجاهد ان ابا ايوب الانصاري شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتخلف عن غزاة المسلمين بعده فقيل له في ذلك فقال سمعت الله عز وجل يقول انفروا خفافا وثقالا ولا اجدني الا خفيفا او ثقيلا وقال الزهري خرج سعيد بن المسيب وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وقال صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا قد سقط حاجباه على عينيه من اهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم انت معذور عند الله فرفع حاجبيه وقال يا ابن اخي استنفرنا الله

خفافا

خفافا وثقالا الا انه من يحبه يبتليه والصحيح هو القول الاول وانها منسوخة ولان الجهاد من فروض الكفايات ويدل عليه ان هذه الايات نزلت في غزوة تبوك وان النبي صلى الله عليه وسلم خلف في المدينة في تلك الغزوة النساء وبعض الرجال فدل على ان الجهاد من فروض الكفايات ليس على الاعيان والله اعلم وقوله تعالى وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله فيه قولان الاول ان الجهاد انما يجب على من له مال يتقوى به على تحصيل آلات الجهاد ونفس سليمة قوية صالحة للجهاد فيجب عليه فرض الجهاد والقول الثاني ان من كان له مال وهو مريض او مقعد او ضعيف لا يصلح للحرب فعليه الجهاد بماله بان يعطيه غيره ممن يصلح للجهاد فيغزو بماله فيكون مجاهدا بماله دون نفسه ذلكم خير لكم يعني ذلكم الجهاد خير لكم ان كنتم تعلمون يعني ان ثواب الجهاد خير لكم من القعود عنه ثم نزل في المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك **قوله عز وجل** لو كان عرضا قريبا فيه اضمار تقديره لو كان ما تدعوهم اليه عرضا يعني غنيمة سهلة قريبة التناول والعرض ما عرض لك من منافع الدنيا ومتاعها يقال الدنيا عرض حاضر ياكل منه البر والفاجر وسفرا قاصدا يعني سهلا قريبا لاتبعوك يعني لخرجوا معك ولكن بعدت عليهم الشقة اي المسافة والشقة هي السفر البعيد لانه يشق على الانسان سلوكها ومعنى الاية لو كان العرض قريبا والغنيمة سهلة اي والسفر قاصدا لاتبعوك طمعا في تلك المنافع التي تحصل لهم ولكن لما كان السفر بعيدا وكانوا يستعظمون غزو الروم لا جرم انهم تخلفوا لهذا السبب ثم اخبر الله تعالى عنهم انه اذا رجع من هذا الجهاد انهم يحلفون بالله وهو قوله تعالى وسيحلفون بالله يعني المنافقين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة لو استطعنا لخرجنا معكم يعني الى هذه الغزوة يهلكون انفسهم يعني بسبب هذه الايمان الكاذبة يهلكون اصحابها والله يعلم انهم لكاذبون في ايمانهم وهو قولهم لو استطعنا لخرجنا معكم لانهم كانوا مستطيعين الخروج قوله عز وجل عفا الله عنك لم اذنت لهم قال الطبري هذا عتاب من الله عز وجل عاتب به نبيه صلى الله عليه وسلم اي في اذنه لمن اذن له في التخلف عنه من المنافقين حين شخص الى تبوك وقال عمرو بن ميمون اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء اذنه للمنافقين واخذه الفداء من اسارى بدر فعاتبه الله تعالى كما تسمعون وقال سفيان بن عيينة انظروا هذا اللطف بدأه بالعفو قبل ان يعيره بالذنب والله تعالى اعلم

فصل استدل بهذه الاية من يرى جواز صدور الذنب من الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبيانه من وجهين احدهما انه تعالى قال عفا الله عنك والعفو يستدعي سابقة الذنب الوجه الثاني انه تعالى قال لم اذنت لهم وهذا استفهام معناه الانكار والجواب عن الاول انا لا نسلم ان قوله تعالى عفا الله عنك يوجب صدور الذنب بل نقول ان ذلك يدل على المبالغة في التعظيم والتوقير فهو كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما له عفا الله عنك ما صنعت في امري رضي الله عنك ما جوابك عن كلامي وعافاك الله وغفر لك فهذه الالفاظ في ابتداء الكلام وافتتاحه يدل على تعظيم المخاطب به وقد قال علي بن الجهم يخاطب المتوكل

عفى الله عنك الا * لحق وبفضلك يا بن العلا
المرء عبد لاعداء طوله * ومولى عفا ورشيد المدي
افليى انا الكريم لم يزل * يقيل ويصرف عنك الردي

والجواب عن ذلك الخ انه لا يجوز ان يكون المراد بقوله لم اذنت لهم الانكار عليه وبيانه اما ان يكون قد صدر منه ذنب في هذه الواقعة او لا فان كان قد صدر عنه ذنب فذكر الذنب بعد العفو لا يليق بقوله عفى الله عنك تدل على حصول العفو وبعد حصول العفو يستحيل ان يتوجه الانكار عليه وان لم يكن قد صدر منه ذنب امتنع الانكار فثبت بهذا ان هذا الانكار ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم وقال القاضي عياض في كتابه الشفا الجواب عن قوله عفى الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم فيه من الله تعالى فيعد معصية ولا عده الله معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك وقد حاشاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه وحي فكيف وقد قال الله فأذن لمن شئت منهم فلما اذن لهم اعلمه بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم يأذن لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفى هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفى الله لكم عن صدقة الخيل ولم تجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه قال القشيري وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفى الله عنك اي لم يلزمك ذنب قال الداودي انها تكرمة وقال مكي هو افتتاح كلام مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله وقيل معناه ادام الله لك العفو لم اذنت لهم يعني في التخلف عنك وهذا محمول على ترك الاولى والاكمل لاسيما وهذه كانت من جنس ما يتعلق بالحروب ومصالح الدنيا **حتى يتبين لك الذين صدقوا** يعني في اعتذارهم **وتعلم الكاذبين** يعني فيما يعتذرون به قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ حتى نزلت براءة وقوله تعالى **لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم** اي في ان يجاهدوا وانما حسن هذا الحذف لظهوره **والله عليم بالمتقين** يعني الذين يتقون مخالفته ويسارعون الى طاعته **انما يستأذنك** يعني في التخلف عن الجهاد معك يا محمد من غير عذر **الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر** وهم المنافقون لعنهم الله **وارتابت قلوبهم** يعني شكت قلوبهم في الايمان وانما اضاف الشك والارتياب الى القلب لانه محل المعرفة والايمان ايضا فاذا دخله الشك كان ذلك نفاقا **فهم في ريبهم يترددون** يعني ان المنافقين متحيرون لا مع الكفار ولا مع المؤمنين وقد اختلف علماء الناسخ والمنسوخ في هذه الآيات فقيل انها منسوخة بالآية التي في سورة النور وهو قوله تعالى انما المؤمنون الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر فاذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم وقيل انهن محكمات كلها ووجه الجمع بين هذه الآية ان المؤمنين كانوا يسارعون الى طاعة الله وجهاد عدوهم من غير استئذان فاذا عرض لاحدهم عذر استأذن في التخلف فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا في الاذن لهم بقوله

تعالى

تعالى فأذن لمن شئت منهم واما المنافقون فكانوا يستأذنون في التخلف من غير عذر فعيرهم الله تعالى بهذا الاستئذان لكونه بغير عذر **ولو ارادوا الخروج** يعني الى الغزو معكم **لاعدوا له عدة** لتهيؤوا له باعداد آلة السفر والات القتال من الكراع والسلاح **ولكن كره الله انبعاثهم** يعني خروجهم الى الغزو معكم **فثبطهم** يعني منعهم وحبسهم عن الخروج معكم والمعنى ان الله تعالى كره خروج المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فصدهم عنه ومما يتوجه سؤال وهو ان خروج المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان يكون فيه مصلحة او مفسدة فان كان فيه مصلحة فلم قال ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وان كان فيه مفسدة فلم عاتب نبيه صلى الله عليه وسلم في اذنه لهم بالقعود **والجواب** عن هذا السؤال ان خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيه مفسدة عظيمة بدليل انه تعالى اخبر عن تلك المفسدة بقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فلم عاتب الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله لم اذنت لهم فيقول انه صلى الله عليه وسلم اذن لهم قبل اتمام الفحص واكمال التأمل والتدبر في حالهم فلهذا السبب قال تعالى لم اذنت لهم وقيل انما عاتبه لاجل انه اذن لهم قبل ان يوحى اليه في امرهم بالقعود **وقيل اقعدوا مع القاعدين** معناه انهم لما استأذنوا في القعود قيل لهم اقعدوا مع القاعدين وهم النساء والصبيان والمرضى واهل الاعذار وقد اختلفوا في القائل من هو فقيل قاله بعضهم لبعض اقعدوا مع القاعدين وقيل القائل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما قال ذلك لهم على سبيل الغضب لما استأذنوه في القعود قال لهم اقعدوا مع القاعدين فاغتنموا تلك وقعدوا وقيل ان القائل ذلك هو الله تعالى بان القى في قلوبهم القعود ولما كره انبعاثهم مع المسلمين الى الجهاد ثم بين الله تعالى ما في خروجهم من المفاسد فقال تعالى **لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا** يعني لو خرجوا معكم الى الغزو ما زادوكم الا فسادا وشرا واصل الخبال الاضطراب ومرض يؤثر في العقل كالجنون قال بعض النحاة هذا من الاستثناء المنقطع والمعنى لو خرجوا فيكم ما زادوكم قوة لكن خبالا والمراد به هنا الافساد وهو ايقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتهويل الامر وشدة السفر وكثرة العدو وقوتهم **ولاوضعوا خلالكم** يعني ولأسرعوا فيكم وساروا بينكم بالقاء النميمة والاحاديث الكاذبة فيكم **يبغونكم الفتنة** يعني يطلبون لكم ما تفتتنون به وذلك انهم قالوا يقولون للمؤمنين لقد جمع لكم كذا وكذا ولا طاقة لكم بهم وانكم مهزومون منهم وسيظهرون عليكم ونحو ذلك من الاحاديث الكاذبة التي تجبن وقيل معناه يطلبون لكم العيب والشر **وفيكم سماعون لهم** قال مجاهد يعني وفيكم عيون يؤدون اليهم اخباركم وما يسمعون منكم وهم الجواسيس قال قتادة وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلامهم المنافقين ويطيعونهم وذلك انهم يلقون اليهم انواعا من الشبهات الموجبة لضعف القلب فيقبلونها منهم والله اعلم فان قلت كيف يجوز ان يكون في المؤمنين المخلصين من يسمع ويطيع للمنافقين قلت يحتمل ان يكون بعض المؤمنين لهم اقارب من كبار

وكم

المنافقين ويوسوسهم فاذا قالوا قولا ربما اثر ذلك القول في قلوب ضعفة المؤمنين
في بعض الاحوال والله عليم بالظالمين وهذا وعيد وتهديد للمنافقين
الذين يلقون الفتن والشبهات بين المؤمنين وقوله تعالى لقد ابتغوا الفتنة
من قبل يعني لقد طلبوا صد اصحابك يا محمد عن الدين وردهم الى الكفر
وتخذيل الناس عنكم قبل هذا اليوم كما فعل عبد الله بن ابي بن سلول يوم احد
حين انصرف باصحابه عنكم وقلبوا لك الامور يعني واجالوا فيك الرأي كيدا في ابطال
دينك الرأي وبالغوا في تخذيل الناس عنك وقصدهم تشتيت امرك حتى جاء الحق
يعني النصر والظفر وظهر امر الله وهم كارهون يعني ذلك **قوله عز وجل**
ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني نزلت في الجد بن قيس وكان من المنافقين
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز الى غزوة تبوك قال للجد بن قيس
يا ابا وهب هل لك في جلاد بني الاصفر يعني الروم تتخذ منهم سراري ووصفاء
فقال الجد يا رسول الله لقد عرف قومي اني رجل مغرم بالنساء واني اخشى ان
رأيت بنات الاصفر لا اصبر عنهن ائذن لي في القعود ولا تفتني بهن واعينك
بمالي قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه اعتل الجد بن قيس ولم تكن له علة الا النفاق
فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فانزل الله عز وجل
ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني يعني في التخلف والقعود في المدينة ولا تفتني
يعني ببنات الاصفر فانهم الروم الا في الفتنة سقطوا يعني انهم وقعوا في
الفتنة العظيمة وهي النفاق ومخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود
عنه وان جهنم لمحيطة بالكافرين يعني يوم القيامة تحيط بهم وتجمعهم
فيها قوله تعالى ان تصبك حسنة تسؤهم يعني ان تصبك يا محمد حسنة
من نصر وغنيمة تحزن المنافقين وان تصبك مصيبة يعني من هزيمة
وشدة يقولوا يعني المنافقين قد اخذنا امرنا يعني قد اخذنا بالجد
والحزم في القعود عن الغزو من قبل يعني من قبل هذه المصيبة ويتولوا
وهم فرحون يعني مسرورون بما نالهم من المصيبة وسلامتهم منها
قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين يفرحوا
بما يصيبك من المصائب والمكروه ان يصيبنا الا ما قدر الله لنا وعلينا
وكتبه في اللوح لان القلم جف بما هو كائن الى يوم القيامة من خير وشر
فلا يقدر احد ان يدفع عن نفسه مكروها نزل به او يجلب لنفسه نفعا
اذا اراده ما لم يقدر له هو مولانا يعني ان الله هو ناصرنا وحافظنا وهو
اولى بنا من انفسنا في الموت والحياة وعلى الله فليتوكل المؤمنون يعني في
جميع امورهم قل هل تربصون بنا يعني قل يا محمد لهؤلاء المنافقين هل
تنتظرون بنا ايها المنافقون الا احدى الحسنيين يعني اما النصر
والغنيمة واما الشهادة والمغفرة وذلك ان المسلم اذا ذهب الى الغزو
والجهاد في سبيل الله اما ان يغلب عدوه فيفوز بالنصر والغنيمة والاجر العظيم
في الآخرة واما ان يقتل في سبيل الله فتحصل له الشهادة وهي الغاية القصوى
ويدل ذلك ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
تكفل الله وفي رواية تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه الا جهاد في سبيلي

وايمانا بي وتصديق برسلي فهو علي ضامن ان ادخله الجنة او ارجعه الى مسكنه
الذي خرج منه نائلا ما نال من اجر وغنيمة اخرجاه في الصحيحين **وقوله تعالى**
ونحن نتربص بكم يعني ونحن ننتظر بكم احدى السوأتين ان يصيبكم الله بعذاب
من عنده يعني فيهلككم كما اهلك من كان قبلكم من الامم الخالية او بايدينا
يعني او يصيبكم بايدي المؤمنين بان يظفروا بكم ويظهرونا عليكم فتربصوا
انا معكم متربصون قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان انا متربصون
مواعيد الله من اظهار دينه ثم استئصال من خالفه قل انفقوا طوعا او كرها
نزلت في الجد بن قيس المنافق وذلك انه استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في القعود عنه وقال انا اعطيكم مالي فانزل الله تعالى ردا عليه قل اي قل يا محمد لهذا
المنافق وامثاله في النفاق انفقوا طوعا او كرها يعني انفقوا طائعين من قبل
انفسكم او مكرهين بالانفاق بالزام الله ورسوله اياكم بالانفاق لن يتقبل منكم
لان هذا الانفاق انما وقع لغير الله وهذه الآية وان كانت خاصة في نفاق
المنافقين فهي عامة في حق كل من انفق ماله لغير وجه الله بل انفقه رياء وسمعة
فانه لا يتقبل منه ثم علل سبب منع القبول بقوله انكم اي لانكم كنتم قوما
فاسقين والمراد بالفسق هنا الكفر ويدل عليه قوله تعالى وما منعهم ان
تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي المانع من قبول نفقاتهم
هو كفرهم بالله ورسوله ولا يأتون الصلوة الا وهم كسالى جمع كسلان يعني
متثاقلين في الاتيان الى الصلوة وذلك لانهم لا يرجون على فعلها ثوابا ولا يخافون
على تركها عقابا فلذلك ذمهم مع فعلها ولا ينفقون الا وهم كارهون
لانهم كانوا يعتقدون الانفاق في سبيل الله مغرما ومنع ذلك الانفاق
مغنما فلا تعجبك يا محمد اموالهم ولا اولادهم وهذا الخطاب وان كان مختصا
بالنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به جميع المؤمنين والمعنى فلا تعجبوا باموال
المنافقين واولادهم والاعجاب السرور بالشيء مع نوع من الافتخار به مع
الاعتقاد انه ليس لغيره مثله وهذا يدل على استغراق النفس بذلك الشيء
يكون سبب انقطاعه عن الله عز وجل فينبغي للانسان ان لا يعجب بشيء
من امور الدنيا ولذاتها فان العبد اذا كان من الله في استدراج كثر ماله
وولده فكثر اعجابه بماله وولده فيطغى ويكفر نعمة الله عليه ولهذا قال تعالى
انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا **فان قلت** كيف يكون
المال والولد عذابا في الدنيا وفيهما اللذة والسرور في الدنيا **قلت**
قال مجاهد وقتادة في الآية تقديم وتأخير تقديرها فلا تعجبك اموالهم
ولا اولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة وقيل وجه
كون المال والولد عذابا في الدنيا هو ما يحصل من المتاعب والمشاق في تحصيلها
فاذا حصلا ازداد التعب وتحمل المشاق في حفظهما ويزداد الحزن بسبب المصائب
الواقعة فيهما فعلى هذا القول لا حاجة الى التقديم والتأخير في نظم الآية
واورد على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل لبني آدم مؤمنهم وكافرهم
فما فائدة تخصيص المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا واجيب عن هذا الايراد
بان المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا العذاب وهو ان المؤمن قد علم انه

مخلوق للآخرة وانه يثاب بالمصائب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال والولد في
حقه عذابا في الدنيا واما المنافق فانه لا يعتقد كون الآخرة وانه ليس فيها ثواب
فبقي ما يحصل له في الدنيا من التعب والشدة والغم والحزن على المال والولد
عذاب عليه في الدنيا فثبت بهذا الاعتبار ان المال والولد عذاب على المنافق
في الدنيا دون المؤمن وقيل انه تعذيبهم في الدنيا اخذ الزكاة منهم والنفقة
في سبيل الله غير مثابين على ذلك وربما قتل الولد في الغزو فلا يثاب الوالد
المنافق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل يعذبهم بالتعب في جمعه وحفظه
والكره في انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده ثم يقدم في الآخرة على
ملك لا يعذره وتزهق انفسهم اي وتخرج انفسهم وهم كافرون والمعنى
انهم يموتون على الكفر فيكون عقابهم بعد عذاب الآخرة **قوله عز وجل**
ويحلفون بالله يعني المنافقين انهم لمنكم يعني على دينكم وملتكم وما هم
منكم يعني انهم كاذبون في ايمانهم ولكنهم قوم يفرقون يعني انهم يحلفون
ان يظهروا ما عليهم من النفاق لو يجدون ملجأ يعني حرزا او حصنا
ومعقلا يلجؤن اليه وقيل لو وجدوا مهربا لهربوا اليه وقيل لو يجدون
قوما يأمنون عندهم على انفسهم منكم لصاروا اليهم ولفارقوكم او مغارات
يعني غيرانا في الجبال جمع مغارة وهي الموضع الذي يغور فيه الانسان اي
يستتر او مدخلا يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب في الارض
لولوا اليه والمعنى انهم لو وجدوا مكانا بهذه الصفة او على احد هذه
الوجوه الثلاثة وهي شر الامكنة واضيقها لولوا اليه اي لرجعوا اليه
وتحرزوا فيه وهم يجمحون يعني وهم يسرعون الى ذلك المكان
والمعنى ان المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
لو قدروا ان يهربوا منكم الى احد هذه الامكنة لصاروا اليه لشدة
بغضهم اياكم **قوله عز وجل** ومنهم من يلمزك في الصدقات
نزلت في ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير وهو اصل الخوارج
عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال
يا رسول الله اعدل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل اذا لم
اعدل وفي رواية خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب ائذن لي فيه
فاضرب عنقه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له اصحابا يحقر
احدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم زاد في رواية يقرؤن القرآن
لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام وفي رواية من الدين كما يمرق السهم
من الرمية وقال الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له ابو الجواظ لم
تقسم بالسوية فنزلت هذه الآية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا من
اهل البادية حديث عهد باعرابية اتى نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم
ذهبا وفضة فقال يا محمد والله لئن كان الله امرك ان تعدل فما عدلت فقال له
نبي الله صلى الله عليه وسلم ويلك فمن ذا يعدل عليك بعدي وقال ابن زيد
قال المنافقون والله ما يعطيها محمد الا من احب ولا يؤثر بها الا هواه فانزل الله

تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات يعني من المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات
وفي تفريقها ويطعن عليك في امرها يقال همزه ولمزه يعني واحد اي عابه فان
اعطوا منها يعني من الصدقات رضوا يعني رضوا عنك وان لم يعطوا منها
اذا هم يسخطون يعني وان لم تعطهم منها عابوا عليك وسخطوا ولو انهم رضوا
ما آتاهم الله ورسوله يعني ولو ان المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم
الله لهم وقنعوا بما اعطاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله اي كافينا الله سيؤتينا
الله من فضله ورسوله يعني ما نحتاج اليه انا الى الله راغبون يعني في
ان يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وعن غيرها من اموال الناس
وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا لهم واعود عليهم **قوله عز وجل**
انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية اعلم ان المنافقين لما لمزوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعابوه في قسم الصدقات بين الله عز وجل
بهذه الآية ان المستحقين للصدقات هذه الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم
ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها بشيء ولم يأخذ لنفسه منها شيئا
فلم يلمزوه ويعيبوا عليه فلا مطعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات عن زياد
بن الحارث الصدائي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتاه
رجل فقال اعطني من الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم
يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزأها ثمانية اجزاء
فان كنت من تلك الاجزاء اعطيتك حقك اخرجه ابو داود **فصل**
في بيان حكم هذه الآية وفيه مسائل المسألة الاولى في بيان وجه الحكمة في ايجاب
الزكاة على الاغنياء وصرفها الى المحتاجين من الناس وذلك من وجوه الاول
ان المال محبوب بالطبع وسببه ان القدرة صفة من صفات الكمال وصفة الكمال
محبوبة لذاتها والمال سبب لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا بالطبع
فاذا استغرق القلب في حب المال واشتغل به عن حب الله عز وجل وعن
الاشتغال بالطاعات المقربة الى الله تعالى فاقتضت الحكمة الالهية ايجاب
الزكاة في ذلك المال الذي هو سبب البعد عن الله فيصير سببا للقرب من
الله عز وجل باخراج الزكاة منه الوجه الثاني ان كثرة المال توجب قسوة
القلب وحب الدنيا والميل الى الشهوات الوجه الثالث ان سبب وجوب
الزكاة امتحان العبد المؤمن فاوجب الله الزكاة ليقلل ذلك المال الذي هو
سبب لقساوة القلب لان التكاليف البدنية غير شاقة على العبد واخراج
المال شاق على النفس فاوجب الله تعالى الزكاة على العباد ليمتحن باخراج
الزكاة المطيع المخرج لها طيبة بها نفسه من العاصي المانع لها الوجه الرابع
ان المال مال الله والاغنياء خزان الله والفقراء عيال الله فامر الله تعالى خزانه
الذين هم الاغنياء بدفع طائفة من ماله الى عياله فيثيب العبد المؤمن المطيع
المسارع الى امتثال الامر المشفق على عيال الله ويعاقب العبد العاصي المانع لعيال الله
ماله ق عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان الخازن المسلم الامين الذي ينفذ وربما قال يعطي ما امر به فيعطيه كاملا
موفرا طيبة به نفسه فيدفعه الى الذي امر له به احد المتصدقين الوجه الخامس

ان الفقراء ربما تعلقت قلوبهم بالاموال التي بيد الاغنيا فاوجب الله عز وجل نصيب
الفقرا في ذلك المال لتطيب قلوبهم الوجه السادس ان المال الفاضل عن حاجة
الانسان الاصلية اذا امسك بقي معطلا عن المقصود الذي لاجله خلق المال
فامر بدفع الزكاة الى الفقرا حتى لا يصير ذلك المال معطلا بالكلية المسالة
الثانية الاية تدل على ان لا حق لاحد في الصدقات الا لهولا الاصناف الثمانية
وذلك مجمع عليه لان كلمة انما تفيد الحصر وذلك لانها مركبة من ان وما فكلمة ان
للاثبات وكلمة ما للنفي فعند اجتماعهما يفيد الحكم المذكور وصرفه عما عداه فدل
بذلك على ان الصدقات لا تصرف الا الى الاصناف الثمانية المسالة الثالثة في بيان الاصناف
الثمانية فالصنف الاول الفقرا والثاني المساكين وهم المحتاجون الذي لا يفي
خرجهم بدخلهم ثم اختلف العلما بين الفقير والمسكين فقال ابن عباس والحسن
ومجاهد وعكرمة والزهري الفقير الذي لا يسال والمسكين السائل وقال ابن عمر
ليس بفقير من جمع الدرهم الى الدرهم والتمرة الى التمرة ولكن الفقير من انقى نفسه
وثيابه ولا يقدر على شي يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف وقال قتادة
الفقير المحتاج الزمن والمسكين الصحيح المحتاج وقال الشافعي الفقير
من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا زمنا كان او غير زمن والمسكين من
له مال او حرفة ولكن لا تقع منه موقعا لكفايته سائلا كان او غير سائل فالمسكين
عنده احسن حالا من الفقير وقال ابو حنيفة واصحاب الراي الفقير
احسن حالا من المسكين ومن الناس من قال لا فرق بين الفقير والمسكين
حجة الشافعي ومن وافقه ان الله تعالى حكم بصرف الصدقات الى هولا
الاصناف الثمانية دفعا لحاجتهم وتحصيلا لمصلحتهم فبدا بالفقير وانما
بدا بالاهم فالاهم فلو لم تكن حاجتهم اشد من حاجة المساكين لما بدا
بهم واصل الفقير المكسور الفقار وقال لبيد

لما رأى لبد النسور تطايرت * رفع القوادم كالفقير الاعزل

قال ابن الاعرابي الفقير في هذا البيت المكسور الفقار فثبت بهذا ان
الفقير انما سمي فقيرا لزمانته وحاجته شديدة وتمنعه الزمانة من التقلب
في الكسب ولان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ من الفقر وقال
اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واحشرني في زمرة المساكين يوم
القيامة رواه الترمذي من حديث انس فلو كان المسكين اسوا حالا
من الفقير لما تعوذ من الفقر وسال المسكنة فثبت بهذا ان المسكين
احسن حالا من الفقير ولان الله تعالى قال اما السفينة فكانت
لمساكين يعملون في البحر فاثبت لهم ملكا مع اسم المسكنة لان السفينة
من سفن البحر تساوي دنانير كثيرة ولان الغنى والفقر ضدان
والمسكنة قسم ثالث بينهما فثبت بهذا ان الفقير اشد حالا من المسكين
وحجة ابي حنيفة ومن وافقه على ان المسكين اسوا حالا من الفقير قوله
او مسكينا ذا متربة وصف المسكين بكونه ذا متربة وهو الذي لصق جلده
بالتراب وهذا يدل على غاية الضرر والشدة ولان الله تعالى جعل الكفارة
للمساكين فلو لم يكن اشد حالا من غيره لما جعلها الله تعالى له واحتج بقول

الراعي

الراعي *

اما الفقير الذي كانت حلوبته * وفق العيال فلم يترك له سبد

واحتجوا ايضا بقول الاصمعي وابي عمرو بن العلا ان الفقير الذي له ما ياكل
والمسكين الذي لا شي له وكذا قال القتيبي الفقير الذي له البلغة من العيش
والمسكين الذي لا شي له وقيل الفقير الذي له المسكن والخادم والمسكين الذي
لا ملك له وقيل ان كل محتاج الى شي فهو فقير اليه وان كان غنيا عن غيره قال
تعالى انتم الفقرا الى الله فاثبت لهم اسم الفقر مع وجدان المال والجواب عن حجة الحنفية اما
قوله او مسكينا ذا متربة فهي حجة لمذهب الشافعي لان قيد المسكين عندنا بكونه
ذا متربة يدل على انه قد يوجد مسكين لا بهذه الصفة والا لم يبق لهذا القيد فايدة
والجواب عن جعل الكفارة للمساكين انه هو الفقير الذي لصق جلده بالتراب
من شدة المسكنة والجواب عن الاستدلال ببيت الراعي ان ذكر الفقير وحده
افرد بالاسم جاز اطلاق المسكين عليه فسقط الاستدلال به واما الروايات
المذكورة فهي معارضة بما تقدم من الروايات عن ابن عباس وغيره من المفسرين
وفي الجملة ان الفقر والمسكنة عبارتان عن شدة الحاجة وضعف الحال فالفقير
هو الذي كسرت الحاجة فقار ظهره والمسكين هو الذي ضعفت نفسه وسكنت
عن الحركة في طلب القوت عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي اخرجه
النسائي وابو داود والترمذي وله في رواية اخرى ولا لذي مرة قوي عن عبيد الله
ابن عدي بن الخيار قال اخبرني رجلان انهما اتيا النبي صلى الله عليه وسلم في
حجة الوداع وهو يقسم الصدقة فسالاه منها فرفع النظر فينا وخفضه فرانا
جلدين فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها لغني ولا لقوي مكتسب اخرجه
ابو داود والنسائي واخرجه الشافعي ولفظه ان رجلين اتيا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسالاه عن الصدقة فقال ان شئتما اعطيتكما ولا حظ فيها
لغني ولا لقوي مكتسب واختلف العلماء في حد الغنى الذي يمنع من اخذ
الصدقة فقال الاكثرون حده ان يكون عنده ما يكفيه وعياله سنة وهو
قول مالك والشافعي وقال اصحاب الراي حده ان يملك مائتي درهم وقال
قوم من ملك خمسين درهما او قيمتها لا تحل له الصدقة لما روي عن ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سال الناس وله ما يغنيه
جاء يوم القيامة ومسالته في وجهه خموش او خدوش او كدوح فقيل يا رسول
الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها من الذهب اخرجه ابو داود
والترمذي والنسائي وهذا قول الثوري وابن المبارك واحمد واسحاق
وقالوا لا يجوز ان يعطى الرجل اكثر من خمسين من الزكاة وقيل اربعين
درهما لما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سال وله قيمة اوقية فقد الحف اخرجه ابو داود وكانت الاوقية في ذلك
الزمان اربعين درهما الصنف الثالث **والعاملين عليها** وهم السعاة
الذين يتولون جباية الصدقات وقبضها من اهلها ووضعها في جهتها
فيعطون من مال الصدقات بقدر اجور امثالهم سوا كانوا فقرا او اغنيا

وقال قول ابن عمر والشافعي اي وقال مجاهد والضحاك يعطون الثمن من الصدقات
وظاهر اللفظ مع مجاهد الا ان الشافعي يقول هو اجرة عمل فيتقدر بقدر العمل والصحيح
ان الهاشمي والمطلبي لا يجوز ان يكون عاملا على الصدقات لما روي عن ابي رافع ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل لنا الصدقة وان مولى القوم منهم
اخرجه الترمذي والنسائي الصنف الرابع **والمؤلفة قلوبهم** وهم قسمان قسم
مسلمون وقسم كفار اما قسم المسلمين فقسمان القسم الاول قوم من اشراف
العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم من الصدقة تألفا لهم مثل
ما اعطى عيينة بن بدر بن حصن والاقرع بن حابس والعباس بن مرداس
السلمي فهولاء اسلموا وكانت نيتهم ضعيفة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم
لتقوى رغبتهم في الاسلام وقوم اسلموا وكانت نيتهم قوية في الاسلام وهم اشراف قومهم
مثل عدي بن حاتم والزبرقان بن بدر فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيهم
تألفا لقومهم وترغيبا لامثالهم في الاسلام فيجوز للامام ان يعطي هولاء من خمس
الغنيمة والفيء من سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يعطيهم من ذلك ومن تلك الصدقات ايضا القسم الثاني من مؤلفة
المسلمين وهم قوم من المسلمين يكونون بازاء قوم من الكفار في موضع لا يبلغهم جيوش
المسلمين الا بكلفة كبيرة ومونة عظيمة وهولاء الذين بازائهم من المسلمين
لا يجاهدونهم اما لضعف حالهم فيجوز للامام ان يعطيهم من سهم الغزاة من
مال الصدقة وقيل من سهم المولفة قلوبهم ومن هولاء قوم بازاء جماعة من
مانعي الزكاة فياخذون منهم الزكاة ويحملونها الى الامام فيعطيهم الامام من سهم
المولفة من الصدقات وقيل من سهم سبيل الله **روي** ان عدي بن حاتم جاء ابا بكر
بثلثمائة من الابل من صدقات قومه فاعطاه ابو بكر منها ثلاثين بعيرا واما
المولفة الكفار فهم قوم يخشى شرهم او يرجى اسلامهم فيجوز للامام ان يعطي من
يخاف شره او يعطيه رجاء اسلامه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعطيهم من خمس الخمس كما اعطى صفوان بن امية لما كان يرى من ميله الى الاسلام
اما اليوم فقد اعز الله الاسلام ولله الحمد على ذلك واغناه ان يتألف عليه رجال
من المشركين فلا يعطى مشرك تألفا بحال وقد قال بهذا كثير من اهل العلم
ورأوا ان المولفة منقطعة وسهمهم ساقط روي ذلك عن ابن عمر وعكرمة وهو
قول الشعبي وبه قال مالك والثوري واصحاب الراي واسحاق بن راهويه وقال
قوم سهمهم ثابت لم يسقط يروى ذلك عن الحسن وهو قول الزهري وابي جعفر
محمد بن علي وابي ثور وقال احمد يعطون ان احتاج المسلمون الى ذلك
الصنف الخامس قوله تعالى **وفي الرقاب** قال الزجاج فيه حذف تقديره
وفي فك الرقاب وفي تفسير الرقاب اقوال القول الاول ان سهم الرقاب موضوع في
المكاتبين فيدفع اليهم ليعتقوا به وهذا مذهب الشافعي وهو قول اكثر الفقهاء
منهم سعيد بن جبير والنخعي والزهري والليث بن سعد ويدل عليه ايضا
قوله تعالى وآتوهم من مال الله الذي آتاكم القول الثاني وهو مذهب مالك
واسحاق واحمد ان سهم الرقاب موضوع للعتق فيشترى به عبيد ويعتقون
ويدل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه قال لا بأس ان يعتق

الرجل

الرجل من تلك الزكاة رقبة كاملة ولكن يعطي منها في عتق رقبة ويعان بها مكاتب
لان قوله وفي الرقاب يقتضي التبعيض القول الرابع وهو قول الزهري ان سهم
الرقاب صنفان صنف للمكاتبين ونصف يشترى به عبيد ممن صلوا وصاموا
وتقدم اسلامهم فيعتقون من الزكاة قال الاحوط في سهم الرقاب ان يدفع الى السيد
باذن المكاتب ويدل عليه ان الله تعالى اثبت الصدقات للاصناف الاربعة بلام
التمليك فقال انما الصدقات للفقراء وقال في الصنف الخامس وفي الرقاب
فلا بد لهذا الفرق من فائدة وهو ان الاصناف الاربعة المتقدم ذكرها يدفع
اليهم نصيبهم من الصدقات فيصرفون ذلك فيما شاؤا واما الرقاب فيوضع
نصيبهم في تخليص رقابهم من الزكاة ولا يدفع اليهم ولا يمكنون من التصرف
فيه وكذا القول في الغارمين فيصرف نصيبهم في قضاء ديونهم وفي الغزاة
يصرف نصيبهم فيما يحتاجون اليه في الغزو وكذا ابن السبيل فيصرف
اليه فيما يحتاج في سفره الى بلوغ غرضه الصنف السادس قوله تعالى
والغارمين اصل الغرم في اللغة لزوم ما يشق وسمي الدين غرما لكونه
شاقا على الانسان فالمراد بالغارمين المدينون وهم قسمان قسم ادانوا
لانفسهم في غير معصية فيعطون من مال الصدقات بقدر ديونهم اذا لم
يكن لهم مال يفي بديونهم فان كان عندهم وفاء فلا يعطون وقسم
ادانوا في المعروف واصلاح ذات البين فيعطون من مال الصدقات
ما يقضون به ديونهم وان كانوا اغنياء لما روي عن عطاء بن يسار ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله
او لعامل عليها او لغارم او لرجل اشتراها بماله او لرجل كان له جار مسكين
فتصدق على المسكين فاهدى المسكين للغني اخرجه ابو داود مرسلا
لان عطاء لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم ورواه معمر عن زيد بن اسلم
عن عطاء بن يسار عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم متصلا
بمعناه واما من كان دينه في معصية فلا يعطى من الصدقات الصنف السابع
قوله تعالى **وفي سبيل الله** يعني وفي النفقة في سبيل الله واراد بهم الغزاة
فلهم سهم من مال الصدقات فيعطون ذلك وان كانوا اغنياء لما تقدم من حديث
عطاء وابي سعيد الخدري ولا يعطى من سهم سبيل الله لمن اراد الحج عند اكثر اهل العلم
وقال قوم يجوز ان يصرف سهم سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنه وهو قول الحسن واليه ذهب احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه
وقال بعضهم ان اللفظ عام فلا يجوز قصره على الغزاة فقط ولهذا اجاز بعض
الفقهاء صرف سهم سبيل الله الى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى وبناء الجسور
والحصون وعمارة المساجد وغير ذلك قال لان قوله وفي سبيل الله عام في
الكل فلا يختص بصنف دون غيره والقول الاول هو الصحيح لاجماع الجمهور
عليه الصنف الثامن قوله تعالى **وابن السبيل** يعني المسافر من بلد الى
بلد والسبيل الطريق سمي المسافر ابن السبيل لملازمته الطريق قال الشاعر
انا ابن الحرب ربتني وليدا • الى ان شبت واكتهلت لداتي •
فكل من يريد سفرا مباحا ولم يكن له ما يقطع به مسافة سفره فيعطى من الصدقات

ما يكفيه لمؤنة سفره سواء كان له مال في البلد الذي يقصده او لم يكن له مال وقال
قتادة ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل هو الحاج المنقطع
وقوله تعالى فريضة من الله يعني ان هذه الاحكام التي ذكرها في هذه
الاية فريضة واجبة من الله وقيل فرض الله هذه الاشياء فريضة **والله عليم** يعني
بمصالح خلقه **حكيم** يعني فيما فرض لهم لا يدخل في حكمه وتدبيره نقض ولا خلل

المسالة الرابعة في احكام تتعلق بالزكاة

اتفق العلماء على ان المراد بقوله انما الصدقات للفقراء الزكاة المفروضة بدليل
قوله خذ من اموالهم صدقة واختلفوا في كيفية قسمتها وفي جواز صرفها
الى بعض الاصناف دون بعض فذهب جماعة من الفقهاء الى انه لا يجوز صرفها
كلها الى بعض الاصناف مع وجود الباقين وهو قول عكرمة واليه ذهب الشافعي
قال الشافعي يجب ان يقسم زكاة ماله على الموجودين من الاصناف الستة الذين
سهامهم ثابتة قسمة على السواء لان سهم المؤلفة ساقط وسهم العامل ساقط ان
اذا قسم زكاته بنفسه ثم حصة كل صنف من الاصناف الستة لا يجوز ان تصرف الى
اقل من ثلاثة منهم ان وجد منهم ثلاثة او اكثر فلو فاوت بين اولئك الثلاثة
جاز فان لم يجد من بعض الاصناف الا واحدا دفع حصة ذلك الصنف اليه
ما لم يخرج عن حد الاستحقاق فان انتهت حاجته وفضل شيء رده الى الباقين
وذهب جماعة من العلماء الى انه لو صرف الكل الى صنف واحد من هذه الاصناف
او الى شخص واحد منهم جاز لان الله تعالى انما سمى هذه الاصناف الثمانية اعلاما
ان الصدقة لا تخرج عن هذه الثمانية لا ايجابا منه لقسمتها بينهم جميعا وهذا
قول ابن عمر وابن عباس وبه قال سعيد بن جبير وعطاء واليه ذهب سفيان
الثوري واصحاب الراي واحمد بن حنبل قال احمد يجوز ان يضعها في صنف واحد
وتفريقها اولى وقال ابراهيم النخعي ان كان المال كثيرا يحتمل الاجزاء قسمه على
الاصناف وان كان قليلا وضعه في صنف واحد وقد قال مالك يتحرى موضع
الحاجة منهم ويقدم الاولى فالاولى من اهل الخلة والحاجة فان راى الخلة في الفقراء
قدمهم وان راها في عام في صنف اخر حولها اليهم وكل من دفع اليه شيء من الصدقة
لا يزيد على قدر الاستحقاق فلا يزيد الفقير على قدر غناه وهو ما يحتاج
اليه فان حصل ادنى اسم الغنى فلا يعطى بعده شيء وان كان محترفا لكنه لا تسد
حرفته فيعطى قدر ما يحصل به الحرفة والاعتبار عند الشافعي ما يدفع الحاجة
من غير حد وقال احمد لا يعطى الفقير اكثر من خمسين درهما وقال ابو حنيفة
اكره ان يعطى رجل واحد من الزكاة مائتي درهم فان اعطاه من يظنه انه
فقير فبان انه غني فهل يجزيه فيه قولان ولا يجوز ان يعطي صدقته لمن تلزمه
نفقته وبه قال مالك والثوري واحمد وقال ابو حنيفة وان كان غنيا لا يعطي
الوالد وان علا ولا الولد وان سفل ولا زوجته ويعطي ما عداهم وتحرم الصدقة
على ذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب فلا يدفع اليهم من الزكاة شيء لقول
النبي صلى الله عليه وسلم موالي القوم منهم وقال مالك لا تحرم واختلفوا في نقل
الصدقة من بلد المال الى بلد اخر مع وجود المستحقين في بلد المال
فكرهه اكثر اهل العلم لتعلق قلوب فقراء اهل البلد بذلك المال ولقوله صلى الله

عليه

عليه وسلم لمعاذ واعلمهم ان الله تعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من اغنيائهم
وترد على فقرائهم الحديث بطوله في الصحيحين واتفقوا على انه اذا نقل المال الى بلد
اخرجوه الى فقراء ذلك البلد سقط عنه الفرض الا ما حكي عن عمر بن عبد العزيز
فانه رد صدقة حملت من خراسان الى الشام فردها الى مكانها من خراسان والله
اعلم **قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن**
نزلت في جماعة من المنافقين كانوا يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه
ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا فانا نخاف ان يبلغه ما تقولون فيقع
بنا فقال الجلاس بن سويد وهو من المنافقين بل نقول ما شئنا ثم ناتيه وننكر
ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول فانما محمد اذن اي اذن سامعة كلما يقال
له يقبله وقيل معنى هو اذن اي ذو اذن سامعة وقال محمد بن اسحاق نزلت
في رجل من المنافقين يقال له نبتل بن الحرث وكان ينم حديث النبي صلى الله عليه
وسلم وكان ادم ثائر شعر الراس احمر العينين اسفع الخدين مشوه الخلقة وقد قال
النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان ينظر الى الشيطان فلينظر الى نبتل بن الحرث
وكان ينم حديث النبي صلى الله عليه وسلم الى المنافقين فقيل له لا تفعل ذلك فقال
انما محمد اذن من حدثه شيئا صدقه فنقول ما شئنا ثم ناتيه فنحلف له فيصدقنا
فانزل الله هذه الاية ومقصود المنافقين بقولهم هو اذن انه ليس بعيد غور بل سليم سريع
الاغترار بكل ما يسمع فاجاب الله تعالى عنه بقوله **قل اذن خير لكم** يعني هو اذن
ولكنه اذن خير لكم كقولك رجل صدق وشاهد عدل والمعنى انه مستمع منكم
ونصيحتكم خير لكم ان يكذبكم ولا يقبل قولكم ثم وصف الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
بقوله **يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين** يعني انه يصدق المؤمنين ويقبل قولهم
لا يقبل قول المنافقين وانما عدي الايمان بالله بالباء والايمان للمؤمنين
باللام لان الايمان بالله هو نقيض الكفر فلا يتعدى الا بالباء فيقال امنت بالله
والايمان للمؤمنين معناه تصديق المؤمنين فيما يقولونه فلا يتعدى الا باللام
ومنه قوله المؤمن لك وقوله امنت له **ورحمة** اي هو رحمة **للذين امنوا منكم**
وانما قال منكم لان المنافقين كانوا يزعمون انهم مؤمنون فبين الله تعالى انه
رحمة للمؤمنين المخلصين لا للمنافقين وقيل في كونه صلى الله عليه وسلم رحمة
لانه يجري احكام الناس على الظاهر ولا ينقب عن احوالهم ولا يهتك استارهم
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يعني في الاخرة قوله عز وجل
يحلفون بالله لكم ليرضوكم قال قتادة والسدي اجتمع ناس من المنافقين
فيهم الجلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار
اسمه عامر بن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام من قولهم وقال
والله ان ما يقول محمد حق وانتم شر من الحمير ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره
فدعاهم فسالهم فانكروا وحلفوا ان عامرا كذاب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم
النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو ويقول اللهم صدق الصادق
وكذب الكاذب فانزل الله تعالى هذه الاية وقال مقاتل والكلبي نزلت في
رهط من المنافقين تخلفوا عن غزوة تبوك فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم

انه يعتذر دونه ويحلفون فانزل الله هذه الآية والمعنى يحلفون لكم ايها المؤمنون
هؤلاء المنافقون ليرضوكم يعني فيما بلغكم من اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله ورسوله احق ان يرضوه اختلفوا في معنى هذا الضمير الى ماذا
يعود فقيل الضمير عائد على الله تعالى لان في رضى الله رضى رسوله صلى الله عليه وسلم
والمعنى والله ورسوله احق ان يرضوه بالتوبة والاخلاص وقيل يجوز ان يكون المراد
يرضوهما فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر وقيل والمعنى والله احق ان يرضوه وكذلك
رسوله ان كانوا مؤمنين يعني ان كانوا هؤلاء المنافقين مصدقين بوعد الله
ووعيده في الاخرة قوله تعالى الم يعلموا قال اهل المعاني الم تعلم خطاب لمن علم
شيئا ثم نسيه وانكره فيقال الم تعلم انه كان كذا وكذا ولما طال مكث رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين اظهر المنافقين والمؤمنين وعلمهم من احكام الدين
ما قد يحتاجون اليه فخاطب المنافقين الم يعلموا يعني في شرائع الدين التي
علمهم رسولنا انه من يحادد الله ورسوله يعني انه من يخالف الله ورسوله
واصل المحادة في اللغة المخالفة والمجانبة والمعاداة واشتقاقه من الحد يقال
حاد فلان فلانا اذا صار في حد وخالفه في امره وقيل معنى يحادد الله
ورسوله اي يحارب الله ورسوله ويعاند الله ورسوله فان له نار جهنم
اي فحق ان له نار جهنم خالدا فيها يعني على الدوام ذلك الخزي العظيم
يعني ذلك الخلود في نار جهنم هي الفضيحة العظيمة والله اعلم قوله عز وجل
يحذر المنافقون يعني يخشى المنافقون ان تنزل عليهم سورة يعني على
اولياء المؤمنين تنبئهم يعني تخبر المؤمنين بما في قلوبهم يعني بما في
قلوب المنافقين من الحسد والعداوة للمؤمنين وذلك ان المنافقين
كانوا فيما بينهم يذكرون المؤمنين بسوء ويستهزؤن به ويخافون الفضيحة
ونزول القرآن في شأنهم قال قتادة وهذه السورة كانت تسمى الفاضحة
والمبعثرة والمثيرة يعني انها فضحت المنافقين وبعثرت عن اخبارهم
واسرارهم وكشفت عن مخازيهم ومثالبهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما انزل
الله ذكر سبعين رجلا من المنافقين باسمائهم واسماء ابائهم ثم نسخ ذكر الاسماء
رحمة منه على المؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مؤمنين
قل استهزؤا امر تهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم ان الله مخرج
مظهر ما تحذرون والمعنى ان الله يظهر الى الوجود ما كان المنافقون يسرونه
ويخفونه عن المؤمنين قال ابن كيسان نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلا
من المنافقين وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة
تبوك ليفتكوا به اذا علاها وتنكروا له في ليلة مظلمة فاخبر جبريل عليه السلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قد اضمروا وامره ان يرسل اليهم من يضرب وجوه
رواحلهم فضربها حذيفة حتى نحاهم عن الطريق فلما نزل قال لحذيفة من
عرفت من القوم قال لم اعرف منهم احدا يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم فقال حذيفة هلا بعثت
اليهم من يقتلهم فقال بل يكفيناهم الله بالدبيلة م عن قيس بن عباد قال
قلت لعمار ارأيتكم قتالكم ارأيا رأيتموه فان الرأي يخطئ ويصيب ام عهدا عهده

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
شيئا لم يعهده الى الناس كافة وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
في امتي قال شعبة واحسبه قال حدثني حذيفة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان في امتي اثني عشر منافقا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى
يلج الجمل في سم الخياط ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة سراج من نار يظهر في اكتافهم
حتى ينجم في صدورهم وقوله تعالى ولئن سألتهم ليقولن انما كنا
نخوض ونلعب الآية وسبب نزولها على ما قاله زيد بن اسلم ان رجلا من المنافقين
قال لعوف بن مالك في غزوة تبوك ما لقرائنا هؤلاء ارغبنا بطونا واكذبنا
السنة واجبننا عند اللقاء فقال في غزوة تبوك فقال له عوف بن مالك كذبت
فيما قلت ولكنك منافق ولأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب عوف
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره فوجد القرآن قد سبقه قال
زيد قال عبد الله بن عمر فنظرت اليه يعني الى المنافق متعلقا بحقب ناقة
رسول الله صلى الله عليه وسلم تنكبه الحجارة يقول انما كنا نخوض ونلعب
فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن
ما يزيده وقال محمد بن اسحاق ان الذي قال هذه المقالة فيما بلغني هو
وديعة بن ثابت اخو بني امية بن زيد بن عمرو بن عوف وقال قتادة بينا رسو
ل الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ناس من المنا فقين
فقالوا يرجو هذا الرجل ان يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات
فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله انما كنا
نخوض ونلعب فانزل الله فيهم ما تسمعون وقال الكلبي ومقاتل كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من
المنافقين اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول والثالث يضحك قيل كانوا
يقولون ان محمدا يزعم انه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما ابعده من ذلك
وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم انه نزل في اصحابنا قرآنا انما هو قوله
وكلامه فاطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال احبسوا على
الركب فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض ونلعب
ومعنى الآية ولئن سألت يا محمد هؤلاء المنافقين عما كانوا يقولون فيما بينهم
ليقولن انما كنا نخوض ونلعب يعني كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعله
الركب يقطعون الطريق بالحديث واللعب واصل الخوض الدخول في مائع
كالماء والطين ثم كثر استعماله حتى صار يستعمل في كل دخول فيه تلويث
واذى قل يا محمد لهؤلاء المنافقين ابالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن
فيه توبيخ وتقريع للمنافقين وانكار عليهم قال اهل المعاني كيف تقدمون على
ايقاع الاستهزاء بالله يعني بفرائض الله وحدوده واحكامه والمراد بآياته
كتابه وبرسوله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فيحتمل ان اولئك المنافقين
لما قالوا كيف يقدر محمد على اخذ حصون الشام قال بعض المسلمين الله يعينه
على ذلك فذكر بعض المنافقين كلاما يشعر بالقدح في قدرة الله تعالى وانما ذكروا ذلك

على طريقة الاستهزاء قوله عز وجل **لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** يعني
قل لهؤلاء المنافقين لا تعتذروا أي بالباطل ومعنى الاعتذار محو أثر الموجدة
من قلب المعتذر إليه وقيل معنى العذر قطع اللائمة عن الجاني قد كفرتم بعد
إيمانكم **فإن قلت** هو أن المنافقين لم يكونوا مؤمنين فكيف وقد
قال وقد كفرتم بعد إيمانكم **قلت** معناه أظهرتم الكفر بعد ما قد كنتم
أظهرتم الإيمان وذلك أن المنافقين كانوا يكتمون الكفر ويظهرون الإيمان
فلما حصل ذلك الاستهزاء منهم وهو كفر قيل لهم قد كفرتم بعد إيمانكم وقيل
معناه قد كفرتم عند المؤمنين بعد أن كنتم عندهم مؤمنين وقوله تعالى
إن يعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ذكر المفسرون
أن الطائفتين كانوا ثلاثة فالواحد طائفة والاثنان طائفة والعرب
توقع لفظ الجمع على الواحد فلهذا أطلق لفظ الطائفة على الواحد قال محمد
ابن إسحاق الذي عفي عنه هو رجل واحد وهو مخشي بن حمير الأشجعي يقال
إنه هو الذي كان يضحك ولا يخوض وقيل إنه كان يمشي مجانبا لهم وينكر بعض
ما يسمع فكان ذنبه أخف فلما نزلت الآية تاب من نفاقه ورجع إلى الإسلام
وقال اللهم إني لا أزال أسمع آية تقرأ أعنى بها تقشعر منها الجلود وتجب منها
القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا
كفنت أنا دفنت فأصيب يوم اليمامة ولم يعرف أحد من المسلمين مصرعه
قوله تعالى **المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض** يعني أنهم على
أمر واحد يجتمعون على النفاق والأعمال الخبيثة كما يقول الرجل لغيره
أنا منك وأنت مني أي أمرنا واحد لا مباينة فيه **يأمرون بالمنكر**
يعني يأمر بعضهم بعضا بالشرك والمعصية وتكذيب الرسول صلى الله عليه
وسلم **وينهون عن المعروف** يعني عن الإيمان والطاعة وتصديق
الرسول صلى الله عليه وسلم **ويقبضون أيديهم** يعني عن الإنفاق في
سبيل الله وفي كل خير **نسوا الله فنسيهم** هذا الكلام لا يمكن إجراؤه على
ظاهره لأنا لو حملناه على النسيان الحقيقي لم يستحقوا ذما عليه لأن
النسيان ليس في وسع البشر دفعه وأيضا فإن النسيان في حق الله تعالى
محال فلا بد من التأويل وقد ذكروا فيه وجهين الأول معناه أنهم تركوا
أمره حتى صاروا بمنزلة الناسين له فجازاهم بأن صيرهم بمنزلة
المنسي من ثوابه ورحمته فخرج من مزاوجة الكلام فهو كقوله وجزاء
سيئة سيئة مثلها الوجه الثاني أن النسيان ضد الذكر فلما تركوا ذكر الله وعبادته
ترك الله ذكرهم يعني ذكرهم بالرحمة والإحسان فجعل النسيان عبارة عن
ترك الذكر لأن من ترك شيئا لم يذكره وقيل لما تركوا طاعة الله والإيمان به
تركهم توفيقه وهدايته في الدنيا ومن رحمته في العقبى **إن المنافقين هم
الفاسقون** يعني هم الخارجون عن الطاعة **وعد الله المنافقين
والمنافقات والكفار** يقال وعده بالخير وعدا ووعده بالشر وعيدا
فالوعد يكون في الخير والشر **نار جهنم خالدين فيها** فيه حذف تقديره
بأن يصلوها خالدين يعني مقيمين فيها **هي حسبهم** يعني كفايتهم جزاء على

كفرهم

كفرهم ونفاقهم وتركهم الإيمان والطاعة **ولعنهم الله** يعني وأبعدهم من
رحمته وطردهم عن بابه **ولهم عذاب مقيم** أي دائم لا ينقطع عنهم أبدا **فإن
قلت** قال أولا خالدين فيها يعني ولهم عذاب مقيم وهذا تكرار فما معناه
قلت ليس ذلك بتكرار وبيان الفرق من وجهين الأول أن معناه
ولهم نوع آخر من العذاب المقيم سوى الصلي بالنار ولقائل أن يقول هذا
التأويل مشكل لأنه تعالى قال في النار هي حسبهم وذلك يمنع من ضم شيء آخر إلى
عذاب النار فأجيب عن هذا الإشكال بأن قوله هي حسبهم في الإيلام
ولا يمنع أن يحصل نوع من العذاب من غير جنس النار كالزمهرير ونحوه ويكون
ذلك زيادة في عذابهم الوجه الثاني أن العذاب المقيم هو العذاب المعجل
لهم في الدنيا وهو ما يقاسونه من خوف اطلاع المسلمين عليهم وما هم فيه من
النفاق وكشف فضائحهم وهذا هو العذاب المقيم وقوله تعالى **كالذين
من قبلكم** هذا رجوع من الغيبة إلى الخطاب والكاف في كالذين للتشبيه
قال والمعنى فعلتم كفعال الذين من قبلكم شبه فعل المنافقين بفعل
الكفار الذين كانوا من قبلهم في الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف وقبض
الأيدي عن فعل الخير والطاعة وقيل إنه تعالى شبه المنافقين في عدولهم
عن طاعة الله واتباع أمره لأجل طلب الدنيا بمن قبلهم من الكفار ثم وصف
الكفار بأنهم كانوا أشد من هؤلاء المنافقين قوة وأكثر أموالا وأولادا فقال
تعالى **كانوا أشد منكم قوة** يعني بطشا ومنعة **وأكثر أموالا وأولادا
فاستمتعوا بخلاقهم** يعني فتمتعوا بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات
ورضوا بها عن الآخرة والخلاق النصيب وهو ما خلق للإنسان وقدر له
من خير كما يقال قسم له **فاستمتعتم بخلاقكم** وهذا خطاب للحاضرين
يعني فتمتعتم أيها المنافقون والكافرون **كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم**
فإن قلت ما الفائدة في ذكر الاستمتاع بالخلاق في حق الأولين
مرة ثم ذكره في حق الآخرين ثانيا **قلت** فائدته أنه ذم الأولين هنا
بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا وشهواتها ورضاهم بها وتركوا النظر فيما
يصلحهم في الدار الآخرة ثم شبه حال المخاطبين من المنافقين والكفار
بحال من تقدمهم ثم رجع إلى ذكر حال الأولين ثانيا وهو كما يريد أن يكتب
بعض الظلمة عن قبح ظلمه فيقول أنت مثل فرعون كان يقتل بغير حق
ويعذب بغير جرم فأنت تفعل مثل ما كان يفعل فالتكرير هنا للتأكيد والتقبيح
فعلهم وفعل من شابههم في فعلهم وقوله **وخضتم كالذي خاضوا** معطوف
على ما قبله ومسند إليه يعني وسلكتم في فعلكم مثل ما سلكوا في اتباع
الباطل والكذب على الله وتكذيب رسله والاستهزاء بالمؤمنين **أولئك حبطت
أعمالهم** يعني بطلت أعمالهم **في الدنيا والآخرة** يعني أن أعمالهم لا تنفعهم في الدنيا
ولا في الآخرة بل يعاقبون عليها **وأولئك هم الخاسرون** قال والمعنى أنه كما بطلت
أعمال الكفار الماضين وخسروا تبطل أعمالكم أيها المنافقون وتخسرون
ق عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب

لا ينفعكم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن قوله تعالى **ألم يأتهم** رجع من الخطاب إلى الغيبة يعني ألم يأت هؤلاء المنافقين والكفار وهو استفهام بمعنى التقرير أي قد أتاهم **نبأ** يعني خبر **الذين من قبلهم** يعني الأمم الماضية الذين خلوا من قبلهم كيف أهلكناهم حين خالفوا أمرنا وعصوا رسلنا ثم ذكرهم فقال تعالى **قوم نوح** يعني أنهم أهلكوا بالطوفان **وعاد** أهلكوا بالريح العقيم **وثمود** أهلكوا بالرجفة **وقوم إبراهيم** بسلب النعمة وكان هلاك نمرود ببعوضة **وأصحاب مدين** وهم قوم شعيب أهلكوا بيوم الظلة **والمؤتفكات** يعني المنقلبات التي جعل الله عاليها سافلها وهي مدائن قوم لوط وإنما ذكر الله عز وجل هذه الطوائف الستة لأن آثارهم باقية وبلادهم الشام والعراق واليمن وكل ذلك قريب من أرض العرب فكانوا يمرون عليهم ويعرفون أخبارهم **أتتهم رسلهم بالبينات** يعني بالمعجزات الباهرات والحجج الواضحات الدالة على صدقهم فكذبوهم وخالفوا أمرنا كما فعلتم أيها الكفار والمنافقون فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصابهم بتعجيل النقمة كما عجلت لهم **فما كان الله ليظلمهم** يعني بتعجيل العقوبة لهم **ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** يعني الذين استحقوا من سبب ظلمهم العقوبة لأنفسهم

قوله عز وجل والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض لما وصف الله تعالى المنافقين بالأعمال الخبيثة والأحوال الفاسدة ثم ذكر بعده ما أعد لهم من أنواع الوعيد في الدنيا والآخرة عقبه بذكر أوصاف المؤمنين وأعمالهم الحسنة وما أعد لهم من أنواع الكرامات والخيرات في الدنيا والآخرة فقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يعني في الموالاة في الدين واتفاق الكلمة والعون والنصرة **فإن قلت** إنه تعالى قال في وصف المنافقين بعضهم من بعض وقال في وصف المؤمنين بعضهم أولياء بعض فما الفائدة في ذلك **قلت** لما كان نفاق الأتباع وكفرهم إنما حصل بتقليد المتبوعين وهم الرؤساء والأكابر وتحصل بمقتضى الطبيعة أيضا قال فيهم بعضهم من بعض ولما كانت الموافقة الحاصلة بين المؤمنين بتسديد الله وتوفيقه وهدايته لهم لا بمقتضى الطبيعة وهوى النفس وصفهم بأن بعضهم أولياء بعض فظهر الفرق بين الفريقين وظهرت الفائدة وقوله تعالى **يأمرون بالمعروف** يعني بالإيمان بالله ورسوله واتباع أمره والمعروف كلما عرف في الشرع من خير وبر وطاعة **وينهون عن المنكر** يعني عن الشرك والمعصية والمنكر كلما ينكره الشرع وينفر منه الطبع وهذا في مقابلة ما وصف به المنافقون وضده **ويقيمون الصلاة** يعني الصلاة المفروضة ويتمون أركانها وحدودها **ويؤتون الزكاة** يعني الواجبة عليهم وهو في مقابلة ويقبضون أيديهم **ويطيعون الله ورسوله** يعني فيما يأمرهم به وهو في مقابلة نسوا الله فنسيهم **أولئك** يعني المؤمنين والمؤمنات الموصوفين بهذه الصفات **سيرحمهم الله** لما ذكر الله ما وعد به المنافقين من العذاب في نار جهنم ذكر ما وعد به المؤمنين من الرحمة والرضوان وما أعد لهم في الجنان والسين في سيرحمهم الله للمبالغة وللتوكيد **إن الله عزيز حكيم** وهذا يوجب المبالغة في الترغيب والترهيب لأن العزيز هو الذي لا يمتنع عليه شيء أراده فهو قادر على إيصال الرحمة لمن أراد وإيصال العقوبة لمن أراد والحكيم هو الذي يدبر عباده على ما يقتضيه العدل والإنصاف وعد الله المؤمنين

والمؤمنات

فقيل

والمؤمنات **جنات تجري من تحتها الأنهار** لما ذكر في الآية المتقدمة وعيد المنافقين وما أعد لهم في نار جهنم من العذاب ذكر في هذه الآية ما وعد به المؤمنين من الجنة والثواب قال والمراد بالجنات التي تجري من تحتها الأنهار البساتين التي يحير في حسنها الناظر لأنه تعالى قال **ومساكن طيبة في جنات عدن** والمعطوف يجب أن يكون مغايرا للمعطوف عليه فيكون مساكنهم في جنات عدن ومناظرهم الجنات التي هي البساتين فتكون جنات عدن هي المساكن التي يسكنونها والجنات الأخر هي البساتين الذي يتنزهون فيها فهذه فائدة المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه والفرق بينهما **ومساكن طيبة** يعني ومنازل يسكنونها طيبة **في جنات عدن** يعني في بساتين خلد وإقامة يقال عدن بالمكان إذا أقام به

روى الطبري بسنده عن عمران بن حصين وأبي هريرة قالا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية ومساكن طيبة في جنات عدن قال قصر من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زمردة خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من طعام في كل بيت سبعون وصيفة ويعطى المؤمن من القوة في غداة ما يأتي على ذلك كله أجمع وروى بسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن داره يعني دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر وهي مسكنه ولا يسكنها معه من بني آدم غير ثلاثة النبيين والصديقين والشهداء يقول الله عز وجل طوبى لمن دخلك هكذا رواه الطبري فإن صحت هذه الرواية فلا بد من تأويلها فقوله عدن داره يعني دار الله هو من باب حذف المضاف تقديره عدن دار أولياء الله التي أعدها لأوليائه وأهل طاعته والمقربين من عباده **عن أبي موسى الأشعري** رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن أخرجه البخاري ومسلم وقال عبد الله بن مسعود عدن بطنان الجنة يعني في وسطها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص إن في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة آلاف باب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد وقال عطاء بن السائب عدن نهر في الجنة خيامه على حافتيه وقال مقاتل والكلبي عدن أعلى درجة في الجنة فيها عين التسنيم والجنان حولها محدقة بها وهي مغطاة من حين خلقها الله عز وجل حتى ينزلها أهلها الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله وفيها قصور الدر والياقوت والذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الأبيض قال الإمام فخر الدين حاصل هذا الكلام أن في جنة عدن قولان أحدهما أنه اسم علم لموضع معين في الجنة وهذه الأخبار والآثار تقوي هذا القول قال صاحب الكشاف وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن عباده والقول الثاني أنه صفة للجنة قال الأزهري مأخوذ من قولك عدن بالمكان إذا أقام به يعدن عدونا فبهذا الاشتقاق قالوا الجنات

فمن

الحور

ر

كلها جنات عدن وعزته تعالى **ورضوان من الله أكبر** يعني أن رضوان الله الذي ينزل
عليهم أكبر مما سلف ذكره من نعيم الجنة **ذلك هو الفوز العظيم** إشارة إلى ما تقدم
ذكره من نعيم الجنة والرضوان (ق) عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك يا ربنا وسعديك
والخير في يديك فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم
تعط أحدا من خلقك فيقول ألا أعطيكم أفضل من ذلك فيقولون وأي شيء أفضل من
هذا فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط بعده عليكم أبدا **قوله تعالى**
يا أيها النبي جاهد الكفار يعني بالسيف والمحاربة **والمنافقين** يعني
وجاهد المنافقين واختلفوا في صفة جهاد المنافقين وسبب هذا الاختلاف
أن المنافق هو الذي يبطن الكفر ويظهر الإسلام ولما كان الأمر كذلك لم تجز مجاهدته
بالسيف والقتال لإظهاره الإسلام فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه أمر الله نبيه
صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان وإذهاب الرفق
عنهم وهذا قول الضحاك وقال ابن مسعود بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم
يستطع فبقلبه فإن لم يستطع فليكفهر في وجهه وقال الحسن وقتادة بإقامة الحدود
عليهم يعني إذا تعاطوا أسبابها وهذا القول فيه بعد لأن إقامة الحدود واجبة
على من لم ينافق فلا تعلق لإقامة الحدود على المنافق وإنما قال الحسن وقتادة
ذلك لأن غالب من كان يتعاطى أسباب الحدود فتقام عليهم في زمن النبي صلى
الله عليه وسلم المنافقين قال الطبري وأولى الأقوال قول ابن مسعود لأن الجهاد
عبارة عن بذل الجهد وقد دلت الآية على وجوب جهاد المنافقين وليس في الآية
ذكر كيفية ذلك الجهاد فلا بد من دليل منفصل وقد دلت الدلائل المنفصلة أن
الجهاد مع الكفار إنما يكون بالسيف ومع المنافقين بإظهار الحجة عليهم تارة
وبترك الرفق بهم تارة وهذا قول ابن مسعود **واغلظ عليهم** يعني اشدد عليهم
بالجهاد دون الإرهاب **ومأواهم جهنم وبئس المصير** يعني أن جهنم مسكنهم وبئس
المصير مصيرهم إليها **فإن قلت** كيف ترك النبي صلى الله عليه وسلم أولئك
المنافقين بين أظهر أصحابه مع علمه بهم وبحالهم **قلت** إنما أمر الله عز
وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بقتال من أظهر كلمة الكفر وأقام على إظهارها فأما
من تكلم بالكفر في السر فإذا اطلع عليه أنكره ورجع عنه وقال إني مسلم فإنه يحكم
بإسلامه في الظاهر في حقن دمه وماله وولده وإن كان هو معتقدا غير ذلك في
الباطن لأن الله تعالى أمر بإجراء الأحكام على الظواهر فلذلك أجرى النبي صلى الله عليه
وسلم المنافقين على ظواهرهم ووكل سرائرهم إلى الله لأنه العالم بأحوالهم وهو
يجازيهم في الآخرة بما يستحقونه **قوله عز وجل يحلفون بالله ما قالوا**
ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم اختلف المفسرون فيمن نزلت
هذه الآية فقال عروة بن الزبير نزلت في الجلاس بن سويد أقبل هو وابن امرأته
مصعب من قباء فقال الجلاس إن كان ما جاء به محمد حقا فنحن شر من حميرنا هذه التي
نحن عليها فقال مصعب أما والله يا عدو الله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بما قلت وخفت أن ينزل في القرآن وأن تصيبني قارعة وأن أخلط بخطيئته
فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أقبلت أنا والجلاس من قباء فقال

بنو الله هو

كذا وكذا ولولا أن أخاف أن أخلط بخطيئته أو تصيبني قارعة ما أخبرتك قال فدعا
الجلاس فقال له يا جلاس أقلت ما قال مصعب فحلف ما قال فأنزل الله عز وجل يحلفون
بالله ما قالوا الآية **وروي** عن مجاهد نحوه وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا في ظل حجرة فقال إنه سيأتيكم إنسان
ينظر إليكم بعيني الشيطان فإذا جاء فلا تكلموه فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق
فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني أنت وأصحابك فانطلق
الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما قالوا وما فعلوا حتى تجاوز عنهم فأنزل
الله يحلفون بالله ما قالوا ثم نعتهم جميعا إلى آخر الآية وقال قتادة ذكر لنا أن
رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة والآخر من غفار وكانت جهينة حلفاء الأنصار
فظهر الغفاري على الجهني فقال عبد الله بن أبي ابن سلول للأوس انصروا أخاكم
والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك وقال لئن رجعنا
إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فسعى بها رجل من المسلمين إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فأرسل إليه فسأله فجعل يحلف بالله ما قاله فأنزل الله هذه الآية
هذه روايات الطبري وذكر البغوي عن الكلبي قال نزلت في الجلاس بن سويد وذلك
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين وسماهم
رجسا وعابهم فقال الجلاس لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير فلما انصرف
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قال
الجلاس فقال الجلاس كذب يا رسول الله فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يحلفا عند المنبر فقام الجلاس عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا إله
إلا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر فحلف بالله الذي لا إله إلا هو لقد قاله وما
كذبت عليه ثم رفع عامر يديه إلى السماء فقال اللهم أنزل على نبيك تصديق الصادق
منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون آمين فنزل جبريل عليه
السلام قبل أن يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فإن يتوبوا يك خيرا لهم فقام الجلاس
فقال يا رسول الله أسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما قال
لقد قلته وأنا أستغفر الله وأتوب إليه فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
منه ثم تاب وحسنت توبته فذلك قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا **ولقد**
قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم يعني أظهروا كلمة الكفر بعد الإسلام
وتلك الكلمة هي سب النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هي كلمة الجلاس بن سويد
لئن كان محمد صادقا لنحن شر من الحمير وقيل كلمة ابن أبي ابن سلول لئن رجعنا إلى المدينة
ليخرجن الأعز منها الأذل وستأتي القصة إن شاء الله تعالى في سورة المنافقين
في موضعها **وهموا بما لم ينالوا** قال مجاهد هم الجلاس بقتل الذي سمع مقالته
خشية أن يفشيها عليه وقيل هم عبد الله بن أبي ابن سلول وكان الذي هم به قوله
لئن رجعنا إلى المدينة فلم ينله وقيل هم اثنا عشر من المنافقين بقتل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووقفوا على العقبة وقت رجوعه من تبوك ليقتلوه فجاء جبريل
عليه السلام فأخبره وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم فأرسل حذيفة
لذلك وقال السدي قال المنافقون إنا إذا رجعنا إلى المدينة عقدنا على
رأس عبد الله بن أبي ابن سلول تاجا فلم يصلوا إليه **وما نقموا إلا أن أغناهم الله**

ورسوله من فضله يعني وما أنكروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله لأن المنافقين علموا بضد ذلك الواجب فجعلوا موضع شكر النبي صلى الله عليه وسلم أن نقموا عليه وقيل إنهم بطروا النعمة فبطروا النعمة وأشروا وقال ابن قتيبة معناه ليس ينقمون شيئا ولا يتعرفون من الله إلا الصنع وهذا كقول الشاعر

ما نقم الناس من أمية إلا ... أنهم يحلمون إن غضبوا

وهذا ليس مما ينقم وإنما أراد أن الناس لا ينقمون عليهم شيئا وهو كقول النابغة

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

أي ليس فيهم عيب قال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنائم فعلى هذا القول يكون الكلام عاما وقال عروة كان الجلاس قتل له مولى فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته فاستغنى وقال قتادة كانت لعبد الله بن أبي دية فأخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم له وقال عكرمة إن مولى لبني عدي قتل رجلا من الأنصار فقضى له النبي صلى الله عليه وسلم بالدية اثني عشر ألفا وفيه نزلت وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله **فإن يتوبوا يك خيرا لهم** يعني فإن يتوبوا من كفرهم ونفاقهم يكن ذلك خيرا لهم في العاجل والآجل **وإن يتولوا** يعني وإن يعرضوا عن الإيمان والتوبة ويصروا على الكفر والنفاق **يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا** يعني بالخزي والإذلال **والآخرة** أي ويعذبهم في الآخرة بالنار **وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير** يعني وليس لهم أحد يمنعهم من عذاب الله أو ينصرهم في الدنيا والآخرة **ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن** الآية روى البغوي بسنده عن الثعلبي عن أبي أمامة الباهلي قال جاء ثعلبة بن حاطب الأنصاري إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما لك في رسول الله أسوة حسنة والذي نفسي بيده لو أردت أن تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم أتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لأعطين كل ذي حق حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها وهي تنمو كما ينمو الدود وكان يصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي في غنمه سائر الأوقات ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة أيضا فصار لا يشهد إلا الجمعة ثم كثرت ونمت حتى تباعد عن المدينة حتى صار لا يشهد جمعة ولا جماعة فكان إذا كان يوم جمعة خرج يتلقى الناس يسألهم عن الأخبار فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة فقالوا يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنما

ما يسعها

ما يسعها واديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة فأنزل الله آية الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم ورجلا من جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة وكيف يأخذان وقال لهما مرا على ثعلبة بن حاطب ورجل من بني سليم وخذا صدقاتهما فأتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه إلا الجزية ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلي فانطلقا وسمع بهما السلمي فنظر إلى خيار أسنان إبله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها قالا ما هذه عليك قال خذاه فإن نفسي بذلك طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات ثم رجعا إلى ثعلبة فقال أروني كتابكما فقرأه فقال ما هذه إلا جزية ما هذه إلا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيي قال فأقبلا فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يتكلما يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة ثم دعا للسلمي بخير وأخبراه بالذي صنع ثعلبة فأنزل الله ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الآية إلى قوله بما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة لقد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال إن الله منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو التراب على رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقته رجع إلى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى أبا بكر فقال اقبل صدقتي فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنا لا أقبلها قال فقبض أبو بكر ولم يقبلها منه فلما ولي عمر رضي الله تعالى عنه أتاه فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فأنا لا أقبلها منك ثم ولي عثمان فأتاه فلم يقبلها منه وهلك في خلافة عثمان وأخرجه الطبري أيضا بسنده وقال بعض العلماء إنما لم يقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة ثعلبة لأن الله تعالى منعه من قبولها مجازاة له على مخالفته ما عاهد الله عليه وإهانة له على قوله إنما هي جزية أو أخت الجزية فلما صدر منه هذا القول ردت صدقته عليه إهانة له وليعتبر غيره به فلا يمتنع من بذل الصدقة عن طيب نفس بإخراجها ويرى أنها واجبة عليه وأنه يثاب على إخراجها ويعاقب على منعها وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه إن ثعلبة أتى مجلسا من مجالس الأنصار فأشهدهم لئن آتاني الله من فضله آتيت منه كل ذي حق حقه وتصدقت به ووصلت القرابة فمات ابن عم له فورث منه مالا فلم يف بما عاهد الله عليه فأنزل الله فيه هذه الآية وقال الحسن ومجاهد نزلت في ثعلبة ومعتب بن قشير وهما من بني عمرو بن عوف خرجا على ملأ قعود فقالا لئن رزقنا الله من فضله لنصدقن فلما رزقهما الله بخلا به وقال السائب إن حاطب بن أبي بلتعة كان له مال بالشام فأبطأ عليه فجهد لذلك جهدا شديدا فحلف بالله لئن آتانا الله من فضله هو يعني ذلك المال لأصدقن منه ولأصلن فلما أتاه ذلك المال لم يف بما عاهد

الله

منافقين
الله عليه فانزل الله هذه الاية وحاصله ان ظاهر الاية يدل على ان بعض المنافقين
عاهد الله لئن اتاه من فضله ليصدقن وليفعلن انواع الخيرات البر والصلة
فلما اتاه الله من فضله ما سأله لم يف بما عاهد الله عليه ومعنى الاية ومن المنافقين
من اعطى الله عهده لئن رزقنا من فضله بان يوسع علينا من الرزق لنصدقن
ولنخرجن من ذلك المال صدقة **ولنكونن من الصالحين** يعني ولنعملن في
ذلك المال ما يعمله اهل الصلاح باموالهم من صلة الارحام والانفاق في سبيل الله
وجميع وجوه البر والخير واخراج الزكاة وايصالها الى اهلها والصالح ضد المفسد
هو الذي يبخل بما يلزمه في حكم الشرع وقيل ان المراد بقوله لنصدقن اخراج
الزكاة الواجبة وقوله ولنكونن من الصالحين اشارة الى كل ما يفعله اهل
الصلاح على الاطلاق من جميع اعمال البر والطاعة **فلما اتاهم من فضله بخلوا به**
يعني فلما رزقهم الله لم يخرجوا من اموالهم شيئا **وتولوا** عما عاهدوا الله عليه
وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم يعني فاعقبهم الله نفاقا يقال
صيرهم منافقين يقال اعقب فلان ندامة اذا صيرت عاقبة امره ذلك وقيل
معناه انه تعالى عاقبهم بنفاق قلوبهم **الى يوم يلقونه** يعني انه تعالى حرمهم التوبة
الى يوم القيامة فيوافونه على النفاق فيجازيهم عليه **بما اخلفوا الله ما وعدوه**
يعني الصدقة والانفاق في سبيله **وبما كانوا يكذبون** يعني في قولهم لنصدقن
ولنكونن من الصالحين عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اية المنافق ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا
ائتمن خان عن عبد الله بن عمرو بن العاص ق قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خلة وفي رواية
خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها اذا حدث كذب واذا
عاهد غدر واذا وعد اخلف واذا خاصم فجر قال الشيخ محيي الدين النووي
في هذا الحديث مما عده جماعة من العلماء مشكلا من الاحاديث لان هذه
الخصال قد توجد في المسلم الذي ليس فيه شك **وقد اجمع** العلماء على ان
من كان مصدقا بقلبه ولسانه وفعل هذه الخصال [illegible] لبعض السلف
ولبعض العلماء بعض هذا او كله قال الشيخ هذا بحمد الله اشكال ولكن اختلف
العلماء في معناه فقيل ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبيه بالمنافقين
في هذه الخصال ومتخلق باخلاقهم فان النفاق هو اظهار ما يبطن خلافه
وهذا موجود في صاحب هذه الخصال فيكون نفاقه في حق من حدثه ووعده
وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس لا انه منافق في الاسلام يظهره ويبطن
الكفر ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم بهذا انه منافق نفاق الكفار
المخلدين في الدرك الاسفل من النار وقوله صلى الله عليه وسلم كان منافقا
خالصا معناه كان شديد الشبه بالمنافقين بسبب هذه الخصال قال
بعض العلماء وهذا فيمن كانت هذه الخصال غالبة عليه فاما من يندر ذلك منه
فليس داخلا فيه هذا هو المختار في معنى الحديث وقال جماعة من
العلماء المراد به المنافقون الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فانهم
حدثوا في ايمانهم فكذبوا وائتمنوا على دينهم فخانوا ووعدوا في امر الدين ونصره

فاخلفوا

فاخلفوا وفجروا في خصوماتهم وهذا قول سعيد بن جبير وعطاء بن ابي رباح
ورجع اليه الحسن البصري بعد ان كان على خلافه وهو مروي عن ابن عباس وابن
عمر ورواه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال القاضي عياض واليه مال اكثر ائمتنا
وحكى الخطابي قولا اخر هو ان معناه التحذير للمسلم ان يعتاد هذه الخصال وحكى
ايضا عن بعضهم ان الحديث قد ورد في رجل بعينه منافق وكان النبي صلى الله عليه وسلم
لا يواجههم بصريح القول فيقول فلان منافق وانما يشير اشارة كقوله صلى الله عليه
وسلم ما بال اقوام يفعلون كذا والله اعلم **وقال الامام** فخر الدين الرازي
ظاهر هذه الاية يدل على ان نقض العهد وخلف الوعد يورث النفاق فيجب على المسلم
ان يبالغ في الاحتراز عنه فاذا عاهد امرا فليجتهد بالوفاء به وقوله تعالى **الم**
يعلموا يعني هؤلاء المنافقين **ان الله يعلم سرهم ونجواهم** ويعلم ما يناجي
به بعضهم بعضا فيما بينهم والنجوى هو الخفي يكون بين القوم والمعنى انهم يعلمون
ان الله يعلم جميع احوالهم لا يخفى عليه شيء منها **وان الله علام الغيوب** وهذا
مبالغة في العلم بان الله تعالى عالم بجميع الاشيا فكيف يخفى عليه احوالهم
قوله عز وجل الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات
الاية ق عن ابي مسعود البدري قال لما نزلت اية الصدقة كنا نحامل على
ظهورنا فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا مرائي وجاء رجل فتصدق بصاع
فقالوا ان الله لغني عن هذا فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في
الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم الاية قال ابن عباس رضي الله عنه
وغيره من المفسرين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد
الرحمن بن عوف باربعة الاف درهم وقال يا رسول الله مالي ثمانية الاف جئتك
باربعة الاف فاجعلها في سبيل الله وامسكت اربعة الاف لعيالي فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله
في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة
وستون الف درهم وتصدق يومئذ عاصم بن عدي العجلاني بمائة وسق
من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري واسمه الحبحاب بصاع من تمر وقال يا رسول
الله بت ليلتي اجر بالجرير الماء حتى نلت صاعين من تمر فامسكت احدهما
لعيالي واتيتك بالاخر فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره في الصدقات
فلمزهم المنافقون فقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان الله ورسوله
لغنيان عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقة
فانزل الله الذين يلمزون المطوعين يعني المتبرعين من المؤمنين يعني عبد
الرحمن بن عوف وعاصم بن عدي في الصدقات والتطوع التنفل بما ليس
بواجب عليه **والذين لا يجدون الا جهدهم** يعني ابا عقيل الانصاري والجهد
بالضم الطاقة وهي لغة اهل الحجاز وبالفتح لغة غيرهم وقيل الجهد بالضم
الطاقة وبالفتح المشقة وقد يكون القليل في المال الذي يأتي به فيتصدق
به لان الغني اخرج ذلك المال الكثير عن قدرة وهذا الفقير الذي اخرج القليل
انما اخرجه عن ضعف وجهد وقد يؤثر المحتاج اليه المال لغيره رجاء ما عند الله
تعالى كما قال تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة **فيسخرون منهم**

يعني ان المنافقين قد كانوا يستهزءون بالمؤمنين في انفاقهم المال في طاعة الله
وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وهو قولهم لقد كان غنيا عن صدقة هؤلاء فانهم
كانوا يعيبون الفقير الذي يتصدق بالقليل ويقولون ان الله لغني يحتاج اليه
فكيف يتصدق به وجوابهم ان كل من يرجو ما عند الله من الخير والثواب بذل
الموجود لينال ذلك الثواب الموعود به وقوله تعالى سخر الله منهم يعني ان الله
جازاهم على سخريتهم بان وضعهم ذلك وهو قوله ولهم عذاب اليم يعني في الآخرة
قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن
يغفر الله لهم قال المفسرون لما نزلت الآيات المتقدمة في المنافقين وبان
نفاقهم وظهر للمؤمنين جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون اليه
ويقولون استغفر لنا فنزلت استغفر لهم او لا تستغفر لهم يا محمد وهذا كلام
خرج الامر ومعناه الخبر تقديره استغفر لهم يا محمد او لا تستغفر لهم ان تستغفر
لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وانما خص السبعين من العدد في الذكر لان
العرب كانت تستكثر السبعين ولهذا كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صلى
على عمه حمزة رضي الله تعالى عنه وارضاه سبعين تكبيرة ولان آحاد السبعين سبعة
وهو عدد شريف فان السموات سبع والارضين سبع والايام سبع والاقاليم سبع
والبحار سبع والنجوم السيارة سبع فلهذا خص السبعين في الذكر للمبالغة
في اليأس من طمع المغفرة لهم قال الضحاك ولما نزلت هذه الآية قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قد رخص لي فسازيد على السبعين
لهم لعل الله ان يغفر لهم فانزل الله سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم
لن يغفر الله لهم (ق) عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال لما توفي عبد الله بن
ابي بن سلول جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فقام عمر فاخذ بثوب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك ان تصلي عليه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خيرني الله عز وجل فقال استغفر لهم او لا
تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة وسازيد على السبعين قال انه
منافق فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تصل
على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم
فاسقون زاد في رواية فترك الصلاة عليهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله
والله لا يهدي القوم الفاسقين يعني ان هذا الفعل من الله تعالى وهو
ترك العفو عنهم وترك المغفرة من اجل انهم اختاروا الكفر والخروج عن طاعة
الله وطاعة رسوله قوله عز وجل فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله
يعني فرح المخلفون عن غزوة تبوك والمخلف المتروك بمقعدهم يعني بقعودهم
في المدينة خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بعده وعلى هذا المعنى
خلاف بمعنى خلف وهو اسم للجهة المعينة لان الانسان اذا توجه الى قدامه
فمن ترك خلفه فقد تركه بعده وقيل معناه مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حين سار الى تبوك واقاموا بالمدينة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان امرهم
بالخروج الى الجهاد فاختاروا القعود مخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله

تعالى

تعالى وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والمعنى انهم فرحوا بسبب
التخلف وكرهوا الخروج الى الجهاد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الانسان يميل
بطبعه الى ايثار الراحة والقعود مع الاهل والولد ويكره اتلاف النفس والمال
وهو قوله تعالى وقالوا لا تنفروا في الحر وكانت غزوة تبوك في شدة الحر فاجاب
الله عز وجل عن هذا بقوله قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون يعني قل يا محمد
لهؤلاء الذين اختاروا الراحة والقعود خلافك عن الجهاد في الحر ان نار جهنم
التي هي موعدهم في الآخرة اشد حرا من حر الدنيا لو كانوا يعلمون قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر الناس ان ينبعثوا معه
وذلك في الصيف فقال رجال يا رسول الله الحر شديد ولا نستطيع الخروج فلا
تنفر في الحر فقال الله عز وجل قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون فامره الله
تعالى بالخروج للجهاد فليضحكوا قليلا يعني فليضحك هؤلاء الذين
تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحين قليلا في الدنيا الفانية بتخلفهم
خلافه وليبكوا كثيرا يعني مكان ضحكهم في الدنيا وهذا وان ورد بصيغة
الامر الا ان معناه الاخبار والمعنى انهم ان فرحوا وضحكوا طول اعمارهم في الدنيا
فهو قليل بالنسبة الى الدائم الباقي قليل جزاء بما كانوا يكسبون يعني ان ذلك
البكاء في الآخرة جزاء لهم على ضحكهم واعمالهم الخبيثة في الدنيا عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا وروى البغوي بسنده عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا ان
تبكوا فتباكوا فان اهل النار يبكون في النار حتى تسيل دموعهم في وجوههم كانها
جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدماء فتقرح العيون فلو ان سفنا ازجيت
فيها لجرت والله اعلم قوله عز وجل فان رجعك الله يعني فان ردك
الله يا محمد من غزوتك هذه الى طائفة منهم يعني الى المتخلفين عنك وانما
قال منهم لانه ليس كل من تخلف بالمدينة عن غزوة تبوك كان منافقا مثل اصحاب
الاعذار فاستأذنوك للخروج يعني فاستأذنك المنافقون الذين تخلفوا عنك
وتحققت نفاقهم في الخروج معك الى غزوة اخرى فقل لن تخرجوا معي ابدا
يعني قل يا محمد لهؤلاء الذين طلبوا الخروج وهم مقيمون على نفاقهم لن تخرجوا
معي ابدا الا الى غزوة ولا الى سفر ولن تقاتلوا معي عدوا انكم يعني لانكم
رضيتم بالقعود اول مرة يعني انكم رضيتم بالتخلف عن غزوة تبوك
فاقعدوا مع الخالفين يعني مع المتخلفين من النساء والصبيان وقيل مع المرضى
والزمنى وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه مع الذين تخلفوا بعذر وقيل مع الخالفين
يقال صاحبه خالف اذا كان مخالفا كثير الخلاف وفي الآية دليل على ان الرجل اذا
ظهر منه مكر وخداع وبدعة يجب الانقطاع عنه وترك مصاحبته لان الله تعالى
منع المنافقين من الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد مشعرا باظهار نفاقهم
وذمهم وطردهم وابعادهم لما علم من مكرهم وخداعهم اذا خرجوا الى الغزوات قوله
عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا الآية قال قتادة بعث
عبد الله بن ابي بن سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه قال فنهاه

عمر عن ذلك فاتاه نبي الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم
قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله لم ابعث اليك لتؤنبني ولكن بعثت اليك
لتستغفر لي وساله قميصه ان يكفن فيه فاعطاه اياه واستغفر له رسول الله صلى
الله عليه وسلم فمات وكفن في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث في جلده
ودلاه في قبره فانزل الله تعالى ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على
قبره الاية خ عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه قال لما مات عبد الله بن ابي
ابن سلول دعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله صلى
الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله اتصلي على ابن ابي بن سلول وقد قال ى
يوم كذا وكذا كذا وكذا اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
اخر عني يا عمر فلما اكثرت عليه قال اما اني خيرت فاخترت لو اعلم اني ان زدت على
السبعين يغفر له لزدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى انزلت الايتان من براءة ولا تصل على احد منهم
مات ابدا ولا تقم على قبره الى قوله وهم فاسقون قال فعجبت بعد من جرأتي
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله اعلم واخرجه الترمذي
وزاد فيه فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره حتى
قبضه الله تعالى خ م عن جابر رضي الله تعالى عنه قال اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عبد الله بن ابي بعد ما ادخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه
ونفث فيه من ريقه والبسه قميصه والله اعلم قال وكان كسا عباسا قميصا
قال سفيان وقال ابو هريرة وكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصان
فقال له ابن عبد الله يا رسول الله البس ابي قميصك الذي يلي جلدك
قال سفيان فيرون ان النبي صلى الله عليه وسلم البس عبد الله قميصه مكافاة
لما صنع ● وفي رواية عن جابر قال لما كان يوم بدر اتي بالاسارى واتي
بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصا فوجدوا
قميص عبد الله بن ابي بن سلول يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم
اياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي البسه ● ● ● ● ●

فصل

قد وقع في هذه الاحاديث التي تتضمن قصة موت عبد الله
ابن ابي بن سلول المنافق صورة اختلاف الروايات ففي حديث ابن عمر المتقدم
انه لما توفي عبد الله بن ابي بن سلول اتى ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فساله ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه وان يصلي عليه فاعطاه قميصه
وصلى عليه وفي حديث عمر بن الخطاب من افراد البخاري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دعي ليصلي عليه وفي حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم
اتاه بعد ما ادخل حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث عليه
من ريقه والبسه قميصه ووجه الجمع بين هذه الروايات انه صلى الله عليه
وسلم اعطاه قميصه فكفن فيه ثم انه صلى عليه وليس في حديث جابر ذكر
الصلاة عليه فالظاهر والله اعلم انه صلى الله عليه وسلم صلى عليه اولا كما في
حديث عمر وابن عمر ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه ثانيا بعد ما ادخل
حفرته فاخرج منها فنزع عنه القميص الذي اعطاه وكفن فيه لينفث عليه من ريقه

ثم انه صلى الله عليه وسلم البسه قميصه بيده الكريمة فعل هذا كله بعبد الله
ابن ابي تطييبا لقلب عبد الله فانه كان صحابيا مسلما صالحا مخلصا واما في [illegible]
قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاده في مرضه وانه ساله ان يستغفر
له وان يعطيه قميصه وان يصلي عليه فاعطاه قميصه واستغفر له وصلى عليه
ونفث في جلده ودلاه في حفرته فهذه جملة القول ظاهرها الترتيب وان
المراد بهذا الترتيب توفيقا بين الاحاديث فيكون قوله ونفث في جلده ودلاه
في قبره جملة منقطعة عما قبلها يعني انه صلى الله عليه وسلم فعل ذلك بعد
ما اعطاه القميص وبعد ان صلى عليه والله اعلم وفي شرح صحيح مسلم
ان عبد الله بن ابي بن سلول كان سيد الخزرج في اخر جاهليتهم فلما ظهر النبي
صلى الله عليه وسلم وانصرف اليه الخزرج و[illegible] حسده وناصبه
العداوة غير ان الاسلام غلب عليه فنافق فكان راسا في المنافقين واعظمهم
نفاقا واشدهم كفرا وكان المنافقون كثيرا حتى لقد روي عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنه انه قال كانوا ثلثمائة رجل ومائة وسبعون امراة وكان ولده
عبد الله يعني ولد عبد الله بن ابي من فضلاء الصحابة واصدقهم اسلاما واكثرهم
عبادة واشرحهم صدرا وكان ابر الناس بابيه ومع ذلك فقد قال يوما
للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انك لتعلم اني من ابر الناس لابي
ان امرتني ان اتيك براسه فعلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل
[illegible] عنه وكان من احرص الناس على اسلام ابيه وعلى ان ينتفع من بركات
النبي صلى الله عليه وسلم ان يعطيه قميصه ليكفنه فيه فينال من بركته
فاعطاه وساله ان يصلي عليه فصلى عليه كل ذلك اكراما لابنه عبد الله
واسعافا له ولطلبته وقول عمر رضي الله تعالى عنه اتصلي عليه وقد نهاك
الله ان تصلي عليه فيحتمل ان يكون قبل نزول ولا تصل على احد منهم مات
ابدا ويظهر من هذا السياق ان عمر وقع في خاطره ان الله تعالى نهاه عن
الصلاة عليه فيكون هذا من قبيل الالهام والتحديث الذي شهد له
به النبي صلى الله عليه وسلم ويحتمل ان يكون فهمه من سياق قوله استغفر لهم
او لا تستغفر لهم وهذا التاويلان فيهما بعد قال القرطبي والذي يظهر
لي والله اعلم ان البخاري ذكر هذا الحديث من رواية ابن عباس وسياقه هنا
ابين من هذه وليس فيها في اللفظ فقال عن ابن عباس عن عمر لما مات عبد
الله بن ابي بن سلول دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال عمر فذكر الحديث الى قوله فصلى عليه ثم
انصرف فلم يلبث الا يسيرا حتى انزلت عليه الايتان من براءة وقال الفقير
القرطبي وهذا سياق حسن وتنزيل سهل ليس فيه شيء من الاشكال
المتقدم فهو اولى وقوله صلى الله عليه وسلم ما زدت على السبعين غفر له
لزدت وهذا [illegible] لذلك الوعد المطلق فان الاحاديث يفسر بعضها بعضا
فلذلك قال لو اعلم اني ان زدت على السبعين غفر له لزدت فقد علم انه لا يغفر
له وقوله صلى الله عليه وسلم اني خيرت [illegible] مع قوله تعالى ما كان للنبي
والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين الاية وهذا يفهم منه النهي عن ذلك الاستغفار

لمن تاب كافرا او هو متقدم على الاية التي فيها التخيير **والجواب**
عن هذا الاشكال ان النهي عنه استغفار لمن تحقق موته على الكفر والشرك قال
واما استغفاره لاوليائه المنافقين المخير فيهم علم صلى الله عليه وسلم انه
لا ينفع ولا يشفع وغايته ان وقع وكان تطييبا لقلوب الاحياء من قراباتهم
فانفصل الاستغفار ههنا المنهي عنه من المخير فيه فارتفع الاشكال بحمد الله
والله اعلم وقال الشيخ محيي الدين النواوي انما اعطاه قميصه ليكفنه
فيه تطييبا لقلب ابنه عبد الله فانه كان صحابيا صالحا وقد سال ذلك
واجابه اليه وقيل اعطاه مكافاة لعبد الله بن ابي المنافق الميت لانه
البس قميصه العباس حين اسر يوم بدر قميصا وفي هذا الحديث بيان مكارم
اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم فقد علم ما كان من هذا المنافق من
الايذاء وقابله بالحسنى فالبسه قميصه كفنا وصلى عليه واستغفر له
قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم وقال البغوي قال سفيان بن عيينة
كانت له يد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحب ان يكافيه بها **ويروى**
ان النبي صلى الله عليه وسلم فيما فعل بعبد الله بن ابي فقال
صلى الله عليه وسلم وما يغني عنه قميصي وصلاتي من الله والله اني كنت
ارجوا ان يسلم به الف من قومه لما راه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم
وقوله تعالى **ولا تقم على قبره** اي لا تقف عليه ولا تتول دفنه من قولهم
قام فلان بامر فلان اذا كفاه امره وناب عنه فيه **انهم كفروا بالله
ورسوله وماتوا وهم فاسقون** وهذا تعليل لسبب المنع عن الصلاة
عليه والقيام على قبره ولما نزلت هذه الاية ما صلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم على منافق ولا قام على قبره بعدها **فان قلت**
الفسق ادنى حالا من الكفر ولما ذكر في تعليل هذا النهي كونه كافرا
فما وجه ذكر الفسق وغيره من الفائدة في وصفه فاسقا بعد وصفه
بالكفر **قلت** ان الكافر قد يكون عدلا في نفسه بان يؤدي الامانة
ولا يضمر لاحد سوءا وقد يكون خبيثا في نفسه كثير الكذب والمكر
والخداع واضمار السوء للغير وهذا امر مستقبح عند كل احد ولما كان
المنافق بهذه الصفة الخبيثة وصفهم الله تعالى بكونهم فاسقين بعد
ان وصفهم بالكفر قوله تعالى **ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد
الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون** الكلام في هذه
الاية في مقامين المقام الاول في وجه التكرار والحكمة فيه ان تجدد
النزول له شان في تقرير ما نزل اولا وتاكيده وارادة ان يكون المخاطب
به على حال لا يغفل عنه ولا ينساه وان يعتقد ان العمل به مهم وانما اعيد
هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه وهو اشد الاشياء جذبا للقلوب
والخواطر والاشتغال بالاموال والاولاد وما كان كذلك يجب التحذير
منه مرة بعد اخرى وبالجملة فالتكرير يراد به التاكيد والمبالغة في
التحذير من ذلك الشيء الذي وقع الاهتمام به وقيل ايضا انما كرر هذا
المعنى لانه اراد بالاية الاولى قوما من المنافقين كان لهم اموال واولاد

عند

عند نزولها وبالاية الاخرى اقواما اخرين منهم المقام الثاني في وجه بيان
ما حصل من التفاوت في الالفاظ في هاتين الايتين وذلك انه تعالى قال
في الاية الاولى فلا تعجبك بالفاء وقال هنا ولا تعجبك بالواو والفرق بينهما
ان عطف الاية الاولى على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وصفهم بكونهم
كارهين للانفاق لشدة المحبة للاموال والاولاد فحسن العطف عليه
بالفاء في قوله فلا تعجبك واما هذه الاية فلا تعلق لها بما قبلها فلهذا
اتى بحرف الواو وقال تعالى في الاية الاولى فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم
واسقط حرف لا هنا فقال واولادهم والسبب فيه ان حرف لا دخلت
هناك لزيادة التاكيد ويدل على انهم كانوا معجبين بكثرة الاموال
والاولاد وكان اعجابهم باولادهم اكثر وفي اسقاط حرف لا هنا دليل على انه
لا تفاوت بين الامرين وقال تعالى في الاية الاولى انما يريد الله ليعذبهم
بحرف اللام وقال هنا ان يعذبهم بحرف ان والفائدة فيه التنبيه
على ان التعليل في احكام الله تعالى محال وانه اينما ورد حرف لام فمعناه انه
كقوله وما امروا الا ليعبدوا الله ومعناه وما امروا الا بان يعبدوا
الله وقال تعالى في الاية الاولى في الحيوة الدنيا وقال هنا في الدنيا
والفائدة في اسقاط لفظ الحياة التنبيه على ان الحياة الدنيا بلغت
في الخسة الى حيث انها لا تستحق ان تذكر ولا تسمى حياة بل يجب الاقتصار
عند ذكرها على لفظ الدنيا تنبيها على كمال ذاتها فهذه جملة في ذكر
الفرق بين الالفاظ والله اعلم بمراده واسرار كتابه **قوله
عز وجل واذا انزلت سورة** يحتمل ان يراد بالسورة بعضها لان
اطلاق لفظ الجمع على البعض جائز ويحتمل ان يراد جميع السور فعلى هذا
المراد بالسورة سورة براءة لانها مشتملة على الامر بالايمان والامر
بالجهاد **ان** اي بان **امنوا بالله وجاهدوا مع رسوله** **فان قلت**
كيف يامرهم بالايمان مع كونهم مؤمنين فهو من باب تحصيل الحاصل
قلت معناه الامر بالدوام على الايمان والجهاد في المستقبل وقيل
ان الامر بالايمان يتوجه على كل احد في كل ساعة وقيل ان هذا الامر
وان كان ظاهره العموم لكن المراد به الخصوص وهم المنافقون والمعنى ان
اخلصوا الايمان بالله وجاهدوا مع رسوله وانما قدم الامر بالايمان
على الامر بالجهاد لان الجهاد بغير ايمان لا يفيد اصلا فكانه قيل للمنافقين
الواجب عليكم ان تؤمنوا بالله وتجاهدوا مع رسوله ثانيا حتى يفيدكم
هذا الجهاد فائدة يرجع عليكم نفعها في الدنيا والاخرة وقوله تعالى
استاذنك اولوا الطول منهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه يعني اهل
الغنى وهم اهل القدرة والسعة من المال وهم رؤساء المنافقين وكبراؤهم
وفي تخصيص اولي الطول بالذكر قولان احدهما ان الذم لهم الزم لانهم قادرون على اهبة السفر
والجهاد والقول الثاني انما خص اولوا الطول بالذكر لان العاجز عن السفر والجهاد لا يحتاج
الى الاستئذان **وقالوا** يعني اولوا الطول **ذرنا نكن مع القاعدين** يعني في البيوت
مع النساء والصبيان وقيل مع المرضى والزمنى **رضوا بان يكونوا مع الخوالف** قيل الخوالف

النساء اللاتي يتخلفن في البيوت فلا يخرجن منها والمعنى رضوا بأن يكونوا في تخلفهم عن
الجهاد كالنساء وقيل خوالف جمع خالفة وهم أدنياء الناس وسفلتهم يقال فلان خالفة
من قومه إذا كان دونهم **وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون** يعني وختم على قلوب
هؤلاء المنافقين فهم لا يفقهون مراد الله تعالى في الجهاد قوله تعالى **وجاء المعذرون**
من الأعراب ليؤذن لهم وجاء المعتذرون من أعراب البوادي إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليعتذروا إليه في التخلف عن الغزو معه قال الضحاك وهم رهط عامر بن
الطفيل جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه دفاعا عن أنفسهم
فقالوا يا نبي الله إن نحن غزونا معك تغير أعراب طيء على حلائلنا وأولادنا ومواشينا
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنبأني الله عن أخباركم وسيغني
الله عنكم وقيل هم نفر من بني غفار ورهط خفاف بن إيماء بن رحضة وقيل هم أسد
وغطفان وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم الذين تخلفوا بعذر فأذن لهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنى الآية وجاء المعذرون أي المقصرون يعني
أنهم قصروا ولم يبالغوا فيما اعتذروا به والمعذر من يرى أن له عذرا ولا عذر
له وقيل إن الأصل في هذا اللفظ عند النحاة أنه المعتذرون أدغمت التاء في الذال
لقرب مخرجهما والاعتذار في لغة العرب على قسمين يقال اعتذر إذا كذب في عذره
ومنه قوله تعالى يعتذرون إليكم فرد الله عليهم بقوله قل لا تعتذروا فدل ذلك
على فساد عذرهم وكذبهم فيه ويقال اعتذر إذا أتى بعذر صحيح لا محالة فيه
ومنه قول لبيد. ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر.
يعني فقد جاء بعذر صحيح وقيل هو من التعذير الذي هو التقصير يقال عذر
تعذيرا إذا قصر ولم يبالغ فعلى هذا المعنى يحتمل أنهم كانوا صادقين في اعتذارهم
وأنهم كانوا كاذبين ومن المفسرين قال ومن المفسرين من قال إنهم كانوا صادقين
بدليل أنه تعالى لما ذكرهم قال بعده وقعد الذين كذبوا الله ورسوله فلما فصل
بينهم وميزهم عن الكاذبين ويروى عن أبي عمرو بن العلاء أنه لما قيل هذا
الكلام فقال إن قوما تكلفوا عذرا بباطل فهم الذين عناهم الله تعالى بقوله
وجاء المعذرون وتخلف آخرون لا لعذر ولا لشبهة عذر جرأة على الله فهم
المراد بقوله **وقعد الذين كذبوا الله ورسوله** وهم منافقو الأعراب والذين
ما جاؤوا وما اعتذروا وظهر بذلك أنهم كذبوا على الله ورسوله يعني في ادعائهم
الإيمان **سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم** يعني في الدنيا بالقتل
وفي الآخرة بالنار وإنما قال منهم لأنه تعالى علم أن منهم من سيؤمن ويخلص في إيمانه
فاستثناهم من المنافقين الذين أصروا على الكفر والنفاق وماتوا عليه
قوله عز وجل ليس على الضعفاء لما ذكر الله تعالى المنافقين الذين تخلفوا
عن الجهاد واعتذروا بأعذار باطلة عقبه بذكر أصحاب الأعذار الحقيقية الصحيحة
وعذرهم وأخبر أن فرض الجهاد عنهم ساقط فقال تعالى ليس على الضعفاء والضعيف
هو الصحيح في بدنه العاجز عن الغزو وتحمل مشاق السفر والجهاد مثل الشيوخ
والصبيان والنساء ومن خلق في أصل الخلقة ضعيفا نحيفا ويدل على أن هؤلاء
الأصناف هم الضعفاء أن الله تعالى عطف عليهم المرضى فقال تعالى **ولا على المرضى**
والمعطوف مغاير للمعطوف عليه فالمرضى يدخل فيهم أهل العمى والعرج والزمانة

وكل

وكل من كان موصوفا بمرض يمنعه من التمكن من الجهاد والسفر للغزو **ولا على الذين**
لا يجدون ما ينفقون يعني الفقراء العاجزين عن أهبة الغزو والجهاد فلا يجدون
الزاد والراحلة والسلاح ومؤنة السفر لأن العاجز عن نفقة الغزو معذور **حرج**
أي ليس على هؤلاء الأصناف الثلاثة حرج أي إثم في ذلك التخلف عن الغزو
وقال الإمام فخر الدين الرازي ليس في الآية أنه يحرم عليهم لأن الواحد من هؤلاء لو خرج
ليعين المجاهدين بمقدار القدرة إما بحفظ متاعهم أو بتكثير سوادهم بشرط أن
لا يجعل نفسه كلا ووبالا عليهم فإن ذلك طاعة مقبولة ثم إنه تعالى شرط على
الضعفاء في جواز التخلف عن الغزو شرطا معينا وهو قوله تعالى **إذا نصحوا**
لله ورسوله ومعناه أنهم إذا أقاموا في البلد احترزوا عن إفشاء الأراجيف
وإثارة الفتن وسعوا في إيصال الخير إلى أهل المجاهدين الذين خرجوا إلى الغزو
وقاموا بمصالح بيوتهم وأخلصوا الإيمان والعمل لله تعالى وتابعوا الرسول
صلى الله عليه وسلم فإن جملة هذه الأمور تجري مجرى النصح لله ورسوله
ما على المحسنين من سبيل أي ليس على من أحسن فنصح لله ولرسوله في تخلفه عن الجهاد
بعذر قد أباحه الشارع طريق يتطرق عليه فيعاقب عليه والمعنى أنه سد
بإحسانه طريق العقاب عن نفسه ويستنبط من قوله ما على المحسنين من سبيل أن
كل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله مخلصا من قلبه بأنه ما عليه من
سبيل في نفسه وماله إلا ما أباحه الشرع بدليل منفصل **والله غفور** يعني لمن
تخلف عن الجهاد بعذر ظاهر أباحه الشرع **رحيم** يعني أنه تعالى رحيم بجميع عباده
قال قتادة نزلت هذه الآية في عائذ بن عمرو وأصحابه وقال الضحاك نزلت في عبد الله
ابن أم مكتوم وكان ضرير البصر ولما ذكر الله عز وجل هذه الأقسام الثلاثة
من المعذورين أتبعه بذكر قسم رابع وهو قوله تعالى **ولا على الذين إذا ما أتوك**
لتحملهم يعني ولا حرج ولا إثم في التخلف عنك على الذين إذا ما أتوك لتحملهم يعني
يسألوك الحملان ليبلغوا إلى غزو عدوك وهم في الجهاد معك يا محمد قال
ابن إسحاق نزلت في البكائين وقد كانوا سبعة ونقل الطبري عن محمد بن كعب
وغيره قالوا لما جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يستحملونه فقال
لا أجد ما أحملكم فأنزل الله تعالى هذه الآية وهم سبعة نفر من بني عمرو بن عوف
سالم بن عمير ومن بني واقف حرمي بن عمير ومن بني مازن بن النجار عبد الرحمن بن
كعب يكنى أبا ليلى ومن بني المعلى سلمان بن صخر ومن بني حارثة عبد الرحمن بن
زيد أبو علبة وهو الذي تصدق بعرضه فقبل الله تعالى منه ذلك ومن بني
سلمة عمرو بن غنمة وعبد الله بن عمرو المزني وقال البغوي هم سبعة نفر
سموا البكائين معقل بن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله بن كعب الأنصاري
وعلبة بن زيد الأنصاري وسالم بن عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله بن مغفل
المزني قالوا أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله إن الله عز
وجل قد ندبنا إلى الخروج معك فاحملنا فقال لا أجد ما أحملكم عليه وقال
مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وكانوا ثلاثة إخوة معقل وسويد والنعمان
بنو مقرن وقيل نزلت في العرباض بن سارية ويحتمل أنها نزلت في كل من ذكر قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنه سألوه أن يحملهم على الدواب وقيل بل سألوه أن يحملهم

على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا أجد ما أحملكم عليه فتولوا وهم يبكون فسموا بالبكائين فذلك قوله تعالى **قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع** قال صاحب الكشاف هو كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعها لأن العين جعلت كأنها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل **حزنا ألا يجدوا ما ينفقون** يعني على أنفسهم في الجهاد **إنما السبيل** لما قال الله تعالى ما على المحسنين من سبيل قال تعالى في حق من يعتذر ولا عذر له إنما السبيل يعني إنما يتوجه الطريق بالعقوبة **على الذين يستأذنونك** يا محمد في التخلف عنك والجهاد معك **وهم أغنياء** قادرون على الخروج معك **رضوا بأن يكونوا مع الخوالف** يعني رضوا بالدناءة والضجعة والانتظام في جملة الخوالف وهم النساء والصبيان لأن القعود معهم **وطبع الله على قلوبهم** يعني ختم عليها **فهم لا يعلمون** ما في الجهاد من الخير في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فالفوز بالنصر والظفر وأما في الآخرة فالثواب والنعيم الدائم الذي لا ينقطع أبدا والله تعالى أعلم **قوله تعالى يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم** يعني يعتذر هؤلاء المنافقون المتخلفون عن الجهاد إليكم وإنما ذكر بلفظ الجمع تعظيما له صلى الله عليه وسلم ويحتمل أنهم اعتذروا إليه وإلى المؤمنين فلهذا قال تعالى يعتذرون إليكم الأعذار الباطلة الكاذبة إذا رجعتم إليهم يعني من سفركم **قل** أي قل لهم يا محمد **لا تعتذروا** قال البغوي روي أن المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين فقال الله تعالى قل لا تعتذروا **لن نؤمن لكم** يعني لن نصدقكم فيما تعتذرون به **قد نبأنا الله من أخباركم** يعني قد أخبرنا الله فيما سلف من أخباركم **وسيرى الله عملكم ورسوله** يعني في المستقبل أتتوبون من نفاقكم أم تقيمون عليه وقيل يحتمل أنهم وعدوا بأنهم ينصرون المؤمنين في المستقبل فلهذا قال وسيرى الله عملكم ورسوله هل تفون بما قلتم أم لا **ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة** يعني **فينبئكم بما كنتم تعملون** لأنه هو المطلع على ضمائركم من الخيانة والكذب وإخلاف

قوله عز وجل سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم يعني إذا رجعتم إليهم من سفركم يعني إلى المتخلفين بالمدينة من المنافقين **لتعرضوا عنهم** يعني لتصفحوا عنهم ولا تؤنبوهم بسبب تخلفهم **فأعرضوا عنهم** يعني فدعوهم وما اختاروا لأنفسهم من النفاق وقيل يريد ترك الكلام يعني لا تكلموهم ولا تجالسوهم فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال لا تجالسوهم ولا تكلموهم قال أهل المعاني إن هؤلاء المنافقين طلبوا إعراض الصفح فأعطوا إعراض المقت ثم ذكر العلة في سبب الإعراض عنهم فقال تعالى **إنهم رجس** يعني إن بواطنهم خبيثة نجسة وأعمالهم قبيحة **ومأواهم** يعني مسكنهم **جهنم جزاء بما كانوا يكسبون** يعني من الأعمال الخبيثة في الدنيا قال ابن عباس رضي الله عنه نزلت في الجد بن قيس ومعتب بن قشير وأصحابهما وكانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت في عبد الله بن أبي حلف للنبي صلى الله عليه وسلم بالله الذي لا إله إلا هو أنه لا يتخلف عنه بعدها وطلب من النبي

صلى

صلى الله عليه وسلم أن يرضى عنه فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي بعدها **يحلفون لكم لترضوا عنهم** يعني يحلف لكم هؤلاء المنافقون لترضوا عنهم **فإن ترضوا عنهم** يعني فإن رضيتم عنهم أيها المؤمنون بما حلفوا لكم وقبلتم عذرهم **فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين** يعني أن الله يعلم ما في قلوبهم من النفاق والشك فلا يرضى عنهم أبدا قوله تعالى **الأعراب أشد كفرا ونفاقا** نزلت في سكان البادية يعني أهل البدو أشد كفرا ونفاقا من أهل الحضر قال أهل اللغة يقال رجل عربي إذا كان نسبه في العرب وجمعه العرب ورجل أعرابي إذا كان بدويا يطلب مساقط الغيث والكلأ وجمع الأعرابي الأعراب والأعاريب فمن استوطن القرى والمدن العربية فهم عرب ومن نزل البادية فهم الأعراب والأعرابي إذا قيل له يا عربي فرح بذلك والعربي إذا قيل له يا أعرابي غضب فالعرب أفضل من الأعراب لأن المهاجرين والأنصار وعلماء الدين من العرب والسبب في كون الأعراب أشد كفرا ونفاقا بعدهم عن مجالسة العلماء وسماع القرآن والسنن والمواعظ وهو قوله تعالى **وأجدر** يعني وأخلق وأحرى **أن لا يعلموا** أي بأن لا يعلموا **حدود ما أنزل الله على رسوله** يعني من الفرائض والسنن والأحكام **والله عليم** يعني بما في قلوب عباده **حكيم** فيما فرض من فرائضه وأحكامه **ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما** يعني لا يرجو على إنفاقه ثوابا ولا يخاف على إمساكه عقابا إنما ينفق خوفا ورياء والمغرم التزام ما لا يلزم والمعنى أن من الأعراب من يعتقد أن الذي ينفقه في سبيل الله غرامة لأنه لا يستحق ذلك الأجر فأمر المسلمين أداءه مراءاة لهم ولم يرد بذلك الإنفاق وجه الله وثوابه **ويتربص** يعني وينتظر **بكم الدوائر** يعني بالدوائر تقلب الزمان ودوره فالدائرة التي تأتي مرة بالخير ومرة بالشر قال يمان بن رئاب يعني تقلب الزمان فيموت الرسول ويظهر المشركون **عليهم دائرة السوء** يعني بل تنقلب عليهم الزمان ويدور السوء والبلاء والحزن ولا يرون في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه ودينه إلا ما يسوءهم **والله سميع** يعني لأقوالهم **عليم** يعني بما يخفون في ضمائرهم من النفاق والغش وإرادة السوء للمؤمنين نزلت هذه الآية في أعراب أسد وغطفان وتميم ثم استثنى الله عز وجل فقال تعالى **ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر** قال مجاهد هم بنو مقرن من مزينة وقال الكلبي هم أسلم وغفار وجهينة (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرأيتم إن كان جهينة ومزينة وأسلم وغفار خيرا من بني تميم وبني أسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة فقال رجل خابوا وخسروا فقال نعم هم خير من بني تميم ومن بني أسد وبني عبد الله بن غطفان ومن بني عامر بن صعصعة وفي رواية أن الأقرع بن حابس قال للنبي صلى الله عليه وسلم إنما تابعك سراق الحجيج من أسلم وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة قال النبي صلى الله عليه وسلم أرأيت إن كان أسلم وجهينة وغفار ومزينة وأحسبه قال وجهينة خيرا من بني تميم وبني عامر وأسد وغطفان خابوا وخسروا قالوا نعم (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم أسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها

زاد مسلم في رواية اما اني لم اقلها ولكن الله قالها ق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم قريش والانصار وجهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار موالي ليس لهم مولى دون الله ورسوله قوله تعالى **ويتخذ ما ينفق قربات عند الله** جمع قربة اي يطلب بما ينفق القربة الى الله تعالى **وصلوات الرسول** يعني دعوات ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى **الا انها قربة لهم** يحتمل ان يعود الضمير في انها الى صلاة الرسول ويحتمل انها تعود الى الانفاق وكلاهما عند الله قربة وفي هذا شهادة من الله تعالى للمتصدق المؤمن بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات عند الله وصلوات الرسول مقبولة عند الله لان الله اكد ذلك بحرف التنبيه الا وبحرف التحقيق وهو قوله تعالى انها قربة لهم **سيدخلهم الله في رحمته** وهذه النعمة هي اقصى مرادهم **ان الله غفور** للمؤمنين المتصدقين في سبيله **رحيم** بهم حيث وفقهم لهذه الطاعة

قوله عز وجل والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار اختلف العلماء في السابقين الاولين فقال سعيد وقتادة وابن سيرين وجماعة هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء بن ابي رباح هم اهل بدر وقال الشعبي هم اهل بيعة الرضوان بالحديبية وقال محمد بن كعب القرظي هم جميع الصحابة لانهم حصل لهم السبق بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حميد بن زياد قلت يوما لمحمد بن كعب القرظي الا تخبرني عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بينهم واردت الفتن فقال ان الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم واوجب لهم الجنة فقال في كتابه الا تقرا والسابقون الاولون الى اخر الاية فاوجب الله تعالى لهم الجنة اي لجميع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم زاد في رواية في قوله والذين اتبعوهم باحسان قال شرط في التابعين شريطة وهي ان يتبعوهم في افعالهم الحسنة دون السيئة قال حميد فكاني لم اقرا هذه الاية قط واختلف العلماء في اول الناس اسلاما بعد اتفاقهم على ان خديجة اول الخلق اسلاما واول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعض العلماء اول من اسلم بعد خديجة علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وهذا قول جابر بن عبد الله ثم اختلفوا في سنه وقت اسلامه فقيل كان ابن عشر سنين وقيل اقل من ذلك وقيل اكثر وقيل كان بالغا والصحيح انه لم يكن بالغا وقت اسلامه وقال بعضهم اول من اسلم بعد خديجة ابو بكر الصديق رضي الله عنه وهذا قول ابن عباس والنخعي والشعبي وقال الزهري وعروة بن الزبير اول من اسلم بعد خديجة زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اسحاق بن ابراهيم الحنظلي يجمع بين الروايات فيقول اول من اسلم من الرجال ابو بكر ومن النساء خديجة ومن الصبيان علي بن ابي طالب ومن العبيد زيد بن حارثة رضي الله تعالى عنهم فهؤلاء الاربعة سابقوا الخلق الى الاسلام وقال ابن اسحاق فلما اسلم ابو بكر اظهر اسلامه ودعا الناس الى الله والى رسوله وكان رجلا محببا سهلا وكان انسب قريش لقريش واعلمها بما كان فيها وكان رجلا تاجرا وكان ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه ياتونه ويالفونه لعلمه وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام

من يثق به من قومه فاسلم على يده عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله فجاء بهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلموا على يده وصلوا معه فكان هؤلاء النفر الثمانية اول من سبق الناس الى الاسلام ثم تتابع الناس بعدهم في الدخول الى الاسلام واما السابقون من الانصار فهم الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وهي الاولى وكانوا ستة نفر سعد بن زرارة وعوف بن عفراء ورافع ابن مالك العجلاني ثم قطبة بن عامر وجابر بن عبد الله بن رئاب ثم اصحاب العقبة الثانية وكانوا سبعين رجلا منهم البراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام ابو جابر وسعد بن عبادة وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة فهؤلاء سباق الانصار ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير الى اهل المدينة يعلمهم القرآن فاسلم على يده خلق كثير من الرجال والنساء والصبيان من اهل المدينة وذلك قبل ان يهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقيل ان المراد بالسابقين الاولين من سبق الى الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ان الله تعالى ذكرهم بكونهم سابقين ولم يبين بماذا سبقوا فبقي اللفظ مجملا فلما قال تعالى من المهاجرين والانصار ووصفهم بكونهم مهاجرين وانصارا وجب صرف المجمل السبق وهو الهجرة والنصرة والذي يدل عليه ايضا فان الهجرة طاعة عظيمة ومرتبة عالية من حيث ان الهجرة امر شاق على النفس لمفارقة الوطن والعشيرة وكذلك النصرة فانها مرتبة عالية ومنقبة شريفة لانهم نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واووه ونصروه وواسوه واووا اصحابه وواسوهم فلذلك اثنى الله عز وجل عليهم ومدحهم فقال تعالى والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار

قوله تعالى والذين اتبعوهم باحسان قيل هم بقية المهاجرين والانصار سوى السابقين الاولين فعلى هذا القول يكون الجميع من الصحابة وقيل هم الذين سلكوا سبيل المهاجرين والانصار في الايمان والهجرة والنصرة الى يوم القيامة وقال عطاء هم الذين يذكرون المهاجرين والانصار فيترحمون عليهم ويدعون لهم ويذكرون محاسنهم ق عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران فلا ادري اذكر بعده قرنين او ثلاثة ق عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم وفي رواية احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه اراد بالقرن في الحديث الاول اصحابه والقرن امة من الناس يتقارب بعضهم بعضا واختلفوا في مدته من الزمان فقيل من عشر سنين الى عشرين وقيل من ماية الى ماية وعشرين والمد المذكور في الحديث هو ربع صاع والنصيف نصفه والمعنى لو ان احدا عمل مهما قدر عليه من اعمال البر والانفاق في سبيل الله ما بلغ هذا القدر اليسير الذي من اعمال الصحابة وانفاقهم لانهم انفقوا وبذلوا المجهود في وقت الحاجة وقوله تعالى **رضي الله عنهم ورضوا عنه** يعني رضي الله اعمالهم ورضوا عنه بما جازاهم عليها من الثواب وهذا اللفظ عام يدخل فيه كل الصحابة **واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك**

العفو العظيم ذكر جماعة من المفسرين من المتأخرين البغوي والواحدي وابن الجوزي انهم من اعراب مزينة وجهينة واشجع وغفار واسلم وكانت منازلهم حول المدينة يعني ومن هؤلاء منافقون وفيما ذكروه مشكل لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لهؤلاء القبائل ومدحهم فان صح نقل المفسرين فيحمل قوله تعالى **وممن حولكم من الاعراب منافقون** على التقليل فان لفظة من للتبعيض ويحمل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على الاكثر والاغلب وبهذا يمكن الجمع بين قول المفسرين وقول النبي صلى الله عليه وسلم فيهم واما الطبري فانه اطلق القول ولم يعين احدا من القبائل المذكورة في تفسير هذه الاية من القوم الذين حول مدينتكم ايها المؤمنون من الاعراب منافقون ومن اهل مدينتكم ايضا امثالهم قوم منافقون وقال البغوي ومن اهل المدينة من الاوس والخزرج منافقون مردوا على النفاق فيه تقديم وتاخير قوله ومن حولكم من الاعراب **ومن اهل المدينة** منافقون **مردوا على النفاق** يعني مردوا عليه يقال تمرد فلان على ربه اذا عتى وتجبر ومنه الشيطان المارد وتمرد في معصيته اي مرد وثبت عليها واعتادها ولم يتب منها قال ابن اسحاق لجوا فيه وابوا غيره وقال ابن زيد اقاموا عليه ولم يتوبوا منها قال تعالى **لا تعلمهم** يعني انهم بلغوا في النفاق الى حيث انك لا تعلمهم يا محمد مع صفاء خاطرك واطلاعك على الاسرار **نحن نعلمهم** اي يعني لكن نحن نعلمهم لانه لا يخفى علينا خافية **سنعذبهم مرتين** اختلف المفسرون في العذاب الاول مع اتفاقهم ان العذاب الثاني هو عذاب القبر بدليل قوله تعالى **ثم يردون الى عذاب عظيم** وهو عذاب النار في الاخرة فثبت بهذا ان الله تعالى يعذب المنافقين ثلاث مرات مرة في الدنيا ومرة في القبر ومرة في الاخرة اما المرة الاولى وهي التي اختلفوا فيها فقال الكلبي والسدي قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا في يوم جمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج من المسجد اناسا وفضحهم فهذا هو العذاب الاول والثاني هو عذاب القبر فان صح هذا القول فيحتمل ان يكون العذاب الذي اعلمه الله تعالى بحالهم وما هم عليه لان الله تعالى قال لا تعلمهم نحن نعلمهم ثم بعد ذلك اعلمه بهم وقال مجاهد هذا العذاب الاول هو القتل والاسر وهذا قول ضعيف لان احكام الاسلام في الظاهر كانت جارية على المنافقين فلم يقتلوا ولم يؤسروا وعن مجاهد رواية اخرى انهم عذبوا بالجوع مرتين وقال قتادة المرة الاولى هي الدبيلة في الدنيا وقد جاء تفسيرها في الحديث بانها خراج من نار تظهر في اكتافهم حتى تنجم من صدورهم يعني تخرج من صدورهم وقال ابن زيد الاولى المصائب في الاموال والاولاد في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن عباس رضي الله عنه اقامة الحدود عليهم في الدنيا والاخرى عذاب القبر وقال ابن اسحاق الاولى هي ما يدخل عليهم من غيظ الاسلام ودخولهم فيه كرها غير حسبة والاخرى عذاب القبر وقيل الاولى احراق مسجدهم مسجد الضرار والاخرى احراقهم بنار جهنم وهو قوله تعالى ثم يردون الى عذاب عظيم يعني عذاب جهنم يخلدون فيه وقوله عز وجل **وآخرون اعترفوا بذنوبهم** فيه قولان احدهما انهم قوم من المنافقين تابوا من نفاقهم واخلصوا وحجة هذا القول ان قوله وآخرون عطف على

قوله

قوله وممن حولكم من الاعراب منافقون والعطف يوهم ويعضده ما نقله الطبري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه قال هم الاعراب والقول الثاني وهو قول جمهور المفسرين ايضا انها نزلت في جماعة من المسلمين من اهل المدينة تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك واختلف المفسرون في عددهم فروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انهم كانوا عشرة منهم ابو لبابة وروي عنه انهم كانوا خمسة احدهم ابو لبابة وقال سعيد بن جبير وزيد بن اسلم كانوا ثمانية احدهم ابو لبابة وقيل كانوا ثلاثة ابو لبابة بن المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وذلك انهم كانوا تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا بعد ذلك وتابوا وقالوا انكون في الظلال مع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في الجهاد واللاواء فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره وقرب المدينة قالوا والله لنوثقن انفسنا بالسواري فلا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويعذرنا فربطوا انفسهم في سواري المسجد فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بهم فرآهم فقال من هؤلاء فقالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت تطلقهم وترضى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى اومر باطلاقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فانزل الله عز وجل هذه الاية فاطلقهم وعذرهم فلما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك خذها فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فانزل الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم الاية وقال قوم نزلت هذه الاية في ابي لبابة خاصة وقد اختلفوا في ذنبه الذي تاب منه فقال مجاهد نزلت في ابي لبابة حين قال لبني قريظة ان نزلتم على حكمه فهو الذبح واشار الى حلقه فندم على ذلك وربط نفسه بسارية وقال والله لا احل نفسي ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فانزل الله هذه الاية فقيل له قد تيب عليك فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يحلني فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فحله بيده فجاء ابو لبابة فقال يا رسول الله ان من توبتي ان اهجر دار قومي الذي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي كله صدقة الى الله والى رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يجزيك الثلث يا ابا لبابة قالوا جميعا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث اموالهم وترك لهم الثلثين لان الله تعالى قال خذ من اموالهم صدقة ولم يقل خذ اموالهم ولان لفظة من للتبعيض قال الحسن وقتادة وهؤلاء الثلاثة الذين تخلفوا سيأتي خبرهم واما تفسير الاية فقوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم قال اهل المعاني الاعتراف الاقرار بالشيء ومعناه انهم اقروا بذنوبهم وفيه دقيقة وهي انهم لم يعتذروا عن تخلفهم بالاعذار الباطلة كغيرهم من المنافقين ولكن اعترفوا على انفسهم بذنوبهم وندموا على ما فعلوا فان قلت ان الاعتراف بالذنوب توبة ام لا قلت الاعتراف بالذنب لا يكون توبة فاذا اقترن

الاعتراف بالندم على الماضي من الذنب والعزم على تركه في المستقبل فيكون ذلك
الاعتراف والندم توبة قوله تعالى **خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا** قيل اراد بالعمل
الصالح اقرارهم بالذنب وتوبتهم منه والعمل السيء هو تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقيل العمل الصالح هو خروجهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى سائر الغزوات والسيء ما كان منه فعلى هذا تكون الآية في حق المسلمين والحمل
على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا عن تخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة تبوك وقد روى الطبري عن ابي عثمان قال ما في القرآن آية ارجى عندي
من هذه الآية قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم الآية **فان قلت** قد
جعل واحد من العمل الصالح والسيء مخلوطا فما المخلوط به **قلت**
ان الخلط عبارة عن جمع المطلق فاما قولك خلطوا انما يحسن في الموضع الذي يمتزج
كل واحد من الممتزجين بالآخر فيتغير به عن صفته الاصلية كقولك خلطت الماء
باللبن وخلطت الماء واللبن فتكون الواو عبارة عن الباء فيكون معنى الآية على
هذا خلطوا عملا صالحا بآخر سيء ذكره غالب المفسرين وانكره الامام فخر الدين
الرازي وقال لا يليق بهذا الموضع الجمع المطلق لان العمل الصالح والعمل السيء اذا
حصلا بقي كل واحد منهما على حاله كما هو مذهبنا فانا نقول بالاحباط
باطل كما مر فالطاعة تبقى موجبة للمدح والثواب والمعصية تبقى موجبة للذم
والعقاب فقوله تعالى خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا تنبيه على نفي القول بالمخالطة
وان بقي كل واحد منهما كما كان من غير ان يتأثر احدهما بالآخر فليس الا الجمع المطلق
وقال الواحدي العرب تقول خلطت الماء باللبن وخلطت الماء واللبن كما تقول
جمعت زيدا وعمرا والواو في الآية احسن من الباء لانه اريد معنى الجمع لا حقيقة الخلط
الا ترى ان العمل الصالح لا يختلط بالسيء كما قد يختلط الماء باللبن لكن قد يجمع
بينهما قوله تعالى **عسى الله ان يتوب عليهم** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه
وجمهور المفسرين عسى من الله واجب والدليل عليه قوله تعالى فعسى الله ان يأتي بالفتح
وقد فعل ذلك وقال اهل المعاني عسى هنا تفيد الطمع والاشفاق لانه ابعد
من الاتكال والاهمال وقيل ان الله تعالى لا يجب عليه شيء بل كل ما كان يفعله على
سبيل التفضل والتطول والاحسان فذكر لفظة عسى التي هي للترجي والطمع
حتى يكون العبد بين الترجي والاشفاق ولكن هو نيل ما يرجوا منها قريب لانه ختم
الآية بقوله **ان الله غفور رحيم** وهذا يفيد انجاز الوعد قوله تعالى **خذ من
اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه لما اطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا لبابة وصاحبيه انطلق ابو لبابة وصاحباه فأتوا
باموالهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خذ من اموالنا فتصدق بها عنا وصل
علينا يعني استغفر لنا وطهرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا آخذ
منها شيئا حتى اؤمر به فانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة الآية وهذا قول زيد
ابن اسلم وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك ثم اختلف العلماء في المراد بهذه الصدقة
فقال بعضهم هو راجع الى هؤلاء الذين تابوا وذلك انهم بذلوا اموالهم صدقة
فاوجب الله تعالى اخذها وصار ذلك معتبرا في كمال توبتهم فتكون جارية مجرى
الكفارة قال واصحاب هذا القول يقولون ليس المراد بها الصدقة الواجبة وقال

بعضهم

بعضهم ان الزكاة كانت واجبة عليهم فلما تابوا من تخلفهم عن الغزو وحسن
اسلامهم بذلوا الزكاة فانزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ان يأخذها منهم
وقال بعضهم ان الآية كلام مبتدأ والمقصود منها ايجاب اخذها من الاغنياء ودفعها
الى الفقراء وهذا قول اكثر الفقهاء واستدلوا بها على ايجاب اخذ الزكاة واما
حجة اصحاب القول الاول انهم قالوا ان الآيات لا بد وان تكون منتظمة متناسبة
ولو حملناها على اخذ الزكاة الواجبة لم يبق لهذه الآية تعلق لما قبلها ولا لما
بعدها ولان جمهور المفسرين قال في سبب نزولها انها نزلت في شان التائبين
واما اصحاب القول الاخير فانهم قالوا المناسبة حاصلة ايضا على هذا التقدير
وذلك لانهم لما تابوا واخلصوا واقروا ان السبب الموجب للتخلف هو حب
المال فأمروا باخراج الزكاة التي هي طهرة فلما اخرجوها علم صحة توبتهم
ولا يمنع من خصوص السبب عموم الحكم فان قالوا ان الزكاة قدر معلوم
لا يبلغ ثلث المال وقد اخذ منهم ثلث اموالهم فلا يكونوا راضين باخراج
الزكاة اولى ثم في هذه الآية احكام الاول قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة
تطهرهم الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم اي يا محمد خذ من اموالهم صدقة
فكان النبي صلى الله عليه وسلم في ايام حياته يأخذها ثم اخذها الائمة من
بعده فيجوز للامام او نائبه ان يأخذ الزكاة من الاغنياء ويدفعها الى الفقراء
الحكم الثاني قوله تعالى من اموالهم ولفظة من تقتضي التبعيض وهذا البعض
المأخوذ غير معلوم ولا مقدر بنص القرآن فلم يبق الا الصدقة التي بينها رسول
الله صلى الله عليه وسلم قدرها وصفتها في اخذ الصدقة الحكم الثالث ظاهر
قوله خذ من اموالهم صدقة يفيد العموم فتجب الزكاة في جميع المال حتى في
الديون وفي مال الزكاة الحكم الرابع ظاهر قوله تطهرهم ان الزكاة انما وجبت
لكونها طهرة من الآثام وصدور الآثام لا يمكن حصولها الا من البالغ دون
الصبي فوجب ان تجب الزكاة في مال البالغ دون الصبي وهذا قول
ابي حنيفة ثم اجاب اصحاب الشافعي انه لا يلزم من انتفاء سبب معين
انتفاء الحكم وللعلماء في قوله تطهرهم اقوال الاول ان معناه خذ يا محمد
من اموالهم صدقة فانها تطهرهم باخذها من دنس الآثام القول الثاني ان
يكون تطهرهم متعلقا بالصدقة تقديره خذ من اموالهم صدقة فانها
طهرة لهم وانما حسن جعل الصدقة مطهرة لما جاء ان تلك الصدقة من
اوساخ الناس فاذا اخذت الصدقة فقد اندفعت تلك الاوساخ وكان ذلك
الاندفاع جاريا مجرى التطهير فعلى هذا القول يكون قوله تعالى وتزكيهم
بها منقطعا عن قوله تطهرهم ويكون التقدير خذ يا محمد من اموالهم صدقة
تطهرهم تلك الصدقة وتزكيهم انت بها القول الثالث ان يجعل التاء في قوله
تطهرهم وتزكيهم ضمير المخاطب ويكون المعنى تطهرهم انت يا محمد باخذها
منهم وتزكيهم بواسطة تلك الصدقة القول الرابع ان معناه تطهرهم من
ذنوبهم وتزكيهم يعني ترفع منازلهم من منازل المنافقين الى منازل الابرار
المخلصين وقيل يعني وتزكيهم اي تنمي اموالهم ببركة اخذها منهم الحكم
الخامس قوله تعالى **وصل عليهم** يعني ادع لهم واستغفر لهم لان اصل

الصلاة في اللغة الدعاء قال الشافعي السنة للإمام إذا أخذ الصدقة أن يدعو للمتصدق فيقول آجرك الله فيما أعطيت وبارك لك فيما أبقيت وقال بعضهم يجب على الإمام أن يدعو للمتصدق وقال بعضهم يستحب ذلك وقيل يجب في صدقة الفرض ويستحب في صدقة التطوع وقيل يجب على الإمام ويستحب للفقير أن يدعو للمعطي وقال بعضهم يستحب أن يقول اللهم صل على محمد ويدل عليه ما روي عن عبد الله بن أبي أوفى أخرجه في الصحيحين وقوله تعالى **إن صلواتك** وقرئ صلاتك على الجمع **سكن لهم** يعني أن دعاءك رحمة لهم وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه طمأنينة وسكون لهم وقيل إن الله قد قبل منهم وقال أبو عبيدة تثبيت لقلوبهم وقيل إن السكن ما سكنت إليه قال والمعنى أن صلواتك توجب سكون نفوسهم إليها وأن الله قد قبل توبتهم أو قبل زكاتهم **والله سميع** يعني لأقوالهم أو لدعائك لهم **عليم** يعني بنياتهم **ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده** هذه صيغة استفهام إلا أن المقصود منه التقرير فبشر الله عز وجل هؤلاء التائبين بقبول توبتهم وصدقاتهم ومعنى الآية ألم يعلم هؤلاء الذين تابوا أن الله تعالى يقبل التوبة الصادقة والصدقة الخالصة وقيل إن المراد بهذه الآية غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة وبذل الصدقات وذلك أنه لما نزلت توبة التائبين قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالأمس لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم اليوم فأنزل الله هذه الآية ترغيبا لهم في التوبة **وقوله تعالى** عن عباده قيل لا فرق بين قوله عن عباده ومن عباده إذ لا فرق بين قولك أخذت هذا العلم عنك ومنك وقيل بينهما فرق ولفظ عن في هذا الموضع أبلغ لأن فيه تبشيرا بقبول التوبة مع تسهيل سبيلها وقوله تعالى **ويأخذ الصدقات** يعني ويقبلها ويثيب عليها وإنما ذكر بلفظ الأخذ ترغيبا في بذل الصدقة وإعطائها الفقراء وقيل معناه أخذ الله الصدقات الجزاء عليها ولما كان هو المجازي عليها والمثيب بها أسند الأخذ إلى نفسه وإن كان الفقير أو السائل هو الآخذ لها وفي هذا تعظيم أمر الصدقات وتشريفها وأن الله تعالى يقبلها من عبده المتصدق عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تصدق أحدكم بصدقة من كسب حلال طيب ولا يقبل الله إلا الطيب إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كان تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربي أحدكم فلوه أو فصيله لفظ مسلم وفي لفظ البخاري من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب وفي رواية ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل وأخرجه الترمذي ولفظه إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربي أحدكم مهره حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد وتصديق ذلك في كتاب الله ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات ويمحق الله الربا ويربي الصدقات وقوله من كسب طيب أي حلال وذكر اليمين والكف في الحديث كناية عن قبول الصدقة وأن الله

تعالى قد قبلها من المعطي لأن من عادة الفقير والسائل إذا أخذ الصدقة بكف اليمين فكأن المتصدق قد وضع صدقته في القبول والإثابة وقوله تربو أي تكبر يقال ربا الشيء يربو إذا زاد وكبر والفلو بضم الفاء وتشديد الواو المهر أول ما يولد والفصيل ولد الناقة إلى أن ينفصل عنها **قوله تعالى إن الله هو التواب الرحيم** تأكيد لقوله تعالى ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده وتبشير لهم وأن الله هو التواب الرحيم قوله تعالى **وقل** أي قل يا محمد لهؤلاء التائبين **اعملوا** يعني لله تعالى بطاعته وأداء فرائضه **فسيرى الله عملكم ورسوله** فيه ترغيب عظيم للمطيعين ووعيد عظيم للمذنبين فكأنه قال اجتهدوا في العمل في المستقبل فإن الله تعالى يرى أعمالكم ويجازيكم عليها **والمؤمنون** يعني ويرى رسوله والمؤمنون أعمالكم أما رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم فبإطلاع الله إياه على أعمالهم وأما رؤية المؤمنين فبما يقذف الله عز وجل في قلوبهم من محبة الصالحين وبغضة المفسدين **وستردون إلى عالم الغيب والشهادة** يعني وسترجعون يوم القيامة إلى من يعلم سركم وعلانيتكم ولا يخفى عليه شيء من بواطنكم وظواهركم **فينبئكم** أي فيخبركم **بما كنتم تعملون** يعني في الدنيا من خير وشر فيجازيكم على أعمالكم **وآخرون مرجون** أي مؤخرون والإرجاء التأخير **لأمر الله** يعني لحكم الله فيهم قال بعضهم إن الله تعالى قسم المتخلفين على ثلاثة أقسام أولهم المنافقون وهم الذين مردوا على النفاق واستمروا عليه والقسم الثاني التائبون وهم الذين سارعوا إلى التوبة بعدما اعترفوا بذنوبهم وهم أبو لبابة وأصحابه فقبل الله توبتهم والقسم الثالث موقوفون ومؤخرون إلى أن يحكم الله فيهم وهم المراد بقوله وآخرون مرجون لأمر الله والفرق بين القسم الثاني والقسم الثالث أن القسم الثاني سارعوا إلى التوبة فقبل الله توبتهم والقسم الثالث توقفوا ولم يسارعوا إلى التوبة فأخر الله أمرهم نزلت هذه الآية في الثلاثة الذين خلفوا وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وستأتي قصتهم عند قوله تعالى وعلى الثلاثة الذين خلفوا وذلك أنهم لم يبالغوا في التوبة والاعتذار كما فعل أبو لبابة وأصحابه فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة ونهى الناس عن كلامهم وكانوا من أهل المدينة فجعل بعض الناس يقولون هلكوا إذ بعضهم يقول عسى الله أن يتوب عليهم ويغفر لهم وهو قوله تعالى **إما يعذبهم وإما يتوب عليهم** يعني أمرهم إلى الله تعالى إن شاء عذبهم بسبب تخلفهم وإن شاء غفر لهم **والله عليم** يعني بما في قلوبهم **حكيم** يعني فيما يقضي عليهم **قوله عز وجل والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا** نزلت في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء وكانوا اثني عشر رجلا من أهل النفاق وديعة بن ثابت وخذام بن خالد ومن داره أخرج هذا المسجد وثعلبة بن حاطب وجارية بن عمرو وابناه مجمع وزيد ومعتب بن قشير وعباد بن حنيف أخو سهل بن حنيف وأبو حبيبة بن الأزعر ونبتل بن الحارث وبجاد بن عثمان وبحزج بنوا هذا المسجد ضرارا يعني مضارة للمؤمنين وكفرا يعني بالله تعالى ورسوله **وتفريقا بين المؤمنين** لأنهم كانوا جميعا يصلون في مسجد قباء فبنوا مسجد الضرار ليصلي فيه بعضهم فيؤدي ذلك إلى الاختلاف وافتراق الكلمة وكان يصلي فيه مجمع بن جارية وكان شابا يقرأ القرآن

ولما ارادوا بنيانه فلما فرغوا من بنائه اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز
الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة
المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تاتينا وتصلي فيه وتدعو لنا بالبركة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر ولو قدمنا ان شاء الله
اتيناكم فصلينا لكم فيه وقوله تعالى **وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل**
يعني انهم بنوا هذا المسجد وهو ابو عامر الراهب والد حنظلة غسيل الملائكة
وكان ابو عامر ترهب في الجاهلية ولبس المسوح وتنصر فلما قدم النبي صلى
الله عليه وسلم المدينة قال له ابو عامر ما هذا الدين الذي جئت به فقال
النبي صلى الله عليه وسلم جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال ابو عامر فانا
عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال ابو عامر بلى ولكنك
ادخلت في الحنيفية ما ليس فيها قال النبي صلى الله عليه وسلم ما فعلت ولكن
جئت بها بيضاء نقية فقال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريدا وحيدا
غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم امين وسماه الناس ابا عامر الكذاب
فلما كان يوم احد قال ابو عامر الفاسق للنبي صلى الله عليه وسلم لا اجد قوما
يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل كذلك الى يوم حنين فلما انصرفت
هوازن يئس ابو عامر وخرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين
ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى
قيصر ملك الروم فاتي بجند من الروم فاخرج محمدا واصحابه فبنوا مسجد
الضرار الى جانب مسجد قبا فذلك قوله تعالى وارصادا يعني انتظارا
لمن حارب الله ورسوله يعني ابا عامر الفاسق حارب الله ورسوله من قبل
بناء مسجد الضرار **وليحلفن** يعني الذين بنوا **ان اردنا** يعني ما اردنا ببنائه
الا الحسنى يعني الا الفعلة الحسنى وهي الرفق بالمسلمين والتوسعة على
اهل الضعف والعجز عن الصلاة في مسجد قبا ومسجد الرسول صلى الله عليه
وسلم فلما انصرف من تبوك راجعا نزل بذي اوان وهو موضع قريب من المدينة
فاتاه المنافقون وسالوه ان ياتي مسجدهم فدعا بقميصه ليلبسه
وياتيهم فانزل الله تعالى هذه الاية واخبره خبر مسجد الضرار وما هموا به
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ومعن بن عدي بن عامر
ابن السكن ووحشيا وقال انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه
واحرقوه فخرجوا مسرعين حتى اتوا بني سالم بن عوف وهم رهط مالك
ابن الدخشم فقال مالك انظروني حتى انظر اليكم بنار فدخل الى اهله
فاخذ من سعف النخل فاشعله ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد
وفيه اهله فحرقوه وهدموه وتفرق اهله عنه وامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يتخذ ذلك الموضع كناسة تلقى فيه الجيف والنتن والقمامة
ومات ابو عامر بالشام غريبا وحيدا **وروى** ان بني عمرو بن عوف الذين
بنوا مسجد قبا اتوا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في خلافته فسالوه ان
ياذن لمجمع بن جارية ان يؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين اليس هو امام
مسجد الضرار قال مجمع يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت فيه

وانا

وانا لا اعلم ما اضمروا عليه ولو علمت ما صليت فيه معهم وكنت غلاما قارئا للقران
وكانوا شيوخا لا يقرؤون فصليت بهم ولا احسب الا انهم يتقربون الى الله ولا اعلم
ما في انفسهم فعذره عمر رضي الله تعالى عنه وصدقه وامره بالصلاة في مسجد
قبا قال عطا لما فتح الله تعالى على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الامصار امر
المسلمين ان يبنوا المساجد وامرهم ان لا يبنوا في موضع واحد مسجدين
يضار احدهم الاخر وقوله تعالى **لا تقم فيه ابدا** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه معناه لا تصل فيه ابدا منع الله نبيه صلى الله
عليه وسلم ان يصلي في مسجد الضرار **لمسجد اسس على التقوى** اللام فيه
لام الابتدا وقيل لام القسم تقديره والله مسجد اسس يعني اصل بني ووضع
اساسه كان ذلك البنا على تقوى الله عز وجل **من اول يوم** يعني من اول يوم
بني ووضع اساسه كان ذلك البنا على التقوى **احق ان تقوم فيه** يعني تصليا
واختلفوا في المسجد الذي اسس على التقوى فقال عمر وزيد بن ثابت وابو
سعيد الخدري وهو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني مسجد المدينة
ويدل عليه ما روي عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال دخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه فقلت يا رسول الله
اي المسجد اسس على التقوى قال فاخذ كفا من حصبا فضرب به الارض ثم
قال مسجدكم هذا مسجد المدينة اخرجه مسلم **ق** عن ابي هريرة رضي الله
تعالى عنه ان له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين بيتي ومنبري روضة
من رياض الجنة **•** عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قوايم
منبري هذا رواتب في الجنة اخرجه النسائي قوله رواتب يعني ثوابت يقال
رتب بالمكان اذا اقام فيه وثبت وفي رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه
وعروة بن الزبير وسعيد بن جبير وقتادة انه مسجد قبا ويدل عليه سياق
الاية وهو قوله تعالى فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين
ويدل على انهم اهل قبا ما روي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال نزلت
هذه الاية في اهل قبا فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال
وكانوا يستنجون بالما فنزلت فيهم هذه الاية ومما يدل على انه مسجد قبا
ما روي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يزور
قبا راكبا وماشيا زاد في رواية فيصلي فيه ركعتين **وفي رواية** ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان ياتي مسجد قبا كل سبت راكبا وماشيا وكان ابن
ابن عمر يفعله اخرج الرواية الاولى والزيادة منها البخاري ومسلم ق
واخرج الرواية الثانية البخاري عن سهل بن ابي حنيف قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج حتى ياتي هذا المسجد مسجد قبا
فيصلي فيه كان له كعدل عمرة اخرجه النسائي عن اسيد بن ظهير قال ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قبا كعمرة اخرجه الترمذي وقوله
تعالى **فيه رجال يحبون ان يتطهروا** يعني من الاحداث والجنابات وسائر
النجاسات وهذا قول اكثر المفسرين قال ولما كانوا يستنجون بالما فنزلت هذه
الاية فيهم اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث غريب هكذا ذكره

صاحب جامع الاصول مرفوعا عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه وقال رفعه البغوي
وغيره فقالوا عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وذكره **وروى**
الطبري بسنده عن عويمر بن ساعدة وقد كان من اهل بدر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاهل قبا ان الله عز وجل قد احسن عليكم الثناء في الطهور
فما هذا الطهور قالوا يا رسول الله ما نعلم شيئا الا ان لنا جيرانا من اليهود رايناهم
يغسلون ادبارهم من الغائط فغسلنا كما غسلوا وعن قتادة قال ذكر لنا ان
نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قبا ان الله قد احسن عليكم الثناء في
الطهور فما تصنعون قالوا انا نغسل عنا اثر الغائط والبول وقال
الامام فخر الدين الرازي المراد من هذه الطهارة من الذنوب والمعاصي وهذا
قول سفيان لوجوه الاول ان التطهر من الذنوب هو المؤثر في القرب الى الله
تعالى واستحقاق ثوابه ومدحه الوجه الثاني ان الله وصف اصحاب
مسجد الضرار بمضادة المسلمين والتفريق بينهم والكفر بالله وكونه هولا
اهل قبا بالضد من صفاتهم وما ذاك الا لكونهم مبرئين من الكفر
والمعاصي وهي الطهارة الباطنة الوجه الثالث ان طهارة الظاهر انما
يحصل لها اثر عند الله اذا حصلت الطهارة الباطنة من الكفر والنفاق
والمعاصي وقيل يحتمل ان يكون محمول على كلا الامرين يعني طهارة الباطن
من الكفر والنفاق والمعاصي وطهارة الاعضاء يعني الظاهر من الاحداث
والنجاسات بالما **والله يحب المطهرين** فيه مدح لهم وثناء عليهم والرضا
عنهم بما اختاروه لانفسهم ثم المداومة على حب الطهارة قوله تعالى
افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان يعني طلب ببنيانه المسجد
الذي بناه على تقوى الله ورضاه والمعنى ان الباني لما بنى ذلك البنا كان
قصده تقوى الله وطلب رضاه وثوابه **خير امن اسس بنيانه على شفا جرف**
هار الشفا هو الشفير وشفا كل شي حرفه ومنه يقال اشفى على ذلك اذا
دنا منه وقرب ان يقع فيه والجرف المكان الذي اكل الما تحته فهو الى السقوط
فهو قريب قال ابو عبيد الجرف المكان الذي هو الهوة وما يجرفه السيل من
الاودية فيتحفر وقيل هو من ما تحتها اذا انهدم وسقط وهو الذي
تواهى بعضه في اثر بعض كما ينهار الرمل والشي الرخو **فانهار به** يعني سقط
بالبنا **في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين** والمعنى ان بنا هذا
المسجد الضرار كالبنا على شفير جهنم فيهوي باهله فيها وهذا مثل ضربه
الله تعالى للمسجدين مسجد الضرار ومسجد التقوى مسجد قبا او مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم فمعنى المثل امن اسس بنيانه دينه على قاعدة
قوية محكمة وهو الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه خير امن اسس
دينه على اضعف القواعد واقلها بقاء وثباتا وهو الباطل والنفاق الذي
مثله مثل بنا على غير اساس ثابت وهو شفا جرف هار فانهار به اذا كان
كذلك كان اسرع الى السقوط في نار جهنم لان الباني الاول قصد ببنيانه
تقوى الله ورضوانه فكان بناه اشرف البنا والباني الثاني قصد ببنيانه
الكفر والنفاق واضرار المسلمين فكان بناوه اخس البنا وكانت عاقبته الى

جهنم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه صيرهم بنفاقهم الى النار ولقد ذكر لنا انه حفرة
بقعة منه فروي الدخان يخرج منها وقال جابر رايت الدخان يخرج من مسجد الضرار
لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة يعني شكا ونفاقا **في قلوبهم** والمعنى ان ذلك
البنيان صار سببا لحصول الريبة في قلوبهم لان المنافقين فرحوا ببنا مسجدهم
فلما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه ثقل ذلك عليهم وازدادوا غما
وحزنا وبغضا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان ذلك سبب الريبة في قلوبهم
وقيل انهم كانوا محسنين في بنائه كما حبب العجل الى بني اسرائيل فلما امر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بتخريبه بقوا شاكين مرتابين لاي سبب امر بتخريبه وقال
السدي لا يزال هدم بنيانهم ريبة اي حزازة وغيظا في قلوبهم **الا ان تقطع قلوبهم**
اي تجعل قلوبهم قطعا وتفرق اجزا اما بالسيف واما بالموت والمعنى ان هذه الريبة
باقية في قلوبهم الى ان يموتوا عليها **والله عليم** يعني باحواله واحوال جميع
عباده **حكيم** يعني بما حكم به عليهم **قوله عز وجل ان الله اشترى**
من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية قال محمد القرشي وقيل
هو القرظي لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وكانوا
سبعين رجلا قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال
اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعوا
به انفسكم واموالكم قالوا اذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا ربح البيع
لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان
لهم الجنة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه بالجنة قال اهل المعاني لا يجوز
ان يشتري الله شيئا في الحقيقة لان المشتري انما يشتري ما لا يملك والاشيا
كلها ملك الله تعالى ولهذا قال الحسن انفسنا هو خلقها واموالنا هو رزقنا
اياها لكن قد جرى هذا مجرى التلطف في الدعا الى الطاعة والجهاد
وذلك لان المومن اذا قاتل في سبيل الله حتى يقتل او ينفق ماله في سبيل
الله عوضه الله الجنة في الاخرة جزا لما فعل في الدنيا فجعل ذلك استبدالا
واشترا فهذا معنى الشرا والاشترا من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة والمراد باموالهم اموال انفاقها في سبيل الله وفي جميع وجوه البر والطاعة
يقاتلون في سبيل الله هذا تفسير لتلك المبايعة وقيل معناه امر اي قاتلوا
في سبيل الله فيقتلون ويقتلون يعني فيقتلون اعدا الله **فيقتلون**
ويقتلون في طاعة الله وسبيله **وعدا عليه حقا** يعني ذلك الوعد **في التوراة**
والانجيل والقران يعني ان هذا الوعد الذي وعده الله تعالى للمجاهدين في سبيله
قد اثبته في التوراة والانجيل كما اثبته في القران وفيه دليل على ان الامر بالجهاد
موجود في جميع الشرائع ومكتوب في جميع اهل الملل **ومن اوفى بعهده من الله**
يعني لا احد اوفى بالعهد من الله **فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به** يعني
فاستبشروا ايها المومنون بهذا البيع الذي بايعتم به **وذلك** يعني هذا البيع
هو الفوز العظيم لانه رابح في الاخرة قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
ان الله بايعك وجعل الصفقتين لك وقال الحسن اسمعوا الى بيعة ربيحة بايع
الله بها كل مومن وعنه ان الله تعالى اعطاك الدنيا فاشتري الاخرة ببعضها وقال

قتادة ثم انهم فاعلي لهم قوله تعالى **التائبون** قال الفرا استونف لفظ التائبين
بالرفع لتمام الاية الاولى وانقطاع الكلام قال التائبون بالا ابتدا وغيره مضمر المعنى
التائبون الى اخره لهم الجنة ايضا من لم يجاهد هم غير معاند ولا قاصد لترك
الجهاد فله الجنة ايضا وهذا وجه الحسن كانه وعد الجنة لجميع المومنين كما
قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى وصف جعله تابعا للاول كان الوعد بالجنة
خاصا بالمجاهدين الموصوفين بهذه الصفات فيكون رفع التائبون على المدح
يعني المومنين المذكورين في قوله تعالى اشترى واما التفسير بقوله تعالى
التائبون يعني تابوا من الشرك وبريوا من النفاق وقيل التائبون من جميع
المعاصي لان لفظ التائبين لفظ عموم فيتناول الكل واعلم ان التوبة المقبولة
انما تحصل بحصول اربعة اولها احتراق القلب عند صدور المعصية وثانيها
الندم على فعلها فيما مضى وثالثها العزم على تركها في المستقبل ورابعها ان يكون
الحاصل له على التوبة طالب رضوان الله وعبودية وان كان غرضه بالتوبة
تحصيل المدح للناس ودفع مذمتهم فليس بمخلص في توبته والله اعلم **العابدون**
يعني المطيعين لله الذين يرون عبادة الله واجبة عليهم وقيل هم الذين
اتوا بالعبادة من اقصى وجوه التعظيم لله تعالى وهو ان تكون العبادة خالصة
لله تعالى **الحامدون** يعني الذين يحمدون الله تعالى على كل حال في السراء
والضراء وروى البغوي بغير سنده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال اول ما يدعوا الى الجنة يوم القيمة الذين يحمدون الله
تعالى في السراء والضراء وقيل هم الذين يحمدون الله ويقومون بشكره على جميع
نعمه دنيا واخرى **السائحون** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهم الصائمون
قال سفيان بن عيينة انما سمي الصائم سائحا لترك اللذات كلها من المطعم
والمشرب والنكاح وقال الازهري قيل للصائم سائحا لان الذي يسيح في
الارض متعبدا لزاد معه كان ممسكا عن الماكل وكذلك الصائم ممسك عن الاكل وقيل
اصل السياحة استمرار الذهاب في الارض كالماء الذي يسيح والصائم مستمر
على فعل الطاعة وترك الشهوات وقال عطا السائحون هم الغزاة في
سبيل الله تعالى ويدل عليه ما روي عن عطا بن مظعون قال قلت
يا رسول الله ايذن لي في السياحة فقال ان سياحة امتي الجهاد في سبيل الله
ذكره البغوي بغير سنده وقال عكرمة السائحون هم طلبة العلم لانهم
ينتقلون من بلد الى بلد في طلب العلم وقيل ان السياحة لها اثر
عظيم في تهذيب النفس وتحسين اخلاقها لان السائح لابد ان يلقى انواعا
من الضر والبوس ولابد له من الصبر عليها ويعود عليه من بركتها
ويرى عجائب اثار ربه الله تعالى فيتفكرون في ذلك فيدل على تعظيم
وحدانية الله تعالى وعظيم قدرته **الراكعون الساجدون** يعني المصلين
وانما عبر عن الصلاة بالركوع والسجود لانهما معظم اركانها وهما يميزا المصلي
من غير المصلي بخلاف حالة القيام والقعود لانهما حالة المصلي وغيره
الامرون بالمعروف يعني يامرون الناس بعبادة الله وحده **والناهون عن
المنكر** عن الشرك بالله وقيل انهم يامرون الناس بالحق في اديانهم واتباع الرشد

والهدي والعمل الصالح وينهونهم عن كل فعل قبيح وقوله نهى الله عبادة عنه اي نهى
عنه رسول صلى الله عليه وسلم قال الحسن اما انهم لم يامروا الناس بالمعروف
حتى كانوا من اهله ولم ينهوا عن المنكر حتى انتهوا عنه فاما دخول الواو في الناهون
عن المنكر فان العرب تعطف بالواو على السبعة ومنه قوله تعالى وثامنهم كلبهم
وقوله في صفة الجنة وفتحت ابوابها وقيل فيه وجه اخر وهو ان الموصوفين بهذه
الصفة الستة هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر فعلى هذا يكون قوله
التائبون الى قوله الساجدون مبتدا خبره هم الامرون بالمعروف والناهون
عن المنكر **والحافظون لحدود الله** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه يعني القائمون
بطاعة الله وقال الحسن الحافظون لحدود الله يعني لفرايض الله وهم اهل الوفا
ببيعة الله وقيل هم المودون فرايض الله المنتهون الى امر الله ونهيه فلا يضيعون
شيا من العمل الذي الزمهم به قال الله ولا يرتكبون نهيا نهاهم عنه **وبشر
المومنين** يعني وبشر يا محمد المصدقين بما وعدهم الله تعالى اذا وفوا بعهده
وانه موف لهم بما وعدهم من ادخال الجنة وقيل وبشر المومنين من فعل هذه
الافعال التسع وهو قوله تعالى التائبون الى اخر الاية فان لهم الجنة

قوله عز وجل **ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين
ولو كانوا اولي قربى** قد اختلف اهل التفسير في سبب نزول هذه الاية فقال
قوم في شان ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يستغفر له بعد موته
فنهاه الله عن ذلك ما روي عن سعيد بن المسيب عن ابيه المسيب بن حزن قال
لما حضرت ابو طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل
وعبد الله بن ابي امية ابن المغيرة فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك
بها عند الله تعالى فقال له ابو جهل وابن ابي امية اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه ويعود لتلك المقالة حتى قال
ابو طالب اخر كلمة كلمهم انا على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل
الله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي
قربى وانزل الله تعالى في ابي طالب انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي
من يشا اخرجاه في الصحيحين **فان قلت** قد استبعد بعض العلما نزول
هذه الاية في شان ابي طالب وذلك لان وفاته كانت بمكة اول الاسلام ونزول
هذه السورة بالمدينة وهي من اخر القران نزولا **قلت** الذي نزل في ابي
طالب قوله انك لا تهدي من احببت فقال النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن
لك ما لم انه عنك كما في الحديث فيحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يستغفر له
في بعض الاوقات الى ان نزلت هذه الاية ومنع من الاستغفار والله اعلم بمراده واسرار
كتابه م عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعمه عند الموت قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيمة قال فانزل الله تعالى
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا الاية وفي رواية قال لولا تعيرني
العرب قريش يقولون انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله الاية
ق عن ابي سعيد الخدري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عنده عمه ابو طالب

فقال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار تبلغ من كعبيه
يغلي منها دماغه وفي رواية يغلي منه دماغه من حرارة نعليه ق عن العباس
ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله ما أغنيت
عن عمك كان يحوطك ويغضب لغضبك قال هو في ضحضاح من نار ولولا أنا لكان
في الدرك الأسفل من النار وفي رواية قال قلت يا رسول الله إن عمك أبا طالب
كان يحوطك ويحفظك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته
إلى ضحضاح من نار وقال أبو هريرة وبريدة لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة أتى قبر أمه آمنة فوقف حتى حميت الشمس وجاء أن يؤذن له فيستغفر لها
نزلت ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى
وروى الكلبي بسنده عن أبي بريدة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم
مكة أتى رسم قال الراوي أظنه قال قبر فجلس إليه فجعل يخاطب ثم قام مستعبرا
فقلنا يا رسول الله إنا رأينا ما صنعت فقال إني استأذنت ربي في زيارة قبر
أمي فأذن لي فاستأذنته في الاستغفار لها فلم يؤذن لي فما رئي باكيا أكثر من
ذلك يومئذ وقد حكى ابن الجوزي عن بريدة قال إن النبي صلى الله عليه وسلم
مر بقبر أمه فتوضأ وصلى ركعتين ثم بكى النبي صلى الله عليه وسلم وبكى الناس
لبكائه ثم انصرف إليهم فقالوا له ما أبكاك قال مررت بقبر أمي وصليت ركعتين
ثم استأذنت ربي أن أستغفر لها فنهيت فبكيت ثم عدت فصليت ركعتين فاستأذنت
ربي أن أستغفر لها فزجرت زجرا فأبكاني ثم دعا براحلته فركبها فما سار إلا
هنيهة حتى قامت الناقة لثقل الوحي فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا
أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى الآية م عن أبي هريرة رضي الله
تعالى عنه قال زار النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه فبكى وأبكى من حوله
فقال استأذنت ربي أن أستغفر لها فلم يؤذن لي واستأذنته أن أزور قبرها
فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكركم الموت وقال قتادة قال النبي صلى
الله عليه وسلم لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه فأنزل الله هذه
الآية وروى الطبري بسنده عنه قال ذكر لنا أن رجالا من أصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم قالوا يا نبي الله إن من آبائنا من كان يحسن الجوار ويصل
الرحم ويفك العاني ويوفي بالذمم أفلا نستغفر لهم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم والله لأستغفرن لأبي كما استغفر إبراهيم لأبيه فأنزل الله ما كان
للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين الآية ثم عذر الله إبراهيم فقال
وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه الآية عن علي
ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال سمعت رجلا يستغفر لأبويه وهما مشركان
فقلت له تستغفر لأبويك وهما مشركان فقال أوليس استغفر إبراهيم لأبيه وهو
مشرك فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ما كان للنبي والذين آمنوا
أن يستغفروا للمشركين الآية أخرجه النسائي والترمذي وقال
حديث حسن وأخرجه الطبري وقال فيه فأنزل الله عز وجل وما كان استغفار
إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه الآية
ومعنى الآية ما كان ينبغي للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وليس لهم

ذلك لأن الله تعالى لا يغفر للمشركين ولا يجوز أن نطلب منه ما لا يفعله ففيه النهي عن
الاستغفار للمشركين ولو كانوا أولي قربى لأن الاستغفار للمشركين عام فيستوي
فيه القريب والبعيد ثم ذكر الله عز وجل سبب المنع فقال تعالى **من بعد ما تبين
لهم أنهم أصحاب الجحيم** يعني تبين لهم أنهم أصحاب الشرك وماتوا عليه فهم من
أصحاب الجحيم وأيضا فقد قال الله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به والله لا يخلف وعده
وأما قوله تعالى **وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه**
فمعناه ما كان طلب إبراهيم لأبيه المغفرة من الله إلا من أجل موعدة وعدها إياه إبراهيم
أن يستغفر له رجاء إسلامه قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما أنزل الله تعالى
خبرا عن إبراهيم أنه قال سلام عليك سأستغفر لك ربي سمعت رجلا يستغفر لأبويه
وهما مشركان فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فأنزل الله تعالى
قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم إلى قوله إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن
لك يعني أن إبراهيم ليس بقدوة في هذا الاستغفار إنما استغفر لأبيه وهو مشرك
لمكان الوعد الذي وعده رجاء الإسلام فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه
يعني هذه الهاء في إياه راجعة إلى إبراهيم والوعد كان من أبيه وذلك أن أبا إبراهيم
وعد إبراهيم أن يسلم فقال إبراهيم سأستغفر لك ربي يعني إذا أسلمت وقيل
الهاء راجعة إلى أبي إبراهيم وذلك أن إبراهيم وعد أباه أن يستغفر له
رجاء إسلامه ويؤكده هذا قوله سأستغفر لك ربي ويدل عليه أيضا قراءة
الحسن وعدها أباه بالباء الموحدة **فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه** يعني
فلما ظهر لإبراهيم وبان له أن أباه عدو لله تبرأ منه وقيل إنما تبين له في
الآخرة أنه عدو لله يعني بموته على الكفر وقيل يحتمل أن الله أوحى إلى إبراهيم
أن أباه عدو له فتبرأ منه ويدل على ذلك ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى إبراهيم عليه الصلاة والسلام أباه
يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة فيقول له إبراهيم ألم أقل لك لا تعصني
فيقول له أبوه اليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم يا رب إنك قد وعدتني أن لا تخزني
يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي الأبعد فيقول الله تعالى إني حرمت
الجنة على الكافرين ثم يقال يا إبراهيم ما تحت رجليك فينظر فإذا هو بذيخ
متلطخ فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار أخرجه البخاري زاد غيره فيتبرأ
منه القترة الغبرة يعلوها سواد والذيخ بذال معجمة ثم ياء مثناة من تحت
ثم خاء معجمة وهو ذكر الضباع والأنثى ذيخة قوله تعالى **إن إبراهيم لأواه
حليم** وقد جاء في الحديث الأواه الخاشع المتضرع وقال ابن مسعود هو المؤمن
التواب وقال الحسن وقتادة الأواه الرحيم بعباد الله وقال مجاهد الأواه
المؤمن وقال كعب الأحبار الأواه هو الذي يكثر التأوه وكان إبراهيم عليه
الصلاة والسلام يكثر أن يقول أواه من النار قبل أن لا ينفع أواه وقال
عقبة بن عامر الأواه الكثير الذكر لله عز وجل وقال سعيد بن جبير
هو المسبح وعنه أنه المعلم للخير وقال عطاء هو الراجع عما يكره الله الخائف
من النار وقال أبو عبيدة هو المتأوه شفقا وفرقا المتضرع يقينا ولزوما
للطاعة وقال الزجاج انتظم في قول أبي عبيدة جميع ما قيل في الأواه وأصله

من التاوّه وهو ان يسمع للصدر صوت يتنفس الصعداء قال والفعل اوّاه وهو تاوّه
الرجل عند شدة خوفه وحزنه اوّاه والسبب فيه ان عند الحزن تحمى الروح داخل
القلب ويشتد حرها فالانسان يخرج ذلك النفس المحموم من القلب فيخفف
بعض ما به من الحزن والشدة واما الحليم فمعناه ظاهر وهو الصفوح عمن سبّه
او اتاه بمكروه ثم يقابله بالاحسان واللطف كما فعل ابراهيم بابيه حين قال
له لئن لم تنته لارجمنك فاجابه ابراهيم بقوله سلام عليك سأستغفر لك ربي
وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه الحليم السيد وانما وصف الله تعالى ابراهيم
عليه الصلاة والسلام بهذين الوصفين وهو شدة الرقة والخوف والوجد
والشفقة على عباده يعني ان الله تعالى انه مع هذه الصفات الجميلة الحميدة تبرأ
منه اي من ابيه لما ظهر له اصراره على الكفر فاقتدوا به انتم في هذه الحالة
ايضا قوله تعالى **وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم** يعني وما كان
الله ليقضي عليكم بالضلال بسبب استغفاركم لموتاكم المشركين بعد ان رزقكم
الهداية ووفقكم للايمان به وبرسوله وذلك انه لما منع المؤمنين من الاستغفار
للمشركين وكانوا قد استغفروا لهم قبل المنع خافوا ما صدر منهم فاعلم ان
ذلك ليس بضارهم **حتى يبين لهم ما يتقون** يعني ما يأتون وما يذرون
ويتقدم عليهم بالنهي عن ذلك الفعل فاما قبل النهي فلا حرج عليه في فعله
وقيل ان جماعة من المسلمين كانوا قد ماتوا قبل النهي عن الاستغفار للمشركين
فلما سمعوا بذلك وقع في قلوب المؤمنين خوف على من مات على ذلك فانزل
الله عز وجل هذه الاية وبين انه لا يؤاخذهم بعمل الا بعد ان يبين لهم في معصيته
وطاعته عامة وقال انه يجب عليهم ان يتقوه ويتركوه وقال مجاهد بيان الله تعالى
للمؤمنين في ترك الاستغفار للمشركين خاصة وبيانه له في معصيته وطاعته عامة
وقال الضحاك وما كان الله ليعذب قوما حتى يبين لهم ما يأتون وما يذرون وقال
مقاتل والكلبي هذا في امر المنسوخ وذلك ان قوما قدموا على النبي صلى الله
عليه وسلم بعد ذلك فرجعوا الى قومهم على ذلك ثم حرمت الخمر وصرفت القبلة الى
الكعبة ولا علم لهم بذلك ثم قدموا بعد ذلك الى المدينة فوجدوا الخمر قد
حرمت والقبلة قد صرفت الى الكعبة فقالوا يا رسول الله قد كنت على دين
ونحن على غيره فنحن على ضلال فانزل الله وما كان الله ليضل قوما بعد اذ
هداهم يعني وما كان الله ليبطل عمل قوم قد عملوا بالمنسوخ حتى يبين الناسخ
ان الله بكل شيء عليم يعني انه تعالى عليم بما خالط نفوسكم من الخوف عند ما ذكرها
ونهاكم عن الاستغفار للمشركين ويعلم ما يبين لكم من امره ونهيه **ان الله
له ملك السموات والارض** يعني انه تعالى هو القادر على ملك السموات والارض
وما فيهما عبيده وملكه يحكم فيهم بما يشاء **يحيي ويميت** يعني انه تعالى يحيي من يشاء على
الايمان ويميته عليه ويحيي من يشاء على الكفر ويميته لا اعتراض لاحد عليه في ملكه
وعبيده **وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** يعني انه تعالى هو وليكم وناصركم
ليس لكم غيره يمنعكم من عدوكم وينصركم عليهم قوله عز وجل **لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين والانصار** الاية تاب الله يعني تجاوز وصفح عن النبي والمهاجرين
والانصار ومعنى توبته على النبي صلى الله عليه وسلم باذنه للمنافقين بالتخلف عنه

في غزوة تبوك وهو كقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم فهو من باب ترك الافضل لا انه
ليس يوجب عتابا وقال اصحاب المعاني هو مفتاح كلام للتبرك فهو كقوله تعالى
فان لله خمسه ومعنى هذا انه ذكر النبي بالتوبة عليه تشريفا للمهاجرين والانصار في
ضم توبتهم الى توبة النبي صلى الله عليه وسلم كما ضم اسم الرسول الى اسم الله في قوله
فان لله خمسه وللرسول فهو تشريف له واما معنى توبة الله على المهاجرين والانصار
فلاجل ما وقع في قلوبهم من الميل الى القعود عن غزوة تبوك لانها في وقت شديد
وربما وقع في قلوب بعضهم انها لا نقدر على قتال الروم فكيف لنا بالخلاص منهم
فتاب الله عليهم وعفى عنهم ما وقع في قلوبهم من هذه الخواطر والوساوس النفسانية
وقيل الانسان لا يخلو من زلات وتبعات في مدة عمره اما من باب الصغائر
من باب ترك الافضل ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه لما تحملوا مشاق
هذا السفر وتابعوه وصبروا على تلك الشدائد العظيمة التي حصلت لهم
في ذلك السفر غفر لهم وتاب عليهم ما تحملوا من الشدائد العظيمة في تلك الغزوة
مع النبي صلى الله عليه وسلم وانما ضم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الى ذكرهم
تنبيها على عظم مراتبهم في الدين فانهم قد بلغوا الى الرتبة التي تختص النبي صلى الله
عليه وسلم الحاق كريم **الذين اتبعوه في ساعة** تلك الغزوة من المهاجرين
والانصار وقد ذكر بعض العلماء ان النبي صلى الله عليه وسلم سار الى تبوك
في سبعين الفا ما بين راكب وماش من المهاجرين والانصار وغيرهم من سائر
القبائل **في ساعة العسرة** يعني في وقت العسرة ولم يرد ساعة بعينها والعسرة
الشدة والضيق وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش الذي
سار فيه يسمى جيش العسرة لانه كان عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء
قال الحسن كان العشرة منهم يخرجون على بعير واحد يعتقبونه بينهم يركب الرجل
ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم التمر المسوس والشعير المتغير
وكان النفر منهم يخرجون وما معهم الا التمرات اليسيرة بينهم فاذا بلغ الجوع
من احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يخرجها من فيه فيعطيها
صاحبه ثم يشرب عليها جرعة من الماء كذلك حتى يأتي على اخرهم ولا يبقى
من التمرة الا النواة فمضوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على صدق نياتهم
ويقينهم رضي الله تعالى عنهم وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خرجنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا
فيه عطش شديد حتى ظننا ان رقابنا ستنقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر
فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده وحتى ان الرجل كان يذهب يلتمس الماء
فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستنقطع فقال ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يا رسول
الله ان الله عودك في الدعاء خيرا فادع الله قال اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه صلى
الله عليه وسلم فلم يرجعهما حتى قالت السماء فاظلت ثم سكبت فملؤوا ما معهم من الاوعية
ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر اسنده الطبري عن عمر كذلك قوله تعالى
من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم يعني من بعد ما قارب ان تميل قلوب
بعضهم عن الحق من شدة المشقة والشدة التي نالتهم والزيغ في اللغة الاحالة
وتبدلهم بعضهم اذ يفارق الرسول صلى الله عليه وسلم عند تلك الشدة التي نالتهم

لكنهم صبروا واحتسبوا وندموا على ما خطر في قلوبهم فلأجل ذلك قال الله تعالى
ثم تاب عليهم **فإن قلت** قد ذكر التوبة أولاً ثم ذكرها ثانياً فما فائدة
ذلك التكرار **قلت** إنه تعالى ذكر التوبة أولاً قبل ذكر الذنب تفضلاً
منه وتطييباً لقلوبهم ثم ذكر الذنب بعد ذلك وأردفه بذكر التوبة مرة
أخرى تعظيماً لشأنهم وليعلموا أنه تعالى قد قبل توبتهم وعفا عنهم ثم أتبعه بقوله
إنه بهم رؤوف رحيم تأكيداً لذلك ومعنى الرؤوف في صفة الله تعالى أنه
الرفيق بعباده لأنه لم يحملهم ما لا يطيقون من العبادات وبين الرؤوف والرحيم
فرق لطيف وإن تقاربا في المعنى قال الخطابي قد تكون الرحمة مع الكراهة للمصلحة
ولا تكاد الرأفة تكون في الكراهة قوله تعالى **وعلى الثلاثة الذين
خلفوا** هذا معطوف على ما قبله تقديره لقد تاب الله على النبي والمهاجرين
والأنصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وفائدة هذا العطف بيان قبول
توبتهم وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكلهم من الأنصار
وهم المراد بقوله تعالى وآخرون مرجون لأمر الله وفي معنى خلفوا قولان
أحدهما أنهم خلفوا عن توبة أبي لبابة وأصحابه وذلك أنهم لم يخضعوا كما خضع
أبو لبابة وأصحابه فتاب الله عليهم يعني أبا لبابة وأصحابه وأخر أمر هؤلاء الثلاثة
مدة ثم تاب عليهم بعد ذلك والقول الثاني أنهم خلفوا عن غزوة تبوك
ولم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما حديث توبة كعب بن مالك
من ذريته حين عمي قال وكان أعلم قومه وأوعاهم لحديث رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال سمعت كعب بن مالك بن عبد الله بن كعب وكان يحدث حديثه
حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك قال كعب لم أتخلف
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة غزاها قط إلا في غزوة تبوك
غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحداً تخلف عنها إنما خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير
ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك في قيظ
شديد فنزلنا منزلاً ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام وما أحب أن
لي بها مشهد بدر وإن كانت بدر أذكر في الناس وكان من خبري حين تخلفت عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك أني لم أكن قط أقوى مني ولا أيسر
مني حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما جمعت قبلها راحلتين قط حتى
جمعتهما في تلك الغزوة ولم يكن صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورى بغيرها
حتى وريت تلك الغزوة فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حر شديد
واستقبل سفراً بعيداً ومفازاً واستقبل عدواً كثيراً فجلا للمسلمين أمرهم
ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجههم الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم كثير لا يجمعهم كتاب حافظ يريد بذلك الديوان قال كعب فقل رجل
يريد أن يتغيب إلا ظن أن ذلك سيخفى ما لم ينزل فيه وحي من الله وغزا
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت حين طابت الثمار
والظلال
فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فطفقت أغدو
لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئاً وأقول في نفسي أنا قادر على ذلك إذا أردت

فلم

فلم يزل ذلك حتى استمر بالناس الجد فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غادياً
والمسلمون معه ولم أقض شيئاً فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى استمر بالناس الجد ولم أقض
شيئاً حتى أسرعوا ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئاً فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى تفارط
الغزو وهممت أن أرتحل فأدركهم فيا ليتني فعلت ثم لم يقدر لي ذلك فطفقت إذا خرجت
في الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزنني أني لا أرى لي أسوة إلا رجلاً
مغموصاً عليه في النفاق أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب بن
مالك فقال رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال له
معاذ بن جبل بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً فسكت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فبينا هو كذلك رأى رجلاً مبيضاً يزول به السراب
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن أبا خيثمة فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري
وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه المنافقون قال كعب فلما بلغني
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلاً من تبوك حضرني همي
فطفقت أتذكر الكذب وأقول بما أخرج من سخطه غداً واستعنت على ذلك
بكل ذي رأي من أهلي فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل
قادماً زاح عني الباطل حتى عرفت أني لم أنج منه بشيء أبداً فأجمعت صدقه
فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادماً وكان إذا قدم من سفر بدأ
في المسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون
فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلاً
فقبل منهم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى
حتى جئت فلما سلمت تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت أمشي حتى جلست بين
يديه فقال لي ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك قلت يا رسول الله إني لو جلست
عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أني سأخرج من سخطه بعذر لقد أعطيت
جدلاً ولكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث صدق تجد علي فيه
إني لأرجو فيه عقبى الله وفي رواية عفو الله عز وجل والله ما كان لي
من عذر والله ما كنت أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك قال فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار
رجال من بني سلمة فاتبعوني فقالوا والله ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا ولقد
عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر
إليه المخلفون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فأكذب نفسي ثم قلت لهم هل لقي هذا معي أحد قالوا نعم لقيه معك
رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك قلت من هما قالوا مرارة بن الربيع العامري
وهلال بن أمية فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً فيهما
أسوة قال فمضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه قال فاجتنبنا الناس وتغيروا
لنا حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي بالأرض التي أعرف فلبثنا على ذلك

خمسين ليلة فاما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان واما انا فكنت اشب القوم
واجلدهم فكنت اخرج فاشهد الصلاة واطوف في الاسواق فلا يكلمني احد واتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فاقول في نفسي هل
حرك شفتيه برد السلام ام لا ثم اصلي قريبا منه واسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتي
نظر الي واذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال علي ذلك من جفوة المسلمين مشيت
حتى تسورت جدار حائط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب الناس الي فسلمت عليه
فوالله ما رد علي السلام فقلت يا ابا قتادة انشدك بالله هل تعلمني احب الله
ورسوله قال فسكت فعدت فناشدته فسكت فعدت فناشدته فقال الله
ورسوله اعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار فبينا انا امشي في سوق
المدينة اذا نبطي من نبط اهل الشام ممن قدم بطعام يبيعه في المدينة يقول من
يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له حتى جاءني فدفع الي كتابا
من ملك غسان وكنت كاتبا فقراته فاذا فيه اما بعد فانه قد بلغنا ان صاحبك قد
جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك قال فقلت حين
قراتها وهذه ايضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرتها حتى اذا مضت اربعون من
الخمسين واستلبث الوحي فاذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتيني يقول فقال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان تعتزل امراتك قال فقلت لامراتي
الحقي باهلك فكوني عندهم حتى يقضي الله هذا الامر قال فجاءت امراة هلال
ابن امية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان هلال بن امية
شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه قال لا ولكن لا يقربنك فقالت والله ما به
من حركة الى شيء والله ما زال يبكي منذ كان من امره ما كان الى يومه هذا قال
فقال لي بعض اهلي لو استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وما يدريني ما يقول
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها وانا رجل شاب قال فلبثت
بذلك عشر ليال فكمل لنا خمسون ليلة من حين نهي عن كلامنا قال
ثم صليت الفجر صباح ليلة على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا فيه جالس على الحالة
التي ذكرها الله تعالى عنا قد ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت علي
نفسي سمعت صوت صارخ اوفى على سلع يقول باعلى صوته يا كعب بن مالك ابشر
فقد تاب الله عليك فخررت ساجدا لله تعالى وعلمت انه قد جاء فرج قال
وقد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى صلاة
الفجر فذهب الناس يبشروننا فذهب قبل صاحبي مبشرون وركض رجل
الي فرسا وسعى ساع من اسلم قبلي واوفى على الجبل فكان الصوت اسرع من
الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته اياه ببشارته
والله ما املك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة ليهنك
الله التوبة عليك حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله الناس
فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني والله ما قام رجل من
المهاجرين غيره قال فكان كعب لا ينساها لطلحة قال فلما سلمت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور قال ابشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك

امك

امك قال فقلت امن عندك يا رسول الله ام من عند الله تعالى قال بل من عند الله
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كان وجهه قطعة
قمر قال وكنا نعرف ذلك منه قال فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله
ان من توبتي ان انخلع من مالي صدقة الى الله تعالى والى رسوله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم امسك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت اني امسك
سهمي الذي بخيبر وقلت يا رسول الله ان الله انما نجاني بالصدق وان من توبتي
ان لا احدث الا صدقا ما بقيت قال فوالله ما علمت احدا من المسلمين ابلاه
الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي
هذا واني لارجو ان يحفظني الله تعالى فيما بقي قال فانزل الله تعالى لقد
تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة
حتى بلغ انه بهم رءوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت
عليهم الارض بما رحبت حتى بلغ اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال كعب
ما انعم الله عز وجل علي من نعمة قط بعد ان هداني للاسلام اعظم في نفسي من
صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اكون كذبته فاهلك كما هلك
الذين كذبوا ان الله عز وجل قال للذين كذبوا حين انزل الوحي شر ما قال
سبحانه وتعالى سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم
انهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم
فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين قال كعب بن مالك
كنا خلفنا ايها الثلاثة عن امر اولئك الذين قبل منهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين حلفوا له فبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر
لهم وارجا رسول الله صلى الله عليه وسلم امرنا حتى قضى الله فيه بذلك
قال الله عز وجل وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم
الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم الاية وهم الذين خلفوا في الارض
كما قد ذكره ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال قتادة وليس الذي قد ذكر
ما خلفنا من الغزو وانما هو تخليفه ايانا كما ذكره رسول الله صلى الله عليه
وسلم من امرهم وارجاؤه امرنا عمن حلف بالله تعالى له واعتذر اليه
وفي رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ونهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن كلامي وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام احد من المتخلفين غيرنا واجتنب
الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال علي الامر وما من شيء اهم علي من ان اموت
فلا يصلي علي النبي صلى الله عليه وسلم او يموت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكون
من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني منهم احد ولا يسلم علي ولا يصلي علي احد
قال فانزل الله توبتنا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين بقي الثلث الاخر
من الليل ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند ام سلمة وكانت ام سلمة محسنة
في شاني معنية بامري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة تيب
على كعب بن مالك قالت افلا ارسل اليه فابشره قال اذا يحطمكم الناس فيمنعونكم
النوم سائر الليل حتى اذا صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر
اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتوبة الله علينا اخرجه البخاري ومسلم

شرح غريب هذا الحديث

قوله حتى تواثقنا على الاسلام التوثيق تفاعل من الميثاق وهو العهد والراحلة
الجمل او الناقة القويتان على الحمل والسفر وقوله ورّى بغيرها يقال
ورّى عن الشيء اذا اخفاه واظهر غيره والمفازة البرية القفر سميت بذلك
تفاؤلا بالفوز والنجاة منها قوله تعالى الفوز العظيم قال فجلا لهم
بالتخفيف يعني كشف لهم مقصدهم واظهره لهم والاهبة الجهاد وما
يحتاج اليه المسافر قوله وانا اليهم اشعرتهم بالعين المهملة اي اميل
والصعو الميل قوله تعالى وتفارط الغزو اي تباعد ما بيني وبينه من
المسافة وطفق مثل جعل والمغموص المعيب المشار اليه بالعيب يقال
فلان ينظر في عطفيه اذا كان معجبا بنفسه يقال زال به السراب هو ما
يظهر للانسان في البرية في وقت الهاجرة كأنه ماء والمبيض بكسر الياء المرحل
هو لابس البياض كن ابا خيثمة معناه انت ابو خيثمة وقيل معناه اللهم
اجعله ابا خيثمة اي ليوجد هذا الشخص حقيقة الذي لمزه المنافقون
يعني عابوه واحتقروه والقافل الراجع من سفره الى وطنه قوله
حضرني بثي البث اشد الحزن كأنه لشدته يبثه اي يظهره زاح
عني الباطل اي زال وذهب عني واجمعت صدقه اي قد عزمت عليه
لقد اعطيت جدلا اي فصاحة وقوة في الكلام بحيث اخرج من عهدة
ما ورد بما يشاء من الكلام والمغضب بفتح الضاد المعجمة وهو
الغضبان قوله فما زالوا يؤنبونني اي يلومونني حتى تنكرت
في الارض فما هي بالارض التي اعرف معناه تغير علي كل شيء من الارض
واستوحشت علي وصارت كأنها ارض لا اعرفها وقوله واما صاحباي فاستكانا
يعني خضعا وسكنا قوله تسورت حائط ابي قتادة اي علوته وصعدت
سوره وهو اعلاه والانباط الفلاحون والزراعون وهم العجم والروم
والضيعة مفعلة من الضياع والاطراح وقوله فتيممت بها التنور
فسجرتها اي فقصدت بالصحيفة التي ارسل بها ملك غسان فاحرقتها
في التنور وسلع جبل بالمدينة معروف وقوله فما طفقت اتأمم رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعني اقصده والفوج الجماعة من الناس ...ب
رق وجهه اذا لمع وظهر عليه امارات الفرح والسرور قوله انخلع من
مالي اي اخرج منه جميعه وفي الشر واذا اطلق كان في الشرع غالبا فاذا
اريد به الخير قيد به كما قيد هنا بقوله احسن مما ابلاني اي انعم علي قوله
ان لا اكون كذبته هكذا هو في جميع روايات الحديث بزيادة لفظة لا قال
العلماء لفظة لا زائدة ومعناه ان اكون كذبت وقوله فاهلك هو بكسر اللام
وارجأ امرنا اخره وقوله في الرواية الاخرى يحطمكم الناس اي يطؤكم
ويزدحمون عليكم واصل الحطم الكسر وقوله شطر الليل يعني نصف الليل
وقوله وآذن بتوبة الله علينا اي اعلم والاذان الاعلام انتهى والله اعلم
قوله عز وجل **حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت** يعني بما اتسعت
والرحب سعة المكان والمعنى انه ضاق عليهم المكان بعد ان كان واسعا **وضاقت**

عليهم

عليهم انفسهم يعني من شدة الغم والحزن ومجانبة الناس اياهم وتركهم كلامهم
وظنوا ان لا ملجأ يعني لا مفزع ولا مفر **من الله الا اليه** ولا عاصم من
عذابه الا هو ثم تاب عليهم فيه اضمار وحذف تقديره وظنوا ان لا ملجأ من
الله الا اليه فرحمهم **ثم تاب عليهم** وانما حسن هذا الكلام عليه وقوله
ثم تاب عليهم هو تأكيد لقبول توبتهم لانه ذكر توبتهم في قوله وعلى الثلاثة
الذين خلفوا كما تقدم بيانه وانه عطف على قوله لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين والانصار وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا وقوله
ليتوبوا معناه ان الله تعالى تاب عليهم في الماضي ليكون ذلك داعيا لهم
الى التوبة في المستقبل ليرجعوا ويداوموا عليها وقيل ان اصل التوبة
الرجوع ومعناه ثم تاب عليهم ليرجعوا الى حالتهم الاولى يعني الى
عادتهم في الاختلاط بالناس وسكن نفوسهم بذلك **ان الله هو**
التواب يعني على عباده **الرحيم** بهم وفيه دليل على قبول التوبة بمحض
الرحمة والكرم والفضل والاحسان وانه لا يجب على الله تعالى شيء

قوله عز وجل **يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله** يعني في مخالفة امر
رسول الله صلى الله عليه وسلم **وكونوا مع الصادقين** يعني مع من صدقوا
مع النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في الغزوات ولا تكونوا مع المتخلفين
اي المنافقين الذين قعدوا في البيوت وتركوا الغزو وقال ابو سفيان وسعيد بن جبير مع
الصادقين هم ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما وقال ابن جريج مع المهاجرين وقال ابن
عباس رضي الله تعالى عنه مع الذين صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم واعمالهم وخرجوا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص نية وقيل كونوا مع الذين صدقوا
في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الباطلة الكاذبة وهذه الآية تدل
على فضيلة الصدق لان الصدق يهدي الى الجنة والكذب الى الفجور كما ورد في الحديث
وقال ابن مسعود الكذب لا يصلح في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صاحبه شيئا
ثم لا ينجزه اقرؤوا ان شئتم وكونوا مع الصادقين وروي ان ابا بكر الصديق رضي الله تعالى
عنه احتج بهذه الآية على الانصار يوم السقيفة وذلك ان الانصار قالوا منا امير
ومنكم امير فقال ابو بكر يا معشر الانصار ان الله تعالى يقول في كتابه للفقراء
المهاجرين الى قوله اولئك هم الصادقون من هم قالت الانصار انتم قال ابو بكر
رضي الله تعالى عنه يقول يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين فأمركم
ان تكونوا معنا ولم يأمرنا ان نكون معكم نحن الامراء وانتم الوزراء وقيل مع بمعنى من
والمعنى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين قوله **ما كان لاهل المدينة**
يعني لساكني المدينة من المهاجرين والانصار **ومن حولهم من الاعراب** يعني سكان
البوادي مزينة وجهينة واسلم واشجع وغفار وقيل هو عام في الاعراب لان اللفظ
عام وحمله على العموم اولى **ان يتخلفوا عن رسول الله** اذا غزا وهذا ظاهره خبر
ومعناه النهي اي ليس لهم ان يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **ولا يرغبوا**
يعني وان لا يرغبوا **بانفسهم عن نفسه** يعني ليس لهم ان يكرهوا لانفسهم ما يختار
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرضاه لنفسه ولا يختاروا لانفسهم الخفض والدعة
ويتركوا مصاحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم والجهاد معه في حال الشدة والمشقة وقال

وقال الحسن لا يرغبوا بأنفسهم أن يصيبهم من الشدائد فيختاروا الخفض والدعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المشقة والسفر ومقاساة التعب **ذلك بأنهم لا يصيبهم** في سفرهم وغزواتهم **ظمأ** أي عطش **ولا نصب** أي تعب **ولا مخمصة** أي جوع شديد **في سبيل الله ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار** يعني ولا يطئون قدما على الأرض ليكون ذلك القدم سببا لغيظ الكفار وغمهم وحزنهم **ولا ينالون من عدو نيلا** يعني أسرا أو قتلا أو هزيمة أو غنيمة ونحو ذلك قليلا كان أو كثيرا **إلا كتب لهم به عمل صالح** يعني إلا كتب الله لهم بذلك ثواب عمل صالح قد ارتضاه الله لهم وقبله منهم وقوله تعالى **إن الله لا يضيع أجر المحسنين** يعني أن الله لا يدع محسنا من خلقه قد أحسن في عمله وأطاعه فيما أمره ونهاه عنه أن يجازيه على إحسانه وعمله الصالح وفي الآية دليل على أن من قصد طاعة الله كان قيامه وقعوده ومشيه وحركته وسكونه كلها حسنات إلا أن يغفرها الله تعالى بفضله وكرمه واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قتادة هذه خاصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي إذا غزا بنفسه لم يكن لأحد أن يتخلف عنه من الأنصار إلا بعذر وأما غيره من الأئمة والولاة فيجوز لمن شاء من المؤمنين أن يتخلف عنه إذا لم يكن للمسلمين إليه ضرورة وقال الوليد بن مسلم سمعت الأوزاعي وابن المبارك وابن جابر وسعيد بن عبد العزيز يقولون في هذه الآية إنها لأول هذه الأمة وآخرها فعلى هذا تكون محكمة لم تنسخ وقال ابن زيد هذا حين كان الإسلام قليلا فلما كثر نسخها الله تعالى وأباح التخلف لمن شاء بقوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة ونقل الواحدي عن عطية أنه قال وما كان لهم أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعاهم وأمرهم وقال الواحدي هذا هو الصحيح لأنه يتعين الطاعة والإجابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر وغيره من الأئمة والولاة إذا ندبوا وعينوا لأنا إذا سوغنا للمندوب أن يتقاعد ولم يختص ذلك ببعض دون بعض لأدى ذلك إلى تعطيل الجهاد والله أعلم

قوله عز وجل **ولا ينفقون** يعني في سبيل الله **نفقة صغيرة ولا كبيرة** يعني تمرة فما دونها وأكثر منها حتى علاقة سوط **ولا يقطعون واديا** يعني ولا يجاوزون في مسيرهم واديا مقبلين ومدبرين **إلا كتب لهم** يعني إلا كتب الله لهم آثارهم وخطاهم ونفقاتهم **ليجزيهم الله** يعني ليجازيهم **أحسن ما كانوا يعملون** قال الواحدي معناه بأحسن ما كانوا يعملون قال الإمام فخر الدين الرازي فيه وجهان الأول أن الأحسن من صفة أفعالهم وفيها الواجب والمندوب دون المباح والثاني أن الأحسن صفة للجزاء أي يجزيهم الله جزاء هو أحسن من أعمالهم وأجل وأفضل وهو الثواب وفي الآية دليل على فضل الجهاد وأنه أحسن أعمال العباد **(ق)** عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها **(ق)** عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا جهاد في سبيلي وإيمان بي وتصديق برسلي فهو ضامن علي أن أدخله الجنة أو أرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلا ما نال من أجر

أو غنيمة والذي نفس محمد بيده ما من كلم يكلم في سبيل الله إلا جاء يوم القيامة كهيئته يوم كلم لونه لون الدم وريحه ريح المسك والذي نفس محمد بيده لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأقتل ثم أغزو فأقتل لفظ مسلم وللبخاري نحوه **(ق)** عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أي الناس أفضل فقال مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله قال ثم من قال ثم رجل في شعب من الشعاب يعبد الله وفي رواية يتقي الله ويدع الناس من شره **(خ)** عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة يعني حسنات **(خ)** عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار **(م)** عن ابن مسعود الأنصاري البدري قال جاء رجل بناقة مخطومة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنفق نفقة في سبيل الله كتب الله له سبعمائة ضعف أخرجه الترمذي والنسائي قوله عز وجل **وما كان المؤمنون لينفروا كافة** قال عكرمة لما نزلت هذه الآية ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناس من المنافقين هلك من تخلف فنزلت هذه الآية وما كان المؤمنون لينفروا كافة وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه إنها ليست في الجهاد ولكن لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على مضر بالسنين أجدبت بلادهم فكانت القبيلة منهم تنتقل بأسرها حتى يحلوا بالمدينة من الجهد ويعتلوا بالإسلام وهم كاذبون فضيقوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه وأجهدوهم فأنزل الله تعالى يخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنهم ليسوا مؤمنين فردهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عشائرهم وحذر قومهم إذا رجعوا إليهم وفي رواية الكلبي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال إنه كان ينطلق من كل حي من العرب عصابة فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيسألونه عما يريدون من أمر دينهم أي ويتفقهون في دينهم ويقولون للنبي صلى الله عليه وسلم ما تأمرنا أن نفعله وأخبرنا بما نقول لعشائرنا إذا انطلقنا إليهم فيأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعة الله وطاعة رسوله ويبعثهم إلى قومهم بأن ينادوا أن من أسلم فهو منا وينذرونهم حتى إن الرجل ليفارق أباه وأمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بكل ما يحتاجون إليه من أمر الدين وينذرون قومهم إذا رجعوا إليهم ويدعونهم إلى الإسلام وينذرونهم النار ويبشرونهم بالجنة وقال مجاهد إن ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا إلى البوادي فأصابوا من الناس معروفا ومن الخصب ما ينتفعون به ودعوا من وجدوا من الناس إلى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم إلا وقد تركتم أصحابكم وجئتمونا فوجدوا في أنفسهم حرجا وأقبلوا من البادية كلهم حتى دخلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله عز وجل **فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة** يبتغون الخير وقعد طائفة ليتفقهوا وليسمعوا ما أنزل الله ولينذروا قومهم من الناس إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما كان المؤمنون لينفروا جميعا ويتركوا رسول الله

صلى الله عليه وسلم وحده فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة يعني عصبة يعني السرايا ولا يسيروا الا باذنه فاذا رجعت السرايا وقد نزل بعدهم قرآن تعلمه القاعدون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ان الله قد انزل على نبيكم من بعدكم قرآنا وقد تعلمناه فتمكث السرايا يتعلمون ما انزل الله تعالى على نبيهم صلى الله عليه وسلم بعدهم وتبعث سرايا اخرى فذلك قوله تعالى ليتفقهوا في الدين يقول ليتعلموا ما انزل الله على نبيهم وليعلموا السرايا اذا رجعت اليهم لعلهم يحذرون نقل هذه الاقوال كلها الطبري وانما نقلنا هذه الاية ان قيل انها من بقية احكام الجهاد ولكن يمكن انها كلام مبتدأ لا تعلق لها بالجهاد وعلى الاحتمال الاول فقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خرج الى الغزاة فانه لا يتخلف عنه الا منافق او صاحب عذر فلما بالغ الله في الكشف عن عيوب اولئك المنافقين وفضحهم في تخلفهم عن غزوة تبوك قال المؤمنون والله لا نتخلف عن شيء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن سرية يبعثها فلما قدم المدينة وبعث السرايا نفر المسلمون جميعا الى الغزو وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده فنزلت هذه الاية فيكون المعنى ما كان ينبغي للمؤمنين ولا يجوز لهم ان ينفروا الى الجهاد ويتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يجب ان ينقسموا قسمين فطائفة يكونوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطائفة ينفروا الى الجهاد لان ذلك الوقت كانت الحاجة داعية الى انقسام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى قسمين قسم للجهاد وقسم لتعلم العلم والتفقه في الدين لان احكام الشرائع كانت تتجدد شيئا بعد شيء فالملازمون للنبي صلى الله عليه وسلم يحفظون ما انزل من الاحكام وما تجدد من الشرائع فاذا قدم الغزاة اخبروهم بذلك فيكون معنى الاية وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا يعني فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة للجهاد وقعدت طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم الذين نفروا الى الجهاد اذا رجعوا اليهم من غزوهم لعلهم يحذرون يعني مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الله وامر رسوله وهذا معنى قول قتادة وقيل التفقه صفة الطائفة النافرة قال الحسن ليتفقه الذين خرجوا بما يريهم من الظهور على المشركين والنصرة وينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم ومعنى ذلك ان الفرقة النافرة اذا شاهدوا ونصرهم الله على اعدائهم وان الله يريد اعلاء دينه وتقوية نبيه صلى الله عليه وسلم فان الفئة القليلة غلبت جماعة كثيرة فاذا رجعوا من ذلك النفير الى قومهم من الكفار انذروهم بما شاهدوا من دلائل النصر والفتح والظهور لعلهم يحذرون فيتركوا الكفر والنفاق واورد على هذا القول ان هذا النوع لا يعد تفقها في الدين ويمكن ان يجاب عنهم بانهم اذا علموا ان الله ناصرهم ومقويهم على عدوهم كان ذلك زيادة في ايمانهم فيكون ذلك فقها في الدين واما الاحتمال الثاني وهو ان يقال ان هذه الاية كلام مبتدأ لا تعلق لها بالجهاد وهو ما ذكرناه عن مجاهد ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا الى البوادي فاصابوا معروفا ودعوا من وجدوا من الناس الى الهدى فقال الناس لهم ما نراكم الا وقد تركتم صاحبكم وجئتمونا فوجدوا من ذلك في انفسهم حرجا فاقبلوا كلهم من البادية حتى دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الاية يعني فهلا نفر من كل فرقة

منهم

منهم طائفة وقعدت طائفة ليتفقهوا في الدين وليلقوا ذلك الى الناس المتاخرين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يعني باس الله ونقمته اذا خالفوا امره وفي الاية دليل على انه يجب ان يكون المقصود من العلم والتفقه دعوة الخلق الى الحق وارشادهم الى الدين القويم والصراط المستقيم فكل من تفقه وتعلم لهذا المقصد كان على المنهج القويم والصراط المستقيم ومن عدل عنه وتعلم العلم لطلب الدنيا كان من الاخسرين اعمالا الاية (ق) عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وانما انا قاسم ويعطي الله ولم يزل امر هذه الامة مستقيما حتى تقوم الساعة وحتى ياتي امر الله (ق) عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا • عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقيه واحد اشد من الف عابد على الشيطان اخرجه الترمذي واصل الفقه في اللغة الفهم يقال فقه الرجل اذا فهم وفقه فقاهة اذا صار فقيها وقيل الفقه التوصل الى علم غائب بعلم شاهد فهو اخص من العلم وفي الاصطلاح ان الفقه عبارة عن العلم باحكام الشرائع واحكام الدين وذلك ينقسم الى فرض عين وفرض كفاية ففرض العين معرفة احكام الطهارة ومعرفة احكام الصلوة والصوم فعلى كل مكلف معرفة ذلك وقال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم ذكره البغوي بغير سند وكذلك كل عبادة وجبت على المكلف بحكم الشرع يجب عليه علمها مثل علم الزكاة اذا صار له مال تجب في مثله الزكاة وعلم احكام الحج اذا وجب عليه واما فرض الكفاية من الفقه فهو ان يتعلم ما حتى يبلغ به رتبة الاجتهاد ودرجة الفتيا واذا قعد اهل بلد عن تعلمه عصوا جميعا واذا قام به من كل بلد واحد حتى يبلغ درجة الفتيا سقط الفرض عن الباقين وعليهم تقليده فيما يقع لهم من الحوادث • عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة اخرجه الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع اخرجه الترمذي • عن عبد الله بن عمرو ابن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلم ثلاثة وما سوى ذلك فهو فضل اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة اخرجه ابو داود الاية المحكمة هي التي لا اشتباه فيها ولا اختلاف في حكمها او ما ليس بمنسوخ والسنة القائمة هي المستمرة الثابتة التي يعمل بها متصلة ولا يترك والفريضة العادلة هي التي لا جور فيها ولا حيف في قضائها قال الفضيل بن عياض عالم عامل معلم يدعى عظيما في ملكوت السموات اخرجه الترمذي موقوفا وقال الشافعي طلب العلم افضل من صلاة النافلة

قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار امروا ان يبدؤوا بالاقرب فالاقرب اليهم في الدار والنسب قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه مثل قريظة والنضير وخيبر ونحوها وقال ابن عمر هم الروم لانهم كانوا سكان الشام والشام اقرب الى المدينة من العراق وقال بعضهم وهو ان هذا الذين يلونكم من الكفار العرب فقاتلوهم

حتى يفرغ منهم أمر بقتال أهل الكتاب وجهادهم حتى يؤمنوا أو يعطوا الجزية عن يد نقل عن بعض العلماء أنه قال نزلت هذه الآية قبل الأمر بقتال المشركين كافة فصارت ناسخة لقوله تعالى قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وقال المحققون من العلماء لا وجه للنسخ فإنه تعالى أمرهم بقتال المشركين كافة أرشدهم إلى الطريق الأصوب الأصلح وهو أن يبدؤوا بقتال الأقرب فالأقرب حتى يصلوا إلى الأبعد فالأبعد وبهذا الطريق يحصل الغرض من قتال المشركين كافة لأن قتالهم في دفعة واحدة لا يتصور ولهذا السبب قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا قومه ثم انتقل منهم إلى قتال سائر العرب ثم إلى قتال أهل الكتاب وهم قريظة والنضير وخيبر وفدك ثم انتقل إلى غزو الروم في الشام فكان فتحه في زمن الصحابة ثم إنهم انتقلوا إلى العراق ثم بعد ذلك إلى سائر الأمصار لأنه إذا قاتل الأقرب فالأقرب فما يليه حصل لهم الانتفاع على الأوجه وقوله تعالى **وليجدوا فيكم غلظة** يعني شدة وقوة وشجاعة والغلظة ضد الرقة وقال الحسن صبرا على جهادهم **واعلموا أن الله مع المتقين** يعني بالعون والنصر قوله تعالى **وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا** يعني وإذا أنزل الله سورة من القرآن فمن المنافقين من يقول يعني لبعضهم بعضا أيكم زادته هذه يعني نزول السورة إيمانا وتصديقا ويقينا وإنما يقول المنافقون ذلك استهزاء وقيل يقول المنافقون ذلك لبعض المؤمنين فقال الله تعالى **فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانا** يعني تصديقا ويقينا وقربة من الله تعالى ومعنى الزيادة ضم الشيء إلى جنسه مما هو في صفته فالمؤمنون إذا أقروا بأن السورة من القرآن وعن تصديق واعتقاد أنها من عند الله عز وجل زادتهم ذلك الإقرار والاعتراف إيمانا وذلك يوجب مزيد الثواب في الآخرة وكما تحصل الزيادة وقد تقدم بسط الكلام في زيادة الإيمان في أول سورة الأنفال **وهم يستبشرون** يعني المؤمنين يفرحون بنزول القرآن يعني لأنهم كلما نزل ازدادوا إيمانا وذلك يوجب مزيد الثواب وهو قوله تعالى **وأما الذين في قلوبهم مرض** أي شك ونفاق وسمي الشك في الدين مرضا لأنه فساد في القلب يحتاج إلى العلاج **فزادتهم** أي نزول السورة من القرآن **رجسا إلى رجسهم** يعني كفرا إلى كفرهم وذلك كلما جحدوا نزول القرآن أو سورة أو استهزءوا بها ازدادوا كفرا إلى كفرهم الأول وسمى الكفر رجسا لأنه أقبح الأشياء قال وأصل الرجس في اللغة الشيء المستقذر **وماتوا** يعني هؤلاء المنافقين **وهم كافرون** يعني وهم جاحدون لما أنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم قال مجاهد في هذه الآية الإيمان يزيد وينقص وكان عمر رضي الله تعالى عنه يأخذ بيد الرجل والرجلين من أصحابه ويقول تعالوا حتى نزداد إيمانا وقال علي بن أبي طالب إن الإيمان يبدو لمعة بيضاء في القلب فكلما ازداد في الإيمان عظما ازداد ذلك البياض حتى يبيض القلب كله والنفاق يبدو لمظة سوداء في القلب فكلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد حتى يسود القلب كله وايم الله لو شققتم عن قلب مؤمن لوجدتموه أبيض ولو شققتم عن قلب منافق لوجدتموه أسود قوله عز وجل **أولا يرون** قرئ ترون بالتاء على خطاب المؤمنين وقرئ يرون بالياء على أنه خبر عن المنافقين المذكورين في قوله في قلوبهم مرض **أنهم يفتنون** أي يبتلون

في كل عام مرة أو مرتين يعني بالأمراض والشدائد والقحط والجدب وقيل بالغزو والجهاد وقيل يفتضحون بإظهار نفاقهم وقيل إنهم ينافقون ثم يؤمنون ثم ينافقون وقيل إنهم ينقضون عهدهم في السنة مرة أو مرتين **ثم لا يتوبون** يعني من النفاق **ولا هم يذكرون** يعني ولا هم يتعظون بما يرون من صدق وعد الله بالنصر والظفر للمسلمين **وإذا ما أنزلت سورة** يعني فيها عيب المنافقين وتوبيخهم **نظر بعضهم إلى بعض** يريد بذلك الهرب يقول بعضهم لبعض إشارة **هل يراكم من أحد** يعني هل أحد من المسلمين يراكم إن قمتم من مجلسكم فإن لم يرهم أحد خرجوا من المسجد وإن علموا أن أحدا من المؤمنين يراهم أقاموا ولبثوا على تلك الحال **ثم انصرفوا** عن الإيمان بتلك السورة النازلة وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون فيها ما يكرهون **صرف الله قلوبهم** يعني عن الإيمان وقال الزجاج أضلهم الله مجازاة لهم على فعلهم **بأنهم قوم لا يفقهون** يعني لا يفقهون عن الله دينه ولا شيئا فيه نفعهم والله أعلم ٥

قوله عز وجل لقد جاءكم رسول هذا خطاب للعرب يعني لقد جاءكم أيها العرب رسول **من أنفسكم** تعرفون نسبه وحسبه وأنه من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ليس قبيلة من العرب إلا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم نسب وقال جعفر بن محمد الصادق لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح هكذا ذكره الطبري وذكر البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني من سفاح أهل الجاهلية شيء ما ولدني إلا نكاح كنكاح أهل الإسلام قال قتادة جعله الله من أنفسهم فلا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة قال بعض العلماء في تفسير قول ابن عباس رضي الله تعالى عنه ليس قبيلة من العرب إلا ولدت النبي صلى الله عليه وسلم يعني مضرها وربيعها ويمانيها فأما ربيعة ومضر فهم من ولد معد بن عدنان وإليه ينتهي نسبه من جهة مؤمنهم وأما نسبه إلى عرب اليمن وهم القحطانية فإن آمنة لها نسب في الأنصار وكانت من قبيلتهم والأنصار أصلهم من عرب اليمن من ولد قحطان بن سبأ فعلى هذا القول يكون المقصود من قوله لقد جاءكم رسول من أنفسكم ترغيب العرب في نصره والإيمان به فإنه قد شرفهم بشرفه وعزهم بعزته وفخرهم بفخره فإنه من عشيرتهم يعرفونه بالصدق والأمانة والصيانة والعفاف وطهارة النسب والأخلاق الحميدة ٥ وقرأ ابن عباس والزهري من أنفسكم بفتح الفاء ومعناه من أشرفكم وأفضلكم (خ) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذي كنت منه (م) عن واثلة بن الأسقع قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله اصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم عن العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت يا رسول الله إن قريشا جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم فجعلوا مثلك كمثل نخلة في كبوة من الأرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خلق الخلق فجعلني من خير فرقهم وخير الفريقين ثم خير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم

ثم تخاربت البيوت تجعلني من خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا اخرجه بهذا الترمذي وقيل ان قوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عام لجميع العموم اولى فيكون المعنى على هذا القول لقد جاءكم رسول من انفسكم يعني من جنسكم بشر مثلكم اذ لو كانت من الملائكة لضعفت قوى البشر عن سماع كلامه والاخذ عنه قوله تعالى **عزيز عليه ما عنتم** اي شديد عليه عنتكم اي مكروهكم وقيل يشق عليه ضلالكم **حريص عليكم** يعني حريص على هدايتكم وان ينقذكم الله **بالمؤمنين رؤوف رحيم** يعني انه صلى الله عليه وسلم رؤوف بالمطيعين رحيم بالمذنبين **ق** عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي وقد سماه الله رؤوفا رحيما وقال ان الله بالناس لرؤوف رحيم قوله تعالى **فان تولوا** فان اعرضوا هؤلاء الكفار والمنافقين عن الايمان بالله ورسوله وناصبوك الحرب **فقل حسبي الله** يعني يكفيني الله وينصرني عليكم **لا اله الا هو عليه توكلت** لا على غيره وبه وثقت **وهو رب العرش العظيم** انما خصه بالذكر لانه اعظم المخلوقات فيدخل ما دونه في الذكر فيكون المعنى فهو رب العرش العظيم فما دونه او يكون خصه بالذكر تشريفا له كما يقال بيت الله وروي عن ابي بن كعب انه قال هما تان الايتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخر السورة اخر القران نزولا وفي رواية عنه قال احدث القران بالله هاتان الايتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخر الايتين والله اعلم بمراده واسرار كتابه والحمد لله وحده

تفسير سورة يونس عليه السلام

نزلت بمكة الا ثلاث ايات وهي فان كنت في شك مما انزلنا اليك الى اخر الثلاث قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه وبه قال قتادة وفي رواية اخرى عن ابن عباس انه من المدني قوله ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به الاية وقال مقاتل هي مكية الا ايتين وهي قوله قل بفضل الله وبرحمته والتي تليها وهي مائة وتسع ايات والف وثمانمائة واثنان وثلاثون كلمة وتسعة الاف وستون حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **الر** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه والضحاك معناه انا الله ارى وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه الر وحم ونون حروف مقطعة الرحمن وبه قال سعيد بن جبير وسالم بن عبد الله وقال قتادة الر من اسماء القران وقيل هو اسم السورة وقد تقدم الكلام في معنى الحروف المقطعة في اول سورة البقرة بما فيه كفاية **تلك ايات الكتاب** يعني المراد من لفظ تلك الاشارة الى الايات الموجودة في هذه السورة ويكون التقدير تلك الايات هي ايات الكتاب وهو القران الذي انزله الله اليك يا محمد وذلك ان الله وعد ان ينزل عليه كتابا لا يمحوه الماء ولا يغيره الدهور وقيل ان لفظة تلك الاشارة الى ما تقدم هذه السورة من ايات القران فالمعنى ان تلك الاشارة هي ايات الكتاب الحكيم وفيه قول اخر ان المراد بها ايات الكتاب وهو القران الذي انزله حكاه الطبري عن قتادة

مجاهد

مجاهد انها التوراة والانجيل فعلى هذا القول يكون التقدير ان الايات المذكورة في هذه السورة هي الايات المذكورة في التوراة والانجيل والمراد من الايات القصص المذكورة في هذه السورة وهذا وان كان له وجه فهو ضعيف لان التوراة والانجيل لم يجر لهما ذكر قريب حتى يشار اليهما وقيل المراد من الايات حروف الهجاء التي منها الر اسميت ايات لافتتاح السور وسور القران **الحكيم** يعني المحكم بالحلال والحرام والحدود والاحكام فعيل بمعنى مفعول وقيل الحكيم بمعنى الحاكم فعيل بمعنى فاعل لان القران حاكم يميز بين الحق والباطل ويفصل الحلال من الحرام وقيل حكيم يعني المحكوم فعيل بمعنى المفعول قال الحسن حكم بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وقيل ان الحكيم هو الذي يفعل الحكمة والصواب فمن حيث يدل على الاحكام صار كانه هو الحكيم في نفسه قوله تعالى **اكان للناس عجبا** سبب نزول هذه الاية قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان الله تعالى لما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا انكرت العرب ذلك ومن انكر منهم قالت المشركون الله اعظم من ان يكون له رسول بشر مثل محمد فقال الله تعالى اكان للناس عجبا **ان اوحينا الى رجل منهم** وقال وما ارسلنا من قبلك الاية والهمزة في اكان همزة استفهام ومعناه الانكار والتوبيخ والمعنى لا يكون ذلك عجبا ان اوحينا الى رجال منهم والعجب حالة تعترض للانسان عند الجهل بسبب الشيء ولهذا قال بعض الحكماء حال لا يعرف سببه والمراد بالناس هنا اهل مكة وبالرجل محمد صلى الله عليه وسلم يعني من اهل مكة من قريش يعرفون نسبه وصدقه وامانته **ان انذر الناس** يعني خوفهم بعقاب الله تعالى ان اصروا على الكفر والمخالفة والانذار اخبار مع تخويف كما ان البشارة اخبار مع سرور وهو قوله تعالى **وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند ربهم** اختلف عبارات المفسرين واهل اللغة في معنى قدم صدق فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم وقال الضحاك ثواب صدق وقال مجاهد الاعمال الصالحة صلاتهم وصيامهم وصدقتهم وتسبيحهم وقال الحسن عمل صالح اسلفوه يقدمون عليه وفي رواية اخرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال سبقت لهم السعادة في الذكر الاول يعني في اللوح المحفوظ وقال زيد بن اسلم هو شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول قتادة وقيل لهم منزلة رفيعة عند ربهم واضيف القدم الى الصدق وهو نعته كقوله مسجد الجامع وصلاة الاولى وحب الحصيد والفائدة في هذه الاضافة التنبيه على زيادة الفضل ومدح القدم لان كل شيء اضيف الى الصدق فهو ممدوح ومثله في مقعد صدق ومدخل صدق وقال ابو عبيدة كل سابق في خير او شر فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم في الاسلام وقدم في الخير ولفلان عندي قدم صدق وقدم سوء وقال حسان بن ثابت في شعره

لنا القدم العليا اليك وخلفنا ۞ لاولنا في طاعة الله تابع

وقال الليث والهيثم القدم السابق والمعنى انه سبق لهم عند الله خير قال ذو الرمة حيث يقول

وانت امرؤ من اهل بيت ذوابة ۞ لهم قدم معروفة والمفاخر

قال والسبب في اطلاق لفظ القدم على هذه المعاني ان السعي والسبق لا يحصل

موت

الا بالتقدم فسمي المسبب باسم السبب كما سميت النعمة يدا لانها تعطي باليد وقال ذو الرمة في شعره

لكم قدم لا ينكر الناس انها ❊ مع الحسب العادي طمت على البحر

معناه لكم سابقة عظيمة لا ينكرها الناس وقال اخر

صل لذي العرش واتخذ قدما ❊ ينجيك يوم العثار والزلل

وقوله تعالى قال الكافرون ان هذا لسحر مبين وقرئ لساحر مبين وفيه حذف تقديره اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم فلما جاءهم بالوحي وانذرهم قال الكافرون ان هذا الساحر يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وانما نسبوه الى السحر لما اتاهم بالمعجزات الباهرات التي لا يقدر احد من البشر ان يأتي بمثلها ومن قرأ لسحر فانهم عنوا به القرآن المنزل عليه وانما نسبوه الى السحر لان فيه الاخبار بالبعث والنشور وكانوا ينكرون ذلك ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش تقدم تفسير هذا في سورة الاعراف بما فيه كفاية قوله تعالى يدبر الامر قال مجاهد يقضيه وحده وقيل معناه يدبر تنزيل الامور في مراتبها وعلى احكام عواقبها وقيل معناه ان الله تعالى يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة وهو النظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يدخل في الوجود ما لا ينبغي وقيل معناه تعالى يدبر احوال الخلق واحوال ملكوت السموات والارض فلا يحدث حادث في العالم العلوي ولا في العالم السفلي الا بارادته وتدبيره وقضائه وحكمه ما من شفيع الا من بعد اذنه يعني لا يشفع لعبد شافع يوم القيامة الا من بعد ان يأذن له في الشفاعة لانه عالم بمصالح عباده وموضع الصواب والحكمة في تدبيره فلا يجوز لاحد ان يسأله ما لا اذن له في الشفاعة كان له ان يشفع فيمن يأذن له فيه وفيه رد على كفار قريش في قولهم ان الاصنام تشفع في جميع العالم ذلكم الله ربكم يعني الذي خلق هذه الاشياء ودبرها هو الله ربكم وسيدكم لا رب غيره سواكم فاعبدوه يعني فاجعلوا عبادتكم له لا لغيره لانه هو المستحق للعبادة بما انعم الله عليكم من النعمة العظيمة افلا تذكرون يعني افلا تتعظون وتعتبرون بهذه الدلائل والايات التي تدل على وحدانيته سبحانه وتعالى قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا يعني اليه ربكم الذي خلق جميع المخلوقات مصيركم جميعا ايها الناس يوم القيامة والمرجع بمعنى الرجوع وعد الله يعني وعدكم الله وعدا حقا انه يبدأ الخلق ثم يعيده يحييهم ابتداء ثم يميتهم ثم يحييهم وهذا معنى قول مجاهد قال يحييه ثم يميته ثم يحييه وفي هذه الاية دليل على امكان الحشر والنشر والمعاد وصحته ووقوعه ورد على منكري البعث ووقوعه لان القادر على خلق هذه الاجسام المؤلفة والاعضاء المركبة على غير مثال سبق قادر على اعادتها بعد تفرقها بالموت والبلا فتركب تلك الاجزاء المتفرقة تركيبا ثانيا ويخلق الانسان الاول مرة اخرى كما لم يمتنع تعلق هذا المعنى بالبدن في المرة الاولى لم يمتنع تعلقها بالبدن مرة اخرى واذا ثبت القول بصحة المعاد والبعث بعد الموت كان المقصود منه ايصال الثواب للمطيع والعقاب للعاصي وهو قوله تعالى ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط يعني بالعدل لا ينقص من اجورهم شيء والذين كفروا لهم شراب من حميم يعني ماء حار قد انتهى حره وعذاب اليم بما كانوا يكفرون قوله عز وجل هو الذي جعل الشمس ضيا

يعني

يعني ذات ضيا والقمر نورا يعني ذات نور وقد اختلف العلما واصحاب الكلام هنا في الاشعاع الفايض من الشمس هل هو جسم او عرض والحق انه عرض وهو كيف مخصوص فالنور اسم لهذه الكيفية والضيا اسم لهذه الكيفية اما كانت كاملة تامة قوية فلهذا اختص الشمس بالضيا لانها اقوى واكمل من النور وخص القمر بالنور لانه اضعف من الضيا ولانهما لو تساويا لم يعرف الليل من النهار فدل ذلك على ان الضيا المختص بالشمس اكمل واقوى من النور المختص بالقمر وقدره منازل قيل الضمير في وقدره يرجع الى الشمس والقمر والمعنى قدر لهما منازل اي وقدر سيرهما منازل لا يجاوزانها في السير ولا يقصران عنها وانما وحد الضمير في وقدره للايجاز فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر فهو كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وقيل الضمير في وقدره يرجع الى القمر وحده لان سير القمر في المنازل اسرع وبه يعرف انقضا الشهور والسنين وذلك لان الشهور المعتبرة في الشرع مبنية على روية الاهلة والسنة المعتبرة في الشرع هي السنة القمرية لا الشمسية ومنازل القمر ثمانية وعشرون منزلة وهي الشرطين ❊ والبطين ❊ والثريا ❊ والدبران ❊ والهقعة ❊ والهنعة ❊ والذراع ❊ والنثرة ❊ والطرف ❊ والجبهة ❊ والزبرة ❊ والصرفة ❊ والعوا ❊ والسماك ❊ والغفر ❊ والزبانا ❊ والاكليل ❊ والقلب ❊ والشولة ❊ والنعايم ❊ والبلدة ❊ وسعد الذابح ❊ وسعد بلع ❊ وسعد السعود ❊ وسعد الاخبية ❊ وفرع الدلو المقدم ❊ وفرع الدلو المؤخر ❊ وبطن الحوت ❊ فهذه منازل القمر وهي مقسومة على اثني عشر برجا وهي الحمل ❊ والثور ❊ والجوزا ❊ والسرطان ❊ والاسد ❊ والسنبلة ❊ والميزان ❊ والعقرب ❊ والقوس ❊ والجدي ❊ والدلو ❊ والحوت ❊ لكل برج منزلتان وثلث منزلة وينزل القمر كل ليلة منزلا منها الى انقضا ثمانية وعشرين ثم يستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين اختفى ليلة واحدة لتعلموا عدد السنين يعني قدر هذه المنازل لتعلموا بها عدد السنين وقت دخولها والحساب يعني ولتعلموا حساب الشهور والايام والساعات اي في انقضائها وزيادتها ما خلق الله ذلك الا بالحق يعني الحق واظهار قدرته ودلايل وحدانيته ولم يخلق ذلك باطلا ولا عبثا يفصل الايات لقوم يعلمون يعني يبين دلايل التوحيد بالبراهين القاطعة لقوم يستدلون بها على قدرة الله تعالى ووحدانيته ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم يتقون تقدم تفسير هذه الاية ونظايرها ان الذين لا يرجون لقانا اي لا يخافون لقانا يوم القيامة فهم مكذبون بالثواب والعقاب والرجا يكون بمعنى الخوف تقول العرب فلان لا يرجو فلانا يعني لا يخاف ومنه قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا ومنه قول ابي ذويب الهذلي ❊ اذا لسعته النحل لم يرج لسعها ❊ اي لم يخفه والرجا يكون بمعنى الخوف والطمع فيكون المعنى لا يطمعون في ثواب ورضوا بالحياة الدنيا يعني اختاروها وعملوا في طلبها فهم راضون بزينة الدنيا وزخرفها واطمانوا بها يعني سكنوا اليها مطمئنين فيها بزينة الدنيا وزخرفها وهذه الطمانينة التي حصلت في قلوب الكفار من الميل الى الدنيا ولذاتها ازالت عن قلوبهم الوجل والحزن فاذا سمعوا الانذار والتخويف لم يصل ذلك الى قلوبهم

فيها

والذين هم عن آياتنا غافلون قيل المراد بالآيات دلائل التوحيد وقال ابن عباس رضي
الله عنه عن آياتنا عن محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن غافلون أي معرضون
أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون من الكفر والتكذيب والأعمال الخبيثة
قوله عز وجل إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم
يعني يهديهم ربهم إلى الجنان وأعمالهم الصالحة وقال يهديهم الصراط إلى الجنة
يجعل لهم نورا يمشون به وقال قتادة بلغنا أن المؤمن إذا خرج من قبره
يصور له عمله في صورة حسنة فيقول له من أنت فيقول أنا عملك
فيكون له نورا وقائدا إلى الجنة والكافر بالضد فلا يزال به عمله حتى يدخله
النار وقال ابن الأنباري يجوز أن يكون المعنى أن الله يزيدهم هداية بخصائص
ولطائف وبصائر ينور بها قلوبهم ويزيل بها الشكوك عنهم ويجوز أن يكون
المعنى ويثبتهم على الهداية وقيل معناه بإيمانهم يهديهم ربهم لدينه أي
بتصديقهم هداهم تجري من تحتهم الأنهار يعني بين أيديهم ينظرون إليها
من أعالي أسرتهم وقصورهم وهو كقوله قد جعل ربك تحتك سريا لم يرد به
أنه تحتها وهي قاعدة عليه بل أراد بين يديها وقيل تجري بأمرهم في جنات
النعيم يعني ذلك في جنات النعيم لهم دعواهم فيها أي قولهم وكلامهم فيها
وقيل الدعوى بمعنى الدعاء أي دعاؤهم فيها سبحانك اللهم وهي كلمة
تنزيه من كل سوء ونقيصة قال أهل التفسير هذه الكلمة علامة بين
أهل الجنة والخدم في الطعام فإذا أرادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فأتوهم
في الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة
سبعون ألف صحفة في كل صحفة لون من طعام لا يشبه بعضها بعضا
فإذا فرغوا من الطعام حمدوا الله على ما أعطاهم فذلك قوله تعالى
وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين وقيل إن المراد بقولهم سبحانك اللهم
اشتغال أهل الجنة بالتسبيح والتقديس لله عز وجل والثناء عليه بما
هو أهله وفي هذا الذكر والتحميد سرورهم وابتهاجهم وكمال لذتهم
ويدل عليه ما روي عن جابر رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون
ولا يتغوطون ولا يمتخطون قالوا فما بال الطعام قال جشاء ورشح كرشح
المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وفي رواية التسبيح
والحمد أخرجه مسلم قوله جشاء أي يخرج ذلك الطعام جشاء وعرقا قوله
تعالى وتحيتهم فيها سلام يعني يحيي بعضهم بعضا بالسلام وقيل تحييهم
الملائكة بالسلام وقيل تأتيهم الملائكة من عند ربهم بالسلام وآخر
دعواهم أن الحمد لله رب العالمين قد ذكرنا أن جماعة من المفسرين
حملوا التحميد والتسبيح على أحوال أهل الجنة بسبب المأكول والمشروب
وأنهم إذا اشتهوا شيئا قالوا سبحانك اللهم فيحضر ذلك الشيء فإذا فرغوا
منه قالوا الحمد لله رب العالمين فترفع الموائد عند ذلك وقد قال
الزجاج أعلم الله أن أهل الجنة يبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون
بشكر الله والثناء عليه وقيل إنهم يلهمون ذلك كما ورد في الحديث قوله

تعالى

تعالى ولو يعجل الله للناس الشر يعني ولو يعجل الله للناس إجابة دعائهم
في الشر فيما لهم فيه مضرة ومكروه في نفس أو مال قال ابن عباس رضي الله
تعالى عنه هذا في قول الرجل لأهله وولده عند الغضب لعنكم الله
لا بارك الله فيكم وقال قتادة هو دعاء الرجل على أهله ونفسه وماله وولده
بما يكره أن يستجاب له فيه استعجالهم بالخير يعني كاستعجالهم
بالخير لما يحبون أن يعجل لهم إجابة دعائهم لقضي إليهم أجلهم يعني
لفرغ من هلاكهم وماتوا جميعا والتعجيل تقديم الشيء قبل وقته والاستعجال
طلب العجلة وقال ابن قتيبة إن الناس عند الغضب والضجر يدعون
على أنفسهم وأهليهم وأولادهم بالموت وتعجيل البلاء كما يدعون بالرزق
والرحمة وإعطاء السؤال يقول لو أجاب الله تعالى لهم إذا دعوا بالشيء الذي
يستعجلونه استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم يعني لفرغ من هلاكهم
ولكن الله عز وجل بفضله وكرمه يستجيب للداعي بالخير ولا يستجيب له
في الشر وقيل إن هذه الآية نزلت في الحرث بن النضر حين قال اللهم إن
كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فعلى هذا
يكون المعنى ولو يعجل الله للكافرين العذاب كما يعجل لهم خير الدنيا
أي بالمال والولد لعجل قضى أجلهم فأهلكوا جميعا ويدل على صحة هذا
المعنى قوله تعالى فنذر الذين لا يرجون لقاءنا يعني فندع الذين
لا يخافون عقابنا ولا يؤمنون بالبعث بعد الموت في طغيانهم يعني في
تمردهم وعتوهم يعمهون يعني يترددون ق عن أبي هريرة رضي الله تعالى
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم إني اتخذت عندك
عهدا لن تخلفنيه فإنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر فأيما رجل من
المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة
تقربه بها إليك يوم القيامة واجعل ذلك كفارة له يوم القيامة **قوله عز وجل**
وإذا مس الإنسان الضر أي الشدة والجهد والمراد بالإنسان في هذه
الآية الكافر دعانا لجنبه أي على جنبه مضطجعا أو قاعدا أو قائما
يريد جميع حالاته لأن الإنسان لا ينفك عن إحدى هذه الحالات الثلاث
والمعنى أن المضرور لا يزال داعيا في جميع حالاته إلى أن ينكشف ضره سواء
كان مضطجعا أو قائما أو قاعدا وقال الزجاج وجائز أن يكون المعنى
وإذا مس الإنسان الضر لجنبه أو مسه قاعدا أو قائما وهذا القول
فيه بعد لأن ذكر الدعاء في هذه الأحوال أقرب من ذكر الضر فلما كشفنا
عنه ضره يعني لما أزلنا عنه ما نزل به من الضر ورفعنا عنه مر يعني
على طريقته الأولى قبل مس الضر كأن لم يدعنا فيه حذف تقديره كأنه لم
يدعنا وإنما أسقط الضمير على التخفيف إلى ضر مسه والمعنى أنه استمر على
حالته الأولى قبل أن يمسه الضر ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء والضيق
والفقر كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني مثل ما زين للكافرين
هذا العمل القبيح كذلك زين للمسرفين والمزين هو الله تعالى لأنه مالك الملك
والخلق كلهم عبيده وهو يتصرف فيهم كيف يشاء وقيل المزين هو الشيطان

وذلك بإقدار الله تعالى إياه على ذلك والمسرف هو المجاوز الحد في كل شيء وإنما سمي الكافر مسرفا لأنه أتلف نفسه وضيعها في عبادة الأصنام وأتلف ماله وضيعه في البحائر والسوائب وما كانوا ينفقونه على الأصنام وسدنتها يعني خدامها وقال ابن جريج في قوله كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون يعني من الدعاء عند المصيبة وترك الشكر عند الرخاء وقيل كما زين لكم أعمالكم كذلك زين للمسرفين الذين كانوا من قبلكم أعمالهم بيان مقصود الآية وهو أن الإنسان قليل الصبر عند نزول البلاء قليل الشكر عند حصول النعمة والرخاء فإذا مسه الضر أقبل على الدعاء والتضرع في جميع حالاته مجتهدا في الدعاء طالبا من الله إزالة ما نزل به من المحنة والبلاء فإذا كشف الله ذلك عنه أعرض عن الشكر ورجع إلى ما كان عليه أولا وهذه حالة الغافل الضعيف اليقين فأما المؤمن العاقل فإنه بخلاف ذلك فيكون صابرا على البلاء شاكرا عند الرخاء والنعماء كثير التضرع والدعاء في أوقات الراحة والرفاهية وهاهنا مقام أعلى من هذا وهو أن المؤمن إذا ابتلي ببلية أو نزل به مكروه ولم يكن مع ذلك صابرا بل راضيا بقضاء الله غير معترض بالقلب عليه بل يكون شاكرا لله عز وجل في جميع أحواله وكمال العبد المؤمن أن الله تعالى له التصرف بما يشاء ويعلم أنه إن أبقى عليه تلك المحنة فهو عدل وإن أزالها فهو فضل قوله تعالى **ولقد أهلكنا القرون من قبلكم** يعني أهلكنا الأمم الماضية من قبلكم يخوف بذلك كفار قريش **لما ظلموا** يعني لما أشركوا **وجاءتهم رسلهم بالبينات** يعني فكذبوهم **وما كانوا ليؤمنوا** يعني هذه الأمم برسلهم وتصديقهم بما جاءوا به من عند الله **كذلك نجزي القوم المجرمين** يعني كما أهلكنا الأمم الخالية بما كذبوا رسلهم كذلك نهلككم أيها المجرمون بتكذيبكم محمدا صلى الله عليه وسلم **ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم** الخطاب لأهل مكة الذين أرسل فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى ثم جعلناكم أيها الناس خلفا في الأرض من بعد القرون الماضية الذين أهلكناهم **لننظر كيف تعملون** يعني خيرا أو شرا فنجازيكم على حسب أعمالكم والنظر هنا بمعنى العلم يريد لنختبر أعمالكم وهو أعلم بما يكون قبل أن يكون قال أهل المعاني معنى النظر هو طلب العلم وجاز في وصف الله تعالى لإظهار العدل لأنه تعالى يعامل العبد معاملة من يطلب العلم بما يكون منهم ثم ليجازيهم بحسبه كقوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا ذكره الواحدي والرازي عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء أخرجه مسلم قوله فاتقوا الدنيا معناه احذروا فتنة الدنيا واحذروا فتنة النساء

قوله عز وجل **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات** يعني وإذا قرئ على هؤلاء المشركين آيات كتابنا الذي أنزلناه إليك يا محمد بينات يعني واضحات تدل على وحدانيتنا وصحة نبوتك **قال الذين لا يرجون لقاءنا** يعني هؤلاء المشركين الذين لا يخافون

عقابنا ولا يرجون ثوابنا لأنهم لا يؤمنون بالبعث بعد الموت وكل من كان منكرا للبعث فإنه لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا **ائت بقرآن غير هذا أو بدله** قال قتادة قال ذلك مشركو مكة وقال مقاتل هم خمسة نفر عبد الله بن أمية المخزومي والوليد ابن المغيرة ومكرز بن حفص وعمرو بن عبد الله بن أبي قيس العامري والعاص ابن عامر بن هشام قال هؤلاء للنبي صلى الله عليه وسلم إن كنت تريد أن نؤمن بك فأت بقرآن غير هذا أو بدله ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وإن لم ينزله الله عليك فقل أنت من نفسك أو بدله فاجعل مكان آية عذاب آية رحمة ومكان حرام حلالا ومكان حلال حراما قال الإمام فخر الدين الرازي اعلم أن التماس الكفار على هذا الالتماس يحتمل وجهين أحدهما أنهم ذكروا ذلك على سبيل السخرية والاستهزاء الثاني أن يكونوا قالوا ذلك على سبيل التجربة والامتحان حتى إذا هو فعل ذلك علموا أنه كان كذابا في قوله إن هذا القرآن ينزل عليه من عند الله ومعنى قوله ائت بقرآن غير هذا أو بدله يحتمل أن يأت بقرآن آخر مع وجود هذا القرآن والمبدل لا يكون إلا مع وجوده وهو أن يبدل بعض آياته بغيرها كما طلبوه ولما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره أن يجيبهم بقوله **قل** يا محمد أي قل يا محمد لهؤلاء **ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي** يعني أن هذا الذي طلبتموه من التبديل ليس لي وما ينبغي لي أن أغيره من قبلي يعني ولم أومر به **إن أتبع إلا ما يوحى إلي** يعني فيما أمركم به وما نهاكم عنه وما أخبركم إلا ما يخبرني الله به وأن الذي أتيتكم به هو من عند الله لا من عندي **إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم** أي قل لهم يا محمد إني أخشى من الله تعالى إن خالفت أمره أو غيرت أحكام كتابه أو بدلته فعصيته بذلك هو أن يعذبني بعذاب أليم في يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها

قوله عز وجل **قل** أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين طلبوا منك تغيير القرآن وتبديله **لو شاء الله ما تلوته عليكم** يعني لو شاء الله تعالى لم ينزل علي هذا القرآن ولم يأمرني بقراءته عليكم **ولا أدراكم به** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ولا أعلمكم به وقيل ولا أدراكم به يعني ولا أدراكم الله به ولا أعلمكم به **فقد لبثت فيكم عمرا من قبله** يعني فقد مكثت فيكم قبل أن يوحى إلي هذا القرآن مدة أربعين سنة لم آتكم بشيء ووجه هذا الاحتجاج أن كفار مكة كانوا قد شاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بعثته وعلموا أحواله لم يطالع كتابا ولا تعلم من أحد مدة عمره قبل الوحي وذلك أربعون سنة ثم من بعد الأربعين جاءهم بهذا الكتاب المشتمل على نفائس العلوم وأخبار الماضين وفيه من الأحكام والآداب ومكارم الأخلاق والفصاحة والبلاغة ما أعجز العلماء والفصحاء والبلغاء معارضته كل من كان له عقل وفهم فإنه يعلم أن هذا لم يحصل إلا بوحي من الله تعالى لا من عند نفسه وهو قوله تعالى **أفلا تعقلون** يعني أفلا تعقلون أن هذا من عند الله أوحاه إلي لا من قبل نفسي **(ق)** عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين ثم مكث ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ثم أمر بالهجرة فهاجر إلى المدينة فمكث بها عشر سنين ثم توفي صلى الله عليه وسلم وفي رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء ولا يرى شيئا سبع سنين وثمان سنين يوحى إليه وأقام بالمدينة عشر سنين

وتوفي وهو ابن خمس وستين سنة اخرجاه في الصحيحين خ عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ثلاث وستين سنة اخرجه مسلم ق عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن قال انس بن مالك يصف النبي صلى الله عليه وسلم يقول كان ربعة من القوم ليس بالطويل البائن ولا بالقصير ابيض اللون ليس بالابيض الامهق ولا بالآدم ليس بجعد ولا قطط ولا سبط رجل انزل عليه الوحي وهو ابن اربعين سنة فلبث بمكة عشر سنين ينزل عليه الوحي وبالمدينة عشرا وتوفاه الله تعالى وهو ابن ستين سنة وليس في راسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء اخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محيي الدين النووي في عمره ثلاث روايات احدها انه صلى الله عليه وسلم توفي وهو ابن ستين سنة والثانية خمس وستون سنة والثالثة ثلاث وستون سنة وهي اصحها واشهرها رواه مسلم من حديث انس وعائشة وابن عباس واتفق العلماء على ان اصحها ثلاث وستون وتأولوا الباقي عليه فرواية ستين اقتصر فيها على العقود وترك الكسر ورواية الخمسة متأولة ايضا وحصل فيها اشتباه قوله يسمع الصوت صوت الهاتف من الملائكة ويرى الضوء يعني نور الملائكة ونور آيات الله تعالى حتى رأى الملك بعينه وشافهه بالوحي من الله عز وجل وقوله ليس بالابيض الامهق المراد به الشديد البياض كلون الجص وهو كريه المنظر وربما توهم الناظر انه برص والمراد انه كان ازهر اللون بين البياض والحمرة **قوله عز وجل** **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا** يعني فزعم ان له شريكا وولدا والمعنى اني لم افتر على الله كذبا ولم اكذب عليه في قولي ان هذا القرآن من عند الله وانتم قد افتريتم على الله الكذب فزعمتم ان له شريكا وولدا والله منزه عن الشريك والولد كما قال احد في الدنيا اظلم على نفسه منه حيث افترى على الله لما كان هذا القرآن من عند الله وجاء الحجة [illegible] ليس احد في الدنيا اجهل ولا اظلم على نفسه منكم من حيث انكم انكرتم ان يكون هذا القرآن من عند الله فقد كذبتم بآيات الله وهو قوله **او كذب بآياته** يعني محمد بكون القرآن من عند الله وانكر دلائل التوحيد **انه لا يفلح المجرمون** يعني المشركين وهذا وعيد وتأكيد لما سبق **ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم** يعني ويعبد هؤلاء المشركون الاصنام التي لا تضرهم ان عصوها ولا تنفعهم ان عبدوها لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع ولان العبادة اعظم انواع التعظيم فلا تليق الا بمن يضر وينفع وهذه الاصنام حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع **ويقولون هؤلاء** يعني الاصنام التي يعبدونها **شفعاؤنا عند الله** قال اهل المعاني توهموا ان عبادتها اشد في تعظيم الله من عبادتهم اياه وقالوا ليس لنا اهلية ان نعبد الله ولكن نشتغل بعبادة الاصنام فانها تكون شافعة لنا عند الله ومنه قوله اخبارا عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وفي هذه الشفاعة قولان احدهما انهم يزعمون انها تشفع لهم في الآخرة قاله ابن جريج عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه والثاني انها تشفع لهم في الدنيا في اصلاح معاشهم قال الحسن لانهم كانوا لا يعتقدون بعثا بعد الموت **قل** اي قل يا محمد **اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض** يعني اتخبرون الله ان له شريكا ولا يعلم الله لنفسه شريكا في السموات ولا في الارض وهذا على طريق الالزام والمقصود نفي علم الله بذلك الشريك وانه لا وجود له البتة لانه لو كان موجودا لعلمه الله وحيث لو كان معلوما لله وجب ان لا يكون موجودا ومثل هذا

مشهور

مشهور في العرف فان الانسان اذا اراد نفي شيء حصل في نفسه يقول ما علم الله ذلك مني مقصوده اي ما حصل ذلك الشيء منه قط ولا وقع **سبحانه وتعالى عما يشركون** نزه الله تعالى نفسه عن الشركاء والاضداد والانداد وتعالى ان يكون له شريك في السموات والارض قوله تعالى **وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا** يعني فتفرقوا المؤمن والكافر يعني كانوا جميعا على الدين الحق وهو دين الاسلام وذلك من لدن آدم عليه الصلاة والسلام وذريته كانوا على دين الاسلام الى ان قتل قابيل هابيل ثم اختلفوا فبعث الله تعالى نوحا عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين ثم اختلفوا بعد ذلك وكانوا على دين الاسلام على عهد ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام الى ان غيره عمرو بن لحي فعلى هذا القول يكون المراد من الناس في قوله وما كان الناس الا امة واحدة يعني في الكفر وهذا القول منقول عن جماعة من المفسرين ويدل عليه قوله تعالى في سورة البقرة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وتقديره انه لا يستطيع ان يصير الناس على دين واحد فانهم كانوا اولا على الكفر وانما اسلم بعضهم فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل كان الناس امة واحدة وليس في الآية ما يدل على اي دين كانوا من ايمان او كفر فهو موقوف على دليل خارج وقيل معناه كانوا في اول الخلق على الفطرة السليمة الصحيحة ثم اختلفوا في الاديان واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه او يمجسانه والمراد بالفطرة في الحديث فطرة الاسلام **قوله تعالى** **ولولا كلمة سبقت من ربك** يعني انه تعالى جعل لكل امة اجلا وقضى في سابق الازل قال الكلبي هي اجاله هذه الامة وانه لا يهلكهم بالعذاب **لقضي بينهم** يعني بنزول العذاب وتعجيل العقوبة للمكذبين لكان ذلك فصلا بينهم **فيما فيه يختلفون** وقال الحسن ولولا كلمة سبقت من ربك يعني مضت في حكم الله انه لا يقضي بينهم فيما اختلفوا فيه في الثواب والعقاب دون يوم القيامة لقضى بينهم في الدنيا فادخل المؤمنين الجنة بايمانهم وادخل الكافرين النار بكفرهم ولكن سبق من الله الاجل فجعل موعدهم يوم القيامة وقيل سبق من الله انه لا يؤاخذ احدا الا بعد اقامة الحجة عليه الكلمة التي سبقت من الله هي قوله ان رحمتي سبقت غضبي ولولا رحمته لعجل الحكم والعقوبة في الدنيا ولكن اخرهم برحمته الى يوم القيامة ثم يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون يعني في الدنيا **ويقولون** يعني كفار مكة **لولا انزل عليه آية من ربه** يعني لولا نزل على محمد ما نقترحه عليه من الآيات **فقل** اي فقل لهم يا محمد **انما الغيب لله** يعني ان الذي سألتموني هو من الغيب وانما الغيب لله لا يعلم احد ذلك الا هو والمعنى لا يعلم احد متى نزول الآية الا هو **فانتظروا** يعني نزولها **اني معكم من المنتظرين** وقيل معناه فانتظروا قضاء الله بيننا باظهار الحق على الباطل اني معكم من المنتظرين **قوله عز وجل** **واذا اذقنا الناس رحمة** يعني رخاء ونعمة **من بعد ضراء مستهم** يعني من بعد شدة وبلاء وضيق في العيش اصابهم والمراد بالناس هنا كفار اهل مكة وذلك ان الله حبس عنهم المطر سبع سنين حتى هلكوا من الجوع والقحط ثم ان الله تعالى رحمهم وانزل عليهم المطر الكثير حتى اخصبت البلاد وعاش الناس بعد ذلك الضر فلم يتعظوا بذلك بل رجعوا الى الفساد والكفر والمكر وهو قوله تعالى **اذا لهم مكر في آياتنا** قال مجاهد اي تكذيب واستهزاء وقال مقاتل

ابن حيان لا يقولون مطرنا بنوء كذا وانما يقولون سقينا كذا وكذا ويدل على صحة هذا
القول ما روي عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
الصبح بالحديبية على اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال
هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادي مؤمن بي وكافر
بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بالله ومؤمن بالكواكب اخرجاه
في الصحيحين قوله على اثر سماء اي مطر كان وقع بالليل وسمي المطر سماء لانه
ينزل من السماء والانواء عند العرب هي منازل القمر اذا طلع نجم سقط نظيره وكانوا
يعتقدون ذلك في الجاهلية لانه لا بد لذلك من وجود مطر وريح كما تزعم المنجمون
ايضا من العرب من يجعل ذلك النوء مؤثرا للطالع لانه ناء اي ظهر وطلع ومنهم من
ينسبه للغارب فنفى النبي صلى الله عليه وسلم صحة ذلك ونهى عنه وكفر معتقده
اذا اعتقد ان النجم فاعل على ذلك النوء المؤثر اما من يجعله دليلا فهو جاهل بمعنى
الدلالة واما من يجعله استند ذلك للعادة التي يجوز انخراجها فقد كرهه
جماعة وحرمه قوم ومنهم من تاوله الكفر كفر نعمة الله والله اعلم وسمي تكذيبهم بايات
الله مكرا لان المكر عبارة عن صدف الشي عن وجهه الظاهر بنوع من الحيلة وكان
كفار مكة يحتالون في دفع ايات الله بكل ما يقدرون عليه من المفاسد **قل الله اسرع
مكرا** اي قل لهم يا محمد الله اعجل عقوبة واشد اخذا اذا اقدم على الجزاء وان عذابه في
هلاككم اسرع اليكم مما ياتي منكم في دفع الحق ولما قابلوا نعمة الله بالمكر قابل مكرهم
بمكر الله اشد منه وهو امهالهم الى يوم القيامة **ان رسلنا يكتبون ما تمكرون**
يعني الحفظة الكرام الكاتبين يكتبون ويحفظون اعمالهم الخبيثة السيئة الى يوم
القيامة حتى تفتضحوا وتجزون على مكركم قوله تعالى **هو الذي يسيركم في البر والبحر**
يعني والله الذي يسيركم ويحملكم في البر على ظهور الدواب وفي البحر على الفلك وقيل
معناه الله الهادي لكم في البر والبحر طلبا في المعاش وهو المهيئ لكم اسباب السير في البر
والبحر **حتى اذا كنتم في الفلك** يعني في السفن ولفظ الفلك يطلق على الواحد
والجمع وتقديرهما يختلفان فان اريد بها الواحد كان كقفل وان اريد الجمع كان كاسد
والمراد به هنا الجمع لقوله تعالى **وجرين بهم بريح طيبة** يعني وجرت السفن بركابها

فان قلت

ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة

قلت

ذكر صاحب الكشاف المقصود منه المبالغة كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها
ويستدعي منهم مزيد الانكار والتقبيح وقال غيره ان مخاطبة الله لعباده هو على
لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فهو بمنزلة الخبر على الغائب وقيل وكل من اقام الغائب
مقام المخاطب حسن منه ان يرده الى الغائب وقيل ان الالتفات في الكلام من الغيبة
الى الحضور وبالعكس فهو من فصيح كلام العرب **وفرحوا بها** يعني وجرت السفن
بريح طيبة ساكنة وفرحوا بها يعني وفرح ركبان ذلك الفلك بتلك الريح الطيبة لان
الانسان اذا ركب السفينة ووجد الريح الطيبة الموافقة للمقصود حصل له النفع
التام والمسرة العظيمة بذلك **جاءتها ريح عاصف** يعني قيل ان الضمير في جاءتها
يعود الى الريح يعني جاءت الريح الطيبة ريح عاصف شديدة فاقلبتها وقيل الضمير في جاءتها
يرجع الى الفلك يعني جاءت الفلك ريح عاصف يقال ريح عاصف وعاصفة ومعنى عصفت
الريح اشتدت واصل العصف السرعة وانما قال عاصف لانه يريد به عصوف اي ذات

ان

ان الريح قد تذكر **وجاءهم الموج من كل مكان** يعني وجاء ركاب السفينة الموج
وهو ما ارتفع وعلا من عذب الماء في البحر وقيل هو شدة حركة الماء في البحر واختلاطه
وظنوا انهم احيط بهم قيل يعني فظنوا ان الهلاك قد احاط بهم واحدق
وقيل المراد من الظن اليقين اي ايقنوا انه الهلاك وقيل بل المراد منه المقاربة
من الهلاك والدنو منه والاشراف عليه **دعوا الله مخلصين له الدين** يعني انهم
اخلصوا في الدعاء لله عز وجل ولم يدعوا احدا سواه من الهتهم وقيل يعني هذا
الاخلاص العلم الحقيقي اي اخلاص ايمان لانهم كانوا يعلمون حقيقة انه لا ينجيهم من جميع
الشدائد والبلايا الا الله تعالى فكانوا اذا وقعوا في شدة وضر وبلاء اخلصوا له
الدعاء **لئن انجيتنا** اي قائلين لئن انجيتنا **من هذه** يعني من هذه الشدائد التي نحن
فيها وهي الريح العاصفة والامواج الشديدة **لنكونن من الشاكرين** يعني من
الشاكرين لك على نعمائك علينا بخلاصنا مما نحن فيه من الشدة **فلما انجاهم** يعني فلما
انجاهم الله هؤلاء الذين ظنوا الغرق انهم احيط بهم من الشدة التي كانوا فيها **اذا هم
يبغون في الارض بغير الحق** يعني انهم اخلفوا الله ما وعدوه وبغوا في الارض
فتجاوزوا في الحد فيها الى غير ما امر الله به من الكفر والعمل بالمعاصي على ظهرها
قال واصل البغي مجاوزة الحد قال صاحب المفردات والبغي على ضربين احدهما
محمود وهو مجاوزة العدل الى الاحسان والفرض الى التطوع والثاني مذموم وهو
مجاوزة الحق الى الباطل او الى الشبهة قال صاحب الكشاف

فان قلت

ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق

قلت

بلى قد يكون بحق وهو
استيلاء المسلمين على الكفرة وهدم دورهم واحراق زرعهم وقطع شجرهم كما فعل النبي
صلى الله عليه وسلم ببني قريظة **يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم** يعني ان فعال
بغيكم راجع اليكم **متاع الحياة الدنيا** قيل هو كلام مبتدأ والمعنى ان بغي بعضكم
على بعض هو متاع الحياة الدنيا لا يصلح زادا للاخرة وقيل هو كلام متصل بما قبله
والمعنى يا ايها الناس انما بغيكم مدة حياتكم وهي قصيرة في سرعة انقضائها والبغي من
منكرات الذنوب العظام قال بعضهم لو بغى جبل على جبل لاندك الباغي وقد نظم
بعضهم هذا الشعر وكان المامون يتمثل به ويقول

يا صاحب البغي ان البغي مصرعة ... فارجع فخير مقال المرء اعدله

فلو بغى جبل يوما على جبل ... لاندك منه اعاليه واسفله

قوله عز وجل

ثم الينا مرجعكم يعني يوم القيامة **فننبئكم** اي فنخبركم **بما كنتم تعملون** يعني في الدنيا من البغي والمعاصي فنجازيكم عليها

قوله عز وجل

انما مثل الحياة الدنيا اي مثل يعني في فنائها وزوالها **كماء انزلناه من السماء** يعني
ذلك المطر **فاختلط به** يعني اي بالمطر **نبات الارض** قال ابن عباس رضي الله تعالى
عنه نبت بالماء من كل لون **مما ياكل الناس** يعني من الحبوب والثمار **والانعام** يعني ومما
ياكل الانعام من الحشيش ونحوه **حتى اذا اخذت الارض زخرفها** يعني حسنها ونضارتها
وبهجتها واظهرت الوان زهرتها من ابيض واحمر واصفر وغير ذلك من الزهر **وازينت**
اي فتزينت **وظن اهلها** يعني اهل تلك الارض **انهم قادرون عليها** يعني على جذاذها
وقطافها وحصادها ولكنا يه الى الارض والمراد النبات اذ كان مفهوما وقيل
رده الى الثمرة والغلة وقيل الى الزينة **اتاها امرنا** يعني قضاؤنا باهلاكها **ليلا او نهارا**

يعني في الليل أو في النهار فجعلناها حصيدا يعني محصودة مقطوعة كأن لم تغن بالأمس يعني كأن لم تكن تلك الأشجار والنبات والزروع نابتة قائمة على ظهر الأرض وأصله من غني فلان بالمكان إذا أقام وهذا المثل ضربه الله تعالى قائمة على وجه الأرض تعالى للمتشبث بالدنيا الراغب في زهرتها وحسنها وذلك أنه تعالى لما قال يا أيها الناس إنما بغيكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا أتبعه بهذا المثل لمن يبغي في الأرض ويتجبر فيها وركن إلى الدنيا وأعرض عن الآخرة لأن النبات في أول بروزه من الأرض ومبدأ خروجه يكون ضعيفا فإذا نزل عليه المطر واختلط به قوي وحسن واكتسى كمال الرونق والزينة وهو المراد من قوله حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وهو على التشبيه إذا لبست الثياب الفاخرة من كل لون وجنس من حمرة وخضرة وصفرة وبياض ولا شك أن الأرض متى كانت على هذه الصفة فإنه يفرح بها صاحبها ويعظم رجاؤه في الانتفاع بها وبما فيها ثم إن الله تعالى أرسل إلى هذه الأرض صاعقة أو بردا أو ريحا فجعلها حصيدا كأن لم تغن من قبل فكذلك من هو المتشبث بالدنيا يأتيه أمر الله وعذابه أغفل ما يكون ووجه التمثيل أن غاية هذه الحياة الدنيا التي يتمتع بها المرء كغاية هذا النبات الذي لما عظم الرجاء في الانتفاع به وقع اليأس ولكن المتمسك بالدنيا إذا نال منها بغيته أتاه الموت بغتة فيسلبه ما هو فيه من نعيم الدنيا ولذاتها وقيل يحتمل أن يكون ضرب هذا المثل لمن ينكر المعاد والبعث بعد الموت وذلك أن الزرع إذا انتهى وتكامل في الحسن إلى الغاية القصوى أتاه آفة فتلفه بالكلية قال والله تعالى قادر على إعادته كما كان أول مرة فضرب الله تعالى هذا المثل ليدل على أن من قدر على إعادة ذلك النبات بعد التلف كان قادرا على إعادة الأموات أحياء في الآخرة ليجازيهم على أعمالهم فيثيب الطائع ويعاقب العاصي كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون يعني كما بينا لكم مثل الحياة الدنيا بهذا المثل وقد عرفناكم حكمها كذلك نبين حججنا وأدلتنا لمن تفكر واعتبر ليكون ذلك موجبا وسببا لزوال الشك والشبهة من القلوب

قوله عز وجل والله يدعو إلى دار السلام لما ذكر هذه الحياة الدنيا وأنها فانية زائلة لا محالة دعا إلى دار السلام وقال قتادة الله هو السلام وداره الجنة فعلى هذا أن السلام اسم من أسمائه عز وجل ومعناه أنه تعالى سلم من جميع النقائص والعيوب والفناء والتغير وقيل إنه تعالى يوصف بالسلام لأن الخلق سلموا من ظلمه وقيل لأنه تعالى يوصف بالسلام يعني دار السلام ولا يقدر على تخليص العاجزين من المكاره والآفات إلا هو وقيل دار السلام اسم الجنة وهو جمع سلامة قال والمعنى أن من دخلها فقد سلم من جميع الآفات كالموت والمرض والمصائب والحزن والغم والتعب والنكد وقيل سميت الجنة دار السلام لأن الله تعالى يسلم على أهلها أو تسلم الملائكة عليهم وقيل إن من كمال رحمة الله وجوده وكرمه على عباده أن دعاهم إلى جنته التي هي دار السلام وفيه دليل على أن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لأن العظيم لا يدعو إلا إلى عظيم ولا يصف إلا عظيما وقد وصف الله تعالى الجنة بآيات كثيرة في كتابه ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم يعني والله يهدي من يشاء من خلقه إلى صراط مستقيم وهو دين الإسلام بالدعوة أولا إظهارا للحجة وخص بالدعوة ثانيا استغناء عن الخلق وإظهارا للقدرة فحصلت المغايرة بين الدعوتين عن جابر قال جاءت ملائكة

إلى

إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم إنه نائم وقلبه يقظان فقالوا إن لصاحبكم مثلا فاضربوا له مثلا فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا أولوها له يفقهها فقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع الله أطاع محمدا ومن عصى الله فقد عصى محمدا ومحمد فرق بين الناس **وفي رواية** قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزد قال الحميدي وذكر أبو مسعود أنه قال فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي يقول أحدهما لصاحبه اضرب له مثلا وذكره عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ضرب مثلا صراطا مستقيما على كنفي الصراط سوران لهما أبواب مفتحة على الأبواب ستور وداع يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم والأبواب التي على كنفي الصراط حدود الله فلا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف الستر والذي يدعو من فوقه واعظ ربه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب

قوله عز وجل للذين أحسنوا الحسنى قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه للذين شهدوا أن لا إله إلا الله الجنة وقيل معناه للذين أحسنوا عبادة الله في الدنيا من خلقه وأطاعوه فيما أمرهم به ونهاهم عنه الحسنى وزيادة قال ابن الأنباري الحسنى في اللغة تأنيث الأحسن والعرب توقع هذه اللفظة على الخلة المحبوبة والخصلة المرغوب فيها وقيل معناه للذين أحسنوا المثوبة وزيادة اختلف المفسرون في معنى هذه الحسنى وفي الزيادة على أقوال القول الأول أن الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى الكريم وهذا قول جماعة من الصحابة منهم أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وحذيفة وأبو موسى الأشعري وعبادة بن الصامت وهو قول الحسن وعكرمة ومقاتل والضحاك والسدي ويدل على هذا القول المنقول والمعقول أما المنقول فما روي عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئا أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار فيكشف الحجاب فما يعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى زاد في رواية ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة أخرجه مسلم وروى الطبري بسنده عن كعب بن عجرة أحسنوا الحسنى وزيادة وروى الطبري قال الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى وبه قال أبي بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله تعالى وبه عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال النظر إلى وجه الله تعالى وبه عن أبي موسى الأشعري قال إذا كان يوم القيامة بعث الله إلى أهل الجنة مناديا ينادي هل أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون إلى ما أعد لهم من الكرامات فيقولون نعم فيقول الله للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى وفي رواية رفعه أبو موسى قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يبعث يوم القيامة فذكر بمعناه وبه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال إذا دخل أهل الجنة الجنة قال لهم هل بقي من حقكم شيء لم تعطوه قال فيتجلى لهم عز وجل قال فيصغر كل شيء عندهم أعطوه ثم قال للذين أحسنوا الحسنى وزيادة قال الحسنى الجنة

والزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى فهذه الاخبار والاثار دلت على ان الزيادة هي النظر الى وجه الله تعالى واما المعقول فنقول ان الحسنى لفظة مفردة دخل عليها لفظ التعريف والتعريف الى المعروف السابق وهي الجنة واذا ثبت هذا وجب ان يكون المراد من الزيادة امرا مغايرا لكل ما في الجنة من النعيم والا لزم التكرار واذا كان كذلك وجب حمل هذه الزيادة على رؤية الله تعالى ومما يؤكد ذلك قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فاثبت لاهل الجنة امرين احدهما النضارة وهو حسن الوجوه وذلك من نعيم الجنة والثاني النظر الى وجه الله تعالى وايات القران يفسر بعضها بعضا فوجب حمل الحسنى على الجنة ونعيمها وحمل الزيادة على رؤية الله تعالى لانا الدلائل العقلية دلت على ان رؤية الله تعالى صفة فلان الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد عليه ورؤية الله تعالى ليست من نعيم الجنة ولان الاخبار التي تمسكتم بها توجب التشبيه ولان جماعة من المفسرين حملوا هذه الزيادة على الرؤية غير ما قلتم فاجاب اصحابنا عن هذا الاعتراض بان الدلائل العقلية قد دلت على وقوع رؤية الله تعالى في الاخرة واذا لم يوجد في العقل ما يمنع عن رؤية الله تعالى وجاءت الايات الصحيحة باثبات الرؤية وجب المصير اليها واجراؤها على ظواهرها من غير تشبيه ولا احاطة واجيب عن قولهم بان الزيادة يجب ان تكون من جنس المزيد عليه فنقول المزيد عليه اذا كان مقدرا معينا كانت الزيادة من جنسه واذا لم يكن مقدرا بمقدار معين وجب ان تكون الزيادة مخالفة له فالمذكور في هذه الاية لفظ الحسنى وهو الجنة ونعيمها غير مقدر بمقدار معين فوجب ان الزيادة عليها تكون شيئا مغايرا لنعيم الجنة وذلك المغاير هو الرؤية واجيب عن قولهم بان جماعة من المفسرين حملوا الزيادة على غير الرؤية فقد عارضهم قول جماعة بان الزيادة هي الرؤية والمثبت مقدم على النافي والله اعلم القول الثاني في تفسير هذه الاية ما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه انه قال الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة لها اربعة ابواب القول الثالث الحسنى واحدة الحسنات والزيادة التضعيف الى تمام العشرة الى سبعمائة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه هو مثل قوله تعالى ولدينا مزيد يجزيهم بعملهم ويزيدهم من فضله قال قتادة كان الحسن يقول الزيادة هي الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف القول الرابع ان الحسنى حسنة مثل حسنة والزيادة مغفرة من الله تعالى ورضوان قاله مجاهد القول الخامس قول من يقول ان الحسنى هي الجنة والزيادة ما اعطاهم الله في الدنيا لا يحاسبهم به يوم القيامة قوله تعالى **ولا يرهق وجوههم** يعني ولا يغشى وجوه اهل الجنة **قتر** اي كآبة ولا كسوف ولا غبار قال ابن عباس رضي الله تعالى هو سواد الوجه **ولا ذلة** يعني ولا هوان قال ابن ابي ليلى هذا بعد نظرهم الى ربهم تبارك وتعالى **اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون** يعني ان هؤلاء الذين وصفتهم هم اصحاب الجنة لا غيرهم وهم فيها مقيمون لا يخرجون منها ابدا قوله تعالى **والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها** اعلم ان الله تعالى لما شرح احوال المحسنين وما اعد لهم من الكرامات شرح في هذه الاية حال من اقدم على فعل السيئات والمراد بهم الكفار فقال تعالى والذين كسبوا السيئات يعني والذين عملوا السيئات والمراد بالكفر والمعاصي جزاء سيئة بمثلها يعني فلهم جزاء السيئة التي عملوها مثلها من العقاب والمقصود من هذا التقييد التنبيه على الفرق بين الحسنات والسيئات لان الحسنات يضاعف ثوابها لعاملها من الواحد الى العشرة الى السبعمائة الى اضعاف كثيرة وذلك تفضلا منه وتكرما واما

السيئات فانه يجازي بمثلها عدلا منه سبحانه وتعالى **وترهقهم ذلة** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه تغشاهم ذلة وهوان لعذاب الله اياهم **ما لهم من الله من عاصم** يعني ما لهم مانع يمنعهم من عذاب الله تعالى اذا نزل بهم **كانما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما** يعني كانما كسيت وجوههم سوادا من الليل المظلم **اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** قوله تعالى **ويوم نحشرهم جميعا** الحشر الجمع من كل جانب وناحية الى موضع واحد والمعنى ويوم نجمع الخلائق جميعا لموقف الحساب وهو يوم القيامة **ثم نقول للذين اشركوا مكانكم** اي الزموا مكانكم واثبتوا فيه حتى تسالوا وفي هذا وعيد وتهديد للعابدين والمعبودين **انتم وشركاؤكم** يعني انتم ايها المشركون والاصنام التي كنتم تعبدونها من دون الله **فزيلنا بينهم** يعني ففرقنا بين العابدين والمعبودين وفرقنا بينهم وانقطع ما كان بينهم في التواصل في الدنيا **فان قلت** قوله فزيلنا بينهم جاء على لفظ الماضي بعد قوله ثم نقول للذين اشركوا وهو منتظر في المستقبل فما فائدة وجهه **قلت** السبب فيه ان الذي حكم الله فيه بانه سيكون صار كالكائن الان اما قوله تعالى **وقال شركاؤهم** يعني الاصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله وانما سماهم شركاؤهم لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم ولانه تعالى لما خاطب العابدين والمعبودين بقوله مكانكم فقد صاروا شركاء في هذا الخطاب **ما كنتم ايانا تعبدون** تبرا المعبودون من العابدين فان قلت كيف صدر هذا الكلام من الاصنام وهي جماد لا روح فيها ولا عقل لها قلت يجوز ان الله تعالى خلق لها في ذلك اليوم من الحياة والعقل والنطق حتى قدرت على الكلام فان قلت اذا احياهم الله تعالى في ذلك اليوم فهل يفنيهم او يبقيهم قلت الكل محتمل ولا اعتراض على الله في شيء من افعاله واحوال القيامة غير معلومة الا ما دل عليه الدليل من كتاب او سنة فان قلت ان الاصنام قد انكرت ان الكفار كانوا يعبدونها قلت قد تقدمت هذه المسالة وجوابها في سورة الانعام وقال مجاهد يكون في يوم القيامة ساعة يكون فيها شدة تنصب لهم الالهة التي كانوا يعبدونها من دون الله فتقول الالهة والله ما كنا نسمع ولا نبصر ولا نعقل ولا نعلم انكم قد كنتم تعبدوننا فيقولون والله **فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين** والمعنى قد علم الله وكفى به شهيدا انا ما علمنا انكم كنتم تعبدوننا وما كنا عن عبادتكم ايانا من دون الله الا غافلين ما نشعر بذلك اما قوله **هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت** فهو كالتتمة للاية المتقدمة والمعنى ان في ذلك المقام او ذلك الموقف او في ذلك الوقت على معنى استعارة اطلاق اسم المكان على الزمان وفي قوله تبلوا قراءة قرئ بتاءين ولها معنيان احدهما انه من تلاه اذا تبعه اي تتبع كل نفس ما اسلفت لان العمل هو الذي يهدي النفس الى الثواب والعقاب الثاني ان يكون من التلاوة والمعنى ان كل نفس تقرا صحيفة عملها من خير او شر وقرئ تبلوا بالتاء والباء ومعناه تختبر وتعلم والبلوى الاختبار والمعنى اختبار ما اسلفت من قدم خيرا او شرا تعلم عليه او جوزي به وقوله تعالى **وردوا الى الله مولاهم الحق** الرد عبارة عن صرف الشيء الى الموضع الذي فيه والمعنى ردوا

الى ما ظهر لهم من الله الى الله الذي هو مالكهم ومتولي امورهم **فان قلت** قد قال الله تعالى في اية اخرى ان الكافرين لا مولى لهم فما الفرق **قلت** انه في اللغة قد يطلق على المالك ويطلق على الناصر فمعنى المولى هنا المالك ومعنى المولى هناك الناصر فحصل الفرق بين الايتين قوله تعالى **وضل عنهم ما كانوا يفترون** يعني وبطل وذهب ما كانوا يكذبون فيه في الدنيا وهو قولهم ان هذه الاصنام تشفع لنا قوله عز وجل **قل من يرزقكم من السماء والارض** اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين من يرزقكم من السماء يعني المطر والارض يعني النبات **ام من يملك السمع والابصار** يعني ومن اعطاكم هذه الحواس تسمعون بها وتبصرون بها **ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي** يعني انه يخرج الانسان حيا من النطفة وهي ميتة وكذلك الطير من البيضة وكذلك يخرج النطفة الميتة من الانسان الحي والبيضة من الطائر الحي وقيل معناه انه يخرج المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والقول الاول اقرب الى الحقيقة **ومن يدبر الامر** يعني ان مدبر السموات وما فيها ومدبر الارض وما فيها هو الله تعالى وكذلك قوله **فسيقولون الله** يعني انهم يعترفون بان فاعل هذه الاشياء هو الله فاذا كانوا يقرون بذلك **فقل** لهم يا محمد **افلا تتقون** يعني تخافون عقابه حيث تعبدون هذه الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء من هذه الامور **فذلكم الله ربكم الحق** يعني فذلكم الذي يفعل هذه الاشيا ويقدر عليها هو الله ربكم الحق الذي يستحق العبادة **فماذا بعد الحق الا الضلال** يعني اذا ثبتت هذه البراهين الواضحة والدلائل القطعية ان الله هو الحق وجب ان يكون ما سواه باطلا وضلالا **فانى تصرفون** يعني اذا عرفتم هذا الامر الظاهر الواضح فكيف تستجيزون العدول عن الحق الى الضلال **كذلك** اي كما ثبت انه ليس بعد الحق الا الضلال **حقت** اي وجبت **كلمة ربك** في الازل **على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون** المراد بكلمة الله قضاؤه في اللوح المحفوظ انهم لا يؤمنون وقضاء الله لا يرد **قل هل من شركائكم** اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين هل من شركائكم يعني هذه الاصنام التي تزعمون انها آلهة **من يبدؤ الخلق ثم يعيده** يعني من يقدر على ان ينشئ الخلق على غير مثال سبق ثم يعيده بعد الموت كهيئته اول مرة وهذا السؤال استفهام انكار **قل** يا محمد **الله يبدؤ الخلق ثم يعيده** يعني هو الله القادر على ابتداء الخلق واعادته **فانى تؤفكون** يعني فانى تصرفون عن قصد السبيل والمراد منه التعجب من احوالهم **قل** اي يا محمد قل انت **هل من شركائكم من يهدي الى الحق** يعني من هذه الاصنام هل يقدر ان يرشد الى الحق فاذا قالوا لا ولا بد لهم من ذلك **قل** اي يا محمد قل انت **الله يهدي للحق** يعني ان الله يرشد الى الحق لا غيره **افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى** يعني ان الذي يهدي الى الحق فهو احق بالاتباع لان هذه الاصنام التي لا تهتدي الا ان تهدى **فان قلت** ذكر العلماء عن هذا السؤال وجوها الاول ان معنى الهداية في حق الاصنام الانتقال من مكان الى مكان فيكون المعنى انها لا تنتقل من مكان الى مكان الا ان تحمل فتبين به عجز الاصنام الوجه الثاني ان ذكر الهداية في حق الاصنام على وجه المجاز

انظر لعل هنا سقط عند فان قلت من الاصل

وذلك

وذلك ان المشركين لما اتخذوا الاصنام آلهة وانزلوها منزلة من يسمع ويعقل عبر عنها بما يسمع ويعقل ووصفها بهذه الصفة وان كان الامر ليس كذلك الوجه الثالث يحتمل ان يكون المراد من قوله تعالى قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده الاصنام والمراد من قوله من يهدي الى الحق رؤسا الكفر والضلال لان الله تعالى هدى الخلق الى الدين بما ظهر من الدلائل الدالة على وحدانيته واما رؤسا الكفار والضلال فانهم لا يقدرون على هداية غيرهم الا ان هداهم الله الى الحق فكان اتباع دين الله اولى من اتباع غيره **فما لكم كيف تحكمون** قال الزجاج فما لكم كلام تام لانه قيل لهم اي شيء لكم في عبادة هذه الاصنام ثم قال كيف تحكمون يعني على اي حال تحكمون وقيل معناه بيس ما حكمتم اذ جعلتم لله شركا ممن ليس بيده منفعة ولا نصرة ولا هداية **وما يتبع اكثرهم الا ظنا** يعني وما يتبع اكثر هؤلاء المشركين الا ما لا علم لهم بحقيقته وصحته بل هم في شك منه وريبة قيل المراد بالاكثر يعني الكل لان جميع المشركين يتبعون الظن في دعواهم ان الاصنام تشفع لهم وقيل المراد بالاكثر الرؤسا **ان الظن لا يغني من الحق شيئا** يعني ان الشك لا يغني عن الحق شيئا ولا يقوم مقامه ولا يدفع عنهم من عذاب الله شيئا **ان الله عليم بما يفعلون** يعني من اتباعهم الظن وتكذيبهم الحق اليقين **وما كان هذا القران ان يفترى من دون الله** يعني وما كان ينبغي لهذا القران ان يختلق ويفتعل لان معنى الافترا الاختلاق والمعنى ليس وصف القران وصف شيء يمكن ان يفترى به على الله لان المفترى هو الذي ياتي به البشر وذلك ان كفار مكة زعموا ان محمدا صلى الله عليه وسلم اتى بهذا القران من عند نفسه على سبيل الافتعال والاختلاق فاخبر الله عز وجل ان هذا القران وحي انزله الله عليه وانه بريء من الافترا والكذب وانه لا يقدر عليه احد الا الله ثم ذكر ما يؤكد هذا بقوله **ولكن تصديق الذي بين يديه** يعني ولكن الله انزل هذا القران مصدقا لما قبله من الكتب التي انزلها على انبيائه والتوراة والانجيل ونحو ذلك لان محمدا صلى الله عليه وسلم كان اميا لا يقرا ولا يكتب ولم يجتمع باحد من العلما ثم انه اتى بهذا القران العظيم المعجز وفيه اخبار الاولين وقصص الماضين وكل ذلك هو موافق لما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة ولو لم يكن كذلك لقدحوا فيه ولعداوة اهل الكتاب له ولما لم يقدح فيه احد من اهل الكتاب علم بذلك ان ما فيه من القصص والاخبار مطابقة لما في التوراة والانجيل مع القطع بانه ما علم ما فيها فثبت بذلك انه وحي من الله انزله عليه فانه مصدق لما بين يديه وانه معجزة له وقيل يعني من اخبار الغيوب الاتية فانها جاءت على وفق ما اخبر **وتفصيل الكتاب** يعني وتبيين ما في الكتاب من الحلال والحرام والفرائض والاحكام **لا ريب فيه من رب العالمين** يعني ان هذا القران لا شك فيه انه من رب العالمين وانه ليس مفترى على الله وانه لا يقدر احد من البشر على الاتيان بمثله **ام يقولون افتراه** يعني ام يقول هؤلاء المشركون افترى محمد هذا القران واختلقه من قبل نفسه وهو استفهام انكار وقيل ام بمعنى الواو ويقولون افتراه **قل** يا محمد ان كان هذا الامر كما تقولون

فأتوا بسورة مثله يعني بسورة تشبهه في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم وأنتم عرب
مثله في الفصاحة والبلاغة فإن قلت قال فأتوا بسورة من مثله في سورة البقرة وقال
هنا بسورة مثله فما فائدة ذلك وما الفرق بينهما قلت لما كان محمد صلى الله عليه وسلم
أميا لم يقرأ ولم يكتب وأتى بهذا القرآن كان معجزا في نفسه قيل لهم فأتوا بسورة من مثله
يعني من إنسان مثل محمد صلى الله عليه وسلم يساويه في عدم الكتابة والقراءة أو يساوي
القرآن في البلاغة والفصاحة وهو المراد بقوله بسورة مثله يعني أن السورة في نفسها
معجزة فإن الخلق إذا اجتمعوا على ذلك لم يقدروا عليه وهو قوله تعالى وادعوا من
استطعتم من دون الله يعني وادعوا إلى الاستعانة على ذلك من استطعتم من
خلقه إن كنتم صادقين يعني القرآن قال عطاء يريد به أنه جميع علوم القرآن وقيل بل
كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه معناه بل كذبوا بمعاني القرآن من ذكر الجنة والنار
والحشر والقيامة والثواب والعقاب بما لم يحيطوا بعلمه لأنهم كانوا ينكرون ذلك
لأن القرآن العظيم مشتمل على علوم كثيرة لا يقدر أحد على تحصيلها ولما يأتهم
تأويله يعني أنهم كذبوا به ولم يأتهم بعد بيان ما يؤول إليه ذلك الوعيد الذي توعدهم
الله به في القرآن وهو من العقوبة والمعنى أنهم لم يعلموا ما يؤول إليه عاقبة أمرهم وقيل
معناه أنهم لم يعلموا تنزيلا ولا تأويلا فكذبوا به وذلك لأنهم جهلوا القرآن
وعلمه وعلم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم يعني كما كذب هؤلاء بالقرآن
كذبت الأمم الماضية أنبياءهم فيما وعدتهم به فانظر كيف كان عاقبة المكذبين
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي فانظر يا محمد كيف كان عاقبة من ظلم من الأمم فكذلك
عاقبة من كذبك من قومك ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يحتمل
أن يكون الخطاب لكل فرد من الناس والمعنى فانظر أيها الناس كيف كان عاقبة
من ظلم فاحذروا أن تفعلوا مثل فعله قوله عز وجل ومنهم من يؤمن به
يعني ومن قومك يا محمد من يؤمن بالقرآن ومنهم من لا يؤمن به لعلم الله السابق فيه أنه
لا يؤمن وربك أعلم بالمفسدين يعني الذين لا يؤمنون وإن كذبوك يعني فإن
كذبوك قومك يا محمد فقل لي عملي ولكم عملكم يعني لي جزاء عملي ولكم جزاء
عملكم [illegible] وجزاء عمله أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون قيل المراد
منه الزجر والردع قال مقاتل والكلبي هذه الآية منسوخة بآية السيف قال
الإمام فخر الدين الرازي وهو بعيد لأن شرط الناسخ أن يكون رافعا لحكم المنسوخ
ومدلول الآية اختصاص كل واحد بأفعاله وبثمرات أفعاله من الثواب والعقاب
وآية السيف والقتال ما رفعت شيئا من مدلول هذه الآية فكان القول بالنسخ
باطلا قوله تعالى ومنهم من يستمعون إليك
يعني بأسماعهم الظاهرة ولا ينفعهم لشدة عداوتهم وبغضهم أفأنت تسمع الصم يعني كما
أنك لا تقدر على إسماع الأصم فكذلك لا تقدر على إسماع من أصم الله قلبه ولو كانوا
لا يعقلون يعني أن الله صرف قلوبهم عن الانتفاع بما يسمعون ولم يوفقهم
لذلك فهم بمنزلة الجهال إذ لم ينتفعوا بما سمعوا فهم أيضا الصم الذين لا يعقلون
شيئا ولا يفهمونه لعدم التوفيق ومنهم من ينظر إليك يعني بأبصارهم الظاهرة
أفأنت تهدي العمي يريد عمي القلب ولو كانوا لا يبصرون لأن الله أعمى بصائر
قلوبهم فلا يبصرون بها شيئا من الهدى وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم يقول له

عز وجل إنك لا تقدر أن تسمع من سلبته السمع ولا تقدر أن تهدي من سلبته البصر
ولا تقدر أن توفق للإيمان من حكمت عليه أن لا يؤمن إن الله لا يظلم الناس شيئا
ولكن الناس أنفسهم يظلمون قال العلماء لما حكم الله عز وجل على أهل الشقاوة
بالشقاوة لقضائه وقدره السابق فيهم أخبر عنه في هذه الآية أن تقدير الشقاوة
عليهم ما كان ذلك ظلما منه لأنه يتصرف في ملكه كيف يشاء والخلق كلهم عبيده
وكل من تصرف في ملكه لا يكون ظالما وإنما قال ولكن الناس أنفسهم يظلمون
لأن الفعل منسوب إليهم بسبب الكسب وإن كان قد سبق قضاء الله وقدره فيهم
قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا يعني واذكر يا محمد يوم نجمع هؤلاء أي المشركين
لموقف الحساب وأصل الحشر إخراج الجماعة وإزعاجهم من مكانهم كأن لم يلبثوا
إلا ساعة من النهار يعني كأنهم لم يلبثوا إلا ساعة في الدنيا إلا قدر ساعة
من النهار والوجه الأول أولى لأن حال المؤمن والكافر سواء في عدم المعرفة بمقدار
لبثهم في القبور إلى وقت الحشر فتعين حمله على أمر يختص بحال الكفار وهو أنهم لما لم
ينتفعوا بأعمارهم في الدنيا استقلوها والمؤمن لما انتفع بعمره في الدنيا لم يستقله
وسبب استقلال الكفار مدة مقامهم في الدنيا أنهم لما ضيعوا أعمارهم في طلب الدنيا
والحرص على ما فيها ولم يعملوا بطاعة الله فيها كان وجود ذلك كالعدم فلذلك استقلوه
وقيل إنهم لما شاهدوا أهوال يوم القيامة وطال عليهم استقلوا مدة مقامهم في الدنيا
لأن مقامهم في الدنيا في جنب مقامهم في الآخرة قليل جدا يتعارفون بينهم يعني
يعرف بعضهم بعضا إذا أخرجوا من قبورهم كما كانوا يتعارفون في الدنيا ثم تنقطع
المعرفة بينهم إذا عاينوا أهوال يوم القيامة وفي بعض الآثار أن الإنسان يوم
القيامة يعرف من بجنبه ولا يقدر أن يكلمه خشية وهيبة وقيل إن أحوال يوم القيامة
مختلفة ففي بعضها يعرف بعضهم بعضا وفي بعضها ينكر بعضهم بعضا لهول ما يعاينوا
في ذلك اليوم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله يعني أن من باع آخرته الباقية بدنياه
الفانية قد خسر لأنه [illegible] على الصالح وما كانوا مهتدين يعني إلى ما
يصلحهم وينجيهم من هذا الحساب وإما نرينك يعني يا محمد بعض الذي نعدهم
يعني ما نعدهم به في الدنيا من العذاب فذاك أو نتوفينك قبل أن نريك هذا الوعد
في الدنيا فإنك ستراه في الآخرة وهو قوله فإلينا مرجعهم يعني في الآخرة وفيه
دليل على أن الله يري رسوله صلى الله عليه وسلم أنواعا من عذاب الكافرين وذلهم
وخزيهم حال حياته في الدنيا وقد أراه ذلك في يوم بدر وغيره من الأيام وسيريهم
ما أعد لهم من العقاب في الآخرة بسبب كفرهم وتكذيبهم ثم الله شهيد على
ما يفعلون فيه وعيد وتهديد لهم يعني أنه تعالى شاهد على أفعالهم التي فعلوها
في الدنيا فيجازيهم عليها يوم القيامة قوله عز وجل ولكل أمة رسول لما بين الله
عز وجل حال محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه بين أن حال الأنبياء مع أممهم
كذلك فقال تعالى ولكل أمة يعني قد خلت وتقدمت قبلكم رسول يعني بعثوا
إليهم يدعونهم إلى الله وإلى طاعته والإيمان به فإذا جاء رسولهم يعني وبلغهم ما أرسل به
إليهم في وقت هذا القضاء والحكم [illegible] في الدنيا وذلك أنه لما أرسل
لكل أمة رسولا لتبليغ الرسالة وإقامة الحجة وإزالة العذر فإذا كذبوا على رسولهم
وخالفوا أمره قضي بينهم وبين رسولهم في الدنيا فيهلك الكافرين وينجي

رسوله والمرسلين ويكون ذلك عدلا لا ظلما لان قبل مجيء الرسول لا يكون ثوابا ولا
عقابا القول الثاني ان وقت القضاء في الاخرة وذلك ان الله تعالى اذا جمع الامم
يوم القيامة للحساب والقضاء بينهم والفصل بين المؤمن والكافر والطائع والعاصي
جيء بالرسل ليشهدوا عليهم والمراد من ذلك المبالغة في اظهار العدل وهو قوله
تعالى **وهم لا يظلمون** يعني من جزاء اعمالهم شيئا ولكن يجازى كل احد على قدر
عمله وقيل معناه انهم لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤاخذون بغير حجة ولا ينقص
من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم **ويقولون** يعني هؤلاء الكفار **متى هذا الوعد**
يعني الذي تعدنا به يا محمد من نزول العذاب وقيل قيام الساعة وانما قالوا ذلك
على وجه التكذيب **ان كنتم صادقين** يعني فيما تعدوننا به وانما قالوا بلفظ
الجمع لان كل امة قالت لرسولها كذلك ويكون المعنى ان كنتم صادقين انت واتباعك
يا محمد او ذكروه بلفظ الجمع على سبيل التعظيم **قل** اي قل لهم يا محمد **لا املك لنفسي
ضرا ولا نفعا** يعني لا املك لنفسي دفع ضر وجلب نفع ولا اقدر على ذلك **الا ما شاء
الله** يعني ان اقدر عليه او املكه والمعنى ان انزال العذاب على الاعداء واظهار
النصر لاولياء الله وعلم قيام الساعة لا يقدر عليه الا الله تعالى فيتعين الوقت
الذي يحسب مشيئته ثم اذا حضر ذلك الوقت الذي قد وقته الله تعالى لحدوث
هذه الاشياء فانه يحدث لا محالة وهو قوله تعالى **لكل امة اجل** اي مدة مضروبة
ووقت معين **اذا جاء اجلهم** يعني اذا انقضت مدة اعمارهم **فلا يستأخرون ساعة
ولا يستقدمون** يعني لا يتأخرون عن ذلك الاجل الذي اجل لهم ولا يتقدمون
قل اي قل لهم يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك **ارأيتم ان اتاكم عذابه بياتا** اي
ليلا يعني ليلة يقال بات يفعل كذا اذا فعله بالليل والسبب في ذلك ان الانسان
بالليل لا يكون الا في البيت غالبا فجعل الله هذه اللفظة كناية عن الليل **او نهارا**
يعني في النهار **ماذا يستعجل منه المجرمون** يعني ما الذي يستعجل من نزول
العذاب كما اخبر الله عنهم بقوله اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا
حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فاجابهم الله بقوله ماذا يستعجل منه المجرمون
يعني اي شيء يعلم المجرمون ما يطلبون ويستعجلون كما يقول الرجل لمن
قد فعل فعلا قبيحا ماذا جنيت على نفسك **اثم اذا ما وقع** يعني اذا ما نزل
العذاب ووقع **آمنتم به** يعني آمنتم به بعد نزول العذاب وهو وقت اليأس
وقيل معناه صدقتم بالعذاب عند نزوله وقد دخلت همزة الاستفهام على
ثم للتوبيخ هنا والتقريع **الآن** فيه اضمار تقديره يقال لهم الآن تؤمنون
حين وقع العذاب **وقد كنتم به تستعجلون** يعني تكذيبا واستهزاء ثم قيل
للذين ظلموا انفسهم بسبب شركهم وكفرهم بالله **ثم قيل للذين ظلموا** يعني ظلموا
انفسهم قوله تعالى **ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون** يعني
في الدنيا من الاعمال قوله تعالى **ويستنبئونك احق هو** يعني ويستخبرونك
يا محمد احق ما تعدنا به من نزول العذاب وقيام الساعة **قل اي وربي** اي قل لهم
يا محمد نعم وربي **انه لحق** يعني ان الذي اعدكم به لحق لا شك فيه **وما انتم بمعجزين**
يعني بفائتين من العذاب لان من عجز عن شيء فقد فاته **ولو ان لكل نفس ظلمت**
اي اشركت **ما في الارض** يعني من شيء **لافتدت به** يعني يوم القيامة والافتداء

يعني التخلص بما يتخلصون من العذاب الا انه لا ينفعه ولا يقبل منه **واسروا الندامة**
يعني يوم القيامة وانما جاء بلفظ الماضي والقيامة من الامور المستقبلة لان احوال
يوم القيامة لما كانت واجبة الوقوع جعل الله مستقبلها كالماضي والاسرار يعني الاخفاء
ويعني الاظهار وهو من الاضداد فلهذا اختلفوا في قوله واسروا الندامة
وقال ابو عبيدة معناه واظهروا الندامة لان ذلك اليوم ليس يوم تصبر
وتصنع وقيل معناه اخفوا يعني اخفى الرؤساء الندامة من الضعفاء والاتباع
حياء منهم وخوفا من ملامتهم وتعييرهم لهم **لما رأوا العذاب** يعني حين عاينوا العذاب
وابصروا **وقضي بينهم بالقسط** يعني وحكم بينهم بالعدل وقيل بين الرؤساء
والاتباع وقيل بين الكفار والاحتمال ان بعضهم قد ظلم بعضا فيؤخذ للمظلوم
من الظالم وهو قوله عز وجل **وهم لا يظلمون** يعني الحكم لهم وعليهم
بان يخفف من عذاب المظلوم ويشدد عذاب الظالم **الا ان لله ما في السموات
والارض** يعني ان كل شيء في السموات والارض لله ملك له لا يشركه فيه غيره فليس للكافر
شيء يفتدي به من عذاب الله يوم القيامة لان الاشياء كلها لله وهو ايضا ملك لله فكيف
يفتدي به من هو مملوك لغيره شيئا لا يملكه **الا ان وعد الله حق** يعني ما وعد به
على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم من ثواب الطائع وعقاب العاصي حق لا شك فيه
ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني حقيقة ذلك **هو يحيي ويميت** يعني ان الذي يملك
ما في السموات والارض قادر على الاحياء والاماتة لا يتعذر عليه شيء مما اراد **واليه
ترجعون** يعني بعد الموت للجزاء قوله تعالى **يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة
من ربكم** قيل اراد بالناس قريشا وقيل هو للعموم وهو الاصح وهو اختيار الطبري
وقد جاءتكم موعظة من ربكم يعني القرآن والموعظة زجر مقترن بتخويف قال
الخليل هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب وقيل الموعظة الابانة عما يدعو
الى الصلاح بطريق الرغبة والرهبة والقرآن داع الى كل خير وصلاح بهذا الطريق
وشفاء لما في الصدور يعني ان القرآن دواء وشفاء لما في القلوب من داء
الجهل وذلك لان داء الجهل اضر للقلب من داء المرض للبدن فادواء امراض
القلب هي الاخلاق الذميمة والعقائد الفاسدة والجهالات المهلكة اي
فالقرآن مزيل لهذه الامراض كلها لان فيه المواعظ والزجر والتخويف والترغيب
والترهيب والتحذير والتذكير فهو الدواء والشفاء لهذه الامراض القلبية
وانما خص الصدر بالذكر لانه موضع القلب وغلافه وهو اعز موضع في بدن الانسان
لكون القلب فيه **وهدى** يعني وهو هدى من الضلالة **ورحمة للمؤمنين** يعني
ونعمة على المؤمنين لانهم هم الذين انتفعوا بالقرآن دون غيرهم **قل بفضل
الله وبرحمته** الباء في بفضل الله متعلق بمضمر استغنى عن ذكره لدلالة ما تقدم
عليه وهو قوله قد جاءتكم موعظة من ربكم والفضل هنا بمعنى الافضال ويكون
معنى الاية على هذا يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور
وبافضال الله عليكم ورحمته لكم وارادته الخير لكم ثم قال تعالى **فبذلك فليفرحوا**
اشار بذلك الى الشيئين لان المراد بالمواعظ والشفاء القرآن فترك اللفظ
واشار الى المعنى وقيل فبذلك اشارة الى معنى الفضل والرحمة والمعنى فبذلك
التطول والانعام فليفرحوا فالفاء الواحدة في قوله فليفرحوا زائدة كقوله

كقول الشاعر • فاذا هلكت فعند ذلك فاجزعي • الثاني في قوله [illegible]
وقال صاحب الكشاف في معنى الآية بفضل الله وبرحمته فليفرحوا والتكرير للتأكيد
والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا
فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه
قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما والفرح لذة في
القلب بادراك المحبوب والمشتهى يقال فرحت بكذا اذا ادركت المأمول ولذلك
اكثر ما يستعمل الفرح في اللذات البدنية والدنيوية واستعمل هنا فيما يرغب فيه
من الخيرات ومعنى الآية ليفرح المؤمنون بفضل الله ورحمته فان ما اتاهم الله من
من المواعظ وشفاء لما في الصدور وثلج اليقين بالايمان وسكون النفس اليه
هو خير مما يجمعون اي يعني من متاع الدنيا ولذاتها الفانية هذا مذهب اهل
المعاني في هذه الآية واما مذهب المفسرين فغير هذا قال ابن عباس والحسن
وقتادة قالوا فضل الله الاسلام ورحمته القرآن وقال ابو سعيد الخدري فضل
الله القرآن ورحمته ان جعلنا من اهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته
الجنة وقيل فضل الله القرآن ورحمته السنن وعلى هذا الباء في بفضل الله يتعلق بمحذوف
هو تفسير ما بعده تقديره قل فليفرحوا بفضل الله وبرحمته قل اي قل يا محمد لكفار مكة
ارايتم ما انزل الله لكم من رزق يعني من زرع وضرع وما في الارض بالانزال
لان جميع ما في الارض من رزق وخير فانما هو من بركات السما فجعلتم منه يعني
من ذلك الرزق حراما وحلالا يعني ما حرموه على انفسهم في الجاهلية من ذلك
الحرث والانعام كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام قال الضحاك وهو قوله
وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا قل اي قل لهم يا محمد آلله اذن لكم
يعني الله اذن لكم في هذا التحريم والتحليل ام على الله تفترون يعني ام انتم على
الله تكذبون في دعواكم ان الله امرنا بهذا وما ظن الذين يفترون على الله الكذب
يوم القيامة يعني اذا لقوه يوم القيامة ايحسبون انه لا يؤاخذهم ولا يجازيهم
على اعمالهم فهو استفهام بمعنى التوبيخ والتقريع والوعيد العظيم لمن يفتري على الله
الكذب ان الله لذو فضل على الناس يعني ببعثة الرسل وانزال الكتب لبيان
الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون يعني لا يشكرون الله على ذلك الفضل
والاحسان قوله عز وجل وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والشأن الخطب والحال والامر الذي يتفق
ويصلح ولا يقال الا فيما يعظم من الاحوال اي حاله وقال الشأن اسم اذا كان بمعنى الخطب
والحال ويكون مصدرا اذا كان بمعناه القصد والذي في هذه الآية يكون المراد
به الاسم قال ابن عباس قال معناه وما تكون يا محمد في شأن من اعمال
البر وقال الحسن في شأن من شأن الدنيا وحوائجك ويجوز ان يكون المراد منه القصد
يعني تقصد الشيء وما تتلوا منه من قرآن اختلفوا في الضمير في قوله منه الى ماذا
يعود فقيل الى الشأن لان تلاوة القرآن شأن من شأن رسول الله صلى الله عليه
وسلم بل هو اعظم شأنه فعلى هذا يكون داخلا تحت قوله وما تكون في شأن
الا انه تعالى خصه بالذكر لشرفه وعلو مرتبته وقيل انه راجع الى القرآن لانه قد
تقدم ذكره في قوله قل بفضل الله وبرحمته فعلى هذا المعنى يكون وما تتلوا

من قرآن يعني من سورة ومن شيء منه لان لفظ القرآن يطلق على جميعه وعلى بعضه
وقيل الضمير في منه راجع الى الله تعالى والمعنى وما تتلوا من الله من قرآن نازل عليك
وانما قال تعالى ولا تعملون من عمل خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وامته داخلون
فيه ومرادون به لان من المعلوم انه اذا خوطب رئيس قوم وكبيرهم كان القوم داخلون
في ذلك الخطاب ويدل عليه قوله ولا تعملون من عمل على صيغة الجمع فدل على
انهم داخلون في الخطاب الاولين

وقوله تعالى

الا كنا عليكم شهودا
يعني شاهدين لاعمالكم وذلك لان الله تعالى شاهد على كل شيء وعالم بكل شيء لانه
لا محدث ولا خالق ولا موجد الا الله تعالى فكل ما يدخل في الوجود من احوال
العباد واعمالهم الظاهرة والباطنة داخل في علمه وشاهد عليه قوله تعالى اذ تفيضون
فيه يعني انه تعالى شاهد عليكم حين تدخلون وتأخذون وتخوضون في ذلك
العمل والافاضة الدخول في العمل على جهة الانصباب اليه والانبساط فيه وقال
ابن الانباري معناه اذ تندفعون فيه وتنبسطون في ذكره وقيل الافاضة الدفع
يعني بكثرة وقال الزجاج اذ تنتشرون فيه يقال افاض القوم في الحديث اذا انتشروا
فيه وما يعزب عن ربك يعني وما يبعد وما يغيب عن ربك يا محمد من عمل خلقه شيء لانه
عالم به وشاهد عليه واصل العزوب البعد يقال كلا عازب اذا كان بعيد الطلب
من مثقال ذرة يعني وزن مثقال ذرة والمثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة
الحمراء وهي صغيرة النمل جدا في الارض ولا في السماء

فان قلت

لم قدم ذكر الارض على السماء هنا وقدم ذكر السماء على الارض في سورة سبا الا انه تعالى
ذكر في هذه الآية شهادته على اهل الارض واحوالهم واعمالهم ثم وصل ذلك بقوله
وما يعزب عن ربك حسن تقديم الارض على السماء في هذا الموضع لهذه الفائدة
ولا اصغر من ذلك يعني من الذرة ولا اكبر يعني منها الا في كتاب مبين يعني في
اللوح المحفوظ قوله عز وجل الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
اعلم انا نحتاج اولا في تفسير هذه الآية ان نبين اسم من يستحق الولاية وهو الولي
فنقول اختلف العلماء فيمن يستحق هذا الاسم فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه
في هذه الآية هم الذين يذكرون الله لرؤيتهم وروى الطبري بسنده عن سعيد بن
جبير قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اولياء الله تعالى فقال هم الذين اذا رؤوا ذكر
الله وقال ابن زيد هم الذين آمنوا وكانوا يتقون ولن يتقبل الايمان الا بالتقوى وقال
قوم هم المتحابون في الله ويدل على ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله لاناسا ما هم بانبياء ولا شهداء
يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم عند الله قالوا يا رسول الله تخبرنا من هم
قال قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان
وجوههم لنور وانهم على نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس
وقرأ هذه الآية الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اخرجه ابو داود م عن
ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك وتعالى
يوم القيامة اين المتحابون بجلالي اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي اخرجه
مسلم م عن معاذ بن جبل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى
المتحابون بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء اخرجه الترمذي

لما كان ينبغي ذلك فلنت لكل ازحياما لنسا اذ نقدم
على الارض كما وقع في سورة سبا م ح

وروى البغوي بسنده عن ابي مالك الاشعري قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم
قال فقال ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء بقربهم
ومقعدهم من الله يوم القيامة قال وفي ناحية القوم اعرابي فجثا على ركبتيه ورمى
بيديه ثم قال يا رسول الله حدثنا عنهم من هم قال فرايت في وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله من بلدان شتى وقبائل شتى
لم يكن بينهم ارحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله
يجعل الله وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفزع الناس ولا
يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون **ويروى** عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
قال الله تعالى ان اوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري ان من عباد الله لعبادا
يغبطهم الانبياء والشهداء قيل من هم يا رسول الله لعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا
في الله من غير اموال ولا انساب وجوههم نور على منابر من نور لا يخافون اذا خاف
الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون الغبطة نوع من الحسد الا ان الحسد نوع من الغبطة مذمومة والفرق
بين الحسد والغبطة ان الحاسد يتمنى زوال ما على المحسود من النعمة وتحويلها والغبطة
هي ان يتمنى الغابط مثل تلك النعمة التي هي على المغبوط من غير زوال عنه قال
ابو بكر الاصم اولياء الله هم الذين تولى الله تعالى هدايتهم وتولوا القيام بحقوق
العبودية لله والدعوة اليه واصل الولي من الولاء وهو الاقرب والنصرة
فولي الله هو الذي يتقرب الى الله بكل ما افترض عليه ويكون مشتغلا بالله
مستغرق القلب في معرفة نور جلال الله تعالى فان راى راى دلائل قدرة
الله وان سمع سمع آيات الله وان نطق نطق بالثناء على الله وان تحرك تحرك في طاعة
الله وان اجتهد اجتهد فيما يقرب الى الله لا يفتر عن ذكر الله ولا يرى بقلبه غير الله
فهذه صفة اولياء الله واذا كان العبد كذلك كان الله وليه وناصره ومعينه
قال الله تعالى الله ولي الذين آمنوا وقال المتكلمون ولي الله من كان آتيا بالاعتقاد
الصحيح المبني على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة على وفق ما وردت به
الشريعة واليه الاشارة بقوله **الذين آمنوا وكانوا يتقون** وهو ان
الايمان مبني على جميع الاعتقاد والعمل ومقام التقوى هو ان يتقي العبد ما نهى الله
عنه وقوله تعالى لا خوف عليهم يعني في الآخرة اي اذا خاف غيرهم ولا هم يحزنون
يعني على شيء فاتهم من نعيم الدنيا ولذا قال بعض المحققين نفى الخوف
والحزن عنهم بما يحصل لهم في الآخرة لان الدنيا قد لا تخلو من هم وغم وانكاد
وحزن قال بعض العارفين ان الولاية عبارة عن القرب من الله تعالى ودوام
الاشتغال بالله واذا كان العبد بهذه الحالة فلا يخاف من شيء ولا يحزن
على شيء لان مقام الولاية في المعرفة منعه ان يخاف ويحزن واما قوله الذين آمنوا
وكانوا يتقون فقد تقدم بما تفسيره موصفة لاولياء الله تعالى وقوله
تعالى **لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة** اختلفوا في هذه البشرى
فروي عن عبادة بن الصامت قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله
لهم البشرى في الحياة الدنيا قال هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن او ترى له
اخرجه الترمذي وله عن رجل من اهل مصر قال سالت ابا الدرداء عن هذه

الآية لهم البشرى في الحياة الدنيا قال ما سالني عنها احد منذ سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم غيرك منذ انزلت هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له قال الترمذي حديث
حسن عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يبق
بعدي من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات قال الرؤيا الصالحة عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن
تكذب ورؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة والرؤيا ثلاث الرؤيا
الصالحة بشرى من الله ورؤيا تحزين من الشيطان ورؤيا مما يحدث المرء نفسه قال
بعض العلماء ووجه هذا القول وهو انا حملنا قوله لهم البشرى على الرؤيا الصالحة الصادقة
ظاهر من هذا النص فيتضمن ان لا تحصل هذه الحالة الا لهم وذلك ان ولي الله هو الذي يكون
مستغرق القلب والروح بذكر الله عز وجل ومن كان كذلك فانه عند النوم لا يبقى
في قلبه غير ذكر الله عز وجل ومعرفته ومن المعلوم ان معرفة الله في القلب لا تفيد
الا الحق والصدق فاذا راى الولي رؤيا او رؤيت له كانت تلك الرؤيا بشرى من الله
عز وجل لهذا الولي وقد قال الخطابي في هذه الاحاديث الاكيدة لامر الرؤيا وتحقق
منزلتها وانما كانت جزءا من اجزاء النبوة في حق الانبياء دون غيرهم وكان الانبياء
عليهم الصلاة والسلام يوحى اليهم في منامهم كما يوحى اليهم في اليقظة قال
الخطابي قال بعض العلماء معنى الحديث ان الرؤيا تاتي على موافقة النبوة
لانها جزء من النبوة وقد قال الخطابي وغيره في معنى قوله الرؤيا جزء من ستة
واربعين جزءا من النبوة ان مقام النبي صلى الله عليه وسلم في النبوة ثلاث وعشرين
سنة على الصحيح قال وكان قبل ذلك ستة اشهر يرى في المنام الوحي وهي جزء
من ستة واربعين جزءا وقيل ان المنام له ان يكون فيه اخبار الغيب وهو احدى
ثمرات النبوة وهو يسير في جانب النبوة وانه لا يجوز ان يبعث الله بعد محمد صلى
الله عليه وسلم نبيا يشرع الشرائع ويبين الاحكام ولا يخبر بغيب ابدا فاذا وقع
لاحد في المنام الاخبار بغيب يكون هذا القدر جزءا من النبوة لانه يبدو اذا
وقع كذلك لاحد في المنام يكون صدقا والله اعلم وقيل في تفسير الآية ان المراد
بالبشرى في الحياة الدنيا هي الثناء الحسن وفي الآخرة الجنة ويدل على ذلك
ما روي عن ابي ذر قال قيل يا رسول الله ارايت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس
عليه قال تلك عاجل بشرى المؤمن اخرجه مسلم قال الشيخ محيي الدين النووي قال
العلماء معنى هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل البشرى المؤخرة له في الآخرة
بقوله بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار وهذه البشرى المعجلة دليل على رضى
الله تعالى عنه ومحبته له وتحبيبه الى الخلق كما قال ثم يوضع له القبول في الارض هذا
كله اذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم والا فالتعرض مذموم قال بعض المحققين
اذا اشتغل العبد بالله عز وجل استنار قلبه وامتلا نورا فيفيض من ذلك النور الذي
في قلبه على وجهه فتظهر عليه آثار ذلك الخشوع والخضوع فيحبه الناس ويثنون
عليه فتلك عاجل بشراه بمحبة الله ورضوانه عليه قال الزهري وقتادة في تفسير
البشرى هي نزول الملائكة بالبشارة من الله تعالى عند الموت ويدل عليه قوله
تعالى تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون
وقال عطاء عن ابن ابي رباح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه البشرى في الحياة الدنيا

عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشارة وفي الآخرة عند خروج نفس المؤمن يعرج بها الى
الله تعالى ويبشر برضوان الله تعالى قال الحسن هي ما بشر الله بها المؤمنين
في كتابه من جنته وكريم ثوابه ويدل عليه قوله تعالى لا تبديل لكلمات الله يعني
لا خلف لوعد الله الذي وعده لأوليائه وما اخبر عنه في كتابه وعلى ألسنة رسله
ولا تغيير لذلك الوعد ذلك هو الفوز العظيم يعني ما وعدهم به في الآخرة
ولا يحزنك قولهم يعني يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا يحزنك يا محمد قول
هؤلاء المشركين لك ولا يهمك تخويفهم اياك ان العزة لله جميعا يعني ان القهر
والغلبة والقدرة لله جميعا المتفرد بها دون غيره وهو ناصرك عليهم والمنتقم
منهم كما قال سعيد بن المسيب ان العزة لله جميعا فيعز من يشاء وهذا كما قال
الله تعالى في آية أخرى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولا منافاة بين الآيتين
فان عزة الرسول صلى الله عليه وسلم وعزة المؤمنين ما أعزهم الله اياهم فثبت بذلك
ان العزة لله جميعا هو الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء وقيل ان المشركين كانوا يتعززون
بكثرة أموالهم وأولادهم وعبيدهم فأخبر الله ان جميع ذلك لله وفي ملكه فهو قادر
على ان يسلبهم جميع ذلك ويذلهم بعد عزتهم هو السميع يعني لأقوالكم ودعائكم
العليم بجميع أحوالكم لا يخفى عليه خافية قوله تعالى ألا ان لله من في السموات ومن في
الأرض ألا كلمة تنبيه معناه انه لا ملك لأحد في السموات ولا في الأرض الا لله عز وجل
فهو يملك من في السموات ومن في الأرض فان قلت قال الله تعالى في الآية التي قبلها ألا ان
لله ما في السموات بلفظ ما وقال في هذه الآية بلفظ من فما فائدة ذلك قلت
ان لفظة ما تدل على من لا يعقل ولفظة من تدل على من يعقل فمجموع الآيتين
تدل على ان الله تعالى يملك جميع كل شيء في السموات وفي الأرض من العقلاء وغيرهم وهم
عبيده وفي ملكه وقيل ان لفظة من لمن يعقل فيكون المراد بمن في السموات الملائكة
العقلاء ومن في الأرض الانس والجن وهم العقلاء أيضا وانما خصهم بالذكر لشرفهم
واذا كان هؤلاء العقلاء المميزون في ملكه وتحت قدرته فالجمادات بطريق
الأولى ان تكون ملكه اذا ثبت هذا فتكون الأصنام التي يعبدها المشركون أيضا في
ملكه وتحت قهره وقبضة قدرته ويكون ذلك قدحا في جعل الأصنام شركاء لله
معبودة دون الله وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء لفظة ما
استفهامية معناه وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء والمقصود
تقبيح فعلهم انهم ليسوا على شيء لأنهم يعبدونها على انها شركاء لله تشفع لهم وليس
المراد على ما يظنون وهو قوله عز وجل ان يتبعون الا الظن يعني ان فعلهم ذلك
ظنا منهم انها تشفع لهم وانها تقربهم الى الله عز وجل وذلك ظن منهم لا حقيقة له
وان هم الا يخرصون يعني انهم يخرصون أي يكذبون في دعواهم ذلك قوله عز وجل
هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا يعني هو الله ربكم الذي خلق
لكم الليل راحة لتسكنوا فيه ويزول التعب والكلال بالسكون فيه وأصل السكون
الثبوت بعد الحركة والنهار مبصرا يعني وجعل النهار مضيئا لتهتدوا فيه لحوائجكم
وأسباب معايشكم أضاف الابصار الى النهار وانما يبصر فيه وليس الليل مما يبصر ولكن
لما كان مفهوما في كلام العرب معناه خاطبهم بلغتهم وما يعقلونه وقد قال جرير
۞ لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى ۞ ونمت وما ليل المطي بنائم ۞

فاضاف

فاضاف النوم الى الليل ووصفه به وانما عنى نفسه وانه لم يكن نائما هو ولا بعيره وهذا
من باب نقل الاسم من المسبب الى السبب قال قطرب تقول العرب ۞
۞ ابصر الليل واظلم النهار ۞ ذا ظلمة وذا ضياء ۞
يعني صار ذا ظلمة وذا ضياء قوله عز وجل ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون يعني
يسمعون اعتبار وتدبر فيعلمون بذلك ان الذي خلق الأشياء كلها هو الاله المعبود
المتفرد بالوحدانية في الوجود قالوا يعني أولئك المشركين اتخذ الله ولدا
يعني به قولهم الملائكة بنات الله سبحانه نزه الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد هو الغني
يعني انه تعالى هو الغني عن جميع خلقه فكيف يليق بجلاله اتخاذ الولد وانما
يتخذ الولد من هو محتاج اليه والله هو الغني المطلق وجميع الأشياء محتاجة الى الله
وهو غني عنها له ما في السموات وما في الأرض يعني انه مالك ما في السموات
وما في الأرض وكلهم عبيده وفي قبضته وتصرفه وهو خالقه ومالكه ولما نزه
الله تعالى نفسه عن اتخاذ الولد عطف على من قال ذلك بالانكار والتوبيخ
والتقريع فقال تعالى ان عندكم من سلطان بهذا يعني انه لا حجة عندكم
على هذا القول البتة ثم بالغ في الانكار عليهم بقوله تعالى أتقولون على الله
ما لا تعلمون يعني أتقولون على الله قولا لا تعلمون حقيقته وصحته وتضيفون
اليه ما لا يجوز اضافته اليه جهلا منكم بما تقولون بغير حجة ولا برهان قل ان الذين
يفترون على الله الكذب أي قل يا محمد لهؤلاء الذين يختلقون على الله الكذب
فيقولون على الله الباطل ويزعمون ان له ولدا لا يفلحون يعني لا يسعدون ولن [illegible]
اغتروا بطول السلامة في البقاء في النعمة والمعنى ان قائل هذا القول لا ينجح
في سعيه ولا يفوز بمطلوبه بل خاب وخسر قال الزجاج هذا وقف تام يعني
على قوله لا يفلحون ثم ابتدأ فقال تعالى متاع في الدنيا وفيه اضمار تقديره لهم
متاع في دنياهم يتمتعون به مدة أعمارهم وانقضاء آجالهم في الدنيا وهي أيام يسيرة
قليلة بالنسبة الى طول مقامهم في العذاب وهو قوله تعالى ثم الينا مرجعهم يعني
بعد الموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون يعني ذلك العذاب
بما كانوا يجحدون في الدنيا من نعمة الله عليهم ووصفهم بما لا يليق بجلاله تعالى واتل
عليهم نبأ نوح لما ذكر الله تعالى في هذه السورة أحوال الكفار من قريش وما كانوا
عليه من الكفر والعناد شرع بعد ذلك في بيان قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
وما جرى لهم مع أممهم فيكون في ذلك أسوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمن سلف
من الأنبياء وتسلية له ليخف عليه ما يلقى من أذى قومه وان الكفار اذا سمعوا هذه
القصص وما جرى للكفار الأمم الماضية من العذاب والهلاك في الدنيا كان ذلك
سببا لخوف قلوبهم وداعيا لهم الى الايمان ولما كان قوم نوح أول الأمم هلاكا وأعظمهم
كفرا وجحودا ذكرهم الله قصتهم وانه أهلكهم بالغرق ليصير ذلك موعظة وعبرة
لكفار قريش فقال تعالى واتل عليهم نبأ نوح أي اقرأ على قومك يا محمد خبر نوح عليه
الصلاة والسلام اذ قال لقومه يا قوم وهم بنو قابيل ان كان كبر عليكم
يعني ثقل عليكم مقامي يعني مكثي فيكم وتذكيري بآيات الله يعني ووعظي اياكم بآيات الله
وقيل معناه ان كان كبر وشق عليكم طول مقامي فيكم وذلك انه عليه الصلاة والسلام
أقام فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله ويذكرهم بآيات الله وهو قوله وتذكيري

بايات الله يعني وعظي بايات الله وحججه وبيناته فعزمتم على قتلي وطردي **فعلى الله توكلت** يعني هو حسبي وثقتي **فاجمعوا امركم** يعني فاحكموا امركم واعزموا عليه قال الفراء الاجماع الاعداد والعزيمة على الامر قال ابن الانباري المراد من الامر هنا وجوه كيدهم ومكرهم فالتقدير لا تدعوا من امركم شيئا الا احضرتموه **وشركاءكم** يعني وادعوا شركاءكم يعني الهتكم فاستعينوا بها لتجتمع معكم وتعينكم على مطلوبكم واعانتهم من الاستعانة بالاصنام تنبيه على مذهبهم واعتقادهم انها تضر وتنفع مع اعتقاده انها جماد لا تضر ولا تنفع فهو كالتبكيت والتوبيخ لهم **ثم لا يكن امركم عليكم غمة** يعني لا يكون امركم خفيا عنها ولكن امركم ظاهرا منكشفا من قولهم غم الهلال اذا خفي والتبس على الناس **ثم اقضوا الي** ثم امضوا الي بما في انفسكم من مكروه وبالقوا عدولكم به من قتل وطرد وافرغوا منه تقول العرب قضى فلان اذا مات ومضى وقيل معناه ثم انصتوا ما انتم فاعلون **ولا تنظرون** يعني ولا تؤخرون ولا تمهلون لتبدأ علامكم اياي بما انتم عليه وهذا الكلام من نوح عليه الصلاة والسلام على سبيل التعجيز لهم اخبر الله عز وجل عن نوح عليه الصلاة والسلام انه كان قد بلغ الغاية في التوكل على الله تعالى وانه كان واثقا بنصر الله غير خائف من كيدهم علما منه بانهم والهتهم ليس لهم نفع ولا ضر وان مكرهم لا يصل اليه **فان توليتم** يعني اعرضتم عن قولي وعن قبول نصحي **فما سالتكم من اجر** يعني من جعل وعوض على تبليغ الرسالة فاذا لم يؤخذ على تبليغ الدعوة الى الله شيئا كان ادعى لتاثيرها في النفس **ان اجري الا على الله** اي ما ثوابي وجزائي على تبليغ الرسالة الا على الله **وامرت ان اكون من المسلمين** يعني اني امرت بدين الاسلام وانا ماض فيه غير تاركه سواء قبلتموه وقيل معناه وامرت ان اكون من المستسلمين لامر الله ولكل مكروه يصل الي منكم لاجل هذه الدعوة قوله تعالى **فكذبوه** يعني فكذبوا نوحا عليه الصلاة والسلام **فنجيناه ومن معه في الفلك** يعني في السفينة **وجعلناهم خلائف** يعني وجعلنا الذين نجيناهم معه في الفلك سكان الارض بعد الهالكين **واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين** اي فانظر يا محمد وايها الناس كيف كان جزاء من انذرتهم الرسل فلم يؤمنوا ... ذلك **ثم بعثنا من بعده** يعني من بعد نوح عليه السلام **رسلا الى قومهم** لم يسم هنا من كان بعد نوح من الرسل وكان من بعد نوح هود وصالح وغيرهما من الرسل **فجاءوهم بالبينات** يعني بالدلالات الواضحات والمعجزات الباهرات التي تدل على صدقهم **فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل** يعني ان هؤلاء الاقوام التي جاءتهم الرسل جروا على منهاج قوم نوح عليه السلام في التكذيب ولم يزجرهم ما جاءهم به الرسل ولم يرجعوا عما هم فيه من الكفر والتكذيب **كذلك نطبع على قلوب المعتدين** يعني كمثل اعمى افئدة قوم نوح بتكذيبهم نوحا عليه الصلاة والسلام كذلك نختم على قلوب من اعتدى وسلك سبيلهم في التكذيب قوله عز وجل **ثم بعثنا من بعدهم** يعني من بعد الرسل **موسى وهرون الى فرعون وملائه** يعني اشراف قومه **باياتنا فاستكبروا** يعني عن الايمان بما جاء به موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام **وكانوا قوما مجرمين** اي مشركين لله **فلما جاءهم الحق من عندنا** يعني فلما جاء فرعون وقومه الحق الذي جاء به موسى عليه السلام **قالوا ان هذا لسحر مبين** تدبيره كل احد **قال**

موسى

موسى اتقولون للحق لما جاءكم هذا السحر **اسحر هذا** السحر هذا فيه حذف تقديره سحر اسحر هذا فحذف السحر الاول اكتفاء بدلالة الكلام عليه ثم قال اسحر هذا وهو استفهام على سبيل الانكار يعني انه ليس بسحر ثم احتج على صحة قوله فقال تعالى **ولا يفلح الساحرون** يعني حاصل السحر تمويه وتخييل وصاحب ذلك لا يفلح ابدا **قالوا** يعني قال قوم فرعون لموسى عليه السلام **اجئتنا لتلفتنا عما** يعني لتصرفنا وتلوينا **وجدنا عليه اباءنا** يعني من الدين **وتكون لكما الكبرياء** يعني الملك والسلطنة **في الارض** يعني في ارض مصر والخطاب لموسى وهرون عليهما الصلاة والسلام قال الزجاج سمي الملك كبرياء لانه اكبر ما يطلب في امر الدنيا **وما نحن لكما بمؤمنين** يعني بمصدقين **وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم** يعني ان فرعون اراد ان يعارض معجزة موسى عليه الصلاة والسلام بانواع من التلبيس ليظهر ان ما اتى به موسى سحر **فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون** انما امرهم موسى عليه السلام بالقاء ما معهم من الحبال والعصي التي فيها سحرهم ليظهر الحق ويبطل الباطل وتبين ان ما اتوا به فاسد **فلما القوا** يعني ما معهم من الحبال والعصي **قال موسى ما جئتم به السحر** يعني الذي جئتم به هو السحر **ان الله سيبطله** يعني يهلكه ويظهر فضيحة صاحبه **ان الله لا يصلح عمل المفسدين** يعني لا يقويه ولا يكمله ولا يحققه **ويحق الله الحق** يعني ويظهر الله الحق ويقويه ويعليه **بكلماته** يعني بوعده الصادق لموسى عليه الصلاة والسلام انه سيظهره وقيل بما سبق في قضائه وقدره لموسى انه يغلب السحرة **ولو كره المجرمون** قوله تعالى **فما امن لموسى الا ذرية من قومه** فلما ذكر الله عز وجل ما اتى به موسى من المعجزات العظيمة الباهرة اخبر الله تعالى انه مع مشاهدة هذه المعجزات ما امن لموسى عليه السلام الا ذرية من قومه وانما ذكر الله هذه تسلية لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان كثير الاهتمام بايمان قومه وكان يغتم بسبب اعراضهم عن الايمان واستمرارهم على الكفر والتكذيب فبين الله تعالى له ان له اسوة بالانبياء عليهم الصلاة والسلام لان الذي جاء به موسى عليه الصلاة والسلام من المعجزات كان امرا عظيما ومع ذلك فما امن معه الا ذرية من قومه والذرية اسم يقع على القليل من القوم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الذرية القليل وقيل المراد به الضعفاء وقلة العدد قاله ... وقد اختلفوا في الهاء الكناية في قوله فقيل انها راجعة الى موسى عليه السلام واراد بهم قوم موسى وهم بنو اسرائيل الذين كانوا بمصر من ولد يعقوب قال مجاهد اولاد يعقوب الذين ارسل اليهم موسى من بني اسرائيل هلك الاباء وبقي الابناء وقيل هم قوم نجوا من قتل فرعون وقيل ان فرعون لما امر بقتل بني اسرائيل كانت المراة من بني اسرائيل اذا ولدت ولدا وهبته لقبطية خوفا عليه من القتل فنشأوا بين القبط فلما كان اليوم الذي غلب موسى عليه السلام السحرة امنوا به وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ذرية من قومه يعني من بني اسرائيل وقيل الهاء راجعة الى فرعون يعني الا ذرية من قوم فرعون وروى عطية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال هم ناس يسير من قوم فرعون امنوا منهم امراة فرعون ومؤمن ال فرعون وقيل هم الهاء راجعة الى فرعون وخازنه وامراة خازنه وماشطته قال الفراء سموا ذرية لان اباءهم كانوا من القبط وامهاتهم من بني اسرائيل وكان الرجل يتبع امه واخواله في الايمان وذلك كما يقال لاولاد فارس الذين دخلوا الى اليمن الابناء لان امهاتهم

من غير جنسنا لا بنا على خوف من فرعون وملائهم الملأ الأشراف فعلى هذا يكون
معنى الآية على خوف من فرعون ومن أشرافهم وهو ملأ الذرية لأنه كان آباؤهم من
القبط وأمهاتهم من بني إسرائيل وقيل أراد بالملأ ملأ فرعون وإنما قال
وملائهم بالجمع وفرعون واحد على سبيل التفخيم له أن يفتنهم أي يصرفهم ويصدهم
عن الإيمان وإنما قال أن يفتنهم ولم يقل أن يفتنوهم لأن قوم فرعون كانوا على مراده
وتابعين لأمره وإن فرعون لعال في الأرض يعني لغالب فيها ومتكبر فيها وإنه لمن
المسرفين يعني من المجاوزين الحد لأنه كان عبدا فادعى الربوبية وكان كثير
القتل والتعذيب لبني إسرائيل وقال موسى يعني لقومه يا قوم إن كنتم آمنتم
بالله فعليه توكلوا يعني فبه فثقوا ولأمره فسلموا فإنه ناصر أوليائه ومهلك
أعدائه إن كنتم مسلمين يعني إن كنتم مستسلمين لأمره وقيل إنما أعيد قوله
إن كنتم مسلمين بعد قوله إن كنتم آمنتم بالله يعني إن كنتم موصوفين بالإيمان
القلبي والإسلام الظاهر ودلت الآية على أن التوكل على الله والتفويض لأمره
كمال الإيمان فإن من كان يؤمن بالله فلا يتوكل إلا على الله لا على غيره فقالوا يعني
فقال قوم موسى عليه السلام مجيبين له على الله توكلنا يعني عليه اعتمدنا لا على
غيره ثم دعوا ربهم فقالوا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين يعني لا تظهرهم
علينا ولا تهلكنا بأيديهم فيظنوا أنا لم نكن على الحق فيزدادوا طغيانا وكفرا
وقال مجاهد لا تعذبنا بأيديهم أي من عندك فتقول قوم فرعون لو كانوا على حق
لما عذبوا ولظنوا أنهم خير منا فيفتتنوا بذلك وقيل معناه لا تسلطهم علينا
فيفتنونا ونجنا برحمتك من القوم الكافرين يعني وخلصنا برحمتك من
أيدي قوم فرعون الكافرين لأنهم كانوا يستعبدونهم ويستعملونهم في الأعمال
الشاقة قوله عز وجل وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا
يعني اتخذا لقومكما بيوتا للصلاة فيها يقال تبوأ فلان لنفسه بيتا إذا اتخذ
مباءة أو وطنا والمعنى اجعلا بمصر لقومكما بيوتا ترجعون إليها للصلاة
والعبادة قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة اختلف أهل التفسير في معنى
هذه الآية فالبيوت والقبلة فمنهم من قال أراد بالبيوت المساجد التي يصلى
فيها وفسروا القبلة بالجانب الذي يستقبل في الصلاة فعلى هذا يكون
معنى الكلام واجعلوا بيوتكم مساجد تستقبلونها لأجل الصلاة وقيل معناه
اجعلوا بيوتكم إلى القبلة ثم اختلفوا في هذه القبلة وظاهر القرآن
لا يدل على تعيينها إلا أنه قد نقل عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال كانت الكعبة
قبلة لموسى عليه السلام وقال مجاهد أيضا قال ابن عباس قالت بنو إسرائيل
لموسى لا نستطيع أن نظهر صلاتنا مع الفراعنة فأذن الله لهم أن يصلوا
في بيوتهم وأن يجعلوا بيوتهم قبل القبلة وقيل كانت القبلة على جهة
بيت المقدس وقيل أراد مطلق البيوت وعلى هذا يكون معنى قوله واجعلوا
بيوتكم قبلة أي متقابلة يعني يقابل بعضها بعضا وقيل معناه واجعلوا في
بيوتكم قبلة تصلون إليها فإن قلت إنه تعالى خص موسى وهرون عليهما الصلاة
والسلام بالخطاب في أول الآية بقوله وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما
بمصر بيوتا ثم إنه عمم هذا الخطاب فقال واجعلوا بيوتكم قبلة فما السبب فيه

قلت

قلت إن الله تعالى أمر موسى عليه الصلاة والسلام بهذا الخطاب وهرون بأن تبوآ لقومكما
بيوتا للعبادة وذلك مما يختص به الأنبياء فخصا بالخطاب لذلك ثم لما كانت العبادة
عامة تجب على الكافة عم بالخطاب الجميع فقال واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة
يعني في بيوتكم وذلك حين خاف موسى عليه السلام ومن آمن معه من بني إسرائيل من
فرعون وقومه إذا صلوا في الكنائس والبيع الجامعة يؤذوهم فأمرهم الله أن يصلوا
في بيوتهم خفية من فرعون وقومه وقيل كانت بنو إسرائيل لا يصلون إلا في
الكنائس الجامعة وكانت ظاهرة فلما أرسل موسى عليه السلام بتخريب تلك
الكنائس ومنعهم من الصلاة فيها فأمروا أن يتخذوا في بيوتهم مساجد يصلوا
فيها خوفا من فرعون وقيل إن الله تعالى لما أرسل موسى وهرون وأظهرهما
على فرعون أمرهما باتخاذ المساجد ظاهرة على رغم الأعداء وتكفل لهم
بنصرهم من شرهم وهو قوله تعالى وبشر المؤمنين يعني أنهم لا يصلون إليهم
بمكروه قوله تعالى وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة في الحيوة
الدنيا لما أتى موسى عليه الصلاة والسلام بالمعجزات الباهرات ورأى القوم مصرون
على الكفر والعناد والإنكار لما جاء به أخذ في الدعاء عليهم ومن حق من يدعو
على الغير أن يذكر أولا السبب في إقدامهم على الجرائم التي كانت بسبب إصراره
على ما يوجب الدعاء عليهم ولما كان السبب كثرة حرصهم بحب الدنيا وزينتها
لا جرم أن موسى عليه الصلاة والسلام لما أخذ في الدعاء قدم على هذه المقدمة
فقال ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحيوة الدنيا والزينة
عبارة عما يتزين به كاللباس والدواب والغلمان وأثاث البيت الفاخر
والأشياء الحسنة والمال عبارة عما زاد على هذه الأشياء من الصامت ونحوه ثم قال
ربنا ليضلوا عن سبيلك اختلفوا في هذه اللام فقيل هي لام كي فعلى هذا
يكون المعنى ربنا إنك جعلت هذه الأموال سببا لضلالهم لأنهم بطروا
وطغوا في الأرض وقد استكبروا عن الإيمان وقال الأخفش إنما هي ليؤول
إليه الأمر قالوا والمعنى أنك آتيت فرعون وملأه زينة فضلوا فعلى هذا فهي
لام العاقبة يعني فكان عاقبتهم الضلالة وقال ابن الأنباري هي لام الدعاء
وهي لام مكسورة تجزم المستقبل ويفتتح بها الكلام فيكون المعنى ربنا إنك
ابتليتهم بالضلال عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم الطمس إزالة أثر الشيء
بالمحو والمعنى ربنا اطمس على أموالهم أزل صورها وهيأتها وقال مجاهد أهلكها
وقال أكثر المفسرين امسخها وغيرها عن هيئتها قال قتادة بلغنا أن أموالهم
وحروثهم وزروعهم وجواهرهم صارت حجارة وقال محمد بن كعب القرظي
صار سكرهم حجارة وكان الرجل مع أهله صارا حجرين والمرأة قائمة تخبز
فصارت حجرا وهذا فيه ضعف لأن موسى عليه الصلاة والسلام دعا على
أموالهم ولم يدع على أنفسهم بالمسخ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه بلغنا أن
الدراهم والدنانير قد صارت حجارة منقوشة وهي حجارة والجوزة مشقوقة
وهي حجارة كهيئتها صحاحا وأنصافا وأثلاثا ودعا عمر بن عبد العزيز
بخريطة فيها أشياء من بقايا آل فرعون فأخرج منها البيضة مشقوقة وهي حجارة
وقال السدي مسخ الله تعالى أموالهم وهي حجارة النخل والثمار والدقيق

وأموالا صح

والاطعمة وهذا الطمس هو احدى الايات التسع التي اوتيها موسى عليه الصلاة والسلام **واشدد على قلوبهم** يعني اربط على قلوبهم واطبع عليها وقسها حتى لا تلين ولا تنشرح للايمان ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان قال الواحدي وهذا دليل على ان الله تعالى يفعل ذلك لمن يشاء ولولا ذلك لما حسن من موسى عليه الصلاة والسلام هذا السؤال **فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم** يعني الغرق قاله ابن عباس وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه في رواية اخرى عنه قال موسى عليه الصلاة والسلام قبل ان يأتي فرعون ربنا اشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال فاستجاب الله له فحال بين فرعون وبين الايمان وقال بعض العلماء انما دعا موسى عليهم بهذا الدعاء لما علم انه سابق قضاء الله وقدره فيهم انهم لا يؤمنون وذلك ان الله تعالى كتب عليهم في الازل فوافق دعاء موسى عليه السلام ما قد سبق عليهم قال الله عز وجل لموسى وهرون عليهما السلام قد اجيبت دعوتكما انما نسب الدعاء اليهما وان الداعي موسى وحده لان هرون عليه السلام كان يؤمن والتامين دعاء لانه طلب وسؤال ايضا وتقديره اللهم استجب فصار بذلك شريك موسى عليه الصلاة والسلام في الدعاء فلذلك قال **قد اجيبت دعوتكما فاستقيما** يعني على تبليغ الرسالة وامضيا لامري الى ان يأتيهما العذاب **ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون** يعني ولا تسلكان طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي فان وعدي لا خلف فيه ووعيدي نازل بفرعون وقومه فلا تستعجل قيل كان بين دعاء موسى عليه الصلاة والسلام وبين الاجابة اربعين سنة قال الامام فخر الدين الرازي واعلم ان هذا النهي لا يدل على انه قد صدر من موسى عليه الصلاة والسلام وهرون كما ان قوله لئن اشركت ليحبطن عملك لا يدل على صدور الشرك منه قوله عز وجل **وجاوزنا ببني اسرائيل البحر** يعني وقطعنا ببني اسرائيل البحر وعبرنا بهم اياه حتى جاوزوه وعبروه **فاتبعهم فرعون وجنوده** يعني لحقهم وادركهم **بغيا وعدوا** اي ظلما وعدوانا وقيل البغي طلب الاستعلاء بغير الحق والعدو الظلم ومعناه وقيل بغيا في القول وعدوا في الفعل قال اهل التفسير اجتمع يعقوب وبنوه الى يوسف وهم اثنان وسبعون وخرج مع موسى عليه الصلاة والسلام من مصر وهم ستمائة الف وذلك لما اجاب الله تعالى دعاء موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام امرهما بالخروج ببني اسرائيل من مصر في الوقت الذي امره ان يخرج فيهم ويسر لهم اسباب الخروج وكان فرعون غافلا عنهم فلما سمع بخروجهم من مملكته ومفارقتهم خرج بجنوده في طلبهم فلما ادركهم فرعون قالوا لموسى اين المخلص والمخرج البحر امامنا وفرعون وراءنا وقد كنا نلقى من فرعون البلاء العظيم فاوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام ان اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وكشف الله عن وجه الارض واليبس لهم البحر فلحقهم فرعون وكان على حصان ادهم وكان معه في عسكره ثمانمائة الف على لون حصانه سوى سائر الالوان وكان يتقدمهم جبريل وكان على فرس انثى وديق وميكائيل يسوقهم

حتى لا يشذ منهم احد فلما خرج اخر بني اسرائيل ودنا جبريل عليه السلام بفرسه فلما وجد الحصان ريح الانثى لم يملك فرعون من امره شيئا ونزل البحر وتبعه جنوده حتى اذا اكتملوا جميعا في البحر وهم اولهم بالخروج انطبق البحر عليهم فلما ادرك فرعون الغرق اتى بكلمة الاخلاص ظنا منه انه ينجيه من الهلاك وهو قوله تعالى **حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه لم يقبل الله تعالى ايمانه عند نزول العذاب وقد كان في مهل قال العلماء غير مقبول وذلك ان الايمان والتوبة عند معاينة الملائكة والعذاب غير مقبولة ويدل عليه قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا وقيل انه قال هذه الكلمة ليتوصل بها الى دفع ما نزل به من البلية الحاضرة ولم يكن قصده بها الاقرار بوحدانية الله تعالى والاعتراف له بالربوبية لا جرم لم ينفعه ما قال في ذلك وقيل ان فرعون كان من الدهرية المنكرين لوجود الصانع الخالق سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا فلهذا قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل فلم ينفعه ذلك لحصول الشك في ايمانه ولما رجع فرعون الى الايمان والتوبة حين اغلق بابها بحضور الموت ومعاينة الملائكة قيل له **آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين** يعني الآن تتوب وقد اضعت التوبة في وقتها وآثرت دنياك اي الفانية على آخرتك الباقية والمخاطب لفرعون بهذا هو جبريل عليه الصلاة والسلام وقيل انها الملائكة وقيل ان القائل هو الله تعالى عرّف فرعون قبح صنعه وما كان عليه من الفساد في الارض ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما اغرق الله تعالى فرعون وجنوده قال فرعون آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل قال جبريل يا محمد لو رأيتني وانا آخذ من حال البحر فادسه في فيه مخافة ان تدركه الرحمة اخرجه النسائي والترمذي وقال حديث حسن وفي رواية اخرى عنه عن عدي بن ثابت وعطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وابن عباس رضي الله تعالى عنهما ذكر احدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر ان جبريل عليه السلام جعل يدس في فم فرعون الطين مخافة ان يقول لا اله الا الله فيرحمه الله تعالى او خشية ان يرحمه الله اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح والله اعلم

فصل في الكلام على هذا الحديث لانه في الظاهر مشكل فيحتاج الى بيان وايضاح فنقول قد ورد هذا الحديث على طريقين مختلفين عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه الطريق الاول عن علي بن زيد بن جدعان وان كان قد ضعفه يحيى بن معين وغيره فانه كان شيخا نبيلا صدوقا ولكنه قد يسيء الحفظ ويغلط وقد احتمل الناس حديثه وانما يخشى من حديثه ما لم يتابع عليه وخالف فيه الثقات وكلاهما منتف في هذا الحديث لان الطريق عن شعبة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعطاء بن السائب ثقة فقد خرج له مسلم فهو على شرط مسلم وان كان عطاء قد تكلم فيه من قبل اختلاطه فانما يخاف منه

ما انفرد به او يخالف فيه وكلاهما مختلف فيه فقد علم بهذا ان لهذا الحديث اضلالا
وان رواته ثقات ليس فيهم متهم وان كان فيهم من هو سيئ الحفظ فقد تابعه عليه
غيره فان قلت ففي الحديث الثاني شك في رفعه لانه قال فيه ذكر احدهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم قلت ليس يشك في رفعه انما هو جزم باحد الرجلين برفعه
وشك شعبة في تعيينه هل هو عن عطا بن السايب او عدي بن ثابت وكلاهما
ثقة فاذا رفعه احدهما وشك في تعيينه لم يكن هذا عنه في الحديث **فصل**
وَوجه استشكال ما اعترض عليه الامام فخر الدين الرازي في تفسيره فقال ان جبريل
عليه السلام اخذ بلامه بالطين لئلا يتوب غضبا عليه الجواب الاقرب انه لا يصح
في ذلك الحال التكليف هل كان باقيا اولا فان كان باقيا لم يجز لجبريل عليه السلام
ان يمنعه من التوبة بل يجب عليه ان يعينه على التوبة وان كان التكليف زايلا
عن فرعون في ذلك الوقت فحينئذ لا يبقى لهذا الذي نسب الى جبريل عليه السلام
فايدة فحوابه ان يقال ان للناس في تعليل افعال الله تعالى قولان احدهما ان
افعاله لا تعلل وعلى هذا التقدير فلا يرد هذا السوال اصلا وقد زال الاشكال
عنه والقول الثاني ان افعاله تعالى لها غاية بحسب المصالح لاجلها فعلها وكذا
اوامره ونواهيه لها غاية محموده محبوبة لاجلها امر بها ونهى عنها وعلى هذا
التقدير فقد يقال لما قال فرعون امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنوا اسرائيل
وقد علم جبريل عليه الصلاة والسلام انه ممن حقت عليه كلمة العذاب وان
ايمانه لا ينفعه فدس الطين في فيه تحقيقا لهذا المنع والفايدة فيه تعجيل ما قد
قضي عليه وسد الباب عنه سدا محكما بحيث لا ينفع ولا يبقى للرحمة فيه متنفذ
ولا يبقى من عمره زمن يسع للايمان فان موسى عليه الصلاة والسلام لما دعا
ربه بان فرعون لا يومن حتى يرى العذاب الاليم والايمان عند روية العذاب
غير نافع فاجاب الله تعالى دعاه فلما قال فرعون تلك الكلمة عند معاينة
الغرق استعجل جبريل عليه السلام فدس الطين في فيه لييأس من الحياة ولا
ينفعه تلك الكلمة ولا يتحقق اجابة الدعوة التي وعد الله تعالى بها موسى عليه
السلام بقوله قد اجيبت دعوتكما فيكون سعي جبريل عليه السلام في تشكيك
ما قد سبق في حكم الله انه يفعل فيكون سعي جبريل عليه السلام في مرضات
الله منفذا لما امره وقضاه على فرعون وقوله لو منعه من التوبة لكان قد
رضي ببقايه على الكفر والرضى بالكفر كفر فجوابه ما تقدم ان الله تعالى يفعل
ما يشا ويهدي من يشا وجبريل عليه الصلاة والسلام انما يتصرف بامر الله
تعالى بروا اذ لكان جبريل عليه الصلاة والسلام قد فعل ما امره الله به ونفذه
وانما رضي بالامر لا بالمامور به فاي كفر يكون هنا وايضا فان الرضا بالكفر
انما يكون كفرا في حقنا لمخالفتنا ما امرنا به واما من ليس مامورا كامرنا
ولا هو مكلف كتكليفنا بل يفعل ما يامره به ربه فاذا نفذ ما امره به
لم يكن رضى بالكفر ولا يكون كفرا في حقه وعلى هذا التقدير فان جبريل عليه
السلام لما دس الطين في فم فرعون كان ساخطا لكفره غير راض عنه والله
تعالى خالق افعال العباد خيرها وشرها وهو غير راض بالكفر فغاية امر جبريل
عليه الصلاة والسلام مع فرعون ان يكون منفذا لقضا الله تعالى وقدره في

فرعون من الكفر وهو ساخط له غير راض به وقوله كيف يليق بجلال الله تعالى ان يامر جبريل
عليه السلام بان يمنعه من الايمان فجوابه ان الله يفعل ما يشا ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وقوله
وان قيل ان جبريل عليه الصلاة والسلام انما فعل ذلك من عند نفسه لا بامر الله فجوابه انما
فعل ذلك بامر الله منفذا لامر الله والله اعلم بمراده قوله تعالى **فاليوم ننجيك** معناه انا نلقيك
على نجوة من الارض وهي المكان المرتفع قال اهل التفسير لما اغرق الله تعالى فرعون وقومه
اخبر موسى عليه السلام قومه بهلاك فرعون وقومه قالت بنو اسرائيل ما مات فرعون وانما
قالوا ذلك لعظمته عندهم وما حصل في قلوبهم من الرعب لاجله فامر الله عز وجل البحر
فالقى فرعون على الساحل احمر قصيرا كانه ثور فراه بنو اسرائيل فعرفوه فمن ذلك الوقت
لا يقبل الماء ميتا ابدا ومعنى قوله تعالى **ببدنك** يعني نلقيك وانت جسد بلا روح فيه
وقيل هذا الخطاب على سبيل التهكم والاستهزاء كانه قيل له ننجيك ولكن هذه النجاة انما
تحصل لبدنك لا لروحك وقيل اراد بالبدن الدرع وكان لفرعون درع من ذهب مرصع
بالجواهر يعرف به فلما راوه في درعه ذلك عرفوه **لتكون لمن خلفك اية** يعني عبرة وموعظة
وذلك انهم ادعوا ان مثل فرعون لا يموت ابدا لانه كان في غاية العظمة فصار الى نهاية الخسة
والذلة ملقى على الارض لا يهابه احد **وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون ولقد بوانا
بني اسرايل مبوا صدق** يعني اسكناهم مكان صدق وانزلناهم منزل صدق بعد خروجهم
من البحر واغراق عدوهم فرعون والمعنى انزلناهم منزلا محمودا صالحا وانما وصف المكان
بالصدق لان عادة العرب اذا مدحت شيا اضافته الى الصدق فتقول العرب هذا رجل
صدق وقدم صدق والسبب فيه ان الشي اذا كان كاملا صالحا لا بد ان يصدق الظن فيه
وفي المراد بالمكان قولان احدهما انه مصر فيكون المراد ان الله تعالى اورث بني اسرايل جميع
ما كان تحت ايدي فرعون وقومه من ناطق وصامت وزرع وغيره والقول الثاني انه ارض
الشام والقدس والاردن لانها بلاد الخصب والخير والبركة قوله تعالى **ورزقناهم من
الطيبات** يعني تلك المنافع والخيرات التي رزقهم الله تعالى **فما اختلفوا حتى جاءهم العلم**
يعني فما اختلف الذين فعلنا بهم هذا الفعل من بني اسرايل حتى جاءهم ما كانوا به عالمين
وذلك انهم كانوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم مقرين به مجمعين على نبوته غير مختلفين
فيه لما يجدونه مكتوبا عندهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه فامن
به بعضهم كعبد الله بن سلام وكفر به بعضهم بغيا وحسدا فعلى هذا المعنى يكون المراد
من العلم المعلوم والمعنى فما اختلفوا حتى جاءهم المعلوم الذي كانوا يعلمونه حقا فوضع
العلم مكان المعلوم وقيل المراد من العلم القران النازل على محمد صلى الله عليه وسلم وانما
سماه علما لانه سبب العلم وتسمية السبب بالمسبب مجاز مشهور وفي كون القران سببا لحدوث
الاختلاف فيه وجهان الاول ان اليهود كانوا يخبرون بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم وصفته
ونعته ويفتخرون بذلك على المشركين فلما بعث كذبوه بغيا وحسدا وايثارا لبقاء الرياسة
لهم فامن به طايفة قليلة وكفر به غالبهم والوجه الثاني ان اليهود كانوا على دين واحد
قبل نزول القران فلما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم امن به طايفة وكفر به اخرى وقوله
عز وجل **ان ربك** يعني يا محمد **يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** يعني في امرك
واما نبوتك في الدنيا فيدخل من امن بك الجنة ومن كفر بك وجحد نبوتك دخل النار قوله
تعالى **فان كنت في شك مما انزلنا اليك** الشك في موضوع اللغة خلاف اليقين والشك اعتدال
النقيضين عند الانسان لوجود امارتين او لعدم الامارة والشك ضرب من الجهل وهو اخص منه

تكل شك جهل وليس كل جهل شك فاذا قيل فلان شاك في هذا الامر معناه انه توقف فيه حتى يتبين
له فيه الصواب او خلافه وظاهر هذا القول الخطاب في قوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك
يعني من حقيقة ما اخبرناك به وانزلناه يعني القرآن **فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من
قبلك** يعني علماء اهل الكتاب يخبرونك انه مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وانك نبي معروف
يعرفونك بصفتك عندهم وقد توجه هاهنا سؤال واعتراض وهو ان يقال شك النبي صلى
الله عليه وسلم فيما انزل اليه او في نبوته حتى يسأل اهل الكتاب عن ذلك واذا كان شاكا في نبوة
نفسه كان غيره اولى بالشك منه قلت الجواب عن هذا السؤال والاعتراض ما قاله القاضي عياض
في كتابه الشفا فانه اورد هذا السؤال ثم قال احذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه
بعض المفسرين عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه او غيره من اثبات شك النبي صلى الله عليه وسلم فيما
اوحي اليه وانه من البشر فمثل هذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وسلم جملة بل قد قال ابن عباس رضي الله
تعالى عنه لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ونحوه عن سعيد بن جبير والحسن البصري
وحكي عن قتادة قال بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك وما اسأل وعامة
المفسرين على هذا ثم كلام القاضي عياض رحمه الله تعالى ثم اختلفوا في معنى الآية ومن هو
المخاطب بهذا الخطاب على قولين احدهما ان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر
والمراد به غيره فهو كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك ومعلوم ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يزل فثبت ان المراد به غيره ومن امثلة العرب اياك اعني واسمعي يا جاره فعلى هذا يكون
معنى الآية قل يا محمد يا ايها الناس والانسان الشاك ان كنت في شك مما انزلنا اليك على
لسان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل الذين يقرؤون الكتاب يخبرونك بصحته
ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى في آخر السورة قل يا ايها الناس ان كنتم في شك من
ديني الآية فبين ان المذكور في هذه الآية على سبيل الرمز هم المذكورون في هذه الآية على
سبيل التصريح وايضا لو كان النبي صلى الله عليه وسلم شاكا في نبوته لكان غيره اولى بالشك
في نبوته وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية معاذ الله من ذلك وقيل ان الله تعالى علم
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط فيكون المراد بهذا التهييج فانه صلى الله عليه وسلم
اذا سمع هذا الكلام فانه يقول لا اشك يا رب ولا اسأل اهل الكتاب بل اكتفي بما انزلته
علي من الدلائل الظاهرة وقال الزجاج ان الله تعالى خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم
في قوله فان كنت في شك وهو شامل للخلق فهو كقوله يا ايها النبي اذا طلقتم النساء وهذا
وجه حسن لكن فيه بعد وهو ان يقال متى كان الرسول صلى الله عليه وسلم داخلا في هذا
الخطاب كان الاعتراض موجودا والسؤال وارد وقيل ان لفظة ان في قوله فان كنت في
شك للنفي ومعناه وما انت في شك مما انزلنا اليك حتى تسأل فلا تسأل ولئن سألت
لازددت يقينا والقول الثاني وهو ان يقال ان هذا الخطاب ليس هو للنبي صلى الله عليه
وسلم البتة ووجه هذا القول ان الناس كانوا في زمانه على ثلاث فرق فرقة له مصدقون
وبه مؤمنون وفرقة على الضد من ذلك والفرقة الثالثة المنافقون في امره الشاكون فيه
فخاطبهم الله عز وجل بهذا الخطاب فقال تعالى فان كنت في شك ايها الانسان مما انزلنا اليك
من الهدى على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فاسأل اهل الكتاب ليدلوك على صحة نبوته وانما
وحد الله الضمير في قوله فان كنت في شك وهو يريد الجمع لانه خطاب لجنس الانسان كما في قوله
تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم لم يرد في الآية انسانا بعينه بل اراد الجمع اختلفوا في
المسؤول عنه في قوله تعالى فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك من هم فقال المحققون من

اهل التفسير هم الذين آمنوا من اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه لانهم الموثوق باخبارهم
وقيل المراد به كل اهل الكتاب سواء مؤمنهم وكافرهم لان المقصود من هذا السؤال الاخبار بصحة
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانه مكتوب عندهم صفته ونعته فاذا اخبروا بذلك فقد
حصل المقصود والاول اصح قال الضحاك يعني اهل التقوى واهل الايمان من اهل الكتاب ممن
ادرك النبي صلى الله عليه وسلم **لقد جاءك الحق من ربك** هذا كلام مبتدأ منقطع عما قبله
وفيه معنى القسم تقديره اقسم لقد جاءك الحق اليقين من الخبر بانك رسول الله حقا وان اهل
الكتاب يعلمون صحة ذلك **فلا تكونن من الممترين** يعني الشاكين في صحة ما انزلنا اليك
ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله يعني بدلائله وبراهينه الواضحة **فتكون من الخاسرين**
يعني الذين خسروا انفسهم **واعلم** ان هذا كله على ما تقدم خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
في الظاهر والمراد به غيره ممن عنده شك وارتياب فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك ولم يرتب
ولم يكذب بآيات الله فثبت بذلك ان المراد به غيره والله تعالى اعلم قوله عز وجل **ان الذين حقت
عليهم** يعني وجبت عليهم **كلمت ربك** يعني حكم ربك وهو قوله خلقت هؤلاء للنار ولا ابالي
وقال قتادة سخط ربك وقيل لعنة ربك وقيل هو ما قدر عليهم وقضاه في الازل **لا يؤمنون
ولو جاءتهم كل آية** لا يؤمنوا فانهم لا يؤمنون بها **حتى يروا العذاب الاليم** فحينئذ لا ينفعهم
الايمان لان الله تعالى قد حكم عليهم وصرفهم عن الايمان فلا ينفعهم ثم قوله تعالى **فلولا**
اي فهلا **كانت قرية آمنت** وقيل معناه فما كانت قرية وقيل لم تكن قرية لان في الاستفهام
معنى الجحد والمراد اهل كانت قرية **آمنت** يعني عند معاينة العذاب **فنفعها ايمانها** يعني في
حال الباس **الا قوم يونس** هذا استثناء منقطع يعني لكن قوم يونس فانهم آمنوا فنفعهم
ايمانهم في ذلك الوقت وهو قوله **لما آمنوا** يعني اخلصوا الايمان **كشفنا عنهم عذاب
الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين** يعني الى وقت انقضاء آجالهم واختلفوا في
قوم يونس هل رأوا العذاب عيانا ام لا فقال بعضهم رأوا دليل العذاب فآمنوا وقال الاكثرون
انهم رأوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا عنهم عذاب الخزي والكشف لا يكون الا بعد الوقوع
او اذا قرب وقوعه **ذكر القصة** في ذلك على ما ذكره عبد الله بن مسعود وسعيد
ابن جبير ووهب وغيرهم قالوا ان قوم يونس عليه السلام كانوا بقرية نينوى من ارض
الموصل وكانوا اهل كفر وشرك فارسل الله اليهم عز وجل يونس عليه الصلاة والسلام يدعوهم
الى الايمان بالله وترك عبادة الاصنام فدعاهم فابوا عليه فقيل له اخبرهم ان العذاب
مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا قط فانظروا فان بات فيكم
الليلة فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان جوف الليل خرج
يونس عليه الصلاة والسلام من بين اظهرهم فلما اصبحوا تغشاهم العذاب فوق رؤوسهم
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان العذاب كان اهبط على قوم يونس عليه الصلاة والسلام
حتى لم يكن بينهم وبينه الا قدر ثلثي ميل فلما دعوا كشف الله تعالى عنهم العذاب وذلك
وقال مقاتل قدر ميل وقال سعيد بن جبير غشى قوم يونس عليه السلام العذاب كما يغشى الثوب
القبر وقال وهب غامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم
واسودت سطوحهم فلما رأوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا نبيهم يونس عليه الصلاة والسلام
فلم يجدوه فقذف الله تعالى في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصحراء بانفسهم ونسائهم
وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح واظهروا الاسلام والتوبة وفرقوا بين كل والدة
وولدها من الناس والدواب فحن البعض الى البعض فحنت الامهات الى الاولاد والاولاد

الى الامهات وعلت الاصوات وعجوا جميعا الى الله تعالى وتضرعوا اليه وقالوا امنا بما جاء به يونس
عليه الصلاة والسلام وتابوا الى الله واخلصوا اليه فرحمهم ربهم فاستجاب دعاءهم وكشف
ما نزل بهم من العذاب بعد ما اظلهم وكان ذلك اليوم يوم عاشوراء وكان يوم الجمعة قال
ابن مسعود وبلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم فيما بينهم حتى كان الرجل لياتي الى الحجر وقد وضع
اساس بنيانه عليه فيقلعه فيرده **وقد روى** الطبري بسنده عن ابي الجلد
جيلان قال لما غشي قوم يونس عليه السلام العذاب مشوا الى شيخ بقية من علمائهم فقالوا انه
قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا اله الا انت
فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين وقال الفضيل بن عياض قالوا اللهم
ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم واجل فافعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا
ما نحن اهله قال وخرج يونس عليه الصلاة والسلام وقد جعل ينتظر العذاب فلم ير شيئا
فقيل له ارجع الى قومك قال وكيف ارجع اليهم فيجدوني كذابا وكان من كذب ولا بينة له
قتل فانصرف عنهم مغاضبا فالتقمه الحوت وستاتي القصة في سورة الصافات ان شاء
الله تعالى **فان قلت** كيف كشف العذاب عن قوم يونس عليه الصلاة والسلام
بعد ما نزل بهم وقبل توبتهم ولم يكشف العذاب عن فرعون حين امن ولم يقبل توبته **قلت**
اجاب العلماء عن هذا باجوبة احدها ان ذلك كان خاصا بقوم يونس عليه الصلاة
والسلام والله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد الجواب الثاني ان فرعون ما امن الا بعد
ما باشر العذاب وهو وقت الياس من الحياة وقوم يونس دنا منهم العذاب ولم ينزل
بهم ولم يباشرهم فكانوا كالمريض يخاف الموت ويرجو العافية والجواب الثالث ان
الله عز وجل علم صدق نياتهم في التوبة فقبل توبتهم بخلاف فرعون فانه ما صدق
في ايمانه ولا اخلص فلم يقبل الله منه ايمانه قوله تعالى **ولو شاء ربك لامن من في الارض
كلهم** يعني يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو شاء الله يا محمد لامن بك
وصدقك من في الارض كلهم جميعا ولكن يشاء من يشاء ذلك ويؤمن بك الا من قد سبقت
له السعادة في الازل قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يحرص ان يؤمن به جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبر الله عز وجل انه لا يؤمن
به الا من سبق له من الله تعالى السعادة في الذكر الاول فلم يضل الا من سبق له
الشقاوة في الذكر الاول وفي هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه كان حريصا
على ايمانهم فاخبره الله انه لا يؤمن به الا من سبقت له العناية الازلية فلا تتعب نفسك على
ايمانهم وهو قوله **جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** يعني ليس ايمانهم
اليك يعني تكرههم عليه او تحرص عليه انما ايمان المؤمن واضلال الكافر بمشيئة الله تعالى
وقدره ليس لاحد ذلك سواه والله اعلم **وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله**
يعني وما ينبغي لنفس خلقها الله تعالى ان تؤمن وتصدق الا ان يوفقها الله تعالى للايمان
فان هدايتها الى الله هو الهادي المضل وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه معنى باذن الله
بامر الله وقال عطاء بمشيئة الله تعالى قوله تعالى **ويجعل** قرئ بالنون على سبيل
التعظيم اي ونحن نجعل وقرئ بالياء وقيل معناه ويجعل الله **الرجس** يعني العذاب
وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه يعني السخط **على الذين لا يعقلون** يعني لا يعقلون
عن الله امره ونهيه قوله تعالى **قل انظروا** اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يسالونك
الايات انظروا يعني انظروا بقلوبكم نظر اعتبار وتفكر وتدبر **ماذا في السموات والارض**

يعني

يعني ماذا خلق الله في السموات والارض من الايات الدالة على وحدانيته والشمس والقمر وهما
دليلان على الليل والنهار والنجوم مسخرة ما طالعة وغاربة والمطر النازل من السماء وفي الارض
الجبال والبحار والانهار والاشجار والنبات كل ذلك من ايات الدالة على وحدانية الله تعالى
وانه خالقها كما قال الشاعر ● [illegible] ●
وفي كل شيء له اية ● تدل على انه واحد ●
قوله تعالى **وما تغني الايات والنذر** يعني الرسل **عن قوم لا يؤمنون** وهذا في حق
اقوام علم الله تعالى انهم لا يؤمنون لما سبق لهم في الازل من الشقاء **فهل ينتظرون**
يعني مشركي مكة **الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم** يعني من مضى من قبلهم من الامم
السالفة المكذبة للرسل قال قتادة يعني وقائع الله تعالى في قوم نوح وثمود وعاد والعرب
تسمي العذاب اياما والنعم اياما كقوله تعالى وذكرهم بايام الله والمعنى فهل ينتظر
هؤلاء المشركون من قومك يا محمد الا يوما ياتيهم فيه العذاب مثل ما حل بالامم
السالفة المكذبة اهلكناهم جميعا فان كانوا ينتظرون **قل فانتظروا** يعني قل لهم
يا محمد فانتظروا العذاب **اني معكم من المنتظرين** يعني هلاككم قال الربيع بن
انس خوفهم عذابه ونقمته ثم اخبرهم انه اذا وقع ذلك بهم انجى الله تعالى رسله والذين امنوا
معهم من ذلك العذاب وهو قوله تعالى **ثم ننجي رسلنا والذين امنوا** يعني من العذاب
والهلاك **كذلك حقا علينا ننج المؤمنين** يعني كما انجينا رسلنا والذين امنوا معهم
من الهلاك كذلك ننجيك يا محمد والذين امنوا معك وصدقوك من الهلاك والعذاب
قال بعض المتكلمين المراد بقوله حقا علينا الوجوب لان تخليص الرسل والمؤمنين
من العذاب واجب واجيب عن هذا بانه حق واجب بحسب الوعد والحكم لا بحسب الاستحقاق
فقد ثبت ان العبد لا يستحق على خالقه شيئا قوله تعالى **قل يا ايها الناس** الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم اي قل يا محمد لهؤلاء الذين ارسلتك اليهم فشكوا في امرك ولم يؤمنوا
بك **ان كنتم في شك من ديني** يعني الذي ادعوكم اليه وانما حصل الشك لبعضهم في امره
صلى الله عليه وسلم لما راى الايات التي كانت تظهر على يد النبي صلى الله عليه وسلم فحصل
لهم الاضطراب والشك فقال ان كنتم في شك من ديني الذي ادعوكم به فلا ينبغي لكم ان
تشكوا فيه لانه دين ابراهيم عليه الصلاة والسلام وانتم من ذريته وتعرفونه ولا تشكون
فيه وانما ينبغي لكم ان تشكوا في عبادتكم هذه الاصنام التي لا اصل لها البتة فان اصررتم
على ما انتم عليه **فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله** يعني هذه الاوثان وانما وجب
تقديم هذا النفي لان العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا تليق لاخس الاشياء وهي
الحجارة التي لا تنفع لمن عبدها ولا تضر لمن تركها ولكن تليق العبادة لمن بيده النفع
والضر وهو قادر على الاماتة والاحياء وهو قوله **ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم** والحكمة
في وصف الله عز وجل في هذا المقام بهذه الصفة لانه الذي يستحق العبادة فاعبده
انا وانتم هو الذي خلقكم اولا ولم تكونوا شيئا ثم يميتكم ثانيا ثم يحييكم بعد الموت ثالثا
فالمعنى بذكر الوفاة تنبيها على البواقي وقيل لما كان الموت اشد الاشياء على النفس فذكر في
هذا المقام ليكون اقوى في ذلك الزجر والردع وقيل انهم لما استعجلوا بطلب العذاب
فاجابهم بقوله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم فهو قادر على هلاككم ونصري عليكم **وامرت
ان اكون من المؤمنين** يعني وامرني ربي ان اكون من المصدقين لما جاء من عنده وقيل
لما ذكر العبادة وهي من اعمال الجوارح اتبعه بذكر الايمان لانه من اعمال القلوب [illegible] وحمل

وان اقم وجهك للدين حنيفا الواو في قوله وان اقم عطف معناه وامرت ان اقيم وجهك يعني ان تمسك على دين الاسلام حنيفا يعني مستقيما عليه غير معوج عنه الى دين اخر وقيل معناه اقم عملك على الدين الحنيفي وقيل اراد بقوله وان اقم وجهك للدين عرف نفسه بكليته الى طلب الدين الحنيف غير مائل **ولا تكونن من المشركين** ولا تكونن ممن يشرك في عبادة ربه غيره فيهلك وقيل ان النهي عن عبادة الاوثان قد تقدم في الاية المتقدمة فوجب حمل هذا النهي على معنى زائد وهو ان من عرف الله عز وجل وعرف جميع اسمائه وصفاته وانه المستحق للعبادة لا غيره فلا ينبغي له ان يلتفت الى غيره بالكلية وهذا الذي يسميه اصحابنا بالشرك الخفي **ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك** يعني ان عبدته ودعوته **ولا يضرك** ان تركت عبادته **فان فعلت** يعني ما نهيتك عنه فعبدت غيري او طلبت النفع ودفع الضر من غيري **فانك اذا من الظالمين** يعني لنفسك لانك وضعت العبادة في غير موضعها وهذا الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره لانه صلى الله عليه وسلم لم يدع من دون الله شيئا البتة فيكون المعنى ولا تدع من دون الله ايها الانسان ما لا ينفعك الاية قوله عز وجل **وان يمسسك الله بضر** يعني وان يصيبك الله بشدة وبلاء **فلا كاشف له الا هو** يعني وكذلك الضر الذي انزله بك الا هو **وان يردك بخير** يعني بسعة ورخاء **فلا راد لفضله** يعني فلا دافع لرزقه **يصيب به** يعني بكل واحد من الضر والخير **من يشاء من عباده** وقيل انه تعالى لما ذكر الاوثان وبين انها لا تقدر على نفع ولا ضر بين تعالى انه هو القادر على ذلك كله وانه ذو الجود والكرم والرحمة ولهذا المعنى ختم الاية بقوله **وهو الغفور الرحيم** وفي الاية لطيفة اخرى وهو ان الله تعالى رجح جانب الخير على جانب الشر وذلك انه تعالى لما ذكر امساس الضر بين انه لا كاشف له الا هو وذلك يدل على انه تعالى يزيل جميع المضار ويكشفها لان الاستثناء من النفي اثبات ولما ذكر الخير قال فيه فلا راد لفضله يعني ان جميع الخيرات منه فلا يقدر احد على ردها لانه هو الذي يفيض جميع الخيرات على عباده وعضده بقوله وهو الغفور يعني الساتر لذنوب عباده الرحيم يعني بهم قوله تعالى **قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم** يعني القرآن والاسلام وقيل الحق هو محمد صلى الله عليه وسلم جاء بالحق من الله عز وجل **فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه** لان نفع ذلك يرجع اليه **ومن ضل فانما يضل عليها** اي على نفسه لان وباله راجع اليه فمن حكم الله تعالى له بالاهتداء في الازل انتفع ومن حكم عليه بالضلال ضل ولم ينتفع بشيء ابدا **وما انا عليكم بوكيل** يعني وما انا عليكم بحفيظ احفظ عليكم اعمالكم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه هذه الاية منسوخة باية السيف **واتبع ما يوحى اليك** يعني الامر الذي يوحيه الله اليك يا محمد **واصبر** يعني على اذى من خالفك من كفار مكة وهم قومك **حتى يحكم الله** يعني بنصرك الله عليهم واظهار دينك قوله تعالى **وهو خير الحاكمين** يعني انه تعالى حكم بنصر نبيه واظهار دينه وبقتل المشركين واخذ الجزية من اهل الكتاب وقهرهما ذلهم وصغارهم وهو احكم الحاكمين سورة يونس عليه السلام والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة هود عليه السلام وهي مكية في قول ابن عباس وبه قال الحسن وعكرمة ومجاهد وابن زيد وقتادة وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه

انها مكية غير اية وهي قوله تعالى واقم الصلاة طرفي النهار وعن قتادة غيره قال مقاتل

هي مكية الا قوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وقوله اولئك يؤمنون به وقوله ان الحسنات يذهبن السيئات وهي مائة وثلاث وعشرون اية والف وتسعمائة كلمة وتسعة الاف وخمسمائة وسبعة وستون حرفا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال قال ابو بكر يا رسول الله قد شبت قال شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي رواية غيره قال قلت يا رسول الله عجل اليك الشيب قال شيبتني هود واخواتها الحاقة والواقعة وعم يتساءلون وهل اتاك حديث الغاشية قال بعض العلماء سبب شيبه صلى الله عليه وسلم من هذه السور المذكورة في الحديث لما فيهن من ذكر القيامة والبعث والحساب والجنة والنار والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **الر كتاب احكمت اياته** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه لم ينسخها كتاب كما نسخت هي الكتب والشرائع **ثم فصلت** يعني بينت قال الحسن احكمت اياته بالامر والنهي وفصلت بالثواب والعقاب وفصلت بالامر والنهي وقال قتادة احكمها الله تعالى من الباطل ثم فصلها بعلمه فبين حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته فيها وقيل احكمها الله فليس فيها تناقض ثم فصلها وبينها وقيل معناه نظمت اياته نظما رصينا محكما بحيث لا يقع فيه نقص ولا خلل كالبناء المحكم الذي ليس فيه خلل ثم فصلت ايات سورا سورة سورة وقيل ان ايات الله هذا الكتاب دالة على التوحيد وصحة النبوة والمعاد وامثال ذلك وكل ذلك لا يدخله النسخ ثم فصلت بدلائل الاحكام والمواعظ والقصص والاخبار عن المغيبات وقال مجاهد فصلت يعني فسرت وثم في قوله ثم فصلت ليس هي للتراخي في الوقت ولكن في الحال لانك تقول هي محكمة احسن الكلام ثم مفصلة احسن التفصيل

فان قلت كيف عم الايات هنا بالاحكام وخص بعضها بقوله منه ايات محكمات

قلت ان بعض اياته منسوخة يعني نسخها بايات منه ايضا لم ينسخها من غيره وقيل احكمت اياته ان يعلم اياته ذلك الكتاب محكمة وان كان قد دخل النسخ على البعض لان الحكم للغالب والواحد واجرا الكل على البعض مستعمل في كلامهم تقول اكلت طعام زيد وانما اكلت بعضه وقوله تعالى **من لدن حكيم** يعني احكمت ايات الكتاب من عند حكيم في جميع افعاله **خبير** يعني باخبار عباده وما يصلحهم **الا تعبدوا الا الله** هذا معطوف على ما قبله معناه كتاب احكمت اياته ثم فصلت بان لا تعبدوا الا الله والمراد بالعبادة التوحيد وخلع الانداد والاصنام وما كانوا يعبدون والرجوع الى الله تعالى والى عبادته والدخول في دين الاسلام **انني لكم منه نذير** اي قل لهم يا محمد انني لكم من عند الله نذير **وبشير** ينذركم عقابه ان اقمتم على كفركم ولم ترجعوا عنه وبشيرا يعني وبشيرا بالثواب الجزيل لمن امن بالله ورسوله واطاع واخلص العمل لله وحده **وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه** اختلفوا في بيان الفرق بين هذين المرتبتين فقيل معناه اطلبوا من ربكم المغفرة لذنوبكم ثم ارجعوا اليه لان الاستغفار هو طلب المغفرة وهو الستر والتوبة الرجوع عما كان فيه من الاشراك والمعصية الى خلاف ذلك فلهذا السبب قدم الاستغفار على التوبة وقيل معناه استغفروا ربكم لسالف ذنوبكم ثم توبوا اليه في المستقبل قال الفراء ثم هنا بمعنى الواو لان الاستغفار والتوبة بمعنى واحد فذكرهما للتاكيد **يمتعكم متاعا حسنا**

يعني انكم اذا فعلتم ما امرتم به من الاستغفار والتوبة واخلصتم العبادة لله عز وجل بسط عليكم من الدنيا اسباب الرزق فيما تعيشون به في امن وسعة وخير قال بعضهم العيش الحسن هو الرضا بالميسور والصبر على المقدور **الى اجل مسمى** يعني متاعا حسنا الى حين الموت ووقت انقضاء آجالكم **فان قلت** قد ورد في الحديث ان الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وقد يضيق على الرجل في بعض اوقاته حتى لا يجد ما ينفقه على نفسه فكيف الجمع بين هذا وبين قوله يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى **قلت** اما قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن فهو بالنسبة الى ما اعد الله له من الخيرات ومن الثواب الجزيل والنعيم المقيم فانه في سجن في الدنيا حتى يفضي الى ذلك المعد له في الآخرة واما ما يضيق على الرجل المؤمن في بعض الاوقات فانما ذلك لاجل رفع الدرجات وتكفير السيئات **قلت** وبيان الصبر عند المصيبات فهذا يكون المؤمن في جميع احواله في عيشة حسنة لانه راض عن الله في جميع احواله وقوله تعالى **ويؤت كل ذي فضل فضله** اي ويؤت كل ذي عمل صالح في الدنيا اجره وفي الآخرة ثوابه قال ابو العالية من كثرت طاعته في الدنيا زادت حسناته ودرجاته في الجنة لان الدرجات تكون على قدر الاعمال وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة وقال ابن مسعود ومن عمل سيئة كتبت له سيئة ومن عمل حسنة كتبت له عشر حسنات فان عوقب بالسيئة التي عملها في الدنيا بقيت له عشر حسنات وان لم يعاقب بها في الدنيا اخذ من حسناته العشرة واحدة وبقيت له تسع حسنات ثم يقول ابن مسعود هلك من غلب آحاده على اعشاره وقيل المعنى الآية من عمل لله وفقه الله فيما يستقبل لطاعته **وان تولوا** يعني وان اعرضوا عما جاءهم به من الهدى **فاني اخاف عليكم** اي فقل لهم يا محمد اني اخاف عليكم **عذاب يوم كبير** يعني في الآخرة عذاب النار **الى الله مرجعكم** يعني في الآخرة فيثيب المحسن على احسانه ويعاقب المسيء على فعله واساءته **وهو على كل شيء قدير** يعني من ايصال الرزق اليكم وثوابكم وعذابكم في الآخرة قوله تعالى **الا انهم يثنون صدورهم** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه نزلت في الاخنس بن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر وكان يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب وينطوي بقلبه على ما يكره فنزلت هذه الآية الا انهم يثنون صدورهم يعني يخفون ما في صدورهم من الشحناء والعداوة من ثنيت الثوب اذا طويته وقال عبد الله بن شداد بن الهاد نزلت في بعض المنافقين كان اذا مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثنى صدره وظهره وطأطأ رأسه وغطى وجهه كي لا يراه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كانوا يحنون صدورهم كي لا يسمعوا كتاب الله ولا ذكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويحني ظهره ويتغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي وقال السدي يثنون صدورهم اي يعرضون بقلوبهم من قولهم ثنيت عناني **ليستخفوا منه** يعني من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد من الله عز وجل ان استطاعوا **الا حين يستغشون ثيابهم** يعني يغطون رؤسهم **يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور** ومعنى الآية على ما قاله الازهري ان الذين اضمروا عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى علينا حالهم في كل حال وقد نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما غير هذا التفسير وهو ما اخرجه البخاري في افراده عن محمد بن عباد بن جعفر المخزومي انه سمع ابن عباس يقرأ الا انهم يثنون صدورهم قال فسألته عنها فقال كان اناس يستحيون ان يتخلوا فيفضوا

الي

الى السما وان يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السما فنزل ذلك فيهم وقوله تعالى **وما من دابة في الارض** الدابة اسم لكل حيوان دب على وجه الارض واطلق لفظ الدابة على كل شيء ذي روح من الحيوان على سبيل العرف والمراد منه الاطلاق فيدخل فيه الآدمي وغيره من جميع الحيوان **الا على الله رزقها** يعني هو المتكفل برزقها فضلا منه لا على سبيل الوجوب فهو الى مشيئته ان شاء رزق وان شاء لم يرزق وقيل ان لفظة على بمعنى من اي من الله رزقها قال مجاهد ما جاءها من رزق فمن الله وربما لم يرزقها فتموت جوعا **ويعلم مستقرها ومستودعها** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه مستقرها المكان الذي تأوي اليه في ليلها ونهارها ومستودعها المكان الذي تدفن فيه بعد الموت وقال ابن مسعود مستقرها ارحام الامهات والمستودع المكان الذي تموت فيه وقيل المستقر الجنة او النار والمستودع القبر **كل في كتاب مبين** اي كل ذلك مثبت في اللوح المحفوظ قبل خلقها قوله عز وجل **وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الما** يعني قبل خلق السموات والارض قال كعب الاحبار خلق الله ياقوتة خضراء ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء ترتعد ثم خلق الريح فجعل الما على متنها ثم وضع العرش على الما وقال غيره ان الله تعالى كان عرشه على الما ثم خلق السموات والارض وخلق القلم فكتب به ما خلق وما هو خالق من خلقه الى يوم القيمة ثم ان ذلك الكتاب سبح الله ومجده الف عام قبل ان يخلق شيئا من خلقه وقال سعيد بن جبير سئل ابن عباس رضي الله تعالى عنه عن قوله وكان عرشه على الما على اي شيء كان الما قال على متن الريح وقال وهب بن منبه ان العرش كان قبل ان يخلق الله السموات والارض ثم قبض قبضة من صفا الما ثم فتح القبضة فارتفع دخانا ثم قضاهن سبع سموات في يومين ثم اخذ طينة من الما فوضعها مكان البيت ثم دحا الارض منها ثم خلق الاقوات في يومين والارضين في يومين ثم فرغ من آخر الخلق في اليوم السابع قال بعض العلما وفي خلق جميع الاشيا وجعلها على الما ما يدل على كمال القدرة لان البنا الضعيف اذا لم يكن له اساس على ارض صلبة لم يثبت فكيف بهذا الخلق العظيم وهو العرش العظيم والسموات والارض على الما فهذا يدل على كمال قدرة الله تعالى (خ) عن عمران بن حصين قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعقلت ناقتي بالباب فاتى ناس من بني تميم فقال اقبلوا البشرى يا بني تميم فقالوا قد بشرتنا فاعطنا مرتين فتغير وجهه ثم دخل عليه ناس من اهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا اهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم قالوا قبلنا يا رسول الله ثم قالوا جئنا لنتفقه في الدين ولنسألك عن اول هذا الامر ما كان قال كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الما ثم خلق السموات والارض وكتب في الذكر كل شيء ثم اتاني رجل فقال يا عمران ادرك ناقتك فقد ذهبت فانطلقت اطلبها فاذا السراب ينقطع دونها وايم الله لوددت انها ذهبت ولم اقم • عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه قال كان في عما ما تحته هوا وما فوقه هوا وخلق عرشه على الما اخرجه الترمذي وقال قال احمد قال يزيد العما اي ليس معه شيء قال ابو بكر في ذلك وهو البيهقي في كتاب الاسما والصفات له قوله صلى الله عليه وسلم كان الله ولم يكن شيء قبله يعني لا الما ولا العرش ولا غيرهما فجميع ذلك غير الله تعالى وقوله وكان عرشه على الما يعني وخلق الما وخلق العرش على الما ثم كتب في الذكر كل شيء وقوله في عما وجدته في كتابي عما مقيدا بالمد فان كان في الاصل ممدودا فمعناه سحاب رقيق ويريد

يتولم في مجاري قوله فوق سحاب مدبر الهوى عاليا عليه كما قال أأمنتم من في السماء يعني
من فوق السماء وقال لأصلبنكم في جذوع النخل أي على جذوعها وقوله ما فوقه هواء
أي ما فوق السحاب هواء وكذلك قوله وما تحته هواء أي ما تحت السحاب هواء وقد
قيل إن ذلك من العما مقصور والعما إذا كان مقصورا فمعناه لا شيء ثابت لأنه مما عمي عن
الخلق لكونه غير شيء فكأنه قال في جوابه كان قبل أن يخلق خلقه ولم يكن شيء غيره ثم
قال ما فوقه هواء ولا تحته هواء لأن ذلك إذا كان غير شيء فليس يثبت له هواء بوجه والله تعالى
أعلم وقال الهروي صاحب الغريبين قال بعض أهل العلم معناه أين كان عرش ربنا
فحذف المضاف اختصارا كقوله واسأل القرية ويدل على ذلك قوله وكان عرشه على الماء
هذا آخر كلام البيهقي وقال ابن الأثير العماء في اللغة السحاب الرقيق وقيل الكثيف
وقيل هو الضباب ولا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره أين كان عرش ربنا فحذف
ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى وكان عرشه على الماء وحكي عن بعضهم في عما مقصورا أي
كان أمرا لا يدركه الفطن وقال الأزهري قال أبو عبيد إنما تأولنا هذا الحديث
على كلام العرب المعقول عنهم وإلا فلا ندري كيف كان ذلك العما قال الأزهري فنحن
نؤمن به ولا نكيف صفته (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله تعالى مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض
بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وفي رواية فرغ الله من المقادير وأمور الدنيا
قبل أن يخلق السموات والأرض وكان عرشه على الماء بخمسين ألف سنة قوله فرغ منه
لأنه لا يشغله شأن عن شأن فإنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون وقوله تعالى
ليبلوكم يعني ليختبركم وهو أعلم بكم أيكم أحسن عملا يعني بطاعة الله
وأورع عن محارم الله ولئن قلت يعني ولئن قلت يا محمد لهؤلاء الكفار من قومك
إنكم مبعوثون من بعد الموت يعني للحساب والجزاء ليقولن الذين كفروا إن هذا
إلا سحر مبين يعنون القرآن ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة
يعني إلى أجل محدود وأصل الأمة في اللغة الجماعة من الناس فكأنه قال إلى انقراض
أمة ومجيء أمة أخرى ليقولن ما يحبسه يعني أي شيء يحبس العذاب وإنما يقولون ذلك
استعجالا بالعذاب واستهزاء يعنون أنه ليس بشيء قال الله عز وجل ألا يوم يأتيهم يعني
العذاب ليس مصروفا عنهم أي لا يصرف عنهم شيء وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون
يعني ونزل بهم وبال استهزائهم قوله تعالى ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة
يعني رخاء وسعة في الرزق وخصب العيش وبسطنا عليه في الدنيا ثم نزعناها منه
يعني سلبناه ذلك كله وتداعت عليه المصائب فاحتاجه وذهبت به إنه ليؤوس كفور
أي يعني يظل قانطا من رحمة الله آيسا من كل خير كفور أي جحود لنعمتنا عليه وقليل
الشكر لربه قال بعضهم يا ابن آدم إذا كانت بك نعمة من الله من سعة وعافية فاشكرها
ولا تجحد بها فإن نزعت عنك فينبغي لك أن تصبر ولا تيأس من رحمة الله فإنه هو الجواد
الرحيم على عباده بالخير وهو قوله تعالى ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته يعني
ولئن نحن أنعمنا على الإنسان فبسطنا عليه من العيش ليقولن يعني الذي أصابه
الخير والسعة ذهب السيئات عني يعني ذهبت الشدائد والعسر والضيق وإنما
أضافها إلى العوائد بعد قوله إذ هما لله تعالى فقال إنه لفرح فخور أي إنه أشر بطر والفرح
لذة تحصل في القلب بنيل المراد والمشتهى والفخر هو التطاول على الناس بتعديد

المناقب

المناقب وذلك مذموم منه ثم استثنى فقال تعالى إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات
قال الفراء هو استثناء منقطع معناه لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات فإنهم ليسوا
كذلك فإنهم إن نالتهم شدة صبروا وإن نالوا نعمة شكروا عليها أولئك يعني من هذه
صفتهم لهم مغفرة يعني لذنوبهم وأجر كبير يعني في الجنة قوله عز وجل فلعلك
تارك بعض ما يوحى إليك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل فلعلك
يا محمد تارك بعض ما يوحى إليك ربك أن تبلغه إليهم مما أمرتك أن تبلغ ذلك إليهم وضائق
به صدرك يعني ويضيق صدرك بما يوحى إليك فلا تبلغه إياهم وذلك أن كفار مكة
قالوا ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا فهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يترك ذكر آلهتهم
ظاهرا فأنزل الله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك يعني ذكر آلهتهم هذا ما ذكره
المفسرون في معنى هذه الآية وأجمع المسلمون على أنه كان طريقه البلاغ فإنه معصوم
فيه من الإخبار عن شيء منه بخلاف ما هو به عمدا ولا سهوا ولا غلطا وأنه
صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أنزل الله إلى أمته ولم يكتم منه شيئا وأجمعوا أنه لا يجوز على
رسول الله صلى الله عليه وسلم خيانة في الوحي والإنذار ولا يترك بعض ما يوحى إليه
لقول أحد لأن ذلك يجوز أن يؤدي إلى الشك في أداء الشرائع والتكاليف لأن
المقصود من إرسال الرسول التبليغ إلى من أرسل إليه فإذا لم يحصل ذلك فقد فاتت
فائدة الرسالة والنبي صلى الله عليه وسلم معصوم من ذلك كله وإذا ثبت هذا وجب أن يكون
المراد بقوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك شيء آخر سوى ما ذكره المفسرون
وللعلماء في ذلك أجوبة أحدها قال ابن الأنباري علم الله سبحانه وتعالى أن النبي
صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا مما أوحي إليه إشفاقا من موجدة أحد وغضبه ولكن الله
تعالى أكد على رسوله صلى الله عليه وسلم في مبالغة الإبلاغ كما قال يا أيها الرسول بلغ
ما أنزل إليك الآية الثاني أن هذا أدب من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
وتحريض على أداء ما أنزله الله تعالى والله تعالى يحرضه ويرد ذلك من يخالفه ويخشاه
الثالث أن الكفار كانوا يستهزئون بالقرآن ويضحكون منه ويتهاونون به وكان
النبي صلى الله عليه وسلم يضيق صدره لذلك وأن يلقي إليهم ما لا يقبلونه ويستهزئون
به فأمره الله تعالى بتبليغ ما أوحى إليه وأن لا يلتفت إلى استهزائهم وأن يحمل هذا
الضرر وهو أهون من كتم شيء من الوحي والمقصود من هذا الكلام التنبيه على هذه
الدقيقة لأن الإنسان إن كل واحد من طرفي الفعل والترك مشتمل على ضرر عظيم
ثم علم أن الضرر في باب الترك أعظم سهل عليه الإقدام على الفعل وقيل إن الله تعالى
مع علمه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يترك شيئا من الوحي هيجه لأداء الرسالة
وطرح المبالاة باستهزائهم وردهم إلى قبول قوله بقوله فلعلك تارك أي لعلك
تترك أن تلقيه إليهم مخافة ردهم واستهزائهم به وضائق به صدرك بأن تتلوه عليهم
أن يقولوا أي مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز يعني أن يستغني به وينفقه
أو جاء معه ملك يعني يشهد بصدقه وقائل هذه المقالة عبد الله بن أبي أمية المخزومي
والمعنى أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن كنت صادقا في قولك بأنك رسول الله
صلى الله عليه وسلم الذي تصفه بالقدرة على كل شيء وأنت عزيز عنده مع أنك فقير
فهلا أنزل إليك ما تستغني به أنت وأصحابك وهلا أنزل عليك ملكا يشهد لك بالرسالة
فتزول الشبهة في أمرك فأخبر الله عز وجل أنه نذير بقوله عز وجل إنما أنت نذير

تقدر العقاب لمن خالفك وعصى أمرك وتبشر بالثواب لمن أطاعك وآمن بك وصدقك
والله على كل شيء وكيل يعني أنه تعالى حافظ أقوالهم وأفعالهم فيجازيهم عليها يوم القيامة
قوله تعالى **أم يقولون افتراه** معناه أي يقولون يعني كفار مكة اختلقه يعني
ما أوحي إليه من القرآن **قل** أي قل لهم يا محمد **فأتوا بعشر سور مثله مفتريات**
لما قالوا إنه افترى القرآن واختلقه من عند نفسه وليس هو من عند الله تحداهم
وأرخى لهم العنان وواصفهم على مثل قولهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هبوا أني
اختلقته من عند نفسي ولم يوح إلي شيء وأن الأمر كما قلتم وأنتم عرب مثلي من أهل
الفصاحة والبلاغة وأصحاب اللسان فأتوا أنتم بكلام مثل هذا الكلام الذي جئتكم
به مختلق من عند أنفسكم فإنكم تقدرون على مثل ما أقدر عليه من الكلام فلهذا قال
فأتوا بعشر سور مثله مفتريات في مقابلة قوله افتراه **فإن قلت**
قد تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله فلم يقدروا على ذلك وعجزوا عنه فكيف قال
فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ومن عجز عن سورة واحدة فهو عن العشر أعجز **قلت**
قال بعضهم إن سورة هود عليه الصلاة والسلام نزلت قبل سورة يونس عليه السلام
وأنه تحداهم أولاً بعشر سور فلما عجزوا تحداهم بسورة يونس عليه السلام وأنكر المبرد
هاهنا القول وقال إن سورة يونس عليه الصلاة والسلام نزلت أولاً قال ومعنى
قوله في سورة يونس عليه الصلاة والسلام فأتوا بسورة مثله يعني مثله في الإخبار
عن الغيب والأحكام والوعد والوعيد وقوله في سورة هود عليه الصلاة والسلام فأتوا
بعشر سور مثله يعني في مجرد البلاغة والفصاحة من غير خبر ولا ذكر عن غيب
وحكم ولا وعد ولا وعيد ولما تحداهم بهذا الكلام أمره بأن يقول وادعوا بقوله تعالى
وادعوا من استطعتم من دون الله يعني حتى يعينوكم على ذلك **إن كنتم صادقين**
يعني في قولكم إنه مفترى **فإن لم يستجيبوا لكم** يعني اعلم أنه لما اشتملت هذه الآية
المتقدمة على أمرين وخطابين أحدهما أمر وخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو قوله قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات والثاني أمر وخطاب للكفار وهو قوله
تعالى وادعوا من استطعتم من دون الله ثم أتبعه بقوله فإن لم يستجيبوا لكم احتمل أن
يكون المراد أن الكفار لم يستجيبوا للمعارضة لعجزهم عنها واحتمل أن يكون المراد من
يدعون من دون الله لم يستجيبوا للكفار في المعارضة فلهذا السبب اختلف
المفسرون في معنى هذه الآية على قولين أحدهما أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين معه كانوا يتحدون الكفار
بالمعارضة ليتبين عجزهم فلما عجزوا عن المعارضة قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم
والمؤمنين فإن لم يستجيبوا لكم فيما دعوتموهم إليه من المعارضة وعجزوا عنه فاعلموا أنما
أنزل بعلم الله يعني فاثبتوا على العلم الذي أنتم عليه وازدادوا يقيناً وثباتاً
لأنهم كانوا عالمين أنه منزل من عند الله تعالى والخطاب في قوله فإن لم يستجيبوا لكم
للنبي صلى الله عليه وسلم وإنما ذكره بلفظ الجمع تعظيماً له صلى الله عليه وسلم القول
الثاني قوله تعالى فإن لم يستجيبوا لكم خطاب مع الكفار وذلك أنه تعالى لما قال
في الآية المتقدمة وادعوا من استطعتم من دون الله قال الله عز وجل في هذه الآية
فإن لم يستجيبوا لكم أيها الكفار ولم يعينوكم **فاعلموا أنما أنزل بعلم الله** وأنه ليس مفترى
على الله بل هو أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم **وأن لا إله إلا هو** يعني أن الذي أنزل

القرآن

القرآن هو الذي لا إله إلا هو ولا من تدعون من دون الله **فهل أنتم مسلمون** لفظه ترغيب
فيه أي وأخلصوا الأمر أي أسلموا لله تعالى العبادة وإن حملنا معنى الآية على أنه خطاب
مع المؤمنين كان معنى قوله تعالى فهل أنتم مسلمون للترغيب أي دوموا على ما أنتم عليه
من الإسلام قوله عز وجل **من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها** يعني بعمله الذي
يعمله من أعمال البر قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه قد نزلت هذه الآية في كل من قد عمل
عملاً يبتغي به غير الله عز وجل **نوف إليهم أعمالهم فيها** يعني أجور أعمالهم التي عملوها لطلب
الدنيا وذلك أن الله تعالى يوسع عليهم في الرزق ويدفع عنهم المكاره كما قد ذكر عن ابن
عباس رضي الله تعالى عنه ومجاهد وسعيد بن جبير وغيره من المفسرين في الدنيا ونائله
ذلك **وهم فيها لا يبخسون** يعني أنهم لا ينقصون من أجور أعمالهم في الدنيا كاملة
موفرة **أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها** يعني وبطل
ما عملوا في الدنيا من أعمال البر **وباطل ما كانوا يعملون** لأنه لغير الله وقد اختلف
المفسرون في المعني بهذه الآية فروي عن قتادة عن أنس رضي الله تعالى عنه أنها في اليهود
والنصارى وعن الحسن مثله وقال الضحاك من عمل عملاً صالحاً في غير تقوى يعني أهل
الشرك أعطي على ذلك أجراً في الدنيا وهو أن يصل رحماً أو يعطي سائلاً أو يرحم مضطراً
ونحو هذا من أعمال البر يعجل الله تعالى له ثواب عمله في الدنيا ويوسع الله عليه في المعيشة
والرزق ويقر عينه فيما خوله فيه ويدفع عنه المكاره في الدنيا وليس له في الآخرة من نصيب
ويدل على ذلك من هذا القول سياق الآية وهو قوله تعالى أولئك الذين ليس لهم
في الآخرة إلا النار الآية وهذه حالة الكفار في الآخرة وقيل نزلت في المنافقين الذين
كانوا يطلبون بغزوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم لأنهم كانوا لا يرجون
ثواب الآخرة وقيل إن حمل الآية على العموم أولى فيندرج الكافر والمنافق الذي هذه
صفته والمؤمن الذي يأتي بالطاعات والأعمال الحسنة على وجه الرياء والسمعة قال
مجاهد في هذه الآية هم أهل الرياء والسمعة وهذا القول مشكل لأن قوله أولئك الذين
ليس لهم في الآخرة إلا النار لا يليق بحال المؤمن إلا إذا قلنا إن تلك الأعمال
الفاسدة والأفعال الباطلة لما كانت لغير الله استحق فاعلها الوعيد الشديد وهو
عذاب النار ويدل على هذا ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك
فيه معي غيري تركته وشركه أخرجه مسلم وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من تعلم علماً لغير الله أو أراد به غير الله فليتبوأ مقعده من النار أخرجه
الترمذي • عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم
علماً مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة
يوم القيامة يعني ريحها أخرجه أبو داود • عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن قالوا يا رسول الله وما
جب الحزن قال وادٍ في جهنم تتعوذ منه جهنم كل يوم أربعمائة مرة قيل يا رسول الله ومن
يدخله قال القراء المراؤون بأعمالهم أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال
البغوي وروينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر
قيل يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء أخرجه بغير سند والرياء هو أن يظهر
الإنسان الأعمال الصالحة ليحمده الناس عليها أو ليعتقدوا فيه الصلاح أو ليقصدوه

بالعطاء فهذا العمل الذي لغير الله نعوذ بالله تعالى من الخذلان قاله البغوي وقيل هذه الآية في الكفار وقوله تعالى من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها أما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وإرادته الآخرة غالبة فيجازى على حسناته في الدنيا ويثاب عليها في الآخرة روينا عن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة وأما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا أخرجه البغوي بغير سند قوله تعالى **أفمن كان على بينة من ربه** لما ذكر الله تعالى في هذه الآية المتقدمة الذين يريدون بأعمالهم الحياة الدنيا وزينتها ذكر في هذه الآية من يريد بعمله وجه الله تعالى والدار الآخرة فقال تعالى أفمن كان على بينة من ربه كمن يريد الحياة الدنيا وزينتها وليس لهم في الآخرة إلا النار وإنما حذف هذا الجواب لظهور دلالة الكلام عليه وقيل معناه أفمن كان على بينة من ربه وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كمن هو في ضلالة وكفر والمراد بالبينة الدين الذي أمر الله تعالى به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل المراد بالبينة اليقين يعني على يقين من ربه أنه على الحق **ويتلوه شاهد منه** يعني ويتبعه من يشهد له بصدقه واختلفوا في الشاهد من هو فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه وعلقمة وإبراهيم ومجاهد وعكرمة والضحاك وأكثر المفسرين أنه جبريل عليه الصلاة والسلام يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ويؤيده ويسدده ويقويه وقال الحسن وقتادة هو لسان النبي صلى الله عليه وسلم وروي عن محمد بن الحنفية قال قلت لأبي يعني علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنت التالي قال وما تعني بالتالي قلت قوله ويتلوه شاهد منه قال وددت أني هو ولكنه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول أن اللسان لما كان يعرب عما في الجنان ويظهره جعل شاهدا له لأن اللسان هو آلة الفصاحة والبيان يتلو القرآن وقال مجاهد الشاهد هو ملك يحفظ النبي صلى الله عليه وسلم ويسدده وقال الحسين بن الفضل الشاهد هو القرآن لأن إعجازه وبلاغته وحسن نظمه يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بنبوته ولأنه أعظم معجزاته الباقية على طول الدهر وقال الحسين بن علي وابن زيد الشاهد منه هو محمد صلى الله عليه وسلم ووجه هذا القول أن من نظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعين العقل والبصيرة علم أنه ليس بكذاب ولا ساحر ولا كاهن ولا مجنون وقال جابر بن عبد الله بن يحيى قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ما من رجل من قريش إلا وقد نزلت فيه الآية والآيتان فقال له رجل وأنت فأي شيء نزل فيك فقال علي أما تقرأ الآية التي في سورة هود عليه الصلاة والسلام ويتلوه شاهد منه فعلى هذا القول يكون الشاهد علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وقوله منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه تشريف هذا الشاهد وهو علي لاتصاله بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يتلوه شاهد منه يعني هو الإنجيل وهو اختيار الفراء والمعنى أن الإنجيل يتلو القرآن في التصديق بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم والأمر بالإيمان به وإن كان قد نزل قبل وقوله تعالى **ومن قبله** يعني ومن قبل نزول القرآن وإرسال محمد صلى الله عليه وسلم **كتاب موسى** يعني التوراة **إماما ورحمة** يعني إماما لهم يرجعون إليه في أمور الدين والأحكام والشرائع وكونه رحمة لأنه

الهادي من الضلالة وذلك سبب حصول الرحمة وقوله تعالى **أولئك يؤمنون به** يعني أولئك الذين وصفهم الله تعالى بأنهم على بينة من ربهم يؤمنون به يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الذين أراد الذين أسلموا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه **ومن يكفر به** يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم من الأحزاب يعني من جميع الكفار وأصحاب الأديان المختلفة فيدخل فيها اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأصنام وغيرهم **من الأحزاب** يعني الفرق الذين تجمعوا وتحزبوا على مخالفة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام **فالنار موعده** يعني في الآخرة روى البغوي بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد لا يهودي ولا نصراني ومات ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار وقال سعيد بن جبير ما بلغني حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه إلا وجدت مصداقه في كتاب الله عز وجل حتى بلغني هذا الحديث لا يسمع بي أحد من هذه الأمة الحديث قال سعيد بن جبير فقلت أين هذا في كتاب الله عز وجل حتى أتيت على هذه الآية ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة إلى قوله ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده قال فالأحزاب أهل الملل كلها قال تعالى **فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك** فيه قولان أحدهما أن معناه فلا تك في شك من صحة هذا الدين ومن كون القرآن نازلا من عند الله فعلى هذا القول يكون متعلقا بما قبله من قوله تعالى أم يقولون افتراه والقول الثاني أنه راجع إلى قوله ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده فلا تك في شك من أن النار موعد من كفر من الأحزاب والخطاب في قوله فلا تك في مرية للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشك قط ويعضد هذا القول سياق الآية وهو قوله تعالى **ولكن أكثر الناس لا يؤمنون** يعني بهم لا يصدقون بما أوحينا إليك وإنما هو تهديد للكفار قوله عز وجل **ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا** أي لا أحد أشد تعذيبا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه وزعم أن له شريكا وولدا وفي الآية دليل على أن الكذب على الله من أعظم أنواع الظلم لأن قوله ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا يورد في معرض المبالغة **أولئك** يعني المفترين على الله الكذب **يعرضون على ربهم** يعني يوم القيامة فيسألهم عما عملوا في الدنيا **ويقول الأشهاد** يعني الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم قاله مجاهد وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه هم الأنبياء والرسل وبه قال الضحاك وقال قتادة الأشهاد الخلائق كلهم **هؤلاء الذين كذبوا على ربهم** يعني في الدنيا وهتك الفضيحة تكون في الآخرة لكل من كذب على الله **ألا لعنة الله على الظالمين** يعني يقول الله تعالى ذلك يوم القيامة فيلعنهم الله ويطردهم من رحمته (ق) عن صفوان بن محرز المازني قال بينما ابن عمر رضي الله تعالى عنه يطوف إذ عرض له رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أخبرني ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في النجوى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه تعرف ذنب كذا وكذا فيقول أعرف رب أعرف مرتين فيقول سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته وأما الكافر والمنافقون والكفار فيقول الأشهاد وفي رواية فينادى بهم على رؤوس

الاشهاد من الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين **الذين يصدون عن سبيل الله** هذه الاية متصلة بما قبلها والمعنى الا لعنة الله على الظالمين ثم وصفهم فقال الذين يصدون عن سبيل الله يعني يمنعون الناس من الدخول في دين الله وهو دين الاسلام **ويبغونها عوجا** يعني ويطلبون لها الشبهات في قلوب الناس وتعويج الدلائل الدالة الواضحة على صحة دين الاسلام **وهم بالاخرة هم كافرون** يعني وهم مع صدهم عن سبيل الله يجحدون البعث بعد الموت منكرون له **اولئك** يعني من هذه صفتهم **لم يكونوا معجزين في الارض** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه يعني سابقين وقيل هاربين وقيل فائتين في الارض قال والمعنى انهم لا يعجزون الله تعالى اذا اراد بهم العقاب والانتقام منهم وكونهم في قبضته وملكه لا يقدرون على الامتناع منه اذا طلبهم **وما كان لهم من دون الله من اولياء** يعني وما كان لهؤلاء المشركين من الانصار والاعوان الذين يمنعونهم من دون الله اذا اراد بهم سوءا وعذابا **يضاعف لهم العذاب** يعني في الاخرة قد يزاد في عذابهم بسبب صدهم عن سبيل الله وانكارهم البعث بعد الموت يضاعف لهم العذاب **ما كانوا يستطيعون السمع** قال قتادة صم عن سماع الحق فلا يسمعون خيرا فينتفعون به ولا يبصرون خيرا فيأخذون به وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه اخبر الله تعالى انه احال بين اهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والاخرة اما في الدنيا فانه قال ما كانوا يستطيعون السمع وهي طاعته **وما كانوا يبصرون** واما في الاخرة فانه قال لا يستطيعون خاشعة **اولئك الذين خسروا انفسهم** يعني ان هؤلاء الذين هذه صفتهم الذين غبنوا انفسهم حظوظها من رحمة الله **وضل عنهم ما كانوا يفترون** يعني بطل كذبهم وافكهم وفريتهم على الله ان الملائكة والاصنام تشفع لهم **لا جرم** يعني حقا وقال الفراء لا محالة **انهم في الاخرة هم الاخسرون** لانهم باعوا منازلهم في الجنة واشتروا عوضها منازل في النار وهذا هو الخسران المبين قوله تعالى **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم** لما ذكر الله عز وجل احوال الكفار في الدنيا وخسرانهم في الاخرة اتبعه بذكر احوال المؤمنين في الدنيا وربحهم في الاخرة قال والاخبات في اللغة هو الخشوع والخضوع وطمأنينة القلب ولفظ الاخبات يتعدى بالى وباللام فاذا قلت اخبت فلان الى كذا فمعناه اطمأن اليه واذا قلت اخبت له فمعناه خشع وخضع له فقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اشارة الى جميع اعمال الجوارح وقوله واخبتوا اشارة الى اعمال القلوب وهي الخشوع والخضوع لله عز وجل وان هذه الاعمال الصالحة لا تنفع في الاخرة الا بحصول اعمال القلب وهي الخشوع والخضوع فاذا فسرنا الاخبات بالطمأنينة كان معنى الكلام انهم يأتون بالاعمال الصالحة مطمئنين الى صدق وعد الله بالثواب والجزاء على تلك الاعمال ويكونوا مطمئنين الى ذكره سبحانه وتعالى واذا فسرنا الاخبات بالخشوع والخضوع كان معناه انهم يأتون بالاعمال الصالحة خائفين وجلين ان لا تكون مقبولة وهو الخشوع والخضوع **اولئك** يعني الذين هذه صفتهم **اصحاب الجنة هم فيها خالدون** اخبر عن حالهم في الاخرة بانهم من اهل الجنة التي لا انقطاع لنعيمها ولا زوال له قوله تعالى **مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع**

لما ذكر الله تعالى احوال الكفار وما كانوا عليه من العمى عن طريق الهدى والحق ومن الصمم عن سماعه ذكر احوال المؤمنين وما قد كانوا عليه من البصيرة وسماع الحق والانقياد للطاعة ضرب لهم مثلا فقال تعالى مثل الفريقين يعني فريق المؤمنين وفريق الكافرين كالاعمى هو الذي لا يهتدي لرشده والاصم وهو الذي لا يسمع شيئا البتة والبصير وهو الذي يبصر الاشياء على حقيقتها والسميع وهو الذي يسمع الاصوات ويجيب الداعي فهو مثل المؤمنين كمثل الذي يسمع ويبصر وهو الكامل في نفسه والكافر كمثل الذي لا يسمع ولا يبصر وهو الناقص في نفسه فقال **هل يستويان مثلا** قال الفراء لم يقل يستوون لان الاعمى والاصم في حيز كانهما واحد وهما من وصف الكافر والمؤمن **افلا تذكرون** يعني تتعظون قوله عز وجل **ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم نذير مبين** يعني ان نوحا عليه الصلاة والسلام قال لقومه حين ارسله الله تعالى اليهم اني لكم ايها القوم نذير يعني انما النذارة اخوف بالعقاب لمن خالف امر الله تعالى وعبد غيره وهو قوله تعالى **ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم** يعني مؤلم موجع قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه بعث نوح عليه الصلاة والسلام بعد اربعين سنة ولبث يدعو قومه تسعمائة سنة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الف سنة الا خمسين وقال مقاتل بعث وهو ابن مائة سنة وقيل وهو ابن خمسين سنة وقيل وهو ابن مائتين وخمسين سنة مكث يدعو قومه تسعمائة وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة فكان عمره الفا واربعمائة وخمسين **فقال الملأ الذين كفروا من قومه** يعني الاشراف والرؤساء من قوم نوح عليه الصلاة والسلام **ما نراك** يا نوح **الا بشرا مثلنا** يعني آدميا مثلنا لا فضل لك علينا لان التفاوت الحاصل بين آحاد البشر يمتنع انتهاؤه الى حيث يصير الواحد منهم واجب الطاعة على جميع العالم وانما قالوا هذه المقالة وتمسكوا بهذه الشبهة جهلا منهم لان من حق الرسول ان يباشر الامة بالدعوة الى الله تعالى باقامة الدليل والبرهان على ذلك ويظهر المعجزة الدالة على صدقه فلا ينافي ذلك الا من آحاد البشر وهو من اختصه الله تعالى بكرامته وشرفه بنبوته وارسله الى عباده ثم قال تعالى اخبارا عن قوم نوح عليه الصلاة والسلام **وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا** يعني سفلتنا والاراذل الدون من كل شيء قيل هم الحاكة والاساكفة واصحاب الصنائع الخسيسة وانما قالوا ذلك جهلا منهم ايضا لان الرفعة في الدين ومتابعة الرسول لا تكون بالشرف ولا بالمال والمناصب العالية بل الفقراء الخاملون هم اتباع الرسل ولا تضرهم خسة صنائعهم اذا حسنت سيرتهم في الدين **بادي الرأي** يعني انهم اتبعوك في اول الرأي من غير تثبت وتفكر في امرك ولو تفكروا ما اتبعوك وقيل معناه ظاهر الرأي يعني اتبعوك ظاهرا من ان يتفكروا باطنا **وما نرى لكم علينا من فضل** يعني بالمال والشرف والجاه وهذا القول ايضا جهل منهم لان الفضيلة المعتبرة عند الله تعالى بالايمان والطاعة لا بالشرف والرياسة **بل نظنكم كاذبين** قيل الخطاب لنوح عليه الصلاة والسلام ومن آمن معه من قومه وقيل هو لنوح وحده فعلى هذا يكون الخطاب بلفظ الجمع للواحد وهو على سبيل التعظيم **قال** نوح **يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي** يعني على بيان

وبينة بالذي أنذركم به **وآتاني رحمة من عنده** يعني هداية ومعرفة ونبوة **فعميت عليكم** أي خفيت والتبست عليكم **أنلزمكموها** الهاء عائدة إلى الرحمة والمعنى أنلزمكم أيها القوم قبول الرحمة يعني أنا لا نقدر أن نلزمكم ذلك من عند أنفسنا **وأنتم لها كارهون** يعني وهذا الاستفهام معناه الإنكار ولا أقدر على ذلك والذي أقدر عليه أن أدعوكم إلى الله وليس لي أن أضطركم إلى ذلك قال قتادة والله لو استطاع نبي الله لألزمها قومه ولكنه لم يملك ذلك قوله تعالى **ويا قوم لا أسألكم عليه مالا** يعني لا أسألكم ولا أطلب على تبليغ الرسالة جعلا **إن أجري إلا على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا** وذلك أنهم قد طلبوا من نوح عليه الصلاة والسلام أن يطرد الذين آمنوا وهم الأراذلون في زعمهم فقال ما يجوز لي ذلك لأنهم يعتقدون **إنهم ملاقوا ربهم** فلا أطردهم **ولكني أراكم قوما تجهلون** يعني عظمة الله تعالى وتوحيده وربوبيته وقيل معناه إنكم تجهلون أن هؤلاء المؤمنين خير منكم **ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم** يعني من يمنعني من عذاب الله إن طردتهم عني لأنهم مؤمنون مخلصون **أفلا تذكرون** يعني أفلا تتعظون **ولا أقول لكم عندي خزائن الله** هذا عطف على قوله تعالى لا أسألكم عليه مالا والمعنى لا أسألكم عليه مالا ولا أقول لكم عندي خزائن الله يعني التي لا يفنيها شيء فأدعوكم إلى اتباعي عليها لأعطيكم منها وقال ابن الأنباري الخزائن هنا بمعنى غيوب الله وما هو منطوي عن الخلق وإنما وجب أن يكون هذا جوابا من نوح عليه الصلاة والسلام لما قالوا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي فادعوا أن هؤلاء المؤمنين إنما اتبعوه في ظاهر ما يرى منهم وهم في الحقيقة غير متبعين له فقال مجيبا ولا أقول لكم عندي خزائن الله التي يعلم منها ما ينطوي عليها عباده وما يظهرونه وإنما قيل للغيوب خزائن لغموضها عن الناس واستتارها عنهم والقول الأول أولى ليحصل الفرق بين قوله ولا أقول لكم عندي خزائن الله وبين قوله **ولا أعلم الغيب** يعني ولا أدعي علم ما يغيب عني مما تروه في أنفسكم فسبيلي قبول إيمانهم في الظاهر ولا يعلم ما في ضمائرهم إلا الله **ولا أقول إني ملك** وهذا وجه جوابه لقولهم ما نراك إلا بشرا مثلنا أدعوكم إلى الله وأبلغكم ما أرسلت به إليكم

فصل استدل بعضهم بهذه الآية في تفضيل الملائكة على الأنبياء قالوا لأن نوحا عليه الصلاة والسلام قال ولا أقول إني ملك لأن الإنسان إذا قال أنا لا أدعي كذا وكذا لا يحسن إلا إذا كان ذلك الشيء أشرف وأفضل من أحوال ذلك القائل فلما قال نوح عليه الصلاة والسلام هذه المقالة وجب أن يكون الملك أفضل منه والجواب أن نوحا عليه الصلاة والسلام إنما قال هذه المقالة في مقابلة قولهم ما نراك إلا بشرا مثلنا لما كان في ظنهم أن الرسل لا يكونون من البشر إنما يكونون من الملائكة فأعلمهم أن هذا الظن باطل وأن الرسل إنما يكونون من البشر فلهذا قال ولا أقول لكم إني ملك ولا يريد أن درجة الملائكة أفضل من درجة الأنبياء والله أعلم قوله تعالى **ولا أقول للذين تزدري أعينكم** يعني تحتقر وتستصغر أعينكم يعني المؤمنين وذلك أنهم لما قالوا إنهم أراذلنا من الرذالة وهي الخسة **لن يؤتيهم الله خيرا** يعني توفيقا وهداية وإيمانا وأجرا **الله أعلم بما في أنفسهم**

يعني

يعني من الخير والشر **إني إذا لمن الظالمين** قيل يعني إن طردتهم تكذيبا لظاهرهم وإبطالا لإيمانهم يعني إن فعلت هذا فأكون قد ظلمتهم وأنا لا أفعله فما أنا من الظالمين **قالوا يا نوح قد جادلتنا** معناه قد خاصمتنا **فأكثرت جدالنا** يعني خصومتنا **فأتنا بما تعدنا** يعني من العذاب **إن كنت من الصادقين** يعني في دعواك أنك رسول الله إلينا **قال إنما يأتيكم به الله إن شاء** أي يعني قال نوح عليه الصلاة والسلام لقومه حين استعجلوه بإنزال العذاب وإن ذلك ليس لي إنما هو إلى الله ينزله متى شاء إن أراد إنزال العذاب بكم **وما أنتم بمعجزين** قيل معناه وما أنتم بفائتين من العذاب **ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم** يعني ولا ينفعكم إنذاري وتحذيري إياكم عقوبته ونزول العذاب بكم **إن كان الله يريد أن يغويكم** يعني يضلكم وقيل يهلككم وهذا معنى وليس بتفسير لأن الإغواء يؤدي إلى الهلاك **هو ربكم** يعني هو مالككم فلا تقدرون على الخروج من سلطانه **وإليه ترجعون** يعني في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم **أم يقولون افتراه** أي اختلقه وجاء به من عند نفسه والضمير يعود إلى الوحي الذي جاءهم به **قل إن افتريته** أي اختلقته **فعلي إجرامي** أي إثم إجرامي والإجرام فعل السيئة واكتسابها يقال جرم وأجرم بمعنى إذا كسب الذنب واقترفه **وأنا بريء مما تجرمون** يعني من الكفر والتكذيب وأكثر المفسرين على أن هذا محاورة نوح عليه الصلاة والسلام على قومه وهي من قصة نوح وقال مقاتل أم يقولون يعني المشركين من كفار مكة افتراه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اختلق القرآن من عند نفسه فعلى هذا القول تكون الآية معترضة في قصة نوح عليه الصلاة والسلام ثم رجع إلى القصة فقال تعالى **وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه إن قوم نوح عليه الصلاة والسلام كانوا يضربون نوحا حتى يسقط فيلفونه في لبد ويلقونه في بيت يظنون أنه قد مات فيخرج في اليوم الثاني ويدعوهم إلى الله ويروى أن شيخا منهم جاء متكئا على عصاه ومعه ابنه فقال يا بني لا يغرنك هذا الشيخ المجنون فقال يا أبت أمكني من العصا فأخذها من أبيه وضرب بها نوحا عليه أفضل الصلاة والسلام حتى شجه شجة منكرة فأوحى الله إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن **فلا تبتئس** أي يعني لا تحزن عليهم في هلاكهم **بما كانوا يفعلون** يعني بسبب كفرهم وأفعالهم ثم دعا نوح عليه الصلاة والسلام عليهم فقال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا وحكى محمد بن إسحاق عن عبيد الله بن عمير الليثي أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون بنوح عليه السلام فيخنقونه حتى يغشى عليه فإذا أفاق قال رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون حتى تمادوا في المعصية فاشتد عليهم البلاء وهو ينتظر الجيل بعد الجيل فلا يأتي قرن إلا كانوا أخبث من الذي قبله ولقد كان يأتي القرن الآخر منهم فيقول قد كان هذا الشيخ مع آبائنا وأجدادنا هكذا مجنونا فلا يقبلون منه شيئا فشكى نوح عليه الصلاة والسلام إلى الله عز وجل فقال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا الآيات حتى بلغ رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا فأوحى الله تعالى إليه **واصنع الفلك** يعني السفينة والفلك جمع يطلق على الواحد والجمع **بأعيننا** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه بمرأى منا وقيل بعلمنا

وقيل بحفظنا **ووحينا** وقيل بامرنا **ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون** يعني بالطوفان والمعني لا تخاطبني في امهال الكفار فاني قد حكمت باغراقهم وقيل لا تخاطبني في ابنك كنعان وامراتك واعلة فانهما مالكان مع القوم وقيل ان جبريل اتى نوحا عليه السلام فقال له ان ربك يامرك ان تصنع الفلك فقال كيف اصنعها ولست نجارا فقال ان ربك يقول لك اصنع فانك باعيننا فاخذ القدوم فجعل ينجر ولا يخطي فصنعها مثل جؤجؤ الطاير وهو قوله تعالى **ويصنع الفلك** يعني كما امره الله تعالى قال اهل السير لما امر الله عز وجل نوحا عليه الصلاة والسلام بعمل السفينة اقبل على عملها ولهاه عن قومه وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيي القار وكلما يحتاج اليه في عمل الفلك وجعل قومه يمرون به وهو في عمله فيسخرون به ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة واعقم الله ارحام النسا فلا يولد لهم ولد قال البغوي وزعم اهل التوراة ان الله تعالى امره ان يصنع الفلك من خشب الساج وان يصبغه بالقار من داخله وخارجه وان يجعل طوله ثمانين ذراعا وعرضه خمسين ذراعا وطوله في السما ثلاثون ذراعا والذراع الى المنكب وان يجعله ثلاث طبقات سفلا ووسطا وعلوا وان يجعل فيه كوى فصنعه نوح عليه الصلاة والسلام كما امره الله عز وجل وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه اتخذ نوح السفينة في سنتين وكان طولها ثلثماية ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السما ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاث بطون فجعل في البطن السفلى الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه البطن الاعلى وحمل معه ما يحتاج اليه من الزاد وغيره قال قتادة وكان بابها في عرضها وروي عن الحسن انه كان طولها الف ذراع ومايتين ذراع وعرضها ستماية ذراع والقول الاول اشهر وهو ان طولها ثلثماية ذراع وقال زيد بن اسلم مكث نوح عليه الصلاة والسلام مايه سنة يغرس الاشجار ويقطعها وماية سنة يصنع الفلك وقال كعب الاحبار عمل نوح عليه الصلاة والسلام السفينة في ثلاثين سنة وروي انها ثلاثة اطباق الطبقة الاولى للدواب والطبقة الوسطى للانس والطبقة العليا للطير فلما كثر ارواث الدواب اوحى الله تعالى الى نوح عليه الصلاة والسلام ان اغمز ذنب الفيل فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة ومسح على الخنزير فوقع منه الفار فاقبلوا على الروث فاكلوه فلما افسد الفار في السفينة فجعل يقرضها ويقرض حبالها فاوحى الله تعالى الى نوح عليه الصلاة والسلام ان اضرب بين عيني الاسد فخرج من منخره سنور وسنورة فاقبلا على الفار فاكلاه قوله تعالى **وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه** اي جماعة من قومه سخروا والمعنى استهزوا به وذلك انهم قالوا ان هذا الذي يزعم انه نبي قد صار نجارا وقيل قالوا يا نوح ما تصنع قال اصنع بيتا يمشي على الما فيضحكون منه **قال** يعني نوحا عليه الصلاة والسلام لقومه **ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون** يعني ان تستجهلونا في صنعنا فانا نستجهلكم لتعرضكم لما يوجب سخط الله وعذابه فان قلت السخرية لا تليق بمنصب النبوة فكيف قال نوح عليه الصلاة والسلام ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون قلت انما سمي هذا الفعل سخرية على سبيل الازدواج في مشاكلة الكلام

كما في قوله تعالى وجزا سيية سيية مثلها والمعنى انا نرى غب سخريتكم بنا اذا نزل بكم العذاب وهو قوله تعالى **فسوف تعلمون** يعني فستعرفون **من ياتيه** يعني ايّنا ياتيه نحن او انتم **عذاب يخزيه** يعني يهينه **ويحل عليه عذاب مقيم** يعني في الاخرة فالمراد بالعذاب الثاني عذاب الاخرة وهو عذاب النار الذي لا انقطاع له قوله تعالى **حتى اذا جا امرنا وفار التنور** يعني وغلا والفور الغليان وفارت القدر اذا غلت والتنور فارسي معرب لا تعرف له العرب اسما غير هذا فلذلك جاء في القران بهذا اللفظ فخوطبوا بما يعرفون وقيل ان لفظ التنور جا هكذا بكل لسان عربي وعجمي وقيل ان لفظ التنور اصله اعجمي تكلمت به العرب فصار عربيا مثل الديباج ونحوه واختلفوا في المراد بهذا التنور فقال عكرمة والزهري هو وجه الارض وذلك انه قيل لنوح عليه الصلاة والسلام اذا رايت الما قد فار على وجه الارض فاركب السفينة فعلى هذا يكون الجواب قد جعل فوران التنور علامة لنوح عليه الصلاة والسلام على هذا الامر العظيم وقال علي فار التنور اي طلع الفجر ونور الصبح شبه نور التنور بخروج النار من التنور وقال الحسن ومجاهد والشعبي ان التنور هو الذي يخبز فيه وهو قول اكثر المفسرين ورواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ايضا وهذا القول اصح لان اللفظ اذا دار بين الحقيقة والمجاز كان حمله على الحقيقة اولى ولفظ التنور حقيقة في اسم الموضع الذي يخبز فيه فوجب حمل اللفظ عليه **فان قلت** الالف واللام في لفظ التنور للعهد وليس هنا معهود سابق عند السامع فوجب حمله على غيره وهو شدة الامر والمعنى اذا رايت الامر يشتد ويقوي فانج بنفسك ومن معك **قلت** لا يبعد ان يكون ذلك التنور معلوما عند نوح عليه الصلاة والسلام قال الحسن كان تنورا من حجارة وكانت حوا تخبز فيه فصار الى نوح عليه السلام وقيل له اذا رايت الما يفور من التنور فاركب انت واصحابك واختلفوا في موضع التنور فقال مجاهد نبع الما من التنور فعلمت به امراته فاخبرته وكان ذلك في ناحية الكوفة وكان الشعبي يحلف بالله ما فار التنور الا من ناحية الكوفة قال الشعبي اتخذ نوح عليه الصلاة والسلام السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التنور على يمين الداخل مما يلي باب كندة وكان فوران التنور علامة لنوح عليه الصلاة والسلام وقال مقاتل كان ذلك التنور تنور ادم عليه الصلاة والسلام وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه كان بالهند وقال فوران التنور الغليان **قلنا احمل فيها** يعني قلنا لنوح عليه الصلاة والسلام احمل في السفينة **من كل زوجين اثنين** الزوجان كل اثنين لا يستغني احدهما عن الاخر كالذكر والانثى يقال لكل منهما زوج فالمعنى من كل صنف زوجين ذكرا وانثى فحشر الله تعالى اليه الحيوان من الدواب والسباع والطير فجعل نوح عليه الصلاة والسلام يضرب بيديه من كل جنس منهما فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى فيجعلهما في السفينة **واهلك** اي واحمل اهلك وولدك وعيالك **الا من سبق عليه القول** يعني هو بالهلاك واراد امراته واعلة وابنه كنعان **ومن امن** يعني واحمل من امن بك معك من قومك **وما امن معه الا قليل** اختلفوا في عدد من حمل نوح عليه الصلاة والسلام معه في السفينة فقال قتادة وابن جريج ومحمد بن كعب القرظي لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامراته نوح وامراته وثلاث بنين له سام وحام ويافث وقال الاعمش كانوا سبعة نوح عليه الصلاة والسلام

وبنيه وثلاث كنائن له وقال محمد بن إسحاق كانوا عشرة سوى نسائهم وهم نوح وبنوه سام وحام ويافث وستة نفر آمنوا بنوح عليه الصلاة والسلام وأزواجهم جميعاً وقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين نفراً رجلاً وامرأة وقال ابن عباس رضي الله عنه كان في السفينة ثمانون رجلاً أحدهم جرهم قال الطبري والصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله عز وجل وما آمن معه إلا قليل فوصفهم بالقلة ولم يحد عدداً بمقدار فلا ينبغي أن يجاوز ذلك حد الله تعالى إذ لم يرد ذلك في كتاب الله ولا خبر صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نوح حمل مقاتل عليه الصلاة والسلام معه جسد آدم عليه السلام فجعله معترضاً بين الرجال والنساء وقصد نوح عليه الصلاة والسلام جميع الدواب والطيور ليحملها قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه أول ما حمل نوح عليه السلام الذرة وآخر ما حمل الحمار فلما أراد أن يدخل الحمار أدخل صدره فتعلق بذنبه الشيطان فجعل نوح عليه الصلاة والسلام يقول له ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال له ادخل وإن كان الشيطان معك كلمة زلت عن لسانه فلما قالها نوح عليه الصلاة والسلام خلى سبيله فدخل الحمار ودخل الشيطان معه فقال له نوح عليه الصلاة والسلام ما أدخلك علي يا عدو الله قال ما لك من بد من أن تحملني معك وكان فيما يزعمون على ظهر السفينة هكذا نقله البغوي قال البغوي والإمام فخر الدين الرازي وأما الذي يروى أن إبليس دخل السفينة فبعيد لأنه من الجن وهو جسم ناري أو هوائي فكيف يخاف من الغرق وأيضاً فإن كتاب الله تعالى لم يدل على ذلك ولم يرد فيه خبر صحيح فالأولى ترك الخوض فيه قال البغوي وروي بعضهم أن الحية والعقرب أتيا نوحاً عليه الصلاة والسلام فقالتا احملنا معك فقال إنكما سبب البلاء فلا أحملكما فقالتا احملنا فنحن نضمن لك أن لا نضر أحداً ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين لم يضراه وقال الحسن لم يحمل نوح معه عليه الصلاة والسلام في السفينة إلا ما يلد ويبيض وأما ما سوى ذلك مما يتولد من الطين كالبق والبعوض فلم يحمل منها شيئاً قوله تعالى **وقال اركبوا فيها** يعني وقال نوح عليه الصلاة والسلام لمن حمل معه أي في تلك السفينة **بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم** يعني بسم الله إجراؤها وإرساؤها قال الضحاك كان نوح عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن تجري السفينة قال بسم الله فتجري وكان إذا أراد أن ترسي قال بسم الله فترسي أي تقف وهذا تعليم من الله تعالى لعباده أنه من أراد أمراً فلا ينبغي له أن يشرع فيه حتى يذكر اسم الله عليه وقت الشروع حتى يكون ذلك سبباً للنجاح والفلاح في سائر الأمور **وهي تجري بهم في موج كالجبال** الموج ما ارتفع من الماء إذا اشتد عليه الريح شبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه على الماء قال العلماء بالسير أرسل الله تعالى المطر أربعين يوماً وليلة وخرج الماء من الأرض فذلك قوله تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر يعني صار الماء نصفين نصف من السماء ونصف من الأرض وارتفع الماء على أطول جبل في الأرض أربعين ذراعاً وقيل خمسة عشر ذراعاً حتى أغرق كل شيء وقيل لما كثر الماء في السكك خافت أم صبي على ولدها من الغرق وكانت تحبه حباً شديداً فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه فلحقها الماء فارتفعت حتى بلغت ثلثيه فلما لحقها الماء ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء إلى رقبتها رفعت الصبي بيديها حتى ذهب بهما الماء فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي **ونادى نوح ابنه** يعني كنعان **وكان في معزل** عن نوح لم يركب معه

يا بني

يا بني اركب معنا يعني في السفينة **ولا تكن مع الكافرين** يعني فتهلك معهم **قال** يعني كنعان **سآوي** يعني سأصير وألتجئ **إلى جبل يعصمني** أي يمنعني **من الماء قال** يعني له نوح **لا عاصم** يعني لا مانع **اليوم من أمر الله** يعني من عذابه **إلا من رحم** يعني إلا من رحمه الله فينجيه من الغرق **وحال بينهما الموج فكان من المغرقين** يعني كنعان **وقيل** يعني بعد ما تناهى الطوفان **يا أرض ابلعي ماءك** أي اشربيه **ويا سماء أقلعي** أي أمسكي **وغيض الماء** أي نقص ونضب يقال غاض الماء إذا نقص وذهب **وقضي الأمر** يعني وفرغ وهو هلاك قوم نوح **واستوت** يعني واستقرت السفينة **على الجودي** وهو جبل بالجزيرة بقرب الموصل **وقيل بعداً** يعني هلاكاً **للقوم الظالمين** قال العلماء بالسير لما استقرت السفينة بعث الله تعالى الغراب ليأتيه بخبر الأرض فوقع على جيفة فلم يرجع إليه فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها ولطخت رجليها بالطين فعلم نوح عليه الصلاة والسلام أن الماء قد ذهب فدعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يألف البيوت وطوق الحمامة الخضرة التي في عنقها ودعا لها بالأمان فمن ثم تألف البيوت وروي أن نوحاً عليه الصلاة والسلام ركب السفينة لعشر خلون من رجب وجرت بهم السفينة ستة أشهر ومرت بالبيت الحرام وقد رفعه الله تعالى من الغرق وبقي موضعه فطافت السفينة به سبعاً وأودع الحجر الأسود جبل أبي قبيس قال وهبط نوح عليه الصلاة والسلام ومن معه في السفينة يوم عاشوراء فصامه نوح عليه الصلاة والسلام وأمر جميع من معه بصيامه شكراً لله تعالى وبنوا قرية بقرب الجبل فسميت سوق ثمانين فهي أول قرية عمرت على وجه الأرض بعد الطوفان وقيل إنه لم ينج أحد من الكفار من الغرق غير عوج بن عنق وكان الماء يصل إلى حجزته وسبب نجاته منه أن نوحاً عليه الصلاة والسلام احتاج إلى خشب ساج فلم يمكنه نقله فحمله عوج بن عنق من الشام إلى نوح عليه الصلاة والسلام فنجاه الله تعالى من الغرق لذلك **فإن قلت** كيف اقتضت الحكمة الإلهية والكرم العظيم غرق من لم يبلغ الحلم من الأطفال ولم يدخلوا تحت التكليف بذنوب غيرهم **قلت** قد ذكر بعض المفسرين أن الله عز وجل أعقم أرحام نسائهم أربعين سنة فلم يولد لهم ولد تلك المدة وهذا الجواب ليس بقوي لأنه يرد عليه إغراق الدواب والهوام والطير وغير ذلك من الحيوان ويرد عليه أيضاً هلاك الأمم الكافرة مع أبنائهم غير قوم نوح عليه الصلاة والسلام والجواب الثاني عن هذا الكل أن الله تعالى متصرف في خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل وهم يسألون قوله عز وجل **ونادى نوح ربه** أي دعاه وسأله وقال **فقال رب إن ابني من أهلي** أي وقد وعدتني أن تنجيني وأهلي **وإن وعدك الحق** يعني الصدق الذي لا خلف فيه **وأنت أحكم الحاكمين** يعني حكمت لقوم بالنجاة وحكمت على قوم بالهلاك **قال** يعني قال الله تعالى **يا نوح** هذا الابن الذي سألتني نجاته **إنه ليس من أهلك** اختلف علماء التفسير هل كان هذا الولد ابن نوح عليه الصلاة والسلام لصلبه أم لا فقال الحسن ومجاهد كان ولد حنث من غير نوح عليه السلام ولم يعلم بذلك ولذلك قال إنه ليس من أهلك وقال محمد بن جعفر الباقر كان ابن امرأة نوح عليه الصلاة والسلام وكان يعلم نوح عليه السلام ولذلك قال من أهلي ولم يقل مني وقال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وأكثر المفسرين إنه ابن نوح من صلبه وهذا القول هو الصحيح قال ويدل على صحة هذا قول الجمهور لما صح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه قال

لم تبعث امراة نبي قط ولان الله تعالى نص عليه بقوله يا بني اركب معنا وهذا نص في الدلالة
وصرف الكلام عن الحقيقة الى المجاز من غير ضرورة لا يجوز وانما خالف هذا الظاهر
من خالفه لانه استبعد ان يكون ولد نبي كافرا وهذا خطا ممن قاله لان الله تعالى
خلق خلقه فريق في الجنة وهم المؤمنون وفريق في السعير وهم الكافرون والله تعالى
يخلق ويخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر ولا فرق في ذلك بين الانبياء وغيرهم
فان الله تعالى اخرج قابيل من صلب ادم عليه الصلاة والسلام وهو نبي وكان قابيل
كافرا واخرج ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهو نبي من صلب آزر وكان كافرا وكذلك
اخرج كنعان وهو كافر من صلب نوح عليه الصلاة والسلام وهو نبي فهو المتصرف
في خلقه كيف يشاء **فان قلت** فعلى هذا فكيف ناداه نوح عليه الصلاة والسلام
فقال اركب معنا وسال له النجاة مع قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا
قلت قد ذكر بعضهم ان نوحا عليه الصلاة والسلام لم يعلم بكون ابنه كان
كافرا فلذلك ناداه وعلى تقدير انه يعلم كفره انما حمله على ان ناداه رقة الابوة ولعله
اذا راى تلك الاهوال ان يسلم فينجيه الله تعالى بذلك من الغرق فاجابه الله عز
وجل بقوله انه ليس من اهلك يعني انه ليس من اهل دينك لان اهل الرجل من يجمعه
واياهم نسب او دين او ما يجري مجراهما ولما حكمت الشريعة برفع حكم النسب في كثير
من الاحكام بين المسلم والكافر قال الله تعالى لنوح انه ليس من اهلك انه عمل غير
صالح قرا الكسائي ويعقوب عمل بكسر الميم وفتح اللام غير بنصب الراء على عود الفعل
على الابن ومعناه انه عمل الشرك والكفر والتكذيب وكل هذا غير صالح وقرا الكسائي
والباقون من القراء عمل بفتح الميم ورفع اللام مع التنوين بضم غير الراء ومعناه ان سؤالك
اياي ان انجيه من الغرق عمل غير صالح لان طلب نجاة الكافر بعدما حكم عليه بالهلاك
بعيد فلهذا قال انه عمل غير صالح ويجوز ان يعود الضمير في انه على ابن نوح عليه الصلاة
والسلام ايضا ويكون الدليل على هذه القراءة انه يكون عملا وصاحب عمل غير صالح
فحذف المضاف كما قالت الخنساء * فانما هي اقبال وادبار * قال الواحدي وهذا
قول ابي اسحاق يعني الزجاج وابي بكر بن الانباري وابي علي الفارسي قال ابو
علي ويجوز ان يكون ابن نوح عملا غير صالح كما قال بجعل الشيء الشيء لكثرة
ذلك منه كما يقال الشعر زهير والعلم فلان اذا كثر منه فعلى هذا لا حذف
قوله تعالى فلا تسألن ما ليس لك به علم وذلك هو ان نوحا عليه الصلاة
والسلام سال ربه انجاء ولده من الغرق وهو من كمال شفقة الوالد على الولد وهو
لا يعلم ان ذلك مسطور بحظور الاصرار على الكفر فنهى الله تعالى عن مثل هذه
المسالة واعلمه ان ذلك لا يجوز فكان المعنى فلا تسالني ما ليس لك به علم بجواز مسالته
اني اعظك يعني انهاك ان تكون من الجاهلين يعني لمثل هذا السؤال قال
يعني قال نوح رب اني اعوذ بك يعني الجا اليك واعتذر اليك ان اسالك ما ليس
لي به علم يعني انك انت علام الغيوب وانا لا اعلم ما غاب عني واعتذر اليك من
سؤالي ما ليس لي به علم والا تغفر لي يعني جهلي واقدامي على سؤالي ما ليس لي به
علم وترحمني يعني برحمتك التي وسعت كل شيء اكن من الخاسرين **فصل**
وقد استدل بهذه الايات من لا يرى عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وبيانه ان قوله
انه عمل غير صالح والمراد منه السؤال وهو غير محظور فلهذا نهاه عنه بقوله فلا تسالني

ما ليس

ما ليس لك به علم وقوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين وهذا يدل على ان ذلك السؤال كان
جهلا ففيه زجر ووعيد وتهديد وطلب المغفرة والرحمة له يدل على صدور الذنب منه
والجواب ان الله عز وجل كان قد وعد نوحا عليه الصلاة والسلام بان ينجيه واهله فاخذ
نوح عليه السلام بظاهر اللفظ واتبع التاويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه
ولم يشك في وعد الله تعالى فاقدم على هذا السؤال بهذا السبب فعاتبه الله تعالى على
سؤاله ما ليس له به علم وبين له انه ليس من اهله الذي قد وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي
هو غير صالح وقد اعلمه الله تعالى انه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم
فاشفق نوح من اقدامه على سؤاله ربه فيما لم ياذن له فيه فخاف نوح من ذلك الهلاك
فلجا الى الله عز وجل وخضع له واعاذ به وساله المغفرة والرحمة لان حسنات الابرار
سيئات المقربين وليس في الاية ما يقتضي صدور ذنب ومعصية من نوح عليه الصلاة
والسلام سوى تاويله واقدامه على سؤال ما لم يؤذن له فيه وهذا ليس بذنب
ولا معصية والله اعلم قوله تعالى قيل يا نوح اهبط اي انزل من السفينة او من
الجبل الى الارض بسلام منا اي بامن وسلامة منا وبركات عليك البركة هي ثبوت
الخير ونماؤه وزيادته وقيل المراد بالبركة هنا ان الله تعالى جعل ذريته هم الباقين
الى يوم القيامة فكل العالم من ذريته ولاولاده الثلاثة فلم يعقب من كان معه في السفينة
غيرهم وعلى امم ممن معك يعني وعلى ذرية من كان معك في السفينة قال المفسرون يعني
وبركات عليك وعلى قرون تجيء من بعدك من ذرية اولادك وهم المؤمنون قال محمد
بن كعب القرظي دخل في هذا كل مؤمن الى يوم القيامة وامم سنمتعهم هذا ابتداء
كلام اي كافرة يحدثون من بعدك سنمتعهم يعني في الدنيا الى منتهى اجالهم ثم
يمسهم منا عذاب اليم يعني في الاخرة تلك من انباء الغيب هذا خطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم يعني ان هذه القصة التي اخبرناك بها يا محمد من قصة نوح وخبره وخبر
قومه من انباء الغيب يعني من اخبار الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت
ولا قومك من قبل هذا يعني من قبل نزول القران عليك **فان قلت**
ان قصة نوح عليه الصلاة والسلام كانت مشهورة معلومة معروفة في العالم
فكيف قال ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا **قلت** يحتمل ان يكون
كانوا يعلمونها مجملا فنزل القران بتفصيلها وبيانها وجواب اخر وهو انه صلى الله عليه
وسلم كان اميا لم يقرا الكتب المتقدمة ولم يعلمها ولكن المراد في قوله ما كنت
تعلمها انت ولا قومك من قبل نزول القران بها فاصبر يا محمد على اذى مشركي مكة
وقومك كما صبر نوح على اذى قومه ان العاقبة يعني بالنصر والظفر على الاعداء
والفوز بالسعادة الاخروية الدائمة للمتقين يعني المؤمنين قوله عز وجل والى
عاد يعني وارسلنا الى عاد اخاهم هودا يعني انه اخاهم في النسب لا في الدين
قال يا قوم اعبدوا الله يعني وحدوه لا تشركوا به شيئا في العبادة ما لكم من اله غيره
يعني انه تعالى هو الهكم لا هذه الاصنام التي تعبدونها فانها حجارة لا تضر ولا تنفع
ان انتم الا مفترون يعني ما انتم الا كاذبون في عبادتكم غيره يا قوم لا اسالكم عليه
اجرا يعني على تبليغ الرسالة جعلا اجره يثقلكم ان اجري يعني ثوابي الا على الذي
فطرني يعني خلقني فهو الذي يرزقني في الدنيا ويثيبني في الاخرة افلا تعقلون
يعني فتتعظون ويا قوم استغفروا ربكم اي امنوا به فالاستغفار بعد الايمان لانه هو

المطلوب اولا ثم توبوا اليه يعني من شرككم وعبادتكم غيره ومن سالف ذنوبكم يرسل السماء عليكم مدرارا يعني ينزل المطر عليكم متتابعا مرة بعد مرة في اوقات الحاجة اليه وذلك ان بلادهم كانت مخصبة كثيرة الخير والنعم فامسك الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين واجدبت بلادهم وقحطت بسبب كفرهم فاخبرهم هود عليه الصلاة والسلام انهم ان امنوا وصدقوا ارسل اليهم المطر فاحيا بلادهم كما كانت اول مرة ويزدكم قوة الى قوتكم يعني شدة مع شدتكم وقيل انكم ان امنتم يقويكم بالاموال والاولاد وذلك ان الله تعالى اعقم ارحام نسائهم فلم تلد ثلاث سنين فقال لهم هود عليه الصلاة والسلام ان امنتم ارسل الله تعالى المطر فتزدادون مالا ويعيد ارحام الامهات الى ما كانت عليه فيلدن لكم اي فتزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل تزدادون قوة في الدين الى الدنيا والاديان ولا تتولوا مجرمين يعني ولا تعرضوا عن قبول قولي ونصحي حال كونكم مشركين قالوا يا هود ما جئتنا ببينة اي برهان واضح على صحة ما تقول وما نحن بتاركي الهتنا عن قولك يعني وما نترك عبادة الهتنا لاجل قولك وما نحن لك بمؤمنين يعني بمصدقين ان نقول الا اعتراك بعض الهتنا بسوء يعني انك يا هود لست تتعاطى ما نتعاطاه من مخالفتنا وسب الهتنا الا ان بعض الهتنا اصابك بخبل وجنون لانك سببتهم فانتقموا منك بعد ذلك ولا يحمل امرك الا على هذا قال يعني هودا مجيبا لهم اني اشهد الله يعني على نفسي واشهدوا يعني انتم واشهدوا ايضا على اني بريء مما تشركون من دونه يعني هذه الاصنام التي كانوا يعبدونها فكيدوني جميعا يعني احتالوا في كيدي وضري انتم واصنامكم التي تعتقدون انها تضر وتنفع فانها لا تضر ولا تنفع ثم لا تنظرون يعني ثم لا تمهلون وفي هذا معجزة عظيمة لهود عليه الصلاة والسلام وذلك انه كان وحيدا في قومه وكان الحكم بهذه المقالة ولم يهبهم ولم يخف منهم مع ما هم فيه من الكفر والجبروت الا لثقته بالله عز وجل وتوكله عليه وهو قوله عز وجل اني توكلت على الله ربي وربكم يعني اني فوضت امري الى الله واعتمد عليه ما من دابة يعني تدب على الارض ويدخل في هذا جميع بني ادم والحيوان لانهم يدبون على الارض الا هو اخذ بناصيتها يعني انه تعالى هو مالكها والقادر عليها ويهلكها لان من اخذت بناصيته فقد قهرته والناصية المجاورة وقيل انما خص الناصية بالذكر لان العرب تستعمل ذلك كثيرا في كلامهم واذا وصفوا انسانا بالذلة مع غيره فيقولون ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا اسروا اسيرا وارادوا اطلاقه جزوا ناصيته ليمنوا عليه ويعيبه وانما ذلك فخرا عليه فخاطبهم الله بما يعرفون من كلامهم ان ربي على صراط مستقيم يعني ان ربي وان كان قادرا عليهم فهو لا يظلمهم ولا يعمل الا بالاحسان والانصاف والعدل فيجازي المحسن باحسانه والمسيء بفعله وقيل معناه ان ديني الصراط المستقيم وقيل فيه اضمار تقديره ان ربي يحملكم على صراط مستقيم فان تولوا يعني تتولوا بمعنى تعرضوا عن الايمان بما ارسلت به اليكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم يعني انه لم يقع مني تقصير في تبليغ ما ارسلت به اليكم انما التقصير منكم في قبول ذلك ويستخلف ربي قوما غيركم اطوع منكم يوحدونه ويعبدونه وفيه اشارة الى عذاب الاستيصال فهو وعيد وتهديد ولا تضرونه شيئا يعني بتوليكم انما تضرون انفسكم بذلك وقيل لا تنقصونه شيئا اذا اهلككم لان وجودكم وعدمكم سواء ان ربي على كل شيء حفيظ يعني انه تعالى حافظ لكل شيء فيحفظني ان تنالوني بسوء قوله تعالى ولما جاء امرنا يعني باهلاكهم وعذابهم نجينا هودا والذين امنوا معه وكانوا اربعة الاف برحمة منا

وذلك

وذلك ان العذاب اذا نزل قد يعم المؤمن والكافر فلما انجا الله تعالى المؤمنين من ذلك العذاب كان برحمته وفضله وكرمه ونجيناهم من عذاب غليظ يعني الريح التي اهلكت بها عاد وذلك ان الله تعالى ارسل على عاد ريحا شديدة غليظة سبع ليال وثمانية ايام حسوما وهي الايام النحسات فاهلكهم جميعا وانجا الله تعالى المؤمنين جميعا فلم يضرهم شيء وقيل ان المراد بالعذاب الغليظ هو عذاب الاخرة وهذا هو الصحيح ليحصل الفرق بين العذابين والمعنى انه تعالى لما انجاهم من عذاب الدنيا كذلك نجاهم من عذاب الاخرة ووصف عذاب الاخرة بكونه غليظا لانه اعظم من عذاب الدنيا وتلك عاد جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله لما فرغ من ذكر قصة عاد وهلاكهم وهود عليه الصلاة والسلام خاطب امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال وتلك عاد جحدوا بايات ربهم رده الى القبيلة وفيه اشارة الى قبورهم واثارهم كانه قال سيروا في الارض فانظروا اليها واعتبروا بها ثم وصف حالهم بقوله جحدوا بايات ربهم وعصوا رسله يعني هودا وحده فانما اتى بلفظ الجمع اما للتعظيم او لان من كذب برسول صلى الله عليه وسلم فقد كذب كل الرسل واتبعوا امر كل جبار عنيد يعني ان السفلة منهم اتبعوا الرؤساء والجبار هو المتكبر الرفيع في نفسه المتمرد على الله والعنيد المعاند الذي لا يقبل الحق ولا يتبعه واتبعوا في هذه الدنيا لعنة يعني اردفوا اللعنة تتبعهم وتلحقهم وتنصرف معهم واللعنة الطرد ذلك اضيفا قالم برسلهم الى ويوم القيامة يعني وفي يوم القيامة ايضا تتبعهم اللعنة كما تتبعهم في الدنيا لا تنفصل عنهم حيث يتخلصوا من هذه اللعنة فقال تعالى الا ان عادا كفروا ربهم اي كفروا بربهم الا بعدا لعاد قوم هود يعني هلاكا لهم وقيل بعدا من الرحمة فان قلت اللعنة معناها الابعاد والهلاك فما الفائدة في قوله الا بعدا لعاد لانه هو الاول بعينه قلت الفائدة فيه ان التكرير بعبارتين مختلفتين يدل على نهاية التاكيد وانهم كانوا مستحقين له قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت هذا البيان هو حاصل معلوم فما الفائدة في قوله قوم هود قلت ان عادا كانوا قبيلتين عاد الاولى القديمة التي هي قوم هود وعاد الثانية ارم ذات العماد وانسب المبالغة فاتى بقوله قوم هود ليزول الاشتباه وجواب اخر هو ان المبالغة في التنصيص تدل على تقوية التاكيد قوله عز وجل والى ثمود اخاهم صالحا اي وارسلنا الى ثمود وهم سكان الحجر اخاهم صالحا يعني في النسب لا في الدين قال يا قوم اعبدوا الله اي وحدوا الله تعالى وخصوه بالعبادة ولا تعبدوا غيره ما لكم من اله غيره يعني هو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي تزعمون انها تضر وتنفع ثم ذكر الدلائل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته فقال هو انشاكم من الارض يعني انه هو الذي ابتدا خلقكم من الارض وذلك انهم من بني ادم عليه الصلاة والسلام وادم خلق من الارض واستعمركم فيها يعني وقد جعلكم عمارها وسكانها وقال الضحاك اطال اعماركم فيها حتى كان الواحد منهم يعيش ثلثمائة سنة الى الف سنة وكذلك كان قوم عاد عليه الصلاة والسلام وقال مجاهد اعمركم من العمرى اي جعلها لكم ما عشتم فاستغفروه يعني من ذنوبكم ثم توبوا اليه يعني من الشرك ان ربي قريب يعني من المؤمنين مجيب لدعائهم قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا يعني كنا نرجو قبل هذا القول الذي جئت به والمعنى انا كنا نرجو ان تكون فينا سيدا لانه قد

كان من قبيلتهم وكان يعاون ضعيفهم ويغني فقيرهم وقيل معناه انا كنا نطمع ان تعود في ديننا فلما اظهر دعاءهم الى الله تعالى وعاب الاصنام انقطع رجاؤهم منه انتهى **أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب** يعني من عبادة الله تعالى يعني انا مرتابين في قولك من اراب اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمأنينة في الريبة **قال** يعني صالح عليه الصلاة والسلام مجيبا لقومه **يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي** يعني على يقين وبرهان **وآتاني منه رحمة** يعني حكمة ونبوة **فمن ينصرني من الله** فمن يمنعني من عذاب الله **إن عصيته** يعني ان خالفت امره **فما تزيدونني غير تخسير** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه معناه غير بصارة في خسارتكم وقال الفضيل بن الحسن لم يكن صالح عليه الصلاة والسلام في خسارة حتى يقول فما تزيدونني غير تخسير وانما المعنى فما تزيدونني بما تقولون الا نسبتي اياكم الى الخسارة **ويا قوم هذه ناقة الله** وذلك ان قومه طلبوا ان يخرج لهم ناقة من صخرة كانت هناك اشاروا اليها فدعا الله عز وجل فاخرج لهم من تلك الصخرة ناقة عشراء ثم ولدت فصيلا يشبهها وقوله ناقة الله اضافة تشريف كبيت الله وعبد الله فكانت من لطف الله ومعجزة دالة على صدق صالح صلى الله عليه وسلم يعني مدة الاصنام التي كانوا يعني من العشب والنبات **فذروها تأكل في أرض الله** يعني ليس عليكم مؤنتها وقوله تعالى **ولا تمسوها بسوء فيأخذكم** يعني فيهلككم يعني ان قتلتموها **عذاب قريب** يعني في الدنيا بعقرها فعقروها يعني فخالفوا امر ربهم فعقروها فقال يعني صالح عليه الصلاة والسلام تمتعوا يعني عيشوا في داركم اي في بلدكم ثلاثة ايام ثم تهلكون ذلك يعني ان ذلك العذاب الذي وعدهم بعد ثلاثة ايام وعد غير مكذوب اي غير مكذب ويروى انه قال لهم يأتيكم العذاب بعد ثلاثة ايام فيصبحون في اليوم الاول وجوههم مصفرة وفي اليوم الثاني وجوههم محمرة وفي اليوم الثالث وجوههم مسودة وفي اليوم الرابع اتاهم العذاب وهو قوله تعالى فلما جاء امرنا يعني العذاب نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا بنعمة منا بان هديناهم الى الايمان فآمنوا ومن خزي يومئذ يعني ونجيناهم من عذاب يومئذ يعني خزيها الآن فيخزي الكفار ان ربك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم هو القوي يعني هو القادر على انجاء المؤمنين واهلاك الكفار العزيز يعني القاهر الذي لا يغلبه شيء ثم اخبر عن عذاب قوم صالح عليه الصلاة والسلام فقال تعالى واخذ الذين ظلموا يعني انفسهم بالكفر الصيحة وذلك ان جبريل عليه الصلاة والسلام صاح بهم صيحة واحدة فهلكوا جميعا وقيل اتاهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم فماتوا جميعا فاصبحوا في ديارهم جاثمين يعني صرعى هلكى كأن لم يغنوا فيها كأن لم يقيموا في تلك الديار ولم يسكنوا مدة من الدهر يقال غنيت بالمكان اذا اقمت به وغنيت فيه ألا إن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود وهذه القصص قد تقدمت مستوفاة في سورة الاعراف

من قبلهم

والله

والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب قوله تعالى **ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى** اراد بالرسل الملائكة وقد اختلفوا في عددهم فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه وعطاء كانوا ثلاثة جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم الصلاة والسلام وقال عطاء كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثني عشر ملكا وقال محمد بن كعب القرظي كان جبريل عليه الصلاة والسلام ومعه سبعة املاك وقال السدي كانوا احد عشر على صورة الغلمان الحسان الوجوه وقول ابن عباس رضي الله تعالى عنه هو الاولى لان اقل الجمع ثلاثة وقوله رسلنا جمع فيحمل على الاقل وما بعده غير مقطوع به والبشرى يعني بالبشارة باسحاق ويعقوب وقيل باهلاك قوم لوط **قالوا سلاما** يعني ان الملائكة سلموا سلاما **قال** يعني لهم ابراهيم عليه الصلاة والسلام **سلام** اي عليكم **فما لبث أن جاء بعجل حنيذ** يعني هو مشويا والمحنوذ هو المشوي على الحجارة المحماة في حفرة من الارض وهو من فعل اهل البادية وكان سمينا يسيل منه الودك قال قتادة كان عامة مال ابراهيم عليه الصلاة والسلام البقر وقيل مكث ابراهيم عليه الصلاة والسلام خمسة عشر ليلة لا يأكل معه ضيف ولا يأتيه ضيف وكان ابراهيم عليه افضل الصلاة والسلام لم يأكل الا مع الضيف فلما جاءه الملائكة رأى اضيافا لم ير مثلهم قط فعجل وجاء بعجل سمين مشوي **فلما رأى أيديهم** يعني ايدي الاضياف **لا تصل إليه** يعني الى العجل المشوي **نكرهم** يعني انكرهم وانكر حالهم وانما انكر حالهم لامتناعهم من الطعام **وأوجس منهم خيفة** يعني وقع في قلبه خوف والوجس رعب القلب فانما خاف ابراهيم عليه الصلاة والسلام منهم لانه كان ينزل ناحية من الناس فخاف ان ينزلوا به بمكروه لما امتنعوا من طعامه ولم يعرف انهم ملائكة وقيل ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام عرف انهم ملائكة وانما خاف ان يكونوا نزلوا بعذاب فخاف من ذلك والاقرب ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يعرف انهم ملائكة في اول الامر ويدل على صحة هذا انه عليه الصلاة والسلام قدم اليهم الطعام ولو عرف انهم ملائكة لما قدمه اليهم لعلمه عليه الصلاة والسلام ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام لا يأكلون ولا يشربون والامر كذلك وانما خافهم ولو عرف انهم ملائكة لما خافهم فلما رأت الملائكة خوف ابراهيم عليه الصلاة والسلام **قالوا لا تخف** يا ابراهيم انا ملائكة الله تعالى **أرسلنا إلى قوم لوط وامرأته** يعني سارة زوجة ابراهيم عليه الصلاة والسلام بنت هاران بن ناحور وهي بنت عم ابراهيم عليه الصلاة والسلام **قائمة** يعني وراء الستر تسمع كلامهم وقيل كانت قائمة تخدم الرسل وابراهيم عليه السلام جالس معهم **فضحكت** اصل الضحك انبساط الوجه من سرور يحصل للنفس كما ذكره ابن عباس رضي الله تعالى عنه وغيره وقال قتادة والسدي والليث وسعيد بن جبير والنسفي والزهري والضحاك عن عكرمة ومقاتل على السرور ولظهور الاسنان عنده ولذلك قد سمى بعضهم هذا المقدم من الاسنان الضواحك ويستعمل في السرور المجرد وفي التعجب المجرد ايضا قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام الا ان هذا الضحك للتعجب من سارة قال العلماء رضي الله عنهم في تفسير هذا الضحك

قولان احدهما ان المراد منه الضحك المعروف وعليه اكثر المفسرين ثم اختلفوا في سبب هذا الضحك فقال السدي لما قرب ابراهيم الطعام الى ضيفه فلم يأكلوا خاف ابراهيم منهم فقال الا تأكلون فقالوا انا لا نأكل طعاما الا بثمن قال فان له ثمنا قالوا وما ثمنه قال تذكرون اسم الله على اوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل وقال حق لهذا ان يتخذه ربه خليلا فلما راى ابراهيم وسارة ايديهم لا تصل اليه ضحكت سارة وقالت يا عجبا لاضيافنا نخدمهم بانفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون من طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبي ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة نفر فيما بين حشمه وخواصه وقيل ضحكت من زوال الخوف عن ابراهيم وذلك انها خافت لخوف ابراهيم فحين قالوا لا تخف ضحكت سرورا وقيل ضحكت سرورا بالبشارة وقد قال ابن عباس ووهب ضحكت تعجبا ان يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها فعلى هذا القول يكون في الآية تقديم وتاخير تقديره فبشرناها باسحاق فضحكت تعجبا من ذلك وقيل انها قالت لابراهيم اضمم اليك ابن اخيك لوطا فان العذاب نازل بقومه فلما جاءت الرسل وبشرت بعذابهم سرت سارة بذلك وضحكت لموافقتهم ما ظنت القول الثاني في معنى قوله فضحكت قال عكرمة ومجاهد اي حاضت في الوقت وانكر بعض اهل اللغة ذلك قال الراغب وقول من قال حاضت فليس ذلك تفسيرا لقوله فضحكت كما تصوره بعض المفسرين فقال ضحكت يعني حاضت لم يسمعه من ثقة وقال الزجاج ليس بشيء ضحكت بمعنى حاضت وقال ابن الانباري قد انكر الفراء وابو عبيدة ان يكون ضحكت بمعنى حاضت وقد عرفه غيرهم وانشد يقول

وضحك الضبع لقتلى هذيل * وترى الذئب بها يستهل

قال اراد انها تحيض فرحا وقال الليث في هذه الآية فضحكت اي طمثت وحكى الازهري عن بعضهم في قوله ضحكت اي حاضت وقال واصله من ضحاك الطلعة اذا انشقت وقال الاخطل في الضحك بمعنى الحيض يقول شعرا

تضحك الضبع من دماء سليم * اذ راتها على الحراب تمور

وقال في المحكم ضحكت المراة حاضت وبه فسر بعضهم قوله فضحكت فبشرناها باسحاق وضحكت الارنب ضحكا يعني حاضت حيضا كما تقول

وضحك الارانب فوق الصفا * كمثل دم الجوف عند اللقا

يعني الحيض فيما زعم بعضهم وجاء عن من انكره اي يكون الضحك بمعنى الحيض قال ابن دريد يقول من شاهد الضبع عند كسرها فيعلم انها تحيض وانما اراد الشاعر انها تكشر لاكل اللحوم وهذا سهو منه لانه جعل كشرها حيضا وقيل معناه انها تستبشر بالقتلى اذا اكلتهم فيهر بعضها على بعض فجعل هريرها ضحكا فان قلت اي القولين اصح في معنى الضحك قلت ان الله عز وجل حكى عنها انها ضحكت وكلا القولين يحتمل في معنى الضحك والله اعلم اي ذلك كان قوله تعالى فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب يعني ومن بعد اسحاق يعقوب وهو ولد الولد فبشرت

سارة بانها تعيش حتى ترى ولد ولدها فلما بشرت بالولد صكت وجهها اي ضربت وجهها وهو من صنيع النساء وعاداتهن وانما فعلت ذلك تعجبا قالت يا ويلتا نداء ندبة وهي ن واصلها يا ويلتاه وهي كلمة يستعملها الانسان عند رؤية ما يتعجب منه مثل يا عجباه أألد وانا عجوز وكانت بنت تسعين سنة وهذا بعلي شيخا يعني زوجي والبعل هو المستعلي على غيره ولما كان زوج المراة مستعليا عليها قائما بامرها سمي بعلا لذلك وكان سن ابراهيم يومئذ مائة وعشرين سنة ان هذا لشيء عجيب لم تنكر قدرة الله تعالى وانما تعجبت من كون الشيخ الكبير والعجوز الكبيرة يولد لهما قالوا يعني قالت الملائكة لسارة أتعجبين من امر الله معناه لا تعجبي من ذلك فان الله تعالى قادر على كل شيء فاذا اراد شيئا كان سريعا رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت يعني بيت ابراهيم عليه الصلاة والسلام وهذا على معنى الدعاء من الملائكة لهم بالخير والبركة وفيه دليل على ان ازواج الرجل من اهل بيته انه حميد يعني هو المحمود الذي يحمد على افعاله وهو المستحق لان يحمد في السراء والضراء والشدة والرخاء فهو محمود على كل حال مجيد ومعناه المنيع الذي لا يرام وقال الخطابي المجيد الواسع الكرم واصل المجد في كلامهم السعة يقال رجل ماجد اذا كان سخيا كريما واسع العطاء وقيل الماجد هو ذو الشرف والكرم وهو الله عز وجل فلما ذهب عن ابراهيم الروع يعني الفزع والخوف الذي حصل له عند امتناع الرسل من الاكل وجاءته البشرى يعني زال الخوف عنه بسبب البشرى التي جاءته وهي البشارة بالولد يجادلنا فيه اضمار تقديره وجعل يجادلنا وقيل معناه يكلمنا ويخاصمنا ويسائلنا في قوم لوط لان العبد لا يقدر ان يخاصم ربه وقال جمهور المفسرين معناه يجادل رسلنا في قوم لوط وكانت مجادلة ابراهيم مع الملائكة انه قال لهم ارايتم لو كان في مدائن قوم لوط خمسون من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فما زال حتى قال فخمسة قالوا لا قال ارايتم لو كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا قال ابراهيم فان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امراته كانت من الغابرين وقيل انما طلب ابراهيم تاخير العذاب عنهم لعلهم يؤمنوا او يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي قال ابن جريج وكان في قرى قوم لوط اربعة الاف الف مقاتل ان ابراهيم لحليم اواه منيب تقدم تفسيره في سورة التوبة فعند ذلك قالت الملائكة لابراهيم يا ابراهيم اعرض عن هذا يعني اعرض عن هذا المقال واترك هذا الجدال انه قد جاء امر ربك يعني ان ربك قد حكم بعذابهم فهو نازل بهم وهو قوله تعالى وانهم آتيهم عذاب غير مردود يعني ان العذاب نازل بهم غير مردود ولا مصروف ولا مدفوع عنهم قال تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا يعني هؤلاء الملائكة الذين كانوا عند ابراهيم وكانوا على صورة غلمان مرد حسان الوجوه سيء بهم يعني حزن لوط بمجيئهم وساء ظنه بقومه وضاق بهم ذرعا قال الازهري الذرع يوضع موضع الطاقة والاصل فيه ان البعير يذرع بيديه في سيره ذرعا على قدر سعة خطوه فاذا حمل عليه اكثر من طوقه ضاق ذرعه عن ذلك وضعف ومد عنقه فجعل ضيق الذرع عبارة عن ضيق الوسع والطاقة فمعنى قوله وضاق بهم ذرعا اذا لم يجد من المكروه في ذلك الامر مخلصا وقال غيره معناه ضاق بهم قلبا وصدرا ولا يعرف اصله الا ان يقال ان الذرع كناية عن الوسع والعرب تقول ليس هذا في يدي يعنون ليس هذا في وسعي لان الذراع من اليد ويقال ضاق فلان ذرعا بكذا اذا وقع في

مكروه فلا يطيق الخروج منه وذلك ان لوطا عليه السلام لما نظر الى حسن وجوههم
وطيب روائحهم اشفق عليهم من قومه وخاف ان يقصدوهم بمكروه او فاحشة وعلم انه
سيحتاج الى المدافعة عنهم **قال** يعني لوطا **هذا يوم عصيب** اي يوم شديد كأنه
قد عصب بالشر والبلاء اي شد به مأخوذ من العصابة التي يشد بها الراس قال
قتادة والسدي خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فأتوا لوطا نحو
نصف النهار وهو يعمل في ارض له وقد قيل انه كان يحتطب وقد قال الله تعالى للملائكة
لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما
مشى ساعة قال لهم ما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله
انها لشر قرية في الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فمضوا معه حتى دخلوا منزله
وقيل انه لما حمل الحطب وتبعته الملائكة مر على جماعة فتغامزوا فيما بينهم فقال
لوط ان قومي شر خلق الله تعالى فقال جبريل هذه واحدة ثم مروا على اخرى فتغامزوا
فقال مثله ثم مروا على جماعة اخرى ففعلوا ذلك فقال لوط مثل ما قال فقال جبريل
عليه السلام للملائكة اشهدوا وقيل ان الملائكة جاؤا الى بيت لوط فوجدوه في
داره فدخلوا عليه ولم يعلم احد بمجيئهم الا اهل بيت لوط عليه السلام فخرجت امرأته
الخبيثة فاخبرت قومها وقالت ان في بيت لوط رجالا لم ار مثل وجوههم قط ولا احسن
منهم **وجاءه قومه يهرعون اليه** قال ابن عباس وقتادة يسرعون اليه وقال
مجاهد يهرولون وقال الحسن الاهراع هو مشي بين مشيين وقال شمر هو بين الهرولة
والخبب والجمز **ومن قبل** يعني ومن قبل مجيء الرسل اليهم وقيل ومن قبل مجيئهم الى لوط
كانوا يعملون السيئات يعني الفعلات الخبيثة والفاحشة القبيحة وهو اتيان
الرجال في ادبارهم **قال** يعني قال لوط لقومه حين قصدوا اضيافه وظنوا انهم
غلمان من بني ادم **يا قوم هؤلاء بناتي** يعني اتزوجكم اياهن وقى اضيافه ببناته
وقيل انه كان في ذلك الوقت وفي تلك الشريعة مباحا تزويج المرأة المسلمة من الكافر
وقال الحسين بن الفضل عرض بناته عليهم بشرط الاسلام وقال مجاهد وسعيد بن
جبير اراد بالبنات نساء قومه واضافهن الى نفسه لان كل نبي ابو امته وكالوالد لهم
وهذا القول هو الصحيح والاشبه بالصواب الى الله تعالى والدليل عليه ان بنات لوط
كانتا اثنتين وليستا بكافيتين للجماعة وليس من المروة ان يعرض الرجل بناته على
اعدائه ليزوجهن اياهم فكيف يليق ذلك بمنصب الانبياء ان يعرضوا بناتهم على
الكفار وقيل انما قال ذلك لوط على سبيل الدفع لقومه لا على التحقيق وفي قوله
تعالى **هن اطهر لكم** سؤال وهو ان يقال ان قوله هن اطهر لكم من باب افعل التفضيل
فينبغي ان يكون الذي يطلبونه من الرجال طاهرا وهم يعلمون انه محرم فاسد نجس
لا طهارة فيه البتة فكيف قال هن اطهر لكم والجواب عن هذا السؤال انه هذا جار
مجرى قوله تعالى اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم ومعلوم ان شجرة الزقوم لا خير فيها
وكقوله صلى الله عليه وسلم لما قال يوم احد لما قال اعل هبل قال الله اعلى
واجل اذ لا مماثلة بين الله عز وجل والصنم وانما هو كلام خرج مخرج المقابلة
ولهذا نظائر كثيرة وقوله عز وجل **فاتقوا الله** اي خافوه وراقبوه واتركوا ما انتم عليه
من الكفر والعصيان **ولا تخزون في ضيفي** يعني ولا تسوؤني في اضيافي ولا تفضحوني
معهم **اليس منكم رجل رشيد** اي صالح سديد عاقل وقال عكرمة يقول لا اله

الا الله وقال محمد بن اسحاق رجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى ينهى عن هذا الفعل
القبيح **قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك** يعني ليس لنا بهن حاجة ولا لنا فيهن شهوة وقيل
معناه ليس بناتك لنا بأزواج ولا مستحقين نكاحهن وقيل معناه **من حق** ما لنا في بناتك
من حاجة قد دعوتنا الى نكاحهن بشرط الايمان ولا نريد ذلك **وانك لتعلم ما نريد**
يعني من اتيان الرجال في ادبارهم فعند ذلك قال لوط قوله **قال لو ان لي بكم قوة**
اي لو ان لي القدرة والقوة عليكم **او آوي الى ركن شديد** يعني او انضم الى عشيرة يمنعوني
منكم وجواب لو محذوف تقديره لو وجدت قوة لقاتلتكم او لو وجدت عشيرة لانضممت
اليها قال ابو هريرة ما بعث الله نبيا بعده الا في منعة من عشيرته (ق) عن ابي هريرة رضي الله تعالى
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله لوطا لقد كان يأوي الى ركن شديد
ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف ثم اتاني الداعي لاجبت قال الشيخ محيي الدين النووي
المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فانه اشد الاركان واقواها وامنعها قال
ومعنى الحديث ان لوطا عليه السلام لما خاف على اضيافه ولم تكن له عشيرة تمنعهم
من الظالمين ضاق ذرعه واشتد حزنه عليهم فغلب ذلك عليه فقال في تلك الحال لو ان
لي بكم قوة في الدفع بنفسي او آوي الى عشيرة تمنع لمنعتكم وقصد لوط اظهار
العذر عند اضيافه وانه لو استطاع لدفع المكروه عنهم ومعنى باقي الحديث
فيما يتعلق بيوسف عليه الصلاة والسلام يأتي في موضعه في سورة يوسف ان شاء الله
تعالى قال ابن عباس واهل التفسير اغلق لوط بابه والملائكة معه في الدار وجعل
يناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب وقومه يعالجون تسور الباب فلما رأت الملائكة
ما لقي لوط بسببهم **قالوا يا لوط** ركنك لشديد **انا رسل ربك لن يصلوا اليك**
يعني بمكروه فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل ربه في
عقوبتهم فأذن له فتحول الى صورته التي يكون فيها ونشر جناحيه وعليه وشاح من در
منظوم وهو براق الثنايا اجلى الجبين اي واسعه ورأسه حبك مثل المرجان كأنه مثل
السبك كأنه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحيه وجوههم فطمس
اعينهم واعماهم فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون فانصرفوا وهم
يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط اسحر قوم في الارض قد سحرونا وجعلوا يقولون
يا لوط كما انت حتى تصبح وسترى ما تلقى غدا يوعدونه بذلك **فأسر باهلك** يعني
ببنيك **بقطع من الليل** قال ابن عباس بطائفة من الليل وقال الضحاك ببقية من الليل
وقال قتادة بعد مضي اوله وقيل انه السحر الاول **فأسر باهلك ولا يلتفت منكم احد**
يعني ولا يلتفت منكم احد الى ورائه ولا ينظر الى خلفه الا امرأتك فانها من الملتفتات
فتهلك مع من هلك من قومها وهو قوله تعالى **الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم** فقال
لوط متى يكون العذاب قالوا **ان موعدهم الصبح** قال لوط يعني انه يريد اسرع من ذلك
اريد فقالوا **اليس الصبح بقريب** فلما خرج لوط من قريته واخذ اهله معه وامرهم
ان لا يلتفت منهم احد فتبعوه الا امرأته فانها لما سمعت هذا العذاب وهو نازل التفتت
وصاحت واقوماه فأدركها حجارة فاهلكتها معهم **فلما جاء امرنا** يعني امرنا بالعذاب
جعلنا عاليها سافلها وذلك ان جبريل عليه الصلاة والسلام ادخل جناحه تحت قرى
قوم لوط وهي خمس مدائن اكبرها سدوم وهي المؤتفكات المذكورة في سورة براءة
كان فيها اربعة الاف الف فرفع جبريل عليه السلام المدن كلها حتى سمع اهل السماء صياح الديكة

وصياح الكلاب لم يكفأ لهم اناء ولم ينتبه لهم نائم ثم قلبها فجعل عاليها سافلها وامطرنا
عليها يعني على شذاذها ومن كان خارجا عنها من مسافريها وقيل بعد ما قلبها امطر
عليهم حجارة من سجيل قال ابن عباس وسعيد بن جبير سنك وكل فارسي معرب
لان العرب اذا تكلمت بشيء من الفارسي صار لغة للعرب ولا يضاف الى الفارسي مثل قولهم
استبرق وسندس ونحو ذلك فكل هذه الالفاظ فارسية تكلمت بها العرب واستعملتها
في الفاظهم فصارت عربية وقال قتادة وعكرمة السجيل الطين دليله قوله في موضع
آخر حجارة من طين وقال مجاهد اولها حجر وآخرها طين وقال الحسن اصل الحجارة طين
فشددت وقال الضحاك هو يعني الآجر وقيل السجيل اسم سماء الدنيا وقيل هو جبال في سماء
الدنيا منضود قال ابن عباس متتابع بعضها بعضا مفعول من النضد وهو وضع
الشيء بعضه فوق بعض مسومة عند ربك صفة للحجارة يعني معلمة قال ابن جريج
عليها سيما لا تشاكل حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حمر على هيئة
الجزع وقال الحسن والسدي كانت مختومة عليها امثال الخواتيم وقيل كان مكتوب
عليها اي على كل حجر اسم صاحبه الذي يرمى به وما هي يعني تلك الحجارة من الظالمين
ببعيد قال قتادة وعكرمة يعني ظالمي هذه الامة والله ما اجار الله منها ظالما بعد
وفي بعض الآثار ما من ظالم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل
ان الحجارة اتبعت شذاذ قوم لوط حتى ان واحدا منهم دخل الحرم فوجد الحجر معلقا في
السماء اربعين يوما حتى خرج ذلك الرجل من الحرم فسقط عليه فاهلكه قوله عز وجل
والى مدين اي ارسلنا الى مدين اخاهم شعيبا ومدين اسم لابن ابراهيم عليه السلام
ثم صار اسما للقبيلة من اولاده وقيل هو اسم مدينة بناها مدين بن ابراهيم فعلى هذا
يكون التقدير وارسلنا الى مدين اي اهل مدين فحذف المضاف لدلالة الكلام
عليه قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره يعني وحدوا الله ما لكم من اله غيره
ولا تعبدوا معه غيره وهذه كانت عادة الانبياء عليهم الصلاة والسلام يبدؤون بالاهم
فالاهم فلما كانت الدعوة الى توحيد الله وعبادته اهم الاشياء قال لهم شعيب
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ثم بعد الدعوة الى التوحيد شرع فيما هم فيه ولما كان المعتاد
من اهل مدين البخس في الكيل والوزن دعاهم الى ترك هذه العادة القبيحة وهو
تطفيف الكيل والوزن فقال ولا تنقصوا المكيال والميزان والنقص في الكيل
والوزن على وجهين احدهما ان يكون الانتقاص من قبلهم فيكيلون ويزنون للغير ناقصا
والوجه الآخر وهو ان يبخسوا الكيل والوزن لانفسهم زائدا على حقهم فيكون نقصا في
مال الغير وكلا الوجهين مذموم فلهذا نهاهم شعيب عن ذلك بقوله ولا تنقصوا
المكيال والميزان اني اراكم بخير قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه كانوا موسرين في نعمة
وقال مجاهد كانوا في خصب وسعة فحذرهم زوال تلك النعمة وغلاء السعر وحلول
النقمة ان لم يتوبوا ولم يؤمنوا وهو قوله واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط يعني يحيط
بكم فيهلككم جميعا وهو عذاب الاستئصال في الدنيا وحذرهم عذاب الآخرة وقيل هو
ان جهنم لمحيطة بالكافرين ويا قوم اوفوا المكيال والميزان اي اتموهما ولا تطففوا فيهما
بالقسط اي بالعدل وقيل تقويم لسان الميزان وتعديل المكيال قوله ولا تبخسوا الناس
اي ولا تنقصوا الناس اشياءهم يعني اموالهم فان قلت قد وقع التكرار في هذه القصة
من ثلاثة اوجه لانه قال ولا تنقصوا المكيال والميزان وقال اوفوا المكيال والميزان ثم قال

وهذا عين الاولى ولا تبخسوا الناس اشياءهم وهذا عين ما تقدم فما الفائدة
في هذا التكرار قلت ان القوم لما كانوا مصرين على ذلك العمل القبيح وهو تطفيف الكيل
والميزان ومنع الناس حقوقهم احتيج في المنع منه الى المبالغة في التاكيد والتكرير
يفيد شدة الاهتمام والعناية بالتاكيد فلهذا كرر ذلك ليقوى الزجر والمنع من
ذلك الفعل ولان قوله ولا تنقصوا المكيال والميزان نهي عن التنقيص وقوله اوفوا المكيال
والميزان امر بايفاء العدل وهذا غير الاول ومغاير له ولقائل ان يقول النهي ضد الامر
فالتكرار لازم على هذا الوجه قلنا الجواب عن هذا قد يجوز ان ينهى عن التنقيص ولا يامر بايفاء
الكيل والوزن فلهذا جمع بينهما فهو كقوله صل رحمك ولا تقطعها فتزيد المبالغة في الامر
والنهي واما قوله ثانيا ولا تبخسوا الناس اشياءهم فليس بتكرير ايضا لانه تعالى لما خصص
النهي عن التنقيص والامر بايفاء الحق في الكيل والوزن عمم الحكم في جميع الاشياء التي
يجب ايفاء الحقوق فيها فيدخل فيه الكيل والوزن والذرع وغير ذلك فظهر بهذا البيان
فائدة هذا التكرار والله تعالى اعلم وقوله ولا تعثوا في الارض مفسدين يعني بتنقيص
الكيل والميزان ومنع الناس حقوقهم بقية الله خير لكم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه
يعني ما ابقى الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن خير لكم مما تاخذونه بالتطفيف
وقال مجاهد بقية الله يعني طاعة الله خير لكم وقيل بقية الله يعني ما ابقى لكم من الحلال
بعد ايفاء الكيل والوزن خير لكم مما يحصل لكم في الدنيا من المال الحرام ان كنتم مؤمنين
يعني مصدقين بما قلت لكم وامرتكم به ونهيتكم عنه وما انا عليكم بحفيظ يعني احفظ
اعمالكم قال بعضهم انما قال شعيب ذلك لانه لم يؤمر بقتالهم قالوا يا شعيب اصلواتك
تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا يعني من الاصنام او ان نفعل في اموالنا ما نشاء يعني
من النقص والزيادة قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلاة فلذلك قالوا هذا وقيل
انهم كانوا يرونه يصلي فيستهزئون به ويقولون هذه المقالة وقال
الاعمش اقراءتك لان الصلاة تطلق على القراءة والدعاء وقيل المراد بالصلاة هنا الدين
يعني ادينك يامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا او ان نفعل في اموالنا ما نشاء وذلك انهم
كانوا ينقصون الدراهم والدنانير وكان شعيب ينهاهم عن ذلك ويخبرهم انه محرم
عليهم وانما ذكروا الصلاة لانها من اعظم شعائر الدين انك لانت الحليم الرشيد قال
ابن عباس ارادوا السفيه الغاوي لان العرب قد تصف الشيء بضده فيقولون للديغ
السليم وللفلاة المهلكة مفازة وقيل هو على حقيقته وانما قالوا ذلك على سبيل
الاستهزاء والسخرية وقيل معناه انك لانت الحليم الرشيد في زعمك وقيل هو على بابه
في الصحة ومعناه انك يا شعيب فينا حليم رشيد فلا يجمل بك شق عصا قومك ومخالفتهم
في دينهم قال يعني قال لهم شعيب يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي يعني على
بصيرة وهداية وبيان ورزقني منه رزقا حسنا يعني حلالا وقيل كان شعيب كثير
المال والنعمة وقيل هو الرزق الحسن ما آتاه الله من العلم والهداية والنبوة والمعرفة
وجواب ان الشرطية محذوف تقديره ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني المال الحلال
والهداية والنبوة والمعرفة فهل يسعني مع هذه النعمة العظيمة ان اخون في وحيه او ان اخالف
امره او اتبع الضلال او ابخس الناس اشياءهم وهذا الجواب شديد المطابقة لما تقدم وذلك
انهم قالوا له انك لانت الحليم الرشيد فكيف يليق بالحليم الرشيد ان يخالف
امر ربه وله عليه نعم كثيرة وقوله وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه قال صاحب الكشاف

يعني خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مولّى عنه واذا ولى عنه وانت قاصده
ويلقاك الرجل صادرا عن الما فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الما يريد انه قد ذهب
اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم
عنه اي ما اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم قال الامام فخر الدين
الرازي وتحقيق الكلام فيه ان القوم اعترفوا بانه حليم رشيد وذلك يدل على كمال
العقل وكمال العقل يحمل صاحبه على اختيار الطريق الاصوب الاصلح فكانه عليه
الصلاة والسلام قال لما اعترفتم بكمال عقلي فاعلموا ان الذي اخترته لنفسي هو اصوب
الطرق واصلحها وهو الدعوة الى توحيد الله وترك البخس والنقصان وانا مواظب عليهما
غير تارك لهما فاعلموا ان هذه الطريقة خير الطرق واشرفها لا ما انتم عليه وقال
الزجاج معناه اني لست انهاكم عن شي وادخل فيه انما اختار لكم ما اختار لنفسي وقال
ابن الانباري بين ان الذي يدعوهم اليه من اتباع طاعة الله وترك البخس والتطفيف
هو ما يرتضيه لنفسه ولا ينطوي الا عليه فكان هذا النصيحة لهم **ان اريد** يعني
بما اريد فيما آمركم به وانهاكم عنه **الا الاصلاح** يعني فيما بيني وبينكم **ما استطعت**
يعني ما استطعت الا الاصلاح وهو الابلاغ والانذار فقط ولا استطيع اجباركم
على الطاعة لان ذلك الى الله تعالى فانه يهدي من يشا ويضل من يشا **وما توفيقي**
الا بالله التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة على العبد ولا يقدر على ذلك الا الله
تعالى فلذلك قال وما توفيقي الا بالله **عليه توكلت** يعني على الله اعتمد في جميع اموري
واليه انيب يعني واليه ارجع فيما ينزل من النوائب وقيل اليه ارجع في معادي وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا ذكر شعيبا قال ذلك خطيب الانبيا لحسن مراجعته
قومه وقوله تعالى **ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي** اي لا يحملنكم خلافي وعداوتي ه
ان يصيبكم يعني عذاب العاجلة على كفركم وافعالكم الخبيثة **مثل ما اصاب قوم نوح**
يعني الغرق **او قوم هود** يعني من الريح التي اهلكتهم **او قوم صالح** يعني ما اصابهم
من الصيحة حتى هلكوا جميعا **وما قوم لوط منكم ببعيد** وذلك انهم كانوا حديثي
عهد بهلاكهم وقيل معناه وما ديار قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم كانوا جيران
قوم لوط وبلادهم قريبة من بلادهم قوله تعالى **واستغفروا ربكم** يعني من
عبادة الاصنام **ثم توبوا اليه** يعني من ذلك البخس والنقصان في الكيل والوزن
ان ربي رحيم يعني لعباده اذا تابوا واستغفروا **ودود** قال ابن عباس رضي الله عنه
الودود المحب لعباده المومنين فهو من قولهم وددت الرجل اوده اذا احببته وقيل
يحتمل ان يكون ودود فعول بمعنى مفعول ومعناه ان عباده الصالحين يودونه
ويحبونه لكثرة افضاله واحسانه عليهم وقال الحليمي هو الواد لاهل
طاعته اي الراضي عنهم باعمالهم والمحسن اليهم لاجلها والمادح لهم بها وقال ابو سليمان
الخطابي وقد يكون معناه ان يوددهم الى خلقه **قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما**
تقول يعني ما نفهم ما تدعونا اليه وذلك ان الله ختم على قلوبهم فصارت
لا تعي ولا تفهم ما ينفعها وان كانوا في الظاهر يسمعونه ويفهمونه **وانا لنراك فينا**
ضعيفا قال ابن عباس وقتادة كان اعمى قال الزجاج ويقال ان حمير
كانت تسمي المكفوف ضعيفا وقال الحسن وابو روق ومقاتل يعني ذليلا قال ابو
روق ان الله تعالى لم يبعث نبيا اعمى ولا نبيا به زمانة وقيل كان ضعيف البصر

وقيل

وقيل ان المراد بالضعف العاجز عن الكسب والتصرف وقيل هو الذي يتعذر عليه المنع
من نفسه ويدل على صحة هذا القول ما بعده وهو قوله تعالى **ولولا رهطك**
يعني جماعتك وقيل عشيرتك وقيل الرهط ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل
الى سبعة **لرجمناك** يعني لقتلناك بالحجارة والرجم بالحجارة اسوا القتلات واشرها
وقيل معناه لشتمناك واغلظنا عليك القول **وما انت علينا بعزيز** يعني بكريم وقيل
بممتنع منا والمقصود من هذا القول وحاصله انهم بينوا لشعيب عليه السلام انه لا حرمة
له عندهم ولا وقع له في صدورهم وانما لم يقتلوه ولم يسمعوه الكلام الغليظ
الفاحش لاجل احترامهم رهطه وعشيرته وذلك لانهم كانوا على دينهم وملتهم ولما
قالوا لشعيب عليه السلام هذه المقالة اجابهم بقوله **قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من**
الله يعني اهيب عندكم من الله وامنع حتى تركتم قتلي لمكان رهطي لان الله اعز واعظم رد
واتخذتموه وراءكم ظهريا يعني ونبذتم امر الله وراء ظهوركم وتركتموه كالشي الملقى
لا يلتفت اليه **ان ربي بما تعملون محيط** يعني انه عالم باحوالكم جميعا لا يخفى عليه
منها شي فيجازيكم به يوم القيامة **ويا قوم اعملوا على مكانتكم** يعني على تؤدتكم وتمكنكم من
عملكم وقيل المكانة الحالة والمعنى اعملوا حال كونكم موصوفين بغاية المكنة والقدرة
من الشر **اني عامل** يعني ما اقدر عليه من الطاعة والخير وهذا الامر في قوله اعملوا
فيه وعيد وتهديد عظيم ويدل عليه قوله **سوف تعلمون** يعني اينا الجاني على نفسه
المخطي في فعله فان قلت اي فرق بين ادخال الفا ونزعها في قوله فسوف تعلمون
قلت ادخال الفا في قوله فسوف تعلمون وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو
جواب السوال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال
سوف تعلمون يعني عاقبة ذلك فوصل تارة بالفا وتارة بالاستئناف للتفنن في
البلاغة كما هو عادة بلغا العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو باب
من ابواب علم البيان لتكاثر محاسنه والمعنى فسوف تعلمون **من ياتيه عذاب يخزيه**
بسبب عمله السيي واينا الشقي الذي ياتيه عذاب يخزيه **ومن هو كاذب**
يعني فيما يدعيه قوله **فارتقبوا** يعني فانتظروا العاقبة وما يؤول اليه امركم وامري
اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب بمعنى المراقب **ولما جا امرنا** يعني بعذابهم واهلاكهم
نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا يعني بفضل منا بان هديناهم للايمان
ثم وفقناهم للطاعة **واخذت الذين ظلموا الصيحة** يعني ظلموا انفسهم بالشرك
والبخس **الصيحة** وذلك ان جبريل عليه السلام صاح بهم صيحة خرجت ارواحهم وماتوا
جميعا وقيل اتتهم صيحة واحدة من السما فماتوا جميعا **فاصبحوا في ديارهم جاثمين**
يعني ميتين وهو استعارة من قولهم جثم الطاير اذا قعد ولطي بالارض **كان لم يغنوا**
فيها يعني كان لم يقيموا بديارهم مدة من الدهر ماخوذ من قولهم غني بالمكان اذا اقام به
مستغنيا به عن غيره **الا بعدا** يعني هلاكا **لمدين كما بعدت ثمود** قال ابن عباس رضي الله
تعالى عنه لم تعذب امتان قط بعذاب واحد الا قوم شعيب وقوم صالح فاخذتهم الصيحة
من تحتهم واما قوم شعيب فاخذتهم الصيحة من فوقهم قوله عز وجل **ولقد ارسلنا**
موسى باياتنا يعني بحججنا والبراهين التي اعطيناها اياه الدالة على صدقه ونبوته
وسلطان مبين يعني ومعجزة قاهرة ظاهرة دالة على صدقه ايضا قال بعض المحققين
سميت الحجة سلطانا لان صاحب الحجة يقهر من لا حجة معه كالسلطان يقهر غيره وقال الزجاج

السلطان هو الحجة وسمي السلطان سلطانا لانه حجة الله في الارض الى فرعون وملايه
يعني اتباعه واشراف قومه فاتبعوا امر فرعون يعني ما هو عليه من الكفر وترك
الايمان بما جاءهم به موسى وما امر فرعون برشيد يعني وما طريق فرعون وما هو عليه
بسديد ولا حميد العاقبة ولا يدعو الى خير يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار
يعني كما تقدم قومه فادخلهم البحر في الدنيا كذلك يتقدم قومه يوم القيمة
فيدخلهم النار ويدخل هو امامهم والمعنى كما كان قدوة في الضلال والكفر في الدنيا
كذلك هو قدوتهم وامامهم في النار وبيس الورد المورود يعني وبيس المدخل المدخول
فيه وقيل شبه الله فرعون في تقدمه على قومه في النار على من يتقدم على الواردين الى الماء
وشبه اتباعه بالواردين بعده ولما كان ورود الماء محمودا عند الواردين لانه يكسر
العطش قال في حق فرعون واتباعه فاوردهم النار وبيس الورد المورود لان الاصل
فيه قصد الماء واستعمل في ورود النار على سبيل الفظاعة واتبعوا في هذه يعني في
هذه الدنيا لعنة يعني طردا وبعدا عن الرحمة ويوم القيمة يعني واتبعوا لعنة اخرى
يوم القيمة مع اللعنة التي حصلت لهم في الدنيا بيس الرفد المرفود يعني بيس العون
المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعنة في الاخرة وقيل معناه بيس العطا المعطى
وذلك انه ترادف عليهم لعنتان لعنة في الدنيا ولعنة في الاخرة وقوله تعالى ذلك من
انبا القرى يعني من اخبار اهل القرى وهم الامم السالفة والقرون الماضية نقصه
عليك يعني نخبرك به يا محمد لتخبر قومك لعلهم يعتبروا بهم اي فيرجعوا عن كفرهم او
ينزل بهم مثل ما نزل بهم من العذاب منها يعني من القرون التي هلكنا اهلها قايم
وحصيد يعني منها عامر ومنها خراب وقيل منها قايم بعض الحيطان بغير سقوف
ومنها قد محي اثره بالكلية شبهها الله تعالى بالزرع الذي بعضه قايم على سوقه وبعضه
قد حصد وذهب اثره والحصيد بمعنى المحصود وما ظلمناهم يعني بالعذاب والاهلاك
ولكن ظلموا انفسهم يعني بالكفر والمعاصي فما اغنت عنهم الهتهم التي يدعون
من دون الله من شي لما جا امر ربك يعني بعذابهم لم تنفعهم اصنامهم ولم تدفع
عنهم العذاب وما زادوهم غير تتبيب يعني غير تخسير وقيل غير تدمير وكذلك
اخذ ربك يعني وهكذا اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة الضمير في وهي
عايد على القرى والمراد اهلها ان اخذه اليم شديد عن ابي موسى قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا وكذلك
اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان اخذه اليم شديد في الاية الكريمة والحديث
دليل على ان من اقدم على ظلم فانه يجب ان يتدارك ذلك بالتوبة والانابة ورد الحقوق
الى اهلها ان كان الظلم للغير لئلا يقع في هذا الوعيد العظيم والعذاب الشديد
ولا يظن ان هذه الاية حكمها مختص بظالمي الامم الماضية بل هو عام في كل ظالم
ويعضده الحديث والله اعلم قوله ان في ذلك لاية يعني ما ذكر من عذاب الامم الخالية
واهلاكهم لعبرة وموعظة لمن خاف عذاب الاخرة يعني ان في ذلك لعبرة
يعتبر بها وموعظة يتعظ بها من كان يخشى الله ويخاف عذابه في الاخرة اذ نظر الى ما احل الله
بالكفار في الدنيا من اليم عذابه وعظيم عقابه في الاخرة وهي كالانموذج مما
اعد الله لهم من اليم عذابه في الاخرة اعتبر به فيكون زيادة في خوفه وخشيته من الله
ذلك يوم مجموع له الناس يعني يوم القيمة يجمع فيه الخلايق من الاولين والاخرين للحساب

بين

بين يدي رب العالمين وذلك يوم مشهود يعني يشهده اهل السموات والارض وما نوخره الا
لاجل معدود وما نوخر ذلك اليوم وهو يوم القيمة الا الى وقت معلوم وذلك الوقت لا يعلمه
احد الا الله تعالى يوم يات يعني ذلك اليوم لا تكلم نفس الا باذنه قيل ان جميع الخلق يسكتون
في ذلك اليوم فلا يتكلم احد الا باذن الله تعالى يعني **فان قلت** كيف وجه
الجمع بين هذه الاية وبين قوله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وبين قوله
اخبارا عن محاجة الكفار وهو قوله والله ربنا ما كنا مشركين والاخبار ايضا تدل على الكلام في ذلك
اليوم **قلت** يوم القيمة يوم طويل وله احوال مختلفة وفيه اهوال عظيمة ففي بعض
الاحوال لا يقدرون على الكلام لشدة الاهوال وفي بعض الاحوال يوذن لهم في الكلام
فيتكلمون وفي بعضها يخفف عنهم تلك الاهوال فيحاجون ويجادلون وينكرون وقيل المراد
من قوله تعالى لا تكلم نفس الا باذنه هو الشفاعة يعني لا تشفع نفس لنفس الا باذن الله
لها في الشفاعة فمنهم يعني من اهل الموقف شقي وسعيد الشقاوة خلاف السعادة
قال والسعادة معونة الامور الالهية للانسان ومساعدته على فعل الخير والصلاح
وتيسيره لها ثم السعادة على ضربين سعادة دنيوية وسعادة اخروية وهي السعادة
القصوى لان نهايتها الجنة وكذلك الشقاوة على ضربين شقاوة دنيوية وشقاوة
اخروية وهي الشقاوة القصوى لان نهايتها النار فالشقي من سبقت له الشقاوة
في الازل والسعيد من سبقت له السعادة في الازل ق عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى
عنه قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد
وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من احد
الا وقد كتب مقعده في الجنة ومقعده في النار فقالوا يا رسول الله افلا نتكل فقال اعملوا فكل
ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فسيصير لاهل السعادة واما
من كان من اهل الشقاوة فسيصير لاهل الشقاوة ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق
بالحسنى فسنيسره لليسرى الاية وبقيع الغرقد هو مقبرة اهل المدينة الشريفة والمخصرة
هي كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه بيده الانسان والنكت بالنون والتاء
من فوق ضرب الشي بتلك المخصرة او باليد ونحو ذلك حتى يوثر فيه استدل بعض العلماء بهذه
الاية وبهذا الحديث على ان اهل الموقف قسمان شقي وسعيد لا ثالث لهما وظاهر الاية
والحديث يدل على ذلك لكن بقي قسم اخر مسكوت عنه وهم من استوت حسناته وسياته
وهم اصحاب الاعراف في قول والاطفال والمجانين الذين لا حسنات عليهم ولا سيات فهولا
مسكوت عنهم وهم تحت مشية الله عز وجل يوم القيمة يحكم فيهم بما يشا وتخصيص هذين
القسمين بالذكر لا يدل على نفي القسم الثالث فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها
اي في النار من العذاب والهوان زفير وشهيق اصل الزفير ترديد النفس في الصدر
حتى تنتفخ منه الضلوع والشهيق رد النفس الى الصدر والزفير مده واخراجه
من الصدر قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت
الضعيف وقال الضحاك ومقاتل الزفير اول صوت الحمار والشهيق اخره اذا ردده في
صدره وقال ابو العالية الزفير في الحلق والشهيق في الجوف خالدين فيها ما دامت
السموات والارض قال الضحاك ما دامت سموات الجنة والنار وارضهما ولا بد لاهل الجنة واهل
النار من سماء تظلهم وارض تقلهم فكل ما علاك فهو سما وكل ما استقر عليه قدمك فهو ارض
وقال اهل المعاني هذه عبارة عن التابيد وذلك على عادة العرب فانهم يقولون لا اتيك

ما دامت السموات والأرض وما اختلف الليل والنهار ويريد بذلك التأبيد **إلا ما شاء**
ربك اختلف العلماء في معنى هذين الاستثناءين فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه
والضحاك إن الاستثناء الأول مذكور في أهل الشقاء يرجع إلى قوم من المؤمنين يدخلهم الله النار
بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها فيكون استثناء من غير الجنس لأن الذين أخرجوا من
النار سعدوا في الحقيقة استثناهم الله تعالى من الأشقياء ويدل على صحة هذا التأويل
ما روي عن جابر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يخرج
قوما من النار بالشفاعة وفي رواية إن الله يخرج ناسا من النار فيدخلهم الجنة أخرجه
البخاري ومسلم خ عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليخرجن من النار قوم بعدما مسهم
منها سفع فيدخلون الجنة فيسميهم أهل الجنة الجهنميين وفي رواية ليصيبن أقواما
سفع من النار بذنوب أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضله ورحمته فيقال
لهم الجهنميون خ عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج قوم من
النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين وأما الاستثناء
الثاني المذكور في أهل السعادة فيرجع إلى مدة لبثهم في النار قبل دخولهم الجنة
فعلى هذا القول يكون معنى الآية فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين
فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك أن يخرجهم منها فيدخلهم الجنة **إن ربك**
فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات
والأرض إلا ما شاء ربك أن يدخلهم النار أولا ثم يخرجهم منها فيدخلهم الجنة فحاصل هذا القول أن
الاستثناء يرجع كل واحد منهما إلى قوم مخصوصين هم في الحقيقة سعداء أصابوا ذنوبا
استوجبوا بها عقوبة يسيرة في النار ثم يخرجون منها فيدخلون الجنة لا يخرجون منها
أبدا وقيل إن الاستثناءين يرجعان إلى الفريقين واحتباسهم في البرزخ وهو ما بين
الموت إلى البعث ومدة وقوفهم إلى الحساب ثم يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار
فيكون المعنى خالدين فيها في الجنة أو النار إلا هذا المقدار وقيل معناه إلا ما شاء ربك
فيكون المعنى خالدين فيها ما دامت السموات والأرض سوى ما شاء ربك من الزيادة على
ذلك وهو كقولك لفلان علي ألف إلا ألفين أي سوى الألفين اللتين تقدمتا
وقيل إلا بمعنى الواو يعني وقد شاء ربك خلود هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار فهو
كقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا وقيل معناه ولو شاء ربك لأخرجهم
منها ولكنه لا يشاء لأنه حكم لهم بالخلود فيها قال الفراء هذا استثناء استثناه الله
ولا يفعله كقولك والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وعزيمتك أن تضربه فهذه الأقوال
في معنى الاستثناء ثم ترجع إلى الفريقين والصحيح هو القول الأول ويدل على ذلك
قوله تعالى في الآية الأولى إن ربك فعال لما يريد يعني من إخراج من في النار
وإدخالهم الجنة فعلى هذا الاستثناء في حال الفريقين وأما على التفصيل فقوله إلا ما شاء
ربك في جانب الأشقياء يرجع إلى الزفير والشهيق وتقديره أن يفيد حصول الزفير والشهيق
مع الخلود فإن إلا إذا دخل عليه الاستثناء وجب أن يحصل فيه هذا المجموع والمجموع والاستثناء
في جانب السعداء يكون بمعنى الزيادة أي إلا ما شاء ربك من الزيادة لهم من النعيم بعد
الخلود وقيل إن الاستثناء الأول في جانب الأشقياء معناه إلا ما شاء ربك أن يرفع بعضهم
إلى [illegible] أعلى من منازل الجنات ودرجاتها والقول الأول هو المختار ويدل على خلود
أهل الجنة في الجنة وهو أن الأمة مجمعة على أن من يدخل الجنة لا يخرج منها بل هو خالد فيها

قوله

قوله تعالى **عطاء غير مجذوذ** يعني غير مقطوع قال ابن زيد أخبرنا الله تعالى بالذي
لأهل الجنة فقال تعالى عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي شاء لأهل النار وروي عن ابن مسعود
أنه قال ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابا وعن
أبي هريرة نحوه وهذا إن صح عن ابن مسعود وأبي هريرة فيحمل عند أهل السنة على خلاء
أماكن المؤمنين الذين كانوا استحقوا النار من النار بعد إخراجهم منها لأنه ثبت بالدليل
الصحيح القاطع إخراج جميع الموحدين من النار وخلود الكفار فيها أو يكون محمولا
على إخراج الكفار من حر النار إلى برد الزمهرير ليزدادوا عذابا فوق عذابهم والله أعلم قوله تعالى
فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء يعني فلا تك في شك يا محمد في هذه الأصنام التي يعبدها هؤلاء
الكفار فإنها لا تضر ولا تنفع **ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل** يعني أنه ليس لهم
في عبادة هذه الأصنام مستند إلا أنهم رأوا آباءهم يعبدونها فعبدوها مثلهم **وإنا لموفوهم**
نصيبهم غير منقوص يعني وإنا مع عبادتهم هذه الأصنام نرزقهم الرزق الذي قدرناه
لهم من غير نقص فيه ويحتمل أن يكون المراد من توفية نصيبهم يعني من العذاب الذي قدر
لهم في الآخرة كاملا موفرا غير ناقص **قوله عز وجل** **ولقد آتينا موسى**
الكتاب يعني التوراة **فاختلف فيه** يعني في ذلك الكتاب فمن مصدق به ومكذب به كما فعل
قومك يا محمد بالقرآن وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم **ولولا كلمة سبقت من**
ربك يعني في تأخير العذاب عليهم إلى يوم القيامة لكان الذي يستحقونه من تعجيل العقوبة
في الدنيا على كفرهم وتكذيبهم وهو قوله تعالى **لقضي بينهم** يعني لعذبوا في الحال وفرغ
من عذابهم وإهلاكهم **وإنهم لفي شك منه** يعني من القرآن ونزوله عليك يا محمد **مريب** يعني
أنهم قد وقعوا في الريب والتهمة **وإن كلا** يعني من الفريقين المختلفين المصدق والمكذب
لما ليوفينهم ربك أعمالهم اللام لام القسم تقديره والله ليوفينهم جزاء أعمالهم في القيامة
فالمصدق على تصديقه بالجنة ويجازي المكذب على تكذيبه بالنار قوله تعالى **إنه بما**
يعملون خبير يعني أنه تعالى لا يخفى عليه شيء من أعمال عباده وإن دقت ففيه وعد
للمحسنين المصدقين ووعيد وتهديد للمكذبين الكافرين قوله تعالى **فاستقم**
كما أمرت الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعني فاستقم يا محمد على دين ربك والعمل به
والدعاء إليه كما أمرك ربك والأمر في فاستقم للتأكيد لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان على
الاستقامة لم يزل عليها فهو كقولك للقائم قم حتى آتيك أي دم على ما أنت عليه حتى ذلك
القيام حتى آتيك **ومن تاب معك** يعني ومن آمن معك من أصحابك فليستقيموا أيضا على
دين الله تعالى والعمل به وبطاعته قال عمر بن الخطاب الاستقامة أن تستقيم على الأمر
والنهي ولا تروغ عنه روغان الثعلب م عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول
الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم **ولا**
تطغوا يعني ولا تجاوزوا أمري إلى غيره ولا تعصوني وقيل معناه ولا تغلوا في الدين
فتجاوزوا ما أمرتكم به ونهيتكم عنه **إنه بما تعملون بصير** يعني أنه تعالى عالم بأعمالكم
أيها الناس لا يخفى عليه منها شيء قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما نزلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم آية هي أشد من هذه الآية ولذلك قال شيبتني هود وأخواتها عن
أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد
إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة
قوله إن الدين يسر اليسر ضد العسر وأراد به التسهيل في الدين وترك التشديد

فان الدين مع يسره وسهولته من يغالبه فلن يغالبه ولن يشاده فسددوا اي اقصدوا السداد
من الامور وهو الصواب وقاربوا اي اطلبوا المقاربة وهي القصد الذي لا غلو فيه ولا
تقصير والغدو والرواح بكرة والرجوع الرواح عشيا والمراد منه اعملوا اطراف النهار
وقتا ووقتا والدلجة سير الليل يعني واستعينوا بشيء من الدلجة اشارة الى تقليله
ولا تركنوا الى الذين ظلموا الركون قال ابن عباس هو الميل والمحبة بالقلب وقال
ابو العالية لا ترضوا باعمالهم قال السدي لا تداهنوا الظلمة وعن عكرمة وقال
معناه ولا تسكنوا الى الذين ظلموا **فتمسكم النار** اي فتصيبكم النار بحرها **وما لكم من
دون الله من اولياء** يعني اعوانا وانصارا يمنعونكم من عذاب الله **ثم لا تنصرون** يعني ثم
لا تجدوا لكم من ينصركم ويخلصكم من عذاب الله غدا في القيامة فتنبه وعيد لمن ركن الى الظلمة
او رضي باعمالهم او احبهم فكيف حال الظلمة في انفسهم نعوذ بالله من الظلم **واقم الصلوة
طرفي النهار** سبب نزول هذه الاية ما روى الترمذي عن ابي اليسر قال اتتني امرأة تبتاع
تمرا فقلت ان في البيت تمرا هو اطيب منه فدخلت معي البيت فاهويت اليها فقبلتها فاتيت
ابا بكر فذكرت ذلك له فقال استر على نفسك وتب ولا تخبر احدا فلم اصبر فاتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال اخلفت غازيا في سبيل الله في اهله
بمثل هذا حتى تمنى انه لم يكن اسلم الا تلك الساعة حتى ظن انه من اهل النار قال
واطرق النبي صلى الله عليه وسلم قليلا وقيل طويلا حتى اوحى الله اليه واقم الصلاة طرفي
النهار وزلفا من الليل الى قوله ذلك ذكرى للذاكرين قال ابو اليسر فاتيته فقرأها
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اصحابه يا رسول الله الهذا خاصة ام للناس عامة قال
بل للناس عامة قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وقيس بن الربيع ضعفه
وكيع وغيره وابو اليسر هو كعب بن عمرو وعن عبد الله بن مسعود ان رجلا اصاب من امرأة
قبلة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فنزلت واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا
من الليل الاية فقال الرجل يا رسول الله الي هذه الاية قال لمن عمل بها من امتي
وفي رواية قال رجل من القوم يا نبي الله هذه له خاصة قال بل للناس كافة عن معاذ
بن جبل قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله ارايت رجلا لقي
امرأة ليس بينهما معرفة فليس ياتي الرجل الى امراته شيئا الا قد اتى اليها الا انه لم
يجامعها قال فانزل الله عز وجل واقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان
الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضا
ويصلي قال معاذ فقلت يا رسول الله اهي له خاصة ام للمؤمنين عامة قال بل للمؤمنين
عامة اخرجه الترمذي وقال هذا الحديث ليس بمتصل عبد الرحمن بن ابي ليلى
لم يسمع من معاذ اما التفسير فقوله تعالى واقم الصلوة طرفي النهار يعني صلاة
الغداة والعشاء قال مجاهد طرفي النهار يعني صلاة الصبح والظهر والعصر وزلفا
من الليل يعني صلاة المغرب والعشاء وقال ابن عباس طرفي النهار الغداة والعشي
يعني صلاة الصبح والمغرب قال الامام فخر الدين الرازي كثرت المذاهب في تفسير
طرفي النهار الغداة والعشا يعني صلاة الصبح والمغرب قال الامام فخر الدين الرازي [illegible]
هي الفجر والعصر وذلك لان احد طرفي النهار هو طلوع الشمس والثاني لا يجوز ان تكون
صلاة المغرب لانها داخلة تحت قوله وزلفا من الليل فوجب حمل الطرف الثاني على
صلاة العصر **وزلفا من الليل** يعني واقم الصلاة في زلف الليل وهي ساعة واحدة

الزلفى واصل الزلفة المنزلة والمراد بها صلاة المغرب والعشاء **ان الحسنات يذهبن
السيئات** يعني ان الصلوات الخمس يذهبن الخطيئات وتكفرها (م) عن ابي هريرة رضي الله
تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما
بينهن زاد في رواية ما لم تغش الكبائر (ق) عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ارايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ما تقولون ذلك يبقي
من درنه قالوا لا يبقى من درنه شيء قال فذلك الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا (خ)
عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الصلوات الخمس كمثل نهر جار على باب احدكم
يغتسل فيه كل يوم خمس مرات قال الحسن وما يبقى من الدرن قال العلماء الصغائر من
الذنوب يكفرها الاعمال الصالحة مثل الصلاة والصدقة والذكر والاستغفار ونحو
ذلك من اعمال البر واما الكبائر من الذنوب فلا يكفرها الا التوبة النصوح ولها ثلاثة
شرائط الاول الاقلاع عن الذنب بالكلية الثاني الندم على فعله الثالث العزم التام
ان لا يعود اليه في المستقبل فاذا حصلت هذه الشرائط صحت التوبة وكانت مقبولة ان
شاء الله تعالى وقال مجاهد في تفسير الحسنات انها قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر والقول الاول اصح انها الصلوات الخمس وهو قول ابن مسعود وابن عباس وابن المسيب
ومجاهد في احدى الروايتين عنه قال القرطبي والضحاك وجمهور المفسرين ذلك اشارة الى
ما تقدم ذكره في ذكر الاستقامة والتوبة وقيل هو اشارة الى القرآن **ذلك ذكرى
للذاكرين** يعني موعظة للمؤمنين المطيعين **واصبر** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم
يعني واصبر يا محمد على اذى قومك وما تلقاه منهم وقيل معناه واصبر على الصلوات
[illegible] **فان الله لا يضيع اجر المحسنين** يعني اعمالهم وقال ابن عباس يعني المصلين قوله
تعالى **فلولا كان من القرون** يعني فهلا كان من القرون التي اهلكناهم **من قبلكم** يا امة
محمد **اولو بقية** يعني اولو تمييز وطاعة وخير يقال فلان ذو بقية من الخير اذا كان
على خصلة محمودة **ينهون عن الفساد في الارض** يعني يقومون بالنهي عن الفساد
في الارض والاية للتقريع هنا والتوبيخ يعني لم يكن من فيهم من فيه خير ينهى عن الفساد
في الارض فلذلك اهلكناهم **الا قليلا** هذا استثناء منقطع معناه لكن قليلا [illegible]
ممن انجينا منهم يعني لم يكن في الامم الماضية وهم اتباع الانبياء كانوا ينهون عن الفساد
في الارض **واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه** يعني واتبع الذين ظلموا انفسهم بالكفر
والمعاصي ما نعموا فيه من الترف والتنعم والمعنى انهم اتبعوا ما تعودوا من النعم وايثار اللذات
على الاخرة ونعيمها **وكانوا مجرمين** يعني كافرين **وما كان ربك** يعني وما كان
ربك يا محمد **ليهلك القرى بظلم** يعني لا يهلكهم بظلم **واهلها مصلحون** يعني وهم
مصلحون في اعمالهم ولكن يهلكهم بكفرهم وسيئاتهم وركوبهم السيئات وقيل في معنى الاية
وما كان ربك ليهلك القرى بشركهم اذا كانوا مصلحين يعني يتعامل بعضهم بعضا بالصلاح
والنصفة والمراد من الهلاك عذاب الاستئصال في الدنيا اما عذاب الاخرة فهو لازم لهم
ولهذا قال [illegible] ان حقوق الله تعالى مبناها على المسامحة والمساهلة وحقوق العباد
مبناها على الضيق والتشديد قوله تعالى **ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة**
يعني كلهم على دين واحد وشريعة واحدة **ولا يزالون مختلفين** يعني على اديان شتى
ما بين يهودي ونصراني ومجوسي ومشرك ومسلم فكل اهل دين من هذه الاديان قد اختلفوا
في دينهم ايضا اختلافا كثيرا لا ينضبط عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال

تفترق اليهود على احدى وسبعين فرقة او اثنتين وسبعين فرقة والنصارى مثل ذلك
وستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة اخرجه ابو داود والترمذي بنحوه عن معاوية
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين
وسبعين فرقة وان هذه الامة تفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعين في النار وواحدة
في الجنة وهي الجماعة اخرجه ابو داود وقال الخطابي قوله صلى الله عليه وسلم ستفترق امتي
فيه دلالة على ان هذه الفرق غير خارجة من الملة والدين اذ جعلهم من امته وقال
عنه المراد بهذه الفرق اهل البدع والاهواء الذين تفرقوا واختلفوا وظهر اتباعهم
كالخوارج والقدرية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من اهل البدع والاهواء والمراد بالواحدة
هي فرقة السنة والجماعة الذين اتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم في اقواله وافعاله وهو
قوله تعالى الا من رحم ربك يعني لكن من رحم ربك فمن عليه بالهداية والتوفيق الى الحق
وهداه الى الدين القويم والصراط المستقيم فهم لا يختلفون ولذلك خلقهم
قال الحسن وعطاء وللاختلاف خلقهم وقال اشهب سالت مالك بن انس عن هذه الاية
فقال خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة و
الضحاك وللرحمة خلقهم وقال الفراء خلق اهل الرحمة للرحمة وخلق اهل الاختلاف
للاختلاف وقيل خلق الله عز وجل اهل الرحمة لئلا يختلفوا وخلق اهل العذاب لان
يختلفوا وخلق اهل الجنة وخلق لها اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا قال
فحاصل الاية ان الله خلق اهل الباطل وجعلهم مختلفين وخلق اهل الحق وجعلهم
متفقين فحكم على بعضهم بالاختلاف ومصيرهم الى النار وخلق اهل الجنة ومصيرهم
الى الجنة وهم اهل الايمان ويدل على صحة هذا القول سياق الاية وهو قوله وتمت
كلمة ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا صريح بان الله تعالى
خلق اقواما للجنة وللرحمة فهداهم ووفقهم لاعمال اهل الجنة وخلق اقواما للنار
وللضلالة فخذلهم ومنعهم من الهداية قوله تعالى وكلا نقص عليك من انباء الرسل
ما نثبت به فؤادك لما ذكر الله عز وجل في هذه السورة الكريمة قصص الامم الماضية
والقرون الخالية وما جرى لهم مع انبيائهم خاطب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
بقوله وكلا نقص عليك يا محمد من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك يعني من اخبار الرسل
وما جرى لهم مع قومهم ما نثبت به فؤادك يعني ما نقوي به قلبك وذلك لان النبي
صلى الله عليه وسلم اذا سمع هذه القصص وعلم ان حال جميع الانبياء مع اتباعهم هكذا
سهل عليه الاذى من قومه وامكنه الصبر عليه وجاءك يا محمد في هذه الحق
اختلفوا في هذا الضمير الى ماذا يعود فقيل معناه وجاءك في هذه الدنيا الحق
وفيه بعد لانه لم يجر للدنيا ذكر حتى يعود الضمير اليه وقيل في هذه الاية وقيل
في هذه السورة وهو الاقرب وهو قول اكثر المفسرين فان قلت
قد جاء الحق في سور القرآن فلم خص هذه السورة بالذكر قلت
لا يلزم من تخصيص هذه السورة بالذكر ان لا يكون قد جاء الحق في غيرها من السور بل
القرآن كله حق وصدق وانما خصها بالذكر تشريفا لها وموعظة وذكرى للمؤمنين
اي وهذه السورة موعظة يتعظ بها المؤمنون اذا تذكروا احوال الامم الماضية وما نزل
بهم وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم فيه وعيد وتهديد يعني اعملوا
ما انتم عاملون فستعلمون عاقبة ذلك العمل وكيف لما عملوا من سيئتهم انا عاملون

يعني ما امرنا به ربنا وانتظروا يعني ما يعدكم به الشيطان انا منتظرون يعني
ما يحل بكم من نقمة الله اما في الدنيا واما في الاخرة ولله غيب السموات والارض يعني ما غاب
عن العباد فيهما يعني ان علمه سبحانه وتعالى نافذ في جميع الاشياء خفيها وجليها
وحاضرها ومعدومها لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء واليه يرجع الامر كله
يعني في المعاد يرجع امر الخلق كلهم في الدنيا والاخرة فاعبده يعني ان من كان كذلك
كان مستحقا للعبادة لا غيره فاعبده فلا تشتغل بعبادة غيره وتوكل عليه
يعني وثق به في جميع امورك فانه يكفيك وما ربك بغافل عما تعملون قال
اهل التفسير الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولجميع الخلق مؤمنهم وكافرهم
والمعنى انه تعالى يحفظ على العباد اعمالهم لا يخفى عليه منها شيء فيجزي المحسن
باحسانه والمسيء باساءته قال كعب الاحبار خاتمة التوراة خاتمة سورة هود
والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة يوسف عليه السلام وهي مكية باجماعهم وهي مائة واحدى عشرة آية والف وستمائة كلمة وسبعة آلاف ومائة وستون حرفا

قال ابن الجوزي وفي سبب نزولها قولان احدهما ما روي عن سعد بن ابي وقاص قال
انزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه زمانا عليهم فقالوا يا رسول الله
لو قصصت علينا فانزل الله الر تلك آيات الكتاب المبين الى قوله تعالى نحن
نقص عليك احسن القصص القول الثاني رواه الضحاك عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنه قال سالت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا حدثنا عن امر
يعقوب وولده وشان يوسف فانزل الله تعالى الر تلك آيات الكتاب المبين الآيات الكريمة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الر تقدم تفسيره في اول سورة يونس تلك اشارة الى آيات هذه
السورة اي تلك الآيات التي انزلت اليك في هذه السورة المسماة بالر هي آيات
الكتاب المبين وهو القرآن اي المبين حلاله وحرامه وحدوده واحكامه وقال
قتادة مبين بينه الله ببركته وهداه ورشده فهو من بان اي ظهر وقال
الزجاج مبين الحق من الباطل والحلال من الحرام فهو من ابان بمعنى اظهر
وقيل انه يبين فيه قصص الاولين وشرح احوال المتأخرين والمتقدمين
انا انزلناه يعني هذا الكتاب قرآنا عربيا اي انزلناه بلغتكم لكي تعلموا
معانيه وتفهموا ما فيه وقيل لما قالت اليهود لمشركي مكة سلوا محمدا صلى
الله عليه وسلم عن امر يعقوب وقصة يوسف وكانت عند اليهود بالعبرانية
فانزل الله هذه السورة وذكر فيها قصة يوسف بالعربية ليفهمها العرب ويعرفوا
معانيها والتقدير انا انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال
كونه عربيا فعلى هذا القول يجوز اطلاق اسم الكتاب على بعضه لانه اسم جنس
يقع على الكل والبعض واختلف العلماء هل يمكن ان يقال في القرآن شيء بغير العربية
قال ابو عبيدة لا ومن قال فيه بغير العربية فقد اعظم على الله القول واحتج بهذه
الآية انا انزلناه قرآنا عربيا وروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة ان فيه من غير
لسان العربية مثل سجيل والمشكاة واليم واستبرق ونحو ذلك وهذا هو الصحيح

المختار لانه هو لا اعلم من ابي عبيدة بلسان العربية مثل سجيل والمشكاة قال وكلا القولين
صواب ان شاء الله تعالى ووجه الجمع بينهما ان هذه الالفاظ لما تكلمت بها العرب ودارت
على السنتهم صارت عربية فصيحة وان كانت غير عربية في الاصل لكنهم لما تكلموا
بها نسبت اليهم وصارت لهم لغة فظهر بهذا البيان صحة القولين وامكن الجمع بينهما
لعلكم تعقلون يعني تفهمون ايها العرب لانه نازل بلغتكم قوله تعالى نحن نقص
عليك احسن القصص الاصل في معنى القصص اتباع الخبر بعضه بعضا واصله القاص
الذي ياتي بالخبر على وجهه واصله في اللغة من قص الاثر اذا تتبعه وانما
سميت الحكاية قصة لان الذي يقص الحديث يذكر تلك القصة شيئا فشيئا والمعنى
نحن نبين لك يا محمد اخبار الامم السالفة والقرون الماضية احسن البيان
وقيل المراد منه قصة يوسف عليه الصلاة والسلام خاصة وانما سماها احسن
القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا
وما فيها من سير الملوك والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على اذى الاعداء
وحسن التجاوز عنهم بعد اللقاء وغير ذلك من الفوائد المذكورة في هذه
السورة الشريفة قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بهما
اهل الجنة في الجنة وقال عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الا استراح اليها
وقوله تعالى بما اوحينا اليك يعني يا محمد بايحائنا اليك هذا القرآن وان
كنت اي وقد كنت من قبله يعني من قبل وحينا اليك لمن الغافلين يعني
عن هذه القصة وما فيها من العجائب قال سعد بن ابي وقاص انزل القرآن
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا فقالوا يا رسول الله
لو حدثتنا فانزل الله عز وجل الله نزل احسن الحديث فقالوا يا رسول الله لو
قصصت علينا فانزل الله نحن نقص عليك احسن القصص فقالوا يا رسول
الله لو ذكرتنا فانزل الله الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله
قوله عز وجل اذ قال يوسف لابيه اي اذكر يا محمد لقومك قول يوسف
لابيه يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم صلى الله عليهم وسلم اجمعين عن ابن
عمر ق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم
يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ويوسف اسم عبري قال ولذلك لا يجرى
فيه وقيل هو عربي سئل ابو الحسن الاقطع عن يوسف فقال الاسف الحزن
والاسيف العبد واجتمعا في يوسف فسمي به يا ابت اني رايت احد عشر كوكبا
والشمس والقمر رايتهم لي ساجدين معناه قال اهل التفسير راى يوسف
في منامه كان احد عشر كوكبا نزلت من السماء ومعها الشمس والقمر فسجدوا له
وكانت هذه الرؤيا ليلة جمعة وكانت ليلة القدر وكان النجوم في التاويل
اخوته وكانوا احد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء بالنجوم والشمس ابوه
والقمر امه في قول قتادة وقال السدي القمر خالته لان امه راحيل قد
ماتت وقال قتادة وابن جريج القمر ابوه والشمس امه لان الشمس مؤنثة والقمر
مذكر وكان يوسف عليه الصلاة والسلام ابن اثنتي عشرة سنة وقيل سبعة
عشر سنة وقيل سبع سنين واراد بالسجود تواضعهم له ودخولهم تحت امره
وقيل اراد حقيقة السجود لانه كان في ذلك الزمان التحية فيما بينهم

السجود

السجود انتهى **فان قلت** ان الكواكب جماد لا تعقل فكيف عبر عنها بكناية
من يعقل في قوله رايتهم ولم يقل رايتها وقوله ساجدين ولم يقل ساجدات **قلت**
لما اخبر عنها بفعل من يعقل وهو السجود كني عنها بكناية من يعقل فهو كقوله يا ايها
النمل ادخلوا مساكنكم وقيل ان الفلاسفة المنجمين يزعمون ان الكواكب احياء
ناطقة حساسة فيجوز ان يعبر عنها بعبارة من يعقل وهذا القول ليس بشيء
والاول اصح **فان قلت** قد قال اني رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر ثم اعاد
لفظ الرؤية ثانيا فقال رايتهم لي ساجدين فما فائدة هذا التكرار **قلت**
معنى الرؤية الاولى انه راى اجرام الكواكب والشمس والقمر ومعنى الرؤية الثانية
انه اخبر بسجود ما راه وقال بعضهم معناه انه لما قال اني رايت احد عشر كوكبا والشمس
والقمر فكانه قيل له وكيف رايت قال رايتهم لي ساجدين وانما افرد الشمس والقمر
بالذكر وان كانا من جملة الكواكب للدلالة على فضلهما وشرفهما على سائر الكواكب
قال اهل التفسير وان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان شديد الحب ليوسف
عليه الصلاة والسلام فحسده اخوته لهذا السبب وظهر ذلك ليعقوب
فلما راى يوسف هذه الرؤيا وتاويلها ان اخوته وابويه يخضعون له
فلهذا قال يعقوب يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك يعني لا تخبرهم
برؤياك فانهم يعرفون تاويلها فيكيدوا لك كيدا اي فيحتالوا في هلاكك
لامره بكتمان رؤياه عن اخوته لان رؤيا الانبياء وحي وحق واللام في فيكيدوا
لك كيدا تاكيد للصلة كقوله نصحتك ونصحت لك وشكرتك وشكرت لك
انتهى ان الشيطان للانسان عدو مبين يعني انه ظاهر العداوة لان
عداوته قديمة فانهم اذا اقدموا على الكيد كان ذلك مضافا الى تزيين الشيطان
ووسوسته ق عن ابي قتادة قال كنت ارى الرؤيا تمرضني حتى سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله والرؤيا السوء من الشيطان
فاذا راى احدكم ما يحب فلا يحدث بها الا من يحب واذا راى ما يكره فليتفل عن
يساره ثلاثا وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وشرها فانها لن تضره
خ عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا راى
احدكم الرؤيا يحبها فانها من الله تعالى فليحمد الله وليحدث بها واذا راى غير
ذلك مما يكره فانها من الشيطان فليستعذ بالله من الشيطان ومن شرها
ولا يذكرها لاحد فانها لن تضره م عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا راى احدكم الرؤيا يكرهها فليبصق عن يساره ثلاثا وليستعذ بالله
من الشيطان الرجيم وليتحول عن جنبه الذي كان عليه عن ابي رزين العقيلي قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا المؤمن جزء من اربعين جزءا من النبوة
وهي على رجل طائر ما لم يحدث بها فاذا حدث بها سقطت واحسبه قال
لا تحدث بها الا لبيبا او حبيبا اخرجه الترمذي ولابي داود نحوه قال الشيخ
محيي الدين النووي قال المازري مذهب اهل السنة في حقيقة الرؤيا ان الله
تعالى يخلق في قلب النائم اعتقادات كما يخلقها في قلب اليقظان وهو سبحانه
يفعل ما يشاء لا يمنعه نوم ولا يقظة فاذا خلق هذه الاعتقادات كلها فكانه جعلها
علما على امور اخر يخلقها في ثاني الحال والجميع خلق الله تعالى ولكن يخلق الرؤيا

والاعتقادات التي جعلها علما على ما يسر بغير حضرة الشيطان وإذا خلق ما هو علم على ما يضر يكون بحضرة الشيطان مجازا وإن كان لا فعل له في الحقيقة فهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا من الله والحلم من الشيطان لا على أن الشيطان يفعل شيئا والرؤيا اسم للمحبوب والحلم اسم للمكروه وقال غيره أضاف الرؤيا المحبوبة إلى الله إضافة تشريف بخلاف الرؤيا المكروهة وإن كانتا جميعا من خلق الله وتدبيره وإرادته ولا فعل للشيطان فيهما ولكنه يحضر المكروه ويرتضيها فيستحب إذا رأى الرجل في منامه ما يحب فليحدث به من يحب وإذا رأى ما يكره فلا يحدث به وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شرها وليتفل ثلاثا وليتحول عن جنبه الآخر فإنها لا تضره فإن الله جعل هذه الأسباب سببا للسلامة من المكروه كما جعل الصدقة سببا لوقاية المال وغيره من البلاء قوله عز وجل **وكذلك يجتبيك ربك** يعني قول يعقوب ليوسف عليهما الصلاة والسلام أي وكما رفع منزلتك بهذه الرؤيا الشريفة العظيمة كذلك يجتبيك يعني يصطفيك ربك والاجتباء اصطفاء الله العبد بتخصيصه إياه بفيض إلهي يحصل منه أنواع المكرمات بلا سعي من العبد وذلك يختص بالأنبياء أو ببعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء والصالحين **ويعلمك من تأويل الأحاديث** يعني به تعبير الرؤيا سمي تأويلا لأنه يؤول أمره إلى ما رأى في منامه يعني يعلمك تأويل أحاديث الناس فيما يرونه في منامهم وكان يوسف عليه الصلاة والسلام أعلم الناس بتعبير الرؤيا وقال ابن الحاج تأويل أحاديث الأنبياء والأمم السالفة والكتب المنزلة وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه يعلمك العلم والحكمة **ويتم نعمته عليك** يعني بالنبوة قاله ابن عباس لأن منصب النبوة أعلى المناصب وكل الخلق دون درجة الأنبياء فهذا من تمام النعمة عليهم لأن جميع الخلق دونهم في الرتب والمناصب **وعلى آل يعقوب** المراد بآل يعقوب أولاده فإنهم كانوا أنبياء وهو المراد من تمام النعمة عليهم **كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق** وقيل المراد من إتمام النعمة على إبراهيم صلى الله عليه وسلم بأن خلصه من النار واتخذه الله خليلا والمراد من إتمام النعمة على إسحاق بأن خلصه من الذبح وهذا على قول من قال إن إسحاق هو الذبيح وليس بشيء والقول الأول هو الأصح بأن إتمام النعمة عليهما بالنبوة لأنه لا أعظم من منصب النبوة فهو من أعظم النعم على العبد **إن ربك عليم** يعني بمصالح خلقه **حكيم** يعني أنه تعالى لا يفعل شيئا إلا بالحكمة وقيل إنه تعالى حكيم بوضع النبوة في بيت إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس بين هذه رؤيا يوسف وبين تحقيقها بمصر واجتماعه بأبويه وإخوته أربعون سنة وهذا قول أكثر المفسرين قال الحسن البصري كان بينهما ثمانون سنة فلما بلغت هذه الرؤيا إخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي أن يسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه قوله تعالى **لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين** يعني في خبره وخبر إخوته وأسماؤهم روبيل وهو أكبرهم وشمعون ولاوي ويهوذا وريالون ويشجر وأمهم ليا بنت ليان وهي ابنة خال يعقوب ومن سريتين اسم أحدهما زلفة والأخرى بلهة أربعة أولاد وأسماؤهم دان ونفتالي وجاد وأشر

ثم

ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب أختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين فهؤلاء بنو يعقوب وهم الأسباط وعددهم اثنا عشر نفرا آيات للسائلين وذلك أن اليهود لما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف وقيل سألوا عن سبب انتقال ولد يعقوب من أرض كنعان إلى أرض مصر فذكر قصة يوسف مع إخوته فوجدوها مطابقة لما في التوراة فتعجبوا منه فعلى هذا تكون هذه القصة دالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه لم يقرأ الكتب المتقدمة ولم يجالس العلماء والأحبار ولم يأخذ عن أحد منهم شيئا فدل ذلك على أن ما أتى به وحي سماوي وعلم قدسي أوحاه الله إليه وعرفه به ومعنى آيات للسائلين أي عبرة للمعتبرين فإن هذه القصة تشتمل على أنواع من العبر والمواعظ والحكم ومنها رؤيا يوسف عليه الصلاة والسلام وما حقق الله فيها ومنها حسد إخوته له وما آل إليه أمرهم من الحسد ومنها صبر يوسف على إخوته مثل إلقائه في الجب وبيعه عبدا وسجنه بعد ذلك وما آل إليه أمره من بلوغ المراد وغير ذلك ومنها ما اشتمل عليه حزن يعقوب وصبره على فقد ولده وغير ذلك وما آل إليه أمره من الملك وغير ذلك من الآيات التي إذا ذكرها اعتبر واتعظ **إذ قالوا** يعني إخوة يوسف **ليوسف** اللام فيه لام القسم تقديره والله ليوسف **وأخوه** يعني بنيامين وهما من أم واحدة **أحب إلى أبينا منا ونحن عصبة** إنما قالوا هذه المقالة لحسدهم منهم ليوسف وأخيه لما رأوا من ميل يعقوب إليه وكثرة شفقته عليه والعصبة الجماعة وكانوا عشرة وقال الفراء العصبة هي العشرة فما زاد وهي ما بين العشرة إلى خمسة عشر وقيل إلى الأربعين وقيل إن الأصل كل جماعة يتعصب بعضهم لبعض سموا عصبة والعصبة لا واحد لها من لفظها كالرهط والنفر **إن أبانا لفي ضلال مبين** يعني أنه في خطأ بين في إيثاره حب يوسف علينا مع صغره لا نفع فيه ونحن عصبة ننفعه ونقوم بمصالحه من أمر دنياه وإصلاح أمر مواشيه وليس المراد من ذكر هذا الضلال هو الضلال عن الدين إذ لو أرادوا ذلك لكفروا به ولكن أرادوا الخطأ في أمر الدنيا وما يصلحها يقولون نحن أنفع له من يوسف فهو مخطئ في صرف محبته إليه لأنا أكبر سنا وأشد قوة وأكثر منفعة وغاب عنهم المقصود الأعظم وهو أن يعقوب عليه الصلاة والسلام ما فضل يوسف وأخاه على سائر الإخوة لأن المحبة المحبة ومحبة القلب ليس في وسع البشر دفعها ويحتمل أن يعقوب إنما خص يوسف بمزيد المحبة والشفقة لأن أمه ماتت وهو صغير ولأنه رأى فيه من آيات الرشد والنجابة ما لم يره في سائر إخوته **فإن قلت** الذي فعله إخوة يوسف بيوسف هو محض الحسد والحسد من أمهات الكبائر وكذلك نسبة أبيهم إلى الضلال هو من محض العقوق وهو من الكبائر أيضا وكل ذلك قادح في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فما الجواب عنه **قلت** هذه الأفعال إنما صدرت من إخوة يوسف قبل ثبوت النبوة لهم والمعتبر في عصمة الأنبياء هو وقت حصول النبوة لا قبلها وقيل كانوا وقت هذه الأفعال مراهقين غير بالغين ولا تكليف عليهم قبل البلوغ فعلى هذا لم تكن هذه الأفعال قادحة في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قوله تعالى حكاية عن إخوة يوسف **اقتلوا يوسف أو**

اطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم لما قوي الحسد وبلغ النهاية فيما بينهم قالوا لا بد من تبعيد يوسف عن ابيه وذلك قد لا يحصل الا باحد الطريقين اما القتل مرة واحدة او التغريب الى ارض يحصل الياس من اجتماعه بابيه بان يفترسه الاسد والسباع او يموت في تلك الارض البعيدة ثم ذكر العلة في ذلك فقال يخل لكم وجه ابيكم والمعنى انه قد شغله حب يوسف عنكم فاذا فعلتم ذلك بيوسف اقبل يعقوب بوجهه عليكم وصرف محبته اليكم وتكونوا من بعده يعني من بعد قتل يوسف او ابعاده عن ابيه قوما صالحين يعني تائبين تتوبون الى الله يعفو عنكم فتكونوا قوما صالحين وذلك انهم لما علموا ان الذي عزموا عليه من الكبائر والذنوب قالوا نفعل هذا ثم نتوب الى الله من هذا الفعل ونكون من الصالحين في المستقبل وقال مقاتل معناه يصلح لكم امركم فيما بينكم وبين ابيكم **فان قلت** كيف يصدر هذه الافعال منهم وهم انبيا **قلت** الجواب عما تقدم انهم لم يكونوا انبيا في ذلك الوقت حتى يكون ذلك الفعل قادحا في عصمة الانبيا وانما قدموا على هذه الافعال قبل النبوة وقيل ان الذي اشار بقتل يوسف كان اجنبيا مشاورة في ذلك فاشار عليهم بقتله قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف يعني قال قائل من اخوة يوسف وهو يهودا وقال قتادة هو روبيل وهو ابن خالته وكان اكبرهم سنا واحسنهم رايا فنهاهم عن قتله وقال القتل كبيرة عظيمة والاصح ان قائل هذه المقالة هو يهودا لانه كان اقربهم اليه والقوه في غيابة الجب يعني القوه في اسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر شيئا وغيبه عن النظر والجب البير الكبير غير مطوية سمي بذلك لانه جب اي قطع ولم يطو وانما ذكر الغيابة مع ذكر الجب لان المشير اشار في طرحه في موضع من الجب مظلم لا يراه احد واختلفوا في مكان ذلك الجب قال قتادة هو بير بيت المقدس وقال وهب هو في ارض الاردن وقال مقاتل هو في ارض الاردن على ثلاث فراسخ من منزل يعقوب وانما عينوا ذلك للعلة التي ذكروها وهي قوله تعالى يلتقطه بعض السيارة وذلك ان هذا الجب كان معروفا يرد عليه كثير من المسافرين والالتقاط اخذ الشي من الطريق او من حيث لا يحتسب ومنه اللقطة بعض السيارة يعني ياخذه بعض المسافرين فيذهب به الى ناحية اخرى فيحب فتستريحوا منه ان كنتم فاعلين فيه اشارة الى ترك الفعل فكانه قال لا تفعلوا شيئا من ذلك وان عزمتم على هذا الفعل فافعلوا هذا القدر ان كنتم فاعلين ذلك قال البغوي كانوا يومئذ بالغين ولم يكونوا انبيا وقيل لم يكونوا بالغين وليس بصحيح بدليل انهم قالوا وتكونوا من بعده قوما صالحين وقالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين والصغير لا ذنب له قال محمد بن اسحاق اشتمل فعلهم هذا على جرايم كثيرة من قطيعة الرحم وعقوق الوالدين وقلة الرافة بالصغير الذي لا ذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب مع ابيهم وعفى الله عن ذلك كله حتى لا ييأس احد من رحمة الله تعالى وكان بعض اهل العلم عزموا على قتله وعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا ذلك لهلكوا جميعا وكل ذلك كان قبل ان نبأهم الله فلما اجمعوا على التفريق بين يوسف وبين والده بضرب من الحيل قالوا يعني قال اخوة يوسف ليعقوب يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف بدؤوا بالانكار عليه في ترك ارسال يوسف معهم كانهم قالوا لم تخافنا عليه اذا ارسلته معنا وانا له لناصحون المراد بالنصح هنا القيام بالمصلحة وقيل البر والعطف والمعنى

ان

انا لعاطفون عليه قائمون بمصلحته وبحفظه وقال مقاتل في الكلام تقديم وتاخير وذلك انهم قالوا لابيهم ارسله معنا فقال يعقوب اني ليحزنني ان تذهبوا به فحينئذ قالوا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لناصحون ثم قالوا ارسله معنا غدا يعني الى الصحراء يرتع الرتع هو الاتساع في الملاذ يقال رتع فلان في ماله اذا انفقه في شهواته والاصل في الرتع اكل البهائم في الخصب زمن الربيع ويستعار للانسان اذا اريد به الاكل الكثير ويلعب اللعب معروف يقال للراعب يقال لعب فلان اذا كان لعبه وفعله غير قاصد به مقصدا صحيحا سئل ابو عمرو بن العلا كيف قالوا نلعب وهم انبيا فقال لم يكونوا يومئذ انبيا قال وقيل ان يكون المراد به هنا الاقدام على المباحات لاجل انشراح الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لجابر هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وايضا فان لعبهم كان الاستباق وهو غرض صحيح مباح لما فيه من المحاربة والاقدام على الاقران في الحرب بدليل قوله نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورة اللعب وقيل معنى نرتع ونلعب نتنعم ونأكل ونلهو وننشط وانا له لحافظون يعني نجتهد في حفظه غاية الاجتهاد حتى نرده اليك سالما قال يعني قال لهم يعقوب اني ليحزنني ان تذهبوا به اي ذهابكم به والحزن هنا الم القلب بفراق المحبوب ومعنى الاية لما طلبوا منه ان يرسل معهم يوسف اعتذر يعقوب عليه السلام لعذرين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياهم يحزنه لانه كان لا يقدر ان يصبر عنه ساعة والثاني قوله واخاف ان ياكله الذيب وانتم عنه غافلون يعني اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم وذلك ان يعقوب عليه السلام راى في المنام ان ذيبا شد على يوسف فكان يعقوب يخاف عليه من ذلك وقيل كانت الذياب في ارضهم كثيرة قالوا يعني اخوة يوسف مجيبين ليعقوب لئن اكله الذيب ونحن عصبة اي جماعة عشرة رجال انا اذا لخاسرون يعني عجزة ضعفا وقيل انهم خافوا ان يدعوا عليهم يعقوب بالخسار والوبال والبوار وقيل معناه انا اذا لم نقدر على حفظ اخينا فكيف نحفظ مواشينا فنحن اذا خاسرون قوله عز وجل فلما ذهبوا به فيه اضمار واختصار وتقديره فارسله معهم فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب يعني وعزموا ان يلقوه في غيابة الجب

ذكر قصة ذهابهم بيوسف قال وهب وغيره من اهل السير والاخبار ان اخوة يوسف قالوا اما تشتاق ان تخرج معنا الى مواشينا فنتصيد ونستبق قال بلى قالوا له تسال اباك ان يرسلك معنا قال يوسف افعلوا فدخلوا بجماعتهم على يعقوب فقالوا يا ابانا ان يوسف قد احب ان يخرج معنا الى مواشينا فقال يعقوب ما تقول يا بني قال نعم يا ابت اني ارى من اخوتي اللين واللطف فاحب ان تاذن لي وكان يعقوب يكره مفارقته ويحب مرضاته فاذن له وارسله معهم فلما خرجوا به من عند يعقوب جعلوا يحملونه على رقابهم ويعقوب ينظر اليهم فلما بعدوا عنه وصاروا الى الصحراء القوه على الارض واظهروا له ما في انفسهم من العداوة واسمعوه القول وجعلوا يضربونه فجعل كلما جا الى واحد منهم واستغاث به ضربه فلما فطن لما عزموا عليه من قتله جعل ينادي يا ابتاه لو رايت يوسف وما نزل به من اخوته لاحزنك ذلك وابكاك يا ابتاه ما اسرع ما نسوا عهدك وضيعوا وصيتك وجعل يبكي بكاء شديدا فاخذه روبيل فجلد به الارض ثم جثم على صدره واراد قتله فقال له يوسف مهلا يا اخي لا تقتلني فقال

لهما ابن راحيل انت صاحب الاحلام قل لرؤياك تخلصك من ايدينا ولوى عنقه فا
يوسف بيهودا وقال له اتق الله في وحل بيني وبين من يريد قتلي فادركته رحمة الاخوة
ورق له فقال يهودا يا اخوتاه ما على هذا عاهدتموني الا ادلكم على ما هو اهون لكم
وارفق به فقالوا وما هو قال تلقوه في هذا الجب اما ان يموت او يلتقطه بعض السيارة
فانطلقوا به الى بير هناك على غير الطريق واسع الاسفل ضيق الراس فجعلوا يدلونه في
البير فتعلق بشفيرها فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصي استتر
به في الجب فقالوا ادع الشمس والقمر والكواكب تخلصك وتونسك فقال اني لم ار شيئا فالقوه
فيها ثم قال لهم يا اخوتاه اتدعوني فيها وحيدا وقيل جعلوه في دلو ثم ارخوه فيها
فلما بلغ نصفها القوه ارادة ان يموت وكان في البير ما فسقط فيه ثم اوى الى صخرة
كانت في البير فقام عليها وقيل نزل عليه ملك فحل يديه واخرج له صخرة من البير
فاجلسه عليها وقيل انهم لما القوه في الجب جعل يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم
فاجابهم فارادوا ان يرضخوه بصخرة فيقتلوه فمنعهم يهودا من ذلك وقيل ان
ليعقوب لما بعثه مع اخوته اخرج له قميص ابراهيم عليه الصلاة والسلام الذى
كساه الله اياه من الجنة حين القي في النار فجعله يعقوب في قصبة فضة وجعلها
في عنق يوسف فالبسه الملك اياه حين القي في الجب فاضا له الجب وقال الحسن
لما القي يوسف في الجب عذب ماؤه وكان يغنيه عن الطعام والشراب ودخل عليه
جبريل فانس به فلما امسى نهض جبريل ليذهب قال له انك اذا خرجت استوحش
فقال اذا رهبت شيئا فقل يا صريخ المستصرخين ويا غوث المستغيثين
ويا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من امري
فلما قالها يوسف حفته الملائكة واستانس في الجب وقال محمد بن مسلم الطائى
لما القي يوسف في الجب قال يا شاهدا غير غائب ويا قريبا غير بعيد ويا غالبا
غير مغلوب اجعل لي من امري فرجا مما انا فيه فلما بات فيه واختلفوا في قدر عمر
يوسف يوم القي في الجب فقال الضحاك ست سنين وقال الحسن اثنى عشر سنة وقال
ابن السائب سبعة عشر سنة وقيل ثمانية عشر سنة وقيل مكث في الجب ثلاثة
ايام وكان اخوته يرعون حواليه وكان يهودا ياتيه بالطعام فذلك قوله تعالى
واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا يعني لتخبرن اخوتك قال اكثر المفسرين ان
اوحينا اليه وحيا حقيقة فبعث اليه جبريل عليه السلام يؤنسه ويبشره
بالخروج ويخبره انه ينبئهم بما فعلوا ويجازيهم عليه فهذا قول طائفة عظيمة من
المحققين ثم القائلون بهذا القول اختلفوا هل كان بالغا في ذلك الوقت او كان
صبيا صغيرا فقال بعضهم انه كان بالغا وقد كان عمره خمسة عشر سنة وقال
اخرون بل كان صغيرا الا ان الله عز وجل اكمل عقله ورشده وجعله صالحا لقبول
الوحي والنبوة كما قال في حق عيسى عليه الصلاة والسلام **فان قلت**
كيف جعله نبيا في ذلك الوقت ولم يكن يبلغ رسالة ربه لانه فائدة النبوة والرسالة تبليغها
الى من ارسل اليه **قلت** لا يمتنع ان الله يشرفه بالوحي ويكرمه بالنبوة والرسالة
في ذلك الوقت وفائدة ذلك تطييب قلبه وازالة الهم والغم والوحشة عنه ثم بعد ذلك
يامره بتبليغ الرسالة في وقتها وقيل ان المراد من قوله واوحينا اليه وحي الهام
كما في قوله واوحى ربك الى النحل واوحينا الى ام موسى والقول الاول اولى وهم لا يشعرون

بانا نبأناك وانت في البير بانك ستجازيهم بصنيعهم هذا بعد هذا اليوم وهم لا يشعرون
بانك انت يوسف والمقصود من ذلك تقوية قلب يوسف عليه الصلاة والسلام وانه سيخلص مما هو
فيه من المحنة ويصير مستوليا عليهم ويصيرون تحت امره وقهره وجاؤا اباهم عشاء
يبكون قال المفسرون لما طرحوا يوسف في الجب رجعوا الى ابيهم وقت العشاء ليكونوا
في الظلمة اجرا على الاعتذار بالكذب فلما قربوا من منزل يعقوب جعلوا يبكون ويصرخون
فسمع اصواتهم ففزع من ذلك وخرج اليهم فلما رآهم قال بالله سالتكم يا بني هل اصابكم
في غنمكم شيء قالوا لا قال فما اصابكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق
قال ابن عباس يعني ننتضل قال الزجاج يسابق بعضنا بعضا في الرمي وهو التناضل
ايضا وسمي المسابقة بعاد بعد ذلك يقال تسابقا واستبقا اذا فعلا ذلك ليتبين ايهما ابعد سهما
وقال السدي نشتد ونعدو والمعنى نستبق على الاقدام ليتبين اينا اسرع عدوا
واخف حركة وقال مقاتل نتصيد والمعنى نستبق الى الصيد وتركنا يوسف
عند متاعنا عند ثيابنا فاكله الذيب يعني في حال استباقنا وما انت بمؤمن
لنا يعني وما انت بمصدق لنا ولو كنا صادقين يعني في قولنا والمعنى انا وان
كنا صادقين لكنك لا تصدق لنا قولا لشدة محبتك ليوسف فانك تتهمنا في قولنا
هذا وقيل معناه انا وان كنا صادقين لا تصدقنا لانه لم يظهر عندك امارة تدل
على صدقنا وجاؤا على قميصه يعني قميص يوسف بدم كذب اي مكذوب فيه
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه انهم ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف
ثم جاؤا اباهم وفي القصة انهم لطخوا القميص بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب لهم كيف
اكله الذيب ولم يشق قميصه ثم انهم اتهموه بعد ذلك وقيل انهم اتوه بذيب وقالوا هذا اكله
فقال يعقوب ايها الذيب انت اكلت ولدي وثمرة فؤادي فانطقه الله عز وجل
وقال والله ما اكلته ولا رايته قط ولا يحل لنا ان ناكل لحوم الانبيا فقال له
يعقوب فكيف وقعت بارض كنعان قال جيت لصلة الرحم وهو قرابة لي فاخذوني
واتوا بي اليك فاطلقه يعقوب ولما ذكر اخوة يوسف هذا الكلام ليعقوب
واحتجوا على صدقهم بالقميص الملطخ بالدم قال يعقوب بل سولت لكم انفسكم
امرا يعني بل زينت لكم انفسكم امرا واصل التسويل تقدير معنى في النفس مع الطمع
في اتمامه قال صاحب الكشاف سولت سهلت من السول وهو الاسترخا اي سهلت
لكم انفسكم امرا عظيما ركبتموه من يوسف وهونتموه في انفسكم واعينكم فعلى هذا
يكون معنى قوله بل سولت رد لقولهم اكله الذيب كانه قال ليس الامر كما تقولون
اكله الذيب بل قد سولت لكم انفسكم امرا اخر غير ما تصفون فصبر جميل اي فشاني
صبر جميل وقيل معناه فصبري صبر جميل والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه ولا جزع
وقيل من الصبر ان لا تحدث بمصيبتك ولا تزكي نفسك قوله تعالى والله المستعان
على ما تصفون يعني من القول الكذب وقيل معناه والله المستعان على حمل ما تصفون
قوله عز وجل وجاءت سيارة وهم القوم المسافرون وسموا سيارة لسيرهم في الارض
وكانوا رفقة من مدين يريدون مصر فاخطاوا الطريق فنزلوا قريبا من الجب
الذي كان فيه يوسف وكان في قفرة بعيدة من العمارة يرده المارة والرعاة وكان
ماؤه مالحا فلما القي يوسف فيه عذب فلما نزلوا ارسلوا رجلا من اهل مدين يقال
له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الما فذلك قوله فارسلوا واردهم فادلى دلوه

قالوا والوارد هو الذي يتقدم الرفقة الى الماء فيملئ الارشية والدلا فادلى دلوه يقال ادليت
الدلو اذا ارسلتها في البير ودلوتها اذا اخرجتها قال فتعلق يوسف عليه الصلاة
والسلام بالحبل وكان يوسف عليه السلام احسن ما يكون من الغلمان وذكر البغوي
بسند متصل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطي يوسف شطر الحسن ويقال انه
ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت قد اعطيت سدس الحسن قال محمد بن
اسحاق ذهب يوسف وامه بثلثي الحسن وحكى الثعلبي عن كعب الاحبار قال كان يوسف
حسن الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوي الخلق ابيض اللون غليظ الساعدين
والعضدين والساقين خميص البطن صغير السرة وكان اذا تبسم رايت النور في
ضواحكه واذا تكلم رايت شعاع النور في ثناياه ولا يستطيع احد وصفه وكان
حسنه كضوء النهار عند الليل وكان يشبه ادم عليه السلام يوم خلقه وصوره
قبل ان يصيب الخطيئة قالوا فلما خرج يوسف وراه مالك بن دعر كان احسن ما يكون
من الغلمان قال يعني الوارد وهو مالك بن دعر **يا بشراي** يعني يقول الوارد
لاصحابه ابشروا اي **هذا غلام** وقرئ يا بشري بغير اضافة ومعناه ان الوارد
نادى رجلا من اصحابه اسمه بشري كما تقول يا زيد يقال ان جدران الجب بكت على
يوسف حين خرج منها **واسروه بضاعة** قال مجاهد اسره مالك بن دعر
واصحابه من التجار الذين كانوا معه وقالوا انه بضاعة استبضعناه لبعض اهل
الماء الى مصر وانما قالوا ذلك خيفة ان يطلبوا منهم الشركة فيه وقيل ان اخوة
يوسف اسروا شان يوسف يعني انهم اخفوا امر يوسف وكونه اخا لهم بل قالوا
هو عبد لنا ابق وصدقهم يوسف على ذلك لانهم توعدوه بالقتل سرا من مالك
ابن دعر واصحابه والقول الاول اصح لان مالك بن دعر هو الذي اسره بضاعة من
اصحابه **والله عليم بما يعملون** يعني من ارادة اهلاك يوسف فجعل ذلك سببا
لنجاته وتحقيقا لرؤياه انه يصير ملك مصر بعد ان كان عبدا قال اصحاب الاخبار ان يهوذا
كان ياتي يوسف بالطعام فاتاه فلم يجده في الجب فاخبر اخوته بذلك فطلبوه فاذا هم بمالك
ابن دعر واصحابه نزول قريبا من البير فاتوهم فاذا يوسف عندهم فقالوا لهم هذا عبد
ابق منا ويقال انهم هددوا يوسف حتى كتم حاله ولم يعرفها وقال لهم مثل قولهم ثم انهم باعوه
منهم فذلك قوله تعالى **وشروه** اي باعوه وقد يطلق لفظ الشرا على البيع يقال شريت الشي
بمعنى بعته وانما وجب حمل هذا الشرا على البيع لان الضمير في وشروه وفي وكانوا فيه من الزاهدين
يرجع الى شي واحد وذلك ان اخوته زهدوا فيه فباعوه وقيل ان الضمير في وشروه يعود
على مالك بن دعر واصحابه فعلى هذا القول يكون لفظ الشرا على بابه **بثمن بخس**
قال الحسن والضحاك ومقاتل والسدي بخس اي حرام لان ثمن الحر حرام ويسمى الحرام بخسا
لانه مبخوس البركة يعني منقوصها وقال ابن مسعود وابن عباس بخس اي
زيوف يعني ناقص العيار وقال قتادة بخس اي ظلم والظلم هو نقصان الحق يقال
ظلمه اذا نقصه حقه وقال عكرمة والشعبي بخس اي قليل وعلى الاقوال كلها فالبخس
في اللغة هو نقص الشي على سبيل الظلم والبخس والباخس الشي الطفيف **دراهم معدودة**
فيه اشارة الى قلة تلك الدراهم لانهم في ذلك الزمان كانوا لا يزنون ما كان اقل
من اربعين درهما وكانوا ياخذون ما دونها عددا فاذا بلغت الاربعين درهما وهي اوقية
وزنوها واختلفوا في عدد تلك الدراهم فقال ابن عباس وابن مسعود وقتادة كانت

عشرين درهما فاقتسموها درهمين درهمين فعلى هذا القول لم ياخذ اخوه من ابيه
وامه منها شيا وقال مجاهد كانت اثنين وعشرين درهما فعلى هذا اخذ اخوه منها
درهمين لانهم كانوا احد عشر اخا وقال عكرمة كانت اربعين درهما **وكانوا فيه
من الزاهدين** يعني وكان اخوة يوسف في يوسف من الزاهدين واصل الزهد قلة
الرغبة يقال زهد فلان في كذا اذا لم يكن فيه رغبة والضمير في قوله وكانوا فيه
من الزاهدين ان قلنا انه يرجع الى اخوة يوسف كان وجه زهدهم فيه انهم حسدوه
وارادوا ابعاده عنهم ولم يكن قصدهم تحصيل الثمن وان قلنا ان الضمير في شروه وكانوا فيه
من الزاهدين يرجع الى معنى واحد وهو ان الذين شروه كانوا فيه من الزاهدين وكان
وجه زهدهم فيه اظهار قلة الرغبة فيه ليشتروه بثمن بخس قليل ويحتمل ان يقال
ان اخوته لما قالوا انه عبدنا وقد ابق ظهر للمشتري قلة الرغبة فيه لهذا السبب
قال اصحاب الاخبار ثم ان مالك بن دعر واصحابه لما اشتروا يوسف انطلقوا به
الى مصر وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لا يابق منكم فذهبوا به حتى قدموا
مصر فعرضه مالك على البيع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وكان قطفير صاحب
امر الملك وكان على خزائن مصر وكان يسمى العزيز وكان الملك بمصر ونواحيها
اسمه ريان بن الوليد بن نزوان وكان من العماليق وقيل ان هذا الملك لم يمت
حتى امن بيوسف واتبعه على دينه ثم مات ويوسف عليه الصلاة والسلام حي قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنه لما دخلوا مصر لقي قطفير مالك بن دعر فاشترى
يوسف منه بعشرين دينارا وزوج نعل وثوبين ابيضين وقال وهب بن منبه
قدمت السيارة بيوسف مصر وادخلوه السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس
في ثمنه حتى بلغ وزنه ذهبا ووزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه اربعمائة
رطل وكان عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة او سبع عشرة سنة وابتاعه قطفير
بهذا الثمن فذلك قوله تعالى **وقال الذي اشتراه من مصر** يعني قطفير من اهل مصر
لامراته وكان اسمها راعيل وقيل زليخا **اكرمي مثواه** يعني اكرمي منزله ومقامه
عندك والمثوى موضع الاقامة وقيل اكرميه في المطعم والملبس والمقام **عسى ان
ينفعنا** يعني اذا اردنا بيعه بعناه بربح او يكفينا بعض امورنا ونعض مصالحنا اذا قوي
وبلغ **او نتخذه ولدا** اي نتبناه وكان حصورا ليس له ولد قال ابن مسعود افرس
الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لامراته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه
ولدا وابنة شعيب في موسى حيث قالت لابيها استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين
وابو بكر في عمر حيث استخلفه بعده **وكذلك مكنا ليوسف في الارض** يعني كما انعمنا
على يوسف من ان انقذناه من القتل واخرجناه من الجب كذلك مكناه في الارض يعني
ارض مصر فجعلناه على خزائنها **ولنعلمه من تاويل الاحاديث** اي مكنا له في الارض لكي
نعلمه من تاويل الاحاديث يعني عبارة الرؤيا وتفسيرها **والله غالب على امره**
قيل الكناية في امره راجعة الى الله وقيل معناه والله غالب على امره يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد لا دافع لامره ولا راد لقضائه لا يغلبه شي وقيل هي راجعة الى يوسف ومعناه
ان الله مستول على امر يوسف بالتدبير والاحاطة لا يكله الى احد سواه حتى يبلغ منتهى ما
علمه فيه **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** يعني ما هو صانع بيوسف وما يريد منه
ولما بلغ اشده يعني منتهى شبابه وشدته وقوته قال مجاهد ثلاثة وثلاثين سنة وقال

الضحاك عشرون سنة وقال السدي ثلاثون سنة وقال الكلبي الاشد ما بين ثمانية عشر الى ثلاثين سنة وسئل مالك عن الاشد فقال هو الحلم **آتيناه حكما وعلما** يعني آتينا يوسف بعد بلوغ الاشد النبوة وفقها في الدين وقيل حكما يعني اصابة في القول وعلما بتأويل الرؤيا وقيل الفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذي يعلم الاشياء بحقائقها والحكيم هو الذي يعمل بما يوجبه العلم وقيل الحكمة حبس النفس عن هواها وصونها عما لا ينبغي والعلم هو العلم النظري **وكذلك** يعني وكما انعمنا على يوسف بهذه النعم كلها كذلك **نجزي المحسنين** قال ابن عباس يعني المؤمنين وعنه ايضا المهتدين وقال الضحاك يعني الصابرين على النوائب كما صبر يوسف عليه الصلاة والسلام **وراودته التي هو في بيتها عن نفسه** يعني ان امرأة العزيز طلبت من يوسف الفعل القبيح ودعته الى نفسها ليواقعها **وغلقت الابواب** اي اطبقتها وكانت سبعة لان مثل هذا الفعل لا يكون الا في ستر وخفية وانما غلقتها لشدة خوفها **وقالت هيت لك** اي هلم واقبل قال ابو عبيدة كان الكسائي يقول هي لغة لاهل حوران رفعت الى الحجاز معناها تعال وقال عكرمة ايضا بالحورانية هلم وقال مجاهد وغيره هي لغة عربية وهي كلمة حث واقبال على الشيء وقيل هي بالعبرانية واصلها هيتالج اي تعالى فعربت فقيل هيت لك قال انها بغير لغة العرب وافقت اهل هذه اللغة فتكلمت بها على لغات غيرهم كما وافقت لغة العرب الروم في القسطاس ولغة العرب الفرس في الفردوس وفي الغساق ولغة العرب الترك في الغساق ولغة العرب الحبشة في ناشئة الليل وبالجملة فان العرب اذا تكلمت بكلمة صارت لها لغة وقرئ هيت لك بكسر الهاء وفتح التاء ومعناها هيئت لك **قال** يعني يوسف **معاذ الله** اي اعوذ بالله واعتصم به والجأ اليه فيما دعوتني اليه **انه ربي** يعني ان العزيز قطفير سيدي **احسن مثواي** اكرم منزلي اي ربّاني فلا اخونه وقيل ان الهاء في انه راجعة الى الله تعالى يقول ان الله ربي احسن مثواي يعني آواني ومن بلاء الجب نجاني **انه لا يفلح الظالمون** يعني ان فعلت هذا فانا ظالم ولا يفلح الظالمون وقيل معناه انه لا يسعد الزناة قوله تعالى **ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه** الآية الكريمة مما يجب الاعتناء بها والبحث عنها والكلام عليها في مقامين الاول منها في ذكر اقوال المفسرين في هذه الآية قال المفسرون الهم هو المقاربة من الفعل من غير دخول فيه وقيل الهم مصدر هممت بالشيء اذا اردته وحدثتك نفسك به وقاربته من غير دخول فيه فمعنى قوله ولقد همت به اي ارادته وقصدته فكان همها عزمها على المعصية والزنا وقال الزمخشري هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال الشاعر وهو عمرو بن ضابئ البرجمي

هممت ولم افعل وكدت وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله

ولقد همت به معناه همت بمخالطته وهم بها وهم بمخالطتها لولا ان رأى برهان ربه جوابه محذوف تقديره لخالطها قال البغوي واما همه بها فروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه قال حل الهميان وجلس منها مجلس الخائن وقال مجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه وهذا قول اكثر المفسرين منهم سعيد بن جبير والحسن وقال الضحاك جرى الشيطان بينهما فضرب بيده الى جيد يوسف وبيده الاخرى الى جيد المرأة حتى جمع بينهما قال ابو عبيدة القاسم بن سلام وقد

انكر

وقد انكر قوم هذا القول قال البغوي والقول ما قاله متقدمو هذه الامة وهم كانوا اعلم بالله ان يقولوا في الانبياء من غير علم قال السدي وابن اسحاق لما ارادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت يا يوسف ما احسن شعرك قال هو اول ما ينتثر عن جسدي قالت ما احسن عينيك قال هي اول ما تسيل على خدي في قبري قالت ما احسن وجهك قال هو للتراب ياكله وقيل انها قالت له ان فراش الحرير مبسوط فقم فاقض حاجتي قال اذا يذهب نصيبي من الجنة فلم تزل تطمعه وتدعوه الى اللذة وهو شاب يجد من شبق الشباب ما يجده الرجل وهي امرأة حسناء جميلة حتى لان لها مما يرى من كلفها به فهم بها ثم ان الله تعالى تدارك عبده يوسف بالبرهان الذي ذكره وسياتي الكلام على تفسير البرهان الذي رآه يوسف عليه الصلاة والسلام فهذا ما قاله المفسرون في هذه الآية اما المقام الثاني في تنزيه يوسف عليه الصلاة والسلام عن هذه الرذيلة وبيان عصمته من هذه الخطيئة التي تنسب اليه قال بعض المحققين الهم همان هم ثابت وهو ما كان معه عزم وقصد وعقيدة رضا مثل هم امرأة العزيز فالعبد ماخوذ به وهم عارض وهو الخطرة في القلب وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم يوسف فالعبد غير ماخوذ به ما لم يتكلم او يعمل به ويدل على صحة هذا ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها عليه سيئة واحدة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرة لفظ مسلم والبخاري بمعناه ق عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يروي عن ربه عز وجل ان الله تبارك وتعالى كتب السيئات والحسنات ثم بين ذلك فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له حسنة كاملة فان هم بها وعملها كتبها الله عشر حسنات الى سبعمائة ضعف الى اضعاف كثيرة ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عليه سيئة واحدة زاد في رواية ومحاها ولن يهلك على الله الا هالك قال القاضي عياض في كتاب الشفا معنى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة وذكر الحديث المتقدم فلا معصية في هم يوسف اذا واما على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس كان سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه هذا هو الحق فيكون ان شاء الله تعالى هم يوسف عليه الصلاة والسلام من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الآية اي ما ابرئها من هذا الهم او يكون ذلك على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل وبرئ وكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابي عبيدة ان يوسف عليه الصلاة والسلام لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتاخير ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها وقال تعالى حاكيا عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقال تعالى حاكيا كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله الآية وقيل في قوله وهم بها اي نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة زليخا حتى نباه الله تعالى فالقى عليه

بيته النبوة تشغلت مبيته كل من راه عن حسنه هذا اخر كلام القاضي عياض رحمه الله تعالى واما الامام فخر الدين الرازي فذكر في هذا المقام كلاما طويلا مبسوطا وانما اذكر بعضه ملخصا قال قال الامام فخر الدين ان يوسف عليه الصلاة والسلام كان بريا من العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المفسرين من المحققين والمتكلمين وبه نقول وعنه نذب فان الدلايل قد دلت على عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام متى صدرت منهم زلة او هفوة استعظموها واتبعوها باظهار الندامة والتوبة والاستغفار كما ذكر عن ادم عليه السلام في قوله ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقال في حق داود عليه الصلاة والسلام فاستغفر ربه وخر راكعا واناب ولكن ابو يوسف عليه الصلاة والسلام لم يحك عنه شيا من ذلك في هذه الواقعة لانه لو صدر منه شي لاتبعه بالتوبة والاستغفار ولو اتى بالتوبة لحكى الله عنه ذلك في كتابه العزيز كما ذكر عن غيره من الانبيا وحيث لم يحك شيا علمنا براته مما قيل فيه ولم يصدر عنه شي مما نقله اصحاب الاخبار ويدل على ذلك ايضا ان كل من كان له تعلق بهذه الواقعة فقد شهد ببراة يوسف عليه الصلاة والسلام مما نسب اليه واعلم ان الذين لهم تعلق بهذه الواقعة يوسف والمراة وزوجها والنسوة اللاتي قطعن ايديهن والشهود الذي شهد والعلي القميص والله تعالى شهد براته من الذنب ايضا اما بيان ان يوسف ادعى براته مما نسب اليه فقوله هي راودتني عن نفسي وقوله رب السجن احب الي مما يدعونني اليه واما بيان ان المراة اعترفت على نفسها واعترفت ببراة يوسف ونزاهته بقولها انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فاستعصم وقولها الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين واما بيان ان زوج المراة اعترف ايضا ببراة يوسف عليه الصلاة والسلام بقوله انه من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك انك كنت من الخاطئين واما شهادة الشاهد ببراته فقوله وشهد شاهد من اهلها الاية واما شهادة الله له بذلك فقوله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشا انه من عبادنا المخلصين ومن كان كذلك فليس للشيطان عليه سلطان بدليل قوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فبطل بهذا قول من قال ان الشيطان جرى بينهما حتى اخذ بجيده وجيد المراة حتى جمع بينهما فهو قول منكر لا يجوز لاحد ان يقول ذلك واما ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه جلس منها مجلس الخاتن فحاشا ابن عباس ان يقول مثل هذا عن يوسف عليه الصلاة والسلام ولعل بعض القصاص واصحاب الاخبار وضعوه على ابن عباس وكذا ما روي عن مجاهد وغيره ايضا انه لا يكاد يصح بسند صحيح فبطل ذلك كله وثبت ما بيناه من براة يوسف عليه الصلاة والسلام من هذه الرذيلة والله اعلم بمراده واسرار كتابه وما صدر من انبيايه عليهم الصلاة والسلام انتهى **فان قلت** فعلى هذا التقدير لا يبقى لقوله عز وجل لولا ان راى برهان ربه فايدة **قلت** فيه اعظم الفوايد وبيانه من وجهين احدهما انه تعالى اعلم يوسف عليه السلام انه لو هم بدفعها لقتلته فاعلمه بالبرهان

الي ان الامتناع من ضربها اولى من صونها للنفس عن الهلاك الوجه الثاني انه عليه الصلاة والسلام لو اشتغل بدفعها عن نفسه لتعلقت به فكان في ذلك ان تتمزق ثوبه من قدام وكان يوسف هو الخاين واذا تمزق من خلف كانت هي الخاينة فاعلمه بالبرهان هذا المعنى فلم يشتغل بدفعها عن نفسه بل ولى هاربا فاثبت بذلك الشاهد حجة له لا عليه واما تفسير البرهان على ما ذكره المفسرون في قوله تعالى لولا ان راى برهان ربه فقال قتادة واكثر المفسرين ان يوسف راى صورة يعقوب عليه الصلاة والسلام وهو يقول له يا يوسف اتعمل عمل السفها وانت مكتوب في الانبيا وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فراى يعقوب عاضا على اصبعه وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من اناملة وقال السدي نودي يا يوسف اتواقعها انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السما لا يطاق عليه وان مثلك ان واقعتها مثله اذا وقع على الارض لا يستطيع ان يدفع عن نفسه شيا ومثل ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ومثلك اذا واقعتها كمثله اذا مات ودخل النمل في قرنه لا يستطيع ان يدفع عن نفسه وقيل انه راى معصما بلا عضد عليه مكتوب وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فولى هاربا ثم رجع الى المعصم فعاد وعليه مكتوب ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وسا سبيلا ثم ولى هاربا وعاد فراى ذلك الكف وعليه مكتوب واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الاية ثم عاد فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام ادرك عبدي يوسف قبل ان يصيب الخطية فانحط جبريل عاضا على اصبعه يقول يا يوسف اتعمل عمل السفها وانت مكتوب عند الله في الانبيا وقيل انه مسه بجناحه فخرجت شهوته من انامله قال محمد بن كعب هو القرظي رفع يوسف عليه الصلاة والسلام راسه الى سقف البيت فراى كتابا في حايط البيت ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وسا سبيلا وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنه انه راى مثال ذلك الملك وعن علي بن الحسين قال كان في البيت صنم فقامت المراة اليه وسترته بثوب فقال لها يوسف عليه الصلاة والسلام لم فعلت هذا قالت استحييت منه ان يراني على معصية فقال لها يوسف استحيين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يغني شيا فانا احق من ان استحي من ربي وهرب فذلك قوله لولا ان راى برهان ربه اما المحققون فقد فسروا البرهان بوجوه الاول قال جعفر بن محمد الصادق البرهان هو النبوة التي جعلها الله في قلبه حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل الثاني ان البرهان حجة الله تعالى على العبد تحريم الزنا والعلم بما على الزاني من العقاب الثالث ان الله عز وجل طهر نفوس الانبيا عليهم الصلاة والسلام من الاخلاق الذميمة والافعال الرذيلة وجبلهم على الاخلاق الشريفة الطاهرة المقدسة فتلك الاخلاق الشريفة الطاهرة تحجزهم عن فعل كذلك اي كما اريناه البرهان كذلك لنصرف عنه السوء يعني الاثم والفحشا يعني الزنا وقيل المراد بالسوء مقدمات الفحشا وقيل السوء الفساد والقبيح فصرف الله عنه ذلك كله وجعله من عباده

المخلصين وهو قوله إنه أي يوسف من عبادنا المخلصين قرئ بفتح اللام وقيل
معناه أنه من عبادنا الذين اصطفيناهم بالنبوة واخترناهم على غيرهم وقرئ
بكسر اللام ومعناه أنه من عبادنا الذين أخلصوا الطاعة لله عز وجل واستبقا
الباب وذلك أن يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى البرهان قام هاربا
مبادرا إلى الباب حتى ليخرج والمسابقة طلب السبق فسبق يوسف وأدركته
المرأة فتعلقت بقميصه من خلفه وجذبته إليها حتى لا يخرج فذلك قوله
عز وجل وقدت قميصه من دبر يعني فشقته من خلفه فغلبها يوسف وخرج
خلفه وألفيا سيدها لدى الباب يعني فلما خرجا وجدا زوج المرأة قطفير
وهو العزيز عند الباب جالسا مع ابن عم المرأة فلما رأته المرأة هابته وخافت
التهمة فسابقت يوسف عليه السلام بالقول قالت يعني لزوجها ما جزاء
من أراد بأهلك سوءا يعني الفاحشة ثم خافت أن يقتله وذلك لشدة حبها
له فقالت إلا أن يسجن أي يحبس في السجن ويمنع التصرف أو عذاب أليم يعني
الضرب بالسياط وإنما بدأت هنا بذكر السجن على العذاب لأن المحب لا يشتهي
إيلام المحبوب وإنما أرادت أن يسجن عندها يوما أو يومين ولم ترد السجن الطويل
وهذه لطيفة فافهمها فلما سمع يوسف مقالتها أراد أن يبرئ نفسه عن تهمته
قال يعني يوسف عليه الصلاة والسلام هي راودتني عن نفسي يعني طلبت
مني الفحشاء فأبيت وفررت وذلك أن يوسف عليه السلام ما كان يريد أن
يذكر هذا القول ولا يهتك سترها ولكن لما قالت هي ما قالت ولطخت عرضها
احتاج إلى إزالة هذه التهمة عن نفسه فقال هي راودتني وشهد شاهد
من أهلها يعني وحكم حاكم من أهل المرأة واختلفوا في ذلك الشاهد فقال سعيد
ابن جبير والضحاك كان صبيا في المهد فأنطقه الله عز وجل وهو رواية عن
ابن عباس وروي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربع
وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم
ذكره البغوي بغير سند والذي جاء في الصحيحين ثلاثة عيسى بن مريم
وصاحب جريج وابن المرأة وقصتهم مخرجة في الصحيح وقيل كان هذا الصبي
شاهد يوسف ابن خال المرأة وقال الحسن وقتادة وعكرمة ومجاهد لم
يكن صبيا ولكنه كان رجلا حكيما ذا رأي قال السدي هو ابن عم المرأة يحكم
فقال إن كان قميصه قد من قبل أي من قدام فصدقت وهو من الكاذبين
وإن كان قميصه قد من دبر أي من ورا فكذبت وهو من الصادقين وإنما
كان هذا الشاهد من أهل المرأة ليكون أقوى في نفي التهمة عن يوسف عليه
الصلاة والسلام مع ما وجد من كثرة العلامات الدالة على صدق يوسف
عليه السلام وفي نفي التهمة عنه منها أنه كان في الظاهر مملوك هذه الحرة أي المرأة
والمملوك لا ينبسط إلى السيدة ومنها أنهم شاهدوا يوسف يعدو ليخرج هاربا
منها والطالب لا يهرب ومنها أنهم رأوا المرأة قد تزينت بأكمل الوجوه فكان إلحاق
التهمة بها أولى ومنها أنهم عرفوا يوسف في المدة الطويلة فلم يروا عليه حالة
تناسب إقدامه على مثل هذه الحالة فكان مجموع هذه العلامات دالة على
صدقه مع شهادة الشاهد له بصدقه أيضا فلما رأى قميصه قد من دبر

يعني فلما رأى أي قطفير زوج المرأة قميص يوسف قد شق من خلفه عرف خيانة امرأته
وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام قال يعني قال لها زوجها قطفير إنه يعني هذا الصنيع
من كيدكن يعني من حيلكن ومكركن إن كيدكن عظيم فإن قلت كيف وصف
كيد النساء بالعظم مع قوله تعالى وخلق الإنسان ضعيفا وهلا كان مكر الرجال أعظم من
مكر النساء قلت أما كون الإنسان خلق ضعيفا فهو بالنسبة إلى خلق ما هو
أعظم منه كخلق الملائكة والسموات والأرض والجبال ونحو ذلك وأما عظم كيد النساء
ومكرهن في هذا الباب أعظم من كيد جميع البشر لأن لهن من المكر والحيل والكيد في إتمام
مرادهن ما لا يقدر عليه الرجال في هذا الباب وقيل إن قوله من كيدكن إن كيدكن عظيم
من قول الشاهد وذلك أنه لما تبين عنده خيانة المرأة وبراءة يوسف عليه الصلاة والسلام قال
هذه المقالة يوسف يعني يا يوسف أعرض عن هذا يعني أعرض عن هذا الحديث فلا تذكره لأحد
حتى لا يفشو ويشيع وينتشر بين الناس وقيل معناه يا يوسف لا تكترث بهذا الأمر ولا
تهتم به فقد بان عذرك وبراءتك ثم التفت إلى المرأة وقال لها واستغفري لذنبك أي
توبي إلى الله تعالى مما رميتي به يوسف من الخطيئة وهو بريء منها وقيل إن هذا قول الشاهد
يقول للمرأة سلي زوجك أن يصفح عنك ولا يعاقبك بسبب ذنبك إنك كنت من الخاطئين
يعني من المذنبين حين خنت زوجك ورميت يوسف بالتهمة وهو بريء وإنما قال من
الخاطئين ولم يقل من الخاطئات تغليبا لجنس الرجال على النساء وقيل إنه لم يقصد به الخبر
عن النساء بل قصد الخبر عمن يفعل هذا الفعل تقديره إنك كنت من القوم الخاطئين فهو كقوله
وكانت من القانتين قوله تعالى وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها
عن نفسه يعني وقال جماعة من النساء وكن خمسا وقيل هن أربع وذلك لما شاع خبر يوسف
والمرأة في مدينة مصر وقيل هي مدينة عين شمس وتحدثت النساء فيما بينهن بذلك وهن
امرأة صاحب الملك وامرأة صاحب دوابه وامرأة خبازه وامرأة ساقيه وامرأة صاحب سجنه وقيل
نسوة من أشراف مصر امرأة العزيز يعني زليخا تراود فتاها عن نفسه بأنها تطلب منه الفاحشة
وهو يمتنع منها والفتى الشاب الحدث قد شغفها حبا يعني قد علقها حبا والشغاف
جلدة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب والمعنى أن حبه دخل الجلدة حتى أصاب
القلب وقيل إن حبه قد أحاط بقلبها كإحاطة الشغاف بالقلب قال الكلبي حجب حبه
قلبها حتى لا تعقل شيئا سواه إنا لنراها في ضلال مبين يعني في خطأ بين ظاهر
حيث تركت ما يجب على أمثالها من العفاف والستر وأحبت فتاها فلما سمعت بمكرهن
يعني زليخا بقولهن وإنما تحدثن بها وإنما سمي قولهن ذلك مكرا لأنهن طلبن بذلك
رؤية يوسف عليه الصلاة والسلام وكان وصف لهن حسنه وجماله فقصدن أن
يرينه وقيل إن امرأة العزيز أفشت إليهن سرها واستكتمتهن فأفشين ذلك عليها
فلذلك سماه مكرا أرسلت إليهن يعني أنها لما سمعت بأنهن يلمنها على محبتها ليوسف
عليه الصلاة والسلام أرادت أن تقيم عذرها عند من كان ذمها اتخذت مائدة
يعني صنعت لهن وليمة وضيافة ودعت أربعين امرأة من أشراف مدينتها فيهن هؤلاء
اللاتي عيرنها وأعتدت لهن متكأ يعني ووضعت لهن نمارق ووسائد يتكئن عليها
وقال ابن عباس وابن جبير والحسن وقتادة ومجاهد متكأ يعني طعاما وإنما سمي
الطعام متكأ لأن كل من دعوته ليطعم عندك فقد أعددت له وسائد يجلس ويتكئ عليها
فسمي الطعام متكأ على الاستعارة ويقال اتكأنا عند فلان أي طعمنا عنده والمتكأ ما يتكأ

عليه عند الطعام والشراب والحديث ولذلك جاء النهي عنه في الحديث وهو قوله صلى الله عليه
وسلم لا آكل متكئا وقيل المتكأ الأترج وقيل هو كل شيء يقطع بالسكين ونحوها يقال ان المرأة
زينت البيت بالوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسائد ودعت النساء اللاتي عيرنها
بحب يوسف عليه السلام **وآتت كل واحدة منهن سكينا** يعني واعطت كل واحدة من
النساء سكينا لتاكل بها وكانت من عادتهن ان يأكلن اللحم والفواكه بالسكين **وقالت
اخرج عليهن** يعني زليخا ليوسف اخرج على النسوة وكان يوسف في مكان آخر فخرج عليهن
يوسف قد زينته واخبأته في مكان آخر **فلما رأينه** يعني النسوة **أكبرنه** يعني اعظمنه
ودهشن عند رؤيته وقد كان يوسف عليه الصلاة والسلام قد اعطي شطر الحسن
وقال عكرمة كان فضل يوسف عليه السلام على الناس في الحسن كفضل القمر ليلة البدر
على سائر النجوم وروى ابو سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة اسري بي الى السماء رأيت يوسف كالقمر ليلة البدر ذكره البغوي بغير
سند وقال اسحاق بن فروة كان يوسف اذا سار في ازقة مصر تلألأ وجهه على الجدران
ويقال انه ورث حسن آدم يوم خلقه الله عز وجل قبل ان يخرج من الجنة وقال ابو العالية
هالهن امره وبهتن اليه وفي رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال اكبرنه اي حضن
ونحوه عن مجاهد والضحاك قال حضن من الفرج والنكر اكثر اهل اللغة هذا القول قال
الزجاج هذه اللفظة ليست معروفة في اللغة والها فيها كناية تمنع من هذا لانه
لا يجوز ان يقال النساء قد حضنه لان حضن لا يتعدى الى مفعول قال الازهري ان صحت
هذه اللفظة في اللغة فلها مخرج وذلك ان المرأة اذا حاضت اول ما تحيض فقد خرجت
من الصغار الى حد الكبار ويقال لها اكبرت اي حاضت على هذا قال الازهري فان
صحت الرواية عن ابن عباس سلم له وجعلنا الهاء في قوله اكبرنه هاء الوقف لا هاء الكناية
وقيل ان المرأة اذا خافت او فزعت ربما اسقطت ولدها وتحيض فان كان ثم حيض فربما
كان من فزعهن وما هالهن من امر يوسف عليه الصلاة والسلام حين رأينه قال
الامام فخر الدين الرازي وعندي انه يحتمل وجها آخر وهو انهن انما اكبرنه لانهن رأين
عليه نور النبوة وسيما الرسالة وآثار الخضوع والاخبات وشاهدن منه مهابة
وهيبة ملكية وهي عدم الالتفات الى المطعوم والمنكوح وعدم الاعتداد بهن وكان
الجمال العظيم مقرونا بتلك الهيبة والهيبة فتعجبن من تلك الحالة فلا جرم اكبرنه
واعظمنه ووقع الرعب والمهابة في قلوبهن قال وحمل الآية على هذا الوجه اولى ثم
قوله تعالى **وقطعن ايديهن** يعني وجعلن يقطعن ايديهن بالسكاكين التي
معهن وهن يحسبن انهن يقطعن الاترج ولم يجدن الالم لدهشتهن وشغل
قلوبهن بيوسف عليه الصلاة والسلام قال مجاهد فما احسسن الا بالدم وقال
قتادة ابن ايديهن حتى القينها والاصح انه كان قطعا من غير ابانة وقال وهب ماتت
جماعة منهن **وقلن** يعني النسوة **حاش لله ما هذا بشرا** اي معاذ الله ان يكون هذا
بشرا **ان هذا الا ملك كريم** يعني على الله والمقصود من هذا اثبات الحسن العظيم
المفرط ليوسف عليه الصلاة والسلام لانه قد ذكر في النفوس انه لا احسن من الملك
فلذلك وصفنه بكونه ملكا وقيل لما كان الملك مطهرا من بواعث الشهوة وجميع الآفات
والحوادث التي تحصل للبشر وصفن يوسف بذلك قوله عز وجل **قالت فذلكن الذي لمتنني
فيه** يعني قالت امرأة العزيز للنسوة لما رأين يوسف ودهشن عند رؤيته فذلكن الذي

لمتنني

لمتنني في محبته وانما قالت ذلك لاقامة عذرها عندهن حين قلن ان امرأة العزيز قد شغفها
حبا فتاها الكنعاني حبا وانما قالت ذلك بعد تمام ما قام من المجلس وذهب قال صاحب
الكشاف قالت فذلكن ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته في الحسن واستحقاق
ان يحب ويفتتن به ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى تقول لهن عشقت عبدنا الكنعاني
تقولون هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في انفسكن ثم لمتنني فيه ثم ان امرأة العزيز
صرحت بما فعلت فقالت **ولقد راودته عن نفسه فاستعصم** يعني فامتنع من ذلك الفعل
الذي طلبته منه وانما صرحت بذلك لانها علمت انه لا ملامة عليها منهن وانهن قد اصابهن
ما اصابها عند رؤيته ثم ان امرأة العزيز قالت **ولئن لم يفعل ما آمره** يعني وان لم يطاوعني
فيما دعوته اليه **ليسجنن** اي ليعاقبن بالحبس والسجن **وليكونا من الصاغرين** يعني
من الاذلاء المهانين فقال النسوة ليوسف اطع مولاتك فيما دعتك اليه فاختار
يوسف عليه الصلاة والسلام السجن على المعصية حين توعدته المرأة بذلك **قال رب**
اي يا رب **السجن احب الي مما يدعونني اليه** قيل ان الدعاء كان منها خاصة وانما اضافه
اليهن جميعا خروجا من التصريح الى التعريض وقيل انهن جميعا دعونه الى انفسهن وقيل
انهن لما قلن له اطع مولاتك صح اضافة الدعاء اليهن جميعا قال بعضهم لو لم يقل السجن
احب الي لم يبتل بالسجن والاولى بالعبد ان يسأل الله تعالى العافية **والا تصرف
عني كيدهن** يعني ما اردن مني **اصب اليهن** اي اميل اليهن يقال صبا فلان الى كذا
اذا مال اليه واشتاق قه **وأكن من الجاهلين** يعني من المذنبين وقيل معناه ممن
يستحق الذم بالجهل وفيه دليل على ان من ارتكب ذنبا انما يرتكبه عن جهالة **فاستجاب له
ربه** يعني فاجاب الله دعاء يوسف **فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم** يعني لدعاء
يوسف عليه السلام وغيره العليم بحال يوسف الآية دليل على ان يوسف عليه الصلاة
والسلام لما اطلعته البلية ملكيها النساء ومطالبتهن اياه بما لا يليق بحاله لجأ الى الله
تعالى وفزع الى الدعاء رغبة الى الله ليكشف ما نزل به من ذلك الامر ح الاعتراف بانه
ان لم يصرفه عن المعصية وقع فيها فدل ذلك ان لا يقدر احد على الانصراف عن المعصية الا
بعصمة الله تعالى ولطفه به وقوله عز وجل **ثم بدا لهم** يعني العزيز واصحابه في الرأي
وذلك انهم لما ارادوا ان يقتصروا على الامر بالاعراض والكتمان
قالت لزوجها ان ذلك العبد العبراني قد فضحني عند الناس يخبرهم باني قد راودته
عن نفسه فاما ان تأذن لي فاخرج فاعتذر الى الناس واما ان تحبسه فرأى حبسه
من بعد ما رأوا الآيات يعني الدالة على براءة يوسف عليه الصلاة والسلام وبراءته
من قد القميص وكلام الطفل وقطع النساء ايديهن وذهاب عقولهن عند رؤيتهن
ليسجننه اي ليحبسنه في السجن **حتى حين** يعني الى مدة يرون فيها رأيهم قد قال عطا
الى ان تنقطع مقالة الناس قال عكرمة الى سبع سنين وقال الكلبي خمس سنين
فحبسته قال السدي جعل الله ذلك الحبس تطهيرا ليوسف عليه الصلاة والسلام من
همه بالمرأة **ودخل معه السجن فتيان** وهما غلامان كانا للوليد بن الريان ملك مصر الاكبر
احدهما خبازه وصاحب طعامه والآخر ساقيه وصاحب شرابه وكان قد غضب عليهما
الملك فحبسهما وكان السبب في ذلك ان جماعة من اشراف مصر ارادوا المكر بالملك واغتياله
فضمنوا لهذين الغلامين مالا على ان يسما الملك في طعامه وشرابه فاجابا الى ذلك ثم
ان الساقي ندم ورجع عن ذلك وقبل الخباز الرشوة وسم الطعام فلما حضر الطعام بين يدي

الملك قال الساقي لا تاكل ايها الملك فان الطعام مسموم فقال الخباز ولا تشرب فان الشراب مسموم فقال الساقي اشرب فشربه فلم يضره وقال الخباز كل طعامك فابى فاطعم من ذلك الطعام للدابة فهلكت فامر الملك بحبسهما فحبسهما مع يوسف عليه الصلاة والسلام وكان يوسف لما دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول اني اعبر الاحلام فقال احد الغلامين لصاحبه هلم فلنجرب هذا الغلام العبراني فتراءيا له فسالاه من غير ان يكونا قد رايا شيئا قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ما رايا شيئا انما تحالما ليجربا يوسف عليه الصلاة والسلام وقال قوم بل كانا قد رايا رؤيا حقيقية فرآهما يوسف عليه الصلاة والسلام وهما مهمومان فسالهما عن شانهما فذكرا انهما غلامان للملك وانه حبسهما ورايا رؤيا قد غمتهما فقال يوسف عليه الصلاة والسلام قصا علي ما رايتما فقصا عليه وذلك قوله تعالى فقال احدهما وهو صاحب شراب الملك **اني اراني اعصر خمرا** يعني عنبا سمي العنب خمرا باسم ما يؤول اليه يقال فلان يطبخ الآجر حتى يصير آجرا وقيل الخمر العنب بلغة عمان وذلك انه قال اني رايت في المنام كاني في بستان على قلة جبل واذا حبلة ... ثلاث عناقيد عنب فجنيتها وكان كاس الملك في يدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشرب **وقال الآخر** وهو صاحب طعام الملك **اني اراني احمل فوق راسي خبزا تاكل الطير منه** وذلك انه قال اني رايت في المنام كان فوق راسي ثلاث سلال فيها الخبز وانواع الاطعمة وسباع الطير تنهش منها **نبئنا بتاويله** اي اخبرنا بتفسير ما راينا وما يؤول اليه امر هذه الرؤيا **انا نراك من المحسنين** يعني من العالمين بعبارة الرؤيا قال والاحسان هنا بمعنى العلم وسئل الضحاك رضي الله تعالى عنه ما قد كان احسانه فقال كان اذا مرض انسان في السجن عاده وقام عليه واذا ضاق على احد وسع عليه واذا احتاج احد جمع له شيئا وكان مع هذا يجتهد في العبادة يصوم النهار ويقوم الليل كله للصلاة وقيل انه لما دخل السجن وجد فيه قوما اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يسليهم يقول اصبروا وابشروا فقالوا يا فتى بارك الله عليك يا فتى ما احسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحاق بن خليل الله ابراهيم عليهم الصلاة والسلام فقال له صاحب السجن يا فتى والله لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سارفق بك واحسن جوارك اختر اي بيوت السجن شئت وقيل ان الفتيين لما رايا يوسف عليه الصلاة والسلام قالا انا قد احببناك منذ رايناك فقال لهما يوسف عليه الصلاة والسلام انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله ما احبني احد قط الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي من ذلك بلاء عظيم واحبني ابي فالقيت في الجب واحبتني امراة العزيز فحبست فلما قصا عليه رؤياهما كره ان يعبرها لهما حين سالاه لما علم في ذلك من المكروه لاحدهما فاعرض عن سؤالهما واخذ في غيره من اظهار المعجزة والدعاء الى التوحيد وقيل انه عليه الصلاة والسلام اراد ان يبين لهما ان درجته في العلم اعلى واعظم مما اعتقدا فيه وذلك لانهما طلبا منه علم التعبير ولا شك ان هذا العلم مبني على الظن والتخمين فاراد ان يعلمهما انه يمكنه الاخبار عن المغيبات على سبيل القطع واليقين وذلك مما يعجز الخلق عنه واذا قدر على الاخبار عن الغيوب كان اقدر على تعبير الرؤيا بطريق الاولى وقيل انما عدل عن تعبير رؤياهما الى اظهار المعجزة لانه علم ان احدهما سيصلب فاراد ان يدخله في الاسلام ويخلصه من الكفر

ودخول

ودخول النار فاظهر المعجزة لهذا السبب قال **لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان ياتيكما** اراد به في النوم يقول لا ياتيكما طعام ترزقانه في نومكما الا اخبرتكما خبره في اليقظة وقيل اراد به في اليقظة يقول لا ياتيكما طعام من منازلكما ترزقانه تطعمانه وتاكلانه الا نبأتكما بتاويله يعني بقدره ولونه والوقت الذي يصل اليكما فيه قبل ان يصل اليكما واي طعام اكلتم وكم اكلتم ومتى اكلتم وهذه معجزة مثل معجزة عيسى عليه الصلاة والسلام حيث قال وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم فقالا ليوسف عليه الصلاة والسلام هذا من علم العرافين والكهنة فمن اين لك هذا العلم فقال ما انا بكاهن ولا عراف وانما ذلك اشارة الى المعجزة والعلم الذي اخبرتهما به **ذلكما مما علمني ربي** يعني ان هذا العلم الذي اخبرتكما به وحي من الله تعالى اوحاه الي وعلم علمنيه **اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله** فان قلت ظاهر قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله انه عليه الصلاة والسلام كان داخلا في هذه الملة ثم تركها وليس الامر كذلك لان الانبياء عليهم الصلاة والسلام من حين ولدوا وظهروا الى الوجود هم على التوحيد فما معنى هذا الترك في قوله اني تركت قلت الجواب من وجهين الاول ان الترك عبارة عن عدم التعرض للشيء ولا الالتفات اليه بالمرة وليس من شرطه ان يكون قد كان داخلا فيه ثم تركه ورجع عنه الوجه الثاني وهو الاقرب ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما ان كان عند العزيز وهو كافر ورجع من عنده كذلك وقد كان بينهم يوسف عليه الصلاة والسلام على التوحيد بالايمان الصحيح صح قوله اني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله **وهم بالآخرة هم كافرون** فترك ملتهم واعرض عنهم ولم يوافقهم على ما كانوا عليه وتكرير لفظ هم في قوله وهم بالآخرة هم كافرون للتوكيد لشدة انكارهم للمعاد وقوله **واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق ويعقوب** لما ادعى يوسف عليه الصلاة والسلام النبوة واظهار المعجزة اظهر انه من اهل بيت النبوة وان آباءه كلهم انبياء وقيل لما كان ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام مشهورين بالنبوة والرسالة ولهم الدرجة العليا في الدنيا والمنزلة الرفيعة عند الخلق اظهر يوسف عليه الصلاة والسلام انه من اولادهم وانه من اهل بيت النبوة ليستمعوا قوله ويطيعوا امره فيما يدعوهم اليه من التوحيد **ما كان لنا ان نشرك بالله من شيء** معناه ان الله تعالى لما لما اختارنا للنبوة واصطفانا لرسالته وعصمنا من الشرك فما كان ينبغي لنا ان نشرك به مع جميع هذه الاختصاصات التي اختصنا بها قال الواحدي رضي الله عنه لفظة من في قوله من شيء زائدة مؤكدة كقولك ما جاءني من احد وقال صاحب الكشاف ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر **ذلك من فضل الله** يعني ذلك التوحيد وعدم الاشراك والعلم الذي رزقنا من فضل الله **علينا وعلى الناس** يعني بما نصب لهم من الادلة الدالة على وحدانيته وبين لهم طريق الهداية اليه وكل ذلك من فضل الله تعالى عليه وعلى عباده **ولكن اكثر الناس لا يشكرون** يعني ان اكثرهم لا يشكرون الله على هذه النعم التي انعم بها عليهم لانهم تركوا عبادته وعبدوا غيره ثم دعاهم الى الاسلام فقال **يا صاحبي السجن** يريد يا صاحبي في السجن واضافهما الى السجن كما تقول يا سارق الليلة لان الليلة مسروق فيها غير مسروقة ويجوز ان يريد يا ساكني السجن كقوله اصحاب النار واصحاب الجنة **ءارباب متفرقون** اي اشتى من ذهب وفضة

وصفر وحديد وخشب وحجارة وغير ذلك وصغير وكبير ومتوسط متباينون في الصفة وهي مع ذلك لا تضر ولا تنفع **خير أم الله الواحد القهار** يعني أعبادة الأصنام أعظم صفة في المدح واستحقاق الألهية والعبادة أم الله الواحد القهار قال الخطابي الواحد هو الفرد الذي لم يزل وحده وقيل هو المنقطع عن القرين والمعدوم الشريك والنظير وليس هو كسائر الآحاد من الأجسام المؤلفة لأن ذلك قد يكثر بانضمام بعضها إلى بعض والواحد ليس كذلك فهو الله الواحد الذي لا مثل له ولا يشبهه شيء في خلقه القهار قال الخطابي رضي الله تعالى عنه القهار هو الذي قهر الجبابرة من خلقه بالعقوبة وقهر الخلق كلهم بالموت وقال غيره القهار هو الذي قهر كل شيء فذل له واستسلم وانقاد وذل له والمعنى أن هذه الأصنام التي تعبد وهي ذليلة إذا أراد الإنسان كسرها فإنما يقدر عليه والله هو الواحد في ملكه القهار لعباده الذي لا يغلبه شيء وهو الغالب لكل شيء سبحانه وتعالى ثم بين عجز الأصنام وأنها لا شيء البتة فقال **ما تعبدون من دونه** يعني من دون الله تعالى وإنما قال تعبدون بلفظ الجمع وقد بدأ بالتثنية في المخاطبة لأنه أراد جميع من في السجن من المشركين **إلا أسماء سميتموها** يعني سميتموها آلهة وأربابا وهي حجارة جمادات خالية عن المعنى لا حقيقة لها **أنتم وآباؤكم** يعني من قبلكم سميتموها آلهة **ما أنزل الله بها من سلطان** يعني أن تسمية الأصنام آلهة لا حجة لكم ولا برهان ولا أمر الله تعالى بها وذلك أنهم كانوا يقولون إن الله تعالى أمرنا بهذه التسمية فرد الله تعالى عليهم بقوله ما أنزل الله بها من سلطان **إن الحكم إلا لله** يعني أن الحكم والقضاء والأمر والنهي لله تعالى لا شريك له في ذلك **أمر ألا تعبدوا إلا إياه** لأنه هو المستحق للعبادة لا هذه الأصنام التي سميتموها **ذلك الدين القيم** يعني عبادة الله تعالى هو الدين المستقيم **ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ذلك لما فرغ يوسف عليه الصلاة والسلام من الدعاء إلى الله تعالى وعبادته رجع إلى تعبير رؤياهما فقال **يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرا** يعني أن صاحب شراب الملك يرجع إلى منزلته ويسقي الملك خمرا كما كان يسقيه أولا والعناقيد الثلاثة هي الثلاثة أيام يبقى في السجن ثم يدعو به الملك ويرده إلى منزلته التي كان عليها **وأما الآخر فيصلب** يعني صاحب طعام الملك والسلال الثلاث ثلاثة أيام ثم يدعو به الملك فيصلبه **فتأكل الطير من رأسه** قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لما سمعا قول يوسف عليه الصلاة والسلام قالا ما رأينا شيئا إنما كنا نلعب قال يوسف عليه الصلاة والسلام **قضي الأمر الذي فيه تستفتيان** يعني فرغ من الأمر الذي سألتما عنه ووجب حكم الله تعالى عليكما بالذي أخبرتكما به رأيتما أو لم تريا شيئا **وقال** يعني يوسف عليه الصلاة والسلام **للذي ظن** يعني علم وتحقق والظن بمعنى العلم **أنه ناج منهما** يعني ساقي الملك **اذكرني عند ربك** يعني عند سيدك وهو الملك الأكبر فقل له إن في السجن غلاما محبوسا مظلوما طال حبسه **فأنساه الشيطان ذكر ربه** في هذه الكناية قولان أحدهما أنها ترجع إلى الساقي وهو قول عامة المفسرين والمعنى فأنسى الشيطان الساقي أن يذكر يوسف عليه الصلاة والسلام عند الملك قالوا لأن صرف وسوسة الشيطان إلى ذلك الرجل الساقي حتى أنساه ذكر يوسف عليه الصلاة والسلام أولى من صرفها إلى يوسف والقول الثاني وهو قول أكثر المفسرين أن هذه الكناية ترجع إلى يوسف عليه الصلاة والسلام والمعنى أن الشيطان أنسى يوسف عليه الصلاة والسلام ذكر ربه

عز وجل حتى ... الفرج من غيره واستعان بمخلوق مثله وتلك غفلة عرضت ليوسف عليه الصلاة والسلام فإن الاستعانة بمخلوق في دفع الضرر جائزة إلا أنه لما كان مقام يوسف عليه الصلاة والسلام أعلى المقامات ورتبته أشرف المراتب وهي منصب النبوة والرسالة لا جرم صار يوسف عليه الصلاة والسلام مؤاخذا بهذا القدر فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين فإن قلت كيف تمكن الشيطان من يوسف عليه الصلاة والسلام حتى أنساه ذكر ربه قلت بشغل الخاطر وإلقاء الوسوسة فإنه قد صح في الحديث أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فأما النسيان الذي هو عبارة عن ترك الذكر وإزالته عن القلب بالكلية فلا يقدر عليه وقوله تعالى **فلبث في السجن بضع سنين** اختلفوا في قدر البضع قال مجاهد رضي الله تعالى عنه هو ما بين الثلاث إلى التسع وقال قتادة هو ما بين الثلاث إلى التسع وقال ابن عباس رضي الله عنه هو ما دون العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع في هذه الآية سبع سنين وكان يوسف عليه الصلاة والسلام قد لبث قبلها في السجن خمس سنين فجملة ذلك اثنتا عشرة سنة وقال وهب أصاب أيوب عليه الصلاة والسلام البلاء سبع سنين وترك يوسف عليه الصلاة والسلام في السجن سبع سنين وقال مالك بن دينار لما قال يوسف عليه الصلاة والسلام للساقي اذكرني عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دوني وكيلا لأطيلن حبسك فبكى يوسف عليه الصلاة والسلام وقال يا رب أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة قال الحسن رضي الله تعالى عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله يوسف عليه الصلاة والسلام لولا كلمته التي قالها ما لبث في السجن ما لبث يعني قوله اذكرني عند ربك ثم بكى الحسن رضي الله تعالى عنه وقال نحن إذا نزل بنا أمر فزعنا إلى الناس ذكره الثعلبي مرسلا وبغير سند وقيل إن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه الصلاة والسلام في السجن فلما رآه يوسف عليه الصلاة والسلام عرفه فقال له يوسف يا أخا المنذرين ما لي أراك بين الخاطئين فقال له جبريل يا طاهر ابن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك أما استحييت مني إذ استغثت بالآدميين فوعزتي لألبثنك في السجن بضع سنين قال يوسف عليه الصلاة والسلام وهو في ذلك عني راض قال نعم قال إذا لا أبالي وقال كعب الأحبار رضي الله عنه قال جبريل ليوسف عليه الصلاة والسلام يقول الله عز وجل من خلقك قال الله قال فمن رزقك قال الله قال فمن حببك إلى أبيك قال الله قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استغثت بآدمي مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي رحمه الله تعالى وهذه السبع سوى الخمس سنين التي كانت قبل ذلك ... يوسف عليه الصلاة والسلام فأراد الله عز وجل إخراجه من السجن رأى ملك مصر الأكبر رؤيا عجيبة هالته وذلك أنه رأى في منامه سبع بقرات سمان قد خرجن من البحر ثم خرج عقبهن سبع بقرات عجاف في غاية الهزال فابتلع العجاف السمان ودخلن في بطونهن ولم ير منهن شيء ولم يتبين على العجاف منها شيء ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبع أخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى علون عليهن ولم يبق من خضرتها شيء فجمع السحرة والكهنة والمعبرين فقص عليهم رؤياه التي رآها فذلك قوله تعالى **وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي** يعني إن كنتم تحسنون يا أيها الأشراف

اخبروني بتأويل رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون يعني ان كنتم تعلمون علم العبارة
وعلم التأويل والتعبير مختص بتفسير الرؤيا ويسمى هذا العلم تعبيرا لان المعتبر
للرؤيا يعبر من ظاهرها الى باطنها ليستخرج معناها وهذا اخص من التأويل
لان التأويل يقال فيه وفي غيره قالوا يعني قال جماعة الملك الملا وهم السحرة
والكهنة والمعبرون مجيبون للملك اضغاث احلام يعني اخلاط مشتبهة واحدها
ضغث واصله الحزمة المختلطة من انواع الحشيش والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا
التي يراها الانسان في منامه وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين لما جعل الله تعالى
هذه الرؤيا سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن وذلك ان
الملك لما رآها قلق واضطرب وذلك لانه شاهد ان الناقص الضعيف قد استولى
على القوي الكامل حتى غلبه وقهره فاراد ان يعرف تأويل ذلك فجمع سحرته
وكهنته ثم معبريه واخبرهم بما رأى في منامه فسألهم عن تأويلها فعجز
الله تعالى بقدرته جماعة الكهنة والمعبرين عن تأويل هذه الرؤيا ومنعهم
من الجواب ليكون ذلك سببا لخلاص يوسف عليه الصلاة والسلام من السجن
فذلك قوله تعالى وقال الذي نجا منهما يعني وقال الساقي الذي نجا من
السجن والقتل بعد هلاك صاحبه الخباز وادكر بعد امة يعني انه تذكر
قول يوسف عليه الصلاة والسلام اذكرني عند ربك بعد امة يعني بعد حين
وهو سبع سنين سمي الحين من الزمان امة لانه جماعة الايام والامة الجماعة
انا انبئكم يعني انا اخبركم بتأويله وقوله انا انبئكم بلفظ الجمع اما انه اراد
به الملك مع جماعة السحرة والكهنة والمعبرين او الملك وحده وخاطبه بلفظ
الجمع على سبيل التعظيم وذلك ان الفتى الساقي قد جاثيا بين يدي الملك وقال
ان في السجن رجلا عالما يعبر الرؤيا فارسلون فيه اختصار تقديره فارسلني
ايها الملك فارسله فاتى السجن قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ولم يكن
في المدينة يوسف اي قال يا يوسف ايها الصديق انما سماه صديقا لانه
لم يجرب عليه كذبا قط والصديق الكثير الصدق والذي لم يكذب قط وقيل
سماه صديقا لانه صدق في تعبير رؤياه التي رآها في السجن افتنا في سبع
بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر يابسات
فان الملك رأى هذه الرؤيا لعلي ارجع الى الناس يعني ارجع بتأويل هذه الرؤيا
الى الملك وجماعته لعلهم يعلمون يعني بتأويل هذه الرؤيا وقيل لعلهم
يعلمون منزلتك في العلم قال يعني قال يوسف معبرا لتلك الرؤيا اما البقرات
السمان والسنبلات الخضر فسبع سنين مخاصيب واما البقرات
العجاف والسنبلات اليابسات فسبع سنين مجدبة فذلك قوله عز وجل تزرعون
وهذا خبر بمعنى الامر اي ازرعوا سبع سنين دابا يعني عادتكم في الزراعة والداب
العادة وقيل ازرعوا بجد واجتهاد فما حصدتم فذروه في سنبله اي امرهم
بترك ما حصدوه من الحنطة في سنبله لئلا يفسد ولا يقع فيه سوس وذلك ابقى
له على طول الزمان الا قليلا مما تأكلون يعني ادرسوا قليلا من الحنطة للاكل
بقدر الحاجة وامرهم بحفظ الاكثر لوقت الحاجة ايضا وهو وقت السنين المجدبة
وهو قوله ثم يأتي من بعد ذلك يعني من بعد السنين المخصبة سبع شداد

يعني

يعني سبع سنين مجدبة شديدة على الناس يأكلن ما قدمتم لهن
يعني يؤكل فيهن كل ما اعددتم وادخرتم لهن من الطعام وانما اضاف الاكل الى السنين
على سبيل التوسع في الكلام الا قليلا مما تحصنون يعني تحرزون وتدخرون للبذر
والاحصان الاحراز وهو ابقاء الشيء في الحصن بحيث يحفظ ولا يضيع ثم يأتي من بعد
ذلك يعني من بعد هذه السنين المجدبة عام فيه يغاث الناس اي يمطرون
من الغيث الذي هو المطر وقيل هو من قولهم استغثت بفلان فاغاثني من الغوث
وفيه يعصرون يعني يعصرون العنب خمرا والزيتون زيتا والسمسم دهنا اراد به
كثرة الخير والنعم على الناس وكثرة الخصب في الزرع والثمار وقيل يعصرون معناه
ينجون من الكرب قوله عز وجل وقال الملك ائتوني به وذلك ان الساقي لما رجع الى
الملك واخبره بفتيا يوسف عليه الصلاة والسلام وما عبر برؤياه استحسنه
الملك وعرف ان الذي قاله كائن لا محالة قال ائتوني به حتى ابصر هذا الذي قد
عبر رؤياي بهذه العبارة فرجع الساقي الى يوسف عليه الصلاة والسلام وقال له
اجب الملك قوله تعالى فلما جاءه الرسول فأبى ان يخرج معه حتى تظهر براءته
للملك ولا يراه بعين النقص قال يعني قال يوسف عليه الصلاة والسلام للرسول
ارجع الى ربك يعني الى سيدك وهو الملك فاسأله ما بال النسوة اللاتي
قطعن ايديهن ولم يصرح بذكر امرأة العزيز ادبا واحتراما لها عن ابي هريرة
رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لبثت في السجن طول
لبث يوسف لاجبت الداعي اخرجه الترمذي وزاد فيه ثم قرأ فلما جاءه الرسول قال
ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن هذا الحديث فيه بيان
فضل يوسف عليه الصلاة والسلام وبيان قوة صبره والمراد بالداعي رسول
الملك الذي جاءه من عنده فلم يخرج معه مسارعا الى الراحة ومفارقة ما هو فيه
من الضيق والسجن الطويل بل لبث في السجن وارسل الى الملك في كشف امره بالذي
سجن بسببه ليظهر براءته عند الملك وغيره فاثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عليه عليه الصلاة والسلام وبين فضيلته وحسن صبره على المحنة والبلاء
وقوله تعالى ان ربي بكيدهن عليم يعني ان الله تعالى عالم بصنيعهن
وما احتلن في هذه الواقعة من الحيل العظيمة فرجع الرسول من عند يوسف
عليه الصلاة والسلام الى الملك بهذه الرسالة فجمع الملك النسوة وامرأة العزيز
معهن وقال لهن ما خطبكن يعني ما شأنكن وامركن اذ راودتن يوسف
عن نفسه انما خاطب الملك جميع النسوة بهذا الخطاب والمراد به امرأة العزيز
وحدها ليكون استر لها وقيل ان امرأة العزيز راودته عن نفسه وحدها وسائر
النسوة امرنه بطاعتها فلذلك خاطبهن بهذا الخطاب قلن يعني النسوة جميعا
مجيبات للملك حاش لله يعني معاذ الله ما علمنا عليه من سوء يعني من خيانة في
شيء من الاشياء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق يعني ظهر وتبين وقيل
ان النسوة اقبلن على امرأة العزيز يقررنها وقيل خافت ان يشهدن عليها فاقرت
فقالت انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين يعني في قوله هي راودتني عن
نفسي واختلفوا في قوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب على قولين احدهما
انه من قول المرأة ووجه هذا القول ان هذا كلام متصل بما قبله وهو قول المرأة الآن

حتى حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين ثم قالت ذلك ليعلم اني لم اخنه
بالغيب والمعنى ذلك ليعلم يوسف اني لم اخنه في حال غيبته وهو في السجن ولم اكذب
عليه بل قلت انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين وان كنت قلت ما قلت فيه
في حضرته ثم بالغت في تاكيد هذا القول فقالت وان الله لا يهدي كيد الخائنين
يعني اني لما تقدمت على هذا الكيد والمكر لا جرم اني افتضحت لان الله تعالى لا يرشد
ولا يوفق كيد الخائنين القول الثاني انه من قول يوسف عليه الصلاة والسلام وهو قول
الاكثرين من المفسرين والعلماء ووجه هذا القول انه لا يبعد وصل كلام انسان بكلام
انسان آخر اذا دلت القرينة عليه فعلى هذا يكون معنى الآية انه لما بلغ يوسف عليه
الصلاة والسلام قول المرأة انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين قال يوسف عليه
الصلاة والسلام ذلك الذي فعلت من رد الملك اليه ليعلم يعني العزيز اني لم اخنه
يعني في زوجته بالغيب يعني في حال غيبته فيكون هذا من كلام يوسف عليه الصلاة
والسلام اتصل بكلام امرأة العزيز انا راودته عن نفسه من غير تمييز بين الكلامين
لظهور المعنى الذي لا غموض فيه لانه ذكر كلام انسان ثم اتبعه بكلام آخر من غير فصل
بين الكلامين ونظير هذا قوله تعالى يريد ان يخرجكم من ارضكم هذا من قول الملا
فماذا تامرون من كلام فرعون ومثله قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة هذا من
قول بلقيس وكذلك يفعلون من قول الله تعالى تصديقا لها وعلى هذا القول ففي كون
يوسف عليه الصلاة والسلام قال هذه المقالة على قولين احدهما انه كان في السجن
وذلك انه لما رجع اليه رسول الملك وهو في السجن وقد اخبره بجواب امرأة العزيز
للملك قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وهذه رواية ابي صالح عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما وبه قال ابن جريج والقول الثاني انه قال هذه المقالة عند
حضوره عند الملك وهذه رواية عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه فان قلت
فعلى هذا القول كيف خاطبهم بلفظة ذلك وهي اشارة للغائب مع حضوره عندهم
قلت قال ابن الانباري قال اللغويون هذا وذلك يصلحان في هذا الموضع لقرب
الخبر من اصحابه فصار كالمشاهد الذي يشار اليه بهذا وقيل ذلك اشارة الى ما فعله يقول
ذلك الذي فعلته من ردي الرسول ليعلم الملك اني لم اخنه بالغيب اي لم اخن العزيز
في حال غيبته ثم ختم هذا الكلام بقوله وان الله لا يهدي كيد الخائنين يعني اني لو كنت
خائنا لما خلصني الله تعالى من هذه الورطة التي وقعت فيها لان الله تعالى لا يهدي اي
لا يرشد ولا يوفق كيد الخائنين واختلفوا في قوله وما ابرئ نفسي من هي على قولين
احدهما انه من قول المرأة وهذا المتمشي على قول من قال ان قوله ذلك ليعلم اني
لم اخنه بالغيب من قول المرأة فعلى هذا يكون المعنى وما ابرئ نفسي من مراودتي يوسف
عن نفسه وكذبي عليه الثاني وهو الاصح وعليه اكثر المفسرين انه من قول يوسف عليه
الصلاة والسلام وذلك انه لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل
عليه الصلاة والسلام ولا حين هممت بها فقال يوسف عليه الصلاة والسلام عند ذلك
وما ابرئ نفسي وهذه رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه وهو قول الاكثرين وقال
الحسن ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما قال ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
خاف ان يكون قد زكى نفسه فقال وما ابرئ نفسي لان الله تعالى قال فلا تزكوا انفسكم
حتى قال وما ابرئ نفسي هضما للنفس وانكسارا وتواضعا لله عز وجل بان تزكية النفس

في مقام العصمة والتزكية ذنب عظيم فازال ذلك عن نفسه اي لان حسنات الابرار سيئات
المقربين ان النفس لامارة بالسوء والسوء لفظ جامع لكل ما يهم الانسان من الامور الدنيوية
والاخروية والسيئة الفعلة القبيحة واختلفوا في النفس الامارة بالسوء ما هي فالذي عليه
اكثر المحققين من المتكلمين وغيرهم ان النفس الانسانية موجدة ولها صفات منها الامارة
بالسوء ومنها اللوامة ومنها المطمئنة فهذه الثلاث مراتب في صفات النفس واحدة فاذا
دعت النفس الى شهواتها ومالت اليها فهي النفس الامارة بالسوء واذا قلبتها [illegible] النفس
اللوامة ولامها على ذلك الفعل القبيح من ارتكاب الشهوات وهذا من صفات النفس الطيبة
وقيل ان النفس امارة بالسوء بطبعها فاذا تزكت وصفت من اخلاقها الذميمة صارت
مطمئنة الا ما رحم ربي قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه معناه الا من عصم ربي فتكون
ما بمعنى من فهو كقوله ما طاب لكم من النساء وقيل هذا استثناء منقطع تقديره لكن من
رحم ربي فعصمه من متابعة النفس الامارة بالسوء ان ربي غفور رحيم لذنوب
عباده رحيم بهم قوله تعالى وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي وذلك انه
لما تبين للملك عذر يوسف عليه الصلاة والسلام وعرف امانته وعلمه طلب حضوره
اليه فقال ائتوني به يعني بيوسف عليه الصلاة والسلام استخلصه لنفسي يعني اجعله
خالصا لنفسي والاستخلاص طلب خلوص الشيء من جميع شوائب الاشتراك وانما طلب الملك
ان يستخلص يوسف عليه الصلاة والسلام لنفسه لان عادة الملك ان ينفرد بالاشياء
النفيسة العزيزة ولا يشاركه فيها احد من الناس وانما قال ذلك لما عظم اعتقاده
في يوسف عليه الصلاة والسلام لما علم من غزارة علم يوسف عليه الصلاة والسلام
وحسن صبره في السجن واحسانه الى اهل السجن وحسن ادبه وثباته عند المحن
كلها فلهذا حسن اعتقاد الملك فيه واذا اراد الله تعالى امرا هيأ اسبابه فالهم الملك
ذلك فقال ائتوني به استخلصه لنفسي فلما كلمه فيه اختصار تقديره فلما جاء الرسول
الى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال له اجب الملك الآن بلا معاودة روي ان يوسف
عليه الصلاة والسلام لما قام ليخرج من السجن دعا لاهله فقال اللهم اعطف عليهم
قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في كل بلد فلما خرج
من السجن كتب على بابه هذا بيت البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء
ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا حسنة ثم قصد باب الملك قال
وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي وحسبي ربي من خلقه عز جارك
وجل ثناؤك ولا اله غيرك ثم دخل الدار فلما ابصر الملك قال اللهم اني اسألك بخيرك
من خيره واعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم يوسف عليه بالعربية
فقال له وما هذا اللسان قال لسان عمي اسماعيل ثم دعا له بالعبرانية فقال له وما
هذا اللسان ايضا قال يوسف عليه الصلاة والسلام هذا لسان آبائي قال وهب وكان
الملك يتكلم بسبعين لغة فلم يعرف هذين اللسانين وكان الملك كلما كلمه بلسان
اجابه يوسف وزاد عليه بالعربية والعبرانية فلما راى الملك ذلك منه اعجبه ما راى من يوسف
بجوابه من يوسف وكان له من العمر يومئذ ثلاثون سنة فاجلسه الى جنبه فذلك قوله
تعالى فلما كلمه يعني فلما كلم الملك يوسف لان مجالس الملوك لا يجوز لاحد ان يبدأ
بالكلام فيها وانما يبدأ الملك بالكلام وقيل معناه فلما كلم يوسف الملك قال له الساقي ايها
الملك هذا الذي علم تأويل رؤياك مع عجز السحرة والكهنة عنها فاقبل عليه الملك قال

انك اليوم لدينا مكين امين يقال اتخذ فلان عند فلان مكانة اي منزلة وهي
الحالة التي يتمكن بها صاحبها مما يريد وقيل المكانة المنزلة والجاه والمعنى قد عرفت
امانتك ومنزلتك وصدقك وبراءتك مما نسبت اليه وقوله مكين امين كلمة جامعة
لكل ما يحتاج اليه من الفضائل والمناقب في امر الدين والدنيا روي ان الملك قال
ليوسف عليه السلام احب ان اسمع تاويل رؤياي منك شفاها فقال نعم ايها الملك رايت
سبع بقرات سمان شهب حسان كشف عنهن النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب
احلابهن لبنا فبينما انت تنظر اليهن وقد اعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار
ماؤه وبدا يبسه فخرج من حمائه سبع بقرات عجاف شعث غبر متقلصات البطون ليس
لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كاكف الكلاب وخراطيم كخراطيم
السباع فاخترطن السمان كافتراس السبع فاكلن لحومهن ومزقن جلودهن وحطمن
عظامهن فبينما انت تنظر وتتعجب اذا سبع سنبلات خضر وسبع اخر سود يابسات
في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فبينما انت تقول في نفسك اي شيء هذا هؤلاء خضر
مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد واصولهن في الماء اذ هبت ريح فذرت الاوراق
اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار فاحرقتهن فصرن سودا
فهذا ما رايت ثم انتبهت مذعورا فقال الملك والله ما اخطات منها شيئا فما شان
هذه الرؤيا وان كانت عجبا فما هي باعجب مما سمعت منك وما ترى في تاويلها ايها
ايها الصديق قال يوسف عليه الصلاة والسلام ارى ان تجمع الطعام وتزرع زرعا
كثيرا في هذه السنين المخصبة وتجعل ما تجمع من ذلك الطعام في الخزائن بقصبه
وسنبله فانه ابقى له ويكون ذلك القصب والسنبل علفا للدواب وتامر الناس فيرفعوا
الخمس من زرعهم ايضا فيكفيك الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها ويأتيك
الخلق من سائر النواحي للميرة ويجتمع عندك من الكنوز والاموال ما لا يجتمع لاحد من
قبلك فقال الملك ومن لي بهذا ومن يجمعه لي ويكفيني العمل فيه فعند ذلك قال
يعني يوسف اجعلني على خزائن الارض يعني على خزائن الاموال والطعام واراد
بالارض ارض مصر اي اجعلني على خزائن ارضك اي تحت يدك وقال الربيع بن انس اجعلني
على خزائن مصر ودخلها اني حفيظ عليم اي حفيظ للخزائن عليم بوجوه مصالحها
وقيل معناه اني حاسب كاتب وقيل اني حفيظ لما استودعتني عليم بما وليتني
وقيل حفيظ للحساب عليم اعلم لغة من ياتيني وقال الكلبي حفيظ بتقديره في
السنين المخصبة للسنين المجدبة عليم بوقت الجوع حين يقع فعند ذلك قال الملك
ومن احق بذلك منك وولاه ذلك روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن
الارض لاستعمله من ساعته ولكن اخر ذلك سنة فان قلت كيف طلب يوسف عليه
الصلاة والسلام الامارة والولاية مع ما ورد من كراهته وطلبه وصح من حديث
عبد الرحمن بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسال
الامارة فانك ان سالتها او تيتها عن مسالة وكلت اليها وان اعطيتها من غير
مسالة اعنت عليها اخرجاه في الصحيحين قلت انما يكره طلب الامارة اذا لم
يتعين عليه طلبها واذا تعين عليه طلبها وجب ذلك عليه بلا كراهة فيه فاما
يوسف عليه الصلاة والسلام فكان عليه طلب الامارة لانه مرسل من الله والرسول

اعلم بمصالح الامة من غيره واذا كان مكلفا برعاية المصالح ولا يمكن ذلك الا بطلب
الامارة وجب عليه طلبها وقيل انه لما علم انه سيحصل قحط وشدة اما بطريق الوحي
من الله او بغيره وربما افضى ذلك الى هلاك معظم الخلق وكان في طلبه الامارة ايصال
الخير والراحة الى اولئك المستحقين وجب عليه طلب الامارة بهذا السبب فان قلت
كيف مدح يوسف نفسه بقوله اني حفيظ عليم والله تعالى يقول فلا تزكوا انفسكم
قلت انما يكره تزكية النفس اذا قصد بها الرجل التطاول والتفاخر والتوصل بها الى غير
ما يحل فهذا القدر مذموم في تزكية النفس اما اذا قصد بتزكية النفس ومدحها ايصال
الخير والنفع الى الغير فلا يكره ذلك ولا يحرم بل يجب عليه ذلك مثاله ان يكون بعض
الناس عنده علم نافع ولا يعرف به فانه يجب عليه ان يقول انا عالم ولما كان الملك
قد علم من يوسف انه عالم بمصالح الدين ولم يعلم انه عالم بمصالح الدنيا نبهه يوسف
بقوله اني حفيظ عليم على انه عالم بما يحتاج اليه في مصالح الدنيا ايضا مع كمال علمه بمصالح
الدين قوله عز وجل وكذلك مكنا ليوسف في الارض وكذلك اشارة الى ما تقدم
يعني كما انعمنا على يوسف اذ نجيناه من الجب وخلصناه من السجن وزيناه في عين الملك
حتى قربه وادنى منزلته كذلك مكنا له في الارض يعني ارض مصر ومعنى التمكين هو ان
لا ينازعه منازع فيما يراه ويختاره واليه الاشارة بقوله يتبوأ منها حيث يشاء
لانه تفسير للتمكين قال ابن عباس وغيره لما انقضت السنة من يوم سال يوسف
الامارة دعاه الملك فتوجه ورداه بسيفه وحلاه بخاتمه ووضع له سريرا
من ذهب مكللا بالدر والياقوت طوله ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع ووضع
له عليه ثلاثون فراشا وستون وضرب له عليه كلة من استبرق وامره ان يخرج
فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه فيه من صفاء لونه فانطلق
حتى جلس على ذلك السرير ودانت ليوسف الملوك وفوض الملك الاكبر اليه ملكه
وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحاق قال ابن زيد
وكان لملك مصر خزائن كثيرة فسلمها الى يوسف وسلم اليه سلطانه كله وجعل
امره وقضاءه نافذا في مملكته قالوا ثم ان قطفير هلك في تلك الليالي فزوج
الملك يوسف امراة العزيز بعد هلاكه فلما دخل يوسف عليها قال لها اليس هذا خيرا
مما كنت تريدين قالت له ايها الصديق لا تلمني فاني كنت امراة حسناء ناعمة كما ترى
في ملك ودنيا وكان صاحبي لا ياتي النساء وقد فتنت كما جعلك الله في حسنك
وهيئتك فغلبتني نفسي وعصمك الله تعالى قالوا فوجدها يوسف عذراء فاصابها
فولدت له ذكرين افرائيم ومنشا وهما ابنا يوسف واستوثق ليوسف ملك مصر
واقام فيها العدل فاحبه الرجال والنساء فلما اطمأن يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام
احسن التدبير من الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجدبة
وانفق المال بالمعروف حتى خلت السنين المخصبة ودخلت السنين المجدبة
بهول وشدة لم ير الناس مثله وقيل انه دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة
واحدة نصف النهار فلما دخلت سنة القحط كان اول من اصابه الجوع الملك فجاع
نصف الليل فنادى يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا اوان القحط فهلك
في السنة الاولى من سنين القحط كل ما اعدوه في السنين المخصبة فجعل اهل مصر
يبتاعون الطعام من يوسف فباعهم في السنة الاولى بالنقود حتى لم يبق بمصر دينار ولا

دينار الا اخذه يوسف منهم وباعهم في السنة الثانية بالدواب والمواشي حتى احتوى عليها
كلها وباعهم في السنة الثالثة بالحلي والجواهر فلم يبق في ايدي الناس منها شي وباعهم
في السنة الرابعة بالعبيد والجواري حتى لم يبق في ايدي الناس عبد ولا امة وباعهم
في السنة الخامسة بالضياع والعقار حتى احتوى عليها كلها وباعهم في السنة السادسة
باولادهم حتى استرقهم وباعهم في السنة السابعة برقابهم حتى لم يبق بمصر حر ولا
حرة الا ملكه فصار الجميع عبيدا ليوسف عليه الصلاة والسلام فقال يوسف للملك
كيف رايت صنع الله تعالى لي فيما خولني مما ترى في هولا قال الملك الراي رايك ونحن
لك تبع قال فاني اشهد الله واشهدك اني قد اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت عليهم
املاكهم وقيل ان يوسف كان لا يشبع من الطعام في تلك الايام فقيل له اتجوع وبيدك
خزاين الارض فقال اخاف ان شبعت انسى الجايع وامر يوسف طباخي الملك ان يجعلوا
غداه نصف النهار واراد بذلك ان يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجياع فمن ثم
جعل الملوك غداهم نصف النهار وقال مجاهد ولم يزل يوسف يدعو الملك الى الاسلام
ويلطف به حتى اسلم الملك وكثير من الناس فذلك قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف
في الارض يتبوا منها حيث يشا **نصيب برحمتنا من نشا** يعني نختص بنعمتنا وهي
النبوة من نشا يعني من عبادنا **ولا نضيع اجر المحسنين** قال ابن عباس يعني
الصابرين **ولاجر الاخرة** يعني ولثواب الاخرة **خير** يعني افضل من اجر الدنيا **للذين
امنوا وكانوا يتقون** يعني يتقون ما نهى الله عنه وفيه دليل على ان الذي اعد الله
عز وجل ليوسف في الاخرة من الاجر والثواب الجزيل افضل مما اعطاه الله في الدنيا
من الملك قوله تعالى **وجا اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون**
قال العلما لما اشتد القحط وعظم البلا عم ذلك جميع البلاد حتى وصل الى بلاد الشام
فقصد الناس مصر من كل مكان للميرة من يوسف لا يعطي احدا اكثر من حمل بعير وان
كان عظيما تقسيطا ومساواة بين الناس ونزل ال يعقوب ما نزل بالناس من
الشدة فبعث بنيه الى مصر للميرة وامسك عنده بنيامين اخا يوسف لامه وابيه
وارسل عشرة فذلك قوله تعالى وجا اخوة يوسف وكانوا عشرة وكان مسكنهم بالعربات
من ارض فلسطين ثغور الشام وكانوا اهل بادية وابل فدعاهم يعقوب عليه السلام
وقال بلغني ان بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا اليه واقصدوه لتشتروا
منه ما تحتاجون اليه من الطعام فخرجوا حتى قدموا مصر فدخلوا على يوسف فعرفهم
قال ابن عباس ومجاهد فاول نظرة نظرها اليهم عرفهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا
اليه وهم له منكرون يعني لم يعرفوه قال ابن عباس كان بين ان قذفوه في الجب وبين
دخولهم عليه مدة اربعين سنة فلذلك انكروه وقال عطا انما لم يعرفوه لانه كان
على سرير الملك وكان على راسه تاج الملك وقيل لانه كان قد لبس زي ملوك مصر عليه
ثياب حرير وفي عنقه طوق من ذهب وكل واحد من هذه الاسباب مانع من حصول
المعرفة فكيف وقد اجتمعت فيه وقيل ان العرفان انما يقع في القلب بخلق الله تعالى له فلعله
وان الله لم يخلق ذلك العرفان في تلك الساعة في قلوبهم تحقيقا لما اخبر انه سينبيهم
بامرهم هذا وهم لا يشعرون فكانت ذلك معجزة ليوسف عليه الصلاة والسلام
فلما نظروا اليه يوسف وكلموه بالعبرانية كلمهم بلسانهم فقال لهم اخبروني من انتم
وما امركم فاني قد انكرت حالكم قالوا نحن قوم من ارض الشام رعاة وقد اصابنا من

الجهد

الجهد ما اصاب الناس فجينا نمتار فقال يوسف لعلكم جيتم تنظرون عورة بلادي قالوا لا
ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ كبير صديق يقال له يعقوب نبي من انبيا
الله قال وكم انتم قالوا كنا اثنى عشر فذهب اخ لنا معنا الى البرية فهلك فيها وكان احبنا
الى ابينا قال فكم انتم ها هنا قالوا عشرة قال فاين الاخر قالوا هو عند ابينا لانه اخ الذي
هلك لامه فابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون حق قالوا ايها الملك
انا ببلاد غربة لا يعرفنا فيها احد قال فاتوني باخيكم الذي من ابيكم ان كنتم
صادقين فاني راض بذلك منكم قالوا ان ابانا يحزن لفراقه وسنراوده عنه قال فدعوا
بعضكم عندي رهينة حتى تاتوني به فاقترعوا فيما بينهم فاصابت القرعة شمعون
وكان احسنهم رايا في يوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى **ولما جهزهم بجهازهم**
يقال جهزت القوم تجهيزا اذا تكلفت لهم جهاز سفرهم وهو ما يحتاجون اليه في
وجوههم والجهاز بفتح الجيم هي اللغة الفصيحة الجيدة وعليها الاكثرون من اهل
اللغة وكسر الجيم لغة ليست بجيدة قال حمل لكل واحد منهم بعيرا من الطعام
واكرمهم في النزول واحسن ضيافتهم واعطاهم ما يحتاجون اليه في سفرهم **قال
ايتوني باخ لكم من ابيكم** يعني الذي خلفتموه عنده وهو بنيامين **الا ترون اني
اوفي الكيل** يعني اتمه ولا ابخسه منه شيئا وازيدكم حمل بعير لاجل اخيكم اكرمكم
بذلك **وانا خير المنزلين** يعني خير المضيفين لانه كان قد احسن ضيافتهم مدة
اقامتهم عنده قال الامام فخر الدين الرازي هذا الكلام يضعف قول من يقول من
المفسرين انه اتهمهم عيون وجواسيس ومن يشافههم بهذا الكلام فلا يليق به الا اوفي
الكيل وانا خير المنزلين وايضا يبعد من يوسف عليه الصلاة والسلام مع كونه صديقا
ان يقول لهم انتم جواسيس وعيون مع انه يعرف براءتهم من هذه التهمة لان البهتان لا يليق
بالصديق ثم قال يوسف **فان لم تاتوني به** يعني باخيكم الذي من ابيكم **فلا كيل لكم
عندي** يعني ليس اكيل لكم طعاما **ولا تقربون** يعني ولا ترجعوا تقربوا بلادي
وهذا هو نهاية التخويف والترغيب لانهم كانوا محتاجين الى تحصيل الطعام ولا يمكنه
تحصيله الا من عنده فاذا منعهم من العود كان قد ضيق عليهم فعند ذلك **قالوا**
يعني اخوة يوسف **سنراود عنه اباه** يعني سنجتهد ونحتال حتى ننتزعه من عنده
وانا لفاعلون يعني ما امرتنا به قوله عز وجل **وقال لفتيانه** يعني وقال
يوسف لفتيته وهم غلمانه واتباعه **اجعلوا بضاعتهم في رحالهم** اراد بالبضاعة
ثمن الطعام الذي اعطوه ليوسف وكانت دراهم وحكى الضحاك عن ابن عباس انها كانت
النعال والادم والرحال جمع رحل وهي الاوعية التي يحمل فيها الطعام وغيره **لعلهم
يعرفونها** يعني يعرفون بضاعتهم **اذا انقلبوا الى اهلهم** يعني اذا رجعوا الى
اهلهم **لعلهم يرجعون** الينا واختلفوا في السبب الذي من اجله رد يوسف عليهم
بضاعتهم فقيل انهم اذا فتحوا متاعهم ووجدوا ان بضاعتهم ردت اليهم علموا ان ذلك
من كرم يوسف وسخايه فيبعثهم ذلك على الرجوع سريعا وقيل انه خاف ان لا يكون عند ابيه
شيا اخر من المال لان الزمان كان زمان قحط وشدة وقيل انه راى اخذ ثمن الطعام
من ابيه واخوته لوما لشدة حاجتهم اليه وقيل اراد ان يحسن اليهم على وجه لا يلحقهم
فيه منة ولا عيب وقيل اراد ان يريهم بره وكرمه واحسانه اليهم في رد بضاعتهم ليكون
ذلك ادعى الى العود اليه وقيل انما فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وامانتهم تحملهم على رد

البضاعة اليه اذا وجدوها في رحالهم لانهم انبيا واولاد انبيا وقيل اراد رد البضاعة
اليهم ليكون ذلك عونا لابيه واخوته على شدة الزمان **فلما رجعوا الى ابيهم قالوا**
يا ابانا انا قد قدمنا على خير ملك وقد انزلنا واكرمنا كرامة عظيمة لو كان رجلا من اولاد
يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا رجعتم الى ملك مصر فاقرءوه عني السلام
وقولوا له ان ابانا يثني عليك ويدعو لك بما اوليتنا ثم قال لهم اين شمعون قالوا انه
ارتهنه ملك مصر واخبروه بالقصة ثم قالوا يا ابانا **منع منا الكيل** وفيه قولان احدهما
انهم لما اخبروا يوسف باخيهم من ابيهم طلبوا منه الطعام لابيهم ولاخيهم المتخلف عنه
ابيهم فمنعهم من ذلك حتى يحضر فقوله منع منا الكيل اشارة اليه واراد بالكيل الطعام
لانه يكال والقول الثاني انه سيمنع منا الكيل في المستقبل وهو اشارة الى قول يوسف
فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون وقال الحسن يمنع منا الكيل ان لم تحمل معنا
اخانا وهو قوله تعالى اخبارا عنهم **فارسل معنا اخانا** يعني بنيامين **نكتل**
بالنون يعني لنفسه وقري بالنون يعني نكتل نحن جميعا واياه معنا **وانا له لحافظون**
يعني حتى نرده اليك فلما قالوا ليعقوب هذه المقالة **قال** يعقوب **هل امنكم عليه**
الا كما امنتكم على اخيه من قبل يعني كيف امنكم على ولدي بنيامين وقد فعلتم
باخيه يوسف ما فعلتم وانكم ذكرتم مثل هذا الكلام بعينه في يوسف وضمنتم لي
حفظه وقلتم وانا له لحافظون ثم فعلتم فلما لم يحصل الامان والحفظ هناك
كيف يحصل هاهنا ثم قال **فالله خير حفظا** يعني الله حفظا الله له خير من حفظكم له
وفيه التفويض الى الله تعالى والاعتماد عليه في جميع الامور **وهو ارحم الراحمين**
وظاهر الكلام يدل على انه ارسله معهم وانما ارسله معهم وقد شاهد ما فعلوا بيوسف
لانه لم يشاهد فيما بينهم وبين بنيامين ما شاهد بينهم وبين يوسف وان يعقوب شاهد منهم الخير والصلاح لما
كبروا او ارسله معهم او ان شدة القحط وضيق الوقت احوجه الى ذلك قوله تعالى
ولما فتحوا متاعهم يعني الذي حملوه من مصر فيحتمل ان يكون المراد به الطعام او
اوعية الطعام **وجدوا بضاعتهم ردت اليهم** يعني انهم وجدوا في متاعهم من الطعام الذي
كانوا قد اعطوه ليوسف فرده عليهم ودسه في متاعهم **قالوا يا ابانا ما نبغي** يعني ما ذا نبغي
واي شي نطلب وذلك انهم كانوا قد ذكروا ليعقوب احسان ملك مصر اليهم وحثوا يعقوب على
ارسال بنيامين معهم فلما فتحوا متاعهم ووجدوا بضاعتهم قد ردت اليهم قالوا اي شي نطلب
من الكلام بعد هذا العتاب من الاحسان والاكرام اوفى لنا الكيل ورد علينا الثمن اراد وا بهذا
الكلام تطييب قلب ابيهم **هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا** يقال مار اهله
يميرهم ميرا اذا حمل لهم الطعام وجلبه من بلد آخر اليهم والمعنى انا نشتري لاهلنا
الطعام ونحمله اليهم **ونحفظ اخانا** يعني بنيامين مما نخاف عليه حتى نرده اليك
ونزداد كيل بعير يعني ونزداد لاجل اخينا على حمالنا حمل بعير من الطعام **ذلك كيل**
يسير يعني ان ذلك الحمل الذي نزداد من الطعام هين على الملك لانه قد احسن الينا
واكرمنا باكثر من ذلك وقيل معناه ان الذي حملناه معنا كيل يسير قليل لا يكفينا ان
واهلنا **قال** يعني قال لهم يعقوب **لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله** يعني
الا ان ارسل معكم بنيامين حتى تعطون عهد الله وميثاقه والموثق العهد المؤكد باليمين
وقيل هو المؤكد بالشهادة عليه **لتاتنني به** دخلت اللام هنا لاجل اليمين وتقديره
حتى تحلفوا بالله لتاتنني به **الا ان يحاط بكم** قال مجاهد الا ان تهلكوا جميعا فيكون عذر لكم

عندي لان العرب يقولون احيط بفلان اذا هلك او قارب هلاكه وقال قتادة الا ان تغلبوا
جميعا فلا تقدرون على الرجوع **فلما اتوه موثقهم** يعني فلما اعطاه عهدهم وحلفوا له
قال الله على ما نقول وكيل يعني قال يعقوب الله شاهد على ما نقول لان الشاهد وكيل
يعني انه موكول اليه هذا العهد وقيل وكيل يعني حافظ قال كعب الاحبار لما قال يعقوب
فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزتي لارد عليك ابنيك بعد ما توكلت علي وفوضت امرك الي
وذكر انهم لما اشتد بهم الامر وضاق عليهم الوقت وجهدوا اشد الجهد لم يجد يعقوب بدا
من ان ارسل بنيامين معهم فارسله متوكلا على الله ومفوضا امره اليه قوله عز وجل **وقال**
يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وذلك انهم لما خرجوا
من عند يعقوب قاصدين مصر قال لهم يا بني لا تدخلوا يعني مدينة مصر من باب واحد
وادخلوا من ابواب متفرقة وكان لمدينة مصر يومئذ اربعة ابواب وقال السدي اراد
الطرق لا الابواب يعني من طرق متفرقة وانما امرهم بذلك لانه خاف عليهم العين
لانهم قد اعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة وقد كانوا اولاد رجل واحد فامرهم ان
يتفرقوا في دخولهم المدينة لئلا يصابوا بالعين فان العين حق وهذا قول ابن عباس
ومجاهد وقتادة وجمهور المفسرين ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم م عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال العين حق ولو كان شي سابق القدر لسبقته العين واذا استغسلتم
فاغسلوا عن عائشة قالت كان يؤمر العائن فيتوضا ثم يغتسل منه المعين اخرجه
ابو داود قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله قال المازري اخذ جماعة من العلما بظاهر
هذا الحديث وقالوا العين حق وانكره طوايف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان
كل معنى ليس مخالفا في نفسه ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات
العقول واذا اخبر الشرع بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه وانكاره وهل من
فرق بين تكذيبهم هذا وتكذيبهم بما يخبر به من امور الاخرة قال وقد زعم بعض الطبايعيين
المثبتين للعين ان العاين ينبعث من عينه قوة سمية متصلة بالعين فيتغذا و
يهلك وانكار ذلك عين محسوس لنا ذلك العين قال المازري وهذا غريب لانه بينا في كتب
العلم في الكلام ان لا فاعل الا الله تعالى وبينا فساد القول بالطبايع وبينا ان المحدث
لا يفعل في غيره شيا واذا تقرر هذا بطل ما قالوه ثم نقول هذا المنبعث من
العين اما جوهر واما عرض فباطل ان يكون عرضا لانه لا يقبل الانتقال وباطل ان
يكون جوهرا لان الجواهر . فليس بعضها ان يكون مفسدا لبعض باولى من
عكسه فيبطل ما قالوه واقرب طريقة قالها من ينتحل الاسلام منهم انه قالوا
لا يبعد ان تنبعث جواهر لطيفة غير مرئية من عين العاين فتتصل بالمعين فتتخلل
مسام جسمه فيخلق الله عز وجل عندها كما يخلق الهلاك عند شرب السموم عادة
اجراها الله عز وجل وليست ضرورة ولا طبيعة الجا العقل اليها قال ومذهب اهل
السنة ان العين انما يفسد ويهلك عند نظر العاين بفعل الله تعالى اجرى الله
تعالى العادة بان يخلق الضرر عند مقابلة هذا الشخص لشخص اخر وهل ثم جواهر ام لا
فهذا امر محتمل من مجوزات العقول لا يقطع فيه لواحد من الامرين وانما يقطع بنفي الفعل عنها
واضافته الى الله تعالى فمن قطع من اطبا الاسلام بانبعاث الجواهر فقد اخطا في قطعه
وانما هو من الجايزات هذا ما يتعلق بعلم الاصول واما ما يتعلق بعلم الفقه فان الشرع

يعني

قد ورد بالعفو لهذا الامر في حديث سهل بن حنيف لما اصيب بالعين عند ما اغتسل رواه في الموطا واما صفة وضوء العاين فمذكورة في كتب شروح الحديث ومعروف عند العلما اي فلتطلب من هناك فليس هذا موضعه والله اعلم قال وهب بن منبه في قوله لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة انه خاف ان يغتالوا لما ظهر لهم في ارض مصر من التهمة حكاه ابن الجوزي عنه وقيل ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قد علم ان ملك مصر هو ولده يوسف الا ان الله تعالى لم ياذن له في اظهار ذلك فلما بعث ابناه اليه قال لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وكان غرضه ان يصل بنيامين الى اخيه يوسف في وقت الخلوة قبل اخوته والقول الاول اصح انه خاف عليهم من العين ثم رجع الى علمه وفوض امره الى الله تعالى بقوله **وما اغني عنكم من الله من شيء** يعني اذا كان الله قد قضى عليكم بقضا فهو يصيبكم مجتمعين كنتم او متفرقين فان المقدور كاين لا ينفع حذر من قدر **ان الحكم الا لله** يعني وما الحكم الا لله وحده لا شريك له وهذا تفويض من يعقوب في اموره كلها الى الله تعالى **عليه توكلت** يعني على الله اعتمدت في اموري كلها لا على غيره **وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم** يعني من الابواب المتفرقة وكان لمدينة مصر وقيل هي مدينة الفرما اربعة ابواب فدخلوا من ابوابها كلها **ما كان يغني عنهم من الله من شيء** وهذا تصديق من الله ليعقوب فيما قال وما اغني عنكم من الله من شيء **الا حاجة في نفس يعقوب قضاها** هذا استثناء منقطع ليس من الاول ومعناه لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهو انما اشفق عليهم اشفاق الاباء على الابناء وذلك انه خاف عليهم من العين او خاف عليهم حسد ملك مصر او خاف ان لا يردوا عليه فاشفق من هذا كله او بعضه **وانه** يعني يعقوب **لذو علم** يعني صاحب علم **لما علمناه** يعني لتعليمنا اياه ذلك العلم بذلك لا نسيانا وقيل معناه وانه لذو علم للشيء الذي علمناه والمعنى انا لما علمناه الاشيا حصل له العلم بذلك وقيل وانه لذو حفظ لما علمناه وقيل انه كان يعمل ما يعلم عن علم لا عن جهل وقيل انه لعامل بما علمناه وقال سفيان لمن لا يعمل بما يعلم لا يكون عالما **ولكن اكثر الناس لا يعلمون** يعني لا يعلمون ما كان يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما الهم الله تعالى اولياه قوله تعالى **ولما دخلوا على يوسف اوى اليه اخاه** قال المفسرون لما دخل اخوة يوسف على يوسف قالوا ايها الملك هذا اخونا الذي امرتنا ان ناتيك به فقد جيناك به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندي ثم انزلهم واكرم نزلهم ثم انه اضافهم واجلس كل اثنين على مايدة ثم بقي بنيامين وحيدا فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي هذا وحده فقالوا لو كان له اخ فهلك فقال انا اجلسه معي فاخذه فاجلسه معه على مايدة وجعل يواكله فلما كان الليل امر لهم بفرش وقال لكل اثنين منكم بيتا على فراش واحد فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام عندي على فراشي فنام بنيامين مع يوسف على فراشه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى اصبح فلما اصبح قال لهم اني ارى هذا الرجل وحيدا ليس معه ثاني فاني ساضمه الي فيكون معي في منزلي ثم انه انزلهم واجرى عليهم الطعام فقال روبيل ما راينا مثل هذا فذلك قوله تعالى اوى اليه اخاه يعني ضمه اليه وانزله معه في منزله فلما خلا به قال له يوسف ما اسمك قال بنيامين قال وما بنيامين قال ابن المتوكل وذلك انه لما ولد هلكت امه قال وما اسم

امك

امك قال راحيل قال فهل من ولد قال عشرة بنين قال فهل لك من اخ لامك قال كان لي اخ فهلك قال يوسف اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد اخا مثلك ايها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف عليه الصلاة والسلام وقام اليه وعانقه **قال اني انا اخوك** يعني يوسف **فلا تبتئس** يعني لا تحزن وقال اهل اللغة تبتئس تفتعل من البوس وهو الضرر والشدة والابتياس اجتلاب الحزن والبوس **بما كانوا يعملون** يعني فلا تحزن بشي فعلوه بنا فيما مضى فان الله تعالى قد احسن الينا ونجانا من الهلاك وجمع بيننا وقيل ان يوسف صفح عن اخوته وصفا لهم فاراد ان يجعل قلب اخيه بنيامين مثل قلبه لان قلبه ضاق عليهم ثم قال يوسف لاخيه بنيامين لا تعلم اخوتك شيا مما اعلمتك به ثم انه اوفى لاخوته الكيل وزاد لكل واحد حمل بعير ولبنيامين حمل بعير باسمه ثم امر بسقاية الملك فجعلت في رحل اخيه بنيامين قال السدي وهم لا يشعرون وقال كعب لما قال له اني انا اخوك قال بنيامين انا لا افارقك فقال له يوسف قد علمت اغتمام والدي بي فان احتبستك عندي ازداد غمه ولا يمكنني هذا الا بعد ان اشهرك بامر فظيع وانسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك فاني لا افارقك قال فاني ادس صاعي في رحلك ثم انادي عليك بالسرقة ليتهيا لي ردك بعد تسريحك قال فافعل ما شيت فذلك قوله عز وجل **فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه** وهي المشربة التي كان الملك يشرب فيها قال ابن عباس كانت من زبرجد وقال ابن اسحاق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت مشربة من فضة مرصعة بالجوهر جعلها يوسف مكيالا لا يكال بغيرها وكان يشرب فيها والسقاية والصواع اسم لاناء واحد جعلت في وعاء طعام اخيه بنيامين ثم رحلوا راجعين الى بلادهم فامهلهم يوسف حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم ارسل خلفهم من استوقفهم وحبسهم **ثم اذن مؤذن** يعني نادى مناد واعلم معلم والاذان في اللغة الاعلام **ايتها العير** وهي القافلة التي فيها الاحمال وقال مجاهد العير الحمير وقال ابو الهيثم كل ما سير عليه من الابل والحمير والبغال فهو عير وقول من قال انها الابل خاصة باطل وقيل العير الابل التي عليها الاحمال سميت بذلك لانها تعير اي تذهب وتجي وقيل هي قافلة الحمير ثم كثر ذلك في الاستعمال حتى قيل لكل قافلة عير يقول ايتها العير اراد اصحاب العير **انكم لسارقون** فوقفوا فالسرقة ما ليس له اخذه في خفا فان قلت هل كان هذا النداء بامر يوسف ام لا فان كان هذا بامره فكيف يليق بيوسف مع علو منصبه وشرف رتبته من النبوة والرسالة ان يتهم اقواما وينسبهم الى السرقة كذبا مع علمه ببراءتهم وان كان ذلك النداء بغير امره فهلا اظهر براءتهم عن تلك التهمة التي نسبوا اليها قلت ذكر العلماء عن هذا السؤال اجوبة وهو احدها ان يوسف لما اظهر لاخيه انه اخاه قال لست افارقك قال لا سبيل الى ذلك الا بعد تدبير حيلة انسبك فيها الى ما لا يليق قال رضيت بذلك فعلى هذا التقدير لم يتالم فكيف يسبب هذا الكلام بل قد رضي به فلا يكون ذنبا الثاني ان يكون المعنى انكم لسارقون ليوسف من ابيه الا انهم ما اظهروا هذا الكلام فهو من المعاريض وفي المعاريض مندوحة عن الكذب الثالث يحتمل ان يكون المنادي ربما قال ذلك على سبيل الاستفهام وعلى هذا التقدير لا يكون كذبا الرابع ليس في القران ما يدل على انهم قالوا ذلك بامر يوسف وهو الاقرب الى ظاهر الحال لانهم طلبوا السقاية فلم يجدوها ولم يكن هناك احد غيرهم غلب على ظنهم انهم هم الذين اخذوها فقالوا ذلك بناء على ظنهم **قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون** قال اصحاب الاخبار لما وصل المرسل الى اخوة يوسف قالوا لهم الم نكرمكم ونحسن

صيافتكم ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم قالوا بلى وما ذاك قالوا فقدنا سقاية ولا نتهم عليها
غيركم فذلك قوله تعالى واقبلوا عليهم المؤذن واصحابه ماذا اي ما الذي تفقدون والفقدان
ضد الوجود **قالوا** يعني المؤذن واصحابه **نفقد صواع الملك** الصاع الذي يكال به وجمعه اصوع
والصواع لغة فيه وهو جمع صيعان **ولمن جاء به** يعني بالصواع **حمل بعير** يعني من الطعام
وانا به زعيم اي كفيل قال الكلبي الزعيم هو الكفيل بلسان اهل اليمن وهذه الاية تدل
على ان الكفالة كانت صحيحة في شرعهم وقد حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله الحميل
غارم والحميل الكفيل فان قلت كيف تصح هذه الكفالة مع ان السارق لا يستحق شيا قلت
لم يكونوا سراقا في الحقيقة فيحمل على مثل رد الضايع فيكون جعالة ولعل مثل هذه الكفالة
كانت جايزة عندهم في ذلك الزمان **قالوا** يعني اخوة يوسف **تالله** التاء بدل من الواو ولا
تدخل الا على اسم الله في اليمين خاصة تقريره **لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما
كنا سارقين** اي ان اخوة يوسف حلفوا على امرين احدهما انهم ما جاوا لاجل الفساد
في الارض والثاني انهم ما جاوا سارقين وانما قالوا هذه المقالة لانهم كان قد ظهر من
احوالهم ما يدل على صدقهم وهو انهم كانوا مواظبين على انواع الخير والطاعة والبر حتى بلغ
من امرهم انهم سدوا افواه دوابهم لئلا تاكل زروع الناس ومن كان هذه صفته فالفساد
في حقه ممتنع واما الثاني وهو انهم ما كانوا سارقين لانهم كانوا قد ردوا البضاعة التي
وجدوها في رحالهم ولم يستحلوا اخذها ومن كان هذه صفته فليس بسارق فلاجل
ذلك قالوا لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين فلما تبين براءتهم من هذه
التهمة **قالوا** يعني المنادي واصحابه **فما جزاؤه ان كنتم كاذبين** يعني فما جزاء السارق في قولكم
ما جئنا لنفسد في الارض وما كنا سارقين **قالوا** يعني اخوة يوسف **جزاؤه من وجد في
رحله** فهو يعني جزاء السارق الذي وجد في رحله ان يسلم رقبته الى المسروق منه فيسترقه
سنة وكان ذلك سنة آل يعقوب في حكم السارق وكان في حكم ملك مصر ان يضرب السارق ويغرم
ضعفي قيمة المسروق وكان هذا في شرعهم في ذلك الزمان يجري مجرى القطع في شرعنا فاراد
يوسف ان ياخذ بحكم الله في السارق فلذلك رد الحكم اليهم والمعنى ان جزاء السارق فان يستعبد
سنة جزاء له على جرمه ويسترقه **فهو جزاؤه** اي يعني هذا الجزاء جزاؤه **كذلك نجزي الظالمين**
يعني مثل هذا الجزاء وهو ان يسترق السارق سنة نجزي الظالمين ثم قيل هذا الكلام من بقية
كلام يوسف وقيل هو من كلام اصحاب يوسف فعلى هذا ان اخوة يوسف لما قالوا جزاء السارق
ان يسترق سنة قال اصحاب يوسف كذلك نجزي الظالمين قوله عز وجل **فبدا باوعيتهم قبل وعاء
اخيه** قال اهل التفسير ان اخوة يوسف لما اقروا ان جزاء السارق ان يسترق سنة قال اصحاب
يوسف لا بد من تفتيش رحالكم فردوهم الى يوسف فامر بتفتيشها بين يديه فبدا بتفتيش اوعيتهم
قبل وعاء اخيه لازالة التهمة فجعل يفتش اوعيتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا انه كان
لا يفتح متاعا ولا ينظر في وعاء الا استغفر الله تائبا مما قذفهم به حتى لم يبق الا رحل بنيامين
قال ما اظن هذا اخذ شيا قال اخوة يوسف والله لا نتركه حتى تنظر في رحله فانه اطيب
لنفسك وانفسنا فلما فتحوا متاعه وجدوا الصواع فيه فذلك قوله **ثم استخرجها من وعاء
اخيه** انما انث الكناية لانه ردها الى السقاية وقيل الصواع يؤنث ويذكر فلما اخرج الصواع
من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم من الحياء واقبلوا على بنيامين يلومونه ويقولون له ايش الذي
صنعت بنا فضحتنا وسودت وجوهنا يا بني راحيل ما زال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا
الصاع فقال بنيامين بل بنو راحيل ما زال لهم منكم بلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه في البرية

ان

ان هذا الذي وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم قالوا فاخذ بنيامين
رقيقا وقيل ان المنادي واصحابه هم الذين تولوا تفتيش رحالهم وهم الذين استخرجوا الصواع
من رحل بنيامين فاخذوه برقبته وردوه الى يوسف **كذلك كدنا ليوسف** يعني ومثل ذلك
الكيد كدنا ليوسف وهو اجارة الحكم باسترقاق السارق اي مثل ذلك الحكم الذي ذكره
اخوة يوسف ولفظ الكيد مستعار للحيلة والخديعة وهذا في حق الله عز وجل محال فيجب تاويل
هذه اللفظة بما يليق بجلال الله تعالى فنقول الكيد هنا جزاء الكيد يعني كما فعلوا بيوسف في
الابتداء فعلنا بهم فالكيد من الخلق الحيلة ومن الله التدبير بالحق والمعنى كما الهمنا اخوة
يوسف بان حكموا ان جزاء السارق ان يسترق كذا الهمنا يوسف حتى دس الصواع ليحتبس اخاه
على ما حكم به اخوته وقال ابن الاعرابي الكيد التدبير بالباطل وبالحق والمعنى كما الهمنا اخوة يوسف
بان حكموا ان جزاء السارق ان يسترق كذلك الهمنا ودبرنا ليوسف وقيل صنعنا ليوسف وقال
ابن الانباري كدنا اوقع خبرا عن الله عز وجل على خلاف معناه في اوصاف المخلوقين فانه اذا
اخبر به عن مخلوق كان تحته احتيال وهو في موضع فعل الله يعني من المعاني المذمومة وهو
يخلص ان وقع عن مكيدة تدبيرا بما يريد به من حيث لا يشعر ولا يقدر على دفعه فهو من
الله مشيئته بالذي يكون من المخلوق من اجل ان المخلوق اذا كاد المخلوق ستر عنه ما ينوي
له ويضمره له والذي ينفرد به الكيد من الله تعالى هو ستر ما نعم به على عاقبته به والذي وقع
باخوة يوسف من كيد الله هو ما انتهى اليه شان يوسف من ارتفاع المنزلة وتمام النعمة
وحيث جرى الامر على غير ما قدروا على هلاكه وخلوص ابيهم لهم وكل ذلك بتدبير الله
تعالى وخفي لطفه سماه كيدا لما فيه من كيد المخلوق فمن ضل هذا كيد الله عز وجل ليوسف
عائدا الى جميع ما اعطاه وانعم به عليه على خلاف تدبير اخوته من غير ان يشعروا بذلك
وقوله تعالى **ما كان لياخذ اخاه في دين الملك** يعني في حكم الملك قضاء به لانه كان
في حكم الملك ان السارق يضرب ويغرم ضعفي قيمة المسروق فلم يكن يتمكن يوسف من
حبس اخيه عنده في حكم الملك فالله تعالى الهم يوسف بما دبره حتى وجد السبيل الى ذلك
الا ان يشاء الله يعني ان ذلك الامر كان بمشيئة الله وتدبيره لان ذلك كله كان الهاما من
الله تعالى ليوسف واخوته حتى جرى الامر على وفق المراد **نرفع درجات من نشاء** يعني بالعلم
كما رفعنا درجة يوسف على اخوته وفي هذه الاية دليل على ان العلم اشرف المقامات كلها
واعلى الدرجات لان الله تعالى لما مدح يوسف ورفع درجته على اخوته بالعلم وبما الهمه
من وجه الهداية والصواب في الامور كلها **وفوق كل ذي علم عليم** قال ابن عباس فوق
كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله فالله تعالى فوق كل عالم لانه هو الغني بعلمه عن التعليم
وفي الاية دليل على ان اخوة يوسف كانوا علماء وكان يوسف اعلم منهم قال ابن الانباري يجب
بهم العالم منتبه ويشعر التواضع لربه تعالى ولا يطمع لنفسه في الغلب على العلوم لانه لا يخلو
عالم من عالم فوقه قوله تعالى **قالوا** يعني اخوة يوسف **ان يسرق** يعني بنيامين الصواع
فقد سرق اخ له من قبل يعني يوسف وظاهر الاية يقتضي ان اخوة يوسف قالوا للملك ان هذه
الامور ليس بعجيب منه فان اخاه الذي هلك كان سارقا ايضا وكان غرضهم من هذا الكلام
انا لسنا على طريقته ولا على سيرته بل هذا واخوه كانا في هذه الطريقة وهذه السيرة لانهما
من ام اخرى غير امنا واختلفوا في السرقة التي نسبوها الى يوسف عليه الصلاة والسلام فقال
سعيد بن جبير وقتادة كان لجده ابي امه صنم كان يعبده فاخذه يوسف عليه الصلاة والسلام
سرا فكسره والقاه في الطريق لئلا يعبده وقال مجاهد ان يوسف عليه الصلاة والسلام جاءه

سائل يوما فاخذ بيضة من البيت فناولها السائل وقال سفيان بن عيينة اخذ دجاجة
من الطير التي كانت في بيت يعقوب فاعطاها سائلا وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة
للفقراء وذكر محمد بن اسحاق ان يوسف كان عند عمته ابنة اسحاق بعد موت امه راحيل فحضنته
حبا شديدا فلما ترعرع وكبر وقعت محبة يعقوب عليه فاتاها فقال لها يا اختاه سلمي
الي يوسف ما اقدر ان يغيب عني ساعة فقالت لا اعطيكه فقال لها والله ما انا بتاركه عندك
فقالت دعه عندي اياما انظر اليه لعل ذلك يسليني عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة
كانت لاسحاق فكانت عندها ما شدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه وهو صغير
وهو لا يشعر ثم قالت فقدت منطقة اسحاق قال فتشوا اهل البيت فوجدوها مع
يوسف عليه الصلاة والسلام فقالت انه لسلم لي فبقي يوسف فقال لها يعقوب ان كان فعل
ذلك فهو سلم لك فامسكته عندها حتى ماتت ولذلك قال اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق
اخ له من قبل يعيبونه بهذه السرقة قال ابن الانباري وليس في هذه الافعال كلها ما يوجب
السرقة ضعفه وانها عند الغضب فذلك قوله فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم في ما
الكناية في ثلاثة اقوال احدها انه الذي اضمر يرجع الى الكلمة التي قالوها في حقه وهي قولهم فقد
سرق اخ له من قبل وهي قوله تعالى قال يعني يوسف عليه الصلاة والسلام انتم شر مكانا
روي هذا المعنى العوفي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه والثاني ان الضمير يرجع الى الكلمة
التي قالوها في حقه وهي قولهم فقد سرق اخ له من قبل وهذا معنى قول ابي صالح عن ابن
عباس فعلى هذا القول يكون المعنى فاسر يوسف جواب الكلمة التي قالوها في حقه ولم
يجبهم عليها والثالث ان الضمير يرجع الى الحجة فيكون على معنى هذا القول فاسر يوسف الاحتجاج
عليهم في ادعائهم عليه السرقة ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا يعني منزلة عند الله ممن
رميتموه بالسرقة لانه لم يكن من يوسف سرقة في الحقيقة وخيانتكم حقيقة والله اعلم بما
تصفون يعني بحقيقة ما تقولون قوله عز وجل قالوا يعني اخوة يوسف عليه الصلاة
والسلام يا ايها العزيز يخاطبونه بذلك لانه الملك ان له ابا شيخا كبيرا قال اصحاب الاخبار والسير
ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما استخرج الصواع من رحل اخيه بنيامين نقره وادناه
الي اذنه قال الصواع هذا يخبرني انكم اثنا عشر رجلا لاب واحد وانكم انطلقتم باخ لكم من
ابيكم فبعتموه قال بنيامين ايها الملك سل صواعك من جعله في رحلي فنقره ثم قال
ان صواعي غضبان وهو يقول كيف تسألني عن صاحبي وقد رايته مع من كنت قال فغضب
روبيل لذلك وكانوا بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم يقم لغضبه
شيء وكان اذا صاح القت كل حامل حملها اذا سمعت صوته وكان مع هذا اذا مسه احد من ولد
يعقوب عليه الصلاة والسلام يسكن غضبه وكان اقوى الاخوة واشدهم وقيل كان هذا
صفة شمعون بن يعقوب وقيل انه قال لاخوته كم عدد الاسواق بمصر قالوا عشرة قال
اكفوني انتم الاسواق وانا اكفيكم الملك او اكفوني انتم الملك وانا اكفيكم الاسواق فدخلوا
على يوسف عليه الصلاة والسلام فقال روبيل ايها الملك لتردن علينا اخانا او لاصيحن
صيحة لا يبقى بمصر امراة حامل الا وضعت ولدها وقد قامت كل شعرة في جسد روبيل
حتى خرجت من ثيابه فقال يوسف عليه الصلاة والسلام لابن له صغير قم الى جنب هذا
فمسه او خذ بيده وامش به فلما مسه سكن غضبه فقال لاخوته من مسني منكم فقالوا لم
يصبك منا احد فقال روبيل ان هذا بذر من بذر يعقوب وقيل انه غضب ثانيا فقام اليه يوسف
عليه الصلاة والسلام فركضه برجله واخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال انتم يا معشر العبرانيين

تزعمون ان لا احد اشد منكم فلما راوا ما نزل بهم وراوا لا سبيل الى الخلاص خضعوا وذلوا
فقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا يعني في السن ويحتمل ان يكون كبيرا في القدر لانه
نبي من اولاد الانبياء فخذ احدنا مكانه يعني بدلا منه لانه يحبه ويتسلى به عن اخيه
الهالك انا نراك من المحسنين يعني في افعالك كلها وقيل من المحسنين الينا في توفية
الكيل وحسن الضيافة ورد البضاعة الينا وقيل ان رددت بنيامين الينا فاخذت احدنا
مكانه نراك من المحسنين قال معاذ الله قال يعني يوسف عليه الصلاة والسلام اعوذ بالله تعالى
ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده لم يقل من سرق تحرزا من الكذب لانه يعلم ان اخاه
ليس بسارق انا اذا لظالمون يعني اذا اخذنا بريئا بمذنب فان قلت كيف استجاز يوسف ان
يعمل مثل هذه الافعال بابيه ولم يخبره بمكانه وحبس اخاه ايضا عنده مع علمه بشدة وجد
ابيه عليه ففيه معنى العقوق وقطيعة الرحم وقلة الشفقة وكيف يجوز ليوسف عليه
الصلاة والسلام مع علو منصبه من النبوة والرسالة ان يترك اخوته ويروج عليهم مثل
هذا مع ما فيه من الايذاء لهم فكيف يليق به هذا كله قلت قد ذكر العلماء عن هذا السؤال
اجوبة كثيرة واصحها واحسنها انه انما فعل ذلك بامر الله تعالى له لا عن امره وانما امره الله
تعالى بذلك ليزيد بلاء يعقوب فيضاعف له الاجر على البلاء ويلحقه بدرجة ابائه الماضين
ولله تعالى سر لا يعلمها احد من خلقه وهو المتصرف في خلقه بما يشاء وهو الذي اخفى
خبر يوسف عن يعقوب في طول هذه المدة مع قرب المسافة لما يريد ان يدبره فيهم والله
تعالى اعلم باحوال عباده قوله عز وجل فلما استياسوا يعني ايسوا من يوسف عليه
الصلاة والسلام ان يجيبهم الى ما سالوه وقيل ايسوا من اخيهم ان يرده عليهم [illegible]
استياسوا اي استيقنوا ان الاخ لا يرد اليهم خلصوا نجيا يعني خلا بعضهم ببعض
يتناجون ويتشاورون ليس فيهم غيرهم قال كبيرهم يعني في العقل والعلم لا في السن
قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه والكلبي هو يهوذا وكان اعقلهم وقال مجاهد هو شمعون
وكانت له الرياسة على اخوته وقال قتادة والسدي والضحاك هو روبيل وكان اكبرهم سنا
واحسنهم رايا في يوسف لانه نهاهم عن قتله الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا
يعني عهدا من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف يعني قصرتم في امر يوسف حين صنعتموه
فلن ابرح الارض يعني الارض التي انا فيها وهي ارض مصر والمعنى فلن اخرج من ارض مصر
ولا افارقها على هذه الصورة حتى ياذن لي ابي يعني في الخروج من ارض مصر وقيل المعنى
رد اخي علي او خروجي معكم وترك اخي او يحكم الله لي بالسيف فاقاتلهم حتى استرد اخي
وهو خير الحاكمين لانه يحكم بالحق ويحكم بالعدل والانصاف والمراد من هذا الكلام الالتجاء
الى الله تعالى في اقامة عذره عند ابيه يعقوب عليه الصلاة والسلام ارجعوا الى ابيكم
يعني يقول الاخ الاكبر الذي عزم على الاقامة بمصر لاخوته الباقين ارجعوا الى ابيكم يعقوب
فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق انما قالوا هذه المقالة ونسبوه الى السرقة لانهم شاهدوا
الصواع وقد اخرج من متاع بنيامين فغلب على ظنهم انه سرق فلذلك نسبوه الى السرقة
في ظاهر الامر لا في حقيقة الحال ويدل على ذلك انه لم يشهدوا عليه بالسرقة قولهم وما
شهدنا الا بما علمنا يعني ولم نشهد بعد ذلك الا ان راينا اخراج الصواع من متاعه وقيل
معناه ما كانت منا شهادة في عمرنا على شيء الا بما علمنا وهذه ليست بشهادة وانما هي خبر
عن صنيع ابنك انه سرق بزعمهم فيكون المعنى ان ابنك سرق في زعم الملك واصحابه ولا انا
نشهد عليه بالسرقة وقرا ابن عباس والضحاك رضي الله عنهما بضم السين وكسر الراء وتشديد

أي نسب إلى السرقة فاتهم بها وهذه القراءة تحتاج إلى تأويل لأن القوم نسبوه إلى السرقة
إلا أن هذه القراءة ليست بمشهورة فلا يقوم بها حجة والقراءة الصحيحة المشهورة هي الأولى
وقوله وما شهدنا إلا بما علمنا يعني ما قلنا هذا إلا بما علمنا وليست هذه شهادة وإنما هو خبر
عن صنيع ابنك بزعمهم وقيل قال لهم يعقوب عليه الصلاة والسلام هب أنه سرق فما يدري هذا
الرجل أن السارق يؤخذ بسرقته إلا بقولكم قالوا ما شهدنا عنده أن السارق يسترق إلا بما
علمنا من الحكم وكان الحكم كذلك عند الأنبياء قبله وليعقوب وبنيه وورد على هذا القول كيف
جاز ليعقوب أن يخفى عليه هذا الحكم حتى ينكر على بنيه ذلك وأجيب عنه أنه يحتمل أن يكون هذا الحكم
كان مخصوصا بما إذا كان المسروق منه مسلما فلهذا أنكر عليهم إعلام الملك بهذا الحكم لظنه
أنه كان كافرا **وما كنا للغيب حافظين** قال مجاهد وقتادة يعني ما كنا نعلم أن ابنك سيسرق
ويصير أمرنا إلى هذا ولو علمنا ذلك ما ذهبنا به معنا وإنما قلنا ونحفظ أخانا مما لنا إلى
حفظه سبيل وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما كنا لليله ونهاره ومجيئه وذهابه حافظين
وقيل معناه أن حقيقة الحال غير معلومة لنا فإن الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى فلعل الصواع
دس في رحله ونحن لا نعلم بذلك **واسأل القرية التي كنا فيها** يعني واسأل أهل القرية إلا أنه
حذف المضاف للإيجاز ومثل هذا النوع من المجاز مشهور في كلام العرب والمراد بالقرية مصر
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه هي قرية من قرى مصر كان قد جرى فيها حديث السرقة
والتفتيش **والعير التي أقبلنا فيها** يعني واسأل القافلة التي كنا فيها وكان صحبهم
قوم من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام **وإنا لصادقون** يعني فيما قلناه وإنما أمرهم
أخوهم الذي أقام بمصر بهذه المقالة مبالغة في إزالة التهمة عن أنفسهم عند أبيهم لأنهم كانوا
متهمين عنده بسبب واقعة يوسف عليه الصلاة والسلام **قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا** فيه
اختصار تقديره فرجعوا إلى أبيهم فأخبروه بما جرى لهم في سفرهم ذلك وبما قال لهم كبيرهم
وأمرهم أن يقولوه لأبيهم فعند ذلك قال لهم يعقوب بل سولت زينت لكم أنفسكم أمرا وهو حمل
أخيكم معكم إلى مصر لطلب نفع عاجل فآل أمركم إلى ما آل وقيل معناه بل حلت لكم أنفسكم
أنه سرق وما سرق **فصبر جميل** تقدم تفسيره في أول السورة وقوله **عسى الله أن يأتيني
بهم جميعا** يعني بيوسف وبنيامين والأخ الثالث الذي أقام بمصر وإنما قال يعقوب
هذه المقالة لأنه لما طال حزنه واشتد بلاؤه ومحنته علم أن الشدة سيجعل الله له
فرجا ومخرجا عن قريب فقال ذلك على سبيل حسن الظن بالله عز وجل لأنه إذا اشتد البلاء
وعظم كان أسرع إلى الفرج وقيل إن يعقوب عليه الصلاة والسلام علم بما يجري عليه
وعلى بنيه من أول الأمر وهو رؤيا يوسف وهو قوله لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا
لك كيدا فلما تناهى الأمر قال عسى الله أن يأتيني بهم جميعا **إنه هو العليم** يعني بحزني ووجدي
عليهم **الحكيم** يعني فيما يدبره ويقضيه فقوله تعالى **وتولى عنهم** يعني وأعرض يعقوب عن
بنيه حين بلغوه خبر بنيامين فحينئذ تتام حزنه واشتد بلاؤه وبلغ جهده وهيج
حزنه على يوسف فعند ذلك أعرض عنهم **وقال يا أسفى على يوسف** والأسف أشد الحزن
وإنما جدد حزنه على يوسف ورد هذه الواقعة لأن الحزن القديم إذا صادفه حزن آخر
كان ذلك أوجع للقلب وأعظم لهيجان الحزن الأول كما قال متمم بن نويرة لما رأى قبرا
جديدا جدد حزنه على أخيه مالك فقال

أتبكي لكل قبر رأيته ... لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت له إن الأسى يبعث الأسى ... فدعني فهذا كله قبر مالك

فأجابه بأن الحزن يجدد الحزن وقيل إن يوسف عليه الصلاة والسلام وبنيامين كانا من أم واحدة
فكان يعقوب يتسلى عن يوسف ببنيامين فلما حصل فراق بنيامين زاد حزنه عليه وجدد
حزنه على يوسف لأن يوسف كان أصل المصيبة وقد اعترض بعض الجهال على يعقوب في قوله
يا أسفى على يوسف فقال هذه شكاية وإظهار جزع فلا يليق بعلو منصبه ذلك وليس الأمر
كما قال هذا الجاهل المعترض لأن يعقوب عليه الصلاة والسلام شكا إلى الله لا منه فقوله
يا أسفى على يوسف معناه يا رب ارحم أسفي على يوسف وقد ذكر ابن الأنباري عن بعض اللغويين
أنه قال نداء يعقوب للأسف في اللفظ من المجاز يعني غير المظهر في اللفظ والمنادى سواه في
المعنى ولا يأثم إذا لم ينطق اللسان بكلام مؤثم لأنه لم يشك إلا إلى الله عز وجل فلما كان قوله
يا أسفى على يوسف شكوى إلى ربه لأنه غير ملوم في شكواه وقيل إن يعقوب عليه الصلاة والسلام
لما عظمت مصيبته واشتد بلاؤه وقويت محنته قال يا أسفى على يوسف أي أشكو إلى الله تعالى
شدة أسفي على يوسف ولم يشك إلى أحد من الخلائق بدليل قوله إنما أشكو بثي وحزني إلى الله
وابيضت عيناه من الحزن أي عميتا من شدة الحزن على يوسف عليه الصلاة والسلام قال مقاتل
لم يبصر شيئا ست سنين وقيل إنه ضعف بصره من كثرة البكاء وذلك أن الدمع يكثر
عند غلبة البكاء فتصير العين كأنها بيضاء من ذلك الماء الخارج من العين **فهو كظيم**
أي مكظوم مملوء من الحزن الممسك عليه لا يبثه قال قتادة هو الذي يردد
حزنه في جوفه ولم يقل إلا خيرا وقال الحسن كان بين خروج يوسف عليه الصلاة والسلام
من حجر أبيه إلى يوم التقيا ثمانون سنة لم تجف عينا يعقوب وما على وجه الأرض يومئذ
أكرم على الله منه قال ثابت البناني ووهب بن منبه والسدي إن جبريل عليه الصلاة والسلام
دخل على يوسف وهو في السجن فقال هل تعرفني أيها الصديق قال يوسف عليه الصلاة
والسلام أرى صورة طاهرة قال أنا رسول رب العالمين وأنا الروح الأمين فقال يوسف
فما أدخلك مدخل المذنبين وأنت أطيب الطيبين ورأس المقربين وأمين رب العالمين
قال ألم تعلم يا يوسف أن الله تعالى يطهر الأرض بطهر النبيين وأن الأرض التي تدخلونها
هي أطهر الأرضين وأن الله تعالى قد طهر بك السجن وما حوله يا أطهر الطاهرين وابن
الصالحين المخلصين قال يوسف عليه الصلاة والسلام كيف لي باسم الصديقين وتعدني من
المخلصين الطاهرين وقد أدخلت مدخل المذنبين قال لأنه لم يفتتن قلبك ولم تطع سيدتك
في معصية ربك فلذلك سماك الله في الصديقين وعدك من المخلصين وألحقك بآبائك
الصالحين قال يوسف عليه الصلاة والسلام فهل لك علم من يعقوب أيها الروح الأمين قال
نعم قد ذهب بصره وابيضت عيناه من الحزن عليك فهو كظيم ووهب له الصبر الجميل قال فما قدر
حزنه قال حزن سبعين ثكلى قال فما له من الأجر يا جبريل قال أجر مائة شهيد قال أفتراني لاقيه
قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما أبالي إن رأيته **قالوا** يعني إخوة يوسف لأبيهم **تالله
تفتؤ تذكر يوسف** يعني لا تزال تذكر يوسف ولا تفتر من حبه يقال ما فتئ يفعل كذا أي ما زال
ولا محذوفة في جواب القسم لأن موضعها معلوم فحذف للتخفيف كقول امرئ القيس

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ... ولو قطعوا رأسي لديك وأوصالي

أي لا أبرح قاعدا وقوله **حتى تكون حرضا** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه يعني دنفا
وقال مجاهد الحرض ما دون الموت يعني قريبا من الموت وقال ابن إسحاق يعني فاسدا لا عقل
لك والحرض الذي فسد عقله وجسمه وقيل ذائبا من الهم وأصل الحرض الفساد في الجسم والعقل
من الحزن أو الهم ومعنى الآية حتى تكون دنف الجسم مخبول العقل يعني لا تنتفع بنفسك لفساد

من شدة الهم والحزن والاسف أو تكون من الهالكين يعني من الاموات فان قلت كيف حلفوا
على شيء لم يعلموا حقيقته قطعا قلت بنوا الامر على الاغلب الظاهر اي كنوا ظنا منهم ان الامر يصير الى
ذلك قال يعني يعقوب عند ما رأى غلظتهم عليه إنما أشكو بثي وحزني إلى الله أصل
البث اثارة الشيء وتفريقه وبث النفس ما انطوت عليه من الغم والسر قال ابن قتيبة البث اشد
الحزن وذلك لان الانسان اذا ستر الحزن وكتمه كان هما فاذا ذكره لغيره كان بثا فالبث اشد
الحزن والحزن الهم فمعنى هذا انما اشكو حزني العظيم وحزني القليل الى الله تعالى لا اليكم
قال ابن الجوزي روى الحاكم ابو عبد الله في صحيحه من حديث انس بن مالك رضي الله تعالى عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كان ليعقوب اخ مواخ فقال له ذات يوم يا يعقوب
ما الذي اذهب بصرك وما الذي قوس ظهرك قال اما الذي اذهب بصري فالبكاء على يوسف
واما الذي قوس ظهري فالحزن على بنيامين فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا يعقوب
ان الله تعالى يقرئك السلام ويقول لك اما تستحي ان تشكو الى غيري فقال انما اشكو بثي
وحزني الى الله فقال جبريل الله اعلم بما تشكو وقيل انه دخل على يعقوب جار له فقال له يا يعقوب
ما لي اراك قد تهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني وافناني ما ابتلاني
الله تعالى به من هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال يا رب خطيئة
اخطأتها فاغفرها لي قال قد غفرتها لك فكان بعد ذلك اذا سئل يقول انما اشكو بثي وحزني
الى الله ثم قال يا رب اما ترحم الشيخ الكبير اذهبت بصري وقوست ظهري فاردد علي ريحانتي
اشمه قبل ان اموت ثم اصنع ما شئت فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال يا يعقوب ان
الله يقرئك السلام ويقول لك ابشر وليفرح قلبك فوعزتي لو كانا ميتين لنشرتهما لك تدري
لم وجدت عليك لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم المسكين وهو صائم فلم تطعموه منها شيئا
وان احب عبادي الي الانبياء ثم المساكين اصنع طعاما وادع اليه المساكين فصنع طعاما
ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة عند آل يعقوب فاذا انظر من ينادي من اراد ان
يفطر فليات يعقوب وكان بعد ذلك اذا تغدى امر مناديا من اراد الغداء فليات يعقوب
فكان يتغدى ويتعشى مع المساكين وقال وهب بن منبه اوحى الله تعالى الى يعقوب عليه
الصلاة والسلام اتدري لم عاقبتك وحبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا رب
قال لانك شويت عناقا وقترت على جارك واكلت ولم تطعمه وقيل ان سبب ابتلاء يعقوب
عليه الصلاة والسلام انه ذبح عجلا بين يدي امه وهي تخور فلم يرحمها فان قلت
هل في هذه الروايات ما يقدح في عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام قلت لا لانما
عوقب يعقوب عليه الصلاة والسلام بهذا لان حسنات الابرار سيئات المقربين وانما يطلب
من الانبياء من الاعمال على قدر منصبهم وشريف رتبتهم ويعقوب عليه الصلاة والسلام
من اهل بيت النبوة والرسالة ومع ذلك فقد ابتلي كل واحد من آبائه بمحنة فصبر
فابراهيم عليه الصلاة والسلام ابتلي بالنار فصبر ولم يشك الى احد واسماعيل عليه
الصلاة والسلام ابتلي بالذبح فصبر وفوض امره الى الله تعالى واسحاق عليه الصلاة
والسلام ابتلي بالعمى فصبر ولم يشك الى احد ويعقوب عليه الصلاة والسلام ابتلي
بفقد ولده يوسف وبعده بنيامين ثم حبس بعد ذلك وضعف بصره من كثرة البكاء عليهما
ومع ذلك صبر ولم يشك الى احد شيئا مما نزل به وانما كانت شكايته الى الله بدليل قوله
انما اشكو بثي وحزني الى الله فاستوجب بذلك المدح العظيم والثناء الجميل في الدنيا والدرجات
العلى في الآخرة مع من سلف من آبائه ابراهيم واسحاق عليهم الصلاة والسلام واما دمع

العين

العين وحزن القلب فلا يستوجب به عتبا ولا عقوبة لان ذلك ليس الى اختيار الانسان فلا
يدخل تحت التكليف بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم بكى على ولده ابراهيم عليه الصلاة والسلام
وقال ان العين تدمع وان القلب ليحزن وما نقول الا ما يرضي ربنا فهذا القدر لا يقدر
الانسان على دفعه عن نفسه فكان مباحا لا حرج فيه على احد من الناس وقوله واعلم
من الله ما لا تعلمون يعني اعلم من رحمته واحسانه ما يأتي بالفرج من حيث لا احتسب
وفيه اشارة الى انه كان يعلم حياة يوسف ويتوقع رجوعه اليه روي ان ملك الموت
زار يعقوب عليه الصلاة والسلام فقال له يعقوب ايها الملك الطيب ريحه الحسن
صورته الكريم على ربه هل قبضت روح ابني يوسف في الارواح قال لا فطابت نفس يعقوب
وطمع في رؤيته فلذلك قال واعلم من الله ما لا تعلمون وقيل معناه واعلم ان رؤيا
يوسف حق وصدق واني وانتم سنسجد له وقال السدي لما اخبره بنوه بسيرة ملك مصر
وكمال حاله وجميع اقواله وافعاله احست نفس يعقوب وطمع ان يكون هو يوسف فعند ذلك
قال يعني يعقوب عليه الصلاة والسلام يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه
التحسس طلب الخبر بالحاسة وهو قريب من التجسس بالجيم وقيل ان التحسس بالحاء
يكون في الخير وبالجيم يكون في الشر ومنه الجاسوس وهو الذي يطلب الكشف عن عورات
الناس قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه التمسوا قال ابن الانباري يقال تحسست عن فلان
ولا يقال من فلان وقال هنا من يوسف واخيه لانه اقيم مقام عن قال ويجوز ان يقال
من للتبعيض ويكون المعنى تحسسوا خبرا من اخبار يوسف واخيه روي عن عبد الله
ابن يزيد عن ابي فروة ان يعقوب عليه الصلاة والسلام كتب كتابا الى يوسف عليه
الصلاة والسلام حين حبس عنده بنيامين من يعقوب اسرائيل الله بن اسحاق
ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى ملك مصر اما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء اما
جدي ابراهيم فشدت يداه ورجلاه والقي في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما واما
ابي فشدت يداه [illegible] رجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله واما انا فكان
لي ابن وكان احب [illegible] ذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا
بالدم وقالوا [illegible] ذهبت عيناي ثم كان لي ابن اخوه وكان اخاه من امه
وكنت اتسلى به وانك حبسته وزعمت انه سرق وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد
سارقا فان رددته الي والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ
يوسف عليه الصلاة والسلام كتاب ابيه اشتد بكاؤه وعيل صبره واظهر نفسه
لاخوته على ما سنذكره ان شاء الله تعالى فذلك قوله تعالى يا بني اذهبوا فتحسسوا
من يوسف واخيه ولا تيأسوا اي ولا تقنطوا من روح الله يعني من رحمة الله وقيل
من فضل الله وقيل من فرج الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعني
ان المؤمن على خير يرجوه من الله تعالى فيصبر عند البلاء فينال به خيرا ويحمد عند الرخاء فينال
به خيرا والكافر بضد ذلك فلما دخلوا عليه فيه حذف واختصار تقديره فخرجوا
من عند ابيهم قاصدين مصر فلما دخلوا عليه يعني على يوسف قالوا يا ايها العزيز
يعني يا ايها الملك والعزيز القادر المنيع وكان العزيز لقب لملك مصر يومئذ مسنا واهلنا
الضر اي الشدة والفقر والجوع واراد بالاهل من خلفوا وراءهم من العيال وجئنا
ببضاعة مزجاة يعني جئنا ببضاعة رديئة كاسدة لا تنفق في ثمن الطعام الا بتجوز
من البائع واصل الازجاء في اللغة الدفع قليلا قليلا والتزجية دفع الشيء لينساق

تزجيه الريح السحاب ومنه قول الشاعر * وحاجة غير مزجاة من الحاج * يعني غير قليلة
يسيرة يمكن دفعها وسوقها لقلتها الا عند ادبارها وانما وصفوا تلك البضاعة بانها مزجاة
اما لنقصانها او هي لرداءتها او لمجموعهما فلذلك اختلفت عبارات المفسرين في معنى هذه
البضاعة المزجاة فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه كانت دراهم رديئة زيوفا وقيل
كانت خلق الغرائر والحبال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط قال
الكلبي ومقاتل كانت حبة الخضراء وقيل كانت سويق المقل وقيل كانت الادم ن
والسخال قال الزجاج سميت هذه البضاعة القليلة الرديئة مزجاة من قولهم فلان يزجي
العيش اي يدفع الزمان بالقليل والمعنى جئنا ببضاعة مزجاة لندافع بها الزمان
وليست مما ينتفع بها وعلى هذا ما قيل للدراهم الرديئة مزجاة لانها مردودة مدفوعة
غير مقبولة ممن يدفعها **فاوف لنا الكيل** يعني اعطنا ما كنت تعطينا من قبل بالثمن
الجيد الوافي والمعنى انا نريد ان تتم لنا الزائد مقام الناقص والجيد مقام الردي
وتصدق علينا يعني وتفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والردي ولا تنقصنا هذا
قول اكثر المفسرين قال ابن الانباري وكان الذي يسألونه من المسامحة يشبه الصدقة
وليس بها واختلف العلما هل كانت الصدقة حلالا لا للانبيا قبل نبينا ام لا فقال
سفيان بن عيينة ان الصدقة كانت حلالا للانبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم
واستدل بهذه الاية وانكر جمهور العلما ذلك وقالوا ان حال الانبيا كلهم واحد
في تحريم الصدقة عليهم لانهم ممنوعون من الخضوع للمخلوق والاخذ منهم لان الصدقة
اوساخ الناس فلا تحل لهم لانهم مستغنون بالله عز وجل عمن سواه واجيب
عن قوله وتصدق علينا انهم طلبوا منه ان يجريهم على عادتهم في المسامحة وايفا الكيل
ونحو ذلك مما كان يفعل بهم من الكرامة وحسن الضيافة لا نفس الصدقة وكره
الحسن ومجاهد ان يقول الرجل في دعايه اللهم تصدق علي لان الصدقة لا تكون الا
ممن يبتغي الثواب وروي ان الحسن رضي الله تعالى عنه سمع رجلا يقول اللهم تصدق علي
فقال ان الله لا يتصدق وانما يتصدق من يبتغي الثواب قل اللهم اعطني وتفضل علي
وقال ابن جريج والضحاك وتصدق علينا برد اخينا علينا **ان الله يجزي
المتصدقين** يعني الثواب الجزيل قال الضحاك ان الله يجزيك لانهم لم يعلموا انه
مومن **قال** يعني قال يوسف عليه الصلاة والسلام **هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه** اختلفوا في السبب الذي من اجله حمل يوسف ومهيجه على هذا القول فقال
ابن اسحاق ذكر لي انه لما كلموه بهذا الكلام ادركته رقة على اخوته فباح بالذي كان
يكتم وقيل انه اخرج لهم نسخة الكتاب الذي قد كتبوه ببيعهم من مالك وفي اخره
وكتب يهوذا فلما قروا الكتاب اعترفوا بصحته وقالوا ايها الملك انه كان لنا عبد
فبعناه منه فغاظ يوسف ذلك وقال انكم تستحقون العقوبة وامر بقتلهم فلما
ذهبوا بهم ليقتلوا قال يهوذا كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحد منا فكيف
اذا اتاه الخبر بقتل بنيه كلهم ثم قالوا ان كنت فاعلا ذلك فابعث بامتعتنا الى
ابينا فانه بمكان كذا وكذا حتى ادركته الرقة عليهم ورحمهم فبكى وقال هذا
القول وقيل ان يوسف عليه الصلاة والسلام لما قرا كتاب ابيه اليهم فلم يتمالك
ان بكى وقال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه وهذا استفهام يفيد تعظيم
امر هذه الواقعة ومعناه ما اعظم ما ارتكبتم من امر يوسف وما اقبح ما اقدمتم

عليه

عليه من قطيعة الرحم وتضييع حقه من ابيه وهذا كما يقال للمذنب هل تدري من عصيت
وهل تعلم من خالفت لم يرد بهذا نفس الاستفهام ولكنه اراد تفظيع الامر وتعظيمه
ويجوز ان يكون المعنى هل علمتم عقبى ما فعلتم بيوسف واخيه من تسليم الله تعالى اياهما
من المكروه واعلم ان هذه الاية تصديق لقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم
بامرهم هذا وهم لا يشعرون فان قلت الذي فعلوه بيوسف عليه الصلاة والسلام
معلوم ظاهر فما الذي فعلوه باخيه من المكروه حتى يقول لهم هذه المقالة فانهم
لم يسعوا في حبسه ولا ارادوا ذلك قلت انهم لما فرقوا بينه وبين اخيه يوسف
نغصوا عليه عيشه وكانوا يؤذونه كلما ذكر يوسف وقيل انهم قالوا له لما اتهموه
باخذ الصواع ما راينا منكم يا بني راحيل خيرا **اذ انتم جاهلون** هذا يجري مجرى العذر
لهم يعني انكم انما اقدمتم على الفعل القبيح المنكر حال كونكم جاهلين وفي وقت الصبا
وحالة الجهل وقيل جاهلون بما يؤول اليه امر يوسف عليه الصلاة والسلام
فتنوسه عن ذلك **قالوا ائنك لانت يوسف** قد قرئ على سبيل الاستفهام وحجة هذه
القراة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه لما قال لهم هل علمتم ما فعلتم بيوسف [illegible]
بنيامين فراوا ثناياه كاللولو فشبهوه بيوسف عليه الصلاة والسلام فشبهوه
بيوسف استفهاما ائنك لانت يوسف وقرئ على الخبر وحجة ما قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنه ايضا في رواية اخرى عنه ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع
التاج عن راسه وكان له في قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب عليه الصلاة
والسلام مثلها ولاسحاق مثلها ولسارة مثلها فعرفوه بها وقالوا انك يوسف
وقيل قالوه على التوهم ولم يعرفوه حتى قال **انا يوسف** قال بعض العلما رضي
الله تعالى عنهم انما اظهر الاسم في قوله انا يوسف ولم يقل انا هو تعظيما لما نزل به
من ظلم اخوته له وما عوضه الله تعالى به من النصر والظفر والملك وكانه قال
يوسف انا يوسف المظلوم الذي ظلمتموني وقصدتم قتلي بان القيتموني في الجب
ثم بعتموني باخس الاثمان ثم صرت الى ما ترون وكان تحت ظهور هذا الاسم
هذه المعاني كلها ولهذا قال وهذا اخي وهم يعرفونه لانه قصد به ايضا هذا
اخي المظلوم كما ظلمتموني ثم صار الى ما ترون فكان تحت ظهور هذا
الاسم هذه المعاني وهو قوله **قد من الله علينا** بكل خير وعز في الدنيا والاخرة
وقيل من علينا اي بالسلامة في ديننا ودنيانا **انه من يتق ويصبر** يعني يتقي
الزنا ويصبر على العزوبة قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه وقال مجاهد هو
المعصية والصبر على السجن وقيل يتق الله باداء فرايضه ويصبر عما حرم الله تعالى
فان الله لا يضيع اجر المحسنين يعني اجر من كان هذا حاله **قالوا** يعني
قال اخوة يوسف عليه الصلاة والسلام معتذرين اليه مما صدر منهم في حقه
تالله لقد اثرك الله علينا اي اختارك وفضلك علينا بالعلم والعقل وقال
الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه بالملك وقال ابو صالح عنه بالصبر وقيل
بالحلم والصفح علينا وقيل بالحسن وسائر الفضايل التي اعطاها الله تعالى له
دون اخوته وقيل فضل عليهم بالنبوة واورد على هذا القول بان الاخوة كانوا انبيا
ايضا فلم يفضل عليهم فضل واجيب بان يوسف عليه الصلاة والسلام فضل عليهم
بالرسالة مع النبوة فكان افضل منهم بهذا الاعتبار لان من جمع له النبوة

والرسالة كان افضل ممن خص بالنبوة فقط وان كنا لخاطئين يعني وان وما كنا في صنعنا بك
الا خاطئين ولهذا اختير لفظ الخاطئ على المخطئ والفرق بينهما ان يقال خطئ خطأ اذا تعمد
واخطأ اي اذا كان غير متعمد وقيل يجوز ان يكون اختير لفظ خاطئين على مخطئين لموافقة
الآي لان خاطئين اشبه بما قبلها قال يعني يوسف عليه الصلاة والسلام لا تثريب عليكم
يعني لا تعيير ولا توبيخ عليكم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا زنت امة احدكم فليجلدها الحد
ولا يثرب اي لا يعيرها بالزنا بعد اقامة الحد عليها وفي محل قوله اليوم ويبتدي ويغفر الله لكم
والقول الثاني ان اليوم متعلق بقوله يغفر الله لكم فعلى هذا يحسن الوقف على قوله لا تثريب عليكم
اليوم يغفر الله لكم كأنه لما نفى عنهم التوبيخ والتثريب بقوله لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم
وهو ارحم الراحمين ولما عرفهم يوسف عليه الصلاة والسلام نفسه سألهم عن حال ابيه فقال
ما حال ابي بعدي قالوا ذهب بصره من كثرة البكاء عليك فاعطاهم قميصه وقال اذهبوا
بقميصي هذا قال الضحاك كان ذلك القميص من نسج الجنة وقال مجاهد امره جبريل عليه الصلاة
والسلام ان يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابراهيم وذلك انه لما جرد من ثيابه
والقي في النار عريانا اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فكان ذلك القميص عند
ابراهيم فلما مات ورثه اسحاق فلما مات ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل
يعقوب ذلك القميص في قصبة من ذهب وقيل من فضة وسد رأسها وعلقها في عنق
يوسف عليه الصلاة والسلام كالتعاويذ لما كان يخاف عليه من العين وكانت لا تفارقه
فلما القي يوسف في البير عريانا فاتاه جبريل عليه الصلاة والسلام واخذ ذلك القميص
والبسه اياه فلما كان هذا الوقت جاءه جبريل عليه الصلاة والسلام فامره بان يرسل هذا
القميص الى ابيه لان فيه ريح الجنة فلا يقع على مبتلى الا عوفي في الوقت فدفع ذلك القميص الى ابيه
لان فيه ريح الجنة اخوته وقال اذهبوا بقميصي هذا فالقوه على وجه ابي يأت بصيرا
قال المحققون انما علم يوسف عليه الصلاة والسلام ان القاء ذلك القميص على وجه يعقوب
يوجب رد البصر كان بوحي الله تعالى اليه ذلك ويمكن ان يقال ان يوسف عليه الصلاة
والسلام لما علم ان اباه قد عمي من كثرة البكاء عليه وضيق الصدر فبعث اليه قميصه ليجد ريحه
فيزول بكاؤه وينشرح صدره ويفرح قلبه فعند ذلك يزول الضعف ويقوى البصر فهذا
القدر يمكن معرفته من جهة العقل وقوله واتوني باهلكم اجمعين قال الكلبي كانوا
نحوا من سبعين انسانا وقال مسروق كانوا ثلاثة وتسعين ما بين رجل وامرأة ولما
فصلت العير يعني خرجت من مصر وقيل من عريش مصر متوجهين الى كنعان قال ابوهم
يعني قال يعقوب لولد ولده اني لاجد ريح يوسف قيل ان ريح الصبا استأذنت ربها
في ان تأتي يعقوب بريح يوسف قبل ان يأتيه البشير وقال مجاهد اصابت يعقوب ريح
يوسف من مسيرة ثلاثة ايام وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه من مسيرة ثمان ليال
وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا وقيل هبت ريح فاحتملت ريح القميص الى يعقوب
فوجد ريح الجنة فعلم بذلك انه من ريح يوسف لولا ان تفندون اصل التفنيد من الفند
وهو ضعف الرأي وقال ابن الانباري افند الرجل اذا خرف وقيل اذا جهل ونسب
ذلك اليه وقال الاصمعي اذا كثر كلام الرجل من خرف فهو المفند فيكون المعنى لولا
ان تفندون اي تنسبوني الى الخرف وقيل تضعفوني وقيل تكذبوني وقيل تجهلوني وهو
قول ابن عباس رضي الله عنه وقال الضحاك تهرمون فتقولون شيخ كبير قد خرف وذهب
عقله قالوا يعني اولاد يعقوب والمراد الذي عنده لان اولاده لصلبه كانوا غائبين

عنه تالله انك لفي ضلالك القديم يعني من ذكر يوسف عليه الصلاة والسلام ولا تنساه
لان عندهم يوسف كان قد مات وهلك ويرون ان يعقوب عليه الصلاة والسلام قد لهج
بذكره فلذلك قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم والضلال الذهاب عن طريق الصواب
فلما ان جاء البشير وهو المبشر بخبر يوسف عليه الصلاة والسلام قال ابن مسعود جاء البشير
بين يدي العير قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه هو يهودا قال السدي قال يهودا
انا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب وقلت له ان يوسف اكله الذئب فانا اذهب اليوم
بالقميص واخبره انه حي فافرحه كما احزنته وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه حمله يهودا
وخرج به حافيا حاسرا رأسه ومعه سبعة ارغفة فلم يستوف اكلها حتى اتى اباه وكانت
المسافة ثمانين فرسخا فالقاه على وجهه يعني فالقى البشير قميص يوسف على وجه
يعقوب فارتد بصيرا يعني فرجع بصيرا بعد ما كان قد عمي وعادت اليه قوته
بعد الضعف وسروره بعد الحزن قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون يعني
من حياة يوسف عليه الصلاة والسلام وان الله تعالى يجمع بيننا وروي ان يعقوب عليه الصلاة
والسلام قال للبشير كيف تركت يوسف قال تركته ملك مصر قال يعقوب عليه الصلاة والسلام ما اصنع
بالملك على اي دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة قالوا يا ابانا استغفر لنا
ذنوبنا يعني قال اولاد يعقوب حين وصلوا اليه واخذوا يعتذرون اليه مما صنعوا به
وبيوسف استغفر لنا اي اطلب لنا غفر ذنوبنا من الله تعالى انا كنا خاطئين يعني في
صنعنا قال سوف استغفر لكم ربي قال اكثر المفسرين اخر الدعاء والاستغفار
لهم الى وقت السحر لانه اشرف الاوقات وهو الوقت الذي يقول الله فيه هل من داع فاستجيب
له فلما انتهى يعقوب عليه الصلاة والسلام الى الوقت السحر قام الى الصلاة متوجها الى الله
تعالى فلما فرغ رفع يديه الى الله تعالى فقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري
عنه واغفر لولدي ما اتوا الى اخيهم يوسف عليه الصلاة والسلام فاوحى الله تعالى اليه اني
قد غفرت لك ولهم اجمعين قال عكرمة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اخر الاستغفار
لهم الى ليلة الجمعة لانها اشرف الاوقات قال وهب رضي الله تعالى عنه كان يستغفر لهم
كل ليلة جمعة نحو عشرين سنة وقال طاوس اخر الاستغفار الى نحو عشرين سنة وقيل اخر
الاستغفار الى وقت السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وقال الشعبي سوف
استغفر لكم ربي انه هو الغفور يعني لمن تاب من عباده الرحيم بجميع خلقه قال عطاء الخراساني
طلب الحوائج الى الشباب اسهل منه الى الشيوخ الا ترى الى قول يوسف عليه الصلاة والسلام لاخوته
لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب عليه الصلاة والسلام سوف استغفر لكم ربي قال
اصحاب الاخبار ان يوسف عليه الصلاة والسلام بعث الى اخوته والى ابيه مائتي راحلة وجهازا
وسألهم ان يأتوه بيعقوب وجميع اهله الى مصر فلما اتوه تجهز يعقوب عليه الصلاة
والسلام للخروج الى مصر فخرج باهله وهم يومئذ اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة
وقال مسروق كانوا ثلاثة وتسعين فلما دنا يعقوب عليه الصلاة والسلام من
مصر كلم يوسف عليه الصلاة والسلام الملك الاكبر يعني ملك مصر وعرفه بمجيء اهله وابيه
فخرج يوسف عليه الصلاة والسلام ومعه الملك في اربعة آلاف من الجند وركب اهل مصر
معهم يتلقون يعقوب عليه الصلاة والسلام وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على يد ابنه
يهودا فلما نظر الى الخيل والناس قال يا يهودا هذا فرعون مصر قال لا بل هذا ابنك يوسف
فلما دنا كل واحد من صاحبه اراد يوسف عليه الصلاة والسلام ان يبدأ يعقوب بالسلام

فقال له جبريل عليه السلام لا بل ابدأ يعقوب بالسلام فقال له يعقوب السلام عليك يا مذهب
الاحزان وقيل انهما نزلا وتعانقا كما يفعل الوالد بولده والولد بوالده وقيل ان يوسف عليه
الصلاة والسلام قال لابيه يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة
تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني وبينك فذلك قوله تعالى **فلما
دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه** يعني ضم اليه ابويه قال اكثر المفسرين هو ابوه يعقوب وخالته
ليا وكانت امه قد ماتت في نفاس بنيامين وقال الحسن هو ابوه وامه وكانت حية وقيل
ان الله تعالى احياها ونشرها من قبرها حتى سجدت ليوسف تحقيقا لرؤياه والاول اصح
وقال ادخلوا مصر قيل انه هذا الاستثناء قيل المراد بالدخول الاول في قوله فلما دخلوا
على يوسف ارض مصر وذلك حين استقبلهم ثم قال ادخلوا مصر يعني البلد وقيل انه اراد
بالدخول الاول دخولهم مصر واراد بالدخول الثاني الاستيطان بها اي ادخلوا مصر مستوطنين
فيها **ان شاء الله آمنين** قيل ان هذا الاستثناء عائد الى الامن لا الى الدخول والمعنى ادخلوا
مصر آمنين ان شاء الله وقيل انه عائد الى الدخول فعلى هذا يكون في
الكلام تقديم وتأخير تقديره سوف استغفر لكم ربي ان شاء الله وقيل ان الناس كانوا
يخافون من ملوك مصر فلا يدخلها احد الا بجوازهم فقال لهم يوسف عليه الصلاة والسلام
ادخلوا مصر آمنين على انفسكم واهليكم ان شاء الله فعلى هذا يكون قوله ان شاء الله للتبرك
وهو قوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون مع علمه بانه لاحق بهم **ورفع ابويه
على العرش** يعني السرير الذي كان يجلس عليه يوسف عليه الصلاة والسلام والرفع هو
النقل الى العلو **وخروا له سجدا** يعني يعقوب وخالته واخوته وكانت تحية الناس
يومئذ السجود وهو الانحناء والتواضع ولم يرد حقيقة السجود وهو وضع الجبهة على الارض
على سبيل العبادة فان قلت كيف استجاز له ان يسجد له وهو اكبر سنه واعلا منصبا في النبوة
والشيخوخة قلت يحتمل ان الله تعالى امره بذلك لتحقيق رؤياه ثم في معنى هذا السجود
قولان احدهما انه كان انحناء على سبيل التحية كما تقدم فلا اشكال فيه والقول الثاني انه كان
حقيقة السجود وهو وضع الجبهة بالارض واجيب عن هذا الاشكال بان السجود كان
في الحقيقة لله تعالى على سبيل الشكر وانما كان يوسف عليه الصلاة والسلام كالقبلة
كما سجد الملائكة لآدم عليه الصلاة والسلام ويدل على صحة هذا التأويل قوله ورفع ابويه
على العرش وخروا له سجدا وظاهر هذا اللفظ انهم لما صعدوا على السرير خروا
سجدا لله ولو كان ليوسف عليه الصلاة والسلام لكان قبل الصعود لان ذلك ابلغ في
التواضع فان قلت يرد على صحة هذا التأويل قوله رأيتهم لي ساجدين وقوله وخروا له سجدا
فان ذلك الضمير يرجع الى اقرب المذكورات وهو يوسف عليه الصلاة والسلام قلت يحتمل
ان يكون المعنى وخروا لاجله سجدا لان الله تعالى امر يعقوب عليه الصلاة والسلام بتلك
السجدة لحكمة خفية وهو ان اخوة يوسف ربما حملتهم الانفة والتكبر عن السجود ليوسف
فلما رأوا اباهم قد سجد له سجدوا له ايضا ويكون هذه السجدة على سبيل التحية والتواضع
او على سبيل العادة وكان ذلك جائزا في ذلك الزمان فلما جاء الاسلام نسخ هذه الفعلة
والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه **وقال** يعني قال يوسف عليه الصلاة والسلام
عند ما رأى ذلك **يا ابت هذا تأويل رؤياي من قبل** يعني تصديق رؤياي
التي رأيتها حال الصغر **قد جعلها ربي حقا** يعني في التعظيم واختلفوا فيما بين
رؤياه وتأويلها فقال سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد بن الهاد اربعون سنة

وقال ابو صالح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اثنان وعشرون سنة وقال سعيد بن جبير وعكرمة
والسدي ستة وثلاثون سنة وقال قتادة خمس وثلاثون سنة وقال عبد الله بن مسعود سبعون
سنة وقال الفضيل بن عياض ثمانون سنة حكى هذه الاقوال كلها ابن الجوزي رحمه الله تعالى وزاد
غيره عن الحسن ان يوسف كان عمره حين القي في الجب سبع عشرة سنة واقام في العبودية والسجن
والملك مدة ثمانين سنة واقام مع ابيه واخوته واقاربه مدة ثلاثا وعشرون سنة وتوفاه الله
وهو ابن مائة وعشرون سنة وقوله **وقد احسن بي** يعني انعم علي يقال احسن بي والي **اذ
اخرجني من السجن** انما ذكر انعام الله تعالى عليه في اخراجه من السجن وان كان الجب اصعب منه
استعمالا للكرم لكيلا يخجل اخوته بعد ان قال لهم لا تثريب عليكم اليوم ولان نعمة الله
تعالى عليه في اخراجه من السجن كان سببا لوصوله الى الملك وقيل ان دخوله في الجب كان لحسد
اخوته ودخوله السجن كان لزوال التهمة عنه فكان ذلك اعظم نعمة عليه **وجاء بكم من البدو**
يعني من البادية والبدو بسيط من الارض يبدو الشخص فيه من بعد يعني يظهر والبدو
خلاف الحضر والبادية خلاف الحاضرة وكان يعقوب عليه الصلاة والسلام اصحاب مواشي
فسكنوا البادية **من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي** يعني افسد ما بيننا بالحسد
الحسد واصل النزغ دخول في امر لافساده واستدل بهذه الاية بطلان الجبر [illegible]
قالوا لان يوسف عليه الصلاة والسلام اضاف الاحسان الى الله تعالى واضاف النزغ الى الشيطان
ولو كان من فعل الله تعالى لوجب ان ينسب اليه كما في الاحسان والنعم والجواب عن هذا انما
انما اسند الفعل الى الشيطان واضافه اليه على سبيل المجاز وان كان ظاهر اللفظ يقتضي اضافة
الفعل الى الشيطان لا على الحقيقة لان الفاعل المطلق المختار هو الله تعالى في الحقيقة قال لو
كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فثبت بذلك ان الكل من عند الله وبقضائه وقدره ليس للشيطان
فيه مدخل الا بالقاء الوسوسة والتحريش لافساد ذات البين وذلك بما قدره الله تعالى ارادة
على ذلك **ان ربي لطيف لما يشاء** يعني ان الله تعالى ذو اللطف عالم بدقائق الامور وحقائقها
قال صاحب المفردات قد يعبر باللطف عما لا تدركه الحاسة ويصح ان يكون وصف الله
تعالى به على هذا الوجه وان يكون لمعرفته بدقائق الامور وان يكون لرفقه بالعباد في
هدايتهم وقوله ان ربي لطيف لما يشاء اي حسن الاستخراج فيما اوصل اليه يوسف عليه
الصلاة والسلام حين القاه اخوته في الجب وفيما ال اجتماع يوسف وابيه واخوته بعد طول
الفرقة وحسد اخوته له وذلك وازال ذلك مع طيب الانفس وشدة المحبة كان من لطف
الله تعالى بهم حيث حصل ذلك كله لان الله تعالى اذا اراد امرا هيأ اسبابه **انه هو العليم**
بمصالح عباده **الحكيم** في جميع افعاله قال اصحاب التواريخ والاخبار ان يعقوب عليه الصلاة
والسلام اقام عند يوسف عليه الصلاة والسلام بمصر اربعا وعشرين سنة في اهنا عيش وانعم
بال واحسن حال فلما حضرته الوفاة اوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده حتى يدفنه عند
قبر ابيه اسحاق في الارض المقدسة بالشام فلما مات يعقوب عليه الصلاة والسلام فعل
يوسف عليه الصلاة والسلام بما امره ابوه فحمل جسده في تابوت من ساج حتى قدم به الشام
فوافق ذلك موت العيص اخي يعقوب عليهما الصلاة والسلام وكانا قد ولدا في بطن واحد
فدفنا في قبر واحد وكان عمرهما مائة وسبعة واربعين سنة فلما دفن يوسف عليه الصلاة
والسلام اباه وعمه رجع الى مصر فلما جمع الله تعالى شمل يوسف عليه الصلاة والسلام
بابيه واخوته علم ان نعيم الدنيا زائل سريع الفناء لا يدوم سأل الله تعالى حسن الخاتمة
والعاقبة الصالحة فقال **رب** اي يا رب **قد آتيتني من الملك** يعني ملك مصر ومن هنا

للتبعيض لانه لم يوت ملك مصر كله بل كان فوقه ملك آخر والملك عبارة عن الاتساع في
المقدور لمن له السياسة والتدبير **وعلمتني من تأويل الاحاديث** يعني تعبير الرؤيا
فاطر السموات والارض يعني خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق واصل الفطر الشق
يقال فطر ناب البعير اذا انشق وظهر وفطر الله تعالى الخلق اوجده وابدعه **انت وليي**
يعني انت معيني ومتولي امري **في الدنيا والآخرة توفني مسلما** اي اقبضني اليك مسلما
واختلفوا هل هو طلب الوفاة في الحال ام لا على قولين احدهما انه سأل الله تعالى الوفاة
في الحال قال قتادة رحمه الله تعالى لم يتمن احد من الانبياء الموت الا يوسف عليه الصلاة
والسلام قال اصحاب هذا القول ولم يأت عليه اسبوع حتى توفي والقول الثاني انه سأل الوفاة
على الاسلام ولم يتمن الموت في الحال قال الحسن رضي الله تعالى عنه انه عاش بعد هذا سنين
كثيرة فعلى هذا القول يكون معنى اليوم توفني اذا توفيتني على الاسلام فهو طلب لان يجعل
الله تعالى وفاته على الاسلام وليس في اللفظ ما يدل على انه طلب الوفاة في الحال قال
بعض العلماء رضي الله تعالى عنهم وكلا القولين محتمل لان اللفظ صالح للامرين ولا يبعد
من الرجل العاقل الكامل ان يتمنى الموت لعلمه ان الدنيا ولذاتها فانية زائلة سريعة
الذهاب وان نعيم الآخرة دائم باق لا نفاد له ولا زوال ولا يمنع من هذا قوله صلى الله
عليه وسلم لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به فان تمني الموت عند وجود الضر ونزول
البلاء مكروه والصبر عليه اولى قوله **والحقني بالصالحين** اراد بذلك آباءه
وهم ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام قال علماء التاريخ عاش
يوسف عليه الصلاة والسلام مائة وعشرين سنة وفي التوراة مائة وعشر سنين وولد
ليوسف عليه الصلاة والسلام من امرأة العزيز ثلاثة اولاد افرائيم ومنشا ورحمة امرأة ايوب
وقيل عاش بعد ابيه ستين سنة وقيل اكثر ولما مات يوسف عليه افضل الصلاة والسلام
دفنوه في النيل في صندوق من رخام وقيل من حجارة المرمر ولما مات تشاح الناس فيه
فطلب اهل كل محلة ان يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا ان يقتتلوا ثم رأوا ان يدفنوه
في النيل بحيث يجري الماء عليه ويتفرق عنه وتصل البركة الى جميعهم قال عكرمة انه دفن
في الجانب الايمن من النيل فاخصب ذلك الجانب واجدب الجانب الآخر فنقل الى الجانب
الايسر فاخصب واجدب الجانب الايمن فدفنوه في وسط النيل وقدر ذلك بسلسلة
فاخصب الجانبان فبقي الى ان اخرجه موسى عليه الصلاة والسلام وحمله معه حتى
دفنه بقرب آبائه بالشام في الارض المقدسة قوله عز وجل **ذلك** يعني الذي ذكرت لك
يا محمد من قصة يوسف عليه الصلاة والسلام وما جرى له مع اخوته ثم انه صار الى الملك
بعد الرق **من انباء الغيب** يعني اخبار الغيب **نوحيه اليك** يعني الذي اخبرناك به وحي
اوحيناه اليك يا محمد وفي هذه الآية دليل قاطع على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه
كان رجلا اميا لا يقرأ الكتب ولم يلق العلماء ولم يسافر الى بلد غير بلده الذي نشأ
فيه صلى الله عليه وسلم نشأ بين امة امية مثله ثم انه صلى الله عليه وسلم اتى بهذه
القصة الطويلة على احسن ترتيب وابين معان وافصح عبارة علم بذلك ان الذي اتى
به وحي ونور قدسي سماوي وهو معجزة له فاهمة الحاضر المدهر قوله تعالى **وما كنت**
لديهم يعني وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب **اذ اجمعوا امرهم** يعني حين عزموا
على القاء يوسف عليه الصلاة والسلام في الجب **وهم يمكرون** يعني بيوسف **وما اكثر الناس**
ولو حرصت بمؤمنين الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وما اكثر الناس يا محمد

ولو حرصت على ايمانهم بمؤمنين وذلك ان اليهود وقريشا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن قصة يوسف عليه الصلاة والسلام فلما اخبرهم بها على وفق ما عندهم في التوراة لم يسلموا
فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك فقيل له انهم لا يؤمنون ولو حرصت على ايمانهم
فيه تسلية له **وما تسألهم عليه من اجر** يعني على تبليغ الرسالة والدعاء الى الله تعالى من اجر
يعني اجرا وجعلا على ذلك **ان هو** يعني ما هو يعني القرآن **الا ذكر** يعني عظة وتذكير
للعالمين وكأين من آية يعني وكم من آية دالة على التوحيد **في السموات والارض**
يمرون عليها يعني لا يتفكرون ولا يعتبرون بها **وهم عنها معرضون** اي هم لا يلتفتون
اليها والمعنى لسبيل اعراضهم عن هذه الآيات الظاهرة الدالة على وحدانية الله تعالى
لا تعجب من اعراضهم عنك يا محمد **وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون** يعني ان
ايمانهم انهم اذا سئلوا من خلق السموات والارض قالوا الله واذا قيل لهم من ينزل
المطر قالوا الله وهم مع ذلك يعبدون الاصنام وفي رواية عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنه انهم يعرفون ان الله تعالى خالقهم فذلك ايمانهم وهم يعبدون غيره فذلك
شركهم وفي رواية اخرى عنه انها نزلت في تلبية مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقولون
في تلبيتهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك وقال عطاء
رضي الله تعالى عنه هذا في الدعاء وذلك ان الكفار نسوا ربهم في الرخاء فاذا اصابهم
البلاء اخلصوا في الدعاء **افأمنوا ان تأتيهم غاشية من عذاب الله** يعني عقوبة
تجللهم وتعمهم وقال مجاهد عذاب يغشاهم وقال قتادة وقيعة وقال الضحاك يعني
الصواعق والقوارع **او تأتيهم الساعة بغتة** يعني فجاة **وهم لا يشعرون** يعني
بقيامها قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه تهيج الصيحة بالناس وهم في اسواقهم **قل**
اي قل يا محمد **هذه سبيلي** يعني طريقي التي ادعو اليها وهي توحيد الله عز وجل
ودين الاسلام وسمي الدين سبيلا لانه الطريق المؤدي الى الثواب والجنة **ادعو**
الى الله يعني الى توحيد الله والايمان به **على بصيرة** يعني على يقين ومعرفة
والبصيرة هي المعرفة التي يتميز بها بين الحق والباطل **انا ومن اتبعني** يعني ومن
آمن بي وصدق بما جئت به ايضا يدعو الى الله وهذا قول الكلبي وابن زيد قالا
حق على من اتبعه وآمن به ان يدعو الى ما دعى اليه ويذكر بالقرآن ثم الكلام عند قوله
ادعو الى الله ثم استأنف على بصيرة انا ومن اتبعني يعني انا على بصيرة ومن
اتبعني ايضا على بصيرة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه يعني اصحاب محمد صلى
الله عليه وسلم كانوا على احسن طريقة وافضل هداية وهم معدن العلم وكنز الايمان
وجند الرحمن وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه من كان مستنا فليستن بمن قد
مات اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الامة ابرها قلوبا واعمقها
علما واقلها تكلفا قوم اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
ونقل دينه فتشبهوا باخلاقهم وطرائقهم فهم كانوا على الهدي المستقيم
[illegible] **وسبحان الله** اي وقل سبحان الله يعني تنزيها لله تعالى عما لا يليق
بجلاله من جميع العيوب والنقائص والشركاء والاضداد والانداد **وما انا من المشركين**
يعني وقل يا محمد وما انا من الذين اشركوا بالله غيره قوله عز وجل **وما ارسلنا**
من قبلك الا رجالا يعني وما ارسلنا قبلك يا محمد الا رجالا مثلك ولم يكونوا ملائكة
يوحي اليهم هذا جواب لاهل مكة حيث قالوا هلا بعث الله ملكا والمعنى كيف تعجبوا

من ارسالنا اياك يا محمد وسائر الرسل الذين كانوا من قبلك بشر مثلك حالهم كحالك **من**
اهل القرى يعني انهم من اهل الامصار والمدن لا من اهل البوادي لان اهل الامصار
افضل واعلم واكمل عقلا من اهل البوادي قال الحسن رضي الله تعالى عنه لم يبعث الله
تعالى نبيا من اهل البادية ولا من الجن ولا من النساء وقيل انما لم يبعث نبيا من البادية لغلظهم
وجفائهم **افلم يسيروا في الارض** يعني هولاء المشركين المكذبين **فينظروا كيف كان**
عاقبة الذين من قبلهم يعني كان عاقبتهم الهلاك لما كذبوا رسلنا فليعتبر هولاء بهم
وبما حل بهم من عذابنا **ولدار الاخرة** يعني فعلنا هذا باوليائنا واهل طاعتنا ان
نجيناهم عند نزول العذاب بالامم المكذبة وما في الدار الاخرة لهم يعني الجنة لانها
خير من الدنيا وانما اضاف الدار الى الاخرة وان كانت هي هي لان العرب تضيف الشيء
الى نعته كقولهم حق اليقين والحق هو اليقين نفسه افلا تعقلون يعني تتفكرون
وتعتبرون بهم فتومنون قوله عز وجل **حتى اذا استيأس الرسل** قال صاحب الكشاف
حتى متعلقة بمحذوف دل الكلام عليه كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخى
نصرهم حتى اذا استيأس الرسل عن النصر وقال الواحدي حتى هنا حرف من حروف
الابتداء يستانف بعدها ومعنى استيأس الرسل من ايمان قومهم **وظنوا انهم قد**
كذبوا قرأ اهل الكوفة وهم عاصم وحمزة والكسائي كذبوا بالتخفيف ووجه هذه القراءة
على ما قاله الواحدي ان معناه ظن الامم ان الرسل قد كذبوهم فيما اخبروهم به من نصر
الله تعالى اياهم واهلاك اعدائهم وهذا معنى قول ابن عباس رضي الله تعالى عنه
وابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقال اهل المعاني كذبوا من قولهم كذبتك الحديث
اي لم اصدقك ومنه قوله وقعد الذين كذبوا الله ورسوله قال ابو علي والضمير
في قوله وظنوا على هذه القراءة للمرسل اليهم والتقدير وظن المرسل اليهم ان الرسل
كذبوهم فيما اخبروهم به من انهم ان لم يومنوا بهم نزل بهم العذاب وانما ظنوا ذلك لما
شاهدوا من امهال الله تعالى اياهم ولا يمتنع حمل الضمير وظنوا على المرسل اليهم
وان لم يتقدم لهم ذكر لان ذكر الرسل يدل على ذكر المرسل اليهم وان شئت قلت ان ذكرهم
جرى في قوله افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم فيكون
الضمير في قبلهم لمكذبي الرسل والظن هنا على معنى التوهم والحسبان وهذا على
معنى ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه قال حتى اذا استيأس الرسل من
قومهم الاجابة وظن قومهم ان الرسل قد كذبوا اي كذبتهم انفسهم حين حدثتهم عنهم
بانهم ينصرون او رجاؤهم كقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب
والعداوة وانتظار النصر من الله وتمهله تطاولت عليهم وتمادت حتى اذا
استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا **جاءهم نصرنا** فجاة من غير
احتساب وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنه وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد
اخلفوا ما وعدهم الله تعالى من النصر قال وكانوا بشرا وتلا قوله
وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى نصر الله قال صاحب الكشاف فان صح
هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة
وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذي هو ترجيح احد الجانبين على
الاخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله تعالى الذين هم اعرف
الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد وحكى الواحدي عن ابن الانباري انه قال

هذا

هذا غير معول عليه من جهتين احداهما ان التفسير ليس عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه
لكنه من متأول تأوله والاخرى ان قوله جاءهم نصرنا دال على ان اهل الكفر
لما ظنوا ما لا يجوز على الله استضعفوا فنصر الله تعالى الرسل ولو كان الظن للرسل
كان ذلك منهم خطأ عظيما لا يستحقون ظفرا ولا نصرا وتنزيه الانبياء وتطهيرهم
هو واجب علينا اذا وجدنا الى ذلك سبيلا وقرأ الباقون وهم نافع وابن كثير وابو عمرو
وابن عامر وظنوا انهم قد كذبوا بالتشديد ووجه هذه القراءة ان معناه حتى اذا
استيأس الرسل من ايمان قومهم وظنوا يعني ايقنوا الرسل ان الامم قد كذبوهم
تكذيبا لا يرجى بعده ايمانهم والظن بمعنى اليقين وهذا معنى قول قتادة وقال
بعضهم معناه حتى اذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم ان يصدقوهم وظنوا ان من
امن بهم من قومهم قد فارقوهم وارتدوا عن دينهم لشدة المحنة والبلاء واستبطاء النصر
اتاهم النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى الحسبان والتكذيب مظنون
من جهة من امن بهم يعني وظنت الرسل ظن حسبان ان من امن بهم قد كذبهم في
وعد الظفر والنصر لابطائه وتأخره عنهم وطول البلاء بهم لا انهم كذبوهم كتكذيبهم
رسلا وقيل ان معناه ان التكذيب لم يحصل من اتباعهم المومنين لانه لو حصل لكان
نوع كفر ولكن الرسل ظنت بهم ذلك لبطء النصر وعلى هذا القول الظن بمعنى اليقين
والتكذيب المتيقن هو من جهة الكفار وعلى القولين جميعا الكناية في وظنوا للرسل
خ عن عروة بن الزبير انه سال عائشة رضي الله تعالى عنها عن قوله تعالى حتى
اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا قالت عائشة رضي الله تعالى عنها بل كذبهم
قومهم فقلت والله لقد استيقنوا ان قومهم كذبوهم وما هو بالظن فقالت يا عروة
اجل لقد استيقنوا بذلك فقلت لعلها قد كذبوا فقالت معاذ الله لم تكن
الرسل تظن ذلك بربها قلت ما هذه قالت هي اتباع الرسل الذين امنوا بربهم وصدقوهم
وطال عليهم البلاء واستاخر عنهم النصر حتى اذا استيأست الرسل ممن كذبهم من قومهم
وظنوا ان اتباعهم كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك وفي رواية عبيد الله بن عبد الله
ابن ابي مليكة قال قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم
قد كذبوا خفيفة قال ذهب بها هنالك وتلا حتى يقول الرسول والذين امنوا معه متى
نصر الله الا ان نصر الله قريب قال فلقيت عروة بن الزبير رضي الله تعالى عنه وذكرت
له ذلك فقال قالت عائشة رضي الله تعالى عنها معاذ الله والله ما وعد الله ورسوله
من شيء قط الا علم انه كائن قبل ان يموت ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا
ان يكون من معهم من قومهم يكذبونهم وكانت تقرأها وظنوا انهم قد كذبوا مثقلة
وقوله تعالى جاءهم نصرنا يعني جاء نصر الله للنبيين **فنجي من نشاء** يعني عند نزول
العذاب بالكافرين فنجي المومنين المطيعين **ولا يرد باسنا** يعني عذابنا
عن القوم المجرمين يعني هم المشركين قوله تعالى **لقد كان في قصصهم** يعني في خبر
يوسف عليه الصلاة والسلام واخوته **عبرة** اي موعظة **لاولي الالباب** يعني يتعظ
بها اولو العقول الصحيحة ومعنى الاعتبار والعبرة الحالة التي يتوصل بها الانسان
من معرفة المشاهد الى ما ليس بمشاهد والمراد منها التأمل والتفكر ووجه الاعتبار
بهذه القصة ان الذي قدر على اخراج يوسف عليه الصلاة والسلام من الجب بعد القائه
فيه واخراجه من السجن وتمليكه مصر بعد العبودية وجمع شمله بابيه واخوته بعد المدة

الطويلة والياس من الاجتماع قادر على اعزاز محمد صلى الله عليه وسلم واعلا كلمته واظهار دينه وان الاخبار بهذه القصة العجيبة جار مجرى الاخبار عن الغيوب فكانت معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الله تعالى قال في اول هذه السورة نحن نقص عليك احسن القصص وقال في اخرها لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب فدل على ان هذه القصة من احسن القصص وان فيها من العبر ما فيها **ما كان حديثا يفترى** يعني ما كان هذا القران حديثا يفترى ويختلق ان الذي جاء به من عند الله تعالى هو محمد صلى الله عليه وسلم لا يصح منه ان يفتريه او يختلقه لانه لم يقرا الكتب ولم يخالط العلما ثم انه جا بهذا القران المعجز فدل ذلك على صدقه وانه ليس بمفترى **ولكن تصديق الذي بين يديه** يعني ولكن كان تصديق الذي بين يديه من الكتب الالهية المنزلة من السما من التوراة والانجيل وفيه اشارة الى ان هذه القصة وردت على الوجه الموافق لما في التوراة من ذكر قصة يوسف عليه الصلاة والسلام **وتفصيل كل شي** يعني ان في القران المنزل عليك يا محمد تفصيل كل شي تحتاج اليه من الحلال والحرام والحدود والاحكام والقصص والمواعظ والامثال وغير ذلك مما يحتاج اليه العباد في امر دينهم ودنياهم **وهدى** يعني الى كل خير **ورحمة** يعني انزلناه رحمة **لقوم يومنون** لانهم هم الذين ينتفعون به والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الرعد

وهي مكية قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى اختلفوا في نزولها على قولين احدهما انها مكية رواه ابو طلحة عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وبه قال الحسن وسعيد ابن جبير وعطا وقتادة وروى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها مكية الا ايتين احدهما قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة والاخرى قوله ويقول الذين كفروا لست مرسلا والقول الثاني انها مدنية رواه عطا الخراساني عن ابن عباس وقال جابر بن زيد وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انها مدنية الا ايتين نزلتا بمكة وهما قوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال الى اخر الايتين وقال بعضهم المدني منها قوله هو الذي يريكم البرق الى قوله دعوة الحق وهي ثلاث وقيل خمس واربعون اية وثمان ماية وخمس وخمسون كلمة وثلاثة الاف وخمسماية وستة احرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **المر** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه معناه انا الله ارى وروى عطا عنه انه قال معناه انا الله الملك الرحمن **تلك ايات الكتاب** الاشارة بتلك الى ايات السورة المسماة بالمر والمراد بالكتاب السورة اي ايات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال تعالى **والذي انزل اليك** يعني هذا القران كله هو الحق الذي لا مرية عليه وقيل المراد بالاشارة في قوله تلك الاخبار والقصص التي قصصتها عليك هي ايات التوراة والكتب الالهية المتقدمة المنزلة والذي انزل اليك يعني وهذا القران الذي انزل اليك **من ربك هو الحق** اي هو الحق فاعتصم به وقال ابن عباس وقتادة رضي الله تعالى عنهما اراد بايات الكتاب والمعنى هذه ايات الكتاب الذي هو القران ثم قال والذي انزل اليك من ربك الحق يعني وهذا القران الذي

انزل عليك من ربك هو الحق الذي لا شك فيه ولا تناقض **ولكن اكثر الناس لا يومنون** يعني مشركي مكة نزلت هذه الاية في الرد عليهم حين قالوا ان محمدا يقوله من تلقا نفسه ثم ذكر من دلايل ربوبيته وعجايب قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى **الله الذي رفع السموات بغير عمد** جمع عمود وهو الاساطين والدعايم التي تكون تحت السقف وفي قوله **ترونها** قولان احدهما ان الرويه ترجع الى السما يعني وانتم ترون السموات مرفوعة بغير عماد من تحتها يعني ليس من دونها دعامة تدعمها ولا من فوقها علاقة تمسكها والمراد نفي العمد بالكلية قال اياس بن معاوية السما مقببة على الارض مثل القبة وهذا قول الحسن وقتادة وجمهور المفسرين واحد الروايتين عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه والقول الثاني ان الرويه ترجع الى العمد والمعنى ان لها عمدا ولكن لا ترونها انتم ومن قال بهذا القول يقول ان عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمردة محيطة بالدنيا والسما عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الاخرى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه والقول الاول اصح **ثم استوى على العرش** تقدم تفسيره والكلام عليه في سورة الاعراف بما فيه كفاية **وسخر الشمس والقمر** يعني ذللهما لما يراد منهما لما في خلقته فهما مقهوران يجريان على ما يريد **كل يجري لاجل مسمى** يعني الى وقت معلوم وهو فنا الدنيا كلها وزوالها وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه اراد بالاجل المسمى درجاتهما ومنازلهما يعني انهما يجريان في منازلهما ودرجاتهما الى غاية فينتهيان اليها لا يجاوزانها وتحقيقه ان الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا الى جهة خاصة بمقدار خاص من السرعة والبطو في الحركة **يدبر الامر** امر العالم العلوي والسفلي ويصرفه ويقضيه بمشيته وحكمته على كمال الاحوال لا يشغله شان عن شان وقيل يدبر الامر بالايجاد والاعدام والاحيا والاماتة ففيه دليل على كمال القدرة والرحمة لان جميع العالم يحتاجون الى تدبيره ورحمته داخلون تحت قضايه وقدره وقدرته **يفصل الايات** يعني انه يبين الايات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وقيل ان الدلايل الدالة على وجود الصانع قسمان الاول الموجودات الشاهدة وهي خلق السموات وما فيها من العجايب واحوال الشمس والقمر وساير النجوم وهذا كما تقدم ذكره والقسم الثاني الموجودات الجارية في العالم وهي الموت بعد الحياة والفقر بعد الغنى والضعف بعد القوة الى غير ذلك من احوال هذا العالم فكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته **لعلكم بلقا ربكم توقنون** يعني انه تعالى ذكر هذه الدلايل الدالة على وجوده وكمال قدرته لتوقنوا وتصدقوا بلقا ربكم والمصير اليه بعد الموت لان من قدر على ايجاد الانسان بعد عدمه قادر على ايجاد الانسان واحيايه بعد موته واليقين صفة من صفات العلم وهي فوق المعرفة والدراية وهو سكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك يقال منه استيقن وايقن يعني علم قوله تعالى **وهو الذي مد الارض** لما ذكر الدلايل الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات بغير عمد وذكر احوال الشمس والقمر اردفها بذكر الدلايل الارضية فقال وهو الذي مد الارض اي والله هو الذي مد الارض وبسطها على وجه الما وقيل كانت الارض مجتمعة فمدها من تحت البيت الحرام وهذا القول انما يصح اذا قيل ان الارض مسطحة لا كرة وعند

اصحاب الهيئة ان الارض كبيرة ويمكن ان يقال ان الكبيرة اذا كانت عظيمة وكل قطعة منها تشاهد ممدودة كالسطح الكبير العظيم فحصل الجمع ومع ذلك فالله تعالى اخبر انه مد الارض ودحاها وانه بسطها وكل ذلك يدل على التسطيح والله تعالى اصدق قيلا وابين دليلا من اصحاب الهيئة وانهارا يعني وجعل في الارض انهارا جارية لمنافع الخلق ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يعني صنفين اثنين احمر واصفر وحلو وحامض يغشي الليل النهار يعني يلبس النهار بظلمة الليل ويلبس الليل بظلمة النهار ان في ذلك يعني الذي تقدم ذكره من عجايب صنعته وغرايب قدرته الدالة على وحدانيته لآيات يعني لدلالات لقوم يتفكرون يعني فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب والفكر هو تصرف القلب في طلب الاشيا وقال صاحب المفردات الفكر قوة مطرقة للعلم الى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للانسان دون الحيوان ولا يقال الا فيما يمكن ان يحصل له صورة في القلب ولهذا روي تفكروا في آلا الله ولا تفكروا في الله اذ كان الله منزها ان يوصف بصورة وقال بعض الادبا الفكر مقلوب من الفرك لكن يستعمل الفكر في طلب المعاني وهو فرك الامور وبحثها طلبا للوصول الى حقيقتها قوله عز وجل وفي الارض قطع متجاورات يعني متقاربات يقرب بعضها من بعض وهي مختلفة في الطيب فهذه طيبة تنبت وهذه سبخة لا تنبت وهذه قليلة الريع وهذه كثيرة الريع وجنات يعني بساتين والجنة كل بستان ذو شجر من نخيل واعناب وغير ذلك سمي جنة لانه يستر باشجاره الارض واليه الاشارة بقوله من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان جمع صنو وهي النخلات يجمعهن اصل واحد ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمه العباس عم الرجل صنو ابيه يعني انهما من اصل واحد وغير صنوان وهي النخلة المنفردة باصلها والصنوان هو المجتمع وغير صنوان المتفرق يسقى بما واحد يعني اشجار الجنات وزروعها والما جسم رقيق مايع به حياة كل نام وقيل في حده هو جسم لطيف به قوام الارواح ونفضل بعضها على بعض في الاكل يعني في الطعم ما بين الحلو والحامض والعفص وغير ذلك من الطعوم عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ونفضل بعضها على بعض في الاكل قال الدقل والفارسي والحلو والحامض اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقال مجاهد كمثل بني ادم صالحهم وخبيثهم وابوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني ادم كانت الارض طينة واحدة في يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات فينزل عليها ما السما فتخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها ونباتها وتخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقى بما واحد فلو كان الما ملحا قيل انما هذا من قبل الما كذلك الناس خلقوا من ادم فينزل عليهم من السما تذكرة فترق قلوب قوم فتخشع وتخضع وتقسو قلوب قوم فتلهو ولا تسمع وقال الحسن رضي الله تعالى عنه والله ما جالس القران احد الا قام من عنده بزيادة او نقصان قال الله تعالى وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ان في ذلك يعني الذي ذكر لآيات لقوم يعقلون يعني فيتدبرون ويتفكرون في الآيات الدالة على وحدانيته وقوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم العجب تغير النفس برؤية المستبعد

وجعل فيها اي في الارض رواسي يعني جبالا ثابتة يقال رسى الشي يرسو اذا ثبت وارساه غيره وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه كان ابو قبيس اول جبل وضع على الارض

في العادة وقيل العجب حالة تعرض للانسان عند الجهل بسبب ولهذا قال الحكما العجب ما لا يعرف سببه ولهذا قيل ان العجب في حق الله تعالى محال لان الله تعالى علام الغيوب لا يخفى عليه خافية والخطاب في الاية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انك يا محمد ان تعجب من تكذيبهم اياك بعد ان كنت عندهم تعرف بالصادق الامين فعجب امرهم وقيل معناه وان تعجب من اتخاذ اوليك المشركين ما لا يضرهم ولا ينفعهم الهة يعبدونها مع اقرارهم بان الله تعالى خالق السموات والارض وهو يضر وينفع وقد راوا من قدرة الله تعالى وما ضرب لهم به الامثال فعجب قولهم وقيل وان تعجب من انكارهم النشاة الاخرة والبعث بعد الموت مع اقرارهم بان ابتدا الخلق من الله تعالى وقد تقرر في العقول ان الاعادة اهون من الابتدا فهذا موضع التعجب وهو قولهم ءاذا كنا ترابا يعني بعد الموت ءانا لفي خلق جديد يعني نخلق بعد الموت كما كنا قبله ثم ان الله تعالى قال في حقهم اوليك الذين كفروا بربهم وفيه دليل على كل من انكر البعث بعد الموت فقد انكر القدرة وان الله تعالى على كل شي قدير ومن انكر القدرة فهو كافر واوليك الاغلال في اعناقهم يعني يوم القيامة والاغلال جمع غل وهو الطوق من حديد يجعل في العنق وقيل اراد بالاغلال ذلهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقال للاسير الذليل بالغل واوليك اصحاب النار هم فيها خالدون يعني انهم مقيمون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون ويستعجلونك بالسيية قبل الحسنة الاستعجال طلب تعجيل الامر قبل مجي وقته وقيل السيية هنا العقوبة وبالحسنة العافية وذلك ان مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلا من العافية استهزا منهم وهو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم وقد خلت من قبلهم المثلات يعني وقد مضت في الامم المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم رسلهم والمثلة بفتح الميم وضم الثا المثلثة نقمة تنزل بالانسان فيجعل مثالا يرتدع غيره به وذلك كالنكال وجمعه مثلات ومثلات بفتح الميم وضمها مع ضم الثا فيهما لغتان وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه معناه انه لذو تجاوز عن المشركين اذا امنوا وان ربك لشديد العقاب يعني للمصرين على الشرك الذين ماتوا عليه قال مقاتل انه لذو تجاوز عن شركهم في تاخير العذاب عنهم وانه لشديد العقاب اذا عاقب ويقول الذين كفروا يعني من اهل مكة لولا اي هلا انزل عليه يعني على محمد صلى الله عليه وسلم اية من ربه يعني مثل عصا موسى وناقة صالح عليهم الصلاة والسلام وذلك لانهم لم يقتنعوا بما راوا من الايات التي جا بها محمد صلى الله عليه وسلم انما انت منذر يعني ليس عليك يا محمد الا ان تنذرهم بالتخويف وليس لك من الايات شي ولكل قوم هاد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه الهادي هو الله تعالى وهذا قول سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعي والمعنى انما اليك الانذار والله هو الهادي يهدي من يشا وقال عكرمة في رواية اخرى عنه وابو الضحى الهادي هو الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى انما انت منذر وانت هاد وقال الحسن وقتادة وابن زيد يعني ولكل قوم نبي يهديهم وقال ابو العالية الهادي هو العمل وقال ابو الحسن الهادي هو القايد الى الخير او الى الشر

قوله عز وجل الله يعلم ما تحمل كل انثى لما سال الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات اخبرهم الله تعالى عن عظم قدرته وكمال علمه وانه عالم بما تحمل كل انثى يعني من ذكر او انثى سوي الخلق او ناقص الخلق واحدا او اثنين او اكثر وما تغيض الارحام اي وما تنقص الارحام وما تزداد قال اهل التفسير غيض الارحام الحيض على الحمل فاذا حاضت الحامل كان ذلك نقصانا في الولد لان دم الحيض هو غذا الولد وقيل النقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام

خلقه باستمساك الدم وقيل اذا حاضت المرأة في وقت حملها ينتقص الغذاء ويزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة اشهر طاهرًا فان رأت خمسة ايام دمًا وضعت لتسعة اشهر وخمسة ايام فالنقصان في الغذاء والزيادة في مدة الحمل وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق وقال الحسن رضي الله عنه غيضها نقصانها من تسعة اشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش واختلفوا في اكثر مدة الحمل فقال قوم اكثر مدة الحمل سنتان وهو قول عائشة رضي الله تعالى عنها وبه قال ابو حنيفة وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وقال جماعة اكثرها اربع سنين واليه ذهب الشافعي رحمه الله تعالى قال حماد بن ابي سلمة انما سمي هرم بن حيان هرمًا لانه بقي في بطن امه اربع سنين وعند مالك رضي الله تعالى عنه ان اكثر مدة الحمل خمس سنين **وكل شيء عنده بمقدار** يعني بتقدير وحد لا يجاوزه ولا ينقص منه وقيل انه تعالى يعلم كمية كل شيء عنده وكيفيته على اكمل الوجوه وقيل معناه انه تعالى خصص كل حادثة من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك بمشيئته الازلية وارادته وتقديره الذي لا يقدر عليه غيره **عالم الغيب والشهادة** يعني انه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما يشاهدونه وقيل ان الغيب هو المعدوم والشاهد هو الموجود وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر في الحس **الكبير** اي العظيم الذي يصغر كل كبير بالاضافة الى عظمته وكبريائه فهو يعود الى معنى كبر خلقه وقدره وانه تعالى المستحق لصفات الكمال **المتعال** يعني المتنزه عن صفات النقص المتعالي عن الخلق وفيه دليل على انه تعالى موصوف بالعلو الكامل والعلم والقدرة التامة وتنزيهه عن جميع النقائص قوله تعالى **سواء منكم من اسر القول ومن جهر به** استوى منكم من اخفى القول وستره ومن اظهره واعلنه والمعنى انه قد استوى في علم الله تعالى المسر بالقول والجاهر به **ومن هو مستخف بالليل** اي مستتر بظلمته **وسارب بالنهار** اي ذاهب في سربه ظاهر والسرب هو بفتح السين المهملة وسكون الراء الطريق قال القتيبي السارب المتصرف في حوائجه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه في هذه الآية هو صاحب ريبة مستخف بالليل واذا خرج بالنهار رأى الناس انه بريء من الاثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم خفيت الشيء اذا اظهرته واخفيته اي اذا كتمته وسارب بالنهار اي متوار داخل في سرب مستخفيًا ومعنى الآية سواء ما اضمرت به القلوب او نطقت به الالسنة وسواء من اقدم على القبائح مستترًا في ظلمات الليل او اتى بها ظاهرًا في النهار فان الله تعالى محيط بالكل **له معقبات** يعني لله تعالى ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا صعدت ملائكة الليل عقبتها ملائكة النهار والتعقيب العود بعد البدء وانما ذكر معقبات بلفظ التانيث وان كان الملائكة ذكورا لان واحده معقب وجمعه معقبة ثم جمع المعقبة معقبات كما قيل ابناوات سعد ورجالات **(ق)** عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو اعلم بكم فكيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون وقيل ان مع كل واحد من بني آدم ملكان ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن شماله وهو صاحب السيئات وكاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل العبد حسنة كتبت له بعشر امثالها واذا عمل سيئة قال صاحب الشمال لصاحب اليمين اكتبها عليه قال فيقول انظره لعله يتوب او يستغفر فيستأذنه ثلاث مرات فان هو تاب منها والا قال اكتبها عليه سيئة واحدة وملك موكل بناصية العبد فاذا تواضع العبد لله عز وجل رفعه وان تجبر على الله وضعه الله فيها وملك موكل بعينيه يحفظهما من الاذى

ومَلَك

وملك موكل بفيه لا يدع يدخل بفيه شيء من الهوام ويؤذيه فهؤلاء عشرة املاك موكلون بالعبد في ليله عشرة وفي نهاره عشرة فانظر الى عظمة الله تعالى وقدرته وكمال شفقته عليك ايها العبد المسكين وهو قوله تعالى **من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله** يعني يحفظون العبد من بين يديه ومن وراء ظهره ومعنى من امره اي بامر الله وباذنه ما لم يجئ القدر فاذا جاء خلوا عنه وقيل معناه انهم يحفظونه مما امر الله به من الحفظ قال مجاهد ما من عبد الا وملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منهم من شيء ياتيه يريده الا قال له الملك وراءك الا شيء ياذن الله تعالى فيه فيصيبه وقال كعب الاحبار رضي الله تعالى عنه لولا ان الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفتكم الجن وقال ابن جريج يعني يحفظونه اي يحفظون عليه الحسنات والسيئات وهذا على قول من يقول ان الآية في الملكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيئات وقال عكرمة الآية في الامراء حرسهم يحفظونه من بين ايديهم ومن خلفهم والضمير في قوله من بين يديه الآية راجع الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه في معنى الآية لمحمد صلى الله عليه وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة وكانت قصتهما على ما رواه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال اقبل عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة وهما عامريان يريدان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في نفر من اصحابه فدخلا المسجد فاستشرف الناس لجمال عامر وكان من اجمل الناس وكان اعور فقال رجل يا رسول الله هذا عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه فان يرد الله به خيرا يهده فاقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد ما لي ان اسلمت قال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال تجعل لي الامر بعدك قال ليس ذلك الي انما ذلك الى الله تعالى يجعله حيث يشاء قال فتجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا قال فما تجعل لي قال اجعل لك اعنة الخيل تغزو عليها قال اوليس ذلك الي اليوم قم معي اكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قد اوصى الى اربد بن ربيعة اذا رايتني اكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يومي اليه فالتفت صلى الله عليه وسلم يراجعه فدار اربد بن ربيعة من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط شبرا من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومي اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى اربد وما صنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله تعالى على اربد صاعقة في يوم صحو قائظ فاحرقته وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل اربد والله لاملأنها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يمنعك الله من ذلك وابناء قيلة يريد الاوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة سلولية فلما اصبح ضم عليه سلاحه فخرج له خراج في اصل اذنه فاخذه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة كغدة البكر وموت في بيت سلولية ثم ركب فرسه وجعل يركض في الصحراء ويقول ادن يا ملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لئن ابصرت محمدا وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برمحي فارسل الله تعالى ملكا فلطمه فارداه في التراب ثم عاد فركب واجراه حتى مات على ظهره واجاب الله تعالى دعاء رسوله صلى الله عليه وسلم في عامر بن الطفيل فمات بالطعن واربد ابن ربيعة مات بالصاعقة وانزل الله تعالى في شان هذه القصة سواء منكم من اسر القول ومن جهر به الى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات

يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من امر الله اي بامر الله وقيل ان تلك المعقبات من امر الله وفيه تقديم
وتاخير تقديره له معقبات من امر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه قوله عز وجل ان الله لا يغير
ما بقوم خطاب لهذين لعامر بن الطفيل واربد بن ربيعة يعني لا يغير ما بقوم من النعمة والعافية
التي انعم الله تعالى بها عليهم حتى يغيروا ما بانفسهم يعني من الحالة الجميلة فيعصون ربهم
ويجحدون نعمه عليهم فعند ذلك تحل نقمته بهم وهو قوله تعالى واذا اراد الله بقوم سوءا
يعني هلاكا وعذابا فلا مرد له يعني لا يقدر احد ان يرد ما نزل بهم من قضائه وقدره وما لهم
من دونه من وال يعني ليس لهم من دون الله من وال يلي امرهم وينصرهم ويمنع العذاب عنهم
قوله عز وجل هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا لما خوف الله عز وجل عباده بقوله
واذا اراد الله بقوم سوءا ذكر فيه وفي هذه الاية من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجه ويشبه العذاب
من وجه فقال تعالى هو الذي اي هو الله الذي يريكم البرق والبرق معروف وهو لمعان يظهر من خلال
السحاب وفي كونه خوفا وطمعا وجوه الاول انه يخاف من الصواعق ويطمع في نزول المطر
الثاني انه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر ومن في جرينه يعني بيدره التمر والزبيب
والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له في نزول المطر الثاني انه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالمسافر
ومن في جرينه يعني بيدره التمر والزبيب والقمح ونحو ذلك ويطمع فيه من له في نزول المطر نفع كالزارع
ونحوه الثالث ان المطر يخاف منه اذا كان في غير مكانه وزمانه ويطمع فيه اذا كان في مكانه
وزمانه فان من البلاد ما اذا مطرت قحطت واذا لم تمطر خصبت وينشئ السحاب الثقال
يعني بالمطر يقال انشا الله تعالى السحابة فنشات اي ابداها فبدت قال والسحاب جمع سحابة
والسحاب غربال الماء قاله علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه وقيل السحاب الغيم فيه ماء ولهذا قيل
سحاب الغيم فيه ماء ولم يكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالي من الماء واصل السحب
الجر وسمي السحاب سحابا اما لجر الريح له او لجره الماء او لانجراره في سيره ويسبح الرعد بحمده
اكثر المفسرين على ان الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسبيحه واورد
على هذا القول انه عطف عليه والملائكة من خيفته واذا كان المعطوف مغايرا للمعطوف عليه
وجب ان يكون غيره واجيب عنه انه لا يبعد ان يكون الرعد اسم الملك من الملائكة وانما افرده
بالذكر تشريفا له على غيره من الملائكة فهو كقوله وملائكته وجبريل وميكال قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنه اقبلت يهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا اخبرنا عن الرعد ما هو
قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها حيث يشاء الله تعالى قالوا فما
هذا الصوت الذي نسمع قال زجره السحاب حتى ينتهي حيث امر قالوا صدقت اخرجه الترمذي
مع زيادة فيه المخاريق جمع مخراق وهو في الاصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا
واراد به هنا الة تزجر الملائكة السحاب بها وقد جا تفسيره في حديث اخر وهو سوط من نور
تزجر به الملائكة السحاب قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه من سمع صوت الرعد فقال سبحان
من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شي قدير فان اصابته صاعقة فعلي
ديته وكان عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه اذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان
من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وكان يقول ان هذا الوعيد لاهل الارض شديد
وفي بعض الاخبار ان الله تعالى يقول لو ان عبادي اطاعوني لسقيتهم المطر بالليل واطلعت
عليهم الشمس بالنهار ولم اسمعهم صوت الرعد وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله
تعالى عنهما انه قال ان الرعد ملك موكل بالسحاب يصرفه الى حيث يؤمر وانه يحرز الماء في نقرة ابهامه
وانه ليسبح الله فاذا سبح لا يبقى ملك بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد تسبيح لله تعالى

لان التسبيح والتقديس عبارة عن تنزيه الله عز وجل عن جميع النقائص فكان وجود هذا الصوت
المسموع من الرعد وحدوثه دليلا على وجود موجود خالق قادر متعال عن جميع النقائص والالام فكان
ذلك في الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وان من شي الا يسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد ان من يسمعه
يسبح الله فلهذا المعنى اضيف التسبيح اليه قوله تعالى والملائكة من خيفته يعني وتسبح
الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته وقيل المراد بهؤلاء الملائكة اعوان السحاب
جعل الله تعالى مع الملك الموكل بالسحاب اعوانا من الملائكة فهم خائفون خاضعون طائعون وقيل
المراد بهم جميع الملائكة وحمله على العموم اولى ويرسل الصواعق جمع صاعقة وهي العذاب النازل
من البرق فتحرق من تصيبه وقيل هي الصوت الشديد النازل من الجو ثم يكون فيه نار او عذاب
او موت وهي في ذاتها شي واحد وهذه الاشيا الثلاثة تنشا عنها فيصيب بها اي بالصواعق
من يشا يعني فيهلكه بها كما اصاب اربد بن ربيعة قال محمد بن علي الباقر الصاعقة تصيب
المسلم وغيره ولا تصيب الذاكر وهم يجادلون في الله يعني يخاصمون في الله وقيل المجادلة
المخاصمة على سبيل المنازعة والمغالبة واصله من جدل الحبل اذا احكمه واحكم فتله نزلت في
شان اربد بن ربيعة حين قال للنبي صلى الله عليه وسلم ربك من در هو ام من ياقوت ام من ذهب
فنزلت صاعقة من السما فاحرقته وسئل الحسن رضي الله تعالى عنه عن قوله ويرسل الصواعق
الاية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نفرا من اصحابه يدعونه
الى الله ورسوله فقال اخبروني عن رب محمد ما هو ومم هو الذي تدعوني اليه مما هو من ذهب او
من فضة او من حديد او نحاس فاستعظم القوم فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا
يا رسول الله ما راينا رجلا اكفر من هذا قلبا ولا اعتى على الله منه فقال ارجعوا اليه فرجعوا
فلم يزدهم على مقالته الاولى شيا وقال اجيب محمدا الى اله رب لا اراه ولا اعرفه فانصرفوا
الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته الاولى شيا بل قال
اخبث فقال ارجعوا اليه فبينما هم عنده ينازعونه ويدعونه وهو لا يزيدهم على مقالته شيا
اذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤوسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فاحرقت الكافر وهم
جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا احترق صاحبكم قالوا من اين علمتم ذلك قالوا قد اوحى الله تعالى اليه ويرسل
الصواعق فيصيب بها من يشا وهم يجادلون في الله اختلفوا في هذه الواو فقيل هي واو
الحال فيكون المعنى فيصيب بها من يشا في حال جداله في الله وذلك ان اربد لما جادل
في الله اهلكه الله تعالى بالصاعقة وقيل انها واو الاستئناف فيكون المعنى انه تعالى لما تمم
ذكر الدليل قال بعد ذلك وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال اي شديد الاخذ
بالعقوبة ماخوذ من قولهم محل به محلا اذا اراده بسوء وقيل هو من قولهم محل به اذا سعى به
الى السلطان وعرضه للهلاك وتمحل اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى
انه سبحانه وتعالى شديد المحال باعدائه حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولا يتوقعونه وقيل
المحال من الحول والحيلة والميم زائدة ثم اختلفت عبارات المفسرين في معنى قوله شديد
المحال باعدائه حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولا يتوقعونه وقيل المحل من الحول والحيلة
فقال الحسن معناه شديد النقمة وقال مجاهد وقتادة شديد القوة وقال ابن عباس
رضي الله تعالى عنه شديد الحول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه شديد الجدال وذلك
لما اخبر عنهم انهم يجادلون في الله اخبر انه اشد جدالا منهم قوله عز وجل له دعوة
الحق يعني له دعوة الصدق قال علي رضي الله تعالى عنه دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس

رضي الله تعالى عنه شهادة ان لا اله الا الله قال صاحب الكشاف دعوة الحق فيها وجهان احدهما
ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة
على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله تعالى يدعى
فيستجيب الدعوة ويعطي الداعي سؤله ان كان مصلحة له فكانت الدعوة ملابسة للحق لكونه
حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع فيه ولا يجدي
دعاؤه والثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله على معنى دعوة الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن
الله هو الحق وكل دعوة اليه دعوة الحق **فان قلت** ما وجه اتصال هذين الوصفين
بما قبله **قلت** اما على قصة اربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة كانت بدعوة الرسول
صلى الله عليه وسلم فانه دعا عليه وعلى صاحبه عامر بن الطفيل فاجيب فيهما فكانت الدعوة
دعوة الحق واما على قولهم وهم يجادلون في الله فوعيد للكفار على مجادلتهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم واجابة دعائه ان دعا عليهم وقيل في معنى الآية الدعاء بالاخلاص والدعاء
الخالص لا يكون الا لله تعالى **والذين يدعون من دونه** يعني والذين يدعونهم آلهة من دون
الله وهم الاصنام التي يعبدونها **لا يستجيبون لهم بشيء** يعني لا يجيبونهم بشيء يريدونه
من نفع او دفع ضر ان دعوهم اليه **الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه**
يعني الا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر
ببسط كفيه ولا بعطشه ولا يقدر ان يجيب دعاءه او يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس
بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبههم في قلة جدوى دعائهم
لآلهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشرب به فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا
ولا يبلغ مطلبه من شربه وقيل ان القابض على الماء ناشرا اصابعه لا يكون في يده منه شيء
ولا يبلغ الى فيه منه شيء وكذلك الذي يدعو الاصنام لانها لا تضر ولا تنفع ولا يبقى منها نفع وقيل
شبهه بالرجل العطشان الذي يرى الماء بعينه من بعيد فهو يشير بكفيه الى الماء ويدعوه
بلسانه فلا يأتيه ابدا هذا معنى قول مجاهد وعن عطاء كالعطشان الجالس على شفير البير
وهو يمد يده الى البير فلا هو يبلغ قعر البير ليخرج الماء ولا الماء يرتفع اليه فلا ينفعه بسط
كفيه الى الماء ودعاؤه له ولا هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الاصنام وقال ابن عباس
رضي الله تعالى عنه كالعطشان اذا بسط كفيه في الماء لا ينفعه ذلك ما لم يغرف بهما
من الماء ولا يبلغ كفاه ما دام باسط كفيه وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار في دعائهم
الاصنام حيث لا تنفعهم الشيء ثم ختم هذا بقوله **وما دعاء الكافرين** يعني اصنامهم
الا في ضلال يعني يضل عنهم اذا احتاجوا اليه وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه وهذا
الآية لان اصواتهم خاصة محجوبة عن الله تعالى **قوله عز وجل** **ولله يسجد من في السموات
والارض طوعا وكرها** في معنى هذا السجود قولان احدهما ان المراد به السجود على الحقيقة
وهو وضع الجبهة على الارض ثم على هذا القول في معنى الآية وجهان ايضا احدهما
ان اللفظ وان كان عاما الا ان المراد منه الخصوص فقوله ولله يسجد من في السموات
يعني الملائكة ومن في الارض يعني المؤمنين طوعا وكرها يعني من المؤمنين من يسجد
لله طوعا وهم المؤمنون المخلصون لله تعالى بالعبادة وكرها يعني المنافقين الداخلين
في المؤمنين وليسوا منهم فان سجودهم لله تعالى على كره منهم لانهم لا يرجون على سجودهم ثوابا
ولا يخافون على تركها عقابا بل سجودهم وعبادتهم خوفا من المؤمنين الوجه الثاني هو
حمل اللفظ على العموم وعلى هذا في اللفظ اشكال وهو ان جميع الملائكة من المؤمنين من

الجن والانس يسجدون لله طوعا ومنهم من يسجد لله كرها كما تقدم
واما الكفار من الجن والانس فلا يسجدون لله البتة فهو وجه هذا الاشكال **والجواب**
عنه انه يجب على كل من في السموات والارض ان يسجد لله فعبر عن الوجوب بالوقوع والحصول
وجواب آخر وهو ان يكون المراد من هذا السجود الاعتراف بالعظمة والعبودية فكل من في السموات
من ملك ومن في الارض من انس وجن فانهم يعترفون لله تعالى بالعبودية والتعظيم ويدل عليه
قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله والقول الثاني في معنى هذا السجود
وهو الانقياد والخضوع وترك الامتناع وكل من في السموات والارض ساجد لله بهذا المعنى
وبهذا الاعتبار لان قدرته ومشيئته نافذة في الكل فهم خاضعون منقادون وقوله
تعالى **وظلالهم بالغدو والآصال** الغدو والغدوة والغداة اول النهار قبل الى نصف
النهار والغدوة بالضم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس والآصال جمع اصيل وهو العشية
والآصال العشايا جمع عشية وهو ما بين صلاة العصر الى غروب الشمس قال المفسرون ظل
كل شيء يسجد لله سوى ظل اي المؤمن والكافر وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله تعالى طوعا
وهو طائع وظل الكافر يسجد لله تعالى كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء في التفسير
ان الكافر يسجد لغير الله وظله يسجد لله قال ابن الانباري لا يبعد ان يخلق الله تعالى للظلال
عقولا وافهاما تسجد بها وتخشع كما جعل للجبال افهاما حتى سبحت الله تعالى مع داود
عليه الصلاة والسلام وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها من جانب الى جانب وطولها
وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها وانما خص الغدو والآصال بالذكر لان الظلال
تعظم وتكثر في هذين الوقتين وقيل لانهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما

فصل وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيسن للقارئ والمستمع
ان يسجد عند قراءته واستماعه لهذه السجدة والله تعالى اعلم قوله تعالى **قل من رب السموات
والارض** اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله تعالى من رب السموات والارض
يعني من مالك السموات والارض ومن مدبرهما ومن خالقهما **قل الله** لانهم مقرون بان
الله تعالى خالق السموات وما فيهما والارض وما فيها فاذا اجابوك بذلك فقل انت يا محمد
الله رب السموات والارض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه فقالوا اجب
انت فامره الله تعالى ان يجيبهم بقوله قل انت يا محمد الله وقيل انما جاء السؤال والجواب
من جهة واحدة لان المشركين لا ينكرون ان الله تعالى خالق كل شيء فلما لم ينكروا ذلك
واجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الله فكأنهم قالوا ذلك ايضا فالزمهم الحجة على
عبادتهم الاصنام بقوله **قل** اي قل يا محمد **أفاتخذتم من دونه** يعني من دون الله تعالى
اولياء يعني الاصنام **لا يملكون** يعني وهم لا يملكون **لانفسهم نفعا ولا ضرا** فكيف
لغيرهم ثم ضرب الله تعالى مثلا للمشركين الذين يعبدون الاصنام والمؤمن الذي يعبد الله
تعالى **هل يستوي الاعمى والبصير** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه يعني المشرك والمؤمن
ام هل تستوي الظلمات والنور يعني الشرك والايمان والمعنى كما لا يستوي الاعمى
والبصير كذلك لا يستوي الكافر والمؤمن وكما لا يستوي الظلمات والنور كذلك لا يستوي
الكفر والايمان وانما شبه الكافر بالاعمى لانه لا يهتدي سبيلا كذلك الكافر لا يهتدي سبيلا
ام جعلوا لله شركاء هذا استفهام انكار يعني اجعلوا لله شركاء **خلقوا كخلقه** يعني خلقوا
سموات وارضين وشمسا وقمرا وجبالا وبحارا وجنا وانسا **فتشابه الخلق عليهم** من هذا
الوجه وهذا المعنى والمعنى هل رأوا غير الله خلق شيئا فاشتبه عليهم خلق الله بخلق غيره

وقيل انه تعالى وبخهم بقوله تعالى ام جعلوا لله شركا خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم كما خلق الله
عندهم وهذا استفهام انكاري اي ليس الامر كذلك حتى يشتبه عليهم الامر بل اذا تفكروا ابقوا لهم
وحده ان الله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الاشيا والشركا مخلوقون له ايضا لا يخلقون
شيا حتى يشتبه خلقهم بخلق الله تعالى بخلق الشركا فاذا كان الامر فقد لزمتهم الحجة وهو قوله تعالى
قل الله خالق كل شي اي قل يا محمد لهولا المشركين ان الله خالق كل شي مما يصح ان يكون مخلوقا
وقوله الله خالق كل شي من العموم الذي يراد به الخصوص لان الله تعالى شي وهو غير مخلوق
وهو الواحد القهار يعني وان الله تعالى هو المنفرد بخلق الاشيا كلها القاهر لعباده حتى
يدخلهم تحت قضائه وقدره وارادته قوله عز وجل **انزل من السما ما** لما شبه الله عز وجل
الكافر بالاعمى والمومن بالبصير وشبه الكافر بالظلمات وشبه الايمان بالنور ضرب لذلك
مثلا فقال تعالى انزل من السما ما يعني المطر **فسالت اودية بقدرها** اودية جمع واد
وهو المنفرج بين الجبلين يسيل فيه الما وقوله فسالت اودية فيه اتساع وحذف
تقديره سال الما في الوادي فهو كما قال جرى النهر والمراد جرى الما في النهر فحذف
المضاف لتقدمه لدلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد بملائها وقال ابن جريج
الصغيرة بقدرها والكبيرة بقدرها وقيل بقدرها اي بما قدر لها وانما نكر اودية لان المطر اذا نزل
لا يعم جميع الارض ولا يسيل في كل الاودية بل ينزل في ارض دون ارض ويسيل في واد
دون واد فلهذا السبب جا هذا بالتنكير وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه انزل
من السما ما يعني قرانا وهذا مثل ضربه الله تعالى فسالت اودية بقدرها يريد بالاودية
القلوب شبه نزول القران الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر لان المطر اذا نزل
عم نفعه وكذلك القران وشبه القلوب بالاودية لان الاودية يسكن فيها الما وكذلك
القلوب يسكن فيها الايمان والعرفان ببركة نزول القران فيها وهذا خاص بالمومنين
لانهم الذين انتفعوا بنزول القران **ق** عن ابي موسى الاشعري رضي الله تعالى عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل ما بعثني الله تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث
اصاب ارضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الما فانبتت الكلا والعشب الكثير وكان
منها اجادب امسكت الما فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا واصاب
طائفة منها اخرى انما هي قيعان لا تمسك ما ولا تنبت كلا فذلك مثل من فقه في
دين الله تعالى ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك راسا ولم
يقبل هدى الله الذي ارسلت به قال الشيخ محيي الدين النواوي رحمه الله تعالى وغيره
في معنى هذا الحديث وشرحه اما الكلا بالهمزة فيقع على الرطب واليابس من الحشيش
وقوله وكانت منها اجادب فبالجيم والدال المهملة والبا كذا وقع في الصحيحين
وهي الارض التي لا تنبت الكلا جمع جدب على غير قياس وقياسه اجدب والجدب
ضد الخصب وقال الخطابي هي التي تمسك الما ولا يسرع فيها النضوب وفي رواية
الهروي اخاذب بالخا والذال المعجمة وهي الغدير الذي يمسك الما وقوله
ورعوا كذا هو في الصحيح لمسلم من الرعي ووقع في صحيح البخاري وزرعوا
بزيادة زاي من الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوي من الارض
وقوله فذلك مثل من فقه في الدين يروى بضم القاف وهو المشهور وروي بكسرها
ومعناه الفهم في الاحكام واما معنى الحديث ومقصوده فهو ان النبي صلى الله عليه وسلم
ضرب مثلا لما جا به الهدى والعلم بالارض التي اصابها المطر قال العلما لانه

انواع وكذلك الناس لانهم خرجوا منها وخلقوا فالنوع الاول من انواع الارض الطيبة التي تنتفع
بالمطر فتنبت العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعي وغير ذلك وكذلك النوع الاول
من الناس من يبلغه الهدى والعلم فيعي به قلبه ويحفظه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع به وينفع
غيره وقال مسروق صحبت اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالاخاذات لان
قلوبهم كانت واعية فصارت اوعية العلوم لما رزقت من صفا الفهوم النوع الثاني من انواع
الارض ارض لا تقبل الانتفاع في نفسها الثاني من الناس لهم قلوب حافظة ولكن ليس لهم افهام
ثاقبة فيبقى ما عندهم من العلم حتى يجي المحتاج اليه المتعطش لما عندهم من العلم فياخذ
منهم فينتفع هو وغيره النوع الثالث من انواع الارض ارض سبخة لا تنبت مرعى ولا تمسك ما
كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا افهام ثاقبة فاذا بلغهم شي من العلم
لا ينتفعون به في انفسهم ولا ينفعون غيرهم والله تعالى اعلم قوله تعالى **فاحتمل السيل زبدا**
الزبد ما يعلو على وجه الما عند الزيادة كالحبب وكذلك ما يعلو على القدر عند غليانها
والمعنى فاحتمل السيل الذي حدث من ذلك الما زبدا **رابيا** يعني عاليا مرتفعا فوق الما
طافيا عليه وهاهنا تم المثل ثم ابتدا بمثل اخر فقال تعالى **ومما يوقدون عليه في النار**
الايقاد جعل الحطب في النار وتحته النار ليذوب **ابتغا حلية** يعني لطلب زينة والمراد
في قوله عليه يعود على الذهب والفضة وان لم يكونا مذكورين لان الحلية لا تطلب الا
منهما **او متاع** يعني او طلب متاع اخر مما ينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص ونحوه
مما يذاب ويتخذ من ذلك الاواني وغيرها وما ينتفع به فالمتاع كلما ينتفع به ويقال
لكل ما ينتفع به في البيت كالطبق والقدر ونحو ذلك من الاواني متاع **زبد مثله** يعني
ان ذلك الذي يوقد عليه في النار اذا ذاب فله ايضا زبد مثل زبد الما فالطافي
من الما من هذه الجواهر هو الذي لا ينتفع به وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى
كذلك يضرب الله الحق والباطل فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد
الطافي الذي لا ينتفع به وهو قوله **فاما الزبد فيذهب جفا** يعني ضائعا باطلا
والجفا ما رمى به الوادي من الزبد الى جنباته وقيل الجفا المتفرق يقال جفات الريح
الغيم اذا فرقته والمعنى ان الباطل وان علا في وقت فانه يضمحل ويذهب **واما ما ينفع
الناس** يعني الما الصافي والجوهر الجيد من هذه الاجسام التي تذاب **فيمكث في
الارض** يعني يثبت ويبقى ولا يذهب **كذلك يضرب الله الامثال** قال اهل التفسير
هذا مثل ضربه الله تعالى للحق والباطل فالباطل وان علا على الحق في بعض الاوقات
والاحوال فان الله يمحقه ويبطله ويجعل العاقبة للحق واهله وهو كالزبد الذي يعلو
على الما فيذهب هبا الزبد ويبقى الما الصافي الذي ينفع وكذلك الصفو من هذه الجواهر
يبقى ويذهب العلو الذي هو الكدر وهو ما ينفيه الكير مما يذاب من جواهر الارض
كذلك الحق والباطل فالباطل وان علا في وقت فانه يذهب هو واهله والحق يظهر
هو واهله وقيل هذا مثل للمومن واعتقاده وانتفاعه بالايمان كمثل الما الصافي
الذي ينتفع به الناس ومثل الكافر وخبث اعتقاده كالخبث الذي لا ينتفع به البتة
وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للنور الذي يحصل في قلب العبد وعلى ما قسم له
في الازل لان الوادي اذا سال كنس كل شي فيه من النجاسات والمستقذرات كذلك النور
اذا سال في وادي قلب العبد بالنور الذي قسم له على قدر ايمانه ومعرفته كنس كل ظلمة وغفلة
فيه فاما الزبد فيذهب جفا واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض يعني يذهب الباطل

وهي الاخلاق المذمومة وتبقى الحقائق وهي الاخلاق المحمودة الجميلة كذلك يضرب الله الامثال
وقوله تعالى **للذين استجابوا لربهم الحسنى** قيل اللام في للذين متعلقة بيضرب والمعنى كذلك
يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعني اجابوه الى ما دعاهم اليه من توحيده
والايمان به وبرسوله وللكافرين الذين لم يستجيبوا له وعلى هذا يكون قوله كذلك يضرب الله
الامثال للفريقين من المؤمنين والكافرين وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال
ثم استأنف الكلام بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى قال ابن عباس وجمهور المفسرين يعني
الجنة وقيل الحسنى هي المنفعة العظيمة في الحسن وهي المنفعة الخالصة الخالية عن شوائب
المضرة والانقطاع **والذين لم يستجيبوا له** يعني الكفار الذين استمروا على الكفر وشركهم وماتوا
عليه **لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به** يعني لبذلوا ذلك كله فداء لانفسهم
من عذاب النار يوم القيامة **اولئك** يعني الذين لم يستجيبوا لربهم **لهم سوء الحساب** قال
ابراهيم النخعي سوء الحساب ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه شيء **ومأواهم** يعني في
الآخرة **جهنم وبئس المهاد** لهم في الآخرة وقيل المهاد الفراش يعني وبئس الفراش يفرش
لهم في جهنم قوله تعالى **افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق** يعني يؤمن به ويعمل بما فيه
كمن هو اعمى يعني اعمى القلب لا اعمى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن ولا يعمل
بما فيه قال ابن عباس نزلت في حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل
ابن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر وابي جهل فالاول هو حمزة او عمار والثاني هو الاعمى
ابو جهل وحمل الاية على العموم اولى وان كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوي من
يبصر الحق ويتبعه ومن هو لا يبصر الحق ولا يتبعه وانما شبه الكافر والجاهل بالاعمى
لان الاعمى لا يهتدي لرشده وربما وقع في مهلكة **انما يتذكر اولوا الالباب**
يعني انما يتعظ ذوو العقول السليمة الصحيحة وهم الذين ينتفعون بالمواعظ والاذكار
قوله عز وجل **الذين يوفون بعهد الله** يعني الذي عاهدهم عليه وهو القيام بما امرهم
به وفرضه عليهم واصل العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال وقيل اراد بالعهد
ما اخذه على اولاد آدم حين اخرجهم من صلبه واخذ عليهم العهد والميثاق **ولا ينقضون
الميثاق** يعني يوفون به فهو توكيد لقوله الذين يوفون بعهد الله **والذين يصلون ما امر الله
به ان يوصل** قال ابن عباس يريد الايمان بجميع الكتب والرسل يعني يصلون بينهم بالايمان
ولا يفرقون بين احد منهم والاكثرون على ان المراد به صلة الرحم عن عبد الرحمن بن عوف قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا الله وانا الرحمن
وشققت لها من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته او قال ابتته اخرجه
ابو داود والترمذي ق عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله خ
عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط له
في رزقه وان ينسأ له في اثره فليصل رحمه صلة الرحم تكون بالمال والاقارب والاحسان
اليهم وضد ذلك القطع قوله وان ينسأ له في اثره الاثر هنا الاجل وسمي الاجل اثرا
لانه تابع للحياة وسابقها ومعنى ينسأ يؤخر والمراد به تاخير الاجل وهو على وجهين
احدهما ان يبارك الله له في العمر فكانما قد زاده فيه والثاني ان يزيد في عمره زيادة
حقيقية والله يفعل ما يشاء ق عن جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل
الجنة قاطع زاد في رواية قال سفيان يعني قاطع رحم خ عن عبد الله بن عمرو بن العاص

قال

قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافي الواصل اذا انقطعت رحمه
وصلها عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعلموا
من انسابكم ما تصلون به ارحامكم فان صلة الرحم محبة في الاهل مثراة في المال منسأة
في الاثر اخرجه الترمذي وقوله تعالى **ويخشون ربهم** يعني انهم مع وفائهم بعهده
وميثاقه والقيام بما امر الله به من صلة الرحم يخشون ربهم والخشية خوف مشوب
بتعظيم واكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه **ويخافون سوء الحساب** تقدم معناه **والذين
صبروا** يعني على طاعة الله وقال ابن عباس على امر الله وقال عطاء على المصائب والنوائب
وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي وقيل حمله على العموم اولى فيدخل فيه الصبر
على العبادات مع جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من الامراض والمصائب واصل الصبر
حبس النفس عما يقتضيه العقل والشرع او عما يقتضيان حبسها عنه فالصبر لفظ عام
يدخل تحته جميع ما ذكروه من الاقاويل والصبر بقوله **ابتغاء وجه ربهم** لان الصبر ينقسم
الى نوعين الاول الصبر المذموم وهو ان الانسان يصبر ليقال ما اكمل صبره وما اشد قوته
على ما يحل من النوائب وقد يصبر لئلا يعاب على الجزع وقد يصبر لئلا يشمت به الاعداء فكل هذه
الامور وان كان ظاهرها الصبر فليس ذلك داخل في قوله تعالى ابتغاء وجه ربهم
لانها لغير الله تعالى النوع الثاني الصبر المحمود وهو ان يكون الانسان صابرا لله راضيا
بما نزل به من الله طالبا في ذلك ثوابا محتسبا اجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت
قوله ابتغاء وجه ربهم يعني صبروا على ما نزل بهم تعظيما لله وطلب رضوانه **واقاموا الصلاة**
يعني الصلاة المفروضة وقيل حمله على العموم اولى فيدخل فيه صلاة الفرض والنفل
والمراد اتمام اركانها ومقيماتها **وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية** قال الحسن المراد
بها الزكاة المفروضة فان لم يتهم بترك الزكاة فالاولى ان يؤديها سرا وان كان متهما
بترك اداء الزكاة فالاولى ان يؤديها علانية وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد
بالعلانية الزكاة الواجبة وقيل المراد بالسر ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد
بالعلانية ما يؤديه للامام وحمله على العموم اولى **ويدرؤن بالحسنة السيئة** قال ابن
عباس يدفعون بالعمل الصالح السيء وهو معنى قوله تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات
ويدل على صحة هذا التأويل ما جاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت
السيئة فاعمل بجنبها حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية وروى
البغوي بسنده عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مثل الذي يعمل
السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيق قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكت
حلقة ثم عمل اخرى فانفكت اخرى حتى تخرج الى الارض وقال ابن كيسان يدفعون الذنب
بالتوبة وقيل لا يكافئون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال القتيبي معناه اذا
سفه عليهم حلموا فالسفه السيئة والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم رد معروف
وقال الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا قال عبد الله
ابن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة الى ابواب الجنة الثمانية قلت انما هي اجناس خلال
يتحد ان عد خلتين بواحدة ولما ذكر الله عز وجل هذه الخلال من اعمال البر ذكر بعده
ما اعد للعاملين بها من الثواب فقال تعالى **اولئك** يعني من اتى بهذه الاعمال **لهم
عقبى الدار** يعني الجنة والمعنى ان عاقبتهم دار الثواب **جنات عدن** بدل من عقبى الدار
والجنات يعني اقامة تعالى عدن بالمكان اذا قام به **يدخلونها** يعني الذين تقدم وصفهم

ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم يعني ومن صدق من آبائهم بما صدقوا به وإن لم يعمل بأعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج إن الأنساب لا تنفع إذا لم يحصل معها أعمال صالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن ووحد وعلى قول الزجاج معناه صلح في عمله قال الواحدي والصحيح ما قاله ابن عباس لأن الله تعالى جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه في أهله حيث بشره بدخوله الجنة مع هؤلاء فدل على أنهم يدخلونها كرامة للمطيع العامل الآتي بالأعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة بأعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به إذ كل من كان صالحا في عمله فهو يدخل الجنة قال الإمام فخر الدين الرازي قوله تعالى وأزواجهم ليس فيه ما يدل على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل من مات عنها زوجها أو ماتت عنه وما روي عن سودة أن النبي صلى الله عليه وسلم لما كبرت سودة أراد طلاقها فسألته أن لا يفعل ووهبت يومها لعائشة كأنها رجاء أن تحشر في جملة أزواجه كالدليل على ما ذكرنا وقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب يعني من أبواب الجنة وقيل من أبواب القصور قال ابن عباس بالتحية من الله والتحف والهدايا سلام عليكم يعني يقولون سلام عليكم فأضمر القول هاهنا لدلالة الكلام عليه بما صبرتم يعني يقولون لهم سلمكم الله من الآفات التي كنتم تخافون منها وأدخلكم الجنة بما صبرتم في دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات وقيل إن السلام قوله والصبر فعله فلا يكون القول ثوابا للفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دعاء من الملائكة لهم يعني سلمكم الله بما صبرتم قال مقاتل إن الملائكة يدخلون عليهم في كل يوم من أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم وروى البغوي بسنده عن أبي أمامة موقوفا عليه قال إن المؤمن ليكون متكئا على أريكته إذا دخل الجنة وعنده سماطان من خدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله فيستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب فإذا بالملك يستأذن فيقول للذي يليه ملك يستأذن كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول أقربهم إلى المؤمن ائذنوا له ويقول الذي يليه ائذنوا له كذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف فنعم عقبى الدار يعني نعم العقبى عقبى الدار ما أنتم عليه والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه لما ذكر الله أحوال السعداء وما أعد لهم من الكرامات والخيرات ذكر بعده أحوال الأشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى والذين ينقضون عهد الله ونقض العهد ضد الوفاء وهذا في صفة الكفار لأنهم هم الذين نقضوا عهد الله بعد ميثاقه وخالفوا أمره ومعنى من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه على أنفسهم من الاعتراف والأحوال والقبول ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل يعني ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم والقرابة ويفسدون في الأرض بالكفر والمعاصي أولئك يعني من هذه صفتهم لهم اللعنة يعني الطرد عن رحمة الله يوم القيامة ولهم سوء الدار وهي النار قوله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتر عليه وهذا أمر اقتضته حكمة الله وفرحوا بالحياة الدنيا يعني مشركي مكة لما بسط الله الرزق عليهم أشروا وبطروا والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على أن الفرح بالدنيا والركون إليها حرام وما الحياة الدنيا في الآخرة يعني بالنسبة إلى الآخرة إلا متاع أي قليل ذاهب قال الكلبي مثل السكرجة أي والقصعة والقدر ينتفع في الدنيا بها ثم تذهب كذلك الحياة الدنيا كأنها ذاهبة أبدا

لها ويقول الذين كفروا يعني من أهل مكة لولا أنزل عليه آية من ربه يعني هلا أنزل على محمد آية ومعجزة مثل معجزة عيسى وموسى قل أي قل لهم يا محمد إن الله يضل من يشاء فلا ينفع نزول الآيات وكثرة المعجزات إذا لم يهده الله عز وجل وقوله ويهدي إليه من أناب يعني ويرشد إلى دينه والإيمان به من رجع إليه بقلبه ورجع إليه بكليته والذين آمنوا بدل من قوله أناب وتطمئن قلوبهم يعني وتسكن قلوبهم بذكر الله قال مقاتل بالقرآن لأنه طمأنينة لقلوب المؤمنين والطمأنينة والسكون إنما يكونان بقوة اليقين والاضطراب إنما يكون بالشك ألا بذكر الله تطمئن القلوب يعني بذكره تسكن قلوب المؤمنين ويستقر اليقين فيها وقال ابن عباس هذا في الحلف وذلك أن المسلم إذا حلف بالله على شيء سكن قلوب المؤمنين إليه **فإن قلت** أليس قد قال الله تعالى في أول سورة الأنفال إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمأنينة ووصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحد **قلت** إنما يكون الوجل عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة إنما يكون عند الوعد والثواب فالقلوب توجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه وتطمئن إذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه وإحسانه الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن مآب اختلف العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرة عين وقال عكرمة نعم ما لهم وقال قتادة حسنى لهم وفي رواية أخرى عنه أن هذه كلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أي أصبت خيرا وقال إبراهيم النخعي خير لهم وكرامة وقال الزجاج طوبى من الطيب وقيل تأويلها الحال المستطابة لهم وهو كل ما استطاب في الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وقال الأزهري تقول طوبى لك وطوباك لحن لا تقوله العرب وهو قول أكثر النحويين وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحبشية **وروى** عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طوبى قال هي شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها **وعن معاوية** ابن قرة عن أبيه يرفعه إلى طوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تنبت الحلي والحلل وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة هكذا ذكر البغوي هذين الحديثين بغير سند وروي بسنده مرفوعا عن أبي هريرة قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرؤوا إن شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعب الأحبار فقال صدق والذي أنزل التوراة على موسى والقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم لو أن رجلا ركب حقة أو جذعة ثم دار بأصل تلك الشجرة ما قطعها حتى يسقط هرما إن الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة قال البغوي وبهذا الإسناد عن عبد الله عن شمر بن عطية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إن في الجنة طوبى يقول الله لها تفتقي لعبدي عما يشاء فتفتق له عن فرس بسرجه ولجامه وهيئته كما شاء وتفتق له عن راحلة برحلها وزمامها وهيئتها كما يشاء وعن الثياب ق عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ق عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة زاد البخاري في روايته واقرؤوا إن شئتم وظل ممدود وحسن مآب يعني ولهم حسن منقلب

موضع يتقلبون و يرجعون اليه في الاخرة و هو الجنة قوله عز وجل **كذلك ارسلناك في امة قد خلت من قبلها امم** ارسلنا انبيا من قبلك الى امم قد خلت ومضت **لتتلوا عليهم الذي اوحينا اليك** يعني لتقرا على امتك الذي اوحينا اليك من القران وشرايع الدين **وهم يكفرون بالرحمن** قال قتادة ومقاتل وابن جريج هذه الاية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك انه سهيل ابن عمرو لما جا للصلح واتفقوا على ان يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن ابي طالب اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لا نعرف الرحمن الا صاحب اليمامة يعني مسيلمة الكذاب اكتب كما كنت تكتب باسمك اللهم فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن يعني انهم ينكرونه ويجحدونه والمعروف ان الاية مكية وسبب نزولها ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول في دعائه يا الله يا رحمن فرجع ابو جهل الى المشركين وقال ان محمدا يدعوا الهين يدعوا الله ويدعوا الها اخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فنزلت هذه الاية ونزلت قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى ۞ وروى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن **قل** اي قل يا محمد انا الرحمن الذي انكرتم معرفته **هو ربي لا اله الا هو عليه توكلت** يعني عليه اعتمدت في امورى كلها **واليه متاب** يعني واليه توبتي قوله تعالى **ولو ان قرانا سيرت به الجبال** نزلت في نفر من مشركي مكة منهم ابو جهل بن هشام وعبد الله بن امية جلسوا خلف الكعبة وارسلوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتاهم وقيل انه مر بهم وهم جلوس فدعاهم الى الله عز وجل فقال له عبد الله بن امية ان سرك ان نتبعك فسير جبال مكة بالقران فاذهبها عنا حتى تنفسح فانها ارض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها انهارا وعيونا لنغرس الاشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال يسيرون معه او سخر لنا الريح لنركبها الى الشام لميرتنا وحوايجنا ونرجع في يومنا كما سخرت لسليمان كما زعمت فلست اهون على ربك من سليمان فاحيي لنا جدك قصيا او من شيت من موتانا لنساله عن امرك احق ما تقول ام باطل فان عيسى كان يحيي الموتى ولست باهون على الله منه فانزل الله تعالى هذه الاية ولو ان قرانا سيرت به الجبال اي ازيلت عن اماكنها **او قطعت به الارض** اي شققت فجعلت انهارا وعيونا **او كلم به الموتى** يعني فاحييها واختلفوا في جواب لو فقال قوم جواب لو محذوف وانما حذف اكتفا بمعرفة السامع مراده تقديره ولو ان قرانا فعل به كذا لكان هذا القران وهو كقول الشاعر ۞

۞ فاقسم لو شي اتانا رسوله ۞ سواك ولكن لم نجد لك مدفعا ۞

اراد لو شي اتانا رسول سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة قال لو فعل هذا بقران قبل قرانكم لفعل بقرانكم وقال اخرون جواب لو مقدم تقدير الكلام وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يومنوا به لما سبق من علمنا فيهم كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قبلا ما كانوا ليومنوا ثم قال تعالى **بل لله الامر جميعا** يعني في هذه الاشيا وفي غيرها ان شا فعل وان شا لم يفعل **افلم ييايس الذين امنوا** قال اكثر المفسرين معناه افلم يعلم قال الكلبي هي لغة النخع وقيل هي لغة هوازن واختلف اهل اللغة في هذه اللفظة فقال الليث وابو عبيدة الم ييايس الم يعلم واستدلوا لهذه اللغة بقول الشاعر

اقول

اقول لهم بالشعب اذ ياسرونني ۞ الم تياسوا اني ابن فارس زهدم

يعني الم تعلموا واستدلوا عليه ايضا بقول شاعر اخر

الم ييأس الاقوام اني انا ابنه ۞ وان كنت عن ارض العشيرة نائيا

يعني الم يعلم الاقوام قال قطرب ييايس يعني علم لغة العرب ووجه هذه اللغة انما وقع اليأس في مكان العلم لان علمك بالشي وتيقنك به يأسك من غيره وقيل لم يرد ان اليأس في موضع كلامها العرب للعلم وانما قصد ان يأس الذين امنوا من ذلك يقتضي ان يحصل العلم بانتفايه فاذا القائل يأسهم يقتضي حصول العلم وقال الكسائي ما وجدت العرب تقول يئست بمعنى علمت قال وهذا الحرف في القران من اليأس المعروف لا من العلم وذلك ان المشركين لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الايات اشتاق المسلمون لذلك وارادوا ان يظهر لهم اية ليجتمعوا على الايمان فقال تعالى افلم ييأس الذين امنوا من ايمان هولا ويعلموا من يقينهم ان لو يشا الله لهدى الناس جميعا من غير ظهور اية وقال الزجاج القول عندي ان معناه افلم ييأس الذين امنوا من ايمان هولا لان الله يهدى الناس جميعا وحاصله ان في معنى الاية قولان احدهما ان ييأس يعني علم والقول الثاني انه من اليأس المعروف وتقدير القولين ما تقدم وتمسك اهل السنة بقوله **ان لو يشا الله لهدى الناس جميعا** على ان الله لم يشا هداية جميع الخلق **ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة** اي نازلة وداهية تقرعهم بانواع البلايا احيانا مرة بالجدب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والاسر وقال ابن عباس اراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها اليهم **او تحل** يعني السرية او البلية **قريبا من دارهم** وقيل معناه او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم **حتى ياتي وعد الله** يعني بالنصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل اراد بوعد الله يوم القيمة لان الله يجمعهم فيجازيهم باعمالهم **ان الله لا يخلف الميعاد** قال والغرض منه تقوية قلب النبي صلى الله عليه وسلم وازالة الخوف عنه لعلمه بان الله لا يخلف الميعاد وقوله عز وجل **ولقد استهزي برسل من قبلك** وكذلك كما استهزى بك يا محمد انما سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاشيا على سبيل الاستهزا فانزل الله تعالى هذه الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى انهم كما طلبوا منك هذه الايات على سبيل الاستهزا فكذلك قد استهزى برسل من قبلك **فامليت للذين كفروا** يعني فامهلتهم واطلت لهم المدة **ثم اخذتهم** يعني بالعذاب الاهالك فعاقبتهم في الدنيا بالقحط والاسر والقتل وفي الاخرة بالنار **فكيف كان عقاب** يعني فكيف كان عقابي لهم **افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت** يعني افمن هو حافظها ورازقها وعالم بها وبما عملت من خير او شر ويجازيها بما كسبت فيثيبها ان احسنت ويعاقبها ان اسات وجوابه محذوف تقديره كمن ليس بقايم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره اعجز وهي الاصنام التي لا تضر ولا تنفع **وجعلوا لله شركا** يعني وهو المستحق للعبادة لا هذه الاصنام التي عبدوها وجعلوها لله شركا **قل سموهم** يعني له وقيل صفوهم بما يستحقون من النظر وهل هي اهل لان تعبد **ام تنبيونه** يعني ام تخبرون الله **بما لا يعلم في الارض** يعني لا يعلم ان لنفسه شريكا من خلقه وكيف يكون المخلوق شريكا للخالق وهو العالم بما في السموات والارض ولو كان لعلمه والمراد من ذلك

نفي العلم بان يكون له شريكا **ام بظاهر من القول** يعني انهم يتعلقون بظاهر من
القول مسموع وهو في الحقيقة باطل لا اصل له وقيل معناه بل بباطل من القول
لا يعلم حقيقته **بل زين للذين كفروا مكرهم** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه قد
زين الشيطان لهم الكفر انما سمى الكفر مكرا لان مكرهم برسول الله صلى الله عليه
وسلم كفر منهم والمزين في الحقيقة هو الله تعالى لانه الفاعل المختار على الاطلاق
لا يقدر احد ان يتصرف في الوجود الا باذنه فتزيين الشيطان القاء الوسوسة
فقط لا يقدر على اضلال احد وهدايته الا الله تعالى ويدل عليه سياق الاية
وهو قوله ومن يضلل الله فما له من هاد وقوله **وصدوا عن السبيل** قرئ بضم
الصاد المهملة ومعناه وصرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا من
ذلك والصاد لما يقع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه انهم
صدوا غيرهم عن الايمان **ومن يضلل الله فما له من هاد** الوقف على سكون الدال
وحذفها لياء في قراءة اكثر القراء **لهم عذاب في الحياة الدنيا** يعني بالقتل والاسر ونحو
ذلك مما فيه غيظهم **ولعذاب الاخرة اشق** يعني اشد واغلظ لان المشقة غلظ
الامر على النفس وشدته بما يكاد يصدع القلب من شدته فهو من الشق الذي هو
الصدع **وما لهم من الله من واق** يعني من مانع يمنعهم من عذابه قوله تعالى **مثل
الجنة التي وعد المتقون** اي صفة الجنة التي وعد المتقون **تجري من تحتها
الانهار اكلها دائم** اي لا ينقطع ابدا **وظلها** يعني انه دائم ابدا لا ينقطع وليس في الجنة
شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفي الاية رد على جهم
واصحابه يقولون ان نعيم الجنة يفنى وينقطع وفي الاية دليل على حركات اهل الجنة
لا تنتهي الى سكون كما يقوله ابو الهذيل وقد استدل القاضي عبد الجبار
المعتزلي بهذه الاية ان الجنة لم تخلق بعد وقال وجه الدليل انها لو كانت مخلوقة
لوجب ان تفنى وتنقطع اكلها لقوله كل شيء هالك الا وجهه ووجب ان تكون الجنة
مخلوقة لقوله اكلها دائم يعني لا ينقطع قال ولا ننكر ان يكون في السموات جنات
كثيرة يتمتع بها الملائكة ومن يعد حيا من الانبياء والشهداء وغيرهم على ما روي ان الذي
نذهب اليه ان جنة الخلد لم تخلق بعد والجواب عن هذا ان حاصل دليلهم مركب
من اثنين احدهما كل شيء هالك الا وجهه والاخر اكلها دائم وظلها فاذا اردنا
التخصيص على مذهب المعتزلة سقط تخصيصهم بتخصيص هذين الدليلين
بالدلائل الدالة على ان الجنة مخلوقة منها قوله تعالى وجنة عرضها السموات
والارض اعدت للمتقين وقوله تعالى **تلك عقبى الذين اتقوا** يعني ان عاقبة
الذين اتقوا واهل التقوى هي الجنة **وعقبى الكافرين النار** يعني في الاخرة
قوله عز وجل **والذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك** في المراد بالكتاب
قولان احدهما انه القران والذين اوتوه المسلمون وهم اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم والمراد انهم يفرحون بما يتجدد من الاحكام والتوحيد والحشر بعد الموت
بتجدد نزول القران **ومن الاحزاب** يعني الجماعات الذين تحزبوا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى **من ينكر بعضه** وهذا
قول الحسن وقتادة **فان قلت** ان الاحزاب من الكفار وغيرهم من اهل
الكتاب ينكرون القران جملة لانه قد ورد فيه اثبات الله تعالى واثبات قدرته وعلمه

وهم

وهم لا ينكرون ذلك ابدا والقول الثاني ان المراد بالكتاب التوراة والمراد باهله
الذين اسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام واصحابه ومن اسلم من
اولئك النصارى وهم الثمانون رجلا من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرون
ممن سواهم وفرحوا بالقران لكونهم امنوا وصدقوه ومن الاحزاب يعني بقية اهل الكتاب
من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل كان ذكر الرحمن قليلا
في القران في الابتداء فلما اسلم عبد الله بن سلام ومن معه من اهل الكتاب ساءهم
قلة ذكر الرحمن مع كثرة ذكره في التوراة فلما كرر الله تعالى ذكره في القران فرحوا
بذلك فانزل الله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب
يعني مشركي مكة من ينكر بعضه وذلك لما كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح
يوم الحديبية كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم قالوا ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة
يعنون مسيلمة الكذاب فانزل الله تعالى وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي وانما
قال ومن الاحزاب من ينكر بعضه لانهم قد كانوا لا ينكرون الله وينكرون الرحمن
قل يا محمد **انما امرت ان اعبد الله** يعني وحده **ولا اشرك به شيئا اليه ادعوا** يعني الى
الله والى الايمان به ادعو الناس **واليه ماب** يعني مرجعي يوم القيامة **وكذلك انزلناه
حكما عربيا** اي كما انزلنا الكتب على الانبياء بلغاتهم ولسانهم انزلنا اليك يا محمد هذا
الكتاب وهو القران عربيا بلسانك ولسان قومك وانما سمى القران حكما لان فيه
جميع التكاليف والحلال والحرام والنقض والابرام فلما كان القران سببا للحكم
جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة وقيل ان الله تعالى لما حكم على جميع الخلق
بقبول القران والعمل بمقتضاه سماه حكما لذلك المعنى **ولئن اتبعت اهواءهم** قال
جمهور المفسرين ان المشركين دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ملة ابائه
فتوعده الله تعالى على اتباع اهوائهم في ذلك وقال ابن السائب المراد به متابعة
ابائهم في الصلاة الى بيت المقدس **بعد ما جاءك من العلم** يعني بانك على الحق وان
قبلتك هي الكعبة وقيل ظاهر الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره
وقيل هو حث للنبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بما امر به
ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لان من هو ارفع منزلة واعظم قدرا
واعلا مرتبة اذا حذر كان غيره ممن هو دونه بطريق الاولى **ما لك من الله من
ولي ولا واق** يعني من ناصر ولا حافظ قوله تعالى **ولقد ارسلنا رسلا من قبلك**
روي ان اليهود وقيل المشركين قالوا ان هذا الرجل يعنون النبي صلى الله عليه وسلم
ليس له همة الا في النساء فعابوا عليه ذلك وقالوا لو كان كما يزعم انه رسول الله
لكان مشتغلا بالزهد وترك الدنيا فاجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وكما ابو
بقوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك يا محمد **وجعلنا لهم ازواجا وذرية** فانه
قد كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلثمائة امراة حرة وسبعمائة سرية ولا يقدح
ذلك في نبوته ايضا فكيف يعيبوا عليك ذلك ويجعلوه قادحا في نبوتك والمعنى
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك ياكلون ويشربون وينكحون وما جعلناهم ملائكة
لا ياكلون ولا يشربون ولا ينكحون **وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن
الله** هذا جواب لعبد الله بن امية وغيره من المشركين الذين سالوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الايات واقترحوا عليه ان يريهم المعجزات وتقرير هذا الجواب ان المعجزة

الواحدة كافية في اثبات النبوة وقد اتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة تعجز عن
مثلها البشر فما لهم ان يقترحوا عليه شيئا واتيان الرسول بالمعجزات ليس اليه بل هو مفوض
الى مشيئة الله عز وجل فان شاء اظهرها وان شاء لم يظهرها **لكل اجل كتاب** وذلك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما استبطؤوا ذلك كانوا
يستعجلون بنزوله فاخبر الله تعالى ان لكل قضاء كتابا قد كتبه الله فيه ووقتا يقضى فيه
لا يتقدم ولا يتاخر والمعنى ان لكل اجل اجله الله كتابا قد اثبته فيه وقيل في الاية تقديم
وتاخير تقديره لكل كتاب اجل ومدة اثبته فيه والمعنى ان الكتب المنزلة لكل كتاب منها
وقت ينزل فيه **يمحو الله ما يشاء ويثبت** وذلك انهم لما اعترضوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا ان محمدا يامر اصحابه بامر اليوم ثم يامر بخلافه غدا وما سبب
ذلك الا انه يقوله من تلقاء نفسه فاجاب الله تعالى عن هذا الاعتراض بقوله
يمحو الله ما يشاء ويثبت قال سعيد بن جبير وقتادة رضي الله تعالى عنهما يمحو الله ما يشاء
من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء من ذلك فلا ينسخه ولا يبدله
وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه يمحو الله ما يشاء ويثبت الا الرزق والاجل والسعادة
ويدل على صحة هذا التاويل ما روي عن حذيفة بن اسيد رضي الله تعالى عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله
تعالى اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم قال يا رب
اذكر ام انثى فيقضي ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يا رب رزقه فيقضي ربك ما يشاء ويكتب
الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على امر ولا ينقص اخرجه مسلم عن ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق
ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة
مثل ذلك ثم يبعث الله تعالى اليه الملك باربع كلمات يكتب رزقه واجله وشقي او سعيد
ثم ينفخ فيه الروح فوالله الذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون
بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم
ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل
اهل الجنة فيدخلها **فان قلت** هذا الحديث والذي قبله صريح بان الاجال والارزاق
مقدرة وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير عما قدره الله تعالى وعلمه في الازل
فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل ان ينقلب السعيد شقيا والشقي سعيدا
وقد صح في فضل صلة الرحم ان صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الاحاديث
وبين قوله يمحو الله ما يشاء ويثبت **قلت** قد تقرر بالدلائل القطعية ان الله تعالى علم
بالاجال والارزاق وغيرها مما كان وحقيقة العلم معرفة المعلوم على ما هو عليه فاذا علم
الله ان زيدا يموت في وقت معين استحال ان يموت قبله او بعده ومنه قوله تعالى فاذا جاء
اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون فدل ذلك على ان الاجال لا تزيد ولا تنقص
واجاب العلماء رضي الله تعالى عنهم عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم انها تزيد في العمر
باجوبة الصحيحة منها ان هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق بالطاعات وعمارة
اوقاته بما ينفعه في الاخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك والجواب الثاني منها انه بالنسبة
الى ما يظهر للملك في اللوح المحفوظ ان عمره ستون سنة الا ان يصل رحمه فان
وصلها زيد له اربعون سنة وقد علم الله في الازل ما سيقع من ذلك وهو معنى قوله تعالى يمحو الله

ما يشا

ما يشاء ويثبت فهو بالنسبة الى ما يظهر للمخلوق فلا يتصور الزيادة واما انقلاب الشقي سعيدا
والسعيد شقيا فيتصور في الظاهر ايضا لان الكافر قد يسلم فينقلب من الشقاوة الى السعادة
وكذلك العاصي ونحوه قد يتوب فينقلب من الشقاوة الى السعادة وقد يرتد المسلم والعياذ
بالله تعالى فيموت على ردته فينقلب من السعادة الى الشقاوة والاصل في هذا الاعتبار
بالخاتمة عند الموت بما يختم له والمراد من علم الله الازلي الذي لا يتغير ولا يتبدل والله
تعالى اعلم واصل المحو ذهاب الاثر والكتابة وضده الاثبات فمن العلماء من حمل هذه الاية
على ظاهرها فجعلها عامة في كل شيء يقتضيه ظاهر اللفظ فيمحو الله ما يشاء من الرزق
والاجل وكذا القول في السعادة والشقاوة والايمان والكفر ونقل نحو هذا عن عمر
وابن مسعود فانهما قالا يمحو السعادة والشقاوة ويمحو الرزق والاجل ويثبت ما يشاء
وروي عن عمر رضي الله تعالى عنه انه كان يطوف بالبيت ويبكي ويقول اللهم ان كنت
كتبتني في اهل السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبتني على الشقاوة فامحني واثبتني
في اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب وروي مثله
عن ابن مسعود وقد ورد في بعض الاثار ان الرجل قد يكون بقي من عمره ثلاثة ايام
فيصل رحمه فيمد الى ثلاثين سنة هكذا ذكره البغوي بغير سند وروي بسنده عن
ابي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى
في اخر ثلاث ساعات من الليل ينظر في الساعة الاولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر
فيه احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت ومن العلماء من حمل هذه الاية على الخصوص في بعض
الاشياء دون بعض فقال المراد من المحو والاثبات نسخ الحكم المتقدم وقيل ان الحفظة
يكتبون جميع اعمال بني ادم واقوالهم فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب
مثل قول القائل اكلت وشربت ودخلت وخرجت ونحو ذلك من الكلام وهو صادق فيه ويثبت
ما فيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك وقال الكلبي يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس
طرح منه شيئا ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه هو الرجل يعمل
بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله فهو الذي يمحو والذي يثبت هو الرجل
يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو في طاعته فهو الذي يثبت وقال الحسن يمحو الله ما يشاء
يعني من جاء اجله فيذهب ويثبت من لم يجئ اجله وقال سعيد بن جبير يمحو الله ما يشاء من
من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها وقال عكرمة يمحو الله من
الذنوب بالتوبة ما يشاء ويثبت بدل الذنوب حسنات وقال السدي يمحو الله ما يشاء يعني
القمر ويثبت الشمس وقال الربيع هذا في الارواح يقبضها الله عند النوم فمن اراد الله تعالى
موته فجاة امسكه ومن اراد بقاه اثبته ورده الى صاحبه وقيل ان الله تعالى يثبت في اول
كل سنة حكمها فاذا مضت السنة محاه واثبت حكما اخر للسنة المستقبلة وقيل يمحو الله الدنيا
ويثبت الاخرة وقيل هذا في المحن والمصائب فهي مثبتة في الكتاب ثم يمحوها بالدعاء والصدقة
وقيل ان الله تعالى يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء لا اعتراض عليه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
فان قلت مذهب اهل السنة ان المقادير سابقة وقد جف القلم وسبق القدر
فلا يمحو شيئا ولا يثبت شيئا الا ما سبق به علمه في الازل وعليه يترتب القضاء والقدر
مسئلة استدلت الرافضة على مذهبهم في البداء بهذه الاية قالوا ان البداء
هو ان يعتقد شيئا ثم يظهر له خلاف ما اعتقده وتمسكوا بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت
والجواب عن هذه المسالة ان هذا المذهب باطل ظاهر الفساد لان علم الله

المتغير

لان علم الله تعالى قديم ازلي وهو من لوازم ذاته المخصوصة وما كان كذلك كان دخول
التغير فيه محالا كذا ذكره الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية
وقوله تعالى **وعنده ام الكتاب** يعني اصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لا يغير ولا
يبدل وسمي اللوح المحفوظ ام الكتاب لان جميع تلك الاشياء مثبتة فيه ومنه تنسخ الكتب المنزلة
وقيل ان العلوم كلها منسوبة اليه وتتولد منه وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه هما كتابان
كتاب يمحو الله ما يشاء منه ويثبت فيه ما يشاء وام الكتاب الذي لا يغير منه شيء وروى عطية
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال ان لله تعالى لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة
بيضاء له دفتان من ياقوت لله تعالى فيه كل يوم ثلثمائة وستون لحظة يمحو الله ما يشاء ويثبت
وعنده ام الكتاب وسأل ابن عباس كعبا عن ام الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون
قوله تعالى **واما نرينك** يعني يا محمد **بعض الذي نعدهم** يعني من العذاب **او نتوفينك**
قبل ان نريك ذلك **فانما عليك البلاغ** يعني ليس عليك الا تبليغ الرسالة اليهم والبلاغ اسم
اقيم مقام التبليغ **وعلينا الحساب** يعني وعلينا ان نحاسبهم يوم القيامة فنجازيهم باعمالهم
قوله عز وجل **اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها** يعني اولم ير اهل مكة الذين
سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم الآيات انا نأتي الارض يعني ارض الشرك ننقصها من اطرافها قال
المفسرون المراد منه فتح دار الشرك فان ما زاد في دار الاسلام فقد نقص في دار الشرك والمعنى اولم
يروا انا نأتي الارض نفتحها لمحمد صلى الله عليه وسلم ارضا بعد ارض حوالي ارضهم واراضيهم
افلا يعتبرون ويتعظون وهذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين وذلك ان
المسلمين اذا استولوا على بلاد الكفار فهو اخرابها كان ذلك هو انتقاصا وزيادة في دار
الاسلام وقوتهم فكان ذلك من اقوى الدلائل على ان الله تعالى ينصر عبده وينجز وعده ويظهر
دينه وينجز له ما وعد وقيل هو خراب الارض والمعنى اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها
من اطرافها فنخربها ونهلك اهلها فلا يخافون ان نفعل بهم مثل ذلك قال مجاهد هو خراب
الارض وقبض اهلها وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا القول قريب من الاول وقال عطاء
وجماعة من المفسرين نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص
رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعا
ينتزعه من الناس وفي رواية من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالم
اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا قال الحسن قال عبد الله
ابن مسعود رضي الله تعالى عنهما موت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل
والنهار وقال عبد الله ايضا عليكم بالعلم قبل ان يقبض وقبضه ذهاب اهله وقال
سلمان لا يزال الناس بخير ما بقي الاول حتى يتعلم الآخر فاذا هلك الاول ولم يتعلم الآخر هلك
الناس وقيل لسعيد بن جبير ما علامة هلاك الناس قال هلاك العلماء فعلى هذا القول فالمراد
بالاطراف العلماء والاشراف من الناس حكى الجوهري عن ثعلب قال الاطراف الاشراف وقال
الواحدي هذه اللغة تقول الفرزدق

واسأل بنا وبكم اذا وردت منى * اطراف كل قبيلة من يمنع

قال يريد اشراف كل قبيلة قال الواحدي والتفسير على القول الاول لان هذا وان صح
لا يليق بهذا الموضع قال الامام فخر الدين الرازي يمكن ان يقال ان هذا الوجه ايضا لا يليق
بهذا الموضع وتقريره ان يقال اولم يروا ما يحدث في الناس من الاختلاف فات خراب بعد
عمارة وموت بعد حياة وذل بعد عز ونقص بعد كمال فاذا كانت هذه التغيرات مشاهدة

محسوسة

محسوسة فما الذي يؤمنهم ان يقلب الله تعالى الامر عليهم ويجعلهم ذليلين
بعدما كانوا عزيزين ومقهورين بعد ان كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه ايضا يحسن
ايصال الكلام بما قبله وقوله تعالى **والله يحكم لا معقب لحكمه** يعني لا راد لحكمه
ولا ناقض لقضائه والمعقب هو الذي يعقب غيره بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب
الحق معقب لانه يعقب غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى يحكم ما يريد حكمه خاليا
من المدافع والمعارض والمنازع لا يتعقب حكمه احد بتغيير ولا نقض **وهو سريع الحساب**
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه يريد سريع الانتقام يعني حسابه للمجازاة بالخير والشر
فمجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بايصال الثواب اليهم وقد تقدم بسط
الكلام في معنى سريع الحساب قبل هذا **وقد مكر الذين من قبلهم** يعني من قبل مشركي مكة
من الامم الماضية مكروا بانبيائهم والمكر ايصال المكروه الى الانسان من حيث لا يشعر
مثل مكر نمرود بابراهيم وفرعون بموسى واليهود بعيسى **فلله المكر جميعا** يعني
عند الله جزاء مكرهم وقال الواحدي يعني جميع مكر الماكرين له ومنه اي من خلقه وارادته
والمكر جميعا مخلوق له بيده الخير والشر واليه النفع والضر والمعنى ان المكر لا يضر
الا باذنه وارادته وفي هذه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وامان له من مكرهم كأنه
قيل قد فعل من قبلهم من الكفار مثل فعلهم وصنعوا مثل صنيعهم فلا يضر الا باذن الله
وارادته واذا كان الامر كذلك وجب ان لا يكون الخوف الا من الله تعالى لا من احد
من المخلوقين **يعلم ما تكسب كل نفس** يعني ان جميع اكتساب العبد وتأثيراتها
معلومة لله تعالى وهو خالقها وخلاف المعلوم ممتنع الوقوع واذا كان كذلك فكل
ما علم وقوعه فهو واجب الوقوع وكلما علم عدمه كان ممتنع الوقوع واذا كان
كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل والترك فكان الكل من الله تعالى **وسيعلم الكافر**
وقرئ الكفار على التوحيد قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه يعني ابا جهل وقيل
اراد بالمستهزئين وهم خمسة نفر من كفار قريش **لمن عقبى الدار** والمعنى وان
كانوا جهالا بالعواقب فسيعلمون ان العاقبة الحميدة للمؤمنين ولهم العاقبة
المذمومة في الآخرة حين يدخلون النار ويدخل المؤمنون الجنة وقوله تعالى
ويقول الذين كفروا لست مرسلا لما انكر الكفار كون محمد رسولا من عند الله
امره الله بقوله **قل** اي قل يا محمد لهؤلاء الكفار الذين انكروا نبوتك **كفى بالله شهيدا**
بيني وبينكم المراد بشهادة الله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ما اظهر على
يديه من المعجزات الباهرات والآيات القاهرات الدالة على صدقه وكونه نبيا مرسلا
من عنده **ومن عنده علم الكتاب** ايضا يشهد على صحة نبوتك يا محمد واختلفوا في
الذي عنده علم الكتاب من هو فروى العوفي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انهم علماء
اليهود والنصارى والمعنى ان من كان عالما من اليهود بالتوراة ومن النصارى بالانجيل
علم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مرسل من الله تعالى لما يجد من الدلائل على نبوته
فهم يشهدون بذلك من شهد وانكره من انكره منهم وقيل انهم مؤمنو اهل الكتاب يشهدون
ايضا على نبوتك قال قتادة هو عبد الله بن سلام وانكر الشعبي هذا وقال هذه
السورة مكية وعبد الله بن سلام في المدينة قال ابو بشر لسعيد بن جبير ومن عنده علم
الكتاب هو عبد الله بن سلام فقال كيف يكون عبد الله بن سلام وهذه السورة مكية وقال
الحسن ومجاهد ومن عنده علم الكتاب هو الله تعالى وعلى هذا القول يكون المعنى كفى بالله

يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح المحفوظ إلا هو شهيدا بيني وبينكم قال
الزجاج الأشبه أن الله تعالى لا يستشهد على صحة حكمه بغيره وهذا القول مشكل لأن عطف
الصفة على الموصوف وإن كان جائزا إلا أنه خلاف الأصل فلا يقال شهد بهذا زيد
والفقيه بل يقال شهد بهذا زيد الفقيه لكن يشهد لصحة هذا القول قراءة من قرأ
ومن عنده علم الكتاب بكسر الميم والدال وهي قراءة ابن عباس وغيره على البناء للمفعول
والمعنى ومن عنده علم الكتاب ودليل هذه القراءة وعلمناه من لدنا علما وقيل معناه أن
من علم أن القرآن الذي جئتكم به معجز ظاهر وبرهان باهر لما فيه من الفصاحة والبلاغة
والإخبار عن الغيوب وعن الأمم الماضية فمن علمه بهذه الصفة كان شهيدا بيني
وبينكم والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة إبراهيم عليه الصلاة والسلام

وهي مكية سوى آيتين وهما قوله ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا إلى آخر الآيتين
وهي إحدى وقيل اثنتان وخمسون آية وثمانمائة وإحدى وستون كلمة وثلاثة
آلاف وأربعمائة وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل الر كتاب أنزلناه إليك يعني هذا الكتاب أنزلناه إليك يا محمد
والكتاب هو القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لتخرج الناس من الظلمات إلى النور
يعني بهذا القرآن المراد هنا بالظلمات الكفر والضلالة والمراد بالنور الإيمان قال الإمام فخر
الدين الرازي وفيه دليل على أن طرق الكفر والبدعة كثيرة وطريق الحق ليس إلا
واحدا لقوله تعالى لتخرج الناس من الظلمات إلى النور فعبر عن الجهل والكفر
بالظلمات وهو صيغة جمع وعبر عن الإيمان والهدى بالنور وهو لفظ مفرد وهذا
يدل على أن طرق الجهل والكفر كثيرة وأما طرق العلم والإيمان ليس إلا واحدا بإذن
ربهم يعني بأمر ربهم وقيل بعلم ربهم إلى صراط العزيز الحميد يعني إلى دين الإسلام
وهو دينه الذي أمر به عباده والعزيز هو الغالب الذي لا يغلب والحميد المحمود
على كل حال المستحق لجميع المحامد الله قرئ بالرفع على الاستئناف وخبره ما بعده وقرئ
بالجر نعتا للعزيز الحميد وقال أبو عمرو وقراءة الرفع على التقديم والتأخير تقديره
إلى صراط الله العزيز الحميد الذي له ما في السموات وما في الأرض يعني ملكا وما فيها
عبيده وويل للكافرين يعني الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة الذي
له ما في السموات وما في الأرض وعبدوا من لا يملك شيئا البتة بل هو مملوك لله
لأنه من جملة ما في السموات والأرض من عذاب شديد يعني يعذبهم في الآخرة ثم
وصفهم فقال تعالى الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة يعني يختارون
الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة ويصدون عن سبيل الله أي يمنعون الناس
عن قبول دين الله ويبغونها عوجا يعني ويطلبون بها زيغا وميلا فحذف الجار وأوصل
الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله جائرين عن القصد وقيل الهاء في يبغونها
راجعة إلى الدنيا على طريق الميل عن الحق وقيل يجوز أن يراد في ضلال لكن بعيد
الحكم أولئك يعني من هذه صفتهم في ضلال بعيد يعني عن الحق في ضلال ذي بعد
وقيل بعيد لأن الضلال يتبعد عن الطريق قوله تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه

يعني

يعني بلغة قومه ليفهموا عنه ما يدعوهم إليه وهو قوله تعالى ليبين لهم يعني
ما يأتون وما يذرون فإن قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العرب
وحدهم وإنما بعث إلى الناس جميعا بدليل قوله يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا
بل هو مبعوث إلى الثقلين إلى الجن والإنس وهم على ألسنة مختلفة ولغات شتى وقومه
بلسان قومه وليس قومه سوى العرب وهذا يقتضي بظاهره أنه مبعوث إلى العرب
خاصة فكيف يكون وجه الجمع قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من
العرب بلسانهم والناس تبع للعرب فكان مبعوثا إلى الخلق لأنهم تبع للعرب ثم إنه
يبعث الرسل إلى الأطراف فيترجمون لهم بألسنتهم ويدعونهم إلى الله تعالى
وقيل يحتمل أن يراد بقومه أهل بلده وفيهم العرب وغيرهم فيدخل غيرهم معهم من
جنسهم في عموم الدعوى وقيل إن الرسول إذا أرسل بلسان قومه وكانت دعوته وهو
محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وكان كتابه بلسان قومه لأنه أقرب لفهمهم عنه وقيام
الحجة عليهم في ذلك فإذا فهموه ونقل عنه انتشر علمه وقام التراجم ببيانه وتفهيمه
لمن يحتاج إليه ممن هو من غير العرب فإذا كان واحدا بلغة واحدة مع اختلاف الأمم
وتباين اللغات كان ذلك أبلغ في اجتهاد المجتهدين في تعليم معانيه وتفهيم فوائده
وغوامضه وأسراره وعلومه وجميع حدوده وأحكامه فيضل الله من يشاء ويهدي
من يشاء يعني أن الرسول ليس عليه إلا التبليغ والبيان والله هو الهادي المضل
يفعل ما يشاء وهو العزيز يعني الذي يغلب ولا يغلب الحكيم يعني في جميع
أفعاله قوله عز وجل ولقد أرسلنا موسى بآياتنا المراد بالآيات المعجزات العظيم
التي بان أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور يعني أن أخرج قومك بالدعوة من
ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وذكرهم بأيام الله قال ابن عباس وأبي بن كعب ومجاهد
وقتادة يعني بنعم الله وقال مقاتل بوقائع الله في الأمم السالفة يقال فلان عالم
بأيام العرب يريد وقائعها وإنما أراد بما كان في أيام الله من النعمة والنقمة فاختصر
بذكر الأيام عن ذلك لأنها كانت معلومة عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظهم
بالترغيب والوعد أن يذكرهم ما أنعم الله عليهم وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسل فيما
مضى من الأيام والترهيب والوعيد أن يذكرهم بأس الله وشدة انتقامه ممن خالف
أمره وكذب رسله وقيل بأيام الله في حق موسى أن يذكر قومه بأيام المحنة والشدة
والبلاء حين كانوا تحت أيدي القبط يسومونهم سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك
وجعلهم ملوكا بعد أن كانوا مملوكين إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور الصبار
الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وإنما خص الصبور والشكور لأنه اعتبار
بالآيات وإن كان فيها عبرة للكل لأنهم هم المنتفعون بها دون غيرهم فلهذا
خصهم بالآيات فكأنها ليست لغيرهم فهو كقوله هدى للمتقين ولأن الانتفاع لا يمكن
حصوله إلا لمن يكون صابرا شاكرا أما من لا يكون كذلك فلا ينتفع بها البتة وإذ
قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم لما أمر الله تعالى موسى عليه الصلاة
والسلام أن يذكر قومه أيام الله امتثل ذلك الأمر وذكرهم بأيام الله فقال اذكروا نعمة
الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون أي اذكروا إنعام الله عليكم في ذلك الوقت الذي
أنجاكم فيه من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم فإن قلت
قال في البقرة يذبحون بغير واو وقال هنا ويذبحون بزيادة واو فما الفرق قلت

انما حذفت الواو في سورة البقرة لان قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب
وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو وتقول جاءني القوم زيد وعمرو واذا اردت تعديد القوم
واما دخول الواو هنا في هذه السورة لان آل فرعون كانوا يعذبونهم بانواع العذاب غير
التذبيح ايضا فقوله يسومونكم سوء العذاب ويذبحون نوع آخر من العذاب لا انه تفسير
العذاب **ويستحيون نساءكم** يعني يتركونهن احياء **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم**
فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم عظيم قلت تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا
ما فعلوا كان ذلك بلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلكم اشارة الى الانجاء وهو بلاء
عظيم لان البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا ومنه قوله ونبلوكم بالشر
والخير فتنة وهذا الوجه اولى لانه موافق لاول الآية وهو قوله اذكروا نعمة الله
عليكم **فان قلت** هو ان تذبيح الابناء فيه بلاء فكيف يكون استحياء
النساء بلاء **قلت** كانوا يستخدمونهن ويتركونهن تحت ايديهم كالاماء
فكان ذلك بلاء **واذ تأذن ربكم** من جملة ما قال موسى لقومه كانه قال واذكروا نعمة
الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم يعني اذن واعلم ولابد في تفعل من زيادة
معنى ليس في افعل كانه قيل واذن ربكم اذانا بليغا تنتفي عنه الشكوك وتنزاح
الشبهة والمعنى واذ قال ربكم فقال **لئن شكرتم** يا بني اسرائيل ما خولتكم من
نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح **لازيدنكم** نعمة
الى النعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم قيل شكر الموجود صيد المفقود وقيل
لئن شكرتم بالطاعة لازيدنكم في الثواب واصل الشكر تصور النعمة واظهارها
وحقيقتها الاعتراف بنعمة المنعم مع تعظيمه وتوطين النفس على هذه
الطريقة وهنا دقيقة وهي ان العبد اذا اشتغل بشكر تلك النعمة وذلك
يوجب ملاحظة اقسام نعم الله عز وجل وانواع فضله وكرمه واحسانه
اليه اشتغل بشكر تلك النعم وذلك يوجب المزيد وبذلك تتأكد محبة العبد
لله تعالى وذلك مقام شريف ومقام اعلا منه وهو ان يشغله حب المنعم عن
الالتفات الى النعم وهذا مقام الصديقين نسأل الله القيام بواجب شكر
النعمة حتى يزيدنا من فضله وكرمه واحسانه وقوله **ولئن كفرتم** المراد من الكفر
هاهنا كفران النعمة وهو جحودها لانه مذكور في مقابلة الشكر **ان عذابي
لشديد** لمن كفر نعمتي ولا يشكرها **وقال موسى ان تكفروا انتم** يعني يا بني
اسرائيل **ومن في الارض جميعا** يعني الناس كلهم جميعا فانما ضرر ذلك يعود على
انفسكم وهو منتهاها الخير كله **فان الله لغني** يعني عن جميع خلقه **حميد** اي
محمود في جميع افعاله لانه فيها متفضل عادل **الم يأتكم نبأ** يعني خبر **الذين من
قبلكم قوم نوح وعاد وثمود** وقال بعض المفسرين يحتمل ان يكون هذا خطابا من
موسى لقومه والمقصود منه انه عليه السلام كان يخوفهم بامثال من تقدم من الامم
ويحتمل ان يكون خطابا من الله تعالى على لسان موسى لقومه يذكرهم بذلك امر
القرون الماضية والامم الخالية والمقصود منه حصول العبرة باحوال من تقدم
هلاكهم **والذين من بعدهم** يعني من بعد هؤلاء الامم الثلاثة **لا يعلمهم الا الله**
يعني لا يعلم كنه مقاديرهم وعددهم الا الله لان علمه محيط بكل شيء لا يعلم من يتعلق
وقيل المراد بقوله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله اقواما لم تبلغنا اخبارهم

اصلا

اصلا ومنه قوله تعالى قرونا بين ذلك كثيرا وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية يقول
كذب النسابون يعني انهم يدعون علم النسب الى آدم وقد نفى الله علم ذلك عن العباد
وعن عبد الله بن عباس انه قال بين ابراهيم وعدنان ثلاثون قرنا لا يعلمهم الا الله
وكان مالك بن انس يكره ان ينسب الانسان نفسه ابا ابا الى آدم لانه لا يعلم اولئك
الآباء الا الله تعالى قوله تعالى **جاءتهم رسلهم بالبينات** يعني بالدلائل الواضحات
والمعجزات الباهرات **فردوا ايديهم في افواههم** وفي معنى الايدي والافواه قولان
احدهما ان المراد بهما هاتان الجارحتان المعلومتان ثم في معنى ذلك وجوه قال
ابن مسعود عضوا على ايديهم غيظا وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عز وجل عجبوا ورجعوا
بايديهم الى افواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل وردوا ما جاءوا به يقال رددت
قول فلان في فيه اي كذبته وقال الكلبي يعني ان الامم ردوا ايديهم الى افواه انفسهم
فوضعوا الايدي على الافواه اشارة منهم الى الرسل ان اسكتوا وقال مقاتل ردوا ايديهم
على افواه الرسل فسكتوهم بذلك وقيل ان الامم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه
وضحكوا على سبيل السخرية فعند ذلك ردوا ايديهم في افواههم كما يفعل الذي يغلبه
الضحك القول الثاني ان المراد بالايدي والافواه غير الجارحتين وقيل المراد بالايدي
النعم ردوا ما لو قبلوه لكانت نعمة عليهم يقال لفلان عندي يد اي نعمة والمراد
بالافواه تكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بافواههم وردوا
قولهم وقيل انهم كفوا عن قبول ما امروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال
فلان رد يده الى فيه اذا امسك عن الجواب فلم يجب وهذا القول فيه بعد لانهم قد اجابوا
بالتكذيب وهو ان الامم ردوا على انبيائهم والرسل **وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به**
يعني انا كفرنا بما زعمتم ان الله ارسلكم به لانهم لا يقرون بان الرسل ارسلوا اليهم
لكانوا مؤمنين **وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب** يعني موجب الريبة او موقع
في الريبة والتهمة والريبة قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر الذي يشك فيه
فان قلت انهم قالوا اولا انا كفرنا بما ارسلتم به فكيف يقولون ثانيا وانا
لفي شك والشك دون الكفر او داخل فيه **قلت** انهم لما صرحوا بكفرهم
بالرسل كانهم حصل لهم شبهة توجب لهم الشك فقالوا ان لم ندع الجزم في كفرنا
فلا اقل من ان نكون شاكين مرتابين في ذلك **قالت رسلهم** يعني مجيبين للامم **افي
الله شك** يعني هل تشكون في الله وهو استفهام انكار ونفي لما اعتقدوه **فاطر السموات
والارض** يعني وهل تشكون في كونه خالق السموات والارض وخالق جميع ما فيهما **يدعوكم
ليغفر لكم من ذنوبكم** يعني ليغفر لكم ذنوبكم اذا آمنتم وصدقتم ومن صلة وقيل
انها اصلية يعني تبعيضية على هذا انه يغفر لهم ما بينهم وبينه من الكفر والمعاصي دون
مظالم العباد **ويؤخركم الى اجل مسمى** يعني الى حين انقضاء آجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب
قالوا يعني الامم المجيبين للرسل **ان انتم** يعني ما انتم **الا بشر مثلنا** يعني في الصورة
الظاهرة لستم ملائكة **تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا** يعني ما تريدون
بقولكم هذا الا صدنا عن آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها **فأتونا بسلطان مبين**
يعني بحجة بينة واضحة على صحة دعواكم **قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم** يعني انا كذلك
لما قالوا للرسل ان انتم الا بشر مثلنا قالت لهم رسلهم مجيبين هب ان الامر كما وصفتم انا
نحن الا بشر مثلكم لا ننكر ذلك **ولكن الله يمن على من يشاء من عباده** يعني بالنبوة والرسالة

فيصطفي من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان
إلا بإذن الله يعني وليس لنا مما خصنا الله به من النبوة وشرفنا به من الرسالة أن نأتيكم
بآية وبرهان ومعجزة تدل على صدقنا إلا بإذن الله في ذلك وعلى الله فليتوكل
المؤمنون يعني في دفع شر أعدائهم عنهم وما لنا ألا نتوكل على الله يعني أن الأنبياء
قالوا إلينا قد عرفنا أنه لا يصيبنا شيء إلا بقضاء الله وقدره فنحن نثق به ونتوكل عليه
في دفع شروركم عنا وقد هدانا سبلنا يعني وقد عرفنا طريق النجاة وبين لنا الرشد
ولنصبرن بلام القسم تقديره والله لنصبرن على ما آذيتمونا يعني به من قولكم وفعلكم
وعلى الله فليتوكل المتوكلون فإن قلت كيف كرر الأمر بالتوكل وهل من فرق
بين التوكلين قلت نعم التوكل الأول فيه إشارة إلى استحداث التوكل والتوكل
الثاني فيه إشارة إلى السعي في التثبت على ما استحدثوا من توكلهم وإبقائه وإدامته فحصل
الفرق بين التوكلين قوله تعالى وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو
لتعودن في ملتنا يعني ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم أيها الرسل من بلادنا وأرضنا
وإما عودكم إلى ملتنا فإن قلت هذا يوهم بظاهره أنهم كانوا على ملتهم في أول الأمر
حتى يعودوا فيها قلت معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام
العرب وفيه وجوه أخر وهو أن الأنبياء عليهم السلام قبل الرسالة لم يظهروا خلاف
أممهم فلما أرسلوا إليهم أظهروا مخالفتهم ودعوهم إلى الله فقالوا لهم لتعودن في ملتنا
ظنا منهم أنهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم وإجماع الأمة على أن الرسل من أول الأمر
إنما نشأوا على التوحيد لا يعرفون غيره فأوحى إليهم ربهم يعني أن الله تعالى أوحى
إلى رسله وأنبيائه بعد هذه المخاطبات والمحاورات لنهلكن الظالمين يعني أن
عاقبة أمرهم إلى الهلاك فلا تخافوهم ولنسكننكم الأرض من بعدهم يعني من بعد
هلاكهم ذلك أي الإسكان لمن خاف مقامي يعني خاف مقامه بين يدي يوم القيامة
فأضاف قيام العبد إلى نفسه لأن العرب قد تضيف أفعالها إلى أنفسها كقولهم
ندمت على ضربي إياك وندمت على ضربك مثله وخاف وعيد يعني وخاف
عقابي قوله عز وجل واستفتحوا يعني واستنصروا وقال ابن عباس يعني الأمم
وذلك أنهم قالوا اللهم إن كان هؤلاء الرسل صادقين فعذبنا وقال مجاهد وقتادة
واستفتح الرسل على أممهم وذلك لما أيسوا من إيمان قومهم استنصروا الله ودعوا على
قومهم بالعذاب وخاب يعني وخسر وقيل وهلك كل جبار عنيد والجبار في صفة
الإنسان يقال لمن تجبر بنفسه بادعاء منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم في
حق الإنسان وقيل الجبار الذي لا يرى فوقه أحدا وقيل الجبار المتعظم في نفسه
المتكبر على أقرانه والعنيد المعاند للحق ومجانبه قاله مجاهد وقال ابن عباس هو
المعرض عن الحق وقال مقاتل هو المتكبر وقال قتادة هو الذي يأبى أن يقول لا إله
إلا الله وقيل العنيد المعجب بما عنده وقيل العنيد هو الذي يعند ويخالف من
ورائه جهنم يعني أمامه وهو صائر إليها قال أبو عبيدة هو من الأضداد يعني
أنه يقال وراء بمعنى خلف وبمعنى أمام وقال الأخفش هو كما يقال هذا الأمر يعني
أنه سيأتيك ويسقى يعني في جهنم من ماء صديد وهو ما سال من الجلد واللحم من القيح
جعل ذلك شرابا لأهل النار وقال محمد بن كعب القرظي هو ما يسيل من فروج
الزناة يسقاه الكافر وهو قوله تعالى يتجرعه أي يتحساه ويشربه لا بمرة واحدة بل

جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته ونتنه وكراهته ولا يكاد يسيغه أي لا يقدر على ابتلاعه
يقال ساغ الشراب في الحلق إذا سهل انحداره وقال بعض المفسرين كاد صلة والمعنى
يتجرعه ولا يسيغه وقال صاحب الكشاف دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب أن يسيغه
فليس له سوى الإساغة وقال بعضهم ولا يكاد يسيغه بعد إبطاء لأن العرب تقول ما كدت
أقوم أي قمت بعد إبطاء فعلى هذا كاد على أصلها وليست بصلة وقال ابن عباس
معناه لا يجيزه وقيل معناه يكاد لا يسيغه ويسيغه فيغلي في جوفه عن أبي أمامة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب إليه
فيتكرهه فإذا أدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه
حتى يخرج من دبره قال الله وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم وقال وإن يستغيثوا يغاثوا
بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا أخرجه الترمذي وقال
حديث غريب قوله ووقعت فروة رأسه أي جلدة رأسه شبهها بالفروة للشعر الذي عليها
قوله تعالى ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت يعني أن الكافر يجد ألم الموت وشدته
من كل مكان من أعضائه وقال إبراهيم التيمي حتى من تحت شعره من جسده وقيل يأتيه
الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو بميت فيستريح
وقال ابن جريج تعلق نفسه عند حنجرته فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من
جوفه فتنفعه الحياة ومن ورائه يعني أمامه عذاب غليظ أي شديد وقيل هو
الخلود في النار قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في
يوم عاصف هذا كلام مستأنف منقطع عما قبله وهو مبتدأ محذوف الخبر
عند سيبويه تقديره فيما يقص أو فيما يتلى عليكم مثل الذين كفروا بربهم والمثل مستعار
للقصة التي فيها غرابة وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل
يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد وقال الفراء مثل أعمال الذين كفروا بربهم
كرماد فحذف المضاف اعتمادا على ذكره بعد المضاف إليه وقيل يحتمل أن يكون المعنى
صفة الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول
والرماد معروف وهو ما يسقط من الحطب والفحم بعد إحراقه بالنار اشتدت
الريح يعني فنسفته وطيرته ولم تبق منه شيئا في يوم عاصف عصفت اليوم بالعصوف
والعصوف من صفة الريح لأن الريح تكون فيه كقولك يوم بارد وحار وليلة ممطرة لأن
البرد والحر والمطر يوجد فيه وقيل معناه في يوم عاصف الريح فحذف الريح لأنه قد تقدم
ذكرها وهذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار التي لم ينتفعوا بها ووجه المشابهة بين
هذا المثل وبين هذه الأعمال هو أن الريح العاصف يطير الرماد ويذهب به ويفرق
أجزاءه بحيث لا يبقى منه شيء كذلك أعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم
حتى لا يبقى منها شيء ثم اختلفوا في هذه الأعمال ما هي فقيل هي ما عملوه من الخير في
أيام كفرهم وشركهم حتى لا يبقى منه شيء كالصدقة وصلة الرحم وفك الأسير وقرى
الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من أعمال البر والصلة فهذه الأعمال وإن كانت
أعمال بر لكنها لا تنتفع بها أصحابها يوم القيامة بسبب كفرهم لأن كفرهم أحبطها
وأبطلها كلها وقيل المراد بالأعمال عبادتهم الأصنام التي ظنوا أنها تنفعهم فبطلت
وحبطت لم تنفعهم البتة وصار حاصلهم أنهم أتعبوا أنفسهم في الدهر الطويل لكي ينتفعوا
بها وحصل فضاعت وبالا عليهم وقيل أراد بالأعمال التي عملوها في الدنيا فأشركوا فيها غير الله

فإنها لا تنفعهم لأنها صارت كالرماد الذي ذرته الريح وصار هباء لا ينتفع به وهو قوله تعالى **لا يقدرون مما كسبوا على شيء** أي من تلك الأعمال والمعنى أنهم لا يجدون ثواب أعمالهم في الآخرة **ذلك هو الضلال البعيد** يعني أن ذلك هو الخسران الكبير لأن أعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجى عودها والبعيد هو الذي لا يرجى عوده **ألم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق** يعني لم يخلقهما باطلا ولا عبثا إنما خلقهما لأمر عظيم وغرض صحيح **إن يشأ يذهبكم** يعني أيها الناس **ويأت بخلق جديد** يعني سواكم أطوع منكم والمعنى أن الذي قدر على خلق السموات والأرض ثابتا قادر على إفناء قوم وإماتتهم وإحياء خلق آخرين سواهم كان أولى لأن القادر لا يصعب عليه شيء وقيل هذا خطاب لكفار مكة يريد أميتكم يا معشر الكفار وأخلق قوما غيركم خيرا منكم وأطوع **وما ذلك على الله بعزيز** يعني بممتنع لأن الأشياء كلها سهلة على الله وإن جلت وعظمت قوله عز وجل **وبرزوا لله جميعا** يعني وخرجوا من قبورهم إلى الحساب ومجازيهم على قدر أعمالهم وإنما أورد بلفظ الماضي وإن كان معناه الاستقبال لأن كل ما أخبر الله عنه فهو حق وصدق وكائن لا محالة فصار كأنه قد حصل ودخل في الوجود **فقال الضعفاء** يعني الأتباع **للذين استكبروا** وهم القادة والرؤساء **إنا كنا لكم تبعا** يعني في الدين والاعتقاد **فهل أنتم مغنون عنا** يعني دافعون عنا **من عذاب الله من شيء** من فيها للتبعيض والمعنى هل تقدرون على أن تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذي حل بنا **قالوا** يعني الرؤساء والقادة والمتبوعين للتابعين **لو هدانا الله لهديناكم** يعني لو أرشدنا الله لأرشدناكم ودعوناكم إلى الهدى ولكن لما أضلنا دعوناكم إلى الضلالة **سواء علينا أجزعنا أم صبرنا** يعني مستو علينا الجزع والصبر والجزع أبلغ من الحزن لأنه يصرف الإنسان عما هو بصدده ويقطعه عنه **ما لنا من محيص** يعني من مهرب ولا منجى مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر فعند ذلك يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص قوله تعالى **وقال الشيطان لما قضي الأمر** يعني فرغ منه ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أخذ أهل النار في لوم إبليس وتقريعه وتوبيخه فيقوم فيهم خطيبا قال مقاتل يوضع له منبر من نار فيجتمع أهل النار إليه ويلومونه فيقول لهم ما أخبر الله تعالى بقوله **إن الله وعدكم وعد الحق** فيه إضمار تقديره فصدقكم في وعده **ووعدتكم فأخلفتكم** يعني الوعد وقيل يقول لهم إني قلت لكم لا بعث ولا جنة ولا نار **وما كان لي عليكم من سلطان** يعني من ولاية وقهر وقيل لم آتكم بحجة على ما دعوتكم إليه **إلا أن دعوتكم** هذا استثناء منقطع معناه لكن دعوتكم **فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم** يعني ما كان مني إلا الدعاء وإلقاء الوسوسة وقد سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم أن لا تلتفتوا إلي ولا تسمعوا مني **ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم** روى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الشفاعة قال ذكر الحديث إلى قوله فيأتوني فيأذن الله لي أن أقوم فيثور مجلسي من أطيب ريح شمها أحد حتى آتي ربي فيشفعني ويجعل لي نورا من شعر رأسي إلى ظفر قدمي فيقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فقم أنت فاشفع لنا

فانك

فإنك أنت أضللتنا فيقوم فيثور من مجلسه ريح أنتن ريح شمها أحد ثم يعظم لجهنم ويقول عند ذلك إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم **وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار** لما شرح الله تعالى حال الكفار والأشقياء بما تقدم من الآيات الكثيرة شرح أيضا أحوال المؤمنين السعداء وما أعد لهم في الآخرة من الثواب العظيم والأجر الجزيل في قوله تعالى **تحيتهم فيها سلام** فيحتمل أن بعضهم يحيي بعضا بهذه الكلمة أو الملائكة تحييهم بها أو الرب سبحانه وتعالى يحييهم قوله عز وجل **ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة** لما شرح الله أحوال الأشقياء وأحوال السعداء ضرب مثلا فيه حكم هذين القسمين فقال تعالى ألم تر يعني بعين قلبك فتعلم علم اليقين بإعلامي إياك فعلى هذا يحتمل أن يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره ويحتمل أن يكون الخطاب لكل فرد من أفراد الناس فيكون المعنى ألم تر أيها الإنسان كيف ضرب الله مثلا يعني شبها والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ليتبين أحدهما من الآخر ويتصور وقيل هو قول سائر يشبه فيه حال الثاني بالأول كلمة طيبة هي قول لا إله إلا الله (ق) عن ابن عمر قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبروني عن شجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا ولا ولا تؤتي أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع في نفسي أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي النخلة فلما قمنا قلت لعمر يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة فقال ما منعك أن تتكلم قال لم أركم تتكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئا فقال عمر لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا وفي رواية إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال هي النخلة وقد روي عن ابن عباس أنها شجرة في الجنة وقوله **أصلها ثابت** يعني في الأرض **وفرعها** يعني أعلاها **في السماء** يعني ذاهبة في السماء **تؤتي أكلها** يعني ثمرها **كل حين بإذن ربها** يعني بأمر ربها والحين في اللغة الوقت يطلق على القليل والكثير ... وجه التمثيل في هذا بالكلمة الإخلاص والأصل تشبيه الإيمان الثابت في قلب المؤمن كثبوت أصل هذه الشجرة في الأرض الوجه الثاني أن هذه الكلمة ترفع عمل المؤمن إلى السماء كما قال تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع هذه الشجرة عال في السماء الوجه الثالث أن ثمرة النخلة تأتي كل حين ووقت وكذلك ما يكسبه المؤمن من الأعمال الصالحة في كل وقت وحين ببركة هذه الكلمة فالمؤمن كلما قال لا إله إلا الله صعدت إلى السماء وجاءه بركتها وثوابها وخيرها ومنفعتها الوجه الرابع أن النخلة شبيهة بالإنسان في غالب الأمر لأنها خلقت من طينة آدم وأنها إذا قطع رأسها تموت كالآدمي بخلاف سائر الشجر فإنه إذا قطع ينبت وأنها لا تحمل حتى تلقح بطلع الذكر الوجه الخامس في تمثيل الإيمان بالشجر على الإطلاق أن الشجرة لا تسمى شجرة إلا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل قائم وفرع عال وكذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالأبدان قوله تعالى **ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون** يعني إنما يضرب الأمثال لأن في ضرب الأمثال زيادة في الأفهام وتصويرا للمعاني لأن الأمثال تذكير ووعظ لكي يتذكروا فيتعظوا وقوله تعالى

ومثل

ومثل كلمة خبيثة وهي الشرك كشجرة خبيثة وهي الحنظل قاله انس بن مالك رضي الله عنه
ومجاهد وفي رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما انها الكشوث وعنه ايضا انها الثوم وعنه ايضا
انها الكافر لانه لا يقبل عمله فليس له اصل ثابت ولا يصعد الى السماء اجتثت يعني اقتلعت
وقطعت من فوق الارض ما لها من قرار يعني ما لهذه الشجرة من ثبات في الارض لانها ليس
لها اصل في الارض ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول
طيب ولا عمل صالح ولا لاعتقاده اصل ثابت [illegible] وصف الكفار بهذه الشجرة
الخبيثة عن انس رضي الله تعالى عنه قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه
رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل
حين باذن ربها قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض
ما لها من قرار قال هي الحنظلة اخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف
اصح وقوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت لما وصف الله تعالى
الكلمة الطيبة في الآية المتقدمة اخبر ههنا ان الله يثبت الذين آمنوا بالقول
الثابت والقول الثابت هو الكلمة الطيبة وهي شهادة ان لا اله الا الله في قول جمهور
المفسرين رضي الله تعالى عنهم وكما وصف الله تعالى الكلمة الخبيثة في الآية المتقدمة
وهي كلمة الشرك في قول جميع المفسرين في الحياة الدنيا يعني في القبر عند السؤال
وفي الآخرة يعني يوم القيامة عند البعث والحساب والقول الاول الذي عليه الجمهور
اصح ويدل عليه ما روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول المسلم اذا سئل في القبر يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي
الآخرة وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت قال نزلت في عذاب القبر زاد في رواية يقال له من ربك فيقول
الله ربي ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه البخاري ومسلم عن انس بن مالك رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه
اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم وفي رواية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه اذا انصرفوا
اتاه ملكان فيقعدانه ثم يقولان وفي رواية فيقولان له ما كنت تقول في هذا
الرجل محمد فاما المؤمن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله فيقال له انظر الى مقعدك
من النار قد ابدلك الله به مقعدا من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيراهما
جميعا قال قتادة وذكر لنا انه يفسح له في قبره ثم رجع الى حديث انس رضي الله
تعالى عنه واما الكافر والمنافق فيقول لا ادري كنت اقول ما يقول الناس فيقال
له لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطارق من حديد ضربة بين اذنيه فيصيح
صيحة يسمعها من يليه الا الثقلين لفظ البخاري ولمسلم بمعناه زاد في رواية
انه يفسح له في قبره سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا الى يوم يبعثون واخرجه
ابو داود وعن انس رضي الله تعالى عنه قال وبهذا اللفظ ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان المؤمن اذا وضع في قبره اتاه ملك فيقول له ما كنت تعبد فان
هداه الله تعالى قال كنت اعبد الله فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول
هو عبد الله ورسوله فلا يسأل عن شيء بعدها فينطلق به الى بيت كان له في النار
فيقال له هذا بيتك كان لك ولكن عصمك الله تعالى فابدلك به بيتا في الجنة فيراه

فيقول دعوني حتى اذهب فابشر اهلي فيقال له اسكن واما الكافر والمنافق اذا
وضع في قبره اتاه ملك فينتهره فيقول له ما كنت تعبد فيقول لا ادري فيقال له لا دريت
ولا تليت فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت اقول ما يقول الناس فيه
فيضربه بمطراق من حديد بين اذنيه فيصيح صيحة يسمعها الخلق غير الثقلين اخرجه
النسائي ايضا عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا قبر الميت او قال احدكم اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما
المنكر وللآخر النكير فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول ما كان يقول
هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقولان قد
كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه ثم
يقال له نم فيقول ارجع الى اهلي فاخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه
الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال سمعت
الناس يقولون قولا فقلت مثله لا ادري فيقولان قد كنا نعلم انك تقول
ذلك فيقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف اضلاعه فلا يزال فيها معذبا
حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك اخرجه الترمذي عن البراء بن عازب رضي الله عنه
قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فانتهينا الى القبر ولما يلحد فجلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير وفي يده عود ينكت به في الارض فرفع رأسه صلى الله عليه
وسلم فقال استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين او ثلاثا زاد في رواية وقال ان الميت
ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حين يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن
نبيك وفي رواية ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك
فيقول ديني الاسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيقولان وما يدريك فيقول قرأت كتاب الله تعالى فآمنت به
وصدقت فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة
الدنيا وفي الآخرة ثم اتفقا فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فافرشوه
من الجنة [illegible] فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فيها مد بصره وان الكافر فذكر موته قال
ويعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول
هاه هاه لا ادري فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا ادري فينادي مناد من
السماء ان قد كذب عبدي فافرشوه من النار وافتحوا له بابا الى النار قال فيأتيه
من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه زاد في رواية ثم يقيض له اعمى
اصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبل لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها
ما بين المشرق والمغرب الا الثقلين فيصير ترابا ثم تعاد فيه الروح اخرجه ابو داود
عن عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم واسألوا له التثبيت فانه
الآن يسأل اخرجه ابو داود وعن عبد الرحمن بن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص
وهو في سياق الموت فبكى طويلا وحول وجهه الى الجدار فجعل ابنه يقول ما يبكيك
يا ابتاه اما بشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا اما بشرك بكذا فاقبل بوجهه فقال ان افضل
ما نعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر الحديث بطوله وفيه فاذا انا مت فلا

تصحبني نائحة ولا نار فإذا دفنتموني فشنوا علي التراب شنا ثم أقيموا حول قبري
قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي أخرجه
مسلم بزيادة طويلة فيه قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو أن الله تعالى
إنما ثبتهم في القبر بسبب كثرة مواظبتهم على الشهادة والحق في الحياة الدنيا وحبهم
لها فمن كان مواظبته على شهادة الإخلاص أكثر كان رسوخها في قلبه أعظم فينبغي
للعبد المسلم أن يكثر من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله في جميع حالاته من قيامه
وقعوده ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكناته فلعل الله عز وجل أن يرزقه ببركة
مواظبته على شهادة الإخلاص التثبيت في القبر ويسهل عليه جواب الملكين بما فيه
من خلاصه من عذاب الآخرة نسأل الله تعالى التثبيت في القبر وحسن الجواب
وتسهيله بفضله ومنه وكرمه وإحسانه إنه على ما يشاء قدير والله تعالى أعلم

قوله عز وجل **ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الآية** عن ابن عباس
رضي الله تعالى عنه في قوله ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار
قال هم كفار أهل مكة وفي رواية قال هم والله كفار قريش قال عمرو هم قريش ومحمد نعمة الله
وأحلوا قومهم دار البوار قال النار يوم بدر وعن علي رضي الله تعالى عنه قال هم كفار
قريش نحروا يوم بدر وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه الأفجران من قريش بنو
المغيرة وبنو أمية أما بنو المغيرة فقد كفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا
إلى حين فقوله بدلوا نعمة الله كفرا معناه أن الله تعالى لما أنعم على قريش
بمحمد صلى الله عليه وسلم فأرسله إليهم وأنزل عليه كتابه ليخرجهم من الظلمات
إلى نور الإيمان فاختاروا الكفر على الإيمان وغيروا نعمة الله عليهم وقيل يجوز أن
يكون بدلوا نعمة الله عليهم كفرا لأنه لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة أتوا
بالكفر فكأنهم غيروا الشكر وبدلوه بالكفر **وأحلوا قومهم** يعني من تبعهم على دينهم
وكفرهم **دار البوار** يعني دار الهلاك ثم فسرها بقوله **جهنم يصلونها وبئس
القرار** يعني المستقر **وجعلوا لله أندادا** يعني أمثالا وأشباها وليس لله تعالى
ند ولا شبيه ولا مثيل تعالى الله عن الند والشبيه والمثيل علوا كبيرا **ليضلوا عن
سبيله** يعني ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق **قل تمتعوا** أي قل يا محمد
لهؤلاء الكفار عيشوا في الدنيا أياما قلائل **فإن مصيركم إلى النار** يعني في
الآخرة **قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة** يعني يقيموا الصلاة الواجبة
قالوا فإقامتها إتمام أركانها **وينفقوا مما رزقناهم** قيل أراد بهذا الإنفاق
إخراج الزكاة الواجبة عليهم وقيل أراد به جميع الإنفاق في جميع وجوه الخير
والبر وحمله على العموم أولى لأنه يدخل فيه إخراج الزكاة الواجبة **من قبل أن يأتي يوم
لا بيع فيه** قال أبو عبيدة البيع هنا بمعنى الفداء في ذلك اليوم **ولا خلال** يعني
ولا خلة بمعنى المودة والصداقة التي تكون بين اثنين وقال مقاتل إنما هو
يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخالة ولا قرابة إنما هي الأعمال إما أن يثاب بها أو يعاقب
عليها **فإن قلت** كيف نفى الخلة في هذه الآية وفي الآية التي في سورة البقرة
وأثبتها في قوله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين **قلت**
الآية الدالة على نفي الخلة محمولة على نفي الخلة بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس
والآية الدالة على حصول الخلة وثبوتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله

تعالى الأخلاء يومئذ الآية أثبتها للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل إن ليوم القيامة أحوالا
مختلفة ففي بعضها يشتغل كل خليل عن خليله وفي بعضها يتعاطف الأخلاء بعضهم
لبعض إذا كانت تلك المخالة لله تعالى في محبته قوله تعالى **الله الذي خلق
السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم** اعلم أن
تفسير هذه الآية متقدم في مواضع كثيرة ونذكر هاهنا بعض فوائد هذه الآية
الدالة على وجود الصانع المختار القادر الذي لا يعجزه شيء أراده فقوله الله الذي
خلق السموات والأرض إنما بدأ بذكر خلق السموات والأرض لأنهما أعظم المخلوقات
المشاهدة الدالة على وجود الصانع القادر المختار وأنزل من السماء ماء يعني من السحاب
سمي السحاب سماء لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل إن المطر ينزل
من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الأرض فحصل به فأخرج به أي بذلك الماء من الثمرات
رزقا لكم الثمر ما يقع على الأرض مما يحصل من الشجر وقد يقع على الزرع أيضا بدليل
قوله تعالى كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده فقوله من الثمرات بيان
للرزق أي أخرج به رزقا هو ثمرات **وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره** لما
ذكر الله تعالى إنعامه بإنزال المطر وإخراج الثمر لأجل الرزق والانتفاع بها ذكر
نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء لأجل الانتفاع بها في جلب ذلك
الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من بلد إلى بلد آخر فهي من تمام نعم الله تعالى
على عباده **وسخر لكم الأنهار** يعني ذللها لكم تجرونها حيث شئتم ولما كان ماء البحر
لا ينتفع به في سقي الزرع والثمرات ولا في الشراب أيضا ذكر نعمه على عباده في
تسخير الأنهار وتفجير العيون لأجل هذه الحاجة فهي من أعظم نعم الله تعالى على
عباده **وسخر لكم الشمس والقمر دائبين** الدأب مر العادة المستمرة دائما على حالة
واحدة ودأب في السير داوم عليه والمعنى أن الله تعالى سخر الشمس والقمر يجريان
دائبين فيما يعود إلى مصالح العباد لا يفتران إلى آخر الدهر وهو انقضاء عمر
الدنيا وذهابها قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما دؤوبهما في طاعة الله عز وجل
وقال بعضهم يدأبان في طاعة الله تعالى أي في سيرهما وفي تأثيرهما في إزالة
الظلمة وإصلاح النبات والحيوان لأن الشمس سلطان النهار وبها يعرف فصول
السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل
وإنعامه على عباده **وسخر لكم الليل والنهار** يعني يتعاقبان في الضياء والظلمة و
الزيادة والنقصان وذلك من إنعام الله تعالى على عباده وتسخيره لهم **وآتاكم
من كل ما سألتموه** لما ذكر الإنعام العظيمة التي أنعم بها على عباده وسخرها لهم
بين بعده بأنه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل أعطى عباده من المنافع والمراد
ما لا يأتي على بعضها العد والحصر والمعنى وآتاكم من كل ما سألتموه شيئا فحذف
الشيء اكتفاء بدلالة الكلام على التبعيض وقيل هو على التكثير يعني وآتاكم
كل ما سألتموه وما لم تسألوه لأن نعمه علينا أكثر من أن تحصى **وإن تعدوا نعمة الله
لا تحصوها** يعني أن نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر أحد على حصرها ولا عدها
لكثرتها **إن الإنسان** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه يريد أبا جهل وقال الزجاج
الإنسان اسم جنس ويقصد به الكافر **لظلوم كفار** يعني ظلوم لنفسه كفور لنعمة ربه
وقيل الظلوم الشاكر لغير من أنعم عليه فيضع الشكر في غير موضعه كفار جحود لنعم الله عليه

وقيل لظلوم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكفران بها وقيل ظلوم في الشدة
يشكو ويجزع كفار في النعمة يجمع ويمنع قوله تعالى **وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا**
البلد آمنا يعني ذا أمن يؤمن فيه وقد أراد بالبلد مكة **فإن قلت**
أي فرق بين قوله اجعل هذا البلد آمنا وبين قوله هذا بلدا آمنا **قلت**
الفرق بينهما أنه تعالى قال في الأول اجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها
ولا يخافون وسأل في الثاني أن يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف إلى
ضدها من الأمن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا **واجنبني وبني أن نعبد الأصنام**
يعني أبعدني وبني أن نعبد الأصنام **فإن قلت** قد ترد على هذه الآية
إشكالات وهي من وجوه الأول أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام دعا ربه أن يجعل هذا
البلد آمنا ثم إن جماعة من الجبابرة وغيرهم قد أغاروا عليها وأخافوا أهلها
الثاني أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من عبادة الأصنام وإذا كان
كذلك فما الفائدة في قوله اجنبني عن عبادتها الوجه الثالث أن إبراهيم عليه
الصلاة والسلام سأل ربه أن يجنب بنيه من عبادة الأصنام وقد وجد كثير من
بنيه عبدوا الأصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينتسب إلى إبراهيم عليه الصلاة
والسلام **قلت** الجواب عن الوجه المذكور من وجوه الأول من وجهين
أحدهما أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء
والمراد منه جعل مكة آمنة من الخراب وهذا موجود بحمد الله فلم يقدر أحد على خراب
مكة وأورد على هذا ما ورد في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة أخرجاه
في الصحيحين وأجيب عنه بأن قوله اجعل هذا البلد آمنا يعني إلى قرب القيامة
وخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذي السويقتين فلا تعارض بين النصين
الوجه الثاني أن يكون المراد منه اجعل هذا البلد ذا أمن وهذا الوجه
عليه أكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الأمن
في بلدهم كما أخبر الله تعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من
ذلك حتى إن من التجأ إلى مكة أمن على نفسه وماله من ذلك حتى إن الوحوش إذا كانت
خارجة من الحرم استوحشت فإذا دخلت الحرم أمنت واستأنست لعلمها أنه
لا يهيجها أحد في الحرم وهذا القدر من الأمن حاصل بحمد الله تعالى بمكة وحرمها
وأما الجواب عن الوجه الثاني من وجهين أحدهما أن دعاء إبراهيم
عليه الصلاة والسلام لنفسه لزيادة العصمة والتثبيت فهو كقوله واجعلنا
مسلمين لك الوجه الثاني أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام وإن كان يعلم أن الله
تعالى يعصمه من عبادة الأصنام إلا أنه دعا بهذا الدعاء هضما للنفس وإظهارا
للعجز والحاجة والفاقة إلى فضل الله تعالى ورحمته أن أحدا لا يقدر على نفع نفسه
بشيء لم ينفعه الله به فلهذا السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء وأما دعاؤه لبنيه وهو الوجه
الثالث من الإشكالات فالجواب عنه من وجوه الأول أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام
دعا لبنيه من صلبه ولم يعبد منهم أحد صنما قط الوجه الثاني أنه أراد أولاده وأولاد
أولاده الموجودين حالة الدعاء ولا شك أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد أجيب
فيهم الوجه الثالث قال الواحدي دعا الله تعالى لمن أذن الله أن يدعو له فكأنه

قال

قال ومعنى الذي أذن الله في الدعاء لهم لأن دعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مستجاب
وقد كان من قبله من عبد الصنم فعلى هذا الوجه يكون الدعاء من العام المخصوص
الوجه الرابع أن هذا مختص بالمؤمنين من أولاده والدليل عليه أنه قال في آخر
الآية فمن تبعني فإنه مني وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه فليس منه والله أعلم
بمراده وأسرار كتابه **قوله عز وجل رب إنهن** يعني الأصنام **أضللن كثيرا**
من الناس وهذا مجاز لأن الأصنام جمادات لا تعقل شيئا فضل من عبدها
إلا أنه لما حصل الإضلال بعبادتها أضيف إليها كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم
وإنما فتنوا بها واغتروا **فمن تبعني فإنه مني** يعني فمن تبعني على ديني واعتقادي
فإنه مني يعني من المتدينين بديني المستمسكين بحبلي كما قال الشاعر

إذا حاولت في أسد فجورا ٭ فإني لست منك ولست مني

أي لست من المتمسكين بحبلي وقيل معناه أنه مني في حكمي جار مجراي في القرب
والاختصاص **ومن عصاني** يعني في غير الدين **فإنك غفور رحيم** قال
السدي ومن عصاني فإنك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصاني [illegible] على
الكفر فإنك غفور رحيم يعني إنك قادر على أن تغفر له وترحمه بأن تنقله من الكفر
إلى الإيمان والإسلام وتهديه إلى الصواب **قوله عز وجل** إخبارا عن إبراهيم
عليه الصلاة والسلام **ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك**
المحرم (خ) عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال أول ما اتخذ النساء المنطق من
قبل أم إسماعيل اتخذت منطقا لتعفي أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم عليه
السلام وبابنها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحة
فوق زمزم في أعلى المسجد قال وليس بمكة يومئذ أحد وليس هناك ماء
ثم وضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفى إبراهيم
عليه الصلاة والسلام منطلقا فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب
وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت ذلك مرارا وجعل
لا يلتفت إليها فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم قالت إذا لا يضيعنا ثم رجعت
فانطلق إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم دعا بهذه الدعوات فرفع يديه
فقال ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم حتى بلغ
يشكرون وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفد
ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى وقيل يتلبط
فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها
فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم تر أحدا فهبطت
حتى بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الإنسان المجهود حتى إذا جاوزت
الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم تر أحدا ففعلت
ذلك سبع مرات قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم
فلذلك سعي الناس بينهما فلما أشرفت على الوادي سمعت صوتا فقالت صه
تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت صوتا أيضا ثم قالت قد أسمعت إن كان عندك غواث
فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت
تحوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد

ما تغرف وفي رواية تقدر ما تغرف قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال النبي صلى
الله عليه وسلم يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم أو قال لو لم تغرف من الماء لكانت
زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة
فإن ههنا بيتا لله تعالى يبنيه هذا الغلام وأبوه وإن الله تعالى لا يضيع
أهله وقد كان البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ
عن يمينه وعن شماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم أو أهل بيت
من جرهم مقبلين من طريق كدا فنزلوا في أسفل مكة فرأوا طائرا عائفا فقالوا
إن هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وليس فيه ماء فأرسلوا
جريا أو جريين فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا وأم إسماعيل عند
الماء فقالوا أتأذنين لنا أن ننزل عندك فقالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء
قالوا نعم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم
فألفى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس فنزلوا فأرسلوا إلى أهليهم فنزلوا
معهم حتى إذا كانوا أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وكان
أنفسهم وأعجبهم حين شب فلما أدرك زوجوه بامرأة منهم وقد ماتت أم
إسماعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطالع تركته أخرجه البخاري بطوله
هذا وقد تقدم الحديث بطوله في تفسير سورة البقرة **وأما تفسير** الآية
فقوله ربنا إني أسكنت من ذريتي من للتبعيض أي بعض ذريتي وهو إسماعيل
عليه الصلاة والسلام بواد غير ذي زرع يعني وليس فيه زرع وهو مكة وأرد
بين جبلين جبل أبي قبيس وجبل أجياد ومكة في واد بينهما عند بيتك
المحرم سماه محرما لأنه يحرم عنده ما لا يحرم عند غيره وقيل لأن الله تعالى
حرمه على الجبابرة فلم ينالوه بسوء وحرم التعرض له والتهاون به وحرمه
وجعل ما حوله حرما لمكانه وشرفه وقيل لأنه حرم على الطوفان بمعنى
امتنع منه وقيل حرما لأن الزائرين يحرمون على أنفسهم أشياء كانوا يحلونها
لأشياء كانت مباحة لهم من قبل وقيل عتيقا أيضا لأنه عتيق من الجبابرة
ومن الطوفان **فإن قلت** كيف قال عند بيتك المحرم ولم يكن هنالك
بيت وإنما بناه إبراهيم عليه الصلاة والسلام بعد ذلك **قلت**
يحتمل أن الله تعالى أوحى إليه وأعلمه أن هنالك بيتا قد كان في سالف الزمان
وأنه سيعمر فلذلك قال عند بيتك المحرم وقيل يحتمل أن يكون المعنى
عند بيتك الذي كان ثم رفع عند الطوفان وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند
بيتك الذي جرى في سابق علمك أنه سيحدث في هذا المكان **ربنا ليقيموا
الصلاة** اللام في ليقيموا متعلقة بأسكنت يعني أسكنت قوما من ذريتي
وهم إسماعيل وأولاده بهذا الوادي الذي لا زرع فيه ليقيموا الصلاة
اللام في ليقيموا متعلقة بأسكنت … أي لكي يقيموا الصلاة
فاجعل أفئدة من الناس قال البغوي رحمه الله تعالى جمع الوفد تهوي إليهم
أي تحن وتشتاق إليهم وقد قال السدي رحمه الله تعالى أمل قلوبهم إلى
هذا الوادي وقال ابن الجوزي أفئدة من الناس أي قلوب جماعة من
الناس فلهذا أجعل جمع فؤاد قال ابن الأنباري رحمه الله تعالى وإنما

عبر

عبر عن القلوب بالأفئدة لقرب القلب من الفؤاد والجمع أفئدة فجعلها جارحة واحدة
ولفظة من في قوله من الناس للتبعيض قال مجاهد رحمه الله تعالى لو قال أفئدة الناس لزاحمتهم
فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى لحجت اليهود والنصارى
والمجوس ولكنه قال أفئدة من الناس فهم المسلمون تهوي إليهم قال الأصمعي يقال هوى
يهوي إذا سقط من علو إلى سفل وقال الفراء تهوي إليهم تريدهم كما تقول رأيت فلانا
يهوي نحوك معناه يريدك وقال أيضا تهوي تسرع إليهم وقال ابن الأنباري رحمه الله تعالى
معناه تنحط إليهم وتنحدر وتنزل هذا قول أهل اللغة في هذا الحرف وأما قول المفسرين
رحمهم الله تعالى فقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد تحن إليهم لزيارة بيتك وقال
قتادة تسرع إليهم وفي هذا بيان أن حنين الناس إليهم إنما هو لطلب حج البيت لا لأعيانهم
عيانهم
وفيه دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم حج البيت ودعاء لسكان مكة من ذريته لأنهم ينتفعون
بمن يأتي إليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع إبراهيم عليه الصلاة والسلام بين
في هذا الدعاء من أمر الدين والدنيا ما ظهر بيانه وعمت بركته **وارزقهم من الثمرات**
يعني كما رزقت سكان القرى ذوات الماء والزرع فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة
لتحصل تلك الثمار وقيل يحتمل أن يكون المراد جلب الثمرات إلى مكة بطريق النقل
والتجارة فهو كقوله يجبى إليه ثمرات كل شيء وقوله **لعلهم يشكرون** يعني لعلهم يشكرون
هذه النعم التي أنعمت بها عليهم وقيل معناه لعلهم يوحدونك ويعظمونك وفيه دليل
على أن تحصيل منافع الدنيا إنما هي ليستعينوا بها على أداء العبادات وإقامة الطاعات
ربنا إنك تعلم ما نخفي وما نعلن يعني تعلم السر كما تعلم العلن علما لا تفاوت فيه
والمعنى إنك قد تعلم أحوالنا وما يصلحها وما يفسدها وأنت أرحم الراحمين بنا إلى الدعاء
والطلب إنما ندعوك إظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا
إلى ما عندك وقيل معناه تعلم ما نخفي من الوجد بفرقة إسماعيل وأمه حيث أسكنتهما بواد
غير ذي زرع وما نعلن من البكاء وقيل ما نخفي يعني من الحزن المتمكن في القلب وما نعلن
يعني ما جرى بينه وبين هاجر عند الوداع حين قالت لإبراهيم عليه الصلاة والسلام
إلى من تكلنا قال إلى الله قالت إذا لا يضيعنا **وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في
السماء** قيل هذه تتمة قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام يعني وما يخفى على الله الذي هو
عالم الغيب من شيء في كل مكان وقال الأكثرون إنه من قول الله تعالى تصديقا لإبراهيم
عليه الصلاة والسلام فيما قال فهو كقوله وكذلك يفعلون **الحمد لله الذي وهب لي على
الكبر إسماعيل وإسحاق** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ولد إسماعيل لإبراهيم عليهما الصلاة
والسلام وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحاق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة ومعنى
قوله على الكبر لأن هبة الولد في هذا السن من أعظم المنن لأنه يحصل اليأس من الولد
فلهذا شكر الله تعالى على هذه النعمة فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق
فإن قلت كيف جمع بين إسماعيل وإسحاق في الدعاء في وقت واحد وإنما بشر بإسحاق
بعد إسماعيل بزمان طويل **قلت** يحتمل أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام إنما أتى بهذا
الدعاء بعد ما بشر بإسحاق وذلك أنه لما عظمت المنة على قلبه بهبة ولدين عظيمين
عند كبره قال عند ذلك الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق ولا يرد على هذا
ما ورد في الحديث من أنه دعا بقوله ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد إلى قوله لعلهم
يشكرون فإذا ثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق ولا

يرد على هذا ما ورد في الحديث انه دعا بما تقدم عند مفارقة اسماعيل لان الذي قد صح
في الحديث انه قد دعا في وقت اخر والله اعلم بحقيقة الحال ان ربي لسميع الدعا كان ابراهيم
عليه الصلاة والسلام قد دعا ربه وساله الولد بقوله رب هب لي من الصالحين فلما استجاب
الله دعاه ووهبه ما سال شكر الله تعالى على ما اكرمه به من اجابة دعوته فعند ذلك قال
الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسماعيل واسحاق ان ربي لسميع الدعا وهو من قولك
الملك يسمع كلام فلان اذا اعتد به وقبله رب اجعلني مقيم الصلاة يعني ممن يقيم
الصلاة باركانها ويحافظ عليها في اوقاتها ومن ذريتي اي واجعل من ذريتي من يقيم
الصلاة وانما ادخل لفظة من التي هي للتبعيض في قوله ومن ذريتي لانه علم باعلام
الله اياه انه قد يوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيموا الصلاة فلهذا قال ومن ذريتي
ربنا وتقبل دعاي سال ابراهيم عليه الصلاة والسلام ان يتقبل دعاه فتقبل الله تعالى
لابراهيم عليه الصلاة والسلام وتقبل دعاه بفضله وكرمه ربنا اغفر لي **فان قلت**
طلب المغفرة من الله تعالى انما تكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة من
ذلك الذنب وقد ثبت عصمة الانبيا عليهم الصلاة والسلام من الذنوب فما وجه طلبه
المغفرة **قلت** المقصود منه الالتجا الى الله تعالى وقطع الطمع من كل شي الا من
فضله وكرمه سبحانه وتعالى والاعتراف بعبودية لله تعالى والاتكال على رحمته
ولوالدي **فان قلت** كيف استغفر ابراهيم عليه الصلاة والسلام لابويه
وكانا كافرين **قلت** اراد انهما ان اسلما وتابا وقيل انما قال ذلك قبل ان
يتبين له انهما من اصحاب الجحيم وقيل ان امه اسلمت فدعا لها وقيل اراد بوالديه ادم وحوا
عليهما الصلاة والسلام قوله تعالى وللمومنين يوم يقوم الحساب اي يبدوا ويظهر
فيه الحساب وقيل اراد يوم يقوم الناس فيه للحساب فاكتفى بذلك اي بذكر الحساب لكونه
مفهوما عند السامع وهذا دعا للمومنين بالمغفرة ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
الغفلة معنى يمنع الانسان من الوقوف على حقايق الامور وقيل حقيقة الغفلة سهو يعتري
الانسان من قلة التحفظ والتيقظ وهذا في حق الله تعالى محال فلا بد من تاويل
الاية فالمقصود منه انه تعالى ينتقم للمظلوم من الظالم ففيه وعيد وتهديد للظالم
واعلام له بانه لا يعامله معاملة الغافل عنه بل ينتقم ولا يتركه مغفلا قال سفيان بن
عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم **فان قلت** تعالى الله عن السهو
والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اعلم الناس به انه لم يكن غافلا
حتى قيل له ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون **قلت** اذا كان المخاطب به
رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان احدهما انه التثبيت على ما كان عليه انه لا يحسب
الله غافلا فهو كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها اخر وكقوله يا ايها الذين
امنوا اي اثبتوا على ما انتم عليه من الايمان الوجه الثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه
غافلا الاعلام بانه تعالى عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه شي وانه ينتقم منهم
فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم بمعاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب لهم على
الصغير والكبير وان كان المخاطب غير النبي صلى الله عليه وسلم فلا اشكال فيه ولا سوال
لان اكثر الناس غير عارفين بصفات الله فمن جوز يحسبه غافلا لجهله بصفاته قوله عز وجل
انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار يقال شخص بصر الشخص اذا بقيت عينه مفتوحة
لا يطرفها وشخوص البصر يدل على الحيرة والدهشة من هول ما يرى في ذلك اليوم ٥

مهطعين

مهطعين قال قتادة رحمه الله تعالى مسرعين وهذا قول الجمهور فعلى هذا
المعنى ان الغالب من حال من بقي بحيرة شاخصا من شدة الخوف فانه يبقى واقفا باهتا
فبين الله تعالى في هذه الاية ان احوال اهل الموقف يوم القيامة بخلاف الحال المعتاد
فاخبر عنهم انهم مع شخوص الابصار يكونوا مهطعين يعني مسرعين نحو الداعي وقيل المهطع
الخاضع الذليل مقنعي رءوسهم الاقناع هو رفع الراس الى فوق فاهل الموقف من صفتهم
انهم رافعوا رءوسهم الى السما وهذا ايضا بخلاف المعتاد لان من توقع البلاء فانه يطرق
ببصره الى الارض ولا ينظر احد الى احد لا يرتد اليهم طرفهم اي لا ترجع اليهم
ابصارهم من شدة الخوف فهي شاخصة لا ترتد اليهم قد شغلهم ما بين ايديهم وافيدتهم
هوا اي خالية قال قتادة رحمه الله تعالى خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت في
حناجرهم فلا تخرج من افواههم ولا تعود الى اماكنها ومعنى الاية ان افيدتهم خالية
فارغة لا تعي شيا ولا تعقل من شدة الخوف وقال سعيد بن جبير رحمه الله تعالى افيدتهم
هوا اي مترددة تهوي في اجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه ومعنى الاية ان القلوب
يومئذ زايلة من اماكنها والابصار شاخصة والرءوس مرفوعة الى السما من هول
ذلك اليوم وشدته وانذر الناس يعني وخوف الناس يا محمد يوم القيامة وهو قوله عز
وجل يوم ياتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا يعني الذين ظلموا انفسهم بالشرك
والمعاصي ربنا اخرنا الى اجل قريب يعني امهلنا مدة يسيرة قال بعضهم طلبوا
الرجوع الى الدنيا حتى يومنوا فيمنعهم ذلك وهو قوله تعالى نجب دعوتك ونتبع
الرسل فاجيبوا بقوله اولم تكونوا اقسمتم من قبل يعني في دار الدنيا ما لكم من زوال يعني
ما لكم عنها انتقال ولا بعث ولا نشور وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم
بالكفر والمعاصي من كان قبلكم من كفار الامم الخالية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم
وتبين لكم كيف فعلنا بهم يعني وقد عرفتم كيف عاقبناهم وضربنا لكم الامثال
يعني الامثال التي ضربها الله عز وجل في القران ليتدبروها ويعتبروا بها فيجب على
كل من سمع هذه الاحوال الماضية من الامم الخالية والقرون الماضية ان يعلم ما جرى
لهم وكيف اهلكوا ان يعتبر بهم ويعمل في خلاص نفسه من العقاب والهلاك وقد مكروا
مكرهم اختلفوا في الضمير الى من يعود في قوله وقد مكروا فقيل يعود الى الذين سكنوا
في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهذا القول صحيح لان الضمير يجب عوده الى اقرب
مذكور وقيل ان المراد بقوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك الاية والمعنى والقدر
الناس يا محمد يوم ياتيهم العذاب يعني بسبب مكرهم وعند الله مكرهم يعني جزاء
مكرهم مثبت عند الله تعالى ليجازيهم به يوم القيامة وان كان مكرهم لتزول منه الجبال
يعني وان كان مكرهم لاضعف من ان تزول منه الجبال وقيل معناه ان مكرهم لا يزيل امر محمد
صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت كثبوت الجبال **وقد حكي** عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه في الاية قولا اخر وهي انها نزلت في نمرود الجبار الذي حاج ابراهيم
عليه السلام في ربه فقال نمرود ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلا انتهي حتى اصعد الى
السما فاعلم ما فيها فعمد الى اربعة افراخ من النسور فرباهن حتى شببن وكبرن واتخذ
تابوتا من خشب وجعل له بابا من اعلاه وبابا من اسفله ثم جوع النسور ونصب
خشبات اربع في اطراف التابوت وجعل على رءوس تلك الخشبات لحما احمر وقعد هو في
التابوت واقعد معه رجلا اخر وامر بالنسور فربطت في اطراف التابوت من اسفل

فجعلت النسور كلما رأت اللحم رغبت فيه وطارت اليه فطارت النسور يوما أجمع حتى لحقت
في الهوى فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الأعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح ونظر
فقال له ان السماء كهيئتها فقال له افتح الباب الأسفل فانظر فإذا الأرض سوداء مظلمة
ونودي أيها الطاغية أين تريد قال عكرمة وكان معه في التابوت غلام قد حمل القوس
والنشاب فأخذ منه القوس ورمى بسهم فعاد اليه السهم ملطخا بدم سمكة قذفت بنفسها
في بحر في الهوى وقيل ان طائرا أصابه السهم فلما رجع اليه السهم ملطخا بالدم قال
كفيت اله السماء أمره ثم أمر صاحبه أن يصوب الخشبات الى أسفل وينكس اللحم فهبطت النسور
بالتابوت فسمعت الجبال خفيق التابوت والنسور ففزعت وظنت انه قد حدث حدث
من السماء وأن الساعة قد قامت فكادت تزول عن أماكنها فذلك قوله تعالى وإن كان مكرهم لتزول
منه الجبال واستبعد بعض العلماء هذه الحكاية وقال ان الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل
أن يقدم على مثل هذا الأمر العظيم وليس فيه خبر صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية
بتأويل الآية البتة **فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله** يعني فلا تحسبن الله يا محمد
مخلف ما وعد به رسله من النصر واعلاء الكلمة واظهار الدين فانه ناصر رسله وأوليائه
ومهلك أعدائه وفيه تقديم وتأخير تقديره فلا تحسبن الله مخلف رسله وعده **ان الله عزيز**
أي غالب **ذو انتقام** يعني من أعدائه والله تعالى أعلم **يوم تبدل الأرض غير الأرض
والسموات** ذكر المفسرون في معنى هذا التبديل قولان أحدهما أنه تبديل صفة الأرض
والسماء لا ذاتهما فأما تبديل الأرض فبتغيير صفتها وهيئتها مع بقاء ذاتها وهو أن تدك
جبالها وتسوى وهادها وأوديتها وتذهب أشجارها وجميع ما عليها من عمارة وغيرها
لا يبقى على وجهها شيء الا ذهب وتمد مد الأديم وأما تبديل السماء فهو أن تنتثر كواكبها
وتطمس شمسها وقمرها ويكونان وكونها تارة كالدهان وتارة كالمهل وبهذا القول قال
جماعة من العلماء ويدل على صحة هذا القول ما روي عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء
كقرصة النقي ليس بها علم لأحد أخرجاه في الصحيحين العفراء بالعين المهملة وهي البيضاء
الى حمرة ولهذا شبهها بقرصة النقي وهو الخبز الأبيض المائل الى الحمرة كأن
النار ميلت بياض وجهها الى الحمرة وقوله ليس بها علم لأحد يعني بالتبديل فيها وزوال
جبالها وجميع نباتها ولم يبق فيها أثر يستدل به والقول الثاني هو تبديل ذات الأرض
والسماء وهذا قول جماعة من العلماء ثم اختلفوا في معنى هذا التبديل فقال ابن مسعود
رضي الله تعالى عنه في معنى هذه الآية قال تبدل الأرض بأرض كالفضة البيضاء نقية لم
يسفك بها دم ولم يعمل بها خطيئة وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الأرض من فضة
والسماء من ذهب وقال أبي بن كعب في معنى التبديل بأن تصير الأرض نيرانا والسماء جنانا
وقال أبو هريرة رضي الله تعالى عنه وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي تبدل الأرض خبزة
بيضاء يأكل المؤمن من تحت قدميه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تكون الأرض خبزة واحدة يوم القيامة يتكفأها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم
خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة أخرجه في الصحيحين بزيادة فيه قال الشيخ محيي الدين
النووي في شرح هذا الحديث أما النزل فبضم النون والزاي ويجوز اسكان الزاي
وهو ما يعد للضيف عند نزوله وأما الخبزة فبضم الخاء وقال أهل اللغة هي الظلمة
التي توضع في الملة ويتكفأها بالترتيب أي يميلها من يد الى يد حتى تجتمع وتستوي لأنها

ليست

ليست منبسطة كالرقاقة وقد حققنا الكلام في اليد في حق الله تعالى وتأويلها مع القطع
باستحالة الجارحة ليس كمثله شيء قال ومعنى الحديث أن الله تعالى يجعل الأرض كالظلمة
والرغيف العظيم فتكون طعاما نزلا لأهل الجنة والله على كل شيء قدير **فإن قلت**
اذا فسرت التبديل بما ذكرت فكيف يكون الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها
وهو أن تحدث بكل ما عمل عليها **قلت** وجه الجمع بين الآيتين أن الأرض تبدل أولا
صفتها مع بقاء ذاتها كما تقدم فحينئذ تحدث أخبارها ثم بعد ذلك تبدل تبديلا ثانيا
وهو أن تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم أيضا ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن عائشة
رضي الله تعالى عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الأرض
غير الأرض والسموات فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله قال على الصراط أخرجه مسلم
وروى ثوبان أن حبرا من أحبار اليهود سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أين يكون الناس
يوم تبدل الأرض غير الأرض قال هم في الظلمة دون الجسر ذكره البغوي بغير سند فمعنى
هذين الحديثين دليل على أن تبديل الأرض ثاني مرة يكون بعد الحساب والله تعالى
أعلم بمراده وأسرار كتابه وقوله تعالى **وبرزوا** يعني وخرجوا من قبورهم **لله** يعني لحكم
الله تعالى والوقوف بين يديه للحساب **الواحد القهار** صفتان لله تعالى فالواحد
الذي لا ثاني له ولا شريك معه المنزه عن الشبه والضد والند والقهار الذي يقهر
عباده على ما يريد ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قوله تعالى **وترى المجرمين يومئذ
مقرنين** يعني مشدودين بعضهم الى بعض يقال قرنت الشيء بالشيء اذا شددته معه
برباط واحد **في الأصفاد** يعني في القيود والأغلال قال ابن عباس رضي الله تعالى
عنه يقول كل كافر مع شيطان في سلسلة وقال أبو زيد أيديهم وأرجلهم الى رقابهم
بالأصفاد أي وهي القيود وقال ابن قتيبة يقرن بعضهم الى بعض **سرابيلهم** يعني
قمصهم واحدها سربال وقيل السربال كلما لبس **من قطران** القطران دهن يتحلب من شجر
الأبهل والعرعر والتوت كالزفت تدهن به الإبل اذا جربت وهو الهناء يقال هنأت البعير
أهنؤه بالهناء وهو القطران قال الزجاج وانما جعل لهم القطران سرابيل لأنه يبالغ في
اشتعال النار في الجلود ولو أراد الله تعالى المبالغة في احراقهم بغير ذلك لقدر ولكنه
حذرهم ما يعرفونه وقراءة عكرمة ويعقوب من قطر آن على كلمتين فالقطر النحاس
المذاب والآن الذي انتهى حره **وتغشى وجوههم النار** يعني تعلوها وتجللها **ليجزي
الله كل نفس ما كسبت** يعني من خير وشر **ان الله سريع الحساب** يعني اذا حاسب عباده يوم
القيامة **هذا بلاغ للناس** يعني هذا القرآن فيه تبليغ وموعظة للناس **ولينذروا به**
يعني وليخوفوا بالقرآن ومواعظه وزواجره **وليعلموا أنما هو اله واحد** يعني وليستدلوا
بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى **وليذكر أولو الألباب** يعني وليتعظ بهذا
القرآن وما فيه من المواعظ أولو العقول والأفهام الصحيحة فانه موعظة لمن اتعظ به
والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الحجر مكية باجماعهم وهي تسع وتسعون آية وستمائة وأربع وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين تلك اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات

والمراد بالكتاب وبالقرآن المبين الكتاب الذي وعد الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ونكر
القرآن للتفخيم والتعظيم قال الواحدي ذلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا وفي كونه
قرآنا وأي قرآن كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقيل أراد بالكتاب
التوراة والإنجيل لأنه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا
القول ليس بالقوي لأنه لم يجر للتوراة والإنجيل ذكر حتى يشار إليهما والمراد هنا بالكتاب
القرآن وإنما جمع بين وصفين وإن كان الموصوف واحدا لما في ذلك من الفائدة
وهي التفخيم والتعظيم والمبين الذي يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل
ربما قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لغتان ورب للتقليل وكم للتكثير وإنما
دخلت ما على رب ليليها الفعل تقول رب رجل جاءني وربما جاءني زيد وإن شئت
جعلت ما بمنزلة شيء فيكون المعنى رب شيء **يود الذين كفروا** وقيل ما في ربما بمعنى حين
أي رب حين يود ويتمنى الذين كفروا والتمني هو تشهي حصول ما يوده واختلف
المفسرون في الوقت الذي يتمنى الذين كفروا **لو كانوا مسلمين** على قولين أحدهما
أن ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت فحينئذ يعلم الكافر أنه كان على
الضلال أي فيتمنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه التمني قاله الضحاك
وهو عند حالة المعاينة والقول الثاني أن هذا التمني يكون في الآخرة وذلك حين
يعاينون أهوال يوم القيامة وشدائده وما يصيرون إليه من العذاب فحينئذ يتمنى
الذين كفروا لو كانوا مسلمين قال الزجاج إن الكافر كلما رأى حالا من أحوال
المسلم ود لو كان مسلما وقيل إذا رأى الكافر أن الله تعالى يرحم المسلمين ويشفع
بعضهم في بعض حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور أن ذلك التمني حين يخرج الله تعالى
المؤمنين من النار عن أبي موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله تعالى من أهل القبلة قال
الكفار لمن في النار من أهل القبلة ألستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم
إسلامكم وأنتم معنا في النار وقالوا لنا ذنوب فأخذنا بها فيغضب الله لهم بفضل
رحمته فيأمر لكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين ذكره البغوي بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزي وقال
ذهب إليه ابن عباس رضي الله تعالى عنه في رواية عنه وأنس بن مالك ومجاهد
وعطاء وأبو العالية وإبراهيم النخعي **فإن قلت** ربما وضعت للتقليل
وهذا التمني يكثر من الذين كفروا يوم القيامة فكيف قال ربما يود الذين
كفروا لو كانوا مسلمين قال صاحب الكشاف هو وارد على مذهب العرب في قولهم
لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الإنسان على فعله ولا يشكون في تندمه ولا
يقصدون تقليله ولكنهم أرادوا لو كان الندم مشكوكا فيه أو كان قليلا لحق عليك
أن لا تفعل هذا الفعل لأن العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون
من المتيقن وقال غيره إن هذا التقليل أبلغ في التهديد ومعناه يكفيك قليل
الندم في كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل إن شغلهم بالعذاب لا يفرغهم
للندامة إنما يخطر ذلك ببالهم **فإن قلت** رب لا تدخل إلا على الماضي
فكيف قال ربما يود الذين كفروا وهو في المستقبل **قلت** لأن المترقب

والمترقب

والمترقب في أخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه كأنه قال ربما ود
وقال تعالى **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا** يعني يا محمد دع هؤلاء الكفار يأكلوا في دنياهم
ويتمتعوا بلذاتها **ويلههم الأمل** يعني ويشغلهم طول الأمل عن الإيمان والأخذ
بطاعة الله **فسوف يعلمون** يعني إذا وردوا يوم القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا
فيه تهديد ووعيد لمن أخذ بحظه من الدنيا ولذاتها ولم يأخذ بحظه من طاعة
الله عز وجل قال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وفسوف يعلمون تهديد آخر فمتى
يهنأ العيش بين تهديدين وهذه الآية منسوخة بآية القتال وفي الآية دليل
على أن إيثار التلذذ والتنعم في الدنيا يؤدي إلى طول الأمل وذلك من أخلاق [illegible]
قال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه إنما أخشى عليكم اثنتين طول الأمل واتباع
الهوى فإن طول الأمل ينسي الآخرة واتباع الهوى يصد عن الحق **وما أهلكنا من قرية**
إلا ولها كتاب معلوم أي أجل مضروب ووقت معين لا يتقدم
العذاب عليه ولا يتأخر عنه ولا يأتيهم إلا في الوقت الذي حد لهم في اللوح المحفوظ
ما تسبق من أمة أجلها من زائدة في قوله من أمة كقولك ما جاءني من أحد وقيل
هي على أصلها لأنها تفيد التبعيض أي هذا الحكم فيكون ذلك في إفادة عموم النفي
آكد وفي معنى الآية أن الأجل المضروب لهم وهو وقت الموت أو نزول العذاب
لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله **وما يستأخرون** وإنما دخلت الهاء في أجلها لإرادة
الأمة وأخرجها من قوله وما يستأخرون لإرادة الرجال **قوله عز وجل**
وقالوا يعني مشركي مكة **يا أيها الذي نزل عليه الذكر** يعني القرآن وأرادوا به محمدا
صلى الله عليه وسلم **إنك لمجنون** إنما نسبوه إلى الجنون لأنه صلى الله عليه وسلم كان يظهر
عليه عند نزول الوحي ما يشبه الغشي فظنوا أن ذلك جنونا فلهذا السبب نسبوه
إلى الجنون وقيل إن الرجل إذا سمع كلاما مستغربا من غيره فربما نسبه إلى الجنون
ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله تعالى وأتى بهذا القرآن العظيم
أنكروه ونسبوه إلى الجنون وإنما قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر على طريق الاستهزاء
وقيل معناه يا أيها الذي نزل عليه الذكر في زعمه واعتقاده واعتقاد أصحابه وأتباعه
إنك لمجنون في ادعائك الرسالة **لوما** قال الزجاج والفراء لوما ولولا لغتان ومعناهما
هلا يعني هلا **تأتينا بالملائكة** يعني يشهدون لك بأنك رسول من عند الله حقا
إن كنت من الصادقين يعني في ادعائك **ما ننزل الملائكة إلا بالحق** يعني بالعذاب
أو وقت الموت وهو قوله **وما كانوا إذا منظرين** يعني لو نزلت الملائكة إليهم لم يمهلوا
ولم يؤخروا ساعة واحدة وذلك أن كفار مكة كانوا يطلبون من رسول الله صلى الله
عليه وسلم إنزال الملائكة عيانا فأجابهم الله عز وجل بهذا والمعنى لو نزلوا عيانا
لزال عن الكفار الإمهال وعذبوا في الحال إن لم يؤمنوا ويصدقوا **إنا نحن نزلنا الذكر**
يعني القرآن أنزلناه عليك يا محمد وإنما قال الله تعالى إنا نحن نزلنا الذكر جوابا لقولهم
يا أيها الذي نزل عليه الذكر فأخبر الله عز وجل أنه هو الذي أنزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم
وإنا له لحافظون الضمير في له يرجع إلى الذكر يعني وإنا للذكر الذي أنزلناه على محمد صلى
الله عليه وسلم لحافظون يعني من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتحريف
فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الأشياء كلها لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والإنس
أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة وهو مختص بالقرآن العظيم

بخلاف سائر الكتب المنزلة فإنه قد دخل في بعضها التحريف والتبديل والقرآن العظيم محفوظ
من هذه الأشياء كلها لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والإنس أن يزيدوا فيه أو ينقص
ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بقي مصونا على الأبد محروسا من الزيادة
والنقصان قال ابن السائب ونحو هذا الكناية في له راجعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم
يعني وإنا لمحمد لحافظون ممن أراده بسوء فهو كقوله والله يعصمك من الناس ووجه
هذا القول أن الله تعالى لما ذكر الإنزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد
صلى الله عليه وسلم فحسن صرف الكناية إليه لكونه أمرا معلوما كما إذا القول
الأول أشهر وأصح وهو قول الأكثرين لأنه أشبه بظاهر التنزيل ورد الكناية إلى أقرب
المذكور أولى وهو الذكر وإذا قد قلنا إن الكناية عائدة إلى القرآن فهو الأصح
فاختلفوا في كيفية حفظ الله عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بأن جعله معجزا مباينا
مباينا لكلام البشر فعجز الخلق عن الزيادة فيه والنقصان منه لأنهم لو زادوا الزيادة
فيه والنقصان منه لتغير نظمه وظهر ذلك لكل عاقل وعلموا ضرورة أن ذلك مزاد
ليس بقرآن وقال آخرون إن الله تعالى حفظه وصانه من المعارضة فلم يقدر أحد
من الخلق أن يعارضه وقال آخرون بل أعجز الله تعالى الخلق عن إبطاله وإفساده بوجه
من الوجوه فقيض الله تعالى له العلماء الراسخين يحفظونه ويذبون عنه إلى آخر الدهر
لأن دواعي جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على إبطاله فلم يقدروا على ذلك بحمد
الله تعالى قوله تعالى **ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين** لما حكى كفار مكة
بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاطبوه بالسفاهة وهو قولهم إنك لمجنون وأساؤوا
الأدب عليه فأخبر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن عادة الكفار في قديم الزمان
مع أنبيائهم كذلك فلك بالأنبياء أسوة في الصبر على أذى قومك بجميع الأنبياء فهذه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الآية محذوف تقديره ولقد أرسلنا رسلا من قبلك
يا محمد فحذف ذكر الرسل هنا لدلالة الإرسال عليه وقوله تعالى في شيع الأولين
الشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم وقال الفراء الشيعة هم الأتباع وشيعة
الرجل أتباعه وقيل الشيعة من يتقوى بهم الإنسان وينتشرون عنه فقوله في شيع
الأولين من باب إضافة الصفة إلى الموصوف **كذلك نسلكه في قلوب المجرمين**
السلوك النفاذ في الطريق والدخول فيه والسلك إدخال الشيء في الشيء كإدخال الخيط
في المخيط ومعنى الآية كما سلكنا الكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب شيع الأولين
كذلك نسلكه في قلوب المجرمين يعني مشركي مكة وفيه رد على القدرية والمعتزلة
وهي أبين آية في ثبوت القدر لمن أذعن للحق ولم يعاند قال الواحدي قال
أصحابنا أضاف الله تعالى إلى نفسه إدخال الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك منه
فمن اعترض بالقرآن العظيم فليستحسنه وقال الإمام فخر الدين الرازي احتج
أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى يخلق الباطل والضلال في قلوب المجرمين قلت
المعتزلة لما لم يجر للضلال والكفر ذكر فيما قبل هذا اللفظ فلا يمكن أن يكون
الضمير عائدا عليه وأجيب عنه بأنه قال تعالى قبله **وما يأتيهم من رسول إلا كانوا به**
يستهزئون كان الضمير في قوله كذلك نسلكه عائدا إليه قال والاستهزاء بالأنبياء عليهم
الصلاة والسلام كفر وضلال فثبت صحة قولنا إن المراد من قوله كذلك نسلكه في قلوب
المجرمين أنه الكفر والضلال والله تعالى أعلم به وقوله تعالى **لا يؤمنون به** يعني بمحمد

صلى

صلى الله عليه وسلم وقيل بالقرآن **وقد خلت سنة الأولين** فيه وعيد وتهديد
لكفار مكة يخوفهم أن ينزل بهم ما نزل بالأمم الماضية المكذبة للرسل فإن المعنى وقد
مضت سنة الله بإهلاك من كذب الرسل من الأمم الماضية فاحذروا يا أهل مكة أن
يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب **ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون**
يعني ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا لو ما تأتينا بالملائكة بابا من السماء فظلوا يعني فظل
فلان يفعل كذا إذا فعله بالنهار كما يقال بات يفعل كذا إذا فعله بالليل فيه يعني في ذلك
الباب يعرجون يعني يصعدون والمعارج المصاعد وفي المشار إليه بقوله فظلوا
فيه يعرجون قولان أحدهما أنه الملائكة وهو قول ابن عباس رضي الله تعالى عنه
والضحاك والمعنى لو كشف عن أبصار هؤلاء الكفار فرأوا بابا في السماء مفتوحا والملائكة
تصعد فيه لما آمنوا والقول الثاني أنهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى
فظل المشركون يصعدون في ذلك الباب فينظروا إلى ملكوت السموات وما فيها من
الملائكة لما آمنوا لعنادهم وكفرهم وقالوا إنا سحرنا وهو قوله تعالى **لقالوا إنما**
سكرت أبصارنا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه سكرت أبصارنا هو مأخوذ من
سكر النهر إذا حبس ومنع من الجري وقيل من سكر الشراب والمعنى أن أبصارهم حار
ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران من تغيير العقل وفساد النظر
وقيل سكرت يعني غشيت أبصارنا وسكنت عن النظر وأصله من السكون يقال
سكرت عينه إذا تحيرت وسكنت عن النظر **بل نحن قوم مسحورون** يعني سحرنا محمد وعمل
فينا سحره وحاصل الآية أن الكفار لما طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل
عليهم الملائكة بين وبين أنهم لو عاينوا لما آمنوا ولقالوا قد سحرنا لما سبق لهم في الأزل
من الشقاوة **قوله عز وجل** **ولقد جعلنا في السماء بروجا** يعني البروج
التي تنزلها الشمس في سيرها واحدها برج وهي بروج الفلك الاثني عشر برجا
وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان
والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت وهذه البروج مقسومة
على ثمانية وعشرين منزلا لكل برج منزلان وثلث منزل وقد تقدم ذكر منازل القمر
في سورة يونس عليه الصلاة والسلام وهي البروج مقسومة على ثلاثمائة وستين
درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في كل سنة مرة وبها تتم دورة
الفلك وتقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوما قال ابن عباس رضي الله عنه
في هذه الآية يريد بروج الشمس والقمر يعني منازلهما وقال ابن عطية هي قصور في السماء
عليها الحرس وقال الحسن ومجاهد وقتادة هي النجوم العظام قال أبو إسحاق
يريدون نجوم هذه البروج وهي نجوم على ما صورت به وسميت وأصل هذا كله من الظهور
وزيناها يعني السماء بالشمس والقمر والنجوم **للناظرين** يعني المعتبرين المستدلين
بها على توحيد خالقها وصانعها وهو الله الذي أحسن كل شيء خلقه وصوره **وحفظناها**
يعني السماء **من كل شيطان رجيم** أي مرجوم فعيل بمعنى مفعول وقيل ملعون مطرود
من رحمة الله تعالى قال كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها
ويأتون بأخبارها إلى الكهنة فيلقونها إليهم فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام
منعوا من ثلاث سماوات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات أجمع فما منهم
من أحد يريد استراق السمع إلا رمي بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك لإبليس فقال

لقد حدث في الارض حدث فبعثهم ينظرون ما هو فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلوا
القرآن فقالوا والله هذا حدث **الا من استرق السمع** هذا استثناء منقطع معناه لكن
من استرق السمع **فاتبعه** اي لحقه **شهاب مبين** قال والشهاب شعلة من نار
ساطع وقد سمي الكوكب شهابا لاجل ما فيه من البريق وشبهه بشهاب النار قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنه في قوله الا من استرق السمع يريد الخطفة اليسيرة وذلك ان
الشياطين يركب بعضهم بعضا الى السماء يسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب
فلا تخطئ ابدا فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه وجنبه او يده او حيث يشاء ومنهم
من تخبله فيصير غولا يضل الناس في البوادي **ح** عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا
لقوله كانه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق
وهو العلي الكبير فيسمعها مسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان
بكفه فحرفها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر
الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن فربما ادركه الشهاب قبل ان
يلقيها وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال اليس قد
قال لنا كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي قد سمعت من السماء

فصل

اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
ام لا على قولين احدهما انه لم يكن يرمى بالنجوم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
وانما ظهر ذلك في بدو امره فكان ذلك اساسا للنبوة صلى الله عليه وسلم ويدل على
صحة هذا القول ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال انطلق رسول الله صلى
الله عليه وسلم في طائفة من اصحابه عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين
وبين خبر السماء وارسلت عليهم الشهب اخرجاه في الصحيحين فظاهر هذا الحديث
يدل على ان هذا الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث
هذا الرمي ويعضده ما روي ان يعقوب بن يعقوب هو ابن المغيرة بن الاخنس
بن شريق قال اول من فزع بالرمي بالنجوم هذا الحي من ثقيف وانهم جاؤا الى رجل
منهم يقال له عمرو بن امية احد بني علاج وكان ادهى العرب فقالوا له الم تر
ما حدث في السماء من القذف بالنجوم قال بلى ولكن انظروا فان كانت معالم
النجوم التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الانواء من الصيف والشتاء
لما يصلح الناس من معايشهم هي التي يرمى بها فهو والله طي الدنيا وهلاك
الخلق الذين فيها وان كانت نجوما غيرها وهي ثابتة على حالها فهذا لامر
اراده الله تعالى من الخلق قال الزجاج ويدل على انها كانت بعد
مولد النبي صلى الله عليه وسلم ان شعراء العرب الذين ذكروا البرق والاشياء المسرعة
لم يذكروا في شعرهم ذكر الكواكب المنقضة فلما حدثت بعد مولده صلى الله عليه
وسلم استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمة

كأنه كوكب في اثر عفرية ٭ مسوم في سواد الليل منقضب

والقول الثاني ان ذلك كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما
بعث شدد وغلظ عليهم قال معمر قلت للزهري اكان يرمى بالنجوم في الجاهلية
قال نعم قلت افرأيت قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع قال غلظت

وشدد امرها حين بعث محمد صلى الله عليه وسلم ويدل على صحة هذا القول ما روى
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال اخبرني رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الانصار انهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمي بنجم واستنار
فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا رمي بمثل هذا
قالوا الله ورسوله اعلم كنا نقول ولد الليلة رجل عظيم او مات رجل عظيم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانها لا يرمى بها لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى
اذا قضى امرا سبح حملة العرش ثم سبح اهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح
الى اهل هذه السماء ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم
بما قال فيستخبر بعض اهل السماء بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف
الجن السمع فيقذفون الى اوليائهم ويرمون فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم
يقرفون فيه ويزيدون اخرجه مسلم قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه
صلى الله عليه وسلم قال وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال بشر بن ابي خازم وهو

والعير يرهقها الغبار وجحشها ٭ ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال اوس بن حجر وهو جاهلي

فانقض كالدري يتبعه ٭ نقع يثور تخاله طنبا

والجمع بين هذين القولين ان الرمي بالنجوم كان موجودا قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم
فلما بعث شدد ذلك وزاد في حفظ السماء وحراستها صونا لاخبار الغيوب
والله تعالى اعلم قوله تعالى **والارض مددناها** يعني بسطناها على وجه الماء
كما يقال انها دحيت من تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول اهل التفسير وزعم ارباب
الهيئة انها كرة عظيمة بعضها في الماء وبعضها خارج من الماء وهو الجزء المعمور منها
واعتذروا عن قوله تعالى والارض مددناها بان الكرة اذا كانت عظيمة
كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا ان الارض ممدودة مسطوحة
وانها كرة اجاب اصحاب التفسير بان الله تعالى اخبر في كتابه بانها ممدودة وانها
مبسوطة ولو كانت كرة لاخبر بذلك والله تعالى اعلم بمراده وكيف مد الارض
والقينا فيها رواسي يعني جبالا ثوابت وذلك ان الله تعالى لما خلق الارض
جعل تميد ومادت ورجفت فاثبتها بالجبال **وانبتنا فيها** اي في الارض لان انواع النبات
المنتفع به يكون في الارض وقيل الضمير يرجع الى الجبال لانها اقرب مذكور ولقوله
من كل شيء موزون لانما يوزن مما يتولد من الجبال من المعادن من كل شيء موزون قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنه وسعيد بن جبير اي معلوم وقال مجاهد وعكرمة اي
مقدور ومعنى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله لان الله تعالى يعلم القدر
الذي يحتاج اليه الناس في معايشهم وارزاقهم فيكون اطلاق الوزن عليه مجازا
لان الناس لا يعرفون مقادير الاشياء الا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وابن زيد
انما عنى به الشيء الموزون كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكحل وذلك مما
يستخرج من المعادن لان هذه الاشياء كلها توزن وقيل ان جميع ما ينبت في الارض
والجبال نوعان احدهما ما يخرج من المعادن وجميع ذلك موزون والثاني النبات
فبعضه يوزن ايضا وبعضه يكال وهو يرجع الى الوزن لان الصاع والمد مقدران
بالوزن **وجعلنا لكم فيها معايش** جمع معيشة وهو ما يعيش به الانسان مدة حياته

في الدنيا من المطاعم والمشارب والملابس ونحو ذلك ومن لستم له برازقين يعني الدواب
والوحوش والطيور انتم تنتفعون بها ولستم لها برازقين لان رزق جميع الخلق على الله تعالى
ومنه قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فتكون من في قوله ومن لستم يعني
ما لان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل وقيل يجوز اطلاق لفظة من على من لا يعقل
كقوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه وقيل اراد بهم العبيد والخدم فتكون من على
اصلها ويدخل معهم من لم يعقل من الدواب والوحوش والله تعالى اعلم قوله تعالى
وان من شيء الا عندنا خزائنه الخزائن جمع خزانة وهو اسم للمكان الذي يخزن فيه
الشيء للحفظ يقال خزن الشيء اذا احرزه وقيل انه اراد مفاتيح الخزائن وقيل اراد بالخزائن
المطر لانه سبب الارزاق وسبب المعايش لبني آدم والدواب والوحوش والطير وغير ذلك
ومعناه عندنا انه في حكمه وتصرفه وتدبيره وامره سبحانه وتعالى وغير ذلك كما في علمه قوله
تعالى وما ننزله الا بقدر معلوم يعني بقدر الكفاية كما قال ابن عباس رضي الله عنه
وقد قيل ان لكل ارض حدا وقدرا من المطر يقال لا ينزل من السماء قطرة الا ومعها ملك يسوقها
الى حيث يشاء الله تعالى وقيل ان المطر ينزل من السماء في كل عام بقدر واحد
لانه لا يزيد ولا ينقص ولكن الله تعالى يمطر قوما ويحرم آخرين وقيل اذا اراد الله تعالى
بقوم خيرا انزل عليهم المطر والرحمة واذا اراد بقوم شرا صرف المطر عنهم الى حيث
لا ينتفع به كالبراري والقفار والبحار ونحو ذلك وقد حكى جعفر
ابن محمد الصادق عن ابيه عن جده انه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله تعالى
في البر والبحر وهو تاويل قوله وان من شيء الا عندنا خزائنه وارسلنا الرياح لواقح
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه يعني الشجر وهو قول الحسن وقتادة واصل هذا من
قولهم لقحت الناقة والقحها الفحل اذا القى اليها الماء فحملته فكذلك الرياح كالفحل
للسحاب قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه في تفسير هذه الاية يرسل الرياح
فتلقح السحاب فتحمل الماء فتمجه في السحاب ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة والملقحة
وقال عبيد بن عمير رحمه الله تعالى يرسل الله تعالى الرياح المبشرة فتقم الارض
قما ثم يرسل الرياح المثيرة فتثير السحاب ثم يرسل المؤلفة فتؤلف السحاب بعضه
الى بعض فتجعله ركاما ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر والاظهر في هذه الاية ان
لقاحها السحاب لقوله تعالى فانزلنا من السماء ماء قال ابو بكر بن عياش رحمه
الله تعالى لا تنقطر قطرة من السماء الا بعد ان تعمل الرياح الاربع فيها فالصبا تهيج
السحاب والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه وقال ابو عبيدة رضي
الله عنه لواقح هنا بمعنى ملاقح ملقحة حذفت الميم وردت الى الاصل وقال الزجاج
يجوز ان يقال فيها لواقح وان القحت غيرها اي لان معناها النسب كما يقال درهم
وازن اي ذو وزن واجاب الرازي عنه بانه قال هذا ليس بشيء لان اللاقح
هو المنسوب الى اللقحة ومن افاد غيره قال ان اللقحة فلا نسبة الى الملقح وقال
صاحب المعتمد ذات لواقح اي ذات لقاح وقيل ان الريح في نفسها لاقح لانها حاملة والدليل
عليه قوله تعالى حتى اذا اقلت سحابا ثقالا اي حملت فعلى هذا تكون الريح هي لاقحة
لا حقة بمعنى حاملة تحمل السحاب وقال الزجاج رحمه الله تعالى ويجوز ان يقال للريح
لقحت اذا اتت بالخير كما قيل لها عقيم اذا لم تات بخير وورد في بعض الاخبار ان
الملاقح الرياح الجنوب وفي بعض الآثار ما هبت ريح الجنوب الا وبعث عينا غدقة

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا عصفت الريح قال
اللهم اني اسالك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر
ما ارسلت به ورواه البغوي بسنده الى الشافعي الى ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال
ما هبت الريح قط الا جثا النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها
عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه في كتاب الله
عز وجل انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وقال وارسلنا الرياح لواقح
ويرسل الرياح مبشرات وقوله تعالى فانزلنا من السماء ماء يعني المطر فاسقيناكموه
يعني جعلنا لكم المطر سقيا يقال اسقى فلان فلانا اذا جعل له سقيا وسقاه اذا اعطاه
ما يشرب وقال تقول العرب سقيت الرجل ماء ولبنا اذا كان لسقيه فاذا جعلوا له ما يشرب
ارضه او ماشيته تقول اسقيته وما انتم له بخازنين يعني المطر يعني ان المطر في
خزائننا لا في خزائنكم وقيل وما انتم له بمانعين وانا لنحن نحيي ونميت يعني ان احياء الخلق
واماتتهم لا يقدر على ذلك احد الا الله سبحانه وتعالى لان قوله وانا لنحن يفيد الحصر
للخلق فلا يبقى احد سوانا ونحن الوارثون وذلك بان نميت جميع الخلق فلا يبقى احد سوانا
فنبرز ولمن الملك كل ملك ويبقى ملكنا جميع ملك المالكين لنا والوارث هو الباقي بعد ذهاب
غيره والله تعالى هو الباقي بعد فناء خلقه الذين امتعهم بما آتاهم في الحياة الدنيا
لان وجود الخلق وما آتاهم كان ابتداء منه سبحانه وتعالى فاذا افنى جميع الخلائق
رجع الذي كانوا يملكونه في الدنيا على المجاز الى مالكه على الحقيقة فهو الله تعالى وقيل
مصير الخلائق اليه قوله تعالى ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه قال كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه
وسلم من احسن الناس وكان بعض الناس يتقدم حتى يكون في الصف الاول لئلا
يراها ويتأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت ابطيه فانزل
الله تعالى ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين اخرجه النسائي
واخرجه الترمذي وقال فيه وقد روي عن ابي الجوزاء رحمه الله تعالى نحوه ولم يذكر
فيه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وهذا اشبه ان يكون اصح قال البغوي وذلك
ان النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من في قلبه
ريبة فيتقدم الى اول صف النساء ليقرب من الرجال فنزلت هذه الاية فعند ذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال اولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء
آخرها وشرها اولها اخرجه مسلم عن ابي هريرة وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه
اراد بالمستقدمين من خلق الله تعالى وبالمستأخرين من لم يخلق الله تعالى بعد وقال
مجاهد رضي الله تعالى عنه المستقدمون القرون الاولى والمستأخرون امة محمد صلى الله
عليه وسلم وقال الحسن رحمه الله تعالى المستقدمون يعني في الطاعة والخير والمستأخرون
المبطئون فيها وقد قال الاوزاعي اراد بالمستقدمين المصلين في اول الوقت
وبالمستأخرين المؤخرين الى آخره وقال مقاتل رضي الله تعالى عنه اراد بالمستقدمين
والمستأخرين في صف القتال وقال ابن عيينة اراد من يسلم اولا ومن يسلم آخرا
وقال ابن عباس رضي الله عنه في رواية اخرى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حرض على
الصف الاول في الصلاة فازدحموا عليه وقال قوم بيوتهم قاصية عن المسجد
لنبيعن دورنا ولنشترين دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف الاول فنزلت

بهذه الاية وبحثهما انما يحثون على الصفات فاطعنوا واسكتوا فيكون معنى الاية على القول
الاول المتقدم للتقوى والمستأخر للنظر وعلى القول الاخير المتقدم هو طالب الفضيلة
والمستأخر للعذر ومعنى الاية ان علمه تعالى محيط بجميع خلقه متقدمهم ومتأخرهم
طائعهم وعاصيهم لا يخفى عليه شيء من احوال خلقه **وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم**
يعني على ما علم منهم وقيل انه تعالى يميت الكل ثم يحشرهم الاولين والاخرين على ما كانوا عليه
وقال جابر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث كل عبد على ما مات
عليه قوله تعالى **ولقد خلقنا الانسان** يعني ادم عليه الصلاة والسلام في قول
جميع المفسرين سمي انسانا لظهوره وادراك البصر اياه وقيل من النسيان لانه عهد
اليه فنسي **من صلصال** يعني من الطين اليابس الذي اذا نقرته سمعت له صلصلة
يعني صوتا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه هو الطين الحر الطيب الذي اذا اصاب
عليه الماء تشقق فاذا حرك تقعقع وقال مجاهد هو الطين المنتن واختاره الكسائي
وقال هو من صل اللحم واصل اذا انتن **من حمإ** يعني من الطين الاسود **مسنون**
اي مسنون يعني متغير قال مجاهد وقتادة وهو المنتن المتغير وقال ابو عبيدة
هو المصبوب تقول العرب سننت الماء اذا صببته قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه
هو التراب المبتل المنتن قد جعل صلصالا كالفخار والجمع بين هذه الاقاويل على
ما ذكره بعضهم ان الله تعالى لما خلق ادم عليه الصلاة والسلام قبض قبضة من
تراب الارض بله بالماء حتى اسود وانتن ريحه وتغير واليه الاشارة بقوله تعالى
ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب ثم ان ذلك التراب بله بالماء حتى اسود
وانتن ريحه وتغير والى ذلك الاشارة بقوله تعالى من حمإ مسنون ثم ان ذلك الطين
الاسود المتغير صور منه صورة الانسان اجوف فلما جف ويبس كانت تدخله الريح
فتسمع له صلصلة يعني صوتا واليه الاشارة بقوله من صلصال كالفخار ثم
الطين اليابس [illegible] ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا سويا بقوله تعالى
والجان خلقناه من قبل يعني من قبل ادم عليه الصلاة والسلام قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنه الجان ابو الجن كما ان ادم عليه الصلاة والسلام ابو البشر وقال
قتادة رحمه الله تعالى هو ابليس وقيل الجان ابو الجن وابليس ابو الشياطين وفي
الجن مسلمون وكافرون ويأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كبني ادم واما
الشياطين فليس منهم مسلمون ولا يموتون الا اذا مات ابليس قال وهب
منبه ان من الجن من يولد له ويأكلون ويشربون بمنزلة الادميين ومن الجن
من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون وهم الشياطين والاصح
ان الشياطين نوع من الجن لاشتراكهم في الاستتار سموا جنا لتواريهم واستتارهم
عن الاعين من قولهم جن الليل اذا ستر والشيطان هو العاتي المتمرد
الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر **من نار السموم** يعني من ريح حارة تدخل
مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها فتقتله ويقال للريح الحارة التي تكون
بالنهار السموم وللريح الحارة التي تكون بالليل الحرور وقال ابو صالح السموم نار
لا دخان لها والصواعق منها وهي نار بين السماء والحجاب فاذا احدث امرا خرقت الحجاب
فهوت الى ما امرت به فالهدة التي تسمعون خرق ذلك الحجاب [illegible]
[illegible] نار السموم يعني من نار جهنم وقال ابن

مسعود رضي الله تعالى عنه هذه السموم جزء من سبعين جزءا من السموم التي خلق الله تعالى
منها الجان ثم تلا هذه الاية قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه كان ابليس من حي من الملائكة يقال لهم
الجان خلقوا من نار السموم وخلقت الجن الذين ذكروا في القران من مارج من نار وخلقت
الملائكة من نور قوله تعالى **واذ قال ربك للملائكة** اي واذكر يا محمد اذ قال ربك للملائكة
اني خالق بشرا سمي الادمي بشرا لانه جسم كثيف ظاهر والبشرة ظاهر الجلد **من صلصال**
من حمإ مسنون تقدم تفسيره **فاذا سويته** يعني عدلت صورته واتممت خلقه **ونفخت**
فيه من روحي النفخ عبارة عن اجراء الريح في تجاويف جسم اخر ولما نفخ الروح في [illegible]
وهو المراد من قوله تعالى ونفخت فيه من روحي واضاف الله عز وجل روح ادم الى نفسه
على سبيل التشريف والتكريم له كما يقال بيت الله وناقة الله وعبد الله وسيأتي الكلام
في تفسيره مستوفى عند قوله تعالى ويسألونك عن الروح ان شاء الله تعالى **فقعوا له**
ساجدين الخطاب للملائكة الذين قال لهم اني خالق بشرا امرهم بالسجود لادم عليه
الصلاة والسلام بقوله فقعوا له ساجدين وكان ذلك السجود سجود تحية لا سجود عبادة
فسجد الملائكة كلهم الذين امروا بالسجود لادم عليه السلام كلهم **اجمعون** قال
سيبويه هذا توكيد بعد توكيد وسئل المبرد عن هذه الاية فقال لو قال فسجد الملائكة احتمل
ان يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم لزم ازالة ذلك الاحتمال فظهر بهذا انهم سجدوا باسرهم
ثم عند هذا بقي احتمال اخر وهو انهم سجدوا في اوقات متفرقة او في دفعة واحدة
فلما قال اجمعون ظهر ان الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول
عن المبرد قال وقول الخليل وسيبويه اجود لان اجمعون معرفة فلا يكون حالا روي
عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ان الله تعالى امر جماعة من الملائكة بالسجود لادم عليه
الصلاة والسلام فلم يفعلوا فارسل الله تعالى عليهم نارا فاحرقتهم ثم قال لجماعة
اخرى اسجدوا لادم عليه الصلاة والسلام فسجدوا **الا ابليس ابى ان يكون مع**
الساجدين يعني مع الملائكة الذين امروا بالسجود لادم عليه الصلاة والسلام
قال يعني قال الله تعالى **يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين قال**
يعني ابليس **لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإ مسنون** اراد
ابليس انه افضل من ادم عليه الصلاة والسلام لان ادم عليه السلام طيني الاصل
وابليس ناري الاصل والنار افضل من الطين فيكون ابليس في قياسه افضل من ادم
عليه الصلاة والسلام ولم يدر الخبيث ان الفضل بيد الله تعالى **قال فاخرج**
منها يعني من الجنة وقيل من السماء **فانك رجيم** اي طريد **وان عليك اللعنة الى**
يوم الدين قيل ان اهل السموات يلعنون ابليس كما يلعنه اهل الارض فهو ملعون
في السموات والارض **فان قلت** ان حرف الى يفيد انتهاء الغاية فهل
ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذي هو يوم القيامة **قلت** لا بل يزداد عذابا
الى اللعنة التي عليه كأنه قال تعالى ان عليك اللعنة فقط الى يوم الدين ثم تزاد بعد
ذلك معها عذابا دائما مستمرا لا انقطاع له **قال رب فانظرني** اي فاخرني
الى يوم يبعثون يعني يوم القيامة واراد بهذا السؤال انه لا يذوق الموت [illegible]
الى يوم القيامة [illegible] فلهذا السبب
سأل الانظار الى يوم يبعثون فاجابه الله تعالى بقوله **قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت**
المعلوم يعني الوقت الذي يموت فيه جميع الخلائق وهو النفخة الاولى [illegible]

او بموت سنة وهو ما بين النفختين وبالجملة لم يكن اجابة الله تعالى اياه في الامهال اكراما
له بل كان ذلك لاجل الامهال زيادة في شقاوته وانما هو الوعد الذي وعده وانما سمي يوم القيامة بيوم الوقت
المعلوم لان ذلك اليوم لا يعلمه الا الله تعالى فهو معلوم عنده وقيل لان جميع الخلائق
يموتون فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لما سأل ابليس الانظار الى يوم يبعثون
فاجابه الله تعالى بقوله فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني اليوم الذي
عينت وسألت الانظار فيه قال رب بما اغويتني اي بما اقسمت نحو قوله بما وما مصدرية
جواب القسم لازينن لهم في الارض وقيل الباء للسبب يعني بسبب كونه غاويا
لازينن لهم في الارض حتى لازينن لهم حب الدنيا ومعاصيك ولاغوينهم اجمعين
يعني بالقاء الوسوسة في قلوبهم وذلك ان ابليس علم انه يموت على الكفر غير مغفور له
حرص على اضلال الخلق بالكفر واغوائهم ثم استثنى فقال الا عبادك منهم المخلصين
يعني المؤمنين الذين اخلصوا لك التوحيد والطاعة والعبادة ومن فتح اللام
من المخلصين يعني المعنى الا من اخلصته واصطفيته لتوحيدك وعبادتك وانما
استثنا ابليس المخلصين لانه علم ان كيده ووسوسته لا تعمل فيهم ولا يقبلون منه
وحقيقة الاخلاص فعل الشيء لله تعالى خالصة عن شائبة الغير فكل من اتى بعمل من
اعمال الطاعات فلا يخلو اما ان يكون مراده بتلك الطاعة رضا الله فقط او لغير الله
او لمجموع الامرين اما ما كان لوجه الله تعالى فقط فهو الخالص المقبول واما ما كان
لغير الله فهو الباطل المردود واما ما كان مراده مجموع الامرين فان ترجح جانب
الله تعالى كان من المخلصين وان ترجح الاخر كان من الهالكين لان المثل يقابله
المثل فيكون فيبقى القدر الزائد على احد الجانبين جاذبا به قال يعني قال
الله تبارك وتعالى هذا صراط علي مستقيم اي حق وكذلك [illegible]
قال الحسن رضي الله تعالى عنه هذا صراط الي مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع
الى الله تعالى وعليه طريقه لا يعرج على شيء وقال الاخفش معناه على الدلالة
على الصراط المستقيم وقال الكسائي اي علي هذا على طريق التهديد والوعيد
كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقك علي اي لا تفلت مني وقيل معناه علي استقامته
بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقيل هذا عائد الى الاخلاص والمعنى
ان الاخلاص طريق علي يؤدي الى كرامتي ورضواني ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
اي قوة وقدرة وذلك ان ابليس لما قال لازينن لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين
الا عبادك منهم المخلصين اوهم بهذا الكلام ان له سلطانا على غير المخلصين فبين
الله تعالى انه ليس له عليهم سلطان على احد من عبيده سواء كان من المخلصين او لم
يكن من المخلصين قال اهل المعاني المعنى ليس لك عليهم سلطان اي على قلوبهم
وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الاية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان ان
تلقيهم في ذنب يضيق عنه عفوي وهؤلاء الذين استثناهم الله تعالى الذين هداهم واجتباهم
من عباده الا من اتبعك من الغاوين يعني الا من اتبع ابليس من الغاوين فان له
عليهم سلطانا بسبب كونهم منقادين له فيما يأمرهم به وان جهنم لموعدهم اجمعين
يعني لموعد ابليس واشياعه واتباعه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه هل
تدرون كيف ابواب النار هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى اي سبعة ابواب
بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة

ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية فذلك قوله تعالى لها سبعة ابواب يعني سبع
طبقات لكل باب منهم جزء مقسوم يعني لكل دركة قوم يسكنونها والجزء بعض الشيء وجزء
جعلته اجزاء قال والمعنى ان الله تعالى يجزئ اتباع ابليس سبعة اجزاء فيدخل كل جزء
وقسم دركة من النار والسبب فيه ان مراتب الكفر مختلفة فلذلك اختلفت مراتبهم في
النار قال الضحاك رحمه الله تعالى في الدركة الاولى اهل التوحيد الذين ادخلوا النار
يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفي الثانية النصارى وفي الثالثة
اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة اهل الشرك وفي
السابعة المنافقون فذلك قوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار
عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجهنم سبعة ابواب
منها باب لمن سل السيف على امتي او قال على امة محمد صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب قوله عز وجل ان المتقين في جنات وعيون اراد بالمتقين
هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي والجنات البساتين والعيون الانهار الجارية
في الجنات وقيل يحتمل ان تكون هذه العيون غير الانهار الكبار التي في الجنة وعلى
هذا يختص كل واحد من اهل الجنة بعيون اي تجري هذه العيون من بعضهم الى
بعض قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه وكلا الامرين يحتمل فيحتمل ان كل واحد
من اهل الجنة يختص بعيون تجري في جنانه وقصوره فينتفع هو بها ومن يختص به
من حوره وولدانه ويحتمل انها تجري في جنان بعضهم الى بعض لانهم قد طهروا
من الحقد والحسد ادخلوها اي يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى او
بعض ملائكته بسلام امنين يعني ادخلوا الجنة بسلام امنين يعني بالسلامة والامن
من الموت وجميع الافات ونزعنا ما في صدورهم من غل الغل الحقد الكامن في القلب
ويطلق على الشحناء والعداوة والحقد والبغضاء والحسد وكل هذه الخصال المذمومة
داخلة في الغل لانها كامنة في القلب يروى ان المؤمنين يحبسون على باب الجنة
فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم الى الجنة وقد نقيت قلوبهم من الغل والحسد
والغش والحقد والحسد اخوانا يعني في المحبة والمودة والمخالطة وليس المراد
منه اخوة النسب على سرر جمع سرير قال بعض اهل المعاني السرير هو مجلس
رفيع عال مهيأ للسرور وهو ماخوذ منه لانه مجلس سرور وقال ابن عباس رضي الله
تعالى عنه على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل
ما بين صنعاء الى الجابية متقابلين يعني يقابل بعضهم بعضا لا ينظر احدهم في قفا
صاحبه وفي بعض الاخبار ان المؤمن في الجنة اذا اراد ان يلقى اخاه المؤمن سار سرير
كل واحد منهم الى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان لا يمسهم فيها يعني في الجنة نصب
اي تعب ولا اعياء وما هم منها بمخرجين يعني من الجنة هذا نص من الله تعالى في كتابه
على خلود اهل الجنة في الجنة قال والمراد منه خلود بلا زوال وبقاء بلا فناء وكمال
بلا انتقاص وفوز بلا حرمان قوله عز وجل نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم قال
ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يعني من تاب منهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على
اصحابه وهم يضحكون فقال اتضحكون وبين ايديكم النار فنزل جبريل عليه الصلاة والسلام
بهذه الاية وقال يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادي ذكره البغوي بغير سند وان عذابي
هو العذاب الاليم قال قتادة رضي الله تعالى عنه بلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال

لو يعلم العبد قدر عفو الله تعالى لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه
يعني لقتل نفسه (خ) عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ان الله تعالى خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده
تسعا وتسعين رحمة وارسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي
عند الله تعالى من تلك الرحمة لم ييأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذي عند الله تعالى
لم يأمن من النار وفي الاية لطائف منها ان الله تعالى اضاف العباد الى نفسه بقوله
نبئ عبادي وهذا تشريف وتعظيم لهم الا ترى انه لما اراد ان يشرف محمدا صلى الله عليه
وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله سبحان الذي اسرى بعبده ليلا فكل من اعترف على
نفسه بالعبودية لله تعالى فهو داخل في هذا التشريف العظيم ومنها انه تعالى لما ذكر
الرحمة والمغفرة بالغ في التاكيد بالفاظ ثلاثة اولها قوله اني وثانيها انا وثالثها
ادخال الالف واللام في الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة
ولما ذكر العذاب لم يقل اني انا المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وان عذابي
هو العذاب الاليم على سبيل الاخبار ومنها انه تعالى امر رسوله صلى الله عليه وسلم
ان يبلغ عباده هذا المعنى فكأنه اشهد رسوله على نفسه في التزام المغفرة والرحمة
قوله تعالى **ونبئهم عن ضيف ابراهيم** هذا معطوف على ما قبله اي واخبر عبادي
عن ضيف ابراهيم واصل الضيف الميل يقال اضفت الى كذا اذا املت اليه والضيف
من مال اليك نزولا بك وصارت الضيافة متعارفة في القرى واصل الضيف
مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في غالب كلامهم وقد يجمع فيقال اضياف
وضيوف وضيفان وضيف ابراهيم عليه الصلاة والسلام هم الملائكة الذين
ارسلهم الله تعالى ليبشر ابراهيم عليه الصلاة والسلام بالولد ويهلكوا قوم
لوط **اذ دخلوا عليه** يعني اذ دخل الاضياف على ابراهيم عليه الصلاة والسلام **فقالوا
سلاما** اي نسلم سلاما **قال** يعني ابراهيم عليه الصلاة والسلام **انا منكم وجلون**
اي خائفون وانما خاف ابراهيم عليه الصلاة والسلام منهم لانهم لم ياكلوا طعامه
قالوا لا توجل يعني لا تخف **انا نبشرك بغلام عليم** يعني انهم بشروه بولد ذكر غلام
في صغره عليم في كبره وقيل عليم بالاحكام والشرائع والمراد به اسحاق عليه الصلاة
والسلام فلما بشروه بالولد تعجب ابراهيم عليه الصلاة والسلام من كبره وكبر
امراته **قال ابشرتموني** يعني بذلك الولد **على ان مسني الكبر** يعني حالة الكبر قاله
على طريق التعجب كانه عجب من حصول الولد على الكبر **قالوا بشرناك بالحق** يعني بالصدق
الذي قضاه الله تعالى بان يخرج منك ولدا ذكرا تكثر ذريته وهو اسحاق عليه الصلاة
والسلام **فلا تكن من القانطين** يعني ولا تكونن من الايسين من رحمة ربك لان
[illegible] وفيه دليل على ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لم يكن من القانطين ولكنه
يستبعد حصول الولد في الكبر فظنت الملائكة ان به قنوطا فنفوا ذلك عنه
واخبروا ان القانط من رحمة الله تعالى من الضالين لان القنوط من رحمة الله تعالى
كبيرة كالامن من مكر الله تعالى لا يحصل الا عند من يجهل ان الله تعالى قادر على ما
يريد ومن يجهل كونه تعالى عالما بجميع المعلومات فكل هذه الامور سبب للضلال
قال يعني ابراهيم عليه الصلاة والسلام **فما خطبكم** يعني فما الذي جئتم به سوى
ما بشرتموني به من الولد **ايها** يعني الملائكة عليهم الصلاة والسلام **المرسلون قالوا انا**

ارسلنا

ارسلنا الى قوم مجرمين يعني الى قوم مشركين **الا آل لوط** يعني اتباعه واهل دينه
من اهل دينه **انا لمنجوهم اجمعين الا امراته** يعني امراة لوط **قدرنا** يعني قضينا وانما
اسند الملائكة ذلك الفعل الى انفسهم وان كان ذلك لله عز وجل لاختصاصهم بالله
تعالى وقربهم منه كما تقول خاصة الملك نحن امرنا نحن فعلنا وان كان قد فعلوه بامر الملك
انها لمن الغابرين يعني انها لمن الباقين في العذاب والاستثناء من النفي اثبات ومن
الاثبات نفي قال فاستثنى امراة لوط من الناجين فهي ملحقة بالهالكين **فلما جاء آل
لوط المرسلون** وذلك ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام لما بشروا ابراهيم
عليه الصلاة والسلام بالولد وعرفوه بما ارسلوا به ساروا الى لوط وقومه ولما دخلوا
على لوط **قال انكم قوم منكرون** وانما قال لهم هذه المقالة لوط لانهم دخلوا اليه في زي
شباب مرد ان حسان الوجوه فخاف ان يهجم عليهم قومه فلهذا السبب قال لهم هذه
المقالة وقيل ان النكرة ضد المعرفة فقوله انكم منكرون لا اعرفكم ولا اعرف من
اي الاقوام انتم ولاي غرض دخلتم علي فعند ذلك **قالوا** يعني الملائكة عليهم
الصلاة والسلام **بل جئناك بما كانوا فيه يمترون** يعني بالعذاب الذي لا يشكون فيه
واتيناك بالحق وانا لصادقون يعني فيما اخبرناك به من اهلاكهم **فاسر باهلك
بقطع من الليل** يعني اخر الليل والقطع القطعة من الشيء والقطعة **فاتبع
ادبارهم** يعني واتبع اثار اهلك وسر خلفهم **ولا يلتفت منكم احد** يعني حتى
لا يرى ما نزل بقومه من العذاب فيرتاع بذلك وقيل المراد الاسراع في السير
وترك الالتفات الى ورائه والاهتمام بما خلفه كما تقول امض لشانك ولا تعرج
على شيء وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط لئلا يتخلف منهم
احد فيناله العذاب **وامضوا حيث تؤمرون** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه
يعني الشام وقال السدي يعني مصر وقيل الاردن وقيل الى حيث يامركم جبريل
عليه الصلاة والسلام وذلك ان جبريل عليه الصلاة والسلام امرهم ان يسيروا
الى قرية معينة ما عمل اهلها عمل قوم لوط **وقضينا اليه ذلك الامر** يعني واوحينا الى
لوط ذلك الامر الذي حكمنا به على قومه وفرغنا عنه ثم انه تعالى فسر ذلك الامر الذي
قضاه بقوله **ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين** يعني ان هؤلاء القوم هم مستاصلون
عن اخرهم بالعذاب وقت الصبح وانما ابهم الامر الذي قضاه عليهم اولا وفسره ثانيا
تفخيما له وتعظيما لشانه قوله تعالى **وجاء اهل المدينة** يعني مدينة سدوم وهي
مدينة قوم لوط **يستبشرون** يعني يبشر بعضهم بعضا باضياف لوط والاستبشار
اظهار الفرح والسرور وذلك ان الملائكة عليهم الصلاة والسلام لما نزلوا
على لوط ظهر امرهم في المدينة وقيل ان امراته اخبرتهم بذلك وكانوا شبابا
مردا في غاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط الى داره طمعا فيهم اي في ركوب
الفاحشة **قال ان** يعني قال لوط لقومه **هؤلاء ضيفي** وحق على الرجل اكرام ضيفه
فلا تفضحون يعني فيهم يقال فضحه يفضحه اذا اظهر من امره ما يلزمه العار بسببه
واتقوا الله يعني وخافوا الله في امرهم **ولا تخزون** يعني ولا تخجلون **قالوا**
يعني قوم لوط الذين جاءوا اليه **اولم ننهك عن العالمين** اي اولم ننهك ان تضيف احدا
من العالمين وقيل معناه اولم ننهك ان تدخل الغرباء الى بيتك فانا نريد ان نركب منهم
الفاحشة وقيل معناه الستا قد نهيناك ان تكلمنا في احد من العالمين اذا

نصد نياه بالفاحشة **قال** يعني لوط لقومه الذين قصدوا أضيافه **هؤلاء بناتي** يعني أزوجكم إياهن إذا أسلمتم فأتوا الحلال ودعوا الحرام وقيل أراد بالبنات نساء قومه لأن النبي كالوالد لأمته **إن كنتم فاعلين** يعني ما آمركم به **لعمرك** الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه معناه وحياتك يا محمد وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ما خلق الله تعالى نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة أحد إلا بحياته والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن الإنسان أي بالحياة ذات الروح وبقائه مدة حياته قال النحويون ارتفع لعمرك بالابتداء والخبر محذوف والمعنى لعمرك قسمي فحذف الخبر لأن في الكلام دلالة عليه قوله تعالى **إنهم لفي سكرتهم** يعني في حيرتهم وضلالتهم وقيل في غفلتهم كما ذكره ابن عباس رضي الله تعالى عنه **يعمهون** يعني يترددون متحيرين وقال قتادة رحمه الله تعالى يلعبون **فأخذتهم الصيحة مشرقين** يعني حين أضاءت الشمس وكان ابتداء العذاب الذي قد نزل بهم وقت الصبح وتمامه وانتهاؤه حين قد أشرقت الشمس **فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل** تقدم تفسيره في سورة هود عليه الصلاة والسلام **إن في ذلك** يعني الذي نزل بهم العذاب **لآيات للمتوسمين** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه للناظرين وقال قتادة للمعتبرين وقال مقاتل للمتفكرين وقال مجاهد للمتفرسين ويعضد هذا التأويل ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ إن في ذلك لآيات للمتوسمين أخرجه الترمذي وقال حديث غريب الفراسة اسم بالكسر كقولك تفرست في فلان الخير وهو على نوعين أحدهما ما دل عليه ظاهر الحديث وهو ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات وإصابة الحدس والنظر والظن والتثبت والنوع الثاني ما يحصل بدلائل التجارب والخلق والأخلاق تعرف بذلك أحوال الناس أيضا وللناس في علم الفراسة تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج رحمه الله تعالى حقيقة المتوسمين في اللغة المتثبتين في نظرهم حتى يعرفوا سمة الشيء وصفته وعلامته وقال غيره المتوسم الناظر في سمة الدلالة يقال توسمت في فلان إذا عرفت وسم ذلك **وإنها** يعني قرى قوم لوط **لبسبيل مقيم** أي بطريق واضح قال مجاهد رضي الله تعالى عنه بطريق معلم ليس بخفي ولا زائل والمعنى أن آثار ما أنزل الله تعالى بهذه القرى من عذابه وغضبه لبسبيل مقيم ثابت فلم يندرس ولم يخف والذين يمرون عليها من الناس إلى الحجاز يشاهدون ذلك أي في تلك الطريق ويرون أثره **إن في ذلك** يعني الذي جرى من عذاب قوم لوط وما أنزل بهم **لآيات للمؤمنين** يعني المصدقين بما أنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم **وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين** يعني كان أصحاب الأيكة لظالمين وهي الغيضة واللام في قوله لظالمين للتأكيد وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام كانوا أصحاب غياض وشجر ملتف وكانت عامة شجرهم المقل وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل إليهم شعيبا عليه الصلاة والسلام رسولا فكذبوه فأهلكهم الله تعالى بقوله تعالى **فانتقمنا منهم** يعني بالعذاب وذلك أن الله تعالى سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى قصدوا فأخذ بأنفاسهم وقربوا من الهلاك فبعث الله سبحانه وتعالى سحابة كالظلة

فالتجؤا

فالتجؤا إليها واجتمعوا تحتها يلتمسون الروح فبعث الله تعالى عليهم نارا فأحرقتهم جميعا **وإنهما** يعني مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب الأيكة **لبإمام مبين** يعني بطريق واضح مستبين من مر بهما وقيل الضمير راجع إلى الأيكة ومدين لأن شعيبا عليه الصلاة والسلام كان مبعوثا إليهما قال وإنما سمي الطريق إماما لأنه يؤم ويتبع ولأن المسافر يأتم به حتى يصير إلى الموضع الذي يريده

قوله عز وجل ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين قال المفسرون الحجر اسم واد كان يسكنه ثمود وهو بين المدينة النبوية والشام وآثاره باقية يمر عليها ركب الشام إلى الحجاز والمراد بالمرسلين صالح عليه الصلاة والسلام وحده وإنما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم أو لأنهم قد كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل **وآتيناهم آياتنا** يعني الناقة وولدها وهذه الآيات التي كانت في الناقة خروجها من الصخرة وعظم جثتها وقرب ولادتها وغزارة لبنها وإنما أضاف الآيات إليهم وإن كانت لصالح عليه الصلاة والسلام لأنه مرسل إليهم بهذه الآيات **فكانوا عنها** يعني عن الآيات **معرضين** يعني تاركين لها غير ملتفتين إليها **وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين** يعني خوفا من الخراب أو أن يقع عليهم ذلك الجبال إذا انشقت **فأخذتهم الصيحة** يعني العذاب **مصبحين** يعني وقت الصبح **فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون** يعني من الشرك والأعمال الخبيثة (ق) عن ابن عمر رضي الله عنه قال لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى جاوز الوادي والله أعلم

قوله عز وجل **وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق** يعني لإظهار الحق والعدل وهو إثابة المؤمن وعقاب الجاحد المكذب **وإن الساعة لآتية** يعني وإن القيامة لتأتي فيجازى المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته **فاصفح الصفح الجميل** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي فأعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفوا حسنا أي احتمل ما تلقى من أذى قومك ومدة الصفح والإعراض منسوخ بآية القتال وقيل فيه بعد لأن الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر الخلق الحسن وأن يعاملهم بالعفو والصفح الخالي عن الجزع والخوف **إن ربك هو الخلاق العليم** يعني أنه تعالى خلق خلقه وعلم ما هم فاعلوه وما يصلحهم قوله عز وجل **ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم** يعني أنه تعالى خلق خلقه وعلم ما هم فاعلوه وما يصلحهم قوله عز وجل قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى سبب نزولها أن سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد فيها أنواع من البز والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت لنا لتقوينا بها ولأنفقناها في سبيل الله تعالى فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال قد أعطيتكم سبع آيات هي خير من سبع قوافل ويدل على صحة هذا قوله تعالى ولا تمدن عينيك الآية قاله الحسين بن الفضل رضي الله تعالى عنه **قلت** وهذا القول ضعيف أو لا يصح لأن هذه السورة مكية بإجماع المفسرين وليس فيها من المدني شيء ويهود قريظة والنضير كانوا بالمدينة فكيف يصح أن يقال إن سبع قوافل جاءت في يوم واحد فيها أموال عظيمة فتمناها المسلمون فأنزل الله تعالى هذه الآية وأخبرهم أن السبع آيات خير من السبع قوافل والله تعالى أعلم وفي المراد بالسبع

المثاني اقوال احدها انها فاتحة الكتاب وهذا قول عمر وعلي وابن مسعود رضي الله تعالى عنهما وفي رواية عنه وابن عباس رضي الله تعالى عنه وفي رواية الاكثر عنه وابي هريرة والحسن وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهما وفي رواية عنه وعطاء وقتادة في آخرين ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ام القرآن وام الكتاب والسبع المثاني اخرجه ابو داود والترمذي **ق** عن ابي سعيد بن المعلى رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته اخرجه البخاري وفيه زيادة اما السبب في تسميته فاتحة الكتاب بالسبع المثاني لانها سبع آيات باجماع اهل العلم واختلفوا في تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة رضي الله تعالى عنهم لانها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لانها مقسومة بين العبد والله نصفين فنصفها الاول ثناء على الله تعالى ونصفها الثاني دعاء ويدل على صحة هذا التأويل ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين الحديث مذكور في فضائل الفاتحة وقيل سميت مثاني لانها كلماتها مثناة مثل قوله الرحمن الرحيم اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين فكل هذه الالفاظ مثناة وقال الحسين بن الفضل رضي الله تعالى عنه لانها قد نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون الف ملك وقال مجاهد لان الله تعالى استثناها وادخرها لهذه الامة فلم يعطها لغيرهم وقال ابو زيد البلخي رحمه الله تعالى لانها تثني اهل الشر عن الشر من قول العرب ثنيت عناني وقال الزجاج رحمه الله تعالى سميت فاتحة الكتاب مثاني لاشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله تعالى وتوحيده وملكه واذا ثبت ان الفاتحة هي السبع المثاني دل على فضلها وشرفها وانها من افضل سور القرآن لان افرادها بالذكر في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم مع انها جزء من اجزاء القرآن واحد سوره لا بد وان يكون في ذلك لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثاني في تفسير قوله سبعا من المثاني انها السبع الطوال وهذا قول ابن عمر وابن مسعود رضي الله عنهما وفي رواية عنه وابن عباس في رواية عنه وسعيد بن جبير في رواية عنه والسبع الطوال هي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف واختلفوا في السابعة فقال الانفال مع براءة لانهما كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا فيهما بسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة هي سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ما روي عن ثوبان رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى اعطاني السبع الطوال مكان التوراة واعطاني المئين مكان الانجيل واعطاني مكان الزبور المثاني وفضلني ربي بالمفصل اخرجه البغوي باسناد الثعلبي قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه انما سميت السبع الطوال مثاني لان الفرائض والحدود والامثال والخبر والعبرة تثنت فيها واورد على هذا القول ان هذه السور الطوال مدنيات غالبها فكيف يمكن ان تفسر هذه الآية بها وهي مكية واجيب عن هذا الايراد بان الله تعالى حكم في سابق علمه بانزال هذه السورة على النبي صلى الله عليه وسلم واذا كان الامر كذلك صح ان تفسر هذه الآية بهذه السورة هـ

القول الثاني ان السبع المثاني هي السور دون الطوال وفوق المفصل وهي المئين وحجة هذا القول الحديث المتقدم واعطاني المثاني مكان الزبور القول الرابع ان السبع المثاني هو القرآن كله وهذا قول طاووس وحجة هذا القول ان الله تعالى قال الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني لان الاخبار والقصص والامثال تثنت فيه **فان قلت** كيف يصح عطف القرآن في قوله والقرآن العظيم على قوله سبعا من المثاني وهل هذا الا عطف الشيء على نفسه **قلت** اذا عني بالسبع المثاني فاتحة الكتاب او السبع الطوال فما وراءهن يطلق عليه القرآن لان القرآن اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله تعالى بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف عليه الصلاة والسلام واذا عنيت بالسبع المثاني القرآن كله كان المعنى ولقد آتيناك سبعا من المثاني التي هي القرآن العظيم وانما سمي القرآن عظيما لانه كلام الله تعالى ووحيه انزله على خير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى **لا تمدن عينيك** الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي لا تمدن عينيك يا محمد **الى ما متعنا به ازواجا** يعني اصنافا **منهم** يعني من الكفار متمنيا لها نهى الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة اهلها عليها والمعنى انك قد اوتيت القرآن العظيم الذي فيه غنى عن كل شيء فلا تشغل قلبك وسرك بالالتفات الى الدنيا ومن الرغبة فيها **روي** ان سفيان بن عيينة تأول قول النبي صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقرآن فتأول هذه الآية وقيل انما يكون مادا عينيه الى الشيء اذا ادام النظر اليه مستحسنا له فتحصل من ذلك عند ذلك تمني الشيء المستحسن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الى شيء من متاع الدنيا ولا يلتفت اليه ولا يستحسنه **ولا تحزن عليهم** يعني ولا تغتم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا ولا تحزن عليهم انهم ان لم يؤمنوا وقيل فيه النهي عن الالتفات الى اموال الكفار والالتفات اليهم ايضا وروى البغوي بسنده عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بنعمته فانك لا تدري ما هو لاق بعد موته ان له عند الله تعالى قاتلا لا يموت قيل لابن مريم ما قاتلا لا يموت قال النار **ق** عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضل عليه في المال والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه لفظ البخاري ولمسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم قال عون بن عبد الله بن عتبة كنت اصحب الاغنياء فما كان احد اكثر هما مني كنت ارى دابة خيرا من دابتي وثوبا خيرا من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت الفقراء فاسترحت وقوله تعالى **واخفض جناحك** يعني لين جانبك **للمؤمنين** وارفق بهم لما نهاه الله تعالى عن الالتفات الى الاغنياء من الكفار امره بالتواضع واللين والرفق بفقراء المسلمين وغيرهم **وقل اني انا النذير المبين** لما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين امره بتبليغ ما ارسل به اليهم والنذارة هي تبليغ مع الخوف والمعنى اني انا النذير المبين بالعقاب لمن عصاني فهي انذار **كما انزلنا على المقتسمين** اي انذركم عذابا كعذاب انزلناه بالمقتسمين قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اراد بالمقتسمين اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد وقتادة سموا بذلك لانهم آمنوا ببعض

القرآن وكفروا ببعضه فما وافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة رضي
الله تعالى عنه انهم اقتسموا سور القرآن فقال واحد منهم هذه السورة لي وقال الآخر
هذه السورة لي وانما فعلوا ذلك استهزاء به وقال مجاهد رضي الله تعالى عنه انهم
اقتسموا كتبهم من بعضهم بعضا وكفروا ببعضها وكفر آخرون منهم بما آمن به غيرهم
وقال قتادة وابن السائب رضي الله تعالى عنهم سموا بالمقتسمين لان كفار قريش سموا بذلك
لانهم اقتسموا القرآن فقال بعضهم انه سحر وزعم بعضهم انه كهانة وزعم
بعضهم انه اساطير الاولين وقال ابن السائب سموا بالمقتسمين لانهم اقتسموا عقبات
مكة وطرقها وذلك ان الوليد بن المغيرة بعث رهطا من اهل مكة قيل ستة عشر
وقيل اربعين فقال لهم انطلقوا وتفرقوا على عقاب مكة وطرقها حيث يمر بكم اهل
الموسم فاذا سألوكم عن محمد فليقل بعضكم انه شاعر وليقل بعضكم انه ساحر وليقل بعضكم
انه كاهن فاذا جاء الموسم قد ذهبوا وقعدوا في عقاب مكة وطرقها يقولون
لمن مر بهم من حجاج العرب لا تغتروا بهذا الخارج الذي يدعي النبوة فانه مجنون
كاهن وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جاءوا وسألوه عما
قالوا اولئك المقتسمين قال صدقوا قوله تعالى **الذين جعلوا القرآن عضين**
خ عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه في قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين قال
هم اليهود والنصارى جزءوه اجزاء آمنوا ببعض وكفروا ببعض قيل هو جمع عضو من عضيت
الشيء اذا فرقته وجعلته اجزاء وذلك انهم لما جعلوا القرآن اجزاء متفرقة فقال بعضهم
هو سحر وقال بعضهم هو كهانة وقال بعضهم هو اساطير الاولين وقيل هو جمع عضة
وهو الكذب والبهتان وقيل المراد به العضه وهو السحر يعني انهم جعلوا القرآن سحرا
فوربك لنسألنهم اجمعين اقسم الله تعالى بنفسه انه يسأل هؤلاء المقتسمين
الذين جعلوا القرآن عضين **عما كانوا يعملون** يعني عما كانوا يقولون في القرآن
وقيل عما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي وقيل يرجع الضمير في لنسألنهم الى جميع
الخلق المؤمن وغيرهم ولان اللفظ عام فحمله على العموم اولى قال جماعة من اهل العلم
عن لا اله الا الله عن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى لنسألنهم
اجمعين عما كانوا يعملون عن قول لا اله الا الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب
وقال ابو العالية يسأل العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وعما ذا اجابوا
المرسلين **فان قلت** كيف الجمع بين قوله تعالى ولنسألنهم اجمعين وبين
قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان **قلت** قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنه لا يسألهم هل عملتم لانه اعلم بذلك منهم ولكن يقول لم عملتم كذا
واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعلام واما قوله تعالى فوربك لنسألنهم
اجمعين يعني سؤال التوبيخ والتقريع وجواب آخر وهو يروى عن ابن عباس رضي الله تعالى
عنهما انه قال في الآيتين ان يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف فيسألون في بعض المواقف
ولا يسألون في بعضها نظيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقال في آية اخرى
ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قوله تعالى **فاصدع بما تؤمر** قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنه اظهر ويروى عنه امضه وقال الضحاك اعلم واصل الصدع الشق
والفرق اي افرق بالقرآن بين الحق والباطل امر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية
باظهار الدعوة وتبليغ الرسالة التي ارسل اليهم قال عبد الله بن عبيدة ما زال النبي صلى الله عليه وسلم

مستخفيا

مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو واصحابه **واعرض عن المشركين** اي اكفف عنهم ولا تلتفت الى لومهم
على اظهار دينك وتبليغ رسالة ربك وقيل اعرض عن الاهتمام باستهزائهم وهو قوله تعالى **انا كفيناك
المستهزئين** ذكر المفسرون ان هذا الاعراض منسوخ باية القتال وقد قال بعضهم ما للنسخ وجه لان
الاعراض ترك المبالاة لهم والالتفات اليهم فلا يكون منسوخا قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين
يقول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم فاصدع بما امرتك به ولا تخف احدا غيري فاني انا
كافيك منهم وحافظك ممن عاداك فانا كفيناك المستهزئين وكانوا خمسة نفر من رؤساء كفار قريش
كانوا يستهزئون بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن العظيم وهم الوليد بن المغيرة المخزومي وكان رأسهم
والعاص بن وائل السهمي بن المطلب ابن الحرث بن اسد بن عبد العزى ابو زمعة وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم اعم بصره واثكله بولده والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف
ابن زهرة والحارث بن قيس بن الطلاطلة كذا ذكره البغوي قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى الحرث بن قيس
ابن عيطلة وقال الزهري رحمه الله تعالى عيطلة امه وقيس ابوه فهو منسوب الى امه قال المفسرون
رحمهم الله تعالى اتى جبريل عليه الصلاة والسلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمستهزءون يطوفون
بالبيت فقام جبريل عليه الصلاة والسلام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد بن
المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بئس عبد الله هو قال قد كفيته واومى الى ساق الوليد فمر الوليد
برجل من خزاعة نبال يريش نباله وعليه برد يماني وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من النبل بازار الوليد
فمنعه الكبر ان يطأطئ رأسه فينزعها وجعلت تضرب في ساقه فخدشته فمرض منها فمات ومر بهما العاص
ابن وائل السهمي فقال جبريل عليه الصلاة والسلام الى اخمص كذا رجله وقال قد كفيته وكيف تجد
هذا يا محمد قال بئس عبد الله فاشار جبريل عليه الصلاة والسلام الى اخمص قدميه وقال قد كفيته
فخرج العاص على راحلته يتنزه ومعه ابناه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطئ على شبرقة فدخلت
منها شوكة في اخمص رجله قال فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت رجله حتى صارت
مثل عنق البعير فمات مكانه ومر بهما الاسود بن المطلب فقال جبريل عليه الصلاة والسلام الى عينيه
وقال قد كفيته فعمي قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قد رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت
عينه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك وفي رواية الكلبي رحمه الله تعالى اتاه جبريل عليه الصلاة
والسلام وهو قاعد في اصل شجرة ومعه غلام له وفي رواية فجعل ينطح رأسه في الشجرة ويضرب وجهه
في الشوك فاستغاث بغلامه فقال له غلامه ما ارى احدا يصنع بك هذا غير نفسك فمات وهو
يقول قتلني رب محمد ومر بهما الاسود بن عبد يغوث فقال جبريل عليه الصلاة قد كفيته واشار الى بطنه
فاستسقى بطنه فمات وفي الكلبي انه خرج من اهله فاصابه سموم فاسود وجهه حتى صار حبشيا
فلم يعرفوه واغلقوا الباب دونه فمات وهو يقول قد قتلني رب محمد قال عبد سوء فاومى جبريل عليه
الصلاة والسلام الى رأسه وقال قد كفيته فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه
انه اكل حوتا مملحا فاصابه العطش فلم يزل يشرب حتى انقد بطنه فمات فذلك قوله تعالى انا
كفيناك المستهزئين يعني بك وبالقرآن **الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون** يعني
اذا نزل بهم العذاب ففيه وعيد وتهديد **قوله** تعالى **ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما
يقولون** يعني بسبب ما يقولون وهو ما كان يسمعه من الاستهزاء به والقول الفاحش والجبلة
البشرية تأبى ذلك فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر قال المفسرون ذلك امره بالتسبيح والعبادة
وهو قوله **فسبح بحمد ربك** قال ابن عباس رضي الله عنه فصل بامر ربك **وكن من الساجدين** يعني من
المتواضعين لله تعالى وقال الضحاك فسبح بحمد ربك قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين يعني

الجلد الثاني من تفسير

الخازن رحمه الله تعالى أمين

يعني من المصلين روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة قال بعض العارفين
من المحققين ان السبب في زوال الحزن عن القلب اذا اقبل العبد على العبادات انه يتنور باطنه ويشرق قلبه
وينشرح صدره فعند ذلك يعرف قدر الدنيا وحقارتها فلا يلتفت اليها ولا يأسف على فواتها
فيزول عنه الهم والغم والحزن عن قلبه قال بعض العلماء اذا نزل بالعبد مكروه ففزع الى الصلاة فكأنه
يقول يا رب يجب علي عبادتك سواء اعطيتني ما احب او كفيتني ما اكره فانا عبدك وبين يديك فافعل
بي ما شئت قوله تعالى **واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** يعني الموت الذي هو موقن به هو الذي لا يشك
فيه احد قال والمعنى واعبد ربك في جميع اوقاتك ومدة حياتك حتى يأتيك الموت وانت في عبادة
ربك وهذا مثل قوله تعالى في سورة مريم عليها الصلاة والسلام واوصاني بالصلاة والزكاة
ما دمت حيا وقد روى البغوي بسنده عن جبير بن نفير رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما اوحى الله تعالى الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحى الي
ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين وعن عمر رضي
الله تعالى عنه قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصعب بن عمير مقبلا
وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انظر الى هذا نور الله قلبه لقد رأيته بين ابويه يغذوانه
باطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها
او قال شريت له بمائتي درهم فدعاه حب الله
تعالى ورسوله الى ما ترون ذكره
البغوي بغير سند والله اعلم

تفسير سورة النحل

مكية إلا قوله تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به إلى آخر السورة فإنها نزلت بالمدينة في قتل حمزة قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنه وفي رواية أخرى عنه أنها مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إلى قوله يعملون وقال قتادة هي مكية إلا خمس آيات وهي قوله تعالى والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا وقوله تعالى ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وقوله وإن عاقبتم إلى آخر السورة زاد مقاتل وقوله من كفر بالله من بعد إيمانه وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الآية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها وهي مائة وثمان وعشرون آية وألفان وثمانمائة وأربعون كلمة وسبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **أتى أمر الله** يعني جاء ودنا وقرب أمر الله تقول العرب أتاك الأمر وهو متوقع بعد أي قرب مجيئه ومعنى الآية أتى أمر الله وعدا **فلا تستعجلوه** يعني وقوعا والمراد به مجيء القيامة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه لما نزلت قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض إن هذا الرجل يزعم أن القيامة قد قربت فأمسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما رأوا أنه لا ينزل شيئا قالوا ما نرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فأشفقوا فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فنزل أتى أمر الله فلا تستعجلوه فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤوسهم وظنوا أنها قد جاءت حقيقة فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا والاستعجال طلب الشيء قبل وقته ولما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بأصبعيه يمدهما أخرجاه في الصحيحين من حديث سهل بن سعد (ق) عن أنس رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل إحداهما على الأخرى وضم السبابة إلى الوسطى وفي رواية بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الأخرى قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه كان مبعث النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة ولما مر جبريل عليه الصلاة والسلام بأهل السموات مبعوثا إلى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا الله أكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالأمر هنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف وذلك أن النضر بن الحرث قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر صبرا انتهى **سبحانه وتعالى عما يشركون** يعني تنزه الله تعالى وتعاظم بالأوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون قوله تعالى **ينزل الملائكة بالروح** يعني بالوحي **من أمره** وإنما سمي الوحي روحا لأنه به تحيى القلوب من موت الجهالات

وفي العطايا بالنبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل عليه الصلاة والسلام والباء بمعنى مع يعني ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل عليه الصلاة والسلام **على من يشاء من عباده** يعني على من يصطفي من عباده يعني للنبوة والرسالة وتبليغ الوحي إلى الخلق **أن أنذروا** يعني بأن أعلموا **أنه لا إله إلا أنا فاتقون** أي فخافون وقيل معناه مروهم بقول لا إله إلا الله منذرين أي مخوفين بالقرآن لهم قوله تعالى **خلق السموات والأرض بالحق تعالى عما يشركون** تقدم تفسيره **خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين** يعني أنه جدل بالباطل بين الخصومة نزلت هذه الآية في أبي بن خلف وكان ينكر البعث جاء بعظم رميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتزعم أن الله تعالى يحيي هذا العظم بعد ما رم فنزلت هذه الآية ونزل أيضا فيه قال من يحيي العظام وهي رميم والصحيح أن الآية عامة في كل ما يقع في الدنيا من الخصومة ويوم القيامة وحملها على العموم أولى وفيها بيان القدرة وأنه خلق الإنسان من نطفة قذرة فصار خصيما أكثر الخصومة وفيها كشف قبيح على ما فعله الكفار من جحدهم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم **قوله تعالى والأنعام خلقها لكم** لما ذكر الله تعالى أنه خلق السموات والأرض ثم أتبعه بذكر خلق الإنسان أتبعه بذكر ما ينتفع به في ضروراته ولما كان أعظم ضرورات الإنسان إلى الأكل وإلى اللباس الذي يقوم بهما بدن الإنسان بدأ بذكر الحيوان المنتفع به في ذلك وهو الأنعام فقال تعالى والأنعام خلقها لكم فيها دفء وهي الإبل والبقر والغنم قال الواحدي تم الكلام عند قوله والأنعام خلقها لكم ثم ابتدأ فقال تعالى لكم **فيها دفء** قال ويجوز أيضا أن يكون تمام الكلام عند قوله لكم ثم ابتدأ فقال فيها دفء قال صاحب النظم أحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله ولكم فيها جمال أو عند قوله خلقها ثم يبتدي بقوله لكم فيها دفء والدليل على أنه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال ولما كان منافع الأنعام فيها ضرورية وفيها غير ضرورية بدأ الله تعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دفء وهو ما يستدفأ به من اللباس والأكسية ونحوها المتخذة من الأصواف والأوبار والأشعار الحاصلة من النعم **ومنافع** يعني النسل والدر والركوب والحمل عليها وسائر ما ينتفع به من الأنعام **ومنها تأكلون** يعني من لحومها **فإن قلت** قوله ومنها تأكلون يفيد الحصر لأن تقديم الظرف يؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها قلت الأكل من هذه الأنعام هو الذي يعتمده الناس في معايشهم وأما الأكل من غيرها كالدجاج والإوز وصيد البر والبحر فغير معتد به في الأغلب وإنما يجري مجرى التفكه به فخرج قوله ومنها تأكلون مخرج الأغلب في الأكل من هذه الأنعام فإن قلت منفعة الأكل مقدمة على منفعة اللباس فلم قدمت منفعة اللباس قلت منفعة اللباس أكثر وأعظم فلهذا قدم على الأكل وقوله تعالى **ولكم فيها** يعني في الأنعام **جمال** أي زينة **حين تريحون** يعني حين تردونها بالعشي إلى مراحها حين تأوي إليه بالليل ويقال سرح القوم إبلهم سرحا **وحين تسرحون** إذا أخرجوها بالغداة إلى المرعى قال أهل اللغة وأكثر ما يكون هذه الراحة أيام الربيع إذا سقط الغيث ونبت العشب والكلأ وخرجت العرب للنجعة وأحسن ما يكون النعم في ذلك الوقت فمن الله تعالى بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لأنه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معظمها لأن الرعاة إذا سرحوا النعم بالغداة إلى المرعى وروحوها بالعشي إلى الأفنية والبيوت يسمع للإبل رغاء وللشاء ثغاء أي يجاوب بعضها بعضا فعند ذلك يفرح أربابها ويتجمل بها الأفنية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس **فإن قلت** لم قدمت الإراحة على التسريح قلت لأن الجمال في الإراحة وهي رجوعها إلى البيوت أكثر منها وقت التسريح لأن النعم تقبل من المرعى ملأى البطون حافلة الضروع فيفرح أهلها بها بخلاف تسريحها إلى المرعى فإنها تخرج جائعة البطون ضامرة الضرع من اللبن ثم تأخذ في التفرق والانتشار للرعي في البرية فانتقض بهذا البيان أن الجمال في الإراحة أكثر من التسريح فوجب تقديمه وقوله تعالى **وتحمل أثقالكم** الأثقال جمع ثقل وهو متاع السفر وما يحتاج إليه

لبط

من الابل للسفر إلى بلد يعني غير بلده قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه هذا القول لانه خطاب لاهل مكة واكثر تجارتهم واسفارهم إلى اليمن والشام وحمله على العموم أولى لانه خطاب عام فيدخل فيه الكافة في تخصيصه ببعض المخاطبين لم تكونوا بالغيه يعني بالغي ذلك البلد الذي تقصدونه إلا بشق الأنفس يعني بالمشقة وقيل بالجهد والعناء والتعب قال والشق نصف الشيء قال والمعنى على هذا لم تكونوا بالغيه إلا بانتقاص قوة النفس وذهاب نصفها إن ربكم لرؤف رحيم يعني بخلقه حيث خلق لهم هذه المنافع قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها هذه الآية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لاجل أن تركبوها والخيل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالابل والرهط والنساء وزينة يعني وجعلها زينة مع المنافع التي فيها والله تعالى أعلم

فصل

احتج بهذه الآية من يرى تحريم أكل الخيل وهو قول ابن عباس رضي الله عنه وتلا هذه الآية وقال هذه للركوب وإليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله تعالى واستدلوا أيضا بأن منفعة الأكل أتم من منفعة الركوب فلما لم يذكره الله تعالى علمنا تحريم أكله فلو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذكر لأن الله تعالى خص الأنعام بالأكل حيث قال ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعلمنا أنها مخلوقة للركوب لا للأكل وذهب جماعة من أهل العلم رضي الله تعالى عنهم إلى إباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشريح وعطاء وسعيد بن جبير رضي الله تعالى عنهم أجمعين وإليه ذهب الشافعي وأحمد وإسحاق واحتجوا على إباحة لحوم الخيل بما روي عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما أنها قالت ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة فأكلناه أخرجه البخاري ومسلم ق عن جابر رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية وأذن في الخيل وفي رواية أخرى قال أكلنا زمن خيبر لحوم الخيل وحمر الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحمار الأهلي هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية أبي داود أنه قال ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد أصابتنا مخمصة فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل وأجابوا عن إباحة لحوم الخيل عن هذه الآية فإن ذكر الركوب والزينة لا يدل على أن منفعتها مختصة بذلك وإنما خص هاتان المنفعتان بالذكر لأنهما معظم المقصود قالوا ولهذا سكتت عن حمل الأثقال على الخيل مع قوله في الأنعام وتحمل أثقالكم ولم يدل ذلك على تحريم حمل الأثقال على الخيل وقد قال البغوي رحمه الله تعالى كما نقل عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة وغيرهما ليس المراد من الآية هنا التحليل والتحريم بل المراد تعريف الله تعالى عباده نعمه عليهم بتنبيههم على كمال قدرته وحكمته وأنه القادر على كل شيء ونقل عن أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه نحو الذي قالت والدليل الصحيح المعتمد عليه في إباحة لحوم الخيل إذ السنة مبينة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضي أن الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الأكل مسكوتا عنه دار الأمر فيه على الإباحة والتحريم فوردت السنة بإباحة الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير أخذنا بها جمعا بين النصين والله تعالى أعلم قوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون لما ذكر الله تعالى الحيوانات التي ينتفع بها الإنسان في جميع حاجاته وضروراته على سبيل التفصيل ذكر بعدها ما لا ينتفع فيه الإنسان في الغالب على سبيل الإجمال فقال تعالى ويخلق ما لا تعلمون فما أعد الله تعالى لأهل الجنة ولأهل النار في النار مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله ويخلق ما لا تعلمون السوس في النبات والدود في الفواكه قوله عز وجل وعلى الله قصد السبيل القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد إذا أدى إلى مطلوبه وفي الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالآيات والبراهين ومنها جائر يعني ومن السبيل سبيل جائر على الاستقامة بل هو معوج فالقصد من السبيل هو دين الإسلام والجائر منها اليهودية

والنصرانية

والنصرانية وسائر ملل الكفر قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه قصد السبيل بيان الفرائض والشرائع وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائر الأهواء والبدع ولو شاء لهداكم أجمعين فيه دليل على أن الله تعالى لو شاء هداية الكفار وما أراد منهم الإيمان لأن كلمة لو تفيد انتفاء الشيء لانتفاء غيره فقوله ولو شاء لهداكم أجمعين معناه ولو شاء هدايتكم لهداكم أجمعين قوله عز وجل هو الذي أنزل من السماء ماء لما ذكر الله تعالى نعمه على عباده بخلق الحيوانات لأجل الانتفاع والزينة أعقبه بذكر إنزال المطر من السماء وهو أعظم النعم على عباده فقال وهو الذي أنزل يعني فإن الله الذي خلق جميع الأشياء هو الذي أنزل من السماء ماء يعني المطر لكم منه يعني من ذلك الماء شراب يعني تشربونه ومنه شجر يعني من ذلك الماء فيه الشجر والشجر في اللغة ما له ساق من نبات الأرض وقد نقل الواحدي عن أهل اللغة أنهم قالوا الشجر أصناف فأما جل الشجر فعظامه التي تبقى وأما ورق الشجر فصنفان أحدهما يبقى له أرومة في الشتاء وينبت في الربيع ومنها ما لا يبقى له ساق في الشتاء كالبقول وقال أبو إسحاق كل ما ينبت على الأرض فهو شجر وأنشد يطعمها اللحم إذا عز الشجر أراد أنهم يسقون الخيل اللبن إذا أجدبت الأرض وقال ابن قتيبة في هذه الآية إنه ينبت بالماء الذي ينزل من السماء المرعى للراعية من ورق الشجر لأن الإبل ترعى كل الشجر فيه يعني في الشجر تسيمون يعني ترعون مواشيكم يقال أسمت السائمة إذا خليتها ترعى وسامت إذا رعت حيث شاءت ينبت لكم أي ينبت الله لكم وقرئ ننبت على التعظيم لكم به أي بذلك الماء الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات لما ذكر الله تعالى في الحيوان تفصيلا وإجمالا ذكر في الثمار تفصيلا وإجمالا فابتدأ بذكر الزرع وهو الحب الذي يقتات به كالحنطة والشعير وما أشبههما وذلك لأنه به قوام بدن الإنسان وثنى بذكر الزيتون لما فيه من الأدم والدهن والبركة فيه وثلث بذكر النخل لأن ثمرها غذاء وفاكهة وختم بذكر الأعناب لأنه شبه النخل في المنفعة من التفكه والأغذية ثم ذكر سائر الثمرات إجمالا لينبه بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده فقال تعالى إن في ذلك يعني الذي ذكر من أنواع الثمار لآية يعني علامة دالة على قدرتنا ووحدانيتنا لقوم يتفكرون يعني فيما ذكر من دلائل قدرته ووحدانيته قوله تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم قد تقدم تفسيره في سورة الأعراف مسخرات يعني مذللات مقهورات تحت قهره وإرادته وفيه دليل رد على الفلاسفة والمنجمين لأنهم يعتقدون أن هذه النجوم هي الفعالة المتصرفة في العالم السفلي فأخبر الله تعالى أن هذه النجوم مسخرات في نفسها مذللات بأمره يعني لأمر ربها مقهورات تحت قهره يصرفها كيف يشاء ويختار وإنما ليس لها تصريف في نفسها فضلا عن غيرها ولما خلق الله عز وجل هذه النجوم وجعلها مسخرة لمنافع عباده ختم هذه الآية بقوله تعالى إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون يعني أن كل من كان له عقل سليم صحيح علم أن الله تعالى هو الفعال المختار وأن جميع الخلق تحت قهره وقدرته وتسخيره لما أراد منهم وما ذرأ لكم في الأرض يعني وما خلق لكم في الأرض وبث فيها لأجلكم من الدواب والأنعام والأشجار والثمار مختلفا ألوانه يعني في الخلقة والهيئة والكيفية واختلاف ألوانها في المخلوقات مع كثرتها حتى لا يشبه بعضها بعضا من كل الوجوه وفيه دليل على كمال قدرة الله تعالى ولذلك ختم هذه الآية بقوله إن في ذلك لآية لقوم يذكرون يعني أنهم يعتبرون بذلك قوله تعالى وهو الذي سخر البحر لما ذكر الله تعالى الدلائل الدالة على قدرته ووحدانيته من خلق السموات والأرض وخلق الإنسان من نطفة وخلق سائر الحيوانات والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من آثار قدرته وعجائب صنعته وذكر إنعامه في ذلك على عباده ذكر بعد ذلك إنعامه على عباده بتسخير البحر لهم نعمة عليهم من الله تعالى ومعنى تسخير الله البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الإنسان من الانتفاع به إما بالركوب عليه أو بالغوص فيه أو الصيد منه فذكر هذه الثلاثة أقسام من أنواع الانتفاع به فقال تعالى وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحما طريا فبدأ بذكر الأكل لأنه أعظم المقصود لأن به قوام البدن وفي ذكر الطري مزيد فائدة دالة على كمال

قدرة الله تعالى وذلك ان السمك لو كان كله مالحا لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطري لانه لما خرج
من البحر الملح الزعاق الحيوان الطري الذي لحمه في غاية العذوبة علم انه انما حدث بخلق الله تعالى وقدرته
لا بحسب الطبع وعلم بذلك ان الله تعالى قادر على اخراج الضد من الضد المنفعة الثانية قوله تعالى
وتستخرجوا منه حلية تلبسونها يعني اللؤلؤ والمرجان كما في قوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان يلبسهم لباس نسائهم
لان زينة النساء بالحلي انما هو لاجل الرجال فكان ذلك زينة لهم المنفعة الثالثة قوله تعالى وترى الفلك
يعني السفن مواخر فيه يعني جواري قاله ابن عباس وقال قتادة اي مقبلة ومدبرة وذلك انك ترى سفينتين
احداهما مقبلة والاخرى مدبرة تجريان بريح واحدة واصل المخر في اللغة الشق يقال مخرت السفينة مخرا
اذا شقت الماء بجؤجؤها وقال مجاهد تمخر الرياح السفن يعني اذا جرت سمع لها صوت قال ابو
عبيدة يعني صوائح والمخر صوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن يعني مواقر اي مملوءة متاعا ولتبتغوا
من فضله يعني الارباح بالتجارة في البحر ولعلكم تشكرون يعني انعام الله تعالى عليكم اذا رأيتم نعم الله
تعالى فيما سخر لكم وألقى في الارض رواسي يعني جبالا ثابتة ان تميد بكم يعني لئلا تميل وتضطرب بكم والميد
هو اضطراب الشيء العظيم كالارض وقال وهب لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور وتتحرك فقالت الملائكة
ان هذه غير مقرة على ظهرها احدا فاصبحوا وقد ارسيت بالجبال فلم تدر الملائكة مم خلقت وانهارا يعني وجعل
فيها انهارا لان في القى معنى الجعل كقوله تعالى والقيت عليك ولما ذكر الله تعالى الجبال ذكر
بعدها الانهار واصولها تكون من الجبال وسبلا يعني وجعل فيها طرقا مختلفة تسلكونها
في اسفاركم والتردد في حوائجكم من بلد الى بلد ومن مكان الى مكان لعلكم تهتدون يعني بتلك
السبل الى ما تريدون فلا تضلون وعلامات يعني وجعل فيها علامات يهتدون بها في اسفاركم
قال بعضهم تم الكلام عند قوله وعلامات ثم ابتدأ وبالنجم هم يهتدون وقال
محمد بن كعب والكلبي ومن اراد بالعلامات الجبال فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل
وقال مجاهد اراد بالنجوم فمنها ما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدي اراد بالنجوم
الثريا وبنات النعش والفرقدين والجدي فهذه يهتدى بها الى الطرق والقبلة قال قتادة انما
خلق الله تعالى النجوم لثلاثة اشياء لتكون زينة السماء وعلامة الطرق ورجوما للشياطين فمن قال
غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق لما ذكر الله تعالى من عجائب
قدرته وعجائب صنعته وبديع خلقه ما ذكر على الوجه الاحسن والترتيب الاكمل وكانت هذه
الاشياء المخلوقة المذكورة في الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته
وانه تعالى هو المتفرد بخلقها جميعها على سبيل الانكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه
الاصنام العاجزة التي لا تخلق شيئا البتة لانها جمادات لا تقدر على شيء فكيف يليق بالعاقل
ان يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله تعالى الخالق لهذه الاشياء كلها
ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله أفلا تذكرون يعني ان هذا القدر ظاهر غير خاف على احد
فلا يحتاج فيه الى دقيق الفكر والنظر بل مجرد التذكر فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر فان قلت في
الآية هنا سؤال لان الاول لمن لا يخلق المراد به الاصنام وهي جماد لا يعقل فكيف يعبر عنها بلفظة
من وهي لمن يعقل والجواب عنه ان الكفار لما سموا هذه الاصنام آلهة وعبدوها اجريت مجرى من يعقل
في زعمهم الا ترى بعد قوله تعالى في هذه الآية والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا فخاطبهم
الله تعالى على قدر زعمهم وعقولهم السؤال الثاني قوله تعالى أفمن يخلق كمن لا يخلق المقصود منه
الزام الحجة على من عبد الاصنام حيث جعل ذلك الخالق مثل الخالق فلم يكن على سبيل الاستفهام
بل المراد منه ان من خلق الاشياء العظيمة واعطى هذه النعم الجزيلة كيف يسوى بينه وبين هذه الجمادات
الخسيسة في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعاقل ترك عبادة من يستحق العبادة لانه خالق هذه

الاشيا

الاشيا الثمينة والله تعالى اعلم قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني ان اي نعم الله تعالى على العبد فيما
خلق الله تعالى على العبد من صحة البدن وعافية الجسم واعطاء الجسم الصحيح والنظر الصحيح والعقل السليم والسمع
والفهم الذي يفهم به الاشياء وبطش اليدين ومشي الرجلين الى غير ذلك مما انعم الله تعالى به في نفسه وفيما
انعم عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج اليه من امور الدين والدنيا حتى لو رام احد معرفة ادنى نعمة من هذه النعم
لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمه العظام التي لا يمكن الوصول الى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله تعالى وان
تعدوا نعمة الله لا تحصوها يعني ولو اجتهدتم في ذلك واتعبتم نفوسكم فلا تقدروا عليه ان الله لغفور رحيم
يعني لتقصيركم في القيام بشكر نعمه كما يجب عليكم رحيم بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب
التقصير والمعاصي والله يعلم ما تسرون وما تعلنون ان الكفار مع كفرهم كانوا يسرون اشياء وهو انهم كانوا
يمكرون بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعني وما يظهرون من اذاه فاخبرهم الله تعالى انه عالم
بكل احوالهم سرها وعلانيتها لا يخفى عليه خافية وان دقت وخفيت وقيل ان الله تعالى لما ذكر
الاصنام وذكر عجزها في الآية المتقدمة وذكر في هذه الآية ان الاله الذي يستحق العبادة يجب ان
يكون عالما بكل المعلومات سرها وعلانيتها وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم
هذه الاصنام بصفات فقال تعالى والذين يدعون من دون الله يعني الاصنام يدعونها من دون الله تعالى
لا يخلقون شيئا وهم يخلقون فان قلت قوله في الآية المتقدمة أفمن يخلق كمن لا يخلق يدل على ان هذه
الاصنام التي يدعونها الكفار من دون الله تعالى لا تخلق شيئا وقوله هنا لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
وهذا هو نفس المعنى المذكور في الآية وهذا هو نفس المعنى المذكور في الآية المتقدمة قلت ان المذكور في
الآية المتقدمة انهم لا يخلقون شيئا فقط والمذكور في هذه الآية انهم لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
لغيرهم فكان هذا زيادة في المعنى وهو فائدة التكرار أموات اي جمادات ميتة لا حياة فيها غير احيا
يعني كغيرها والمعنى لو كانت هذه الاصنام آلهة كما تزعمون لكانت احيا غير جائز الموت لان الاله
الذي يستحق ان يعبد هو الحي الذي لا يموت ولما كانت هذه اموات غير احيا فلا تستحق العبادة فمن عبدها
فقد وضع العبادة في غير موضعها قوله تعالى وما يشعرون يعني هذه الاصنام أيان يبعثون
وفيه دليل على ان الاصنام يجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تتبرأ من عابديها وقيل معناه ما يدري
الكفار الذين عبدوا الاصنام متى يبعثون قوله تعالى إلهكم إله واحد يعني الذي يستحق العبادة هو
اله واحد وبطل ان الاصنام متعددة فكيف تستحق العبادة فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم
منكرة يعني جاحدة لهذا المعنى وهم مستكبرون يعني عن اتباع الحق عن ابن مسعود رضي
الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل
ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنة قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق
وغمط الناس فصل بطر الحق هو ان يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا وقيل هذا
قول من جعل اصل البطر الشق ومعناه انه شق امر الحق من توحيده وعبادته باطلا ومن جعل
اصل البطر الباطل ومن جعله من التكبر فمعناه انه يتكبر عن سماع الحق وقبوله وغمط الناس
يقال غمطت فلانا اذا احتقرته ولم تره شيئا وكذلك غمصه اذا استصغرته وازدريته
قوله عز وجل وإذا قيل لهم يعني لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها
وطرقها اذا سألهم الحاج الذين يقدمون عليهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين يعني
احاديثهم واباطيلهم ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة اللام في ليحملوا لام العاقبة وذلك
انهم لما وصفوا القرآن بكونه اساطير الاولين كان عاقبتهم بذلك ان يحملوا اوزارهم يعني ذنوبهم
كاملة يعني الكاملة لان البلايا التي اصابتهم في الدنيا واعمال البر التي عملوها في الدنيا لا تكفر عنهم شيئا يوم
القيامة بل يعاقبون بكل اوزارهم قال الامام فخر الدين الرازي وهذا يدل على ان الله تعالى قد يسقط

بعض العقاب على المومنين اذ لو كان هذا المعنى حاصلا في حق الكل لم يكن التخصيص بقوله الا الكفار
بهذا التكوين فايدة قوله تعالى **ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم** يعني ويحمل الروسا الذين يضلون
غيرهم وصدوهم عن الايمان مثل اوزار الاتباع قال والسبب فيه ما روي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص
ذلك من اجورهم شيا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل اثام من تبعه لا ينقص ذلك من
اثامهم شيا اخرجه مسلم يعني الاية والحديث ان الرئيس والكبير اذا سن على سنة حسنة او سنة
قبيحة فتبعه عليها جماعة فعملوا بها فان الله تعالى يعظم ثوابه وعقابه حتى يكون ذلك الثواب
والعقاب معادلا لكل ما يستحقه كل واحد من الاتباع الذين عملوا بالسنة الحسنة او القبيحة
وليس المراد ان الله تعالى يوصل جميع الثواب او جميع العقاب الذي يستحقه الاتباع الى الروسا لان ذلك
بعيد عن عدل الله تعالى ويدل عليه **قوله** تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى وقوله تعالى وان ليس للانسان
الا ما سعى قال الواحدي ولفظ من في قوله تعالى ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم ليست للتبعيض
لانها لو كانت للتبعيض لنقص عن الاتباع بعض الاوزار وذلك غير جائز لقوله عليه الصلاة والسلام
لا ينقص ذلك من اثامهم شيا ولكنها للجنس اي ليحملوا من جنس اوزار الاتباع فقوله بغير علم
يعني الروسا انما يقدمون على اضلال غيرهم بغير علم اي بما يستحقونه من العقاب على ذلك
الاضلال بل يقدمون على ذلك جهلا منهم بما يستحقونه من العذاب الشديد **الا ساء ما يزرون**
يعني الا بيس ما يحملون ففيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى **قد مكر الذين من قبلهم** يعني من قبل
كفار قريش وهو نمرود بن كنعان الجبار وكان اكبر ملوك الارض في زمن ابراهيم عليه السلام وكان من مكره
انه بنى صرحا ببابل ليصعد الى السما ويقاتل اهلها في زعمه قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وكان
طول الصرح في السما خمسة الاف ذراع وقال كعب كان طوله فرسخين فهبت ريح فقصفته والقت
راسه في البحر وخر عليهم الباقي فاهلكهم وهم تحته ولما سقط تبلبلت السنة الناس من الفزع فتكلموا
يوميذ بثلاثة وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل وكان لسان الناس قبل ذلك السريانية قلت
هكذا ذكره البغوي رحمه الله تعالى وفيه نظر لان صالحا عليه الصلاة والسلام كان قبله وكان
يتكلم بالعربية وكان اهل اليمن عربا منهم الذين نشا صالح عليه السلام بينهم وتعلم منهم العربية وكان قبايل
من العرب قديمة قبل ابراهيم عليه الصلاة والسلام مثل طسم وجديس ولام وكل ذلك من العرب فتكلموا
من قديم الزمان بالعربية فلا يدل على صحة هذا قوله تعالى قد مكر الذين من قبلهم على العموم اولى فتكون
الاية عامة في جميع الماكرين المبطلين الذين يحاولون الحاق الضر والمكر بالغير قوله تعالى **فاتى الله**
بنيانهم من القواعد يعني قصد تخريب بنيانهم من اصوله وذلك بان اتاهم بريح فقصفت بنيانهم
من اعلاه واتاهم بالزلازل فقلعت بنيانهم واساسهم هذا اذا حملنا تفسير الاية على القول الاول وهو
ظاهر اللفظ وان حملنا تفسير الاية على القول الثاني وهو حملها على العموم كان المعنى انهم لما رتبوا منصوبا
ليمكروا بها على انبيا الله تعالى واهل الحق من عباده فاهلكهم الله تعالى وجعل هلاكهم مثل هلاك قوم بنوا
بنيانا وثيقا شديدا ودعموه بالاساطين فانهدم ذلك البنيان وسقط عليهم فاهلكهم وهو مثل ضربه
الله تعالى لمن مكر بآخر فاهلكه الله تعالى بمكره ومنه المثل السائر على السنة الناس من حفر لاخيه بيرا
اوقعه الله فيه **قوله تعالى** **فخر عليهم السقف من فوقهم** يعني سقط عليهم السقف فاهلكهم وقوله من
فوقهم للتاكيد لان السقف لا يخر الا من فوقهم وقيل يحتمل انهم لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه
فلما قال من فوقهم علم انهم كانوا تحته وانه لما خر عليهم اهلكهم وماتوا تحته **واتاهم العذاب من حيث**
لا يشعرون يعني من مامنهم وذلك انهم لما اعتمدوا على قوة بنيانهم وشدته كان ذلك البنيان سبب هلاكهم
ثم يوم القيامة يخزيهم يعني يهينهم بالعذاب فيحصل لهم الخزي في الدنيا وفي الاخرة لان الخزي هو العذاب

مع ذلك الهوان **ويقول** يعني ويقول الله تعالى لهم **اين شركاي** يعني في زعمكم واعتقادكم **الذين كنتم**
تشاقون فيهم يعني كنتم تعادون وتخالفون المومنين وتخاصمونهم في شانهم لان المشاقة عبارة عن كون كل
احد من الخصمين في شق غير شق صاحبه والمعنى ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا عنكم اي ما نزل بكم من العذاب
والهوان **قال الذين اوتوا العلم** يعني المومنين وقيل الملائكة عليهم الصلاة والسلام **ان الخزي** يعني
الهوان **اليوم** يعني في هذا اليوم وهو يوم القيامة **والسوء** يعني العذاب **على الكافرين** وانما
يقول المومنون هذا يوم القيامة لان الكفار يستهزؤن بالمومنين في الدنيا وينكرون عليهم احوالهم
فاذا كان يوم القيامة ظهر اهل الحق واكرموا بانواع الكرامات وذهب اهل الباطل وعذبوا بانواع العذاب
فعند ذلك يقول المومنون ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين وفايدة هذا القول اظهار الشماتة بهم
فتكون اعظم في ذلك الهوان والخزي **قوله تعالى** **الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم**
يعني تقبض ارواحهم اي الملائكة وهو ملك الموت واعوانه وهم ظالمي انفسهم بالكفر **فالقوا السلم** يعني استسلموا
وانقادوا لامر الله تعالى الذي نزل بهم وقالوا **ما كنا نعمل من سوء** يعني شركا وقالوا ذلك من شدة الخوف
بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون يعني فلا فايدة لكم في انكاركم قال عكرمة عني بذلك من قتل من الكفار
يوم بدر **فادخلوا** اي يقال لهم ادخلوا **ابواب جهنم خالدين فيها** يعني مقيمين فيها لا يخرجون منها وانما
قال ذلك لهم ليكون اعظم في الحزن والغم وفيه دليل على ان الكفار بعضهم اشد عذابا من بعض **فلبيس**
مثوى المتكبرين يعني عن الايمان قوله عز وجل **وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا** وذلك
ان احيا العرب كانوا يبعثون الى مكة ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جا الوافد
سال الذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر كاهن شاعر مجنون واذا لم تلقه خير
لك فيقول الوافد انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان ادخل مكة والقاه فيدخل مكة فيرى اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسالهم عنه فيخبرونه بصدقه وامانته وانه نبي مبعوث من الله تعالى فذلك
قوله تعالى وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا الاية يعني الذين اتقوا الشرك وقول الزور والكذب يعني انزل
خيرا **فان قلت** لم رفع الاول وهو قوله اساطير الاولين ونصب الثاني وهو قوله خيرا قلت
ليحصل الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد وجواب المقر المومن وذلك انهم لما سالوا الكفار
عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السوال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال في شي ولما سالوا المومنين
عن المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السوال بينا مكشوفا مفعولا
للانزال فقالوا خيرا اي انزل خيرا وتم الكلام عند قوله خيرا ثم وقف ثم ابتدا بقوله **للذين**
احسنوا في هذه الدنيا حسنة يعني للذين اتوا بالاعمال الصالحة الحسنة لهم ثواب حسنة مضاعفة
من الواحدة الى العشرة الى سبعماية الى اضعاف كثيرة وقال الضحاك هي النصر والفتح وقال مجاهد
هي الرزق الحسن وعلى هذا يكون ذلك للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة
وهي النصر والفتح والرزق وغير ذلك مما انعم الله تعالى على عباده في الدنيا ويدل على هذا قوله
تعالى **ولدار الاخرة خير** يعني الجنة **ولنعم دار المتقين** وقال الحسن هي الدنيا لان اهل التقوى يتزودون منها
الى الاخرة والقول الاول اصح وهو قول جمهور المفسرين لان الله تعالى فسر هذه الاية بقوله **جنات**
عدن يعني بساتين اقامة من قولهم عدن بالمكان اذا اقام به **يدخلونها** يعني بساتين
يعني تلك الجنات يعني هم لا يرحلون منها ولا يخرجون منها **تجري من تحتها الانهار** يعني
تجري الانهار خلال الجنات تحت دور اهلها وقصورهم ومساكنهم **لهم فيها ما يشاون** يعني لاهل الجنة فيها
يعني ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين من زيادة على ذلك وفي هذه الجملة دليل على ان الانسان لا يحصل له كل ما يريده الا في الجنة لان
قوله لهم فيها ما يشاون يفيد الحصر وذلك يدل على ان الانسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا
كذلك يجزي الله المتقين اي هكذا يكون جزا المتقين ثم عاد الى وصف المتقين فقال
تعالى **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين** يعني مومنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية اقوالهم

دافعا له وقوله ان قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه انهم اتوا بكل ما امروا به من فعل
الخيرات ومن الطاعات واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرمات مع الاخلاق الحسنة والخصال
الحميدة والمباعدة من الاخلاق الذميمة والخصال المكروهة القبيحة وقيل ان معناه ان اوقاتهم تكون
طيبة سهلة لانهم يبشرون عند قبض ارواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك السرور
والفرح والابتهاج فيسهل عليهم قبض ارواحهم ويطيب عليهم الموت على هذه الحالة **يقولون** يعني
الملائكة لهم **سلام عليكم** يعني يسلم عليهم الملائكة ويبلغهم السلام من الله تعالى **ادخلوا الجنة بما كنتم**
تعملون يعني في الدنيا من الاعمال الصالحة **فان قلت** كيف يجمع بين قوله ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون
وبين قوله صلى الله عليه وسلم لن يدخل الجنة احدكم بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان
يتغمدني الله برحمته وفضله اخرجه في الصحيحين من حديث ابي هريرة رضي الله عنه قلت قال الشيخ العلامة
محيي الدين النووي رحمه الله تعالى اعلم ان مذهب اهل السنة انه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا
ايجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من انواع التكليف ولا يثبت شيء من الاشياء ولا غيرها الا بنقل عنه
بالشرع ومذهب اهل السنة ايضا ان الله لا يجب عليه شيء بل العالم كله ملكه والدنيا والآخرة في
سلطانه يفعل فيهما ما يشاء ولو عذب المطيعين والصالحين اجمعين وادخلهم النار كان ذلك منه
عدلا واذا اكرمهم وادخلهم الجنة كان ذلك منه فضلا ولكنه تعالى اخبر وخبره صدق انه لا يفعل هذا بل
يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه **واما المعتزلة** فيثبتون
الاحكام بالعقل ويوجبون ثواب الاعمال ويوجبون الاصلح في خبط طويل لهم تعالى الله عن اختراعاتهم
علوا كبيرا واما قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ونحوها من الآيات التي تدل على ان الاعمال الصالحة
يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات ان دخول الجنة بسبب الاعمال ثم التوفيق
للهداية والاعمال للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح انه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو
مراد الحديث ويصح انه دخل بالاعمال اي بسببها وهي من الرحمة والفضل والمنة والله تعالى اعلم بمراده
قوله تعالى **هل ينظرون** يعني هؤلاء الذين اشركوا بالله وجحدوا نبوتك يا محمد **الا ان تأتيهم الملائكة** يعني
لقبض ارواحهم **او يأتي امر ربك** يعني بالعذاب في الدنيا وهو عذاب الاستئصال وقيل المراد
يوم القيامة **كذلك فعل الذين من قبلهم** يعني من الكفر والتكذيب **وما ظلمهم الله** يعني بتعذيبه اياهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني فاصابهم باكتسابهم الكفر والاعمال القبيحة الخبيثة **فاصابهم**
سيئات ما عملوا يعني فاصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الاعمال الخبيثة **وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون**
قال الواحدي يعني نزل بهم جزاء استهزائهم **وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا**
آباؤنا ولا حرمنا يعني ان مشركي مكة قالوا هذا على طريق الاستهزاء والحاصل انهم تمسكوا بهذا القول في
انكار النبوة فقالوا لو شاء الله لحصل حسنا اولم يحصل ولو شاء الله الكفر حسنا اولم يحصله كان الامر كذلك
فالكل من الله تعالى لكان بعثة الرسل عبثا بما اعتراض على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة في
احكام الله تعالى وافعاله وهو باطل لان الله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لاحد
عليه في احكامه وافعاله ولا يجوز لاحد ان يقول له لو تفعل هذا ولم تفعل هذا ان كان في حكم الله تعالى
وسنته في ارسال الرسل اليهم لينذروهم بعبادة الله تعالى وينهوهم عن عبادة غيره وان الهدى والضلالة اليه
فمن هداه فهو المهتدي ومن اضله فهو الضال وهذه سنة الله تعالى في عباده انه يأمرهم بالايمان وينهاهم
عن الكفر ثم انه تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء فلا اعتراض لاحد عليه وكذا كان سنة الله تعالى قديما
ببعثة الرسل الى الامم الكافرة كان قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا جهلا
منهم لانهم اعتقدوا ان كون الامر كذلك لم يمنع من جواز بعثة الرسل وهذا الاعتقاد باطل فلا جرم
استحقوا عليه الذم والوعيد واما قوله تعالى **ولا حرمنا من دونه من شيء** يعني السائبة والوصيلة

والحام فلولا ان الله تعالى رضيها لنا لغير ذلك ولهدانا الى غيرها **كذلك فعل الذين من قبلهم** يعني ان من
تقدم هؤلاء من كفار مكة من الامم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فانكار بعثة الرسل
كان قديما في الامم الخالية **فهل على الرسل الا البلاغ المبين** يعني ليس اليهم هداية احد انما عليهم تبليغ
ما ارسلوا به الى من ارسلوا اليه **ولقد بعثنا في كل امة رسولا** يعني كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه وسلم
ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت يعني ان الرسل عليهم الصلاة والسلام قد كانوا يأمرونهم ان يعبدوا الله
ويجتنبوا عبادة الطاغوت وهو كل اسم معبود من دون الله **فمنهم** يعني من الامم الذين جاءتهم الرسل
عليهم الصلاة والسلام **من هدى الله** يعني من هداه الله تعالى الى دين الاسلام والايمان به والتصديق **ومنهم من**
حقت عليه الضلالة يعني ومن الامم من وجبت عليه الضلالة بالقضاء السابق في الازل حتى مات على الكفر
والضلالة وفي هذه الآية ابين دليل على ان الهادي والمضل هو الله تعالى لانه المتصرف في عباده فيهدي من يشاء
ويضل من يشاء لا اعتراض لاحد عليه فيما سبق في سابق علمه وحكم به **فسيروا في الارض فانظروا كيف كان**
عاقبة المكذبين يعني فسيروا في الارض معتبرين متفكرين لتنظروا الى ما آل امر الرسل وهو خراب منازلهم
بالعذاب والهلاك ولتعرفوا ان العذاب نازل بكم ان اصررتم على الكفر والتكذيب كما نزل بهم قوله تعالى
ان تحرص على هداهم يعني الخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ان تحرص يا محمد على هدى هؤلاء واجتهدت
كل الجهد **فان الله لا يهدي من يضل** قرئ بفتح اليا وكسر الدال المهملة يعني لا يهدي الله من اضله وقرئ بضم
اليا وفتح الدال المهملة ومعناه من اضله الله فلا هادي له **وما لهم من ناصرين** اي ما نعين يمنعونهم
من العذاب **واقسموا بالله جهد ايمانهم** قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى سبب نزولها ان رجلا من
المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فاتاه الرجل يطلبه ليتقاضيه فكان فيما تكلم به المسلم
والذي ارجوه بعد الموت فقال المشرك انك لتزعم انك تبعث بعد الموت فاقسم بالله ان **لا يبعث الله**
من يموت فنزلت هذه الآية قال ابو العالية وتقرير الشبهة التي حصلت للمشركين في انكار البعث بعد
الموت ان الانسان ليس هو الا هذه البنية المخصوصة فاذا مات وتفرقت اجزاؤه وبلي امتنع عوده
بعينه لان الشيء اذا عدم فقد فني ولم يبق له ذات ولا خصيصة بعد فنائه وعدمه وهذا هو اصل
شبهتهم ومعتقدهم في انكار البعث بعد الموت فذلك قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث
الله من يموت فرد الله تعالى عليهم ذلك وكذبهم في قولهم فقال **بلى** يعني بل يبعثهم بعد الموت لان
لفظة بلى اثبات بعد النفي والجواب عن شبهتهم ان الله تعالى خلق الانسان واوجده من العدم ولم يك
شيئا فالذي اوجده بعد ان لم يكن ثم اعدمه قادر على ايجاده بعد اعدامه لان النشأة الثانية اهون من الاولى
وعدا عليه حقا يعني ان الذي نعدكم به من البعث بعد الموت وعد حق **ولكن اكثر الناس**
لا يعلمون يعني لا يفهمون كيف يكون ذلك العود فان الله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء **قوله تعالى**
ليبين لهم الذي يختلفون فيه يعني من امر البعث وليظهر لهم الحق الذي لا اختلاف فيه **وليعلم**
الذين كفروا انهم كانوا كاذبين يعني في قولهم لا بعث بعد الموت **انما قولنا لشيء اذا اردناه ان**
نقول له كن فيكون يعني ان الله تعالى قادر اذا اراد ان يحيي الموتى ويبعثهم للحساب والجزاء فلا تعب عليه
في احيائهم وبعثهم انما يقول للشيء اذا اراده كن فيكون على ما اراد الله تعالى لانه القادر الذي لا يعجزه
شيء في ارادته **عن** ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تبارك
وتعالى يشتمني ابن آدم وما ينبغي له ان يشتمني ويكذبني وما ينبغي له ان يكذبني اما شتمه اياي فيقول
ان لي ولدا واما تكذيبه اياي فقوله ليس يعيدني كما بدأني وفي رواية له كذبني ابن آدم ولم يكن له
ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك اما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق علي باهون
من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوا احد **والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا** يعني اوذوا وعذبوا قد نزلت هذه الآية في بلال وصهيب

وخباب وعابس وجبير وابو جندل بن سهيل اخذهم المشركون بمكة اي جعلوا يعذبونهم ليرجعوا عن الاسلام الى الكفر فهم المستضعفون فاما بلال فكانت اصحابه يجرونه الى البطحا بمكة في شدة الحر ويشدون الصخرة على صدره بالحجارة وهو يقول احد احد فاشتراه منهم ابو بكر الصديق رضي الله عنه واعتقه واشترى معه ستة لم اخر واما صهيب فقال لهم اني رجل كبير ان كنت معكم فلن انفعكم وان كنت عليكم فلن اضركم فاشترى نفسه منهم بماله فلقيه ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فقال يا صهيب ربح البيع **وقيل** قد اعطوهم بعض ما يريدون فخلوا عنهم وقال قتادة هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم اهل مكة فاخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة بالحبشة ثم بواهم الله تعالى المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة فهاجروا اليها وجعل لهم انصارا من المومنين فاووهم ونصروهم واسلموا وهذه الاية تدل على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على ان الهجرة اذا لم تكن لله تعالى خالصة لم يكن لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد الى بلد اخرى ومنه حديث انما الاعمال بالنيات وفيه من كانت هجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه اخرجاه في الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله عز وجل **لنبوئنهم في الدنيا حسنة** يعني لنبوئنهم تبوية حسنة وهو انه تعالى قد انزلهم المدينة وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبوئنهم في الدنيا دارا حسنة اي بلدة حسنة وهي المدينة روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه كان اذا اعطى الرجل من المهاجرين عطاه يقول له خذ بارك الله تعالى لك فيه هذا ما وعدك الله تعالى لك في الدنيا وما ادخر لك في الاخرة افضل ثم يقول هذه الاية وقيل معناه لنحسنن اليهم في الدنيا بان يفتح الله تعالى لهم مكة ويحكمهم فيها من اهلها الذين ظلموهم واخرجوهم منها ثم لننصرهم على العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وقيل انه راجع الى المهاجرين اراد بالحسنة هنا التوفيق في الدنيا والهداية **ولاجر الاخرة اكبر** يعني اعظم واشرف وافضل مما اعطا في الدنيا **لو كانوا يعلمون** قيل الضمير يرجع الى الكفار لان المومنين يعلمون ما لهم في الاخرة والمعنى لو كانوا يعني الكفار يعلمون ان اجر الاخرة اكبر مما هم فيه من نعيم الدنيا لرغبوا فيه **وقيل** انه راجع الى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما اعد الله تعالى لهم في الاخرة اي لزادوا في الجد والاجتهاد والصبر على ما اصابهم من اذى المشركين اي وكانوا من **الذين صبروا** يعني في الله تعالى على ما نالهم من الاذى من الكفار فهو صفة مدح يعني صبروا على العذاب ومفارقة الوطن وعلى الجهاد وبذل الانفس والاموال في سبيل الله تعالى **وعلى ربهم يتوكلون** يعني في امورهم كلها قال بعضهم ذكر الله تعالى الصبر والتوكل في هذه الاية وهو مبتدا السلوك الى الله تعالى ومنتهاه اما الصبر فهو قهر النفس وحبسها على اعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الاذى من الخلق قال والصبر على الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصائب واما التوكل فالانقطاع عن الخلق بالكلية والتوجه الى الحق تعالى بالكلية فالاول هو مبتدا السلوك الى الله تعالى والثاني هو اخر الطريق ومنتهاه قوله تعالى **وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم** قد نزلت هذه الاية جوابا لمشركي مكة حيث انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قالوا الله اعظم واجل من ان يكون رسوله صلى الله عليه وسلم بشرا فهلا بعث ملكا الينا فاجاب الله تعالى بقوله وما ارسلنا من قبلك يا محمد الا رجالا يعني مثلك يوحى اليهم قال والمعنى ان عادة الله عز وجل جارية في اول ابتداء الخلق ثم انه لم يبعثه الا رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة جارية قديمة **فاسئلوا اهل الذكر** يعني اهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وانما امرهم بسوال اهل الكتاب لان كفار مكة كانوا يعتقدون ان اهل الكتاب اهل علم وقد ارسل اليهم رسلا منهم مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل عليهم افضل الصلاة وازكى السلام وكانوا بشرا مثلهم فاذا سألوهم فلا بد ان يجيبوا بان الرسل الذين ارسلوا اليهم كانوا بشرا فاذا اخبروهم بذلك زالت هذه الشبهة عن قلوبهم **ان كنتم**

لا تعلمون الخطاب لهؤلاء لاهل مكة يعني ان كنتم يا هؤلاء لا تعلمون ذلك **بالبينات والزبر** اختلفوا في معنى الجالب لهذه الباء فقيل المعنى وما ارسلنا من قبلك بالبينات والزبر الا رجالا نوحي اليهم ولم نبعثها ملائكة وقيل معناه وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم اي بالبينات ارسلناهم بالزبر وقيل الذكر يعني العلم في قوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون انتم لفظ جامع لكل ما تكامل به امر الرسالة لان مدار الرسل عليهم الصلاة والسلام على المعجزات الدالة على صدقهم وهي البينات وعلى بيان الشرائع والتكاليف وهي المراد بالزبر يعني الوسل على الرسل من الله عز وجل **وانزلنا اليك الذكر** الخطاب الى النبي صلى الله عليه وسلم يعني وانزلنا عليك الذكر يا محمد الذي هو القران وانما سماه ذكرا لان فيه مواعظ وتنبيه للغافلين **لتبين للناس ما نزل اليهم** يعني ما احل لهم من احكام القران وبيان الكتب يطلب من السنة والمبين مقدم على المجمل وقال بعضهم القران منه محكم ومنه متشابه فالمحكم يجب ان يكون مبينا والمتشابه هو المجمل يطلب بيانه من السنة فكقوله لتبين للناس ما نزل اليهم محمول على ما اجمل منه دون المحكم المبين المفسر لها هنا **ولعلهم يتفكرون** يعني فيما انزل اليهم فيعملوا بها **افامن الذين مكروا السيئات** فيه اضمار تقديره المكرات السيئات وهم كفار مكة وقريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وباصحابه وبالغوا في اذيتهم والمكر عبارة عن السعي بالفساد على سبيل الاخفا **وقيل** المراد بهذا المكر هنا اشتغالهم بعبادة غير الله تعالى فيكون مكرهم على انفسهم والصحيح ان المراد بهذا المكر السعي في اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي اذى المومنين وقيل المراد منه بالذين مكروا السيئات نمرود ومن هو مثله والصحيح ان المراد بهم كفار مكة **ان يخسف الله بهم الارض** يعني كما خسف بقارون من قبلهم **او ياتيهم العذاب من حيث لا يشعرون** يعني ان العذاب ياتيهم بغتة فيهلكهم فجاة كما اهلك قوم لوط وغيرهم **او ياخذهم في تقلبهم** يعني في تصرفهم في الاسفار فانه قادر على اهلاكهم في السفر كما هو قادر على اهلاكهم في الحضر وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ياخذهم في اختلافهم وقال ابن جريج في اقبالهم وادبارهم يعني ان الله تعالى قادر على ان ياخذهم بالليل والنهار وفي جميع احوالهم **فما هم بمعجزين** اي سابقين الله تعالى بل هو قادر عليهم **او ياخذهم على تخوف** قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه ومجاهد يعني على تنقص **وقال** اي تنقيص التخوف التنقص وهذا لغة التخوف بمعنى التنقص وقد اخذنا هذه لغة هذيل فعلى هذا القول يكون المراد به ينقص من اطرافهم ونواحيهم الشي بعد الشي حتى يهلك جميعهم وقيل هو من الخوف ثم يحتمل انه تعالى لا ياخذهم بالعذاب اولا بل يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال الضحاك والكلبي هو من الخوف يعني طائفة فتخوف الاخرى ان يصيبهم مثل ما اصابهم والحاصل انه تعالى خوفهم بخسف في الارض او بعذاب ينزل من السما او بافات تحدث دفعة واحدة او تحدث قليلا قليلا الى ان ياتي الهلاك على اخرهم ثم انه تعالى ختم هذه الاية بقوله **فان ربكم لرؤف رحيم** يعني انه تعالى لا يعاجلكم بالعقوبة والعذاب **قوله تعالى اولم يروا** فهو بالتاء على خطاب الحاضر وبالياء على الغيبة **الى ما خلق الله من شيء** يعني من جسم قائم له ظل قال وهذه الرواية لما كانت يعني النظر [illegible]

وصلت بإلى لأن منها هنا لأن الاعتبار والاعتبار لا يكون إلا بنفس الرؤية التي يكون معها نظر إلى الشيء ليتأمل أحواله ويتفكر فيه ويعتبر به **تتفيأ ظلاله** يعني تميل وتدور من جانب إلى جانب فهي في أول النهار على حال ثم تتقلص ثم تعود في آخر النهار إلى حالة أخرى ويقال للظل بالعشي فيء لأنه من فاء يفيء إذا رجع من المغرب إلى المشرق والفيء هو الرجوع قال الأزهري تفيؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار قال فالتفيؤ لا يكون إلا بالعشي وما انصرفت عنه الشمس والظل يكون بالغداة وهو ما لم تنله الشمس وهو ما لم تنسخه الشمس وقوله ظلاله جمع ظل وإنما أضاف الظلال وهو جمع إلى مفرد وهو قوله من شيء وهو قوله في شيء لأنه يراد به الكثرة ومعناه الإضافة إلى ذوي الظلال **عن اليمين والشمائل** قال العلماء إذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه إلى القبلة كان ظلك عن يمينك فإذا ارتفعت الشمس واستوت في وسط السماء كان ظلك في خلفك فإذا مالت الشمس إلى الغروب حتى ظلك عن يسارك وقال قتادة والضحاك أما اليمين فأول النهار وأما الشمال فآخر النهار وإنما وحد اليمين وإن كان المراد به الجمع للإيجاز والاختصار في اللفظ وقيل اليمين راجع إلى لفظ الشيء وهو واحد والشمائل هو راجع إلى المعنى لأن لفظ الشيء واحد والشمائل لفظ الشيء يراد به الجمع **سجدا لله** في معنى هذا السجود قولان أحدهما أن المراد به الاستسلام والانقياد والخضوع لله تعالى يقال سجد البعير إذا طأطأ رأسه ليركب وسجدت النخلة إذا مالت لكثرة الحمل قال والمعنى أن جميع الأشياء التي لها ظلال فهي منقادة لأمر الله تعالى مستسلمة لأمره غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ وغيره وقد قال مجاهد رحمه الله تعالى إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله تعالى قال والقول الثاني في معنى هذا السجود أن الظلال واقعة على الأرض ملتصقة بها كالساجد على الأرض فلما كانت الظلال يشبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله تعالى عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شيء سواء كان ذلك الشيء يسجد لله تعالى قال هو القول الثاني وقيل إن ظل الكافر ساجد لله تعالى وهو غير ساجد لله تعالى **وهم داخرون** أي صاغرون أذلاء والداخر الذي يفعل ما يأمره به شاء أم أبى وذلك أن جميع الأشياء منقادة إلى الله تعالى انتهى **فإن قلت** الظلال ليست من العقلاء فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل وجمعها بالواو والنون **قلت** لما وصفها الله تعالى بالطاعة والانقياد لأمره وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جمعها بالواو والنون وهو جمع العقلاء قوله تعالى **ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة** قال العلماء السجود نوعان سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله تعالى وسجود خضوع وانقياد كسجود الظلال ليست من العقلاء فقوله ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض يحتمل النوعين لأن السجود كل شيء بحسبه فسجود الملائكة والمسلمين لله تعالى سجود عبادة وطاعة وسجود غيرهم سجود انقياد وخضوع وأتى بلفظ ما في قوله تعالى ما في السموات وما في الأرض للتغليب لأن ما لا يعقل أكثر ممن يعقل في ذلك العدد والحكم للأغلب كتغليب المذكر على المؤنث وأنه لو أتى بمن التي هي للعقلاء لم يكن فيها دلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء خاصة وأتى بلفظ ما ليشمل الكل ولفظ الدابة مشتق من الدبيب وهي عبارة عن الحركة الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب لأنه يدخل فيه الإنسان لأنه مما يدب على الأرض قال وبهذا الرد على الملائكة في

قوله

قوله **والملائكة** لأنهم أولو أجنحة يطيرون بها أو لأنهم بالذكر وإن كانوا أكثر من في السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة فسجود الملائكة والمسلمين بالطاعة وسجود غيرهم تذللها وتسخيرها لما خلقت له وسجود ما لا يعقل والجمادات تدل على قدرة الصانع سبحانه وتعالى فيدعو الغافلين إلى السجود لله تعالى عند التأمل والتدبر **وهم لا يستكبرون** يعني الملائكة **يخافون ربهم من فوقهم** هو كقوله تعالى وهو القاهر فوق عباده **ويفعلون ما يؤمرون** وقد تقدم تفسيره عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا لله تعالى والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى قال أبو ذر لوددت أني أكون شجرة تعضد أخرجه الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه موقوفا

فصل

وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فليسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند تلاوتها وسماعها **قوله تعالى** **وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين** لما أخبر الله تعالى في الآية المتقدمة أن كل ما في السموات والأرض خاضعون له منقادون لأمره عابدون له وأنهم في ملكه وتحت قدرته وقبضته نهى في هذه الآية عن الشرك وعن اتخاذ إلهين اثنين فقال وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين قال الزجاج رحمه الله تعالى الاثنين توكيد لقوله إلهين وقال صاحب النظم فيه تقديم وتأخير تقديره لا تتخذوا اثنين إلهين يعني أن الاثنين لا يكون كل واحد منهما إلها واحدا وهو قوله تعالى **إنما هو إله واحد** لأن الإلهين لا يكونان متساويين في الوجود من الجهتين اثنين والقدم وصفات الكمال والقدرة والإرادة فصارت الاثنينية منافية للإلهية فلذلك قوله إنما هو إله واحد يعني لا يجوز أن يكون في الوجود إلهين اثنين إنما هو إله واحد **فإياي فارهبون** يعني خافون والراهب مخافة مع حزن واضطراب وإنما نقل الكلام من الغيبة إلى خطاب الحضور وهو من طريق الالتفات لأنه أبلغ في الترهيب من قوله تعالى فإياي فارهبون فهو من بديع الكلام وبليغه وقوله فإياي فارهبون يفيد الحصر وهو أن لا يرهب الخلق إلا منه ولا يرغبوا إلا إليه وإلى كرمه وفضله وإحسانه **وله ما في السموات والأرض** لما ثبت هنا الدليل الصحيح والبرهان الواضح أن إله العالم لا شريك له في الإلهية وجب أن يكون جميع المخلوقات عبيدا له وفي ملكه **وله الدين واصبا** يعني وله العبادة والطاعة وإخلاص العمل دائما ثابتا والواجب هو الدائم قال ابن قتيبة رحمه الله تعالى ليس من أحد يدان له ويطاع إلا انقطع ذلك بسبب في حال الحياة أو بالموت إلا الحي سبحانه وتعالى فإن طاعته واجبة دائمة أبدا **أفغير الله تتقون** يعني أنكم عرفتم أن الله تعالى واحد لا شريك له في ملكه وعرفتم أن كل ما سواه محتاج إليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون فهو استفهام بمعنى التعجب **وقيل** هو استفهام على طريق الإنكار وقوله عز وجل **وما بكم من نعمة فمن الله** يعني من نعمة الإسلام وصحة الأبدان وسعة الأرزاق وكل ما أعطاكم من مال أو ولد فكل ذلك من الله تعالى إنما هو المتفضل به عليكم فيجب عليكم شكره على جميع إنعامه ولما بين هذه المقدمة أي في الآية المتقدمة أنه يجب

على جميع العباد أن لا يخافوا إلا الله تعالى بين في هذه الآية أن جميع النعم منه فلا يشكر عليها إلا إياه لأنه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم شكره عليها **ثم إذا كشف الضر عنكم** يعني ثم إذا أزال الضر والبلاء عنكم **إذا فريق منكم** يعني طائفة منكم وجماعة منكم **بربهم يشركون** يعني أنهم يضيفون كشف الضر إلى العوائد والأسباب ولا يضيفونه إلى الله تعالى فهذا من جملة شركهم الذي كانوا عليه دائماً ثم قال فريق لأن فريق المؤمنين لا يرون كشف الضر إلا من الله تعالى **قوله تعالى** **ليكفروا بما آتيناهم** قيل إن هذه اللام لام كي ويكون المعنى على هذا أنهم إنما أشركوا بالله تعالى ليجحدوا نعمه عليهم في كشف الضر عنهم وقيل إنها لام العاقبة والمعنى عاقبة أمرهم هو كفرهم بما آتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء **فتمتعوا** لفظه أمر والمراد منه التهديد والوعيد يعني فعيشوا في اللذة التي أنتم فيها إلى المدة التي ضربها الله تعالى لكم **فسوف تعلمون** يعني عاقبة أمركم إلى ماذا تصير وهو نزول العذاب بكم قوله تعالى **ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا** قيل الضمير في قوله تعالى لما لا يعلمون عائد إلى المشركين يعني أن المشركين لا يعلمون وقيل إنه عائد إلى الأصنام يعني أن الأصنام لا تعلم شيئاً البتة لأنها جماد والجماد لا علم له ومنهم من رجح القول الأول لأن نفي العلم عن الحي حقيقة وعن الجماد مجاز وكان عود الضمير إلى المشركين أولى ولأنه قال لما لا يعلمون فجمعهم بالواو والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثاني قال لأنا إذا قلنا إلى المشركين احتجنا فيه إلى إضمار فيكون فيكون المعنى ويجعلون أعني المشركين لما يعلمون أنه إلهاً ولا له حقاً نصيباً وإذا قلنا أنه عائد إلى الأصنام لم يحتج إلى هذا الإضمار لأنها لا علم لها ولأنهم قوله قوله **مما رزقناهم** يعني أن المشركين جعلوا للأصنام نصيباً من حروثهم وأنعامهم وأموالهم التي قد رزقهم الله تعالى وقد تقدم تفسيره في سورة الأنعام **تالله** قسم بنفسه عن نفسه أنه يسألهم يوم القيامة **لتسألن عما كنتم تفترون** يعني عما كنتم تكذبون في الدنيا في قولكم من هذه الأصنام إنها آلهة وأن لها نصيباً من أموالكم وهذا الالتفات من الغيبة إلى الحضور وهو من بديع الكلام وبليغه **ويجعلون لله البنات** وهم خزاعة وكنانة قالوا الملائكة بنات الله وإنما أطلق لفظ البنات على الملائكة لاستتارهم عن العيون كالنساء أو لدخول لفظ التأنيث في تسميتهم **سبحانه** نزه نفسه عن الولد والبنات **ولهم ما يشتهون** يعني ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون يعني أن المشركين جعلوا لأصنامهم نصيباً من حرثهم يعني من البنين **وإذا بشر أحدهم بالأنثى** يعني بشر أحدهم بالأنثى البشارة عبارة عن الخبر السار الذي يظهر عن بشرة الوجه وكذلك الحزن والغم يظهر أثره على الوجه وهي الكمودة التي تعلو الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا أن البشارة لفظ مشترك بين الخبر والشر والخبر المحزن فصح **قوله تعالى** وإذا بشر أحدهم بالأنثى **ظل وجهه مسوداً وهو كظيم** يعني متغيراً من الحزن والغم والغيظ والكراهة التي حصلت له عند البشارة والمعنى أن هؤلاء المشركين لا يرضى أحدهم بالبنت الأنثى أن تنسب إليه البتة فكيف يرضى أن ينسبها هو إلى الله سبحانه وتعالى ففيه تبكيت لهم وتوبيخ **قوله تعالى** **يتوارى من القوم** يعني أنه ظل مختفياً خوفاً وهماً

من سوء ما بشر به أيمسكه على هون يعني أنه يختفي من ذلك القول الذي بشر به وذلك أن العرب كانوا في الجاهلية إذا قرب ولادة زوجة أحدهم توارى عن القوم حتى يعلم ما ولد له فإن ولد له ذكراً ابتهج وسر بذلك وظهر وإن ولد له أنثى حزن ولم يظهر أياماً حتى يفكر ما يصنع بها وهو قوله تعالى أيمسكه على هون يعني على هوان وإنما ذكر الضمير في أيمسكه لأنه عائد إلى ما بشر به في قوله وإذا بشر أحدهم **أم يدسه في التراب** يعني يخفي ذلك الذي بشر به في التراب والدس إخفاء الشيء في الشيء قال أهل التفسير إن مضر وخزاعة وتميماً كانوا يدفنون البنات أحياء والسبب في ذلك إما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم النفقة أو للحمية خوفاً عليهن من الأسر ونحوه أو للطمع غير الأكفاء فكان الرجل من العرب في الجاهلية إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحييها تركها حتى كبرت ثم ألبسها جبة من صوف وشعر وتركها ترعى الإبل والغنم في البادية وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسية قال لأمها زينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها ويكون قد حفر لها حفرة في الصحراء فإذا بلغ بها تلك الحفرة قال لها انظري إلى هذه البئر فإذا نظرت إليها دفعها من خلفها في تلك البئر ثم يهيل التراب على رأسها وكان صعصعة عم الفرزدق إذا أحس بشيء من ذلك وجه بإبل إلى والد البنت حتى يحييها فقال الفرزدق يفتخر بذلك * وعمي الذي منع الوائدات * فأحيى الوئيد فلم يوأد * عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموءودة في النار أخرجه أبو داود قوله تعالى **ألا ساء ما يحكمون** يعني بئس ما يصنعون ويقضون حيث يجعلون لله الذي خلقهم البنات وهم يستنكفون منهن ويجعلون لأنفسهم البنين نظيره قوله تعالى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذاً قسمة ضيزى وقيل معناه ألا ساء ما يحكمون في وأد البنات **للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء** يعني صفة السوء في احتياجهم إلى الولد وكراهيتهم الإناث وقتلهن خوف الفقر **ولله المثل الأعلى** أي الصفة العليا المقدسة وهي أن له التوحيد وأنه المنزه عن الولد وأنه لا إله إلا هو وأن له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء السرمدي وغير ذلك من الصفات التي وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنه مثل السوء النار والمثل الأعلى شهادة أن لا إله إلا الله **وهو العزيز** أي الممتنع في كبريائه وجلاله **الحكيم** يعني في جميع أفعاله قوله عز وجل **ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم** يعني بسبب ظلمهم فيعاجلهم بالعقوبة على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم فإن قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال الله تعالى في الآية الأخرى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقسمهم في هذه الآية ثلاثة أقسام فجعل الظالمين قسماً واحداً من ثلاثة قلت قوله ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم عام مخصوص بهذه الآية الأخرى لأن في جنس الناس الأنبياء والصالحين ومن لا يطلق عليه اسم الظلم وقيل أراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله إن الشرك لظلم عظيم وقوله **ما ترك عليها** يعني على الأرض كناية عن غير مذكور لأن الدابة لا تدب إلا على الأرض **من دابة** يعني أن الله تعالى لو يؤاخذ الناس بظلمهم لأهلك جميع الدواب التي على وجه الأرض قال قتادة وقد فعل ذلك في زمن نوح عليه السلام فأهلك من كان على وجه الأرض إلا من كان في السفينة مع نوح عليه السلام وروي أن أبا هريرة رضي الله تعالى عنه سمع رجلاً يقول إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقلت بئس ما قلت إن الحبارى تموت هزلاً بظلم الظالم وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه إن الجعل تعذب في جحرها بذنب ابن آدم وقيل أراد بالدابة الكافر يدل عليه قوله إن شر الدواب

عند الله الذين كفروا وقيل في هذه الآية ولو يؤاخذ الله الآباء الظالمين بسبب ظلمهم لانقطع
النسب ولم يوجد الأبناء فلم يبق في الأرض أحد قوله **ولكن يؤخرهم** يعني يمهلهم بفضله
وكرمه وحلمه **إلى أجل مسمى** يعني إلى منتهى آجالهم وانقضاء أعمارهم **فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون
ساعة ولا يستقدمون** يعني لا يؤخرون ساعة عن الأجل الذي جعله الله لهم ولا ينقصون
منه وقيل أراد بالأجل المسمى يوم القيامة ولكن المعنى يؤخرهم إلى يوم القيامة فيعذبهم
فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون **ويجعلون لله ما يكرهون** يعني لأنفسهم وهي البنات
وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى ويقولون إن لهم البنين وذلك أنهم قالوا وقيل
أراد بالحسنى الجنة والمعنى أنهم مع كفرهم وقولهم الكذب أنهم يزعمون أنهم على الحق وأن لهم الجنة
وذلك أنهم قالوا إن كان محمد صادقا في البعث وبعد الموت فإن لنا الجنة لأنا على الحق
فكذبهم الله تعالى فقال **لا جرم أن لهم النار** يعني في الآخرة لا الجنة **وأنهم مفرطون**
قرئ بكسر الراء مع التخفيف يعني مسرفون وقرئ بكسر الراء مع التشديد يعني مضيعون لأمر
الله تعالى وقرأ الجمهور بفتح الراء مع التشديد يعني متضيعون لأمر الله تعالى وقرأ الجمهور
بفتح الراء وتخفيفها أي منسيون في النار قاله ابن عباس وقال ابن مسعود وسعيد بن جبير
ومتاركون وقال قتادة معجلون إلى النار وقال الفراء مقدمون إلى النار والفرط
المتقدم إلى الماء قبل القوم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض
أي متقدمكم **تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك** يعني كما أرسلنا إلى هذه الأمة لقد
أرسلنا إلى أمم من قبلك فكان شأنهم مع رسلهم التكذيب تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
فزين لهم الشيطان أعمالهم يعني أعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزين في الحقيقة
هو الله على مذهب أهل السنة وإنما جعل الشيطان آلة بإلقاء الوسوسة في قلوبهم
وليس له قدرة أن يضل أحدا أو يهدي أحدا وإنما له الوسوسة فقط لمن أراد شقاوته
سلط عليه حتى يقبل وسوسته **فهو وليهم** أي ناصرهم **اليوم** ومن كان الشيطان وليه
وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور وإنما سماه وليهم لطاعتهم إياه **ولهم عذاب أليم**
يعني في الآخرة قوله **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه**
يعني في أمر الدين والأحكام فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال
من الحرام **وهدى ورحمة** يعني وما أنزلنا عليك الكتاب إلا بيانا وهدى ورحمة **لقوم
يؤمنون** لأنهم هم المنتفعون به قوله تعالى **والله أنزل من السماء ماء** يعني المطر **فأحيا
به الأرض** يعني بالماء الأرض يعني بالنبات والزرع **بعد موتها** يعني يبسها وجدوبتها
إن في ذلك يعني إن في ذلك هذا دلالة واضحة على كمال قدرة الله تعالى **لآية لقوم
يسمعون** يعني سماع إنصاف وتدبر وتفكر لأن سماع القلوب هو النافع لا سماع الآذان
لمن سمع آيات الله أي القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها ومن لم يسمع بقلبه ولم ينتفع
بالآيات **وإن لكم في الأنعام لعبرة** يعني إذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا على ذلك
نسقيكم مما في بطونه عائدا إلى الأنعام فكان حقه أن يقال مما في بطونها واختلف
النحويون في الجواب فقيل لفظ الأنعام مفرد وضع لإفادة الجمع فهو بحسب اللفظ
مفرد ويكون ضميره ضمير الجمع وهو مذكور بحسب المعنى يكون ضميره ضمير الجمع وهو
مؤنث فلهذا المعنى قال هنا مما في بطونه وقال في سورة المؤمنون مما في بطونها وهذا
قول أبي عبيدة والأخفش وقال الكسائي أي رده إلى يعني مما بطونه كما ذكرنا وقال المؤرج
الكناية مردودة إلى البعض وفيها إضمار كأنه قال نسقيكم مما في بطونه اللبن فأضمر

اللبن

اللبن خاصة اللبن إذ ليس لكلها لبن **من بين فرث** وهو ما في الكرش من الثفل فإذا خرج منها لا يسمى فرثا
ودم لبنا يعني من الدم والفرث ليس عليهما عليه لون الدم ولا رائحة الفرث قال ابن عباس إذا أكلت
الدابة العلف واستقر في كرشها وطحنته كان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما فالكبد مسلط
عليها بقسمها بتقدير الله تعالى فيجري الدم في العروق واللبن في الضرع ويبقى الثفل كما هو **خالصا
سائغا للشاربين** يعني هنيئا سهلا يجري في الحلق بسهولة وقيل إنه لم يغص باللبن أحد قط هذا
قول المفسرين في معنى هذه الآية وحكى الإمام فخر الدين الرازي قول الحكماء في ذلك فقال قالت
إن تقول الدم واللبن لا يتولد إلا في الكرش البتة والدليل على الحس فإن هذه الحيوانات تذبح
ذبحا متوالية وما رأى أحد في كرشها دما ولا لبنا بل الحق أن الحيوان إذا تناول الغذاء وأكل
ذلك العلف إلى معدته نفذا من الأمعاء الكرشية فإذا طبخ وحصل الهضم الأول فما كان منه
صافيا انجذب إلى الكبد وما كان كثيفا نزل إلى الأمعاء ثم ذلك الذي يحصل في الكبد يطبخ فيها
ويصير دما وهو الهضم الثاني ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائية وأما
الصفراء فتذهب إلى الكلية ومنها إلى المثانة وأما الدم فيذهب إلى الأوردة وهي العروق
النابتة من الكبد وهناك يحصل الهضم الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب
الدم من تلك العروق إلى الضرع والضرع لحم أبيض فيقلب الله ذلك الدم عند انصبابه إلى
ذلك اللحم الرخو الأبيض فيصير الدم لبنا فهذا صورة تكون اللبن في الضرع واللبن إنما يتولد
من بعض أجزاء الدم والدم إنما يتولد من بعض الأجزاء اللطيفة من الأشياء المأكولة الحاصلة
في الكرش فاللبن تولد أولا من الفرث ثم من الدم ثانيا ثم صفاه الله تعالى بقدرته فجعله لبنا
خالصا من بين فرث ودم وعنه قوله تولد اللبن في الضرع خلق الله عز وجل بلطيف حكمته
في حلمة الثدي ثقبا بأصغر أو مسام ضيقة فجعلها كالمصفاة للبن فكلما كان تطبخ من اللبن
خرج بالمص والحلب وما كان كثيفا احتبس في البدن وهو المراد بقوله خالصا من شوائب
كدورة الدم والفرث سائغا للشاربين يعني جاريا في حلوقهم سهلا لذيذا هنيئا مريئا قوله عز وجل
ومن ثمرات النخيل والأعناب يعني ولكم أيضا من غيره نسقيكم ونرزقكم من ثمرات النخيل
والأعناب **تتخذون منه** الضمير في منه يرجع إلى ما تقديره ولكم من ثمرات النخيل والأعناب
ما تتخذون منه **سكرا ورزقا حسنا** قال ابن مسعود وابن عباس وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير
ومجاهد وإبراهيم وابن أبي ليلى والزجاج وابن قتيبة السكر الخمر سميت بالمصدر من سكر
سكرا والرزق الحسن سائر ما يتخذ من ثمرات النخيل والأعناب مثل الدبس والزبيب
والخل وغير ذلك فإن قلت الخمر محرمة فكيف ذكرها الله تعالى في معرض الإنعام
والامتنان قلت قال العلماء في الجواب عن هذا أن السورة مكية وتحريم الخمر إنما نزل في
سورة المائدة وهي مدنية فكان نزول هذه الآية في الوقت الذي كانت الخمرة
فيه غير محرمة وقيل إن الله عز وجل نبه في هذه الآية على تحريم الخمر أيضا لأنه ميز
بينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب أن الرجوع عن كونه حسنا يدل على التحريم
وروى العوفي عن ابن عباس السكر هو الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر هو النبيذ
وهو نقيع التمر والزبيب إذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعي
ومن يبيح شرب النبيذ ومن يحرمه يقول المراد من الآية الإخبار لا الإحلال والأولى
الأقوى أبدا أن قوله تتخذون منه سكرا منسوخ سئل ابن عباس عن هذه الآية فقال
السكر ما حرم من ثمرتها والرزق الحسن ما حل قلت القول بالنسخ فيه نظر
لأن قوله ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا خبر

والاخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم انها منسوخة راى ان هذه الاية نزلت بمكة في وقت اباحة الخمر ثم ان الله حرمها بالمدينة فحكم على هذه الاية بانها منسوخة وقال ابو عبيدة في معنى الاية ان السكر الطعم يقال هذا سكر لك اي طعم لك وقال غيره السكر ما سد الجوع من قولهم سكرت النهر اي سددته والتمر والزبيب مما يسد الجوع وهذا شرح قول ابي عبيدة ان السكر الطعم الطعم **ان في ذلك** يعني ان الذي ذكر من النعمة على عباده **لاية** يعني دلالة وحجة واضحة **لقوم يعقلون** يعني ان من كان عاقلا استدل بهذه الاية على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وعلم بالضرورة ان هذه الاشياء لها مدبر قادر على ما يريد قوله تعالى **واوحى ربك الى النحل** لما ذكر الله تعالى دلائل قدرته وعجائب صنعته الدالة على وحدانيته من اخراج اللبن من بين فرث ودم واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والاعناب ذكر في هذه الاية اخراج العسل الذي جعل فيه شفاء للناس من دابة ضعيفة وهي النحلة فقال تعالى واوحى ربك الى النحل الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكر يستدل به على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وانه الخالق لجميع الاشياء ومدبرها بلطيف حكمته وقدرته واصل الوحي الاشارة السريعة وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد ويقال للكلمة الالهية التي يلقيها الله الى انبيائه وحي والى اوليائه الهام واما تسخير لما خلق له ومنه قوله واوحى ربك الى النحل يعني انه سخرها لما خلقها له والهمها رشدها وقدر في نفسها هذه الاعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلاء من البشر وذلك ان النحلة تبني بيوتا على شكل مسدس من اضلاع متساوية لا تزيد ولا تنقص بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة او مثلثة او مربعة او غير ذلك من الاشكال لكان فيما بينها خلل ولما حصل المقصود فالهمها الله تعالى ان تبنيها على هذا الشكل المسدس الذي لا يحصل فيه خلل وفرجة خالية ضائعة والهمها الله ايضا ان يجعلوا عليهم اميرا كبيرا نافذ الحكم فيهم وهم يطيعونه ويمتثلون امره ويكون هذا الامير اكبرهم جثة واعظمهم خلقة ويسمى يعسوب النحل يعني ملكهم هذا حكاه الجوهري والهمها الله تعالى ان يجعلوا على كل باب خلية بوابا لا يمكن غير اهلها من الدخول اليها والهمها الله ايضا انها تخرج من بيوتها تدور وترعى ثم ترجع الى بيوتها ولا تضل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والفطنة دل ذلك على الالهام الالهي وكان ذلك شبيها بالوحي فلذلك قال الله تعالى واوحى ربك الى النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الدبر ايضا قال الزجاج يجوز ان يكون هذا الحيوان نحلا لان الله تعالى نحل العسل الذي يخرج من بطونها يعني اعطاها وقال غيره النحل يذكر ويؤنث وهي مؤنثة في لغة الحجاز ولذا انثها الله تعالى فقال تعالى **ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون** يعني يبنون ويسقفون وذلك ان النحل منه وحشي وهو الذي يسكن الجبال والشجر ويأوي الكهوف ومنه اهلي وهو الذي يأوي البيوت وتربيه الناس عندهم وقد جرت العادة ان الناس يبنون للنحل الاماكن حتى تأوي اليها وقال ابن زيد اراد بالذي يعرشون الكروم **ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك** يعني الطرق التي الهمك الله ان تسلكيها وتدخلي فيها لاجل طلب الثمرات **ذللا** قيل انها نعت للسبل يعني انها مذللة لك الطرق مسهلة لك مسالكها قال مجاهد لا يتوعر عليها مكان تسلكه وقيل

الذلل

الذلل نعت للنحل يعني انها مذللة مسخرة لاربابها مطيعة منقادة لهم حتى انهم ينقلونها من مكان الى مكان اخر حيث شاؤا واراد ولا تستعصي عليهم **يخرج من بطونها** يعني العسل **شراب مختلف الوانه** يعني ما بين ابيض واحمر واصفر وغير ذلك من انواع العسل وذلك على قدر ما تاكل من الثمار والاعشاب ويستحيل في بطونها عسلا بقدرة الله تعالى ثم يخرج من افواهها يسيل كاللعاب وزعم الامام فخر الدين الرازي انه راى في بعض كتب الطب ان العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الازهار واوراق الشجر فيجمعه النحل فتاكل بعضه وتدخر بعضه في بيوتها لانفسها لتتغذى به فاذا اجتمع في بيوتها من تلك الاجزاء الطلية شيء كثير فذلك هو العسل وايضا فانا نشاهد ان النحل يتغذى بالعسل واجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها يعني العسل من افواهها وقول اهل الظاهر اولى واصح لانا نشاهد انه يوجد في طعم العسل طعم تلك الازهار التي تاكلها النحل فلذلك يوجد لونها وريحها وطعمها فيه ايضا فيعضده هذا قول بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم له اكلت مغافير قال لا قالت فما هذا الريح الذي اجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحلة العرفط شجر الطلح وله صمغ يقال له المغافير كريهة الريح فمعنى جرست نحلة العرفط اكلت ورعت من العرفط الذي له الرائحة الكريهة فثبت بهذا الدليل صحة قول الظاهر من المفسرين وانه يوجد في طعم العسل ولونه وريحه لا كما قاله الاطباء من انه طل لانه لو كان طلا لكان على لون واحد وقوله ان طبيعة العسل تقرب من طبيعة الترنجبين فيه نظر لان مزاج الترنجبين معتدل الى الحرارة وهو الطف من السكر ومزاج العسل حار يابس في المرتبة الثانية فبينهما فرق كبير وقوله كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فيه نظر لان لفظ البطن اذا اطلق لم يرد به الا العضو المعروف مثل بطن الانسان وغيره والله اعلم وقوله تعالى **فيه** يعني في الشراب الذي يخرج من بطون النحل **شفاء للناس** وهذا قول ابن عباس وابن مسعود ان الضمير في قوله شفاء للناس يرجع الى العسل وقد اختلفوا في هذا الشفاء هل هو على العموم من كل مرض او على الخصوص لمرض دون مرض على قولين احدهما ان العسل فيه شفاء من كل داء والقرآن شفاء من كل داء لما في الصدور وفي رواية اخرى عنه عليكم بالشفائين القرآن والعسل وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما ما كانت تخرج به قرحة ولا شيء الا لطخ الموضع بالعسل ويقرأ يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس **ق** عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان اخي استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاءه فقال اني سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاءه الرابعة فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبرأ قد اعترض بعض الملحدين ومن في قلبه مرض على هذا الحديث فقال ان الاطباء مجمعون على ان العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الاسهال فيقول في الرد على هذا المعترض الملحد الجاهل بعلم الطب ان الاسهال يحصل من انواع كثيرة منها الاسهال الحادث من التخم والهيضات وقد اجمع الاطباء في مثل هذا على ان علاجه بان تترك الطبيعة وفعلها وان احتاجت الى معين على الاسهال اعينت ما دامت القوة باقية فاما حبسها فضرر عندهم واستعجال لمرض فيحتمل ان يكون هذا الاسهال لهذا الشخص المذكور في الحديث اصابه الاسهال من امتلاء وهيضة فدواؤه بترك الاسهال على ما هو عليه او تقويته فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرب العسل فزاده اسهالا وزاده عسلا الى ان فنيت المادة فوقف الاسهال ويكون الذي كان به موافقة شرب العسل فثبت بما ذكرناه ان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بشرب

بشرب العسل

العسل جار في صناعة الطب وان المعترض عليه جاهل بها ولسنا نقصد الاستظهار لتصديق
الحديث بقول الاطباء بل لو كانوا كذبوه لكذبناهم وكفرناهم بذلك وانما ذكرنا هذا الجواب
الجاري على صناعة الطب دفعا لهذا المعترض وانه لا يحسن صناعة الطب التي اعترض بها والله
اعلم وقوله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك يحتمل انه صلى الله عليه وسلم
علم بنور الوحي الالهي ان العسل الذي امره بشربه سيظهر نفعه بعد ذلك فلما لم يظهر نفعه
على الحال عندهم قال صدق الله يعني فيما وعد به من ان فيه شفاء وكذب بطن اخيك يعني
باستعجالكم للشفاء في اول مرة والله اعلم بمراده واسرار رسوله صلى الله عليه وسلم فان قالوا
كيف يكون شفاء للناس وهو يضر باصحاب الصفراء ويهيج الحرارة ويضر بالشباب المحرورين قلنا
في الجواب عن هذا الاعتراض ايضا ان قوله فيه شفاء للناس وهو يضر باصحاب الصفراء ويهيج
الحرارة ويضر خرج مخرج الاغلب فيه شفاء ولم يقل انه شفاء لكل الناس ولكل داء لكنه في
الجملة دواء وان نفعه اكثر من مضرته وقل معجون من المعاجين الا وتمامه به والاشربة المتخذة
من العسل نافعة لاصحاب البلغم والشيوخ المبرودين ومنافعه كثيرة جدا والقول الثاني
انه شفاء للاوجاع التي شفاؤها فيه ومنها قول السدي وقال مجاهد في قوله فيه شفاء
للناس يعني القران لانه شفاء من امراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة
للناس والقول الاول اصح لان الضمير يجب ان يعود الى اقرب المذكورات واقربها
قوله يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو اولى ان يرجع الضمير اليه لانه اقرب مذكور
وقوله تعالى **ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون** يعني فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا
على وحدانيتنا وقدرتنا قوله عز وجل **والله خلقكم** يعني اوجدكم من العدم واخرجكم الى
الوجود ولم تكونوا شيئا **ثم يتوفاكم** يعني عند انقضاء اجالكم اما صبيانا واما شبانا
واما كهولا **ومنكم من يرد الى ارذل العمر** يعني الى ارداه من النشوء والنماء ومنتهى اول العمر الى
بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب في بلوغ الاشد ثم المرتبة الثانية سن
الوقوف وهي من ثلاث وثلاثين سنة الى اربعين سنة وهي غاية القوة وكمال العقل المرتبة
الثالثة سن الكهولة من الاربعين الى الستين سنة وهذه المرتبة يشرع الانسان الى النقص
لكنه نقص خفي لا يظهر ثم المرتبة الرابعة سن الشيخوخة والانحطاط من الستين الى
اخر العمر وفيه يتبين النقص ويكون الهرم والخرف قال علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه
ارذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة **ق** عن انس
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والجبن
والهرم والبخل واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المحيا والممات وفي رواية
اخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهؤلاء الدعوات اللهم اني اعوذ
بك من البخل والكسل وارذل العمر وعذاب القبر وفتنة المحيا والممات **لكيلا يعلم بعد علم
شيئا** يعني ان الانسان يرجع الى حال الطفولية بنسيان ما كان علم بسبب الكبر قاله
ابن عباس رضي الله عنهما وقال الزجاج المعنى وان معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالامور
شيئا لشدة هرمه وقال الزجاج المعنى وان منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفا فيصير
بعد ان كان عالما جاهلا ليريكم من قدرته انه كما قدر على اماتته واحيائه انه قادر
على نقله من العلم الى الجهل هكذا وجدته منقولا عنه ولو قال ليريكم من قدرته
انه كما قادر على نقله من العلم الى الجهل انه قادر على احيائه بعد اماتته فيكون ذلك
دليلا على صحة البعث بعد الموت كان اجود قال ابن عباس رضي الله عنهما ليس هذا

في المسلمين

في المسلمين لان المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء الا كرامة عند الله وعقلا ومعرفة قال عكرمة رضي
الله تعالى عنه من قرا القران لم يرد الى ارذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئا وقال في قوله تعالى الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات هم الذين قرؤوا القران وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم رددناه اسفل
سافلين يريد الكافر ثم استثنى المؤمنين فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقوله عز وجل
ان الله عليم بما صنع باوليائه واعدائه **قدير** يعني على ما يريد قوله تعالى **والله فضل بعضكم
على بعض في الرزق** يعني ان الله تعالى بسط الرزق على واحد وضيقه على واحد وقتر على واحد
وكثر على واحد وقلل على واحد كما فضل بعضهم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضهم على بعض
في الخلق والخلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك فهم
متفاوتون ومتباينون في ذلك كله وهذا مما تقتضيه الحكمة الالهية والقدرة الربانية
فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم يعني من العبيد حتى يستووا فيه هم وعبيدهم
يقول الله تعالى هم لا يرضون ان يكونوا هم ومماليكهم فيما رزقناهم سواء وقد جعلوا عبيدي
شركائي في ملكي وسلطاني فالزم بهذه الحجة على المشركين حيث جعلوا عبيدي الاصنام شركاء لله قال
قتادة هذا مثل ضربه الله عز وجل يقول هل منكم احد يرضى ان يشركه مملوكه في ملكه جميع
ماله فكيف تعدلون بالله خلقه وعباده وقيل في معنى الاية ان الموالي والمماليك الله تعالى رزقهم
جميعا **فهم فيه** يعني في رزقه **سواء** فلا يحسبن الموالي انهم يردون رزقهم على مماليكهم من عند انفسهم
بل ذلك رزق الله اجراه على ايدي المماليك والمعنى ان الرازق هو الله تعالى لجميع
خلقه وان الموالي والمماليك في ذلك سواء وان المالك لا يرزق المملوك بل الرازق للمماليك
والمالك هو الله تعالى وقوله **افبنعمة الله يجحدون** فيه انكار على المشركين حيث جحدوا
نعمته وعبدوا غيره قوله عز وجل **والله جعل لكم من انفسكم ازواجا** يعني النساء خلق من ادم حواء
زوجته وقيل جعل لكم من انفسكم ازواجا لانه خطاب عام يعم الكل فتخصيصه ادم وحواء خلاف
الدليل **وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة** جمع حافد وهو المسرع في الخدمة المسارع في
الطاعة ومنه قوله في الدعاء واليك نسعى ونحفد اي نسرع الى الطاعة لك الى طاعتك فهذا اصله
في اللغة ثم اختلفت اقوال المفسرين فيه فقال ابن مسعود والنخعي الحفدة اختان الرجل على بناته
وعن ابن مسعود ايضا انهم الاصهار فهو يعني على هذا القول يكون معنى الاية
وجعل لكم من ازواجكم بنين وبنات تزوجونهن فيحصل لكم بسببهن الاختان والاصهار
وقال الحسن وعكرمة والضحاك هم الخدم وقال مجاهد هم الاعوان وكل من
اعانك فقد حفدك وقال عطاء هم ولد الرجل الذين يعينونه ويخدمونه وقيل
هم اهله وقال ابن عباس اهل المهنة الذين يمتهنون ويخدمون لا اكابر الاولاد
الذين يعينون الرجل على اهله وقال ابن عباس رضي الله عنهما هم ولد الولد
وفي رواية اخرى عنه انهم بنو امراة الرجل الذين ليسوا منه وكل هذه الا
قوال متقاربة لان اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك
وبالجملة فان الحفدة غير البنين قال الله تعالى بنين وحفدة فجعل بينهم
مغايرة قوله **ورزقكم من الطيبات** يعني النعم التي انعم بها عليكم من انواع الثمار
والحبوب والحيوان والاشربة المستطابة الحلال المرضية للاكلة قوله تعالى **افبالباطل يؤمنون**
يعني بالاصنام وقيل بالشيطان يؤمنون وقيل معناه يصدقون ان لي شريكا وصاحبة
وولدا وهذا استفهام انكاري **وبنعمة الله هم يكفرون** يعني انهم يضيفون
ما انعم الله تعالى به عليهم الى غيره وقيل معناه انهم يجحدون ما احل الله لهم **ويعبدون**

من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض يعني الاصنام التي لا يقدرون على انزال المطر الذي في السموات خزائنه ولا يقدرون على اخراج النبات التي في الارض وقوله شيئا بدل من الملك
من الارزاق شيئا يعني لا يملك من الرزق شيئا قليلا ولا كثيرا وقيل معناه يعبدون من لا يرزق
شيئا ولا يستطيعون يعني ولا يقدرون على شيء يذكر عجز الاصنام عن ايصال نفع او دفع ضر فلا
تضربوا لله الامثال يعني لا تشبهوا الله بخلقه وانه واحد لا مثيل له ولا شبيه له ولا شريك
له من خلقه لان الخلق كلهم عبيده وفي ملكه فكيف يشبه الخالق بالمخلوق والرازق بالمرزوق
او القادر بالعاجز وانتم لا تعلمون خطأ بما تضربون له من الامثال ان الله يعلم يعني
خطأ ما انتم عليه من ضرب الامثال لله وانتم لا تعلمون خطأ بما تضربون له الامثال قوله
تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا لما
نهاهم الله تعالى عن ضرب الامثال لغفلة علمهم بضرب هو لنفسه مثلا فقال تعالى مثلكم
في اشراككم الله الاوثان كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز التصرف وبين حر كريم مالك قادر
قد رزقه الله مالا فهو يتصرف وينفق فيه كيف شاء فصريح العقل يشهد بانه لا تسوية
بينهما ولا يجوز في التعظيم والاجلال لما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما في الخلق
والصورة البشرية فكيف يجوز للعاقل ان يسوي بين الله الخالق القادر على الرزق والافضال
وبين الاصنام التي لا تملك ولا تقدر على شيء البتة وقيل هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر
فالمراد بالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء هو الكافر لانه لما حرم من عبادة الله
تعالى وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز الذي لا يقدر على شيء وقيل ان الكافر
لما رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا صار كالعبد الذي لا يملك شيئا والمراد بقوله ومن
رزقناه منا رزقا حسنا المؤمن لانه لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته والانفاق في وجوه
البر صار كالحر المالك الذي ينفق منه سرا وجهرا في طاعة الله تعالى وابتغاء مرضاته وهو
قوله تعالى فهو ينفق منه سرا وجهرا فاثابه الله الجنة على ذلك فان قلت لم قال عبدا
مملوكا لا يقدر على شيء فهو مملوك لما ذكر المملوك فليتميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما
لانهما من عباد الله تعالى واما قوله لا يقدر على شيء احترز به عن المملوك المكاتب والماذون
له في التصرف لانهما يقدران على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الاية على ان العبد لا يملك
شيئا هل يستوون ولم يقل هل يستويان يعني هل يستوي الاحرار والعبيد والمعنى كما
لا يستوي هذا الفقير البخيل والغني السخي كذا لا يستوي الكافر والمؤمن والعاصي والطائع
قال عطاء في قوله عبدا مملوكا هو ابو جهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا
هو ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ثم قال الحمد لله حمد الله تعالى نفسه لانه المستحق
لجميع المحامد لانه المنعم المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لا ان هذه الاصنام التي
عبدوها لا فاعل لها ولا تستحق لانها جماد عاجز لا تدل على احد معروف فتحمد انما الحمد
الكامل لله تعالى لا لغيره فيجب على جميع العباد حمد الله تعالى لانه اهل الحمد والثناء
الحسن بل اكثرهم يعني الكفار لا يعلمون يعني ان الحمد لله لا للاصنام وضرب الله
مثلا رجلين احدهما ابكم وهو الذي ولد اخرس فكل ابكم اخرس وليس كل اخرس ابكم
والابكم الذي لا يفهم ولا يفهم لا يقدر على شيء وهو اشارة الى العجز التام والنقصان
الكامل وهو كل على مولاه اي ثقل على من يلي امره ويعوله وقيل اصله الغلظ وهو
نقيض الحدة ويقال كل السكين اذا غلظت شفرتها وكل اللسان اذا غلظ فلم يقدر على
النطق وكل فلان عن الامر اذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه فقوله وهو كل على مولاه

اي غليظ ثقيل على مولاه اينما يوجهه يعني حيثما يرسله ويصرفه في طلب حاجة او كفاية مهم
لا يأت بخير يعني لا يأتي بنجح لانه اخرس عاجز لا يحسن ولا يفهم هل يستوي هو يعني هذا الموصوف بهذه الصفات
المذمومة ومن يأمر بالعدل يعني ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفاية وهو ذو رشد وديانة يأمر
بالعدل لانه الخير وهو في نفسه على صراط مستقيم يعني سيرة صالحة ودين قويم فيجب ان يكون الآمر بالعدل
عالما قادرا مستقيما في نفسه حتى يتمكن من الامر بالعدل وهذا مثل ضربه الله تعالى لنفسه ولما يفيض
على عباده من نعمه ويشملهم به من آثار رحمته والطافه وللاصنام التي هي موات جماد لا تضر
ولا تنفع ولا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي لا تملك وتحتاج الى كلفة والنقل والخدمة وقيل
كلا المثلين للمؤمن والكافر فالمؤمن هو الذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم والكافر
هو الابكم الثقيل على المؤمن فالذي يأمر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على صراط مستقيم والذي يأمر بالظلم وهو ابكم هو ابو جهل وقيل الذي يأمر بالعدل عثمان
بن عفان رضي الله عنه وكان له مولى يأمره بالاسلام وذلك المولى يأمر بالامساك عن الانفاق
في سبيل الله تعالى فهو الذي لا يأت بخير وقيل المراد بالابكم الذي لا يأت بخير ابي بن خلف وعثمان بن مظعون
ولله غيب السموات والارض اخبر الله عز وجل في الآية عن كمال علمه وانه عالم بجميع الغيوب
فلا يخفى عليه خافية ولا يخفى عليه شيء منها وقيل الغيب هنا علم الساعة وقيامها وهو قوله تعالى وما
امر الساعة يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي يقوم فيه الناس لموقف الحساب
الا كلمح البصر يعني في السرعة ولمح البصر هو انطباق جفن العين وفتحه وهو طرف العين ايضا
او هو اقرب يعني ان لمح البصر يحتاج الى زمان وحركة والله تعالى اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون
في اسرع من لمح البصر وهو قوله ان الله على كل شيء قدير فيه دليل على كمال قدرته وانه تعالى مهما
اراد كان اسرع ما يكون قال الزجاج ليس المراد ان الساعة تأتي في لمح البصر ولكنه تعالى وصف
سرعة القدرة على الاتيان بها متى شاء لا يعجزه شيء قوله عز وجل والله اخرجكم من بطون امهاتكم
تم الكلام هنا لان الانسان خلق في اول الفطرة مبدأها خاليا عن العلم والمعرفة لا يهتدي سبيلا
ثم ابتدأ فقال لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار يعني ان الله تعالى انما اعطاكم هذه
الحواس لتنتقلوا بها من الجهل الى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب والسنة وهي الدلائل
السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم في امر دينكم وجعل لكم الابصار لتبصروا بها عجائب مصنوعات
الله تعالى وعجائب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانيته والافئدة لتعقلوا بها وتفهموا بها
معاني الاشياء التي جعلها دلائل وحدانيته وقال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية يريد
لتسمعوا مواعظ الله تعالى وتبصروا ما انعم الله به عليكم من اخراجكم من بطون امهاتكم الى ان صرتم
رجالا تعقلوا عظمة الله وقيل في معنى الآية والله خلقكم في بطون امهاتكم وسواكم وصوركم
ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وجعل لكم الحواس الآن لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب
العلم والعمل به من شكر المنعم بها ايضا وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم
به في الآخرة فان قلت ظاهر الآية يدل على ان جعل هذه الحواس الثلاث بعد الاخراج
من البطون وانما خلقت هذه الحواس للانسان من جملة خلقه وهو في بطن امه قلت ذكروا
العلماء فيه ان تقدم الاخراج وتأخيره ذكر هذه الحواس لا يدل على ان خلقها كان بعد الاخراج
لان الواو لا توجب الترتيب التي ثمت ولان العرب تقدم وتؤخر في بعض كلامها واقول لما كان الانتفاع
بهذه الحواس بعد الخروج من البطن فكأنما خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه وان كانت
خلقت قبل ذلك وقوله تعالى لعلكم تشكرون يعني انما انعم عليكم بهذه الحواس لتستعملوها
في شكر من انعم بها عليكم قوله تعالى الم يروا الى الطير مسخرات يعني مذللات في جو السماء

للجو الفضاء الواسع بين السماء والأرض وهو الهواء قال كعب الأحبار إن الطير يرتفع في الجو اثني عشر ميلا ولا
يرتفع فوق ذلك ما يمسكهن إلا الله يعني في حال القبض جناحيها أو بسطها واصطفافها في جو السماء
والهواء وفي هذا حث على الاستدلال بها على أن لها مسخرا سخرها ومذللا ذللها وممسكا أمسكها في حال
طيرانها ووقوفها في الهواء وهو الله تعالى قوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا التي
هي من الحجر والمدر سكنا يعني مسكنا تسكنونه والسكن ما سكنت إليه من إلف وبيت وجعل لكم
من جلود الأنعام بيوتا يعني الخيام والقباب والأخبية والفساطيط المتخذة من الأدم والأنطاع
واعلم أن المساكن على قسمين أحدهما ما لا يمكن نقله من مكان إلى مكان آخر وهي البيوت من الحجارة
والخشب ونحوهما والقسم الثاني ما يمكن نقله من مكان إلى مكان آخر وهي الخيام والفساطيط
المتخذة من جلود الأنعام وإليه الإشارة بقوله تستخفونها يعني يخف عليكم حملها يوم ظعنكم
يعني في يوم سيركم ورحيلكم في الأسفار وظعن البادية هو لطلب ماء ومرعى ونحو ذلك
ويوم إقامتكم يعني ويخف عليكم في إقامتكم وحضركم والمعنى لا تثقل عليكم في الحالتين
ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها الكناية عائدة إلى النعم ومن أصواف الضأن ومن أوبار
الإبل ومن أشعار الغنم أثاثا يعني تتخذون أثاثا والأثاث متاع البيت الكبير وأصله
من أث إذا كثر وتكاثف وقيل للمال أثاث إذا كثر قال ابن عباس رضي الله عنهما أثاثا
يعني مالا وقال مجاهد متاعا وقال القتيبي الأثاث المال أجمع من الإبل والغنم والعبيد
والمتاع وقال غيره هو متاع البيت من الفرش والأكسية ومتاعا يعني وبلاغا هو ما يتمتعون
به إلى حين يعني إلى حين تبلى تلك الأثاث وقيل إلى حين الموت فإن قلت أي فرق بين الأثاث
والمتاع حتى ذكره بواو العطف والعطف يوجب المغايرة فهو من فرق قلت الأثاث ما
كثر من آلات البيت وحوائجه وغير ذلك فيدخل فيه جميع أصناف المال والمتاع ما ينتفع
به في البيت خاصة فظهر الفرق بين اللفظين والله أعلم قوله تعالى والله جعل لكم مما
خلق ظلالا يعني جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد وهي ظلال الأبنية والجدران
والأشجار وجعل لكم من الجبال أكنانا جمع كن وهو ما يسكن إليه من شدة الحر والبرد كالأسراب
والغيران ونحوهما وذلك أن الإنسان إما أن يكون غنيا أو فقيرا فإذا سافر احتاج في سفره
ما يقيه من شدة الحر والبرد فأما الغني فيستصحب معه الخيام في سفره ليسكن فيها وإليه الإشارة
بقوله وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا وأما الفقير فيسكن في ظلال الشجر والحيطان
والكهوف ونحوها وإليه الإشارة بقوله والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال
أكنانا ولأن بلاد العرب شديدة الحرارة وحاجتهم إلى الظلال وما يدفع شدة الحر
أكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعاني في معرض الامتنان عليهم فيها ظاهرة وجعل
لكم سرابيل تقيكم الحر يعني وجعل لكم قمصا وثيابا من القطن والكتان والصوف
وغير ذلك تمنعكم من شدة الحر قال أهل المعاني والبرد فاكتفى بذكر أحدهما لدلالة
الكلام عليه وسرابيل تقيكم بأسكم يعني الدروع والجواشن وسائر ما يلبس في الحرب ليمنع
من السلاح والبأس الحرب يعني يقيكم في بأسكم السلاح أن يصيبكم قال عطاء الخراساني إنما
نزل القرآن على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال أكنانا وما جعل لهم من السهول
أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب جبال كما قال ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها وما جعل
لهم من القطن والكتان أكثر ولكن كانوا أصحاب صوف ووبر وشعر كما قال وينزل من
السماء من جبال فيها من برد وما أنزل الله من الثلج أكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج
وقال تقيكم الحر وما جعل لهم مما يقي من البرد أكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر وقوله تعالى

كذلك

كذلك يعني أنعم الله عليكم هذه النعم يتم نعمته عليكم يعني نعم الدنيا والدين لعلكم تسلمون يعني يا أهل
مكة تخلصون لله بالوحدانية والربوبية والعبادة والطاعة وتعلموا أنه لا يقدر على هذه الإنعامات
إلا الله تعالى فإن تولوا يعني فإن أعرضوا عن الإيمان وتصديقك يا محمد وآثروا ما هم فيه من الكفر
واللذات الدنيوية وإنما وبال ذلك عليهم لا عليك فإنما عليك البلاغ المبين يعني ليس عليك
عتب ولا تهمة تقصير إنما عليك البلاغ وقد فعلت ذلك ثم ذمهم الله تعالى بقوله يعرفون نعمة
الله ثم ينكرونها قال السدي نعمة الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم أنكروه وكذبوه وقيل نعمة
الله يعني هي الإسلام وهو من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده ثم إن كفار مكة أنكروه وجحدوا
وقال مجاهد وقتادة نعمة الله ما عدد عليهم في هذه السورة من النعم يقرون بأنها من نعم الله ثم
إذا قيل لهم تصدقوا وامتثلوا أمر الله فيها ينكرونها ويقولون ورثناها عن آبائنا وقال الكلبي هو
أنه لما ذكر هذه النعم قالوا هذه نعم كلها من الله لكنها بشفاعة آلهتنا وقيل إنهم يعترفون بأن الله
أنعم هذه النعم ولكنهم لا يستعملونها في طلب رضوانه ولا يشكرونها وأكثرهم الكافرون إنما قال
تعالى وأكثرهم الكافرون مع أنهم كلهم كانوا كافرين لأنه كان فيهم من لم يبلغ حد التكليف
فعبر بالأكثر عن البالغين وقيل إنه عبر بالأكثر عن الكل لأنه قد يذكر الأكثر ويراد به الجميع قوله
عز وجل ويوم نبعث من كل أمة شهيدا لما ذكر الله تعالى إنعامه على الكفار وإنكارهم لها وذكر
أن أكثرهم كافرون أتبعه الله بذكر الوعيد لهم في الآخرة فقال تعالى ويوم نبعث من كل أمة شهيدا
يعني رسولا وذلك اليوم هو يوم القيامة والمراد به أن الشهداء هم الأنبياء يشهدون على أممهم
يوم القيامة فإنكارهم نعم الله عليهم وبالكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا يعني في الاعتذار وقيل لا
يؤذن لهم في الرجوع إلى دار الدنيا حتى يعتذرون ويتوبون وقيل لا يؤذن لهم في معارضة
الشهود بل يشهدون عليهم ويعرفونهم ويقرونهم بذلك ولا هم يستعتبون الاستعتاب في اللغة
طلب العتب والمعتبة هي المغلظة والموجدة التي يجدها الإنسان في نفسه بكل غيره والرجل
إنما يطلب العتاب على خصمه ليزيل ما في نفسه عليه من الموجدة والغضب ويرجع إلى الرضى عنه وإذا
لم يطلب العتاب منه دل ذلك على أنه ثابت على غضبه عليه ومعنى الآية أنهم لا يكلفون أن يرضوا
ربهم في ذلك اليوم لأن الآخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون إلى الدنيا فيتوبوا ويرجعوا ويرضوا
ربهم فالاستعتاب لطلب الرضى وهذا باب منسد على الكافر في الآخرة وإذا رأى الذين ظلموا يعني
ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي العذاب يعني عذاب جهنم فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون
يعني لا يؤخرون ولا يمهلون وإذا رأى الذين أشركوا يعني يوم القيامة شركاءهم يعني
أصنامهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك
يعني أربابا وكنا نعبدهم ونتخذهم آلهة فألقوا يعني الأصنام إليهم يعني إلى عابديها القول
إنكم لكاذبون يعني في تسميتنا آلهة وما دعوناكم إلى عبادتنا فإن قلت الأصنام جماد لا تتكلم
فكيف يصح منها الكلام قلت لا يبعد أن الله تعالى لما بعثها وأعادها في الآخرة خلق فيها
الحياة والنطق والعقل حتى قالوا ذلك والمقصود من إعادتها وبعثها حتى تكذب
الكفار وهي غاية الذلة والحقارة فيزدادون بذلك غما وحسرة وألقوا يعني المشركين إلى الله
يومئذ السلم يعني أنهم استسلموا له وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيئا وضل عنهم
يعني وزال عنهم المشركين ما كانوا يفترون يعني ما كانوا يكذبون في الدنيا في قولهم إن
الأصنام تشفع لهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله يعني أنهم ضموا مع كفرهم يعني أنهم
منعوا الناس عن الدخول في الإيمان بالله ورسوله زدناهم عذابا فوق العذاب يعني
زدناهم هذه الزيادة بسبب صدهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم

الاصل واختلفوا في هذه الزيادة ما هي فقال عبد الله بن مسعود عقارب لها انياب كامثال
النخل الطوال وقال سعيد بن جبير حيات كالبخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن اللسعة
فيجد صاحبها المها اربعين خريفا قال ابن عباس ومقاتل يعني خمسة انهار من صفر مذاب كالنار
تسيل من تحت العرش يعذبون بها ثلاثة على مقدار الليل واثنان على مقدار النهار وقيل انهم
يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فيبادرون من شدة الزمهرير الى النار مستغيثين بها
وقيل يضاعف لهم العذاب ضعف بسبب كفرهم وضعف بسبب صدهم الناس عن سبيل الله
بما كانوا يفسدون يعني ان الزيادة انما حصلت لهم بسبب صدهم وبسبب ما كانوا
يفسدون مع ما يستحقونه من العذاب على الكفر ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم قال
ابن عباس رضي الله عنهما يريد الانبياء قال المفسرون كل نبي شاهد على امته وهو عدل كل شاهد
عليها من انفسهم يعني منهم لان كل نبي انما بعث من قومه الذي بعث اليهم ليشهدوا عليهم
بما فعلوه من كفر وايمان وطاعة وعصيان وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء يعني على
قومك وامتك وتم الكلام هنا ثم قال تعالى ونزلنا عليك يعني على قومك القران
الكتاب تبيانا لكل شيء يعني بيانا تاما البيان فقال مجاهد يعني لما امر به وما نهى عنه وقال اهل
المعاني تبيانا لكل شيء من امور الدين اما بالنص او بالاحالة على ما يوجب العلم من بيان
النبي صلى الله عليه وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم بين ما في القران من الحدود والاحكام
والحلال والحرام وجميع المامورات والمنهيات واجماع الامة فهو ايضا اصل ومفتاح
لعلوم وهدى يعني من امور الضلالة ورحمة يعني لمن امن به وصدقه وبشرى للمسلمين
يعني وفيه بشرى للمسلمين من الله عز وجل ان الله يامر بالعدل والاحسان قال ابن عباس
ابن عباس العدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان اداء الفرائض وفي رواية عنه قال
العدل خلع الانداد والاحسان ان تعبد الله كانك تراه وان تحب للناس ما تحب لنفسك
ان كان مؤمنا تحب ان يزداد ايمانا وان كان كافرا تحب ان يكون اخاك في الاسلام وقال
في رواية اخرى عنه العدل التوحيد والاحسان الاخلاص واصل العدل في اللغة المساواة
في كل شيء من غير زيادة في شيء ولا غلو فيه ولا نقصان فيه والعدل هو المساواة في المكافاة
خيرا بخير او شرا بشر والاحسان ان يقابل الخير باكثر منه والشر بان يعفو عنه وقيل
العدل الانصاف والانصاف ولا انصاف اعظم من الاعتراف للمنعم بانعامه والاحسان ان
تحسن لمن اساء عليه وقيل يعني العدل في الافعال والاحسان في الاقوال فلا يفعل الا ما
هو عدل ولا يقول الا ما هو حسن وايتاء ذي القربى يعني ويامر بصلة الرحم وهو
القرابة الادنى والابعد منك فيستحب ان تصلهم من فضل ما رزقك الله فان لم يكن له فضل
فدعاء حسن وتودد وينهى عن الفحشاء قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يعني الزنا وقال
غيره الفحشاء ما قبح من القول والفعل فيدخل فيه الزنا وقال غيره الفحشاء جميع الاقوال والافعال
المذمومة والمنكر قال ابن عباس الشرك والكفر وقال غيره المنكر ما لا يعرف في شريعة ولا
سنة والبغي يعني الكبر والظلم والعدوان وقيل البغي هو التطاول على الغير وقال
بعضهم ان اعجل المعاصي البغي ولو ان جبلين بغى احدهما على الاخر لدك الباغي قال ابن
عيينة في هذه الاية العدل استواء السر والعلانية والاحسان ان تكون سريرته احسن
من علانيته والفحشاء والمنكر ان تكون علانيته احسن من سريرته وقال بعضهم ان الله
تعالى ذكر من المامورات ثلاثة اشياء ومن المنهيات ثلاثة اشياء فذكر العدل وهو
الانصاف والمساواة في الاقوال والافعال وذكر في مقابلته الفحشاء وهو ما قبح من

الاقوال

الاقوال والافعال وذكر الاحسان وهو ان تعفو عمن ظلمك وتحسن الى من اساء اليك وذكر في مقابلته المنكر
وهو ان تنكر احسان من احسن اليك وذكر ايتاء ذي القربى والمراد به صلة القرابة والتودد اليهم والشفقة
عليهم وذكر في مقابلته البغي وهو ان تتكبر عليهم او تظلمهم حقوقهم ثم قال تعالى يعظكم لعلكم تذكرون
يعني انما امركم بما امركم به ونهاكم عما نهاكم عنه لكي تتعظوا او فتذكروا فتعملوا بما فيه رضى الله تعالى قال
ابن مسعود ان اجمع اية في القران لخير وشر هذه الاية قال اهل المعاني لما قال الله تعالى في الاية
الاولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء بين في هذه الاية المامور به والمنهي عنه على سبيل الاجمال
فما من شيء يحتاج اليه الناس في امر دينهم فيما يجب ان يؤتى او يترك الا وقد اشتملت عليه هذه الاية
وروى عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على الوليد بن المغيرة ان الله يامر بالعدل والاحسان الى اخر
الاية فقال له يا ابن اخي اعد فاعاد عليه فقال له الوليد بن المغيرة والله ان له لحلاوة وان عليه
لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما هو بقول البشر قوله عز وجل واوفوا بعهد
الله اذا عاهدتم لما ذكر في الاية المتقدمة المامورات والمنهيات على سبيل الاجمال ذكر في هذه
الاية بعض ذلك الاجمال على التفصيل فبدا بالامر بالوفاء بالعهد لانه اوكد الحقوق فقال
واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الاسلام فامرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل المراد منه كل ما يلتزمه الانسان باختياره
ويدخل فيه الوعد ايضا لان الوعد من العهد وقيل العهد ها هنا هو اليمين قال القتيبي العهد
يمين وكفارته كفارة يمين فعلى هذا يجب الوفاء به اذا كان فيه صلاح اما اذا لم يكن فيه صلاح
فلا يجب الوفاء به لقوله صلى الله عليه وسلم من حلف يمينا ثم راى غيرها خيرا منها فليات الذي هو
خير وليكفر عن يمينه فيكون قوله واوفوا بالعهد من العام الذي خصصته السنة وقال
مجاهد وقتادة نزلت في حلف اهل الجاهلية ويشهد لهذا التاويل قوله صلى الله عليه وسلم كل
حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها
يعني بعد تشديدها فتحنثوا فيها وفيه دليل على ان المراد بالعهد غير اليمين لانه اعمه وقد جعلتم
الله عليكم كفيلا يعني شهيدا بالوفاء بالعهد ان الله يعلم ما تفعلون يعني من وفاء العهد ونقضه
ثم ضرب الله تعالى مثلا لنقض العهد فقال تعالى ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها يعني من بعد
ابرامه واحكامه قال مقاتل والكلبي هي امراة من قريش يقال لها ريطة بنت عمرو بن سعد
بن كعب بن زيد مناة بن تميم وكانت خرقاء حمقاء تلك بها وسوسة وكانت قد اتخذت مغزلا
قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وكانت لها فلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل من الصوف
والوبر والشعر وتامر جواريها بالغزل فكن يغزلن من الغداة الى نصف النهار فاذا
انتصف النهار امرتهن بنقض جميع ما غزلن فكان هذا دابها والمعنى ان هذه المراة
لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك عن نقض العهد لا تركه ولا حين
عاهد وفا به من بعد قوة انكاثا جمع نكث وهو ما ينقض من الغزل والحبل بعد الفتل
تتخذون ايمانكم دخلا بينكم يعني دغلا وخيانة وخديعة والدخل ما يدخل في الشيء
على سبيل الفساد وقيل الدخل ان يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويبطن نقضه ان تكون
امة هي اربى من امة يعني اكثر واعلى من امة قال مجاهد ذلك بانهم كانوا يحالفون الحلفاء
فاذا وجدوا قوما اكثر من اولئك واعز نقضوا العهد وحالفوا هؤلاء الاكثر والمعنى
انكم طلبتم العز بنقض بان كانت امة اي جماعة اكثر من جماعة فنهاهم الله عن ذلك وامرهم
بالوفاء بالعهد لمن عاهدوا وقال تعالى انما يبلوكم الله به يعني يختبركم بما امركم به من العهد
والله بكم وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون يعني في الدنيا فيثيب

الطائع ويثيب الطائع ويعاقب العاصي والمخالف قوله عز وجل ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة يعني على ملة واحدة ودين واحد وهو دين الاسلام ولكن يضل من يشاء يعني بخذلانه اياه عدلا منه ويهدي من يشاء بتوفيقه اياه فضلا منه وذلك مما اقتضته الحكمة الالهية لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وقوله عز وجل ولتسئلن عما كنتم تعملون يعني في الدنيا فيجازي المحسن باحسانه ويعاقب المسيء ويغفر له قوله عز وجل ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم يعني خديعة وفسادا بينكم فتغرون بها الناس فيسكنون الى ايمانكم ويأمنون اليكم ثم تنقضونها وانما يكرر هذا المعنى تاكيدا عليهم واظهارا لتعظيم امر نقض العهد قال المفسرون وهذا في نهي الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الايمان به وشرائعه وقوله بعدها نهى عن نقض العهد لان الوعيد الذي هو قوله تعالى فتزل قدم بعد ثبوتها لا يليق بنقض عهد قبله انما يليق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الايمان وشرائعه وقوله فتزل قدم بعد ثبوتها مثل يذكر لكل من وقع في بلاء ومحنة وسقط في ورطة بعد سلامة تقول العرب لكل واقع في بلاء بعد عافية زلت قدمه والمعنى فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وتذوقوا السوء يعني العذاب بما صددتم عن سبيل الله بسبب صدكم غيركم عن دين الله وذلك لان من نقض العهد فقد علم غيره نقض العهد فيكون هو اقدامه على ذلك قوله ولكم عذاب عظيم يعني بنقضكم العهد ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا يعني ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا بنقضها عوضا من الدنيا قليلا ولكن اوفوا بها انما عند الله يعني فاما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بالعهد هو خير يعني من عاجل الدنيا ان كنتم تعلمون يعني من فضل ما بين العوضين ثم بين ذلك فقال تعالى ما عندكم ينفد يعني من متاع الدنيا ولذاتها تفنى وتذهب وما عند الله باق يعني من ثواب الاخرة ونعيم الجنة وليجزين الذين صبروا يعني الوفاء بالعهد في السراء والضراء اجرهم يعني ثوابهم بصبرهم باحسن ما كانوا يعملون عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فان قلت من عمل صالحا يفيد العموم فما فائدة الذكر والانثى قلت هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر واطلق كان الظاهر تناوله للذكر دون الانثى فقيل من ذكر او انثى على التبيين ليعم الوعد والنوعين جميعا وجواب اخر وهو ان هذه الاية واردة بالوعد بالثواب والمبالغة في تقرير الوعد من اعظم دلائل الكرم والرحمة اثباتا للتاكيد وازالة وهم التخصيص وقوله وهو مؤمن جعل الايمان شرطا في كون العمل الصالح موجبا للثواب فلنحيينه حياة طيبة قال سعيد ابن جبير وعطاء هي الرزق الحلال وقال مقاتل هي القناعة وقيل الرزق يوما بيوم واعلم ان عيش المؤمن في الدنيا وان كان فقيرا اطيب من عيش الكافر وان كان غنيا لان المؤمن لما علم ان رزقه من عند الله وكذلك بتقديره وتدبيره وعلم ان الله تعالى محسن كريم متفضل لا يفعل الا الصواب فكان المؤمن راضيا بما قدره الله له ورزقه اياه وعرف ان له مصلحة في ذلك القدر الذي رزقه اياه وعرف اصله فاستراح نفسه من الكد والحرص فطاب عيشه بذلك واما الكافر الجاهل بهذه الاصول الحريص على طلب الرزق فيكون ابدا في حزن وتعب وعنا وحرص وكد ولا يناله من الرزق الا ما قدر له وظهر بهذا ان عيش المؤمن القنوع اطيب من غيره وقال السدي الحياة الطيبة انما تحصل في القبر لان المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقتادة

في قوله

في قوله تعالى فلنحيينه حياة طيبة هي الجنة وروي عن الحسن قال لا يطيب لاحد الحياة الا في الجنة لانها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم وملك بلا هلك وسعادة بلا شقاوة فثبت بهذا ان الحياة الطيبة لا تكون الا في الجنة ولقوله تعالى في سياق الاية ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون لان ذلك الجزاء لا يكون الا في الجنة قوله عز وجل فاذا قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لما كان محتاجا الى الاستعاذة فامر بها فغيره اولى بها يعني بذلك ولما كان الشيطان ساعيا في القاء الوسوسة في قلوب بني ادم كانت الاستعاذة بالله مما تمنعه من ذلك فلهذا السبب امر الله رسوله والمؤمنين بالاستعاذة عند القران حتى تبقى مصونة من الشيطان ووسوسته عن جبير بن مطعم انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمرو لا ادري اي صلاة هي قال الله اكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة واصيلا ثلاثا اعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه قال نفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة اخرجه ابو داود الموتة الجنون والفاء في قوله فاستعذ بالله للتعقيب فظاهر لفظ الاية يدل على ان الاستعاذة بعد القراءة واليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وهو قول ابو هريرة رضي الله عنه واليه ذهب مالك وجماعة وداود الظاهري قالوا لان قارئ القران يستحق ثوابا عظيما وربما حصلت الوسوسة في قلب القارئ هل حصل له ذلك الثواب ام لا فاذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوساوس وبقي الثواب مخلصا فاما مذهب الاكثرين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الائمة وفقهاء الامصار فقد اتفقوا على ان الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الاية اذا اردت ان تقرا القران فاستعذ بالله ومثله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم الى المرافق ومثله من الكلام اذا اردت ان تاكل فقل بسم الله الرحمن الرحيم واذا اردت ان تسافر فتاهب فان الوسوسة انما تحصل في اثناء القراءة فتقديم الاستعاذة على القراءة لتذهب الوسوسة عنه اولى من تاخيرها عن وقت الحاجة اليها ومذهب عطاء تجب الاستعاذة عند قراءة القران سواء كانت في الصلاة او في غيرها واتفق سائر الفقهاء على ان الاستعاذة سنة في القران وغيره وتقدمت هذه المسئلة والخلاف في اول سورة الفاتحة والاستعاذة الاعتصام بالله والالتجاء اليه من شر الشيطان ووسوسته والمراد من الشيطان ابليس وقيل انه جنس يطلق على جميع المردة من الشياطين لان لهم قدرة على القاء الوسوسة في قلوب بني ادم باقدار الله اياهم على ذلك انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون لما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان فكان ذلك اوهم ان له قدرة على التصرف في ابدان بني ادم فازال الله هذا الوهم بقوله انه ليس له سلطان يعني ليس له قدرة ولا ولاية على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له سلطان على ان يحملهم على ذنب لا يغفر ويظهر من فحوى الاستعاذة انما تفيد اذا حضر بقلب الانسان لكونه ضعيفا وانه لا يمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان الا بعصمة الله ولهذا قال المحققون لا حول عن معصية الله ولا قوة على طاعة الله الا بتوفيق الله ثم قال تعالى انما سلطانه على الذين يتولونه يعني يطيعونه ويدخلون في ولايته يقال توليته اذا اطعته وتوليت عنه اذا اعرضت عنه والذين هم به مشركون يعني بالله وقيل الضمير في به راجع الى الشيطان والمعنى والذين هم من اجله مشركون بالله قوله تعالى واذا بدلنا اية مكان اية والله اعلم بما ينزل وذلك ان المشركين من اهل مكة يقولون ان محمدا يسخر باصحابه يامرهم

اليوم يأمر بأمر ثم ينهى عنه غدا ما هو إلا مفتر يقوله من تلقاء نفسه فأنزل الله هذه الآية
فإذا بدلنا آية مكان آية يعني حكما آخر والله أعلم بما ينزل اعتراض دخل في الكلام والمعنى والله أعلم بما
ينزل من الناسخ وبما هو أصلح من مصالح عباده وهذا نوع توبيخ وتقريع لخلقه وفيما يغير
ويبدل من أحكامه لأنه هو أعلم بجميع ذلك فيما هو من مصالح عباده وهذا نوع توبيخ وتقريع
للكفار بقولهم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى قالوا إنما أنت مفتر أي مختلق
من عندك والمعنى إذا كان الله تعالى أعلم بما ينزل فما بالهم ينسبون محمدا صلى الله عليه
وسلم إلى الافتراء والكذب لأجل التبديل والنسخ وإنما فائدة ذلك ترجع إلى مصالح العباد كما
يقال إن الطبيب يأمر المريض بشرب الدواء ثم ينهاه عنه ويأمره بغيره لما يرى فيه من المصلحة
بل أكثرهم لا يعلمون يعني لا يعلمون فائدة الناسخ وتنزيل المنسوخ قل أي قل لهم يا محمد نزله
روح القدس يعني جبريل نزل بالقرآن من ربك يا محمد ليثبت الذين آمنوا يعني ليثبت
بالقرآن قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا ويقينا وهدى وبشرى يعني وهو هدى وبشرى
للمسلمين قوله تعالى ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر وذلك أن كفار مكة قالوا إنما يتعلم
هذه القصص وهذه الأخبار من إنسان آخر وهو آدمي مثله وليس هو من عند الله كما يزعم فأجابهم
الله تعالى بقوله ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر واختلفوا في ذلك البشر من هو فقال
ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان
نصرانيا أعجمي اللسان وكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج
من عنده فكانوا يقولون إنما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرئ غلاما لبني المغيرة يقال له يعيش وكان يقرأ الكتب فقالت قريش إنما يعلمه يعيش
وقال محمد بن إسحاق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني كثيرا ما يجلس عند
المروة إلى غلام رومي نصراني عبد لبعض الحضرمي يقال له جبر وكان يقرأ الكتب وقال
عبيد بن مسلم كان لنا عبدان من أهل عين التمر يقال لأحدهما يسار ويكنى أبا فكيهة
والآخر يقال له جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن التوراة والإنجيل
فربما مر بهما النبي صلى الله عليه وسلم إذا آذاه الكفار وهما يقرآن فيقف ويسمع وكان
الضحاك كان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا آذاه الكفار يقعد إليهما فيتروح
بكلامهما فقال المشركون إنما يتعلم محمد منهما وقال الفراء قال المشركون إنما يتعلم محمد
من عائش مملوك كان لحويطب بن عبد العزى وكان قد أسلم وحسن إسلامه وكان أعجميا
وقيل هو عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل أن الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقالوا إنما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم إنه ينسبها إلى نفسه ويزعم أنه وحي من الله
تعالى وهو كاذب في ذلك فأجاب الله تعالى وأنزل هذه الآية تكذيبا لهم فيما رموا به
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى لسان الذي يلحدون إليه يعني
يميلون إليه ويشيرون به أعجمي يعني وهذا هو الأعجمي والأعجمي هو الذي لا يفصح في
كلامه وإن كان يسكن البادية والعربي الذي يسكن الأمصار من بلاد العرب وهو ومنه
زياد الأعجم كان في لسانه لكنة مع أنه كان من العرب والعجمي منسوب إلى العجم وإن كان
فصيحا بالعربية والأعرابي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الأمصار من بلاد العرب
وهو منسوب إلى العرب فقوله وهذا لسان عربي مبين يعني ذا الفصاحة والبلاغة
ووجه الجواب أن الذي يشيرون إليه رجل أعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الإتيان
بفصيح الكلام ومحمد صلى الله عليه وسلم جاءكم بهذا القرآن الفصيح الذي عجزتم عنه أنتم
وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقدر من هو أعجمي على مثله وأين فصاحة هذا

القرآن

القرآن من عجمة هذا الذي يشيرون إليه فثبت بهذا البرهان أن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وحي
أوحاه الله إليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون إليه ولا هو أتى به من تلقاء نفسه بل هو وحي من
الله عز وجل إليه ويروى أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه قوله عز وجل
إن الذين لا يؤمنون بآيات الله يعني لا يصدقون أنها من عند الله لا يهديهم الله يعني
لا يرشدهم ولا يوفقهم ولهم عذاب أليم يعني في الآخرة ثم أخبر الله تعالى أن الكفار هم المفترون
فقال تعالى إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله يعني إنما يقدم على الفرية
الكذب من لا يؤمن بآيات الله فهو رد لقول الكفار قريش إنما أنت مفتر وأولئك هم
الكاذبون يعني في قولهم إنما يعلمه بشر لسان لأنه محمد صلى الله عليه وسلم فإن قلت
قد قال تعالى إنما يفتري الكذب فما معنى قوله وأولئك هم الكاذبون وإنما هو الأول
قلت قوله لأن إنما يفتري الكذب إخبار عن فعلهم وهو قوله فأولئك هم الكاذبون
نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره إنك كذبت وأنت كاذب أي كذبت في هذا القول ومن عادتك
الكذب وفي الآية دليل على أن الكذب من أخس الذنوب الكبائر لأن الكاذب المفتري هو الذي لا يؤمن
بآيات الله روى البغوي بإسناد الثعلبي عن عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزني
قال قد يكون ذلك قال قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قال قلت المؤمن يكذب قال لا قال
الله تعالى إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله قوله تعالى من كفر بالله من بعد إيمانه
إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان نزلت في عمار بن ياسر وذلك أن الكفار أخذوه وأباه ياسرا
وأمه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم ليرجعوا عن الإسلام فأما سمية أم عمار فإنها
ربطت بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما أول قتيلين قتلا في الإسلام
وأما عمار فإنه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه مكرها قال قتادة أخذ بنو المغيرة عمارا وغطوه
في بئر ميمون وقالوا له اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فأخبر رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم بأن عمارا كفر فقال كلا إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط
الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما وراءك قال شر يا رسول الله نلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال
مطمئنا بالإيمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه فقال إن عادوا لك فعد لهم بما قلت
فنزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت في ناس من أهل مكة آمنوا فكتب إليهم بعض أصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم أن هاجروا إلينا فإنا لا نراكم منا حتى تهاجروا فخرجوا يريدون المدينة
فأدركتهم قريش في الطريق ففتنوهم عن دينهم فكفروا كارهين وهذا قول ضعيف لأن الآية
مكية وكان هذا في أول الإسلام قبل أن يؤمروا بالهجرة وقال مقاتل نزلت في جبر مولى عامر بن
الحضرمي أكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها وقلبه مطمئن بالإيمان ثم أسلم عامر بن الحضرمي
مولى جبر وحسن إسلامه وهاجر إلى المدينة والأولى أن يقال إن الآية عامة في كل من أكره على
الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان وإن كان السبب خاصا فإن قلت المكره على الكفر ليس بكافر فلا
يصح استثناؤه من الكافر فما معنى هذا الاستثناء في الآية قلنا المكره ما ظهر منه بعد الإيمان
ما مثله يظهر من الكافر طوعا صح هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكلة فصل في حكم
الآية قال العلماء يجب أن يكون الإكراه الذي يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفر أن يعذب
تعذيبا لا طاقة له به مثل التخويف بالقتل والضرب الشديد والإيلامات القوية مثل
التخويف بالنار وغيره قال العلماء أول من أظهر الإسلام سبعة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأبو بكر الصديق وخباب وصهيب وبلال وعمار وأبوه ياسر وأمه سمية فأما رسول الله

صلى الله عليه وسلم فمنعه الله تعالى من اذى المشركين بعمه ابي طالب واما ابو بكر فمنعه قومه وعشيرته واخذوا الآخرين وألبسوا ادراع الحديد واجلسوهم في حر الشمس بمكة واما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول احد احد حتى اشتراه ابو بكر وعتقه وقتل ياسر وسمية كما تقدم وقال خباب لقد اوقدوا الي نارا ما اطفاها الا ودك ظهري واجمعوا على انه من اكره على الكفر لا يجوز له ان يتلفظ بكلمة تصريحا بل يأتي بالمعاريض وبما يوهم انه كفر فلو اكره على التصريح يباح له ذلك بشرط ان طمأنينة القلب على الايمان غير معتقد ما يقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان افضل لان ياسرا وسمية قتلا ولم يتلفظ بكلمة.

ولان بلالا صبر على العذاب ولم يلم على ذلك قال العلماء من الافعال ما يتصور الاكراه عليها كشرب الخمر واكل لحم الخنزير والميتة ونحوها فمن اكره بالسيف او القتل على ان يشرب خمرا او يأكل الميتة او لحم الخنزير او نحوها جاز له ذلك لقوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقيل لا لان الاكراه يجوز له ذلك ولو صبر كان افضل ومن الافعال ما لا يتصور الاكراه عليه كالزنى لان الاكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع انتشار الآلة فلا يتصور فيه الاكراه واختلف العلماء في طلاق المكره فقال الشافعي وأكثر العلماء لا يقع طلاق المكره وقال ابو حنيفة يقع حجة الشافعي رضي الله عنه ومن وافقه قوله لا اكراه في الدين فهو ولا يمكن ان يكون المراد نفي ذاته لان ذاته موجودة فوجب حمله على نفي آثاره والمعنى انه لا اثر له ولا عبرة وقوله تعالى وقلبه مطمئن بالايمان فيه دليل على ان محل الايمان هو القلب **ولكن من شرح بالكفر صدرا** يعني فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضي به **فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم** يعني في الآخرة **ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة** يعني ذلك الاقدام على الارتداد على الكفر لاجل انهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة **وان الله لا يهدي القوم الكافرين** يعني يرشدهم الى الايمان ولا يوفقهم للعمل **اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم** تقدم تفسيره **واولئك هم الغافلون** يعني عما يراد بهم من العذاب في الآخرة وهو قوله تعالى **لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون** يعني ان الانسان انما يعمل في الدنيا ليربح في الآخرة فاذا دخل النار على خسرانه ظهر غبنه لانه ضيع رأس ماله وهو الايمان ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر قوله عز وجل **ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا** يعني عذبوا ومنعوا من الدخول في الاسلام فتنهم المشركون **ثم جاهدوا وصبروا** يعني على الايمان والهجرة والجهاد **ان ربك من بعدها** يعني من بعد الفتنة التي افتتنوها **لغفور رحيم** نزلت هذه الآية في عياش ابن ربيعة وكان اخا ابي جهل من الرضاعة وقيل كان اخاه من امه وفي ابي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام وعبد الله بن اسد الثقفي فتنهم المشركون وعذبوهم فاعطوهم بعض ما ارادوا ليسلموا من شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه الآية في عبد الله بن ابي سرح كان قد اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فارتد ولحق بدار الحرب فلما كان يوم فتح مكة امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجاره عثمان وكان اخاه لامه فاجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى به فاسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما يصح اذا قلنا ان هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة فتكون من الآيات المدنيات في السور المكيات والله اعلم بحقيقة ذلك قوله تعالى **يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها** يعني تخاصم وتحتج عن نفسها اي بما اسلفت من خير وشر اشتغل بالمجادلة لا يتفرغ الى غيرها فان قلت النفس واحدة وليس لها نفس اخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها قلت ان النفس قد يراد بها البدن وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته والنفس الثانية هي عينها وذاتها ايضا والمعنى يوم يأتي

كل

كل انسان يجادل عن ذاته ولا يهمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل منهم كقولهم والله ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات **وتوفى كل نفس ما عملت** يعني جزاء ما عملت في الدنيا من خير او شر **وهم لا يظلمون** يعني لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة ولا نقصان وروي ان عمر بن الخطاب قال لكعب الاحبار خوفنا فقال يا امير المؤمنين والذي نفسي بيده لو وافيت القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك ساعات وانت لا يهمك الا نفسك فان جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى على ركبتيه حتى ابراهيم الخليل يقول يا رب لا اسألك الا نفسي وان تصديق ذلك فيما انزل الله عليكم يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية قال ما تزال الخصومة بين القوم يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح لم يكن لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها ويقول الجسد خلقتني كالخشب ليس لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فيه نطق لساني وبه ابصرت عيناي وبه مشت رجلي فضرب الله مثلا لهما مثل اعمى ومقعد دخلا بستانا فيه ثمار فالاعمى لا يبصر الثمرة والمقعد لا يناله فحمل الاعمى المقعد فاصابا من الثمر فعليهما العذاب قوله تعالى **وضرب الله مثلا قرية** المثل عبارة عن قول يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة لغيره في معنى الافعال من المعاني اي معنى كان وهو اعم الالفاظ الموضوعة للمشابهة قال الامام فخر الدين الرازي المثل قد يضرب في شيء موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشيء موجودا او لم يكن وقد يضرب لشيء موجود معين فهذه القرية التي ضرب الله لها المثل يحتمل ان تكون القرية معينة وعلى التقدير الثاني فتلك القرية يحتمل ان تكون مكة او غيرها والاكثر من المفسرين رضي الله عنهم على انها مكة والاقرب انها غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة وقيل لمكة غير مكة وقال الزمخشري في كتابه الكشاف وضرب الله مثلا قرية اي جعلت القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة وكفروا وتولوا فانزل الله تعالى بهم نقمته فيجوز ان يراد فيه قرية مقدرة على هذه الصفة وان يكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها وقال الواحدي يعني ضرب المثل بيان المشبه هنا ضرب المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والآية عند عامة المفسرين نازلة في اهل مكة واما ما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الامن والنعمة تكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم فتقرير الآية ضرب الله مثلا لقريتكم اي بينها الله لها شبها ثم قال قرية فيجوز ان يكون القرية بدلا من مثل لانها هي المثل عينا فيجوز ان يكون المعنى ضرب الله مثلا مثل قرية فحذف المضاف هذا قول الزجاج والمفسرون كلهم قالوا انه اراد بالقرية مكة يعنون انه اراد مكة في تشبيهها بقرية مثلها مما ذكر وقال ابن الجوزي في هذه القرية قولان احدهما انها مكة والثاني انها قرية اوسع الله على اهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث الله عليهم الجوع قاله الحسن واقول هذه الآية نزلت في المدينة في قول بعض المفسرين وهو الصحيح لان الله وصف هذه القرية بصفات ستة كانت هذه الصفات موجودة لان الله وصف هذه القرية بصفات ستة كانت هذه الصفات موجودة في اهل مكة فضربها الله مثلا لاهل المدينة يحذرهم ان يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم مثل ما اصابهم من الجوع والخوف ويشهد لصحة ما قلت ان الخوف المذكور في هذه الآية في قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف البعوث والسرايا

التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم يبعثها في قول جميع المفسرين لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر
بالقتال وهو بمكة وانما امر بالقتال لما هاجر الى المدينة فكانت يبعث البعوث والسرايا الى حول مكة
يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله اعلم بمراده واما تفسير الاية فقوله تعالى وضرب الله مثلا
قرية يعني مكة كانت آمنة يعني ذات امن لا يهاج اهلها ولا يغار عليهم مطمئنة اي قارة باهلها
لا يحتاجون الى الانتقال عنها للانتجاع كما كان يحتاج الى سائر العرب يأتيها رزقها رغدا يعني
واسعا من كل مكان يعني يحمل الى اهلها الرزق والميرة من البر والبحر نظيره قوله تعالى يجبى اليه
ثمرات كل شيء وذلك بدعوة سيدنا ابراهيم عليه السلام وهو قوله وارزقهم من الثمرات
فكفرت يعني هذه القرية فالمراد بها اهلها بانعم الله جمع نعمة والمراد به سائر النعم التي انعم
الله بها عليهم بالجحود والكفر لاجرم ان الله تعالى على اهل مكة فلما قابلوا انعم الله التي
انعم بها عليهم بالجحود والكفر لاجرم ان الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى فاذاقها الله لباس
الجوع والخوف وذلك ان الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر
وقطعت عنهم الميرة بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا واكلوا العظام المحرقة والجيف
والكلاب والميتة والعهن وهو الوبر يعالج بالدم ويخلط به حتى يؤكل حتى كان احدهم ينظر
الى السماء فيرى شبه الدخان من الجوع ثم ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في ذلك وقالوا ما هذا هبك عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فاذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم في حمل الطعام اليهم وهم بعد مشركين والخوف يعني خوف النبي
صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كان يبعثها للاغارة فكانت تطيف بهم ويغيرون على
على من حول مكة من العرب فكان اهل مكة يخافونهم فان قلت الاذاقة واللباس
استعارة فما وجه صحة استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة بموقعه على اللباس
استعارتا فما وجه صحة ايقاعها وهو ان اللباس لا يذاق بل يلبس فيقال كساهم الله لباس
الجوع او يقال فاطعمهم الله طعم الجوع قلت قال صاحب الكشاف اما الاذاقة فقد
جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون
ذاق فلان البؤس واذاقهم العذاب وذاقوا العذاب والضر شبه ما يدرك من اثر الضرر
والالم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما على
الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع
والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشى منهما واللابس فكانه قيل فاذاقهما ما غشيهم
من الخوف والجوع ثم ذكر بعده من علم المعاني والبيان ما يشهد لصحة ما قاله وقال
الامام فخر الدين الرازي رحمه الله جوابه من وجوه الاول ان الاحوال التي حصلت
لهم عند الجوع نوعان احدهما ان المذوق هو فلما فقدوا الطعام صاروا كانهم يذوقوا
الجوع الثاني ان ذلك الجوع شديدا كاملا فصار كانه احاط بهم من كل الجهات فاشبه
اللباس فالحاصل انه حصل لهم في ذلك الجوع حالة تشبه المذوق وحالة تشبه الملبوس
فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فاذاقها الله لباس الجوع والخوف الثالث انه
تعالى عبر عن التعريف بلفظ الاذاقة واصل الذوق بالفم ثم يستعار فيوضع موضع
التعرف والاختبار تقول ناظر فلانا وذق ما عنده قال الشاعر

ومن يذق الدنيا فاني طعمتها ۞ وسيق الينا عذبها وعذابها

ولباس الجوع ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغير الحال والكسوف
البال كما تقول تعرفت سوء اثر الجوع والخوف على فلان وذقت لا تعرف الوجه

الثالث ان يحمل لفظ الذوق واللبس على المماسة فصار التقدير فاذاقها الله مساس الجوع والخوف
ثم قال تعالى بما كانوا يصنعون ولم يقل بما صنعت لانه اراد اهلها ثم انعم الله عز وجل عليهم بالنعمة العظيمة وهو ارسال
محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به وكذبوه وبالغوا في ايذائه وارادوا قتله فاخرجه الله من بينهم وامره
بالهجرة الى المدينة وسلط على اهل مكة البلاء والشدائد والجوع والخوف فكل ذلك بسبب تكذيبهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وخروجه من بين اظهرهم فقوله عز وجل ولقد جاءهم رسول منهم يعني
لاهل مكة محمد صلى الله عليه وسلم يعرفون نسبه ويعرفونه قبل النبوة وبعدها فكذبوه فاخذهم
العذاب يعني الجوع والخوف وقيل القتل يوم بدر والقول الاول اولى لما تقدم في الاية وهم ظالمون
يعني كافرون فكلوا مما رزقكم الله في المخاطبين بهذا قولان احدهما انهم المسلمون وهو قول
جمهور المفسرين والثاني انهم المشركون من اهل مكة قال الكلبي اشتد الجوع باهل مكة فكلم رؤساؤهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انك عاديت الرجال فما بال النساء والصبيان فاذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس ان يحملوا الطعام اليهم حكاه الواحدي وغيره وعلى
القول الاول هو الصحيح قوله عز وجل حلالا طيبا قال ابن عباس يريد الغنائم حلالا طيبا
يعني ان الله احل لهذه الامة الغنائم وطيبها لهم ولم يحل لاحد قبلهم واشكروا نعمت الله يعني
التي انعم بها عليكم ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير
الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم تقدم تفسير هذه الاية واحكامها
في سورة البقرة فلم نعد ذكرها هنا وقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب يعني
انكم تحللون وتحرمون لاجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى وسبب الا الكذب
فقط فلا تفعلوا ذلك قال مجاهد يعني تحريم البحيرة والسائبة وقال ابن عباس رضي الله عنهما
يعني ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا وذلك ان العرب في
الجاهلية كانوا يحلون اشياء ويحرمون اشياء من عند انفسهم وينسبون ذلك الى الله تعالى وهو
قوله تعالى هذا حلال وهذا حرام يعني لا تقولوا هذا حلال ان الله امرنا بذلك فتكونوا على الله
لان وصفهم الكذب وهو افتراء على الله تعالى ثم اوعد المفترين الكذب فقال تعالى لتفتروا على الله الكذب
ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون يعني معناه لا ينجون من العذاب وقيل معناه لا يفوزون
بخير لان الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح ثم بين ان ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب
فقال متاع يعني متاعهم في الدنيا متاع قليل فانه لا بقاء له ولهم عذاب اليم يعني في الاخرة وعلى
الذين هادوا يعني اليهود حرمنا ما قصصنا عليك من قبل يعني ما سبق ذكره وبيانه
في سورة الانعام وهو قوله تعالى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الاية وما ظلمناهم يعني بتحريم
ذلك عليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون يعني انما حرمنا عليهم ما حرمنا عليهم بسبب بغيهم وظلمهم انفسهم
نظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم قوله تعالى ثم ان ربك للذين
عملوا السوء بجهالة المقصود من هذه الاية بيان فضل الله تعالى وسعة مغفرته ورحمته لان السوء لفظ
جامع لكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصي وكل ما لا ينبغي فكل من عمل السوء فانما يفعله
بالجهالة لان العاقل لا يرضى بفعل القبيح فمن صدر منه فعلا قبيحا من كفر ومعصية فانما يصدر
عنه بسبب جهله بقدر ما يترتب عليه من العقاب او لجهله بقدر معصيته فلهذا ثبت ان من فعل فعل السوء
انما يفعله بجهالة ثم ان الله تعالى وعد من عمل سوءا بجهالة ثم تاب واصلح في المستقبل فان الله
يتوب عليه ويرحمه وهو قوله تعالى ثم تابوا من بعد ذلك يعني من بعد عمل ذلك السوء واصلحوا
يعني اصلحوا العمل في المستقبل وقيل معنى الاصلاح اي الاستقامة على التوبة ان ربك من بعدها
يعني من بعد عمل السوء بالجهالة والتوبة منه لغفور يعني لمن تاب وامن رحيم يعني بجميع المؤمنين

والثانيين قوله تعالى **إن إبراهيم كان أمة** حكى ابن الجوزي عن ابن الأنباري أنه قال هذا مثل
قول العرب فلان رحمة وفلان علامة ونسابة يقصدون بهذا قصد التناهي فقصد التناهي
في المعنى الذي يصفونه به والعرب توقع الأسماء المبهمة على الجماعة وعلى الواحد كقوله تعالى
فنادته الملائكة وإنما ناداه جبريل وحده وإنما سمي إبراهيم أمة لأنه اجتمعت فيه خصال
الخير وصفات الخير والأخلاق الحميدة ما اجتمع في أمة ومنه قول الشاعر

وليس على الله بمستنكر ... أن يجمع العالم في واحد

ثم للمفسرين في هذه اللفظة أقوال أحدها قول ابن مسعود الأمة معلم الخير
يعني أنه كان معلما للخير يأتم به أهل الدنيا الثاني قول مجاهد أنه كان مؤمنا وحده
والناس كفار فلهذا المعنى كان وحده أمة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد
ابن عمرو بن نفيل يبعثه الله تعالى أمة واحدة وإنما قال هذه المقالة لأنه قد كان فارق
الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الأصنام الثالث قال قتادة ليس من أهل دين إلا وهم
يتولونه ويرضونه وقيل الأمة فعلة بمعنى مفعول وهو الذي يؤتم به وكان إبراهيم
عليه الصلاة والسلام إماما يقتدى به بدليل قوله تعالى إني جاعلك للناس إماما
وقيل إنه هو السبب لأجله جعلت أمته ومن بعده ممتازين عن غيرهم بالتوحيد لله تعالى
والدين الحق وهو من باب إطلاق المسبب على السبب وقيل إنما سمي إبراهيم عليه السلام
أمة لأنه قام مقام أمة في عبادة الله تعالى **قانتا لله** يعني أنه مطيعا لله وقيل هو القائم
بأوامر الله تعالى **حنيفا مسلما** يعني مقيما على دين الإسلام لا يميل عنه ولا يزول عنه وقيل
هو أول من اختتن وضحى وأقام مناسك الحج **ولم يك من المشركين** يعني أنه عليه السلام كان من
الموحدين من صغره إلى كبره **شاكرا لأنعمه** يعني أنه شاكر الله تعالى على نعمه التي أنعمها عليه
اجتباه أي اختاره لنبوته واصطفاه لخلته **وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا
حسنة** يعني الرسالة والخلة وقيل لسان الصدق والثناء الحسن على الله والقبول من
العالم في جميع الأمم وأن الله حببه إلى جميع الخلق فكل أهل الأديان يتولونه المسلمون واليهود
والنصارى ومشركو العرب وغيرهم وقيل هو قول المصلي في التشهد اللهم صل على محمد وآل
محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وقيل إنه أولاد أبرارا على الكبر **وإنه
في الآخرة لمن الصالحين** يعني في أعلى مقامات الصالحين في الجنة فيكون بمعنى مع ولما وصف
الله عز وجل إبراهيم بهذه الصفات الشريفة العالية أمر نبيه صلى الله عليه وسلم باتباعه
فقال تعالى **ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم** يعني دينه وما كان عليه من الشريعة إبراهيم
إلا ما نسخ منها وما لم ينسخ صار شرعا وقال أبو جعفر الطبري أمر باتباعه في التبري من الأوثان
والتدين بدين الإسلام وهو قوله تعالى **حنيفا مسلما وما كان من المشركين** تقدم تفسيره
إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه يعني إنما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم
اليهود روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أمرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال
تفرغوا لله في كل سبعة أيام لصنعتكم فأبوا وقالوا لا نريد إلا اليوم الذي فرغ الله
فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاء عيسى
عليه السلام بيوم الجمعة فقالوا لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الأحد
فأعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الأمة فقبلوها فبورك لهم فيها ق عن أبي هريرة
رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن الآخرون السابقون يوم
القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا فاختلفوا فيه وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم

الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله تعالى له فهم لنا فيه تبع فغدا لليهود وبعد غد
للنصارى وفي رواية لمسلم نحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة وفي رواية
أخرى له قال أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد فجاء
الله بنا وهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة
نحن الآخرون في الدنيا الأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق قال الشيخ محيي الدين النووي
في شرح مسلم قال العلماء في معنى الحديث نحن الآخرون في الزمان والوجود السابقون بالفضل
ودخول الجنة فتدخل هذه الأمة الجنة قبل سائر الأمم وقوله بيد أنهم يعني غير أنهم أو لأنهم
وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة فاختلفوا فيه فهدانا الله له قال
القاضي عياض الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل إلى اجتهادهم لإقامة
شرائعهم فيه لما اختلفوا فاختلف اجتهادهم في تعيينه ولم يهدهم الله له وفرضه على هذه الأمة
مبينا ولم يكلهم إلى اجتهادهم ففازوا بتفضيله قال يعني القاضي عياض وقد جاء أن موسى عليه
السلام أمرهم بيوم الجمعة وأعلمهم بفضلها فناظروه أن السبت أفضل فقيل له دعهم قال القاضي
ولو كان منصوصا عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ
محيي الدين النووي يمكن أن يكونوا أمروا به صريحا ونص على عينه فاختلفوا فيه هل يلزم
تعيينه أم لهم إبداله فأبدلوه وغلطوا في إبداله قال الإمام فخر الدين الرازي في قوله تعالى
على الذين اختلفوا فيه يعني على نبيهم موسى عليه السلام حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت
فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك أي لأجله وليس معنى قوله اختلفوا
فيه أن اليهود اختلفوا فمنهم من قال بالسبت ومنهم من لم يقل به لأن اليهود كانوا متفقين
على ذلك وزاد الواحدي على هذا فقال هذا مما أشكل على كثير من المفسرين حتى قال بعضهم معنى
الاختلاف في السبت أن بعضهم قال هو أعظم الأيام حرمة عند الله لأن الله تعالى فرغ فيه
خلق الأشياء وهذا غلط لأن اليهود لم يكونوا فرقتين في السبت وإنما المخالفون اختاروا الأحد
النصارى بعدهم بزمان فإن قلت إن اليهود إنما اختاروا السبت لأن أهل الملل اتفقوا على
أن الله خلق الخلق في ستة أيام وبدأ الخلق والتكوين في يوم الأحد وتم الخلق في يوم الجمعة
وكان يوم السبت يوم فراغ فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ذلك فترك العمل في هذا اليوم
فاختاروا السبت لهذا المعنى وقال النصارى مبدأ خلق الأشياء في يوم الأحد فنحن نجعل
هذا اليوم عيدا وهذان الوجهان معقولان فما فضل يوم الجمعة حتى جعله أهل الإسلام
عيدا قلت لأن يوم الجمعة أفضل الأيام لأن كمال الخلق وتمامه كان فيه وحصول التمام
والكمال يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيدا لهذا الوجه فهذا أولى ووجه
آخر وهو أن الله عز وجل خلق فيه أشرف خلقه وهو آدم عليه السلام وهو أبو البشر وفيه تاب
عليه فكان يوم الجمعة أشرف الأيام لهذا السبب ولأن الله تعالى اختار يوم الجمعة لهذه الأمة
وادخره لهم ولم يختاروه لأنفسهم قال بعض العلماء بعث الله موسى عليه السلام بتعظيم يوم السبت
ثم نسخ بيوم الأحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت ويوم الأحد بيوم الجمعة
في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء وفي معنى الآية قول آخر قال قتادة الذين
اختلفوا اليهود استحله بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله إنما جعل
السبت أي وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فأحله بعضهم فاصطادوا
فيه فلعنوا ومسخوا قردة وخنازير في زمن داود وقد تقدمت القصة في تفسير هذه
الآية في سورة الأعراف وبعضهم ثبت على تحريمه فلم يصطادوا فيه شيئا وهم الناهون

والقول الاول اقرب الى الصحة قوله تعالى **وان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون** يعني في امر السبت يحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازي المحقين بالثواب والمبطلين بالعقاب قوله تعالى **ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة** يعني ادع الى دين ربك وهو دين الاسلام بالحكمة يعني بالمقالة المحكمة الصحيحة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعني وادعوهم الى الله بالترغيب والترهيب وهو انه لا يخفى عليهم انك تناصحهم وتقصد ما ينفعهم **وجادلهم بالتي هي احسن** يعني بالطريقة التي هي اشرف واحسن المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تضييق وقيل ان الناس خلقوا وجعلوا على ثلاثة اقسام القسم الاول وهم العلماء الكاملون اصحاب العقول الصحيحة والبصائر الثاقبة الذين يطلبون الاشياء على حقيقتها فهؤلاء هم المشار اليهم بقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة يعني ادعهم بالدلائل القطعية اليقينية حتى يعلموا الاشياء بحقايقها حتى ينتفعوا وينفعوا الناس وهم خواص العلماء من الصحابة وغيرهم القسم الثاني وهم اصحاب الفطر السليمة والخلقة الاصلية وهم غالب الناس الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا الى حضيض النقصان فهم اوسط الاقسام وهم المشار اليهم بقوله بالحكمة والموعظة الحسنة اي ادع هؤلاء بالموعظة والقسم الثالث وهم اصحاب جدال وخصام ومعاندة وهؤلاء المشار اليهم بقوله وجادلهم بالتي هي احسن حتى ينقادوا الى الحق ويرجعوا اليه وقيل المراد بالحكمة النبوة اي ادعهم بالنبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين في الدعوة وجادلهم بالتي هي احسن اي اعرض عن اذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء الى الحق فعلى هذا القول قال بعض المفسرين هذا منسوخ باية السيف **ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين** يعني يا محمد انما عليك يا محمد تبليغ ما ارسلت به اليهم ودعاؤهم بهذه الطرق الثلاثة وهو اعلم بالفريقين الضال والمهتدي فيجازي كلا على مثل عمله **وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به** نزلت هذه الاية بالمدينة في سبب شهداء احد وذلك ان المسلمين لما راوا ما فعل المشركون بقتلى المسلمين الاحمل به غير حنظلة بن عامر الراهب وذلك ان اباه ابا عامر كان مع ابي سفيان فتركوا حنظلة كذلك فقال المسلمون حين راوا ذلك لئن اظهرنا الله عليهم لنربين على صنيعهم ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها احد من العرب باحد ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا انفه واذنه وقطعوا مذاكيره وبقروا بطنه واخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فمضغتها ثم ارسلتها لتاكلها فلم تلبث في بطنها حتى رمتها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال اما انها لو اكلتها لم تدخل النار ابدا حمزة اكرم على الله من ان يدخل شيئا من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عمه حمزة نظر الى شيء لم ينظر الى شيء قط كان اوجع لقلبه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله فانك ما علمت ما كنت فاعلا للخيرات وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسرني ان ادعك حتى تحشر من افواج شتى والله لئن اظفرني الله بهم لامثلن بسبعين منهم مكانك فانزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وامسك ما اراد وكفر عن يمينه عن ابي بن كعب قال لما كان يوم فتح احد اصيب من الانصار اربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الانصار لئن اصبنا منهم يوما مثل هذا اليوم لنربين عليهم قال فلما كان يوم فتح مكة فانزل الله عز وجل وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين

فقال

فقال رجل لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفوا عن القوم الا اربعة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب واما تفسير الاية فقوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به سمي الفعل الاول باسم الثاني في المزاوجة للكلام والمعنى ان صنع بكم سوء من قتل او مثلة ونحوها فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه وان استيفاء الزيادة ظلم والظالم ممنوع منه في عدل الله وشرعه ورحمته وفي الاية دليل على ان الاولى ترك الاستيفاء وذلك بطريق الاشارة والرمز والتعريض ان الترك اولى فان كان لا بد من استيفاء القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب مراعاة المماثلة ثم انتقل من طريق الاشارة الى طريق التصريح فقال تعالى **ولئن صبرتم لهو خير للصابرين** يعني ولئن عفوتم وتركتم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والصبر خيرا من استيفاء القصاص وفيه اجر للصابرين العافين **فصل** اختلف العلماء على هذه الاية منسوخة ام لا على قولين احدهما انها نزلت قبل براءة فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقاتل من قاتله ولا يبدا بالقتال ثم نسخ ذلك وامر بالجهاد وذلك قول ابن عباس والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما اعز الله الاسلام وكثر اهله امر الله رسوله بالجهاد ونسخ هذا بقوله واقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الاية والقول الثاني انها محكمة نزلت فيمن ظلم ظلامة فلا يحل له ان ينال من ظالمه اكثر مما نال الظالم منه وهذا قول مجاهد والشعبي والنخعي وابن سيرين والثوري قال بعضهم الاصح انها محكمة لان الاية واردة في تعليم حسن الادب في كيفية استيفاء الحقوق والقصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الاشياء لا تكون منسوخة ولا تعلق لها بالناسخ والله اعلم وقوله عز وجل **واصبر وما صبرك الا بالله** الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واعلمه ان صبره بتوفيقه ومعونته قوله **ولا تحزن عليهم** يعني الكفار واعراضهم عنك وقيل معنى ولا تحزن على قتلى احد وما فعل بهم فانهم افضوا الى رحمة الله ورضوانه **ولا تك في ضيق** يعني ولا يضيقن صدرك يا محمد بسبب مكرهم فان الله كافيك وناصرك عليهم قرا في ضيق بفتح الضاد وكسرها فقيل هما لغتان وقال ابو عمرو الضيق بالفتح وبالكسر الشدة وقال ابو عبيدة الضيق بالكسر قلة المعاش وفي المسكن واما ما كان في القلب والصدر فانه بالفتح وقال القتيبي الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا يكون صفة كانه قال ولا تك في ضيق من مكرهم قال الامام فخر الدين الرازي هذا الكلام من المقلوب لان الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف ولا يكون الموصوف حاصلا في الصفة وقيل المعنى ولا يكون الضيق فيك الا ان الفائدة في قوله ولا تك في ضيق هي ان الضيق فيك الا ان تكون الفائدة في شيء اذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط بالانسان من كل جانب كالقميص المحيط وكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى **مما يمكرون** اي اتقوا سبيل الزيادة في القصاص وسائر المناهي **ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** يعني بالعفو عن الجاني وهذه المعية بالقول والفضل والرحمة يعني ان ردت ايها ان اكون معك بالعون والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفي هذا اشارة الى التعظيم لما امر الله به والشفقة على خلق الله تعالى قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وقال الانسان ان يعرف الحق لذاته

والخير لاجل ان يعمل به وقيل لهدم بن حيان عند الموت اوص فقال انما الوصية في المال ولا مال
لي ولكني اوصيك بخواتيم سورة النحل والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الاسرا

مكية وقال ابن الجوزي هي مكية في قول الجماعة الا ان بعضهم يقول فيها مدني وروي عن ابن عباس
رضي الله عنهما انه قال هي مكية الا ثمان ايات من قوله وان كادوا ليفتنونك الى قوله نصيرا
وهذا قول قتادة وقال تعالى تلك فيهما من المدني وقل رب ادخلني مدخل صدق الاية وقوله
ان الذين اوتوا العلم من قبله وقوله ان ربك احاط بالناس وقوله وان كادوا ليفتنونك وقوله
ولولا ان ثبتناك والتي تليها وهي مائة وعشر ايات وقيل احد عشر وخمسمائة وثلاث وثلاثون
كلمة وثلاثة الاف واربعمائة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبحان
الذي اسرى بعبده روى ابن الجوزي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سئل عن تفسير سبحان الله فقال
تنزيه الله عن كل شي هكذا ذكره بغير سند وقال النحويون سبحان اسم علم على التسبيح يقال سبحت
الله سبحا فالتسبيح هو المصدر وسبحان الله علم للتسبيح وتفسير سبحان الله تنزيه الله عن كل
سوء ونقيصة واصله في اللغة التباعد فمعنى سبحان الله تبعيده وتنزيهه عن كل ما لا ينبغي الذي
اسرى بعبده يقال اسرى به واسرى به لغتان بعبده اجمع المفسرون والعلما والمتكلمون ان المراد
به محمد صلى الله عليه وسلم لم يختلف احد من الامة في ذلك وقوله بعبده اضافة تشريف وتعظيم
وتبجيل وتفخيم وتكريم ومنه قول بعضهم لا تدعني الا بيا عبدها فانه اشرف اسمائي وقيل لما
بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الدرجة العالية والرتب الرفيعة ليلة المعراج اوحى الله
يا محمد بم شرفتك قال رب بانك نسبتني الى نفسك بالعبودية فانزل الله سبحانه وتعالى سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا فان قلت الاسرى لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل قلت اراد بقوله
ليلا بلفظة التنكير تقليل مدة الاسرا وانه اسرى به في بعض ليلة من مكة الى الشام مسيرة
شهر واكثر فدل تنكير الليل على البعضية من المسجد الحرام يعني قيل كان الاسرا من نفس مسجد
مكة وفي حديث مالك بن صعصعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا انا في المسجد الحرام
في الحجر وذكر حديث المعراج بكماله فيما بعد وقيل عرج به من دار ام هاني بنت ابي طالب رضي الله
عنها وهي بنت عمه اخت علي كرم الله وجهه فعلى هذا اراد بالمسجد الحرام الحرم الى المسجد
الاقصى يعني بيت المقدس سمي اقصى لبعده من المسجد الحرام ولانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد
الذي باركنا حوله يعني بالانهار والاثمار والاشجار وقيل سماه مباركا لانه مقر الانبيا ومهبط
الوحي والملايكة وقبلة الانبيا قبل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واليه يحشر الخلق يوم
القيامة فان قلت ظاهر الاية يدل على ان الاسرا كان الى بيت المقدس وانه عرج به الى السما
فكيف الجمع بين الدليلين وما فايدة ذكر المسجد الاقصى فقط قلت كان الاسرا على ظهر البراق
الى المسجد الاقصى ومنه كان عروجه الى السما على المعراج وفايدة ذكر المسجد الاقصى فقط انه
صلى الله عليه وسلم لو اخبر بصعوده الى السما اولا لاشتد انكارهم لذلك فلما اخبر انه
اسرى به الى بيت المقدس وبان لهم صدقه فيما اخبر به من العلامات التي فيه وصدقوه
عليها اخبر بمعراجه الى السما فجعل الاسرا من المسجد الحرام كالتوطية لمعراجه الى السما وقوله تعالى
لنريه من اياتنا يعني من بعض عجايب قدرتنا فقد راى محمد صلى الله عليه وسلم الانبيا تلك
الليلة وصلى بهم وراى الايات العظام فان قلت لفظة من في قوله من اياتنا تقتضي التبعيض
وقال في حق ابراهيم عليه السلام وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض فظاهر
هذا يدل على فضيلة ابراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم ولا فايدة به فما وجهه
قلت ملكوت السموات والارض من بعض ايات الله ايضا ولايات الله افضل من ذلك

واكثر

واكثر الذي راه محمد صلى الله عليه وسلم من اياته وعجايبه تلك الليلة كان افضل من ملكوت السموات
والارض فظهر بهذا البيان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على ابراهيم عليه الصلاة والسلام انه هو السميع
البصير لاقواله والحافظ له في ظلمة الليل وقت اسرايه وقيل انه هو السميع لما قالت قريش حين
اخبرهم بمسيره الى بيت المقدس البصير بما ردوا عليه من التكذيب وقيل انه هو السميع لاقوال جميع خلقه
البصير بافعالهم فيجازي كل عامل بعمله حمله على العموم اولى

فصل في ذكر المعراج وما يتعلق به

من الاحكام وما قال العلما فيه عن ابن عباس عن قتادة عن انس بن مالك بن صعصعة ان نبي الله
صلى الله عليه وسلم حدثهم انه اسرى به فقال بينا انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع ومنهم من قال
بين النايم واليقظان اتاني ات فسمعته يقول لشق ما بين هذه الى هذه فقلت للجارود وهو الى
جنبي ما يعني قال من ثغرة نحره الى شعرته وسمعته يقول من قصه الى شعرته فاستخرج قلبي
ثم اتيت بطست من ذهب مملوءة ايمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم اعيد ثم اتيت بدابة دون البغل
وفوق الحمار ابيض فقال له الجارود اهو البراق يا ابا حمزة قال انس نعم يضع خطوه عند اقصى
طرفه فحملت عليه فانطلق بي جبريل عليه السلام حتى اتى بي الى السما الدنيا فاستفتح فقيل من هذا
قال جبريل قال ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد ارسل اليه قال نعم فقال مرحبا
ونعم المجي جا فاذا فيها ادم عليه السلام فقال هذا ابوك ادم فسلم عليه فسلمت فرد علي السلام
وقال مرحبا بالابن الصالح ثم صعد حتى اتى الى السما الثانية فاستفتح فقيل من هذا
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا به
فنعم المجي جا ففتح فلما خلصت فاذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة فقال هذا يحيى وعيسى
فسلم عليهما فسلمت فردا ثم قالا مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح ثم صعد بي الى السما
الثالثة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد
ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا يوسف عليه السلام قال هذا يوسف
فسلم عليه فسلمت عليه فقال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد بي حتى اتى السما الرابعة
فاستفتح قال من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا
به فنعم المجي جا فلما خلصت فاذا ادريس قال هذا ادريس فسلم عليه فسلمت عليه فقال مرحبا
بالاخ الصالح والنبي الصالح ثم صعد حتى اتى السما الخامسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قيل مرحبا فنعم المجي جا فلما خلصت
فاذا هارون قال هذا هارون فسلم عليه فسلمت عليه فقال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الصالح
ثم صعد بي حتى اتى السما السادسة فاستفتح فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد
قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال مرحبا بك فنعم المجي جا فاذا موسى عليه السلام قال هذا موسى فسلم عليه
فسلمت عليه فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح فلما جاوزته بكى فقيل ما يبكيك قال لان غلاما
بعث بعدي يدخل الجنة من امته اكثر مما يدخلها من امتي ثم صعد بي الى السما السابعة فاستفتح فقيل
من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد ارسل اليه قال نعم قال نعم المجي جا فلما
خلصت فاذا ابراهيم عليه السلام فسلم عليه فسلمت عليه فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي
الصالح ثم رفعت الى سدرة المنتهى واذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها كاذان الفيلة
قال هذه سدرة المنتهى واذا اربعة انهار نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت ما هذان
يا جبريل فقال اما الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران فالنيل والفرات ثم رفع
بي الى البيت المعمور ثم اتيت باناء من خمر واناء من لبن واناء من عسل فاخذت اللبن فقال هي الفطرة

الفطرة التي انت عليها وامتك ثم فرضت علي الصلوة خمسين صلاة كل يوم فرجعت فمررت على موسى
فقال بما امرت قلت امرت بخمسين صلاة كل يوم قال ان امتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم
واني والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاسئله التخفيف
عن امتك فرجعت فوضع عني عشرا فرجعت الى موسى فقال مثله فرجعت فامرت بعشر صلوات كل
يوم فرجعت الى موسى فقال مثله فامرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت الى موسى فقال بما امرت
فقلت بخمس صلوات كل يوم قال ان امتك لا تستطيع ذلك واني قد جربت الناس قبلك
وعالجت بني اسرائيل اشد المعالجة فارجع الى ربك فاسئله التخفيف عن امتك قال قلت
سألت ربي حتى استحييت ولكن ارضى واسلم فلما جاوزت نادى مناد امضيت فريضتي وخففت
عن عبادي زاد في رواية اخرى واجزي بالحسنة عشرا وفي رواية بينما انا عند البيت بين
النائم واليقظان وفيه ثم غسل البطن بماء زمزم ثم ملئ ايمانا وحكمة وفيه فرفع الي البيت
المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا لم يعودوا امرة اخرى عن انس بن
مالك فيهم كل يوم قال كان ابوذر يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج عن سقف بيتي
وانا بمكة فنزل جبريل ففرج عن صدري ثم غسله من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب
ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بي الى السماء فلما جئنا الى السماء
الدنيا اذا رجل بيمينه اسودة فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر شماله بكى فقال مرحبا
بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا ادم وهذه الاسودة عن
يمينه وعن شماله نسم بنيه فاهل اليمين اهل الجنة واهل الشمال اهل النار فاذا نظر قبل
يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى قال ثم عرج حتى اتى السماء الثانية فقال لخازنها افتح
فقال له خازنها مثل ما قال الخازن سماء الدنيا قال انس بن مالك فذكر انه وجد في السموات
ادم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير انه ذكر وجد في سماء الدنيا
ادم وابراهيم في السماء السادسة قال فلما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بادريس
قال هذا ادريس قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال قلت
من هذا قال هذا موسى ثم بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قال عيسى قال ثم
مررت بابراهيم فقال مرحبا بالابن الصالح والنبي الصالح قال قلت من هذا قال ابراهيم
قال ابن شهاب اخبرني ابن حزم ان ابن عباس وابا حبة الانصاري يقولان قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم ظهر بي حتى ظهرت لمستوى اسمع فيه صريف الاقلام قال ابن حزم
وانس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله على امتي خمسين صلاة
قال لي موسى فارجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك فراجعته ربي فوضع شطرها قال فرجعت
الى موسى فرجعت بذلك حتى مررت بموسى فقال موسى ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال
لي موسى فراجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك فراجعت ربي فوضع شطرها قال فرجعت
الى موسى فاخبرته فقال راجع ربك فان امتك لا تطيق ذلك فراجعت ربي فقال
هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت الى موسى فقال راجع ربك فقلت
قد استحييت من ربي قال ثم انطلق بي جبريل حتى اتى السدرة المنتهى فغشيها الوان
ما ادري ما هي قال ثم ادخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك في عن
شريك بن ابي نمرة انه سمع انس بن مالك يقول ليلة اسري برسول الله صلى الله عليه
وسلم من مسجد الكعبة اذ جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه فقال اولهم ايهم هو فقال
اوسطهم هو خيرهم فقال اخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى

اتوه

اتوه ليلة اخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم
فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره الى لبته حتى فرغ
من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى انقى جوفه ثم اتي بطست من ذهب محشوا ايمانا وحكمة فحشا
صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم اطبقه ثم عرج به الى السماء الدنيا فضرب بابا من ابوابها فناداه
اهل السماء من هذا فقال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به
واهلا يستبشر به اهل السماء لا يعلم اهل السماء ما يريد الله به في الارض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا ادم عليه
السلام فقال له جبريل هذا ابوك ادم فسلم عليه فرد عليه السلام وقال مرحبا واهلا يا بني نعم الابن
انت فاذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل فقال هذا النيل والفرات
عنصرهما قال ثم مضى به في السماء فاذا هو بنهر اخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فاذا هو
مسك اذفر فقال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك ثم عرج به الى السماء الثانية
فقالت الملائكة مثل ما قالت الملائكة الاولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا
وقد بعث اليه قال نعم قالوا مرحبا به واهلا ثم قال عرج بي الى السماء الثالثة فقالوا مثل ما قالت
الملائكة الاولى والثانية ثم عرج الى الرابعة فقالوا مثل ذلك ثم عرج به الى الخامسة فقالوا مثل
ذلك كلها ثم عرج بي الى السماء السادسة فقالوا مثل ذلك ثم عرج بي الى السماء السابعة فقالوا
مثل ذلك كل سماء فيها انبياء قد سماهم فاوعيت منهم ادريس في الثانية وهارون في السماء الرابعة
واخر في الخامسة ولم احفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله
فقال موسى رب لم اظن ان ترفع علي احد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه احد الا الله حتى جاء سدرة
المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما يوحي خمسين صلاة
على امتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه فقال يا محمد ماذا عهد اليك ربك قال عهد الي
خمسين صلاة كل يوم وليلة قال ان امتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف ربك عنك وعنهم فالتفت
صلى الله عليه وسلم الى جبريل كانه يستشيره في ذلك فاشار اليه جبريل ان نعم ان شئت فعلا به الى
الجبار تعالى فقال وهو مكانه يا رب خفف عنا فان امتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات
ثم رجع الى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى الى ربه حتى صارت خمس صلوات ثم احتبسه موسى
عند الخمس فقال يا محمد لقد راودت بني اسرائيل قومي على ادنى من هذا فضعفوا وتركوه فامتك
اضعف اجسادا وقلوبا وابدانا وابصارا واسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي
صلى الله عليه وسلم الى جبريل عليه السلام ليشير عليه ولا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال
يا رب ان امتي ضعفاء اجسادهم وقلوبهم واسماعهم وابصارهم وابدانهم فخفف عنا فقال
الجبار يا محمد قال لبيك وسعديك قال انه لا يبدل القول لدي كما فرضت عليك في ام الكتاب
وهي خمس عليك فرجع الى موسى فقال كيف فعلت قال خفف عنا اعطانا بكل حسنة عشر امثالها
فقال موسى قد والله راودت بني اسرائيل على ادنى من ذلك فتركوه فارجع الى ربك
فليخفف عنك ايضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله استحييت من ربي قال
واهبط باسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام هذا لفظ حديث البخاري واخرج مسلم
حديث شريك عن انس الموقوف عليه على حديث ثابت البناني المسند وذكر منه اول حديث شريك
طرفا ثم قال وساق الحديث نحو حديث ثابت قال مسلم وقدم واخر وزاد ونقص وليس في حديث
ثابت من هذه الالفاظ الا ما نورده على نصه اخرجه مسلم وحده من حديث حماد بن سلمة عن
ثابت عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض
طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت

المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبيا قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم
خرجت فجاءني جبريل باناء من لبن واناء من خمر فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت الفطرة
قال ثم عرج بنا الى السما فاستفتح جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث الله قال نعم قال
مرحبا به ففتح لنا فاذا انا بادم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السما الثانية فاستفتح
فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قيل محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم قال فرحبت ففتح لنا فاذا
انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا فرحبا بي ودعيا لي بخير ثم عرج بنا الى السما الثالثة
فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال نعم ففتح لنا
فاذا انا بيوسف عليه السلام فاذا هو قد اعطي شطر الحسن قال فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
الى السما الرابعة فاستفتح جبريل قيل من انت قال جبريل قال ومن معك قال محمد قيل وقد
بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادريس فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه
مكانا عليا ثم عرج بنا الى الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال
محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير
ثم عرج بنا الى السما السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بموسى فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السما
السابعة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه
قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابراهيم عليه السلام مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو
يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى السدرة المنتهى فاذا ورقها كاذان
الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشيها تغيرت فما احد من خلق الله
يستطيع ان ينعتها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلاة كل يوم وليلة فرجعت بذلك
الى موسى قال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فاني قد بلوت
بني اسرائيل وخبرتهم فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف على امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى
فقلت قد حط عني خمسا فقال ان امتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فاسئله التخفيف قال
فلم ازل ارجع بين موسى وربي تبارك وتعالى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل
عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة وان هم بها وعملها كتبت له عشر حسنات
ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان هم بها فعملها كتبت عليه سيئة واحدة قال فنزلت
حتى انتهيت الى موسى فاخبرته قال ارجع الى ربك فاسئله التخفيف فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه هذه رواية واخرجه الترمذي مختصرا
وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب
عليه فقال له جبريل امحمد تفعل هكذا ما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا واخرجه
النسائي مختصرا وفي اخره قال فرجعت الى ربي فسألته التخفيف فقال اني يوم خلقت السموات
والارض فرضت عليك وعلى امتك خمسين صلاة فخمس بخمسين فقم بها انت وامتك فعرفت
انها امر الله بقول حتم فلم ارجع **فصل** قال البغوي قال اهل الحديث ما وجدنا
للبخاري ومسلم في كتابيهما شيئا لا يحتمل مخرجا الا حديث شريك بن ابي نمرة عن انس بن مالك
واحال الامر فيه على شريك وذلك انه ذكر فيه ان ذلك كان قبل الوحي واتفق اهل العلم
ان المعراج كان بعد الوحي باثنتي عشرة سنة وقيل ان الجبار تبارك وتعالى دنا فتدلى وذكرت
عائشة رضي الله عنها ان الذي دنا جبريل عليه السلام قال البغوي هذا الاعتراض عندي
لا يصح لان هذا كان رؤيا في المنام واراه الله ذلك قبل ان يوحى اليه بدليل اخر الحديث

فانه

فانه استيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي وقبل الهجرة بسنة تحقيقا لرؤياه
صلى الله عليه وسلم التي راها من قبل كما انه راى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة
ونزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله وكذا خرج
مسلم قد جا في الحديث في رواية شريك في هذا الحديث اوهام انكرها عليه بعض العلما وقد نبه مسلم
على ذلك بقوله فقدم واخر وزاد ونقص منها قوله وذلك قبل ان يوحى اليه وهو غلط لم يوافق عليه
وان الاسرا اقل ما قيل فيه ما قيل انه كان بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال
الحربي كانت ليلة الاسرى بعد مبعثه صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن اسحاق اسري به صلى
الله عليه وسلم وقد فشا الاسلام بمكة ايضا في القبائل قال الشيخ محيي الدين رحمه الله تعالى واشبه
الاقوال قول الزهري وابن اسحاق واما قوله في رواية شريك وهو نائم وفي الرواية الاخرى بينا
انا عند البيت بين النائم واليقظان فقد يحتج به من يجعلها الاخرى رؤيا نوم ولا حجة فيه اذ قد يكون
ذلك اول وصول الملك اليه وليس في الحديث ما يدل على كونه نائما في القصة كلها هذا كلام
القاضي عياض وهذا الذي قاله في رواية شريك وان اهل العلم قد انكروها وقد قاله غيره وقد
ذكر البخاري رواية شريك هذه عن انس في كتاب التوحيد من صحيحه واتى بالحديث مطولا
قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ
من رواية شريك بن ابي نمرة عن انس قد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه بالفاظ غير معروفة
وقد روى حديث الاسرى جماعة من الحفاظ المتقنين والائمة المشهورين كابن شهاب وثابت البناني
وقتادة يعني عن انس فلم يات احد منهم بما اتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند اهل الحديث
والاحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المعول عليها **فصل** في شرح بعض الفاظ المعراج
وما يتعلق به كانت ليلة الاسرى قبل الهجرة بسنة يقال كان في رجب ويقال كان في رمضان
وقد تقدم زيادة على هذا القدر في الفصل الذي قبل هذا واختلفوا في الاسرى برسول
الله صلى الله عليه وسلم فقيل انما كان ذلك في المنام والحق الذي كان عليه اكثر الناس ومعظم
السلف وعامة الخلف من المتاخرين من الفقها والمحدثين والمتكلمين انه اسري بروحه وجسده
صلى الله عليه وسلم ويدل عليه قوله سبحانه وتعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا ولفظ العبد
عبارة عن مجموع الروح والجسد والاحاديث الصحيحة التي تقدمت تدل على صحة هذا القول
لمن تاملها وبحث عليها وحكى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة انه قال كل ذلك كان رؤيا
وانه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما اسري بروحه وحكي هذا القول عن
عائشة رضي الله عنها ايضا وعن معاوية نحوه والصحيح ما عليه جمهور العلما من السلف
والخلف والله اعلم قوله صلى الله عليه وسلم اتيت بالبراق هو اسم للدابة التي ركبها رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به واشتقاقه من البرق لسرعته او لشدة صفائه وبيانه
ولمعان تلألئه ونوره والحلقة باسكان اللام ويجوز فتحها والمرابط يربط البراق بالحلقة
الاخذ بالاحتياط في الامور وتعاطي الاسباب وان ذلك لا يقدح في التوكل اذا كان الاعتماد على
الله تعالى قوله فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فيه اختصار والتقدير
وقال اخترت اللبن قوله جبريل اخترت الفطرة يعني فطرة الاسلام وجعل اللبن
علامة الفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين وانه سليم العاقبة
بخلاف الخمر فانها ام الخبائث وجالبة لانواع الشر قوله ثم عرج بي حتى اتى السما الدنيا
فاستفتح جبريل فقال من انت قال جبريل فيه بيان الادب من استاذن وان يقول انا فلان
ولم يقول انا ولا يقول انا فانه مكروه وفيه ان للسما ابوابا وبوابين وان عليها حرس

وقوله بواب السماء وقد ارسل اليه وفي الرواية الاخرى وقد بعث اليه معناه للاسرى وصعوده السما
وليس هذا مراده الاستفهام عن اصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يخفى عليه الى هذه المدة هذا
هو الصحيح في معناه وقوله فاذا انا بادم وذكر جماعة من الانبيا فيه استحباب لقا اهل الفضل
والصلاح والبشر والترحيب والكلام الحسن وان كان الزائر افضل من المزار وفيه جواز
مدح الانسان في وجهه اذا امن عليه من الاعجاب وغيره من اسباب الفتنة وقوله فاذا انا بابراهيم
مسند ظهره الى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد الى القبلة وتحويل ظهره وقوله ثم ذهب
بي الى السدرة المنتهى هكذا وقع في هذه الرواية والسدرة بالالف واللام وفي باقي الروايات
الى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من المفسرين سميت بذلك لان علم الملائكة ينتهي اليها ولم
يجاوزها احد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونه ينتهي
اليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من امر الله عز وجل وقوله واذا ثمرها كالقلال وهو
جمع قلة بكسر القاف وبضمها وهي الجرة الكبيرة التي تسع قلتين او اكثر وقوله فرجعت الى
ربي قال الشيخ محي الدين معناه رجعت الى الموضع الذي ناجيته فيه اولا فناجيته فيه ثانيا وقوله
فلم ازل ارجع بين موسى وبين ربي معناه بين موضع مناجاته عز وجل قلت واما الكلام في
معنى الرؤيا وما يتعلق بها فانه سياتي ان شا الله تعالى في تفسير سورة النجم عند قوله
ثم دنا فتدلى وفرض الله على امتي خمسين صلاة الى قوله فوضع شطرها وفي الرواية الاخرى فوضع
عني شطرا وفي الاخرى خمسا ليس بين هذه الروايات منافاة لان المراد بالشطر الجزء وهو
الخمس وليس المراد منه النصف واما رواية العشر فهي رواية شريك ورواية ثابت البناني
وقتادة وهما اثبت من شريك فالمراد حط عني خمسا الى اخره ثم قال هي خمس وهي خمسون
يعني خمسين في الاجر والثواب لان الحسنة بعشر امثالها واحتج العلما بهذا الحديث انه شق
صدره صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وقد شق في صدره ايضا وهو عند حليمة التي كانت
ترضعه فالمراد بالشرح الثاني زيادة التطهير لما يراد به من الكرامات ليلة المعراج وقوله
اتيت بطست من ذهب قد يتوهم متوهم انه يجوز استعمال اناء الذهب لنا وليس المراد الامر
كذلك لان هذا الفعل من فعل الملائكة وهو مباح لهم استعمال الذهب ويكون هذا قد كان
قبل تحريمه وقوله ممتلى ايمانا وحكمة فافرغها في صدري فان قلت الحكمة والايمان معاني
والافراغ صفة الاجسام فما معنى ذلك قلت يحتمل انه جعل في الطست شي يحصل به كمال الايمان
والحكمة وزيادتهما فسمي ايمانا وحكمة لكونه سببا لهما وهذا من احسن المجاز وقوله في صفة ادم
عليه السلام فاذا رجل عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة وهو جمع سواد وقد فسره في الحديث
بانه نسم بنيه يعني ارواح بنيه وقد اعترض على هذا بان ارواح المومنين في السما وارواح
الكفار تحت الارض فكيف تكون في السما والجواب عنه بانه يحتمل بان ارواح الكفار تعرض
على ادم عليه السلام وهو في السما فوافق وقت عروضها على ادم عليه السلام مرور النبي
صلى الله عليه السلام فاخبر بما راى وقوله اذا راى عن يمينه ضحك واذا راى عن شماله
بكى فيه شفقة الوالد على اولاده وفرحه وسروره بحسن حال المومن منهم وحزنه على
سو افعال الكافر منهم وقوله في ادريس ادريس مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح قد
اتفق المورخون انه جد لنوح عليهما السلام وعلى ان ادريس هو اخنوخ فيكون جدا للنبي
صلى الله عليه وسلم كما ان ابراهيم عليه السلام جده فكان ينبغي ان يقول بالنبي الصالح
والابن الصالح كما قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام والجواب عن هذا انه قيل
ان ادريس المذكور هاهنا هو الياس وهو من ذرية ابراهيم فليس هو جد لنوح هذا

جواب

جواب القاضي عياض قال الشيخ محي الدين ليس في الجواب ما يمنع كون ادريس ابا لمحمد صلى الله
عليه وسلم وان قوله الاخ الصالح يحتمل ان يكون قاله تلطفا وتادبا وهو اخ وان كان ابنا لان
الانبيا اخوة والله اعلم بمراده واسرار كتابه **فصل** في ذكر الايات التي ظهرت
بعد المعراج الدالة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وسياق الحديث الذي يتعلق بالاسرا
روى البغوي انه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكان بذي طوى قال يا جبريل
ان قومي لا يصدقوني قال يصدقك ابا بكر الصديق قال ابن عباس وعايشة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لما كانت ليلة اسري بي الى السما اصبحت بمكة فضقت بامري وعرفت ان الناس
يكذبوني فروي انه صلى الله عليه وسلم قعد معتزلا حزينا فمر به ابو جهل فجلس كالمستهزئ فقال هل
استفدت من شي قال نعم اسري بي الليلة قال الى اين قال الى بيت المقدس قال ابو جهل ثم اصبحت
بين اظهرنا قال نعم فلم ير ابو جهل ان ينكر ذلك مخافة ان يجحده الحديث ولكن قال ان حدثت قومك
بما حدثتني قال نعم قال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلموا فانفضت المجالس وجاوا حتى
جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتني قال نعم قال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لوي هلموا ا
فانفضت المجالس وجاوا حتى جلسوا اليهما قال حدث قومك بما حدثتني قال نعم اسري بي الليلة
قالوا الى اين قال الى بيت المقدس قالوا ثم اصبحت بين اظهرنا قال نعم قال فبقي الناس بين مصفق
وبين واضع يده على راسه متعجبا وارتد ناس ممن امن به وصدقه وسعى رجل الى ابي بكر الصديق فقال
له هل لك في صاحبك انه اسري به الليلة الى بيت المقدس قال او قد قال ذلك قال نعم قال
لئن قال ذلك لقد صدق قالوا وتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجا في ليلة قبل ان يصبح
قال نعم اني لاصدقه بما هو ابعد من ذلك اصدقه بخبر السما في غدوة او روحة فلذلك سمي ابا بكر
الصديق قال وكان في القوم من قد اتى المسجد الاقصى قال نعم فذهب ينعت واثبت حتى
التبس علي قال فجي بالمسجد وانا انظر اليه حتى وضع دون دار عقيل فنعت النبي صلى الله عليه وسلم
وانا انظر اليه فقال القوم اما النعت فوالله لقد اصاب فيه ثم قالوا يا محمد اخبرنا
عن عيرنا فهي اهم الينا هل لقيت منها شيا قال نعم مررت بعير بني فلان وهي بالروحا وقد
اضلوا بعيرا وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ما فعطشت فاخذته فشربته ثم وضعته
كما كان فسلوا هل وجدوا الما في القدح حين رجعوا قالوا هذه اية ومررت بعير بني فلان
وفلان وفلان راكبان قعودا لهما بذي مر فنفر بعيرهما مني فرمى بفلان فانكسرت يده فاسلوهما
عن ذلك قالوا هذه اية اخرى فاخبرنا عن عيرنا قال مررت بها بالتنعيم قالوا فما عدتها
واحمالها وهيئتها ومن فيها وكانوا بالحزورة قال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها فلان وفلان ه
يقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا وهذه اية
ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيا وبينه حتى اتوا كدا
فجلسوا عليه فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبوه اذ قال قايل هذه الشمس قد طلعت يقدمها
بعير اورق فيها فلان وفلان كما قال فلم يومنوا وقالوا هذا سحر مبين عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible] في الحجر وقريش تسالني عن
مسراي فسالتني عن اشيا في بيت المقدس لم اثبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط قال فرفعه
الله لي انظر اليه ما سالوني عن شي الا انباتهم به وقد رايتني في جماعة من الانبيا فاذا موسى
قائم يصلي فاذا رجل ضرب جعد كانه من رجال شنوءة واذا عيسى ابن مريم قائم يصلي اقرب
الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي فاذا ابراهيم قائم يصلي اشبه الناس به صاحبكم
يعني به نفسه صلى الله عليه وسلم فحانت الصلاة فاممتهم قال لي قائل يا محمد هذا خازن

النار فسلم عليه فالتفت اليه فبدأني بالسلام عن جابر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لما كذبني قريش قمت الى الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت اخبرهم عن آياته وانا انظر اليه
زاد البخاري في رواية لما كذبني قريش حين اسري بي الى بيت المقدس وذكر الحديث عن انس ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت على موسى ليلة اسري بي عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلي
في قبره عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهينا الى بيت المقدس قال
جبريل كذا باصبعه فخرق بها الحجر وشد به البراق اخرجه الترمذي فان قلت كيف رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم موسى يصلي في قبره وكيف صلى بالانبياء في بيت المقدس ثم وجدهم على مراتبهم
في السموات فسلموا عليه ورحبوا به وكيف تصح الصلاة من الانبياء بعد الموت وهم في الدار الآخرة
قلت اما صلاته صلى الله عليه وسلم بالانبياء ببيت المقدس يحتمل ان الله تعالى جمعهم له ليصلي بهم فيعرفوا
فضله وتقدمه عليهم ثم انه تعالى اراه اياهم على مراتبهم وفضلهم واما مروره بموسى وهو
قائم يصلي في قبره عند الكثيب الاحمر فيحتمل انه كان بعد المعراج واما صلاة الانبيا
في الدار الآخرة فهم في حكم الشهدا بل افضل منهم وقد قال الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا بل احيا فالانبيا احيا بعد الموت واما حكم صلاتهم فيحتمل انها الذكر والدعا
وذلك من اعمال الآخرة قال الله تعالى سبحانك اللهم وورد في الحديث انهم يلهمون التسبيح كما يلهمون
النفس ويحتمل ان الله تعالى خصهم بخصائص لم يخص بها غيرهم منها انه صلى الله عليه وسلم اخبر
انه رآهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله اعلم بالحقائق قوله تعالى وآتينا موسى
الكتاب يعني التوراة وجعلناه يعني الكتاب هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا يعني وقلنا
لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يعني ربا كفيلا ذرية يعني يا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا
شكورا يعني نوحا انه كان كثير الشكر وذلك انه كان اذا اكل الطعام او شرب شرابا او لبس ثوبا
قال الحمد لله فسماه عبدا شكورا لذلك قوله عز وجل وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
يعني اعلمناهم واخبرناهم انهم سيفسدون وهو قوله لتفسدن في الارض مرتين قال ابن
عباس وقضينا عليهم في الكتاب فالى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام في لتفسدن
لام القسم مجازه والله لتفسدن في الارض يعني بالمعاصي والمراد بالارض ارض الشام وبيت
المقدس ولتعلن يعني ولتستكبرن ولتظلمن الناس علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما
يعني اولى المرتين قيل افسادهم في المرة الاولى هو ما خالفوا من احكام التوراة وركبوا
من المحارم وقيل افسادهم في المرة الاولى قتل شعيا في الشجرة وارتكابهم المعاصي بعثنا عليكم
عبادا لنا يعني جالوت وجنوده وهو الذي قتله داود عليه السلام وقيل هو سنحاريب
وهو من اهل نينوى وقيل هو بختنصر البابلي وهو الاصح اولي باس شديد يعني
ذوي بطش وقوة في الحرب فجاسوا خلال الديار يعني طافوا بين الديار ووسطها يطلبونكم
ليقتلوكم وكان وعدا مفعولا يعني قضاء لازما لا خلف فيه ثم رددنا لكم الكرة عليهم
يعني رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم من ذنوبكم ورجعتم من
الفساد وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا يعني اكثر عددا ان احسنتم
احسنتم لانفسكم يعني لها ثوابها وجزاء احسانها وان اسأتم فلها يعني فعليها اساءتها
فاذا جاء وعد الآخرة يعني المرة الآخرة من فسادكم وهو قصدهم قتل عيسى حين خلصه
الله من بينهم ورفعه اليه وقتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام فسلط الله عليهم الفرس
والروم فسبوهم وقتلوهم وهو قوله ليسوءوا وجوهكم ليحزنوكم ويسوؤكم وقرئ بالنون
لنسوء الله وجوهكم وليدخلوا المسجد يعني بيت المقدس ونواحيه كما دخلوه اول مرة

يعني

يعني وقت افسادهم الاول وليتبروا ما علوا تتبيرا اي يعني وليهلكوا ما غلبوا عليه من بلاد بني اسرائيل
اهلاكا

ذكر القصة في هذه الآيات

قال محمد بن اسحاق كانت بنو اسرائيل فيهم الاحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم ومحسنا
اليهم وكان اول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم ان ملكا منهم يدعى صديقة وكان الله اذا ملك عليهم ملكا بعث
معه نبيا ليسدده ويرشده ولا ينزل عليهم كتابا انما يؤمرون باتباع التوراة والاحكام التي فيها فلما
ملك صديقة بعث الله معه شعيا بن امصيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وشعيا هو الذي بشر بعيسى
ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال ابشري اوري شلم ومعناه البشرى الآن يأتيك راكب الحمار ومن بعده
راكب البعير فملك ذلك الملك يعني صديقة بني اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت
الاحداث فيهم وكان معه شعيا فبعث الله سنحاريب ملك بابل ومعه ستمائة الف فلم يزل سائرا حتى
نزل حول بيت المقدس والملك مريض من قرحة كانت في ساقه فجاه النبي صلى الله شعيا وقال له يا
ملك بني اسرائيل ان سنحاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده وقد هابهم الناس وفرقوا منه فكبر
ذلك على الملك وقال يا نبي الله هل اتاك من عند الله وحي فيما حدث فتخبرنا به وكيف يفعل الله
بنا وبسنحاريب وجنوده فقال شعيا لم يأتني وحي في ذلك فبينما هم كذلك اوحى الله الى شعيا النبي ان
ائت ملك بني اسرائيل فمره ان يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من شاء من اهل بيته فاتى شعيا ملك
بني اسرائيل فقال له ان ربك قد اوحى الي ان آمرك ان توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من
اهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعيا لصديقة الملك اقبل على القبلة فصلى ودعا وقال وهو
يبكي ويتضرع بقلب مخلص اللهم رب الارباب واله الالهة يا قدوس المتقدس يا رحمن يا رحيم يا رؤوف
انت الذي لا تأخذك سنة ولا نوم اذكرني بملكي وفعلي وحسن قضائي على بني اسرائيل وذلك كله كان
منك وانت اعلم به مني سري وعلانيتي لك فاستجاب الله دعاه وكان عبدا صالحا فاوحى الله
الى شعيا وانجاه من عدوه سنحاريب فاتاه النبي شعيا واخبره فلما كان ذلك انقطع عنه الحزن وخر
ساجدا لله تعالى وقال اللهم اله الآباء لك سجدت وسبحت وكرمت وعظمت انت الذي تعطي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة انت الرحمن الرحيم
انت الاول والآخر والظاهر والباطن وانت ترحم وتستجيب دعوة المظلوم والمضطر انت الذي
اجبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع رأسه اوحى الله الى شعيا ان قل للملك صديقة فيأمر عبدا
من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى فيصبح وقد برئ ففعل ذلك فشفي فقال الملك
لشعيا سل ربك ان يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا فقال الله لشعيا قل له اني كفيتك
عدوك وانجيتك منه وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنحاريب وخمسة نفر من كتابه فلما اصبح
جاء صارخ يصرخ على باب المدينة يا ملك بني اسرائيل ان الله قد كفاك عدوك فاخرج فان سنحاريب
ومن معه هلكوا فخرج الملك والتمس سنحاريب فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فوجده
في مغارة ومعه خمسة نفر من كتابه احدهم بختنصر فجعلوهم في الجوامع ثم اتوا بهم الى الملك فلما
رآهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال لسنحاريب كيف رأيت فعل ربنا
بكم الم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وانتم غافلون فقال سنحاريب قد اتاني خبر ربكم ونصره اياكم
ورحمته التي يرحمكم بها قبل ان اخرج من بلادي فلم اطع مرشدا ولم يوقعني في الشقوة الا قلة عقلي
ولو سمعت او عقلت ما غزوتكم فقال الملك صديقة الحمد لله رب العالمين الذي كفاناكم بما شاء ان ربنا لم
يبقك ومن معك لكرامتك عليه ولكنه انما ابقاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذابا
في الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتنذروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلتك
ومن معك ولدمك ودم من معك اهون على الله من دم قراد لو قتلت ثم ان ملك بني اسرائيل امر

جزيتهم ان يقذف في رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم سنجاريب يومًا حول بيت المقدس وايليا ويرزقهم
في كل يوم خبزتين من شعير فقال سنجاريب للملك صديقة القتل خير مما نحن فيه وما تفعل بنا فامر بهم
القتل فاوحى الله الى شعيا ان قل لملك بني اسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم
وليكرمهم ويحملهم حتى يبلغوا بلادهم فبلغ ذلك شعيا الملك ففعل وخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا
بابل فلما قدموا جمعوا الناس فاخبروهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته يا ملك بابل
قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم وما اوحى الله الى نبيهم فلم تطعنا وهي امة لا يستطيعها احد مع
ربهم وكان امر سنجاريب تخويفا لبني اسرائيل ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة ثم ان سنجاريب لبث بعد ذلك
سبع سنين ثم مات واستخلف على ملكه ابنه بختنصر فعمل بعمله وقضى بقضائه فلبث سبع عشرة
سنة ثم قبض الله ملك بني اسرائيل صديقة فمرج امر بني اسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم
بعضا وشعيا نبيهم معهم لا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله قم في قومك اوحي على
لسانك فلما قام انطق لسانه بالوحي فقال يا سماء استمعي ويا ارض انصتي فان الله يريد ان
يقص شان بني اسرائيل الذي رباهم برحمته ولعنه واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم
على عباده وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فاوى شاردتها وجمع ضالتها وكبر كسيرها وداوى
مريضها واسمن مهزولها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا
حتى لم يبق منها عظم صحيح يجبر اليه الكسير فويل لهذه الامة الخاطئة الا يدرون انى جاءهم
الحين ان البعير مما يذكر وطنه فينتابه وان الحمار يذكر الاري الذي يشبع عليه فيراجعه وان الثور مما يذكر
المرج الذي سمن فيه فينتابه وهؤلاء القوم لا يذكرون من حيث جاءهم الحين وهم اولوا الالباب والعقول
وليسوا بقر ولا حمير اني ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل كيف ترون في ارض كانت خرابا
زمانا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوي فاقبل عليها بالعمارة وكره ان تخرب ارضه وهو قوي او
يقال ضيع وهو حكيم فاحاط عليها جدارا وشيد فيها قصورا وانبط فيها نهرا وصف فيها غراسا من الزيتون
والرمان والنخيل والاعناب والوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذا رأي وهمة وحفيظا قويا
امينا فلما اطلعت جاء طلعها خروبا قالوا لو انبتت الارض مكانه يترم جدارها وقصورها وندفن نهرها
ونقبض قيمها ونحرق غرسها حتى تصير كما كانت اول مرة خرابا مواتا فيها قال الله تعالى قل لهم
الجدار ذمتي والقصر شريعتي وان النهر كتابي والقيم نبيي وان الغراس هم والخروب الذي اطلع الغراس اعمالهم
الخبيثة وان قضيت عليهم قضاءهم على انفسهم وانه مثل ضربته لهم يتقربون الي بذكر الغنم والبقر
وليس ينالني اللحم ولا اكله ويدعون ان يتقربون الي بالتقوى والكف عن ذبح النفس التي حرمتها
فايديهم مخضوبة وثيابهم متزملة بدمائهم يشيدون لي البيوت مساجد ويطهرون اجوافها وينجسون
قلوبهم واجسادهم ويدنسونها ويزوقون لي المساجد ويزينونها واي حاجة الي تشييد البيوت ولست
اسكنها واي حاجة الي تزويق المساجد ولست ادخلها انما امرت برفعها لاذكر واسبح فيها يقولون
لو كان يقدر على ان يجمع الفتنا لجمعها ولو كان يقدر على ان يقرب قلوبنا لقربها فانهم لم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا ودعونا بمثل حنين الحمام وبكينا بمثل
عواء الذئاب في كل ذلك لا نسمع لنا قال الله سلهم ما الذي يمنعني ان استجيب لهم الست اسمع السامعين
وابصر الناظرين واقرب المجيبين وارحم الراحمين فكيف ارفع صيامهم وهم يلبسونه بقول الزور ويتقوون
عليه بطعمة الحرام ام كيف انور صلاتهم وقلوبهم صاغية الى من يحاربني ويحادني وينتهك محارمي ام كيف
تزكو عندي صدقاتهم وهم يتصدقون باموال غيرهم انما اجزي عليها اهلها المغصوبين ام كيف استجيب
للداعي لهم دعاءهم وانما هو قول بالسنتهم والفعل من ذلك بعيد وانما استجيب للداعي اللين وانما
اسمع قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاي رضا المساكين يقولون لما سمعوا كلامي
وبلغتهم رسالتي انها اقاويل منقولة واحاديث متوارثة وتآليف مما تؤلف السحرة والكهنة وزعموا

انهم لو شاؤوا ان ياتوا بحديث مثله فعلوا ولو شاؤوا ان يطلعوا على علم الغيب بما يوحي اليهم الشياطين اطلعوا
وانى قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء اثبته وختمته على نفسي وجعلت دونه اجلا موجلا لابد انه
واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى انفذه او في اي زمان يكون وان كانوا يقدرون
على ان ياتوا بما يشاؤون فلياتوا بمثل القدرة التي بها امضيت فاني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون
فان كانوا يقدرون ان يؤلفوا ما يشاؤون فليؤلفوا مثل الحكمة التي ادبر بها ذلك القضاء ان كانوا
صادقين وانى قد قضيت يوم خلقت السماء والارض ان اجعل النبوة في الاجراء وان اجعل الملك في الرعاء
والعز في الاذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والعلم في الجهلة والحكم في الاميين فسلهم متى
هذا ومن القائم بها ومن اعوان هذا الامر وانصاره وان كانوا يعلمون فاني باعث بذلك نبيا اميا ليس اعمى
من عميان ولا ضالا من ضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا
اسدده بكل جميل واهب له كل خلق كريم اجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله
والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته
واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد
النكرة واكثر به بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واؤلف به بين قلوب مختلفة
واهواء شتى وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيدا
لي وايمانا بي واخلاصا لي يصلون قياما وقعودا وركعا وسجودا يقاتلون في سبيلي صفوفا وزحوفا
ويخرجون من ديارهم واموالهم ابتغاء مرضاتي الهمهم التكبير والتسبيح والتحميد والمدحة والتمجيد لي في مسيرهم
ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤوس الاسواق
ويطهرون لي الوجوه والاطراف ويعقدون الثياب على الانصاف قربانهم دماؤهم واناجيلهم صدورهم رهبان
بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلي اوتيه من اشاء وانا ذو الفضل العظيم فلما فرغ شعيا من مقالته عدوا
عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فادركه الشيطان واخذ هدبة من ثوبه
فاراهم اياه فوضعوا المنشار في وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها واستخلف الله على
بني اسرائيل بعد ذلك رجلا منهم يقال له ناشية ابن اموص وبعث لهم ارميا ابن حلقيا نبيا وكان من
سبط هارون بن عمران وذكر ابن اسحاق انه الخضر واسمه ارميا الخضر لانه جلس على فروة
بيضاء فقام عنها وهي تهتز خضرا فبعث الله ارميا الى الملك يسدده ويرشده حين عظمت الاحداث
في بني اسرائيل وارتكبوا المعاصي واستحلوا المحرمات فاوحى الله تبارك وتعالى الى ارميا ان ائت
قومك من بني اسرائيل فاقصص عليهم ما امرك به وذكرهم نعمتي وعرفهم باحداثهم فقال ارميا اني
ضعيف ان لم تقوني عاجز ان لم تبلغني مخذول ان لم تنصرني فقال الله تعالى او لم تعلم ان الامور كلها
تصدر عن مشيئتي وان القلوب والالسنة بيدي اقلبها كيف شئت انى معك ولم يصل اليك شيء معي فقام
ارميا ولم يدر ما يقول فالهمه الله تعالى خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب
المعصية وقال في اخرها عن الله عز وجل واني حلفت بعزتي لاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحكيم ولا
ولا سلطن عليهم فاسيا البسه الهيبة وانزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل
المظلم ثم اوحى الله الى ارميا اني مهلك بني اسرائيل بيافث ويافث من اهل بابل على ما ذكرنا في سورة البقرة
فسلط الله عليهم بختنصر فخرج في ستمائة الف راية ودخل بيت المقدس بجنوده ووطئ الشام
وقتل بني اسرائيل حتى افناهم وخرب بيت المقدس وامر جنوده ان يملا كل رجل ترسه ترابا ثم
يقذفه في بيت المقدس ففعلوا حتى ملؤوه ثم امرهم ان يجمعوا كل من في بلدان بيت المقدس كلهم
فاجتمع عنده كل صغير وكبير في بني اسرائيل فاختار منهم سبعين الف صبي فلما خرجت غنائم جنده
واراد ان يقسمها اليهم فقالت له الملوك الذين كانوا معه ايها الملك لك غنائمنا كلها واقسم

بينا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرائيل فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصاب
كل رجل منهم اربع غلمان وفرق من بقي من بني اسرائيل ثلاث فرق فثلثا اقرهم بالشام وثلثا سباهم
وثلثا قتلهم وذهب بآنية بيت المقدس وبالصبيان السبعين الفا حتى اقدمهم بابل وكانت هذه الوقعة
الاولى التي انزل الله تعالى ببني اسرائيل بظلمهم وذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد اولاهما بعثنا عليكم
عبادا لنا اولي باس شديد يعني بختنصر واصحابه ثم ان بختنصر اقام في سلطانه ما شاء الله ثم رأى رؤيا
عجيبة اذ رأى شيئا اصابه فانساه الذي رأى فدعا دانيال وحنانيا وعزاريا وميشائيل وكانوا من ذرا
من ذراري الانبياء وسألهم عنها فقالوا اخبرنا بها نخبرك بتأويلها فقال ما اذكرها وان لم تخبروني
بها وبتأويلها لانزعن اكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا الله وتضرعوا اليه فاعلمهم الذي سألهم عنه
فجاؤوه فقالوا رأيت تمثالا قدماه وساقاه من فخار وركبتاه وفخذاه من نحاس وبطنه من فضة
من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد قال صدقتم قالوا فبينما انت تنظر اليه قد اعجبك
ارسل الله الملوك بعضهم كانوا الين ملكا وبعضهم احسن ملكا وبعضهم كان اشد ملكا والفخار اضعفه
ثم فوقه النحاس اشد منه ثم فوق النحاس الفضة افضل من ذلك والذهب احسن من الفضة ثم
افضل من الحديد ملكا فهو اعز واشد مما كان قبله والصخرة التي رأيت ارسل الله من السماء فدقته
نبي يبعثه الله من السماء فيدق ذلك اجمع ويصير الامر اليه ثم ان اهل بابل قالوا لبختنصر ارأيت
هؤلاء الغلمان من بني اسرائيل الذين سألناك ان تعطيناهم ففعلت فانا قد انكرنا نساءنا منذ كانوا
معنا لقد رأينا نساءنا انصرفت وجوههن اليهم فاخرجهم من بين اظهرنا او اقتلهم فقال شأنكم
بهم فمن احب ان يقتل من كان في يده فليفعل فلما قربوهم للقتل بكوا وتضرعوا الى الله تعالى
فقالوا يا ربنا اصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعدهم الله ان يحييهم فقتلوا الا من كان مع بختنصر
انبعث وقال الذي في يده من بني اسرائيل ارأيتم هذا البيت الذي خرب قالوا هذا بيت الله وهؤلاء
اهله وكانوا من ذراري الانبياء فظلموا وتعدوا فسلط الله عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب
السموات والارض ورب الخلائق يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا اهلكهم وسلط عليهم غيرهم
فاستكبر وتجبر وظن انه بجبروته فعل ببني اسرائيل فقال اخبروني كيف لي ان اطلع الى السماء العليا
واقتل من فيها واتخذها لي ملكا فاني قد فرغت من اهل الارض ما يقدر عليها احد من الخلائق قال لتفعلن
او لاقتلنكم عن اخركم فبكوا وتضرعوا الى الله تعالى فبعث الله اليه بقدرته بعوضة دخلت في منخره
فنقضت على ام دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على ام دماغه فلما مات شقوا
رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على ام دماغه ليري الله عباده قدرته ونجى الله من بني اسرائيل
من كان في يده وردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على احسن ما كانوا عليه ويزعمون
ان الله تعالى احيا اولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم انهم لما دخلوا الشام معهم من الله عهد كانت
التوراة قد احترقت وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فلما رجع الى الشام جعل يبكي
ليله ونهاره وخرج عن الناس فبينما هو كذلك اذ جاءه رجل فقال له يا عزير ما يبكيك قال ابكي على
كتاب الله وعهده الذي كان بين اظهرنا الذي لا يصلح ديننا واخرتنا غيره قال افتحب ان يرده اليك
فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان الذي وعده فاجلس فيه فاتى ذلك الرجل باناء فيه
ماء وكان ملكا فبعثه الله اليه فسقاه من ذلك الاناء فمثلت التوراة في صدره فرجع الى بني
اسرائيل فوضع لهم التوراة فاحبوه حبا لم يحبوا مثل حبه شيئا قط ثم قبضه الله تعالى وجعلت
بنوا اسرائيل بعد ذلك يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون
وفريقا يقتلون حتى كان اخر من بعث اليهم من انبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا
في بيت داود فمات زكريا وقيل قتل وقصدوا عيسى ليقتلوه فرفعه الله من بين اظهرهم

وقتلوا

وقتلوا يحيى فلما فعلوا ذلك بعث الله تعالى عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار اليهم باهل
بابل حتى دخل عليهم الشام فلما دخل امر رئيسا من رؤساء جنوده يقال له نبوزراذان صاحب القتل فقال اني
قد كنت حلفت بالهي لئن انا ظفرت على اهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى يسيل الدم في وسط عسكري الا ان
لا اجد احدا اقتله فامره ان يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان نبوزراذان دخل بيت المقدس فقام
في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي فسألهم عنه فقال يا بني اسرائيل ما شأن
هذا الدم يغلي اخبروني خبره فقالوا هذا دم قربان لنا قربناه لم يتقبل منا فلذلك يغلي ولقد قربنا
من القربان منذ ثمانمائة سنة فيتقبل منا الا هذا فقال ما صدقتموني فقالوا لو كان كاول زماننا لقبل
ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي فلذلك لم يتقبل منا فذبح نبوزراذان منهم على ذلك الدم سبعمائة
وسبعين رجلا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فامر بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحوا على الدم فلم يهدأ الدم فلما
رأى نبوزراذان ان الدم لا يهدأ قال لهم يا بني اسرائيل ويلكم اصدقوني واصبروا على امر ربكم فقد طال
ما ملكتم في الارض تفعلون ما شئتم قبل ان لا اترك منكم نافخ نار من ذكر وانثى الا قتلته فلما رأوا
الجهد وشدة القتل صدقوه وقالوا ان هذا دم نبي كان ينهانا عن امور كثيرة من سخط الله تعالى
فلو كنا اطعناه كان ارشد لنا وكان يخبرنا عن امور كثيرة فلم نصدقه فقتلناه فقال نبوزراذان
ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الان صدقتموني لمثل هذا ينتقم ربكم منكم فلما رأى نبوزراذان
انهم صدقوه خر ساجدا لله وقال لمن حوله اغلقوا ابواب المدينة واخرجوا من كان هاهنا من جيش
خردوش وخلا في بني اسرائيل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما اصاب قومك من اجلك
وما قتل منهم فاهدأ باذن ربك قبل ان لا ابقي من قومك احدا الا قتلته فهدأ الدم باذن الله تعالى
ورفع نبوزراذان عنهم القتل وقال امنت بما امن به بنوا اسرائيل وايقنت انه لا رب غيره
وقال لبني اسرائيل ان خردوش امرني ان اقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره واني لا استطيع
ان اعصيه قالوا افعل ما امرت به فامرهم فحفروا خندقا وامر باموالهم من الخيل والبغال
والحمير والابل والبقر والغنم فذبحوها حتى سال الدم في العسكر فامر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك
فطرحوا على ما قتل من المواشي فلم يظن خردوش الا ان ما في الخندق من بني اسرائيل فلما بلغ الدم عسكره
ارسل الى نبوزراذان ان ارفع عنهم القتل ثم انصرف الى بابل وقد افنى بني اسرائيل او كاد
ان يفنيهم وهي الوقعة الاخرة التي انزل الله ببني اسرائيل في قوله لتفسدن في الارض مرتين
فكانت الوقعة الاولى بختنصر وجنوده والاخرة خردوش وجنوده وكانت اعظم الوقعتين
فلم تقم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها الى الروم واليونانيين الا ان بقايا بني
اسرائيل كثيرة وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا في نعمة الى ان بدلوا
واحدثوا فسلط الله عليهم ططوس بن اسبيانوس الرومي فاخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الملك والرياسة
وضربت عليهم الذلة والمسكنة فما لبثوا في امة الا وعليهم الصغار والجزية وبقي بيت المقدس
خرابا الى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعمره المسلمون بامره وقيل في سبب قتل يحيى عليه
السلام ان ملك بني اسرائيل كان يكرمه ويدنو من مجلسه وان الملك هوي ابنة وقال ابن عباس رضي
الله عنهما هوي ابنة اخيه فسأل يحيى تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك امها فحقدت على يحيى وعمدت
حين جلس الملك على شرابه والبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها والبستها الحلي وارسلتها الى الملك
وامرتها ان تسقيه فاذا راودها عن نفسها ابت عليه حتى يعطيها ما سألته فاذا اعطاها ما
سألته سألته رأس يحيى بن زكريا في هذا الطست فقال سليني غير هذا قالت لا اريد غير هذا فلما
ابت عليه بعث فاتي برأسه حتى وضعت بين يديه والرأس يتكلم ويقول لا تحل لك فلما اصبح
اذا دمه يغلي حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يرقى ويغلي فسلط عليهم ملك بابل خردوش

المقدس وقتل شيعيا الغاخ سكن دمه قوله عز وجل عسى ربكم ان يرحمكم يعني يا بني اسرائيل بعد انتقامه منكم فيرد الدولة اليكم وان عدتم اي الى المعصية عدنا اي الى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم عليهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا اي سجنا ومحبسا من الحصر وهو الحبس وقيل فراشا من الحصير الذي يبسط ويفترش قوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم اي الى الطريقة التي هي اصوب وقيل الى الكلمة التي هي اعدل وهي شهادة ان لا اله الا الله ويبشر يعني القرآن المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا يعني الجنة وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما يعني النار في الآخرة ويدع الانسان اي على نفسه وولده وماله بالشر يعني عند الغضب اللهم اهلكه اللهم العنه ونحو ذلك دعاءه بالخير اي كدعائه ربه ان يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاءه على نفسه لهلك ولكن الله لا يستجيب بفضله وكرمه وكان الانسان عجولا اي بالدعاء على ما يكره ان يستجاب له فيه وقال ابن عباس معناه لا يصبر على شر ولا ضر قوله عز وجل وجعلنا الليل والنهار آيتين اي علامتين دالتين على وجود بانينا ومقدرنا وفي معنى الآية قولان احدهما ان يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهو انه جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدين والدنيا اما الدين فلان كل واحد منهما مضاد للآخر مغاير له مع كونهما متعاقبين على الدوام فيه اقوى دليل على ان لهما مدبرا يدبرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة واما في الدنيا فلان مصالح الدنيا لا تتم الا بهما ففي الليل يحصل السكون والراحة وفي النهار يحصل التصرف في المعاش والكسب والقول الثاني ان يكون المراد وجعلنا نيري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل اي جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسا لا يستبان فيه شيء وجعلنا آية النهار مبصرة يبصر فيها الاشياء رؤية بينة قال ابن عباس رضي الله عنهما نور الشمس سبعين جزءا ونور القمر كذلك فمحا من نور القمر تسعة وستين جزءا فجعلها مع نور الشمس وحكي ان الله تعالى امر جبريل فامر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور وسأل ابن الكوى عليا عن السواد الذي في القمر فقال هو اثر المحو لتبتغوا فضلا من ربكم اي لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف في معايشكم ولتعلموا باختلاف الليل والنهار عدد السنين والحساب اي ما تحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم احد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقهما لم يعرف الليل والنهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حلول الديون المؤجلة واعلم ان الحساب يبنى على اربع مراتب الساعات والايام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لما دونها من الشهور والايام والساعات وليس بعد هذه المراتب الاربعة الا التكرار وكل شيء فصلناه تفصيلا يعني وكل شيء تفتقرون اليه من امر دينكم ودنياكم فقد بيناه بيانا شافيا واضحا غير ملتبس قيل انه تعالى لما ذكر احوال آيتي الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان من الله عز وجل على اهل الدنيا وكل ذلك تفصيل منه لا جرم عليه ثم قال وكل شيء فصلناه تفصيلا قوله عز وجل وكل انسان الزمناه طائره في عنقه قال ابن عباس رضي الله عنهما عمله وما قدر عليه فهو ملازمه اينما كان وقيل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقيل ما من مولود الا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي او سعيد وقيل المراد بالطائر ما قضي عليه انه عامله يعني الزمناه ما طار له من جملة لزوم القلادة او الغل لا ينفك عنه والعنق عضو قوله في عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا في عنقك اي قلدتك هذا العمل والزمتك الاحتفاظ به وانما خص العنق من بين سائر الاعضاء لانه

محل القلائد والاطواق كان له كالغل في عنقه وهو ملازمه يشينه ويخرج له يقوله تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا قيل يبسط للانسان صحيفتان ويوكل به ملكان يحفظان عليه حسناته وسيئاته فاذا اختلت طويت الصحيفتان وجعلت معه في عنقه فلا ينشران الى يوم القيامة اقرأ كتابك اي فيقال له اقرأ كتابك قيل يقرأ يوم القيامة من لم يكن قارئا كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا اي محاسبا قال الحسن لقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك وقيل يقول الكافر انك لست بظلام للعبيد فاجعلني احاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا قوله تعالى من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها معناه ان الثواب من عمل العمل الصالح مختص بعامله وعقاب الذنب مختص بفاعله ايضا ولا يتعدى منه الى غيره وهو قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى اي لا تحمل حاملة ثقل اخرى من الآثام ولا يؤاخذ احد بذنب احد بل كل احد مختص بذنبه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا لاقامة الحجة وقطعا للعذر وفيه دليل على ان ما وجب بالسمع لا بالعقل قوله عز وجل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها اي في معنى الآية قولان احدهما ان المراد منه الامر بالفعل ثم لفظ الآية لا يدل على انه تعالى بماذا امرهم فقال الاكثر المفسرين معناه انه تعالى امرهم بالاعمال الصالحة وهي الايمان والطاعة وفعل الخير والقوم خالفوا ذلك الامر عنادا وفسقوا والقول الثاني امرنا مترفيها اي كثرنا فساقها يقال امر القوم اذا كثروا وامرهم الله اذا كثرهم ومنه الحديث خير المال مهرة مأمورة اي كثيرة النتاج والنسل فعلى هذا امرنا ليس الامر بالفعل والمترف هو الذي ابطرته النعمة ولذة العيش ففسقوا فيها اي خرجوا عما امرهم الله تعالى من الطاعة فحق عليها القول اي وجب عليها العذاب فدمرناها تدميرا اي اهلكناها اهلاك استئصال والدمار اي وجب عليها العذاب فدمرناها تدميرا اي اهلكناها هلاك استئصال والدمار الهلاك والخراب عن ام المؤمنين زينب بنت جحش ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق باصبعيه الابهام والتي تليها قالت زينب قلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث قوله ويل للعرب وويل كلمة تقال لمن وقع في هلكة او اشرف ان يقع فيها وقوله اذا كثر الخبث اي الشر قوله تعالى وكم اهلكنا من القرون اي المكذبة من بعد نوح وهم عاد وثمود وغيرهم من الامم الخالية يخوف الله بذلك كفار مكة قال عبد الله بن مسعود ابي اوفى القرن عشرون ومائة سنة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في اول القرن ويزيد بن معاوية آخره وقيل القرن مائة سنة وروي عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بسر المازني ان النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا قال محمد بن القاسم ما زلنا نعد له حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقيل القرن ثمانون سنة وقيل اربعون وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا يعني انه عالم بجميع المعلومات راء لجميع المرئيات لا يخفى عليه شيء من احوال الخلق قوله عز وجل من كان يريد العاجلة اي الدار العاجلة يعني الدنيا عجلنا له فيها ما نشاء اي من البسط والتقتير لمن نريد اي نفعل به ذلك او اهلاكه وقيل في معنى الآية عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ان القدر الذي نشاء نعجله له في الدنيا لا الذي يشاء هو ولمن نريد ان نعجل له شيئا قدرناه له وهذا ذم لمن اراد بعمله ظاهر الدنيا ومنفعتها وبيان ان من اراد لا يدرك منها الا ما قدر له ثم جعلنا له جهنم اي في الآخرة يصلاها اي يدخلها مذموما مدحورا اي مطرودا مبعدا قوله تعالى ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها اي عمل عملها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا اي مقبولا قيل في الآية ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة بعمله وتجافيه عن دار الغرور والسعي فيما كلف له من العمل وترك ما امر بتركه والايمان الثابت الصحيح وعن بعض السلف من لم يكن له عمل ثلاث لم ينفعه عمل ايمان ثابت

وبنيه مما دفعه ويعمل مصيب وتلا هذه الآية قوله عز وجل كلا نمد هؤلاء وهؤلاء اي نمد كلا الفريقين من يريد الآخرة ومن يريد الدنيا من عطاء ربك اي يرزقهما جميعا ثم تختلف الاحوال بهم الى الاعمال في المال وما كان عطاء ربك محظورا اي ممنوعا من عباده والمراد بالعطاء في الدنيا اذ لا حظ للكافر في الآخرة قوله تعالى انظر يا محمد كيف فضلنا بعضهم على بعض اي في الرزق والعمل يعني طالب العاجلة وطالب الآخرة وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا يعني ان تفاضل الخلق في درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات منافع الآخرة اعظم واكبر فان نسبة الدنيا في التفاضل في درجات الآخرة الى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة فاذا كان الانسان يشتد رغبته في طلب فضيلة الدنيا فبان تقوى وتشتد رغبته في طلبه الآخرة اولى لانها دار المقام قوله عز وجل لا تجعل مع الله الها آخر الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل ايها الانسان مع الله الها آخر وهذا اولى فتقعد مذموما اي من غير حمد مخذولا اي بغير ناصر قوله عز وجل وقضى ربك اي امر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه الحكم الجزم وقيل ووصى ربك وحكي عن الضحاك انه قراها ووصى ربك وقال انهم الصقوا الواو بالصاد فصار قافا ومثله قراءة ابن مسعود قال رأس الامام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير هذا القول بعيد جدا لانه يفتح باب التحريف والتغيير وقد يتطرق الى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الامان عن القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك انه طعن عظيم في الدين ان لا تعبدوا الا اياه فيه تحريم ووجوب عبادة الله تعالى والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق لان العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على غاية التعظيم لا يليق الا لمن له الانعام والافضال على عباده ولا منعم الا الله فكان هو المستحق للعبادة لا غير وبالوالدين احسانا اي وامر بالوالدين احسانا اي برا بهما وعطفا عليهما واحسانا اليهما اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما معناه انهما يبلغان الى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك في آخر العمر كما كنت عندهما واعلم انه تعالى ذكر هذه الجملة كلف الانسان في حق الوالدين خمسة اشياء الاول قوله تعالى فلا تقل لهما اف وهي كلمة تضجر وكراهية وقيل ان اصل هذه الكلمة انه اذا سقط عليك تراب او رماد ونفخت فيه تريد تقول اف ثم انهم توسعوا بذكر هذه الكلمة الى عند كل مكروه يصل اليهم والثاني قوله تعالى ولا تنهرهما اي تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك يقال نهره وانتهره بمعنى فان قلت المنع من التأفيف يدل على المنع من الانتهار فما وجه الجمع قلت المراد من قوله ولا تقل لهما اف المنع من اظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من قوله ولا تنهرهما المنع من اظهار المخالفة على القول على سبيل الرد عليهما الثالث قوله وقل لهما قولا كريما اي حسنا جميلا لينا كما يقتضيه حسن الادب معهما وقيل هو ان يناديهما يا ابتاه يا اماه وقيل ولا يكنيهما وقيل هو ان يقول لهما كقول العبد المذنب للسيد الفظ الغليظ الرابع قوله عز وجل واخفض لهما جناح الذل اي الن لهما واخضع لهما حتى تمتنع من شيء احباه من الرحمة من الشفقة عليهما لكبرهما وضعفهما وافتقارهما اليوم اليك كما كنت في حال الصغر والضعف مفتقرا اليهما قوله تعالى وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا اي وادع الله لهما ان يرحمهما برحمته الباقية واراد به اذا كانا مسلمين واما اذا كانا كافرين فان الدعاء منسوخ في حقهما بقوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى وقيل يجوز الدعاء لهما بان يهديهما الله الى الاسلام فاذا هداهما الله فقد رحمهما وقيل في معنى هذه الآية ان الله تعالى بالغ في الوصية بهما حتى افتتحها بالامر بتوحيده وعبادته ثم تعقبه بالاحسان اليهما ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تسوءهما وان بذل وسعه في خدمتهما ثم ختمها بالدعاء لهما والرحمة عليهما فصل في الاحاديث التي وردت في بر الوالدين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم

فقال

فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي قال امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك ادناك وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه رغم انفه قيل من يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر احدهما او كليهما ثم لم يدخل الجنة م عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يجزي ولد والدا الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذنه في الجهاد فقال احي والداك قال نعم قال ففيهما فجاهد وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رضى الرب في رضى الوالدين وسخط الرب في سخط الوالدين اخرجه الترمذي مرفوعا وموقوفا وقال الموقوف اصح عن ابي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الوالد وسط ابواب الجنة فان شئت فضيع ذلك الباب او احفظه اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح م عن عبد الله بن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاعمال احب قال الصلاة لوقتها قلت ثم اي قال بر الوالدين قلت ثم اي قال الجهاد في سبيل الله قوله تعالى ربكم اعلم بما في نفوسكم اي من بر الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من تقصير كان منكم في القيام بما الزمكم من حق الوالدين من التوقير ومن عقوقهما ان تكونوا صالحين اي ابرارا مطيعين قاصدين للصلاح والبر بعد تقصير كان منكم في القيام بما الزمكم من حق الوالدين وغيرهما وقيل او فرطت منكم في حال الغضب وعند خروج الصدور وما لا يخلو منه البشر بشيء يؤدي الى اذاهما ثم انبتم الى الله واستغفرتم بما فرطت منكم في حال الغضب وعند خروج الصدور وما لا يخلو منه البشر بشيء يؤدي الى اذاهما ثم انبتم الى الله واستغفرتم بما فرطت منكم فانه كان للاوابين يعني التوابين غفورا قال سعيد بن جبير في هذه الآية قال الرجل يكون منه البادرة الى ابويه لا يريد بذلك الا الخير فانه لا يؤاخذ به وقال سعيد بن المسيب الاواب للذي يذنب ثم يتوب وعنه انه الرجاع الى الخير وقال ابن عباس الاواب الراجع فيما يحزنه وينوبه وعنه انهم المسبحون وقيل هم المصلون وقيل هم الذين يصلون صلاة الضحى يدل عليه ما روي عن زيد بن ارقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل قباء وهم يصلون الضحى فقال صلاة الاوابين اذا رمضت الفصال قوله اذا رمضت الفصال اي يبدأ ارتفاع الضحى وان تحمى الرمضاء وهو الرمل بحر الشمس فيبرك الفصال من شدة الحرارة احفافها والفصال جمع فصيل وهو ولد الابل الصغار وقيل الاوابين الذين يصلون بين المغرب والعشاء يدل عليه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء قوله تعالى وآت ذا القربى حقه قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره الله تعالى ان يؤتي اقاربه حقوقهم وقيل انه خطاب للكل وهو انه سبحانه وتعالى وصى بعد بر الوالدين بالقرابة ان يؤتيهم حقهم من صلة الرحم والمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك وقيل ان كانوا محاويج وهو موسر لزمه الانفاق عليهم عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى وقال الشافعي رحمه الله لا يلزم النفقة الا للوالد على ولده او ولد على والديه بحسب ذلك فقال وقيل اراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام عليه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا اي لا تنفق مالك في المعصية وقيل لو انفق الانسان ماله كله في الحق لم يكن مبذرا ولو انفق درهما او مدا في باطل كان مبذرا وسئل ابن مسعود عن المبذر فقال الانفاق المال في غير حقه وقيل هو انفاق المال في العمارة على وجه السرف وقيل ان بعضهم انفق نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير قوله عز وجل ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين يعني اولياءهم واعوانهم لانه يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الاسراف وقيل امثالهم في الشر وهذا غاية المذمة لانه لا شر من الشيطان والعرب تقول لكل من هو ملازم سنة قوم هو اخوهم وكان الشيطان لربه كفورا اي جحودا

للنفقة فيما ينبغي ان يطاع لانه يدعو الى سبل عمله قوله تعالى وإما تعرضن عنهم نزلت في مهجع
وبلال وصهيب وسالم وخباب كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم في الاحايين ما يحتاجون اليه
فلا يجد فيعرض عنهم حياء منهم ويمسك عن القول فنزلت هذه الآية والمعنى وان تعرض عن هؤلاء
الذين امرتك ان تؤتيهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها اي انتظار رزق من الله ترجوه ان يأتيك
فقل لهم قولا ميسورا اي لينا جميلا اي عدهم وعدا طيبا تطيب به قلوبهم وقيل هو بان تقول
رزقنا الله واياكم من فضله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك قال جابر اتى صبي فقال يا رسول
الله ان امي تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا قميصه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم من ساعة الى ساعة يظهر كذا فعد الينا وقتا آخر فعاد الى امه فقالت له قل له ان امي
تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره ونزع قميصه واعطاه وقعد
عريانا واذن بلال بالصلاة ثم انتظروه فلم يخرج فاشتغل قلوب اصحابه فدخل عليه بعضهم
فرآه عريانا فانزل الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك اي تمسك يدك عن النفقة في
الحق والخير كالمغلولة يده لا يقدر على مدها ولا تبسطها اي بالعطاء كل البسط اي تعطي جميع ما
عندك وقيل هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف امر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والقصر
والتقتير فتقعد ملوما اي عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وقيل ملوما عند نفسك او اصحابك
يلومونك سلوكك على الامساك اذا لم تعطهم محسورا اي منقطعا لا شيء عندك تنفقه وقيل محسورا
اي نادما على ما فرط منك ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك
ليس هوان بك عليه ولا لبخل منه عليك فقال تعالى ان ربك يبسط اي يوسع الرزق لمن يشاء ويقدر
اي يقتر ويضيق وذلك لمصلحة العباد انه كان بعباده خبيرا بصيرا يعني انه تعالى عالم باحوال
عباده وما يصلحهم والتفاوت في ارزاق العالم ليس لاجل البخل رعاية مصالح العباد قوله تعالى
ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق اي فاقة وفقر نحن نرزقهم واياكم وذلك ان الجاهلية
كانوا يئدون بناتهم خشية الفاقة او خافوا عليهن من النهب في الغارات او انهم ينكحونهن بغير اكفاء
لشدة الحاجة وذلك عار شديد عندهم فنهاهم الله عن قتلهن وقال نحن نرزقهم واياكم يعني
ان الارزاق بيد الله فكما انه فتح ابواب الرزق على الرجال فكذلك يفتح على النساء ان قتلهم
كان خطئا كبيرا اي اثما كبيرا ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة اي قبيحة زائدة على حد القبح
وساء سبيلا اي بئس طريقا طريقه وهو ان تغصب امرأة غيرك او ابنته او اخته من غير سبب
والسبب ممكن وهو الضمير الذي شرعه الله تعالى قيل ان الزنا يشتمل على انواع من الفساد منها
المعصية وايجاب الحد على نفسه ومنها اختلاط الانساب فلا يعرف الرجل ولد من هو ولا يقوم احد
بتربيته وذلك يوجب ضياع الاولاد وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم وهو
قوله تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الاصل في القتل هو الحرمة المغلظة
وحل القتل انما يثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الاصل ثم
استثنى الحالة التي يحصل فيها حل القتل وهو الاسباب العرضية فقال الا بالحق اي باحدى ثلاث
كما روي عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد ان الله الا
ان لا اله الا الله واني رسول الله الا باحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك
لدينه المفارق للجماعة اخرجاه في الصحيحين ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا اي
قوة وولاية على القاتل وقيل سلطانه هو ان يتخير فان شاء استقاد منه وان شاء اخذ منه
الدية وان شاء عفا عنه فلا يسرف في القتل انما تولى قال ابن عباس لا يقتل غير القاتل وذلك
انهم كانوا في الجاهلية اذا قتل منهم قتيل لا يرضون بان يقتل قاتله حتى يقتلوا اشرف منه

وقيل

وقيل معناه اذا كان المقتول شريفا فلا يرضون بقتل القاتل وحده القتيل واحدا فلا يقتل
به جماعة بل واحد بواحد وكان الجاهلية اذا كان المقتول شريفا فلا يرضون بقتل القاتل وحده
حتى يقتلوا معه جماعة من اقاربه وقيل معناه انه لا يقتل بالقاتل انه كان منصورا قيل الضمير
راجع المقتول ظلما يعني انه منصور في الدنيا بايجاب القود على قاتله وفي الآخرة بتكفير خطاياه وايجاب
النار لقاتله وقيل الضمير راجع الى ولي المقتول ومعناه انه كان منصورا على القاتل باستيفاء القصاص
منه والدية وفي قوله فلا يسرف في القتل اراد به القاتل المتعدي بالقتل بغير الحق فانه ان فعل
ذلك فولي القتيل منصور ان يقتل عليه باستيفاء القصاص منه قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم
الا بالتي هي احسن اي بالطريقة التي هي احسن وهي تنميته وحفظه عليه حتى يبلغ اشده وهو بلوغ النكاح
والمراد ببلوغ الاشد كمال العقل ورشده بحيث يمكنه القيام بمصالح حاله فهو بلغ كامل العقل لم يبعد
عنه الحجر واوفوا بالعهد اي الاتيان بما امر الله تعالى والانتهاء عما نهى الله عنه وقيل اراد بالعهد ما
يلتزمه الانسان على نفسه ان العهد كان مسئولا اي عنه وقيل اراد بالعهد مطلوبا وقيل العهد يسأل
عن صاحبه فيقال فيما نقضت العهد كالموؤدة فيما قتلت قوله تعالى واوفوا الكيل اذا كلتم اراد منه
تمام الكيل وزنوا بالقسطاس المستقيم قيل هو الميزان صغيرا كان او كبيرا من ميزان الدراهم الى
ما هو اكبر منه وقيل هو القبان وقيل هو رومي سرياني والاصح انه عربي ماخوذ من القسط وهو العدل
اي زنوا بالعدل المستقيم وذلك ان التفاوت الحاصل بسبب نقصان الكيل والوزن قليل م
والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل الاحتراز عنه وانما عظم الوعيد فيه لان
جميع الناس يحتاجون الى المعاوضات والبيع والشرا فالشارع بالغ في منع التطفيف والنقصان
سببا في نقصان الاموال ذلك خير واحسن تأويلا اي احسن عاقبة من آل اذا رجع وهو مما
يؤول اليه امره قوله عز وجل ولا تقف ما ليس لك به علم اي ولا تتبع ما ليس لك به علم اي لا تقل
رأيت ولم تره وسمعت ولم تسمعه وعلمت ما لم تعلمه وقيل معناه لا ترم احدا بما ليس لك به علم وقوله
لا تتبعه بالحدس والظن وقيل هو ماخوذ من القفا كانه يتبع الامور يتبعها ويتعرفها وتحقيقه
انه لا يتكلم في احد بالظن ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا معناه يسأل المرء
عن سمعه وبصره وفؤاده وقيل يسأل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء فعلى هذا ترجع الاشارة الى
اولئك الاعضاء وعلى القول الاول ترجع الى اربابها عن شكل بن حميد قال اتيت النبي صلى الله عليه
فقلت يا رسول الله علمني تعويذا اتعوذ به قال فاخذ بيدي ثم قال قل اعوذ بك من شر سمعي
ومن شر بصري ومن شر لساني ومن شر قلبي ومن شر منيي قال فحفظتها اخرجه ابو داود والنسائي والترمذي
وقال الحديث حسن غريب وقوله ومن شر منيي يعني ماءه وذكره قوله تعالى ولا تمش في الارض
مرحا اي بطرا وكبرا وخيلاء انك لن تخرق الارض اي لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها ولن
تبلغ الجبال طولا اي لن لا تقدر ان تطاول الجبال عظما وعلوا بكبرك والمعنى ان الانسان لا ينال
بكبره وبطره كمن يريد خرق الارض ومطاولة الجبال لا يحصل على شيء وقيل ان الذي يمشي مختالا يمشي مرة
على عقبيه ومرة على صدور قدميه فقيل له انك لن تنقب الارض ان مشيت على صدور قدميك
وقد ثبت عن علي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تكفأ تكفيا كانما ينحط من صبب اخرجه
الترمذي في الشمائل قوله تكفيا اي تكفؤا اي تمايل في المشي الى قدام وقوله كانما ينحط من صبب
فالصبب من التكوي اي كانه ينحدر من موضع عال عن ابي هريرة رضي الله عنه قال ما رأيت شيئا
احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه وما رأيت احدا اسرع من
مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وانه لغير مكترث اخرجه
الترمذي قوله لغير مكترث اي غير مبال والاكتراث مثل الامر الذي يشق على الانسان كل ذلك كان

سيئه عند ربك مكروها اي ما ذكر من الامور التي نهى الله عنها فيما تقدم فان قلت كيف قال سيئه مكروها قلت قيل فيه تقديم وتاخير تقديره كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها وقيل انه يرجع الى المعنى دون اللفظ لان السيئة الذنب وهو مذكور قوله تعالى ذلك اشارة فيما تقدم من الاوامر والنواهي في هذه الايات قوله تعالى مما اوحى اليك ربك من الحكمة اي من الاحكام المذكورة في هذه الايات شرائع واجبة الرعاية في جميع الاديان والملل لا تقبل النسخ والابطال فكانت محكمة وحكمة بهذا الاعتبار وقيل ان حاصل هذه الايات يرجع الى الامر بالتوحيد وانواع البر والطاعات والاعراض عن الدنيا والاقبال على الاخرة وذلك من الحكمة وقيل ان هذه الايات كانت في الالواح من كل شي موعظة واعلم ان الله تعالى افتتح هذه الايات بالامر بالتوحيد والنهي عن الشرك وختمها به والمقصود منه التنبيه على ان كل شي قول وعمل يجب ان يكون رقيبه لانه راس كل الحكمة وملاكها ومن عدمه لم ينفعه شي ثم انه تعالى ذكر في الاية الاولى ان الشرك يجب كون صاحبه مذموما مخذولا وقال في هذه الاية ولا تجعل مع الله الها اخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا والفرق بين المذموم والملوم ما كونه مذموما معناه انه الفعل القبيح وما الذي حملك عليه فهذا والمدحور هو المبعود المطرود عن كل خير قوله عز وجل افاصفاكم ربكم يعني اخصكم واختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة بالبنين يعني اختصكم بافضل الاولاد وهم البنون واتخذ من الملائكة اناثا لانهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله مع علمهم بان الله تعالى هو الموصوف بالكمال الذي لا غاية له وهذا الدليل على غاية جهل لدليل هذا القول انكم لتقولون قولا عظيما يخاطب مشركي مكة يعني باضافتهم بالاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم انهم يفضلون عليه انفسهم حيث يجعلون له ما يكرهون لانفسهم يعني البنات قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القران يعني العبر والحكم والامثال والاحكام والحجج والاعلام والتشديد في صرفنا للتكثير والتكرير ليذكروا اي ليتعظوا ويعتبروا وما يزيدهم اي تصريفنا وتذكيرنا الا نفورا اي تباعدا عن الحق قل يا محمد لهؤلاء المشركين لو كان معه الهة كما يقولون اذا لابتغوا الى اي لطلبوا هؤلاء الالهة ذي العرش سبيلا اي بالمغالبة والقهر وليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض وقيل معناه لتعرفوا اليه وقيل معناه لعرفوا الله فضله وابتغوا ما يقربهم اليه والاول اصح فنزه نفسه بنفسه سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا معناه وصفه بذلك المبالغة في البراة والبعد كما يصفونه به قوله عز وجل تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن يعني الملائكة والانس والجن وان من شي الا يسبح بحمده قال ابن عباس وان من شي حي الا يسبح بحمده وقيل جميع الحيوانات والنباتات وقيل ان الشجرة تسبح وتنبل التراب يسبح الله ما لم يبتل فاذا ابتل ترك التسبيح والخرزة تسبح الله ما لم ترفع من موضعها فاذا رفعت من موضعها تركت التسبيح وقيل وان الثوب يسبح ما دام جديدا فاذا اتسخ ترك التسبيح وان الوحش والطير تسبح اذا صاحت واذا سكتت تركت التسبيح وقيل ان من شي جماد او حي الا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف قيل التسبيح كل الاشيا تسبح الله تعالى حيوانا كان او جمادا وتسبيحهم سبحان الله والحمد لله ويدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود عنه قال كنا نعد الايات بركة وانتم تعدونها تخويفا وقال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الما فقال اطلبوا فضلة من ما فجاوا باناء فيه ما قليل فادخل يده صلى الله عليه وسلم ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله تعالى فقد رايت الما ينبع من بين اصابعه صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يوكل اخرجه البخاري خ عن جابر بن سمرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بمكة حجرا

كان

كان يسلم علي ليالي بعثت واني لاعرفه الان عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الى جذع فلما اتخذ المنبر تحول اليه فحن الجذع فاتاه فمسح بيده عليه وفي رواية فنزل فاعتنقه وساره بشي ففي هذه الاحاديث دليل على ان الجماد يتكلم وانه يسبح وقال بعض اهل المعاني تسبيح السموات والارض والجمادات والحيوانات سوى العقلا بلسان الحال بكونه يدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكانها تنطق بذلك ويصير لها بمنزلة التسبيح والقول الاول اصح لما دلت عليه الاحاديث وانه منقول عن السلف واعلم ان لله تعالى علما في الجمادات لا تقف عليه عقولنا فينبغي ان يوكل علمه اليه قوله تعالى ولكن لا تفقهون تسبيحهم اي لا تعلمون ولا تفهمون تسبيحهم ما عدا من يسبح بلغاتكم والسنتكم انه كان حليما غفورا اي حيث لم يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وجهلكم بالتسبيح قوله تعالى واذا قرات القران جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالاخرة حجابا مستورا اي يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به وقيل حجابا مستورا عن اعين الناس فلا يرونه كما روي عن سعيد بن جبير انه قال لما نزلت تبت يدا ابي لهب جاءت امراة ابي لهب ومعها حجر والنبي صلى الله عليه وسلم مع ابي بكر فلم تره فقالت لابي بكر اين صاحبك لقد بلغني انه هجاني فقال لها ابو بكر والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لارضخ راسه فقال ابو بكر ما رات يا رسول الله فقال لم يزل ملك بيني وبينها وجعلنا على قلوبهم اكنة اي اغطية ان يفقهوه اي لئلا يفقهوه وفي اذانهم وقرا اي ثقلا لئلا يسمعوه واذا ذكرت ربك في القران وحده يعني اذا قلت لا اله الا الله وانت تتلو القران ولوا على ادبارهم نفورا جمع نافر نحن اعلم بما يستمعون به من الهزء بك وبالقران وقيل معناه نحن اعلم بالوجه الذي يستمعون به وهو التكذيب به اذ يستمعون اليك اي انت تقرا القران واذ هم نجوى اي يتناجون بينهم في امرك وقيل معناه ذو نجوى بعضهم يقول هو مجنون وبعضهم يقول هو ساحر وبعضهم يقول هو كاهن او شاعر اذ يقول الظالمون يعني الوليد بن المغيرة ان تتبعون الا رجلا مسحورا اي مطبوبا وقيل معناه انه مخدوع وقيل هو من السحر وهو الرية ومعناه انه بشر مثلكم ياكل ويشرب قال الشاعر ارانا موضعين لحتم غيب ونسحر بالطعام وبالشراب اي نغذى بهما انظر كيف ضربوا لك الامثال اي الاشباه فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون فضلوا اي في جميع ذلك وحاروا فلا يستطيعون سبيلا اي الى طريق الحق وقالوا ائذا كنا اي بعد الموت عظاما ورفاتا اي ترابا وقيل الرفات الاجزاء المتفتتة من كل شي تكسر ائنا لمبعوثون خلقا جديدا فيه انهم استبعدوا الاعادة بعد الموت والتي فقال الله تعالى ردا عليهم قل اي قل لهم يا محمد كونوا حجارة يعني في الشدة او حديدا يعني في القوة وليس هذا بامر الزام بل هو امر تعجيز اي استشعروا في قلوبكم انكم حجارة او حديد في القوة او خلقا مما يكبر في صدوركم قيل يعني في السما والارض والجبال لانها اعظم المخلوقات وقيل يعني به الموت لانه لا شي في نفس ابن ادم اكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه لاميتنكم ولابعثنكم فسيقولون من يعيدنا يعني من يبعثنا بعد الموت قل الذي فطركم اي خلقكم اول مرة ومن قدر على الانشا قدر على الاعادة فسينغضون اليك رؤوسهم اي يحركونها اذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما تقول ويقولون متى هو يعني البعث والقيامة قل عسى ان يكون قريبا اي هو قريب يوم يدعوكم اي من قبوركم الى موقف القيامة فتستجيبون بحمده قال ابن عباس بامره وقيل بطاعته وقيل مقرين بانه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فانهم يبعثون حامدين وتظنون ان لبثتم اي في الدنيا وقيل في القبور الا قليلا وذلك ان الانسان لو مكث في الدنيا وفي القبر الوفا من السنين عد ذلك قليلا بالنسبة الى مدة القيامة والخلود في الاخرة وقيل

انهم يتفخرون بمدة الدنيا في جنب القيامة قوله تعالى وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن وذلك
ان المشركين كانوا يؤذون المسلمين فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله
عز وجل وقل لعبادي يعني للكفار التي هي احسن يكافوهم على سفههم بل يقول له يهديك الله تعالى
وكان هذا قبل الاذن بالقتال والجهاد وقيل نزلت في عمر بن الخطاب وذلك انه شتمه بعض
الكفار وامره الله بالعفو وقيل امر الله المؤمنين بان يقولوا ويفعلوا الخلة التي هي احسن
وقيل الاحسن كلمة الاخلاص لا اله الا الله ان الشيطان ينزغ بينهم اي يفسد ويلقي العداوة
ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا اي ظاهر العداوة قوله عز وجل ربكم اعلم بكم ان يشا
يرحمكم اي يوفقكم للايمان فتؤمنوا او ان يشا يعذبكم اي يميتكم على الشرك فتعذبوا وقيل
معناه ان يشا يرحمكم فينجيكم من اهل مكة وان يشا يعذبكم اي يسلطهم عليكم وما ارسلناك
عليهم وكيلا اي حفيظا وكفيلا قيل نسختها اية القتال وربك اعلم بمن في السموات والارض يعني
ان علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع المعلومات والمعدومات ومتعلق بجميع
ذات الارضين والسموات يعلم حال كل احد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد وقيل معناه
انه عالم باحوالهم واختلاف صورهم واخلاقهم ومللهم واديانهم ولقد فضلنا بعض
النبيين على بعض وذلك انه اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما وقال لعيسى كن فكان واتى
سليمان ملكا لا ينبغي لاحد من بعده واتى داود زبورا وذلك قوله تعالى واتينا داود
زبورا وهو كتاب نزله الله تعالى على داود ويشتمل على ماية وخمسين سورة كلها دعا وثنا
على الله وتحميد وتمجيد ليس فيها حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا احكام فان قلت
لم خص داود في هذه الاية بالذكر دون الانبيا قلت فيه وجوه احدها ان الله ذكر انه
فضل بعض النبيين ثم قال واتينا داود زبورا وذلك ان داود اعطي مع النبوة
الملك فلم يذكره بالملك وذكر ما اتاه من الكتاب تنبيها على ان الفضل المذكور في هذه
الاية المراد به العلم لا الملك والمال الوجه الثاني ان الله كتب له في الزبور ان محمدا خاتم
الانبيا وان امته خير الامم فلهذا خصه بالذكر الوجه الثالث ان اليهود زعمت انه لا نبي
بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله تعالى بقوله واتينا داود زبورا ومعنى
الاية انهم لم ينكروا فضل النبيين فكيف ينكروا فضل محمد صلى الله عليه وسلم واعطايه القران
وانه اتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الانجيل فلم يبعد ان يفضل محمدا صلى الله
عليه وسلم على جميع الخلايق ذلك فضل الله يوتيه من يشا وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل
الانبيا عليهم السلام قوله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم من دونه وذلك ان المشركين
اصابهم قحط شديد حتى اكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا النبي صلى الله عليه وسلم ليدعو
لهم قال الله عز وجل قل ادعوا الذين زعمتم انها الهة من دونه فلا يملكون كشف الضر
عنكم اي الجوع والقحط ولا تحويلا يعني الى غيركم او تحويل الحال من العسر الى اليسر
ومقصود الاية الرد على المشركين حيث قالوا ليس لنا اهلية ان نشتغل بعبادة الله تعالى
فنحن نعبد المقربين اليه وهم الملايكة ثم انهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه
تمثالا وصورة وقد اشتغلوا بعبادته واحتج على بطلان قولهم بهذه الاية وبين
عجز الهتهم فقال تعالى اوليك الذين يدعون يعني الذين يدعوهم المشركين الهة يبتغون
الى ربهم الوسيلة اي القربة والدرجة العليا قال ابن عباس هم عيسى وامه وعزير والملايكة
والشمس والقمر والنجوم وقال ابن مسعود نزلت هذه الاية في نفر من العرب كانوا يعبدون
نفرا من الجن فاسلم اوليك الجن ولم يعلم الانس بذلك فتمسكوا بعبادتهم فعيرهم الله تعالى

وانزل

وانزل الله هذه الاية قوله تعالى ايهم اقرب ينظرون ايهم اقرب الى الله فيتوسلون به وقيل
ايهم اقرب يبتغي الوسيلة الى الله تعالى ويتقرب اليه بالعمل الصالح وازدياد الخير والطاعة
ويرجون رحمته اي جنته ويخافون عذابه وقيل معناه يرجون ويخافون كغيرهم من عباد الله
فكيف يزعمون انها الهة ان عذاب ربك كان محذورا اي حقيقا بان يحذره كل احد من ملك
مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم من الخلايق قوله تعالى وان من قرية الا نحن مهلكوها اي بالموت
والخراب قبل يوم القيامة او معذبوها اي بالقتل وانواع العذاب اذا كفروا وعصوا وقيل
الاهلاك في حق المؤمنين بالاماتة والعذاب في حق الكفار قال عبد الله بن مسعود اذا ظهر الزنا
والربا في قرية اذن الله في هلاكها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا اي في اللوح اي
مكتوبا مثبتا عن عبادة بن الصامت رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان اول ما خلق الله تعالى القلم فقال له اكتب فقال ما اكتب قال اكتب القدر ما هو كاين
الى يوم القيامة الى الابد قوله عز وجل وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون
قال ابن عباس رضي الله عنهما سال اهل مكة ان يجعل الصفا ذهبا وفضة وان ينحي الجبال عنهم
ليزرعوا فاوحى الله تعالى الى رسوله ان شيت ان تستانى بهم لفعلت وان شيت ان اوتيهم ما سالوا
فعلت فان لم يومنوا اهلكتهم كما اهلكت من كان قبلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل تستانى ب
هم فانزل الله وما منعنا ان نرسل بالايات اي التي سالها قومك الا ان كذب بها الاولون
فاهلكناهم فان لم يومنوا قومك بعد ارسال الايات ثم لم يومنوا بعد اتيانها ان نهلكهم
ولا نمهلهم وقد حكمنا بامهال هذه الامة الى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الايات التي اقترحها
الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا فقال تعالى واتينا ثمود الناقة مبصرة اي
بينة وذلك لان اثار اهلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم
فظلموا بها اي جحدوا انها من عند الله وقيل ظلموا انفسهم بتكذيبها فعاجلناهم بالعقوبة
قوله تعالى وما نرسل بالايات المقترحة الا تخويفا من نزول العذاب فان لم يخافوا وقع عليهم
وقيل معناه وما نرسل بالايات يعني العبر والدلالات يعني الا تخويفا اي انذارا بعذاب الاخرة
ان لم يومنوا فانه يخوف الناس بها بما شا من اياته لعلهم يرجعون قوله تعالى واذ قلنا لك اي
واذكر يا محمد اذ قلنا ان ربك احاط بالناس اي ان قدرته احاطت بهم فهم في قبضته وقدرته
لا يقدرون على الخروج من مشيته واذا كان الامر كذلك فهم لا يقدرون على امر من الامور
الا بقضايه وقدرته وهو حافظك ومانعك منهم فلا تهبهم وامض بما امرتك به من التبليغ
للرسالة فهو ينصرك ويقويك على ذلك وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس
قال الاكثرون من المفسرين على ان المراد منه ما راى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرا المعراج من
العجايب والايات قال ابن عباس رضي الله عنهما هي رويا عين ريها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليلة المعراج وهي ليلة اسري به الى بيت المقدس اخرجه البخاري وهو قول سعيد
ابن جبير والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وغيرهم من العرب يقول رايت
رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم انكر بعضهم بذلك وكذبوا فكانت
فتنة للناس وازداد المخلصون ايمانا وقال قوم اسري بروحه دون جسده وهو ضعيف
وقال قوم معراجان معراج رؤية عين في اليقظة ومعراج رؤية منام وقيل اراد بهذه الرويا
ما راى النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية انه دخل مكة هو واصحابه فعجل السير الى
مكة قبل الاجل فصده المشركون فرجع الى المدينة فكان رجوعه في ذلك العام بعدما اخبر
انه يدخلها فتنة لبعضهم ثم دخلها في العام المقبل وانزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا

بالحق وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم راى في المنام ولد الحكم بن امية يتداولون منبره كما
انه اول الكبرة فهمه ذلك فان اعترض معترض على هذا التفسير وقال السورة مكية وهذه
الواقعة كانت بالمدينة اجيب بانه لا اشكال فيه فانه لا يبعد ان النبي صلى الله عليه
وسلم راى ذلك بمكة ثم كان حقيقة بالمدينة **والشجرة الملعونة في القران** يعني شجرة الزقوم
التي وصفها الله تعالى في سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام مكروه ملعون والفتنة فيها
ان ابا جهل قال ان ابن ابي امية يعني النبي صلى الله عليه وسلم توعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم
تنبت الشجر وتعلمون ان النار تحرق الشجر وقيل ان عبد الله بن الزبعرى قال
ان محمدا يخوفنا بالزقوم ولا نعرف الزقوم الا التمر والزبد وقال ابو جهل يا جارية تعالي
فزقمينا فاتت بزبد وتمر فقال يا قوم تزقموا فان هذه ما يخوفكم به محمد فانزل الله
تعالى حين عجبوا ان يكون في النار شجر انا جعلناها فتنة للظالمين الايات فان قلت
اين لعنت شجرة الزقوم في القران قلت لعنت حين لعن الكفار الذين ياكلونها لان الشجرة
لا ذنب لها تلعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي في اصل الجحيم في ابعد مكان من
الرحمة وقال ابن عباس في رواية عنه ان الشجرة الملعونة هي الكشوث الذي يلتوي على
الشجرة والشكوك فيجففه **ونخوفهم فما يزيدهم** التخويف **الا طغيانا كبيرا** وتمردا وعلوا
عظيما قوله تعالى **واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت**
طينا اي من طين وذلك ان ادم خلق من تراب الارض عذبها وملحها فمن خلق من العذب فهو
سعيد ومن خلق من الملح فهو شقي **قال** يعني ابليس **ارايتك** الكاف لخطاب والمعنى اخبرني **هذا**
الذي كرمت علي اي فضلته علي **لئن اخرتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته** اي
لاستاصلنهم بالاضلال وقيل معناه لاقودنهم كيف شئت وقيل معناه لاستولين عليهم بالاغوا
الا قليلا يعني المعصومين الذين استثناهم الله تعالى في قوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
قال الله تعالى **قال اذهب** اي امض لشانك وليس من الذهاب الذي هو ضد المجيء **فمن تبعك**
منهم فان جهنم جزاؤكم يعني جزاؤك وجزا اتباعك **جزاء موفورا** اي مكملا قوله عز وجل
واستفزز اي استخف واستزل واستجهل وازعجهم معناه بدعائك الى معصية الله وكل
داع الى المعصية فهو من جند ابليس وقيل اراد بصوتك الغنا والمزامير واللهو واللعب **من**
استطعت منهم بصوتك اي اجمع مكايدك وحيلك واحثهم على الاغوا وقيل استعن عليهم بركبان
جندك ومشاتهم يعني ان له خيلا ورجلا من الجن والانس فكل من قاتل ومشى في معصية فهو
من جند ابليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما تقول للرجل المجد في الامر جئتنا بخيلك ورجلك
واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الاموال والاولاد اما المشاركة في الاموال فكل ما
اصيب من حرام وانفق في حرام وقيل هو الربا وقيل هو ما كانوا يذبحونه لالهتهم ويحرمونه كالبحيرة
والسائبة والوصيلة والمشاركة في الاولاد فروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انها الموؤدة
وقيل اولاد الزنى وعن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا هو تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد
الحرث وعبد شمس ونحوه وقيل انه رغبوا اولادهم في الاديان الباطلة الكاذبة كاليهودية
والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل ان الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فاذا لم يقل بسم
الله اصاب معه امراته وانزل في فرجها كما ينزل الرجل وروي في بعض الاخبار ان فيكم مغربين
قيل وما المغربون قال الذين تشارك فيهم الجن وعن ابن عباس انه ساله رجل فقال ان امراتي
استيقظت وفي فرجها نار شاعلة قال ذلك من وطي الجن **وعدهم** اي منهم من الجميل في طاعتك وقل
لهم لا جنة ولا نار ولا بعث وذلك ان الشيطان اذا دعى الى المعصية فلا بد ان لا يقرره في

فعله

فعله البتة وذلك لا يمكن الا اذا قال له لا معاد ولا جنة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة فيقرر
بهذا عنده انه لا مضرة البتة في هذه المعاصي واذا فرغ من هذا النوع قرر عنده ان هذا الفعل
يفيد انواعا من اللذة والسرور ولا حياة للانسان في الدنيا الا به فهذا دليل طريقة الدعوة الى
المعصية فهذا يبعده عن فعل الطاعة وهو انه يقرر عنده ان لا جنة ولا نار ولا عقاب في لا فائدة
فيها وقيل معنى عدهم اي شفاعة الاصنام عند الله وايثارا لاجل فان قلت كيف ذكر الله هذه
الاشيا بصيغة الامر وان الله تعالى قال ان الله لا يامر بالفحشا قلت هذا على طريق التهديد كقوله
تعالى اعملوا ما شئتم وكقوله للقائل اجتهد جهدك فسترى ما ينزل بك كقوله تعالى **وما يعدهم**
الشيطان الا غرورا اي يزين الباطل بما يظن انه حق واعلم ان الله تعالى لما قال وعدهم اردفه
بما هو زاجر عن قبول وعده بقوله وما يعدهم الشيطان الا غرورا والسبب انه انما يدعوا الى قضا
الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعو الى معرفة ولا الى عبادته وتلك الاشيا التي يدعوا
اليها خيالية لا حقيقة لها ولا يحصل الا بعد متاعب ومشاق عظيمة واذا حصلت كانت سريعة
الذهاب والانقضا وينغصها الموت والهرم وغير ذلك واذا كانت هذه الاشيا بهذه الصفات
كانت الرغبة فيها غرورا **ان عبادي ليس لك عليهم سلطان** يعني عبادة الانبيا واهل الفضل
والصلاح لا يقدر على اغوائهم **وكفى بربك وكيلا** اي حافظا والمعنى انه لما امكن ابليس
ان ياتي بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف في قلب الانسان فقال تعالى
وكفى بربك وكيلا اي فالله تعالى اقدر منه وارحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووسوسته
ويعصمهم من اهوائه واستيلائه وفي بعض الاثار ان ابليس لما خرج الى الارض قال يا رب اخرجتني
من الجنة لاجل ادم فسلطني عليه وعلى ذريته قال انت مسلط قال لا استطيع الا بك فزدني قال
استفزز من استطعت الاية فقال ادم يا رب سلطت ابليس علي وعلى ذريتي واني لا استطيع
الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه قال رب زدني قال الحسنة بعشر
امثالها والسيئة بمثلها قال رب زدني قال التوبة مفروضة ما دام الروح في الجسد
قال رب زدني فقال يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
الاية وفي الخبر ان ابليس قال يا رب بعثت انبيا وانزلت كتبا فما قراءتي قال الشعر
قال فما كتابي قال الوشم قال ومن رسلي قال الكهنة قال اي شي مطعمي قال ما لم يذكر عليه اسم الله
قال فما شرابي قال كل مسكر قال واين مسكني قال الحمامات قال واين مجلسي قال الاسواق
قال وما حبائلي قال النسا قال وما اذاني قال المزامير قوله تعالى **ربكم الذي يزجي لكم الفلك**
اي السفن **في البحر لتبتغوا من فضله** اي لتطلبوا من رزقه بالارباح في التجارة وغيرها **انه كان**
بكم رحيما اي حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح وسهلها عليكم **واذا مسكم الضر في البحر**
الشدة وخوف الغرق في البحر **ضل من تدعون** اي ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعون في
حوائجكم من الاصنام وغيرها **الا اياه** اي الا الله وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا يخطر ببالكم
غيره لانه القادر على اغاثتكم واعانتكم **فلما نجاكم** اي اجاب دعاكم وانجاكم من هول البحر واخرجكم
الى البر اعرضتم اي عن الايمان والاخلاص والطاعة وكفرتم النعمة وهو قوله تعالى **وكان**
الانسان كفورا اي جحودا قوله تعالى **افامنتم** اي بعد انجائكم **ان يخسف بكم جانب البر** اي نغوره
والمعنى ان الجهات كلها له وفي قدرته برا كان او بحرا بل ان كان الغرق في البحر ففي جانب
البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت الثرى كما ان الغرق تغييب تحت الما
او يرسل عليكم حاصبا اي يمطر عليكم حجارة من السما كما امطرها على قوم لوط **ثم لا تجدوا**
لكم وكيلا اي مانعا ناصرا **ام امنتم ان يعيدكم فيه** اي في البحر **تارة اخرى** اي مرة اخرى

فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم قال ابن عباس اي عاصفا وهي الريح الشديدة
وقيل هي التي تقصف كل شيء من شجرة وغيره فيغرقكم بما كفرتم اي بكفرانكم النعمة واعراضكم حين نجاكم
ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا التبيع المطالب والمعنى انا نفعل ما نفعل بكم ثم لا تجدوا لكم احدا
يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم ودركا للثار من جهتنا وقيل معناه من يتبعنا بالانكار علينا قوله
تعالى ولقد كرمنا بني آدم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومعناه انهم ياكلون بالايدي وغير الآدمي
ياكل بفيه من الارض وقال ايضا بالعقل وقيل بالنطق والتمييز والخط والفهم وقيل باعتدال القامة
وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال باللحى والنساء بالذوائب وقيل بتسليطهم على كل
ما في الارض وتسخيره لهم وقيل بحسن تدبيرهم امر المعاش والمعاد وقيل بانهم خير امة اخرجت
للناس وحملناهم في البر اي وحملناهم في البر على الابل والخيل والبغال والحمير والبحر اي
وحملناهم في البحر على السفن وهذا من موكدات التكريم لان الله تعالى سخر لهم هذه الاشياء ليتنعموا
بها على مصالحهم ورزقناهم من الطيبات يعني لذيذ المطاعم والمشارب وقيل الزبد والتمر
والسمن والحلو واصل الرزق غيرهم مما لا يخفى وقيل ان جميع الاغذية اما نباتية
او حيوانية ولا يتغذى الانسان الا بالطيب الذي يتم به النضج الكامل والنضج التام ولا يحصل
هذا لغير الانسان وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا واعلم ان الله تعالى قال في اول
الآية ولقد كرمنا بني آدم وفي آخرها وفضلناهم فلا بد من الفرق بين التفضيل والتكريم والاقرب
ان يقال ان الله تعالى كرم الانسان على سائر الحيوان بامور خلقية ذاتية طبيعية مثل العقل
والنطق والخط وحسن الصورة ثم انه تعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم واكتساب العقائد
الصحيحة والاخلاق الفاضلة فالاول هو التكريم والثاني هو التفضيل ثم قال تعالى على كثير
ممن خلقنا تفضيلا ظاهر الآية تدل على انه فضل بني آدم على كثير ممن خلق لا على الكل فقال قوم
فضلوا على جميع الخلق الا على الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكلبي فضلوا على الخلق كلهم
الا على طائفة من الملائكة مثل جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل واشباههم وقيل فضلوا على
جميع الخلائق وعلى الملائكة كلهم فان قلت كيف قيل بكثير قلت توضع الاكثر موضع الكل لقوله
تعالى يلقون السمع واكثرهم كاذبون اراد كلهم وفي الحديث عن جابر يرفعه قال لما خلق الله
آدم وذريته قالت الملائكة يا رب خلقتهم ياكلون ويشربون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة قال
لا اجعل من خلقته بيدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان وقيل من التفضيل وهو
الاولى الراجح ان خواص بني آدم وهم الانبياء افضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة
افضل من عوام البشر من بني آدم لان الكفار لا حرمة لهم قال الله تعالى ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال المؤمن اكرم
على الله تعالى من الملائكة الذين عنده قوله عز وجل يوم ندعوا كل اناس بامامهم اي
بنبيهم وقيل بكتابهم الذي انزل عليهم وقيل بكتاب اعمالهم وعن ابن عباس بامام زمانهم الذي
دعاهم في الدنيا اما الى الهدى واما الى الضلالة وذلك ان كل قوم يجتمعون الى رئيسهم في الخير
والشر وقيل بمعبودهم وقيل بامامهم جمع ام يعني بامهاتهم والحكمة فيه رعاية حق عيسى واظهار
شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤون
كتابهم فان قلت لم خص اصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع ان اصحاب الشمال يقرؤونه ايضا
قلت الفرق ان اصحاب الشمال اذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على مشكلات عظيمة فيستولي
عليهم الخجل والدهشة فلا يقدرون على اقامة حروفه مشتملا على الطاعة والحسنات فيقرؤونه
احسن قراءة وابينها ولا يظلمون فتيلا اي ولا ينقصون من ثوابهم شيئا ومن كان في هذه اعمى يعني

المراد

المراد به عمى القلب لا البصيرة والمعنى من كان في الدنيا اعمى عن هذه النعم التي قد عددها في هذه الآيات المتقدمة
فهو في الآخرة اعمى اي التي لم تعاين ولم تر واضل سبيلا قال ابن عباس معناه من كان في هذه الدنيا
اعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق فهو في الآخرة اعمى لانه في الدنيا تقبل توبته وفي
الآخرة لا تقبل توبته قوله عز وجل وان كادوا ليفتنونك عن الذي اوحينا اليك قيل سبب نزولها
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الاسود فمنعته قريش وقالوا لا ندعك حتى تلم بآلهتنا وتمسها
فحدث نفسه ما علي ان افعل ذلك والله يعلم اني لها كاره هذا ان يدعوا الى استلام الحجر وقيل طلبوا
منه ان يذكر آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن عباس
قدم وفد ثقيف على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نبايعك على ان تعطينا ثلاث خصال قال وما
هي قالوا لا ننحني في الصلاة اي لا ننحني ولا نكسر اصناما بايدينا وان تمتعنا باللات سنة من غير
ان نعبدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود واما ان تكسروا اصنامكم
بايديكم فذاك لكم واما الطاغية يعني اللات والعزى فاني غير ممتعكم بها قالوا يا رسول
الله انا نحب ان تسمع العرب انك اعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان خشيت ان تقول العرب اعطيتهم
ما لم تعطنا فقل الله امرني بذلك فانزل الله وان كادوا اي ارادوا ليفتنونك اي يصرفونك عن
الذي اوحينا اليك لتفتري اي لتختلق وتبتدع علينا غيره اي ما لم نقله واذا اي لو فعلت ما دعوك
اليه لاتخذوك خليلا اي والوك وصافوك ولولا ان ثبتناك اي على الحق بعصمتنا لقد كدت
تركن اي تميل اليهم شيئا قليلا اي قليلا من الفعل فان قلت كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما
فكيف يجوز ان يقرب مما طلبوه قلت كان ذلك خاطر قلب ولم يكن عزما وقد عفا الله عن حديث
النفس وكان بعد ذلك النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين والجواب
الصحيح هو ان الله تعالى قال ولولا ان ثبتناك وقد ثبته الله فلم يركن اليهم اذا لاذقناك
ضعف الحياة وضعف الممات اي لو فعلت ذلك لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات يعني ضعف
لك العذاب في الدنيا والآخرة ثم لا تجد لك علينا نصيرا اي ناصرا يمنعك من عذابنا قوله
عز وجل وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها قيل هذه الآية مدنية وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وذلك حسدا فاتوه
فقالوا يا ابا القاسم لقد علمت ان هذه بارض الانبياء وان ارض الانبياء بالشام وهي الارض المقدسة
وكان بها ابراهيم والانبياء عليهم السلام فان كنت نبيا مثلهم فات الشام وانما يمنعك الخروج
اليها مخافة الروم وان الله سيمنعك من الروم ان كنت نبيه فعسكر النبي صلى الله عليه وسلم
من المدينة وفي رواية الى ذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه فيخرج فانزل الله هذه الآية والارض
هاهنا ارض المدينة وقيل الارض ارض مكة والآية مكية وهم المشركون ان يخرجوه منها فكفهم
الله عنه حتى امره بالخروج للهجرة فخرج بنفسه وهذا هو الاليق بالآية لان ما قبلها خبرا
عن اهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون كلهم وارادوا ان يستفزوه من ارض العرب
باجتماعهم وتظاهرهم عليه فمنع الله رسوله ولم ينالوا منه ما املوه والاستفزاز الازعاج
واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا اي لا يبقون بعد اخراجك الا زمنا قليلا حتى يهلكوا
قوله تعالى سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين اظهرهم
فسنة الله ان يهلكهم وان لا يعذبهم ما دام نبيهم فيهم فاذا خرج من بين اظهرهم عذبهم ولا تجد
لسنتنا تحويلا اي تبديلا قوله عز وجل اقم الصلاة لدلوك الشمس روي عن ابن
مسعود انه قال الدلوك الغروب وهو قول النخعي ومقاتل والضحاك والسدي وقال
ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن واكثر

التابعين ومعنى اللفظ يجمعهما لان اصل الدلوك الميل والشمس تميل اذا زالت واذا غربت
والحمل على الزوال اولى القولين لكثرة القائلين به واذا حملناه عليه كانت الآية جامعة
لمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر الى غسق الليل اي ظهور
ظلمته وقال ابن عباس رضي الله عنهما بدو الليل وهذا يتناول المغرب والعشا وقرآن الفجر يعني
صلاة الفجر يعني الصلاة قرانا لانها لا تجوز الا بقراءة ان قرآن الفجر كان مشهودا اي يشهده
ملائكة الليل وملائكة النهار م عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول تفضل صلاة الجمع على صلاة احدكم وحده بخمس وعشرين جزءا وتجتمع ملائكة الليل
وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول ابو هريرة اقرؤوا ان شئتم ان قرآن الفجر كان مشهودا
قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله تعالى في تفسيره هذا دليل قاطع قوي على ان الصلاة
في اول الوقت افضل من التنوير لان الانسان اذا شرع فيها في الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة
باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم اذا امتدت الصلاة بسبب تطويل القراءة وتكثيرها
زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار اما اذا ابتدأ بهذه الصلاة في وقت الاسفار
فهناك لم يبق احد من ملائكة الليل فلا يحصل المعنى المذكور في الآية فثبت ان قوله كان مشهودا
دليلا على ان الصلاة في اول وقتها افضل قوله تعالى ومن الليل فتهجد به اي قم بعد نومك
والتهجد لا يكون الا بعد القيام من النوم والمراد من الآية قيام الليل للصلاة وكانت صلاة
الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الامة في الابتداء لقوله تعالى يا ايها المزمل قم
الليل الا قليلا ثم نزل التخفيف فصار الوجوب منسوخا في حق الامة بالصلوات الخمس وبقي
قيام الليل على الاستحباب بدليل قوله تعالى فاقرؤوا ما تيسر منه وبقي الوجوب ثابتا في
حق النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة هن فريضة علي وهي سنة لكم الوتر والسواك وقيام الليل
وقيل ان الوجوب صار منسوخا في حقه كما في حق الامة فصار قيام الليل نافلة لان الله تعالى
قال نافلة لك ولم يقل عليك فان قلت ما معنى التخصيص اذا كانت زيادة في حق المسلمين كما في
حقه صلى الله عليه وسلم قلت فائدة التخصيص ان النوافل كفارات لذنوب العباد والنبي
صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر فكانت له نافلة وزيادة في رفع
الدرجات **فصل** في الاحاديث الواردة في قيام الليل عن المغيرة قال قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى تنتفخ قدماه فقيل له اتتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك
وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا م عن زيد بن خالد الجهني لارمقن صلاة رسول
الله صلى الله عليه وسلم الليلة فتوسدت عتبته او فسطاطه فقام فصلى ركعتين خفيفتين
ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم اوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة لفظ ابي داود ق عن ابي سلمة
ابن عبد الرحمن انه سال عائشة كيف صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان قالت ما
كان يزيد في رمضان ولا في غيره اكثر من احدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن
ثم يصلي ثلاثا قالت عائشة فقلت يا رسول الله اتنام قبل ان توتر فقال يا عائشة
ان عيني تنامان ولا ينام قلبي ق عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما
بين ان يفرغ من صلاة العشا الى الفجر احدى عشرة ركعة يسلم في ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدة
قدر ما يسجد ويقرا احدكم خمسين آية قبل ان يرفع راسه فاذا سكت المؤذن من صلاة الفجر
وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن حتى ياتيه المؤذن للاقامة
خ عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين
خفيفتين عن عوف بن مالك الاشجعي قال قمت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقرا

سورة البقرة لا يمر باية رحمة الا وقف وسال ولا يمر باية عذاب الا وقف وتعوذ ثم ركع بقدر قيامه
يقول في ركوعه سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر ركوعه ثم قال في
سجوده مثل ذلك ثم قام فقرا آل عمران ثم قرا سورة سورة اخرجه ابو داود والنسائي عن عائشة
رضي الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القرآن ليلة اخرجه الترمذي عن
الاسود قال سالت عائشة رضي الله عنها كيف كان صلاة النبي صلى الله عليه وسلم من الليل قالت
كان ينام اوله ولا تشاء ان تراه نائما الا رايته اخرجه النسائي زاد في رواية غيره فما كان يصوم من الشهر
حتى نقول لا يفطر منه شيئا ويفطر حتى نقول ما يصوم منه شيئا قوله عز وجل عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا قيل اجمع المفسرون على ان عسى من الله واجب وذلك ان لفظة عسى تفيد
الاطماع ومن اطمع انسانا في شيء ثم حرمه كان عارا والله اكرم من ان يطمع احدا ثم لا يعطيه ما
اطمعه فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لانه صلى الله عليه وسلم يحمده فيه الاولون والاخرون
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل نبي دعوة مستجابة واني اختبات
دعوتي شفاعة لامتي فهي نائلة منكم ان شاء الله تعالى من مات ولا يشرك بالله شيئا ق عن عبد
الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل
ما يقول وصلوا علي فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها
منزلة في الجنة لا ينبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة
حلت عليه شفاعتي م عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين
يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة
وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت عليه شفاعتي يوم القيامة خ عن انس ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال يجمع الله الخلق يوم القيامة فيهتمون لذلك وفي رواية فيلهمون لذلك
فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فياتون آدم فيقولون انت ابو البشر خلقك
الله بيده واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا
من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي اصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا ابراهيم
الخليل الذي اتخذه الله خليلا فياتون ابراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي اصاب
فيستحيي ربه منها فيقول ائتوا موسى الذي كلمه الله واعطاه التوراة فيقال فياتون موسى
فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي اصابها فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح الله وكلمته
فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم وانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فياتوني فاستاذن على ربي فيؤذن لي واذا رايته
وقعت ساجدا فيدعني ما شاء الله فيقال يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع
تشفع قال فارفع راسي واحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم اشفع فيحد لي حدا فاخرجهم من النار وادخلهم
الجنة قال فلا ادري في الثالثة او في الرابعة فيقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه
القرآن اي وجب عليه الخلود وفي رواية للبخاري ثم تلا هذه الآية عسى ان يبعثك ربك مقاما
محمودا قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم زاد في رواية فقال
النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما
يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ما
يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا اله الا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة قال
يزيد بن زريع في حديث سمعته ذرة وفي رواية من ايمان مكان خير وفي رواية سعيد بن هلال
عن انس في حديث الشفاعة وذكر نحوه وفيه فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان

في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل قال فلما خرجنا
من عند أنس مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثناه بالحديث إلى هذا الموضع فقال هيه فلم يزدنا على هذا فقال
لقد حدثني وهو جميع منذ عشرين كما حدثكم ثم قال ثم أعود في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له
ساجدا فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع فيقول يا رب ائذن لي فيمن
قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك لك أو قال ليس ذلك إليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي
لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله قوله وهو جميع أي مجتمع الذهن والرأي عن أبي سعيد قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من
نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر قال فيفزع الناس
ثلاث فزعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا فاشفع لنا إلى ربك فيقول إني أذنبت ذنبا
عظيما فأهبطت به إلى الأرض ولكن ائتوا نوحا فيأتون نوحا فيقول إني دعوت على
أهل الأرض دعوة فأهلكوا ولكن ائتوا إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول إني كذبت ثلاث كذبات ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما منها كذبة إلا ما حل بها عن دين الله ولكن ائتوا موسى فيأتون موسى
فيقول قد قتلت نفسا ولكن ائتوا عيسى فيقول إني عبدت من دون الله ولكن ائتوا محمدا صلى
الله عليه وسلم قال فيأتوني فأنطلق معهم قال ابن جدعان قال أنس فكأني أنظر إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال فآخذ حلقة باب الجنة فأقعقعها فيقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي
ويرحبون بي فيقولون مرحبا فأخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال لي ارفع رأسك وسل
تعطه واشفع تشفع وقل يسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال عسى أن يبعثك ربك مقاما
محمودا قال سفيان ليس عن أنس غير هذه الكلمة فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها أخرجه فيقال
من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون بي فيقولون مرحبا فأخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء
والحمد أخرجه الترمذي قوله ما حل المماحلة المخاصمة والمجادلة والمعنى أنه عليه السلام خاصم وجادل
عن دين الله بتلك الألفاظ التي صدرت عنه قوله فأقعقعها أي أحركها شديدا والقعقعة
حكاية أصوات الترسة وغيرها مما له صوت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أيسوا ولواء الحمد
يومئذ بيدي وأنا أكرم على الله ولا فخر أخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي وأنا
مستشفعهم إذا حبسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي يطوف علي ألف خادم كأنهن بيض مكنون أو لؤلؤ
منثور عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم يوم
القيامة وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع رواه الترمذي قال أنا أول من تنشق
عنه الأرض فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش فليس أحد من الخلائق يقوم ذلك
المقام غيري وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق
نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيشفع ليقضي
بين الخلائق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع
كلهم عن يزيد بن صهيب الفقير قال كنت قد شغفني رأي من رأي الخوارج فخرجنا في عصابة ذوي
عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس قال فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله جالس إلى سارية
يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا هو قد ذكر الجهنميين فقلت يا صاحب رسول الله
ما هذا الذي تحدثونا والله يقول إنك من تدخل النار فقد أخزيته وكلما أرادوا أن يخرجوا
منها أعيدوا فيها فما الذي يقولون قال أتقرأ القرآن قلت نعم قال فإنما قرأت قبله أنه في الكفار
ثم قال فهل سمعت بمقام محمد صلى الله عليه وسلم الذي يبعث فيه قلت نعم قال فإنه مقام محمد صلى

الله

الله عليه وسلم المقام المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه
قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك قال غير أنه زعم أن قوما يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها قال
يعني فيخرجون كأنهم عيدان السماسم قال فيدخلون نهرا من أنهار الجنة قال فيغتسلون فيه كأنهم القراطيس فرجعنا
فقلنا ويحكم أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ما خرج منا غير
رجل واحد قال والأحاديث في الشفاعة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق
أهل السنة وروى أبو وائل عن ابن مسعود أنه قال إن الله اتخذ إبراهيم خليلا وإن صاحبكم خليل الله
وأكرم الخلق عليه ثم قرأ عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا قال يقعده على العرش وعن مجاهد مثله وعن عبد
الله بن سلام قال يقعده على الكرسي قوله تعالى **وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق** المراد
منهما الإدخال والإخراج قال ابن عباس معناه أدخلني مدخل صدق المدينة وأخرجني مخرج صدق مكة
نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقيل معناه أخرجني من مكة آمنا من المشركين وأدخلني
مكة ظاهرا عليها بالفتح وقيل أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق وأخرجني من الدنيا
وقد قمت بما وجب علي من حق النبوة مخرج صدق وقيل معناه أدخلني حيث ما أدخلتني بالصدق ولا تجعلني ممن يدخل
بوجه ويخرج بوجه وقال الذي الوجهين عند الله لا يكون أمينا **واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا** أي حجة
بينة وقيل ملكا قويا تنصرني به على من عاداني وعزا ظاهرا أقيم به دينك فوعده الله لينزعن ملك فارس
والروم وغيرهما فيجعله له لجابت دعاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس قال ليظهره على الدين
كله وقال وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض قوله تعالى **وقل جاء
الحق** يعني الإسلام والقرآن **وزهق الباطل** أي الشرك والشيطان **إن الباطل كان زهوقا** أي كان
مضمحلا غير ثابت وذلك أن الباطل وإن كان له دولة وصولة في وقت من الأوقات فهو سريع
الزوال **م** عن عبد الله بن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم وحول البيت ثلاثمائة وستون صنما
فجعل يطعنها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا جاء الحق وما
يبدئ الباطل وما يعيد قوله عز وجل **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** من في قوله
لبيان الجنس والمعنى وننزل من هذا القرآن الجنس الذي هو قرآن ما هو شفاء أي بيان من الضلالة
والجهالة يتبين به المختلف ويتضح به المشكل ويستشفى به من الشبهة ويهتدى به من الحيرة وهو شفاء
القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء للأمراض الباطنة والظاهرة وذلك لأنها تنقسم على نوعين
أحدهما الاعتقادات فأشد فسادا الاعتقادات الفاسدة الباطلة والثاني الأخلاق المذمومة
أما الاعتقادات فأشد فسادا الاعتقادات الفاسدة في الذات والصفات والنبوات
والقضاء والقدر والبعث بعد الموت فالقرآن كله مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه
الأشياء وإبطال المذاهب الباطلة لا جرم كان القرآن شفاء لما في القلوب من هذا النوع وأما
النوع الثاني فالقرآن مشتمل على التنفير منها والإرشاد إلى الأخلاق المحمودة والأعمال الفاضلة
وثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الباطنة وأما كونه شفاء من الأمراض الجسمانية فلأن التبرك
بقراءته يدفع كثيرا من الأمراض يدل عليه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب
وما يدريك أنها رقية ورحمة للمؤمنين لما كان القرآن شفاء للناس في الأمراض الباطنة والظاهرة فهو
جدير بأن يكون رحمة للمؤمنين **ولا يزيد الظالمين إلا خسارا** لأن الظالم لا ينتفع به والمؤمن ينتفع
به فكان رحمة للمؤمنين وخسارة للظالمين قيل لأن كل آية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد
خسارهم قال قتادة لم يجالس القرآن أحد إلا قام بزيادة أو نقصان قضاء الله الذي قضى شفاء
ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا قوله تعالى **وإذا أنعمنا على الإنسان** أي بالصحة والسعة
أعرض أي عن ذكرنا ودعائنا **ونأى بجانبه** أي تباعد منا بنفسه وترك التقرب إلينا بالدعاء وقيل معناه

تكبر وتعظم وإذا مسه الشر أي الشدة والفقر كان يؤوسا أي آيسا قنوطا وقيل معناه أنه يتضرع ويدعو
عند الضر والشدة فإذا تأخرت الإجابة ييأس فلا ينبغي للمؤمن أن يدع الدعاء ولو تأخرت الإجابة
قوله عز وجل قل كل أي كل أحد يعمل على شاكلته قال ابن عباس رضي الله عنهما على ناحيته وقيل
الشاكلة الطريقة التي جبل عليها وفيه وجه آخر وهو أن كل إنسان يعمل على حسب جوهر نفسه فإن
كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه أفعال جميلة وأخلاق زكية طاهرة وإن كانت نفسه
كدرة خبيثة صدرت عنه أفعال خبيثة فاسدة رديئة فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا أي أوضح
طريقا وأحسن مذهبا واتباعا للحق قوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي عن عبد
الله بن مسعود قال بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من
اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح فقال بعضهم لا تسألوه يسمعكم ما تكرهون فقاموا
إليه وفي رواية فقام إليه رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت وفي رواية فقالوا
حدثنا عن الروح فقام ساعة ينظر الوحي فعرفت أنه يوحى إليه فتأخرت حتى صعد الوحي ثم قال
ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فقال بعضهم لبعض قد قلنا
لكم لا تسألوه وفي رواية وما أوتوا من العلم إلا قليلا قال الأعمش هكذا في قراءتنا العسيب جريد
النخل وسعفه وقال ابن عباس إن قريشا اجتمعوا وقالوا إن محمدا نشأ فينا بالأمانة والصدق وما
اتهمناه بكذب قط وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا إلى اليهود بالمدينة واسألوهم عنه فيسألوه عن ثلاثة
أشياء فإن أجاب عن كلها أو لم يجب عن شيء منها فليس بنبي وإن أجاب عن شيئين ولم يجب عن واحدة فهو نبي
فسلوه عن فتية فقدوا في الزمن الأول ما كان نبأهم فإنه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ
شرق الأرض ومغربها ما خبره وعن الروح قال فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم فقال أخبركم بما سألتم
غدا فلبث الوحي قال مجاهد اثني عشر يوما أو خمسة عشر يوما وقيل أربعين يوما وأهل مكة
يقولون قد وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لا يخبرنا بشيء حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من
مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل جبريل عليه السلام بقوله ولا تقولن لشيء إني
فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء ونزلت في الفتية أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا
عجبا ونزل فيمن بلغ المشرق قوله ويسألونك عن ذي القرنين ونزل في الروح قل الروح من أمر ربي
واختلفوا في الذي وقع السؤال عنه فروي عن ابن عباس أنه جبريل وعن علي أنه ملك له سبعون ألف
وجه وفي كل وجه سبعون لسانا يسبح الله تعالى بكلها وقال مجاهد خلق على صورة بني آدم لهم أيد
وأرجل ورؤوس ليسوا بملائكة ولا ناس يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله
خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يبتلع السموات السبع والأرض ومن فيهن بلقمة واحدة
لفعل ذلك صورة خلقه على صورة الملائكة وصورة وجهه على صورة الآدميين يقوم القيامة على يمين
العرش وهو أقرب الخلق إلى الله تعالى اليوم عند الحجب السبعين وأقرب الخلق إلى الله يوم
القيامة وهو ممن يشفع لأهل التوحيد ولولا أنه بينه وبين الملائكة ستر من نور لاحترق أهل
السموات من نوره وقيل الروح هو القرآن لأنه سماه الله تعالى روحا ولأن به حياة القلوب
وقيل هو الروح المركب في الخلق الذي يحيى به الإنسان وهو أصح الأقوال وتكلم قوم في ماهية
الروح فقال بعضهم هو الدم ألا ترى أن الإنسان إذا مات لا يفوت منه إلا الدم وقال قوم هو
نفس الحيوان بدليل أنه يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض وقال قوم هو جسم لطيف
يحيى به الإنسان وقيل الروح معنى اجتمع فيه النور والطيب والعلم والعلو والبقاء ألا ترى أنه
إذا كان موجودا يكون الإنسان موصوفا بجميع هذه الصفات وإذا خرج منه ذهب الكل
وأقاويل الحكماء والصوفية في ماهية الروح كثيرة وليس هذا موضع استقصائها وأولى الأقاويل

ان

أن يوكل علمه إلى الله تعالى وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بريدة إن الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا
ولا نبيا مرسلا بدليل قوله تعالى قل الروح من أمر ربي يعني من علم ربي الذي استأثر به وما أوتيتم من العلم إلا قليلا
أي في جنب علم الله عز وجل والخطاب عام وقيل هو خطاب لليهود وذلك أنهم كانوا يقولون أوتينا التوراة
وفيها العلم الكثير فقيل لهم إن علم التوراة قليل في علم الله تعالى وقيل إن القلة والكثرة تدوران
مع الإضافة فوصف الشيء بالقلة مضافا إلى ما فوقه وبالكثرة مضافا إلى ما تحته وقيل إن النبي صلى
الله عليه وسلم علم معنى الروح ولكن لم يخبر به لأن ترك الإخبار به كان علما للنبوة والقول الأصح أن الله
استأثر بعلم الروح قوله عز وجل ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك معناه إنا كما منعنا علم الروح
عنك وعن غيرك إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثرا وبقيت
كما كنت ما تدري ما الكتاب ثم لا تجد لك به علينا وكيلا معناه بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده
عليك وإعادته محفوظا مسطورا إلا رحمة من ربك معناه إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك وقيل هذا
المستثنى منقطع معناه لكن رحمة ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن
محفوظا فإن قلت كيف يذهب بالقرآن وهو كلام الله تعالى قلت المراد منه محو ما في المصاحف
وإذهاب ما في الصدور وقال عبد الله بن مسعود اقرؤوا القرآن قبل أن يرفع فإنه لا تقوم الساعة
حتى يرفع هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسرى عليه ليلا فيرفع ما
في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئا ولا يجدون في المصاحف شيئا ثم يفيضون في الشعر وعن عبد
الله بن عمرو بن العاص قال لا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوي حول العرش
كدوي النحل فيقول الرب ما لك فيقول أتلى ولا يعمل بي إن فضله كان عليك كبيرا أي بسبب بقاء
العلم والقرآن عليك وجعلك سيد ولد آدم وختم بك النبيين وأعطاك المقام المحمود قوله تعالى
قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون أي لا يقدرون على
ذلك بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أي عونا نزلت حين قال المشركون لو نشاء لقلنا مثل هذا
فكذبهم الله عز وجل فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلى
طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لأنه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقا لأتوا
بمثله قوله عز وجل ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل أي رددنا وكررنا من كل
معنى هو كالمثل في غرابته وحسنه وقيل معناه من كل وجه من العبرة والأحكام والوعد والوعيد
والقصص وغيرها فأبى أكثر الناس إلا كفورا يعني جحودا قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك
أي لن نصدقك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا لما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه معجزات أخر
وبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا أخذوا يتعللون باقتراح الآيات فقالوا لن نؤمن لك روى
عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والنضر وأبا البختري بن هشام
والأسود بن عبد المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن
أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ابني الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة
فقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه أن أشراف
قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن أن
بدا لهم في أمره بدا وكان حريصا يحب رشدهم حتى جلس إليهم فقالوا يا محمد إنا بعثنا إليك لنعذر
فيك وإنا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء
وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة وما من قبيح إلا وقد جئته فيما
بيننا وبينك وإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جعلنا لك من أنواع أموالنا حتى تكون أكثرنا
مالا وإن كنت تريد الشرف سودناك علينا وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا

الذى بك رأى نراه قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا لك اموالنا في طلب الطب حتى نبريك منه ونعذر
فيك وكانوا يسمون الرأي التابع من الجن رئيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به اطلب
اموالكم والشرف عليكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وانزل علي كتابا وامرني ان
اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والآخرة
وان تردوه علي اصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم فقالوا يا محمد فان كنت غير قابل
منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس احد اضيق بلادا ولا اشد عيشا منا فسل ربك الذي
بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا بلادنا وليبسط لنا بلادنا وليجر لنا الانهار
كانهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن منهم قصي بن كلاب فانه كان شيخا
صدوقا فنسألهم عما تقول احق هو ام باطل فان صدقوك صدقناك فقال لهم رسول الله صلى الله
عليه ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما ارسلت به فان تقبلوه فهو حظكم وان تردوه اصبر لامر
الله تعالى قالوا فان لم تفعل هذا فسل ربك ان يبعث ملكا يصدقك واسأله ان يجعل لك
جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق
وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا قالوا
فاسقط علينا السماء كما زعمت ان ربك ان شاء فعل فقال ذلك الى الله ان شاء فعل
بكم وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن ابي امية وهو ابن عمته عاتكة
ابنة عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك
امورا لانفسهم يعرفون بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل ما تخوفهم به من
العذاب فلم تفعل فوالله لا اؤمن بك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ترقى فيه وانا انظر حتى تأتيها
فتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وايم الله لو
فعلت ذلك لظننت اني لا اصدقك فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهله حزينا
لما رأى من مباعدتهم فانزل الله تعالى او تكون لك جنة من نخيل وعنب يعني ارض مكة فتفجر
الانهار اى عيونا وبساتين فيها نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا تشقيقا او تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا يعني قطعا او تأتي بالله والملائكة قبيلا قال ابن عباس كفيلا
اى يكفلون بما تقول وقيل هو جمع القبيلة اى باصناف الملائكة قبيلا قبيلا يشهدون بصحة
ما تقول وقيل معناه نراهم مقابلة عيانا او يكون لك بيت من زخرف اى من ذهب واصله الزينة
او ترقى اى تصعد في السماء ولن نؤمن لرقيك يعني لاجل رقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه اى
امرنا فيه باتباعك وهذا عبد الله بن ابي امية قل اى يا محمد سبحان ربي امر بتنزيهه وتمجيده وفيه
معنى التعجب هل كنت الا بشرا رسولا اى كسائر الرسل للامم وان كان الرسل لا يأتون
قومهم الا بما يظهره الله من الآيات فليس امر الآيات اليهم انما هو الى الله تعالى ولو
اراد ان ينزل ما طلبوا لفعل ولكن لا ينزل الآيات على ما تقترحه البشر وما انا
الا بشر وليس ما سألتم في طوق البشر واعلم ان الله تعالى قد اعطى النبي صلى الله عليه
وسلم من المعجزات والآيات ما يغني عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر ونبع الماء
من بين اصابعه وما هو اشبهها من الآيات وليست بدون ما يقترحونه بل هو اعظم مما
اقترحوه والقوم كلهم كانوا متعنتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد
الله عليهم سؤالهم بقوله وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى اى الوحي والمعنى وما
منعهم الايمان بالقرآن وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي

انكارهم

انكارهم ان يرسل الله البشر وهو قوله تعالى الا ان قالوا اى جهلا منهم ابعث الله بشرا رسولا وذلك
ان الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لانك بشر ومثل لا يبعث الله الينا فاجابهم الله تعالى بقوله قل
لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين اى مستوطنين مقيمين فيها لنزلنا عليهم من السماء ملكا
رسولا اى من جنسهم لان الجنس الى الجنس اميل قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم اى على اني رسوله
اليكم واني قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم انه كان بعباده يعني المنذر والمنذرين خبيرا بصيرا
اى عالما باحوالهم فهو مجازيهم وفيه تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفار ومن يهد
الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه اى يهدونهم وفيه ايضا تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم وهو ان الذين حكم لهم بالايمان والهداية وجب ان يكونوا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله
بالضلالة والجهالة استحال ان ينقلبوا عن ذلك ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عن انس
ان رجلا قال يا رسول الله قال الله الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اى يحشر الكافر على وجهه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي امشاه على رجليه في الدنيا قادر على ان يمشيه على وجهه يوم
القيامة ثلاثة اصناف صنف مشاة وصنف ركبانا وصنف على وجوههم قيل يا رسول الله فكيف
امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك
اخرجه الترمذي الحدب ما ارتفع على الارض عميا وبكما وصما اى لا يبصرون ولا ينطقون ولا
يسمعون فان قلت كيف وصفهم بانهم عمي وبكم وصم وقد قال الله تعالى ورأى المجرمون النار
وقال دعوا هنالك ثبورا وقال سمعوا لها تغيظا وزفيرا فاثبت لهم الرؤية والكلام والسمع
قلت فيه اوجه قال ابن عباس يعني عميا لا يرون ما يسرهم بكما لا ينطقون بحجة صما لا يسمعون ما
يسرهم الوجه الثاني قيل معناه يحشرون على ما وصفهم الله تعالى ثم تعاد اليهم هذه الاشياء الوجه
الثالث قيل معناه هذا حين يقال لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون فيصيرون باجمعهم عميا وبكما
وصما لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون مأواهم جهنم كلما خبت يعني سكن لهبها وقيل
وقيل طفئت وهذا من غير ان يوجد نقصان في ايلام الكفار لان الله تعالى قال لا يفتر
عنهم وقيل معناه اذا ارادت ان تخبو زدناهم سعيرا اى وقودا وقيل المراد
من خبت ان تنضج جلودهم واحترقت اعيدوا الى ما كانوا عليه ويزيد في تسعير النار لتحرقهم
ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا لما ذكر الوعيد المتقدم قال ذلك الجزاء لهم بسبب كفرهم
بآياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا لمبعوثون خلقا جديدا اجابهم الله تعالى
ورد عليهم بقوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض اى في عظمها وشدتها
قادر على ان يخلق مثلهم اى في صغرهم وضعفهم وجعل لهم اجلا اى وقتا لعقابهم لا ريب فيه
اى لا شك فيه او يأتيهم قبل الموت وقيل يوم القيامة فابى الظالمون الا كفورا اى جحودا
وعنادا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اى خزائن نعمة ورزقه وقيل خزائن الله
غير متناهية والمعنى لو انكم ملكتم من النعم خزائن لا نهاية لها اذا لامسكتم اى لبخلتم وحبستم
خشية الانفاق اى خشية الانفاق والفقر والفناء وهذه مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا
الشح وكان الانسان قتورا اى ممسكا بخيلا فان قلت قد يوجد في جنس الانسان من هو
جواد كريم فكيف وصفه بالبخل قلت الاصل في الانسان البخل لانه خلق محتاجا والمحتاج
لا بد ان يحب ما يدفع به ضرر الحاجة ويمسكه لنفسه الا انه قد يجود لاسباب خارجة
مثل ان يحب المدحة او رجاء الثواب فثبت بهذا ان الاصل في الانسان البخل قوله تعالى
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات اى دلالات واضحات قال ابن عباس هي العصا
واليد البيضاء والعقدة التي كانت بلسانه فحلها وفلق البحر والطوفان والجراد والقمل

والضفادع والدم وقيل عوض فلق البحر واليد السنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس والبحر بدل السنين
والنقص وقيل كان الرجل منهم مع اهله في الفراش وقد صارا حجرين والمرأة قائمة تخبز وقد صارت
حجرا وروي ان عمر بن عبد العزيز سأل محمد بن كعب القرظي عن الآيات فذكر منها الطمس فقال عمر هكذا
يجب ان يكون الفقيه ثم قال يا غلام اخرج ذلك الجراب فاخرجه فاذا فيه بيض مكسر نصفين وجوز
مكسر وثوم وحمص وعدس كلها حجارة وقيل التسع آيات هي آيات الكتاب في معنى الاحكام يدل عليه
ما روي عن صفوان بن عسال ان يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي فقال الآخر لا تقل
نبي فانه لو سمع لصار له اربعة اعين فاتياه فسألاه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات
بينات فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق ولا تزنوا
ولا تأكلوا الربا ولا تسحروا ولا تمشوا بالبريء الى سلطان ليقتله ولا تسرفوا ولا تقذفوا
المحصنات ولا تفروا يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود ان لا تعدوا في السبت فقبلا يده
وقالا نشهد انك نبي وانا نخاف ان اتبعناك تقتلنا اليهود فسل يا محمد بني اسرائيل يجوز
الخطاب معهم والمراد غيره ويجوز ان يكون خاطبه وامره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم
اذ جاءهم يعني جاء موسى الى فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل فقال له فرعون اني لا
ظنك يا موسى مسحورا قال ابن عباس مخدوعا وقيل مطبوبا اي سحروك وقيل معناه ساحرا
معطى علم السحر فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك قال لقد علمت خطابا لفرعون قال
ابن عباس رضي الله عنهما علمه فرعون ولكنه عاند ما انزل هؤلاء الا رب السموات
والارض يعني الآيات التسعة بصائر يعني بينات يبصر بها وان لاظنك يا فرعون
مثبورا قال ابن عباس ملعونا وقيل هالكا وقيل مصروفا عن الخير فاراد ان يستفزهم
من الارض معناه فاراد فرعون ان يخرج موسى وبني اسرائيل من الارض وهي ارض مصر فاغرقناه
ومن معه جميعا اي اغرقنا فرعون وجنوده ونجينا موسى وقومه وقلنا من بعده اي من بعد
هلاك فرعون لبني اسرائيل اسكنوا الارض يعني ارض الشام فاذا جاء وعد الآخرة يعني
القيامة جئنا بكم لفيفا اي جميعا الى موقف القيامة واللفيف الجمع الكثير اذا كانوا
مختلفين من كل نوع فيهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقيل اراد بوعد الآخرة نزول
عيسى من السماء قوله عز وجل وبالحق انزلناه وبالحق نزل يعني ما اردنا بانزال القرآن
الا بالحق المقتضي لانزاله وما انزل الا متلبسا بالحق باشتماله على الهداية الى كل خير
وما ارسلناك الا مبشرا يعني بالجنة للمطيعين ونذيرا اي مخوفا بالنار للعاصين
قوله عز وجل وقرآنا فرقناه اي فصلناه وبيناه وقيل فرقنا به الحق والباطل وقيل
معناه انزلناه نجوما لم ينزل مرة واحدة بدليل قوله تعالى لتقرأه على الناس على
مكث اي على تؤدة وترسل في ثلاث وعشرين سنة ونزلناه تنزيلا اي بحسب الحوادث
قل آمنوا به او لا تؤمنوا فيه وعيد وتهديد ان الذين اوتوا العلم من قبله قيل
هم مؤمنو اهل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم اسلموا من بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي
وابي ذر وغيرهم اذا يتلى عليهم يعني القرآن يخرون للاذقان قال ابن عباس اراد
به الوجوه سجدا اي يسقطون على الوجوه سجدا ويقولون سبحان ربنا اي تنزيها لربنا
لا يجاوزه ما وعدنا في الكتب المنزلة من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ان كان وعد ربنا
لمفعولا اي كائنا واقعا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا اي خضوعا لربهم
وقيل تزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين والبكاء مستحب عند قراءة القرآن عن

ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلج النار رجل بكى من
خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا اجتمع على عبد غبار في سبيل الله ودخان جهنم اخرجه
الترمذي وزاد النسائي في منخريه مسلم ابدا الولوج الدخول والمنخر الانف عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين
بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله اخرجه الترمذي قوله عز وجل قل ادعوا
الله او ادعوا الرحمن قال ابن عباس تهجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول
في سجوده يا الله يا رحمن الآية ومعناه انهما اسمان فقال ابو جهل ان محمدا ينهانا عن آلهتنا وهو
يدعو الهين فانزل الله هذه الآية ومعناه انهما اسمان لله تعالى فسموه بهذا الاسم او بهذا الاسم
ايا ما تدعوا ما صلة ومعناه اي هذين الاسمين سميتم او ذكرتم او من جميع اسمائه فله الاسماء
الحسنى يعني اذا حسنت اسماؤه كلها فهذان الاسمان منها ومعنى كونها حسنى لانها مشتملة على
معاني التقديس والتعظيم والتمجيد ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ق عن ابن عباس في
قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختف
بمكة وكان اذا صلى باصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن انزله
ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك اي بقراءتك
فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت عن اصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا
زاد في رواية وابتغ بين ذلك سبيلا اسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن وقيل نزلت
الآية في الدعاء وهو قول عائشة والنخعي ومجاهد ومكحول ق عن عائشة رضي الله عنها قالت
قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها نزلت في الدعاء وقيل كان اعراب بني تميم اذا سلم
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا مالا وولدا يجهرون بذلك فانزل الله
ولا تجهر بصلاتك اي لا ترفع بصوتك في قراءتك ودعائك ولا تخافت بها المخافتة خفض
الصوت والسكوت وابتغ اي اطلب بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا بين الجهر والاخفاء
عن ابي قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر مررت بك وانت تقرأ القرآن وانت تخفض
من صوتك فقال اني اسمعت من ناجيت فقال ارفع قليلا وقال لعمر مررت بك وانت تقرأ
وانت ترفع صوتك فقال اني اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فقال اخفض قليلا اخرجه
الترمذي وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يحمده على وحدانيته
فانه من له ولد فهو يمسك على جميع النعم لولده وان لم يكن له ولد انعم نعمه على عبيده وقيل ان
الولد يقوم مقام والده بعد انقضائه والله تعالى يتعالى عن جميع النقائص فهو المستحق لجميع
المحامد ولم يكن له شريك في الملك والسبب في اعتبار هذه الصفة انه لو كان له شريك لم يكن
مستحقا للحمد والشكر وكذلك قوله تعالى ولم يكن له ولي من الذل ومعناه انه لم يذل فيحتاج
الى ناصر يتعزز به وكبره تكبيرا اي وعظمه عن ان يكون له ولد او شريك او ولي او ناصر وقيل
اذا كان منزها عن الشريك والولد والولي كان مستوجبا لجميع انواع المحامد عن ابن عباس رضي
الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من يدعى الى الجنة يوم القيامة الذين يحمدون الله
في السراء والضراء عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحمد رأس
الشكر ما شكر الله عبد لا يحمده عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان افضل الدعاء الحمد لله وافضل الذكر لا اله الا الله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الكلام الى الله اربع
لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضرك بايهن بدأت اخرجه مسلم

تفسير سورة الكهف

مكية وهي مائة واحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذي انزل على عبده اثنى الله على نفسه بانعامه على خلقه وعلم عباده كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لان انزال القران كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم الكتاب ولم يجعل له عوجا اي لم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وقيل معناه لم يجعله مخلوقا وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى قرانا عربيا غير ذي عوج قال غير مخلوق قيما اي مستقيما وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قرانا عربيا قيما اي عدلا وقيل قيما على الكتب كلها ومصدقا لها وناسخا لشرايعها لينذر باسا شديدا معناه لينذر الذين كفروا باسا وهو قوله بعذاب من لدنه اي من عنده ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا يعني الجنة اي مقيمين فيه وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم اي بالولد وباتخاذه يعني ان قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط فان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم قلت انتفاء العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل اليه وقد يكون للجهل في نفسه محال فقيل ما لهم به من علم قلت لعل هنا كلام مكرر لا يستقيم تعلق العلم به ولا لآبائهم اي ولا لاسلافهم من قبل كبرت اي عظمت كلمة تخرج من افواههم اي هذا الذي يقولونه لا يحكم به عقولهم وفكرهم البتة لكونهم في غاية الفساد والبطلان فكانه يجري على لسانهم على سبيل التقليد ان يقولون الا كذبا اي ما يقولون الا كذبا قيل حقيقة الكذب انه الخبر الذي لا يطلق عليه المخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قايله انه غير مطابق وهذا القيل باطل لان الله وصف قولهم باثبات الولد بكونه كذبا مع ان الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلا فعلمنا ان كل خبر لا يطابق المخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانحراف عن الحق الى الباطل ورجل كذاب وكذوب اذا كان كثير الكذب قوله تعالى فلعلك باخع نفسك اي قاتل نفسك على آثارهم اي من بعدهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث يعني القران اسفا اي حزنا وقيل غيظا انا جعلنا ما على الارض زينة لها اي مما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعني النبات والشجر والانهار وقيل اراد به الرجال خاصة فهم زينة الارض وقيل اراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما في الارض هو زينة لها فان قلت اي زينة في العقارب قلت زينتها انها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وعلى ان جميع ما في الارض ثلاثة معدن ونبات وحيوان واشرف انواع الحيوان الانسان قيل الاولى ان لا يدخل في هذه الزينة المكلف بدليل قوله تعالى لنبلوهم فمن تبلوه يجب ان لا يدخل فيه ومعنى لنبلوهم لنختبرهم ايهم احسن عملا اي اصلح عملا وقيل ايهم اترك للدنيا وازهد فيها وانا لجاعلون ما عليها اي من الزينة صعيدا جرزا يعني مثل ارض لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة والصعيد وجه الارض وقيل هو التراب والجرز الاملس اليابس الذي لا ينبت فيه شيء قوله تعالى ام حسبت اي ظننت يا محمد ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اي هم عجب من آياتنا وقيل معناه انهم ليسوا باعجب آياتنا فان ما خلق من السموات والارض وما فيهن من العجائب اعجب منهم والكهف الغار الواسع والرقيم هو لوح كتب فيه اصحاب اهل الكهف وقصصهم ثم وضعوه على الكهف وكان اللوح من الرصاص وقيل من حجارة وعن ابن عباس ان الرقيم اسم الوادي الذي

فيه

فيه اصحاب الكهف قال كعب الاحبار هو اسم للقرية التي خرج منها اصحاب الكهف وقيل اسم الجبل الذي فيه اصحاب الكهف فقال عز وجل اذ اوى الفتية الى الكهف اي صاروا اليه وجعلوه ماواهم الكهف والفتية جمع فتى وهو الطري من الشبان فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة اي رحمة من خزائن رحمتك وجلائل فضلك واحسانك وهب لنا الهداية والامن والنصر على الاعداء وهيئ لنا من امرنا رشدا اي اصلح لنا امرنا حتى نكون بسببه راشدين مهتدين وقيل معناه واجعل لنا امرنا رشدا كله قاله مجاهد ومحمد بن اسحاق وابن يسار

ذكر قصة اصحاب الكهف

وسبب خروجهم اليه ما ذكره اهل الاخبار وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله تعالى وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزلها احدا الا فتنه عن دينه حتى يعبد الاصنام او يقتله فلما نزل مدينة اصحاب الكهف واسمها افسوس استخفى منه اهل الايمان وهربوا في كل وجه وكان اتخذ شرطا من الكفار وامرهم ان يتبعوهم في اماكنهم فجعل اولئك الشرط يتبعون اهل الايمان في اماكنهم ويخرجونهم الى دقيانوس فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاصنام فمنهم من يرغب في الحياة ومنهم من يابى ان يعبد غير الله فيقتل فلما راى ذلك اهل الشدة في الايمان جعلوا يسلمون انفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ويجعل ما قطع من اجسادهم على اسوار المدينة وابوابها فلما عظمت الفتنة وكثرت ورا واذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصيام والصلاة والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من اشراف الروم وهم ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا الى الله عز وجل وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعوا من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارفع عنهم البلاء حتى يعلنوا عبادتك فبيناهم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم ادركهم الشرط فوجدوهم سجودا يبكون ويتضرعون الى الله عز وجل فقال لهم الشرط ما خلفكم عن امر الملك ثم انطلقوا الى الملك فاخبروه خبر الفتية فبعث اليهم فاتي بهم تفيض اعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب فقال لهم ما منعكم ان تشهدوا الذبح لالهتنا التي تعبد في الارض وتجعلوا انفسكم اسوة اهل مدينتكم اختاروا اما ان تذبحوا لالهتنا واما ان اقتلكم فقال مكسلمينا وهو اكبرهم ان لنا الها ملا السموات والارض عظمته لن ندعو من دونه الها ابدا له الحمد والتكبير من انفسنا خالصا فاصنع بنا ما بدا لك وقال اصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك كلامهم امر بنزع ثيابهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال ساتفرغ لكم وانجز لكم ما وعدتكم من العقوبة وما يمنعني ان اعجل ذلك لكم الا اني اراكم شبابا حديثة اسنانكم فما احب ان اهلككم حتى اجعل لكم اجلا تذكرون فيه وترجعون الى عقولكم ثم امر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة اخرى قريبة منهم لبعض اموره فلما راى الفتية خروجه بادروا وخافوا اذا قدم ان يذكرهم فاشتوروا بينهم واتفقوا على ان ياخذ كل واحد منهم نفقة من بيت ابيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقي منها ثم انطلقوا الى كهف قريب من المدينة يقال له بنجلوس فيمكثون فيه ويعبدون الله حتى اذا جاء دقيانوس اتوه ليصنع بهم ما يشاء فلما اتفقوا على ذلك عمد كل فتى منهم الى بيت ابيه فاخذ نفقته فتصدق منها وانطلقوا بما بقي معهم واتبعهم كلب كان لهم حتى اتوا ذلك الكهف فمكثوا فيه وقال كعب الاحبار مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون مني لا تخشوا مني انا احب احباب الله عز وجل فناموا

حتى اخرجكم وقال ابن عباس رضي الله عنهما هربوا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع فتبعهم
على دينهم وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد الى الكهف قال ابن اسحاق فلبثوا فيه ليس لهم عمل الا الصلاة
والصيام والتسبيح والتحميد ابتغاء وجه الله تعالى وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم اسمه تمليخا
فكان يبتاع لهم ارزاقهم من المدينة سرا وكان من اجملهم واجلدهم وكان اذا دخل المدينة
لبس ثيابا رثة كثياب المساكين ثم ياخذ ورقه وينطلق الى المدينة فيشتري لهم طعاما
وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكر هو واصحابه بشيء ثم يرجع الى اصحابه فلبثوا بذلك ما شاء
الله ان يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وامر عظماء اهلها ان يذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك
وكان تمليخا بالمدينة يشتري لاصحابه طعامهم فرجع الى اصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل
فاخبرهم ان الجبار قد دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ففزعوا
ووقعوا سجودا يدعون الله ويتضرعون اليه ويتعوذون من الفتنة فقال لهم تمليخا يا اخوتاه
ارفعوا رؤوسكم وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤوسهم واعينهم تفيض من الدمع وذلك عند غروب الشمس
ثم جلسوا يتحدثون فيما بينهم على ذلك اذ ضرب الله على اذانهم في الكهف وكلبهم باسط
ذراعيه بباب الكهف فاصابه ما اصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤوسهم فلما
كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظماء المدينة لقد ساءني هؤلاء
الفتية الذين ذهبوا لقد ظنوا ان بي غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من امري ما كنت لاحمل
عليهم ان هم تابوا وعبدوا الهتي فقال عظماء المدينة ما كنت بحقيق ان ترحم قوما فجرة مردة
عصاة قد كنت اجلت لهم اجلا ولو شاؤوا لرجعوا في ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك
له غضب غضبا شديدا ثم ارسل الى ابائهم فاتوا بهم فقال اخبروا عن ابنائكم المردة الذين
عصوا فقالوا اما نحن فلا نعصيك فلم تقتلنا بقوم مردة انهم ذهبوا باموالنا فاهلكوها
في اسواق المدينة ثم انطلقوا الى جبل يدعى بنجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل
ما يدري ما يفعل بالفتية فالقى الله عز وجل في نفسه ان يامر بسد باب الكهف عليهم
واراد الله عز وجل ان يكرمهم بذلك ويجعلهم اية لامة تستخلف من بعدهم وان يبين لهم
ان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور فامر دقيانوس بالكهف فسد عليهم
وقال دعوهم كما هم في كهفهم يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروه قبرا
لهم وهو يظن انهم ايقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله تعالى ارواحهم وفاة نوم
وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيه ما غشيهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال
ثم ان رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم احدهما بيدروس واسم
الاخر روناس هما ان يكتبا شان هذه الفتية وانسابهم واسماءهم واخبارهم في لوحين
من رصاص ويجعلاهما في تابوت من نحاس ويجعلا التابوت في البنيان وقالا لعل
الله ان يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم
حين يقرا الكتاب ففعلا ذلك وبنيا عليه وبقي دقيانوس ما بقي ثم مات هو وقومه
وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك وقال عبيد بن عمير كان اصحاب الكهف
فتيانا مطوقين مسورين ذوي ذوائب فخرجوا في عيد لهم عظيم في زي وموكب
واخرجوا الهتهم معهم التي كانوا يعبدونها وكان معهم كلب صيد لهم وكان احدهم وزيرا
للملك فقذف الله تعالى الايمان في قلوبهم فامنوا واخفى كل واحد ايمانه وقال في نفسه
اخرج من بين اظهر هؤلاء القوم لا يصيبني عقاب بجرمهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج
اخر فراه جالسا وحده فرجا ان يكون على مثل امره وجلس اليه من غير ان يظهره على امره ثم

خرج

خرج اخر فخرجوا جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم ايمانه من صاحبه
مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتيين فيخلوا ويفشي كل واحد امره الى صاحبه ففعلوا ذلك
فاذا هم جميعا على الايمان واذا الكهف في جبل قريبا منهم فقال بعضهم لبعض فاووا الى الكهف ينشر
لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيد فناموا ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا وفقدهم
قومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم اثارهم وكهفهم فكتبوا اسماءهم في لوح فلان وفلان ابناء ملوكنا
فقدناهم في شهر كذا وسنة كذا في مملكة فلان بن فلان الملك ووضعوا اللوح في خزانة الملك
وقالوا ليكونن لهؤلاء شان ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن قال محمد بن اسحاق ثم ملك
بتلك البلاد رجل صالح يقال له بيدروس فلما ملك بقي ملكه ثمانية وستين سنة فتحزب الناس
في ملكه فكانوا احزابا منهم من يؤمن بالله ويعلم ان الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على
الملك الصالح وتضرع الى الله تعالى وحزن حزنا شديدا لما راى اهل الباطل يزيدون على اهل
الحق يقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح دون الاجساد وجعل بيدروس
الملك يرسل الى من يظن فيهم خيرا وانهم ائمة في الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا يكذبون بالرسالة
حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الحواريين فلما راى ذلك الملك الصالح دخل بيته
واغلق بابه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا ثم جلس عليه فدأب ليله ونهاره يتضرع الى الله
تعالى ويبكي ويقول رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم اية تبين لهم ان الله الرحمن الرحيم
الذي كره هلكة عباده اراد ان يظهر على الفتية اصحاب الكهف ويبين للناس شانهم ويجعلهم
اية وحجة عليهم ليعلموا ان الساعة اتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده الصالح بيدروس
ويتم نعمته عليه وان يجمع من كان تبدد من المؤمنين فالقى الله تعالى في نفس رجل من اهل
ذلك البلد الذي كان فيه الكهف وكان اسمه اولياس ان يهدم ذلك البنيان الذي على
فم الكهف فيبني به حظيرة لغنمه فاستاجر غلامين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان
بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما كان على باب الكهف فاذن الله تعالى ذو القدرة والسلطان
محيي الموتى للفتية ان يجلسوا بين ظهري الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة انفسهم
فسلم بعضهم على بعض كانما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون فيها اذا اصبحوا من ليلتهم
ثم قاموا الى الصلاة فصلوا كما كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا الوانهم شيء
يكرهونه وانهم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون دقيانوس في طلبهم فلما قضوا
صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقتهم انبئنا ماذا قال الناس في شاننا عشية امس
عند هذا الجبار وهم يظنون انهم قد رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل اليهم انهم قد
ناموا اطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم نياما قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكل ذلك في انفسهم يسير فقال لهم تمليخا
قد التمستم في المدينة وهو يريد ان يؤتى بكم اليوم فتذبحوا للطواغيت او يقتلكم فما شاء
الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا انكم ملاقوا الله فلا تكفروا
بعد ذلك اي بعد ايمانكم اذا دعاكم عدو الله ثم قال لتمليخا انطلق الى المدينة فتسمع
ما يقال لنا بها وما الذي يذكر عند دقيانوس وتلطف ولا يشعرن بك احد وابتغ لنا طعاما
فاتنا به وزدنا على الطعام الذي جئتنا به فقد اصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل
ووضع ثيابه واخذ الثياب التي كان يتنكر فيها واخذ ورقا من نفقتهم التي كانت
معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما
مر بباب الكهف وجد الحجارة منزوعة التي كانت بباب الكهف فعجب منها ثم مر ولم يبال
بها حتى اتى المدينة رفع بصره فراى فوق ظهر الباب علامة كانت لاهل الايمان اذا كان

الايمان ظاهراً فيها فلما راها تعجب وجعل ينظر اليها متخفياً يميناً وشمالاً ثم ترك ذلك الباب ومضى الى باب اخر فراى مثل ذلك فخيل اليه ان المدينة ليست بالتي كانت تعرف وراى اشخاصاً اناساً كثيرين لم يكن راهم قبل ذلك فجعل يتعجب بينه يمشي ويتعجب ويجعل يخيل اليه انه حيران ثم رجع الى الباب التي اتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول يا ليت شعري ما عشية امس كان المسلمون يخفون هذه العلامة في هذه المدينة ويستخفون بها واليوم ظاهرة لعلي نائم ويرى انه ليس بنائم فاخذ كساه فجعله على راسه ثم دخل المدينة وجعل يمشي في اسواقها فسمع اناساً يحلفون بعيسى ابن مريم فزاده ذلك تعجباً وراى انه حيران فقام مسنداً ظهره الى جدار من جدران المدينة ويقول في نفسه والله والله ما ادري ما هذا اما عشية امس فليس على الارض من يذكر عيسى ابن مريم الا قتل واما اليوم فاسمع كل انسان يذكر عيسى ابن مريم ثم قال في نفسه فلعل هذه ليست بالمدينة التي اعرف والله لا اعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران ثم لقي فتى فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى قال افسوس فقال في نفسه لعل بي مساً او امراً ذهب عقلي والله يحق لي ان اسرع الخروج قبل ان يصيبني فيها شر فاهلك فدنا الى الذين يبيعون الطعام فاخرج لهم الورق التي كانت معه فاعطاها لرجل منهم وقال بعني بهذا الورق طعاماً فاخذها ونظر الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فعجب منها فناولها رجلاً اخر من اصحابه ينظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل ويتعجبون منها ويتشاورون بينهم ثم يقول بعضهم لبعض ان هذا اصاب كنزاً مذ زماناً طويلاً ثم راهم تمليخا يتحدثون فيه ففرق فرقاً شديداً وخاف وجعل يرعد ويظن انهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم يريدون ان يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس وجعل اناس ياتونه ويتعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف افضلوا علي قد اخذتم ورقي فامسكوها واما طعامكم فلا حاجة لي بها فقالوا له يا فتى من انت وما شانك والله لقد وجدت كنزاً من كنوز الاولين وانت تريد ان تخفيه منا انطلق معنا وارنا وشاركنا فيه نخفف عليك ما وجدت وانك ان لم تفعل نحملك الى السلطان ونسلمك اليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال والله لقد وقعت في شيء كنت احذر منه فقالوا له يا فتى انك والله لا تستطيع ان تكتم ما وجدت وجعل تمليخا ما يدري ما يقول لهم وخاف ولم يجر على لسانه اليهم شيئاً فلما راوه لا يتكلم اخذوا كساه وطرحوه في عنقه وجعلوا يسحبونه في سكك المدينة حتى سمع به من فيها وقيل وقد اخذ رجل معه كنز واجتمع اليه اهل المدينة وجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من اهل هذه المدينة وما رايناه فيها قط وما نعرفه وجعل تمليخا لا يدري ما يقول لهم وكان متيقناً ان اباه واخوته بالمدينة وانه من عظماء اهلها وانهم سياتونه اذا سمعوا به فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى ياتيه بعض اهله فيخلصه من ايديهم اذا اختطفوه وانطلقوا به الى رؤساء المدينة ومدبريها الذين يدبران امرها وهما رجلان صالحان اسم احدهما اريوس والاخر اسطيوس فلما انطلقوا به اليهما ظن تمليخا انه انما ينطلقوا به الى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يميناً وشمالاً وهو يبكي والناس يسخرون منه من الجنون ثم رفع راسه الى السماء وقال اللهم اله السماء واله الارض افرغ علي اليوم صبراً واولج معي روحاً منك تؤيدني بها عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فرقوا ما بيني وبين اخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت ويا ليتهم ياتوني فنقوم جميعاً بين يدي هذا الجبار وانا كنا قد تواثقنا على الايمان بالله ولا نشرك به شيئاً ولا نفترق في حياة ولا موت فلما انتهى الى الرجلين الصالحين اريوس واسطيوس وراى انه لم يذهب الى دقيانوس افاق

وسكن

وسكن عنه البكاء واخذ اريوس واسطيوس وراى انه لم يذهب الى دقيانوس الورق ونظرا اليها وتعجبا منها وقالا اين الكنز الذي وجدت يا فتى فقال تمليخا ما وجدت كنزاً ولكن هذا ورق ابائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما ادري ما شاني وما اقول لكم فقال له احدهما ممن انت فقال لهم تمليخا اما انا فكنت ارى اني من اهل هذه المدينة فقيل له من ابوك ومن يعرفك فاخبرهم باسم ابيه فلم يوجد من يعرفه ولا اباه فقال له احدهما انت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول غير انه نكس راسه وبصره الى الارض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال ولكنه رجل احمق يحمق نفسه عمداً لكي ينفلت منكم فقال له احدهما ونظر اليه نظراً شديداً اتظن انا نرسلك ونصدقك بان هذا مال ابيك ونقش هذه المدينة وضربها وله اكثر من ثلثمائة سنة وانت غلام شاب تظن انك تافكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شمط وحولك سراة هذه المدينة وولاة امرها وخزائن هذه المدينة بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار واني لاظنني سامر بك فتعذب عذاباً شديداً ثم اوثقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته فقال لهم تمليخا اخبروني عما اسالكم عنه فان انتم فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا سل ما تكتم فقال لهم ما فعل بالملك دقيانوس فقالوا لا نعرف على وجه الارض من اسمه دقيانوس ولم يكن الا ملك هلك في الزمان الاول ولد زمن طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال لهم تمليخا اني اذ لحيران وما هو بمصدقي احد من الناس فيما اقول لقد كنا فتية وان الملك اكرهنا على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية امس فاتينا الكهف الذي في جبل ينجلوس فنمنا فيه فلما انتبهنا خرجت لاشتري طعاماً لاصحابي وانجسس الاخبار فاذا انا كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف اريكم اصحابي فلما سمع اريوس قول تمليخا قال يا قوم لعل هذه اية من ايات الله تعالى جعلها لكم على يدي هذا الفتى فانطلقوا بنا معه حتى يرينا اصحابه فانطلق اريوس واسطيوس ومعهما جميع اهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو اصحاب الكهف لينظروا اليهم فلما راى الفتية اصحاب الكهف ان تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان ياتي فيه ظنوا انه قد اخذ وذهب به الى ملكهم دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة فظنوا انهم رسل الجبار دقيانوس بعث بهم اليهم ليؤتى بهم فقاموا الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض واوصى بعضهم بعضاً وقالوا انطلقوا بنا نات اخانا تمليخا فانه الان بين يدي الجبار وهو ينتظر متى ناتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحالة واذا هم باريوس واصحابه وقفوا على باب الكهف فسبقهم تمليخا ودخل وهو يبكي فلما راوه يبكي بكوا معه ثم سالوه عن خبره فقص عليهم الخبر فعرفوا انهم كانوا نياماً بامر الله تعالى ذلك الزمن الطويل وانما اوقظوا ليكونوا اية للناس وتصديقاً للبعث وليعلموا ان الساعة اتية لا ريب فيها ثم دخل على اثر تمليخا اريوس فراى تابوتاً من نحاس مختوماً بخاتم من فضة فوقف على الباب ودعا جماعة من عظماء المدينة وامر بفتح التابوت فحضرتهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوب فيهما مكسلمينا ومحسلمينا وتمليخا ومرطونس وكسطونس وبيرونس وديموس ويطونس وقالوس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة ان يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما اخبر بمكانهم امر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شانهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم ان عثر بهم فلما قرؤوه عجبوا وحمدوا الله الذي اراهم اية تدلهم على البعث ثم رفعوا اصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوساً مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر اريوس واصحابه سجوداً وحمدوا الله الذي اراهم اية من اياته ثم كلم بعضهم بعضاً واخبرهم الفتية عن الذي لقوا

تمليخا

من ملكهم دقيانوس ثم ان ربوس واصحابه بعثوا الى الملك الصالح بيدروس ان عجل لعلك
تنظر الى آية من آيات الله جعلها الله على ملكك وللناس آية ولتكون لهم نورا وضياء
وتصديقا للبعث وذلك ان فتية بعثهم الله وكان قد توفاهم منذ ثلثمائة سنة
واكثر فلما اتى الخبر للملك رجع عقله اليه وذهب همه وقال احمدك الهي رب السموات
والارض واعبدك واسبح لك تطولت علي ورحمتني ولم تطفئ النور الذي جعلته لآبائي
وللعبد الصالح قسطنطينوس الملك ثم اخبر بذلك اهل المدينة فركب وركبوا معه حتى اتوا
مدينة افسوس فتلقاهم اهلها وساروا معه نحو الكهف فلما صعدوا الجبل ورأى الفتية
بيدروس فرح بهم وخر ساجدا على وجهه وقام بيدروس الملك فاعتنقهم
وبكا وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله تعالى ويحمدونه ثم قال الفتية لبيدروس
الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته حفظك الله وحفظ
ملكك ونعيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم
فناموا وتوفى الله انفسهم فقام الملك اليهم وجعل ثيابه عليهم وامر ان يجعل
كل رجل منهم في تابوت من ذهب فلما امسى ونام اتوه في منامه وقالوا انا لم نخلق
من ذهب ولا من فضة ولكنا خلقنا من التراب والى التراب نعود فاتركنا كما كنا في
الكهف على التراب حتى يبعثنا الله تعالى فامر الملك عند ذلك بتابوت من ساج
فجعلوا فيه وحجبهم الله تعالى حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر احد ان يدخل
عليهم وامر الملك ان يتخذ على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وامر ان
يؤتى في كل سنة وقيل ان تمليخا حمل الى الملك الصالح فقال له الملك من انت قال انا
رجل من اهل هذه المدينة وذكر انه خرج امس ومنذ ايام وذكر منزله واقواما لم يعرفهم
وكان الملك قد سمع ان فتية قد فقدوا في الزمان الاول وان اسماءهم مكتوبة على
لوح في خزانته فدعى باللوح ونظر في اسمائهم فاذا اسمه مكتوب وذكر اسماء الآخرين
فقال الملك هم اصحابي فلما سمع الملك ذلك ومن معه من القوم فلما اتوا باب الكهف
قال تمليخا دعوني حتى ادخل على اصحابي وابشرهم فانهم ان رأوكم معي رعبتموهم فدخل
تمليخا وبشرهم فقبض الله روحه وارواحهم واعمى على الملك واصحابه اثره فلم يهتدوا
اليهم فذلك قوله عز وجل **اذ اوى الفتية الى الكهف** اي صاروا الى الكهف واسمه حيزم **فقالوا
ربنا آتنا من لدنك رحمة** اي هداية في الدين **وهيئ لنا** اي يسر لنا **من امرنا رشدا** وقال ابن
عباس رضي الله عنهما اي مخرجا من الغار في سلامة قوله تعالى **فضربنا على آذانهم**
اي القينا عليهم النوم وقيل معناه منعنا نفوذ الاصوات الى مسامعهم فان النائم
اذا سمع الاصوات ينتبه **في الكهف سنين عددا** اي انمناهم سنين كثيرة فان العدد يدل
على الكثرة **ثم بعثناهم** اي من نومهم **لنعلم** اي علم المشاهدة وذلك ان الله عز وجل لم
يزل عالما وانما اراد ما يتعلق بالعلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا
اي الحزبين اي الطائفتين **احصى لما لبثوا امدا** اي احفظ لما مكثوا نيام في كهفهم
وذلك ان اهل المدينة تنازعوا في مدة لبثهم في الكهف قوله تعالى **نحن نقص عليك
نبأهم بالحق** اي بالصدق نقرأ عليك خبر اصحاب الكهف **انهم فتية** اي شبان **آمنوا
بربهم وزدناهم هدى** ايمانا وبصيرة **وربطنا على قلوبهم** اي شددنا على قلوبهم
بالصبر والتثبيت وقويناهم بنور الايمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة
ما كانوا عليه من خفض العيش وفروا بدينهم الى الكهف **فقالوا** اي الفتية **ربنا رب**

السموات

السموات والارض لن ندعو من دونه الها اي قالوا ذلك لان قومهم كانوا يعبدون الاصنام
لقد قلنا اذا شططا قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني جورا وقيل كذبا يعني ان دعونا غير الله
هؤلاء قومنا يعني اهل بلدهم **اتخذوا من دونه آلهة** اي من دون الله اصناما يعبدونها **لولا** اي هلا
يأتون عليهم اي على عبادة الاصنام **بسلطان بين** اي حجة واضحة وفيه تبكيت لان الاتيان بحجة
على عبادة الاصنام محال **فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا** اي وزعم ان له شريكا او ولدا ثم قال
بعضهم لبعض **واذ اعتزلتموهم** يعني قومكم **وما يعبدون الا الله** وذلك انهم كانوا يعبدون
الله ويعبدون معه الاصنام والمعنى واذ اعتزلتموهم وجميع ما يعبدون الا الله فانكم لم
تعتزلوا عبادته **فأووا الى الكهف** اي الجأوا اليه **ينشر لكم** اي يبسط لكم **ربكم من رحمته ويهيئ لكم**
اي يسهل **من امركم مرفقا** اي ما يعودا اليه ويرتفقكم قوله عز وجل **وترى الشمس اذا طلعت تزاور**
اي تميل وتعدل **عن كهفهم ذات اليمين** اي جانب اليمين **واذا غربت تقرضهم** اي تتركهم وتعدل
عنهم **ذات الشمال وهم في فجوة منه** اي متسع من الكهف **ذلك من آيات الله** اي من عجائب صنعه
ودلالات قدرته وذلك ان ما كانت الشمس تصيبهم الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة
وقيل ان باب الكهف شمالي مستقبل بنات نعش فهي في مغاه ابدا لا تقع الشمس عليهم ابدا
لا عند الطلوع ولا عند الغروب ولا عند الاستواء فتؤذيهم بحرها ولكن اختار الله لهم مضجعا
متسعا باهم فيه برد الريح ونسيمها وترفع عنهم كرب الغار وغمه وعلى هذا القول يكون
في معنى ذلك من آيات الله اي ان شأنهم وحديثهم من آيات الله **من يهد الله فهو
المهتد** يعني مثل اصحاب الكهف فيه ثناء عليهم **ومن يضلل** يعني ومن يضلله الله لم يرشده
فلن تجد له وليا اي معينا **مرشدا** قوله تعالى **وتحسبهم** خطابا لكل احد **ايقاظا** اي منتبهين لان
اعينهم منفتحة **وهم رقود** اي نيام **ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال** قال ابن عباس كانوا
يقلبون في السنة مرة من جانب الى جانب لئلا تاكل الارض لحومهم وقيل كانوا يقلبون في يوم
عاشوراء وقيل كان لهم في السنة تقليبتان **وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد** قال ابن عباس
رضي الله عنهما كان كلبا انمر وعنه انه فوق القلط ودون الكردي والقلطي كلب صيني وقيل
كان اصفر وقيل كان شديد الصفرة يضرب الى الحمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان
وقيل ليس في الجنة دواب غير كلب اصحاب الكهف وحمار بلعم بالوصيد يعني فناء الكهف وقيل
عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهما وقيل كان يتقلب مع اصحابه
اذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب اذنه اليمنى ورقد عليها واذا انقلبوا ذات الشمال كسر
اذنه اليسرى ورقد عليها **لو اطلعت عليهم** يا محمد **لوليت منهم فرارا** وذلك لما البسهم الله
من الهيبة حتى لا يصل اليهم احد حتى يبلغ الكتاب اجله فيوقظهم الله من رقدتهم **ولملئت
منهم رعبا** اي خوفا من وحشة المكان وقيل لان اعينهم منفتحة كالمستيقظ الذي يريد ان
يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول اظفارهم ولتقليبهم من غير حس ولا اشعار
وقيل ان الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم احد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم
فمررنا بالكهف الذي فيه اصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف الله لنا عن هؤلاء لنظرنا اليهم
فقال ابن عباس قد منع الله من هو خير منك فقيل له لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث
معاوية ناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله تعالى عليهم ريحا فاخرجتهم
قوله عز وجل **وكذلك بعثناهم** اي كما انمناهم بعثناهم من النومة التي تشبه الموت **ليتساءلوا
بينهم** اي ليسال بعضهم بعضا **قال قائل منهم** وهو رئيسهم وكبيرهم مكسلمينا **كم لبثتم** يعني اي
في نومكم وذلك انهم استكثروا طول نومهم وقيل انه راعهم على ما فاتهم من الصلاة فقالوا

أو بعض يوم فنظروا إلى طول شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبثوا أكثر من يوم قالوا ربكم أعلم بما
لبثتم يعني وقيل إن مكسلمينا لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم أعلم بما لبثتم
فابعثوا أحدكم يعني تمليخا بورقكم يعني الفضة كانت مضروبة أو غير مضروبة هذه إلى المدينة
قيل هي طرسوس وكان اسمها في الزمان الأول قبل الإسلام أفسوس فلينظر أيها أزكى طعاما أي
أحل طعاما وقيل أمروه أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا من ذبح من يذبح لغير الله تعالى وكان فيهم
مؤمنون يخفون إيمانهم وقيل أجود طعاما وأطيبه وقيل أكثر طعاما وأرخصه فليأتكم
برزق منه أي قوت وطعام تأكلونه وليتلطف أي وليترفق في الطريق وفي المدينة وليكن
في ستر وكتمان ولا يشعرن أي ولا يعلمن بكم أحدا أي من الناس إنهم إن يظهروا عليكم أي يعلموا
مكانكم يرجموكم قيل معناه يشتموكم ويؤذوكم بالقول وقيل يقتلوكم وقيل كان من عادتهم
القتل بالحجارة وهو أخبث القتل وقيل يضربوكم أو يعيدوكم في ملتهم أي بالكفر ولن تفلحوا
إذا أبدا أي إن عدتم إليه قوله عز وجل وكذلك أعثرنا عليهم أي أطلعنا عليهم ليعلموا أن
وعد الله حق يعني قوم بيدروس الذين أنكروا البعث وأن الساعة لا ريب فيها أي
لا شك فيها إنها آتية إذ يتنازعون بينهم أمرهم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في البنيان فقال
المسلمون نبني عليهم مسجدا يصلي فيه الناس لأنهم من أهل ديننا وقيل كان تنازعهم في البعث
فقال المسلمون تبعث الأجساد والأرواح وقال قوم تبعث الأرواح فأراهم الله تعالى آية
أن البعث للأجساد والأرواح وقيل تنازعوا في مدة لبثهم وقيل في عددهم فقالوا
ابنوا عليهم بنيانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم يعني بيدروس وأصحابه لنتخذن
عليهم مسجدا قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم روي أن السيد والعاقب وأصحابهما
من نصارى نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف عندهم فقال
السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون وقال العاقب وكان نسطوريا
كانوا خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم
كلبهم فحقق الله تعالى قول المسلمين وإنما عرفوا ذلك بإخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم
على لسان جبريل عليه السلام بعد ما حكى قول النصارى أولا ثم أتبعه بقوله تعالى رجما بالغيب
أي ظنا وحدسا من غير يقين ولم يقل في السبعة وتخصيص الشيء بالوصف يدل على أن
الحال في الباقي بخلافه فوجب أن يكون المخصوص بالظن هو قول النصارى في كونه رجما
بالغيب وظنا ثم أتبعه بقوله تعالى قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل هذا هو
الحق لأن العالم بتفاصيل كائنات العوالم والكائنات فيه في الماضي والمستقبل
لا يحصل إلا بالله تعالى أو من أخبره الله تعالى بذلك قال ابن عباس أنا من أولئك
القليل كانوا سبعة وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وبينونس وساريونس ودوا
نوانس وكشفيططيونس وهو الراعي واسم كلبهم قطمير فلا تمار فيهم أي لا تجادل
ولا تقل في عددهم وشأنهم إلا مراء ظاهرا إلا بظاهر ما قصصنا عليك فقف عنده ولا تزد
عليه ولا تستفت فيهم أي في أصحاب الكهف منهم أي من أهل الكتاب أحدا أي لا ترجع إلى قول
أحد منهم بعد أن أخبرناك قصتهم قوله عز وجل ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا
يعني إذا عزمت على فعل شيء غدا فقل إلا أن يشاء الله ولا تقله بغير استثناء وذلك
أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن
ذي القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فلبث الوحي أياما ثم نزلت الآية
وقد قدمت القصة في سورة بني إسرائيل واذكر ربك إذا نسيت قال ابن عباس

رضي

رضي الله تعالى عنهما معناه إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثن في المجلس وجوزه بعضهم
وهو ابن عباس الاستثناء المنقطع وإن كان بعد سنة وجوزه الحسن ما دام في المجلس وجوزه
بعضهم إذا قرب الزمان فإن بعد لم يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالاستثناء
وقيل في معنى اذكر ربك إذا غضبت اذكرني حين تغضب وقيل الآية في الصلاة يدل عليه
ما روي عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها
أقم الصلاة لذكري متفق عليه زاد مسلم أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها وقل
عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا أي يثبتني على طريق هو أقرب إليه وأرشد إلى الله
تعالى أمره أن يذكر ما نسي وقيل إن القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد
وأمره الله تعالى أن يخبرهم أن الله تعالى سيؤتيه من الحجج على صحة نبوته ما هو أدل لهم من قصة
أصحاب الكهف وقد فعل حيث آتاه من علم غيب المرسلين وقصصهم ما هو أوضح وأقرب إلى الرشد
من خبر أصحاب الكهف وقيل هذا شيء أمر أن يقوله مع قوله إن شاء الله إذا ذكر الاستثناء
بعد النسيان وإذا نسي الإنسان قوله إن شاء الله فتوبته من ذلك أن يقول مع قوله إن شاء
الله عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا قوله تعالى ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين
وازدادوا تسعا قيل هذا خبر عن قول أهل الكتاب لو كان خبرا من الله عن قدر لبثهم لم يكن لقوله
تسعا قل الله أعلم بما لبثوا وجه ولكن الله رد قولهم بقوله قل الله أعلم بما لبثوا أي إن نازعوا
والأصح أنه إخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف فقل إن شاء الله أعلم بما لبثوا أي هو
أعلم منكم وقد أخبر بمدة لبثهم وقيل إن أهل الكتاب قالوا إن المدة من حين دخلوا الكهف إلى
يومنا هذا وهو اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلاثمائة وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال
قل الله أعلم بما لبثوا يعني بعد قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلمه إلا الله تعالى فإن قلت لم
قال سنين ولم يقل سنة قلت قيل نزل قوله ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة فقالوا أياما
وشهورا أو سنين فنزلت سنين على وفق قولهم وقيل هو تفسير لما أجمل في قوله فضربنا على
آذانهم في الكهف سنين عددا وازدادوا تسعا قيل قالت نصارى نجران أما الثلاثمائة فقد
عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها فنزل قل الله أعلم بما لبثوا وقيل إن عند أهل الكتاب
لبثوا ثلاثمائة سنة شمسية والله تعالى ذكر ثلاثمائة سنة وتسع سنين قمرية فيكون التفاوت
بين القمرية والشمسية للثلاثمائة وتسع سنين قمرية له غيب السموات والأرض يعني أنه تعالى
لا يخفى عليه شيء من أحوال أهلها فإنه العالم وحده به فكيف ثلاث مائة الشمسية يخفى عليه
حال أصحاب الكهف أبصر به وأسمع معناه أبصر الله بكل موجود وأسمعه لكل مسموع
لا يغيب عن سمعه وبصره شيء يدرك البواطن كما يدرك الظواهر لا يخفى عليه خافية ما لهم
أي ما لأهل السموات والأرض من دونه أي من دون الله من ولي أي ناصر ولا يشرك
في حكمه أحدا قيل معناه لا يشرك الله في غيبه أحدا وقيل في قضائه قوله عز وجل واتل
يا محمد ما أوحي إليك من كتاب يعني القرآن واتبع ما فيه واعمل به ربك لا مبدل لكلماته
أي لا مغير للقرآن ولا يقدر أحد على التطرق إليه بتغيير أو تبديل فإن قلت مرتب هذا أن
لا يتطرق النسخ إليه قلت النسخ ليس بتبديل في الحقيقة لأن المنسوخ ثابت في وقته إلى
وقت طريان الناسخ فالناسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لا مغير لما
وعد الله بكلماته أهل معاصيه ولن تجد من دونه أي من دون الله إن لم تتبع القرآن
ملتحدا أي ملجأ وحرزا تعدل إليه قوله عز وجل واصبر نفسك الآية نزلت في عيينة
ابن حصين الفزاري أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم

سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها وبيده خوص يشقه وينسجه فقال عيينة للنبي صلى الله عليه
وسلم اما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر واشرافها ان اسلمنا اسلم الناس وما يمنعنا من
اتباعك الا هؤلاء فنحهم عنه حتى نتبعك او اجعل لنا مجلسا فانزل الله تعالى مع الذين اي احبس
نفسك يا محمد مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يعني طرفي النهار يريدون وجهه اي يريدون الله
لا يريدون عرض الدنيا وقيل نزلت في اصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون الى تجارة ولا زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون
اخرى فلما نزلت هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذي جعل في امتي من
امرت ان اصبر معهم ولا تعد اي لا تنصرف عيناك عنهم الى غيرهم تريد زينة الحياة الدنيا
يعني تطلب مجالسة الاغنياء والاشراف وصحبة اهل الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه
عن ذكرنا اي جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا يعني عيينة بن حصن وقيل امية بن خلف واتبع هواه
اي في طلب الشهوات وكان امره فرطا ضياعا امره ضيع وعطل ايامه وقيل ندما وقيل سرفا
وباطلا وقيل مخالفا للحق وقل الحق من ربكم يعني ما ذكر من الايمان والقران
وقيل معناه قل الحق يا محمد من ربكم اي ليس الي من ذلك شيء فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله
تعالى اعملوا ما شئتم وقيل معناه الاية وقل الحق من ربكم اي يا محمد للمؤمنين هو لكم فان شئتم
فامنوا وان شئتم فاكفروا فان كفرتم فقد اعد لكم نارا وان امنتم فلكم ما وصف الله لاهل
طاعته وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في معنى الاية من شاء الله له الايمان امن ومن شاء له الكفر
كفر انا اعتدنا اي هيأنا من العتاد وهو العدة للظالمين اي للكافرين نارا احاط بهم سرادقها
السرادق الحجرة التي تطيف بالفساطيط عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
سرادق النار اربعة جدر كثف كل جدار اربعين سنة اخرجه الترمذي قال ابن عباس هو حائط
من نار وقيل هو عنق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالحظيرة وقيل هو دخان يحيط
بالكفار وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه قال ابن عباس
هو ماء غليظ كدردي الزيت عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال في قوله بماء كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه منه اخرجه
الترمذي وقال رشدين احد رواة الحديث وتكلم فيه من قبل حفظه الفروة الجلدة
وقيل المهل الدم والقيح وقيل هو الرصاص والصفر المذاب بئس الشراب اي ينضج
الوجوه من حر ذلك الماء الذي يغاثون به وساءت مرتفقا منزلا وقيل مجتمعا
واصل المرتفق المتكأ وانما جاء لذلك كله قوله وحسنت مرتفقا والا فلا قوله
وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق لاهل النار ولا متكأ قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات انا لا نضيع اجر اي لا نترك اعمالهم تذهب ضياعا بل نجازيهم باعمالهم
الصالحة وقيل ان قوله انا لا نضيع اجر من احسن عملا كلام معترض تقديره ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات اولئك لهم جنات عدن اي اقامة سميت عدنا لخلود المؤمنين
فيها تجري من تحتهم الانهار وذلك لان افضل المساكن ما كان يجري فيه الماء يحلون فيها
من اساور من ذهب قيل على كل واحد منهم ثلاثة اساور سوار من ذهب لهذه الاية
وسوار من فضة لقوله ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير ويلبسون ثيابا خضرا من سندس وهو الديباج
الرقيق واستبرق هو الديباج الصفيق الغليظ وقيل السندس المنسوج بالذهب واستبرق
متكئين خص الاتكاء وهو هيئة المتنعمين فيها والملوك فيها اي في الجنة على الارائك
جمع اريكة وهو السرير في الحجال لما وصف الله هذه الاشياء قال نعم الثواب اي نعم الجزاء

وحسنت

وحسنت اي الجنان مرتفقا اي مقرا ومجلسا والمراد بقوله وحسنت مرتفقا مقابلة ما تقدم ذكره
من قوله وساءت مرتفقا قوله عز وجل واضرب لهم مثلا رجلين قيل نزلت في اخوين من اهل مكة من
بني مخزوم وهما ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد وكان كافرا وقيل هذا مثل لعيينة بن حصن واصحابه
وسلمان واصحابه وشبههما برجلين من بني اسرائيل اخوين احدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس
وقيل تمليخا والاخر كافر واسمه قرطوس وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة والصافات
وكانت قصتهما على ما ذكر عطاء الخراساني قال كان رجلان شريكان لهما ثمانية الاف دينار فاقتسماها
فاشترى احدهما ارضا بالف دينار فقال صاحبه اللهم ان فلانا قد اشترى احدهما ارضا بالف واني
قد اشتريت منك ارضا في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امراة فانفق عليها الف
دينار فقال هذا اللهم اني اخطب اليك امراة في الجنة بالف دينار فتصدق بها ثم اصابته حاجة
شديدة فقال لعل صاحبي ينالني منه معروف فجلس على طريقه حتى مر به في خدمه وحشمه
فقام اليه فنظر اليه صاحبه فعرفه فقال فلان فقال نعم قال ما شانك قال اصابتني حاجة بعدك
فاتيتك لتصيبني بخير قال فما فعلت بمالك وقد اقتسمنا مالا واخذت شطره فقص عليه قصته
فقال وانك لمن المتصدقين بهذا اذهب فلا اعطيك شيئا فطرده فقضي لهما فتوفيا فنزل
فيهما فاقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم اني كان لي قرين وروي انه لما اتاه اخذ
بيده وجعل يطوف به ويريه اموالة فنزل فيهما واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين
اي بستانين من اعناب وحففناهما اي اطفناهما من جوانبهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا
اي وجعلنا بين النخيل والاعناب الزرع وقيل بين الجنتين يعني لم يكن بين الجنتين خراب
بغير زرع كلتا الجنتين اتت اكلها اي اعطت كل واحدة من الجنتين اتت اكلها اي ثمرها تاما
ولم تظلم منه شيئا اي لم تنقص منه شيئا وفجرنا خلالهما اي شققنا وسطهما نهرا وكان له
ثمر اي صاحب البستان ثمر قرئ بالفتح جمع ثمرة وقرئ بالضم وهو الاموال الكثيرة المثمرة
من كل صنف الذهب والفضة وغيرهما فقال يعني صاحب البستان لصاحبه اي المؤمن وهو
يحاوره اي يجادله انا اكثر منك مالا واعز نفرا اي عشيرة ورهطا وقيل خدما وحشما ودخل
جنته يعني الكافر اخذ بيد اخيه المؤمن يطوف به ويريه اياها وهو ظالم لنفسه اي بكفره
قال ما اظن ان تبيد اي تهلك هذه يعني الجنة ابدا وذلك انه راقه حسنها وغرته زينتها
وزعم انها لا تفنى ابدا وانكر البعث فقال وما اظن الساعة قائمة اي كائنة ولئن رددت
الى ربي فان قلت كيف قال ولئن رددت الى ربي وهو منكر البعث قلت معناه ولئن
رددت الى ربي على ما تزعم من ان الساعة اتية الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا اي يعطيني
هناك خيرا منها قال له صاحبه يعني المؤمن وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك
من تراب يعني خلق اصلك من تراب لان خلق اصله سبب في خلقه فكان خلقا له ثم
من نطفة ثم سواك رجلا اي عدلك بشرا سويا اي انسانا ذكرا بالغا مبلغ
الرجال لكنا هو الله ربي مجازه لكن انا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا هلا
اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك
الله منها الامر ما شاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله تعالى
وفضله وان امرها بيده وانه ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها لا قوة الا
بالله اي وقلت لا قوة الا بالله اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها
هو بمعونة الله وتاييده ولا اقدر على حفظ مالي ودفع شيء منه الا بامر الله روي
عن عروة بن الزبير انه كان اذا راى من ماله شيئا يعجبه او دخل حائطا يعجبه من

حبطانه قال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لا يصيبها شيء إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا
أي فلأجل ذلك تكبرت علي وتعظمت فعسى ربي لعل ربي أن يؤتين في الآخرة خيرا من جنتك ويرسل عليها
أي على جنتك حسبانا قال ابن عباس نارا وقيل مرامي من السماء أي من الصواعق فتهلكها فتصبح صعيدا زلقا
أي أرضا جرداء ملساء لا نبات فيها وقيل تزلق فيها الأقدام وقيل رملا هائلا أو يصبح ماؤها
غورا أي غائرا ذاهبا في الأرض لا تناله الأيدي ولا الدلاء فلن تستطيع له طلبا يعني إن طلبته لم تجده وأحيط
بثمره يعني أحاط العذاب بثمر جنته وذلك أن الله تعالى أرسل من السماء نارا فأهلكتها وغار ماؤها
فأصبح يعني صاحبها الكافر يقلب كفيه أي يصفق كفا على كف ويقلب كفيه ظهرا على بطن تأسفا
وتلهفا على ما أنفق فيها المعنى فأصبح يندم على ما أنفق فيها يعني في عمارتها وهي خاوية على
عروشها أي ساقطة سقوفها وقيل إن كرومها المعرشة سقطت عروشها في الأرض ويقول يا ليتني
لم أشرك بربي أحدا يعني أنه تذكر موعظة أخيه المؤمن فعلم أنه أتي من جهة شركه وطغيانه فتمنى
لو لم يكن مشركا ولم تكن له فئة يعني جماعة ينصرونه من دون الله أي يمنعونه لا يقدر على الانتصار
لنفسه وقيل لا يقدر على رد ما ذهب منه قوله تعالى هنالك الولاية قرئ بكسر الواو يعني السلطان
في ذلك اليوم لله الحق وقرئ بفتحها من الموالاة والنصرة يعني أنهم يتولونه يومئذ ويتبرؤون
مما كانوا يعبدون في الدنيا هو خير ثوابا أي أفضل جزاء لأهل طاعته ولو كان غيره يثيب
وخير عقبا يعني عاقبة طاعته خير من عاقبة طاعة غيره فهو خير إثابة وعاقبة قوله تعالى
واضرب لهم أي يا محمد لقومك مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء يعني المطر فاختلط
به نبات الأرض أي خرج من كل لون وزهرة فأصبح أي عن قريب هشيما قال ابن عباس يابسا
تذروه الرياح قال ابن عباس تذريه وقيل تفرقه وتنسفه وكان الله على كل شيء مقتدرا
أي قادرا قوله تعالى المال والبنون أي التي يفتخر بها عيينة وأصحابه الأغنياء زينة الحياة الدنيا
يعني ليست من زاد الآخرة قال علي بن أبي طالب المال والبنون حرث الدنيا والأعمال الصالحة
حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام والباقيات الصالحات قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
هو قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر م عن أبي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله أحب إلي مما طلعت
عليه الشمس عن أبي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم استكثروا من قول الباقيات
الصالحات قيل وما هي يا رسول الله قال الملة قيل وما هي يا رسول الله قال التكبير
والتهليل والتسبيح والتحميد والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت يا رسول الله وما رياض
الجنة قال المساجد قلت وما الرتع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله والحمد لله ولا
إله إلا الله والله أكبر أخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن ابن المسيب أن الباقيات الصالحات
هي قول العبد الله أكبر وسبحان الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله أخرجه
مالك في الموطأ موقوفا عليه وعن ابن عباس أن الباقيات الصالحات الصلوات الخمس
وعنه الأعمال الصالحة خير عند ربك ثوابا أي جزاء وخير أملا أي ما يؤمله الإنسان قوله
تعالى ويوم نسير الجبال أي تذهب وذلك أن تجعل هباء منثورا كما تسير السحاب وترى الأرض
بارزة أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا بناء وقيل هو ما يرون عليها من الموتى وغيرهم
فيعتبر باطن الأرض ظاهرها وحشرناهم يعني جميعا إلى موقف الحساب فلم نغادر منهم أحدا
يعني لم نترك منهم أحدا وعرضوا على ربك صفا أي صفا صفا وفوجا فوجا لا أنهم صف واحد
وقيل قياما وقيل كل أمة وزمرة صنف ثم يقال لهم لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة

يعني أحياء وقيل حفاة عراة غرلا بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا يعني يوم القيامة يقول ذلك لمنكري
البعث عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال
أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله تعالى حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا
فاعلين ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ
بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد
الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم إلى قوله العزيز الحكيم قال فيقال إنهم لن يزالوا مرتدين على
أعقابهم منذ فارقتهم زاد في رواية فأقول سحقا سحقا قوله غرلا أي قلفا والغرلة القلفة التي
تقطع من جلدة الذكر وهو موضع الختان وقوله سحقا أي بعدا قال بعض العلماء إن المرتدين هم أصحاب
الردة ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده ق عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غرلا قالت عائشة فقلت الرجال والنساء
جميعا ينظر بعضهم إلى بعض قال الأمر أشد من ذلك زاد النسائي في رواية لكل امرئ منهم يومئذ
شأن يغنيه ووضع الكتاب يعني صحائف أعمال العباد توضع في أيدي الناس في أيمانهم وشمائلهم وقيل
توضع بين يدي الله تعالى فترى المجرمين مشفقين مما فيه أي خائفين مما فيه من الأعمال السيئة ويقولون
إذا رأوها يا ويلتنا أي يا هلاكنا وقيل من وقع في هلكة دعا بالويل مال هذا الكتاب لا يغادر أي
لا يترك صغيرة ولا كبيرة أي من ذنوبنا إلا أحصاها أي عدها وكتبها وأثبتها فيه وحفظها قال
قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللمم والكبيرة
الزنا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم ومحقرات الذنوب فإنما مثل
محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فأنضجوا خبزهم
وإن محقرات الذنوب لموبقات المحقرات التي تحتقر الصغيرة لتنافه وقوله لموبقات أي
مهلكات ووجدوا ما عملوا حاضرا قال أي مثبتا مكتوبا في كتابهم ولا يظلم ربك أحدا أي
لا ينقص ثواب أحد عمل خيرا وأنه لا يأخذه بجرم لم يعمله عن أبي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان ف
جدال ومعاذير وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه
وآخذ بشماله أخرجه الترمذي وقال لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع
من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى قوله تعالى وإذ قلنا أي واذكر يا
محمد إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن قال ابن عباس كان
حي من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة
لا إبا في كونه من الجن بدليل قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وذلك أن قريشا قالت
الملائكة بنات الله فهذا يدل على أن الجن جنس مخالف الملائكة وقوله أفتتخذونه وذريته
أولياء فأثبت له ذرية والملائكة لا ذرية لهم وأجيب عن الاستثناء أنه استثناء منقطع
وهو مشهور في كلام العرب قال الله تعالى وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون
إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا إلا قيلا سلاما وقيل إنه
كان من الملائكة فلما خالف الأمر مسخ وغير وطرد ولعن وقوله ففسق عن أمر ربه
أفتتخذونه يعني يا بني آدم أفتتخذون إبليس وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو يعني
أعداء روي عن مجاهد عن الشعبي قال إني لقاعد يوما إذ أقبل جمال فقال أخبرني هل لإبليس زوجة
قلت إن ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت فعلمت أنه لا يكون ذرية إلا من زوجة فقلت
نعم بنو الذين كبني آدم وقيل إنه يدخل ذنبه في دبره فيبيض فتنفلق البيضة عن جماعة

من الشياطين قال مجاهد من ذرية ابليس لاقيس وولهان وهو صاحب الطهارة والصلاة
والهفاف ومن ذريته مرّة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الاسواق يزين اللغو والحلف بالايمان
الكاذبة ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصائب يزين خمش الوجوه ولطم الخدود وشق
الجيوب والاعور وهو صاحب الزنى ينفخ في احليل الرجل وعجز المراة ومطوس وهو صاحب
الاخبار الكاذبة يلقيها في افواه الناس لا يجدون لها اصلا وداسم وهو الذي اذا دخل
الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر الله بصّره من المتاع ما لم يرفع او يحسن موضعه واذا اكل
ولم يسم الله اكل معه قال الاعمش ربما دخلت البيت ولم اذكر الله ولم اسلم فرايت مطهرة
فقلت ارفعوا وخاصمتهم ثم اذكروا فاقول داسم داسم روي عن ابي بن كعب عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال للوضوء شيطان يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء اخرجه الترمذي
م عن عثمان بن العاص قال قلت يا رسول الله ان الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين
قراءتي يلبسها علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الشيطان يقال له خنزب فاذا
احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فاذهبه
الله عني م عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه
على الماء ثم يبعث سراياه فادناهم منه منزلة اعظمهم فتنة يجيء احدهم فيقول كذا وكذا
تركته حتى فرقت بينه وبين امراته قال فيدنيه منه ويقول نعم انت قال الاعمش اراه
قال فيلتزمه وقوله تعالى بئس للظالمين بدلا يعني بئس ما استبدلوا طاعة ابليس وذريته
بعبادة ربهم وطاعته قوله تعالى ما اشهدتهم يعني ما احضرتهم يعني ابليس وذريته وقيل
الكفار وقيل الملائكة خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم والمعنى ما اشهدتهم
خلقها فاستعين بهم على خلقهم واشاورهم فيها وما كنت متخذ المضلين يعني الشياطين
الذين يضلون عضدا يعني انصارا واعوانا قوله عز وجل ويوم يقول نادوا يعني يقول
الله تعالى يوم القيامة نادوا شركائي يعني الاصنام الذين زعمتم يعني انهم شركاء فدعوهم
اي فاستغاثوا بهم فلم يستجيبوا لهم اي فلم يجيبوهم ولم ينصروهم وجعلنا بينهم موبقا مهلكا
وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو واد في النار وقيل هو واد يسيل نارا على حافتيه حيات
مثل البغال الدهم وقيل كل حاجز بين شيئين فهو موبق واصله الهلاك ورأى المجرمون
المشركون النار فظنوا انهم مواقعوها اي داخلوها وواقعون فيها ولم يجدوا عنها مصرفا
اي معدلا لانها احاطت بهم من كل جانب وقيل لان الملائكة تسوقهم اليها قوله تعالى
ولقد صرفنا اي بينا في هذا القرآن للناس من كل مثل اي ليتذكروا ويتعظوا وكان الانسان
الانسان اكثر شيء جدلا اي خصومة في الباطل قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما اراد
النضر بن الحرث وجداله في القرآن وقيل الاية على العموم وهو الاصح خ عن علي بن ابي
طالب رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليلا فقال الا تصليان فقلت يا رسول الله انفسنا بيد الله
تعالى فاذا شاء ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع
الي شيئا ثم سمعته يقول وهو يضرب فخذه بيده وكان الانسان اكثر شيء جدلا قوله عز وجل
وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى يعني القرآن والاحكام والاسلام والبيان
من الله تعالى وقيل انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستغفروا ربهم والمعنى انه لا مانع
لهم من الايمان والاستغفار والتوبة والتخلية حاصلة والاعذار زائلة فلم تقدموا
على الايمان والاستغفر الا ان تأتيهم سنة الاولين يعني سنتنا في هلاك الاولين ان لم يؤمنوا

وهو

وهو عذاب الاستئصال او يأتيهم العذاب قبلا قال ابن عباس عيانا من المقابلة وقيل فجاءة قوله تعالى
وما نرسل المرسلين الا مبشرين اي بالثواب على الطاعة ومنذرين اي بالعقاب لمن عصى ويجادل الذين
كفروا بالباطل اي هو قولهم ابعث الله بشرا رسولا وقولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا
وشبه ذلك ليدحضوا اي ليبطلوا به الحق ويزيلوه واتخذوا اياتي وما انذروا هزوا فيه اضمار
يعني اتخذوا ما انذروا به وهو القرآن استهزاء قوله عز وجل ومن اظلم ممن ذكر اي وعظ بايات
ربه فاعرض عنها اي تولى عنها وتركها ولا يؤمن بها ونسي ما قدمت يداه اي ما عمل من المعاصي
من قبل انا جعلنا على قلوبهم اكنة اي اغطية ان يفقهوه يعني يريد ان لا يفقهوه وفي اذانهم
وقرا يعني ثقلا وصمما وان تدعهم الى الهدى اي الى الدين فلن يهتدوا اذا ابدا وهذا في
اقوام علم الله تعالى منهم انهم لا يؤمنون وربك الغفور اي البليغ المغفرة ذو الرحمة اي الموصوف بالرحمة
لو يؤاخذهم اي يعاقب الكفار بما كسبوا من الذنوب لعجل لهم العذاب اي في الدنيا بل لهم موعد
يعني البعث والحساب لن يجدوا من دونه موئلا اي ملجأ وتلك القرى يعني قرى قوم نوح وعاد وثمود
وقوم لوط وغيرهم اهلكناهم لما ظلموا اي كفروا وجعلنا لمهلكهم موعدا اي اجلا لاهلاكهم قوله
قوله تعالى واذ قال موسى لفتاه الايات اكثر العلماء على ان موسى المذكور في هذه الاية
هو موسى بن عمران من سبط لاوي بن يعقوب صاحب المعجزات الظاهرة وصاحب التوراة وعن كعب
الاحبار ان موسى هو موسى بن ميشا من اولاد يوسف بن يعقوب وقد تنبأ قبل موسى بن عمران والقول
الاصح بدليل ان الله عز وجل لم يذكر في كتابه العزيز الا واراد به صاحب التوراة فاطلاق
هذا الاسم موجب الانصراف اليه ولو اراد شخصا اخر لوجب تعريفه بصفة توجب الامتياز
بينهما وتزيل الشبهة فلما لم يميزه بصفة قلنا انه موسى بن عمران صاحب التوراة واما فتاه
والاصح انه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف وهو صاحب موسى وولي امره بعد وفاته
وقيل انه اخو يوشع وقيل فتى يعني عبده يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم عبدي
وامتي وليقل فتاي وفتاتي عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان نوفا البكالي يزعم
ان موسى صاحب الخضر ليس موسى بني اسرائيل فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثنا ابي بن
كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى عليه السلام قام خطيبا في بني
اسرائيل فسئل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله تعالى عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى
ان عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك فقال موسى يا رب فكيف لي به قال تأخذ معك حوتا
فتجعله في مكتل فحيث ما فقدت الحوت فهو ثم فاخذ حوتا فجعله في مكتل ثم انطلق
وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى اذا اتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما واضطرب
الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا وامسك الله عن الحوت
الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت وانطلقا بقية
يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا
هذا نصبا قال ولم يجد موسى النصب حتى اذا جاوز المكان الذي امره الله تعالى به
فقال له فتاه ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان
ان اذكره فاتخذ سبيله في البحر عجبا قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا
قال موسى ذلك ما كنا نبغي فارتدا على اثارهما قصصا قال رجعا يقصان اثرهما حتى انتهيا الى
الصخرة فاذا رجل مسجى بثوب ابيض فسلم عليه موسى فقال الخضر واني بارضك السلام فقال
انا موسى فقال موسى بني اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع
معي صبرا يا موسى اني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه فقال له الخضر موسى ستجدني ان شاء الله

صابرا ولا اعصي لك امرا فقال له الخضر فان اتبعتني فلا تسالني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا
فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول
فلما ركبا السفينة لم يفجأ الا والخضر قد قلع من الواح السفينة لوحا بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا
بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع
معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة
فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم
خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما مع الغلمان فاخذ الخضر
براسه فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت
شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه اشد من الاولى قال
ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا
اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض
قال مائل فقال الخضر بيده هكذا فاقامه فقال موسى قوم اتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا
لتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا
قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى لوددنا انه صبر حتى يقص علينا
من اخبارهما قال سعيد بن جبير وكان ابن عباس يقرا وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة
صالحة غصبا وكان يقرا واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين وفي رواية
ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى رسول الله عليه السلام
ذكر الناس يوما حتى اذا فاضت العيون ورقت القلوب فادركه رجل فقال اي رسول
الله هل احد في الارض اعلم منك قال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم الى الله
تعالى قيل بلى قال يا رب واين هو قال بمجمع البحرين قال خذ نونا ميتا حيث ينفخ فيه
الروح وفي رواية تزود حوتا مالحا فانه حيث تفقد الحوت زاد في رواية وفي اصل الصخرة
عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء الا حيي فاصاب الحوت من ماء تلك العين
فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر رجعنا الى التفسير لا ابرح اي لا ازال اسير حتى ابلغ مجمع
البحرين قيل اراد بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية او امضي حقبا
يعني او اسير دهرا طويلا والحقب ثمانون سنة فحملا خبزا وسمكة مالحة في المكتل وهو الزنبيل الذي
يسع خمسة عشر صاعا ومضيا حتى انتهيا الى الصخرة التي عند مجمع البحرين وعندها عين تسمى ماء
الحياة لا تصيب شيئا الا حيي فلما اصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكتل وعاشت
ودخلت في البحر فلما بلغا يعني موسى وفتاه مجمع بينهما اي بين البحرين نسيا اي تركا حوتهما
وانما كان الحوت مع يوشع وهو الذي نسيه وانما اضاف النسيان اليهما لانهما تزوداه
لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيا حوتهما اي نسيا كيفية الاستدلال بهذه الخصوصية على
الوصول المطلوب فاتخذ اي الحوت سبيله في البحر سربا اي مسلكا وروى ابي بن كعب عن رسول
صلى الله عليه وسلم انه قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلتئم فدخل موسى
الكوة على اثر الحوت فاذا هو بالخضر عليه السلام وقال ابن عباس جعل الحوت لا يمس
شيئا من البحر الا يبس حتى صار صخرة وقد روينا انهما لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤوسهما
فناما واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فامسك الله عن الحوت
جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي صاحبه ان يخبره فانطلقا
حتى اذا كان من الغد وهو قوله تعالى فلما جاوزا يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين

قال

قال يعني موسى لفتاه آتنا غداءنا اي طعامنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا اي تعبا وشدة وذلك انه
القي على موسى الجوع بعدما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع في طلبه قال يعني يوشع ارايت اذ اوينا
الى الصخرة وهي صخرة كانت بالموضع الموعود فاني نسيت الحوت اي تركته وفقدته وذلك ان يوشع
حين راى من الحوت ذلك قام ليدرك موسى فنسي ان يخبره فلبثا يومهما حتى صليا الظهر من الغد ثم
قال وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وما انسانيه ان اذكر لك من الحوت الا الشيطان وقيل
المراد من النسيان شغل قلب الانسان بوساوس الشيطان التي هي من غفلة دون النسيان الذي
يضاد الذكر لان ذلك لا يصح الا من فعل الله تعالى واتخذ سبيله في البحر عجبا قيل هذا من قول
يوشع يعني طفر الحوت الى البحر فاتخذ سبيله مسلكا وذهب في الخبر كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا
وقيل اي شيء اعجب من حوت يؤكل منه دهرا ثم صار حيا بعدما اكل بعضه قوله عز وجل قال يعني موسى
ذلك ما كنا نبغي اي نطلب فارتدا على آثارهما قصصا اي رجعا يقصان الذي جاءاه ويتبعانه فوجدا
عبدا من عبادنا قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذي ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وجاء في الخبر
التواريخ انه الخضر واسمه بليا بن ملكان وكنيته ابو العباس قيل من بني اسرائيل وقيل كان من ابناء الملوك
الذين تزهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب سمي بذلك خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما سمي خضرا لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هي تهتز تحته خضراء الفروة قطعة من نبات مجتمعة
يابسة وقيل سمي خضرا لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وروينا ان موسى راى الخضر مسجى بثوب فسلم عليه
فقال الخضر واني بارضك السلام قال موسى اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا ومعنى مسجى بثوب اي مغطى
بثوب قوله واني بارضك السلام معناه من اين بارضك التي انت فيها السلام وروي انه لقيه
على طنفسة خضراء على كبد البحر فذلك قوله فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة اي نعمة من عندنا وعلمناه
من لدنا علما اي علم الباطن الهاما ولم يكن الخضر نبيا عند اكثر اهل العلم فان قلت ظاهر هذه
الآيات تدل على ان الخضر كان اعلى شانا من موسى وكان موسى يظهر التواضع له والتادب معه قلت
لا يخلو ان يكون الخضر من بني اسرائيل او من غيرهم فان كان من بني اسرائيل فهو من امة موسى ولا جائز ان يكون
احد الامة افضل من نبيها او اعلى شانا منه وان كان من غير بني اسرائيل فقد قال الله تعالى لبني اسرائيل
واني فضلتكم على العالمين اي على عالمي زمانكم قال له موسى هل اتبعك معناه جئتك لاصحبك ولاتبعك
على ان تعلمن مما علمت رشدا اي صوابا وقيل علما ترشدني به وفي بعض الاخبار ان الخضر قال لموسى كفى بالتوراة
علما وببني اسرائيل اتباعا فقال له موسى ان الله امرني بهذا فحينئذ قال الخضر لموسى انك لن تستطيع
معي صبرا وانما قال ذلك لانه علم انه يرى امورا منكرة ولا يجوز للانبياء الصبر على المنكرات
ثم بين العذر في ترك الصبر فقال وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا اي علما قال موسى ستجدني
ان شاء الله صابرا لاني انما استثنى لانه لم يثق من نفسه بالصبر ولا اعصي لك امرا اي لا اخالفك
فيما تامرني به قال فان اتبعتني اي فان صحبتني ولم يقل اتبعني ولكن جعل الاختيار اليه ثم
شرط عليه شرطا فقال فلا تسالني عن شيء اي مما اعلمه مما تنكره ولا تعترض عليه حتى احدث لك
منه ذكرا معناه حتى ابتدئ بذكره فابين لك شانه قوله تعالى فانطلقا اي يمشيان على الساحل
يطلبان سفينة يركبانها فوجدا سفينة فركباها فقال اهل السفينة هؤلاء لصوص وامروهما
بالخروج فقال صاحب السفينة ما هم بلصوص ولكني ارى وجوه الانبياء وروينا عن ابي بن كعب عن
النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة وكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول اي بغير
عوض ولا عطاء فلما لججوا في البحر اخذ الخضر فاسا فخرق لوحا منها اي من الواح السفينة فذلك قوله
تعالى حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال يعني موسى له اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا
اي اتيت شيئا عظيما منكرا وروي ان الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروي ان موسى لما راى ذلك اخذ

توبة لخسة الخرق قال العالم وهو الخضر ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا قال يعني موسى لا تؤاخذني
بما نسيت قال ابن عباس لم ينس ولكنه من معاريض الكلام فكأنه نسي شيئا آخر وقيل معناه بما تركت من
عهدك والنسيان الترك قال أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم كانت الأولى من موسى نسيانا
والوسطى شرطا والثالثة عمدا ولا ترهقني أي ولا تغشني من أمري عسرا والمعنى ولا تعسر علي متابعتك
وتيسرها بالإغضاء وترك المناقشة وقيل لا تكلفني مشقة ولا تضيق علي أمري فانطلقا حتى إذا
لقيا غلاما فقتله في القصة أنهما خرجا من البحر يمشيان فمرا بغلمان يلعبون فأخذ الخضر غلاما
ظريفا وضيء الوجه يتوقد حسنا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين وروينا أنه أخذ برأسه فاقتلعه بيده وروى
عبد الرزاق هذا الخبر وفيه وأشار بأصابعه الثلاث السبابة والإبهام والوسطى وقلع رأسه
وروي أنه رضخ رأسه بحجر وقيل كان أشمه ضرب رأسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ
الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه حيسور وقيل كان فتى يقطع الطريق ويأخذ
المتاع ويلجأ إلى أبويه وقيل كان غلاما يعمل بالفساد ويتأذى منه أبواه عن أبي بن كعب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الغلام الذي قتله الخضر كان كافرا ولو عاش لأرهق أبويه طغيانا
وكفرا أخرجه مسلم قال يعني موسى أقتلت نفسا زاكية أي لم تذنب قط وقرئ زكية ومعناه التي
أذنبت ثم تابت بغير نفس أي لم تقتل نفسا حتى يجب عليها القتل لقد جئت شيئا نكرا أي منكرا
عظيما وقيل النكر أعظم من الأمر لأنه حقيقة الهلاك وفي خرق السفينة خوف الهلاك وقيل
الأمر أعظم لأن فيه تغريق جمع كثير وقيل معناه لقد جئت شيئا أنكر من الأول لأن ذلك كان خرقا
يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل إلى تداركه قال يعني الخضر ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي
صبرا قيل زاد في هذه قوله لك لأنه نقض العهد مرتين وقيل إن هذه اللفظة توكيد التوبيخ
فعند هذا قال موسى إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني وقيل إن يوشع كان يقول لموسى يا نبي
الله اذكر العهد الذي أنت عليه قال موسى إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة فلا تصاحبني
أي فارقني ولا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا قال ابن عباس قد أعذرت فيما بيني وبينك
وقيل معناه اتضح لك العذر في مفارقتي والمعنى أنه مدحه بهذه الطريقة من حيث أنه احتمله مرتين
أولا وثانيا مع قرب المدة وعن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا
وعلى موسى وكان إذا ذكر أحدا من الأنبياء بدأ بنفسه لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أخذته من صاحبه
ذمامة فقال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فلو صبر لرأى العجب
قوله ذمامة هو بذال معجمة أي حياء وإشفاقا من الذم واللوم يقال ممنته ذمامة يعني لومه
ملامة ويشهد له قول الخضر هذا فراق بيني وبينك قوله تعالى فانطلقا حتى إذا أتيا أهل
قرية قال ابن عباس يعني أنطاكية وقيل الأيلة وهي أبعد الأرض من السماء وقيل هي بلدة بالأندلس
استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما قال أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا أتيا
أهل قرية لئاما فطافا في المجالس فاستطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما وروي أنهما طافا في القرية
فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم فلم يضيفوهما وعن أبي هريرة قال أطعمتهما امرأة من أهل
بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعيا لنسائهم ولعنا رجالهم وعن قتادة قال شر
القرى التي لا تضيف الضيف فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض أي يسقط وهو مجاز الكلام لأن
الجدار لا إرادة له وإنما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول داري تنظر إلى دار فلان
إذا كانت تقابلها فاستعير لها النظر كما استعير للجدار الإرادة فأقامه أي سواه وفي حديث
أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فقام الخضر بيده فأقامه وقال ابن عباس هدمه
وقعد يبنيه قال يعني موسى لو شئت لاتخذت عليه أجرا يعني على إصلاح الجدار جعلا والمعنى قد علمت

انا

أنا جياع وأن أهل القرية لم يطعمونا فلو أخذت على عملك أجرا قال يعني الخضر هذا فراق بيني وبينك
يعني هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل هذا الإنكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا سأنبئك بتأويل
أي سأخبرك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا وقيل إن موسى أخذ بثوب الخضر وقال أخبرني بمعنى
ما عملت قبل أن تفارقني فقال الخضر أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر قيل
كانت لإخوة عشرة خمسة زمنى وخمسة يعملون في البحر يؤاجرون ويكتسبون وفيه دليل على أن
المسكين وإن كان يملك شيئا لا يزول عنه اسم المسكنة إذا لم يقم ما يملكه بكفايته وأن حال الفقير
في الضر والحاجة أشد من حال المسكين لأن الله تعالى سماهم مساكين مع أنهم كانوا يملكون تلك السفينة
فأردت أن أعيبها أي أجعلها ذات عيب وكان وراءهم ملك أي أمامهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم
في طريقهم عليه والأول أصح يأخذ كل سفينة غصبا أي كل سفينة صالحة فخرقتها وعيبتها حتى لا يأخذها
الملك الغاصب وكان اسمه الجلندي الأزدي وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن بدد وروي
أن الخضر اعتذر إلى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت
إذا هي مرت به أن يدعها لعيبها فإذا جاوزتموه أصلحوها وانتفعوا بها قوله عز وجل وأما الغلام
فكان أبواه مؤمنين فخشينا أي فعلمنا والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل
وقيل معناه فعلمنا أن يرهقهما أي يغشيهما وقيل يكلفهما طغيانا وكفرا قيل معناه فخشينا أن يحملهما
حبه أن يتبعاه على دينه فأردنا أن يبدلهما الإبدال رفع الشيء ووضع آخر مكانه خيرا منه زكاة أي
صلاحا وتقوى وقيل هو في مقابلة قوله أقتلت نفسا زاكية فقال الخضر أردنا أن يرزقهما الله
خيرا منه زكاة وأقرب رحما أي ويكون البدل أشد وأقرب عطفا ورحمة بأبويه بأن يبرهما ويشفق عليهما
قيل أبدلهما جارية فتزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الأمم وقيل
وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل أبدلهما بغلام مسلم وقيل إن الغلام الذي قتل فرح به أبواه
حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقي لكان فيه هلاكهما فليرض العبد بقضاء الله تعالى فإن قضاء
الله تعالى للمؤمن فيما يكره خير من قضائه فيما يحب قوله تعالى وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين
في المدينة قيل كان اسمهما أصرم وصريم وكان تحته كنز لهما روى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان الكنز ذهبا وفضة أخرجه الترمذي وقيل كان الكنز صحفا فيها علم وقال ابن عباس كان
لوحا من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن يوقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب عجبا
لمن يوقن بالحساب كيف يغفل عجبا لمن يوقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله
إلا الله محمد رسول الله وفي الجانب الآخر مكتوب أنا الله الذي لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي خلقت
الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجريته على يديه والويل لمن خلقته للشر وأجريته على يديه
وقيل الكنز إذا أطلق يراد به المال ومع التقييد يراد به غيره يقال فلان كنز علم وكان هذا
اللوح جامعا لهما وكان أبوهما صالحا قيل كان اسمه كاشحا وكان من الأتقياء قال ابن عباس حفظا
بصلاح أبيهما وقيل كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء قال محمد بن المنكدر إن الله تعالى
يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعترته وأهله ودويرات حوله فما يزالون في حفظ الله تعالى ما دام
فيهم وقال سعيد بن المسيب إني أصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي فأراد ربك أن يبلغا
أشدهما أي يعقلا ويدركا قوتهما وهو البلوغ وقيل ثماني عشرة سنة فإن قلت كيف قال
في الأولى فأردت وفي الثانية فأردنا وفي الثالثة فأراد ربك وما وجه كل واحدة من هذه
الألفاظ قلت إنه لما أراد العيب أضافه إلى نفسه على سبيل الأدب مع الله تعالى فقال فأردت
أن أعيبها ولما أراد القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على أنه من العلماء العظماء في علم الباطن
وعلوم الحكمة وأنه لم يقدم على مثل القتل إلا لحكمة عالية ولما ذكر رعاية المصالح في حال اليتيمين

لاجل صلاح ابيهما اضافه الى الله تعالى لان حفظ الابنا لصلاح احوالهم لرعاية حق الابا ليس
ذلك الا الى الله تعالى فلاجل ذلك اضافه الى الله تعالى ويستخرجا كنزهما يعني اذا بلغا وعقلا وقويا
رحمة من ربك يعني نعمة من ربك وما فعلته عن امري اى باختياري ورايي بل فعلته بامر الله
تعالى والهامه اياي لان تنقيص اموال الناس واراقة دمائهم وتغيير احوالهم لا يكون ذلك
الا بالنص وامر الله تعالى واسند ليقضيهم بقوله وما فعلته عن امري لانه الهام من الله تعالى
له بذلك وهذه درجة الاوليا وقيل معناه انما فعلت هذه الافعال لغرض ان يظهر رحمة
الله تعالى لان افعالها باسرها ترجع الى معنى واحد وهو تحمل الضرر الادنى لدفع الضرر الاعلى ذلك
تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اى انطق اى تصبر عليه روى ان موسى عليه السلام لما اراد ان
يفارق الخضر قال له اوصني قال له لا تطلب العلم لتحدث به ولكن اطلبه لتعمل به واختلف
العلما في ان الخضر حى ام ميت فقيل انه حى وقيل ان الخضر والياس حيان يلتقيان كل سنة
بالموسم وكان السبب في حياة الخضر فيما حكى انه شرب من ما الحياة وذلك ان ذى القرنين
دخل الظلمة لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فاغتسل وشرب
منها وصلى شكرا لله تعالى واخطا ذو القرنين الطريق فرجع وذهب اخرون الى انه ميت لقوله
تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبى صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشا ارايتكم
ليلتكم هذه فان راس ماية سنة لا يبقى ممن هو اليوم على وجه الارض احد ولو كان الخضر حيا
لكان لا يعيش بعده قوله تعالى ويسئلونك عن ذى القرنين قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني
من ولد يونان بن يافث بن نوح عليه السلام وقيل كان اسمه الاسكندر فيلسوف كذا صح الرومي
وكان من ولد عجوز ليس لها ولد غيره ونقل الامام الفخر الرازى في تفسيره عن ريحان البيروني
المنجم في كتابه المسمى بالاثار الباقية عن القرون الخالية انه من حمير واسمه ابو كرب بن عمير بن
افريقس الحميري وهذا الذى افتخر به بعض شعرا حمير حيث يقول

قد كان ذو القرنين عمى مسلما ... ملكا علا في الارض غير مفند
بلغ المشارق والمغارب يبتغي ... اسباب ملك من كريم مرشد
فراى مآب الشمس عند غروبها ... في عين ذى خلب وثاط حرمد

قوله فراى مآب اى ذهابها بالشمس وقوله في عين ذى خلب اى حماة والثاط الحماة ايضا والجمع ثاط
والحرمد الطين الاسود وقيل سمى ذى القرنين لانه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها وقيل لانه ملك
فارس والروم وقيل لانه دخل النور والظلمة وقيل لانه راى في المنام كانه اخذ بقرني الشمس
وقيل لانه كان له ذوابتان حسنتان وقيل له قرنان تواريهما العمامة وروى عن على انه امر
قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه الايمن فمات فاحياه الله تعالى واختلفوا في نبوته
فقيل كان نبيا يدل عليه قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين وخطاب الله تعالى لا يكون الا مع الانبيا
وقيل لم يكن نبيا قال ابو الطفيل سئل على عن ذى القرنين اكان نبيا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا
ولكن احب الله تعالى فاحبه وناصح الله وروى ان عمر سمع رجلا يقول لاخر يا ذا القرنين
فقال تسميتم باسما الانبيا فلم ترضوا حتى تسموا باسما الملايكة والاصح الذى عليه الاكثرون
انه كان ملكا صالحا عادلا وانه بلغ اقصى المشرق والمغرب والشمال وهذا هو القدر المعمور
من الارض وذلك انه لما مات ابوه جمع له ملك الروم بعد ان دان له طوايف ثم مضى
الى ملوك العرب وقهرهم وامعن حتى انتهى الى البحر الاخضر ثم رجع الى مصر وبنى الاسكندرية
وسماها باسمه ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فيه القربان ثم انعطف ارمينية
وباب الابواب ودانت له ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك

الفرس

الفرس ثم مضى الى الهند والصين وغزا الامم البعيدة ثم رجع الى العراق ومرض بشهرزور ومات
بها وحمل الى حيث هو مدفون وقيل ان عمره كان نيفا وثلاثين سنة وسئل هذا الملك المبسوط
الذى على خلاف العادات وجب ان يبقى ذكره مخلدا على وجه الارض فلذلك قوله تعالى ويسئلونك
عن ذى القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرا اى خبرا يتضمن ذكره قوله تعالى انا مكنا له في الارض
اى وطنا له والتمكين تمهيد الاسباب قال على سخر له السحاب فحمله عليه ومد له في الاسباب وبسط
له النور فكان الليل والنهار عليه سوا وسهل عليه السير في الارض وذلل له طرقها واتيناه من
كل شى يحتاج اليه الخلق وكل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الاعدا سببا اى علما يتسبب
به الى ما يريد ويسير به في اقطار الارض وقيل بلاغا الى حيث اراد وقيل قربنا له اقطار الارض فاتبع
سببا اى سلك طريقا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة اى حارة وقرئ
حمئة فان حمئة وهى الطينة السودا وسال معاوية كعبا كيف تجد في التوراة تغرب الشمس واين
تغرب قال اجد في التوراة انها تغرب في ما وطين وقيل يجوز ان تكون في معنى حمئة او في راى
العين وذلك انه بلغ موضعا في المغرب لم يبق بعده شى من العمارات وجد الشمس كانها تغرب في وهدة
مظلمة كما ان راكب البحر يرى الشمس كانها تغيب في البحر ووجد عندها قوما اى عند العين امة قال ابن جريج
مدينة لها اثنا عشر الف باب يقال لها جابرس وبالسريانية جرجيسا يسكنها قوم من نسل ثمود الذين
امنوا بصالح لولا ضجيج اهلها لسمع الناس وجبة الشمس حين تغرب قلنا يا ذا القرنين يستدل بهذا
من يزعم انه كان نبيا فان الله تعالى خاطبه ومن قال انه لم يكن نبيا قال المراد منه الالهام وقيل
يحتمل ان يكون الخطاب على لسان غيره اما ان تعذب يعني تقتل ان لم يدخلوا في الاسلام واما ان
تتخذ فيهم حسنا يعني تعفو وتصفح وقيل تاسرهم فتعلمهم الهدى خيره بين الامرين قال اما
من ظلم اى كفر فسوف نعذبه اى نقتله ثم يرد الى ربه في الاخرة فيعذبه عذابا نكرا اى منكرا يعني
بالنار لانها انكر من القتل واما من امن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى اى جزا اعماله الصالحة
وسنقول له من امرنا يسرا اى نلين له القول ونعامله باليسر من امرنا ثم اتبع سببا اى سلك
طريقا ومنازل حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا
قيل انهم قوم كان ليس بينهم وبين الشمس ستر من جبل ولا شجر ولا يستقر عليهم بنا فاذا طلعت الشمس
دخلوا في اسراب لهم تحت الارض فاذا زالت الشمس عنهم خرجوا الى معايشهم وحروثهم وقيل
كانوا اذا طلعت الشمس نزلوا في الما فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كالبهايم وقيل هم قوم
عراة يفترش احدهم احدى اذنيه ويلتحف الاخرى وقيل انهم قوم من نسل مؤمني قوم هود
وانهم بينهم جابلق واسمها بالسريانية مرقيسا وهم مجاورون ياجوج وماجوج قوله تعالى
كذلك اى كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل معناه انه حكم في القوم الذين عند مطلع
الشمس كما حكم في الذين عند مغربها وهو الاصح وقد احطنا بما لديه خبرا اى علمنا بما عنده
ومعه من الجند والعدة والالات للحرب وقيل معناه ولقد علمناه حين ملكناه من الصلاحية
لذلك الملك والاستقلال به والقيام بامره قوله عز وجل ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين
السدين هما جبلان في ناحية الشمال في منقطع ارض الترك حكى ان الواثق بعث بعض من
يثق به من اتباعه اليه ليعاينوه فخرجوا من باب من الابواب حتى وصلوا اليه وشاهدوه
فوصفوا انه بنا من لبن حديد مشدود بالنحاس المذاب وعليه باب مقفل ووجد من دونهما
قوما يعني امام السدين قيل هم الترك لا يكادون يفقهون قولا قال ابن عباس لا يفهمون
كلام احد ولا يفهم الناس كلامهم قالوا يا ذا القرنين فان قلت كيف اثبت لهم القول وهم
لا يفقهون لا يكادون يفهمون الا بجهد ومشقة من الاشارة ونحوها كما نفهم قوله تعالى ان

يأجوج ومأجوج أصلهما من أجيج النار وهو ضوءها وشررها شبهوا به لكثرتهم وشدتهم وهم من أولاد يافث ابن نوح والترك منهم قيل إن طائفة منهم خرجت فضرب ذو القرنين السد فبقوا خارجه فسموا الترك بذلك لأنهم تركوا خارجين قال أهل التواريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب وحام أبو الحبشة والزنج والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصقالبة ويأجوج ومأجوج أمم كل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت أحدهم حتى يرى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حملوا السلاح وهم من ولد آدم وهم يسيرون إلى خراب الدنيا قالوا وهم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز وهو شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وعن علي قال منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد آدم احتلم ذات يوم وامتزجت نطفته في التراب فخلق الله تعالى من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم يتصلون بنا من جهة الأب دون الأم وذكر وهب بن منبه أن ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله إني باعثك إلى أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما طول الأرض إحداهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والأخرى عند مطلعها يقال لها منسك وأمتان بينهما عرض الأرض في القطر الأيمن يقال لها هاويل والأخرى في قطر الأرض الأيسر يقال لها تاويل وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج فقال ذو القرنين بأي قوة أكاثرهم وبأي جمع أكاثرهم وبأي لسان أناطقهم قال الله تعالى إني سأطوقك وأبسط لسانك وأشد عضدك فلا يهولنك شيء وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء وأسخر لك النور والظلمة تحوطك من ورائك فانطلق حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا لا يحصيه إلا الله تعالى فكابرهم بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم إلى عبادة الله تعالى فمنهم من آمن ومنهم من صد فعمد إلى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم وبيوتهم ودخلوا في دعوته فجند من أهل المغرب جندا عظيما وانطلق يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل ففعل فيهم كفعله في ناسك ثم مضى حتى أتى منسكا ففعل فيهم كفعله في الأمتين وجند منهم جندا ثم أخذ ناحية الأرض اليسرى فأتى تاويل ففعل فيهم كما فعل فيمن قبلهم ثم عمد إلى الأمم التي في وسط الأرض فلما كان مما يلي منقطع الترك مما يلي المشرق قالت له أمة صالحة من الإنس يا ذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقا أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش كالسباع ويأكلون الحيات والعقارب وكل ذي روح خلق في الأرض وليس يزداد خلق كزيادتهم فلا نشك أنهم سيملكون الأرض ويظهرون عليها ويفسدون فيها فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكني فيه ربي خير وقال أعدوا الصخور والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخاليب وأضراس كالسباع ولهم هلب شعر يواري أجسادهم يتقون من الحر والبرد ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفترش إحداهما ويلتحف بالأخرى يصيف في واحدة ويشتي في واحدة يتسافدون تسافد البهائم حيث التقوا فلما عاين ذو القرنين ذلك انصرف إلى ما بين الصدفين فقاس ما بينهما وحفر حتى بلغ الماء فذلك قوله تعالى قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج **مفسدون في الأرض** قيل فسادهم أنهم كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتملوه وأدخلوه أرضهم فلقوا منهم أذى شديدا وقيل فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس وقيل معناه أنهم سيفسدون عند خروجهم **فهل نجعل لك خرجا** أي جعلا وأجرا من أموالنا **على أن**

نجعل

نجعل بيننا وبينهم سدا أي حاجزا فلا يصلون إلينا **قال** لهم ذو القرنين **ما مكني فيه ربي خير** أي ما قواني فيه ربي خير من جعلكم **فأعينوني بقوة** يعني لا أريد منكم المال بل أعينوني بأبدانكم وقوتكم **أجعل بينكم وبينهم ردما** أي سدا قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والآلة قالوا وما تلك الآلة قال **آتوني** أي أعطوني وقيل جيئوني **زبر الحديد** أي قطع الحديد فأتوه بها وبالحطب فجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب **حتى إذا ساوى بين الصدفين** أي بين طرفي الجبلين **قال انفخوا** يعني النار **حتى إذا جعله نارا** أي صار نارا **قال آتوني أفرغ عليه** أي أصب عليه **قطرا** أي نحاسا مذابا فجعلت النار تأكل الحطب وجعل النحاس يسيل مكانه حتى لزم الحديد قيل إن السد كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء وقيل إن عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائتا ذراع وطوله فراسخ واعلم أن هذا السد معجزة عظيمة ظاهرة لأن الزبرة الكبيرة إذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر أحد على القرب منها والنفخ عليها لا يمكن إلا بالقرب فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان أولئك النافخين حتى تمكنوا من العمل فيه **فما اسطاعوا أن يظهروه** أي يعلوا عليه لعلوه وملاسته **وما استطاعوا له نقبا** من أسفله لشدته وصلابته **قال** يعني ذا القرنين **هذا** أي السد **رحمة من ربي** أي نعمة من ربي **فإذا جاء وعد ربي** قيل يعني يوم القيامة وقيل وقت خروجهم **جعله دكا** أي أرضا ملساء وقيل مدكوكا مستويا مع الأرض **وكان وعد ربي حقا** عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين وفي رواية وعقد تسعين هذا من موضوعات الحساب وهو أن تجعل رأس الإصبع السبابة في وسط الإبهام من باطنها شبه الحلقة لكن لا يتبين لها إلا خلل يسير وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السد يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال ارجعوا فستخرقونه غدا فيعيده الله تعالى كأشد ما كان حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم ارجعوا فستخرقونه غدا إن شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدونه كهيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون على الناس فيستقون المياه وتفر منهم الناس وفي رواية فيتحصن الناس في حصونهم منهم فيرمون بسهامهم إلى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من في الأرض وعلونا من في السماء قسوة وعلوا فيبعث الله عليهم نغفا في رقابهم فيهلكون فوالذي نفس محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر من لحومهم شكرا أخرجه الترمذي وقوله قسوة وعلوا أي غلظة وفظاظة وتكبرا والنغف دود يكون في أنوف الإبل والغنم وقوله وتشكر يقال شكرت الشاة تشكر شكرا إذا امتلأ ضرعها لبنا والمعنى أنها تمتلئ أجسادها لحما وتسمن (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج قوله سبحانه وتعالى **وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض** قيل هذا عند فتح السد يقول تركنا يأجوج ومأجوج يموج أي يدخل بعضهم في بعض كموج الماء ويختلط بعضهم في بعض ويختلط إنسهم بجنهم حيارى **ونفخ في الصور** فيه دليل على أن خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة **فجمعناهم جمعا** أي في صعيد واحد **وعرضنا** أي أبرزنا **جهنم يومئذ للكافرين عرضا** أي حتى شاهدوها عيانا **الذين كانت أعينهم في غطاء** أي غشاء وستر **عن ذكري** أي عن الإيمان والقرآن والهدى والبيان وقيل في رؤية الدلائل **وكانوا لا يستطيعون سمعا** أي سمع القبول والإيمان لغلبة الشقاء عليهم وقيل معناه لا يستطيعون أن يسمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عداوتهم له قوله تعالى **أفحسب** أي أفظن **الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء** يعني أربابا يريد عيسى والملائكة بل هم لهم أعداء ويتبرؤون منهم قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني الشياطين أطاعوهم

من دون الله والمعنى افظن الذين كفروا ان يتخذوا من غيري اولياء واني لا اغضب لنفسي ولا اعاقبهم
وقيل معناه افظنوا انه ينفعهم ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء انا اعتدنا اي هيأنا جهنم للكافرين
نزلا اي منزلا قال ابن عباس رضي الله عنهما هو مثواهم وقيل معناه هي لهم عندنا كالنزل للضيف قوله
سبحانه وتعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا يعني الذين اتعبوا انفسهم في عمل يرجون به
فضلا ونوالا فنالوا هلاكا وبوارا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هم اليهود والنصارى
وقيل هم الرهبان كان الذين حبسوا انفسهم في الصوامع وقال علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه
هم اهل حروراء يعني الخوارج الذين ضل سعيهم اي بطل عملهم واجتهادهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون
اي يظنون انهم يحسنون صنعا اي عملا قوله تعالى اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه
يعني انهم جحدوا دلائل توحيده وقدرته وكفروا بالبعث والثواب والعقاب وذلك لانهم كفروا
بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فصاروا كافرين بهذه الاشياء فحبطت اعمالهم اي بطلت
فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا وقيل لا نقيم لهم ميزانا لان الميزان انما يوضع لاهل
الحسنات والسيئات من الموحدين لتمييز مقدار الطاعات ومقدار السيئات قال ابو سعيد
الخدري رضي الله تعالى عنه يأتي اناس باعمال يوم القيامة هي عندهم في العظم كجبال تهامة
فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا معناه نزدري
بهم فليس لهم عندنا خطر ولا قدر ولا وزن عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى
قال انه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة قال اقرؤوا ان
شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك اشارة الى ما ذكر من حبوط اعمالهم وخسة قدرهم
ثم ابتدأ فقال جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا يعني سخرية واستهزاء
قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا عن ابي
هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة
واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة قال كعب ليس في الجنة جنة اعلى من جنة
الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة
واوسطها وافضلها وقيل الفردوس البستان الذي فيه الاعناب وقيل هي الجنة الملتفة بالاشجار
التي تنبت ضروبا من النبات وقيل الفردوس بالرومية وبلسان الحبش منقول الى العربية نزلا
منزلا يعني المنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها نزلا وفي معنى كانت لهم اي في علم
الله تعالى قبل ان يخلقوا خالدين فيها لا يبغون اي لا يطلبون عنها حولا اي تحولا الى غيرها قال ابن عباس
رضي الله تعالى عنهما لا يريدون ان يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل من دار اذا لم توافقه الى دار اخرى
قوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قالت
اليهود يا محمد تزعم انا قد اوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
ثم تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا ما نزل الله تعالى هذه الآية وقيل لما نزل الله وما
اوتيتم من العلم الا قليلا قالت اليهود اوتينا علم التوراة وفيها علم كل شيء فانزل الله قل لو
كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا اي
مدة وهي ما يستمده الكاتب ويكتب به واصله من الزيادة قال مجاهد رضي الله تعالى عنه لو
كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب قيل والخلائق يكتبون لنفد البحر اي لفقد ماؤه قبل
ان تنفد كلمات ربي اي علمه وحكمته ولو جئنا بمثله مددا والمعنى ولو كان الخلائق يكتبون
والبحر يمدهم لفني ماء البحر ولم تفن كلمات الله تعالى ولو جئنا بمثله مددا او زيادة قوله تعالى
قل انما انا بشر مثلكم قال ابن عباس رضي الله عنهما علم الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله

عليه وسلم التواضع لئلا يزهى على خلقه فامره ان يقر فيقول اني آدمي مثلكم الا انني خصصت
بالوحي واكرمني الله تعالى به وهو قوله تعالى يوحى الي انما الهكم اله واحد لا شريك له في ملكه فمن كان
يرجو لقاء ربه اي يخاف المصير اليه وقيل يأمل رؤية ربه فليعمل عملا صالحا اي من حصل له رجاء
لقاء الله تعالى والمصير اليه فليستعمل نفسه في العمل الصالح ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي لا يرائي
بعمله ولما كان العمل الصالح قد يراد به وجه الله تعالى وقد يراد به الرياء والسمعة اعتبر فيه قيدان
احدهما ان يراد به الله سبحانه وتعالى والثاني ان يكون مبرأ من جهات الشرك جميعها وعن
جندب بن عبد الله البجلي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به
قوله من سمع سمع الله به اي من عمل عملا مراءاة للناس يشتهر بذلك شهره الله يوم القيامة وقيل
معنى سمع الله به اي اسمعه المكروه وعن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشركه
ولغير مسلم فانا منه بريء هو للذي عمله وعن سعيد بن ابي فضالة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا جمع الله الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان يشرك في عمل عمله
لله احدا فليطلب ثوابه منه فان الله اغنى الشركاء عن الشرك اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك
الاصغر قال الرياء وعن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حفظ عشر آيات من
اول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال وفي رواية من آخرها والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة مريم عليها السلام

وهي مكية وهي ثمان وتسعون آية واثنتان وثمانون وسبعمائة حرفا بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما هو اسم من اسماء الله تعالى وقيل اسم للقرآن وقيل هو قسم اقسم
الله تعالى به وعن ابن عباس ايضا قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين
من عليم والصاد من صادق وقيل معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق ايديهم عالم ببريته
صادق في وعده ذكر اي هذا الذكر الذي نتلوه عليك ذكر رحمة ربك عبده زكريا قيل معناه ذكر ربك
عبده زكريا برحمته اذ نادى اي دعا ربه في المحراب نداء خفيا اي دعاء سرا في جوف الليل وقيل راعى
سنة الله في اخفاء دعائه لان الجهر والاسرار عند الله تعالى سيان لكن الاخفاء اولى لانه ابعد
عن الرياء وادخل في الاخلاص وقيل اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في زمن الشيخوخة وقيل اخفى صوته
لضعفه وهرمه من الكبر يدل عليه قوله سبحانه وتعالى قال رب اني وهن العظم مني اي ضعف من الكبر
وقيل اشتكى سقوط الاضراس واشتعل الرأس اي الشعر شيبا اي شمطا ولم اكن بدعائك رب شقيا
اي عودتني الاجابة فيما مضى ولم تخيبني وقيل معناه لما دعوتني الى الايمان آمنت ولم اشق بترك
الايمان واني خفت الموالي من ورائي اي من بعد موتي والموالي هم بنو العم وقيل العصبة وقيل الكلالة
وقيل جميع الورثة وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا اي اعطني وليا من نسبي يرثني
ويرث من آل يعقوب اي ولدا وارثا وقيل اراد به يرث مالي ويرث من آل يعقوب النبوة
والحبارة وقيل اراد ميراث النبوة والعلم وقيل اراد الحبارة لان زكريا كان رأس الاحبار
والاولى ان يحمل على ميراث غير المال لان الانبياء لم يورثوا المال وانما ورثوا العلم ويبعد
من زكريا وهو نبي من الانبياء ان يشفق على ماله ان يرثه بنو اعمامه وانما خاف ان يضيع بنو اعمامه
دين الله ويغيروا احكامه وذلك انه لما شاهد من بني اسرائيل من تبديل الدين وقتل الانبياء
فسأل ربه ولدا صالحا يأمنه على امته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع وهذا قول ابن عباس واجعله

رب رضيا اي برا تقيا في قوله تعالى يا زكريا المعنى فاستجاب الله له دعاءه فقال تعالى يا زكريا انا نبشرك بغلام
اي بولد اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا اي لم يسم احد قبله يحيى وقيل معناه لم نجعل له شبها ومثلا وذلك
لانه لم يعص الله تعالى ولم يهم بمعصية قط وقال ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا قيل ولم يرد الله
بذلك اجتماع الفضائل كلها ليحيى وانما اراد بعضها لان الخليل والكليم كانا قبله وهما افضل منه
قال رب انى يكون لي غلام اي من اين يكون لي غلام وكانت امراتي عاقرا اي امراتي عاقر وقد بلغت من الكبر عتيا
اي يبسا يريد بذلك نحول الجسم ودقة العظم ونحول الجلد قال كذلك قال ربك هو علي هين اي يسير
وقد خلقتك من قبل اي من قبل يحيى ولم تك شيئا قال رب اجعل لي اية اي دلالة على حمل امراتي قال
ايتك اي علامتك الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا اي صحيحا سليما من غير ما باس ولا خرس وقيل ثلاث ليال
متتابعات والاول قيل انه لم يقدر فيها ان يتكلم مع الناس فاذا اراد ذكر الله انطلق لسانه قوله
عز وجل فخرج على قومه من المحراب اي من الموضع الذي كان يصلي فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه
حتى يفتح لهم فيدخلون يصلون اذ خرج اليهم زكريا متغير اللون فانكروا ذلك عليه وقالوا ما لك
فاوحى اي فاومى واشار اليهم وقيل كتب لهم في الارض ان سبحوا اي صلوا لله بكرة وعشيا المعنى انه كان يخرج
على قومه بكرة وعشيا فيامرهم بالصلاة اشارة قوله عز وجل يا يحيى فيه اضمار معناه وقلنا له يا
يحيى او وهبنا له يحيى وقلنا خذ الكتاب يعني التوراة بقوة اي بجد واجتهاد واتيناه الحكم قال ابن عباس يعني
النبوة صبيا وهو ابن ثلاث سنين وذلك ان الله احكم عقله واوحى اليه فان قلت كيف يصح حصول
العقل والفطنة والنبوة حال الصبي قلت لان اصل النبوة مبني على خرق العادات اذا ثبت
هذا فلا يمتنع صيرورة الصبي نبيا وقيل اراد بالحكم فهم الكتاب فقرا التوراة وهو صغير وعن
بعض السلف قال من قرا القران قبل ان يبلغ فهو ممن اوتي الحكم صبيا وحنانا من لدنا اي رحمة من عندنا
قال الحطيئة يخاطب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه تحنن علي هداك المليك فان لكل مقام مقالا اي
ترحم علي وزكاة معنى الاية واتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم الى طاعة ربهم
ويعملوا صالحا في اخلاص وكان تقيا اي مسلما مخلصا مطيعا وكان من تقواه لم يعمل خطيئة ولم يهم بها
قط وبرا بوالديه اي بارا لطيفا بهما محسنا اليهما لانه لا عبادة بعد تعظيم الله تعالى اعظم من بر الوالدين
يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا الاية ولم يكن جبارا
الجبار المتكبر وقيل الذي يقتل ويضرب على الغضب وقيل الجبار الذي لا يرى لاحد على نفسه حقا
وهو من التعظيم بنفسه ان لا يلزمه قضاء لاحد عصيا قيل هو ابلغ من العاصي والمراد وصف
يحيى بالتواضع ولين الجانب وهو من صفات المؤمنين وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم
يبعث حيا وقيل واما انه لمن الله يوم ولد لم ينله الشيطان كما ينال سائر بني ادم ويوم يموت
امان له من عذاب القبر ويوم يبعث اي من عذاب القيامة وقيل احس ما يكون الخلق ثلاثة مواطن
يوم ولد لانه يرى نفسه خارجا من مكان قد كان فيه ويوم يموت لانه يرى قوما ما شاهدهم قط
ويوم يبعث لانه يرى مشهدا عظيما فاكرم الله تعالى يحيى في هذه المواطن كلها فخصه بالكلام
بالسلامة فيها قوله تعالى واذكر في الكتاب اي القران مريم اذ انتبذت اي تنحت واعتزلت
من اهلها اي من قومها مكانا شرقيا اي مكانا في الدار مما يلي الشرق وكان ذلك اليوم
شديد البرد فجلست في شرقة تفلي راسها وقيل ان مريم قد كانت طهرت من الحيض فذهبت تغتسل
وقيل ولهذا المعنى اتخذت النصارى المشرق قبلة فاتخذت اي فضربت من دونهم حجابا قال ابن
اي سترا وقيل جلست وراء جدار وقيل ان مريم كانت تكون في المسجد فاذا حاضت تحولت
الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض قد تجردت اذ عرض لها
جبريل في صورة شاب امرد وضيء الوجه جعد الشعر سوي الخلق فذلك قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا

يعني

يعني جبريل فتمثل لها بشرا سويا اي سوي الخلق لم ينتقص من الصورة الادمية شيئا وانما مثل لها في صورة الانسان
لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في صورة الملائكة لنفرت عنه ولم تقدر على استماع كلامه وقيل المراد من
الروح عيسى جاء في صورة بشر فحملت به والقول الاول اصح فلما رات مريم جبريل يقصد نحوها بادرته من بعيد فقالت
اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اي مؤمنا مطيعا لله تعالى تعوذها من تلك الصورة الحسنة على علمها ورعها
فان قلت انما يستعاذ من الظالم الفاجر فكيف يقول قالت ان كنت تقيا قلت هذا كقول القائل ان كنت
مؤمنا فلا تظلمني اي ينبغي ان يكون ايمانك مانعا لك من الظلم كذلك هاهنا ينبغي معناه ان يكون تقواك مانعا
لك من الفجور قال انما انا رسول ربك لاهب اسند الفعل اليه وان كانت الهبة من الله تعالى لانه ارسل به لك غلاما
زكيا اي ولدا صالحا طاهرا من الذنوب قالت مريم انى يكون لي غلام اي من اين يكون لي ولد ولم يمسسني بشر اي ولم يقربني
زوج ولم اك بغيا اي فاجرة تريد ان الولد انما يكون من نكاح او سفاح ولم يكن هاهنا واحد منهما قال جبريل
كذلك قال اي هكذا قال ربك هو علي هين اي خلق ولد بلا اب ولنجعله اية للناس اي علامة لهم ودلالة
على قدرتنا ورحمة منا اي ونعمة لمن تبعه على دينه الذي بعثه ودين محمد صلى الله عليه وسلم وكان امرا مقضيا
اي محكوما مفروغا منه لا يرد ولا يبدل قوله عز وجل فحملته اي قيل ان جبريل عليه السلام رفع درعها فنفخ
في جيبها فحملت حين لبست الدرع وقيل نفخ في كمها وقيل في ذيلها وقيل في فيها وقيل النفخ من بعيد فوصل
النفخ اليها فحملت بعيسى في الحال فانتبذت به اي فلما حملته تنحت بالحمل وانفردت مكانا قصيا اي بعيدا
من اهلها قال ابن عباس اقصى الوادي وهو بيت لحم فرارا من اهلها وقومها ان يعيروها بولادتها من غير زوج
قال ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته في ساعة
حين زالت الشمس من يومها وقيل كانت مدته تسعة اشهر كحمل سائر الحوامل من النساء وقيل كانت مدة
حملها ثمانية اشهر وذلك اية اخرى للدلالة لانه لا يعيش من ولد لثمانية اشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش
وقيل ولد لستة اشهر وهي بنت عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة وقد كانت
حاضت حيضتين قبل ان تحمل بعيسى قال وهب ان مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له
يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذي عند جبل صهيون وكانا مريم ويوسف يخدمان ذلك المسجد
ولا يعلم من اهل زمانهما احد اشد عبادة منهما واجتهادا منهما واول من عرف حمل مريم يوسف فبقي متحيرا
في امرها كلما اراد ان يتهمها ذكر عبادتها وصلاحها وانها لم تغب عنه واذا اراد ان يبريها راى ما ظهر بها
من الحمل فاول ما تكلم به ان قال انه قد وقع في امري نفسي امر قد حرصت على كتمانه
فغلبني ذلك فرايت ان التكلم به اشفى لصدري فقالت قل قولا جميلا قال اخبريني يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر
وهل ينبت شجر بغير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم الم تعلم بان الله انبت الشجرة بالقدرة
من غير غيث وهل يكون ولد او تقول ان الله تعالى لا يقدر على ان ينبت الشجر حتى استعان بالماء ولولا
ذلك لم يقدر على انباتها قال يوسف لا اقول هذا ولكني اقول ان الله تعالى يقدر على كل شيء يقول له كن فيكون
قالت له مريم الم تعلم ان الله خلق ادم وامراته من غير ذكر ولا انثى فعند ذلك زال ما عنده من التهمة
وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل فلما دنى ولادتها اوحى الله تعالى اليها
ان اخرجي من ارض قومك فذلك قوله تعالى فانتبذت به مكانا قصيا فاجاءها المخاض اي الجاها وجاء بها
والمخاض وجع الولادة الى جذع النخلة وكانت نخلة يابسة في الصحراء في شدة البرد ولم يكن لها سعف
وقيل التجات اليها لتستند اليها وتتمسك بها من شدة الطلق ووجع الولادة قالت يا ليتني مت قبل
هذا تمنت الموت استحياء من الناس وخوف الفضيحة وكنت نسيا منسيا يعني شيئا حقيرا متروكا
لم يذكر ولم يعرف لحقارته وقيل جيفة ملقاة وقيل معناه انما تمنت انها لم تخلق فناداها من تحتها
قيل ان مريم كانت على اكمة وجبريل وراء الاكمة تحتها وقيل ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى وذلك
انه لما خرج من بطن امه ناداها الا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا اي نهرا قال ابن عباس رضي الله

تعالى لعلمهما مر به جبريل عليه السلام وقيل عيسى عليه السلام برجله في الارض فظهرت عين ماء عذبة وجرى
وقيل كان هناك نهر يابس اجرى الله تعالى الماء وحييت النخلة اليابسة فاورقت واثمرت وارطبت
وقيل معنى تحتك اي بامرك ان امرتيه ان يجري جرى وان امرتيه بالامساك امسك وقيل معناه ان
عيسى كان عبدا سريا رفيعا وهزي اليك اي حركي بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا قيل الجذع الذي
بلغ الغاية وجاء اوان اجتنائه قال الربيع بن خثيم ما للنساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من
العسل فكلي واشربي اي يا مريم كلي من الرطب واشربي من النهر وقري عينا اي طيبي نفسا وقيل قري
عينك بولدك عيسى يقال اقر الله عينك اي صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك اي صادف فؤادك
ما يرضيك فتقر عينك فاما ترين من البشر احدا معناه فيسألك عن ولدك فقولي اني نذرت للرحمن صوما
اي صمتا قيل كان في بني اسرائيل من اراد ان يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم
حتى يمسي وقيل ان الله تعالى امرها ان تقول هكذا اشارة وقيل امرها ان تقول هذا القول نطقا
ثم تمسك عن الكلام بعد وانما منعت عن الكلام لامرين احدهما ان يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم
عنها ليكون اقوى لحجتها في ازالة التهمة عنها وفيه دلالة على ان تفويض الكلام الى الافضل اولى الثاني كراهة
مجادلة السفهاء وفيه ان السكوت واجب فلن اكلم اليوم انسيا يقال انها كانت تكلم الملائكة ولا
تكلم الانس قوله تعالى فاتت به قومها تحمله قيل انها لما ولدت عيسى عليه السلام حملته في الحال الى
قومها وقيل ان يوسف النجار احتمل مريم الى قومها فكلمها عيسى في الطريق فقال يا اماه ابشري
فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على اهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا اهل صالحين قالوا
يا مريم لقد جئت شيئا فريا اي عظيما منكرا وقيل معناه جئت بامر عجيب بديع يا اخت هارون
اي يا شبيهة هارون قيل كان رجلا صالحا في بني اسرائيل شبهت به في عفتها وصلاحها وليس المراد به
الاخوة في النسب قيل انه تبع جنازته يوم مات اربعون الفا من بني اسرائيل كلهم يسمى هارون
سوى سائر الناس م عن المغيرة بن شعبة قال لما قدمت خراسان سألوني فقالوا انكم تقرؤون
يا اخت هارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته
عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون باسماء انبيائهم والصالحين فيهم وقيل ان هارون اخا مريم
لابيها من امثل رجل في بني اسرائيل فاسقا اعظم الفسق باخاتيم وقيل وقيل انما عنوا
هارون اخا موسى لانها كانت من نسله كما يقال للتميمي يا اخا تميم وقيل كان هارون في بني
اسرائيل فاسقا اعظم الفسق فشبهوها به ما كان ابوك يعني عمران امرا سوء قال ابن عباس
زانيا وما كانت امك بغيا يعني حنة بغيا اي زانية فمن اين لك هذا الولد فاشارت اليه اي
اشارت مريم الى عيسى ان كلموه قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة اشارت اليه غضب القوم مع ما
فعلت تسخرين بنا قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قيل اراد بالمهد الحجر وهو حجرها وقيل
هو المهد فاقبل عليهم واتكى على يساره وجعل يشير بيمينه و قال اني عبد الله قال وهب اتاها زكريا
عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك ان كنت امرت بها فقال اني عبد الله عند ذلك
عيسى وهو ابن اربعين يوما وقيل بل يوم ولد اقر على نفسه بالعبودية لله تعالى اول ما تكلم لئلا
يتخذ الها فان قلت ان الذي اشتدت اليه الحاجة في ذلك نفي التهمة عن امه وان عيسى لم ينص على ذلك
وانما نص على اثبات عبودية نفسه لله تعالى قلت كانه جعل ازالة التهمة عن امه فلهذا اول
ما تكلم انما تكلم باعترافه على نفسه بالعبودية لتحصل ازالة التهمة عن الام لان الله تعالى لم يختص
بهذه المرتبة العظيمة من ولد في زنا والتكلم بازالة التهمة عن امه لا يفيد ازالة التهمة عن الله
سبحانه وتعالى فكان الاشتغال بذلك اولى اتاني الكتاب وجعلني نبيا قيل معناه سيجعلني نبيا
ويؤتيني الكتاب وهو الانجيل وهذا اخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه

وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد قال الاكثرون انما اوتي الانجيل وهو صغير وكان يعقل
عقل الرجال الكمل وعن الحسن انه كان الهم التوراة وهو في بطن امه وجعلني مباركا اينما كنت اي معناه اني
نفاعا اينما توجهت وقيل معلما للخير ادعوا الى الله وتوحيده وعبادته وقيل مباركا على من تبعني واوصاني
بالصلاة اي امرني بهما وكلفني فعلهما فان قلت كيف يؤمر بالصلاة والزكاة في حال الطفولية وقد قال عليه
الصلاة والسلام رفع القلم عن ثلاث الصبي حتى يبلغ الحنث قلت ان قوله واوصاني بالصلاة والزكاة
في الوقت المعين لها وهو البلوغ وقيل ان المراد ان الله تعالى صيره حين انفصل من امه بالغا عاقلا
وهذا اظهر في سياق الآية ما دمت حيا فان قيل ان هذا التكليف متوجه اليه في جميع زمان حياته حين
كان في الارض وحين رفع الى السماء وحين ينزل الى الارض بعد رفعه وبرا بوالدتي اي جعلني بارا بوالدتي ولم
يجعلني جبارا شقيا اي عصيا لربي متكبرا على الخلق بل انا خاضع متواضع وروي انه قال قلبي لين وانا صغير
في نفسي وقال بعض العلماء لا يوجد العاق الا جبارا شقيا على هذه الآية وقيل الشقي الذي يذنب ولا يتوب
عن الشرك والسلام علي يوم ولدت اي السلامة عند الولادة من طعن الشيطان ويوم اموت اي عند الموت
من الشرك ويوم ابعث حيا اي من اهوال يوم القيامة فلما كلمهم بذلك عيسى علموا براءة مريم ثم سكت
عيسى فلم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الاطفال ذلك عيسى ابن مريم اي الذي قال انا
عبد الله هو عيسى ابن مريم قول الحق اي هذا الكلام هو القول الحق اضاف القول الى الحق وقيل هو نعت
لعيسى يعني بذلك عيسى ابن مريم كلمة الله الحق والحق هو الله الذي فيه يمترون اي يشكون ويختلفون
فقائل يقول هو ابن الله وقائل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم نزه
نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى ما كان لله ان يتخذ من ولد اي ما كان من صفاته اتخاذ الولد
ولا ينبغي له ذلك تعالى سبحانه اذا قضى امرا اي اذا اراد ان يحدث امرا فانما يقول له كن فيكون
اي لا يتعذر عليه اتخاذه على الوجه الذي اراده وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا اخبار عيسى انه
قال ذلك ولان الله ربي وربكم لا رب للمخلوقات سواه هذا صراط مستقيم اي هذا الذي
امرتكم به ان الله تعالى امرني به هو الصراط المستقيم الذي يؤدي الى الجنة فاختلف الاحزاب
من بينهم يعني النصارى سموا احزابا لانهم تحزبوا ثلاث فرق في امر عيسى النسطورية والملكية
واليعقوبية فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم يعني يوم القيامة اسمع بهم وابصر اي
ما اسمعهم وابصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر اخبر انهم يسمعون ويبصرون في
الآخرة ما لا يسمعون ويبصرون في الدنيا وقيل معناه التهديد بما يسمعون ويبصرون مما يسوء
ويصدع قلوبهم يوم يأتوننا اي يوم القيامة لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين قيل اراد
بالدنيا فخطابيته في الآخرة يعرفون الحق وقيل معناه لكن الظالمون في الآخرة في ضلال عن طريق
الجنة بخلاف المؤمنين قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة يعني خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة
سمي بذلك لان المسيء يتحسر هلا احسن العمل والمحسن هلا ازداد في الاحسان يدل عليه ما روى ابو هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يموت الا ندم قالوا وما ندمه يا رسول
الله قال ان كان محسنا ندم ان لا يكون ازداد وان مسيئا ندم ان لا يكون نزع اخرجه الترمذي
قوله ان يكون نزع النزع عن الشيء الكف عنه وقال الاكثر المفسرين يعني يوم الحسرة يوم يذبح
الموت ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت على هيئة
كبش املح فينادي مناد يا اهل الجنة فيشرئبون وينظرون فيقولون هل تعرفون هذا فيقولون
نعم فيقولون هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي مناد يا اهل النار فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون
فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا اهل الجنة خلود بلا موت
ويا اهل النار خلود بلا موت ثم قرا وانذرهم يوم الحسرة وهم في غفلة وهم لا يؤمنون واشار

بيده الى الدنيا زاد الترمذي فيه فلو ان احدا مات فرحا لمات اهل الجنة ولو ان احدا مات حزنا
لمات اهل النار قوله كهيئة كبش املح الاملح الخلط البياض والسواد فيشرئبون يعني الاشرئباب الى التي
اذا انطلع ينظر اليه وما لت نحوه نفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم ان الموت عرض ليس بجسم
في صورة كبش او غيره فتعين هذا تأويل الحديث على ان الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح ويموت
فلا يبقى يرجى له حياة ولا وجود وكذلك لاهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما لا زوال لهما ولا استقرار
فيهما ولا انتقال ق عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صار اهل الجنة الى الجنة واهل النار
الى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح حتى ينادي مناد يا اهل الجنة لا موت ويا اهل
النار لا موت فيزداد اهل الجنة فرحا ويزداد اهل النار حزنا الى حزنهم عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة احد الا ارى مقعده من النار لو اساء ليزداد شكرا ولا
يدخل النار احد الا ارى مقعده من الجنة لو احسن ليكون عليه حسرة اخرجه البخاري قوله تعالى
اذ قضي الامر اذ فرغ الحساب وادخل الجنة اهل الجنة واهل النار النار وذبح الموت وهم في غفلة
اي عما يراد بهم في الآخرة وهم لا يؤمنون اي لا يصدقون انا نحن نرث الارض ومن عليها اي
نميت سكان الارض جميعا ويبقى الله سبحانه وتعالى وحده فيرثهم والينا يرجعون فيجزيهم
باعمالهم قوله تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا اي كثير الصدق وهو مبالغة
في كونه صديقا وقيل الصديق الكثير الصدق وقيل من صدق الله في وحدانيته وصدق انبياءه
ورسله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالاوامر فعمل بها فهو صديق ولما قرب رتبة الصديق
من رتبة النبي انتقل من ذكر كونه صديقا الى ذكر كونه نبيا والنبي العالي في الرتبة بارسال الله
اياه واي رتبة اعلى من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده اذ قال لابيه يعني آزر
وهو يعبد الاصنام يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر يعني صوتا ولا يبصر شيئا ولا يغني
عنك اي يكفيك شيئا وصف الاصنام بثلاثة اشياء كل واحد منها قادح في الالهية وذلك ان
العبادة هي غاية التعظيم فلا يستحقها الا من له ولاية وله اوصاف الكمال وهو الله تعالى فلا
يستحق العبادة الا اياه يا ابت اني قد جاءني من العلم يا لمعرفة ما لم يأتك فاتبعني
اي على ديني اهدك صراطا سويا اي مستقيما يا ابت لا تعبد الشيطان
ان الشيطان كان اي لا تطعه فيما يزين لك من الكفر والشرك فانه هو للرحمن عصيا اي عاصيا
يا ابت اني اخاف علم وقيل هو على ظاهره لانه يمكن ان يؤمن فيكون من اهل الجنة او يصر
على الكفر فيكون من اهل النار فحمل الخوف على ظاهره اولى واعلم ان ابراهيم عليه السلام رتب
هذا الكلام في غاية الحسن مقرونا بالتلطف والرفق فانه قوله في مقدمة كل كلام يا ابت
دليل على شدة الحب والرغبة في صرفه عن العقاب وارشاده الى الصواب لانه نبهه اولا
على ما يدل على المنع من عبادة الاصنام ثم امره باتباعه في الايمان ثم ان طاعة الشيطان غير
جائزة في العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر على الاقدام على ما لا ينبغي بقوله اني اخاف
ان يمسك اي يصيبك عذاب من الرحمن اي ان اقمت على الكفر فتكون للشيطان وليا اي قرينا
في النار وانما فعل ابراهيم عليه السلام هذا مع ابيه لامور احدها الشدة لشدة تعلق قلبه بصلاحية
ابيه واداء حق الابوة والرفق به وثانيها ان النبي الهادي الى الحق لا بد ان يكون رفيقا بل لطيفا
حتى يقبل منه كلامه وثالثها النصح لكل احد فالاب اولى قال يعني اباه مجيبا له اراغب انت
عن آلهتي يا ابراهيم اي تاركها انت وتارك عبادتها لئن لم تنته لارجمنك اي ترجع وتسكت
عن عيبك آلهتنا وشتمك اياها قال ابن عباس معناه لاضربنك وقيل لاقتلنك بالحجارة
وقيل لاشتمنك وقيل لابعدنك عني بالقول القبيح واهجرني اي اجتنبني قال ابن عباس

اعتزلني

اعتزلني سالما لا يصيبك مني معرة مليا اي دهرا طويلا قال يعني ابراهيم سلام عليك اي سلمت مني مكروه
وذلك انه لم يؤمر بقتاله على كفره وقيل هذا سلام هجران ومفارقة وقيل هو سلام بر ولطف وهو جواب
الحكيم للسفيه سأستغفر لك ربي قيل انه لما اعياه امره وعده ان يراجع الله فيه فيسأله ان يرزقه التوحيد
ويغفر له معناه سأسأل لك ربي توبة تنال بها المغفرة انه كان بي حفيا اي برا لطيفا والمراد انه يستجيب
لي اذا دعوته لانه عودني الاجابة لدعائي واعتزلكم وما تدعون من دون الله اي افارقكم وافارق ما
تعبدون من دون الله وذلك انه لما فارقهم وهاجر من كوثا الى الارض المقدسة وادعو ربي اي اعبد الذي
خلقني وانعم علي عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا اي ارجو ان لا اشقى بدعاء ربي وعبادته كما تشقون بعبادة
الاصنام ففيه من التواضع له مع التعريض بشقاوتهم قوله عز وجل فلما اعتزلهم وما يعبدون من
دون الله اي ذهب مهاجرا وهبنا له اي بعد الهجرة اسحاق ويعقوب آنسنا وحشته من فراقهم باولاد
اكرم على الله تعالى من ابيه وكلا جعلنا نبيا معناه انعمنا عليهما بالنبوة ووهبنا لهم من رحمتنا اي مع
ما وهبنا لهم من النبوة ووهبنا لهم المال والولد وذلك انه بسط لهم في الدنيا من سعة الرزق وكثرة
الاولاد وجعلنا لهم لسان صدق عليا يعني ثناء حسنا رفيعا في اهل كل دين حتى ادعاهم اهل الاديان
كلهم فهم يتولونهم ويثنون عليهم قوله تعالى واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا قرئ بكسر اللام
اي اخلص العبادة والطاعة لله تعالى ولم يراء وقرئ بالفتح اي مختارا اختاره الله تعالى واستخلصه
واصطفاه وكان رسولا نبيا فهذا وصفان مختلفان فكل رسول نبي ولا عكسه وناديناه من جانب
الطور الايمن اي من ناحية يمين موسى والطور جبل بين مصر ومدين وقيل اسمه الزبير وذلك حين اقبل
من مدين ورأى النار فقال يا موسى اني انا الله رب العالمين وقربناه نجيا قال ابن عباس قربه وكلمه ومعنى
التقريب اسمعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير الاقلام وقيل معناه رفع قدره ومنزلته
وشرفناه بالمناجاة وهو قوله تعالى نجيا اي مناجيا ووهبنا له من رحمتنا اخاه هارون نبيا
وذلك ان موسى دعا ربه فقال واجعل لي وزيرا من اهلي هارون ولذلك سماه هبة له وكان هارون
اكبر من موسى قوله عز وجل واذكر في الكتاب اسماعيل هو اسماعيل بن ابراهيم وهو جد النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان صادق الوعد قيل انه لم يعد شيئا الا وفى به وقيل انه وعد رجلا ان يقيم مكانه
حتى يرجع الرجل فقيل انه وعد نفسه الصبر على الذبح فوفى به فوصفه الله بهذا الخلق الحسن الشريف
سئل الشعبي عن الرجل يعد ميعادا الى وقت ينتظره قال ان وعده نهارا فكل النهار وان وعده
ليلا فكل الليل وسئل بعضهم عن مثل ذلك فقال ان وعده في وقت صلاة ينتظر الى وقت صلاة
اخرى وكان رسولا اي جدهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر ام اسماعيل بوادي مكة حين
خلفهم ابراهيم وهو جدهم بن يقطن وهو قحطان بن عامر وقحطان ابو قبائل اليمن نبيا اي مخبرا عن
الله تعالى وكان يأمر اهله اي قومه وجميع امته بالصلاة والزكاة قال ابن عباس يريد الصلاة
المفروضة عليهم وهي الحنيفية التي افترضت علينا وقيل كان يبدأ باهله في الامر بالصلاة والعبادة
ليجعلهم قدوة لمن سواهم وكان عند ربه مرضيا اي قائما بطاعته وقيل مرضيا بنبوته وبرسالته
وهذا نهاية في المدح لان المرضي عند الله هو الفائز في كل طاعة باعلى الدرجات قوله عز وجل
واذكر في الكتاب ادريس هو جد ابي نوح واسمه اخنوخ سمي ادريس لكثرة دراسته الكتب
وكان خياطا وهو اول من خط بالقلم واول من خاط الثياب ولبس المخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود
وهو اول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار واول من نظر في علم الحساب انه كان صديقا نبيا وذلك
ان الله تعالى شرفه بالنبوة وانزل عليه ثلاثين صحيفة ورفعناه مكانا عليا قيل هو الرتبة في
الدنيا وقيل انه رفع الى السماء وهو الاصح يدل عليه ما روي عن انس بن مالك بن صعصعة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه رأى ادريس في السماء الرابعة ليلة المعراج متفق عليه وكان سبب رفع ادريس

الى السما الرابعة على ما قاله كعب الاحبار وغيره وذلك انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس
فقال يا رب اني مشيت يوما فكيف بمن يحملها مسيرة خمسماية عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها
وحرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب خففت عني حر الشمس فالذي
قضيت فيه قال ان عبدي ادريس سالني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته قال يا رب فاجمع بيني وبينه
واجعل بيني وبينه خلة فاذن له حتى اتى ادريس فكان مما يسأله ادريس ان قال اني اخبرت انك اكرم
الملايكة وامكنهم عند ملك الموت فاشفع لي اليه ليؤخر اجلي لازداد شكرا وعبادة فقال الملك
لا يؤخر نفسا اذا جا اجلها وانا مكلمه فرفعه الى السما ووضعه عند مطلع الشمس ثم اتى ملك
الموت فقال له لي اليك حاجة صديق لي من بني ادم تشفع بي اليك لتؤخر اجله فقال ملك
الموت ليس لي ذلك ولكن ان احببت اعلمته اجله فيقدم لنفسه قال نعم فنظر في ديوانه فقال
انك كلمتني في انسان ما اراه يموت ابدا قال وكيف ذلك فقال لا اجده يموت الا عند مطلع
الشمس قال اني تركته هناك قال انطلق فلا اراك تجده الا وقد مات فوالله ما بقي من اجل
ادريس شي فرجع الملك فوجده ميتا قال وهب كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع
لجميع اهل الارض في زمانه فعجب منه الملايكة واشتاق اليه ملك الموت فاستاذن ربه في
زيارته فاذن له فاتاه في صورة بني ادم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت
افطاره دعاه الى الطعام فابى ان ياكل معه ففعل ذلك ثلث ليال فانكره ادريس وقال له
في الليلة الثالثة اني اريد ان اعلم من انت قال انا ملك الموت استاذنت ربي ان
اصحبك فقال لي اليك حاجة قال وما هي قال تقبض روحي فقبض وردها الله اليه بعد ساعة
فقال له ملك الموت ما الفايدة في سوالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمته فاكون
استعد له ثم قال له ادريس لي اليك حاجة اخرى قال وما هي قال ترفعني الى السما لانظر
اليها والى الجنة والنار فاذن الله تعالى له فرفعه فلما قرب من النار قال لي اليك حاجة
قال وما هي قال اريد ان تسال مالكا ان يرفع ابوابها فاراها ففعل ثم قال فكما اريتني النار
فارني الجنة فذهب به الى الجنة فاستفتح ففتح ابوابها فادخله الجنة ثم قال له ملك الموت
اخرج الى مقرك فتعلق بشجرة وقال ما اخرج منها فبعث الله تعالى اليه ملكا حكما بينهما
فقال له ملك الموت ما لك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذايقة الموت وقد ذقته
ثم قال وان منكم الا واردها فقد وردتها فقال وما هم منها بمخرجين فلا اخرج فاوحى
الله تعالى الى ملك الموت باذني دخل وبامري لا يخرج فهو حي هناك فذلك قوله تعالى ورفعناه
مكانا عليا واختلفوا فانه حي في السما ام ميت فقال قوم هو ميت وقال قوم هو حي وقالوا
اربعة من الانبيا احيا اثنان في الارض وهما الخضر والياس واثنان في السما وهما ادريس وعيسى
قوله عز وجل اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين اولئك اشارة الى المذكورين في هذه
السورة انعم الله عليهم من النبيين وغيرهما مما تقدم وصفه من ذرية ادم يعني ادريس ونوحا
وممن حملنا مع نوح يعني من ذرية من حملنا مع نوح في السفينة يريد ابراهيم بن سام بن نوح ومن ذرية
ابراهيم يعني اسحاق واسماعيل وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ويعقوب واسرايل
اي ومن ذرية اسرايل وهو يعقوب وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى صلوات
الله وسلامه عليهم فرتب الله احوال الانبيا الذين ذكرهم الله على هذا الترتيب منبها بذلك
على انهم شرفوا بالنبوة وشرفوا بالنسب ثم قال تعالى وممن هدينا واجتبينا اي هولاء
ممن ارشدنا واصطفينا وقيل ممن هدينا الى الاسلام واجتبينا على الانام اذا تتلى عليهم
ايات الرحمن خروا سجدا جمع ساجد وبكيا جمع باك اخبر الله تعالى ان الانبيا عليهم السلام

كانوا

كانوا اذا سمعوا ايات الله سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا وخوفا وحذرا والمراد ما خصهم به
من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد من الايات ما خصهم من الكتب المنزلة عليهم وقيل المراد من الايات
ذكر الجنة والنار والوعد والوعيد وفيه استحباب البكا وخشوع القلوب عند سماع القران فصل
وهذه سجدة سورة مريم من عزايم سجود القران فينبغي للقاري والمستمع ان يسجد عند تلاوة القران عند هذه
السجدة وقيل يستحب لمن قرا اية سجدة فسجد ان يدعو بما يناسب تلك السجدة فان قرا سجدة سبحان قال اللهم
اجعلني من المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك وان سجد سجدة الم السجدة قال اللهم
اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك قوله تعالى
فخلف من بعدهم اي من بعد النبيين المذكورين خلف اي قوم سوء اراد بهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل
هم في هذه الامة اضاعوا الصلاة اي تركوا الصلاة المفروضة وقيل اخروها عن وقتها وهو ان
لا يصلي الظهر حتى ياتي العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس واتبعوا الشهوات اي اثروا شهوات
انفسهم على طاعة الله تعالى وقيل اتبعوا المعاصي وشربوا الخمر وقيل هم قوم يظهرون في اخر الزمان ه
ينزو بعضهم على بعض في الاسواق والازقة فسوف يلقون غيا قال ابن عباس الغي واد في جهنم
وان اودية جهنم لتستعيذ من حره اعد للزاني المصر عليه ولشارب الخمر المدمن عليه ولاكل الربا الذي لا
ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور وقيل هو واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل
قيحا ودما وقيل هو واد في جهنم ابعدها قعرا واشدها حرا فيه بير يسمى البهيم كلما خبت جهنم فتح
الله تلك البير فتستعر بها جهنم وقيل معناه اي خيبة وخسرانا وقيل هلاكا وعذابا وقيل ليس معنى يلقون
يرون فقط بل معناه الاجتماع والملابسة مع الرؤية قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل صالحا
يعني الا من تاب من التقصير في الصلاة والمعاصي وامن من الكفر وعمل صالحا بطاعة الله تعالى قوله
تعالى فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيا اي لا ينقصون ثوابا ثم وصف الجنة فقال تعالى
جنات عدن اي بساتين اقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم التي وعد الرحمن
عباده بالغيب اي انهم يرونها فهي غايبة عنهم وهم غايبون عنها انه كان وعده ماتيا اي اتيا وقيل
معناه وهذه موعودة وهي الجنة ماتيا اي ياتيه اوليا الله تعالى واهل طاعته لا يسمعون فيها
لغوا اي باطلا وفحشا وهو فضول الكلام الا سلاما يعني بل يسمعون فيها سلاما والسلام اسم جامع
للخير لانه يتضمن السلامة وذلك ان اهل الجنة لا يسمعون فيها ما يوثمهم انما يسمعون تسليمهم وقيل
هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملايكة عليهم وقيل هو تسليم الله تعالى عليهم ولهم رزقهم فيها
بكرة وعشيا قال اهل التفسير ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف به البكرة والعشي بل هم
في نور ابدا ولكنهم يوتون بارزاقهم على مقدار طرفي النهار كعادتهم في الدنيا وقيل انهم يعرفون
مقدار النهار برفع الحجب ووقت الليل بارخا الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة
الرزق من غير تضييق ولا تقتير وقيل كانت العرب لا تعرف من العيش افضل من الذي يوتى به بالبكرة والعشي
فوصف الله تعالى الجنة بقوله تلك الجنة التي نورث من عبادنا اي نعطي وننزل وقيل يورث من عباده
المومنين المساكن التي كانت لاهل النار لو امنوا من كان تقيا اي المتقين من عباده قوله عز وجل وما
نتنزل الا بامر ربك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا جبريل
ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا
قال كان جوابا لمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل احتبس جبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ترك بعد ايام
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ابطات حتى ساء ظني واشتقت اليك فقال جبريل اني
اشوق اليك ولكني عبد مامور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فانزل الله تعالى وما نتنزل
الا بامر ربك وانزل الله تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى قوله ما بين ايدينا

وما خلفنا اي له علم ما بين ايدينا وما خلفنا وهو المدبر لنا في كل الاوقات الماضي والمستقبل وقيل
معناه له ما بين ايدينا من امر الاخرة وما خلفنا اي ما مضى من الدنيا وما بين ذلك اي من هذا الوقت
الى قيام الساعة وقيل ما بين ذلك يعني ما بين النفختين وهو مقدار اربعين سنة وقيل ما بين ايدينا
ما بقي من الدنيا وما خلفنا ما مضى منها وما بين ذلك مدة حياتنا وما كان ربك نسيا اي ناسيا اي ما
نسيك وما تركك رب السموات والارض وما بينهما اي من يكون كذلك لا يجوز عليه النسيان لانه لا بد
ان يدبر احوالهما كلها وقيل دليل على فعل العبد خلق لله لانه حاصل بين السموات والارض وكان
الله تعالى فاعبده واصطبر لعبادته اي اصبر على امره ونهيه هل تعلم له سميا قال ابن عباس مثلا هل
الكفار الذين انكروا البعث وقيل هو ابي بن خلف الجمحي وكان منكرا للبعث تعلم احدا اسمي الله غيره قوله
ويقول الانسان اي جنس الانسان والمراد به الكفار الذين انكروا البعث وقيل هو ابي بن خلف الجمحي
للبعث أإذا ما مت لسوف اخرج حيا قاله استهزاء وتكذيبا للبعث قال الله تعالى اولا يذكر الانسان
اي يتذكر ويتفكر يعني منكر البعث انا خلقناه من قبل ولم يك شيئا والمعنى اولا يتذكر هذا الجاحد
في بدء خلقه فيستدل به على الاعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلائق على ايراد حجة في البعث على هذا
الاختصار ما قدروا عليه اذ لا شك ان الاعادة ثانيا اهون من الايجاد اولا ثم اقسم بنفسه فقال
تعالى فوربك وفيه تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم لنحشرنهم اي لنجمعنهم في المعاد يعني المشركين
المنكرين للبعث والشياطين اي مع الشياطين وذلك انه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة ثم
لنحضرنهم حول جهنم جثيا قال ابن عباس جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان وقيل ان
البارك على ركبتيه صورته كصورة الذليل فان قلت هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى
وترى كل امة جاثية قلت وصفوا بالجثو على العادة المعهودة في مواقف المقالات
والمناقلات وذلك لما كان فيه من القلق لما يدهشهم من شدة الامور التي لا يطيقون
معها القيام على ارجلهم فيجثون على ركبهم جثوا ثم لننزعن اي لنخرجن من كل شيعة اي امة من
كل امة واهل دين من الكفار ايهم اشد على الرحمن عتيا قال ابن عباس يعني جرأة وقيل فجورا
وتمردا وقيل قائدهم ورئيسهم في الشرك والمعنى انه يقدم في ادخال النار الاعتى والاعتى ممن هو
اكبر جرما واشد كفرا وفي بعض الاخبار انهم يحضرون حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الاكفر
فالاكفر ممن كان اشد منهم تمردا في كفره خص بعذاب اعظم واشد لان عذاب الضال المضل
يجب ان يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال وفائدة هذا التمييز التخصيص بشدة
العذاب لا التخصيص باصل العذاب فلذلك قال في جميعهم ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها
صليا اولا بها دخولا والمعنى اشتراك القوم في العذاب وقيل معنى الاية انهم احق بدخول النار قوله
عز وجل وان منكم الا واردها اي وما منكم الا واردها كقوله وقيل القسم فيه مضمر وكذا والله
ما منكم احد الا واردها والورود هنا موافاة المكان واختلفوا في معنى الورود هاهنا وفيما تنصرف
اليه الكناية في قوله واردها قال ابن عباس والاكثرون معنى الورود هنا الدخول والكناية
راجعة الى النار فيدخلها البر والفاجر في الورود فقال ثم ينجي الله الذين اتقوا منهم يدل عليه
ما روي ان نافع بن الازرق روى عن ابن عباس في الورود فقال ابن عباس هو الدخول فقال ابن نافع
ليس الورود الدخول فقرأ ابن عباس انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون
ادخلها هؤلاء ام لا ثم قال يا نافع والله انا وانت سنردها وانا ارجو ان يخرجني الله منها
وما ارى الله يخرجك منها بتكذيبك فمن قال بدخول المؤمنين النار يقول من غير خوف ولا ضرر
ولا يحزنهم الفزع الاكبر فان قلت كيف يندفع عن المؤمنين حر النار وعذابها قلت يحتمل ان الله
تعالى يخمد النار فتعبرها المؤمنون ويحتمل ان الله تعالى يجعل الاجزاء الملاصقة لابدان الكفار

من

من النار محرقة والاجزاء الملاصقة لابدان المؤمنين تكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت في حق ابراهيم
عليه السلام وكما ان الملائكة الموكلين لا يجدون المها فان قلت اذا لم يكن على المؤمنين عذاب فما فائدة
دخولهم النار قلت فيه وجوه احدها ان ذلك يزيدهم سرورا اذا علموا الخلاص منه وثانيها ان فيه مزيد
غم على اهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون وثالثها انهم اذا شاهدوا العذاب الذي على
الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاذهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورود الدخول وقالوا لا يدخل
النار مؤمن ابدا لقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها
فعلى هذا يكون المراد من الورود الحضور والرؤية لا الدخول كما قال تعالى ولما ورد ماء مدين اراد به الحضور
وقال عكرمة الاية في الكفار فانهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروي عن ابن مسعود انه قال وان منكم
الا واردها يعني القيامة والكناية راجعة اليها والقول الاصح وعليه اهل السنة انهم جميعا يدخلون
النار ثم يخرج الله منها اهل الايمان بدليل قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا اي الشرك وهم المؤمنون
والنجاة انما تكون مما دخلت فيه يدل عليه ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم وفي رواية
فيلج النار الا تحلة القسم اخرجاه في الصحيحين اراد بالقسم قوله تعالى وان منكم الا واردها م عن
ام مبشر الانصارية انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة لا يدخل النار ان شاء الله تعالى
من اصحاب الشجرة احد الذين بايعوا تحتها فقالت بلى يا رسول الله فانتهرها فقالت حفصة وان منكم الا واردها فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا وقال
خالد بن معدان يقول اهل الجنة الم يعدنا ربنا ان نرد النار فيقال بلى ولكنكم مررتم بها وهي خامدة
وفي الحديث تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي وروي عن مجاهد في قوله تعالى وان
منكم الا واردها قال من حم من المسلمين فقد وردها وفي الخبر الحمى كير من جهنم وهي حظ المؤمن من النار ق
عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحمى من فيح جهنم اي وهجها وحرها وقوله تعالى كان على
ربك حتما مقضيا اي كان ورود جهنم لازما قضاه الله تعالى عليكم واوجبه ثم ننجي الذين اتقوا
اي الشرك ونذر الظالمين فيها جثيا اي جميعا وقيل جاثين على الركب قال المعتزلة في الاية دليل على صحة
مذهبهم في ان صاحب الكبيرة والفاسق يخلد في النار بدليل ان الله تعالى بين ان الكل يردونها ثم بين
صفة من ينجو منها وهم المتقون والفاسق لا يكون متقيا فيبقى في النار ابدا واجيب عنه بان المتقي هو
الذي يتقي الشرك بقوله لا اله الا الله ويشهد لصحة ذلك ان من امن بالله ورسوله صح ان يقال
انه متق من الشرك ومن صدق عليه انه متق من الشرك صح انه متق لان المتقي جزء من المتقي عن الشرك
ومن صدق عليه المركب صدق عليه المفرد فثبت ان صاحب الكبيرة متق واذا ثبت ذلك وجب
ان يخرج من النار بعموم قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا فصارت الاية التي توهموها دليلا لهم من
اقوى الدلائل على فساد قولهم وهذا من حيث البحث واما من حيث النص فقد وردت احاديث
على اخراج المؤمن الموحد من النار خ عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يخرج من النار
في قلبه مثقال برة من خير ويخرج من النار من قال لا اله الا الله وفي قلبه مثقال ذرة من خير وفي
رواية من ايمان عن ابي هريرة ان الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل
تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه كذلك يحشر
الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر
ومنهم من يتبع الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم الله فيقول انا ربكم فيقولون
فيأتيهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فاكون اول من اجوز من الرسل بامته ولا يتكلم
يومئذ الا الرسل وكلام الرسل اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان قالوا نعم قال فانها مثل

شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل
ثم ينجو حتى اذا اراد الله رحمة من اراد من اهل النار امر الله الملائكة ان يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم
ويعرفونهم باثار السجود وحرم الله على النار ان تاكل اثر السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا
فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة
والنار وهو اخر اهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يا رب اصرف وجهي عن النار فقد
قشبني ريحها واحرقني ذكاؤها فيقول هل عسيت ان افعل ذلك بك ان تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك
فيعطي الله ما شاء من عهد وميثاق فيصرف الله تعالى وجهه عن النار فاذا اقبل به على الجنة راى بهجتها
سكت ما شاء الله تعالى ان يسكت ثم يقول يا رب قدمني عند باب الجنة فيقول الله اليس قد اعطيت المواثيق
والعهود ان لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول وعزتك لا اسأل غير ذلك فيعطي ربه ما شاء من عهد
وميثاق فيقدمه الى باب الجنة فاذا بلغ بابها راى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما
شاء الله تعالى ان يسكت فيقول يا رب ادخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن ادم ما اغدرك
اليس قد اعطيت العهد والميثاق ان لا تسأل غير الذي اعطيت فيقول يا رب لا تجعلني اشقى خلقك فيضحك
الله عز وجل منه ثم يؤذن له في الدخول الى الجنة فيقول تمن فيتمنى حتى اذا انقطع امنيته قال
تمن من كذا وكذا ومثله معه قال ابو سعيد الخدري لابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال
الله تعالى لك ذلك وعشرة امثاله وفي رواية للبخاري قال فياتيهم الله تعالى في غير الصورة التي يعرفونها
فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى ياتينا ربنا فاذا عرفناه فياتيهم الله
في الصورة التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه قلت اما ما يتعلق بمعاني الحديث
والكلام على الرواية فيأتي في تفسير سورة ن والقيامة ونتكلم هاهنا على شرح غريب الفاظه مثل
شوك السعدان هو نبت وشوك معقف وهو من جود مراعي الابل وقوله فمنهم يوبق بعمله يقال
اوبقته الذنوب اي اهلكته والمخردل المرمي المصروع وقيل المنقطع والمعنى انه تقطعه كلاليب
الصراط حتى يقع في النار قوله وقد امتحشوا اي احترقوا وقيل هو ان يذهب النار الجلد ويبدي العظم
قوله كما تنبت الحبة من حميل السيل الحبة بكسر الحاء ومعنى البزور واحدتها حبة وحميل السيل هو الزبد وما
يلقيه الماء على شاطئه قوله قشبني ريحها اي اذاني وانقشب السم كانه قال قد سمني ريحها قوله
واحرقني ذكاؤها اي اشتعالها ولهبها قوله راى زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة ق وعن ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر اهل النار خروجا واخر اهل الجنة دخولا
الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة فياتيها فيخيل له انها ملاى
فيقول يا رب وجدتها ملاى فيقول الله تعالى اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة امثالها
وان لك مثل عشرة امثالها فيقول اتسخر بي وانت الملك فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم ضحك حتى بدت نواجذه اي اضراسه وانيابه وقيل هي اخر الاسنان وعن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعذب ناس من اهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون
فيطرحون على باب الجنة قال فيرش عليهم من الماء فينبتون كما تنبت الغثاء في حمالة السيل اخرجه الترمذي
الحمم الفحم والغثاء كل ما جاء به السيل فدلت الاية الاولى على ان الكل دخلوا النار ودلت الاية الثانية
والاحاديث ان الله اخرج منها المتقين وجميع الموحدين وترك فيها الظالمين وهم المشركون قوله تعالى
واذا تتلى عليهم اياتنا بينات اي دلائل واضحات قال الذين كفروا يعني النضر بن الحرث ومن دونه من
قريش للذين امنوا يعني فقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قشافة وفي عيشهم
خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون افخر ثيابهم
اي الفريقين خير مقاما اي منزلا ومسكنا وهو موضع الاقامة واحسن نديا اي مجلسا ۞

فاجابهم

فاجابهم الله تعالى بقوله وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن اثاثا اي متاعا واموالا وقيل اخس ثيابا ولباسا
ورئيا اي منظرا من الرؤية قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا هذا امر بمعنى الخبر معناه يدعه في طغيانه
ويمهله في كفره حتى اذا راوا ما يوعدون اي الاسر والقتل في الدنيا اما العذاب واما الساعة يعني القيامة
فيدخلون النار فسيعلمون اي ذلك من هو شر مكانا اي منزلا واضعف جندا اي ناصرا والمعنى فسيعلمون اهم
خير ومنهم في النار ام المؤمنون وهم في الجنة وهذا رد عليهم في قولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا
قوله عز وجل ويزيد الله الذين اهتدوا هدى اي ايمانا وايقانا على يقينهم والباقيات الصالحات اي الاذكار
والاعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها خير عند ربك ثوابا وخير مردا اي عاقبة ومرجعا قوله تعالى افرايت
الذي كفر باياتنا الاية ق عن خباب بن الارت قال كنت في الجاهلية وكان لي على العاص بن وائل دين فاتيته اتقاضاه
فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقال لا اكفر حتى يميتك الله ثم تبعث فنزلت افرايت الذي كفر باياتنا وقال لا
لاوتين مالا وولدا الى قوله فردا العين الحداد ثم رد عليهم بقوله تعالى اطلع الغيب قال ابن عباس انظر في
اللوح المحفوظ وقيل علم علم الغيب حتى يعلم اهو في الجنة ام لا ام اتخذ عند الرحمن عهدا يعني قال لا اله الا الله
وقيل عمل عملا صالحا قدمه وقيل عهد اليه انه يدخله الجنة كلا رد عليه لم يفعل ذلك سنكتب ما يقول اي سنحفظ
عليه ما يقول فنجازيه به في الاخرة وقيل يامر الملائكة حتى يكتبوا ما يقول ونمد له من العذاب مدا اي نزيده
عذابا فوق العذاب وقيل نطيل مدة عذابه ونرثه ما يقول معناه اي ما عنده من المال والولد فلا يعود
اليه الا رث له من خلفه واذا سلب ذلك بقي فردا فذلك قوله تعالى ويأتينا فردا يعني يوم القيامة فردا بلا
مال ولا ولد قوله تعالى واتخذوا من دون الله الهة يعني مشركي قريش اتخذوا الاصنام الهة يعبدونها ليكونوا
لهم عزا اي منعة يعني يكونوا شفعاء ويمنعونهم من العذاب كلا اي ليس الامر كما زعموا سيكفرون بعبادتهم يعني
الاصنام اي يجحدون الاصنام والالهة التي كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرؤون منهم ويكونون عليهم
ضدا اي اعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم وقيل اعداء لهم وكانوا اولياءهم في الدنيا قوله عز وجل الم تر انا ۞
ارسلنا الشياطين على الكافرين اي سلطناهم عليهم تؤزهم ازا اي تزعجهم ازعاجا من الطاعات الى المعصية ۞
والمعنى تغريهم وتحثهم على المعاصي تحريضا شديدا وفي الاية دليل على ان الله تعالى مريد لجميع الكائنات فلا
تعجل عليهم اي لا تعجل بطلب عقوبتهم انما نعد لهم عدا يعني الليالي والايام والشهور والاعوام وقيل الانفاس
التي يتنفسونها في الدنيا الى الاجل الذي اجل لهم لعذابهم قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اي اذكر
لهم يا محمد اليوم الذي يجمع فيه من اتقى الله تعالى في الدنيا بطاعته الى جنته جماعات قال ابن عباس ركبانا
قال ابو هريرة على الابل وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما يحشرون والله على ارجلهم ولكن على نوق رحالها
الذهب ونجائب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت ونسوق المجرمين اي الكافرين
الى جهنم وردا اي مشاة عطاشا قد تقطعت اعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد احد الا بعد
العطش وقيل يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش تساق الى الماء ق عن ابي هريرة رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين
واثنان على بعير وثلاثة على بعير واربعة على بعير وعشرة على بعير ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث
قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث اصبحوا وتمسي معهم حيث امسوا قوله تقيل معهم
حيث قالوا من القيلولة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة
ثلاثة اصناف صنف مشاة وصنف ركبانا وصنف على وجوههم قالوا كيف يمشون على وجوههم يا رسول
الله قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم اما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك اخرجه
الترمذي قوله عز وجل لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني لا اله الا الله وقيل لا يشفع
الشافعون الا للمؤمنين وقيل لا يشفع الا لمن قال لا اله الا الله اي لا يشفع الا المؤمنون وقالوا اتخذ
الرحمن ولدا يعني اليهود والنصارى ومن زعم ان الملائكة بنات الله من العرب لقد جئتم شيئا ادا قال ابن عباس

قال ابن عباس منكرا وقيل معناه لقد قلتم قولا عظيما تكاد السموات يتفطرن منه من الانفطار وهو الشق
وتنشق الارض اى تخسف بهم وتخر الجبال هدا اى تسقط وتنطبق عليهم ان دعوا اى من اجل ان جعلوا للرحمن ولدا
فان قلت ما معنى انفطار السموات والارض وخرور الجبال ومن اين تؤثر هذه الكلمة في هذه الجمادات قلت
فيه وجهان احدهما ان الله تعالى يقول للشيء كن فيكون كدت افعل كذا بالسموات والارض والجبال عند وجود
هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه بها لولا حلمي واني لا اعجل بالعقوبة الثاني ان يكون استعظاما للكلمة
وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لاثرها في الدين وهدما لاركانه وقواعده قال ابن عباس رضي الله عنهما
فزعت السموات والارض والجبال وجميع الخلائق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت الملائكة
واستعرت جهنم حين قالوا اتخذ الله ولدا ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى وما ينبغي
للرحمن ان يتخذ ولدا اى ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به لان الولد لابد ان يكون شبيها للوالد
ولا شبيه لله تعالى ولان اتخاذ الولد انما يكون لاغراض لا تصح لله تعالى من سروره به واستعانته وذكر
جميل بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى ان كل من في السموات والارض الا آتي الرحمن عبدا اى يأتيه
يوم القيامة عبدا ذليلا خاضعا والمعنى ان الخلائق كلهم عبيده لقد احصاهم وعدهم عدا
اى عد انفاسهم وايامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شيء من امورهم وكلهم تحت تدبيره وقهره وقدرته
وكلهم آتيه يوم القيامة فردا اى وحيدا ليس له من احوال الدنيا شيء قوله عز وجل ان الذين آمنوا
وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اى محبة قيل يحبهم الله ويحببهم الى عباده المؤمنين ق
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله تعالى العبد دعا
جبريل عليه السلام ان الله تعالى يحب فلانا فاحبه فيحبه جبريل فينادي جبريل في اهل السماء ان الله
الله تعالى يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض وفي رواية لمسلم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله سبحانه وتعالى اذا احب عبدا دعا جبريل فقال له اني احب فلانا
فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع
له القبول في الارض واذا ابغض الله عبدا دعا جبريل عليه السلام فيقول اني ابغض فلانا فابغضه
فيبغضه جبريل ثم ينادي في اهل السماء ان الله تعالى يبغض فلانا فابغضوه ثم يوضع له البغضاء
في الارض قال ابو هريرة هرم بن حيان ما اقبل عبد بقلبه على الله عز وجل الا اقبل الله بقلوب المؤمنين
اليه حتى يرزقه مودتهم وقال كعب مكتوب في التوراة لا محبة لاحد في الارض حتى يكون ابتداؤها
من الله ينزلها على اهل السماء ثم على اهل الارض وتصديق ذلك في القرآن سيجعل لهم الرحمن ودا فانما
يسرناه بلسانك اى سهلنا القرآن بلسانك يا محمد لتبشر به المتقين يعني المؤمنين وتنذر به اى القرآن
قوما لدا اى شدادا في الخصومة وقيل صما عن الحق وقيل الالد الظالم الذي لا يستقيم ولا يقبل الحق
ويدعي الباطل وكم اهلكنا قبلهم من قرن ختم الله تعالى هذه السورة بموعظة بليغة لانهم اذا علموا ۞
وايقنوا انه لابد من زوال الدنيا بالموت خافوا ذلك العاقبة في الآخرة فكانوا الى الحذر من
المعاصي اقرب لذلك فقال تعالى هل تحس منهم اى هل ترى وقيل هل تجد منهم اى القرون من احد
او تسمع لهم ركزا اى صوتا خفيا قال الحسن اى بادوا جميعا فلم يبق عين ولا اثر والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة طه عليه السلام

مكية وهي مائة واربعة وقيل خمس وثلاثون آية والف وثلثمائة واحد واربعون كلمة وخمسة آلاف
ومائتان واربعون حرفا عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى
واعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة النافلة

الرابعة

النافلة الرابعة بسم الله الرحمن الرحيم طه قيل هو قسم اقسم الله تعالى بطوله وهدايته وقيل
معناه يا رجل والمراد به الانسان وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل ذلك بالنبطية وقيل هو بالسريانية
وقيل بالقبطية فعلى هذا يكون تحديا يكون قد وافقت لغة العرب هذه اللغات في هذه الكلمة
وقيل هو بلسان بلغة عك وعك قبيلة من قبائل العرب وقيل معناه طأ الارض بقدميك يريد به
التهجد وذلك لما نزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة اجتهد في العبادة حتى اذا كان يراوح
بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فانزل الله هذه الآية وامره ان يخفف
على نفسه فقال طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى وقيل لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا
ما انزل عليك القرآن يا محمد الا لشقائك فنزلت ما انزلنا عليك القرآن لتشقى وتتعب الا تذكرة
لمن يخشى لكن انزلناه عظة لمن يخشى وانما خص من يخشى بالتذكرة لانهم المنتفعون بها تنزيلا ممن
خلق الارض والسموات العلى اى من الله الذي خلق الارض والسموات العالية الرفيعة التي لا يقدر
على خلقها في عظمها وعلوها الا الله تعالى الرحمن على العرش استوى تقدم الكلام عليه في سورة الاعراف فيستوفى
له ما في السموات وما بينهما يعني الهوى وما تحت الثرى اى انه ملك جميع ما في الارضين اقسام
والثرى هو التراب الندي وقيل معناه ما وراء الثرى من شيء وقال ابن عباس ان الارضين على ظهر الثور
والثور على بحر وراسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء اخضرت السماء منها وهي
الصخرة التي ذكرها الله تعالى وذلك الثور فاتح فاه اذا جعل الله تعالى البحار بحرا واحدا سالت في جوف
ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه يبست قوله تعالى وان تجهر بالقول اى تعلن به فانه يعلم السر واخفى
قال ابن عباس رضي الله عنهما السر ما تسر في نفسك واخفى من السر ما يلقيه الله تعالى في قلبك من بعد وما
تعلم انك ستحدث به نفسك لانك لا تعلم ما تسر غدا والله يعلم ما اسررت به اليوم وما تسر به غدا وعنه
ان السر ما اسر ابن آدم في نفسه واخفى ما خفي عليه مما هو فاعله قبل ان يعلمه وقيل السر ان الله يعلم
ما اسره الرجل الى غيره واخفى من ذلك ما اسره في نفسه وقيل السر العمل الذي يسره من الناس واخفى
هو الوسوسة وقيل السر ان يعلم الله تعالى اسرار العباد واخفى هو سره من عباده فلا يعلم احد سره وقيل
مقصود الآية زجر المكلف عن القبائح الظاهرة كانت او باطنة فعلى هذا الوجه ينبغي ان يحمل السر
والاخفى على ما فيه ثواب وعقاب فالسر هو الذي يسره المرء في نفسه من الامور التي عزم عليها والاخفى
هو الذي لم يبلغ حد العزيمة ثم وحد نفسه فقال تعالى الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى فانها
الاحسان والذي فضلت به اسماؤه في الحسن سائر الاسماء دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم
والربوبية والافعال التي هي النهاية في الحسن قوله تعالى وهل اتاك حديث موسى اى وقد اتاك
لما تقدم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه بقصة موسى عليه السلام ليأتسي به في تحمل اعباء
النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد حتى ينال عند الله الفوز والمقام
المحمود اذ رأى نارا وذلك ان موسى استأذن شعيبا في الرجوع يريد ان يرجع من مدين الى مصر
لزيارة والدته واخيه فاذن له فخرج باهله وماله وكانت ايام الشتاء فاخذ على غير طريق مخافة ملوك
الشام وامرأته حامل في شهرها لا تدري ليلا تضع ام نهارا فسار في البرية غير عارف بطريقها
فالجأه السير الى جانب الطور الغربي الايمن وذلك في ليلة مظلمة مثلجة شاتية شديدة البرد
لما اراد الله من كرامته فاخذ امرأته الطلق فاخذ زنده فجعل يقدح فلا يوري فابصر نارا من
بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور فقال لاهله امكثوا اى اقيموا اني آنست نارا يعني ابصرت
نارا لعلي آتيكم منها بقبس اى شعلة من نار في طرف عود او اجد على النار هدى اى احدا عند النار
يدلني على الطريق فلما اتاها اى اتى النار رأى شجرة خضراء من اعلاها الى اسفلها اطافت بها بيضاء
تتقد باضوأ ما يكون فلا اضوا النار وقيل كانت الشجرة سمرة خضراء وقيل كانت من العوسج وقيل كانت من

العلبق وقيل كانت من العناب يروى ذلك عن ابن عباس قال اهل التفسير لم يكن الذي رآه موسى نارا بل
كان نورا ذكر بلفظ النار لان موسى عليه السلام حسبه نارا قال ابن عباس هو من نور الرب سبحانه وتعالى
وقيل هي النار بعينها وهي احدى حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ما روي عن ابي موسى الاشعري عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه اخرجه
مسلم قيل ان موسى اخذ شيئا من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نأت عنه واذا نأى
دنت فوقف متحيرا وسمع تسبيح الملائكة والقيت عليه السكينة فعند ذلك نودي يا موسى اني انا ربك قال
وهب نودي من الشجرة فقيل يا موسى فاجاب سريعا وما يدري من دعاه فقال اني اسمع صوتك
ولا ادري مكانك فاين انت فقال انا فوقك ومعك وامامك وخلفك واقرب اليك من نفسك فعلم ان ذلك
لا ينبغي الا لله تعالى فايقن به وقيل انه سمعه بكل اجزائه حتى ان كل جارحة كانت اذنا قوله فاخلع
نعليك كان السبب فيه ما روي عن ابن مسعود مرفوعا في قوله فاخلع نعليك قيل كانتا من جلد حمار ميت
ويروى غير مرفوع وانما امر بخلعهما صيانة للوادي المقدس وقيل امر بخلعهما ليباشر بقدميه
تراب الارض المقدسة لتناله بركتها فانها قدست مرتين فخلعهما والقاهما من وراء الوادي انك
بالوادي المقدس المطهر طوى اسم للوادي الذي حصل فيه وقيل الطوى واد مستدير عميق مثل الطوي في
استدارته وانا اخترتك اي اصطفيتك برسالاتي وبكلامي فاستمع لما يوحى فيه نهاية الهيبة والجلال
كأنه قال له لقد جاءك امر عظيم فتاهب له انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني ولا تعبد غيري واقم
الصلاة لذكري اي لتذكرني فيها وقيل لذكري خاصة لا تشوبه بذكر غيري وقيل لاخلاص ذكري وطلب
وجهي ولا ترائي فيها ولا تقصد بها غرضا آخر وقيل معناه اذا تركت صلاة ثم ذكرتها فاقمها (ق)
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصل اذا ذكرها لا كفارة لها
الا ذلك وتلا قتادة واقم الصلاة لذكري وفي رواية اذا رقد احدكم عن الصلاة او غفل
عنها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول واقم الصلاة لذكري ان الساعة آتية
اكاد اخفيها قال اكثر المفسرين اكاد اخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وكيف اظهرها لكم ذكر
ذلك على عادة العرب اذا بالغوا في الكتمان للشيء يقولون كتمت سرك من نفسي اي اخفيته
غاية الاخفاء والله تعالى لا يخفى عليه شيء والمعنى في اخفائها التهويل والتخويف لانهم اذا لم يعلموا
متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذا المعنى في اخفاء وقت الموت على الانسان
لانه اذا عرف وقت موته وانقضاء اجله اشتغل بالمعاصي الى ان يقرب من ذلك الوقت
فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب المعاصي بتعريف وقت الموت وانه اذا لم يعرف وقت موته
لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصي او يتوب عنها في كل وقت مخافة معاجلة
الاجل قوله تعالى لتجزى كل نفس بما تسعى اي بما تعمل من خير وشر فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها
اي فلا يصرفنك عن الايمان بالساعة ومجيئها من لا يؤمن بها واتبع هواه اي مراده وخالف امره
فتردى اي فتهلك قوله عز وجل وما تلك بيمينك يا موسى سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيهه
وتوقيفه على انها عصا حتى اذا قلبها حية علم انها معجزة عظيمة قال هي عصاي قال كان
لها شعبتان وفي اسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة اتوكأ عليها اي اعتمد عليها اذا
اعييت وعند الوثبة واهش بها على غنمي اي اضرب بها الشجرة اليابسة ليسقط ورقها فترعاه
الغنم ولي فيها مآرب اخرى اي حاجات ومنافع اخرى واراد بالمآرب ما يستعمل فيه العصا في السفر
فكان يحمل بها الزاد ويشد بها الحبل ويستقي بها الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها
السباع ويستظل بها اذا قعد وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان موسى كان يحمل عليها زاده
وسقاءه فجعلت تماشيه وتحدثه وكان يضرب بها الارض فيخرج له ما يأكل يومه ويركزها فيخرج الماء

فاذا

فاذا رفعها ذهب الماء وكان اذا اراد ثمرة ركزها فتغصنت غصن تلك الشجرة واورقت واثمرت
واذا اراد الاستقاء من البئر ادلاها فطالت البير شعبتاها كدلو حتى يستقي وكانت تضيء بالليل كالسراج
واذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه قال الله تعالى القها يا موسى اي انبذها واطرحها قال وهب
ظن موسى انه يقول ارفضها فالقاها اي فطرحها على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة فاذا هي حية
صفراء من اعظم ما يكون من الحيات تسعى اي تمشي بسرعة على بطنها وقال في موضع آخر كانها جان وهي
الحية الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في موضع آخر فاذا هي ثعبان وهو اكبر ما يكون من الحيات ووجه الجمع
ان الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والانثى والجان عبارة عن ابتداء حالها فانها كانت حية على
قدر العصا ثم كانت تتورم وتنتفخ حتى صارت ثعبانا وهو انتهاء حالها وقيل انها كانت في عظم
الثعبان وسرعة الجان قال محمد بن اسحاق نظر موسى فاذا العصا حية من اعظم ما يكون وصارت
شعبتاها شدقين لها والمحجن عنقا وعرفا تهتز كالنيازك وعيناها يتقدان كالنار تمر بالصخرة
العظيمة مثل الخلفة من الابل فتلقمها وتقصف الشجرة العظيمة بانيابها ويسمع لاسنانها صريفا
عظيما فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودي يا موسى اقبل
ارجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف قال خذها اي بيمينك ولا تخف قيل كان خوفه لما عرف ما لقي
آدم من الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ طمأنينة نفسه وذهاب الخوف عنه ان ادخل يده
في فمها واخذ بلحيتها سنعيدها سيرتها الاولى اي الى هيئتها الاولى فنردها عصا كما كانت وقيل
كان على موسى مدرعة صوف قد خللها بعود فلما قال الله تعالى له خذها لف طرف المدرعة
على يده فامره الله ان يكشف يده فكشفها وذكر بعضهم لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك
ارأيت لو امر الله بما تحاذره اكانت المدرعة تغني عنك شيئا قال لا ولكني ضعيف من ضعف
خلقت قال فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتيها في الموضع
الذي كان يضعها اذا توكأ قال المفسرون اراد الله ان يري موسى ما اعطاه من الآية التي لا
يقدر عليها مخلوق ولئلا يفزع منها اذا القاها عند فرعون قوله تعالى واضمم يدك الى جناحك
اي الى ابطك وقيل تحت عضدك تخرج بيضاء اي نيرة مشرقة من غير سوء اي من غير عيب والسوء
هاهنا البرص قال ابن عباس رضي الله عنهما كانت بيده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كالشمس
والقمر آية اخرى اي دلالة اخرى على صدقك سوى العصا لنريك من آياتنا الكبرى قال ابن عباس
كانت يد موسى اكبر آياته قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى اي جاوز الحد في العصيان والتمرد
وانما خص فرعون بالذكر مع ان موسى كان مبعوثا الى الكل لانه ادعى الالهية وتكبر وكان متبوعا
فكان ذكره اولى وقال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتي
وانك بعيني وسمعي وان معك يدي وبصري واني البستك جنة من سلطاني لتستكمل بها القوة في امري
بعثتك الى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي وامن مكري حتى جحد حقي وانكر ربوبيتي واني اقسم بعزتي
لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ولكن هان وسقط من عيني
فبلغه رسالتي وادعه الى عبادتي وقل له قولا لينا لا يغتر بلباس الدنيا فان ناصيته بيدي
ولا يتنفس الا بعلمي قال فسكت موسى فجاءه ملك وقال له اجب ربك قال يعني موسى رب اشرح
لي صدري اي وسعه للحق قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يريد حتى لا اخاف غيرك وذلك ان موسى
كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده فكان يضيق بما كلف من مقاومة
فرعون وحده فسأل الله تعالى ان يوسع قلبه للحق حتى يعلم ان احدا لا يقدر
على مضرته الا باذن الله تعالى واذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده
ويسر لي امري اي سهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون واحلل عقدة من لساني وذلك

ان موسى كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمة واخذ بلحيته فقال فرعون لامرأته آسية ان هذا عدوي واراد ان يقتله فقالت آسية انه صبي لا يعقل وقيل ان ام موسى لما فطمته ردته الى فرعون فنشأ في حجره وحجر امرأته يربيانه واتخذاه ولدا فبينما هو يلعب بين يدي فرعون وبيده قضيب اذ رفعه فضرب به رأس فرعون فغضب فرعون وتطير منه حتى هم بقتله فقالت آسية ايها الملك انه صبي لا يعقل جربه ان شئت فجاءت بطشتين في احدهما جمر وفي الآخر جوهر فوضعتهما بين يدي موسى فاراد ان يأخذ الجوهر فاخذ جبريل يد موسى فوضعها على الجمر فاخذ الجمرة فوضعها في فيه فاحترق لسانه فصارت فيه عقدة يفقهوا قولي اي احلل العقدة كي يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي اي معينا وظهيرا والوزير من يوازرك ويحمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين من هو فقال هارون اخي وكان هارون اكبر من موسى وافصح لسانا واجمل واوسم وكان ابيض اللون وكان موسى فيه جعودة اشدد به ازري اي اقو به ظهري واشركه في امري اي في النبوة وتبليغ الرسالة كي نسبحك كثيرا اي نصلي لك كثيرا ٥ ونذكرك كثيرا اي نحمدك ونثني عليك بما اوليتنا من جميل نعمك انك كنت بنا بصيرا اي خبيرا عليما قال الله تعالى قد اوتيت سؤلك يا موسى اي اعطيت جميع ما سألته ولقد مننا عليك مرة اخرى اي قبل هذه المرة تعديدا تلك المنة بقوله عز وجل اذ اوحينا الى امك وحي الهام ما يوحى اي ما يلهم ثم فسر الالهام وعدد نعمه عليه فقال ان اقذفيه في التابوت اي الهمناها ان اجعليه في التابوت فاقذفيه في اليم يعني نهر النيل فليلقه اليم بالساحل الساحل شاطئ البحر يأخذه عدو لي وعدو له اي يعني فرعون فاخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا ووضعت فيه موسى فيرت راسه وشقوقه ثم القته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فبينما فرعون جالس على البركة مع امرأته آسية اذا بتابوت يجيء به الماء فامر الغلمان والجواري باخراجه فاخرجوه وفتحوا راسه فاذا بصبي من اصبح الناس وجها فلما رآه فرعون احبه بحيث لم يتمالك نفسه وعقله فعند ذلك قال الله تعالى والقيت عليك محبة مني قال ابن عباس رضي الله عنهما احبه وحببه الى خلقه قيل ما رآه احد الا احبه ملاحة كانت في عيني موسى ولتصنع على عيني لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك ومراقبك كما يراعي الرجل الشيء بعينه اذا اعتنى به ونظر اليه اذ تمشي اختك فتقول واسمها مريم متعرفة خبره هل ادلكم على من يكفله اي على امرأة ترضعه وتضمه اليها وذلك انه كان لا يقبل ثدي امرأة فلما قالت لهم اخته ذلك قالوا نعم فجاءت بالام فقبل ثديها فذلك قوله تعالى فرجعناك الى امك كي تقر عينها اي بلقائك ورؤيتك ولا تحزن اي وليذهب عنها الحزن وقتلت نفسا قال ابن عباس رضي الله عنهما وكان القتيل قبطيا كافرا قيل كان عمره اذ ذاك اثني عشر سنة فنجيناك اي من غم القتل وكربه وفتناك فتونا قال ابن عباس اختبرناك اختبارا وقيل ابتليناك ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه في محنة بعد محنة وخلصه الله منها اولها ان امه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاؤه في البحر في التابوت ثم منعه من الرضاع الا من ثدي امه ثم اخذه بلحية فرعون حتى هم بقتله ثم تناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطي وخروجه الى مدين خائفا فلبثت سنين اي مكثت في اهل مدين هي بلدة شعيب ثمان وعشرون سنة عشر سنين منها يرعى الغنم مهر زوجته صفيرا ابنة شعيب وثمانية عشر اقام عنده بعد ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ابن عشر سنة هاربا ثم جئت على قدر يا موسى اي جئت على القدر الذي يوحى للانبياء واصطنعتك لنفسي اي اخترتك واصطنعتك لوحيي ورسالتي لتتصرف على ارادتي ومحبتي وذلك ان قيامه باداء الرسالة تصرف على ارادة الله ومحبته وقيل معناه اخترتك وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بيني وبين خلقي كاني الذي اقمت عليهم الحجة وخاطبتهم اذهب انت واخوك بآياتي اي بدلائلي قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني الآيات التسع التي بعث بها موسى عليه السلام ولا تنيا في ذكري اي لا تضعفا

وقيل

وقيل لا تفترا ولا تقصرا عن ذكري اي لا تقصرا في ذكري بالاحسان اليكما والانعام عليكما ومن ذكر النعمة شكرها اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا اي لطيفا رفيقا قال ابن عباس لا تعنفا في قولكما وقيل كنياه فقولا يا ابا العباس وقيل يا ابا الوليد وقيل اراد بالقول اللين هل لك الى ان تزكى وقيل امرهما باللطافة لما له من حق تربية موسى وقيل عداه على قبول الايمان شبابا لا يهرم وملكا لا ينزع منه الا بالموت ويبقى عليه لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته واذا مات دخل الجنة فلما اتاه موسى ووعده بذلك اعجبه وكان لا يقطع امرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم اخبره بالذي دعاه اليه موسى وقال اردت ان اقبل منه فقال له هامان كنت ارى لك عقلا ورأيا انت رب تريد ان تكون مربوبا وانت تعبد تريد ان تعبد فقال فرعون صواب ما قلت فغلبه على رأيه وكان هارون بمصر فامر موسى ان يأتي هارون واوحى الله الى هارون وهو بمصر ان يتلقى موسى فتلقاه الى مرحلة واخبره بما اوحي اليه وقوله تعالى لعله يتذكر او يخشى اي يتعظ ويخاف فيسلم فان قلت لعله يتذكر وقد سبق في علمه انه لا يتذكر ولا يسلم قلت معناه اذهبا على رجائكما وطمعكما وقضاء الله تعالى وراء امركما وقيل الزام الحجة وقطع المعذرة لقوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك وقيل هو ينصرف الى غير فرعون مجازه لعله يتذكر متذكر او يخشى خاش اذا رأى بري والطافي فيمن خلقته وانعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشي حين لم تنفعه الخشية وذلك حين الجمه الغرق وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ الرازي فقولا له قولا لينا الآية فبكى وقال الهي هذا رفقك بمن يقول انا الاله فكيف رفقك بمن يقول انت الاله قالا يعني موسى وهارون ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان يعجل علينا بالقتل والعقوبة او ان يطغى يجاوز الحد في الاساءة علينا قال الله تعالى لا تخافا انني معكما اسمع وارى قال ابن عباس اسمع دعاءكما فاجيبه وارى ما يراد بكما فامنع لست بغافل عنكما فلا تهتما فأتياه ٥ فقولا انا رسولا ربك اي ارسلنا اليك ربك فارسل معنا بني اسرائيل اي خل عنهم واطلقهم عن اعمالك ولا تعذبهم اي لا تتعبهم في العمل وكان فرعون يستعملهم في الاعمال الشاقة كالبناء وخلع الصخور مع قتل الولدان وغير ذلك قد جئناك بآية من ربك قال فرعون وما هي فاخرج موسى يده لها شعاع كشعاع الشمس وقيل معناه قد جئناك بمعجزة وبرهان يدل على صدقنا وعلى ما ادعيناه من الرسالة والسلام على من اتبع الهدى ليس المراد منه سلام التحية انما معناه سلم من العذاب من اسلم انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى اي انما يعذب الله من كذب بما جئنا به واعرض عنه قال يعني فرعون فمن ربكما يا موسى اي فمن الهكما الذي ارسلكما قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى اي كل شيء يحتاجون اليه وينتفعون به وقيل اعطى كل شيء خلقه وهداه وقيل اعطى كل شيء صورته فخلق اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين للنظر والاذن للسمع ثم هداه الى منافعه من المطعم والمشرب والمنكح وقيل يعني جعل زوجة الرجل المرأة والبعير الناقة والفرس الرمكة ومن الحمير الاتان ثم هداه اي الهمه كيف يأتي الذكر الانثى قال يعني فرعون فما بال القرون الاولى اي فما حال القرون الماضية في الامم الخالية مثل عاد وثمود وانما كانت تعبد الاوثان وتنكر البعث وانما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم مصارع الامم الماضية فحينئذ قال فرعون فما بال القرون الاولى قال يعني موسى علمها عند ربي اي علمها محفوظ عند الله يجازيهم بها وقيل انما رد موسى علم ذلك الى الله تعالى لانه لم يعلم ذلك لان التوراة انما نزلت بعد هلاك فرعون وقومه في كتاب يعني اللوح المحفوظ لا يضل ربي اي لا يخطئ وقيل لا يغيب عنه شيء ولا ينسى اي فيتذكر وقيل لا ينسى ما كان من امرهم حتى يجازيهم

بها الذي جعل لكم الارض مهادا اي فراشا وقيل مهدها لكم وسلك لكم فيها سبلا اي ادخل في الارض
لاجلكم طرقا وسهلها لكم لتسلكوها وانزل من السماء ماء يعني المطر تم الاخبار عن موسى ثم قال
الله تعالى فاخرجنا به ازواجا اي بذلك الماء ازواجا اي اصنافا من نبات شتى اي مختلف الالوان
والطعوم والمنافع فمنها ما للناس ومنها ما للدواب كلوا وارعوا انعامكم اي اخرجنا اصناف النبات
للانتفاع للاكل والرعي ان في ذلك اي الذي ذكر لايات لاولي النهى اي لذوي العقول وقيل هم
الذين ينتهون عما حرم الله عليهم منها خلقناكم اي من الارض خلقنا ادم وقيل ان الملك ينطلق فياخذ
من التراب الذي يدفن فيه فيذره في النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة وفيها نعيدكم اي عند
الموت والدفن ومنها نخرجكم تارة اخرى اي يوم القيامة والبعث والحساب قوله تعالى ولقد اريناه
يعني فرعون اياتنا كلها يعني الايات التسع التي اعطاها الله تعالى موسى فكذب وابى يعني فرعون
وزعم انها سحر وابى ان يسلم قال يعني فرعون اجئتنا لتخرجنا من ارضنا يعني مصر بسحرك يا موسى تريد
ان تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها فلناتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك
موعدا اي اضرب اجلا وميقاتا لا نخلفه اي لا نجاوزه نحن ولا انت مكانا سوى اي مكانا عدلا وقال
ابن عباس نصفا يستوي مسافة الفريقين اليه وقيل معناه يستوي هذا المكان قال يعني موسى موعدكم
يوم الزينة قيل كان يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون في كل سنة وقيل يوم النيروز وقال
ابن عباس رضي الله عنهما هو يوم عاشورا وان يحشر الناس ضحى اي وقت الضحوة نهارا جهارا ليكون
ابعد من الريبة فتولى فرعون فجمع كيده يعني مكره وسحرته وحيلته ثم اتى يوم الميعاد
قال لهم موسى يعني للسحرة التي جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر حبل وعصى
وقيل كانوا اربعمائة وقيل كانوا اثني عشر الفا ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب
اي فيهلككم ويستاصلكم وقد خاب من افترى اي خسر من ادعى مع الله الها اخر وقيل معناه خسر من كذب
على الله تعالى قوله تعالى فتنازعوا امرهم بينهم اي تناظروا وتشاوروا يعني السحرة في امر موسى
سرا من فرعون وقالوا ان غلبنا موسى اتبعناه وقيل لما قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله
على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر واسروا النجوى اي المناجاة قالوا قال
بعضهم لبعض سرا ان هذان لساحران يعني موسى وهارون يريدان ان يخرجاكم من ارضكم يعني
مصر بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى قال ابن عباس يعني بسراة قومكم واشرافكم وقيل
يصرفا وجوه الناس اليهما وقيل اراد اهل طريقتكم المثلى وهم بنوا اسرائيل يعني يريدان ان
يذهبا بهم لانفسهم وقيل معناه يذهبا بسنتكم ودينكم الذي انتم عليه فاجمعوا كيدكم اي
لا تدعوا شيئا من كيدكم الا جئتم به وقيل معناه اعزموا كلكم على كيده مجتمعين له ولا تختلفوا
فيختل امركم ثم ائتوا صفا اي جميعا مصطفين ليكون اشد لهيبتكم وقيل معناه ثم ائتوا المكان الموعود
وقد افلح اليوم من استعلى اي فاز من غلب قالوا يعني السحرة يا موسى اما ان تلقي اي عصاك
واما ان نكون اول من القى اي عصاه قال يعني موسى بل القوا يعني انتم اولا فاذا حبالهم فيه
اضمار اي فالقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى قيل انهم لما القوا
الحبال والعصي اخذوا اعين الناس فراى موسى كان الارض ملئت حيات وكانت قد اخذت ميلا
في ميل من كل جانب ورأوا انها تسعى فاوجس في نفسه اي اضمر وقيل وجد في نفسه خيفة
موسى قيل هو طبع البشرية وذلك انه ظن انها تقصده وقيل انه خاف على القوم ان يلتبس
عليهم فيشكوا في امره فلا يتبعوه قلنا لا تخف اي قال الله تعالى لموسى لا تخف انك انت
الاعلى اي الغالب عليهم ولك الغلبة والظفر والق ما في يمينك اي عصاك والمعنى لا تخف
قيل لكثرة حبالهم وعصيهم فان في يمينك شيئا اعظم منها كلها تلقف ما صنعوا اي معناه تلقم

وتبلغ

وتبلغ ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر قيل معناه اي حيلة ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى اي من الارض
وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان فالقي السحرة سجدا قالوا امنا برب هارون وموسى قال صاحب الكشاف
سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا رؤوسهم للشكر والسجود
فما اعظم الفرق بين الالقائين وقيل انهم لم يرفعوا رؤوسهم حتى راوا الجنة والنار وقيل انهم لما سجدوا
اراهم الله تعالى في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة قال يعني فرعون امنتم له قبل ان اذن
لكم انه لكبيركم اي لرئيسكم ومعلمكم واعلاكم في صناعة السحر ومعلمكم الذي علمكم السحر فلاقطعن ايديكم
وارجلكم من خلاف اي اقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع
النخل ولتعلمن اينا اشد عذابا اي على ايمانكم به وانا او رب موسى على ترك الايمان به وابقى اي
ادوم قالوا يعني السحرة لن نؤثرك اي نختارك على ما جاءنا من البينات يعني الدلالات الواضحات
من اليد البيضاء والعصا وقيل انهم لما سجدوا راوا الجنة والنار وراوا منازلهم في الجنة فعند
ذلك قالوا لن نؤثرك على الله الذي ما جاءنا من البينات والذي فطرنا قيل هو قسم معناه لن
نؤثرك على الله الذي فطرنا فاقض ما انت قاض اي فاصنع ما انت صانع انما تقضي هذه
الحياة الدنيا انما امرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب انا امنا بربنا ليغفر لنا
خطايانا وما اكرهتنا عليه من السحر فان قلت كيف قالوا هذا وقد جاؤوا مكرهين غير مختارين
قلت كان فرعون اكرههم في الابتداء على تعلم السحر وقيل كان السحرة لفرعون يذهب اصله وقيل
كانت السحرة اثنين وسبعين اثنين من القبط وسبعين من بني اسرائيل وكان فرعون اكره الذين من
بني اسرائيل ان يتعلموا فراهم موسى نائما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون هذا ليس بساحر ان
الساحر اذا نام بطل سحره فابى عليهم فاكرههم عليه ان يعملوا فذلك قولهم وما اكرهتنا عليه من السحر
والله خير وابقى اي خير منك ثوابا وابقى عقابا وقيل خير منك ان اطيع وابقى عذابا ان عصي وهذا جواب
لقوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى انه من يات ربه مجرما قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى
وقيل هو من تمام قول السحرة معناه من مات على الشرك فان له جهنم لا يموت فيها فيستريح
ولا يحيى حياة ينتفع بها ومن ياته مؤمنا اي من مات على الايمان قد عمل الصالحات فاولئك
لهم الدرجات العلى اي الرفيعة العالية ثم فسر الدرجات بقوله تعالى جنات عدن تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى اي تطهر من الذنوب وقيل اعطى زكاة نفسه
وقال لا اله الا الله عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في افق السماء وان
ابا بكر وعمر منهم وانعما اخرجه الترمذي قوله وانعما يقال احسن فلان الى فلان وانعم اي فضل
وزاد في الاحسان والمعنى انهما منهم وزادا او تناهيا الى غايته قوله تعالى ولقد اوحينا الى موسى ان
اسر بعبادي اي اسر بهم ليلا من ارض مصر فاضرب لهم طريقا في البحر اي اجعل لهم طريقا بالضرب بالعصا
يبسا اي يابسا ليس فيه ماء ولا طين وذلك ان الله تعالى ايبس الطريق في البحر لا تخاف دركا ولا تخشى
قيل معناه لا تخاف ان يدركك فرعون من ورائك ولا تخشى ان يغرقك البحر امامك فاتبعهم اي فلحقهم
فرعون بجنوده اي اصابهم فغشيهم من اليم ما غشيهم وهو الغرق وقيل علاهم وسترهم من اليم
ما لم يعلم كنهه الا الله تعالى فوقهم فغرق فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه واضل فرعون
قومه وما هدى وما ارشدهم وهو تكذيب لفرعون في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد قوله
عز وجل يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن
والسلوى ذكرهم الله النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى من المناجاة بجانب
الطور وكتب التوراة في الالواح وانما قال وواعدناكم لانها اتصلت بهم حيث كانت لنبيهم

ورجعت منا فحجنا اليهم وبما فوامر ذبحهم وشربعتهم وفيها اقام الله تعالى عليهم من سائر نعمه وارزاقه
كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما لا تظلموا وقيل لا تكفروا النعمة
فتكونوا كافرين لها طاغين وقيل لا تنفقوا ولا تتقووا بنعمتي على المعاصي وقيل لا تدخروا فيحل
عليكم غضبي اي يجب عليكم غضبي ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى اي هلك وسقط في النار واني
لغفار لمن تاب قال ابن عباس من تاب من الشرك وآمن اي وحد الله تعالى وصدقه وعمل صالحا اي ادى
الفرائض ثم اهتدى قال ابن عباس اعلم ان ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم الاسلام حتى مات عليه
وقيل علم ان لذلك ثوابا وقيل اقام على السنة قوله عز وجل وما اعجلك اي حملك على العجلة عن
قومك يا موسى وذلك ان موسى اختار قومه سبعين حتى يذهبوا معه الى الطور ليأخذوا
التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا الى ربه وخلف السبعين وامرهم ان يتبعوه الى الجبل
فقال الله تعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى فاجاب ربه فقال هم اولاء على اثري اي هم بالقرب
مني يأتون على اثري من بعدي فان قلت لم يطابق السؤال الجواب فانه سئل عن سبب العجلة فرد
عن الجواب فقال هم اولاء على اثري قلت كان موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه
فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم يسير ثم اعقبه بجواب السؤال فقال وعجلت اليك رب لترضى
اي لتزداد رضى قال فانا قد فتنا قومك من بعدك اي فانا ابتلينا الذين خلفتهم مع هارون وكانوا
ستمائة الف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر الفا بعدك واضلهم السامري اي دعاهم وصرفهم الى
الضلال وهو عبادة العجل اضاف الضلال الى السامري لانهم ضلوا بسببه وقيل ان جميع المتشابه
نصا فالحقيقة في الظاهر وان كان الموجد لها في الاصل هو الله تعالى بعد ذلك قوله ها هنا قيل
كان السامري من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وقيل كان من القبط وكان جارا
لموسى وآمن به وقيل كان علجا من علوج كرمان دفع الى مصر وكان ممن يعبدون البقر فرجع موسى
الى قومه غضبان اسفا حزينا جزعا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا اي صدقا انكم
يعطيكم التوراة افطال عليكم العهد اي مدة مفارقتي اياكم ام اردتم ان يحل عليكم غضب
من ربكم اي اردتم ان تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم فاخلفتم موعدي يعني ما وعدتموه
من الاقامة على دينه الى ان يرجع قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا اي ونحن نملك امرنا وقيل
باختيارنا وذلك ان المرء اذا وقع في الفتنة لم يملك نفسه ولكنا حملنا اوزارا من زينة
القوم اي حملنا مع انفسنا ما كنا استعرناه من قوم فرعون والاوزار الاثقال سميت
اوزارا لكثرتها وثقلها وقيل الاوزار الآثام اي حملنا آثاما وذلك ان بني اسرائيل استعاروا
حليا من القبط ولم يردوها وبقيت معهم الى حين خروجهم من مصر وقيل ان الله لما اغرق
نبذ البحر حليهم فاخذها بنو اسرائيل فكانت غنيمة ولم تكن الغنائم تحل لهم فقذفناها
اي القيناها قيل ان السامري قال لهم احفروا حفيرة والقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها
وقيل ان هارون امرهم بذلك ففعلوا فكذلك القى السامري اي ما كان معه من الحلي فيها قال ابن عباس
رضي الله عنهما اوقد هارون نارا وقال اقذفوا ما معكم فيها فقيل ان هارون مر على السامري وهو
يصوغ العجل فقال له ما هذا فقال اصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال هارون اللهم اعطه ما سأله
على ما في نفسه فالقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل في فم العجل وقال كن عجلا فكان
كذلك بدعوة هارون فذلك قوله تعالى فاخرج لهم عجلا جسدا له خوار اختلفوا هل كان الجسد
حيا ام لا على قولين احدهما لا لانه لا يجوز اظهار خرق العادة على يد ضال بل السامري صور صورة
كصورة على شكل العجل وجعل فيه منافذ ومخارق بحيث اذا دخلت فيها الريح صوت كصوت العجل
الثاني انه صار حيا وخار كما يخور العجل فقالوا هذا الهكم واله موسى يعني قال ذلك السامري

ومن

ومن تابعه ممن افتتن به وقيل عكفوا عليه واحبوه حبا لم يحبوا شيئا قط مثله فنسي قيل هو اخبار عن قول
السامري اي ان موسى نسي الهه وتركه ها هنا وذهب يطلبه وقيل معناه الى موسى انما طلب هذا
ولكنه نسيه وخالفه في طريق آخر فاخطأ الطريق وضل وقيل هو من كلام الله تعالى كانه اخبر السامري
انه نسي الاستدلال على حدوث الاجسام وان الاله لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء ثم بين سبحانه وتعالى
المعنى الذي يجب الاستدلال به فقال افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا اي ان العجل لا يرد اليهم جوابا
اذا دعوه ولا يكلمهم ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا هذا توبيخ لهم اذ عبدوا ما لا يملك ضرا من ترك
عبادته ولا ينفع من عبده وكان العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بني اسرائيل قوله عز وجل ولقد قال
هارون من قبل اي من قبل رجوع موسى يا قوم انما فتنتم به اي ابتليتم بالعجل وان ربكم الرحمن فاتبعوني
اي على ديني في عبادة الله تعالى واطيعوا امري في ترك عبادة العجل اعلم ان هارون عليه السلام
سلك في هذا الوعظ احسن الوجوه لانه زجرهم اولا عن الباطل بقوله انما فتنتم به ثم دعاهم الى معرفة
الله تعالى بقوله وان ربكم الرحمن ثم دعاهم الى معرفة النبوة بقوله فاتبعوني ثم دعاهم الى الشرائع
بقوله واطيعوا امري فهذا هو الترتيب الجيد لانه من اماطة الاذى عن الطريق وهو ازالة
الشبهات ثم معرفة الله تعالى فانها هي الاصل ثم النبوة ثم الشريعة وانما قال وان ربكم الرحمن
خص هذا الموضع بهذا الاسم لانه ينبههم على انهم متى تابوا قبل الله تعالى توبتهم لانه هو التواب
الرحيم فقابلوا هذا القول بالاصرار والجحود قالوا لن نبرح اي لن نزال عليه اي على عبادة العجل
عاكفين اي مقيمين حتى يرجع الينا موسى كانهم قالوا لا نقبل حجتك ولا نقبل الا قول موسى فاعتزلهم
ومعه هارون ومعه اثنا عشر الفا الذين لم يعبدوا فلما رجع موسى سمع الصياح وكانوا يرقصون حول
العجل فقال للسبعين الذين لم يعبدوا والذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هارون اخذ شعر رأسه
بيمينه ولحيته بشماله قال يا هارون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا اي اشركوا ان لا تتبعني اي تتبع امري
ووصيتي هلا قاتلتهم وقد علمت اني لو كنت فيهم لقاتلتهم على امرهم وقيل معناه ما منعك من
اللحوق بي والاخبار بضلالتهم فيكون مفارقتهم زجرا لهم عما اتوه افعصيت امري اي خالفت امري
قال يا ابن ام لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي اي بشعر رأسي وكان قد اخذ ذؤابته اني خشيت ان تقول
اي لو انكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا فرقت بين بني اسرائيل اي خشيت ان فارقتهم
واتبعتك ان يصيروا احزابا فيتقاتلوا فتقول فرقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي اي لم تحفظ
وصيتي حين قلت لك اخلفني في قومي واصلح وارفق بهم ثم اقبل موسى على السامري قال فما خطبك
اي ما امرك وشأنك وما الذي حملك على ما صنعت يا سامري قال يعني السامري بصرت بما لم يبصروا
به فقبضت قبضة من اثر الرسول اي من تراب حافر فرس جبريل فنبذتها اي قذفتها في العجل فخار فان قلت
كيف عرف السامري جبريل ورآه من بين سائر الناس قلت ذكروا فيه وجهين احدهما ان امه ولدته
في السنة التي يقتل فيها البنون فوضعته في كهف حذرا عليه من القتل فبعث الله اليه جبريل ليربيه
لما قضى الله تعالى على يديه من الفتنة الوجه الثاني انه لما نزل جبريل الى موسى ليذهب به الى الطور
رآه السامري من بين سائر الناس فلما رآه قال ان لهذا لشأنا فقبض القبضة من اثر تربة موطئه
فلما سأله موسى قال قبضت قبضة من اثر الرسول اليك يوم جاءك للميعاد وقيل رآه يوم فلق البحر
فاخذ القبضة وجعلها في عمامته لما يريد الله ان يظهره من الفتنة على يديه وهو قوله وكذلك سولت
زينت لي نفسي وقيل انه من السؤال والمعنى انه لم يدعني الى ما فعلت غيري واتبعت فيه هواي قال يعني
موسى للسامري اذهب فان لك في الحياة اي ما دمت حيا ان تقول لا مساس اي لا تخالط احدا
تعوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اوحش منها ولا اعظم وذلك ان موسى امر بني اسرائيل ان لا يخالطوه
ولا يقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وقال ابن عباس لك ولولدك فصار

السامري يرمتم في البرية مع الوحش والسباع فاذا مس احدا احدهما حُمّا جميعا فتحامى الناس وتحاموه وكان يصيح
لا مساس يعني اذ يقال بامم اليوم يقولون ذلك وان لك اي يا سامري موعدا اي يعذابك في الآخرة لن تخلفه
قرئ بكسر اللام معناه لا تغيبه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة وقرئ بالفتح اي لن
نكذبه ولن يخلفك الله بل يكافيك على فعلك وانظر الى الهك الذي تزعم الذي ظلت عليه عاكفا اي ما دمت
عليه فيما تعبده لنحرقنه اي بالنار ثم لننسفنه اي لنذرينه في اليم اي في البحر نسفا روي ان موسى اخذ
العجل فذبحه فسال منه دم وحرقه في النار ثم ذراه في البحر وقيل معناه لنحرقنه لنبردنه فعلى هذا التاويل
لم ينقلب لحما ودما فان ذلك لا يمكن ان يبرد بالمبرد ويمكن ان يقال صار لحما ودما فذبح ثم بردت
عظامه بالمبرد ثم صارت بحيث يمكن تذريته في البحر فلما فرغ موسى من امر العجل وابطال ما ذهب
السامري رجع الى بيان الدين الحق فقال مخاطبا لبني اسرائيل انما الهكم الله اي المستحق للعبادة والتعظيم
الذي لا اله الا هو وسع كل شيء علما اي وسع علمه كل شيء وقيل يعلم من يعبده قوله عز وجل كذلك نقص
عليك من انباء يعني من اخبار ما قد سبق يعني الامم الخالية وقيل ما سبق من الامور وقد آتيناك من
لدنا ذكرا وهو القران من اعرض عنه اي عن القران ولم يؤمن به ولم يعمل بما فيه فانه يحمل يوم القيامة
وزرا اي حملا ثقيلا من الاثم خالدين فيه اي مقيمين في عذاب الوزر وساء لهم يوم القيامة حملا اي بئس
ما حملوا على انفسهم من الاثم يوم ينفخ في الصور وقيل هو قرن ينفخ يدعى به الناس للحشر والمراد به
نفخة النفخة الثانية لانه اتبعه بقوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا اي نحشر المجرمين زرق
العيون سود الوجوه وقيل عميا عطاشا يتخافتون بينهم اي يتشاورون بينهم ويتكلمون خفيا ان لبثتم اي مكثتم
في الدنيا الا عشرا اي عشر ليال وقيل في القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار اربعين سنة وذلك
ان العذاب رفع عنهم بين النفختين فاستقصروا مدة لبثهم لهول ما عاينوا وقال الله تعالى يتخافتون
اي يتخافتون ويتشاورون بينهم نحن اعلم بما يقولون اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما نصر
ذلك في اعينهم في جنب ما استقبلهم في يوم القيامة وقيل مقدار لبثهم لشدة ما هم فيه قوله تعالى
ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا قال ابن عباس رضي الله عنهما سأل رجل من ثقيف
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فانزل الله تعالى هذه الاية
والنسف هو القلع اي يقلعها من اصولها ويجعلها هباء منثورا فيذرها قاعا صفصفا اي ارضا ملسا
لا نبات فيها لا ترى فيها عوجا ولا امتا اي لا انخفاضا ولا ارتفاعا اي لا ترى واديا ولا رابية
يومئذ يتبعون الداعي اي صوت الداعي الذي يدعوهم الى الموقف يوم القيامة وهو اسرافيل وذلك انه
يضع الصور في فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول ايتها العظام البالية والجلود المتمزقة
والشعور المتفرقة واللحوم المتفرقة هلموا الى العرض لا عوج له اي لا عوج لهم عن دعائه ولا يزيغون عنه يمينا ولا شمالا
ولا يتبعونه سريعا وخشعت الاصوات للرحمن اي سكنت وذلت وخضعت والمراد به اصحاب
الاصوات وقيل خضعت الاصوات من شدة الفزع فلا تسمع الا همسا وهو الصوت الخفي
قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل اراد بالهمس صوت الاقدام وهي الى المحشر
كصوت اخفاف الابل يومئذ لا تنفع الشفاعة لا احد من الناس الا من اذن له الرحمن الا من اذن
له ان يشفع ورضي له قولا قال ابن عباس يعني قال لا اله الا الله وفيه دليل على انه لا يشفع
غير المؤمن وقيل ان درجة الشافع عظيمة فهي لا تحصل الا لمن يؤذن له فيها وكان عند الله تعالى
مرضيا يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم قيل الكناية راجعة الى الذين يتبعون الداعي اي يعلم انه ما قدموا
من الاعمال وما خلفوا من الدنيا وقيل الضمير يرجع الى من اذن له الرحمن وهو الشافع والمعنى
لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن ورضي له قولا ان يشفع ثم قال يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم ولا يحيطون به علما قيل الكناية ترجع الى ما اي هو يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم

علما

علما وقيل الكناية راجعة الى الله تعالى وقيل اي ولا يحيطون بالله علما وعنت الوجوه اي ذلت وخضعت
في ذلك اليوم وصار الملك والقهر لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه واراد بها المكلفين لان العنت من
صفات المكلفين لا من صفات الوجوه لان الخضوع بها يتبين وفيها يظهر وقوله تعالى للحي القيوم تقدم
تفسيره وقد خاب من حمل ظلما قال ابن عباس خسر من اشرك بالله تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن
فلا يخاف ظلما ولا هضما قال ابن عباس رضي الله عنهما اي لا يخاف ان يزاد على سيئاته ولا ينقص من حسناته
وقيل لم يؤاخذ بذنب لم يعمله ولا يبطل عنه حسنة عملها قوله تعالى وكذلك انزلناه اي كما بينا في هذه
السورة هذه الايات المتضمنة للوعيد انزلنا القران كله كذلك وقوله تعالى قرانا عربيا اي بلسان
العرب ليفهموه ويقفوا على اعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر وصرفنا فيه من الوعيد الذي
كررنا وفصلنا القول فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت الوعيد بيان الفرائض والمحارم لان الوعيد فيما يتعلق
بتكريره وتصريفه يقتضي بيان الاحكام فكذلك قال تعالى لعلهم يتقون اي يجتنبون الشرك والمحارم
وترك الواجبات او يحدث لهم ذكرا اي انما انزلنا القران لاجل ان يتعظوا واستغنى بتجنبهم ما لا
ينبغي وقيل معناه يجدد لهم القران عبرة وعظة فيعتبرون ويتعظون بذكر عقاب الامم السابقة قوله
تعالى فتعالى الله الملك الحق اي جل الله وعظم عن الحاد الملحدين وعما يقوله المشركون والجاحدون
وقيل فيه تنبيه على ما يلزم خلقه من تعظيمه وتمجيده وقيل انما وصف نفسه بالملك الحق لان ملكه لا يزول
ولا يتغير وليس بمستفاد من قبل الغير ولا غيره اولى به منه ولا تعجل بالقران اراد النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا انزل عليه جبريل بالقران يبادر فيقرؤه معه قبل ان يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة مخافة
الانفلات والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك فقال ولا تعجل بالقران اي ولا تعجل بقراءته من قبل ان
يقضى اليك وحيه اي من قبل ان يفرغ جبريل من الابلاغ وقيل معناه لا تقربه اصحابك ولا تمله عليهم
حتى يتبين لك معناه وقل رب زدني علما فيه التواضع والشكر لله والمعنى زدني علما الى ما علمته فان
لك في كل شيء علما وحكمة قيل ما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شيء الا في العلم وقيل
كان ابن مسعود اذا قرأ هذه الاية يقول اللهم زدني ايمانا ويقينا قوله عز وجل ولقد عهدنا
الى ادم يعني امرناه واوصينا اليه ان لا ياكل من الشجرة من قبل اي من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي
وتركوا الايمان بي وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى لعلهم يتقون فنسي اي فترك ما عهدنا اليه من الامر
عن اكل هذه الشجرة واكل منها وقيل اراد النسيان الذي هو ضد الذكر ولم نجد له عزما اي صبرا عما
نهيناه عنه وحفظا لما امرته وقيل معناه لم نجد له رايا معزوما حيث اطاع عدوه ابليس الذي حسده
وابى ان يسجد له وقيل معناه لم نجد له عزما على المقام على المعصية فيكون الى المدح اقرب قوله عز وجل
واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى ان يسجد فقلنا يا ادم ان هذا اي ابليس عدو لك
ولزوجك اي حواء وسبب العداوة ما راى من اثار نعمة الله على ادم فحسده فصار عدوا له فلا يخرجنكما
فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى اسند الخروج اليه وان كان الله تعالى هو المخرج لما كان بوسوسته وفعل ادم ما
يترتب عليه الخروج ومعنى ذلك ومعنى تشقى تتعب وتنصب ويكون عيشك من كد يمينك بعرق جبينك وهو
الحرث والزرع والحصد والطحن والخبز قيل اهبط الى ادم ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه
فكان ذلك شقاه فان قلت لم اسند الشقا ٢ كان سعادته في سعادتهما لانه القيم عليهما الثاني
اريد بالشقا التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المراة لان الرجل هو الساعي على زوجته ان لك
ان لا تجوع فيها اي في الجنة ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها اي لا تعطش ولا تضحى اي لا تبرز للشمس فيؤذيك
حرها لانه ليس في الجنة شمس واهلها في ظل ممدود والمعنى ان الشبع والري والكسوة والكن هو الامور
التي يدور عليها كفاف الانسان فذكر الله تعالى لحصول هذه الاشياء في الجنة وانه مكفي لا يحتاج
الى كفاية ولا الى كسب كما يحتاج اليه اهل الدنيا فوسوس اليه الشيطان اي انهى اليه الوسوسة

واسر اليه الدنيا ثم بين تلك الوسوسة ما هي فقال يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد اي على الشجرة
التي اكلت منها بقيت مخلدا وملك لا يبلى اي لا يبيد ولا يفنى رغبه في دوام الراحة فكان الشي الذي
رغب الله تعالى فيه ادم رغبه ابليس فيه الا ان الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة
وابليس وقفه على الاقدام عليها وادم مع كمال علمه بان الله تعالى هو خالقه وربه ومولاه وناصره
وابليس هو عدوه اعرض عن قول الله تعالى ولم يرد المخالفة ومن تامل هذا الشرع فانه لا دافع لقضا
الله تعالى ولا مانع منه وقوله تعالى فاكلا منها يعني اكل ادم وحوى من الشجرة فبدت لهما سوءاتهما
اي عريا من النور الذي كان عليهما حتى بدت فروجهما وظهرت عوراتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق
الجنة اي يلزقان بسواتهما من ورق الجنة التين وعصى ادم ربه اي باكل الشجرة فغوى اي فعل ما لم
يكن له فعله وقيل اخطا طريق الحق وضل حيث طلب الخلد باكل ما نهي عنه فخاب ولم ينل مراده وصار
من العز الى الذل ومن الراحة الى التعب قال ابن قتيبة يجوز ان يقال عصى ادم ولا يجوز ان يقال ادم
عاص لانه يقال لمن عاد الى المعصية كالرجل يخيط ثوبه ولا يقال هو خياط حتى يعاود ذلك مرارا
ولعباده ق عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج ادم
وموسى فقال موسى يا ادم انت ابونا اخرجتنا من الجنة فقال له ادم انت يا موسى اصطفاك الله
بكلامه وخط لك التوراة بيده اتلومني على امر قدره الله تعالى علي قبل ان يخلقني باربعين
عاما فحج ادم موسى وفي رواية لمسلم قال ادم بكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان اخلق
قال باربعين سنة قال فهل وجدت فيها وعصى ادم ربه فغوى قال له نعم قال افتلومني
على ان عملت عملا كتبه الله تعالى علي ان اعمله قبل ان يخلقني باربعين سنة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحج موسى الكلام على معنى الحديث وشرحه قوله احتج موسى وادم وهي
المحاجة المجادلة والمخاصمة يقال حاججت فلانا فحججته اي جادلته فغلبته قال ابو سليمان الخطابي
قد يحسب كثير من الناس ان معنى القضا والقدر من الله تعالى على معنى الاجبار والقهر للعبد
على ما قضاه وقدره ويتوهم ان قوله فحج ادم موسى من هذا الوجه وليس كذلك وانما معناه
الاخبار عن تقدم علم الله بما يكون من افعال العباد واكسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلق
لها خيرها وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر والقضا في هذا معناه الخلق
واذا كان الامر كذلك وقد بقي عليهم وزر ما علم الله فيهم فعالهم واكتسابهم ومباشرتهم الامور
وملابستهم اياها عن قصد وتعمد وتقدم وتقديم وتاخير اراده واختيار فالحجة انما تلزمهم
اياها واللائمة تلحقهم عليها وجماع القول في هذا انهما امران لا ينفك احدهما عن الآخر لان
احدهما بمنزلة الاساس والآخر بمنزلة البنا فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البنا ونقضه
وانما كان تناول الشجرة سببا لنزوله الى الارض التي خلق الله لها وانما ادلى ادم بالحجة على هذا
المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال اتلومني على امر قدره الله تعالى علي من قبل ان يخلقني

فصل في بيان عصمة الانبيا عليهم السلام وما قيل في ذلك قال الامام فخر الدين الرازي
اختلف الناس في عصمة الانبيا وضبط القول فيه يرجع الى اقسام اربعة احدها ما يقع في باب
الاعتقاد اعتقاد الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عليهم الثاني هو ما يتعلق بالتبليغ فقد
اجمعت الامة على كونهم معصومين عن الكذب والتحريف والا لارتفع الوثوق بالادا واتفقوا
على ان ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهوا ومن الناس من جوز ذلك سهوا قالوا لان الاحتراز
عنه غير ممكن الثالث ما يتعلق بالفتيا لانه لا يجوز خطاؤهم فيه على سبيل العمد واجازه بعضهم
على سبيل السهو الرابع ما يقع في افعالهم فقد اختلف الائمة فيه على خمسة اقوال احدها
قول من جوز عليهم الكبائر الثاني قول من منع الكبائر وجوز الصغائر على جهة العمد وهو قول

اكثر

اكثر المعتزلة الثالث لا يجوز ان ياتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على جهة التاويل وهو قول
الجبائي الرابع ان لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطا الخامس انه لا يقع منهم لا صغيرة ولا كبيرة
لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التاويل وهو قول الشيعة واختلف الناس في وقت
العصمة على ثلاثة اقوال احدها قول من ذهب الى انهم معصومون من حين وقت الولادة وهو
قول الشيعة الثاني قول من ذهب الى عصمتهم من وقت بلوغهم وهم اكثر المعتزلة الثالث قول من ذهب
الى انه لا يجوز منهم بعد النبوة وهو قول اكثر اصحابنا والى الهذيل وابي علي من المعتزلة قال الامام
والمختار عندنا انه لم يصدر عنهم ذنب لا صغيرة ولا كبيرة من حين جاءتهم النبوة ويدل على وجوه
احدها لو صدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من احاد الامة وذلك غير جائز انهما لان درجة الانبيا
في غاية الرفعة والشرف الثاني لو صدر عنه وجب ان لا يكون مقبول الشهادة فكان قادحا لا محمود
الامة وذلك غير جائز ايضا لان معنى النبوة والرسالة هو ان يشهد على الله انه شرع هذا
الحكم وايضا فانه يات يوم القيامة شاهدا على الكل الثالث لو صدر من النبي صلى الله عليه وسلم
وجب الاقتدا به وذلك محال الرابع يثبت ببديهة العقل انه لا شي اقبح من رفع الله درجته
وايتمنه على وحيه وجعله خليفة في عباده وبلاده يسمع ربه يناديه لا تفعل كذا فيقدم
عليه ويفعله ترجيحا لغرضه واجمعت الامة على ان الانبيا كانوا يامرون الناس بطاعة الله
فلو لم يطيعوه لدخلوا تحت قوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا
تعقلون وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح الخامس قال الله
تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ولفظه للعموم فيتناول الكل ويدل على فعل ما ينبغي
فعله وترك ما ينبغي تركه فثبت ان الانبيا كانوا فاعلين لكل خير وتاركين لكل منهي عنه
وذلك ينافي صدور الذنب عنهم السادس قال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا
ومن الناس وقال تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابراهيم وال عمران على العالمين وقال
في حق موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وقال في حق تعالى واذكر عبادنا
ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار
وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وغير ذلك من الآيات التي تدل على كونهم موصوفين
بالاصطفا والخيرة وذلك ينافي صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه قال واما
المخالفون فقد تمسكوا بآيات منها قصة ادم هذه والجواب عنها ان نقول ان كلامهم
انما يتم ان لو بينوا بالدلالة انه حال النبوة وذلك ممنوع ولم يجوز ان يقال ان ادم
لما صدرت عنه هذه الزلة ما كان نبيا وانه هذه الزلة فقد كانت قبل النبوة وان الله
قبل توبته وشرفه بالنبوة والرسالة وقال القاضي عياض واما قصة ادم وقوله وعصى
ادم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطا وقد اخبر الله تعالى بعذره في قوله ولقد عهدنا
الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما اي نسي عداوة ابليس له وما عهد الله اليه وقيل لم يقصد
المخالفة استحلالا لها ولكنه اغتر بحلف ابليس له اني لكما لمن الناصحين وتوهم ان لا يحلف
احد بالله كاذبا وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة
وقيل كان في اكل الشجرة متاولا وهو لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه تاول نهي الله عن شجرة
مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل
تاول ان الله تعالى لم ينهه عنها نهي تحريم فان قلت اذا نفيت عنهم الذنوب والمعاصي فما
معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى وما تكرر في القران والحديث من اعتراف الانبيا
بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم واشفاقهم وبكائهم على ما سلف منهم وقبل نبوته يستغفرون الله

لا سمي عليه قلت ان درجة الانبيا في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسننه في عباده وعظم سلطان
وقوة بطشه بما يحملهم على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة ما لا يواخذ به غيرهم والهم
في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها واتوا بها على وجه التاويل او السهو ويريدوا امر امور
الدنيا المباحة فاخذوا عليها وعوقبوا بسببها وحذروا امن المواخذة بها فهم خايفون وجلون
وهي ذنوب بكذنوب غيرهم ومعاصيهم كان هذا ادنى افعالهم واسو ما يجري من اهواهم كما قيل
حسنات الابرار سيات المقربين اي يرونها بالاضافة الى علو احوالهم كالسيات وسنذكر في كل موضع
ما يليق به وما قيل فيه ان شا الله تعالى قوله تعالى ثم اجتباه ربه اي اختاره واجتباه
واصطفاه فتاب عليه اي عاد عليه بالعفو والمغفرة وهدى اي هداه ارشده حتى رجع الى الندم والاستغفار
قال اهبطا منها جميعا قيل الخطاب لادم ومعه ذريته ولابليس ومعه ذريته فصح قوله اهبطا
لاسمها لكل واحد من الجنسين خوطبا على الكثرة وقيل الخطاب لادم وحوى لانهما اصل البشر
خوطبا بعد الجمع بعضكم لبعض عدو وقيل تقويته هذا الظاهر حقه ان يكونا بليس والتابعين
اعدا للناس ويحتمل ان يكون بعض الفريقين لبعض عدو فاما ياتينكم مني هدى اي كتاب ورسول
فمن اتبع هداي اي الكتاب والرسول فلا يضل ولا يشقى قال ابن عباس من قرا القران واتبع
ما فيه هداه الله تعالى من الضلالة ووقاه الله يوم القيامة سو الحساب وذلك بان الله تعالى
يقول فمن اتبع هداي فلا يضل في الدنيا ولا يشقى اي في الاخرة ومن اعرض عن ذكري يعني
القران ولم يومن به ولم يتبعه فان له معيشة ضنكا روى ابن مسعود وابي هريرة وابي سعيد
الخدري انهم قالوا هو عذاب القبر قال ابو سعيد وهو يضغط في القبر حتى تختلف اضلاعه
وفي بعض الاسانيد مرفوعا يلتيم عليه القبر حتى تختلف اضلاعه فلا يزال يعذب وقيل هو
الزقوم والضريع والغسلين في النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس
رضي الله عنهما الشقا وعنه ايضا قال كلما اعطي العبد قل ام كثر فلم يتق فيه فهو الضنك
في المعيشة وان قوما اعرضوا عن الحق وكانوا اولي سعة في الدنيا مكثرين فكانت معيشتهم
ضنكا وذلك انهم يرون ان الله تعالى ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معايشهم من
سو ظنهم بالله تعالى وقيل يسلب القناعة حتى لا يشبع قوله ونحشره يوم القيامة اعمى
قال ابن عباس اعمى البصر وقيل اعمى عن الحجة قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا اي بصير
العينين وبصيرا بالحجة قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها اي فتركتها واعرضت عنها وكذلك
اليوم تنسى اي تترك في النار وقيل نسوا من الرحمة ولم ييسوا من العذاب وكذلك نجزي من اسرف
اي كما جزينا من اعرض عن القران كذلك نجزي من اسرف اي اشرك ولم يومن بايات ربه ولعذاب
الاخرة اشد وابقى اي مما يعذبهم به في الدنيا والقبر وابقى اي ادوم قوله تعالى افلم يهد لهم
افلم يبين لهم القران لكفار مكة كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم يعني
في ديارهم ومنازلهم اذا سافروا وذلك ان قريشا كانوا يسافرون الى الشام فيرون
ديار المهلكين من اصحاب الحجر وهم ثمود وقريات قوم لوط ان في ذلك لايات لاولي النهى
لذوي العقول ولولا كلمة سبقت من ربك اي ولولا حكم سبق بتاخير العذاب عنهم لكان
لزاما واجل مسمى لتقديره ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى وهو يوم القيامة لكان
العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة فاصبر على ما يقولون نسختها
اية السيف وسبح بحمد ربك اي فصل بامر ربك قبل طلوع الشمس يعني صلاة الفجر
وقبل غروبها اي صلاة العصر ومن اناء الليل اي ساعاته واطراف النهار يعني صلاة الظهر
سمى وقت الظهر اطراف النهار لان وقته عند الزوال وهو طرف النصف الاول وانتها طرف النصف

الاخر

الاخير وابدا لعلك ترضى اي ترضى ثوابه في المعاد ومعناه لعلك ترضى بالشفاعة وقرى ترضى بضم التا
اي تعطى ثوابه وقيل برضاك ربك وعن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
فنظر الى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رويته فان
فان استطعتم ان لا تغلبوا عن الصلاة قبل الفجر وقبل غروبها فافعلوا وقرى فسبح بحمد ربك قبل
طلوع الشمس وقبل غروبها القوله تضامون بتخفيف الميم من الضيم المظلم والمعنى انكم ترونه جميعا لا يظلم
بعضكم بعضا في رويته والكاف في قوله كما ترون القمر كاف التشبيه للروية لا للمرى فهو فعل الرائي
ومعناه ترون ربكم روية يزاح معها الشك كرويتكم هذا القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه ولا تشكون
قوله عز وجل ولا تمدن عينيك قال ابو رافع نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبعثني الى يهودي
فقال قل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعني كذا وكذا من الدقيق واسلفني الى هلال رجب فقلت له
ذلك فقال والله لا ابيعه ولا اسلفه الا برهن فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته
فقال والله لين باعني واسلفني لقضيته واني لامين في السما امين في الارض اذهب بدرعي الحديد
اليه فنزلت هذه الاية ولا تمدن عينيك اي تنظر نظر الانكار نزده استحسانا للمنظور اليه واعجابا
به وتمنيا له الى ما متعنا به اي اعطينا ازواجا اي اصنافا منهم زهرة الحياة الدنيا اي زينتها وبهجتها
لنفتنهم فيه اي لنجعل ذلك فتنة لهم بان ازيدهم النعمة فيزدادوا كفرا وطغيانا ورزق ربك اي
في المعاد في الجنة خير وابقى اي احسن وادوم قال ابي بن كعب من لم يتعز بعزا الله تقطعت نفسه حسرات
ومن يتبع بصره ما في ايدي الناس زاد حزنه ومن ظن ان نعمة الله تعالى في مطعمه ومشربه وملبسه
فقد قل علمه وحضر عذابه قوله تعالى وامر اهلك اي قومك وقيل من كان في دينك بالصلاة اي
بالمحافظة واصطبر عليها اي اصبر على الصلاة فانها تنهى عن الفحشا والمنكر وقيل اصبر عليها فعلا
فان الوعظ بلسان الفعل ابلغ منه بلسان القول لا نسالك رزقا اي لا نكلفك ان ترزق احدا من
من خلقنا ولا ان ترزق نفسك بل نكلفك عملا نحن نرزقك بل نحن نرزقك ونرزق اهلك والعاقبة
للتقوى اي الجميلة المحمودة لاهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك واتقوني وفي بعض
الاسانيد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اصاب اهله امر امرهم بالصلاة وتلا هذه الاية قوله تعالى
وقالوا يعني المشركين لولا ياتينا باية من ربه اي بالاية المقترحة فانه كان قد اتاهم بايات كثيرة اولم
تاتهم بينة ما في الصحف الاولى اي بيان ما فيها وهو القران لانه اقوى الادلة واوضح اية وقيل معناه
ما في الصحف التوراة والانجيل وغيرهما من اخبار الامم انهم اقترحوا الايات فلما اتتهم لم يومنوا بها
فجعلنا لهم العذاب والهلاك فيما يومنهم ان نا تيهم الاية ان يكون حالهم كحال اولئك وقيل بينة ما في
الصحف الاولى هي البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وبعثته ولو انا اهلكناهم بعذاب من
قبله اي ارسال الرسل وانزال القران لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا اي لقالوا يوم القيامة
لولا ارسلت الينا رسولا يدعونا فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى بالعذاب في الهوان والافتضاح
قل كل متربص اي منتظروا ابر الزمان وذلك ان المشركين قالوا نتربص بمحمد حوادث الدهر فاذا مات
تخلصنا قال الله تعالى فتربصوا اي فانتظروا فستعلمون اي اذا جا امر الله وقامت القيامة من اصحاب
الصراط السوي اي المستقيم ومن اهتدى اي من الضلالة نحن ام انتم والله تعالى اعلم بمراده ولم ترك به

تفسير سورة الانبيا عليهم السلام

مكية وعددها مائة واثنا عشر اية والف ومائة وستون كلمة واربعة الاف وثمانية وتسعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اقترب للناس حسابهم اي وقت محاسبة الله اياهم على اعمالهم
يوم القيامة نزلت في منكري البعث وانما ذكر الله هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين
فيكونوا اقرب الى التاهب له والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقيل هم المشركون

وهذا من باب اطلاق اسم الجنس على بعضه وهم في غفلة معرضون اي عن التأهب له وقيل معناه انهم غافلون
عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء المحسن والمسيء
اذا انتبهوا من سنة الغفلة مما يتلى عليهم من الآيات والنذر اعرضوا عنه ما يأتيهم من ذكر من ربهم
محدث يعني ما يحدث الله تعالى من تنزيل شيء من القرآن يذكرهم ويعظهم به وقيل معناه ان الله تعالى
يحدث الامر بعد الامر فينزل الآية والسورة بعد السورة في وقت الحاجة لبيان الاحكام وغيره من الامور
والوقائع وقيل الذكر المحدث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والوعظ سوى ما في
القرآن واضافه اليه لان الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى الا استمعوه وهم
يلعبون اي لاعبين لا يعتبرون ولا يتعظون لاهية قلوبهم اي ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله
واسروا النجوى الذين ظلموا اي بالغوا في اخفاء التناجي هم الذين اشركوا ثم بين الله سرهم
الذي تناجوا به فقال تعالى هل هذا الا بشر مثلكم يعني انهم انكروا الرسالة البشرية وطلبوا
ارسال الملائكة والاولى ارسال البشر لان الانسان الى القبول ممن اشكاله اقرب افتأتون السحر
اي تحضرون السحر وتقبلونه وانتم تبصرون اي تعلمون انه سحر قل لهم يا محمد ربي يعلم القول في
السماء والارض اي لا يخفى عليه شيء وهو السميع لاقوالهم العليم بافعالهم قوله عز وجل بل قالوا
اضغاث احلام يعني باطلها واهاويلها رأوها في النوم بل افتراه اي اختلقه بل هو شاعر وذلك ان
المشركين اقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم وفيما يقوله فقال بعضهم اضغاث احلام وقال
بعضهم بل هو فرية وقال بعضهم هو شاعر وما جاءكم به شعر فليأتنا يعني النبي صلى الله عليه وسلم
بآية ان كان صادقا كما ارسل الاولون اي من النبي صلى الله عليه والرسل بالآيات قال الله
تعالى مجيبا لهم ما آمنت قبلهم اي قبل مشركي مكة من قرية اي من اهل قرية اهلكناها بالتكذيب
افهم يؤمنون اي ان جاءتهم والمعنى اولئك لم يؤمنوا بالآيات لما جاءتهم افيؤمن هؤلاء قوله
تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم هذا جواب لقولهم هل هذا الا بشر مثلكم والمعنى
لم نرسل الملائكة الى الاولين انما ارسلنا رجالا نوحي اليهم مثلك فاسألوا اهل الذكر يعني
اهل التوراة والانجيل يريد علماء اهل الكتاب فانهم لا ينكرون ان الرسل كانوا بشرا وان انكروا
وان انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم امر المشركين بمسئلة اهل الكتاب لان المشركين اقرب الى
تصديقهم من تصديق من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل اراد بالذكر القرآن اي فاسألوا
المؤمنين العالمين من اهل القرآن ان كنتم لا تعلمون قوله عز وجل وما جعلناهم جسدا لا يأكلون
الطعام جواب لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم
بشرا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين في الدنيا بل يموتون كغيرهم ثم صدقناهم الوعد
فانجيناهم اي المؤمنين الذين صدقوهم ومن نشاء واهلكنا المسرفين اي المشركين لان المشرك
مسرف على نفسه قوله عز وجل ولقد انزلنا اليكم يا معشر قريش كتابا فيه ذكركم اي
شرفكم وفخركم وهو شرف لمن آمن به وقيل فيه معناه اي فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ما تحتاجون
اليه من امر دينكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا ولتكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد افلا
تعقلون فيه بعث على التدبر لان الخوف من لوازم العقل قوله تعالى وكم قصمنا اي اهلكنا
من قرية كانت ظالمة اي احدثناها بعد هلاك اهلها وانشأنا بعدها قوما آخرين فلما
فلما احسوا بأسنا اي عذابنا بحاسة البصر اذا هم منها يركضون اي يسرعون هاربين من
قريتهم لما رأوا مقدمة العذاب لا تركضوا اي قيل لهم لا تهربوا وارجعوا الى ما اترفتم
فيه اي نعمتم فيه من العيش ومساكنكم لعلكم تسئلون قال ابن عباس رضي الله عنهما
عن قتل نبيكم قيل نزلت هذه الآية في اهل حضور وقرية من اليمن كان اهلها عرب فبعث

الله اليهم نبيا يدعوهم اليه فكذبوه وقتلوه فسلط الله تعالى عليهم بخت نصر فقتلهم وسباهم
فلما استمر فيهم القتل هربوا فقالت لهم الملائكة استهزاء لا تركضوا اي لا تهربوا وارجعوا
الى مساكنكم واموالكم لعلكم تسئلون شيئا من دنياكم فتعطون من شئتم وتمنعون فانكم اهل ثروة
ونعمة فاتبعهم بخت نصر واخذتهم السيوف ونادى مناد من السماء يا ثارات الانبياء فلما رأوا
ذلك اقروا بالذنوب حين لم ينفعهم قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين اي لانفسنا حين كذبنا
الرسل وذلك انهم اعترفوا بالذنوب حين عاينوا العذاب وقالوه على سبيل الندامة ولم ينفعهم
الندم فما زالت تلك دعواهم يعني الكلمة وهي يا ويلنا حتى جعلناهم حصيدا خامدين اي
بالسيوف كما يحصد الزرع خامدين ميتين قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
لاعبين معناه ما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب للعب
واللهو وانما سويناهما للفائدة منها التفكر في خلقهما وما فيهما من العجائب والمنافع التي لا تحصى
ولا تعد لو اردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا اي من عندنا من الحور العين لا من عندكم
من اهل الارض وقيل معناه لو كان ذلك جائزا في صفتنا لم نتخذه بحيث يظهر لكم ونستر ذلك حتى
لا تطلعوا عليه وذلك ان النصارى لما قالوا في المسيح وامه ما قالوا رد الله تعالى عليهم بقوله
لاتخذناه من لدنا لانكم تعلمون ان ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره ان كنا فاعلين
اي ما كنا فاعلين وقيل وما كنا ممن يفعل ذلك لانه لم يليق بالربوبية بل اي دع ذلك الذي
قالوه فانه كذب وباطل نقذف اي نرمي ونسلط بالحق اي بالايمان على الباطل اي الكفر وقيل الحق قول
الله انه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا فيدمغه اي فيهلكه فاذا هو زاهق اي ذاهب
والمعنى انا نبطل كذبهم بما نبين من الحق حتى يذهب ويضمحل ثم اوعدهم على كذبهم فقال تعالى ولكم
الويل يا معشر الكفار مما تصفون الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد وله من في السموات
اي عبيدا وملكا فهو الخالق لهم والمنعم عليهم فاوصاف النعم ومن عنده يعني الملائكة وانما خص
الملائكة وان كانوا داخلين في جملة من في السموات لكرامتهم ومزيد الاعتناء بهم لا يستكبرون
عن عبادته اي لا يأنفون ولا يتعظمون عنها ولا يستحسرون اي لا يعيون وقيل لا ينقطعون عن
العبادة ثم وصفهم الله تعالى بقوله يسبحون الليل والنهار لا يفترون اي لا يضعفون
ولا يسأمون وذلك ان تسبيحهم متصل دائم لا يفترون في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ
او شغل آخر قال كعب الاحبار التسبيح لهم بالنفس لبني آدم ام اتخذوا آلهة من الارض يعني
الاصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهو من الارض هم ينشرون اي يحيون
الاموات لا يستحق الالهية الا من يقدر على الاحياء والايجاد من العدم والانعام بابلغ
وجوه النعم وهو الله عز وجل لو كان فيهما اي في السموات والارض آلهة الا الله لفسدتا
اي غير الله تعالى لفسدتا اي لخربتا وهلك من فيهما بوجود التمانع من الآلهة لان كل امر صدر
عن اثنين فاكثر لم يجر على النظام وقال الامام فخر الدين الرازي قال المتكلمون بوجود
الالهين فلا بد ان يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد
منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه فاما ان يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع
بين الضدين او لا يقع واحد منهما وهو محال لان المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد
الآخر فلا يمتنع مراد هذا الا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعا معا لوجدا
معا وذلك محال او يقع مراد احدهما دون الثاني وذلك ايضا محال لوجهين احدهما انه
لما كان كل واحد منهما دون الثاني قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون احدهما اقدر
من الآخر بل لا بد وان يستويا في القدرة والا لزم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما

انه اذا وقع مراد احدهما دون الاخر الذي وقع مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص وعلى انه محال ولو فرضنا الالهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع نقض فعل الاخر وهو على انه محال ولو فرضنا المقدورات فبعضها الى وقوع قادرين مقتدرين مستقلين من وجه واحد منهما لانه استناد الفعل الى الفاعل انما كان لامكانه قادرا على واحد منهما مستقلا بالايجاد وبالفعل لكونه مع هذا اوجب الوقوع فيستحيل اسناده الى هذا لكنه حاصل منهما جميعا فيلزم من ده استغناؤه بينهما واحتياجه اليهما وذلك محال فهذه حجة تامة في مسئلة التوحيد فيقول القول بوجود الهين يفضي الى امتناع وقوع المقدور باحد منهما واذا كان كذلك وجب ان لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعا ونقول لو قدرنا الهين فاما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا على الشي الواحد فذلك المقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وان اختلفا فاما ان يقع المرادان او لا يقع واحد منهما او يقع احدهما دون الكل والكل محال فثبت ان الفساد لازم على كلا التقديرات واعلم انك اذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت ان جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى واما الدلايل السمعية على الوحدانية فكثيرة في القران واعلم ان كل من طعن في دلالة الصانع فسر الاية فان المراد لو كان في السما والارض الهة يقول بالهيتها عبدة الاصنام لزم فساد العالم لانها جمادات لا تقدر على تدبير العالم فلزم افساد العالم قالوا وهذا اولى لانه تعالى يحكي عنهم ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب ان يختص الدليل به واما قوله عز وجل فسبحان الله رب العرش عما يصفون ففيه تنزيه لله سبحانه وتعالى عما يصفونه به المشركون من الشرك والولد لا يسئل عما يفعل اي لا يسئل الله عما يفعله او يقضيه في خلقه تعالى وهم يسئلون اي والناس يسئلون عن افعالهم والمعنى انه لا يسئل عما يحكم في عباده من اعزاز واذلال وهدى واضلال واسعاد واشقا لانه الرب مالك الاعيان والخلق يسئلون سوال توبيخ يقال لهم يوم القيامة فعلتم كذا لانهم عبيد يجب عليهم امتثال امر مولاهم والله تعالى ليس فوقه احد يقول له لشي فعله قوله عز وجل ام اتخذوا من دونه الهة لما ابطل الله تعالى ان يكون اله سواه بقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا انكر عليهم باتخاذهم الالهة فقال ام اتخذوا الهة من الارض هم دونه الهة وهو استفهام انكار وتوبيخ قل هاتوا برهانكم اي حجتكم على ذلك ثم قال تعالى مشيرا الى القران هذا يعني القران ذكر من معي فان فيه خبر من معي على ديني ومن يتبعني الى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية وذكر اي خبر من قبلي اي من الامم السالفة وما فعل بهم في الدنيا وما فعل بهم في الاخرة قال ابن عباس ذكر من معي وذكر من قبلي التوراة والانجيل ومعنى الاية راجعوا القران والتوراة والانجيل وساير الكتب هل تجدون فيها ان الله تعالى اتخذ ولدا او كان معه الهة بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون قوله عز وجل وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون فوحدوني وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم بمواضع الحق تعالى فقال بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون اي عن التامل والتفكر وما يجب عليهم من الايمان بانه لا اله الا هو وقوله عز وجل وقالوا اتخذ الرحمن ولدا نزلت في خزاعة المشركين حيث قالوا الملايكة بنات الله سبحانه نزه نفسه عما قالوا بل عباد مكرمون اي اكرمهم الله تعالى واصطفاهم لا يسبقونه بالقول اي لا يتكلمون الا بما يامرهم به وهم بامره يعملون والمعنى انهم لا يخالفونه قولا ولا عملا يعلم ما بين ايديهم وما

خلفهم

خلفهم اي ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى قال ابن عباس رضي الله عنهما الا لمن قال لا اله الا الله وقيل لمن رضي الله تعالى عنه وهم من خشيته مشفقون خايفون وجلون لا يامنون مكره ومن يقل منهم اني اله من دونه قيل عنا به ابليس حيث دعا الى عبادة نفسه فان احدا من الملايكة لم يقل اني اله من دون الله فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين اي الواضعين الالهية والعبادة في غير موضعها قوله عز وجل اولم ير الذين كفروا اي يعلم الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا قال ابن عباس رضي الله عنهما كانتا شيا واحدا ملتزقتين ففتقناهما اي فصلنا بينهما بالهوى قال كعب الاحبار خلق الله السموات والارض بعضهما على بعض ثم خلق ريحا بوسطهما ففتحهما بها وقيل كانت السموات مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذا الارض وقيل كانت السموات رتقا لا تمطر والارض رتقا لا تنبت ففتق السما بالمطر والارض بالنبات وجعلنا من الما كل شي حي واحيينا بالما الذي ينزل من السما كل شي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لانه سبب لحياة كل شي وقال المفسرون يعني ان كل شي حي فهو مخلوق من الما وقيل يعني النطفة فان قلت قد خلق الله تعالى بعض ما هو مخلوق حي من غير الما كادم وعيسى والملايكة والجان قلت خرج هذا اللفظ مخرج الاغلب والاكثر يعني ان اكثر ما على وجه الارض مخلوق من الما او بقاؤه في الما افلا يومنون اي افلا يصدقون وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا ثوابت ان تميد بهم اي لئلا تميد بكم قيل ان الارض بسطت على الما فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة في الما فارساها الله تعالى واثبتها بالجبال وجعلنا فيها اي في الرواسي فجاجا اي طرقا ومسالك والفج الطريق الواسع بين الجبلين سبلا تفسير الفجاج لعلهم يهتدون الى مقاصدهم وجعلنا السما سقفا محفوظا اي من ان تسقط وتقع وقيل محفوظا من الشياطين بالشهب وهم يعني الكفار عن اياتها معرضون اي عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيفية حركاتها في افلاكها ومطالعها ومغاربها والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون اي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الما وانما قال يسبحون ولم يقل يسبح على ما يقال لما يعقل لانه ذكر عنها فعل العقلا وهو السباحة والجري والفلك مدار النجوم الذي يضمها وهو في كلام العرب كل شي مستدير وجمعه افلاك وقيل الفلك السما الذي فيه ذلك الكواكب فكل كوكب يجري في السما الذي قدر فيه الفلك استدارة السما وقيل قال اصحاب الهيئة الافلاك اجرام صلبة لا ثقيلة ولا خفيفة غير قابلة للخرق والالتيام والنمو والذبول والحق انه لا سبيل الى معرفة صفة السموات الا بالاخبار الصادق فسبحان الخالق المدبر خلقه بالحكمة والخلق والقدرة القاهرة غير المتناهية قوله عز وجل وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد يعني الدوام والبقا في الدنيا افان مت فهم الخالدون نزلت هذه الاية حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون فيشمتون بموته فنفى الله الشماتة عنه بهذا والمعنى ان الله تعالى قضى ان لا يخلد في الدنيا بشر لا انت ولا هم فان مت افيبقى هولا وفي المعنى قول القايل

فقل للشامتين بنا افيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

كل نفس ذايقة الموت هذا العموم مخصوص بقوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك فان الله حي لا يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق هاهنا عن مقدمات الموت والالام العظيمة قبل حلوله ونبلوكم اي نختبركم بالشر والخير اي بالشدة والرخا والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل بما تحبون وما تكرهون فتنة اي ابتلا لننظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون والينا ترجعون اي للحساب والجزا قوله تعالى واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اي سخريا قيل نزلت

في اي جمل مرّ به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال لهذا نبي بني عبد مناف اهذا الذي يذكر الهتكم
اي يقول بعضهم لبعض هذا الذي يعيب الهتكم والذي يطلق على المدح والذم مع القرينة وهم بذكر الرحمن
هم كافرون وذلك انهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة قوله تعالى
خلق الانسان من عجل قيل معناه ان بنيته وخلقته من العجلة وعليها طبع لما دخل الروح في راس ادم
وعينيه نظر الى ثمار الجنة فوثب قبل ان تبلغ الروح الى رجليه عجلا الى ثمار الجنة فلما دخل فوقع فقيل
خلق الانسان من عجل واورث بنيه العجلة وقيل معناه خلق الانسان من تعجيل في خلق الله تعالى اياه
لانه خلقه كان بعد كل شيء في اخر النهار في يوم الجمعة فاسرع في خلقه قبل مغيب الشمس فلما احيى
الروح راسه قال يا رب عجل خلقي استعجل قبل غروب الشمس وقيل خلق بسرعة وتعجيل على غير ترتيب
خلق بنيه لانهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة اطوارا بعد طور وقيل معنى خلق
الانسان من عجل اي من طين قال الشاعر

[illegible]

والنبع في الصخرة الصماء منبتة ... والنخل تنبت بين الماء والعجل

اي بين الماء والطين وقيل ارادبا لانسان النوع الانساني يدل عليه قوله تعالى ساوريكم اياتي
فلا تستعجلون وذلك ان المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت في النضر بن الحرث ومعنى
ساوريكم اياتي اي مواعيدي فلا تطلبوا العذاب قبل وقته فاراهم يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون
القيامة فلذلك قال تعالى ويقولون اي المشركون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وهذا هو
الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء فبين الله تعالى انهم يقولون لجهلهم وغفلتهم ثم
بين بالهولاء المستهزئين فقال لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون اي لا يدفعون عن وجوههم النار ولا
عن ظهورهم قيل السياط ولا هم ينصرون اي لا يمنعون من العذاب والمعنى لو يعلموا ما اقاموا
على كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد ان كنتم صادقين بل تاتيهم
اي الساعة بغتة اي فجاءة فتبهتهم اي تحيرهم فلا يستطيعون ردها اي صرفها ودفعها عنهم
ولا هم ينظرون اي لا يمهلون للتوبة والمعذرة ولقد استهزئ برسل من قبلك يا محمد كما استهزئ
بك قومك فحاق اي نزل واحاط بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن اي عقوبة استهزائهم
قوله تعالى قل من يكلؤكم اي يحفظكم بالليل اذا نمتم والنهار ومعناه اذا انصرفتم في معايشكم
من الرحمن قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه يمنعكم من عذاب الرحمن بل هم عن ذكر ربهم
معرضون اي عن القرآن ومواعظه لا يتاملون في شيء منها ام لهم الهة تمنعهم من دوننا معناه
ام لهم الهة من دوننا تمنعهم ثم وصف الهتهم بالضعف فقال لا يستطيعون نصر انفسهم اي لا
يقدرون على نصر انفسهم فكيف ينصرون من عبدهم ولا هم منا يصحبون قال ابن عباس يمنعون
وقيل يجاورون وقيل ينصرون وقيل معناه فلا يصحبون من الله بخير بل متعنا هولاء يعني
الكفار وآباءهم اي في الدنيا بان انعمنا عليهم وامهلناهم حتى طال عليهم العمر اي امتد بهم الزمان
فاغتروا افلا يرون يعني الكفار هولاء انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها يعني ما ننقص
من اطراف المشركين ونزيد في اطراف المؤمنين يريد بذلك ظهور النبي صلى الله عليه وسلم
وفتحه ديار المشركين ارضا فارضا وقرية فقرية والمعنى افلا يرون هولاء المشركين
بالله المستعجلون بالعذاب اثار قدرتنا في اتيان الارض من جوانبها باخذ الواحد بعد
الواحد وفتح البلاد والقرى مما حول مكة وندخلها في ملك محمد صلى الله عليه وسلم
ونميت رؤساء المشركين المتنعمين بالدنيا اما كان لهم عبرة في ذلك فيؤمنوا بمحمد صلى الله
عليه وسلم ويعلموا انهم لا يقدرون على الامتناع منا واردتنا فيهم افهم الغالبون
استفهام بمعنى التقريع معناه بل نحن الغالبون وهم المغلوبون قل يا محمد انما

ابنذركم

انذركم بالوحي يعني اخوفكم بالقرآن ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون اي يخوفون ولئن مستهم
اي اصابتهم نفحة من عذاب ربك قال ابن عباس طرف وقيل شيء قليل ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين
دعوا على انفسهم بالويل بعد ما اقروا بالظلم والشرك قوله عز وجل ونضع الموازين القسط اي
ذوات العدل وصفها بذلك لان الميزان قد يكون مستقيما وقد يكون بخلافه فبين ان تلك
الموازين تجري على حد العدل ومعنى وضعها احضارها ليوم القيامة اي لاهل يوم القيامة قيل اراد
بالميزان العدل والقسط بينهم في الاعمال فمن احاطت حسناته سيئاته نجا فاز ونجا وبالعكس ذلك خسر
والصحيح الذي عليه ائمة السلف ان الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها
اعمال العباد قال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وروي ان داود عليه السلام سال ربه
ان يريه الميزان فاراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فلما راه غشي عليه ثم افاق فقال الهي
من ذا الذي يقدر يملا كفته حسنات فقال يا داود اني اذا رضيت على عبدي ملاتها بتمرة فعلى
هذا في كيفية وزن الاعمال مع انها اعراض طريقان احدهما ان توزن صحائف الاعمال فتوضع
صحائف الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة فان قلت ما
معنى قوله ونضع الموازين مع قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قلت هذا في حق الكفار لانه
ليس لهم اعمال توزن مع الكفر قوله تعالى فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها
معناه انه لا ينقص من احسان المحسن ولا يزاد في اساءة مسيء واراد بالحبة الجزء اليسير من الخردل
ومعنى اتينا بها اي احضرناها للمجازاة بها عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله سيخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون
سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول له اتنكر من هذا شيئا فيقول لا يا رب فيقول الله له الك عذر
فيقول لا يا رب فيقول الله تعالى بلى لك عندنا حسنة فانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة
فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول ما
هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال فانك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة
في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء اخرجه الترمذي
السجل الكتاب الكبير واصله من السجل لانه يجمع الخطايا والبطاقة ورقة صغيرة وهو ما يجعل
في طي الثوب فيها ثمنه والطيش الخفة قلت في الحديث دليل على ان صحائف الاعمال توزن لان
الاعمال تتجسد جواهر فتوزن والله تعالى اعلم قوله تعالى وكفى بنا حاسبين قال ابن عباس معناه
كفى بنا عالمين حافظين لان من حسب شيئا فقد علمه والغرض منه التحذير فان المحاسب اذا كان في
العلم بحيث لا يمكن ان يشتبه فيه على شيء وفي القدرة لا يعجز عن شيء فحقيق بالعاقل ان يكون
باشد الخوف منه ويروى عن الشبلي انه روي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال

[illegible] ... حاسبونا فدققوا ... ثم منوا فاعتقوا
[illegible] ... وكذا كل مالك ... بالمماليك يرفق

قوله عز وجل ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل
وهو التوراة وقيل الفرقان النصر على الاعداء فعلى هذا يكون وضياء يعني التوراة ومن
قال الفرقان هو التوراة جعل الواو زائدة والمعنى اتينا موسى التوراة ضياء وذكرى
للمتقين يعني يتذكرون بمواعظه ويعملون بما فيه قوله تعالى الذين يخشون ربهم بالغيب
اي يخافونه ولا يرونه وقيل يخافونه في الخلوات اذا غابوا عن اعين الناس وهم من الساعة
مشفقون اي خائفون وهذا ذكر مبارك انزلناه اي كما اتينا موسى الفرقان انزلنا على اهل مكة
ذكرا لمن امن به يتبرك به ويطلب منه الخير افانتم له منكرون اي جاحدون قوله تعالى

ولقد آتينا إبراهيم رشده أي صلاحه وهداه من قبل أي من قبل موسى وهارون وقيل من قبل البلوغ
وهو حين خرج من السرب وهو صغير وكنا به عالمين أي أنه من أهل الهداية والنبوة إذ قال لأبيه
وقومه ما هذه التماثيل يعني صور الأصنام التي أنتم لها عاكفون أي مقيمون على عبادتها لقد
كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين يعني خاطئين بعبادتكم إياها قالوا أجئتنا بالحق أي بالجد أم أنت
من اللاعبين يعنون أجاد أنت أم لاعب فيما تقول قال بل ربكم رب السموات والأرض
الذي فطرهن أي خلقهن وأنا على ذلكم من الشاهدين أنه على أنه الإله الذي يستحق العبادة وقيل
على أنه خالق السموات والأرض وتالله لأكيدن أصنامكم أي لأمكرن بها لكم بعد أن تولوا
مدبرين أي منطلقين إلى عيدكم قيل إنما قال إبراهيم هذا القول سرا في نفسه ولم يسمع ذلك إلا
رجل واحد من قومه فأفشاه عليه وهو القائل إنا سمعنا فتى يذكرهم وقيل كان لهم في كل
سنة مجمع وعيد فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم يرجعوا إلى
منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك
ديننا فخرج إبراهيم معهم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه إلى الأرض وقال إني سقيم اشتكي رجلي
فتركوه ومضوا ثم نادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس وتالله لأكيدن أصنامكم فسمعوها
منه ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة وهي في بهو عظيم ومستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه
صنم صغير والأصنام بعضها إلى جنب بعض كل صنم الذي يليه أصغر منه كذلك إلى باب البهو وإذا
هم قد جعلوا بين أيديهم طعاما أي الآلهة وقالوا إذا رجعنا وقد بركت الآلهة عليه أكلنا
منه فلما نظر إبراهيم إليهم وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلوا
فلم يجيبوه فقال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرها بفأس في يده حتى لم
يبق إلا الصنم الأعظم علق الفأس في عنقه وقيل في يده ثم خرج فذلك قوله تعالى فجعلهم
جذاذا أي كسرا وقطعا إلا كبيرا لهم أي تركه ولم يكسره ووضع الفأس في عنقه وقيل
في يده وكانت اثنان وسبعون صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها
نحاس وبعضها من حديد ورصاص وحجارة وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا
بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان وقوله تعالى لعلهم إليه يرجعون قيل معناه يرجعون إلى إبراهيم
وإلى دينه وإلى ما يدعوهم إليه إذا علموا ضعف الآلهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون إلى
الصنم فيسألونه ما لهؤلاء مكسرين وأنت صحيح والفأس في عنقك فلما رجع القوم من عيدهم
إلى بيت الصنم رأوا أصنامهم مكسورة قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين أي في تكسيرها
واجترائه عليها قالوا سمعنا فتى يذكرهم أي يعيبهم ويسبهم يقال له إبراهيم أي هو الذي نظن
أنه صنع هذا فبلغ ذلك نمرود الجبار وأشراف قومه قالوا فأتوا به على أعين الناس أي
جيئوا به ظاهرا بمرأى من الناس قاله نمرود لعلهم يشهدون أي عليه بأنه فعل الذي ذكرهو أن
يأخذوه بغير بينة وقيل معناه لعلهم يحضرون عذابه وما يصنع به فلما أتوا به قالوا
أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم قال يعني إبراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضب من أن تعبدوا
معه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرهن وأراد إبراهيم بذلك إقامة الحجة عليهم فذلك
قوله تعالى فاسألوهم إن كانوا ينطقون أي حتى يخبروا من فعل ذلك بهم وقيل معناه إن قدروا
على النطق وفي ضمنه أن قدروا على النطق قدروا على الفعل فأراهم عجزهم عن النطق وفي
أنا فعلت ذلك عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب إبراهيم
إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله
لسارة هذه أختي لفظ الترمذي وقيل في قوله إني سقيم أي ما هو سقم وقيل سقيم

القلب

القلب مغتم بضلالتهم وقوله بل فعله كبيرهم هذا فإنه علق خبره بشرط نطقه كأنه
قال إن كان ينطق فهو فعل على طريق التبكيت لقومه وقوله لسارة هذه أختي أي في الدين
والإيمان قال الله تعالى إنما المؤمنون إخوة فكل هذه الألفاظ صدق في نفسها فإن قلت
قد سماها النبي صلى الله عليه وسلم كذبات بقوله لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات وقال في
حديث الشفاعة ويذكر كذباته قلت معناه أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وإن كان حقا
في الباطن إلا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها أشفق إبراهيم عليه الصلاة
والسلام منها ومؤاخذته بها قال البغوي وهذه التأويلات لنفي الكذب عن إبراهيم والأولى
هو الأولى الحديث فيه ويجوز أن الله تعالى أذن له في ذلك لقصد الصلاح وتوبيخهم والاحتجاج
عليهم كما أذن ليوسف حتى أمر مناديه فقال أيتها العير إنكم لسارقون ولم يكونوا سرقوا قال
الإمام فخر الدين الرازي وهذا القول مرغوب عنه والدليل القاطع أنه جاز أن يكذب لمصلحة وإذن
الله تعالى فيه فليجز هذا الاحتمال في كل ما أخبر الأنبياء عنه وذلك يبطل الوثوق بالشرائع
ويطرق التهمة إلى كلها وهذا الحديث يحمل على المعاريض فإن فيها مندوحة عن الكذب قوله تعالى
فرجعوا إلى أنفسهم أي تفكروا بقلوبهم ورجعوا إلى عقولهم فقالوا لما رأوه الإله قال إنكم أنتم
الظالمون يعني تفكروا بقلوبهم بعبادتكم من لا يتكلم وقيل معناه أنتم الظالمون لهذا الرجل في لومكم
إياه وهذه آلهتكم حاضرة فاسألوها ثم نكسوا على رؤوسهم قال أهل التفسير أجرى الله تعالى الحق
على ألسنتهم في القول الأول وهو إقرارهم على أنفسهم بالظلم ثم أدركتهم الشقاوة فرجعوا إلى
حالهم الأول وهو قوله ثم نكسوا على رؤوسهم أي ردوا إلى الكفر فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون
فكيف تسألهم فلما اتجهت الحجة لإبراهيم عليهم قال لهم أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا
أي إن عبدتموه ولا يضركم أي إن تركتم عبادته أف لكم أي تبا لكم ولما تعبدون من دون الله
والمعنى أنه حقرهم وحقر عبادتهم أفلا تعقلون أي ليس لكم عقل تعلمون به أن هذه الأصنام لا تستحق
العبادة فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم يعني أنكم لا تنتصرون منه
إلا بتحريق إبراهيم لأنه لا يعبدها ويطعن عليها إن كنتم فاعلين أي ناصرين آلهتكم قال ابن عمر
الذي قال هذا رجل من الأكراد اسمه هيزر خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة
وقيل قاله نمرود بن كنعان بن سنجاريب بن نمرود بن كوش بن حام بن نوح ذكر القصة في ذلك لما
اجتمع نمرود وقومه لإحراق إبراهيم حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالحظيرة بقرية يقال لها
كوثى ثم جمعوا له أصلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر حتى كانت المرأة تغزل فتشتري
الحطب بغزلها احتسابا في دينها وكان الرجل يوصي بشراء الحطب وإلقائه فيه فلما جمعوا
ما أرادوا أشعلوا في كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى إذا كان
الطير يمر بها فيحترق يعني من شدة وهجها وحرها فأوقدوا عليها سبعة أيام فلما أرادوا
أن يلقوا إبراهيم لم يعلموا كيف يلقوه فقيل إن إبليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فألقوه
مغلولا مقيدا فصاحت السماء والأرض ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صيحة
واحدة أي ربنا إبراهيم خليلك يلقى في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فأذن لنا في
نصرته فقال الله عز وجل إنه خليلي ليس لي خليل غيره وأنا إلهه ليس له إله غيري فإن
استغاث بواحد منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك وإن لم يدع غيري فأنا أعلم به
وأنا وليه فخلوا بيني وبينه فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن المياه وقال إن
أردت أخمدت النار وأتاه خازن الهواء وقال إن شئت طيرت النار في الهواء فقال
إبراهيم لا حاجة لي إليكم حسبي الله لا إله إلا هو ونعم الوكيل وروي عن أبي بن كعب أن إبراهيم

منورة

حتى اوثقوه ليلقوه في النار فقال لا اله الا انت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم
رموه في المنجنيق الى النار فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم الك حاجة قال اما اليك فلا
فقال جبريل فاسئل ربك فقال ابراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي خ عن ابن عباس رضي قوله وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين
قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا قال كعب الاحبار جعل
كل شي يطفي عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ في النار عن ام شريك ان النبي صلى الله عليه وسلم
امر بقتل الاوزاغ زاد البخاري قال كان ينفخ على ابراهيم قلنا اي قال الله عز وجل يا نار
كوني بردا وسلاما على ابراهيم قال ابن عباس لو لم يقل سلاما لمات ابراهيم من بردها وفي الاثار
انه لم يبق يومئذ نار في الارض الا طفئت فلم ينتفع في ذلك اليوم بنار في العالم ولو لم يقل على ابراهيم
بقيت ذات برد ابدا وقيل اخذت الملائكة بضبعي ابراهيم فاقعدوه على الارض فاذا عين
ماء عذب وورد احمر ونرجس قال كعب ما احرقت النار من ابراهيم الا وثاقه قالوا وكان
ابراهيم في ذلك الموضع سبعة ايام قال المنهال بن عمرو قال ابراهيم ما كنت اياما قط انعم
من الايام التي كنت في النار قيل وبعث الله ملك الظل في صورة ابراهيم فقعد الى جنب ابراهيم
يؤنسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فالبسه القميص واقعده
على الطنفسة وقعد معه يحدثه وقال جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر
احبابي ثم نظر نمرود واشرف على ابراهيم من صرح له فرآه جالسا في روضة والملك قاعد الى
جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فقال يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج كبير الهك الذي بلغت
قدرته ان حال بينك وبين ما ارى يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان
تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما وصل اليه قال له يا
ابراهيم من الرجل الذي رايته معك مثلك في صورتك قاعدا الى جنبك قال ذاك ملك الظل
ارسله الي ربي ليؤنسني فقال نمرود يا ابراهيم اني مقرب الى ربك قربانا لما رايت من قدرته
وعزته فيما صنع بك حتى ابيت الا عبادته وتوحيده واني اذبح له اربعة الاف بقرة قال
اذا لن يقبل الله منك شيئا ما دمت على دينك حتى تفارقه وترجع الى ديني فقال لا استطيع
ترك ملكي ولكن سوف اذبحها فذبحها نمرود وكف عن ابراهيم عليه السلام ومنعه الله
عز وجل عنه قوله عز وجل وارادوا به كيدا اي ارادوا ان يكيدوه فجعلناهم الاخسرين
قيل معناه انهم خسروا السعي والنفقة ولم يحصل لهم مرادهم وقيل ان الله تعالى ارسل على
نمرود وقومه البعوض فاكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغه بعوضة فاهلكته
قوله عز وجل ونجيناه ولوطا يعني من نمرود وقومه الى الارض التي باركنا فيها للعالمين
يعني الى ارض الشام بارك الله تعالى فيها وسماها المباركة لانه ما من ماء عذب الا وينبع اصله
من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وقيل ان اكثر الانبياء منها عن قتادة ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال لكعب الا تتحول الى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره
فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل يا امير المؤمنين ان الشام كنز الله من ارضه
وبها كنزه من عباده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ستكون هجرة بعد هجرة فخيار اهل الارض الزمهم مهاجر ابراهيم اخرجه
الترمذي وابو داود بالهجرة الثانية الهجرة الى الشام يرغب في المقام بها عن زيد
ابن ثابت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طوبى لاهل الشام فقلت وما ذاك يا رسول
قال لان الملائكة باسطة اجنحتها عليها اخرجه الترمذي عن بهز بن حكيم عن ابيه

عن

عن جده قال قلت يا رسول الله اين تامرني قال ههنا ونحا بيده نحو الشام اخرجه الترمذي قال
محمد بن اسحاق استجاب لابراهيم رجال من قومه حين راوا ما صنع الله تعالى به من جعل النار عليه
بردا وسلاما على خوف من نمرود لابراهيم وآمنت به سارة بنت هاران الاكبر وهو اخو
ابراهيم وكان لهما اخ ثالث اسمه ناحور فثلاثتهم اولاد تارخ وهو آزر فخرج ابراهيم من كوثى
من ارض العراق مهاجرا الى ربه ومعه لوط وسارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادة
ربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج ورجع الى الشام
فنزل السبع من ارض فلسطين ونزل لوط بالمؤتفكة وهي على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه
الله نبيا الى اهلها فذلك قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين
ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة اي عطية من عطا الله تعالى وقال ابن عباس النافلة
هو يعقوب لان الله تعالى اعطى ابراهيم اسحاق بدعائه حيث قال رب هب لي من الصالحين
وزاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد وكلا جعلنا صالحين يعني ابراهيم واسحاق ويعقوب
وجعلناهم ائمة اي يقتدى بهم في الخير يهدون بامرنا اي يدعون الناس الى ديننا بامرنا ه
واوحينا اليهم فعل الخيرات اي العمل بالشرائع واقام الصلاة يعني المحافظة عليها فيه ان
الصلاة افضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة افضل العبادات المالية
ومجموعها التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله تعالى وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين
اي موحدين قوله عز وجل ولوطا آتيناه حكما اي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل اراد
الحكمة والنبوة وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث يعني قرية سدوم واراد
اهلها واراد بالخبائث اتيان الذكور في ادبارهم وكانوا يتضارطون في مجالسهم مع اشيا
اخر وكانوا يعملون من المنكرات انهم كانوا قوم سوء فاسقين وادخلناه في رحمتنا
قيل اراد بالرحمة النبوة وقيل انه هو الثواب انه من الصالحين اي من الانبيا قوله
تعالى ونوحا اذ نادى من قبل اي من قبل ابراهيم ولوط فاستجبنا له اي اجبنا دعاه
فنجيناه واهله من الكرب العظيم قال ابن عباس من الغرق وتكذيب قومه وقيل
انه اطول الانبيا عمرا واشدهم بلا والكرب اشد الغم ونصرناه اي منعناه من القوم
الذين كذبوا باياتنا من ان يصلوا اليه بسوء وقيل من بمعنى على انهم كانوا قوم سوء فاغرقناهم
اجمعين قوله وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث قال ابن عباس واكثر المفسرين كان
الحرث كرما قد تدلت عليه عناقيده وقيل كان زرعا وهو اشبه بالعرف اذ
نفشت فيه غنم القوم اي رعته ليلا فافسدته وكانت بلا راع وكنا لحكمهم
شاهدين اي كان ذلك بعلمنا ومرأى منا لا يخفى علينا علمه وفيه دليل لمن يقول
بان اقل الجمع اثنان لقوله وكنا لحكمهم شاهدين والمراد به داود وسليمان قال ابن
عباس وغيره ان رجلين دخلا على داود احدهما صاحب حرث والآخر صاحب
غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعي ليلا فوقعت فيه فافسدته
ولم يبق منه شي فاعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فمرا على سليمان فقال
كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت امركما لقضيت بغير
هذا وروي انه قال غير هذا ارفق بالفريقين فاخبر بذلك داود فدعاه
وقال كيف تقضي ويروى انه قال له بحق النبوة والابوة الا ما اخبرتني
بالذي هو ارفق بالفريقين قال ادفع الغنم الى صاحب الحرث
مثل زرعه فاذا صار الحرث كهيئته يوم اكل دفع الى صاحبه واخذ الغنم

ناهم

صاحب الغنم غنمه فقضى داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك كان لسليمان يوم حكم بذلك من
العمر احد عشر سنة وحكم الاسلام في هذه المسئلة ان ما افسدت الماشية المرسلة من مال الغير
بالنهار فلا ضمان على ربها وما افسدت بالليل ضمنه ربها لان عرف الناس ان اصحاب الزرع يحفظونه
بالنهار والمواشي تسرح بالنهار وترد بالليل الى المراح ويدل على هذه المسئلة ما روى حرام بن سعيد
ابن محيصة ان ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطا لرجل من الانصار فافسدت فيه فقضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل المواشي حفظها بالليل زاد
في رواية وان على اهل الماشية ما اصابت ماشيتهم بالليل اخرجه ابو داود وذهب اصحاب الرأي
الى ان المالك اذا لم يكن مع الماشية لا ضمان عليه فيما اتلفت ليلا كان او نهارا **ففهمناها
سليمان** اي علمناه والهمناه حكم القضية **وكلا** يعني داود وسليمان **آتينا حكما وعلما** اي بوجوه
الاجتهاد وطرق الاحكام قال الحسن لولا هذه الاية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله
حمد هذا بصوابه واثنى على هذا باجتهاده واختلف العلماء في ان حكم داود كان باجتهاد ام
بنص وكذلك حكم سليمان فقال بعضهم حكما بالاجتهاد قال ويجوز الاجتهاد للانبياء ليدركوا
ثواب المجتهدين والعلماء لهم الاجتهاد في الحوادث اذا لم يجدوا فيها نص كتاب او سنة واذا
اخطأوا فلا اثم عليهم (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا حكم الحاكم فاجتهد فاصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد فاخطأ فله اجر
واحد وقال قوم ان داود وسليمان حكما بالوحي فكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود ومن قال
بهذا يقول لا يجوز للانبياء ان يحكموا بالاجتهاد لانهم مستغنون بالوحي واحتج من ذهب الى ان
كل مجتهد مصيب بظاهر هذه الاية وبالحديث حيث وعد الثواب للمجتهد مصيبا بل اذا
اجتهد اجتهاد المجتهدين في حادثة كان الحق مع كل واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيبا
لم يكن للتقسيم معنى وقوله عليه السلام اذا اجتهد فاخطأ فله اجر لم يرد به انه يؤجر على
الخطأ عنه موضوع اذ لم يأل بالجهد ووجه الاجتهاد في هذا الحكم ان داود قوم قدر
الضرر في الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عنده ان الواجب
في ذلك الضرر قيمة المتلف فلا جرم سلم الغنم الى المجني عليه واما سليمان فان اجتهاده ادى
الى انه يجب مقابلة الاصول بالاصول والزوائد بالزوائد فاما مقابلة الاصول بالزوائد فغير
جائز ولعل منافع الغنم في تلك السنة كانت موازنة لمنافع الحرث فحكم به ومن احكامهما
داود وسليمان عليهما السلام ما روي عن ابي هريرة انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن احداهما فقالت انما ذهب
بابنك وقالت الاخرى انما ذهب بابنك فتحاكما الى داود فقضى به للكبرى فخرجتا
على سليمان بن داود فاخبرتاه فقال ائتوني بالسكين اشقه بينكما فقالت الصغرى
لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى اخرجاه في الصحيحين قوله تعالى **وسخرنا
مع داود الجبال يسبحن والطير** اي يسبحن مع داود اذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر
والشجر وقيل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك يسمع تسبيح الجبال والطير لينشط في
التسبيح ويشتاق اليه **وكنا فاعلين** يعني ما ذكر من التفهيم وايتاء الحكم والتسخير **وعلمناه
صنعة لبوس لكم** اي صنعة الدروع التي تلبس في الحرب قيل اول من صنع الدروع وسردها
واتخذها حلقا داود وكانت من قبل صفائح قالوا ان الله الان له الحديد لما قد فكان يعمل
منه بغير نار كانه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله عز وجل **لتحصنكم** اي
من بأسكم اي حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليحصنكم الله **فهل انتم شاكرون**

بمعنى

اي يقول ذلك لداود واهل بيته قوله تعالى **ولسليمان الريح** اي وسخرنا لسليمان الريح وهو جسم
يتحرك لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه يظهر للحس بحركته ويخفى عن البصر بلطفه **عاصفة** اي شديدة
الهبوب فان قلت قد وصفها بالرخاء وهي الريح اللينة قلت كانت الريح تحت امره ان اراد ان تشتد اشتدت
وان اراد ان تلين لانت **تجري بامره الى الارض التي باركنا فيها** يعني الشام وذلك انها كانت تجري
بسليمان واصحابه الى حيث يشاء سليمان ثم يعود الى منزله بالشام **وكنا بكل شيء عالمين** اي بصحة
التدبير فيه وعلمنا ان ما يعطى لسليمان من تسخير الريح وغيره يدعوه الى الخضوع لربه قال وهب
كان سليمان عليه السلام اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الانس والجن حتى يجلس على
سريره وكان امرأ غزاء قل ما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الارض بملك الا اتاه
حتى يذله وكان فيما يزعمون اذا اراد الغزو امر بعسكره فضرب له بخشب ثم نصب له على الخشب
ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا حمل معه ما يريد امر العاصف من الريح فدخلت تحت
ذلك الخشب فاحتملته حتى اذا استقلت امر الرخاء فمر به شهرا في روحته وشهرا في غدوته الى حيث
اراد وكان يمر بعسكره الريح الرخاء وبالمزرعة فما تحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذي طائرا قال وهب
ان منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض اصحاب سليمان ومن الانس نحن نزلناه وما بنيناه
ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه ان شاء الله تعالى فبائتون بالشام
وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسخا في فرسخ من ذهب في ابريسم وكان يوضع له منبر من ذهب
في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وفضة يقعد الانبياء على كراسي
الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين تظله الطير
باجنحتها حتى لا يقع عليه شمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح
وقال الحسن لما شغلت نبي الله سليمان الخيل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخيل
فابدله الله مكانها خيرا منها واسرع الريح تجري بامره كيف شاء فكان يغدو من ايليا فيقيل
باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها ببابل وروي ان سليمان سار من ارض العراق فقال بمدينة
بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم الى ارض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل
ذلك ثم عطف يمنة عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى اتى ارض القندهار وخرج منها الى
مكران وكرمان ثم جاوزها حتى اتى ارض فارس فنزلها وغدا منها فقال بكسكر ثم
راح الى الشام فكان مستقره بمدينة تدمر وكان امر الشياطين قبل شخوصه الى العراق
فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الاصفر والابيض وفي ذلك يقول النابغة حيث يقول

الا سليمان اذ يقول المليك له • قم بالبرية فاحددها عن الفند
وخيس الجن اني قد اذنت لهم • يبنون تدمر بالصفاح والعمد

قوله عز وجل **ومن الشياطين من يغوصون له** اي سخرنا له الشياطين يدخلون تحت الماء فيخرجون
له من قعر البحر الجواهر **ويعملون عملا دون ذلك** اي دون الغوص وهو اختراع الصنائع العجيبة
كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل الاية ويتجاوزون في ذلك الى اعمال المدن والقصور
من الصناعات كاتخاذ النورة والقوارير والصابون وغير ذلك **وكنا لهم حافظين** حتى
لا يخرجوا عن امره وقيل حفظناهم من ان يفسدوا ما عملوا وذلك انهم كانوا اذا عملوا عملا في النهار
وفرغ قبل الليل افسدوه وخربوه وقيل كان اذا بعث شيطانا مع انسان ليعمل له عملا قال له اذا
فرغ من عمله قبل الليل اشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل ويخربه قوله تعالى **وايوب اذ نادى
ربه** اي دعا ربه وسأله **ذكر قصة ايوب عليه السلام** قال وهب بن منبه كان ايوب
رجلا من الروم وهو ايوب بن اموص بن رازح بن روم بن عيص بن اسحاق بن ابراهيم وكانت

أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط له في الدنيا وكانت له البثنية
من أرض البلقا من أعمال حوران من أرض الشام كلها سهلها وجبلها وكانت له فيها من أصناف
المال كله من الإبل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة
وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وكان يحمل له كل فدان أتان لكل أتان
من الولد اثنين أو ثلاثة أو أربع أو خمسة فوق ذلك وكان الله تعالى قد أعطاه أهلا وولدا من رجال
ونسا وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يطعمهم ويكفل الأيتام والأرامل ويكرم الضيف ويبلغ ابن
السبيل وكان شاكرا لأنعم الله مؤديا لحق الله قد امتنع من عدو الله إبليس أن يصيب منه
ما أصاب من أهل الغنا من الغرة والغفلة والتشاغل عن الله بما هو فيه من أمر الدنيا وكان معه
ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من أهل اليمن يقال له اليفن وقبيل نفير ورجلان من أهل
بلده يقال لأحدهما بلدد وللآخر صافر وكانوا هؤلا وكان إبليس لا يحجب عن شي من السموات وكان
يقف فيهن حيث ما أراد حتى رفع عيسى فحجب عن الرابعة فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم
فحجب عن السموات كلها إلا من استرق السمع فسمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب
وذلك حين ذكره وأثنى عليه فأدرك إبليس الحسد والبغي فصعد سريعا حتى وقف في السما
حيث كان يقف وقال إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك
وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك فخرج عن طاعتك
قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله إبليس حتى وقع إلى الأرض فجمع عفاريت
الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة فقد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة
الفادحة التي لا يصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما إذا شئت
تحولت إعصارا من نار فأحرقت كل شي آتي عليه فقال إبليس اذهب فأت الإبل ورعاتها فأتى
الإبل حين وضعت رؤوسها ورعت فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار نار فأحرق
الإبل ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جا عدو الله إبليس في صورة قيمه على نعود إلى أيوب
فوجده قائما يصلي فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت إبلك فأحرقتها ومن فيها غيري فقال
الحمد لله الذي أعطانيها وهو أخذها وإنما مال الله أعارنيها وهو أولى بها إن شاء تركها وإن شاء نزعها
وقديما كنت وطنت نفسي ومالي على الفنا قال إبليس إن ربك أرسل عليها نارا من السما فاحترقت
فتركت الناس مبهوتين متعجبين منها فمنهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئا وما كان إلا في
غرور ومنهم من يقول لو كان إله أيوب يقدر أن يصنع شيئا لمنع وليه منه ومنهم من
يقول بل هو الذي فعل ما فعل ليشمت به عدوه ويجزي صديقه قال أيوب الحمد لله حين
أعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود إلى التراب وعريانا
أحشر إلى الله عز وجل ليس ينبغي أن تفرح إذ أعارك وتجزع حين قبض عاريته الله أولى بك وبما
أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك مع الأرواح وصرت شهيدا
ولكنه علم بك شرا فأخرجك فرجع إبليس إلى أهله خاسيا ذليلا فقال ما عندكم من القوة
فإني لم أكلم قلبه قال عفريت من الجن عندي من القوة ما إذا شئت صحت صيحة لا يسمع
ذو روح إلا خرجت روحه قال إبليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ثم
صاح صيحة تجثمت أمواتا من عند آخرها ومات رعاتها فجا إبليس متمثلا بقيم الغنم
فوجده يصلي فقال له يا أيوب ماتت الغنم ورعاتها فقال له مثل القول الأول فرد
عليه أيوب مثل الرد الأول فرجع إبليس إلى أصحابه فقال ما عندكم من القوة فإني لم أكلم
قلبه فقال عفريت عندي من القوة ما إذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شي آتي عليه

قال

قال فأتت الفدادين والحرث فانطلق يؤمهم وذلك حين شرع الفدادين في الحرث والزرع فلم
يشعروا حتى هبت ريح عاصف تنسف كل شي تأتي عليه من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جا إبليس
متمثلا بقيمهم إلى أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الأول فرد عليه مثل الرد
الأول وجعل إبليس يصيب ماله مالا مالا حتى مر على آخره كلما انتهى إلى هلاك مال من أمواله
حمد الله تعالى وأثنى عليه ورضي عنه بالقضا ووطن نفسه بالصبر على البلا حتى لم يبق له مال
فلما رأى إبليس أنه أفنى ماله ولم ينجح منه بشي صعد سريعا إلى الموقف الذي يقف فيه فقال إلهي
إن أيوب يرى أنك ما متعته بولده وأنت معطيه المال فهل أنت مسلطي على ولده فإنها
المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله عز وجل اذهب فقد سلطتك على ولده فانقض
عدو الله لبني نبي الله أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يزلزل بهم القصر حتى تداعى من قواعده
وجعل يضرب جدره بعضها ببعض ويرميهم بالخشب والحجارة فلما مثل بهم كل مثلة رفع القصر وقلبه
فصاروا منكبين وانقلب إلى أيوب متمثلا بالمعلم الذي يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل
دمه فأخبره وقال لو رأيت بنيك كيف عذبوا فكبوا فكانوا منكبين على رؤوسهم تسيل دماؤهم
وأدمغتهم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول
هذا ونحوه حتى رق قلب أيوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال يا ليت أمي لم
تلدني فاغتنم إبليس فصعد سريعا كأنه مرجوعا من جزع أيوب مسرورا به فلم يلبث أيوب
أن فاء وصبر وأبصر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته إلى الله تعالى وهو
أعلم فوقف إبليس خاسيا ذليلا وقال إلهي إنما هون على أيوب المال والولد فهل أنت مسلطي
على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه
وقلبه وعقله وكان الله أعلم به فلم يسلطه عليه إلا رحمة منه ليعظم له الثواب ويجعله عبرة
للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلا نزل به ليتأسوا به في الصبر وطلب الثواب فانقض
عدو الله إبليس سريعا فوجده ساجدا فعجل قبل أن يرفع رأسه من قبل وجهه فنفخ في منخريه
نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه إلى قدمه ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة
فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة فلم يزل يحك حتى قرح لحمه ونغل وانقطع
وتغير وأنتن وأخرجه الناس أهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشا ورفضه
خلق الله كلهم غير امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف إليه بما
يصلحه وتكرمه ولما رأى الثلاثة من أصحابه وهم اليفن وبلدد وصافر ما ابتلاه الله به
رفضوه واتهموه من غير أن يتركوا دينه فلما طال ما به انطلقوا إليه فبكتوه ولاموه وقالوا
له تب إلى الله من الذنب الذي عوقبت به قال وحضره معهم فتى حدث السن قد آمن به وصدقه
فقال لهم الفتى إنكم تكلمتم أيها الكهول وأنتم أحق بالكلام مني لأسنانكم ولكن تركتم من القول
ما هو أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم وقد كان لأيوب من الحق عليكم والذمام
أفضل من الذي وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل
الذي عبتم واتهمتم ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وصفوته وخيرته من أهل الأرض يومكم هذا ثم لم
تعلموا ولم يطلعكم الله على أنه سخط شيئا من الكرامة التي أكرمه الله بها ولا أن أيوب قال
على الله غير ذلك في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا فإن كان البلا هو الذي أزرى به عندكم
ووضعه في أنفسكم فقد علمتم أن الله تعالى يبتلي المؤمنين والصديقين والشهدا والصالحين
وليس بلاؤه لأولئك دليلا على سخطه عليهم ولا لهوانه لهم ولكنها كرامة وخيرة لهم
ولو كان أيوب من الله بهذه المنزلة إلا أنه أخ اجتنبتموه على وجه الصحبة فكان لا يجمل

بالحليم ولا يبعد لاخاه عند البلا ولا يعيره بالمعصية ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروه يحزن ولكنه
يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدل على امر اشدا امره وليس بحليم ولا رشيد من جهل هذا
فالله الله ايها الكهول وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع السنتكم ويكسر قلوبكم الم
تعلموا ان لله عبادا اسكتتهم الخشية من غير عي ولا بكم وانهم الفصحا البلغا النبلا الالبا العاملون
اقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لله واجلالا فاذا استفاقوا من ذلك
استبقوا الى الله بالاعمال الزاكية يعدون انفسهم من الظالمين والخاطيين وانهم لاهم الابرار مع
المقصرين المفرطين وانهم لاكياس اقويا فقال ايوب عليه السلام ان الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب
الصغير والكبير فاذا نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من السن
والشيبة ولا طول التجربة فاذا جعل الله العبد حكيما في الصبى لم تسقط منزلته عند الحكما يرون
من الله سبحانه وتعالى من نور الكرامة ثم اقبل ايوب على الثلاثة وقال اتيتموني غضبا نارهبتم
قبل ان تسترهبوا وبكيتم قبل ان تضربوا كيف لو قلت تصدقوا عني باموالكم لعل الله ان يخلصني
او قربوا عني قربانا لعل الله ان يتقبله ويرضى عني وانكم قد اعجبتكم انفسكم فظننتم انكم عوفيتم
باحسانكم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا قد سترها الله بالعافية
التي البسكم وقد كنتم فيما خلا توقروني وانا مسموع كلامي معروف حقي منتصف من خصمي فاصبحت
اليوم وليس لي راي ولا كلام معكم فانتم كنتم على اشد من مصيبتي ثم اعرض عنهم ايوب واقبل
على ربه مستغيثا به متضرعا اليه وقال اي رب لاي شي خلقتني ليتني اذ كرهتني لم تخلقني
يا ليتني عرفت الذنب الذي اذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت امتني
فالحقتني بابائي فالموت كان اجمل بي الم اكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا
وللارملة قيما الهي انا عبدك ان احسنت فالمن لك وان اسات فبيدك عقوبتي عفو
جعلتني للبلا غرضا وللفتنة نصبا وقد وقع علي من البلا ما لو سلطته على جبل لضعف
عن حمله فكيف يحمله ضعفي وان قضاك هو الذي اذلني وان سلطانك هو الذي اسقمني
وانحل جسمي ولو ان ربي نزع الهيبة التي في صدري واطلق لساني حتى اتكلم بملا فمي فادلي
بعذري واتكلم ببراتي واخاصم عن نفسي لرجوت ان يعافيني عند ذلك ولكنه القاني
وتعالى عني فهو يراني ولا اراه ويسمعني ولا اسمعه فلما قال ذلك ايوب واصحابه
عنده اظلته غمامة حتى ظن اصحابه انه عذاب ثم نودي يا ايوب ان الله تعالى يقول
ها انا قد دنوت منك ولم ازل منك قريبا فقم فادل بعذرك وتكلم ببراتك وخاصم عن نفسك
واشدد ازارك وقم في مقام جبار يخاصم جبارا ان استطعت فانه لا ينبغي ان يخاصمني الا جبار
مثلي لقد منتك نفسك يا ايوب امرا ما تبلغ بمثله قوتك اين انت مني يوم خلقت الارض فوضعتها
على اساسها هل كنت معي تمد باطرافها هل علمت باي مقدار قدرتها ام على اي شي وضعت اكنافها
ابطاعتك حمل الما الارض ام بحكمتك كانت الارض للما غطا اين كنت مني يوم رفعت السما سقفا
في الهوى لا تعلق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها هل يبلغ من حكمتك ان تجري نورها
وتسير نجومها اين كنت مني يوم انبعت الانهار وسكرت البحار ابسلطانك حبست امواج البحار
على حدودها ام بقدرتك فتحت الارحام حتى بلغت مدتها اين كنت مني يوم صببت الما على
التراب ونصبت شوامخ الجبال هل تدري على اي شي ارسيتها ام باي مثقال وزنتها ام هل لك
من ذراع يطيق حملها ام تدري على اي شي من اين الما الذي انزلت من السما ام هل تدري من اين
انشات السحاب ام هل تدري اين خزانة الثلج ام اين جبال البرد ام اين خزانة الليل بالنهار ام اين
خزانة النهار بالليل واين خزانة الرياح وباي لغة تتكلم الاشجار ومن جعل العقول في اجواف

الرجال

الرجال وشق الاسماع والابصار ومن ذلل الملايكة لملكه وقهر الجبارين بجبروته وقسم الارزاق
بحكمته في كلام كثير يدل على اثار قدرته ذكرها لايوب فعند ذلك بكى ايوب وقال الهي صغر شاني
وكل لساني وعقلي ورايي وضعفت قوتي عن الامر الذي تعرض علي الهي قد علمت ان كل الذي ذكرت
صنع يديك وتدبير حكمتك واعظم من ذلك واعجب لو شيت علمت ولا يعجزك شي ولا يخفى عليك
خافية الهي اوهنتني البلايا فتكلمت ولم املك فكان البلا هو الذي انطقني ليت الارض انشقت لي فذهبت
فيها ولم اتكلم بشي يسخط ربي وليتني مت بغمي في اشد بلاي قبل ذلك انما تكلمت بعذري وسكت حين
سكت لترحمني كلمة زلت مني فلن اعود وقد وضعت يدي على في وعضضت على لساني والصقت
بالتراب خدي اعوذ بك اليوم منك واستجير بك من جهد البلا فاجرني واستغيث بك من عقابك فاغثني
واستعينك على امرك فاعني واتوكل عليك فاكفني واعتصم بك فاعصمني واستغفرك فاغفر لي فلن
اعود لشي تكرهه مني فقال الله تعالى يا ايوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك
ورددت اليك اهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك اية وتكون عبرة لاهل البلا وعزا
للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفا وكذ وقرب عن اصحابك قربانا واستغفر
لهم فانهم قد عصوني فيك روي عن انس يرفعه ان ايوب لبث ببلايه ثماني عشرة سنة وقال وهب
ثلاث سنين لم تزد يوما وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث ايوب مطروحا على كناسة لبني
اسرايل سبع سنين واشهر يختلف فيه الدود ولا يقربه احد الا رحمة صبرت معه تصدق وتاتيه
بطعام وتحمد الله معه اذا حمد ايوب على ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلايه فصرخ
ابليس صرخة جمع فيها جنوده وقال لها اجتمعوا عليه اعيانا في هذا العبد الذي لم ادع له مالا ولا ولدا
ولا غنا فيه ولم يزدد الا صبرا ثم سلطت على جسده فوجدته ملقاة على كناسة لم يقربه غير امراته
رحمة فاستعنت لتعينوني فقالوا له اين مكرك الذي اهلكت به من مضى فقال بطل ذلك كله في ايوب
فاشيروا علي فقالوا من اين اتيت ادم حين اخرجته من الجنة قال من زوجته قالوا فشانك من
قبل امراته فانه لا يستطيع ان يعصيها وليس يقربه غيرها قال اصبتم فانطلق ابليس حتى اتى رحمة
امراة ايوب وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل فقال لها اين بعلك يا امة الله قالت هو ذاك يحك
قروحه ويتردد الدود في جسده فلما سمعها طمع ان تكون كلمة جزع فوسوس اليها وذكرها ما
كانت فيه من النعم والما وذكرها حال ايوب وشبابه وما هو فيه من الضرر وان ذلك لا ينقطع
عنه ابدا فصرخت فعلم ان قد جزعت فاتاها بسخلة وقال ليذبح لي هذا ايوب ويبرا فجاءت تصرخ
يا ايوب حتى متى يعذبك ربك اين المال اين الولد اين الصديق اين لونك الحسن اين جسمك
اذبح هذه السخلة فقال لها عند ذلك ايوب اتاك عدو الله فنفخ فيك ويلك ارايت ما تبكين
عليه من المال والولد والصحة من اعطانيه قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة
قال فمنذ كم ابتليت قالت منذ سبع سنين واشهر قال ويلك ما انصفت لتصبرين على البلا
ثمانين سنة والله لين شفاني الله لاجلدنك مائة جلدة امرتيني ان اذبح لغير الله طعامك
وشرابك علي حرام الذي تاتيني به ان اذوق منه شيا بعد ان قلت لي هذا اعزبي عني فلا اراك
فطردها فذهبت فلما نظر ايوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر ساجدا لله تعالى
وقال رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فقيل ارفع راسك فقد استجيب لك اركض برجلك هذا مغتسل
فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها فلم يبق في بدنه من درن ودا شي ظاهر الا سقط
وعاد شبابه وجماله احسن ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين اخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه
دا الا خرج فقام صحيحا وكسي حلة قال فجعل يلتفت فلا يرى شيا مما كان له من اهل ومال
الا وقد اضعفه الله حتى والله ذكر لنا ان الما الذي اغتسل منه تطاير من صدره جرادا من

ذهب فجعل بفيمه بيده فاوحى الله اليه ايوب الم اغنك قال بلى ولكنها بركة من بركتك فمن يشبع منها قال
فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امراته قالت ارايت اذ كان طردني الى من اكله ادعه يموت جوعا
ويضيع فتاكله السباع لارجعن اليه فرجعت اليه فلا الكناسة رات ولا تلك الحالة التي كانت تعرف
واذا الامور قد تغيرت فجعلت تطوف حول الكناسة وتبكي وذلك بعين ايوب وهابت صاحب
الحالة ان تاتيه فتسئل عن ايوب فدعاها وقال لما تريدين يا امة الله فبكت وقالت اريد ذلك
المبتلى الذي كان منبوذا على الكناسة لا ادري اضاع ام ما فعل به فقال ايوب ما كان منك فبكت
وقالت كان بعلي قال فهل تعرفينه قالت وهل يخفى على احد راه ثم جعلت تنظر اليه وهي تهابه
ثم قالت اما انه اشبه خلق الله بك اذا كان صحيحا قال فاني انا ايوب الذي امرتيني ان اذبح
لابليس واني اطعت الله وعصيت ابليس ودعوت الله فرد علي ما ترين قال وهب لبث ايوب
في البلاء ثلاث سنين فلما غلب ايوب ابليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امراته في هيئة ليس كهيئة
بني ادم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبها فقال لها انت صاحبة
ايوب هذا الرجل المبتلى قالت نعم قال هل تعرفيني قالت لا قال انا اله الارض وانا الذي
صنعت بصاحبك ما صنعت لانه عبد اله السماء وتركني ولو سجد لي سجدة واحدة لرددت عليه
وعليك كلما كان لكما من مال وولد فانه عندي ثم اراها اولادها ببطن الوادي الذي لقيهما فيه
وفي بعض الكتب ان ابليس قال لها اسجدي لي سجدة حتى ارد عليك المال والولد واعافي زوجك
فرجعت الى ايوب واخبرته بما قال لها وما اراها قال لقد اتاك عدو الله ليفتنك عن دينك
ثم اقسم لان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة وقال عند ذلك رب اني مسني الضر من طمع ابليس
في سجود حرمتي له ودعائه اياي واياها الى الكفر ثم ان الله رحم رحمة امراة ايوب بصبرها
معه على البلاء وخفف عليهما واراد ان يبري ايوب فامره ان ياخذ ضغثا يشتمل على مائة عود
صغار فيضربها به ضربة واحدة وقيل انما قال مسني الضر حين قصدت الدود الى قلبه ولسانه
فخشي ان يفتر عن ذكر الله تعالى والفكر وقيل لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهر له ثلاثة اشيا
احدها ما قيل في حقه لو كان لك منزلة عند الله ما اصابك هذا والثاني ان امراته طلبت
طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعت ذوابتها بطعام والثالث قول ابليس اني اداويه على ان
يقول انت شفيتني اوقيل اني مسني الضر من شماتة الاعدا حتى روي انه قيل له بعد ما عوفي
ما كان اشد عليك في بلائك قال شماتة الاعدا فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد
اظهر الشكوى والضجر والجزع بقوله مسني الشيطان بنصب وعذاب قلت ليس هذا شكاية
وانما هو دعاء بدليل قوله فاستجبنا له والشكوى انما تكون الا الى الخلق لا الى الخالق بدليل
قول يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله وقال سفين بن عيينة من اظهر الشكوى الى الناس
وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعا بدليل ما روى ان جبريل عليه السلام دخل
على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال كيف تجدك قال اجدني مغموما واجدني مكروبا
وقال لعايشة قالت وارساه قوله عز وجل **فاستجبنا له** اي اجبنا دعاه **فكشفنا ما به من ضر**
وذلك انه قال له اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فركض برجله فنبعت عين ماء
فامره ان يشرب منها فشرب كل داء كان بباطنه فصار كاصح ما كان **واتيناه اهله ومثلهم
معهم** قال ابن عباس وابن مسعود واكثر المفسرين رد الله اليه اهله واولاده وعيا له رواية
اخرى ان الله تعالى رد الى المراة شبابها فولدت له ستة وعشرين ولدا ذكرا وقيل كان له سبع
بنين وسبع بنات وعن انس يرفعه انه كان له اندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث
الله سحابتين فافرغت احدهما على اندر القمح الذهب وعلى اندر الشعير الورق حتى فاضا

وروى

وروي ان الله بعث اليه ملكا وقال له ان الله يقريك السلام بصبرك فاخرج الى اندرك فخرج
اليهما فارسل الله اليه جرادا من ذهب فطارت واحدة فاتبعها وردها الى اندره فقال له الملك
اما يكفيك ما في اندرك فقال هذه بركة من بركات ربي ولا اشبع من بركته عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بينما ايوب يغتسل عريانا فاخر عليه جراد من ذهب فجعل ايوب يحثي في ثوبه
فناداه ربه يا ايوب الم اغنيك عما ترى قال بلى يا رب ولكن لا غنى لي عن بركتك وقيل اوتي ايوب
مثل اهله الذين هلكوا وقال عكرمة قيل لايوب يا رب ان اهلك الذين هلكوا فان شئت احييناهم لك في
الدنيا وان شئت كانوا لك في الاخرة واتيناك مثلهم في الدنيا فقال بل يكونون لي في الاخرة واوتي مثلهم
في الدنيا فعلى هذا يكون معنى الاية واتيناه اهله في الاخرة ومثلهم معهم في الدنيا واراد بالاهل
الاولاد **رحمة من عندنا** اي نعمة من عندنا **وذكرى للعابدين** اي عظة وعبرة لهم قوله عز وجل
واسماعيل هو ابن ابراهيم عليه السلام **وادريس** هو اخنوخ **وذا الكفل كل من الصابرين** اي على ما امر
الله به لما ذكر الله ايوب وصبره على البلا اتبعه بذكر هولا الانبيا لانهم صبروا على المحن والشدايد
والعبادة وايضا اسماعيل صبر على الانقياد للذبح واما ادريس فقد لقدت نفسه واما ذا الكفل
فاختلفوا فيه فقيل انه كان نبيا من بني اسرائيل وكان ملكا يوحى اليه فاوحى الله اليه اني اريد ان اقبض
روحك فاعرض ملكك على بني اسرائيل فمن تكفل انه يصلي بالليل ولا يفتر ويصوم بالنهار ولا يفطر
ويحكم بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك اليه ففعل ذلك فقام اليه شاب فقال انا اتكفل لك
هذا فتكفل ووفا فشكر الله له ونباه فسماه ذا الكفل وقيل لما كبر اليسع قال لو اني استخلف
رجلا على الناس يعمل فيهم في حياتي انظر كيف يعمل فجمع الناس فقال من يتقبل مني بثلاث استخلفه
يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب اذا قضى فقام رجل تزدريه العين فقال انا فرده ذلك
اليوم وقال مثلها في اليوم الاخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل وقال انا فاستخلفه فاتاه
ابليس في صورة شيخ ضعيف حين اخذ مضجعه للقايلة وكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك القايلة
فدق الباب فقال من هذا قال شيخ كبير مظلوم ففتح الباب فقال ان بيني وبين قومي خصومة
وانهم ظلموني وفعلوا وفعلوا وجعل يطول حتى ذهبت القايلة فقال اذا رحت فاتني حتى
اخذ حقك فانطلق وراح فكان في الغد يجعل يقضي بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى
القايلة واخذ مضجعه اتاه فدق الباب فقال من هذا قال الشيخ المظلوم ففتح له فقال الم
اقل لك اذا قعدت فاتني قال انهم اخبث قوم اذا قعدت قالوا نعطيك حقك واذا قمت
جحدوني قال انطلق فاذا جلست فاتني وفاتته القايلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه
وشق عليه النعاس فلما كان في اليوم الثالث قال لبعض اهله لا تدعوا احدا يقرب هذا الباب
حتى انام فاني قد شق علي النعاس فلما كان تلك الساعة اتاه فلم ياذن له الرجل فلما اعياه
نظر فراى كوة في البيت فتسور منها فاذا هو في البيت فدق الباب من داخل فاستيقظ فقال
يا فلان الم امرك قال اما من قبلي فلم توت فانظر من اين اتيت فقام الى الباب فاذا هو
مغلق كما اغلقه واذا الرجل معه في البيت فقال اتنام والخصوم ببابك فنظر اليه فعرفه
فقال يا عدو الله قال نعم اعييتني وفعلت ما فعلت لاغضبنك فعصمك الله فسمي ذا الكفل
لانه تكفل بامر فوفى به واختلفوا في نبوته فقيل كان نبيا وهو الياس وقيل هو زكريا وقيل
انه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا **وادخلناهم في رحمتنا** يعني ما انعمنا به عليهم من النبوة وصيرناهم اليه
في الجنة من الثواب **انهم من الصالحين** قوله تعالى **وذا النون** اي واذكر صاحب الحوت اضيف الى الحوت
لابتلاعه اياه وهو يونس بن متى **اذ ذهب مغاضبا** قال ابن عباس في رواية عنه كان يونس
وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة اسباط ونصف وبقي منهم سبطان

ونصف فاوحى الله تعالى الى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم ان سر الى حزقيا الملك وقل له حتى يوجه
نبيا قويا فانى ساقي في قلوب اولئك حتى يرسلوا معه بني اسرائيل فقال له حزقيا وكان في مملكته
خمسة انبيا فقال يونس فانه قوي امين فدعا الملك يونس وامره ان يخرج فقال يونس هل امرك
الله باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فها هنا غيري انبيا اقويا فالحوا عليه
فخرج مغاضبا للنبي وللملك واتى بحر الروم وركبه وقيل ذهب عن قومه مغاضبا لربه لما كشف
العذاب عنهم بعدما وعدهم وكره ان يكون بين اظهر قوم جربوا عليه الخلف فيما وعدهم واستحيا منهم
ولم يعلم السبب الذي رفع العذاب عنهم فكان غضبه انفة من ظهور خلف وعده وانه يسمى كذابا لا كراهية
لحكم الله وفي بعض الاخبار انه كان من عادة قومه ان يقتلوا من جربوا عليه الكذب فخشي ان
يقتلوه لما لم ياتهم العذاب للميعاد فغضب وقال ابن عباس اتى جبريل يونس فقال انطلق الى
اهل نينوى فانذرهم فقال التمس دابة فقال الامر اعجل من ذلك فغضب وانطلق الى السفينة
وقال وهب ان يونس كان رجلا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل عليه اثقال النبوة تفسخ
تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها من بين يديه وخرج هاربا منها فلذلك اخرجه الله من
اولى العزم من الرسل فقال للنبي صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال ولا
تكن كصاحب الحوت فظن ان لن نقدر عليه اي لن نقضي عليه العقوبة قاله ابن عباس في رواية
عنه وقيل معناه فظن ان لن نضيق عليه الحبس وقيل معناه افظن انه يعجز ربه فلا يقدر عليه
قيل لما انطلق يونس مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن ان لن نقدر عليه وكان له سلف
وعبادة فابى الله ان يدعه للشيطان فقذفه في بطن الحوت فمكث فيه اربعين يوما وقيل سبعة
وقيل ان الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم الارض السابعة فتاب الى ربه وراجع نفسه في بطن
الحوت فنادى في الظلمات اي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت ان لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين اي حيث عصيتك وما صنعت من شيء فلم اعبد غيرك فاخرجه الله
من بطن الحوت برحمته وروى ابو هريرة مرفوعا قال اوحى الله تعالى الى الحوت ان خذه ولا
تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فاخذه ثم هوى به الى مسكنه في البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع
يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فاوحى الله اليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح وهو في بطن
الحوت فسمع الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة وفي رواية صوتا معروفا
في مكان مجهول فقال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي
كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فامر الحوت ان
يقذفه في الساحل فذلك قوله عز وجل فاستجبنا له ونجيناه من الغم من تلك الظلمات وكذلك
ننجي المؤمنين من الكروب اذا دعونا واستغاثوا بنا فان قلت قد تمسك بمواضع من هذه القصة
من اجاز وقوع الذنب من الانبيا قوله اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه ومنها قوله
اني كنت من الظالمين قلت اما الجواب عن الكل فقد اختلف في هذه الواقعة فقيل كانت قبل
الرسالة ام لا فقال ابن عباس كانت رسالته بعد ان اخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله
تعالى في الصافات بعد ذكر خروجه وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فثبت بهذا ان هذه الواقعة
كانت قبل النبوة وقد اجاز بعضهم عليهم الصغائر قبل النبوة ومنعها بعد النبوة واما الجواب
التفصيلي فقوله اذ ذهب مغاضبا فحمله انه لقومه او للملك اولى بحال الانبيا واما قوله تعالى
فظن ان لن نقدر عليه فحمله انه لقومه فقد تقدم ان معناه ان لن نضيق عليه وذلك ان
يونس ظن انه مخير ان شا اقام وان شا خرج وان الله تعالى لا يضيق عليه في اختياره وقيل
هو من القدر لا من القدرة واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم وضع الشيء في غير محله موضعه

وهذا

وهذا اعتراف منه بعضهم بذنبه اما ان يكون لخروجه من قومه بغير اذن ربه او للضعف عما حمله
او لدعائه بالعذاب لقومه وفي هذه الاشيا ترك الافضل مع القدرة على تحصيله فكان ذلك ظلما
وقيل كانت رسالته قبل هذه الواقعة بدليل قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين اذ ابق الى
الفلك المشحون فعلى هذا يكون الجواب عن هذه الواقعة كما تقدم من التفصيل والله اعلم قوله عز
وجل وزكريا اذ نادى اي دعا ربه رب لا تذرني فردا اي وحيدا لا ولد لي يا رب فارزقني وارثا
وانت خير الوارثين هو ثنا على الله تعالى بانه الباقي بعد فنا الخلق كلهم وانه الوارث لهم وهذا
على سبيل التمثيل والمجاز فهو قوله وانت فاستجبنا له ووهبنا له يحيى ولدا واصلحنا له زوجه
اي جعلناها في هذه السورة ولودا بعدما كانت عقيما تلد وقيل كانت سيئة الخلق فاصلحها الله تعالى
بان رزقها حسن الخلق انهم كانوا يسارعون في الخيرات يعني الانبيا المذكورين في هذه السورة
وقيل زكريا واهل بيته والمسارعة في الخير من اكبر ما يمدح به المرء لانه يدل على حرص عظيم في
طاعة الله تعالى قوله ويدعوننا رغبا ورهبا يعني انهم ضموا الى فعل الخيرات امرين احدهما الفزع
الى الله تعالى لمكان الرغبة في ثوابه والرهبة في عقابه والثاني الخشوع وهو قوله تعالى وكانوا
لنا خاشعين وهو الخوف اللازم للقلب فيكون الخاشع هو الحذر الذي لا ينبسط في الامور خوفا
من الوقوع في الاثم قوله تعالى والتي احصنت فرجها اي احصنا كليا من الحلال والحرام جميعا
كما قالت لم يمسسني بشر ولم اك بغيا وهي مريم بنت عمران فنفخنا فيها من روحنا اي امرنا جبريل
حتى نفخ في جيب درعها فخلقنا بذلك النفخ المسيح في بطنها واضاف الروح اليه تشريفا له
لعيسى كبيت الله وناقة وجعلناها وابنها اية للعالمين اي دلالة على كمال قدرة الله تعالى
على خلق ولد من غير اب فان قلت هما ايتان فكيف قال اية قلت معنى الكلام وجعلنا شانهما وامرهما
اية واحدة لان ولادتها اياه من غير ابيه قوله تعالى وان هذه امتكم اي ملتكم ودينكم امة واحدة
اي دينا واحدا وهو الاسلام فابطل ما سوى الاسلام من الاديان واصل الامة الجماعة التي هي على مقصد
واحد وانا ربكم فاعبدون اي لا دين سوى ديني ولا رب لكم غيري فاعبدوني وتقطعوا امرهم
بينهم يعني اختلفوا في الدين فصاروا فرقا واحزابا حتى لعن بعضهم بعضا وتبرا بعضهم من بعض
كل الينا راجعون فنجزيهم باعمالهم فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه اي لا يجحد
ولا يبطل سعيه بل يشكره ويثاب عليه وانا له كاتبون اي لعمله حافظون له وقيل الشكر من الله
تعالى المجازاة ومعنى الكفران ترك المجازاة قوله عز وجل وحرام على قرية اهلكناها انهم
لا يرجعون قال ابن عباس معناه حرام على اهل قرية اهلكناها ان يرجعوا بعد الهلاك وقيل معناه
انه واجب على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون الى الدنيا وقيل معناه وحرام على اهل قرية اهلكنا
اهلها وحكمنا بهلاكهم ان تقبل اعمالهم لانهم لا يتوبون قوله عز وجل حتى اذا فتحت ياجوج وما
جوج يريد فتح السد وذلك ان الله يفتحه ابتداء عن ياجوج وماجوج ومما قبلنا انهم تسعة
اعشار بني ادم وهم من كل حدب ينسلون اي يسرعون النزول من الاكام والتلاع وفي هذا الكناية
وجهان احدهما ان المراد بهم ياجوج وماجوج وهو الاصح بدليل ما روي عن نواس بن سمعان قال
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل فلما رحنا
اليه عرف ذلك فينا فقال ما شانكم فقلنا يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت
حتى ظنناه في طائفة النخل فقال غير الدجال اخوفني عليكم ان يخرج وانا فيكم فانا حجيجه دونكم وان يخرج
ولست فيكم فامرو حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم انه شاب قطط عينه طافية كاني اشبهه
بعبد العزى بن قطن فمن ادركه فليقرا فواتح الكهف انه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث
يمينا وعاث شمالا يا عباد الله اثبتوا قلنا يا رسول الله وما لبثه في الارض قال اربعون يوما يوم

كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة ايكفينا فيه صلاة قال لا اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والارض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم اطول ما كانت ذرا واسبغه ضروعا وامده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بايديهم شيء من اموالهم ويمر بالخربة فيقول لها اخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل ثم يدعو رجلا ممتلئا شبابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فبينما هو كذلك اذ بعث الله عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على اجنحة ملكين اذا طأطأ راسه قطر واذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه الا مات ونفسه ينتهي الى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله ثم يأتي عيسى السلام قوم عصمهم الله فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فبينما هو كذلك اذ اوحى الله الى عيسى بن مريم اني قد اخرجت عبادا لي لا يدان لاحد بقتالهم فحرز عبادي الى الطور ويبعث الله يأجوج ومأجوج من كل حدب ينسلون فيمر اوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحصر عيسى واصحابه حتى يكون لاحدهم رأس الثور خيرا من مائة دينار لاحدكم اليوم فيرغب نبي الله واصحابه ثم يرسل الله عليهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى واصحابه الى الارض فلا يجدون في الارض شبرا الا ملأه زهمهم ونتنهم فيرغب نبي الله عيسى الى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث ما شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الارض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للارض انبتي ثمرك وردي بركتك فيومئذ تاكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى ان اللقحة من الابل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم ومؤمن ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة اخرجه مسلم شرح غريب الفاظه قوله ظنناه في طائفة النخل اي ناحية النخل وجانبه والطائفة القطعة من الشيء وقوله فخفض فيه ورفع اي خفض صوته ورفع من شدة ما تكلم فيه في امره وقيل انه خفض تهوينا له ورفع من شدة فتنته والتخويف من امره قوله انه شاب قطط اي جعد الشعر وقوله طافية اي خارجة عن حدها وقوله انه خارج خلة اي انه يخرج قصدا او طريقا بين جهتين والخلة الدخول في الشيء قوله انه يخرج فعاث اي افسد قوله فاقدروا له قدره اي قدروا يوما من ايامكم المعهودة وصلوا فيه كل يوم بقدر ساعاته قوله فتروح عليهم سارحتهم اي ماشيتهم قوله فيصبحون ممحلين اي مقحطين قد اجدب كل شيء في ارضهم وغلت اسعارهم قوله كيعاسيب النحل جمع يعسوب وهو فحل النحل ورئيسها قوله فيقطعه جزلتين رمية اي قطعتين والغرض الهدف الذي يرمى بالنشاب وروي بالدال المهملة وبالمعجمة اي شقتين وقيل حلتين وقيل المهرود المصبوغ الاصفر بالورس والزعفران قوله لا يدان لاحد بقتالهم اي لا قدرة ولا قوة بقتالهم قوله النغف دود يكون في انوف الابل والغنم فرسى جمع فريس وهو القتيل قوله زهمهم اي ريحهم المنتنة قوله بالزلفة اي كالمرآة وجمعها زلف وقيل هو بالقاف واراد به استواءها ونظافتها قوله تاكل العصابة اي الجماعة قيل يبلغون اربعين ويحف الرمانة في الحديث قشرها والرسل بكسر الراء اللبن واللقحة الناقة ذات اللبن والفئام الجماعة من الناس والفخذ دون القبيلة وقوله يتهارجون اي

يختلفون والتهارج الاختلاف واصله القتل الوجه الثاني في تفسير قوله تعالى وهم من كل حدب ينسلون قبل جميع الخلائق يخرجون من قبورهم الى موضع الحساب (م) عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال انها لن تقوم حتى تروا عشر آيات فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم قوله عز وجل واقترب الوعد الحق اي القيامة قال حذيفة لو ان رجلا اقتنى فلوا بعد خروج يأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم الساعة الفلو المهر فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا قيل ان معنى الآية ان القيامة اذا قامت شخصت ابصار الذين كفروا من شدة الاهوال والانكار نظرون من هول ذلك اليوم ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا يعني في الدنيا حيث كذبنا وقلنا انه غير كائن بل كنا ظالمين اي في وضعنا العبادة في غير موضعها قوله عز وجل انكم الخطاب للمشركين وما تعبدون من دون الله يعني الاصنام حصب جهنم اي حطبها ووقودها وقيل يرمون بهم في النار كما يرمى بالحطب واصل الحصب الرمي انتم لها واردون اي فيها داخلون لو كان هؤلاء آلهة يعني الاصنام آلهة على الحقيقة ما وردوها اي ما دخل الاصنام النار وعابدوها وكل فيها خالدون اي العابدون والمعبودون لهم فيها زفير قيل الزفير هو ان يملأ الرجل صدره غما ثم يتنفس وقيل هو شدة ما ينالهم من العذاب وهم فيها لا يسمعون قال ابن مسعود في هذه الآية اذا بقي في النار من يخلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت اخرى ثم تلك التوابيت في توابيت اخرى عليها مسامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى احد منهم ان في النار احدا يعذب غيره قوله عز وجل ان الذين سبقت لهم منا الحسنى قال العلماء ان هنا بمعنى الا الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة اولئك عنها اي عن النار مبعدون وقيل الآية عامة في كل من سبقت لهم من الله السعادة وقال اكثر المفسرين يعني بذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادة من يعبده كاره وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فعرض له النضر ابن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى افحمه ثم تلا عليه انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها الآيات الثلاث ثم قام فاقبل عبد الله بن الزبعرى السهمي فاخبره الوليد ابن المغيرة بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبعرى لو انت قلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال اليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مليح يعبدون الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى يعني عزيرا والمسيح والملائكة اولئك عنها مبعدون وانزل في ابن الزبعرى ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وزعم قوم ان المراد به الملائكة والناس لقال انكم ومن تعبدون لان من لمن يعقل وما لمن لا يعقل لا يسمعون حسيسها يعني صوتها وحركتها اذا نزلوا في الجنة وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون اي من النعيم والكرامة خالدون اي مقيمون قوله تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر قال ابن عباس يعني النفخة الاخيرة وقيل هو حين يذبح الموت وينادي يا اهل النار خلود بلا موت وقيل ان يطبق جهنم وذلك بعد ان يخرج منها من يريد ان يخرجه وتتلقاهم الملائكة اي تستقبلهم الملائكة على ابواب الجنة يهنئونهم ويقولون هذا يومكم الذي كنتم توعدون اي في الدنيا قوله عز وجل يوم نطوي السماء كطي السجل للكتاب قال ابن عباس السجل الصحيفة على مكتوبها والطي هو الدرج الذي هو ضد النشر وقيل السجل اسم ملك يكتب اعمال العباد اذا رفعت اليه والمعنى نطوي السماء كما يطوي السجل الطومار الذي يكتب فيه والتقدير لا يحزنهم الفزع الاكبر في ذلك اليوم كما بدانا اول خلق نعيده اي كما بدانا في بطون امهاتهم عراة غرلا كذلك

كذلك نعيده ثم يوم القيامة عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة
فقال ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة اى قلفا قوله تعالى وعدا علينا انا كنا فاعلين
يعنى الاعادة والبعث بعد الموت قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر قيل الزبور
جميع الكتب المنزلة على الانبيا والذكر هو ام الكتاب الذى عنده ومن ذلك الكتاب ينسخ
جميع الكتب ومعنى من بعد اى ما كتب في اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور التوراة وقيل
الزبور كتاب داود والذكر هو القران وبعد هنا بمعنى قبل ان الارض يرثها عبادى الصالحون
يعنى ارض الجنة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى ان الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ
في كتب الانبيا ان الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس
ان اراضى الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله تعالى باظهار الدين واعزاز المسلمين
وقيل اراد بها الارض الارض المقدسة يرثها الصالحون بعد ما كان فيها ان في هذا القران لبلاغا
اى وصولا الى البغية يعنى من اتبع القران وعمل بما فيه وصل الى ما يرجوا من الثواب وقيل
البلاغ الكفاية اى ما فيه كفاية من الاخبار والوعيد والمواعظ البالغة والقران زاد الى
الجنة وهو قوله تعالى لقوم عابدين اى مؤمنين يعبدون الله تعالى وقيل هم امة محمد صلى
الله عليه وسلم اهل الصلاة الخمس وشهر رمضان وقال ابن عباس عالمين وقيل هم العاملون
قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قيل كان الناس اهل كفر وجاهلية وضلالة
واهل الكتابين كانوا في حيرة من امر دينهم لطول مدتهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف
في كتبهم فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين لم يكن لطالب الحق سبيل الى الفوز والثواب
فدعاهم الى الحق وبين لهم سبيل الصواب وشرع لهم الاحكام وميز الحلال من الحرام قال الله
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قيل يعنى المؤمنين خاصة فهو رحمة لهم وقال ابن عباس
هو عام في حق من امن ومن لم يؤمن فهو رحمة لهم في الدنيا بتاخير العذاب عنهم ورفع المسخ والخسف
والاستيصال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا رحمة مهداة قل انما يوحى الى انما
الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون اى منقادون لما يوحى من اخلاص الالهية والتوحيد لله تعالى والمراد
بهذا الاستفهام الامر اى اسلموا فان تولوا اى اعرضوا ولم يسلموا فقل اذنتكم اى اعلمتكم بالجواب وان
الاسلام بيننا على سواء اى انذارا بينا يستوى في علمه لا استبد انا به دونكم لتتاهبوا لما يراد بكم
والمعنى اذنتكم على وجه يستوى نحن وانتم في العلم به وقيل معناه لتستووا في الايمان واعلمتكم
بما هو الواجب عليكم من التوحيد وغيره وان ادرى اى وما اعلم اقريب ام بعيد ما توعدون
يعنى يوم القيامة لا يعلمه الا الله تعالى انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون لا يغيب عنه
علمه شئ منكم في علانيتكم وسركم وان ادرى لعله فتنة لكم اى لعل تاخير العذاب عنكم اختبار لكم
ليرى كيف صنيعكم وهو اعلم بكم ومتاع الى حين اى تتمتعون الى انقضاء اجالكم قوله تعالى قل رب
احكم اى افصل بينى وبين من كذبنى بالحق اى بالعذاب كانه استعجل العذاب لقومه فعذبوا
يوم بدر وقيل معناه افصل بينى وبينهم بما يظهر الحق للجميع وهو ان تنصرنى عليهم والله يحكم
بالحق طلب او لم يطلب ومعنى الطلب ظهور الرغبة من الطالب وربنا الرحمن المستعان على ما
تصفون اى من الشرك والكفر والاباطيل كانه سبحانه وتعالى قال قل داعيا الى رب احكم بالحق
وقل متوعدا للكفار وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون والله اعلم بمراده وتفسير كتابه

تفسير سورة الحج

وهى مكية غير ست ايات من قوله عز وجل هذان خصمان الى قوله وهدوا الى صراط الحميد

ومثى

ومئتا وثمان وسبعون اية والف ومائتان واحدى وتسعون كلمة وخمسة الاف وسبعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس اتقوا ربكم احذروا عقابه واعملوا بطاعته ورضاه ان زلزلة الساعة
شئ عظيم الزلزلة شدة الحركة على الحال الهائلة وصفها بالعظم ولا شئ اعظم مما عظمه الله تعالى
قيل هى من اشراط الساعة قبل قيامها وقال ابن عباس زلزلة الساعة قيامها فتكون معها يوم ترونها
يعنى الساعة وقيل الزلزلة تذهل قال ابن عباس تشغل وقيل تنسى كل مرضعة عما ارضعت اى كل
امراة معها ولد ترضعه وتضع كل ذات حمل حملها اى تسقط من هول ذلك اليوم كل حامل قال
الحسن تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام وتضع الحامل ما في بطنها بغير تمام فعلى هذا تكون الزلزلة في
القيامة لان بعد البعث لا تكون حبلى ومن قال تكون الزلزلة في القيامة قال هذا على وجه تعظيم
الامر وتهويله لا على حقيقته كما تقول اصابنا امر يشيب فيه الوليد يريد به شدته وترى الناس
سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله هو الذى اذهب
عقولهم وازال تمييزهم وقيل سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب ولكن عذاب الله شديد
عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله يوم القيامة يا ادم فيقول
لبيك وسعديك زاد في رواية والخير في يديك فينادى بصوت ان الله يامرك ان تخرج من ذريتك
بعثا الى النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل الف اراه قال تسعمائة وتسعة وتسعين فحينئذ تضع الحامل
حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد فشق ذلك على
الناس حتى تغيرت وجوههم زاد في رواية قالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل فقال النبى صلى
الله عليه وسلم من ياجوج وماجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد ثم انتم في الناس كالشعرة
السوداء في الثور الابيض او كالشعرة البيضاء في جنب الثور الاسود وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار
وانى لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبرنا ثم قال ثلث اهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر اهل
الجنة فكبرنا لفظ البخارى وفي حديث عمران بن الحصين وغيره ان هاتين الايتين نزلتا في غزوة
بنى المصطلق ليلا فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحثوا المطى حتى كانوا حول رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقرا عليهم فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم يحطوا السروج
على الدواب ولم يضربوا الخيام ولم يطبخوا والناس ما بين باك وجالس حزين متفكر فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اى يوم ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله لادم قم فابعث
من ذريتك بعث النار وذكر نحو حديث ابى سعيد الخدرى وزاد فيه ثم قال يدخل من امتى سبعون
الفا الجنة بغير حساب فقال عمر سبعون الفا قال نعم ومع كل واحد سبعون الفا قوله عز وجل
ومن الناس من يجادل في الله بغير نزلت في النضر بن الحرث كان كثير الجدال وكان يقول الملائكة
بنات الله والقران اساطير الاولين وكان ينكر البعث واحياء من صار ترابا ويتبع اى من جادل في الله
بغير علم كل شيطان مريد اى المتمرد المستمر في الشر وفيه وجهان احدهما انه الشياطين وهم
رؤسا الكفر الذين يدعونهم الى الكفر والثانى انه ابليس وجنوده كتب عليه اى قضى على الشيطان
انه من تولاه اى اتبعه فانه يعنى الشيطان يضله اى يضل من تولاه عن طريق الجنة ويهديه الى عذاب
السعير وفي الاية زجر عن اتباعه والمعنى كتب عليه انه من يقبل منه انه في ضلال لانه الزم الحجة منكرى
البعث فقال عز وجل يا ايها الناس ان كنتم في ريب اى شك من البعث اى بعد الموت فانا خلقناكم من
تراب اى اباكم الذى هو اصل النسل ثم من نطفة يعنى ذريته من المنى واصلها الماء القليل ثم من علقة
اى من دم جامد غليظ وذلك ان النطفة تصير دما غليظا ثم من مضغة وهى لحمة قليلة قدر ما يمضغ
مخلقة وغير مخلقة قال ابن عباس اى تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وهو السقط
وقيل المخلقة المولد الذى ياتى به لوقته وقيل غير مخلقة يعنى السقط فكانه تعالى قسم المضغة الحية

احدهما تام الصورة والحواس والتخطيط والقسم الثاني وهو الناقص عن هذه الاحوال كلها روي عن علقمة ابن مسعود موقوفا عليه قال ان النطفة اذا استقرت في الرحم اخذها ملك في كفه وقال اي رب مخلقة او غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها الرحم دما ولم تكن نسمة وان قال مخلقة قال الملك اي رب ذكر ام انثى اشقي ام سعيد ما الاجل ما العمل ما الرزق باي ارض يموت فيقال له اذهب الى ام الكتاب فانك تجد فيه كل ذلك فيذهب فيجدها في ام الكتاب فينسخها فلا تزال معه حتى ياتي على اخر صفته والذي اخرجاه في الصحيحين فيه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه وعمله واجله وشقي او سعيد ثم يكون ينفخ فيه الروح فو الذي لا اله غيره ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى لا يكون بينه وبينها الا ذراع فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها قوله تعالى لنبين لكم اي كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتدا الخلق على قدرته على الاعادة وقيل لنبين ما تاتون وما تذرون وما تحتاجون اليه في العبادة وقيل لنبين لكم ان تغيروا المضغة الى الخلقة هو اختيار من الفاعل المختار وان القادر على هذه الاشيا كيف يكون عاجزا عن الاعادة قوله تعالى ونقر في الارحام ما نشا اي لا تسقطه ولا تمجه الى اجل مسمى اي وقت خروجها من الرحم تاما الخلق ثم نخرجكم طفلا اي وقت الولادة طفلا اي صغارا وانما وحد الطفل لان الغرض الدلالة على الجنس ثم لتبلغوا اشدكم اي كمال القوة والعقل والتمييز ومنكم من يتوفى اي قبل بلوغ الكبر ومنكم من يرد الى ارذل العمر اي الهرم والخرف لكيلا يعلم من بعد علم شيئا اي يبلغ من السن ما يتغير عقله فلا يعقل شيئا فيصير كما كان في اول طفوليته ضعيف البنية سخيف العقل قليل الفهم ثم ذكر دليلا اخر على البعث فقال تعالى وترى الارض هامدة اي يابسة كانت في اول لا نبات فيها فاذا انزلنا عليها الما يعني المطر اهتزت يعني تحركت بالنبات وربت اي ارتفعت وذلك ان الارض ترتفع بالنبات وانبتت هو مجاز لان الله تعالى هو المنبت واضيف الى الارض توسعة من كل زوج بهيج اي من كل صنف حسن نضير والبهيج هو الشي البهج وهو الشي المشرق الجميل وهو ان الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب فقال تعالى ذلك اي لتعلموا بان الله هو الحق اي حدوثه هذه الاشيا دال على وجود الصانع وانه يحيي الموتى اي اذا لم يستبعد منه ايجاد الاشيا فكيف يستبعد منه اعادة الاموات وانه على كل شي قدير اي من كان قادرا على جميع الممكنات وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور اي ما ذكر من الدليل لتعلموا ان الساعة كاينة لا شك فيها وانها حق وان البعث بعد الموت حق قوله عز وجل ومن الناس من يجادل في الله بغير علم يعني النضر بن الحرث ولا هدى اي ليس معه شي من الله تعالى ولا ارشاد ولا كتاب منير اي ولا كتاب يعني الله له نور ثاني عطفه اي لاوي جنبه وعنقه متبخترا لتكبره معرضا عما يدعى اليه من الحق تكبرا ليضل عن سبيل الله اي عن دين الله له في الدنيا خزي اي عذاب وهو انه قتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن ابي معيط ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك اي يقال له ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد اي فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على اي وجه اراد تصرف في عبيده فحكمه عدل وهو غير ظالم قوله عز وجل ومن الناس من يعبد الله على حرف نزلت هذه الاية في قوم من الاعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من باديتهم فكان احدهم اذا قدم المدينة فصح بها جسمه ونتجت فيها فرسه مهرا حسنا وولدت امراته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد اصبت فيه خيرا واطمان به وان اصابه

مرض وولدت امراته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما اصبت منذ دخلت هذا الدين خيرا الا شرا فينقلب عن دينه وذلك هو الفتنة فانزل الله ومن الناس من يعبد الله على حرف اي على شك واصله من حرف الشي وهو طرفه الذي هو القايم عليه نحو حرف الجبل والحايط الذي غير مستقل فقيل للشاك في الديانة يعبد الله على حرف لانه لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكينة وطمانينة ولو عبدوا الله بالشكر على السرا والصبر على الضرا لم يكونوا على حرف وقيل هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه فان اصابه خير اي صحة في بدنه وسعة في معيشته اطمان به اي رضي به وسكن اليه وان اصابته فتنة اي بلاء في جسده وضيق في معيشته انقلب على وجهه اي ارتد ورجع على عقبيه الى الوجه الذي كان عليه في الكفر خسر الدنيا والاخرة اي خسر في الدنيا العز والكرامة ولا يبقى دمه وماله معصومين وقيل خسر في الدنيا ما كان يومل والاخرة بذهاب الدين والخلود في النار ذلك هو الخسران المبين اي البين الظاهر يدعوا من دون الله ما لا يضره اي عصاه ولم يعبده وما لا ينفعه اي اطاعه وعبده ذلك هو الضلال البعيد اي عن الحق والرشد يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه فان قلت قد قال في الاية الاولى يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه وقال في هذه الاية يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما قلت اذا حصل المعنى زال هذا الوهم وذلك ان الله تعالى قال في الاولى ما لا يضره اي لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره اي ضر عبادته وقيل انها لا تضر ولا تنفع بانفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يكفي في اضافة الضرر اليها وقيل ان الله تعالى سفه الكافر حيث عبد جمادا لا يضر ولا ينفع وهو ان يعتقد بجهله وضلالته انه سينتفع حين يستشفع به وقيل الاية في الروسا وهم الذين كانوا يفزعون اليهم لانه يصح منهم ان يضروا وينفعوا ووجه هذا القول ان الله تعالى بين في الاية الاولى ان الاوثان لا تضر ولا تنفع وهذه الاية تقتضي كون المذكور فيها ضارا نافعا فلو كان المذكور في هذه الاية الاوثان لزم التناقض فثبت انهم الروسا بدليل قوله تعالى لبئس المولى ولبئس العشير اي الناصر والصاحب المعاشر قوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد اي باوليايه واهل طاعته من الكرامات وباهل معصيته من الهوان قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله يعني نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في الدنيا اي باعلا كلمة الحق واظهار دينه والاخرة اي وفي الاخرة باعلا درجته والانتقام ممن كذبه فليمدد بسبب اي بحبل الى السما اي سقف البيت على قول الاكثرين والمعنى ليشد حبلا في سقف البيت على قول بينه فليختنق حتى يموت ثم ليقطع اي الحبل بعد الاختناق وقيل ليمد الحبل ويقطع حتى ينقطع فيموت مختنقا فلينظر هل يذهبن كيده اي صنيعه وحيلته ما يغيظ اي فلينخنق غيظا وليس هذا على سبيل الحتم لانه سبيل لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد مت غيظا وقيل المراد بالسما المرفوعة والمعنى من كان يظن ان لن ينصره الله نبيه ويكيد في امره ليقطعه عنه فليقطعه من اصله فان اصله في السما فليطلب سببا يبلغ به الى السما ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي ياتيه فلينظر هل يتهيا له الوصول الى السما بحيلة وهو يقدر على ذهاب غيظه فاذا كان ذلك ممتنعا كان غيظه عديم الفايدة وفي الاية زجر للكفار عن الغيظ فيما لا فايدة فيه روي ان الاية نزلت في قوم من بني اسد وغطفان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الايمان وكانت بينهم وبين اليهود حلف فقالوا لا يمكننا ان نسلم لانا نخاف ان لا ينصر محمد ولا يظهر امره فينقطع الحلف بيننا وبين اليهود فلا يميرونا ولا يؤوونا وقيل النصر معناه الرزق ومعنى الاية من كان يظن ان لن يرزقه الله في الدنيا والاخرة فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان الله لا يجعل مرزوقا

تقول العرب من يطع فلان نصرة الله اي من يعطى فلان اعطاه الله وكذلك انزلناه يعني القرآن آيات
بينات وان الله يهدي من يريد ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين
اشركوا قيل معناه اي يعني عبدة الاوثان وقيل الاديان ستة واحد لله وهو الاسلام وخمسة للشيطان
وهو ما عدا الاسلام ان الله يفصل بينهم اي يحكم بينهم يوم القيامة قيل يفصل بينهم في الاحوال
والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد ان الله على كل شيء شهيد
اي انه عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجري في ذلك الفصل ظلم ولا حيف وقد تقدم بسط الكلام
في هذه الآية في تفسير سورة البقرة قوله عز وجل الم تر اي الم تعلم وقيل الم تر بقلبك ان الله يسجد
له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب قيل سجود هذه
الاشياء تحول ظلالها وقيل ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر الا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف
حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع الى مطلعه وقيل معنى سجودها الساعة فانه جماد وهو
مطيع لله تعالى خاشع مسبح له كما وصفهم بالخشية والتسبيح وهذا مذهب اهل السنة وهو ان هذه
الاجسام لما كانت قابلة لجميع الاعراض التي خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة اشبهت
بطاوعتها افعال المكلف وهو السجود الذي كل خضوع دونه فان قلت هذا التاويل يبطله قوله
تعالى وكثير من الناس فان السجود بالمعنى الذي ذكرته عام في الناس كلهم فاسناده الى الكثير من الناس يكون تخصيصا
من غير فائدة قلت المعنى الذي ذكرته وان كان عاما في حق الناس الكل الا ان بعضهم تمرد وتكبر
وترك السجود في الظاهر فهذا وان كان ساجدا بذاته وبظاهره فلاجل الفرق حصل التخصيص بالذكر
وقيل معنى الآية ولله يسجد من في السموات ومن في الارض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود
الاول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى الطاعة فان قلت لو اقتصر على ما تقدم اولا وهو ان كل
الناس يسجدون قلت بين ان كثيرا من الناس يسجدون طوعا دون بعض فانهم وكثير حق عليه
العذاب وهم الكفار اي حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود مع كفرهم وامتناعهم من السجود
يسجد ظلالهم لله عز وجل ومن يهن الله فما له من مكرم اي ومن يذله الله فلا يكرمه احد ان الله
يفعل ما يشاء اي يكرم الله بالسعادة من يشاء ويهين بالشقاوة من يشاء وقيل هو الذي يتبع منه
الاكرام والهوان يوم القيامة بالثواب والعقاب فصل هذه السجدة من عزائم سجود القرآن
فيسن للقارئ والمستمع ان يسجدوا عند تلاوتها قوله عز وجل هذان خصمان اختصموا في ربهم
اي جادلوا في دينه وامره واختلفوا في هذين الخصمين فروي عن قيس بن عباد قال سمعت ابا ذر يقسم
قسما ان هذه الآية نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث وعتبة وشيبة ابني ربيعة
والوليد بن عتبة اخرجاه في الصحيحين عن علي بن ابي طالب قال انا اول من يجثو للخصومة بين يدي
الرحمن يوم القيامة قال قيس بن عباد نزلت فيهم هذه الآية هذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم
الذين بارزوا يوم بدر علي وحمزة وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة وابن اخيه الوليد بن قال محمد
ابن اسحاق فخرج يوم بدر عتبة بن ربيعة وابن شيبة بن ربيعة وابن اخيه الوليد بن عتبة ودعوا الى
المبارزة فخرج اليهم فتية من الانصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحرث وامهما عفراء وعبد الله بن رواحة
فقالوا من انتم فقالوا رهط من الانصار فقالوا حين انتسبوا اكفاء كرام ثم نادى مناديهم يا محمد اخرج
الينا اكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث ويا حمزة بن عبد
المطلب ويا علي بن ابي طالب فلما دنوا منهم قالوا من انتم فذكروا انفسهم قالوا نعم اكفاء كرام
فبارز عبيدة وكان اسن القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز علي الوليد فاما حمزة فلم يمهل
ان قتل وعلي الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما اثبت صاحبه وكر حمزة وعلي
فذففا عليه واحتملا عبيدة الى اصحابه وقد قطعت رجله ومخها يسيل فلما اتوا رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم قال اشهد انه شهيد ابن رسول الله قال نعم فقال عبيدة لو كان ابو طالب حيا لعلم انا
احق منه بما قال ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن ابنائنا والحلائل وقال ابن عباس نزلت في
المسلمين واهل الكتاب قال اهل الكتاب نحن اولى بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال
المسلمون نحن اولى بالله منكم آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم وبما انزل الله من كتاب
وانتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم وقيل المؤمنون والكافرون
من اي ملة كانوا فالمؤمنون خصم والكفار خصم وقيل هما الجنة والنار ق عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين
فقالت الجنة فما لي لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم زاد في رواية وغرتهم فقال الله عز وجل
للجنة انت رحمتي ارحم بك من اشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها فاما النار فلا تمتلئ حتى
يضع الله تعالى رجله فيقول قط قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها الى بعض ولا يظلم ربك احدا
من خلقه واما الجنة فان الله تعالى ينشئ لها خلقا وللبخاري اختصمت الجنة والنار وهذا القول
ضعيف والقول الاول اصح واولى بالصحة لان حمل الكلام على ظاهره اولى فهذا كالاشارة الى سبب
تقدم ذكره وهو اهل الاديان الستة وايضا فانه ذكر صنفين اهل طاعته واهل معصيته وذكر ما
للخصمين فقال تعالى فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار قال سعيد بن جبير ثياب من نحاس
مذاب وليس من الآنية شيء اذا احمي اشد حرا منه وسمي باسم الثياب لانه يحيط بهم كاحاطة الثياب وقيل يكسى
اهل النار مقطعات من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم اي الماء الحار الذي انتهت حرارته
يصهر به ما في اي يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم في بطونهم والجلود من الشحوم والامعاء
والجلود م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ حتى
يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذي
وقال الحديث حسن غريب ولهم مقامع من حديد اي سياط من حديد وهي المرزبة من الحديد وفي الخبر
لو وضع مقمع من حديد في الارض ثم اجتمع عليه الثقلان لم يقلوه من الارض كلما ارادوا ان يخرجوا
منها من غم اعيدوا فيها اي كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذي ياخذ
بانفاسهم وقيل لهم اي ردوا اليها بالمقامع قيل ان جهنم لتجيش بهم فتلقيهم الى اعلاها فيريدون
الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهوون فيها سبعين خريفا ذوقوا عذاب الحريق اي تقول
لهم الملائكة ذلك والحريق بمعنى المحرق ثم ذكر وصف حال احد الخصمين وهم الكفار وقال تعالى
في وصف الخصم الآخر وهم المؤمنون فقوله تعالى ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات تجري من

جنات عدن

تحتها الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وهو الابريسم الذي حرم الله
لبسه على الرجال في الدنيا عن معاوية هو جد بهز بن حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في الجنة بحر الماء
وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ق عن ابي
موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب
آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه عن ابي سعيد
الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عليهم التيجان لو لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب
اخرجه الترمذي وقال الحديث غريب ق وعن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير
في الدنيا لم يلبسه في الآخرة قوله تعالى وهدوا من الهداية اي ارشدوا الى الطيب من القول هو شهادة
ان لا اله الا الله وقيل هو لا اله الا الله والله اكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل الى القرآن وقيل
هو قول اهل الجنة الحمد لله الذي صدقنا وعده وهدوا الى صراط الحميد اي الى دين الله وهو دين
الاسلام والحميد هو الله المحمود في كل افعاله قوله عز وجل ان الذين كفروا اي بما جاء به محمد صلى الله عليه

وسلم

ويصدون عن سبيل الله اي بالمنع من الهجرة والجهاد والاسلام والمسجد الحرام اي ويصدون عن المسجد الحرام
الذي جعلناه للناس اي قبلة لصلاتهم ومنسكا ومتعبدا سواء العاكف فيه المقيم فيه فلا يمنعهم من دخوله
الطارئ المنتاب اليه من غيره اذا جاوزوا وارادوا لزوم العبادة فيه والباد اي الطارئ المنتاب من غيره
واختلفوا في معنى الاية فقيل سواء العاكف فيه والبادي في تعظيم حرمته وقضاء النسك به واليه ذهب
مجاهد والحسن والمراد منه يعني المسجد الحرام ومعنى التسوية في تعظيم الكعبة وفي فضل الصلاة فيه
والطواف وعن جبير بن مطعم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا بني عبد مناف لا تمنعوا احدا طاف بهذا
البيت وصلى اية ساعة شاء من ليل او نهار اخرجه الترمذي وابو داود والنسائي وقيل المراد منه نفس
المسجد الحرام ومعنى التسوية ان المقيم والبادي فيه سواء في النزول به ليس احدهما احق بالمنزل من
الاخر غير انه لا يزعج احدا اذا كان قد سبق الى منزل وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد
قالوا هما سواء في البيوت والمنازل قال عبد الرحمن بن سابط كان الحجاج اذا قدموا مكة لم يكن
يأخذ من اهل مكة باحق من منزله وكان عمر بن الخطاب يأمر الناس ان يغلقوا ابوابهم في الموسم
فعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة ولا اجارتها قالوا ان ارض مكة لا تملك لانها لو ملكت لم يستو
فيها العاكف والبادي فلما استويا ثبت سبيله سبيل المساجد واليه ذهب ابو حنيفة قالوا والمراد
بالمسجد الحرام جميع الحرم وعلى القول الاول والاقرب الى الصواب انه يجوز بيع دور مكة واجارتها
وهو قول طاوس وعمرو بن دينار واليه ذهب الشافعي واحتج الشافعي في ذلك بقوله تعالى الذين اخرجوا
من ديارهم بغير حق اضاف الديار الى مالكيها وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة من اغلق
بابه فهو امن ومن دخل دار ابي سفيان فهو امن فنسب الديار اليهم نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب
دار السجن باربعة الاف درهم فدلت النصوص على جواز بيعها ومن يرد فيه بالحاد اي في المسجد
الحرام بظلم اي بميل الى الظلم قيل ان الالحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله تعالى وقيل
كل شيء كان منهيا عنه من قول او فعل حتى شتم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير احرام
وارتكاب شيء من محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجرة وقال ابن عباس هو ان تقتل من لا يقتلك
وتظلم فيه من لا يظلمك وقال ابن عباس ومجاهد تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات
وقيل احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه اخرجه ابو داود وعن عبد الله بن
مسعود في قوله ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم قال لو ان رجلا هم بخطيئة
لم تكتب عليه ما لم يعملها ولو ان رجلا هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن ابين او ببلد اخر اذاقه
الله عذابا اليما قال السدي الا ان يتوب وروي عن عبد الله بن عمرو انه كان له فسطاطان
احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فسئل عن ذلك
فقال كنا نحدث ان من الالحاد فيه ان يقول الرجل كلا والله وبلى والله قوله تعالى واذ
بوأنا لابراهيم مكان البيت قال ابن عباس جعلنا وقيل بينا وانما ذكر البيت لان
لان الكعبة رفعت الى السماء زمن الطوفان فلما امر الله تعالى ابراهيم عليه السلام ببناء
البيت لم يدر اين يبني فبعث الله ريحا خجوجا فكنست له ما حول البيت عن الاساس وقيل
بعث الله سبحانه وتعالى سحابة بقدر البيت فقامت بحيال البيت فيها رأس يتكلم يا ابراهيم
ابن على قدري فبنى عليه ان لا تشرك بي شيئا اي عهدنا الى ابراهيم وقلنا له لا تشرك بي شيئا
وطهر بيتي اي من الشرك والاوثان والاقذار للطائفين اي الذين يطوفون بالبيت
والقائمين اي المقيمين والركع السجود اي المصلين قوله عز وجل واذن اي واعلم وناد
والاذان في اللغة الاعلام في الناس قال ابن عباس اراد بالناس اهل القبلة بالحج فقال
ابراهيم عليه السلام وما يبلغ صوتي فقال الله عز وجل عليك الاذان وعلينا البلاغ

فقام

فقام ابراهيم على المقام حتى صار كاطول الجبال وادخل اصبعيه في اذنيه واقبل بوجهه يمينا
وشمالا وشرقا وغربا وقال يا ايها الناس الا ان ربكم قد بنى بيتا وكتب عليكم الحج الى البيت
فاجيبوا ربكم فاجابه كل من يحج من اصلاب الاباء وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك قال ابن عباس
فاول من اجابه اهل اليمن فهم اكثر الناس حجا وروي ان ابراهيم صعد ابا قبيس ونادى وزعم الحسن
ان المأمور بالاذان هو محمد صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا يأتوك
رجالا اي مشاة على ارجلهم جمع راجل وعلى كل ضامر اي ركبانا على الابل المهزول من كثرة السير وبدأ
بذكر المشاة تشريفا لهم يأتين من اي جماعة الابل من كل فج عميق اي من كل طريق بعيد قصد الى مكة فكأنه قد
اتى ابراهيم لانه يجيب نداءه قوله تعالى ليشهدوا منافع لهم قيل العفو والمغفرة وقيل التجارة وقال
ابن عباس وقيل ما يرضي الله به من امر الدنيا والاخرة ويذكروا اسم الله في ايام معلومات يعني عشر ايام
ذي الحجة في قول اكثر المفسرين قيل لها معلومات للحرص على علمها من اجل الحج في اخرها وعن ابن عباس
انها ايام عرفة والنحر وايام التشريق وقيل انها ايام النحر وثلاثة ايام بعده على ما رزقهم من
بهيمة الانعام يعني الهدايا والضحايا تكون من هذه الايام فكلوا منها امر اباحة ليس بواجب وذلك
ان الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم فامر الله بمخالفتهم اتفق العلماء على ان الهدي اذا
كان تطوعا يجوز للمهدي ان يأكل منه وكذلك اضحية التطوع لما روي عن جابر بن عبد الله في قصة
حجة الوداع قال وقدم علي ببدن من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر
رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ثلاثا وستين ونحر علي ما غبر اي ما بقي واشركه في بدنه ثم
امر من كل بدنة ببضعة فجعلت في قدر وطبخت فاكلا من لحمها وشربا من مرقها اخرجه مسلم
قوله ما غبر اي ما بقي قوله ببضعة اي بقطعة واختلف العلماء في الهدي الواجب في الشرع مثل
دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي ان يأكل
من لحم هديه شيئا قال الشافعي لا يأكل منه شيئا وكذلك ما اوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر
لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل مما سوى ذلك وبه قال احمد واسحاق وقال مالك يأكل
من هدي التمتع ومن كل هدي وجب عليه الا من فدية الاذى وجزاء الصيد والمنذور وعند اصحاب
الرأي انه يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما قوله تعالى واطعموا البائس
الفقير يعني الزمن الذي لا شيء له قوله ثم ليقضوا تفثهم اي ليزيلوا ادرانهم واوساخهم والمراد
منه الخروج عن الاحرام بالحلق وقص الشارب ونتف الابط وقلم الاظفار والاستحداد ولبس
الثياب والحاج اشعث اغبر اذا لم تزل عنه هذه الاوساخ وقال ابن عمر وابن عباس التفث
مناسك الحج كلها وليوفوا نذورهم اراد نذر الحج والهدي وما ينذر الانسان من شيء اي ليتموها
بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر وهو ظاهره وقيل المراد به الخروج عما وجب عليه نذره
او لم ينذره وليطوفوا بالبيت العتيق اراد به طواف الواجب وهو طواف الافاضة ووقته
يوم النحر بعد الرمي والحلق والطواف ثلاثة طواف وهو اول قدوم مكة يطوف بالبيت
سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الاسود الى ان ينتهي اليه ويمشي اربعا وهذا الطواف سنة لا شيء
على من تركه ق وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف الطواف الاول خب ثلاثا
ومشى اربعا وفي رواية ثم يصلي ركعتين يعني بعد الطواف بالبيت ثم يسعى بين الصفا
والمروة ولفظ ابي داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا طاف في الحج والعمرة اول
ما يقدم فانه يسعى ثلاثة اطواف ويمشي اربعا ثم يصلي سجدتين والطواف الثاني هو
طواف الافاضة وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق ق عن عائشة قالت حاضت صفية ليلة
النفر فقالت ما اراني الا حابستكم قال النبي صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى اطافت يوم النحر

قيل نعم قال فانفري قوله عقرى حلقى معناه عقرها الله أي أصابها بالعقر وبوجع في حلقها وقيل
معناه مشؤومة مؤذية ولم يرد به الدعاء عليها وإنما هو شيء يجري على ألسنة العرب كقولهم تربت
يمينك وفيه دليل على أنه لو لم يطف يوم النحر طواف الإفاضة لا يجوز له أن ينفر والطواف الثالث
طواف الوداع لا رخصة لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصر في أن يفارقها حتى يطوف
سبعا فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائض فإنه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روي عن
ابن عباس قال أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه رخص للمرأة الحائض متفق عليه والرمل
سنة تختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع وقوله بالبيت العتيق قال
ابن عباس وغيره أن الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقيل
وقيل لأنه أول بيت وضع للناس وقيل لأن الله تعالى أعتقه من الغرق فإنه رفع أيام الطوفان
قط وقيل لأنه لم يملك ذلك أي الأمر ذلك يعني ما ذكر من أعمال الحج ومن يعظم حرمات الله أي
ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملابستها وقيل حرمات الله ما لا يحل انتهاكه
وقيل الحرمة ما وجب القيام به وحرم التفريط فيه وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها
إقامتها وإتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بأنه يجب
القيام بمراعاتها وحفظ حرمتها فهو خير له عند ربه أي ثواب تعظيم الحرمات خير له عند ربه في الآخرة
وأحلت لكم الأنعام أي أن تأكلوها بعد الذبح وهي الإبل والبقر والغنم إلا ما يتلى عليكم أي
تحريمه وهو قوله في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والدم الآية فاجتنبوا الرجس
من الأوثان أي اتركوا عبادتها فإنها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمى الأوثان رجسا
لأن عبادتها أعظم التلوث بالنجاسات واجتنبوا قول الزور أي الكذب والبهتان وقال
ابن مسعود شهادة الزور وروي عن ابن خريم قال إن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا
فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور إشراكا بالله ثم قرأ رسول الله فاجتنبوا الرجس
من الأوثان واجتنبوا قول الزور أخرجه الترمذي وقال قد اختلفوا في روايته ولا نعرف
لأيمن سماعا من النبي صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود عن خريم فاتك ونحوه وقيل هو قول
المشركين في تلبيتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك قوله تعالى حنفاء لله
أي مخلصين غير مشركين به عن ذلك أن المكلف ينوي بما يأتيه من العبادات الإخلاص بها
لا غيره وقيل كانوا في الشرك يحجون ويحرمون البنات والأمهات والأخوات وكانوا
حنفاء فنزلت حنفاء لله غير مشركين به أي حجاجا مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفا
ومن يشرك بالله فكأنما خر أي سقط من السماء إلى الأرض فتخطفه الطير أي تستلبه وتذهب به أو تهوي
به الريح أي تميل وتذهب في مكان سحيق أي بعيد ومعنى الآية أن بعد من أشرك بالله عن الحق
والإيمان كبعد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل إليه بحال وقيل
شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء لأنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقطه الريح فهو
هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه أو بسقوطه من المكان السحيق وقيل معنى الآية من أشرك
بالله فقد أهلك نفسه إهلاكا ليس وراءه إهلاك فإن صوره حاله بصورة حال من خر من السماء
فاختطفته الطير فتفرقت به أجزاؤه في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في بعض المهالك
البعيدة وقيل شبه الإيمان بالسماء في علوه والذي ترك الإيمان بالساقط من السماء والأهواء التي
تتوزع أفكاره بالطير والشياطين المختطفة التي تطرحه في وادي الضلالة بالريح التي تهوي
بما عصفت به في بعض المهالك المتلفة قوله تعالى ذلك يعني الذي ذكر من اجتناب الرجس
وقول الزور ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب تعظيم شعائر الله من تقوى

القلوب



القلوب قال ابن عباس شعائر الله البدن والهدي وأصلها من الإشعار وهي العلامة التي تعرف بها أنها هدي
وتعظيمها استسمانها واستحسانها وقيل شعائر الله أعلام دينه وتعظيمها من تقوى القلوب لكم
فيها أي في البدن منافع قبل أن يسميها المهدي في درها ونسلها وصوفها ووبرها وركوب ظهرها إلى أجل
مسمى أي إلى أن يسميها هديا فإذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها وهو قول مجاهد وقتادة
والضحاك في رواية عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هديا
بأن تركبوها وتشربوا من ألبانها عند الحاجة إلى أجل مسمى يعني إلى أن تنحروها وهو قول عطاء
واختلف العلماء في ركوب الهدي فقال مالك والشافعي وإسحاق يجوز ركوبها والسعي عليها من غير
ضرر فيها لما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها
فقال يا رسول الله إنها بدنة فقال اركبها ويلك في الثانية أو الثالثة أخرجاه في الصحيحين
وكذلك يجوز له أن يشرب لبنها بعد ما يفضل عن ري ولدها وقال أصحاب الرأي لا يركبها إلا أن
يضطر إليها وقيل أراد بالشعائر المناسك ومشاهدة مكة لكم فيها منافع أي بالتجارة
والأسواق إلى أجل مسمى أي إلى الخروج من مكة وقيل لكم فيها منافع أي منحرها عند البيت العتيق
أي بالأجر والثواب في قضاء المناسك إلى انقضاء الحج ثم محلها إلى البيت العتيق أي منحرها إلى البيت
عند البيت العتيق يريد أرض الحرم وروي عن جابر في حديث حجة الوداع أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال نحرت هاهنا ومنى كلها منحر فانحروا في رحالكم ومن قال الشعائر المناسك
قال معناه ثم محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق يطوفون به طواف الزيارة قوله
تعالى ولكل أمة أي جماعة مؤمنة سلفت قبلكم جعلنا منسكا قرئ بكسر السين أي منحرا وهو
موضع القربان ومنسكا بفتح السين وهو إراقة الدم وذبح القرابين ليذكروا اسم الله
على ما رزقهم من بهيمة الأنعام أي عند ذبحها ونحرها سماها بهيمة الأنعام لأنها لا تتكلم وقيد بالأنعام
لأن ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين وإن جاز أكله قوله تعالى فإلهكم إله واحد أي سموا على
الذبح اسم الله وحده فإن إلهكم إله واحد فله أسلموا أي أخلصوا وانقادوا وأطيعوا وبشر
المخبتين قال ابن عباس المتواضعين وقيل المطمئنين إلى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم
وقيل هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم الله تعالى فقال الذين إذا ذكر
الله وجلت أي خافت من عقاب الله فيظهر عليهم الخشوع والتواضع لله تعالى قلوبهم والصابرين
على ما أصابهم أي من البلاء والمرض والمصائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير
الله تعالى كظلم فله أن يصبر عليه وكذا أن ينتصر لنفسه والمقيمي الصلاة أي في أوقاتها
والمحافظة عليها ومما رزقناهم ينفقون أي يتصدقون قوله تعالى والبدن جمع بدنة سميت
بدنة لعظمها وضخامتها يريد الإبل الصحاح الأجسام والبقر ولا تسمى الغنم بدنة لصغرها جعلناها
لكم من شعائر الله أي من أعلام دينه وقيل لأنها تشعر وهو أن تطعن بحديدة في سنامها فيعلم بذلك
أنها هدي لكم فيها خير أي نفع في الدنيا وثواب في العقبى فاذكروا اسم الله عليها عند نحرها
صواف أي قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجليها ويدها اليمنى والأخرى معقولة فينحرها كذلك
خ عن زياد بن جبير قال رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنته ينحرها فقال ابعثها قياما مقيدة
سنة محمد صلى الله عليه وسلم فإذا وجبت جنوبها أي سقطت بعد النحر ووقعت على الأرض جنوبها
فكلوا منها أمر إباحة وأطعموا القانع والمعتر قيل القانع الجالس في بيته والمتعفف يقنع
بما يعطى ولا يسأل والمعتر هو الذي يتعرض ولا يسأل وقيل القانع هو المسكين والمعتر
هو الذي يسكن ولا يكون له ذبيحة يريك نفسه ويتعرض ولا يسأل وقيل القانع هو المسكين
والمعتر هو الذي ليس بمسكين ولا يكون له ذبيحة يجيء القوم فيتعرض لهم لأجل اللحم كذلك أي مثل نحرها

قياماً سخرناها اي لتتمكنوا من نحرها قياماً لعلكم تشكرون اي من انعام الله تعالى عليكم لن ينال الله
لحومها ولا دماؤها وذلك ان الجاهلية كانوا اذا نحروا البدن لطخوا الكعبة بدمائها يزعمون ان
ذلك قربة الى الله تعالى فقال الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها اي لن ترفع اليه لحومها
ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم اي ولكن يرتفع الى الله التقوى لاعمال والاخلاص وهو ما اريد
به وجه الله سبحانه وتعالى كذلك سخرها لكم يعني البدن لتكبروا الله على ما هداكم واشكروا
لمعالم دينه ومناسك حجه وهو ان يقول الله اكبر على ما هدانا والحمد لله على ما اولانا وبشر المحسنين
قال ابن عباس الموحدين قوله تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا اي يدفع غائلة المشركين عن المؤمنين
ويمنعهم وينصرهم عليهم ان الله لا يحب كل خوان كفور اي خوان امانة الله كفور لنعمته قال
ابن عباس خانوا الله فجعلوا معه شريكا وكفروا نعمه وقيل من تقرب الى الاصنام بذبيحته وسمى
على الذبيحة غيره فهو خوان كفور قوله تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا اي اذن لهم بالجهاد
ليقاتلوا المشركين قال المفسرون كان مشركي اهل مكة يؤذون اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلا يزالون يجيئون من بين مضروب ومشجوج يشكون ذلك الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فيقول اصبروا فاني لم اؤمر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله هذه الاية وهي اول اية اذن فيها بالقتال وقيل نزلت هذه الاية في قوم باعيانهم خرجوا
مهاجرين من مكة فاذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بانهم ظلموا اي بسبب
ما ظلموا واعتدوا عليهم بالايذاء وان الله على نصرهم لقدير فيه وعد من الله بنصر المؤمنين
ثم وصفهم فقال تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله يعني انهم
اخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار والتعظيم والتمكين لا
موجب الاخراج ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اي بالجهاد واقامة الحدود لهدمت
صوامع وبيع اي صوامع الرهبان المتخذة في الصحراء وبيع وهي معابد النصارى في البلد وقيل
الصوامع للصابئين والبيع للنصارى وصلوات يعني كنائس اليهود ويسمونها بالعبرانية صلوتا
ومساجد يعني مساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا يعني في المساجد ومعنى الاية لولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت في شريعة كل نبي مكان صلواتهم لهدمت في زمن موسى الكنائس
وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد صلى الله عليه وسلم المساجد ولينصرن الله من ينصره
اي ينصر دينه ونبيه ان الله لقوي عزيز اي على نصر من ينصر دينه ونبيه عزيز اي لا يضام
ولا يمنع مما يريده قوله عز وجل الذين ان مكناهم في الارض اي نصرناهم على عدوهم حتى مكنوا
في البلاد اقاموا الصلاة واتوا الزكاة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر هذا وصف
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهو جميع هذه الامة وقيل هم جميع المهاجرين وهو الاصح
لان قوله الذين ان مكناهم صفة لمن تقدم ذكرهم وهو قوله الذين اخرجوا من ديارهم بغير
حق وهم المهاجرين ولله عاقبة الامور اي اخر امور الخلق مصيرها الى الله وذلك انه يبطل
كل ملك سوى ملكه فتصير الامور كلها اليه بلا منازع قوله تعالى وان يكذبوك فيه تسلية له
وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ان كذبوك قومك فقد كذبت قبلهم قوم
نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى فان قلت
لم قال وكذب موسى ولم يقل قوم موسى قلت فيه وجهان احدهما ان موسى لم يكذبه قومه وهم
بنو اسرائيل وانما كذبه غير قومه وهم القبط الثاني كانه قيل بعد تعديد كل قوم رسولهم قال
وكذب موسى ايضا مع وضوح اياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره فامليت للكافرين اي امهلتهم
واخرت العقوبة عنهم ثم اخذتهم اي عاقبتهم فكيف كان نكير اي انكاري عليهم ما فعلوا

من

من التكذيب والعذاب والهلاك يخوف به من خالف رسوله صلى الله عليه وسلم وكذبه قوله عز وجل
فكاين من قرية اهلكناها وقرئ اهلكتها على التعظيم وهي ظالمة اي واهلها ظالمون فهي خاوية اي ساقطة
على عروشها اي سقوفها وبئر معطلة اي وكم من بئر معطلة اي متروكة مخلاة عن اهلها وقصر مشيد
اي رفيع طويل عال وقيل مجصص وقيل البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن اما القصر فعلى قلة جبل
والبئر في سفحه ولكل منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فاهلكهم الله وبقي البئر والقصر خاليين وقيل
ان هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضوراء وذلك ان اربعة الاف نفر ممن امن بصالح
عليه السلام لما نجوا من العذاب اتوا الى حضرموت ومعهم صالح فلما حضروه مات صالح فسمي المكان
حضرموت لذلك ولما مات صالح بنوا حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وامروا عليهم رجلا منهم فاقاموا
دهرا ثم انهم تناسلوا حتى كثروا وعبدوا الاصنام فارسل الله عليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان وكان
حمالا فيهم فقتلوه في السوق فاهلكهم الله وعطلت بئرهم وخرب قصرهم قوله تعالى افلم يسيروا
في الارض يعني كفار مكة فينظروا الى مصارع المكذبين من الامم الخالية فتكون لهم قلوب يعقلون
بها اي يعلمون بها او اذان يسمعون بها يعني ما يذكر لهم من اخبار القرون الماضية فيعتبرون فانها لا
تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور المعنى ان عمى القلب هو الضار في امر الدين لا عمى
البصر لان البصر بلغة ومتعة وبصر القلوب هو البصر النافع ويستعجلونك بالعذاب نزلت
في النضر بن الحارث ولن يخلف الله وعده انه انجز ذلك يوم بدر وان يوما عند ربك كالف سنة مما
تعدون قال ابن عباس يعني يوما من ايام الاخرة يدل عليه ما روي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابشروا يا معشر صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة
قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقداره خمسمائة سنة اخرجه ابو داود بزيادة فيه واخرج
الترمذي نحوه ومعنى الاية انهم يستعجلون بالعذاب وان يوما من ايام عذابهم في الاخرة كالف سنة
فكيف تستعجلونه وقيل معناه ان يوما عنده والف سنة في الامهال سواء لانه قادر متى شاء اخذهم
لا يفوتونه شيء بالتاخير فيستوي في قدرته وقوع ما يستعجلون من العذاب وتاخيره وهذا معنى قول الاية
وكاين من قرية امليت لها اي امهلتها وهي ظالمة اي مع استمرار اهلها على الظلم ثم اخذتها اي انزلت
عليهم العذاب والى المصير يعني مصيرهم في الاخرة ففيه وعيد وتهديد قوله عز وجل قل يا ايها
الناس انما انا لكم نذير مبين امر الله الرسول صلى الله عليه وسلم انما انا نذير مبين ردف ذلك بان
امره بوعد من امن ووعيد من عصى فقال فالذين امنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة اي ستر لصغائر
ذنوبهم وقيل الكبائر بمقتضى التوبة ورزق كريم لا ينقطع ابدا وقيل هو الجنة قوله تعالى والذين
سعوا في اياتنا اي عملوا في اياتنا ابطال اياتنا معاجزين اي مثبطين الناس عن الايمان وقرئ معجزين
اي معاندين مسابقين وقيل معناه ظانين ومقدرين انهم يعجزوننا ويفوتوننا فلا نقدر عليهم بزعمهم ان
لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار اولئك اصحاب الجحيم قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم تولي قومه وشق عليه ما راى من مباعدتهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى في نفسه
ان ياتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على ايمانهم فكان يوما في مجلس لقريش فانزل الله
عز وجل سورة والنجم فقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا قرا افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فلما
سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته فقرا السورة كلها
وسجد في اخرها وسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد
مؤمن ولا كافر الا سجد غير الوليد بن المغيرة وابو احيحة سعيد بن العاص فانهما اخذا حفنة من

السجدة ورفعها الى جبهته لانه كان شيخا كبيرا ولم يستطع السجود وتفرقت قريش
وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا هذه تشفع باحسن الذكر
وقالوا قد عرفنا ان الله يحيي ويميت ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فان جعل
لها محمد نصيبا فنحن معه فلما امسى رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فقال يا محمد
لقد ماذا صنعت لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله عز وجل فحزن رسول الله صلى
الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله خوفا كثيرا فانزل الله تعالى هذه الآية يعزيه
بقوله عز وجل وكان ربك رحيما وسمع بذلك من كان في ارض الحبشة من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجود قريش وقيل قد اسلمت قريش واهل مكة فرجع اكثرهم
الى عشائرهم واصحابهم وقالوا هم احب الينا حتى اذا دنوا الى مكة فبلغهم ان الذي كانوا يتحدثون
به من اسلام اهل مكة كان باطلا فلم يدخل احد منهم الا بجوار او مستخفيا فلما نزلت هذه الآية
قالت قريش ندم محمد على ذكر منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان القى الشيطان
على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع في فم كل مشرك فازدادوا شرا الى ما كانوا
عليه وشدة على من اسلم قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الرسول هو الذي
يأتيه جبريل بالوحي عيانا والنبي هو الذي تكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبي وليس
كل نبي رسولا الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته اي احب شيئا واشتهاه وحدثته به نفسه مما لم
يؤمر به القى الشيطان في امنيته اي في مراده قال ابن عباس ان حدث الشيطان في حديثه ووجد اليه
سبيلا والمعنى ما من نبي تمنى ان يؤمن قومه ولم يتمن ذلك نبي الا القى الشيطان عليه ما يرضى
قوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان وقال اكثر المفسرين يعني ما تمنى قرأه وتلا كتاب الله
القى الشيطان في امنيته اي في تلاوته وقال حسان في عثمان حين قتل

تمنى كتاب الله اول ليلة ... واخرها لاقى حمام المقادر

فان قلت قد قطعت الدلائل على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم
فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا قال الله
تعالى وما ينطق عن الهوى وقال تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم
حميد فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله عليه وسلم وهو معصوم منه قلت ذكر العلماء على
الاشكال اجوبة احدها توهين اهل هذه القصة وذلك انه لم يروها احد من اهل الصحة ولا اسندها
بسند صحيح او سليم متصل وانما رواها المفسرون والمؤرخون والمولعون بكل غريب الملفقون
من الصحف كل صحيح وسقيم والذي يدل على ضعف هذه القصة اضطراب رواتها وانقطاع
سندها واختلاف الفاظها فقائل يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في الصلاة وآخر
يقول قرأها وقد اصابته سنة وآخر يقول بل حدثته نفسه بها فجرى على لسانه ذلك وآخر
يقول ان الشيطان قالها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا
اقرأتك الى غير ذلك من اختلاف الفاظها والذي جاء في الحديث الصحيح من حديث عبد
الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان
شيخا اخذ كفا من حصا وتراب فرفعه الى جبهته فقال عبد الله فلقد رأيته بعد قتل كافرا اخرجه
البخاري ومسلم وصح من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد من
كان معه المسلمون والمشركون والجن والانس رواه البخاري فهذا الذي جاء في الصحيح
لم يذكر فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر تلك الالفاظ ولا قرأها والذي ذكره المفسرون
عن ابن عباس في هذه القصة فقد رواه عنه الكلبي وهو ضعيف جدا [illegible]

الجواب

الجواب الثاني وهو من حيث المعنى وهو ان الحجة قد قامت بالدليل الصحيح واجماع
الامة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة وهو تمنيه ان
ينزل عليه مدح آلهة غير الله وان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس
فيه حتى ينبهه جبريل عن ذلك وهذا كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل
ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين الآية الجواب
الثالث في تسليم وقوع هذه القصة وسبب سجود الكفار ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا قرأ القرآن يرتله ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا كما صح عنه في قراءته فيحتمل ان الشيطان
ترصد لتلك السكتات فدس فيها اختلقه من تلك الكلمات محاكيا صوت النبي صلى الله عليه
وسلم فسجدوا معه لسجوده فاما المسلمون فلم يقدح ذلك عندهم لتحققهم من حال النبي صلى الله
عليه وسلم ذم الاوثان وعيبها وانهم كانوا يحفظون السورة كما انزلها الله عز وجل الجواب
الرابع في تفسير الآية وقد تقدم ان التمني يكون بمعنى حديث النفس وبمعنى التلاوة
فعلى الاول يكون معنى قوله الا اذا تمنى اي خطر بباله وتمنى بقلبه بعض الامور ولا يبعد
انه اذا قوي التمني اشتغل الخاطر فحصل السهو في الافعال الظاهرة وعلى الثاني وهو
تفسير التمني بالتلاوة فيكون معنى قوله الا اذا تمنى اي تلا وهو ما يقع للنبي صلى
الله عليه وسلم من السهو في اسقاط آية او آيات او كلمة وهو نحو ذلك ولكنه لا يقر
على هذا السهو بل ينبه عليه ويذكر به للوقت والحين كما صح في الحديث لقد اذكرني كذا
وكذا آية كنت انسيتها من سورة كذا وحاصل هذا ان الغرض من هذه الآية ان الانبياء
والرسل وان كان عصمهم الله تعالى عن الخطأ فلم يعصمهم عن جواز النسيان عليهم بل حالهم
في جواز ذلك كحال سائر البشر والله سبحانه وتعالى اعلم قوله عز وجل فينسخ الله ما يلقي
الشيطان اي يبطله ويذهبه ثم يحكم الله آياته اي يثبتها والله عليم حكيم قوله تعالى ليجعل ما يلقي
الشيطان فتنة اي محنة وبلية والله تعالى يمتحن عباده بما يشاء للذين في قلوبهم مرض اي شك
ونفاق والقاسية قلوبهم اي الجافية قلوبهم عن قبول الحق وهم المشركون وان الظالمين
لفي شقاق بعيد اي في خلاف شديد قوله تعالى وليعلم الذين اوتوا العلم اي التوحيد والقرآن
والتصديق بنسخ الله ما يشاء انه الحق من ربك اي الذي احكم الله من آيات القرآن من ربك
فيؤمنوا به اي يعتقدوا انه من الله عز وجل فتخبت له قلوبهم اي تسكن اليه وان الله
لهادي الذين آمنوا الى صراط مستقيم اي طريق قويم وهو الاسلام قوله تعالى ولا يزال الذين
كفروا في مرية منه في شك من القرآن وقيل من الدين الذي هو صراط مستقيم حتى تأتيهم الساعة
بغتة اي فجأة وقيل اراد بالساعة الموت او يأتيهم عذاب يوم عقيم اي عذاب يوم لا ليلة
له وهو يوم القيامة وقيل هو يوم بدر سمي عقيما لانه لم يكن في ذلك للكفار خير كالريح العقيم
لا تأتي بخير وقيل لانه لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه الملك يومئذ يعني يوم
القيامة لله وحده من غير منازع ولا مشارك يحكم بينهم ثم بين ذلك الحكم فقال
تعالى فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فاولئك
لهم عذاب مهين قوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله اي فارقوا اوطانهم وعشائرهم في
طاعة الله تعالى وطلب رضاه ثم قتلوا او ماتوا ليرزقنهم الله رزقا حسنا اي لا ينقطع ابدا
وهو رزق الجنة لان فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وان الله لهو خير الرازقين فان
قلت الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل لا رازق للخلق غيره فكيف قال وان الله
لهو خير الرازقين قلت يسمى غير الله رازقا على المجاز كقولهم رزق السلطان الجند اي اعطاهم

ارزاقهم وان الرازق في الحقيقة هو الله تعالى يعطي من الرزق ما لا يقدر عليه احد غيره
ليدخلنهم مدخلا يرضونه يعني الجنة يكرمون به ولا ينالهم فيه مكروه وان الله لعليم بنياتهم
حليم عنهم قوله عز وجل ذلك اي الامر الذي قصصناه عليكم ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم
اي جاوز الظالم بمثل ما ظلمه وقيل يعني قاتل المشركين كما قاتلوه بغي عليه اي ظلم باخراجه
من منزله يعني ما اتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى اخرجوهم الى مفارقة اوطانهم نزلت
في قوم من المشركين اتوا اقواما من المسلمين فنصرهم الله فذلك قوله تعالى لينصرنه الله ان
الله لعفو عن مساوي المؤمنين غفور لذنوبهم قوله تعالى ذلك بان الله اي ذلك النصر
بانه القادر على ما يشا فمن قدرته انه يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل في
معنى هذا الايلاج قولان احدهما انه يجعل ظلمة الليل مكان ضيا النهار وذلك بغيبوبة
الشمس القول الثاني هو ما يزيد من احدهما ينقص من الاخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه
الا الله تعالى وان الله سميع بصير ذلك بان الله هو الحق اي ذو الحق في قوله وفعله ودينه
حق وعبادته حق وان ما يدعون يعني المشركين من دونه هو الباطل يعني الاصنام التي ليس
عندها ضر ولا نفع وان الله هو العلي الكبير اي العالي على كل شي العظيم قدرته وسلطانه
قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السما ما فتصبح الارض مخضرة ان الله لطيف خبير
اي باستخراج النبات من الارض رزقا للعباد والحيوان وخبير بما في قلوب العباد اذا تاخر عليهم
المطر له ما في السموات وما في الارض اي عبيدا وملكا وان الله لهو الغني الحميد اي الغني
عن عباده والحميد في افعاله الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض اي الدواب التي تركب في البر
والفلك اي سخر لكم السفن تجري في البحر بامره اي سخر لها الما والرياح ولولا ذلك لما جرت
ويمسك السما ان تقع اي لكيلا تسقط على الارض الا باذنه ان الله بالناس لرؤف
رحيم انه انعم بهذه النعم الجامعة لمنافع الدين والدنيا وقد بلغ الغاية في الانعام والا
حسان فهو اذا رؤف رحيم بكم وهو الذي احياكم ثم يميتكم اي انشاكم ولم تكونوا شيا ثم يميتكم
اي عند انقضا اجالكم ثم يحييكم اي يوم البعث للثواب والعقاب ان الانسان لكفور اي
لجحود لنعم الله عز وجل قوله تعالى لكل امة جعلنا منسكا قال ابن عباس شريعة هم ناسكوه
اي عاملون بها وعنه انه قال عيدا وقيل موضع قربان يذبحونه وقيل موضع عبادة فلا ينازعنك
في الامر اي في امر الذبائح نزلت في بديل بن ورقا وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لاصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لكم تاكلون مما تقتلونه بايديكم ولا تاكلون مما قتله
الله وقيل معناه لا تنازعهم انت وادع الى ربك اي الى الايمان به والى دينه انك لعلى
هدى مستقيم اي على دين واضح مستقيم وان جادلوك اي خاصموك في امر الذبح وغيره فقل
الله اعلم بما تعملون اي من التكذيب الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون
اي فتعرفون حينئذ الحق من الباطل وقيل حكم يوم القيامة بينهم ترديد بين جنة وثواب لمن
قبلوا وبين نار وعقاب لمن ردوا قوله عز وجل الم تعلم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل
فيه الامة ان الله يعلم ما في السما والارض ان ذلك في كتاب اي في اللوح المحفوظ ان
ذلك على الله يسير وذلك علمه بجميعه وذلك ان كتبه الحوادث مع انها من الغيب
على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي حجة ظاهرة من
دليل نقلي وما ليس لهم به علم اي انهم فعلوا ما فعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل
عقلي وما للظالمين اي المشركين من نصير اي مانع يمنعهم من العذاب واذا تتلى
عليهم اياتنا بينات يعني القران وصفه بذلك لان فيه بيان الاحكام والفصل بين

الحلال

الحلال والحرام تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر اي الانكار والكراهية تتبين ذلك في وجوههم
يكادون يسطون اي يقعون ويبسطون اليهم ايديهم بالسوء وقيل يبطشون بالذين يتلون عليهم اياتنا
اي محمد واصحابه من شدة الغيظ قل لهم يا محمد افانبئكم بشر من ذلكم اي بشر لكم واكره اليكم من
هذا القران الذي تسمعون النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير قوله تعالى يا ايها الناس
ضرب مثل فاستمعوا له فان قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا قلت ما كان المثل في الاكثر
نكتة عجيبة غريبة جاز ان يسمى كل كلام كان كذلك مثلا وقال صاحب الكشاف قد سميت الصفة او القصة
الرائعة الملتقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها عندهم
مستحسنة مستغربة فاستمعوا له اي تدبروه حق تدبره فان الاستماع بلا تدبر وتعقل لا ينفع
ومعنى الاية جعل لي شبيه وشبه بي الاوثان اي جعل المشركون الاصنام شركاي يعبدونها ثم بين
حالها وضعفها فقال تعالى ان الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام لن يخلقوا ذبابا اي واحدا
في صغره وضعفه وقلته لانها لا تقدر على ذلك ولو اجتمعوا له اي لخلقه والمعنى ان هذه الاصنام
لو اجتمعوا لم يقدروا على خلق ذبابة على ضعفها وصغرها فكيف يليق بالعاقل جعلها معبودا
قوله تعالى وان يسلبهم الذباب شيا لا يستنقذوه منه قال ابن عباس كانوا يطلون الاصنام
بالزعفران فاذا جف جاء الذباب فاستلب منه وقيل كانوا يضعون الطعام بين يدي الاصنام فيقع
الذباب عليه وياكل منه ضعف الطالب والمطلوب قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب
ما يسلبه من الطيب الذي على الصنم والمطلوب هو الصنم وقيل الطالب عابد الصنم والمطلوب
هو الصنم ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموا الله حق عظمته وما عرفوه حق معرفته
ولا وصفوه حق صفته حتى اشركوا به ما لا يمتنع من الذباب ولا ينتصف منه ان الله لقوي
لا يقهر عزيز لا يغلب قوله تعالى الله يصطفي من الملائكة رسلا اي يختار من الملائكة رسلا كجبريل
وميكائيل واسرافيل وعزرائيل وغيرهم ومن الناس اي ويختار الله من الناس رسلا مثل ابراهيم
وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الانبيا والرسل صلوات الله عليهم اجمعين نزلت حين قال المشركون
اانزل عليه الذكر من بيننا فاخبر الله ان الاختيار اليه يختار من عباده لرسالته ان الله سميع
اي لاقوالهم بصير اي لافعالهم لا يخفى عليه خافية وهو قوله تعالى يعلم ما بين ايديهم قال
ابن عباس ما قدموا وما خلفهم اي ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا وما هم عاملون وقيل يعلم ما بين
ايدي ملائكته ورسله قبل ان يخلقهم ويعلم ما هو كائن بعد فنائهم والى الله ترجع الامور قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا اي صلوا لان الصلاة لا تكون الا بالسجود
واعبدوا ربكم اي وحدوه وقيل اخلصوا له العبادة وافعلوا الخير قال ابن عباس صلة
الارحام ومكارم الاخلاق وقيل فعل الخير ينقسم الى خدمة المعبود الذي هو عبارة عن التعظيم
لامر الله تعالى والى الاحسان الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله تعالى ويدخل فيه البر
والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من اعمال البر لعلكم تفلحون اي لكي تسعدوا
وتفوزوا بالجنة

فصل في احكام سجود التلاوة لم يختلف العلما في السجدة الاولى
من هذه السورة واختلفوا في السجدة الثانية وروي عن عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود
وابن عباس وابي الدردا وابي موسى انهم قالوا في الحج سجدتان وبه قال ابن المبارك والشافعي
واحمد واسحاق يدل عليه ما روي عن عقبة بن عامر قال قلت يا رسول الله افي الحج سجدتان
قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقراهما اخرجه الترمذي وابو داود وعن عمر بن الخطاب
انه قرا سورة الحج فسجد فيها سجدتين وقال ان هذه السورة فضلت بسجدتين اخرجه مالك
في الموطا وذهب قوم الى ان في الحج سجدة واحدة وهي الاولى وليست هذه وهو قول الحسن وسعيد

ابن المسيب وسعيد بن جبير وسفيان الثوري وابو حنيفة ومالك بل قيل انه قرن السجود بالركوع
فدل ذلك على انها سجدة صلاة لا سجدة تلاوة واختلف العلماء في عدد سجود التلاوة فذكر الشافعي
واحمد واكثر اهل العلم انها اربعة عشر سجدة لكن الشافعي قال في الحج سجدتان واسقط سجدة ص
وبه قال احمد وباحدى الروايتين عنه وعنده ان السجدات خمسة عشر سجدة وذهب قوم الى ان
المفصل ليس فيه سجود ويروى ذلك عن علي وابن عباس وابي بن كعب وبه قال مالك فعلى هذا يكون
سجود القران احدى عشر سجدة يدل عليه ما روى عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال في القران احدى عشر سجدة اخرجه ابو داود وقيل ان في القران خمسة عشر سجدة ما روى
عن عمرو بن العاص قال اقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر سجدة في القران منها
ثلاث في المفصل وفي سورة الحج سجدتان اخرجه ابو داود وصح من حديث ابي هريرة قال سجدنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ واذا السماء انشقت اخرجه مسلم وسجود التلاوة
سنة للقارئ والمستمع وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة انه واجب قوله عز وجل وجاهدوا
في الله حق جهاده اي جاهدوا في سبيل الله اعداء الله ومعنى حق جهاده هو استفراغ الطاقة
فيه قال ابن عباس وعنه انه قال لا تخافوا في الله لومة لائم وقيل معناه اعملوا لله حق
عمله واعبدوه حق عبادته وقيل نسخها قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم وقال اكثر المفسرين
الجهاد ان يكون بنية صادقة خالصة لله تعالى ولتكون كلمة الله هي العليا بدليل قوله صلى
الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله اخرجه في الصحيحين
من حديث ابي موسى الاشعري وقيل مجاهدة النفس والهوى هو حق الجهاد وهو الجهاد الاكبر
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد
الاكبر ذكره البغوي بغير سند قيل اراد بالاصغر جهاد الكفار وبالاكبر جهاد النفس هو اجتباكم
اي اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته وعبادته وطاعته فاي رتبة اعلى من هذا واي سعادة
قوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج اي ضيق وشدة وهو ان المؤمن لا يبتلى بشيء من
الذنوب الا جعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بانواع
الكفارات من الامراض والمصائب وغير ذلك فليس في دين الاسلام ما لا يجد العبد سبيلا الى الخلاص
من الذنوب ومن العقاب لمن وفق وقيل معناه رفع الضيق في اوقات فروضكم مثل هلال
شهر رمضان والفطر ووقت الضرورات كقصر الصلوات في السفر والتيمم عند عدم
الماء واكل الميتة عند الضرورة والفطر في السفر ووقت الحج واذا التبس عليكم وسع ذلك
حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات كالصلاة قاعدا والفطر مع العجز بعذر المرض
ونحو ذلك من الرخص التي رخص الله على عباده وقيل اعطى الله هذه الامة خصلتين لم يعطهن
احدا غيرهم جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال ابن عباس ما كان
الحرج ما كان على بني اسرائيل من الاصار التي كانت عليهم ووضعها الله عن هذه الامة ملة ابيكم
ابراهيم لانها داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت ابراهيم لم يكن ابا للامة
كلها فكيف سماه ابيكم ابراهيم قلت ان كان الخطاب للعرب فهو ابو العرب وان الخطاب
لكل المسلمين فمعناه ان وجوب احترامه وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الاب فهو كقوله تعالى
وازواجه امهاتهم وكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم انما انا لكم كالوالد وفي قوله عز وجل هو
سماكم المسلمين من قبل قولان احدهما ان الكناية ترجع الى الله تعالى يعني ان الله تعالى سماكم
المسلمين في الكتب القديمة قبل نزول القران القول الثاني ان الكناية راجعة الى ابراهيم
يعني ان ابراهيم سماكم المسلمين في ايامه من قبل هذا الوقت وهو قوله ربنا واجعلنا مسلمين

لك

لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك فاستجاب الله تعالى دعاءه فيها وفي هذا اي وفي القران سماكم المسلمين ليكون
الرسول شهيدا عليكم يعني يوم القيامة ان بلغكم وتكونوا شهداء على الناس اي ان رسلهم بلغتهم فاقيموا
الصلاة واتوا الزكاة واعتصموا بالله اي ثقوا بالله وتوكلوا عليه وقيل تمسكوا بدين الله وقال
ابن عباس سلوا ربكم ان يعصمكم عن كل ما يكره وقيل معناه ادعوا الله ان يثبتكم على دينه وقيل الاعتصام
هو التمسك بالكتاب والسنة هو مولاكم اي وليكم وناصركم وحافظكم فنعم المولى ونعم النصير
والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة المؤمنون

وهي مكية وهي مائة وثماني عشرة اية والف وثمانمائة واربعون كلمة واربعة الاف حرف
وثمانمائة وحرفان بسم الله الرحمن الرحيم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل فانزل الله عليه يوما فمكث
ساعة ثم سري عنه فقرأ قد افلح المؤمنون الى عشر ايات من اولها وقال من اقام هذه العشر ايات
دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه ثم قال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا
واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر علينا اللهم ارضنا وارض عنا اخرجه الترمذي قوله عز وجل
قد افلح المؤمنون قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة وقيل الفلاح
البقاء والنجاة الذين هم في صلاتهم خاشعون قال ابن عباس مخبتون اذلاء وقيل خائفون متواضعون
وقيل الخشوع من افعال القلب كالخوف والرهبة وقيل هو من افعال الجوارح كالسكون وترك
الالتفات وغض البصر وقيل لا بد من الجمع بين افعال القلب والجوارح وهو الاولى فالخاشع
في صلاته لا بد وان يحصل له الخشوع في جميع جوارحه فاما ما يتعلق بالقلب من الافعال فهو
نهاية الخضوع والتذلل للمعبود ولا يلتفت الخاطر الى شيء سوى ذلك التعظيم واما ما يتعلق
بالجوارح ان يكون ساكنا مطرقا ناظرا الى موضع سجوده وقيل الخشوع هو ان لا يعرف من على
يمينه ولا من على شماله ق عن عائشة قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات
في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد الاختلاس الاختطاف عن
ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت
فاذا التفت انصرف وفي رواية اعرض عنه اخرجه ابو داود والنسائي وقيل الخشوع هو
ان لا يرفع بصره الى السماء خ عن انس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما بال اقوام
يرفعون ابصارهم الى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهين عن ذلك
او لتخطفن ابصارهم وقال ابو هريرة كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون
ابصارهم الى السماء في الصلاة فلما نزل الذين هم في صلاتهم خاشعون رموا بابصارهم الى موضع
السجود وقيل الخشوع هو ان لا يعبث بشيء من جسده في الصلاة وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم
راى رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا الرجل لخشعت جوارحه ذكره البغوي
بغير سند عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم الى الصلاة فلا يمسح الحصا
فان الرحمة تواجهه اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي وقيل الخشوع هو جمع الهمة والاعراض
عما سوى الله والتدبر فيما يجري الله على لسانه من القراءة والذكر قوله عز وجل والذين هم عن
اللغو معرضون قال ابن عباس الشرك وقيل عن المعاصي وقيل كل باطل ولهو وما لا يجمل من القول
والفعل وقيل معارضة الكفار بالشتم والسب والذين هم للزكاة فاعلون اي الزكاة الواجبة
مؤدون فعبر عن التأدية بالفعل لانه فعل وقيل الزكاة ها هنا هو العمل الصالح والاول اولى
والذين هم لفروجهم حافظون الفرج اسم لسوءة الرجل والمراة وحفظه التعفف عن الحرام الا على

ازواجهم او ما ملكت ايمانهم على بمعنى من يعني الاماء والجواري والاية في الرجال خاصة لان المراة
لا يجوز لها ان تستمتع بفرج مملوكها فانهم غير ملومين يعني يحفظ فرجه الا على امته فانه لا يلام
على ذلك وانما يلام فيها اذا كان على وجه يخالف فيه الشرع دون الاتيان في غير المأتي وفي حال الحيض
والنفاس فانه محظور فلا يجوز ومن فعله فهو ملوم فمن ابتغى وراء ذلك اي التمس وطلب سوى
الازواج والولائد وهو الجواري المملوكة فاولئك هم العادون اي الظالمون المجاوزون من الحلال
الى الحرام وفيه دليل على ان الاستمناء باليد حرام وهو قول العلماء سئل عطاء عنه فقال مكروه سمعت
ان قوما يحشرون وايديهم حبالى واظن انهم هؤلاء قال سعيد بن جبير عذب الله امة كانوا يعبثون
بمذاكيرهم قوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون اي حافظون يحفظون ما
يأتمنون عليه والعقود التي عاهدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها والامانات
تختلف فمنها ما يكون بين العبد وبين الله عز وجل كالصلاة والصوم وغسل الجنابة وسائر
العبادات التي اوجبها الله على العبد فيجب الوفاء بجميعها ومنها ما يكون بين العباد كالودائع
والصنائع وغير ذلك فيجب الوفاء بها ايضا والذين هم على صلواتهم يحافظون اي يداومون
ويراعون اوقاتها واتمام اركانها وركوعها وسجودها وسائر شروطها فان قلت كيف كرر
ذكر الصلاة اولا واخرا قلت هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفهم اولا بالخشوع في الصلاة
واخرا بالمحافظة عليها اولئك يعني اهل هذه الصفة هم الوارثون يعني يرثون منازل
اهل النار من الجنة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد
من احد الا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فان مات ودخل النار ورث منزله
اهل الجنة وذلك قوله هم الوارثون ذكره البغوي بغير سند وقيل معنى الوراثة هو ان
يؤول امرهم الى الجنة وينالونها كما يؤول الميراث الى الوارث قوله تعالى الذين يرثون
الفردوس في الجنة هو اعلى الجنة عن عبادة بن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والارض والفردوس
اعلاها درجة تتفجر انهار الجنة الاربعة منها ومن فوقها يكون العرش فاذا سألتم الله
فاسألوه الفردوس اخرجه الترمذي هم فيها خالدون يعني لا يخرجون منها ولا يموتون قوله
عز وجل ولقد خلقنا الانسان يعني ادم لان الانسان اسم جنس من سلالة من طين قال
ابن عباس السلالة صفوة الماء وقيل المعنى النطفة لان النطفة تسل من الظهر من طين ادم ثم
وقوله لان السلالة تولدت من طين خلق منه ادم وقيل المراد منه بالانسان هو ابن ادم وقوله
من سلالة اي سل من كل تربة ثم جعلناه نطفة يعني الذي هو الانسان جعلناه نطفة
في قرار مكين اي في حرز وهو الرحم مسكن وهي لاستقرار النطفة فيه الى وقت الولادة
ثم خلقنا النطفة علقة اي صيرنا النطفة قطعة دم جامد فخلقنا العلقة مضغة اي
جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما
ثم وذلك اللحم يستر العظم فجعله كالكسوة وقيل بين كل خلق وخلق اربعين يوما
ثم انشأناه خلقا اخر اي مباينا للخلق الاول قال ابن عباس هو نفخ الروح فيه وقيل
جعله حيوانا بعد ما كان جمادا ناطقا وكان ابكم سميعا وكان اصم بصيرا وكان اكمه
واودع باطنه وظاهره عجائب صنعه وغرائب فطرته وعن ابن عباس قال ان ذلك تصريف
احواله بعد الولادة من الاستهلال الى الرضاع الى القعود والى القيام الى المشي الى الفطام
الى ان ياكل ويشرب الى ان يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد الى ما بعدها فتبارك الله احسن
الخالقين اي استحق التعظيم والثناء بانه لم يزل ولا يزال احسن الخالقين المصورين والمقدرين

فان قلت كيف الجمع بين هذه الاية وبين قول الله تعالى الله خالق كل شيء وقوله هل من خالق غير الله
قلت الخالق له معان منها الايجاد والابداع ولا موجد ولا مبدع الا الله تعالى ومنها التقدير كما قال

ولانت تفري ما خلقت ۞ وبعض القوم يخلق ثم لا يفري ۞

معناه انت تقدر الامور وتقطعها وغيرك لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الاية الله احسن
المقدرين وجواب اخر وهو ان عيسى عليه السلام خلق طيرا وسمى نفسه خالقا بقوله اني اخلق
لكم من الطين كهيئة الطير فقال تبارك الله احسن الخالقين ثم انكم بعد ذلك لميتون اي بعد
ما ذكر من تمام الخلق تموتون اي عند انقضاء اجالكم ثم انكم يوم القيامة تبعثون معناه اي
للحساب والجزاء قوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق اي سبع سموات طرائق لان بعضها فوق
بعض وقيل لانها طرائق الملائكة في الصعود والهبوط وما كنا عن الخلق غافلين اي بل كنا حافظين
من ان تسقط السماء عليهم فتهلكهم وقيل معناه بنيناها فوقهم لما اطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب
وقيل معناه ما تركناهم بغير امر ونهي وقيل معناه وما كنا عن الخلق غافلين اي عن اعمالهم
واقوالهم وضمائرهم لا يخفى علينا خافية وانزلنا من السماء ماء بقدر اي يعلمه الله ومن حاجتهم
اليه وقيل بقدر ما يكفيهم لمعايشهم في الزرع والغرس والشرب وانواع المنفعة فاسكناه في الارض
يعني ما يبقى في الغدران والمستنقعات مما ينتفع الناس في الصيف عند انقطاع المطر وقيل
اسكناه في الارض ثم اخرجناه منها ينابيع كالعيون والابار فكل ما في الارض من السماء وانا على
ذهاب به لقادرون وصح من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيحان
وجيحان والفرات والنيل من انهار الجنة اخرجه مسلم وعن ابن عباس قال ان الله انزل من الجنة انهار
سيحون وجيحون والدجلة والفرات والنيل انزلهم الله من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل
درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس
فذلك قوله وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض فاذا كان عند خروج ياجوج
وماجوج ارسل الله جبريل فرفع القران من الارض والعلم كله والحجر الاسود من ركن البيت ومقام
ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع ذلك كله الى السماء فذلك
قوله وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء كلها من الارض فقد اهلها خير
الدين والدنيا روى هذا الحديث في تفسيره البغوي قال وروى هذا الحديث الحسن بن سفيان
بن عثمان بن سعيد بالاجازة عن سعيد بن سابق الاسكندري عن مسلمة بن علي عن مقاتل عن حيان
عن عكرمة عن ابن عباس ثم ذكر ما ينبت بالماء فقال تعالى فانشأنا لكم به يعني اي بالماء جنات
اي بساتين من نخيل واعناب انما افردهما لكثرة منافعهما فانهما يقومان مقام الطعام
والادام والفواكه رطبا ويابسا لكم فيها اي في الجنات فواكه كثيرة ومنها تاكلون
اي شتاء وصيفا وشجرة اي وانشأنا لكم شجرة وهي الزيتون تخرج من طور سيناء اي من جبل مبارك
وقيل من جبل حسن قيل هو بالنبطية وقيل بالحبشية وقيل هو بالسريانية ومعناه الجبل
الملتف بالاشجار وقيل كل جبل فيه اشجار مثمرة يسمى سينا وسينين وقيل هو من السناء
وهو الارتفاع الذي نودي منه موسى بين مصر وايليا وقيل هو جبل فلسطين وقيل سيناء
اسم حجارة بعينها اضيف الجبل اليها لوجودها عنده وقيل هو اسم المكان تنبت بالدهن
اي بثمر الدهن وهو الزيتون وصبغ للآكلين يعني الصبغ الادام الذي يكون مع الخبز
ويصبغ به جعل الله في هذه الشجرة المباركة ادما وهو الزيتون ودهنا وهو الزيت
وخص جبل الطور بالزيتون لانه منه نشأ وقيل ان الشجرة تنبت بعد الطوفان الزيتون
وقيل ان شجرة الزيتون تبقى في الارض نحو ثلاثة الاف سنة قوله عز وجل وان لكم في الانعام اية

تعتبرون بها نسقيكم مما في بطونها اي من البانها ووجه الاعتبار فيه ان اللبن يخلص الى الضرع
من بين فرث ودم باذن الله تعالى ليس فيه منهما شي ويستحيل الى الطهارة والى طعم يوافق الشهوة
والطبع ويصير غذا وقد تقدم بسط الكلام فيه في سورة النحل ولكم فيها منافع كثيرة ومنها
تاكلون يعني كما تنتفعون بها وهي حية فكذلك تنتفعون بها بعد الذبح للاكل بمعنى يحيي ويميت
لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل على الابل في البر وعلى الفلك في البحر قوله عز وجل ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره اي ما لكم معبود سواه افلا
تتقون اي افلا تخافون عقوبته اذا عبدتم غيره فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا
الا بشر مثلكم ادمي مثلكم مشارك لكم في جميع الامور يريد ان يتفضل عليكم اي انه يحب الشرف
والرياسة فيصير متبوعا وانتم له تبع ولو شاء الله لانزل ملائكة يعني بابلاغ الوحي ما سمعنا
بهذا اي الذي يدعونا اليه نوح في ابائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة اي جنون فتربصوا
به حتى حين اي الموت فتستريحوا منه قال رب انصرني بما كذبون اي اعني باهلاكهم
بتكذيبهم اياي فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا اي بمرأى منا قاله ابن عباس وقيل
بحفظنا وبعلمنا لئلا يتعرض عليه ويفسد عمله ووحينا قيل ان جبريل علمه عمل السفينة
ووصفه كيفية اتخاذها فاذا جاء امرنا اي عذابنا وفار التنور قيل التنور هو وجه
الارض والمعنى انك اذا رايت التنور يفور منه الما فاسلك اي فادخل في السفينة فيها
من كل زوجين اثنين اي من كل حيوان ذكرا وانثى واهلك اي وسائر من امن بك الا من سبق
عليه القول اي وجب عليه العذاب منهم يعني الكفار وقيل اراد باهله اهل بيته خاصة
والذي سبق عليه القول منهم هو ابنه كنعان ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
قوله عز وجل فاذا استويت اي اعتدلت انت ومن معك على الفلك اي في السفينة
فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين اي الكافرين وقل رب انزلني منزلا
مباركا قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب النزول وهو السفينة عنده
الركوب وقيل وجه الارض بعد الخروج من السفينة واراد بالبركة النجاة وكثرة النسل
بعد الانجاء وانت خير المنزلين معناه انه قد يكون الانزال من الله حسنا فتقول
وانت خير المنزلين لانه يحفظ من انزله ويكلاه في سائر احواله ويدفع عنه المكاره بخلاف منزل
الضيف فانه لا يقدر على ذلك ان في ذلك اي الذكر الذي من امر نوح والسفينة واهلاك
اعداء الله لايات اي دلالات على قدرتنا وان كنا اي وما كنا لمبتلين يعني الا
مختبرين اياهم بارسال نوح ووعظه وتذكيره لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب
بهم قوله تعالى ثم انشانا من بعدهم قرنا اخرين يعني عادا فارسلنا فيهم رسولا منهم
يعني هودا قاله اكثر المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول صالح والاول اصح ان اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون اي هذه الطريقة التي انتم عليها مخافة العذاب
وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة بالمصير اليها واترفناهم
اي نعمناهم ووسعنا عليهم في الحياة الدنيا ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون
منه ويشرب مما تشربون اي مشربكم ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون
اي لمغبونون ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون اي من قبوركم
احياء هيهات هيهات قال ابن عباس بعيد بعيد لما توعدون استبعد القوم بعثهم
بعد الموت اغفالا منهم للتفكر في مبدا امرهم وقدرة الله على ايجادهم واراد بالبعد
الاستبعاد انه لا يكون ابدا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا قيل معناه نحيا ونموت

لانهم

لانهم كانوا ينكرون البعث وقيل يموت الاباء ويحيى الابناء وقيل معناه يموت قوم ويحيى قوم
وما نحن بمبعوثين اي بعد الموت ان هو يعنون رسولهم الا رجل افترى على الله كذبا وما
نحن له بمؤمنين اي بمصدقين بالبعث بعد الموت قال رب انصرني بما كذبون قال عما قليل
ليصبحن اي ليصيرن نادمين على كفرهم وتكذيبهم فاخذتهم الصيحة بالحق يعني صيحة العذاب
وقيل صاح بهم جبريل فتصدعت قلوبهم وقيل اراد بالصيحة الهلاك فجعلناهم غثاء هو ما يحمله
السيل من حشيش وعيدان وشجر والمعنى صيرناهم هلكى فيبسوا يبس الغثاء من نبات الارض فبعدا
اي الزموا بعدا من الرحمة للقوم الظالمين قوله عز وجل ثم انشانا من بعدهم قرونا اخرين اي اقواما اخرين
ما تسبق من امة اجلها اي وقت هلاكها وما يستاخرون اي عن وقت هلاكهم ثم ارسلنا رسلنا
تترا اي مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لان بين كل رسولين زمن طويل كلما جاء امة
رسولها كذبوه فاتبعنا بعضهم بعضا اي بالهلاك فاهلكنا بعضهم في اثر بعض وجعلناهم
احاديث اي سمرا وقصصا يتحدث من بعدهم وشأنهم فبعدا لقوم لا يؤمنون قوله تعالى ثم
ارسلنا موسى واخاه هارون باياتنا وسلطان مبين اي حجة بينة كالعصا واليد وغيرهما
الى فرعون وملائه فاستكبروا اي تعظموا عن الايمان وكانوا قوما عالين اي متكبرين قاهرين
غيرهم بالظلم فقالوا يعني فرعون وقومه انؤمن لبشرين مثلنا يعني موسى وهارون وقومهما لنا
عابدون اي مطيعون متذللون فكذبوهما فكانوا من المهلكين اي المغرقين ولقد اتينا موسى
الكتاب اي التوراة لعلهم يهتدون اي لكي يهتدون به قومه قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه اية
اي دلالة على قدرتنا لانه خلقه من غير ذكر والنطفة في المهد فان قلت لم قال اية ولم يقل ايتين
قلت جعلنا شانهما اية لان عيسى وجد من غير ذكر وكذلك مريم وحدث من غير ذكر فاشتركا في
هذه الاية فكانت اية واحدة واويناهما الى ربوة اي الى مكان مرتفع قيل هي دمشق وقيل هي
الرملة وقيل هي ارض فلسطين وقال ابن عباس هي بيت المقدس قال كعب بيت المقدس اقرب
الارض الى السما بثمانية عشر ميلا وقيل هي ارض مصر وسبب ٣ وقوله ذات قرار يعني انه
منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها ومعين اي الما الجاري الذي تراه العيون قوله تعالى يا ايها
الرسل كلوا من الطيبات قيل اراد بالرسل محمد صلى الله عليه وسلم وحده وقيل اراد به عيسى
عليه السلام وقيل اراد جميع الرسل واراد بالطيبات الحلال واعملوا صالحا اي استقيموا
على ما يوجبه الشرع اني بما تعملون عليم فيه تحذير من مخالفة ما امرهم به واذا كان الرسل مع علو
شانهم كذلك بان يكون تحذيرا لغيرهم اولى لما روي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا وان الله تعالى امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها
الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات ثم ذكر الرجل يطيل
السفر اشعث اغبر يمد يده الى السما يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام
وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك اخرجه مسلم وان هذه امتكم اي ملتكم وشريعتكم التي
انتم عليها ملة واحدة وهي الاسلام امة واحدة وانا ربكم فاتقون اي فاحذرون وقيل
امرتكم بما امرت به المرسلين قبلكم فامركم واحد وانا ربكم فاتقون قوله تعالى فتقطعوا
اي تفرقوا فصاروا فرقا يهود ونصارى ومجوس وغير ذلك من الاديان المختلفة امرهم
دينهم بينهم زبرا اي فرقا وقطعا مختلفة وقيل معنى زبرا كتبا والمعنى تمسك كل قوم بكتاب
فامنوا به وكفروا بما سواه من الكتب كل حزب بما لديهم فرحون اي مسرورون معجبون
بما عندهم من الدين فذرهم الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم في غمرتهم قال ابن عباس في كفرهم
وضلالتهم وقيل في عمايتهم وغفلتهم حتى حين الى ان يموتوا ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين

اى نعطيهم ونجعله لهم مددا من المال والبنين فى الدنيا نسارع لهم فى الخيرات اى نعجل لهم ذلك فى
الخيرات ونقدمه ثوابا لاعمالهم لمرضاتنا عنهم بل لا يشعرون ان ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين
فى الخيرات فقال تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون اى خائفون والمعنى المؤمنين بما هم
عليه من خشية الله تعالى خائفون من عقابه وقال الحسن البصرى المؤمن جمع احسانا وخشية والمنافق
جمع اساءة وامنا والذين هم بآيات ربهم يؤمنون اى يصدقون والذين هم بربهم لا يشركون والذين
يؤتون ما آتوا اى يعطون ما اعطوا من الزكاة والصدقات وقيل معناه يعملون ما عملوا من اعمال
البر وقلوبهم وجلة اى خائفة من ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وان اعمالهم لا تقبل منهم انهم الى
ربهم راجعون اى انهم يوقنون انهم الى الله صائرون قال الحسن عملوا والله بالطاعات واجتهدوا
فيها وخافوا ان ترد عليهم عن عائشة قالت قلت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم
وجلة الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويتصدقون
ويخافون ان لا يقبل منهم اولئك يسارعون فى الخيرات اخرجه الترمذى قوله تعالى اولئك يسارعون
فى الخيرات اى يبادرون الى الاعمال الصالحة وهم لها سابقون اى اليها وقال ابن عباس سبقت
لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الامم الى الخيرات قوله تعالى ولا نكلف نفسا الا وسعها
اى طاقتها من الاعمال فمن لا يستطيع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليفطر وليقض
ولدينا كتاب هو اللوح المحفوظ ينطق بالحق هو ينطق به ويبينه اى يبين بالصدق والمعنى
قد اثبتنا عمل كل عامل فى اللوح المحفوظ فهو ينطق به ويبينه وقيل هو كتب اعمال العباد التى
يكتبها الحفظة وهم لا يظلمون اى لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم فقال تعالى بل
قلوبهم فى غمرة اى فى غفلة وجهالة من هذا اى القرآن ولهم اعمال اى للكفار اعمال خبيثة
من المعاصى والخطايا محكومة عليهم من دون ذلك يعنى من دون اعمال المؤمنين التى
ذكرها الله تعالى فى قوله ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون هم يعنى الكفار لها اى لتلك
الاعمال الخبيثة عاملون اى لا بد لهم ان يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبقت لهم فى الازل
من الشقوة حتى اذا اخذنا مترفيهم اى رؤساءهم واغنياءهم بالعذاب قال ابن عباس هو السيف
يوم بدر وقيل هو الجوع يوم دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اشدد
وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنينا كسنى يوسف فابتلاهم الله تعالى بالقحط
حتى اكلوا الكلاب والجيف اذا هم يجأرون اى يضجون ويستغيثون ويجزعون لا تجأروا
اليوم اى لا تجزعوا ولا تضجوا انكم منا لا تنصرون اى لا تمنعون منا ولا ينفعكم تضرعكم
قد كانت آياتى تتلى عليكم يعنى القرآن فكنتم على اعقابكم تنكصون اى ترجعون القهقرى
وتتأخرون عن الايمان مستكبرين به قال ابن عباس اى بالبيت الحرام عن غير مذكور متعظمين
بالبيت وذلك انهم كانوا يقولون نحن اهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا احد
ولا نخاف احدا فيأمنون به وسائر الناس فى الخوف وقيل مستكبرين به اى بالقرآن فلم
يؤمنوا به والقول الاظهر سامرا يعنى انهم يسمرون بالليل حول البيت وكان عامة سمرهم
ذكر القرآن وتسميته سحرا وشعرا ونحو ذلك من القول فيه وفى النبى صلى الله عليه وسلم
وهو قوله تعالى تهجرون من الاهجار وهو الافحاش فى القول وقيل معنى تهجرون اى
تعرضون عن النبى صلى الله عليه وسلم وعن الايمان به وبالقرآن وهو من الهجر وهو القول
القبيح اى تهذون وتقولون ما لا تعلمون افلم يدبروا القول يعنى يتدبروا ما جاءهم من القرآن
فيعتبروا بما فيه من الدلالات على صدق محمد صلى الله عليه وسلم ام جاءهم ما لم يأت
آباءهم الاولين يعنى فانكروه بل انا قد بعثنا هم من قبلهم رسلا الى قومهم فكذلك بعثنا

محمد

محمدا صلى الله عليه وسلم ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون قال ابن عباس اليس قد عرفوا محمدا
صلى الله عليه وسلم صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وامانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ
لهم على الاعراض عنه بعد ما عرفوه بالصدق والامانة ام يقولون به جنة اى جنون وليس هو كذلك
بل جاءهم بالحق اى بالصدق والقول الذى لا تخفى صحته وحسنه على عاقل واكثرهم للحق كارهون
قوله عز وجل ولو اتبع الحق اهواءهم وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى ولو اتبع الحق الله مرادهم
فيما يفعل وقيل ولو سمى لنفسه شريكا وولدا كما يقولون وقيل الحق هو القرآن اى لو نزل بما يحبون
وبما يعتقدون لفسدت السموات والارض ومن فيهن اى لفسد العالم بل اتيناهم بذكرهم
قال ابن عباس بما فيه شرفهم وفخرهم وهو القرآن فهم عن ذكرهم اى شرفهم معرضون ام تسألهم
على ما جئتهم به اى خرجا فخراج ربك خير اى يعطيك الله من رزقه وثوابه خيرا وهو خير الرازقين
تقدم تفسيره وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم اى الى دين الاسلام وان الذين لا يؤمنون بالآخرة
عن الصراط اى عن دين الحق لناكبون اى لعادلون عنه ومائلون ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم
من ضر اى القحط والجدوبة للجوا فى طغيانهم يعمهون يعنى لتمادوا فى طغيانهم يعمهون اى لم ينزعوا عنه
ولقد اخذناهم بالعذاب وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا على قريش ان يجعل عليهم سنينا
كسنى يوسف فاصابهم القحط فجاء ابو سفيان الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انشدك الله
والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال انهم اكلوا القد والعظام وشكى
اليه الضر فادع الله تعالى ان يكشف عنا هذا القحط فدعا فانكشف عنهم فانزل الله تعالى هذه
الآية فما استكانوا لربهم اى فما خضعوا وما ذلوا لربهم وما يتضرعون اى وما لم يتضرعوا
الى ربهم بل مضوا على تمردهم حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال ابن عباس يعنى
القتل يوم بدر وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة اذا هم فيه مبلسون اى آيسون من كل
خير قوله عز وجل وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار والافئدة اى لتسمعوا بها وتبصروا بها
وتعقلوا بها قليلا ما تشكرون اى لم تشكروا هذه النعم وهو الذى ذرأكم فى الارض اى خلقكم
واليه تحشرون اى تبعثون وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار اى تدبير الليل
والنهار فى الزيادة والنقصان وقيل جعلهما مختلفين متعاقبين ومختلفين فى السواد والبياض
افلا تعقلون اى ما ترون من صنعه فتعتبرون بل قالوا مثل ما قال الاولون معناه كذبوا كما كذب
الاولون وقيل معناه انكروا البعث كما انكر الاولون مع وضوح الادلة قالوا أإذا متنا
وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون اى لمحشورون قالوا ذلك على طريق الاستهزاء والانكار والتعجب
لقد وعدنا اى نحن هذا الوعد وآباؤنا هذا من قبل اى وعد آباؤنا قوم ذكروا انهم رسل
الله فلم نر له حقيقة ان هذا الا اساطير الاولين اى اكاذيب الاولين قوله تعالى قل اى يا محمد
قل لاهل مكة لمن الارض ومن فيها من الخلق ان كنتم تعلمون اى خالقها ومالكها سيقولون لله
اى لا بد لهم من ذلك لانهم يقرون انها مخلوقة لله قل لهم اذا اقروا بذلك افلا تذكرون
اى فتعلمون ان الله قادر على خلق الارض ومن فيها ابتداء يقدر على احيائهم بعد الموت قل من
رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون اى عبادة
غيره وقيل معناه افلا تحذرون عقابه قل من بيده ملكوت كل شىء اى ملك كل شىء وهو يجير
اى يؤمن من يشاء ولا يجار عليه اى لا يؤمن من اخافه وقيل يمنع من يشاء من السوء ولا يمتنع منه من
اراده بسوء ان كنتم تعلمون اى فاجيبوا سيقولون لله قل فانى تسحرون اى فانى تخدعون
وتصرفون عن توحيده وطاعته وكيف يخيل لكم الحق باطلا بل اتيناهم بالحق اى بالصدق
وانهم لكاذبون اى فيما يدعون من الشرك والولد ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله

شريك إذا لذهب كل إله بما خلق أي لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه ولم يرض أن
يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره ومنع كل إله الآخر عن الاستيلاء على ما خلقه هو ولعلا بعضهم على
بعض أي طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم وإذا كان كذلك فاعلموا أنما هو إله
واحد بيده ملكوت كل شيء وبقدرته على كل شيء ثم نزه نفسه فقال تعالى سبحان الله عما يصفون
أي من إثبات الولد والشريك عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون أي تعظم من أن يكون يوصف
بما لا يليق به قوله عز وجل قل رب إما تريني ما يوعدون أي ما عدتهم من العذاب رب أي يا رب فلا
تجعلني في القوم الظالمين أي لا تهلكني بهلاكهم وإنا على أن نريك ما نعدهم أي من العذاب
لقادرون قوله عز وجل ادفع بالتي هي أحسن السيئة أي بالخلة التي هي أحسن وهي الصفح والإعراض
والصبر السيئة يعني أذاهم أمره بالصبر على المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها بآية السيف
قوله تعالى نحن أعلم بما يصفون أي يكذبون من الشرك قوله عز وجل وقل رب أعوذ بك أي أمتنع
وأعتصم بك من همزات الشياطين قال ابن عباس نزغاتهم وقيل لمحهم ونفثهم وقيل دفعهم
بالإغواء إلى المعاصي وأعوذ بك رب أن يحضرون أي في شيء من أموري وإنما ذكر الحضور لأن
يوسوس له عن جبير بن مطعم أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الصبح قال عمرو لا
أدري أي صلاة هي فقال الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا
ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن نفخه ونفثه وهمزه قال نفثه الشعر ونفخه
الكبر وهمزه الموتة أخرجه أبو داود وقد جاء تفسير هذه الألفاظ في متن الحديث ونزيده
إيضاحا قوله نفثه الشعر لأن الشعر يخرج من القلب فيلفظ به اللسان وينفثه كما ينفث
الريق قوله ونفخه الكبر وذلك أن المتكبر ينتفخ ويتعاظم ويجمع نفسه فيحتاج إلى أن ينفخ
وقوله وهمزه الموتة الجنون لأن الجنون ينخسه الشيطان ثم أخبر الله عز وجل أن هؤلاء الكفار
الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عن معاينة الموت فقال تعالى حتى إذا جا
أحدهم الموت قال رب ارجعون قيل المراد به المفرد وهو على عادة العرب فإنهم يخاطبون
الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا خطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه
فعلى هذا يكون معناه استغاث أولا ثم رجع إلى مسألة الملائكة الرجوع إلى الدنيا وقيل
ذكر الرب للقسم فكأنه قال عند المعاينة بحق الله ارجعوا لعلي أعمل صالحا فيما تركت أي
ضيعت وقيل تركت خلفت من التركة والمعنى أقول لا إله إلا الله وأعمل بطاعته فيدخل
فيه الأعمال البدنية قال قتادة ما تمنى أن يرجع إلى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي
الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيما تمناه الكافر إذا رأى
العذاب كلا كلمة ردع وزجر أي لا يرجع إليها إنها يعني سؤال الرجعة كلمة هو قائلها أي لا
ينالها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون أي أمامهم وبين أيديهم حاجز إلى يوم القيامة ومعناه
أنه بينهم وبين الرجعة حجاب ومانع عن الرجوع وهو الموت وليس المعنى أنهم يرجعون يوم
البعث إلا إلى الآخرة قوله تعالى فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم قال ابن عباس إنها
النفخة الأولى ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض فلا أنساب بينهم يومئذ
ولا يتساءلون ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون
وعن ابن مسعود أنها النفخة الثانية قال يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينصب
على رؤوس الأولين والآخرين ثم ينادي مناد هذا فلان ابن فلان فمن كان له قبله حق فليأت
إلى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده وولده أو زوجته وأخيه فيأخذ منه ثم
قرأ ابن مسعود فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وفي رواية عن ابن عباس أنها

النفخة الثانية فلا أنساب بينهم أي لا يتفاخرون بالأنساب يومئذ كما كانوا يتفاخرون في
الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما يتساءلون في الدنيا من أنت ومن أي قبيلة ولم يرد أن
الأنساب تنقطع فإن قلت قد قال هاهنا ولا يتساءلون وقال في موضع آخر وأقبل
بعضهم على بعض يتساءلون قلت قال ابن عباس إن للقيامة أحوالا ومواطن ففي موطن يشتد
عليهم الخوف فيشغلهم عظم الأمر عن التساؤل فلا يتساءلون وفي موطن آخر يفيقون إفاقة
فيتساءلون قوله تعالى فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه
فأولئك الذين خسروا أنفسهم أي غبنوا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح تسفع وقيل تحرق وجوههم
النار وهم فيها كالحون أي عابسون وقد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المشوط
على النار عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالحون قال تشويه النار
فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته أخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب ألم تكن آياتي تتلى عليكم يعني القرآن وزجره
تخوفون بها فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا أي التي كتبت علينا فلم نهتد
وكنا قوما ضالين عن الهدى ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال اخسئوا فيها أي ابعدوا
فيها كما يقال للكلب إذا طرد اخسأ ولا تكلمون أي في رفع العذاب فإني لا أرفعه عنكم فعند
ذلك أيس المساكين من الفرج وقال الحسن هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعد
ما هو إلا الزفير والشهيق وعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وروي عن عبد الله
ابن عمرو أن أهل جهنم يدعون مالكا خازن جهنم أربعين عاما يا مالك ليقض علينا ربك فلا
يجيبهم ثم يقول إنكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون
فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسئوا فيها ولا تكلمون فما ينبس القوم بعد ذلك
بكلمة إلا أن كان الزفير والشهيق ذكره البغوي بغير سند وأخرجه الترمذي بمعناه عن أبي
الدرداء قوله ما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة أي سكتوا ولم يتكلموا بكلمة وقيل إذا قال اخسئوا
فيها ولا تكلمون انقطع رجاؤهم وأقبل بعضهم ينبح في وجه بعض وأطبقت عليهم جهنم إنه
كان فريق من عبادي يعني المؤمنين يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين
فاتخذتموهم سخريا يعني تسخرون منهم وتستهزئون بهم حتى أنسوكم ذكري أي حتى أنساكم اشتغالكم
بالاستهزاء بهم وكنتم منهم تضحكون نزلت في كفار قريش كانوا يستهزئون بالفقراء من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم بلال وصهيب وعمار وخباب رضي الله تعالى عنهم ثم قال تعالى
إني جزيتهم اليوم بما صبروا أي على أذاكم واستهزائكم في الدنيا أنهم هم الفائزون أي جزيتهم
بفوزهم الفوز بالجنة قال يعني أن الله قال للكفار يوم البعث كم لبثتم في الأرض أي في
الدنيا وفي القبور عدد سنين قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم معناه أنهم نسوا مدة لبثهم
في الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب فاسأل العادين يعني الملائكة الذين يحفظون
أعمال بني آدم ويحصونها عليهم قال إن لبثتم إلا قليلا أي ما لبثتم في الدنيا إلا قليلا
سماه قليلا لأن الواحد وإن طال لبثه في الدنيا فإنه يكون قليلا في جنب ما لبث في الآخرة
لو أنكم كنتم تعلمون أي قدر لبثكم في الدنيا قوله عز وجل أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا أي لعبا
وباطلا لا لحكمة وقيل العبث معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب
عليها وإنما خلقتم للعبادة وإقامة أوامر الله تعالى وأنكم إلينا لا ترجعون أي في دار الآخرة
للجزاء روى البغوي بسنده عن حنش أن رجلا مصابا مر به على ابن مسعود فرقاه في أذنه الآية
أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون حتى ختم السورة فبرئ فقال النبي صلى

الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا قراها على الجبل لزال ثم نزه الله تعالى نفسه
عما يصفونه به المشركون فقال تعالى فتعالى الله الملك الحق اي هو التام الملك الجامع
لاصناف المملوكات لا اله الا هو رب العرش الكريم اي الحسن وقيل الرفيع المرتفع وانما
خص العرش بالذكر لانه اعظم المخلوقات ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به اي لا حجة
ولا بينة له به اذ لا يمكن اقامة برهان ولا دليل على الهية غير الله ولا حجة في دعوى الشرك فانما
حسابه اي جزاؤه عند ربه اي هو يجازيه بعمله انه لا يفلح الكافرون اي لا يفلح اي لا يسعد
من جحد وكذب وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة النور

وهي مدنية وهي اثنتان وقيل اربع وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سورة انزلناها
وفرضناها اي اوجبنا ما فيها من الاحكام والزمناكم العمل بها وقيل معناه قدرنا ما فيها من الاحكام
والحدود وقيل اوجبناها عليكم وعلى من بعدكم الى قيام الساعة وانزلنا فيها آيات بينات
اي واضحات لعلكم تذكرون اي تتعظون قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد
منهما مائة جلدة الزنا هو من الكبائر وموجب للحد وهو ايلاج فرج في فرج مشتهى طبعا
محرم شرعا والشروط المعتبرة في وجوب الحد العقل والبلوغ ويشترط الاحصان في الرجم
ويجب على العبد والامة نصف الحد ولا رجم عليهما لانه لا يتنصف وقوله فاجلدوا اي فاضربوا
يقال جلده اذا ضرب جلده ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما اي الزانية والزاني مائة
جلدة وقد وردت السنة بجلد مائة وتغريب عام قال الشافعي وابو حنيفة التغريب الى راي
الامام وقال مالك يجلد الرجل مائة جلدة ويغرب عاما وتجلد المراة ولا تغرب وان كان
الزاني محصنا فعليه الرجم ولا تاخذكم بهما رافة اي رحمة ورقة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها
وهذا قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والنخعي والشعبي وقيل معنى الرافة ان تخففوا
الضرب بل اوجعوهما ضربا وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهري يجتهد في
جلد الزنا والفرية ويخفف في حد الشرب وقيل يجتهد في حد الزنا ويخفف دون
ذلك في حد الفرية ويخفف ذلك في حد الشرب في دين الله اي في حكم الله روي عن
عبد الله بن مسعود جلد جارية له زنت فقال للجلاد اضرب ظهرها ورجليها فقال له
ابنه ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله فقال يا بني ان الله لم يامرني بقتلها وقد ضربت
فاوجعت ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر معناه ان المؤمن لا تاخذه الرافة اذا
جاء امر الله وقيل هو من باب التهييج والتهاب الغضب لله تعالى ولدينه ومعناه
ان كنتم تؤمنون فلا تتركوا اقامة الحدود وليشهد اي وليحضر عذابهما احدهما اذا اقيم
عليهما طائفة اي نفر من المؤمنين قيل اقله رجل واحد فما عدا وقيل رجلان وقيل ثلاثة
وقيل اربعة بعدد شهود الزنا قوله عز وجل الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية
لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين اختلف العلماء في معنى الآية
فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لا مال لهم ولا عشائر وفي المدينة
نساء بغايا من اخصب اهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن
عليهم فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الآية فحرم
على المسلمين ان يتزوجوا بتلك البغايا لانهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء
وقتادة والزهري والشعبي ورواية عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت في نساء بمكة
والمدينة

والمدينة لهن رايات يعرفن بها منهن ام مهزول جارية السائب بن ابي السائب المخزومي وكان في
الجاهلية ينكح الزانية يتخذها مأكلة فاراد ناس من المسلمين نكاحهن على هذه الصفة فاستاذن
رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح ام مهزول واشترطت له ان تنفق عليه فانزل الله
عز وجل هذه الآية وروي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال كان رجل يقال له مرثد بن ابي مرثد
الغنوي وكان يحمل الاسارى من مكة حتى ياتي بهم المدينة وكانت بمكة بغي يقال لها عناق وكانت
صديقة له في الجاهلية فلما اتى مكة دعته عناق الى نفسها فقال مرثد ان الله حرم الزنا قالت
فانكحني فقال حتى اسال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله انكح عناقا فامسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئا فنزلت الزاني
لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك فدعاني فقراها علي وقال لا تنكحها
اخرجه الترمذي والنسائي وابو داود بالفاظ متقاربة فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصا في حق
هؤلاء دون سائر الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الآية الزاني لا يزني الا
بزانية او مشركة والزانية لا تزني الا بزان او مشرك وهو قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية
عن ابن عباس قال يزيد بن هارون ان جامعها وهو مستحل ذلك فهو مشرك وان جامعها وهو محرمه
فهو زان وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول اذا تزوج الزاني الزانية فهما زانيان
وقال سعيد بن المسيب وجماعة ان حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية حراما بهذه الآية ثم
نسخت بقوله وانكحوا الايامى منكم فدخلت الزانية في هذا العموم واحتج في نكاح الزانية بما
روي عن جابر ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي امراة لا تمنع
يد لامس قال طلقها قال فاني احبها وهي جميلة قال استمتع وفي رواية غيره فامسكها اذا
وروى هذا الحديث ابو داود والنسائي عن ابن عباس قال النسائي رفعه احد الرواة قال
ابن عباس لم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس بثابت وروي ان عمر بن الخطاب ضرب
رجلا وامراة في زنا وحرص ان يجمع بينهما فابى الغلام وقيل في معنى الآية ان الفاجرة
الخبيثة لا ترغب في نكاح الصلحاء من الرجال وانما ترغب في نكاح فاسق خبيث مثلها
او مشرك وحرم ذلك على المؤمنين اي صرف الرغبة بالكلية الى نكاح الزواني وترك الرغبة
في الصالحات العفائف فهذا محرم على المؤمنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزوج بالزانية
قوله تعالى والذين يرمون اي يقذفون بالزنى المحصنات يعني المسلمات الحرائر العفائف
فهذا المحرم على المؤمنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة التزوج بالزانية قوله تعالى اي يقذفون
بالزنى يعني المسلمات الحرائر العفائف ثم لم ياتوا باربعة شهداء اي يشهدون على الزنا ه
فاجلدوهم ثمانين جلدة اي بيان حكم الآية وذلك ان من قذف محصنا او محصنة بالزنا
فقال يا زاني او يا زانية او زنيت فيجب عليه جلد ثمانين جلدة ان كان القاذف حرا وان كان
عبدا يجلد اربعين وان كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وشرائط الاحصان
ستة الاسلام والعقل والبلوغ والعفة من الزنا حتى لو زنى في عمره مرة واحدة ثم تاب
وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلا حد عليه فان اقر المقذوف على نفسه بالزنى
واقام القاذف اربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف لان الحد انما وجب
عليه لاجل الفرية وقد ثبت صدقه واما الكنايات مثل ان يقول يا فاسق او يا فاجر
او يا خبيث او يا مواجر وقال لامراته لا ترد يد لامس فهذا ونحوه لا يكون قذفا الا ان يريده
ذلك واما التعريض مثل ان يقول اما انا فما زنيت وليست امي زانية فليس بقذف عند
الشافعي وابي حنيفة وقال مالك فيه الحد وقال احمد هو قذف في حال الغضب دون حال

الرضى وقوله تعالى ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا فيه دليل على أن القذف من الكبائر لأن
اسم الفسق لا يقع إلا على صاحب الكبيرة قوله تعالى إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا
فإن الله غفور رحيم اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم الاستثناء فذهب
قوم إلى أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف وإذا تاب وندم على ما قال وحسنت حالته
بعد التوبة قبلت شهادته سواء تاب بعد إقامة الحد عليه أو قبله لقوله تعالى إلا الذين تابوا
وقالوا هذا الاستثناء يرجع إلى رد الشهادة وإلى الفسق وإذا تاب تقبل شهادته ويزول
عنه اسم الفسق يروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس
وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والزهري وبه
قال مالك والشافعي وذهب قوم إلى أن شهادة المحدود في القذف لا تقبل وإن تاب وقالوا
الاستثناء يرجع إلى قوله وأولئك هم الفاسقون وهو قول النخعي وشريح وأصحاب الرأي قالوا
نفس القاذف لا ترد شهادته ما لم يحد قال الشافعي هو قبل أن يحد شر منه حين لأن الحدود
كفارات فكيف تردونها في أحسن حاليه وتقبلونها في شر حاليه وذهب الشعبي إلى أن حد
القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع إلى الكل وعامة العلماء على أنه لا يسقط الحد بالتوبة
فإن قلت إذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معنى قوله أبدا قلت معنى قوله أبدا ما دام
مصرا على القذف لأن أبد كل إنسان مدته على ما يليق به كما يقال لا تقبل شهادة الكافر
أبدا يراد بذلك ما دام على كفره فإذا أسلم قبلت شهادته قوله عز وجل والذين يرمون
أي يقذفون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء أي يشهدون على صحة ما قالوا إلا أنفسهم
أي غير أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين سبب نزول هذه
الآية ما روي عن سهل بن سعد الساعدي أن عويمرا العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي فقال يا عاصم
أرأيت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا فيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل سل عن ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسأل عاصم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله صلى
الله عليه وسلم المسائل وعابها حتى كبر على عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع
عاصم إلى أهله جاء عويمر فقال له يا عاصم ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم فقال عاصم لعويمر
لم تأتني بخير فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة التي سألت عنها فقال عويمر
والله لا أنتهي حتى أسأله عنها فجاء عويمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال
يا رسول الله أرأيت أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقتله فيقتلونه أم كيف يفعل فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك فاذهب فأت بها قال سهل فتلاعنا
وأنا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغا من تلاعنهما قال عويمر كذبت
عليها يا رسول الله صلى الله إن أمسكتها فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ابن شهاب فكانت سنة المتلاعنين أخرجاه في الصحيحين زاد في رواية
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا إن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم
الأليتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمرا إلا قد صدق عليها وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا
أحسب عويمرا إلا كذب عليها فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
تصديق عويمر فكانت بعد ينسب إلى أمه قوله أسحم أي أسود والأدعج الشديد سواد العينين
مع سعتهما وقوله خدلج الساقين غليظهما وقوله كأنه وحرة الوحرة بفتح الحاء دويبة كالعظاءة
تلصق بالأرض وأراد بهذا الحديث المبالغة في قصره خ عن ابن عباس أن هلال بن أمية
والذي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد فنزل جبريل

عليه

عليه السلام وأنزل عليه والذين يرمون أزواجهم فقرأ حتى بلغ إن كان من الصادقين فانصرف
النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليهما فجاء فقام هلال بن أمية فشهد بين يدي النبي صلى الله
يقول الله أعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة
وقفوها وقالوا إنها موجبة قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت
لا أفضح قومي سائر اليوم فمضت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انظروها فإن جاءت به
العينين سابغ الأليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به كذلك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولولا كتاب من الله لكان لي ولها شأن وفي رواية غير البخاري عن ابن
قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الآية قال سعد بن عبادة لولا أتيت لكاع وقد
وقد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه حتى آتي بأربعة شهداء حتى يفرغ حاجته ويذهب وإن قلت
ما رأيت لخطر بك الأثم بن جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الأنصار ألا تسمعون
ما يقول سيدكم قالوا لا تلمه فإنه رجل غيور ما تزوج امرأة قط إلا بكرا ولا طلق امرأة
واجترأ رجل منا أن يتزوجها قال سعد يا رسول الله بأبي أنت وأمي والله إني لأعرف
أنها من الله وأنها الحق ولكن عجبت من ذلك لما أخبر الله تعالى فقال النبي صلى الله عليه وسلم
يأبى الله إلا ذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له
هلال بن أمية من حديقة له فرأى رجلا مع امرأته يزني بها فأمسك حتى أصبح فلما أصبح غدا
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء فوجدت
مع امرأتي رجلا رأيت بعيني وسمعت بأذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه
به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال يا رسول الله إني لأرى الكراهة في
وجهك مما أتيتك به والله يعلم إني لصادق وما قلت إلا حقا وإني لأرجو أن يجعل
لي فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه قال واجتمعت الأنصار
فقالوا ابتلينا بما قال سعد يجلد هلال وتبطل شهادته فإنهم لذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يريد أن يأمر بضربه إذ نزل عليه الوحي فأمسك أصحابه عن كلامه حتى عرفوا أن الوحي قد
نزل حتى فرغ فأنزل الله تعالى والذين يرمون أزواجهم إلى آخر الآيات فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم أبشر يا هلال فإن الله تعالى قد جعل لك فرجا فقال قد كنت أرجو ذلك
من الله تعالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما
تائب فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد صدقت وما قلت إلا حقا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لاعنوا بينهما فقيل لهلال اشهد فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن
الصادقين فقال له عند الخامسة يا هلال اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة
وإن عذاب الله أشد من عذاب الناس وإن هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك العذاب
فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد
والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ثم قال للمرأة اشهدي فشهدت أربع شهادات
بالله إنه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة ووقفها اتقي الله إن الخامسة موجبة وإن
عذاب الله أشد من عذاب الناس فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لا أفضح قومي
ثم شهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهو لزوجها وإن جاءت كذا وكذا فهو للمرأة الذي قيل فيه فجاءت به غلاما كأنه
جمل أورق على الشبه المكروه وكان أميرا بمصر لا يدرى من أبوه وروى ابن عباس أن عويمر
المتلاعن عن زوجته خولة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي الصلاة جامعة

فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال اشهد بالله ان خولة لزانية واني لصادق ثم قال في
الثانية اشهد بالله اني رأيت شريكا على بطنها واني لمن الصادقين ثم قال في الثالثة اشهد
بالله انها حبلى من غيري واني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه
ان كان من الكاذبين فيما قال ثم امره بالقعود ثم قال لخولة قومي فقامت فقالت اشهد
بالله ما انا بزانية وان عويمر لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية انه ما رأى شريكا على بطني وانه
لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة اني حبلى منه وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة اشهد
بالله انه ما رآني على فاحشة قط وانه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة
ان كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذا الايمان لكان
في امرهما رأي ثم قال تحينوا الولادة فان جاءت به اصهب اثيبج يضرب الى السواد فهو لشريك بن
سحما وان جاءت به اورق جعدا جماليا خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت
باشبه خلق لشريك بيان حكم الاية في ذلك ان الرجل اذا قذف امرأته فموجبه موجب قذف
الاجنبية في وجوب الحد عليه وان كانت محصنة او التعزير ان كانت غير محصنة
غير ان المخرج منهما مختلف فاذا قذف اجنبية او اجنبيا يقام عليه الحد الا ان ياتي باربعة
شهدا يشهدون بالزنا او يقر المقذوف بالزنا فيسقط عنه الحد فاللعان في قذف الزوجة
منزلة البينة فان الرجل اذا رأى مع امرأته رجلا ربما لا يمكنه اقامة البينة ولا يمكنه الصبر
على العار فجعل الله اللعان حجة على صدقه فقال تعالى فشهادة احدهم اربع شهادات
بالله انه لمن الصادقين واذا اقام الزوج بينة على زناها او اعترفت هي سقط عنه الحد
واللعان الا ان يكون هناك ولد يريد نفيه فله ان يلاعن لينفيه اذا اراد الامام ان
يلاعن بينهما بدأ بالرجل فيقيمه ويلقنه كلمات اللعان فيقول قل اشهد بالله اني لمن الصادقين
فيما رميت به زوجتي فلانة بالزنى وان كان قذفها برجل بعينه سماه في اللعان
ويقول كما يلقنه الامام وان كان ولدا او حملا يريد نفيه يقول وان هذا الولد او هذا الحمل
لمن الزنى ما هو مني ويقول في الخامسة علي لعنة الله ان كنت من الكاذبين فيما رميتها
به فلانة والذي بكلمة من كلمات اللعان من غير تلقين الامام لا تحسب فاذا فرغ الرجل
من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت عليه على التابيد وانتفى عنه النسب وسقط
عنه الحد ووجب على المرأة حد الزنا فهذه خمسة احكام تتعلق بلعان الزوج قوله تعالى
ويدرؤا اي يدفع عنها العذاب اي الحد ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين
والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الصادقين وحكم الاية ان الزوج اذا لاعن وجب
على المرأة حد الزنا فاذا ارادت اسقاطه عن نفسها فانها تلاعن فتقوم وتشهد بعد
تلقين الحاكم اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين فيما رماني به وتقول في الخامسة
علي غضب الله ان كان زوجي من الصادقين فيما رماني به ولا يتعلق بلعانها الا هذا الحكم
الواحد وهو اسقاط الحد عنها ولو اقام الزوج بينة لم يسقط الحد عنها باللعان وعند
اصحاب الرأي لا حد على من قذف زوجته بل موجبه اللعان فان لم يلاعن حبس حتى يلاعن
فاذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة عن اللعان حبست حتى تلاعن وعند الاخرين اللعان
حجة صدقه والقاذف اذا قعد عن البينة على صدقه لا يحبس بل يحد كالقاذف الاجنبي اذا
قعد عن اقامة البينة وعند ابي حنيفة موجب اللعان وجوب الفرقة ونفي النسب وهما
لا يحصلان الا بلعان الزوجين جميعا وقضاء القاضي وفرقة اللعان فرقة فسخ عند
الاكثرين وبه قال الشافعي وتلك الفرقة متابدة حتى لو اكذب الرجل نفسه يقبل ذلك

فيما

فيما عليه لا فيما له فيلزمه الحد ويلحقه الولد لكن لا يرتفع تابد التحريم وعند ابي حنيفة
فرقة اللعان فرقة طلاق فاذا اكذب نفسه جاز له ان ينكحها واذا اتى ببعض كلمات
اللعان لا يتعلق به الحكم وعند ابي حنيفة اذا اتى باكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل
من صح يمينه صح لعانه حرا كان او عبدا مسلما كان او ذميا وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان
ابن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثوري والشافعي واكثر اهل العلم وقال الزهري
والاوزاعي واصحاب الرأي لا يجري اللعان الا بين المسلمين حرين غير محدودين فان كان احد الزوجين
رقيقا او ذميا او محدودا في قذف فلا لعان بينهما وظاهر القرآن حجة لمن قال يجري اللعان
بينهما لان الله تعالى قال والذين يرمون ازواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود
وغيرهما ولا يصح اللعان الا عند الحاكم او نائبه ويغلظ اللعان باربعة اشيا بتعدد
الالفاظ وبالمكان والزمان وان يكون بمحضر جماعة من الناس اما تعدد الالفاظ فيجب
ولا يجوز الاخلال بشي واما المكان فهو ان يلاعن في اشرف الاماكن ان كان بمكة فبين الركن والمقام
وان كان بالمدينة فعند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وفي ساير البلاد في الجامع عند المنبر
واما الزمان فهو ان يكون بعد العصر واما الجمع فاقله اربعة والتغليظ بالجمع مستحب
فلو لاعن الحاكم بينهما وحده جاز وفي التغليظ بالزمان والمكان قولان قوله تعالى ولولا
فضل الله عليكم ورحمته اي لعاجلكم بالعقوبة ولكنه ستر عليكم ورفع عنكم الحد باللعان وان الله
تواب اي يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة حكيم فيما فرض من الحدود قوله عز وجل ان الذين
جاؤا بالافك عصبة منكم الايات سبب نزولها ما روي عن ابن شهاب قال حدثني عروة
ابن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن ابي وقاص وعبيد الله بن عتبة بن مسعود عن عايشة
زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها اهل الافك ما قالوا وكلهم حدثني طايفة من
حديثها وبعضهم كان اوعى لحديثها من بعض واثبت له اقتصاصا وقد وعيت عن كل رجل
الحديث الذي حدثني عن عايشة رضي الله عنها وبعض حديثهم يصدق بعضا قالوا قالت
عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع بين ازواجه
فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عايشة فاقرع بيننا
فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما انزل الحجاب فكنت احمل في هودج وانزل
فيه حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين
اذن ليلة بالرحيل فقمت حين اذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش فلما قضيت
شاني اقبلت الى رحلي فلمست صدري فاذا عقد لي من جزع اظفار قد انقطع فرجعت
فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه قالت واقبل الرهط الذين كانوا يرحلون فاحتملوا هودجي
فرحلوه على بعيري الذي كنت اركب عليه وهم يحسبون اني فيه وكان النساء اذ ذاك خفافا
لم يثقلن ولم يغشهن اللحم انما ياكلن العلقة من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين
رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن وليس بها داع ولا مجيب فيممت منزلي الذي
فبعثوا الجمل وساروا ووجدت عقدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها
داع ولا مجيب فيممت منزلي الذي كنت به وظننت انهم سيفقدوني فيرجعون الي فبينا
انا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس
من وراء الجيش فادلج فاصبح عند منزلي فرأى سواد انسان نايم فعرفني حين رآني وكان يراني
قبل الحجاب فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي ووالله
ما كلمني بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى اناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها

فانطلق يقودني الراحلة حتى اتينا الجيش بعد ما نزلوا معرسين وفي رواية في موغرين في نحر
الظهيرة قالت فهلك من هلك في شاني وكان الذي تولى كبر الافك عبد الله بن ابي بن سلول فقدمنا
المدينة فاشتكيت بها شهرا والناس يفيضون في قول اصحاب الافك ولا اشعر بشي وهو يريبني
في وجعي اني لا ارى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت ارى منه حين اشتكي انما يدخل فيسلم
ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذلك الذي يريبني منه ولا اشعر بالشر حتى نقهت فخرجت انا وام
مسطح قبل المناصع وهي متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل وذلك قبل ان نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا
وامرنا امر العرب الاول في التبرز قبل الغائط وكنا نتاذى بالكنف ان نتخذها عند
بيوتنا فاقبلت انا وام مسطح وهي بنت ابي رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف وامها
بنت صخر بن عامر خالة ابي بكر الصديق وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن عبد المطلب
حين فرغنا من شاننا نمشي فعثرت ام مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها
بئس ما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا فقالت يا هنتاه او لم تسمعي ما قال قلت
وما قال فاخبرتني بقول اهل الافك فازددت مرضا الى مرضي فلما رجعت الى بيتي دخل
علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كيف تيكم فقلت له اتاذن لي ان اتي ابوي وانا اريد
ان استيقن الخبر من قبلهما فاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيت ابوي فقلت
لامي يا امتاه ماذا يتحدث الناس به فقالت يا بنية هوني على نفسك فوالله لقلما كانت
امراة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر الا اكثرن عليها قالت فقلت سبحان الله
ولقد تحدث الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى اصبحت لا يرقا لي دمع ولا اكتحل
بنوم ثم اصبحت ابكي قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب واسامة
ابن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق اهله فاما اسامة فاشار عليه بما يعلم من
براءة اهله والذي يعلم له في نفسه من الود فقال اسامة هم اهلك يا رسول الله ولا نعلم
والله الا خيرا واما علي بن ابي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها
كثيرة وسل الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة
هل رايت فيها شيئا يريبك فقالت له بريرة والذي بعثك بالحق نبيا ان رايت منها
امرا اغمصه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها فياتي الداجن
فياكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعذرني من رجل بلغني اذاه
في اهلي وفي رواية في اهل بيتي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما
علمت عليه الا خيرا وما كان على اهلي الا معي قالت فقام سعد بن معاذ احد بني عبد الاشهل فقال
انا والله يا رسول الله اعذرك منه ان كان من الاوس ضربنا عنقه وان كان من اخواننا الخزرج
امرتنا ففعلنا فيه امرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت ام حسان
بنت عمه من فخذه وكان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر
الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك فقام اسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعني ابن معاذ
فقال لسعد بن عبادة كذبت والله لنقتلنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان
الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر
فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا وسكت قالت وبكيت
يومي ذلك لا يرقا لي دمع ولا اكتحل بنوم فاصبح عندي ابواي وقد بكيت ليلتين ويوما حتى
اظن البكاء فالق كبدي قالت فبينما هما جالسان عندي وانا ابكي اذ استاذنت امراة من
الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معي فبينما نحن كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جلس

ولم

ولم يجلس عندي من يوم قيل لي ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى اليه في شاني بشي قالت
فتشهد رسول الله حين جلس ثم قال اما بعد يا عايشة فانه بلغني عنك كذا وكذا فان كنت
بريئة فسيبريك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفري الله وتوبي اليه فان العبد اذا اعترف
بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعي
حتى ما احس منه قطرة وقلت لابي اجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله
ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لامي اجيبي عني رسول الله فيما قال
فقالت والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وانا جارية حديثة
السن لا اقرا كثيرا من القران فقلت والله اني قد علمت انكم سمعتم ما تحدث به الناس حتى
استقر في انفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني منه بريئة لم تصدقوني
فوالله ما اجد لي ولكم مثلا الا كما قال ابو يوسف فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون
ثم تحولت واضطجعت على فراشي وانا والله حينئذ اعلم اني بريئة وان الله سيبريني
ولكن والله ما كنت اظن ان ينزل في شاني وحيا يتلى ولشاني في نفسي احقر من ان يتكلم الله
في شاني بامر يتلى ولكن كنت ارجو ان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا
يبريني الله بها فوالله ما رام مجلسه ولا خرج احد من اهل البيت حتى انزل الله على نبيه
فاخذه ما كان ياخذه من البرحاء حتى انه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق في يوم شات من ثقل
القول الذي انزل عليه قالت فسري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك
فكان اول كلمة تكلم بها ان قال لي يا عايشة احمدي الله وفي رواية ابشري يا عايشة اما
والله فقد براك الله تعالى فقالت لي امي قومي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا
والله لا اقوم ولا احمد الا الله هو الذي انزل براءتي فانزل الله عز وجل ان الذين جاؤا
بالافك عصبة منكم العشر ايات فلما انزل الله هذا في براءتي بالافك قال ابو بكر الصديق
وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقرابته منه وفقره والله لا انفق على مسطح شيئا
ابدا بعد ما قال لعايشة فانزل الله ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله غفور
رحيم فقال ابو بكر الصديق بلى والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح الذي
كان يجري عليه وقال والله لا انزعها منه ابدا قالت عايشة وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يسال زينب بنت جحش عن امري فقال يا زينب ما علمت ما رايت فقالت
يا رسول الله احمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها الا خيرا قالت عايشة وهي التي تساميني
من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت اختها حمنة تحارب
عنها حتى هلكت فيمن هلك من اصحاب الافك قال ابن شهاب فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء
هؤلاء الرهط زاد في رواية قالت عايشة والله ان الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول
سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت عن كنف انثى قط قالت ثم قتل في سبيل الله
بعد فهذا حديث متفق على صحته اخرجاه في الصحيحين زاد البخاري في رواية عن عروة
عن عايشة والذي تولى كبره منهم عبد الله بن ابي بن سلول وقال عروة لم يسم لي من اهل
الافك ايضا الا حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش في ناس اخرين
لا علم لي بهم غير انهم عصبة كما قال الله تعالى قال عروة وكانت عايشة تكره ان يسب
عندها حسان بن ثابت وتقول انه الذي قال

فان ابي ووالدي وعرضي ۝ لعرض محمد منكم وقاء

اخرجاه من حديث مسروق قال دخلت على عايشة وعندها حسان ينشدها شعرا يشبب

من أبيات فقال حصان رزان ما تزن بريبة * وتصبح غرثى من لحوم الغوافل * فقالت عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها أتأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأي عذاب أشد من العمى وقالت إنه كان ينافح ويهاجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شرح غريب ألفاظ هذا الحديث قوله وكلهم حدثني طائفة أي قطعة من حديثها قوله وكان أوعى أي أحفظ لها قوله أذن أي أعلم بالرحيل قولها فقدت عقدا لي من جزع أظفار وهو نوع من الخرز وهو اليماني الجزع المعروف قوله لم يهبلن أي يكثر لحمهن من السمن فيثقلن قوله إنما يأكلن العلقة من الطعام أي البلغة من الطعام وهو قدر ما يمسك الرمق قوله ليس بها منهم داع ولا مجيب أي ليس بها أحد لا من يدعو ولا من يجيب ولا من يرد جوابا قولها فتيممت أي قصدت قولها عرس من وراء الجيش فادلج التعريس نزول المسافر في آخر الليل وبالتخفيف سير الليل كله قولها باسترجاعه وهو قول القائل إنا لله وإنا إليه راجعون قولها خمرت وجهي بجلبابي أي غطيت وجهي بجلبابي أي إزاري قولها موغرين في نحر الظهيرة والوغرة شدة الحر وكذلك نحر الظهيرة أي أولها قولها والناس يفيضون أي يخوضون ويتحدثون قولها وهو يريبني يقال رابني الشيء إذا رابني أي شككت فيه قولها ولا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف أي الرفق بنا واللطف في الأفعال الرفق وفي الأقوال لين الكلام قولها حتى نقهت أي أفقت من المرض الحالي والمرط كساء من صوف أو خز قولها تعس مسطح أي عثر وفي الدعاء على الإنسان أي سقط بوجهه قولها يا هنتاه يا بلهاء كأنها نسبتها إلى البله وقلة المعرفة قولها لا يرقأ لي دمع أي لا ينقطع وقوله بريرة إن رأيت بمعنى النفي أي ما رأيت منها أمرا أغمصه بالصاد المهملة أي أعيبه والداجن الشاة التي تألف البيت ونعيم به قوله صلى الله عليه وسلم من يعذرني أي إن أكافيه على سوء صنيعه إن عاقبت أو عاقبت فلا تلوموني على ذلك قوله وكانت أم حسان بنت عمه من فخذه أي من قبيلته ولكن احتملته الحمية أي حملته الغضب والأنفة والتعصب على الجهل للقرابة قوله فثار الحيان أي ثاروا ونهضوا للقتال والمخاصمة قولها فلم يزل يخفضهم أي يهون عليهم ويسكن قوله صلى الله عليه وسلم إن كنت ألممت قيل هو من اللمم وهو من صغار الذنوب وقيل معناه مقاربة الذنب من غير فعل قولها قلص دمعي انقطع جريانه قولها ما رام أي ما برح من مكانه والرحضاء والكرب والجمان الدرة وجمعها جمان فسري عنه أي كشف عنه وقوله زينب أحمي سمعي وبصري أي أمنعهما من أن أخبر بما لم أسمع من الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت كنف أي أي ستر أنثى قوله ويؤتسيه أي يستخرجه بالبحث عنه والاستقصاء فيه وقول حسان بن ثابت حصان بفتح الحاء يقال امرأة حصان أي متعففة حييبة ورزان أي ثابتة ما تزن بها أي تتهم ولا تتهم بريبة أي بأمر يريب الناس وتصبح غرثى أي جائعة والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة والمعنى أنها لا تغتاب أحدا ممن هو غافل عن مثل هذا الفعل وقول عائشة في حسان إنه كان ينافح أي يناضل ويخاصم عن الله ورسوله وأما التفسير فقوله تعالى إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم أي بالكذب والإفك أسوأ الكذب لكونه مصروفا عن الحق وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل وجاؤوا بالإفك عصبة منكم أي عبد الله بن أبي بن سلول ومسطح بن أثاثة وحسان وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله فإن قلت عبد الله ابن أبي بن سلول كان رأس المنافقين

فكيف

فكيف قال منكم قلت كان ينتسب إلى الإيمان في الظاهر قيل وقوله منكم خرج مخرج الأغلب فإن حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة كانوا من المؤمنين المخلصين قوله تعالى لا تحسبوه شرا لكم يعني الإفك الخطاب لعائشة وصفوان وقيل لعائشة وأبويها والنبي صلى الله عليه وسلم ولصفوان بل هو خير لكم يعني أن الله يأجركم على ذلك ويظهر براءتكم ويشهد بكذب العصبة وأوجب لهم الذم وهو غاية الشرف والفضل لكم لكل امرئ منهم أي من العصبة الكاذبة ما اكتسب من الإثم أي جزاء ما اجترح من الذنب على ما خاض فيه والذي تولى كبره منهم أي تحمل معظمه وبدأ بالخوض فيه وقام بإشاعته وهو عبد الله بن أبي بن سلول المنافق من العصبة له عذاب عظيم يعني عذاب النار في الآخرة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد ثمانين ثمانين قوله عز وجل لولا إذ سمعتموه أي الحديث الكذب وقول أهل الإفك ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم أي بإخوانهم وأهل دينهم خيرا والمعنى كان الواجب على المؤمنين إذ سمعوا قول أهل الإفك أن يكذبوه ويحسنوا الظن ولا يسرعوا في التهمة وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتبة المؤمنين وقالوا هذا إفك مبين أي كذب بين لا حقيقة له لولا يعني هلا جاؤوا عليه أي على ما زعموا بأربعة شهداء أي يشهدون بذلك فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله أي في حكم الله هم الكاذبون وهذا من باب الزواجر فإن قلت كيف يصيرون عند الله كاذبين إذا لم يأتوا بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهادة أو لم يأت بها قلت هذا في حق الذين رموا عائشة خاصة ومعناه فأولئك هم الكاذبون يعني وعلى قيل معناه فأولئك عند الله في حكم الكاذبين فإن الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف إن لم يأت بالشهود يجب زجره قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم معناه لولا أني قضيت أن أتفضل عليكم في الدنيا بضروب النعم التي من جملتها الإمهال بالتوبة وأن أترحم عليكم في الآخرة بالعفو والمغفرة لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم به من حديث الإفك والخطاب للقذفة وهذا الفضل هو تأخير العذاب وقبول التوبة ممن تاب إذ تلقونه بألسنتكم أي يرويه بعضكم عن بعض وذلك أن الرجل منهم يلقى الرجل فيقول كذا وكذا فيتلقونه تلقيا يلقيه بعضهم إلى بعض وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم أي من غير أن تعلموا أنه حق وتحسبونه هينا أي تظنون أنه سهل ولا إثم فيه وهو عند الله عظيم أي في الوزر ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك قيل للتعجب وقيل هو للتنزيه هذا يعني بهتان عظيم أي كذب عظيم يبهت ويتحير من عظمته روي أن أم أيوب قالت لأبي أيوب الأنصاري ما بلغك ما تقول الناس في عائشة فقال سبحانك هذا بهتان عظيم فنزلت الآية على وفق قوله يعظكم الله قال ابن عباس يحرم الله عليكم وقيل ينهاكم الله أن تعودوا لمثله أبدا إن كنتم مؤمنين ويبين الله لكم الآيات أي في الأمر والنهي والله عليم أي بأمر عائشة وصفوان حكيم أي حكم ببراءتهما قوله عز وجل إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة أي يظهر الزنا ويذيع في الذين آمنوا قيل الآية مخصوصة بمن قذف عائشة والمراد بالذين آمنوا عائشة وقيل الآية على العموم فكل من أحب أن تشيع الفاحشة وتظهر على أحد فهو داخل في حكم الآية والمراد بالذين آمنوا جميع المؤمنين لهم عذاب أليم في الدنيا يعني الحد والذم على فعله والآخرة أي وفي الآخرة لهم النار والله يعلم وأنتم لا تعلمون قيل معناه يعلم ما في قلب من يحب أن تشيع الفاحشة فيجازيه على ذلك وأنتم لا تعلمون ذلك ولولا فضل الله عليكم

ورحمته اي لولا انعامه عليكم لعاجلكم بالعقوبة قال ابن عباس يريد بذلك مسطح وحسان بن ثابت وحمنة وان الله رؤف رحيم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان اي اثاره ومسالكه ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يامر بالفحشا اي بالقبائح والمنكر من الاقوال والافعال وكلما يكرهه الله عز وجل والاية عامة في حق كل مخلوق وقيل الخطاب في الذين خاضوا في الافك ومعناه ما طهر من الذنب ولا صلح امره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ما قبل توبة احد منكم ابدا اي ما طهر انظر هنا نزل الاية ولكن الله يزكي اي يطهر من يشا من الخطايا الذنب بالرحمة والمغفرة والله سميع اي لاقوالهم عليم اي بما في قلوبهم ولا يأتل اي لا يحلف من الالية وهو القسم اولوا الفضل منكم والسعة يعني الغنا يعني ابو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله يعني مسطح وكان مهاجرا مسكينا بدريا ابن خالة ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه حلف ابو بكر لا ينفق عليه فانزل الله هذه الاية وليعفوا وليصفحوا اي عن خوض مسطح في امر عايشة الا تحبون يخاطب ابو بكر ان يغفر الله لكم والله غفور رحيم فلما قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي بكر الصديق قال بلى احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه وقال والله لا انزعها عنه ابدا وفي الاية دليل على فضل ابي بكر لان الفضل المذكور في الاية ذكر الله تعالى في معرض المدح وذكره بلفظ الجمع في قوله اولي الفضل منكم وقوله الا تحبون ان يغفر الله لكم وهذا يدل على علو شانه ومرتبته ومنها انه احتمل الاذى من ذوي القربى ورجع عليه بما كان ينفق عليه وهذا من اشد الجهاد لانه جهاد النفس ومنها انه تعالى قال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعف عنهم واصفح وقال في حق ابي بكر وليعفوا وليصفحوا فدل على ان ابا بكر كان ثاني اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الاخلاق وفي الاية دليل على من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فاليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه ومنه الحديث الصحيح من حلف على يمين وراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه قوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات اي العفائف الغافلات اي عن الفواحش وعن الفاحشة اي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة المؤمنات وصفها بالمؤمنات لعنوا اي عذبوا في الدنيا بالحد والاخرة اي ولهم في الاخرة بالنار ولهم عذاب عظيم وهذا في حق عبد الله بن ابي بن سلول المنافق وروي عن خصيف انه قال لسعيد بن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والاخرة فقال ذلك لعايشة خاصة وازواج النبي صلى الله عليه وسلم دون سائر المؤمنات ليس له توبة ومن قذف امراة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرا والذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات الى قوله فجعل لهؤلا توبة ولم يجعل لاولئك توبة وقيل بل لهم توبة ايضا للاية يوم تشهد عليهم السنتهم هذا قبل ان يختم على افواههم وايديهم وارجلهم يروى انه يختم على الافواه فتتكلم الايدي والارجل بما عملت في الدنيا وهو قوله عز وجل بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم اي جزاءهم الواجب وقيل حسابهم العدل ويعلمون ان الله هو الحق المبين اي الموجود الظاهر الذي بقدرته وجود كل شي وقيل معناه يبين لهم حقيقة ما كان يعدهم في الدنيا وقال ابن عباس وذلك ان عبد الله بن ابي بن سلول كان يشك في الدين فيعلم يوم القيامة ان الله هو الحق المبين قوله عز وجل الخبيثات للخبيثين قال اهل التفسير معنى الخبيثات يعني الكلمات والقول الخبيث من الناس ومثله والخبيثون للخبيثات من القول والطيبات اي من القول ومعنى الاية ان الخبيث من القول

لايليق

لا يليق الا الطيب من الناس لانه طيبه فيضاف اليها الطيب القول من الثنا والمدح وما يليق بها وقيل معناه لا يتكلم الخبيث الا الخبيث من الرجال والنسا وهذا ذم للذين قذفوا عايشة ولا يتكلم بالطيب الا الطيب من الرجال والنسا وهذا مدح للذين برءوها بالطاهر والمدح بما وهذا معنى الاية الخبيثات من النسا للخبيثين من الرجال والخبيثون من الرجال للخبيثات من النسا امثال عبد الله بن ابي المنافق والشاكين في الدين والطيبات من النسا للطيبين والطيبون للطيبات يريد عايشة طيبها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم اولئك مبرءون مما يعني عايشة وصفوان ذكرهما الله بلفظ الجمع يقولون يعني اصحاب الافك لهم مغفرة اي عفو لذنوبهم ورزق كريم يعني الجنة وروي عن عايشة كانت تفتخر باشيا اعطيتها لم تعطها امراة غيرها منها ان جبريل اتى بصورتها في سرقة حرير وقال هذه زوجتك ويروى انه اتى بصورتها في راحته ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وقبض عليه الصلاة والسلام في حجرها وفي يومها ودفن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهي معه في اللحاف ونزلت براءتها من السما ومنها ابنة الصديق وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما وكان مسروق اذا حدث عن عايشة يقول حدثتني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبراة من السما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا اي تستاذنوا وكان ابن عباس يقرا حتى تستاذنوا ويقول تستانسوا خطا من الكاتب وفي هذه الرواية نظر لان القران ثبت بالتواتر والاستيناس في اللغة الاستيذان وقيل الاستيناس من طلب الانس وهو ان ينظر هل في البيت انسان فيؤذنه اني داخل وقيل هو من انست اي ابصرت وقيل هو ان يتكلم بتسبيحة او يتنحنح حتى يعرف اهل البيت وتسلموا على اهلها بيان حكم الاية انه لا يدخل بيت الغير الا بعد الاستيذان والسلام واختلفوا في ايهما يقدم فقيل يقدم الاستيذان قبل السلام وقال الاكثرون يقدم السلام فيقول سلام عليكم ادخل وتقدير الاية حتى تسلموا على اهلها وتستاذنوا وكذا هو في مصحف ابن مسعود وروي عن كلدة بن حنبل قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم اسلم ولم استاذن فقال صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم ءادخل اخرجه ابو داود والترمذي وعن ربعي ابن حراش قال جا رجل من بني عامر فاستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في البيت فقال الج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج الى هذا فعلمه الاستيذان فقل له قل السلام عليكم ادخل فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم ادخل فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه ق عن ابي سعيد وابي بن كعب وابي موسى قال ابو سعيد كنت في مجلس من مجالس الانصار اذ جا ابو موسى كانه مذعور فقال استاذنت على عمر ثلاثا فلم يؤذن لي فرجعت فقال والله ليقيمن عليه بينة امنكم احد سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابي بن كعب فوالله لا يقوم معك الا اصغر القوم فكنت اصغر القوم فقمت معه فاخبرت عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال الحسن الاول اعلام والثاني مؤامرة والثالث استيذان بالرجوع عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقا وجهه ولكن من ركنه الايمن والايسر ويقول السلام عليكم وذلك ان الدور لم يكن عليها ستور اخرجه ابو داود وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعي احدكم فجاء مع رسول فان ذلك اذن له اخرجه ابو داود وقيل اذا وقع بصره على انسان قدم السلام والا قدم الاستيذان ثم يسلم وقيل ابو موسى الاشعري وحذيفة يستاذن على ذوات المحارم يدل عليه ما روي عن عطا بن يسار ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استاذن على امي قال نعم فقال الرجل اني خادمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استاذن عليها اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن عليها اخرجه مالك في الموطا ذلكم خير لكم اي فعل

الاستيذان خير لكم واولى بكم من الهجوم بغير اذن لعلكم تذكرون اى هذه الآداب فتعملوا بها قوله
تعالى فان لم تجدوا فيها اى البيوت احدا اى ياذن لكم في دخولها فلا تدخلوها حتى
يؤذن لكم اى في الدخول وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا يعنى اذا كان في البيت قوم
وكرهوا دخول الداخل عليهم فقالوا ارجع فليرجع ولا يقف على الباب ملازما هو ازكى
لكم اى الرجوع هو اطهر واصلح لكم فان للناس احوالا وحاجات يكرهون الدخول عليهم
في تلك الاحوال واذا حضروا الى الباب فلم يستاذن وقعد على الباب منتظرا جاز كان ابن عباس
يأتى دور الانصار لطلب الحديث فيقعد على الباب ولا يستاذن حتى يخرج اليه الرجل فاذا خرج
ورآه قال يا ابن عم رسول الله لو اخبرتنى بمكانك فيقول هكذا امرنا ان نطلب العلم واذا وقف
على الباب فلا ينظر الى سفله اذا كان الباب مردودا ق عن سهل بن سعد قال اطلع رجل
من جحر في باب النبى صلى الله عليه وسلم ومع النبى مدرى يرجل به وفي رواية يحك به رأسه فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمت انك تنظر لطعنت به في عينك انما جعل الاذن
للبصر ق عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطلع في بيت قوم بغير
اذنهم فقد حل لهم ان يفقؤا عينه وفي رواية للنسائى قال لو ان امرأ اطلع عليك بغير
اذن فحذفته ففقأت عينه ما كان عليك وقال مرة اخرى جناح والله بما تعملون عليم
اى من الدخول ولما نزلت آية الاستيذان قالوا كيف بالبيوت التى بين مكة والمدينة
والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن فانزل الله تعالى ليس عليكم جناح اى اثم ان
تدخلوا بيوتا غير مسكونة اى بغير استيذان فيها متاع لكم اى منفعة لكم قيل ان هذه
البيوت هى الخانات والمنازل المبنية للسابلة ليأووا اليها ويأووا امتعتهم فيها فيجوز
دخولها بغير استيذان والمنفعة النزول بها واتقاء الحر والبرد وايواء الامتعة بها وقيل
بيوت التجارة وحوانيتهم في الاسواق يدخلها للبيع والشرا وهو منفعتها فليس فيه
استيذان وقيل هو جميع البيوت التى لا ساكن فيها لان الاستيذان انما جعل لئلا
يطلع على عورة فان لم يخف ذلك جاز له الدخول بغير استيذان والله يعلم ما تبدون
وما تكتمون قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اى عما لا يحل النظر اليه
قيل معناه يغضوا ابصارهم وقيل من هنا للتبعيض لانه لا يجب الغض عما يحل اليه النظر
وانما امروا ان يغضوها عما لا يحل النظر اليه م عن جرير قال سألت رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن نظرة الفجاة فقال لى اصرف بصرك عن بريدة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعلى يا على لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الثانية اخرجه ابو داود والترمذى
م عن ابى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينظر الرجل الى عورة الرجل
ولا المرأة الى عورة المرأة ولا يفضى الرجل الى الرجل في ثوب واحد ولا تفضى المرأة
الى المرأة في ثوب واحد وقوله تعالى ويحفظوا فروجهم اى عما لا يحل قال ابو العالية
كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا الا في هذا الموضع فانه اراد به الاستتار حتى
لا يقع بصر الغير عليه فان قلت كيف دخلت من على غض البصر دون حفظ الفرج قلت فيه
دلالة على ان امر النظر اوسع الا ترى ان المحارم لا باس بالنظر الى شعورهن وثديهن واعضادهن
واسوقهن وكذا الجوارى المستعرضات في البيع والاجنبية يجوز النظر الى وجهها وكفيها للحاجة
الى ذلك واما امر الفرج فمضيق وكفاك ان ابيح النظر الى ما استثنى منه فان قلت كيف
قدم غض البصر على حفظ الفرج قلت لان النظر بريد الزنا ورائد الفجور والبلوى فيه
اشد ولا يكاد احد يقدر على الاحتراز منه ذلك ازكى لهم معناه ان غض البصر وحفظ

الفرج ان الله خبير بما يصنعون اى انه خبير باحوالهم وافعالهم وكيف يجيلون ابصارهم
وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم قوله تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن
فروجهن اى عما لا يحل لهن روى عن ام سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده
اعمى احتجبن منه فقلنا يا رسول الله اعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
افعمياوان انتما الستما تبصرانه اخرجه الترمذى وابو داود وقوله تعالى ولا يبدين اى لا يظهرن
زينتهن اى لغير محرم واراد بالزينة الخفية مثل الخلخال والخضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط
في الاذن والقلائد في العنق فلا يجوز للمرأة اظهارها ولا يجوز للاجنبى النظر اليها والمراد من الزينة
النظر الى مواضعها من البدن الا ما ظهر منها اى من الزينة وقال ابن مسعود هى الثياب وكان سعيد
ابن جبير والضحاك والاوزاعى الوجه والكفان وقال ابن عباس الكحل والخاتم والخضاب في الكف فما
كان من الزينة الظاهرة يجوز للاجنبى النظر اليها للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات
اذا لم يخف فتنة وشهوة فان خاف شيئا من ذلك غض البصر وانما رخص في هذا القدر للمرأة
ان تبديه من بدنها لانه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة وليضربن
بخمرهن اى ليلقين مقانعهن على جيوبهن اى موضع الجيب وهو النحر والصدر اى ليسترن بذلك
شعورهن واعناقهن واقرطتهن وصدورهن خ عن عائشة قالت يرحم الله نساء المهاجرات
الاول لما انزل الله وليضربن بخمرهن على جيوبهن شققن مروطهن فاختمرن بها المرط
كساء من صوف او خز او كتان وقيل هو الازار وقيل هو الدرع ولا يبدين زينتهن
يعنى الخفية التى لم يبح لهن كشفها في الصلاة وللاجانب وهى ما عدا الوجه والكفين الا
لبعولتهن قال ابن عباس لا يضعن الجلباب والخمار الا لازواجهن او آبائهن او آباء
بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بنى اخوانهن او بنى اخواتهن
فيجوز لهؤلاء ان ينظروا الى الزينة الباطنة ولا ينظروا الى ما بين السرة والركبة ويجوز
للزوج ان ينظر الى جميع بدن زوجته غير انه يكره له النظر الى فرجها او نسائهن
اى المؤمنات من اهل دينهن اراد انه لا يجوز للمرأة المؤمنة ان تتجرد من ثيابها عند الذمية
والكافرة لان الله تعالى قال او نسائهن والذمية والكافرة ليست من نسائنا ولانها
اجنبية في الدين فكانت ابعد من الرجل الاجنبى كتب عمر بن الخطاب الى ابى عبيدة بن الجراح
ان يمنع نساء اهل الكتاب ان يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل يجوز ان تنكشف للمرأة
المسلمة لانها من جملة النساء او ما ملكت ايمانهن قيل هو عبد المرأة فيجوز له الدخول
عليها اذا كان عفيفا وان ينظر الى بدن سيدته الا ما بين السرة والركبة كالمحارم وهو ظاهر
القرآن يروى ذلك عن عائشة وام سلمة وروى انس ان النبى صلى الله عليه وسلم اتى
فاطمة بعبد قد وهبه لها وعلى فاطمة ثوب اذا قنعت به راسها لم يبلغ رجليها واذا
غطت رجليها لم يبلغ راسها فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تلقى قال انه ليس عليك
باس انما هو ابوك وغلامك وقيل هو كالاجنبى معها وهو قول سعيد بن المسيب قال والمراد
من الآية الاماء دون العبيد او التابعين غير اولى الاربة من الرجال بنصب غير على الاستثناء
الرجال معناه لا يبدين زينتهن لمن كان منهم ذا اربة وجر غير على نعت التابعين
والاربة والارب الحاجة والمراد ذا اربة بالنساء يعنى غير اولى الاربة هم الذين يتبعون القوم
ليصيبوا من فضل طعامهم لا همة لهم الا ذلك ولا حاجة لهم في النساء وقال ابن عباس هو
الاحمق العنين وقيل هو الذى لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيهن وقيل هو المجنون والخصى
وقيل هو الشيخ الهرم الذى ذهبت شهوته وقيل هو المخنث م عن عائشة رضى الله عنها قالت

كان يدخل على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم مخنث وكانوا يعدونه من غير اولي الاربة فدخل
النبي صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينعت امراة فقال اذا اقبلت اقبلت
باربع واذا ادبرت ادبرت بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم الا ارى هذا يعرف ما ههنا
لا يدخل عليكم فحجبوه زاد ابو داود في رواية واخرجوه من البيت يدخل في كل جمعة فيستطعم
قوله اقبلت باربع اي ان لها في بطنها اربع عكن فهي تقبل اذا اقبلت بها واراد بالثمان اطراف
العكن الاربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسمن او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النسا
اي لم يكشفوا عن عورات النسا للجماع فيطلعوا عليها وقيل لم يبلغوا اخذ الشهوة وقيل الطفل يطلق
للصبي ما لم يحتلم ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن قيل كانت المراة اذا مشت
ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها او تبين خلخالها فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل يغلب
عليه شهوة بتبين خلخالها فنهين عن ذلك وقيل ان الرجل يغلب عليه شهوة النسا اذا
سمع صوت الخلخال يصير ذلك داعية له في مشاهدتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى
ليعلم ما يخفين من زينتهن فنبه به على ان الذي لاجله نهى عنه ان يعلم به ما عليهن من
الحلي وغيره وتوبوا الى الله جميعا من التقصير الواقع في امره ونهيه وراجعوا طاعته
فيما امركم به ونهاكم عنه الاداب المذكورة في هذه السورة وقيل ان اوامر الله ونواهيه
في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك عن
تقصير يقع منه فلذلك وصى المومنين بالتوبة والاستغفار ووعد بالفلاح اذا تابوا
واستغفروا فلذلك قوله تعالى ايه المومنون لعلكم تفلحون م قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول في المجلس رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم مائة مرة
اخرجه عبد الرحمن بن حميد المكي ق عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله
افرح بتوبة عبده من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة م عن ابي هريرة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه قوله عز وجل وانكحوا الايامى
منكم جمع الايم يطلق على الذكر والانثى وهو من لا زوج له من رجالكم ونسائكم والصالحين من عبادكم اي
من عبيدكم وامائكم بيان حكم الاية الامر المذكور في الاية امر ندب واستحباب لاجماع السلف عليه
فيستحب لمن اشتاقت نفسه النكاح ووجد اهبته ان يتزوج وان لم يجد اهبته يكسر شهوته بالصوم
ق عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من اراد منكم الباءة
فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء الباءة
النكاح ويكنى به عن النكاح الجماع ايضا والوجا بكسر الواو وهو رض الانثيين نوع من الخصا شبه
به الصوم في قطعه شهوة النكاح بالوجا الذي يقطع النسل عن معقل بن يسار قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة اخرجه
ابو داود والنسائي ق عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع
وخير متاعها المراة الصالحة اما من لا تتوق نفسه الى النكاح وهو قادر عليه فالتخلي للعبادة
افضل من النكاح عند الشافعي وعند اصحاب الراي النكاح افضل قال الشافعي قد ذكر الله
عبدا اكرمه فقال وسيدا وحصورا وهو الذي لا ياتي النسا وذكر القواعد ولم يندبهن الى
الى النكاح وفي الاية دليل على ان تزويج الايامى الى الاوليا وهو ان الله خاطبهم كما ان تزويج
العبيد والاما الى السادات وهو قول اكثر اهل العلم من الصحابة فمن بعدهم وروي ذلك
عن عمر وعلي وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وابي هريرة وعايشة وبه قال سعيد
ابن المسيب والحسن وشريح والنخعي وعمر بن عبد العزيز واليه ذهب الثوري والاوزاعي وعبد الله

ابن

ابن المبارك والشافعي واحمد واسحاق وجوز اصحاب الراي للمراة تزويج نفسها وان كانت
شريفة فلا والدليل على ان الولي شرط في النكاح ما روي عن ابي موسى الاشعري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح الا بولي اخرجه الترمذي وابو داود ولهما عن عايشة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ايما امراة نكحت بغير اذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا
فان اصابها فلها المهر بما استحل من فرجها فان استجروا فالسلطان ولي من لا ولي له وقوله تعالى
ان يكونوا فقرا يغنهم الله من فضله قيل الغنا ههنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين رزق الزوج
والزوجة وقال عمر بن الخطاب عجبت لمن يبتغي الغنا بغير النكاح والله تعالى يقول ان يكونوا فقرا يغنهم
الله من فضله وقال بعضهم ان الله وعد الغنا بالنكاح وبالتفرق فقال تعالى يغنهم الله من فضله
فقال تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته والله واسع اي انه ذو الافضال والجود عليم
اي بما يصلح من خلقه من الرزق قوله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا اي ليطلب العفة عن الزنا
والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة حتى يغنيهم الله من فضله اي يوسع
عليهم من رزقه والذين يبتغون الكتاب سبب نزول هذه الاية ان غلاما لحويطب بن عبد العزى سال
مولاه ان يكاتبه فابى عليه فانزل الله عليه هذه الاية فكاتبه حويطب على مائة دينار ووهب
له منها عشرين دينارا فاداها وقتل يوم حنين في الحرب بيان حكم الاية وكيفية المكاتبة وذلك ان
يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمي مالا معلوما يودي ذلك في نجمين او في نجوم
معلومة في كل نجم كذا فاذا اديت ذلك فانت حر ويقبل العبد ذلك فاذا ادى العبد ذلك المال
عتق ويصير العبد احق بمكاسبه بعد الكتابة واذا اعتق باداء المال فما فضل في يده من المال
فهو له ويتبعه اولاده الذين حصلوا في الكتابة في العتق واذا عجز عن اداء المال كان لمولاه
ان يفسخ الكتابة ويرده الى الرق وما في يده من المال فهو لسيده لما روي عن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكاتب عبد ما بقي عليه درهم اخرجه
ابو داود وذهب بعض اهل العلم الى ان قوله تعالى فكاتبوهم امر ايجاب على السيد ان يكاتب
عبده الذي علم فيه خيرا اذا سال العبد ذلك على قيمته او على اكثر من قيمته ان سال على اقل
من قيمته لا يجب وهو قول عطا وعمرو بن دينار لما روي ان ابن سيرين سال انس بن مالك وكان
كثير المال فانطلق ابن سيرين الى عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فابى فضربه بالدرة
وتلا فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا فكاتبه وذهب اكثر اهل العلم الى انه امر ندب واستحباب
ولا تجوز الكتابة على اقل من نجمين عند الشافعي لانه عقد جواز ارفاقا بالعبد ومن تتمة الارفاق
ان يكون ذلك المال عليه الى اجل حتى يوديه على مهل فيحصل المقصود وجوز ابو حنيفة الكتابة
الى نجم واحد وحالة واختلفوا في المعني بقوله ان علمتم فيهم خيرا فقال ابن عمر قوة على
الكسب وهو قول مالك والثوري وقيل مالا روي ان عبدا لسلمان الفارسي قال له كاتبني قال
الك مال قال لا قال تريد ان تطعمني اوساخ الناس ولم يكاتبه قيل لو اراد به المال لقال ان
علمتم لهم خيرا وقيل صدقا وامانة وقال الشافعي اظهر معنى الخير في العبد الاكتساب مع الامانة
فاحب ان لا يمتنع من الكتابة اذا كان هكذا وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ثلاثة حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الادا والناكح يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله
اخرجه الترمذي والنسائي وقيل معنى الخير ان يكون العبد بالغا عاقلا فاما الصبي والمجنون فلا
تصح كتابتهما لان الابتغا منهما لا يصح وجوز ابو حنيفة كتابة الصبي المراهق قوله عز وجل
واتوهم من مال الله الذي اتاكم قيل هو خطاب للموالي يجب على المولى ان يحط عن مكاتبه من
مال الكتابة شيئا وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة وبه قال الشافعي ثم اختلفوا في قدره

يحط تقبل يحط الربع وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن عباس يحط الثلث وقال الآخرون
ليس له حد بل عليه يحط ما شاء وبه قال الشافعي قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له على خمسة
وثلاثين الف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم أخرجه مالك في الموطأ وقال سعيد
ابن جبير كان ابن عمر لم يضع منه شيئا من أول نجومه مخافة أن يعجز فيرجع إليه صدقته ويضع
عنه من آخر كتابته ما أحب وقال بعضهم هو أمر استحباب والوجوب أظهر وقيل أراد بقوله وآتوهم
من مال الله الذي آتاكم أي سهمهم الذي جعل لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفي الرقاب
أراد به المكاتب وهو قول الحسن وزيد بن أسلم وقيل هو حث لجميع الناس على معونتهم واختلف
العلماء فيما إذا مات المكاتب قبل أداء حق النجوم فذهب كثير منهم إلى أنه يموت رقيقا
وترتفع الكتابة سواء ترك مالا أو لم يترك مالا وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت
وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهري وقتادة وإليه ذهب الشافعي وأحمد وقال قوم إن ترك
وفاء بما بقي عليه من الكتابة كان حرا وإن فضل المال كان لأولاده الأحرار وهو قول عطاء
وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي ولو كاتب عبده كتابة
فاسدة يعتق بأداء المال لأن عتقه معلوم لأداء نجومه وقد وجد ويتبعه أولاده وأكسابه
في حال الكتابة الصحيحة لأن الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن
أداء النجوم وقوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم أي إماءكم على البغاء أي الزنا إن أردن تحصنا الآية م
عن جابر قال كان عبد الله بن أبي بن سلول يقول لجارية اذهبي فابغينا شيئا قال فأنزل الله ولا
تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا وفي رواية أخرى كان لعبد الله بن أبي أمة جارية
يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة وكان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك لرسول الله صلى
الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إلى قوله غفور رحيم قال المفسرون
نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق كانت له جاريتان يقال لهما مسيكة ومعاذة وكان
يكرههما على الزنا لأجل ضريبة يأخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤاجرون إماءهم
فلما جاء الإسلام قالت معاذة لمسيكة إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين فإن يك خيرا فقد
استكثرنا منه وإن يك شرا فقد آن لنا أن ندعه فأنزل الله هذه الآية ويروى أن إحدى الجاريتين
جاءت ببرد وجاءت الأخرى بدينار فقال لهما ارجعا فازنيا فقالتا والله لا نفعل قد جاء الإسلام
وحرم الزنا فأتتا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكتا إليه فأنزل الله هذه واختلف العلماء
في معنى قوله تعالى إن أردن تحصنا على أقوال أحدها أن الكلام ورد على سبب وهو الذي ذكر
في سبب نزول الآية فخرج النهي على صفة السبب وإن لم يكن شرطا فيه والثاني إنما شرط إرادة
التحصن فإن الأمة إذا لم ترد التحصن فإنها تبغي بالطبع طوعا الثالث أن معناه إذ أي إذ
أردن تحصنا كقوله وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين أي إذ كنتم مؤمنين القول الرابع أن في هذه الآية
تقديما وتأخيرا تقديره وأنكحوا الأيامى منكم إن أردن تحصنا ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء لتبتغوا
عرض الحياة الدنيا أي لتطلبوا من أموال الدنيا يريد كسبهن وبيع أولادهن ومن يكرههن
يعني على الزنا فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم يعني للمكرهات والوزر على المكره وكان الحسن
إذا قرأ هذه الآية قال لهن والله لهن قوله تعالى ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات أي
من الحلال والحرام ومثلا من الذين خلوا من قبلكم أي شبها من حالكم بحالهم أيها المكذبون
وهذا تخويف لهم أن يلحقهم ما لحق من كان قبلهم من المكذبين وموعظة للمتقين أي
المؤمنين الذين يتقون الشرك والكبائر قوله عز وجل الله نور السموات والأرض قال
ابن عباس معناه هادي السموات والأرض فهم بنوره إلى الحق يهتدون وبهداه من حيرة

الضلالة ينجون وقيل معناه نور السموات والأرض نور السماء بالملائكة ونور الأرض بالأنبياء وقيل
نور السموات أي مزين السموات بالشمس والقمر والنجوم ومزين الأرض بالأنبياء والعلماء والمؤمنين
وقيل مزين الأرض بالنبات والأشجار وقيل معناه أن الأنوار كلها منه وقد يذكر هذا اللفظ على
طريق المدح كقول الشاعر ✽ إذا سار عبد الله عن مرو ليلة ✽ فقد سار عنها نورها وجمالها ✽ مثل
نوره أي مثل الله عز وجل في قلب المؤمن وهو النور الذي يهتدي به وقال ابن عباس مثل
نوره الذي أعطى المؤمن وقيل الكناية عائدة إلى المؤمن أي مثل نور قلب المؤمن وقيل أراد
بالنور القرآن وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو الطاعة سمى طاعة الله نورا وأضاف
هذه الأنوار إلى نفسه تشريفا وتفضيلا كمشكاة فيها مصباح هي الكوة التي لا منفذ لها وقيل هي
بلغة الحبشة فيها مصباح أي سراج وأصله من الضوء المصباح في زجاجة يعني القنديل وإنما ذكر
الزجاجة لأن النور وضوء النار فيها أبين من كل شيء وضوءه يزيد في الزجاجة ثم وصف الزجاجة فقال
الزجاجة كأنها كوكب دري من درأ الكوكب إذا اندفع منقضا فيتضاعف نوره في ذلك الحال
والوقت وقيل هو من درأ النجم إذا طلع وارتفع وقيل دري أي شديد الإنارة نسب إلى الدر
في صفائه وحسنه وإن كان الكوكب أضوأ من الدر لكنه يفضل الكوكب بصفائه كما يفضل الدر على سائر
اللؤلؤ وقيل الكوكب الدري أحد الكواكب السيارة الخمسة التي هي زحل والمشتري والمريخ والزهرة
وعطارد وقيل شبهه بالكواكب ولم يشبهه بالقمر والشمس لأنهما يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب
توقد أي المصباح من شجرة مباركة زيتونة أي من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة و
فيها منافع كثيرة لأن الزيت يسرج منه ويدهن به وهو إدام وهو أصفى الأدهان و
أضوأها وقيل إنها أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل أراد به زيتون الشام لأنها هي
الأرض المباركة وهي شجرة لا يسقط ورقها عن أسيد بن ثابت أو أبي أسيد الأنصاري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة أخرجه
الترمذي لا شرقية ولا غربية أي ليست شرقية وحدها لا يصيبها الشمس أي إذا أشرقت بالغدوة
إذا طلعت بل ضاحية للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية
غربية تأخذ حظها من الأمرين فيكون زيتها أضوأ وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه
أنها ليست في مقناة لا يصيبها الشمس ولا في مضحاة لا يصيبها الظل فهو لا يضرها شمس ولا
ظل وقيل معناه أنها معتدلة ليست من أشجار الدنيا لأنها لو كانت من أشجار الدنيا لكانت
شرقية أو غربية وإنما هو مثل ضربه الله لنوره يكاد زيتها يضيء أي صفاؤه ولو لم
تمسسه نار أي قبل أن تمسه النار نور على نور المصباح على نور الزجاجة فصل في
بيان التمثيل المذكور في الآية اختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل المذكور فقيل المراد
به الهدى ومعناه أن هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلاء إلى أقصى الغايات
وصار ذلك بمنزلة المشكاة التي فيها زجاجة صافية وفي تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت
بلغ النهاية في الصفاء والرقة والبياض فإذا كان كذلك كان كاملا في صفائه صالح
أن يجعل مثلا لهذه الهداية لله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم
قال ابن عباس لكعب الأحبار أخبرني عن قوله تعالى مثل نوره كمشكاة فقال كعب هذا مثل
ضربه الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح
توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وأمره يتبين
للناس ولو لم يتكلم به أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضيء ولو لم تمسسه نار وروي عن ابن عمر
في هذه الآية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح الذي

جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودي ولا نصراني توقد من شجرة مباركة إبراهيم نور على نور قلب إبراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة إبراهيم والزجاجة إسماعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين سماه الله مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة إبراهيم صلى الله عليه وسلم لأن أكثر النبيين من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني إبراهيم يعني لم يكن يهوديا ولا نصرانيا نصل إلى الشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار يكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل أن يوحى إليه نور على نور من نسل نبي نور محمد صلى الله عليه وسلم على نور إبراهيم وقيل وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن قال كعب الأحبار هذا مثل المؤمن فهذا المشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح ما جعل الله فيه من الإيمان والقرآن توقد من شجرة مباركة هي شجرة الإخلاص لله وحده فمثله مثل شجرة قد التفت بها الشجر فهي خضراء ناعمة نضرة لا تصيبها الشمس إذا طلعت ولا إذا غربت فكذلك المؤمن قد احترس أن يصيبه شيء من الفتن فهو بين أربع خصال إن أعطي شكر وإن ابتلي صبر وإن حكم عدل وإن قال صدق يكاد زيتها يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له لموافقته إياه نور على نور قال أبي المؤمن يتقلب في خمسة أنوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره إلى النور يوم القيامة وقال ابن عباس هذا مثل ضربه الله لنور الله وهداه في قلب المؤمن يكاد زيتها يضيء يعني قبل أن تمسسه النار فإذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوئه فكذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونورا على نور وقال الكلبي نور على نور يعني إيمان المؤمن وعمله وقيل نور الإيمان ونور القرآن وقيل هذا مثل القرآن فالمصباح هو القرآن كما يستضاء بالمصباح فكذلك يهتدى بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلب المؤمن والمشكاة يكاد حجة القرآن تتضح وإن لم يقرأ نور على نور يعني القرآن نور من الله لخلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والأعلام قبل نزول القرآن فازدادوا بذلك نورا على نور قوله تعالى يهدي الله لنوره من يشاء قال ابن عباس لدين الإسلام وهو نور البصيرة ويضرب الله الأمثال للناس أي يبين الأمثال للناس تقريبا إلى الأفهام وتسهيلا لسبيل الإدراك والله بكل شيء عليم قوله عز وجل في بيوت أي ذلك المصباح توقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الأرض تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض وقيل المراد بالبيوت أربعة مساجد لم يبنها إلا نبي الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل فجعلاها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قبا أسس على التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا أذن الله أن ترفع أي تبنى وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنا من القول وتطهر من الأنجاس والأقذار ويذكر فيها اسمه قال ابن عباس يتلى فيها كتابه يسبح له فيها أي يصلي له فيها بالغدو والآصال أي بالغداة والعشي قال أهل التفسير أراد به الصلاة المفروضة فالتي تؤدى بالغداة صلاة الفجر والتي تؤدى بالآصال صلاة الظهر والعشاء والعشاءين لأن اسم الآصال يقع على هذا الوقت كله وقيل أراد به الصبح والعصر عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى البردين دخل الجنة صلاة الصبح وصلاة العصر وقال ابن عباس التسبيح بالغدو والآصال صلاة الضحى وصلاة العصر وقال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته متطهرا إلى صلاة مكتوبة كان أجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج إلى المسجد إلى تسبيح الضحى لا يعنيه إلا ذلك كان أجره كأجر المعتمر وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في

عليين

عليين أخرجه أبو داود رجال قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لأن النساء ليس عليهن حضور المساجد لجمعة ولا جماعة لا تلهيهم تجارة أي لا يشغلهم تجارة وقيل خص التجارة بالذكر لأنها من أعظم ما يشتغل الإنسان بها عن الصلوات والطاعات وأراد بالتجارة الشراء لأن اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعا لأنه ذكر البيع بعده وقيل خص التجارة بالذكر لأهل الجلب باعه الرجل على يده ولا بيع أي لا يشغلهم بيع عن ذكر الله أي حضور المساجد لإقامة الصلاة وإقام الصلاة يعني إقامة الصلاة في وقتها لأن من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمي الصلاة روى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر نزلت فيهم هذه الآية رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإيتاء الزكاة يخافون يوما يعني المفروضة قال ابن عباس إذا حضرت وقت أداء الزكاة فلا يحبسوها تتقلب فيه القلوب والأبصار معناه أن هؤلاء الرجال وإن بالغوا في ذكر الله والطاعات فإنهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بأنهم ما عبدوا الله حق عبادته وقيل إن القلوب تضطرب من الهول والفزع وتشخص الأبصار وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشك إلى اليقين وتتفتح الأبصار من الأغطية وقيل تتقلب القلوب بين الرجاء والخوف فتخشى الهلاك وتطمع في النجاة وتتقلب الأبصار من هول ذلك اليوم من أي ناحية يؤخذ بهم أمن ذات اليمين أم من ذات الشمال ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل اليمين أم من قبل الشمال وقيل يتقلب القلب من الخوف فيرتفع إلى الحنجرة فلا ينزل ولا يخرج ويتقلب البصر فيشخص من هول الأمر وشدته ليجزيهم الله أحسن ما عملوا يعني أنهم اشتغلوا بذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ما عملوا والمراد بالأحسن الحسنات كلها وهي الطاعات التي فرضها الله ونفلها وذكر الأحسن تنبيها على أنه لا يجازيهم على مساوئ أعمالهم بل يغفرها وقيل أنه تعالى يجزيهم جزاء أحسن من أعمالهم على الواحد من عشرة إلى سبعمائة ضعف ويزيدهم من فضله يعني أنه تعالى يجزيهم بأحسن من أعمالهم ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة إحسانه وفضله قوله عز وجل والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة أي لما ضرب الله مثلا لأعمال الكفار وشبهه بالسراب وهو شبه ما يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري يظنه من رآه ماء فإذا قرب منه انفش فلم ير شيئا والبقيعة القاع وهو المنبسط من الأرض وفيه يكون السراب يحسبه أي يتوهمه الظمآن أي العطشان ماء حتى إذا جاءه لم يجده أي جاء ما قدر أنه ماء وما قيل جاء إلى موضع السراب شيئا أي لم يجد على ما قدره وظنه ووجه التشبيه أن الذي يأتي به الكافر من أعمال البر وهو يعتقد أن لها ثوابا عند الله وليس كذلك فإذا وافى عرصة القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الأليم فعظمت حسرته وتناهى غمه فشبه تعلق قلبه به فإذا الخائب إلى جاءه لم يجده شيئا كذلك حال الكافر يحسب أن عمله نافعه فإذا صار إلى عمله لم يجده شيئا أغنى عنه ولا نفعه ووجد الله عنده أي وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله فوفاه حسابه أي جزاء عمله والله سريع الحساب معناه أنه عالم بجميع المعلومات فلا يشغله محاسبة واحد عن واحد ثم ضرب مثلا فقال تعالى أو كظلمات أعلم أن الله سبحانه وتعالى علم أن أعمال الكفار وإن كانت حسنة فهي كسراب بقيعة وإن كانت قبيحة فهي كظلمات وقيل معناه أن مثل أعمال الكفار في فسادها وأن جهالتهم فيها كظلمات في بحر لجي أي عميق كثير الماء ولجة البحر معظمه يغشاه أي يعلوه موج من فوقه موج أي متراكم من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض معناه أن البحر اللجي يكون قعره مظلما جدا بسبب غموقة الماء

فاذا ازداد في الامواج ازدادت الظلمة فاذا كان فوق الامواج سحاب بلغت الظلمة النهاية
القصوى اذا اخرج يده لم يكد يراها اي يقرب ان يراها لشدة الظلمة وقيل معناه لم يراها
الا بعد الجهد وقيل لما كانت اليد من اقرب شيء يراه الانسان فقال لم يكد يراها ووجه التشبيه
ان الله تعالى ذكر ثلاثة انواع من الظلمة ظلمة البحر وظلمة الامواج وظلمة السحاب وكذلك
الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل شبه بالبحر اللجي
قلبه وبالموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الختم والطبع على قلبه
قال ابي بن كعب الكافر يتقلب في خمس من الظلم كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه
ظلمة ومصيره الى الظلمات يوم القيامة في النار ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور
قال ابن عباس من لم يجعل الله له نورا اي دينا وايمانا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فما له
من هاد وقيل نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن امية كان يلتمس الدين في الجاهلية ولبس
المسوح فلما جاء الاسلام كفر وعاند والاصح ان الآية عامة في حق جميع الكفار قوله تعالى الم
تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات اي باسطات اجنحتها
في الهواء قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لانها تكون بين السماء والارض فتكون
خارجة عن حكم من في السموات والارض كل قد علم صلاته وتسبيحه قيل ان الصلاة
لبني آدم والتسبيح لساير المخلوقات وقيل ان ضرب اجنحة الطير صلاته وتسبيحه وقيل
معناه ان كل مسبح ومصل علم الله صلاته وتسبيحه وقيل معناه كل مصل ومسبح منهم
قد علم صلاة نفسه وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ولله ملك السموات والارض اي ان جميع
الموجودات ملك له تصريفه وعنه لشان ومنه بدات فهو واجد الموجود وقيل معناه ان
خزاين المطر والرزق بيده ولا يملكهما احد سواه والى الله المصير اي والى الله مرجع العباد
بعد الموت قوله تعالى الم تر ان الله يزجي سحابا اي يسوق سحابا اي بامره الى حيث يشاء من ارضه وبلاده
ثم يؤلف بينه اي يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها الى بعض ثم يجعله ركاما اي متراكما
بعضه فوق بعض فترى الودق اي المطر يخرج من خلاله اي من وسطه وهو مخارج القطر وينزل
من السماء من جبال فيها من برد اي بالبرد فيصيب به من يشاء فيهلكه واموالهم ويصرفه
عن من يشاء فلا يضره يكاد سنا برقه اي ضوء برق السحاب يذهب بالابصار من شدة ضوئه
وبريقه يقلب الله الليل والنهار اي يصرفهما في اختلافهما وتعاقبهما فيأتي بالليل ويذهب
بالنهار ويذهب بالليل عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
يؤذيني بنو آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدي اقلب الليل والنهار ومعنى هذا الحديث ان العرب
كانت تقول عند النوازل والشدايد اذا اصابنا الدهر وتذمه في اشعارهم فقيل لهم لا تسبوا
الدهر فان فاعل ذلك هو الله تعالى والدهر متصرف يقع فيه التاثيرات كما يقع بكم وقوله
تعالى ان في ذلك اي الذي ذكرت على قدرة الله وتوحيده لعبرة لاولي الابصار قوله
تعالى والله خلق كل دابة من ماء اي من نطفة واراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا فلا
يدخل فيه الملائكة والجن لانا لا نشاهدهم وقيل ان اصل الخلق من الماء وذلك ان الله
خلق ماء فجعل بعضه ريحا ونورا فخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجان ه
وجعل بعضه طينا فخلق منه آدم فمنهم من يمشي على بطنه اي كالحيات والحيتان والديدان
ونحو ذلك ومنهم من يمشي على رجلين يعني مثل بني آدم والطير ونحو ذلك ومنهم من يمشي على اربع
يعني كالبهايم والسباع ونحو ذلك فان قلت كيف قال خلق كل دابة من ماء مع ان كثيرا من
الحيوانات يتولد من غير نطفة قلت ذلك الخلق الذي من غير نطفة لا بد ان يتكون

من

من شيء وذلك الشيء اصله من الماء فان قلت فمنهم من يمشي ضمير العقلاء فلم استعمل في غير
العقلاء قلت ذكر الله تعالى ما لا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ اللائق بمن يعقل لانه
جعل الشريف اصلا والخسيس تبعا اولا فان قلت لم قدم من يمشي على بطنه على غيره من
المخلوقات قلت قدم الاعجب والاعرف في القدرة وهو الماشي بغير آلة المشي وهو الارجل
والقوايم ثم ذكر ما يمشي على رجلين ثم ما يمشي على اربع فان قلت لم اقتصر على ذكر
الاربع وفي الحيوانات ما يمشي على اكثر من اربع كالعناكب والعقارب والرتيلا وما له اربع
واربعون رجلا ونحو ذلك قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالاغلب وقيل ان هذه
الحيوانات اعتمادها على اربع في المشي والباقي تبعا لها يخلق الله ما يشاء اي مما لا يعقل
ولا يعلم ان الله على كل شيء قدير اي هو القادر على الكل عالم بالكل يخلق ما يشاء كما يشاء لا يمنعه مانع
ولا دافع لقد انزلنا آيات مبينات يعني القرآن هو المبين للهدى والاحكام والحلال والحرام
والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم يعني دين الاسلام الذي هو دين الله وطريقه الى رضاه
وجنته قوله تعالى ويقولون يعني المنافقين آمنا بالله وبالرسول واطعنا اي يقولون بالسنتهم
من غير اعتقاد ثم يتولى فريق منهم معناه اي يعرض عن طاعة الله ورسوله من بعد ذلك اي من
بعد قولهم آمنا ويدعوا الى غير حكم الله تعالى وما اولئك بالمؤمنين نزلت هذه الآية في بشر
المنافق كان بينه وبين يهودي خصومة في ارض فقال اليهودي نتحاكم الى محمد صلى الله عليه وسلم
وقال المنافق نتحاكم الى كعب بن الاشرف فان محمدا يحيف فانزل الله هذه الآية واذا دعوا
الى الله ورسوله ليحكم يعني عن الحكم وقيل عن الاجابة بحكم الله باذن الله وان يكن لهم الحق
ياتوا اليه مذعنين يعني مطيعين منقادين لحكمه اذا كان الحكم لهم على غيرهم اسرعوا الى الحكم
لتيقنهم انه لما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم ايضا افي قلوبهم مرض اي كفر ونفاق ام ارتابوا
اي شكوا وهذا استفهام ذم وتوبيخ والمعنى هم كذلك ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله
اي يظلم بل اولئك هم الظالمون اي لانفسهم باعراضهم عن الحق قوله عز وجل انما كان قول
المؤمنين اذا دعوا الى الله اي الى كتاب الله ورسوله ليحكم بينهم هذا تعليم ادب الشرع على
معنى المؤمنين انما ينبغي ان يكونوا وهو ان يقولوا سمعنا اي بالدعاء واطعنا اي بالاجابة واولئك
اي من هذه صفته هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله قال ابن عباس فيما ساءه وسره ويخش الله
اي على ما عمل من الذنوب ويتقه اي فيما بعد فاولئك هم الفايزون اي الناجون قوله تعالى
واقسموا بالله جهد ايمانهم قيل جهد اليمين ان يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيئا لئن امرتهم ليخرجن
وذلك ان المنافقين كانوا يقولون لرسول الله اينما كنت نكن معك لئن خرجت خرجنا معك
وان اقمت اقمنا وان امرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل لما نزلت بيان كراهتهم لحكم الله ورسوله قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم لو امرتنا ان نخرج من ديارنا واموالنا ونسائنا لخرجنا فكيف لا نرضى
بحكمك فقال الله تعالى قل لا تقسموا اي لا تحلفوا وتم الكلام ثم ابتدا فقال تعالى ه
طاعة معروفة اي هذه طاعة معروفة القول باللسان دون الاعتقاد بالقلب
وهي معروفة امر عرف منكم انكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون وقيل معناه
طاعة معروفة بنية خالصة افضل وامثل من اليمين باللسان لا يوافقها الفعل
ان الله خبير بما تعملون من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل قل اطيعوا الله واطيعوا
الرسول يعني بقلوبكم وصدق نياتكم فان تولوا اي اعرضوا عن طاعة الله ورسوله
فانما عليه اي الرسول ما حمل اي ما كلف وامر به من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم اي
ما كلفتم من الاجابة والطاعة وان تطيعوه تهتدوا اي تصيبوا الحق والرشد في طاعته

١

وما على الرسول الا البلاغ المبين اى التبليغ الواضح المبين قوله عز وجل وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم قيل مكث النبى صلى الله عليه وسلم بعد الوحى عشر سنين مع اصحابه وامروا بالصبر على اذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم امروا بالهجرة الى المدينة وامروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق احدهم سلاحه فقال رجل منهم اما ياتى يوم نامن فيه ونضع السلاح فانزل الله تعالى معنى ليستخلفنهم والله ليورثنهم ارض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم اى كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الانبيا وكما استخلف بنى اسرائيل اذ اهلك الجبابرة بمصر والشام واورثهم ارضهم وديارهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم اى اختاره لهم قال ابن عباس يوسع لهم فى البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الاديان وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى اى آمنين لا يشركون بى شيئا فانجز الله وعده واظهر دينه ونصر اولياءه وابدلهم بعد الخوف امنا وبسطا فى الارض عن عدى بن حاتم قال بينا انا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ اتاه رجل فشكا اليه الفاقة ثم اتى آخر فشكا اليه قطع السبيل فقال يا عدى هل رايت الحيرة قلت لم ارها وقد انبئت عنها قال فان طالت بك حياة فلترين الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف احدا الا الله قلت فيما بينى وبين نفسى فاين دعار طىء الذين قد سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه ذهبا او فضة من يقبله منه فلا يجد من يقبله وليلقين الله احدكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فليقولن له الم ابعث اليك رسولا ليبلغك فيقول بلى يا رب فيقول الم اعطك مالا وافضل عليك فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى الا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى الا جهنم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا الله ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدى فرايت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف الا الله تعالى وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال ابو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل ملء كفه ذهبا وفى الاية دليل على صحة خلافة ابى بكر الصديق والخلفاء بعده لان فى ايامهم كانت الفتوحات العظيمة وتفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الامن والتمكين وظهور الدين عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا ثم قال الخلافة ابى بكر سنتين وخلافة عمر عشر سنين وخلافة عثمان اثنى عشر سنة وخلافة على ست سنين واحدة قال على قلت لحماد القائل لسفينة امسك هذا التفصيل وفيه اجمال وتفصيله الى الخلافة سفينة قال نعم اخرجه ابو داود وروى الترمذى نحوه هذا اللفظ لهذا الحديث هذا التفصيل وفيه اجمال وتفصيله الى الخلافة ابو بكر سنتين وثلاثة اشهر وخلافة عمر عشر سنين وستة اشهر وخلافة عثمان اثنى عشر سنة كما ذكر فى الحديث وخلافة على اربع سنين وتسعة اشهر وهذا جاء فى بعض روايات الحديث وعلى كذا وكم يبقى تعيين مدته فعلى هذا التفصيل يكون مدة خلافة الائمة الاربعة تسعة وعشرين سنة واشهر وكملت ثلاثين بخلافة الامام الحسن وكانت ستة ثم نزل عنها والله اعلم وقوله تعالى ومن كفر بعد ذلك اراد به كفران النعمة ولم يرد به الكفر هنا بالله فاولئك هم الفاسقون العاصون قال اهل التفسير اول من كفر هذه النعمة وجحد حقها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم وانزل عليهم الخوف حتى صاروا يقتتلون

بعد

بعد ان كانوا اخوانا عن ابن اخى عبد الله بن سلام قال لما اريد قتل عثمان جاء عبد الله بن سلام فقال له عثمان ما جاء بك قال جئت فى نصرك قال اخرج الى الناس فاطردهم عنى فانك خارج خير لى منك داخل فخرج عبد الله الى الناس فقال ايها الناس ان لله سيفا مغمودا وان الملائكة قد جاورتكم فى بلدكم هذا الذى نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله فى هذا الرجل ان تقتلوه فوالله ان قتلتموه لتطردن جيرانكم الملائكة وليسلن الله سيفه المغمود عنكم فلا يغمد الى يوم القيامة قالوا اقتلوا اليهودى واقتلوا عثمان اخرجه الترمذى قال ما قتل نبى قط الا قتل به سبعون الفا ولا خليفة الا قتل به خمسة وثلاثون الفا قوله تعالى واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون اى افعلوا هذه الاشيا على رجاء الرحمة لا تحسبن الذين كفروا معجزين اى فائتين عنا فى الارض ومأواهم النار ولبئس المصير قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الانصار يقال له مدلج ابن عمرو الى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل فراى عمر بحالة كره عمر رؤيته عليها فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت فى اسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها فى وقت كرهته فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان خدمنا وغلماننا يدخلون علينا فى حال نكرهها فانزل الله يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم اللام لام الامر وفيه قولان احدهما انه على الندب والاستحباب والثانى انه على الوجوب وهو الاولى الذين ملكت ايمانكم يعنى العبيد والاما والذين لم يبلغوا الحلم منكم يعنى الاحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهروا على عورات النسا بل المراد الذين عرفوا امر النسا ولكنهم لم يبلغوا الحلم ومؤنس التمييز والعقل وغيره واتفق العلما على ان الاحتلام بلوغ واتفقوا فيما اذا بلغ ثمان عشرة سنة يصير مكلفا وتجرى عليه الاحكام وان لم يحتلم ثلاث مرات اى ليستاذنوا فى ثلاث اوقات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة اى وقت القيلولة ومن بعد صلاة العشا وانما خص هذه الثلاثة اوقات لانها ساعة الخلوات ووضع الثياب فربما يبدو من الانسان ما لا يجوز ان يراه احد من العبيد والصبيان فامرهم بالاستئذان فى هذه الاوقات وغير العبيد والصبيان ليستاذن فى جميع الاوقات ثلاث عورات لكم يعنى فى هذه الاوقات عورات لان الانسان يضع فيها ثيابه فتبدو عورته ليس عليكم ولا عليهم جناح يعنى العبيد والخدم والصبيان بعدهن اى حرج عليكم فى الدخول بغير استئذان طوافون اى بعد هذه الاوقات الثلاثة عليكم اى العبيد والخدم يترددون ويدخلون ويخرجون فى اشغالكم بغير اذن بعضكم على بعض اى يطوف بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم اختلف العلما فى حكم هذه الاية فقيل انها منسوخة حكى ذلك عن سعيد بن المسيب روى عكرمة ان نفرا من اهل العراق قالوا يا ابن عباس كيف ترى فى هذه الاية التى امرنا بها ولا يعمل بها احد غير الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الاية فقال ابن عباس ان الله حليم رحيم بالمؤمنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجاب فربما دخل الخادم او الولد او يتيمة الرجل والرجل على اهله فامرهم الله تعالى بالاستئذان فى تلك العورات فجاءهم بالستور والخير فلم ير احدا يعمل بذلك اخرجه الترمذى وفى رواية عنه نحوه وزاد فراى ان ذلك اغنى عن الاستئذان فى تلك العورات وذهب قوم على انها منسوخة وروى سفيان عن موسى بن ابى عائشة قال سالت الشعبى عن هذه الاية ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم منسوخة هى قال لا والله قلت ان الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال سعيد بن جبير فى هذه الاية ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون بها الناس قيل ثلاث آيات ترك الناس العمل

بقيتها

لي

هذه الاية وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم وا لناس يقولون اعظمكم بيتا واذا حضر القسمة اولوا القربى وقوله عز وجل واذا بلغ الاطفال منكم الحلم اى الاحتلام يريد به الاحرار الذين بلغوا فليستاذنوا اى يستاذنوا فى جميع الاوقات فى الدخول كما استاذن الذين من قبلهم اى الاحرار الكبار كذلك يبين الله لكم اياته اى دلالته وقيل احكامه والله عليم حكيم اى بامور خلقه حكيم بما دبر لهم وشرع وقال سعيد بن المسيب يستاذن الرجل على امه فانما نزلت الاية فى ذلك وسئل حذيفة ايستاذن الرجل على والدته قال نعم ان لم تفعل رايت منها ما تكره والقواعد من النسا اى اللاتى قعدن عن الحيض والولد من الكبر فلا يلدن ولا يحضن اللاتى لا يرجون نكاحا اى يردن الازواج لكبرهن وقيل هن العجز اللواتى اذا راهن الرجال استقذرهن فاما من كانت فيها بقية جمال وهى محل الشهوة فلا تدخل تحت حكم هذه الاية فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن اى عند الرجال والمعنى بعض ثيابهن وهى الجلباب والردا الذى فوق الثياب والقناع الذى فوق الخمار فاما الخمار فلا يجوز وضعه غير متبرجات بزينة اى من غير ان يردن بوضع الجلباب والردا اظهار زينتهن والتبرج اى فلا يلقين الجلباب والردا والا ظهار زهوا ان تنظر الى محاسنها ما يجب عليها ان تستره وان يستعففن اى فلا يلقين الجلباب والردا خير لهن والله سميع عليم قوله عز وجل ليس على الاعمى حرج اختلف العلما فى هذه الاية فقال ابن عباس لما انزل الله يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل تحرج المسلمون عن مواكلة المرضى والزمنى والعمى والعرج وقالوا الطعام افضل الاموال وقد نهانا الله عز وجل عن اكل المال بالباطل والاعمى لا يبصر موضع الطعام والمريض يضعف عن التناول فلا يستوفى من الطعام حقه فانزل الله هذه الاية فعلى هذا التاويل يكون معنى فى ليس على الاعمى والمعنى ليس عليكم فى مواكلة الاعمى والمريض والاعرج حرج وقيل كان العميان والعرجان والمرضى يتنزهون عن مواكلة الاصحا لان الناس يتقذرونهم ويكرهون مواكلتهم ويقال ربما اكل اكثر من ذلك ويقال للاعرج ربما جلس مكان اثنين فنزلت هذه الاية وذلك ان هولا كانوا يدخلون على الرجل لطلب الطعام فاذا لم يكن عنده شى ذهب بهم الى بيت ابيه او بيت امه او بعض من سمى الله فكان اهل الزمانة يتحرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا الى غير بيته فانزل الله هذه الاية رخصة لهولا فى التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج وقوله ولا على انفسكم كلام مستانف قيل لما نزلت ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل قالوا لا يحل لاحد منا ان ياكل عند احد فانزل الله تعالى ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم اى لا حرج عليكم ان تاكلوا من بيوتكم قيل اراد من اموالكم واموال عيالكم وبيوت ازواجكم لان بيت المراة كبيت الزوج وقيل اراد من بيوت اولادكم نسب بيوت الاولاد الى الابا كما جا فى الحديث انت ومالك لابيك او بيوت ابائكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت اخواتكم او بيوت اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم او ما ملكتم مفاتحه معناه كان ابن عباس عنى بذلك وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته وماشيته لا باس عليه ان ياكل من ثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر وقيل هو يعنى بيوت عبيدكم ومماليككم وذلك ان السيد يملك منزل عبده والمفاتيح والخزاين ويجوز ان يكون المفتاح الذى يفتح به واذا ملك الرجل المفتاح فهو خازن فلا باس ان ياكل الشى اليسير وقيل او ما ملكتم اى ما خزنتموه عندكم وما ملكتموه او صديقكم

الصديق هو الذى صدقك فى المودة قال ابن عباس نزلت فى الحرث بن عمرو خرج غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على اهله فلما رجع وجده مجهودا فسئله عن حاله فقال تحرجت ان اكل من طعامك بغير اذنك فانزل الله هذه الاية والمعنى ليس عليكم جناح ان تاكلوا من منازل هولاء اذا دخلتموها وان لم يحضروا من غير ان تتزودوا وتحملوا ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا نزلت فى بنى ليث بن عمرو وهم حى من كنانة كان الرجل منهم لا ياكل وحده حتى يجد ضيفا ياكل معه فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح الى الرواح وربما كانت معه الابل الحفل فلا يشرب من البانها حتى يجد من يشاربه فاذا امسى ولم يجد احدا اكل وقال ابن عباس كان الغنى يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصداقته ويدعوه الى طعامه فيقول والله انى لاجنح ان اتحرج ان اكل معك وانا غنى وانت فقير فنزلت هذه الاية وقيل نزلت فى قوم من الانصار كانوا لا ياكلون اذا نزل بهم ضيف الا مع ضيفهم فرخص لهم ان ياكلوا كيف شاوا جميعا اى مجتمعين او اشتاتا متفرقين فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اى ليسلم بعضكم على بعض هذا فى دخول الرجل بيت نفسه يسلم على اهله ومن فى بيته قال قتادة اذا دخلت بيتا ليس فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس فى قوله اذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين تحية من عند الله مباركة طيبة قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيب هاهنا لما فيه من الثواب والاجر كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون معناه عن الله امره ونهيه وارادته قوله عز وجل انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه اى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر جامع اى يجمعهم من حرب حضرت او صلاة جمعة او عيد او جماعة او تشاور فى امر نزل لم يذهبوا اى يتفرقوا عنه ولم ينصرفوا حتى اجتمعوا له حتى يستاذنوه قال المفسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر يوم الرجل اراد الرجل ان يخرج من المسجد لحاجة او عذر لم يخرج حتى يقول يا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف انه انما قام ليستاذن فياذن لمن يشا منهم قال مجاهد واذن الامام يوم الجمعة ان يشير بيده قال اهل العلم وكذلك كل امر اجتمع عليه المسلمون مع الامام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه الا باذن فاذا استاذن فللامام ان يشا ياذن له وان يشا لم ياذن وهذا اذا لم يكن سبب يمنعه من المقام فاذا حدث سبب يمنعه من المقام بان يكون فى المسجد فتحيض امراة منهم او يجنب رجل منهم او يعرض له مرض فلا يحتاج الى الاستيذان ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يومنون بالله ورسوله فاذا استاذنوك لبعض شانهم اى امرهم فاذن لمن شئت منهم اى فى الانصراف والمعنى ان شئت فاذن وان شئت فلا تاذن واستغفر لهم الله اى ان رايت لهم عذرا فى الخروج عن الجماعة ان الله غفور رحيم قوله تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم قال ابن عباس يقول احذروا دعا الرسول اذا اخطيتموه فان دعاه موجب ليس كدعا غيره وقيل معناه لا تدعوه باسمه كما يدعوا بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله ولكن فخموه وعظموه وشرفوه فقولوا يا نبى الله يا رسول الله فى لين وتواضع قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا اى يستتر بعضهم ببعض ويروغ فى خفية فيذهب قيل كان هذا فى حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مختفين قال وقال ابن عباس لواذا اى يلوذ بعضهم ببعض وذلك ان المنافقين كانوا يثقل عليهم المقام فى المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبى صلى الله عليه وسلم فكانوا يلوذون ببعض اصحابه فيخرجون من المسجد فى استتار

وقد يعلم قبيلا للتهديد بالمجازاة فليحذر الذين يخالفون عن أمره أي يعرضون عن أمره ويميلون
عنه بغير إذنه أن تصيبهم فتنة أي بلاء يصيبهم فتنة أي بلاء في الدنيا أو يصيبهم عذاب أليم
أي وجيع في الآخرة ثم عظم نفسه فقال تعالى ألا إن لله ما في السموات والأرض ملكا وعبيدا
قد يعلم ما أنتم عليه من الصلاح والإيمان والنفاق ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا أي من الخير
والشر والله بكل شيء عليم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور لم يخرجه أبو عبد الله
ابن البيع في صحيحه والله أعلم بمراده وأسرار كتابه تم تفسير سورة النور والله أعلم

تفسير سورة الفرقان

مكية بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تبارك تفاعل من البركة كأن معناه جاء بكل بركة
وقيل معناه تعظم الذي نزل الفرقان أي القرآن سماه فرقانا لأنه فرق بين الحق والباطل
والحلال والحرام وقيل لأنه نزل مفرقا في أوقات كثيرة ولهذا قال نزل بالتشديد لتكثير
التفريق على عبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين أي للإنس والجن نذيرا قيل
هو القرآن وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم الذي له ملك السموات والأرض وهو المتصرف
فيهما كيف يشاء ولم يتخذ ولدا أي هو الفرد في وحدانيته رد على النصارى ولم يكن له شريك
في الملك أي هو المنفرد بالإلهية وفيه رد على الوثنية وعباد الأصنام وخلق كل شيء معناه
أي مما يطلق عليه صفة المخلوقات فقدره تقديرا أي سواه وهيأه لما يصلح له لا خلل فيه
ولا تفاوت وقيل قدر لكل شيء تقديرا من الأجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق قوله
تعالى واتخذوا يعني عبدة الأوثان من دونه آلهة يعني الأصنام لا يخلقون شيئا وهم يخلقون
ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا أي دفع ضر ولا نفعا أي جر نفع ولا يملكون موتا يعني إماتة ولا
حياة أي إحياء ولا نشورا أي بعثا بعد الموت وقال الذين كفروا يعني النضر بن الحارث
وأصحابه إن هذا أي هذا القرآن إلا إفك أي كذب افتراه أي اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم
وأعانه عليه قوم آخرون قيل يعني اليهود وقيل عبيد بن الحضر الحبشي الكاهن وقيل جبر
ويسار وعداس عبيد كانوا بمكة من أهل الكتاب فزعم المشركون أن محمدا يأخذ منهم فقال
الله تعالى فقد جاؤوا أي فأتوا بهذه المقالة ظلما وزورا أي بظلم وزور وهو نسبتهم
كلام الله إلى الإفك والافتراء وقالوا أساطير الأولين يعني النضر بن الحارث كان يقول
إن هذا القرآن ليس من الله إنما هو مما سطره الأولون مثل حديث رستم واسفنديار ومعنى
اكتتبها انتسخها محمد صلى الله عليه وسلم من جبر ويسار وعداس وطلب أن يكتب له لأنه لا
يكتب فهي تملى عليه أي تقرأ عليه ليحفظها لا ليكتبها بكرة وأصيلا يعني غدوة وعشيا
قوله تعالى ردا عليهم قل يا محمد أنزله يعني القرآن الذي يعلم السر أي الغيب في السموات
والأرض إنه كان غفورا رحيما أي لولا ذلك لعاجلهم بعذابه وقالوا ما لهذا الرسول
يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يأكل الطعام أي كما نأكل نحن ويمشي في الأسواق أي يلتمس
المعاش كما نمشي نحن وإذا كان كذلك فمن أين هذا الفضل علينا ولا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة
وكانوا يقولون له لست بملك لأنك بشر مثلنا والملك لا يأكل الطعام ولأن الملك لا يتسوق
وأنت تتسوق وتتبذل وما قالوه فاسد لأن أكله الطعام لكونه آدميا ولم يدع أنه
ملك من الملوك لولا أنزل إليه ملك معناه أي يصدقه ويشهد له فيكون معه نذيرا أي
داعيا أو يلقى إليه كنز أي ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلا يحتاج إلى التصرف في طلب

المعاش أو تكون له جنة أي بستان يأكل منها أي هو فلا أقل من ذلك وإن لم يكن له كنز وقال
الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا أي مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق انظر أي يا محمد
كيف ضربوا لك الأمثال أي الأشياء التي لا فائدة لها فقالوا مسحور محتاج فضلوا أي عن
الحق فلا يستطيعون سبيلا إلى الهدى ومخرجا عن الضلالة قوله تعالى تبارك الذي إن شاء جعل
لك خيرا من ذلك أي من الذي قالوا وأفضل من البستان الذي ذكروا وقال ابن عباس يعني
خيرا من المشي في الأسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال جنات تجري من تحتها الأنهار
ويجعل لك قصورا أي بيوتا مشيدة عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض
علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما وقال ثلاثا أو نحو
هذا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك عن عائشة قالت
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لسارت معي جبال الذهب جاءني ملك إن حجزته لتساوي
الكعبة فقال يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول إن شئت نبيا عبدا وإن شئت نبيا ملكا
فنظرت إلى جبريل فأشار إلي أن ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قال فكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئا يقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ذكر هذين
الحديثين البغوي بسنده قوله تعالى بل كذبوا بالساعة وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا
أي نارا مستعرة إذا رأتهم من مكان بعيد قيل من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة عام فإن قلت
ظاهر الرؤية من النار وهو قوله إذا رأتهم قلت يجوز أن يخلق الله لها حياة وعقلا ورؤية
وقيل معناه رأتهم زبانيتها سمعوا لها تغيظا وزفيرا أي غليانا كالغضبان إذا غلى صدره من
الغضب وزفيرا أي صوتا فإن قلت كيف يسمع التغيظ قلت معناه رأوا وعلموا لها تغيظا
وسمعوا لها زفيرا كما قال الشاعر ٭ ورأيت زوجك في الوغى ٭ متقلدا سيفا ورمحا ٭ أي وحاملا
رمحا وقيل سمعوا لها صوت التغيظ من التلهب والتوقد وقال عبيد بن عمير تزفر جهنم يوم
القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر لوجهه وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا
قال ابن عباس تضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح مقرنين أي مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم
في الأغلال وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل دعوا هنالك ثبورا قال ابن عباس ويلا
وقيل هلاكا وفي الحديث إن أول من يكسى حلة من النار إبليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها
من خلفه وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادي يا ثبوراه وينادون
يا ثبورهم فيقال لهم لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا هكذا ذكره البغوي
بغير سند وقيل معناه هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة فادعوا
أدعية كثيرة قوله عز وجل قل أذلك خير أي الذي ذكرت من صفة النار وأهلها
أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا أي ثوابا ومرجعا لهم قال
تعالى لهم فيها ما يشاؤون أي من جميع المرادات لا يختص إلا في الجنة لا في غيرها فإن
قلت قد يتمنى شيئا ولا يحصل في الجنة أن يتمنى الولد ونحوه وليس هو في الجنة قلت
إن الله يزيل ذلك الخاطر عن أهل الجنة بل هو كل واحد من أهل الجنة مشتغل بما هو
فيه من اللذات الشاغلة عن الالتفات إلى غيره خالدين أي في نعيم الجنة ومن تمام
النعيم أن يكون دائما إذ لو انقطع لكان مشوبا بضرب من الغم وأنشد في المعنى فقال

٭ أشد الغم عندي في سرور ٭ تيقن عنه صاحبه انتقالا ٭

كان على ربك وعدا مسؤولا أي مطلوبا وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا
حين قالوا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقالوا ربنا وآتنا ما وعدتنا

على رسلك يقول كان اعطاه الله المؤمنين جنة وعدا وعدهم على طاعتهم اياه في الدنيا وسالهم
اياه ذلك الوعد وقيل الطلبة من الملائكة للمؤمنين وذلك قولهم ربنا وادخلهم جنات عدن
التي وعدتهم قوله تعالى ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله يعني من الملائكة والانس
والجن مثل عيسى والعزير وقيل يعني الاصنام ثم يخاطبهم فيقول أانتم اضللتم عبادي هؤلاء
ام هم ضلوا السبيل اي اخطاوا الطريق قالوا يعني المعبودين سبحانك نزهوا الله من ان يكون
معه الهة ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء يعني ما كان ينبغي لنا ان نوالي اعداءك
بل انت ولينا من دونهم وقيل معناه ما كان لنا ان نامرهم بعبادتنا ونحن نعبدك ونحن عبيدك
ولكن متعتهم واباءهم اي بطول العمر والصحة والنعمة في الدنيا حتى نسوا الذكر معناه
ان تركوا المواعظ والايمان بالقران وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه وكانوا قوما
بورا معناه اي هلكى اي غلب عليهم الشقاء والخذلان فقد كذبوكم هذا خطاب مع
المشركين الذين كذبوكم المعبودون بما تقولون اي انهم الهة فما تستطيعون الالهة
صرفا اي صرف العذاب عن انفسهم ولا نصرا اي ولا نصر انفسهم وقيل لا يقدر كم ايها
العابدون بدفع العذاب عنكم ومن يظلم منكم اي يشرك نذقه عذابا كبيرا قوله عز وجل
وما ارسلنا قبلك اي يا محمد من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق قال
ابن عباس لما عير المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام
ويمشي في الاسواق انزل الله هذه الاية والمعنى ان هذه عادة مستمرة من الله تعالى
على رسله فلا وجه لهذا الطعن وما انا الا رسول وما كنت بدعا من الرسل وهم كانوا بشرا
مثلي ياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اي بلية قال
ابن عباس اي جعلت بعضكم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا
انتم الهدى وقيل نزلت في ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك ان الشريف اذا اراد ان
يسلم راى الوضيع قد اسلم قبله انف وقال اسلم بعده فيكون له السابقة والفضل علي
فيكون مقيما على كفره ويمتنع من الاسلام فذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل نزلت في
ابي جهل والوليد بن عقبة والعاص بن وائل والنضر بن الحارث وذلك انهم راوا اباذر وابن مسعود
وعمارا وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة وذويهم قد اسلموا قبلهم فقالوا نسلم فنكون مثل
هؤلاء وقيل نزلت في ابتلاء المسلمين بالمستهزئين من قريش كانوا يقولون انظروا الى هؤلاء الذين
تبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم من موالينا واراذلنا فقال الله تعالى لهؤلاء المؤمنين اتصبرون
اي على هذه الحالة من الفقر والشدة والاذى وقيل ان الغني فتنة الفقير يقول ما لي لم
اكن مثله والصحيح فتنة المريض والشريف فتنة الوضيع وكان ربك بصيرا اي بمن يصبر
ومن يجزع ق عن ابي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر احدكم الى من فضل
عليه بالمال والخلق فلينظر الى من هو دونه في المال والجسم لفظ البخاري ولمسلم انظروا
الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم احذروا ان لا تزدروا نعمة الله عليكم
قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يخافون البعث قال الرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة
لولا انزل علينا الملائكة فتخبرنا ان محمدا صادق او نرى ربنا فيخبرنا بذلك لقد استكبروا
في انفسهم اي تعظموا بهذه المقالة وعتوا عتوا كبيرا اي بالغوا وقيل عتوا في الكفر وهو
اشد الكفر وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به قوله تعالى يوم يرون الملائكة اي
عند الموت وقيل يوم القيامة لا بشرى يومئذ للمجرمين وذلك ان الملائكة يبشرون
المؤمنين يوم القيامة ويقولون للكفار لا بشرى لكم وقيل لا بشارة لهم بالجنة ويقولون

حجرا

حجرا محجورا قال ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله
الا الله محمد رسول الله وقيل اذا اخرج الكفار من قبورهم تقول لهم الملائكة وذلك ان
العرب كانت اذا نزلت بهم شدة وراوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا انهم يقولون ذلك اذا
عاينوا الملائكة قوله عز وجل وقدمنا الى ما عملوا من عمل يعني من اعمال البر التي عملوها في
حال الكفر فجعلناه هباء منثورا اي باطلا لا ثواب لهم لانهم لم يعملوه لله عز وجل وفي
الحديث الصحيح كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد والهباء هو ما يرى في الكوة كالغبار اذا وقعت
الشمس فيها فلا يمس بالايدي ولا يرى في الظل والمنثور المفرق قال ابن عباس هو ما تسفيه
الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر وقيل هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير
من الغبار قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ اي يوم القيامة خير مستقرا اي من هؤلاء
المشركين المستكبرين واحسن مقيلا اي موضع القائلة وذلك ان اهل الجنة لا يمر بهم
يوم القيامة الا قدر ميقات من اول النهار الى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة
قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل
النار في النار والقيلولة الاستراحة نصف النهار وان لم يكن مع ذلك نوم لان الله
تعالى قال واحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها قال ابن عباس الحساب في ذلك اليوم في اوله
ويروى ان يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون ما بين الظهر والعصر الى غروب
الشمس قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام اي الغمام وهو غمام ابيض قيل مثل
الضبابة ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم ونزل الملائكة تنزيلا قال السماء الدنيا فينزل
اهلها وهم اكثر ممن في الارض من الانس والجن ثم تنشق السماء الثانية فينزل اهلها
وهم اكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والانس ثم كذلك حتى تنشق السماء السابعة
واهل كل سماء يزيدون على اهل السماء التي تليها ثم ينزل الكروبيون ثم حملة العرش
الملك يومئذ الحق للرحمن الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة قال
ابن عباس يريد ان يوم القيامة لا ملك يقضي غيره وكان يوما على الكافرين عسيرا
اي شديدا وفيه دليل على انه لا يكون على المؤمنين عسيرا وجاء في الحديث انه يهون يوم
القيامة على المؤمنين حتى يكون اخف من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا قوله تعالى ويوم
يعض الظالم على يديه اراد بالظالم عقبة بن ابي معيط وذلك انه كان لا يقدم من سفر
الا صنع طعاما ودعى اليه اشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم
فقدم ذات يوم من سفر وصنع طعاما ودعى الناس اليه ودعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انا باكل طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله واني محمد رسول الله فقال عقبة
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من
طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما اخبر ابي بن خلف قال له يا عقبة صبات
قال لا والله ما صبات ولكن دخل علي رجل فابى ان ياكل طعامي الا ان اشهد له
فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال انا الذي رضي عنك
ابدا الا ان تاتيه فتبزق في وجهه ففعل ذلك عقبة فقال عليه الصلاة والسلام لا اراك
خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا واما ابي بن خلف
فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم احد وقيل لما بزق عقبة في وجه النبي صلى
الله عليه وسلم عاد بزاقه في وجهه فاحترق خداه فكان اثر ذلك في وجهه حتى قتل
وقيل كان عقبة بن ابي معيط خليلا لامية بن خلف فاسلم عقبة فقال له امية وجهي من وجهك

خليل ابن يا بعث محمدا فكفر وارتد فانزل الله فيه ويوم يعض الظالم على يديه يعني عقبة ابن ابي معيط ابن امية بن عبد شمس بن عبد مناف على يديه اوندما واسفا على ما فرط في جنب الله واوبق نفسه بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذي صده عن سبيل الله قال عطا ياكل يديه حتى ياكل مرفقيه ثم ينبتان ثم ياكلهما هكذا كلما نبتت يده اكلها تحسرا على ما فعل تحسرا وندامة يقول يا ليتني اتخذت اي في الدنيا مع الرسول اي ليتني اتبعت محمدا ام واتخذت معه طريقا الى الهداية يا ويلتا دعى على نفسه بالويل ليتني لم اتخذ فلانا خليلا قيل يعني ابي بن خلف لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني اي عن الايمان والقران بعد اذ جاءني يعني الذكر بعد اذ جاءني يعني الذكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم وكان الشيطان اي كل متمرد عات صد عن سبيل الله من الجن والانس للانسان خذولا اي كثير الخذلان يتركه ويتبرا منه عند نزول البلا وحكم الاية عام في كل خليلين ومتحابين اجتمعا على معصية الله ق عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مثل الجليس الصالح وجليس السو كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا طيبا ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد منه ريحا خبيثة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل اخرجه ابو داود والترمذي ولهما عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مؤمنا ولا ياكل طعامك الا تقي قوله عز وجل وقال الرسول يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا يعني متروكا واعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة الهجر وهو السيء من القول فزعموا انه سحر وشعر والمعنى ان محمدا صلى الله عليه وسلم يشكو قومه الى الله عز وجل يا رب ان قومي اتخذوا هذا القران مهجورا فعزاه الله تعالى فقال وكذلك جعلنا اي وكما جعلنا لك اعداء من مشركي مكة وهم قومك كذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين اي من المشركين والمعنى لا يكبرن عليك ذلك فان الانبيا قبلك قد لقوا هذا من قومهم فصبروا فاصبر كما صبروا فاني ناصرك وهاديك وهو قوله تعالى وكفى بربك هاديا ونصيرا قوله وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة اي كما انزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود صلوات الله عليهم اجمعين قال الله تعالى كذلك فعلنا ذلك لنثبت به فؤادك اي انزلناه مفرقا لتقوى به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب المتقدمة نزلت على انبيا يكتبون ويقرءون وانزلنا القران على نبي امي لا يكتب ولا يقرا ولان من القران الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سال عن امور تحدث فيما في اوقات مختلفة ففرقناه ليكون ادعى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وايسر على العامل به ورتلناه ترتيلا قال ابن عباس بيناه بيانا والترتيل التبيين في ترتيل وتثبت وقيل فرقناه تفريقا اية بعد اية ولا ياتونك يعني يا محمد هؤلا المشركين بمثل اي يضربونه في ابطال امرك الا جئناك بالحق اي بما ترد به ما جاءوا به من المثل وتبطله فسمى ما يوردون من الشبه مثلا وسمى ما يدفع به الشبه حقا واحسن تفسيرا اي احسن بيانا وتفصيلا ثم ذكر ما لهؤلا المشركين فقال تعالى الذين اي هم الذين يحشرون على وجوههم اي يساقون ويجرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا يعني اي منزلا ومصيرا واضل سبيلا اي اخطا طريقا قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب وجعلنا معه اخاه هارون وزيرا اي معينا وظهيرا فقلنا

اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا يعني القبط فدمرناهم فيه اضمار اي فكذبوهما فدمرناهم تدميرا اي اهلكناهم هلاكا وقوم نوح لما كذبوا الرسل اي رسولهم ومن كذب رسولا واحدا فقد كذب جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع اغرقناهم وجعلناهم للناس اية اي عبرة لمن بعدهم واعتدنا للظالمين في الاخرة عذابا اليما اي سوى ما حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا وعادا وثمودا اي اهلكنا عادا وثمودا واصحاب الرس قال وهب ابن منبه كانوا اهل بئر نزولا عليها وكانوا اصحاب مواشي يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم رسولا يدعوهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم واذى شعيب فبينما هم حول البئر في منازلهم ۲ وخسف بهم وبديارهم ضياعهم وقيل الرس بئر بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فاهلكهم الله وقال ابن جبير كان نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فاهلكهم الله وقيل الرس قرية بانطاكية قتلوا فيها حبيب النجار وهم الذين ذكرهم الله في سورة يس وقيل اصحاب الاخدود والرس الاخدود وقرونا بين ذلك كثيرا اي واهلكنا قرونا بين كثيرا بين عاد واصحاب الرس وكلا ضربنا له الامثال اي الاشباه في اقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم الا بعد الانذار وكلا تبرنا تتبيرا اي اهلكناهم اهلاكا قوله تعالى ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء يعني الحجارة وهي قريات قوم لوط وهي خمس قرى اهلك الله منها اربعا ونجت واحدة وهي صغر وكان اهلها لا يعملون العمل الخبيث افلم يكونوا يرونها يعني اذا مروا بهم في اسفارهم فيعتبروا ويتعظوا لان مداين قوم لوط كانت على طريقهم عند ممرهم الى الشام بل كانوا لا يرجون نشورا اي لا يخافون بعثا قوله تعالى واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا نزلت في ابي جهل كان اذا مر مع اصحابه قال يستهزئ اهذا الذي بعث الله رسولا ان كاد ليضلنا اي قد قارب ان يضلنا عن عبادة الهتنا لولا ان صبرنا عليها اي عن عبادتها والمعنى لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها وسوف يعلمون حين يرون العذاب اي في الاخرة عيانا من اضل سبيلا اي اخطا طريقا ارايت من اتخذ الهه هواه وذلك ان الرجل من المشركين كان يعبد حجرا فاذا راى حجرا احسن منه رماه واخذ الاحسن منه وعبده قال ابن عباس ارايت من ترك عبادة الله خالقه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندي وقيل الهوى اله يعبد افانت تكون عليه وكيلا اي حافظا يحفظه من اتباع الهوى وعبادة ما يهواه من دون الله والمعنى لست كذلك وقال الكلبي نسختها اية القتال ام تحسب ان اكثرهم يسمعون اي ما تقول سماع طالب الافهام او يعقلون اي ما يعاينون من الحجج والاعلام وهذه المذمة اعظم من التي تقدمت لانهم لشدة عنادهم لا يسمعون القول واذا سمعوه لا يتفكرون فيه وكان لم يسمع لهم البتة فعند ذلك شبههم فقال تعالى ان هم اي ما هم الا كالانعام اي في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم اقدامهم على التدبر والتفكر ثم قال تعالى بل هم اضل سبيلا لان البهايم تهتدي لمراعيها ومشاربها وتنقاد لاربابها التي تعاهدها وهؤلا الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم ولان الانعام تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون ذلك قوله عز وجل الم تر الى ربك كيف مد الظل هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس جعله ممدودا لانه ظل لا شمس معه ولو شاء لجعله ساكنا اي دايما ثابتا لا يزول ولا تذهبه الشمس ما عرف الظل ولولا النور ما عرفت الظلمة والاشيا تعرف باضدادها ثم قبضناه يعني الظل الينا قبضا يسيرا اي بالشمس التي تاتي عليه والمعنى ان الظل يعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزءا فجزءا قبضا خفيفا وهو الذي جعل لكم الليل لباسا

اي سترا تستترون به والمعنى ان ظلمة الليل تغشى كل شي كاللباس الذي يشتمل على لابسه
والنوم سباتا اي راحة لابدانكم وقطعا لاعمالكم وجعل النهار نشورا اي يقظة وزمانا
تنتشرون فيه لابتغاء رزقكم وطلب الاشتغال وهو الذي ارسل الرياح بشرا بين يدي رحمته
يعني المطر وانزلنا من السما ما طهورا الطهور هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره فهو اسم
لما يتطهر به بدليل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في البحر هو الطهور ماوه الحل
ميتته اخرجه ابو داود والترمذي والنسائي واراد به المطر والما المطهر لانه يطهر الانسان
من الحدث والنجاسة فيثبت ان التطهير مختص بالما وذهب اصحاب الراي الى ان الطهور
ما يتكرر منه التطهير وهو قول مالك حتى جوزوا الوضو بالما ورجحه واذا توضى به مرة
وان وقع في الما شي غير طعمه او لونه او ريحه هل يزول طهوريته نظر ان كان الواقع
شي لا يمكن صون الما عنه كالطين والتراب واوراق الاشجار فيجوز الطهارة به كالو
تغير بطول المكث في قراره وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط بالدهن تطيبت فيه فتغير ريح
الما بريحه يجوز الطهارة به لان تغيره للمجاورة وان كان شيا يمكن صون الما عنه ويخالطه
كالخل والزعفران ونحوهما تزول طهوريته فلا يجوز الوضو به وان لم يتغير لحد اوصافه
نظر ان كان الواقع شيا طاهرا لا يزيل طهوريته يجوز الوضو به سوا كان الما قليلا
او كثيرا وان كان الواقع شيا نجسا نظر فيه فان كان الما اقل من قلتين نجس
الما وان كان قدر قلتين فاكثر فهو طاهر يجوز الوضو به والقلتان خمسمائة
رطل بالبغدادي يدل عليه ما روي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل
عن الما يكون في الفلاة فقال اذا كان الما قلتين لم يحمل الخبث اخرجه ابو داود
والترمذي وهذا قول الشافعي واحمد واسحاق وجماعة من اهل الحديث ان الما
اذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير طعمه او لونه او ريحه
وهو قول الحسن وعطا والنخعي والزهري واحتجوا بما ورد عن ابي سعيد الخدري
قال قيل يا رسول الله انه يستقى لك من بير بضاعة ويلقى فيها لحوم الكلاب وخرق
الحيض وعذر الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الما طهور لا ينجسه شي وقوله
تعالى لنحيي به اي بالمطر بلدة ميتا قيل اراد موضع البلد ونسقيه مما خلقنا
اي نسقي من ذلك الما انعاما واناسي كثيرا اي بشرا واناسي جمع اناس وقيل جمع
انسان قوله عز وجل ولقد صرفناه بينهم يعني المطر مرة ببلد ومرة ببلد اخرى
وقال ابن عباس ما عام بامطر من عام ولكن الله يصرفه في الارض وقرى هذه الاية وهكذا
كما روي مرفوعا ما من ساعة من ليل ولا نهار الا والسما تمطر فيها يصرفه الله حيث
يشا وروي ابن مسعود يرفعه قال ليس سنة بامطر من سنة اخرى ولكن الله قسم
هذه الارزاق فجعلها في هذه السما الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل
معلوم ورزق معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك الى غيرهم واذا عصوا
جميعا صرف الله ذلك المطر الى الفيافي والبحار وقيل المراد من تصريف المطر
تصريفه وابلا وطشا ورذاذا ونحوها وقيل التصريف راجع الى الريح ليذكروا اي
ليتذكروا ويتفكروا في قدرة الله تعالى فابى اكثر الناس الا كفورا اي جحودا
وكفرهم هو انهم اذا مطروا قالوا مطرنا بنو كذا ق عن زيد بن خالد الجهني انه قال
قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في اثر سما من
الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله

ورسوله

ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته
فذلك مومن بي وكافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنو كذا وكذا فذلك كافر بي قوله تعالى
ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا اي رسولا ينذرهم ولكن بعثناك الى القرى كلها وحملناك
ثقل النذارة لتستوجب بصبرك ما اعددنا لك من الكرامة والدرجة الرفيعة فلا تطع
الكافرين فيما يدعونك اليه من موافقتهم ومداهنتهم وجاهدهم به بالقران جهادا كبيرا
اي شديدا قوله تعالى وهو الذي مرج البحرين اي خلطهما وافاض احدهما على الاخر وقيل
ارسلهما في مجاريهما هذا عذب فرات اي شديد العذوبة يميل الى الحلاوة وهذا ملح اجاج
اي شديد الملوحة وقيل مر وجعل بينهما برزخا اي حاجزا بقدرته فلا يختلط العذب بالملح
ولا الملح بالعذب وحجرا محجورا اي سترا ممنوعا فلا يبغي احدهما على الاخر ولا يفسد الملح
العذب قوله تعالى وهو الذي خلق من الما من النطفة بشرا فجعله نسبا وصهرا اي جعله ذا
نسب وصهر وقيل النسب ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه والنسب ما يوجب
الحرمة والصهر ما لا يوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة
وهو النسب المحرم للنكاح وقد حرم الله بالنسب سبعا وبالسبب سبعا وجمعهما في قوله
حرمت عليكم امهاتكم الاية وقد تقدم تفسير ذلك وبيانه في تفسير سورة النسا وكان
ربك قديرا على ما اراد حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر الذكر والانثى ويعبدون
من دون الله يعني هولا المشركين ما لا ينفعهم اي ان عبدوه ولا يضرهم اي ان تركوه
وكان الكافر على ربه ظهيرا اي معينا للشيطان على ربه بالمعاصي لان عبادتهم الاصنام
معاونة الشيطان وقيل معنى ظهيرا هينا ذليلا من قولك ظهرت بفلان اذا جعلته وراء
ظهرك ولم تلتفت اليه وقيل اراد بالكافر ابا جهل والاصح انه عام في كل كافر قوله تعالى
وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا اي بالثواب على الايمان ونذيرا منذرا بالعقاب
على الكفر والمعصية قل يا محمد ما اسالكم عليه اي على تبليغ الوحي من اجر اي فتقولون انما
يطلب محمد اموالنا بما يدعونا اليه فلا نتبعه الا من شا ان يتخذ الى ربه سبيلا معناه
لكن من شا ان يتخذ بانفاق ماله سبيلا الى ربه فعلى هذا يكون المعنى لا اسالكم لنفسي
اجرا ولكن امنع من انفاق المال الا في طلب مرضات الله واتخاذ السبيل الى جنته
قوله عز وجل وتوكل على الحي الذي لا يموت معناه انه سبحانه وتعالى امر نبيه صلى الله
عليه وسلم بان لا يطلب منهم اجرا البتة وامره ان يتوكل عليه في جميع اموره وانما قال
على الحي الذي لا يموت لان من توكل على حي لاحه يموت انقطع توكله من توكل عليه بموته
واما الله سبحانه وتعالى فانه حي لا يموت فلا ينقطع توكل من توكل عليه ولا يضيع
البتة وسبح بحمده اي صل له شكرا على نعمه وقيل معناه قل سبحان الله والحمد لله
وكفى به بذنوب عباده خبيرا يعني انه تعالى عالم بجميع ذنوب عباده فيجازيهم بها
وقيل معناه انه لا يحتاج معه الى غيره لانه خبير عالم قادر على مكافاتهم وفيه وعيد
شديد كانه قال اذا اقدمتم على مخالفة امري كفاكم علمي في مجازاتكم بما تستحقون من
العقوبة به قوله تعالى الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم
استوى على العرش الرحمن فاسال به خبيرا اي ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة يعنون
به مسيلمة الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليمامة واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن
قالوا وما الرحمن انسجد لما تامرنا يا محمد وزادهم اي قول القايل اسجدوا للرحمن
نفورا اي عن الايمان والسجود فصل وهذه السجدة من عزايم السجود فيسن للقاري

[illegible]

والساجد ان يسجد عندها وقرائتها قوله تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا قيل البروج
هي النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها وقيل البروج قصور فيها الحرس وقال ابن عباس هي البروج
الاثنى عشر التي هي منازل الكواكب السبعة السيارة وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان
والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج
التي هي القصور العالية لانها للكواكب كالمنازل لسكانها وجعل فيها سراجا يعني الشمس وقمرا
منيرا وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة قال ابن عباس معناه خلفا وعوضا يقوم احدهما
مقام صاحبه فمن فاته عمله في احدهما قضاه في الاخر قال شقيق جاء رجل الى عمر بن الخطاب
قال فاتتني صلاة الليلة قال ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله تعالى جعل
الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل
هذا اسود وهذا ابيض وقيل يخلف احدهما صاحبه اذا ذهب هذا جاء هذا فهما يتعاقبان
في الضياء والظلمة والزيادة والنقصان لمن اراد ان يذكر اي يتذكر ويتعظ او اراد
شكورا يعني شكر نعمة ربه عليه فيهما قوله تعالى وعباد الرحمن قيل هذه الاضافة
للتخصيص والتفضيل والا فالخلق كلهم عباد الله الذين يمشون على الارض هونا يعني
بالسكينة والوقار متواضعين غير اشرين ولا مرحين ولا متكبرين علماء حكماء اصحاب
وقار وعفة واذا خاطبهم الجاهلون يعني السفهاء بما يكرهون قالوا سلاما
اي سدادا من القول يسلمون فيه لا يسفهون وان سفه عليهم حلموا ولم يجهلوا وليس
المراد منه السلام المعروف وقيل هذا قبل ان يؤمروا بالقتال ثم نسختها اية القتال
ويروى عن الحسن انه كان اذا قرأ هذه الاية قال هذا وصف نهارهم ثم اذا قرأ والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما قال هذا وصف ليلهم والمعنى يبيتون لربهم سجدا في الليل بالصلاة
سجدا على وجوههم وقياما على اقدامهم قال ابن عباس من صلى بعد العشاء الاخرة ركعتين
او اكثر فقد بات لله ساجدا وقائما (م) عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء الاخرة في جماعة كان كقيام
نصف الليل ومن صلى الفجر في جماعة كان كقيام ليلة قوله تعالى والذين يقولون ربنا
اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما اي ملحا دائما لازما غير مفارق من عذاب
الكفار قال محمد بن كعب القرظي سأل الله الكفار عن نعمه فلم يؤدوها فاغرمهم فبقوا
في النار وقيل كل غريم مفارق غريمه الا جهنم وقيل الغرام الشر اللازم والهلاك
الدائم انها يعني جهنم ساءت بئست مستقرا ومقاما اي موضع قرار واقامة والذين
اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا قيل الاسراف النفقة في معصية الله
وان قلت والاقتار منع حق الله وهو قول ابن عباس وقيل الاسراف مجاوزة
الحد في الانفاق حتى يدخل في حد التبذير والاقتار التقصير عما لا بد منه اسراف وكان
بين ذلك قواما اي موضعا قصدا وسطا بين الاسراف والاقتار حسنة بين السيئتين
قيل هذه الاية في صفة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا ياكلون الطعام
للتنعم واللذة ويلبسون ثوبا للجمال ولكن كانوا ياكلون من الطعام ما يسد
عنهم الجوع ويقويهم على عبادة ربهم من اللباس ما يستروا به العورة ويكنهم من
الحر والبرد والذين لا يدعون مع الله الها اخر (ق) عن ابن عباس ان ناسا من
اهل الشرك كانوا قد قتلوا قال عمر بن الخطاب كفى سرفا الا ان يشتهي شيئا الا
اشتراه فاكله والذين لا يدعون مع الله الها اخر (ق) عن ابن عباس ان ناسا

من اهل

من اهل الشرك كانوا قد قتلوا فاكثروا فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي
تدعونا اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزل والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا
يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ونزل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا
تقنطوا من رحمة الله (ق) عن عبد الله بن مسعود قال قال رجل يا رسول الله اي الذنب اكبر عند
الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك
قال ثم اي قال ان تزاني بحليلة جارك فانزل الله تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها
اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما ومعنى
الاية ومن يفعل شيئا من ذلك يلق اثاما قال ابن عباس انما يريد جزاء الاثم وقيل عقوبة وقيل
الاثام واد في جهنم ويروى في الحديث ويروى ان الغي والاثام بئران في جهنم
يسيل فيهما صديد اهل النار يضاعف له العذاب يوم القيامة وقيل سبب تضعيف
العذاب ان المشرك اذا ارتكب المعاصي يضاعف له العذاب عن شركه ومعصيته ويخلد فيه
مهانا اي ذليلا قوله تعالى الا من تاب عن ذنبه وامن بربه وعمل عملا صالحا اي فيما بينه وبين
ربه وروي عن ابن عباس قال قرأناها على زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين والذين
لا يدعون مع الله الها اخر الاية ثم نزلت الا من تاب فما رايت النبي صلى الله عليه وسلم
فرح بشيء مثل ما فرح بها وفرحه بانا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر وقوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا
رحيما قال ابن عباس يبدل الله بقبائح اعمالهم في الشرك محاسن الاعمال في الاسلام فيبدلهم
بالشرك ايمانا وبقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة واحصانا وقيل يبدل الله سيئاتهم
حسنات التي عملوها في الاسلام حسنات يوم القيامة عن ابي ذر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فتعرض عليه صغارها فيقال له
عملت يوم كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع ان ينكر وهو يشفق من كبار ذنوبه ان تعرض
عليه فيقال له لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يا رب قد عملت اشياء لا اراها هنا فلقد
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك حتى بدت نواجذه وقيل ان يمحوا بالندم
جميع السيئات ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة ومن تاب وعمل صالحا قيل هو في التوبة
من غير ما سبق ذكره في الاية الاولى من القتل والزنا معناه من تاب من الشرك وعمل صالحا
يعني ادى من الفرض ممن لم يقتل ولم يزن فانه يتوب الى الله اي يعود اليه بعد الموت
متابا اي حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنى فالاية الاولى وهو قوله ومن تاب رجوع
عن الشرك والثاني رجوع الى الله للجزاء والمكافاة وقيل هذه الاية ايضا في التوبة
عن جميع السيئات ومعناه من اراد التوبة وعزم عليها فليتب الى الله فقوله يتوب الى الله
خبر بمعنى الامر اي تب الى الله وقيل معناه فليعلم ان توبته ومصيره الى الله تعالى فقوله
تعالى والذين لا يشهدون الزور يعني الشرك وقيل هي شهادة الزور (ق) عن ابي
بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم باكبر الكبائر قلنا
بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس فقال الا وقول
قول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت وكان عمر بن الخطاب
يجلد شاهد الزور يعني اغنيا بالمشركين وقيل الكذب وقيل مجلس النوح وقيل اعياد
اهل الباطل وقيل الزور اللهو واللعب والغنا قال ابن مسعود الغنا ينبت النفاق
في القلب كما ينبت الماء الزرع واصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته

فهم يموهونه الباطل بما يوهمهم انه حق وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا وهو كل ما يجتنب ان يتقى
ويترك مروا كراما يعني سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا فعلى هذا التفسير تكون
الاية منسوخة باية القتال وقيل اللغو المعاصي كلها والمعنى اذا مروا بمجالس اللهو والباطل
مروا كراما اي مسرعين معرضين وهو ان ينزه المرء نفسه ويكرمها عن هذه المجالس الشنيعة
وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا وقيل معناه انه ليس فيه نفي الخرور
انما هو اثبات له ونفي الصمم والمعنى اذا ذكروا بها خروا سامعين باذان واعية واقبلوا على
المذكر بها يتقبلون مبصرة واعية وقيل معناه لم يخروا اي لم يسقطوا ولم يقفوا عليها
صما وعميانا لانهم صم وباعينهم عمى مثل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق
فيه فيتبعونه قوله عز وجل وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ
اي ابرارا اتقيا صالحين فيقروا اعيننا بذلك قيل ليس شي اقر لعين المؤمن ان يرى زوجته
واولاده مطيعين لله عز وجل فيطمع ان يحلوا معه في الجنة فيتم سروره وتقر عينه بذلك
وقيل ان العرب تذكر قرة العين عند السرور والفرح وسخنة العين عند الغم والحزن
ويقال دمع العين عند السرور بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قرة العين ان
يصادف قلبه من يرضاه فتقر عينه به عن النظر الى غيره وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا اي
ايمة يقتدون في الخير بنا وقيل معناه نقتدي بالمتقين ويقتدي بنا المتقون وقال
ابن عباس اجعلنا ايمة هدى يشار اليهم انهم سالوا الله ان يبلغهم في الطاعات المبلغ
الذي يشار اليهم ويقتدى بهم قال بعضهم فيه دليل على ان الرياسة في الدين مطلوبة
مرغوب فيها وقيل هذا من المقلوب معناه واجعل المتقين لنا اماما واجعلنا مقتدين
مؤتمين بهم أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ اي يثابون الغرفة بِمَا صَبَرُوا الدرجة العالية
الشريفة في الجنة وقيل يريد غرف الدرجات الزبرجد واللؤلؤ والياقوت في الجنة بما
صبروا اي على طاعة الله واوامره وعلى اذى المشركين وقيل بما صبروا عن الشهوات
وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً اي ملكا يحيا ثوابا وَسَلَامًا اي يسلم بعضهم على بعض ويرسل
الرب عز وجل اليهم بالسلام وقيل سلاما اي سلامة من الافات قوله تعالى
خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا اي موضع قرار واقامة قوله تعالى قُلْ
مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي اي ما يصنع وما يفعل بكم فوجودكم وعدمكم سوا وقيل معناه اي
وزن ومقدار لكم عنده لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ اياه وقيل معناه لولا عبادتكم اياه وقيل
لولا ايمانكم وقيل لولا دعاوه اياكم الى الايمان واذا امنتم ظهر لكم عنده قدر
وقيل معناه ما يعبو بخلقكم ربي لولا عبادتكم وطاعتكم والمعنى انه خلقكم لطاعته وعبادته
وهذا قول ابن عباس وقيل معنى ما يعبوا اي ما يبالي بمغفرتكم ربي لولا دعاوكم الهة
معه وقيل معناه ما خلقتكم ولي بكم حاجة الا ان تسالوني فاعطيكم وتستغفروني فاغفر
لكم فَقَدْ كَذَّبْتُمْ يعني ايها الكافرون يخاطب اهل مكة يعني ان الله دعاكم الى توحيده
وعبادته كذبتم الرسول وهو على لسان رسول رسول الله صلى الله عليه فقد كذبتم الرسول
ولم تجيبوه الى الايمان فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا هذا تهديد لهم اي يكون تكذيبكم لزاما
قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا لازما لمن كذب مقيما بالحق بعضكم بعضا وقيل يوم
بدر قتل سبعون واسر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وابي بن كعب
يعني انهم قتلوا واتصل بهم عذاب الاخرة لازما لهم ف عن عبد الله بن مسعود قال
خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر في رواية الدخان والقمر والروم

واللزام والبطشة والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه ه تم

تفسير سورة الشعرا

مكية الا اربع ايات من اخر السورة من قوله تعالى والشعرا يتبعهم الغاوون الى اخرها وهي
مايتان وسبع وعشرون اية والف ومايتان وتسع وسبعون كلمة وخمسماية واربعون
حرفا وروي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطيت طه والطواسين
من الواح موسى بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى طسم قال ابن عباس طسم عجزت
العلما عن علم تفسيرها وفي رواية اخرى عنه انه قسم وهو من اسما الله تعالى
وقيل اسم من اسما القران وقيل اسم السورة وقيل بهاؤه وطوله وملكه تِلْكَ
اي هذه الايات ايات الْكِتَابِ الْمُبِينِ وقيل لما كان القران فيه دلايل التوحيد
والاعجاز الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلايل الاحكام اجمع ثبت بذلك
ان ايات القران كان فيه مبينة لجميع الاحكام لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ اي قاتل نفسك
أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ان لم يومنوا وذلك حين كذبه اهل مكة فشق عليه وكان يحرص
على ايمانهم فانزل الله هذه الاية إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ
لَهَا خَاضِعِينَ اي لو شا الله لانزل عليهم اية يذلون بها فلا يلوي احد منهم عنقه الى معصية
الله سبحانه وتعالى وقيل لو شا الله لاراهم امرا من امره لا يعمل احد منهم بعده معصية
فان قلت كيف صح مجي خاضعين خبرا من الاعناق قلت اصل الكلام فظلوا لها خاضعين
فاقحمت الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله ولما وصفت بالخضوع
الذي هو للعقلا قيل خاضعين وقيل اعناق الناس روساوهم ومقدموهم اي فظلت
كبراوهم لها خاضعين وقيل اراد بالاعناق الجماعات يقال جاء عنق من الناس اي جماعة
قوله تعالى وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ اي وعظ وتذكير محدث اي محدث انزاله
فهو محدث التنزيل وكلما نزل شي من القران بعد شي فهو احدث من الاول إِلَّا كَانُوا عَنْهُ
مُعْرِضِينَ عن الايمان به فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ اي فسوف ياتيهم انبا اخبار وعواقب
مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ يعني المشركين كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا اي بعد ان لم
يكن فيها نبات مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ اي جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما ياكل
الناس والانعام قال الشعبي الناس نبات الارض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل
النار فهو ليم إِنَّ فِي ذَلِكَ اي الذي ذكرته لَآيَةً دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدنا كما
قيل ه وفي كل شي له اية ، تدل على انه واحد ه

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ اي سبق علمي فيهم ان اكثرهم لا يومنون ولا يصدقون
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ اي المنتقم من اعدايه الرَّحِيمُ ذو الرحمة لاوليايه قوله تعالى
وَإِذْ نَادَى واذكر يا محمد اذ نادى رَبُّكَ مُوسَى اي حين راى الشجرة والنار أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ يعني الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي وظلموا بني اسرايل باستعبادهم
وسومهم سو العذاب قَوْمَ فِرْعَوْنَ يعني القبط أَلَا يَتَّقُونَ اي يصرفون عن انفسهم
عقوبة الله بطاعته والايمان به قَالَ يعني موسى رَبِّ اي يا رب إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ
وَيَضِيقُ صَدْرِي اي بتكذيبهم اياي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي اي للعقدة التي كانت على
لسانه فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ليوازرني ويعينني على تبليغ الرسالة وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ
اي دعوى ذنب وهو قتل القبطي فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ اي به قَالَ الله عز وجل كَلَّا اي لن

يقتلوك فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون اي سامعون ما تقولون وما يقال لكم فان قلت
كيف ذكرهما بلفظ الجمع في قوله معكم وهما اثنان قلت اجراهما مجرى الجماعة وهو جائز
في لغة العرب فأتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين فان قلت هلا ثنى الرسول
كما في قوله فأتياه فقولا انا رسولا ربك قلت الرسول قد يكون بمعنى المرسل وبمعنى
الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله هنا بمعنى الرسالة فجازت
التسوية فيه اذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى انا ذوا رسالة كما قال كثير

لقد كذب الواشون ما فهت عندهم ◦ بشيء ولا ارسلتهم برسول

اي برسالة وقيل انهما لاتفاقهما في الرسالة والشريعة فصارا كانهما رسول واحد وقيل كل
واحد منا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرائيل اي خلهم واطلقهم معنا الى ارض فلسطين
ولا تستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم اربعمائة سنة وكانوا في ذلك الوقت
ستمائة الف وثلاثون الفا فانطلق رجع الى مصر وعليه جبة صوف موسى برسالة ربه
الى مصر وهارون بها فاخبره بذلك وفي القصة ان موسى رجع الى مصر وعليه جبة صوف
وفي يده عصاه والمكتل معلق في رأس العصاة وفيه زاده فدخل دار نفسه واخبر هارون
ان الله تعالى قد ارسلني الى فرعون وارسل اليك تدعوا فرعون الى الله تعالى فخرجت
امهما فصاحت وقالت ان فرعون يطلبك فاذا ذهبت اليه قتلك فلم يمتنع لقولها
وذهبا الى باب فرعون وذلك بالليل فدقا الباب فذهب البواب الى فرعون فقال
ان مجنونا بالباب يزعم انه رسول رب العالمين فتركه حتى اصبح ثم دعاهما وقيل
انهما انطلقا جميعا الى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول ثم دخل فقال لفرعون
ائذن له لعلنا نضحك منه فدخلا على فرعون واديا رسالة الله تعالى فعرف فرعون
موسى لانه نشأ في بيته فقال له الم نربك فينا وليدا اي صبيا ولبثت فينا من عمرك
سنين اي ثلاثين سنة وفعلت فعلتك التي فعلت يعني قتله القبطي وانت من الكافرين
قال اكثر المفسرين من الجاحدين لنعمتي وحق تربيتي يقول ربيناك فينا فكافأتنا ان قتلت
منا نفسا وكفرت بنعمتنا وهذه رواية عن ابن عباس رض وقيل ان فرعون لم يكن يعلم الكفر
بالربوبية ولان الكفر غير جائز على الانبيا لا قبل النبوة ولا بعدها وقيل معناه
وانت من الكافرين بفرعون والهيته قال يعني موسى فعلتها اذا وانا من الضالين
اي من الجاهلين بان ذلك يؤدي الى قتله لان فعل الوكزة على وجه التاديب
لا على وجه القتل وقيل من الضالين عن طريق الصواب وقيل من المخطئين ففررت منكم
لما خفتكم الى مدين فوهب لي ربي حكما يعني النبوة وقيل العلم والفهم وجعلني من المرسلين
وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل اي اتخذتهم عبيدا قيل عدها نعمة منه
عليه حيث رباه ولم يقتله كما قتل ولدان بني اسرائيل ولم يستعبده كما استعبد بني اسرائيل
فيكون معنى الاية وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل وتركتني فلم تستعبدني وقيل
هو على طريق الانكار ومعنى الاية او تلك نعمة على طريق الاستفهام فحذف الالف
كما قال عمر بن عبد الله بن ربيعة

لم انس يوم الرحيل وقفتها ◦ وطرفها من دموعها غرق
وقولها والركاب واقفة ◦ تتركني هكذا وتنطلق

اي اتتركني والمعنى اتمن علي ان ربيتني وتنسى جنايتك على بني اسرائيل بالاستعباد
والمعاملات القبيحة او يريد كيف تمن علي بالتربية وقد استعبدت قومي ومن

اهين

ومن اهين قومه فقد ذل فتعبيد بني اسرائيل قد احبط حسناتك الي ولو لم تستعبدهم
ولم تقتل اولادهم لم يرفع اليك حتى تربيني وتكفلني ولكان لي من اهلي من يربيني ولم يلقوني
في اليم قال فرعون وما رب العالمين يعني يقول اي شيء رب العالمين الذي تزعم انك
رسوله اذ يستوصفه الهه الذي ارسله وهو سؤال عن جنس الشيء والله تعالى منزه عن الجنسية
والماهية فلهذا عدل موسى عن جوابه واجابه بذكر افعاله وآثار قدرته التي تعجز
الخلائق عن الاتيان بمثله قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين
انه خالقهما فاعرفوا انه لا يمكن تعريفه الا بما ذكرته ذلك لكم فان ايقنتم بذلك لزمكم
ان تقطعوا انه لا جواب لكم عن هذا السؤال الا ما ذكرته من الجواب وقال اهل المعاني
كما توقنون هذه الاشياء التي تعاينونها فايقنوا ان اله الخلق هو الله تعالى الذي خلقهما
واوجدها فلما قال ذلك موسى تحير فرعون في جواب موسى قال لمن حوله اي من اشراف
قومه قال ابن عباس كانوا خمسمائة رجل عليهم الاسورة الا تستمعون وانما قال فرعون
ذلك على سبيل التعجب من جواب موسى يعني لما طلب منه الماهية وخصوصية الحقيقة
وهو يجيبني بافعاله وآثاره وقيل انهم كانوا يعتقدون ان آلهتهم ملوكهم ثم زادهم
موسى في البيان فقال ربكم ورب آبائكم الاولين يعني ان موسى ذكر ما هو اقرب اليهم
فقال ربكم يعني انه خالقكم وخالق آبائكم الاولين قال يعني فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون يعني المقصود من طلب سؤال الماهية وهو يجيب بالآثار
الخارجية وهذا لا يفيد البتة فهذا الذي يدعي الرسالة مجنون لا يفهم السؤال
فضلا عن ان يجيب عنه ويتكلم بكلام لا يقبله ولا يعرف صحته وكان عندهم ان من لا
يعتقد ما يعتقدون ليس بعاقل فزاد في البيان قال رب المشرق والمغرب وما
بينهما ان كنتم تعقلون فعدل الى طريق ثالث اوضح من الثاني ان كنتم تعقلون
فقد عرفتم انه لا جواب عن سؤالكم الا ما ذكرت قال فرعون حين لزمته الحجة وانقطع
عنه الجواب تكبرا عن الحق لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين قيل كان
سجن فرعون اشد من القتل لانه كان ياخذ الرجل فيطرحه في مكان يهوي فيه الى الارض
وحده فردا لا يسمع ولا يبصر فيه قال له موسى حين توعده بالسجن اولو جئتك بشيء
مبين باية بينة والمعنى اتفعل ان اجبتك بحجة بينة وانما قال موسى لان من اخلاق
الناس السكون الى الانصاف والاجابة الى الحق بالبيان قال يعني فرعون فأت به اي
انا لن نسمعك حينئذ ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين
قيل انها لما صارت حية ارتفعت في السما قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون
فقال بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها موسى فعادت عصى كما كانت فقال هل
غيرها قال نعم واراه يده ثم ادخلها جيبه ثم اخرجها فاذا هي بيضا من غير
برص لها شعاع كشعاع الشمس وهو قوله تعالى ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين
فعند ذلك قال فرعون للملا حوله ان هذا يعني موسى لساحر عليم وكان زمان
فلهذا روج فرعون هذا القول على قومه ثم قال يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره
قال هذا القول على سبيل التنفير لئلا يقبلوا قول موسى فماذا تامرون يعني
ما رايكم فيه وما الذي اعمله فعند ذلك قالوا ارجه واخاه اي اخره
واخاه وابعث في المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم قيل ان فرعون
اراد قتل موسى فقالوا لا تفعل فانك ان قتلته دخلت الناس شبهة في امره

ولكنه اخره واجمع له سحرة ليبقى وموه ولا يثبت له عليك حجة قوله تعالى فجمع السحرة
لميقات يوم معلوم يعني يوم الزينة قال ابن عباس وافق ذلك يوم السبت في اول يوم
من السنة وهو يوم النيروز وقيل للناس هل انتم مجتمعون اي لتنظروا ما يفعل الفريقان
ولمن تكون له الغلبة لعلنا نتبع السحرة ان كانوا هم الغالبين لموسى وقيل ارادوا بالسحرة
موسى وهارون وقالوا ذلك على طريق الاستهزاء فلما جاء السحرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا
ان كنا نحن الغالبين طلبوا من فرعون ذلك الجزاء وهو ما يبذل من المال والجاه فبذل لهم
ذلك كله واكده بقوله قال نعم وانكم اذا لمن المقربين قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون
فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون اي بعظمة فرعون انا لنحن الغالبون فالقى موسى عصاه
فاذا هي تلقف ما يافكون اي ما يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم قيل ان عصى موسى
صارت حية وابتلعت كل ما رموه من حبالهم وعصيهم ثم اخذها موسى فاذا هي كما كانت
اول مرة فالقي السحرة ساجدين قيل انهم لما راوا ما جاء وزجر السحر علموا انه ليس بسحر
ثم لم يتمالكوا وخروا ساجدين ثم انهم قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون
وانما قالوا رب موسى وهارون لان فرعون كان يدعي الربوبية فارادوا عزله قال
امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون فيه وعيد مطلق
وتهديد شديد فال ثم بين ذلك الوعيد فقال لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولا
اصلبنكم اجمعين قالوا لا ضير انا الى ربنا منقلبون اي لا ضرر علينا فيما يلحقنا
من الدنيا لانا ننقلب ونصير الى ربنا في الاخرة مؤمنين مقبلين مؤملين غفرانه وهو
قولهم انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا اي الكفر والسحر ان اي لان كنا اول المؤمنين
اي من اهل زماننا وقيل اول المؤمنين اي من الجماعة الذين حضروا ذلك الجمع قوله تعالى
واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي اي ليلا انكم متبعون اي لان لا يتبعكم فرعون وقومه ليحولوا بينكم وبينه
الخروج قيل اوحى الله الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا
اولاد الضان فاضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سامر الملائكة فتقتل ابكار ال فرعون
من انفسهم واموالهم ان لا يدخلوا بيتا على بابه دم ثم اخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع
لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهي الى البحر فيأتيك امري ففعل ذلك موسى ثم ان قوم موسى
قالوا لقوم فرعون ان لنا في هذه الليلة عيدا فاستعاروا منهم حليهم ثم خرجوا
بتلك الاموال في الليل الى جهة البحر فلما سمع فرعون ذلك قالوا هذا عمل موسى وقومه
قتلوا ابكارنا من انفسنا واخذوا اموالنا فارسل فرعون في المدائن حاشرين
يعني الشرط يحشرون الجيش قيل كانت المدائن القمرية واثني عشر الف قرية
وارسل فرعون في اثر موسى وقومه الف الف وخمسمائة وخرج فرعون في الكرسي العظيم
في مائتي الف ملك مسومين مع ملك الف فذلك قال ان هؤلاء لشرذمة قليلون قال
اهل التفسير كانت الشرذمة الذين قللهم فرعون ستمائة الف مقاتل لم يعدون
العشرين وفوق الستين سنة وقال ابن مسعود كانت ستمائة الف وسبعين الفا
ولا يحصى عدد اصحاب فرعون وانهم لنا لغائظون الغيظ الغضب يعني انهم اغضبونا
بمخالفتهم من ديننا وقتلهم وذهابهم باموالنا التي استعاروها وخروجهم من ارضنا
بغير اذن منا وانا لجميع حذرون اي خائفون عن شرهم وقرئ حاذرون اي ذوو قوة
واداة شاكون السلاح وقيل الحاذر الذي يحذرك الان بالتحقق من المتلبس
بحمل السلاح والحذر الذي لا تلقاه الا خائفا فاخرجناهم من جنات وعيون

وقيل

قيل كانت البساتين ممتدة حافتي النيل فيها عيون وانهار جارية وكنوز يعني الاموال الظاهرة
من الذهب والفضة وسماها كنوزا لانه لم يؤد حق الله تعالى منه فهو كنز وان كان ظاهرا
قيل كان لفرعون ثمانمائة الف غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من ذهب
قال الله تعالى ومقام كريم اي مجلس حسن قيل اراد مجالس الامراء والرؤساء التي كانت لهم وقيل
انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسي من ذهب يجلس عليها الاشراف
من قومه والامراء وعليهم اقبية الديباج مخوصة بالذهب والمعنى انا اخرجناهم من
بساتينهم التي فيها العيون واموالهم ومجالسهم الحسنة كذلك كما وصفنا واورثناها بني
اسرائيل وذلك ان الله عز وجل رد بني اسرائيل الى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فاعطاهم
جميع ما كان لفرعون وقومه من الاموال والاماكن الحسنة فاتبعوهم مشرقين اي لحق
فرعون وقومه موسى واصحابه وقت شروق الشمس وهو اضاءتها فلما تراءى الجمعان اي
تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه قال اصحاب موسى انا لمدركون اي سيدركنا قوم
فرعون ولا طاقة لنا بهم قال يعني موسى لثقته بوعد الله اياه كلا اي لن يدركونا ان معي
ربي سيهدين اي يدلني على طريق النجاة فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق
اي ضربه فانشق فكان كل فرق اي قطعة الماء كالطود اي الجبل
العظيم وقيل لما انتهى موسى ومن معه الى البحر هاجت الرياح فصار البحر يجري بموج كالجبال
قال يوشع يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون من خلفنا والبحر امامنا قال موسى
ها هنا فخاض يوشع الماء لا يواري حافر دابته وقال الذي يكتم ايمانه يا كليم الله اين
امرت قال ها هنا فلجم فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقيه ثم لجمه البحر فارتسب
في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدروا وجعل موسى لا يدري كيف يصنع
فاوحى الله تعالى اليه ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فاذا الرجل واقف على فرسه
لم يبتل سرجه ولا لبده وازلفنا ثم الاخرين يعني قربنا فرعون وقومه الى البحر وقدمناهم
الى الهلاك وقيل ان جبريل كان بين بني اسرائيل وبين قوم فرعون يقول لبني
اسرائيل ليلحق اخركم اولكم فكان بنو اسرائيل يقولون ما راينا احسن سياقة من
هذا الرجل وكان قوم فرعون يقولون ما راينا امير هذا الرجل وانجينا موسى ومن معه
اجمعين ثم اغرقنا الاخرين يعني انه تعالى جعل البحر يبسا حتى خرج موسى وقومه
وذلك لما تكاملوا في البحر انطبق عليهم فاغرقهم ان في ذلك لاية يعني ما حدث في البحر
من انفلاقه اية من الايات العظام الدالة على قدرته ومعجزة لموسى عليه السلام
وما كان اكثرهم مؤمنين يعني اهل مصر قيل لم يؤمن منهم الا اسية امراة فرعون وخربيل
مؤمن ال فرعون ومريم ابنة ماموسى التي دلت على قبر يوسف حتى اخرجه
موسى من البحر وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى واتل عليهم نبا ابراهيم اذ
قال لابيه وقومه ما تعبدون اي اي شيء تعبدون وانما قال ابراهيم ذلك مع
علمه بانهم عبدة الاصنام ليريهم انما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة في شيء قالوا
نعبد اصناما فنظل لها عاكفين اي نقيم على عبادتها وانما قالوا فنظل لانهم
كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل قال هل يسمعونكم اي يسمعون دعاكم اذ تدعون
او ينفعونكم يعني بالرزق او يضرون ان تركتم عبادتها واذا كان كذلك فكيف يستحق
العبادة فلما لزمتهم الحجة القاطعة قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون المعنى
لا تسمع قولا ولا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا ولكنا اقتدينا باباءنا في ذلك وفي

الآية دليل على أن الطالب لتقليد في الدين مذموم ومدح الأخذ بالاستدلال قال أفرأيتم
ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون أي الأولون فإنهم عدو لي أي أعداء لي وإنما
وحده على إرادة الجنس فإن قلت كيف وصف الأصنام بالعداوة وهي جمادات لا تعقل قلت
معناه وإنهم عدو لي يوم القيامة ولو عبدتهم في الدنيا وقيل إن الكفار لما عبدوها
ونزلوها منزلة الأحياء العقلاء أطلق إبراهيم لفظ العداوة عليها وقيل هو من المقلوب
أراد وإني عدو لهم لأن من عاديته فقد عاداك إلا رب العالمين أي ولكن رب العالمين
فإنه ربي ووليي وقيل إنهم كانوا يعبدون الأصنام مع الله تعالى فقال إبراهيم كل من
تعبدون أعداء لي إلا رب العالمين ثم وصف معبوده الذي يستحق العبادة فقال الذي
خلقني فهو يهدين إلى طريق النجاة والذي هو يطعمني ويسقين أي يرزقني ويغذيني بالطعام
والشراب وإذا مرضت أي أصابني المرض أضاف المرض إلى نفسه استعمالاً للأدب
وإن كان المرض والشفاء من الله تعالى فهو يشفين أي يبرئني مما بي من المرض والذي يميتني
ثم يحيين أي يميتني في الدنيا ثم يحييني في الآخرة والذي أطمع أي أرجو أن يغفر لي
خطيئتي يوم الدين أي يوم الجزاء والحساب وقيل خطيئته كذباته الثلاث وتقدم
الكلام عليها م عن عائشة رضي الله عنها قلت يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية
يصل الرحم ويطعم المسكين أكان ذلك نافعه قال لا ينفعه إنه لم يقل يوماً رب
اغفر لي خطيئتي يوم الدين وهذا كله احتجاج من إبراهيم على قومه أنه لا يصلح للإلهية
إلا من يفعل هذه الأفعال رب هب لي حكماً قال ابن عباس معرفة حدود الله وأحكامه
وقيل العلم والفهم وألحقني بالصالحين أي بمن سلف قبلي من الأنبياء في المنزلة والدرجة
العالية واجعل لي لسان صدق في الآخرين أي ثناء حسناً وذكراً جميلاً وقبولاً عاماً في
الأمم التي تجيء بعدي فأعطاه الله ذلك وجعل كل أهل الأديان يتولونه ويثنون عليه واجعلني
من ورثة جنة النعيم أي ممن يعطيه جنة النعيم لأنها السعادة الكبرى واغفر لأبي إنه
كان من الضالين قيل دعا لأبيه على رجاء أن يسلم فيغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ
منه ولا تخزني أي لا تفضحني يوم يبعثون وهو يوم القيامة يوم لا ينفع مال
ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم أي خالص من الشك والشرك فأما الذنوب فلا يسلم
منها أحد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قلب
الكافر والمنافق مريض وقيل القلب السليم هو الخالص من البدعة المطمئن إلى السنة ٥
وأزلفت الجنة أي قربت للمتقين وبرزت الجحيم أي أظهرت للغاوين أي للكافرين وقيل
لهم يعني يوم القيامة أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أي يمنعونكم
من عذاب الله أو ينتصرون لأنفسهم فكبكبوا قال ابن عباس رضي الله عنهما أي في جهنم هم والغاوون
جمعوا وقيل قذفوا وطرحوا بعضهم على بعض وقيل على رؤوسهم فيها أي في جهنم هم والغاوون
يعني الآلهة والعابدون وقيل الجن والكافرون وجنود إبليس أجمعون يعني أتباعه
ومن أطاعه من الجن والإنس وقيل ذريته قالوا وهم فيها يختصمون يعني العابدين والمعبودين
والمعنى أنهم قالوا تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم أي نعدلكم برب العالمين فنعبدكم
وما أضلنا إلا المجرمون يعني من دعاهم إلى عبادة الأصنام من الجن والإنس وقيل الأولون
الذين اقتدينا بهم وقيل يعني إبليس وابن آدم الأول وهو قابيل وهو أول من سن
القتل وأنواع المعاصي فما لنا من شافعين يعني من يشفع لنا يعني كما للمؤمنين شافعين
من الملائكة والأنبياء ولا صديق حميم أي قريب يشفع يقول ذلك الكفار حين تشفع

الملائكة

الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديقون وهو الصادق في المودة مع موافقة الدين
عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الرجل يقول في الجنة
ما فعل بصديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله عز وجل أخرجوا له صديقه إلى الجنة
فيقول من بقي فما لنا من شافعين ولا صديق حميم رواه البغوي بإسناد الثعلبي قال الحسن
استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيامة فلو أن لنا كرة أي
رجعة إلى الدنيا فنكون من المؤمنين أي إنهم تمنوا الرجعة حين لا رجعة لهم إن في ذلك لآية
وما كان أكثرهم مؤمنين أي مع هذه الدلائل والآيات وإن ربك لهو العزيز الرحيم أي المنتقم
الذي لا يغالب وهو في وصف عزته رحيم قوله عز وجل كذبت قوم نوح المرسلين أي كذبت
جماعة قوم نوح وقيل القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة قلت كيف قال المرسلين وإنما هو رسول
واحد وكذلك باقي القصص قلت لأن دين الرسل واحد وإن الآخر منهم جاء بما جاء به الأول فمن كذب
أحداً من الأنبياء فقد كذب جميعهم إذ قال لهم أخوهم نوح يعني أخوهم في النسب لا في
الدين ألا تتقون ألا تخافون فتتركوا الكفر والمعاصي إني لكم رسول أمين على الوحي
وكان معروفاً عندهم بالأمانة فاتقوا الله أي بطاعته وعبادته وأطيعون أي فيما
آمركم به من الإيمان والتوحيد وما أسألكم عليه من أجر إن أجري أي ثوابي إلا على رب
العالمين فاتقوا الله وأطيعون قيل كرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم وقيل ليس
فيه تكرار ومعنى الأول ألا تتقون الله في مخالفتي وأنا رسول الله ومعنى الثاني ألا تتقون
الله في مخالفتي وأنا لست آخذ منكم أجراً قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون أي السفلة
قال ابن عباس الغاغة وهم الحاكة والأساكفة قال يعني نوحاً وما علمي بما كانوا يعملون
أي وما أعلم أعمالهم وصنائعهم وليس علي من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شيء إنما كلفت أن
أدعوهم إلى الله تعالى وما لي إلا ظواهر أمرهم وقال الزجاج الصناعات لا تضر في الديانات
وقيل معناه إني لم أعلم أن الله يهديهم ويضلكم ويوفقهم ويخذلكم إن حسابهم إلا على ربي
لو تشعرون أي لو تعلمون ذلك ما عيرتموهم بصنائعهم وما أنا بطارد المؤمنين أي عني فقد
آمنوا إن أنا إلا نذير مبين معناه إني أخوف من كذبني فمن آمن فهو القريب مني ومن لم يؤمن
فهو البعيد مني قالوا لئن لم تنته يا نوح أي عما تقول لتكونن من المرجومين أي من المقتولين
بالحجارة وهو أسوأ القتل وقيل من المشتومين قال رب إن قومي كذبون فافتح أي احكم بيني
وبينهم فتحاً أي حكماً ونجني ومن معي من المؤمنين فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون
أي الموقر من الناس والطير والحيوان ثم أغرقنا بعد الباقين أي بعد إنجاء نوح ومن معه
إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذبت عاد
المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم رسول أمين أي أمين على الرسالة فكيف
تتهمونني اليوم فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين
أتبنون بكل ريع قال ابن عباس أي بكل شرف وفي رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين
الجبلين وقيل المكان المرتفع آية أي علامة وهي العلم تعبثون أي بمن مر بالطريق والمعنى
أنهم كانوا يبنون بالمواضع المرتفعة ليشرفوا على المارة والسابلة فيسخروا منهم ويعبثوا
بهم وقيل إنهم كانوا ابتنوا بروج الحمام فأنكر عليهم هود باتخاذها ومعنى تعبثون تلعبون
بالحمام وتتخذون مصانع قال ابن عباس أبنية وقيل قصوراً مشيدة وحصوناً مانعة
وقيل مآخذ الماء يعني الحياض لعلكم تخلدون أي كأنكم تبقون فيها خالدين لا تموتون وإذا
بطشتم بطشتم أي وإذا أخذتم وسطوتم بطشتم جبارين قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط

والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب وهو مذموم في وصف البشر فاتقوا الله واطيعون
فيه زيادة زجر عن حب الدنيا والشرف والتفاخر واتقوا الذي امدكم بما تعلمون اي اعطاكم
من الخير ما تعلمون ثم ذكر ما اعطاهم فقال امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون فيه التنبيه
على نعمة الله تعالى عليهم اني اخاف عليكم قال ابن عباس اي ان عصيتموني عذاب يوم عظيم فكان
جوابهم قالوا سواء علينا أوعظت ام لم تكن من الواعظين اي انهم اظهروا قلة اكتراثهم بكلامه
واستخفافهم بما اورده من المواعظ والوعظ كلام يلين القلب بذكر الوعد والوعيد ان هذا
الا خلق الاولين قرئ بفتح الخاء اي اختلاق الاولين وكذبهم وقرئ بضم الخاء واللام اي عادة
الاولين من قبلنا انهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب وقولهم وما
نحن بمعذبين اي انهم اظهروا بذلك تقوية نفوسهم فيما تمسكوا به من انكارهم المعاد فكذبوه
فاهلكناهم ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
قوله تعالى كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتتركون
فيما هاهنا آمنين اي في الدنيا من العذاب في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم اي ثمرها
الذي يطلع فيها هضيم قال ابن عباس لطيف وعنه يانع نضيج وقيل هو اللين الرخو
وقيل متهشم اذا مس وقيل الهضيم هو الذي دخل بعضه في بعض من النضج او النعومة
وقيل هو المذنب وتنحتون من الجبال بيوتا فرهين وقرئ فارهين قيل الفارهين الحاذقين
بنحتها والفرهين قال ابن عباس الاشرين والبطرين وقيل معناه متجبرين فرحين معجبين بصنعكم
فاتقوا الله واطيعون ولا تطيعوا امر المسرفين قال ابن عباس اي المشركين من المخلوقين المعللين
بالطعام والشراب ما انت الا بشر مثلنا والمعنى انت بشر مثلنا ولست بملك
فأت بآية يعني اي على صحة ما تقول ان كنت من الصادقين يعني انك رسول الله الينا
قال هذه ناقة لها شرب اي حظ من الماء ولكم شرب يوم معلوم ولا تمسوها
بسوء اي بعقر فيأخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فاصبحوا نادمين على عقرها لما
رأوا العذاب فاخذهم العذاب ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم قوله عز وجل كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط
الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان
اجري الا على رب العالمين اتأتون الذكران من العالمين يعني نكاح الرجال من بني آدم
وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم يعني تتركون العضو المباح من النسوان وتميلوا
الى ادبار الرجال بل انتم قوم عادون اي معتدون مجاوزون الحلال الى الحرام قالوا لئن
لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين اي من قريتنا قال اني لعملكم من القالين اي التاركين
المبغضين رب نجني واهلي مما يعملون اي من ~~التاركين و~~ المبغضين اي من العمل الخبيث
قال الله تعالى فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا اي امرأته في الغابرين اي بقيت في المهلكين
ثم دمرنا الآخرين اي اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا يعني الكبريت والنار فساء مطر
المنذرين ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
قوله تعالى كذب اصحاب الايكة المرسلين اي الغيضة الملتفة من الشجر وقيل هي اسم
البلد اذ قال لهم شعيب لم يقل اخوهم لانه لم يكن منهم وانما كان من مدين وارسل
اليهم الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من
اجر ان اجري الا على رب العالمين انما كانت دعوة هؤلاء الانبياء فيما حكى الله عنهم

على

على صيغة واحدة لاتفاقهم على تقوى الله تعالى وطاعته والاخلاص في العبادة والامتناع
من اخذ الاجر على تبليغ الرسالة اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين اي الناقصين لحقوق
الناس في الكيل والوزن وزنوا بالقسطاس اي بالميزان العدل المستقيم ولا تبخسوا الناس
اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين يعني الخليقة والامم
المتقدمة قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا وان نظنك لمن الكاذبين
فاسقط علينا كسفا اي قطعا من السماء ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون اي
من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم باعمالكم وليس العذاب الي الا الدعوة والتبليغ
فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم وذلك انهم اصابهم حر شديد
فكانوا يدخلون الاسراب فيجدونها اشد حرا من ذلك فيخرجون فاصابتهم سحابة واجتمعوا تحتها
فامطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا ان في ذلك لآية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم وقد تقدم الكلام على هذه القصص في سورة الاعراف وهود فا
غنى الاعادة هنا والله اعلم بمراده واسرار كتابه قوله عز وجل وانه يعني القرآن لتنزيل
رب العالمين يعني ان فيه من اخبار الامم الماضية ما يدل على انه من رب العالمين نزل
به الروح الامين يعني جبريل عليه السلام سماه روحا لانه خلق من روح وسماه امينا لانه
مؤتمن على وحيه لانبيائه على قلبك يعني على قلبك حتى تعيه وتفهمه ولا تنساه وانما
خص القلب لانه هو المخاطب في الحقيقة وانه موضع التمييز والعقل والاختيار وسائر
وسائر الاعضاء مسخرة له ويدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم الا وان في الجسد مضغة اذا
صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب اخرجاه في الصحيحين
ومن المعقول ان موضع القلب للفرح والسرور والغم والحزن الا وهو القلب فاذا
فرح القلب او حزن يتغير حال سائر الاعضاء فكان القلب كالرئيس لها ومنه ان موضع
العقل هو القلب على الصحيح على القولين فاذا ثبت ذلك كان القلب هو الامير المطلق
وهو المكلف لان التكليف مشروط بالعقل والفهم وقوله تعالى لتكون من المنذرين اي من
المخوفين بلسان عربي مبين قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا ما فيه وانه يعني ذكر القرآن
وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم وصفته ونعته لفي زبر الاولين اي كتب اولم يكن لهم
آية يعني اولم يكن لهؤلاء المنكرين علامة ودلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم
ان يعلمه اي يعلم محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس بعث اهل مكة الى اليهود وهم
بالمدينة فسألوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا ان هذا لزمانه وانا نجد في التوراة
نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله
ابن سلام وابن يامين وثعلبة واسد واسيد قوله تعالى ولو نزلناه يعني القرآن على بعض
الاعجمين جمع اعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وان كان عربيا في النسب ومعنى
الآية لو انزلنا القرآن على رجل ليس بعربي اللسان فقرأه عليهم ما كانوا يعني القرآن
به مؤمنين اي قالوا لا نفقه قوله وقيل معناه لما طلبوا امنه انفة من اتباع من ليس
من العرب كذلك سلكناه قال ابن عباس ادخلناه الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين
لا يؤمنون به اي القرآن حتى يروا العذاب الاليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا
هل نحن منظرون اي لنؤمن ونصدق وتمنوا الرجعة ولا رجعة لهم افبعذابنا يستعجلون
قيل لما اوعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا متى توعدنا بالعذاب فانزل
الله افبعذابنا يستعجلون افرأيت ان متعناهم سنين اي كفار مكة في الدنيا ولم نهلكهم

ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون اى فى تلك السنين الكثيرة
والمعنى انهم وان طال تمتعهم بنعيم الدنيا واذا اتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع
شيئا ويكونوا كانهم لم يكونوا فى نعيم قط وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون اى
رسل ينذرونهم ذكرى اى تذكرة وما كنا ظالمين اى فى تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم
وما تنزلت به الشياطين اى فى تعذيبهم المشركين كانوا يقولون ان الشياطين يلقون
القران على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم ذلك وما ينبغى لهم اى ينزلوا
بالقران وما يستطيعون اى ذلك ثم انه تعالى ذكر سبب ذلك فقال انهم عن السمع
لمعزولون اى محجوبون بالرمى بالشهب فلا يصلون الى استراق السمع فلا تدع مع الله
الها اخر فتكون من المعذبين الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لانه معصوم
من ذلك قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يحذر به غيره يقول انت اكرم الخلق على ولو اتخذت
الها غيرى لعذبتك قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين روى عن محمد بن اسحاق بسنده
عن على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه قال لما نزلت هذه الاية على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا على ان الله امرنى ان انذر عشيرتى الاقربين فضقت بذلك ذرعا
وعرفت انى متى اباديهم بهذا الامر ارى منهم ما اكره فصمت عليها حتى جاءنى جبريل فقال يا محمد
ان لا تفعل ما تؤمر يعذبك الله فاصنع لنا طعاما واجعل عليه رجل شاة واملا لنا عسا
من لبن ثم اجمع لى بنى عبد المطلب حتى ابلغهم ما امرت به ففعلت ما امرنى ثم دعوتهم له فكانوا
يومئذ اربعون رجلا يزيدون رجلا او ينقصونه فيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس وابو
لهب فلما اجتمعوا دعانى بالطعام الذى صنعت فجئت به فلما تناول رسول الله صلى الله عليه
وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم القاها فى نواحى الصحفة ثم قال خذوا باسم الله
فاكل القوم حتى ما لهم بشىء من حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد ليأكل مثل ما قدمت
جميعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل
الواحد ليشرب مثله فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكلمهم بدره ابو لهب فقال لهدما سحركم صاحبكم فتفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال الغد يا على ان هذا الرجل قد سبقنى الى ما سمعت من القول فتفرق القوم
قبل ان اكلمهم الطعام فعد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم
بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا بنى عبد المطلب انى قد جئتكم بخيرى الدنيا والاخرة وقد امرنى الله عز وجل ان ادعوكم
اليه فايكم يوازرنى على امرى هذا ويكون اخى ووصيى وخليفتى فيكم فاحجم القوم عنها
جميعا وانا احدثهم سنا فقلت انا يا رسول الله اكون وزيرك عليه فاخذ برقبتى ثم قال هذا
اخى ووصيى وخليفتى فيكم فاسمعوا واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابى
طالب قد امرك ان تسمع لعلى وتطيعه ق لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبى
صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر يا بنى عدى لبطون من قريش حتى اجتمعوا
فجعل الذى لم يستطع ان يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابو لهب وقريش فقال ارايتكم
لو اخبرتكم ان خيلا بالوادى تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقى قالوا ما جربنا عليك كذبا قال
فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا
فنزلت تبت يدا ابى لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب وفى رواية قد تب وفى رواية
للبخارى لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا واجتمعوا اليه وذكر
نحوه ق عن ابى هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انزل الله وانذر عشيرتك
الاقربين قال يا معشر قريش او كلمة نحوها اشتروا انفسكم لا اغنى عنكم من الله شيئا يا
بنى عبد المطلب لا اغنى عنكم من الله شيئا ويا صفية عمة رسول الله لا اغنى عنك من الله شيئا
ويا فاطمة بنت رسول الله سلينى ما شئت من مالى لا اغنى عنك من الله شيئا م عن قبيصة
ابن مخارق قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
رضفة جبل فعلا اعلاها حجرا ثم نادى يا بنى عبد مناف انى نذير لكم انما مثلى ومثلكم كمثل رجل
راى العدو فانطلق الى اهله يخشى ان يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه ومعنى الاية ان الانسان
اذا بدا بنفسه اولا وبالاقرب فالاقرب من اهله ثانيا لم يكن لاحد عليه طعن البتة وكان قوله
انفع وكلامه انجع واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان قلت ما معنى التبعيض فى
قوله من المؤمنين قلت لمن اتبعك من المؤمنين المصدقين بقلوبهم والسنتهم دون المؤمنين بالسنتهم
وهم المنافقون فان عصوك اى فيما تامرهم فقل انى برىء مما تعملون اى من الكفر والمخالفة
وتوكل على العزيز الرحيم التوكل عبارة عن تفويض الرجل الى من يملك امره ويقدر على نفعه
وضره وهو الله تعالى العزيز الذى يقهر اعداءك بعزته الذى ينصرك عليهم برحمته الذى يراك
حين تقوم الى صلاتك وقيل يراك اينما كنت وقيل يراك حين تقوم لدعائك وتقلبك فى
الساجدين قال ابن عباس يرى تقلبك فى صلاتك فى حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك
وقيل مع المصلين فى الجماعة يقول يراك اذا صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى تقلب
بصرك فى المصلين فانه صلى الله عليه وسلم كان يبصر من خلفه كما يبصر من قدامه عن ابى هريرة
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلتى ها هنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم
من وراء ظهرى وقيل معناه يرى تصرفك وذهابك ومجيئك فى اصحابك المؤمنين وقيل تصرفك
فى احوالك كما كانت الانبياء من قبلك وقال ابن عباس اراد وتقلبك فى اصلاب الانبياء من نبى
الى نبى حتى اخرجك فى هذه الامة انه هو السميع لقولك ودعائك العليم اى بنيتك وعملك
قل يا محمد هل انبئكم اى اخبركم على من تنزل الشياطين هذا جواب قولهم ينزل عليه شيطان
ثم بين على من تنزل الشياطين فقال تعالى تنزل على كل افاك اثيم كذاب اثيم اى فاجر وهم
الكهنة وذلك ان الشياطين يسترقون السمع ثم يلقون ذلك الى اوليائهم من الانس وهو قوله
تعالى يلقون السمع اى ما يسمعون من الملائكة فيلقونه الى الكهنة واكثرهم كاذبون لانهم
يخلطون به كذبا كثيرا والشعراء يتبعهم الغاوون قال اهل التفسير اراد شعراء الكفار كانوا يهجون
النبى صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبعرى السهمى وهبيرة بن ابى وهب المخزومى
ومسافع بن عبد مناف وابو عمرو بن عبد الله الجمحى وامية بن ابى الصلت الثقفى تكلموا بالكذب
والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم يستمعون
اشعارهم حين يهجون محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه ويروون عنهم قولهم فذلك قوله
يتبعهم الغاوون وهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين لاحدهما وقيل الغاوون هم الشياطين
وقيل هم السفهاء الضالون وفى رواية ان رجلين احدهما من الانصار تهاجيا على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ومع كل واحد غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه الاية
الم تر انهم فى كل واد من اودية الكلام يهيمون يعنى حائرين وعن طريق الحق حائدين
والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له قال ابن عباس فى كل لغو يخوضون وقيل
يمدحون بالباطل ويهجون بالباطل وقيل انهم يمدحون الشىء ثم يذمونه لا يطلبون

الحق والصدق فالوادي للفنون الكلام والغوص في المعاني والقوافي **وانهم يقولون ما لا يفعلون** اي انهم يكذبون في شعرهم وقيل انهم يمدحون الجود والكرم ويحثون عليه وهم لا يفعلونه ويذمون البخل ويصرون عليه ويهجون الناس بادنى شيء صدر منهم (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لان يمتلئ جوف احدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلئ شعرا ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجيبون شعراء الكفار ويهجونهم وينافحون عن محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى **الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** روي ان كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله انزل في الشعر ما انزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكانما ترمونهم به نضح النبل عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة بين يديه وهو يقول

خلوا بني الكفار عن سبيله ... اليوم نضربكم على تنزيله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ... ويذهل الخليل عن خليله

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي اسرع فيهم من نضح النبل اخرجه الترمذي والنسائي وقال الترمذي وقد روي في غير هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه وهذا اصح عند بعض اهل الحديث لان عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة وكانت عمرة القضاء بعد ذلك قلت الصحيح هو الاول لان عمرة القضاء كانت سنة سبع ويوم مؤتة سنة ثمان والله اعلم (ق) عن البراء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فان جبريل معك (خ) عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينافح ويقول صلى الله عليه وسلم ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح او فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه اشد عليها من رشق النبل فارسل الى ابن رواحة فقال اهجهم فهجاهم فلم يرض وارسل الى كعب بن مالك ثم ارسل الى حسان بن ثابت فلما دخل عليه قال حسان قد آن لكم ان ترسلوا الى هذا الاسد الضارب بذنبه ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك بالحق لافرينهم بلساني فري الاديم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعجل فان ابا بكر اعلم قريش بانسابها وان لي فيهم نسبا حتى يخلص لك نسبي فاتاه حسان ثم رجع فقال والذي بعثك بالحق نبيا لاسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان ان الله يؤيدك بروح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجاهم حسان فشفى واشتفى فقال حسان

هجوت محمدا فاجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزا
هجوت محمدا برا تقيا ... رسول الله شيمته الوفا
فان ابي ووالده وعرضي ... لعرض محمد منكم وقا
ثكلت بنيتي ان لم تروها ... تثير النقع من طرفي كدا
ينازعن الاعنة مصعدات ... على اكتافها الاسل الظما
تظل جيادنا متمطرات ... تلطمهن بالخمر النسا

فان

فان اعرضتموا عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطا
والا فاصبروا لضراب يوم ... يعز الله فيه من يشا
وقال الله قد ارسلت عبدا ... يقول الحق ليس به خفا
وقال الله قد يسرت جندا ... هم الانصار عرضتها اللقا
لنا في كل يوم من معد ... سباب او قتال او هجا
فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سوا
وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له كفا

فصل في مدح الشعر عن ابي بن كعب قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من الشعر حكمة عن ابن عباس قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يتكلم بكلام فقال ان من البيان سحرا وان من الشعر حكما اخرجه ابو داود عن عمرو بن الشريد عن ابيه قال ردفت وراء النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعر امية شيء قلت نعم قال هيه فانشدته بيتا فقال هيه ثم انشدته بيتا فقال هيه حتى انشدته مائة بيت زاد في رواية لقد كاد ان يسلم في شعره عن جابر بن سمرة قال جالست النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة فكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون اشياء من امر الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقالت عائشة الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ منه الحسن ودع منه القبيح وقال الشعبي كان ابو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي يقول الشعر وكان اشعرهما وروي عن ابن عباس انه كان ينشد الشعر ويستنشده في المسجد فيروى انه دعا عمر بن ربيعة المخزومي فاستنشده القصيدة التي اولها فقال امن آل نعم انت غاد فمبكر غداة غد ام رائح فمهجر فانشده القصيدة الى آخرها وهي قريب من تسعين بيتا ثم ان ابن عباس اعاد القصيدة جميعها وقد حفظها بمرة واحدة قوله تعالى **وذكروا الله كثيرا** اي لم يشغلهم الشعر عن ذكر الله **وانتصروا من بعد ما ظلموا** اي انتصروا من المشركين قال الله تعالى **وسيعلم الذين ظلموا** اي اشركوا وهجوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الطاهر المطهر من الهجا **اي منقلب ينقلبون** اي اي مرجع اليه بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم وبئس المصير والله اعلم

تفسير سورة النمل

مكية وهي مائتان وثلاثون وست آيات والف وثلثمائة وسبع عشر كلمة **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **طس تلك آيات القرآن** اي هذه آيات القرآن **وكتاب مبين** اي وآيات كتاب مبين **هدى وبشرى للمؤمنين** اي هو هدى من الضلالة وبشرى لهم بالجنة **الذين يقيمون الصلاة** اي الخمس بشرائطها **ويؤتون الزكاة** اي اذا وجبت عليهم طيبة بها انفسهم **وهم بالآخرة هم يوقنون** يعني ان هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة **ان الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم اعمالهم** اي القبيحة حتى رأوها حسنة وقيل ان التزيين هو ان يخلق الله العلم في القلب بما فيه من المنافع واللذات ولا يخلق العلم بما فيه من المضار والآفات **فهم يعمهون** اي يترددون فيها متحيرين **اولئك الذين لهم سوء العذاب** اي اشده وهو القتل والاسر **وهم في الآخرة هم الاخسرون** اي انهم خسروا انفسهم واهليهم وصاروا الى النار قوله تعالى **وانك لتلقى القرآن** اي تؤتاه وتلقنه وحيا **من لدن حكيم عليم** اي حكيم عليم بما انزل اليك فان قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم قلت الحكمة هي العلم بالامور العملية فقط والعلم اعم منه لان العلم قد يكون عمليا وقد يكون نظريا والعلوم

النظرية اشرق اذ قال اى واذكر يا محمد اذ قال موسى لاهله اى في مسيره لاهله من مدين الى مصر اني آنست نارا اى ابصرت سآتيكم منها بخبر اى امكثوا مكانكم سآتيكم بخبر عن الطريق وقد كان ضل عن الطريق او آتيكم بشهاب قبس الشهاب الشعلة النار والقبس النار المقبوسة منها وقيل القبس هو العود الذي في احد طرفيه نار لعلكم تصطلون اى تستدفئون من البرد وكان في شدة الشتاء فلما جاءها نودي ان بورك من في النار اى بورك على من في النار وقيل البركة راجعة الى موسى ومن حولها وهم الملائكة الذين حول النار وهذه تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل المراد من النار النور ذكر بلفظ النار وهذه تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة ولان موسى كان فيه ملائكة حسبه نارا ومن النار هم الملائكة وذلك ان النور الذي رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها وموسى لانه كان بالقرب منها وقيل البركة راجعة الى موسى والنار قال ابن معناه بورك النار والمعنى بورك في النار ومن حولها وهم الملائكة وموسى وروى عن ابن عباس في قوله بورك من في النار قدس من في النار وهو الله تعالى عنى به نفسه الله تعالى على معنى انه نادى موسى واسمعه من جهتها لما روي انه مكتوب في التوراة جاء الله من سيناء واشرق من ساعير واستعلى من جبال فاران ومعنى مجيئه من سيناء بعثه موسى منه ومن ساعير بعثه المسيح ومن جبال فاران بعثه محمد صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت بعينها وهي احدى حجب الله عز وجل كما صح في الحديث حجابه النار لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب فقال تعالى وسبحان الله رب العالمين قيل ثم تعرف الى موسى بصفاته فقال تعالى يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم قيل معناه ان موسى قال من المنادي فقال انه انا الله وهذا تمهيد لما اراد الله ان يظهره على يديه من المعجزات والمعنى انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية وهو قوله والق عصاك تقديره فالقاها فصارت حية فلما رآها تهتز اى تتحرك كأنها جان وهي الحية الصغيرة التي يكثر اضطرابها ولى مدبرا اى هرب من الخوف ولم يعقب اى لم يلتفت قال الله تعالى يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون يريد اذا آمنتهم لا يخافون اما الخوف الذي هو شرط الايمان فلا يفارقهم قال النبي صلى الله عليه وسلم انا اخشاكم لله الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم قيل هو ما يصدر من الانبياء من ترك الافضل والصغيرة وقيل ان يكون المراد منه التعريض بما وجد موسى من قتل القبطي وهو من التعريضات اللطيفة وسماه ظلما لقول موسى اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له قال ابن جريج قال الله لموسى اني اخفتك لقتلك النفس ومعنى الاية لا يخيف الله الانبياء الا بذنب يصيبه احدهم فان اصابه اخافه حتى يتوب فعلى هذا التأويل يكون صحيحا وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله الا من ظلم ثم ابتدأ الخبر عن كافة من ظلم من الناس وفي الاية متروك استغنى عن ذكره بدلالة الكلام تقديره الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وقيل هذا الاستثناء من المرسلين لانه لا يجوز عليهم الظلم بل هو الاستثناء من المتروك ومعناه لا يخاف لدي المرسلون انما الخوف عليهم من الظالمين وهو الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف فان تاب وبدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم اى اغفر له وازيل خوفه وقيل الا هنا بمعنى ولا يعني لا يخاف لدي المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم ثم ان الله تعالى اراه آية اخرى فقال تعالى وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء

قيل

قيل كانت مدرعة صوف لا كم لها ولا ازرار فادخل يده في جيبها واخرجها فاذا هي تبرق مثل شعاع الشمس او البرق من غير سوء اى من غير برص في تسع آيات اى بذلك مع تسع آيات مرسلين فعلى هذا تكون الآيات احدى عشرة العصا واليد البيضاء والفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم وقيل في بمعنى من اى تسع آيات فتكون اليد البيضاء من التسع الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين اى خارجين عن الطاعة فلما جاءتهم آياتنا مبصرة اى بينة واضحة يبصر بها قالوا هذا اى الذي نراه سحر مبين اى ظاهر وجحدوا بها اى انكروا الآية ولم يقروا انها من عند الله واستيقنتها انفسهم اى علموا انه من عند الله والمعنى انهم جحدوا بها بالسنتهم واستيقنوها بقلوبهم وضمائرهم ظلما وعلوا اى شركا وتكبرا عن ان يؤمنوا بما جاء به موسى فانظر كيف كان عاقبة المفسدين يعني الغرق قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما اى القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح الطير والجبال وعلم سليمان منطق الطير والدواب وقالا الحمد لله الذي فضلنا اى بالنبوة والكتاب والملك وتسخير الجن والانس على كثير من عباده المؤمنين اراد بالكثير الذين فضلا عليهم من لم يؤت علما او لم يؤت مثل علمهما وفيه دليل على انهما فضلا على كثير وفضل عليهما الكثير وقيل انهما لم يفضلا انفسهما على الكل وذلك يدل على حسن التواضع قوله تعالى وورث سليمان داود يعني نبوته وعلمه وملكه دون سائر اولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا واعطي سليمان ما اعطي داود وزيد له تسخير الريح والجن والشياطين قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود واقضى منه وكان داود اشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكرا لنعم الله تعالى وقال يعني سليمان يا ايها الناس علمنا منطق الطير سمي صوت الطير منطقا لحصول الفهم وروي عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال اتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال اتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال اتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول استغفروا ربكم يا مذنبين وصاحت طيطوى فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انه يقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى ملء سمائه وارضه وصاح قمري فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان ربي الدائم قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول كل شيء هالك الا وجهه والقطاة تقول من سكت سلم والببغاء تقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع يقول سبحان ربي القدوس والبازي يقول سبحان ربي وبحمده والضفدعة تقول سبحان المذكور بكل لسان وعن مكحول قال صاح دراج عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول الرحمن على العرش استوى وقال فرقد السبخي مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول هذا قالوا الله ونبيه اعلم قال انه يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء وروي ان جماعة من اليهود قالوا لابن عباس انا سائلوك عن سبعة اشياء ان اخبرتنا آمنا وصدقنا قال سلوا تفقها لا تعنتا قالوا اخبرنا ما تقول القنبرة في صفيرها والديك في صعيقه والضفدع

في نعيقه والحمار في نهيقه والفرس في صهيله وماذا يقول الزرزور والدراج قال نعم اما الغنم
فيقول اللهم العن مبغض محمد وال محمد والديك يقول اذكروا الله يا غافلين واما الضفدع
فانه يقول سبحان الله المعبود في البحار واما الحمار فانه يقول اللهم العن العشار
واما الفرس فانه يقول اذا التقا الجمعان سبوح قدوس رب الملائكة والروح واما
الزرزور اللهم اني اسألك قوت يوم بيوم يا رزاق واما الدراج فانه يقول الرحمن على
العرش استوى فاسلم اوليائك اليهود وحسن اسلامهم وروي عن جعفر الصادق عن ابيه
عن جده الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهم قال اذا صاح النسر قال ابن ادم عش ما شئت
اخره الموت واذا صاح العقاب قال البعد من الناس انس واذا صاح القنبر قال اللهم العن
مبغض محمد وال محمد واذا صاح الخطاف قال الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمد
القارئ قوله تعالى **وأوتينا من كل شيء** اي مما اوتي الانبيا والملوك قال ابن عباس من امر
الدنيا والاخرة وقيل النبوة والملك وتسخير الرياح والجن والشياطين **ان هذا لهو الفضل
المبين** اي الزيادة الظاهرة على ما اعطي غيرنا وروي ان سليمان اعطي مشارق الارض
ومغاربها فملك ذلك اربعين سنة فملك جميع الدنيا من الجن والانس والشياطين والطير
والدواب والسباع واعطي من هذا منطق الطير ومنطق كل شيء وفي زمنه صنعت الصنائع
العجيبة **وحشر** اي جمع **لسليمان جنوده من الجن والانس والطير** من الاماكن المختلفة في
مسير له **فهم يوزعون** اي يحبسون حتى يرد اولهم الى اخرهم قيل كان على جنوده وزعة من النقبا ترد
اولها الى اخرها لئلا يتقدموا في المسير قال كعب القرظي كان عسكر سليمان مائة فرسخ خمسة
وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون
للطير والفرسخ اثني عشر الف خطوة والبريد ثمانية واربعون الف خطوة وهو اربع فراسخ
فجملة ذلك خمسة وعشرون بريدا وقيل نسجت الجن له بساطا من ذهب وحرير فرسخا في فرسخ
وكان يوضع كرسيه في وسطه فيقعد وحوله كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة ومن
حولهم الناس والوحوش حولهم وتظله الطير باجنحتها حتى لا يقع عليه شمس وكانت
له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة صريحة يعني حرة فيأمر الريح العاصف
فترفعه ثم يأمر الرخا فتسيره ويوحي الله اليه وهو يسير بين السما والارض اني قد
زدت في ملكك انه لا يتكلم احد من الخلائق بشيء الا جاءت الريح واخبرتك به قوله
عز وجل **حتى اذا اتوا على واد النمل** اي اشرفوا على وادي النمل روي عن كعب الاحبار قال كان
اذا ركب سليمان حمل اهله وخدمه وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها تنانير الحديد والقدور
العظام تسع كل قدر عشرة من الابل فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وهو بين السما
والارض واتخذ ميادين للدواب فيجري بين يديه والريح تهوي بهم فسار من اصطخر يريد اليمن
فسلك على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي يكون في
اخر الزمان طوبى لمن امن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل مكة راى حول البيت اصناما
تعبد فجاوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت فاوحى الله اليه ما يبكيك قال يا رب ابكاني هذا
نبي من انبيائك ومعه قوم من اوليائك مروا علي ولم يهبطوا ولم يصلوا عندي
والاصنام تعبد حولي من دونك فاوحى الله اليه لا تبك فاني سوف املاك وجوها سجدا
وانزل فيك قرانا جديدا وابعث منك نبيا في اخر الزمان احب النبيين الي واجعل
فيك عمارا من خلقي يعبدونني افرض عليهم فريضة يزفون اليك زفيف النسور الى وكرها
ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها واطهرك من الاوثان والاصنام

والشيطان

والشيطان ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير واد من الطائف فاتى على واد النمل
قال كعب قيل انه بالشام وقيل هو واد يسكنه الجن وذلك ان النمل مراكبهم وقيل تلك
النمل امثال الذباب وقيل كالبخاتي والمشهور انه النمل الصغير **قالت نملة** قيل كانت
عرجا وكانت ذات جناحين وقيل اسمها طاخية وقيل حرمى **يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم**
ولم تقل ادخلن لانه جعل لهم عقولا كالادميين وهذا ليس بمستبعد ان يخلق الله فيها
عقلا ونطقا فانه قادر على ذلك **لا يحطمنكم** اي لا يكسرنكم **سليمان وجنوده وهم لا يشعرون**
قال اهل التفسير علمت النملة ان سليمان نبي ليس فيه جبرية ولا ظلم ومعنى الاية انكم
لو لم تدخلوا اوطؤكم ولم يشعروا فسمع سليمان قولها من ثلاثة اميال لانه كان لا
يتكلم احد منهم الا حملته الريح حتى تلقيه الى مسامع سليمان فلما بلغ وادي النمل حبس
جنوده حتى دخل النمل بيوتهم فان قلت كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وهم
فوق البساط على متن الريح قلت كانهم ارادوا النزول عند منقطع الوادي فلذلك قالت
النملة لا يحطمنكم سليمان وجنوده لانهم ما دامت الريح تحملهم لا يخاف حطمهم **فتبسم
ضاحكا من قولها** قيل اكثر ضحك الانبيا تبسما وقيل معنى ضاحكا متبسما وقيل كان اوله
التبسم واخره الضحك (خ) عن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت ما رايت النبي صلى الله عليه
وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم عن عبد الله بن الحرث
ابن جزء قال ما رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه
الترمذي فان قلت ما كان سبب ضحك سليمان قلت شيئان احدهما ما دل من
قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وذلك قولها وهم لا يشعرون
يعني انهم لو شعروا ما يفعلوا الثاني سروره بما اتاه الله ما لم يؤت احدا من ادراكه
سمعه ما قالته النملة وقيل ان الانسان اذا راى وسمع ما لا عهد له تعجب وضحك
ثم ان سليمان حمد ربه على ما انعم عليه **وقال رب اوزعني** اي الهمني **ان اشكر نعمتك
التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين**
اي ادخلني في جملتهم واثبت اسمي مع اسمائهم واحشرني في زمرتهم قال ابن عباس يريد
مع ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل ادخلني الجنة
مع عبادك الصالحين قوله عز وجل **وتفقد الطير** اي طلبها وبحث عنها والمعنى انه
طلب ما فقد من الطير **فقال ما لي لا ارى الهدهد** وكان سبب تفقد الهدهد وسؤاله
عنه اخلاله بالنوبة وذلك ان سليمان كان اذا نزل منزلا تظله جنده الطير
من الشمس فاصابته الشمس من موضع الهدهد فنظر فراه خاليا وروي عن ابن عباس
انه كان دليله على الما وكان يعرف موضع الما تحت الارض كما يرى في الزجاجة
ويعرف قربه من بعده فينقر الارض فتجي الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الما
منه قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال نافع بن الازرق يا وصاف
انظر ما تقول ان الصبي منا يضع الفخ ويحثوا عليه التراب فيجي الهدهد وهو
لا يبصر الفخ حتى يقع في عنقه قال له ابن عباس ويحك اذا جا القدر حال دون
البصر وفي رواية اذا نزل القضا والقدر ذهب اللب وعمي البصر فنزل سليمان منزلا
واحتاج الى الما فطلبوه فلم يجدوه فتفقد الهدهد على تقدير انه مع جنوده
وهو لا يراه ثم انه ادرك الشك فقال **ام كان من الغائبين** اي اكان وقيل بل كان
من الغائبين ثم اوعده على غيبته فقال **لاعذبنه عذابا شديدا** اهو ان ينتف

ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطا لا يمتنع من النمل ولا من غيره وقيل لاودعنه القفص
ولاحبسنه مع ضده وقيل لافرقن بينه وبين الفه **او لاذبحنه او لياتيني بسلطان مبين**
اي بحجة بينة على غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره العلما ان سليمان لما فرغ
من بنا بيت المقدس عزم على الخروج الى ارض الحرم فتجهز للمسير واستصحب جنوده من
الجن والانس والطير والوحش فحملتهم الريح فلما وافى الحرم اقام ما شا الله ان يقيم
وكان ينحر في كل يوم طول مقامه خمسة الاف ناقة ويذبح خمسة الاف ثور وعشرين الف
شاة وقال لمن يحضره من اشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى
النصرة على جميع من ناواه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق
سوا لا تاخذه في الله لومة لائم قالوا فباي دين يا نبي الله قال بدين الحنيفية فطوبى
لمن امن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يا نبي الله قال مقدار الف سنة فليبلغ الشاهد
الغايب فانه سيد الانبيا وخاتم الرسل قال فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج
من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافا صنعا زوالا اي وقت الزوال وذلك مسيرة شهر
فراى ارضا حسنا تزهر خضرتها فاحب النزول بها ليصلي ويتغدى فلما نزل الهدهد
قيل اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السما لينظر الى طول الدنيا وعرضها فبينما
هو ينظر يمينا وشمالا راى بستانا لبلقيس فنزل اليه فاذا هو بهدهد اخر وكان اسم
هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن يعفير فقال يعفير من اين اقبلت واين
تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود فقال واي سليمان بن داود
قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن اين انت
يا يعفير قال انا هدهد من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امراة يقال لها بلقيس
دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها اربعمائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك اربعة
الاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها ولها اثنى عشر قايدا مع كل قايد
اثنى عشر الف مقاتل فهل انت منطلق معي حتى تنظر ملكها قال اخاف ان يتفقدني
في وقت الصلاة اذا احتاج الى الما قال الهدهد اليماني ان صاحبك يسره ان تاتيه
بخبر هذه الملكة قال فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها واما سليمان فانه
نزل على غير ما فسال عن الما الجن فلم يعلموا فتفقد الهدهد فلم يره فدعا بعريف
الطير وهو النسر فساله عن الهدهد فقال اصلح الله الملك ما ادري اين هو وما ارسلته
الى مكان فغضب سليمان وقال لاعذبنه الاية ثم دعا العقاب وهو اشد الطير فقال
له علي بالهدهد هذه الساعة فرفع العقاب نفسه في الهوى حتى راى الدنيا كالقصعة
بين يدي احدكم ثم التفت يمينا وشمالا فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب
يريده فعلم الهدهد ان العقاب يقصده بسوء فقال له بحق الله الذي قواك واقدرك على
الا ما رحمتني ولم تتعرض لي بسوء فتركه العقاب وقال له ويحك ثكلتك امك ان نبي
الله قد حلف ان يعذبك او يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى
العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا ويلك اين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي
الله واخبراه بما قال سليمان فقال الهدهد وما استثنى نبي الله قالوا بلى ولكنه قال
قال او لياتيني بسلطان مبين قال نجوت اذا فانطلق به العقاب حتى اتيا سليمان وكان
قاعدا على عسكره فقال العقاب قد اتيتك يا نبي الله فلما قرب منه الهدهد رفع راسه
وارخى ذنبه وجناحيه يجرها على الارض تواضعا لسليمان فلما دنا منه اخذ براسه فمده

اليه وقال

اليه وقال له اين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين
يدي الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفى عنه ثم قال ما الذي ابطاك عني فقال
الهدهد ما اخبر الله عنه قوله تعالى **فمكث غير بعيد** معناه اي غير طويل **فقال احطت**
بما لم تحط به اي علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغ انت ولا جنودك الهم الله الهدهد
هذا الكلام فكافح سليمان نبيه على ان ادنى خلق الله قد احاط علما بما لم يحط به
ليكون لطفا له في ترك الاعجاب والاحاطة بالشي علما ان يعلمه من جميع جهاته حتى
لا يخفى عليه معلوم **وجئتك من سبا** قيل هو اسم للبلد ومنه مارب والاصح انه اسم
رجل وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جا في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
سال عن سبا فقال رجل له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشام اربعة **بنبا** اي بخبر
يقين فقال سليمان وما ذاك فقال **اني** الهدهد **وجدت امراة تملكهم** وهي بلقيس بنت
شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان ابوها ملكا نهوا اخرهم وكان يملك ارض اليمن كلها وكان
يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفوا لي وابى ان يتزوج فيهم فخطب الى الجن فزوجوه منهم
امراة يقال لها ريحانة بنت السكن قيل في سبب وصوله الى الجن حتى خطب منهم
انه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن وشكره على ذلك واتخذه صديقا فخطب ابنته
فزوجه اياها وقيل انه خرج متصيدا فراى حيتين يقتتلان بيضا وسودا وقد ظهرت السودا
على البيضا فقتل السودا وحمل البيضا وصب عليها الما فافاقت واطلقها فلما رجع الى
داره جلس وحده منفردا فاذا معه شاب جميل فخاف منه قال لا تخف انا الحية
البيضا الذي احييتني والاسود الذي قتلته هو عبد لنا تمرد علينا وقتل عدة منا وعرض عليه
المال فقال المال لا حاجة لي به ولكن ان كان لك بنت فزوجنيها فزوجه ابنته فولدت
له بلقيس وجا في الحديث ان احد ابوي بلقيس كان جنيا فلما مات ابو بلقيس طمعت
في الملك وطلبت قومها ان يبايعوها فاطاعها قوم وابى اخرون وملكوا عليهم رجلا
اخر يقال انه ابن اخ الملك وكان خبيثا سيء السيرة في اهل مملكته حتى كان يمد يده الى
حريم رعيته ويفجر بهن فاراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رات بلقيس ذلك ادركتها
الغيرة فارسلت اليه تعرض نفسها عليه فاجابها الملك وقال ما منعني ان ابتديك
بالخطبة الا الياس منك فقالت لا ارغب عنك لانك كفو كريم فاجمع رجال اهلي واخطبني
منهم فجمعهم وخطبها فقالوا لا نراها تفعل فقال بلى انها قد رغبت في فذكروا ذلك لها
قالت نعم فزوجوها له فلما زفت اليه خرجت في رجال كثير من خدمها وحشمها فلما دخلت
به سقته الخمر حتى سكر وحزت راسه وانصرفت الى منزلها من الليل فلما اصبحت ارسلت
الى الوزرا واحضرتهم وقرعتهم وقالت اما كان فيكم من يانف كريمته او كرايم عشيرته
ثم اريتهم اياه قتيلا وقالت اختاروا رجلا تملكونه عليكم فقالوا لا نرضى غيرك وعلموا
ان ذلك النكاح كان مكرا وخديعة منها عن بنت كسرى قال لن يفلح قوم ملكوا عليهم
امراتهم لقوله تعالى عن ابي بكرة قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل فارس
ملكوا عليهم بنت كسرى قال لن يفلح قوم ملكوا عليهم امراة قوله تعالى **واوتيت من**
كل شي يعني ما تحتاج اليه الملوك من المال والعدة **ولها عرش عظيم** اي سرير ضخم
عال فان قلت كيف استعظم الهدهد عرشها على ما راى من عظمة ملك سليمان قلت يحتمل
انه استعظم ذلك بالنسبة اليها ويحتمل انه لم يكن لسليمان مع عظم ملكه مثله وكان
عرش بلقيس من الذهب مكللا بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر واللؤلؤ قيمته

من الياقوت والزمرد وعليه سبعة ابواب وعلى كل باب بيت باب مغلق قال ابن عباس كان
عرش بلقيس ثلاثين ذراعا في ثلاثين ذراعا طوله في السما ثلاثون ذراعا وقيل كان طوله
ثمانين في ثمانين وعلوه ثمانين وقيل طوله ثمانين وعرضه اربعين وارتفاعه ثلاثون ذراعا
قوله عز وجل اخبارا عن الهدهد وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وذلك
انهم كانوا يعبدون الشمس وهم مجوس وزين لهم الشيطان اعمالهم المزين هو الله لانه
الفعال لما يريد وانما ذكر الشيطان لانه سبب الاغوا فصدهم عن السبيل اي عن الطريق
الذي هو الحق وهو دين الاسلام فهم لا يهتدون اي الى الصواب الا يسجدوا قرئ بالتخفيف
معناه الا يا ايها الناس اسجدوا وهو امر من الله مستانف وقرئ بالتشديد معناه وزين
لهم الشيطان اعمالهم لئلا يسجدوا لله الذي يخرج الخب يعني الخفي المخبي في السموات والارض
فخب السموات المطر وخب الارض النبات ويعلم ما تخفون وما تعلنون والمقصود
من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لا يستحق العبادة الا من
هو قادر على من في السموات والارض عالم بجميع المعلومات الله لا اله الا هو رب
العرش العظيم اي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره فصل وهذه السجدة من
عزائم السجود يستحب للقاري والمستمع ان يسجد عند قراتها فان قلت قد وصف عرش
بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظيم فما الفرق بينهما قلت وصف عرش بلقيس بالعظم
بالنسبة اليها والى امثالها من ملوك الدنيا واما عرش الله تعالى فهو بالنسبة الى جميع المخلوقات
من السموات والارض فحصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدهد من كلامه قال سليمان
سننظر اصدقت اي فيما اخبرت ام كنت من الكاذبين ثم ان الهدهد دلهم
على الما فاحتفروا الركايا وروي الناس والدواب ثم ان سليمان كتب كتابا من عبد الله سليمان
ابن داود الى بلقيس ملكة سبا بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى
اما بعد فلا تعلوا علي واتوني مسلمين قيل فلم يزد سليمان على ما نص الله في كتابه
وكذلك الانبيا كانوا يكتبون جملا لا يطيلون ولا يكثرون فلما كتب سليمان الكتاب
طبعه بالمسك وختمه بخاتمه بالخط وقال للهدهد اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم
انما قال اليهم بلفظ الجمع لانه جعله جوابا لقول الهدهد وجدتها وقومها يسجدون
للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم ثم تول عنهم اي تنح عنهم فكن قريبا منهم فانظر
ماذا يرجعون اي يردون من الجواب وقيل تقديره الاية فالقه اليهم فانظر ماذا يرجعون
ثم تول عنهم اي انصرف الي فاخذ الهدهد الكتاب واتى به الى بلقيس وكانت بارض مارب
من اليمن على ثلاث مراحل من صنعا فوجدها نائمة مستلقية على قفاها قد غلقت الابواب
ووضعت المفاتيح تحت راسها وكذلك كانت تفعل اذا رقدت فاتى الهدهد والقى الكتاب
على نحرها وقيل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره حتى وقف على المراة وحولها القادة والوزرا
والجنود فرفرف ساعة والناس ينظرون فرفعت بلقيس راسها فالقى الكتاب في حجرها
وقال وهب كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها
سجدت لها فجا الهدهد وسد الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطات
الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارية فلما
رات الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت ان الذي ارسل
الكتاب اعظم ملكا منها فقرات الكتاب وتاخر الهدهد غير بعيد وجاءت حتى
قعدت على سرير ملكها وجمعت الملا من قومها وهم الاشراف وقال ابن عباس كان مع

بلقيس

بلقيس مائة قيل كان مع كل واحد مائة الف والقيل ملك دون الملك الاعظم وقيل كان اهل
مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة الاف فلما جاوا واخذوا
مجالسهم قالت لهم بلقيس يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم قيل سمته كريما لانه كان
مختوما وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه قال ابن عباس
كريم اي شريف لشرف صاحبه ثم بينت ممن الكتاب فقالت انه من سليمان فقرات المكتوب فيه
فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم فان قلت لم تقدم اسم سليمان على بسم الله الرحمن الرحيم
قلت ليس هو كذلك بل ابتدا سليمان ببسم الله الرحمن الرحيم وانما ذكرت بلقيس ان هذا الكتاب
من سليمان ثم ذكرت ما في الكتاب فقالت وانه بسم الله الرحمن الرحيم الا تعلوا علي قال ابن
عباس لا تتكبروا علي والمعنى لا تمتنعوا من الاجابة فان ترك الاجابة والعلو من التكبر واتوني
مسلمين اي طائعين مؤمنين وقيل من الاستسلام وهو الانقياد قالت يا ايها الملا افتوني
في امري اي اشيروا علي فيما عرض لي ما كنت قاطعة امرا اي قاضية وفاصلة حتى تشهدون
اي تحضرون فقالوا يعني الملا مجيبين لها نحن اولوا قوة اي في الجسم على القتال واولوا
باس شديد اي عند الحرب وقيل اراد بالقوة كثرة العدد والباس الشجاعة وهذا
تعريض منهم بالقتال ان امرتهم بذلك ثم قالوا والامر اليك ايتها الملكة اي في القتال
وتركه فانظري ماذا تامرين اي تجدينا مطيعين لامرك قالت بلقيس مجيبة لهم عن
التعريض للقتال وما يؤول اليهم امرهم ان الملوك اذا دخلوا قرية اي عنوة
افسدوها اي اخربوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة اي اهانوا اشرافها وكبرائها
كي يستقيم لهم الامر تحذرهم بذلك قيل مسير سليمان اليهم ودخوله بلادهم ثم تناهى
الخبر عنها هنا وصدق الله قولها فقال تعالى وكذلك يفعلون اي كما قالت
هي يفعلون وقيل هي من قولها وهو للتاكيد لما قالت ثم قالت واني مرسلة اليهم
بهدية اي الى سليمان وقومه اصانعه بها على ملكي واختبره بها املك هو ام نبي
فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا
الا ان نتبعه في دينه وهو قولها فناظرة بم يرجع المرسلون وذلك ان بلقيس
كانت امراة لبيبة عاقلة قد ساست الامور بالامور وجربتها فاهدت وصفا وو
قال ابن عباس مائة وصيف ومائة وصيفة قال وهب وغيره عمدت بلقيس الى خمسمائة
جارية فالبست الجواري لبس الغلمان الاقبية والمناطق والبست الغلمان لبس الجواري
وجعلت في ايديهم اساور الذهب وفي اعناقهم اطواق الذهب وفي اذانهم اقرطة وشنوفا
مرصعات بانواع الجواهر وحملت الجواري على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة
برذون على كل فرس سرج مرصع بالجواهر واغشية الديباج وبعثت اليه لبنات من الذهب ولبنات
من الفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وارسلت بالمسك والعنبر والعود الالنجوج
وعمدت الى حقة جعلت فيها درة يتيمة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب
ودعت رجلا من اشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها
اصحاب عقل وراي وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت ان كنت نبيا ميز
الوصفا والوصايف واخبرنا بما في الحق قبل ان تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا وادخل
في الخرزة خيطا من غير علاج انس ولا جن وامرت بلقيس الغلمان فقالت اذا كلمكم
سليمان فكلموه بكلام فيه تانيث وتخنيث يشبه كلام النسا وامرت الجواري ان يكلموه
بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر الى الرجل فان نظر اليك نظر فيه

غضب ولا يهولنك أمره ومنظره فأنا أعز منه وإن رأيت الرجل بشا لطيفا فاعلم أنه نبي
فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعا إلى سليمان
فأخبره الخبر فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبنا من الذهب والفضة ففعلوا وأمرهم بعمل
ميدان تسع فراسخ وأن يفرشوا فيه لبن الذهب والفضة وأن يخلوا مقدار تلك اللبنات
التي معهم وأن يعملوا حائطا مشرفا من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال أي دواب البر والبحر
أحسن فقالوا يا نبي الله ما رأينا أحسن من دواب البحر من دابة يقال لها كذا وكذا مختلفة
ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواصي قال علي بها الساعة فأتوه بها قال شدوها بين يدي
الميدان وشماله ثم قال للجن علي بأولادكم فاجتمع منهم خلق كثيرة فأقامهم على يمين الميدان
وشماله ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع له أربعة آلاف كرسي على يمينه وشماله ثم
قعد سليمان على سريره وأمر الإنس والجن والشياطين والوحوش والطير والسباع فاصطفوا
عن يمينه وشماله فلما دنا القوم إلى الميدان ونظروا إلى ملك سليمان رأوا الدواب
التي لا يرى مثلها تروث في لبنات الذهب والفضة فلما رأوا ذلك تقاصرت أنفسهم
وخبئوا ما معهم من الهدايا وقيل إن سليمان لما فرش الميدان بلبنات الذهب والفضة
ترك على طريقهم موضعا على قدر ما معهم من اللبن في ذلك الموضع ولما رأوا إلى الشياطين
هالهم ذلك ما رأوا وفزعوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا بأس عليكم وكانوا يمرون
على كراديس الإنس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدي سليمان فأقبل عليهم
بوجه طلق وتلقاهم تلقيا حسنا وسألهم عن حالهم فأخبره رئيس القوم بما جاؤوا فيه وأعطوه
كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فأوتي بها فحركها فجاءه جبريل فأخبره بما فيها فقال
إن فيها درة يتيمة غير مثقوبة وجزعة معوجة الثقب قال الرسول صدقت فأثقب
الدرة وأدخل الخيط في الجزعة فقال سليمان من لي بثقبها وسئل الجن والإنس فلم يكن عندهم
ثم سئل الشياطين فقالوا أرسل إلى الأرضة فلما جاءت الأرضة أخذت شعرة في فيها ودخلت
فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت يصير رزقي في الشجر فقال
لك ذلك ثم قال من لي بهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبي الله فأخذت الدودة
الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت
يكون رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان والجواري فأمرهم أن يغسلوا
وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب بها على الأخرى وتغسل وجهها
والغلام يأخذ الماء بيده ويغسل به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على بطن ساعدها والغلام
على ظاهره فميز بين الغلمان والجواري ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله تعالى فقال تعالى **فلما**
جاء سليمان قال أتمدونني بمال فما آتاني الله أي ما أعطاني من الدين والنبوة والحكمة
والملك **خير** أي أفضل **مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون** أنتم أهل مفاخرة ومكاثرة بالدنيا
تفرحون بإهداء بعضكم بعضا وأما أنا فلا أفرح بالدنيا وليست من حاجتي لأن الله قد
أعطاني منها ما لم يعط أحدا ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة ثم قال للمنذر بن عمرو
أمير الوفد **ارجع إليهم** أي بالهدية **فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم** أي لا طاقة **بها ولنخرجنهم منها**
أي من أرضها **أذلة وهم صاغرون** أي إن لم يأتوني مسلمين قال وهب وغيره من أهل
المملكة لما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان وبلغوها ما قال سليمان قالت
والله قد عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت إلى سليمان إني قادمة
بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما الذي تدعو إليه من دينك ثم أمرت بعرشها

فجعلته

فجعلته في آخر سبعة أبيات بعضها داخل بعض ثم أغلقت عليه سبعة أبواب ووكلت به حراسا
يحفظونه ثم قالت لمن خلفته على ملكها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي لا يخلص إليه أحد ثم
أمرت مناديا ينادي في أهل مملكتها ثم تؤذنهم بالرحيل وشخصت إلى سليمان في اثني عشر
ألف قيل من ملوك اليمن كل قيل تحت يده ألوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا
مهيبا لا يبتدئ بشيء حتى يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سريره فسمع رهجا قريبا منه فقال ما هذا
قالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان قال فأقبل
سليمان على جنوده و**قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين**
قال ابن عباس يعني طائعين وقيل مؤمنين وقيل غرض سليمان في إحضار عرشها ليريها قدرة
الله تعالى وإظهار معجزة دالة على نبوته وقيل أراد أن ينكره ويغيره قبل مجيئها لتختبر
بذلك عقلها وقيل إن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها فأراد أن يأخذ سريرها
قبل أن يحرم عليه أخذه لأنه أعجبه وصفه لما وصفه الهدهد وقيل أراد أن
يعرف قدر ملكها لأن السرير على قدر المملكة **قال عفريت من الجن** وهو المارد القوي قال
ابن عباس العفريت الداهية قال وهب واسمه كوزن وقيل ذكوان وقيل هو صخر المارد
كان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه **أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك** أي
مجلس قضائك قال ابن عباس وكان له غداة يجلس يقضي فيه إلى متسع النهار وقيل نصفه
وإني عليه أي على حمله **لقوي أمين** أي على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان أريد أسرع من
ذلك **قال الذي عنده علم من الكتاب** قيل هو جبريل وقيل هو ملك أيد الله به سليمان
وقيل هو آصف بن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل
أعطى وقيل هو سليمان نفسه لأنه أعلم بني إسرائيل بالكتاب وكان الله قد آتاه علما وفهما
فعلى هذا يكون المخاطب العفريت الذي كلمه فأراد سليمان إظهار معجزة فتحداهم ولا ثم بين
للعفريت أنه يأتي له من سرعة الإتيان بالعرش ما لا يأتي للعفريت قيل كان الدعاء الذي دعا
به يا ذا الجلال والإكرام وقيل يا حي يا قيوم وروي ذلك عن عائشة وروي عن الزهري قال
دعاء الذي عنده علم من الكتاب يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت ائتني بعرشها قال
ابن عباس إن آصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد سليمان عينيه ونظر نحو
اليمن ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير يجرون به تحت الأرض حتى نبع من بين
يدي سليمان وقيل خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله الأعظم فغاب العرش تحت الأرض حتى ظهر عند
كرسي سليمان فقال له لما قال **أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك** قال سليمان هات قال أنت
النبي ابن النبي وليس أحد عند الله أوجه منك فإن دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل
ذلك فجيء بالعرش في الوقت **فلما رآه** يعني رأى سليمان العرش **مستقرا عنده** أي محمولا إليه
من مأرب إلى الشام في قدر ارتداد الطرف **قال هذا من فضل ربي ليبلوني** يعني التمكن من
حصول المراد **أأشكر أم أكفر** أي نعمته علي أم أكفر فلا أشكرها **ومن شكر فإنما يشكر لنفسه**
أي يعود نفع شكره إليه وهو أن يستوجب به تمام النعمة المقصودة **ومن كفر فإن ربي غني**
أي عن شكره لا يضره ذلك الكفران **كريم** أي بالإفضال عليه لا يقطع نعمه عنه بسبب
إعراضه عن الشكر وكفران النعمة قيل هو أن يزاد فيها أو أن ينقص **قال نكروا لها عرشها** يعني
غيروا سريرها إلى حال تنكره إذا رأته قيل هو أن يزاد فيه أو أن ينقص منه وقيل أن يجعل
أسفله أعلاه ويجعل مكان الجوهر الأحمر الأخضر ومكان الأخضر الأحمر **ننظر أتهتدي** إلى معرفة
عرشها **أم تكون من الذين لا يهتدون** إلى معرفته وإنما حمل سليمان على ذلك ما قال وهب ومحمد

ابن كعب وغيرهما ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان فتفشي عليه اسرار الجن لان امها
كانت جنية واذا ولدت ولدا لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فاساؤا الشياطين
الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا ان في عقلها شيئا وان رجليها كحافر الحمار وانها شعراء
الساقين فاراد سليمان ان يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح فلما جاءت
قيل اهكذا عرشك قالت كانه هو قيل انها عرفت ولكنها شبهت عليهم كما شبهوا
وقيل انها كانت حكيمة لم تقل نعم ولا قالت لا خوفا من التكذيب ايضا فقالت كانه
هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر وقيل اشتبه عليها امر العرش لانها
تركته في بيت عليه سبعة ابواب مغلقة والمفاتيح معها فقيل لها فانه عرشك فما اغنى
عنك اغلاق الابواب ثم قال واوتينا العلم اي بالله وبصحة نبوة سليمان بالايات
المتقدمة من امر الهدهد والرسل من قبلها اي من قبل الاية في الدين وكنا مسلمين اي
منقادين مطاعين خاضعين لامر سليمان ومعناه واوتينا العلم بالله وبقدرته على ما شاء
من قبل هذه المراة وكنا مسلمين ويكون الغرض من هذا شكر نعمة الله تعالى عليه ان خصه
بمزيد العلم والتقدم في الاسلام وقيل معناه واوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة
من قبل مجيئها طائعين وكنا مسلمين لله تعالى قوله عز وجل وصدها ما كانت تعبد من دون
الله اي منعها عبادة الشمس عن التوحيد وقيل معناه صدها سليمان عما كانت تعبد من
دون الله وحال بينها وبينه انها كانت من قوم كافرين اخبر الله تعالى انها كانت من قوم
يعبدون الشمس فنشات بينهم ولم تعرف الا عبادة الشمس قيل لها ادخلي الصرح وذلك
ان سليمان لما اختبر عقلها بتنكير العرش واراد ان ينظر الى قدميها وساقيها من غير ان
يسالها كشفهما لما اخبرته الجن ان رجليها كحافر حمار وهي شعراء الساقين فاراد الشياطين فبنوا
لها قصرا من الزجاج الابيض كالماء وقيل الصرح صحن الدار واجرى تحته الماء والقى فيه السمك
والضفادع وغيرها من دواب البحر ووضع سريره في صدر المجلس وجلس عليه وقيل انما عمل
الصرح ليختبر به فهمها كما فعلت هي في الوصفاء والوصائف فلما جلس على السرير دعى بلقيس فقيل لها
ادخلي الصرح فلما راته حسبته لجة اي غدير ماء وكشفت عن ساقيها لتخوض الماء الى سليمان فاذا
هما احسن النساء ساقا وقدما الا انها كانت شعراء الساقين فلما نظر سليمان ذلك صرف بصره
عنها قال انه صرح ممرد اي مملس من قوارير زجاج وليس بماء فحينئذ سترت ساقيها وعجبت
وعلمت ان ملك سليمان من الله تعالى واستدلت بذلك على التوحيد والنبوة قالت رب
اني ظلمت نفسي بعبادة غيرك واسلمت مع سليمان لله رب العالمين اي اخلصت له
في التوحيد والعبادة وقيل انها لما بلغت الصرح وظنته لجة قالت في نفسها ان سليمان
يريد ان يغرقني وكان القتل اهون من هذا فلما تبين لها خلاف ذلك قالت رب اني
ظلمت نفسي بذلك الظن واختلفوا في امر بلقيس بعد اسلامها فقيل انتهى امرها الى قولها
اسلمت لله رب العالمين ولا علم لاحد وراء ذلك لانه لم يذكر في الكتاب ساقيها ولا
في خبر صحيح وقال بعضهم تزوجها سليمان وكره ما راى من كثرة شعر ساقيها فسال الانس
عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المراة اني لم يمسني حديد قط فكره سليمان الموسى
وقال انها تقطع ساقيها فسال الجن فقالوا لا ندري فسال الشياطين فقالوا نحتال لك
حيلة حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات
من يومئذ فلما تزوجها سليمان احبها حبا شديدا واقرها على ملكها وامر الجن ان
يبنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين

ويبنون

وبينون وغمدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة ايام يبكر
من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام وولدت له فيما ذكر ولدا قال وهب زعموا
ان بلقيس لما اسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك حتى ازوجك اياه فقالت
ومثلي يا نبي الله من ينكح الرجال وقد كان لي في قومي الملك والسلطان فقال نعم انه لا يكون
في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تحرمي ما احل الله فقالت فان كان ولا بد فزوجني ذا تبع
ملك همدان فزوجها اياه وذهب بها الى اليمن وملك زوجها فيه فلم يزل بها لما اراد
الى ان مات سليمان وحال الحول ولم تعلم الجن موت سليمان فاقبل رجل منهم حتى بلغ جوف
اليمن وقال باعلى صوته يا معشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا ايديكم فرفعوا
ايديهم وتفرقوا وانقضى ملك سليمان وملك ذي تبع وملك بلقيس وبقي الملك لله الواحد
القهار وقيل ان سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين
قوله عز وجل ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله اي وحدوه ولا تشركوا
به شيئا فاذا هم فريقان اي مؤمن وكافر يختصمون اي في الدين كل فريق يقول الحق معنا
قال يعني صالحا للفريق المكذب يا قوم لم تستعجلون بالسيئة اي بالبلاء والعقوبة قبل
الحسنة اي العافية والرحمة لولا اي هلا تستغفرون الله اي بالتوبة اليه من الكفر لعلكم
ترحمون اي لا تعذبون في الدنيا قالوا اطيرنا اي تشاءمنا بك وبمن معك قالوا ذلك لتفرق
كلمتهم وقيل لامساك القطر عنهم قالوا انما اصابنا هذا الضر والشدة من شومك وشوم
اصحابك قال طائركم عند الله اي ما يصيبكم من الخير والشر بامر الله مكتوب عليكم سمي طائرا
لانه اسرع من نزول القضاء المحتوم وقال ابن عباس الشوم الذي اتاكم من عند الله بكفركم
وقيل طائركم عملكم عند الله سمي طائرا لسرعة صعوده الى السماء بل انتم قوم تفتنون قال ابن
عباس تختبرون بالخير والشر وقيل معناه تعذبون قوله تعالى وكان في المدينة يعني مدينة
ثمود وهي الحجر تسعة رهط يعني من اشرافهم يفسدون في الارض اي بالمعاصي ولا يصلحون
اي لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف
قالوا تقاسموا بالله يعني يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله ايها القوم لنبيتنه لنقتلنه
ليلا واهله يعني قومه الذين امنوا معه ثم لنقولن لوليه اي لولي دمه ما شهدنا مهلك
اهله اي ما ندري من قتله ولا اهلك اهله وانا لصادقون اي في قولنا ما شهدنا ذلك
ومكروا مكرا اي غدروا غدرا حين قصدوا تبييت صالح والفتك به ومكرنا مكرا اي جازيناهم
على مكرهم بتعجيل العذاب وهم لا يشعرون فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم اي اهلكناهم
اي التسعة قال ابن عباس ارسل الله الملائكة تلك الليلة الى دار صالح يحرسونه فاتى التسعة
دار صالح شاهرين سلاحهم فرمتهم الملائكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون
الملائكة فقتلتهم واهلك الله جميع القوم بالصيحة وقومهم اجمعين فتلك بيوتهم خاوية
بما ظلموا اي بظلمهم وكفرهم ان في ذلك لاية اي لعبرة لقوم يعلمون اي قدرتنا وانجينا الذين امنوا
وكانوا يتقون يقال ان الناجين كانوا اربعة الاف قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه
اتاتون الفاحشة اي الفعلة القبيحة وانتم تبصرون اي تعلمون انها فاحشة وهو من
بصر القلب وقيل معناه يبصر بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم ائنكم لتاتون
الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون فان قلت اذا فسر تبصرون بالعلم وبعد
قال بعده بل انتم قوم تجهلون فيكون العلم جهلا قلت معناه تفعلون فعل الجاهلين
وتعلمون انها فاحشة وقيل تجهلون العاقبة وقيل اراد بالجهل السفاهة التي كانوا

اي حضرنا

كانوا عليها فما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون
يعني من ادبار الرجال فانجيناه واهله الا امرأته قدرناها اي قضينا عليها بان جعلناها من
الباقين في العذاب وامطرنا عليهم مطرا اي الحجارة فساء اي فبئس مطر المنذرين قوله عز وجل
قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر ان يحمد
الله على هلاك كفار الامم الخالية وقيل يحمده على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى
يعني الانبياء والمرسلين وقال ابن عباس هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين
من السابقين واللاحقين آلله خير اما يشركون فيه تبكيت للمشركين والزام الحجة عليهم
بعد هلاك الكفار والمعنى آلله خير لمن عبده ام الاصنام لمن عبدها فان الله خير لمن عبده
وامن به من الهلاك والاصنام لم تغن شيئا عن عابديها عند نزول العذاب ولهذا السبب
ذكر انواعا تدل على وحدانيته وكمال قدرته فالنوع الاول قوله تعالى امن خلق السموات
والارض ذكر اعظم الاشياء المشاهدة الدالة على عظم قدرته والمعنى الاصنام خير ام الذي
خلق السموات والارض ثم ذكر نعمه فقال تعالى وانزل لكم من السماء ماء يعني المطر فانبتنا به حدائق
اي بساتين جمع حديقة ذات بهجة اي ذات منظر حسن والبهجة الحسن يبتهج به ما كان لكم
ان تنبتوا شجرها يعني لا ينبغي لكم لا تقدرون على ذلك لان الانسان قد يقول للشجرة انا
غرستها واسقيتها فازال الله هذه الشبهة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها لان انبات الحدائق
المختلفة الاصناف والطعوم والروائح المختلفة والزروع تسقى بماء واحد لا يقدر عليه
الا الله تعالى ولا يتأتى لاحد وان تأتى لغيره محال ءاله مع الله يعني هل معه معبود اعانه
على صنعه بل يعني ليس معه اله ولا شريك هم قوم يعني كفار مكة يعدلون يشركون وقيل
يعدلون عن هذا الحق الظاهر الى الباطل النوع الثاني قوله عز وجل امن جعل الارض قرارا
اي دحاها وسواها للاستقرار عليها وقيل لا تميد باهلها وجعل خلالها انهارا اي وسطها
انهارا تطرد بالمياه وجعل لها رواسي اي جبالا ثوابت وجعل بين البحرين يعني العذب والملح
حاجزا اي مانعا لا يختلط احدهما بالآخر ءاله مع الله بل اكثرهم لا يعلمون اي توحيد
ربهم وقدرته وسلطانه النوع الثالث قوله تعالى امن يجيب المضطر اي المكروب المجهود
وقيل المضطر ذو الحاجة المحوجة من مرض او نازلة من نوازل الدهر اذا نزلت به الجأته
الى الالتجاء والتضرع الى الله تعالى وقيل هو المذنب المستغفر اذا استغفر اذا دعاه
يعني فيكشف ضره ويكشف السوء اي الضر لانه لا يقدر على تغيير حال من فقر الى غنى ومن
مرض الى صحة ومن ضيق الى سعة الا القادر الذي لا يعجز والقاهر الذي لا يغلب ولا ينازع
ويجعلكم خلفاء الارض اي سكانها وذلك انه ورثكم سكناها والتصرف فيها قرنا بعد قرن
وقيل يجعل اولادكم خلفاءكم وقيل جعلكم خلفاء الارض ءاله مع الله قليلا ما تذكرون
اي تتعظون النوع الرابع قوله عز وجل امن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته اي قدام
المطر ءاله مع الله تعالى الله عما يشركون النوع الخامس قوله تعالى امن يبدأ الخلق
ثم يعيده بعد الموت ومن يرزقكم من السماء والارض اي من السماء بالمطر ومن الارض بالنبات ءاله
مع الله قل هاتوا برهانكم اي حجتكم على قولكم ان مع الله الها آخر ان كنتم صادقين
قوله تعالى قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله نزلت في المشركين حين
سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة والمعنى ان الله هو الذي يعلم
الغيب وحده ويعلم متى تقوم الساعة وما يشعرون ايان يبعثون يعني من في
السموات وهم الملائكة ومن في الارض وهم بنو آدم لا يعلمون متى يبعثون

والله

والله تعالى تفرد بعلم ذلك بل ادارك علمهم اي بلغ ولحق علمهم في الآخرة هو ما جهلوه في الدنيا
وسقط علمه وقيل بل علموا في الآخرة حين عاينوها ما شكوا في الساعة فيه وعموا عنه في الدنيا
وهو قوله تعالى بل هم في شك منها اي هم اليوم في شك من الساعة بل هم منها عمون جمع
عمٍ وهو اعمى القلب وقيل معنى الآية ان الله اخبر عنهم انهم اذا بعثوا يوم القيامة يستوي علمهم
في الآخرة وما وعدوا فيهما من الثواب والعقاب وان كانت علومهم مختلفة في الدنيا قوله تعالى
وقال الذين كفروا اي مشركوا مكة ائذا كنا ترابا وآباؤنا ائنا لمخرجون اي من قبورنا احياء
لقد وعدنا هذا معناه اي هذا البعث نحن وآباؤنا من قبل اي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم
وليس ذلك بشيء ان هذا ما هذا الا اساطير الاولين اي احاديثهم واكاذيبهم التي كتبوها قل سيروا
في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم اي بتكذيبهم اياك واعراضهم عنك ولا
تك في ضيق مما يمكرون نزلت في المستهزئين الذين عقاب مكة ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين قل عسى ان يكون ردف لكم اي دنا وقرب لكم وقيل معناه ردفكم بعض الذي
تستعجلون من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر قوله عز وجل وان ربك لذو فضل على الناس
يعني اهل مكة حيث لم يعجل لهم بالعذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون اي ذلك وان
ربك ليعلم ما تكن صدورهم اي تخفي وما يعلنون معناه اي عداوة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما من غائبة اي جملة غائبة من مكتوم سر وخفي امر وشيء غائب في السماء والارض
الا في كتاب مبين يعني اللوح المحفوظ ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اي يبين لهم
اكثر الذي هم فيه يختلفون اي من امر الدين وذلك ان اهل الكتاب اختلفوا بينهم
فصاروا احزابا يطعن بعضهم على بعض فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه وانه
يعني القرآن لهدى ورحمة للمؤمنين ان ربك يقضي بينهم اي يفصل بينهم بحكمه وهو العزيز
ويحكم بين المختلفين في الدين يوم القيامة اي الحق المنيع الذي لا يرد له امر العليم
باحوالهم فلا يخفى عليه شيء منها فتوكل على الله اي ثق به انك على الحق المبين اي البين
انك لا تسمع الموتى يعني موتى القلوب وهم الكفار ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا
مدبرين اي معرضين فان قلت ما معنى مدبرين والاصم لا يسمع صوتا سواء اقبل او ادبر قلت
هو تأكيد ومبالغة للاصم وقيل ان الاصم اذا كان حاضرا قد يسمع برفع الصوت ويفهم
بالاشارة فاذا ولى لم يسمع ولم يفهم ومعنى الآية انه لفرط اعراضهم عما يدعون اليه
كالميت الذي لا سبيل الى سماعه وكالاصم الذي لا يسمع ولا يفهم وما انت بهادي العمي عن
ضلالتهم معناه ما انت بمرشد من اعماه الله عن الهدى واعمى قلبه عن الايمان ان تسمع
الا من يؤمن بآياتنا اي الا من يصدق بالقرآن انه من الله فهم مسلمون اي مخلصون قوله
تعالى واذا وقع القول يعني اذا وجب عليهم العذاب وقيل اذا غضب الله عليهم
وقيل اذا وجبت الحجة عليهم وذلك اذا لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر
وقيل اذا لم يرج صلاحهم وذلك في آخر الزمان قبل قيام الساعة اخرجنا لهم
دابة من الارض (م) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعمال
قبل طلوع ست طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة احدكم
وامر العامة م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان اول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس
ضحى وايهما كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها قريبا عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصى موسى فتجلو

وجه المؤمن وتخطم وجه الكافر بالخاتم حتى ان اهل الحق ليجتمعون فيقول هذا يا مؤمن
ويقول لهذا يا كافر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وروى البغوي باسناده عن
الثعلبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج
خروجا باقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم
بينا الناس يوما في اعظم المساجد على الله حرمة واكرمها على الله يعني مكة المسجد
الحرام لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا قال عمرو ما بين الركن الاسود الى باب
بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فارفض الناس عنها وثبتت لها عصابة
عرفوا انهم لم يعجزوا الله فخرجت تنفض راسها من التراب فمرت بهم فجلت وجوههم
حتى تركتها كانها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب
حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الان تصلي
فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه فيتجاورون في ديارهم ويصطحبون في اسفارهم
ويشتركون في الاموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن وللكافر يا كافر
وباسناد الثعلبي عن حذيفة بن اليمان ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة
قلت يا رسول الله من اين تخرج قال من اعظم المساجد حرمة على الله فبينما عيسى يطوف
بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض وتنشق الصفا مما يلي المسعى وتخرج الدابة
من الصفا اول ما يخرج منها راسها ملمعة ذات وبر وريش لن يدركها الطالب ولن
يفوتها هارب تسم الناس مؤمنا وكافرا فاما المؤمن فتترك وجهه كانه كوكب
دري وتكتب بين عينيه مؤمن واما الكافر فتكتب بين عينيه نكتة سوداء وتكتب
بين عينيه كافر وروي عن ابن عباس انه قرع الصفا بعصاه وهو محرم فقال ان الدابة
لتسمع قرع عصاي هذه وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسيرون
الى منى وعن ابي هريرة عن ابي هريرة رضي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بئس الشعب
شعب اجياد مرتين او ثلاثا قيل ولم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتصرخ
ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين وروى عن ابن الزبير انه وصف الدابة فقال
راسها راس الثور وعينها عين الخنزير واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وصدرها
صدر اسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش
وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا وعن عبد الله بن عمرو قال تخرج
الدابة من شعب فيمس راسها السحاب ورجلاها في الارض وروي عن علي قال ليست
بدابة لها ذنب ولكن لها لحية وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها
كخلق الطير فتخبر من راها ان اهل مكة كانوا بمحمد والقران لا يوقنون
تكلمهم اي بكلام فصيح قيل تقول هذا مؤمن وهذا كافر وقيل تقول لما اخبر الله
ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون تخبر الناس عن اهل مكة انهم لم يؤمنوا بالقران
والبعث وقرئ تكلمهم بالتخفيف من الكلم وهو الجرح وقال ابن الجوزي سئل ابن عباس
عن هذه الاية تكلمهم او تكلمهم فقال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر قوله تعالى
ويوم نحشر من كل امة فوجا اي جماعة ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون
اي يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقوا الى النار حتى اذا جاؤا يعني يوم القيامة
قال الله تعالى لهم اكذبتم باياتي ولم تحيطوا بها علما اي ولم تعرفوها حق معرفتها
اماذا كنتم تعملون اي حين لم تتفكروا فيها وقيل معنى الاية اكذبتم باياتي غير عالمين

بما

بما ولم تتفكروا في صحتها بل كذبتم بها جاهلين ووقع القول اي وجب العذاب عليهم بما ظلموا
اي بما اشركوا فهم لا ينطقون اي بحجة وقيل ان افواههم مختومة الم يروا انا جعلنا
اي انا خلقنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصرا اي مضيئا يبصر فيه وفي الاية دليل على
البعث بعد الموت ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون اي يصدقون فيعتبرون قوله تعالى
ويوم ينفخ في الصور هو قرن ينفخ فيه اسرافيل وقال الحسن الصور هو القرن ومعنى
كلامه ان الارواح تجمع في القرن ثم ينفخ فيه فتذهب في الاجساد فيحيي بها الاجساد
ففزع اي فصعق من في السموات ومن في الارض اي ماتوا والمعنى انه يلقي عليهم الفزع
الى ان يموتوا وقيل ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة الصعق
ونفخة القيام لرب العالمين الا من شاء الله وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم سأل جبريل عن قوله تعالى الا من شاء الله قال هم الشهداء متقلدون اسيافهم حول العرش
وقال ابن عباس هم الشهداء لانهم احياء عند ربهم لا يصل اليهم الفزع وقيل يعني جبريل وميكائيل
واسرافيل وعزرائيل فلا يبقى بعد النفخة الا هؤلاء الاربعة ويروى ان الله تعالى يقول
لملك الموت خذ نفس اسرافيل فياخذ نفسه ثم يقول من بقي يا ملك الموت فيقول
سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم بقي جبريل
وميكائيل وملك الموت فيقول خذ نفس ميكائيل فيقع كالطود العظيم فيقول من بقي فيقول
سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام بقي وجهك الدائم الباقي وجبريل
الميت الفاني فيقول الله يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه فيروى ان
فضل خلقه على ميكائيل كفضل الطود العظيم على ظرب من الظراب ويروى انه يبقى مع
هؤلاء الاربعة حملة العرش فيقبض روح جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم ارواح حملة
العرش ثم روح ملك الموت فاذا لم يبق احد الا الله تبارك وتعالى طوى السماء كطي السجل
للكتاب ثم يقول الله انا الجبار لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد فيقول الله تعالى لله
الواحد القهار (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينفخ في الصور
فيصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم ينفخ فيه اخرى فاكون اول من
رفع راسه فاذا موسى اخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادري اكان ممن استثنى الله عز وجل
ام رفع راسه قبلي ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب وقيل الذين استثنى
الله هم رضوان والحور ومالك والزبانية وقوله تعالى وكل اي الذين احيوا بعد
الموت اتوه اي جاؤه داخرين اي صاغرين قوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة
اي قائمة واقفة وهي تمر مر السحاب اي تسير سير السحاب حتى تقع على الارض فتستوي
بها وذلك ان كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وعظمه وبعد ما بين اطرافه
فهو في حسبان الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال يوم القيامة لا ترى لعظمها
كما ان سير السحاب لا يرى لعظمه صنع الله الذي اتقن كل شيء يعني انه تعالى لما قدم هذه
الاشياء كلها التي لا يقدر عليها غيره جعل ذلك الصنع من الاشياء التي اتقنها واحكمها واتى بها
على وجه الحكمة والصواب انه خبير بما يفعلون قوله تعالى من جاء بالحسنة اي بكلمة الاخلاص
وهي شهادة ان لا اله الا الله وقيل الاخلاص في العمل وقيل الحسنة كل طاعة عملها لله
عز وجل فله خير منها قال ابن عباس فمنها يصل الخير اليه لمن تلك الحسنة خير يوم القيامة
وهو الثواب والامن من العذاب اما ان يكون له شيء خير من الايمان فلا لانه لا شيء خير من لا اله
الا الله وقيل جزاء الاعمال في الطاعات الثواب والحسنة وجزاء الايمان الاخلاص

رضوان الله والنظر اليه لقوله ورضوان الله وقيل معنى خير منها الاضعاف اعطاه الله
بالواحدة عشر اضعافها لان الحسنة استحقاق العبد والتضعيف تفضيل الرب تبارك
وتعالى وهم من فزع يومئذ آمنون فان قلت كيف نفى الفزع هنا وقد قال قبله ففزع من
في السموات ومن في الارض قلت ان الفزع الاول هو ما لا يخلو عنه احد عند الاحساس بشدة
تقع وهول يفجا من رعب وهيبة وان كان المحسن يامن وصول ذلك الضرر اليه واما
الفزع الثاني فهو الخوف من العذاب فهم آمنون منه واما ما يلحق الانسان من الرعب عند
مشاهدة الاهوال فلا ينفك منه احد ومن جاء بالسيئة يعني بالشرك فكبت وجوههم في
النار عبر بالوجه عن جميع البدن كانه قال كبوا وطرحوا جميعهم في النار هل تجزون الا
ما كنتم تعملون اي تقول لهم خزنة جهنم هل تجزون الا ما كنتم تعملون في الدنيا من الشرك
قوله عز وجل انما امرت يعني يقول الله تعالى لرسوله قل انما امرت ان اعبد رب هذه
البلدة يعني امرت ان اخص بعبادتي وتوحيدي لله الذي هو رب هذه البلدة يعني مكة
وانما خصها من بين سائر البلاد بالذكر لانها مضافة اليه واحب البلاد واكرمها
عليه واشار اليها اشارة تعظيم لانها موطن نبيه ومهبط وحيه الذي حرمها اي جعلها
الله حرما آمنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يصاد صيدها ولا يختلى
خلاها ولا يدخلها الا محرم وانما ذكر هو الذي حرمها لان العرب كانوا معترفين
بفضيلة مكة والتحريم من الله لا من الاصنام وله كل شيء اي خلقا وملكا وامرت
ان اكون من المسلمين لله المطيعين له وان اتلو القرآن اي امرت ان اتلو القرآن
ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ما امر به فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه اي
نفع اهتدائه يرجع اليه ومن ضل اي عن الايمان واخطا طريق الهدى فقل انما انا من
المنذرين اي من المخوفين وما علي الا البلاغ نسختها آية القتال وقل الحمد لله اي على
جميع نعمه وقيل على ما وفقني من القيام باداء الرسالة سيريكم آياته الباهرة والدلالة
القاهرة قيل هو يوم بدر وهو ما اراهم من القتل والضرب فتعرفونها اي تعرفون
الآيات والدلالات وما ربك بغافل عما تعملون فيه وعيد بالجزاء على اعمالهم والله اعلم

[illegible]

مكية الا قوله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله لا نبتغي الجاهلين وفيها آية
بين مكة والمدينة وهي قوله ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهي
ثمان وثمانون آية واربعمائة واحدى واربعون كلمة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف
بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى طسم تلك آيات اشارة الى آيات السورة
الكتاب المبين هو اللوح المحفوظ وقيل هو الكتاب الذي انزل على نبيه صلى
الله عليه وسلم ووصفه بانه مبين لانه فيه الحلال والحرام والاحكام نتلو عليك
من نبا اي خبر موسى وفرعون بالحق اي بالصدق لقوم يؤمنون يصدقون ان
فرعون علا اي تكبر وتجبر في الارض وجعل اهلها شيعا اي في انواع الخدم والتسخير
يستضعف طائفة منهم يعني بني اسرائيل يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم سمى هذا
استضعافا لانهم عجزوا وضعفوا عن انفسهم انه كان من المفسدين اي بالقتل والتجبر
في الارض ونريد ان نمن اي ننعم على الذين استضعفوا في الارض يعني بني اسرائيل ونجعلهم
ائمة اي قادة في الخير يقتدى بهم وقيل ولاة وملوكا ونجعلهم الوارثين اي نورثهم

لهم

لهم ارض مصر والشام ونجعلها لهم مسكنا ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون
اي يخافون وذلك بان قذف في قلبها واسمها يوخانذ من نسل لاوي بن يعقوب انهم اخبروا ان
هلاكهم على يد رجل من بني اسرائيل وكانوا على حذر منه فاراهم الله ما كانوا يحذرون قوله
تعالى واوحينا الى ام موسى هو وحي الهام وذلك بان قذف في قلبها واسمها يوخانذ من نسل
لاوي بن يعقوب ان ارضعيه قيل ارضعته ثمانية اشهر وقيل اربعة وقيل ثلاثة وكانت
ترضعه وهو لا يبكي ولا يتحرك في حجرها فاذا خفت عليه اي من الذبح فالقيه في اليم اي في البحر
واراد نيل مصر ولا تخافي اي عليه من الغرق وقيل الضيعة ولا تحزني اي على فراقه انا رادوه اليك
وجاعلوه من المرسلين قال ابن عباس ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي
ولم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر سلط الله تعالى عليهم القبط فاستضعفوهم
الى ان انجاهم الله تعالى على يدي نبيه موسى عليه السلام ذكر القصة في ذلك قال
ابن عباس ان ام موسى لما تقارب ولادتها وكانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون
بحبالى بني اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق ارسلت اليها وقالت لها قد
نزل بي ما نزل فلينفعني حبك اياي اليوم فعالجت قابلتها فلما ان وقع موسى بالارض هالها
نور بين عيني موسى فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى في قلبها ثم قالت لها يا هذه
ما جئت اليك حين دعوتني الا ومرادي قتل ولدك ولكن وجدت لابنك حبا ما وجدت
حب شيء مثل حبه فاحفظي ابنك فاني اراه عدونا فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها
بعض العيون فجاؤوا الى بابها ليدخلوا على ام موسى فقالت اخته يا اماه هذا الحرس بالباب
فلفته بخرقة والقته في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا
فاذا التنور مسجور وراوا ام موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا ما ادخل
القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت علي زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت
لاخته فاين الصبي فقالت لا ادري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت اليه وقد
جعل الله عليه النار بردا وسلاما فاحتملته قال ثم ان ام موسى لما رات الحاح
فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها فقذف الله في نفسها ان تتخذ تابوتا
له ثم تقذفه في التابوت في النيل فانطلقت الى رجل نجار من قوم فرعون
فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال لها النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت
ان لي ابنا اخبئه في التابوت كرهت الكذب قال ولم تقل اخشى عليه كيد فرعون
فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم
بامر موسى فلما هم بالكلام امسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بالكلام
فلم يدر الامناء ما يقول فلما اعياهم امره قال كبيرهم اضربوه فضربوه واخرجوه
فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق ايضا يريد الامناء فاتاهم
ليخبرهم فاخذ الله لسانه وبصره فلم ينطق الكلام ولم يبصر شيئا فاخرجوه وبقي
حيران فجعل لله عليه ان رد لسانه وبصره ان لا يدل عليه وان يكون معه يحفظه
حيث ما كان فعرف الله منه الصدق فرد الله عليه لسانه وبصره فخر ساجدا لله
فقال يا رب دلني على هذا العبد الصالح فدله عليه فآمن به وصدقه قال وهب لما
حملت ام موسى بموسى كتمت امرها على جميع الناس فلم يطلع على حملها احد من خلق الله
تعالى لما اراد ان يمن به على بني اسرائيل فلما كانت الليلة التي ولد فيها بعث فرعون
القوابل وتقدم الى امنائه فتفتش النساء تفتيشا لم يفتش قبل ذلك مثله وحملت بموسى

ولم يتغير لونها ولم يتبين بطنها فكانت القوابل لا تتعرض لها فلما كانت الليلة التي ولد
فيها بعث فرعون القوابل فلم تتعرض لها ولا رقيب عليها ولم يطلع عليها احدا الا
مريم واوحى الله اليها ان ارضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم فكتمته ثلاثة اشهر فلما
خافت عليه عملت تابوتا مطبقا ثم القته في اليم وهو النيل قال ابن عباس وغيره كان
لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان
لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون
قد جمع لها الاطباء والسحرة فنظروا في امرها فقالوا ايها الملك لا تبرأ الا من قبل البحر
فيوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في
يوم كذا في ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون على مجلس
كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم واقبلت بنت فرعون في جواريها
حتى جلست على شاطئ البحر مع جواريها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن حتى
جلست اذا اقبل النيل بالتابوت فضربته الامواج فقال فرعون ان هذا الشيء في البحر
قد تعلق اتوني به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوه
في فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت آسية فرأت
في جوف التابوت نورا لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فاذا هي بصبي
صغير في التابوت واذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في ابهامه يمص
منه لبنا فالقى الله محبته في قلب آسية واحبه فرعون وعطف عليه واقبلت
بنت فرعون فلما اخرجوا الصبي من التابوت عمدت الى ما يسيل من اشداقه من ريقه
فلطخت به برصها فبرئت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون
ايها الملك انا نظن ان ذلك المولود الذي تحذر منه من بني اسرائيل هو هذا رمي به في
البحر فرقا منك فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى
ان ينفعنا اي نصيب منه خيرا او نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى
من فرعون فوهبه لها وقال فرعون اما انا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو قالت يومئذ قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها
الله فقيل لآسية سميه فقالت سميته موسى لانا وجدناه في الماء والشجر لان مو هو
الماء وسا هو الشجر فذلك قوله تعالى **فالتقطه آل فرعون** اللقط وجود الشيء
من غير طلب **ليكون لهم عدوا وحزنا** اي عاقبة امرهم الى ذلك لانهم لم يلتقطوه
ليكون لهم عدوا وحزنا **ان فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين** اي
آثمين وقيل هو الخطأ ومعناه انهم لا يشعرون انه الذي يذهب بملكهم **وقالت
امرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا
وهم لا يشعرون** قال وهب لما نظر اليه فرعون قال عبراني من الاعداء فغاظه ذلك
وقال كيف اخطأ هذا الغلام الذبح وكانت آسية امرأة فرعون من خيار النساء ومن
بنات الانبياء وكانت اما للمساكين ترحمهم وتتصدق عليهم فقالت لفرعون وهي
قاعدة الى جنبه هذا الوليد اكبر من ابن سنة وانت امرت ان تذبح الولدان هذه السنة
فدعه يكون عندي وقيل انها قالت انه اتانا من ارض اخرى وليس هو من بني اسرائيل
فاستحياه فرعون والقى الله محبته عليه قال ابن عباس لو ان عدو الله قال في موسى
كما قالت آسية عسى ان ينفعنا لنفعه الله ولكنه ابى للشقاء الذي كتبه الله عليه

قوله

قوله تعالى **واصبح فؤاد ام موسى فارغا** اي خاليا من كل شيء الا من ذكر موسى وهمه وقيل
معناه ناسيا للوحي الذي اوحى الله عز وجل اليها حين امرها ان تلقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني
والعهد الذي عهد اليها ان يرده اليها ويجعله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت ان يقتل
ولدك فيكون لك اجره وثوابه توليت انت قتله والقيته في البحر واغرقته
ولما اتاها الخبر بان فرعون اصابه في النيل قالت انه وقع في يده وهو عدوه الذي
فررت منه فانساها عظم البلاء ما كان من عهد الله تعالى اليها **ان كادت لتبدي به** اي لتصرح
بانه ابنها من شدة وجدها قال ابن عباس كادت تقول وا ابناه وقيل لما رأت التابوت
ترفعه موجة وتحطه موجة اخرى خشيت عليه الغرق فكانت تصيح من شدة شفقتها
عليه وقيل كادت تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون موسى بن فرعون
فشق عليها ذلك وكادت تقول هو ابني وقيل كادت تبدي بالوحي الذي اوحى الله اليها
ان يرده عليها **لولا ان ربطنا على قلبها** اي بالعصمة والصبر والتثبيت **لتكون
من المؤمنين** اي من المصدقين بوعد الله اياها **وقالت لاخته** اي لمريم اخت موسى
قصيه اي اتبعي اثره حتى تعلمي خبره **فبصرت به عن جنب** اي عن بعد قيل كانت
تمشي جانبا وتنظره اختلاسا ترى انها لا تنظره **وهم لا يشعرون** انها اخته وانها
ترقبه **وحرمنا عليه المراضع** المراد به المنع قيل مكث موسى ثمان ليال لا يقبل
ثديا قال ابن عباس ان امرأة فرعون كان همها من الدنيا ان تجد من ترضعه
فكلما اتوا بمرضعة لم يأخذ ثديها وهم في طلب من يرضعه لهم **من قبل** اي قبل مجيء
ام موسى وذلك لما رأت اخت موسى التي ارسلتها امه في طلبه ذلك **فقالت** يعني اخت موسى
هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم اي يضمونه ويرضعونه وهي امرأة قتل ولدها
فاحب شيء اليها ان تجد صغيرا ترضعه **وهم له ناصحون** اي لا يمنعونه ما ينفعه
من تربيته وغذائه والنصح اخلاص العمل من شوائب الفساد وقيل لما قالت وهم له
ناصحون قالوا انك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على اهله قالت ما اعرفه ولكن
قلت وهم للملك ناصحون وقيل قالوا لها قالت انما قلت ذلك رغبة في سرور
الملك واتصالنا به وقيل قالوا من هم قالت امي قالوا ولامك ولد قالت نعم
هارون وكان هارون قد ولد في السنة التي لا يقتل فيها قالت صدقت فاتينا
بها فانطلقت اليها واخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما وجد الصبي امه ريح
قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه ريا وقيل كانوا يعطونها كل يوم دينارا فذلك
قوله تعالى **فرددناه الى امه كي تقر عينها** اي برد موسى اليها **ولا تحزن** اي لئلا تحزن
ولتعلم ان وعد الله حق اي برده اليها **ولكن اكثرهم لا يعلمون** ان الله وعدها
ان يرده اليها **ولما بلغ اشده** قيل الاشد ما بين ثماني عشرة الى ثلاثين سنة وقيل
الاشد ثلاث وثلاثون سنة **واستوى** اي بلغ اربعين سنة قاله ابن عباس وقيل
انتهى شبابه وتكامل **آتيناه حكما وعلما** اي عقلا وفهما في الدين وحكم موسى قبل
ان يبعث نبيا **وكذلك نجزي المحسنين** قوله تعالى **ودخل المدينة** يعني موسى والمدينة
هي منوف من اعمال مصر وقيل هي قرية يقال لها حابين على راس فرسخين من مصر
وقيل هي مدينة عين شمس **على حين غفلة من اهلها** قيل هي نصف النهار واشتغال
الناس بالقيلولة وكان دخلها ما بين المغرب والعشاء وقيل سبب دخول المدينة
في ذلك الوقت ان موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب في مراكب فرعون

ويلبس لباسه فركب فرعون يوما وموسى غايبا فلما جاء قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى
في اثره فادركه المقيل بارض منف فدخلها وليس في طرقها احد وقيل كان لموسى شيعة
من بني اسرائيل يسمعون منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق راى فراق فرعون
وقومه فخالفهم في دينه حتى انكروا ذلك منه وخافوه وخافهم وكان لا يدخل قرية
الا خائفا مستخفيا على حين غفلة من اهلها وقيل لما ضرب موسى فرعون بالعصا في
صغره فاراد فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فتركه وامر باخراجه من مدينته
فاخرج منها فلم يدخل حتى كبر وبلغ اشده فدخل على حين غفلة من اهلها يعني عن
ذكر موسى ونسيانهم حتى بعد عهدهم به وعن علي انه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا
بلهوهم ولعبهم فوجد فيها رجلين يقتتلان اي يتخاصمان ويتنازعان هذا من شيعته
اي من بني اسرائيل وهذا من عدوه اي من القبط وقيل هذا مؤمن وهذا كافر وقيل الذي
كان من الشيعة هو السامري والذي من عدوه هو طباخ فرعون واسمه فليثون وكان
القبطي يريد ان ياخذ الاسرائيلي يحمل الحطب وقال ابن عباس لما بلغ موسى لم يكن احد
من آل فرعون يخلص الى احد من بني اسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل
قد عزوا بمكان موسى لانهم كانوا يعلمون انه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان
احدهما من بني اسرائيل والآخر من القبط فاستغاثه الذي من شيعته يعني الاسرائيلي
على الذي من عدوه يعني الفرعوني والاستغاثة طلب الغوث والمعنى انه سأله ان يخلصه
منه وان ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه لانه اخذه وهو يعلم منزلة موسى
من بني اسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس انه من قبل الرضاعة فقال موسى للفرعوني
لقد هممت ان احمله عليك وكان موسى قد اوتي بسطة في الخلق وشدة في القوة فوكزه
موسى اي ضربه بجميع كفه وقيل الوكز الضرب في الصدر وقيل الوكز الدفع باطراف
الاصابع فقضى عليه اي قتله وفرغ من امره فندم موسى عليه ولم يكن قصده
القتل ودفنه في الرمل قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين اي بين
الضلالة وقيل في قوله هذا اشارة الى عمل المقتول لا الى عمل نفسه والمعنى ان عمل هذا
المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا لله سبحانه وتعالى وكونه مستحقا
للقتل وقيل هذا اشارة الى المقتول يعني انه من جند الشيطان وحزبه قال رب اني
ظلمت نفسي بقتل القبطي من غير امر وقيل هو على سبيل الاتضاع لله تعالى والاعتراف
بالتقصير عن القيام بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب وقوله فاغفر لي اي ترك
هذا المندوب وقيل يحتمل ان يكون المراد رب اني ظلمت نفسي حيث فعلت هذا
فان فرعون اذا عرف ذلك قتلني به فقال فاغفر لي اي فاستره علي ولا توصل خبره
الى فرعون فغفر له انه هو الغفور الرحيم قال رب بما انعمت علي اي بالمغفرة والستر انعمت
علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين معناه فانا لا اكون معاونا لاحد من المجرمين قال
ابن عباس للكافرين وفيه دليل على ان الاسرائيلي الذي اعانه موسى كان كافرا قال
ابن عباس لم يستثن فابتلي في اليوم الثاني اي فلم يقل فلن اكون ان شاء الله ظهيرا للمجرمين
فاصبح في المدينة اي التي قتل فيها القبطي خائفا يترقب اي ينتظر سوءا والترقب
انتظار المكروه وقيل ينتظر متى يؤخذ فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه
اي يستغيث به من بعد قال ابن عباس اتي فرعون فقيل له ان بني اسرائيل قتلوا منا
رجلا فخذ لنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فبينما هم يطوفون

لايجدون

لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فراى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه على الفرعوني
وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالامس من قتل القبطي قال له موسى اي للاسرائيلي انك لغوي
مبين اي ظاهر الغواية قاتلت رجلا بالامس فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه
فلما ان اراد ان يبطش بالذي هو عدو لهما وذلك ان موسى اخذته الغيرة والرقة للاسرائيلي فمد
يده ليبطش بالقبطي فظن الاسرائيلي انه يريد ان يبطش به لما راى من غضب موسى وسمع قوله انك
لغوي مبين قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس معناه انه لم يكن علم
احد من قوم فرعون ان موسى هو الذي قتل القبطي حتى افشى عليه الاسرائيلي ذلك فسمعه القبطي
فاتى فرعون فاخبره بذلك ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض اي بالقتل ظلما وقيل الجبار هو
الذي يقتل ويضرب ولا ينظر في العواقب وقيل يتعاظم ولا يتواضع لامر الله تعالى وما تريد ان
تكون من المصلحين ولما فشى ان موسى قتل القبطي امر فرعون بقتله فخرجوا في طلبه وسبق بذلك
رجل من شيعة موسى يقال انه مؤمن آل فرعون واسمه حزبيل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو قوله
تعالى وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى اي يسرع في مشيه واخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى واخبره
وانذره بما سمع قال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك اي يتشاورون فيك ليقتلوك
وقيل يامر بعضهم بعضا بقتلك فاخرج اي من المدينة اني لك من الناصحين اي في الامر بالخروج فخرج
منها يعني موسى خائفا اي على نفسه من آل فرعون يترقب اي ينتظر الطلب هل يلحقه فياخذه ثم لجا
الى الله تعالى لعلمه انه لا ملجأ الا اليه قال رب نجني من القوم الظالمين اي الكافرين قوله تعالى
ولما توجه تلقاء مدين اي قصد نحوها ماضيا اليها قيل لانه وقع في نفسه ان بينهم وبينه
قرابة لان اهل مدين من ولد ابراهيم وموسى من ولد ابراهيم ومدين هو مدين بن ابراهيم
سميت البلد باسمه وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية ايام وقيل خرج خائفا بلا ظهر ولا
زاد ولا احد ولم يكن له الا ورق الشجر ونبات الصحراء حتى يرى خضرته في بطنه وما وصل
الى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو اول ابتلاء من الله لموسى قال يعني
موسى عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اي قصد الطريق الى مدين وذلك لانه لم يكن
يعرف الطريق فلما دعا جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به الى مدين قوله عز وجل
ولما ورد ماء مدين هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم وجد عليه اي على الماء امة اي جماعة
من الناس يسقون مواشيهم ووجد من دونهم امرأتين تذودان اي سوى الجماعة
وقيل بعيدا عن الجماعة اي تحبسان وتمنعان اغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس ويخلو
لهما البئر وقيل يكففان الغنم من ان تختلطا باغنام الناس وقيل يمنعان اغنامهما عن
ان تند وتذهب والقول الاول اولى لما بعده وهو قوله قال يعني موسى ما خطبكما
اي ما شانكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس قالتا لا نسقي اي اغنامنا حتى يصدر الرعاء
اي حتى يرجع الرعاء من الماء والمعنى انا امرأتان لا نستطيع ان نزاحم الرجال فاذا صدروا
اسقينا من مواشينا من فضل ما بقي منهم في الحوض وابونا شيخ كبير اي لا يقدر
ان يسقي مواشيه فلذلك احتجنا نحن الى سقي الغنم قيل ابوهما هو شعيب عليه السلام
وقيل هو يثرون ابن اخي شعيب وكان شعيب قد مات بعدما كف بصره وقيل هو
رجل ممن آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ورحمهما فاقتلع صخرة
من على راس بئر اخرى كانت بقربهما لا يطيق رفعها الا جماعة من الناس وقيل زاحم
الناس ونحاهم كلهم عن البئر وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقي غطوا راس
البئر بحجر لا يرفعه الا عشرة نفر فجاء موسى فرفع الحجر وحده ونزع دلوا واحدا ودعا فيه بالبركة

وسقى الغنم فردوا فذلك قوله تعالى فسقى لهما ثم تولى الى الظل اى عدل الى الظل تحت شجرة
فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع فقال رب انى لما انزلت الى من خير فقير معناه
انى طلبت الطعام لجوعه واحتياجه اليه قال ابن عباس سأل الله فلقة خبز يقيم بها صلبه
وعن ابن عباس قال موسى رب انى لما انزلت الى من خير فقير وهو اكرم خلقه عليه ولقد
افتقر الى شق تمرة وقيل ما سأل الا الخبز فلما رجعتا الى ابيهما سريعا قبل الناس واغنامهما
قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا اغنامنا فقال لاحديهما اذهبي
فادعيه الى فقال الله تعالى فجاءته احداهما تمشي على استحياء قيل هي الكبرى واسمها
صفورا وقيل صفرا وقيل هي الصغرى واسمها ليا وقيل صفيرا قال عمر بن الخطاب ليست
بسلفع من النساء خراجة ولاجة ولكن قد جاءت مستترة قد وضعت كم درعها استحياء على
وجهها وقيل استحيت منه لانها دعته لتكافيه وقيل لانها رسول ابيها قالت ان ابي
يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا قيل لما سمع موسى ذكر كره ان يذهب معها ولكن
كان جائعا فلم يجد بدا من الذهاب فمشت المرأة ومشى موسى خلفها فكانت الريح
تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى ان يرى ذلك منها فقال لها امشي خلفي واري
ني ودليني على الطريق اذا اخطأت ففعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب اذ هو بالعشا
مهيأ فقال اجلس يا فتى فتعش فقال موسى اعوذ بالله فقال شعيب ولم ذلك الست
بجائع قال بلى ولكن اخاف ان يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وانا من اهل بيت لا نطلب
على عمل من اعمال الاخرة عوضا من الدنيا فقال شعيب لا والله يا فتى ولكنها عادتي وعادة
آبائي نقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى واكل فذلك قوله تعالى فلما جاءه موسى
وقص عليه القصص اى اخبره بامره اجمع من خبره وولادته وقتل القبطي وقصد فرعون
قتله قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين يعني من فرعون وقومه لانه لم يكن
لفرعون سلطان على مدين قالت احداهما يا ابت استأجره اتخذه اجيرا يرعى اغنامنا
ان خير من استأجرت القوي الامين يعني ان خير من استعملت من قوي على العمل واداء الامانة
فقال لها ابوها وما علمك بقوته وامانته قالت اما قوته فانه رفع الحجر عن راس البير
ولا يرفعه الا عشرة نفر وقيل اربعين رجلا واما امانته فانه قال لي امشي خلفي لئلا
تصف الريح بدنك قال شعيب عند ذلك اني اريد ان انكحك اى ازوجك احدى ابنتي
هاتين قيل زوجه الكبرى وقال الاكثرون زوجه الصغرى منهما واسمها صفورا
وهي التي ذهبت في طلب موسى على ان تاجرني ثماني حجج اى تكون لي اجيرا ثماني سنين
فان اتممت عشرا فمن عندك فان اتممت عشر سنين فذلك بفضل وتبرع ليس بواجب عليك
وما اريد ان اشق عليك ستجدني ان شاء الله من الصالحين اى الزمك تمام العشرة الا
ان تتبرع قال ذلك بيني وبينك على ما شرطت على ذلك وما شرطت من تزويج احداهما على
والامر بيننا على ذلك ايما الاجلين قضيت اى اى الاجلين اتممت وفرغت منه الثماني او
العشر فلا عدوان على اى لا اظلم على بان اطالب باكثر منهما والله على ما نقول وكيل قال
ابن عباس شهيد بيني وبينك عن سعيد بن جبير قال سألني يهودي من اهل الحيرة اى
الاجلين قضى موسى قلت لا ادري حتى اقدم على حبر العرب فاسأله فقدمت فسألت
ابن عباس فقال قضى اكثرهما واطيبهما لان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
قال فعل وروي عن ابي ذر مرفوعا اذا سئلت اى الاجلين قضى موسى فقل خيرهما
وابرهما واذا سئلت اى المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهي التي جاءت فقالت

يا ابت

يا ابت استأجره فتزوج صغراهما وقضى اوفاهما وقال وهب انكح الكبرى وروى شداد
ابن اوس مرفوعا بكى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم حتى عمي فرد الله عليه بصره حتى عمي
فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمي فرد الله عليه بصره وقال له الله ما هذا البكاء
شوقا الى الجنة ام خوفا من النار فقال لا يا رب ولكن شوقا الى لقائك فاوحى الله اليه
ان يكن ذلك فهنيئا لك لقائي يا شعيب لذلك اخدمتك موسى كليمي ولما تم فاذا هذا
العقد بينهما امر شعيب ابنته ان تعطي موسى عصاه يدفع بها السباع عن غنمه وقيل كانت
من آس الجنة حملها آدم معه فتوارثها الانبياء وكان لا ياخذها غير نبي الا اكلته فصارت
من آدم الى نوح ومن نوح الى ابراهيم حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى ثم ان موسى
لما قضى الاجل سلم شعيب اليه ابنته قالت له موسى اطلبي من ابيك ان يعطينا ويجعل
لنا بعض الغنم فطلبت من ابيها ذلك فقال لكما كل ما ولدت هذا العام على غير
شيتها وقيل اراد شعيب ان يجازي موسى على حسن رعيته اكراما له وصلة لابنته
فقال اني وهبت لك من ولد اغنامي كل ابلق وبلقاء فعلم شعيب ان ذلك رزق ساقه
الله الى موسى وابنته فوفى له بشرطه واعطاه الاغنام فقوله عز وجل فلما قضى موسى
الاجل اى اتمه وفرغ منه سار باهله وقيل مكث موسى بعد الاجل عند شعيب عشر سنين
اخرى ثم استأذنه في العود الى مصر فاذن له وسار باهله اى قاصدا الى مصر آنس اى
ابصر من جانب الطور نارا وذلك انه كان في شدة البرد في ليلة مظلمة في البرية واخذ
امرأته الطلق قال لاهله امكثوا اني آنست نارا لعلي آتيكم منها اى عن الطريق
لانه كان قد اخطأ الطريق بخبر او جذوة من النار اى قطعة او شعلة من النار
وقيل الجذوة العود الذي اشتعل بعضه لعلكم تصطلون اى تستدفئون فلما اتاها
نودي من شاطئ الواد الايمن من جانب الوادي الذي عن يمين موسى في البقعة المباركة
من الشجرة جعلها الله مباركة لان الله كلم موسى هنالك وبعثه نبيا وقيل يريد به
البقعة المقدسة ان يا موسى اى من ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت خضراء ترف وقيل
كانت عوسجة وقيل كانت من العليق وعن ابن عيسى انها العناب اني انا الله رب
العالمين قيل ان موسى لما راى النار في الشجرة الخضراء علم انه لا يقدر على الجمع
بين النار وخضرة الشجر الا الله تعالى فعلم بذلك ان المتكلم هو الله تعالى وقيل
ان الله تعالى خلق في نفس موسى علما ضروريا بان المتكلم هو الله وان ذلك الكلام
كلام الله وقيل انه قيل لموسى كيف عرفت انه نداء الله تعالى قال اني سمعته بجميع اجزاي
فلما وجد حس السمع من جميع الاجزاء علم بذلك انه لا يقدر عليه احد الا الله تعالى وان
الق عصاك اى فالقاها اى تتحرك فلما رآها تهتز اى تتحرك كانها جان يعني الحية
الصغيرة والمعنى انها في سرعة حركتها كالحية السريعة الحركة ولى مدبرا اى هاربا منها
ولم يعقب اى لم يرجع قال وهب انها لم تدع صخرة ولا شجرة الا ابتلعتها حتى ان موسى
سمع صرير اسنانها وقعقعة الشجر والصخر في جوفها فحينئذ ولى مدبرا ولم يعقب فنودي
عند ذلك يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين قوله تعالى اسلك يدك اى
ادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء اى من غير برص والمعنى انه ادخل يده فخرجت
ولها شعاع كشعاع الشمس واضمم اليك جناحك من الرهب اى من الخوف والمعنى
اذا هالك امر يدك وما تراه من شعاعها فادخلها في جيبك تعد الى حالتها الاولى
قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما امره الله تعالى ان يضم يده الى صدره فيذهب عنه

ما يجد

ثم الذي من الخوف بعد معاينة الحية وما من خائف بعد موسى الا وضع يده على صدره زال خوفه
وقيل المراد من ضم الجناح السكون اي سكن روعك واخفض عليك جناحك لان من شان
الخائف انه يضطرب قلبه ويرتعد بدنه وقيل الرهب الكم بلغة حمير فذانك يعني
العصا واليد البيضا برهانان اي ايتان من ربك الى فرعون وملايه انهم كانوا قوما
فاسقين اي خارجين عن الحق قال رب اني قتلت منهم نفسا يعني القبطي فاخاف ان يقتلون
به واخي هارون هو افصح مني لسانا اي بيانا وانما قال ذلك للعقدة التي كانت في لسانه
من وضع الجمرة في فيه فارسله معي ردا اي عونا يصدقني يعني فرعون وقومه قال سنشد
عضدك باخيك اي سنقويك به وكان هارون بمصر ونجعل لكما سلطانا اي حجة وبرهانا
فلا يصلون اليكما بآياتنا اي بقتل ولا بسوء بآياتنا وقيل معناه نعطيكما من المعجزات
فلا يصلون اليكما انتما ومن اتبعكما الغالبون اي لكما ولاتباعكما الغلبة على فرعون
وقومه فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا الا سحر مفترى
اي مختلق وما سمعنا بهذا اي بالذي تدعونا اليه في آبائنا الاولين وقال موسى ربي اعلم بمن
جاء بالهدى من عنده اي انه المحق من المبطل ومن تكون له عاقبة الدار اي العقبى المحمودة
في الدار الآخرة انه لا يفلح الظالمون اي الكافرون وقال فرعون يا ايها الملا ما علمت
لكم من اله غيري فيه انكار لما جاءه موسى من توحيد الله وعبادته فاوقد لي يا هامان على
الطين اي اطبخ لي الآجر وقيل انه اول من اتخذ الآجر وبنى به فاجعل لي صرحا اي قصرا عاليا
قال اهل التفسير لما امر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى
اجتمع عنده خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء وطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب
المسامير وامر بالبناء فبنوه ورفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان احد
من الخلق واراد الله ان يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وامر بنشابة
فرمى بها نحو السماء فردت اليه وهي ملطخة دما فقال قد قتلت اله موسى وكان فرعون
يصعد راكبا على البراذين فبعث الله تعالى جبريل عند غروب الشمس فضربه بجناحه فقطعه
ثلاث قطع فوقعت قطعة منها على عسكره فقتلت الف الف رجل ووقعت قطعة منها
في البحر وقطعة في المغرب فلم يبق احد عمل شيا فيه الا هلك فذلك قوله لعلي اطلع الى
اله موسى اي انظر اليه واقف على حاله واني لاظنه يعني موسى من الكاذبين اي في زعمه
ان للارض والخلق الها غيري وانه ارسله واستكبر هو وجنوده في الارض بغير
الحق اي تعظموا عن الايمان ولم ينقادوا للحق بل بالباطل والظلم وظنوا انهم الينا
لا يرجعون اي للحساب والجزا فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم اي فالقيناهم
في البحر وهو بحر القلزم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين يعني حين صاروا الى الهلاك
وجعلناهم ائمة اي قادة ورؤسا يدعون الى النار اي الى الكفر والمعاصي التي يستحقون
بها النار لان من اطاعهم ضل ودخل النار ويوم القيامة لا ينصرون اي لا يمنعون من العذاب
واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اي خزيا وبعدا وعذابا ويوم القيامة هم من المقبوحين
اي من المبعدين وقيل المهلكين وقال ابن عباس المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون
قوله عز وجل ولقد آتينا موسى الكتاب يعني التوراة من بعد ما اهلكنا القرون الاولى
يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم كانوا قبل موسى بصائر للناس اي ليبصروا بذلك فيهتدوا
به وهدى اي من الضلالة لمن عمل به ورحمة اي لمن آمن به لعلهم يتذكرون اي بما فيه من
المواعظ وما كنت الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي وما كنت يا محمد بجانب الغربي

اي بجانب

اي بجانب الطور الغربي قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد حيث ناجى موسى ربه اذ
قضينا الى موسى الامر اي عهدنا اليه واحكمنا الامر بالرسالة الى فرعون وما كنت من
الشاهدين اي الحاضرين ذلك المقام الذي اوحينا الى موسى فيه فتذكره من ذات نفسك
ولكنا انشانا قرونا اي خلقنا امما من بعد موسى فتطاول عليهم العمر اي طالت عليهم
المدة فنسوا عهد الله وتركوا امره وذلك ان بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا
الوفا بها وما كنت ثاويا اي مقيما في اهل مدين كمقام موسى وشعيب فيهم تتلوا عليهم
آياتنا اي تذكرهم بالوعد والوعيد وقيل معناه لم تشهد اهل مدين فتقرا على اهل مكة خبرهم
ولكنا كنا مرسلين يعني ارسلناك رسولا وانزلنا اليك كتابا فيه هذه الاخبار فتتلوها
عليهم ولولا ذلك لما علمتها انت ولم تخبرهم بها وما كنت بجانب الطور اي بناحية
الجبل الذي كلم الله عليه موسى اذ نادينا يعني موسى خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال
موسى يا رب ارني محمدا وامته قال انك لن تصل الى ذلك ولكن ان شئت ناديت امته
واسمعتك صوتهم قال بلى يا رب قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب ابائهم وقال
ابن عباس قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب الآبا وارحام الامهات لبيك
اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا امة احمد ان
رحمتي سبقت غضبي وعفوي سبق عقابي قد اعطيتكم قبل ان تسالوني وقد اجبتكم من قبل
ان تدعوني وقد غفرت لكم قبل ان تستغفروني ومن جاءني يوم القيامة بشهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة ولو كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر ولكن رحمة
من ربك اي رحمناك بارسالك والوحي اليك واطلاعك على الاخبار الغائبة لتنذر قوما
ما اتاهم من نذير من قبلك يعني اهل مكة لعلهم يتذكرون واعلم ان الله تعالى
لما بين قصة موسى لرسول صلى الله عليه وسلم جمع بين هذه الاحوال الثلاثة العظيمة
التي اتفقت لموسى فالمراد بقوله اذ قضينا الى موسى الامر هو انزال التوراة حتى تكامل
دينه واستقر شرعه والمراد بقوله وما كنت ثاويا في اهل مدين اول امر موسى ولما بينهما
لرسوله ولم يكن في هذه الاحوال حاضرا بين انه بعثه وعرفه هذه الاحوال الدالة على
نبوته ومعجزته كانه قال في اخبارك عن هذه الاشيا من غير حضور ولا مشاهدة دالة ظاهرة
على نبوتك قوله تعالى ولولا ان تصيبهم مصيبة اي عقوبة ونقمة بما قدمت ايديهم
يعني من الكفر والمعاصي فيقولوا ربنا لولا اي هلا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك
ونكون من المومنين ومعنى الآية ولولا انهم يحتجون بترك الارسال اليهم لعاجلناهم بالعقوبة
على كفرهم وقيل معناه لما بعثناك اليهم رسولا ولكنا بعثناك اليهم لئلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل فلما جاءهم الحق من عندنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا لولا اوتي مثل
ما اوتي موسى يعني من الآيات كالعصا واليد البيضا وقيل اوتي كتابا جملة واحدة كما
اوتي موسى التوراة قال الله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل
قيل ان اليهود ارسلوا الى قريش ان يسالوا محمدا صلى الله عليه وسلم مثل ما اوتي موسى
من قبل فقال الله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يعني اليهود الذين استخرجوا
هذا السوال قالوا ساحران تظاهرا يعني التوراة والقرآن يقوي كل واحد الآخر
وقرئ ساحران يعني محمدا وموسى قيل ان مشركي مكة بعثوا الى رؤوس اليهود بالمدينة
يسالونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فاخبروهم ان نعته في كتابهم وهو التوراة ثم
رجعوا فاخبروهم بقول اليهود فقالوا ساحران تظاهرا وقالوا انا بكل

ان لا اله الا

كافرون يعني التوراة والقران وقيل بمحمد وموسى عم يا محمد فاتوا بكتاب من عند الله هو
اهدى منهما يعني التوراة والقران اتبعه يعني الكتاب الذي تاتون به من عند الله وهذا تنبيه
عن عجزهم عن الاتيان بمثله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك اي ان لم ياتوا لك بما
طلبت فاعلم انما يتبعون اهواءهم يعني انما ركبوه من الكفر لا حجة لهم فيه انما اثروا واتبعوا
ما هم فيه الهوى ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ان الله لا يهدي القوم الظالمين
قوله عز وجل ولقد وصلنا لهم القول قال ابن عباس يعني بينا وقيل انزلنا ايات القران يتبع بعضها
بعضا وقيل بينا لكفار مكة بما في القران من اخبار الامم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقيل
وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الاخرة حتى كانهم عاينوا الاخرة في الدنيا لعلهم يتذكرون اي
يتعظون الذين اتيناهم الكتاب من قبله اي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القران
هم به يؤمنون نزلت في مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اهل الانجيل
الذين قدموا من الحبشة وامنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم اربعون رجلا قدموا مع جعفر
ابن ابي طالب فلما راوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يا رسول الله ان لنا اموالا
فان اذنت لنا انصرفنا فجئنا باموالنا فواسينا بها المسلمين فنزلت هذه الايات فيهم الى قوله
ومما رزقناهم ينفقون وقال ابن عباس نزلت في ثمانين من اهل الكتاب اربعون من نجران
واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ثم وصفهم الله تعالى فقال واذا يتلى عليهم
يعني القران قالوا امنا به انه الحق من ربنا وذلك ان ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوبا
عندهم في التوراة والانجيل انا كنا من قبله مسلمين اي من قبل القران مخلصين لله بالتوحيد
ومؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه نبي حق اولئك يؤتون اجرهم مرتين يعني بايمانهم
بالكتاب الاول وبالكتاب الاخر بما صبروا اي على اذى المشركين ق عن ابي موسى الاشعري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران رجل من اهل الكتاب امن بنبيه وامن بمحمد
صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك اذا ادى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده امة
يطاها فادبها واحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله اجران ويدرؤن
بالحسنة السيئة قال ابن عباس يدفعون بشهادة ان لا اله الا الله الشرك وقيل يدفعون ما سمعوا
من اذى المشركين وشتمهم بالصفح والعفو ومما رزقناهم ينفقون اي في الطاعة واذا سمعوا
اللغو اي القول القبيح اعرضوا عنه وذلك ان المشركين كانوا يسبون مؤمني اهل الكتاب
الكتابي يقولون تبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم وقالوا لنا اعمالنا ولكم
اعمالكم اي لنا ديننا ولكم دينكم سلام عليكم ليس المراد منه سلام التحية ولكنه سلام المتاركة
والمعنى سلمتم منا لا نعارضكم بالشتم لا نبتغي الجاهلين يعني لا نحب دينكم الذي انتم عليه
وقيل لا نريد ان نكون من اهل الجهل والسفه وهذا قبل ان تومر المسلمون بالقتال ثم
نسخ ذلك بالقتال لقوله تعالى انك لا تهدي من احببت اي هدايته وقيل احببته
لقرابته ولكن الله يهدي من يشاء وذلك ان الله تعالى يقذف في القلب نور الهداية
فينشرح الصدر للايمان وهو اعلم بالمهتدين اي بمن قدر له الهدى م عن ابي هريرة
انك لا تهدي من احببت نزلت في رسول الله صلى الله عليه حيث راود عمه ابا طالب
على الاسلام وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي طالب عند الموت يا عم
قل لا اله الا الله اشهد لك بها يوم القيامة قال لولا ان تعيرني قريش
يقولون انما حمله الجزع لاقررت بها عينك ثم انشد ۞

ولقد علمت بان دين محمد ۞ من خير اديان البرية دينا

لولا

لولا الملامة او حذار مسبة ۞ لوجدتني سمحا بذاك مبينا

ولكن على ملة الاشياخ يعني عبد المطلب وعبد مناف ثم مات فانزل الله هذه الاية
وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا يعني مكة نزلت في الحرث بن عثمان بن نوفل
ابن عبد مناف وذلك انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذي تقول لحق ولكنا
ان اتبعناك على دينك خفنا ان تخرجنا العرب من ارضنا اي ارض مكة فقال تعالى اولم
نمكن لهم حرما امنا وذلك ان العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم
بعضا واهل مكة امنون حيث انهم كانوا اهل الحرم ومن المعروف انه كان يامن فيه الظبا
من الذئاب والحمام من الحداة يجبى اليه اي يجلب ويجمع اليه ويحمل الى الحرم من الشام ومصر
والعراق واليمن ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن اكثرهم لا يعلمون يعني اهل مكة
لا يعلمون ذلك قوله عز وجل وكم اهلكنا من قرية اي من اهل قرية بطرت معيشتها
اي اشرت وطغت وقيل عاشوا في البطر فاكلوا رزق الله وعبدوا الاصنام فتلك مساكنهم
لم تسكن من بعدهم الا قليلا قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافرون سكونا قليلا وقيل
لم يعمر منها الا اقلها واكثرها خراب وكنا نحن الوارثين يعني لم يخلفهم فيها احد بعد هلاكهم
فصار امرها الى الله تعالى لانه الباقي بعد فناء الخلق وما كان ربك مهلك القرى
يعني الكافرة اهلها حتى يبعث في امها رسولا يعني في اكبرها واعظمها رسولا ينذرهم
وخص بعثة الرسول لانه يبعث الى الاشراف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث في ام
القرى وهي مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم لانه خاتم الانبيا يتلوا عليهم
اياتنا يعني انه يؤدي اليهم ويبلغهم وقيل يخبرهم ان العذاب نازل بهم ان لم يؤمنوا
وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون اي مشركون قوله تعالى وما اوتيتم من شيء
فمتاع الحياة الدنيا وزينتها اي يتمتعون بها ايام حياتهم ثم تصير الى الفنا والانقضاء
وما عند الله خير وابقى لان منافع الاخرة خالصة عن الشوائب وهي دائمة غير منقطعة
ومنافع الدنيا كالذرة بالقياس الى البحر العظيم افلا تعقلون ان الباقي خير من الفاني
وقيل من لم يرجح الاخرة على الدنيا فليس بعاقل ولهذا قال الشافعي رضي الله تعالى
عنه من اوصى بثلث ماله لاعقل الناس صرف ذلك الثلث الى المشتغلين بطاعة الله
لان اعقل الناس من اعطى القليل واخذ الكثير وما هم الا المشتغلين بطاعة الله تعالى
افمن وعدناه وعدا حسنا يعني الجنة فهو لاقيه اي مصيبه وصائر اليه كمن متعناه متاع
الحياة الدنيا اي تزول عنه عن قريب ثم هو يوم القيامة من المحضرين اي النار قيل
هذا في المؤمن والكافر وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقيل في علي
وحمزة وفي ابي جهل وقيل في عمار بن ياسر وفي الوليد بن المغيرة قوله عز وجل ويوم يناديهم
فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون اي في الدنيا انهم شركاي قال الذين حق عليهم
القول اي وجب عليهم العذاب وهم رؤس الضلالة ربنا هؤلاء الذين اغوينا اي دعوناهم
الى الغي وهم الاتباع اغويناهم كما غوينا اي اضللناهم كما ضللنا تبرانا اليك ما كانوا
ايانا يعبدون معناه برئ بعضهم من بعض فصاروا اعدا وقيل يعني الكفار ادعوا شركاءكم
اي الاصنام لتخلصكم من العذاب فدعوهم فلم يستجيبوا لهم اي لم يجيبوهم وراوا
العذاب لو انهم كانوا يهتدون معناه لو انهم كانوا يهتدون في الدنيا لما راوا العذاب
في الاخرة ويوم يناديهم يعني اي ينادي الكفار فيقول ماذا اجبتم المرسلين
اي ما كان جوابكم لمن ارسل اليكم من النبيين فعميت عليهم اي خفيت واشتبهت

عليهم الانبا يعني الاخبار والاعذار والحجج يومئذ فلم يكن لهم عذر ولا حجة فهم لا يتساءلون اي
لا يجيبون ولا يحتجون وقيل يسكتون فلا يسأل بعضهم بعضا فاما من تاب وامن وعمل صالحا
فعسى ان يكون من المفلحين اي من السعداء الناجين وعسى من الله واجب قوله تعالى وربك
يخلق ما يشاء ويختار نزلت هذه الاية جوابا للمشركين حين قالوا لولا نزل هذا القران
على رجل من القريتين عظيم يعني الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي اخبر الله تعالى
انه لا يبعث الرسل باختيارهم لانه الملك المطلق وله ان يخص من يشا بما شا لا اعتراض عليه
البتة ما كان لهم الخيرة اي ليس لهم الاختيار وليس لهم ان يختاروا على الله وقيل معناه
ويختار الله ما كان هو الاصلح والخير لهم فيه ثم نزه نفسه فقال سبحان الله وتعالى
عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم اي تخفي صدورهم وما يعلنون اي يظهرون
وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة اي يحمده اولياؤه في الدنيا ويحمدونه
في الجنة وله الحكم اي فصل القضا بين الخلائق وقال ابن عباس حكم لاهل طاعته بالمغفرة
ولاهل المعصية بالشقاوة واليه ترجعون قوله تعالى قل يا محمد لاهل مكة ارايتم اي اخبروني
ان جعل الله عليكم الليل سرمدا اي دائما الى يوم القيامة لا نهار فيه من اله غير الله يأتيكم
بضيا اي بنهار تطلبون فيه المعيشة افلا تسمعون سماع فهم وقبول قل ارايتم ان جعل الله عليكم
النهار سرمدا الى يوم القيامة اي لا ليل فيه من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه
افلا تبصرون اي ما انتم عليه من الخطا وقيل انه من نعمة الله على الخلق ان جعل الليل والنهار
يتعاقبان لان المرء في حال الدنيا وفي حال التكليف مدفوع الى التعب ليحصل ما يحتاج اليه فلا
يتم ذلك الا بالراحة والسكون له الا بالليل فلا بد منهما واما الجنة فلا تعب فيها ولا نصب فلا
حاجة لهم الى الليل ولذلك يدوم لهم الضيا ابدا فبين الله تعالى انه القادر على ذلك
ليس غيره ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار اي يتعاقبان بالظلمة لتسكنوا فيه
اي في الليل ولتبتغوا من فضله اي بالنهار ولعلكم تشكرون اي نعم الله فيهما ويوم
يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون اي كرر ذكر النداء للمشركين لزيادة
التقريع والتوبيخ ونزعنا اي اخرجنا وقيل ميزنا من كل امة شهيدا يعني رسولهم
يشهد عليهم بانه بلغهم رسالة ربهم ونصح لهم فقلنا اي للامم المكذبة هاتوا برهانكم
اي حجتكم بان معي شريكا فعلموا ان الحق لله اي التوحيد لله وضل عنهم ما كانوا يفترون
اي يختلقون في الدنيا من الكذب على الله قوله عز وجل ان قارون كان من قوم موسى
قيل كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران
ابن قاهث وقيل كان عم موسى ولم يكن في بني اسرائيل اقرأ منه للتوراة ولكن
نافق كما نافق السامري فبغى عليهم قيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل فظلمهم وبغى
عليهم بكثرة ماله وقيل زاد في طول ثيابه شبرا ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه
قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلا اخرجاه في الصحيحين وقيل بغى
عليهم بالكبر والعلو واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه جمع مفتح وهو الذي يفتح به الباب
وقيل مفاتحه خزائنه لتنوء بالعصبة اولي القوة معناه لتثقلهم وتميل بهم اذا حملوها لثقلها
قيل العصبة ما بين العشرة الى الخمسة عشر قال ابن عباس ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل
الى الاربعين الى السبعين وقيل كان قارون يحمل مفاتحه اربعين رجلا اقوى ما يكون من
الرجال وقيل كان قارون اينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما
كثرت وثقلت جعلها من خشب فثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الاصبع

وكانت

وكانت تحمل معه اذا ركب على اربعين بغلا اذ قال له قومه لا تفرح اي لا تبطر ولا تأشر
ولا تمرح ان الله لا يحب الفرحين اي الاشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما اعطاهم
قيل انه لا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمان اليها فاما من يعلم انه سيفارق الدنيا عن
قريب لم يفرح ولقد احسن من قال اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا
وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة اي اطلب فيما اعطاك الله من الاموال الجنة بشكر
الله تعالى فيما انعم الله عليك وتنفقه في رضا الله ولا تنس نصيبك من الدنيا اي
لا تترك ان تعمل في الدنيا للاخرة حتى تنجو من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان
من الدنيا ان يعمل فيها للاخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل لا تنس صحتك وقوتك
وشبابك وغناك ان تطلب بها الاخرة عن ابن عمرو بن ميمون الاودي قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك
قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وهذا حديث
مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم واحسن كما احسن الله اليك اي احسن
بطاعة الله كما احسن الله اليك بنعمته وقيل احسن الى الناس ولا تبغ اي ولا تطلب الفساد
في الارض وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين قال
يعني قارون انما اوتيته على علم عندي اي على فضل وخير علمه الله عندي فراني اهلا لذلك
ففضلني بهذا المال كما فضلني بغيره وقيل هو علم الكيميا وكان موسى يعلمه فعلم يوشع
ابن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلث ذلك العلم وعلم قارون الثلث فخدعهما
قارون حتى اضاف علمهما الى علمه فكان يصنع من الرصاص الفضة ومن النحاس الذهب وكان
سبب امواله وقيل كان علمه حسن التصرف في التجارات والزراعات وانواع المكاسب
قال الله تعالى اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من هو اشد منه قوة واكثر جمعا
اي للاموال ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون قيل معناه ان الله اذا اراد عقاب المجرمين
فلا حاجة به الى سؤالهم لانه اعلم بحالهم وقيل لا يسألون سؤال الاستعلام وانما يسألون سؤال
توبيخ وتقريع وقيل لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم قوله عز وجل فخرج على
قومه في زينته قيل خرج هو وقومه وهم سبعون الفا عليهم الثياب الحمر والصفر والمعصفرات
وقيل خرج على براذين عليها سروج الارجوان وقيل خرج على بغلة شهبا عليها سرج من ذهب
وعليه الارجوان ومعه اربعة الاف فارس عليهم الثياب الحمر وعلى دوابهم الارجوان
ومعه ثلثمائة جارية عليهن الحلي والثياب الحمر وهن على البغال الشهب قال الذين يريدون
الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون انه لذو حظ عظيم اي من المال وقال
الذين اوتوا العلم اي بما وعد الله في الاخرة وقال ابن عباس يعني الاحبار من بني اسرائيل
للذين تمنوا مثل ما اوتي قارون ويلكم ثواب الله اي ما عند الله من الثواب والجزا خير
لمن امن اي صدق بتوحيد الله وعمل صالحا اي ذلك خير مما اوتي قارون في الدنيا ولا
يلقاها الا الصابرون اي لا يؤتى الاعمال الصالحة الا الصابرون وقيل لا يؤتى
هذه الكلمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خير الا الصابرون على طاعة الله وعن زينة
قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض

قصة قارون

قال اهل العلم بالاخبار
والسير كان قارون اعلم بني اسرائيل بعد موسى وهارون واقراهم للتوراة
واجملهم واغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطغى وكان اول طغيانه وعصيانه
ان الله تعالى اوحى الى موسى ان يأمر قومه ان يعلقوا في ارديتهم خيوطا اخضر كلون السما

يذكرونه اذا انظروا الى السما ويعلمون اني منزل عليهما كلامي فقال موسى يا رب افلا تامرهم
ان يجعلوا اردينهم كلها خضرا فان بني اسرائيل تحقر هذا الخيط فقال له ربه يا موسى
ان الصغير من امري ليس بصغير فاذا لم يطيعوني في الامر الصغير لم يطيعوني في الامر الكبير
فدعاهم موسى وقال ان الله يامركم ان تعلقوا في اردينكم خيوطا خضرا كلون السما
لكي تذكروا ربكم اذا رايتموها ففعلت بنو اسرائيل ذلك اي ما امرهم به موسى واستكبر
قارون ولم يطعه وقال انما يفعل الاوثان بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدو
عصيانه وبغيه فلما قطع موسى بني اسرائيل البحر جعلت الحبورة لهارون وهي رياسة المذبح
فكانوا بنوا اسرائيل ياتون بقربانهم الى هارون فيضعه على المذبح فينزل نار من السما
فتاكله فوجد قارون من ذلك في نفسه واتى الى موسى وقال يا موسى لك الرسالة ولهارون
ولهارون الحبورة ولست في شي من ذلك وانا اقرا التوراة لا صبر لي على هذا فقال موسى ما انا
جعلتها لهارون بل الله جعلها له فقال قارون والله لا اصدقك حتى تريني بيانه فجمع
موسى بني اسرائيل فقال هاتوا عصيكم فحزمها والقاها في قبته التي كان يعبد الله فيها
وجعلوا يحرسون عصيهم حتى اصبحوا فاصبح عصا هارون قد اهتزت لها ورق اخضر وكانت
من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا فقال قارون والله ما هذا باعجب مما تصنع
من السحر واعتزل قارون ومن معه واتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما
وهو يوذيه في كل وقت ولا يزيد الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل
بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفايح الذهب وكان الملا من بني اسرائيل يغدون
ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على
موسى فاتاه قارون فصالحه على كل الف دينار دينارا وعن كل الف شاة على شاة وكذلك
ساير الاشيا ثم رجع الى بيته فحسبه فوجده شيا كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني
اسرائيل وقال لهم ان موسى قد امركم بكل شي فاطعتموه وهو يريد الان ان ياخذ اموالكم
قالوا انت كبيرنا فامرنا بما شئت قال امركم ان تجيوا بفلانة البغي فتجعلوا لها
جعلا على ان تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرج عليه بنوا اسرائيل ورفضوه
فدعوها فجعل لها قارون الف دينار والف درهم وقيل طستا من ذهب وقيل
قال لها قارون امولك واخلطك بنسايي على ان تقذفي موسى بنفسك غدا اذا احضر
بنوا اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم اتى الى موسى فقال ان بني
اسرائيل ينتظرون خروجك فتامرهم وتنهاهم فخرج اليهم موسى وهم في براح من الارض فقام
فيهم فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ومن زنا وليست له امراة
جلدناه مائة ومن زنا وله امراة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت انت
فقال وان كنت انا فقال قارون فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة البغي
فقال ادعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة انا فعلت بك ما يقول هذا وعظم
عليها وسالها بالذي فلق البحر لبني اسرائيل وانزل التوراة على موسى الا صدقت
فتداركها الله بالتوفيق فقالت والله لم اكن اوذي رسول الله فقالت لا والله
يا نبي الله ولكن قارون جعل لي جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي
ويقول اللهم ان كنت رسولك فاغضب لي فاوحى الله اليه اني امرت الارض ان
تطيعك فمرها بما شئت فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون كما بعثني الى فرعون
فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون الا رجلان

ثم

ثم قال موسى يا ارض خذيهم فاخذتهم الارض باقدامهم وقيل كان على سريره وفرشه فاخذته
الارض حتى غيبت سريره ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم
الى الاوساط ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه في ذلك يتضرعون
الى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل انه ناشده سبعين مرة وموسى في ذلك
لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا ارض خذيهم فانطبقت عليهم فاوحى الله الى موسى يا موسى
ما اغلظ قلبك استغاث بك سبعين مرة فلم تغثه اما وعزتي وجلالي لو استغاث بي مرة
لاغثته وفي بعض الاثار لا اجعل الارض بعدك طوعا لاحد قال قتادة خسف به فهو يتجلجل
في الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها الى يوم القيامة واصبحت بنوا اسرائيل يتحدثون
بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه وامواله فدعا الله موسى
حتى خسف بداره وكنوزه وامواله الارض فذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض
فما كان له من فئة اي جماعة ينصرونه من دون الله اي يمنعونه من الله وما كان من المنتصرين
اي الممتنعين مما نزل به من الخسف واصبح الذين تمنوا مكانه بالامس اي صار
اولئك الذين تمنوا ما رزق قارون من الاموال والزينة يقولون ويك اي الم تعلم وقيل
الم تر وقيل هي كلمة تقرير معناه الم تر الى صنع الله واحسانه وقيل ويك بمعنى ويلك ومعناه
اعلم ان الله وقيل ويكأن هي مفصول ومن كان والمعنى ان القوم تندموا فقالوا وي متندمين
على ما سلف منهم وكان معناها اظن ذلك واقدره ان الله يبسط الرزق لمن يشاء من
عباده ويقدر اي يوسع لمن يشا ويضيق على من يشا لولا ان من الله علينا اي بالايمان لخسف
بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون قوله عز وجل تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض اي استكبارا عن الايمان وقيل علوا اي استطالة على الناس وتهاونا بهم وقيل
يطلبون الشرف والعز عند ذي سلطانا وعن علي انها نزلت في اهل التواضع من الولاة واهل القدرة
ولا فسادا قيل الدعا الى غير عبادة الله وقيل اخذ اموال الناس بغير حق وقيل العمل
بالمعاصي والعاقبة للمتقين اي والعاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله باداء الاوامر واجتناب
معاصيه وقيل عاقبة المتقين الجنة من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى
الذين عملوا السيئات الا ما كانوا يعملون تقدم تفسيره قوله تعالى ان الذي
فرض عليك القرآن اي انزل عليك القرآن وقيل معناه ان الذي اوجب عليك العمل
بالقرآن لرادك الى معاد قال ابن عباس الى مكة اخرجه البخاري قال القتيبي معاد الرجل بلده
لانه ينصرف فيعود الى بلده وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا
الى المدينة سار على غير الطريق مخافة الطلب فلما امن رجع الى الطريق نزل الجحفة بين مكة
والمدينة وعرف الطريق الى مكة اشتاق اليها فاتاه جبريل عليه السلام فقال اتشتاق الى بلدك
قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد وهذه
الاية نزلت بالجحفة ليست بمكية ولا مدنية وقال ابن عباس في رواية اخرى لرادك الى
معاد اي الى الموت وقيل الى يوم القيامة وقيل الى الجنة قل ربي اعلم من جاء بالهدى
هذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم انك في ضلال مبين فقال
الله تعالى قل لهم ربي اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه ومن هو في ضلال مبين يعني
المشركين ومعناه هو اعلم بالفريقين قوله عز وجل وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب
اي يوحى اليك القرآن الا رحمة من ربك اي لكن رحمة ربك فاعطاك القرآن فلا تكونن
ظهيرا اي معينا للكافرين على دينهم وذلك حين دعوه الى دين ابائه فذكره الله نعمه

عليه فيما دعى عن خطاهرتهم على ما هم عليه ولا يصدنك عن ايات الله يعني القران بعد
اذ انزلت اليك وادع الى ربك اى الى معرفته وتوحيده ولا تكونن من المشركين قال
ابن عباس الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به اهل دينه اى لا
تظاهروا الكفار ولا توافقوهم ولا تدع مع الله الها اخر معناه انه واجب
على الكل الا انه خاطبه به مخصوصا لاجل التعظيم فان قلت النبي صلى الله عليه
وسلم كان معصوما من ان يدعو مع الله الها اخر فما فايدة هذا النهي قلت الخطاب معه
والمراد به غيره وقيل معناه لا تتخذ غيره وكيلا في امورك كلها ولا تعتمد على غيره
لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه اى فانيا الا وجهه لان كل عمل اريد به غير الله فهو هالك
له الحكم اى فصل القضا بين الخلق واليه ترجعون اى تردون في الاخرة فيجزيكم
باعمالكم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة العنكبوت

وهي مكية وهي اخر ما نزل بمكة في قول ابن عباس وهي تسع وستون اية والف
وتسعماية واحدى وثمانون كلمة واربعة الاف وخمسة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن
الرحيم قوله عز وجل الم احسب اى ظن الناس ان يتركوا اى بغير اختبار وابتلاء ان
اى بان يقولوا امنا وهم لا يفتنون اى لا يبتلون في اموالهم وانفسهم كلا
لنختبرنهم لنبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب قيل نزلت هذه الاية
في ناس كانوا بمكة قد اقروا بالاسلام فكتب اليهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
انه لا يقبل منكم الاقرار بالاسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين الى المدينة فاتبعهم
المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله هاتين الايتين وقال
ابن عباس اراد بالناس الذين امنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن ربيعة والوليد
بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم وقيل في عمار كان يعذب في الله تعالى وقيل في مهجع
بن عبد الله مولى عمر كان اول قتيل قتل من المسلمين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه
وسلم سيد الشهدا مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع ابواه وامراته
فانزل الله هذه الاية وقيل معنى لا يفتنون اى بالاوامر والنواهي وذلك ان الله
عز وجل امرهم في الابتدا بمجرد الايمان ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وساير
الشرايع فشق ذلك على بعض الناس فانزل الله هذه الاية ثم عزاهم فقال تعالى
ولقد فتنا الذين من قبلهم يعني الانبيا والمومنين فمنهم من نشر بالمناشير ومنهم من
قتل وابتلي بنوا اسرايل بفرعون فكان يسومهم سو العذاب فليعلمن الله الذين
صدقوا اى في قولهم وليعلمن الكاذبين والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار
ومعنى الاية فليظهرن الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلوما وقيل ان
اثار الافعال الحق صفة وقيل فليرين وقيل فليميزن الله وقيل ان علم صفة يظهر
فيما كما هو واقع قوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيات يعني الشرك ان يسبقونا
اى يعجزونا فلا نقدر على الانتقام منهم سا ما يحكمون اى بيس ما حكموا حين ظنوا ذلك
وقال ابن عباس من كان يخشى البعث والحساب وقيل من كان يطمع في ثواب الله من كا
ن يرجوا لقا الله فان اجل الله لات يعني ما وعد من الثواب والعقاب وقيل
يوم القيامة لكاين والمعنى ان من يخشى الله او يامله فليستعد له وليعمل لذلك

اليوم وهو السميع العليم اى يعلم ما تعمله العباد من الطاعة والمعصية فيثيبهم او يعاقبهم
او يعفو قوله تعالى ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه اى له ثوابه وهذا الحكم الوعد لا بحكم
الاستحقاق فان الكريم اذا وعد في الجهاد هو الصبر على الشدة وقد يكون في الحرب
وقد يكون على مخالفة النفس ان الله لغني عن العالمين اى عن اعمالهم وعباداتهم
وفيه بشارة وتخويف اما البشارة لانه اذا كان غنيا عن الاشيا فلو اعطى جميع
ما خلقه لعبد من عباده لا شي عليه لاستغنايه وهذا يوجب الرجا التام واما التخويف
فان الله اذا كان غنيا عن العالمين فلو اهلكهم بعذابه فلا شي عليه لاستغنايه عنهم
والذين امنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سياتهم اى لنبطلها حتى تصير بمنزلة
من لم يعملها والتكفير اذهاب السيية بالحسنة ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اى
باحسن اعمالهم وهو الطاعة وقيل اكثر مما عملوا قوله عز وجل ووصينا الانسان
بوالديه حسنا اى برا بهما وعطفا عليهما والمعنى ووصينا الانسان بوالديه ان
يفعل بوالديه ما يحسن نزلت هذه والتي في سورة لقمان والاحقاف في سعد بن ابي
وقاص وهو ابو اسحاق سعد بن مالك الزهري وامه حمنة بنت ابي سفيان بن امية
بن عبد شمس لما اسلم وكان من السابقين الاولين وكان بارا بامه قالت امه ما هذا
الدين الذي احدثت والله لا اكل ولا اشرب حتى ترجع الى ما كنت عليه او اموت فتعير
بذلك ابد الدهر ويقال يا قاتل امه ثم انها مكثت يوما وليلة لم تاكل ولم تشرب ولم
تستظل فاصبحت وقد جهدت ثم مكثت كذلك يوما اخر وليلة فجاها ابنها سعد
وقال يا اماه لو كانت لك ماية نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني فكلي ان شيت
وان شيت فلا تاكلي فلما ايست منه اكلت وشربت فانزل الله هذه الاية وامر بالبر
بوالديه والاحسان اليهما وان لا يطيعهما في الشرك فذلك قوله تعالى وان جاهداك
لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وجا في الحديث لا طاعة لمخلوق في معصية
الله ثم اوعد بالمصير اليه فقال تعالى الي مرجعكم فانبيكم فاخبركم بما كنتم تعملون
اى بصالح اعمالكم وسييها فاجازيكم عليها والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم
في الصالحين اى في زمرة الصالحين وهم الانبيا والاوليا وقيل في مدخل الصالحين
وهو الجنة قوله عز وجل ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي في الله اى اصابه
بلا من الناس افتتن جعل فتنة الناس كعذاب الله اى جعل اذى الناس وعذابهم كعذاب
الله في الاخرة والمعنى انه جزع من اذى الناس ولم يصبر عليه فاطاع الناس كما يطيع
الله من يخاف من عذابه وهو المنافق اذا اوذي في الله رجع عن الدين وكفر ولين جا نصر
من ربك اى فتح ودولة للمومنين ليقولن اى هاولا المنافقين للمومنين انا كنا معكم
اى على عدوكم وكنا مسلمين وانما اكرهنا حتى قلنا ما قلنا فكذبهم الله فقال تعالى اوليس
الله باعلم بما في صدور العالمين اى من الايمان والنفاق وليعلمن الله الذين امنوا
اى صدقوا فثبتوا على الاسلام عند البلا وليعلمن المنافقين اى بترك الاسلام عند
البلا وقيل نزلت هذه الاية في اناس كانوا يومنون بالسنتهم فاذا اصابهم بلا من
الناس او مصيبة في انفسهم افتتنوا وقال ابن عباس نزلت في الذين اخرجهم المشركون معهم
الى بدر وهم الذين تتوفاهم الملايكة ظالمي انفسهم وقيل هذه الايات العشر من اول
السورة الى ههنا مدنية وباقي السورة مكية وقال الذين كفروا يعني من اهل مكة وقيل
قاله ابو سفيان للذين امنوا اى من قريش اتبعوا سبيلنا يعني ديننا وملة ابايا

ونحن الكفلا بكل تبعة من الله تصيبكم فذلك قوله تعالى ولنحمل خطاياكم اي اوزاركم والمعنى
ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فاكذبهم الله عز وجل فقال وما هم بحاملين من خطاياهم
من شي انهم لكاذبون في قولهم نحمل خطاياكم وليحملن اثقالهم اي اوزار اعمالهم التي عملوها
بانفسهم واثقالا مع اثقالهم اي اوزار من اضلوا وصدوا عن سبيل الله مع اوزار انفسهم فان
قلت قد قال اولا وما هم بحاملين من خطاياهم من شي وقال هاهنا وليحملن اثقالهم واثقالا
مع اثقالهم فكيف الجمع بينهما قلت معناه انهم لا يرفعون عنهم خطيئة بل كل واحد يحمل
خطيئة نفسه ورؤسا الضلال يحملون اوزارهم ويحملون اوزارا بسبب اضلال غيرهم
فهو كقوله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل
بها من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شي رواه مسلم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا يفترون
اي سؤال تقريع وتوبيخ لانه تعالى عالم باعمالهم وافترائهم قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه فلبث اي اقام فيهم يدعوهم الى عبادة الله وتوحيده الف سنة الا خمسين عاما
فان قلت ما فائدة هذا الاستثنا وهلا قال تسعمائة وخمسين سنة قلت فيه فائدتان
احدهما ان الاستثنا يدل على التحقيق وتركه قد يظن به التقريب فهو كقول القائل عاش
فلان سنة فقد يتوهم السامع انه يقول مائة سنة تقريبا لا تحقيقا فاذا قال مائة
سنة الا شهرا او الا سنة زال ذلك التوهم وفهم منه التحقيق الفائدة الثانية هي
لبيان ان نوحا صبر على اذى قومه صبرا كثيرا واعلى مراتب العدد الف وكان المراد
التكثير فلذلك اتى بعقد الالف لانه اعظم وافخم وهذه المسئلة تسلية للنبي صلى الله عليه
وسلم حيث اعلم ان الانبيا قد ابتلوا قبله وان نوحا لبث الف سنة الا خمسين عاما يدعو
قومه فصبر في الدعا ولم يؤمن من قومه الا قليل فانت اولى بالصبر لقلة لبثك وكثرة
من امن من قومك قال ابن عباس بعث نوح لاربعين سنة وبقي في قومه يدعوهم الف سنة
الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس فكان عمره الفا وخمسين سنة
وقيل في عمره غير ذلك وقوله عز وجل فاخذهم الطوفان اي فاغرقهم وهم ظالمون قال ابن
عباس مشركون فانجيناه واصحاب السفينة يعني من الغرق وجعلناها يعني السفينة اية
اي عبرة للعالمين قيل انها بقيت على الجودي مدة مديدة وقيل جعلنا عقوبتهم بالغرق عبرة
قوله عز وجل وابراهيم اي وارسلنا ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه اي اطيعوا
الله وخافوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون اي ما هو خير لكم مما هو شر لكم ولكنكم
لا تعلمون انما تعبدون من دون الله اوثانا وتخلقون افكا اي تقولون كذبا
وقيل تصنعون اصناما بايديكم وتسمونها الهة ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون
لكم رزقا اي لا يقدرون ان يرزقوكم فابتغوا اي اطلبوا عند الله الرزق فانه القادر
على ذلك واعبدوه اي وحدوه واشكروا له اي لانه المنعم عليكم بالرزق واليه ترجعون
اي في الاخرة وان تكذبوا فقد كذب امم من قبلكم اي مثل قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم
فاهلكوا وما على الرسول الا البلاغ المبين قوله تعالى اولم يروا قيل هذه الايات الى
قوله فما كان جواب قومه يحتمل ان تكون من تمام قول ابراهيم لقومه وقيل انها وقعت
معترضة في قصة ابراهيم وهي في تذكير اهل مكة وتحذيرهم ومعنى اولم يروا اولم يعلموا
كيف يبدئ الله الخلق اي يخلقهم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يعيده اي في الاخرة
الى البعث ان ذلك على الله يسير اي الخلق الاول والخلق الثاني قل سيروا في الارض
فانظروا كيف بدا الخلق اي انظروا الى ديارهم واثارهم كيف بدا خلقهم ثم

ثم الله ينشئ النشاة الاخرة اي ثم الله الذي خلقهم يحييهم نشاة ثانية بعد الموت والمعنى
فكما لم يتعذر عليه احداثهم مبتدئا كذلك لا يتعذر عليه انشاؤهم معيدا بعد الموت ثانيا ان
الله على كل شي قدير اي من البداة والاعادة يعذب من يشا عدلا منه ويرحم من يشا تفضلا
واليه تقلبون اي تردون وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السما قيل معناه ولا من في السما
بمعجز والمعنى انه لا يعجزه اهل الارض ولا اهل السما وقيل معنى قوله ولا في السما اي لو كنتم فيها
وما لكم من دون الله من ولي اي يمنعكم مني ولا نصير اي ينصركم من عذابي والذين كفروا
بايات الله يعني القران ولقائه اي البعث اولئك يئسوا من رحمتي يعني الجنة واولئك لهم عذاب
اليم فهذه اخر الايات في تذكير اهل مكة ثم عاد الى قصة ابراهيم عليه السلام فقال عز وجل
فما كان جواب قومه الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه اي قال ذلك بعضهم لبعض وقيل
قال الرؤسا للاتباع اقتلوه او حرقوه فانجاه الله من النار اي بان جعلها عليه بردا وسلاما
قيل انه في ذلك اليوم لم ينتفع احد بنار ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون اي يصدقون وقال
يعني ابراهيم لقومه انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا اي ثم تنقطع
ولا تنفع في الاخرة وقيل معناه انكم تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا ثم
يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اي يتبرا الاوثان من عابديها وتتبرا
القادة من الاتباع وتلعن الاتباع القادة وماواكم النار يعني العابدين والمعبودين جميعا
وما لكم من ناصرين اي ما نعين من عذابه فامن له لوط اي صدقه برسالته لما راى معجزته وهو
اول من صدق ابراهيم واما في اصل التوحيد فانه كان موحدا لان الانبيا لا يتصور منهم الكفر
وقال يعني ابراهيم اني مهاجر الى ربي اي الى حيث امرني ربي فهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة
الى حران ثم هاجر الى الشام ومعه لوط وامراته سارة وهو اول من هاجر الى الله وترك بلده
وسار الى حيث امره الله بالمهاجرة اليه قيل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة انه هو العزيز
يعني الذي يمنعني من اعداي الحكيم اي الذي لا يامرني الا بما يصلحني قوله تعالى ووهبنا له
اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب يقال ان الله تعالى لم يبعث
نبيا بعد ابراهيم الا من نسله واتيناه اجره في الدنيا هو الثنا الحسن فكل اهل الاديان
يتولونه ويحبونه والصلاة عليه والذرية الطيبة والنبوة في نسله هذا له في
الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين اي في زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل ادم ونوح
قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه انكم لتاتون الفاحشة اي الفعلة القبيحة ما
سبقكم بها من احد من العالمين اي لم يفعلها احد قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال
ائنكم لتاتون الرجال يعني انكم تقضون الشهوة من الرجال وتقطعون السبيل
وذلك انهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن مر بهم من المسافرين فترك الناس الممر بهم لاجل
ذلك وقيل معناه يقطعون سبيل النسل بايثار الرجال على النسا وتاتون في ناديكم
اي مجالسكم والنادي مجلس القوم ومتحدثهم المنكر عن ام هاني بنت ابي طالب عن النبي
صلى الله عليه وسلم في قوله وتاتون في ناديكم المنكر قال كانوا يحذفون اهل الارض
ويسخرون منهم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن الحذف هو حذفك رمي الحصا بين الاصابع
وقيل انهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر
سبيل حذفوه فايهم اصابه كان اولى به وقيل انه كان ياخذ ما معه وينكحه ويغرمه ثلاثة
دراهم وقيل انهم كانوا يجامعون بعضهم بعضا في مجالسهم وقيل انهم كانوا في مجالسهم
يتضارطون في مجالسهم وعن عبد الله بن سلام كان يبزق بعضهم على بعض وقيل كانوا

من اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحنا وحل الازرار والصفير والحذف
والرمي بالجلاهق واللوطية فما كان جواب قومه اي لما انكر عليهم لوط ما يأتونه من القبائح
الا ان قالوا يعني استهزاء ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين اي ان العذاب نازل
بنا فعند ذلك قال رب انصرني على القوم المفسدين اي بتحقيق قولي ان العذاب نازل بهم
قوله تعالى ولما جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى يعني من الله باسحاق ويعقوب قالوا انا مهلكوا
اهل هذه القرية يعني قوم لوط والقرية سدوم ان اهلها كانوا ظالمين قال يعني ابراهيم
اشفاقا على لوط وليعلم حاله ان فيها لوطا قالت الملائكة قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه
واهله الا امراته كانت من الغابرين يعني من الباقين في العذاب ولما ان جاءت رسلنا
لوطا سيء بهم اي ظنهم من الانس فخاف عليهم ومعناه انه جاءه ما ساءه وضاق بهم ذرعا اي عجز
عن تدبير امرهم فحزن لذلك وقالوا لا تخف اي من قومك ولا تحزن علينا انا منجوك واهلك
اي انا مهلكوهم ومنجوك واهلك الا امراتك كانت من الغابرين انا منزلون على اهل هذه
القرية رجزا اي عذابا من السماء وقيل هو الخسف والحصب بالحجارة بما كانوا يفسقون ولقد
تركنا منها اي من قريات قوم لوط اية بينة اي عبرة ظاهرة لقوم يعقلون اي يتدبرون
الايات تدبر ذوي العقول قال ابن عباس الاية البينة اثار منازلهم الخربة وقيل
هي الحجارة التي اهلكوا بها ابقاها الله حتى ادركها اوائل هذه الامة وقيل هي ظهور الماء
الاسود على وجه الارض قوله عز وجل والى مدين اي وارسلنا الى مدين ومدين هو اسم
رجل وقيل هو اسم للمدينة فعلى القول الاول يكون المعنى وارسلنا الى ذرية مدين
واولاده وعلى القول الثاني يكون المعنى وارسلنا الى اهل مدين اخاهم شعيبا
فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر اي افعلوا فعل من يرجو اليوم
الاخر وقيل معناه اخشوا اليوم وخافوه ولا تعثوا في الارض مفسدين فكذبوه
فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة وذلك ان جبريل صاح فرجفت الارض فاصبحوا في
دارهم جاثمين اي باركين على الركب ميتين وعادا وثمود اي واهلكنا عادا وثمود
وقد تبين لكم يا اهل مكة من مساكنهم اي منازلهم بالحجر واليمن وزين لهم الشيطان
اعمالهم اي عبادتهم لغير الله فصدهم عن السبيل اي عن سبيل الحق وكانوا مستبصرين
اي عقلاء ذوي بصائر وقيل كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون انهم على الهدى وهم
على الباطل وضلالتهم والمعنى انهم كانوا عند انفسهم مستبصرين وقارون وفرعون وهامان
اي واهلكنا هؤلاء ولقد جاءهم موسى بالبينات اي بالدلالات الواضحات فاستكبروا
في الارض وما كانوا سابقين اي فائتين من عذابنا فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا
عليه حاصبا وهم قوم لوط رموا بالحصباء وهي الحصى الصغار ومنهم من اخذته الصيحة
يعني ثمود ومنهم من خسفنا به الارض يعني قارون واصحابه ومنهم من اغرقنا يعني
قوم نوح وفرعون وقومه وما كان الله ليظلمهم اي بالهلاك ولكن كانوا انفسهم
يظلمون اي بالاشراك قوله عز وجل مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء يعني الاصنام
يرجون نصرها ونفعها كمثل العنكبوت اتخذت بيتا لنفسها تاوي اليه وان بيتها في
غاية الضعف والوهاء لا يدفع عنها حرا ولا بردا فكذلك الاوثان لا تملك لعابديها نفعا
ولا ضرا وقيل معنى هذا المثل ان المشرك الذي يعبد الاوثان بالقياس الى المؤمن الذي يعبد
الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا من نسجها بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص وينحته
من صخر كما ان اوهن البيوت اذا استقريتها بيتا بيت العنكبوت فكذلك اضعف

الاوثان لعابديها لا تضر ولا تنفع وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت اشارة الى ضعفه فان الريح
اذا هبت عليه او لمسه لامس فلا يبقى له عين ولا اثر فقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت
وقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون اي ان هذا مثلهم وان امر دينهم بلغ هذه الغاية
من الوهن ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء هذا توكيد للمثل وزيادة عليه يعني ان الذين
يدعون من دونه ليس بشيء وهو العزيز الحكيم معناه كيف يجوز للعاقل ان يترك عبادة العزيز
الحكيم القادر على كل شيء ويشتغل بعبادة ما ليس بشيء اصلا وتلك الامثال اي الاشباه يعني
امثال القران التي شبه بها احوال كفار هذه الامة باحوال كفار الامم المتقدمة نضربها
اي نبينها للناس اي لكفار مكة وما يعقلها الا العالمون يعني ما يعقل الامثال الا العلماء
الذين يعقلون عن الله عز وجل روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى
الله عليه وسلم تلا هذه الاية وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون قال
العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق
اي للحق واظهار الحق ان في ذلك لاية اي دلالة للمؤمنين على قدرته وتوحيده قوله تعالى
اتل ما اوحي اليك من الكتاب يعني القران واقم الصلاة فان قلت لم امر بذلك النبي
بتلاوة القران واقامة الصلاة فقط قلت لان العبادة المختصة بالعبد ثلاثة قلبية
وهي الاعتقاد الحق ولسانية وهي الذكر الحسن وبدنية وهي العمل الصالح لكن الاعتقاد لا
يتكرر فان من اعتقد شيئا لا يمكنه ان يعتقده مرة اخرى بل ذلك يدوم مستمرا فبقي الذكر والعبادة
البدنية يمكن التكرار فلذلك امره بهما ان الصلاة تنهى عن الفحشاء اي ما قبح من
الاعمال والمنكر اي ما لا يعرف في الشرع قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومزدجر
عن معاصي الله فمن لم تامره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله
الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل
من داوم على الصلاة جره ذلك الى ترك السيئات كما روي عن انس قال كان فتى من الانصار
يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع شيئا من الفواحش الا ركبه فوصف لرسول
الله صلى الله عليه وسلم حاله فقال ان الصلاة تنهاه يوما فلم يلبث ان تاب وحسنت حالته وقيل
معنى الاية انه ما دام في صلاته فانها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله ان في الصلاة لشغلا
وقيل اراد بالصلاة القران وفيه ضعف لتقدم ذكر القران وعلى هذا يكون معناه
ان القران ينهاه عن الفحشاء والمنكر كما روي عن جابر قال قال رسول جاء رجل للنبي صلى
الله عليه وسلم ان رجلا يقرا القران الليل كله فاذا اصبح سرق فقال ستنهاه قراءته وفي
رواية انه قال يا رسول الله ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال ان صلاته لتردعه
على كل حال فان المراعي للصلاة لا بد ان يكون بعيدا عن الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها قوله تعالى
ولذكر الله اكبر اي انه افضل الطاعات عن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الذهب والورق
وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى قال ذكر الله اخرجه
الترمذي وله عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي العباد افضل درجة
عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله ومن الغازي في سبيل
الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون
الله كثيرا افضل منه درجة م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات

ويروى المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والتشديد بناء ثم يقال فرد الرجل بتشديد الراء اذا تفقه واعتزل
الناس وخلا بمراعاة الامر والنهي وقيل هم المخلفون عن الناس بذكر الله لا يخلطون به
غيره م عن ابي هريرة وابي سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم
السكينة وذكرهم الله فيمن عنده وروي ان اعرابيا قال يا رسول الله اي الاعمال افضل
قال ان تفارق الدنيا ولسانك رطب بذكر الله تعالى وقال ابن عباس معنى ولذكر الله اكبر
اي ذكر الله اياكم افضل من ذكركم اياه ويروى ذلك مرفوعا عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم وقال ابن عطاء ولذكر الله اكبر من ان تبقى معه معصية والله يعلم ما تصنعون اي لا
يخفى عليه شيء من امركم قوله عز وجل ولا تجادلوا اهل الكتاب اي لا تخاصموهم الا بالتي
هي احسن اي بالقران والدعاء الى الله باياته والتنبيه على حججه واراد به من قبل الجزية ومعنى
منهم وقوله تعالى الا الذين ظلموا منهم اي ابوا ان يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فجادلوهم
بالسيف حتى يسلموا او يعطوا الجزية ومعنى الاية الا الذين ظلموكم لان جميعهم ظالم بالكفر
وقيل هم اهل الحرب ومن لا عهد له وقيل الاية منسوخة باية السيف وقولوا اي للذين
قبلوا الجزية اذا اخبروكم بشيء مما في كتبهم امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم
واحد ونحن له مسلمون خ عن ابي هريرة قال كان اهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية
ويفسرونها بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل
الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالذي انزل الينا الاية قوله عز وجل وكذلك اي كما
انزلنا اليهم الكتب انزلنا اليك الكتاب فالذين اتيناهم الكتاب يؤمنون به اي
يعني مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه ومن هؤلاء يعني اهل مكة من يؤمن
به وما يجحد باياتنا الا الكافرون وذلك ان اليهود عرفوا ان محمدا صلى الله عليه
وسلم نبي وان القران حق فجحدوا والجحود انما يكون بعد المعرفة وما كنت تتلو يا محمد من
قبله من كتاب معناه من كتاب اي من قبل ما انزلنا اليك الكتاب ولا تخطه بيمينك اي
ولا تكتبه والمعنى لم تكن تقرا ولا تكتب قبل الوحي اذا لارتاب المبطلون معناه لو
كنت تكتب او تقرا قبل الوحي لشك المشركون من اهل مكة وقالوا انه يقراه من كتب الاولين
او ينسخه منها وقيل المبطلون هم اليهود ومعناه اذا لشكوا فيه واتهموك وقالوا ان الذي
نجد نعته في التوراة لا يقرا ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت بل هو ايات بينات
يعني القران في صدور الذين اوتوا العلم يعني المؤمنين الذين حملوا القران وقال ابن عباس
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم من اهل
الكتاب لانهم يجدونه بنعته وصفته في كتبهم وما يجحد باياتنا الا الظالمون يعني
اليهود وقالوا يعني كفار مكة لولا انزل عليه ايات من ربه اي كما انزل على الانبياء
من قبله وقيل اراد بالايات معجزات الانبياء مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك
انما الايات عند الله اي هو القادر على انزالها اذا شاء انزلها وانما انا نذير مبين
اي انما كلفت الانذار وليس انزال الايات بيدي اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب
هذا جواب لقولهم لولا انزل عليه اية من ربه فقال اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب
يتلى عليهم يعني ان القران معجزة اتم من معجزة من تقدمه من الانبياء لان معجزة القران
تدوم على ممر الازمان والدهور ثابتة لا تضمحل كما تزول كل اية بعد كونها ان في ذلك يعني
انزال القران لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون اي تذكيرا وعظة لمن امن به وعمل به قل كفى

بالله

بالله بيني وبينكم شهيدا معناه يشهد لي اني رسوله والقران كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب وشهادة
الله اثبات المعجزات له بانزال الكتاب عليه يعلم ما في السموات والارض اي هو المطلع على امري وامركم
ويعلم حقي وباطلكم لا يخفى عليه خافية والذين امنوا بالباطل قال ابن عباس بغير الله وقيل بعبادة
الشيطان وقيل بما سوى الله لان ما سوى الله باطل وكفروا بالله فان قلت من امن بالباطل
فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التاكيد قلت نعم فائدته انه ذكر الثاني لبيان قبح
الاول فهو كقول القائل اتقول الباطل وتترك الحق لبيان ان الباطل قبيح اولئك هم
الخاسرون اي المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان قوله عز وجل ويستعجلونك
بالعذاب نزلت في النضر بن الحرث حين قال فامطر علينا حجارة من السماء ولولا اجل مسمى
قال ابن عباس ما وعدتك اني لا اعذب قومك ولا استاصلهم واوخر عذابهم الى يوم القيامة
وقيل مدة اعمارهم لانهم اذا ماتوا صاروا الى العذاب وقيل يوم بدر لجاءهم العذاب يعني
وليأتينهم يعني العذاب وقيل الاجل بغتة وهم لا يشعرون يعني باتيانه يستعجلونك
بالعذاب اي اعاده تاكيدا وان جهنم لمحيطة بالكافرين اي جامعة لهم لا يبقى منهم احد
الا دخلها يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ونقول ذوقوا ما كنتم تعملون
اي جزاء ما كنتم تعملون قوله تعالى يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون
نزلت في ضعفاء مسلمي مكة يقول الله تعالى ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الايمان بها فاخرجوا
منها ان ارضي يعني المدينة واسعة امنة وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى
اذا هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل الله هذه الاية ولم يعذرهم بترك الخروج وقيل
معنى هاجروا فيها اي جاهدوا فيها قال سعيد بن جبير اذا عمل في ارض بالمعاصي فاهربوا منها فان
ارضي واسعة وقيل اذا امرتم بالمعاصي فاهربوا فان ارضي واسعة وكذلك يجب على كل من
كان في بلد يعمل فيه بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث تتهيأ له العبادة وقيل يعني
ان ارضي واسعة اي رزقي لكم واسع فاخرجوا كل نفس ذائقة الموت اي كل احد ميت خوفهم
بالموت ليهون عليهم الهجرة فلا يقيموا بدار الشرك خوفا من الموت ثم الينا ترجعون فنجزيكم
باعمالكم قوله عز وجل والذين امنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا اي لننزلنهم
جمع غرفة وهي العلية تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين اي لله بطاعته
الذين صبروا اي على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وقيل صبروا على الهجرة ومفارقة
الاوطان وعلى اذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي وعلى ربهم
يتوكلون اي يعتمدون على الله في جميع امورهم قوله عز وجل وكاين من دابة لا تحمل رزقها
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد اذاهم المشركون
هاجروا الى المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا ويسقينا
فانزل الله هذه الاية وكاين من دابة اي ذات حاجة الى غذاء لا تحمل رزقها اي لا ترفع
رزقها معها لضعفها ولا تدخر شيئا لغد مثل البهائم والطير الله يرزقها واياكم حيث
كنتم وهو السميع اي لاقوالكم العليم بما في قلوبكم عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير
تغدو خماصا وتروح بطانا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ومعناه انها تذهب اول
النهار جياعا ضامرة البطون وترجع اخر النهار شباعا ممتلئة البطون ولا تدخر شيئا
قال سفيان بن عيينة ليس شيء من خلق الله يخبأ الا الانسان والفارة والنملة وعن ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يا ايها الناس ليس من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم

من النار الا وقد امرتكم به وليس شي يقربكم الى النار ويباعدكم من الجنة الا وقد نهيتكم عنه الا وان
الروح الامين نفث في روعي انه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا
الله واجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطا الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله عز وجل فانه لا يدرك
ما عند الله الا بطاعته قوله تعالى ولئن سالتهم يعني كفار مكة من خلق السموات والارض
وسخر الشمس والقمر ذكر امرين احدهما اشارة الى ايجاد الذوات والثاني الى ايجاد الصفات وهي
الحركة في الشمس والقمر ليقولن الله فانى يؤفكون معناه انهم يعتقدون هذا فكيف يصرفون عن
عبادة الله تعالى مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض الله يبسط الرزق لمن يشا من عباده
لما ذكر الخلق ذكر الرزق لان كمال الخلق ببقائه وبقا الانسان بالرزق فالله تعالى هو المتفضل
بالرزق على الخلق فله الفضل والاحسان والطول والامتنان ويقدر له اي يضيقه اذا
شا ان الله بكل شي عليم اي يعلم مقادير الحاجة ذو الامر مقادير الارزاق ولئن سالتهم
من نزل من السما ما فاحيا به الارض من بعد موتها ليقولن الله اتفقوا على ان الفاعل ذكر سبب
الرزق وموجد المسبب فالرزق من الله تعالى قل الحمد لله اي على ان الفاعل لهذه الاشيا هو
الله وقيل قل الحمد لله على اقرارهم ولزوم الحجة لهم وعليهم بل اكثرهم لا يعقلون اي انهم
ينكرون التوحيد مع اقرارهم بانه خالق هذه الاشيا قوله عز وجل وما هذه الحياة الدنيا
الا لهو ولعب اللهو هو الاستمتاع بلذات الدنيا وقيل هو الاشتغال بما لا يعنيه ولا يهمه
واللعب العبث وفي هذا تصغير الدنيا وازدراؤها ومعنى الاية ان سرعة زوال الدنيا
عن اهلها وموتهم وتقلبهم عنها كما تلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وان الدار الاخرة
لهي الحيوان اي الحياة الدايمة الخالدة التي لا موت فيها لو كانوا يعلمون فنا الدنيا وبقا
الاخرة لما اثروا الفاني على الباقي قوله عز وجل فاذا ركبوا في الفلك معناه هم على ما
وصفوا به من الشرك والعناد فاذا ركبوا الفلك وخافوا الغرق دعوا الله مخلصين
له الدين اي تركوا الاصنام ولجاوا الى الله تعالى بالدعا فلما نجاهم الى البر اذا هم
يشركون اي عادوا الى ما كانوا عليه من الشرك والعناد وقيل كان اهل الجاهلية
اذا ركبوا البحر حملوا معهم الاصنام فاذا اشتدت الريح القوها في البحر وقالوا
يا رب يا رب ليكفروا بما اتيناهم اي ليجحدوا نعمة الله في انجائه اياهم ومعناه
التهديد والوعيد وليتمتعوا معناه لا فايدة لهم في الاشراك الا التمتع بما يتمتعون
يستمتعون به في العاجلة ولا نصيب لهم في الاخرة فسوف يعلمون يعني عاقبة
امرهم ففيه تهديد ووعيد لهم قوله تعالى او لم يروا انا جعلنا حرما امنا ويتخطف
الناس من حولهم يعني العرب يسبي بعضهم بعضا واهل مكة امنون افبالباطل يعني الشيطان
والاصنام يؤمنون وبنعمة الله اي محمد صلى الله عليه وسلم والاسلام اي بمحمد صلى الله
عليه وسلم والقران يكفرون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي بزعمه ان له شريكا
وانه منزه عن الشركا او كذب بالحق اي بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران لما جاءه
اليس في جهنم مثوى للكافرين معناه اما لهذا الكافر المكذب ماوى في جهنم قوله عز وجل
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم معناه جاهدوا المشركين لنصرة ديننا لنهدينهم سبلنا
لنثيبنهم على ما قاتلوا عليه وقيل لنزيدنهم هدى وقيل لنوفقنهم لاصابة الطريق المستقيمة
وهي التي توصل الى رضا الله تعالى قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا
ما عليه اهل الثغور فان الله تعالى يقول والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض جاهدوا

في طلب

في طلب العلم لنهدينهم سبيل العلم وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فينا في اقامة
السنة لنهدينهم سبل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا
وان الله لمع المحسنين بالنصرة والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عقباهم والله اعلم

تفسير سورة الروم

وهي مكية وهي ستون اية وثمان مائة وتسعة عشر كلمة وثلاثة الاف وخمسمائة
واربعة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم غلبت الروم في ادنى الارض
سبب نزول هذه الاية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان
المشركون يودون ان تغلب فارس الروم لان فارس كانوا مجوسا اميين والمسلمون
يودون غلبة الروم على فارس لكونهم اهل كتاب فبعث كسرى جيشا الى الروم واستعمل عليهم
رجلا يقال له شهريران وبعث قيصر جيشا وامر عليهم يدعى يخنس فالتقيا باذرعات وبصرى
وهي ادنى الشام الى ارض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق
عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم اهل كتاب ونحن اميون وفارس اميون
وقد ظهر اخواننا من اهل فارس على اخوانكم من الروم وانكم ان قاتلتمونا لنظهرن عليكم
فانزل الله هذه الاية فخرج ابو بكر الصديق الى كفار مكة فقال افرحتم بظهور اخوانكم
فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس اخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم
فقام اليه ابي بن خلف الجمحي فقال كذبت فقال انت اكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا
اجلا اناحبك عليه والمناحبة بالحا المهملة القمار والمراهنة اي اراهنك على عشر قلايص
فان ظهرت الروم على فارس غرمت وان ظهرت فارس غرمت ففعلوا الاجل ثلاث سنين فجا ابو بكر
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره بذلك قبل تحريم القمار فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر ومادة في الاجل
فخرج ابو بكر فلقي ابيا فقال لعلك ندمت فقال لا فقال ازايدك في الخطر واماددك في الاجل
فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص الى تسع سنين وقيل الى سبع سنين فقال قد فعلت فلما
خشي ابي بن خلف ان يخرج ابو بكر من مكة اتاه ولزمه وقال اني اخاف ان تخرج من مكة
فاقم لي كفيلا فكفل له ابنه عبد الله ابن ابي بكر فلما اراد ابي بن خلف ان يخرج الى احد اتاه
عبد الله بن ابي بكر فلزمه وقال والله لا ادعك حتى تعطيني كفيلا فاعطاه كفيلا ثم خرج
الى احد ثم رجع ابي بن خلف الى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبي صلى الله عليه وسلم
حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على راس سبع سنين من مناحبتهم
وقيل كان يوم بدر ربطت الروم خيولهم بالمداين وبنوا بالعراق مدينة وسموها رومية
فقمر ابو بكر ابيا واخذ مال الخطر من ورثته وجا به الى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل
ان يحرم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به وكان سبب غلبة الروم فارس
على ما قال عكرمة وغيره ان شهريران لما غلب ولم يزل يطاهم ويخرب مداينهم حتى بلغ
الخليج فبينا اخوه فرخان جالس ذات يوم يشرب فقال لاصحابه لقد رايت كاني جالس على
سرير كسرى فبلغت كلمته الى كسرى فكتب الى شهريران اذا اتاك كتابي فابعث الي براس فرخان
فكتب اليه ايها الملك انك لن تجد مثل فرخان ان له نكاية وصوتا في العدو فلا تفعل فكتب
اليه ان في رجال فارس خلفا منه فعجل علي براسه فراجعه فغضب كسرى ولم يجبه وبعث
بريدا الى اهل فارس اني قد نزعت عنكم شهريران واستعملت عليكم فرخان ثم رفع الى البريد

صحيفة صغيرة وامره فيها بقتل شهريران وقال اذا ولي فرخان الملك وانقاد له اخوه فاعطه
الصحيفة فلما وصل البريد الى شهريران واعرض عليه كتاب كسرى فلما قراه قال سمعا وطاعة
ونزل عن سرير الملك واجلس عليه اخاه فرخان فرفع البريد الصحيفة الى فرخان فلما قراها
استدعا باخيه شهريران وقدمه ليضرب عنقه فقال له لا تعجل حتى اكتب وصيتي قال نعم فدعا
بسفط ففتحه واعطاه منه ثلاث صحائف وقال كل هذا راجعت فيك كسرى وانت تريد ان
تقتلني بكتاب واحد فرد فرخان الملك الى اخيه شهريران وكتب الى قيصر ملك الروم اما
بعد فان لي اليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف فالقني في خمسين روميا حتى القاك
في خمسين فارسيا فاقبل قيصر في خمسمائة الف رومي وجعل يضع العيون بين يديه في الطرق
مخافة ان يكون قد كاد به حتى اتاه عيونه فاخبروه انه ليس معه الا خمسون فارسيا فلما
التقيا ضربت لهما قبة من الديباج فدخلاها ومع كل واحد منهما سكين ودعيا بترجمان يترجم بينهما
فقال شهريران ان الذين خربوا بلادك انا واخي بكيدنا وشجاعتنا وان كسرى حسدنا واراد
قتل اخي فابيت عليه ثم امر اخي بقتلي فابى عليه وقد خلعناه جميعا ونحن نقاتله معك قال قد
اصبتما ثم اشار احدهما الى الاخر ان السر بين اثنين فاذا جاوز اثنين فشا فقتلا الترجمان معا بسكينيهما
فادالت الروم على فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلوهم ومات كسرى وجاء الخبر الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح من كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل
الم غلبت يعني اقرب ارض الشام الى فارس قيل هي اذرعات وقيل الاردن وقيل الجزيرة
وهم من بعد غلبهم اي فارس عليهم سيغلبون اي الروم لفارس في بضع سنين البضع
ما بين الثلاث الى السبع وقيل الى التسع وقيل ما دون العشرة لله الامر من قبل
ومن بعد اي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها من غلب فهو بالله وقضائه
وقدره ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله اي الروم على فارس وقيل فرح النبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وفرحوا بظهور اهل الكتاب
على اهل الشرك ينصر من يشاء اي بيده النصر ينصر من يشاء وهو العزيز اي الغالب الرحيم
اي بالمؤمنين قوله تعالى وعد الله اي وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس لا يخلف
الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي ان الله لا يخلف وعده ثم قال يعلمون ظاهرا
من الحياة الدنيا يعني امر معاشهم كيف يكتسبون ويتجرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون
قال الحسن ان احدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطئ وهو لا يحسن يصلي وقيل
لا يعلمون الدنيا بحقيقتها انما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعبها ولا يعلمون باطنها وهو
مضارها ومتاعبها وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فناها وهم عن الآخرة هم
غافلون اي ساهون عنها لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها قوله عز وجل اولم يتفكروا في
انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق يعني لاقامة الحق واجل
مسمى اي لوقت معلوم اذا انتهت اليه فنيت وهو يوم القيامة وان كثيرا من الناس
بلقاء ربهم لكافرون اولم يسيروا في الارض يسافروا فيها فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم اي ينظروا الى مصارع الامم قبلهم فيعتبروا كانوا اشد منهم قوة واثاروا
روا
الارض وعمروها اي حرثوها وقلبوها للزراعة وعمروها يعني الامم الخالية اكثر مما
عمروها يعني اهل مكة وجاءتهم رسلهم بالبينات اي فلم يؤمنوا فاهلكهم الله فما كان
الله ليظلمهم اي ينقص حقوقهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون اي ببخس حقوقهم ثم كان
عاقبة الذين اساؤوا اي اساؤوا العمل السوأى يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل السوأى

اسم

اسم لجهنم ومعنى الاية ان عاقبة الذين عملوا السوء النار ان كذبوا اي لان كذبوا وقيل معنى الاية
ثم كان عاقبة المسيئين ان حملتهم تلك السيئات على ان كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون
قوله تعالى الله يبدأ الخلق ثم يعيده اي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت احياء
ثم اليه ترجعون فيجزيهم باعمالهم ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون قيل معناه انه
ييأس من كل خير وقيل ينقطع كلامهم وحججهم وقيل يفتضحون ولم يكن لهم من شركائهم
يعني اصنامهم التي عبدوها شفعاء اي ليشفعوا لهم وكانوا بشركائهم كافرين اي جاحدين
متبرئين يتبرؤون منها وتتبرأ منهم ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون اي يتميز اهل الجنة
من اهل النار وقيل يتفرقون يوم الحساب اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار فلا
يجتمعون ابدا وهو قوله فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة اي في
جنة وقيل الروضة البستان الذي هو في غاية النضارة يحبرون قال ابن عباس يكرمون
وقيل ينعمون ويسرون والحبرة السرور وقيل في معنى يحبرون هو السماع في الجنة قال الاوزاعي
ليس احد من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على اهل السماء سبع
سموات صلاتهم وتسبيحهم وقال اذا اخذ في السماع لم يبق في الجنة شجرة الا وردت وسال رجل
ابا هريرة هل لاهل الجنة من سماع قال نعم شجرة اصلها من ذهب واغصانها من فضة وثمرها
الزبرجد والياقوت يبعث الله ريحا فتحاك بعضها بعضا فما سمع احد احسن منه واما الذين
كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة اي البعث يوم القيامة فاولئك في العذاب
محضرون قوله تعالى فسبحان الله اي فسبحوا الله ومعناه صلوا لله حين تمسون اي تدخلون
في المساء وهو صلاة المغرب والعشاء وحين تصبحون اي تدخلون في الصباح وهو صلاة
الصبح وله الحمد في السموات والارض قال ابن عباس يحمده اهل السموات والارض ويصلون له
وعشيا اي وصلوا لله عشيا يعني صلاة العصر وحين تظهرون اي تدخلون في الظهيرة
وهي صلاة الظهر قال نافع بن الازرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن
قال نعم وقرأ هاتين الايتين وقال جمعت الصلوات الخمس ومواقيتها واعلم انه انما خص
هذه الاوقات بالتسبيح وذلك لان افضل الاعمال ادومها لكن الانسان لا يقدر ان
يصرف جميع اوقاته الى التسبيح لانه محتاج الى ما يعيشه من ماكول ومشروب وغير
ذلك فخفف الله عنه العبادة في غالب الاوقات وامره بها في اول النهار ووسطه واخره
واول الليل ووسطه فاذا صلى العبد ركعتي الفجر فكانما سبح قدر ساعتين وكذلك باقي
الركعات وهي سبع عشرة مع ركعتي الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات في اوقاتها فكانما
سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقي عليه سبع ساعات من جميع الليل والنهار
وهي مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع اوقاته في التسبيح
والعبادة فصل في فضل التسبيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال
سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات
احد يوم القيامة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه اخرجهما الترمذي وقال
فيهما حسن صحيح ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان
ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وهذا الحديث اخرجه
في صحيح البخاري م عن جويرية بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج ذات غداة من عندها
وهي في مسجدها فرجع بعد ما تعالى النهار فقال ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قال نعم

فقال لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه
خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته (م) عن سعد بن ابي وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ايعجز احدكم ان يكسب في كل يوم الف حسنة فساله سائل من جلسائه كيف يكسب
الف حسنة قال يسبح مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة ويحط عنه الف خطيئة وفي رواية
مسلم ويحط بغير الف قوله عز وجل يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي اى يخرج النطفة
من الحيوان ويخرج الحيوان من النطفة وقيل يخرج الدجاجة من البيضة ويخرج البيضة من الدجاجة
وقيل يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن ويحيي الارض بعد موتها اى بالمطر واخراج
النبات منها وكذلك تخرجون اى مثل اخراج النبات من الارض تخرجون من القبور احياء
للبعث والحساب ومن آياته ان خلقكم من تراب اى خلق اصلكم وهو آدم من تراب
ثم اذا انتم بشر تنتشرون اى تنبسطون في الارض ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم
ازواجا اى من جنسكم من بني آدم وقيل خلق حواء من ضلع آدم لتسكنوا اليها اى لتميلوا
الى الازواج وتالفوهن وجعل بينكم مودة ورحمة اى جعل بين الزوجين المودة والرحمة
فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقة معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف وما
شي احب الى احدهما من الآخر من غير رحم بينهما الا الزوجان ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون
اى في عظمة الله وقدرته ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم يعني
اختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرهما وقيل اراد اجناس النطق واشكاله خالف بينهما
حتى لا يكاد يسمع منطقين متفقين حتى لو تكلم جماعة من وراء حائط لعرف كل واحد منهم بنطقه
ونغمته ولا يشتبه صوت احد بصوت الآخر والوانكم اى ابيض واسود واشقر واسمر وغير ذلك
من اختلاف الالوان وانتم بنو رجل واحد ومن اصل واحد وهو آدم والحكمة في اختلاف
الاشكال والالوان والاصوات للتعارف ليعرف كل واحد بشكله وحليته فلو اتفقت
الصور والاصوات وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت
مصالح كثيرة ولم يعرف الخلق من غيره والعدو من الصديق والقريب من البعيد فسبحان من
خلق الخلق على ما اراد وكيف اراد وفي ذلك دليل على سعة القدرة وكمال العظمة ان في ذلك
لآيات للعالمين اى لعموم العلم فيهم ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله
اى منامكم بالليل للراحة وابتغاؤكم من فضله وهو طلب اسباب المعيشة بالنهار ان في ذلك لآيات
لقوم يسمعون اى سماع تدبر واعتبار ومن آياته يريكم البرق اى للمسافر ليستعد للمطر خوفا
وطمعا اى للمقيم في المطر ليستعد المحتاج اليه من اجل الزرع وتسوية طرق المصانع وينزل من
السماء ماء فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون اى قدرة الله
وانه القادر عليه ومن آياته ان تقوم السماء والارض بامره قال ابن مسعود قامتا على
غير عمد وقيل يدوم قيامهما بامره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض قال ابن عباس من القبور اذا
انتم تخرجون اى منها وقيل معنى الآية ثم اذا دعاكم دعوة اذا انتم تخرجون
من الارض وله من في السموات والارض كل له قانتون قال ابن عباس كل له مطيعون
في الحياة والبقاء والموت والبعث وان عصوا في العبادة وهو الذي يبدا الخلق
ثم يعيده اى يخلقهم اولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث وهو اهون عليه اى هو هين
عليه وما من شي عليه بعزيز وقيل معناه وهو ايسر عليه فان الذي يقع في عقول الناس ان
الاعادة تكون اهون من الانشاء وقيل هو اهون على الخلق وذلك لانهم لا يقومون
بصيحة واحدة فيكون اهون عليهم من ان يكونوا نطفا ثم علقا ثم مضغا الى ان يصيروا رجالا

ونساء

ونساء وهو رواية عن ابن عباس وله المثل الاعلى اى الصفة العليا قال ابن عباس هي ليس كمثله شي وقيل
هو انه لا اله الا هو في السموات والارض وهو العزيز اى في ملكه الحكيم اى في خلقه قوله عز وجل
ضرب لكم مثلا اى بين لكم شبها بحالكم ذلك المثل من انفسكم ثم بين المثل فقال تعالى هل لكم
مما ملكت ايمانكم اى عبيدكم واماؤكم من شركاء فيما رزقناكم اى من المال فانتم فيه سواء اى
يشارككم عبيدكم في اموالكم التي اعطيناكم تخافونهم كخيفتكم انفسكم اى تخافون ان يشاركوكم
في اموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر شريكه الحر في المال يكون بينهما ان ينفرد فيه بامر دون
شريكه وكما يخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يحب ان ينفرد به وقال ابن عباس تخافونهم ان يرثوكم
كما يرث بعضكم بعضا واذا لم تخافوا هذا من مماليككم ولم ترضوا ذلك لانفسكم فكيف
رضيتم ان تكون آلهتكم التي تعبدونها شركائي وهم عبيدي كذلك نفصل الآيات اى الدلالات
والبراهين والامثال لقوم يعقلون اى ينظرون في هذه الدلائل والامثال بعقولهم بل اتبع الذين
ظلموا اى اشركوا بالله اهواءهم اى في الشرك بغير علم اى جهلا بما يجب عليهم فمن يهدي من
اضل الله اى عن طريق الهدى وما لهم من ناصرين اى مانعين يمنعونهم من عذاب الله قوله تعالى
فاقم وجهك للدين اى اخلص دينك لله وقيل سدد عملك والوجه ما يتوجه اليه الانسان ودينه
وعمله مما يتوجه اليه لتسديده حنيفا اى مائلا اليه مستقيما عليه فطرة الله اى دين الله والمعنى
الزموا فطرة الله التي فطر الناس عليها قال ابن عباس خلق الناس عليها والمراد بالفطرة الدين
وهو الاسلام (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا يولد
على الفطرة ثم يقول اقرؤوا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك
الدين القيم زاد البخاري فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل
تحسون فيها من جدعاء ثم يقول ابو هريرة فطرة الله الآية ولمسلم في رواية قالوا يا رسول الله
افرايت من يموت صغيرا قال الله اعلم بما كانوا عاملين قوله ما من مولود يولد الا على الفطرة
يعني على العهد الذي اخذ الله عليهم بقوله الست بربكم قالوا بلى فكل مولود في العالم على ذلك
الاقرار وهو الحنيفية التي وقعت الخلقة عليها وان عبد غير الله قال الله تعالى ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ولكن لا اعتبار بالايمان الفطري في احكام
الدنيا ولكن الاعتبار بالايمان الشرعي المامور به المكتسب بالارادة والفعل الا ترى لقوله فابواه
يهودانه فهو مع وجود الايمان الفطري فيه محكوم له بحكم ابويه الكافرين وهذا معنى قوله
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث آخر يقول الله عز وجل اني خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين
عن دينهم وحكي عن عبد الله بن المبارك انه قال معنى الحديث ان كل مولود يولد على فطرته اى خلقته
التي خلق عليها في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر في العاقبة الى ما فطر عليها
وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن امارات الشقاوة للطفل ان يولد بين يهوديين او نصرانيين
فيحملانه لشقائه على اعتقاد دينهما وقيل معناه ان كل مولود في مبدا الخلقة على الفطرة اى على
الجبلة السليمة والطبع المتهيئ لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لان هذا الدين موجود
حسنه في العقول السليمة وانما يعدل عنه من عدل الى غيره لآفة من آفات النشو والتقليد
فلو سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره ثم تمثل باولاد اليهود والنصارى واتباعهم لآبائهم
والميل الى اديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة قوله كما تنتج البهيمة
بهيمة جمعاء اى كما تلد البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها شي قوله هل تحسون فيها من
جدعاء اى هل تشعرون وتعلمون فيها من جدعاء وهي المقطوعة الانف قوله عز وجل لا تبديل
لخلق الله اى لا تبدلوا دين الله وقيل معنى الآية الزموا فطرة الله ولا تبدلوا

التوحيد بالشرك وقيل معنى الآية لا تبديل لخلق الله وهو ما جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاوة
فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا وقيل في تحريم إخصاء البهائم ذلك الدين القيم أي المستقيم
ولكن أكثر الناس لا يعلمون قوله عز وجل منيبين إليه أي فأقم وجهك أنت وأمتك منيبين
إليه لأن خطاب النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيه الأمة والمعنى راجعين إليه بالتوبة ومقبلين
إليه بالطاعة واتقوه أي ومع ذلك خافوه وأقيموا الصلاة أي داوموا على أدائها في أوقاتها
ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا أي صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود
والنصارى وقيل هم أهل البدع من هذه الأمة كل حزب بما لديهم فرحون أي راضون بما عندهم قوله
تعالى وإذا مس الناس ضر أي قحط وشدة دعوا ربهم منيبين إليه أي مقبلين إليه بالدعاء ثم إذا
أذاقهم منه رحمة أي خصبا ونعمة إذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم أي ليجحدوا
نعمة الله عليهم فتمتعوا فيه تهديد ووعيد خاطب به الكفار فسوف تعلمون أي حالكم في
الآخرة أم أنزلنا عليهم سلطانا قال ابن عباس حجة وعذرا وقيل كتابا فهو يتكلم أي ينطق
بما كانوا به يشركون أي بشركهم ويأمرهم به وإذا أذقنا الناس رحمة أي الخصب وكثرة
المطر فرحوا بها أي فرحوا وبطروا وإن تصبهم سيئة أي جدب وقلة مطر وقيل خوف وبلاء
بما قدمت أيديهم أي من السيئات إذا هم يقنطون أي ييأسون من رحمة الله وهذا خلاف
وصف المؤمن فإنه يشكر ربه عند النعمة ويرجوه عند الشدة أولم يروا أن الله يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون تقدم تفسيره قوله عز وجل
فآت ذا القربى حقه أي من البر والصلة والمسكين أي حقه وهو التصدق عليه وابن
السبيل أي المسافر وقيل هو الضيف ذلك خير للذين يريدون وجه الله أي يطلبون ثواب
الله بما يعملون وأولئك هم المفلحون قوله عز وجل وما آتيتم أي أعطيتم من ربا ليربو
في أموال الناس أي في اجتلاب أموال الناس واجتذابها قيل في معنى الآية هو الرجل يعطي غيره
العطية ليثيبه أكثر منها فهذا جائز حلال ولكن لا يثاب عليها في القيامة وهذا قوله تعالى فلا يربو
عند الله وكان هذا حراما على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لقوله تعالى ولا تمنن تستكثر
أي لا تعط وتطلب أكثر مما أعطيت وقيل هو الرجل يعطي صديقه أو قريبه ليكثر ماله لا يريد
به وجه الله وقيل هو الرجل يلتزق بالرجل ويسافر معه فيجعل له ربح ماله لالتماس عونه
لا لوجه الله فلا يربو عند الله لأنه لم يرد بعمله وجه الله وما آتيتم من زكاة أي أعطيتم
من صدقة تريدون وجه الله أي بتلك الصدقة فأولئك هم المضعفون أي يضاعف
لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها فالمضعف ذو الأضعاف من الحسنات الله الذي
خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى
عما يشركون تقدم تفسيره قوله تعالى ظهر الفساد في البر والبحر أي بسبب الشرك والمعاصي
ظهر قحط المطر وقلة النبات في البر أي البوادي والمفاوز والقفار والبحر قيل المدائن والقرى
التي هي على المياه الجارية والعرب تسمي الأمصار بحرا تقول أجدب البر وانقطعت مادة البحر
وقيل البر ظهر الأرض الأمصار وغيرها والبحر هو المعروف وقلة المطر كما يؤثر في البر يؤثر في البحر
فتخلو أجواف الأصداف من اللؤلؤ وذلك لأن الصدف إذا جاء المطر ترتفع على وجه الماء وتنفتح
فما وقع فيها من المطر صار لؤلؤا بما كسبت أيدي الناس أي بسبب شؤم ذنوبهم قال ابن عباس
الفساد في البر قتل أحد بني آدم أخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة قيل كانت الأرض
خضرة مونقة لا يأتي ابن آدم شجرة إلا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد
الأسد البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الأرض وشاكت الأشجار وصار ماء البحر

ملحا

ملحا زعاقا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقيل إن الأرض امتلأت ظلما وضلالة قبل أن يبعث
النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث رجع راجعون من الناس وقيل أراد بالناس كفار مكة ليذيقهم
بعض الذي عملوا أي عقوبة الذي عملوا من الذنوب لعلهم يرجعون أي عن الكفر وأعمالهم الخبيثة
قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل أي لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية
كان أكثرهم مشركين أي فأهلكوا بكفرهم قوله عز وجل فأقم وجهك للدين القيم أي الدين الإسلام
من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يعني يوم القيامة لا يقدر أحد على رده من الخلق يومئذ يصدعون
أي يتفرقون ثم ذكر الفريقين فقال تعالى من كفر فعليه كفره أي وبال كفره ومن عمل صالحا فلأنفسهم
يمهدون أي يوطئون المضاجع ويسوونها في القبور ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات من
فضله قال ابن عباس ليثيبهم الله أكثر من ثواب أعمالهم إنه لا يحب الكافرين فيه وعيد وتهديد
لهم قوله تعالى ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات أي تبشر بالمطر وليذيقكم من رحمته
أي بالمطر وهي الخصب ولتجري الفلك أي بهذه الرياح بأمره ولتبتغوا من فضله أي لتطلبوا
رزقه بالتجارة في البحر ولعلكم تشكرون أي هذه النعم قوله عز وجل ولقد أرسلنا من قبلك رسلا
إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات أي بالدلالات الواضحات على صدقهم فانتقمنا من الذين أجرموا
أي عذبنا الذين كذبوهم وكان حقا علينا نصر المؤمنين أي مع إنجائهم من العذاب وفيه تبشير للنبي
صلى الله عليه وسلم بالظفر في العاقبة والنصر على الأعداء عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ما من مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة
ثم تلا هذه الآية وكان حقا علينا نصر المؤمنين أخرجه الترمذي ولفظه من رد عن عرض أخيه
رد الله عن وجهه النار يوم القيامة وقال حديث حسن قوله عز وجل الله الذي يرسل الرياح
فتثير سحابا أي تنشره فيبسطه في السماء كيف يشاء يعني مسيرة يوم أو يومين وأكثر على ما يشاء
ويجعله كسفا أي قطعا متفرقة فترى الودق أي المطر يخرج من خلاله أي وسطه فإذا أصاب به
أي بالودق من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون أي يفرحون بالمطر وإن كانوا أي وقد كانوا
من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين أي آيسين فانظر إلى آثار رحمة الله أي المطر والمعنى انظر إلى
حسن تأثيره في الأرض وهو قوله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى يعني أن الذي
أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى وهو على كل شيء قدير ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا
أي الزرع بعد الخضرة لظلوا من بعده أي من بعد اصفرار الزرع يكفرون أي يجحدون ما سلف من النعمة
والمعنى أنهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذابا على زرعهم لجحدوا سالف نعمتي فإنك لا تسمع
الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع
إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون تقدم تفسيره وقوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف
أي بدأكم وأنشأكم على ضعف وقيل من ماء ذي ضعف وقيل هو إشارة إلى أحوال الإنسان كان جنينا
ثم طفلا مولودا ومفطوما فهذه أحوال في غاية الضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة أي من بعد
ضعف الطفولة شبابا وهو وقت القوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا أي هرما وشيبة وهو تمام
النقصان يخلق ما يشاء أي من الضعف والقوة والشباب والشيبة ليس ذلك من أفعال الطبيعة
بل بمشيئة الله وقدرته وهو العليم بتدبير خلقه القدير على ما يشاء قوله تعالى ويوم تقوم
الساعة يقسم المجرمون أي يحلف المشركون ما لبثوا أي في الدنيا غير ساعة معناه استقلوا أجل
الدنيا لما عاينوا الآخرة وقيل معناه ما لبثوا في قبورهم غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون أي
يصرفون عن الحق في الدنيا وذلك أنهم كذبوا في قولهم ما لبثوا غير ساعة كما كذبوا في الدنيا
أن لا بعث والمعنى أن الله أراد أن يفضحهم فحلفوا على شيء يتبين لأهل الجمع أنهم كانوا كاذبين

فيه وكان ذلك بقضاء الله وقدره ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال تعالى وقال الذين
اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث اى فيما كتب الله لكم في سابق
علمه من اللبث في القبور وقيل معنى كتاب الله في حكم الله وقيل معنى الاية وقال الذين اوتوا العلم
في كتاب الله والايمان يعني الذين يعلمون كتاب الله قالوا للمنكرين لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم
البعث اى في قبوركم فهذا يوم البعث اى الذى كنتم تنكرونه في الدنيا ولكنكم كنتم لا تعلمون
اى وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الان يدل عليه قوله تعالى فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم
اى عذرهم ولا هم يستعتبون اى لا يطلب منهم العتبى والرجوع في الاخرة وقيل لا يطلب منهم التوبة التى
تزيل الجريمة لانها لا تقبل منهم قوله عز وجل ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل فيه
اشارة الى ازالة الاعذار والاتيان بما فوق الكفاية من الانذار ولئن جئتهم باية ليقولن الذين كفروا
ان انتم الا مبطلون يعني ما انتم الا على باطل وذلك على سبيل العناد فان قلت ما معنى توحيد
الخطاب حالة بها في قوله ولئن جئتهم والجمع في قوله ان انتم الا مبطلون قلت فيه لطيفة وهى ان
الله قال ولئن جئتهم بكل اية جاءت بها الرسل ويمكن ان يقال معناه انتم كلكم ايها الرسل مبطلون كذلك
يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون اى توحيد الله فاصبر ان وعد الله حق اى في نصرك
واظهارك على عدوك ولا يستخفنك اى لا يحملنك على الجهل وقيل لا يستفزنك رايك وحلمك الذين
لا يوقنون اى بالبعث والحساب والله اعلم بمراده واسرار كتابه العزيز

تفسير سورة لقمان

وهى مكية وهى اربع وثلاثون اية وخمسمائة وثمان واربعون كلمة والفان ومائة وعشرة
احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم تلك ايات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين
اى الذين يعملون الحسنات ثم ذكرهم الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم
يوقنون اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون قوله تعالى ومن الناس من يشترى
لهو الحديث الاية قيل نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة وكان يتجر فيأتي الحيرة ويشترى اخبار العجم
ويحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وانا احدثكم بحديث رستم واسفنديار
واخبار الاكاسرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع القران فانزل الله هذه الاية وقيل هو
شرى القينات والمغنين ومعنى الاية ومن الناس من يشترى ذات لهو وذو لهو الحديث روى البغوى
باسناد الثعلبى عن ابى امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل تعليم المغنيات ولا بيعهن
واثمانهن حرام وفي مثل هذا نزلت هذه الاية ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله
وما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله له شيطانين احدهما على هذا المنكب والاخر على هذا
فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون الذى هو يسكت واخرجه الترمذى وهذه لفظه عن ابى
امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن
ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام وفي مثل هذا انزلت ومن الناس من يشترى لهو الحديث الاية
وعن ابى هريرة ان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمارة قال مكحول من اشترى
جارية ضرابة ليمسكها لغنائها وضربها مقيما عليه حتى يموت لم اصل عليه ان الله تعالى يقول ومن
الناس من يشترى لهو الحديث الاية وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير قالوا
لهو الحديث الغناء والاية نزلت فيه ومعنى يشترى يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف
على القران وقال ابو الصهباء سالت ابن مسعود عن هذه الاية فقال هو الغناء والله الذى لا اله
الا هو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعى الغناء ينبت النفاق في القلب وقيل الغناء رقية

الزنا

الزنا وقيل لهو الحديث هو الطبل وقيل هو لهو ولعب وقيل هو الشرك ليضل عن سبيل الله اى دين
الاسلام وسماع القران بغير علم اى يفعله عن جهل وحسب المرء من الضلال ان يختار حديث الباطل
على حديث الحق ويتخذها هزوا اى يتخذ ايات الله مزحا اولئك يعني من هذه صفتهم لهم عذاب
مهين واذا تتلى عليه اياتنا ولى مستكبرا اى يتباعد ولا يرفع بها راسا كان لم يسمعها اى يشبه حاله في
ذلك حال من لم يسمعها وهو سامع كان في اذنيه وقرا اى ثقلا ولا وقر فيهما فبشره بعذاب اليم
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا يعني وعدهم
الله ذلك وعدا حقا وهو لا يخلف الميعاد وهو العزيز الحكيم قوله تعالى خلق السموات بغير
عمد قيل ان السما خلقت مبسوطة كصحيفة مستوية وهو قول المفسرين وهى في الفضا والفضا
لا نهاية له وكون السما في بعض دون بعض لتميز ذلك الا بقدرة قادر مختار والى هذا الاشارة
بقوله بغير عمد ترونها اى ليس هى شى يمنعها الزوال من موضعها وهى ثابتة لا تزول وليس
ذلك الا بقدرة الله تعالى وفي قوله ترونها وجهان احدهما ان السموات ليست بعمد
وانتم ترونها كذلك بغير عمد الوجه الثاني انه راجع الى العمد ومعناه بغير عمد مرئية والقى
في الارض رواسى ان تميد بكم لئلا تتحرك بكم وبث فيها اى في الارض من كل دابة اى يسكنون
فيها وانزلنا من السماء ماء يعنى المطر وهو من انعام الله على عباده فانبتنا فيها من كل زوج
كريم اى من كل صنف حسن هذا يعنى الذى ذكرت مما تعاينون خلق الله فاروني ماذا خلق
الذين من دونه اى من الهتكم التى تعبدونها بل الظالمون في ضلال مبين قوله عز وجل ولقد
اتينا لقمان الحكمة قيل هو لقمان باعورا بن ناحور بن تارخ وهو ازر وقيل كان ابن اخت
ايوب وقيل كان ابن خالته وقيل انه عاش الف سنة حتى ادرك داود وقيل كان قاضيا
في بنى اسرائيل واتفق العلما على انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه قال كان نبيا وقيل
خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وروى انه كان نائما نصف النهار فنودى يا لقمان هل
لك ان يجعلك الله خليفة في الارض فتحكم بين الناس بالحق فاجاب الصوت فقال ان خيرني
ربى قبلت العافية ولم اقبل البلا وان عزم فسمعا وطاعة فانى اعلم ان الله ان فعل بى ذلك
اعانني وعصمني فقالت الملائكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال لان الحاكم باشد المنازل
واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان ان عدل فبالحرى ان ينجو وان اخطا اخطا طريق
الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن يختار الدنيا على الاخرة تفتنه
الدنيا ولم يصب الاخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطى الحكمة فانتبه
وهو يتكلم بها ثم نودى داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهوى في الخطيئة
غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته وقيل كان لقمان عبدا
حبشيا نجارا وقيل كان راعى غنم وقيل كان خياطا فروى انه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة
فقال الست فلان الراعى قال بلى قال فيما بلغت قال بصدق الحديث واداء الامانة وترك
ما لا يعنيني وقيل كان عبدا اسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وقيل خيار
السودان ثلاثة بلال بن رباح ومهجع مولى عمر ولقمان والنجاشي والحكمة العقل
والفهم وقيل العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعهما وقيل الحكمة المعرفة
والاصابة في الامور وقيل الحكمة شى يجعله الله في القلب ينوره كما ينور البصر فيدرك
المبصر وقوله ان اشكر لله وذلك ان المراد من العلم العمل به والشكر عليه ومن يشكر فانما
يشكر لنفسه اى عليه يعود نفع ذلك وكذلك كفرانه ومن كفر عليه يعود وبال كفره فان الله غنى
غير محتاج الى شكر الشاكرين حميد اى هو حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد قوله تعالى

وإذ قال لقمان لابنه قيل اسمه انعم وقيل مشكم وهو يعظه وذلك لان اعلى مراتب الانسان
ان يكون كاملا في نفسه مكملا لغيره فقوله ولقد آتينا لقمان الحكمة ان اشكر لله اشارة الى الكمال
وقوله وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه اشارة الى تكميل غيره وبدأ بالاقرب اليه وهو ابنه وبدأ في
وعظه بالاهم وهو المنع من الشرك وهو قوله يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم لان
التسوية بين من يستحق العبادة وبين من لا يستحقها ظلم عظيم لانه وضع العبادة في غير موضعها
قوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه حملته امه وهنا على وهن قال ابن عباس شدة بعد
شدة وقيل ان المرأة اذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة وذلك لان الحمل ضعف والطلق
ضعف والوضع ضعف وفصاله في عامين اي فطامه في سنتين ان اشكر لي ولوالديك الي المصير
لما جعل الله بفضله للوالدين صورة التربية الظاهرة وهو الموجد والمربي في الحقيقة جعل
الشكر بينهما فقال اشكر لي ولوالديك ثم فرق فقال الي المصير يعني ان نعمتهما مختصة بالدنيا
ونعمتي عليك في الدنيا والاخرة وقيل لما امر بشكره وشكر الوالدين قال الي اعلى وقت للصبر
الى قال سفيان بن عيينة في هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر ومن دعا في ادبار الصلوات
الخمس فقد شكر وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما يعني ان طاعتهما
واجبة فان افضى ذلك الى الاشراك بي فلا تطعهما في ذلك لانه لا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق وصاحبهما في الدنيا معروفا اي بالبر والصلة والعشرة الجميلة واتبع سبيل من
اناب الي اي اتبع دين من اقبل الى طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقيل
وهو من اناب الي ابا بكر الصديق قال ابن عباس وذلك انه حين اسلم اتاه عثمان وطلحة
والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف فقالوا له قد صدقت هذا الرجل وامنت
به قال نعم هو صادق فامنوا به ثم حملهم الى النبي صلى الله عليه وسلم حتى اسلموا
فهؤلاء لهم سابقة الاسلام اسلموا بارشاد ابي بكر ثم الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون
يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل وذلك ان ابن لقمان قال لابيه يا ابت ان عملت
الخطيئة حيث لا يراني احد فكيف يعلمها الله فقال يا بني انها اي الخطيئة ان تك مثقال حبة
من خردل في الصغر فتكن اي مع صغرها في صخرة قال ابن عباس هي صخرة تحت الارضين
السبع وهي التي تكتب فيها اعمال الفجار وخضرة السماء منها وقيل خلق الله الارض على حوت وهو
النون والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك وقيل على ظهر ثور وهو
على صخرة وهي التي ذكر لقمان فليست في الارض ولا في السماء فلذلك قال او في السموات او في
الارض والصخرة على متن الريح والريح على القدرة يأت بها الله معناه الله عالم بها قادر
على استخراجها وهو قوله تعالى ان الله لطيف باستخراجها خبير اي بمكانها ومعنى لانه هو
الاحاطة بالاشياء صغيرها وكبيرها وقيل ان هذه الكلمة اخر كلمة تكلم بها لقمان فانشقت مرارته
هيبتها وعظمها فمات يا بني اقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك
يعني من الاذى ان ذلك من عزم الامور يعني اقامة الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر والصبر على الاذى من الامور الواجبة التي امر الله بها ولا تصاعر وقرئ تصعر خدك
للناس قال ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس ولا تعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وقيل هو الرجل
يكون بينك وبينه احنة فيلقاك فتعرض عنه وقيل هو الذي اذا سلم لوى عنقه تكبرا وقيل
معناه لا تحقر الفقير ليكون الفقير والغني عندك سواء ولا تمش في الارض مرحا اي خيلاء ان الله
لا يحب كل مختال اي في مشيه فخور اي على الناس واقصد في مشيك اي ليكن مشيك قصدا بين
الاسراع والتأني اما الاسراع فهو من الخيلاء واما التأني فهو ان يرى نفسه الضعف تزهدا

فكلا

فكلا الطرفين مذموم بل يكون مشيك بالسكينة والوقار واغضض من صوتك اي اخفض وقيل
انقص من صوتك ان انكر الاصوات اي اقبح الاصوات لصوت الحمير لانه اوله زفير واخره شهيق وهما صوت
اهل النار وعن الثوري في هذه الآية قال صياح كل شيء تسبيح الا الحمار وقيل في معنى الآية هي العطسة
القبيحة والمنكرة قال وهب تكلم لقمان باثني عشر الف باب من الحكمة ادخلها الناس في كلامهم
وقضاياهم ومن حكمه قيل انه كان عبدا حبشيا فدفع اليه مولاه شاة وقال له اذبحها وائتني
باطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب ثم دفع اليه اخرى وقال اذبحها وائتني باخبث
مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فسأله مولاه فقال ليس شيء اطيب منهما اذا طابا ولا
اخبث منهما اذا خبثا وقال لقمان ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس وقيل للقمان اي الناس
شر قال الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيئا قوله عز وجل الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما
في الارض واسبغ اي اتم واكمل عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال ابن عباس النعمة الظاهرة الاسلام
والقرآن والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق ما ستر
عليكم من الذنوب ولم يعجل عليكم بالنقمة وقيل الظاهرة تسوية الاعضاء وحسن الصورة
والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة
تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء
والباطنة الامداد بالملائكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم
والباطنة محبته ومن الناس من يجادل في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث
وابي بن خلف وامية واشباههم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله وفي
صفاته ولا هدى ولا كتاب منير واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل
نتبع ما وجدنا عليه آباءنا قال الله تعالى اولو كان الشيطان يدعوهم معناه فيتبعونه
وان كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير قوله عز وجل ومن يسلم وجهه الى الله اي لله
يخلص دينه ويفوض امره اليه وهو محسن اي في عمله فقد استمسك بالعروة الوثقى اي
اعتصم بالعهد الاوثق الذي لا يخاف انقطاعه ويرتقي بسببه الى اعلى المقامات والى الله عاقبة
الامور اي مصير جميع الاشياء اليه ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا مرجعهم فننبئهم بما
عملوا ان الله عليم بذات الصدور اي لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم نمتعهم قليلا اي
نمهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا الى انقضاء آجالهم ثم نضطرهم اي نلجئهم ونردهم الى عذاب
غليظ الى النار في الآخرة ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل الحمد
لله بل اكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والارض ان الله هو الغني الحميد تقدم تفسيره
قوله تعالى ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام قال المفسرون لما نزل بمكة ويسألونك عن الروح
الآية وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه احبار اليهود وقالوا يا محمد
بلغنا انك تقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا أفتعنينا ام قومك فقال عليه الصلاة والسلام كلا
قد عنيت قالوا الست تتلو فيما جاءك انا اوتينا التوراة فيها علم كل شيء فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد آتاكم الله ما ان عملتم به انتفعتم قالوا
يا محمد كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع علم قليل
مع خير كثير فانزل الله هذه الآية مدنية وقيل ان اليهود امروا وفد قريش ان يسألوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا له ذلك وهو بمكة وقيل ان المشركين قالوا ان القرآن
وما يأتي به محمد صلى الله عليه وسلم يوشك ان ينفد فينقطع فانزل الله ولو ان ما في الارض
من شجرة اقلام فبريت اقلاما وقيل بعدد كل شجرة قلما والبحر يمده اي يزيده وينصب اليه

من بعده سبعة ابحر اى مدادا والخلايق يكتبون بها كلام الله ما نفدت كلمات الله لانه لا نهاية
لها ان الله عزيز حكيم قوله عز وجل ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اى الا كخلق نفس
واحدة ولا بعثها لا يتعذر عليه شيء ان الله سميع لاقوالكم بصير اى لاعمالكم الم تر ان الله يولج
الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري الى اجل مسمى وان الله
بما تعملون خبير ذلك بان الله هو الحق اى الذي هو قادر على هذه الاشيا الذي ذكرها هو الحق
المستحق للعبادة وان ما تدعون من دونه الباطل لانه لا يستحق العبادة وان الله هو
العلي الكبير اى في صفاته له الصفات العليا والاسما الحسنى الكبير في ذاته لانه اكبر من كل
كبير قوله تعالى الم تر ان الفلك اى من عجايب صنايعه ان في ذلك لايات لكل صبار شكور
اى لانعام الله واذا غشيهم موج كالظلل اى كالجبال وقيل كالسحاب شبه بها الموج في كثرتها
وارتفاعها دعوا الله مخلصين له الدين معناه ان الانسان اذا وقع في شدة ابتهل الى الله بالدعا
وترك كل من عداه ونسي جميع ما سواه فاذا نجا من تلك الشدة فمنهم من يبقى على تلك الحالة وهو
المقتصد وهو قوله تعالى فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد اى عدل موف في البر بما عاهد الله
في البحر من التوحيد له والثبوت على الايمان وقيل نزلت في عكرمة بن ابي جهل وذلك انه هرب
عام الفتح الى البحر فجاءهم ريح عاصفة فقال عكرمة لين انجانا الله من هذا لارجعن الى محمد
صلى الله عليه وسلم ولاضعن يده في يدي فسكنت الريح ورجع عكرمة الى مكة واسلم
وحسن اسلامه ومنهم من لم يوف بما عاهد وهو المراد بقوله وما يجحد باياتنا الا كل
ختار اى غدار كفور اى جحود لانعامنا عليه قوله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم اى خافوا
ربكم واخشوا اى خافوا يوما لا يجزي اى لا يقضي ولا يغني والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن
والده شيا وقيل معنى الاية ان الله ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهو الولد
والوالد فنبه بالاعلى على الادنى وبالادنى على الاعلى فالوالد يجزي عن ولده لكمال شفقته
عليه من حق المرتبة والولد يجزي عن والده لما له عليه من حقوق التربية وغيرها واذا كان
يوم القيامة فكل انسان يقول نفسي نفسي ولا يهمه قريب ولا بعيد كما قال ابن عباس
كل امري تهمه نفسه ان وعد الله حق قيل انه تحقيق لليوم معناه اخشوا يوما هذا شانه
فهو كاين لوعد الله به ووعده حق وقيل لانه تحقيق لعدم الجزا يعني لا يجزي والد عن ولد
في ذلك اليوم والقول الاول احسن واظهر فلا تغرنكم الحياة الدنيا اى لانها فانية
ولا يغرنكم بالله الغرور يعني الشيطان قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصي ويتمنى المغفرة
قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الاية نزلت في الحارث بن عمرو بن حارثة بن حفصة
من اهل البادية اتى النبي صلى الله عليه وسلم فساله عن الساعة ووقتها وقال ان ارضنا
اجدبت فمتى ينزل الغيث وتركت امراتي حبلى فمتى تلد وعلمت اين ولدت فباي ارض اموت
فانزل الله هذه الاية خ ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مفاتيح
الغيب خمس ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري
نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان الله عليم خبير ومعنى الاية
ان الله عنده علم الساعة فلا يدري احد من الناس متى تقوم الساعة في اي سنة او اي
شهر او يوم ليلا او نهارا وينزل الغيث فلا يعلم احد متى ينزل الغيث ليلا او نهارا
الا الله ويعلم ما في الارحام اذكر ام انثى احمر ام اسود تام الخلقة ام ناقصة وما
تدري نفس ماذا تكسب غدا اى من خير او شر وما تدري نفس باي ارض تموت اى ليس
احد من الناس يعلم مضجعه من الارض في بر او بحر في سهل او جبل ان الله عليم اى بهذه

الاشيا

الاشيا وبغيرها خبير اى ببواطن الاشيا كلها ليس علمه محيطا بالظاهر فقط بل محيط بالظاهر
والباطن قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل مصطفى فمن ادعى انه
يعلم شيا من هذه الاشيا فقد كفر بالقران لانه خالفه والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة السجدة

قال عطا الا ثلاث ايات من قوله تعالى افمن كان مومنا وهي تسع وعشرون اية وقيل ثلاثون
اية وثلثماية وثمانون كلمة والف وخمسماية وثمانية عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين اى لا شك فيه انه من رب
العالمين ام يقولون اى بل يقولون يعني المشركين افتراه اى اختلقه محمد من تلقا نفسه
بل هو الحق يعني القران من ربك لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك يعني العرب كانوا
امة امية لم ياتهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ذلك في الفترة التي كانت
بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فان قلت اذا لم ياتهم رسول لم تقم عليهم حجة قلت قيام
الحجة بالشرايع التي لا يدرك علمها الا من جهة الرسل فلا واما قيام الحجة عليهم بمعرفة الله
وتوحيده فنعم لان معهم ادلة العقل الموصلة الى ذلك في كل زمان لعلهم يهتدون يعني
يتذكرون راجيا اهتداءهم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم
استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع افلا تتذكرون تقدم تفسيره قوله تعالى
يدبر الامر اى يحكم الامر وينزل القضا والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السما الى الارض
ثم يعرج اليه اى يصعد اليه جبريل بالامر في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون يعني
انه مسافة ما بين السما والارض خمسماية سنة فيكون مقدار نزوله الى الارض ثم صعوده
الى السما في مقدار الف سنة لو سارها احد من بني ادم وجبريل ينزل ويصعد في مقدار يوم من
ايام الدنيا واقل من ذلك وكذلك الملايكة كلهم وقيل في معنى الاية انه يدبر الامر من السما
الى الارض مدة ايام الدنيا ثم يعرج اليه اى يرجع الامر اليه بعد فنا الدنيا وانقطاع امر الامرا وحكم
الحكام في يوم كان مقداره الف سنة هو يوم القيامة فان قلت قد قال في موضع اخر
تعرج الملايكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فكيف الجمع بينهما قلت قيل
اراد بقوله خمسين الف سنة مدة المسافة بين الارض الى سدرة المنتهى التي هي مقام جبريل
عليه السلام يقول يسير جبريل والملايكة الذين معه من اهل مقامه مسيرة خمسين الف سنة في يوم
واحد من ايام الدنيا وقيل كلاهما في يوم القيامة فيكون على بعضهم كالف سنة وعلى بعضهم
كخمسين الف سنة وهذا في حال الكفار واما على المومنين فدون ذلك كما جا في الحديث انه يكون
على المومن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا قال ابراهيم التيمي لا يكون على المومن الا كما
بين الظهر والعصر وقيل يحتمل ان يكون هذا اخبارا عن شدته وهوله ومشقته قال ابن ابي
مليكة دخلت انا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان فساله ابن فيروز عن هذه الاية وعن قوله
خمسين الف سنة فقال ابن عباس ايام سماها الله تعالى ما ادري ما هي واكره ان اقول في كتاب
الله ما لا اعلم ذلك عالم الغيب والشهادة يعني ذلك الذي صنع ما ذكر من خلق السموات
والارض هو عالم الغيب اى بما غاب عن خلقه لا يخفى عليه خافية والشهادة يعني ما حضر وظهر
العزيز اى المنيع المنتقم من اعدايه الرحيم اى باوليايه واهل طاعته قوله عز وجل الذي احسن
كل شي خلقه قال ابن عباس اتقنه واحكمه وقيل علم كيف يخلق كل شي وقيل خلق كل حيوان
على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل في خلقه حسن في شكله وكل عضو

من اعضائه مقدر على ما يصلح به معاشه وقيل معناه الهمهم خلقه ما يحتاجون اليه وعلمهم اياه
واحسنهم ذلك وقيل معناه احسن الى كل شي خلقه وبدا خلق الانسان من طين يعني آدم ثم
جعل نسله يعني ذريته من سلالة اي نطفة تنسل من الانسان من ماء مهين اي ضعيف ثم سواه
اي سوى خلقه ونفخ فيه من روحه اضاف الروح اليه اضافة تشريف كبيت الله وناقة الله ثم ذكر ما
يترتب على نفخ الروح في الجسد فقال تعالى وجعل لكم اي بعد اذ كنتم نطفا امواتا السمع
والابصار والافئدة قيل قدم السمع لان الانسان يسمع اولا كلاما فينظر الى قائله ليعرفه
ثم يتفكر بقلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه ووحد السمع لان الانسان يسمع الكلام من اي
جهة كان قليلا ما تشكرون يعني انكم لا تشكرون رب هذه النعم فتوحدونه قوله تعالى وقالوا
يعني منكري البعث ائذا ضللنا اي هلكنا في الارض والمعنى صرنا ترابا ائنا لفي خلق جديد
استفهام انكاري قال الله تعالى بل هم بلقاء ربهم كافرون اي بالبعث بعد الموت قل يتوفاكم
اي يقبض ارواحكم حتى لا يبقى من كتب عليه الموت ملك الموت وهو عزرائيل عليه الصلاة
والسلام الذي وكل بكم اي انه لا يغفل عنكم واذا جا اجل احدكم لا يؤخره ساعة ولا شغل
له الا ذلك روي ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد ياخذ منها صاحبها ما احب
من غير مشقة فهو يقبض ارواح الخلق من مشارق الارض الى مغاربها وله اعوان من الملائكة
ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وقال ابن عباس ان خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب
وقال مجاهد جعلت له الارض مثل الطست يتناول منها حيث يشا وقيل ان ملك الموت على
بين السما والارض فينزع اعوانه روح الانسان فاذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت
عن معاذ بن جبل قال ان لملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه
الناس فما من اهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فاذا راى انسانا
قد انقضى اجله ضرب راسه بتلك الحربة وقال له الان يزار بك عسكر الموت وقوله تعالى
ثم الى ربكم ترجعون اي تصيرون اليه احيا فيجزيكم باعمالكم قوله عز وجل ولو ترى اذ المجرمون
اي المشركون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم اي مطاطئوها حيا من ربهم وندما على ما فعلوا ربنا
اي يقولون ربنا ابصرنا اي ما كنا به مكذبين وسمعنا يعني منك ما انزلت به رسلك وقيل ابصرنا
معاصينا وسمعنا ما قيل فيها فارجعنا اي فارددنا الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اي
انا في الحال امنا ولكن لا ينفع ذلك الايمان ولو شينا لاتينا كل نفس هداها اي رشدها
وتوفيقها للايمان ولكن حق القول مني وجب القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس
اجمعين اي من كفار الجن والانس فذوقوا اي اذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة فذوقوا
بما نسيتم لقا يومكم هذا اي تركتم الايمان به في الدنيا انا نسيناكم اي تركناكم بالكلية
غير ملتفت اليكم كما يفعله الناسي قطعا لرجائكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون
من الكفر والتكذيب قوله عز وجل انما يؤمن باياتنا الذين اذا ذكروا بها اي وعظوا
خروا سجدا اي سقطوا على وجوههم ساجدين وسبحوا بحمد ربهم اي صلوا بامر ربهم
وقيل قالوا سبحان الله وبحمده وهم لا يستكبرون اي عن الايمان به والسجود له
ق عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا السورة التي فيها السجدة فيسجد
ونسجد حتى ما يجد احدنا مكانا لموضع جبهته في غير وقت الصلاة م عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرا ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان
يبكي يقول يا ويلتي امر ابن ادم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت
فلي النار وهذه من عزائم سجود القران فتسن للقاري والمستمع قوله تعالى تتجافى

أي

اي ترتفع وتنبو جنوبهم عن المضاجع جمع المضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفرش وهم
المتهجدون بالليل الذين يقومون للصلاة قال انس نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي المغرب
فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس في قوله تتجافى
جنوبهم عن المضاجع نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب صحيح وفي رواية ابي داود عنه قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشا يصلون
وهو قول ابي حازم ومحمد بن المنكدر قالا هي صلاة الاوابين روي عن ابن عباس قال ان
الملائكة لتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشا وهي صلاة الاوابين وقال عطا الذين
لا ينامون حتى يصلون العشا الاخيرة وعن ابي الدردا وعبادة بن الصامت وابي ذر هم الذين
يصلون العشا الاخيرة والفجر في جماعة يدل قوله صلى الله عليه وسلم من صلى العشا في جماعة
فكانما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكانما صلى الليل كله اخرجه مسلم
من حديث عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لو يعلمون ما في العتمة والصبح لاتوهما ولو حبوا واشهر الاقاويل ان
المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والاوزاعي وجماعة فصل
في فضل قيام الليل والحث عليه عن معاذ بن جبل قال كنت مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفر فاصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت
يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال سالت عن عظيم وانه
ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة
وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة
تطفي الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزا
بما كانوا يعملون ثم قال الا اخبرك براس الامر وعموده وذروة سنامه الجهاد ثم قال
الا اخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا نبي الله قال فاخذ بلسانه وقال اكفف
عليك هذا فقلت يا رسول الله وانا لمواخذون بما نتكلم فقال ثكلتك امك يا معاذ وهل
يكب الناس في النار على وجوههم او قال على مناخرهم الا حصايد السنتهم اخرجه الترمذي عن
ابي امامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فانه داب
الصالحين قبلكم وقربة الى ربكم وتكفير للسيات ومنهاة عن الاثام ومطردة الداء عن الجسد
اخرجه الترمذي عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من
رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين حبه واهله الى صلاته فيقول الله لملائكته انظروا
الى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه واهله الى صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما
عندي ورجل غزى في سبيل الله فانهزم مع اصحابه فعلم ما عليه في الانهزام وما له في الرجوع
فرجع حتى هريق دمه فيقول الله لملائكته انظروا الى عبدي رجع رغبة فيما عندي وشفقة
مما عندي حتى هريق دمه اخرجه الترمذي بمعناه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم افضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وافضل الصلاة بعد
الفريضة صلاة الليل ق عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقوم الليل حتى تتفطر قدماه فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم
من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا وعن علي قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله
لمن الان الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام اخرجه

نسخه وطائه
نسخه حبه
نسخه شفقا

الترمذي خ عن الهيثم بن أبي سنان أنه سمع أبا هريرة في قصة يذكر النبي صلى الله عليه وسلم
يقول إن أخاً لكم لا يقول الرفث يعني بذلك ابن رواحة قال الشعر

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

أخرجه البخاري وليس للهيثم بن سنان عن أبي هريرة في الصحيحين غير هذا الحديث وقوله تعالى
يدعون ربهم خوفاً وطمعاً قال ابن عباس خوفاً من النار وطمعاً في الجنة ومما رزقناهم
ينفقون قيل أراد به الصدقة المفروضة بل هو عام في الواجب والتطوع فلا تعلم نفس
ما أخفي لهم من قرة أعين أي مما تقر به أعينهم فلا يلتفتون إلى غيره قال ابن عباس هذا مما
لا تفسير له وقيل أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم جزاء بما كانوا يعملون أي من الطاعات
في دار الدنيا ق عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تبارك وتعالى أعددت
لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤوا إن شئتم
فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين قوله تعالى أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا
يستوون نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط كان بينهما تنازع وكلام
في شيء فقال الوليد لعلي اسكت فإنك صبي وأنا والله أبسط منك لساناً فقال علي اسكت
فإنك فاسق فأنزل الله هذه الآية وقوله لا يستوون أراد جنس المؤمنين وجنس
الفاسقين ولم يرد مؤمناً واحداً ولا فاسقاً واحداً أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فلهم جنات المأوى التي يأوي إليها المؤمنون نزلاً هو ما يهيأ للضيف عند نزوله بما
كانوا يعملون يعني من الطاعات في دار الدنيا وأما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما
أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به
تكذبون قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر أي سوى العذاب
الأكبر قال ابن عباس الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وعنه أنه الحدود وقيل هو
الجوع بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين وقال ابن مسعود هو
القتل بالسيف يوم بدر والأكبر هو عذاب جهنم لعلهم يرجعون أي إلى الإيمان يعني
من بقي منهم بعد القحط وبعد بدر ومن أظلم أي لا أحد أظلم ممن ذكر بآيات ربه أي
بدلائل وحدانيته وإنعامه عليه ثم أعرض عنها أي ترك الإيمان بها إنا من المجرمين يعني
المشركين منتقمون معناه أنهم لما لم يرجعوا بالعذاب الأدنى فإنا منهم منتقمون بالعذاب
الأكبر قوله عز وجل ولقد آتينا موسى الكتاب يعني التوراة فلا تكن في مرية
أي في شك من لقائه أي من لقاء موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس ق عن ابن عباس عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسري بي موسى رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من
رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الشعر ورأيت
مالكاً خازن النار والدجال في آيات أراهن الله إياه فلا تكن في مرية من لقائه
م عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة أسري بي
عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره فإن قلت صح في حديث المعراج أنه
رآه في السماء السادسة ومراجعته في أمر الصلوات فكيف الجمع بين هذين
الحديثين قلت يحتمل أن يكون رؤيته في قبره عند الكثيب الأحمر كان قبل صعوده
إلى السماء وذلك في طريقه عند بيت المقدس ثم لما صعد إلى السماء السادسة

وجده

وجده هناك قد سبقه لما يريده الله عز وجل وهو على كل شيء قدير فإن قلت كيف تصح منه
الصلاة في قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو في الدار الآخرة وليست
دار عمل وكذلك رأى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الأنبياء وهم يحجون فما الجواب
عن هذا قلت عنه أجوبة أحدها أن الأنبياء كالشهداء بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء
عند ربهم فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا كما صح في الحديث وأن يتقربوا إلى الله تعالى بما
استطاعوا لأنهم وإن كانوا قد توفوا لكنهم بمنزلة الأحياء في هذه الدار التي هي دار
العمل إلى أن تفنى ويفضوا إلى دار الجزاء التي هي الجنة الجواب الثاني أنه صلى الله عليه
وسلم رأى حالهم التي كانوا عليها في حياتهم ومثلوا له كيف كانوا وكيف كان حجهم
وصلاتهم الجواب الثالث أن التكليف وإن ارتفع عنهم في الآخرة لكن الذكر والشكر
والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام
وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما تلهمون النفس فالعبد يعبد ربه في الجنة
أكثر مما كان يعبده في الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار حاله مثل حال الملائكة
الذين قال الله في حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وغايته ما في الباب أن العبادة
ليست عليهم بتكليف بل هي على مقتضى الطبع والله أعلم وقيل في قوله فلا تكن في مرية
من لقائه أي من تلقي موسى كتاب الله بالرضى والقبول وجعلناه يعني الكتاب هدى
لبني إسرائيل وجعلنا منهم أي من بني إسرائيل أئمة أي قادة في الخير يقتدى بهم وهم الأنبياء
الذين كانوا في بني إسرائيل وقيل هم أتباع الأنبياء يهدون بأمرنا أي يدعون الناس إلى طاعتنا
لما صبروا أي على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر وكانوا بآياتنا يوقنون أي بأمر الله
تعالى إن ربك هو يفصل بينهم أي يقضي ويحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون
قيل هم الأنبياء وأممهم وقيل هم المؤمنون والمشركون قوله تعالى أولم يهد لهم أي يتبين
لهم كم أهلكنا أي كثرة إهلاكنا من قبلهم من القرون أي الأمم الخالية يمشون في مساكنهم
يعني أهل مكة يسيرون في بلادهم ومنازلهم إذا سافروا إن في ذلك لآيات
أفلا يسمعون أي آيات الله ومواعظه فيتعظون بها قوله عز وجل أولم يروا أنا
نسوق الماء إلى الأرض الجرز أي اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها قال ابن عباس
هي أرض باليمن وقيل هي أبين فنخرج به أي بذلك الماء زرعاً تأكل منه أنعامهم أي العشب
والتبن وأنفسهم أي من الحبوب والأقوات أفلا يبصرون أي فيعتبرون قوله تعالى
ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين قيل أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي
فيه الحكم والقضاء بين العباد وذلك أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار
إن لنا يوماً ننعم فيه ونستريح ويحكم فيه بيننا وبينكم فقال الكفار استهزاء متى هذا الفتح
أي القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل هو يوم بدر وذلك أن أصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم كانوا يقولون للكفار إن الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون متى هذا الفتح
قل يوم الفتح يعني يوم القيامة لا ينفع الذين كفروا إيمانهم أي لا يقبل منهم الإيمان
ومن حمل الفتح على فتح مكة أو القتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم
إذا جاءهم العذاب وقتلوا ولا هم ينظرون أي لا يمهلون ليتوبوا ويعتذروا فأعرض
عنهم قال ابن عباس نسختها آية السيف وانتظر أي موعدي لك بالنصر عليهم
إنهم منتظرون أي بك حوادث الزمان وقيل معناه انتظر عذابنا إياهم فإنهم منتظرون
ذلك ق عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في

الفجر يوم الجمعة الم تنزيل الكتاب وهل أتى على الإنسان عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الذي بيده الملك أخرجه الترمذي وقال طاوس تفضلان على كل سورة في القرآن بسبعين حسنة أخرجه الترمذي والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة الأحزاب

مدنية وهي ثلاث وسبعون آية وألف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة آلاف وسبعمائة وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور عمرو بن سفيان السلمي وذلك أنهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة ابن أبيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومنات وقل إن لها شفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يا رسول الله ائذن لي في قتلهم فقال إني أعطيتهم الأمان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرجهم من المدينة فأنزل الله يا أيها النبي اتق الله أي دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته ولا تطع الكافرين يعني من أهل مكة يعني أبا سفيان وعكرمة والأعور والمنافقين يعني من أهل المدينة عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد وطعمة إن الله كان عليما أي بخلقه قبل أن يخلقهم حكيما فيما دبره لهم واتبع ما يوحى إليك من ربك من وفاء العهد وترك طاعة الكافرين والمنافقين إن الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله أي ثق بالله وكل أمرك إليه وكفى بالله وكيلا أي حافظا لك وقيل كفيلا برزقك قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه نزلت في أبي معمر جميل ابن معمر الفهري وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا وله قلبان وكان يقول إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم فلقيه أبو سفيان وإحدى نعليه في يده والأخرى في رجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس قال انهزموا قال فما بال إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك فقال أبو معمر ما شعرت إلا أنهما في رجلي فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده وعن أبي ظبيان قال قلنا لابن عباس أرأيت قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما عنى بذلك قال قام نبي الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلي فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا ترى أن له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فأنزل الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه أخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله خطر خطرة يريد الوسوسة التي تحصل للإنسان في صلاته وقيل في معنى الآية أنه لما قال تعالى يا أيها النبي اتق الله فكان ذلك أمرا بالتقوى فكأنه قال ومن حقها أن لا يكون في قلبك تقوى غير الله فإن المرء ليس له قلبان حتى يتقي الله بأحدهما والآخر غيره وقيل هذا مثل ضربه الله تعالى للمظاهر من امرأته وللمتبني ولد غيره فكما لا يكون لرجل قلبان لأنهما إما أن يفعل بأحدهما ما يفعل بالآخر من أفعال القلوب فالآخر فضلة غير محتاج إليه وإما أن يفعل بهذا ما لا يفعل بذلك فذلك يؤدي إلى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما جاهلا موقنا شاكا في حالة واحدة وهما حالتان متنافيتان

فكذلك

فكذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى تكون له أمان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين وهو قوله تعالى وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم وصورة الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي يقول الله تعالى ما جعل الله نساءكم اللائي تقولون لهن هذا في التحريم كأمهاتكم ولكنه منكر وزور وفيه كفارة نذكرها إن شاء الله تعالى في سورة المجادلة وما جعل أدعياءكم يعني الذين تتبنونهم أبناءكم وفيه نسخ التبني وذلك أن الرجل كان في الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه إليه الناس ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعتق زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي وتبناه قبل الوحي وآخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية ونسخ بها التبني ذلكم قولكم بأفواهكم أي لا حقيقة له يعني قولهم زيد ابن محمد وادعاء نسب لا حقيقة له والله يقول الحق أي قوله الحق وهو يهدي السبيل أي يرشد إلى سبيل الحق ادعوهم لآبائهم أي الذين ولدوهم فقولوا زيد بن حارثة هو أقسط عند الله أي أعدل عند الله (ق) عن ابن عمر أن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن رسول الله حتى نزل القرآن ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله الآية فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم أي فهم إخوانكم في الدين ومواليكم أي كانوا محررين وليسوا بنيكم أي فسموهم بأسماء إخوانكم في الدين وقيل معنى مواليكم أولياؤكم في الدين وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به أي قبل النهي فنسبتموه إلى غير أبيه ولكن ما تعمدت قلوبكم أي من دعائهم إلى غير آبائهم بعد النهي وقيل فيما أخطأتم به أن تدعوه لغير أبيه وهو يظن أنه كذلك وكان الله غفورا رحيما (ق) عن سعد بن أبي وقاص وأبي بكرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام قوله عز وجل النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم أي من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه عليهم ووجوب طاعته قال ابن عباس يعني إذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم أولى بهم من طاعة أنفسهم وهذا صحيح فإن نفوسهم تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى ما فيه نجاتهم وقيل هو أولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج إلى الجهاد فيقول قوم نذهب فنستأذن من آبائنا وأمهاتنا فنزلت هذه الآية (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤوا إن شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ومن ترك دينا أو ضياعا فليأتني فأنا مولاه عصبة الميت من يرثه سوى من له فرض مقدر وقوله أو ضياعا أي عيالا وأصله مصدر ضاع يضيع ضياعا وإن كسرت الضاد كان جمع ضائع قوله تعالى وأزواجه أمهاتهم يعني هن أمهات المؤمنين في تعظيم الحرمة وتحريم نكاحهن على التأبيد لا في النظر إليهن والخلوة بهن فإنه حرام كما في حق الأجانب ولا يقال لبناتهن هن أخوات المؤمنين ولا لإخوانهن وأخواتهن أخوال المؤمنين وخالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر وهي أخت عائشة أم المؤمنين ولم يقل هي خالة المؤمنين وقيل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين والمؤمنات الرجال والنساء جميعا وقيل كن أمهات الرجال دون النساء بدليل ما روي

عن مسروق ان امرأة قالت لعائشة يا امه فقالت لست لك بام انما انا ام رجالكم فبان بذلك
ان معنى الامومة انما هو في تحريم نكاحهن **وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض** يعني في
الميراث قيل كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وقيل اخا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين الناس فكان يواخي بين الرجلين فاذا مات احدهما ورثه الاخر دون عصبته حتى نزلت
وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض وقيل في معنى الاية لا توارث بين المسلم والكافر
ولا بين المهاجر وغير المهاجر **في كتاب الله** اي في حكم الله **من المؤمنين** الذين اخا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينهم **والمهاجرين** والمعنى ذوي القرابات بعضهم اولى ببعض بميراث
بعض فنسخت هذه الاية الموارثة بالمواخاة والهجرة وصارت الموارثة بينهم بالقرابة
الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا يعني الوصية للذين يتولونه من المعاقدين وذلك
ان الله تعالى لما نسخ التوارث بالحلف والاخا والهجرة اباح ان يوصي لمن يتولاه بما احب
من ثلث ماله وقيل اراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمة بحق الايمان وقيل معناه الا
ان تؤمنوا الذي قرابتكم لشيء وان كان من غير اهل الايمان والهجرة **كان ذلك** اي الذي
ذكرت من ان اولي الارحام بعضهم اولى ببعض **في الكتاب** اي في اللوح المحفوظ وقيل في التوراة
مسطورا اي مكتوبا مثبتا قوله تعالى **واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم** اي على الوفا
بما حملوا وان يصدق بعضهم بعضا ويبشر بعضهم ببعض وقيل على ان يعبدوا الله ويدعوا
الناس الى عبادته وينصحوا لقومهم **ومنك** يعني يا محمد **ومن نوح وابراهيم وموسى**
وعيسى ابن مريم خصصنا هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لانهم اصحاب الكتب والشرائع واولو
العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم في الذكر تشريفا له وتفضيلا ولما
روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
كنت اول النبيين في الخلق واخرهم في البعث قال قتادة وذلك قوله تعالى
واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح فبدأ به صلى الله عليه وسلم **واخذنا**
منهم ميثاقا غليظا اي عهدا شديدا على الوفا بما حملوا من تبليغ الرسالة **ليسأل**
الصادقين عن صدقهم يعني اخذنا ميثاقهم لكي يسأل الصادقين يعني النبيين عن
تبليغهم الرسالة والحكمة في سؤالهم مع علمه سبحانه وتعالى انهم صادقون تبكيت من ارسلوا
اليهم وقيل ليسأل الصادقين عن صدقهم عن عملهم لله عز وجل وقيل ليسأل الصادقين
يعني النبيين عن تبليغهم الرسالة والحكمة مع بافواههم عن صدقهم في قلوبهم
واعد للكافرين عذابا اليما قوله عز وجل **يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله**
عليكم وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة
ايام الخندق **اذ جاءتكم جنود** يعني الاحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة
والنضير **فارسلنا عليهم ريحا** يعني الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة
الاحزاب انطلقي ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة
لا تسري بالليل فكانت الريح التي ارسلت عليهم الصبا ق عن ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وقيل ان الصبا ريح فيها روح ما هبت
على محزون الا ازال حزنه وقوله تعالى **وجنودا لم تروها** يعني الملائكة ولم تقاتل
الملائكة يومئذ فبعث الله عز وجل تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاوتاد
وقطعت اطناب الفساطيط واطفأت النيران واكفأت القدور وجالت الخيل بعضها
في بعض وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان

هلموا

هلموا الي فاذا اجتمعوا عنده قال النجا النجا فانهزموا من غير قتال لما بعث الله عليهم
من الرعب **وكان الله بما تعملون بصيرا** ذكر غزوة الخندق **وهي غزوة الاحزاب** قال البخاري
قال موسى بن عقبة كانت في شوال سنة اربع وروى محمد بن اسحاق عن مشايخه قال دخل حديث
بعضهم في بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب وكنانة بن الربيع
ابن ابي الحقيق وهوذة بن قيس وابو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وائل
وهم الذين حزبوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش مكة
فدعوهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله
فقالت لهم قريش يا معشر اليهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما اصبحنا نختلف فيه
نحن ومحمد افديننا خير ام دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وانتم اولى بالحق منه فهم
الذين قال الله تعالى فيهم الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت
والطاغوت الى قوله وكفى بجهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا
لما دعوهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوا على ذلك ثم خرج اولئك
النفر من اليهود حتى جاؤا غطفان من قيس عيلان فدعوهم الى ذلك واخبروهم انهم سيكونون
معهم عليه وان قريشا قد تابعوهم على ذلك واجابوهم فخرجت قريش وقائدهم ابو سفيان
بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة والحارث
ابن عوف بن ابي حارثة المري في بني مرة ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف فيمن تابعه من قومه
من اشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجمعوا له من الامر ضرب الخندق
على المدينة وكان الذي اشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال الرسول
بالخندق سلمان الفارسي وكان اول مشهد شهده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يومئذ حر فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى احكموه وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق
عام الاحزاب ثم قطع لكل عشرة اربعين ذراعا فاحتج المهاجرون والانصار في سلمان
الفارسي وكان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقالت الانصار سلمان منا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت قال عمرو بن عوف كنت انا وسلمان وحذيفة والنعمان
ابن مقرن المزني وستة من الانصار في اربعين ذراعا فحفرنا حتى اذا كنا بجب ذي باب اخرج الله
لنا من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره خبر هذه الصخرة فاما ان نعدل عنها فان المعدل
قريب واما ان يأمرنا فيها بامره فانا لا نحب ان نجاوز خطه قال فرقي سلمان الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من
بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يحيك فيها قليل ولا كثير فمرنا فيها
بامرك فانا لا نحب ان نجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان الخندق
والتسعة على شفة الخندق فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول من سلمان فضربها
ضربة صدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها يعني المدينة حتى لكأن مصباحا في جوف
بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ثم ضربها
رسول الله صلى الله عليه وسلم الثانية فصدعها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى
لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون ثم
ضربها رسول الله صلى الله عليه وسلم الثالثة فكسرها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها حتى

كان مصباحا في بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبير فتح وكبر المسلمون
معه واخذ بيد سلمان ورقي فقال سلمان بابي انت وامي يا رسول الله لقد رايت شيئا
ما رايت مثله قط فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القوم فقال هل رايتم
ما يقول سلمان قالوا نعم يا رسول الله فقال ضربت ضربتي الاولى فبرق الذي رايتم
فاضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كانها انياب الكلاب واخبرني جبريل ان امتي
ظاهرة عليها ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رايتم فاضاءت منها قصور الروم
كانها انياب الكلاب فاخبرني جبريل عليه السلام ان امتي ظاهرة عليها فابشروا
فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله الذي موعده صدق وعدنا النصر بعد الحصر فقال
المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة
ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا
قال فنزل القرآن واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا
وانزل الله قل اللهم مالك الملك الاية ق عن انس قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار يحفرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون
ذلك فلما راى ما بهم من النصب والجوع فقال اللهم ان العيش عيش الاخرة فاغفر
للانصار والمهاجرين فقالوا مجيبين له نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا ابدا
ق عن البراء قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم ينقل معه التراب وهو يقول

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا
والمشركون قد بغوا علينا اذا ارادوا فتنة ابينا

وفي رواية ولقد وارى التراب بياض بطنه رجعنا الى الحديث ابن اسحاق قال فلما فرغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الاسيال من رومة بين الجرف
والغابة في عشرة الاف من احابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة واهل تهامة واقبلت
واقبلت غطفان ومن تابعهم من اهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمى الى جانب احد وخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع في ثلاثة
الاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينه وبين القوم وامر بالذراري
والنساء فجعلوا في الاطام وخرج عدو الله حيي بن اخطب من بني النضير حتى اتى كعب بن اسد القرظي
صاحب عقد بني قريظة وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه
وعاهده على ذلك فلما سمع كعب بحيي بن اخطب اغلق دونه حصنه فاستاذن عليه فابى
ان يفتح له فناداه حيي يا كعب افتح فقال ويحك يا حيي انك امرؤ مشؤوم اني قد عاهدت
محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم ار منه الا وفاء وصدقا قال ويحك افتح اكلمك
قال ما انا بفاعل قال والله ان اغلقت دوني الا على جشيشتك ان اكل معك منها فاحفظ
الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وببحر طام جئتك بقريش على قادتها
وسادتها حتى انزلتهم بمجتمع الاسيال من رومة وبغطفان على قادتها وسادتها حتى
انزلتهم بذنب نقمى الى جانب احد قد عاهدوني وعاقدوني ان لا يبرحوا حتى يستاصلوا
محمدا ومن معه فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر وبجهام قد هراق ماءه
يرعد ويبرق ليس فيه شيء دعني ومحمدا وما انا عليه فاني لم ار من محمد الا صدقا
ووفاء فلم يزل حيي بن اخطب بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على

ان اعطاه من الله عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش ولم يصيبوا محمدا ان ادخل معك حصنك
حتى يصيبني ما اصابك فنقض كعب بن اسد العهد وبرئ مما كان عليه فيما بينه وبين رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى المسلمين
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ احد بني عبد الاشهل وهو يومئذ سيد
الاوس وسعد بن عبادة احد بني ساعدة وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله
ابن رواحة اخو بلحارث بن الخزرج وخوات بن جبير اخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى
تنظروا ابلغنا عن هؤلاء القوم احق ام لا فان كان حقا فالحنوا الي لحنا اعرفه ولا تفتوا
اعضاد الناس وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس فخرجوا حتى
اتوهم فوجدوهم على اخبث ما بلغهم عنهم وقالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا
لا عقد بيننا وبينه ولا عهد فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال
سعد بن معاذ دع عنك مشاتمتهم فما بيننا وبينهم اربى من المشاتمة ثم اقبل سعد وسعد
ومن معهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا عضل والقارة لغدر عضل
والقارة باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحاب الرجيع خبيب بن عدي
واصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكبر ابشروا يا معشر المسلمين وعظم
عند ذلك البلاء واشتد الخوف واتاهم عدوهم من فوقهم ومن اسفل منهم حتى ظن
المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير اخو بني
عمرو بن عوف كان محمد يعدنا ان ناكل كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يذهب
الى الغائط ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وحتى قال اوس بن قيظي احد بني
حارثة يا رسول الله ان بيوتنا عورة وما هي بعورة من العدو وذلك على ملأ من رجال قومه
فاذن لنا فلنرجع الى دارنا فانها خارجة من المدينة فاقام رسول الله صلى الله
عليه وسلم واقام المشركون معه عليه بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بينهم
حرب الا الرمي بالنبل والحصى فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحارث بن عوف وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث
ثمار المدينة على ان يرجعوا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فجرى
بينه وبينهم الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى
الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة فاستشارهما فقالا يا رسول الله امرك
الله به لا بد لنا من العمل به ام امر تحبه فنصنعه ام شيء تصنعه لنا قال بل شيء اصنعه
لكم والله ما اصنع ذلك الا اني قد رايت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل
جانب فاردت ان اكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء
القوم على شرك وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه ولا يطمعون ان ياكلوا
منا ثمرة واحدة الا قرى او بيعا افحين اكرمنا الله بالاسلام واعزنا بك نعطيهم اموالنا
ما لنا بهذا حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انت وذاك فتناول سعد الصحيفة فمحا ما فيها من الكتاب ثم قال
ليجهدوا علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصرهم
ولم يكن بينهم قتال الا ان فوارس من قريش عمرو بن عبد ود اخو بني عامر بن لؤي وعكرمة
ابن ابي جهل وهبيرة بن ابي وهب المخزوميان ونوفل بن عبد الله وضرار بن الخطاب بن مرداس
اخو بني محارب بن فهر قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم فمروا على بني كنانة فقالوا

تهيبوا العرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم اقبلوا نحو الخندق حتى
وقفوا عليه فلما راوه قالوا والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا
مكانا من الخندق ضيقا وضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق
وسلع وخرج علي بن ابي طالب في نفر من المسلمين حتى اخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها
واقبلت الفرسان تعنق نحوهم وكان عمرو بن ود قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم
يشهد احدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليرى مكانه فلما وقف هو وخيله قال له علي يا عمرو
انك كنت تعاهد الله لا يدعوك رجل من قريش الى خلتين الا اخذت منه احدهما قال اجل
قال له علي فاني ادعوك الى رسول الله والى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فاني ادعوك
الى النزال قال له ولم يا ابن اخي فوالله ما احب ان اقتلك فقال له علي لكني والله احب
ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره او ضرب وجهه ثم اقبل على
علي فتنازلا وتجاولا فقتله علي وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة
وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار اصابه سهم فمات
بمكة ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه
بالحجارة فقال يا معشر العرب قتلة احسن من هذه فنزل اليه علي فقتله فغلب
المسلمون على جسده فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبيعهم جسده فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده وثمنه فشانكم به فخلى بينهم
وبينه قالت عايشة ام المومنين كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من
احرز حصون المدينة فكانت ام سعد بن معاذ في الحصن وذلك قبل ان يضرب
علينا الحجاب فمر سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده
حربة وهو يقول لبث قليلا يدرك الهيجا حمل لا باس بالموت اذا حان الاجل فقالت
له الحق يا بني والله اخرت فسالت فر عايشة فقلت يا ام سعد والله لوددت
ان درع سعد كانت اسبغ مما هي وخفت عليه حيث اصاب السهم منه قالت فرمي سعد
يومئذ بسهم فقطع منه الاكحل رماه حبان بن قيس بن العرقة احد بني عامر بن لوي فلما
اصابه قال خذها وانا ابن العرقة قال سعد عرق الله وجهك في النار ثم قال اللهم ان كنت
ابقيت من حرب قريش شيا فابقني لها فانه لا قوم احب الي ان اجاهدهم من قوم اذوا
رسولك وكذبوه واخرجوه وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي
شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية
قال محمد بن اسحاق فيما بلغه ان صفية بنت عبد المطلب كانت في فارع حصن حسان
ابن ثابت قالت وكان حسان معنا مع النسا والصبيان قالت صفية فمر بنا رجل
من يهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول
الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحر عدوهم لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا عنهم
اذا اتانا ات فقالت قلت يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطوف بالحصن
واني والله ما امنه يدل على عورتنا من وراينا من يهود وقد شغل عنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فانزل اليه فاقتله وقال يغفر الله لك يا بنت
عبد المطلب والله لقد عرفت ما انا بصاحب هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم
ار عنده شيا احتجزت ثم اخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه فضربته
بالعمود حتى قتلته فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقالت يا حسان انزل اليه

فاسلبه

فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل ما لي بسلبه حاجة يا بنت عبد المطلب قال واه
واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر
عدوهم واتيانهم من فوقهم ومن اسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فامرني
بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت فينا رجل واحد فخذ عنا ان استطعت
فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال
لهم يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا
بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاوا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وان قريشا وغطفان
ليسوا كهيئتكم البلد بلدكم به اموالكم واولادكم ونساؤكم لا تقدرون على ان تحولوا منه
الى غيره وان قريشا وغطفان اموالهم واولادهم ونساؤهم بغيره ان راوا نهزة وغنيمة
اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين هذا الرجل والرجل ببلدكم
لا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تاخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون
بايديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمدا حتى لا يناجزوه قالوا لقد اشرت براي ونصح
ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لابي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم
ودي اياكم وفراقي محمدا فقد بلغني امر رايت حقا علي ان ابلغكم نصحا لكم فاكتموا علي
قالوا نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما صنعوا بينهم وبين
محمد وقد ارسلوا اليه ان قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا ان ناخذ من قريش وغطفان
رجالا من اشرافهم فنعطيكم فتضرب اعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم فارسل اليهم ان نعم
فان بعثت اليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج
حتى اتى غطفان فقال يا معشر غطفان انتم اصلي وعشيرتي واحب الناس الي ولا اراكم
تتهموني قالوا صدقت قال فاكتموا علي قالوا نفعل فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم
مثل حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان مما صنع الله لرسوله
صلى الله عليه وسلم ارسل ابو سفيان ورؤس غطفان الى بني قريظة عكرمة بن ابي جهل في
نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا
للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم السبت وهو يوم
لا نعمل فيه شيا وقد كان احدث فيه بعضنا حدثا فاصابهم ما لا يخفى عليكم ولسنا
مع ذلك بالذي نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتى نناجز
محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تنشمروا الى بلادكم وتتركونا
والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت اليهم الرسل بالذي قالت بنو
قريظة قالت قريش وغطفان تعلمن والله ان الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق فارسلوا
فارسلوا الى بني قريظة انا والله لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون
القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل بهذا ان الذي
ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم الا ان يقاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها
وان كان غير ذلك انشمروا الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم فارسلوا الى قريش
وغطفان انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله عز وجل
وبعث عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفا قدورهم وتطرح ابنيتهم فلما
انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من امرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه

اليهم لينظر ما فعل القوم ليلا روى محمد بن اسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي وروى
غيره عن ابراهيم التيمي عن ابيه قالا قال فتى من اهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا ابا عبد
الله رايتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتموه قال نعم يا ابن اخي قال كيف كنتم تصنعون
قال والله لقد كنا نجهد فقال الفتى والله لو ادركناه ما تركناه يمشي على الارض ولحملناه
على اعناقنا ولخدمناه وفعلنا معه ما فعلنا فقال حذيفة يا ابن اخي والله لقد رايتني ليلة
الاحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يقوم يذهب الى هؤلاء القوم فياتينا بخبرهم
ادخله الله تعالى الجنة فما قام منا رجل ثم صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم التفت الينا
فقال مثله فسكت القوم وما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل
ثم التفت الينا فقال من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على ان يكون رفيقي في الجنة فما
قام منا رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم احد دعاني رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا حذيفة ولم يكن لي بد من القيام حين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت لبيك يا رسول الله وقمت حتى اتيته فاخذ بيدي ومسح راسي ووجهي ثم قال ايت هؤلاء
القوم حتى تاتيني بخبرهم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع الي ثم قال اللهم احفظه من بين يديه
ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فاخذت سهمي وشددت على اسلابي
ثم انطلقت امشي نحوهم كانما امشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد ارسل الله
عليهم ريحا وجنودا وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فقال
وابو سفيان قاعد يصطلي فاخذت سهما فوضعته في كبد قوسي فاردت ان ارميه ولو رميته
لاصبته فذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحدثن حدثا حتى ترجع فرددت سهمي في كنانتي
فلما راى ابو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قام
فقال يا معشر قريش لياخذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد جليسي فقلت
من انت فقال سبحان الله اما تعرفني انا فلان بن فلان رجل من هوازن فقال ابو سفيان
يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة
وبلغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل ثم قام الى
جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما اطلق عقاله الا وهو قائم وسمعت
غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم كاني امشي في حمام فاتيته وهو قائم يصلي فلما سلم اخبرته فضحك
حتى بدت انيابه في سواد الليل فلما اخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفء فادناني
النبي صلى الله عليه وسلم فانامني عند رجليه والقى علي طرف ثوبه والصق صدري
ببطن قدميه فلم ازل نائما حتى اصبحت فلما اصبحت قال قم يا نومان فذلك قوله عز وجل
اذ جاؤكم من فوقكم اي من فوق الوادي من قبل المشرق وهم اسد وغطفان وعليهم مالك بن
عوف النصري وعيينة الفزاري في الف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الاسدي في بني
اسد وحيي بن اخطب في يهود قريظة ومن اسفل منكم يعني من بطن الوادي من قبل المغرب
وهم قريش وكنانة عليهم ابو سفيان بن حرب في قريش ومن تبعه وابو الاعور عمرو
بن سفيان السلمي من قبل الخندق وكان الذي جر غزوة الخندق فيما قيل اجلاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم بني النضير من ديارهم واذ زاغت الابصار اي مالت وشخصت من
وقيل مالت عن كل شيء فلم تنظر الى عدوها وبلغت القلوب الحناجر اي زالت عن اماكنها
حتى بلغت الحلوق من الفزع والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبر به

عن

عن شدة الخوف وقيل معناه انهم جبنوا وسبيل الجبان اذا اشتد خوفه ان تنتفخ رئته
فاذا انتفخت الرئة رفعت القلب الى الحنجرة ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره وتظنون
بالله الظنونا اي اختلفت الظنون فظن المنافقون استيصال محمد واصحابه وظن المؤمنون
النصر والظفر لهم هنالك ابتلي المؤمنون اي عند ذلك اختبر المؤمنون بالحصر والقتال
ليتبين المخلصون من المنافقين وزلزلوا زلزالا شديدا اي حركوا حركة شديدة
واذ يقول المنافقون يعني معتب بن قشير وقيل عبد الله بن ابي واصحابه والذين في
قلوبهم مرض اي شك وضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا اي هو قول
اهل النفاق يعدنا محمد فتح الشام وقصور فارس واحدنا لا يستطيع ان يجاوز رحله
هذا هو الغرور قوله تعالى واذ قالت طائفة منهم اي من المنافقين وهم اوس بن
قيظي واصحابه يا اهل يثرب يعني اهل المدينة وقيل يثرب اسم الارض ومدينة الرسول صلى
الله عليه وسلم في ناحية منها سميت يثرب باسم رجل من العمالقة كان قد نزلها في قديم
الزمان وفي بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان تسمى المدينة يثرب وقيل هي
طابة كانه كره هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التقريع والتوبيخ لا مقام لكم
اي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه فارجعوا اي الى منازلكم عن اتباع محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل عن القتال ويستاذن فريق منهم النبي يعني بني حارثة وبني سلمة يقولون ان بيوتنا
عورة اي خالية ضايعة وهي مما يلي العدو ونخشى عليها السراق فكذبهم الله تعالى فقال وما
هي بعورة ان يريدون الا فرارا اي انهم لا يخافون ذلك انما يريدون الفرار من القتال ولو دخلت
عليهم من اقطارها يعني لو دخل هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الاحزاب من نواحي
المدينة وجوانبها ثم سئلوا الفتنة اي الشرك لآتوها اي لجاؤها وفعلوها ورجعوا عن الاسلام
وما تلبثوا بها اي ما احتبسوا عن الفتنة الا يسيرا اي لاسرعوا الاجابة الى الشرك طيبة
به نفوسهم وقيل معناه وما اقاموا بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا قليلا حتى يهلكوا قوله تعالى
ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل اي من قبل الغزوة اي غزوة الخندق لا يولون الادبار
اي لا ينهزمون قيل هم ناس همّوا يوم احد ان يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل
عاهدوا الله لا يعودون لمثلها وقيل هم ناس غابوا عن وقعة بدر فلما راوا ما اعطى الله اهل
بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله اليهم
ذلك وكان عهد الله مسئولا اي عنه في الاخرة قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت
او القتل يعني الذي كتب عليكم لان من حضر اجله مات او قتل لا بد من ذلك واذا لا تمتعون اي
بعد الفرار الا قليلا اي مدة اجالكم وهي قليل قل من ذا الذي يعصمكم اي يمنعكم من الله ان
اراد بكم سوءا اي هزيمة او اراد بكم رحمة اي نصرا ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا
اي ناصرا يمنعهم قد يعلم الله المعوقين منكم اي المثبطين للناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلا تشهدوا الحرب معه فانا نخاف عليكم الهلاك وقيل هم ناس من المنافقين كانوا يثبطون
انصار النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون لهم ما محمد واصحابه الا اكلة راس ولو كانوا لحما
لالتقمهم اي ابتلعهم ابو سفيان واصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقيل نزلت في
المنافقين وذلك ان اليهود ارسلت اليهم ما الذي يحملكم على قتل انفسكم بيد ابي سفيان
ومن معه فانهم ان قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا وانا نشفق عليكم فانتم
اخواننا وجيراننا هلم الينا فاقبل عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه على المؤمنين يعوقونهم
ويخوفونهم بابي سفيان ومن معه وقالوا لئن قدروا اليوم عليكم لم يستبق منكم احدا

والقائلين لاخوانهم هلم الينا
اي [illegible] الينا ودعوا محمدا
عليه السلام

ما ترجعون الى محمد ما عنده خير ما هو الا ان يقتلنا ها هنا انطلقوا بنا الى اخواننا يعني اليهود
فلم يزدد المؤمنون بقول المنافقين الا ايمانا واحتسابا وقوله تعالى ولا ياتون البأس
يعني الحرب الا قليلا رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا
اشحة عليكم اي بخلاء بالنفقة في سبيل الله والنصرة وصفهم الله تعالى بالبخل والجبن
فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم اي في رؤوسهم من الخوف والجبن كالذي
يغشى عليه من الموت اي كدوران عين الذي قرب من الموت وغشيه اسبابه فانه يذهب عقله
ويشخص بصره فلا يطرف فاذا ذهب الخوف سلقوكم اي اذوكم ورموكم في حال الامن
بالسنة حداد اي ذربة تفعل كفعل الحديد قال ابن عباس معناه عضهوكم وتناولوكم بالنقص
والغيبة وقيل بسطوا السنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطونا فانا شهدنا
معكم القتال فلستم باحق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة اشح قوم وعند الحرب اجبن قوم
اشحة على الخير اي يشاحون المؤمنين عند الغنيمة فعلى هذا المعنى يكون المراد بالخير المال
اولئك لم يؤمنوا اي لم يؤمنوا حقيقة الايمان وان اظهروا الايمان لفظا فاحبط الله
اعمالهم اي التي كانوا ياتون بها مع المسلمين قيل هو الجهاد وغيره وكان ذلك على الله
يسيرا اي احباط اعمالهم مع ان كل شيء على الله يسير قوله تعالى يحسبون يعني هؤلاء المنافقين
الاحزاب يعني قريشا وغطفان واليهود لم يذهبوا اي لم ينصرفوا عن قتالهم جبنا
وفرقا وقد انصرفوا عنهم وان يات الاحزاب اي يرجعوا اليهم للقتال بعد الذهاب
يودوا لو انهم بادون في الاعراب اي يتمنون لو انهم كانوا في بادية مع الاعراب من
الجبن والخوف يسالون عن انبائكم اي عن اخباركم وما آل اليه امركم ولو كانوا فيكم يعني
هؤلاء المنافقين ما قاتلوا الا قليلا يعني يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم يقولون
قد قاتلنا معكم وقيل هو رمي بالحجارة وقيل رياء من غير احتساب قوله عز وجل لقد
كان لكم في رسول الله اسوة حسنة اي قدوة صالحة اي اقتدوا به اقتداء حسنا وهو ان
تنصروا دين الله وتوازروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل
هو اذ قد كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه واوذي بضروب الاذى فصبر وواساكم
مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك ايضا واستنوا لسنته لمن كان يرجو الله يعني
الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله واليوم
الاخر يعني ويخشى يوم البعث الذي فيه الجزاء وذكر الله كثيرا اي في جميع المواطن على السراء
والضراء ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الاحزاب فقال تعالى ولما راى المؤمنون
الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله اي قالوا ذلك تسليما لامر الله وتصديقا
بوعده وصدق الله ورسوله اي فيما وعد وهو في مقابلة قول المنافقين ما وعدنا
الله ورسوله الا غرورا وقولهم وصدق الله ورسوله اي اشارة الى ما وقع فانهم كانوا
يعرفون صدق الله ورسوله قبل الوقوع وانما هو اشارة الى البشارة في جميع ما وعد فيقع الكل
مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وقيل انهم وعدوا ان يلحقهم شدة وبلاء فلما راوا الاحزاب
وما اصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم
الا ايمانا اي تصديقا لله وتسليما اي لامره قوله تعالى من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه اي قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به فمنهم من قضى نحبه اي فرغ من نذره ووفى
بعهده فصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نحبه يعني اجله فقتل على الوفاء يعني حمزة
واصحابه وقيل قضى نحبه اي بذل جهده في الوفاء بالعهد وقيل قضى نحبه استشهد يوم بدر واحد

ومنهم

ومنهم من ينتظر يعني من بقي بعدهما ولا من المؤمنين ينتظرون احد الامرين اما الشهادة والنصر
على الاعداء يعني وما بدلوا يعني عهدهم تبديلا ق عن انس قال غاب عمي انس بن النضر عن قتال
بدر فقال يا رسول الله غبت عن اول قتال قاتلت المشركين لئن الله اشهدني قتال
المشركين ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد وانكشف المسلمون قال اللهم اني اعتذر
اليك مما صنع هؤلاء يعني اصحابه وابرا اليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم
فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر اني اجد ريحها من دون
احد قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال انس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة
بالسيف او طعنة برمح او رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه احد
الا اخته ببنانه قال انس كنا نرى او نظن ان هذه الاية نزلت فيه وفي اشباهه من
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الى اخر الاية ق عن خباب بن الارت قال هاجرنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله فوقع اجرنا على الله فمنا من مات
لم ياكل من اجره شيئا منهم مصعب بن عمير قتل يوم احد وترك نمرة وكنا اذا غطينا بها راسه
بدت رجلاه واذا غطينا رجليه بدت راسه فامرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نغطي
راسه ونجعل على رجليه شيئا من الاذخر ومنا من اينعت له ثمرته فهو يهدبها النمرة كساء ملون
من صوف وقوله ومنا من اينعت اي ادركت ونضجت له ثمرته وهذه استعارة لما فتح الله لهم
من الدنيا وقوله يهدبها اي يجتنيها ويقطعها عن ابي موسى بن طلحة قال دخلت على معاوية
فقال الا ابشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه اخرجه
الترمذي وقال هذا حديث غريب خ عن قيس بن ابي حازم قال رايت يد طلحة شلاء وقى بها
النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد قوله عز وجل ليجزي الله الصادقين بصدقهم اي جزاء صدقهم
وصدقهم هو الوفاء بالعهد ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم اي فيهديهم الى الايمان
ويشرح له صدورهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا بغيظهم اي من قريش
وغطفان اي لم يشف صدورهم بنيل ما ارادوا لم ينالوا خيرا اي ظفرا وكفى الله المؤمنين
القتال اي بالملائكة والريح وكان الله قويا اي في ملكه عزيزا اي في انتقامه قوله تعالى وانزل
الذين ظاهروهم من اهل الكتاب اي عاونوا الاحزاب من قريش وغطفان على رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة من صياصيهم اي من حصونهم ومعاقلهم
واحدها صيصية وقذف في قلوبهم الرعب اي الخوف فريقا تقتلون يعني الرجال يقال
كانوا ستمائة وتاسرون فريقا يعني النساء والذراري يقال كانوا سبعمائة وخمسين
واورثكم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم تطئوها يعني بعد قيل هي خيبر وقيل
انها مكة وقيل فارس والروم وقيل هي كل ارض تفتح على المسلمين الى يوم القيامة وكان
الله على كل شيء قديرا ذكر غزوة بني قريظة قيل كانت في اخر ذي القعدة سنة
خمس وعلى قول البخاري المتقدم في غزوة الخندق عن موسى بن عقبة انها في سنة اربع
قال العلماء بالسير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصبح من الليلة التي انصرف
الاحزاب راجعين الى بلادهم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن
الخندق الى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر اتى جبريل عليه الصلاة والسلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم معتجرا بعمامة من استبرق على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها
قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهي تغسل راسه
وقد غسلت شقه فقال جبريل يا رسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل

عفى الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ اربعين ليلة وما رجعت الآن الا من طلب
القوم وروى انه كان الغبار على وجه جبريل و فرسه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار
عن وجهه ووجه فرسه فقال ان الله تعالى يامرك بالمسير الى بني قريظة وانا عامد الى
بني قريظة فاعمد اليهم فاني قد قطعت اوتارهم وفتحت ابوابهم وتركتهم في زلزال وبلبال
فامر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا فاذن ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في
بني قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب برايته اليهم وابتدرها
الناس وسار علي حتى دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك ان لا تدنو
من هولاء الاخابث قال لم اظنك سمعت لي منهم اذى قال نعم يا رسول الله قال لو قد راوني
لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا اخوان القردة
هل اخزاكم الله وانزل بكم نقمته قالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الصحابة بالصورين قبل ان يصل الى بني قريظة فقال هل مر بكم احد فقالوا يا رسول
الله مر دحية بن خليفة على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج فقال صلى الله
عليه وسلم ذاك جبريل عليه السلام بعث الى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في
قلوبهم فلما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة نزل على بئر من ابارها في ناحية اموالهم
وتلاحق به الناس فاتاه رجال بعد صلاة العشاء الاخيرة ولم يصلوا العصر لقول النبي
صلى الله عليه وسلم لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد عشاء الاخرة
فما عابهم الله بذلك ولا عنفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء وحاصرهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله تعالى في قلوبهم
الرعب وكان حيي بن اخطب دخل على بني قريظة حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان
وفاء لكعب بن اسد بما كان عاهده فلما ايقنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف
عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن اسد يا معشر يهود انكم قد نزل بكم من الامر ما ترون واني
عارض عليكم خلالا ثلاثا فخذوا ايها شئتم قالوا وما هن قال نتابع هذا الرجل ونصدقه
فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم فتامنوا على دياركم واموالكم
وابنائكم ونسائكم فقالوا لا نفارق حكم التوراة ابدا ولا نستبدل به غيره قال
فاذا ابيتم هذه فهلم فلنقتل ابناءنا ونساءنا ثم نخرج الى محمد واصحابه رجالا مصلتين
بالسيوف لم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فان نهلك نهلك ولم
نترك وراءنا شيئا نخشى عليه وان نظهر فلعمري لنتخذن النساء والابناء قالوا انقتل هؤلاء المساكين
فما في العيش بعدهم خير قال فان ابيتم هذه فان الليلة ليلة السبت وانه عسى ان يكون محمد
واصحابه قد امنوا فانزلوا فلعلنا ان نصيب من محمد واصحابه غرة قالوا انفسد
سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن احدث فيه من قبلنا الا من قد علمت فاصابهم من المسخ ما لم
يخف عليك فقال ما بات رجل منكم منذ ولدته امه حازما ليلة من الدهر قال ثم بعثوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث لنا ابا لبابة بن عبد المنذر اخا بني عمرو بن
عوف وكانوا حلفاء الاوس نستشيره في امرنا فارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم
اليهم فلما راوه قام اليه الرجال وجهش النساء والصبيان يبكون في وجهه فرق لهم فقالوا
يا ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة
فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت اني قد خنت الله ورسوله ثم انطلق ابو لبابة

على

على وجهه ولم يات النبي صلى الله عليه وسلم حتى ربط في المسجد الى عمود من عمده وقال
والله لا ابرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله لا يطا بني قريظة ابدا ولا
يرى في بلد خنت الله ورسوله فيه ابدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
خبره وابطا عليه قال اما لو قد جاءني لاستغفرت له فاما اذ فعل ما فعل فما انا بالذي اطلقه
من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم ان الله انزل توبة ابي لبابة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو في بيت ام سلمة قالت ام سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر
يضحك فقلت يا رسول الله مم ضحكت يا رسول الله اضحك الله سنك قال تيب على ابي لبابة
فقلت الا ابشره بذلك يا رسول الله قال بلى ان شئت قال فقامت على باب حجرتها وذلك
قبل ان يضرب عليهن الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله عليك قال فثار
الناس اليه ليطلقوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي
يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا الى الصبح اطلقه قال ثم ان ثعلبة بن سعية واسيد
ابن سعية واسد بن عبيد وهم نفر من بني هدل ليسوا من قريظة ولا النضير نسبهم فوق
ذلك هم بنو عم القوم اسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله
صلى الله عليه وسلم وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي فمر بحرس رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسلمة الانصاري تلك الليلة فلما راه قال من هذا قال عمرو
ابن سعدى وكان عمرو قد ابى ان يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله صلى الله عليه
وسلم وقال لا اغدر بمحمد ابدا فقال محمد بن مسلمة اللهم لا تحرمني عثرات الكرام ثم خلى
سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة تلك الليلة
ثم ذهب فلا يدري اين ذهب من ارض الله فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم شانه
فقال ذاك رجل نجاه الله بوفائه وبعض الناس يزعم انه كان في اوثق برمة
فيمن اوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصبحت رمته
ملقاة ولا يدرى اين ذهب فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة
فلما اصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثبت الاوس فقالوا يا
رسول الله انهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت في موالي الخزرج بالامس ما قد علمت
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا
حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسأله اياهم عبد الله بن ابي بن سلول فوهبهم له فلما
كلمه الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ترضون يا معشر الاوس ان يحكم
فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان سعد جعله رسول
الله صلى الله عليه وسلم في خيمة في مسجده لامراة من اسلم يقال لها رفيدة وكانت
تداوي الجرحى وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لقومه حين اصابه السهم بالخندق اجعلوه في خيمة رفيدة حتى
اعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة اتاه قومه
فحملوه على حمار قد وطئوا له بوسادة من ادم وكان رجلا جسيما ثم اقبلوا معه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا ابا عمرو احسن في مواليك فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما اكثروا عليه قال لقد انى لسعد
ان لا تاخذه في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه الى دار بني عبد الاشهل فنعى
لهم رجال بني قريظة قبل ان يصل اليهم سعد عن كلمته التي سمع منه فلما

انتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى سيدكم فانزلوه فقاموا اليه فقالوا
يا ابا عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك مواليك لتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك
عهد الله وميثاقه ان الحكم فيهم ما حكمت قالوا نعم وعلى من هاهنا في الناحية التي فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلالا له فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد اني احكم فيهم ان تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذرارى
والنساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم استنزلوا
فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحارث من نساء بني النجار ثم خرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخندق لها خندقا ثم بعث اليهم فضرب
اعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم ارسالا وفيهم عدو الله ورسوله حيى بن اخطب وكعب بن اسد
راس القوم وهم ستمائة او سبعمائة والمكثر لهم يقول كانوا بين الثمانمائة الى التسعمائة وقد
قالوا لكعب بن اسد وهو يذهب بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسالا يا كعب ما ترى ما يصنع
بنا قال افي كل موطن لا تعقلون الا ترون الداعي لا ينزع وانه من ذهب به منكم لا يرجع هو والله
القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبي صلى الله عليه وسلم واتي بحيي بن اخطب عدو الله وعليه
حلة تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة انملة انملة لئلا يسلبها مجموعة يداه
الى عنقه بحبل فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اما والله ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه
من يخذل الله يخذل ثم اقبل على الناس فقال ايها الناس انه لا باس بامر الله كتاب وقدر
وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس وضرب عنقه وروى عن عائشة قالت لم يقتل
من نساء بني قريظة الا امراة قالت والله انها لعندي تحدث معي وتضحك ظهرا وبطنا
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسيف اذ هتف هاتف باسمها اين فلانة
قالت انا والله قلت ويلك ما لك قالت اقتل قلت ولم قالت لحدث احدثته قالت
فانطلق بها فضرب عنقها وكانت عائشة تقول ما انسى عجبا منها طيب نفسها وكثرة ضحكها
وقد عرفت انها تقتل قال الواقدي وكان اسم المراة نباتة امراة الحكم القرظي وكانت
قتلت خلاد بن سويد قال وكان علي والزبير يضربان اعناق قريظة ورسول الله صلى الله
عليه وسلم جالس هنالك وروى محمد بن اسحاق عن الزهري ان الزبير بن باطا القرظي وكان يكنى ابا عبد
الرحمن وكان قد امن على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعاث اخذه فجز ناصيته
ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا ابا عبد الرحمن هل تعرفني قال
وهل يجهل مثلي مثلك قال اني اردت ان اجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم قال ثم اتى
ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كانت للزبير عندي يد وله علي
منة وقد احببت ان اجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فاتاه
فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك فقال شيخ كبير لا اهل له ولا ولد فما يصنع
بالحياة فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اهله وولده فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعطاني امراتك وولدك فهم لك فقال اهل بيت بالحجاز لا مال
لهم فما بقاؤهم على ذلك فاتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماله يا رسول الله قال
هو لك فاتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعطاني مالك فهو لك فقال
اي ثابت ما فعل الذي كان وجهه مراة صينية تتراءى فيه عذارى الحي كعب بن اسد قال
قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شددنا وحاميتنا اذا كررنا عزال بن سموال قال قتل قال
فما فعل المجلسان يعني بني كعب بني قريظة وبني عمرو بني قريظة قال قتلوا قال فاني اسالك

بيدي

بيدي عندك يا ثابت الا ما الحقتني بالقوم فوالله ما في العيش بعد هؤلاء من خير
فما انا بصابر حتى القى الاحبة فقدمه ثابت فضرب عنقه فلما بلغ ابا بكر الصديق
قوله حتى القى الاحبة قال يلقاهم والله في نار جهنم خالدا مخلدا ابدا قال وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد امر بقتل من انبت منهم ثم قسم اموال بني قريظة ونساءهم
على المسلمين واعلم في ذلك اليوم سهمان الخيل وسهمان الرجال فكان للفارس ثلاثة اسهم
سهمان للفرس وللفارس سهم وللراجل ممن ليس له فرس سهم فكانت الخيل ستة وثلاثين
فرسا وكان اول فيء وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد
الانصاري اخا بني عبد الاشهل بسبايا من سبايا بني قريظة الى نجد فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصطفى لنفسه من نسائهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة
احدى نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها
وهي في ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليها ان يتزوجها ويضرب
عليها الحجاب فقالت يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو اخف علي وعليك فتركها
وقد كانت حين سباها كرهت الاسلام وابت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى
الله عليه وسلم ووجد في نفسه بذلك من امرها فبينما هو بين اصحابه اذ سمع وقع نعلين
خلفه فقال ان هذا لثعلبة بن سعية يبشرني باسلام ريحانة فجاءه فقال يا رسول الله
قد اسلمت ريحانة فسره ذلك فلما انقضى شان بني قريظة انفجر جرح سعد بن معاذ وذلك
انه دعا بعدما حكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم انك قد علمت انه لم يكن قوم
احب الي ان اجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم ان كنت ابقيت من حرب قريش
على رسولك شيئا فابقني لها وان كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني اليك فانفجر
كلمه فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيمته التي ضربت عليه في المسجد قالت
عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر فوالذي نفس محمد بيده اني لا
اعرف بكاء ابي بكر من بكاء عمر واني لفي حجرتي وكانوا كما قال الله رحماء بينهم
(خ) عن سليمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين اجلى الاحزاب
الان نغزوهم ولا يغزونا نحن نسير اليهم (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده اعز جنده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده فلا شيء بعده قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة
الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا اي متعة الطلاق
وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن اجرا عظيما
سبب نزول هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم سالنه من عرض الدنيا شيئا
وطلبن منه زيادة في النفقة واذينه بغيرة بعضهن على بعض فهجرهن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وآلى ان لا يقربهن شهرا ولم يخرج الى اصحابه فقالوا ما شانه وكانوا
يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لاعلمن لكم شانه قال
فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اطلقتهن قال لا فقلت يا رسول
الله اني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه افاخبرهم
انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فقمت على باب المسجد وناديت باعلى صوتي لم
يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فنزلت هذه الاية ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم وكنت انا استنبطت هذا الامر

وانزل الله تعالى اية التخيير وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع نسوة خمس
من قريش عايشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة بنت ابي سفيان وام سلمة بنت ابي امية
وسودة بنت زمعة واربع غير قرشيات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث
الهلالية وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية فلما نزلت اية
التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعايشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرأ عليها القران
فاختارت الله ورسوله والدار الاخرة فرؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتابعنها على ذلك فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى
لا يحل لك النساء من بعد م عن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر يستاذن على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يوذن لاحد منهم فاذن لابي بكر
فدخل ثم اقبل عمر فاستاذن فاذن له فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وحوله
نساؤه واجما ساكتا قال فقال لاقولن شيئا اضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول
الله لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجأت عنقها فضحك النبي
صلى الله عليه وسلم فقال هن حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عايشة يجأ
عنقها وقام عمر الى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ليس عنده فقلن والله لا نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ابدا ليس عنده
ثم اعتزلهن شهرا او تسعا وعشرين ثم نزلت هذه الاية يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن حتى
بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما قال فبدأ بعايشة فقال يا عايشة اني اريد ان اعرض عليك امرا
احب ان لا تعجلي حتى تستشيري ابويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الاية قالت
افيك يا رسول الله استشير ابوي بل اختار الله ورسوله والدار الاخرة واسالك ان لا تخبر امراة
من نسائك بالذي قلت قال لا تسالني امراة منهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا
ولكن بعثني معلما ميسرا قوله واجما اي مهتما والواجم الذي اسكته الهم وعلته الكابة وقيل
الوجوم الحزن قوله فوجأت عنقها اي دققته وقوله لم يبعثني معنتا المعنت المشقة والصعوبة
م عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم اقسم ان لا يدخل على ازواجه شهرا قال الزهري فاخبرني
عروة عن عايشة لما مضت تسع وعشرون ليلة اعدهن دخل علي رسول الله صلى الله عليه
وسلم على عايشة فقالت اني فقلت يا رسول الله اقسمت ان لا تدخل علينا شهرا وانك
دخلت من تسع وعشرين اعدهن فقال ان الشهر تسع وعشرون **فصل** في حكم الاية اختلف
العلماء في هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق اليهن حتى يقع بنفس الاختيار ام لا
فذهب الحسن وقتادة واكثر اهل العلم الى انه لم يكن تفويض الطلاق وانما خيرهن
على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن بدليل انه
لم يكن جوابهن على الفور وانه قال لعايشة لا تعجلي حتى تستشيري ابويك وفي تفويض الطلاق
يكون جوابهن الجواب على الفور وذهب قوم الى انه كان تفويض الطلاق ولو اخترن
انفسهن كان طلاقا فالتفريع على حكم الاية اختلف اهل العلم في حكم التخيير فقال عمر وابن
مسعود وابن عباس اذا خير الرجل امراته فاختارت زوجها لا يقع شيء وان اختارت
نفسها يقع طلقة واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى وسفيان والشافعي
واصحاب الراي الا ان عند اصحاب الراي يقع طلقة باينة اذا اختارت نفسها وعند الاخرين رجعية
وقال زيد بن ثابت اذا اختارت الزوج يقع طلقة واحدة واذا اختارت نفسها فثلاث
وهو قول الحسن وبه قال مالك وروي عنه على انها اذا اختارت زوجها يقع طلقة

واحدة

واحدة واذا اختارت نفسها فطلقة باينة واكثر العلماء على انها اذا اختارت زوجها لا يقع
شيء م عن مسروق قال ما ابالي خيرت امراتي واحدة او مائة بعد ان تختارني ولقد
سالت عايشة فقالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم افكان طلاقا وفي رواية فاخترناه
فلم يعد ذلك شيئا قوله تعالى يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة اي بمعصية ظاهرة
قيل هو كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك لا ان منهن من اتت بفاحشة فان الله تعالى صان ازواج
الانبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة النشوز وسوء الخلق يضاعف لها العذاب
ضعفين اي مثلين وسبب تضعيف العقوبة لهن لشرفهن كتضعيف عقوبة الحرة على الامة
وذلك لان نسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى غيره من الرجال كنسبة السادات الى العبيد لكونه
اولى بالمومنين من انفسهم فكذلك ازواجه بالنسبة الى غيرهن كنسبة الحرة الى الامة وكان
ذلك على الله يسيرا اي عذابها ومن يقنت منكن لله ورسوله اي تطع الله ورسوله وتعمل
صالحا نوتها اجرها مرتين اي مثلي اجر غيرها قيل الحسنة بعشر حسنات وتضعيف ثوابهن
لرفع منزلتهن وفيه اشارة الى انهن اشرف نساء العالمين واعتدنا لها رزقا كريما يعني في
الجنة قوله عز وجل يا نساء النبي لستن كاحد من النساء قال ابن عباس يريد ليس قدركن
عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات انتن اكرم علي وثوابكن اعظم لدي ان
اتقيتن يعني الله فالمعنى فان الاكرم عند الله هو الاتقى فلا تخضعن بالقول اي
لا تلن بالقول للرجال ولا ترققن الكلام فيطمع الذي في قلبه مرض اي فجور وشهوة
وقيل نفاق والمعنى لا تقلن قولا يجد المنافق والفاجر به سبيلا الى الطمع فيكن والمراة
مندوبة الى الغلظة في المقال اذا خاطبت الاجانب لقطع الاطماع فيهن وقلن قولا
معروفا اي يوجبه الدين والاسلام عند الحاجة اليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف
ذكر الله تعالى قوله عز وجل وقرن في بيوتكن اي الزمن بيوتكن وقيل هو امر من الوقار اي كن
اهل وقار وسكون ولا تبرجن قيل هو التكسر والتغنج والتبختر وقيل هو اظهار الزينة وابراز
المحاسن للرجال تبرج الجاهلية الاولى قيل هو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم
وقيل هو زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المراة تلبس قميصا من الدر غير
مخيط الجانبين فيرى خلفها منه وقيل كان ذلك زمن نمرود الجبار كانت المراة تتخذ الدرع
من اللولو فتلبسه وتمشي به وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال
وقال ابن عباس الجاهلية الاولى فيما بين نوح وادريس وكانت الف سنة وان بطنين
من ولد ادم عليه الصلاة والسلام كان احدهما يسكن السهل والاخر يسكن الجبل وكانت
رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس
اتى رجلا من اهل السهل واجر نفسه وكان يخدمه واتخذ شيئا مثل الذي يزمر به الرعاة فجا
بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حولهم فانتابوهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا
يجتمعون اليه في السنة فتتبرج النساء للرجال وتتزين الرجال لهن وان رجلا من اهل الجبل هجم
عليهم في عيدهم ذلك فراى النساء وصباحتهن فاتى اصحابه فاخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا
معهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقيل
الجاهلية الاولى ما قبل الاسلام والجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في اخر الزمان وقيل
قد يذكر الاولى وان لم يكن لها اخرى واقمن الصلاة الواجبة واتين الزكاة اي المفروضة
واطعن الله ورسوله اي فيما امر ونهى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
اي الاثم الذي نهى الله النساء عنه وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه

رضي وقيل الرجس الشك وقيل السوء اهل البيت هم نساء النبي صلى الله عليه وسلم لانهن في بيته
وهو رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس وتلا قوله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله
والحكمة وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب ابو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد
وقتادة وغيرهم الى انهم علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم يدل عليه ما روي
عن عائشة ام المؤمنين قالت خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرحل من
شعر اسود فجلس فاتت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله فيه ثم جاء حسن فادخله
فيه ثم جاء حسين فادخله ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم
تطهيرا اخرجه مسلم المرط الكساء والمرحل بالحاء المنقوش صور الرحال وبالجيم المنقوش
عليه صور الرجال عن ام سلمة قالت ان هذه الاية نزلت في بيتي انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت وانا جالسة عند الباب فقلت يا رسول
الله الست من اهل البيت فقال انك الى خير من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفي
البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة وحسن وحسين فجللهم بكساء وقال
اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اخرجه الترمذي وقال
حديث صحيح حسن عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة
ستة اشهر اذا خرج الى صلاة الفجر يقول الصلاة يا اهل البيت انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقال
زيد بن ارقم اهل البيت من حرم الصدقة بعده آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قوله
تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله يعني القرآن والحكمة قيل هي السنة وقيل
هي احكام القرآن ومواعظه ان الله كان لطيفا اي باوليائه واهل طاعته خبيرا اي بجميع
خلقه قوله عز وجل ان المسلمين والمسلمات الاية وذلك ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به انا
نخاف ان لا تقبل منا طاعة فانزل الله هذه الاية عن ام عمارة الانصارية قالت اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ما ارى كل شيء الا للرجال وما ارى النساء يذكرن
بشيء فنزلت ان المسلمين والمسلمات اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل ان ام
سلمة بنت ابي امية وانيسة بنت كعب الانصارية قالتا للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال
ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه وخشينا ان لا يكون فيهن خير فنزلت هذه
الاية وروي ان اسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي طالب فدخلت على نساء
النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فاتت النبي صلى
الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النساء لفي خيبة وخسار قال ومم ذلك قالت لانهن
لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فانزل الله ان المسلمين والمسلمات فذكر لهن عشر مراتب
مع الرجال فمدحهن بها معهم الاولى الاسلام وهو الانقياد لامر الله تعالى وهو قوله تعالى
ان المسلمين والمسلمات الثانية الايمان بما يرد به امر الله تعالى وهو تصحيح
الاعتقاد وموافقة الظاهر للباطن وهو قوله تعالى والمؤمنين والمؤمنات الثالثة
الطاعة وهو قوله تعالى والقانتين والقانتات الرابعة الصدق في الاقوال والافعال
وهو قوله تعالى والصادقين والصادقات الخامسة الصبر على امر الله وفيما
ساء وسر وهو قوله تعالى والصابرين والصابرات السادسة الخشوع في الصلاة وهو
ان لا يلتفت وقيل هو التواضع وهو قوله تعالى والخاشعين والخاشعات السابعة

الصدقة

الصدقة مما رزق الله وهو قوله تعالى والمتصدقين والمتصدقات الثامنة المحافظة
على الصوم وهو قوله تعالى والصائمين والصائمات التاسعة العفة وهو قوله تعالى
والحافظين فروجهم يعني عما لا يحل والحافظات العاشرة كثرة الذكر وهو قوله والذاكرين
الله كثيرا والذاكرات وقيل لا يكون العبد منهم حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سبق المفردون قالوا يا رسول الله وما المفردون
قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات وقال عطاء بن رباح من فوض امره الى الله فهو داخل
في قوله ان المسلمين والمسلمات ومن اقر بان الله ربه وبمحمد رسوله ولم يخالف قلبه لسانه
فهو داخل في قوله والمؤمنين والمؤمنات ومن اطاع الله في الفرض والرسول في السنة فهو
داخل في قوله والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله والصادقين
والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله والصابرين
والصابرات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله فهو داخل في قوله والخاشعين والخاشعات
ومن تصدق في كل اسبوع بدرهم فهو داخل في قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام
في كل شهر الايام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله والصائمين
والصائمات ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل في قوله والحافظين فروجهم والحافظات ومن
صلى الصلوات الخمس فهو داخل في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم
مغفرة واجرا اي لذنوبهم عظيما يعني الجنة قوله تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة
اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم نزلت هذه الاية في
زينب بنت جحش الاسدية واخيها عبد الله بن جحش وامهما اميمة بنت عبد المطلب عمة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب زينب على مولاه زيد
ابن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ واعتقه
وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت انه يخطبها
لنفسه فلما علمت انه يخطبها لزيد ابت وقالت انا ابنة عمتك يا رسول الله فلا ارضاه
لنفسي وكانت بيضاء جميلة وفيها حدة وكذلك كره اخوها ذلك فانزل الله تعالى وما
كان لمؤمن يعني عبد الله بن جحش ولا مؤمنة يعني اخته زينب اذا قضى الله ورسوله امرا
يعني نكاح زيد لزينب ان تكون لهم الخيرة من امرهم اي الاختيار على ما قضى والمعنى
ان يريد غير ما اراد الله او يمتنع مما امر الله ورسوله به ومن يعص الله ورسوله
فقد ضل ضلالا مبينا اي اخطأ طريقا ظاهرا فلما سمعت بذلك زينب واخوها رضيا
وسلما وجعلت امرها بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحها زيدا فدخل بها وساق
رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها عشرة دنانير وستين درهما وخمارا ودرعا وملحفة
وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر قوله عز وجل واذ تقول للذي انعم الله عليه
وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية نزلت في زينب وذلك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما زوجها من زيد مكثت عنده حينا ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى زيدا ذات
يوم لحاجة فابصر زينب في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من اتم نساء قريش
فوقعت في نفسه واعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد
ذكرت ذلك له ففطن زيد والقي في نفسه كراهيتها في الوقت فاتى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال اني اريد ان افارق صاحبتي فقال ما لك ارابك منها شيء فقال
لا والله يا رسول الله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني بلسانها

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك واتق الله في امرها ثم ان زيدا طلقها فذلك قوله عز وجل واذ تقول للذي انعم الله عليه اي بالاسلام وانعمت عليه اي بالاعتاق وهو زيد بن حارثة مولاه امسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش واتق الله فيها ولا تفارقها وتخفي في نفسك اي تسر وتضمر في نفسك ما الله مبديه اي مظهره قيل كان في قلبه لو فارقها تزوجها قال ابن عباس حبها وقيل ود انه طلقها وتخشى الناس قال ابن عباس تستحييهم وقيل تخاف لائمتهم اذ يقولوا امر رجلا بطلاق امراته ثم نكحها والله احق ان تخشاه قال عمر وابن مسعود وعائشة ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم اية هي اشد عليه من هذه الاية وعن عائشة قالت لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي لكتم هذه الاية واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح

فصل فان قلت ماذا كروه في تفسير هذه الاية وسبب نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند ما راها وارادته طلاق زيد لها فيه اعظم الحرج وما لا يليق بمنصبه صلى الله عليه وسلم ومن مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا قلت هذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقول راها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النسا يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد فلا يشك في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا الباب ما روى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سالني زين العابدين علي بن الحسين قال ما يقول الحسن في قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه قلت يقول لما جا زيد الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اريد ان اطلق زينب فاعجبه ذلك وقال امسك عليك زوجك واتق الله فقال علي بن الحسين ليس كذلك كان الله عز وجل قد اعلمه انها ستكون من ازواجه وان زيدا سيطلقها فلما جا زيد قال اني اريد ان اطلقها قال له امسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك وان زيدا سيطلقها فلما جا زيد قال اني اريد ان اطلقها قال له امسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها ستكون من ازواجك وهذا هو الاولى واللائق بحال الانبيا وهو مطابق للتلاوة لان الله تعالى اعلم انه يبدي ويظهر ما اخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى زوجناكها فلو كان الذي اضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها او ارادة طلاقها لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر انه يظهره ثم يكتمه ولا يظهره فدل على انه انما عوتب على اخفا ما اعلمه الله انها ستكون زوجته وانما اخفا ذلك استحيا ان يقول لزيد ان التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي وهذا القول هو قول حسن وهذا مرضي وكم من شي يتحفظ منه الانسان ويستحي من اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما لحصول واجبات يعظم اثرها في الدين وهو انما جعل الله طلاق زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم فان قلت فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم

زيدا

زيدا بامساكها قلت هو ان الله تعالى اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لامته وقيل كان في امره بامساكها قمعا للشهوة ورد النفس عن هواها وهذا اذا اجوزنا القول المتقدم الذي ذكره المفسرون وهو انه اخفى محبتها او نكاحها لو طلقها زيد ومثل ذلك لا يقدح في حال الانبيا لان العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الاشيا وان يدراها فجاة فاستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه البشر من استحسانه الحسن ونظرة الفجاة معفو عنها ما لم يقصد فيه ما ثما لان الود وميل النفس من طبع البشر والله تعالى اعلم وقوله امسك عليك زوجك واتق الله امر بالمعروف وهو خشية لا اثم فيه وقوله والله احق ان تخشاه لم يرد به انه لم يكن يخشى الله فيما سبق فانه عليه الصلاة والسلام قد قال انا اخشاكم لله واتقاكم له ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر ان الله تعالى احق بالخشية في عموم الاحوال في جميع الاشيا قوله عز وجل فلما قضى زيد منها وطرا اي حاجته منها ولم يبق له فيها ارب وتقاصرت همته عنها وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها وذكر قضاء الوطر ليعلم ان زوجة المتبنى تحل بعد الدخول بها زوجناكها قال انس كانت زينب تفتخر على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن اهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من امراة من نسائك تدل بهن جدي وجدك واحد واني انكحنيك الله في السما وان السفير جبريل عليه السلام م عن انس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها علي قال فانطلق زيد حتى اتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما انا بصانعة شيئا حتى اؤامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل القران وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذن قال ولقد رايتنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حين امتد النهار فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل يتتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت اهلك قال فما ادري انا اخبرته ان القوم قد خرجوا او اخبر فانطلق حتى دخل البيت فذهبت ادخل معه فالقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب وفي عن انس ما اولم النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه ما اولم على زينب اولم بشاة وفي رواية اكثر وافضل ما اولم على زينب قال ثابت بما اولم قال اطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه قوله عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج اي اثم في ازواج ادعيائهم جمع الدعي وهو المتبنى اذا قضوا منهن وطرا اي لكيلا يظن ان زوجة المتبنى حرام تقول زوجناك زينب وهي امراة زيد الذي كنت تبنيته ليعلم ان زوجة المتبنى حلال للمتبني وان كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امراة ابن الصلب فانها لا تحل للاب وكان امر الله مفعولا اي قضاء الله ماضيا وحكمه نافذا وقد قضى في زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له اي فيما احل الله له من النكاح وغيره سنة الله في الذين خلوا من قبل اي كسنة الله في الانبيا وهو ان لا حرج عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره فانه كان لهم

الجاير والحرار فقد كان لداود مائة امراة ولسليمان سبعمائة امراة وثلثمائة سرية وكذلك
سن لمحمد صلى الله عليه وسلم في التوسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم وكان امر الله قدرا مقدورا
اى قضاء مقضيا ان لا حرج على احد فيما احل له ثم اثنى الله تعالى على الانبياء بقوله الذين يبلغون
رسالات الله اى فرايض الله وسننه واوامره ولو اهبه الى من ارسلوا اليهم ويخشونه اى
يخافونه ولا يخشون احدا الا الله اى لا يخافون مقالة الناس في الامتنان فيما احل لهم
وفرض عليهم وكفى بالله حسيبا اى حافظا لاعمال خلقه ومحاسبتهم قوله عز وجل ما كان محمد
ابا احد من رجالكم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قال الناس ان محمدا
تزوج امراة ابنه فانزل الله ما كان محمد ابا احد من رجالكم يعني زيد بن حارثة والمعنى انه
لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما بين الاب وولده من حرمة الصهر
والنكاح فان قلت قد كان له ابناء القاسم والطيب والطاهر وابراهيم وقال للحسن
ان ابني هذا سيد قلت قد اخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم وهؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال
وقيل اراد بالرجال الذين لم يلدهم ولكن رسول الله اى كل رسول ابو امته فيما
يرجع الى وجوب التوقير والتعظيم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه وخاتم
النبيين ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده اى ولا معه قال ابن عباس يريد لو لم اختم
به النبيين لجعلت له ابنا يكون بعده نبيا وعنه قال ان الله لما حكم ان لا نبي بعده لم يعطه
ولدا ذكرا يصير رجلا وكان الله بكل شيء عليما اى دخل في علمه انه لا نبي بعده فان قلت
قد صح ان عيسى عليه السلام ينزل في اخر الزمان بعده وهو نبي قلت ان عيسى عليه السلام
ممن نبي قبله وحين ينزل في اخر الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم
ومصليا الى قبلته كانه بعض امته ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فاحسنه واجمله الا موضع لبنة
من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه
اللبنة قال فانا اللبنة وانا خاتم النبيين وعن جابر نحوه وفيه جئت فختمت الانبياء ق عن جبير
ابن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي
الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس
بعده نبي وقد سماه الله رؤفا رحيما م عن ابي موسى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
يسمي لنا نفسه اسماء فقال انا محمد وانا احمد وانا المقفي وانا الحاشر ونبي التوبة ونبي
الرحمة المقفي هو المولي الذاهب يعني اخر الزمان المتبع لهم فاذا قفى فلا نبي بعده
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل
على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر اهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم
يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر احدا في تركه الا مغلوبا على عقله وامرهم به في
الاحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال الله تعالى
واذكروا ذكرا كثيرا اى بالليل والنهار والبر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية
وقيل الذكر الكثير لا ينساه ابدا وسبحوه معناه اذا ذكرتموه ينبغي لكم ان يكون ذكركم
اياه على وجه التعظيم والتنزيه عن كل سوء بكرة واصيلا فيه اشارة الى المداومة لان
ذكر الطرفين يفهم منه الوسط وقيل معنى سبحوه قولوا سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله زاد في نسخة العلي
العظيم فعبر بالتسبيح عن اخواته والمراد بقوله كثيرا هذه الكلمات يقولها الطاهر

ايضا وقيل معناه صلوا لله بكرة صلاة الصبح واصيلا يعني العصر صلاة العصر وقيل صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشا صح

والجنب

والجنب والحائض والمحدث هو الذي يصلي عليكم وملائكته فالصلاة من الله رحمة ومن
من الملائكة الاستغفار للمؤمنين وقيل الصلاة من الله على العبد هي اشاعة الذكر الجميل له في عباده
والثناء عليه قال انس لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر ما خصك الله بشرف
يا رسول الله الا وقد اشركنا فيه فانزل الله هذه الاية ليخرجكم من الظلمات الى النور يعني
انه برحمته وهدايته ودعاء الملائكة لكم اخرجكم من ظلمة الكفر الى نور الايمان وكان بالمؤمنين
رحيما فيه بشارة لجميع المؤمنين واشارة الى قوله يصلي عليكم غير مختص بالسامعين وقت
الوحي بل هو عام لجميع المسلمين تحيتهم يعني تحية المؤمنين يوم يلقونه اى يرون الله يوم
القيامة سلام اى يسلم الرب تعالى عليهم ويسلمهم من جميع الافات وروي عن البراء بن عازب
قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني يلقون ملك الموت لا يقبض روح مؤمن الا يسلم عليه
عن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام وقيل
تسلم عليهم الملائكة حين يخرجون من قبورهم تبشرهم واعد لهم اجرا كريما يعني الجنة قوله عز وجل
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا اى للرسل بالتبليغ وقيل شاهدا على الخلق كلهم يوم القيامة
ومبشرا اى لمن امن بالجنة ونذيرا اى لمن كذب بالنار وداعيا الى الله اى الى توحيده وطاعته
باذنه اى بامره وسراجا منيرا سماه سراجا منيرا لانه جلي به ظلمات الشرك واهتدى به الضالون
كما يجلى ظلام الليل بالسراج المنير وقيل معناه امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد
بنور السراج نور الابصار ووصفه بالانارة لان من السراج ما لا يضيء فان قلت لم سماه سراجا
ولم يسمه شمسا والشمس اشد اضاءة من السراج وانور قلت نور الشمس لا يمكن
ان يؤخذ منه شيء بخلاف نور السراج فانه يؤخذ منه انوار كثيرة وبشر المؤمنين بان لهم من
الله فضلا كبيرا اى ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب وقيل الفضل هو الثواب وقيل
هو تفضيل هذه الامة على سائر الامم ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع اذاهم قال ابن
عباس اصبر على اذاهم وقيل لا تجازهم عليه وهذا منسوخ باية القتال وتوكل على الله وكفى
بالله وكيلا اى حافظا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن اى تجامعوهن ففي الاية دليل على ان الطلاق قبل النكاح غير واقع
لان الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامراة اجنبية اذا نكحتك فانت طالق
او قال كل امراة انكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ
وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس والحسن
وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وقتادة واكثر اهل العلم وبه قال الشافعي
وروي عن ابن مسعود انه يقع الطلاق وهو قول ابراهيم النخعي واصحاب الراي وقال ربيعة
ومالك والاوزاعي ان عين امراة وقع وان عم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال كذبوا
على ابن مسعود وان كان قالها فزلة من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق
والله يقول اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتموهن وعن
عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا طلاق فيما لا تملك
ولا عتق فيما لا تملك ولا بيع فيما لا تملك اخرجه ابو داود والترمذي بمعناه خ عن
ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح اخرجه البخاري في ترجمة باب بغير اسناد
وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طلاق الا بعد النكاح فما لكم عليهن
من عدة تعتدونها اى تحصونها بالاقراء والاشهر اجمع العلماء انه اذا كان الطلاق
قبل المسيس والخلوة فلا عدة وذهب احمد الى ان الخلوة توجب العدة والصداق

فمتعوهن اى اعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا اذا لم يكن سمى لها صداقا فلها
المتعة وان كانت قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا متعة لها وقال قتادة
هذه الاية منسوخة بقوله فلها نصف ما فرضتم وقيل هذا امر ندب فالمتعة مستحبة
لها مع نصف المهر وقيل انما تستحق المتعة بكل حال لظاهر الاية وسرحوهن سراحا جميلا
اى خلوا سبيلهن بالمعروف من غير اضرار بهن قوله عز وجل يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك
اللاتى اتيت اجورهن اى مهورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك اى من السبى
فتملكها مثل صفية وجويرية وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له ابراهيم
وبنات عمك وبنات عماتك يعنى نسا قريش وبنات خالك وبنات خالاتك يعنى
نسا بنى زهرة اللاتى هاجرن معك الى المدينة فمن لم يهاجر منهن لم يجز له نكاحها
عن ام هانى بنت ابى طالب قالت خطبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه
فعذرنى ثم انزل الله انا احللنا لك ازواجك الاية قالت فلم اكن احل له لانى لم
اهاجر كنت من الطلقا اخرجه الترمذى وقال الحديث حسن ثم نسخ شرط الهجرة فى
التحليل وامراة مومنة ان وهبت نفسها للنبى ان اراد النبى ان يستنكحها
خالصة لك من دون المومنين اى احللنا لك امراة مومنة وهبت نفسها لك بغير
صداق فاما غير المومنة فلا تحل له اذا وهبت نفسها منه وهل تحل له الكتابية
بالمهر ذهب جماعة الى انه لا تحل له لقوله وامراة مومنة فدل ذلك على انه لا يحل له نكاح
غير المسلمة وكان من خصائصه صلى الله عليه وسلم النكاح ينعقد فى حقه بمعنى الهبة
من غير ولى ولا شهود ولا مهر لقوله خالصة لك من دون المومنين والزيادة على اربع
ووجوب تخيير النسا واختلفوا فى انعقاد النكاح بلفظ الهبة فى حق الامة فذهب
اكثرهم الى انه لا ينعقد الا بلفظ الانكاح والتزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهرى
ومجاهد وعطاء وبه قال ربيعة ومالك والشافعى وقال ابراهيم النخعى واهل الكوفة
ينعقد بلفظ التمليك والهبة ومن قال بالقول الاول اختلفوا فى نكاح النبى صلى
الله عليه وسلم فذهب قوم الى انه كان ينعقد فى حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة
لقوله تعالى خالصة لك من دون المومنين وذهب اخرون الى انه لا ينعقد الا بالانكاح والتزويج
كما فى حق سائر الامة لقوله تعالى ان اراد النبى ان يستنكحها وكان اختصاصه فى ترك
المهر لا فى لفظ النكاح واختلفوا فى التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم وهل كانت
عنده امراة منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبى صلى الله عليه وسلم امراة وهبت نفسها
منه ولم يكن عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبى هى زينب بنت خزيمة الانصارية
امراة الا بعقد نكاح او بملك يمين وقوله ان وهبت نفسها على سبيل الشرط والجزاء وقال اخرون
بل كانت عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبى هى زينب بنت خزيمة الانصارية الهلالية
ام المساكين وقال قتادة هى ميمونة بنت الحرث وقال على بن الحسين والضحاك ومقاتل
هى ام شريك بنت جابر من بنى اسد وقال عروة بن الزبير هى خولة بنت حكيم من بنى سليم و
قوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم اى اوجبنا على المومنين فى ازواجهم من الاحكام
وهو ان لا يتزوجوا اكثر من اربع ولا يتزوجوا الا بولى وشهود وما ملكت ايمانهم
اى ما اوجبنا من الاحكام فى ملك اليمين لكيلا يكون عليك حرج وهذا يرجع الى اول
الاية معناه احللنا لك ازواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لكيلا يكون
عليك ضيق وكان الله غفورا اى للوقوع فى الحرج رحيما اى بالتوسعة على عباده

قوله

قوله تعالى ترجى اى تؤخر من تشا منهن وتؤوى اليك اى تضم اليك من تشا قيل هذا فى القسم بينهن
وذلك ان التسوية بينهن فى القسم كانت واجبا عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الاية
سقط عنه الوجوب وصار الاختيار اليه فيهن وقيل نزلت هذه الاية حين غار بعض
امهات المومنين على النبى صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن
شهرا حتى نزلت اية التخيير فامره الله تعالى ان يخيرهن فمن اختارت الدنيا فارقها
ويمسك من اختارت الله ورسوله على انهن امهات المومنين لا ينكحن ابدا وعلى انه يؤوى
اليه من يشا منهن ويرجى من يشا فيرضين به قسم لهن او لم يقسم او قسم لبعضهن دون بعض
او فضل بعضهن فى النفقة والكسوة فيكون الامر فى ذلك اليه يفعل كيف يشا وكان ذلك من
خصائصه فرضين بذلك واخترنه على هذا الشرط واختلفوا فى انه هل اخرج احدا منهن عن القسم
فقال بعضهم لم يخرج احدا بل كان صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوى بينهن
فى القسم الا سودة فانها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعائشة وقيل اخرج
بعضهن روى عن ابى رزين قال لما نزل التخيير اشفقن ان يطلقهن فقلن يا نبى الله اجعل
لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فارجى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بعضهن واوى اليه بعضهن فكان ممن اوى اليه عائشة وحفصة وميمونة وسودة وصفية
وجويرية وكان يقسم بينهن سوا وارجى منهن خمسا ام حبيبة وميمونة وكان يقسم
لهن ما يشا وقال ابن عباس تطلق من تشا منهن وتمسك من تشا وقال الحسن تترك
نكاح من شئت وتنكح من شئت من نسا امتك قال وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا
خطب امراة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل
تقبل من تشا من المومنات اللاتى يهبن انفسهن لك فتؤويها اليك وتترك من تشا فلا تقبلها
وعن عروة قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتى وهبن انفسهن للنبى صلى الله عليه
وسلم فقالت عائشة اما تستحى المراة ان تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجى من تشا منهن
قلت يا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع فى هواك ومن ابتغيت ممن عزلت اى طلبت
ان تؤوى اليك امراة ممن عزلتهن عن القسمة فلا جناح عليك اى لا اثم عليك فاباح
الله له ترك القسم لهن حتى انه ليؤخر من يشا منهن فى نوبتها ويطا من يشا منهن فى
غير نوبتها وترد الى فراشه من عزل منهن تفضيلا له على سائر الرجال ذلك ادنى ان تقر
اعينهن ولا يحزن اى ذلك التخيير الذى خيرتك فى صحبتهن اقرب الى رضاهن واطيب
لانفسهن واقل لحزنهن اذا علمن ان ذلك من الله تعالى ويرضين بما اتيتهن اعطيتهن
كلهن من تقريب وابعاد وعزل وايوا والله يعلم ما فى قلوبكم اى من امر النسا والميل الى
بعضهن وكان الله عليما بما فى ضمائركم حليما اى حكم قوله تعالى لا يحل لك النسا
من بعد اى من بعد هولا التسع اللاتى اخترنك وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما
خيرهن فاخترن الله ورسوله شكر الله لهن ذلك وحرم عليه النسا سواهن ونهاه عن
تطليقهن وعن الاستبدال بهن قاله ابن عباس وقتادة واختلفوا ابيح له النسا بعد ذلك
فروى عن عايشة انها قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النسا
اخرجه الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى فقيل معناها حتى احل له ان يتزوج من النسا ما
شا وقال انس مات رسول الله صلى الله عليه وسلم على التحريم وقيل لابى بن كعب
لو مات نسا النبى صلى الله عليه وسلم اما كان يحل له ان يتزوج قال وما يمنعه من ذلك
قيل له قوله تعالى لا يحل لك النسا من بعد قال انما احل الله ضربا من النسا فقال تعالى
يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك الاية ثم قال لا يحل لك النسا من بعد هذه الصفة وقيل معنى الاية

لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ولا ان تبدل بهن من ازواج اى
بالمسلمات غيرهن من الكتابيات لانه لا يكون امهات المؤمنين يهودية ولا نصرانية الا
ما ملكت يمينك اى من الكتابيات فتتسرى بهن وقيل في قوله ولا ان تبدل بهن من ازواج
كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بازواجهم يقول الرجل للرجل انزل لي عن امراتك وانزل
لك عن امراتي فانزل الله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج اى تبادل بازواجك غيرك بان
تعطيه زوجتك وتاخذ زوجته نحو فتلك الا ما ملكت يمينك اى لا باس ان تبادل بجاريتك
ما شئت فاما الحرائر فلا ولو اعجبك حسنهن يعني ليس لك ان تطلق احدا من نسائك وتنكح
بدلها اخرى ولو اعجبك جمالها قال ابن عباس اسماء بنت عميس الخثعمية امراة جعفر بن ابي طالب
فلما استشهد جعفر اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يخطبها فنهي عن ذلك الا ما ملكت
يمينك قال ابن عباس ملك بعده هؤلاء مارية وكان الله على كل شيء رقيبا اى حافظا وفي
الاية دليل على جواز النظر لمن يريد نكاحها من النساء ويدل عليه ما روي عن جابر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب احدكم المراة فان استطاع ان ينظر الى ما يدعوه
الى نكاحها فليفعل اخرجه ابو داود م عن ابي هريرة ان رجلا اراد ان يتزوج امراة من الانصار
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر اليها فان في اعين الانصار شيئا قال الحميدي يعني الصغر
عن المغيرة بن شعبة قال خطبت امراة فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم هل نظرت اليها
قلت لا قال فانظر اليها فانه احرى ان يدوم بينكما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الاية قال
اكثر المفسرين نزلت هذه الاية في شان وليمة زينب بنت جحش حين بنى بها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ق عن انس بن مالك انه كان ابن عشر سنين مقدم النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة قال فكان امهاتي يواظبنني على خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر
سنين وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ابن عشرين سنة وكنت اعلم بشان الحجاب
حين انزل وكان اول ما انزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش
حين اصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فاصابوا من الطعام ثم خرجوا
وبقي رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم
فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جاء عتبة
حجرة عائشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس
لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى اذا بلغ عتبة حجرة عائشة وظن
انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى الله عليه وسلم
بيني وبينه بالستر وانزل الحجاب زاد في رواية قال دخل يعني النبي صلى الله عليه وسلم
البيت وارخى الستر واني لفي الحجرة وهو يقول يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي
الا ان يؤذن لكم الى قوله والله لا يستحيي من الحق ق عن عائشة ان ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد افيح وكان عمر رضي الله
عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله
عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي
عشاء وكانت امراة طويلة فناداها عمر الا قد عرفناك يا سودة حرصا على ان ينزل
الحجاب فانزل الله الحجاب المناصع المواضع الخالية لقضاء الحاجة من البول والغائط وهو
والصعيد وجه الارض والافيح الواسع ق عن انس وابن عمر ان عمر قال وافقت ربي
في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من

مقام ابراهيم مصلى فنزلت واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل على
نسائك البر والفاجر فلو امرتهن ان يحتجبن فنزلت اية الحجاب واجتمع نساء النبي صلى
الله عليه وسلم في الغيرة فقلت عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت
كذلك وقال ابن عباس انما نزلت في اناس من المسلمين كانوا يتحينون طعام رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام الى ان يدرك ثم ياكلون ولا يخرجون وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتاذى بهم فنزلت الاية يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت
النبي الا ان يؤذن لكم الا ان تدعوا الى الطعام فيؤذن لكم فتاكلون غير ناظرين اناه
يعني منتظرين نضجه ووقت ادراكه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم اى اكلتم
الطعام فانتشروا اى فاخرجوا من منزله وتفرقوا ولا مستانسين لحديث اى لا تطيلوا
الجلوس ليستانس بعضكم بحديث بعض وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون فنهوا عن ذلك
ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم اى فيستحيي من اخراجكم والله لا يستحيي من الحق اى لا يترك
تاديبكم وبيان الحق حياء ولما كان الحياء مما يمنع الحي من بعض الافعال قال لا يستحيي من الحق
بمعنى لا يمتنع منه ولا يتركه ترك الحي منكم وهذا ادب ادب الله به الثقلاء وقيل حسبك من الثقلاء ان الله
لم يحتملهم واذا سالتموهن متاعا اى واذا سالتم نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة فاسالوهن
من وراء حجاب اى من وراء ستر فبعد اية الحجاب لم يكن لاحد ان ينظر الى امراة من نساء رسول
الله صلى الله عليه وسلم منتقبة كانت او غير منتقبة ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن اى من
الريب وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله اى ليس لكم اذاه في شيء من الاشياء ولا ان
تنكحوا ازواجه من بعده ابدا نزلت في رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلانكحن عائشة قيل هو طلحة بن عبيد الله فاخبر
الله ان ذلك محرم وقال ان ذلكم كان عند الله عظيما اى ذنبا عظيما وهذا من اعلام تعظيم
الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب نفسه
وسر قلبه واستغزر شكره فان من الناس من يفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت قبله
لئلا تنكح بعده ان تبدوا شيئا اى من امر نكاحهن على السنتكم او تخفوه اى في صدوركم
فان الله كان بكل شيء عليما اى يعلم سركم وعلانيتكم نزلت فيمن اضمر نكاح عائشة بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة ما بالنا نمنع من الدخول على بنات
اعمامنا فنزلت هذه الاية ولما نزلت اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب
يا رسول الله ونحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فانزل الله عز وجل لا جناح عليهن في
اباءهن ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن اى لا اثم عليهن
في ترك الحجاب من هؤلاء الاصناف من الاقارب ولا نسائهن قيل اراد النساء المسلمات
حتى لا يجوز للكتابيات الدخول على ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هو عام
في المسلمات والكتابيات وانما قال ولا نسائهن لانهن من اجناسهن ولا ما ملكت
ايمانهن اختلفوا في عبد المراة هل يكون محرما لها ام لا فقال قوم يكون محرما لقوله تعالى
ولا ما ملكت ايمانهن وقال قوم هو كالاجانب والمراد من الاية الاماء دون العبيد
واتقين الله اى ان يراكن احد غير هؤلاء ان الله كان على كل شيء اى من اعمال العباد
شهيدا قوله عز وجل ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابن عباس اراد
ان الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وعنه ايضا يصلون يتبركون وقيل الصلاة
من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فصلاة الله ثناؤه عليه عند ملائكته وصلاة

الملائكة الدعاء يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اي ادعوا له بالرحمة وسلموا تسليما اي حيوه بتحية
الاسلام فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها اتفق العلماء
على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فقيل تجب في العمر مرة وهو
الاكثر وقيل تجب في كل صلاة في التشهد الاخير وهو مذهب الشافعي واحدى الروايتين
عن احمد وقيل تجب كلما ذكر واختاره الطحاوي من الحنفية والحليمي من الشافعية والواجب
اللهم صل على محمد وما زاد سنة ق عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال لقيني كعب بن عجرة فقال
الا اهدي لك هدية ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك
فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد
ق عن ابي حميد الساعدي انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم
صل على محمد وعلى ازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى ازواجه وذريته
كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد م عن ابن مسعود البدري قال اتانا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا الله ان نصلي عليك
يا رسول الله فكيف نصلي عليك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تمنينا انه لم يسأله
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على
ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد
والسلام كما قد علمتم م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي
صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت
له عشر درجات اخرجه النسائي وله عن ابي طلحة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقلت انا لنرى البشر في وجهك فقال انه اتاني الملك فقال
يا محمد ان ربك يقول اما يرضيك انه لا يصلي عليك احد الا صليت عليه عشرا
ولا يسلم عليك احد الا سلمت عليه عشرا وله عن ابن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني من امتي السلام عن ابن
مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اولى الناس بي يوم القيامة اكثرهم
علي صلاة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن علي بن ابي طالب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل
على محمد النبي الامي وازواجه امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم
انك حميد مجيد اخرجه ابو داود قوله عز وجل ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم
الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى
والمشركون فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله ويد الله مغلولة وقالوا ان الله
فقير واما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة واما المشركون فقالوا
الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه خ عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له
ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق باهون علي

من

من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم
يكن له كفوا احد خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل يؤذيني
ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدي اقلب الليل والنهار معنى هذا الحديث انه كان من عادة
العرب في الجاهلية ان يذموا الدهر ويسبوه عند النوازل لاعتقادهم ان الذي يصيبهم من
افعال الدهر فقال الله تعالى انا الدهر اي انا الذي احل بهم النوازل وانا فاعل لذلك
الذي تنسبونه الى الدهر في زعمكم وقيل معنى يؤذون الله يلحدون في اسمائه وصفاته وقيل هم
اصحاب التصاوير ق عن ابي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز
وجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا حبة شعيرة وقيل
يؤذون الله اي يؤذون اولياء الله كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى
من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب وقال تعالى من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ومعنى
الاذى هو مخالفة امر الله تعالى وارتكاب معاصيه ذكر ذلك على ما يتعارفه الناس
بينهم لان الله تعالى منزه عن ان يلحقه اذى واما ايذاء الرسول فقال ابن عباس انه شج
وجهه وكسرت رباعيته وقيل شاعر ساحر معلم مجنون والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات
بغير ما اكتسبوا اي من غير ان عملوا ما اوجب اذاهم وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير
جرم فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وقيل انها نزلت في علي بن ابي طالب كانوا يؤذونه
ويسمعونه وقيل نزلت في شأن عائشة وقيل نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون في
طرق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء حوائجهن فيتبعون المرأة
فان سكتت تبعوها وان زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن كانوا لا
يعرفون الحرة من الامة لان زي الكل كان واحدا تخرج الحرة والامة في درع وخمار فشكوا
ذلك الى ازواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والذين يؤذون
المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحرائر ان يتشبهن بالاماء فقال يا ايها النبي قل لازواجك
وبناتك ونساء المؤمنين يدنين اي يرخين ويغطين عليهن من جلابيبهن جمع جلباب وهو
الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وقيل هو الملحفة وكل ما يستتر به
وغيره قال ابن عباس امر نساء المؤمنين ان يغطين رؤوسهن ووجوههن بالجلابيب الا عينا واحدة
ليعلم انهن حرائر وهو قوله تعالى ذلك ادنى ان يعرفن فلا يؤذين اي لا يتعرض لهن وكان
الله غفورا رحيما قال انس مرت بعمر بن الخطاب جارية متقنعة فعلاها
بالدرة وقال يا لكاع اتتشبهين بالحرائر القي القناع لئن لم ينته المنافقون اي عن نفاقهم والذين في قلوبهم مرض اي فجور وهم الزناة والمرجفون في المدينة
اي بالكذب وذلك ان ناسا منهم اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون
في الناس انهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد اتاكم العدو ونحو هذا من الاراجيف وقيل كانوا
يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ويفشون الاخبار لنغرينك بهم اي لنحرشنك بهم ولنسلطنك
عليهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا اي لا يساكنونك في المدينة الا قليلا حتى يخرجوا منها
وقيل لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتخلي منهم المدينة ملعونين اينما ثقفوا
اخذوا وقتلوا تقتيلا اي الحكم فيهم هذا على جهة الامر سنة الله
في الذين خلوا من قبل اي في المنافقين والذين فعلوا مثل فعلهم ان يقتلوا حيث ما
ثقفوا ولن تجد لسنة الله تبديلا قوله عز وجل يسألك الناس عن الساعة قيل

ان المشركين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل
الهزؤ وكان اليهود يسألونه عن الساعة امتحانا لان الله تعالى عمى علمها وقتها في التوراة
فامر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم بقوله قل انما علمها عند الله يعني ان الله تعالى
استأثر به ولم يطلع عليه ملكا ولا نبيا وما يدريك اي شيء يعلمك امر الساعة ومتى يكون قيامها
لعل الساعة تكون قريبا اي انها قريبة الوقوع وفيه تهديد للمستعجلين واسكات للممتحنين
ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم
تقلب وجوههم في النار اي تتقلب ظهرا لبطن حين يسحبون عليها يقولون يا ليتنا اطعنا
الله واطعنا الرسولا اي في الدنيا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا يعني رؤساء
الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم فاضلونا السبيلا يعني عن سبيل الهدى ربنا آتهم
يعنون السادة والكبراء ضعفين من العذاب يعني ضعفي عذاب غيرهم والعنهم لعنا كبيرا اي لعنا
متتابعا قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا
اي فطهره الله مما قالوا فيه وكان عند الله وجيها اي كريما ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان
حظيا عند الله لا يسأل شيئا الا اعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا
واختلفوا فيما اوذي به موسى فروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت بنو
اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوءة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا
والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر
الحجر بثوبه فجمح موسى باثره يقول ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرائيل الى سوءة موسى فقالوا
والله ما بموسى من باس فقام الحجر حتى نظر اليه قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا
قال ابو هريرة والله ان بالحجر ندبا ستة او سبعة من ضرب موسى بالحجر اخرجه البخاري ومسلم
وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يرى شيء من
من جسده استحياء منه فآذاه من آذاه من بني اسرائيل فقالوا ما يتستر هذا التستر
الا من عيب بجلده اما برص واما ادرة واما آفة وان الله اراد ان يبرئه مما
قالوا لموسى فخلا يوما وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل
الى ثيابه ليأخذها وان الحجر عدا بثوبه فاخذ موسى العصا وطلب الحجر وجعل
يقول ثوبي حجر حتى انتهى الى ملأ من بني اسرائيل فرأوه عريانا احسن ما خلق الله وابرأه
مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله ان
بالحجر لندبا من اثر الضرب ثلاثا او اربعا او خمسا فذلك قوله يا ايها الذين آمنوا لا
تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها الادرة عظم
الخصية ونفخة فيهما وقوله فجمح اي اسرع وقوله ثوبي حجر اي دع ثوبي يا حجر قوله
وطفق اي جعل يضرب الحجر وقوله ندبا هو بفتح النون والدال وهو الاصح واصله
اثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد فشبه به اثر الضرب بالحجر والمحدثون يقولونه ندبا بسكون
الدال وقيل في معنى الآية ان اذاهم اياه انه لما مات هارون في التيه ادعوا على
موسى انه قتله فامر الله تعالى الملائكة حتى مروا به على بني اسرائيل فعرفوا انه
لم يقتله فبرأه الله مما قالوا وقيل ان قارون استأجر بغيا لتقذف موسى بنفسها على
رأس الملأ فعصمها الله وبرأ موسى من ذلك واهلك قارون (ق) عن عبد الله بن مسعود
قال لما كان يوم حنين آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في القسمة فاعطى
الاقرع بن حابس مائة من الابل واعطى عيينة بن حصين مثل ذلك واعطى ناسا من

اشراف

اشراف العرب وآثرهم في القسمة فقال رجل والله ان هذه قسمة ما عدل فيها وما اريد
بها وجه الله فقلت والله لاخبرن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيته فاخبرته
بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله
ثم قال يرحم الله موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر الصرف بكسر الصاد صبغ احمر
يصبغ به الاديم قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا قال
ابن عباس صوابا وقيل عدلا وقيل صدقا وقيل هو قول لا اله الا الله يصلح لكم اعمالكم
قال ابن عباس يتقبل حسناتكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز
فوزا عظيما اي ظفر بالخير العظيم قوله عز وجل انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال الآية قال ابن عباس اراد بالامانة الطاعة والفرائض التي فرضها الله
على عباده عرضها على السموات والارض والجبال على انهم اذا ادوها اثابهم وان
ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود الامانة اداء الصلوات وايتاء الزكاة وصوم رمضان
وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان واشد من هذا
كله الودائع وقيل جميع ما امروا به ونهوا عنه وقيل هي الصوم وغسل الجنابة وما يخفى
من الشرائع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله من الانسان الفرج وقال
هذه الامانة استودعكها فالفرج امانة والاذان امانة والعين امانة واليد امانة
والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة له وفي رواية عن ابن عباس هي امانات الناس والوفاء
بالعهود فحق على كل مؤمن ان لا يغش مؤمنا ولا معاهدا في شيء لا في قليل ولا كثير فعرض
الله تعالى هذه الامانة على اعيان السموات والارض والجبال وهذا قول جماعة من التابعين
واكثر السلف فقال لهن اتحملن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها قال ان احسنتن
جوزيتن وان عصيتن عوقبتن قلن لا يا رب نحن مسخرات لامرك لا نريد ثوابا
ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله تعالى ان لا يقوموا بها لا معصية ولا
مخالفة لامره وكان العرض عليهن تخييرا لا الزاما ولو الزمهن لم يمتنعن من حملها والجماد
كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة لامره ساجدة له قال بعض اهل العلم ركب الله تعالى
فيهن العقل والفهم حين عرض عليهن الامانة حتى عقلن الخطاب واجبن بما اجبن
وقيل المراد من العرض على السموات والارض هو العرض على اهلها من الملائكة دون اعيانها
والقول الاول اصح وهو قول العلماء فابين ان يحملنها واشفقن منها اي خفن من
الامانة ان لا يؤدينها فيلحقهن العقاب وحملها الانسان يعني آدم قال الله عز وجل
لآدم اني عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقها فهل انت آخذها
بما فيها قال يا رب وما فيها قال ان احسنت جوزيت وان اسأت عوقبت فتحملها
آدم فقال بين اذني وعاتقي قال الله اما اذا تحملت فسأعينك واجعل لبصرك حجابا
فاذا خشيت ان تنظر الى ما لا يحل فارخ عليه حجابه واجعل للسانك لحيين وغلاقا
فاذا خشيت فاغلق واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد
فما كان بين ان تحملها وبين ان خرج من الجنة الا مقدار ما بين الظهر والعصر وقيل لما
كلف الانسان حمله بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على اعظم ما خلق الله تعالى من
الاجرام واقواه واشده ان يحمله ويستقل به فابى حمله واشفق منه وحمله
الانسان على ضعفه وضعف قوته انه كان ظلوما جهولا قال ابن عباس انه كان
ظلوما لنفسه جهولا لا يحسب حمل الامانة بامر ربه وما تحمل من الامانة وقيل ظلوما

لحين عصى ربه جهولا اى لا يدرى ما العقاب في ترك الامانة وقيل ظلوما جهولا حيث
حمل الامانة ثم لم يف بها وضمنها ولم يف بضمانها وقيل في تفسير الاية قول
آخر وهو ان الله تعالى ائتمن السموات والارض والجبال على شيء وائتمن آدم على شيء
فاولاده فالامانة في حق الاجرام العظام هي الخضوع والطاعة لما خلقن له وقوله
فابين ان يحملنها اى ادين الامانة ولم يخن فيها وعلى هذا القول حكي عن الحسن انه قال
الانسان هو الكافر والمنافق حملا الامانة وخانا فيها والقول الاول هو قول السلف
وهو الاولى فصل في الامانة (ق) عن حذيفة بن اليمان قال حدثنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم حديثين قد رايت احدهما وانا انتظر الاخر حدثنا ان الامانة نزلت
في جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن
رفع الامانة فقال ينام الرجل النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل الوكت
ثم ينام النومة فتقبض الامانة من قلبه فيظل اثرها مثل المجل كجمر دحرجته
على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء ثم اخذ حصاة فدحرجه على رجله فيصبح
الناس يتبايعون فلا يكاد احد يؤدي الامانة حتى يقال ان في بني فلان رجلا
امينا حتى يقال للرجل ما اجلده ما اظرفه ما اعقله وما في قلبه مثقال حبة من خردل
من ايمان ولقد اتى علي زمان وما ابالي ايكم بايعت لئن كان مسلما ليردنه علي دينه وان كان
نصرانيا او يهوديا ليردنه علي ساعيه واما اليوم فما كنت بايع منكم الا فلانا وفلانا
قوله نزلت في جذر قلوب الرجال وجذر الشيء اصله والوكت الاثر اليسير كالنقطة
في الشيء من غير لونه والمجل غلظ الجلد من اثر العمل وقيل انما هي النفاط وقد فسره الحديث
والمنتبر المنتفخ وليس فيه شيء (خ) عن ابي هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مجلس يحدث القوم جاء اعرابي فقال متى الساعة فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى
حديثه قال اين السائل عن الساعة قال ها انا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة
فانتظر الساعة قال كيف اضاعتها يا رسول الله قال اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر
الساعة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اد الامانة الى من ائتمنك ولا تخن
من خانك اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى ليعذب
الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات اى بما خانوا الامانة ونقضوا
الامانة ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات اى يهديهم ويرحمهم بما ادوا من الامانة
وقيل عرضنا الامانة ليظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهم الله ويظهر ايمان
المؤمن فيتوب عليه اى يعود عليه بالمغفرة والرحمة ان حصل منه تقصير في بعض
الطاعات وكان الله غفورا رحيما والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة سبأ

وهي مكية وهي اربع وخمسون آية وثمانمائة وثلاثون كلمة والف وخمسمائة
واثنا عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد لله الذي له ما في السموات وما في
الارض معناه ان كل نعمة من الله فهو الحقيق بان يحمد ويثنى عليه من اجلها ولما قال
الحمد لله وصف ملكه فقال الذي له ما في السموات وما في الارض اى ملكا وخلقا وله
الحمد في الآخرة اى كما هو له في الدنيا لان النعم في الدارين كلها منه فكما انه المحمود على
نعم الآخرة وقيل الحمد في الآخرة هو حمد اهل الجنة كما ورد يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون

النفس

النفس وهو الحكيم اى الذي احكم امور الدارين الخبير اى بكل ما كان وما يكون يعلم ما يلج
في الارض اى من المطر والكنوز والاموات وما يخرج منها اى من النبات والشجر والعيون والمعادن
والاموات اذا بعثوا وما ينزل من السماء اى من المطر والثلج والبرد وانواع البركات والملائكة
وما يعرج فيها اى في السماء من الملائكة واعمال العباد وهو الرحيم الغفور اى للمفرطين في
اداء ما وجب عليهم من شكر نعمه قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة معناه
انهم انكروا البعث وقيل استبطؤا ما وعدوه من قيام الساعة على سبيل اللهو والسخرية
قل بلى وربي لتأتينكم يعني الساعة عالم الغيب اى لا يفوت علمه شيء من الخفيات واذا كان
كذلك اندرج في علمه وقت قيام الساعة انها آتية لا يعزب عنه اى لا يغيب عنه
مثقال ذرة اى وزن ذرة في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك اى من الذرة ولا
اكبر الا في كتاب مبين اى في اللوح المحفوظ ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات
اولئك لهم مغفرة اى لذنوبهم ورزق كريم يعني الجنة والذين سعوا في آياتنا اى
في ابطال ادلتنا معاجزين اى يحسبون انهم يفوتوننا اولئك لهم عذاب من رجز اليم
قيل الرجز اسوأ العذاب ويرى الذين اوتوا العلم يعني من مؤمني اهل الكتاب
عبد الله بن سلام واصحابه وقيل هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذي انزل اليك
من ربك يعني القرآن هو الحق يعني انه من عند الله ويهدي يعني القرآن الى صراط
العزيز الحميد اى الى دين الاسلام وقال الذين كفروا اى المنكرين للبعث المتعجبين
منه هل ندلكم اى قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل ينبئكم يعنون محمدا صلى
الله عليه وسلم معناه يحدثكم باعجوبة من الاعاجيب وهي انكم اذا مزقتم كل ممزق اى
قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل تفريق وصرتم ترابا انكم لفي خلق جديد اى يقول انكم
تبعثون وتنشأون خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا افترى على الله كذبا
اهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب اليه من ذلك ام به جنة اى جنون يوهمه ذلك
ويلقيه على لسانه قال الله تعالى ردا عليهم ليس بمحمد من الافتراء والجنون شيء وهو مبرأ منهما
بل الذين لا يؤمنون بالآخرة يعني منكري البعث في العذاب والضلال البعيد اى من الحق
في الدنيا افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء والارض فيعلموا انهم حيث
كانوا فان ارضي وسمائي محيطة بهم لا يخرجون من اقطارها وانا القادر عليهم ان نشأ
نخسف بهم الارض كما خسفنا بقارون او نسقط عليهم كسفا من السماء كما فعلنا باصحاب
الايكة ان في ذلك اى فيما ترون من السماء والارض لآية اى تدل على قدرتنا على البعث بعد
الموت لكل عبد منيب اى تائب راجع الى الله تعالى بقلبه قوله عز وجل ولقد آتينا داود
منا فضلا يعني النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل هو جميع ما اوتي من حسن الصوت
وغير ذلك مما خص به يا جبال اوبي معه اى وقلنا يا جبال سبحي معه اذا سبح وقيل
رجعي معه اذا رجع ونوحي معه اذا ناح والطير اى وامرنا الطير ان تسبح معه فكان
داود اذا نادى بالنسيح او بالنياحة اجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه
من فوقه وقيل كان داود اذا لحقه ملل او فتور اسمعه الله تعالى تسبيح الجبال تنشيطا
له والنا له الحديد يعني كان الحديد في يده كالشمع او كالعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار
ولا ضرب مطرقة قيل سبب ذلك ان داود عليه السلام لما ملك بني اسرائيل كان
من عادته ان يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى انسانا لا يعرفه تقدم اليه وسأله عن
داود فيقول له ما تقول في داود واليكم فيثنون عليه ويقولون خيرا فقيض الله

ملكا في صورة آدمي فتقدم اليه على عادته وسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة
فيه فراع داود عليه السلام ذلك وقال ما هي يا عبد الله قال انه ياكل ويطعم
عياله من بيت المال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى ان يسبب له سببا يستغني
به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فالان الله تعالى له الحديد وعلمه
صنعة الدرع وانه اول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح ويقال انه كان يبيع
كل درع باربعة آلاف فياكل منها ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين
وقد صح في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود لا ياكل الا من عمل
يده ان اعمل سابغات اي دروعا كوامل واسعات طوالا تسحب في الارض قيل كان
يعمل كل يوم درعا وقدر في السرد اي ضيق في نسج الدرع وقيل قدر المسامير في حلق
الدرع ولا تجعل المسامير دقاقا ولا تثبت ولا غلاظا فتكسر الحلق وقيل في
السرد اي اجعله على القصد وقدر الحاجة واعملوا صالحا يريد داود وآله اني بما
تعملون بصير قوله تعالى ولسليمان الريح اي وسخرنا لسليمان الريح غدوها شهر ورواحها
شهر معناه مسير غدو تلك الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسير رواحها مسيرة شهر
فكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين قيل كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر
وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع
وقيل انه كان يتغدى بالري ويتعشى بسمرقند واسلنا له عين القطر اي اذبنا له عين
النحاس قال اهل التفسير اجريت له عين النحاس ثلاثة ايام بلياليهن كجري الماء
وكانت بارض اليمن وقيل اذاب الله لسليمان النحاس كما الان لداود الحديد ومن الجن
من يعمل بين يديه باذن ربه اي بامر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان وامرهم
بطاعته فيما يامرهم به ومن يزغ اي يعدل منهم اي من الجن عن امرنا اي الذي امرناه به من طاعة سليمان
نذقه من عذاب السعير قيل هذا في الآخرة وقيل في الدنيا وذلك ان الله تعالى وكل
بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة احرقته
يعملون له ما يشاء من محاريب اي مساجد وقيل هي الابنية المرتفعة والقصور والمجالس
الشريفة المصونة عن الابتذال وكان مما عملوا له بيت المقدس وذلك ان داود ابتدأه
ورفعه قامة رجل فاوحى الله اليه اني لم اقض لك ذلك على يدك ولكن ابن لك املكه بعدك اسمه
سليمان اقضي تمامه على يديه فلما توفي داود استخلف سليمان احب اتمام بيت المقدس
فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الاعمال فخص كل طائفة بعمل فارسل الجن والشياطين في
تحصيل الرخام والبلور من معادنه وامر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثنى عشر
ربضا وانزل كل ربض منها سبطا من الاسباط فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ بناء المسجد فوجه
الشياطين فرقا فمنهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنها ومنهم من يستخرج الجواهر
واليواقيت والدر الصافي من اماكنها ومنهم من ياتيه بالمسك والعنبر والطيب من
اماكن ذلك فاتي من ذلك بشيء كثير لا يحصيه الا الله تعالى ثم احضر الصناع وامرهم بنحت تلك
الاحجار وتصييرها الواحا واصلاح تلك الجواهر وثقب اليواقيت واللآلي فبنى
المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده باساطين البلور الصافي وسقفه
بانواع الجواهر الثمينة وفصص سقوفه وحيطانه باللآلي واليواقيت وسائر الجواهر
وبسط ارضه بالواح الفيروزج فلم يكن على وجه الارض يومئذ بيت ابهى ولا
انور من ذلك المسجد فكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع

اليه

اليه احبار بني اسرائيل واعلمهم انه بناه لله تعالى وان كل شيء فيه خالص له واتخذ ذلك
اليوم عيدا روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل حكما يصادف حكمه فاوتيه
وسأل الله تعالى ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاوتيه وسأل الله عز وجل حين فرغ
من بناء المسجد ان لا ياتيه احد لا ينهزه الا الصلاة فيه ان يخرجه من خطيئته كيوم
ولدته امه اخرجه النسائي قال ربه ثلاثا ولغيره لنسائي سأل ربه ثلاثا فاعطاه
اثنتين وانا ارجو ان يكون اعطاه الثالثة وذكر نحوه قوله لا ينهزه اي لا ينهضه الا
الصلاة قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزاه بخت نصر فخرب
المدينة وهدم المسجد واخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر انواع الجواهر وحمله الى
دار مملكته بالعراق وبنى الشياطين لسليمان باليمن قصورا وحصونا عجيبة من الصخر قوله
عز وجل وتماثيل اي ويعملون له تماثيل اي صورا من نحاس ورخام وزجاج قيل كانوا
يصورون السباع والطيور وغيرهم وقيل كانوا يصورون صور الملائكة والانبياء
والصالحين في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة قيل يحتمل ان اتخاذ الصور
كان مباحا في شريعتهم وهذا مما يجوز ان يختلف فيه الشرائع لانه ليس من الامور
القبيحة في العقل كالقتل والظلم والكذب ونحوه مما يقبح في كل الشرائع قيل عملوا
له اسدين تحت كرسيه ونسرين فوقه فاذا اصعد اراد ان يصعد بسط له الاسدان
ذراعيهما واذا جلس اظلته النسران باجنحتهما وقيل عملوا له الطواويس والعقبان
والنسور على درجات سريره وفوق كرسيه لكي يهابه من اراد الدنو منه وجفان اي قصاع
كالجواب اي كالحياض التي يجبى فيها الماء اي يجمع قيل كان يقعد على الجفنة الواحدة
الف رجل ياكلون منها وقدور راسيات اي ثابتات قيل كان اثافيها منها لا تحرك ولا
تنزل عن اماكنها لعظمها ولا تعطل وكان يصعد اليها بالسلالم وكانت باليمن
اعملوا آل داود شكرا اي وقلنا يا آل داود اعملوا بطاعة الله تعالى شكرا على
نعمه قيل المراد من آل داود داود نفسه وقيل داود وسليمان واهل بيته قال ثابت
البناني كان داود نبي الله عليه السلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على اهله
فلم يكن ياتي ساعة من ليل او نهار الا وانسان من آل داود قائم يصلي وقليل من
عبادي الشكور اي قليل العامل بطاعتي شكرا لنعمتي فلما قضينا عليه الموت اي
على سليمان قال العلماء كان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والسنتين
والشهر والشهرين واقل من ذلك واكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فادخله
في المرة التي مات فيها وكان سبب ذلك انه كان لا يصبح يوما الا وقد نبتت في محرابه
ببيت المقدس شجرة فيسالها ما اسمك فتقول اسمي كذا او كذا فيقول لاي شيء خلقت
فتقول لكذا وكذا فيامر بها فتقطع فان كانت لغرس امر بها فغرست وان كانت
لدواء كتب ذلك حتى نبتت الخروبة فقال لها ما انت قالت انا الخروبة قال ولاي
شيء نبتت قالت لخراب مسجدك قال سليمان ما كان الله ليخربه وانا حي انت
التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس ثم نزعها وغرسها في حائط له ثم قال
اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس
انهم يعلمون من الغيب شيئا ويعلمون ما في غد ثم دخل المحراب يصلي على عادته متكئا
على عصاه فمات قائما وكان للمحراب كوى من بين يديه ومن خلفه فكانت الجن

يعملون تلك الاعمال الشاقة التي كانوا يعملونها في حياة سليمان وينظرون اليه
يحسبون انه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته وانقطاعه قبل
ذلك فمكثوا ابدا بون بعد موته حولا كاملا حتى اكلت الارضة عصى سليمان فخر ميتا
فعلموا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الارضة فهم ياتونها بالماء والطين في جوف
الخشب فذلك قوله تعالى ما دلهم على موته الا دابة الارض يعني الارضة تاكل منساته
قال البخاري يعني عصاه فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في
العذاب المهين معناه علمت الجن وايقنت ان لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في التعب
والشقا مسخرين لسليمان وهو ميت يظنونه حيا اراد الله تعالى بذلك ان يعلم الجن انهم لا يعلمون
الغيب لانهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم وقيل في معنى الاية انه ظهر امر الجن وانكشف
للانس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا قد شبهوا على الانس ذلك ذكر اهل التاريخ
ان سليمان ملك وهو ابن ثلاثة عشر سنة وبقي في الملك اربعين سنة وشرع في
بنا بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه وتوفي وهو ابن ثلاث وخمسين
قوله عز وجل لقد كان لسبا في مساكنهم اية عن فروة بن مسيك المرادي قال انزل
في سبا ما انزل فقال رجل يا رسول الله وما سبا ارض او امرأة قال ليس بارض
ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم اربعة
فاما الذين تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة واما الذين تيامنوا فالازد
والاشعريون وحمير وكندة ومذحج وانمار فقال رجل يا رسول الله وما انمار قال الذين
منهم خثعم وبجيلة اخرجه الترمذي مع زيادة وقال حديث حسن غريب وسبا هو ابن
يشجب بن يعرب بن قحطان في مساكنهم اي بمارب من ارض اليمن اية اي دلالة على
وحدانيتنا وقدرتنا ثم فسر الاية فقال تعالى جنتان اي هما بستانان عن يمين وشمال
اي عن يمين الوادي وشماله وقيل عن يمين من اتاهما وشماله وقيل كان لهم وادي قد
احاطت به الجنتان كلوا اي قيل لهم كلوا من رزق ربكم اي من ثمار الجنتين قيل
كانت المرأة تحمل مكتلها على راسها وتمر بالجنتين فيمتلي المكتل من انواع الفواكه
من غير ان تمس بيدها شيئا واشكروا له اي على ما رزقكم من النعمة واعملوا بطاعته
بلدة طيبة اي بارض مارب وهي سبا بلدة طيبة ليست بسبخة وقيل لم يكن يرى في بلدتهم
بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلدتهم وفي ثيابه
القمل فيموت القمل من طيب الهوا ورب غفور اي وربكم ان شكرتم على ما رزقكم
رب غفور لمن شكره قوله تعالى فاعرضوا قال وهب ارسل الله اليهم ثلاثة عشر
نبيا فدعوهم الى الله وذكروهم نعمه عليهم وانذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا
ما نعرف لله علينا نعمة فقولوا لربكم فليحبس هذه النعمة عنا ان استطاع
فذلك اعراضهم فارسلنا عليهم سيل العرم اي الذي لا يطاق قيل كان ماء امر
لرسله الله تعالى عليهم من حيث شاء قيل العرم السكر الذي يحبس الماء وقيل العرم
الوادي قال ابن عباس ووهب وغيرهما كان لهم سد بنته بلقيس وذلك انهم
كانوا يقتتلون على ماء واديهم فامرت بواديهم فسد بالصخر والقار بين الجبلين
وجعلت له ثلاثة ابواب بعضها فوق بعض ودونه بركة ضخمة وجعلت
فيها اثني عشر مخرجا على عدة انهارهم يفتحونها اذا احتاجوا الى الماء واذا
استغنوا عنه سدوها فامرت بالباب الاعلى ففتح فجرى ماؤه الى البركة فكانوا

يسقون

يسقون من الباب الاعلى ثم من الباب الثاني ثم من الباب الثالث الاسفل فلا ينفد الماء
حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا بعدها مدة
فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذا يسمى الخلد فنقب السد من اسفله فغرق الماء
جناتهم واخرب ارضهم وقال وهب فيما يزعمون ويجدون في علمهم ان يخرب سدهم فارة
فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا عندها هرة فلما جاء زمانه وما اراد الله تعالى
بهم من التغريق اقبلت فيما يذكرون فارة حمراء كبيرة الى هرة من تلك الهرر فساورتها
حتى استاخرت عنها الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت عندها فتغلغلت في السد
وحفرته حتى وهنته للسيل وهم لا يعلمون بذلك فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه
حتى قلع السد وفاض الماء على اموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل ففرقوا ومزقوا
كل ممزق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون ذهب ايدي سبا وتفرقوا ايادي سبا فذلك
قوله تعالى فارسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط قيل
هو شجر الاراك وثمره البربر وقيل كل نبت اخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن اكله فهو خمط
وقيل هو ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به
واثل قيل هو الطرفا وقيل شجر يشبه الطرفا الا انه اعظم منه وشيء من سدر قليل
هو شجر معروف ينتفع بورقه في الغسل وثمره النبق ولم يكن السدر الذي بدلوه مما
ينتفع به بل كان سدرا بريا لا يصلح لشيء قيل كان شجر القوم من خير الشجر فصيره الله
من شر الشجر باعمالهم وهو قوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا اي ذلك الذي فعلنا
بهم جزاء كفرهم وهل نجازي الا الكفور اي هل نجازي بمثله الا الكفور لله في نعمه
قيل المؤمن يجزى ولا يجازى يجزى بحسناته ولا يجازى بسيئاته وجعلنا بينهم وبين القرى
التي باركنا فيها اي بالماء والشجر وهي قرى الشام قرى ظاهرة اي متواصلة تظهر
الثانية من الاولى لقربها منها قيل كان متجرهم من اليمن الى الشام فكانوا يبيتون بقرية
ويقيلون باخرى وكانوا لا يحتاجون الى حمل زاد من سبا الى الشام وقيل كان قراهم
اربعة الاف وسبعمائة قرية متصلة من سبا الى الشام وقدرنا فيها السير اي قدرنا
سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم فاذا
ساروا نصف يوم وصلوا الى قرية ذات مياه واشجار فكان ما بين اليمن والشام
كذلك سيروا فيها ليالي واياما اي في اي وقت شئتم امنين اي لا تخافوا عدوا ولا
جوعا ولا عطشا فبطروا النعمة وسئموا الراحة وطغوا ولم يصبروا على العافية فقالوا
لو كانت جناتنا ابعد مما هي كان اجدر ان نشتهيه وطلبوا الكد والتعب في الاسفار
فقالوا ربنا باعد بين اسفارنا اي اجعل بيننا وبين الشام مفاوز وفلوات لنركب
فيها الرواحل ونتزود الازواد فتمنوا ذلك فعجل الله لهم الاجابة وظلموا انفسهم
اي بالبطر والطغيان فجعلناهم احاديث اي عبرة لمن يعتبر من بعدهم يتحدثون
بامرهم وشانهم ومزقناهم كل ممزق اي فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق
قيل لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد فاما غسان فلحقوا بالشام ومر الازد
الى عمان وخزاعة الى تهامة ومر الاوس والخزرج ولحق آل جذيمة بالعراق ان في
ذلك لايات اي لعبرة ودلالات لكل صبار عن المعاصي شكور اي لله على نعمه
قيل المؤمن صبور على البلاء شاكر للنعماء وقيل المؤمن اذا اعطي شكر واذا ابتلي صبر
قوله عز وجل ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قيل على اهل سبا وقيل على الناس كلهم

اي وفقنالهم سيروا

فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين قال ابن عباس يعني المؤمنين كلهم لانهم لم يتبعوه في
اصل الدين وقيل هو خاص في المؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة
ان ابليس لما سال النظرة فانظره الله قال لاغوينهم ولاحتنكنهم ولم يكن مستيقنا وقت
هذه المقالة ان ما قاله فيهم يتم وانما قاله ظنا فلما اتبعوه واطاعوه صدق عليهم
ما ظنه فيهم وقال الحسن انه لم يسل عليهم سيفا ولا ضربهم بسوط انما وعدهم ومناهم
ومناهم فاغتروا وما كان له عليهم من سلطان اي ما كان تسليطنا اياه عليهم الا لنعلم
من يؤمن بالاخرة ممن هو منها في شك اي لنرى ونميز المؤمن من الكافر واراد علم
الوقوع والظهور وان كان معلوما عنده لانه عالم الغيب وربك على كل شيء حفيظ
اي رقيب وقيل حفيظ بمعنى حافظ قوله تعالى قل اي قل يا محمد لكفار مكة ادعوا
الذين زعمتم انهم الهة من دون الله والمعنى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل
بكم في سني الجوع ثم وصف الالهة فقال من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات
ولا في الارض يعني من خير وشر ونفع وضر وما لهم اي للالهة فيهما اي في السموات والارض
من شرك اي شركة وما له اي لله منهم اي الالهة من ظهير اي عون ولا تنفع الشفاعة
عنده الا لمن اذن له اي اذن الله له في الشفاعة قاله تكذيبا للكفار حيث قالوا
هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل يجوز ان يكون المعنى الا لمن اذن الله في ان يشفع له
حتى اذا فزع عن قلوبهم معناه كشف الفزع واخرج عن قلوبهم قيل هم الملائكة وسبب
ذلك من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله خ عن ابي هريرة ان نبي الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا قضى الله الامر في السما ضربت الملائكة باجنحتها فاذا فزع عن قلوبهم
قالوا ماذا قال ربكم قالوا اي الذي قال الحق وهو العلي الكبير وللترمذي اذا
قضى الله في السما امرا ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كانه سلسلة على صفوان
فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال
الترمذي حديث حسن صحيح قوله خضعانا جمع خاضع وهو المنقاد المطمئن والصفوان
الحجر الاملس عن ابن مسعود قال اذا تكلم الله بالوحي سمع اهل السما صلصلة
كجر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى ياتيهم جبريل فاذا جا
فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال ربكم فيقول الحق فيقولون الحق
الحق اخرجه الترمذي ابو داود الصلصلة صوت الاجراس الصلبة بعضها على
بعض وقيل انما يفزعون حذرا من قيام الساعة قيل كانت الفترة بين عيسى ومحمد
عليهما السلام خمسمائة سنة او ستمائة لم تسمع الملائكة فيهما وحيا فلما بعث
الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت
الملائكة ظنوا انها الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم عند اهل السموات من اشراط
الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر
باهل كل سما فيكشف عنهم فيرفعون روسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا
الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير وقيل الموصوف بذلك هم المشركون وذلك اذا كشف
الفزع عن قلوبهم عند الموت قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا لاقامة
الحجة عليهم قالوا الحق فاقروا به حين لم ينفعهم الاقرار وهو العلي الكبير ذو
العلو والكبريا قوله تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض يعني المطر والنبات
قل الله يعني ان لم يقولوا رازقنا هو الله فقل انت ان رازقكم هو الله وانا او اياكم

لعلى هدى او في ضلال مبين معناه ما نحن وانتم على امر واحد بل احد الفريقين مهتد والاخر
ضال وهذا ليس هو على طريق الشك بل هو على جهة الالزام والانصاف في الحجاج كما يقول
القائل احدنا كاذب وهو يعلم انه صادق وصاحبه كاذب فالنبي صلى الله عليه وسلم
ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال فكذبهم من غير ان يصرح بالتكذيب ومنه
بيت حسان ٥ اتهجوه ولست له بكفو * فشركما لخيركما الفداء ٥ وقيل او بمعنى الواو
انا لعلى هدى وانكم لفي ضلال مبين قل لا تسالون عما اجرمنا اي لا تواخذون به ولا
نسال عما تعملون اي من الكفر والتكذيب وقيل اراد بالاجرام الصغائر والزلات
التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام قل يجمع بيننا ربنا يعني
يوم القيامة ثم يفتح اي يقضي ويحكم بيننا بالحق اي بالعدل وهو الفتاح القاضي
العليم اي بما يقضي قل اروني الذين الحقتم به اي بالله شركا اي الاصنام في
العبادة هل يخلقون ويرزقون واراد بذلك ان يريهم الخطا العظيم في الحاق الشركا بالله
كلا كلمة ردع لهم عن مذهبهم والمعنى ارتدعوا فانهم لا يخلقون ولا يرزقون بل هو الله
العزيز اي الغالب على امره الحكيم اي في تدبير خلقه فانى يكون له شريك في ملكه قوله عز وجل
وما ارسلناك الا كافة للناس اي للناس كلهم عامة احمرهم واسودهم عربيهم وعجميهم
وقيل ارسالة عامة لهم لانها اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد ق عن جابر بن عبد الله
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد من الانبيا نصرت
بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة ٥
فليصل واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث
الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة في الحديث بيان الفضائل التي خص بها نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم دون سائر الانبيا وان هذه الخمسة لم تكن لاحد ممن كان قبله من الانبيا
وفيه اختصاصه بالرسالة العامة لكافة الخلق الانس والجن وكان النبي قبله يبعث
الى قومه والى اهل بلده فعمت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم جميع الخلق وهذه درجة
خص بها دون سائر الانبيا وقيل في معنى كافة اي كافا يكفهم عما هم عليه من الكفر فتكون
الها للمبالغة بشيرا اي لمن امن بالجنة ونذيرا لمن كفر بالنار ولكن اكثر الناس لا يعلمون ويقولون
متى هذا الوعد ان كنتم صادقين يعني يوم القيامة قل لكم ميعاد يوم لا تستاخرون
عنه ساعة ولا تستقدمون معناه لا تتقدمون على يوم القيامة وقيل عن يوم الموت لا تتاخرون
عنه بان يزاد في اجالكم او ينقص منه وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران ولا بالذي
بين يديه يعني التوراة والانجيل ولو ترى اي يا محمد اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع
بعضهم الى بعض القول معناه ولو ترى في الاخرة موقفهم وهم يتجادلون اطراف المحاورة
ويتراجعونها بينهم لرايت العجب يقول الذين استضعفوا وهم الاتباع للذين استكبروا
وهم القادة الاشراف لولا انتم لكنا مؤمنين انتم منعتمونا عن الايمان بالله ورسوله
قال الذين استكبروا اي اجابوا المتبوعين في الكفر للذين استضعفوا انحن صددناكم
اي منعناكم عن الهدى اي عن الايمان بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين اي بترك الايمان
وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اي مكركم بنا في الليل
والنهار وهو طول السلامة وطول الامل فيهما اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل
له اندادا اي هو قول القادة للاتباع ان ديننا الحق وان محمدا كذاب ساحر وهذا
تنبيه للكفار اذ تصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا سبب عداوتهم في الاخرة واسروا

الذلة اى الزموها وقيل اخفوها وهو من الاضداد لما راوا العذاب وجعلنا الاغلال
في اعناق الذين كفروا اى في النار الاتباع والمتبوعين جميعا هل يجزون الا ما كانوا
يعملون اى من الكفر والمعاصي في الدنيا قوله تعالى وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال
مترفوها اى رؤساؤها واغنياؤها انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا يعني المترفين
والاغنياء للفقراء الذين امنوا نحن اكثر اموالا واولادا يعني لو لم يكن الله راضيا بما نحن
عليه من الدين والعمل لم يخولنا الاموال والاولاد وما نحن بمعذبين اى ان الله قد احسن الينا
في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا في الاخرة قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
يعني ان الله تعالى يبسط الرزق ابتلاء وامتحانا لا يدل البسط على رضى الله تعالى ولا التضييق على
سخطه ولكن اكثر الناس لا يعلمون اى انها كذلك وما اموالكم ولا اولادكم بالتي
تقربكم عندنا زلفى اى بالتي تقربكم عندنا تقريبا الا اى لكن من امن وعمل صالحا قال ابن
عباس يريد ايمانه وعمله يقربه مني فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اى يضعف
الله لهم حسناتهم فيجزي بالحسنة الواحدة عشرا الى سبعمائة وهم في الغرفات امنون
والذين يسعون في اياتنا اى يعملون في ابطال حجتنا معاجزين اى معاندين يحسبون انهم
يعجزوننا ويفوتوننا اولئك في العذاب محضرون قوله عز وجل قل ان ربي يبسط الرزق
لمن يشاء من عباده ويقدر له وما انفقتم من شيء فهو يخلفه اى يعطي خلفه اذا كان
في غير اسراف ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة
التي هي كنز لا ينفد واما الثواب في الاخرة الذي كل خلف دونه وقيل ما تصدقتم من صدقة
وانفقتم في الخير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه
فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه
فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتاولن وما انفقتم من شيء فهو يخلفه
فان هذا في الاخرة ومعنى الاية ما كان من خلف فهو منه ق عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى انفق ينفق عليك ولمسلم يا ابن ادم
انفق انفق عليك ق عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد
فيه الا ملكان ينزلان يقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط
ممسكا تلفا م عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نقصت صدقة من مال وما
زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وهو خير الرازقين
اى خير من يعطي ويرزق لان كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق مملوكه
او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله اجراه الله على ايدي من يشاء وهو خير الرازقين
الحقيقي الذي لا رازق سواه قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا يعني الكفار ثم يقول للملائكة
اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون اى في الدنيا وهذا استفهام تقريع وتقرير للكفار
فتبرا منهم الملائكة من ذلك وهو قوله تعالى قالوا سبحانك اى تنزيها لك انت
ولينا من دونهم اى نحن نتولاك ولا نتولاهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة
الكفار براءتهم من الرضى بعبادتهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون يعني
الشياطين فان قلت قد عبدوا الملائكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الجن
قلت اراد ان الشياطين زينوا عبادة الملائكة فاطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم
للشياطين عبادة لهم وقيل صوروا لهم صورا وقالوا هذه صور الملائكة
فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها الذي هو

بهم

بهم يؤمنون اى يصدقون الشياطين قال الله تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا
اى شفاعة ولا ضرا اى بالعذاب يريد انهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضر ونقول للذين
ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قالوا
ما هذا الا رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم وقالوا
ما هذا الا افك مفترى يعني القران وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا
سحر مبين وما اتيناهم يعني هؤلاء المشركين من كتب يدرسونها اى يقرؤونها وما
ارسلنا اليهم قبلك من نذير اى لم يات العرب قبلك نبي ولا انزل عليهم كتاب وكذب
الذين من قبلهم اى من الامم الماضية رسلا وما بلغوا يعني هؤلاء المشركين معشار اى عشر
ما اتيناهم اى اعطينا الامم الخالية من القوة والنعمة وطول الاعمار فكذبوا رسلي
فكيف كان نكير اى انكاري عليهم يحذر بذلك كفار هذه الامة عذاب الامم الماضية قوله
عز وجل قل انما اعظكم اى امركم واوصيكم بواحدة اى بخصلة واحدة ثم بين تلك
الخصلة فقال تعالى ان تقوموا لله مثنى اى اثنين اثنين وفرادى اى واحدا واحدا
ثم تتفكروا اى تجتمعوا جميعا فتنظرون وتحاورون وتتفكرون في حال محمد صلى الله
عليه وسلم فتعلموا ان ما بصاحبكم من جنة ومعنى الاية انما اعظكم بواحدة ان فعلتموها
اصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن
هو الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة فتقوموا لوجه الله خالصا ثم
تتفكروا في امر محمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض
كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه لينظر فيه نظر متصادقين متناصفين
لا يميل بهما اتباع الهوى واما الفرد فيتفكر في نفسه ايضا بعدل ونصفة هل
راينا في هذا الرجل جنونا قط او جربنا عليه كذبا قط وقد علمتم ان محمدا صلى الله عليه
وسلم ما به من جنة بل علمتموه ارجح قريش عقلا وارزنهم حلما واحدهم ذهنا واثبتهم رايا
واصدقهم قولا وازكاهم نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به واذا
علمتم ذلك كفاكم ان تطالبوه باية واذا اتى بها تبين انه نذير مبين صادق فيما جاء
به وقيل تم الكلام عند قوله ثم تتفكروا اى في السموات والارض فتعلموا ان خالقها
واحد لا شريك له ثم ابتدا فقال ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدي
عذاب شديد قل ما سالتكم اى على تبليغ الرسالة من اجر اى جعل فهو لكم اى لم اسالكم شيئا
ان اجري اى ثوابي الا على الله وهو على كل شيء شهيد قل ان ربي يقذف بالحق اى ياتي
بالحق من السماء فيقذفه الى الانبياء علام الغيوب اى خفيات الامور قل جاء الحق اى
القران والاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد اى ذهب الباطل وزهق فلم يبق
منه بقية يبدئ شيئا او يعيده وقيل الباطل هو ابليس والمعنى لا يخلق ابليس احدا
ابتداء ولا يبعثه اذا مات وقيل الباطل الاصنام قل ان ضللت فانما اضل على
نفسي وذلك ان كفار مكة كانوا يقولون له انك قد ضللت حين تركت دين ابائك
فقال الله تعالى قل ان ضللت فيما تزعمون انتم فانما اضل على نفسي اى اثم
ضلالي على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي اى من القران والحكمة انه
سميع قريب قوله عز وجل ولو ترى اى يا محمد اذ فزعوا اى عند البعث اى حين
يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت فلا فوت اى لا يفوتوننا ولا نجاة لهم
واخذوا من مكان قريب قيل من تحت اقدامهم وقيل اخذوا من بطن الارض الى

ظهرها وحيث ما كانوا فهم من الله قريب لا يفوتونه ولا يعجزونه وقيل من مكان قريب
يعني عذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وقيل هو خسف بالبيداء ومعنى الآية ولو
ترى اذ فزعوا لرأيت امرا تعتبر به وقالوا آمنا به اي حين عاينوا العذاب قيل
هو عند اليأس وقيل هو البعث وانى لهم التناوش اي التناول والمعنى كيف
لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان منهم قريبا في الدنيا فضيعوه
وقال ابن عباس يسألون الرد الى الدنيا فيقال وانى لهم الرد الى الدنيا من مكان
بعيد اي من الآخرة الى الدنيا وقد كفروا به من قبل اي بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله
عليه وسلم من قبل ان يعاينوا العذاب واهوال القيامة ويقذفون بالغيب من مكان
بعيد قيل هو الظن لان علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون
والمعنى يرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قولهم
انه ساحر شاعر كاهن لا علم لهم بذلك وقيل يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة
ولا نار وحيل بينهم وبين ما يشتهون يعني الايمان والتوبة والرجوع الى الدنيا ونعيمها
وزهرتها كما فعل باشياعهم اي بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار من قبل
اي لم تقبل منهم التوبة والايمان وقت اليأس انهم كانوا في شك اي من البعث ونزول
العذاب بهم مريب اي موقع الريبة والتهمة والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة

وتسمى سورة الملائكة وهي مكية وهي خمس واربعون آية وسبعمائة وسبعون كلمة
وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الحمد
لله فاطر السموات والارض اي خالقهما ومبتدعهما على غير مثال سبق جاعل الملائكة
رسلا اي الى الانبياء اولي اجنحة اي ذوي اجنحة مثنى وثلاث ورباع اي بعضهم له
جناحان وبعضهم له ثلاثة اجنحة وبعضهم له اربعة يزيد في الخلق ما يشاء اي يزيد
في خلق الاجنحة ما يشاء قال ابن مسعود في قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال
رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وقيل يزيد في الخلق ما يشاء هو حسن الصوت
وقيل حسن الخلق وتمامه وقيل هو الملاحة في العينين وقيل هو العقل والتمييز
ان الله على كل شيء قدير اي مما يريد ان يخلقه قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة
قيل المطر وقيل من خير ورزق فلا ممسك لها اي لا يستطيع احد على حبسها وما
يمسك فلا مرسل له من بعده اي لا يقدر احد على فتح ما امسك وهو العزيز اي
فيما امسك الحكيم اي فيما ارسل (ق) عن المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان يقول في دبر كل صلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد
وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا
الجد منك الجد الغنى والبخت لا ينفع المبخوت والغنى حظه وغناه لانهما منك
انما ينفعه الاخلاص والعمل بطاعتك قوله عز وجل يا ايها الناس اذكروا نعمة
الله عليكم قيل الخطاب لاهل مكة ونعمة الله عليهم اسكانهم الحرم ومنع الغارات
عنهم هل من خالق غير الله اي لا خالق الا الله وهو استفهام تقرير وتوبيخ
يرزقكم من السماء يعني المطر والارض اي النبات لا اله الا هو فانى تؤفكون
اي من اين يقع لكم الافك والتكذيب بتوحيد الله وانكار البعث وانتم مقرون

بان الله خالقكم ورازقكم وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك يعزي نبيه صلى الله عليه
وسلم والى الله ترجع الامور اي يجزي المكذب من الكفار بتكذيبه قوله تعالى يا ايها الناس
ان وعد الله حق يعني وعد القيامة فلا تغرنكم الحياة الدنيا اي لا يغرنكم بلذاتها وما
فيها عن عمل الآخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور اي لا يقل لكم اعملوا ما
شئتم فان الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور من هو فقال تعالى ان الشيطان لكم
عدو فاتخذوه عدوا اي عادوه بطاعة الله ولا تطيعوه فيما يأمركم به من الكفر والمعاصي
انما يدعو حزبه اي اشياعه واولياءه ليكونوا من اصحاب السعير ثم بين حال موافقيه ومخالفيه
فقال تعالى الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
واجر كبير قوله عز وجل افمن زين له سوء عمله قال ابن عباس نزلت في ابي جهل ومشركي مكة
وقيل نزلت في اصحاب الاهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين
وليس اصحاب الكبائر من الذنوب منهم لانهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع
ارتكابهم اياها ومعنى زين له شبه له وموه عليه قبيح عمله فرآه حسنا وفي الآية حذف
مجازه افمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا كمن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل
باطلا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل جواب الآية افمن زين له سوء عمله فرآه
حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والحسرة
شدة الحزن على ما فات والمعنى لا تغتم بكفرهم وهلاكهم ان لم يؤمنوا ان الله عليم بما
يصنعون فيه وعيد بالعقاب على سوء صنيعهم والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا
اي تزعجه من مكانه وقيل تجمعه وتجيء به فسقناه اي فنسوقه الى بلد ميت فاحيينا
به الارض بعد موتها كذلك النشور اي مثل احياء الموات نشور الاموات روى
ابن الجوزي في تفسيره عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله كيف يحيي الله
الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا
قلت نعم قال كذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه قوله تعالى من كان يريد العزة
فلله العزة جميعا قيل معناه من كان يريد ان يعلم لمن العزة فلله العزة جميعا وقيل معناه
من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله وهو دعا الى طاعة من له العزة اي فليطلب العزة من عند
الله بطاعته وذلك ان الكفار عبدوا الاصنام وطلبوا بها التعزز فبين الله ان
لا عزة الا لله ولرسوله ولاوليائه المؤمنين اليه اي الى الله يصعد الكلم الطيب
قيل هو قول لا اله الا الله وقيل هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر روى البغوي باسناده عن ابن مسعود قال اذا حدثتكم حديثا انبأتكم بمصداقه
من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا
اله الا الله والله اكبر وتبارك الله الا اخذهن ملك تحت جناحه ثم يصعد بهن
فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يحيا بها وجه رب العالمين
ومصداقه من كتاب الله قوله اليه يصعد الكلم الطيب هذا حديث موقوف على ابن مسعود
في اسناده الحجاج بن نصير ضعيف وقيل الكلم الطيب ذكر الله تعالى وقيل معنى اليه يصعد
اي يقبل الله الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس اي يرفع العمل الصالح
الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح اداء الفرائض فمن ذكر الله
ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتمني وليس بالتحلي
ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه

قوله ومن قال الحسنا يرفعه العمل فذلك بان الله يقول اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه وجا في الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا قولا وعملا الا بنية وقيل الها
في يرفعه راجعة الى العمل الصالح اي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عملا الا ان
يكون صادرا عن توحيد وقيل معناه العمل الصالح يرفعه الله فلا يقبل
عملا الا ان يكون صادرا عن توحيد وقيل العمل الصالح هو الخالص وذلك ان
الاخلاص سبب قبول الخيرات من الاقوال والافعال والذين يمكرون السيات
اي يعملون السيات اي الشرك وقيل يعني الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه
وسلم في دار الندوة وقيل هم اصحاب الربا لهم عذاب شديد ومكر اولئك هو
يبور اي يبطل ويهلك في الاخرة قوله عز وجل والله خلقكم من تراب يعني ادم ثم من
نطفة يعني ذريته ثم جعلكم ازواجا يعني اصنافا ذكرانا واناثا وقيل زوج بعضكم
ببعض وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر اي لا يطول عمر احد
ولا ينقص من عمره اي عمر اخر وقيل ينقص الى الاجل قال سعيد بن جبير مكتوب في ام الكتاب
عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب اسفل من ذلك ذهب يوم ذهب يومان ذهب ثلاثة ايام حتى
ينقطع عمره وقيل معناه لا يطول عمر انسان ولا ينقص الا في كتاب قال كعب الاحبار
حين حضر عمر الوفاة والله لو دعا عمر ربه ان يوخر اجله لاخر فقيل له ان الله
تعالى يقول فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة قال هذا اذا حضر الاجل فاما
قبل ذلك فيجوز ان يراد ذلك وقرا هذه الاية الا في كتاب يعني اللوح المحفوظ
ان ذلك على الله يسير اي كتابة الاجال والاعمال على الله هين قوله تعالى وما
يستوي البحران يعني العذب والمالح ثم وصفهما فقال هذا عذب فرات اي طيب
يكسر العطش سايغ شرابه اي سهل في الحلق هني مري وهذا ملح اجاج اي شديد
الملوحة يحرق في الحلق بملوحته وقيل هو المر ومن كل يعني من البحرين تاكلون لحما طريا
يعني السمك وتستخرجون اي من الملح دون العذب حلية تلبسونها يعني اللولو والمرجان
وقيل نسب اللولو اليهما لانه يكون في البحر المالح عيون عذبة فتمتزج بالملح فيكون
اللولو منهما وترى الفلك فيه مواخر اي جواري مقبلة ومدبرة بريح واحدة لتبتغوا
من فضله اي بالتجارة ولعلكم تشكرون اي تشكرون الله على نعمه يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى ذلكم الله
ربكم له الملك والذين تدعون من دونه يعني الاصنام ما يملكون من قطمير اي
هو لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة ان تدعوهم يعني الاصنام
لا يسمعوا دعاكم يعني انهم جماد ولو سمعوا اي على سبيل الفرض والتمثيل ما استجابوا
لكم اي ما اجابوكم وقيل ما نفعوكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم اي يتبرؤون
منكم ومن عبادتكم اياها ولا ينبيك مثل خبير يعني نفسه اي لا ينبيك احد مثلي
لاني عالم بالاشيا قوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقرا الى الله الى فضله واحسانه
والفقير المحتاج الى من سواه والخلق كلهم محتاجون الى الله فهم فقرا والله هو
الغني اي عن خلقه لا يحتاج اليهم الحميد اي المحمود في احسانه اليهم المستحق بانعامه
عليهم ان يحمدوه ان يشا يذهبكم اي لاتخاذكم اندادا وكفركم باياته ويات بخلق
جديد اي يخلق من بعدكم من يعبده ولا يشرك به شيا وما ذلك على الله بعزيز
اي بممتنع ولا تزر وازرة وزر اخرى اي ان كل نفس يوم القيامة لا تحمل الا

وزرها

وزرها الذي اقترفته لا تواخذ بذنب غيرها فان قلت كيف الجمع بين هذه الاية وبين
قوله وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت هذه الاية في الضالين وتلك في
المضلين فانهم يحملون اوزار من اضلوه من الناس مع اثقال انفسهم وذلك كله كسبهم
وان تدع مثقلة الى حملها معناه وان تدع نفس مثقلة بذنوبها الى حمل ذنوب غيرها
لا يحمل منه شي ولو كان ذا قربى اي ولو كان المدعو ذا قرابة له كالاب والام والابن والاخ
قال ابن عباس يلقى الاب والام الابن فيقول يا بني احمل عني بعض ذنوبي فيقول لا استطيع
حسبي ما علي انما تنذر الذين يخشون ربهم اي يخافون ربهم بالغيب اي لم يروه والمعنى
انما ينفع انذارك الذين يخشون ربهم بالغيب واقاموا الصلاة ومن تزكى اي اصلح وعمل
خيرا فانما يتزكى لنفسه اي لها ثوابه والى الله المصير وما يستوي الاعمى والبصير
اي الجاهل والعالم وقيل الاعمى عن الهدى وهو المشرك والبصير بالهدى وهو المومن
ولا الظلمات ولا النور وهو الكفر والايمان ولا الظل ولا الحرور يعني الجنة
والنار قال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار وما يستوي الاحيا
ولا الاموات يعني المومنين والكفار وقيل العلما والجهال ان الله يسمع من يشا
يعني حتى يتعظ ويجيب وما انت بمسمع من في القبور يعني الكفار شبههم بالاموات
في القبور لانهم لم يجيبوا اذا دعوا ان انت الا نذير اي ما انت الا منذر تخوفهم بالنار
انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالثواب لمن امن ونذيرا بالعقاب لمن كفر
وان من امة اي من جماعة كثيرة فيما مضى الا خلا اي سلف فيها نذير اي نبي منذر
فان قلت كم من امة في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ولم يخل فيها نذير قلت اذا
كانت اثار النذارة باقية لم تخل من نذير الا ان تندرس وحين اندرست اثار نذارة
عيسى عليه السلام بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم واثار نذارته باقية الى يوم
القيامة وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات اي
بالمعجزات الدالة على نبوتهم وبالزبر اي الصحف وبالكتاب المنير اي الواضح
قيل اراد بالكتاب التوراة والانجيل والزبور وقيل ذكر الكتاب بعد الزبور تاكيدا ثم
اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير قوله عز وجل الم تر ان الله انزل من السما ما يعني
المطر فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها يعني اجناسها من الرمان والتفاح والتين
والعنب والرطب ونحوها وقيل يعني الوانها في الحمرة والصفرة والخضرة وغير
ذلك مما لا يحصر ولا يعد ومن الجبال جدد بيض وحمر يعني الخطط والطرائق في
الجبال مختلف الوانها يعني منها ما هو ابيض ومنها ما هو احمر ومنها ما هو غرابيب
سود اي شديد السواد يقال اسود غربيب تشبيها بلون الغراب ومن الناس والدواب
والانعام مختلف الوانه اي خلق مختلف الوانه كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال
وتم الكلام هاهنا ثم ابتدا فقال تعالى انما يخشى الله من عباده العلما قال ابن عباس
يريد انما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني وقيل عظموه وقدروا قدره واخشوه
حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد خشية (ق) عن عايشة قالت صنع رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فخطب فحمد الله ثم قال ما بال اقوام يتنزهون عن الشي اصنعه فوالله اني لاعلمهم
بالله واشدهم له خشية قولها فرخص فيه اي لم يشدد فيه قولها فتنزه اي تباعد
عنه وكرهه قوم (ق) عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة

ما سمعت منهما قط فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين الخنين بالخاء المعجمة هو البكاء مع
غنة وانتشاق الصوت من الانف وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار
بالله جهلا وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم فقال الشعبي انما العالم من خشي الله
عز وجل وقال مقاتل اشد الناس خشية اعلمهم به وقال الربيع بن انس من لم يخش الله فليس
ان الله عزيز غفور اى في ملكه غفور لذنوب عباده وهو تعليل لوجوب الخشية لانه المثيب
المعاقب واذا كان كذلك فهو احق ان يخشى ويتقى قوله عز وجل ان الذين يتلون كتاب
الله اى يداومون على قراءته ويعلمون ما فيه ويعملون به واقاموا الصلاة اى ويقيمون
الصلاة في اوقاتها وانفقوا مما رزقناهم اى في سبيل الله سرا وعلانية يرجون
تجارة لن تبور اى لن تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب
ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله قال ابن عباس سوى الثواب مما لم تر عين ولا
لم تسمع اذن انه غفور شكور قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من
اعمالهم والذي اوحينا اليك من الكتاب يعني القرآن هو الحق مصدقا لما بين يديه
اى من الكتب ان الله بعباده لخبير بصير قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب اى اوحينا
اليك الكتاب وهو القرآن ثم اورثناه بمعنى حكمنا بتوريثه وقيل اورثناه بمعنى
نورثه الذين اصطفينا من عبادنا قال ابن عباس يريد امة محمد صلى الله عليه وسلم
لان الله اصطفاهم على سائر الامم واختصهم بكرامته بان جعلهم سيد الرسل
وخصهم بحمل افضل الكتب ثم قسمهم ورتبهم فقال تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم
مقتصد ومنهم سابق بالخيرات روى عن اسامة بن زيد قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة ذكره البغوي بغير سند وعن ابي سعيد الخدري
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذه الاية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من
عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هؤلاء
كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب
وعن عمر بن الخطاب انه قرأ هذه الاية على المنبر ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا
من عبادنا فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا
ناج وظالمنا مغفور له قال ابو قلابة احد رواته فحدثت به يحيى بن معين فجعل
يتعجب منه اخرجه البغوي بسنده وروى بسنده عن ثابت ان رجلا دخل المسجد
فقال اللهم ارحم غربتي وآنس وحشتي وسق الي جليسا صالحا فقال ابو الدرداء
لئن كنت صادقا لانا اسعد بك منك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه
الاية ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات فقال اما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب
واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحاسب في المقام حتى
يدخله الهم ثم يدخل الجنة ثم قرأ هذه الاية الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا
لغفور شكور وقال عقبة بن صهبان سألت عائشة عن قول الله عز وجل ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الاية فقالت يا بني كلهم في الجنة اما السابق
فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد له رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالجنة واما المقتصد فمن اتبع اثره من اصحابه حتى لحق به واما الظالم

فمثلي ومثلكم فجعلت نفسها معنا وقال ابن عباس السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرائي
والظالم الكافر نعمة الله غير الجاحد لها لانه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال جنات عدن
يدخلونها وقيل الظالم هم اصحاب المشأمة والمقتصد اصحاب الميمنة والسابقون هم
السابقون المقربون من الناس كلهم وقيل السابق من رجحت حسناته على سيئاته والمقتصد
من استوت حسناته وسيئاته والظالم من رجحت سيئاته على حسناته وقيل الظالم من
كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه
خير من ظاهره وقيل الظالم التالي للقرآن والمقتصد التالي له العالم به والسابق
القارئ له العالم به العامل بما فيه وقيل الظالم اصحاب الكبائر والمقتصد اصحاب
الصغائر والسابق الذي لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظالم الجاهل
والمقتصد المتعلم والسابق العالم فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت
قال جعفر الصادق بدأ بالظالمين اخبارا انه لا يتقرب اليه الا بكرمه وان الظلم لا يؤثر
في الاصطفاء ثم ثنى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا يأمن
احد مكره وكلهم في الجنة وقيل رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لان احوال
العباد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فاذا عصى الرجل دخل في حيز الظالمين
فاذا تاب دخل في جملة المقتصدين فاذا صحت توبته وكثرت عبادته ومجاهدته
دخل في عدد السابقين وقيل قدم الظالم لكثرة الظلم وغلبته ثم المقتصد قليل
بالاضافة الى الظالمين والسابق اقل من القليل فلهذا اخرهم ومعنى سابق
بالخيرات اى بالاعمال الصالحة الى الجنة او الى رحمة الله باذن الله اى بامر الله وارادته
ذلك هو الفضل الكبير يعني ايراثهم الكتاب ثم اصطفاهم ثم اخبر بثوابهم فقال تعالى
جنات عدن يدخلونها يعني الاصناف الثلاثة يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا
ولباسهم فيها حرير تقدم تفسيره وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن قال ابن عباس
حزن النار وقيل حزن الموت وقيل حزن الذنوب والسيئات وخوف رد الطاعات
وانهم لا يدرون ما يصنع بهم وقيل حزن زوال النعم وتقليب القلوب وخوف العاقبة
وقيل حزن اهوال يوم القيامة وقيل هم الخبز والمعيشة في الدنيا وقيل ذهب عن
اهل الجنة كل حزن ما كان منها لمعاش او معاد روى البغوي بسنده عن ابن عمر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في نشرهم وكأني
باهل لا اله الا الله ينفضون التراب عن رؤسهم يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان
ربنا لغفور شكور يعني غفر العظيم من الذنوب وشكر القليل من الاعمال الذي احلنا اى انزلنا
دار المقامة اى الاقامة من فضله اى لا باعمالنا لا يمسنا فيها نصب اى لا يصيبنا فيها
عناء ولا مشقة ولا يمسنا فيها لغوب اى اعياء من التعب قوله تعالى والذين كفروا لهم
نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا اى فيستريحوا مما هم فيه ولا يخفف عنهم من عذابها
اى من عذاب النار كذلك نجزي كل كفور وهم يصطرخون فيها اى يستغيثون ويصيحون
فيها يقولون ربنا اخرجنا منها اى من النار نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اى في
الدنيا من الشرك والسيئات فيقول الله تعالى توبيخا لهم اولم نعمركم فيه من تذكر
هو البلوغ وقيل ثماني عشرة سنة وقيل اربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة ويروى
ذلك عن علي وهو العمر الذي اعذر الله تعالى لابن آدم (خ) عن ابي هريرة عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال اعذر الله الى كل امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة وعنه باسناد

الثعلبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين وجاءكم النذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم بالقرآن قاله ابن عباس وقيل هو الشيب والمعنى اولم نعمركم حتى شبتم ويقال الشيب نذير الموت وفي الاثر ما من شعرة تبيض الا قالت لاختها استعدي فقد قرب الموت فذوقوا اي فذوقوا العذاب فما للظالمين من نصير اي ما لهم من مانع يمنعهم من عذابه ان الله عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور يعني انه اذا علم ذلك وهو اخفى ما يكون فقد علم غيب كل شيء في العالم قوله تعالى هو الذي جعلكم خلائف في الارض اي يخلف بعضكم بعضا وقيل جعلكم امة خلفت من قبلها من الامم ورأت ما ينبغي ان يعتبر به وقيل جعلكم خلفا في ارضه وملككم منافعها ومنافعها لتطيعوه فيها لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر اي جحد هذه النعمة وغمطها فعليه كفره اي وبال كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا اي غضبا وقيل المقت اشد البغض ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا اي في الآخرة قل ارأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله يعني الاصنام جعلتموها شركاء بزعمكم اروني ماذا خلقوا من الارض يعني اي جزء استبدوا بخلقه من الارض ام لهم شرك في السموات اي خلق في السموات والارض ام آتيناهم كتابا فهم على بينة منه اي على حجة وبرهان من ذلك بل ان يعد الظالمون بعضهم يعني الرؤساء بعضا الا غرورا يعني قولهم هؤلاء الاصنام شفعاؤنا عند الله قوله عز وجل ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا اي لكيلا تزولا فيمنعهما من الزوال والوقوع وكادتا تجدان بان تزولا لتمردا اهلها العظيم كلمة الشرك ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده اي ليس يمسكهما احد سواه انه كان حليما غفورا اي غير معاجل بالعقوبة حيث امسكهما وكادتا فلا تهما بعقوبة الكفار لولا حلمه وغفرانه واقسموا بالله جهد ايمانهم يعني كفار مكة وذلك لما بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم وقالوا لعن الله اليهود والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فاقسموا بالله لو جاءنا نذير لنكونن اهدى دينا منهم وذلك قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فانزل الله هذه الآية واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير اي رسول ليكونن اهدى من احدى الامم يعني اليهود والنصارى فلما جاءهم نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ما زادهم اي مجيئه الا نفورا اي تباعدا عن الهدى استكبارا في الارض يعني عتوا وتكبرا عن الايمان به ومكر السيء يعني عمل القبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحيق المكر السيء الا باهله اي لا يحل ولا يحيط الا باهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل الا بمن اشرك فهل ينظرون اي ينتظرون الا سنة الاولين يعني ان ينزل العذاب بهم كما نزل بمن مضى من الكفار فلن تجد لسنة الله تبديلا اي تغييرا ولن تجد لسنة الله تحويلا اي تحويل العذاب عنهم الى غيرهم اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم معناه انهم يعتبرون بمن مضى وباثارهم وعلامات هلاكهم وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه اي ليفوت عنه من شيء في السموات ولا في الارض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا اي من الجرائم ما ترك على ظهرها اي ظهر الارض من دابة اي من نسمة تدب عليها يريد بني آدم وغيرهم كما اهلك من كان في زمن نوح بالطوفان الا من كان في السفينة ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى يعني يوم القيامة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا قال ابن عباس يريد اهل طاعته واهل معصيته وقيل بصيرا بمن يستحق العقوبة وبمن يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة يس عليه السلام

وهي مكية وهي ثلاث وثمانون آية وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي اسناده شيخ مجهول وعن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا على موتاكم يس اخرجه ابو داود وغيره بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يس قال ابن عباس هو قسم وعنه ان معناه يا انسان بلغة طي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل يا سيد البشر وقيل هو اسم للقرآن والقرآن الحكيم اي ذي الحكمة لانه دليل ناطق بالحكمة وهو قسم وجوابه انك لمن المرسلين اقسم بالقرآن ان محمدا من المرسلين وهو رد على الكفار حيث قالوا لست مرسلا على صراط مستقيم وانه على صراط مستقيم وقيل معناه انك لمن المرسلين الذين هم على طريقة مستقيمة تنزيل العزيز الرحيم اي القرآن تنزيل العزيز في ملكه الرحيم بخلقه لتنذر قوما ما انذر آباؤهم يعني قريشا لم ينذر آباؤهم لان قريشا لم يأتهم نبي قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه لتنذر قوما ما انذر آباؤهم من العذاب فهم غافلون اي عن ما يراد بهم من الايمان والرشد لقد حق القول اي وجب العذاب على اكثرهم فهم لا يؤمنون فيه اشارة الى ارادة الله تعالى السابقة فيهم فهم لا يؤمنون لما سبق لهم من القدر بذلك قوله عز وجل انا جعلنا في اعناقهم اغلالا نزلت في ابي جهل وصاحبيه المخزوميين وذلك ان ابا جهل وصاحبيه المخزوميين حلف لئن راى محمدا يصلي ليرضخن رأسه بالحجر فاتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه اثبتت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده فلما رجع الى اصحابه واخبرهم بما راى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم انا اقتله بهذا الحجر فاتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فاعمى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه لو دنوت منه لاكلني فانزل الله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا قيل هذا وجه التمثيل ولم يكن هناك غل اراد منعناهم عن الايمان بموانع فجعل الاغلال مثلا لذلك وقيل حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله بموانع كالاغلال وقيل انها موانع حسية منعت كما يمنع الغل وقيل انها وصف على الحقيقة وهي ما سينزله الله بهم في النار فهي يعني الايدي الى الاذقان جمع ذقن وهو اسفل اللحيين لان الغل يجمع اليد الى العنق فهم مقمحون اي رافعو رؤسهم مع غض البصر وقيل ان الاغلال رفعت رؤسهم فهم مرفوعو الرأس برفع الاغلال لها وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا معناه منعناهم عن الايمان بموانع فهم لا يستطيعون الخروج من الكفر الى الايمان كالمضروب امامه وخلفه بالاسداد وقيل حجبناهم بالظلمة عن اذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله فاغشيناهم اي فاعميناهم فهم لا يبصرون يعني سبيل الهدى وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون يعني من يرد الله اضلاله لم ينفعه الانذار انما تنذر من اتبع الذكر يعني انما ينفع انذارك من اتبع القرآن فعمل بما فيه وخشي الرحمن بالغيب اي خافه في السر والعلن فبشره بمغفرة واجر كريم يعني الجنة قوله تعالى انا نحن نحيي الموتى اي للبعث ونكتب ما قدموا اي من الاعمال من خير وشر وآثارهم

اي ونكتب ما سنوا من سنة حسنة او سيئة م عن جرير بن عبد الله البجلي قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها بعده من غير
ان ينقص من اجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر
من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شيء وقيل يكتب خطاهم الى المسجد
عن ابي سعيد الخدري قال كانت بنو سلمة في ناحية المدينة فارادوا النقلة الى قرب
المسجد فنزلت هذه الاية انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا واثارهم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اثاركم تكتب فلم ينتقلوا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب خ عن انس قال اراد بنو سلمة ان يتحولوا الى قرب المسجد فكره رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان تعرى المدينة فقال يا بني سلمة الا تحتسبون اثاركم فاقاموا قوله تعرى يعني تخلى
فتترك عراء وهو الفضاء من الارض الخالي الذي لا يستره شيء م عن جابر قال خلت البقاع
حول المسجد فاراد بنو سلمة ان ينتقلوا قرب المسجد فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لهم بلغني انكم تريدون ان تنتقلوا قرب المسجد قالوا نعم يا رسول الله قد اردنا
ذلك فقال يا بني سلمة دياركم تكتب اثاركم فقالوا ما يسرنا انا تحولنا قوله بني سلمة اي يا
بني سلمة قوله دياركم اي الزموا دياركم ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان اعظم الناس اجرا في الصلاة ابعدهم فابعدهم ممشى والذي ينتظر
الصلاة حتى يصليها مع الامام اعظم اجرا من الذي يصلي ثم ينام قوله تعالى وكل شيء احصيناه
اي حفظناه وعددناه واثبتناه في امام مبين يعني اللوح المحفوظ قوله تعالى واضرب
لهم مثلا اي صف لهم شبها مثل حالهم من قصة اصحاب القرية يعني انطاكية اذ جاء
ها المرسلون يعني رسل عيسى عليه السلام **ذكر القصة** قال العلماء باخبار
الانبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى اهل انطاكية فلما قربا من المدينة
رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فلما سلما عليه قال الشيخ
لهما من انتما فقالا رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال
امعكما اية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ
ان لي ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا نطلع على حاله فاتى بهما الى منزله فمسحا
ابنه فقام في الوقت باذن الله صحيحا ففشى الخبر في المدينة وشفى الله على ايديهما
كثيرا من المرضى وكان لهم ملك يعبد الاصنام اسمه انطيخس وكان من ملوك الروم
فانتهى خبرهما اليه فدعى بهما وقال من انتما فقالا رسولا عيسى قال وفيم جئتما
قالا ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر فقال ولنا
اله دون الهتنا قالا نعم الذي اوجدك والهتك فقال لهما قوما حتى انظر في امركما
فتبعهما الناس واخذوهما وضربوهما وقال وهب بعث عيسى هذين الرجلين
الى انطاكية فلما وصلا الى ملكها وطال مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا
وذكرا الله فغضب الملك فامر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة فلما كذبا
وضربا بعث عيسى راس الحواريين شمعون الصفا على اثرهما لينصرهما فدخل شمعون
البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى انسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه
وانس به واكرمه ورضي عشرته فقال للملك ذات يوم بلغني ايها الملك انك حبست رجلين في السجن
وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب
بيني وبين ذلك قال فان راى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال

بقي م

لهما

لهما شمعون من ارسلكما الى ها هنا قالا الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك فقال
لهما شمعون فصفاه واوجزا فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما
ايتكما قالا ما يتمناه فامر الملك حتى جاؤا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه
كالجبهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذا بندقتين من طين فوضعاهما
في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك ان انت دعوت الهك
حتى يصنع مثل هذا كان لك الشرف ولالهك فقال له الملك ليس لي عنك سر مكتوم
ان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر وكان شمعون يدخل مع الملك
على الصنم ويصلي ويتضرع حتى ظنوا انه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان قدر الهكما
الذي تعبدانه على احياء ميت امنا به وبكما قالا الهنا قادر على كل شيء فقال الملك
ان ها هنا ميت قد مات منذ سبعة ايام ابن دهقان وانا اخرته فلا ادفنه حتى
يرجع ابوه وكان غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير فجعلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو
ربه سرا فقام الميت وقال اني ميت منذ سبعة ايام ووجدت مشركا فادخلت في سبعة
اودية من النار وانا احذركم ما انتم عليه فامنوا بالله ثم قال فتحت ابواب السماء فنظرت
فرايت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة فقال
شمعون وهذين واشار بيده الى صاحبيه فتعجب الملك من ذلك فلما علم شمعون ان قوله
قد اثر في الملك اخبره بالحال ودعاه فامن الملك وامن معه قوم وكفر اخرون وقيل
بل كفر الملك واجمع على قتل الرسل هو وقومه فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة
فجاء يسعى اليهم ويذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين فذلك قوله تعالى اذ ارسلنا اليهم
اثنين فكذبوهما قال وهب اسمهما يحيى ويونس وقال كعب صادق وصدوق فعززنا
بثالث اي قوينا برسول ثالث وهو شمعون وقيل سلوم وانما اضاف الله الارسال اليه
لان عيسى انما بعثهم بامر الله عز وجل فقالوا يعني الرسل جميعا لاهل انطاكية انا
اليكم مرسلون قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وما انزل الرحمن من شيء اي لم يرسل رسولا
ان انتم الا تكذبون اي فيما تزعمون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون اي وان كذبتمونا
وما علينا الا البلاغ المبين اي بالايات الدالة على صدقنا قالوا انا تطيرنا بكم
اي تشاءمنا بكم وذلك ان المطر حبس عنهم فقالوا اصابنا هذا بشؤمكم لئن لم تنتهوا اي
تسكتوا عنا لنرجمنكم اي لنقتلنكم وقيل بالحجارة وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم
معكم اي شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم يعني اصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس حظكم
من الخير والشر ائن ذكرتم معناه اطيرتم لئن ذكرتم ووعظتم بل انتم قوم مسرفون
اي في ضلالكم وشرككم وتكذيبكم يعني متمادون في غيكم قوله عز وجل وجاء من اقصى
المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وقيل كان قصارا قال وهب كان يعمل الحرير
وكان سقيما قد اسرع فيه الجذام وكان منزله عند اقصى باب من ابواب المدينة وكان
مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه فاذا امسى قسمه نصفين نصفا لعياله ويتصدق بنصفه
فلما بلغه ان قومه كذبوا الرسل وقصدوا قتلهم جاءهم قال يا قوم اتبعوا
المرسلين وقيل كان في غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقال لهم
اتسالون على هذا اجرا قالوا لا قال فاقبل على قومه وقال يا قوم اتبعوا المرسلين
اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون اي لا تخسرون معهم شيئا من دنياكم وتربحون صحة
دينكم فيحصل لكم خير الدنيا والاخرة فلما قال ذلك قالوا له وانت مخالف ديننا

وتابع دين هولاء الرسل ومومن بالهتهم فقال وما لي لا اعبد الذي فطرني واليه
ترجعون قيل اضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لان الفطرة اثر النعمة
وكان عليه اظهر والرجوع فيه معنى الزجر وكان بهم اليق وله قيل معناه اي شي
لي اذا لم اعبد خالقي واليه تردون عند البعث فيجزيكم باعمالكم ءاتخذ من دونه
الهة اي لا اتخذ من دونه الهة ان يردن الرحمن بضر اي بسوء ومكروه لا تغن
عني اي لا تدفع عني شفاعتهم شيئا اي لا شفاعة لها فتغني عني ولا ينقذون اي
من ذلك المكروه وقيل من العذاب اني اذا لفي ضلال مبين اي خطا ظاهر اني امنت بربكم
فاسمعون اي فاشهدوا لي بذلك قيل هو خطاب للرسل وقيل لقومه فلما قال
ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه قال ابن مسعود وطئوه بارجلهم
حتى خرج قصبه من دبره وقيل كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي
حتى قتلوه وقبره بانطاكية فلما لقي الله قيل ادخل الجنة فلما افضى الى الجنة
ونعيمها قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين تمنى ان يعلم
قومه ان الله غفر له واكرمه ليرغبوا في دين الرسل فلما قتل حبيب غضب الله
له فعجل لهم العقوبة فامر جبريل عليه السلام فصاح صيحة واحدة فماتوا عن اخرهم
قوله تعالى وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء يعني الملائكة
وما كنا منزلين اي وما كنا نفعل هذا بل الامر في اهلاكهم كان ايسر تظنون ثم
بين عقوبتهم فقال تعالى ان كانت الا صيحة واحدة قال المفسرون اخذ جبريل بعضادتي
باب المدينة وصاح بهم صيحة فاذا هم خامدون اي ميتون يا حسرة على العباد يعني
يا لها حسرة وندامة وكابة على العباد اذ الحسرة ان يركب الانسان من شدة الندم
ما لا نهاية له حتى يبقى قلبه حسيرا قيل يتحسرون على انفسهم لما عاينوا العذاب حيث
لم يؤمنوا بالرسل الثلاثة فتمنوا الايمان حين لم ينفعهم وقيل تحسر عليهم الملائكة
اذا لم يؤمنوا بالرسل وقيل يقول الله يا حسرة على العباد يوم القيامة حين لم
يؤمنوا بالرسل ثم بين سبب تلك الحسرة فقال تعالى ما ياتيهم من رسول الا كانوا
به يستهزءون قوله تعالى الم يروا اي الم يخبروا والخطاب لاهل مكة كم اهلكنا قبلهم
من القرون اي من الامم الخالية والقرن اهل كل عصر سموا بذلك لاقترانهم في
الوجود انهم اليهم لا يرجعون اي لا يعودون الى الدنيا فيعتبرون وان كل لما جميع
لدينا محضرون يعني ان جميع الامم يحضرون يوم القيامة واية لهم يعني تدلهم على
كمال قدرتنا على احياء الموتى الارض الميتة احييناها اي بالمطر واخرجنا منها حبا
يعني الحنطة والشعير وما اشبههما فمنه ياكلون اي من الحب وجعلنا فيها اي
الارض جنات اي بساتين من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من
ثمره اي من الثمر الحاصل بالماء وما عملته ايديهم اي من الزرع والغرس الذي تعبوا فيه
وقرئ عملت بغير هاء وقيل ما للنفي والمعنى ولم تعمله ايديهم وليس من صنعهم
بل وجدوها معمولة وقيل اراد العيون والانهار التي لم تعملها يد خلق مثل النيل
والفرات ودجلة افلا يشكرون اي نعمة الله سبحان الذي خلق الازواج كلها
يعني الاصناف كلها مما تنبت الارض اي من الثمار والحبوب ومن انفسهم اي الذكر
والانثى ومما لا يعلمون يعني مما خلق الله من الاشياء في البر والبحر من الدواب
قوله عز وجل واية لهم يعني تدلهم على قدرتنا الليل نسلخ اي ننزع منه ونكشط
منه

منه النهار فاذا هم مظلمون فيجي بالظلمة وذلك ان الاصل هي الظلمة والنهار داخل
عليها فاذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة والشمس تجري لمستقر لها
اي الى مستقر لها قيل الى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة وقيل تسير في منازلها
حتى تنتهي الى مستقرها الذي لا تجاوزه ثم ترجع الى اول منازلها وهو انها تسير حتى تنتهي
الى ابعد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف
ونهاية هبوطها في الشتاء وعن ابن عباس والشمس تجري لا مستقر لها اي لا قرار لها ولا وقوف
فهي جارية ابدا الى يوم القيامة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه ابو ذر
قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله والشمس تجري لمستقر لها قال مستقرها
تحت العرش وفي رواية قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ذر حين غربت الشمس اتدري
اين تذهب الشمس قلت الله ورسوله اعلم قال فانها تذهب حتى تسجد تحت
العرش فتستاذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستاذن فلا يؤذن
لها فيقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري
لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم اخرجاه في الصحيحين قال الشيخ محي الدين النواوي
اختلف المفسرون فيه فقال جماعة بظاهر الحديث قال الواحدي فعلى هذا القول اذا
غربت الشمس كل يوم استقرت تحت العرش الى ان تطلع وقيل تجري الى وقت لها واجل
لا تتعداه وعلى هذا مستقرها انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا واما سجود الشمس
فهو تمييز وادراك يخلقه الله تعالى فيها والله اعلم ذلك اي الذي ذكر من جري
الشمس على ذلك التقدير والحساب الذي يكل النظر عن استخراجه وتتحير الافهام
عن استنباطه تقدير العزيز اي الغالب بقدرته على كل مقدور العليم اي المحيط
بكل شي قوله تعالى والقمر قدرناه منازل اي قدرنا له منازل وهي ثمانية وعشرون
منزلا ينزل كل ليلة في منزل منها لا يتعداه يسير من الليلة المستهل الى الثمانية
والعشرين ثم يستتر ليلتين او ليلة اذا نقص فاذا كان في اخر منازله رق وتقوس
فذلك قوله تعالى حتى عاد كالعرجون القديم وهو العود الذي عليه شماريخ العذق
المنبتة من النخلة والقديم الذي اتى عليه الحول فاذا قدم عتق ويبس وتقوس
واصفر فشبه القمر به عند انتهاء منازله لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر اي لا يدخل النهار
على الليل قبل انقضائه ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه وهو قوله تعالى ولا
سابق النهار اي هما يتعاقبان بحساب معلوم اي لا يجي احدهما قبل وقته وقيل لا يدخل
احدهما في سلطان الاخر فلا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء فاذا
اجتمعا وادرك احدهما صاحبه قامت القيامة وقيل معناه ان الشمس لا تجتمع مع القمر
في فلك واحد ولا يتصل ليل بليل ولا يكون بينهما نهار فاصل وكل في فلك يسبحون
اي والشمس والقمر في فلك يسيرون قوله عز وجل واية لهم انا حملنا ذريتهم
يعني لاولادهم في الفلك المشحون اي المملوء وخلقنا لهم من مثله اي مثل الفلك ما
يركبون اي من الابل وهي سفائن البر وقيل اراد بالفلك المشحون سفينة نوح ومعنى
الاية ان الله حمل اباءهم الاقدمين في اصلاب الذين كانوا في السفينة فكانوا ذريته
ومنه قول ابن العباس بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق
وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وفي التعجب من قدرته فعلى
هذا القول يكون قوله من مثله اي من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق

الليل

في الانهار الكبار والصغار وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم اي مغيث لهم ولا هم ينقذون
اي ينجون من الغرق قال ابن عباس ولا احد ينقذهم من عذابي الا رحمة منا ومتاعا الى حين
يعني الا ان يرحمهم الله ويمتعهم الى انقضاء اجالهم واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما
خلفكم قال ابن عباس ما بين ايديكم يعني الاخرة ومن خلفكم فاعملوا لها وما خلفكم يعني الدنيا
فاحذروها ولا تغتروا بها وقيل ما بين ايديكم يعني وقائع الله بمن كان قبلكم من الامم
وما خلفكم يعني الاخرة لعلكم ترحمون اي لتكونوا على رجاء الرحمة وجواب اذا محذوف تقديره
واذا قيل لهم هذا اعرضوا ويدل على الحذف قوله تعالى وما تاتيهم من اية من ايات ربهم اي
دلالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم الا كانوا عنها معرضين قوله عز وجل واذا قيل لهم
انفقوا مما رزقكم الله اي مما اعطاكم الله نزلت في كفار قريش وذلك ان المؤمنين قالوا لكفار
مكة انفقوا على المساكين مما زعمتم انه لله من اموالكم وهو ما جعلوه لله من حروثهم وانعامهم
قال الذين كفروا للذين امنوا انطعم اي انرزق من لو يشاء الله اطعمه اي رزقه وقيل كان
العاص بن وائل السهمي اذا سأله المسكين قال له اذهب الى ربك فهو اولى مني بك ويقول
قد منعه الله اطعمه انا ومعنى الاية انهم قالوا لو اراد الله ان يرزقهم لرزقهم فنحن نوافق
مشية الله تعالى فيهم فلا نطعم من لم يطعمه الله وهذا مما يتمسك به البخلا يقولون
لا نعطي من حرمه الله وهذا الذي يزعمون باطل لان الله اغنى بعض الخلق وافقر بعضهم
ابتلاء فمنع الدنيا من الفقير لا بخلا واعطى الغني لا استحقاقا وامر الغني بالانفاق لا حاجة
اليه الى ماله ولكن ليبلوا الغني بالفقير فيما فرض له من مال الغني ولا اعتراض لاحد على مشية
الله تعالى وحكمته في خلقه والمؤمن يوافق امر الله تعالى وقيل قالوا هذا على سبيل الاستهزا
ان انتم الا في ضلال مبين قيل هو من قول الكفار للمؤمنين معناه ما انتم الا في خطا بين
باتباعكم محمدا وترككم ما نحن عليه وقيل هو من قول الله تعالى للكفار لما ردوا من جواب
المؤمنين ويقولون متى هذا الوعد يعني يوم القيامة والبعث ان كنتم صادقين قال
الله ما ينظرون اي ينتظرون الا صيحة واحدة قال ابن عباس يريد النفخة الاولى تاخذهم
وهم يخصمون اي في امر الدنيا من البيع والشرا ويتكلمون في الاسواق والمجالس في متصرفاتهم
فتاتيهم الساعة اغفل ما كانوا عنها وقد صح من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه
ولتقومن وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه
فلا يسقي فيها ولتقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها اخرجه البخاري
وهو طرف من حديث ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه احد الا اصغى ليتا قال واول من يسمعه رجل
يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس اللقحة بفتح اللام وكسرها الناقة القريبة
العهد من النتاج قوله يليط حوضه يعني يطينه ويصلحه وكذلك يلوط حوض ابله واصله
من اللصوق وقوله يصغي ليتا الليت صفحة العنق واصغى يعني امال عنقه يسمع قوله
تعالى فلا يستطيعون توصية اي لا يستطيعون على الايصا اي اعجلوا عن الوصية
فماتوا ولا الى اهلهم يرجعون يعني لا يقدرون على الرجوع الى اهلهم لان الساعة لا تمهلهم
لشي ونفخ في الصور هذه النفخة الثانية وهي نفخة البعث وبين النفختين اربعون
سنة ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون
قيل اربعون يوما قال ابو هريرة ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون

سنة

سنة قال ابيت ثم ينزل من السما ما فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شي الا يبلى
الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة فاذا هم من الاجداث
اي القبور الى ربهم ينسلون اي يخرجون منها احيا قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا
قال ابن عباس انما يقولون هذا لان الله يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون
فاذا بعثوا في النفخة الثانية وعاينوا اهوال القيامة دعوا بالويل وقيل اذا عاين الكفار
جهنم وانواع عذابها وعذاب القبر في جنبها كالنوم قالوا من بعثنا من مرقدنا
فيقول المؤمنون هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة
يعني النفخة الاخرة فاذا هم جميع لدينا محضرون اي للحساب فاليوم لا تظلم نفس
شيا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون قوله تعالى ان اصحاب الجنة في شغل قال ابن عباس
في افتضاض الابكار وقيل في زيارة بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله عز وجل
وقيل في السماع وقيل بما في الجنة من النعيم عما فيه اهل النار من العذاب الاليم فاكهون
قال ابن عباس فرحون وقيل ناعمون وقيل معجبون بما هم فيه هم وازواجهم في ظلال
يعني اكنان القصور على الارائك يعني السرر في الحجال متكئون اي ذوي اتكا تحت
الظلال لهم فيها فاكهة يعني في الجنة ولهم ما يدعون يعني ما يتمنون ويشتهون
والمعنى ان كل ما يدعون اهل الجنة ياتيهم سلام قولا من رب رحيم يعني يسلم الله عليهم
روى البغوي باسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب
عز وجل قد اشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك قوله
عز وجل سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى شي
من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في
ديارهم وقيل تسلم عليهم الملائكة من ربهم وقيل تدخل الملائكة على اهل الجنة
من كل باب يقولون سلام عليكم من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة
يقول اسلموا السلامة الابدية وامتازوا اليوم ايها المجرمون اي اعتزلوا
وانفردوا وتميزوا اليوم من المؤمنين الصالحين وكونوا على حدة وقيل ان لكل
في النار بيتا فيدخل ذلك البيت ويردم بابه فيكون فيه ابد الابد لا يرى ولا يرى
فعلى هذا القول يمتاز بعضهم من بعض الم اعهد اليكم يا بني ادم يعني الم امركم
واوصيكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان يعني لا تطيعوه فيما يوسوس لكم
ويزين لكم من معصية الله تعالى انه لكم عدو مبين اي ظاهر العداوة وان اعبدوني
اي اطيعوني ووحدوني هذا صراط مستقيم اي الا صراطا فوقه ولقد
اضل منكم جبلا كثيرا اي خلقا كثيرا افلم تكونوا تعقلون يعني ما اتاكم من هلاك
الامم الخالية بطاعة ابليس ويقال لهم لما دنوا من النار هذه جهنم التي كنتم توعدون
يعني بها في الدنيا اصلوها اي ادخلوها اليوم بما كنتم تكفرون قوله عز وجل
اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون يعني
الايدي ان الكفار ينكرون كفرهم وتكذيبهم الرسل ويقولون والله ربنا ما كنا
مشركين فيختم على افواههم وتنطق جوارحهم ليعلموا ان اعضاءهم التي كانت عونا
لهم على المعاصي صارت شاهدة عليهم وقد لذلك اقرار الجوارح ابلغ من اقرار اللسان
فان قلت ما الحكمة في تسمية نطق اليد كلاما ونطق الرجل شهادة قلت ان اليد

مباشرة والرجل بمحاضرة وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى وقول الفاعل إقرار على نفسه بما فعل م عن أبي هريرة قال سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحاب قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية الشمس عند الظهيرة ليست في سحاب قالوا لا قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤيتهما قال فيلقى العبد ربه فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول أظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول اليوم أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول أظننت أنك ملاقي فيقول لا فيقول إني أنساك كما نسيتني ثم يلقى الثالث فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع فيقول بلى يا رب فيقول أظننت أنك ملاقي فيقول أي رب آمنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول ها هنا إذا قال ثم يقال الآن نبعث شاهدا عليك ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وهو الذي سخط الله عليه قوله أي فل أي يا فلان قوله وأسودك أي أجعلك سيدا قوله وأذرك ترأس أي تتقدم على القوم بأن تصير رئيسهم وتربع أي تأخذ المرباع وهو ما يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنائم أي ربعها وروي تربع بتاءين أي تتنعم وتنبسط من الربع وذلك ليعذر نفسه أو ليقوم الحجة عليه بشهادة أعضائه عليه م عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب ألم تجرني من الظلم قال يقول بلى فيقول فإني لا أجيز على نفسي شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لك وسحقا فعنكن كنت أناضل قوله لا أجيز أي لا أقبل شاهدا على قوله بعدا لك وسحقا أي هلاكا قوله فعنكن كنت أناضل أي أجادل وأخاصم قوله تعالى ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾ أي أذهبنا أعينهم الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق والمعنى ولو نشاء لأعمينا أعينهم الظاهرة كما أعمينا قلوبهم ﴿فاستبقوا الصراط﴾ أي فبادروا إلى الطريق ﴿فأنى يبصرون﴾ أي كيف يبصرون وقد أعمينا أعينهم والمعنى ولو نشاء لأضللنا هم عن الهدى وتركناهم عميا يترددون فكيف يبصرون الطريق حينئذ وقال ابن عباس معنى لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم فأعميناهم عن غيهم وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى فأبصروا رشدهم فأنى يبصرون ولم أفعل ذلك بهم ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم﴾ يعني ولو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير في منازلهم وقيل جعلناهم حجارة لا أرواح فيها ﴿فما استطاعوا مضيا﴾ أي لا يقدرون أن يبرحوا ﴿ولا يرجعون﴾ أي إلى ما كانوا عليه وقيل لا يقدرون على الذهاب ولا الرجوع ﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق﴾ أي نرده إلى أرذل العمر كشبه الصبي في أول الخلق وقيل نضعف جوارحهم بعد قوتها ونقصها

يا رسول الله صح

انا اضل

بعد زيادتها وذلك أن الله تعالى خلق الإنسان في ضعف جسده وخلو من عقل وعلم في حال صغره ثم جعله يتزايد وينتقل من حال إلى حال إلى أن يبلغ أشده واستكمل قوته وعقل ويعلم ما له وعليه فإذا انتهى إلى الغاية واستكمل النهاية رجع ينتقص حتى يرد إلى ضعفه الأول فذلك منكسه في الخلق ﴿أفلا يعقلون﴾ أي فيعتبروا ويعلموا أن الذي قدر على تصريف أحوال الإنسان قادر على البعث بعد الموت قوله عز وجل ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾ قيل إن الكفار يعني كفار مكة قالوا إن محمدا شاعر وما يقوله شعر فأنزل الله تكذيبا لهم ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾ أي ما يتسهل له ذلك ولا يصح منه بحيث لو أراد نظم شعر لم يتأت له كما جعلناه أميا لا يكتب ولا يحسبه لتكون الحجة أثبت والشبهة أدحض قال العلماء ما كان يتزن له بيت شعر وإن تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسرا كما روي عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت كفى بالإسلام للمرء والشيب ناهيا فقال أبو بكر يا نبي الله إنما قال الشاعر كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا أشهد أنك رسول الله هذا الحديث عن عائشة وقيل لها هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان يتمثل بشعر ابن رواحة ويقول ويأتيك بالأخبار من لم تزود أخرجه الترمذي وفي رواية لغيره أن عائشة سئلت هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر قالت كان الشعر أبغض الحديث إليه قالت ولم يتمثل إلا ببيت أخي بني قيس طرفة ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالأخبار فقال أبو بكر ليس هكذا يا رسول الله فقال إني لست بشاعر ولا ينبغي لي فإن قلت قد صح من حديث جندب بن عبد الله قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أصابه حجر فعثر فدميت إصبعه فقال هل أنت إلا إصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت أخرجاه في الصحيحين ولهما من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب قلت ما هذا إلا من كلامه الذي يرمي به من غير صنعة فيه ولا تكلف إلا أنه اتفق كذلك من غير قصد إليه وإن جاء موزونا كما يتفق من كثير من الناس في خطبهم ورسائلهم ومحاوراتهم كلاما موزونا لا يدخل في وزن الشعر ومع ذلك أن الخليل لم يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى أن يكون القرآن من جنس الشعر قال تعالى ﴿إن هو إلا ذكر﴾ يعني ما هو إلا ذكر من الله تعالى يوعظ به الإنس والجن ليس بشعر لأنه ليس على أساليب الشعر ولا يدخل في بحوره ﴿وقرآن مبين﴾ أي أنه كتاب سماوي يقرأ في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته المثوبة والدرجات وفيه الحدود والأحكام وبيان الحلال والحرام فكم بينه وبين الشعر الذي هو من نزغات الشياطين وأقاويل الشعراء الكاذبين ﴿لينذر﴾ أي يا محمد وقرئ بالتاء أي القرآن ﴿من كان حيا﴾ يعني مؤمنا حي القلب لأن الكافر كالميت الذي لا يتدبر ولا يتفكر ﴿ويحق القول﴾ أي يجب حجة العذاب ﴿على الكافرين﴾ قوله عز وجل ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا﴾ أي تولينا خلقه بإبداعنا من غير إعانة أحد في إنشائه كقول القائل عملت هذا بيدي إذا انفرد به ولم يشاركه فيه أحد وقيل عملناه بقوتنا وقدرتنا وإنما قال ذلك لبدائع الفطرة التي لا يقدر عليها إلا هو ﴿أنعاما﴾ إنما خص الأنعام بالذكر وإن كانت الأشياء كلها من خلق الله وإيجاده لأن النعم

اكثر اموال العرب والنفع بها فهم لها مالكون اي خلقناها لاجلهم فملكناهم اياها يتصرفون فيها تصرف الملاك وقيل معناه فهم لها ضابطون قاهرون ومنه قول بعضهم اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا اي لا اضبط راس البعير والمعنى لم نخلق الانعام وحشية نافرة من بني ادم لا يقدرون على ضبطها بل خلقناها مذللة مسخرة لهم وهو قوله تعالى وذللناها لهم فمنها ركوبهم اي الابل ومنها ياكلون اي الغنم ولهم فيها منافع ومشارب اي من اصوافها واوبارها واشعارها وجلودها ونسلها ومشارب من البانها افلا يشكرون اي رب هذه النعم واتخذوا من دون الله الهة يعني الاصنام لعلهم ينصرون اي لتمنعهم من عذاب الله ولا يكون ذلك قط لا يستطيعون نصرهم قال ابن عباس لا تقدر على نصرهم ومنعهم من العذاب وهم لهم جند محضرون اي الكفار جند الاصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق اليهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقيل هذا في الاخرة يؤتى بكل معبود من دون الله ومعه اتباعه الذين عبدوه في الدنيا كانهم جند محضرون في النار فلا يحزنك قولهم يعني كفار مكة في تكذيبك انا نعلم ما يسرون اي في ضمائرهم من التكذيب وما يعلنون اي من عبادة الاصنام وقيل ما يعلنون بالسنتهم من الاذى وقوله تعالى اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة اي من نطفة قذرة خسيسة فاذا هو خصيم مبين اي جدل بالباطل بين الخصومة والمعنى العجب من جهل هذا المخاصم مع مهانة اصله لانه يتصدى لمخاصمة الجبار ويبرز لمجادلته في انكاره البعث فكيف لا يتفكر في بدو خلقه وانه من نطفة ويدع الخصومة نزلت في ابي بن خلف الجمحي خاصم النبي صلى الله عليه وسلم في انكار البعث واتاه بعظم قد رم وبلي ففتته بيده وقال اترى يحيي الله هذا بعد ما رم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك النار فانزل الله هذه الايات وضرب لنا مثلا ونسي خلقه يعني بدو امره قال من يحيي العظام وهي رميم اي بالية والمعنى وضرب لنا مثلا في انكار البعث بالعظم البالي حين فتته بيده فتعجب ممن يقول ان الله يحييه ونسي اول خلقه وانه مخلوق من نطفة قل يحييها الذي انشاها اول مرة وابتدا خلقها وهو بكل خلق اي من الابتداء والاعادة عليم اي يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المبتدا والمعاد الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا قال ابن عباس هما شجرتان يقال لاحدهما المرخ بالراء والخاء المعجمة والاخرى العفار بالعين المهملة فمن اراد النار قطع منهما غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار باذن الله تعالى تقول العرب في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اي استكثر وذلك ان هاتين الشجرتين من اكثر الشجر نارا وقال الحكماء في كل شجر نار الا العناب فاذا انتم منه توقدون اي تقدحون وتوقدون النار من ذلك الشجر ثم ذكر ما هو اعظم من خلق الانسان فقال عز وجل اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى اي هو قادر على ذلك وهو الخلاق العليم يعني يخلق خلقا بعد خلق العليم اي بجميع ما خلق انما امره اذا اراد شيئا اي احداث شيء وتكوينه ان يقول له كن اي تكون من غير توقف فيكون اي فيحدث ويوجد لا محالة فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء اي هو مالك كل شيء والمتصرف فيه واليه ترجعون اي تردون بعد الموت والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير

تفسير سورة الصافات

وهي مكية وهي مائة واثنان وثمانون اية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة الاف حرف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والصافات صفا قال ابن عباس هم الملائكة يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة عن جابر ابن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم قال يتمون الصفوف المقدمة ويتراصون في الصف لفظ ابي داود وقيل هم الملائكة تصف اجنحتها في الهواء واقفة حتى يامرها الله بما يريد وقيل المراد بالصافات الطير تصف اجنحتها في الهواء فالزاجرات زجرا يعني الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقيل هي زواجر القران تنهى وتزجر عن القبيح فالتاليات ذكرا يعني الملائكة يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم قراء القران وهذا كله قيل قسم اقسم الله بهذه الاشياء وقيل فيه اضمار تقديره ورب الصافات والزاجرات والتاليات وجواب القسم قوله تعالى ان الهكم لواحد وذلك ان كفار مكة قالوا اجعل الالهة الها واحدا فاقسم الله بهذه الاشياء للتنبيه على شرفها انه واحد [illegible] والرد على عبدة الاصنام في قولهم ثم وصف نفسه فقال تعالى رب السموات والارض وما بينهما قيل اراد والمغارب واكتفى باحدهما قال السدي المشارق ثلثمائة وستون مشرقا وكذلك المغارب فان قلت قد قال في موضع اخر رب المشرقين ورب المغربين وقال رب المشارق والمغارب فكيف وجه الجمع بين الايات قلت اراد بالمشرق والمغرب الشتاء ومغرب الصيف ومغرب الشتاء الجهة التي تطلع فيها الشمس وتغرب واراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغرب الصيف ومغرب الشتاء وبالمشارق والمغارب ما تقدم من قول السدي وقيل كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب وقيل اراد مشارق الكواكب قوله تعالى انا زينا السماء الدنيا يعني التي تلي الارض وهي ادنى السموات الى الارض بزينة الكواكب قال ابن عباس بضوء الكواكب في السماء لكانت منذ بدء الظلمة عند غروب الشمس وقيل زينتها اشكالها المتناسبة والمختلفة في الشكل كشكل الجوزاء وبنات نعش وغيرها وقيل الانسان اذا نظر في الليلة المظلمة الى السماء وراى هذه الكواكب الزواهر مشرقة متلالئة على سطح ازرق فهو غاية الزينة وحفظا من كل شيطان مارد اي وحفظناها من كل شيطان متمرد عات يرمون بالشهب لا يسمعون الى الملا الاعلى يعني الى الملائكة والكتبة لانهم سكان السماء وذلك ان الشياطين يصعدون الى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة فيخبرون به اولياءهم الانس ويوهمون بذلك انهم يعلمون الغيب فمنعهم الله من ذلك بالشهب وقوله ويقذفون اي يرمون بها من كل جانب اي من افاق السماء دحورا اي يبعدونهم عن مجالس الملائكة ولهم عذاب واصب اي دائم يخرجون ويختلفون الا من خطف الخطفة اي اختلس الكلمة من كلام الملائكة فاتبعه اي لحقه شهاب ثاقب اي كوكب مضيء قوي لا يخطئه بل يقتله ويحرقه او يخبله وقيل سمي النجم الذي يرمى به الشياطين ثاقبا لانه يثقبهم فان قلت كيف يمكن ان تذهب الشياطين الى حيث يعلمون ان الشهب تحرقهم ولا يصلون الى مقصودهم ثم يعودون الى مثل ذلك قلت

انما يعودون الى استراق السمع مع علمهم انهم لا يصلون اليه طمعا في السلامة ورجا نيل المقصود
كراكب البحر يغلب على ظنه حصول السلامة وهو قوله عز وجل فاستفتهم يعني سل اهل مكة
اهم اشد خلقا ام من خلقنا يعني من السموات والارض والجبال وهو استفهام تقرير اي
هذه الاشيا اشد خلقا وقيل ام من خلق يعني من الامم الخالية والمعنى ان هولا ليسوا
باحكم خلقا من الامم وقد اهلكناهم بذنوبهم فما الذي يؤمن هولا من العذاب ثم ذكر
مما خلقوا فقال تعالى انا خلقناهم من طين لازب يعني ادم من طين جيد حر لاصق
لزج يعلق باليد وقيل من طين منتن بل عجبت قرئ بالضم على اسناد التعجب من الناس
محمول على انكار الشي وتعظيمه والتعجب من الله محمول على تعظيم تلك الحالة
فان كانت قبيحة فيترتب عليها العقاب وان كانت حسنة فيترتب عليها الثواب
وقيل قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضى كما
جا في الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفي حديث اخر عجب ربكم من الكم وقنوطكم
وسرعة اجابته اياكم قوله من الكم الال اشد القنوط وقيل هو رفع الصوت بالبكا
وسيل الجنيد عن هذه الاية فقال ان الله لا يعجب من شي ولكن وافق رسوله
ولما عجب رسوله قال وان تعجب فعجب قولهم اي هو كما تقوله وقرئ بفتح التا
على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي عجبت من تكذيبهم اياك وهم يسخرون
من تعجبك وقيل عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من هذا القران حين انزل وضلال
بني ادم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن ان كل من يسمع القران يؤمن به
فلما سمع المشركون القران سخروا منه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فقال الله تعالى بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون اي واذا
وعظوا لا يتعظون واذا راوا اية قال ابن عباس يعني انشقاق القمر يستسخرون اي يسخرون
وقيل يدعو بعضهم بعضا الى ان يسخر وقالوا ان هذا الا سحر مبين اي بين ائذا متنا
وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون او اباؤنا الاولون قل نعم وانتم داخرون اي
صاغرون فانما هي زجرة واحدة اي صيحة واحدة وهي نفخة البعث فاذا هم ينظرون
يعني احيا وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين يوم الحساب والجزا هذا يوم الفصل اي القضا
وقيل بين المحسن والمسي الذي كنتم به تكذبون اي في الدنيا احشروا اي اجمعوا الذين
ظلموا اي اشركوا وقيل هو عام في كل ظالم وازواجهم اي اشباههم وامثالهم فكل
طايفة مع مثلها فاهل الخمر مع اهل الخمر واهل الزنا مع اهل الزنا وقيل وازواجهم اي قرناهم
من الشياطين يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقيل ازواجهم المشركات وما كانوا
يعبدون من دون الله اي في الدنيا يعني الاصنام والطواغيت وقيل ابليس وجنوده
فاهدوهم الى صراط الجحيم قال ابن عباس دلوهم الى طريق النار وقفوهم اي احبسوهم
انهم مسئولون لما سيقوا الى النار حبسوا عند الصراط للسؤال قال ابن عباس عن جميع
اقوالهم وافعالهم وروي عنه عن لا اله الا الله وروي عن ابي برزة الاسلمي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسال عن
اربع فيما عن عمره فيما افناه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من اين اكتسبه وفيما
انفقه وعن جسمه فيما ابلاه وفي رواية عن شبابه فيما ابلاه اخرجه الترمذي وله
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من داع دعا الى شي الا كان موقوفا يوم

القيمة لازما له لا يفارقه وان دعا رجل رجلا ثم قرا وقفوهم انهم مسئولون ما لكم لا تناصرون
اي تقول لهم خزنة جهنم توبيخا لهم ما لكم لا تناصرون اي ينصر بعضكم بعضا وهذا جواب
ابي جهل حيث قال يوم بدر نحن جميع منتصر قال الله تعالى بل هم اليوم مستسلمون قال ابن عباس
خاضعون وقيل منقادون والمعنى هم اليوم اذلا منقادون لا حيلة لهم واقبل بعضهم على بعض
يعني الرؤسا والاتباع يتسالون اي يتخاصمون قالوا يعني الرؤسا للاتباع انكم كنتم تاتوننا
عن اليمين اي من قبل الدين فتضلوننا وتروننا ان الدين ما تضلوننا به وقيل كان الرؤسا
يحلفون لهم ان الدين الذي يدعونهم اليه هو الحق والمعنى انكم كنتم تحلفون لنا فوثقنا بايمانكم
وقيل عن اليمين اي عن القوة والقدرة والقول الاول اصح قالوا يعني الرؤسا للاتباع
بل لم تكونوا مؤمنين اي لم تكونوا على حق حتى نضلكم عنه بل كنتم على الكفر وما كان لنا
عليكم من سلطان اي من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا بل كنتم قوما طاغين اي ضالين
فحق علينا اي وجب علينا جميعا قول ربنا يعني كلمة العذاب وهو قوله تعالى لاملان جهنم
من الجنة والناس اجمعين انا لذائقون يعني ان الضال والمضل في النار جميعا فاغويناكم
اي فاضللناكم عن الهدى ودعوناكم الى ما كنا عليه انا كنا غاوين اي ضالين قال الله
تعالى فانهم يومئذ في العذاب مشتركون يعني الرؤسا والاتباع انا كذلك نفعل بالمجرمين
قال ابن عباس الذين جعلوا لله شركا ثم بين تعالى انهم انما وقعوا في ذلك البلا باستكبارهم
عن التوحيد فقال تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون اي يتكبرون
عن كلمة التوحيد ويمتنعون منها ويقولون ائنا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون يعنون محمد
صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ردا عليهم بل جا بالحق وصدق المرسلين يعني انه
اتى بما اتى به المرسلون قبله من الدين والتوحيد ونفي الشرك والتكذيب انكم لذائقوا
العذاب الاليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون اي في الدنيا من الشرك والتكذيب الا
اي لكن استثنى منقطع عباد الله المخلصين اي الموحدين اولئك لهم رزق معلوم
يعني بكرة وعشيا وقيل حين يشتهون يؤتون به وقيل انه معلوم الصفة من طيب طعم
ولذة ورايحة وحسن منظر ثم وصف ذلك الرزق فقال تعالى فواكه جمع فاكهة
وهي الثمار كلها رطبها ويابسها وكلها طعام يوكل للتلذذ لا للقوت وقيل ان ارزاق
اهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة بالاقوات لان اجسادهم
خلقت للابد فكل ما ياكلونه على سبيل التلذذ ثم اشار الى ذلك بما صاحبه من الاكرام
والتعظيم فقال وهم مكرمون اي بثواب الله ثم وصف مساكنهم فقال تعالى
في جنات النعيم على سرر متقابلين يعني لا يرى بعضهم قفا بعض ثم وصف شرابهم
فقال تعالى يطاف عليهم بكاس من معين كل انا فيه شراب فهو كاس واذا لم يكن فيه
شراب فهو انا وقد تسمى الخمر نفسها كاسا قال الشاعر وكاس شربت على لذة ومعين
اي من خمر جارية في الانهار تراها العيون بيضا يعني ان الخمر اشد بياضا من
اللبن لذة اي لذيذة للشاربين لا فيها غول قال ابن عباس يعني ليس فيها صداع وقيل
لا اثم فيها ولا وجع البطن ولا صداع وقيل الغول فساد يلحق في خفا وخمر الدنيا
يحصل منها انواع من الفساد منها السكر وذهاب العقل ووجع البطن والصداع
الراس والقي والبول والخمار والعربدة وغير ذلك ولا يوجد شي من ذلك في خمر
الجنة ولا هم عنها ينزفون اي لا تغلبهم على عقولهم ولا يسكرون وقيل معناه لا
ينفد شرابهم ثم وصف ازواجهم فقال وعندهم قاصرات الطرف اي حابسات الاعين

غاضات العيون فتضرب اعينهم على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم عين اى حسان الاعين
عظامها كانهن بيض مكنون اى مصونون اى مستور شبههن ببيض النعام لانها تكنه بالريش
من الريح والغبار فيكون لونها ابيض في صفرة ويقال هذا من احسن الوان النسا وهو ان
تكون المراة بيضا مشربة صفرة والعرب تشبه النسا ببيض النعام وتسميهن بيضات
الخدور وقوله عز وجل فاقبل بعضهم على بعض يعني اهل الجنة في الجنة يتسالون
اى يسئل بعضهم بعضا عن حاله في الدنيا قال قايل منهم اى من اهل الجنة اني كان
لي قرين اى في الدنيا ينكر البعث قيل كان قرينه شيطانا وقيل كان من الانس قيل
كانا اخوين وقيل كانا شريكين احدهما كافر اسمه فطروس والاخر مومن اسمه
يهوذا وهما اللذان قص الله خبرهما في سورة الكهف في قوله واضرب لهم مثلا رجلين
يقول ائنك لمن المصدقين اى بالبعث ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون
اى مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام انكارى قال الله تعالى لاهل الجنة هل انتم
مطلعون اى الى النار وقيل يقول المومن لاخوانه من اهل الجنة قيل انتم مطلعون اى
لننظر كيف منزلة اخي في النار فيقولون اهل الجنة انت اعرف به منا فاطلع اى المومن
قال ابن عباس ان في الجنة كوى ينظر اهلها الى النار فراه في سوا الجحيم اى فراى
قرينه في وسط النار وسمي وسط التي سوا لاستوا الجوانب منه قال تالله ان كدت لتردين
اى والله لقد كدت ان تهلكني وقيل تغويني ومن اغوى انسانا فقد ارداه واهلكه
ولولا نعمة ربي اى رحمة ربي وانعامه علي بالاسلام لكنت من المحضرين اى معك في
النار افما نحن بميتين الا موتتنا الاولى اى في الدنيا وما نحن بمعذبين قيل يقول هذا
اهل الجنة للملايكة حين يذبح الموت فتقول الملايكة لهم لا فيقولون ان هذا لهو
الفوز العظيم وانما يقولونه على وجه التحدث بنعمة الله عليهم في انهم لا يموتون
ولا يعذبون ليفرحوا بدوام النعيم لا على طريق الاستفهام لانهم قد علموا انهم
ليسوا بميتين ولا معذبين ولكن اعادوا الكلام ليزدادوا بتكراره سرورا وقيل
يقول المومن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره قال الله تعالى لمثل هذا اى المنزل
والنعيم الذي ذكره في قوله اولئك لهم رزق معلوم فليعمل العاملون هذا
ترغيب في ثواب الله وما عنده بطاعته قوله تعالى اذلك اى الذي ذكره لاهل
الجنة من النعيم خير نزلا اى رزقا ام شجرة الزقوم اى التي نزل لاهل النار والزقوم
شجرة خبيثة مرة كريهة الطعم يكره اهل النار على تناولها فهم يتزقمونه على اشد
كراهة وقيل هي شجرة تكون بارض تهامة من اخبث الشجر انا جعلناها فتنة للظالمين
اى للكافرين وذلك انهم قالوا كيف تكون في النار شجرة والنار تحرق الشجر وقال
ابن الزبعرى لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم بلسان بربر الزبد والتمر وقيل
هو بلغة اهل اليمن فادخلهم ابو جهل بيته وقال يا جارية زقمينا فاتتهم بالزبد
والتمر فقال ابو جهل تزقموا هذا ما يوعدكم به محمد فقال الله تعالى انها شجرة تخرج في اصل
الجحيم اى في قعر النار واغصانها ترتفع الى دركاتها طلعها اى ثمرها سمي طلعا لطلوعه
كانه رؤوس الشياطين قال ابن عباس هم الشياطين باعيانهم شبهها بهم لقبحهم عند
الناس فان قلت شبهها بشي لم يشاهد فكيف وجه التشبيه قلت انه قد استقر
في النفوس قبح الشياطين وان لم يشاهدوا فكانه قيل ان اقبح الاشيا في الوهم
والخيال رؤوس الشياطين فهذه الشجرة شبيهة بها في قبح المنظر والعرب اذا رات

منظرا قبيحا قالت كانه راس شيطان قال امرؤ القيس بيت

ايقتلني والمشرفي مضاجعي ومسنونة زرق كانياب اغوال

شبه سنان الرمح بانياب الغول ولم يرها وقيل انه نبت بين مكة واليمن شجرة قبيحة منتنة
تسمى رؤوس الشياطين فشبهها بها وقيل اراد بالشياطين الحيات والعرب تسمي الحية
القبيحة المنظر شيطانا فانهم لاكلون منها اى من ثمرها فمالئون منها البطون وذلك
انهم يكرهون على اكلها حتى تمتلي بطونهم ثم ان لهم عليها لشوبا اى خلطا ومزاجا من
حميم اى من ما الحرارة يقال انهم اذا اكلوا الزقوم وشربوا عليه الحميم شاب الحميم
الزقوم فصار شوبا لهم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم وذلك انهم يردون الى الجحيم بعد
شراب الحميم انهم الفوا اى وجدوا اباهم ضالين فهم على اثارهم يهرعون اى
يسرعون وقيل يعملون مثل عملهم ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين اى الامم الخالية
ولقد ارسلنا فيهم منذرين اى وارسلنا فيهم رسلا منذرين فانظر كيف كان عاقبة
المنذرين اى الكافرين وكان عاقبتهم العذاب الا عباد الله المخلصين قوله عز وجل

ولقد نادانا نوح اى دعا ربه على قومه وقيل بان دعا ان ينجيه من الغرق فلنعم المجيبون اى لنحن نعم المجيبون اجبنا دعاه واهلكنا قومه

ونجيناه واهله من الكرب العظيم اى من الغم الذي لحق قومه وهو الغرق وجعلنا
ذريته هم الباقين يعني ان الناس كلهم من ذرية نوح وقال ابن عباس لما خرج نوح
من السفينة مات من كان معه من الرجال والنسا الا ولده ونساهم عن سمرة بن جندب
عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله عز وجل وجعلنا ذريته هم الباقين قال
حام وسام ويافث اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وفي رواية اخرى
سام ابو العرب وحام ابو الحبش ويافث ابو الروم وقيل سام ابو العرب وفارس
والروم وحام ابو السودان ويافث ابو الترك والخزر وياجوج وماجوج وما
هنالك وتركنا عليه في الاخرين ابقينا له ثنا حسنا وذكرا جميلا فيمن بعده من الانبيا
والامم الى يوم القيامة انا كذلك نجزي المحسنين اى جزاه الله باحسانه الثنا الحسن
في العالمين انه من عبادنا المومنين ثم اغرقنا الاخرين يعني الكفار قوله عز وجل
وان من شيعته اى من شيعة نوح لابرهيم يعني انه على دينه وملته ومنهاجه وسنته
اذ جاء ربه بقلب سليم اى مخلص من الشرك والشك وقيل من الغل والغش والحقد والحسد
يحب للناس ما يحب لنفسه اذ قال لابيه وقومه ماذا تعبدون استفهام توبيخ
ائفكا الهة دون الله تريدون اى اتافكون افكا وهو اسوا الكذب وتعبدون الهة
سوى الله فما ظنكم برب العالمين يعني اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره انه يصنع
بكم فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس كان قومه يتعاطون علم
النجوم فعاملهم من حيث كانوا يتعاطون ويتعاملون به لئلا ينكرون عليه وذلك
انه اراد ان يكايدهم في اصنامهم ليلزمهم الحجة في انها غير معبودة وكان لهم من الغد
عيد ومجمع فكانوا يدخلون على اصنامهم ويقربون لها القربان ويضعون بين ايديهم
الطعام قبل خروجهم الى عيدهم زعموا التبرك عليه فاذا انصرفوا من عيدهم اكلوه
فقالوا لابراهيم الا تخرج معنا الى عيدنا فنظر في النجوم فقال اني سقيم قال ابن
عباس اى مطعون وكانوا يفرون من الطاعون فرارا عظيما وقيل مريض وقيل
معناه سأسقم وهو من معاريض الكلام وقد تقدم الجواب عنه في سورة الانبيا
وقيل انه خرج معهم الى عيدهم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم
اشتكي رجلي فتولوا عنه مدبرين اى الى عيدهم فدخل ابراهيم على الاصنام فكسرها

وهو قوله تعالى فراغ الى آلهتهم اى مال اليها في خفية فقال اى للاصنام استهزاء
بها الا تأكلون يعني الطعام الذي بين ايديكم ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم اى مال عليهم
ضربا باليمين اى يضربهم بيده اليمنى لانها اقوى من الشمال في العمل وقيل بالقوة والقدرة
عليهم وقيل اراد به اليمين التي سبقت منه وهو قوله تالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه اى الى
ابراهيم يزفون اى يسرعون وذلك انهم اخبروا بصنيع ابراهيم فاسرعوا اليه ليأخذوه فقال
لهم ابراهيم على وجه الحجاج اتعبدون ما تنحتون اى بايديكم من الاصنام والله خلقكم
وما تعملون اى وعملكم وقيل وخلق الذين تعملونه بايديكم من الاصنام وفي الاية دليل
على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم
قيل انهم بنوا له حائطا من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا
وملأوه من الحطب واوقدوا فيه النار وطرحوه فيها فارادوا به كيدا اى شرا وهو
ان يحرقوه فجعلناهم الاسفلين اى المقهورين حيث سلم الله ابراهيم ورد الله كيدهم
وقال يعني ابراهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين اى مهاجر الى ربي واهجر دار
الكفر قاله بعد خروجه من النار سيهدين الى حيث امرني بالمصير اليه وهو ارض
بالشام فلما قدم الارض المقدسة سأل ربه الولد فقال رب هب لي من الصالحين
اى هب لي ولدا صالحا فبشرناه بغلام حليم قيل غلام في صغره حليم في كبره وفيه
بشارة انه ابن وانه يعيش وينتهي في السن حتى يوصف بالحلم قوله تعالى فلما بلغ
معه السعي قال ابن عباس يعني المشي الى الجبل وعنه انه لما شب حتى بلغ سعيه سعي
مع ابراهيم والمعنى انه بلغ ان يتصرف معه ويعينه في عمله وقيل السعي العمل لله وهو
العبادة وقيل كان ابن ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين قال يا بني اني ارى في المنام
اني اذبحك قيل لم ير في منامه انه يذبحه وانما امر بذبحه وقيل بل رأى انه يعالج ذبحه
ولم ير اراقة دمه ورؤيا الانبياء حق اذا رأوا شيئا فعلوه واختلف العلماء من المسلمين
في هذا الغلام الذي امر ابراهيم بذبحه على قولين مع اتفاق اهل الكتابين على
انه اسحاق فقال قوم انه اسحاق واليه ذهب من الصحابة عمر وعلي وابن مسعود
والعباس ومن التابعين ومن بعدهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق
وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهري والسدي واختلف الرواية عن ابن عباس فروى
عنه انه اسحاق وروي عنه انه اسماعيل ومن ذهب الى انه اسحاق قال كانت
هذه القصة بالشام فسار به مسيرة شهر وروي عن سعيد بن جبير لما رأى ابرهيم
ذبح اسحاق في المنام وهو بالشام فسار به مسيرة شهر في غداة طويت له الاودية
والجبال واخذ حتى اتى به المنحر من منى فلما امره الله بذبح الكبش ذبحه وسار به
مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الاودية والجبال والقول الثاني انه اسماعيل
واليه ذهب عبد الله بن سلام والحسن وسعيد بن المسيب والشعبي ومجاهد والربيع
ابن انس ومحمد كعب القرظي والكلبي ورواية عطا بن ابي رباح ويوسف بن ماهك
عن ابن عباس قال المفدى اسماعيل وكلا القولين يروى عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم واحتج من ذهب الى ان الذبيح اسحاق بقوله تعالى فبشرناه بغلام
حليم فلما بلغ معه السعي امر بذبح من بشر به وليس في القرآن انه بشر بولد سوى
اسحاق كما قال تعالى في سورة هود فبشرناها باسحاق وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين
عقب البشارة بعد قصة الذبح فثبت بما ذكرناه ان اول الاية واخرها يدل على

انه اسحاق هو الذبيح ومما ذكر ايضا من كتاب يعقوب الى ولده يوسف لما كان ولده
بمصر من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحاق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله واحتج من ذهب
الى ان الذبيح هو اسماعيل بان الله ذكر البشارة باسحاق بعد الفراغ من قصة المذبوح
فقال تعالى وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين فدل على ان المذبوح غيره وايضا فان
الله قال في سورة هود فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب فكيف يأمر بذبح
اسحاق وقد وعده بنافلة وهو يعقوب بعده ووصف اسماعيل بالصبر دون اسحاق
في قوله تعالى واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح
ووصفه بصدق الوعد بقوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه
الصبر على الذبح فوفى له بذلك وقال القرظي سأل عمر بن عبد العزيز رجلا من علماء اليهود وكان
اسلم وحسن اسلامه اى ابني ابراهيم امره الله بذبحه فقال اسماعيل ثم قال يا امير المؤمنين
ان اليهود لتعلم ذلك ولكن يحسدونكم يا معشر العرب على ان يكون اباكم هو الذي امر الله
بذبحه ويدعون انه اسحاق ابوهم ومن الدليل ايضا ان قرني الكبش كانا معلقين على
الكعبة في ايدي بني اسماعيل الى ان احترق البيت في زمن ابن الزبير قال الشعبي رأيت
قرني الكبش منوطين بالكعبة وقال ابن عباس والذي نفسي بيده لقد كان اول الاسلام
وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة وقد يبس وقال الاصمعي سألت
ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح اسحاق كان او اسماعيل فقال يا اصمعي اين ذهب عقلك
متى كان اسحاق بمكة انما كان اسماعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه

ذكر الاشارة الى قصة الذبح

قال العلماء بالسير والاخبار الناقلين لما دعى ابراهيم ربه فقال رب هب لي من
الصالحين وبشره قال هو اذا لله ذبيح فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له اوف بنذرك
هذا هو السبب في امر الله اياه في الذبح فقال لاسحاق انطلق فقرب لله قربانا
واخذ سكينا وحبلا وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا ابت
افعل ما تؤمر وقال محمد بن اسحاق كان ابراهيم صلى الله عليه وسلم اذا زار هاجر
واسماعيل حمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة ويروح من مكة فيبيت
عند اهله بالشام حتى اذا بلغ معه السعي واخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه
من عبادة ربه وتعظيم حرماته امر في المنام ان يذبحه وذلك انه رأى ليلة التروية
كان قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فلما اصبح روى في نفسه اى
فكر من الصباح الى الرواح امن الله هذا الحلم ام من الشيطان فمن ثم سمي ذلك اليوم
يوم التروية فلما امسى رأى في المنام ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فمن ثم سمي
اليوم عرفة وقيل رأى ذلك ثلاث مرات في ثلاث ليال متتابعات فلما عزم على نحره
سمي ذلك اليوم يوم النحر فلما تحقق ذلك اخبر ابنه فقال يا بني اني ارى في المنام
اني اذبحك فانظر ماذا ترى اى من الرأي على وجه المشاورة فان قلت لم شاوره في امر
قد علم انه حتم من الله وما الحكمة في ذلك قلت لم يشاوره ليرجع الى رأيه وانما شاوره
ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله تعالى وليعلم صبره على امر الله وعزيمته على طاعته
وليثبت قدمه ويصبره الى ان جزع ويراجع نفسه ويوطنها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس
به ويكتسب المثوبة بالانقياد لامر الله قبل نزوله فان قلت لم كان ذلك في المنام

دون اليقظة وما الحكمة في ذلك قلت ان هذا الامر كان في نهاية المشقة على الذابح
والمذبوح فورد في المنام كالتوطية له ثم اكد حال النوم باحوال اليقظة فاذا تظاهرت
الحالتان كان ذلك اقوى في الدلالة ورؤيا الانبياء وحي وحق قال يا ابت افعل ما تؤمر
اي قال الغلام لابيه افعل ما تؤمر اي ما امرت به قال ابن اسحاق وغيره لما
امر ابراهيم بذلك قال لابنه يا بني خذ الحبل والمدية وانطلق الى هذا الشعب
نحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه في الشعب اخبره بما امر الله به قال افعل ما تؤمر
ستجدني ان شاء الله من الصابرين انما علق ذلك بمشيئة الله تعالى على سبيل
التبرك وانه لا حول عن معصية الله تعالى الا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله
الا بتوفيق الله تعالى فلما اسلما اي انقادا وخضعا لامر الله وذلك ان ابراهيم
عليه السلام اسلم ابنه واسلم الابن نفسه وتله للجبين اي صرعه على الارض قال
ابن عباس اضجعه على جنبه على الارض فلما فعل ذلك قال له ابنه يا ابت اشدد رباطي
حتى لا اضطرب واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فينقص اجري وتراه
امي فتحزن واشحذ شفرتك واسرع مر السكين على حلقي ليكون اهون علي فان الموت شديد
واذا اتيت امي فاقرا عليها السلام مني وان رايت ان ترد قميصي على امي فافعل فانه
عسى ان يكون اسلى لها عني فقال ابراهيم صلى الله عليه وسلم نعم العون انت يا بني
على امر الله ففعل ابراهيم ما امره الله به ابنه ثم اقبل عليه يقبله وهو يبكي وقد
ربطه والابن يبكي فلما وضع السكين على حلقه فلم يحك شيئا ثم انه شحذها مرتين
او ثلاثا بالحجر كل ذلك لا تستطيع ان تقطع شيئا قيل ضرب الله صفيحة من نحاس
على حلقه والاول ابلغ في القدرة وهو منع الحديد عن اللحم قالوا فقال الابن عند
ذلك يا ابت كبني لوجهي على جبيني فانك اذا نظرت في وجهي رحمتني فادركتك
رقة تحول بينك وبين امر الله وانا فلا انظر الى الشفرة فاجزع منها ففعل ذلك
ابراهيم عليه السلام ثم وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودي يا ابراهيم قد
صدقت الرؤيا وروي عن كعب الاحبار وابن اسحاق عن رجاله قالوا لما اري ابراهيم
ذبح ابنه قال الشيطان لئن لم افتن عند هذا آل ابراهيم لا افتن منهم احدا ابدا
فتمثل الشيطان في صورة رجل واتى ام الغلام فقال لها هل تدرين اين ذهب
ابراهيم بابنك قالت ذهب به يحتطبان من هذا الشعب قال لا والله ما ذهب
به الا ليذبحه كلا هو ارحم به واشد حبا له من ذلك قال انه يزعم ان الله امره بذلك
قالت ان كان ربه امره بذلك فقد احسن ان يطيع ربه فخرج الشيطان من عندها
حتى ادرك الابن وهو يمشي على اثر ابيه فقال يا غلام هل تدري اين يذهب
بك ابوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد الا ان
يذبحك قال فلم قال زعم ان ربه امره بذلك قال فليفعل ما امره ربه فسمعا
وطاعة فلما امتنع الغلام اقبل على ابراهيم فقال له اين تريد ايها الشيخ
قال اريد الشعب لحاجة لي فيه قال والله اني لارى الشيطان قد جاءك في
منامك فامرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم عليه السلام فقال اليك
عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي فرجع ابليس بغيظه لم يصب من ابراهيم
وآله شيئا مما اراد ولله من امتنعوا بعون الله عز وجل وروي عن ابن عباس
ان ابراهيم عليه السلام لما اراد ان يذبح ابنه عرض الشيطان بهذا المشعر فسابقه

فسبقه

فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى
ذهب ثم ادركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب فمضى ابراهيم لامر
الله عز وجل وهو قوله فلما اسلما وتله للجبين وناديناه فنودي من الجبل ان يا ابراهيم
قد صدقت الرؤيا اي حصل المقصود من تلك الرؤيا حيث ظهر منه كمال الطاعة
والانقياد لامر الله وكذلك الولد فان قلت كيف قيل قد صدقت الرؤيا وكان قد راى
الذبح ولم يذبح وانما كان تصديقها لو حصل منه الذبح قلت جعله مصدقا لانه بذل
وسعه ومجهوده واتى بما امكنه وفعل ما يفعله الذابح فقد حصل المطلوب وهو
اسلامهما لامر الله وانقيادهما لذلك فلذلك قال له قد صدقت الرؤيا انا كذلك
نجزي المحسنين يعني جزاه الله باحسانه في طاعته العفو عن ذبح ولده والمعنى انا كما
عفونا عن ذبح ولده كذلك نجزي المحسنين في طاعتنا ان هذا لهو البلاء المبين اي الاختبار
الظاهر حيث اختبره بذبح ابنه وفديناه بذبح عظيم قيل نظر ابراهيم فاذا هو جبريل
ومعه كبش املح اقرن فقال هذا فداء ابنك فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر ابنه وكبر
جبريل وكبر الكبش فاخذه ابراهيم واتى به المنحر من منى فذبحه قال اكثر المفسرين
كان هذا الذبح كبشا رعى في الجنة اربعين خريفا وقال ابن عباس الكبش الذي ذبحه ابراهيم
هو الذي قربه ابن آدم قيل حق له ان يكون عظيما وقد تقبل مرتين وقيل سمي عظيما لانه
من عند الله وقيل في الثواب وقيل لعظمه وسمنه وقال الحسن ما فدي اسماعيل الا بتيس
من الاروى اهبط عليه من ثبير وتركنا عليه في الآخرين اي تركنا له ثناء حسنا فيمن بعده
سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين قوله تعالى وبشرناه
باسحاق نبيا من الصالحين اي بوجود اسحاق وهذا قول من يقول ان الذبيح هو
اسماعيل ومعناه انه بشر باسحاق بعد هذه القصة جزاء الطاعته وصبره ومن
الذبيح هو اسحاق قال معنى الاية وبشرناه بنبوة اسحاق وكذا روي عن ابن عباس
قال بشر به مرتين حين ولد وحين نبئ وباركنا عليه يعني على ابراهيم في اولاده
وعلى اسحاق اي بكون اكثر الانبياء من نسله ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه اي كافر
مبين اي ظاهر الكفر وفيه تنبيه على انه لا يلزم من كثرة فضائل الاب فضيلة الابن
قوله عز وجل ولقد مننا على موسى وهارون اي انعمنا عليهما بالنبوة والرسالة
ونجيناهما وقومهما يعني بني اسرائيل من الكرب العظيم يعني الذي كانوا فيه من استعباد
فرعون اياهم وقيل هو انجاؤهم من الغرق ونصرناهم يعني موسى وهارون وقومهما
فكانوا هم الغالبين اي على القبط وآتيناهما الكتاب يعني التوراة المستبين
اي المستنير وهديناهما الصراط المستقيم اي دللناهما على طريق الحق وتركنا عليهما
في الآخرين اي الثناء الحسن سلام على موسى وهارون انا كذلك نجزي المحسنين انهما
من عبادنا المؤمنين قوله عز وجل وان الياس لمن المرسلين روي عن ابن مسعود
انه قال الياس هو ادريس وكذلك هو في مصحفه قال اكثر المفسرين هو نبي من
من انبياء بني اسرائيل قال ابن عباس هو ابن عم اليسع وقال محمد بن اسحاق
هو الياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران ذكر الاشارة الى القصة قال محمد
ابن اسحاق وعلماء السير والاخبار لما قبض الله عز وجل حزقيل النبي عليه السلام عظمت
الاحداث في بني اسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الاصنام وعبدوها
من دون الله فبعث الله عز وجل اليهم الياس نبيا وكانت الانبياء يبعثون من بعد

موسى في بني اسرائيل بتجديد ما نسوا من احكام التوراة وكان يوشع لما فتح الشام
قسمها على بني اسرائيل وان سبطا منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث
اليهم الياس وعليهم يومئذ ملك اسمه اجب وكان قد اضل قومه فاجبرهم على عبادة
الاصنام وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعا وله اربعة وجوه وكان اسمه
بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له اربعمائة سادن وجعلوهم انبياءه فكان
الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويبلغونها
الناس وهم اهل بعلبك وكان الياس يدعوهم الى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون
له ولا يؤمنون به الا ما كان من امر الملك فانه امن به وصدقه فكان الياس يقوم
بامره ويسدده ويرشده وكان للملك امراة جبارة وكان يستخلفها على ملكه اذا غاب
فتغضب من رجل مؤمن له جنينة وكان يعيش منها فاخذها وقتله فبعث الله
تعالى الياس الى الملك وقومه وامره ان يخبرهم ان الله قد غضب لوليه حين
قتلوه ظلما وآلى على نفسه انهما ان لم يتوبا عن صنيعهما ويردا الجنينة على ورثته ان
يهلكهما في جوف الجنينة ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها ولا يتمتعان فيها الا قليلا
فجاء الياس فاخبر الملك بما اوحى الله اليه في امره وامر امراته والجنينة فلما سمع
الملك ذلك غضب واشتد غضبه عليه وقال يا الياس ما احمد والله ما ارى ما
تدعونا اليه الا باطلا وهم بتعذيب الياس وقتله فلما احس الياس بالشر رفضه
وخرج عنه هاربا خائفا ورجع الملك الى عبادة بعل ولحق بشواهق الجبال فكان ياوي
الشعاب والكهوف فبقي سبع سنين على ذلك خائفا مستخفيا ياكل من نبات
الارض وثمار الشجر وهم في طلبه وقد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم فلما
طال الامر على الياس وسكن الكهوف في الجبال وطال عصيان قومه ضاق
بذلك ذرعا فاوحى الله تعالى اليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود يا الياس
ما هذا الحزن والجزع الذي انت فيه الست اميني على وحيي وحجتي في ارضي وصفوتي
من خلقي سلني اعطك فاني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال يا رب
تميتني وتلحقني بآبائي فاني قد مللت بني اسرائيل وملوني فاوحى الله اليه
يا الياس ما هذا باليوم الذي اعري منك الارض واهلها وانما صلاحهما
وقوامهما بك وباشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلني فاعطيك قال الياس
ان لم تمتني فاعطني ثاري من بني اسرائيل قال الله عز وجل واي شيء تريد ان اعطيك
قال تملكني خزائن السماء سبع سنين فلا تنشئ عليهم سحابة الا بدعوتي ولا تمطر عليهم
قطرة الا بشفاعتي فانهم لا يذلهم الا ذلك قال الله عز وجل يا الياس انا ارحم
بخلقي من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك قال
فخمس سنين قال انا ارحم بخلقي من ذلك ولكني اعطيك ثارك ثلاث سنين اجعل خزائن
المطر بيدك قال الياس فباي شيء اعيش يا رب قال اسخر لك جيشا من الطير ينقل
لك طعامك وشرابك من الريف والارض التي لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك
الله عنهم المطر حتى هلكت الماشية والهوام والشجر وجهد الناس جهدا شديدا والياس
على حاله مستخفيا من قومه يوضع له الرزق حيث كان وقد عرف قومه ذلك قال ابن
عباس اصاب بنو اسرائيل ثلاث سنين القحط فمر الياس بعجوز فقال لها اعندك طعام
قالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل قال فدعا بها ودعا فيه بالبركة ومسه حتى ملأ جرابها

دقيقا

دقيقا وملأ جرابها زيتا فلما راوا ذلك عندها قالوا من اين لك هذا قالت مر بي رجل من حاله كذا
وكذا فوصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه اوى الى
بيت امراة من بني اسرائيل ولها ابن يقال له اليسع بن اخطوب به ضر فاوته واخفت امره فدعا
له فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس وامن به وصدقه ولزمه وذهب معه حيث
ما ذهب وكان الياس قد كبر واسن واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى اوحى الى الياس انك
قد اهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر
يزعمون ان الياس قال يا رب دعني اكون انا الذي ادعو لهم واتيهم بالفرج مما هم فيه
من البلاء لعلهم يرجعوا عما هم فيه وينزعوا عن عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بني
اسرائيل فقال انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام
والشجر بخطاياكم وانكم على باطل فان كنتم تحبون ان تعلموا ذلك فاخرجوا باصنامكم فان استجاب
لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم انكم على الباطل فنزعتم ودعوت الله يفرج عنكم
ما انتم فيه من البلاء قالوا انصفت فخرجوا باوثانهم ودعوها فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه
من البلاء فقالوا للياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت
سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون فاقبلت نحوهم وطبقت الافاق ثم ارسل
الله عليهم المطر واغاثهم وحييت بلادهم فلما كشف الله عنهم الضر نقضوا العهد ولم
ينزعوا عن كفرهم واقاموا على اخبث ما كانوا عليه فلما راى ذلك الياس دعا ربه
عز وجل ان يريحه منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا فما
جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كانا بالموضع
الذي امر به اقبل فرس من نار وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدي الياس فوثب
عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تامرني فقذف اليه الياس بكسائه
من الجو الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل وكان ذلك اخر
العهد به ورفع الله الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه
الريش فصار انسيا ملكيا ارضيا سماويا على اجب الملك وقومه عدوا الله فقصدهم من حيث
لم يشعروا به حتى رهقهم فقتل اجب وامراته ازبيل في الجنينة التي غصبتها امراة الملك
من مزدك المؤمن فلم تزل جيفتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما
ونبأ الله اليسع وبعثه الله رسولا الى بني اسرائيل فاوحى اليه وايده فامنت به بنو اسرائيل
وكانوا يعظمونه وحكم الله فيهم قائم الى ان فارقهم اليسع وروى السدي عن يحيى بن عبد
العزيز عن ابي رواد قال ان الياس والخضر يصومان رمضان ببيت المقدس ويوافيان
الموسم في كل عام وقيل ان الياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان
الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه الا تتقون اتدعون بعلا يعني تعبدون بعلا وهو صنم
كان لهم يعبدونه وبذلك سميت مدينتهم بعلبك وقيل البعل هو الرب بلغة اهل اليمن
وتذرون اي وتتركون عبادة احسن الخالقين فلا تعبدونه الله ربكم ورب آبائكم الاولين
فكذبوه فانهم لمحضرون اي في النار الا عباد الله المخلصين اي من قومه الذين امنوا به
فانهم نجوا من العذاب وتركنا عليه في الآخرين سلام على ال ياسين قال ياسين بالقطع
قيل اراد ال محمد وقيل ال القرآن لان ياسين من اسماء القرآن وفيه بعد وقرئ الياسين
بالوصل ومعناه الياس واتباعه من المؤمنين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا
المؤمنين قوله تعالى وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في

موكل

الغابرين اى الباقين في العذاب ثم دمرنا اى اهلكنا الآخرين وانكم اى يا اهل مكة
لتمرون عليهم اى على آثارهم ومنازلهم مصبحين اى في وقت الصباح وبالليل اى بالليل
في اسفاركم افلا تعقلون اى فتعتبرون بهم قوله عز وجل وان يونس لمن المرسلين اى من جملة
رسل الله اذ ابق اى هرب الى الفلك المشحون اى المملوء قال ابن عباس ووهب كان يونس وعد
قومه العذاب فتاخر عنهم فخرج كالمستور منهم فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة
فقال الملاحون ههنا عبد ابق من سيده فاقترعوا فوقعت على يونس فاقترعوا ثلاثا فوقع
على يونس فقال انا الآبق وزج نفسه في الماء وقيل انه لما وصل الى البحر كانت معه امرأته
وابنان له فجاء مركب واراد ان يركب معهم فقدم امرأته ليركب بعدها فحال الموج بينه
وبين المركب فذهب المركب وجاءت موجة اخرى فاخذت ابنه الاكبر وجاء الذئب فاخذ
الابن الثاني وهو الاصغر فبقي فريدا فجاءت مركب اخرى فركب وقعد ناحية من القوم
فلما مرت السفينة في البحر ركدت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل وقوف
السفينة ما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقترعوا فمن خرج سهمه نغرقه فلان يغرق
واحد خير من غرق الكل فاقترعوا فخرج سهم يونس فذلك قوله تعالى فساهم اى فقارع
فكان من المدحضين يعني من المقرعين المغلوبين وقد تقدمت القصة في سورة يونس
والانبياء فالتقمه الحوت اى ابتلعه وهو مليم اى آت بما يلام عليه فلولا انه كان
من المسبحين اى من الذاكرين الله قبل ذلك وكان كثير الذكر وقال ابن عباس من المصلين
وقيل من العابدين قال الحسن ما كان له صلاة في بطن الحوت ولكن قدم عملا صالحا وقيل
شكر الله له طاعته القديمة قال بعضهم اذكروا الله في الرخاء يذكركم في الشدة فان يونس
كان عبدا صالحا ذاكرا الله فلما وقع في الشدة في بطن الحوت شكر الله له ذلك فقال
الله تعالى فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وقيل انه كان
يسبح في بطن الحوت وهو قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين للبث
في بطن الحوت الى يوم يبعثون اى لصار بطن الحوت قبرا له الى يوم القيامة قوله
تعالى فنبذناه اى طرحناه انما اضاف النبذ الى نفسه وان كان الحوت هو النابذ
لان افعال العباد مخلوقة لله تعالى بالعراء اى بالارض الخالية عن الشجر والنبات
وقيل بالساحل وهو سقيم اى عليل كالفرخ الممعط وقيل كان قد بلي لحمه ورق عظمه
ولم يبق له قوة وقيل انه لبث في بطن الحوت ثلاثة ايام وقيل سبعة ايام وقيل
عشرين يوما وقيل اربعين وقيل التقمه ضحى ولفظه عشية وانبتنا عليه شجرة من
يقطين يعني القرع قيل كل نبت يمتد وينبسط على وجه الارض كالقرع والقثاء والبطيخ
ونحوه قيل انبتها الله ولم تكن قبل ذلك وكانت معرشة ليحصل له الظل وفي شجر
القرع فائدة وهي ان الذباب لا يجتمع عندها فكان يونس يستظل بتلك الشجرة ولو
كانت منبسطة على وجه الارض لم يمكن ان يستظل بها قيل وكانت وعلة تختلف اليه
فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوي فنام نومة ثم استيقظ
وقد يبست الشجرة واصابه حر الشمس فحزن حزنا شديدا وجعل يبكي فارسل الله اليه
جبريل وقال اتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة الف اسلموا وتابوا
وارسلناه الى مائة الف قيل ارسله الى اهل نينوى من ارض الموصل قبل ان تصيبه
ما اصابه والمعنى وكنا ارسلناه الى مائة الف فلما خرج من بطن الحوت امر ان يرجع
اليهم ثانيا وقيل كان ارساله بعد خروجه من بطن الحوت اليهم وقيل يجوز ان يكون

ارساله

ارساله الى قوم آخرين يعني غير القوم الاولين او يزيدون قال ابن عباس معناه ويزيدون
قيل معناه بل يزيدون وقيل او على اصلها والمعنى او يزيدون في تقدير الرائي اذا رآهم قال
هؤلاء مائة الف او يزيدون على ذلك والشك على تقدير المخلوقين والاصح هو الاول وقول
ابن عباس الاول فاما الزيادة فقال ابن عباس كانوا عشرين الفا يعضده ما روي عن ابي
ابن كعب قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى وارسلناه الى مائة
الف او يزيدون قال يزيدون عشرين الفا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن وقيل
يزيدون بضعا وثلاثين الفا وقيل سبعين الفا فآمنوا يعني الذين ارسل اليهم يونس بعد
معاينة العذاب فمتعناهم الى حين اى الى انقضاء آجالهم قوله عز وجل فاستفتهم اى فسل
يا محمد اهل مكة وهو سؤال توبيخ ألربك البنات ولهم البنون وذلك ان جهينة وبني
سلمة بن عبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله والمعنى جعلوا لله البنات ولهم
البنين وذلك باطل لان العرب كانوا يستنكفون من البنات فالشيء الذي يستنكف منه
المخلوق فكيف ينسبونه للخالق ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون اى حاضرون
خلقنا اياهم الا انهم من افكهم اى من كذبهم ليقولون ولد الله اى في زعمهم وانهم لكاذبون
اى فيما يزعمون اصطفى البنات اى لزعمهم على البنين وهو استفهام توبيخ وتقريع ما لكم
كيف تحكمون اى بالبنات لله ولكم البنين افلا تذكرون اى افلا تتعظون ام لكم سلطان
مبين اى برهان بين على ان لله ولدا فأتوا بكتابكم الذي لكم فيه حجة ان كنتم صادقين
اى في قولكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قيل اراد بالجنة الملائكة سموا جنة لاجتنانهم
عن الابصار وقال ابن عباس حي من الملائكة يقال لهم الجن ومنهم ابليس قالوا هم بنات
الله قال لهم ابو بكر الصديق فمن امهاتهم فقالوا سروات الجن وقيل معنى النسب
انهم اشركوا الشيطان في عبادة الله وقيل هو قول الزنادقة الذين يقولون الخير
من الله والشر من الشيطان ولقد علمت الجنة انهم يعني قائلي هذا القول انهم
لمحضرون في النار سبحان الله عما يصفون نزه نفسه عما يقولون الا عباد الله المخلصين
هذا استثناء من المحضرين والمعنى انهم لا يحضرون فانكم يعني يا اهل مكة وما تعبدون
اى من الاصنام ما انتم عليه اى على ما تعبدون بفاتنين اى بمضلين احدا الا من هو صال
الجحيم اى الا من سبق له في علم الله الشقاوة انه سيدخل النار قوله تعالى اخبارا
عن حال الملائكة وما منا الا له مقام معلوم يعني جبريل قال للنبي صلى الله عليه
وسلم وما منا معشر الملائكة ملك الا له مقام معلوم يعبد ربه فيه وقال ابن عباس
ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي او يسبح وروى ابو ذر عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال اطت السماء وحق لها ان تئط والذي نفسي بيده ما فيها موضع اربع اصابع
الا وملك واضع جبهته لله ساجدا اخرجه الترمذي وهو طرف من حديث قيل الاطيط
اصوات الاقتاب وقيل اصوات الابل وحنينها ومعنى الحديث ما في السموات
من الملائكة قد اثقلها حتى اطت وهذا مثل وايذان بكثرة الملائكة وان لم يكن
ثم اطيط وقيل معنى الا له مقام معلوم في القربة والمشاهدة وقيل يعبد الله على
مقامات مختلفة كالخوف والرجاء والمحبة والرضا وانا لنحن الصافون يعني
الملائكة صفوا اقدامهم في عبادة الله كصفوف الناس في الصلاة في الارض وانا
لنحن المسبحون اى المصلون وقيل المنزهون الله من كل سوء كان جبريل صلى الله عليه
وسلم انهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح وانهم ليسوا بمعبودين كما زعم الكفار

قوله عز وجل وان كانوا ليقولون يعني كفار مكة قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم
لو ان عندنا ذكرا من الاولين يعني كتابا مثل كتاب الاولين لكنا عباد الله المخلصين
اي لاخلصنا العبادة لله فكفروا به اي فلما اتاهم الكتاب كفروا به فسوف يعلمون
فيه تهديد لهم قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين يعني تقدم وعدنا
لعبادنا المرسلين بنصرهم انهم لهم المنصورون اي بالحجة البالغة وان جندنا اي حزبنا
المؤمنين لهم الغالبون اي لهم النصرة في العاقبة فتول عنهم اي اعرض عنهم حتى حين
قال ابن عباس يعني الموت وقيل الى يوم بدر وقيل حتى امرك بالقتال وهذه الاية منسوخة
باية القتال وقيل الى ان ياتيهم العذاب وابصرهم اي اذا نزل بهم العذاب فسوف يبصرون
اي ذلك فعند ذلك قالوا متى هذا العذاب قال الله عز وجل افبعذابنا يستعجلون
فاذا نزل يعني العذاب بساحتهم اي بحضرتهم بفنائهم وقيل بقربهم فساء صباح المنذرين يعني
فبئس صباح الكافرين الذين انذروا (ق) عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر
فلما دخل قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها
ثلاث مرات ثم كرر ذكر ما تقدم تاكيدا لوعد العذاب فقال تعالى وتول عنهم حتى
حين وقيل المراد من الاية الاولى احوالهم في الدنيا وهذه ذكر احوالهم في الاخرة فعلى
هذا القول يزول التكرار وابصر اي العذاب اذا نزل بهم فسوف يبصرون ثم نزه نفسه
فقال تعالى سبحان ربك رب العزة اي الغلبة والقوة والقدرة وفيه اشارة الى كمال
وانه قادر على جميع الحوادث عما يصفون اي اتخاذ الشركا والاولاد وسلام على المرسلين
اي الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرائع لان اعلى مراتب البشر ان يكون كاملا في نفسه
مكملا لغيره وهم الانبيا عليهم السلام فلاجرم يجب على كل احد الاقتدا والاهتدا بهم
والحمد لله رب العالمين اي على هلاك الاعدا ونصرة الانبيا وقيل الغرض من ذلك
تعليم المؤمنين ان يقولوه ولا يخلوا به ولا يغفلوا عنه لما روي عن علي بن ابي طالب
قال من احب ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن اخر كلامه اذا قام
من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

تفسير سورة ص عليه السلام

عليه السلام وهي مكية وهي ست وقيل ثمان وثمانون اية وسبعمائة واثنان
وثلاثون كلمة وثلاثة الاف وسبعة وستون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ص قيل
قسم وقيل اسم للسورة وقيل هو مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد والصدق
وقيل معناه صدق الله وعن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جواب القسم
والقران ذي الذكر قال ابن عباس اي ذي البيان وقيل ذي الشرف وهو قسم قيل وجوابه
قد تقدم وهو قوله تعالى ص اقسم الله بالقران ان محمدا لصادق وقيل جواب القسم
محذوف تقديره والقران ذي الذكر ما يقول الكفار رد على هذا المحذوف قوله
تعالى بل الذين كفروا فقيل بل الذين كفروا موضع القسم وقيل فيه تقديم وتاخير
تقديره بل الذين كفروا في عزة وشقاق والقران ذي الذكر وقيل جوابه ان كل الا
كذب الرسل وجوابه ان هذا لرزقنا وقيل ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وهذا
ضعيف لانه تخلل بين القسم وهذا الجواب اقاصيص واخبار كثيرة وقيل بل لتدارك
كلام اخر ونفي لاخر مجاز الاية ان الله تعالى اقسم بص والقران ذي الذكر بل الذين

كفروا

كفروا من اهل مكة في عزة اي حمية وجاهلية وتكبر عن الحق وشقاق اي خلاف وعداوة لمحمد
صلى الله عليه وسلم كم اهلكنا من قبلهم من قرن يعني من الامم الخالية فنادوا اي استغاثوا عند
نزول العذاب وحلول النقمة ولات حين مناص اي ليس حين فرار وتاخر قال ابن عباس كان
كفار مكة اذا قاتلوا واضطربوا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص اي اهربوا وخذوا حذركم
فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص فانزل الله عز وجل ولات حين مناص اي ليس ذلك
حين هذا القول وعجبوا اي كفار مكة ان جاءهم منذر منهم يعني رسولا من انفسهم ينذرهم
وقال الكافرون هذا ساحر كذاب قوله عز وجل اجعل الالهة الها واحدا وذلك ان عمر
ابن الخطاب اسلم فشق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملا من
قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا اكبرهم سنا الوليد بن المغيرة
امشوا الى ابي طالب فاتوا ابا طالب وقالوا انت شيخنا وكبيرنا وقد علمت
ما فعل هؤلاء السفهاء وانا اتيناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك فارسل اليه ابو طالب
فدعاه فلما اتى النبي صلى الله عليه فقال له يا ابن اخي هؤلاء قومك يسالونك السوال فلا تمل
كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وماذا يسالوني قالوا ارفض ذكر
الهتنا وندعك والهك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعطوني كلمة واحدة تملكون
بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل لله ابوك لنعطينك وعشر امثالها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا اجعل
الالهة الها واحدا كيف يسع الخلق اله واحد ان هذا لشيء عجاب اي عجب وانطلق الملا
منهم اي من مجلسهم الذي كانوا فيه عند ابي طالب ان امشوا اي يقول بعضهم لبعض امشوا
واصبروا على الهتكم اي اثبتوا على عبادة الهتكم ان هذا لشيء يراد اي لامر يراد بنا
وذلك ان عمر لما اسلم حصل للمسلمين قوة لمكانه قالوا هذا نراه من زيادة اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم لشيء يراد بنا وقيل يراد باهل الارض وقيل يراد بمحمد صلى الله عليه
وسلم ان يملك علينا ما سمعنا بهذا اي الذي يقوله محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد
في الملة الاخرة قال ابن عباس يعنون النصرانية لانها اخر الملل وهم لا يوحدون
بل يقولون ثالث ثلاثة وقيل يعنون ملة قريش وهي دينهم الذي هم عليه ان هذا
الا اختلاق اي كذب وافتعال اانزل عليه الذكر اي القران من بيننا اي يقول
اهل مكة لنبي هو باكبرنا ولا اشرفنا قال الله تعالى بل هم في شك من ذكري اي وحي
وما انزلت بل لما يذوقوا عذاب اي لو ذاقوه لما قالوا هذا القول ام عندهم خزائن
رحمة ربك العزيز الوهاب يعني مفاتيح النبوة لمحمد صلى الله عليه وسلم يعني مفاتيح
النبوة يعطونها من شاؤا وامن العزيز في ملكه الوهاب الذي وهب النبوة لمحمد صلى
الله عليه وسلم ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما اي ليس لهم ذلك فليرتقوا
في الاسباب يعني ان ادعوا شيا من ذلك فليصعدوا في الاسباب يعني التي توصلهم الى السما
وليأتوا منها بالوحي الى من يختارون وقيل اراد بالاسباب ابواب السما وطرقها
من سما الى سما وهذا امر توبيخ وتعجيز جند ما هنالك اي هؤلاء الذين يقولون
هذا القول جند ما هنا لك مهزوم اي مغلوب من الاحزاب يعني ان قريشا من جملة
الاجناد الذين اجتمعوا وتحزبوا على الانبيا بالتكذيب فقهروا واهلكوا اخبر
الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو بمكة انه سيهزم جند المشركين فجاء تاويلها
يوم بدر وهنا لك اشارة الى مصارعهم ببدر ثم قال عز وجل معزيا لنبيه صلى الله عليه

كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد قال ابن عباس ذو البنا المحكم وقيل ذو
الملك الشديد الثابت والعرب تقول هم في عز ثابت الاوتاد يريدون بذلك انه دائم شديد
قال الاسود بن يعفر بيت ٭ ولقد غنوا فيها بانعم عيشة ٭ في ظل ملك ثابت الاوتاد ٭
وقيل ذو القوة واصل هذا ان بيوتهم تثبت بالاوتاد والبطش وفي رواية عن ابن عباس
ذو الجنود والجموع الكثيرة يعني انهم يقوون امره ويشدون ملكه كما يقوي الوتد الشي
وسميت الاجناد اوتادا لكثرة المضارب التي يضربونها ويوتدونها في اسفارهم وقيل
الاوتاد جمع الوتد وكانت له اوتاد يعذب الناس عليها فكان اذا غضب على احد مده
مستلقيا بين اربعة اوتاد يشد كل طرف منه الى وتد فيتركه حتى يموت وقيل يرسل عليه
الحيات والعقارب وقيل كانت له اوتاد وارسال وملاعب يلعب عليها بين يديه وثمود
وقوم لوط واصحاب الايكة اولئك الاحزاب اي الذين تحزبوا على الانبيا فاعلم الله ان مشركي
قريش حزب من اولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب يعني ان اولئك الطوائف
من الامم الخالية لما كذبوا انبياهم وجب عليهم العذاب قلت فكيف حال هولا الضعفا
والمساكين اذا نزل بهم العذاب وفي الاية زجر وتخويف للسامعين وما ينظر اي ينتظر
هولا يعني كفار مكة الا صيحة واحدة ما لها من فواق اي رجوع والمعنى ان تلك الصيحة
التي هي ميعاد عذابهم اذا جاءت لم ترد ولم تصرف وقالوا ربنا عجل لنا قطنا اي حظنا
ونصيبنا من الجنة التي تقول وقيل نصيبنا من العذاب قاله النضر بن الحارث استعجالا
منه بالعذاب وقال ابن عباس يعني كتابنا والقط الصحيفة التي احصت كل شي قيل
لما نزلت في الحاقة فاما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه بشماله قالوا استهزا
عجل لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب اي حسابنا اي عجل لنا بالحساب فقط وقيل
القط الكتاب بالجوائز قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون
اي على ما يقول الكفار من تكذيبك واذكر عبدنا داود ذا الايد قال ابن عباس القوة
ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احب الصيام
الى الله صيام داود واحب الصلاة الى الله صلاة داود كان يصوم يوما ويفطر
يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقيل معناه ذو القوة في
ذلك انه اواب اي رجاع الى الله عز وجل بالتوبة عن كل ما يكره وقال ابن عباس مطيع
لله وقيل مسبح بلغة الحبشة انا سخرنا الجبال معه يسبحن اي بتسبيحه اذا سبح بالعشي والاشراق
اي غدوة وعشية والاشراق هو ان تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها وفسره ابن عباس بصلاة
الضحى وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس في قوله بالعشي والاشراق قال كنت
امر بهذه الاية لا ادري ما هي حتى حدثتني ام هاني بنت ابي طالب ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضوء فتوضا ثم صلى الضحى فقال يا ام هاني هذه صلاة
الاشراق قلت والذي اخرجاه في الصحيحين من حديث ام هاني في صلاة الضحى قالت
ام هاني ذهبت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح فوجدته يغتسل وفاطمة
ابنته تستره بثوب فسلمت عليه فقال من هذه فقلت انا ام هاني بنت ابي طالب فقال
مرحبا بام هاني فلما فرغ من غسله قام فصلى ثمان ركعات ملتحفا في ثوب قالت ام
هاني وذلك ضحى ولهما عن عبد الرحمن بن ابي ليلى ما حدثنا احد انه راى النبي صلى الله
عليه وسلم يصلي الضحى غير ام هاني فانها قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم فتح
مكة فاغتسل وصلى ثمان ركعات فلم ار صلاة قط اخف منها غير انه يتم الركوع والسجود قوله

تعالى والطير اي وسخرنا له الطير محشورة اي مجموعة اليه تسبح معه كل له اواب اي رجاع
الى طاعته ومطيع له بالتسبيح معه وشددنا ملكه اي قويناه بالحرس والجنود قال ابن عباس
كان اشد ملوك الارض سلطانا كان يحرس محرابه كل ليلة ست وثلاثون الف رجل وروي
عن ابن عباس ان رجلا من بني اسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم عند داود فقال ان هذا غصبني
بقرا فساله داود فجحد فسال الاخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى انظر في
امركما فاوحي الى داود في منامه ان يقتل الذي استعدي عليه فقال هذه رويا ولست
اعجل عليه حتى اتثبت فاوحي اليه مرة اخرى فلم يفعل فاوحي اليه الثالثة ان يقتله
او تاتيه العقوبة فارسل اليه داود فقال ان الله اوحى الي ان اقتلك فقال تقتلني
بغير بينة فقال داود نعم والله لانفذن امر الله فيك فلما عرف الرجل انه قاتله
قال لا تعجل حتى اخبرك اني والله ما اخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت
والد هذا فقتلته فلذلك اخذت فامر به داود فقتل فاشتدت هيبته في بني
اسرائيل عند ذلك لداود واشتد به ملكه فذلك قوله وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة
وفصل الخطاب قال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود علم الحكم والبصر بالقضا
قال علي بن ابي طالب هو ان البينة على المدعي واليمين على من انكر لان كلام الخصوم ينقطع
وينفصل به وقال ابي بن كعب فصل الخطاب الشهود والايمان وقيل فصل الخطاب
هو قول الانسان بعد حمد الله والثنا عليه اما بعد اذا اراد الشروع في كلام اخر
واول من قاله داود عليه السلام قوله عز وجل وهل اتاك اي وقد اتاك يا محمد نبو
الخصم اي خبر الخصم فاستمع له نقصصه عليك وقيل ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة
على انه من الاخبار العجيبة والتشويق الى استماع كلام الخصم والخصم يقع على الواحد والجمع
اذ تسوروا المحراب اي صعدوا وعلوا المحراب اي البيت الذي كان يدخل فيه داود ويشتغل
فيه بالطاعة والعبادة والمعنى انهم اتوه المحراب من سوره وهو اعلاه وفي الاية قصة
امتحان داود عليه السلام واختلف العلماء باخبار الانبيا في سبب ذلك
وساذكر ما قاله المفسرون ثم اتبعه بفصل فيه تنزيه داود عما لا يليق بمنصبه لان منصب
النبوة اشرف المناصب واعلاها فلا ينسب اليها الا ما يليق بها فاما ما قاله المفسرون
ان داود عليه السلام تمنى يوما من الايام منزلة آبائه ابراهيم واسحاق ويعقوب
وذلك انه كان قد قسم الدهر ثلاثة ايام يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو فيه
لعبادة ربه ويوم لنسائه واشغاله وكان يجد فيما يقرا من الكتب فضل ابراهيم واسحاق
ويعقوب فقال يا رب ارى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فاوحى الله اليه انهم
ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها ابتلي ابراهيم بنمرود وذبح ابنه وابتلي اسحاق بالذبح
وبذهاب بصره وابتلي يعقوب بالحزن على يوسف فقال داود ابتلني بمثل ما ابتليتهم
صبرت ايضا فاوحى الله اليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس فلما كان اليوم
الذي وعده الله به دخل داود محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرا الزبور فبينا هو
كذلك اذ جاءه الشيطان وقد تمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن
وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بين رجليه فاعجبه حسنها فمد يده لياخذها ويريها بني
اسرائيل لينظروا الى قدرة الله تعالى فلما قصد اخذها طارت غير بعيد من غير ان تويسه
من نفسها فامتد اليها لياخذها فتنحت عنه فطارت حتى وقعت في كوة فذهب
لياخذها فطارت من الكوة فنظر داود اين تقع فيبعث من يصيدها له فابصر امراة

يعني الفهم والاصابة في الامور

في بستان على شط بركة يغتسل وقيل راها على سطح لها فرا امراة من اجمل النسا خلقا فعجب
داود من حسنها وحانت منها التفاتة فابصرت ظله فنقضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك
اعجابا بها فسال عنها فقيل هي تشايع بنت شايع امراة اوريا بن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقا
مع ايوب بن صوريا ابن اخت داود فكتب داود الى ابن اخته ان يبعث اوريا الى موضع كذا
وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له ان يرجع الى ورا حتى يفتح الله على
يديه او يستشهد فبعثه ففتح له فكتب اليه ان يبعثه الى عدو كذا وكذا فبعثه ففتح له
فكتب الى داود بذلك فكتب اليه ان يبعثه الى عدو كذا وكذا اشد منه باسا فبعثه فقتل
في المرة الثالثة فلما انقضت عدة المراة تزوجها داود وهي ام سليمان عليه السلام وقيل
داود احب ان يقتل اوريا فيتزوج امراته فهذا كان ذنبه فقال ابن مسعود كان ذنب
داود انه التمس من الرجل ان ينزل له عن امراته وقيل كان ذلك مباحا له غير ان الله لم يرض
لداود ذلك لانه رغب في الدنيا والازدياد من النسا وقد اغناه الله عنها بما اعطاه من
غيرها وقيل في سبب امتحان داود انه كان قد جزا الدهر اجزا يوما لنسائه ويوما للعبادة
ويوما بين بني اسرائيل ويوما يذاكرهم فيه ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بني
اسرائيل ذكروا فقالوا هل ياتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود في نفسه
انه ان ابتلي انه سيطيق ذلك وقيل ذكروا فتنة النسا فاضمر داود في نفسه انه ان ابتلي اعتصم
فلما كان يوما في عبادته اغلق عليه الباب الابواب وامر ان لا يدخل عليه احد واكب على قراءة
فبينما هو يقرا اذ دخلت عليه حمامة وذكر نحو ما تقدم فلما دخل بالمراة لم يلبث الا يسيرا
حتى بعث الله الملكين اليه وقيل ما زال يجتهد في العبادة حتى برز له حفظة من الملائكة
فكانوا يصلون معه فلما استانس بهم قال اخبروني باي شي انتم موكلون قالوا نكتب صالح
عملك ونوفقك ونصرف عنك السو فقال في نفسه ليت شعري كيف اكون لو خلوني
ونفسي وتمنى ذلك ليعلم كيف يكون فاوحى الله الى الملكين يعتزلانه ليعلم انه لا غنى به عن الله
تعالى فلما فقدهم جد واجتهد في العبادة الى ان ظن انه قد غلب نفسه فاراد الله تعالى
ان يعرفه ضعفه فارسل طائرا من طيور الجنة وذكر نحو ما تقدم وقيل قال داود لبني اسرائيل
لاعدلن بينكم ولم يستثن فابتلي وقيل انه اعجبه عمله فابتلي فبعث الله اليه ملكين في
صورة رجلين وذلك يوم عبادته فطلبا ان يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسورا عليه
المحراب فما شعر الا وهما بين يديه جالسين وهو يصلي يقال كانا جبريل وميكائيل فذلك
قوله عز وجل اذ دخلوا على داود ففزع منهم اي خاف منهما حين هجما عليه في محرابه
بغير اذنه فقال لهما ما ادخلكما علي قالوا لا تخف خصمان اي نحن خصمان بغى بعضنا
على بعض اي تعدى وخرج عن الحد جئناك لتقضي بيننا فان قلت اذا جعلتهما ملكين
فكيف يتصور البغي من احدهما والملائكة لا يبغي بعضهم على بعض قلت هذا
من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي من احدهما والمعنى رايت خصمين بغى احدهما
على الاخر فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط اي لا تجر في حكمك واهدنا الى سوا الصراط
اي ارشدنا الى طريق الحق والصواب فقال لهما داود تكلما فقال احدهما ان هذا اخي
اي على ديني وطريقتي لا من جهة النسب له تسع وتسعون نعجة يعني امراة ولي نعجة واحدة
اي امراة واحدة والعرب تكني بالنعجة عن المراة وهذا على سبيل التعريض للتنبيه والتفهيم
لانه لم يكن هناك نعاج ولا بغي فقال اكفلنيها قال ابن عباس اعطنيها وقيل معناها
انزل لي عنها وضمها الي واجعلني كافلها والمعنى طلقها لاتزوجها وعزني في الخطاب

يعني غلبني وقهرني في الخطاب القول لانه افصح مني في الكلام وان حارب كان ابطش
مني لقوة ملكه والمعنى ان الغلبة له كانت علي لضعفي في يده وان كان الحق معي فهذا كله
تمثيل لامر داود مع اوريا زوج المراة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون
امراة ولاوريا واحدة فضمها داود الى نسائه قال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك
الى نعاجه اي بضمها الى نعاجه فان قلت كيف قال داود لقد ظلمك وقيل انما قال ذلك
بعد اعتراف صاحبه بما يقول وان كثيرا من الخلطاء اي من الشركاء ليبغي بعضهم على بعض
اي يظلم بعضهم بعضا الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فانهم لا يظلمون احدا
وقليل ما هم اي هم قليل وما صلة والمعنى ان الصالحين الذين لا يظلمون قليل
فلما قضى داود بينهما نظر احدهما الى صاحبه وضحك وصعد الى السما فعلم داود
ان الله ابتلاه وذلك قوله تعالى وظن داود اي ايقن وعلم انما فتناه اي ابتليناه
وامتحناه وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه فتحولا
في صورتهما وعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود انه انما عني به وروى
البغوي باسناد الثعلبي عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان داود النبي عليه السلام حين نظر الى المراة فاهم فقطع على بني اسرائيل فاوصى
صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل
او ينهزم عنه الجيش فقتل زوج المراة فنزل الملكان وكان التابوت في ذلك الزمان
يستنصر به ومن قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل او ينهزم عنه الجيش فقتل
زوج المراة ونزل الملكان يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث اربعين ليلة
ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على راسه واكلت الارض جبينه وهو يقول
في سجوده رب زل داود زلة ابعد ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف
داود ولم تغفر له جعلت ذنبه حديثا في الخلوف بعده فجاء جبريل من بعد اربعين ليلة
فقال يا داود ان الله قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود ان الرب قادر على
ان يغفر لي الهم الذي هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا
جا يوم القيامة فقال رب دمي الذي عند داود فقال جبريل ما سالت ربك
عن ذلك وان شئت لافعلن قال نعم فعرج جبريل وسجد داود ما شا الله ثم
نزل جبريل فقال سالت الله يا داود عن الذي ارسلتني فيه فقال قل لداود ان الله
يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول
فان لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا فهذه اقاويل السلف من اهل التفسير
في قصة امتحان داود فصل في تنزيه داود عليه السلام عما لا يليق به وما لا
ينسب اليه اعلم ان من خصه الله بنبوته واكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه
وائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق ان ينسب اليه ما لو نسب
الى احاد الناس لاستنكف منه او يتحدث به عنه فكيف يجوز ان ينسب الى بعض اعلام
الانبيا والصفوة الامنا ذلك روى سعيد بن المسيب والحرث الاعور عن علي بن
ابي طالب انه قال من حدثكم بحديث ما يرويه القصاص عن داود جلدته مائة وستين وهو
حد الفرية على الانبيا وقال القاضي عياض لا يجب ولا يجوز ان يلتفت الى ما سطره
الاخباريون من اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص
الله على شي من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه في قصة داود

واوريا خبر ثابت ولا يظن بنبي محبة وظن داود انما فتناه والتبري في قصة داود واوريا
خبر ثابت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امر داود قال
الامام محي الدين حاصل القصة يرجع الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته
وكلاهما منكر عظيم فلا يليق بعاقل ان يظن بداود هذا وقال غيره ان الله تعالى اثنى على
داود قبل هذه القصة وبعدها وذلك يدل على استحالة ما نقلوه من القصة فكيف يتوهم
عاقل ان يقع بين مدحين ذم ولو جرى ذلك من بعض الناس في كلامه لاستهجنه العقلا
ولقالوا انت في مدح شخص كيف تجري ذمه في اثنا مدحك والله تعالى منزه عن مثل هذا في كلامه
فان قلت في الاية ما يدل على صدور الذنب منه وهو قوله تعالى وظن داود انما فتناه واستغفر
وقوله فاستغفر ربه وقوله واناب وقوله فغفرنا له ذلك قلت ليس في هذه الالفاظ
شي يدل على ذلك لان مقام النبوة اشرف المقامات واعلاها فطالبوهم باكمل الاخلاق
والاوصاف واسناها فاذا نزلوا من ذلك الى طبع البشرية عاتبهم الله على ذلك وغفره
لهم كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين فان قلت على هذا القول والاحتمال فما معنى
الامتحان في الاية قلت ذهب المحققون من علما التفسير وغيرهم في هذه القصة الى ان داود
عليه السلام ما زاد ان قال للرجل انزل لي عن امراتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه
عليه فانكر عليه شغله في الدنيا وقيل ان داود تمنى ان تكون امراة اوريا له فاتفق غزو
اوريا وهلاكه في الحرب فلما بلغ داود قتله لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده
ثم تزوج امراته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبيا وان صغرت فهي عظيمة
عند الله وقيل ان اوريا كان قد خطب تلك المراة ووطن نفسه عليها فلما غاب
في غزاته خطبها داود فزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك اوريا فعاتبه الله على ذلك
حيث لم يترك هذه الواحدة قوله وعزني في الخطاب فدل هذا على ان الكلام كان بينهما
في الخطبة ولم يكن قد تقدم تزوج اوريا لها فعوتب داود بشيئين احدهما خطبته
على خطبة اخيه الثاني اظهار الحرص على التزوج مع كثرة نسائه وقيل ان ذنب
داود الذي استغفر منه ليس هو بسبب اوريا والمراة وانما هو بسبب الخصمين وكونه
قضى لاحدهما قبل سماع كلام الاخر وقيل هو قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك بسؤال
نعجتك الى نعاجه فحكم على خصمه بكونه ظالما بمجرد الدعوى فلما كان هذا الحكم مخالفا
للصواب اشتغل داود بالاستغفار والتوبة فثبت بهذه الوجوه نزاهة داود صلى
الله عليه وسلم مما نسب اليه والله اعلم قوله عز وجل فاستغفر ربه اي سال ربه
الغفران وخر راكعا اي ساجدا عبر بالركوع عن السجود لان كل واحد منهما فيه
انحنا وقيل معناه خر ساجدا بعد ما كان راكعا

فصل

اختلف العلما في سجدة
ص هل هي من عزائم السجود فذهب الشافعي انها ليست من عزائم سجود التلاوة وقال
انما هي توبة نبي فلا توجب سجدة التلاوة وقال ابو حنيفة هي من عزائم سجود التلاوة
واستدل بهذه الاية على ان الركوع يقوم مقام السجود في سجدة التلاوة وعن احمد
في سجدة ص روايتان وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها خ عن ابن عباس
قال سجدة ص ليست من عزائم السجود وقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم يسجد فيها خ قال
مجاهد قلت لابن عباس اسجد في ص فقرا ومن ذريته داود وسليمان حتى اتى فبهداهم اقتده
فقال نبيكم ممن امر ان يقتدي بهم فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم وللنسائي عن
ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال سجدها داود توبة ونسجدها شكرا

عن

عن ابي سعيد الخدري قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة ص وهو على المنبر فلما بلغ السجدة
تشزن الناس للسجود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هي توبة نبي ولكني رايتكم تشزنتم فنزل
وسجد فسجد الناس معه اخرجه ابو داود قوله تشزن يعني تاهبوا وتهيأوا واستعدوا للسجود
عن ابن عباس قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله رايتني الليلة وانا نائم
اصلي خلف شجرة فسجدت فسجدت الشجرة لسجودي فسمعتها تقول اللهم اكتب لي بها اجرا وحط
عني بها وزرا واجعلها لي عندك ذخرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود قال ابن عباس
سمعت رسول الله قرا سجدة ثم سجد فقال مثل ما اخبره الرجل من قول الشجرة اخرجه الترمذي
قال المفسرون سجد داود اربعين يوما لا يرفع راسه الا لحاجة او لوقت صلاة مكتوبة ثم يعود
ساجدا تمام اربعين يوما لا ياكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول راسه وهو
ينادي ربه عز وجل ويساله التوبة وكان من دعائه في سجوده سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي
الخلق بما شا سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب سبحان خالق النور الهي انت خلقتني
وكان في سابق علمك ما انا اليه صائر سبحان خالق النور الهي الويل لداود يوم يكشف عنه الغطا
فيقال هذا داود الخاطي سبحان خالق النور الهي باي عين انظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون
من طرف خفي سبحان خالق النور الهي باي قدم اقوم امامك يوم القيامة يوم تزول اقدام الخاطئين
سبحان خالق النور الهي من اين يطلب العبد المغفرة الا من عند سيده سبحان خالق النور الهي لا
اطيق حر شمسك فكيف اطيق حر نارك سبحان خالق النور الهي لا اطيق صوت رعدك فكيف
اطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي اصابه سبحان خالق
النور الهي كيف تستتر الخاطئون بخطاياهم دونك وانت شاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور الهي قد
تعلم سري وعلانيتي فاقبل عذري سبحان خالق النور الهي اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك
لهواي سبحان خالق النور الهي اعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبي التي اوبقتني سبحان خالق
النور الهي فررت اليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم الدين سبحان
قيل مكث داود اربعين يوما لا يرفع راسه حتى نبت المرعى من دموع عينيه حتى غطى راسه
فنودي يا داود اجائع انت فتطعم اظمان انت فتسقى اعار انت فتكسى امظلوم انت فتنتصر
فاجيب في غير ما طلب ولم يجب في ذكر خطيئته بشي فنحب نحبة هاج ما حوله من العشب فاحترق
من حر جوفه ثم انزل الله له التوبة والمغفرة قال وهب ان داود اتاه نداء اني قد غفرت لك
وانت لا تظلم احدا قال اذهب الى قبر اوريا فناده وانا اسمعه نداك فتحلل منه قال فانطلق
داود وقد لبس المسوح حتى جلس على قبره ثم نادى يا اوريا فقال من هذا الذي قطع علي لذتي وايقظني
قال داود قال ما جا بك يا نبي الله قال اسالك ان تجعلني في حل مما كان مني اليك قال وما
كان منك الي قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة فانت في حل فاوحى الله اليه يا داود
الم تعلم اني حكم عدل لا اقضي بالتعنت الا اعلمته انك قد تزوجت امراته قال فرجع فناداه
فاجابه فقال من هذا الذي قطع علي لذتي قال انا داود قال يا نبي الله اليس قد عفوت
عنك قال نعم قال انما فعلت ذلك بك لمكان امراتك وقد تزوجتها قال فسكت ولم يجبه
ودعاه مرة اخرى فلم يجبه وعاوده فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على راسه
ونادى الويل لداود ثم الويل الطويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود اذا نصبت
الموازين بالقسط سبحان خالق النور الويل الطويل لداود حين يوخذ بذنبه فيدفع الى
المظلوم سبحان خالق النور الويل لداود ثم الطويل حين يسحب على وجهه مع الخاطئين
الى النار سبحان خالق النور فاتاه من السما نداء يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت

قال يا رب كيف

بكائك واحبط ذنوبك واقلت عثرتك قال وكيف وصاحبي لم يعف عني قال يا داود
اعطيه من الجنة من الثواب ما لم تر عيناه ولم تسمع اذناه فاقول له رضي عبدي فيقول
يا رب من اين هذا ولم يبلغه عملي فاقول هذا عوض من عبدي داود فاستوهبك منه فيهبك
لي قال يا رب الان قد عرفت انك قد غفرت لي فذلك قوله فاستغفر ربه وخر راكعا واناب
اى رجع فغفرنا له ذلك اى الذنب وان له عندنا اى يوم القيامة بعد المغفرة لزلفى اى
لقربى ومكانة وحسن ماب اى حسن مرجع ومنقلب قال وهب بن منبه ان داود لما تاب
الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقا دمعه ليلا ولا نهارا وكان اصاب الخطيئة
وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر بعد الخطيئة على اربعة ايام يوم للقضا بين بني اسرائيل
ويوم لنسائه ويوم يسيح في الجبال والفيافي والساحل ويوم يخلو في دار له فيها اربعة
الاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان
يوم سياحته يخرج الى الفيافي ويرفع صوته بالمزامير فيبكي ويبكي الشجر والرمال والطير
والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجي الى الجبال ويرفع صوته فيبكي وتبكي معه
الجبال والحجارة والطيور والدواب حتى تسيل من بكائهم الاودية ثم يجي الى الساحل فيرفع
صوته فيبكي وتبكي الحيتان ودواب البحر وطير الماء فاذا امسى رجع فاذا كان يوم نوحه
على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده ويدخل الدار
التي فيها المحاريب فتفرش فيها ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجلس عليها
اربعة الاف راهب عليهم البرانس وفي ايديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع
داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه اصواتهم فلا يزال يبكي حتى
تغرق الفرش في دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجي ابنه سليمان فيحمله
وياخذ داود من تلك الدموع بكفه ويمسح بها وجهه ويقول رب اغفر فلو عدل بكاء
داود بكاء اهل الدنيا لعدله وعن الاوزاعي مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان مثل عيني داود كمثل القربتين ينطفان ما ولقد خدت الدموع في وجهه كخدد
الما في الارض وقال وهب لما تاب الله على داود قال يا رب غفرت لي فكيف لي ان لا
انسى خطيئتي فاستغفر منها وللخاطئين الى يوم القيامة قال فوسم الله خطيئته في يده اليمنى
فما رفع بها طعاما ولا شرابا الا بكى اذا راها وما قام خطيبا في الناس الا وبسط
راحته فاستقبل بها الناس ليروا وسم الخطيئة وكان يبدا اذا دعا استغفر للخاطئين
قبل نفسه وعن الحسن كان داود بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين يقول تعالوا الى
داود الخاطي ولا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير
اليابس في قصعة فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه وكان يذر عليه الملح
والرماد فياكل ويقول هذا اكل الخاطئين قال وكان داود قبل الخطيئة يقوم نصف
الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله
وقال ثابت كان داود اذا ذكر عقاب الله تخلعت اوصاله فلا يسدها الا الا ان اذا
ذكر رحمة الله تراجعت وقيل ان الوحوش والطير كانت تستمع الى قراءته فلما فعل
ما فعل كانت لا تصغي الى قراءته وقيل انها قالت يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك
قوله عز وجل يا داود انا جعلناك خليفة في الارض اى لتدبر امر الناس بامرنا
نا فذ الحكم فيهم فاحكم بين الناس بالحق اى بالعدل ولا تتبع الهوى اى لا تمل
مع ما تشتهي اذا خالف امر الله فيضلك عن سبيل الله اى عن دين الله وطريقه

ان

ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب اى بما تركوا
الايمان بيوم الحساب وقيل بتركهم العمل لذلك اليوم وقيل بترك العدل في القضا
قوله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا قال ابن عباس لا لثواب ولا لعقاب وقيل
معناه ما خلقناهما عبثا لا لشيء ذلك ظن الذين كفروا يعني اهل مكة هم الذين ظنوا انما خلقنا
لغير شيء وانه لا بعث ولا حساب فويل للذين كفروا من النار ام نجعل الذين امنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين في الارض قيل ان كفار قريش قالوا للمؤمنين انا نعطى في الاخرة من
الخير ما تعطون فنزلت هذه الاية ام نجعل المتقين يعني الذين اتقوا الشرك وهم اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم كالفجار يعني الكفار مكة والمعنى لا نجعل الفريقين سوا في الاخرة كتاب
انزلناه اليك اى هذا كتاب يعني القران انزلناه اليك مبارك اى كثير خيره ونفعه
ليدبروا اياته اى ليتدبروا في اوامره ونواهيه ويتفكروا في اسراره العجيبة ومعانيه اللطيفة
وقيل تدبر اياته اتباعه في اوامره ونواهيه وليتذكر اى وليتعظ اولوا الالباب اى ذووا
العقول والبصائر قوله عز وجل ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب اذ عرض عليه
بالعشي الصافنات الجياد قيل ان سليمان غزى اهل دمشق ونصيبين فاصاب منهم الف
فارس وقيل ورثها من ابيه وقيل انها كانت خيلا من البحر لها اجنحة فصلى سليمان الصلاة
الاولى التي هي صلاة الظهر وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه منها تسع مائة فتنبه لصلاة
العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتته الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها
علي فاقبل يضرب سوقها واعناقها بالسيف تقربا لله تعالى وطلبا لمرضاته حيث اشتغل بها
عن طاعته وكان ذلك مباحا له وان كان حراما علينا وبقي منها مائة فرس فالذي في ايدى
الناس من الخيل يقال انها من نسل تلك المائة فلما عقرها لله ابدله الله خيرا منها واسرع
وهي الريح تجري بامره كيف شاء وقوله تعالى اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد قيل هي
الخيل القائمة على ثلاثة قوائم واقامت الرابعة على طرف الحافر من رجل او يد وقيل
الصافن القائم وجاء في الحديث من سره ان يقوم له الناس صفوفا فليتبوأ مقعده من النار
اى قياما الجياد الخيار السراع في الجري واحدها جواد قال ابن عباس يريد الخيل السوابق
فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اى اثرت حب الخير واراد بالخير الخيل سميت به لانه
معقود في نواصيها الخير الاجر والغنيمة وقيل حب الخير يعني المال ومنه الخيل التي عرضت
عليه عن ذكر ربي يعني صلاة العصر حتى توارت اى استترت الشمس بالحجاب اى بما يحجبها
عن الابصار يقال ان الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه ردوها
علي اى ردوا الخيل علي فطفق مسحا بالسوق جمع ساق والاعناق اى جعل يضرب سوقها
واعناقها بالسيف هذا قول ابن عباس واكثر المفسرين وكان ذلك مباحا له لان نبي الله
سليمان لم يكن ليقدم على محرم ولم يكن يتوب عن ذنب وهو ترك الصلاة بذنب اخر
وهو عقر الخيل وقال محمد بن اسحاق لم يعنفه على عقره الخيل اذ كان ذلك اسفا على
ما فاته من فريضة ربه عز وجل وقيل انه ذبحها وتصدق بلحومها وقيل معناه انه
حبسها في سبيل الله وكوى سوقها واعناقها بكي الصدقة وحكى عن علي معنى ردوها
علي يقول بامر الله للملائكة الموكلين بالشمس ردوها علي فردوها عليه فصلى العصر
في وقتها قال الامام محي الدين بل التفسير الحق المطابق لالفاظ القران ان نقول
ان رباط الخيل كان مندوبا اليه في دينهم كما انه كذلك في ديننا ثم ان سليمان عليه السلام
احتاج الى غزو فجلس وامر باحضار الخيل وامر باجرائها وذكر اني لا احبها لاجل الدنيا

وتصيب النفس وانما احبها لامر الله تعالى وتقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربي ثم
انه عليه السلام امر باعدائها واجرائها حتى توارت بالحجاب اي غابت عن بصره ثم امر برد الخيل
اليه وهو قوله ردوها علي فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها والغرض من ذلك
المسح امور الاول تشريفا لها لكونها اعظم الاعوان في دفع العدو والثاني انه اراد ان يظهر
في ضبط السياسة والمملكة الى انه يباشر الامور بنفسه الثالث انه كان اعلم باحوال الخيل
وامراضها وعيوبها من غيره فكان يمسحها ويمسح سوقها واعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل
على المرض فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزمنا شيء من تلك
المنكرات والمحذورات والعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة فان قيل
الجمهور قد فسروا الاية بهذه الوجوه فما قولك فيه فنقول لنا هاهنا مقامان المقام
الاول ان ندعي ان لفظ الاية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي ذكروها وقد ظهر والحمد
لله ان الامر كما ذكرنا ظهورا لا يرتاب عاقل فيه المقام الثاني ان يقال هب ان لفظ
الاية يدل عليه الا انه كلام ذكره الناس وان الدلائل الكثيرة قد قامت على عصمة
الانبياء ولم يدل دليل على صحة هذه الحكايات قوله عز وجل **ولقد فتنا سليمان**
اي اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه وكان سبب ذلك ما ذكر عن وهب بن منبه قال
سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشان
ولم يكن للناس اليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله قد اتى سليمان في ملكه سلطانا
لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على
ظهر الماء حتى نزل بها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها واستبى ما فيها واصاب
فيما اصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها
لنفسه ودعاها الى الاسلام فاسلمت على جفا منها وقلة فقه فاحبها حبا لم يحبه شيئا من
نسائه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقى دمعها فشق ذلك على سليمان
فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقى قالت اني اذكر ابي واذكر
ملكه وما كان فيه وما اصابه فيحزنني فقال سليمان فقد ابدلك الله به ملكا هو اعظم
من ملكه وسلطانا هو اعظم من سلطانه وهداك الى الاسلام وهو خير من ذلك كله قالت
ان ذلك كذلك ولكني اذا ذكرته اصابني ما ترى من الحزن فلو انك امرت الشياطين
فصوروا صورته في داري التي انا فيها اراها بكرة وعشيا لرجوت ان يذهب ذلك
حزني وان يسلي عني بعض ما اجده في نفسي فامر سليمان الشياطين فقال مثلوا لها
صورة ابيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئا فمثلوه لها حتى نظرت الى ابيها بعينه الا
انه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فالبسته ثيابا مثل ثيابه التي كان يلبس ثم كانت
اذا خرج سليمان من دارها تغدو عليه في ولايدها فتسجد له ويسجدن له كما كانت تصنع في
ملكه وتروح كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك اربعين صباحا وبلغ
ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن ابواب سليمان اي ساعة اراد دخول
شيء من بيوته دخل حاضرا سليمان او غائبا فاتاه فقال يا نبي الله كبر سني ورق
عظمي ونفد عمري وقد حان مني الذهاب وقد احببت ان اقوم مقاما قبل الموت اذكر
فيه من مضى من انبياء الله واثني عليهم بعلمي فيهم واعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون
من كثير امورهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى
من انبياء الله واثنى عليهم على كل نبي بما فيه وذكر ما فضله الله به حتى انتهى الى سليمان

فقال

فقال ما كان احلمك في صغرك واورعك ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه من ذلك حتى
ملأ غضبا فلما دخل سليمان داره دعاه فقال يا آصف ذكرت من مضى من انبياء الله
فاثنيت عليهم خيرا في كل زمانهم وعلى كل حال من امرهم فلما ذكرتني جعلت تثني علي خيرا في صغري
وسكت عما سوى ذلك من امري في كبري فما الذي احدثت في آخر امري فقال آصف ان غير الله ليعبد
في دارك منذ اربعين صباحا في هوى امراة فقال سليمان في داري فقال في دارك فقال انا لله
وانا اليه راجعون قد عرفت انك ما قلت الذي قلت الا عن شيء بلغك ثم رجع سليمان الى داره
فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المراة وولايدها ثم امر بثياب الطهرة فاتي بها وهي ثياب
لا يغزلها الا الابكار ولا ينسجها الا الابكار ولا يغسلها الا الابكار لا يمسها امراة قد رات
الدم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وامر برماد ففرش له ثم اقبل تائبا الى الله
تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله وتضرعا اليه يبكي ويدعو ويستغفر
مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى امسى ثم يرجع الى داره فكانت ام ولد يقال لها الامينة
كان اذا دخل الخلاء او اراد اصابة امراة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان
لا يمس خاتمه الا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوما عندها ثم دخل الخلاء
مذهبه واتاها شيطان اسمه صخر المارد في صورة سليمان لا تنكر منه شيئا
فقال خاتمي يا امينة فناولته اياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت
عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فاتى الامينة وقد تغيرت حالته وهيئته عند كل من
رآه فقال يا امينة خاتمي فقالت من انت قال انا سليمان بن داود فقالت كذبت قد جاء سليمان
واخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان ان خطيئته قد ادركته فخرج فجعل يقف
على الدار من دور بني اسرائيل فيقول انا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويقولون
انظروا الى هذا المجنون اي شيء يقول يزعم انه سليمان فلما راى سليمان ذلك عمد الى البحر
فكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر الى السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فاذا امسى باع احدى
سمكتيه بارغفة ويشوي الاخرى فياكلها فمكث على ذلك اربعين صباحا عدة ما كان يعبد
الصنم في داره ثم ان آصف وعظماء بني اسرائيل انكروا حكم عدو الله الشيطان في تلك
المدة فقال آصف يا معشر بني اسرائيل هل رايتم من اختلاف حكم ابن داود ما رايت قالوا نعم قال
امهلوني حتى ادخل على نسائه فاسالهن هل انكرن في خاصة امره ما انكرنا في عامة
الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال ويحكن هل انكرتن من ابن داود ما انكرنا فقلن
اشده ما يدع امراة منا في دمها ولا يغتسل من الجنابة فقال انا لله وانا اليه راجعون
فقال الحسن ما كان الله ليسلط الشيطان على نسائه عليه السلام قال وهب ثم ان آصف
خرج على بني اسرائيل فقال ما في الخاصة اشد في العامة فلما مضى اربعون صباحا طار
الشيطان من مجلسه ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فابتلعته سمكة فاخذها بعض الصيادين
وقد عمل له سليمان صدر يومه فلما امسى اعطاه سمكتين فباع سليمان احداهما بارغفة وبقر
بطن الاخرى ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها فاخذه وجعله في يده ووقع لله ساجدا
وعكف عليه الطير والجن واقبل الناس عليه وعرف الذي كان قد دخل عليه لما كان احدث
في داره ورجع الى ملكه واظهر التوبة من ذنبه وامر الشياطين ان ياتوه بصخر فطلبوه
حتى اخذوه فاتي به فادخله في جوف صخرة وسد عليه باخرى ثم اوثقها بالحديد والرصاص
ثم امر به فقذف في البحر وقيل في سبب فتنة سليمان ان جرادة كانت آثر نسائه عنده
وكان يأتمنها على خاتمه فقالت له يوما ان اخي بينه وبين فلان خصومة فاحب ان تقضي

له قال نعم ولم يفعل فابتلي بقوله نعم وذكر نحو ما تقدم وقيل ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم
من يده فاعاده اليه فسقط وكان فيه ملكه فايقن سليمان بالفتنة فاتاه آصف فقال لسليمان
انك مفتون بذلك والخاتم لا يتماسك في يدك ففر الى الله تائبا فاني اقوم مقامك واسير
بسيرتك الى ان يتوب الله عليك ففر سليمان هاربا واعطى آصف الخاتم فوضعه في يده
فثبت فاقام آصف في ملك سليمان بسيرته اربعة عشر يوما الى ان رد الله على سليمان ملكه
وتاب عليه فرجع الى ملكه وجلس على سريره واعاد الخاتم في يده فثبت فهو الجسد الذي
القي على كرسيه وروي عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عن الناس ثلاثة ايام فاوحى
الله اليه احتجبت عن الناس ثلاثة ايام فلم تنظر في امور عبادي فابتلاه الله عز وجل
وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم واخذ الشيطان اياه قال القاضي عياض وغيره من
المحققين لا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه
في امته بالجور في حكمه وان الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الله الانبياء من
مثل هذا والذي ذهب اليه المحققون ان سبب فتنته ما اخرجاه في الصحيحين من حديث
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على تسعين
امراة كلهن تاتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله فلم يقل ان
شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل وايم الله الذي نفسي
بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وفي رواية لاطوفن بمائة امراة
قال له الملك قل ان شاء الله ولم يقل ونسي قال العلماء والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه
حين عرض عليه وهو عقوبته ومحنته لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من
التمني وقيل نسي ان يستثني كما صح في الحديث لينفذ الله مراده فيه وقيل ان المراد
بالجسد الذي القي على كرسيه انه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض
ان عاش له ولد لم ننفك من البلاء فسبيلنا ان نقتل ولده او نخبله فعلم بذلك سليمان فامر
السحاب فحمله فكان يربيه في السحاب خوفا من الشياطين فبينما هو مشتغل في بعض مهماته
اذ القي ذلك على كرسيه فقال الله تعالى فاستغفر الولد ميتا على كرسيه فعاتبه الله
تعالى على خوفه من الشياطين ولم يتوكل عليه في ذلك فتنبه لخطائه فاستغفر ربه
فذلك قوله عز وجل والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب اي رجع الى مملكته بعد الاربعين
يوما وقيل اناب الى الاستغفار وهو قوله قال رب اغفر لي اي سال ربه المغفرة وهب لي
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي اي لا يكون لاحد من بعدي وقيل لا تسلبنيه في باقي عمري وتعطيه
غيري كما سلبته مني فيما مضى من عمري انك انت الوهاب فان قلت قول سليمان لا ينبغي
لاحد من بعدي يشعر على الحسد والحرص على الدنيا قلت لم يقل ذلك حرصا على طلب الدنيا
ولا نفاسة بها ولكن كان قصده في ذلك ان لا يسلط عليه الشيطان مرة اخرى وهذا
على قول من قال ان الشيطان استولى على مملكته وقيل سال ذلك ليكون علما وآية لنبوته
ومعجزة دالة على رسالته ودلالة على قبول توبته حيث اجاب الله تعالى دعاءه ورد
ملكه اليه وزاده فيه وقيل كان لسليمان ملكا ولكنه احب ان يخص بخاصية كما خص
داود بالانة الحديد وعيسى باحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص فسال شيئا يختص به
كما روي في الصحيحين من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن
تفلت علي البارحة ليقطع صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى سارية
من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي

لاحد

لاحد من بعدي فرددته خاسئا قوله تعالى فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء اي لينة ليست بعاصفة حيث
اصاب اي حيث اراد والشياطين اي سخرنا له الشياطين كل بناء اي يبنون له ما يشاء وغواص يعني
يستخرجون له اللآلي من البحر وهو اول من استخرج اللؤلؤ من البحر وآخرين اي وسخرنا له آخرين وهم مردة
الشياطين مقرنين في الاصفاد اي مشددين في القيود سخروا له حتى قرنهم في الاصفاد هذا عطاؤنا
اي قلنا له هذا عطاؤنا فامنن اي احسن الى من شئت او امسك اي عمن شئت بغير حساب اي
لا حرج عليك فيما اعطيت ولا فيما امسكت قال الحسن ما انعم الله على احد نعمة الا عليه تبعة
الا سليمان فانه ان اعطى اجر وان امسك لم يكن عليه تبعة وقيل هذا في امر الشياطين يعني
هؤلاء الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم في العمل بحل عنه وامسك اي احبس من شئت
منهم في العمل وقيل في الوثاق لا تبعة عليك فيما تتعاطاه وان له عندنا لزلفى وحسن مآب
لما ذكر الله ما انعم عليه به في الدنيا اتبعه بما انعم عليه به في الآخرة قوله عز وجل واذكر عبدنا
ايوب اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب اي بمشقة وعذاب اي ضر وذلك في المال
وقد تقدمت قصة ايوب اركض يعني انه لما انقضت مدة الابتلاء قيل له اركض اي اضرب
برجلك يعني الارض ففعل فنبعت عين ماء عذب هذا مغتسل بارد فامره الله ان يغتسل
منه ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى اربعين خطوة فركض برجله الارض مرة اخرى
فنبعت عين ماء عذب فشرب منه فذهب كل داء كان في باطنه فذلك قوله تعالى وشراب
ووهبنا له اهله ومثلهم معهم رحمة منا اي انما بلغنا فعلنا ذلك معه على سبيل التفضل
والرحمة على اللزوم وذكرى لاولي الالباب يعني سلطنا البلاء عليه فصبر ثم ازلناه عنه وكشفنا
ضره فشكر فهو موعظة لذوي العقول والبصائر وخذ بيدك ضغثا اي ملء كفك من حشيش
او عيدان او ريحان فاضرب به ولا تحنث وكان قد حلف ان يضرب امراته مائة سوط
فشكر الله صبرها معه فافتاه في ضربها وسهل له الامر بان ياخذ ضغثا يشتمل على مائة
عود صغار فيضربها به واحدة ففعل ذلك ولم يحنث في يمينه وهل ذلك لايوب خاصة ام لا
فيه قولان احدهما انه عام وبه قال ابن عباس وعطاء بن ابي رباح والثاني انه خاص لايوب
قاله مجاهد واختلف الفقهاء فيمن حلف ان يضرب عبده مائة سوط فجمعها وضربه بها
ضربة واحدة فاصابه كل سوط على حدته فجمعه وضربه بها واحدة فقال مالك والليث
ابن سعد واحمد لا يبر وقال ابو حنيفة والشافعي اذا ضربه ضربة واحدة فاصابه
كل سوط على حدته فقد بر واحتجوا بعموم هذه الآية انا وجدناه صابرا اي على البلاء
الذي ابتليناه به نعم العبد انه اواب قوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب
اي اذكر صبرهم فابراهيم القي في النار فصبر واسحاق ذهب بصره واضجع للذبح
في قول فصبر ويعقوب ابتلي بفقد ولده وذهاب بصره فصبر اولي الايدي قال ابن
عباس اولي القوة في طاعة الله والابصار اي في المعرفة بالله وقيل لان باليد اكثر
الاعمال وبالبصر اقوى الادراكات فعبر عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر
وللانسان قوتان عالمية وعاملية فاشرف ما يصدر عن القوة العالمية معرفة الله
تعالى فاشرف ما يصدر عن القوة العاملية طاعته وعبادته فعبر عنها بهاتين القوتين
بالايدي والابصار انا اخلصناهم اي اصطفيناهم وجعلناهم لنا خالصين بخالصة
ذكرى الدار قيل معناه اخلصناهم بذكر الآخرة وذكرها وقيل كانوا يدعون الى الآخرة
والى الله تعالى وقيل اخلصوا بخوف الآخرة وذكرها وهو الخوف الدائم في القلب وقيل
اخلصناهم بافضل ما في الآخرة وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار يعني من الذين اخترناهم

الله تعالى والخدم صفوف ومنعاهم من الادناس والاكدار واذكر اسماعيل واليسع وذا
الكفل اي اذكرهم بفضلهم وصبرهم لتسلك طريقهم وكل من الاخيار قوله عز وجل هذا ذكر
اي الذي يتلى عليكم ذكر وقيل شرف وقيل جميل تذكرون وان للمتقين لحسن مآب
اي حسن مرجع ومنقلب يرجعون وينقلبون اليه في الآخرة ثم ذكر ذلك فقال تعالى
جنات عدن مفتحة لهم الابواب قيل تفتح ابوابها لهم بغير فتح بيد بل بالامر يقال
لها انفتحي انغلقي متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات
الطرف اتراب اي مستويات الاسنان والشباب والحسن بنات ثلاث وثلاثين
سنة وقيل متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن ولا يتحاسدن هذا ما توعدون
ليوم الحساب اي قيل للمؤمنين هذا ما توعدونه وقيل هذا ما يوعد به المتقون ان
هذا لرزقنا ما له من نفاد اي دائم ما له من فناء وانقطاع بل هو دائم كلما اخذ منه شيء
عاد مثله في مكانه قوله تعالى هذا اي الامر الذي ذكرناه وان للطاغين يعني الكافرين
لشر مآب يعني شر مرجع يرجعون اليه ثم بينه فقال تعالى جهنم يصلونها اي يدخلونها
فبئس المهاد اي الفراش هذا فليذوقوه حميم وغساق معناه هذا حميم وهو الماء الحار
وغساق قال ابن عباس هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وقيل هو ما يسيل
من القيح والصديد من جلود اهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل الغساق عين
في جهنم وقيل هو البارد المنتن والمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه وآخر من شكله
اي مثل الحميم والغساق ازواج اي اصناف اخر من العذاب هذا فوج مقتحم معكم قال
ابن عباس هو ان القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت الخزنة هذا
فوج يعني جماعة الاتباع مقتحم معكم النار اي داخلوها كما دخلتموها انتم قيل انهم
يضربون بالمقامع حتى يقتحموها بانفسهم خوفا من تلك المقامع قال القادة لا مرحبا
بهم اي بالاتباع انهم صالوا النار اي داخلوها كما صليناها نحن قالوا اي قال الاتباع
للقادة بل انتم لا مرحبا بكم اي لا رحبت بكم الارض والعرب تقول مرحبا واهلا
وسهلا اي اتيت رحبا وسعة انتم قدمتموه لنا يعني يقول الاتباع للقادة انتم
بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتموه لنا وقيل معناه انتم قدمتم لنا هذا العذاب بدعائكم
ايانا الى الكفر فبئس القرار فبئس دار القرار جهنم قالوا يعني الاتباع ربنا من
قدم لنا هذا اي شرعه وسنه لنا فزده عذابا ضعفا في النار اي ضعف عليه العذاب
في النار قال ابن مسعود حيات وافاعي وقالوا يعني كفار قريش وصناديدها واشرافهم
وهم في النار ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم اي في الدنيا من الاشرار يعنون بذلك
فقراء المؤمنين مثل عمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان وانما سموهم اشرارا لانهم
كانوا على خلاف دينهم اتخذناهم سخريا ام زاغت عنهم الابصار يعني ان الكفار
اذا دخلوا النار نظروا فلم يروا فيها الذين كانوا يسخرون منهم فقالوا ما لنا لا
نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخريا لم يدخلوا معنا النار ام دخلوها فزاغت عنهم
الابصار فلم نرهم حين دخلوا وقيل معناه ام هم في النار ولكن احتجبوا عن
ابصارنا وقيل معناه ام كانوا خيرا منا ونحن لا نعلم فكانت ابصارنا تزيغ عنهم
في الدنيا فلا نعدهم شيئا ان ذلك الذي ذكرت لحق ثم بين ذلك فقال تعالى تخاصم
اهل النار اي في النار وانما سماه تخاصما لان قول القادة للاتباع لا مرحبا بهم
وقول الاتباع للقادة بل انتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة قوله عز وجل قل اي يا محمد

لمشركي مكة انما انا منذر اي مخوف وما من اله الا الله الواحد يعني الذي لا شريك له في ملكه
القهار اي الغالب وفيه اشعار بالترهيب والتخويف ثم اردفه بما يدل على الرجاء والترغيب
فقال تعالى رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار فكونه ربا اشعر بالتربية والاحسان
والكرم والجود وكونه غفارا يشعر بانه غفار الذنوب وان عظمت ويرحم قل هو نبأ عظيم
يعني القرآن قاله ابن عباس وقيل يعني يوم القيامة انتم عنه معرضون اي لا تتفكرون فيه
فتعلمون صدقي في نبوتي وان ما جئت به لم اعلمه الا بوحي من الله تعالى ما كان لي من علم
بالملأ الاعلى اذ يختصمون يعني في شأن آدم حين قال الله اني جاعل في الارض
خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فان قلت كيف يجوز ان
يقال ان الملائكة اختصموا بسبب قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
والمخاصمة مع الله لا تليق ولا تمكن قلت لا شك انه جرى هناك سؤال وجواب
وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة وهو علة لجواز المخاصمة فلهذا السبب حسن
اطلاق لفظ المخاصمة عليه ان يوحى الي اي انما علمت هذه المخاصمة بوحي من الله تعالى
الا انما انا نذير مبين يعني الا انما انا نبي انذركم وابين لكم ما تأتونه وتجتنبونه عن ابن
عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني ربي في احسن صورة قال احسبه قال في
المنام فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا قال فوضع يده بين
كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي او قال في نحري فعلمت ما في السموات وما في الارض
قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم في الكفارات والكفارات
المكث في المساجد بعد الصلوات والمشي على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء
في المكاره ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته امه
وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم اني اسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين
وان اردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون قال والدرجات افشاء السلام
واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام وفي رواية فقلت لبيك وسعديك
في المرتين وفيهما فعلمت ما بين المشرق والمغرب اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
غريب **فصل** في الكلام على معنى هذا الحديث وللعلماء في هذا الحديث وفي امثاله
من احاديث الصفات مذهبان احدهما مذهب السلف امراره كما جاء من غير تكييف
ولا تشبيه ولا تعطيل والايمان به من غير تأويل له والسكوت عنه وعن امثاله مع الاعتقاد
بان الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير المذهب الثاني وهو ان يتأول الحديث وقبل الكلام
على معنى هذا الحديث فنتكلم على اسناده فنقول قال البيهقي هذا حديث مختلف في اسناده
فرواه زهير بن محمد عن يزيد بن يزيد عن جابر عن خالد بن اللجلاج عن عبد الرحمن بن عايش عن
رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن
ابي كثير عن زيد بن سلام عن عبد الرحمن بن عايش الحضرمي عن مالك بن عامر عن معاذ بن جبل
عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه موسى بن خلف العمي عن يحيى عن زيد عن جده ممطور
وهو ابو سلام عن ابن السكسكي عن مالك بن عامر وقيل فيه غير ذلك ورواه ايوب عن ابي
قلابة عن ابن عباس وقال فيه احسبه في المنام ورواه قتادة عن ابي قلابة عن خالد
ابن اللجلاج عن ابن عباس قال البخاري عبد الرحمن بن عايش الحضرمي له حديث واحد الا
انهم يضطربون فيه وهو حديث الرؤية قال البيهقي وقد روي من اوجه كلها ضعاف
وفي ثبوته نظر واحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن

خلقه وفيهما ما يدل على ان ذلك كان في المنام فان الصورة هي التركيب والمصور هو
المركب ولا يجوز ان يكون الباري تعالى مصورا ولا ان يكون له صورة لان الصور مختلفة
والهيئات متضادة ولا يجوز اضافة ذلك اليه فاستحال ان يكون مصورا وهو الخالق
البارئ المصور فقوله اتاني ربي في احسن صورة يحتمل وجهين احدهما وانا في احسن صورة
كانه زاده كمالا واوجها لا وحسنا عند رؤيته وفائدة ذلك تعريفنا ان الله تعالى زين خلقه
وحسن صورته عند رؤيته لربه وانما التغيير وقع بعده لشدة الوحي وثقله الوجه الثاني
ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه رآه في احسن صفاته من الانعام
والاقبال والانعطاف لنبيه وانه تلقاه بالاكرام والاعظام والاجلال وقد يقال في صفات
الله تعالى انه جميل ومعناه انه مجمل في افعاله وذلك نوع من الاحسان والاكرام فذلك
حسن صفة الله تعالى وقد يكون حسن الصورة ايضا يرجع الى صفاته العلية من التناهي
في العظمة والكبرياء والعلو والعز والرفعة حتى لا منتهى ولا غاية وراءه ويكون
معنى الحديث على هذا تعريفنا ما تزايد من معارفه صلى الله عليه وسلم عند رؤيته ربه
عز وجل فاخبر عن عظمته وعزته وكبريائه وبهائه وتعاليه عن شبه الخلق وتنزيهه
عن صفات النقص وانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير وقوله صلى الله عليه وسلم
فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فتاويله ان المراد باليد النعمة
والنعمة المنة والرحمة وذلك شائع في لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار
باكرام الله اياه وانما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون معناه اذ لا يجوز
على الله تعالى ولا على صفات ذاته مماسة او مباشرة او نقص وهذا هو اللائق
بتنزيهه وحمل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان في المنام
فقد زال الاشكال وحصل الغرض ولا حاجة لنا الى التأويل لان رؤية الباري
عز وجل في المنام على الصفات الحسنة دليل على البشارة والرحمة والخير للرائي وسبب
اختصام الملأ الاعلى وهم الملائكة في الكفارات وهي الخصال المذكورة في
الحديث انها فضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن
فاعلها فهي من باب تسمية الشيء باسم لازمه وانما سماه مخاصمة لانه ورد مورد
السؤال والجواب وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة فلهذا السبب حسن اطلاق
لفظ المخاصمة عليه والله اعلم قوله عز وجل اذ قال ربك للملائكة اني
خالق بشرا من طين يعني آدم فاذا سويته اي اتممت خلقه ونفخت فيه من روحي
اضاف الروح الى نفسه اضافة ملك على سبيل التشريف كبيت الله وناقة الله ولان
الروح جوهر شريف قدسي يسري في بدن الانسان سريان الضوء في الفضاء وكسريان النار
في الفحم فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر
اي تعظم وكان من الكافرين قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي اي
توليت خلقه استكبرت اي تعظمت بنفسك عن السجود له ام كنت من العالين اي
من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله قال
انا خير منه يعني لو كنت مساويا له في الشرف لكان يقبح ان اسجد له فكيف وانا خير منه
ثم بين قوله خير منه فقال خلقتني من نار وخلقته من طين والنار اشرف من الطين
وافضل منه واخطأ ابليس في القياس لان مآل النار الى الرماد الذي لا ينتفع به والطين
اصل كل ما هو نام نابت كالانسان والشجرة المثمرة ومعلوم ان الانسان والشجرة

الشجرة خير من الرماد وافضل وقيل هب ان النار خير من الطين بخاصيته والطين خير منها وافضل
عواص وذلك مثل رجل شريف نسيب لكنه عار عن كل فضيلة فان نسبه يوجب رجحانه
بوجه واحد ورجل ليس بنسيب ولكنه فاضل عالم فيكون افضل من ذلك النسيب بدرجات
كثيرة قال فاخرج منها اي من الجنة وقيل من السماء وقيل من الخلقة التي كان فيها وذلك
ان ابليس تجبر وافتخر بالخلقة فغير الله خلقه فاسود وقبح بعد حسنه ونورانيته فانك
رجيم اي مطرود وان عليك لعنتي الى يوم الدين فان قلت اذا كان الرجيم بمعنى الطرد
واللعنة لزم التكرار والفرق قلت الفرق ان يحمل الرجم على الطرد من الجنة او السماء
وتحمل اللعنة على الطرد من الرحمة فيكون ابلغ ويحصل الفرق ويزول التكرار فان قلت
كلمة الى لانتهاء الغاية وقوله الى يوم الدين يقتضي انقطاع اللعنة عنه عند مجيء
يوم الدين قلت معناه ان اللعنة باقية عليه في الدنيا فاذا كان يوم القيامة زيد
له مع اللعنة انواع من العذاب ما ينسى بذلك اللعنة فكانها انقطعت عنه قال رب
فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم يعني
النفخة الاولى قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق
والحق اقول اي انا اقول الحق وقيل الاول قسم بالحق وهذا بلفظه لاملأن جهنم
منك اي بنفسك وذريتك وممن تبعك منهم اجمعين يعني من بني آدم قل ما اسألكم عليه
اي على تبليغ الرسالة من اجر اي جعل وما انا من المتكلفين اي من المتقولين القرآن من تلقاء
نفسي وكل من قال شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلف له (ق) عن مسروق قال دخلنا على
ابن مسعود فقال يا ايها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله اعلم فان
من العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسألكم
عليه من اجر وما انا من المتكلفين لفظ البخاري ان هو يعني القرآن الا ذكر اي موعظة للعالمين
اي للخلق اجمعين ولتعلمن يعني انتم يا اهل مكة نبأه اي خبر صدقه بعد حين قال
ابن عباس بعد الموت وقيل يوم القيامة وقيل من بقي علم بذلك اذا ظهر امره وعلا
ومن مات علمه بعد الموت وقال الحسن ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين والله اعلم

تفسير سورة الزمر

نزلت بمكة الا قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم وقوله الله نزل احسن
الحديث وقيل فيها ثلاث آيات مدنيات من قوله يا عبادي الذين اسرفوا الى قوله لا يشعرون
وهي اثنتان وقيل خمس وسبعون آية والف ومائة واثنتان وسبعون كلمة واربعة آلاف
وسبعمائة وثمانية احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تنزيل الكتاب اي هذا
الكتاب وهو القرآن تنزيل من الله العزيز الحكيم لا من غيره انا انزلنا اليك الكتاب
بالحق اي لم ننزله باطلا من غير شيء فاعبد الله مخلصا له الدين اي الطاعة الا لله الدين الخالص
اي شهادة ان لا اله الا الله وقيل لا يستحق الدين الخالص الا الله وقيل يعني الخالص من
الشرك وما سوى الخالص ليس بدين الله الذي امر به لان راس العبادات الاخلاص
في التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهي والذين اتخذوا من دونه اي من دون الله
اولياء يعني الاصنام ما نعبدهم اي قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يعني قربى
وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من خلقكم وخلق السموات والارض ومن ربكم قالوا الله
فيقال لهم ما معنى عبادتكم الاصنام قالوا لتقربنا الى الله زلفى وتشفع لنا عنده ان الله

يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون اي من امر الدين ان الله لا يهدي اي لا يرشد لدينه من هو
كاذب اي قال ان الالهة تشفع له كفار اي باتخاذه الالهة دون الله لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى
اي لاختار مما يخلق ما يشاء يعني الملائكة ثم نزه نفسه فقال تعالى سبحانه اي تنزيها له عن ذلك
وعما لا يليق بطهارته قدسه هو الله الواحد القهار اي في ملكه الذي لا شريك له ولا ولد
القهار اي الغالب الكامل القدرة قوله تعالى خلق السموات والارض بالحق يكور الليل
على النهار ويكور النهار على الليل يعني يغشى هذا هذا وقيل يدخل احدهما على الاخر
وقيل ينقص من احدهما ويزيد في الاخر فما نقص من الليل زاد في النهار وما نقص من
ومنتهى النقصان تسع ساعات ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة وقيل الليل والنهار
عسكران عظيمان يكر احدهما على الاخر وذلك بتقدير قادر عليهما قاهر لهما وسخر الشمس
والقمر كل يجري لاجل مسمى يعني الى يوم القيامة الا هو العزيز الغفار معناه ان خلق هذه
الاشيا العظيمة وان دلت على كونه سبحانه وتعالى عزيزا كامل القدرة مع انه غفار
عظيم الرحمة والفضل والاحسان خلقكم من نفس واحدة يعني ادم ثم جعل منها زوجها
يعني حوى ولما ذكر الله اثبات قدرته في خلق السموات والارض وتكوير الليل على النهار
ثم اتبعه بذكر خلق الانسان ثم اعقبه بذكر خلق الحيوان فقال تعالى وانزل لكم من
الانعام ثمانية ازواج يعني الابل والبقر والغنم والمراد بالازواج الذكر والانثى
من هذه الاصناف وفي تفسير الانزال وجوه قيل انه هنا بمعنى الاحداث والانشا وقيل
ان الحيوان لا يعيش الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالما وهو ينزل من السما
فكان التقدير انزل الما الذي يعيش به الانعام وقيل ان اصول هذه الاصناف خلقت
في الجنة ثم انزلت الى الارض يخلقكم في بطون امهاتكم لما ذكر الله تعالى اصل خلق
الانسان ثم اتبعه بذكر الانعام عقبه بذكر حالة مشتركة بين الانسان والحيوان وهي
كونهما مخلوقين في بطون الامهات وانما قال في بطون امهاتكم لتغليب من يعقل ولشرف
الانسان على سائر الخلق خلقا من بعد خلق يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة في ظلمات
ثلاث قال ابن عباس ظلمة البطن الرحم وظلمة البطن وظلمة المشيمة وقيل ظلمة الصلب
وظلمة الرحم وظلمة البطن ذلكم الله ربكم اي الذي خلق هذه الاشيا ربكم له الملك
اي لا لغيره لا اله الا هو اي لا خالق لهذا الخلق ولا معبود لهم الا الله فانى تصرفون
اي عن طريق الحق بعد هذا البيان قوله عز وجل ان تكفروا فان الله غني عنكم يعني
انه تعالى ما كلف المكلفين ليجر الى نفسه نفعا او ليدفع عن نفسه ضرا وذلك لانه
تعالى غني على الاطلاق فيمتنع في حقه جر المنفعة ودفع المضرة ولانه لو كان محتاجا
لكان ذلك نقصا والله تعالى منزه عن النقصان فثبت بما ذكرنا ان جميع العالمين
لو كفروا واصروا على الكفر فان الله غني عنهم ثم قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر
يعني انه تعالى لا ينفعه ايمان ولا يضره كفر الا انه لا يرضى لعباده الكفر قال ابن عباس
لا يرضى لعباده المؤمنين بالكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان فعلى هذا يكون عاما في اللفظ خاصا في المعنى كقوله عينا يشرب بها عباد
الله يريد بعض عباد الله واجراه قوم على العموم وقالوا لا يرضى لاحد من عباده الكفر
ومعنى الاية لا يرضى لعباده ان يكفروا به وهو قول السلف قالوا كفر الكافر غير
مرضي لله وان كان بارادته لعباده لان الرضى عبارة عن مدح الشي والثنا عليه
بفعله والله تعالى لا يمدح الكفر ولا يثني عليه ولا يكون في ملكه الا ما اراد وقد

لا يرضى به ولا يمدح عليه فقد بان الفرق بين الارادة والرضى وان تشكروا اي تؤمنوا
بربكم وتطيعوه يرضه لكم فيثيبكم عليه ولا تزر وازرة وزر اخرى تقدم بيانه ثم الى
ربكم مرجعكم اي في الاخرة فينبئكم بما كنتم تعملون اي في الدنيا انه عليم بذات الصدور
اي بما في القلوب قوله تعالى واذا مس الانسان الضر اي شدة وبلا دعا ربه منيبا اليه
اي راجعا اليه مستغيثا به ثم اذا خوله اي اعطاه نعمة منه نسي اي ترك ما كان يدعو
اليه من قبل والمعنى نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وجعل لله اندادا يعني
الاصنام ليضل عن سبيله اي ليرد عن دين الله قل اي لهذا الكافر تمتع بكفرك قليلا
اي في الدنيا الى انقضا اجلك انك من اصحاب النار قيل نزلت في عتبة وقيل في ابي حذيفة
المخزومي وقيل هو عام في كل كافر امن هو قانت قيل فيه حذف مجازه امن هو
قانت وقيل مجازه الذي جعل لله اندادا خير امن هو قانت وقيل معنى الاية تمتع بكفرك
انك من اصحاب النار ويا من هو قانت انك من اصحاب الجنة قال ابن عباس نزلت في ابي
بكر وعمر وعن ابن عمر انها نزلت في عثمان وقيل نزلت في ابن مسعود وعمار وسلمان وقيل
الاية عامة في كل قانت وهو المقيم على الطاعة وقال ابن عمر القنوت قراة القران
وطول القيام وقيل القانت القائم بما يجب عليه اناء الليل اي ساعات الليل
اوله واوسطه واخره ساجدا وقائما اي في الصلاة وفيه دليل على ترجيح قيام
الليل على النهار وانه افضل منه وذلك لان الليل استر فيكون ابعد من الريا
ولان ظلمة الليل تجمع الهمم وتمنع البصر عن النظر الى الاشيا واذا صار القلب فارغا
عن الاشتغال بالاحوال الخارجية رجع الى المطلوب الاعلى وهو الخشوع في
الصلاة ومعرفة من يصلي له وقيل لان الليل وقت النوم ومظنة الراحة فيكون
قيامه اشق على النفس فيكون الثواب فيه اكثر يحذر اي يخاف الاخرة ويرجوا
رحمة ربه قيل المغفرة وقيل الجنة وفيه فائدة ومعناه انه قال في مقام الخوف يحذر
الاخرة فلم يضف الحذر الى نفسه وقال في مقام الرجا ويرجوا رحمة ربه وهذا يدل
على ان جانب الرجا اكمل واولى ان ينسب الى الله تعالى ويعضد هذا ما روي عن
انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت فقال
كيف تجدك قال ارجو الله يا رسول الله واني اخاف ذنوبي فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يجتمعان في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه ما يرجو وامنه مما
يخاف اخرجه الترمذي قل هل يستوي الذين يعلمون اي ما وعد الله من الثواب
والعقاب والذين لا يعلمون اي ذلك وقيل الذين يعلمون عمار واصحابه والذين
لا يعلمون ابو حذيفة المخزومي وقيل افتتح الله الاية بالعمل وختمها بالعلم لان
العمل من باب المجاهدات والعلم من باب المكاشفات وهو النهاية فاذا حصلا
للانسان دل على كماله وفضله انما يتذكر اولوا الالباب قوله تعالى قل يا عباد
الذين امنوا اتقوا ربكم اي بطاعته واجتناب معاصيه للذين احسنوا في هذه
الدنيا حسنة يعني للذين امنوا واحسنوا العمل حسنة يعني الجنة وقيل يعني الصحة
والعافية في الدنيا وارض الله واسعة قال ابن عباس يعني ارتحلوا من مكة وفيه
حث على الهجرة من البلد الذي تظهر فيه المعاصي وقيل من امر المعاصي فليهرب منه وقيل
نزلت في مهاجري الحبشة وقيل نزلت في جعفر بن ابي طالب واصحابه حيث لم يتركوا
دينهم لما نزل بهم من البلا وصبروا وهاجروا انما يوفى الصابرون اجرهم بغير

حساب قال علي بن ابي طالب كل مطيع يكال له كيلا ويوزن له وزنا الا الصابرون فانهم
يحثى لهم حثيا ويروى انه يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان
ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض
بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل قوله عز وجل قل يا محمد اني امرت ان اعبد الله
مخلصا له الدين اي مخلصا له التوحيد لا اشرك به شيئا وامرت لان اكون اول المسلمين
اي من هذه الامة وقيل امره اولا بالاخلاص وهو من عمل القلب ثم امره ثانيا بعمل الجوارح
لان شرائع الله لا تستفاد الا من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو المبلغ فكان هو اول الناس
شروعا فيه وانما امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الامر لينبه على ان غيره احق بذلك
فهو كالترغيب لغيره قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم وذلك ان كفار
قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا الذي اتيتنا به الا تنظر الى ملة ابيك
وجدك وقومك فتاخذ بها فانزل الله هذه الآيات ومعنى الآية زجر الغير عن المعاصي
لانه مع جلالة قدره وشرف طهارته ونزاهته ومنصب نبوته اذا كان خائفا حذرا
من المعاصي فغيره اولى بذلك قل الله اعبد مخلصا له ديني فان قلت ما معنى التكرار
في قوله قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين بانه مامور من جهة الله بالاتيان
بالعبادة والاخلاص والثاني انه اخبار وقوله قل الله اعبد مخلصا له ديني قلت
ليس هذا بتكرار لان الاول الاخبار بانه مامور من جهة الله بالاتيان بالعبادة والاخلاص
والثاني انه اخبار بانه امر ان يخص الله وحده بالعبادة ولا يعبد احدا غيره مخلصا له
دينه لان قوله امرت ان اعبد الله لا يفيد الحصر وقوله الله اعبد ولا اعبد احدا
سواه ثم اتبعه بقوله فاعبدوا ما شئتم من دونه ليس امرا بل المراد منه الزجر والتهديد
والتوبيخ ثم بين كمال الزجر بقوله قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم
يعني ازواجهم وخدمهم يوم القيامة قال ابن عباس وذلك ان الله تعالى جعل لكل انسان
منزلا واهلا في الجنة فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والاهل له ومن عمل بمعصية
الله دخل النار وكان ذلك المنزل والاهل لغيره ممن عمل بطاعة الله فخسر نفسه واهله
ومنزله وقيل خسران النفس بدخول النار وخسران الاهل بان يفرق بينه وبين اهله
الا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار اي اطباق وسرادقات ومن تحتهم
ظلل اي فراش ومهاد وقيل احاطت النار بهم من جميع الجهات والجوانب فان قلت
الظلة ما فوق الانسان فكيف سمى ما تحته بالظلل قلت فيه وجوه الاول انه من باب
اطلاق اسم احد الضدين على الآخر الثاني ان الذي تحته من النار يكون ظلة لآخر
تحته في النار لانها دركات الثالث لاجل المماثلة والمشابهة ان الظلة التحتانية
اذا كانت مشابهة للظلة الفوقانية في الايذاء والحرارة سميت باسمها لاجل المماثلة
والمشابهة ذلك يخوف الله به عباده اي المؤمنين لانهم اذا سمعوا حال الكفار
في الآخرة خافوا فاخلصوا التوحيد والطاعة لله وهو قوله يا عباد فاتقون
اي خافوني قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت يعني الاوثان ان يعبدوها
وانابوا الى الله اي رجعوا الى عبادة الله بالكلية وتركوا ما كانوا عليه من
عبادة غيره لهم البشرى اي في الدنيا والآخرة اما في الدنيا فالثناء عليهم بصالح
اعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع في القبر واما في الآخرة فعند الخروج من
القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة وفي الجنة ففي كل

موقف

موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان
فبشر عبادي الذين يستمعون القول يعني القرآن فيتبعون احسنه اي احسن ما يؤمرون
به فيعملون به وهو ان الله تعالى ذكر في القرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو عنه
والعفو احسن الامرين وقيل ذكر العزائم والرخص فيتبعون الاحسن وهو العزائم
وقيل يستمعون القرآن وغيره من الكلام فيتبعون القرآن لانه كله حسن وقال ابن عباس
لما اسلم ابو بكر الصديق جاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن ابي
وقاص وسعيد بن زيد فسالوه فاخبرهم بايمانه فآمنوا فنزلت فيهم فبشر عبادي الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه وقيل نزلت هذه في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون
لا اله الا الله وهم زيد بن عمرو وابو ذر وسلمان الفارسي اولئك الذين هداهم الله
اي لعبادته وتوحيده واولئك هم اولو الالباب افمن حق عليه كلمة العذاب قال ابن
عباس من سبق في علم الله انه في النار وقيل كلمة العذاب لاملان جهنم وقيل هؤلاء في النار
ولا ابالي افانت تنقذ من في النار اي لا تقدر عليه قال ابن عباس يريد ابا لهب
وولده لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية اي منازل في الجنة رفيعة
وفوقها منازل اعلى ارفع منها تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد اي
وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعدا لا يخلف (ق) عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة يتراءون اهل الغرف من فوقهم كما يتراءون
الكوكب الدري الغابر في الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول
الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا
المرسلين قوله الغابر اي الباقي في الافق اي ناحية المشرق او المغرب قوله تعالى الم
تر ان الله انزل من السماء ماء اي ادخل ذلك الماء فسلكه ينابيع اي عيونا وركايا ومسالك
ومجاري في الارض كالعروق في الجسد قال الشعبي كل ما في الارض من السماء نزل ثم يخرج به
اي بالماء زرعا مختلفا الوانه اي من احمر واصفر واخضر وابيض وقيل اصنافه مثل
البر والشعير وسائر انواع الحبوب ثم يهيج اي ييبس فتراه اي بعد خضرته ونضرته
مصفرا ثم يجعله حطاما اي فتاتا متكسرا ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب قوله
عز وجل افمن شرح الله صدره اي وسعه للاسلام وهو قبول الحق كمن طبع الله على
قلبه فلم يهتد فهو على نور من ربه اي على يقين وبيان وهداية روى البغوي باسناد الثعلبي
عن ابن مسعود قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افمن شرح الله صدره للاسلام فهو
على نور من ربه قلنا يا رسول الله كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح
وانفسح قلنا يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار
الغرور والتاهب للموت قبل نزول الموت فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله
القسوة جمود وصلابة تحصل في القلب فان قلت كيف يقسو القلب عن ذكر الله
وهو سبب حصول النور والهداية قلت انهم كلما تلي ذكر الله الذي يكذبون به قست
قلوبهم عن الايمان وقيل ان النفس اذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن قبول
الحق فان سماعها لذكر الله لا يزيدها الا قسوة وكدورة كحر الشمس يزيد اللين للشمع
ويعقد الملح فكذلك القرآن يلين قلوب المؤمنين عند سماعه ولا يزيد الكافرين
الا قسوة قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة القلب وما غضب
الله على قوم الا نزع منهم الرحمة اولئك في ضلال مبين قيل نزلت هذه الآية

عليهم ٦

في ابي بكر الصديق وفي ابي بن خلف وقيل في علي وحمزة وفي ابي لهب وولده وقيل في رسول
الله صلى الله عليه وسلم وفي ابي جهل قوله عز وجل **الله نزل احسن الحديث** يعني القران وكونه
احسن الحديث بوجهين احدهما من جهة اللفظ والاخر من جهة المعنى اما الاول فلان القران
من افصح الكلام وابلغه واجزله وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب والرسائل
بل هو نوع مخالف للكل في اسلوبه واما الوجه الثاني وهو كون القران من احسن الحديث
لاجل المعنى فلانه كتاب منزه عن التناقض والاختلاف مشتمل على اخبار الماضين وقصص
الاولين وعلى اخبار الغيوب الكثيرة وعلى الوعد والوعيد والجنة والنار **كتابا متشابها**
اي يشبه بعضه بعضا في الحسن ويصدق بعضه بعضا **مثاني** اي يثنى فيه ذكر الوعد والوعيد
والامر والنهي والاخبار والاحكام **تقشعر** اي تضطرب وتشمئز **منه جلود الذين يخشون ربهم**
والمعنى انها تاخذهم قشعريرة وهو تغير يحدث في جلد الانسان عند ذكر الوعيد والوجل والخوف
وقيل المراد من الجلود القلوب اي قلوب الذين يخشون ربهم **ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر
الله** اي لذكر الله تعالى وقيل اذا ذكرت ايات الوعيد والعذاب اقشعرت جلود الخائفين
لله واذا ذكرت ايات الوعد والرحمة لانت جلودهم وسكنت قلوبهم وقيل حقيقة المعنى
ان جلودهم تقشعر عند الخوف وتلين عند الرجاء روي عن ابن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه كما يتحات عن الشجرة
اليابسة ورقها وفي رواية حرمه الله على النار قال بعض العارفين المستبشرين في مشاهدة جلال
الله تعالى اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا واذا لاح لهم اثر من عالم الجمال عاشوا قال
قتادة نعت اولياء الله الذين نعتهم الله به ان تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم لذكر الله ولم
ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم انما ذلك في اهل البدع وهو من الشيطان وروى
عن عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي اسماء بنت ابي بكر الصديق كيف كان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون اذا قرئ عليهم القران قالت كانوا كما نعتهم الله
عز وجل تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قال فقلت لها ان ناسا اليوم اذا قرئ عليهم
القران خر احدهم مغشيا عليه قالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروي ان ابن عمر مر برجل
من اهل العراق ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قرئ عليه القران واسمع ذكر الله تعالى
سقط قال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط قال ابن عمر ان الشيطان يدخل في جوف احدهم
ما كان هذا صنيع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذكر ابن سيرين الذين يصرعون اذا قرئ
عليهم القران فقال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرا عليه
القران من اوله الى اخره فان رمى بنفسه فهو صادق فان قلت لم ذكرت الجلود وحدها
اولا في جانب الخوف ثم قرنت بها القلوب ثانيا في الرجاء قلت اذا ذكرت الخشية
التي محلها القلب اقشعرت الجلود من ذكر ايات الوعيد في اول وهلة واذا ذكر الله
ومبنى امره على الرافة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة لينا في جلودهم
وقيل ان المكاشفة في مقام الرجاء اكمل منها في مقام الخوف لان الخير مطلوب بالذات والخوف
ليس بمطلوب فاذا حصل الخوف اقشعر منه الجلد واذا حصل الرجاء اطمان القلب ولان الجلد
ذلك اي القران الذي هو احسن الحديث **هدى الله يهدي به من يشاء** اي هو الذي شرح الله
صدره لقبول الهداية **ومن يضلل الله** اي يجعل قلبه قاسيا مظلما غير قابل لقبول الهداية
فما له من هاد اي يهديه قوله تعالى **افمن يتقي بوجهه سوء العذاب** اي شدته **يوم القيامة**
قيل يجر على وجهه في النار وقيل هو الكافر يرمى به في النار مغلولة يداه الى عنقه وفي

عنقه

وفي عنقه صخرة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشتعل النار في تلك الصخرة ومعنى الاية
وهي في عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للاغلال التي في يده وعنقه ومعنى
الاية افمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو امن من العذاب **وقيل للظالمين** اي يقول لهم
الخزنة **ذوقوا** اي وبال **ما كنتم تكسبون** في الدنيا من المعاصي **كذب الذين من قبلهم** اي من
قبل كفار مكة كذبوا الرسل **فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون** يعني وهم غافلون امنون
من العذاب **فاذاقهم الله الخزي** اي العذاب والهوان **في الحياة الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر
لو كانوا يعلمون** قوله عز وجل **ولقد ضربنا للناس في هذا القران من كل مثل لعلهم يتذكرون**
اي يتعظون **قرانا عربيا** اي فصيحا اعجز الفصحاء والبلغاء عن معارضته **غير ذي عوج** اي منزها
عن التناقض وقال ابن عباس غير مختلف وقيل غير ذي لبس وقيل غير مخلوق ويروى ذلك
عن انس بن مالك وحكي عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين ان القران ليس بخالق
ولا مخلوق **لعلهم يتقون** اي الكفر والتكذيب فان قلت ما الحكمة في تقدم التذكرة
في الاية الاولى على التقوى في هذه الاية قلت سبب تقدم التذكرة ان الانسان اذا تذكر
وعرف ووقف على فحوى الشيء واحاط بمعناه اتقاه واحترز منه قوله تعالى **ضرب الله
مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون** اي متنازعون مختلفون سيئة اخلاقهم والشكس
السيء الخلق المخالف للناس لا يرضى بالانصاف **ورجلا سلما لرجل** اي خالصا له لا شريك
له فيه ولا منازع والمعنى واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل مملوك قد
اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد يدعي انه عبده وهم يتجاذبونه في
مهن شتى فاذا عنت لهم حاجة يتدافعونه فهو متحير في امره لا يدري ايهم يرضي بخدمته
وعلى ايهم يعتمد في حاجته وفي رجل اخر مملوك قد سلم لمالك واحد يخدمه على سبيل
الاخلاص وذلك السيد يعينه في خادمه في حاجته فاي هذين العبدين احسن حالا
واحمد شانا وهذا مثل ضربه الله للكافر الذي يعبد الهة شتى والمؤمن الذي يعبد
الله وحده فكان حال المؤمن الذي يعبد الها واحدا احسن واصلح من حال الكافر الذي
يعبد الهة شتى وهو قوله **هل يستويان مثلا** وهذا استفهام انكاري لا يستويان في
الحال والصفة وقال تعالى **الحمد لله** اي لله الحمد كله وحده دون غيره من المعبودين
وقيل لما ثبت انه لا اله الا هو الواحد الاحد الحق بالدلائل الظاهرة والامثال
الباهرة قال الحمد لله اي على حصول هذه البيانات وظهور هذه الدلالات قال
تعالى **بل اكثرهم لا يعلمون** ان المستحق للعبادة هو الله وحده لا غيره قوله تعالى
انك ميت اي ستموت **وانهم ميتون** اي سيموتون وذلك انهم كانوا يتربصون
برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فاخبر الله ان الموت يعمهم جميعا فلا معنى
للتربص وشماتة الفاني بالفاني وقيل نعى الى نبيه نفسه واليكم انفسكم والمعنى
انك واياهم ميتون وان كنتم احياء فانكم في عداد الموتى **ثم انكم يوم القيامة
عند ربكم تختصمون** قال ابن عباس المحق والمبطل والظالم والمظلوم عن عبد
الله بن الزبير قال لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير
يا رسول الله انكر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا فقال نعم فقال ان
الامر لشديد اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عمر كنا برهة
من الدهر وكنا نرى هذه الاية نزلت فينا وفي اهل الكتابين ثم انكم يوم القيامة
عند ربكم تختصمون قلنا كيف نختصم وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رايت

بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف عرفت انه فينا نزلت وعن ابي سعيد الخدري في هذه
الاية قال كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة
فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم قال
لما نزلت ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قالوا كيف نختصم ونحن اخوان فلما
قتل عثمان قالوا هذه خصومتنا خ عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان
عنده مظلمة لاخيه من عرض او مال فليتحلله اليوم من قبل ان لا يكون دينار ولا درهم
وان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات
صاحبه فحملت عليه م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما
المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال ان المفلس من امتي ياتي يوم القيامة
بصلاة وصيام وزكاة وياتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا
وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان يقضى
ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم يطرح في النار قوله عز وجل فمن اظلم ممن
كذب على الله اي فزعم ان له ولدا او شريكا وكذب بالصدق اذ جاءه اي بالقران وقيل
بالرسالة اليه اليس في جهنم مثوى اي منزل ومقام للكافرين قوله تعالى والذي جاء
بالصدق وصدق به اي والذي صدق به قال ابن عباس الذي جاء بالصدق هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به هو رسول الله ايضا بلغه الى الخلق
وقيل الذي جاء بالصدق هو جبريل جاء بالقران وصدق به محمد رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل الذي جاء بالصدق رسول الله وصدق به ابو بكر الصديق وقيل وصدق
به المؤمنون وقيل الذي جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع وقيل الذي جاء بالصدق
اهل القران ومنه الصدق يجيئون به يوم القيامة وقد ادوا حقه فهم الذين صدقوا
به اولئك هم المتقون اي الذين اتقوا الشرك لهم ما يشاؤون عند ربهم اي من الجزاء والكرامة
ذلك جزاء المحسنين اي في اقوالهم وافعالهم ليكفر الله عنهم اسوأ الذي عملوا اي
يسترها عليهم بالمغفرة ويجزيهم اجرهم باحسن الذي كانوا يعملون اي يجزيهم بمحاسن اعمالهم
ولا يجزيهم بمساويها قوله عز وجل اليس الله بكاف عبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
وقرئ عباده يعني الانبياء عليهم السلام قصدهم قومهم بالسوء فكفاهم الله شر من
عاداهم ويخوفونك بالذين من دونه وذلك انهم خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم معرة
الاوثان وقالوا لتكفن عن شتم الهتنا او ليصيبنك منهم خبل او جنون ومن يضلل
الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز اي منيع في ملكه
ذي انتقام اي ينتقم من اعدائه ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله يعني
ان هؤلاء المشركين مقرون بوجود الاله القادر العالم الحكيم وذلك متفق عليه عند
جمهور الخلائق فان فطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم فان من تأمل عجائب السموات
والارض وما فيهما من انواع الموجودات علم بذلك انها من ابتداع قادر حكيم ثم امره
الله تعالى ان يحتج عليهم بان ما يعبدون من دون الله لا قدرة لها على جلب خير ودفع
ضر وهو قوله تعالى قل افرأيتم ما تدعون من دون الله يعني الاصنام ان ارادني الله
بضر اي بشدة وبلاء هل هن كاشفات ضره او ارادني برحمة اي بنعمة وخير وبركة
هل هن ممسكات رحمته فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم فسكتوا فقال الله تعالى
لرسوله صلى الله عليه وسلم قل حسبي الله اي هو ثقتي وعليه اعتمادي عليه يتوكل المتوكلون

اى عليه

اي عليه يثق الواثقون قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اي اجتهدوا في انواع مكركم
وكيدكم ومنه تهديد وتقريع اني عامل فيما امرت به من اقامة الدين فسوف تعلمون من
يأتيه عذاب يخزيه اي انا وانتم ويحل عليه عذاب مقيم اي دائم وهو تهديد وتخويف انا انزلنا
عليك الكتاب يعني القران للناس بالحق اي ليهتدي به كافة الخلق فمن اهتدى فلنفسه
اي يرجع فائدة هدايته عليه ومن ضل فانما يضل عليها اي يرجع وبال ضلالته عليه
وما انت عليهم بوكيل اي لم توكل بهم ولا تؤخذ بهم وقيل هذا منسوخ باية القتال
قوله تعالى الله يتوفى الانفس اي الارواح حين موتها اي فيقبضها عند فناء اكلها وعند
انقضاء اجالها وهو موت الاجساد والتي لم تمت في منامها والتي لنفس التي يتوفاها
عند النوم هي التي يكون بها العقل والتمييز ولكل انسان نفسان نفس هي التي يكون
بها الحياة وتفارقه عند الموت وتزول بزوالها الحياة والنفس الاخرى هي التي
يكون بها التمييز وهي التي تفارقه عند النوم ولا يزول بزوالها التنفس فيمسك
التي قضى عليها الموت اي فلا يردها الى جسدها ويرسل الاخرى اي ويرد النفس
التي لم يقض عليها الموت الى جسدها الى اجل مسمى اي الى ان يأتي وقت موتها وقيل
ان للانسان نفسا وروحا فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح وقال علي بن ابي طالب
تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعها في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا انتبه من النوم
عادت الروح بالجسد باسرع من لحظة وقيل ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي في
المنام فتتعارف ما شاء الله تعالى فاذا ارادت الرجوع الى اجسادها امسك الله
ارواح الاموات عنده وارسل ارواح الاحياء الى اجسادها الى حين انقضاء اجالها
ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوى احدكم الى فراشه فلينفض
فراشه بداخلة ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول باسمك ربي وضعت جنبي
وبك ارفعه ان امسكت نفسي فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك
الصالحين فان قلت كيف الجمع بين قوله تعالى حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا
قلت المتوفي في الحقيقة هو الله تعالى وملك الموت هو القابض للروح باذن الله
ولملك الموت اعوان وجنود من الملائكة ينتزعون الروح من سائر البدن فاذا بلغت
الحلقوم قبضها ملك الموت ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون اي في البعث وذلك
ان توفي نفس النائم وارسالها بعد التوفي دليل على البعث وقيل ان في ذلك لدليلا
على قدرته حيث لم تغلط في امساك ما يمسك من الارواح وارسال ما يرسل منها ام اتخذوا
من دون الله شفعاء يعني الاصنام قل يا محمد اولو كانوا يعني الالهة لا يملكون
شيئا اي من الشفاعة ولا يعقلون اي انكم تعبدونهم وان كانوا بهذه الصفة قل
لله الشفاعة جميعا اي لا يشفع احد الا باذنه فكان الاشتغال بعبادته اولى
لانه هو الشفيع على الحقيقة وهو يأذن في الشفاعة لمن يشاء من عباده له ملك
السموات والارض اي لا ملك لاحد فيهما سواه ثم اليه ترجعون اي في الاخرة
قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت اي نفرت وقال ابن عباس انقبضت
عن التوحيد وقيل استكبرت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة وقيل اذا اشمأزت
القلب من غضب وغيظه انقبض الروح الى داخله فيظهر على الوجه اثر ذلك مثل
الغبرة والظلمة واذا ذكر الذين من دونه يعني الاصنام اذا هم يستبشرون
اي يفرحون والاستبشار ان يمتلئ القلب سرورا حتى يظهر على الوجه فيتهلل

قوله عز وجل قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اي وصف نفسه
بكمال القدرة وكمال العلم انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اي من امر الدين
م عن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال سالت عائشة باي شي كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح
صلاته اذا قام من الليل قالت كان اذا قام من الليل افتتح صلاته فقال اللهم رب
جبريل وميكائيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك
فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق انك تهدي من تشاء الى صراط
مستقيم قوله عز وجل ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من
سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون اي ظهر لهم حين بعثوا
ما لم يحتسبوا انه نازل بهم في الاخرة وقيل ظنوا انها حسنات فبدت لهم سيئات والمعنى
انهم كانوا يتقربون الى الله تعالى بعبادة الاصنام فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم
يحتسبوا روي ان محمد بن المنكدر جزع عند الموت فقيل له في ذلك فقال اخشى ان يبدو لي ما لم
احتسب وبدا لهم سيئات ما كسبوا اي مساوي اعمالهم من الشرك وظلم اولياء الله وحاق
اي نزل بهم ما كانوا به يستهزئون فاذا مس الانسان ضر اي شدة دعانا ثم اذا خولناه
اي اعطيناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم اي من الله اني له اهل وقيل على خير علمه الله
عندي بل هي فتنة يعني تلك النعمة استدراج من الله وامتحان وبلية ولكن اكثرهم لا يعلمون
يعني انه استدراج قد قالها الذين من قبلهم يعني قارون فانه قال انما اوتيته على علم عندي
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون اي فما اغنى الكفر من العذاب شيا فاصابهم سيئات ما كسبوا
اي جزاؤها وهو العذاب ثم اوعد كفار مكة فقال والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم
سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين اي بفائتين لان مرجعهم الى الله عز وجل اولم يعلموا ان
الله يبسط الرزق اي يوسع الرزق لمن يشاء ويقدر اي يقتر ويضيق على من يشاء ان في
ذلك لايات لقوم يؤمنون قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله روي عن ابن عباس في سبب نزول هذه الاية ان ناسا من اهل الشرك
قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا وانتهكوا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا
يا محمد ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما عملنا كفارة فنزلت والذين
لا يدعون مع الله الها اخر الى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال يبدل الله شركهم
ايمانا وزناهم احصانا ونزلت قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله اخرجه النسائي وعن ابن عباس ايضا قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى
وحشي يدعوه الى الاسلام فارسل اليه فقال كيف تدعوني الى دينك وانت تزعم انه من
قتل او اشرك او زنا يلق اثاما يضاعف له العذاب وانا قد فعلت ذلك كله فانزل
الله الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا فقال وحشي هذا شرط شديد لعلي لا اقدر
عليه فهل غير ذلك فانزل الله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء فقال وحشي اراني بعد في شبهة فلا ادري يغفر لي ام لا فانزل الله قل يا عبادي
الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال وحشي نعم هذا فجاء فاسلم وعن ابن
عمر رضي الله عنهما قال نزلت هذه الايات في عياش بن ابي ربيعة والوليد ونفر
من المسلمين كانوا اسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله من هؤلاء
صرفا ولا عدلا ابدا قوم اسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه فانزل الله
هذه الاية وكتبها عمر بن الخطاب بيده ثم بعث بها الى عياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد
والى

والى اولئك النفر فاسلموا وهاجروا وعن ابن عمر ايضا رضي الله عنهما قال كنا معشر اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم نرى او نقول ليس شي من حسناتنا الا وهي مقبولة حتى نزلت اطيعوا الله
واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم فلما نزلت هذه الاية قلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا
فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا اذا راينا من اصاب منها شيا من ذلك خفنا عليه وان
قلنا هلك فنزلت هذه الاية فكففنا عن القول في ذلك وكنا اذا راينا احدا اصاب شيا
من ذلك خفنا عليه وان لم يصب منها شيا رجونا له قوله تعالى اسرفوا على انفسهم اي تجاوزوا
الحد في كل فعل مذموم وقيل هو ارتكاب الكبائر وغيرها من الفواحش لا تقنطوا من رحمة
الله اي لا تيئسوا من رحمة الله والقنوط من رحمة الله والامن من مكر الله من الكبائر
ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم فان قلت حمل هذه الاية على ظاهرها
اغراء بالمعاصي واطلاق في الاقدام عليها وذلك لا يمكن قلت المراد منه التنبيه على
انه لا يجوز ان يظن العاصي انه لا مخلص له من العذاب فان من اعتقد ذلك فهو قانط من
رحمة الله اذ لا احد من العصاة الا ومتى تاب زال عقابه وصار من اهل المغفرة
والرحمة فمعنى قوله ان الله يغفر الذنوب جميعا اي بالتوبة اذا تاب وصحت التوبة
غفرت ذنوبه ومن مات قبل ان يتوب فهو موكول الى مشية الله فيه فان شاء غفر له
وعفا عنه وان شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة برحمته وفضله فالتوبة واجبة
على كل احد وخوف العقاب قائم فلعل الله يغفر مطلقا ولعله يعذب ثم يعفو
بعد ذلك والله اعلم فصل في ذكر احاديث تتعلق بالاية روي عن ابن مسعود
انه دخل المسجد فاذا قاص يقص وهو يذكر النار والاغلال فقام على راسه فقال
يا مذكر لم تقنط الناس ثم قرا قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
عن اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب ق عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان في بني اسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين انسانا ثم خرج يسال فاتى راهبا
فساله فقال له الي توبة فقال لا فقتله وجعل يسال فقال له رجل ائت قرية كذا وكذا
فادركه الموت فناء بصدره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب
فاوحى الله الى هذه ان تقربي واوحى الى هذه ان تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فوجد
الى هذه اقرب بشبر فغفر له لفظ البخاري ولمسلم قال فدل على راهب فاتاه فقال له
ان رجلا قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سال
عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة قال
نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق الى ارض كذا وكذا فان بها اناسا يعبدون
الله فاعبد الله تعالى معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا
كان نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب
فاوحى الله الى هذه ان تقربي والى هذه ان تباعدي وقال قيسوا ما بينهما فاتاهم
ملك في صورة ادمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين فالى ايتهما كان ادنى
فهو له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة الرحمة ق
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رجل يسرف على نفسه
وفي رواية لم يعمل خيرا قط وفي رواية لم يعمل حسنة قط فلما حضره الموت قال

لبنيه اذا انا مت فاحرقوني ثم اطحنوني ثم ذروني في الريح فوالله لئن قدر علي ربي ليعذبني
عذابا ما عذبه احدا فلما مات فعل به ذلك فامر الله الارض فقال اجمعي ما فيك
ففعلت فاذا هو قائم فقال ما حملك على ما صنعت قال خشيتك يا رب او قال
مخافتك فغفر له بذلك وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان
في بني اسرائيل رجلان متحابان احدهما مذنب والاخر في العبادة مجتهد فكان المجتهد
لا يزال يرى الاخر على ذنب فيقول له اقصر فوجده يوما على ذنب فقال خلني وربي
ابعثت علي رقيبا فقال والله لا يغفر الله لك او لا يدخلك الجنة فقبض الله ارواحهما
فاجتمعا عند رب العالمين فقال الرب للمجتهد اكنت علي في يدي قادرا وقال
للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي وقال للاخر اذهبوا به الى النار قال ابو هريرة
تكلم بكلمة اوبقت دنياه واخرته اخرجه ابو داود وعن انس قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن ادم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ما
كان منك ولا ابالي يا ابن ادم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك يا ابن
ادم لو انك اتيتني بقراب الارض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لاتيتك بقرابها مغفرة اخرجه
الترمذي قوله عنان السماء العنان السحاب وقيل هو ما عن لك منها وقراب الشيء
القرا فهو ما يقارب ملأها قوله عز وجل وانيبوا الى ربكم ارجعوا اليه بالتوبة
والطاعة واسلموا له اي اخلصوا له التوحيد من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون
اي لا تمنعون منه واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم يعني القران لانه كله حسن
ومعنى الاية ما قاله الحسن الزموا طاعة الله واجتنبوا معصيته فانه انزل في القران
ذكر القبيح لتجتنبه وذكر الادون لئلا ترغب فيه وذكر الاحسن لتؤثره وتاخذ به وقيل
الاحسن اتباع الناسخ وترك العمل بالمنسوخ من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم
لا تشعرون يعني وانتم غافلون عنه ان تقول نفس اي لئلا تقول النفس وقيل معناه بادروا
واحذروا ان تقول وقيل خوفا ان تصير الى حال ان تقول نفس يا حسرتى اي يا ندما
وحزنا على ما فرط والتحسر الاغتمام والحزن على ما فات على ما فرطت في جنب
الله اي على ما قصرت في طاعته وقيل في امر الله وقيل في حق الله وقيل على
ما ضيعت في ذات الله وقيل معناه على ما قصرت في الجانب الذي يؤدي الى مرضاة
الله وان كنت لمن الساخرين اي المستهزئين بدين الله وبكتاب الله وبرسول الله
وبالمؤمنين قيل لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر باهلها او تقول لو ان الله
هداني اي ارشدني الى دينه وطاعته لكنت من المتقين اي من الشرك او تقول حين
ترى العذاب اي عيانا لو ان لي كرة اي رجعة الى الدنيا فاكون من المحسنين اي الموحدين
ثم اجاب الله هذا القائل بان الاعذار زائلة والتعلل باطل وهو قوله تعالى
بلى قد جاءتك اياتي يعني القران فكذبت بها اي قلت ليست من الله واستكبرت
اي تكبرت عن الايمان بها وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا
على الله اي زعموا ان له ولدا وشريكا وقيل هم الذين يقولون الاشياء الينا ان
شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل وجوههم مسودة قيل هو سواد يخالف لسائر انواع
السواد اليس في جهنم مثوى للمتكبرين اي عن الايمان قوله تعالى وينجي الله
الذين اتقوا اي الشرك بمفازتهم اي بالطرق التي تؤديهم الى الفوز والنجاة وقرئ
بمفازاتهم اي ينجيهم بفوزهم بالاعمال الحسنة من النار لا يمسهم السوء اي لا يصيبهم

المكروه

المكروه ولا هم يحزنون اي مما هو كائن في الدنيا والاخرة الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل
اي الاشياء كلها موكولة اليه في القيام بحفظها له مقاليد السموات والارض اي مفاتيح
خزائن السموات والارض واحدها مقلاد مثل مفتاح وقيل اقليد على غير قياس وقيل هو
فارسي معرب قال الراجز لم يؤذها الديك بصوت تغريده ولم يعالج غلقا باقليده والمعنى
الله مالك امرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر امرها هو
الذي يملك مقاليدها وقيل مقاليد السموات خزائن الرحمة والرزق والمطر ومقاليد الارض
النبات والذين كفروا بايات الله اي جحدوا بايات الله الظاهرة الباهرة اولئك
هم الخاسرون قوله عز وجل قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون وذلك ان كفار قريش
دعوه الى دين ابائه ووصفهم بالجهل لان الدليل القاطع قد قام بان هو المستحق للعبادة
فمن عبد غيره فهو جاهل ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك
الذي عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع الرسول صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لان
الله عصم نبيه من الشرك وفيه تهديد لغيره ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من
الشاكرين اي لانعامه عليك قوله عز وجل وما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق
عظمته حين اشركوا به غيره ثم اخبر عن عظمته فقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة
والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ق عن ابن مسعود قال جاء حبر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يضع السماء على اصبع والارضين
على اصبع والجبال على اصبع والشجر والانهار على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يقول
انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما قدروا الله حق قدره وفي
رواية ضحك حتى بدت نواجذه والماء والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع
ثم يهزهن وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا
له ثم قرا وما قدروا الله حق قدره الاية ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يطوي الله السموات يوم القيامة ثم ياخذهن بيده اليمنى ثم يقول انا الملك
اين الجبارون اين المتكبرون ثم يطوي الارضين بشماله ثم يقول انا الملك اين الجبارون
اين المتكبرون وفي رواية ويقول انا الله ويقبض اصابعه ويبسطها انا الملك حتى
نظرت الى المنبر يتحرك من اسفل شيء منه حتى اني اقول اساقط هو برسول الله صلى
الله عليه وسلم لفظ مسلم وللبخاري ان الله يقبض يوم القيامة الارضين وتكون
السموات بيمينه ويقول انا الملك خ عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول يقبض الله الارض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض
قال ابو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف الى الله تعالى من صفة اليدين شمال لان الشمال
محل النقص والضعف وقد روي كلتا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة انما هي صفة
جاء بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا نكيفها وننتهي الى حيث انتهى بنا الكتاب
والاخبار المأثورة الصحيحة وهذا مذهب اهل السنة والجماعة وقال سفيان
ابن عيينة كلما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه قوله
عز وجل ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض اي ماتوا من الفزع
وهي النفخة الاولى الا من شاء الله تقدم تفسيره في سورة النمل تفسير هذا
الاستثناء وقال الحسن الا من شاء الله يعني الله وحده ثم نفخ فيه اي في الصور
اخرى مرة اخرى وهي النفخة الثانية فاذا هم قيام اي من قبورهم ينظرون اي ينتظرون

امر الله ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين اربعون قالوا يا ابا هريرة اربعون يوما قال ابيت قالوا اربعون شهرا قال ابيت قالوا اربعون سنة قال ابيت قال ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شيء الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة قوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها وذلك حين يتجلى الرب تعالى لفصل القضاء بين خلقه فما تضارون في نوره كما لا تضارون في الشمس في اليوم الصحو وقيل بعدل ربها واراد بالارض عرصات القيامة ووضع الكتاب اي كتاب الاعمال وقيل اللوح المحفوظ لان فيه اعمال الخلق من المبتدا الى المنتهى وجيء بالنبيين يعني ليكونوا شهداء على اممهم والشهداء قال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يعني الحفظة وقضي بينهم بالحق اي بالعدل وهم لا يظلمون اي لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم ووفيت كل نفس ما عملت اي ثواب ما عملت وهو اعلم بما يفعلون يعني انه سبحانه وتعالى عالم بافعالهم لا يحتاج الى كاتب ولا شاهد قوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم يعني سوقا عنيفا زمرا اي افواجا بعضهم على اثر بعض كل امة على حدة وقيل جماعات في تفرقة واحدتها زمرة حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها يعني السبعة وكانت قبل ذلك مغلقة وقال لهم خزنتها يعني توبيخا وتقريعا الم ياتكم رسل منكم اي من انفسكم ومن جنسكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب اي وجبت على الكافرين وهي قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين قيل ادخلوا ابواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين قوله عز وجل وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا فان قلت عبر عن الفريقين بلفظ السوق فما الفرق بينهما قلت المراد بسوق اهل النار طردهم الى العذاب بالهوان والعنف كما يفعل بالاسير اذا سيق الى الحبس او القتل والمراد بسوق اهل الجنة مراكبهم لانهم يذهبون اليها راكبين والمراد بذلك السوق اسراعهم الى دار الكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها فان قلت قال في اهل النار فتحت بغير واو وهنا زاد حرف الواو فما الفرق قلت فيه وجوه احدها انها زائدة والثاني انها واو الحال مجازه وقد فتحت ابوابها فادخل الواو لبيان انها كانت مفتحة قبل مجيئهم اليها وحذفها في الاية الاولى لبيان ان ابواب جهنم كانت مغلقة قبل مجيئهم اليها ووجه الحكمة في ذلك ان اهل الجنة اذا جاؤها وجدوا ابوابها مفتحة حصل السرور والفرح بذلك واهل النار اذا راوها مغلقة كان ذلك نوع ذل وهوان لهم الثالث زيدت الواو هنا لبيان ان ابواب الجنة ثمانية ونقصت هناك لان ابواب جهنم سبعة والعرب تعطف بالواو فيما فوق السبعة تقول ستة سبعة وثمانية فان قلت حتى اذا جاؤها شرط فاين جوابه قلت فيه وجوه احدها انه محذوف والمقصود من الحذف ان يدل على انه بلغ في الكمال الى حيث لا يمكن ذكره والثاني ان الجواب هو قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم بغير واو والثالث تقديره فادخلوها خالدين فحذف دخولها لدلالة الكلام عليه وقال لهم خزنتها سلام عليكم اي ابشروا بالسلامة من كل الآفات طبتم قال ابن عباس معناه طاب لكم المقام وقيل اذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض حتى اذا هذبوا وطيبوا ادخلوا الجنة فيقول لهم رضوان واصحابه سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقال علي بن ابي طالب رضي

الله

الله عنه اذا سيقوا الى الجنة فاذا انتهوا اليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحتها عينان فيغتسل المؤمن من احداهما فيطهر ظاهره ويشرب من الاخرى فيطهر باطنه وتتلقاهم الملائكة على ابواب الجنة يقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده اي بالجنة واورثنا الارض اي ارض الجنة نتصرف فيها كما نشاء تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه وهو قوله نتبوا من الجنة اي من الجنة حيث نشاء فان قلت ما معنى قوله حيث نشاء وهل يتبوا احدهم مكان غيره قلت يكون لكل واحد منهم جنة لا توصف سعة وحسنا وزيادة على الحاجة فيتبوا من جنته حيث يشاء ولا يحتاج الى غيره وقيل ان امة محمد صلى الله عليه وسلم يدخلون الجنة قبل الامم فينزلون فيها حيث شاؤا ثم تنزل الامم فيما فضل منها قال الله عز وجل فنعم اجر العاملين اي ثواب المطيعين في الدنيا الجنة في العقبى وترى الملائكة حافين من حول العرش محدقين محيطين بالعرش مصطفين بحافته وجوانبه يسبحون بحمد ربهم وقيل هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد لان التكليف يزول في ذلك اليوم وقضي بينهم بالحق اي قضي بين اهل الجنة واهل النار بالعدل وقيل الحمد لله رب العالمين اي يقول اهل الجنة شكرا حين تم وعد الله لهم وقيل ابتدا الله ذكر الخلق بالحمد في قوله الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختم بالحمد في اخر الامر وهو استقرار الفريقين في منازلهم فنبه بذلك على تحميده في بداية كل امر وخاتمته والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة المؤمن

وهي مكية غير ايتين وهما قوله الذين يجادلون في ايات الله والتي بعدها وهي خمس وثمانون اية والف ومائة وتسع وتسعون كلمة واربعة الاف وتسعمائة وستون حرفا عن عبد الله بن مسعود قال ان مثل صاحب القران كمثل رجل انطلق يرتاد لاهله منزلا فمر باثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه اذ هبط على روضات دمثات فقال عجبت من الغيث الاول فهذا اعجب فقيل له ان مثل الغيث الاول مثل عظم القران وان مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل ال حم في القران وعن ابن عباس قال لكل شيء لباب ولباب القران الحواميم وقال ابن مسعود اذا وقعت في ال حم وقعت في روضات اتانق فيهن وقال سعد بن ابراهيم كن ال حم تسمين العرائس بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم قال ابن عباس حم اسم الله الاعظم وعنه قال الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وقيل حم اسم للسورة وقيل الحاء افتتاح اسمائه حليم وحميد وحي وحكيم وحنان والميم افتتاح اسمائه ملك ومجيد ومنان وقيل حم معناه حم بضم الحاء اي قضي ما هو كائن به تنزيل الكتاب من الله العزيز اي الغالب والقادر وقيل الذي لا مثل له العليم اي بكل المعلومات غافر الذنب اي ساتر الذنب وقابل التوب اي التوبة قال ابن عباس غافر الذنب وقابل التوب لمن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله ذي الطول اي ذي السعة والغنى وقيل ذي التفضل والنعم واصل الطول الانعام والنعم وقيل الطول الانعام الذي تطول مدته على صاحبه لا اله الا هو اي هو الموصوف بصفات الوحدانية التي لا يوصف بها غيره اليه المصير اي مصير العباد اليه في الآخرة قوله تعالى ما يجادل اي ما يخاصم ويجادل في ايات الله اي في دفع ايات الله بالتكذيب والانكار الا الذين كفروا قال ابو العالية

لبيان ما اشدهما على الذين يجادلون في القرآن قوله ما يجادل في آيات الله الا الذين
كفروا وقوله وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد وعن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان جدالا في القرآن كفر اخرجه ابو داود وقال المراء في
القرآن كفر وعن شعيب عن ابيه عن جده قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما
يتمارون فقال انما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض
وانما انزل الكتاب يصدق بعضه بعضا فلا تكذبوا بعضه ببعض فما علمتم منه فقولوه
وما جهلتم فكلوه الى عالمه وعن ابن عمرو بن العاصي قال هجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوما فسمع اصوات رجلين اختلفا في آية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه
الغضب فقال انما اهلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب فلا يغررك تقلبهم
اي تصرفهم في البلاد للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم فان عاقبة امرهم العذاب
كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم اي الكفار الذين تحزبوا على انبيائهم بالتكذيب
من بعد قوم نوح وهمت كل امة برسولهم ليأخذوه قال ابن عباس ليقتلوه ويهلكوه وقيل
ليأسروه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق اي ليبطلوا به الحق الذي جاءت
به فأخذتهم فكيف كان عقاب اي انزلت بهم الهلاك كما هموا بانزاله بالرسل وقيل
معناه فكيف كان عقابي اياهم اليس كان مهلكا مستأصلا وكذلك حقت اي وجبت
كلمة ربك اي كما وجبت كلمة العذاب على الامم المكذبة حقت على الذين كفروا من قومك
انهم اي بانهم اصحاب النار قوله عز وجل الذين يحملون العرش قيل هم حملة العرش اليوم
اربعة فاذا كان يوم القيامة امدهم الله باربعة اخر كما قال ويحمل عرش ربك فوقهم
يومئذ ثمانية وهم اشرف الملائكة وافضلهم لقربهم من الله عز وجل وهم على صورة
الاوعال وجاء في الحديث لكل ملك منهم وجه رجل ووجه اسد ووجه ثور ووجه نسر
ولكل واحد منهم اربعة اجنحة جناحان منها على وجهه مخافة ان ينظر الى العرش
فيصعق وجناحان يهفو بهما في الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتكبير
والتمجيد ما بين اظلافهم الى ركبهم كما بين سماء الى سماء وقال ابن عباس حملة العرش ما بين
كعب احدهم الى اسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ويروى ان اقدامهم في تخوم الارضين
والارضون والسموات الى حجزهم وهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت سبحان
ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح
وقيل ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم
وهم اشد خوفا من اهل السماء السابعة واهل السماء السابعة اشد خوفا من التي تليها
والتي تليها اشد خوفا من التي تليها وروى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذن
لي ان احدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه
مسيرة سبعمائة عام اخرجه الترمذي واما صفة العرش فقيل انه جوهرة خضراء وهو من
اعظم المخلوقات خلقا وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده انه قال ان ما بين القائمة
من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين الف عام ويكسى
العرش كل يوم الف لون من النور لا يستطيع ان ينظر اليه خلق من خلق الله والاشياء
كلها في العرش كحلقة في فلاة قال مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون
الف حجاب نور وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقيل ان العرش قبلة
اهل السماء كما ان الكعبة قبلة اهل الارض قوله ومن حوله يعني الطائفين به وهم

الكروبيون

الكروبيون وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه ان حول العرش سبعين الف
صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء ويدبر هؤلاء فاذا استقبل
بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن ورائهم سبعون الف صف قيام ايديهم الى اعناقهم
قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير اولئك وتهليلهم رفعوا اصواتهم فقالوا
سبحانك وبحمدك ما اعظمك واجلك انت الله لا اله غيرك انت الاكبر والخلق كلهم اليك
راجعون ومن وراء هؤلاء وهؤلاء مائة الف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس
منهم احد الا يسبح بتحميد لا يسبحه الاخر ما بين جناحي احدهم مسيرة ثلاثمائة عام وما بين
شحمة اذن احدهم الى عاتقه اربعمائة عام واحتجب الله من الملائكة الذين حول العرش بسبعين
حجابا من الظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا من در ابيض وسبعين حجابا من ياقوت
احمر وسبعين حجابا من زبرجد اخضر وسبعين حجابا من ثلج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا
من برد وما لا يعلمه الا الله عز وجل قوله يسبحون بحمد ربهم اي ينزهون الله عما لا يليق
بجلاله والتسبيح هو الاعتراف بانه المنعم على الاطلاق ويؤمنون به اي يصدقون بانه واحد
لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له فان قلت الذين يسبحون بحمد ربهم يؤمنون به ولا يكون
التسبيح الا بعد الايمان فما فائدة قوله ويؤمنون به قلت فائدته التنبيه على شرف
الايمان وفضله والترغيب فيه ولما كان الله عز وجل محتجبا عنهم يحجب جلاله وجماله
وكماله وصفهم بالايمان به قال شهر بن حوشب حملة العرش ثمانية فاربعة منهم يقولون
سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واربعة منهم يقولون سبحانك
اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكانهم يرون ذنوب بني آدم ويستغفرون
للذين آمنوا اي يسألون الله طلب المغفرة لهم قيل هذا الاستغفار من الملائكة مقابل
لقولهم اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فلما صدر هذا منهم اولا تداركوا بالاستغفار
لهم ثانيا وهو كالتنبيه لغيرهم فيجب على كل من تكلم في احد بشئ يكره ان يستغفر له ربنا
اي ويقولون ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك كل شئ وفيه تنبيه
على تقديم الثناء على الله بما هو اهله قبل المطلوب بالدعاء فلما قدموا الثناء على الله عز وجل
قالوا فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك اي دينك وقهم عذاب الجحيم قال مطرف انصح
عباد الله للمؤمنين الملائكة واغش الخلق للمؤمنين الشياطين ربنا وادخلهم جنات
عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم انك انت العزيز الحكيم قيل
اذا دخل المؤمن الجنة قال اين ابي اين امي واين ولدي واين زوجتي فيقال انهم لم يعملوا
عملك فيقول اني كنت اعمل لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة فاذا اجتمع باهله في الجنة
كان اكمل لسروره ولذته وقهم السيئات اي عقوبات السيئات ان تصونهم عن الاعمال الفاسدة التي
توجب العقاب ومن تق السيئات يومئذ اي تقيه في الدنيا فقد رحمته اي في القيامة
وذلك هو الفوز العظيم اي النعيم الذي لا ينقطع في جوار ملك لا تصل العقول الى كنه عظمته
وجلاله قوله تعالى ان الذين كفروا ينادون اي يوم القيامة وهم في النار وقد مقتوا انفسهم
حين عرضت عليهم سيئاتهم وعاينوا العذاب فيقال لهم لمقت الله اي اياكم في الدنيا اكبر من
مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اليوم عند حلول العذاب بكم قالوا ربنا
امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين قال ابن عباس كانوا امواتا في اصلاب آبائهم فاحياهم
الله في الدنيا ثم اماتهم الموتة التي لا بد منها ثم احياهم للبعث يوم القيامة فهذه موتتان
وحياتان وقيل اميتوا في الدنيا ثم احيوا في القبر للسؤال ثم اميتوا في قبورهم ثم احيوا للبعث

في الاخرة وذلك انهم عددوا في اوقات البلاء والمحنة وهي اربعة الموتة الاولى ثم الحياة في
القبر ثم الموتة الثانية فيه ثم الحياة للبعث واما الحياة الاولى التي في الدنيا لم يعدوها
لانها ليست من اقسام الشدائد البلاء وقيل ذكر حياتين وهي حياة الدنيا وحياة القيمة ٥
وموتين وهي الموتة الاولى في الدنيا ثم الموتة الثانية في القبر بعد حياة الدنيا السؤال ولم
يعدوا احياة السؤال لقصر مدتها فاعترفنا بذنوبنا يعني انكارهم البعث بعد الموت فلما اتاهم
البعث اعترفوا بذنوبهم ثم سالوا الرجعة بقولهم فهل الى خروج من سبيل اي من النار من سبيل والمعنى فهل
من رجوع الى الدنيا من سبيل لنصلح اعمالنا ونعمل بطاعتك وهذا كلام من غلب عليه الياس والقنوط
من الخروج وانما قالوا ذلك تعللا وتحيرا والمعنى فلا خروج ولا سبيل اليه ولهذا جا الجواب على
حسب ذلك وهو قوله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم معناه فاجيبوا ان لا سبيل
الى الخروج وهذا العذاب والخلود في النار بانكم اذا دعي الله وحده كفرتم يعني اذا قيل لا اله الا
الله انكرتم ذلك وان يشرك به اي غيره تؤمنوا اي تصدقوا ذلك الشرك فالحكم لله العلي اي
اعلى منه الكبير اي اكبر منه قوله تعالى هو الذي يريكم اياته اي عجائب مصنوعاته التي تدل
على كمال قدرته وينزل لكم من السماء رزقا يعني المطر الذي هو سبب الارزاق وما يتذكر
اي يتعظ بهذه الايات الا من ينيب اي يرجع الى الله في جميع اموره فادعوا الله مخلصين
له الدين اي الطاعة والعبادة ولو كره الكافرون قوله عز وجل رفيع الدرجات اي
رافع درجات الانبيا والاوليا والعلما في الجنة وقيل معناه المرتفع اي انه سبحانه
وتعالى هو المرتفع بعظمته في صفات جلاله وكماله ووحدانيته المستغني عما سواه وكل
الخلق فقرا اليه ذو العرش اي خالقه ومالكه والفائدة في تخصيص العرش بالذكر لانه
اعظم الاجسام ولان المقصود بيان كمال التنبيه على كمال القدرة فكلما كان اعظم
كانت دلالته على كمال القدرة اقوى يلقي الروح يعني ينزل الوحي سماه روحا لان به تحيى الارواح
كما تحيى الابدان بالارواح من امره قال ابن عباس من قضائه وقيل بامره وقيل من قوله
على من يشا من عباده يعني الانبيا لينذر يوم التلاق يعني لينذر النبي صلى الله عليه وسلم
بالوحي يوم التلاق وهو يوم القيمة والمعنى يلتقي اهل السما واهل الارض وقيل يلتقي
الخلق والخالق وقيل يلتقي العابدون والمعبودون وقيل يلتقي المرء مع عمله وقيل
الظالم والمظلوم يوم هم بارزون اي خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شي لا يخفى
على الله منهم شي اي من اعمالهم واحوالهم فان قلت ان الله تعالى لا يخفى عليه شي في سائر
الايام فما وجه التخصيص لذلك اليوم قلت كانوا يتوهمون في الدنيا اذا استتروا هم
بالحيطان والحجب ان الله لا يراهم ويخفى عليه اعمالهم وهم في ذلك اليوم صايرون من
السرور والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيه مثل ما كانوا يتوهمون في الدنيا لمن الملك
اليوم اي يقول الله عز وجل في ذلك اليوم بعد فنا الخلق لمن الملك اليوم فلا احد يجيبه
فيجيب نفسه تعالى فيقول لله الواحد القهار اي الذي قهر الخلق بالموت وقيل اذا
حضر الاولون والاخرون في القيمة نادى مناد لمن الملك فيجيبه جميع الخلائق
يوم القيامة لله الواحد القهار فالمؤمنون يقولونه تلذذا كما حيث كانوا يقولونه
في الدنيا ونالوا المنزلة الرفيعة في العقبى والكفار يقولونه على سبيل الذل والصغار
والندامة حيث لم يقولوه في الدنيا اليوم تجزى كل نفس بما كسبت يعني يجزى المحسن
باحسانه والمسيء باسائته لا ظلم اليوم اي ان الخلق امنون في ذلك اليوم من الظلم
لان الله ليس بظلام للعبيد ان الله سريع الحساب اي ان الله تعالى لا يشغله حساب عن

حساب

عن حساب يحاسب الخلق كلهم في وقت واحد قوله تعالى وانذرهم يوم الازفة يعني يوم القيمة
سميت ازفة لقربها وقتها وكل ما هو ات قريب اذ القلوب لدى الحناجر وذلك لانها تزول
عن اماكنها من الخوف حتى تصير الى الحناجر فلا هي تعود الى اماكنها ولا هي تخرج من افواههم فيموتوا
ويستريحوا كاظمين اي مكروبين ممتلئين خوفا وحزنا حتى يضيق القلب عنه ما للظالمين من
حميم اي من قريب ينفعهم ولا شفيع يطاع يشفع لهم اي فيهم يعلم خائنة الاعين اي خيانتها وهي
مسارقة النظر الى ما لا يحل وقيل هو نظر الاعين الى ما نهى الله عنه وما تخفي الصدور اي يعلم مضمرات
القلوب والله يقضي بالحق اي يحكم بالعدل والذين يدعون من دونه يعني الاصنام لا يقضون
بشي لانها لا تعلم شيا ولا تقدر على شي ان الله هو السميع اي لاقوال الخلق البصير لافعالهم
اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم اشد منهم
قوة واثارا في الارض اي المعنى ان العاقل من اعتبر بغيره فان الذين مضوا من الكفار كانوا
اشد قوة من هؤلا فلم تنفعهم قوتهم فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق
اي يدفع عنهم العذاب ذلك اي ذلك العذاب الذي نزل بهم بانهم كانت تاتيهم رسلهم
بالبينات فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب قوله عز وجل ولقد ارسلنا موسى
باياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم
بالحق من عندنا قالوا يعني فرعون وقومه واتباعهم اقتلوا ابنا الذين امنوا معه واستحيوا
نساءهم وما كيد الكافرين الا في ضلال يعني يذهب كيدهم باطلا ويحيق بهم ما يريده الله تعالى
وقال فرعون اي للملايه ذروني اقتل موسى وانما قال فرعون هذا لانه كان في خاصة قومه
من يمنعه من قتل موسى وانما منعوا عن قتله لانه كان فيهم من يعتقد بقلبه انه كان صادقا
وقيل قالوا لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف ولا يقدر ان يغلب على سحرنا وان قتلته قالت
العامة كان محقا صادقا فعجزوا عن جوابه فقتلوه وليدع ربه اي وليدع موسى ربه الذي زعم
انه ارسله الينا فيمنعه منا اني اخاف ان يبدل دينكم يعني يقول فرعون نغير دينكم الذي انتم
عليه او ان يظهر في الارض الفساد يعني بذلك تغيير الدين وعبادته وعبادة غيره وقال
موسى لما اوعده فرعون بالقتل اني عذت بربي وربكم يعني ان موسى لما اوعده فرعون في شدة
الامر استعاذ بالله واعتمد عليه فلا جرم ان صانه الله من كل بلية من كل متكبر اي
متعظم عن الايمان لا يؤمن بيوم الحساب قوله عز وجل وقال رجل مؤمن من ال فرعون
يكتم ايمانه قيل كان ابن عم فرعون وقيل كان من بني اسرائيل فعلى
هذا يكون معنى الاية وقال رجل مؤمن يكتم ايمانه من ال فرعون وكان اسم هذا الرجل حزبيل
عند ابن عباس واكثر العلما وقال ابن اسحاق كان اسمه جبر وقيل حبيب اتقتلون رجلا
ان يقول اي لان يقول ربي الله وهذا استفهام انكار وهو اشارة الى التوحيد وقوله وقد
جاءكم بالبينات من ربكم فيه اشارة الى تقرير نبوته باظهار المعجزة والمعنى وقد جاءكم بما يدل
على صدقه وان يك كاذبا فعليه كذبه اي لا يضركم ذلك لانه يعود وبال كذبه عليه
وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم قيل معناه يصبكم الذي يعدكم ان قتلتموه
وهو صادق وقيل بعض على اصلها اي يصبكم بعض الذي يعدكم ان الله لا يهدي من
هو مسرف كذاب اي على الله عن عروة بن الزبير قال سالت عبد الله بن عمرو بن العاص عن
اشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي بفنا الكعبة اذ اقبل عقبة ابن ابي معيط فاخذ بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا فاقبل ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول

الله صلى الله عليه وسلم وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم
قوله تعالى يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض أي غالبين في الأرض أي أرض مصر فمن ينصرنا
أي يمنعنا من بأس الله إن جاءنا والمعنى لكم اليوم الملك فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب
وقتل النبي فإنه لا مانع من عذاب الله إن حل بكم قال فرعون ما أريكم يعني من الرأي والنصيحة
إلا ما أرى لنفسي وما أهديكم إلا سبيل الرشاد أي ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى ثم حكى الله
تعالى أن مؤمن آل فرعون رد على فرعون هذا الكلام وخوفه أن يحل به مثل ما حل بالأمم قبله
بقوله وقال الذي آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد
وثمود والذين من بعدهم أي مثل عادتهم في الإقامة على التكذيب حتى أتاهم التكذيب وما
الله يريد ظلما للعباد أي لا يهلكهم إلا بعد إقامة الحجة عليهم ويا قوم إني أخاف عليكم يوم
التناد يعني يوم القيامة سمي يوم القيامة يوم التناد لأنه فيه كل أناس بإمامهم فينادي
بعضهم بعضا فينادي أصحاب الجنة أصحاب النار وأصحاب النار أصحاب الجنة وينادون
فيه بالسعادة والشقاوة ألا إن فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبدا وفلان
ابن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وينادي به حين يذبح الموت يا أهل الجنة
خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت وقيل ينادي المؤمن هاؤم اقرؤوا كتابيه
وينادي الكافر يا ليتني لم أوت كتابيه وقيل يوم التناد يوم التناد من ند البعير إذا
هرب وذلك أنهم إذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الأقطار إلا
وجدوا الملائكة صفوفا عليه فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه يوم تولون مدبرين
أي منصرفين عن موقف الحساب إلى النار ما لكم من الله من عاصم أي يعصمكم من العذاب
عذابه ومن يضلل الله فما له من هاد أي يهديه ولقد جاءكم يوسف يعني يوسف بن يعقوب
من قبل أي من قبل موسى بالبينات يعني قوله أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار
قيل مكث فيهم يوسف عشرين سنة نبيا وقيل إن فرعون يوسف هو فرعون موسى وقيل
هو فرعون آخر فما زلتم في شك مما جاءكم به قال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك
له والمعنى أنهم بقوا شاكين في نبوته فلم ينتفعوا بتلك البينات التي جاءهم بها حتى إذا
هلك يعني مات قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا أي أقمتم على كفركم وظننتم أن الله
لا يجدد عليكم الحجة وإنما قالوا ذلك على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان بل
قالوا ذلك ليكون لهم أساسا في تكذيب الأنبياء الذين يأتون بعده وليس قولهم لن يبعث
الله من بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها وإنما هو تكذيب
لرسالة من بعده مضموم إلى التكذيب برسالته كذلك يضل الله من هو مسرف أي في
شركه وعصيانه مرتاب أي في دينه الذين يجادلون في آيات الله قيل هذا تفسير للمسرف
المرتاب يعني الذين يجادلون في إبطال آيات الله بالتكذيب بغير سلطان أي بغير حجة وبرهان
أتاهم من الله كبر مقتا أي ذلك الجدال مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع
الله على كل قلب متكبر جبار قوله عز وجل وقال فرعون يعني لوزيره يا هامان ابن لي صرحا
أي بناء ظاهرا لا يخفى على الناظر وإن بعد وقد تقدم ذكره في سورة القصص لعلي أبلغ
الأسباب أسباب السموات أي طرقها وأبوابها من سماء إلى سماء فأطلع إلى إله موسى وإني
لأظنه يعني موسى كاذبا فيما يدعي ويقول إن له ربا غيري وكذلك زين لفرعون سوء عمله
وصد عن السبيل قال ابن عباس صده الله عن سبيل الهدى وقرئ وصد بالفتح أي وصد
فرعون الناس عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب أي وما كيده في إبطال آيات موسى

إلا في خسار وهلاك قوله تعالى وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد أي طريق
الهدى يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع أي متعة ينتفعون بها مدة ثم تنقطع وإن الآخرة
هي دار القرار أي التي لا تزول والمعنى أن الدنيا فانية منقرضة لا بد من انقطاعها وأن الآخرة
دائمة باقية والباقي خير من الفاني قال بعض العارفين لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والآخرة خزفا
باقيا لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باق من عمل
سيئة فلا يجزى إلا مثلها قيل معناه من عمل الشرك فجزاؤه جهنم خالدا فيها ومن عمل بالمعاصي
فجزاؤه العقوبة بقدرها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون
الجنة يرزقون فيها بغير حساب أي لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير وقيل يصب
عليهم الرزق صبا بغير تقتير ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار معناه أنا
أدعوكم إلى الإيمان بالله الذي يوجب النجاة من النار وأنتم تدعونني إلى الشرك الذي يوجب
النار ثم فسر ذلك فقال تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم أي لا أعلم
أن الذي تدعونني إليه إله وما ليس بإله كيف يعقل جعله شريكا لله لأنه بالحق ولما تبين
أنهم يدعونه إلى الكفر والشرك بين أنه يدعوهم إلى الإيمان بقوله وأنا أدعوكم إلى العزيز
أي في انتقامه ممن كفر الغفار أي لذنوب أهل التوحيد لا جرم يعني حقا أنما تدعونني
إليه يعني الصنم ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة يعني ليس له استجابة دعوة لأحد
في الدنيا ولا في الآخرة لأن الأصنام لا تدعي الربوبية ولا تدعو إلى عبادتها وفي الآخرة
تتبرأ من عابديها وأن مردنا إلى الله أي مرجعنا إلى الله فيجازي كلا بما يستحقه وأن المسرفين
يعني المشركين هم أصحاب النار فستذكرون ما أقول لكم أي إذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم
الذكر وأفوض أمري إلى الله أي أرد أمري إلى الله وذلك أنهم توعدوه بمخالفة دينهم
إن الله بصير بالعباد يعني يعلم المحق من المبطل ثم خرج المؤمن من بينهم فطلبوه فلم يقدروا
عليه وذلك قوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا أي ما أرادوا به من الشر قيل إنه نجا
مع موسى وكان قبطيا وحاق أي نزل بآل فرعون سوء العذاب يعني الغرق في الدنيا والنار
في الآخرة وذلك قوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا يعني صباحا ومساء قال ابن مسعود
أرواح آل فرعون في أجواف طير سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تغدو وتروح إلى
النار ويقال يا آل فرعون هذه داركم حتى تقوم الساعة وقيل تعرض روح كل منهم بكرة
وعشيا ما دامت الدنيا وهذه الآية دليل على إثبات عذاب القبر [illegible] بمنه
وكرمه (ق) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أحدكم إذا مات عرض
عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار
فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة ثم أخبر الله
تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال تعالى ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون
أي يقال لهم أدخلوا يا آل فرعون أشد العذاب قال ابن عباس ألوان العذاب غير الذي
كانوا يعذبون به منذ أغرقوا قوله تعالى وإذ يتحاجون أي اذكر يا محمد لقومك إذ
يختصمون يعني أهل النار في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا
أي في الدنيا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا يعني الرؤساء
والقادة إنا كل فيها يعني نحن وأنتم إن الله قد حكم بين العباد أي قضى علينا وعليكم
وقال الذين في النار يعني حين اشتد عليهم العذاب لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف
عنا يوما من العذاب قالوا يعني الخزنة أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات يعني لا عذر

لكم بعد مجيء الرسل قالوا بلى اعترفوا بذلك قالوا فادعوا يعني انتم انا لا ندعو لكم لانهم علموا
انه لا يخفف عنهم العذاب قال الله تعالى وما دعاء الكافرين الا في ضلال يعني يبطل ويضل
ولا ينفعهم قوله عز وجل انا لننصر رسلنا والذين امنوا في الحياة الدنيا قال ابن عباس
بالغلبة والقهر وقيل بالحجة وقيل بالانتقام من الاعداء في الدنيا والاخرة وكل ذلك حاصل
لهم فهم منصورون بالحجة على من خالفهم تارة وقد نصرهم بالقهر على من ناواهم فاهلك
اعداءهم بالانتقام منهم كما نصر يحيى بن زكريا لما قتل فانه قتل فيه سبعين الفا ويوم
يقوم الاشهاد يعني وينصرهم يوم القيامة يوم تقوم الاشهاد وهم الحفظة من الملائكة
يشهدون للرسل بالتبليغ على الكفار بالتكذيب يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم اي ان
اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم ولهم اللعنة اي البعد من الرحمة ولهم سوء الدار يعني
جهنم ولقد اتينا موسى الهدى يعني النبوة وقيل التوراة واورثنا بني اسرائيل الكتاب
يعني التوراة وقيل سائر الكتب المنزلة على انبيائهم هدى وذكرى لاولي الالباب
قوله تعالى فاصبر اي يا محمد على اذاهم ان وعد الله حق اي في اظهار دينك واهلاك عدوك
قال الكلبي نسخت اية القتال اية الصبر واستغفر لذنبك يعني الصغائر وهذا على قول
من يجوزها على الانبياء وقيل يعني على ترك الاولى والافضل وقيل على ما كان قد صدر
منه قبل النبوة وعند من لا يجوز الصغائر على الانبياء يقول هذا تعبد من الله لنبيه صلى الله
عليه وسلم ليزيده درجة وليصير سنة لغيره من بعده وذلك لانه جامع الطاعات محصورة
في قسمين التوبة عما لا ينبغي والاشتغال بما ينبغي والاول مقدم وهو التوبة من الذنوب
والثاني الاشتغال بالطاعات وهو قوله تعالى وسبح بحمد ربك اي نزه ربك عما لا يليق
بجلاله وقيل صل شاكرا لربك بالعشي والابكار يعني صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن
عباس الصلوات الخمس ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتاهم يعني كفار قريش ان في
صدورهم الا كبر اي ما في قلوبهم الا تكبر قال ابن عباس ما يحملهم على تكذيبك الا ما في صدورهم
من الكبر والعظمة ما هم ببالغيه اي ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر وقيل معناه ان في صدورهم
الا كبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع ان يغلبوه وما هم ببالغي ذلك وقيل نزلت في اليهود
وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال
يخرج في اخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك الينا قال الله تعالى فاستعذ
بالله من فتنة الدجال انه هو السميع اي لاقوالهم البصير بافعالهم قوله تعالى لخلق
السموات والارض اي مع عظمهما اكبر من خلق الناس اي من اعادتهم بعد الموت والمعنى
انهم مقرون ان الله خلق السموات والارض وذلك اعظم في الصدور من خلق الناس
فكيف لا يقرون بالبعث بعد الموت ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني الكفار لا يعلمون حتى
لا يستدلون بذلك على توحيد خالقهما وقال قوم يعني اكبر من خلق الناس اي اعظم
من خلق الدجال ولكن اكثر الناس لا يعلمون يعني اليهود الذين يخاصمون في امر الدجال
فصل في ذكر الدجال عن هشام بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما بين خلق ادم الى قيام الساعة امر اكبر من الدجال معناه اكبر فتنة واعظم
شوكة من الدجال ق عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه اعور
عين اليمنى كانها عنبة طافية ولابي داود والترمذي عنه قال قام النبي صلى الله عليه
وسلم في الناس فاثنى على الله بما هو اهله ثم ذكر الدجال فقال اني انذركموه وما
من نبي الا انذره قومه لقد انذره نوح قومه ولكن اقول لكم فيه قولا لم يقله نبي

لقومه

لقومه تعلمون انه اعور وان الله ليس باعور ق عن انس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا وقد انذر امته الاعور الكذاب الا انه اعور وان ربكم
ليس باعور مكتوب بين عينيه كافر وفي رواية لمسلم مكتوب بين عينيه كافر ثم تهجاه ك ف
ر يقراوه كل مسلم عن اسماء بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم في بيتي فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين سنة تمسك السماء ثلث
قطرها والارض ثلث نباتها والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والارض ثلثي نباتها
والثالثة تمسك السماء قطرها والارض نباتها كله فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات
ضرس من البهائم الا هلك ومن اشد فتنته انه ياتي الاعرابي فيقول ارايت ان احييت
لك ابلك الست تعلم اني ربك قال فيقول بلى فيمثل له نحو ابله كاحسن ما تكون ضروعا
واسنمة وياتي الرجل قد مات اخوه ومات ابوه فيقول ارايت ان احييت لك
اباك واخاك الست تعلم اني ربك فيقول بلى فيمثل له الشيطان نحو ابيه ونحو اخيه
قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم في اهتمام وغم
مما حدثهم قالت فاخذ بلحمتي الباب فقال مهيم اسماء فقلت يا رسول الله لقد خلعت
افئدتنا بذكر الدجال قال ان يخرج وانا حي فانا حجيجه والا فان ربي خليفتي على كل
مؤمن قالت اسماء فقلت يا رسول الله والله انا لنعجن عجيننا فما نخبزه حتى نجوع فكيف
بالمؤمنين يومئذ قال يجزيهم ما يجزي اهل السماء من التسبيح والتقديس وفي رواية عنها
قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال في الارض اربعين سنة السنة كالشهر
والشهر كالجمعة والجمعة كاليوم واليوم كاضطرام السعفة في النار هذا حديث اخرجه
البغوي بسنده والذي جاء في صحيح مسلم قال قلنا يا رسول الله ما لبثه في الارض قال
اربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر ايامه كايامكم قلنا يا رسول
الله فذلك اليوم الذي كسنة اتكفينا فيه صلاة يوم قال لا اقدروا له قدره قلنا
يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالغيث استدبرته الريح وفي رواية ابي داود
عنه فمن ادركه منكم فليقرا عليه فواتح سورة الكهف فانها جواركم من فتنته
وفيه ثم ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق فيدركه
عند باب لد فيقتله ق عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان مع الدجال اذا خرج ماء ونارا فاما الذي يرى الناس انه نار فماء بارد واما الذي يرى
الناس انه ماء فنار تحرق فمن ادرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى انه نار فانه ماء عذب
بارد ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا احدثكم حديثا عن
الدجال ما حدث به نبي قومه انه اعور وانه يجيء بمثال الجنة والنار فالتي يقول انها
الجنة هي النار واني انذركم كما انذر نوح قومه ق عن المغيرة بن شعبة قال ما سال
احد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال اكثر مما سالته فانه قال لي ما يضرك قلت
انهم يقولون ان معه جبل خبز ونهر ماء قال هو اهون على الله من ذلك عن عمران بن حصين
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سمع منكم بالدجال فلينا منه فوالله ان الرجل
لياتيه وهو يحسب انه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات اخرجه ابو داود
ق عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من بلد الا سيطؤه الدجال الا مكة
والمدينة ليس نقب من نقابها الا عليه الملائكة صافين يحرسونها فينزل السبخة ثم
ترجف المدينة باهلها ثلاث رجفات فيخرج اليه كل كافر ومنافق م عن ابي هريرة

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة حتى ينزل دبر
احد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدجال يخرج من ارض بالمشرق يقال لها
خراسان يتبعه اقوام كان وجوههم المجان المطرقة اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن غريب
عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون الفا عليهم
الطيالسة عن مجمع بن جارية الانصاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يقتل ابن مريم
الدجال بباب لد اخرجه الترمذي وقال الحديث حسن صحيح قال الشيخ محي الدين النووي قال
القاضي عياض هذه الاحاديث التي وردت في قصة الدجال حجة لمذهب الحق في صحة وجوده
وانه شخص بعينه ابتلى الله به عباده واقدره على اشياء من المقدورات من احيا الميت الذي يقتله
ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره واتباع كنوز الارض وامره السما ان تمطر
فتمطر والارض ان تنبت فتنبت ويقع كل ذلك بقدرة الله ومشيته ثم يعجزه الله بعد ذلك
فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل امره ويقتله عيسى بن مريم عليه السلام ويثبت
الله الذين امنوا بالقول الثابت هذا مذهب اهل السنة وجميع المحدثين والفقها والنظار خلافا
لمن انكره وابطل امره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للجبائي المعتزلي وموافقيه
من الجهمية وغيرهم في انه صحيح الوجود ولكن الذي يأتي بها زعموا انه مخارق وخيالات
لا حقائق لها وزعموا انها لو كانت حقا لضاهت معجزات الانبيا وهذا غلط من جميعهم لانه
لم يدع النبوة فيكون ما معه كالتصديق له وانما يدعي الربوبية وهو في نفس دعواه مكذب
لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدث فيه ونقص صورته وعجزه عن ازالة العور الذي
في عينيه وعن ازالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه ولهذه الدلائل لا يغتر به الا رعاع من
الناس لشدة الحاجة والفاقة رغبة في سد الرمق وخوفا من اذاه لان فتنته عظيمة
جدا تدهش العقول وتحير الالباب ولهذا حذرت الانبيا من فتنته واما اهل التوفيق
فلا يغترون به ولا يخدعون بما معه لما سبق لهم من العلم بحاله ولهذا يقول له الذي
يقتله ثم يحييه ما ازددت فيك الا بصيرة قوله قلت يا رسول الله انهم يقولون ان
معه جبل خبز ونهر ما قال هو اهون على الله من ذلك معناه هذا اهون على الله من
ان يجعل ما خلقه الله عز وجل على يده مضلا للمؤمنين ومشككا لقلوبهم بل انما جعله
الله ليزداد الذين امنوا ويثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه انه
ليس معه شي من ذلك لانه جا في الحديث ان معه ما ونارا فماؤه نار وناره ما بارد
والله اعلم قوله عز وجل وما يستوي الاعمى والبصير اي الجاهل والعالم والذين امنوا
وعملوا الصالحات ولا المسي اي لا يستوون قليلا ما يتذكرون ان الساعة يعني القيامة
لاتية لا ريب فيها اي لا شك في قيامها ومجيئها ولكن اكثر الناس لا يؤمنون اي لا
يصدقون بالبعث بعد الموت قوله وقال ربكم ادعوني استجب لكم اي اعبدوني
دون غيري اجبكم واثيبكم واغفر لكم فلما عبر عن العبادة بالدعا جعل الانابة استجابة
عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعا هو
العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جهنم داخرين اخرجه ابو داود والترمذي وقال الحديث حسن صحيح عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من لم يسأل الله يغضب عليه اخرجه الترمذي
وقال الحديث غريب فان قلت كيف عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعا

مخ

مخ العبادة اخرجه الترمذي وقال عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس شي اكرم على الله
من الدعا اخرجه الترمذي وقال الحديث غريب فان قلت كيف قال ادعوني استجب لكم وقد
يدعو الانسان كثيرا فلا يستجاب له قلت الدعا له شروط منها الاخلاص في الدعا وان لا
يدعو وقلبه مشغول بغير الدعا وان يكون المطلوب من الدعا مصلحة للانسان وان لا يكون
فيه قطيعة رحم فاذا كان بهذه الشروط كان حقيق الاجابة فاما ان يعجلها له واما ان يؤخرها
يدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يدعو الله بدعا
الا استجيب له فاما ان يعجل له في الدنيا واما ان يؤخر له في الاخرة واما ان يكفر عنه من ذنوبه
بقدر ما دعا ما لم يدع باثم او قطيعة رحم او يستعجل قالوا يا رسول الله كيف يستعجل قال يقول
دعوت ربي فما استجاب لي اخرجه الترمذي وقال الحديث غريب وقيل الدعا هو الذكر والسؤال
ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين اي صاغرين ذليلين قوله عز وجل الله
الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه اي لتحصل لكم الراحة بسبب النوم والسكون والنهار
مبصرا اي ليحصل لكم فيه مكنة التصرف في حوائجكم ومهماتكم ان الله لذو فضل على الناس
ولكن اكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم اي ذلكم المميز بالافعال الخاصة الذي لا يشاركه
فيها احد هو الله ربكم خالق كل شي لا اله الا هو اي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية
والربوبية وخلق الاشيا كلها وانه لا شريك له في ذلك فانى تؤفكون اي فانى تصرفون عن الحق
كذلك اي كما افكتم عن الحق باقامة الدلائل يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون الله
الذي جعل لكم الارض قرارا اي فراشا تستقروا عليها وقيل منزلا في حال الحياة وبعد الموت
والسما بنا اي سقفا مرفوعا كالقبة وصوركم فاحسن صوركم اي خلقكم فاحسن خلقكم
قال ابن عباس خلق ابن ادم قايما معتدلا ياكل ويتناول بيده وغير ابن ادم يتناول بفمه
ورزقكم من الطيبات قيل هو ما خلق الله لعباده من الماكل والمشارب من غير رزق الدواب
ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي وهذا يفيد الحصر اي لا حي الا هو فوجب
ان يحمل ذلك على الذي يمتنع ان يموت امتناعا تاما ثابتا وهو الله تعالى لا يوصف بالحياة
الكاملة الا هو الحي والحي المدرك الفعال وهذا اشارة الى العلم التام والقدرة التامة
ولما نبه على هذه الصفات نبه على هذه الفعال ونبه على كمال الوحدانية بقوله لا اله الا
هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين اي فادعوه واحمدوه قال ابن
عباس من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين قل اني نهيت ان
اعبد الذين تدعون من دون الله لما جاني البينات من ربي وامرت ان اسلم لرب العالمين
وذلك حين دعي الى الكفر امره الله تعالى ان يقول ذلك قوله تعالى هو الذي خلقكم
من تراب يعني اصلكم ادم وقيل يحتمل ان كل انسان خلق من تراب لان خلق النطفة وهي
من الاغذية والاغذية من النبات والنبات من التراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم
يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا اشدكم ثم لتكونوا شيوخا يعني ان مراتب الانسان بعد خروجه
من بطن امه ثلاث مراتب الطفولية وهي حال النمو والزيادة الى ان يبلغ كمال الاشد
من غير ضعف ثم يتناقص بعد ذلك وهو الشيخوخة ومنكم من يتوفى من قبل اي من قبل ان
يصير شيخا ولتبلغوا اي جميعا اجلا مسمى اي وقتا محدودا لا تجاوزونه يعني اجل الحياة
الى الموت ولعلكم تعقلون اي في هذه الاحوال العجيبة من القدرة الدالة على توحيده وقدرته
هو الذي يحيي ويميت فاذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون اي من غير كلفة ولا
معاناة ولا تعب وكل ذلك من كمال قدرته على الاحيا والاماتة وساير ما ذكر

من الافعال الدالة على قدرته فانه قال لمن الامر اذا قضى امرا كان اهون شيء وابرعه
قوله تعالى الم تر الى الذين يجادلون في ايات الله يعني القران انى يصرفون اي عن دين
الحق وقيل نزلت في القدرية الذين كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون
فيه وعيد وتهديد ثم وصف ما وعدهم به فقال اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل يسحبون
اي يجرون بتلك السلاسل في الحميم ثم في النار يسجرون اي توقد بهم النار ثم قيل لهم اينما كنتم
تشركون من دون الله يعني الاصنام قالوا ضلوا عنا اي فقدناهم فلم نرهم بل لم نكن ندعوا
من قبل شيئا قيل انهم انكروا عبادتهما وقيل لم نكن ندعوا شيئا ينفع ويضر وقيل ضاعت عبادتنا
لها فكانا لم نكن ندعوا من قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين اي كما اضل هؤلاء ذلكم اي
العذاب الذي نزل بكم بما كنتم تفرحون اي تبطرون وتاشرون في الارض بغير الحق وبما كنتم
تمرحون اي تختالون وتفرحون ادخلوا ابواب جهنم يعني السبعة خالدين فيها فبئس
مثوى المتكبرين عن الايمان قوله عز وجل فاصبر ان وعد الله حق الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم اي بنصرك على الاعداء فاما نرينك بعض الذي نعدهم اي من العذاب في حياتك ه
او نتوفينك اي قبل ان يحل ذلك بهم فالينا يرجعون ولقد ارسلنا رسلا من قبلك
منهم من قصصنا عليك اي خبره وحاله في القران ومنهم من لم نقصص عليك اي لم
نذكر لك حال الباقين وليس منهم احد فقد اعطاه الله ايات ومعجزات الا وقد جادله قومه
وكذبوه فيها وما جرى عليهم يقارب ما جرى عليك فصبروا وهذه تسلية للنبي صلى الله
عليه وسلم وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله اي بامره وارادته فاذا جاء
امر الله اي قضاؤه بين الانبيا والامم قضي بالحق اي بالعدل وخسر هنالك المبطلون
اي الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان وفيه وعيد وتهديد لهم قوله تعالى الله الذي
جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تاكلون ولكم فيها منافع اي في اصوافها ه
واوبارها واشعارها والبانها ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم اي تحمل اثقالكم
من بلد الى بلد في اسفاركم وحاجاتكم وعليها وعلى الفلك تحملون اي على الابل
في البر وعلى السفن في البحر ويريكم اياته اي دلائل قدرته فاي ايات الله تنكرون
يعني هذه الايات التي ذكرها ظاهرة باهرة فليس شيء منها يمكن انكاره قوله تعالى
افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم
واشد قوة واثارا في الارض يعني مصانعهم وقصورهم والمعنى لو سار هؤلاء في اثار
الارض لعرفوا ان عاقبة المتكبرين المتمردين الهلاك والبوار مع انهم كانوا اكثر عددا
واموالا من هؤلاء فما اغنى عنهم اي لم ينفعهم ما كانوا يكسبون اي اي شيء اغنى عنهم كسبهم
فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا اي رضوا بما عندهم من العلم قيل هو قولهم لن نبعث
ولن نعذب وقيل هو علمهم باحوال الدنيا سمي ذلك علما على ما يدعونه ويزعمونه وهو
في الحقيقة جهل وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون فلما راوا باسنا اي عذابنا قالوا امنا بالله
وحده وكفرنا بما كنا به مشركين اي تبرانا مما كنا نعدل بالله فلم يك ينفعهم ايمانهم
لما راوا باسنا سنة الله التي قد خلت في عباده يعني ان سنة الله قد جرت في الامم
الخالية بعدم قبول الايمان عند معاينة العذاب الباس وهو العذاب يعني بتلك
السنة انهم اذا راوا العذاب امنوا ولا ينفعهم ايمانهم عند معاينة العذاب وخسر هنالك
الكافرون اي بذهاب الدارين وقيل الكافر خاسر في كل وقت اذا راى العذاب والله
اعلم بمراده واسرار كتابه العزيز

تفسير سورة حم وتسمى فصلت وتسمى سورة المصابيح

وهي مكية وهي اربع وخمسون اية وسبعمائة وست وتسعون كلمة وثلاثة الاف وثلاثمائة وخمسون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته
اي بينت وميزت جعلت معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد قرانا
عربيا اي باللسان العربي لقوم يعلمون اي انما انزلناه على العرب بلغتهم ليفهموا منه المراد ولو كان
بغير لسانهم ما فهموه بشيرا ونذيرا نعتان للقران اي بشيرا لاولياء الله بالثواب ونذيرا لاعدائه
بالعقاب فاعرض اكثرهم اي عنه فهم لا يسمعون اي لا يصغون اليه تكبرا وقالوا يعني كفار
مكة قلوبنا في اكنة اي اغطية مما تدعونا اليه اي فلا نفقه ما تقول وفي اذاننا
وقر اي صمم فلا نسمع ما تقول والمعنى انا في ترك القبول عنك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع
ومن بيننا وبينك حجاب اي خلاف في الدين وحاجز في النحلة فلا نوافقك على ما تقول
فاعمل اي انت على دينك اننا عاملون اي على ديننا قل يا محمد انما انا بشر مثلكم اي كواحد منكم
يوحى الي اي لولا الوحي ما دعوتكم قال الحسن علمه الله التواضع انما الهكم اله واحد فاستقيموا
اليه اي توجهوا اليه بطاعته ولا تميلوا عن سبيله واستغفروه اي من ذنوبكم وشرككم
وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة قال ابن عباس لا يقولون لا اله الا الله لانها
زكاة الانفس والمعنى لا يطهرون انفسهم من الشرك في التوحيد وقيل لا يقرون بالزكاة
المفروضة ولا يرون اتيانها واجبا بعد الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن
تخلف عنها هلك وقيل معناه لا ينفقون في طاعة الله ولا يتصدقون وقيل لا يزكون اعمالهم
وهم بالاخرة هم كافرون اي جاحدون بالبعث بعد الموت ان الذين امنوا وعملوا الصا
لحات لهم اجر غير ممنون قال ابن عباس غير مقطوع وقيل غير منقوص وقيل غير ممنون عليهم
به وقيل غير محسوب نزلت هذه الاية في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن العمل والطاعة
يكتب لهم الاجر كاصح ما كانوا يعملون فيه خ عن موسى قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول اذا كان العبد يعمل عملا صالحا فشغله عنه مرض او سفر
كتب الله له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم قوله عز وجل قل ائنكم استفهام بمعنى الانكار
وذكر منهم شيئين نكرهما احدهما الكفر بالله وهو قوله لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين
وثانيهما وتجعلون له اندادا اي تثبتون الشركاء والانداد له والمعنى كيف يجوز جعل الاصنام
الخسيسة اندادا لله تعالى مع انه تعالى هو الذي خلق الارض في يومين يعني الاحد والاثنين
ذلك رب العالمين اي هو رب العالمين وخالقهم المستحق للعبادة لا الانداد المنحوتة
من الخشب والحجر وجعل فيها رواسي اي جبالا ثوابت من فوقها اي من فوق الارض ه
وبارك فيها اي في الارض بكثرة الخيرات الحاصلة فيها وهو ما خلق فيها من البحار
والانهار والاشجار والثمار وخلق اصناف الحيوانات وكل ما يحتاج اليه وقدر فيها
اقواتها اي قسم في الارض ارزاق العباد والبهائم وقيل قدر في كل بلدة ما لم
يجعله في الاخرى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة وقيل قدر الخبز لاهل قطر من الارض
والتمر لاهل قطر اخر والذرة لاهل قطر والسمك لاهل قطر وكذلك سائر الاقوات وقيل
ان الزراعة اكثر الحرف بركة لان الله تعالى وضع الاقوات في الارض قال تعالى وقدر
فيها اقواتها في اربعة ايام اي مع اليومين الاولين خلق الارض في يومين وقدر الاقوات
في يومين وهما الثلاثاء والاربعاء فصارت اربعة ايام رد الاخر على الاول في الذكر

سواء للسائلين معناه سواء لمن سأل عن ذلك فيكون الأمر سواء لا زيادة ولا نقصان جوابا
لمن سأل في كم خلقت الأرض والأقوات **ثم استوى إلى السماء** أي عمد إلى خلق السماء **وهي دخان** يعني
أن ذلك الدخان كان بخار الماء قبل كان العرش قبل خلق السموات والأرض على الماء فلما أراد
الله أن يخلق السموات والأرض أمر الريح فضربت الماء فارتفع منه بخار كالدخان فخلق منه السماء
ثم أيبس منه الماء فخلقه أرضا كان قبل خلق السماء وقوله والأرض بعد ذلك دحاها واحكه
ثم فتقها فجعلها سبعا فإن قلت هذه الآية مشعرة بأن خلق الأرض كان قبل خلق السماء وقوله
والأرض بعد ذلك دحاها مشعر بأن خلق الأرض بعد خلق السماء فكيف الجمع بينهما قلت
الجواب المشهور أن الله تعالى خلق الأرض أولا ثم خلق السماء بعدها ثم بعد خلق السماء
دحى الأرض ومدها وجواب آخر وهو أن يقال إن خلق السماء مقدم على خلق الأرض فعلى هذا
يكون معنى الآية خلق الأرض في يومين الخلق عبارة عن الإيجاد والتكوين فقط بل هو
عبارة عن التقدير أيضا فيكون المعنى قضى أن يحدث الأرض في يومين بعد إحداث السماء
فعلى هذا يزول الإشكال والله أعلم بالحقيقة **فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها**
أي ائتيا ما أمرتكما أي افعلاه وقيل افعلا ما أمرتكما طوعا وإلا ألجأتكما إلى ذلك حتى
تفعلاه كرها فأجابتا بالطوع **قالتا أتينا طائعين** معناه أتينا بما فينا طائعين فلما
وصفهما بالقول أجراهما في الجمع مجرى من يعقل قيل قال الله تعالى لهما أخرجا ما خلقت
فيكما من المنافع لمصالح العباد أما أنت يا سماء فأطلعي شمسك وقمرك ونجومك وأنت يا أرض
فشقي أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك وقوله تعالى **فقضاهن سبع سموات** أي أتمهن
وفرغ من خلقهن **في يومين** وهما الخميس والجمعة **وأوحى في كل سماء أمرها** قال ابن عباس
خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وخلق ما فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلمه
إلا الله وقيل أوحى إلى كل سماء ما أراد من الأمر والنهي **وزينا السماء الدنيا** أي التي تلي الأرض
بمصابيح أي بكواكب تشرق كالمصابيح **وحفظا** أي وجعلناها يعني الكواكب حفظا
للسماء من الشياطين الذين يسترقون السمع **ذلك** من صنعه وخلقه **تقدير العزيز** أي في ملكه
العليم أي بخلقه وفيه إشارة إلى كمال القدرة والعلم قوله تعالى **فإن أعرضوا** يعني هؤلاء
المشركين عن الإيمان بعد هذا البيان **فقل أنذرتكم** أي خوفتكم **صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود** أي هلاكا مثل هلاكهم والصاعقة المهلكة من كل شيء **إذ جاءتهم الرسل** يعني
إلى عاد وثمود **من بين أيديهم** يعني الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم **ومن خلفهم** يعني ومن بعد
الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم وهم الرسل الذين أرسلوا إليهم وهم هود وصالح وإنما
خص هاتين القبيلتين لأن قريشا كانوا يمرون على ديارهم **أن** أي بأن **لا تعبدوا إلا
الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة** يعني لو شاء ربنا دعوة الخلق لأنزل الملائكة
بدل الرسل **فإنا بما أرسلتم به كافرون** روى البغوي بإسناد الثعلبي عن جابر بن عبد الله
قال قال الملأ من قريش وأبو جهل قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم رجلا عالما
بالشعر والكهانة والسحر فأتاه فكلمه ثم أتانا ببيان أمره فقال عتبة بن ربيعة والله
لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى علي إن كان كذلك
فأتاه فلما خرج إليه قال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير
أم عبد الله فلم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا فإن كنت إنما بك الرياسة عقدنا لك ألويتنا
فكنت رأسنا ما بقيت وإن كان بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار أي بنات قريش
وإن بك المال جمعنا لك ما تستغني به أنت وعقبك من بعدك ورسول الله صلى الله

عليه وسلم ساكت لا يتكلم فلما فرغ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل
من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته إلى قوله فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد
وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش واحتبس عنهم فقال
أبو جهل والله يا معشر قريش ما نرى عتبة إلا قد صبا إلى محمد وأعجبه طعامه وما ذاك إلا من
حاجة أصابته فانطلقوا بنا إليه فقال أبو جهل والله يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك صبوت
إلى محمد وأعجبك طعامه فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد
فغضب عتبة وأقسم لا يكلم محمدا أبدا وقال والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالا ولكني أتيته
وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر وقرأ السورة إلى
قوله فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسكت بفيه وناشدته
الرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا إذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب وقال
محمد بن كعب القرظي حدثنا أن عتبة بن ربيعة كان سيدا حليما قال يوما وهو جالس في نادي
قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد فقال يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد فأكلمه
وأعرض عليه أمورا لعله يقبل منا بعضها فنعطيه ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب
محمد يزيدون ويكثرون قالوا بلى يا أبا الوليد فقم إليه وكلمه فقام عتبة حتى جلس
إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة
والمكان في النسب وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت جماعتهم وسفهت أحلامهم وعبت
آلهتهم وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا انظر فيها فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد فقال يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به مالا جمعنا لك من أموالنا
حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تريد شرفا سودناك علينا وإن كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه
لا تستطيع رده طلبنا لك الطب أو لعل هذا شعر جاش به صدرك فإنكم لعمري بني عبد المطلب تقدرون
من ذلك على ما لا يقدر عليه غيركم حتى إذا فرغ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أقد فرغت يا أبا
الوليد قال نعم فقال فاسمع مني قال أفعل قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم
كتاب فصلت آياته ثم مضى فيها يقرأ فلما سمعها عتبة أنصت له وألقى يديه خلف ظهره معتمدا
عليهما يستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد ثم قال سمعت يا أبا
الوليد فأنت وذاك فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد
بغير الوجه الذي ذهب به فلما جلس إليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائي أني قد سمعت
قولا والله ما سمعت بمثله قط ما هو بشعر ولا سحر ولا كهانة يا معشر قريش أطيعوني خلوا بين
هذا الرجل وما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فإن تصبه العرب
فقد كفيتموه بغيركم وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وأنتم أسعد الناس به قالوا
سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم قوله عز وجل **فأما عاد
فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة** وذلك أن هودا هددهم بالعذاب فقالوا
نحن نقدر على دفع العذاب عنا بفضل قوتنا وكانوا ذوي أجسام طوال قال الله تعالى ردا عليهم
أولم يروا أي أولم يعلموا **أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا
عليهم ريحا صرصرا** أي عاصفا شديدة الصوت وقيل هي الريح الباردة قيل إن الرياح ثمانية فأربع
منها عذاب وهي الريح الصرصر والعاصف والقاصف والعقيم وأربع منها رحمة وهي الناشرات
والمبشرات والمرسلات والذاريات قيل أرسل عليهم من الريح قدر الخاتم فأهلكوا **في أيام نحسات** أي
نكدات مشؤومات ذات نحوسة وقيل ذات غبار وتراب ثائر لا يكاد يبصر فيه وقيل أمسك الله عليهم المطر

ثلاث سنين ودامت عليهم الريح من غير مطر لنذيقهم عذاب الخزي اى عذاب الذل والهوان
وهذا مقابل لقوله فاستكبروا فى الارض بغير الحق فى الحياة الدنيا اى ذلك الذى نزل بهم
من الخزى والهوان فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى اى اشد اهانة وهم لا ينصرون اى لا
يمنعون من العذاب واما ثمود فهديناهم قال ابن عباس بينا سبيل الهدى وقيل دللناهم على الخير
والشر فاستحبوا العمى على الهدى اى اختاروا الكفر على الايمان فاخذتهم صاعقة العذاب
الهون اى ذى الهوان بما كانوا يكسبون اى من الشرك ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون
اى يتقون الشرك والاعمال الخبيثة وهم صالح ومن آمن معه من قومه قوله تعالى ويوم
يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون اى يساقون ويدفعون وقيل يحبس اولهم حتى يلحق
باخرهم حتى اذا ما جاؤها يعنى النار شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم اى
بشراتهم وقيل فروجهم بما كانوا يعملون معناه ان الجوارح تنطق بما كتمت الالسن
من عملهم م عن انس قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مما
اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب الم تجرنى من الظلم
قال فيقول بلى قال فانى لا اجيز على اليوم على نفسى الا شاهدا منى فيقول كفى بنفسك اليوم
عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين عليك شهودا قال فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقى
فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت اناضل
وقالوا يعنى الكفار الذين يجرون الى النار لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله
الذى انطق كل شىء معناه انا القادر الذى خلقتكم اول مرة فى الدنيا وانطقكم بعد الموت
وانا قادر على انطاق الاعضاء والجوارح وهو قوله تعالى وهو خلقكم اول مرة واليه
ترجعون وقيل تم الكلام عند قوله الذى انطق كل شىء ثم ابتدا بقوله وهو خلقكم اول
مرة واليه ترجعون وقيل لانه ليس من جواب الجلود وما كنتم تستترون اى تستخفون وقيل
معناه تظنون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم والمعنى انكم لا تقدرون على
الاستخفاء من جوارحكم ولا تظنون انها تشهد عليكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما
تعملون قال ابن عباس كان الكفار يقولون ان الله لا يعلم ما فى انفسنا ولكنه يعلم ما يظهر
ق عن عبد الله بن مسعود قال اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشى كثير شحم بطونهم قليل فقه
قلوبهم فقال احدهم اترون ان الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع ان جهرنا ولا يسمع ان اخفينا
وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا فانه يسمع اذا اخفينا فانزل الله وما كنتم تستترون
ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون قيل
الثقفى هو عبد يا ليل وختناه القرشيان ربيعة وصفوان بن امية قوله تعالى وذلكم ظنكم
الذى ظننتم بربكم اى ظنكم ان الله لا يعلم ما تعملون ارداكم اى اهلككم وقال ابن عباس طرحكم
فى النار فاصبحتم من الخاسرين ثم اخبر عن حالهم بقوله فان يصبروا فالنار مثوى لهم
اى مسكن وان يستعتبوا اى يسترضوا ويطلبوا العتبى والمعتب هو الذى قبل عتابه واجيب
الى ما سأل فما هم من المعتبين اى من المرضيين وقيضنا اى بعثنا ووكلنا وقيل سببنا لهم
قرناء اى نظراء من الشياطين حتى اضلوهم فزينوا لهم ما بين ايديهم من امر الدنيا حتى آثروه
على الآخرة وما خلفهم اى فدعوهم الى التكذيب بالآخرة وانكار البعث وقيل حسنوا لهم
اعمالهم القبيحة الماضية والمستقبلة وحق عليهم القول اى وجب بانهم اى مع امم قد
خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين قوله تعالى وقال الذين كفروا يعنى مشركى
مكة لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه قال ابن عباس يعنى والغطوا فيه من اللغط

وهو

وهو كثرة الاصوات كان بعضهم يوصى الى بعض اذا رأيتم محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر
وقيل اكثروا الكلام حتى يختلط عليه ما يقول وقيل والغوا فيه بالمكاء والتصفير وقيل صيحوا
فى وجهه لعلكم تغلبون يعنى محمدا على قراءته فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم
اسوأ يعنى باسوأ الذى كانوا يعملون اى فى الدنيا وهو الشرك ذلك اى الذى ذكر من العذاب
جزاء اعداء الله ثم بين ذلك الجزاء فقال النار لهم فيها دار الخلد اى دار الاقامة لا انتقال
لهم عنها جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا اى فى النار ربنا اى يقولون ربنا
ارنا اللذين اضلانا من الجن والانس يعنون ابليس وقابيل بن آدم الذى قتل اخاه لانهما سنا
المعصية نجعلهما تحت اقدامنا اى فى النار ليكونا من الاسفلين اى فى الدرك الاسفل من النار
وقال ابن عباس ليكونا اشد عذابا منا قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
قال اهل التحقيق كمال الانسان ان يعرف الحق لذاته لاجل العمل به ورأس المعرفة اليقينية معرفة
الله تعالى واليها الاشارة بقوله ان الذين قالوا ربنا الله ورأس الاعمال الصالحة ان يكون
الانسان مستقيما فى الوسط غير مائل الى طرفى الافراط والتفريط فيكون الاستقامة فى امر
الدين والتوحيد فتكون فى الاعمال الصالحة سئل ابو بكر الصديق عن الاستقامة فقال ان
لا تشرك بالله شيئا وقال عمر بن الخطاب الاستقامة ان تستقيم فى الامر والنهى ولا تروغ روغان
الثعلب وقال عثمان استقاموا اخلصوا فى العمل وقال على بن ابى طالب ادوا الفرائض
وهو قول ابن عباس وقيل استقاموا على امر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا معاصيه وقيل
استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى لحقوا بالله وكان الحسن اذا تلى هذه الآية
قال اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة تتنزل عليهم الملائكة قال ابن عباس عند الموت
وقيل اذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى تكون فى ثلاث مواطن عند الموت وفى
القبر وعند البعث ان لا تخافوا اى من الموت وقيل لا تخافوا على ما تقدمون عليه من
امر الآخرة ولا تحزنوا اى على ما خلفتم من اهل وولد فانا نخلفكم فى ذلك كله وقيل
لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فانا اغفرها لكم وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن
اولياؤكم اى تقول لهم الملائكة عند نزولهم بالبشرى نحن اولياؤكم اى انصاركم وقيل تقول
لهم الحفظة نحن كنا معكم فى الحياة الدنيا ونحن اولياؤكم فى الآخرة لا نفارقكم حتى تدخلوا
الجنة ولكم فيها اى فى الجنة ما تشتهى انفسكم اى من الكرامات واللذات ولكم فيها ما تدعون
اى تتمنون نزلا اى رزقا والنزل الرزق والنزيل هو الضيف من غفور رحيم قال اهل المعانى
كل هذه الاشياء المذكورة فى هذه الآية جارية مجرى النزل والكريم اذا اعطى هذا النزل
فما ظنك بما بعده من الالطاف والكرامة قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله اى
الى طاعة الله قيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الناس الى شهادة ان لا اله الا الله
وقيل هو المؤمن اجاب الله فيما دعاه اليه ودعا الناس الى ما اجاب اليه وعمل صالحا فى اجابته
وقالت عائشة هذه الآية نزلت فى المؤذنين وقيل ان كل من دعا الى الله بطريق من الطرق
فهو داخل فى الآية وللدعوة الى الله مراتب الاولى دعوة الانبياء الى الله بالمعجزات وبالحجج
والبراهين وبالسيف وهذه المرتبة لم تتفق ولم تحصل لغير الانبياء المرتبة الثانية دعوة
العلماء الى الله بالحجج والبراهين فقط والعلماء اقسام علماء بالله وعلماء بصفات الله وعلماء
باحكام الله المرتبة الثالثة دعوة المجاهدين الى الله بالسيف فهم يجاهدون الكفار حتى
يدخلوا فى دين الله وطاعته المرتبة الرابعة دعوة المؤذنين الى الصلاة فهم ايضا
دعاة الى الله والى طاعته وعمل صالحا قيل العمل الصالح على قسمين قسم يكون من اعمال القلوب

وهو معرفة الله تعالى وقسم يكون بالجوارح وهو سائر الطاعات وقيل عمل صالحا صلى
ركعتين بين الاذان والاقامة (ق) عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بين كل اذانين صلاة قال في الثالثة لمن شاء عن انس بن مالك قال قال الدعاء بين الاذان
والاقامة لا يرد اخرجه ابو داود وقال هذا حديث حسن وقال انني من المسلمين قيل ليس
الغرض منه القول فقط بل يضم اعتقاد القلب فيعتقد بقلبه دين الاسلام مع التلفظ
به قوله عز وجل ولا تستوي الحسنة ولا السيئة يعني الصبر والغضب والحلم والجهل والعفو
والاساءة عند الجهل وبالعفو عند الاساءة والحلم والجهل والعفو والاساءة ادفع بالتي هي
احسن قال ابن عباس امر بالصبر عند الغضب وبالحلم عند الجهل وبالعفو عند الاساءة فاذا
الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم اي الصديق القريب قيل نزلت في ابي سفيان بن حرب
وذلك لانه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي صلى
الله عليه وسلم فصار وليا بالاسلام حميما بالقرابة وما يلقاها اي وما يلقى هذه الخصلة والفعلة
وهي دفع السيئة بالحسنة الا الذين صبروا اي على تحمل المكاره وتجرع الشدائد وكظم الغيظ
وترك الانتقام وما يلقاها الا ذو حظ عظيم اي من الخير والثواب وقيل الحظ العظيم الجنة
يعني ما يلقاها الا من وجبت له الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ شبه النخس والشيطان
ينزغ الانسان كانه ينخسه اي يبعثه الى ما لا ينبغي ومعنى الاية وان صرفك الشيطان عما وصيت
به من الدفع بالتي هي احسن فاستعذ بالله اي من شره انه هو السميع اي لاستعاذتك العليم باحوالك
قوله تعالى ومن اياته اي ومن دلائل قدرته وحكمته الدالة على وحدانيته الليل والنهار والشمس
والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر اي انهما عبدان مخلوقان مسخران فلا ينبغي السجود لهما لان
السجود عبارة عن نهاية التعظيم واسجدوا لله الذي خلقهن اي المستحق للسجود والتعظيم
هو خالق الليل والنهار والشمس والقمر ان كنتم اياه تعبدون يعني ان ناسا كانوا يسجدون
للشمس والقمر والكواكب ويزعمون ان سجودهم لهذه الكواكب هو سجود لله فنهوا عن السجود
لهذه الوسائط وامروا بالسجود لله تعالى الذي خلق هذه الاشياء كلها فان استكبروا
اي عن السجود فالذين عند ربك يعني الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون
اي لا يفترون ولا يملون **فصل** وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة وفي
موضع السجود فيها قولان للعلماء وهما وجهان لاصحاب الشافعي احدهما عند قوله ان
كنتم اياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن وحكاه الرافعي عن ابي حنيفة واحمد
لان ذكر السجدة قبله والثاني وهو الاصح عند اصحاب الشافعي وكذا نقله الرافعي انه
عند قوله وهم لا يسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد بن المسيب وقتادة وحكاه
الزمخشري عن ابي حنيفة لان عنده يتم الكلام ومن اياته انك ترى الارض خاشعة فاذا
انزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذي احياها لمحيي الموتى انه على كل شيء قدير قوله تعالى
ان الذين يلحدون اي يميلون عن الحق في اياتنا اي ادلتنا قيل بالمكاء والتصدية واللغو واللغط
وقيل يكذبون في اياتنا ويعاندون ويشاقون لا يخفون علينا فيه تهديد ووعيد قيل نزلت
في ابي جهل افمن يلقى في النار هو ابو جهل خير ام من ياتي امنا يوم القيامة والمعنى الذين
يلحدون في اياتنا يلقون في النار والذين يؤمنون باياتنا امنين يوم القيامة قيل هو حمزة وقيل
عثمان وقيل عمار بن ياسر اعملوا ما شئتم امر تهديد ووعيد انه بما تعملون بصير اي انه عالم
باعمالكم فيجازيكم بها ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم يعني القران وفي جوابه وجهان
احدهما انه محذوف تقديره ان الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم والثاني جوابه

اولئك

اولئك ينادون من مكان بعيد ثم اخذ في وصف الذكر فقال تعالى وانه لكتاب عزيز قال ابن
عباس كريم على الله وقيل العزيز العديم النظير وذلك ان الخلق عجزوا عن معارضته وقيل
اعزه الله بمعنى منعه فلا يجد الباطل اليه سبيلا وهو قوله تعالى لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه قيل الباطل هو الشيطان فلا يستطيع ان يغيره وقيل انه محفوظ
من ان ينقص منه فياتيه الباطل من بين يديه او يزاد فيه فياتيه الباطل من خلفه
فعلى هذا يكون معنى الباطل الزيادة والنقصان وقيل لا ياتيه التكذيب من الكتب
التي قبله ولا يجيء بعده كتاب فيبطله وقيل معناه ان الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد
اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه وقيل لا ياتيه الباطل عما اخبر فيما
تقدم من الزمان ولا فيما تاخر تنزيل من حكيم اي في جميع افعاله حميد اي الى جميع خلقه
بسبب نعمه عليهم ثم عزى الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم فقال عز وجل ما يقال لك
من الاذى والتكذيب الا ما قد قيل للرسل من قبلك يعني انه قد قيل للانبياء قبلك
ساحر كما يقال لك وكذبوا كما كذبت ان ربك لذو مغفرة اي لمن تاب وامن بك وذو
عقاب اليم اي لمن اصر على التكذيب قوله عز وجل ولو جعلناه اي هذا الكتاب الذي
تقرؤه على الناس قرانا اعجميا اي بغير لغة العرب لقالوا لولا فصلت اياته اي
هلا بينت اياته بالعربية نفهمها ءاعجمي وعربي يعني اكتاب عجمي ورسول عربي وهذا
استفهام انكار والمعنى لو انزلنا الكتاب بلغة العجم لقالوا كيف يكون المنزل عليه
عربي والمنزل عجمي وقيل في معنى الاية لو انزلنا هذا القران بلغة العجم لكان لهم
ان يقولوا كيف انزل الكلام العجمي الى قوم العرب ويصح قولهم ان يقولوا قلوبنا
في اكنة وفي اذاننا وقر لانا لا نفهمه ولا نحيط بمعناه انا لما انزلنا هذا القران بلغة
العرب وهم يفهمونه فكيف يمكنهم ان يقولوا قلوبنا في اكنة وفي اذاننا وقر وقيل ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهوديا اعجميا
يكنى ابا فكيهة فقالوا هو والله يعلمه فانزل الله هذه الاية قل يا محمد هو يعني القران
للذين امنوا هدى اي من الضلالة وشفاء اي لما في القلوب من مرض الشرك والشك وقيل
شفاء من الاوجاع والاسقام والذين لا يؤمنون في اذانهم وقر وهو عليهم عمى اي صموا عن
استماع القران وعموا عنه فلا ينتفعون اولئك ينادون من مكان بعيد اي كانهم من دعي
من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم كذلك هؤلاء في قلة انتفاعهم بما يوعظون به كانهم ينادون
من حيث لا يسمعون ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف فيه اي فمصدق ومكذب كما
اختلف قومك في كتابك ولولا كلمة سبقت من ربك اي في تاخير العذاب عن المكذبين
بالقران لقضي بينهم اي لفرغ من عذابهم وعجل اهلاكهم وانهم لفي شك منه مريب اي من كتابك
وصدقك من عمل صالحا فلنفسه يعود نفع ايمانه وعمله لنفسه ومن اساء فعليها اي ضرر
اساءته وكفره يعود على نفسه ايضا وما ربك بظلام للعبيد يعني فيعذب غير المسيء
قوله عز وجل اليه يرد علم الساعة يعني اذا سئل عنها سائل قيل له لا يعلم وقت قيام
الساعة الا الله ولا سبيل للخلق الى معرفة ذلك وما تخرج من ثمرة من اكمامها اي من
اوعيتها وقال ابن عباس هو الكم قبل ان ينشق وما تحمل من انثى ولا تضع الا بعلمه اي
يعلم عدد ايام الحمل وساعاته ومتى يكون الوضع وذكر الحمل هو ام انثى ومعنى الاية
كما يرد اليه علم الساعة فكذلك يرد اليه علم ما يحدث من شيء كالثمار والنتاج وغيره فان
قلت الرجل الصالح من اصحاب الكشف يقول قولا فيصيب فيه وكذلك الكهان والمنجم

قلت اما اصحاب الكشف اذا قالوا قولا فهو من الهام الله واطلاعه اياهم عليه فكان من علمه الذي يرد عليه واما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم في شيء مما يقولونه البتة وانما غايتهم ادعاء ظن ضعيف قد لا يصيب وعلم الله هو العلم اليقين المقطوع به الذي لا يشرك فيه احد ﴿ويوم يناديهم﴾ اي ينادي الله المشركين ﴿فيقول اين شركاءي﴾ اي التي كنتم تزعمون انها آلهة ﴿قالوا﴾ يعني المشركين ﴿آذناك﴾ اي اعلمناك ﴿ما منا من شهيد﴾ اي يشهد ان لك شريكا وذلك لما رأوا العذاب تبرؤا من الاصنام ﴿وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل﴾ اي يعبدون في الدنيا ﴿وظنوا﴾ ايقنوا ﴿ما لهم من محيص﴾ مهرب قوله تعالى ﴿لا يسأم الانسان﴾ اي لا يمل الكافر ﴿من دعاء الخير﴾ يعني لا يزال يسأل ربه الخير وهو المال والغنى والصحة ﴿وان مسه الشر﴾ اي الشدة والفقر ﴿فيؤس﴾ من روح الله ﴿قنوط﴾ من رحمته ﴿ولئن اذقناه رحمة منا﴾ اي اتيناه خيرا وعافية وغنى ﴿من بعد ضراء مسته﴾ اي من بعد شدة وبلاء اصابه ﴿ليقولن هذا لي﴾ اي استحقه بعملي ﴿وما اظن الساعة قائمة﴾ او كنت على يقين من البعث ﴿ولئن رجعت الى ربي﴾ يقول هذا الكافر فان كان الامر على ذلك ورددت الى ربي ﴿ان لي عنده للحسنى﴾ اي الجنة والمعنى كما اعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة ﴿فلننبئن الذين كفروا بما عملوا﴾ قال ابن عباس لنوقفنهم على مساوي اعمالهم ﴿ولنذيقنهم من عذاب غليظ واذا انعمنا على الانسان اعرض ونأى بجانبه﴾ اي ذهب بنفسه وتكبر وتعظم ﴿واذا مسه الشر﴾ اي الشدة والفقر ﴿فذو دعاء عريض﴾ اي كثير ﴿قل﴾ يا محمد لكفار مكة ﴿ارأيتم ان كان من عند الله﴾ يعني هذا القرآن ﴿ثم كفرتم به﴾ اي جحدتموه ﴿من اضل ممن هو في شقاق بعيد﴾ اي في خلاف للحق بعيد عنه والمعنى فلا احد اضل منكم ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾ قال ابن عباس يعني منازل الامم الخالية ﴿وفي انفسهم﴾ اي بالبلاء والامراض وقيل ما نزل بهم يوم بدر وقيل في الآفاق وهو ما يفتح من القرى والبلاد على محمد والمسلمين وفي انفسهم وهو فتح مكة ﴿حتى يتبين لهم انه الحق﴾ يعني دين الاسلام وقد تبين لهم القرآن انه من عند الله وقيل يتبين لهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم مؤيد من قبل الله تعالى وقيل في الآفاق يعني اقطار السماء والارض من الشمس والقمر والنجوم والاشجار والانهار والنبات وفي انفسهم من لطيف الحكمة وبديع الصنعة حتى يتبين لهم انه الحق يعني لا يقدر على هذه الا الله تعالى ﴿اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد﴾ يعني يشهد ان القرآن من عند الله وقيل اولم يكفهم هذه الدلائل الكثيرة التي اوضحها الله تعالى لهم على التوحيد وانه شاهد لا يغيب عنه شيء ﴿الا انهم في مرية من لقاء ربهم﴾ اي في شك عظيم من البعث ﴿الا انه بكل شيء محيط﴾ اي عالم بجميع المعلومات التي لا نهاية لها احاط بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا والله تعالى اعلم

تفسير سورة حم عسق وتسمى سورة شورى

وهي مكية في قول ابن عباس والجمهور وحكي عن ابن عباس الا اربع آيات نزلت بالمدينة اولها ﴿قل لا اسألكم عليه اجرا﴾ وقيل فيها من المدني ﴿ذلك الذي يبشر الله به عباده﴾ الى قوله ﴿بذات الصدور﴾ وقوله ﴿والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون﴾ الى قوله ﴿من سبيل﴾ وهي ثلاث وخمسون آية وثمانمائة وست وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله عز وجل ﴿حم عسق﴾ سئل الحسين بن الفضل لم قطع حروف حم عسق ولم يقطع المص وكهيعص فقال لانها بين سور اوائلها حم فجرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبرا لان حم عسق عدت آيتين وعدت اخواتها

التي

التي لم تقطع آية وقيل لان اهل التأويل لم يختلفوا في كهيعص واخواتها انها حروف التهجي واختلفوا في حم فاخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا فقال معناها حم الامر اي قضي وبقي عسق على اصله وقيل معناه اي مفتوح حلمه مرجوه ع علمه س سناؤه ق قدرته اقسم الله بها وقيل ان العين من العزيز والسين من القدوس والقاف من القاهر وقيل ح حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز م ملك الله يتحول من قوم الى قوم ع عدو لقريش يقصدهم س سنين كسني يوسف ق قدرة الله في خلقه وقيل هذا في شأن محمد صلى الله عليه وسلم فالحاء حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين عزه الموجود والسين سناؤه المشهود والقاف قيامه في المقام المحمود وقربه من الملك المعبود قال ابن عباس ليس من نبي صاحب كتاب الا وقد اوحي اليه حم عسق فلذلك قال الله تعالى ﴿كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك﴾ وقيل معناه كذلك يوحي اليك اخبار الغيب كما اوحينا الى الذين من قبلك ﴿الله العزيز﴾ في ملكه ﴿الحكيم﴾ في صنعه والمعنى كانه قيل من يوحي فقيل الله العزيز الحكيم وصف نفسه وسعة ملكه فقال تعالى ﴿له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن﴾ اي من فوق الارضين وقيل تنفطر كل واحدة من فوق التي تليها من قول الله تعالى وقيل من قول المشركين اتخذ الله ولدا ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ اي ينزهونه عما لا يليق بجلاله وقيل يصلون بامر ربهم ﴿ويستغفرون لمن في الارض﴾ اي من المؤمنين دون الكفار لان الكافر لا يستحق ان يستغفر له الملائكة وقيل يحتمل ان يكون لجميع من في الارض اما في حق الكفار فبواسطة طلب الايمان لهم ويحتمل ان يكون المراد من الاستغفار ان لا يعاجلهم بالعقاب واما في حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم وقيل استغفارهم لمن في الارض هو سؤال الرزق لهم فيدخل فيه المؤمن والكافر ﴿الا ان الله هو الغفور الرحيم﴾ يعني انه تعالى يعطي المغفرة التي سألوها ويضم اليها بمنه وكرمه واظهار الرحمة التامة الشاملة قوله تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه اولياء﴾ اي جعلوا له شركاء وانداد ﴿الله حفيظ عليهم﴾ اي رقيب على احوالهم واعمالهم ﴿وما انت عليهم بوكيل﴾ اي لم نوكلك بهم حتى تؤخذ بهم انما انت نذير ﴿وكذلك﴾ اي ومثل ما ذكرنا ﴿اوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر ام القرى﴾ يعني مكة والمراد اهلها ﴿ومن حولها﴾ يعني قرى الارض كلها ﴿وتنذر يوم الجمع﴾ اي وتنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله فيه الاولين والآخرين واهل السموات واهل الارضين ﴿لا ريب فيه﴾ اي لا شك في الجمع انه كائن ثم بعد ذلك الجمع يتفرقون وهو قوله تعالى ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفيه ومعه كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان قلنا لا يا رسول الله فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل الجنة واسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيامة ثم قال للذي في يساره هذا كتاب من رب العالمين باسماء اهل النار واسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل ان يستقروا نطفا في الاصلاب وقبل ان يستقروا نطفا في الارحام اذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ينقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم القيامة فقال عبد الله بن عمرو ففيم العمل اذا فقال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل اهل الجنة وان عمل اي عمل وان صاحب النار يختم له بعمل اهل النار وان عمل اي عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله اخرجه احمد بن حنبل في مسنده قوله ﴿ولو شاء الله لجعلهم امة واحدة﴾ قال ابن عباس على دين واحد وقيل على ملة الاسلام ﴿ولكن﴾

يدخل

يدخل من يشاء في رحمته اي في دين الاسلام والظالمون اي الكافرون ما لهم من ولي اي يدفع عنهم العذاب ولا نصير اي يمنعهم من العذاب ام اتخذوا يعني الكفار من دونه اولياء فالله هو الولي قال ابن عباس هو وليك يا محمد وولي من اتبعك وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير يعني من يكون بهذه الصفة فهو الحقيق بان يتخذ وليا ومن لا يكون بهذه الصفة فليس بولي وما اختلفتم فيه من شيء اي من امر الدين فحكمه الى الله اي يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب وقيل علمه الى الله تعالى وقيل تحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان حكمه من حكم الله ولا تؤثروا حكومة غيره على حكومته ذلكم الله اي الذي يحكم بين المختلفين هو ربي عليه توكلت اي في جميع اموري واليه انيب اي واليه ارجع في كل المهمات فاطر السموات والارض جعل لكم من انفسكم اي من جنسكم ازواجا اي حلائل وقيل انما قال من انفسكم لان الله خلق حواء من ضلع آدم ومن الانعام ازواجا اي اصنافا ذكرانا واناثا يذرؤكم اي يخلقكم وقيل يكثركم فيه اي في الرحم وقيل في البطن وقد تقدم ذكر الازواج وقيل نسلا بعد نسل حتى كان بين ذكرانهم واناثهم التوالد والتناسل وقيل الضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطب من الناس والانعام الا انه غلب جانب الناس وهم العقلاء على غير العقلاء من الانعام وقيل بمعنى الباء اي يذرؤكم به اي يكثركم بالتزويج ليس كمثله شيء المثل صلة اي كهو شيء وقيل الكاف صلة مجازه ليس مثله شيء قال ابن عباس ليس له نظير فان قلت هذه الآية دالة على نفي المثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى في السموات والارض يقتضي اثبات المثل فما الفرق قلت المثل هو الذي يكون مساويا في بعض الصفات الخارجة عن الماهية فقوله ليس كمثله شيء معناه ليس له نظير كما قال ابن عباس او يكون معناه ليس لذاته سبحانه وتعالى مثل وقوله تعالى وله المثل الاعلى معناه وله الوصف الاعلى الذي ليس لغيره مثله ولا يشاركه فيه احد فقد ظهر بهذا وهو السميع اي لسائر المسموعات البصير اي لسائر المبصرات له مقاليد السموات والارض اي مفاتيح الرزق في السموات يعني المطر وفي الارض يعني النبات يدل عليه قوله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يعني انه يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء لان مفاتيح الرزق بيده انه بكل شيء عليم اي من البسط والتضييق قوله عز وجل شرع لكم من الدين اي بين وسن لكم طريقا واضحا من الدين الذي اي دينا تطابقت على صحته الانبياء وهو قوله تعالى ما وصى به نوحا يعني انه اول الانبياء اصحاب الشرائع والمعنى قد وصيناه واياك يا محمد دينا واحدا والذي اوحينا اليك اي من القرآن وشرائع الاسلام وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى انما خص هؤلاء الانبياء الخمسة بالذكر لانهم اكابر الانبياء واصحاب الشرائع العظيمة والاتباع الكثيرة واولو العزم ثم فسر المشروع الذي اشترك فيه هؤلاء الاعلام من رسله بقوله ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه والمراد من اقامة الدين هو توحيد الله والايمان به وبكتبه ورسله واليوم الآخر وطاعة الله في اوامره ونواهيه وسائر ما يكون الرجل به مسلما ولم يرد به الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقيل اراد تحليل الحلال وتحريم الحرام وقيل تحريم الامهات والبنات والاخوات فانه مجمع على تحريمهن وقيل لم يبعث الله نبيا الا وصاه باقام الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار لله بالتوحيد والطاعة وقيل بعث الله الانبياء كلهم باقامة الدين والالفة والجماعة وترك الفرقة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه اي من التوحيد ورفض الاوثان الله يجتبي اليه من يشاء اي يصطفي لدينه من يشاء من عباده

ويهدي اليه من ينيب اي يقبل الى طاعته وما تفرقوا يعني اهل الاديان المختلفة وقال ابن عباس يعني اهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم اي بان الفرقة ضلالة بغيا بينهم اي ولكنهم فعلوا ذلك للبغي وقيل بغيا منهم على محمد صلى الله عليه وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك اي في تأخير العذاب عنهم الى اجل مسمى يوم القيامة لقضي بينهم اي بين من آمن وكفر يعني انزل العذاب بالمكذبين في الدنيا وان الذين اورثوا الكتاب يعني اليهود والنصارى من بعدهم اي من بعد انبيائهم وقيل من الامم الخالية لفي شك منه اي من امر محمد صلى الله عليه وسلم فلا يؤمنون به مريب يعني مرتابين شاكين فيه فلذلك اي الى ذلك فادع اي الى ما وصى الله به الانبياء من التوحيد وقيل لاجل ما حدث من الاختلاف في الدين الكثير فادع انت الى الاتفاق على الملة الحنيفية واستقم كما امرت اي اثبت على الدين الذي امرت به ولا تتبع اهواءهم اي المختلفة الباطلة وقل آمنت بما انزل الله من كتاب اي آمنت بكتب الله المنزلة كلها وذلك لان المتفرقين آمنوا ببعض الكتب وكفروا ببعض وامرت لاعدل بينكم قال ابن عباس امرت ان لا احيف عليكم باكثر مما افترض الله عليكم من الاحكام وقيل لاعدل بينكم في جميع الاحوال والاشياء وقيل لاعدل بينكم في الحكم اذا تخاصمتم وتحاكمتم الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم يعني ان الاله الكل واحد وكل احد مخصوص بعمل نفسه وان اختلفت اعمالنا فكل يجازى بعمله لا حجة بيننا وبينكم اي لا خصومة الله يجمع بيننا اي في المعاد لفصل القضاء واليه المصير قوله تعالى والذين يحاجون في الله اي يخاصمون في دين الله قيل هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم من بعد ما استجيب له اي من بعد ما استجاب الناس لدين الله فاسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزة نبيه صلى الله عليه وسلم حجتهم داحضة اي خصومتهم باطلة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد اي في الآخرة الله الذي انزل الكتاب بالحق اي الكتاب المشتمل على انواع الدلائل والاحكام والميزان اي العدل وسمي العدل ميزانا لان الميزان آلة الانصاف والتسوية قال ابن عباس امر الله تعالى بالوفاء ونهى عن البخس وما يدريك لعل الساعة قريب اي وقت اتيانها قريب وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الساعة وعنده قوم من المشركين فقالوا تكذيبا له متى تكون الساعة فانزل الله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها اي ظنا منهم انها غير آتية والذين آمنوا مشفقون منها اي خائفون منها ويعلمون انها الحق اي انها آتية لا شك فيها الا ان الذين يمارون اي يخاصمون في الساعة وقيل يشكون فيها لفي ضلال بعيد قوله عز وجل الله لطيف بعباده اي كثير الاحسان اليهم قال ابن عباس حفي بهم وقيل رفيق وقيل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يهلكهم جوعا بمعاصيهم يدل عليه يرزق من يشاء يعني ان الاحسان والبر انعام في حق كل العباد وهو اعطاء ما لا بد منه وكل من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر وذي روح فهو ممن يشاء الله برزقه وقيل اللطف في الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات والثاني انه لم يدفعه اليك مرة واحدة وهو القوي اي القادر على كل ما يشاء العزيز هو الذي لا يغالب ولا يدافع من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه اي بالتضعيف الى عشرة الى ما شاء الله من الزيادة وقيل انا نزيد في توفيقه واعانته وتسهيل سبيل الخير والطاعات له ومن كان يريد حرث الدنيا يعني يريد بعمله الدنيا مؤثرا لها على الآخرة نؤته منها اي ما قدر وقسم له منها وما له في الآخرة من نصيب يعني لم يعلم بما عن ابي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشر هذه الامة بالسناء والرفعة والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب ذكره في جامع الاصول ولم يعزه الى احد من الكتب الستة واخرجه البغوي باسناده قوله تعالى ام لهم يعني كفار مكة شركاء يعني

الاصنام وقيل الشياطين شرعوا لهم من الدين قال ابن عباس شرعوا لهم دينا غير دين الاسلام
ما لم يأذن به الله يعني تلك الشرائع باسرها على خلاف دين الله الذي امر به وذلك انهم
زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها ولولا كلمة الفصل يعني
ان الله تعالى حكم بين الخلق بتأخير العذاب عنهم الى يوم القيامة لقضي بينهم اي لفرغ من عذاب
الذين يكذبونك في الدنيا وان الظالمين يعني المشركين لهم عذاب اليم اي في الآخرة ترى الظالمين
يعني يوم القيامة مشفقين اي وجلين خائفين مما كسبوا اي من الشرك والاعمال الخبيثة وهو
واقع بهم اي جزاء كسبهم واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات
كان هذه الروضات اطيب بقاع الجنة ولذا خص الذين امنوا وعملوا الصالحات بها وفيه
تنبيه على ان في الجنة منازل غير الروضات هي لمن هو دون هؤلاء الذين امنوا وعملوا الصالحات
من اهل القبلة لهم ما يشاؤون عند ربهم اي من الكرامة ذلك هو الفضل الكبير الذي ذكر
من نعيم الجنة ذلك يعني الذي ذكر من نعيم الجنة الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا
الصالحات قوله عز وجل قل لا اسألكم عليه اي على تبليغ الرسالة اجرا اي جزاء الا المودة
في القربى عن ابن عباس انه سئل عن قوله الا المودة في القربى فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد
فقال ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا له فيهم قرابة فقال الا
ان تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة وعن ابن عباس ايضا في قوله الا المودة في القربى يعني
ان تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي واليه ذهب مجاهد وقتادة وعكرمة ومقاتل
والسدي والضحاك خ عن ابن عمر عن ابي بكر الصديق قال ارقبوا محمدا في اهل بيته واختلفوا
في قرابته فقيل علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم وقيل آل بيته من حرم عليهم
الصدقة من اقاربه وهم بنو هاشم وبنو المطلب لم يفترقوا في جاهلية ولا اسلام م عن زيد
ابن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اني تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى
والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل
بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي فقال له حصين من اهل بيته يا زيد
اليس نساؤه من اهل بيته فقال نساؤه من اهل بيته ولكن اهل بيته من حرم عليهم
الصدقة بعده قال ومن هم قال آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس فان قلت طلب
الاجر على تبليغ الرسالة والوحي لا يجوز لقوله في قصة نوح وغيره من الانبياء ما اسألكم
عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين قلت لا نزاع في انه لا يجوز طلب الاجر على تبليغ الرسالة
بقي الجواب عن قوله الا المودة في القربى فالجواب عنه من وجهين الاول معناه لا اطلب
منكم الا هذا وهذا في الحقيقة ليس باجر ومنه قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

معناه اذا كان هذا عيبهم فليس فيهم عيب بل هو مدح فيهم ولان المودة بين المسلمين امر
واجب واذا كان كذلك في حق جميع المسلمين فكانت في آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم اولى
فقوله قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ليست اجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت
مودتهم وصلتهم لازمة لهم فثبت ان لا اجر البتة والوجه الثاني ان هذا استثناء منقطع وتم
الكلام عند قوله قل لا اسألكم عليه اجرا ثم ابتدأ فقال الا المودة في القربى اي لكن اذكركم
المودة في القربى واذكركم قرابتي منكم وقيل القربى هم قرابتكم فلا تؤذوهم وقيل ان هذه
منسوخة وذلك لانها نزلت بمكة وكان المشركون يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل
الله هذه الآية فامرهم فيها بمودة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر

الى المدينة

الى المدينة وآواه الانصار ونصروه احب الله ان يلحقه باخوانه من النبيين فانزل الله
قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا على الله فصارت هذه الآية ناسخة لقوله قل لا اسألكم
عليه اجرا الا المودة في القربى واليه ذهب الضحاك والحسين بن الفضل والقول بنسخ
هذه الآية غير مرضي لان مودة النبي صلى الله عليه وسلم وكف الاذى عنه ومودة اقاربه
من فرائض الدين وهو قول السلف فلا يجوز المصير الى نسخ هذه الآية وروي عن ابن عباس
في معنى الآية قول آخر قال الا ان تودوا الله وتتقربوا اليه بطاعته وهو قول
الحسن قال هو القربى الى الله يقول الا التقرب الى الله والتودد اليه بالطاعة والعمل
الصالح وقوله تعالى ومن يقترف حسنة اي يكتسب طاعة نزد له فيها حسنا اي بالتضعيف
ان الله غفور للذنوب شكور اي للقليل من الاعمال الحسنى يضاعفها ام يقولون اي بل يقولون
كفار مكة افترى على الله كذبا فيه توبيخ لهم معناه ايقع في قلوبهم ويجري على لسانهم ان
ينسبوا مثله الى الكذب وانه افترى على الله كذبا وهو اقبح انواع الكذب فان يشا الله
يختم على قلبك اي يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك اذاهم وقولهم انه مفتر وقيل
معناه يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما اتاك فاخبرهم انه لو افترى على الله كذبا
لفعل به ما اخبر في هذه الآية ويمح الله الباطل اي اخبر الله تعالى ان ما يقولونه باطل
والله يمحوه ويحق الحق بكلماته اي يحق الاسلام بما انزل من كتابه وقد فعل الله ذلك
فمحى باطلهم واعلى كلمة الاسلام انه عليم بذات الصدور قال ابن عباس لما نزلت قل لا اسألكم
عليه اجرا الا المودة في القربى وقع في قلوب قوم منها شيء وقالوا يريد ان يحثنا على اقاربه
من بعده فنزل جبريل فاخبره انهم اتهموه وانزل هذه الآية فقال القوم يا رسول الله فانا
نشهد انك صادق فنزل قوله عز وجل وهو الذي يقبل التوبة عن عباده قال ابن عباس
يريد اولياءه واهل طاعته

فصل

في ذكر التوبة وحكمها قال العلماء التوبة واجبة
من كل ذنب فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاث شروط
احدها ان يقلع عن المعصية والثاني ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم على ان لا يعود اليها
ابدا فاذا حصلت هذه الشروط صحت التوبة وان فقد احد الثلاثة لم تصح توبته وان كانت
المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها اربعة هذه الثلاثة والشرط الرابع ان يبرأ من حق صاحبها
فمن شروط التوبة ترك المعاصي نية وفعلا والاقبال على الطاعة نية وفعلا وقال
سهل بن عبد الله التستري التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال المحمودة خ عن ابي
هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر
من سبعين مرة م عن الاغر بن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس
توبوا الى الله فاني اتوب اليه في اليوم مائة مرة ق عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لله افرح بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل في ارض دوية مهلكة
معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته
فطلبها حتى اذا اشتد الحر والعطش او ما شاء الله قال ارجع الى مكاني الذي كنت فيه فانام
حتى اموت فوضع راسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها طعامه
وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته وزاده الدوية الفلاة
والمفازة ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن
من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة لمسلم عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لله اشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كان على راحلته بارض

فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس منها فاتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد ايس
من راحلته فبينا هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده ثم اخذ بخطامها ثم قال من شدة فرحه
اللهم انت عبدي وانا ربك اخطا من شدة الفرح عن صفوان بن عسال المرادي قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله جعل بالمغرب بابا عرضه سبعين عاما للتوبة
لا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله وذلك قوله تعالى يوم ياتي بعض آيات ربك لا ينفع
نفسا الاية اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب م عن
ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب
مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها قوله عز وجل
ويعفوا عن السيئات اي يمحوها اذا تابوا **ويعلم ما يفعلون** يعني من خير او شر فيجازيهم
عليه **ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات** يعني يجيب المؤمنين لله فيما دعاهم لطاعته
وقيل معناه ويجيب للذين آمنوا اذا دعوه وقال ابن عباس ويثيب الذين آمنوا **ويزيدهم**
من فضله اي سوى ثواب اعمالهم تفضلا منه وقال ابن عباس يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم
من فضله في اخوان اخوانهم **والكافرون لهم عذاب شديد** قوله عز وجل **ولو بسط الله**
الرزق لعباده قال خباب بن الارت فينا نزلت هذه الاية وذلك انا نظرنا الى اموال
بني قريظة والنضير وبني قينقاع فتمنيناها فانزل الله ولو بسط الله الرزق لعباده **لبغوا**
لطغوا وعتوا **في الارض** قال ابن عباس طلبهم منزلة ومركبا وملبسا بعد ملبس وقيل ان
الانسان متكبر بالطبع فاذا وجد الغنى والقدرة رجع الى مقتضى خلقته وهو التكبر واذا
وقع في شدة ومكروه وفقر انكسر ورجع الى الطاعة والتواضع وقيل ان البغي مع القبض
والفقر اقل ومع البسط والغنى اكثر لان النفس مائلة الى الشر لكنها اذا كانت فاقدة
لالاتها كان الشر اقل واذا كانت واجدة كان الشر اكثر فثبت ان وجدان المال يوجب
الطغيان **ولكن ينزل بقدر ما يشاء** يعني الارزاق نظرا لمصالح عباده وهو قوله تعالى **انه**
بعباده خبير بصير والمعنى انه تعالى عالم باحوال عباده وبطبائعهم وبعواقب امورهم
فيقدر ارزاقهم على وفق مصالحهم يدل على ذلك ما روي عن انس بن مالك عن النبي صلى الله
عليه وسلم عن جبريل عن الله عز وجل من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة واني لاغضب لاوليائي
كما يغضب الليث الحرد وما تقرب الي عبدي المؤمن بمثل ما افترضت عليه وما يزال عبدي المؤمن
يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ويدا ومؤيدا وان دعاني
اجبته وان سالني اعطيته وما ترددت في شيء انا فاعله ترددي في روح عبدي المؤمن يكره
الموت واكره مساءته ولا بد له منه وان من عبادي المؤمنين لمن يسالني الباب من العبادة
فاكفه عنه ان لا يدخله عجب فيفسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا
الغنى ولو افقرته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح ايمانه الا الصحة ولو
اسقمته لافسده ذلك وان من عبادي المؤمنين اني ادبر امر عبادي بعلمي بقلوبهم اني عليم خبير
اخرجه البغوي باسناده قوله تعالى **وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا** اي يئس
الناس منه وذلك ادعى لهم الى الشكر قيل حبس الله المطر عن اهل مكة سبع سنين حتى قنطوا
ثم انزل الله المطر فذكرهم نعمته لان الفرح بحصول النعمة بعد الشدة اتم **وينشر رحمته**
اي يبسط بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب **وهو الولي** اي لاهل طاعته
الحميد اي المحمود على ما يوصل الى الخلق من اقسام رحمته **ومن آياته خلق السموات والارض**

وما بث اي اوجد **فيهما** اي في السموات والارض **من دابة** فان قلت كيف يجوز اطلاق لفظ الدابة
على الملائكة قلت الدبيب كما يوصف به الا في اللغة المشي الخفيف على الارض فيحتمل ان يكون
للملائكة مشي مع الطيران فيوصفون بالدبيب كما يوصف به الانسان وقيل يحتمل ان الله
تعالى خلق في السموات انواعا من الحيوان يدبون دبيب الانسان **وهو على جمعهم اذا يشاء**
قدير يعني يوم القيامة **وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم** يعني المراد بهذه المصائب
الاحوال المكروهة نحو الاوجاع والاسقام والقحط والغلاء والغرق والصواعق وغير ذلك
فبما كسبت ايديكم من الذنوب والمعنى **ويعفو عن كثير** قيل لما نزلت هذه الاية قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما
وما يعفو الله عنه اكثر وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي سخيلة قال قال علي رضي الله
عنه الا اخبركم بافضل اية في كتاب الله حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اصابكم
من مصيبة اي من مرض او عقوبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وسافسرها لكم يا علي ما
اصابكم من مصيبة اي من مرض او عقوبة او بلاء في الدنيا فبما كسبت ايديكم والله اكرم من ان يثني
عليهم العقوبة في الاخرة وما عفى الله عنهم في الدنيا لم يكن الله ليغفر له الا به او درجة لم يكن
الله ليرفعه لها الا به م وعن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب المؤمن شوكة
فما فوقها الا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة **وما انتم بمعجزين** اي بفائتين في الارض
هربا لا تعجزونني حيث ما كنتم **وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** قوله تعالى **ومن آياته**
الجوار يعني السفن وهي السائرة **في البحر كالاعلام** اي كالقصور وكل شيء مرتفع عند العرب
فهو علم **ان يشا يسكن الريح** التي تجري بها السفن **فيظللن** يعني السفن الجواري **رواكد** اي
ثوابت **على ظهره** اي على ظهر البحر لا تجري **ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور** وهذه صفة
المؤمن لانه يصبر في الشدة ويشكر في الرخاء **او يوبقهن** اي يغرقهن ويهلكهن **بما كسبوا** اي بما
كسبت ركابها من الذنوب **ويعف عن كثير** اي من ذنوبهم فلا يعاقب عليها **ويعلم الذين**
يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص يعني يعلم الذين يكذبون بالقرآن اذا صاروا الى الله
ما لهم من مهرب **فما اوتيتم من شيء** اي من زينة الدنيا **فمتاع الحياة الدنيا** اي ليس هو من
زاد الاخرة **وما عند الله** اي من الثواب **خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون**
والمعنى ان المؤمن والكافر يستويان في متاع الحياة الدنيا فاذا صاروا الى الله تعالى كان
ما عند الله من الثواب خير وابقى للمؤمنين **والذين يجتنبون كبائر الاثم** يعني كل ذنب تعظم
عقوبته كالقتل والزنا والسرقة وشبه ذلك **والفواحش** يعني ما عظم قبحه من الافعال
والاقوال **واذا ما غضبوا هم يغفرون** يعني يكظمون الغيظ ويحلمون **والذين استجابوا**
لربهم اي اجابوه الى ما دعاهم اليه من طاعته **واقاموا الصلاة** يعني المفروضة **وامرهم**
شورى بينهم يعني يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون ولا ينفردون برأي ما لم
يجتمعوا عليه قيل ما تشاور قوم الا هدوا الى ارشد امرهم **ومما رزقناهم ينفقون والذين**
اذا اصابهم البغي يعني الظلم والعدوان **هم ينتصرون** يعني ينتقمون من ظالمهم من غير
تعد قال ابن زيد جعل الله المؤمنين صنفين صنف يعفون عن ظالمهم فبدا بذكرهم وهو قوله
تعالى واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم وهم الذين ذكروا
في هذه الاية وقال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم فاذا قدروا عفوا وقيل
ان العفو اعز للسفيه وقال عطاء هم المؤمنون الذين اخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم ثم
مكنهم الله في الارض حتى انتصروا ممن ظلمهم ثم بين الله تعالى ان شرعية الانتصار ه

مشروطة بنوع غاية المماثلة فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها سمي الجزاء سيئة وان لم تكن سيئة
لتشابههما في الصورة وقيل ان الجزاء يسوء من ينزل به وقيل هو جزاء القبيح اذا قال اخزاك الله فقل
اخزاك الله ولا تزد واذا شتمك فاشتمه بمثله ولا تعتد وقيل ان الله لم يرغب في
الانتصار بل بين انه مشروع ثم بين ان العفو اولى بقوله تعالى فمن عفا اي عمن ظلمه واصلح
بالعفو بينه وبين الظالم فاجره على الله قال الحسن اذا كان يوم القيامة نادى مناد من
كان له على الله اجر فليقم فلا يقوم الا من عفا ثم قرا هذه الاية انه لا يحب الظالمين
قال ابن عباس الذين يبدؤن بالظلم ولمن انتصر بعد ظلمه اي بعد ظلم اياه فاولئك يعني
المنتصرين ما عليهم من سبيل اي بعقوبة ومؤاخذة انما السبيل على الذين يظلمون الناس
اي يبدؤن بالظلم ويبغون في الارض بغير الحق اي يعملون بالمعاصي اولئك لهم عذاب
اليم ولمن اي لم ينتصر صبر اي لم ينتصر وغفر وتجاوز عن ظلمه ان ذلك اي الصبر
والتجاوز لمن عزم الامور يعني تركه والانتصار لمن عزم الامور الجيدة التي امر الله بها وقيل
ان الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة في الثواب اتم عزم ومن يضلل الله فما له من
ولي من بعده يعني فما له من احد يلي هدايته بعد اضلال الله اياه او يمنعه من عذابه وترى
الظالمين لما راوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل يعني انهم يسالون الرجعة الى الدنيا
وتراهم يعرضون عليها اي على النار خاشعين من الذل اي خاضعين متواضعين ينظرون
من طرف خفي يعني يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذلة في انفسهم وقيل ينظرون بطرف
خفي اي ضعيف من الذل وقيل ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والنظر بالقلب
خفي وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم يعني بان صاروا الى النار
واهليهم يوم القيامة يعني وخسروا اهليهم بان صاروا لغيرهم في الجنة الا ان الظالمين
في عذاب مقيم وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من
سبيل اي وصول الى الحق في الدنيا والجنة في العقبى فقد استدت عليهم طرق الخير استجيبوا لربكم
اي اجيبوا داعي الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله
اي لا يقدر احد على دفعه وهو يوم القيامة وقيل هو يوم الموت ما لكم
من ملجا يومئذ وما لكم من نكير اي منكر حالكم وقيل النكير الانكار يعني لا تقدروا ان
تنكروا من اعمالكم شيئا فان اعرضوا اي عن الاجابة فما ارسلناك عليهم حفيظا اي
تحفظ اعمالهم ان عليك الا البلاغ اي ليس عليك الا البلاغ وفيه تسلية للنبي صلى
الله عليه وسلم واذا اذقنا الانسان منا رحمة قال ابن عباس يعني الغنى والصحة فرح
بها وان تصبهم سيئة اي قحط بما قدمت ايديهم اي من الاعمال الخبيثة فان الانسان
كفور اي لما تقدم من نعمة الله عز وجل قوله عز وجل لله ملك السموات والارض
يعني له التصرف فيهما بما يريد يخلق ما يشاء اي لا يقدر احد ان يعترض عليه في ملكه وارادته
يهب لمن يشاء اناثا فلا يولد له الا الانثى ويهب لمن يشاء الذكور فلا يولد له الا
الذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا اي يجمع بينهما فيولد له الذكور والاناث ويجعل
من يشاء عقيما اي فلا يولد له ولد وقيل هذا في الانبياء عليهم السلام فقوله يهب لمن يشاء
اناثا يعني لوطا لم يولد له ذكر انما ولد له ابنتان ويهب لمن يشاء الذكور يعني ابراهيم
عليه السلام لم يولد له انثى او يزوجهم ذكرانا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ولد له اربع
بنين واربع بنات ويجعل من يشاء عقيما يعني يحيى وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما
وهذا على وجه التمثيل والا فالاية عامة في جميع الناس انه عليم اي بما يخلق قدير اي

على

على ما يريد ان يخلق قوله عز وجل وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا قيل سبب نزولها
ان اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى
ونظر فقال لم ينظر موسى الى الله فانزل الله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي يوحي
اليه في المنام او بالالهام كما راى ابراهيم في المنام ان يذبح ولده وهو وحي وكما الهمت
ام موسى ان تقذفه في البحر او من وراء حجاب اي يسمع كلامه من وراء حجاب ولا يراه
كما كلم موسى او يرسل رسولا يعني من الملائكة اما جبريل او غيره فيوحي باذنه ما يشاء
يعني يوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن الله ما يشاء وهذه الاية محمولة على انه لا
يكلم بشرا الا من وراء حجاب في الدنيا وياتي بيان هذه في سورة النجم ان شاء الله تعالى انه
علي اي عن صفات المخلوقين حكيم اي في جميع افعاله قوله عز وجل وكذلك اي كما اوحينا
الى سائر رسلنا اوحينا اليك روحا من امرنا قال ابن عباس نبوة وقيل قرانا لانه به حياة
الارواح وقيل رحمة وقيل جبريل ما كنت تدري اي قبل الوحي ما الكتاب يعني القران
ولا الايمان اختلف العلماء في هذه الاية مع اتفاقهم على ان الانبياء قبل النبوة كانوا مؤمنين
فقيل معناه ما كنت تدري قبل الوحي شرائع الايمان ومعالمه وقال محمد بن اسحاق بن خزيمة
الايمان في هذا الموضع الصلاة دليله وما كان الله ليضيع ايمانكم يعني صلاتكم ولم يرد
به الايمان الذي هو الاقرار بالله تعالى لان النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة يوحد
الله ويحج ويعتمر ويبغض اللات والعزى ولا ياكل ما ذبح على النصب وكان يتعبد
على دين ابراهيم عليه السلام ولم تتبين له شرائع دينه الا بعد الوحي اليه ولكن جعلناه
نورا قال ابن عباس يعني الايمان وقيل القران لانه يهتدى به من الضلالة وهو قوله
نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي اي لتدعو الى صراط مستقيم يعني دين الاسلام
صراط الله يعني الذي شرعه لعباده الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير
الامور يعني امور الخلائق في الاخرة فيثيب المحسن ويعاقب المسيء والله تعالى اعلم باسرار كتابه

تفسير سورة الزخرف

وهي مكية وهي تسع وثمانون اية وثمانمائة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة الاف واربعمائة
حرف حم والكتاب المبين اقسم بالكتاب وهو القران الذي ابان طرق الهدى من طرق
الضلالة وابان ما تحتاج اليه الامة من الشريعة وقيل المبين يعني الواضح للمتدبرين
وجواب القسم انا جعلناه اي صيرنا قراءة هذا الكتاب عربيا وقيل بيناه وقيل سميناه
وقيل وصفناه وقيل انزلناه قرانا عربيا لعلكم تعقلون معانيه واحكامه وانه
يعني القران في ام الكتاب اي اللوح المحفوظ قال ابن عباس اول ما خلق الله القلم
فامره ان يكتب ما يريد ان يخلق فالكتاب عنده ثم قرا لدينا فالقران مثبت عند الله في اللوح
المحفوظ لعلي حكيم اخبر عن شرفه وقيل على جميع الكتب حكيم اي محكم لا يتطرق اليه
الفساد والبطلان قوله تعالى افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين والمعنى
لا نفعل ذلك قال قتادة والله لو كان هذا القران رفع حين رده اوائل هذه الامة
لهلكوا ولكن الله عاد بعائدته وكرمه ورحمته فكرره عليهم عشرين سنة او ما شاء
الله وقيل معناه افنضرب عنكم تذكيرنا اياكم صافحين اي معرضين عنكم وقيل معناه
افنطوي الذكر عنكم طيا فلا تدعون ولا توعظون وقيل افنترككم فلا نعاقبكم على
كفركم وكم ارسلنا من نبي في الاولين وما ياتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن

يعني كما استهزا قومك بك وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم فاهلكنا اشد منهم بطشا
اي اقوى من قومك قوة ومضى مثل الاولين اي صفتهم والمعنى ان كفار قريش سلكوا في الكفر
والتكذيب مسلك من كان قبلهم فليحذروا ان ينزل بهم مثل ما نزل بالاولين من الخزي والعقوبة
قوله عز وجل ولئن سألتهم اي سألت قومك يا محمد من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن
العزيز العليم يعني انهم اقروا ان الله تعالى خالقهما واقروا بعزته وعلمه ومع اقرارهم بذلك
عبدوا غيره وانكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم ثم ابتدا تعالى دالا على نفسه بذكر مصنوعاته
فقال الذي جعل لكم الارض مهادا معناه واقفة ساكنة يمكن الانتفاع بها ولما كان المهد موضع
راحة الصبي فكذلك جعل الارض مهادا لكثرة ما فيها من الراحة للخلق وجعل لكم فيها سبلا
اي طرقا لعلكم تهتدون الى مقاصدكم في اسفاركم والذي نزل من السماء ماء بقدر اي بقدر حاجتكم
اليه لا كما انزل على قوم نوح حتى اهلكهم فانشرنا به اي بالمطر بلدة ميتا اي كما احيينا هذه
البلدة الميتة بالمطر كذلك تخرجون من قبوركم احياء والذي خلق الازواج كلها اي الاصناف
والانواع كلها قيل ان كل ما سوى الله تعالى فهو زوج وهو الفرد المنزه عن الاضداد والانداد
والزوجة وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره اي على ظهور
الفلك والانعام ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه يعني بتسخير المركب في البر والبحر
وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا اي ذلل لنا هذا وما كنا له مقرنين اي مطيقين وقيل
ضابطين وانا الى ربنا لمنقلبون اي في المعاد عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
اذا استوى على بعيره خارجا الى سفر حمد الله تعالى وسبح وكبر ثلاثا ثم قال سبحان الذي سخر
لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى
ومن العمل ما ترضى اللهم هون سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم انت الصاحب في السفر
والخليفة في الاهل اللهم اني اعوذ بك من وعثاء السفر وكابة المنظر وسوء المنقلب في الاهل
والمال والولد واذا رجع قالهن وزاد فيهن ايبون تائبون عابدون لربنا حامدون قوله
وعثاء السفر يعني تعبه وشدته ومشقته وكابة المنظر الكابة الحزن والمنقلب المرجع وذلك
ان يعود من سفره كئيبا حزينا ويصادف ما يحزنه في اهله وماله عن علي بن ربيعة قال شهدت
علي بن ابي طالب واتي بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال بسم الله فلما استوى
على ظهرها قال الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ثم
قال الحمد لله ثلاثا ثم قال الله اكبر ثلاث مرات ثم قال سبحانك اني ظلمت نفسي فاغفر لي
فانه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقلت يا امير المؤمنين مم ضحكت قال رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله من اي شيء ضحكت قال ان
ربك يعجب من عبده اذا قال اغفر لي ذنوبي انه لا يغفر الذنوب غيرك اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا يعني ولدا وهو
قولهم الملائكة بنات الله لان الولد جزء من الاب ومعنى جعلوا هنا حكموا واثبتوا
ان الانسان لكفور مبين اي لجحود لنعم الله عليه ام اتخذ مما يخلق بنات هذا استفهام
انكار وتوبيخ يقول اتخذ ربكم لنفسه البنات واصفاكم اي اخلصكم بالبنين واذا
بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا اي بالجنس الذي جعله للرحمن شبها لان الولد لا
يكون الا من جنس الوالد والمعنى انهم نسبوا اليه البنات ومن حالهم ان احدهم اذا قيل
له قد ولد لك بنت اغتم وتربد وجهه غيظا واسفا وهو قوله تعالى ظل اي صار
وجهه مسودا وهو كظيم اي من الحزن والغيظ قيل ان بعض العرب ولدت له بنت

فهجر

فهجر بيت امراته التي ولدت فيه الانثى فقالت المرأة ما لابي حمزة لا ياتينا يظل في البيت
الذي يلينا غضبان ان لا نلد البنينا ليس لنا من امرنا ما شينا وانما ناخذ ما اعطينا قوله
عز وجل اومن ينشأ يعني او من يربى في الحلية يعني الزينة والنعمة اي يجعل للرحمن من الولد
من هذه الصفة المذمومة صفته ولولا نقصانها لما احتاجت ان تزين نفسها بالحلية ثم
بين نقصان حالها بما يوجد اخر وهو قوله وهو في الخصام غير مبين اي في المخاصمة غير مبين للحجة
وذلك لضعف حالها وقلة عقلها قال قتادة قلما تكلمت امراة تريد ان تتكلم بحجتها
الا تكلمت بالحجة عليها وجعلوا اي حكموا واثبتوا الملائكة الذين هم عباد وقرئ عند
الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم اي احضروا خلقهم حين خلقوا وهذا استفهام انكار اي
لم يشهدوا ذلك ستكتب شهادتهم اي على الملائكة انهم بنات الله ويسألون اي
عنها قيل لما قالوا هذا القول سألهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال وما يدريكم
انهم بنات الله قالوا سمعنا من ابائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال الله تعالى ستكتب
شهادتهم ويسألون عنها في الاخرة وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم يعني الملائكة وقيل
الاصنام وانما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا اياها لرضاه منا بذلك قال الله تعالى ردا
عليهم ما لهم بذلك من علم اي فيما يقولون ان هم الا يخرصون يعني الملائكة وقيل
الاصنام وانما لم يعني ما هم الا كاذبين في قولهم ان الله رضي منا بعبادتنا وقيل ان الملائكة
اناثا وانهم بنات الله ام آتيناهم كتابا من قبله اي من قبل القرآن بان يعبدوا غير الله فهم
به مستمسكون اي ياخذون بما فيها بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة اي على دين وملة
وانا على اثارهم مهتدون يعني انهم جعلوا انفسهم مهتدين باتباع ابائهم وتقليدهم من غير
حجة ثم اخبر ان غيرهم قد قال هذه المقالة بقوله تعالى وكذلك ما ارسلنا من قبلك في
قرية من نذير الا قال مترفوها اي اغنياؤها ورؤساؤها انا وجدنا اباءنا على امة وانا
على اثارهم مقتدون اي بهم قل اولو جئتكم باهدى اي بدين هو اصوب مما وجدتم عليه
اباءكم فابوا ان يقبلوا قالوا انا بما ارسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان
عاقبة المكذبين قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء اي بريء مما
تعبدون الا الذي فطرني معناه اني اتبرأ مما تعبدون الا من الذي خلقني فانه سيهدين
اي يرشدني لدينه وجعلها اي وجعل ابراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها وهي لا اله الا
الله كلمة باقية في عقبه اي في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعوا الى توحيده
لعلهم يرجعون اي لعل من اشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم وقيل لعل اهل مكة يتبعون
هذا الدين ويرجعون عما هم عليه من الشرك الى دين ابراهيم بل متعت هؤلاء يعني كفار مكة
واباءهم في الدنيا بالمد في العمر والنعمة ولم اعاجلهم بالعقوبة على كفرهم حتى جاءهم الحق
اي القرآن وقيل الاسلام ورسول هو محمد صلى الله عليه وسلم مبين اي يبين لهم الاحكام
وقيل بين لهم الرسالة واوضحها بما معه من الايات والمعجزات وكان من حق هذا
الانعام ان يطيعوه فلم يفعلوا بل كذبوا وعصوا وسموه ساحرا وهو قوله عز وجل ولما
جاءهم الحق يعني القرآن قالوا هذا سحر وانا به كافرون قوله عز وجل وقالوا لولا نزل
هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم معناه انهم قالوا منصب النبوة منصب
عظيم شريف لا يليق الا برجل شريف عظيم كثير المال والجاه من احدى القريتين وهما
مكة والطائف واختلفوا في هذا الرجل العظيم فقيل الوليد بن المغيرة بمكة وعروة
بن مسعود بالطائف وقيل عتبة بن ربيعة من مكة وكنانة بن عبد ياليل الثقفي من

الطائف حبيب بن عمير الثقفي قال الله تعالى رداً عليهم اهم يقسمون رحمة ربك يعني
بايديهم مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا ومعنه الانكار الدال على تجهيلهم والتعجب من
اعتراضهم وتحكمهم وان يكونوا هم المدبرين لامر النبوة ثم ضرب بهذا مثلا فقال تعالى نحن قسمنا
بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا اي نحن اوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنيا وهذا
فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا وهذا قويا وهذا ضعيفا ثم ان احدا من الخلق لم يقدر على
تغيير حكمنا ولا على الخروج من قضائنا فاذا عجزوا عن الاعتراض في حكمنا في احوال الدنيا
مع قلتها وذلتها فكيف يقدرون على الاعتراض على حكمنا في تخصيص بعض عبادنا بمنصب
النبوة والرسالة لاخر والمعنى كما فضلنا بعضهم على بعض كما شئنا كذلك اصطفينا بالرسالة
من شئنا كذلك ثم قال تعالى ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا
سخريا يعني لو انا سوينا بينهم في كل الاحوال لم يخدم احد احدا ولم يصر احد مسخرا لغيره
وحينئذ يفضي ذلك الى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكن فعلنا ذلك ليستخدم بعضهم
بعضا فيسخر الاغنياء باموالهم الاجراء بالعمل فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش هذا بماله
وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم وقيل يملك بعضهم بماله بعضا بالملك ورحمة ربك يعني
الجنة خير للمؤمنين مما يجمعون اي يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف الزوال
والانقراض وفضل الله ورحمته تبقى ابد الاباد قوله عز وجل ولولا ان يكون الناس امة
واحدة اي لولا ان يصيروا كلهم كفارا فيجتمعوا على الكفر ويرغبون فيه اذا رأوا الكفار
في سعة من الخير والرزق لاعطيت الكفار اكثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو قوله
تعالى لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج يعني مصاعد ودرجات من فضة
عليها يظهرون يعني يصعدون ويرتقون عليها ولبيوتهم ابوابا اي من فضة وسررا وجعلنا
لهم سررا من فضة عليها يتكئون وزخرفا اي وجعلنا لهم مع ذلك زخرفا وهو الذهب وقيل
الزخرف الزينة من كل شيء وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا يعني الانسان يستمتع بذلك قليلا
ثم ينقضي لان الدنيا سريعة الزوال والاخرة عند ربك للمتقين الذين تركوا الدنيا عن سهل
ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا عند الله تزن جناح بعوضة
ما سقى كافرا منها شربة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن المستورد بن شداد حدثني
فهر قال كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه هانت على اهلها حين القوها قالوا
من هوانها القوها يا رسول الله قال فان الدنيا عند الله اهون من هذه على اهلها اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا احب الله عبدا حماه من الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه الماء اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن
وجنة الكافر قوله تعالى ومن يعش اي يعرض عن ذكر الرحمن اي فلم يخف عقابه ولم يرج ثوابه
يول ظهره عن القرآن نقيض له شيطانا اي نسبب شيطانا ونضمه اليه ونسلطه عليه فهو له قرين
يعني لا يفارقه يزين له العمى ويخيل له انه على الهدى وانهم يعني الشياطين ليصدونهم عن السبيل
يعني يمنعونهم عن الهدى ويحسبون انهم مهتدون يعني ويحسب كفار بني آدم انهم على الهدى
حتى اذا جاءنا يعني الكافر وحده وقرئ جاءانا على التثنية يعني الكافر وقرينه قد جعلا في سلسلة
واحدة قال الكافر لقرينه الشيطان يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين يعني بعد ما
بين المشرق والمغرب فغلب اسم احدهما على الاخر كما يقال للشمس والقمر القمران ولابي بكر

وعمر

وعمر العمران وقيل اراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء والقول الاول اصح فبئس
القرين يعني الشيطان قال ابو سعيد الخدري اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه
حتى يصير الى النار ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم يعني اشركتم في العذاب ولا يخفف عنكم شيئا
لان لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الاوفر من العذاب وقيل لن ينفعكم الاعتذار والندم
انكم انتم وقرناؤكم اليوم في العذاب مشتركون اي مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين
في الكفر افانت تسمع الصم او تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين يعني الكافرين الذين
حقت عليهم كلمة العذاب انهم لا يؤمنون قوله عز وجل فاما نذهبن بك اي بان نميتك قبل
ان نعذبهم فانا منهم منتقمون اي بالقتل بعدك او نرينك اي في حياتك الذي وعدناهم اي من
العذاب فانا عليهم مقتدرون اي قادرون على ذلك متى شئنا عذبناهم واراد بهم مشركي مكة
وقد انتقم منهم يوم بدر وهذا يفيد التسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه وعده الانتقام
منهم اما حال حياته او بعد وفاته وهذا قول اكثر المفسرين وقيل عني به ما يكون في امته
وقد كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم نقمة شديدة في امته ولكن اكرم الله عز وجل نبيه
صلى الله عليه وسلم فذهب ولم يره في امته الا الذي تقر به عينه وابقى النقمة بعده وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ما يصيب امته بعده فما روي ضاحكا منبسطا حتى قبضه
الله تعالى فاستمسك بالذي اوحي اليك يعني القرآن انك على صراط مستقيم اي على دين
مستقيم لا يميل عنه الا ضال وانه يعني القرآن لذكر لك اي لشرف عظيم لك ولقومك وسوف
تسألون يعني عن حقه واداء شكره وروى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كان اذا
سئل لمن هذا الامر بعدك فلم يخبر بشيء حتى نزلت هذه الاية فكان بعد ذلك اذا سئل
قال لقريش ق عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي
منهم اثنان خ ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر في قريش
لا يعاديهم احد الا كبه الله على وجهه ما اقاموا الدين وقيل القوم هم العرب والقرآن
لهم شرف اذ نزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالاخص من العرب حتى يكون
الاكثر لقريش ولبني هاشم وقيل ذكر لك اي ذلك شرف لك بما اعطاك من النبوة
والحكمة ولقومك يعني المؤمنين بما هداهم الله به وسوف تسألون يعني عن القرآن وعما يلزمكم من
القيام بحقه قوله تعالى واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن
آلهة يعبدون اختلف في هؤلاء المسؤولين فروي عن ابن عباس في رواية عنه لما اسري بالنبي
صلى الله عليه وسلم بعث الله له آدم وولده من المرسلين فاذن جبريل ثم اقام وقال يا محمد
تقدم فصل بهم فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل سل يا محمد من ارسلنا من قبلك من رسلنا
الاية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اسأل قد اكتفيت وهذا قول الزهري وسعيد بن
جبير وابن زيد قالوا جمع له الرسل ليلة اسري به وامر ان يسألهم فلم يشك ولم يسأل
فعلى هذا القول قال بعضهم هذه الاية نزلت ببيت المقدس ليلة اسري بالنبي صلى الله
عليه وسلم وقال اكثر المفسرين معناه سل مؤمني اهل الكتاب الذي ارسلت اليهم الانبياء
هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد وهو قول ابن عباس في اكثر الروايات عنه ومجاهد وقتادة
والضحاك والسدي والحسن ومعنى الامر بالسؤال التقرير لمشركي قريش انه لم يأت رسول
ولا كتاب بعبادة غير الله عز وجل قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون
وملائه فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون اي استهزاء
وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها اي قرينتها التي قبلها واخذناهم بالعذاب اي بالسنين

والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس فكانت هذه آيات ودلالات
لموسى وعذابا لهم وكانت كل واحدة أكبر من التي قبلها لعلهم يرجعون أي عن كفرهم وقالوا
يعني لموسى لما عاينوا العذاب يا أيها الساحر أي العالم الكامل الحاذق وإنما قالوا ذلك
له تعظيما وتوقيرا لأن السحر كان عندهم علما عظيما وصفة ممدوحة وقيل يا أيها الذي
غلبنا بسحره ادع لنا ربك بما عهد عندك أي بما أخبرتنا من عهده إليك إذا آمنا كشف
عنا العذاب فسله أن يكشفه عنا إننا لمهتدون أي لمؤمنون فدعا موسى ربه فكشف عنهم
فلم يؤمنوا فذلك قوله تعالى فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون أي ينقضون
عهدهم ويصرون على كفرهم ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر
وهذه الأنهار تجري من تحتي يعني أنهار النيل الكبار وكانت تجري تحت قصره وقيل
معناه تجري بين جناني وبساتيني وقيل تجري بأمري أفلا تبصرون أي عظمتي وشدة ملكي
أم أنا أي بل أنا خير وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين وقيل فيه إضمار مجازه ثم
ابتدأ فقال أنا خير من هذا الذي هو مهين أي ضعيف حقير يعني موسى ولا يكاد يبين
يفصح بكلامه للثغة التي كانت في لسانه وإنما عابه بذلك لما كان عليه أولا وقيل
معناه ولا يكاد يبين حجته التي تدل على صدقه فيما يدعي ولم يرد به أنه لا قدرة له
على الكلام فلولا ألقي عليه أي إن كان صادقا أساورة من ذهب قيل إنهم كانوا
إذا سودوا رجلا سوروه بسوار من ذهب وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة
لسيادته فقال فرعون هلا ألقى رب موسى عليه أساورة من ذهب إن كان سيدا تجب
طاعته أو جاء معه الملائكة مقترنين أي متتابعين يقارن بعضهم بعضا يشهدون
له بصدقه ويعينونه على أمره قال الله تعالى فاستخف يعني فرعون قومه يعني القبط
أي وجدهم جهالا وقيل حملهم على الخفة والجهل فأطاعوه أي على تكذيب موسى إنهم
كانوا قوما فاسقين يعني حيث أطاعوا فرعون فيما استخفهم به فلما آسفونا أي أغضبونا
وهو في حق الله تعالى إرادة العقاب وهو قوله تعالى انتقمنا منهم فأغرقناهم
أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين يعني جعلنا المتقدمين الماضين عبرة
لمن يجيء بعدهم قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا نزلت هذه الآية في مجادلة عبد
الله بن الزبعرى مع النبي صلى الله عليه وسلم في شأن عيسى بن مريم عليه السلام وذلك لما
نزل قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقد تقدم ذكره في سورة الأنبياء
ومعنى الآية ولما ضرب عبد الله بن الزبعرى عيسى ابن مريم وجادل النبي صلى الله عليه وسلم
بعبادة النصارى إياه إذا قومك يعني قريشا منه أي من المثل يصدون أي يرتفع لهم
ضجيج وصياح وفرح وقيل يقولون محمد ما يريد منا إلا أن نعبده ونتخذه إلها كما عبدت
النصارى عيسى وقالوا أآلهتنا خير أم هو يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فنعبده
ونطيعه ونترك آلهتنا وقيل معنى أم هو يعني عيسى قالوا يزعم محمد أن كل ما عبد من دون
الله في النار فنحن قد رضينا أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله
تعالى ما ضربوه يعني هذا المثل لك إلا جدلا أي خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد
من قوله وما تعبدون من دون الله حصب جهنم هؤلاء الأصنام بل هم قوم خصمون
أي بالباطل عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا
عليه إلا أوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضربوه لك إلا جدلا بل
هم قوم خصمون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح ثم ذكر عيسى فقال

ان

إن هو أي ما عيسى إلا عبد أنعمنا عليه أي بالنبوة وجعلناه مثلا أي آية وعبرة لبني إسرائيل
يعرفون به قدرة الله على ما يشاء حيث خلقه من غير أب ولو نشاء لجعلنا منكم الخطاب لأهل
مكة ملائكة معناه لو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلا منكم ملائكة في الأرض يخلفون أي يكونون
خلفا منكم يعمرون الأرض ويعبدونني ويطيعونني وقيل يخلف بعضهم بعضا وإنه يعني عيسى
لعلم للساعة يعني نزوله من أشراط الساعة يعلم قربها ق عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل عيسى بن مريم حكما عادلا فيكسر الصليب ويقتل
الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد وفي رواية أبي داود أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ليس بيني وبين عيسى نبي وإنه نازل فيكم فإذا رأيتموه فاعرفوه فإنه رجل مربوع
إلى الحمرة والبياض ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ويهلك الله في زمانه
الملل كلها إلا الإسلام ويهلك الدجال ثم يمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه
المسلمون ق عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم إذا نزل ابن مريم وإمامكم منكم
وفي رواية فأمكم منكم قال ابن أبي ذئب فأمكم بكتاب ربكم عز وجل وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم
ويروى أنه ينزل عيسى وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في
صلاة العصر فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم
ثم يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به وقيل في
معنى الآية وإنه أي وإن القرآن لعلم للساعة أي يعلم قيامها ويخبركم بأحوالها وأهوالها فلا
تمترن بها أي لا تشكون فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا بها واتبعون أي على التوحيد هذا أي الذي
أنا عليه صراط مستقيم ولا يصدنكم أي لا يصرفنكم الشيطان عن دين الله الذي أمرتكم به إنه
يعني الشيطان لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة أي بالنبوة
ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه أي من أحكام التوراة وقيل من اختلاف الفرق الذين تحزبوا
في أمر عيسى عليه السلام وقيل الذي جاء به عيسى الإنجيل إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه وبين
لهم عيسى في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه فاتقوا الله وأطيعون أي فيما أمرتكم به إن الله
هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم أي اختلف
الفرق المتحزبة بعد عيسى فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون أي ينتظرون
إلا الساعة أن تأتيهم بغتة أي فجأة والمعنى أنها تأتيهم لا محالة وهم لا يشعرون الأخلاء
أي على الكفر والمعصية في الدنيا يومئذ يعني يوم القيامة بعضهم لبعض عدو أي الخلة
إذا كانت كذلك صارت عداوة يوم القيامة إلا المتقين أي إلا الموحدين أي المتحابين في
الله عز وجل المجتمعين على طاعته روي عن علي بن أبي طالب في الآية قال خليلان مؤمنان
وخليلان كافران مات أحد المؤمنين فقال يا رب إن فلانا كان يأمرني بطاعتك وطاعة
رسولك ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني أني ملاقيك يا رب فلا تضله بعدي واهده
كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني وإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن كل منكما على
صاحبه نعم الأخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويموت أحد الكافرين فيقول يا رب
إن فلانا كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير فيقول
ليثن كل منكما على صاحبه فيقول بئس الأخ وبئس الخليل وبئس الصاحب قوله عز وجل
يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون يعني أن الناس حين يبعثون ليس منهم من أحد
إلا فزع فينادي مناد يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيرجوها الناس
كلهم فيتبعها الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فييأس الناس كلهم غير المسلمين فيقال لهم

الشر

ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون اى تسرون وتنعمون يطاف عليهم بصحاف من ذهب جمع صحفة وهى القصعة الواسعة واكواب جمع كوب وهو انا مستدير بلا عروة وفيها اى الجنة ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين عن عبد الرحمن بن سابط قال قال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل فى الجنة خيل فانى احب الخيل قال ان يدخلك الله الجنة فلا تشا ان تركب فرسا من ياقوتة حمرا فتطير بك فى اى الجنة شئت الا فعلت وسأله اخر فقال يا رسول الله هل فى الجنة من ابل فانى قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال ان يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك اخرجه الترمذى وانتم فيها خالدون وتلك الجنة التى اورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تاكلون وورد فى الحديث انه لا ينزع رجل فى الجنة من ثمرها ثمرة الا نبت مكانها مثلاها قوله تعالى ان المجرمين يعنى المشركين فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم اى لا يخفف عنهم وهم فيه مبلسون اى ايسون من رحمة الله تعالى وما ظلمناهم اى وما عذبناهم بغير ذنب ولكن كانوا هم الظالمين اى لانفسهم بما جنوا عليها ونادوا يا مالك يعنى يدعون حتى مالكا خازن النار يستغيثون به فيقولون ليقض علينا ربك اى ليميتنا ربك فنستريح والمعنى انهم يسألوا الله يتوسلوا به ليقضى الله لهم الموت فيجيبهم بعد الف سنة قال ابن عباس وقيل بعد مائة سنة وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ان اهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم بعد اربعين عاما ثم يرد عليهم قال انكم ماكثون قال هانت والله دعوتهم على مالك وعلى رب مالك ومعنى ماكثون مقيمون فى العذاب لقد جئناكم بالحق يقول ارسلنا اليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق ولكن اكثركم للحق كارهون ام ابرموا اى احكموا امرا فى المكر برسول الله صلى الله عليه وسلم فانا مبرمون اى محكمون امرا فى مجازاتهم ان كادوا واشرا كذبهم بمثله ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم اى ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم بلى نسمع ذلك كله ونعلمه ورسلنا لديهم يكتبون قوله عز وجل قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين معناه ان كان للرحمن ولد فى قولكم وعلى زعمكم فانا اول العابدين من عبد الرحمن فانه لا شريك له ولا ولد له وقال ابن عباس ان كان اى ما كان للرحمن وانا اول العابدين الشاهدين له بذلك وقيل معناه لو كان للرحمن ولد فانا اول من عبده بذلك ولكن لا ولد له وقيل العابدين بمعنى الانفين اى انا اول الجاحدين لما قلتم وانا اول من غضب للرحمن ان يقال له ولد وقال الزمخشرى معنى الاية ان كان للرحمن ولد وصح وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تستدلون بها فانا اول من يعظم ذلك الولد واسبقكم الى طاعته كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم ابيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة فى نفى الولد والاطناب فيه مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم فى باب التوحيد وذلك انه علق العبادة بنبوة الولد وهو محال فى نفسه فكان المعلق عليها مثلها ثم نزه نفسه عن الولد فقال تعالى سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون اى عما يقولون من الكذب فذرهم يخوضوا اى فى باطلهم ويلعبوا اى فى دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون يعنى يوم القيامة وهو الذى فى السما اله وفى الارض اله اى هو الاله الذى يعبد فى السما وفى الارض لا اله الا هو وهو الحكيم الذى يدبر امر خلقه العليم اى بمصالحهم وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة قيل سبب نزولها ان النضر بن الحارث ونفرا معه قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن نتولى الملائكة فهم احق بالشفاعة من محمد فنزلت هذه الاية واراد بالذين يدعون من دونه الهتهم ثم استثنى عيسى والعزير والملائكة بقوله الا من شهد بالحق لانهم عبدوا من دون الله

ولهم

ولهم شفاعة وقيل المراد بالذين يدعون من دونه عيسى والعزير والملائكة فان الله تعالى لا يملك لاحد من هؤلا الشفاعة الا من شهد بالحق وهى كلمة الاخلاص وهى لا اله الا الله فمن شهدها بقلبه شفعوا له وهو قوله وهم يعلمون اى يعلمون ما شهدوا به بالسنتهم وقيل يعلمون ان خلق عيسى والعزير والملائكة وهم يعلمون انهم عباده ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله يعنى انهم اذا اقروا بان الله خالق العالم باسره فكيف قدموا على عبادة غيره فانى يؤفكون اى يصرفون عن عبادته الى غيره وقيله يا رب يعنى محمد صلى الله عليه وسلم شاكيا الى ربه يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون قال ابن عباس شكى الى الله تخلف قومه عن الايمان وقال قتادة هذا نبيكم يشكوا قومه الى ربه فاصفح عنهم اى اعرض عنهم وفى ضمنه منعه من ان يدعوا عليهم بالعذاب وقل سلام معناه المتاركة وقيل معناه قل خيرا بدلا من شرهم فسوف اى عاقبة كفرهم وفيه تهديد لهم وقيل معناه يعلمون انك صادق وقال مقاتل نسختها اية السيف والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة الدخان

وهى مكية وهى سبع وقيل تسع وخمسون اية وثلثمائة وست واربعون كلمة والف واربعمائة واحد وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم والكتاب المبين اى المبين ما يحتاج الناس اليه من حلال وحرام وغير ذلك من الاحكام انا انزلناه فى ليلة مباركة قيل هى ليلة القدر انزل فيها القران جملة من اللوح المحفوظ الى سما الدنيا ثم نزل به جبريل نجوما على حسب الوقائع فى عشرين سنة وقيل هى ليلة النصف من شعبان عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سما الدنيا فيغفر لاكثر من شعر غنم كلب اخرجه الترمذى انا كنا منذرين اى مخوفين عقابنا فيها اى فى تلك الليلة المباركة يفرق اى يفصل كل امر حكيم اى محكم قال ابن عباس يكتب فى ام الكتاب فى ليلة القدر ما كان كاين فى السنة من الخير والشر والارزاق والاجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقيل هى ليلة النصف من شعبان يبرم فيها امور السنة وينسخ الاحيا من الاموات وروى البغوى بسنده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال تقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه فى وعن ابن عباس ان الله يقضى الاقضية فى ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى اربابها فى ليلة القدر امرا اى انزلناه امرا من عندنا انا كنا مرسلين يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الانبيا رحمة من ربك قال ابن عباس رافة منى بخلقى ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقيل انزلناه فى ليلة مباركة رحمة من ربك انه هو السميع اى لاقوالهم العليم اى باحوالهم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين اى ان الله رب السموات والارض وما بينهما لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب ابائكم الاولين قوله تعالى بل هم فى شك يعنى من هذا القران يلعبون اى يهزؤن به لاهون عنه فارتقب اى يا محمد يوم تاتى السما بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم ق عن مسروق قال كنا جلوسا عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا فاتاه رجل فقال يا ابا عبد الرحمن ان قاصا عند ابواب كندة يقص ويزعم ان اية الدخان تجى فتاخذ بانفاس الكفار وياخذ المؤمنين كهيئة الزكام فقال عبد الله وجلس وهو غضبان يا ايها الناس اتقوا ربكم من علم منكم فليقل ومن لا يعلم شيئا فليقل الله اعلم فان من العلم ان يقول لما لا يعلم الله اعلم فان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

لما راى من الناس ادبارا قال اللهم اعني عليهم بسبع كسبع يوسف فاخذتهم سنة سبع كسبع
يوسف وفي رواية لما دعى قريشا فكذبوه واستعصوا عليه قال اللهم اعني بسبع كسبع يوسف فاخذتهم
سنة حصت كل شي حتى اكلوا الجلود والميتة من الجوع وينظر الى السما احدهم كهيئة الدخان فاتاه
ابو سفيان وقال يا محمد انك جئت تامر بطاعة الله وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع
الله لهم قال الله عز وجل فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين الى قوله عائدون قال عبد الله
افيكشف عذاب الاخرة ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون فقيل له ان كشفناه عنهم فعادوا وقد
عاد ربك فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر فذلك قوله فارتقب يوم تاتي السما بدخان
مبين الى قوله انا منتقمون زاد في رواية حصت كل شي بالحا والصاد المهملتين اي حلقت واستاصلت كل
ق عن عبد الله بن مسعود قال لقد مضين اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان قيل اصابهم
من الجوع كالظلمة في ابصارهم وذلك ان في سنة القحط العظيم تيبس الارض بسبب انقطاع المطر
ويرتفع الغبار ويظلم الهوى والجو وذلك يشبه الدخان وقيل هو دخان يجي قبل قيام
ولم ياتي بعد فيدخل في اسماع الكفار والمنافقين حتى يكون راسه كالراس المشوي ويعتري
المومن كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت اوقد فيه النار وهو قول ابن عباس وابن عمر
والحسن ويدل عليه ما روى البغوي باسناد والثعلبي عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اول الايات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن ابين تسوق
الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا هذه الاية
يوم تاتي السما بدخان مبين يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما وليلة اما المومن
فيصيبه منه كهيئة الزكام واما الكافر كمنزلة السكران يخرج من منخريه ودبره انى لهم الذكرى
اي كيف يتذكرون ويتعظون بهذه الاية وقد جاءهم رسول مبين معناه وقد جاءهم ما هو
اعظم وادخل في وجوب الطاعة وهو ما ظهر على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعجزات
الظاهرات والايات الباهرات ثم تولوا عنه اي اعرضوا عنه وقالوا معلم مجنون اي
يعلمه بشر مجنون اي يلقون اليه الجن هذه الكلمات حالة ما يعرض له الغشي انا كاشفوا العذاب
اي الجوع قليلا اي زمنا يسيرا قيل الى يوم بدر انكم عائدون اي الى كفركم يوم نبطش البطشة
الكبرى هو يوم بدر انا منتقمون اي منكم في ذلك اليوم وهو قول ابن مسعود واكثر
العلما وفي رواية عن ابن عباس انه يوم القيامة قوله تعالى ولقد فتنا قبلهم اي قبل
هولا قوم فرعون وجاءهم رسول كريم اي على الله وهو موسى بن عمران عليه السلام
ان ادوا الي عباد الله اي لا تجبروا عليه بترك الطاعة وفي نسخة اخرى اي اطلقوا الى بني اسرايل
ولا تعذبوهم اني لكم رسول امين اي على الوحي وان لا تعلوا على الله اي لا تتجبروا عليه بترك
الطاعة اني اتيكم بسلطان مبين اي ببرهان بين على صدق قولي فلما قال ذلك توعدوه بالقتل
فقال واني عذت بربي وربكم ان ترجمون اي تقتلون وقال ابن عباس تشتمون وتقولون
هو ساحر وقيل ترجمون بالحجارة وان لم تومنوا لي فاعتزلون اي فاتركوني لا معي ولا علي
وقال ابن عباس اعتزلوا اذاي باليد واللسان فلم يومنوا فدعا ربه ان هولاء قوم
مجرمون اي مشركون فاسر بعبادي ليلا اي اجاب الله دعاه وامره ان يسري ببني اسرايل بالليل
انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وقومه واترك البحر اي اذا قطعتموه انت واصحابك
رهوا اي ساكنا والمعنى لا تامره ان يرجع بل اتركه على حالته حتى يدخله فرعون وقومه
وقيل اتركوه طريقا يابسا وذلك انه لما قطع موسى البحر رجع ليضربه بعصاه ثم
يلتيم وخاف ان يتبعه فرعون وجنوده فقيل لموسى اتركه البحر كما هو انهم جند مغرقون

بعني

بعني اخبر موسى بغرقهم ليطمين قلبه في تركه البحر كما هو كم تركوا اي بعد الغرق من جنات وعيون
وزروع ومقام كريم اي مجلس شريف حسن ونعمة اي وعيش لين رغيد كانوا فيها اي في تلك
النعمة فاكهين اي ناعمين وقرى فكهين اي اشرين بطرين كذلك اي افعل بمن عصاني واورثناها
قوما اخرين يعني بني اسرايل فما بكت عليهم السما والارض وذلك ان المومن اذا مات تبكي
عليه السما والارض اربعين صباحا وهولاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السما على فقده ولا
لهم على الارض عمل صالح فتبكي الارض عليه عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ما من مومن الا وله بابان باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه فذلك
قوله تعالى فما بكت عليهم السما والارض وما كانوا منظرين اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب لا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه قيل بكاوها حمرة اطرافها قال مجاهد ما مات مومن
الا بكت عليه السما والارض اربعين صباحا فقيل اوتبكي فقال وما للارض لا تبكي على
عبد كان يعمرها بالركوع والسجود وما للسما لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دوي
كدوي النحل وقيل المراد اهل السما واهل الارض وما كانوا منظرين اي لم يمهلوا حين اخذهم
العذاب لتوبة ولا لغيرها قوله عز وجل ولقد نجينا بني اسرايل من العذاب المهين اي من قتل
الابنا واستحيا النسا والتعب في العمل من فرعون انه كان عاليا اي جبارا من المسرفين
ولقد اخترناهم على علم اي علمه الله تعالى فيهم على العالمين اي على عالمي زمانهم واتيناهم من
الايات ما فيه بلاء مبين اي نعمة بينة من فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى
والنعم التي انعمنا عليهم وقيل ابتلاوهم بالرخا والشدة ان هولاء يعني مشركي مكة ليقولون
ان هي الا موتتنا الاولى اي لا موتة لنا الا هذه التي نموتها في الدنيا ولا بعث بعدها وهو
قوله وما نحن بمنشرين اي بمبعوثين بعد موتتنا هذه فاتوا باباينا اي الذين ماتوا قبل
ان كنتم صادقين اي انا نبعث احيا بعد الموت قيل طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم ان يحيي لهم قصي
ابن كلاب ثم خوفهم مثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى اهم خير ام قوم تبع اي ليسوا خيرا
من قوم تبع يعني في الشدة والقوة والكثرة وقيل هو تبع الحميري وكان من ملوك اليمن
سمي تبعا لكثرة اتباعه وقيل كل واحد من ملوك اليمن يسمى تبعا لكثرة اتباعه وقيل كل واحد
من ملوك اليمن يسمى تبعا لانه يتبع صاحبه الذي قبله كما سمي في الاسلام خليفة وكان تبع
هذا يعبد النار فاسلم ودعى قومه وهم حمير الى الاسلام فكذبوه عن سهل قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تسبوا تبعا فانه قد كان اسلم اخرجه احمد بن حنبل في مسنده
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ادري تبعا كان نبيا او غير نبي وعن
عايشة قالت لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وكان من قصته ما ذكره محمد بن
اسحاق وغيره وذكر عكرمة عن ابن عباس كان تبع الاخر وهو ابو كرب اسعد بن ملبل وكان سار
بالجيوش نحو المشرق حتى حير الحيرة فقدمها وهو مجمع وبنى سمرقند ورجع من قبل المشرق
فجعل طريقه على المدينة وقد كان حين مر بها خلف ابنا له فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع
على خرابها واستيصال اهلها جمع له هذا الحي من الانصار حين سمعوا بذلك وقاتلوا من امره فخرجوا
لقتاله فكان الانصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل فاعجبه ذلك وقال ان هولاء الكرام
بينما هو كذلك اذ جاءه حبران عالمان من احبار بني اسرايل قريظة وكانا ابني عم اسم
احدهما كعب والاخر اسد حين سمعا ما يريد من هلاك المدينة فقالا له ايها الملك
لا تفعل فانك ان ابيت الا ما تريد حيل بينك وبينه ولم نامن عليك عاجل العقوبة
فان هذه المدينة مهاجر نبي يخرج من هذا الحي من قريش اسمه محمد مولده بمكة وهذه دار هجرته

ومن ذلك الذيات فيه يكون به من القتل والجراح امر كبير في اصحابه وفي عدوهم فالتبع
من يقاتله ومر على بني قال يبير الى قومه فيقتتلون هاهنا فنتاها لقولهما عما كان يريد بالمدينة
ثم انهما دعواه الى دينهما فاجابهما واتبعهما على دينهما واكرمهما وانصرف عن المدينة وخرج
بهما وبنفر من اليهود عامدين الى اليمن فاتاه في الطريق نفر من هذيل وقالوا له انا ندلك على بيت
فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة قال اي بيت هذا قالوا البيت بمكة وانما اراد هذيل هلاكه
لانهم عرفوا انه لم يرده احد بسوء الا هلك فذكر الملك ذلك للاحبار فقالوا ما نعلم لله في
الارض بيتا غير هذا البيت الذي بمكة فاتخذه مسجدا وانسك عنده وانحر واحلق راسك وما
اراد القوم الا هلاكك وما ناواه احد قط الا هلك فاكرمه واصنع عنده ما تصنعه اهله
فلما قالوا له ذلك اخذ اولئك النفر من هذيل فقطع ايديهم وارجلهم وسمر اعينهم ثم
صلبهم فلما قدم مكة نزل بالشعب شعب المطابخ وكسى البيت الوصائل وهي برود
تصنع باليمن وهو اول من كسى البيت ونحر بالشعب ستة الاف بدنة واقام بها ستة
ايام وطاف وحلق وانصرف فلما دنى من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك
وقالوا لا تدخلها علينا وانت قد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه دين خير
من دينكم قالوا فحاكمنا الى النار وكانت باليمن نار في اسفل جبل يتحاكمون اليها فيما
يختلفون فيه فتاكل الظالم ولا تضر المظلوم فقال تبع انصفتم فخرج القوم باوثانهم
وما يتقربون به في دينهم وخرج الحبران ومصاحفهما في اعناقهما حتى قعدوا للنار عند
مخرجها الذي تخرج منه فخرجت النار فاقبلت النار حتى غشيتهم واكلت الاوثان وما قربوا
معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما يتلوان التوراة تعرق
جباههما لم تضرهما النار ونكصت النار حتى رجعت الى مخرجها الذي تخرج منه
فاصفقت عند ذلك حمير على دينهما فمن هناك كان اصل اليهودية باليمن قال الرقاشي
كان ابو كرب اسعد الحميري من التبابعة ممن امن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث
بسبعمائة سنة وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه قوله تعالى والذين من قبلهم اي من الامم
الكافرة اهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين
ما خلقناهما الا بالحق اي بالعدل وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية ولكن
اكثرهم لا يعلمون قوله عز وجل ان يوم الفصل الذي يفصل فيه بين العباد ميقاتهم
اجمعين اي يوافي يوم القيامة الاولون والاخرون يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا اي لا ينفع
قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئا ولا هم ينصرون اي يمنعون من عذاب الله الا من رحم
الله يعني المؤمنين فانه يشفع بعضهم لبعض انه هو العزيز اي في انتقامه من اعدائه
الرحيم اي باوليائه المؤمنين قوله تعالى ان شجرة الزقوم طعام الاثيم اي ذوي الاثم وهو
ابو جهل كالمهل اي كدردي الزيت الاسود يغلي في البطون اي في بطون الكفار
كغلي الحميم يعني كالماء الحار اذا اشتد غليانه عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه وسلم في قوله كالمهل قال كعكر الزيت اذا قرب الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه اخرجه
الترمذي وقال لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد وقد تكلم فيه من قبل حفظه عن
ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا
لافسدت على اهل الدنيا معايشهم فكيف بمن تكون طعامه اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح قوله تعالى خذوه اي يقال للزبانية خذوه يعني الاثيم فاعتلوه اي ادفعوه
وسوقوه بالعنف الى سواء الجحيم الى وسط النار ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم
قيل

قيل ان خازن النار يضرب على راسه فينقب راسه عن دماغه ثم يصب فيه ماء حميما قد انتهى
حره ثم يقال له ذق اي هذا العذاب انك انت العزيز الكريم اي عند قومك بزعمك وذلك
ان ابا جهل كان يقول انا اعز اهل الوادي واكرمهم فيقول له خزنة النار هذا على طريق الاستخفاف
والتوبيخ ان هذا ما كنتم به تمترون اي تشكون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين فقال
تعالى ان المتقين في مقام امين اي في مجلس امنوا فيه من الغير في جنات وعيون يلبسون من سندس
واستبرق قيل السندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وهو معرب استبر فان قلت
فاذا قلت كيف ساغ ان يقع في القران العربي المبين لفظ عجمي قلت اذا عرب خرج من ان يكون
عجميا لان معنى التعريب ان يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على اوجه
الاعراب متقابلين اي يقابل بعضهم بعضا كذلك اي كما اكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون
واللباس كذلك اكرمناهم بان زوجناهم بحور عين اي قرناهم بهن ليس هو من عقد التزويج وقيل
جعلناهم ازواجا لهن اي جعلناهم اثنين اثنين والحور من النساء النقيات البياض وقيل يحار فيهن
الطرف من بياضهن وصفاء لونهن وقيل الحور الشديدات بياض العينين يدعون فيها بكل
فاكهة يعني ارادوها امنين اي من هرمها اي من نفادها ومن مضرتها وقيل امنين فيها
من الموت والاوصاب والشيطان لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي لا يذوقون
في الجنة الموت البتة سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا وقيل انما استثنى الموتة من دون الجنة
الا بمعنى لكن وتقديره لا يذوقون فيها الموت لكن الموتة الاولى قد ذاقوها وقيل انما استثنى
الموتة من موت الجنة لان السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله الى اسباب الجنة يلقون
الروح والريحان يرون منازلهم في الجنة فكان موتهم في الدنيا كانهم في الجنة لاتصالهم باسبابها
ومشاهدتهم اياها ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك يعني ما وصل اليه المتقون من الخلاص
من عذاب النار والفوز بالجنة انما حصل لهم ذلك بفضل الله تعالى وفعل تفضلا منه ذلك
هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك اي سهلنا القران على لسانك كناية عن غير مذكور
لعلهم يتذكرون اي يتعظون فارتقب اي انتظر النصر من ربك وقيل ارتقب لهم العذاب
انهم مرتقبون اي منتظرون قهرك بزعمهم وقيل منتظرون موتك وقيل هذه الاية منسوخة
باية السيف عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا حم الدخان في ليل
فاصبح يستغفر له سبعون الف ملك اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعمر بن خثعم احد
رواته وهو ضعيف وقال البخاري هو منكر الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
ومن قرا حم الدخان ليلة الجمعة اخرجه الترمذي وقال هشام ابو المقدام احد رواته
ضعيف والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الجاثية وتسمى الشريعة

وهي مكية وهي سبع وثلاثون اية واربعمائة وثمانون كلمة وألفان ومائة واحدى
وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض اي ان في خلق السموات والارض وهما خلقان
عظيمان يدلان على قدرة القادر المختار وهو قوله لايات للمؤمنين وفي خلقكم وما
يبث من دابة اي وما تفرق في الارض من جميع الحيوانات ذا عقل وتمييز اجناسهما في الخلق
والشكل والصورة ايات اي دلالات تدل على وحدانية من خلقها وانه الاله الخالق
المختار لقوم يوقنون يعني لا اله الا هو واختلاف الليل والنهار يعني بالظلام

والصبا والطول والعمر وما انزل الله من السماء من رزق يعني المطر الذي هو سبب ارزاق
العباد فاحيا به اي بالمطر الارض بعد موتها اي بعد يبسها وتصريف الرياح اي في مهابها فمنها
الصبا والدبور والشمال والجنوب ومنها الحارة والباردة وغير ذلك آيات لقوم يعقلون
فان قلت ما وجه هذا الترتيب في قوله لآيات للمؤمنين ولقوم يوقنون ويعقلون قلت
معناه ان المنصفين من العباد اذا نظروا في هذه الدلائل النظر الصحيح علموا انها مصنوعة
وانه لا بد لها من صانع فآمنوا واقروا انه الاله القادر على كل شيء ثم اذا امعنوا النظر ازدادوا
يقينا وزال عنهم اللبس فحينئذ استحكم علمهم وعدوا في زمرة العقلاء الذين عقلوا عن الله مراده
في اسرار كتابه تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله اي بعد كتاب الله
وآياته يؤمنون قوله تعالى ويل لكل افاك اثيم اي كذاب صاحب اثم يعني النضر بن الحارث
يسمع آيات الله يعني آيات القرآن تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب
اليم واذا علم من آياتنا شيئا اتخذها هزوا اي سخر منها اولئك اشارة الى من هذه صفته في
الحياة الدنيا وهم في الآخرة النار ولا يغني عنهم ما كسبوا اي ثمن الاموال شيئا ولا ما اتخذوا
صفته لهم عذاب مهين ثم وصفه فقال تعالى من ورائهم جهنم يعني امامهم جهنم وذلك
خزيهم في الحياة الدنيا ولهم في الآخرة النار ولا يغني عنهم ما كسبوا اي من الاموال
شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء اي لا ما عبدوا من دون الله من الآلهة ولهم
عذاب عظيم هذا يعني القرآن هدى اي هو هدى من الضلالة والذين كفروا بآيات
ربهم لهم عذاب من رجز اليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بامره ولتبتغوا
من فضله اي بسبب التجارة واستخراج منافعه ولعلكم تشكرون نعمه عليكم وسخر لكم
ما في السموات وما في الارض يعني انه تعالى خلقها ومنافعها فهي مسخرة للناس من حيث انا
ننتفع بها جميعا منه قال ابن عباس كل ذلك رحمة منه وقيل كل ذلك تفضل منه واحسانا
ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قوله عز وجل قل للذين آمنوا يغفروا للذين
لا يرجون ايام الله اي لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمته قال ابن عباس نزلت
في عمر بن الخطاب وذلك ان رجلا من بني غفار شتمه بمكة فهم عمر ان يبطش به فانزل الله
هذه الآية وامره ان يعفو عنه وقيل نزلت في ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم من اهل مكة كانوا في اذى شديد من المشركين قبل ان يؤمر بالقتال فشكوا ذلك الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآية ثم نسختها آية القتال ليجزي قوما
بما كانوا يكسبون اي من الاعمال ثم فسر ذلك فقال من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء
فعليها ثم الى ربكم ترجعون قوله تعالى ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم
والنبوة يعني معرفة ايام الله ورزقناهم من الطيبات اي من الحلالات وهو ما وسع
عليهم في الدنيا واورثهم اموال قوم فرعون وديارهم وانزل عليهم المن والسلوى وفضلناهم
على العالمين اي على عالمي زمانهم قال ابن عباس لم يكن احد من العالمين في زمانهم اكرم على الله
ولا احب اليه منهم وآتيناهم بينات من الامر اي بيان الحلال والحرام وقيل العلم ببعث
محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من امره فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم معناه التعجب من حالهم وذلك لحصول الاختلاف وذلك انه لم يكن مقصودهم
من العلم نفس العلم وانما كان مقصودهم منه طلب الرياسة والتقدم فحين علموا
عاندوا واظهروا النزاع والحسد والاختلاف ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة
فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك يا محمد على شريعة اي طريقة ومنهاج وسنة بعد موسى
من

من الامر اي من الدين فاتبعها اي اتبع شريعتك الثابتة ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون يعني
مراد الكافرين وذلك لانهم قالوا انهم افضل منك على الله فقال الله تعالى انهم لن يغنوا عنك
من الله شيئا اي لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئا ان اتبعت اهواءهم وان الظالمين بعضهم
اولياء بعض يعني ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا والاولى لهم في الآخرة والله ولي
المتقين اي هو ناصرهم في الدنيا ووليهم في الآخرة هذا يعني القرآن بصائر للناس اي معالم
في الحدود والاحكام يبصرون به وهدى ورحمة لقوم يوقنون ام حسب الذين اجترحوا السيئات
اي اكتسبوا المعاصي والكفر ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات نزلت في نفر من مشركي
مكة قالوا للمؤمنين لئن كان ما تقولون حقا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا في
الدنيا سواء محياهم ومماتهم معناه احسبوا ان حياة الكافرين ومماتهم كحياة المؤمنين
والكافر في حياته ومماته في الدنيا والآخرة وشتان ما بين الحالتين في الحال والمآل
ساء ما يحكمون اي بئس ما يقضون قال مسروق قال لي رجل من اهل مكة هذا مقام اخيك
تميم الداري ولقد رايته قام ليلة حتى اصبح او قرب ان يصبح يقرا آية من كتاب الله
يركع بها ويسجد ويبكي ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم الآية وخلق الله السموات
والارض بالحق اي بالعدل ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون ومعنى الآية المقصود
من خلق هذا العالم اظهار العدل والرحمة وذلك لا يتم الا في يوم القيامة ليحصل التفاوت
بين المحقين والمبطلين في الدرجات والدركات قوله عز وجل افرأيت من اتخذ الهه هواه قال
ابن عباس اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا الا ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يخافه ولا يحرم ما
حرم الله وقيل معناه اتخذ معبوده ما تهواه نفسه وذلك ان العرب كانت تعبد الحجارة
والذهب والفضة فاذا راوا شيئا احسن من الاول رموا بالاول وكسروه وعبدوا الآخر
وقيل انما سمي هوى لانه يهوي بصاحبه في النار واضله الله على علم اي على ما منه لعاقبة
امره وقيل على ما سبق في علم الله انه ضال قبل ان يخلقه وختم على سمعه وقلبه اي فلم يسمع
الهدى ولا يعقل بقلبه وجعل على بصره غشاوة اي ظلمة فهو لا يبصر الهدى فمن يهديه
من بعد الله اي من بعد ان اضله الله افلا تذكرون قال الواحدي ليس يبقى للقدرية
مع هذه الآية عذر ولا حيلة لان الله صرح بمنعه اياهم عن الهدى حين اخبر انه ختم على سمعه
وقلبه وبصره وقالوا يعني منكري البعث ما هي الا حياتنا الدنيا اي ما الحياة الا حياتنا الدنيا
نموت ونحيا اي يموت الآباء ويحيى الابناء وقيل فيه تقديره نحيى ونموت وما يهلكنا الا
الدهر اي وما يفنينا الا مر الزمان واختلاف الليل والنهار وما لهم بذلك من علم
اي لم يقولوه عن علم علموه ان هم الا يظنون عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر بيدي اقلب
الليل والنهار وفي رواية يؤذيني ابن آدم ويقول يا خيبة الدهر فلا تقولن يا خيبة الدهر
فاني انا الدهر اقلب ليله ونهاره فاذا شئت قبضتهما وفي رواية يسب ابن آدم الدهر وانا
الدهر بيدي الليل والنهار ومعنى الاحاديث ان العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه
عند النوازل لانهم كانوا ينسبون الى الدهر ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون اصابتهم
قوارع الدهر وابادهم الدهر كما اخبر الله عز وجل عنهم بقوله وما يهلكنا الا الدهر فاذا اضافوا
الى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها فكان مرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل في الحقيقة
للامور التي يضيفونها الى الدهر لا الدهر وقيل قال لهم لا تسبوا فاعل ذلك فانه هو الله عز
وجل والدهر مصرف فيه يقع به التأثيرات كما يقع بكم والله اعلم قوله تعالى واذا تتلى

عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين معناه أن منكري
البعث احتجوا بأن قالوا إن صح ذلك فأتوا بآبائنا الذين ماتوا ليشهدوا لنا بصحة البعث
قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولله
ملك السموات والأرض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون يعني في ذلك اليوم
يظهر خسران أصحاب الأباطيل وهم الكافرون يصيرون إلى النار وترى كل أمة جاثية أي
باركة على الركب وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظرون القضاء قال سلمان الفارسي
إن في القيامة ساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثيا على الركب حتى إبراهيم ينادي ربه لا أسألك
إلا نفسي كل أمة تدعى إلى كتابها أي الذي فيه أعمالها ويقال لهم اليوم تجزون ما كنتم تعملون
أي من خير وشر هذا كتابنا يعني ديوان الحفظة فإن قلت كيف أضاف الكتاب إليهم أولا
بقوله تدعى إلى كتابها وإليه ثانيا بقوله هذا كتابنا قلت لا منافاة بينهما فإضافته إليهم لأنه
كتاب أعمالهم وإضافته إليه لأنه تعالى هو أمر الحفظة بكتبه ينطق عليكم بالحق أي يشهد
عليكم ببيان شاف وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون
أي نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم وكتابتها وإثباتها عليكم وقيل نستنسخ أي نأخذ نسخته وذلك
الملكين يرفعان عمل الإنسان فيثبت الله منه ما كان له ثواب وعليه عقاب ويطرح منه اللغو
نحو قولهم هلم واذهب وقيل الاستنساخ في اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما
يكون من أعمال بني آدم والاستنساخ لا يكون إلا من أصل فينسخ كتاب من كتاب فأما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته أي جنته ذلك هو الفوز المبين
أي الظفر الظاهر وأما الذين كفروا أي يقال لهم أفلم تكن آياتي تتلى عليكم يعني آيات
القرآن فاستكبرتم أي عن الإيمان بها وكنتم قوما مجرمين يعني كافرين منكرين قوله عز
وجل وإذا قيل إن وعد الله حق أي البعث كائن والساعة لا ريب فيها أي لا شك في
أنها كائنة قلتم ما ندري ما الساعة أي أنكرتموها وقلتم إن نظن إلا ظنا أي ما
نعلم ذلك إلا حدسا وتوهما وما نحن بمستيقنين أنها كائنة وبدا لهم أي في الآخرة سيئات
ما عملوا أي في الدنيا والمعنى بدا لهم جزاء سيئاتهم وحاق بهم أي نزل بهم ما كانوا به
يستهزئون وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا أي تركتم الإيمان والعمل للقاء
هذا اليوم ومأواكم النار وما لكم من ناصرين أي من مانعين يمنعونكم من العذاب ذلكم
أي هذا الجزاء بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا يعني حين قلتم
لا بعث ولا حساب فاليوم لا يخرجون منها أي من النار ولا هم يستعتبون أي لا يطلب
منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله والإيمان به لأنه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة فلله
الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين معناه فاحمدوا الله الذي هو ربكم ورب
كل شيء من السموات والأرض والعالمين وإن مثل هذه الربوبية العامة توجب الحمد والثناء على
كل أحد وله الكبرياء أي وكبروه فإن له الكبرياء والعظمة في السموات والأرض وحق
لمثله أن يكبر ويعظم وهو العزيز الحكيم عن أبي سعيد وعن أبي هريرة قالا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم العز إزاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته لفظ مسلم وأخرجه
البرقاني وأبو مسعود عنهما بقول الله عز وجل العز إزاري والكبرياء ردائي فمن ينازعني شيئا
منهما عذبته ولأبي داود عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبرياء ردائي
والعظمة إزاري فمن نازعني في واحد منهما قذفته في النار شرح الحديث قيل هذا الكلام
خرج على عادة العرب في بديع استعاراتهم وذلك أنهم يكنون عن الصفة اللازمة بالثوب

يقولون

يقولون شعار فلان الزهد ولباسه التقوى فضرب الله عز وجل الإزار والرداء مثلا له
في انفراده بصفة الكبرياء والعظمة والمعنى أنهما ليسا كسائر الصفات التي يتصف بها بعض
المخلوقين مجازا كالرحمة والكرم وغيرهما وشبههما بالإزار والرداء لأن المتصف بهما الإنسان
يشملانه كما يشمل الرداء الإنسان ولأنه لا يشاركه في إزاره وردائه أحد فكذا الله تعالى لا ينبغي
أن يشاركه فيهما أحد لأنهما من صفاته اللازمة المختصة به التي لا تليق بغيره والله تعالى أعلم

تفسير سورة الأحقاف

وهي مكية قيل غير قوله قل أرأيتم وقيل وقوله فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل فإنهما نزلتا
بالمدينة وهي أربع وقيل خمس وثلاثون آية وستمائة وأربع وأربعون كلمة وألفان وخمسمائة
وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل حم تنزيل الكتاب من الله
العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق أي بالعدل وأجل مسمى يعني يوم
القيامة وهو الأجل الذي تنتهي إليه فناء السموات والأرض والذين كفروا عما أنذروا أي خوفوا
به في القرآن من البعث والحساب معرضون أي لا يؤمنون به قل أرأيتم ما تدعون من دون الله
يعني الأصنام أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة
من علم أي بقية من علم يؤثر عن الأولين ويسند إليهم ويؤثر عنهم وقيل برواية عن علم الأنبياء وقيل
علامة عن علم وقيل هو الخط وهو خط كانت العرب تخطه في الأرض وهو العيافة إن كنتم
صادقين أي أن لله شريكا ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له يعني الأصنام لا تجيب
عابديها إلى شيء يسألونها إلى يوم القيامة يعني لا تجيب وهم عن دعائهم غافلون يعني لأنها جماد لا
تسمع ولا تفهم وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين أي جاحدين وإذا تتلى
عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين سموا القرآن سحرا أم يقولون
افتراه أي اختلق محمد القرآن من قبل نفسه فقال الله عز وجل قل يا محمد إن افتريته فلا تملكون
لي من الله شيئا أي لا تقدرون أن تردوا عني عذابه إن عذبني على افترائي فكيف أفتري على
الله من أجلكم هو أعلم أي الله بما تفيضون فيه أي تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول
والقول فيه إنه سحر كفى به شهيدا بيني وبينكم أي أن القرآن جاء من عنده وهو الغفور الرحيم
أي في تأخير العذاب عنكم وقيل هو دعاء لهم إلى التوبة ومعناه أنه غفور لمن تاب منكم رحيم به
قوله تعالى قل يا محمد ما كنت بدعا من الرسل أي بديعا أي لست بأول مرسل قد بعث قبلي كثير من الأنبياء
فكيف تنكرون نبوتي وما أدري ما يفعل بي ولا بكم اختلف العلماء في معنى هذه الآية فقيل
معناه ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون وقالوا واللات
والعزى ما أمرنا وأمر محمد عند الله إلا واحد وما له علينا من مزية وفضل ولولا أنه ابتدع ما
يقوله من ذات نفسه لأخبره الذي بعثه بما يفعل به فأنزل الله عز وجل ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقالت الصحابة هنيئا لك يا رسول الله قد علمت ما يفعل
بك فماذا يفعل بنا فأنزل الله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها
الأنهار الآية وأنزل وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا فبين الله ما يفعل به وبهم وهذا
قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة قالوا إنما هذا قبل أن يخبر بغفران ذنبه وإنما أخبر بغفران
ذنبه عام الحديبية فنسخ ذلك خ عن خارجة بن زيد بن ثابت أن أم العلاء امرأة من الأنصار
كانت بايعت النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أنه اقتسم المهاجرون قرعة قالت فطار لنا عثمان بن
مظعون فأنزلناه في أبياتنا فوجع وجعه الذي توفي فيه فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه فقلت رحمة الله عليك ابا السائب فشهادتي عليك
لقد اكرمك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما هو فقد جاءه اليقين والله اني وما
يدريك ان الله اكرمك فقلت بابي انت وامي يا رسول الله فمن يكرمك الله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما هو فقد جاءه اليقين والله اني لارجو له الخير والله ما ادري وانا رسول
الله ما يفعل بي قالت والله لا ازكي بعده احدا يا رسول الله قالت ورايت لعثمان في
النوم عينا تجري فجئت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذاك عمله وفي رواية
غير البخاري قالت لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الانصار على سكناهم قالت فطار لنا
عثمان بن مظعون وفيه والله ما ادري ما يفعل وانا رسول الله ما يفعل ولا بكم هذا
في الدنيا اما في الاخرة فقد علم انه في الجنة وان من كذبه في النار فعلى هذا الوجه فقد اختلفوا
فيه فقال ابن عباس لما اشتد البلاء باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المنام وهو بمكة ارضا ذات سباخ ونخل رفعت له يهاجر اليها فقال له اصحابه
متى تهاجر الى الارض التي رايت فسكت فانزل الله هذه الاية وما ادري ما يفعل بي ولا بكم
اترك في مكاني ام اخرج واياكم الى الارض التي رفعت لي وقيل لا ادري الى ماذا يصير امري وامركم
في الدنيا اما انا فلا ادري اخرج كما اخرجت الانبيا من قبلي ام اقتل كما قتل بعض الانبيا
من قبلي وما انتم ايها المصدقون فلا ادري تخرجون معي ام تتركون ام ماذا يفعل بكم وما
ادري ما يفعل بكم ايها المكذبون اترمون بالحجارة من السما ام يخسف بكم ام اي شي يفعل
بكم مما يفعل بالامم المكذبة ثم اخبره الله عز وجل انه يظهر دينه على الاديان كلها فقال
تعالى هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وقال في امته وما كان
الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون فاعلمه ما يصنع به وبامته
وقيل معناه ما ادري الى ما يصير امري وامركم ومن الغالب والمغلوب ثم اخبره انه يظهر
دينه على الاديان وامته على سائر الامم وقوله ان اتبع الا ما يوحى الي معناه ما اتبع غير
القران الذي يوحى الي ولا ابتدع من عندي شيا وما انا الا نذير مبين اي انذركم العذاب
وابين لكم الشرائع قل ارايتم اي اخبروني ماذا تقولون ان كان من عند الله يعني القران
وكفرتم به ايها المشركون وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله اي انه من عند الله فامن يعني
الشاهد واستكبرتم اي عن الايمان به والمعنى اذا كان الامر كذلك اليس قد ظلمتم وتعديتم
ان الله لا يهدي القوم الظالمين واختلفوا في هذا الشاهد فقيل هو عبد الله بن سلام
امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وشهد بصحة نبوته واستكبر اليهود والنصارى فلم يومنوا
يدل عليه ما روى انس بن مالك قال بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة
وهو في ارض يخترف النخل فاتاه وقال اني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبي ما اول اشراط
الساعة وما اول طعام ياكله اهل الجنة ومن اي شي ينزع الولد الى اخواله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اخبرني بهن انفا جبريل قال فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملايكة
فقرا هذه الاية من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اما اول اشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق الى المغرب وما اول طعام ياكله اهل
الجنة فزيادة كبد الحوت واما الشبه في الولد فان الرجل اذا غشي المراة فسبقها ماوه كان الشبه
واذا سبقت كان الشبه لها قال اشهد انك رسول الله ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم
بهت ان علموا باسلامي قبل ان تسالهم يبهتوني عندك فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي رجل فيكم عبد الله بن سلام فقالوا اعلمنا وابن اعلمنا

واخبرنا

واخبرنا وابن اخيرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افرايتم ان اسلم عبد الله قالوا اعاذه الله
من ذلك ثم زاد في رواية فاعاد عليهم فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فقالوا اشرنا وابن اشرنا ووقعوا فيه زاد في رواية فقال يعني عبد الله بن سلام هذا الذي
كنت اخاف يا رسول الله اخرجه البخاري في صحيحه (ق) عن سعد بن ابي وقاص قال ما سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحي يمشي على الارض انه من اهل الجنة الا لعبد الله بن سلام قال
وفيه نزلت وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قال الراوي قال مالك الاية او في الحديث
وقال الشاهد هو موسى بن عمران عليه السلام قال مسروق في هذه الاية والله ما نزلت
الا في عبد الله بن سلام لان الحميم نزلت بمكة واسلم عبد الله بن سلام بالمدينة ونزلت الاية
في محاجة كانت من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقومه ومثل القران التورية فشهد موسى
على التورية وشهد محمد على القران وكل يصدق الاخر فيكون المعنى وشهد موسى على التورية
التي هي مثل القران انها من عند الله كما شهد محمد صلى الله عليه وسلم على القران انه كلام الله
فامن من امن بموسى والتورية واستكبرتم انتم يا معشر العرب ان تومنوا بمحمد والقران ان الله
لا يهدي القوم الظالمين قيل انه تهديد وهو قايم مقام جواب الشرط المحذوف والتقدير قل ارايتم
ان كان من عند الله ثم كفرتم به فانكم لا تكونوا مهتدين بل تكونوا ضالين قوله تعالى وقال
الذين كفروا يعني اليهود للذين امنوا لو كان خيرا يعني دين محمد صلى الله عليه وسلم ما سبقونا
اليه يعني عبد الله بن سلام واصحابه وقيل نزلت في مشركي مكة وقالوا لو كان خيرا ما يدعونا
اليه محمد خيرا ما سبقنا اليه فلان وفلان وقال الذين كفروا اسد وغطفان قالوا للذين امنوا
يعني جهينة ومزينة لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقونا اليه رعا البهم قال الله تعالى فسيقولون
هذا افك قديم اي كذب متقدم ومن قبله اي من قبل القران كتاب موسى يعني التورية اماما
اي جعلناه اماما يقتدى به ورحمة اي من الله لمن امن به وهذا كتاب يعني القران مصدق
اي للكتب التي قبله لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا يعني مشركي مكة وبشرى للمحسنين ان
الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اولئك اصحاب الجنة
خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون تقدم تفسيره قوله عز وجل ووصينا الانسان بوالديه
حسنا اي يوصل اليهما احسانا وهو ضد الاساءة حملته امه كرها يعني حين اثقلت وثقل
عليها الولد ووضعته كرها يريد شدة الطلق وحمله وفصاله ثلاثون شهرا يعني مدة
حمله الى ان ينفصل من الرضاع وهو الفطام ثلاثون شهرا فاقل مدة الحمل ستة اشهر واكثر
مدة الرضاع اربعة وعشرون شهرا قال ابن عباس اذا حملت المراة تسعة اشهر ارضعت احدى
وعشرين شهرا واذا حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا حتى اذا بلغ اشده اي نهاية
قوته وغاية شبابه واستوايه وهو ما بين ثماني عشرة سنة الى اربعين سنة وهو قوله تعالى
وبلغ اربعين سنة قيل نزلت هذه الاية في سعد بن ابي وقاص وقد تقدمت القصة وقيل
انها على العموم والاصح انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وذلك انه صحب
النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة في تجارة
الى الشام فنزلوا منزلا فيه سدرة فقعد النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب
هناك يساله عن الدين فقال له الراهب من الرجل الذي في ظل الشجرة فقال هذا محمد بن عبد الله
ابن عبد المطلب فقال الراهب هذا والله نبي وما استظل تحتها بعد عيسى احد الا هذا وهو
نبي اخر الزمان فوقع في قلب ابي بكر الصديق اليقين وكان لا يفارق النبي صلى الله عليه
وسلم في سفر ولا حضر فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعين سنة اكرمه الله بالنبوة واختصه

برسالته آمن به أبو بكر وصدقه وهو ابن ثمان وثلاثين فلما بلغ أربعين سنة دعا ربه عز وجل
فقال رب أوزعني أي ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي أي بالإيمان والهداية
وقال علي بن أبي طالب في قوله ووصينا الإنسان بوالديه حسنا في أبي بكر أسلم أبواه جميعا ولم يجتمع
لأحد من المهاجرين أسلم أبواه غيره أوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده وأن أعمل صالحا ترضاه
قال ابن عباس أجابه الله تعالى فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله منهم بلال ولم يرد شيئا
من الخير إلا أعانه الله عليه ودعا أيضا فقال وأصلح لي في ذريتي فأجابه الله تعالى فلم يكن له
ولد إلا آمنوا أجمعين فاجتمع لأبي بكر إسلام أبويه أبوه أبو قحافة عثمان بن عمرو وأمه أم
الخير بنت صخر بن عمرو وابنه عبد الرحمن وابن ابنه محمد كلهم أدركوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم
يجتمع ذلك لأحد من الصحابة غير أبي بكر وقوله إني تبت إليك أي رجعت إليك إلى كل ما تحب
وإني من المسلمين أي وأسلمت بقلبي ولساني أولئك الذين يتقبل عنهم أحسن ما عملوا
يعني أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا وكلها حسن والأحسن بمعنى الحسن فيثيبهم عليها
ونتجاوز عن سيئاتهم فلا يؤاخذهم بها في أصحاب الجنة أي مع أصحاب الجنة وعد الصدق أي
الذي وعدهم بأن يتقبل حسناتهم ويتجاوز عن سيئاتهم ووعده صدقا وقيل وعدهم بأن يدخلهم
الجنة الذي كانوا يوعدون أي في الدنيا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم قوله تعالى والذي
قال لوالديه يعني إذ دعواه إلى الإيمان بالله والإقرار بالبعث بعد الموت أف لكما وهي كلمة
كراهية أتعدانني أن أخرج أي من قبري حيا وقد خلت القرون من قبلي أي فلم يبعث منهم أحد
وهما يستغيثان الله أي يستصرخان بالله عليه ويقولان له ويلك آمن إن وعد الله حق
بالبعث فيقول ما هذا أي الذي تدعوانني إليه إلا أساطير الأولين قال ابن عباس نزلت
في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق قبل إسلامه وكان أبواه يدعوانه إلى الإسلام وهو يأبى ويقول
أحيوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون وأنكرت
عائشة أن يكون قد نزل هذا في عبد الرحمن بن أبي بكر خ عن يوسف بن ماهك قال كان مروان على
الحجاز استعمله معاوية فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له فقال له عبد الرحمن بن أبي
بكر شيئا فقال خذوه فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه فقال مروان هذا الذي
أنزل الله فيه والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني فقالت عائشة من وراء الحجاب ما أنزل
الله فينا شيئا من القرآن إلا ما أنزل الله في سورة النور من براءتي والقول الصحيح أنه ليس
المراد من الآية شخص معين بل المراد كل شخص كان موصوفا بهذه الصفة وهو كل من دعاه
أبواه إلى الدين الصحيح والإيمان بالبعث فأبى وأنكر وقيل نزلت في كل كافر عاق لوالديه
قال الزجاج قول من قال إنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه يبطله قوله تعالى
أولئك الذين حق عليهم اعلم أن هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب وعبد الرحمن مؤمن
من أفاضل المؤمنين فلا يكون ممن حقت عليهم كلمة العذاب أي وجب عليهم العذاب القول
في أمم أي مع أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين ولكل درجات
مما عملوا قال ابن عباس يريد من سبق إلى الإسلام فهو أفضل ممن تخلف عنه ولو ساعة وقيل
لكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين والبار والعاق درجات يعني منازل ومراتب
عند الله يوم القيامة بأعمالهم فيجازيهم عليها وقيل درج الجنة تذهب إلى علو ودرج
النار تذهب إلى سفل وليوفيهم أعمالهم أي جزاء أعمالهم وهم لا يظلمون قوله عز وجل
ويوم يعرض الذين كفروا على النار أي يجاء بهم فيكشف لهم عنها ويقال لهم أذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها يعني أن كل ما قدر لكم من الطيبات واللذات فقد أفنيتموه

في الدنيا وتمتعتم بها فلم يبق لكم بعدها شيء فاليوم تجزون عذاب الهون
أي الذي فيه ذل وخزي بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون علق
هذا العذاب بأمرين أحدهما الاستكبار وهو الترفع ويحتمل أن يكون عن الإيمان والثاني
الفسق وهو المعاصي والأول من عمل القلوب والثاني من الجوارح فصل لما وبخ
الله تعالى الكافرين بالتمتع بالطيبات آثر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والصالحون بعدهم
اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة ق عن عمر بن الخطاب قال دخلت على النبي صلى
الله عليه وسلم فإذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر في جنبه فقلت أستأنس يا رسول الله صلى الله عليك
قال نعم فجلست فرفعت رأسي في البيت فوالله ما رأيت فيه شيئا يرد البصر إلا أهبة ثلاثة
فقلت ادع الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى
جالسا ثم قال أفي شك يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة
الدنيا فقلت استغفر لي يا رسول الله ق عن عائشة قالت كان يأتي علينا الشهر ما شبع آل
محمد من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عنها قالت كان يأتي
علينا الشهر لم نوقد نارا إنما هو الأسودان التمر والماء إلا أن نؤتى باللحيم وفي رواية أخرى
إنا كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات
رسول الله صلى الله عليه وسلم نار قال عروة قلت يا خالة فما كان يعيشكم قالت الأسودان التمر
والماء إلا أنه قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم جيران من الأنصار وكانت لهم منائح فكانوا
يرسلون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ألبانها فيسقيناه عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله
عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاويا وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم الشعير أخرجه
الترمذي وله عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أخفت في الله ما لم يخف أحد
وأوذيت في الله ما لم يؤذ أحد ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة وما لي
ولبلال إلا شيء يواري إبط بلال خ عن أبي هريرة قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة
ما منهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين
ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته خ عن إبراهيم بن عبد الرحمن
أن عبد الرحمن بن عوف أتي بطعام وكان صائما فقال قتل مصعب بن عمير وهو خير مني
فكفن في بردة إن غطي رأسه بدت رجلاه وإن غطي رجلاه بدا رأسه قال وأراه قال وقتل
حمزة وهو خير مني فلم يوجد ما يكفن فيه إلا بردة ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط وقد خشينا
أن تكون عجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام وقال جابر
ابن عبد الله رأى عمر بن الخطاب لحما معلقا في يدي فقال ما هذا يا جابر قلت اشتهيت لحما
فاشتريته فقال عمر أوكلما اشتهيت يا جابر اشتريت أما تخاف هذه الآية أذهبتم طيباتكم
في حياتكم الدنيا قوله تعالى واذكر أخا عاد يعني هودا عليه السلام إذ أنذر قومه بالأحقاف
قال ابن عباس الأحقاف واد بين عمان ومهرة وقيل كانت منازل عاد باليمن في حضرموت
بموضع يقال له مهرة وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم
وكانوا من قبيلة إرم وقيل إن عادا كانوا أحياء باليمن وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر
بأرض يقال لها الشحر والأحقاف جمع حقف وهو المستطيل من الرمل فيه اعوجاج كهيئة الجبل
ولم يبلغ أن يكون جبلا وقيل الأحقاف ما استدار من الرمل وقد خلت النذر أي مضت
الرسل من بين يديه أي من قبل هود ومن خلفه أي من بعده ألا تعبدوا إلا الله إني
أخاف عليكم عذاب يوم عظيم والمعنى أن هودا قد أنذرهم بذلك وأعلمهم أن الرسل

الذي بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره قالوا اجئتنا لتأفكنا اي لتصرفنا عن آلهتنا اي عبادتها فأتنا بما تعدنا اي من العذاب انه ان كنت من الصادقين يعني ان العذاب نازل بنا قال يعني هودا انما العلم عند الله يعني هو يعلم متى يأتيكم العذاب وابلغكم ما ارسلت به يعني من الذي انزله الله علي وامرني بتبليغه اليكم ولكني اراكم قوما تجهلون يعني قدر العذاب الذي ينزل بكم فلما رأوه يعني من الذي انزله رأوا ما يوعدون به من العذاب ثم بينه فقال تعالى عارضا يعني رأوا سحابا عارضا وهو السحاب الذي يعرض في ناحية السماء ثم يطبق السماء مستقبل اوديتهم وذلك انه خرج عليهم سحابة سوداء من ناحية واد يقال له المغيث وقد كان قد حبس عنهم المطر مدة طويلة فلما رأوا تلك السحابة استبشروا بها ثم قالوا هذا عارض ممطرنا قال الله ردا عليهم بل هو ما استعجلتم به يعني العذاب ثم بين ماهية ذلك العذاب فقال تعالى ريح فيها عذاب اليم ثم وصف الريح فقال تعالى تدمر كل شيء بامر ربها يعني تهلك كل شيء مرت عليه من رجال عاد واموالهم يقال ان تلك الريح تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جرادة فلما رأوا ذلك دخلوا بيوتهم واغلقوا ابوابهم فجاءت الريح فقلعت الابواب وصرعتهم وامر الله الريح فأمالت عليهم الرمال فكانوا تحت الرمل سبع ليالي وثمانية ايام لهم انين ثم امر الله الريح فكشفت عنهم واحتملتهم فرمت بهم في البحر وقيل ان هودا عليه السلام لما احس بالريح خط على نفسه وعلى من معه من المؤمنين خطا فكانت الريح تمر بهم لينة باردة طيبة والريح التي تصيب قومه شديدة عاصفة مهلكة وهذه معجزة عظيمة لهود عليه السلام وقيل ان الله تعالى امر خازن الريح ان يرسل عليهم مقدار الخاتم فاهلكهم الله بهذا القدر وفي هذا اظهار كمال القدرة (ق) عن عائشة قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ترى منه لهواته انما كان يتبسم زاد م في رواية وكان اذا رأى غيما عرف في وجهه قالت يا رسول الله الناس اذا رأوا الغيم فرحوا رجاء المطر ان يكون فيه المطر واراك اذا رأيت غيما عرف في وجهك الكراهة فقال يا عائشة وما يؤمنني ان يكون فيه عذاب قد عذب قوم بالريح وقد رأى قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وفي رواية قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى مخيلة في السماء اقبل وادبر ودخل وخرج وتغير وجهه فاذا امطرت السماء سري عنه فعرفته ذلك فقال وما ادري لعله كما قال قوم فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا الآية وفي رواية اخرى قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا عصفت الريح قال اللهم اني اسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به واذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل واقبل وادبر فاذا امطرت السماء سري عنه فعرفته عائشة كما قال قوم عاد فلما رأوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا وقولها سري عنه اي كشف وازيل ما كان به من الغم والحزن وقوله تعالى فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم قرئ بالتاء مفتوحة على انه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى ما ترى يا محمد الا مساكنهم خاوية عاطلة من السكان ليس فيها احد وقرئ يرى بالياء المضمومة والمعنى لا يرى الا آثار مساكنهم لان الريح لم تبق منها الا الآثار والمساكن معطلة كذلك نجزي القوم المجرمين نخوف بذلك كفار مكة ثم قال تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه الخطاب لاهل مكة يعني مكناهم فيما لم نمكنكم فيه من قوة الابدان وطول الاعمار وكثرة الاموال وجعلنا لهم سمعا وابصارا

وافئدة

وافئدة يعني انا اعطيناهم هذه الحواس ليستعملوها فيما ينفعهم من امر الدين فما استعملوها الا في طلب الدنيا ولذاتها فلا جرم فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء يعني انه لما نزل بهم العذاب ما اغنى عنهم ذلك شيئا اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن يعني ونزل بهم العذاب الذي كانوا يطلبونه على سبيل الاستهزاء ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى الخطاب لاهل مكة يعني اهلكنا قرى ديار ثمود وهو الحجر وسدوم وهي قرى قوم لوط بالشام وقرى قوم عاد باليمن نخوف اهل مكة بذلك وصرفنا الآيات يعني وبينا لهم الحجج والدلائل الدالة على التوحيد لعلهم يرجعون يعني عن كفرهم فلم يرجعوا فاهلكناهم بسبب كفرهم وتماديهم في الكفر فلولا يعني فهلا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة يعني انهم اتخذوا الاصنام آلهة يتقربون بعبادتها الى الله والقربان كل ما يتقرب به الى الله تعالى بل ضلوا عنهم يعني بطلت عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم وذلك افكهم يعني كذبهم الذي كانوا يقولون انها تقربهم الى الله تعالى وتشفع لهم عنده وما كانوا يفترون يعني يكذبون في قولهم انها آلهة وانها تشفع لهم قوله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن

ذكر القصة في ذلك

قال المفسرون لما مات ابو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وكان في حياته يحوطه وينصره ويمنعه ممن يؤذيه فلما مات وجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحشة من قومه فخرج الى الطائف يلتمس من ثقيف النصرة والمنعة له من قومه فروي عن محمد بن اسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف وهم يومئذ سادة ثقيف واشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب بنو عمرو بن عمير وعندهم امرأة من قريش من بني جمح فجلس اليهم فدعاهم الى الله تعالى وكلمهم بما جاءهم من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له احدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال الآخر اما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال الثالث لا اكلمك كلمة ابدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام وان كنت تكذب على الله فما ينبغي لي ان اكلمك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا علي وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه فيزيدهم ذلك تجريا عليه فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم فجعلوا يسبونه ويضحكون به حتى اجتمع اليه الناس والجؤه الى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان يتبعه فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقي من ثقيف وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المرأة التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس فانت رؤف وانت ارحم الراحمين وانت رب المستضعفين الى من تكلني الى بعيد يتجهمني او الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك علي غضب فلا ابالي ولكن عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت به الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من ان ينزل بي غضبك او يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى لا حول ولا قوة الا بك فلما رأى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من هذا العنب وضعه في ذلك الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل وقل له يأكل منه ففعل عداس ذلك ثم اقبل بالطبق حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له كل

بسم

فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده قال بسم الله الرحمن الرحيم ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال
والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اي البلاد
انت يا عداس وما دينك فقال انا نصراني وانا رجل من اهل نينوى فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم امن قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك اخي كان نبيا وانا نبي فاكب عداس على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقبل رأسه ويديه وقدميه قال فقال احد ابني ربيعة اما غلامك فقد افسده عليك
فلما جاءهم عداس قالا له ويلك يا عداس ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي
ما في الارض خير من هذا الرجل لقد اخبرني بامر ما يعلمه الا نبي فقالا له ويحك يا عداس لا يصرفنك
عن دينك فان دينك خير من دينه ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا
الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر
من جن نصيبين كانوا قاصدين اليمن وذلك حين منعوا من استراق السمع من السماء ورموا بالشهب
فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين وقد امنوا به واجابوا لما سمعوا
القرآن فقص الله خبرهم عليه فقال تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وفي الاية قول اخر
وسيأتي في سورة الجن وهو حديث مخرج في الصحيحين من حديث ابن عباس وروي ان الجن
لما رجموا بالشهب بعث ابليس سراياه ليعرف الخبر فكان اول بعث من اهل نصيبين وهم
اشراف وسادتهم فبعثهم الى تهامة وقال ابو حمزة اليماني بلغنا انهم من اهل الشيصبان وهم
اكثر الجن عددا وهم عامة جنود ابليس فلما رجعوا الى قومهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا
وقال جماعة بل امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم
فصرف الله عز وجل نفرا من الجن وهم اهل نينوى وجمعهم له فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لاصحابه اني امرت ان اقرأ على الجن الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا ثم استتبعهم الثالثة
فتبعه عبد الله بن مسعود وقال عبد الله بن مسعود لم يحضر معه احد غيري قال فانطلقنا
حتى اذا كنا باعلى مكة دخل نبي الله صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط
لي خطا ثم امرني ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك فانطلق حتى قام عليهم
فافتتح القرآن فجعلت ارى امثال النسور تهوي وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على نبي
الله صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى لم اسمع صوته ثم طفقوا
يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم مع الفجر
فقال لي نمت فقلت لا والله يا رسول الله لقد هممت مرارا فقال لو خرجت لم امن عليك
ان استغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول لهم اجلسوا فقال لو خرجت لم امن عليك
ان يتخطفك بعضهم ثم قال هل رايت شيئا قلت نعم رايت رجالا سودا عليهم ثياب بيض قال
اولئك جن نصيبين سألوني المتاع والزاد فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة قالوا
يا رسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث
قال فقلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم فقال انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه
يوم اكل ولا روثة الا وجدوا فيها حبها يوم اكلت فقلت يا رسول الله سمعت لغطا
شديدا فقال ان الجن تدارأت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا الي فقضيت بينهم بالحق
قال ثم تبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاني فقال هل معك ماء قلت يا رسول الله
معي اداوة فيها شيء من نبيذ التمر فدعا به فصببته على يديه فتوضأ وقال تمرة طيبة وماء
طهور قال قتادة ذكر لنا ان ابن مسعود لما قدم الكوفة رأى شيوخا شمطا من الزط فافزعوه

حتى

حتى راهم ثم قال اظهروا فقيل له ان هؤلاء قوم من الزط فقال ما اشبههم بالنفر الذين صرفوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قلت حديث التوضؤ بنبيذ التمر ضعيف ذكره البيهقي
في كتابه الخلافيات باسانيده واجاب عنها كلها والذي صح عن علقمة قال قلت لابن مسعود
هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم منكم احد قال ما صحبه احد ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الاودية والشعاب فقلنا استطير او اغتيل قال
فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما اصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فقدناك
فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال اتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم
القرآن قال فانطلق فارانا اثارهم واثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال لكم كل عظم ذكر
اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم الجن زاد في رواية قال الشعبي وكانوا
من جن الجزيرة اخرجه مسلم في صحيحه واما تفسير الاية فقوله تعالى واذ صرفنا اليك
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واذكر اذ بعثنا اليك يا محمد نفرا من الجن واختلفوا في عدد
اولئك النفر فقال ابن عباس كانوا سبعة من جن نصيبين فجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
رسلا الى قومهم وقال اخرون كانوا تسعة وروي عن زر بن حبيش قال كان زوبعة من
التسعة الذين استمعوا القرآن وروي ان الجن كانوا ثلاثة اصناف صنف منهم لهم اجنحة
يطيرون بها في الهوى وصنف على صور الحيات والكلاب وصنف يحلون ويظعنون ونقل
بعضهم ان اولئك الجن كانوا يهودا فاسلموا قالوا وفي الجن ملل كثيرة مثل الانس ففيهم
اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الاصنام وفي مسلميهم مبتدعة ومن يقول بالقدر وخلق
القرآن ونحو ذلك من المذاهب والبدع واتفق المحققون من العلماء على ان الجن مكلفون
سئل ابن عباس هل للجن ثواب قال نعم لهم ثواب وعليهم عقاب **فلما حضروه** الضمير
يعود الى القرآن يعني فلما حضروا استماع القرآن وقيل يحتمل ان يعود الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويكون المعنى فلما حضروا الرسول صلى الله عليه وسلم لاجل استماع القرآن
قالوا انصتوا يعني قال بعضهم لبعض اسكتوا لنستمع الى قراءته ولا يحول بيننا وبين
سماعه شيء فانصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم على
سماعه **فلما قضي** اي فرغ من قراءته **ولوا** اي رجعوا **الى قومهم منذرين** يعني داعين لهم
الى الايمان مخوفين لهم من المخالفة وذلك بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد
ايمانهم لانهم لا يدعون غيرهم الى استماع القرآن والتصديق الا بعد ايمانهم وتصديقهم له **قالوا
يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا** قال عطاء كان فيهم اليهودية لذلك
قال انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا **لما بين يديه** يعني من الكتب الالهية المنزلة
من السماء وذلك ان كتب الانبياء كانت مشتملة على الدعوة الى التوحيد وتصديق الانبياء
والايمان بالمعاد والحشر والنشر وجاء هذا الكتاب وهو القرآن المنزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم كذلك فذلك هو تصديقه لما بين يديه من الكتب **يهدي الى الحق والى طريق
مستقيم** وهو دين الاسلام ويهدي الى طريق الجنة **يا قومنا اجيبوا داعي الله** يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم لانه لا يوصف بهذا غيره وفي الاية دليل على انه مبعوث الى الانس والجن
جميعا قال مقاتل لم يبعث الله نبيا الى الانس والجن قبله **وآمنوا به** فان قلت قوله تعالى
اجيبوا داعي الله فان الله امر باجابته في كل ما امر به فيدخل فيه الامر بالايمان فلم اعاد
ذكره بلفظ التعيين قلت هو من باب ذكر العام ثم عطف عليه اشرف انواعه فقال تعالى

يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم قال بعضهم لفظة من هنا زائدة والتقدير يغفر لكم ذنوبكم
وقيل من على اصلها وذلك هو ان الله يغفر من الذنوب ما كان قبل الاسلام فاذا اسلموا
جرت عليهم احكام الاسلام فاذا اتى بذنب اخذ به ما لم يتب منه او يبقى تحت خطر
المشية ان شا الله غفر له وان شا اخذه بذنبه واختلف العلما في حكم مومني الجن فقال
ليس لهم ثواب الا نجاتهم من النار وقالوا قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم
واليه ذهب ابو حنيفة وحكى عن الليث قال ثوابهم ان يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا
ترابا مثل البهائم وعن ابي الزناد وقال اذا قضى بين الناس قيل لمومني الجن عودوا ترابا
فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقال الاخرون لهم الثواب في الاحسان كما
يكون عليهم العقاب في الاساة كالانس وهذا هو الصحيح وهو قول ابن عباس واليه ذهب
مالك وابن ابي ليلى قال الضحاك الجن يدخلون الجنة وياكلون ويشربون وقال ارطاه بن
المنذر سالت حمزة بن حبيب هل للجن ثواب وقرا لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فالانسيات
للانس والجنيات للجن وقال عمر بن عبد العزيز ان مومني الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا
فيها يعني في الجنة وقوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض يعني يعجز الله فيفوته
وليس له من دونه اوليا يعني انصارا يمنعونه من عذاب الله اولئك يعني الذين لم يجيبوا داعي
الله في ضلال مبين قوله تعالى او لم يروا ان الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن
يعني انه تعالى خلق هذا الخلق العظيم ولم يعجز عن ابداعه واختراعه وتكوينه بقادر على
ان يحيي الموتى يعني ان اعادة الخلق واحياية الموت اهون عليه من ابداعه وخلقه فالكل
عليه هين ابداع الخلق واعادته بعد الموت وهو قوله تعالى بلى انه على كل شي قدير يعني
في اماتة الخلق واحيايهم لانه قادر على كل شي ويوم يعرض الذين كفروا على النار فيه اضمار
تقديره فيقال لهم اليس هذا بالحق يعني هذا العذاب هو الذي وعدكم به الرسل وهو الحق
قالوا بلى هذا وربنا قال اعتراف منهم على انفسهم بعد ما كانوا منكرين لذلك وفيه توبيخ
وتقريع لهم فعند ذلك يقال لهم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قوله عز وجل فاصبر
كما صبر اولوا العزم من الرسل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره الله تعالى بالاقتدا باولي
العزم من الرسل في الصبر على اذى قومه قال ابن عباس ذوو الحزم وقال الضحاك ذوو الجد
والصبر واختلفوا في اولي العزم من الرسل منهم فقال ابن زيد كل الرسل كانوا اولي العزم لم
يبعث الله نبيا الا كان ذا عزم وحزم وراي وكمال عقل وهذا القول هو اختيار الامام فخر
الدين الرازي قال لان لفظة من في قوله من الرسل للتبيين لا للتبعيض كما تقول ثوب من خز كانه
قال اصبر كما صبر الرسل من قبلك على اذى قومهم ووصفهم بالعزم لقوة صبرهم وثباتهم
وقال بعضهم الانبيا كلهم اولي العزم الا يونس لعجلة كانت فيه الا ترى انه قيل للنبي صلى
الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت وقال قوم اولوا العزم نجبا الرسل المذكورون في سورة
الانعام وهم ثمانية عشر نبيا لقوله بعد ذكرهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده
وقال الكلبي هم الذين امروا بالجهاد واظهروا المكاشفة لاعدا الله وقيل هم ستة عشر نوح
وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعرا
وقال مقاتل هم ستة نوح صبر على اذى قومه وابراهيم صبر على النار واسحاق صبر
على الذبح في قوله ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن
وايوب صبر على الضر وقال ابن عباس وقتادة هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى
اصحاب الشرايع فهم مع محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين خمسة وقد ذكرهم الله

على التخصيص والتعيين في قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابرهيم
وموسى وعيسى بن مريم وفي قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الاية روى البغوي بسنده
عن عايشة قالت قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشة ان الدنيا لا تنبغي لمحمد
ولا لال محمد يا عايشة ان الله لا يرضى من اولي العزم الا بالصبر على مكروهها والصبر
على محبوبها ولم يرض لي الا ان كلفني ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل واني
والله لا بد لي من الطاعة والله لاصبرن كما صبروا ولاجهدن ولا قوة الا بالله قوله تعالى ولا
تستعجل لهم يعني اصبر على اذاهم ولا تستعجل بنزول العذاب عليهم فانه نازل بهم لا محالة
كانه صلى الله عليه وسلم ضجر بعض الضجر فاحب ان ينزل العذاب بمن ابى منهم فامره الله
تعالى بالصبر وترك الاستعجال ثم اخبر بقرب العذاب فقال تعالى كانهم يوم يرون ما
يوعدون يعني من العذاب في الاخرة لم يلبثوا يعني في الدنيا الا ساعة من نهار يعني انهم
اذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كانه قدر ساعة من نهار لان ما مضى
وان كان طويلا فهو يسير الى ما يدوم عليهم من العذاب وهو ابد الابدين بلا انقطاع ولا فنا
ثم الكلام عند قوله ساعة من نهار ثم ابتدا فقال تعالى بلاغ هذا القران وما فيه من البيان
والهدى بلاغ من الله اليكم والبلاغ بمعنى التبليغ فهل يهلك يعني بالعذاب اذا نزل الا القوم
الفاسقون يعني الخارجين عن الايمان بالله وطاعته قال الزجاج تاويله لا يهلك مع رحمة
الله وفضله الا القوم الفاسقون ولهذا قال قوم ما في الرجا لرحمة الله اية اقوى من هذه
الاية والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة محمد صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله
اضل اعمالهم يعني ابطلها ولم يتقبلها منهم واراد بالاعمال ما كانوا يفعلون من اعمال البر من
اطعام الطعام وصلة الارحام وفك العاني وهو الاسير واجارة المستجير ونحو ذلك قال
بعضهم اول هذه السورة متعلق باخر سورة الاحقاف المتقدمة كان قايلا قال كيف يهلك
القوم الفاسقون ولهم اعمال صالحة كاطعام الطعام ونحوه من الاعمال والله
لا يضيع لعامل عمله ولو كان مثقال ذرة من خير فاخبر بان الفاسقين الذين كفروا
وصدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم يعني ابطلها لانها لم تكن لله ولا بامره انما فعلوها
من عند انفسهم ليقال عنهم ذلك فلهذا السبب ابطلها الله تعالى وقال الضحاك ابطل
كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وجعل الدايرة عليهم قال بعضهم المراد بقوله الذين
كفروا هم الذين كانوا يطعمون الجيش يوم بدر وهم روسا قريش منهم ابو جهل والحرث بن هشام
وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وغيرهم وقيل هم جميع الكفار وقيل هم كفار اهل الكتاب وقيل
هو عام فيدخل فيه كل كافر وصدوا عن سبيل الله يعني ومنعوا غيرهم عن الدخول في الاسلام
دين الله وهو الاسلام ومنعوا انفسهم من الدخول في الاسلام اضل اعمالهم يعني ابطلها
لانها كانت لغير الله ومنه قوله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هبا منثورا
والذين امنوا وعملوا الصالحات قال ابن عباس الذين هم مشركي قريش والذين امنوا هم
الانصار وقيل هم مومنوا اهل الكتاب وقيل هو عام فيدخل فيه كل من امن بالله ورسوله
وهذا هو الاولى ليشمل جميع المومنين وامنوا بما نزل على محمد يعني القران الذي انزل الله
على محمد وانما ذكره بلفظ الاختصاص مع ما يجب من الايمان بجميع ما جا به رسول الله

صلى الله عليه وسلم تعظيما لشأن القرآن وتنبيها على انه لا يتم الايمان الا به واكد ذلك بقوله
وهو الحق من ربهم وقيل معناه ان دين محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحق لانه ناسخ الاديان
كلها ولا يرد عليه نسخ وقال سفيان الثوري في قوله والذين آمنوا بما نزل على محمد يعني لم يخالفوه
في شيء كفر عنهم سيئاتهم يعني ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم
وتوبتهم منها فغفر لهم بذلك ما كان منهم واصلح بالهم يعني حالهم وشأنهم وامرهم بالتوفيق
في امور الدين والتسليط على امور الدنيا بما اعطاهم من النصر على اعدائهم وقيل يصلح بالهم
يعني قلوبهم لان القلب اذا صلح صلح سائر الجسد وقال الحسن عصمهم ايام حياتهم يعني
ان هذا الاصلاح يعود الى اصلاح اعمالهم حتى لا يعصوا ذلك بان الذين كفروا اتبعوا
الباطل وان الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم يعني القرآن ومعنى الآية يعني ذلك الامر
وهو اضلال اعمال الكفار وتكفير سيئات المؤمنين كائن بسبب اتباع الكفار الباطل واتباع
المؤمنين الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس امثالهم الضمير في امثالهم راجع الى الناس
على انه تعالى يضرب للناس امثال انفسهم او انه راجع الى الفريقين على انه تعالى ضرب امثال
الفريقين للناس يعتبروا بهم قال الزجاج كذلك يضرب الله امثال حسنات المؤمنين واضلال
اعمال الكافرين للناس قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا من اللقاء وهو الحرب فضرب
الرقاب يعني فاضربوا رقابهم ضربا وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان المراد ضرب الرقاب
فقط دون سائر الاعضاء وانما خص الرقاب بالضرب لان قتل الانسان اشنع ما يكون
بضرب رقبته فلذلك خصت بالذكر في الامر بالقتل ولان الراس اشرف اعضاء البدن فاذا
بان عن بدنه كان اسرع الى الموت والهلاك بخلاف غيره من الاعضاء حتى اذا اثخنتموهم
يعني بالغتم في القتل وقهرتموهم ماخوذ من الشيء الثخين الغليظ والمعنى حتى اذا اثقلتموهم
بالقتل والجراح ومنعتموهم النهوض والحركة فشدوا الوثاق يعني في الاسر والمعنى فاسروهم
وشدوا وثاقهم حتى لا يفلتوا منكم والوثاق اسم لما يوثق به اي يشد به فاما منا
بعد يعني بعد الاسر اما ان تمنوا عليهم باطلاقهم من غير عوض واما ان تفادوهم فداء فصل
في حكم الآية اختلف العلماء في هذه الآية فقال قوم هي منسوخة بقوله فاما تثقفنهم في
الحرب فشرد بهم من خلفهم وبقوله اقتلوا المشركين كافة وهذا قول قتادة والضحاك
والسدي وابن جريج واليه ذهب الاوزاعي واصحاب الرأي قالوا لا يجوز المن على من وقع في
الاسر من الكفار ولا الفداء بل اما القتل واما الاسترقاق ايهما رأى الامام ونقل صاحب
الكشاف عن مجاهد قال ليس اليوم من ولا فداء انما هو الاسلام او ضرب الرقاب
العنق ويجوز ان يكون المراد ان يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا او يمن عليهم فيخلوا
لقبول الجزية ان كانوا من اهل الذمة والمراد بالفداء ان يفادى باسارى المسلمين
وقد رواه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة والمشهور عنه انه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره
خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين وذهب اكثر العلماء ان الآية محكمة والامام بالخيار
في الرجال العاقلين من الكفار اذا اسروا بين ان يقتلهم او يسترقهم او يمن عليهم فيطلقهم بلا
عوض او يفاديهم بالمال او باسارى المسلمين واليه ذهب ابن عمر وبه قال الحسن وعطاء واكثر
الصحابة والعلماء وهو قول الثوري والشافعي واحمد واسحاق قال ابن عباس لما كثر
المسلمون واشتد سلطانهم انزل الله عز وجل في الاسارى فاما منا بعد واما فداء وهذا
القول هو الصحيح ولانه به عمل النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده ق عن ابي هريرة قال
بعث النبي صلى الله عليه وسلم خيلا قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن

اثال

اثال فربطوه بسارية من سواري المسجد فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما عندك يا ثمامة
فقال عندي خير يا محمد ان تقتل تقتل ذا دم وان تنعم تنعم على شاكر وان كنت تريد المال
فسل تعط منه ما شئت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الغد فقال ما عندك يا ثمامة
قال ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل
تعط منه ما شئت فتركه النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان الغد فقال ما عندك يا ثمامة قال
عندي ما قلت لك ان تنعم تنعم على شاكر وان تقتل تقتل ذا دم وان كنت تريد المال فسل
تعط منه ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلقوا ثمامة فانطلق الى نخل قريب
من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد فقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله
والله ما كان على الارض ابغض الي من وجهك فقد اصبح وجهك احب الوجوه الي والله
ما كان من دين ابغض الي من دينك فاصبح دينك احب الاديان كلها الي وان خيلك اخذتني
وانا اريد العمرة فماذا ترى فبشره النبي صلى الله عليه وسلم وامره ان يعتمر فلما قدم من عند
النبي صلى الله عليه وسلم مكة قال له قائل اصبوت قال لا ولكني اسلمت مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله
عليه وسلم لفظ مسلم بطوله واختصره البخاري عن عمران بن الحصين قال اسر اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلا من بني عقيل فاوثقوه وكانت ثقيف قد اسرت رجلين من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم ففداه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرجلين اللذين اسرتهما ثقيف اخرجه
الشافعي في مسنده واخرجه مسلم وابو داود بلفظ اطول من هذا وقوله تعالى حتى تضع الحرب
اوزارها يعني اثقالها واحمالها والمراد اهل الحرب وضعوا اسلحتهم وامسكوا عن القتال واصل
الوزر ما يحمله الانسان فسمى الاسلحة اوزارا لانها تحمل وقيل الحرب هم المحاربون مثل الشرب والركب وقيل
الاوزار هي ان يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله وقيل معناه حتى تضع حربكم وقتالكم
اوزار المشركين وقبائح اعمالهم بان يسلموا ومعنى الآية اثخنوا المشركين بالقتل والاسر
حتى يدخل اهل الملل كلها في الاسلام ويكون الدين كله لله فلا يكون بعده جهاد ولا قتال
وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليه السلام وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
الجهاد ماض منذ بعثني الله الى ان يقاتل آخر امتي الدجال هكذا ذكره البغوي بغير سند
وقال الكلبي معناه حتى يسلموا او يسالموا وقال الفراء حتى لا يبقى الا مسلم او مسالم ذلك يعني
الذي ذكر وبين من حكم الكفار ولو يشاء الله لانتصر منهم يعني لاهلكهم بغير
قتال وكفاكم امرهم ولكن يعني ولكن امركم بالقتال ليبلو بعضكم ببعض يعني فيصير من قتل
من المؤمنين الى الثواب ومن قتل من الكافرين الى العذاب والذين قتلوا في سبيل الله يعني
الشهداء وقرئ قاتلوا وهم المجاهدون في سبيل الله فلن يضل اعمالهم يعني فلن يبطلها
بل يوفيهم ثواب اعمالهم التي عملوها لله تعالى قال قتادة ذكر لنا ان هذه الآية نزلت يوم
احد وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل سيهديهم يعني ايام حياتهم في الدنيا الى ارشد
الامور وفي الآخرة الى الدرجات العلى ويصلح بالهم يعني ويرضى خصماءهم ويقبل اعمالهم
ويدخلهم الجنة عرفها لهم يعني بين لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا الى مساكنهم لا يخطئونها
ولا يستدلون عليها كانهم سكانها منذ خلقوا فيكون المؤمن اهدى الى درجته ومنزلته وزوجته
وخدمه منه الى منزله واهله في الدنيا هذا قول اكثر المفسرين ونقل عن ابن عباس عرفها
لهم طيبها لهم من العرف وهو الريح الطيبة وطعام معرف اي مطيب قوله تعالى يا ايها الذين
آمنوا ان تنصروا الله يعني تنصروا دين الله ورسوله وقيل تنصروا اولياء الله وحزبه

ينصركم يعني على عدوكم ويثبت اقدامكم يعني عند القتال وعلى الصراط والذين كفروا
فتعسا لهم قال ابن عباس يعني بعدا لهم وقال ابو العالية سقوطا لهم وقال الضحاك خيبة
لهم وقال ابن زيد شقاء لهم وقيل التعس في الدنيا العثرة وفي الآخرة التردي في النار يقال
للعاثر تعسا اذا دعوا عليه ولم يريدوا قيامه وضده اذا دعوا له وارادوا قيامه وفي هذا
اشارة جليلة وهي انه تعالى لما قال في حق المؤمنين ويثبت اقدامكم يعني في الحرب والقتال
كان من الجائز ان يتوهم متوهم ان الكافر ايضا يصبر ويثبت قدمه في الحرب والقتال
فاخبر الله تعالى ان لكم الثبات ايها المؤمنون ولهم العثار والزوال والهلاك
وقال في حق المؤمنين بصيغة الوعد لان الله تعالى لا يجب عليه شيء وقال في حق الكفار
بصيغة الدعاء عليهم واضل اعمالهم يعني ابطل اعمالهم لانها كانت في طاعة الشيطان
ذلك يعني التعس والاضلال بانهم كرهوا ما انزل الله يعني القرآن الذي فيه الهدى والنور
وانما كرهوه لان فيه الاحكام والتكاليف الشاقة على النفس لانهم كانوا قد الفوا
الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ترك ذلك والاخذ بالجد
والاجتهاد في طاعة الله فلهذا السبب كرهوا ما انزل الله فاحبط اعمالهم يعني فابطل
اعمالهم التي عملوها في غير طاعة ولان الشرك محبط للعمل ثم خوف الكفار فقال تعالى افلم
يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم يعني من الامم الماضية والقرون
الخالية الكافرة دمر الله عليهم يقال دمره الله يعني اهلكه ودمر عليه اذا اهلك ما يختص
والمعنى اهلك الله عليهم ما يختص بهم من انفسهم واموالهم واولادهم وللكافرين يعني
بمحمد صلى الله عليه وسلم امثالها يعني ان لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به من عند
الله وهذا التضعيف انما يكون في الآخرة ذلك يعني الاهلاك والهوان بان اي بسبب ان الله
مولى الذين آمنوا يعني هو ناصرهم ووليهم ومتولي امورهم وان الكافرين لا مولى لهم يعني
لا ناصر وسبب ذلك ان الكفار لما عبدوا الاصنام وهي جماد لا تضر ولا تنفع ولا تنصر
من عبدها فلا جرم لا ناصر لهم والفرق بين قوله وان الكافرين لا مولى لهم وبين قوله
ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ان المولى هنا بمعنى الناصر والمولى هنا بمعنى الرب والمالك
والله تعالى رب كل احد من الناس ومالكهم فبان الفرق بين الاثنين ولما ذكر الله تعالى حال
المؤمنين والكافرين في الدنيا ذكر حالهم في الآخرة فقال تعالى ان الله يدخل الذين آمنوا
وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار يعني هذا لهم في الآخرة والذين كفروا
يتمتعون يعني في الدنيا بشهواتها ولذاتها ويأكلون كما تأكل الانعام يعني ليس لهم همة
الا بطونهم وفروجهم ومع ذلك لاهون ساهون عما يراد بهم في غد ولهذا شبههم بالانعام
لان الانعام لا عقل ولا تمييز لانه لو كان له عقل ما عبد ما يضره ولا ينفعه قيل المؤمن
في الدنيا يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع وانما وصف الكافر بالتمتع في الدنيا لا
نها كجنته وهي سجن المؤمن بالنسبة الى ما اعد الله له في الآخرة من النعيم العظيم الدائم
والنار مثوى لهم يعني مقام الكفار في الآخرة والمثوى المقام في المكان والاستقرار فالنار
مثوى للكافرين ومستقرهم قوله تعالى وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك
يعني اخرجك اهلها والمراد بالقرية مكة قال ابن عباس كم من رجال هم اشد قوة من اهل مكة
واهلكهم الله يدل عليه قوله اهلكناهم ولم يقل اهلكناها فلا ناصر لهم يعني فلا مانع
يمنع من العذاب والهلاك الذي حل بهم قال ابن عباس لما خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى الغار التفت الى مكة وقال انت احب بلاد الله الى الله واحب بلاد الله الي ولولا ان

المشركين

المشركين لم يخرجوني وهو محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه افمن كان على بينة من ربه وهو
الكافر ابو جهل ومن معه من المشركين واتبعوا اهواءهم يعني في عبادة الاوثان قوله عز وجل
مثل الجنة التي وعد المتقون لما بين الله عز وجل حال الفريقين في الاهتداء والضلال بين في
هذه الآية ما اعد لكل واحد من الفريقين فبين اولا ما اعد للمؤمنين المتقين فقال تعالى مثل
الجنة التي وعد المتقون يعني صفة الجنة قال سيبويه حيث قال المثل هو الوصف معناه وصف
الجنة وذلك يقتضي تشابه وقيل الممثل به محذوف غير مذكور والمعنى مثل الجنة التي وعد
المتقون مثل عجيب وشيء عظيم وقيل الممثل به مذكور وهو قوله كمن هو خالد في النار
فيها يعني الجنة التي وعد المتقون انهار من ماء غير آسن يعني غير متغير ولا منتن
يقال اسن الماء واجن اذا تغير طعمه وريحه وانهار من لبن لم يتغير طعمه يعني كما يتغير البان
الدنيا فلا يعود حامضا ولا قارصا ولا ما يكره من الطعوم وانهار من خمر لذة للشاربين
يعني ليس فيها حموضة ولا عفوصة ولا مرارة ولا تدنسها الارجل بالدوس ولا الايدي بالعصر
وليس مع شربها ذهاب عقل ولا صداع بل هي لمجرد الالتذاذ فقط وانهار من عسل مصفى
يعني ليس فيه شمع كعسل الدنيا ولم يخرج من بطون النحل حتى يموت فيه بعض نحله فهو خالص
صاف من جميع شوائب عسل الدنيا عن حكيم بن معاوية عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن صحيح م عن ابي هريرة قال سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من انهار
الجنة قال الشيخ محيي الدين النواوي في شرح مسلم سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون
فاما سيحان وجيحان المذكوران في الحديث اللذان هما من انهار الجنة فهما في بلاد الارمن
فسيحان نهر اذنة وجيحان نهر المصيصة وهما نهران عظيمان جدا اكبرهما جيحان وهذا هو
الصواب في موضعهما ثم ذكر كلاما بعد هذا طويلا ثم قال فاما كون هذه الانهار من الجنة
ففيه تاويلان الثاني هو الصحيح انها على ظاهرها وان لها مادة من الجنة والجنة مخلوقة
موجودة اليوم هذا مذهب اهل السنة قال كعب الاحبار نهر دجلة نهر ماء اهل الجنة ونهر
الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار تخرج من نهر الكوثر
هكذا نقله البغوي عنه وقوله تعالى ولهم فيها من كل الثمرات في ذكر الثمرات بعد المشروب
اشارة الى ان ماكول اهل الجنة للذة لا لحاجة فلهذا ذكر الثمار بعد المشروب لانها للتفكه والله
ومغفرة من ربهم فان قلت المؤمن المتقي لا يدخل الجنة الا بعد المغفرة فكيف يكون لهم فيها
المغفرة قلت ليس بلازم ان يكون المعنى ولهم مغفرة من فيها لان الواو لا تقتضي الترتيب
فيكون المعنى ولهم فيها من كل الثمرات ولهم مغفرة قبل دخولهم اليها وجواب اخر وهو
ان المعنى ولهم مغفرة فيها برفع التكاليف عنهم فيما ياكلون ويشربون بخلاف الدنيا
فان ماكولها يترتب عليه حساب وعقاب ونعيم الجنة لا حساب عليه ولا عقاب فيه
وقوله تعالى كمن هو خالد في النار يعني من هو في هذا النعيم المقيم الدائم كمن هو خالد
في النار يتجرع من حميمها وهو قوله تعالى وسقوا ماء حميما يعني شديد الحر قد استعرت جهنم
منه كلفت اذا ادني منهم يشوي وجوههم ووقعت فروة وجوههم فاذا شربوه فقطع امعاءهم
يعني تخرج من ادبارهم والامعاء جمع معا وهو جميع ما في البطن من الحوايا وقال الزجاج
قوله كمن هو خالد في النار راجع الى ما تقدم كانه تعالى قال افمن كان على بينة من ربه
كمن زين له سوء عمله وهو خالد في النار وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص

المجوفة حتى يمزق قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب حسن صحيح عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يسقى من ماء صديد يتجرعه
قال يقرب الى فيه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه
قطع امعاءه حتى يخرج من دبره قال الله تعالى ماء حميما فقطع امعاءهم وتقول ان يستغيثوا
يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قوله تعالى ومنهم
يعني ومن هؤلاء الكفار من يستمع اليك وهم المنافقون يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه
تهاونا به وتغافلا حتى اذا خرجوا من عندك يعني وان هؤلاء المنافقين الذين كانوا
عندك يا محمد يستمعون كلامك فاذا خرجوا من عندك قالوا يعني المنافقين للذين اوتوا
العلم يعني من الصحابة ماذا قال آنفا يعني ما الذي قال محمد الآن وهو من الائتناف يقال
ائتنفت الامر اي ابتداته قال مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب
ويعيب المنافقين فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاء ماذا قال
محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس قد سئلت فيمن سئل اولئك يعني المنافقين
الذين طبع الله على قلوبهم يعني فلم يؤمنوا ولم ينتفعوا بما سمعوا من رسول الله
صلى الله عليه وسلم واتبعوا اهواءهم يعني في الكفر والنفاق والمعنى انهم لما تركوا اتباع
الحق امات الله قلوبهم فلم تفهم ولم تعقل فعند ذلك اتبعوا اهواءهم في الباطل والذين
اهتدوا يعني المؤمنين لما بين الله ان المنافق يسمع ولا ينتفع بل هو مصر على متابعة
الهوى بين حال المؤمن المهتدي الذي ينتفع بما يسمع فقال تعالى والذين اهتدوا يعني بتوفيق
الله اياهم الى الايمان زادهم هدى يعني انهم لما سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
مما جاء به عن الله عز وجل آمنوا بما سمعوا به وصدقوه فزيدهم ذلك هدى مع اهتدائهم
وايمانا مع ايمانهم وآتاهم تقواهم يعني وفقهم للعمل بما امرهم به وهو التقوى وقال سعيد
ابن جبير آتاهم ثواب تقواهم وقيل آتاهم نفس تقواهم بمعنى انه تعالى بين لهم التقوى
قوله عز وجل فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم بغتة يعني الكافرين والمنافقين
الذين قعدوا عن الايمان فلم يؤمنوا فالساعة تاتيهم بغتة تفجأهم على كفرهم ونفاقهم وفيه
وعيد وتهديد والمعنى لا ينتظرون الا الساعة والساعة آتية لا محالة وسميت القيامة
ساعة لسرعة قيامها عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بادروا بالاعمال سبعا
تنتظرون الا فقرا منسيا او غنى مطغيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا
مجهزا او الدجال فشر غائب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن وقوله فقد جاء اشراطها اي اماراتها وعلاماتها واحدها شرط
ولما كان الاخبار بقيام الساعة امرا مستنبطا في النفوس وقد قال الله تعالى فهل ينظرون
الا الساعة ان تاتيهم بغتة فكان قائلا قال متى قيام الساعة فقال تعالى فقد جاء
اشراطها قال المفسرون من اشراط الساعة انشقاق القمر وبعثة رسول الله صلى الله
قال باصبعيه هكذا الوسطى والتي تليها الابهام وقال بعثت انا والساعة كهاتين
ويشير باصبعيه فيمدهما ق عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة
كهاتين كفضل هذه الاخرى احدهما على الاخرى وضم السبابة والوسطى وفي رواية قال
بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الاخرى قيل معنى الحديث ان المراد
ما بين مبعثه وقيام الساعة شيء يسير كما بين الاصبعين في الطول وقيل هو اشارة
الى قرب المجاورة عن انس قال لاحدثنكم حديثا لا يحدثكم به احد

غيري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تقوم الساعة او قال من اشراط الساعة
ان يرفع العلم ويظهر الجهل ويشرب الخمر ويفشو الزنا وتذهب الرجال وتبقى النساء
حتى يكون لخمسين امراة قيم وفي رواية ويظهر الزنا ويقل الرجال ويكثر النساء ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة ان يتقارب الزمان وينقص
العلم وتظهر الفتن ويلقى الشح ويكثر الهرج قالوا وما الهرج قال القتل وفي رواية يرفع
العلم ويثبت الجهل او قال ويبث الجهل خ عن ابي هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مجلس يحدث القوم اذ جاءه اعرابي فقال متى الساعة فمضى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حديثه فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا
قضى حديثه قال اين السائل عن الساعة قال ها انا ذا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة
فانتظر الساعة قال وكيف اضاعتها قال اذا وسد الامر الى غير اهله فانتظر الساعة
وقوله تعالى فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم يعني من اين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة اذا
جاءتهم الساعة بغتة وقيل معناه كيف يكون حالهم اذا جاءتهم الساعة فلا تنفعهم الذكرى
ولا تقبل منهم التوبة ولا يحتسب بالايمان في ذلك الوقت فاعلم انه لا اله الا الله ○
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واورد على هذا انه صلى الله عليه وسلم كان عالما بالله وانه
لا اله الا هو فما فائدة هذا الامر واجيب عنه بان معناه دم على ما انت عليه من العلم
وهو كقول القائل للجالس اجلس اي دم على ما انت عليه من الجلوس ويكون معناه ازدد
علما الى علمك وقيل ان هذا الخطاب وان كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالمراد به غيره من امته
قال ابو العالية وسفيان بن عيينة هذا متصل بما قبله معناه اذا جاءتهم فاعلم انه لا ملجأ
ولا منجا ولا مفزع عند قيامها الا الى الله الذي لا اله هو وقيل معناه فاعلم انه لا اله الا
الله وان جميع الممالك تبطل عند قيامها فلا ملك ولا حكم لاحد الا لله الذي لا اله الا
هو واستغفر لذنبك امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستغفار مع انه مغفور
له ليستن به امته وليقتدوا به في ذلك م عن الاغر المزني اغر مزينة قال سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله مائة مرة وفي رواية
قال توبوا الى ربكم فوالله اني لاتوب الى ربي عز وجل مائة مرة في اليوم خ عن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم سبعين
مرة وفي رواية اكثر من سبعين مرة قوله انه ليغان على قلبي الغين التغطية والستر اي
يلتبس على قلبي ويغطي وسبب ذلك ما اطلعه عليه من احوال امته بعده فاحزنه ذلك حتى
كان يستغفر لهم وقيل انه لما كان يشغله النظر في امور المسلمين ومصالحهم حتى يرى انه
قد شغل بذلك وان كان من اعظم طاعة واشرف عبادة عن ارفع مقام مما هو فيه وهو
التفرد بربه عز وجل وصفاء وقته معه وخلوص همه من كل شيء فلهذا السبب كان صلى الله
عليه وسلم يستغفر الله فان حسنات الابرار سيئات المقربين وقيل هو ماخوذ من الغين
وهو الغيم الرقيق الذي يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم ويغطيه عن غيره فكان يستغفر
الله منه وقيل هذا الغين هو السكينة الذي يغشى قلبه صلى الله عليه وسلم وكان سبب
استغفاره لها اظهار العبودية والافتقار الى الله تعالى وحكى الشيخ محيي الدين النووي
عن القاضي عياض ان المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي كان شانه صلى الله عليه
وسلم الدوام عليه فاذا فتر او غفل عن ذلك عده ذنبا واستغفر منه وحكى الوجوه المتقدمة
عنه وعن غيره وقال الحارث المحاسبي خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام واجلال وان

كانوا آمنين من عذاب الله ويحتمل ان هذا الغين حالة حسنة واعظام يغشى القلب فيكون استغفاره شكرا كما قال افلا اكون عبدا شكورا وقيل في معنى الآية استغفر لذنبك اي لذنوب اهل بيتك وللمؤمنين والمؤمنات يعني من غير اهل بيته وهذا اكرام من الله عز وجل لهذه الامة حيث امر نبيه صلى الله عليه وسلم ان يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم والله يعلم متقلبكم ومثواكم قال ابن عباس والضحاك متقلبكم يعني منصرفكم ومنتشركم في اعمالكم في الدنيا ومثواكم يعني مصيركم الى مضاجعكم وقيل متقلبكم من اصلاب الآباء الى ارحام الامهات وبطونهن ومثواكم في الدنيا وفي القبور والمعنى انه تعالى عالم بجميع احوالكم فلا يخفى عليه شيء منها وان دق وخفي قوله تعالى ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة وذلك ان المؤمنين كانوا حراصا على الجهاد في سبيل الله وقالوا فهلا انزلت سورة تامرنا بالجهاد لكنا نجاهد فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال قال مجاهد كل سورة ذكر فيها القتال فهي محكمة وهي اشد القرآن على المنافقين رايت الذين في قلوبهم مرض يعني نفاق وهم المنافقون ينظرون اليك شزرا وكراهية منهم للجهاد وجبنا عن لقاء العدو نظر المغشي عليه من الموت يعني كما ينظر الشاخص بصره عند معاينة الموت فاولى لهم فيه وعيد وتهديد وهو معنى قولهم في التهديد اولى لك اي وليك وقاربك ما تكره وتم الكلام عند هذا ثم ابتدا بقوله طاعة وقول معروف فعلى هذا هو مبتدا محذوف الخبر تقديره طاعة وقول معروف امثل واولى بهم والمعنى لو اطاعوا وقالوا قولا معروفا لكان امثل واحسن وقيل هو متصل بما قبله واللام في لهم بمعنى الباء مجازه فاولى بهم طاعة الله وطاعة رسوله وقول معروف بالاجابة والمعنى لو اطاعوا واجابوا لكانت الطاعة والاجابة اولى بهم وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء عنه فاذا عزم الامر فيه حذف تقديره فاذا عزم صاحب الامر وقيل هو على اصله ومجازه كقولنا جاء الامر ودنا الوقت وهذا امر متوقع ومعنى الآية فاذا عزم الامر خالف المنافقون وكذبوا فيما وعدوا به فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم يعني الصدق وقيل معناه لو صدقوا الله في اظهار الايمان والطاعة لكان خيرا ذلك لهم فهل عسيتم اي فلعلكم ان توليتم يعني اعرضتم عن سماع القرآن وفارقتم احكامه ان تفسدوا في الارض اي تعودوا الى ما كنتم عليه في الجاهلية من الفساد في الارض بالمعصية والبغي وسفك الدماء وترجعوا الى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالاسلام وتقطعوا ارحامكم قال قتادة كيف رايتم القوم حين تولوا عن كتاب الله الم يسفكوا الدم الحرام وقطعوا الارحام وعصوا الرحمن ق عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الرحم شجنة من الرحمن يقول الله تعالى من وصلك وصلته ومن قطعك قطعته وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فاخذت بحقو الرحمن فقال له مه فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى قال فذلك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤوا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها الشجنة القرابة المشتبكة كاشتباك العروق والحقو معقد الازار من الانسان وقد يطلق على الازار من الانسان وقد يطلق على الازار ولما جعل الرحم شجنة من الرحمن استعار لها الاستمساك به والاخذ كما يستمسك القريب من قريبه والنسيب من نسيبه ومعنى صلة الرحم صلة الاقارب والاحسان اليهم وقطع الرحم ضد صلتها والعائذ اللائذ المستجير قال القاضي عياض الرحم التي توصل وتقطع وتبر انما هي معنى

من

من المعاني وليست بجسم وانما هي قرابة ونسب يجمعه رحم والدة فيتصل بعضه ببعض فسمي ذلك الاتصال رحما والمعاني لا يتأتى منها القيام ولا الكلام فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل حسن استعارة على عادة العرب في استعمال ذلك والمراد تعظيم شانها وفضيلة واصليها وعظم اثم قاطعيها ولهذا سمي العقوق قطعا كانه قطع ذلك السبب المتصل قال ويجوز ان يكون المراد قيام ملك من الملائكة تعلق بالعرش وتكلم على لسانها بهذا بامر الله تعالى هذا كلام القاضي عياض في معنى هذا الحديث والله اعلم وقيل في الآية في قوله ان توليتم هو من الولاية يعني فهل عسيتم ان وليتم الناس ان تفسدوا في الارض يعني بالظلم وتقطعوا ارحامكم ومعنى الاستفهام في قوله فهل عسيتم للتقرير المذكور والمعنى هل يتوقع منكم الافساد فان قلت عسى طمع وترج وتوقع وذلك على الله محال لانه تعالى عالم بكل شيء فما معناه قال بعضهم معناه يفعل بكم فعل المترجي المبتلي وقال بعضهم معناه كل من ينظر اليهم يتوقع ذلك منهم وقال الزمخشري معناه انه لما عهد منكم بان يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم في الايمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم ان توليتم امور الناس وتامرتم عليهم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا اولئك اشارة الى من اذا تولى افسد في الارض وقطع الارحام الذين لعنهم الله يعني ابعدهم من رحمته وطردهم عن جنته فاصمهم يعني عن سماع الحق واعمى ابصارهم يعني عن طريق الهدى وذلك انهم لما سمعوا القرآن لم يفهموه ولم يؤمنوا به وابصروا طريق الحق فلم يسلكوه ولم يتبعوه فكانوا بمنزلة الصم العمي وان كان لهم اسماعا وابصارا في الظاهر افلا يتدبرون القرآن يعني يتفكرون فيه وفي مواعظه وزواجره واصل التدبر التفكر في عاقبة الشيء وما يؤول اليه امره وتدبر القرآن انما يكون مع حضور القلب وجمع الهمم وقت تلاوته ويشترط فيه تقليل الغذاء من الحلال وخلوص النية ام على قلوب اقفالها يعني بل على قلوب اقفالها وجعل القفل مثلا لكل مانع للانسان من تعاطي فعل الطاعة يقال فلان اذا كان الله تعالى قد اصمهم واعمى ابصارهم واقفل على قلوبهم وهو بمعنى الختم فكيف يمكنهم تدبر القرآن مع هذه الموانع الشديدة قلت تكليف ما لا يطاق جائز عندنا لان الله امر بالايمان من سبق في علمه انه لا يؤمن فكذلك هذا والله يفعل ما يريد لا اعتراض لاحد عليه وقيل ان قوله افلا يتدبرون القرآن المراد به التاسي وقيل ان هذه الآية محققة للآية المتقدمة وذلك ان الله تعالى لما قال اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم واعمى ابصارهم فكان قوله افلا يتدبرون القرآن كالتهييج لهم على ترك ما هم فيه من الكفر الذي استحقوا بسببه اللعنة او كالتبكيت على اصرارهم على الكفر والله اعلم بمراده روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن الزبير قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها فقال شاب من اهل بكة بل على قلوب اقفالها حتى يكون الله يفتحها او يفرجها فما زال الشاب في نفس عمر حتى ولي فاستعان به هذا حديث مرسل عن عروة بن الزبير تابعي من كبار التابعين واجلهم فلم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم لانه ولد سنة اثنين وعشرين وقيل غير ذلك قوله عز وجل ان الذين ارتدوا على ادبارهم يعني رجعوا القهقرى كفارا من بعد ما تبين لهم الهدى يعني من بعد ما وضح لهم طريق الهداية قال قتادة هم كفار اهل الكتاب كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون وذلك انهم آمنوا اولا ثم كفروا ثانيا الشيطان سول لهم يعني زين لهم القبيح حتى راوه حسنا واملى لهم قرئ بضم الالف

وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يسم فاعله حتى اتمملوا ومد لهم في العمر وقرئ واملى لهم بفتح الالف واللام بمعنى واملى لهم الشيطان بان مد لهم في الامل فان قلت الامل والامهال لا يكون الا من الله لانه الفاعل المطلق وليس للشيطان فعل قط على مذهب اهل السنة فما معنى هذه القراءة قلت ان المسول والمملي هو الله تعالى في الحقيقة وليس للشيطان فعل وانما اسند اليه ذلك من حيث ان الله تعالى قدر ذلك على يده ولسانه فالشيطان يمنيهم ويزين لهم القبيح ويقول لهم في اجالكم فسحة فتمتعوا بدنياكم ورياستكم الى اخر العمر ذلك اشارة الى التسويل والاملا بانهم يعني بان اهل الكتاب او المنافقين قالوا للذين كرهوا ما نزل الله وهم المشركون سنطيعكم في بعض الامر يعني في التعاون على عداوة محمد صلى الله عليه وسلم وترك الجهاد معه والقعود عنه وكانوا يقولون ذلك سرا فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم خبرهم ثم قال والله يعلم اسرارهم يعني انه لا يخفى عليه خافية من امرهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم يعني ذلك الضرب ذلك يعني بسبب انهم بانهم اتبعوا ما اسخط الله يعني ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وكرهوا رضوانه فاحبط اعمالهم التي عملوها من اعمال البر لانها لم تكن لله ولا بامره ام حسب الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق وهم المنافقون ان لن يخرج الله اضغانهم يعني يظهر احقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرف المؤمنون نفاقهم واحدها ضغن وهو الحقد الشديد وقال ابن عباس حسدهم ولو نشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم لما قال الله تعالى ام حسب الذين في قلوبهم مرض ان لن يخرج الله اضغانهم فكان قائلا قال لم لم يخرج اضغانهم ويظهرها فاخبر الله تعالى انه انما اخر ذلك لمحض المشية لا لخوف منهم فقال تعالى ولو نشاء لاريناكهم اي لا مانع لنا من ذلك والاراة بمعنى التعريف والعلم وقوله فلعرفتهم لزيادة فائدة وهي ان التعريف قد يطلق ولا يلزم منه المعرفة الحقيقية كما يقال عرفته فلم يعرف فكان المعنى هنا عرفنا لهم تعريفا تعرفهم به ففيه اشارة الى قوة ذلك التعريف لئلا يقع معه اشتباه وقوله بسيماهم يعني بعلامتهم اي نجعل لك علامة تعرفهم بها قال انس ما خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الاية شي من المنافقين وكان يعرفهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول يعني في معنى القول وفحواه ومقصده واللحن معنيان صواب وخطا صرف الكلام وازالته عن التصريح الى المعنى وهذا محمود من حيث البلاغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فلعل بعضكم الحن بحجته من بعض واليه قصد ولتعرفنهم في لحن القول واما اللحن المذموم فظاهر وهو صرف الكلام عن الصواب الى الخطا بازالة الاعراب او التصحيف ومعنى الاية وانك يا محمد لتعرف المنافقين فيما يعرضون به من القول في تهجين امرك وامر المسلمين وتقبيحه والاستهزاء به فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه بقوله ويستدل بفحوى كلامه على فساد باطنه ونفاقه ثم قال تعالى والله يعلم اعمالكم يعني اعمال جميع عباده فيجازي كلا على قدر عمله قوله تعالى ولنبلونكم يعني ولنعاملنكم معاملة المختبر فان الله تعالى عالم بجميع الاشيا قبل كونها ووجودها حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين يعني انا نامركم بالجهاد حتى يظهر المجاهد ويتبين من يبادر منكم ويصبر عليه من غيره لان المراد من قوله حتى نعلم علم الوجود والظهور ونبلو اخباركم يعني نظهرها ونكشفها ليتبين من يابى القتال ولا يصبر على الجهاد ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول يعني خالفوه فيما امرهم به من الجهاد وغيره

من

من بعد ما تبين لهم الهدى يعني من بعد ما ظهر لهم ادلة الهدى وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم لن يضروا الله شيئا يعني انما يضرون انفسهم بذلك والله تعالى منزه عن ذلك وسيحبط اعمالهم يعني وسيبطل اعمالهم فلا يرون لها ثوابا في الاخرة لانها لم تكن لله تعالى قال ابن عباس هم المطعمون يوم بدر قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول لما ذكر الله الكفار بسبب مشاقتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم امر الله المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ثم قال تعالى ولا تبطلوا اعمالكم قال عطا يعني بالشك والنفاق والمعنى داموا على ما انتم من الايمان والطاعة ولا تشركوا فتبطل اعمالكم وقيل لا تبطلوا اعمالكم بترك طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ابطل اهل الكتاب اعمالهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصيانه وقال الكلبي لا تبطلوا اعمالكم بالريا والسمعة لان الله لا يقبل من الاعمال الا ما كان خالصا لوجهه الكريم وقال الحسن لا تبطلوا اعمالكم بالمعاصي والكبائر وقال ابو العالية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون انه لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل فنزلت هذه الاية فخافوا الكبائر بعده ان تحبط الاعمال واستدل بهذه الاية من يرى احباط الطاعات بالمعاصي ولا حجة لهم فيها وذلك لان الله تعالى يقول فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وقال تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فالله تعالى اعدل واكرم من ان يبطل طاعات سنين كثيرة بمعصية واحدة وروي عن ابن عمر انه قال كنا نرى انه لا شي من حسناتنا الا مقبولة حتى نزلت ولا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش حتى نزل ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن ذلك القول وكنا نخاف على من اصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها واستدل بهذه الاية من لا يرى ابطال النوافل حتى لو دخل في صلاة تطوع او صوم تطوع لا يجوز له ابطال ذلك العمل والخروج منه ولا دليل لهم في الاية ولا حجة لان السنة مبينة للكتاب وقد ثبت في الصحيح انه صلى الله عليه وسلم اصبح صائما فلما رجع الى البيت وجد حيسا فقال لعائشة قربيه فلقد اصبحت صائما فاكل وهذا معنى الحديث وليس بلفظه والصحيح ايضا ان سلمان زار ابا الدرداء فصنع له طعاما فلما قربه اليه قال كل فاني صائم قال ما انا باكل حتى تاكل فاكل معه وقال مقاتل في معنى الاية لا تمنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتبطل اعمالكم نزلت في بني اسد وسنذكر القصة في تفسير سورة الحجرات ان شا الله تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم قيل نزلت في اهل القليب وهم ابو جهل واصحابه الذين قتلوا ببدر وحكمها عام في كل كافر مات على كفره فان الله لا يغفر له لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فلا تهنوا الخطاب فيه لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم هو عام لجميع المسلمين يعني فلا تضعفوا ايها المؤمنون وتدعوا الى السلم يعني لا تدعوا الكفار الى الصلح وامرهم بحربهم حتى يسلموا وانتم الاعلون يعني وانتم الغالبون لهم العالون عليهم اخبر الله عز وجل ان الامر للمسلمين والنصر والغلبة لهم عليهم وان غلبوا المسلمين في بعض الاوقات والله معكم يعني بالنصر والمعونة ومن كان الله معه فهو العالي الغالب ولن يتركم اعمالكم يعني لن ينقصكم شيئا من ثواب اعمالكم وقال ابن عباس وغيره لن يظلمكم اعمالكم الصالحة بل يؤتيكم اجورها ثم حض على طلب الاخرة بذم الدنيا فقال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو اي باطل وغرور يعني كيف تمنعك الدنيا عن طلب الاخرة وقد علمت ان الدنيا كلها لعب ولهو الا ما كان منها في عبادة الله عز وجل وطاعته واللعب ما يشغل الانسان وهو يشغله غيره وليس فيه منفعة في الحال ولا في المال ثم اذا اشتغل الانسان





ولم يشغله عن غيره ولم يبتنه اشتغاله المهمة فهو اللعب وان شغله عن مهمات نفسه
فهو اللهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم يعني يؤتكم جزاء اعمالكم في الآخرة ولا يسألكم اموالكم
يعني ان الله لا يسأل من العباد اموالهم لاعطاء الاجر عليهم بل يامرهم بالايمان والتقوى
والطاعة ليثيبهم عليها الجنة وقيل معناه ولا يسألكم محمد صلى الله عليه وسلم اموالكم
وقيل معناه لا يسألكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم اموالكم كلها في الصدقات انما
يسألانكم غيضا من فيض وهو ربع العشر من اموالكم وهي زكاة اموالكم ثم ترد عليكم
ليس لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فيها حاجة انما فرضها الله في اموال الاغنياء وردها
على الفقراء فطيبوا باخراج الزكاة انفسكم والى هذا القول ذهب سفيان بن عيينة ويدل
عليه سياق الآية وهو قوله تعالى ان يسألكموها الضمير عائد على الاموال فيحفكم يعني
يجهدكم ويطلبها كلها والاحفاء المبالغة في المسألة وبلوغ الغاية في كل شيء يقال احفاه
في المسألة اذا لم يترك شيئا من الالحاح تبخلوا يعني بالاموال فلا تعطوها ويخرج اضغانكم
يعني بغضكم وعداوتكم لشدة محبتكم للاموال قال قتادة علم الله سبحانه وتعالى ان في الاحفاء
بمسألة الاموال خروج الاضغان ها انتم هؤلاء يعني يا هؤلاء المخاطبون الموصوفون
ثم استأنف وصفهم فقال عز وجل تدعون لتنفقوا في سبيل الله قيل اراد به النفقة في
الجهاد والغزو وقيل المراد به اخراج الزكاة وجميع وجوه البر والكل في سبيل الله فمنكم
من يبخل يعني بما فرض عليه اخراجه الى الزكاة او ندب الى انفاقه في وجوه البر ومن يبخل يعني
بالصدقة واداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وهو قوله تعالى فانما يبخل عن نفسه والله
الغني يعني عن صدقاتكم وطاعاتكم لانه الغني المطلق الذي له ملك السموات والارض
وان تتولوا يعني عن طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وعن القيام بما امركم
الله به والزمكم اياه يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم يعني يكونوا اطوع لله
ولرسوله منكم قال الكلبي هم كندة والنخع من عرب اليمن قال الحسن هم العجم وقال عكرمة
هم فارس والروم عن ابي هريرة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وان تتولوا
يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا ومن يستبدل بنا قال فضرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي
اسناده مقال وله في رواية اخرى عن ابي هريرة قال قال ناس من اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا رسول الله من هؤلاء الذين ذكر الله ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا
قال وكان سلمان بجنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا واصحابه والذي نفسي
بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس ولهذا الحديث طرق في الصحيح
ترد في سورة الجمعة ان شاء الله تعالى والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الفتح

مدنية عن اسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في بعض اسفاره وعمر بن الخطاب
كان يسير معه ليلا فسأله عمر عن شيء فلم يجبه ثم سأله فلم يجبه فقال عمر ثكلتك امك
نزرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت
بعيري حتى تقدمت امام الناس وخشيت ان ينزل في قرآن فما نشبت ان سمعت صارخا
يصرخ فقلت لقد خشيت ان يكون نزل في قرآن فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فسلمت عليه فقال لقد انزلت علي الليلة سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم

قرأ انا فتحنا لك فتحا مبينا اخرجه الترمذي وزاد فيه فقال في بعض اسفاره بالحديبية ق
عن انس لما نزلت انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الى قوله
فوزا عظيما مرجعه من الحديبية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي آية هي
احب الي من الدنيا جميعا لفظ مسلم ولفظ البخاري انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية فقال
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيئا لك مريئا فما لنا فانزل الله ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار قال شعبة فقدمت الكوفة فحدثت هذا كله عن قتادة ثم رجعت
فذكرت له فقال اما انا فتحنا لك فتحا مبينا فعن انس واما هنيئا مريئا فعن عكرمة واخرجه
الترمذي عن قتادة عن انس قال انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تأخر مرجعه من الحديبية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد انزل الله علي
الليلة آية احب الي مما على وجه الارض ثم قرأها النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هنيئا مريئا يا رسول
الله لقد بين لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت عليه ليدخل المؤمنين والمؤمنات
جنات تجري من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
انا فتحنا لك فتحا مبينا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وحده والمعنى انا قضينا وحكمنا لك فتحا
مبينا ظاهرا بغير قتال ولا تعب واختلفوا في هذا الفتح فروي عن قتادة عن انس انه فتح مكة
وقال مجاهد هو فتح خيبر وقيل هو فتح فارس والروم وسائر بلاد الاسلام التي يفتحها الله
تعالى له فان قلت على هذه الاقوال هذه البلاد مكة وغيرها لم تكن قد فتحت بعد فكيف
قال الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا بلفظ الماضي قلت وعد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
بالفتح وجيء به بلفظ الماضي جريا على عادة الله تعالى في اخباره لانها في تحققها وتيقنها
بمنزلة الكائنة الموجودة كانه تعالى قال انا فتحنا لك في حكمنا وتقديرنا وما قدره وحكم
به فهو كائن لا محالة وقال اكثر المفسرين ان المراد بهذا الفتح صلح الحديبية وهو الاصح وهو
رواية عن انس ومعنى الفتح المغلق المستصعب وكان الصلح مع المشركين يوم الحديبية
مستصعبا متعذرا حتى فتحه الله عز وجل ويسره ولقد فتح مكة فتحا ونحن نعد الفتح بيعة
الرضوان يوم الحديبية كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها
ولم نترك فيها قطرة فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فاتاها فجلس على شفيرها ثم دعا باناء من ما
فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبه فيها فتركناها غير بعيد ثم انها اصدرتنا نحن وما شئنا وركابنا
وقال الشعبي في قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا قال فتح الحديبية وغفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر واطعموا نخل خيبر وبلغ الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المؤمنون بظهور
اهل الكتاب على المجوس وقال الزهري لم يكن فتح اعظم من صلح الحديبية وذلك ان المشركين
اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الاسلام في قلوبهم فاسلم في ثلاث سنين خلق كثير
وعز الاسلام واكرم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تأخر قيل اللام في قوله ليغفر لك الله لام كي والمعنى فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجتمع
لك مع المغفرة تمام النعمة بالفتح وقال الحسين بن الفضل هو مردود الى قوله تعالى واستغفر
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وليدخل المؤمنين
والمؤمنات جنات وقال ابن جرير هو راجع الى قوله في سورة النصر واستغفره انه كان توابا
ليغفر لك وقيل ان الفتح لم يجعل سببا للمغفرة ولكن لاجتماع ما قدر له من الامور الاربعة
المذكورة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قال يسرنا
لك الفتح ونصرناك على عدوك وغفرنا لك وهديناك صراطا مستقيما ليجتمع لك عز الدارين

واعراض العاجل والآجل وقيل يجوز ان يكون الفتح سببا للغفران لانه جهاد العدو و
فيه الثواب والمغفرة مع الظفر بالعدو والفوز بالفتح وقيل لما كان هذا الفتح سببا
لدخول مكة والطواف بالبيت كان ذلك سببا للمغفرة ومعنى الآية ليغفر لك الله
جميع ما فرط منك ما تقدم من ذنبك يعني قبل النبوة وما تأخر بعدها وهذا على
قول من يجوز الصغائر على الانبيا وقال عطا الخراساني ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب
ابويك آدم وحوى ببركتك وما تأخر من ذنب امتك بدعائك لهم وقال سفين الثوري
ما تقدم من ذنبك مما كان منك قبل النبوة وما تأخر يعني كل شي لم تعمله ويذكر مثل
هذا على طريق كما تقول اعط من تراه ومن لم تراه واضرب من لقيته ومن لم تلقه فيكون
المعنى ما وقع لك من ذنب ومن لم يقع فهو مغفور لك وقيل المراد منه ما كان سهوا وغفلة
وتاويلا لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له ذنب كذنوب غيره فالمراد بذكرها هنا ما عسى
ان يكون وقع منه من سهو ونحو ذلك لان حسنات الابرار سيئات المقربين فسماه ذنبا فما كان
من هذا القبيل فهو مغفور له فاعلمه الله عز وجل بذلك وانه مغفور له ليتم نعمته عليه
وهو قوله تعالى ويتم نعمته عليك يعني بالنبوة وما اعطاك من الفتح والنصر والتمكين
ويهديك صراطا مستقيما يعني ويهديك الى صراط مستقيم وهو الاسلام وقيل معناه ويهدي
بك الى صراط مستقيم وينصرك الله نصرا عزيزا يعني غالبا ذا عز ومنعة وظهور على الاعدا
وقد ظهر النصر بعد الفتح المبين وحصل الامن بحمد الله تعالى فان قلت وصف الله النصر
بكونه عزيزا والعزيز هو المنصور صاحب النصر فما معناه قلت معناه ذا عزة كقوله عيشة
راضية اي ذات رضى وقيل وصف النصر بما يوصف به المنصور اسنادا مجازا كما يقول
هذا كلام صادق كما يقال لمتكلم صادق وقيل معناه نصرا عزيزا صاحبه فحذف المضاف
ايجازا واختصارا وقيل انما يحتاج الى هذه التقديرات اذا كانت العزة من الغلبة والعزيز
الغالب اما اذا قلنا ان العزيز هو النفيس القليل والعديم النظير فلا يحتاج الى هذه
التقديرات لان النصر الذي هو من الله تعالى عزيز في نفسه لكونه من الله فصح وصفه بكونه
نصرا عزيزا قوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين يعني الطمانينة والوقار
في قلوبهم لئلا تنزعج نفوسهم قال ابن عباس كل سكينة في القرآن طمانينة الا التي في سورة
البقرة وقد تقدم تفسيرها في موضعها كما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا
بين وجه هذا النصر كيف هو وذلك انه تعالى جعل النصر لهم بالطمانينة والثبات في قلوب
المؤمنين ويلزم منه الثبات الا قدام عند اللقا في الحروب وغيرها فكان ذلك من اسباب
النصر الذي وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال الله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
وذلك ان الله تعالى جعل السكينة في قلوب المؤمنين سببا لزيادة الايمان في
قلوبهم وذلك ان كلما ورد عليهم امر ونهي فامنوا به وعملوا بمقتضاه وكان ذلك
زيادة في ايمانهم قال ابن عباس بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله
الا الله فلما آمنوا به وصدقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصوم ثم الجهاد
حتى اكمل دينهم فكلما امروا بشي وصدقوه ازدادوا تصديقا الى تصديقهم وقال الضحاك
يقينا مع يقينهم وقال الكلبي هذا في امر الحديبية حين صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
وقيل لما آمنوا بالاصول وهو التوحيد وتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبر
به عن الله عز وجل وآمنوا بالبعث بعد الموت والجنة والنار وآمنوا بالفروع و
جميع التكاليف البدنية والمالية كان ذلك زيادة في ايمانهم ولله جنود السموات

والأرض

والأرض لما قال الله عز وجل وينصرك الله نصرا عزيزا وكان المؤمنون في قلة من العدد
فكان قائلا قال كيف ينصره فاخبره الله تعالى ان له جنود السموات والارض وهو قادر
على نصر رسوله صلى الله عليه وسلم ببعض جنوده بل هو قادر على ان يهلك عدوه بصيحة ورجفة
وصاعقة ونحو ذلك فلم يفعل بل انزل السكينة في قلوبكم ايها المؤمنون ليكون نصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم واهلاك اعدائه على ايديكم فيكون لكم الثواب ولهم العقاب وفي جنود
السموات والارض وجوه الاول انهم ملائكة السموات والارض والثاني ان جنود السموات الملائكة
وجنود الارض جميع الحيوانات الثالث ان جنود السموات مثل الصاعقة والصيحة
والحجارة وجنود الارض مثل الزلازل والخسف والغرق ونحو ذلك وكان الله عليما يعني بجميع
جنوده الذين في السموات والارض حكيما يعني في تدبيرهم وقيل عليما بما في قلوبكم ايها المؤمنون
حكيما حيث جعل النصر على اعدائكم قوله عز وجل ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري
من تحتها الانهار قوله ليدخل المؤمنين والمؤمنات يستدعي سابقا تقديره هو الذي انزل
السكينة في قلوب المؤمنين ليدخلهم جنات وقيل تقديره ان من علمه وحكمته
ان تسكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم الفتح والنصر ليشكروه على نعمه فيثيبهم
ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيئاتهم فان قلت تكفير
السيئات انما يكون قبل دخول الجنة فكيف ذكره بعد دخولهم الجنة قلت الواو لا تقتضي
الترتيب وقيل ان تكفير السيئات والمغفرة من توابع كون المكلف من اهل الجنة فقدم
الادخال بالذكر بمعنى انه من اهل الجنة وكان ذلك عند الله فوزا عظيما يعني ان ذلك الادخال
والتكفير كان في علم الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
يعني المنافقين والمنافقات من اهل المدينة والمشركين والمشركات من اهل مكة انما قدم
المنافقين على المشركين هنا وفي غيره من المواضع لان المنافقين كانوا اشد على المؤمنين
من الكافرين لان الكافر يمكن ان يحترز منه ويجاهد لانه عدو مبين والمنافق لا يمكن ان
يحترز منه ولا يجاهد فلهذا كان شره اكثر من شر الكافر وكان تقديم المنافق بالذكر
اولى الظانين بالله ظن السوء يعني انهم ظنوا ان الله لا ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
عليهم دائرة السوء يعني عليهم دائرة العذاب والهلاك وغضب الله عليهم زيادة في تعذيبهم
واهلاكهم ولعنهم يعني وابعدهم وطردهم عن رحمته واعد لهم جهنم يعني في الآخرة وساءت
مصيرا يعني ساءت جهنم منقلبا ولله جنود السموات والارض تقدم تفسيره وفائدة
التكرير ولم قدم ذكر جنود السموات هنا بعد تعذيب المنافقين والكافرين فنقول فائدة
التكرار التاكيد وجنود السموات والارض منهم من هو للرحمة ومنهم من هو للعذاب فقدم
ذكر السموات قبل ادخال المؤمنين الجنة ليكون مع المؤمنين جنود الرحمة فيثبتونهم
على الصراط وعند الميزان فاذا دخلوا الجنة افضوا الى جوار الله تعالى ورحمته
والقرب منه فلا حاجة لهم بعد ذلك الى شي واخر ذكر جنود السموات والارض بعد
تعذيب الكافرين والمنافقين ليكون معهم جنود السخط فلا يفارقوهم ابدا فان قلت
قال في الآية الاولى وكان الله عليما حكيما وقال في هذه وكان الله عزيزا حكيما
فما معناه قلت لما كان في جنود السموات والارض من هو للرحمة ومن هو للعذاب
وعلم الله ضعف المؤمنين ناسب ان يكون خاتمة الآية الاولى وكان الله عليما حكيما
ولما بالغ في وصف تعذيب الكافر والمنافق وشدته ناسب ان يكون خاتمة الآية
الثانية وكان الله عزيزا حكيما فهو كقوله اليس الله بعزيز ذي انتقام وقوله [illegible]

اخذ عن مقتدر قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم ذكره في معرض الامتنان عليه حيث شرفه بالرسالة وبعثه الى الكافة
شاهدا على اعمال الامة ومبشرا يعني لمن امن به واطاعه بالثواب ونذيرا لمن خالفه وعصى
امره بالعقاب ثم بين فائدة الارسال فقال تعالى لتؤمنوا بالله ورسوله فالضمير
فيه عائد للناس المرسل اليهم وتعزروه يعني وتقووه وتنصروه والتعزير نصر مع تعظيم وتوقروه
يعني وتعظموه يعني التوقير التعظيم والتبجيل وتسبحوه من التسبيح الذي هو التنزيه
عن جميع النقائص والسبحة وهي الصلاة قال الزمخشري والضمائر لله تعالى والمراد بتعزير
الله تعزير دينه ورسوله ومن فرق الضمائر فقد ابعد وقال غيره الكنايات في قوله
ويعزروه ويوقروه راجعة الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعندها تم الكلام فالوقف
على ويوقروه وقف تام ثم يبتدئ بقوله بكرة واصيلا على ان الكناية في ويسبحوه راجعة
الى الله عز وجل يعني ويصلوا لله ويسبحوه لله بالغداة والعشي قوله عز وجل ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يعني ان الذين يبايعونك يا محمد بالحديبية على ان لا يفروا
انما يبايعون الله لانهم باعوا انفسهم من الله بالجنة واصل البيعة العقد الذي يعقده الانسان
على نفسه من بذل الطاعة والوفاء بالعهد الذي التزمه له والمراد بهذه البيعة بيعة الرضوان
بالحديبية وهي قرية ليست بكبيرة بينها وبين مكة اقل من مرحلة او مرحلتين سميت
ببئر هناك وقد جاء في الحديث ان الحديبية بئر قال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار
بعضها من الحل ويجوز في الحديبية التخفيف والتشديد والتخفيف افصح وعامة المحدثين
يشددونها ق عن يزيد بن عبيد قال قلت لسلمة بن الاكوع على اي شيء بايعتم رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال على الموت م عن معقل بن يسار قال لقد رايتني يوم الشجرة والنبي
صلى الله عليه وسلم يبايع الناس وانا رافع غصن من اغصانها عن راسه ونحن اربعة عشر مائة
قال لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر قال العلماء لا منافاة بين الحديثين
ومعناهما صحيح بايعه جماعة منهم سلمة بن الاكوع على الموت فلا يزالون يقاتلون بين
يديه حتى يقتلوا او ينتصروا وبايعه جماعة منهم معقل بن يسار على ان لا يفروا خ عن ابن
عمر قالوا ان الناس كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية تفرقوا في ظلال الشجر
فاذا الناس محدقون بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال يعني عمر يا عبد الله انظر ما شان الناس
احدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب فوجدهم يبايعون فبايع ثم رجع الى عمر فخرج
فبايع وقوله تعالى يد الله فوق قال ابن عباس يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق ايديهم
وقال السدي كانوا ياخذون بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبايعونه ويد الله فوق
ايديهم كذا نقله البغوي عنه وقال الكلبي نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من
البيعة وقال الامام فخر الدين الرازي يد الله فوق ايديهم يحتمل وجوها وذلك لان اليد
في الموضعين اما ان تكون بمعنى واحد واما ان تكون بمعنيين فان قلنا انها بمعنى واحد
ففيه وجهان احدهما يد الله بمعنى نعمة الله عليهم فوق احسانهم الى الله كما يقال بل الله
يمن عليكم ان هداكم للايمان الثاني يد الله فوق ايديهم اي نصرته اياهم اقوى واعلى من
نصرتهم اياه يقال اليد لفلان اي الغلبة والنصرة والقوة وان قلنا بمعنيين فيقول
اليد في حق الله تعالى بمعنى الحفظ وفي حق المبايعين بمعنى الجارحة فيكون المعنى يد الله
فوق ايديهم بالحفظ وقال الزمخشري لما قال انما يبايعون الله اكده تاكيدا على طريقة التخييل
فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو على يدي المبايعين

هي

هي يد الله والله منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى ان تعزير عقد الميثاق
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع
الرسول فقد اطاع الله هذا مذهب اهل التاويل وكلامهم في هذه الاية ومذهب السلف
السكوت عن التاويل وامرار ايات الله كما جاءت وتفسيرها قراءتها والايمان بها من غير تكييف
ولا تشبيه ولا تعطيل وقوله تعالى فمن نكث فانما ينكث على نفسه يعني نقض العهد الذي
عقده مع النبي صلى الله عليه وسلم ونكث البيعة فانما وبال ذلك وضرره يرجع اليه ولا يضر
الا نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله اي من البيعة فسيؤتيه اجرا عظيما يعني في الاخرة
وهو الجنة قوله تعالى سيقول لك المخلفون من الاعراب قال ابن عباس ومجاهد يعني
اعراب غفار ومزينة وجهينة واشجع والنخع واسلم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين اراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الاعراب واهل البوادي
ليخرجوا معه حذرا من قريش ان يعرضوا له بحرب او يصدوه عن البيت فاحرم بالعمرة وساق
الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا فتثاقل عنه كثير من الاعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل
فانزل الله فيهم سيقول لك يا محمد المخلفون من الاعراب يعني الذين خلفهم الله عن صحبتك
اذا رجعت اليهم من عمرتك هذه وعاتبتهم على التخلف عنك شغلتنا اموالنا واهلونا
يعني النساء والذراري يعني لم يكن لنا من يخلفنا فيهم فلذلك تخلفنا عنك فاستغفر لنا
مع عذرنا معترفون بالاساءة فاستغفر لنا بسبب تخلفنا عنك فاكذبهم الله تعالى فقال
يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم يعني انهم في طلب الاستغفار كاذبون لانهم لا يبالون
استغفر لهم النبي صلى الله عليه وسلم ام لا قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا يعني سوءا
او اراد بكم نفعا وذلك انهم ظنوا ان تخلفهم عن النبي صلى الله عليه وسلم يدفع عنهم الضر او
يعجل لهم النفع بالسلامة لهم في انفسهم واموالهم فاخبرهم الله انه ان اراد شيئا من ذلك
لم يقدر احد على دفعه بل كان الله بما تعملون خبيرا يعني من اظهاركم الاعتذار وطلب الاستغفار
واخفائكم النفاق بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا يعني ظننتم
ان العدو يستاصلهم فلا يرجعون الى اهليهم وزين ذلك في قلوبكم يعني زين الشيطان ذلك
الظن عندكم حتى قطعتم به حتى صار الظن يقينا عندكم وذلك ان الشيطان قد يوسوس في قلب
الانسان الشيء ويزينه حتى يقطع به وظننتم ظن السوء يعني وظننتم ان الله يخلف وعده وذلك
انهم قالوا ان محمدا واصحابه اكلة راس يريدون بذلك قلتهم فلا يرجعون فاين تذهبون
معهم انظروا ما يكون من امرهم وكنتم قوما بورا يعني وصرتم بسبب ذلك الظن الفاسد قوما
بائرين هالكين ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا لما بين الله تعالى
المخلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حال ظنهم الفاسد وان ذلك يفضي بصاحبه
الى الكفر حرضهم على الايمان والتوبة من ذلك الظن الفاسد وان ذلك يفضي بصاحبه الى
الكفر فقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله وان الله يخلف وعده فانه كافر وانا اعتدنا
للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء لما ذكر الله
الله تعالى حال المؤمنين المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحال الظانين ظن السوء
اخبر انه له ملك السموات والارض ومن كان كذلك فهو يغفر لمن يشاء بمشيئته ويعذب من يشاء
ولكن غفرانه ورحمته اعم واشمل واتم واكمل والى الاشارة بقوله وكان الله غفورا
رحيما قوله تعالى سيقول المخلفون يعني الذين تخلفوا عن الحديبية اذا انطلقتم يعني اذا سرتم
وذهبتم ايها المؤمنون الى مغانم لتاخذوها يعني غنائم خيبر وذلك ان المؤمنين لما انصرفوا

من الحديبية على صلح من غير قتال ولم يصيبوا منه شيئا وعدهم الله عز وجل فتح خيبر وجعل
غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضا عن غنائم اهل مكة حيث انصرفوا عنهم ولم يصيبوا منهم
ذرونا نتبعكم يعني الى خيبر لنشهد معكم قتال اهلها وفي هذا بيان كذب المخلفين عن الحديبية
حيث قالوا شغلتنا اموالنا واهلونا اذا لم يكن هناك طمع في غنيمة وهنا قالوا **ذرونا نتبعكم**
حيث قالوا شغلتنا اموالنا كان لهم طمع في الغنيمة **يريدون ان يبدلوا كلام الله** يعني يريدون
ان يغيروا ويبدلوا مواعيد الله لاهل الحديبية حيث وعدهم غنيمة خيبر خاصة وهذا قول جمهور
المفسرين وقال مقاتل يعني امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم حيث امره ان لا يسير معه منهم احد
الى خيبر وقال ابن زيد هو قول الله تعالى فان استأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي ابدا والقول
الاول اصوب **قل** اي قل لهم يا محمد **لن تتبعونا** يعني الى خيبر **كذلكم قال الله من قبل** يعني من قبل مرجعنا
اليكم ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب **فسيقولون بل تحسدوننا** يعني
يمنعكم الحسد ان نصيب معكم من الغنائم شيئا **بل كانوا لا يفقهون الا قليلا** يعني لا يعلمون ولا
يفهمون عن الله ما لهم وما عليهم من الدين الا قليلا منهم وهو من تاب منهم وصدق الله ورسوله
قوله تعالى **قل للمخلفين من الاعراب** لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم قل لن تتبعونا وكان المخلفون
جمعا كثيرا من قبائل متشعبة وكان فيهم من يرجى توبته وخيره بخلاف الذين مردوا على النفاق
واستمروا عليه جعل الله لقبول توبتهم علامة وهي انهم يدعون الى قوم اولي باس شديد فان اطاعوا
كانوا من المؤمنين ويؤتهم الله اجرا حسنا وهو الجنة وان تولوا واعرضوا عما دعوا اليه كانوا
من المنافقين ويعذبهم عذابا اليما واختلفوا في المشار اليهم بقوله **ستدعون الى قوم اولي
باس شديد** قال ابن عباس ومجاهد هم اهل فارس وقال كعب الروم وقال الحسن هم فارس والروم
وقال سعيد بن جبير هوازن وثقيف وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري
وجماعة هم بنو حنيفة اهل اليمامة واصحاب مسيلمة الكذاب قال رافع بن خديج كنا نقرأ
هذه الآية ولا نعلم منهم حتى دعا ابو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابن جريج
دعاهم عمر الى قتال فارس وقال ابو هريرة لم يأت تأويل هذه الآية بعد واقوى هذه
الاقوال قول من قال انهم هوازن وثقيف لان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابعده قول من قال انهم بنو حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب اما الدليل على صحة القول الاول
هو ان العرب كان قد ظهر امرهم في آخر الامر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم الحرب من خالفه
من الكفار وكانت هوازن وثقيف من اشد العرب باسا وكذلك غطفان فاستنفر النبي
صلى الله عليه وسلم العرب لغزوة حنين وبني المصطلق فلم يبق الا مؤمن ظاهر نقي ظاهر
وكافر مجاهد واما المنافقون فكانوا قد علم حالهم لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من
الصلاة عليهم وكان الداعي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حرب من خالفه من الكفار
وكانت هوازن وثقيف من اشد العرب باسا وكذلك غطفان فاستنفر النبي صلى الله عليه وسلم
العرب لغزوة حنين وبني المصطلق فصح بهذا البيان ان الداعي هو النبي صلى الله
عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا فان قيل هذا ممتنع لوجهين احدهما ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لن تتبعونا وقال لن تخرجوا معي ابدا فكيف كانوا يتبعونه مع هذا
النهي الوجه الثاني قوله اولي باس شديد لان الرعب كان قد دخل في قلوب العرب كافة
فنقول الجواب عن الوجه الاول من وجهين احدهما ان يكون قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا
معي ابدا مقيدا بقيد وهو ان يكون تقديره لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم
عليه من النفاق والمخالفة وهذا القيد لا بد منه لان من اسلم وحسن اسلامه وجب عليه

الجهاد

الجهاد ولا يجوز منعه من الخروج الى الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوجه الثاني في الجواب عن الوجه
الاول ان المراد من قوله لن تتبعونا ولن تخرجوا معي ابدا يعني في غزوة خيبر لانها كانت مخصوصة
بمن شهد بيعة الرضوان بالحديبية دون غيرهم ثم نقول ان النبي صلى الله عليه وسلم لو لم يكن
يدعهم الى الجهاد معه او منعهم من الخروج الى الجهاد معه لا يمتنع ابو بكر وعمر من الاذن لهم في الخروج
الى الجهاد معهما كما امتنعا من اخذ الزكاة من ثعلبة لامتناع النبي صلى الله عليه وسلم من اخذها
واما الجواب عن الوجه الثاني وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبق مع قوم اولي باس شديد
غير مسلم لان الحرب كانت باقية مع قريش وغيرهم من العرب وهم اولو باس شديد فثبت بهذا البيان
ان الداعي للمخلفين هو النبي صلى الله عليه وسلم واما قول من قال ان ابا بكر دعاهم الى قتال بني
حنيفة اصحاب مسيلمة الكذاب وان عمر دعاهم الى قتال فارس والروم فظاهر في الدلالة وفيه
دليل على صحة خلافتهما لان الله وعد على طاعتهما الجنة وعلى مخالفتهما النار وقوله تعالى
تقاتلونهم او يسلمون فيه اشارة الى وقوع احد الامرين اما الاسلام او القتل **فان تطيعوا يؤتكم
الله اجرا حسنا** يعني الجنة **وان تتولوا** يعني تعرضوا عن الجهاد **كما توليتم من قبل** يعني عام الحديبية **يعذبكم
عذابا اليما** يعني النار لما نزلت هذه الآية قال اصحاب الزمانة والاعذار كيف حالنا يا رسول الله
فانزل الله عز وجل **ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج** يعني في التخلف
عن الجهاد وهذه اعذار ظاهرة في جواز ترك الجهاد لان اصحابها لا يقدرون على الكر والفر لان
الاعمى لا يمكنه الاقدام على العدو والطلب ولا يمكنه الهرب وكذلك الاعرج والمريض
وفي معنى الاعرج الزمن المقعد والاقطع وفي معنى المريض صاحب السعال الشديد والطحال
الكبير والذين لا يقدرون على الكر والفر فهذه اعذار اخر دون ما ذكر ومنها الفقر الذي لا
يمكن صاحبه ان يستصحب معه ما يحتاج اليه في مصالح الجهاد والاشغال التي تعوق
عن الجهاد وكتمريض المريض الذي ليس له من يقوم مقامه عليه ونحو ذلك وانما قدم الاعمى على
الاعرج لان عذر الاعمى مستمر لا يمكن الانتفاع به في حراسة ولا غيرها بخلاف الاعرج لانه يمكن الانتفاع به
في الحراسة ونحوها وقدم الاعرج على المريض لان عذره اشد من عذر المريض لامكان زوال المرض عن قريب
ومن يطع الله ورسوله يعني في امر الجهاد وغيره **يدخله جنات تجري من تحتها الانهار ومن يتول**
يعني يعرض عن الطاعة ويستمر على الكفر والنفاق **يعذبه عذابا اليما** يعني في الآخرة قوله عز وجل
لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك يعني بالحديبية على ان يناجزوا قريشا ولا يفروا **تحت الشجرة**
وكانت هذه الشجرة سمرة (ق) عن طارق بن عبد الرحمن قال انطلقت حاجا فمررت بقوم يصلون
فقلت ما هذا المسجد قالوا هذه الشجرة حيث بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان
فاتيت ابن المسيب فاخبرته فقال سعيد كان ابي ممن بايع تحت الشجرة فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها
فعميت علينا فلم نقدر عليها قال سعيد فاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعلموها وعلمتموها
فانتم اعلم فضحك وفي رواية عن سعيد بن المسيب قال رأيت الشجرة ثم اتيتها بعد عام فلم اعرفها وروي
ان عمر مر بذلك المكان بعد ان ذهبت الشجرة فقال اين كانت فجعل بعضهم يقول هاهنا وبعضهم
يقول هاهنا فلما كثر اختلافهم قال سيروا ذهبت الشجرة (خ) عن ابن عمر قال رجعنا في العام المقبل
فما اجتمع منا اثنان على الشجرة التي بايعنا تحتها وكانت رحمة من الله تعالى (م) عن ابي الزبير انه سمع
جابرا يسأل كم كانوا يوم الحديبية قال كنا اربع عشرة مائة فبايعناه وعمر آخذ بيده تحت الشجرة
وهي سمرة فبايعناه غير جد بن قيس الانصاري اختفى تحت بطن بعيره زاد في رواية
وقال بايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت واخرجه الترمذي عن جابر في قوله تعالى لقد
رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت ق عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله
يقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية انتم اليوم خير اهل الارض وكنا
الفا واربعمائة ولو كنت ابصر اليوم لاريتكم مكان الشجرة وروى سالم عن جابر قال
كنا خمس عشرة مائة ق عن عبد الله بن ابي اوفى قال كان اصحاب الشجرة الفا وثلثمائة وكانت
اسلم ثمن المهاجرين وهذه البيعة تسمى بيعة الرضوان لهذه الآية وكان سبب هذه البيعة
على ما ذكره محمد بن اسحاق عن بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن
امية الخزاعي حين نزل الحديبية فبعثه الى قريش بمكة وحمله على جمل له يقال له الثعلب ليبلغ
اشرافهم عنه ما جاء له فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وارادوا قتله فمنعتهم الاحابيش
فخلوا سبيله حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عمر بن الخطاب ليبعثه الى مكة فقال يا رسول الله اني اخاف على نفسي قريشا وليس بمكة من
بني عدي بن كعب احد وقد عرفت قريش عداوتي اياها وغلظتي عليها ولكن ادلك على رجل هو
اعز بها مني عثمان بن عفان فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان فبعثه الى ابي سفيان
واشراف قريش يخبرهم انه لم يات لحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فخرج عثمان الى
مكة فلقيه ابان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة او قبل ان يدخلها فنزل عن دابته
وحمله بين يديه ثم اردفه واجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عظماء
قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت ان تطوف بالبيت
فطف به فقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله فاحتبسته قريش عندها فبلغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فكانت بيعة الرضوان
تحت الشجرة وكان الناس يقولون بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت قال بكير
ابن الاشج بايعوه على الموت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل على ما استطعتم وقد تقدم
عن جابر ومعقل بن يسار انهما قالا لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على ان لا نفر وقد
تقدم ايضا الجمع بين هذا وبين قول سلمة بن الاكوع بايعناه على الموت وكان اول من بايع
بيعة الرضوان رجل من بني اسد يقال له ابو سنان بن وهب ولم يتخلف عن بيعة الرضوان
احد من المسلمين حضرها الا الجد بن قيس اخو بني سلمة قال جابر لكاني انظر اليه لاصقا بابط ناقته
يستتر بها من الناس ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي من امر عثمان باطل م عن جابر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار احد ممن بايع تحت الشجرة عن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدخلن الجنة من بايع تحت الشجرة الا صاحب الجمل الاحمر اخرجه
الترمذي وقال حديث غريب وقوله تعالى فعلم ما في قلوبهم يعني من الصدق والوفاء والاخلاص
كما علم ما في قلوب المنافقين من المرض والنفاق فانزل السكينة يعني الطمأنينة عليهم يعني
على المؤمنين المخلصين حتى ثبتوا وبايعوك على الموت وعلى ان لا يفروا وفي هذه الآية لطيفة
وهي ان هذه البيعة كانت فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وكذلك يوجب
لرضوان الله عز وجل وهو موجب لدخول الجنة ويدل عليه قوله تعالى في الآية المتقدمة
ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فثبت بهذا البيان ان اهل
بيعة الرضوان من اهل الجنة ويشهد لصحة ما قلناه الحديث المتقدم فان قلت الفاء في
فعلم للتعقيب وعلم الله قبل الرضى لانه تعالى لما علم ما في قلوبهم من الصدق والايمان رضي
عنهم فكيف يفهم التعقيب وفي قوله فعلم ما في قلوبهم متعلق بقوله اذ يبايعونك فيكون
تقديره لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك فعلم ما في قلوبهم من الصدق فاشارة

نسخه
بجيب بكل عند المتابعة

الى ان الرضى لم يكن عند المبايعة التي عندها علم الله بصدقهم والفاء في قوله فانزل السكينة
للتعقيب لانه تعالى لما علم ما في قلوبهم رضي عنهم فانزل الله السكينة عليهم وقوله تعالى واثابهم
فتحا قريبا يعني خيبر ومغانم كثيرة ياخذونها يعني من اموال اهل خيبر وكانت خيبر ذات
نخل وعقار واموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم وكان الله عزيزا يعني منيعا كامل
العزة غنيا عن اعانتكم حكيما حيث حكم لكم بالغنائم ولاعدائكم بالهلاك على ايديكم قوله تعالى
وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها يعني الغنائم التي تغنمونها من الفتوحات التي تفتح لكم
الى يوم القيامة فعجل لكم هذه يعني مغانم خيبر وفيه اشارة الى كثرة الفتوحات والغنائم
التي يعطيهم الله عز وجل في المستقبل وانما عجل لهم هذه كعجالة الراكب عجلها الله لكم وهي في جنب
ما وعد الله به من الغنائم كالقليل من الكثير وكف ايدي الناس عنكم وذلك ان النبي صلى
الله عليه وسلم لما قصد خيبر وحاصر اهلها همت قبائل من بني اسد وغطفان ان يغيروا على النبي
صلى الله عليه وسلم وعلى عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة فكف الله عز وجل ايديهم بالقاء الرعب
في قلوبهم وقيل ان الله كف ايدي اهل مكة بالصلح عنكم لتتم المنة عليكم ولتكون آية للمؤمنين
هو عطف على ما تقدم تقديره فعجل لكم الغنائم لتنتفعوا بها ولتكون آية للمؤمنين يعني لتجعل
لمن بعدكم آية تدلهم على ان ما وعدكم الله يحصل مثله لهم او ولتكون آية للمؤمنين دالة على
صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في اخباره عن الغيوب فيزدادوا يقينا الى يقينهم ويعلموا ان الله
هو المتولي حياطتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم ويهديكم صراطا مستقيما يعني يثبتكم على دين
الاسلام ويثبتكم عليه ويزيدكم بصيرة ويقينا بصلح الحديبية وفتح خيبر ذكر غزوة خيبر
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية اقام بالمدينة بقية ذي الحجة
وبعض المحرم ثم خرج الى خيبر في بقية المحرم سنة سبع ق عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
غزا قوما لم يغز بنا حتى يصبح وينظر فان سمع اذانا كف عنهم وان لم يسمع اذانا اغار عليهم قال فخرجنا
الى خيبر فلما انتهينا اليهم ليلا فلما اصبح ولم يسمع اذانا ركب وركبت خلف ابي طلحة وان قدمي
لتمس قدم النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجوا الينا بمكاتلهم ومساحيهم فلما راوا النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا محمد والخميس فلما راهم النبي صلى الله عليه وسلم قال الله اكبر قال خرجنا الى خيبر انا اذا نزلنا
بساحة قوم فساء صباح المنذرين م عن سلمة بن الاكوع قال خرجنا الى خيبر مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم تالله لولا الله ما اهتدينا ۞ ولا تصدقنا ولا صلينا ۞
ونحن عن فضلك ما استغنينا ۞ فثبت الاقدام ان لاقينا ۞ وانزلن سكينة علينا ۞ فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال انا عامر قال غفر لك ربك قال وما استغفر رسول الله صلى الله عليه وسلم
لانسان يخصه الا استشهد قال فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له يا نبي الله لولا متعتنا بعامر
قال فلما قدمنا خيبر خرج ملكهم مرحب يخطر بسيفه ۞

۞ قد علمت خيبر اني مرحب ۞ شاكي السلاح بطل مجرب ۞

۞ اذا الحروب اقبلت تلهب ۞ قال وبرز له عمي عامر فقال ۞

۞ قد علمت خيبر اني عامر ۞ شاكي السلاح بطل مغامر ۞

قال فاختلفا ضربتين فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له فرجع سيفه
على نفسه فقطع اكحله فكانت فيها نفسه قال سلمة فخرجت فاذا نفر من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقولون بطل عمل عامر قتل نفسه قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وانا ابكي فقلت يا رسول الله بطل عمل عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قال ذلك قلت ناس من اصحابك قال كذب من قال ذلك بل له اجره مرتين ثم ارسلني الى علي

قال

وهو ارمد فقال لاعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فاتيت عليا
فجئت به اقوده وهو ارمد حتى اتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق في عينيه فبرأ
واعطاه الراية فخرج مرحب فقال قد علمت خيبر اني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب
اذا الحروب اقبلت تلهب * فقال علي رضي الله عنه * انا الذي سمتني امي حيدره * كليث غابات
كريه المنظره * اوفيهم بالصاع كيل السندره * قال فضرب مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه
اخرجه الترمذي مسلم بهذا اللفظ وقد اخرج البخاري طرفا منه قال البغوي وقد روى حديث
فتح خيبر جماعة منهم سهل بن سعد وانس وابي هريرة يزيدون وينقصون وفيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان قد اخذته الشقيقة فلم يخرج الى الناس فاخذ ابو بكر راية رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم نهض فقاتل قتالا شديدا ثم رجع فاخذها عمر فقاتل قتالا شديدا هو اشد
من القتال الاول ثم رجع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لاعطين الراية رجلا
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ويفتح الله على يديه فدعا عليا فاعطاه الراية وقال
له امش ولا تلتفت حتى يفتح الله على يديك فاتى مدينة خيبر فخرج صاحب الحصن وعلى راسه
مغفر من حجر قد نقبه مثل البيضة وهو يرتجز فخرج له علي بن ابي طالب فضربه فقد الحجر والمغفر
وفلق راسه حتى اخذ السيف في الاضراس ثم خرج بعد مرحب اخوه ياسر وهو يرتجز فخرج اليه
الزبير بن العوام فقالت صفية بنت عبد المطلب ايقتل ابني يا رسول الله قال ابنك يقتله ان شاء
الله ثم التقيا فقتله الزبير ثم كان الفتح ثم لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يفتح الحصون
ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية ويحوز الاموال قال محمد بن اسحاق فكان اول حصونهم افتتح حصن
ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة القت عليه اليهود حجرا فقتلته ثم فتح القموص حصن ابن
ابي الحقيق فاصاب منه سبايا منهم صفية بنت حيي بن اخطب جاء بها بلال وباخرى معها فمر بهما
على قتلى من قتلى يهود فلما راتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على
وجهها وراسها فلما راها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعزبوا عني هذه الشيطانة
وامر بصفية فحيزت خلفه والقى عليها رداءه فعرف المسلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصطفاها لنفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال لما راى من تلك اليهودية ما راى
انزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمر بامراتين على قتلى رجالهما وكانت صفية قد رات وهي
عروس بكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق ان قمرا وقع في حجرها فعرضت رؤياها على زوجها فقال
ما هذا الا انك تمنين ملك الحجاز محمدا ثم لطم وجهها لطمة اخضرت منها عينها فاتي بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها اثر منها فسالها عن ذلك ما هو فاخبرته الخبر واتي رسول
الله صلى الله عليه وسلم بزوجها كنانة بن الربيع وكان عنده كنز بني النضير فسأله فجحد ان يكون يعلم
مكانه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل من اليهود فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني رايت
كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة ارايت ان وجدناه
عندك اقتلك قال نعم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت فاخرج منها بعض
كنزهم ثم ساله ما بقي فابى ان يؤديه اليه فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الزبير
ابن العوام ان يعذبه حتى يستاصل ما عنده فكان الزبير يقدح بزند على صدره حتى اشرف
على نفسه ثم دفعه الى محمد بن مسلمة فضرب عنقه باخيه محمود بن مسلمة * وعن انس بن مالك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا خيبر فصلينا عندها صلاة الغداة بغلس فركب
نبي الله صلى الله عليه وسلم في زقاق خيبر وان ركبتي لتمس فخذ رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلما دخل القرية قال الله اكبر خربت خيبر ثم حسر الازار على فخذه حتى اني

انظر

اني انظر الى بياض فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل القرية قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا
نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين قالها ثلاثا قال وخرج القوم الى اعمالهم فقالوا محمد والخميس
يعني الجيش قال فاصبناها عنوة فجمع السبي فجاء دحية فقال يا رسول الله اعطني جارية من السبي
قال اذهب فخذ جارية فاخذ صفية بنت حيي بن اخطب فجاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا
رسول الله اعطيت دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير لا تصلح الا لك قال ادعوه
بها فلما نظر اليها النبي صلى الله عليه وسلم قال خذ جارية من السبي غيرها فاعتقها النبي صلى الله
عليه وسلم وتزوجها فقال له ثابت يا ابا حمزة ما اصدقها قال نفسها اعتقها وتزوجها حتى اذا كان
بالطريق جهزتها له ام سليم فاهدتها له من الليل واصبح النبي صلى الله عليه وسلم عروسا فقال
من كان عنده شيء فليجئ به وبسط نطعا فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الاخر يجيء بالسمن قال واحسبه
ذكر السويق قال فحاسوا حيسا فكانت وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ق عن عن عبد
الله بن ابي اوفى قال اصابتنا مجاعة ليالي خيبر فلما كان يوم خيبر وقعنا في الحمر الاهلية
فانتحرناها فلما غلت بها القدور نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكفئوا القدور
ولا تاكلوا من لحوم الحمر شيئا فقال اناس انما نهى عنها لانها لم تخمس وقال اخرون انما نهى عنها
البتة ق عن انس ان امراة يهودية اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فجيء بها الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالها عن ذلك فقالت اردت لاقتلك فقال ما كان الله
ليسلطك على ذلك او قال علي قالوا الا نقتلها قال لا فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال محمد بن اسماعيل قال يونس عن الزهري قال عروة قالت عائشة كان النبي
صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما ازال اجد الم الطعام الذي اكلت
بخيبر فهذا اوان وجدت انقطاع ابهري من ذلك السم خ عن عائشة قالت لما فتحت خيبر قلنا
الان نشبع من التمر ق عن ابن عمر ان عمر اجلى اليهود والنصارى من ارض الحجاز وان رسول الله صلى
الله عليه وسلم لما ظهر على خيبر اراد اخراج اليهود منها وكانت الارض لما ظهر عليها لله ولرسوله
صلى الله عليه وسلم وللمسلمين فاراد اخراج اليهود منها فسالت اليهود رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يقرهم بها على ان يكفوا العمل ولهم نصف الثمر فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
نقركم بها على ذلك ما شئنا فقروا بها حتى اجلاهم عمر في امارته الى تيماء واريحا قال محمد بن اسحاق
لما سمع اهل فدك بما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر بعثوا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسالونه ان يحقن دماءهم ويسيرهم ويخلوا له الاموال ثم ان اهل خيبر سالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يعاملهم على النصف فعل على انا اذا شئنا اخرجناكم فصالحه اهل
فدك على مثل ذلك فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم لانهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم اهدت
له زينب بنت الحارث امراة سلام بن مشكم اليهودية شاة مصلية يعني مشوية وسالت
اي عضو الشاة احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها الذراع فاكثرت فيه السم
فيه السم وسمت سائر الشاة ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله صلى الله عليه
وسلم تناول الذراع فاخذها فلاك منها مضغة ولم يسغها ومعه بشر بن البراء بن
معرور فاخذ منها كما اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاما بشر فاساغها يعني بلعها
واما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها وقال ان هذا العظم ليخبرني انه مسموم ثم
دعا بها فاعترفت فقال ما حملك على ذلك فقالت بلغت من قومي ما لم يخف عليك فقلت ان

كان ملكا فاستخرجنا منه وان كان نبيا فسيخبره فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات
بشر على مرضه الذي توفي فيه فقال يا ام بشر ما زالت اكلة خيبر التي اكلت مع ابنك تعاودني
فهذا اوان انقطاع ابهري فكان المسلمون يرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا
مع ما اكرمه الله به من النبوة عن عبيد الله بن سلمان ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال
لما فتحنا خيبر اخرجوا غنائمهم من المتاع والسبي فجعل الناس يتبايعون غنائمهم فجاء رجل فقال يا
رسول الله لقد ربحت اليوم ربحا ما ربحه احد من اهل هذا الوادي قال ويحك وما ربحت
قال ما زلت ابيع وابتاع حتى ربحت ثلثمائة اوقية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
انبئك بخير ربح قال وما هو يا رسول الله قال ركعتين بعد الصلاة اخرجه ابو داود وقوله
تعالى واخرى لم تقدروا عليها يعني وعدكم الله فتح بلدة اخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله
بها يعني يحفظها لكم حتى تفتحوها ومنعها من غيركم حتى تاخذوها قال ابن عباس علم الله انه يفتحها
لكم واختلفوا فيها فقال ابن عباس هي فارس والروم وما كانت العرب تقدر على قتال فارس
والروم بل كانوا خولا لهم حتى اقدرهم الله عليها بشرف الاسلام وعزه وقيل هي خيبر وعدها
الله نبيه صلى الله عليه وسلم قبل ان يصيبها ولم يكونوا يرجونها ففتحها الله لهم وقيل هي مكة وقيل
هو كل فتح فتحه المسلمون او يفتحونه الى اخر الزمان وكان الله على كل شيء قديرا اي من فتح
القرى والبلدان لكم وغير ذلك ولو قاتلكم الذين كفروا يعني اسد وغطفان واهل خيبر لولوا
الادبار اي لانهزموا عنكم ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا يعني من تولى الله خذلانه فلا ناصر
له ولا مساعد سنة الله التي قد خلت من قبل يعني هي سنة الله في نصر اوليائه وقهر اعدائه
ولن تجد لسنة الله تبديلا قوله عز وجل وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم سبب
نزول هذه الاية ما روي عن انس بن مالك ان ثمانين رجلا من اهل مكة هبطوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذهم
سلما فاستحياهم فانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان
اظفركم عليهم انفرد باخراجه مسلم وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه
وسلم بالحديبية في اصل الشجرة التي قال الله في القران وعلى ظهره غصن من اغصان تلك
فرفعته عن ظهره وعلي بن ابي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح فخرج علينا ثلاثون
شابا عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم نبي الله صلى الله عليه وسلم فاخذ الله
بابصارهم فقمنا اليهم فاخذناهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتم في عهد او هل
جعل لكم احد امانا قالوا اللهم لا فخلى سبيلهم ومعنى الاية ان الله تعالى ذكر منته بحجز
بين الفريقين حتى لم يقتتلوا وحتى اتفق بينهم الصلح الذي كان اعظم من الفتح وهو قوله
تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم يعني اهل مكة وايديكم عنهم اي قضى بينهم وبينكم بالمكافة
والمحاجزة ببطن مكة قيل اراد به الحديبية وقيل التنعيم وقيل وادي مكة من بعد
ان اظفركم عليهم اي امكنكم منهم حتى ظفرتم بهم وكان الله بما تعملون بصيرا قوله عز وجل
هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام **ذكر صلح الحديبية** روى الزهري عن
عروة بن الزبير وروى الزهري عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدق كل منهما
حديث صاحبه قالا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة عام الحديبية في
بضع عشرة مائة من اصحابه يريد زيارة البيت لا يريد قتالا وساق معه سبعين
بدنة والناس سبعمائة رجل وكانت كل بدنة عن عشرة نفر فلما اتى ذا الحليفة قلد

الهدي واشعره واحرم بعمرة وبعث عينا له من خزاعة يخبره عن قريش وسار النبي صلى الله عليه
وسلم حتى اذا كان بغدير الاشطاط قريبا من عسفان اتاه عينه الخزاعي وقال ان قريشا قد جمعوا لك جموعا وجمعوا
لك الاحابيش وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشيروا علي
ايها الناس اترون ان اميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم فان قعدوا قعدوا
موتورين وان نجوا يكونوا عنقا قطعها الله او ترون ان نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه
فقال ابو بكر يا رسول الله انما جئت عامدا لهذا البيت لا تريد قتال احد ولا حربا فتوجه
له فمن صدنا عنه قاتلناه قال امضوا على اسم الله فنفروا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان
خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم حتى اذا هم
بقترة الجيش فانطلق يركض نذيرا لقريش وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان بالثنية
التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس حل حل فالحت فقالوا خلأت
القصواء فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي
نفسي بيده لا يدعوني قريش اليوم الى خطة يعظمون فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم
الا اعطيتهم اياها ثم زجرها فوثبت قال فعدل عنهم حتى نزل باقصى الحديبية على ثمد
قليل الماء يتبرضه الناس تبرضا فلم يلبث الناس ان نزحوه وشكي الناس الى النبي صلى الله
عليه وسلم العطش فنزع سهما من كنانته واعطاه رجلا من اصحابه يقال له ناجية بن عمير
وهو سائق بدن النبي صلى الله عليه وسلم فنزل في البئر فغرزه في جوفه فوالله ما زال
يجيش لهم بالري حتى صدروا عنه فبينما هم كذلك اذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر
من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل تهامة فقال
اني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي نزلوا اعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل
وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا لم نجئ لقتال احد
ولكنا جئنا معتمرين وان قريشا قد نهكتهم الحرب واضرت بهم فان شاؤوا ماددتهم
مدة ويخلوا بيني وبين الناس فان اظهر فان شاؤوا ان يدخلوا فيما دخل فيه الناس
فعلوا والا فقد جموا وان هم ابوا فوالذي نفسي بيده لاقاتلنهم على امري هذا
حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله امره فقال بديل سابلغهم ما تقول فانطلق حتى
اتى قريشا فقال انا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولا فان شئتم ان
نعرضه عليكم فعلنا فقال سفهاؤهم لا حاجة لنا ان تخبرنا عنه بشيء وقال ذو الراي
منهم هات ما سمعته قال سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي صلى الله عليه وسلم
فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال اي قوم الستم بالوالد قالوا بلى قال اولست
بالولد قالوا بلى قال فهل تتهموني قالوا لا قال الستم تعلمون اني استنفرت اهل عكاظ
فلما بلحوا علي جئتكم باهلي وولدي ومن اطاعني قالوا بلى قال فان هذا الرجل قد
عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني اتيه قالوا ائته فاتاه فجعل
يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من قوله لبديل فقال عروة
عند ذلك يا محمد ارايت ان استاصلت قومك فهل سمعت باحد من العرب اجتاح اهله
قبلك وان تكن الاخرى فاني والله لا ارى وجوها واني لارى اشوابا من الناس خليقا
ان يفروا ويدعوك فقال له ابو بكر الصديق امصص بظر اللات انحن نفر عنه وندعه
فقال من ذا قالوا ابو بكر فقال والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم اجزك بها لاجبتك
قال وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكلما كلمه اخذ بلحيته والمغيرة بن شعبة قائم

على رأس النبي صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بالسيف وقال أخر يدك عن لحية رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرفع عروة رأسه فقال من هذا قالوا المغيرة بن شعبة فقال أي غدر ألست
أسعى في غدرتك وكان المغيرة قد صحب قوما في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء
فأسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم أما الإسلام فأقبل وأما المال فلست منه في شيء ثم
إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعينيه قال فوالله ما تنخم رسول
الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده وإذا
أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده
وما يحدون النظر إليه تعظيما له فرجع عروة إلى أصحابه وقال أي قوم والله لقد وفدت
على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ما رأيت ملكا يعظمه أصحابه
ما يعظم أصحاب محمد محمدا والله ما تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك
بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه
وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيما له وقد عرض عليكم خطة
رشد فاقبلوها فقال رجل من كنانة دعوني آتيه فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها
له فبعثت له واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن
يصدوا عن البيت فلما رجع إلى أصحابه قال رأيت البدن قد قلدت وأشعرت فما أرى أن
يصدوا عن البيت ثم بعثوا إلى الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الأحابيش فلما رآه النبي
صلى الله عليه وسلم قال إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدي في وجهه حتى يراه فلما
رأى الهدي يسيل إليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قالوا
له اجلس فإنما أنت رجل أعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يا معشر قريش والله
ورجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى فقال يا معشر قريش
إني قد رأيت ما لا يحل صد الهدي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس عن محله قالوا اجلس
فإنما أنت رجل أعرابي لا علم لك فغضب الحليس عند ذلك وقال يا معشر قريش والله ما على هذا
حالفناكم ولا على هذا عاقدناكم أيصد عن بيت الله من جاءه معظما له والذي نفس الحليس بيده
لتخلن بين محمد وبين ما جاء له أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد قالوا مه كف عنا يا حليس
حتى نأخذ لأنفسنا بما نرضى به فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص فقال دعوني آتيه
فقالوا ائته فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم هذا مكرز وهو رجل فاجر فجعل
يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هو يكلم النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاء سهيل بن عمرو وقال معمر فأخبرني
أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم قد سهل لكم من أمركم قال معمر قال
الزهري في حديثه فجاء سهيل بن عمرو فقال هات اكتب بيننا وبينكم كتابا فدعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال
سهيل أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو ولكن اكتب باسمك اللهم كما كنت تكتب فقال
والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اكتب باسمك اللهم
ثم قال اكتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سهيل لو كنا نعلم أنك
رسول الله ما صددناك عن هذا البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والله إني لرسول الله وإن كذبتموني اكتب محمد بن عبد الله قال الزهري وذلك

قوله والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها فكتب هذا ما قاضى
عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيه
الناس ويكف بعضهم عن بعض فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وعلى أن تخلوا بيننا وبين البيت
فنطوف به فقال سهيل والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام
المقبل فكتب فقال سهيل وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا فقال
المسلمون سبحان الله كيف يرد إلى المشركين من جاء مسلما وروي عن البراء قصة الصلح وفيه قالوا
لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئا ولكن أنت محمد بن عبد الله قال أنا رسول الله
وأنا محمد بن عبد الله ثم قال لعلي امح رسول الله قال والله لا أمحوك أبدا قال فأرنيه
فأراه إياه فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده وفي رواية فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكتاب وليس يحسن يكتب فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله قال البراء على ثلاثة
أشياء على أن من أتاه من المشركين رده إليهم ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وعلى أن يدخلها
من قابل ويقيم ثلاثة أيام ولا يدخلها إلا بجلبان السلاح السيف والقوس ونحوه وروى
ثابت عن أنس أن قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم فاشترطوا أن من جاء منكم لم نرده عليكم
ومن جاءكم منا رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله أنكتب هذا قال نعم إنه من ذهب منا إليهم
فأبعده الله ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا رجعنا إلى حديث الزهري قال فبينما هم
كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة حتى
رمى بنفسه بين أظهر المسلمين فقال سهيل هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي فقال
النبي صلى الله عليه وسلم إنا لم نقض الكتاب بعد قال فوالله إذا لا أصالحك على شيء
أبدا قال النبي صلى الله عليه وسلم فأجزه لي قال ما أنا بمجيزه لك قال بلى فافعل قال ما أنا بفاعل
ثم جعل سهيل يجره ليرده إلى قريش فقال أبو جندل أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت
مسلما ألا ترون ما لقيت وقد كان عذب في الله عذابا شديدا وفي الحديث أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال يا أبا جندل احتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا
إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقدا وصلحا وإنا لا نغدر فوثب عمر إلى جنب أبي جندل ويقول
اصبر يا أبا جندل فإنما هم المشركون ودم أحدهم كدم كلب ويدني قائم السيف منه قال عمر رجوت
أن يأخذ السيف فيضرب به فضن الرجل بأبيه وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ذلك دخل
الناس أمر عظيم حتى كادوا يهلكوا وزادهم أمر أبي جندل شرا إلى ما بهم قال عمر والله ما شككت
منذ أسلمت إلا يومئذ قال الزهري في حديثه عن مروان والمسور رواه أبو وائل عن سهل
ابن حنيف قال عمر بن الخطاب فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ألست نبي الله حقا قال بلى
قلت أليس قتلانا ألسنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم
في النار قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا قال إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري
قلت أوليس كنت تحدثنا أنا نأتي البيت فنطوف به قال بلى فأخبرتك أنا نأتيه العام قلت
لا قال فإنك آتيه ومطوف به قال فأتيت أبا بكر فقلت يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقا قال
بلى قال فلم نعطي الدنية في ديننا قال أيها الرجل إنه رسول الله وليس يعصي ربه وهو ناصره
فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق قلت أليس كان يحدثنا أنه سيأتي البيت ويطوف به قال
بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام قلت لا قال فإنك آتيه ومطوف به قال الزهري قال عمر فعملت
لذلك أعمالا قال فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه قوموا فانحروا

او نقل او غيره ليعلم بذلك انه هدى والاشعار ان يشق جانب السنام فيسيل دمه عليه وقوله
لما راى الهدى يسيل عليه اى يقبل كالسيل من عرض الوادى اى جانبه وقوله هذا مكرز
وهو رجل فاجر الفجور الميل عن الحق وكل انبعاث في شر فهو فجور قوله هذا ما قاضى عليه
اى فاعل من القضاء وهو احكام الامر وامضاؤه وهو في اللغة على وجوه مرجعها الى انقطاع الشى
وتمامه قوله ضغطة هو كناية عن القهر والضيق قوله بجلبان السلاح بضم الجيم وسكون اللام
مع تخفيف الباء ويروى بضم اللام ايضا مع التشديد وهو وعاء من ادم شبه الجراب يوضع فيه السيف
مغمودا او يعلق في اخرة الرحل قوله يرسف بضم السين وكسرها لغتان وهو مشى المقيد قوله فاجزه
لى قال ابن الاثير يجوز ان يكون بالزاى المعجمة فهو من الاجازة والحماية بالراء يعنى الاجارة اى
اجعله جائزا غير ممنوع ولا محرم او اطلقه لى وان كان بالراء المهملة فهو من الاجارة والحماية
والحفظ وكلاهما صالح في هذا الموضع قوله فلم نعط الدنية اى القضية التى لا نرضى بها
ولا برادا اى لم نعرض بالادون والاقل في ديننا قوله فاستمسك بغرزه الغرز للكور الناقة
كالركاب لسرج الفرس والمعنى فاستمسك به لا تفارقه ساعة كما لا تفارق رجل الراكب قوله
غرز رجله فانه على الحق الذى لا يجوز لاحد تركه قوله ويل امه هذه كلمة تقال للواقع فيما
يكره ويتعجب بها ايضا ومسعر حرب اى موقدها يقال اسعرت النار واسعرتها اذا
اوقدتها والمسعر الخشب الذى توقد بها النار وسيف البحر بكسر السين جانبه وساحله والله
اعلم واما تفسير الاية فقوله عز وجل هم الذين كفروا يعنى كفار مكة وصدوكم اى منعوكم عن المسجد
الحرام اى ان تطوفوا به والهدى اى وصدوا الهدى وهى البدن التى ساقها رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكانت سبعين بدنة معكوفا اى محبوسا ان يبلغ محله اى منحره وحيث يحل نحره
وهو الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يعنى المستضعفين بمكة لم تعلموهم اى لم تعرفوهم
ان تطؤوهم اى بالقتل وتوقعوا بهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم اى اثم وقيل غرم الدية
وقيل كفارة الخطا لان الله اوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب اذا لم يعلم ايمانه الكفارة
دون الدية وقيل هو ان المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا اهل دينهم والمعرة المشقة
يقول لولا ان تطؤوا رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لا تعلموهم فيلزمكم به كفارة او سبة وجواب
لولا محذوف تقديره لاذن لكم في دخول مكة ولكنه حال بينكم وبين ذلك لهذا السبب
ليدخل الله في رحمته من يشاء اى في دين الاسلام من يشاء من اهل مكة بعد الصلح وقبل
الدخول لو تزيلوا اى تميزوا اى المؤمنين من الكفار لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما
اى بالسبى والقتل بايديكم وقيل لعذبنا جواب لكلامين احدهما لولا رجال والثانى لو
تزيلوا ثم قال ليدخل الله في رحمته من يشاء يعنى المؤمنين والمؤمنات في رحمته قال قتادة في الاية
ان الله يدفع بالمؤمنين عن مشركى مكة قوله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية
اى الانفة والغضب وذلك حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عن البيت
ومنعوا الهدى محله ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم وانكروا ان يكون محمد رسول الله وقيل
قال اهل مكة قد قتلوا ابناءنا واخواننا ثم يدخلونها علينا فكانت هذه حمية الجاهلية
التى دخلت قلوبهم فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين اى حتى لا يدخلهم
ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم والزمهم كلمة التقوى قال ابن عباس كلمة التقوى
لا اله الا الله اخرجه الترمذى وقال حديث غريب وقال على وابن عمر كلمة التقوى لا اله الا
الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شى قدير وقال عطاء الخراسانى
هى لا اله الا الله محمد رسول الله وقال الزهرى هى بسم الله الرحمن الرحيم وكانوا احق
بها

بها اى من كفار مكة واهلها اى كانوا اهلها في علم الله لان الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم اهل الخير والصلاح وكان الله بكل شى عليما يعنى من اهل امر الكفار وما كانوا
يستحقونه من العقوبة وامر المؤمنين وما كانوا يستحقونه من الخير قوله تعالى لقد صدق الله رسوله
الرؤيا بالحق سبب نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى في المنام وهو بالمدينة قبل ان
يخرج الى الحديبية انه يدخل المسجد الحرام هو واصحابه ففرحوا وحسبوا انهم داخلوا مكة عامهم
فلما انصرفوا ولم يدخلوا شق عليهم ذلك وقال المنافقون اين رؤياه التى راها فانزل الله
هذه الاية ودخلوا في العام المقبل وروى عن مجمع بن جارية الانصارى قال شهدنا الحديبية
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعضهم ما بال
الناس قالوا اوحى الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نرجف فوجدنا النبى صلى الله عليه وسلم
واقفا على راحلته عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا فقال عمر
او فتح هو يا رسول الله قال نعم والذى نفسى بيده ففيه دليل ان المراد من الفتح هو صلح
الحديبية وتحقق الرؤيا كان في العام المقبل وقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق اخبر ان الرؤيا
التى اراها اياه في مخرجه الى الحديبية انه يدخل هو واصحابه المسجد حق وصدق بالحق الذى
راه حقا وصدقا وقيل يجوز ان يكون قسما لان الحق من اسماء الله تعالى او قسما بالحق الذى هو
ضد الباطل وجوابه لتدخلن المسجد الحرام وقيل لتدخلن من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه
حكاية عن رؤياه فاخبر الله عن رسوله صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك ان شاء الله امنين
قيل انما استثنى مع علمه بدخوله تعليما لعباده الادب وتاكيدا لقوله ولا تقولن لشى انى فاعل
ذلك غدا الا ان يشاء الله وقيل ان بمعنى اذ مجازه اذ شاء الله وقيل لما لم يقع الدخول قال
في عام الحديبية وكان المؤمنون يريدون الدخول ويابون الصلح قال لتدخلن المسجد الحرام
ولكن لا بقوتكم وارادتكم ولكن بمشيئة الله تعالى وقيل الاستثناء واقع على الامن لا على الدخول
لان الدخول لم يكن فيه شك فهو كقوله صلى الله عليه وسلم وانا ان شاء الله بكم لاحقون
مع انه لا شك في الموت محلقين رؤوسكم اى كلها ومقصرين اى تاخذون من بعض شعوركم
لا تخافون اى من عدوكم في رجوعكم لان قوله امنين في حال الاحرام وفي حال الرجوع فعلم ما لم
تعلموا يعنى علم ان الصلاح كان في الصلح وتاخير الدخول وكون ذلك سبب لوطء المؤمنين
والمؤمنات وقيل علم ان دخولكم في السنة الثانية ولم تعلموا انتم فظننتم انه في السنة
الاولى فجعل من دون ذلك اى من قبل دخولكم الحرم فتحا قريبا يعنى صلح الحديبية قاله الاكثرون
وقيل هو فتح خيبر قوله عز وجل هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق هذا لبيان صدق
الرؤيا وذلك ان الله لا يرى رسوله صلى الله عليه وسلم ما لا يكون فيحدث الناس فيقع خلافه
فيكون ذلك سببا للضلال فحقق الله امر الرؤيا بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق
وبقوله هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق وفيه بيان وقوع الفتح ودخول مكة وهو قوله
تعالى ليظهره على الدين كله اى يعليه ويقويه على الاديان كلها دونه وكفى بالله شهيدا اى في
انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه تسلية لقلوب المؤمنين وذلك انهم تاذوا من قول الكفار
لو نعلم انه رسول الله ما صددناه عن البيت فقال تعالى وكفى بالله شهيدا انه رسول الله ثم
قال محمد رسول الله اى هو محمد رسول الله الذى سبق ذكره في قوله ارسل رسوله قال ابن
عباس شهد له بالرسالة ثم ابتدا فقال تعالى والذين معه يعنى اصحابه المؤمنين اشداء على الكفار
اى غلاظ اقوياء كالاسد على فريسته لا تاخذهم فيه رافة رحماء بينهم اى متعاطفون متوادون
بعضهم لبعض كالولد مع الوالد كما قال في حقهم اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين تراهم ركعا

سجدا اخبر بكثرة صلاتهم ومداومتهم عليها يبتغون اى يطلبون فضلا من الله يعنى الجنة
ورضوانا اى ان يرضى عنهم وفيه لطيفة وهو ان العامل لله يطلب اجره من الله والمرائى لا يبتغى
له اجرا وذكر بعضهم فى قوله والذين معه يعنى ابا بكر الصديق اشداء على الكفار عمر بن الخطاب رحماء بينهم
عثمان بن عفان تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا بقية الصحابة سيماهم اى علامتهم
فى وجوههم من اثر السجود واختلفوا فى هذه السيما على قولين احدهما ان المراد بها يوم القيامة فقيل
هو نور وبياض فى وجوههم يعرفون به يوم القيامة انهم سجدوا لله فى الدنيا وهو فى رواية عن ابن
عباس وقيل يكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر وقيل يبعثون غرا محجلين يوم القيامة
يعرفون بذلك والقول الثانى ان ذلك فى الدنيا وذلك انهم استنارت وجوههم بالنهار من كثرة
صلاتهم بالليل وقيل هو السمت الحسن والخشوع والتواضع قال ابن عباس ليس بالذى ترون ولكنه
سيما الاسلام وسجيته وخشوعه والمعنى ان السجود اورثهم الخشوع والسمت الحسن يعرفون به وقيل
هو صفرة الوجه من سهر الليل فى الصلاة ويعرف ذلك فى رجلين احدهما سهر الليل فى الصلاة
والعبادة والاخر فى اللهو واللعب اذا اصبحا ظهر الفرق بينهما فيظهر فى وجه المصلى نورا
وضياء وعلى وجه اللاعب ظلمة وحيا لا وقيل هو اثر التراب على الجباه لانهم كانوا يصلون
على التراب لا على الاثواب قال عطاء الخراسانى دخل فى هذه الاية كل من حافظ على الصلوات
الخمس ذلك مثلهم فى التوراة يعنى ذلك الذى ذكر من صفتهم فى التوراة وتم الكلام هاهنا
ثم ابتدأ بذكر نعتهم وصفتهم فى الانجيل فقال تعالى ومثلهم اى صفتهم فى الانجيل كزرع اخرج
شطأه اى افراخه قيل فراخه هو نبت فما خرج بعده فهو شطأه فآزره اى قواه واعانه
وشد ازره فاستغلظ اى غلظ ذلك الزرع وقوى فاستوى اى تم وتلاحق نباته وقام
على سوقه جمع ساق اى على اصوله يعجب الزراع الذى يعجب ذلك الزرع زراعه وهذا مثل
ضربه الله عز وجل لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى الانجيل انهم يكونون قليلا ثم يزدادون و
يكثرون قال قتادة مثل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مكتوب فى الانجيل انه سيخرج قوم ينبتون
نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر قيل الزرع كزرع هو محمد صلى الله عليه وسلم اخرج
ابو بكر فآزره عمر فاستغلظ عثمان فاستوى على سوقه على بن ابى طالب يعجب الزراع يعنى جميع
المؤمنين ليغيظ بهم الكفار قيل هو قول عمر بن الخطاب لاهل مكة بعد ما اسلم لا نعبد الله
سرا بعد اليوم وقيل قوتهم وكثرتهم ليغيظ بهم الكفار وقال مالك بن انس من اصبح فى قلبه غيظ
على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الاية **فصل** فى فضل اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير الناس
قرنى ثم الذين يلونهم عن عائشة قالت سأل رجل النبى صلى الله عليه وسلم اى الناس خير قال القرن
الذى انا فيه ثم الثانى ثم الثالث قوله خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم يعنى الصحابة ثم التابعين
وتابعيهم والقرن اهل كل زمان قيل هو اربعون سنة وقيل مائة سنة عن عبد الرحمن بن عوف
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر فى الجنة وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان فى الجنة وعلى
ابن ابى طالب فى الجنة وطلحة فى الجنة والزبير فى الجنة وسعد بن ابى وقاص فى الجنة وسعيد بن زيد فى
الجنة وابو عبيدة بن الجراح فى الجنة اخرجه الترمذى واخرج عن سعيد بن زيد نحوه وقال هذا اصح
من الحديث الاول عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم امتى بامتى ابو بكر واشدهم
فى امر الله عمر واشدهم حياء عثمان واقضاهم على واعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وافرضهم زيد بن
ثابت واقرؤهم ابى بن كعب ولكل قوم امين وامين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح وما اظلت
الخضراء ولا اقلت الغبراء اصدق لهجة من ابى ذر اشبه عيسى فى ورعه قال عمر فنعرف له ذلك

وقيل ثمانون سنة

يا رسول

يا رسول الله قال نعم اخرجه الترمذى مفرقا فى موضعين اخذ منهما الى قوله ابو عبيدة بن الجراح عن انس (خ) ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد احدا وابو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال اثبت احد اراه ضربه برجله فانما
عليك نبى وصديق وشهيدان عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اقتدوا باللذين من بعدى من
اصحابى ابى بكر وعمر واهتدوا بهدى عمار وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود اخرجه الترمذى وقال حديث
غريب (ق) عن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه فى جيش ذات السلاسل قال فاتيته
فقلت من الرجال قال ابوها قلت ثم من قال عمر بن الخطاب فعد رجالا عن على بن ابى طالب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجنى ابنته وحملنى الى دار الهجرة وصحبنى فى الغار
واعتق بلالا من ماله رحم الله عمر ان كان ليقول الحق وان كان مرا تركه الحق وما له من صديق
رحم الله عثمان تستحى منه الملائكة رحم الله عليا اللهم ادر الحق معه حيث دار اخرجه الترمذى
وقال حديث غريب (م) عن زر بن حبيش قال سمعت عليا يقول والذى فلق الحبة وبرأ النسمة انه
لعهد النبى الامى الى انه لا يحبنى الا مؤمن ولا يبغضنى الا منافق عن عبد الله بن بريدة عن ابيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابى فوالذى نفسى بيده لو كان احدكم انفق
مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وعن ابى هريرة نحوه اخرجه مسلم عن عبد الله بن
مغفل المزنى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله الله فى اصحابى لا تتخذوهم غرضا فمن احبهم
فبحبى احبهم ومن ابغضهم فببغضى ابغضهم ومن اذاهم فقد اذانى ومن اذانى فقد اذى الله ومن اذى
الله فيوشك ان ياخذه اخرجه الترمذى وقال حديث غريب قوله تعالى وعد الله الذين امنوا
وعملوا الصالحات منهم لفظة من فى قوله منهم لبيان الجنس لا للتبعيض كقوله فاجتنبوا الرجس
من الاوثان فيكون معنى الاية وعد الله الذين امنوا من جنس الصحابة وقال ابن جرير يعنى
من الشطء الذى اخرجه الزرع وهم الداخلون فى الاسلام الى يوم القيامة ورد الهاء والميم على معنى
الشطء لا على معنى اللفظ ولذلك لم يقل منه مغفرة واجرا عظيما يعنى الجنة وقيل ان المغفرة جزاء
الايمان فان لكل مؤمن مغفرة والاجر العظيم جزاء العمل الصالح والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الحجرات

مدنية وهى ثمانى عشرة اية وثلثمائة وثلاث واربعون كلمة والف واربعمائة وستة وسبعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدى
الله ورسوله من التقديم اى لا ينبغى لكم ان يصدر منكم تقديم اصلا وقيل لا تقدموا فعلا بين يدى
الله ورسوله والمعنى لا تقدموا بين يدى الله امر الله ورسوله ولا بين نهيهما وقيل لا تجعلوا لا
نفسكم تقدما عند النبى صلى الله عليه وسلم وفيه اشارة الى احترام رسول الله صلى الله عليه وسلم
والانقياد لاوامره ونواهيه والمعنى لا تعجلوا بقول او فعل قبل ان يقوله رسول الله
صلى الله عليه وسلم او قبل ان يفعله وقيل لا تقولوا بخلاف الكتاب والسنة واختلفوا
فى معنى الاية فروى عن جابر انه فى الذبح يوم الاضحى اى لا تذبحوا قبل ان يذبح النبى صلى
الله عليه وسلم وذلك ان ناسا ذبحوا قبل ان يذبح النبى صلى الله عليه وسلم فامروا ان يعيدوا
الذبح (ق) عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما نبدأ به فى يومنا
هذا ان نصلى ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد اصاب سنتنا ومن ذبح قبل ان يصلى فانما
هو لحم عجله لاهله ليس من النسك فى شىء زاد الترمذى فى اوله قال خطبنا النبى صلى الله عليه
وسلم يوم النحر وذكر الحديث وروى عن عائشة انه فى النهى عن الصوم يوم الشك اى
لا تصوموا قبل نبيكم عن عمار بن ياسر قال من صام فى اليوم الذى يشك فيه فقد عصى ابا

القاسم

القائم صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي وابو داود وقال الحديث حسن صحيح وقيل في سبب نزول
هذه الاية ما روي عن عبد الله بن الزبير انه قدم وفد من بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ابو بكر امّر القعقاع بن معبد بن زرارة وقال عمر امّر الاقرع بن حابس فقال ابو بكر ما اردت
الا خلافي وقال عمر ما اردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت اصواتهما فنزلت في ذلك يا ايها
الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله حتى انقضت زاد في رواية فما كان عمر يسمع
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه حتى يستفهمه اخرجه البخاري وقيل نزلت الاية في ناس
كانوا يقولون لو انزل في كذا او صنع كذا وكذا فكره الله ذلك وقيل في معنى الاية لا تفتاتوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه على لسانه وقيل في القتال وشرائع الدين لا تقطعوا
امرا دون الله ورسوله واتقوا الله اي في تضييع حقه ومخالفة امره ان الله سميع اي لاقوالكم عليم
اي بافعالكم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اي لا تجعلوا كلامكم
مرتفعا على كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب وذلك لان رفع الصوت دليل على قلة الاحتشام
وترك الاحترام وقوله لا تقدموا نهي عن فعل وقوله لا ترفعوا اصواتكم نهي عن قول ولا
تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض اي امرهم ان يجلوه ويعظموه ولا يرفعوا اصواتهم عنده
ولا ينادوه كما ينادي بعضهم بعضا فيقول يا محمد بل يقولون يا رسول الله يا نبي الله ان
تحبط اعمالكم اي لئلا تحبط وقيل مخافة ان تحبط حسناتكم وانتم لا تشعرون اي ذلك
ق عن انس بن مالك قال لما نزلت هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي جلس ثابت بن قيس في بيته وقال انا من اهل النار واحتبس عن النبي صلى الله عليه وسلم
فسأل النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ قال يا ابا عمرو ما شأن ثابت اشتكى فقال سعد انه لجاري
وما علمت له شكوى فاتاه سعد فذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ثابت انزلت هذه
الاية ولقد علمتم اني من ارفعكم صوتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا من اهل النار
فذكر ذلك سعد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو من اهل
الجنة زاد في رواية فكنا نراه يمشي بين اظهرنا رجل من اهل الجنة لفظ مسلم وللبخاري نحوه
وروي لما نزلت هذه الاية قعد ثابت في الطريق يبكي فمر به عاصم بن عدي فقال له ما يبكيك
يا ثابت قال هذه الاية اتخوف ان تكون انزلت في وانا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم
اخاف ان يحبط عملي وان اكون من اهل النار فمضى عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابت
البكى فاتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن ابي بن سلول فقال لها اذا دخلت بيت فرسي فشدي علي
الضبة بمسمار وقال لا اخرج حتى يتوفاني الله او يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره
خبره فضربته بمسمار فقال اذهب فادعه لي فجاء عاصم الى المكان الذي رآه فيه فلم يجده فجاء الى
اهله فوجده في بيت الفرس فقال له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك فقال اكسر الضبة
فخرج فاتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا ثابت
فقال انا صيت واتخوف ان تكون هذه الاية نزلت في فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اما
ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال رضيت ببشرى الله ورسوله لا ارفع صوتي
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدا فانزل الله ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله
الاية قال انس فكنا ننظر الى رجل من اهل الجنة يمشي بين ايدينا فلما كان يوم اليمامة في حرب
مسيلمة راى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم فقال اف لهؤلاء ثم قال ثابت
لسالم مولى حذيفة ما كنا نقاتل اعداء الله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ثم
ثبتا وقاتلا حتى قتلا واستشهد ثابت وعليه درع فراه رجل من الصحابة بعد موته في المنام

وانه

وانه قال له اعلم ان فلانا رجل من المسلمين نزع درعي فذهب به وهي في ناحية من العسكر عند فرس
يستن في طيله وقد وضع على درعي برمة فات خالد بن الوليد فاخبره حتى يسترد درعي وات ابا بكر
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقل له ان علي دينا حتى يقضي عني وفلان من رقيقي عتيق فاخبر الرجل
خالدا فوجد الدرع والفرس على ما وصفه فاسترد الدرع واخبر خالد ابا بكر بتلك الرؤيا فاجاز ابو
بكر وصيته قال مالك بن انس لا اعلم وصية اجيزت بعد موت صاحبها الا هذه قال ابو هريرة
وابن عباس لما نزلت هذه الاية كان ابو بكر لا يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا كاخي السرار وقال
ابن الزبير لما نزلت هذه الاية ما حدث عمر النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فسمع النبي صلى الله عليه
وسلم كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته فانزل الله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم اي يخفضون
اصواتهم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اجلالا له وتعظيما اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى
اختبرها واخلصها كما يمتحن الذهب بالنار ليخرج خالصه لهم مغفرة واجر عظيم قوله عز وجل
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات قال ابن عباس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني العنبر وامر
عليهم عيينة بن حصن الفزاري فلما علموا انه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم فسباهم عيينة
وقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري فقدموا وقت
الظهيرة ووافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا في اهله فلما راتهم الذراري اجهشوا الى ابائهم
يبكون وكان لكل امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرة فعجلوا ان يخرج اليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجعلوا ينادون يا محمد اخرج الينا حتى ايقظوه من نومه فخرج اليهم فقالوا يا محمد
فادنا عيالنا فنزل جبريل فقال ان الله يامرك ان تجعل بينك وبينهم رجلا فقال لهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم اترضون ان يكون بيني وبينكم سبرة بن عمرو وهو على دينكم قالوا نعم قال سبرة انا لا احكم
وعمي شاهد وهو الاعور بن بشامة فرضوا به فقال الاعور ارى ان تفادي نصفهم وتعتق نصفهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيت ففادى نصفهم واعتق نصفهم فانزل الله عز وجل ان الذين
ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون وصفهم بالجهل وقلة العقل وقيل في معنى الاية اكثرهم اشارة
الى من يرجع منهم عن ذلك الامر ومن لا يرجع فيبقى على حاله وهو الاكثر ولو انهم صبروا حتى تخرج
اليهم فيه بيان لحسن الادب وهو خلاف ما جاؤا به معنى سوء الادب وطلب العجلة في
الخروج لكان خيرا لهم اي الصبر لانك كنت تعتقهم جميعا وتطلقهم بلا فداء وقال لكان حسن الادب
في طاعة الله وطاعة رسوله خيرا لهم وقيل نزلت الاية في ناس من اعراب بني تميم وكان فيهم
الاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والزبرقان بن بدر فنادوا على الباب وروي ذلك عن جابر
قال جاءت بنو تميم فنادوا على الباب فقالوا يا محمد اخرج علينا فان مدحنا زين وذمنا شين
فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول انما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين فقالوا
نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما بالشعر بعثت ولا بالفخار امرت ولكن هاتوا فقام منهم شاب فذكر فضله وفضل
قومه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان اجبه فاجابه فقام الاقرع بن حابس فقال ان محمدا لمؤتى
له تكلم خطيبنا وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم اشعر واحسن قولا ثم دنا من النبي صلى الله عليه وسلم فقال
اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ما كان
قبل هذا ثم اعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكساهم وقد كان تخلف في ركابهم عمرو بن الاهتم
فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما اعطاهم فازرى به بعضهم وارتفعت الاصوات وكثر
اللغط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل فيهم يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي الاية الى قوله والله غفور رحيم اي لمن تاب منهم وقال زيد بن ارقم جاء ناس

العرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى هذا الرجل فان يكن
نبيا فنحن اسعد الناس به وان يكن ملكا نعش في جنابه فجاؤا فجعلوا ينادونه يا محمد يا محمد فانزل
الله هذه الاية قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا الاية نزلت في الوليد
بن عقبة بن ابي معيط بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق بعد الوقعة وكان بينه
وبينهم عداوة في الجاهلية فلما سمع به القوم تلقوه تعظيما لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحدثه الشيطان انهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ان بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وارادوا قتلي فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ان يغزوهم
فبلغ القوم رجوع الوليد فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك
فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي اليه ما قبلناه من حق الله فبدا له الرجوع فخشينا انه انما رده من الطريق
كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا وانا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فاتهمهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبعث خالد بن الوليد خفية في عسكر وامره ان يخفي عليهم قدومه وقال انظر
فان رايت ما يدل على ايمانهم فخذ منهم زكاة اموالهم وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما تستعمل في الكفار
فبلغ ذلك خالد فوافاهم وسمع منهم اذان المغرب والعشاء فاخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة
والخير فانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم
فاسق بنبا يعني الوليد بن عقبة وهو عام نزلت لبيان التثبت وترك الاعتماد على قول الفاسق
وهو اولى من حمل الاية على رجل بعينه لان الفسوق خروج عن الحق ولا يظن بالوليد ذلك الا انه ظن
وتوهم فاخطا فعلى هذا يكون ان جاءكم فاسق بنبا اي بخبر فتبينوا وقرئ فتثبتوا اي فتوقفوا
واطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا على كلام الفاسق ان تصيبوا اي كيلا
تصيبوا بالقتل والسبي قوما بجهالة اي جاهلين حالهم وحقيقة امرهم فتصبحوا على ما فعلتم
اي من اصابتكم بالخطا نادمين واعلموا ان فيكم رسول الله اي فاتقوا الله ان تقولوا باطلا
او تكذبوه فان الله يخبره ويعرفه حالكم فتفتضحوا لو يطيعكم اي الرسول في كثير من الامر
اي مما تخبرونه به فيحكم برايكم لعنتم اي لاثمتم وهلكتم عن ابي سعيد الخدري انه قرا واعلموا
ان فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم قال هذا نبيكم يوحى اليه وخيار ائمتكم
لو اطاعهم في كثير من الامر لعنتوا فكيف بكم اليوم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب
ولكن الله حبب اليكم الايمان اي جعله احب الاديان اليكم وزينه اي حسنه وقربه منكم وادخله في
قلوبكم حتى اخترتموه لان من احب شيئا اذا طال عليه فقد يسام منه والايمان في كل قلب يزداد في القلب
حسنا وثباتا وبذلك تطيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكره اليكم الكفر والفسوق قال ابن
عباس يريد الكذب والعصيان جميع معاصي الله تعالى وفي هذه الطريقة وهو ان الله تعالى ذكر هذه
الثلاثة اشياء في مقابلة الايمان الكامل المزين في القلب المحبب اليه والايمان الكامل ما اجتمع
فيه ثلاثة امور تصديق بالجنان واقرار باللسان وعمل بالاركان فقوله وكره اليكم الكفر
وهو الكذب في مقابلة الاقرار باللسان فكره الى عبده المؤمن الكذب وهو الجحود وحبب
اليه الاقرار بشهادة الحق والصدق وهي قول لا اله الا الله والعصيان جعله في مقابلة العمل
بالاركان ثم قال تعالى اولئك هم الراشدون اشارة الى المؤمنين المحبب اليهم الايمان المزين في
قلوبهم اي اولئك هم المهتدون الى محاسن الافعال ومكارم الاخلاق فضلا من الله اي فعل ذلك
فضلا من الله منه ونعمة عليكم والله عليم اي بكم وبما في قلوبكم حكيم في امره بما تقتضيه الحكمة وقيل
عليم بما في خزائنه من الخير والفضل والنعمة حكيم بما ينزل من الخير بقدر الحاجة اليه على وفق الحكم
قوله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا عن انس قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لو اتيت عبد

الله

الله بن ابي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون معه وهي ارض سبخة
فلما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال اليك عني والله لقد اذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله
لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتما فغضب لكل
واحد منهما اصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انها نزلت فيهم وان
طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما وروي انها لما نزلت قراها رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاصطلحوا وكف بعضهم عن بعض ق عن اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار
عليه اكاف تحته قطيفة فدكية واردف اسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة في بني الحرث بن الخزرج
قبل وقعة بدر فسار حتى مر على مجلس فيه عبد الله بن ابي بن سلول وذلك قبل ان يسلم عبد الله بن
ابي واذا في المجلس اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود وفي المسلمين عبد الله بن رواحة
فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم وقف فنزل فدعاهم الى الله تعالى وقرا عليهم القران فقال عبد الله
بن ابي سلول ايها المرء انه لا احسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذونا به في مجالسنا وارجع الى رحلك
فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا في مجالسنا فانا نحب ذلك
فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يتثاورون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكتوا
ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته وذكر الحديث وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كان بينهما
مماراة في حق بينهما فقال احدهما للاخر لاخذن حقي منك عنوة لكثرة عشيرته وان الاخر دعاه ليحاكمه
الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدي
والنعال ولم يكن قتال بالسيوف وقيل كانت امراة من الانصار يقال لها ام زيد تحت رجل وكان
بينها وبين زوجها شيء فرقي بها الى علية فحبسها فيها فبلغ ذلك قومها فجاؤوا وجاء قومه فاقتتلوا بالايدي
والنعال فانزل الله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا قيل المراد من الطائفتين الاوس والخزرج
فاصلحوا بينهما اي بالدعاء الى حكم كتاب الله والرضى بما فيه لهما وعليهما فان بغت اي تعدت احداهما
على الاخرى وابت الاجابة الى حكم كتاب الله فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء اي ترجع الى امر الله اي الى
كتابه الذي جعله حكما بين خلقه وقيل ترجع الى الطاعة في الصلح الذي امر به فان فاءت اي رجعت
الى الحق فاصلحوا بينهما بالعدل اي الذي يحملها على الانصاف والرضى بحكم الله واقسطوا اي اعدلوا
ان الله يحب المقسطين اي العادلين انما المؤمنون اخوة اي في الدين والولاية وذلك ان الايمان
قد عقد بين اهله من النسب والقرابة كعقد النسب الملاصق وان بينهم ما بين الاخوة من النسب والاسلام
لهم كالاب قال بعضهم ه ابي الاسلام لا اب لي سواه ه اذا افتخروا بقيس او تميم ه فاصلحوا بين اخويكم
اذا اختلفا واقتتلا واتقوا الله اي فلا تعصوه ولا تخالفوا امره لعلكم ترحمون ق عن ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة اخيه كان الله في حاجته
ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم
القيامة **فصل** في حكم قتال البغاة قال العلماء في هاتين الايتين دليل على ان البغي لا يزيل
اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة مؤمنين مع انهم باغين ويدل عليه ما روي عن علي بن
ابي طالب وهو القدوة في قتال اهل البغي وقد سئل عن اهل الجمل وصفين امشركون هم فقال لا
هم من الشرك فروا فقيل امنافقون هم فقال لا ان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل فما حالهم
قال اخواننا بغوا علينا والباغي في الشرع هو الخارج على الامام العدل بتاويل فاذا اجتمعت
طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الامام العدل بتاويل محتمل ونصبوا لهم اماما
فالحكم فيهم ان يبعث اليهم الامام ويدعوهم الى طاعته فان اظهروا مظلمة ازالها عنهم وان لم يذكروا

مظلمة واصروا على البغي فانهم الامام حتى يفيئوا الى طاعته ثم الحكم في قتالهم لا يتبع مدبرهم
ولا يقتل اسيرهم ولا يذفف على جريحهم نادى منادي علي يوم الجمل الا لا يتبع مدبرهم ولا يقتل اسيرهم
ولا يذفف على جريحهم وهو بذال معجمة وهو الاجهاز على الجريح وتحرير قتله وتتميمه واتي علي يوم
صفين باسير فقال لا اقتلك صبرا اني اخاف الله رب العالمين وما اتلفت احدى الطائفتين على
الاخرى في حال القتال من نفس ومال لا ضمان عليهم قال ابن شهاب كانت في تلك الفتنة دماء
يعرف في بعضها القاتل والمقتول واتلف فيها اموال ثم صار الناس الى ان سكنت الحرب بينهم وجرى
الحكم عليهم فما رايته اقتص من احد ولا اغرم مالا اما من لم تجتمع فيه هذه الشروط الثلاثة بان كانوا
جماعة قليلين لا منعة لهم او لم يكن فيهم تاويل او لم ينصبوا اماما فلا يتعرض لهم ان لم ينصبوا قتالا
ولم يتعرضوا للمسلمين فان فعلوا ذلك فهم كقطاع الطريق في الحكم وروي ان عليا سمع رجلا يقول في ناحية
المسجد لا حكم الا لله فقال علي كلمة حق اريد بها باطل لكم علينا ثلاث لا نمنعكم مساجد الله ان تذكروا
فيها اسم الله ولا نمنعكم الفيء ما دامت ايديكم مع ايدينا ولا نبدأكم بقتال قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا يسخر قوم من قوم الاية نزلت في ثلاث اسباب السبب الاول من اولها الى قوله خيرا منهم قال ابن عباس
نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وذلك انه كان في اذنه وقر فكان اذا اتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد سبقوه بالمجلس اوسعوا له حتى يجلس الى جنبه فيسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد
فاتته ركعة من صلاة الفجر فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة اخذ اصحابه مجالسهم فظل
كل رجل بمجلسه فلا يكاد يوسع احد لاحد وكان الرجل اذا جاء لم يجد مجلسا قام قائما كما هو فلما
فرغ ثابت من الصلاة اقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخطى رقاب الناس ثم يقول تفسحوا تفسحوا
فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال
اصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال من هذا قال انا
فلان قال ثابت ابن فلانة وذكر خالة كان يعير بها في الجاهلية فنكس الرجل راسه واستحيى فانزل
الله هذه الاية وقال الضحاك نزلت في وفد بني تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزئون بفقراء اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى ابي حذيفة لما
راوه من رثاثة حالهم فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم اي لا يستهزئ غني
بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستر ولا ذو حسب بلئيم واشباه ذلك مما ينتقصه به ولعله
عند الله خير منه وهو قوله تعالى عسى ان يكونوا خيرا منهم السبب الثاني في قوله تعالى ولا نساء
من نساء اي ولا يستهزئ نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن وروي عن انس انها نزلت في نساء النبي صلى
الله عليه وسلم عيرن ام سلمة بالقصر وعن ابن عباس انها نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نساء
النبي صلى الله عليه وسلم يهودية بنت يهوديين عن انس بلغ صفية ان حفصة قالت بنت يهودي
فبكت فدخل النبي صلى الله عليه وسلم عليها وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت قالت لي حفصة اني بنت
يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لابنة نبي وعمك نبي وانك لتحت نبي ففيم تفتخر عليك ثم
قال اتقي الله يا حفصة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب السبب الثالث قوله تعالى
ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب عن ابي جبيرة بن الضحاك هو اخو ثابت بن الضحاك
الانصاري قال فينا نزلت هذه الاية في بني سلمة قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا
رجل الا له اسمان او ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول
الله انه يغضب من هذا الاسم فانزل الله هذه الاية ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم
الفسوق بعد الايمان اخرجه ابو داود والترمذي قال كان الرجل منا يكون له اسمان وثلاثة
فيدعى ببعضها فعسى ان يكره قال فنزلت هذه الاية ولا تنابزوا بالالقاب قال الترمذي حديث

حسن

حسن قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم على بعض والمراد
بالانفس الاخوان هاهنا والمعنى لا تعيبوا اخوانكم من المسلمين لانهم كانفسهم فاذا عاب عائب
لاخيه بعيب فكانه عاب نفسه وقيل لا يخلو احد من عيب فاذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على
عيبه فكانه هو العائب لنفسه ولا تنابزوا بالالقاب اي لا يدعوا الانسان بغير ما سمي به قال
ابن عباس التنابز بالالقاب ان يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهي ان يعير بما سلف من
وقيل هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر وقيل كان الرجل اليهودي والنصراني
يسلم فيقال له بعد اسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك وقيل هو ان تقول لاخيك
يا كلب يا حمار يا خنزير قال العلماء المراد بهذه الالقاب ما يكرهه المنادى به او فيه
ذم له فاما الالقاب التي صارت كالاعلام لاصحابها كالاعمش والاعرج وما اشبه ذلك فلا باس
به اذا لم يكرهه المدعو به واما الالقاب التي تكسب حمدا ومدحا وتكون حقا وصدقا فلا يكره
كما قيل لابي بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين ولعلي ابو تراب ولخالد سيف الله
ونحو ذلك بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس الاسم ان تقولوا يا يهودي يا نصراني بعد
ما اسلموا او يا فاسق بعد ما تاب وقيل معناه ان فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو
فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الايمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق ومن لم يتب
اي عن ذلك فاولئك هم الظالمون اي الضارون لانفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل اظلم
من الذين قالوا لهم ذلك قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن قيل نزلت في
رجلين اغتابا رفيقهما وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غزا او سافر ضم الرجل
المحتاج الى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما الى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب
فضم سلمان الفارسي الى رجلين في بعض اسفاره فتقدم سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام
ولم يهيئ لهما شيئا فلما قدما قالا له ما صنعت شيئا قال لا غلبتني عيناي قالا له انطلق الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله
طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى اسامة بن زيد وقل له ان كان عنده فضل
طعام وادام فليعطك وكان اسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله فاتاه فقال
ما عندي شيء فرجع سلمان اليهما فاخبرهما فقالا كان عند اسامة ولكن بخل فبعثا سلمان الى طائفة
من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالوا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا
يتجسسان هل عند اسامة ما امر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاءا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لهما ما لي ارى خضرة اللحم في افواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا
لحما قال ظللتما تاكلان لحم سلمان واسامة فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا
من الظن يعني ان يظن باهل الخير سوءا نهى الله المؤمن ان يظن باخيه المؤمن شرا وقيل هو ان
يسمع من اخيه المسلم فيظن سوءا لان بعض الفعل قد يكون في الصورة قبيحا وفي نفس الامر لا يكون
كذلك لجواز ان يكون الفاعل مخطئا فاما اهل السوء والفسق المجاهرين بذلك فلنا ان
نظن فيهم مثل الذي يظهر منهم ان بعض الظن اثم قال سفيان الثوري الظن ظنان احدهما اثم
وهو ان يظن ويتكلم به والاخر ليس باثم وهو ان يظن ولا يتكلم به وقيل الظن انواع
فمنه واجب ومامور به وهو الظن الحسن بالله عز وجل ومنه مندوب وهو الظن الحسن
بالاخ المسلم الظاهر العدالة ومنه حرام محظور وهو سوء الظن بالله عز وجل وسوء
الظن بالاخ المسلم ولا تجسسوا اي لا تبحثوا عن عيوب الناس نهى الله عن البحث عن
المستور من امور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها ق عن ابي هريرة

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اياكم وان الظن اكذب الحديث ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا
ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما امركم المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا
التقوى هاهنا ويشير الى صدره بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه
وماله ان الله لا ينظر الى اجسادكم ولا الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم التجسس بالجيم التفتيش
عن بواطن الامور واكثر ما يقال في الشر ومنه الجاسوس وبالحاء الاستماع الى حديث الغير وقيل
معناهما واحد وهو طلب الاخبار قوله ولا تنافسوا اي لا ترغبوا فيما يرغب فيه الغير من اسباب
الدنيا وحظوظها والحسد تمني زوال النعمة عن صاحبها قوله ولا تدابروا اي لا يعطي
كل واحد منكم اخاه دبره وقفاه فيعرض عنه ويهجره عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
المنبر فنادى بصوت رفيع يا معشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا
ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن يتبع الله
عورته يفضحه ولو في جوف رحله قال نافع ونظر ابن عمر يوما الى الكعبة فقال ما اعظمك واعظم
حرمتك والمؤمن اعظم حرمة عند الله منك اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب عن زيد بن
وهب قال اتي ابن مسعود فقيل له هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا عن التجسس ولكن
ان يظهر لنا شيء ناخذ به اخرجه ابو داود عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من راى عورة فسترها كان كمن احيا موؤدة م عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يستر عبد
عبدا في الدنيا الا ستره الله يوم القيامة قوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا اي لا يتناول بعضكم
بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون
ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل افرايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان
فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته اخرجه مسلم عن عائشة قالت
قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة يعني قصيرة فقال
لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له انسانا فقال ما احب اني حكيت
انسانا وان لي كذا وكذا اخرجه الترمذي وابو داود وقال حديث حسن صحيح قوله لمزجته
اي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه او ريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من ابلغ الزواجر
عن الغيبة قوله تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه قال مجاهد لما قيل
ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه اي كما كرهتم هذا فاجتنبوا
ذكره بسوء غائبا قيل تاويله ان ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لانه
لا يحس بذلك وفيه اشارة الى ان عرض الانسان كلحمه ودمه لان الانسان يتالم قلبه اذا ذكر
بسوء كما يتالم جسده اذا قطع لحمه والعرض اشرف من اللحم فاذا لم يحسن من العاقل اكل لحم
الناس فترك اعراضهم اولى وقوله لحم اخيه ابلغ في المنع لان العدو قد يحمله الغضب
على اكل لحم عدوه وقوله ميتا ابلغ في الزجر عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم وفي نسخة وصدورهم
فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم اخرجه
ابو داود وقال داود بن سباه فبينما انا نائم اذا بجيفة زنجي وقائل يقول كل قلت يا عبد
الله وما اكل قال بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال
لا ولكنك استمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب احدا ولا يدع احدا يغتاب احدا عنده
قوله تعالى واتقوا الله في امر الغيبة واجتناب نواهيه ان الله تواب رحيم قوله عز وجل
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى قال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله

في الرجل الذي لم يفسح له ابن فلان فقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانة قال ثابت انا
يا رسول الله قال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رايت يا ثابت قال رايت ابيض واحمر واسود قال
فانك لا تفضلهم الا بالدين والتقوى فنزلت في ثابت هذه الاية ونزلت في الذي لم يفسح له يا ايها الذين امنوا
اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا الاية وقيل لما كان يوم فتح مكة امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة واذن فقال عتاب بن اسيد بن العيص الحمد لله الذي قبض ابي ولم ير
هذا اليوم وقال الحرث بن هشام اما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو ان
يكره الله شيئا يغيره وقال ابو سفيان اني لا اقول شيئا اخاف ان يخبره رب السماء فنزل جبريل فاخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا فسالهم عما قالوا فاقروا فانزل الله هذه الاية وزجرهم عن التفاخر
بالانساب والتكاثر بالاموال والازدراء بالفقراء فقال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر يعني ادم وانثى
يعني حواء والمعنى انكم متساوون في النسب فلا يفاخر بعضكم على بعض لكونكم ابناء رجل واحد وامراة واحدة
وقيل يحتمل ان يكون المعنى انا خلقنا كل واحد منكم ايها الموجودون من اب وام فان كل واحد منكم خلق
كما خلق الاخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النسب وجعلناكم شعوبا جمع شعب بفتح الشين
وهي الاوس رؤوس القبائل مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج سموا شعوبا لتشعب القبائل
منهم وقيل لتجمعهم وقبائل جمع قبيلة وهي دون الشعوب كبكر من ربيعة وتميم من مضر
ودون القبائل العمائر واحدتها عمارة بفتح العين وهم كشيبان من بكر ودارم من تميم
ودون العمائر البطون واحدها بطن وهم كبني غالب ولؤي من قريش ودون البطون الافخاذ
واحدها فخذ وهم كبني هاشم وبني امية من بني لؤي ودون الافخاذ الفصائل واحدها
فصيلة بالصاد المهملة كبني العباس وبني هاشم ثم بعد ذلك العشائر واحدها عشيرة
وليس بعد العشيرة شيء يوصف وقيل الشعوب من العجم والقبائل من العرب الذين ينتسبون الى
ابائهم لتعارفوا اي ليعرف بعضكم بعضا في قرب النسب وبعده لا للتفاخر ولا للانساب
ثم بين الخصلة التي بها يفضل الانسان على غيره ويكتسب بها الشرف عند الله تعالى فقال
ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل اكرم الكرم التقوى والام اللؤم الفجور وقال ابن عباس كرم الدنيا
الغنى وكرم الاخرة التقوى عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسب المال والكرم
التقوى اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ق عن ابي هريرة قال سئل رسول الله صلى الله عليه
وسلم اي الناس اكرم قال اكرمهم عند الله اتقاهم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فاكرم الناس يوسف
نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله قالوا ليس عن هذا نسالك قال فعن معادن العرب تسالوني قالوا
نعم قال فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام اذا فقهوا فقهوا بضم القاف على المشهور وحكي
كسرها ومعناه اذا تعلموا احكام الشرع عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم طاف يوم الفتح على راحلته يستلم
الاركان بمحجنه فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على ايدي الرجال ثم قام فخطبهم فحمد الله واثنى عليه وقال
الحمد لله الذي اذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها يا ايها الناس الناس رجلان بر تقي كريم على الله وفاجر
شقي هين على الله ثم تلا يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ثم قال اقول قولي هذا واستغفر الله لي
ولكم المحجن عصا محنية الراس كالصولجان وقوله عبية الجاهلية كبرها وفخرها ان الله عليم اي
بظواهركم يعلم انسابكم خبير اي ببواطنكم لا يخفى عليه اسراركم فاجعلوا التقوى زادكم الى معادكم قيل
المتقي هو العامل بالله المواظب لبابه المتقرب الى جنابه وقيل حد التقوى ان يجتنب العبد المناهي
لا بامر ولا بنكل وياتي بالاوامر والفضائل ولا يغتر ولا يامن فان اتفق ان يرتكب منهيا لا يامن
ولا يتكل بل يتبعه بحسنة ويظهر توبته وندامته ومن ارتكب منهيا ولم يصح توبته في الحال واتكل
على المهلة وغر بطول الامل فليس بمتق لان المتقي لم يترك وترك ما نهي عنه وهو مع ذلك خاش لله

خائف منه لا يشتغل بغير الله تعالى فان التفت لحظة الى نفسه واهله وولده جعل ذلك
ذنبه واستغفر منه وجدد توبته جعلنا الله واياكم من المتقين قوله تعالى قالت الاعراب
امنا الاية نزلت في نفر من بني اسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة
مجدبة فاظهروا الاسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر فافسدوا طرق المدينة بالعذرات
واغلوا اسعارها وكانوا يغدون ويروحون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون اتتك العرب
اتتك العرب بانفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والعيال والذراري ولم نقاتلك كما
قاتلك بنو فلان وبنو فلان يمنون على رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ويريدون الصدقة
ويقولون اعطنا فانزل الله فيهم هذه الاية وقيل الاية نزلت في العرب الذين ذكرهم الله في سورة
الفتح وهم جهينة ومزينة واسلم واشجع وغفار كانوا يقولون امنا ليامنوا على انفسهم واموالهم
فلما استنفروا الى الحديبية تخلفوا اعتما فانزل الله عز وجل قالت الاعراب امنا اى صدقنا قل لم تؤمنوا
اى لم تصدقوا بقلوبكم ولكن قولوا اسلمنا اى استسلمنا وانقدنا مخافة القتل والسبي ولما
يدخل الايمان في قلوبكم اخبر ان حقيقة الايمان هو التصديق بالقلب وان الاقرار باللسان ه
واظهار شرايعه بالابدان لا يكون ايمانا بالتصديق بالقلب والاخلاص ق عن سعد بن ابي وقاص
قال اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم رهطا وانا جالس فترك رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم
هو اعجبهم الي فقمت فقلت ما لك عن فلان والله اني لاراه مؤمنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
او مسلما ذكر ذلك ثم قال لاعطي الرجل وغيره احب الي منه خشية ان يكب في النار على وجهه زاد
في رواية قال الزهري فنرى ان الاسلام الكلمة والايمان العمل الصالح لفظ الحميدي اعلم ان الاسلام
هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة فمن الاسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان
والابدان والجنان لقوله لابراهيم عليه السلام اسلم قال اسلمت لرب العالمين ومنه ما هو انقياد
باللسان دون القلب وذلك قوله ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم وقيل
الايمان هو التصديق بالقلب مع الثقة وطمانينة النفس عليه والاسلام هو الدخول في
السلم والخروج من ان يكون حربا للمسلمين مع اظهار الشهادتين فان قلت المؤمن والمسلم واحد عند
اهل السنة فكيف يفهم ذلك مع هذا القول قلت بين العام والخاص فرق فالايمان لا يحصل الا بالقلب
وقد يحصل باللسان فالاسلام اعم والايمان اخص لكن العام في صورة الخاص متحد مع الخاص
ولا يكون امرا غيره فالعام والخاص مختلفان في العموم والخصوص متحدان في الوجود فكذلك
المؤمن والمسلم قوله تعالى وان تطيعوا الله ورسوله اى ظاهرا وباطنا سرا وعلانية وقال ابن
عباس تخلصوا الايمان لا يلتكم اى لا ينقصكم من اعمالكم شيئا اى من ثواب اعمالكم ان الله غفور
رحيم ثم بين حقيقة الايمان فقال تعالى انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا
اى لم يشكوا في دينهم وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون اى في
ايمانهم فلما نزلت هاتان الايتان اتت الاعراب رسول الله صلى الله عليه وسلم يحلفون انهم
مؤمنون صادقون وعرف الله غير ذلك منهم فانزل الله تعالى قل اتعلمون الله بدينكم اى اتخبرون
الله بدينكم الذي انتم عليه والله يعلم ما في السموات وما في الارض اى لا يخفى عليه خافية والله بكل
شيء عليم اى لا يحتاج الى اخباركم يمنون عليك ان اسلموا اى هو قولهم اسلمنا ولم نقاتلك يمنون
بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم اى يبين بذلك ان اسلامهم لم يكن خالصا قل لا تمنوا علي اسلامكم
اى لا تعتدوا علي باسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان اى لله المنة عليكم ان ارشدكم
وامدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم وهو قوله تعالى ان كنتم صادقين
اى انكم مؤمنين ان الله يعلم غيب السموات والارض اى انه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء في

السموات والارض فكيف يخفى عليه حالكم بل يعلم سركم وعلانيتكم والله بصير بما تعملون اى بجميع احكم الظاهرة ه
والباطنة والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه ه

تفسير سورة ق

مكية وهي خمس واربعون اية وثلاث مائة وسبع وخمسون كلمة والف واربعمائة واربعة وتسعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ق قال ابن عباس هو قسم وقيل اسم للسورة
وقيل من اسماء الله وقيل هو مفتاح اسمه القدير والقادر والقاهر والقريب والقابض والقدوس
والقيوم وقيل معناه قضي الله الامر وقضى ما هو كائن وقيل هو جبل محيط بالارض من زمردة خضراء
وقيل معناها متصلة عروقه بالصخرة التي عليها الارض والسماء كهيئة القبة وعليه كنفاها وخضرة السماء
منه والعالم داخله ولا يعلم ما وراءه الا الله تعالى وقيل هو من وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من
ورائه بمسيرة سنة والقران المجيد اى الشريف الكريم على الله الكثير الخير والبركة واختلفوا في جواب
القسم فقيل جوابه محذوف تقديره لتبعثن وقيل جوابه بل عجبوا وقيل ما يلفظ من قول وقيل قد
علمنا بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو ان يخوفهم رجل منهم قد عرفوا وساطته
فيهم وعدالته وامانته وصدقه فقال الكافرون هذا شيء عجيب اى معجب غريب ائذا متنا وكنا ترابا
اى حين نموت ونبلى نبعث ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه ذلك رجع بعيد اى يبعد ان نبعث بعد
الموت قال الله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم اى ما تاكل الارض من لحومهم ودمائهم وعظامهم
لا يعزب عن علمنا شيء وعندنا كتاب اى مع علمنا بذلك كتاب حفيظ بمعنى محفوظ حافظ اى حافظ
لعددهم واسمائهم ولما محفوظ من التغيير والتبديل وقيل حفيظ بمعنى حافظ اى حافظ لعددهم
واسمائهم ولما تنقص الارض منهم وهو اللوح المحفوظ وقد اثبت فيه ما يكون بل كذبوا بالحق
اى القران لما جاءهم فقيل معناه كذبوا به لما جاءهم وقيل كذبوا المنذر لما جاءهم فهم في امر مريج اى
مختلط ملتبس قيل معنى اختلاط امرهم هو قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم مرة شاعر ومرة ساحر
ومرة معلم مجنون ويقولون في القران مرة سحر ومرة رجز ومرة مفترى فكان امرهم
مختلطا ملتبسا عليهم وقيل في هذه الاية من ترك الحق مرج عليه امره والتبس عليه دينه
وقيل ما ترك قوم الحق الا مرج عليهم امرهم ثم دل على عظيم قدرته فقال تعالى افلم ينظروا
الى السماء فوقهم كيف بنيناها اى بغير عمد وزيناها اى بالكواكب وما لها من فروج اى
اى شقوق وصدوع والارض مددناها اى بسطناها على وجه الماء والقينا فيها رواسي
اى جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل زوج بهيج اى من كل صنف حسن كريم يبتهج به اى
يسر به تبصرة اى جعلنا ذلك تبصرة وذكرى اى تذكرة لكل عبد منيب اى راجع الى
الله تعالى والمعنى ليتبصر ويتذكر به من اناب ونزلنا من السماء ماء مباركا اى كثير الخير والبركة
فيه حياة كل شيء وهو المطر فانبتنا به اى بذلك الماء جنات اى بساتين وحب الحصيد
البر والشعير وساير الحبوب التي تحصد والنخل باسقات اى طوالا وقيل مستويات
لها طلع اى ثمر يطلع ويظهر ويسمى طلعا قبل ان ينشق نضيد اى متراكب بعضه على
بعض في الكمامة فاذا انشق وخرج من الكمامة فليس بنضيد رزقا اى جعلنا ذلك رزقا
للعباد واحيينا به اى بالمطر بلدة ميتا فانبتنا فيها الكلا والعشب كذلك الخروج
اى من القبور احياء بعد الموت قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس وثمود
وعاد وفرعون واخوان لوط واصحاب الايكة قيل كان لوط مرسلا الى طائفة من قوم
ابراهيم فلذلك قال واخوان لوط وقوم تبع وهو ابو كرب تبع الحميري وقد تقدم قصص

جميعهم وقيل ذم الله قوم تبع ولم يذمه وذم فرعون لانه هو المكذب المستحق لقومه
فلهذا اخص بالذكر دونهم كل كذب الرسل فحق وعيد اي كل هؤلاء المذكورين كذبوا رسولهم
فحق وعيدي اي وجب لهم عذابي وقيل فحق وعيد للرسل بالنصر افعيينا بالخلق الاول هذا
جواب لقولهم ذلك رجع بعيد والمعنى اعجزنا حين خلقناهم اولا فنعيا بالاعادة ثانيا
وذلك لانهم اعترفوا بالخلق الاول وانكروا البعث بل هم في لبس اي شك من خلق جديد
وهو البعث قوله عز وجل ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه اي تحدث
به قلبه فلا يخفى علينا سرائره وضمائره ونحن اقرب اليه من حبل الوريد بيان لكمال علمه اي نحن
اي نحن اعلم به منه والوريد العرق الذي يجري فيه الدم ويصل الى كل جزء من اجزاء البدن وهو
بين الحلقوم والعلباوين ومعنى الاية ان اجزاء الانسان وابعاضه يحجب بعضها بعضا
ولا يحجب عن علم الله شيء وقيل يحتمل ان يكون المعنى ونحن اقرب اليه بنفوذ قدرتنا فيه
ويجري فيه امرنا كما يجري الدم في عروقه اذ يتلقى المتلقيان اي يتلقى الملكان الموكلان به وبعمله
ومنطقه فيكتبانه ويحفظانه عليه عن اليمين وعن الشمال يعني احدهما عن يمينه والاخر عن شماله
فصاحب اليمين يكتب الحسنات وصاحب الشمال يكتب السيئات قعيد اي قاعد لان كل
واحد منهما قعيد فاكتفى بذكر احدهما عن الاخر وقيل اراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح ما يلفظ
من قول اي ما يتكلم من كلام يخرج من فيه الا لديه رقيب اي حافظ عتيد اي حاضر اينما كان
سوى وقت الغائط وعند جماعه فانهما يتاخران عنه فلا يجوز لاحد ان يتكلم في هاتين
الحالتين حتى لا يؤذي الملائكة بدنوهما منه وهو على تلك الحال حتى يكتبان ما يتكلم به
قيل انهما يكتبان عليه كل شيء يتكلم به حتى انينه في مرضه وقيل لا يكتبان الا ما له اجر وثواب
وعليه وزر وعقاب وقيل ان مجلسهما تحت الشعر على الحنك وكان الحسن البصري يعجبه
ان ينظف عنفقته وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم كاتب الحسنات امين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب
اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله
يسبح او يستغفر قوله تعالى وجاءت سكرة الموت اي غمرته وشدته التي تغشى الانسان
وتغلب على عقله بالحق اي بحقيقة الموت وقيل بالحق من امر الاخرة حتى يتبينه الانسان
ويراه بالعيان وقيل بما يؤول اليه امر الانسان من السعادة والشقاوة ذلك ما كنت
منه تحيد اي يقال لمن جاءته سكرة الموت ذلك الذي كنت عنه تميل وقيل تهرب
وقال ابن عباس تكره ونفخ في الصور يعني البعث ذلك يوم الوعيد اي ذلك اليوم
الذي وعد الله الكفار ان يعذبهم فيه وجاءت اي في ذلك اليوم كل نفس معها سائق
اي يسوقها الى المحشر وشهيد اي يشهد عليها بما عملت قال ابن عباس السائق من الملائكة
والشاهد من انفسهم الايدي والارجل فيقول الله تعالى لصاحب تلك لقد كنت في
غفلة من هذا اي من هذا اليوم في الدنيا فكشفنا عنك غطاءك الذي كان على سمعك
وقلبك وبصرك في الدنيا فبصرك اليوم حديد اي قوي ثابت نافذ تبصر ما كنت
تنكر به في الدنيا وقيل ترى ما كان محجوبا عنك وقيل نظرك الى الموكل وقال قرينه
هذا ما لدي اي عندي عتيد اي معد محضر وقيل يقول لهذا الملك الذي وكلتني
به من ابن ادم قد احضرته واحضرت ديوان عمله القيا في جهنم اي يقول الله
تعالى لقرينه وقيل هذا امر للسائق والشهيد كل كفار اي شديد الكفر عنيد اي ظالم
اي لا يقر بتوحيد الله مناع للخير معتد مريب اي شاك في التوحيد الذي جعل

مع

الذي جعل مع الله الها اخر فالقياه في العذاب الشديد يعني النار قال قرينه يعني الشيطان
الذي قيض لهذا الكافر ربنا ما اطغيته قيل هذا جواب لكلام مقدر وهو ان الكافر حين يلقى
في النار يقول ربنا اطغاني شيطاني فيقول الشيطان ربنا ما اطغيته اي ما اضللته وما اغويته
ولكن كان في ضلال بعيد اي عن الحق فيتبرأ منه شيطانه وقال ابن عباس قرينه يعني الملك
يقول للكافر رب ان الملك زاد علي في الكتابة ربنا ما اطغيته اي ما زدت عليه وما كتبت
الا ما قال وعمل ولكن كان في ضلال بعيد اي طويل لا يرجع عنه الى الحق فيقول الله تعالى قال
لا تختصموا لدي اي لا تعتذروا عندي بغير عذر وقيل هو خصامهم مع قرنائهم وقد قدمت
اليكم بالوعيد اي بالقران وانذرتكم على لسان الرسل وحذرتكم عذابي في الاخرة لمن كفر ما يبدل
القول لدي اي لا تبديل لقولي وهو قوله عز وجل لاملان جهنم وقضيت عليكم ما انا قاض
فلا يغير قولي ولا يبدل وقيل معناه لا يكذب عندي ولا يغير القول عن وجهه لاني علام
الغيوب واعلم كيف ضلوا وهذا القول هو الاولى يدل عليه انه قال ما يبدل القول لدي
ولم يقل ما يبدل قولي وما انا بظلام للعبيد اي فاعاقبهم بغير جرم وقيل معناه فازيد على
اساءة المسيء وانقص من احسان المحسن قوله عز وجل يوم نقول لجهنم هل امتلات
بيان لما سبق لها من وعد الله تعالى اياها انه يملاها من الجنة والناس وهذا السؤال من الله
تعالى لتصديق خبره وتحقيق وعده وتقول يعني جهنم هل من مزيد يعني تقول قد امتلات
ولم يبق في موضع لم يمتلئ فهو استفهام انكاري وقيل هو بمعنى الاستزادة وهو رواية
عن ابن عباس ان الله تعالى سبقت كلمته لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين فلما سيق
اعداء الله اليها لا يلقى فيها فوج الا ذهب فيها ولا يملاها شيء فتقول الست قد اقسمت
لتملاني فيضع قدمه عليها فيقول هل امتلات فتقول قط قط قد امتلات وليس في مزيد
ق عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول
هل من مزيد حتى يضع رب العزة وفي رواية رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها الى
بعض وتقول قط قط بعزتك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم
فضول الجنة ولابي هريرة نحوه وزاد ولا يظلم الله من خلقه احدا فصل هذا الحديث
من مشاهير احاديث الصفات وللعلماء فيه وفي امثاله مذهبان احدهما وهو مذهب
الجمهور وطائفة من المتكلمين انه لا يتكلم في تاويلها بل نؤمن بانها حق على ما اراد
الله ورسوله ونجريها على ظاهرها ولها معنى يليق بها وظاهرها غير مراد والمذهب
الثاني وهو قول جمهور المتكلمين انها تتاول بحسب ما يليق بها فعلى هذا اختلفوا
في تاويل هذا الحديث فقيل المراد بالقدم التقدم وهو شائع في اللغة والمعنى حتى يضع
الله فيها من قدمه لها من اهل العذاب وقيل قدم بعض المخلوقين فيعود الضمير في
قدمه الى ذلك المخلوق المعلوم وقيل انه يحتمل ان في المخلوقات من تسمى بهذه التسمية
وخلقوا لها قال القاضي عياض اظهر التاويلات انهم قوم استحقوها وخلقوا لها قال
المتكلمون ولا بد من صرفه عن ظاهره لقيام الدليل القطعي العقلي على استحالة الجارحة
على الله تعالى والله اعلم قوله قط قط اي حسبي حسبي قط قط اكتفيت وفيها
ثلاث لغات اسكان الطاء وكسرها منونة وغير منونة وقوله ولا يظلم الله من خلقه
احدا يعني انه يستحيل الظلم في حق الله تعالى فمن عذبه بذنب او بغير ذنب فذلك عدل
منه سبحانه وتعالى قوله تعالى وازلفت الجنة اي قربت وادنيت للمتقين اي
الذين اتقوا الشرك غير بعيد يعني انها جعلت عن يمين العرش حيث يراها اهل

الموقف قبل ان يدخلوها هذا ما توعدون اي يقال لهم هذا الذي وعدتم في الدنيا على ألسنة
الانبيا لكل اواب اي راجع عن المعصية الى الطاعة قال سعيد بن المسيب هو الذي يذكر
ذنوبه في الخلا فيستغفر منها وقيل هو التواب قال ابن عباس هو المسبح والمصلي حفيظ
قال ابن عباس الحافظ لامر الله وعنه هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها
وقيل هو الحافظ على نفسه المتعهد لها المراقب وقيل الحافظ على الطاعات والاوامر
من خشي الرحمن بالغيب اي خاف الرحمن فاطاعه وان لم يره وقيل خافه في الخلوة بحيث لا يراه
احد اذا القى الستر واغلق الباب وجا بقلب منيب اي مخلص مقبل على طاعة الله ادخلوها
اي يقال لاهل هذه الصفة ادخلوا الجنة بسلام اي بسلامة من العذاب والهموم وقيل بسلام
من الله وملايكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم ذلك يوم الخلود اي في الجنة لانه لا موت
فيها لهم ما يشاون فيها وذلك انهم يسألون الله حتى تنتهي مسألتهم فيعطون ما سألوا
ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوا مما لم يخطر بقلب بشر وهو قوله تعالى ولدينا مزيد
وقيل المزيد هو النظر الى وجهه الكريم قيل يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى في كل جمعة في
دار كرامته فهذا هو المزيد قوله عز وجل وكم اهلكنا قبلهم اي من قبل كفار مكة من قرن
هم اشد منهم بطشا يعني سطوة والبطش الاخذ بصولة وعنف فنقبوا في البلاد
اي ساروا وتقلبوا في البلاد وسلكوا كل طريق هل من محيص اي فلم يجدوا لهم محيصا
من امر الله وقيل لا يجدون لهم مفرا من الموت فيصيرون الى عذاب الله وفيه تخويف لاهل
مكة لانهم على مثل سبيلهم ان في ذلك لذكرى اي فيما ذكر من اهلاك القرى تذكرة وموعظة
لمن كان له قلب قال ابن عباس اي عقل وقيل له قلب حاضر مع الله واع عن الله او القى
السمع اي استمع القران واستمع ما يقال له لا يحدث نفسه بغيره وهو شهيد اي حاضر
القلب ليس بغافل ولا ساه قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام وما مسنا من لغوب اي اعيا وتعب قال المفسرون نزلت في اليهود حيث
قالوا خلق الله السموات والارض في ستة ايام اولها الاحد واخرها الجمعة ثم استراح يوم
السبت واستلقى على العرش فلذلك تركوا العمل فيه فانزل الله هذه الاية ردا عليهم وتكذيبا
لهم في قولهم استراح يوم السبت بقوله تعالى وما مسنا من لغوب قال الامام فخر
الدين الرازي في تفسيره والظاهر ان المراد الرد على المشركين والاستدلال بخلق السموات
والارض وما بينهما وقوله وما مسنا من لغوب اي ما تعبنا بالخلق الاول حتى لا نقدر
على الاعادة ثانيا كما قال الله تعالى افعيينا بالخلق الاول الاية واما ما قاله اليهود
ونقلوه من التوراة فهو مما تحرف منهم او لم يعلموا تاويله وذلك ان الاحد والاثنين
ازمنة مستمرة بعضها عن بعض فلو كانه خلق السموات ابتدا يوم الاحد لكان الزمان
قبل الاجسام والزمان لا ينفك عن الاجسام فيكون قبل خلق الاجسام اجسام لان
اليوم عبارة عن زمان سير الشمس من الطلوع الى الغروب وقبل خلق السموات والارض
لم يكن شمس ولا قمر لكن اليوم يطلق وقد يراد به الوقت والحين وقد يعبر عنه
عن مدة الزمان اي مدة كانت قوله عز وجل فاصبر على ما يقولون الخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم اي اصبر يا محمد على ما يقولون اي من كذبهم فان الله لهم بالمرصاد
وهذا قبل الامر بقتالهم وسبح بحمد ربك اي صل حمدا لله قبل طلوع الشمس اي صلاة
الصبح وقبل الغروب يعني صلاة المغرب وقال ابن عباس صلاة الظهر والعصر
ومن الليل فسبحه يعني صلاة المغرب والعشا وقيل يعني صلاة الليل اي وقت صلى

وادبار السجود قال عمر بن الخطاب وعلي بن ابي طالب وغيرهما ادبار السجود الركعتان بعد المغرب
وادبار النجوم الركعتان قبل الفجر صلاة الفجر وهي رواية عن ابن عباس ويروى مرفوعا (ق) عن عايشة
قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شي من النوافل اشد تعاهدا منه على ركعتي الفجر (م) عنها ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها تعني بذلك سنة الفجر عن ابن مسعود قال ما
احصي ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركعتين قبل صلاة الفجر بقل يا ايها الكافرون وقل هو
الله احد اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل في قوله وادبار السجود التسبيح باللسان في
ادبار الصلوات المكتوبات (خ) عن ابن عباس قال امره ان يسبح في ادبار الصلوات كلها يعني قوله
وادبار السجود (م) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثا
وثلاثين وحمد الله ثلاثا وثلاثين وكبر الله ثلاثا وثلاثين فذلك تسعة وتسعون ثم قال تمام المائة
لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شي قدير غفرت ذنوبه وان كانت مثل
زبد البحر (خ) عنه ان فقرا المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ذهب اهل
الدثور بالدرجات والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا صلوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا
وانفقوا من فضول اموالهم وليست لنا اموال قال افلا اخبركم بامر تدركون به من كان قبلكم
وتسبقون من جا بعدكم ولا ياتي احد بمثل ما جيتم به الا من جا بمثله تسبحون في دبر كل صلاة
عشرا وتحمدون عشرا وتكبرون عشرا قوله تعالى واستمع يوم ينادي المنادي يعني استمع يا
محمد حديث يوم ينادي المنادي وقيل معناه انتظر يوم صيحة القيامة والنشور قال المفسرون
المنادي هو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس فينادي بالحشر فيقول يا ايتها العظام البالية
والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يامركن ان تجتمعن لفصل
القضا وهو قوله تعالى من مكان قريب قيل ان صخرة بيت المقدس اقرب الارض الى السما بثمانية
عشر ميلا وقيل هي في وسط الارض يوم يسمعون الصيحة بالحق اي الصيحة الاخيرة ذلك يوم الخروج اي
من القبور انا نحن نحيي اي في الدنيا ونميت يعني عند انقضا الاجل والينا المصير اي في الاخرة وقيل
تقديره نميت في الدنيا ونحيي للبعث والينا المصير بعد الموت يوم تشقق الارض عنهم سراعا
اي يخرجون سراعا الى المحشر وهو قوله ذلك حشر علينا يسير اي هين نحن اعلم بما يقولون يعني كفار
مكة في تكذيبك وما انت عليهم بجبار اي بمسلط تجبرهم على الاسلام انما بعثت مذكرا وذلك
قبل ان يومر بقتالهم فذكر بالقران من يخاف وعيد اي ما اوعدت من عصاني من العذاب قال ابن
عباس قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فذكر بالقران من يخاف وعيد والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الذاريات

وهي مكية وهي ستون اية وثلثمائة وستون كلمة والف ومائتان وتسعة وثلاثون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والذاريات ذروا يعني الرياح
التي تذرو التراب فالحاملات وقرا يعني السحاب يحمل ثقلا من الماء فالجاريات يسرا يعني السفن
تجري في الماء جريا سهلا فالمقسمات امرا يعني الملايكة يقسمون الامور بين الخلق على ما امروا به
وقيل هم اربعة جبريل صاحب الوحي الى الانبيا الامين عليه وصاحب الغلظة وميكاييل وصاحب
الرزق والرحمة واسرافيل صاحب الصور واللوح وعزراييل صاحب قبض الارواح وقيل هذه
الاوصاف الاربعة في الرياح لانها تنشي السحاب وتسيره ثم تحمله وتقله ثم تجري به جريا سهلا
ثم تقسم الامطار بتصريفها السحاب اقسم الله بهذه الاشيا لشرف ذواتها وما فيها من الدلالة
على عجيب صنعته وقدرته والمعنى اقسم بالذاريات وبهذه الاشيا وقيل فيه مضمر تقديره

وربّ الذاريات ثم ذكر جواب القسم فقال تعالى انما توعدون اى من الثواب والعقاب
يوم القيامة لصادق اى لحق وان الدين اى الحساب والجزاء لواقع اى لكائن ثم ابتدا قسما
اخر فقال تعالى والسماء ذات الحبك قال ابن عباس ذات الخلق الحسن المستوى وقيل
ذات الزينة حبكت بالنجوم وقيل ذات البنيان المتقن وقيل ذات الطرائق كحبك الماء
اذا ضربته الريح وحبك الرمل ولكنها لا ترى لبعدها من الناس وجواب قوله انكم يعنى
يا اهل مكة لفى قول مختلف يعنى فى القران وفى محمد صلى الله عليه وسلم يقولون فى القران سحر
وكهانة واساطير الاولين وفى محمد صلى الله عليه وسلم ساحر وشاعر وكاهن ومجنون وقيل لفى
قول مختلف اى مصدق ومكذب يؤفك عنه من افك اى يصرف عن الايمان به من صرف حتى
يكذبه وهو من حرمه الله الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقران وقيل معناه انهم كانوا يتلقون
الرجل اذا اراد الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم فيقولون انه ساحر وشاعر وكاهن ومجنون
فيصرفونه عن الايمان به قتل الخراصون يعنى الكذابون وهم المقتسمون الذين اقتسموا
عقاب مكة واقتسموا القول فى النبى صلى الله عليه وسلم ليصرفوا الناس عن الاسلام وقيل
هم الكهنة الذين هم فى غمرة اى فى غفلة وعمى وجهالة ساهون اى لاهون غافلون عن
امر الاخرة والسهو الغفلة عن الشى وذهاب القلب عنه يسالون ايان يوم الدين
اى يقولون يا محمد متى يوم الجزاء يعنى القيامة تكذيبا واستهزاء قال الله تعالى يوم هم اى
يكون هذا الجزاء فى يوم هم على النار يفتنون اى يدخلون ويعذبون بها وتقول لهم خزنة
النار ذوقوا فتنتكم اى عذابكم هذا الذى كنتم به تستعجلون اى فى الدنيا تكذيبا قوله
ان المتقين فى جنات وعيون يعنى فى خلال الجنات عيون جارية اخذين ما اتاهم
اى ما اعطاهم ربهم من الخير والكرامة انهم كانوا قبل ذلك محسنين اى قبل دخولهم الجنة
كانوا محسنين فى الدنيا ثم وصف احسانهم فقال تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون
اى كانوا ينامون قليلا من الليل ويصلون اكثره وقال ابن عباس كانوا اقل ليلة تمر بهم
الا صلوا فيها شيئا اما من اولها او من وسطها وعن انس بن مالك فى قوله كانوا قليلا
يصلون بين المغرب والعشاء اخرجه الترمذى ابو داود وقيل كانوا لا ينامون حتى يصلون
العتمة وقيل قل ليلة اتت عليهم هجوعا كلها ووقف بعضهم على قوله كانوا قليلا اى من
الناس ثم ابتدا من الليل ما يهجعون اى لا ينامون اى لا ينامون بالليل البتة بل يقومون
الليل كله فى الصلاة والعبادة وبالاسحار هم يستغفرون اى ربما مدوا عبادتهم الى وقت
السحر ثم اخذوا فى الاستغفار وقيل يستغفرون من تقصيرهم فى العبادة وقيل يستغفرون من
ذلك القدر القليل الذى كانوا ينامونه من الليل وقيل معناه يصلون بالاسحار لطلب
المغفرة ق عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا
حتى يبقى ثلث الليل الاخر فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسالنى فاعطيه من يستغفرنى
فاغفر له ولمسلم قال فيقول انا الملك انا الملك وذكر الحديث وفيه حتى يضيء الفجر وزاد
فى رواية من يقرض غير عديم ولا ظلوم فصل هذا الحديث من احاديث الصفات
وفيه مذهبان معروفان وهو مذهب السلف وغيرهم انه يمر كما جاء من غير تاويل ولا تعطيل
وترك الكلام فيه وفى امثاله مع الايمان به وتنزيه الرب تبارك وتعالى عن صفات الاجسام
المذهب الثانى وهو قول جماعة من المتكلمين وغيرهم ان الصعود والنزول من صفات
الاجسام والله تعالى يتقدس عن ذلك فعلى هذا يكون معناه نزول الرحمة والالطاف
الالهية وقربها من عباده والاقبال على الداعين بالاجابة واللطف وتخصيصه بالثلث

الاخر من الليل لان ذلك وقت التهجد والدعاء وغفلة اكثر الناس وعن التعرض لنفحات الله
تعالى وفى ذلك الوقت تكون النية خالصة والرغبة الى الله تعالى متوفرة فهو مظنة
لقبول الاجابة والله اعلم ق عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام من الليل يتهجد
قال اللهم لك الحمد انت قيم السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت ملك السموات والارض
ومن فيهن ولك الحمد انت الحق ووعدك الحق ولقاؤك الحق وقولك الحق والجنة حق والنار حق
والنبيون حق ومحمد حق والساعة حق اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك توكلت واليك انبت
وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت زاد
فى رواية وما انت اعلم به منى انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت او لا اله غيرك زاد
النسائى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم خ عن عبادة بن الصامت عن النبى صلى الله
عليه وسلم قال من تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو
على كل شى قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قال
اللهم اغفر لى او قال دعا استجيب له فان توضا وصلى قبلت صلاته قوله تعار من الليل يقال
تعار الرجل من نومه اذا انتبه وله صوت قوله عز وجل وفى اموالهم حق اى نصيب قيل
انه ما يصلون به رحما او يقرون ضيفا او يحملون كلا او يعينون به محروما وليس بالزكاة
قاله ابن عباس وقيل انه الزكاة المفروضة للسائل اى الذى يسال الناس ويطلب منهم والمحروم
قيل هو الذى ليس له فى الغنائم سهم ولا يجرى عليه من الفى شى قال ابن عباس المحروم الذى ليس له
فى الاسلام سهم وقيل معناه الذى حرم الخير والعطاء وقيل المحروم المتعفف الذى لا يسال وقيل
هو صاحب الحاجة الذى اصيب زرعه او ثمره او نسل ماشيته وقيل هو المحارف المحروم فى
الرزق والتجارة وقيل هو المملوك وقيل هو المكاتب والاظهر الاقوى انه المتعفف لانه
قرنه بالسائل والمتعفف لا يسال ولا يكاد الناس يعطون من لا يسال وانما يفطن له متيقظ
وفى الارض ايات اى عبر من البحار والجبال والاشجار والانهار وانواع النبات للموقنين
اى بالله الذى يعرفونه ويستدلون عليه بصنائعه وفى انفسكم ايات اذ كنتم نطفة
ثم علقة ثم مضغة ثم عظما الى ان تنفخ فيه الروح وقال ابن عباس يريد اختلاف الالسنة
والصور والالوان والطبائع وقيل يريد سبيل الغائط والبول ياكل ويشرب من مدخل
واحد ويخرج من سبيلين وقيل يعنى تقويم الادوات والسمع والبصر والنطق والعقل الى
غير ذلك من العجائب المودوعة فى ابن ادم افلا تبصرون يعنى كيف خلقكم فتعرفوا قدرته
على البعث وفى السماء رزقكم قال ابن عباس هو المطر وهو سبب الارزاق وما توعدون يعنى
من الثواب والعقاب وقيل من الخير والشر وقيل الجنة والنار ثم اقسم سبحانه وتعالى
بنفسه فقال فورب السماء والارض انه لحق اى ما ذكره من الرزق وغيره مثل ما انكم
تنطقون اى بلا اله الا الله وقيل شبه تحقق ما اخبر به عنه بتحقق نطق الادمى ومعناه
انه لحق كما انك تتكلم وقيل ان معناه فى صدقه ووجوده كالذى يعرفه ضرورة وقال بعض
الحكماء معناه كما ان كل انسان ياكل رزق نفسه الذى قسم له ينطق بلسان نفسه لا يمكنه
ان ينطق بلسان غيره كذلك كل انسان ياكل رزق نفسه الذى قسم له لا يقدر ان ياكل رزق
غيره قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم يعنى هل اتاك يا محمد حديث الذين جاؤا
ابراهيم بالبشرى فاستمع نقصصه عليك وقد تقدم ذكر عددهم وقصتهم فى سورة هود
المكرمين قيل سماهم مكرمين لانهم كانوا ملائكة كراما عند الله وقيل لانهم كانوا ضيف
ابراهيم وهو اكرم الخلق على الله يومئذ وضيف الكريم مكرمون وقيل لان ابراهيم عليه

السلام اكرمهم بالعجل فراموا وخدمهم اياهم بنفسه وطلاقة وجهه لهم وقال ابن عباس سماهم مكرمين
لانهم كانوا اتوا غير مدعوين عن ابي شريح العدوي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم
الاخر فليكرم ضيفه اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون اي غرباء لا نعرفكم قال
ابن عباس قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم وقيل انما انكر امرهم لانهم دخلوا بغير استيذان
وقيل انكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض فراغ اي عدل ومال الى اهله فجاء بعجل سمين اي
جيد وكان مشويا قيل كانت عامة مال ابراهيم البقر فجاء بعجل فقربه اليهم هذا من اداب الضيف
ان تقدم الطعام الى الضيف ولا يحوجهم للسعي اليه فلما لم ياكلوا قال الا تاكلون يعني انه
انه حثهم على الاكل وقيل عرض عليهم الاكل من غير ان يامرهم فاوجس اي فاضمر منهم خيفة
لانهم لم يتحرموا بطعامه قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم اي يبلغ ويعلم وقيل عليم
اي نبي فاقبلت امرأته قيل لم يكن ذلك اقبالا من مكان الى مكان بل كانت في البيت فهو
كقول القائل اقبل يفعل كذا اذا اخذ فيه في صرة اي في صيحة والمعنى انها اخذت تولول
وذلك من عادات النسا اذا سمعن شيا فصكت وجهها قال ابن عباس لطمت وجهها وقيل
جمعت اصابعها وضربت جبينها تعجبا وذلك من عادة النسا ايضا اذا انكرن شيا وقالت عجوز
عقيم معناه انا لد عجوز عقيم وذلك لان سارة لم تلد قبل ذلك قالوا كذلك قال ربك اي كما
قلنا لك قال ربك ستلدين غلاما انه هو الحكيم العليم ثم ان ابراهيم عليه السلام لما علم حالهم
وانهم من الملائكة قال فما خطبكم اي فما شانكم وما طلبكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى
قوم مجرمين يعني قوم لوط لنرسل عليهم حجارة من طين قيل هو الاجر مسومة اي معلمة قيل كل
على كل حجر اسم من يهلك به وقيل معلمة بعلامة تدل على انها ليست من حجارة الدنيا عند ربك
للمسرفين قال ابن عباس يعني المشركين لان الشرك اسرف الذنوب واعظمها فاخرجنا من كان فيها
اي في قرى لوط من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت اي اهل بيت من المسلمين يعني لوطا وابنتيه
وصفهم الله تعالى بالايمان والاسلام جميعا لانه ما من مؤمن الا وهو مسلم لان الاسلام اعم من
من الايمان واطلاق العام على الخاص لا مانع منه فاذا سمي المؤمن مسلما لا يدل على اتحاد مفهوميهما
وتركنا فيها اي في مدينة لوط اية اي عبرة للذين يخافون العذاب الاليم والمعنى تركنا فيها
علامة للخائفين تدلهم على ان الله مهلكهم فيخافون مثل عذابهم قوله عز وجل وفي موسى
اي وتركنا في ارسال موسى اية وعبرة اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين اي بحجة
ظاهرة فتولى اي اعرض عن الايمان بركنه اي بجمعه وجنوده الذين كانوا يتقوى بهم
وقال ساحر او مجنون فاخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم اي فاغرقناهم
في البحر وهو مليم اي اتى بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسل وفي عاد اي
وفي اهلاك عاد ايضا اية وعبرة اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم يعني التي لا خير فيها
ولا بركة ولا تلقح شجرا ولا تحمل مطرا ما تذر من شيء اتت عليه اي من انفسهم واموالهم
وانعامهم الا جعلته كالرميم اي كالشيء الهالك البالي وهو ما يبس وديس من نبات الارض
كالشجر والتبن ونحوه واصله من رم العظم اذا بلي وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين
يعني الى انقضا اجالهم وذكروا انهم لما عقروا الناقة قيل لهم تمتعوا ثلاثة ايام فعتوا
عن امر ربهم اي تكبروا عن طاعة ربهم فاخذتهم الصاعقة اي بعد مضي ثلاثة ايام من بعد
عقر الناقة وهي الموت في قول ابن عباس وقيل اخذهم العذاب والصاعقة كل عذاب مهلك
وهم ينظرون اي يرون ذلك العذاب عيانا فما استطاعوا من قيام اي فما قاموا بعد
نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض من تلك الصرعة وما كانوا منتصرين اي ممتنعين

منا

اي منتقمين منا وقيل ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من امر الله وقوم نوح قرئ بكسر
الميم ومعناه وفي قوم نوح وقرئ بنصبها ومعناه واغرقنا قوم نوح من قبل اي من قبل هؤلاء
وهم عاد وثمود وقوم فرعون انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين عن الطاعة قوله تعالى
والسماء بنيناها بايد اي بقوة وقدرة وانا لموسعون قيل هو من السعة اي اوسعنا السما
بحيث صارت الارض وما يحيط بها من السما والفضا بالنسبة الى سعة السما كالحلقة الملقاة
في الفلاة وقال ابن عباس معناه قادرون على بنائها كذلك وعنه لموسعون الرزق على خلقنا
وقيل معناه انا لذو سعة والسعة والغنى والارض فرشناها اي بسطناها ومهدناها لكم
فنعم الماهدون اي نحن ومن كل شيء خلقنا زوجين اي صنفين ونوعين مختلفين كالسما
والارض والشمس والقمر والليل والنهار والبر والبحر والسهل والجبل والصيف والشتا والذكر
والانثى والنور والظلمة والايمان والكفر والسعادة والشقاوة والحق والباطل والحلو
والحامض لعلكم تذكرون اي فتعلمون ان خالق الازواج فرد لا نظير له ولا شريك معه
ففروا الى الله اي قل يا محمد ففروا الى الله اي فاهربوا من عذابه الى ثوابه بالايمان والطاعة
قال ابن عباس ففروا اليه واعملوا بطاعته قال سهل بن عبد الله ففروا مما سوى الله الى الله
اني لكم منه نذير اي مخوف مبين اي بين الرسالة بالحجة الظاهرة والمعجزة الباهرة والبرهان
القاطع ولا تجعلوا مع الله الها اخر اي وحدوه لا تشركوا به شيا اني لكم منه نذير مبين قيل
انما كرر قوله اني لكم منه نذير مبين عند الامر بالطاعة والنهي عن الشرك ليعلم ان الايمان
لا ينفع الا مع العمل كما ان العمل لا ينفع الا مع الايمان وانه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما
كذلك اي كما كذبك قومك وقالوا ساحر او مجنون كذلك ما اتى الذين من قبلهم اي من قبل كفار
مكة والامم الخالية من رسول يعني يدعوهم الى الايمان والطاعة الا قالوا ساحر او مجنون
قال الله تعالى اتواصوا به اي اوصى اولهم اخرهم وبعضهم بعضا بالتكذيب وتواطؤوا عليه
وفيه توبيخ لهم بل هم قوم طاغون اي لم يتواصوا بهذا القول لانهم لم يتلاقوا في زمان واحد
بل جمعتهم على ذلك علة واحدة وهي الطغيان وهو الحامل لهم على ذلك القول فتول عنهم
اي اعرض عنهم فما انت بملوم اي لا لوم عليك فقد اديت الرسالة وبذلت المجهود وما
قصرت فيما امرت قال المفسرون لما نزلت هذه الاية حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
واشتد على اصحابه وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حضر اذ امر النبي صلى الله
عليه وسلم ان يتولى عنهم فانزل الله عز وجل وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين فطابت نفوسهم
بذلك والمعنى عظ بالقران من امن من قومك فان الذكرى تنفعهم قوله عز وجل وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون قيل هذا خاص لاهل طاعته من الفريقين يدل عليه قراءة ابن عباس
وقيل معناه وما خلقت الجن والانس الا لعبادتي والاشقيا منهم الا لمعصيتي وهو ما جبلوا
عليه من الشقاوة والسعادة وقال علي بن ابي طالب ليعبدون اي الا لامرهم ان يعبدوني
وادعوهم الى عبادتي وقيل معناه الا ليعرفون وهذا حسن لانه لو لم يخلقهم لم يعرفوا وجوده
وتوحيده وقيل معناه الا ليخضعوا ويتذللوا لان معنى العبادة في اللغة التذلل
والانقياد وكل مخلوق من الجن والانس خاضع لقضا الله متذلل لمشيئته لا يملك احد لنفسه
خروجا عما خلق له وقيل معناه الا ليوحدون فاما المؤمن فيوحده اختيارا في الشدة والرخا
واما الكافر فيوحده اضطرارا في الشدة والبلا دون النعمة والرخا ما اريد منهم من رزق
اي ما اريد ان يرزقوا احدا من خلق الله ولا ان يرزقوا انفسهم لاني انا الرزاق المتكفل
لعبادي بالرزق القائم لكل نفس بما يقيمها من قوتها وما اريد ان يطعمون اي ان

يطعموا احدا من خلقي وانما اسند الاطعام الى نفسه لان الخلق كل عيال الله ومن اطعم عيال احد فقد اطعمه لما صح من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يقول يوم القيامة يا ابن ادم مرضت فلم تعدني قال يا رب كيف اعودك وانت رب العالمين قال اما علمت ان عبدي فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتني عنده يا ابن ادم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي يا ابن ادم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه اما علمت انك لو سقيته لوجدت ذلك عندي ثم بين انه لا رازق لهم ولا غيره فقال تعالى ان الله هو الرزاق لجميع خلقه ذو القوة المتين يعني هو القوي الشديد المقتدر البليغ القوة الذي لا يلحقه في افعاله مشقة فان للذين ظلموا اي من اهل مكة ذنوبا اي نصيبا من العذاب مثل ذنوب اصحابهم اي مثل نصيب اصحابهم الذين اهلكوا من قوم عاد وثمود فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيامة اي بالعذاب لانهم اخروا الى يوم القيامة يدل عليه قوله عز وجل فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون يعني يوم القيامة وقيل يوم بدر والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب وعنده حسن المآب

تفسير سورة الطور

مكية وهي تسع واربعون اية وثلثمائة واثنتي عشرة كلمة والف وخمسمائة حرف

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والطور اراد الجبل الذي كلم الله موسى عليه السلام عليه بالارض المقدسة وقيل مدين وكتاب مسطور اي مكتوب في رق يعني الاديم الذي يكتب فيه المصحف منشور اي مبسوط واختلفوا في الكتاب فقيل هو ما كتبه الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير القلم وقيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو دواوين الحفظة يخرج اليهم يوم القيامة منشورا فاخذ بيمينه واخذ بشماله وقيل هو القران والبيت المعمور يعني بكثرة الغاشية والاهل وهو بيت في السماء السابعة قدام العرش حيال الكعبة يقال له الضراح حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الارض وصح في حديث المعراج من افراد مسلم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى البيت المعمور في السماء السابعة قال فاذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه وفي رواية اخرى قال فانتهيت الى بناء فقلت للملك ما هذا قال بناء بناه الله للملائكة يدخل فيه كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه يسبحون الله ويقدسونه وفي رواية افراد البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه راى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك والسقف المرفوع يعني السماء والبحر المسجور يعني الموقد المحمي بمنزلة التنور المسجور وهو قول ابن عباس وذلك ما روي ان الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة نارا فيزاد بها في نار جهنم وجاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يركبن رجل البحر الا غازيا او معتمرا او حاجا فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا وقيل المسجور المملو وقيل هو اليابس الذي ذهب ماؤه ونضب وقيل هو المختلط العذب بالملح وروي عن علي بن ابي طالب انه قال في البحر المسجور هو بحر تحت العرش عمقه كما بين سبع سموات الى سبع ارضين فيه ماء غليظ يقال له بحر الحيوان يمطر العباد بعد النفخة الاولى منه اربعين صباحا فينبتون من قبورهم اقسم الله بهذه الاشياء لما فيها من عظيم قدرته وجواب القسم قوله تعالى ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع

يعني انه حق وكائن ونازل بالمشركين في الاخرة ما له من دافع اي مانع قال جبير بن مطعم قدمت المدينة لاكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فدفعت له وهو يصلي باصحابه المغرب وصوته يخرج من المسجد فسمعته يقرا والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبي حين سمعت ولم يكن اسلم يومئذ قال فاسلمت خوفا من نزول العذاب وما كنت اظن اني اقوم من مكاني حتى يقع في العذاب ثم بين انه متى يقع فقال تعالى يوم تمور السماء مورا اي تدور كدور الرحا وتتكفأ باهلها تكفؤ السفينة وقيل تتحرك وتختلف اجزاؤها بعضها من وتضطرب وتسير الجبال سيرا اي تزول عن اماكنها وتصير هباء منثورا والحكمة في مور السماء وسير الجبال الانذار والاعلام بان لا رجوع ولا عود الى الدنيا وذلك لان الارض والسماء وما بينهما من الجبال والبحار وغير ذلك انما خلقت لعمارة الدنيا وانتفاع بني ادم بذلك فلما لم يبق لهم عود اليها ازال الله تعالى ذلك وذلك لخراب الدنيا وعمارة الاخرة فويل اي شدة عذاب يومئذ للمكذبين اي يوم القيامة الذين هم في خوض اي يخوضون في الباطل يلعبون اي غافلين لاهين عما يراد بهم يوم يدعون اي يدفعون الى نار جهنم دعا يعني دفعا بعنف وجفوة وذلك ان خزنة جهنم يغلون ايدي الكفار الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم ويدفعون بهم دفعا الى النار على وجوههم وزجرا في اقفيتهم حتى يردوا الى النار فاذا دنوا منها قال لهم خزنتها هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي في الدنيا افسحر هذا وذلك انهم كانوا ينسبون محمدا صلى الله عليه وسلم الى السحر وانه يغطي على الابصار فوبخوا بذلك وقيل لهم افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها اي قاسوا اشدتها فاصبروا اي على العذاب او لا تصبروا عليه سواء عليكم الصبر والجزع انما تجزون ما كنتم تعملون اي من الكفر والتكذيب في الدنيا قوله تعالى ان المتقين في جنات ونعيم فاكهين اي معجبين بذلك ناعمين بما اتاهم ربهم اي من الخير والكرامة ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا اي يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا اي مامون العاقبة من التخمة والسقم بما كنتم تعملون اي في الدنيا من الايمان والطاعة متكئين على سرر مصفوفة اي موضوعة بعضها الى بعض وزوجناهم بحور عين والذين امنوا واتبعتهم ذرياتهم بايمان اولادهم الصغار والكبار فالكبار بايمانهم والصغار بايمان ابائهم فان الولد الصغير يحكم باسلامه تبعا لاحد ابويه الحقنا بهم ذرياتهم يعني المؤمنين في الجنة بدرجات ابائهم وان لم يبلغوا باعمالهم درجات ابائهم تكرمة لابائهم لتقر بذلك اعينهم هذه رواية عن ابن عباس وفي رواية اخرى عنه ان معنى الاية والذين امنوا واتبعتهم ذرياتهم يعني البالغين بايمان الحقنا بهم ذرياتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان بايمان ابائهم اخبر الله تعالى انه يجمع لعبده المؤمن ذريته في الجنة كما كان يحب في الدنيا ان يجتمعوا اليه فيدخلهم الله الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل ابيه من غير ان ينقص الاباء من اعمالهم شيئا عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يرفع ذرية المؤمن وان كانوا دونه في العمل لتقر بهم عينه ثم قرا والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم الى اخر الاية عن علي قال سالت خديجة النبي صلى الله عليه وسلم عن ولدين ماتا لها في الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما في النار فلما راى الكراهة في وجهها قال لو رايت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمنين واولادهم في الجنة وان المشركين واولادهم في النار ثم قرا النبي صلى الله عليه وسلم والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم اخرج هذين الحديثين البغوي باسناد الثعلبي وما التناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب اي كافر بما عمل من

الشرك رهين اى مرتهن بعمله والمؤمن لا يكون مرتهنا بعمله لقوله كل نفس بما كسبت رهينة
الا اصحاب اليمين ثم ذكر ما وعدهم به من الخير والنعمة فقال تعالى وامددناهم بفاكهة يعني
زيادة عما كان لهم ولحم مما يشتهون اى من انواع اللحوم يتنازعون اى يتعاطون ويتناولون
فيها اى في الجنة كاسا لا لغو فيها اى لا باطل فيها ولا رفث ولا تخاصم ولا تذهب عقولهم
فيلغوا ويرفثوا ولا تاثيم اى لا يكون منهم ما يؤثمهم ولا يجري بينهم ما فيه لغو واثم
كما يجري بين شربة الخمر في الدنيا وقيل لا ياثمون في شربها ويطوف عليهم اى للخدمة غلمان لهم
كانهم اى في الحسن والبياض والصفا لؤلؤ مكنون اى مخزون مصون لم تمسه الايدي قال
عبد الله بن عمرو ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام كل واحد منهم على عمل غير عمل صاحبه
وعن قتادة قال ذكر لنا ان رجلا قال يا نبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم قال فضل
المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على ساير الكواكب قوله تعالى واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون يعني يسال بعضهم بعضا في الجنة قال ابن عباس يتذاكرون ما كانوا
فيه من الخوف والتعب في الدنيا قالوا انا كنا قبل في اهلنا اى في الدنيا مشفقين اى
خائفين من العذاب فمن الله علينا بالمغفرة ووقانا عذاب السموم يعني عذاب النار وقيل
هو اسم من اسماء جهنم انا كنا من قبل اى في الدنيا ندعوه اى نخلص له الدعاء والعبادة انه
هو البر قال ابن عباس اللطيف وقيل الصادق فيما وعد وقيل البر اللطيف على عباده المحسن
اليهم الذي عم بره جميع خلقه الرحيم قوله عز وجل فذكر يعني فعظ يا محمد بالقران كفار
مكة فما انت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون وهو الذي ياتيه الخبر انه يعلم الغيب ويخبر
بما في غد من غير وحي والمعنى انك لست كما تقول كفار مكة انه كاهن ومجنون انما تنطق
بالوحي نزلت في الذين اقتسموا اعقاب مكة يرمون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكهانة
والسحر والجنون ام يقولون يعني هؤلاء المقتسمين شاعر اى هو شاعر نتربص به اى ننتظر به ريب
المنون يعني حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء او يتفرق
عنه اصحابه وان اباه مات وهو شاب ونحن نرجو ان يكون موته كموت ابيه والمنون
اسم للموت وللدهر واصله القطع سميا بذلك لانهما يقطعان الاجل قل تربصوا اى انتظروا
الى الموت فاني معكم من المتربصين اى المنتظرين حتى ياتي امر الله فيكم فعذبوا يوم بدر بالقتل
والسبي ام تامرهم احلامهم اى عقولهم بهذا وذلك ان عظماء قريش كانوا يوصفون بالاحلام
والعقول فازرى الله بعقولهم حين لم تتميز لهم معرفة الحق من الباطل ام هم قوم طاغون
اى يتجاوزون الحد في الطغيان والكفر ام يقولون تقوله اى اختلق القران من تلقاء نفسه
والتقول التكلف ولا يستعمل الا في الكذب والمعنى ليس الامر كما زعموا بل لا يؤمنون اى بالقران استكبارا
ثم الزمهم الحجة فقال فلياتوا بحديث مثله اى مثل القران في نظمه وحسنه وبيانه ان كانوا
صادقين يعني ان محمدا تقوله من قبل نفسه ام خلقوا من غير شيء قال ابن عباس من غير رب خالق
والمعنى خلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق وذلك مما لا يجوز ان يكون لان تعلق الخلق بالخالق
من ضرورة الاسم فان انكروا الخالق لم يجز ان يوجدوا بلا خالق ام هم الخالقون اى لانفسهم وذلك
في البطلان اشد لان ما لا وجود له كيف يخلق فاذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بان لهم
خالقا فليؤمنوا به وليوحدوه وليعبدوه وقيل في معنى الاية اخلقوا باطلا فلا يحاسبون ولا يؤمرون
ولا ينهون اى لانفسهم فلا يجب عليهم لله امر ام خلقوا السموات والارض يعني ليس الامر كذلك
بل لا يوقنون اى بالحق وهو توحيد الله تعالى وقدرته على البعث وان الله تعالى خالقهم وخالق السموات
والارض فليؤمنوا به وليوقنوا انه ربهم وخالقهم ام عندهم خزائن ربك يعني النبوة ومفاتيح

الرسالة

الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا وقيل خزائن المطر والرزق ام هم المسيطرون اى المسلطون الجبارون
وقيل الارباب القاهرون فلا يكونون تحت امر ولا نهي يفعلون ما يشاؤون ام لهم سلم يعني مرقى
ومصعد الى السماء يستمعون فيه اى يستمعون عليه الوحي من السماء فيعلمون ان ما هم عليه حق فهم به
متمسكون فليات مستمعهم اى ان ادعوا ذلك بسلطان مبين اى بحجة بينة ام له البنات
ولكم البنون هذا انكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون لانفسهم ام تسالهم اجرا اى جعلا على ما جئتهم
به من النبوة ودعوتهم اليه من الدين فهم من مغرم مثقلون يعني اثقلهم ذلك المغرم الذي سالتهم فمنعهم
عن الاسلام ام عندهم الغيب اى علم الغيب وهو ما غاب عنهم حتى علموا ان ما اخبرهم به الرسول
من امر القيامة والبعث باطل وقيل هو جواب لقولهم نتربص به ريب المنون والمعنى اعلموا ان محمدا
يموت قبلهم فهم يكتبون اى يحكمون قال ابن عباس معناه ام عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون
ما فيه ويخبرون الناس به ام يريدون كيدا اى مكرا بك ليهلكوك فالذين كفروا هم المكيدون
المجزيون بكيدهم والمعنى ان ضرر كيدهم يعود عليهم ويحيق مكرهم بهم وهو انهم مكروا به
في دار الندوة ليقتلوه فقتلوا ببدر ام لهم اله غير الله قوله تعالى يعني يرزقهم وينصرهم
سبحان الله عما يشركون والمعنى انه نزه نفسه عما يقولون قوله تعالى وان يروا كسفا من السماء
ساقطا هذا جواب لقولهم فاسقط علينا كسفا من السماء يقول لو عذبناهم بسقوط قطعة من
السماء لم ينتهوا عن كفرهم ويقولوا لمعاندتهم سحاب مركوم اى بعضه على بعض يسقينا فذرهم
حتى يلاقوا اى يعاينوا يومهم الذي فيه يصعقون اى يموتون ويهلكون يوم لا يغني عنهم
كيدهم شيئا ولا هم ينصرون اى لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع وان
للذين ظلموا اى كفروا عذابا دون ذلك اى عذابا في الدنيا قبل عذاب الاخرة قال ابن عباس يعني
القتل يوم بدر وقيل هو الجوع والقحط سبع سنين وقيل هو عذاب القبر ولكن اكثرهم
لا يعلمون اى ان العذاب نازل بهم قوله عز وجل واصبر لحكم ربك اى الى ان يقع بهم العذاب
الذي حكمنا عليهم به فانك باعيننا اى بمراى منا قال ابن عباس نرى ما يعمل بك وقيل معناه
انا نحفظك ونراك فلا يصلون اليك بمكروه وسبح بحمد ربك حين تقوم من مجلسك
سبحانك اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت بذلك احسانا وان كان غير
ذلك كان كفارة له عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا
فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت
استغفرك واتوب اليك الا كان كفارة لما بينهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح وقال ابن عباس معناه حين تقوم من منامك وقيل هو ذكر الله باللسان حين تقوم
من الفراش الى ان تدخل في الصلاة عن عاصم بن حميد قال سالت عائشة باي شيء كان يفتتح
رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل فقالت سالتني عن شيء ما سالني عنه احد قبلك
كان اذا قام كبر عشرا وحمد الله تعالى عشرا وسبح عشرا واستغفر عشرا وقال اللهم اغفر لي
وارحمني واهدني وارزقني وعافني وكان يتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة اخرجه
ابو داود والنسائي وقيل اذا قمت الى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك يدل عليه
ما روي عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا افتتح الصلاة قال سبحانك
اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا اله غيرك اخرجه الترمذي
وابو داود وقال قد تكلم في احد رواته قوله تعالى ومن الليل فسبحه اى فصل له يعني
صلاة المغرب والعشاء وادبار النجوم يعني الركعتين قبل صلاة الفجر وذلك حين تدبر
النجوم اى تغيب بضوء الصبح هذا قول اكثر المفسرين يدل عليه ما روي عن ابن عباس عن

النبي صلى الله عليه وسلم قال ادبار النجوم الركعتان قبل الفجر وادبار السجود الركعتان بعد المغرب
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل ادبار النجوم هي فريضة الصبح ق عن جبير بن مطعم
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا في المغرب بالطور والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة النجم

وهي اثنتان وستون اية وثلثمائة وستون كلمة والف واربعمائة وخمسة احرف
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والنجم اذا هوى قال ابن
عباس يعني الثريا اذا سقطت وغابت والعرب تسمي الثريا نجما ومنه قولهم اذا طلع النجم عشا
ابتغى الراعي كسا وجاء في الحديث عن ابي هريرة مرفوعا ما طلع النجم قط وفي الارض من العاهة
شي الا رفع اراد بالنجوم الثريا وقيل هي نجوم السما كلها وهويها غروبها فعلى هذا اللفظ واحد ومعناه
الجمع وقيل روي عن ابن عباس ان الرجوم من النجوم وهي ما ترمى به الشياطين عند استراق السمع
وقيل هي النجوم اذا انتثرت يوم القيامة وقيل اراد بالنجوم القران سمي نجما لانه نزل
نجوما متفرقة في عشرين سنة وهو قول ابن عباس ايضا وقيل هو النجم النبت الذي لا
ساق له وهويه سقوطه اذا يبس على الارض وقيل النجم هو محمد صلى الله عليه وسلم
وهويه سقوطه ليلة المعراج من السما وجواب القسم قوله تعالى ما ضل صاحبكم يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم ما ضل عن طريق الهدى وما غوى اي ما جهل وقيل الفرق بين الضلال والغي
ان الضلال هو ان لا يجد السالك الى مقصده طريقا اصلا والغواية ان لا يكون له
طريق الى مقصده مستقيم وقيل ان الضلال اكثر استعمالا من الغواية وما ينطق عن الهوى
اي بالهوى والمعنى لا يتكلم بالباطل وذلك انهم قالوا ان محمدا يقول القران من تلقا نفسه
ان هو اي ما هو يعني القران وقيل نطقه في الدين الا وحي من الله يوحى اليه علمه شديد القوى
يعني جبريل علم محمدا صلى الله عليه وسلم ما اوحى اليه الله عز وجل وكونه شديد القوى انه
اقتلع قرى قوم لوط وحملها على جناحه حتى بلغ بها السما ثم قلبها وصاح صيحة بثمود
فاصبحوا جاثمين وكان هبوطه بالوحي على الانبيا اسرع من رجعة الطرف ذو مرة اي ذو
قوة وشدة وقال ابن عباس ذو منظر حسن وقيل ذو خلق طويل فاستوى يعني جبريل عليه
السلام وهو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والمعنى استوى جبريل ومحمد ليلة المعراج بالافق
الاعلى عند مطلع الشمس وقيل فاستوى يعني جبريل وهو كناية عن جبريل ايضا اي قام
في صورته التي خلقه الله فيها وهو بالافق الاعلى وذلك ان جبريل عليه السلام كان ياتي
رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة الادميين كما كان ياتي الانبيا قبله فسأله رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه يريه نفسه على صورته التي جبل عليها فاراه نفسه مرتين مرة
في الارض ومرة في السما فاما التي في الارض فبالافق الاعلى والمراد بالافق الاعلى جانب
المشرق وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحرا فطلع له جبريل عليه السلام
من ناحية المشرق فسد الافق الى المغرب فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه
فنزل جبريل عليه السلام في صورة الادميين فضمه الى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه
وهو قوله ثم دنا فتدلى واما التي في السما فعند سدرة المنتهى ولم يره احد من الانبيا
على تلك الصورة التي خلق عليها الا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ثم دنا فتدلى
فكان قاب قوسين او ادنى اختلف العلما في معنى هذه الاية فروي عن مسروق
ابن الاجدع قال قلت لعائشة فاين قوله ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى

قالت

قالت ذلك جبريل كان ياتيه في صورة الرجل وانه اتاه في هذه المرة في صورته التي هي صورته فسد
الافق اخرجاه في الصحيحين وعن زر بن حبيش في قوله ما كذب الفواد ما راى وفي قوله لقد
راى من ايات ربه الكبرى قال فيهما كليهما ان ابن مسعود قال راى جبريل في صورته اخرجه مسلم
والبخاري في قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى فاوحى الى عبده ما اوحى فعلى هذا يكون معنى
الاية ثم دنا جبريل بعد استوائه بالافق الاعلى من الارض فتدلى الى محمد صلى الله عليه وسلم فكان
منه قاب قوسين او ادنى اي بل ادنى وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة وقيل في الكلام تقديم
وتاخير تقديره ثم تدلى فدنى لان التدلي سبب الدنو وقال الاخرون ثم دنا الرب
عز وجل من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اي فقرب منه حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وقد ورد
في الصحيحين من حديث المعراج من رواية شريك بن عبد الله بن ابي نمر عن انس ودنا الجبار رب
العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى وهذه رواية ابي سلمة عن ابن عباس والتدلي
هو النزول الى النبي صلى الله عليه وسلم قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر
حديث انس من رواية شريك وقد زاد فيه زيادة مجهولة واتى فيه بالفاظ غير معروفة
وقد روى حديث الاسرا جماعة من الحفاظ المتقنين كابن شهاب وثابت البناني وقتادة يعني
عن انس فلم يات احد منهم بما اتى في صحيحه وفي رواية شريك وقدم واخر وزاد ونقص فيحتمل
ان هذا اللفظ من زيادة شريك في الحديث وقال الضحاك دنا محمد صلى الله عليه وسلم من ربه
عز وجل فتدلى اي فاهوى للسجود فكان منه قاب قوسين او ادنى والقاب القدر والقوس
الذي يرمى به وهو رواية عن ابن عباس وقيل معناه حيث الوتر من القوس فاخبر انه كان بين
جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم مقدار قوسين وهذه اشارة الى تاكيد القرب واصله ان الحليفين
من العرب كانا اذا ارادا عقد الصفا والعهد خرجا بقوسيهما يريدان بذلك انهما متظاهران
يحامي كل واحد منهما عن صاحبه وقال عبد الله بن مسعود قاب قوسين قدر ذراعين
والقوس الذراع التي يقاس بها من قاس يقيس او ادنا بل اقرب فاوحى اي اوحى الله عبده
محمدا ما اوحى وعن ابن عباس رضي الله عنه قال اوحى جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحى
اليه ربه عز وجل قال سعيد بن جبير اوحى اليه الم يجدك يتيما فاوى الى قوله ورفعنا لك
ذكرك وقيل اوحى اليه ان الجنة محرمة على الانبيا حتى تدخلها انت وعلى الامم حتى تدخلها
امتك قوله عز وجل ما كذب الفواد قرئ بالتشديد ما كذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم
ما راى اي بعينه تلك الليلة بل صدقه وحققه وقرئ بالتخفيف اي ما كذب فواد محمد
الذي راه بل صدقه والمعنى ما كذب الفواد فيما راى واختلفوا في الذي راه فقيل
راى جبريل وهو قول ابن مسعود وعائشة وقيل هو الله عز وجل ثم اختلفوا في معنى
الروية فقيل جعل بصره في فواده وهو قول ابن عباس م عن ابن عباس ما كذب الفواد
ما راى ولقد راه نزلة اخرى قال راه بفواده مرتين وذهب جماعة الى انه راه بعينه
حقيقة وهو قول انس بن مالك والحسن وعكرمة قال راى محمد ربه عز وجل وروي
عن ابن عباس قال ان الله عز وجل اصطفى ابراهيم بالخلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى
محمدا بالروية وقال كعب ان الله تعالى قسم رويته وكلامه بين محمد وموسى فكلم موسى
مرتين وراه محمد مرتين اخرجه الترمذي باطول من هذا وكانت عائشة تقول لم ير رسول
الله صلى الله عليه وسلم ربه وتحمل الاية على روية جبريل عن مسروق قال قلت لعائشة
يا امتاه هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت اين انت من ثلاث من حدثكهن
فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرات لا تدركه الابصار وهو يدرك

الابصار وهو اللطيف الخبير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب ومن حدثك
انه يعلم ما في غد فقد كذب ثم قرات وما تدري نفس ماذا تكسب غدا ومن حدثك انه كتم
فقد كذب ثم قرات يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ولكنه راى جبريل في صورته
مرتين اخرجاه في الصحيحين م عن ابي هريرة رض قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل رايت ربك قال نور اني اراه قوله عز وجل افتمارونه على ما يرى افتجادلونه على ما يرى
وذلك انهم جادلوه حين اسري به وقالوا اصف لنا بيت المقدس واخبرنا عن عيرنا في الطريق
وغير ذلك مما جادلوه به والمعنى افتجادلونه جدالا ترمونه به عما راه وعلمه ولقد راه نزلة
اخرى يعني راى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلا من السماء نزلة اخرى وذلك انه راه في
صورته مرتين مرة في الارض ومرة عند سدرة المنتهى م عن ابي هريرة ولقد راه نزلة اخرى
قال راى جبريل وعلى قول ابن عباس يعني نزلة هو انه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم في تلك
الليلة عرجات لمسئلة التخفيف من اعداد الصلوات فيكون لكل عرجة نزلة فراى ربه عز وجل
في بعضها وروي عن ابن عباس انه راى ربه بفؤاده مرتين وعنه انه راى بعينه عند سدرة م
المنتهى م عن ابن مسعود قال لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهي به الى سدرة المنتهى
وهي في السماء السادسة واليها ينتهي ما يعرج من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط
من فوقها فيقبض منها وقال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب وفي رواية الترمذي
اليها ينتهي علم الخلائق لا علم لهم فوق ذلك وفي حديث المعراج المخرج في الصحيح ثم صعد بي
الى السماء السابعة وذكرها ثم قال رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها
كاذان الفيلة قال فلما غشيها من نور الله ما غشي تغيرت فما احد من خلق الله ان ينعتها
من حسنها وقال هلال بن يساف سال ابن عباس كعبا عن سدرة المنتهى وانا حاضر فقال
كعب انها سدرة في اصل العرش على رؤس حملة العرش واليها ينتهي علم الخلائق وخلفها غيب
لا يعلمه الا الله عز وجل وعن اسماء بنت ابي بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذكر سدرة المنتهى فقال يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة او قال يستظل بظلها
مائة راكب فيها فراش الذهب كان ثمرها القلال اخرجه الترمذي وقال مقاتل هي شجرة
تحمل على الحلي والحلل والثمار من جميع الالوان لو وضعت ورقة منها في الارض لاضاءت لاهل
الارض وهي شجرة طوبى التي ذكرها الله تعالى في سورة الرعد عندها جنة الماوى قال
ابن عباس جنة الماوى ياوي اليها جبريل والملائكة وقيل تاوي اليها ارواح الشهداء اذ يغشى
السدرة ما يغشى قال ابن مسعود فراش من ذهب وقيل يغشاها ملائكة امثال الغربان وقيل
امثال الطيور حتى يقعن عليها وقيل غشيها الملائكة نور الخلائق وغشيتها الملائكة من حب
الله تعالى امثال الغربان حتى يقعن عليها وقيل هو نور رب العزة فاستنارت ويروى
في الحديث قال رايت كل ورقة منها ملكا قائما يسبح الله عز وجل ما زاغ البصر وما طغى
اي ما مال بصر النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام وفي تلك الحضرة المقدسة الشريفة
يمينا وشمالا ولا جاوز ما راى وقيل ما امر به وهذا وصف ادبه صلى الله عليه وسلم في ذلك
المقام الشريف اذ لم يلتفت الى شيء سوى ما امر به وقيل في معنى الاية ان قلنا ان الذي
يغشى السدرة فراش اي لم يلتفت اليه ولم يشتغل به وفيه بيان ادبه صلى الله عليه وسلم
اذ لم يقطع بصره عن المقصود وان قلنا الذي يغشى السدرة هو نور رب العزة ففيه
وجهان انه صلى الله عليه وسلم لم يلتفت يمنة ولا يسرة ولم يشتغل بغير مطالعة ذلك
النور الوجه الثاني ان البصر بضعفه ولا غشيه كما اخبر عن موسى بقوله وخر موسى صعقا

ما زاغ ه

وذلك

وذلك انه لما تجلى رب العزة وظهر نوره على الجبل فانه قطع نظره وغشي عليه ونبينا صلى الله عليه
وسلم ثبت في ذلك المقام العظيم الذي تحار فيه العقول وتزول فيه الاقدام وتميل فيه الابصار
فوصف الله عز وجل قوة نبينا صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام العظيم لقوله تعالى ما زاغ
البصر وما طغى لقد راى من ايات ربه الكبرى يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم الايات العظام
وقيل اراد ما راى تلك الليلة في مسيره ورجوعه وقيل معناه راى من ايات ربه الكبرى
م عن عبد الله بن مسعود قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى جبريل في صورته له ستمائة
جناح خ عنه قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى رفرفا اخضر قد سد افق السماء فصل
من كلام الشيخ محيي الدين النواوي في معنى قوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى وهل راى النبي صلى
الله عليه وسلم ربه عز وجل ليلة الاسرى قال القاضي عياض اختلف السلف والخلف هل راى نبينا
صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الاسرى فانكرته عائشة كما وقع في صحيح مسلم وجاء مثله عن ابي هريرة
وجماعة وهو المشهور عن ابن مسعود واليه ذهب جماعة من المحدثين والمتكلمين وروي عن ابن عباس
انه راه بعينه ومثله عن ابي ذر وكعب والحسن وكان يحلف على ذلك وحكي مثله عن ابن مسعود
وابي هريرة واحمد بن حنبل وحكى اصحاب المقالات عن ابي الحسن الاشعري وجميع اصحابه انه راه
ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ورؤية الله عز وجل جائزة
وسؤال موسى اياها دليل على جوازها اذ لا يجهل نبي ما يجوز او يمتنع على ربه واختلفوا في
ان نبينا صلى الله عليه وسلم هل كلم ربه ليلة الاسرى بغير واسطة ام لا فحكي عن الاشعري وقوم
من المتكلمين انه كلمه وعزا بعضهم هذا القول لجعفر بن محمد وابن مسعود وابن عباس وكذلك
اختلفوا في قوله ثم دنا فتدلى فالاكثر على ان هذا الدنو والتدلي منقسم بين جبريل
والنبي صلى الله عليه وسلم او مختص باحدهما من الاخر او من سدرة المنتهى وذكر عن ابن عباس والحسن
ومحمد بن كعب وجعفر بن محمد وغيرهم انه دنو من النبي صلى الله عليه وسلم الى ربه او من الله فعلى هذا
القول يكون الدنو والتدلي متاولا ليس على وجهه بل كما قال جعفر بن محمد الدنو من الله لا حد
له ومن العباد بالحدود فيكون دنو النبي صلى الله عليه وسلم وقربه منه ظهور عظيم منزلته لديه
واشراق انوار معرفته عليه واطلاعه من غيبه واسرار ملكوته على ما لم يطلع سواه
عليه والدنو من الله تعالى له اظهار ذلك وعظيم بره وفضله العظيم لديه ويكون قوله تعالى
قاب قوسين او ادنى هذا عبارة عن لطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من
نبينا صلى الله عليه وسلم ومن الله تعالى اجابة الرغبة وابانة المنزلة هذا اخر كلام القاضي عياض
قال الشيخ محيي الدين واما صاحب التحرير فانه اختار اثبات الرؤية قال والحجج في المسئلة
وان كانت كثيرة ولكن لا نتمسك الا بالاقوى منها وهو حديث ابن عباس اتعجبون ان تكون
الخلة لابراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وعن عكرمة قال
سئل ابن عباس هل راى محمد صلى الله عليه وسلم ربه قال نعم وقد ورد باسناد لا باس به عن شعبة
عن قتادة عن انس قال راى محمد ربه وكان الحسن يحلف لقد راى محمد صلى الله عليه وسلم
ربه عز وجل والاصل في المسئلة حديث ابن عباس حبر هذه الامة والمرجوع اليه في المعضلات
وقد راجعه ابن عمر في هذه المسئلة وراسله هل راى محمد ربه عز وجل فاخبره انه راه ولا يقدح
في هذا حديث عائشة لان عائشة لم تخبر انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم لم ار ربي وانما ذكرته
متاولة لقول الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا
ولقوله لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير والصحابي اذا قال قولا وخالفه
غيره منهم لم يكن قوله حجة واذا قد صحت الروايات عن ابن عباس انه تكلم في هذه المسئلة باثبات
الرؤية وجب المصير لانها ليست مما تدرك بالعقل وتؤخذ بالظن وانما يتلقى بالسمع ولا يستجيز

راى م

أحداً أن يظن بابن عباس أنه تكلم في هذه المسألة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين
ذكر اختلاف عائشة وابن عباس ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس والمثبت مقدم على النافي هذا كلام صاحب التحرير
قال الشيخ محيي الدين والحاصل أن الراجح عند أكثر العلماء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى
ربه عز وجل بعيني رأسه ليلة الإسرى لحديث ابن عباس وغيره مما تقدم وإثبات هذا لا يأخذونه
إلا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مما لا ينبغي أن يتشكك فيه ثم إن عائشة لم تنف
الرؤية بحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان معها حديث لذكرته وإنما اعتمدت على
الاستنباط من الآيات وسنوضح الجواب عنها أما احتجاج عائشة بقوله تعالى لا تدركه الأبصار
فجوابه ظاهر فإن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لا يحاط به وإذا ورد النص بنفي
الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة وهذا الجواب في نهاية الحسن مع اختصاره وأما
احتجاجها بقوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً الآية فالجواب عنه من وجوه أحدها أنه
لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام الثاني أنه عام
مخصوص بما تقدم من الأدلة الثالث ما قاله بعض العلماء أن المراد بالوحي الكلام بغير واسطة
وهذا القول وإن كان محتملاً لكن الجمهور على أن المراد بالوحي هنا الإلهام والرؤية في المنام وكلاهما
وحياً وأما قوله تعالى أو من وراء حجاب فقال الواحدي وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام
بل يسمعون كلامه سبحانه من حيث لا يرونه وليس المراد أن هناك حجاباً يفصل موضعاً عن
موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب حيث لم ير المتكلم وقول عائشة
في أول الحديث لقد قف شعري معناه قام شعري من الفزع لكوني سمعت ما لا ينبغي أن يقال تقول
العرب عند إنكار الشيء قف شعري واقشعر جلدي واشمأزت نفسي وقوله صلى الله عليه وسلم في
حديث أبي ذر نور أنى أراه فهو بتنوين نور وبفتح الهمزة في أنى وتشديد النون المفتوحة
ومعناه حجابه نور فكيف أراه قال المازري الضمير في أراه عائد على الله تعالى والمعنى أن النور
يمنعني من الرؤية كما جرت العادة بإغشاء الأنوار الأبصار ومنعها من إدراك ما حالت
بين الرائي والمرئي وفي رواية رأيت نوراً معناه النور ولم أر غيره وفي رواية نوراني أراه هو
معناه ومن المستحيل أن يكون ذات الله نوراً إذ النور من جملة الأجسام والله يتعالى عن ذلك
هذا مذهب جميع أئمة المسلمين **أفرأيتم اللات والعزى** هذه أسماء أصنام اتخذوها آلهة
يعبدونها اشتقوا لها أسماء من أسماء الله عز وجل فقالوا من الله اللات ومن العزيز العزى
وقيل العزى تأنيث الأعز والمعنى أخبرونا عن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله هل
لها من القدرة والعظمة التي وصف بها رب العزة شيء وقيل كانت اللات بالطائف وقيل
بنخلة كانت قريش تعبده وقرئ اللات بالتشديد **خ** عن ابن عباس قال كان اللات
رجلاً يلت السويق للحاج قيل فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان في رأس جبل
له غنيمة يسلي منها السمن ويأخذ منها الأقط ويجمع رسلها ثم يتخذ منها حيساً فيطعم الحاج وكان
ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو اللات وقيل كان رجل من ثقيف يقال له صرمة بن
غنم وكان يسلي السمن فيضعه على صخرة فتأتيه العرب فتلت به السويق أسوقتهم فلما مات الرجل
حولتها ثقيف إلى منازلها فعمرت الطائف على موضع اللات وأما العزى فقيل هي شجرة بغطفان
كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فجعل
يضربها بالفأس ويقول يا عزى كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك فخرجت
منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها ويقال إن خالداً
رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد قطعتها فقال له ما رأيت فقال ما رأيت شيئاً
فقال ما قطعت فعاودها ومعه المعول فقطعها واجتث أصلها فخرجت منها امرأة عريانة

فقتلها

فقتلها ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال تلك العزى ولن تعبد أبداً وقيل هي صنم بغطفان
وضعها سعد بن ظالم الغطفاني وقيل إنه قدم مكة فرأى الصفا والمروة ورأى أهل مكة يطوفون
بينهما فرجع إلى بطن نخلة فقال لقومه إن لأهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم إله
يعبدونه وليس لكم قالوا فما تأمرنا قال أنا أصنع لكم كذلك فأخذ حجراً من الصفا وقال هذا الصفا
ثم وضع الذي أخذه من المروة وقال هذا المروة ثم أخذ ثلاثة أحجار وأسندها إلى شجرة وقال
هذا ربكم فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة الثلاثة حتى افتتح رسول الله صلى
الله عليه وسلم مكة فأمر برفع الحجارة وأمر خالد بن الوليد إلى العزى فقطعها وقيل هي بيت
بالطائف كانت تعبده ثقيف وقوله **ومناة** قيل هي لخزاعة كانت بقديد وقالت عائشة
في الأنصار كانوا يهلون لمناة وكانت حذو قديد وقيل بيت بالمشلل تعبده بنو كعب وقيل
مناة صنم لهذيل وخزاعة تعبدها أهل مكة وقيل اللات والعزى ومناة أصنام من حجارة
كانت في جوف الكعبة يعبدونها **الثالثة الأخرى** الثالثة نعت لمناة أي الثالثة للصنمين في الذكر
فإن العرب لا تقول الثالثة أخرى وإنما الأخرى هنا نعت للثالثة قال الخليل فالهاء لوفاق
رؤوس الآي كقوله مآرب أخرى ولم يقل أخر وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره أفرأيتم
اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة وفي صفة ذم كأنه تعالى قال ومناة الثالثة
المتأخرة الذليلة فعلى هذا فالأصنام ترتيب مراتب وذلك لأن اللات كان صنماً على
صورة آدمي والعزى شجرة فهو نبات ومناة صخرة فهي جماد وهي في آخر المراتب ومعنى
الآية هل رأيتم هذه الأصنام حق الرؤية فإن رأيتموها علمتم أنها لا تصلح للعبادة لأنها
لا تضر ولا تنفع وقيل فرأيتم أيها الزاعمون اللات والعزى ومناة بنات الله ألكم الذكر
وله الأنثى وقيل إن المشركين بمكة يقولون للأصنام والملائكة بنات الله كان الرجل منهم إذا
بشر بالأنثى كره ذلك فقال الله تعالى منكراً عليهم **ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذاً قسمة ضيزى**
قال ابن عباس أي قسمة جائرة جعلتم لربكم ما تكرهون لأنفسكم وقيل قسمة عوجاء غير معتدلة
إن هي أي ما هي هذه **إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم** الآية والمعنى أنكم سميتموها آلهة وليست
بآلهة حقيقية ولا معبودة حقيقة وقيل معناه قلتم لبعضها عزى ولا عزة لها فلا يكون لها
مسمى حقيقة **ما أنزل الله بها من سلطان** أي حجة بما تقولون أنها آلهة **إن يتبعون إلا الظن** أي
في قولهم إنها آلهة **وما تهوى الأنفس** يعني هو ما زين لهم الشيطان من عبادة الأصنام وقيل صنعوا
عبادتهم بمقتضى شهواتهم والذي ينبغي أن تكون العبادة بمقتضى الشرع لا بما يقتضيه هوى النفس
ولقد جاءهم من ربهم الهدى أي البيان بالكتاب المنزل والنبي المرسل أن الأصنام ليست بآلهة وأن العبادة
لا تصلح إلا لله الواحد القهار قوله تعالى **أم للإنسان ما تمنى** معناه أيظن الكافر أن له ما يتمنى
ويتمنى في شفاعة الأصنام أي ليس الأمر كما يظن ويتمنى **فلله الآخرة والأولى** أي لا يملك أحد
فيهما شيئاً إلا بإذن الله وقيل معناه أن الإنسان إذا اختار معبوداً على ما تمناه واشتهاه
فلله الآخرة والأولى يعاقبه على فعله ذلك إن شاء في الدنيا والآخرة وإن شاء أمهله إلى الآخرة
وكم من ملك في السموات أي ممن يعبدهم هؤلاء ويرجون شفاعتهم عند الله **لا تغني شفاعتهم شيئاً**
يعني الملائكة مع علو منزلتهم لا تغني شفاعتهم شيئاً فكيف تشفع الأصنام مع حقارتها ثم
أخبر أن الشفاعة لا تكون إلا بإذنه فقال تعالى **إلا من بعد أن يأذن الله** أي في الشفاعة
لمن يشاء ويرضى من أهل التوحيد قال ابن عباس يريد لا تشفع الملائكة إلا لمن رضي الله
وقيل إلا بعد أن يأذن الله لمن يشاء من الملائكة في الشفاعة لمن يشاء الشفاعة **إن الذين
لا يؤمنون بالآخرة** يعني الكفار الذين أنكروا البعث **ليسمون الملائكة تسمية الأنثى**

اى بتسمية الانثى حيث قالوا انهم بنات الله فان قلت كيف قال تسمية الانثى ولم يقل تسمية الاناث قلت المراد منه بيان الجنس وهذا اللفظ اليق بهذا الموضع لمناسبة رؤس الاى وقيل ان كل واحد من الملايكة يسمونه تسمية الانثى وذلك لانهم اذا قالوا الملايكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الانثى وما لهم به من علم اى بالله فيشركون به ويجعلون له ولدا وقيل ما يستيقنون ان الملايكة اناث ان يتبعون الا الظن اى فى تسمية الملايكة بالاناث وان الظن لا يغنى من الحق شيئا اى لا يقوم الظن مقام العلم الذى هو الحق وقيل معناه انما يدرك الحق الذى هو حقيقة الشى بالعلم واليقين لا بالظن والتوهم وقيل الحق هو الله تعالى والمعنى ان الاوصاف الالهية لا تستخرج بالظنون فاعرض عن من تولى عن ذكرنا يعنى القران وقيل عن الايمان ولم يرد الا الحياة الدنيا يعنى انهم لا يؤمنون بالاخرة حتى يريدوها ويعملوا لها وفيه اشارة الى انكارهم الحشر ثم صغر رايهم فقال تعالى ذلك مبلغهم من العلم اى ذلك نهاية علمهم وقدر عقولهم ان اثروا الدنيا على الاخرة وقيل معناه انهم لم يبلغوا من العلم الا ظنهم ان الملايكة بنات الله وانهم يشفعون لهم فاعتمدوا على ذلك واعرضوا عن القران والايمان ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى اى هو عالم بالفريقين ويجازيهم باعمالهم ولله ما فى السموات وما فى الارض وهذه اشارة الى كمال قدرته وغناه وهو معترض بين الاية الاولى وبين قوله ليجزى الذين اساؤا بما عملوا والمعنى اذا كان اعلم بهم جازى كل احد بما يستحقه فيجزى الذين اساؤا بما عملوا اى اشركوا بما عملوا من الشرك ويجزى الذين احسنوا اى وحدوا ربهم بالحسنى يعنى الجنة وانما يقدر على مجازاة المحسن والمسئ اذا كان كثير الملك كامل القدرة فلذلك قال ولله ما فى السموات وما فى الارض ثم وصف المحسنين فقال الذين يجتنبون كباير الاثم قيل الاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب وقيل هو اسم للافعال المبطية عن الثواب وقيل هو فعل ما لا يحل وقيل الاثم جنس يشتمل على كباير وصغاير وجمعه اثام والكبيرة متعارفة فى كل ذنب يعظم عقوبته وجمع كباير والفواحش جمع فاحشة وهى ما عظم قبحه من الافعال والاقوال وقيل ما فحش من الكباير الا اللمم اى الا ما قل وصغر من الذنوب وقيل هى مقاربة المعصية من قولك المت بكذا اذا قاربته من غير مواقعة واختلفوا فى معنى الاية فقيل هذا استثنا صحيح واللمم من الكباير والفواحش ومعنى الاية الا ان يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب او يقع الوقعة ثم ينتهى وهو قول ابى هريرة ومجاهد والحسن وفى رواية عن ابن عباس قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقال ابو صالح سئلت عن قول الله عز وجل الا اللمم فقلت هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاود فذكرت ذلك لابن عباس فقال لقد اعانك عليها ملك كريم عن ابن عباس فى قوله عز وجل والذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا اللمم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما واى عبد لك لا الما اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح غريب قيل اصل اللمم ما يلم الانسان فى الحين بعد الحين ولا يكون له اعادة ولا اقامة وقيل هو استثنا منقطع مجازه لكن اللمم ولم يجعلوا اللمم من الكباير والفواحش ثم اختلفوا فى معناه فقيل هو ما سلف فى الجاهلية فلا يواخذهم الله به فى الاسلام وذلك ان المشركين قالوا للمسلمين انهم كانوا بالامس يعملون معنا فانزل الله عز وجل هذه الاية وهذا قول زيد بن ثابت وزيد بن اسلم وقيل اللمم هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة ونحو ذلك مما هو دون الزنا وهو قول ابن مسعود وابى هريرة ومسروق والشعبى والرواية الاخرى عن ابن عباس ق عن ابن عباس قال ما رايت شيئا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فزنا العينين النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك او يكذبه

ولمسلم

ولمسلم قال كتب على ابن ادم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقيل اللمم على وجهين احدهما انه كل ذنب لم يذكر الله تعالى عليه حدا فى الدنيا ولا عذابا فى الاخرة فذلك الذى تكفره الصلوات الخمس وصوم رمضان ما لم يبلغ الكباير والفواحش والوجه الثانى هو الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه وقيل هو ما مر على القلب اى خطر وقيل اللمم النظرة من غير عمد فهو مغفور فان عاد النظر فليس بلمم فهو ذنب

فصل فى بيان الكبيرة وحدها وتمييزها عن الصغيرة قال العلما اكبر الكباير الشرك وهو ظاهر لا خفا به لقوله تعالى ان الشرك لظلم عظيم ويليه القتل بغير حق واما ما سواهما من الزنا واللواط وشرب الخمر وشهادة الزور واكل مال اليتيم بغير حق و وقذف المحصنات وعقوق الوالدين والفرار من الزحف واكل الربا وغير ذلك من الكباير التى ورد بها النص فلها تفاصيل واحكام تعرف بها مراتبها ويختلف امرها باختلاف الاحوال والمفاسد المترتبة عليها فعلى هذا يقال فى كل واحدة منها هى من الكباير بالنسبة الى ما دونها وقد جاء عن ابن عباس انه سئل عن الكباير اسبع هى قال الى السبعين اقرب وفى رواية الى السبعماية اقرب وقد اختلف العلما فى حد الكبيرة وتمييزها من الصغيرة فجا عن ابن عباس كل شى نهى الله عنه فهو كبيرة وبهذا قال الاستاذ ابو اسحاق الاسفراينى وحكاه القاضى عياض عن المحققين واحتج القايلون هذا بان كل مخالفة فهى بالنسبة الى جلال الله كبيرة وذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوايف الى انقسام المعاصى الى كباير وصغاير وقد تظاهر على ذلك الكتاب والسنة واستعمال السلف لايمة واذا ثبت انقسام المعاصى الى كباير وصغاير فقد اختلف فى ضبطها فروى فروى عن ابن عباس انه قال الكباير كل ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب وعن الحسن نحو هذا وقيل هى ما وعد الله عليه بنار فى الاخرة او حد فى الدنيا قال الغزالى فى البسيط الضابط الشامل فى ضبط الكبيرة ان كل معصية يقدم عليها المرء من غير استشعار خوف او استحداث ندم كالمتهاون بها فهو كبيرة فى ارتكابها والمتجرى عليها اعتيادا فما اشعر بهذا الاستخفاف والتهاون فهو كبيرة وما يحمل على فلتات النفس وفترة مراقبة التقوى ولا ينفك عن ندم يمتزج به تنغيص التلذذ بالمعصية فهذا لا يمنع العدالة وليس بكبيرة وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام فى كتاب القواعد اذا اردت معرفة الفرق بين الصغيرة والكبيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكباير المنصوص عليها فان نقصت عن اقل مفاسد الكباير فهى من الصغاير وان ساوت ادنى مفاسد الكباير او زادت عليه فهى من الكباير فمن امسك امراة محصنة لمن يزنى بها او امسك مسلما لمن يقتله فلا شك ان مفسدة ذلك اعظم من اكل درهم من مال اليتيم مع كونه من الكباير وكذلك لو دل الكافر على عورة المسلمين مع علمه انهم يستاصلون بدلالته فان نسبته لهذه المفسدة اعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكباير وكذلك لو كذب على انسان كذبا يعلم انه ياخذ منه تمرة بسبب كذبه لم يكن ذلك من الكباير قال الشيخ ابو عمرو بن الصلاح فى فتاويه الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظما يصح معه ان يطلق عليه اسم الكبيرة ووصف بكونه عظيما على الاطلاق فهذا حد الكبيرة ولها امارات منها الحد ومنها الايعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها ومنها ما وصف فاعلها بالفسق ويضاف اليها اللعن كلعن الله من غير منار الارض ونحو ذلك والله اعلم قوله تعالى ان ربك واسع المغفرة قال ابن عباس لمن فعل ذلك ثم تاب واناب وروى عن عمر ابن الخطاب وابن عباس قالا لا كبيرة فى الاسلام اى لا كبيرة مع استغفار ولا صغيرة

مع اصرار ومعناه ان الكبيرة ايضا بالاستغفار والتوبة والصغيرة تصير كبيرة بالاصرار
عليها وقيل في حد الاصرار هو ان تتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته بذنبه
وتم الكلام على قوله ان ربك واسع المغفرة ثم ابتدا فقال **هو اعلم بكم** اى قبل ان يخلقكم وهو
قوله **اذ انشاكم من الارض** اى خلق اباكم ادم من التراب **واذ انتم اجنة** جمع جنين **في بطون امهاتكم**
سمي جنينا لاستتاره في بطن امه **فلا تزكوا انفسكم** قال ابن عباس لا تمدحوها وقال الحسن علم
الله من كل نفس ما هي صانعة والى ما هي صائرة فلا تزكوا انفسكم فلا تبرؤها من الاثام ولا
من اول خلقكم الى اخر يومكم فلا تزكوا انفسكم ريا وخيلا ولا تقولوا لمن لم تعرفوا حقيقته
انا خير منك وانا ازكى منك وانقى منك فان العلم عند الله وفيه اشارة الى وجوب خوف
العاقبة فان الله يعلم عاقبة من هو على التقى وهو قوله تعالى **هو اعلم بمن اتقى** اى بمن بر
واطاع واخلص العمل والمعنى قيل في معنى الاية فلا تزكوا انفسكم اى لا تنسبوها الى زكا
العمل وزيادة الخير والطاعات وقيل لا تنسبوها الى الزكاة والطهارة من المعاصي ولا
تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله المزكي منكم والمتقي اولا واخرا قبل ان يخرجكم من صلب
ابيكم وقبل ان تخرجوا من بطون امهاتكم قيل نزلت في ناس كانوا يعملون اعمالا حسنة
ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فانزل الله فيهم هذه الاية قوله عز وجل **افرايت
الذي تولى** نزلت في الوليد بن المغيرة كان قد اتبع النبي صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض
المشركين وقال اتركت دين الاشياخ وضللت قال اني خشيت عذاب الله فضمن الذي عاتبه
ان اعطاه كذا من ماله ورجع الى الشرك ان يتحمل عنه عذاب الله فرجع الوليد الى الشرك
واعطى الذي وعده بعض الذي ضمن له من المال ومنعه تمامه فانزل الله افرايت الذي تولى
اى ادبر واعرض عن الايمان **واعطى** اى لصاحبه الذي عيره **قليلا واكدى** اى بخل بالباقي
وقيل اعطى قليلا من الخير بلسانه واكدى اى قطعه وامسك ولم يقم بالعطية وقيل نزلت
في العاص بن وائل السهمي وذلك انه كان ربما يوافق النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الامور
وقيل نزلت في ابي جهل وذلك انه قال يامر محمد بمكارم الاخلاق فذلك قوله واعطى قليلا
واكدى اى لم يومن به ومعنى اكدى اى قطع واصله من الكدية وهي حجر يظهر في البير يمنع من
الحفر **اعنده علم الغيب فهو يرى** اى ما غاب عنه ويعلم ان صاحبه يتحمل عنه عذابه **ام لم ينبا**
اى يخبر **بما في صحف موسى** يعني اسفار التوراة **وابراهيم** اى ويخبر بما في صحف ابراهيم الذي وفى
اى كمل وتمم ما امر به وبلغ رسالات ربه الى خلقه وقيل وفى بما فرض عليه وقيل قام بذبح
ولده وقيل سنحل الطاعة وقيل وفى سهام الاسلام وهو قوله واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات
فاتمهن والتوفية الاتمام وقيل وفى في شان المناسك وروى البغوي بسنده عن ابي امامة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابراهيم الذي وفى اربع ركعات اول النهار وعن ابي الدردا وابي
ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم عن الله تبارك وتعالى انه قال ابن ادم اركع لي اربع ركعات اول
النهار اكفك اخره اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب ثم بين ما في صحفهما
فقال **الا تزر وازرة وزر اخرى** اى لا تحمل نفس حاملة حمل نفس اخرى والمعنى لا تاخذ
نفس باثم غيرها وفي هذا ابطال قول من ضمن للوليد بن المغيرة انه يحمل عنه الاثم وقال
ابن عباس كانوا قبل ابراهيم ياخذ الرجل بذنب غيره كان الرجل يقتل بقتل ابيه وابنه واخيه
وامراته وعبده حتى كان ابراهيم عليه السلام فنهاهم عن ذلك وبلغهم عن الله تعالى
الا تزر وازرة وزر اخرى **وان ليس للانسان الا ما سعى** اى عمل وهذا في صحف ابراهيم
وموسى ايضا قال ابن عباس هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة بقوله الحقنا بهم ذرياتهم

فادخل

فادخل الابنا الجنة بصلاح الابا وقيل كان ذلك لقوم ابراهيم وموسى فاما هذه الامة فلهم ما
سعوا وما يسعى لهم غيرهم لما روي عن ابن عباس ان امراة رفعت صبيا لها فقالت يا رسول الله
الهذا حج قال نعم ولك اجر اخرجه مسلم وعنه ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان امي
توفيت اينفعها ان تصدقت عنها قال نعم وفي رواية ان سعد بن عبادة اخي بني ساعدة وذكر نحوه
اخرجه البخاري وعن عايشة رضي الله تعالى عنها قالت ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان امي افتلتت نفسها واظنها لو تكلمت تصدقت فهل لها اجر ان تصدقت عنها قال نعم اخرجاه
في الصحيحين وفي حديث ابن عباس دليل لمذهب الشافعي ومالك واحمد وجماهير العلما ان حج
الصبي منعقد صحيح يثاب عليه وان كان لا يجزيه عن حجة الاسلام بل يقع تطوعا وقال
ابو حنيفة لا يصح حجه وانما يكون ذلك تمرينا للعبادة وفي الحديثين الاخيرين دليل
على ان الصدقة عن الميت تنفع الميت ويصله ثوابها وهو اجماع العلما وكذا اجمعوا على
الدعا وقضا الدين للنصوص الواردة في ذلك ويصح عن الميت حجة الاسلام وكذا لو اوصى
بحج تطوع على الاصح عند الشافعي واختلف العلما في الصوم اذا مات وعليه صوم فالراجح
جوازه عنه للاحاديث الصحيحة فيه والمشهور من مذهب الشافعي ان قراة القران
لا يصله ثوابها وقال جماعة من اصحابه يصله ثوابها وبه قال احمد بن حنبل والجمهور
وقال احمد يصله ثواب الجميع والله اعلم وقيل اراد بالانسان الكافر والمعنى ليس له
في الخير الا ما عمل هو فيثاب عليه في الدنيا بان يوسع عليه في رزقه ويعافى في بدنه حتى
لا يبقى له في الاخرة خير وروي ان عبد الله بن ابي بن سلول كان اعطى العباس قميصا البسه
اياه فلما مات ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم قميصه ليكفن فيه فلم يبق له في الاخرة
حسنة يثاب عليها وقيل ليس للانسان الا ما سعى هو من باب العدل فاما من باب الفضل
فجائز ان يزيده الله ما يشا من فضله وكرمه **وان سعيه سوف يرى** اى يرى في ميزانه
يوم القيامة وفيه اشارة للمومن وذلك ان الله تعالى يريه اعماله الصالحة ليفرح بها ويحزن
الكافر باعماله الفاسدة فيزداد غما **ثم يجزاه** اى السعي **الجزا الاوفى** اى الاتم الاكمل
والمعنى ان الانسان يجزى جزا سعيه بالجزا الاوفى قوله عز وجل **وان الى ربك المنتهى** اى اليه
منتهى الخلق ومصيرهم اليه في الاخرة وهو يجازيهم باعمالهم المخاطبين وفي المخاطب بهذا
وجهان احدهما انه عام تقديره وان الى ربك ايها السامع والعاقل كائنا ما كان المنتهى
فهو تهديد بليغ للمسيء وحث شديد للمحسن ليقلع المسيء عن اسائته ويزداد المحسن في احسانه
الوجه الثاني ان المخاطب بهذا هو النبي صلى الله عليه وسلم فعلى هذا ففيه تسلية للنبي صلى
الله عليه وسلم والمعنى لا تحزن فان الى ربك المنتهى وقيل في معنى الاية منه ابتدا المنة واليه
انتها الامال وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
وان الى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب وهذا مثل ما روي عن ابي هريرة مرفوعا تفكروا
في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانه لا تحيط به الفكرة ومعناه لا فكرة في الرب اى انتهى
الامر اليه فهو اشارة الى وجوده ووحدانيته سبحانه وتعالى **وانه هو اضحك وابكى**
اى هو القادر على ايجاد الضدين في محل واحد الضحك والبكا ففيه دليل على ان جميع
ما يعمله الانسان فبقضا الله وقدره وخلقه حتى الضحك والبكا قيل اضحك اهل الجنة
في الجنة وابكى اهل النار في النار وقيل اضحك الارض بالنبات وابكى السما بالمطر وقيل الفرح
والحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكا عن جابر بن سمرة قال جالست النبي
صلى الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة وكان اصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون اشيا من امر

الجاهلية وهو ساكت وربما تبسم معهم اذا ضحكوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وسئل ابن عمر
هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم اعظم من الجبل ق عن انس
اصحابه
قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال لو تعلمون ما اعلم
لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فغطى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خنين الخا
الخنين اي بكاء مع صوت يخرج من الانف وانه هو امات واحيى اي امات في الدنيا واحيا للبعث
وقيل امات الآبا واحيا الابنا وقيل امات الكافر بالكفر واحيا المؤمن بالمعرفة وانه خلق
الزوجين الذكر والانثى اي من كل حيوان وهو ايضا من جملة المتضادات التي تتوارد على النطفة
فيخلق بعضها ذكرا وبعضها انثى وهذا شيء لا يصل اليه فهم العقلا ولا يعلمونه وانما هو
بقدرة الله تعالى وخلقه لا بفعل الطبيعة من نطفة اذا تمنى اي تصب في الرحم وقيل تقدر
وفي هذا تنبيه على كمال قدرته لان النطفة شيء واحد يخلق الله منها اعضا مختلفة وطباعا
متباينة ويخلق منها الذكر والانثى وهذا من عجيب صنعته وكمال قدرته ولهذا لم يوكده بقوله
وانه هو خلق لانه لم يدع احد ايجاد نفسه ولا خلقها ولا خلق غيره كما لم يقدر احد ان يدعي
خلق السموات والارض وان عليه النشاة الاخرى اي الخلق الثاني بعد الموت للبعث يوم
القيامة وانه هو اغنى واقنى اي اغنى الناس بالاموال واعطى القنية وهي اصول الاموال
وما يدخرونه بعد الكفاية وقيل اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال فيما يدخرونه
بعد الكفاية وقيل اغنى بالذهب والفضة وصنوف الاموال واقنى بالابل والبقر والغنم
وقيل اقنى اي اخدم وقال ابن عباس اغنى واقنى اي اعطى فارضى وقيل اغنى يعني رفع حاجته
ولم يتركه محتاجا الى شيء لان الغني ضد الفقير واقنى اي زاد في الغنا وانه هو رب الشعرى
اي انه رب معبودهم وكانت خزاعة تعبد الشعرى واول من سن لهم ذلك رجل من اشرافهم
يقال له ابو كبشة عبدها وقال لان النجوم تقطع السما عرضا والشعرى تقطعها طولا فهي
مخالفة لها فعبدها وعبدتها خزاعة فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على خلاف العرب
في الدين سموه ابن ابي كبشة تشبيها له لخلافه اياهم كما خالفهم ابو كبشة وعبد الشعرى وهو كوكب
يضي خلف الجوزا ويسمى كلب الجبار ايضا وهما شعريان يمانية وشامية يقال لاحدهما العبور
والاخرى الغميصا سميت بذلك لانها اخفى من العبور والمجرة بينهما والمراد بالشعرى العبور
وانه اهلك عادا الاولى وهم قوم هود اهلكوا بريح صرصر وكان لهم عقب فكانوا عادا
اخرى وقيل الاخرى ارم وقيل الاولى يعني اول الخلق هلاكا بعد قوم نوح وثمودا وهم
قوم صالح اهلكهم الله بالصيحة فما ابقى يعني منهم احد وقوم نوح من قبل يعني اهلك قوم نوح
من قبل عاد وثمود بالغرق انهم كانوا هم اظلم واطغى لطول دعوة نوح اياهم وعتوهم
على الله بالمعصية والتكذيب والمؤتفكة يعني قرى قوم لوط اهوى اي اسقط وذلك ان جبريل
رفعها الى السما ثم اهوى بها فغشاها اي البسها الله ما غشى يعني الحجارة المنضودة المسومة
فباي آلاء ربك تتمارى اي تشك ايها الانسان وقيل اراد الوليد بن المغيرة وقال ابن عباس تتمارى
اي تكذب هذا نذير يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من النذر الاولى اي رسول من الرسل المتقدمة
ارسل اليكم كما ارسلت الرسل الى قومهم وقيل انذر محمد كما انذر الرسل من قبل ازفت الازفة
اي قربت القيامة واقتربت الساعة ليس لها من دون الله كاشفة اي مظهرة ومبينة متى
تقوم وقيل معناه ليس لها نفس قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير انه لا يكشفها وقيل
الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية والمعنى لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره وقيل
معناه ليس لها راد اذا غشيت الخلق اهوالها وشدائدها لم يكشفها ولم يردها عنهم احد قوله

تعالى

تعالى افمن هذا الحديث يعني القران تعجبون تنكرون وتضحكون استهزاء ولا تبكون اي مما فيه
من الوعيد وانتم سامدون اي لاهون غافلون قال ابن عباس وعنه ان السمود في اللغة هو الغنا
بلغة اهل اليمن وكانوا اذا سمعوا القران تغنوا ولعبوا واصل السمود في اللغة رفع الراس
ماخوذ من سمد البعير اذا رفع راسه وجد في سيره والسامد اللاهي والمغني وقيل معناه اشرون
بطرون وقال مجاهد غضابا متبرطمون قيل له ما البرطمة قال الاعراض فاسجدوا لله يعني
ايها المؤمنون فاشكروا على الهداية وقيل هذا محمول على سجود التلاوة وقيل على سجود الفرض
في الصلاة واعبدوا اي اعبدوا الله وانما قال واعبدوا اما لكونه معلوما واما لان العبادة
في الحقيقة لا تكون الا لله تعالى ق عن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرا والنجم فسجد فيها وسجد من كان معه غير ان شيخا من قريش اخذ كفا من حصبا او تراب فرفعه
الى جبهته وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رايته بعد قتل كافرا زاد البخاري في رواية له قال
اول سورة نزلت فيها سجدة النجم فذكره وقال في اخره وهو امية بن خلف خ عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس ق
عن زيد بن ثابت قال قرات على رسول الله صلى الله عليه وسلم النجم فلم يسجد فيها ففي هذا الحديث دليل
على ان سجود التلاوة غير واجب وهو قول الشافعي واحمد وقال عمر بن الخطاب ان الله لم يكتبها
علينا الا ان نشا وهذا ذهب قوم الى وجوبها على القاري والمستمع وهو قول سفيان واصحاب
الراي والله تعالى اعلم بكتابه بمراده واسرار كتابه العزيز

تفسير سورة القمر

مكية وهي خمسون اية وثلثمائة واثنان واربعون كلمة والف واربعمائة وثلاثة وعشرون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اقتربت الساعة اي القيامة
وانشق القمر قيل فيه تقديم وتاخير تقديره انشق القمر واقتربت الساعة وانشقاق من آيات
رسول الله صلى الله عليه وسلم الظاهرة ومعجزاته الباهرة يدل عليه ما روي عن انس ان اهل مكة
سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر مرتين اخرجه البخاري ومسلم
وزاد الترمذي فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر يقول ولهما عن ابن مسعود
قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شقتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا
وفي رواية اخرى قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى اذ انفلق القمر فلقتين فلقة فوق
الجبل وفلقة دونه فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اشهد ولهما عن ابن عباس قال
ان القمر انشق في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم م عن ابن عمر قال انشق القمر على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلقتين فستر الجبل فلقة وكانت فلقة فوق الجبل فقال اللهم اشهد وعن
جبير بن مطعم قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصار فرقتين فقالت قريش
سحر محمد اعيننا فقال بعضهم لئن كان سحرنا ما يستطيع ان يسحر الناس كلهم اخرجه الترمذي
زاد غيره فكانوا يتلقون الركبان فيخبرونهم بانهم قد راوه فيكذبونهم قال مقاتل انشق القمر
ثم التام بعد ذلك وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت قريش سحركم ابن ابي كبشة فسلوا السفارة فقالوا نعم قد راينا فانزل
الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر فهذه الاحاديث الصحيحة قد وردت بهذه المعجزة
العظيمة مع شهادة القران المجيد بذلك فانه ادل دليل واقوى مثبت له وامكانه لا يشك
فيه مؤمن وقد اخبر عنه الصادق فيجب الايمان به واعتقاد وقوعه قال الشيخ محيي الدين في شرحه

صحيح مسلم قال الزجاج وقد انكرها بعض المبتدعة المضاهين لمخالفة الملة وذلك
لما اعمى الله قلبه ولا انكار للعقل فيها لان القمر مخلوق والله تعالى يفعل به كما يفعله
ويكوره في اخر امره فاما قول بعض الملاحدة لو وقع هذا لنقل متواترا واشترك اهل
اهل الارض كلهم في رؤيته ومعرفته ولم يختص بها اهل مكة فاجاب العلماء عن هذا بان هذا
الانشقاق حصل في الليل ومعظم الناس نيام غافلون والابواب مغلقة وهم متغطون
بثيابهم فقل من يتفكر في السماء او ينظر اليها الا الشاذ النادر ومما هو مشاهد معتاد ان كسوف
القمر وغيره مما يحدث في السماء في الليل من العجائب والانوار الطوالع والشهب العظام ونحو ذلك
يقع ولا يتحدث به الا احاد الناس ولا علم عند غيرهم بذلك لما ذكرناه من غفلة الناس عنه
وكان هذا الانشقاق اية عظيمة حصلت في الليل لقوم سألوها واقترحوا رؤيتها فلم يتاهب
غيرهم لها قال العلماء وقد يكون القمر حينئذ في بعض المجاري والمنازل التي تظهر لبعض الافاق
دون بعض كما يكون ظاهرا لقوم غائبا عن قوم وكما يجد الكسوف اهل بلد دون بلد والله اعلم
وقيل في معنى الاية ينشق القمر يوم القيامة وهذا قول باطل قبيح وشاذ لا يثبت لاجماع المفسرين
على خلافه ولان الله ذكره بلفظ الماضي وحمل الماضي على المستقبل بعيد يفتقر الى قرينة تنقله
او دليل يدل عليه وفي قوله تعالى وان يروا اية يعرضوا دليل على وجود هذه الاية العظيمة وقد
كان ذلك في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل في معنى الاية قوله تعالى وان يروا اية اي
تدل على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالاية هنا انشقاق القمر يعرضوا اي عن التصديق
بها ويقولوا سحر مستمر اي دائم مطرد وكل شي دام حاله قيل فيه مستمر وذلك لما رأوا
تتابع المعجزات وترادف الايات وقالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر اي ذاهب سوف يبطل
ويذهب ولا يبقى وانما قالوا ذلك تمنية لانفسهم وتعليلا وكذبوا يعني النبي صلى الله عليه وسلم وما
عاينوا من قدرة الله واتبعوا اهواءهم اي ما زين لهم الشيطان من الباطل وقيل هو قولهم انه سحر
القمر وكل امر مستقر اي لكل امر حقيقة فما كان منه في الدنيا فسيظهر وما كان منه في الاخرة
فسيعرف وقيل كل امر مستقر فالخير مستقر باهله في الجنة والشر مستقر باهله في النار وقيل
يستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب او بالعقاب وقيل
معناه لكل حديث منتهى وقيل ما قدر فهو كائن وواقع لا محالة وقيل هو جواب قولهم
سحر مستمر يعني ليس امره بذاهب كما زعمتم بل كل امر من امور مستقر فان امر محمد صلى
الله عليه وسلم سيظهر الى غاية يتبين انه حق ولقد جاءهم يعني اهل مكة من الانباء اي من اخبار
الامم الماضية المكذبة في القران ما فيه مزدجر اي متناهى وموعظة حكمة بالغة يعني القران حكمة
تامة قد بلغت الغاية فما تغن النذر اذا خالفوهم وكذبوهم فتول عنهم اي اعرض عنهم نسختها
اية القتال يوم يدع الداعي اي اذكر يا محمد يوم يدع الداعي وهو اسرافيل ينفخ في
الصور قائما على صخرة بيت المقدس الى شيء نكر اي منكر فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاما
خشعا وقرئ خاشعا ابصارهم اي ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب يخرجون من الاجداث
اي من القبور كانهم جراد منتشر مثل كثرتهم وتموج بعضهم في بعض حيارى فزعين مهطعين
مسرعين مادي اعناقهم بابصارهم يقول الكافرون هذا يوم عسر اي صعب شديد وفيه
اشارة مقبلين الى الداع اي الصوت الداع وهو اسرافيل وقيل ناظرين اليه لا يقلعون
يقلعون بابصارهم يقول الكافرون هذا يوم عسر اي صعب شديد وفيه اشارة ان
ذلك اليوم يوم شديد على الكافرين لا على المؤمنين قوله تعالى كذبت قبلهم
اي قبل اهل مكة قوم نوح فكذبوا عبدنا يعني نوحا وقالوا مجنون وازدجر اي زجروه

عن

عن دعوته ومقالته بالشتم والوعيد بقولهم لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين فدعا يعني
نوحا ربه وقال اني مغلوب اي مقهور فانتصر اي فانتقم لي منهم ففتحنا ابواب السماء قيل هو على
ظاهره وللسماء ابواب تفتح وتغلق ولا يستبعد ذلك لانه قد صح في الحديث ان للسماء ابوابا وقيل
هو على الاستعارة فان الظاهر ان يكون المطر من السحاب بماء منهمر اي منصب انصبابا شديدا لم
ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض عيونا اي جعلنا الارض كلها عيونا تنبع بالماء فالتقى الماء يعني
ماء السماء وماء الارض على امر قد قدر اي قد قضي عليهم في ام الكتاب وقيل قدر الله ان يكون
الماءان سواء فكانا على قدر وحملناه يعني نوحا على ذات الواح اي سفينة ذات الواح واراد
بالالواح خشب السفينة العريضة ودسر اي مسامير التي تشد بها الالواح وقيل الدسر صدر
السفينة وقيل عوارض السفينة واضلاعها وقيل الالواح جانبا السفينة والدسر اصلها وطرفاها
تجري يعني السفينة باعيننا اي بمرأى منا وقيل بحفظنا وقيل بامرنا جزاء لمن كان كفر يعني
فعلنا ذلك به وبهم من انجاء نوح واغراق قومه ثوابا لنوح لانه كان كفر به وجحد امره وقيل
لمن بمعنى ما اي جزاء لما كان كفر من ايادي الله ونعمه عند الذين اغرقهم وقيل جزاء لما صنع بنوح
واصحابه ولقد تركناها اية يعني الفعلة التي فعلنا بهم اية يعتبر بها وقيل اراد السفينة
قال قتادة ابقاها الله تعالى بباقردى من ارض الجزيرة عبرة حتى نظر اليها اوائل هذه الامة
فهل من مدكر اي متذكر معتبر متعظ خائف مثل عقوبتهم ق عن ابن مسعود قال قرأت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم مذكر فردها علي وفي رواية اخرى سمعته يقول مدكر دالا فكيف كان
عذابي ونذر اي انذاري ولقد يسرنا القران اي سهلنا القران للذكر اي ليتذكر ويعتبر به قال سعيد
ابن جبير يسرناه للحفظ والقراءة وليس شيء من كتب الله تعالى يقرأ كله ظاهرا الا القران فهل من مدكر
اي متعظ بموعظة وفيه الحث على تعليم القران والاشتغال به لانه قد يسره الله وسهله على من
يشاء من عباده بحيث يسهل حفظه على الصغير والكبير والعربي والعجمي وغيرهم قوله عز وجل
كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري لهم بالعذاب انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا
اي شديدة الهبوب في يوم نحس اي في يوم شؤم مستمر اي دائم الشؤم استمر على جميعهم بنحوسه
فلم يبق منهم احد الا هلك فيه وقيل كان ذلك اليوم يوم الاربعاء في اخر الشهر تنزع
الناس اي الريح تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤسهم فتدق رقابهم فقيل كانت تنزعهم من قبورهم
كانهم اعجاز نخل قال ابن عباس اصول النخل منقعر اي منقطع من مكانه ساقط على الارض
قيل كانت الريح تبين رؤسهم من اجسادهم فتبقى بلا رؤس كعجز النخلة الملقاة فكيف كان عذابي
ونذر ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر اي بالانذار الذي جاء
به صالح فقالوا ابشرا منا واحدا يعني ادميا واحدا منا نتبعه اي ونحن جماعة كثيرة
انا اذا لفي ضلال اي في خطا وذهاب عن الصواب وسعر قال ابن عباس عذاب وقيل شدة
وقيل انا لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته وقيل لفي جنون وقيل لفي بعد عن الحق أألقي
الذكر عليه يعني انزل الوحي عليه من بيننا بل هو كذاب اشر اي بطر متكبر يريد ان
يتعظم علينا بادعائه النبوة سيعلمون غدا اي حين ينزل بهم العذاب وقيل يعني يوم القيامة
وانما ذكر الغد للتقريب من الكذاب الاشر اي صالح ام من كذبه انا مرسلوا الناقة اي
باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي سألوا وذلك انهم تعنتوا على صالح فسألوه ان يخرج لهم
من صخرة ناقة حمراء ناقة عشراء فقال الله تعالى انا مرسلوا الناقة فتنة اي محنة واختبارا
لهم فارتقبهم اي فانتظر ما هم صانعون واصطبر اي على اذاهم ونبئهم اي اخبرهم
ان الماء قسمة بينهم اي بين الناقة وبينهم لها يوم ولهم يوم وانما قال تعالى بينهم تغليبا

للعقلاء **كل شرب** اى نصيب من الماء **محتضر** اى يحضره من كانت نوبته فاذا كان يوم الناقة
حضرت شربها واذا كان يومهم حضروا شربهم وقيل يعنى يحضرون الماء اذا غابت الناقة
فاذا جاءت حضروا اللبن **فنادوا صاحبهم** يعنى قدار بن سالف **فتعاطى** اى فتناول الناقة
بسيفه **فعقر** يعنى الناقة **فكيف كان عذابى ونذر** ثم بين عذابهم فقال تعالى **انا ارسلنا
عليهم صيحة واحدة** يعنى صيحة جبريل **فكانوا كهشيم المحتظر** قال ابن عباس هو الرجل يجعل
لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم
وقيل هو الشجر البالى الذى يهشم حين تذروه الرياح والمعنى انهم صاروا كيبيس الشجر اذا
تحطم وقيل كالعظام النخرة المحترقة وقيل هو التراب يتناثر من الحائط **ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مدكر** قوله عز وجل **كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا**
يعنى الحصباء وهى الحجارة التى دون الكف وقد يكون الحاصب الرامى فعلى هذا يكون المعنى
انا ارسلنا عليهم عذابا يحصبهم اى يرميهم بالحجارة ثم استثنى فقال تعالى **الا آل لوط** يعنى
لوطا وابنتيه **نجيناهم** يعنى من العذاب **بسحر نعمة من عندنا** اى جعلناه نعمة منا عليهم حيث
نجيناهم **كذلك نجزى** اى كما انعمنا على لوط وآله كذلك نجزى **من شكر** يعنى من وحد الله لم يعذبه
مع المشركين **ولقد انذرهم** اى لوط **بطشتنا** يعنى اخذنا اياهم بالعقوبة **فتماروا بالنذر** اى
شكوا بالانذار ولم يصدقوا وكذبوا **ولقد راودوه عن ضيفه** اى طلبوا منه ان يسلم
اليهم اضيافه **فطمسنا اعينهم** وذلك انهم لما قصدوا دار لوط عالجوا الباب ليدخلوا
عليهم فقالت الرسل انا رسل ربك لن يصلوا اليك فدخلوا الدار فصفقهم جبريل بجناحه
فتركهم عميا باذن الله يترددون متحيرين لا يهتدون الى الباب واخرجهم لوط عميا لا يبصرون
ومعنى فطمسنا اعينهم اى صيرناها كسائر الوجه لا يرى لها شق وقيل طمس الله ابصارهم
فلم يروا الرسل فقالوا قد رأيناهم حين دخلوا فاين ذهبوا فلم يروهم **فذوقوا عذابى
ونذر** يعنى ما انذركم به لوط من العذاب **ولقد صبحهم بكرة** اى جاءهم وقت الصباح **عذاب
مستقر** اى دائم استقر بهم حتى افضى بهم الى عذاب الاخرة فقط **فذوقوا عذابى ونذر
ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** قوله عز وجل **ولقد جاء آل فرعون النذر** يعنى
موسى وهارون عليهما السلام وقيل النذر الآيات التى انذرهم بها موسى **كذبوا باياتنا
كلها** يعنى الآيات التسع **فاخذناهم** اى بالعذاب **اخذ عزيز مقتدر** اى غالب فى انتقامه
قادر على هلاكهم لا يعجزه ما اراد ثم خوف كفار مكة فقال **اكفاركم خير من اولئكم** يعنى
اقوى واشد من الذين احلت بهم نقمتى مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون
وهذا استفهام انكارى اى ليسوا باقوى منهم **ام لكم براءة** يعنى من العذاب **فى الزبر** اى فى
الكتب انه لن يصيبكم مثل ما اصاب الامم الخالية **ام يقولون** يعنى كفار مكة **نحن جميع**
اى امرنا **منتصر** اى من اعدائنا والمعنى نحن يد واحدة على من خالفنا منتصرون لموافقة رؤس
الآى وقيل معناه نحن كل واحد منا منتصر كما يقال كلهم عالم اى كل واحد منهم عالم قال الله
تعالى **سيهزم الجمع** يعنى كفار مكة **ويولون الدبر** اى الادبار فوحد لاجل رؤس الآى وقيل
فى الافراد اشارة الى انهم فى التولية والهزيمة كنفس واحدة فلا يتخلف احد عن الهزيمة
ولا يثبت احد للزحف فهم فى ذلك كدبر واحد خ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهو فى قبة يوم بدر اللهم انى انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت
لم تعبد بعد اليوم ابدا فاخذ ابو بكر بيده فقال حسبك يا رسول الله فقد الححت على
ربك فخرج وهو فى الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر **بل الساعة موعدهم**

والساعة

والساعة ادهى وامر فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر وقال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن
الخطاب يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا ادرى اى جمع يهزم فلما كان يوم
بدر رأيت النبى صلى الله عليه وسلم يثب فى درعه ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر علمت تأويلها
بل الساعة موعدهم يعنى جميعا والساعة ادهى وامر اى اعظم داهية واشد مرارة من الاسر والقتل
يوم بدر قوله عز وجل **ان المجرمين** يعنى المشركين **فى ضلال وسعر** قيل فى بعد عن الحق وسعر اى نار تسعر
عليهم وقيل فى ضلال اى عن طريق الجنة وعذاب الآخرة ثم بين عذابهم فقال تعالى **يوم يسحبون** اى
يجرون **فى النار على وجوههم** ويقال لهم **ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر** اى مقدر
ومكتوب فى اللوح المحفوظ وقيل معناه قدر الله لكل شئ من خلقه قدره الذى ينبغى له وقال ابن عباس
كل شئ بقدر حتى وضعك يدك على خدك

فصل فى سبب نزول الآية وما ورد فى القدر وما
قيل فيه م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتب الله مقادير
الخلائق كلها قبل ان يخلق السموات بخمسين الف عام قال وعرشه على الماء م عن ابى هريرة قال جاء
مشركوا قريش الى النبى صلى الله عليه وسلم يخاصمونه فى القدر فنزلت هذه الآية ان المجرمين فى ضلال
وسعر الى قوله انا كل شئ خلقناه بقدر م عن طاوس قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقولون كل شئ بقدر الله تعالى قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كل شئ بقدر حتى العجز والكيس او الكيس والعجز عن على بن ابى طالب قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يؤمن باربع يشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله بعثنى
بالحق ويؤمن بالموت وبالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر اخرجه الترمذى وله عن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يؤمن بالقدر خيره وشره وحتى يعلم ان ما
اصابه لم يكن ليخطئه وما اخطأه لم يكن ليصيبه وقال حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبد
الله بن ميمون وهو منكر الحديث وفى حديث جبريل المتفق عليه وتؤمن بالقدر خيره وشره
قال صدقت فقيه ذم القدرية عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل امة مجوس
ومجوس هذه الامة الذين يقولون لا قدر من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم
فلا تعودوه وهم شيعة الدجال وحق على الله ان يلحقهم بالدجال اخرجه ابو داود وله عن ابى هريرة
مثله وزاد فلا تجالسوهم ولا تفاتحوهم فى الكلام وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
صنفان من امتى ليس لهما فى الاسلام نصيب المرجئة والقدرية اخرجه الترمذى وقال حديث حسن
غريب وروى ابن الجوزى فى تفسيره عن ابن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا جمع
الله الخلائق يوم القيامة امر مناديا فنادى نداء يسمعه الاولون والآخرون اين خصماء الله فتقوم
القدرية فيؤمر بهم الى النار يقول الله ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر قال ابن الجوزى
وانما قيل خصماء الله لانهم يخاصمون فى انه لا يجوز ان يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها
وروى عن الحسن قال والله لو ان قدريا صام حتى يصير كالحبل وصلى حتى يصير كالوتر
ثم اخذ ظلما حتى ذبح بين الركن والمقام لكبه الله على وجهه فى سقر انا كل شئ خلقناه بقدر
قال الشيخ محيى الدين النواوى رحمه الله اعلم ان مذهب اهل الحق اثبات القدر ومعناه ان
الله تعالى قدر الاشياء فى القدم وعلم سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة فهى تقع على حسب
ما قدرها الله تعالى وانكرت القدرية هذا وزعمت انه سبحانه وتعالى لم يقدرها ولم يتقدم
علمه بها وانها مستأنفة العلم اى انما يعلمها سبحانه وتعالى بعد تقديرها ولم يتقدم علمه بها
وانها مستأنفة العلم اى انما يعلمها سبحانه وتعالى بعد وقوعها وكذبوا على الله سبحانه وتعالى
وجل عن اقوالهم الباطلة علوا كبيرا وسميت هذه الفرقة قدرية لانكارهم القدر قال اصحاب

والارض ع

المغالات من المتكلمين وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل ولم يبق احد من
اهل القبلة عليه وصارت القدرية في الازمان المتأخرة تعتقد اثبات القدر ولكن تقول الخير من
الله والشر من غيره تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا وحكى ابو محمد بن قتيبة في كتابه غريب الحديث وابو
المعالي امام الحرمين في كتابه الارشاد في اصول الدين ان بعض القدرية قال لسنا بقدرية قال
ابن قتيبة وامام الحرمين هذا تمويه من الجاهلية هؤلاء الجهلة ومباهتة وتواقح فان اهل
الحق يفوضون امورهم الى الله تعالى ويضيفون القدر والافعال الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه
الى انفسهم ومدعي الشيء لنفسه ومضيفه اليها اولى بان ينسب اليه ممن يعتقده لغيره وينفيه عن نفسه قال
امام الحرمين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم
الخير والشر في حكم الارادة كما قسمت المجوس فصرفت الخير الى يزدان والشر الى اهرمن ولا خفاء
باختصاص هذا الحديث بالقدرية وحديث القدرية مجوس هذه الامة اخرجه الترمذي رواه
ابو حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه ابو داود والحاكم ابو عبد الله في المستدرك
على الصحيحين وقال على شرط الشيخين ان صح سماع ابي حازم من ابن عمر وقال الخطابي انما جعلهم صلى الله عليه وسلم
مجوسا لمضاهات مذهبهم مذهب المجوس لقولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون ان الخير من
فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى غيره
والله سبحانه وتعالى خالق الشر والخير جميعا لا يكون شيء منهما الا بمشيئته فهما مضافان اليه سبحانه
وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما من عباده فعلا واكتسابا قال الخطابي وقد يحسب كثير
من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الامر
كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من اكتساب العباد وصدورها
عن تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر
يقال قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء في هذا معناه الخلق كقوله
تعالى فقضاهن سبع سموات اي خلقهن وقد تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة
واجماع الصحابة واهل العقد والحل من السلف والخلف على اثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد
قرر ذلك ائمة المتكلمين احسن تقرير بدلائلهم القطعية السمعية والعقلية والله اعلم واما
معنى الاحاديث المتقدمة فقوله جاء مشركوا قريش الى قوله انا كل شيء خلقناه بقدر المراد بالقدر
هنا القدر المعروف وهو ما قدره الله وقضاه وسبق به علمه وارادته فكل ذلك مقدر في
الازل معلوم لله تعالى مراد له وكذلك قوله تعالى كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق
الله السموات والارض بخمسين الف عام وعرشه على الماء المراد منه تحديد وقت الكتابة في اللوح
المحفوظ او غيره لا اصل القدر فان ذلك ازلي لا اول له وقوله وعرشه على الماء اي قبل ان
يخلق السموات والارض وقوله كل شيء بقدر حتى العجز والكيس او قال العجز والكيس العجز
عدم القدرة وقيل هو ترك ما يجب فعله بالتسويف به وتأخيره عن وقته وقيل يحتمل العجز
عن الطاعات ويحتمل العموم في امور الدنيا والآخرة والكيس [illegible] قوله تعالى وما امرنا
الا واحدة وقيل معناه وما امرنا لشيء اذا اردنا تكوينه الا كلمة واحدة فيه كن فيكون
لا مراجعة فيه فالارادة قدرة القول فيما وقوله واحدة فيه بيان انه لا حاجة الى تكرار القول
بل هو اشارة الى نفاذ الامر كلمح بالبصر قال ابن عباس ايضا معناه وما امرنا بمجيء الساعة في
السرعة كطرف البصر ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم ونظرائكم في الكفر من الامم السالفة
فهل من مدكر اي متعظ ان ذلك حق فيخاف ويعتبر وكل شيء فعلوه يعني الاشياع من خير وشر
في الزبر اي في كتب الحفظة وقيل في اللوح المحفوظ وكل صغير وكبير اي من الخلق واعمالهم واجالهم

مستطر

مستطر اي مكتوب قوله عز وجل ان المتقين في جنات اي بساتين ونهر اي انهار وانما وحده لموافقة
رؤوس الآي واراد انهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل وقيل معناه في ضياء وسعة ومعناه النهار
والمعنى لا ليل عندهم في مقعد صدق اي في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم وقيل في مجلس حسن وقيل
في مقعد لا كذب فيه لان الله صادق فقد امتنع عليه الكذب فهو مقعد صدق عند مليك مقتدر
قيل معناه قرب المنزلة والشرف لا معنى المكان مقتدر اي قادر لا يعجزه شيء وقيل مقتدر يقتدر امره في
الملك والاقتدار اعظم شيء فلا شيء الا وهو تحت ملكه وقدرته فاي منزلة اكرم من تلك المنزلة
واجمع للغبطة كلها والسعادة باسرها فانه يحقق للصادق وصف الله تعالى المكان بالصدق فلا
يقعد احد فيه الا اهل الصدق والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الرحمن عز وجل

مكية وذكر ابن الجوزي انها مدنية في قول من احدى القولين عن ابن عباس وهي ثمان وسبعون
آية وثلاثمائة واحدى وخمسون كلمة والف وستمائة وستة وثلاثون حرفا بسم
الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الرحمن علم القرآن قيل لما نزلت اسجدوا للرحمن قال كفار
مكة وما الرحمن فانكروه وقالوا لا نعرف الرحمن فانزل الله الرحمن يعني الذي انكرتموه هو الذي
علم القرآن يعني علم محمدا القرآن وقيل علم القرآن يسره للذكر ليحفظ ويتلى وذلك ان الله
عز وجل عدد نعمه على عباده فقدم اعظمها نعمة واعلاها رتبة وهو القرآن العزيز لانه اعظم وحي
الله الى انبيائه واشرفه منزلة عند اوليائه واصفيائه واكثره ذكرا واحسنه في ابواب الدين
اثرا وهو سنام الكتب السماوية المنزلة على افضل البرية خلق الانسان يعني آدم عليه السلام
قال ابن عباس علمه البيان يعني اسماء كل شيء وقيل علمه اللغات كلها فكان يتكلم بسبعمائة لغة
افضلها العربية وقيل الانسان اسم جنس واراد به جميع الناس فعلى هذا يكون معنى علمه البيان
اي النطق الذي يتميز به عن سائر الحيوان وقيل علمه الكتابة والفهم والافهام حتى عرف ما يقول
وما يقال له وقيل علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقيل اراد بالانسان محمدا صلى الله عليه وسلم
يعني عن خبر الاولين والآخرين وعن يوم الدين وقيل علمه بيان الاحكام من الحلال والحرام
والحدود والاحكام الشمس والقمر بحسبان قال ابن عباس يجريان بحساب ومنازل لا يعدوانها
وقيل يعني بهما يحسب الاوقات والآجال ولولا الليل والنهار والشمس لم يدر احد كيف يحسب
ما يريد وقيل الحسبان هو الفلك تشبيها بحسبان الرحا وهو ما يدور بالحجر بدورانه والنجم والشجر
يسجدان قيل النجم ما ليس له ساق من النبات كالبقول والشجر ماله ساق يبقى في الشتاء وسجودهما
سجود ظلهما وقيل النجم هو الكواكب وسجوده طلوعه والقول الاول اظهر لانه ذكره مع الشجر
في مقابلة الشمس والقمر لانهما ارضيان في مقابلة سماويين والسماء رفعها اي فوق الارض ووضع
الميزان قيل اراد بالميزان العدل لانه آلة العدل والمعنى انه امر بالعدل يدل عليه قوله
ان لا تطغوا في الميزان اي لا تجاوزوا العدل وقيل اراد به الآلة التي يوزن بها ليتوصل
به الى الانصاف والانتصاف واصل الوزن التقدير ان لا تطغوا في الميزان اي لئلا تميلوا وتظلموا
وتجاوزوا الحق في الميزان واقيموا الوزن بالقسط اي بالعدل وقيل اقيموا لسان الميزان
بالعدل وقيل الاقامة باليد والقسط بالقلب ولا تخسروا اي لا تنقصوا الميزان ولا
تطغوا في الكيل والوزن امر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذي هو اعتداء وزيادة وعن
الخسران الذي هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية وتقوية للامر باستعماله
والحث عليه والارض وضعها اي خفضها مدحوة على الماء للانام اي للخلق الذي بثهم

وقيل هذا جواب لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر فقال الله تعالى الرحمن علم القرآن ع

فيها وعلى كل ما ظهر عليها من دابة وقيل للانس والجن فهي كالمهاد لهم يتصرفون فوقها فيها
اي في الارض فاكهة اي من انواع الفاكهة وقيل ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى والنخل ذات
الاكمام يعني الاوعية التي يكون فيها الثمر لان الثمر يكون في غلاف وهو الطلع ما لم ينشق وكل ساتر
شيئا فهو كم وقيل ليفها واقتصر على ذكر النخل من بين ساير الشجر لانها اعظمها واكثرها بركة والحب
يعني جميع الحبوب التي يقتات بها كالحنطة والشعير ونحوها وانما اخر ذكر الحب على سبيل الارتقاء الى
الاعلى لان الحب انفع من النخل واعم وجودا في الاماكن ذو العصف قال ابن عباس يعني التبن وعنه
انه ورق الزرع وقيل العصف الاخضر اذا قطع راسه ويبس وقيل العصف ورق كل شيء يخرج منه
الحب يبدو صلاحه ولا ورق وهو العصف ثم يكون سوقا ثم يحدث فيه اكماما ثم يحدث في الاكمام
الحب والريحان يعني الرزق قال ابن عباس كل ريحان في القران فهو رزق وقيل هو الريحان الذي يشم
وقيل العصف التبن والريحان ثمرته فذكر قوت الناس والانعام ثم خاطب الجن والانس
فقال تعالى فباي آلاء ربكما تكذبان يعني ايها الثقلان يريد هذه الاشيا المذكورة وكرر هذه الاية
في هذه السورة في احد وثلاثين موضعا تقريرا للنعمة وتاكيدا في التذكير بها ثم عدد على الخلق آلاءه
وفصل بين كل نعمتين بما نبههم عليها ليفهمهم النعم ويقررهم بها كقول الرجل لمن احسن اليه وتابع
عليه بالايادي وهو ينكرها ويكفرها الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن عريانا فكسوتك
افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك افتنكر هذا وقيل هذا الكلام سايغ في كلام العرب حسن تقريرا
وذلك ان الله تعالى ذكر في هذه السورة ما يدل على وحدانيته من خلق الانسان وتعليمه البيان
وخلق الشمس والقمر والسما والارض الى غير ذلك مما انعم به على خلقه خاطب الانس والجن فقال فباي
آلاء ربكما تكذبان من الاشيا المذكورة لانها كلها منعم بها عليكم عن جابر قال خرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم على اصحابه فقرا عليهم سورة الرحمن من اولها الى اخرها فسكتوا فقال لقد قراتها
على الجن ليلة الجن فكانوا احسن منكم ردا كنت كلما اتيت على قوله فباي آلاء ربكما تكذبان قالوا
لا بشيء من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي رواية غيره كانوا
احسن منكم ردا وفيه ولا بشيء قوله تعالى خلق الانسان من صلصال يعني من طين يابس له
صلصلة وهو الصوت منه اذا نقر كالفخار يعني الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف فان قلت
قد اختلف العلما في صفة خلق آدم فقال تعالى من تراب وقال من حما مسنون وهو الطين
الاسود المنتن فلما يبس صار صلصالا لا كالفخار وخلق الجان وهو ابو الجن وقيل هو ابليس
من مارج من نار يعني الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه وقيل هو ما اختلط بعضه ببعض
من اللهب الاحمر والاصفر والاخضر الذي يعلو النار اذا اوقدت فباي آلاء ربكما تكذبان
رب المشرقين يعني مشرق الصيف وهو غاية ارتفاع الشمس ومشرق الشتا وهو غاية انحطاط
الشمس ورب المغربين يعني مغرب الصيف ومغرب الشتا وهو قيل يعني مغرب الشمس ومغرب القمر
فباي آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يعني ارسل البحرين العذب والملح متجاورين متلاقيين لا فصل
بين الماءين لان من شانهما الاختلاط وهو قوله بينهما برزخ اي حاجز من قدرة الله لا يبغيان اي لا
يبغي احدهما على صاحبه وقيل لا يختلطان ولا يتغيران وقيل لا يطغيان على الناس بالغرق وقيل
مرج البحرين يعني بحر الروم وبحر الهند وانتم الحاجز بينهما وقيل بحر فارس والروم بينهما برزخ
يعني الجزائر وقيل بحر السما وبحر الارض يلتقيان في كل عام فباي آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما
قيل انما يخرج من البحر الملح دون العذب وهو كقوله وجعل القمر فيهن نورا وقيل اراد يخرج من
احدهما فحذف المضاف وقيل لما التقى البحران فصارا كالشيء الواحد جاز ان يقال يخرج منهما
كما يقال يخرج من البحر ولا يخرج من جميع البحر ولكن من بعضه وقيل يخرج من ما السما فتفتح الاصداف

افواهها

افواهها فحيث ما وقعت قطرة صارت لؤلؤة على قدر القطرة وقوله تعالى اللؤلؤ قيل هو ما
عظم من الدر والمرجان صغاره وقيل بعكس ذلك وقيل المرجان هو الخرز الاحمر فباي آلاء ربكما
تكذبان وله الجوار يعني السفن الكبار المنشآت اي المرفوعات التي رفع خشبها بعضه على
بعض وقيل هو ما رفع قلعها في السفن اما ما لم يرفع قلعها فليس من المنشآت وقيل معنى
المنشآت المحدثات المخلوقات المسخرات في البحر كالاعلام اي كالجبال جمع علم وهو الجبل الطويل
شبه السفن في البحر بالجبال في البر فباي آلاء ربكما تكذبان قوله عز وجل كل من عليها اي على الارض
وانما ذكره بلفظة من تغليبا للعقلا فان اي هالك لان وجود الانسان في الدنيا عرض فهو غير
باق وما ليس بباق فهو فان ففيه الحث على العبادة وصرف الزمن اليسير الى الطاعة ويبقى وجه
ربك يعني ذاته والوجه يعبر به عن الجملة وفي المخاطب وجهان احدهما انه على كل واحد
والمعنى ويبقى وجه ربك ايها الانسان السامع والوجه الثاني انه يحتمل ان يكون الخطاب
مع النبي صلى الله عليه وسلم ذو الجلال والاكرام اي ذو العظمة والكبريا ومعناه الذي يجله
الموحدون عن التشبيه بخلقه والاكرام اي المكرم لانبيائه واوليائه وجميع خلقه بلطفه
واحسانه اليهم مع جلاله وعظمته فباي آلاء ربكما تكذبان عن انس بن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الظوا بيا ذا الجلال والاكرام اخرجه الترمذي وقال الحاكم حديث
صحيح الاسناد ومعنى الظوا الزموا هذه الدعوة واكثروا منها يساله من في السموات والارض
يعني من ملك وانس وجن ولا يستغني عن فضله اهل السموات والارض قال ابن عباس
فاهل السموات يسالونه المغفرة واهل الارض يسالونه الرزق والمغفرة وقيل كل احد
يساله الرحمة وما يحتاج اليه في دينه او دنياه وفيه اشارة الى كمال قدرة الله تعالى
وان كل مخلوق وان جل وعظم فهو عاجز عن تحصيل ما يحتاج اليه مفتقر الى الله تعالى
كل يوم هو في شان قيل نزلت ردا على اليهود حيث قالوا ان الله لا يقضي يوم السبت شيا
قال المفسرون ان من شانه يحيي ويميت ويرزق ويعز قوما ويذل قوما ويشفي مريضا
ويمرض صحيحا ويفك عانيا ويفرج مكروبا ويجيب داعيا ويعطي سايلا ويغفر ذنبا الى
ما لا يحصى من افعاله واحداثه في خلقه ما يشا سبحانه وتعالى وروى البغوي باسناد
الثعلبي عن ابن عباس قال ان مما خلق الله عز وجل لوحا من درة بيضا دفتاه من
ياقوتة حمرا قلمه نور وكتابه نور ينظر الله فيه في كل يوم ثلثماية وستين نظرة يخلق
ويرزق ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشا فذلك قوله تعالى كل يوم
هو في شان قال سفين بن عيينة الدهر كله عند الله يومان احدهما مدة ايام الدنيا والاخر
يوم القيامة والشان الذي هو فيه هو مدة ايام الدنيا والاخر يوم القيامة فشانه
والشان الذي هو فيه في اليوم الذي هو مدة الدنيا الاختبار بالامر والنهي والاحيا
والاماتة والاعطا والمنع وشان يوم القيامة الجزا والحساب والثواب والعقاب
وقال الحسين بن الفضل هو سوق المقادير الى المواقيت ومعناه ان الله عز وجل
كتب ما يكون في كل يوم وقدر ما هو كاين فاذا جا ذلك الوقت تعلقت ارادته بالفعل
فيوجده في ذلك الوقت وقال ابو سليمان الداراني في هذه الاية في كل يوم الى العبد بر
جديد وقيل شانه تعالى انه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر عسكرا من اصلاب
الابا الى ارحام الامهات وعسكرا من الارحام الى الدنيا وعسكرا من الدنيا الى القبور ثم
يرتحلون جميعا الى الله تعالى فباي آلاء ربكما تكذبان سنفرغ لكم ايه الثقلان قيل هو
وعيد من الله تعالى لانه لا يشغله شان عن شان فهو كقول القايل لمن يريد تهديده لافرغن

تتمة للخلق بالمحاسبة وليس هو فراغ عن شغل لان الله تعالى

لك وما به شغل وهذا قول ابن عباس وانما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشان وقيل معناه
سنقصدكم بعد الترك والامهال ونأخذ في امركم فهو كقول القائل للذي لا شغل له قد فرغت
وقيل معناه ان الله وعد اهل التقوى واوعد اهل الفجور فقال سنفرغ لكم مما وعدناكم
واخبرناكم فنحاسبكم ونجازيكم فننجز لكم ما وعدناكم فنتم ذلك ونفرغ منه فهو على
طريق المثل واراد بالثقلين الانس والجن سميا ثقلين لانهما ثقلا على الارض احياء واموات وقيل
كل شيء له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم
الثقلين كتاب الله وعترتي اعظاما لقدرهما وقال جعفر بن محمد الصادق سمي الانس والجن
ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب فباي آلاء ربكما تكذبان يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا
اي تخرجوا من اقطار السموات والارض اي جوانبهما واطرافهما فانفذوا اي فاخرجوا والمعنى
ان استطعتم ان تهربوا من الموت والخروج من اقطار السموات والارض فاهربوا واخرجوا
منها حيث ما كنتم يدرككم الموت وقيل يقال لهم هذا يوم القيامة والمعنى ان استطعتم
ان تخرجوا من اقطار السموات والارض فتعجزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فاخرجوا وقيل
معناه ان استطعتم ان تهربوا من قضائي وتخرجوا من ملكي ومن سمائي وارضي فافعلوا
وقدم الجن على الانس في هذه الاية لانهم اقدر على النفوذ والهرب من الانس واقوى على
ذلك ثم قال تعالى لا تنفذون الا بسلطان يعني لا تقدرون على النفوذ الا بقوة وغلبة
واني لكم ذلك لانكم حيث ما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني وقال ابن عباس معناه
ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات والارض فاعلموا ولن تعلموه الا بسلطان اي ببينة من الله
تعالى فباي آلاء ربكما تكذبان وفي الخبر يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادي
يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض الاية فذلك
قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار قال اكثر المفسرين هو اللهب الذي لا دخان
له وقيل هو اللهب الاخضر المنقطع ونحاس قيل هو الدخان وهو رواية عن ابن عباس
وقيل هو الصفر المذاب يصب على رؤسهم وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وقال
ابن مسعود النحاس المهل وقيل يرسل عليهما هذا مرة وهذا مرة وقيل يجوز ان يرسلا
معا من غير ان يمتزج احدهما بالاخر فلا تنتصران اي فلا تمتنعان من الله ولا يكون لكم
ناصر منه فباي آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء اي انفرجت فصارت ابوابا لنزول
الملائكة وقيل المراد منه خراب السماء ولذلك لما قال كل من عليها فان اشارة الى اهل
الارض ذكر في هذه الاية بيان حال سكان السماء وقيل فيه تهويل وتعظيم للامر لان فيه
اشارة الى ما هو اعظم من ارسال الشواظ على الانس والجن وهو تشقق السماء وكونها
وهو قوله تعالى فكانت وردة كالدهان جمع دهن شبه تلون السماء عند انشقاقها بتلون
الفرس الورد وهو الابيض الذي يضرب في الحمرة وقيل ان السماء تتلون يومئذ الوانا
كالوان الفرس الورد يكون في الربيع اصفر وفي اول الشتاء احمر فاذا اشتد البرد صار
اغبر فشبه السماء في تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه وقيل كالدهان اي كعصير
الزيت وقيل لانه يتلون في الساعة الوانا وقيل تصير السماء كالدهن الذائب وذلك
حين يصيبها حر جهنم وقيل كالدهان اي كالاديم الاحمر فباي آلاء ربكما تكذبان فيومئذ
لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان قيل لا يسألون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم لان الله تعالى
علمها منهم وكتب الحفظة عليهم وهذه رواية عن ابن عباس ايضا في الجمع بين هذه الاية
وبين قوله تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين وقيل لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا لانه اعلم

بذلك

تحملهما ثقلين

بذلك منهم ولكن يسألهم لم عملتم كذا وكذا وقيل انها مواطن فيسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها
وعن ابن عباس ايضا قال لا يسألون سؤال شفقة ورحمة انما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ وقيل
لا يسأل غير المجرم عن المجرم ذنب المجرم فباي آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم يعني بسواد
وجوههم وزرقة عيونهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام قيل تجعل الاقدام مضمومة الى النواصي
من خلف ظهره وقيل تجعل رؤسهم على ركبهم ونواصيهم في اصابع ارجلهم مربوطة وقيل يسحب
بعضهم بالنواصي وبعضهم بالاقدام ثم يلقون في النار فباي آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم
التي يكذب بها المجرمون يعني المشركين يطوفون بينها وبين حميم آن يعني انتهى حرها والمعنى انهم
يسعون بين الجحيم وبين الحميم فاذا استغاثوا من النار جعل عذابهم الحميم الآن الذي صار
كالمهل وقال كعب الاحبار ان واديا من اودية جهنم يجمع فيه صديد اهل النار فينطلق بهم في
الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منه وقد احدث الله لهم خلقا
جديدا فيلقون في النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم آن فباي آلاء ربكما
تكذبان فان قلت هذه الامور المذكورة في الايات من قوله كل من عليها فان الى هنا ليست
نعما فكيف في هذه الايات فباي آلاء ربكما تكذبان قلت المذكور في هذه الايات مواعظ
وزواجر وتخويف وكل ذلك نعمة من الله تعالى لانها تزجر العبد عن المعاصي فصارت نعما
فحسن ختم كل آية منها بقوله تعالى فباي آلاء ربكما تكذبان ثم ذكر ما اعده لمن اتقاه وخافه
من عباده المؤمنين فقال تعالى ولمن خاف مقام ربه يعني مقامه بين يدي ربه للحساب
فترك الشهوة والمعصية وقيل قيام ربه عليه يعني اطلاعه عليه وهو الذي يهم بالمعصية
فيذكر الله واطلاعه عليه فيدعها من مخافة الله وقيل لمن راقب الله في السر والعلانية
بعلمه فما عرض له من محرم تركه من خشية الله وما عمل من خير اخلصه لله ولا يحب ان يطلع
عليه احد قيل ان المؤمن خاف فواخذ ذلك المقام فعملوا لله مع الاخلاص ودابوا الليل والنهار
جنتان يعني جنة عدن وجنة نعيم وقيل جنة بخوفه ربه وجنة بتركه شهوته عن ابي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة
الله غالية الا ان سلعة الله الجنة اخرجه الترمذي قال ادلج الادلاج مخففا سير اول
الليل ومثقلا سير آخر الليل والمراد من الادلاج التشمير والجد والاجتهاد في اول الامر
فان من سار اول الليل كان جديرا ببلوغ المنزل وروى البغوي بسنده الى ابي ذر انه سمع النبي
صلى الله عليه وسلم يقص على المنبر وهو يقول ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنا
وان سرق فقال وان زنا وان سرق ثم قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت الثانية
وان زنا وان سرق يا رسول الله فقال وان زنا وان سرق على رغم انف ابي ذر فباي
آلاء ربكما تكذبان وصف الجنتين فقال تعالى ذواتا افنان اي اغصان واحدها فنن
وهو الغصن المستقيم طولا وقيل ذواتا اظلال وهو ظل الاغصان على الحيطان وقال
ابن عباس ذواتا الوان يعني الوان الفواكه وجمع عطاء بين القولين فقال في كل غصن فنون
من الفاكهة وقيل ذواتا فضل وسعة على ما سواهما فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان
تجريان قال ابن عباس بالكرامة والزيادة لاهل الجنة وقيل تجريان بالماء الزلال احداهما
التسنيم والاخرى السلسبيل وقيل احداهما من ماء غير آسن والاخرى من خمر لذة للشاربين
فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش جمع فراش بطائنها جمع بطانة وهي التي تلي
الارض من تحت الظهارة من استبرق وهو ما غلظ من الديباج قال ابن مسعود وابو
هريرة هذه البطائن فما ظنكم بالظهائر قيل لسعيد بن جبير البطائن من استبرق فما الظهائر

قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعنه ايضا قال بطائنها
من استبرق وظواهرها من نور جامد وقال ابن عباس وصف البطائن وترك الظواهر لانه ليس
في الارض احد يعرف ما الظواهر وقيل ظواهرها من سندس وهو الديباج الرقيق الناعم
وهذا يدل على نهاية شرف هذه الفرش لانه ذكر بطائنها من الاستبرق ولا بد ان تكون الظهائر
خيرا من البطائن فهو مما لا يعلمه البشر وجنا الجنتين دان يعني ان ثمرها قريب يناله القائم والقاعد
والنائم وهذا بخلاف ثمر الدنيا فانها لا تنال الا بكد وتعب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجتنيها
ولي الله ان شاء قائما وان شاء قاعدا وقيل لا يرد ايديهم عنها بعد ولا شوك فباي الاء ربكما
تكذبان فيهن فان قلت الضمير الى ماذا يعود قلت الى الجنتين وانما جمع بقوله فيهن لاشتمال
الجنتين على مساكن وقصور ومجالس قاصرات الطرف اي غاضات الطرف الاعين قصرت
طرفهن الا على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم ولا يردن سواهم قيل تقول الزوجة لزوجها وعزة
ربي ما ارى في الجنة شيا احسن منك فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك لم يطمثهن
اي لم يجامعهن ولم يفترعهن والمعنى لم يدمهن بالجماع وقيل معناه لم يمسسهن ومنه قول الفرزدق
[illegible] خرجن الي لم يطمثن قبلي وهن اصح من بيض النعام
اي لم يمسسهن والمعنى لم يطاهن ولم يغشهن انس قبلهم اي من ازواجهن من اهل الجنة ولا
جان وقيل نفي الجن لان لهم ازواجا في الجنة منهم وفي الاية دليل على ان الجني يغشى
كما يغشى الانسي وسئل ضمرة بن حبيب هل للجن ثواب فقال نعم وقرا هذه الاية ثم قال
الانسيات للانس والجنيات للجن وقال مجاهد في هذه الاية اذا جامع ولم يسم انطوى
الجني على احليله فجامع معه واختلف في هؤلاء اللواتي لم يطمثهن فقيل هن الحور العين لانهن
خلقهن لم يمسسهن احد قبل ازواجهن وقيل لم يطمثهن فقيل هن الحور العين لانهن
خلقهن لم يمسسهن احد قبل الازواجهن وقيل هن من نساء الدنيا انشئن خلقا اخر ابكارا ومعنى
الاية المبالغة في نفي الطمث عنهن لان ذلك اقر لاعين ازواجهن اذا لم يغشهن احد غيرهم
فباي الاء ربكما تكذبان كانهن الياقوت والمرجان اراد صفاء الياقوت في بياض المرجان
وهو صغار اللؤلؤ مع حمرة الياقوت لان احسن الالوان البياض المشرب بحمرة والاصح انه
شبههن بالياقوت لصفائه وقال عمرو بن ميمون ان المراة من الحور العين لتلبس سبعين حلة
فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايت السلك من ظاهره لصفائه وقال
عمرو بن ميمون ان المراة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها كما من وراء
الحلل كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضاء يدل على صحة ذلك ما روي عن ابن مسعود عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المراة من نساء اهل الجنة ليرى بياض ساقها من وراء سبعين
حلة حتى يرى مخها وذلك بان الله تعالى يقول كانهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت
فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايته من ورائه اخرجه الترمذي قال وقد
روي عن ابن مسعود بمعناه ولم يرفعه وهو اصح ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اول زمرة تلج الجنة صورهم على صورة القمر ليلة البدر زاد في رواية ثم
الذين يلونهم على اشد كوكب دري في السماء اضاءة لا يبصقون ولا يمتخطون ولا يتغوطون
انيتهم الذهب والفضة وامشاطهم الذهب ومجامرهم الالوة ورشحهم المسك ولكل واحد
منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم
قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وللبخاري قلوبهم على قلب رجل واحد وزاد
فيه ولا يسقمون قوله مجامرهم الالوة يعني بخورهم العود فباي الاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان

الا الاحسان

الا الاحسان اي ما جزاء من احسن في الدنيا الا ان يحسن اليه في الاخرة وقال ابن عباس هل جزاء
من قال لا اله الا الله وعمل بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم الا الجنة روى البغوي باسناد الثعلبي
عن انس بن مالك قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جزاء الاحسان الا الاحسان ثم قال
هل تدرون ما قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول هل جزاء من انعمت عليه بالتوحيد
الا الجنة وروى الواحدي بغير سند عن ابن عمر وابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
في هذه الاية يقول الله عز وجل هل جزاء من انعمت عليه بمعرفتي وتوحيدي الا ان اسكنه جنتي
وحظيرة قدسي برحمتي وقيل في معنى الاية هل جزاء من اتى بالفعل الحسن الا ان يؤتى في مقابلته
بفعل حسن وفي الاية اشارة الى رفع التكليف في الاخرة لان الله وعد المؤمن بالاحسان وهو
الجنة فلو بقي التكليف في الاخرة ولترك العبد لاستحق العذاب على ترك العمل والعقاب
على ترك الاحسان اليه فلا تكليف فباي الاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان اي ومن دون الجنتين
الاوليين جنتان اخريان وقال ابن عباس من دونهما في الدرج وقيل في الفضل وقال ابو موسى
جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين وقال ابن جريج هي اربع جنات جنتان
للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لاصحاب اليمين والتابعين فيهما فاكهة
ونخل ورمان ق عن ابي موسى الاشعري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جنتان من فضة انيتهما وما
فيهما وما بين القوم ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنات عدن وقال الكسائي
ومن دونهما جنتان يعني امامهما وقبلهما يدل عليه قول الضحاك الجنتان الاخريان من ياقوت
وزبرجد وهما افضل من الاوليين فباي الاء ربكما تكذبان ثم وصف الجنتين فقال تعالى مدهامتان
اي ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما لان الخضرة اذا اشتدت ضربت الى السواد
فباي الاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان اي فوارتان بالماء لا ينقطعان وقال ابن
ينضخان بالخير والبركة على اهل الجنة وقال ابن مسعود ينضخان بالمسك والعنبر في دور اهل
الجنة كطش المطر فباي الاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان يعني فيهما من انواع الفواكه
كلها وانما افرد النخل والرمان بالذكر وان كانا من جملة الفواكه تنبيها على فضلهما على سائر
الفواكه وعلى هذا القول عامة المفسرين واهل اللغة قالوا انما فصلهما بالذكر للتخصيص
والتفضيل فهو كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فصلهما وان
كانا من جملة الملائكة لشرفهما وفضلهما وقال بعضهم ليس النخل والرمان من الفواكه
لان ثمرة النخل فاكهة وطعام وثمرة الرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ولهذا قال
ابو حنيفة اذا حلف لا ياكل الفاكهة فاكل رطبا او رمانا لم يحنث وخالفه صاحباه
وهذا القول خلاف اهل اللغة ولا حجة له في الاية وروى البغوي بسنده عن ابن عباس
موقوفا قال نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكربها ذهب احمر وسعفها كسوة لاهل الجنة
منها حللهم وثمرها مثل القلال والدلاء اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل والين من
الزبد ليس له عجم وروي ان الرمانة من رمان الجنة تجلد البعير المقتب وقيل ان نخل اهل
الجنة م
نضيد وثمرها كالقلال كلما قطعت عادت مكانها اخرى العنقود منها اثنا عشر ذراعا
فباي الاء ربكما تكذبان فيهن اي في الجنان الاربع خيرات حسان روي عن ام سلمة قالت
قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرني عن الخيرات الحسان قال خيرات الاخلاق حسان
الوجوه فباي الاء ربكما تكذبان حور مقصورات اي محبوسات مستورات لا يخرجن لكرامتهن
وشرفهن يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت
الى الارض لاضاءت ما بينهما ولملات ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما

فيها وقيل قصرن طرفهن على ازواجهن فلا يبغين بهم بدلا في الخيام قيل في
البيوت قال ابن الاعرابي الخيمة لا تكون الا من اربعة اعواد ثم تسقف بالثمام
ويقال خيم فلان خيمة اذا بناها من جريد النخل وخيم بها اذا اقام بها واستظل فيها وقيل
كل خيمة من در ولؤلؤ وزبرجد مجوف تضاف الى القصور في الجنة ق عن ابي موسى الاشعري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للمؤمن في الجنة الخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة
طولها في السماء وفي رواية عرضها ستون ميلا للمؤمن فيها اهلون يطوف عليهم المؤمن
فلا يرى بعضهم بعضا فباي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان تقدم تفسيره
فباي آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر قيل الرفرف رياض الجنة خضر مخصبة وروي
هذا عن ابن عباس الرفرف فضول المجالس والبسط منه وقيل هي مجالس خضر فوق الفرش وقيل
هي المرافق وقيل الزرابي وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف وعبقري حسان قيل
هي الزرابي والطنافس المخملة الى الرقة ما هي وقيل كل ثوب موشى عند العرب عبقري وقال الخليل
كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم فهو عبقري عند العرب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
في عمر فلم ار عبقريا يفري فريه واصل هذا فيما قيل انه نسب الى عبقر وهي ارض يسكنها الجن فصار
كل منسوب الى شيء رفيع عجيب وذلك ان العرب تعتقد في الجن على صفة عجيبة وانهم يأتون
بكل امر عجيب ولما كان عبقر معروفا بسكنى الجن نسبوا اليها كل عجيب بديع فباي آلاء ربكما تكذبان
تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام قيل لما ختم نعم الدنيا بقوله ويبقى وجه ربك ذي الجلال
والاكرام وفيه اشارة الى ان الباقي هو الله تعالى وان الدنيا فانية ختم نعمة الآخرة
بهذه الآية وهو اشارة الى تمجيده وتحميده م عن ثوبان قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثا وقال اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت
يا ذا الجلال والاكرام اخرجه ابو داود والنسائي عن قوله لم يقعد الا مقدار ما يقول والله اعلم

تفسير سورة الواقعة

مكية وهي تسع وتسعون آية وثلثمائة وثمان وسبعون كلمة والف وسبعمائة وثلاثة احرف
روى البغوي بسنده عن ابي طيبة عن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا وكان ابو طيبة لا يدعها
ابدا واخرجه ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعزه بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل اذا وقعت الواقعة اي اذا قامت القيامة وقيل اذا نزلت صيحة القيامة
وهي النفخة الاخيرة وقيل الواقعة اسم للقيامة كالآزفة ليس لوقعتها اي لمجيئها
كاذبة اي ليس بها كذب والمعنى انها تقع حقا وصدقا وقيل معناه ليس لوقعتها قضية كاذبة
اي بكل ما اخبر الله عنها وقص من خبرها قضية صادقة غير كاذبة وقيل معناه ليس
لوقعتها نفس كاذبة اي ان كل من يخبر عن وقوعها صادق غير كاذب لم تكذب نفس اخبرت
عن وقوعها خافضة رافعة اي تخفض اقواما الى النار وترفع اقواما الى الجنة وقال ابن
عباس تخفض اقواما كانوا في الدنيا مرتفعين وترفع اقواما كانوا في الدنيا متضعين وقيل
تخفض اقواما بالمعصية وترفع اقواما بالطاعة اذا رجت الارض رجا اي اذا حركت
وزلزلت زلزالا وذلك ان الله عز وجل اذا اوحى اليها اضطربت فرقا وخوفا قال
المفسرون ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل بناء عليها وينكسر كل ما فيها من جبال
وغيرها وهو قوله تعالى وبست الجبال بسا اي فتتت حتى صارت كالدقيق المبسوس
وهو

وهو المبلول وقيل صارت كثيبا مهيلا بعد ان كانت شامخة وقيل معناه تقلعت من اصلها
وصيرت على وجه الارض حتى ذهبت بها فكانت هباء منبثا اي غبارا متفرقا كالذي يرى في شعاع الشمس
اذا دخل الكوة وهو الهباء وكنتم ازواجا اي اصنافا ثلاثة ثم فسر الازواج فقال تعالى فاصحاب
الميمنة يعني اصحاب اليمين والميمنة ناحية اليمين وهم الذين يؤخذ بهم الى ذات اليمين الى الجنة
وقال ابن عباس هم الذين كانوا على يمين آدم حين اخرجت الذرية من صلبه وقال الله عز وجل هؤلاء
للجنة ولا ابالي وقيل هم الذين يعطون كتبهم بايمانهم وقيل هم الذين كانوا ميامين اي مباركين
على انفسهم وكانت اعمالهم صالحة في طاعة الله وهم التابعون باحسان قوله عز وجل ما اصحاب
الميمنة تعجيب في حالهم في السعادة والمعنى اي شيء هم واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة يعني
اصحاب الشمال وهم الذين يؤخذ بهم الى ذات الشمال الى النار وقال ابن عباس هم الذين كانوا على
شمال آدم حين اخراج عند اخراج الذرية وقال الله تعالى لهم هؤلاء الى النار ولا ابالي وقيل هم
الذين يعطون كتبهم بشمائلهم وقيل هم المشائيم على انفسهم وكانت اعمالهم في المعاصي لان العرب
تسمي اليد اليسرى الشؤمى والسابقون السابقون قال ابن عباس هم السابقون الى الهجرة
السابقون في الآخرة الى الجنة السابقون الى الاسلام وقيل هم الذين صلوا الى القبلتين من
المهاجرين والانصار وقيل هم السابقون الى الصلوات الخمس وقيل الى الجهاد وقيل المسارعون
الى التوبة والى ما دعاهم الله اليه من اعمال البر والخير وقيل هم اهل القرآن المتوجون يوم القيامة
فان قلت لم اخر ذكر السابقين وكانوا اولى بالتقديم على اصحاب اليمين قلت فيه لطيفة
وذلك لان الله ذكر في اول السورة من الامور الهائلة عند قيام الساعة تخويفا لعباده
فاما محسن فيزداد رغبة في الثواب واما مسيء فيرجع عن اساءته خوفا من العقاب فلذلك
قدم اصحاب اليمين ليسمعوا ويرغبوا ثم ذكر اصحاب الشمال ليرهبوا ثم ذكر السابقين وهم
الذين لا يحزنهم الفزع الاكبر ليجتهد اصحاب اليمين في القرب من درجتهم ثم اثنى على السابقين
فقال تعالى اولئك المقربون اي من الله في جواره وفي ظل عرشه ودار كرامته وهو قوله
في جنات النعيم قوله تعالى ثلة اي جماعة غير محصورة العدد من الامم الماضية من الاولين
اي من الامم الماضية من لدن آدم الى زمن نبينا صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين يعني من هذه الامة
وذلك لان الذين عاينوا جميع الانبياء وصدقوهم من الامم الماضية اكثر ممن عاين النبي صلى الله
عليه وسلم وآمن به وقيل ان الاولين هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقليل من الآخرين
يعني من هذه الامة وكذلك التابعين لهم باحسان وقيل ان الاولين سباق المهاجرين والانصار
وقيل من الآخرين ممن جاء بعدهم من الصحابة على سرر موضونة اي منسوجة بالذهب والجوهر
وقيل موضونة يعني موصوفة متكئين عليها اي على السرر متقابلين يعني لا ينظر بعضهم في قفا
بعض وصفوا بحسن العشرة في المجالسة وقيل لانهم صاروا ارواحا نورانية صافية ليس لهم ادبار
وظهور يطوف عليهم اي للخدمة ولدان اي غلمان مخلدون لا يموتون ولا يهرمون ولا يتغيرون
ولا ينتقلون من حالة الى حالة وقيل مخلدون مقرطون والخلد القرط وهو الحلقة تعلق
في الاذن واختلفوا فيهم فقيل هم اولاد المؤمنين الذين ماتوا اطفالا وفيه ضعف لان الله تعالى الحقهم
بآبائهم ولان من المؤمنين من لا ولد له فله خدمة ولد غيره كان منقصة بابي الخادم وقيل
هم صغار الكفار الذين ماتوا قبل التكليف وهذا قول قريب من الاول لانه قد اختلف في اولاد
المشركين على ثلاثة مذاهب فقال الاكثرون هم في النار تبعا لآبائهم وتوقفت فيهم طائفة
والمذهب الثالث وهو الصحيح الذي ذهب اليه المحققون انهم من اهل الجنة ولكل مذهب
دليل ليس هذا موضعه وقيل هم اطفال لم تكن لهم حسنات فيثابوا ولا سيئات فيعاقبوا

عليهما ومن قال بهذه الاقوال يعلل بان الجنة ليس فيها ولادة والقول الصحيح الذي لا معدل
عنه ان شاء الله تعالى انهم ولدان خلقوا في الجنة لخدمة اهل الجنة كالحور وان لم يولدوا
ولم يحصلوا عن ولادة اطلق عليهم اسم الولدان لان العرب تسمي الغلام وليدا ما لم يحتلم
والامة وليدة وان اسنت باكواب جمع كوب وهي الاقداح المستديرة الافواه لا آذان لها
ولا عرى واباريق جمع ابريق وهي ذوات الخراطيم والعرى سميت اباريق لبريق لونها من
الصفاء وقيل لانها يرى باطنها كما يرى ظاهرها وكاس من معين اي من خمرة جارية لا يصدعون عنها
اي لا تصدع رؤوسهم من شربها وعنها كناية عن الكاس وقيل لا يتفرقون عنها ولا ينزفون اي لا
على عقولهم ولا يسكرون منها وقرئ بكسر الزاي ومعناه لا ينفد شرابهم وفاكهة مما يتخيرون
اي ياخذون خيارها ولحم طير مما يشتهون قال ابن عباس يخطر على قلبه لحم الطير فيطير ممثلا بين
يديه على ما اشتهى وقيل انه يقع على صحفة الرجل فياكل منه ما يشتهي ثم يطير فان قلت
في تخصيص الفاكهة بالتخير واللحم بالاشتهاء بلاغة قلت نعم وكيف لا وفي كل حرف من حروف
القران بلاغة وفصاحة والذي يظهر فيه ان اللحم والفاكهة اذا حضرا عند الجائع تميل
نفسه الى اللحم واذا حضرا عند الشبعان غير مشتهيه بل هو يختار واهل الجنة انما ياكلون لا عن
جوع بل للتفكه فميلهم الى الفاكهة اكثر فيتخيرونها ولهذا ذكرت في مواضع كثيرة من
القران بخلاف اللحم واذا اشتهاه حضر بين يديه على ما يشتهيه فتميل نفسه اليه ادنى ميل
ولهذا قدم الفاكهة على اللحم والله تعالى اعلم وحور عين اي ويطوف عليهم وقيل ولهم
حور عين وجاء في تفسير حور بيض عين اي ضخام العيون كامثال اللؤلؤ المكنون اي
المخزون في الصدف المصون الذي لم تمسه الايدي ولم تقع عليه الشمس والهواء فيكون في نهاية
الصفاء روي انه سطع نور في الجنة فقيل ما هذا قيل ثغر حوراء ضحكت وروي ان الحوراء
اذا مشت يسمع تقديس الخلاخل من ساقيها وتمجيد الاسورة من ساعديها وان عقد الياقوت
يضحك من نحرها وفي رجليها نعلان من ذهب شراكهما من لؤلؤ يصفران بالتسبيح جزاء بما
كانوا يعملون اي نفعل ذلك بهم جزاء بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعتنا لا يسمعون فيها
اي في الجنة لغوا قيل اللغو ما يرغب عنه من الكلام ويستحق ان يلغى وقيل هو القبيح من
القول والمعنى ليس فيها لغو فيسمع ولا تاثيما قيل معناه ان بعضهم لا يقول لبعض اثمت
لانهم لا يتكلمون بما فيه اثم كما يتكلم به اهل الدنيا وقيل معناه لا يلقون تاثيما اي ما هو
سبب التاثيم من قول وفعل قبيح الا قيلا معناه لكن يقولون قيلا ويسمعون قيلا
سلاما سلاما يعني يسلم بعضهم على بعض وقيل يسلم الملائكة عليهم او يرسل الرب
بالسلام اليهم وقيل معناه ان قولهم يسلم من اللغو ثم ذكر اصحاب اليمين وعجب من شانهم
فقال تعالى واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين لما بين حال السابقين شرع في بيان حال
اصحاب اليمين فقال تعالى في سدر مخضود اي لا شوك فيه كانه خضد شوكه اي قطع ونزع
منه هذا قول ابن عباس وقيل هو الموقر حملا وقيل ثمرها اعظم من القلال وهو النبق قيل
لما نظر المسلمون الى وج وهو واد مخصب بالطائف فاعجبهم سدره فقالوا ليت لنا
مثل هذا فانزل الله هذه الاية وطلح قيل هو الموز عند اكثر المفسرين وقيل هو شجر له ظل بارد
طيب وقيل هو شجر ام غيلان له شوك ونور طيب الرائحة نحو طيبوا وعدوا بمثل ما يحبون
ويعرفون الا ان فضله على شجر الدنيا كفضل الجنة على الدنيا منضود اي متراكم قد نضد بالحمل
من اوله الى اخره ليست له سوق بارزة بل من عروقه الى اغصانه ثمر وليس شيء من ثمر الجنة في
غلاف كثمر الدنيا مثل الباقلاء والجوز ونحوهما بل كلها ماكول ومشروب ومشموم ومنظور

اليه

اليه وظل ممدود اي دائم لا تنسخه الشمس كظل اهل الدنيا وذلك لان الجنة ظل كلها لا شمس
فيها ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة
سنة واقرؤوا ان شئتم وظل ممدود وعن ابن عباس في قوله وظل ممدود قال شجرة في الجنة على ساق
يخرج اليها اهل الجنة فيتحدثون في اصلها فيشتهي بعضهم لهو الدنيا فيرسل الله عز وجل عليها
ريحا من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو في الدنيا وماء مسكوب اي مصبوب يجري دائما في غير اخدود ولا
ينقطع وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة قال ابن عباس لا تنقطع اذا جنيت ولا تمتنع من
احد اذا اراد اخذها وقيل لا مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان كما تنقطع ثمار الدنيا في
الشتاء ولا يوصل اليها الا بالثمن وقيل لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وجاء في الحديث ما قطعت
ثمرة من ثمار الجنة الا ابدل الله عز وجل مكانها ضعفين وفرش مرفوعة قال مرفوعة على الاسرة
وقيل بعضها فوق بعض فهي مرفوعة عالية عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
وفرش مرفوعة قال ارتفاعها كما بين السماء والارض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام اخرجه الترمذي
وقال حديث حسن غريب قال الترمذي قال بعض اهل العلم معنى الحديث ارتفاعها كما بين السماء
والارض يقول ارتفاع الفرش المرفوعة في الدرجات والدرجات ما بين كل درجتين كما بين السماء
والارض وقيل اراد بالفرش النساء والعرب تسمي المراة فراشا ولباسا على الاستعارة فعلى هذا
القول يجوز معنى مرفوعة اي رفعن بالفضل والجمال على نساء الدنيا ويدل على هذا التاويل قوله
في عقبه انا انشاناهن انشاء اي خلقناهن خلقا جديدا قال ابن عباس يعني الادميات العجز الشمط
يقول خلقناهن بعد الكبر والهرم خلقا اخر فجعلناهن ابكارا يعني عذارى عن انس قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا انشاناهن انشاء قال ان من المنشآت اللاتي كن في الدنيا عجائز عمشا
رمصا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وضعفه بعض رواته وروى البغوي بسنده عن الحسن
قال اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة فقال
يا ام فلان الجنة لا يدخلها عجوز قال فولت تبكي قال اخبروها انها لا تدخل وهي عجوز
ان الله تعالى قال انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا هذا حديث مرسل وروي باسناد
الثعلبي عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله انا انشاناهن انشاء قال عجائز كن في
الدنيا عمشا رمصا فجعلناهن ابكارا قال المسيب بن شريك هن عجائز الدنيا انشاهن الله خلقا جديدا
كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا وقيل هن فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا
وقيل هن الحور العين انشاهن الله لم يقع عليهن ولادة فجعلناهن ابكارا عذارى وليس هناك وجع
عربا جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها قاله ابن عباس رضي الله عنهما وفي رواية عنه وعنه ايضا
الملقة وقيل الغنجة وعن اسامة بن زيد عن ابيه قال حسان الكلام اترابا يعني امثالا في
الخلق وقيل مستويات في السن على سن واحد بنات ثلاث وثلاثين عن معاذ بن جبل عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال يدخل اهل الجنة الجنة جردا مردا مكحلين ابناء ثلاثين او قال ثلاث
وثلاثين سنة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب لاصحاب اليمين يعني انشاناهن لا
صحاب اليمين وقيل هذا الذي ذكرناه لاصحاب اليمين ثلة من الاولين يعني من المؤمنين الذين
هم قبل هذه الامة يدل عليه ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن عروة بن رويم قال لما انزل الله
عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلة من الاولين وقليل من الآخرين بكى عمر فقال يا نبي الله
امنا برسول الله وصدقناه ومن ينجو منا قليل فانزل الله عز وجل ثلة من الاولين وثلة من
الآخرين فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر فقال قد انزل الله تعالى فيما قلت فقال رضينا عن
ربنا وتصديق نبينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آدم الينا ثلة ومنا الى يوم القيامة ثلة

ولا يبقى منها الا سوادان من رعاة الابل ممن قال لا اله الا الله ق عن ابن عباس قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عرضت على الامم فرايت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي
وليس معه احد اذ رفع لي سواد عظيم فظننت انهم امتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن
انظر الى الافق فنظرت فاذا سواد عظيم فقيل لي هذه امتك ومعهم سبعون الفا يدخلون الجنة
بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في اولئك الذين يدخلون الجنة بغير
حساب ولا عذاب فقال بعضهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم
فلعلهم الذين ولدوا في الاسلام ولم يشركوا بالله وذكروا اشيا فخرج عليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال ما الذي تخوضون فيه فاخبروه فقال هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا
يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال ادع الله ان يجعلني منهم فقال اللهم
اجعله منهم فقال رجل اخر فقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة
الرهيط تصغير رهط وهم دون العشرة وقيل الى الاربعين ق عن عبد الله بن مسعود قال كنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة نحوا من اربعين فقال اترضون ان تكونوا ربع اهل الجنة
قلنا نعم قال اترضون ان تكونوا ثلث اهل الجنة قلنا نعم قال والذي نفس محمد بيده اني لارجو
ان تكونوا نصف اهل الجنة وذلك ان الجنة لا يدخلها الا نفس مسلمة وما انتم في اهل الشرك
الا كالشعرة البيضا في جلد الثور الاحمر وعن بريدة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اهل الجنة عشرون
ومائة صف ثمانون من هذه الامة واربعون من ساير الامم اخرجه الترمذي وقال حديث حسن
وذهب جماعة الى ان الثلتين جميعا من هذه الامة وهو قول ابي العالية ومجاهد وعطا
ابن ابي رباح والضحاك قالوا ثلة من الاولين من سابقي هذه الامة وثلة من الاخرين
من هذه الامة ايضا في اخر الزمان يدل على ذلك ما روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس
في هذه الاية ثلة من الاولين وثلة من الاخرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هما جميعا
من امتي وهذا القول هو اختيار الزجاج قال معناه جماعة ممن تبع النبي صلى الله عليه وسلم وامن
وعاينه وجماعة ممن امن به وكان بعده ولم يعاينه فان قلت كيف قال في الاية الاولى وقليل
من الاخرين ولم يقل قال في هذه الاية وثلة من الاخرين قلت الاية الاولى في السابقين الاولين
وقليل ممن يلحق بهم من الاخرين وهذه الاية في اصحاب اليمين وهم كثيرون في الاولين والاخرين
وحكي عن بعضهم ان هذه الاية ناسخة للاولى واستدل بحديث عروة بن رويم ونحوه
والقول بالنسخ لا يصح لان الكلام في الايتين خبر والخبر لا يدخله النسخ قوله تعالى واصحاب
الشمال ما اصحاب الشمال قد تقدم معنى التعجب من حالهم وهم الذين يعطون كتبهم
بشمايلهم ثم بين منقلبهم وما اعد لهم من العذاب فقال تعالى في سموم اى حر النار وقيل في ريح شديد
الحرارة وحميم اى ما حار يغلي وظل من يحموم يعني في ظل من دخان شديد السواد وقيل ان
النار سودا واهلها سود وكل شي فيها اسود وقيل اليحموم اسم من اسما النار لا بارد ولا كريم
يعني لا بارد المنزل ولا كريم المنظر وذلك ان فايدة الظل ترجع الى امرين احدهما دفع الحر
والثاني حسن المنظر وكون الانسان فيه مكرما وظل اهل النار بخلاف هذا لانهم في ظل من
دخان حار ثم بين بما استحقوا ذلك فقال تعالى انهم كانوا قبل ذلك يعني في الدنيا مترفين
يعني منعمين وكانوا يصرون على الحنث العظيم يعني الذنب الكبير وهو الشرك وقيل الحنث
العظيم اليمين الغموس وذلك انهم كانوا يحلفون انهم لا يبعثون وكذبوا في ذلك يدل عليه سياق
الاية وهو قوله تعالى وكانوا يقولون ايذا متنا وكنا ترابا وعظاما اينا لمبعوثون
او اباونا الاولون فرد الله تعالى عليهم بقوله قل ان الاولين والاخرين لمجموعون الى ميقات

يوم معلوم يعني انهم يجمعون ويحبسون ليوم الحساب ثم انكم ايها الضالون يعني عن الهدى المكذبون
اى بالبعث والخطاب لكفار مكة وقيل انه عام في كل ضال مكذب لاكلون من شجر من زقوم
تقدم تفسيره فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم يعني الابل
العطاش قال ان الهيم ما تصيب الابل فلا تروى منه ولا تزال تشرب حتى تهلك وقيل الهيم الارض
ذات الرمل التي لا تروى بالما قيل يلقى اهل النار العطش فيشربون من الحميم شرب الهيم فلا يروون
هذا نزلهم يعني ما ذكر من الزقوم والحميم اى رزقهم وغذاوهم يوم الدين يعني يجازون باعمالهم
ثم احتج عليهم بالبعث بقوله تعالى نحن خلقناكم ولم تكونوا اشيا وانتم تعلمون ذلك فلولا فهلا
تصدقون اى بالبعث قوله عز وجل افرايتم ما تمنون يعني ما تصبون في الارحام من النطف
اانتم تخلقونه اى انتم تخلقون ما تمنون بشرا ام نحن الخالقون اى انه خلق النطفة وصورها
واحياها فلم تصدقون بانه واحد قادر على ان يعيدكم كما انشاكم احتج عليهم بالبعث بالقدرة
على ابتدا الخلق نحن قدرنا بينكم يعني الاجال فمنكم من يبلغ الكبر والهرم ومنكم من يموت صبيا
وشابا وغير ذلك من الاجال القريبة والبعيدة وقيل معناه انه جعل اهل السما واهل الارض
فيه سوا شريفهم ووضيعهم فعلى هذا القول يكون معنى قدرنا قضينا وما نحن بمسبوقين
يعني لا يفوتني شي اريده ولا يمتنع مني احد وقيل معناه وما نحن بمغلوبين عاجزين عن اهلاككم
وابدالكم بامثالكم وهو قوله تعالى على ان نبدل امثالكم اى نأتي بخلق مثلكم بدلا منكم في اسرع
حين وننشيكم اى نخلقكم فيما لا تعلمون اى من الصور والمعنى نغير خلقتكم الى ما هو اشنع منها من
خلق شيا وقيل نبدل صفاتكم فنجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا بمن كان قبلكم ان اردنا ان نفعل
ذلك بكم ما فاتنا وقال سعيد فيما لا تعلمون في حواصل طيور سود كانها الخطاطيف تكون بـ
برهوت وادبا اليمن وهذه الاقوال كلها تدل على المسخ وعلى انه لو شا ان يبدلهم بامثالهم من بني
ادم قدر ولو شا ان يمسخهم في غير صورهم قدر وقال بعض اهل المعاني هذا يدل على النشاة
الثانية يكونها الله تعالى في وقت لا يعلمه العباد ولا يعلمون كيفيته كما علموا الانشا الاول
من جهة التناسل ويكون التقدير على هذا وما نحن بمسبوقين على ان ننشيكم في وقت لا تعلمون
يعني وقت البعث والقيامة وفيه فايدة وهي التحريض على العمل الصالح لان التبديل والانشا
هو الموت والبعث اذا كان ذلك واقعا في الازمان لا يعلمه فينبغي ان لا يتكل الانسان
على طول المدة ولا يغفل عن اعداد العدة ولقد علمتم النشاة الاولى اى الخلقة الاولى ولم
تكونوا شيا وفيه تقرير للنشاة الثانية يوم القيامة فلولا تذكرون باني قادر على
اعادتكم كما قدرت على ابدايكم اول مرة قوله تعالى افرايتم ما تحرثون لما ذكر الله
تعالى ابتدا الخلق وما فيه من دلايل الوحدانية ذكر نعمة الرزق لان به البقا وذكر
امورا ثلاثة الماكول والمشروب وما به اصلاح الماكول والمشروب ورتبه ترتيبا
حسنا فذكر الماكول اولا لانه هو الغذا واتبعه المشروب لانه به الاستمرا ثم النار التي
بها الاصلاح وذكر من انواع الماكول الحب لانه هو الاصل ومن المشروب الما لانه ايضا
هو الاصل وذكر من المصلحات النار لان بها صلاح اكثر الاغذية فقوله افرايتم ما تحرثون
اى تثيرون من الارض وتلقون فيها البذر اانتم تزرعونه اى تنبتونه وتنشونه حتى
يشتد ويقوم على سوقه ام نحن الزارعون معناه اانتم فعلتم ذلك ام الله ولا شك
في ايجاد الحب في السنبل ليس بفعل احد غير الله تعالى وان كان القا البذر من فعل الناس
لو نشا لجعلناه ما تحرثونه وتلقون فيه من البذر حطاما اى تبنا لا قمح فيه وقيل هشيما
لا ينتفع به في مطعم ولا غيره وقيل هو جواب لمعاند يقول نحن نحرث وهو بنفسه يصير

زرعًا لا بفعلنا ولا بفعل غيرنا فرد الله على هذا المعاند بقوله لو نشاء لجعلناه حطامًا فهل تقدرون
انتم على حفظه وهو يدفع عن نفسه بنفسه تلك الآفات لينبت الا باذن الله وحفظه فظلتم
تفكهون اي تتعجبون بما نزل بكم من زرعكم وقيل تندمون على نفقاتكم وقيل تندمون على ما سلف
منكم من المعاصي التي اوجبت تلك العقوبة وقيل تتلاومون وقيل تحزنون وقيل هو تلهف على ما فات
انا لمغرمون حذف القول ومعنى الغرم ذهاب المال بغير عوض وقيل معناه لمولع بنا وقال ابن عباس
لمعذبون يعني انهم عذبوا بذهاب اموالهم بغير فائدة والمعنى انا غرمنا الحب الذي بذرناه فذهب
بغير عوض بل نحن محرومون اي ممنوعون والمعنى حرمنا الذي كنا نطلبه من الريع في الزرع افرأيتم
الماء الذي تشربون أانتم انزلتموه من المزن ام نحن المنزلون ذكرهم الله تعالى نعمه بانزال المطر
الذي لا يقدر عليه الا الله عز وجل لو نشاء جعلناه اجاجا قال ابن عباس شديد الملوحة وقيل
مرًا لا يمكن شربه فلولا اي فهلا تشكرون يعني نعمته عليكم افرأيتم النار التي تورون يعني تقدحون
من الزند أانتم انشأتم شجرتها يعني التي يقدح منها النار وهي المرخ والعفار وهما شجرتان يقدح
منهما النار وهما رطبان وقيل اراد جميع الشجر الذي توقد به النار ام نحن المنشئون نحن جعلناها
يعني نار الدنيا تذكرة اي للنار الكبرى اذا رأى الرائي هذه النار ذكر بها نار جهنم فيخشى الله
ويخاف عقابه وقيل موعظة يتعظ بها المؤمن (ق) عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ناركم التي هذه التي توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا والله ان كانت لكافية
يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلها مثل حرها ومتاعا للمقوين
اي للمسافرين والمقوي النازل في الارض القوي وهو القفر الخالية البعيدة من العمران والمعنى
انه ينتفع بها البوادي والسفار فان منفعتهم اكثر من المقيم فانهم يوقدونها بالليل لتهرب السباع
ويهتدي بها الضال الى غير ذلك من المنافع وهذا قول اكثر المفسرين وقيل للمقوين للمستمتعين
بها في الظلمة ويصطلون بها من البرد وينتفعون بها في الطبخ والخبز الى غير ذلك من المنافع
وقيل المقوي من الاضداد يقال للفقير مقو لخلوه من المال ويقال للغني مقو لقوته على ما يريد
والمعنى فيها منفعة ومتاع للفقراء والاغنياء جميعا لا غنى لاحدهما عنها فسبح باسم ربك العظيم
لما ذكر ما يدل على وحدانيته وقدرته وانعامه على سائر الخلق خاطب نبيه صلى الله عليه
وسلم ويجوز ان يكون خطابا لكل فرد من الناس فقال تعالى فسبح باسم ربك العظيم اي برئ
الله ونزهه عما يقول المشركون في صفته والاسم يكون بمعنى الذات والمعنى فسبح باسم
ربك العظيم قوله عز وجل فلا اقسم قال اكثر المفسرين معناه فاقسم ولا صلة مؤكدة وقيل
لا على اصلها وفي معناها وجهان احدهما انها ترجع الى ما تقدم ومعناه النهي وتقديره ومعناه
فلا تكذبوا ولا تجحدوا ما ذكرته من النعم والحجج الوجه الثاني ان لا رد لما قاله الكفار في
القرآن من انه سحر وشعر وكهانة والمعنى ليس الامر كما تقولون ثم استأنف القسم فقال
اقسم والمعنى لا والله لا صحة لقول الكفار وقيل لان لا هنا معناها النفي فهو كقول
القائل لا تسل عما جرى وهو يريد تعظيم الامر لا النهي عن السؤال بمواقع النجوم قال
ابن عباس اراد نجوم القرآن فانه كان ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم متفرقا وقيل اراد
مغارب النجوم ومساقطها وقيل اراد منازلها وقيل انكدارها وانتثارها يوم القيامة
وقيل مواقعها في اتباع الشياطين عند الرجم وانه لقسم لو تعلمون عظيم قيل هذا يدل
على ان المراد بمواقع النجوم نجوم القرآن لقسم عظيم لو تعلمون عظمته لانتفعتم بذلك وقيل معنى لو
تعلمون فاعلموا عظمته وقيل انه اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى فاقسم بمواقع
النجوم انه لقرآن كريم اي ان الكتاب الذي انزل على محمد صلى الله عليه وسلم قرآن كريم اي عزيز

مكرم

مكرم لانه كلام الله تعالى ووحيه الى نبيه صلى الله عليه وسلم وقيل الكريم الذي من شأنه ان يعطي
الكثير وسمي القرآن كريما لانه يفيد الدلائل التي تؤدي الى الحق في الدين وقيل الكريم اسم
جامع لما يحمد والقرآن كريم لما يحمد فيه من الهدى والنور والبيان والعلم والحكم فالفقيه
يستدل به ويأخذ منه والحكيم يستمد منه ويحتج به والاديب يستفيد منه ويتقوى فكل عالم
يطلب اصل علمه منه وقيل سمي كريما لان كل احد يناله ويحفظه من كبير وصغير وذكي وبليد بخلاف
غيره من الكتب وقيل ان الكلام اذا كرر مرارا تسمجه السامعون ويهون في الاعين وتمله الآذان
والقرآن كريم عزيز لا يهون بكثرة التلاوة ولا يخلق بكثرة الرد ولا يمله السامعون ولا يثقل
على الالسنة بل هو غض طري يبقى ابد الدهر كذلك في كتاب مكنون اي مصون مستور عند الله تعالى
في اللوح المحفوظ من الشيطان من ان يناله بسوء وقيل المراد بالكتاب المصحف ومعنى مكنون مصون
محفوظ من التبديل والتحريف والقول الاول اصح لا يمسه اي ذلك الكتاب المكنون الا المطهرون
وهم الملائكة الموصوفون بالطهارة من الشرك والذنوب والاحداث يروى هذا القول عن ابن
وانس وهو قول سعيد بن جبير وابو العالية وقتادة وابن زيد وقيل هم السفرة الكرام البررة وعلى
القول الثاني بان المراد بالكتاب المصحف فقيل معنى لا يمسه الا المطهرون اي من الشرك وكان ابن
عباس ينهى ان يمكن اليهود والنصارى من قراءة القرآن قال الفراء لا يجد طعمه ونفعه الا من امن به
وقيل معناه لا يقرأه الا الموحدون وقال قوم معناه لا يمسه الا المطهرون من الاحداث
والجنابات وظاهر الاية نفي ومعناها نهي قالوا لا يجوز للجنب ولا للحائض ولا للمحدث
حمل المصحف ولا مسه وهو قول عطاء وطاوس وسالم والقاسم واكثر اهل العلم وبه قال مالك
والشافعي واكثر الفقهاء يدل عليه ما روى مالك في الموطأ عن عبد الله بن ابي بكر بن محمد بن عمرو
ابن حزم ان في الكتاب الذي كتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم ان لا تمس القرآن
الا طاهر اخرجه مالك مرسلا وقد جاء موصولا عن ابي بكر بن عمرو بن حزم عن ابيه عن جده ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كتب الى اهل اليمن بهذا والصحيح فيه الارسال وروى الدارقطني بسنده
عن سالم عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمس القرآن الا طاهر والمراد بالقرآن
المصحف سماه قرآنا على قرب الجوار والاتساع كما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى
ان يسافر بالقرآن الى ارض العدو واراد به المصحف وقال الحكم وحماد وابو حنيفة يجوز
للمحدث والجنب حمل المصحف ومسه بغلافه فان قلت اذا كان الاصح ان المراد من الكتاب
هو اللوح المحفوظ وان الضمير في لا يمسه الا المطهرون هم الملائكة ولو كان المراد في الحدث
لقال لا يمسه الا المتطهرون من التطهر فكيف يصح قول الشافعي لا يصح للمحدث مس المصحف قلت
من قال ان الشافعي اخذه من صريح الاية حمل على التفسير الثاني وهو القول بان المراد
من الكتاب هو المصحف ومن قال انه اخذه من طريق الاستنباط قال نفي المس بغير طهر صفة
صفة دالة على التعظيم والمس بغير طهر نوع استهانة به وهذا لا يليق بمباشرة المصحف الكريم
والصحيح انه اخذه من السنة ودليله ما تقدم من الاحاديث والله اعلم تنزيل من رب العالمين
صفة للقرآن اي القرآن منزل من عند رب العالمين سمي المنزل تنزيلا على اتساع اللغة يقال للمقدور
قدر وللمخلوق خلق وفيه رد على من قال بان القرآن سحر وكهانة فقال الله تعالى بل القرآن
تنزيل من رب العالمين قوله عز وجل افبهذا الحديث يعني القرآن انتم اي يا اهل مكة مدهنون
قال ابن عباس مكذبون وقيل كافرون والمدهن الكذاب والمنافق وهو الجري في الباطل على
خلاف الظاهر هذا اصله ثم قيل للمكذب والكافر مدهن وان صرح بالتكذيب والكفر
وتجعلون رزقكم اي حظكم ونصيبكم من القرآن انكم تكذبون قال الحسن في هذه الآية خسر

عبد لا يكون حظه من كتاب الله الا التكذيب وقال جماعة من المفسرين معناه وتجعلون شكركم انكم تكذبون اي بنعمة الله تعالى عليكم وهذا في الاستسقا بالانوا وذلك انهم كانوا اذا مطروا يقولون مطرنا بنوا كذا ولا يرون ذلك المطر من فضل الله عليهم فقيل لهم اتجعلون رزقكم اي شكركم بما رزقكم التكذيب فمن نسب الانزال الى النجم فقد كذب برزق الله تعالى ونعمته وكذب بما جا به القران والمعنى اتجعلون بدل الشكر التكذيب ق عن زيد بن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية في اثر سما كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر بالكواكب فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي وكافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوا فلان فذلك كافر بي مومن بالكواكب روى مسلم عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم زاد فنزلت هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم الى قوله وتجعلون رزقكم انكم تكذبون م عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما انزل الله من السما من بركة الا اصبح فريق من الناس بها كافرين ينزل الله الغيث فيقولون من الكوكب كذا وكذا وفي رواية بكوكب كذا وكذا عن علي بن ابي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال شكركم تقولون مطرنا بنوا كذا وكذا وبنجم كذا وكذا وفي رواية بكوكب كذا وكذا اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قوله على اثر سما اي اثر مطر والنوا الكوكب يقال نا النجم ينو فلان اذا سقط وغاب وقيل نا اذا نهض وطلع واختلف العلما في معنى الحديث وكفر من قال مطرنا بنو كذا على قولين احدهما انه كفر بالله تعالى لاصل الايمان مخرج عن ملة الاسلام وذلك فيمن قال ذلك معتقدا ان الكوكب فاعل مدبر منشي للمطر كما كان بعض الجاهلية يزعم فمن اعتقد هذا فلا شك في كفره وهذا القول هو الذي ذهب اليه جماهير العلما منهم الشافعي وهو ظاهر الحديث وعلى هذا لو قال مطرنا بنوا كذا وكذا وهو معتقد ان ايجاد المطر من الله ورحمته وان النو ميقات له ومراده انا مطرنا في وقت طلوع نجم كذا ولم يقصد الى فعل النجم كما جا عن عمر انه استسقى بالمصلى ثم نادى العباس كم بقي من نو الثريا فقال ان العلما يزعمون انها تعترض في الافق سبعا بعد وقوعها فوالله ما مضت تلك السبع حتى غيث الناس وانما اراد عمر كم بقي من الوقت الذي جرت العادة انه اذا اتى الله بالمطر فهذا جايز لا خلف فيه واختلفوا في كراهية هذا والاظهر انها كراهية تنزيه لا اثم فيه ولا تحريم وسبب هذه الكراهة انها كلمة مترددة بين الكفر وغيره فيسا بقايلها ولانها شعار الجاهلية ومن سلك مسلكهم والقول الثاني في تاويل اصل الحديث ان المراد بالكفر كفر النعمة لله تعالى لاقتصاره على اضافة الغيث الى الكوكب وهذا جار فيمن لا يعتقد تدبير الكوكب ويويد هذا التاويل حديث ابي هريرة ما انزل الله من السما من بركة الا اصبح فريق بها كافر فقوله بها يدل على كفر بالنعمة والله اعلم فلولا اي فهلا اذا بلغت الحلقوم اي النفس والروح الى الحلقوم عند الموت وانتم يعني يا اهل الميت حينيذ تنظرون يعني الميت متى يخرج نفسه وقيل ينظرون الى امري وسلطاني لا يمكنكم الدفع ولا تملكون شيا ونحن اقرب اليه منكم اي بالعلم والقدرة والروية وقيل ورسلنا الذين يقبضون روحه اقرب الى الميت ولكن لا تبصرون اي الذين حضروه من الملايكة لقبض روحه وقيل لا تبصرون اي لا تعلمون فلولا ان كنتم غير مدينين اي مملوكين وقيل محاسبين ومجزيين ده ترجعونها ان كنتم صادقين اي تردون نفس هذا الميت الى الجسد بعد ما بلغت الحلقوم فاجاب عن قوله فلولا اذا بلغت الحلقوم وعن قوله فلولا ان كنتم غير مدينين بجواب واحد وهو قوله ترجعونها

والمعنى

والمعنى ان كان الامر كما تقولون انه لا بعث ولا حساب ولا اله يجازي فهلا تردون نفس من يعز عليكم اذا بلغت الحلقوم واذا لم يمكنكم ذلك فاعلموا ان الامر الى غيركم وهو الله تعالى فامنوا به ثم ذكر طبقات الخلق وبين درجاتهم فقال تعالى فاما ان كان من المقربين يعني السابقين فروح اي فله روح وهو الراحة وقيل فله فرح وقيل رحمة وريحان اي وله استراحة وقيل هو الريحان الذي يشم قال ابو العالية لا يفارق احد من المقربين الدنيا حتى يوتى ببعض من ريحان الجنة فيشمه فتقبض روحه وجنة نعيم اي وله جنة نعيم يفضي اليها في الاخرة قال ابو بكر الوراق الروح النجاة من النار والريحان دار القرار واما ان كان يعني المتوفى من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين اي فسلام لك يا محمد والمعنى فلا تهتم بهم فانهم سلموا من سلام الله او انك ترى فيهم ما تحب من السلامة وقيل هو ان الله تعالى يتجاوز عن سياتهم ويقبل حسناتهم وقيل معناه انهم من اصحاب اليمين وقيل فسلام عليك من اصحاب اليمين واما ان كان من المكذبين اي بالبعث الضالين اي عن الهدى وهم اصحاب الشمال فنزل من حميم اي الذي يعد لهم حميم جهنم وتصلية جحيم اي وادخال نار عظيمة ان هذا يعني ما ذكر من قصة المحتضرين لهو حق اليقين اي لا شك فيه وقيل ان هذا الذي قصصناه عليك في هذه السورة من الاقاصيص وما اعد الله لاعدايه من العذاب الاليم وما ذكر مما يدل على وحدانيته حق يقين لا شك فيه ده فسبح باسم ربك العظيم اي فنزه ربك العظيم عن كل سو وقيل معناه فصل بذكر ربك العظيم وبامره عن عقبة بن عامر الجهني قال لما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو داود وعن حذيفة انه صلى الله عليه وسلم فكان يقول في ركوعه سبحان ربي العظيم وفي سجوده سبحان ربي الاعلى وما اتى على اية عذاب الا وقف وتعوذ اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح وله عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة م عن ابي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اخبرك باحب الكلام الى الله جل جلاله قال سبحان الله وبحمده ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم هذا الحديث اخرجه في الصحيح البخاري والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الحديد

مدنية وهي تسع وتسعون اية وخمسماية واربع واربعون كلمة والفان واربعماية وستة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح لله ما في السموات والارض يعني كل ذي روح وغيره يسبح الله تعالى فتسبيح العقلا تنزيه الله عز وجل عن كل سو وعما لا يليق بجلاله وتسبيح غير العقلا من ناطق وجماد فاختلفوا فيه فقيل تسبيحه دلالته على صانعه فكانه ناطق بتسبيحه وقيل تسبيحه بالقول يدل عليه قوله ولكن لا تفقهون تسبيحهم والحق ان التسبيح هو القول الذي لا يصدر الا من العاقل العارف بالله تعالى وما سوى العاقل ففي تسبيحه وجهان احدهما انها تدل على تعظيمه وتنزيهه والثاني ان جميع الموجودات باسرها منقادة له يتصرف فيها كيف يشا فان حملنا التسبيح المذكور في الاية على القول كان المراد بقوله ما في السموات من في السموات وهم الملايكة ومسبحون الارض هم المومنون العارفون بالله وان حملنا التسبيح المعنوي فجميع اجزا السموات وما فيها من شمس وقمر ونجوم وجميع ذرات الارضين وما فيها من جبال وبحار وشجر ودواب وغير ذلك كلها مسبحة خاشعة خاضعة لجلال عظمة الله جل جلاله وتقدست صفاته منقادة له يتصرف

وفي هذه الايات اشارة الى ان الكفر ملة واحدة حيث جعل اصحاب الكبائر من اصحاب اليمين لانهم غير مكذبين وفي ارك

وما اعد الله لاوليايه من النعيم

صح مع النبي

فيهما كيف يشا فان قلت قد جا في بعض فواتح السور سبح بلفظ الماضي وفي بعضها يسبح بلفظ
المضارع فما معناه قلت فيه اشارة الى كون جميع الاشيا فيه مسبح لله ابدا غير مختص بوقت
دون وقت بل هي كانت مسبحة ابدا في الماضي وستكون مسبحة في المستقبل ابدا وهو
العزيز اي الغالب الكامل القدرة الذي لا ينازعه شي الحكيم اي الذي جميع افعاله على وفق
الحكمة والصواب له ملك السموات والارض اي انه الغني عن جميع خلقه وكلهم محتاجون اليه
يحيي ويميت اي يحيي الاموات للبعث ويميت الاحيا في الدنيا وهو على كل شي قدير قوله عز وجل
هو الاول والاخر والظاهر يعني هو الاول قبل كل شي بلا ابتدا كان هو ولم يكن شي
موجود والاخر بعد فنا كل احد بلا انتها يفني الاشيا ويبقى هو والظاهر الغالب العالي
على كل شي هذا معنى قول ابن عباس وقيل هو الاول ليس قبله شي والاخر ليس بعده شي وقيل
هو الاول بوجوده في الازل وقبل الابتدا والاخر بوجوده في الابتدا وبعد الانتها ه
والظاهر بالدلايل الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب عن العقول ان تكيفه
وقيل هو الاول السابق وجوده كل موجود والاخر الذي يبقى بعد كل مفقود وقال الامام
ابو بكر الباقلاني معناه انه تعالى الباقي بصفاته من العلم والقدرة وغيرهما التي كان
عليها في الازل ويكون كذلك بعد موت الخلايق وذهاب علومهم وقدرهم وحواسهم وتفرق
اجسامهم قال وتعلقت المعتزلة بهذا الاسم فاحتجوا في مذهبهم في فنا الاجسام
وذهابها بالكلية قالوا ومعناه انه الباقي بعد فنا خلقه ومذهب اهل الحق يعني
اهل السنة بخلاف ذلك وان المراد الاخر بصفاته بعد صفاتهم كما يقال اخر من بقي
من بني فلان يراد حياته ولا يراد فنا اجسامهم موتاهم وذهابهم بالكلية هذا اخر
كلام الباقلاني وقيل هو الاول السابق للاشيا والاخر الباقي بعد فنا الاحيا والظاهر
بحججه الباهرة وبراهينه النيرة الزاهرة وشواهده الدالة على وحدانيته والباطن الذي احتجب
عن ابصار الخلق فلا يستولي عليه الكيفية وقيل هو الاول القديم والاخر الرحيم والظاهر
الحكيم والباطن العليم وقيل هو الاول ببره اذ عرفك توحيده والاخر بجوده اذ عرفك طريق
التوبة على ما جنيت والظاهر بتوفيقه اذ وفقك للسجود له والباطن بستره اذا عصيت
يستر عليك وقال الجنيد هو الاول بشرح القلوب والاخر بغفران الذنوب والظاهر بكشف
الكروب والباطن بعلم الغيوب وسيل عمر كعبا عن هذه الاية فقال معناها ان علمه بالاول
كعلمه بالاخر وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن وهو بكل شي عليم م عن سهيل بن ابي صالح قال كان
ابو صالح يامرنا اذا اراد احدنا ان ينام ان يضطجع على شقه الايمن ثم يقول اللهم رب السموات
ورب الارض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شي فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل
والفرقان اعوذ بك من شر كل شي انت اخذ بناصيته وفي رواية من شر كل ذي دابة انت اخذ
بناصيتها اللهم انت الاول فليس قبلك شي وانت الاخر فليس بعدك شي وانت الظاهر فليس
فوقك شي وانت الباطن فليس دونك شي اقض عنا الدين واغننا من الفقر وكان يروي ذلك
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ابي هريرة ايضا قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالس واصحابه
اذ اتى عليهم سحاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله
اعلم قال هذا العنان هذه روايا الارض يسوقها الله تعالى الى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه
ثم قال هل تدرون ما فوقكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فانها الرقيع سقف محفوظ
وموج مكفوف ثم قال هل تدرون ما بينكم وبينها قالوا الله ورسوله اعلم قال بينكم
وبينها خمسمائة سنة ثم قال هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال سمايين

بعد ما بينهما

وانت الباطن العالم بكل شي

بعد ما بينهما خمسمائة سنة حتى عد سبع سموات ما بين كل سمايين كما بين السما والارض ثم قال
هل تدرون ما فوق ذلك قالوا الله ورسوله اعلم قال فان فوق ذلك العرش وبينه وبين
السما بعد ما بين السمايين ثم قال هل تدرون ما الذي تحتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال فان تحتها
ارض اخرى بينهما مسيرة خمسمائة سنة ثم قال والذي نفس محمد بيده لو انكم دليتم بحبل الى الارض
السابعة السفلى لهبط على الله ثم قرا هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شي عليم
اخرجه الترمذي وقال حديث غريب قال الترمذي قال بعض اهل العلم في تفسير هذا الحديث
انما اراد لهبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله في كل مكان وهو على العرش كما وصف
نفسه في كتابه العنان اسم للسحاب ومعنى روايا الارض الحوامل والرقيع اسم للسما وقيل
هو اسم لسما الدنيا قوله عز وجل هو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى
على العرش يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما يعرج فيها تقدم تفسيره
وهو معكم اينما كنتم اي بالعلم والقدرة فليس ينفك احد من تعليق علم الله تعالى وقدرته
اينما كان من ارض او سما برا او بحرا وقيل وهو معكم بالحفظ والحراسة وقوله والله بما
تعملون بصير يدل على صحة القول الاول له ملك السموات والارض والى الله ترجع
الامور يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور تقدم
تفسيره قوله تعالى امنوا بالله ورسوله لما ذكر انواعا من الدلايل الدالة على التوحيد والعلم
والقدرة شرع يخاطب كفار مكة ويامرهم بترك الدنيا والاعراض عنها والنفقة في جميع
وجوه البر وهو قوله تعالى وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه يعني المال الذي كان بيد غيركم
فاهلكهم واعطاكم اياه فكنتم في ذلك المال خلفا عمن مضى فالذين امنوا منكم وانفقوا
لهم اجر كبير وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم يعني واي عذر لكم
في ترك الايمان بالله والرسول يدعوكم اليه وينبيكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبرهان
والحجج وقد اخذ ميثاقكم اي اخذ الله ميثاقكم حين اخرجكم من ظهر ادم عليه السلام بان الله ربكم
لا اله لكم سواه وقيل اخذ ميثاقكم حيث ركب فيكم العقول ونصب فيكم الادلة والبراهين
والحجج التي تدعو الى متابعة الرسول ان كنتم مؤمنين اي يوما ما لان الحدى لا وقات اذ تؤمنوا
بالحجج والاعلام ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ونزول القران وهو قوله هو الذي
ينزل على عبده يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ايات بينات يعني القران ليخرجكم يعني الله بالقران
وقيل الرسول بالدعوة من الظلمات الى النور اي من ظلمات الشرك الى نور الايمان وان
الله بكم لرءوف رحيم قوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات
والارض يقول اي شي لكم في ترك الانفاق فيما يقرب الى الله تعالى وانتم ميتون
تاركون اموالكم لغيركم فالاولى ان تنفقوها انتم فيما يقربكم من الله تعالى وتستحقون به الثواب
ثم بين فضل من سبق بالانفاق في سبيل الله وبالجهاد فقال تعالى لا يستوي منكم من انفق
من قبل الفتح وقاتل يعني فتح مكة في قول اكثر المفسرين وقيل هو صلح الحديبية والمعنى
لا يستوي في الفضل من انفق ماله وقاتل العدو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل فتح مكة
مع من انفق وقاتل بعد الفتح اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا قال
الكلبي ان هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق لانه اول من اسلم واول من انفق ماله في سبيل
الله وذب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله اول من اظهر اسلامه سبع منهم النبي صلى الله
عليه وسلم وابو بكر وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عمر قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنده ابو بكر وعليه عباة قد خللها على صدره بخلال فنزل جبريل فقال ما لي ارى ابا بكر عليه عباة قد خللها

للقيام

في صدره تخلل الفقا لا انفق ماله على قبل الفتح قال فان الله عز وجل يقول اقرا عليه السلام وقل له
ارَاضٍ انت عني في فقرك امر ساخط فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر ان الله يقرؤك السلام
ويقول لك انت بي في فقرك هذا ام ساخط فقال ابو بكر اسخط على ربي انا على ربي راض انا على ربي
راض وكلا وعد الله الحسنى يعني الجنة قال عطا درجات الجنة تتفاضل فالذين انفقوا قبل
الفتح في افضلها والله بما تعملون خبير من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا اي صادقا محتسبا
بالصدقة طيبة بها نفسه وسمى هذا الانفاق قرضا من حيث انه وعد به الجنة تشبيها بالقرض
قال بعض العلما القرض لا يكون حسنا حتى يجمع اوصافا عشرة وهي ان يكون المال من الحلال وان
يكون من اجود المال وتتصدق وانت محتاج اليه وان تقصد فيه قبلك الى الاحوج اليها وان تكتم
الصدقة ما امكنك وان لا تتبعها بالمن والاذى وان تقصد بها وجه الله ولا ترائي بها الناس
وان تستحقر ما تتصدق به وان كان كثيرا وان يكون من احب اموالك اليك وان لا ترى عز
نفسك وذل الفقير فهذه عشرة اوصاف اذا اجتمعت في الصدقة كانت قرضا حسنا فيضاعفه
له يعني يعطيه اجره على انفاقه مضاعفا وله اجر كريم يعني ذلك الاجر كريم في نفسه
قوله عز وجل يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يعني على الصراط يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
اي عن ايمانهم وقيل اراد جميع الجوانب فعبر بالبعض عن الكل وذلك دليلهم الى الجنة وقال قتادة
ذكر لنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة الى عدن ابين وصنعا
ودون ذلك حتى ان من المؤمنين من لا يضيء نوره الا موضع قدميه قال عبد الله بن مسعود يؤتون
نورهم على قدر اعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى نوره كالرجل القائم وادناهم
نورا من نوره على ابهامه فيطفا مرة ويتقد مرة وقيل معنى الاية يسعى نورهم بين ايديهم ويعطون
كتبهم بايمانهم وتقول لهم الملائكة بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك
هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين امنوا انظرونا نقتبس من نوركم
اي نستضيء من نوركم قيل تغشى الناس ظلمة شديدة يوم القيامة فيعطي الله المؤمنين نورا على
قدر اعمالهم يمشون به على الصراط ويعطي المنافقين ايضا نورا خديعة لهم فبينما هم يمشون
اذ بعث الله عز وجل ريحا وظلمة فاطفات نور المنافقين فذلك قوله تعالى يوم لا يخزي
الله النبي والذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا مخافة
ان يسلبوا نورهم كما سلب نور المنافقين وقيل بل يستضيئون بنور المؤمنين ولا يعطون النور
فاذا سبقهم المؤمنون بقوا في الظلمة فقالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا
وراءكم قال ابن عباس يقول لهم المؤمنون وقيل يقول لهم الملائكة ارجعوا وراءكم اي من
حيث جئتم وقيل ارجعوا الى الدنيا فاعملوا اعمالا يجعلها الله لكم نورا وقيل معناه لا نور لكم
عندنا فارجعوا وراءكم فالتمسوا اي اطلبوا لكم هناك نورا اي لا سبيل لكم الى الاقتباس
من نورنا فيرجعون في طلب النور فلا يجدون شيئا فينصرفون اليهم ليلقوهم فيميز بينهم وبين
المؤمنين وهو قوله تعالى فضرب بينهم اي المؤمنين والمنافقين بسور وهو حائط بين
الجنة والنار له اي لذلك السور باب باطنه فيه الرحمة اي في باطن ذلك السور الرحمة وهي
الجنة وظاهره من قبله العذاب اي من قبل ذلك الظاهر العذاب وهو النار روي عن عبد الله
ابن عمر قال ان السور الذي ذكره الله في القران هو سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه
المسجد وظاهره من قبله العذاب وادي جهنم وقال ابن شريح كان كعب يقول في
الباب الذي يسمى باب الرحمة في بيت المقدس انه الباب الذي قال الله عز وجل فضرب
بينهم بسور له باب الاية ينادونهم يعني ينادي المنافقون المؤمنين من وراء ذلك السور

حين يحجز بينهم ويبقوا في الظلمة الم نكن معكم اي في الدنيا نصلي ونصوم قالوا بلى ولكنكم فتنتم
انفسكم اي اهلكتموها بالنفاق والكفر واستعملتموها في المعاصي والشهوات وكلها فتنة وتربصتم
اي بالايمان والتوبة وقيل تربصتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقلتم يوشك ان يموت فنستريح منه وارتبتم
اي شككتم في نبوته وفيما اوعدكم به وغرتكم الاماني اي الاباطيل وذلك ما كنتم تتمنون من نزول
الدوائر بالمؤمنين حتى جاء امر الله يعني الموت وقيل هو القاؤهم في النار وهو قوله تعالى وغركم بالله
الغرور يعني الشيطان قال قتادة ما زالوا على خدعة من الشيطان حتى قذفهم الله في النار فاليوم
لا يؤخذ منكم فدية يعني عوض وبدل بان تفدوا انفسكم من العذاب وقيل لا يؤخذ منكم ايمان ولا
توبة ولا من الذين كفروا يعني المشركين وانما عطف الكفار على المنافقين وان كان المنافق كافرا
في الحقيقة لان المنافق ابطن الكفر والكافر اظهره فصار غير الكافر المنافق فحسن عطفه
على المنافق ماواكم النار اي مصيركم هي مولاكم اي وليكم وقيل هي اولى بكم لما اسلفتم
من الذنوب والمعنى هي التي تلي عليكم لانها ملكت امركم واسلمتم اليها فهي اولى بكم من كل شيء
وقيل معنى الاية لا مولى لكم ولا ناصر لان من كانت النار مأواه فلا مولى له وبئس المصير
قوله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قيل نزلت في المنافقين بعد
الهجرة بسنة وذلك انهم سالوا سلمان الفارسي ذات يوم فقالوا حدثنا عن التوراة فان فيها
العجائب فنزلت نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم ان القران احسن من غيره فكفوا عن
سؤال سلمان ما شاء الله ثم عادوا فسالوه مثل ذلك فنزلت هذه الاية الله نزل احسن الحديث
فكفوا عن سؤاله ما شاء الله ثم عادوا فسالوه فنزلت هذه الاية فعلى هذا القول يكون تاويله
قوله تعالى الم يان للذين امنوا يعني في العلانية باللسان ولم يؤمنوا بالقلب وقيل نزلت في
المؤمنين وذلك لما قدموا المدينة اصابوا من لين العيش ورفاهيته فتركوا عن بعض ما كانوا
عليه فعوتبوا ونزل في ذلك الم يان للذين امنوا الاية قال ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين
ان عاتبنا الله بهذه الاية الا اربع سنين اخرجه مسلم وقال ابن عباس ان الله تعالى استبطا
قلوب المؤمنين فعاتبهم على راس ثلاث عشرة سنة من نزول القران فقال الم يان للذين
امنوا ان تخشع قلوبهم اي ترق وتلين وتخشع قلوبهم لذكر الله اي لمواعظ الله وما نزل من الحق
يعني القران ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل يعني اليهود والنصارى فطال عليهم الامد
اي الزمان الذي بينهم وبين انبيائهم فقست قلوبهم قال ابن عباس مالوا الى الدنيا واعرضوا
عن مواعظ القران والمعنى ان الله نهى المؤمنين ان يكونوا في صحبة القران كاليهود الذين
قست قلوبهم لما طال عليهم الدهر وروي عن ابي موسى الاشعري انه بعث الى قراء اهل البصرة
فدخل عليه ثلثمائة رجل قد قرءوا القران فقال انتم خيار اهل البصرة وقراؤهم فاتلوه ولا
يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان من قبلكم وكثير منهم فاسقون يعني
الذين تركوا الايمان بعيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم قوله عز وجل اعلموا ان الله يحيي الارض
بعد موتها اي بالمطر ويخرج منها النبات بعد يبسها فكذلك يقدر على احياء الموتى وقال
ابن عباس تلين القلوب بعد قسوتها فيجعلها مخبتة منيبة يحيي القلوب الميتة بالعلم والحكمة
والا فقد علم في احياء الارض بالمطر شاهدة قد بينا لكم الايات اي الدالة على وحدانيتنا
وقدرتنا لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا اي بالنفقة
والصدقة في سبيل الله يضاعف لهم اي ذلك القرض ولهم اجر كريم اي ثواب حسن وهو
الجنة والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون اي الكثيرو الصدق قال
مجاهد كل من امن بالله ورسله فهو صديق وتلا هذه الاية فعلى هذه الاية عامة في كل من امن

بالله ورسوله وقيل ان الآية خاصة في ثمانية نفر من هذه الامة سبقوا اهل الارض في زمانهم
الى الاسلام وهم ابو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير وسعد وحمزة وتاسعهم عمر
ابن الخطاب الحقه الله بهم لما عرف من صدق نيته والشهداء عند ربهم قيل اراد بالشهداء المؤمنين
المخلصين قال مجاهد كل مؤمن صديق شهيد وتلا هذه الآية وقيل هم التسعة الذين تقدم
ذكرهم وقيل تم الكلام عند قوله هم الصديقون ثم ابتدأ والشهداء عند ربهم وهم الانبياء
يشهدون على الامم يروى ذلك عن ابن عباس وقيل هم الشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله لهم
اجرهم اي بما عملوا من العمل الصالح ونورهم يعني على الصراط والذين كفروا وكذبوا بآياتنا
اولئك اصحاب الجحيم لما ذكر حال المؤمنين اتبعه بحال الكفار قوله تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا
اي ان الحياة الدنيا في هذه الدار الدنيا وانما اراد صرف حياته في غير طاعة الله فحياته
مذمومة ومن صرف حياته في طاعة الله فحياته خير كلها ثم وصفها بقوله لعب اي باطل
لا حاصل له كلعب الصبيان ولهو اي فرح ساعة ثم ينقضي عن قريب وزينة اي منظر تتزينون
به وتفاخر بينكم يعني انكم تشتغلون في حياتكم بما يتفاخر به بعضكم على بعض وتكاثر في الاموال
والاولاد اي مباهاة بكثرة الاموال والاولاد وقيل جمع ما لا يحل تطاول بماله وخدمه
وولده على اولياء الله تعالى واهل طاعته ثم ضرب لهذه الحياة مثلا فقال تعالى كمثل غيث اعجب
الكفار اي الزراع انما سموا الزراع كفارا لسترهم الارض بالبذر نباته اي ما نبت بذلك الغيث
ثم يهيج اي ييبس فتراه مصفرا اي بعد خضرته ثم يكون حطاما اي يتحطم ويتكسر
بعد يبسه ويفنى وفي الآخرة عذاب شديد اي لمن كان حياته بهذه الصفة قال اهل
المعاني زهد الله بهذه الآية في العمل للدنيا وهذه صفة حياة الكافر وحياة من يشتغل
باللعب واللهو ورغب في العمل للآخرة بقوله ومغفرة من الله ورضوان اي لاوليائه
واهل طاعته لان الآخرة اما عذاب واما جنة وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور اي لمن
عمل بها ولم يعمل للآخرة فمن اشتغل بالدنيا لطلب الآخرة فهي له بلاغ الى ما هو خير منه
قوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم معناه ليكن مفاخرتكم ومكاثرتكم لطلب ما انتم عليه
بل احرصوا على ان تكون مسابقتكم في طلب الآخرة والمعنى سارعوا مسارعة المسابقين
في المضمار الى مغفرة اي الى ما توجب المغفرة وهي التوبة وقيل سابقوا الى المغفرة وهو
التوبة من الذنوب وقيل سابقوا الى سائر ما كلفتم به من الاعمال فيدخل فيه التوبة
وغيرها وجنة عرضها كعرض السماء والارض قيل ان السموات السبع والارضين السبع
لو جعلت صفائح والزق بعضها ببعض لكان عرض الجنة في قدرها جميعا وقال ابن عباس
يريد ان لكل واحد من المطيعين جنة بهذه السعة وقيل ان الله تعالى شبه عرض الجنة بعرض السموات
والارض ولا شك ان الطول يكون ازيد من العرض فذكر العرض تنبيها على ان طولها اضعاف
ذلك وقيل تمثيل هذا للعباد بما يعقلونه ويقع في نفوسهم وافكارهم واكثر ما يقع في
نفوسهم مقدار السموات والارض فشبه عرض الجنة بعرض السموات والارض على ما يعرفه
الناس اعدت للذين آمنوا بالله ورسله فيه اعظم رجاء واقوى امل لانه ذكر ان الجنة
اعدت لمن آمن بالله ورسله ولم يذكر مع الايمان شيئا آخر يدل عليه قوله في سياق الآية
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فبين انه لا يدخل احد الجنة الا بفضل الله تعالى لا بعمله والله
ذو الفضل العظيم (ق) عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا
منكم الجنة عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني بفضل ورحمة
قد تقدم الكلام على بعض هذا الحديث والجمع بينه وبين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم

تعملون في تفسير سورة النحل قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض يعني قحط المطر وقلة
النبات ونقص الثمار ولا في انفسكم يعني الامراض وفقد الاولاد الا في كتاب يعني اللوح
المحفوظ من قبل ان نبرأها اي من قبل ان نخلق الارض والانفس وقال ابن عباس من قبل ان نبرأ
المصيبة ان ذلك على الله يسير اي اثبات ذلك على كثرته هين على الله عز وجل لكي لا تأسوا
اي تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا ولا تفرحوا اي تبطروا بما آتاكم اي اعطاكم وقال عكرمة
ليس احد الا يفرح ويحزن ولكن اجعلوا الفرح شكرا والحزن صبرا قال صاحب الكشاف ان
قلت ما من احد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها ان لا يحزن ولا يفرح
قلت المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لامر الله ورجاء ثواب الصابرين
والفرح المطغي الملهي عن الشكر فاما الحزن الذي لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام
والسرور بنعمة الله تعالى والاعتداد بها مع الشكر والله تعالى اعلم قيل لجعفر بن محمد الصادق
ما لك يا ابن آدم تأسف على مفقود لا يرده اليك الفوت وما لك تفرح بموجود لا يتركه
في يديك الموت والله لا يحب كل مختال اي متكبر بما اوتي من الدنيا على الناس فخور اي بذلك الذي
اوتي على الناس الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل قيل هذه الآية لا تتعلق
بما قبلها والمعنى والله لا يحب الذين يبخلون يريد اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم
له وعزته عندهم يبخلون به ولا ينفقونه في سبيل الله ووجوه الخير ولا يكفيهم انهم
بخلوا به حتى يأمرون الناس بالبخل وقيل ان الآية كلام مستأنف لا تعلق له بما قبله
انها في صفة اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبخلوا ببيان نعته
ومن يتول قال ابن عباس عن الايمان فان الله هو الغني اي عن عبادته الحميد الى اوليائه
قوله عز وجل لقد ارسلنا رسلنا بالبينات اي بالآيات والحجج وانزلنا معهم الكتاب
اي المتضمن للاحكام وشرائع الدين والميزان يعني العدل اي وامرنا بالعدل وقيل المراد بالميزان
هو الآلة التي يوزن بها وهو يرجع الى العدل ايضا وهو قوله ليقوم الناس بالقسط
اي ليتعاملوا بينهم بالعدل وانزلنا الحديد قيل ان الله تعالى انزل الحديد مع آدم عليه السلام
لما اهبط الى الارض وهي زبر السندان والمطرقة والكلبتين وروي عن عمر يرفعه الى النبي صلى
الله عليه وسلم ان الله عز وجل انزل اربع بركات من السماء الى الارض الحديد والنار والماء والملح
وقيل انزلناها بمعنى انشأنا واحدثنا الحديد وذلك ان الله تعالى اخرج لهم الحديد من
المعادن وعلمهم صنعته بوحيه والهامه فيه بأس شديد اي قوة شديدة فمنه جنة وهي
آلة الدفع ومنه سلاح وهو آلة الضرب ومنافع للناس اي ومنه ما ينتفعون به في مصالحهم
كالسكين والفأس والابرة ونحو ذلك اذ الحديد آلة لكل صنعة فلا غنى لاحد عنه وليعلم
الله اي وارسلنا رسلنا وانزلنا معهم هذه الاشياء ليتعامل الناس بالحق والعدل وليرى الله
من ينصره اي من ينصر دينه ورسله بالغيب اي الذين لم يروا الله ولا الآخرة وانما يحمد ويثاب
من اطاع بالغيب وقيل ينصرونه وينصرون دينه ان الله قوي اي في امره عزيز اي في ملكه ولقد ارسلنا
نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب معناه ان الله تعالى شرف نوحا وابراهيم
بالرسالة وجعل في ذريتهما النبوة والكتاب فلا يوجد نبي الا من نسلهما فمنهم اي من الذرية مهتد
وكثير منهم فاسقون ثم قفينا اي اتبعنا على آثارهم برسلنا والمعنى بعثنا رسولا بعد رسول
الى ان انتهت الرسالة الى عيسى ابن مريم وهو قوله وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل
وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه اي على دينه رأفة ورحمة يعني انهم كانوا متوادين بعضهم
لبعض ورهبانية ابتدعوها ليس هذا عطفا على ما قبله والمعنى ثم جاؤوا بها من قبل انفسهم

وجع ترهيبهم في الجبال والكهوف والغيران والديور فارين من الفتنة وحملوا انفسهم المشاق في
العبادة الزائدة وترك النكاح واستعمال الخشن في المطعم والمشرب مع التقلل من ذلك ما كتبناها
عليهم اي ما فرضناها نحن عليهم الا ابتغاء رضوان الله اي لكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما
رعوها حق رعايتها يعني انهم لم يرعوا تلك الرهبانية حق رعايتها بل ضيعوها وضموا اليها التثليث
والاتحاد وكفروا بدين عيسى ودخلوا في دين ملوكهم واقام اناس منهم على دين عيسى حتى ادركوا محمدا
صلى الله عليه وسلم فامنوا به فذلك قوله فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وهم الذين ثبتوا على
الدين الصحيح وكثير منهم فاسقون وهم الذين تركوا الرهبانية وكفروا بدين عيسى عليه السلام
روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن مسعود قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا ابن مسعود اختلف من كان قبلكم على ثنتين وسبعين فرقة نجا منها ثلاث وهلك سائرهن
فرقة وازت الملوك وقاتلوهم على دين عيسى فاخذوهم وقتلوهم وفرقة لم تكن لهم طاقة
بموازاة الملوك ولا ان يقيموا بين اظهرهم يدعوهم الى دين الله ودين عيسى فساحوا
في البلاد وترهبوا وهم الذين قال الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم ه
فقال النبي صلى الله عليه وسلم من امن بي وصدقني واتبعني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يؤمن
بالله فاولئك هم الهالكون وعنه قال ردیف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمار فقال
يا ابن ام عبد هل تدري من اين اتخذ بنو اسرائيل الرهبانية فقلت الله ورسوله اعلم قال ظهرت عليهم
الجبابرة بعد عيسى يعملون بالمعاصي فغضب اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا
فقاتلوهم فهزم اهل الايمان ثلاث مرات فلم يبق منهم الا القليل فقالوا ان ظهرنا لهؤلاء
افنونا ولم يبق للدين احد يدعو اليه فتعالوا نتفرق في الارض الى ان يبعث الله النبي الذي وعدنا
به عيسى يعني محمدا صلى الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال واحدثوا الرهبانية فمنهم من تمسك
بدينه ومنهم من كفر ثم تلا هذه الاية ورهبانية ابتدعوها الى فاتينا الذين امنوا منهم اي الذين
ثبتوا عليها اجرهم ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابن ام عبد اتدري ما رهبانية امتي قلت
الله ورسوله اعلم قال الهجرة والجهاد والصلاة والصوم والحج والعمرة والتكبير على التلاع
وروى عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لكل امة رهبانية ورهبانية هذه الامة الجهاد في سبيل
الله وعن ابن عباس قال كانت ملوك بعد عيسى عليه السلام بدلوا التوراة والانجيل
وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة والانجيل ويدعونهم الى دين الله فقيل لملوكهم
لو جمعتم هؤلاء الذين شقوا عليكم فقتلتموهم او دخلوا فيما نحن فيه فجمعهم ملكهم وعرض
عليهم القتل او يتركوا قراءة التوراة والانجيل الا ما بدلوا منها فقالوا ما تريدون الى ذلك
دعونا نحن نكفيكم انفسنا فقالت طائفة منهم ابنوا لنا اسطوانا ثم ارفعونا فيها ثم اعطونا
شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم وقالت طائفة دعونا نسيح في الارض ونهيم
ونشرب كما يشرب الوحش فان قدرتم علينا في ارضكم فاقتلونا وقالت طائفة منهم ابنوا لنا
دورا في الفيافي ونحتفر الابار ونحترث البقول فلا نرد عليكم ولا نمر عليكم وليس احد من
القبائل الا وله حميم فيهم قال ففعلوا ذلك فمضى اولئك على منهاج عيسى وخلف قوم
من بعدهم ممن قد غير الكتاب فجعل الرجل يقول نكون في مكان فلان فنتعبد كما تعبد فلان ونسيح كما
ساح فلان ونتخذ دورا كما اتخذ فلان وهم على شركهم لا علم لهم بايمان الذين اقتدوا بهم
فذلك قول الله عز وجل ورهبانية ابتدعوها يعني ابتدعها الصالحون فما رعوها حق
رعايتها يعني الاخرين الذين جاؤوا من بعدهم فلما بعث فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم
يعني الذين ابتدعوها ابتغاء رضوان الله وكثير منهم فاسقون هم الذين جاؤوا من بعدهم فلما

بعث

بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا القليل انحط رجل من صومعته وساح سائح من سياحته
وصاحب دير من ديره فامنوا به وصدقوه فقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وامنوا ه
برسوله الخطاب لاهل الكتابين من اليهود والنصارى يعني يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى
اتقوا الله في محمد وامنوا به وهو قوله وامنوا برسوله يعني بمحمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين اي
نصيبين من رحمته يعني يؤتكم اجرين لايمانكم بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم
اجران رجل من اهل الكتاب امن بنبيه وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد الذي ادى حق مواليه وحق الله ورجل
كانت عنده امة يطؤها فادبها فاحسن تاديبها وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله اجران
ويجعل لكم نورا تمشون به يعني على الصراط وقال ابن عباس النور هو القران وقيل هو الهدى والبيان اي يجعل
لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدون به ويغفر لكم اي ما سلف من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والله
غفور رحيم لئلا يعلم اهل الكتاب الذين يتشبهون بكم ان لا يقدرون على شيء من فضل الله الاية لحديث
النسائي موقوف على ابن عباس وقال قوم انقطع الكلام عند قوله ورحمة ثم قال ورهبانية ابتدعوها
وذلك انهم تركوا الحق واكلوا الخنزير وشربوا الخمر وتركوا الوضوء والغسل من الجنابة والختان فما
رعوها يعني الملة والطاعة حق رعايتها كناية عن غير مذكور فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم وهم
اهل الرافة والرحمة وكثير منهم فاسقون وهم الذين غيروا وبدلوا وابتدعوا الرهبانية ويكون معنى
قوله الا ابتغاء رضوان الله اتباع ما امر به دون الترهيب لانه لم يامر به قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اتقوا الله الخطاب لاهل الكتابين اليهود والنصارى يعني يا ايها الذين امنوا بموسى وعيسى وبمحمد صلى
الله عليه وسلم وامنوا به وهو قوله وامنوا برسوله يعني محمد صلى الله عليه وسلم يؤتكم كفلين اي نصيبين
من رحمته يؤتكم اجرين لايمانكم بعيسى والانجيل وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقران ق عن ابي موسى الاشعري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة لهم اجران رجل من اهل الكتاب امن بنبيه وامن بمحمد
والعبد المملوك الذي ادى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده امة يطؤها فادبها فاحسن تاديبها
وعلمها فاحسن تعليمها ثم اعتقها فتزوجها فله اجران ويجعل لكم نورا تمشون به يعني على الصراط وقال
ابن عباس النور هو القران وقيل هو الهدى والبيان اي ويجعل لكم سبيلا واضحا في الدين تهتدوا به
ويغفر لكم والله غفور رحيم اي ما سلف من ذنوبكم قبل الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والله غفور رحيم
لئلا يعلم اهل الكتاب قيل لما سمع من لم يؤمن من اهل الكتاب قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم
مرتين قالوا للمسلمين اما من امن منا بكتابكم فله اجره مرتين لايمانه بكتابنا وبكتابكم ومن لم يؤمن
فله اجر كاجركم فما فضلكم علينا فنزل لئلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم ولا صلة اهل الكتاب يعني
الذين لم يؤمنوا بمحمد وحسدوا المؤمنين الا يقدرون يعني انهم لا يقدرون على شيء من فضل الله
والمعنى جعلنا الاجرين لمن امن بمحمد صلى الله عليه وسلم ليعلم الذين لم يؤمنوا به انهم لا اجر لهم ولا نصيب
في فضل الله وقيل لما نزل في مسلمي اهل الكتاب اولئك يؤتون اجرهم مرتين افتخروا على المسلمين بزيادة
فشق ذلك على المسلمين فنزل لئلا يعلم اهل الكتاب يعني المؤمنين منهم ان لا يقدرون على شيء من فضل
الله وان الفضل بيد الله يعني خصكم به فانه فضلكم على جميع الخلائق وقيل يحتمل ان يكون الاجر
الواحد اكثر من الاجرين وقيل قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي يقطع الايدي والارجل فلما
خرج من العرب كفروا به فانزل الله هذه الاية فعلى هذا يكون من فضل الله النبوة يؤتيه من يشاء
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وهو قوله وان الفضل بيد الله اي في ملكه وتصرفه يؤتيه من يشاء لانه قادر
مختار والله ذو الفضل العظيم خ عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
على المنبر يقول انما بقاؤكم فيمن سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس واوتي
اهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتي اهل الانجيل

والقران ق عن ابي موسى الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ع

على هذا التاويل ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله ع

الانجيل فعملوا بها الى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اوتينا القران فعملنا الى
غروب الشمس فاعطينا قيراطين قيراطين فقال اهل الكتابين اي ربنا اعطيت هؤلاء قيراطين
قيراطين واعطيتنا قيراطا قيراطا ونحن اكثر عملا قال الله جل جلاله هل ظلمتكم من اجركم شيئا
قالوا لا قال فهو فضلي اوتيه من اشاء وفي رواية انما اجلكم في اجل من خلا من الامم ما
بين صلاة العصر الى مغرب الشمس وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا
فقال من يعمل لي نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ثم قال
من يعمل لي من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى من نصف النهار
الى صلاة العصر على قيراط قيراط ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين
قيراطين الا فانتم الذين يعملون من صلاة العصر الى مغرب الشمس الا لكم الاجر مرتين فغضب اليهود
والنصارى وقالوا نحن اكثر عملا واقل عطاء قال الله تعالى او هل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا
قال فانه فضلي اصيب به من اشاء اي اعطيه من شئت خ عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استاجر قوما يعملون له الى الليل على
اجر معلوم فعملوا الى نصف النهار فقالوا لا حاجة لنا الى اجرك الذي شرطت لنا وما عملنا
باطل فقال لهم لا تفعلوا اكملوا بقية يومكم وخذوا اجركم كاملا فابوا وتركوا واستاجر اخرين
بعدهم فقال اعملوا بقية يومكم ولكم الشرط الذي شرطت لهم من الاجر فعملوا حتى اذا كان حين
صلاة العصر قالوا ما عملنا باطل ولك الاجر الذي جعلت لنا فيه فقال اكملوا بقية يومكم
فانما بقي من النهار شيء قليل فابوا فاستاجر قوما ان يعملوا بقية يومهم فعملوا بقية يومهم
حتى غابت الشمس فاستكملوا اجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور والله اعلم

تفسير سورة المجادلة

مدنية وهي اثنان وعشرون اية واربعمائة وثلث وسبعون كلمة والف وسبعمائة واثنان
وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قد سمع الله
قول التي تجادلك في زوجها نزلت في خولة بنت ثعلبة وقيل اسمها جميلة وزوجها اوس
ابن الصامت اخو عبادة بن الصامت وكانت به لمم وكانت حسنة الجسم فارادها فابت
فقال لها انت علي كظهر امي ثم ندم على ما قال وكان الظهار والايلاء من طلاق الجاهلية فقال
ما اظنك الا قد حرمت علي فقالت والله ما ذاك طلاق واتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعائشة تغسل شق راسه فقالت يا رسول الله ان زوجي اوس بن الصامت تزوجني وانا شابة
غنية ذات اهل ومال حتى اذا اكل مالي وافنى شبابي وتفرق اهلي وكبرت سني ظاهر مني
وقد ندم فهل من شيء يجمعني واياه تنعشني به فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت
فقالت يا رسول الله والذي انزل عليك الكتاب ما ذكر الطلاق وانه ابو ولدي واحب
الناس الي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه فقالت اشكو الى الله فاقتي ووحدتي
قد طالت له صحبتي ونفضت له بطني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اراك الا
قد حرمت عليه ولم اومر في شانك بشيء فجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا قال
لها رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وقالت اشكو الى الله فاقتي وشدة
حالي وان لي صبية صغارا ان ضممتهم الي جاعوا وان ضممتهم اليه ضاعوا وجعلت ترفع
راسها الى السماء وتقول اللهم اشكو اليك اللهم فانزل على لسان نبيك فرجي وهذا كان
اول ظهار في الاسلام فقامت عائشة تغسل شق راسه الاخر فقالت انظر في امري جعلني

الله فداك يا نبي الله فقالت عائشة اقصري حديثك ومجادلتك اما ترين وجه رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي اخذه مثل السبات فلما قضي الوحي قال ادعي لي زوجك فتلا عليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم قد سمع الله قول التي تجادلك الاية خ عن عائشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه
الاصوات لقد جاءت المجادلة خولة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمته في جانب البيت وما اسمع
ما تقول فانزل الله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها اي تحاورك وتخاصمك وتراجعك
في زوجها اي في امر زوجها وتشتكي الى الله اي شدة حالها وفاقتها ووحدتها والله يسمع تحاوركما
اي مراجعتكما الكلام ان الله سميع اي لمن يناجيه ويتضرع اليه بصير اي بمن يشكو اليه ثم ذم الظهار
فقال تعالى الذين يظهرون منكم من نسائهم يعني يقولون لهن انتن كظهور امهاتنا ما هن امهاتهم
اي ما اللواتي يجعلونهن من زوجاتهن كالامهات والمعنى ليس هن بامهاتهم ان امهاتهم اي ما امهاتهم
الا اللائي ولدنهم يعني المظاهرون وانهم ليقولون منكرا من القول يعني لا يعرف في شرع وزورا
يعني كذبا وقيل انما وصف بكونه منكرا من القول وزورا لان الام محرمة تحريما مؤبدا والزوجة
لا تحرم عليه بهذا القول تحريما مؤبدا فلا جرم صار منكرا من القول وزورا وان الله لعفو
غفور اي عفا الله عنهم وغفر لهم بايجاب الكفارة عليهم فصل في احكام الظهار
وفيه مسائل المسئلة الاولى في معناه لغة قيل انه مشتق من الظهر وهو العلو وليس هو
من ظهر الانسان اذ ليس الظهر باولى من سائر الاعضاء التي هي مواضع التلذذ فثبت بهذا
والمباضعة فثبت بهذا انه ماخوذ من الظهر الذي هو العلو لان امراة الرجل مركب له وظهر
ويدل عليه قول العرب في الطلاق نزلت عن امراتي اي طلقتها وفي قولهم انت علي كظهر
امي حذف واضمار لان تاويله ظهرك علي حرام اي ملكي اياك وعلوي عليك حرام كما علو امي علي حرام
المسئلة الثانية كان الظهار من اشد طلاق اهل الجاهلية لانه في التحريم اوكد ما يمكن
فان كان ذلك الحكم مقررا بالشرع كانت الاية ناسخة له والا لم يعد نسخا لان النسخ انما يدخل
في الشرائع لا في الاحكام الجاهلية وعاداتهم المسئلة الثالثة في الالفاظ المستعملة لهذا المعنى
في الشريعة وعرف الفقهاء الاصل في هذا الظهار قوله انت علي حرام كظهر امي وانت مني ومعي
او عندي كظهر امي وكذا لو قال انت علي كبطن امي او كراس امي او كيد امي او قال بطنك
او راسك او يدك علي كظهر امي او شبه عضوا منها بعضو من اعضاء امه يكون ذلك ظهارا
وقال ابو حنيفة ان شبهها ببطن امه او بفرجها او بفخذها يكون ظهارا وان شبهها بعضو
غير هذه الاعضاء لا يكون ظهارا ولو قال انت علي كامي او كروح امي واراد به الاعزاز
والاكرام لا يكون ظهارا وكذا لو شبهها بامراة محرمة عليه بالقرابة بان قال انت علي
كظهر اختي او عمتي او خالتي او شبهها بامراة محرمة بالرضاع يكون ظهارا على الاصح
المسئلة الرابعة فيمن يصح ظهاره قال الشافعي الضابط في هذا ان كل من صح طلاقه
صح ظهاره فعلى هذا يصح ظهار الذمي وقال ابو حنيفة لا يصح احتج الشافعي بعموم قوله
والذين يظهرون من نسائهم واحتج ابو حنيفة بان هذا خطاب للمؤمنين فيدل على ان الظهار
مخصوص بالمؤمنين واجيب عنه بان هذا خطاب يتناول جميع الحاضرين فلم قلتم انه مخصوص
بالمؤمنين قوله تعالى والذين يظهرون من نسائهم يعني يمتنعون بهذا اللفظ من جماعهن ثم
يعودون لما قالوا اختلف العلماء في معنى العود في قوله ثم يعودون ولا بد اولا من بيان اقوال
اهل العربية ثم بيان اقوال الفقهاء فنقول قال الفراء لا فرق في اللغة بين ان يقال يعودون لما
قالوا وفيما قالوا وقال ابو علي الفارسي كلمة الى واللام يتعاقبان كقوله واوحي الى نوح وقال
ربك اوحى لها واما لفظة ما في قوله ففيه وجهان احدهما انه لفظ الظهار والمعنى انهم

يعودون الى ذلك اللفظ الثانى المراد لما قالوا اى القول فيه وهو الذى حرموه على
انفسهم بلفظ الظهار المقول تنزيلا للقول منزلة المقول فيه وعلى هذا معنى قوله ثم
يعودون لما قالوا اى يعودون الى شىء وذلك الشىء هو الذى قالوا فيه ذلك القول ثم
اذا فسر هذا اللفظ بالوجه الاول يجوز ان يكون المعنى عاد لما فعل اى فعله مرة
اخرى وعلى الوجه الثانى يجوز ان يقال عاد لما فعل وذلك اى نقض ما فعل وذلك
ان من فعل شيئا ثم اراد ابطاله فقد عاد اليه ان يفعله ثانيا فقد عاد اليه وكذا من
فعل شيئا واراد ابطاله فقد عاد اليه بالتصرف فيه فقد ظهر بما تقدم ان قوله ثم
يعودون لما قالوا يحتمل ان يكون المراد يعودون اليه بان يفعله مثله مرة اخرى ويحتمل
ان يكون المراد ثم يعودون اليه بالنقض والرفع والازالة والى هذا الاحتمال ذهب اكثر
المجتهدين ثم اختلفوا فيه على وجوه الاول وهو قول الشافعى ان معنى العود لما قالوا
هو السكوت عن الطلاق بعد الظهار زمانا يمكنه ان يطلقها فيه وذلك لانه اذا ظاهر
فقد قصد التحريم فان وصله بالطلاق فقد تمم ما شرع فيه من ايقاع التحريم ولا كفارة
عليه فاذا سكت عن الطلاق فذلك يدل على انه ندم على ابتدائه من التحريم فحينئذ يجب عليه
الكفارة وفسر ابن عباس العود بالندم فقال يندمون فيرجعون الى الالفة الوجه الثانى
فى تفسير العود وهو قول ابى حنيفة انه عبارة عن استباحة الوطء والملامسة والنظر
اليها بالشهوة وذلك لانه شبهها بالام فى حرمة هذه الاشياء ثم قصد استباحة ذلك كان
مناقضا لقوله انت على كظهر امى الوجه الثالث وهو قول مالك ان العود اليها عبارة
عن العزم على وطئها وهو قريب من قول ابى حنيفة الوجه وهو قول الحسن وقتادة
وطاوس والزهرى ان العود اليها عبارة عن جماعها وقالوا لا كفارة عليه ما لم يطاها
قال العلماء والعود المذكور هنا امر صالح للجماع او للعزم عليه او للاستباحة الا ان الذى قاله
الشافعى هو اقل ما ينطلق عليه الاسم فيجب تعلق الحكم عليه لانه هو الذى به يتحقق مسمى
العود واما الباقى فزيادة لا دليل عليه واما الاحتمال الاول فى قوله ثم يعودون اى
يفعلون مثل ما فعلوه وعلى هذا الاحتمال فى الاية وجوه ايضا الاول قال مجاهد والثورى
العود هو الاتيان بالظهار فى الاسلام وتجب الكفارة بنفس الظهار فى الاسلام مثل
والمراد من العود هو العود الى ما كانوا عليه فى الجاهلية وذلك ان اهل الجاهلية كانوا
يطلقون بالظهار فجعل الله حكم الظهار فى الاسلام على خلاف حكمه فى الجاهلية عندهم
ومعنى ثم يعودون لما قالوا اى فى الاسلام فيقولون فى الاسلام مثل ما كانوا يقولون
فى الجاهلية فكفارته كذا وكذا الوجه الثانى قال ابو العالية اذا كرر لفظ الظهار فقد
عاد وان لم يكرر لم يكن عودا وهذا يدل على اعادة ما فعلوه وهذا لا يكون الا بالتكرير
وان لم يكرر اللفظ فلا كفارة عليه قوله تعالى **فتحرير رقبة من قبل ان يتماسا** المراد
بالتماس المجامعة فلا يحل للمظاهر وطء امراته التى ظاهر منها ما لم يكفر **ذلكم توعظون
به** يعنى ان غلظ الكفارة وعظ لكم حتى تتركوا الظهار ولا تعاودوه **والله بما تعملون**
اى من التكفير وتركه **خبير** ثم ذكر حكم العاجز عن الرقبة فقال تعالى **فمن لم يجد** الرقبة
فصيام شهرين اى فكفارته وقيل فعليه صيام شهرين **متتابعين من قبل ان يتماسا فمن
لم يستطع** اى الصيام فكفارته **فاطعام ستين مسكينا** اى الفرض الذى وصفناه **ذلك لتؤمنوا
بالله ورسوله** لتصدقوا الله فيما امر به وتصدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم فيما اخبر به عن
الله عز وجل **وتلك حدود الله** يعنى ما وصف من الكفارة فى الظهار **وللكافرين** اى لمن جحدوا

الرابع صح

هذا

هذا وكذبوا به **عذاب اليم** اى فى نار جهنم يوم القيامة **فصل** فى احكام الظهار ومما
يتعلق بالظهار وفيه مسائل الاولى اختلفوا فيما يحرمه الظهار فللشافعى قولان احدهما
انه يحرم الجماع فقط والقول الثانى وهو الاظهر انه يحرم جميع جهات الاستمتاع وهو قول
ابى حنيفة المسئلة الثانية اختلفوا فيمن ظاهر مرارا قال الشافعى وابو حنيفة لكل ظهار كفارة
الا ان يكون فى مجلس واحد واراد التكرار للتاكيد فان عليه كفارة واحدة وقال مالك من
ظاهر من امراته فى مجالس متفرقة فليس عليه الا كفارة واحدة الثالثة الاية نزلت
على ايجاب الكفارة قبل المماسة سواء اراد التكفير بالاعتاق او بالصيام او بالطعام وعند
مالك اذا اراد التكفير بالطعام يجوز له الوطء قبله لان الله تعالى قيد العتق والصوم
بما قبل المسيس ولم يقل فى الاطعام من قبل ان يتماسا فدل على ذلك وعند الاخرين الاطلاق
فى الطعام محمول على المقيد فى العتق والصيام فان جامع قبل ان يكفر لم يجب عليه الا
كفارة واحدة وهو قول اكثر اهل العلم كمالك وابى حنيفة والشافعى واحمد وسفين وقال
بعضهم ان واقعها قبل ان يكفر فعليه كفارتان وهو قول عبد الرحمن بن مهدى المسئلة الرابعة
كفارة الظهار مرتبة فيجب عليه عتق رقبة مؤمنة وقال ابو حنيفة هذه الرقبة تجزى سواء كانت
مؤمنة او كافرة لقوله تعالى فتحرير رقبة مؤمنة فهذا اللفظ يفيد العموم فى جميع الرقاب دليلنا
على ان الرقبة فى كفارة القتل معتبرة بالايمان فكذا هنا وحمل المطلق على المقيد اولى المسئلة
الخامسة الصوم فمن لم يجد الرقبة فعليه صيام شهرين متتابعين فان افطر يوما متعمدا او نسى
النية فعليه يجب عليه استئناف الشهرين المسئلة السادسة فان عجز عن الصوم فلو شرع
فى الصوم ثم جامع فى خلال الشهرين بالليل عصى الله تعالى بتقديم الجماع على الكفارة لكن لا يجب
عليه استئناف الشهرين وعند ابى حنيفة يجب عليه استئناف الشهرين المسئلة السادسة فان عجز عن الصوم
لمرض او كبر او فرط شهوة بحيث لا يصبر عن الجماع يجب عليه اطعام ستين مسكينا لكل مسكين مد من
الطعام الذى يقتات به اهل البلد من حنطة او شعير او ارز او ذرة او تمر ونحو ذلك وقال ابو حنيفة
يعطى لكل مسكين نصف صاع من بر او دقيق او سويق او صاعا من شعير او صاعا من تمر فلو اطعم
مسكينا واحدا ستين مرة لا يجزيه عند الشافعى وقال ابو حنيفة يجزيه حجة الشافعى ظاهر الاية وهو
ان الله تعالى اوجب اطعام ستين مسكينا فوجب رعاية ظاهر الاية وحجة ابى حنيفة ان المقصود
رفع الحاجة وهو حاصل واجيب عنه بانه ادخال السرور على قلب ستين مسكينا اولى من ادخال
السرور على قلب مسكين واحد المسئلة السابعة ان كانت له رقبة الا انه يحتاج الى الخدمة او له
ثمن الرقبة لكنه يحتاج اليه لنفقته ونفقة عياله فله ان ينتقل الى الصوم وقال مالك والاوزاعى
يلزمه الاعتاق اذا كان واجد الرقبة او ثمنها وان كان محتاجا اليه وقال ابو حنيفة ان كان
واجدا لعين الرقبة يجب عليه اعتاقها وان كان محتاجا اليها وان كان واجدا لثمن الرقبة
لكنه محتاج اليه فله ان يصوم المسئلة الثامنة قال اصحاب الشافعى الشبق المفرط والغلمة
الهائجة عذر فى الانتقال من الصيام الى الاطعام والدليل عليه ما روى عن سلمة بن صخر البياضى
قال كنت امرا اصيب من النساء ما لا يصيب غيرى فلما دخل شهر رمضان خفت ان اصيب من
امراتى شيئا فتتابع بى حتى اصبح فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان فبينما تخدمنى ذات
ليلة اذ تكشف لى منها شىء فما لبثت ان نزوت عليها فلما اصبحت خرجت الى قومى فاخبرتهم
الخبر فقال فقلت امشوا معى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا لا والله فانطلقت الى النبى صلى الله
عليه وسلم فاخبرته فقال انت بذلك يا سلمة فقلت انا بذلك يا رسول الله مرتين وانا صابر لامر
الله فاحكم بما اراك الله به قال حرر رقبة قلت والذى بعثك بالحق نبيا ما املك رقبة غيرها وضربت

مفتحة رقبتي قال فصم شهرين متتابعين قال وهل اصبت الذي اصبت الا من الصيام قال
فاطعم وسقا من تمر بين ستين مسكينا قلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا وحشيين ما املك لنا
طعاما قال فانطلق الى صاحب صدقة بني زريق فليدفعها اليك فاطعم ستين مسكينا وسقا
من تمر وكل انت وعيالك بقيتها فرجعت الى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الراي ووجدت
النبي صلى الله عليه وسلم السعة وحسن الراي وقد امر لي بصدقتكم وبنو بياضة بطن من بني زريق
اخرجه ابو داود قوله تبوت عليها اي وثبت عليها واراد به الجماع وقوله تتايع لي التتايع
الوقوع في الشر واللجاج فيه والوسق ستون صاعا وقوله وحشيين يقال رجل وحشي اذا لم
يكن له طعام واوحش الرجل اذا جاع وعن خولة بنت مالك بن ثعلبة قالت ظاهر مني زوجي
اوس بن الصامت فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم اشكو اليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلني
فيه ويقول اتقي الله فانه ابن عمك فما برحت حتى نزل القران قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها
الى الفرض فقال يعتق رقبة قلت لا يجد قال فليصم شهرين متتابعين قالت يا رسول الله
انه شيخ كبير ما به من صيام قال فليطعم ستين مسكينا قلت ما عنده شيء يتصدق به قال فاني
ساعينه بعرق من تمر قلت يا رسول الله وانا اعينه بعرق اخر قال قد احسنت اذهبي فاطعمي
عنه ستين مسكينا وارجعي الى ابن عمك اخرجه ابو داود وفي رواية قالت ان اوسا ظاهر مني
وذكرت ان به لمما وقالت والذي بعثك بالحق ما جئتك الا رحمة له ان لي فيه منافع وذكره
نحوه العرق بفتح العين والراء المهملتين زنبيل يسع ثلاثين صاعا وقيل خمسة عشر صاعا وقولها
ان به لمما اللمم طرف من الجنون وقال الخطابي ليس المراد من اللمم هنا الجنون والخبل اذ لو كان
به ذلك ثم ظاهر في تلك الحالة لم يلزمه شيء بل معنى اللمم هنا الالمام بالنسا وشدة الحرص
والتوق والله اعلم قوله عز وجل ان الذين يحادون الله ورسوله اي يعادون الله ورسوله
ويشاقون ويخالفون امرهما كبتوا اي ذلوا واخزوا واهلكوا كما كبت الذين من قبلهم اي كما اخزي
من قبلهم من اهل الشرك وقد انزلنا آيات بينات يعني فرايض واحكاما وللكافرين
الذين لم يعملوا بها وجحدوها عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا احصاه
الله اي حفظ الله اعمالهم ونسوه اي نسوا ما كانوا يعملون في الدنيا والله على كل شيء شهيد
قوله تعالى الم تر اي الم تعلم ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض يعني انه سبحانه وتعالى
عالم بجميع المعلومات لا يخفى عليه خافية في الارض ولا في السماوات ثم اكد ذلك بقوله تعالى
ما يكون من نجوى ثلاثة اي من سرار ثلاثة وهي المسارة والمشاورة والمعنى ما من شيء يناجي
به الرجل صاحبه وقيل ما يكون من متناجين ثلاثة يسار بعضهم بعضا الا هو رابعهم
اي بالعلم يعني يعلم نجواهم كانه حاضر معهم ومشاهدهم كما تكون نجواهم معلومة عند الرابع
الذي يكون معهم ولا خمسة الا هو سادسهم فان قلت لم خص الثلاثة والخمسة قلت
اقل ما يكون ما يكفي في المشاورة ثلاثة حتى يتم الغرض فيكون المتشاورة اثنان كالمتنازعين
في النفي والاثبات والثالث كالمتوسط الحاكم بينهما فحينئذ تحمل تلك المشاورة ويتم
ذلك الغرض وهكذا كل جمع يجتمع للمشاورة ولا بد من واحد يكون حكما بينهم مقبول القول
وقيل ان العدد الفرد اشرف من الزوج فلهذا اخص الله الثلاثة والخمسة ثم قال تعالى
ولا ادنى من ذلك ولا اكثر يعني ولا اقل من الثلاثة والخمسة ولا اكثر من العدد
الا هو معهم اينما كانوا اي بالعلم والقدرة ثم ينبئهم بما عملوا اي في يوم القيامة
ان الله بكل شيء عليم قوله عز وجل الم تر الى الذين نهوا عن النجوى نزلت في اليهود
والمنافقين وذلك انهم كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين ويتغامزون باعينهم

ويوهمون المؤمنين انهم يتناجون بما يسوؤهم فيحزن المؤمنون لذلك ويقولون ما نراهم الا وقد بلغهم
عن اخواننا الذين خرجوا في السرايا قتل او هزيمة فيقع ذلك في قلوبهم ويحزنهم فلما طال على
المؤمنين وكثر شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرهم ان لا يتناجوا دون المؤمنين
فلم ينتهوا فانزل الله الم تر الى الذين نهوا عن النجوى اي المناجاة فيما بينهم ثم يعودون لما نهوا
عنه اي يرجعون الى المناجاة التي نهوا عنها ويتناجون بالاثم والعدوان يعني ذلك السر
الذي كان بينهم لانه اما مكر وكيد بالمسلمين او شيء يسوؤهم وكلاهما اثم وعدوان ومعصية
الرسول وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد نهاهم عن النجوى فعصوا وعادوا اليها
وقيل معناه يوصي بعضهم بعضا بمعصية الرسول واذا جاؤك يعني اليهود حيوك بما لم يحيك
به الله وذلك ان اليهود كانوا يدخلون على النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون السام عليك والسام
الموت وهم يوهمون انهم يسلمون عليه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يرد فيقول عليكم ويقولون
في انفسهم يعني اذا خرجوا من عنده لولا يعذبنا الله بما نقول يريدون لو كان نبيا لعذبنا الله
بما نقول من الاستخفاف قال الله تعالى حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير المعنى ان تقديم العذاب
انما يكون بحسب المشيئة والمصلحة واذا لم تقتض المشيئة والمصلحة تقديم العذاب فعذاب جهنم
كافيهم يوم القيامة ق عن عائشة قالت دخل رهط من اليهود على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا
السام عليك قالت عائشة ففهمتها فقلت عليكم السام واللعنة قالت فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم مهلا يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله فقلت يا رسول الله الم تسمع ما قالوا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قلت وعليكم وللبخاري ان اليهود اتوا النبي صلى الله عليه وسلم
فقالوا السام عليك فقال وعليكم فقالت عائشة السام عليكم ولعنكم الله وغضب عليكم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة عليك بالرفق واياك والعنف والفحش قالت اولم تسمع
ما قالوا قال او لم تسمعي ما قلت رددت عليهم فيستجاب لي فيهم ولا يستجاب لهم في السام الموت
قال الخطابي عامة المحدثين يروون اذا سلم عليكم اهل الكتاب فانما يقولون السام عليكم
فقولوا وعليكم الحديث فيثبتون الواو في وعليكم وكان سفيان بن عيينة يغيره او فقال
وهو الصواب لانه اذا حذف الواو صار قولهم الذي قالوه مردودا عليهم بعينه واذا
اثبت الواو وقع الاشتراك معهم لان الواو تجمع بين الشيئين والعنف ضد الرفق واللين
والفحش الرديء من القول قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول في المخاطبين بهذه الاية قولان احدهما انه خطاب للمؤمنين وذلك
انه لما ذم اليهود والمنافقين على التناجي بالاثم والعدوان ومعصية الرسول اتبعه بان
نهى المؤمنين ان يسلكوا مثل طريقتهم او يفعلوا كفعلهم فقال لا تتناجوا بالاثم وهو ما
يقبح من القول والعدوان وهو يؤدي الى الظلم ومعصية الرسول وهو ما يكون خلافا
عليه والقول الثاني وهو الاصح انه خطاب للمنافقين والمعنى يا ايها الذين آمنوا بالسنتهم وقيل
آمنوا بزعمهم كانه قال لهم لا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر
والتقوى اي بالطاعة وترك المعصية واتقوا الله الذي اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان
اي تزيين الشيطان وهو ما يامرهم به من الاثم والعدوان ومعصية الرسول ليحزن الذين آمنوا
اي انما يزين ذلك ليحزن المؤمنين ق عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كانوا
ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث زاد ابن مسعود في رواية فان ذلك يحزنه هذه الزيادة
لابي داود وليس بضارهم شيئا يعني ذلك التناجي وقيل الشيطان بضارهم شيئا الا
باذن الله اي الا ما اراد الله تعالى وقيل الا باذن الله في الضر وعلى الله فليتوكل المؤمنون

اى فليكل المؤمنون امرهم الى الله تعالى ويستعيذون به من الشيطان فان من توكل على الله
لا يخيب امله ولا يبطل سعيه قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في
المجالس فافسحوا الاية قيل في سبب نزولها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يكرم اهل بدر
من المهاجرين والانصار فجاء ناس منهم يوما وقد سبقوا الى المجلس فقاموا اتجاه النبي صلى الله
عليه وسلم فسلموا عليه فرد عليهم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم سلموا عليه فرد عليهم
ثم سلموا على القوم فردوا عليهم ثم قاموا على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا
وشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله قم يا فلان وانت يا فلان فاقام من
المجلس بقدر اولئك النفر الذين قاموا بين يديه من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم من مجلسه
وعرف النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فانزل الله هذه الاية وقيل نزلت في ثابت
ابن قيس بن شماس وقد تقدمت القصة في سورة الحجرات وقيل كانوا يتنافسون في مجلس رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويحبون القرب منه فكانوا اذا راوا من جاءهم مقبلا تضيقوا المجلس عليهم
فامرهم الله تعالى ان يفسح بعضهم لبعض وقيل كان ذلك يوم الجمعة في الصفة والمكان
ضيق والاقرب ان المراد مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لانهم كانوا يتضامون فيه
تنافسا على القرب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرصا على استماع كلامه فامر الله المؤمنين
بالتواضع وان يفسحوا في المجلس لمن اراد الجلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم ليتساوى الناس في
الاخذ بالحظ منه وقرئ في المجالس لان لكل واحد مجلسا ومعناه ليفسح كل رجل
في مجلسه فافسحوا اى فاوسعوا في المجلس لغيركم يفسح الله لكم اى يوسع الله
لكم في الجنة والمجالس فيها (ق) عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيمن
احدكم رجلا من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم (م) عن جابر
ابن عبد الله قال لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن
يقول افسحوا ذكره الحميدي في افراد مسلم موقوفا على جابر ورفعه غير الحميدي وقال
في معنى الاية ان هذا في مجالس الحرب ومقاعد القتال كان الرجل ياتي القوم وهم في الصف
فيقول توسعوا فيابون عليه لحرصهم على القتال ورغبتهم في الشهادة فامروا بان يوسعوا
لاخوانهم لان الرجل الشديد الباس قد يتاخر عن الصف الاول والحاجة داعية الى
تقدمه فلا بد من التفسح له ثم يقاس على ذلك سائر المجالس كمجالس العلم والقران
والحديث والذكر ونحو ذلك لان كل من وسع على عباد الله انواع الخير والراحة وسع
الله عليه خيرى الدنيا والاخرة واذا قيل انشزوا فانشزوا اى اذا قيل لكم ارتفعوا
عن مواضعكم حتى توسعوا لاخوانكم فارتفعوا وقيل كان الرجال يتثاقلون
عن الصلاة في الجماعة اذا نودي لها فانزل الله تعالى هذه الاية والمعنى اذا نودي الى الصلاة
فانهضوا اليها وقيل اذا قيل لكم انهضوا الى الصلاة والى الجهاد والى كل خير فقوموا
مسرعين ولا تقصروا عنه يرفع الله الذين امنوا منكم اى بطاعتهم لله ولرسوله وامتثال
اوامره وقيامهم من مجالسهم وتوسعتهم لاخوانهم والذين اوتوا العلم اى ويرفع الله الذين اوتوا
العلم على غيرهم من المؤمنين بفضل علمهم وسابقتهم درجات اى على من سواهم في الجنة
وقيل يقال للمؤمن الذي ليس بعالم اذا انتهى الى باب الجنة ادخل ويقال للعالم قف واشفع
في الناس فاخبر الله عز وجل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيب فيما امر وان اولئك
المؤمنين مثابون فيما ائتمروا وان النفر من اهل بدر مستحقون لما عوملوا به من الاكرام
والله بما تعملون خبير قال الحسن قرا ابن مسعود هذه الاية وقال يا ايها الناس افهموا هذه

الاية

الاية ولترغبكم في العلم فان الله تعالى يقول يرفع المؤمن العالم فوق الذي ليس بعالم
درجات وقيل ان العالم يحصل له بعلمه من المنزلة والرفعة ما لا يحصل لغيره لانه يقتدى بالعالم
في اقواله وافعاله كلها عن قيس بن كثير قال قدم رجل من المدينة على ابي الدرداء وهو بدمشق
فقال ما اقدمك يا اخي قال حديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اما جئت لحاجة غيره قال لا قال اما قدمت لتجارة قال لا قال ما جئت الا في طلب
هذا الحديث قال نعم قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من سلك طريقا
يبتغي فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها رضا لطالب العلم
وان العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الماء وفضل العالم على
العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا
دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه فقد اخذ بحظ وافر اخرجه الترمذي وابو
داود ونحوه (ق) عن معاوية بن ابي سفيان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من
يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وعن ابن عباس مثله اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده
عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بمجلسين في مسجده احدهما
المجلسين يدعون الله ويرغبون اليه والاخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال كلا المجلسين
على خير واحدهما افضل من صاحبه اما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه واما هؤلاء فيتعلمون
الفقه ويعلمونه الجاهل فهؤلاء افضل وانما بعثت معلما ثم جلس فيهم قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة يعني اذا اردتم مناجاة
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدموا امام ذلك صدقة وفائدة ذلك اعظام مناجاة
الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة يعني اذا اردتم مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقدموا امام ذلك صدقة فان الانسان اذا وجد الشيء بمشقة استعظمه وان وجده
بسهولة استحقره وينتفع كثير من الفقراء بتلك الصدقة المتقدمة قبل ذلك المناجاة
قال ابن عباس ان الناس سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واكثروا حتى شقوا عليه
فاراد الله تعالى ان يخفف على نبيه صلى الله عليه وسلم ويثبطهم عن ذلك فامرهم
ان يقدموا صدقة على المناجاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت في الاغنياء
وذلك انهم كانوا ياتون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكثرون مناجاته ويغلبون الفقراء
على المجالس حتى كره رسول الله صلى الله عليه وسلم طول جلوسهم ومناجاتهم فلما امروا
بالصدقة كفوا عن مناجاته فاما الفقراء واهل العسرة فلم يجدوا شيئا واما الاغنياء
واهل الميسرة فضنوا واشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
الرخصة قال مجاهد نهوا عن المناجاة حتى يتصدقوا فلم يناجه الا علي بن ابي طالب
تصدق بدينار وناجاه ثم نزلت الرخصة فكان علي يقول اية في كتاب الله لم يعمل بها احد
قبلي ولا يعمل بها احد بعدي وهي اية المناجاة وعن علي بن ابي طالب رضي الله
تعالى عنه قال لما نزلت يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم
صدقة قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينارا قلت لا يطيقونه قال فنصف
دينار قلت لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال انك لزهيد فنزلت أأشفقتم ان تقدموا
بين يدي نجواكم صدقات الاية قال فبي خفف الله عن هذه الامة اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب قلت شعيرة (ط) اى وزن شعيرة من ذهب وقوله انك لزهيد يعني
قليل المال لقدرت على قدر حالك فان قلت في هذه الاية منقبة عظيمة لعلي بن ابي طالب

رضي الله عنه اذ لم يعمل بها احد غيري قلت هو كما قلت وليس فيها طعن على غيره من الصحابة
ووجه ذلك ان الوقت لم يتسع ليعملوا بهذه الاية ولو اتسع الوقت لم يتخلفوا عن
العمل بها وقد تقدم اتساع الوقت ولم يفعلوا ذلك انما هو مراعاة لقلوب الفقراء
الذين لم يجدوا ما يتصدقون به لو احتاجوا الى المناجاة فيكون ذلك سبب الحزن
الفقراء اذ لم يجدوا ما يتصدقون به عند مناجاته ووجه اخر وهو ان هذه المناجاة لم
تكن من المفروضات ولا من الواجبات ولا من الطاعات المندوب اليها بل انما كلفوا
هذه الصدقة ليتركوا هذه المناجاة ولما كانت هذه المناجاة اولى بان تترك
فلم يعملوا بها وليس فيها طعن على احد منهم وقوله ذلك خير لكم يعني تقديم الصدقة على
المناجاة لما فيه من طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله واطهر اي لذنوبكم فان لم تجدوا
يعني الفقراء الذين لا يجدون ما يتصدقون به فان الله غفور رحيم يعني انه تعالى عفا
عنهم ءاشفقتم قال ابن عباس ابخلتم والمعنى اخفتم العيلة والفاقة ان قدمتم وهو قوله
ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا اي ما امرتم به وتاب الله عليكم اي تجاوز
عنكم ونسخ الصدقة قال مقاتل بن حيان كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال الكلبي ما كانت
الا ساعة من نهار ثم نسخ فاقيموا الصلاة اي المفروضة وآتوا الزكاة اي الواجبة واطيعوا الله
ورسوله اي فيما امر ونهى والله خبير بما تعملون اي انه محيط باعمالكم ويجازيكم قوله عز وجل
الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم نزلت في المنافقين وذلك انهم تولوا
اليهود وناصحوهم ونقلوا اسرار المؤمنين اليهم واراد بقوله غضب الله عليهم اليهود
ما هم يعني المنافقين منكم اي من المؤمنين في الدين والولاء ولا منهم يعني ولا من اليهود
ويحلفون على الكذب وهم يعلمون اي انهم كذبة نزلت في عبد الله بن نبتل المنافق
وكان يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرفع حديثه الى اليهود فبينما رسول الله صلى
الله عليه وسلم في حجرة من حجره اذ قال يدخل عليكم الان رجل قلبه قلب جبار وينظر
بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان ازرق العين فقال له النبي صلى الله عليه
وسلم علام تشتمني انت واصحابك فحلف بالله ما فعل وجاء باصحابه فحلفوا بالله
ما سبوه فانزل الله عز وجل هذه الاية اعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا
يعملون اتخذوا ايمانهم يعني الكاذبة جنة اي يستجنون بها من القتل ويدفعون
بها عن انفسهم واموالهم فصدوا عن سبيل الله يعني انهم صدوا المؤمنين عن جهادهم
بالقتل واخذ اموالهم بسبب ايمانهم وقيل معناه صدوا الناس عن دين الله الذي هو
الاسلام فلهم عذاب مهين يعني في الاخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم يعني يوم
القيامة من الله شيئا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا
فيحلفون له يعني انهم كاذبين انهم ما كانوا مشركين كما يحلفون لكم اي في الدنيا وقيل
لهم كان الحلف جنة لهم في الدنيا فظنوا انها تنفع في الاخرة ايضا ويحسبون انهم على شيء
يعني من ايمانهم الكاذبة الا انهم هم الكاذبون يعني في اقوالهم وايمانهم استحوذ عليهم
الشيطان اي غلب واستولى عليهم وملكهم فانساهم ذكر الله اولئك حزب الشيطان
الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله اولئك في الاذلين
اي جملة من يلحقهم الذل في الدنيا والاخرة لان الحد ذل احد الخصمين على حسب [illegible]
عز الخصم الثاني ولما كانت عزة الله غير متناهية كانت ذلة من ينازعه غير متناهية
كتب الله لاغلبن انا ورسلي اي قضى الله ذلك قضاء ثابتا قيل غلبة الرسل على نوعين فمنهم

من بعث بالحرب فهو غالب في الحرب ومن لم يؤمر بالحرب فهو غالب بالحجة ان الله
قوي اي على نصر رسوله واوليائه عزيز اي غالب على اعدائه قوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله اخبر الله تعالى ان ايمان المؤمنين يفسد بموادة
الكافرين وان من كان مؤمنا لا يوالي من كفر لان من احب احدا امتنع ان يحب عدوه فان قلت
قد اجمعت الامة على انه يجوز مخالطتهم ومعاملتهم ومعاشرتهم فما هذه المودة المحظورة
قلت المودة المحظورة هي مناصحتهم وارادة الخير لهم دنيا ودينا مع كفرهم فاما ما سوى
ذلك فلا حظر فيه ثم انه تعالى بالغ في الزجر عن مودتهم بقوله ولو كانوا اباءهم او ابناءهم
او اخوانهم او عشيرتهم يعني ان الميل الى هؤلاء من اعظم انواع الميل ومع ذلك فيجب
ان يطرح الميل الى هؤلاء والمودة لهم بسبب الدين قيل نزلت هذه الاية في حاطب
ابن ابي بلتعة حين كتب الى اهل مكة وستاتي قصته في سورة الممتحنة وروي عن عبد
الله بن مسعود في هذه الاية قيل لو كانوا اباءهم يعني ابا عبيدة بن الجراح قتل اباه الجراح
يوم احد او ابناءهم يعني ابا بكر الصديق دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال يا رسول
الله دعني اكن في الرعلة الاولى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك
يا ابا بكر او اخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل اخاه عبد الله بن عمير او عشيرتهم يعني عمر
ابن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعلي بن ابي طالب
وحمزة وابو عبيدة قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر اولئك كتب
في قلوبهم الايمان اي اثبت التصديق في قلوبهم فهي مؤمنة موقنة مخلصة وقيل حكم
بالايمان وانما ذكر القلوب لانها موضعه وايدهم بروح منه اي قواهم بنصر منه وانما سمى
نصره اياهم روحا لان به يحيا امرهم وقيل بالايمان وقيل بالقران وقيل بجبريل وقيل
برحمة منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه
انما ذكر رضوانه عليهم بعد دخولهم الجنة لانه اعظم المراتب واجل النعم اتبعه بما يوجب
ترك المودة لاعداء الله فقال تعالى اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون والله اعلم

قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس سورة الحشر فقال قل سورة النضير وهي مدنية نزلت
بالمدينة وهي اربع وعشرون اية واربعمائة وخمس واربعون كلمة والف وتسعمائة وثلاثة
عشر حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل سبح لله ما
في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم
قال المفسرون نزلت هذه السورة في بني النضير وهم طائفة من اليهود وذلك ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة صالحه بنو النضير على ان لا يقاتلوه ولا يقاتلوا معه
فقبل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرا وظهر
على المشركين قالت بنو النضير والله انه النبي الامي الذي نجد نعته في التوراة لا ترد له راية
فلما غزا احدا وهزم المسلمون ارتابوا واظهروا العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وركب كعب بن الاشرف في
اربعين راكبا من اليهود الى مكة فاتوا قريشا فحالفوهم وعاهدوهم على ان تكون كلمتهم واحدة
على محمد صلى الله عليه وسلم ودخل ابو سفيان في اربعين من قريش وكعب بن الاشرف في اربعين من اليهود

المسجد الحرام واخذ بعضهم على بعض الميثاق بين استار الكعبة ثم رجع كعب واصحابه الى
المدينة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما عاقد عليه كعب وابو
سفين وامره بقتل كعب بن الاشرف فقتله محمد بن مسلمة وقد تقدمت القصة في سورة
آل عمران وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اطلع منهم على خيانة حين اتاهم يستعينهم في دية الرجلين
المسلمين اللذين قتلهما عمرو بن امية الضمري في منصرفه من بئر معونة فهموا بطرح حجر على النبي
صلى الله عليه وسلم من الصخر فعصمه الله منهم واخبره بذلك وقد تقدمت القصة في سورة المائدة
فلما قتل كعب بن الاشرف اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر الناس بالمسير الى بني النضير
وكانوا بقرية يقال لها زهرة فلما سار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم وجدهم ينوحون على كعب
فقالوا يا محمد واعية على واعية وباكية على اثر باكية قال نعم فقالوا ذرنا نبكي شجونا
ثم ائتمر امرك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت اقرب
الينا من ذلك ثم تنادوا بالحرب واذنوا بالقتال ودس المنافقون عبد الله بن ابي واصحابه
اليهم ان لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم ولا نخذلكم ولننصرنكم ولئن اخرجتم
لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها ثم انهم اجمعوا الغدر برسول الله صلى
الله عليه وسلم ان اخرج من ثلاثين رجلا من اصحابك وليخرج منا ثلاثون حتى نلتقي بمكان نصف
بيننا وبينك فيسمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا كلنا فخرج النبي صلى الله عليه
وسلم في ثلاثين من اصحابه وخرج اليه ثلاثون حبرا من اليهود حتى كانوا في براز من الارض
قال اليهود لبعض كيف تخلصون اليه ومعه ثلاثون رجلا كلهم يحب الموت قبله ولكن
ارسلوا اليه كيف نفهم ونحن ستون اخرج في ثلاثة من اصحابك ونخرج اليك ثلاثة من علمائنا
يسمعون منك فان آمنوا بك آمنا بك وصدقناك فخرج النبي صلى الله عليه وسلم في ثلاثة من
اصحابه وخرج ثلاثة من اليهود معهم الخناجر وارادوا الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم
فارسلت امرأة ناصحة من بني النضير الى اخيها وهو رجل مسلم من الانصار فاخبرته
بما اراد بنو النضير من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل اخوها حتى ادرك النبي
صلى الله عليه وسلم فساره بخبرهم قبل ان يصل اليهم فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فلما كان من
الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فقذف
الله في قلوبهم الرعب وايسوا من نصر المنافقين فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح
فابى عليهم الا ان يخرجوا من المدينة على ما يأمرهم به فقبلوا ذلك فصالحهم على الجلاء وعلى ان لهم
ما اقلت الابل من اموالهم الا الحلقة وهي السلاح وعلى ان يخلوا لهم ديارهم وعقارهم
واموالهم وقال ابن عباس على ان يحمل كل اهل بيت على بعير ما شاؤا من متاعهم وللنبي صلى
الله عليه وسلم ما بقي وقيل اعطى كل ثلاثة نفر بعيرا وسقاية ففعلوا ذلك وخرجوا من
ديارهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام الا اهل بيتين منهم آل ابي الحقيق وآل حيي بن اخطب
فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة فذلك قوله عز وجل هو الذي اخرج الذين كفروا
يعني بني النضير من ديارهم التي كانت بالمدينة قال ابن اسحاق كان اجلاء بني النضير مرجع النبي
صلى الله عليه وسلم من احد وفتح قريظة مرجعه من الاحزاب وبينهما سنتان لاول الحشر قال
الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء فيما مضى وكان الله قد كتب عليهم الجلاء ولولا ذلك
لعذبهم في الدنيا وقال ابن عباس من شك ان المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا اول
حشر الى الشام قال النبي صلى الله عليه وسلم اخرجوا قالوا الى اين قال الى ارض المحشر ثم تحشر

[margin: بعض م]
[margin: من اهل الكتاب م]

الخلق

الخلق يوم القيامة الى الشام وقيل انما قال لاول الحشر لانهم كانوا اول من اجلي من اهل
الكتاب من جزيرة العرب ثم اجلى آخرهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقيل هذا كان اول الحشر
من المدينة والحشر الثاني من خيبر وجميع جزيرة العرب الى اذرعات واريحا من ارض الشام
في ايام عمر وقيل كان هذا اول الحشر والحشر الثاني نار تحشرهم يوم القيامة من المشرق الى المغرب
تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا ما ظننتم يعني ايها المؤمنون ان يخرجوا
اي من المدينة لعزهم ومنعتهم وذلك انهم كانوا اهل حصون ونخل كثير وظنوا انهم مانعتهم
حصونهم من الله اي وظن بنو النضير ان حصونهم تمنعهم من سلطان الله تعالى فاتاهم الله اي
اتاهم امر الله وعذابه من حيث لم يحتسبوا وهو ان الله امر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم
واجلائهم وكانوا لا يظنون ذلك وقذف في قلوبهم الرعب اي الخوف الشديد بقتل كعب
بن الاشرف يخربون بيوتهم بايديهم وايدي المؤمنين قال الزهري وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما صالحهم على ان لهم ما اقلت الابل كانوا ينظرون الى الخشب في منازلهم فيهدمونها
وينزعون ما يستحسنون منها فيحملونه على ابلهم ويخرب المؤمنون باقيها وقيل كانوا يقلعون
العمد وينقضون السقوف وينقبون الجدران لئلا يسكنها المؤمنون حسدا منهم وبغضا
وقيل كان المسلمون يخربون ما يليهم من ظاهرها ويخربها اليهود من داخلها وقال ابن عباس
كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع لهم المقاتل وجعل اعداء الله
ينقبون دورهم في ادبارهم فيخرجون الى التي بعدها فيتحصنون فيها ويكسرون ما يليهم
ويرمون بالتي خرجوا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاعتبروا فاتعظوا وانظروا ما نزل
بهم يا اولي الابصار اي يا ذوي العقول والبصائر ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء يعني
الخروج من الوطن لعذبهم في الدنيا يعني بالقتل والسبي كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة
عذاب النار ذلك اي الذي لحقهم ونزل بهم بانهم شاقوا الله ورسوله اي خالفوا الله ورسوله
ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب قوله تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها
قائمة على اصولها فباذن الله الآية وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل ببني النضير
وتحصنوا بحصونهم امر بقطع نخيلهم واحراقها فجزع اعداء الله عند ذلك وقالوا
يا محمد زعمت انك تريد الصلاح افمن الصلاح عقر الشجر وقطع النخل وهل وجدت
فيما زعمت انه انزل عليك الفساد في الارض فوجد المسلمون في انفسهم من قولهم وخشوا
ان يكون ذلك فسادا واختلفوا في ذلك فقال بعضهم لا تقطعوا فانه مما افاء الله
علينا وقال بعضهم بل نغيظهم بقطعه فانزل الله هذه الآية بتصديق من نهى عن قطعه
من الاثم فان ذلك كان باذن ق عن ابن عمر قال حرق رسول الله صلى الله عليه وسلم
نخل بني النضير وقطع وهي البويرة فنزلت ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على اصولها
فباذن الله وليخزي الفاسقين البويرة اسم موضع لبني النضير وفي ذلك يقول حسان
بن ثابت رضي الله تعالى عنه

وهان على سراة بني لؤي ۞ حريق بالبويرة مستطير

قال ابن النخل كلها لينة ما خلا العجوة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقطع نخلهم الا العجوة
واهل المدينة يسمون ما خلا العجوة من التمر الالوان وقيل النخل كلها الا العجوة والبرنية
وقيل اللينة من النخل كلها من غير استثناء وقال ابن عباس في رواية اخرى عنه هي لون
من النخل وقيل كرام النخل وقيل هي ضرب من النخل يقال لتمرها اللون وهي شديدة الصفرة
ويرى نواه من خارج تغيب فيها الضرس وكان من اجود تمرهم واعجبها اليهم وكانت النخلة

الواحدة منها ثمنها ثمن وصيف واحب اليهم من وصيف فلما راوهم يقطعونها شق عليهم
ذلك وقالوا للمؤمنين انكم تكرهون الفساد وانتم تفسدون دعوا هذا النخل قائما
هو لمن غلب عليها فاخبر الله ان قطعها كان باذنه وليخزي الفاسقين يعني اليهود والمعنى
ولاجل اخزاء الكفار اليهود اذن الله في قطعها احتج العلماء بهذه الاية ان حصون الكفار
وديارهم لا باس ان تخرب وتهدم وتحرق وترمى بالمناجيق وكذلك قطع اشجارهم ونحوها
قوله عز وجل وما افاء الله على رسوله اي ما رد الله على رسوله منهم اي من يهود بني النضير
فما اوجفتم عليه يعني اوضعتم وهو سرعة السير من خيل ولا ركاب يعني الابل التي تحمل
القوم وذلك ان بني النضير لما تركوا رباعهم وضياعهم طلب المسلمون من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يقسمها بينهم كما فعل بغنائم خيبر فبين الله تعالى في هذه الاية
انها لم يوجف المسلمون عليها خيلا ولا ركابا ولم يقطعوا اليها شقة ولا نالوا مشقة وانما
كانوا يعني بني النضير على ميلين من المدينة فمشوا اليها مشيا ولم يركب الا رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان على جمل ولكن الله يسلط رسله على من يشاء اي من اعدائه والله على كل شيء
قدير اي فهي له خاصة يضعها كيف يشاء فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين
ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلاث نفر كانت بهم حاجة وهو ابو دجانة سماك بن خرشة
وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة ق عن مالك بن اوس بن الحدثان النصري ان عمر دعاه
اذ جاءه حاجبه يرفا فقال هل لك يا امير المؤمنين في عثمان وعبد الرحمن بن عوف والزبير
وسعد يستاذنون قال نعم فادخلهم فلبث قليلا ثم جاء يرفا فقال هل لك في عباس وعلي
يستاذنان قال نعم فاذن لهما فلما دخلا قال العباس يا امير المؤمنين اقض بيني وبين
هذا فقال القوم اجل يا امير المؤمنين اقض بينهما وارح احدهما من الاخر قال مالك بن اوس
يخيل الي انهم قد كانوا قدموهم لذلك قال عمر اتئدا انشدكم بالله الذي باذنه تقوم
السماء والارض هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركناه صدقة
يريد بذلك نفسه قالوا نعم قال عمر ان الله خص رسوله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل عمر على العباس
وعلي فقال انشدكما بالله الذي باذنه تقوم السماء والارض تعلمان ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا نورث ما تركناه صدقة قالا نعم قال عمر ان الله خص رسوله صلى الله عليه وسلم
بخاصة لم يخصص بها احدا غيره فقال وما افاء الله على رسوله منهم من خيل ولا ركاب
الاية فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم بينكم اموال بني النضير فوالله ما استاثرها
عليكم ولا اخذها دونكم فقد اعطاكموها وقسمها فيكم حتى بقي هذا المال وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ياخذ منه نفقة سنته ثم ما بقي فيجعله مجعل مال الله فعمل بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم انشدكم بالله الذي تقوم السماء والارض تعلمون ذلك
قالوا نعم قال ثم نشد عباسا وعليا بمثل ما نشد القوم اتعلمان ان ذلك قالا نعم
قال فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر انا ولي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقبضه ابو بكر فعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتم حينئذ
واقبل على علي وعباس وقال تذكران ان ابا بكر عمل فيه بما تقولان والله يعلم انه فيه
لصادق بار راشد تابع للحق ثم توفي الله ابا بكر فقلت انا ولي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابي بكر فقبضته سنتين من امارتي اعمل فيه بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابو بكر والله يعلم اني فيه صادق بار راشد تابع للحق ثم جئتماني كلاكما وكلمتكما
واحدة وامركما جميعا فقلت لكما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث ما تركناه

صدقة

صدقة فلما بدا لي ان ادفعه اليكما قلت ان شئتما دفعته اليكما على ان عليكما
عهد الله وميثاقه لتعملان فيه بما عمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وما عملت فيه
منذ وليت والا فلا تكلماني فقلتما ادفعه الينا بذلك فدفعته اليكما افتلتمسان مني قضاء
غير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنه فادفعاه الي فانا اكفيكماه قوله تعالى ما افاء الله على
رسوله من اهل القرى يعني من اموال الكفار اهل القرى قال ابن عباس هي قريظة والنضير وفدك
وخيبر وقرى عرينة فلله وللرسول ولذي القربى يعني بني هاشم وبني المطلب واليتامى والمساكين
وابن السبيل قد تقدم تفسيره في سورة الانفال حكم الغنيمة وقسمها واما حكم الفيء فانه لرسول
الله صلى الله عليه وسلم مدة حياته يضعه حيث يشاء فكان ينفق على اهله منه نفقة سنتهم ويجعل
ما بقي مجعل مال الله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله واختلف العلماء في مصرف الفيء
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم هو للائمة بعده وللشافعي فيه قولان احدهما
انه للمقاتلة والثاني هو لمصالح المسلمين ويبدا بالمقاتلة ثم بالاهم فالاهم من المصالح واختلفوا
في تخميس مال الفيء فذهب قوم الى انه يخمس فخمس لاهل خمس الغنيمة واربعة للمقاتلة وللمصالح
وذهب الاكثرون الى انه لا يخمس بل مصرف جميعه واحد ولجميع المسلمين فيه حق قرا عمر بن الخطاب
وما افاء الله على رسوله من اهل القرى حتى بلغ للفقراء المهاجرين الى قوله والذين جاءوا من بعدهم
ثم قال هذه استوعبت المسلمين عامة قال وما على وجه الارض مسلم الا وله في هذا الفيء حق الا
ما ملكت ايمانكم كي لا يكون الفيء دولة يعني كيلا يكون الفيء دولة والدولة اسم للشيء الذي يتداوله
القوم بينهم بين الاغنياء منكم يعني بين الرؤساء والاقوياء فيغلبوا عليه الفقراء والضعفاء وذلك
ان اهل الجاهلية كانوا اذا اغتنموا غنيمة اخذ الرئيس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم
يصطفي منها بعد المرباع ما شاء فجعله الله لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه فيما
امر به وما اتاكم الرسول فخذوه اي من مال الفيء والغنيمة وما نهاكم عنه اي من الغلول
وغيره فانتهوا وهذا نازل في اموال الفيء وهو عام في كل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم
او نهى عنه من قول او عمل من واجب او مندوب او مستحب او نهى عن محرم فيدخل فيه الفيء
وغيره ق عن عبد الله بن مسعود انه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات
والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امراة من بني اسد يقال لها ام يعقوب
وكانت تقرا القران فاتته فقالت ما حديث بلغني عنك انك قلت كذا وكذا وذكرته فقال
عبد الله وما لي لا العن من لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في كتاب الله فقالت المراة
لقد قرات لوحي المصحف فما وجدته فقال ان كنت قراتيه لقد وجدتيه قال الله عز وجل
وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الوشم هو غرز العضو من الانسان بالابرة
ثم يحشى بكحل والمستوشمة التي تطلب ان يفعل بها ذلك والنامصة التي تنتف الشعر من الوجه
والمتفلجة هي التي تتكلف تفريج ما بين اسنانها بصناعة وقيل هي التي تتفلج في مشيتها فكل
ذلك منهي عنه ق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا
ما ليس منه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد عن ابي رافع ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه امري مما امرت به او نهيت
عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه اخرجه ابو داود والترمذي وقال حديث
حسن الاريكة كل ما اتكي عليه من سرير او فراش او منصة او نحو ذلك واتقوا الله اي في امر
الفيء ان الله شديد العقاب اي على ترككم ما امركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاكم
عنه ثم بين من له الحق في الفيء فقال عز وجل للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم

فوالله الذي باذنه تقوم السموات والارض لا اقضي فيه قضاء غير ذلك صح

يعني اخرجهم كفار مكة الى الخروج يبتغون فضلا من الله اي رزقا وقيل ثوابا من الله ورضوانا اي خرجوا من ديارهم طلبا لرضى الله عز وجل وينصرون الله ورسوله اي بانفسهم واموالهم والمراد بنصر الله نصر دينه واعلاء كلمته اولئك هم الصادقون اي في ايمانهم قال قتادة هم المهاجرون الذين تركوا الديار والاموال والعشاير وخرجوا حبا لله ولرسوله واختاروا الاسلام على ما كانوا فيه من الشدة حتى ذكر لنا ان الرجل يعصب الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتا ما له دثار غيرها م عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقرا المهاجرين يسبقون الاغنيا يوم القيامة الى الجنة باربعين خريفا عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة يدخلون الجنة قبل اغنيا الناس بنصف يوم وذلك خمسماية سنة اخرجه ابو داود قوله عز وجل والذين تبوءوا الدار والايمان يعني الانصار توطنوا الدار وهي المدينة واتخذوها سكنا من قبلهم يعني انهم اسلموا في ديارهم واثروا الايمان وابتنوا المساجد قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين والمعنى والذين تبوءوا الدار من قبل المهاجرين وقد امنوا لان الايمان ليس بمكان تبوءوا يحبون من هاجر اليهم وذلك انهم انزلوا المهاجرين في منازلهم واشركوهم في اموالهم ولا يجدون في صدورهم حاجة اي حزازة وغيظا وحسدا مما اوتوا اي اعطوا المهاجرين من الفي دونهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم اموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط الانصار منها شيا الا ثلاثة وطابت انفس الانصار بذلك ويؤثرون على انفسهم اي ويؤثرون الانصار المهاجرين باموالهم ومنازلهم على انفسهم ولو كان بهم خصاصة اي فاقة وحاجة الى ما يؤثرون به ق عن ابي هريرة قال جا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل الى بعض نسايه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا الما ثم ارسل الى اخرى فقالت مثل ذلك وقلن كلهن مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يضيفه يرحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة فقال انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامراته هل عندك شي قالت لا الا قوت صبياني قال فعلليهم بشي ونوميهم واذا دخل ضيفنا فاريه انا ناكل فاذا اهوى بيده لياكل فقومي الى السراج كي تصلحيه فاطفيه ففعلت فقعدوا واكل الضيف وباتا طاويين فلما اصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجب الله او ضحك الله من فلان وفلانة زاد في رواية وانزل الله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة خ عن ابي هريرة قال قالت الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبين اخواننا النخيل قال لا قالوا تكفونا المونة ونشرككم في الثمر قالوا سمعنا واطعنا خ عن انس بن مالك قال دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الى ان يقطع لهم البحرين فقالوا لا الا ان تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها قال اما لا فاصبروا حتى تلقوني على الحوض فانكم سيصيبكم اثرة بعدي وفي رواية ستلقون بعدي فاصبروا حتى تلقوني على الاثرة بفتح الهمزة والثا والرا وضبطه بعضهم بضم الهمزة واسكان الثا والاول اشهر ومعناه الاستيثار وهو ان يستاثر عليكم بامور الدنيا ويفضل غيركم عليكم ولا يجعل لكم في الامر نصيب وقيل هو من اثر اذا اعطى اراد انه يستاثر عليكم غيركم فيفضل في نصيبه من الفي والاستيثار الانفراد بالشي وقيل الاثرة الشدة والاول اظهر وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النضير للانصار ان شيتم قسمتم للمهاجرين من دياركم واموالكم وتشاركونهم في هذه الغنيمة وان شيتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم نقسم لكم شي من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من اموالنا وديارنا ونوثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم

فيها

فيها فانزل الله عز وجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون والشح في كلام العرب البخل مع الحرص وقد فرق بعض العلما بين الشح والبخل فقال البخل نفس المنع والشح هي الحالة النفسانية التي تقتضي ذلك المنع ولما كان الشح من صفات النفس لا جرم قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون اي الفايزون بما ارادوا وروي ان رجلا قال لعبد الله بن مسعود اني اخاف ان اكون قد هلكت قال وما ذاك قال اسمع الله يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شي فقال عبد الله ليس ذلك بالشح الذي ذكر الله في القران ولكن الشح ان تاكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبيس الشي البخل قال ابن عمر ليس الشح ان يمنع الرجل ماله انما الشح ان تطمح عين الرجل فيما ليس له وقيل الشح هو الحرص الشديد الذي يحمل صاحبه على ارتكاب المحارم وقيل من لم ياخذ شيا نهاه الله عن اخذه ولم يمنع شيا امر الله باعطايه فقد وقاه الله شح نفسه م عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع اخرجه ابو داود الهلع اشد الجزع والمراد منه ان الشحيح يجزع جزعا شديدا او يحزن على شي يفوته او يخرج من يده والخالع الذي يخلع فواده لشدة خوفه وفزعه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في عبد ابدا ولا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد ابدا اخرجه النسائي قوله عز وجل والذين جاوا من بعدهم يعني من بعد المهاجرين والانصار وهم التابعون الى يوم القيامة يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اخبر انهم يدعون لانفسهم بالمغفرة ولاخوانهم الذين سبقوهم بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا اي غشا وحسدا وبغضا للذين امنوا ربنا انك رءوف رحيم فكل من كان في قلبه غل او بغض لاحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترحم على جميعهم فانه ليس ممن عناه الله تعالى بهذه الاية لان الله تعالى رتب المومنين على ثلاثة منازل المهاجرين ثم من بعدهم الانصار ثم من بعدهم التابعين الموصوفين بما ذكر فمن لم يكن من التابعين بهذه الصفة كان خارجا عن اقسام المومنين وليس له في المسلمين نصيب وقال ابن ابي ليلى الناس على ثلاثة منازل الفقرا المهاجرين والذين تبوءوا الدار والايمان والذين جاوا من بعدهم فاجتهد ان لا تكون خارجا من هذه الثلاثة منازل ق عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه م عن عروة بن الزبير قال قالت عايشة يا ابن اختي امروا ان يستغفروا لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسبوهم عن عبد الله بن مغفل قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه الله اخرجه الترمذي قال مالك بن انس من تنقص احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم او كان في قلبه غل عليهم فليس له حق في المسلمين ثم تلا هذه الاية ما افا الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول الى قوله رءوف رحيم وقال مالك بن مغول قال الشعبي يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة سيلت اليهود من خير اهل ملتكم قالوا اصحاب موسى وسيلت النصارى من خير ملتكم قالوا حواري عيسى وسيلت الرافضة من شر اهل ملتكم قالوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم امروا ان يستغفروا لهم فسبوهم والسيف مسلول عليهم الى يوم القيامة لا تقوم لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا يجتمع لهم كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله بسفك دمايهم وتفريق شملهم وادحاض حجتهم اعاذنا الله تعالى واياكم من الاهوا المضلة وروي عن جابر قال قيل لعايشة ان ناسا يتناولون اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى

ابا بكر وعمر فقال وما تعجبون من هذا انقطع عنهم العمل واحب الله ان لا يقطع عنهم الاجر
وروي ان ابن عباس سمع رجلا ينال من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له امن المهاجرين
الاولين انت قال لا قال امن الانصار انت قال لا قال فانا اشهد انك لست من التابعين لهم باحسان قوله
عز وجل الم تر الى الذين نافقوا يعني اظهروا خلاف ما اضمروا وهو عبد الله بن ابي بن سلول واصحابه
يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود من بني قريظة والنضير وانما جعل
المنافقين اخوانهم لانهم كفار مثلهم لئن اخرجتم اي من المدينة لنخرجن معكم اي منها ولا نطيع فيكم
احدا ابدا يعني ان سألنا احد خلافكم وخذلانكم فلا نطيعه فيكم وان قوتلتم لننصرنكم
اي لنعينكم ولنقاتلن معكم والله يشهد انهم يعني المنافقين لكاذبون اي فيما قالوا ووعدوا
ثم اخبر الله عن حال المنافقين فقال تعالى لئن اخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم
وكان الامر كذلك فانهم اخرجوا لم يخرج المنافقون معهم وقوتلوا فلم ينصروهم ولئن نصروهم ليولن
الادبار يعني لو قدروا ووجدوا نصرهم او لو قصدوا نصر اليهود لولوا الادبار منهزمين ثم لا
ينصرون يعني بني النضير لا يصيرون اذا انهزم ناصرهم لانتم يعني يا معشر المسلمين اشد رهبة في
صدورهم من الله اصل الرهبة والرهب الخوف الشديد مع حزن واضطراب والمعنى انهم يرهبونكم
منكم اشد من رهبتهم من الله ذلك اي الخوف منكم بانهم قوم لا يفقهون يعني عظمة الله تعالى لا يقاتلونكم
يعني اليهود جميعا الا في قرى محصنة اي لا يبرزون لقتالكم انما يقاتلونكم متحصنين بالقرى
والجدران وهو قوله تعالى او من وراء جدار وقرئ جدر باسهم بينهم شديد اي بعضهم فظ
على بعض وعداوة بعضهم بعضا شديدة وقيل باسهم فيما بينهم من وراء الحيطان والحصون
شديد فاذا خرجوا اليكم فهم اجبن خلق الله تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى اي متفرقة
مختلفة اهما قال قتادة اهل الباطل مختلفة اهواؤهم مختلفة اهماؤهم مختلفة شهادتهم
وهم مجتمعون في عداوة اهل الحق وقيل اراد ان دين المنافقين واراءهم يخالف دين اليهود
واراءهم ذلك بانهم قوم لا يعقلون يعني القتال ثم ضرب لليهود مثلا فقال تعالى كمثل
الذين من قبلهم قريبا يعني مشركي مكة ذاقوا وبال امرهم يعني القتل ببدر وكان
ذلك قبل غزوة بني النضير وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعني بني قينقاع وقيل
مثل قريظة كمثل بني النضير وكان بينهما سنتان ولهم عذاب اليم اي في الاخرة ثم ضرب
مثلا اخر للمنافقين واليهود جميعا في تخاذلهم وتخلي بعضهم عن بعض فقال تعالى
كمثل الشيطان اي مثل المنافقين في غزوة بني النضير وخذلانهم اياهم كمثل الشيطان اذ
قال للانسان اكفر وذلك ما روي عن عطا وغيره عن ابن عباس قال كان راهب في الفترة
يقال له برصيصا تعبد في صومعة له سبعين سنة لم يعص الله طرفة عين وان ابليس
جمع اعيانه في امره الحيل فجمع ذات يوم مردة الشياطين وقال الا احد منكم يكفيني
امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبيا وهو الذي تصدى للنبي صلى الله عليه وسلم
وجاءه في صورة جبرائيل ليوسوس اليه على وجه الوحي فلحقه جبريل عليه السلام فدفعه
الى اقصى الهند ارض الهند فقال الابيض لابليس انا اكفيك امره فانطلق فتزين
بزينة الرهبان وحلق وسط راسه واتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان
لا ينفتل عن صلاته الا في كل عشرة ايام فلما راى الابيض انه لا يجيبه اقبل على العبادة
في اصل الصومعة فلما انفتل برصيصا من صلاته اطلع فرأى الابيض قائما يصلي في هيئة
حسنة على هيئة الرهبان فلما راى ذلك من حاله ندم في نفسه اي لام نفسه حين لم يجبه
فقال له انك ناديتني وكنت مشتغلا عنك فما حاجتك قال الابيض حاجتي اني جئت ان اكون

معك

فاتأدب بادبك واقتبس من عملك ونجتمع على العبادة فتدعو لي وادعو لك فقال برصيصا اني لفي شغل
عنك فان كنت مؤمنا فان الله سيجعل لك فيما ادعو للمؤمنين نصيبا ان استجاب لي ثم اقبل على صلاته وترك
الابيض واقبل الابيض يصلي فلم يلتفت اليه برصيصا اربعين يوما فلما انفتل بعدها راه قائما يصلي
فلما راى برصيصا شدة اجتهاد الابيض قال له ما حاجتك قال حاجتي ان تاذن لي فارتفع اليك فاذن
له فارتفع اليه في صومعته فاقام حولا يتعبد ولا يفطر الا في كل اربعين يوما مرة ولا ينفتل عن
صلاته الا كذلك وربما مد الى الثمانين فلما راى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه واعجبه
شان الابيض فلما حال الحول قال الابيض لبرصيصا اني منطلق فان لي صاحبا غيرك ظننت
انك اشد اجتهادا مما رايت وكان بلغنا عنك غير الذي رايت فدخل من ذلك على برصيصا امر
شديد وكره مفارقته لما راى من شدة اجتهاده فلما ودعه الابيض قال له ان عندي دعوات
اعلمكها تدعو بهن فهو خير لك مما انت فيه يشفي الله بها السقيم ويعافي بها المبتلى والمجنون قال
برصيصا اني اكره هذه المنزلة لان لي في نفسي شغلا واني اخاف ان علم الناس شغلوني عن العبادة
فلم يزل به الابيض حتى علمه ثم انطلق حتى اتى ابليس فقال قد والله اهلكت الرجل قال فانطلق
الابيض فتعرض لرجل فخنقه ثم جاء في صورة رجل متطبب فقال لاهله ان بصاحبكم جنونا افا
عالجه قالوا نعم فعالجه فلم يغن فقال اني لا اقوى على جنته ولكن سارشدكم الى من يدعو الله
فيعافيه انطلقوا الى برصيصا فان عنده الاسم الذي اذا دعي به اجاب قال فانطلقوا اليه
فسالوه ذلك فدعا بتلك الكلمات فذهب عنه الشيطان فكان الابيض يفعل ذلك بالناس
ويرشدهم الى برصيصا فيدعو لهم فيعافون فانطلق الابيض فتعرض لجارية من بنات ملوك بني
اسرائيل ولها ثلاثة اخوة وكان ابوهم هو الملك فلما مات استخلف اخاه فكان عم تلك الجارية
ملك بني اسرائيل فخنقها وعذبها ثم جاء اليهم كما كان ياتي الناس في صورة متطبب فقال لهم اعالجها
قالوا نعم فقال ان الذي عرض لها مارد لا يطاق ولكن سارشدكم الى من تثقون به تدعونها
عنده فاذا جاء شيطانها دعا لها فاذا علمتم انها قد عوفيت تردونها صحيحة قالوا ومن
هو قال برصيصا قالوا وكيف لنا بهذا وهو اعظم شانا من ذلك قال فانطلقوا ام
فابنوا صومعة الى جانب صومعته ولكن لم ترتفعه صومعته حتى تشرف عليه فان قبلها
والا فضعوها في صومعتها وقولوا له هذه امانة عندك فاحتسب امانتك قال فانطلقوا
فسالوه ذلك فابى عليهم فبنوا صومعة على ما امرهم الابيض ثم انطلقوا فسالوه ووضعوا
الجارية في صومعتها وقالوا يا برصيصا هذه اختنا امانة عندك فاحتسب فيها ثم
انصرفوا فلما انفتل برصيصا عن صلاته حتى عاين الجارية وما هي عليه من الجمال فوقعت
في قلبه ودخل عليه امر عظيم فجاءها الشيطان فخنقها فدعا برصيصا بتلك الدعوات فذهب
الشيطان عنها ثم اقبل برصيصا على صلاته فجاءها الشيطان فخنقها فكانت تكشف عن نفسها
وتتعرض لبرصيصا فجاءه الشيطان وقال ويحك واقعها فلم تجد مثلها وتتوب بعد ذلك فتدرك
ما تريد من الامر فلم يزل به حتى واقعها ولم يزل على ذلك ياتيها حتى حملت وظهر حملها
فقال له الشيطان ويحك يا برصيصا قد افتضحت فهل لك ان تقتلها وتتوب فان سالوك
فقل ذهب بها شيطانها فلم يزل يقوي عليه فقتلها ثم انطلق بها فدفنها الى جانب الجبل فجاء الشيطان
وهو يدفنها بالليل فاخذ بطرف ازارها فبقي خارجا من التراب ثم رجع برصيصا الى صومعته
واقبل على صلاته اذ جاء اخوتها يتعاهدون اختهم وكانوا يجيئون في بعض الايام يسالون
عنها ويوصونه بها فقالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا فقال قد جاء شيطانها فذهب بها
ولم اطقه فصدقوه وانصرفوا فلما امسوا وهم مكروبون جاء الشيطان الى اكبرهم

في منامه فقال له ويحك ان برصيصا فعل باختك كذا وكذا وانه دفنها في موضع كذا فقال هذا
وهو من عمل الشيطان نحن برصيصا خير من ذلك فتتابع عليه ثلاث ليال فلم يكترث فانطلق الى الاخ
الاوسط بمثل ذلك فقال الاوسط مثل ما قال الاكبر ولم يخبر به احدا فانطلق الى اصغرهم بمثل
ذلك فقال الاصغر لاخوته والله لقد رايت كذا وكذا فقال الاوسط وانا والله قد رايت مثله
فقال الاكبر وانا والله قد رايت مثله فانطلقوا الى برصيصا فقالوا يا برصيصا ما فعلت اختنا
فقال اليس قد اعلمتكم بحالها فكانكم قد اتهمتموني فقالوا لا والله لا نتهمك واستحيوا منه
وانصرفوا فجاءهم الشيطان وقال ويحكم انها لمدفونة في موضع كذا وكذا وان طرف ازارها
خرج من التراب فانطلقوا فراوا اختهم على ما راوه في النوم فمشوا مواليهم وغلمانهم معهم الفؤوس
والمساحي فهدموا صومعته برصيصا وانزلوه منها وكتفوه ثم انطلقوا به الى الملك فاقر على
نفسه وذلك ان الشيطان اتاه فوسوس له فقال له تقتلها ولم تكابر يجتمع عليك امران قتل
ومكابرة اعترف فلما اعترف امر بقتله وصلبه على خشبة فلما صلب اتاه الابيض فقال
يا برصيصا اتعرفني فقال لا قال انا صاحبك الذي علمتك الدعوات تدعو بهن فيستجيب لك ويحك
اما اتقيت الله في امانتك خنت اهلها وانك زعمت انك اعبد بني اسرائيل اما استحيت
فلم يزل يعيره ويعنفه حتى قال في ذلك الم يكفك ما صنعت حتى اقررت على نفسك وفضحت
اشباهك من الناس وفضحت نفسك فان مت على هذه الحالة لن تفلح ابدا ولن يفلح احد من
نظرائك قال فكيف اصنع قال تطيعني في خصلة واحدة حتى اخلصك مما انت فيه فاخذ
باعينهم واخرجك من مكانك قال وما هي قال تسجد لي قال افعل فسجد له برصيصا
فقال يا برصيصا هذا الذي اردت منك صارت عاقبة امرك ان كفرت بربك فلما كفر
قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين قال الله تعالى فكان عاقبتهما يعني
الشيطان وذلك الانسان انهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين قال ابن عباس
ضرب الله هذا المثل لليهود بني النضير والمنافقين من اهل المدينة وذلك ان الله
تعالى امر نبيه صلى الله عليه وسلم باجلاء بني النضير فدس المنافقون قالوا لليهود لا تجيبوا
محمدا الى ما دعاكم ولا تخرجوا من دياركم فان قاتلكم فانا معكم وان اخرجكم خرجنا معكم فاجابوهم
ودربوا على حصونهم وتحصنوا في ديارهم وجاء نصر المنافقين حتى جاهدهم النبي صلى الله عليه
وسلم فناصبوه الحرب يرجون نصر المنافقين فخذلوهم وتبرؤا منهم كما تبرأ الشيطان من
برصيصا وخذله فكان عاقبة الفريقين النار قال ابن عباس فكان الرهبان بعد ذلك لا يمشون
في بني اسرائيل الا بالتقية والكتمان وطمع اهل الفسوق والفجور في الاخبار ورموهم بالبهتان
والقبيح حتى كان من امر جريج الراهب ما كان فلما براه الله مما رموه به انبسطت
الرهبان بعده وظهروا للناس وكانت قصة جريج على ما روي عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى بن مريم وصاحب جريج
وكان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فاتته امه وهو يصلي فقالت يا جريج
فقال يا رب امي وصلاتي فاقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد اتته
فقالت يا جريج فقال يا رب امي وصلاتي فاقبل على صلاته فقالت اللهم لا تمته
حتى ينظر الى وجوه المومسات فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امراة بغي
يتمثل بحسنها فقالت ان شئتم لافتننه لكم قال فتعرضت له فلم يلتفت اليها فاتت
راعيا كان ياوي الى صومعته فامكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت
هو من جريج فاتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شانكم

قالوا

قالوا زنيت بهذه البغي فولدت منك فقال اين الصبي فجاءوا به فقال دعوني حتى اصلي فصلى
فلما انصرف اتى الصبي فطعن في بطنه وقال يا غلام من ابوك قال فلان الراعي فاقبلوا على
جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا له نبني لك صومعتك من ذهب قال لا اعيدوها من
طين كما كانت ففعلوا وبينا صبي يرضع من امه فمر رجل راكب على دابة فارهة ذو شارة حسنة فقالت
امه اللهم اجعل ابني مثل هذا فترك الثدي واقبل عليه فنظر اليه فقال اللهم لا تجعلني مثله ثم
اقبل على ثديه فجعل يرتضع قال فكاني انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكي ارتضاعه باصبعه
السبابة في فمه فجعل يمصها قال ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون سرقت وزنيت
وهي تقول حسبي الله ونعم الوكيل فقالت امه اللهم لا تجعل ابني مثلها فترك الرضاع ونظر اليها
فقال اللهم اجعلني مثلها فهنالك تراجعا الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم
اجعل ابني مثله فقلت اللهم لا تجعلني مثله ومروا بهذه الجارية وهم يضربونها ويقولون سرقت
وزنيت فقلت اللهم لا تجعل ابني مثلها فقلت اللهم اجعلني مثلها فقال ان ذلك الرجل
كان جبارا فقلت اللهم لا تجعلني مثله وان هذه يقولون لها زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق
فقلت اللهم اجعلني مثلها اخرجه مسلم بتمامه وهذا لفظه واخرجه البخاري متفرقا حديث
جريج تعليقا وحديث المراة وابنها خاصة المومسات الزواني جمع مومسة وهي المراة الفاجرة
والبغي الزانية ايضا وقوله يتمثل بحسنها اي تتعجب ويضرب به المثل وقوله ذو شارة حسنة
اي صاحب حال ظاهر في الهيئة والملبس والمركب ونحو ذلك والجبار العاتي المتكبر الظالم
للناس قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد اي لينظر
احدكم اي شيء قدم لنفسه من الاعمال عملا صالحا ينجيه ام سيئا يوبقه والغد يوم القيامة
يا اتي غدا وكل ما هو ات فهو قريب واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون قيل كرر الامر
بالتقوى تاكيدا وقيل معنى الاول واتقوا الله في اداء الواجبات ومعنى الثاني اتقوا الله
فلا تاتوا المنهيات ولا تكونوا كالذين نسوا الله اي تركوا امر الله فانساهم انفسهم
اي انساهم حظوظ انفسهم حتى لم يقدموا لها خيرا ينفعها عنده اولئك هم الفاسقون
لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة اصحاب الجنة هم الفائزون لما ارشد المؤمنين
الى ما يصلحهم بقوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وهدد الكافرين بقوله نسوا الله فانساهم
انفسهم بين الفرق بين الفريقين بقوله لا يستوي اصحاب النار يعني الذين هم في العذاب
الدائم واصحاب الجنة يعني الذين هم في النعيم المقيم ثم اتبعه بقوله اصحاب الجنة
هم الفائزون ومعلوم اذ من جعل له النعيم المقيم فقد فاز فوزا عظيما قوله عز وجل
لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله معناه انه لو
جعل في الجبل تمييز وعقل كما جعل فيكم وانزل عليه القران لخشع اي لتطاطا وخضع
وتشقق وتصدع من خشية الله والمعنى ان الجبل مع صلابته ورزانته تشقق من
خشية الله وحذر ان لا يؤدي حق الله تعالى في تعظيم القران والكافر مستخف بحقه
معرض عما فيه من العبر والحكم كان لم يسمعها وصفه بقساوة القلب فهو غافل عما في
القران من المواعظ والامثال والوعد والوعيد وتمييز الحق من الباطل والواجب
مما لا يجب باحسن بيان واوضح برهان ومن وقف عليه وفهمه اوجب له الخشوع والخشية
وهذا تمثيل لان الجبل لا يتصور منه الخشوع والخشية الا ان يخلق الله له تمييزا وعقلا
يدل على انه تمثيل وتخييل قوله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون اي
الغرض من هذا التمثيل التنبيه على فساد قلوب هؤلاء الكفار وقسوتها وغلظ طباعهم

ولما وصف القرآن بالعظمة اتبعه بوصف عظمته فقال تعالى هو الله الذي لا اله الا هو عالم
الغيب والشهادة يعني انه تعالى عالم بما غاب عن العباد مما لم يعاينوه ولم يعلموه وعلم ما شاهدوه وما علموه
وقيل استوى في علمه تعالى السر والعلانية والموجود والمعدوم وقيل علم حال الدنيا والآخرة
هو الرحمن الرحيم اسمان مشتقان اشتقاقهما من الرحمة وهما صفتان لله تعالى ومعناهما ذو الرحمة
ورحمة الله ارادته الخير والنعمة والاحسان الى خلقه وقيل ان الرحمن اشد مبالغة من
الرحيم ولهذا قيل رحمان الدنيا ورحيم الآخرة لان احسانه تعالى في الدنيا يعم المؤمن والكافر
وفي الآخرة يختص احسانه وانعامه بالمؤمنين هو الله الذي لا اله الا هو الملك اي المنفرد
بالامر والنهي في جميع خلقه المالك لهم فهم تحت ملكه وقهره وارادته القدوس اي الطاهر
عن كل عيب المنزه عما لا يليق به وقيل هو الذي كثرت بركته السلام اي الذي سلم من النقائص
وكل آفة تلحق الخلق فان قلت على هذا التفسير لا يبقى بين القدوس والسلام فرق فيكون
كالتكرار وذلك لا يليق بفصاحة القرآن قلت الفرق بينهما ان كونه قدوسا هو اشارة
الى براءته من جميع العيوب والنقائص في الماضي والحاضر والسلام اشارة الى انه لا
يطرأ عليه شيء من العيوب والنقائص في المستقبل فان الذي يطرأ عليه شيء من ذلك قال ابن
عباس فانه تزول سلامته ولا يبقى سليما وقيل السلام اي سلم خلقه من ظلمه المؤمن قال ابن عباس
هو الذي امن الناس وامن من آمن به من عذابه وقيل هو المصدق لرسله باظهار المعجزات لهم
والمصدق للمؤمنين بما وعدهم من الثواب وبما اوعد الكافرين من العقاب المهيمن قال ابن
عباس اي الشهيد على عباده باعمالهم الذي لا يغيب عنه شيء وقيل هو القائم على خلقه برزقه وانشد
في معناه ⁘ الا ان خير الناس بعد نبيه ⁘ مهيمنه التاليه في العرف والنكر ⁘ اي القائم على الناس
بعده وقيل هو الرقيب الحافظ وقيل هو المصدق وقيل هو القاضي وقيل هو بمعنى الامين
والمؤتمن وقيل بمعنى العلي ومنه قول العباس يمدح النبي صلى الله عليه وسلم في ابيات منها

⁘ حتى احتوى بيتك المهيمن من ⁘ خندف علياء تحتها النطق ⁘

وقيل المهيمن اسم من اسماء الله تعالى هو اعلم بتأويله وانشد

⁘ جل المهيمن عن صفات عبيده ⁘ ولقد تعالى عن عقول اولي النهى ⁘
⁘ راموا بزعمهم صفات مليكهم ⁘ والوصف يعجز عن مليك لا يرى ⁘

العزيز الذي لا يوجد له نظير وقيل هو الغالب القاهر الجبار قال ابن عباس الجبار
هو العظيم وجبروت الله عظمته فعلى هذا هو صفة ذات وقيل هو سبحانه وتعالى
كذلك يجبر الكسير ويغني الفقير من الجبر يعني الذي يغني الفقير ويجبر الكسير فعلى هذا
هو صفة فعل وهو سبحانه وتعالى كذلك يجبر كل كسير ويغني كل فقير وقيل هو الذي يقهر
الخلق ويجبرهم على ما اراد وسئل بعضهم عن معنى الجبار فقال هو القهار الذي اذا
اراد امرا فعله لا يحجزه عنه حاجز وقيل الجبار الذي لا ينال ولا يداني والجبار في
صفة الله تعالى صفة مدح وفي صفة الناس صفة ذم وكذلك المتكبر في صفة الناس
صفة ذم لان المتكبر هو الذي يظهر من نفسه الكبر وذلك نقص في حقه لانه ليس له كبر
ولا علو بل له الحقارة والذل فاذا اظهر الكبر كان كاذبا في فعله فكان مذموما في
حق الناس واما المتكبر في صفة الله تعالى فصفة مدح لان له جميع صفات العلو
والعظمة ولهذا المعنى قال في آخر الآية سبحان الله عما يشركون كأنه قيل ان بعض
الخلق قد يتكبر فيكون ذلك نقصا في حقه اما الله تعالى فله العلو والعظمة
والعزة والكبرياء فاذا اظهر ذلك كان ضم كمال الى كمال قال ابن عباس المتكبر هو الذي

تكبر

تكبر بربوبيته فلا شيء مثله وقيل هو الذي تكبر عن كل سوء وقيل هو المتعظم عما لا يليق بجلاله
وجماله وقيل هو المتكبر عن ظلم عباده وقيل الكبر والكبرياء الامتناع وقيل هو ذو الكبرياء وهو
الملك سبحان الله عما يشركون اي في ادعاء الكبر لانفسهم هو الله الخالق اي المقدر لما يوجده ومعناه
انه يقدر افعاله على وجوه مخصوصة فهو راجع الى الارادة وقيل معناه المقدر لما يوجده وقيل الخلق
القلب بالشيء للتدبير الى غيره البارئ المخترع المنشئ للاعيان من العدم الى الوجود المصور اي الذي
يخلق صورة الخلق على ما يريده الممثل للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضها عن بعض وقيل
الخالق المبتدي للخلق المخترع له على غير مثال سبق البارئ المنشئ لما يريد خلقه فيظهره من
الى الوجود المصور لما خلقه وانشاه على صور مختلفة واشكال متباينة وقيل معنى التصوير
التخطيط والتشكيل فان لا يكون خلقا ثم براء ثم تصويرا وانما قدم الخالق على البارئ لان
ترجيح البارئ الارادة على تأثير القدرة وقدم البارئ على المصور لان ايجاد الذات متقدم على
ايجاد الصفات له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم عن معقل بن يسار
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم وقرأ الثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون
عليه حتى يمسي فان مات في ذلك اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان كذلك اخرجه الترمذي وقال
حديث غريب والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

مدنية وهي ثلاث عشرة آية وثلاثمائة وثمان واربعون كلمة والف وخمسمائة وعشرة احرف
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
عدوي وعدوكم اولياء الآية ق عن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه قال بعثني رسول الله صلى الله
عليه وسلم انا والزبير والمقداد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب
فخذوه منها قال فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى اتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة فقلنا اخرجي
الكتاب فقالت ما معي من كتاب فقلنا لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها
فاتينا به النبي صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين من اهل مكة
يخبرهم ببعض امر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما هذا
فقال يا رسول الله لا تعجل علي اني كنت امرا ملصقا في قريش ولم اكن من انفسهم وكان من معك
من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها اهليهم واموالهم بمكة فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب
فيهم ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي وما فعلته كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضى بالكفر
بعد الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه صدقكم فقال عمر دعني اضرب يا رسول
الله عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد شهد بدرا وما
يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء الى قوله سواء السبيل روضة خاخ روضة بقرب حمراء الاسد
من المدينة وقيل انه موضع قريب من مكة والاول اصح والظعينة المرأة المسافرة سميت
بذلك لملازمتها الهودج والعقاص الشعر المضفور قال المفسرون نزلت هذه الآية في
حاطب بن ابي بلتعة كما جاء في الحديث وذلك ان سارة مولاة عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف
اتت المدينة من مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة فقال لها رسول
الله صلى الله عليه وسلم امسلمة جئت قالت لا قال امهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت

كنتم الاهل والعشيرة والموالي وقد ذهبت موالي وقد احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني وتحملوني فقال لها وابن انت من شباب مكة وكانت مغنية نائحة قالت ما طلب مني بعد وقعة بدر فحث عليها بنو عبد المطلب فاعطوها نفقة وكسوها وحملوها فاتاها حاطب بن ابي بلتعة حليف بني اسد بن عبد العزى فكتب معها الى اهل مكة فاعطاها عشرة دنانير وكساها بردا على ان توصل الكتاب الى اهل مكة وكتب من حاطب بن ابي بلتعة الى اهل مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل عليه السلام فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما فعل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا والزبير وطلحة والمقداد ابن الاسود وابا مرثد فرسانا فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب بن ابي بلتعة الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها وان لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها فخرجوا حتى ادركوها في ذلك المكان الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لها اين الكتاب فحلفت بالله ما معها من كتاب ففتشوا متاعها فلم يجدوا معها كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذبنا وسل السيف فقال اخرجي الكتاب والا لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رأت الجد اخرجته من ذوائبها وكانت قد خبأته في شعرها فخلوا سبيلها ولم يتعرضوا لها ولا لما معها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حاطب فاتاه فقال له هل تعرف الكتاب قال نعم فقال ما حملك على ما صنعت فقال والله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا احببتهم منذ فارقتهم ولكن لم يكن احد من المهاجرين الا وله بمكة من يمنع عشيرته وكنت غريبا فيهم وكان اهلي بين ظهرانيهم فخشيت على اهلي فاردت ان اتخذ فيهم يدا وقد علمت ان الله تعالى ينزل بهم بأسه وان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعذره فقام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله دعني اضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك يا عمر لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال لهم اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله في شأن حاطب يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء يعني اصدقاء وانصارا تلقون اليهم بالمودة اي باسباب المحبة وقيل معناه تلقون اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وسره بالمودة التي بينكم وبينهم وقد كفروا اي وحالهم انهم كفروا بما جاءكم من الحق يعني القرآن يخرجون الرسول واياكم يعني من مكة ان تؤمنوا اي لان امنتم كأنه قال يفعلون ذلك لايمانكم بالله ربكم ان كنتم خرجتم هذا شرط جوابه متقدم والمعنى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي فلا تتخذوا عدوي اولياء وقوله تسرون اليهم بالمودة اي بالنصيحة وانا اعلم بما اخفيتم اي من المودة للكفار وما اعلنتم اي اظهرتم بألسنتكم منها ومن يفعله منكم اي الاسرار والقاء المودة اليهم فقد ضل سواء السبيل اي اخطأ طريق الهدى ثم اخبر عن عداوة الكفار فقال تعالى ان يثقفوكم اي يظفروا بكم ويروكم يكونوا لكم اعداء ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء اي بالضرب والقتل والشتم والسب وودوا اي تمنوا لو تكفرون اي ترجعون الى دينهم كما كفروا والمعنى ان اعداء الله لا يخلصون المودة لاولياء الله ولا يناصحونهم لما بينهم من الخلاف فلا تناصحوهم ولا توادوهم لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم اي لا يدعونكم ولا يحملنكم ذوو ارحامكم وقراباتكم بمكة واولادكم الذين بمكة الى خيانة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وترك مناصحتهم ونقل اخبارهم وموالاة اعدائهم فانه لا ينفعكم ارحامكم ولا اولادكم الذين

عصيتم الله لاجلهم يوم القيامة يفصل بينكم اي يدخل اهل طاعته الجنة واهل معصيته النار والله بما تعملون بصير قوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم يخاطب حاطبا والمؤمنين ويأمرهم بالاقتداء بابراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه اي من اهل الايمان اذ قالوا لقومهم يعني المشركين انا برآء منكم جمع بريء ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي جحدناكم وانكرنا دينكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده والمعنى ان ابراهيم واصحابه تبرؤوا من قومهم وعادوهم لكفرهم فامر حاطبا والمؤمنين ان يتأسوا بهم الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك يعني لكم ان تتأسوا بابراهيم في جميع اموره الا في الاستغفار لابيه المشرك فلا تتأسوا به فان ابراهيم كان قد قال لابيه لاستغفرن لك فلما تبين له اقامته على الكفر تبرأ منه وما املك لك من الله من شيء هذا من قول ابراهيم لابيه يعني ما اغني عنك ولا ادفع عنك عذاب الله ان عصيته واشركت به وانما وعده بالاستغفار رجاء اسلامه وكان من دعاء ابراهيم ومن معه من المؤمنين ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اي لا تظهرهم علينا فيظنوا انهم على الحق وقيل معناه لا تعذبنا بايديهم ولا بعذاب من عندك فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ما اصابهم ذلك واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم يعني في ابراهيم ومن معه اسوة حسنة اي اقتداء حسن لمن كان يرجو الله واليوم الآخر اي ان هذه الاسوة لمن يخاف الله ويخاف عذاب الآخرة ومن يتول اي يعرض عن الايمان ويتول الكفار فان الله هو الغني اي عن خلقه الحميد الى اهل طاعته واوليائه فلما امر الله المؤمنين بعداوة الكفار عادى المؤمنون اقرباءهم المشركين واظهروا لهم العداوة والبراءة وعلم الله شدة وجد المؤمنين بذلك انزل الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم اي من كفار مكة مودة ففعل الله تعالى ذلك بان اسلم كثير منهم فصاروا لهم اولياء واخوانا وخالطوهم وناكحوهم وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة بنت ابي سفيان ولان لهم ابو سفيان والله قدير اي على جعل المودة والله غفور رحيم اي لمن تاب منهم واسلم ثم رخص في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم فقال تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم اي لا ينهاكم الله عن بر الذين لم يقاتلوكم في دين وتقسطوا اليهم اي وتعدلوا فيهم بالاحسان اليهم وبرهم ان الله يحب المقسطين اي وتعدلوا العادلين قال ابن عباس نزلت في خزاعة وذلك انهم صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فرخص الله في برهم وقال عبد الله بن الزبير نزلت في اسماء بنت ابي بكر وذلك ان امها قتيلة بنت عبد العزى قدمت عليها المدينة بهدايا ضبابا واقطا وسمنا وهي مشركة فقالت اسماء لا اقبل منك هدية ولا تدخلي علي بيتا حتى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته فانزل الله تعالى هذه الآية فامرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تدخلها منزلها وان تقبل هديتها وتكرمها وتحسن اليها ق عن اسماء بنت ابي بكر الصديق رضي الله عنهما قالت قدمت علي امي وهي مشركة في عهد قريش اذ عاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومدتهم فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي راغبة افاصلها قال نعم صليها زاد في رواية قال ابن عيينة فانزل الله فيها لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ثم ذكر الذين نهى الله تعالى عن صلتهم وبرهم فقال تعالى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم وهم مشركو مكة ان تولوهم ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات

الله عن

مهاجرات فامتحنوهن الاية خ عن عروة بن الزبير انه سمع مروان والمسور بن مخرمة
يخبران عن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ وكان فيما
اشترط سهيل بن عمرو انه لا ياتيك احد وان كان على دينك الا رددته الينا وخليت بيننا
وبينه وكره المؤمنون ذلك وابى سهيل الا ذلك فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك فرد
يومئذ ابا جندل الى ابيه سهيل بن عمرو ولم ياته احد من الرجال الا رده في تلك المدة وان كان
مسلما وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط ممن خرج الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يرجعها اليهم فلم يرجعها لما انزل الله فيهن اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات
وهي عاتق فجاء اهلها فسالوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجعها اليهم فلم يرجعها حتى انزل
الله فيهن اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن الى ولا هم يحلون لهن
قال عروة فاخبرتني عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحنهن بهذه الاية يا ايها
النبي اذا جاءك المؤمنات الى قوله غفور رحيم قالت عائشة فمن اقر بهذا الشرط منهن قال
لها النبي صلى الله عليه وسلم قد بايعتك كلاما يكلمها والله ما مست يده يد امراة قط في المبايعة
وما يبايعهن الا بقوله وقال ابن عباس اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معتمرا حتى اذا
كان بالحديبية صالحه مشركوا مكة على ان من اتاه من اهل مكة رده اليهم ومن اتى مكة من
اصحابه لم يردوه اليه وكتبوا بذلك كتابا وختموا عليه فجاءت سبيعة بنت الحرث الا
سلمية مسلمة بعد فراغ الكتاب واقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وقيل هو صيفي بن
الراهب في طلبها وهو كافر فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك قد شرطت ان ترد علينا
من اتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا
جاءكم المؤمنات مهاجرات اي من دار الكفر الى دار الاسلام فامتحنوهن قال ابن عباس
امتحانها ان تستحلف ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة من ارض الى ارض ولا لحدث احدثته
ولا التماس دنيا وما خرجت الا رغبة في الاسلام وحبا لله ورسوله صلى الله عليه وسلم
فاذا حلفت على ذلك لم يردها فاستحلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيعة فحلفت
فلم يردها واعطى زوجها مهرها وما انفق عليها فتزوجها عمر بن الخطاب فالمخاطبون
المراد بقوله يا ايها الذين امنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه هو الذي تولى امتحانهن بنفسه
فكان يمسك من جاءه من النساء بعد الامتحان ويعطي مهورهن ويرد من جاءه من الرجال
واختلف العلماء هل جاز رد النساء في عقد الهدنة لفظا او عموما فقيل قد كان شرط ردهن
في عقد الهدنة لفظا صريحا فنسخ الله تعالى ردهن من العقد ومنع منه وابقاه في الرجال
على ما كان في العقد وقيل لم يشترط ردهن من العقد ومنع لفظا صريحا وانما اطلق اللفظ
فكان ظاهره العموم لاشتماله على النساء وعلى الرجال فبين الله تعالى خروجهن من عموم
العقد وفرق بينهن وبين الرجال في الحكم الله اعلم بايمانهن اي هذا الامتحان لكم والله
اعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم
يحلون لهن اي اذا اقررن بالايمان فلا يردهن الى الكفار لان الله لم يبح مؤمنة لكافر
واتوهم يعني ازواجهن ما انفقوا عليهن اي من الهدى الذي دفعوه اليهن ولا جناح عليكم
ان تنكحوهن اذا اتيتموهن اجورهن اي مهورهن اباح الله للمسلمين نكاح المهاجرات
من دار الحرب الى دار الاسلام وان كان لهن ازواج كفار في دار الحرب لان الاسلام فرق
بينهن وبين ازواجهن ووقعت الفرقة على انقضاء عدتها فان اسلم الزوج قبل انقضاء
عدتها فهي زوجته وبه قال الاوزاعي والليث بن سعد ومالك والشافعي واحمد وقال

ابو

ابو حنيفة تقع الفرقة باختلاف الدارين ولا تمسكوا بعصم الكوافر جمع عصمة وهي ما اعتصم
به من العقد والنسب نهى الله تعالى المؤمنين عن المقام على نكاح المشركات بقوله تعالى وان كانت
امراة كافرة بمكة فلا يعتد بها فقد انقطعت عصمة الزوجية بينهما قال الزهري لما نزلت
هذه الاية طلق عمر بن الخطاب امراتين كانتا بمكة مشركتين قريبة بنت ابي امية بن المغيرة
فتزوجها معاوية بن ابي سفيان وهما على شركهما بمكة والاخرى ام كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية
وهي ام ابنه عبيد الله فتزوجها ابو جهم بن حذافة بن غانم وهما على شركهما وكانت روية
بنت ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب تحت طلحة بن عبيد الله فهاجر طلحة وبقيت هي على دين
قومها ففرق الاسلام بينهما فتزوجها بعده في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص بن امية
قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة ابي العاص بن الربيع
فاسلمت وهاجرت مع النبي صلى الله عليه وسلم واسالوا ايها المؤمنون ما انفقتم يعني ان لحقت
امراة منكم بالمشركين مرتدة فاطلبوا ما انفقتم من المهر اذا منعوها ممن تزوجها منهم وليسالوا
يعني المشركين الذين لحقت ازواجهم بكم ما انفقوا اي من المهر ممن تزوجها منكم ذلكم حكم
الله يحكم بينكم والله عليم حكيم قال الزهري ولولا الهدنة والعهد الذي كان بين رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش لامسك النساء ولم يردوا الصداق وكذلك يصنع بمن
جاء من المسلمات قبل العهد فلما نزلت هذه الاية اقر المؤمنون بحكم الله تعالى وادوا ما
امروا به من اداء نفقات المشركين على نسائهم واما المشركون ابوا ان يقروا بحكم الله فيما
امر به من اداء النفقات للمسلمين فانزل الله عز وجل وان فاتكم ايها المؤمنون شيء من
ازواجكم الى الكفار اي فلحقن بهم فعاقبتم معناه غزوتم فغنمتم واصبتم من الكفار عقبى
وهي الغنيمة وقيل معناه اظهرتم وكانت العاقبة لكم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم اي الى
الكفار مثل ما انفقوا معناه اعطوا الذين ذهبت ازواجهم منكم الى الكفار مرتدة مثل
ما انفقوا عليها من الغنائم التي صارت في ايديكم من اموال الكفار قال ابن عباس لحق بالمشركين
من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة ام الحكم بنت ابي سفيان وكانت تحت عياض بن شداد
الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة وكانت تحت عمر بن الخطاب فلما
فلما اراد عمر ان يهاجر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة وكانت تحت شماس بن عثمان وعزة
بنت عبد العزيز بن فضلة وزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت ابي جهل بن هشام وكانت
تحت هشام بن العاص بن وائل وام كلثوم وكانت تحت عمر فكلهن رجعن عن الاسلام
فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ازواجهن مهور نسائهم من الغنيمة واختلف القول في رد
مهر من اسلمت من النساء الى ازواجهن هل كان واجبا ام مندوبا واصل هذه المسالة ان
الصلح هل كان وقع على رد النساء ام لا فيه قولان احدهما انه وقع على رد الرجال والنساء
جميعا لما روي لا ياتيك منا احد الا رددته ثم صار الحكم في رد النساء منسوخا بقوله تعالى
فلا ترجعوهن الى الكفار فعلى هذا كان المهر واجبا والقول الثاني ان الصلح لم يقع على
رد النساء لانه روي لا ياتيك منا رجل وان كان على دينك الا رددته وذلك لان الرجل
لا يخشى عليه من الفتنة في الرد ما يخشى على المراة من اصابة المشرك اياها وانه لا يؤمن
عليها الردة اذا خوفت واكرهت عليها لضعف قلبها وقلة هدايتها الى المخرج باظهار كلمة
الكفر مع التورية واضمار الايمان وطمانينة القلب عليه ولا يخشى ذلك على الرجل لقوته
وهدايته للتقية فعلى هذا كان المهر مندوبا واختلفوا في انه هل يجب العمل به اليوم
في رد المال اذا شرط في معاقدة الكفار فقال قوم لا يجب وزعموا ان الاية منسوخة

مرتدة

بنت جرول

وهو قول عطاء وقتادة وقال قوم الاية غير منسوخة ويرد عليهم ما انفقوا قوله تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك الاية قال المفسرون لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وفرغ من بيعة الرجال وهو على الصفا اتته النساء تبايعه وعمر بن الخطاب اسفل منه يبايعهن عنه وهند بنت عتبة امراة ابي سفيان متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعرفها فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم ابايعكن على ان لا تشركن بالله شيئا فرفعت هند راسها وقالت والله انك لتاخذ علينا امرا ما رايناك اخذته على الرجال فتحكي وكان قد بايع الرجال على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم ولا يسرقن فقالت ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصبت من ماله هنات فلا ادري ايحل لي ام لا فقال ابو سفيان ما اصبت من شيء فيما مضى وفيما غبر فهو حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت هند او تزني الحرة فقال ولا يقتلن اولادهن فقالت هند ربيناهم صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم وكان ابنها حنظلة بن ابي سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن فقالت هند والله ان البهتان لقبيح وما تامرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق ولا يعصينك في معروف فقالت هند ما جلسنا مجلسنا هذا وفي انفسنا ان نعصيك في شيء فاقر النسوة بما اخذ عليهن من البيعة قال ابن الجوزي وجملة من احصي من المبايعات اربع مائة وسبع وخمسون امراة لم يصافح في البيعة امراة وانما بايعهن بالكلام (ق) عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايع النساء بالكلام بهذه الاية لا يشركن بالله شيئا وما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امراة لا يملكها واما تفسير الاية فقوله ولا يقتلن اولادهن اراد به وأد البنات الذي كانوا يفعله اهل الجاهلية ثم هو عام في كل نوع من قتل الولد ولا ياتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن يعني لا تلحق المراة بزوجها ولدا غير ولده وذلك ان المراة كانت تلتقط المولود فتقول لزوجها هذا ولدي منك فهذا هو البهتان المفترى وليس المراد منه نهيهن عن الزنا لان النهي عنه قد تقدم ذكره ومعنى بين ايديهن وارجلهن ان الولد اذا ارضعته الام سقط بين يديها ورجليها ولا يعصينك في معروف اي في كل ما تامرهن به او تنهاهن عنه وقيل في كل امر وافق طاعة الله وكل امر فيه رشد وقيل هو النهي عن النوح والدعاء بالويل وتمزيق الثياب وحلق الشعر ونتفه وخمش الوجه وان لا تحدث المراة الرجال الاجانب ولا تخلو برجل غير ذي محرم ولا تسافر مع غير ذي محرم قال ابن عباس في قوله ولا يعصينك في معروف انما هو شرط شرطه الله على النساء اخرجه البخاري (ق) عن ام عطية قالت بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا علينا ان لا يشركن بالله شيئا ونهانا عن النياحة فقبضت امراة منا يدها فقالت فلانة اسعدتني فانا اريد ان اجزيها فما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فانطلقت ثم رجعت فبايعها (ق) عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية عن اسيد بن ابي اسيد عن امراة من المبايعات قالت كان فيما اخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المعروف الذي اخذ علينا ان لا نعصيه فيه وان لا نخمش وجها ولا ندعو ويلا ولا نشق جيبا ولا ننشر شعرا اخرجه ابو داود عن انس رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذ على النساء حين بايعهن ان لا ينحن فقلن يا رسول الله نساء اسعدننا في الجاهلية فنسعدهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لا اسعاد في الاسلام اخرجه النسائي (م) عن ابي مالك الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب وعن ابي سعيد الخدري قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم النائحة والمستمعة اخرجه ابو داود وقوله عز وجل فبايعهن يعني اذا بايعنك على هذا الشرط فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم عن اميمة بنت رقيقة قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في نسوة فقال لنا فيما استطعتن واطقتن الله ورسوله ارحم بنا منا بانفسنا قلت يا رسول الله بايعنا قال سفيان تعني صافحنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما قولي لمائة امراة كقولي لامراة واحدة اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود وذلك ان ناسا من فقراء المسلمين كانوا يخبرون اليهود باخبار المسلمين يتوصلون اليهم بذلك فيصيبون من ثمارهم فنهاهم الله عن ذلك قد يئسوا من الاخرة يعني اليهود وذلك انهم عرفوا محمدا وصدقوه وانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبوه فيئسوا من ان يكون لهم ثواب او خير في الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور يعني كما يئس الذين ماتوا على الكفر وصاروا في القبور من ان يكون لهم ثواب في الاخرة وذلك ان الكفار اذا دخلوا قبورهم ايسوا من رحمة الله تعالى وقيل معناه كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والمعنى ان اليهود الذين عاندوا النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا به قد يئسوا من ثواب الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور ان يرجعوا اليهم والله اعلم بمراده

وفيها قولان احدهما انها مدنية وهو قول ابن عباس والجمهور والثاني انها مكية وهي اربع عشرة اية ومائتان واحدى وعشرون كلمة وتسعمائة حرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون قيل سبب نزولها ما روي عن عبد الله بن سلام قال قعدنا نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله لعملنا فانزل الله عز وجل سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون قال عبد الله بن سلام فقراها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي قال المفسرون ان المؤمنين قالوا لو علمنا اي الاعمال احب الى الله تعالى لعملناه ولبذلنا فيها اموالنا وانفسنا فانزل الله عز وجل ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا وانزل هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الاية فابتلوا بذلك يوم احد فولوا مدبرين وكرهوا الموت واحبوا الحياة فانزل الله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون وقيل لما اخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بثواب شهداء بدر قالت الصحابة لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم احد فعيرهم الله تعالى بهذه الاية وقيل نزلت في شان القتال كان الرجل يقول قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب فنزلت هذه الاية وقيل نزلت في المنافقين وذلك انهم كانوا يعدون النصر للمؤمنين وهم كاذبون كبر مقتا عند الله اي عظم بغضا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون معناه ان تعدوا من انفسكم شيئا ولم توفوا به ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا اي يصفون انفسهم عند القتال صفا ولا يزولون عن اماكنهم كانهم بنيان مرصوص اي قد رص بعضه الى بعض واحكم فليس فيه فرجة

ولا خلل ومنه الحديث تراصوا في الصف والمعنى ان الله يحب الذين يثبتون في الجهاد في سبيله
ويلزمون مكانهم كثبوت البناء المرصوص قوله عز وجل واذ قال موسى لقومه اي واذكر يا محمد
لقومك اذ قال موسى لقومه بني اسرائيل يا قوم لم تؤذونني قيل انهم كانوا يؤذونه بانواع من
الاذى والتعنت منها قولهم ارنا الله جهرة وقولهم لن نصبر على طعام واحد ومنها انهم رموه
بالادرة وقد تعلمون اني رسول الله اليكم يعني تؤذونني وانتم عالمون علما قطعيا اني رسول
الله اليكم والرسول يعظم ويوقر ويحترم ولا يؤذى فلما زاغوا اي عدلوا عن الحق ازاغ الله
قلوبهم اي امالها عن الحق الى غيره والله لا يهدي القوم الفاسقين اي لا يهدي من سبق في علمه
انه فاسق خارج عن طاعته وهذا تنبيه على عظم ايذاء الرسول حتى ان اذاهم يؤدي الى الكفر وزيغ
القلب عن الهدى واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل اني رسول الله اليكم اي ارسلت
اليكم بالوصف الذي وصف به في التوراة مصدقا لما بين يدي من التوراة اي انا مقر ومعترف
باحكام التوراة وبكتب الله وانبيائه جميعا لمن قد تقدم ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه
احمد اي يصدق بالتوراة على مثل تصديقي فكانه قيل له ما اسمه فقال اسمه احمد عن ابي موسى قال
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان ياتوا النجاشي وذكر الحديث وفيه قال سمعت النجاشي
يقول اشهد ان محمدا رسول الله وانه الذي بشر به عيسى ولولا ما انا فيه من الملك وما تحملت
من امر الناس لاتيته حتى احمل نعليه اخرجه ابو داود عن عبد الله بن سلام قال مكتوب في
التوراة صفة محمد وعيسى بن مريم يدفن معه فقال ابو داود وقد بقي في البيت موضع
قبر اخرجه الترمذي عن كعب الاحبار ان الحواريين قالوا لعيسى بن مريم يا روح الله هل بعدنا
من امة قال نعم امة احمد حكماء علماء ابرار اتقياء كانهم من الفقه انبياء يرضون من الله باليسير
من الرزق ويرضى الله عنهم باليسير من العمل ق عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر
الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي وقد سماه الله رؤوفا رحيما واحمد
يحتمل معنيين احدهما انه مبالغة من الفاعل ومعناه ان الانبياء حامدون لله عز وجل وهو
اكثر حمدا لله من غيره والثاني انه مبالغة من المفعول ومعناه ان الانبياء كلهم محمودون لما
فيهم من الخصال الحميدة وهو اكثر مبالغة واجمع للفضائل والمحاسن والاخلاق التي
يحمد بها من غيره فلما جاءهم بالبينات قيل هو عيسى عليه السلام وقيل هو محمد صلى الله عليه
وسلم قالوا هذا سحر مبين اي ظاهر ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب اي ومن اشد
ظلما ممن بلغ افتراؤه ان يكذب على الله وذلك انهم علموا ان ما نالوه من نعمة من الله ثم كفروا
به وهو يدعى الى الاسلام معنى الاية اي الناس اشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه صلى الله
عليه وسلم الى الاسلام الذي له فيه السعادة في الدارين فيجعل مكان اجابته افتراء الكذب على الله بقوله هذا
سحر مبين والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يوفقهم للهداية لما علم من حالهم عقوبة لهم
يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم يعني ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر
والله متم نوره اي متم الحق ومظهره ومبلغه غايته وقال ابن عباس مظهر دينه ولو كره
الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله اي ليعليه على
الاديان كلها المخالفة له ولقد فعل ذلك فلم يبق دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور
بدين الاسلام ولو كره المشركون قوله عز وجل يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم
من عذاب اليم نزلت هذه الاية حين قالوا لو نعلم اي الاعمال احب الى الله عز وجل لعملناه
وانما سماه تجارة لانهم يربحون فيها رضى الله ونيل الجنة والنجاة من النار ثم بين تلك التجارة

فقال

فقال تعالى تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم ذلكم خير لكم اي الذي
امركم به من الايمان به والجهاد في سبيله ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم هذا جواب قوله تؤمنون بالله
ورسوله وتجاهدون لان معناه معنى الامر المعنى امنوا بالله وجاهدوا في سبيله اي اذا فعلتم ذلك
يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم
يعني هذا الجزاء الذي ذكر هو الفوز العظيم واخرى تحبونها اي ولكم تجارة اخرى وقيل ولكم خصلة
اخرى تحبونها في العاجل مع ثواب الاخرة وتلك الخصلة نصر من الله وفتح قريب قيل هو النصر
على قريش وفتح مكة وقيل فتح فارس والروم وبشر المؤمنين اي يا محمد بالنصر في الدنيا والجنة
في الاخرة ثم حضهم على نصر الدين وجهاد المخالفين فقال تعالى يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله
كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله والمعنى انصروا دين الله كما نصر الحواريون دين
الله لما قال لهم عيسى ابن مريم من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله وكانوا اثني عشر
رجلا اول من امن بعيسى وحواري الرجل صفيه وخالصته ومنه قوله صلى الله عليه وسلم حواري الزبير فامنت
طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة قال ابن عباس في زمن عيسى وذلك لما تفرق قومه ثلاث
فرق فرقة قالوا كان الله فارتفع وفرقة قالوا كان ابن الله فرفعه وفرقة قالوا كان عبد
الله ورسوله فرفعه وهم المؤمنون واتبع كل فرقة منهم طائفة من الناس فاقتتلوا فظهرت الفرقتان
الكافرتان على المؤمنين حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فظهرت الفرقة المؤمنة على الكافرة
فذلك قوله فايدنا الذين امنوا على عدوهم فاصبحوا ظاهرين اي غالبين وقيل معناه فاصبحت
حجة من امن بعيسى ظاهرة بتصديق محمد صلى الله عليه وسلم ان عيسى روح الله وكلمته والله اعلم

مدنية وهي احدى عشرة اية ومائة وثمانون كلمة وسبعمائة وعشرون حرفا قوله عز وجل
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسبح لله ما في السموات وما في الارض
الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الاميين يعني العرب وكانت العرب لا تكتب
ولا تقرا حتى بعث فيهم نبي الله وقيل الامي هو الذي على ما خلق عليه كانه منسوب الى
امه رسولا منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يعلمون نسبه وهو من جنسهم وقيل اميا مثلهم
وانما كان اميا لانه نعت في كتب الانبياء بالنبي الامي وكونه بهذه الصفة ابعد من توهم الاستعانة
بالكتابة على ما اتى من الوحي والحكمة ولتكون حالته مشاكلة لحال امته الذين بعث فيهم
وذلك اقرب لصدقه يتلو عليهم اياته التي تبين رسالته وقيل اياته التي يميز بها الحلال
من الحرام والحق من الباطل ويزكيهم اي يطهرهم من دنس الشرك ويعلمهم الكتاب والحكمة
يعني القرآن وقيل الفرائض والحكمة وقيل هي السنة وان كانوا من قبل اي من قبل ارسال
محمد صلى الله عليه وسلم اليهم لفي ضلال مبين واخرين منهم اي من المؤمنين الذين يدينون بدينهم
لانهم اذا اسلموا صاروا منهم فان المسلمين كلهم امة واحدة وقيل اراد بالاخرين العجم
وهو قول ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية عن مجاهد يدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال
كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ نزلت سورة الجمعة فتلاها فلما بلغ واخرين منهم لما
يلحقوا بهم قال له رجل يا رسول الله من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا فلم يكلمه حتى ساله ثلاثا قال
وسلمان الفارسي فينا فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان وقال والذي نفسي
بيده لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء اخرجاه في الصحيحين وقيل هم التابعون وقيل
هم جميع من دخل في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة لما يلحقوا بهم اي لم يدركوهم

ولكنهم جاؤا بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم في الفضل والسابقة لان التابعين لا يدركون شان
الصحابة وهو العزيز الغالب الذي قهر الجبابرة الحكيم اي الذي جعل كل مخلوق يشهد بوحدانيته
ذلك فضل الله يؤتيه من يشا يعني الاسلام وقيل النبوة خص بها محمد صلى الله عليه وسلم والله
ذو الفضل العظيم انعم على خلقه حيث ارسل فيهم محمد رسوله محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى
مثل الذين حملوا التوراة يعني اليهود حيث كلفوا القيام بها والعمل بما فيها ليس هو من الحمل
على الظهور وانما هو من الحمالة والحميل هو الكفيل ثم لم يحملوها اي لم يعملوا بما فيها ولم
يؤدوا حقها كمثل الحمار يحمل اسفارا جمع سفر وهو الكتب العظام من العلم سمي سفرا لانه
يسفر عما فيه من المعنى وهذا مثل ضربه الله تعالى لليهود الذين اعرضوا عن العمل بالتوراة
الدال على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار الذي يحمل الكتب ولا يدري ما فيها ولا ينتفع
شبه اليهود اذ لم ينتفعوا بما في التوراة الدال على الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بالحمار الذي
يحمل الكتب ولا يدري ما فيها ولا ينتفع بما كذلك اليهود الذين يقراون التوراة ولا ينتفعون
بها لانهم خالفوا ما فيها وهذا المثل يلحق من يفهم معاني القران ولم يعمل بما فيه واعرض عنه
اعراض من لا يحتاج اليه فلهذا قال ميمون بن مهران يا اهل القران اتبعوا القران قبل ان
يتبعكم ثم تلا هذه الاية ثم ذم هذا المثل والمراد منه ذمهم فقال بئس مثل القوم
اي بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بايات الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما اتى به من
ايات القران وقيل المراد من الايات ايات التوراة لانهم كذبوا بها حين تركوا الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم والله لا يهدي القوم الظالمين اي لا يهدي من سبق في علمه انه يكون
ظالما وقيل يعني الذين ظلموا انفسهم بتكذيب ايات الله وانبيائه قل اي يا محمد يا ايها
الذين هادوا ان زعمتم انكم اوليا لله من دون الناس اي من دون محمد صلى الله عليه
واصحابه فتمنوا الموت اي ادعوا على انفسكم بالموت ان كنتم صادقين يعني فيما زعمتم انكم
اوليا الله واحباؤه فان الموت هو الذي يوصلكم اليه لان الاخرة خير لاوليا الله من الدنيا
ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم اي بسبب ما قدموا من الكفر والتكذيب والله عليم
بالظالمين قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم اي لا ينفعكم الفرار منه
ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فيه وعد ووعيد قوله
عز وجل يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة اي لوقت الصلاة من يوم الجمعة اي في
يوم الجمعة واراد بهذا النداء الاذان عند قعود الامام على المنبر للخطبة لانه لم يكن
في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم نداء سواه فكان اذا جلس صلى الله عليه وسلم اذن بلال
خ عن السائب بن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة اوله اذا جلس الامام على المنبر على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث
على الزوراء زاد في رواية فثبت الامر على ذلك ولابي داود قال كان يؤذن بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس على المنبر يوم الجمعة على باب المسجد وذكر نحوه
الزوراء موضع عند سوق المدينة قريب من المسجد وقيل كان مرتفعا كالمنارة واختلفوا
في تسمية هذا اليوم جمعة فقال لان الله تعالى جمع خلق ادم وقيل لان الله تعالى فرغ
من خلق الاشيا فاجتمعت فيه المخلوقات وقيل لاجتماع الجماعات فيه للصلاة وقيل
اول من سمى هذا اليوم جمعة كعب بن لؤي قال ابو سلمة اول من قال اما بعد كعب
ابن لؤي وكان اول من سمى الجمعة جمعة وكان يقال لها يوم العروبة عن ابن سيرين
قال جمع اهل المدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة
وهم

وهم الذين سموا الجمعة قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة ايام وللنصارى يوم فهلم
فلنجعل يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلي فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد
للنصارى فاجعلوه يوم العروبة ثم انزل الله في ذلك بعد عن كعب بن مالك انه كان اذا سمع
النداء يوم الجمعة ترحم على اسعد بن زرارة فقال له ابنه عبد الرحمن يا ابت اذا سمعت النداء
ترحمت على اسعد بن زرارة قال لانه اول من جمع بنا في هزم النبيت من حرة بني بياضة في نقيع يقال
له نقيع الخضمات قلت له كم كنتم يومئذ قال اربعون اخرجه ابو داود واما اول جمعة جمعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه على ما ذكره اهل السير ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم
المدينة مهاجرا نزل قبا على بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين لثنتي عشرة خلت من ربيع
الاول حين امتد الضحى فاقام بها يوم الاثنين والثلاثا والاربعا ويوم الخميس واسس مسجدهم ثم
خرج من بين اظهرهم يوم الجمعة عامدا الى المدينة فادركته صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف
في بطن واد لهم قد اتخذ في ذلك الموضع مسجدا فجمع الناس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخطب قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله فامضوا اليه واعملوا له وليس المراد من السعي الاسراع
في المشي وانما المراد منه العمل وكان عمر بن الخطاب يقرا فامضوا الى ذكر الله وقال الحسن
اما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولقد نهوا ان يأتوا الصلاة الا وعليهم السكينة
والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وعن قتادة في هذه الاية فاسعوا الى ذكر
الله ان تسعى بقلبك وعملك وهو المشي اليها وكان يتأول قوله فلما بلغ معه السعي يقول
فلما مشى معه ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الاذان فامشوا
الى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما ادركتم فصلوا وما فاتكم فاتموا وفي
رواية اذا اقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون واتوها تمشون وعليكم السكينة زاد مسلم
فان احدكم اذا كان يعمد الى الصلاة فهو في الصلاة والمراد بقوله فاسعوا الى ذكر الله الصلاة
وقال سعيد بن المسيب هو موعظة الامام وذروا البيع يعني البيع والشرا لان اسم البيع
يتناولهما جميعا من لوازمه وانما يحرم البيع والشرا عند الاذان الثاني وقال الزهري عند خروج
الامام وقال الضحاك اذا زالت الشمس حرم البيع والشرا ذلكم اي الذي ذكرت من حضور الجمعة
وترك البيع خير لكم اي من المبايعة في ذلك الوقت ان كنتم تعلمون اي مصالح انفسكم فصل
في فضل الجمعة واحكامها وانتم تاركيها وفيه مسائل المسالة الاولى في فضلها م عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق ادم وفيه
ادخل الجنة وفيه اخرج منها الجنة زاد في رواية ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة ق عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم
وهو يصلي يسال الله شيئا الا اعطاه اياه واشار بيده يقللها ق عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة
الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا ومن راح في الساعة
الرابعة فكانما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما قرب بيضة فاذا خرج الامام
حضرت الملائكة يستمعون الذكر وفي رواية اذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من ابواب
المساجد ملائكة يكتبون الاول فالاول فاذا جلس الامام طووا الصحف وجاؤا يستمعون الذكر
قوله من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة معناه كغسل الجنابة م عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من توضا فاحسن الوضوء ثم اتى الجمعة واستمع وانصت غفر له ما بينه وبين الجمعة
الاخرى وزيادة ثلاثة ايام ومن مس الحصا فقد لغا قوله ومن مس الحصى فقد لغا معناه انه

يشغله عن سماع الخطبة كما يشغله الكلام فجعله كاللغو (خ) عن عباية قال أدركني أبو عبس وأنا ذاهب إلى الجمعة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار عن أبي هريرة قال خرجت إلى الطور فلقيت كعب الأحبار فجلست معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيما حدثته أن قلت له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه مات وفيه تيب عليه وفيه تقوم الساعة وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت في كل جمعة يوم فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو هريرة ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب الأحبار وما حدثته به في يوم الجمعة فقال عبد الله بن سلام قد علمت أية ساعة هي قال أبو هريرة فقلت أخبرني بها ولا تضن علي وفي رواية ولا تظن علي قال هي آخر ساعة في يوم الجمعة قال أبو هريرة فقلت وكيف تكون آخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم يصلي وتلك الساعة لا يصلى فيها فقال عبد الله بن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلساً ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصليها قال أبو هريرة فقلت بلى قال فهو ذلك أخرجه مالك في الموطأ والنسائي (خ) عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من الطهور ويدهن من دهنه ويمس من طيب بيته ثم خرج لم يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت إذا تكلم الإمام إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى عن أوس بن أوس الثقفي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من غسل واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنى من الإمام ولم يلغ واستمع كان له بكل خطوة أجر عمل سنة صيامها وقيامها أخرجه أبو داود والنسائي قال أبو داود سئل مكحول عن غسل واغتسل قال غسل رأسه وجسده المسألة الثانية في الترك لها (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين عن أبي الجعد الضمري وكانت له صحبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك ثلاث جمع تهاوناً طبع الله على قلبه أخرجه أبو داود والنسائي والترمذي بنحوه (م) عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لقوم يتخلفون عن الجمعة لقد هممت أن آمر رجلاً أن يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجمعة بيوتهم المسألة الثالثة في تأكيد وجوبها قال العلماء صلاة الجمعة هي من فروض الأعيان فتجب على كل مسلم حر بالغ ذكر عاقل مقيم إذا لم يكن له عذر في تركها ومن تركها من غير عذر استحق الوعيد وأما الصبي والمجنون فلا جمعة عليهما لأنهما ليسا من أهل الفرض ولا جمعة على النساء بالاتفاق يدل على ذلك ما روي عن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا على أربعة عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض أخرجه أبو داود وقال طارق رأى النبي صلى الله عليه وسلم وبعض من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئاً عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة على كل من سمع النداء أخرجه أبو داود وقال رواه جماعة ولم يرفعوه وإنما أسنده قبيصة عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الجمعة

على من آواه

على من آواه الليل إلى أهله أخرجه الترمذي ولا تجب الجمعة على العبيد وقال الحسن وقتادة والأوزاعي تجب على العبد المكاتب عن أحمد في العبيد روايتان وتجب الجمعة على أهل القرى والبوادي إذا سمعوا النداء من موضع تقام فيه الجمعة فيلزمهم الحضور وإن لم يسمعوا فلا جمعة عليهم وبه قال الشافعي وأحمد وإسحاق والشرط أن يبلغهم نداء مؤذن جهوري الصوت يؤذن في وقت تكون الأصوات هادئة والرياح ساكنة فكل قرية تكون من موضع الجمعة في القرب على هذا القدر يجب على أهلها حضور الجمعة وقال سعيد بن المسيب تجب الجمعة على من آواه المبيت وقال الزهري تجب على من كان على ستة أميال وقال ربيعة على أربعة أميال وقال مالك والليث على ثلاثة وقال أبو حنيفة لا جمعة على أهل السواد سواء كانت القرية قريبة أو بعيدة دليل الشافعي ومن وافقه ما رواه البخاري عن عبد الله بن عباس قال إن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد عبد القيس بجواثا من البحرين قرية من قرى البحرين ولأبي داود نحوه وفيه بجواثا قرية من قرى البحرين المسألة الرابعة في تركها للعذر وكل من له عذر من مرض أو تعهد مريض أو خوف جاز له ترك الجمعة وكذلك له تركها بعذر المطر والوحل يدل على ذلك ما روي عن ابن عباس أنه خطب يوم ذي ردغ فأمر المؤذن فلما بلغ حي على الصلاة قال قل الصلاة في الرحال فنظر بعضهم إلى بعض كأنهم أنكروا فقال كأنكم أنكرتم هذا إن هذا فعله من هو خير مني يعني النبي صلى الله عليه وسلم وإنها عزمة وإني كرهت أن أحرجكم زاد في رواية فتمشون في الطين والدحض والزلق أخرجه البخاري وكل من لا تجب عليه الجمعة فإذا حضر وصلى مع الإمام الجمعة سقط عنه فرض الظهر ولكن لا يكمل به عدد الجمعة الذين تنعقد بهم الجمعة إلا صاحب العذر فإذا حضر كمل به العدد المسألة الخامسة في العدد الذي تنعقد به الجمعة اختلف أهل العلم في العدد الذين تنعقد بهم الجمعة فقيل لا تنعقد بأقل من أربعين رجلاً من أهل الكمال وذلك بأن يكونوا أحراراً عاقلين مقيمين في موضع لا يظعنون عنه شتاء ولا صيفاً إلا لحاجة وشرط عمر بن عبد العزيز أن يكون فيهم وال والوالي غير شرط عند الشافعي وقال علي بن أبي طالب لا جمعة إلا في مصر جامع وهو قول أصحاب الرأي ثم عند أبي حنيفة تنعقد بأربعة والوالي شرط عنده وقال الأوزاعي وأبو يوسف تنعقد بثلاثة إذا كان فيهم وال وقال الحسن تنعقد باثنين كسائر الصلوات وقال ربيعة تنعقد باثني عشر رجلاً ولا يكمل العدد بمن لا تجب عليه الجمعة كالعبد والمسافر والمرأة والصبي ولا تنعقد إلا في موضع واحد من البلد وبه قال مالك والشافعي وأبو يوسف وقال أحمد تصح في موضعين إذا كثر الناس وضاق الجامع المسألة السادسة لا يجوز أن يسافر الرجل يوم الجمعة بعد الزوال قبل أن يصلي الجمعة وجوز أصحاب الرأي أن يسافر بعد الزوال إذا كان يفارق البلد قبل خروج الوقت إذا سافر قبل الزوال وبعد طلوع الفجر فإنه يجوز غير أنه يكره إلا أن يكون سفر طاعة كحج أو غزو وذهب بعضهم إلى أنه إذا أصبح يوم الجمعة مقيماً فلا يسافر حتى يصلي الجمعة يدل على جوازه ما روي عن ابن عباس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في سرية فوافق ذلك يوم الجمعة فغدا أصحابه وقال أتخلف فأصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ألحقهم فلما صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم رآه فقال ما منعك أن تغدو مع أصحابك قال أردت أن أصلي معك ثم ألحقهم فقال لو أنفقت ما في الأرض ما أدركت فضل غدوتهم أخرجه الترمذي وروي أن عمر رأى رجلاً عليه أهبة السفر فسمعه يقول لولا أن اليوم يوم الجمعة لخرجت فقال له عمر اخرج فإن الجمعة لا تحبس عن سفر وللجمعة شرائط وسنن وآداب مذكورة في كتب الفقه وفي هذا القدر كفاية والله أعلم قوله عز وجل **فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض** أي إذا فرغ من صلاة الجمعة فانتشروا في الأرض للتجارة

والنصرف في حوائجكم وابتغوا من فضل الله يعني الرزق وهذا امر اباحة قال ابن عباس ان شئت
فاخرج وان شئت فاقعد وان شئت فصل الى العصر وقيل فانتشروا في الارض ليس لطلب دنيا
ولكن لعيادة مريض وحضور جنازة وزيارة اخ في الله وقيل وابتغوا من فضل الله هو طلب
العلم عن عراك بن مالك انه كان اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد وقال اللهم اجبت
دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت خير الرازقين واذكروا
الله كثيرا اذا فرغتم من الصلاة ورجعتم الى التجارة والبيع والشراء فاذكروا الله كثيرا قيل
باللسان وقيل بالطاعة وقيل لا يكون من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكره قائما وقاعدا ومضطجعا
لعلكم تفلحون قوله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما ق عن جابر قال
بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبلت عير تحمل طعاما فالتفتوا اليها حتى ما بقي
مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فنزلت هذه الاية واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا
اليها وتركوك قائما وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قائما فجاءت عير من الشام
وذكر نحوه وفيه الا اثنا عشر رجلا فيهم ابو بكر وعمر ولمسلم كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة
فقدمت سويقة قال فخرج الناس اليها فلم يبق الا اثنا عشر رجلا انا فيهم وذكره في الحديث
حجة لمن يرى صحة الجمعة باثني عشر رجلا واجيب عنه بانه ليس فيه بيان بانه اقام بهم الجمعة حتى
يكون الحديث حجة لاشتراط هذا العدد وقال ابن عباس في رواية الكلبي عنه لم يبق في المسجد الا ثمانية رهط
قال الحسن وابن مالك اصاب اهل المدينة جوع وغلاء سعر فقدم دحية بن خليفة الكلبي بتجارة
من زيت وطعام من الشام والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فلما رأوه بالبقيع قاموا اليه خشية
ان يسبقوا اليه فلم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا رهط فيهم ابو بكر وعمر فنزلت هذه الاية
فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لو تتابعتم حتى لا يبقى منكم احد لسال بكم
الوادي نارا وقال مقاتل بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذ قدم دحية بن خليفة
الكلبي من الشام بالتجارة وكان اذا قدم لم يبق عاتق بالمدينة الا اتته وكان يقدم بكل
ما يحتاج اليه من دقيق وبر وزيت وغيره وينزل عند احجار الزيت وهو مكان في المدينة
ثم يضرب بالطبل ليؤذن الناس بقدومه فيخرج اليه الناس ليبتاعوا فقدم ذات جمعة
وذلك قبل ان يسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر يخطب فخرج اليه الناس ولم
يبق في المسجد الا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء
كم بقي في المسجد فقالوا اثنا عشر رجلا وامرأة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا هؤلاء
لسومت لهم الحجارة من السماء فانزل الله هذه الاية واراد باللهو الطبل وقيل كانت
العير اذا قدمت المدينة استقبلوها بالطبل والتصفيق وقوله تعالى انفضوا اليها
اي تفرقوا وذهبوا نحوها والضمير في اليها راجع الى التجارة لانها اهم اليهم وتركوك
قائما اتفقوا على ان هذا القيام كان في الخطبة للجمعة قال علقمة سئل ابن مسعود اكان
النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قائما او قاعدا فقال اما تقرأ وتركوك قائما قال
العلماء الخطبة فريضة في صلاة الجمعة وقال داود الظاهري هي مستحبة ويجب ان
يخطب الامام خطبتين يفصل بينهما بجلوس وقال ابو حنيفة واحمد لا يشترط
القيام ولا القعود وتشترط الطهارة في الخطبة عند الشافعي في احد القولين واقل
ما يقع عليه اسم الخطبة ان يحمد الله ويصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى
الله هذه الثلاث فرض في الخطبتين جميعا ويجب ان يقرأ في الاولى اية من القرآن
ويدعو للمؤمنين في الثانية فلو ترك واحدة من هذه الخمس لم تصح خطبته ولا جمعته

عند

عند الشافعي وذهب ابو حنيفة الى انه لو اتى بتسبيحة او تحميدة او تكبيرة اجزأه وهذا القدر لا يقع
عليه اسم الخطبة وهو مأمور بالخطبة والسنة للامام اذا صعد المنبر ان يستقبل الناس وان يسلم
عليهم خلافا لابي حنيفة ومالك وهل يحرم الكلام في حال الخطبة فيه خلاف بين العلماء والاصح
انه يحرم على المستمع دون الخاطب ويستحب ان يصلي تحية المسجد والامام يخطب خلافا لابي حنيفة
ومالك وذكر الاحاديث الواردة الدالة على هذه الاحكام ق عن ابن عمر قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم يخطب خطبتين يقعد بينهما وفي رواية اخرى كان يخطب يوم الجمعة قائما ثم يجلس ثم يقوم
فيتم كما تفعلون الآن م عن جابر بن سمرة قال كانت للنبي صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما
يقرأ القرآن ويذكر الناس زاد في رواية من حدثك انه كان يخطب جالسا فقد كذب م عن
كعب بن عجرة رضي الله عنه انه دخل المسجد وعبد الرحمن بن الحكم يخطب قاعدا فقال انظروا الى هذا
الخبيث يخطب قاعدا وقال الله تعالى واذا رأوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قائما م عن
جابر بن سمرة قال كنت اصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوات فكانت صلاته قصدا
وخطبته قصدا زاد ابو داود ويقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء اخرجه ابو داود والترمذي
ولابي داود عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو اجذم
عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره
ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل الله فلا هادي له
واشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يديه
الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله
شيئا وفي رواية ان يونس سأل ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة
فذكر نحوه وقال ومن يعصهما فقد غوى ونسأل الله ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله
ويتبع رضوانه ويجتنب سخطه انما نحن به وله اخرجه ابو داود م عن جابر بن عبد الله رضي
الله عنه قال كانت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه بما هو
اهله ثم يقول على اثر ذلك وقد علا صوته واشتد غضبه حتى كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم
بعثت انا والساعة كهاتين ويفرق بين اصبعيه السبابة والوسطى ويقول اما بعد فان
خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم
يقول انا اولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا او ضياعا فالي وعلي
عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك
اذا استوى على المنبر استقبلناه بوجوهنا اخرجه الترمذي ق عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت
عن نافع ان ابن عمر رأى رجلين يتحدثان والامام يخطب فحصبهما ان اصمتا اخرجه مالك
في الموطأ قال ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه يقطع الكلام فاما صفة
صلاة الجمعة فركعتان يجهر فيهما ولجواز الجمعة خمس شروط الوقت وهو وقت الصلاة
الظهر ما بين زوال الشمس الى دخول وقت العصر والعدد والامام والخطبة ودار الاقامة
فان فقد شرط من هذه الشرائط الخمس يجب ان يصلي ظهرا ولا يجوز للامام ان يبتدئ الخطبة
قبل تمام العدد وهو عدد اربعين عند الشافعي فلو اجتمعوا وخطب بهم ثم انفضوا قبل افتتاح
الصلاة او انفض واحد من العدد لا يجوز ان يصلي بهم الجمعة بل يصلي الظهر ولو افتتح
بهم الصلاة ثم انفضوا فاصح الاقوال عند الشافعي ان بقاء الاربعين شرط الى اخر الصلاة كما

كم

بالقراءة صح

ان بقاء الوقت شرط الى آخر الصلاة فلو انفض واحد قبل ان يسلم الامام يجب على الباقين
ان يتموها ظهرا وفيه قول آخر وهو ان بقي اثنان اتموها جمعة وقيل ان بقي معه واحد
اتموها جمعة وعند المزني اذا انفضوا وان ادرك اقل من ركعة اتموها اربعا خ عن انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس م عن عبد الله بن ابي رافع
قال استخلف مروان ابا هريرة على المدينة وخرج الى مكة فصلى بنا ابو هريرة الجمعة فقرأ
بعد الحمد سورة الجمعة في الاولى واذا جاءك المنافقون في الثانية قال فادركت ابا
هريرة حين انصرف فقلت له انك قرأت بسورتين كان علي بن ابي طالب يقرأ بهما في الكوفة
قال ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما م عن النعمان بن بشير قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل اتاك
حديث الغاشية قال واذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما في الصلاتين عن سمرة
ابن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل
اتاك حديث الغاشية اخرجه ابو داود والنسائي قوله تعالى قل ما عند الله خير من اللهو
ومن التجارة اي ما عند الله من الثواب والاجر على الصلاة والثبات مع النبي صلى الله عليه وسلم
خير من اللهو ومن التجارة التي جاء بها دحية والله خير الرازقين يعني الله تعالى موجد الارزاق
ومعطيها فمنه فاياه فاسألوه ومنه فاطلبوا والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة المنافقين

مدنية وهي احدى عشرة آية ومائة وثمانون كلمة وتسعمائة وستة وسبعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا جاءك المنافقون يعني عبد
الله بن ابي بن سلول واصحابه قالوا نشهد انك لرسول الله وتم الخبر عنهم ثم ابتدأ فقال تعالى
والله يعلم انك لرسوله اي هو الذي ارسلك فهو عالم بك والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
يعني في قولهم نشهد انك لرسول الله لانهم اضمروا خلاف ما اظهروا وذلك لان حقيقة الايمان
ان يواطئ اللسان القلب وكذلك الكلام فمن اخبر عن شيء واعتقد خلافه واخبر خلاف
ما اظهر فهو كاذب الا ترى انهم كانوا يقولون بالسنتهم نشهد انك لرسول الله وسماه كذبا
لان قولهم خالف اعتقادهم اتخذوا ايمانهم جنة اي سترا يستترون بها من القتل ومعنى
ايمانهم ما اخبر الله عنهم من حلفهم انهم لمنكم وقولهم نشهد انك لرسول الله فصدوا عن
سبيل الله اي اعرضوا بانفسهم عن طاعة الله وطاعة رسوله وقيل منعوا الناس عن الجهاد
وعن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم انهم ساء ما كانوا يعملون يعني حيث اثروا الكفر
على الايمان ذلك بانهم آمنوا اي في الظاهر وذلك اذا رأوا المؤمنين اقروا بالايمان
ثم كفروا اي في السر وذلك اذا خلوا مع المشركين وفيه تأكيد لقوله والله يشهد انهم لكاذبون
ولذلك اتبعه فطبع على قلوبهم اي بالكفر فهم لا يفقهون اي الايمان وقيل لا يتدبرون القرآن
واذا رأيتهم يعني المنافقين مثل عبد الله بن ابي تعجبك اجسامهم يعني ان لهم اجساما وان
يقولوا تسمع لقولهم اي فتحسب انه صدق قال ابن عباس كان عبد الله بن ابي بن سلول جسيما
فصيحا ذلق اللسان فاذا قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم قوله كأنهم خشب مسندة اي اشباح
بلا ارواح واجسام بلا احلام شبههم بالخشب المسندة الى جدار وليست باشجار مثمرة تنتفع
بما يحسبون كل صيحة عليهم يعني انهم لا يسمعون صوتا في العسكر بان نادى مناد او اذا
انفلتت دابة او انشدت ضالة الا ظنوا من جبنهم وسوء ظنهم انهم يرادون بذلك وظنوا انهم

قد اتوا لما في قلوبهم من الرعب وقيل لهم على وجل وخوف من ان ينزل الله فيهم امرا يهتك استارهم
ويبيح دماءهم ثم تم الكلام على قولهم ثم ابتدأ فقال تعالى هم العدو فاحذرهم يعني انهم وان كانوا
معك ويظهرون تصديقك اعداء لك فاحذرهم اي لا تأمنهم على سرك لانهم عيون لاعدائك من
الكفار ينقلون اليهم اسرارك قاتلهم الله اي لعنهم الله انى يؤفكون اي يصرفون عن الحق قوله
تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم اي امالوها واعرضوا بوجوههم رغبة
عن الاستغفار ورأيتهم يصدون اي يعرضون عما دعوا اليه وهم مستكبرون اي عن استغفار رسول
الله صلى الله عليه وسلم لهم سواء عليهم استغفرت لهم اي يا محمد ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان
الله لا يهدي القوم الفاسقين **ذكر القصة** في سبب نزول هذه الآية قال محمد بن اسحاق
وغيره من اصحاب السير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه ان بني المصطلق يجمعون لحربه
وقائدهم الحارث بن ابي ضرار وهو ابو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك خرج اليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل
فزاحف الناس واقتتلوا فهزم الله بني المصطلق وامكن منهم ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابناءهم ونساءهم واموالهم فافاءها عليه فبينما الناس على ذلك الماء اذ وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب
اجير له من بني غفار يقال له جهجاه بن سعيد الغفاري يقود له فرسه فازدحم جهجاه وسنان
ابن وبر الجهني حليف بني عوف بن الخزرج على الماء فاقتتلا فصرخ الجهني يا معشر الانصار وصرخ
الغفاري يا معشر المهاجرين واعان جهجاها رجل من المهاجرين يقال له جعال وكان فقيرا فقال
عبد الله بن ابي لجعال وانك لهناك فقال جعال وما يمنعني ان افعل ذلك فغضب عبد الله بن ابي
وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن ارقم وهو غلام حديث السن فقال عبد الله افعلوها قد
نافرونا وكاثرونا في بلادنا والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك
اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم اقبل على من حضر من قومه فقال هذا
ما فعلتم بانفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم اموالكم اما والله لو امسكتم عن جعال وذويه
فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولتحولوا الى غير بلادكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول
محمد فقال زيد بن ارقم انت والله الذليل القليل المبغض في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز
من الرحمن ومودة من المسلمين فقال عبد الله ابن ابي اسكت فانما كنت العب فمشى زيد بن ارقم الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بعد فراغه من الغزو فاخبره الخبر وعنده عمر بن الخطاب فقال
دعني اضرب عنقه يا رسول الله قال فكيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه ولكن اذن
بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها فارتحل الناس وارسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن ابي فاتاه فقال له انت صاحب هذا الكلام الذي بلغني
فقال عبد الله والذي انزل الكتاب عليك ما قلت شيئا من ذلك وان زيدا لكاذب وكان
عبد الله في قومه شريفا عظيما فقال من حضر من الانصار من الصحابة يا رسول الله عسى ان
يكون الغلام قد وهم في حديثه ولم يحفظ ما قال فعذره رسول الله صلى الله عليه وسلم وفشت
الملامة لزيد في الانصار وكذبوه وقال له عمه ما اردت الا ان كذبك رسول الله
صلى الله عليه وسلم والناس ومقتوك وكان زيد يساير النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيا
بعد ذلك ان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقيه اسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ثم قال يا رسول الله لقد رحت في
ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بلغك ما قال
صاحبكم عبد الله بن ابي فقال اسيد وما قال قال زعم انه ان رجع الى المدينة اخرج الاعز منها

الاذل فقال اسيد انت والله يا رسول الله تخرجه هو والله الذليل وانت العزيز ثم قال يا رسول
الله ارفق به فوالله لقد جاء الله بك وان قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فانه ليرى انك قد
سلبته ملكا وبلغ عبد الله بن ابي ما كان من ابيه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله انه بلغني انك تريد قتل ابي عبد الله بن ابي لما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرني
به فانا احمل اليك راسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل ابر بوالديه مني واني اخشى
ان تامر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي ان انظر الى قاتل ابي عبد الله بن ابي يمشي على الارض
فاقتله فاقتل مسلما بكافر فادخل النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ارفق به
ونحسن صحبته ما بقي معنا قالوا وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم يومهم ذلك حتى امسى
وليلتهم حتى اصبح وصدر يومهم حتى اذتهم الشمس فنزل بالناس فلم يكن الا ان وجدوا مس الارض
وقعوا نياما وانما فعل ذلك ليشغل الناس من حديث عبد الله بن ابي الذي كان منه بالامس ثم
راح بالناس حتى نزل على ماء بالحجاز فويق البقيع يقال له نقعا فهاجت ريح شديدة اذتهم وتخوفوها
وضلت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بالليل فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار توفي بالمدينة قيل من هو قال رفاعة
ابن زيد بن التابوت فقال رجل من المنافقين كيف يزعم انه يعلم الغيب ولا يعلم بمكان ناقته
فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه لا يخبره الذي ياتيه بالوحي فاتاه جبريل
عليه السلام فاخبره بقول المنافق وبمكان ناقته فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ما ازعم اني اعلم الغيب اعلمه ولكن الله اخبرني بقول المنافق وبمكان ناقتي هي في الشعب
قد تعلق زمامها بشجرة فخرجوا يسعون قبل الشعب فاذا هي كما قال فجاءوا بها فآمن ذلك
المنافق وحسن ايمانه فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت قد مات
في ذلك اليوم وكان من عظماء اليهود وكهفا للمنافقين فلما وافى رسول الله صلى الله عليه وسلم
المدينة قال زيد بن ارقم جلست في البيت لما بي من الهم والحياء فانزل الله عز وجل سورة المنافقين
في تصديق زيد بن ارقم وتكذيب عبد الله بن ابي فلما نزلت اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
باذن زيد وقال يا زيد ان الله صدقك ووفى باذنك (ق) عن زيد بن ارقم قال خرجنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في سفر اصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن ابي لا تنفقوا على من
عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
قال فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فارسل الى عبد الله بن ابي فساله
فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا كذب زيد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فوقع في نفسي
مما قالوه شدة حتى انزل الله تصديقي اذا جاءك المنافقون قال ثم دعاهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليستغفر لهم قال فلووا رؤوسهم وقوله كانهم خشب مسندة قال كانوا رجالا اجمل شيء
(ق) عن جابر قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى
كثروا وكان من المهاجرين رجل لعاب فكسع انصاريا فغضب الانصاري غضبا شديدا حتى تداعوا وقال
الانصاري يا للانصار وقال المهاجري يا للمهاجرين فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما بال دعوى الجاهلية ثم قال ما شانهم فاخبر بكسعة المهاجري الانصاري فقال
دعوها فانها خبيثة وقال عبد الله بن ابي بن سلول اقد تداعوا علينا لئن رجعنا الى المدينة
ليخرجن الاعز منها الاذل فقال عمر الا نقتل يا نبي الله هذا الخبيث لعبد الله فقال النبي صلى الله
عليه وسلم لا يتحدث الناس انه كان يقتل اصحابه ولمسلم رواية وفيها فقال لا باس
ولينصر الرجل اخاه ظالما كان او مظلوما ان كان ظالما فلينهه فانه له نصر وان كان مظلوما

فلينصره

فلينصره وزاد الترمذي فيه فقال له ابنه عبد الله بن عبد الله لا تنقلب حتى تقر انك الذليل
ورسول الله صلى الله عليه وسلم العزيز ففعل قال اصحاب السير وكان عبد الله بن ابي بقرب
المدينة فلما اراد ان يدخلها جاءه ابنه عبد الله حتى اناخ على مجامع طرق المدينة فلما جاءه عبد
الله بن ابي قال ابنه وراءك قال ما لك ويلك قال لا والله لا تدخلها ابدا الا باذن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولتعلم اليوم من الاعز من الاذل فشكى عبد الله بن ابي الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما صنع ابنه عبد الله فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خل عنه يدخل فقال عبد الله
اما اذا جاء امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنعم فدخل قالوا فلما نزلت هذه السورة وبان كذب
عبد الله بن ابي قيل يا ابا حباب انه قد نزل فيك اي شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يستغفر لك فلوى راسه وقال امرتموني ان اومن فآمنت وامرتموني ان
اعطي زكاة مالي فقد اعطيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد فانزل الله تعالى واذا قيل لهم تعالوا
يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم الاية وقوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول
الله حتى ينفضوا اي يتفرقوا عنه ولله خزائن السموات والارض اي بيده مفاتيح الرزق فلا يعطي
احد احدا شيئا الا باذن الله ولا يمنعه الا بمشيئة الله ولكن المنافقين لا يفقهون معنى اذا امره
اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
فرد الله عليهم بقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فعزة الله تعالى قهره وغلبته على من دونه
وعزة رسوله صلى الله عليه وسلم اظهار دينه على الاديان كلها وعزة المؤمنين نصر الله اياهم على
عدوهم واعدائهم ولكن المنافقين لا يعلمون اي ذلك ولو علموا ما قالوا هذه المقالة قال
اصحاب السير فلما نزلت هذه الايات في عبد الله بن ابي فلم يلبث الا اياما قلائل حتى اشتكى ومات
على نفاقه قوله عز وجل يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم اي لا تشغلكم اموالكم ولا اولادكم
عن ذكر الله يعني الصلوات الخمس والمعنى ان من شغله ماله وولده عن ذكر الله كما شغلت المنافقين
عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون اي ومن شغله ماله وولده عن ذكر الله فاولئك
هم الخاسرون اي في تجارتهم حيث آثروا الفاني على الباقي وانفقوا مما رزقناكم قال ابن عباس يريد
زكاة المال من قبل ان ياتي احدكم الموت اي دلائل الموت ومقدماته وعلاماته فيسال الرجعة
فيقول رب لولا اخرتني اي امهلتني وقيل لو اخرت اجلي الى اجل قريب فاصدق اي فازكي
مالي واكن وقرئ واكون من الصالحين اي المؤمنين وقيل هذه الاية نزلت في المنافقين
ويدل على هذا ان المؤمن لا يسال الرجعة وقيل الاية نزلت في المنافقين المؤمنين والمراد
بالصلاح هنا الحج قال ابن عباس ما من احد يموت وكان له مال ولم يؤد زكاته واطاق
الحج ولم يحج الا سال الرجعة عند الموت وقرا هذه الاية قال واكن من الصالحين اي احج وازكي
ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها يعني ان الله تعالى لا يؤخر من حضر اجله وانقضت مدته
والله خبير بما تعملون اي انهم لو ردوا الى الدنيا واجيبوا الى ما سالوا لما حجوا ولا زكوا وقيل هو
شائع لكل عامل عملا من خير او شر والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة التغابن

مدنية في قول الاكثرين وقيل هي مكية قيل الا ثلاث آيات من قوله يا ايها الذين آمنوا ان
من ازواجكم واولادكم الى آخر ثلاث آيات وهي ثمانية عشرة آية فالعدد مائتان واحدى واربعون
كلمة والف وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يسبح لله ما
في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد يعني انه تعالى متصرف في ملكه كيف شاء التصرف

اختصاص لا شريك له فيه وله الحمد معنى انه تعالى متصرف في ملكه كيف يشا لان اصول النعم كلها
منه وهو الذي يحمد على كل حال فلا محمود في جميع الاحوال الا هو وهو على كل شيء قدير يعني سبحانه
وتعالى يفعل ما يشا كما يشا بلا مانع ولا مدافع هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مومن قال ابن
عباس ان الله تعالى خلق بني آدم مومنا وكافرا ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مومنا وكافرا وعن
عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله خلق للجنة اهلا خلقهم لها وهم في
اصلاب ابايهم وخلق للنار اهلا خلقهم لها وهم في اصلاب ابايهم عن انس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال وكل الله بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة اي رب علقة اي رب
مضغة فاذا اراد ان يقضي الله خلقها قال يا رب اذكر ام انثى اشقي ام سعيد فما الرزق
فما الاجل فيكتب ذلك في بطن امه وقال جماعة في معنى الاية ان الله خلق الخلق ثم كفروا
وامنوا لان الله ذكر الخلق ثم وصفهم بفعلهم فقال فمنكم كافر ومنكم مومن ثم اختلفوا في تاويلها
فروي عن ابي سعيد الخدري انه قال فمنكم كافر حياته ومنكم مومن في العاقبة مومن في العاقبة
ومنكم مومن حياته كافر في العاقبة وقال عطا بن ابي رباح فمنكم كافر بالله
مومن بالكواكب ومنكم مومن بالله كافر بالكواكب فمنكم كافر اي بان الله خلقه
وهم الدهرية واصحاب الطبايع ومنكم مومن اي بان الله خلقه وجملة القول فيه بان
الله تعالى خلق الكافر وكفره فعلا له وكسبا وخلق المومن وايمانه فعلا وكسبا فلكل واحد
من الفريقين كسب واختيار فاختياره بتقدير الله ومشيته فالمومن بعد خلق الله اياه يختار
الايمان لان الله اراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله اياه يختار
الكفر لان الله تعالى قدر ذلك وعلمه منه طريق اهل السنة من سلك ذلك اصاب الحق
وسلم من مذهب الجبرية والقدرية والله بما تعملون بصير اي انه عالم بكفر الكافر وايمان المومن
خلق السموات والارض بالحق وصوركم فاحسن صوركم اي انه اتقن واحكم صوركم على وجه
لا يوجد مثله في الحسن والمنظر من حسن القامة والمناسبة في الاعضا وقد علم ان صورة الانسان
احسن صورة واكملها واليه المصير اي المرجع في القيامة يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما
تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور معناه انه لا يخفى عليه خافية فاستوى في
علمه الظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم قوله عز وجل الم ياتكم يخاطب كفار مكة نبا
الذين كفروا من قبل يعني خبر الامم الخالية فذاقوا وبال امرهم اي جزا اعمالهم
وهو ما لحقهم من العذاب في الدنيا ولهم عذاب اليم اي في الاخرة ذلك اي الذي نزل بهم
من العذاب بانه كانت تاتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا معناه انهم انكروا
ان يكون الرسول بشرا وذلك لقلة عقولهم وسخافة احلامهم ولم ينكروا ان يكون معبودهم
حجرا فكفروا اي جحدوا وانكروا وتولوا اي اعرضوا واستغنى الله اي عن ايمانهم وعبادتهم
والله غني اي عن خلقه حميد اي في افعاله ثم اخبر الله تعالى عن انكارهم البعث فقال تعالى
زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل اي قل لهم يا محمد بلى وربي لتبعثن اي يوم القيامة ثم
لتنبؤن اي لتخبرن بما عملتم وذلك على الله يسير اي في امر البعث والحساب يوم القيامة
فامنوا بالله ورسوله لما ذكر حال الامم الماضية المكذبة وما نزل بهم من العذاب قال لهم
فامنوا انتم بالله ورسوله لئلا ينزل بكم ما نزل بهم من العقوبة والنور الذي انزلنا
يعني القران سماه نورا لانه يهتدى به في الظلمات والضلال كما يهتدى بالنور في
الظلمة والله بما تعملون خبير يعني انه مطلع عليكم عالم باحوالكم جميعا فراقبوه
وخافوه قوله عز وجل يوم يجمعكم ليوم الجمع يعني يوم القيامة يجمع الله فيه

الاولين والاخرين واهل السموات والارضين ذلك يوم التغابن من الغبن وهو فوت الحظ والمراد
في المجازاة والتجارة وذلك اذا اخذ الشي بدون قيمته فقد غبن والمغبون من غبن اهله ومنازله
في الجنة وذلك لان كل كافر له اهل ومنزل في الجنة لو اسلم فيظهر يوميذ غبن الكافر بترك
الايمان ويظهر غبن كل مومن بتقصيره في الاحسان وقيل ان قوما في النار يعذبون وقوما
في الجنة يتنعمون فلا غبن اعظم من هذا وقيل المظلوم يغبن الظالم لان المظلوم مغبون في الدنيا
فصار في الاخرة غابنا للظالمة واصل الغبن في البيع والشرا وقد ذكره في حق الكافرين انهم خسروا
وغبنوا في شرايهم فقال تعالى اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة وقال في حق المومنين
هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم وقال ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم
فخسرت صفقة الكافرين وربحت صفقة المومنين ومن يومن بالله اي على ما جات به الرسل من الايمان
بالبعث والجنة والنار ويعمل صالحا اي في ايمانه الى ان يموت على ذلك يكفر عنه سيآته ويدخله
جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا اي بوحدانية الله
وقدرته وكذبوا باياتنا اي الدالة على البعث اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبيس المصير ما اصاب
من مصيبة الا باذن الله اي بقضا الله وقدرته وارادته ومن يومن بالله اي يصدق انه لا يصيبه
مصيبة من موت او مرض او ذهاب مال ونحو ذلك الا بقضا الله وقدره واذنه يهد قلبه اي يوفقه
لليقين حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه فيسلم لقضا الله وقدره وقيل
يهد قلبه للشكر عند الرخا والصبر عند البلا والله بكل شيء عليم واطيعوا الله اي فيما امر
واطيعوا الرسول اي فيما جا به عن الله وما امركم به وان توليتم عن اجابة الرسول فيما دعاكم
اليه فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو اي لا معبود ولا مقصود الا هو وعلى
الله فليتوكل المومنون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
فاحذروهم عن ابن عباس قال هولا رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا ان ياتوا النبي
صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم واولادهم ان يدعوهم ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم
فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم راوا الناس قد فقهوا في الدين هموا ان يعاقبوهم
فانزل الله تعالى يا ايها الذين ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم الاية اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح وعنه قالوا لهم صبرنا على اسلامكم فلا نصبر على
فراقكم فاطاعوهم وتركوا الهجرة فقال الله عز وجل فاحذروهم ان تطيعوهم وتدعوا
الهجرة وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا هذا فيمن اقام على الاهل والولد ولم يهاجر ولاي
الذين قد سبقوا بالهجرة قد فقهوا في الدين فهموا ان يعاقبوا زوجته وولده الذين ثبطوه ومنعوه
عن الهجرة لما لحقوا به ولم ينفق عليهم ولم يصيبهم بخير فامره الله بالعفو عنهم والصفح عنهم
وقال عطا بن يسار نزلت في عوف بن مالك الاشجعي وكان ذا اهل وولد فاذا اراد
ان يغزو بكوا عليه ورققوه وقالوا الى من تدعنا فيرق عليهم ويقيم فانزل الله تعالى
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم بحملهم اياكم على ترك طاعة الله فاحذروهم
اي ان تقبلوا منهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا اي فلا تعاقبوهم على خلافكم فان الله
غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة اي بلا واختبار وشغل عن الاخرة وقيل يقع الانسان
بسببهم في العظايم ومنع الحق وتناول الحرام وغصب مال الغير ونحو ذلك والله عنده اجر
عظيم يعني الجنة والمعنى لا تباشروا المعاصي بسبب الاولاد ولا توثروهم على ما عند الله من
الاجر العظيم قال بعضهم لما ذكر الله العداوة ادخل من للتبعيض فقال ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم لان كلهم ليسوا باعدا ولم تذكر من في قوله انما اموالكم واولادكم

فتنة لانهم لا يخلوا عن الفتنة واشتغال القلب بهم وكان عبد الله بن مسعود يقول لا
يقولن احدكم اللهم اني اعوذ بك من الفتنة فانه ليس احد منكم يرجع الى اهل ومال
وولد الا مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن عن ابي بريدة
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطبنا فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان احمران
يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه
ثم قال ويعثران فلم اصبر صدق الله العظيم انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى
هذين الصبيين يمشيان يعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما اخرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب قوله عز وجل فاتقوا الله ما استطعتم اي ما اطقتم وهذه الاية ناسخة
لقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته واسمعوا واطيعوا اي لله ولرسوله فيما يامركم به
وينهاكم عنه وانفقوا من اموالكم في حق الله تعالى خيرا لانفسكم اي ما انفقتم في
طاعة الله ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون تقدم تفسيره ان تقرضوا الله
قرضا حسنا القرض الحسن هو التصدق من الحلال مع طيبة نفس اي ان تنفقوا في طاعة
الله متقربين اليه بالانفاق يضاعفه لكم اي يجزكم بالضعف الى سبعمائة الى ما شا
من الزيادة ويغفر لكم والله شكور يعني يحب المتقربين حليم اي لا يعاجل بالعقوبة
مع كثرة ذنوبكم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الطلاق

مدنية وهي ثنتا عشرة اية ومائتان وتسع واربعون كلمة والف وستون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها النبي اذا طلقتم النسا
نادى النبي صلى الله عليه وسلم ثم خاطب امته لانه المقدم عليهم فاذا خوطب خطاب
الجمع كانت امته داخلة في ذلك الخطاب وقيل معناه يا ايها النبي قل لامتك فاضمر القول
اذا طلقتم النسا اي اذا اردتم تطليقهن فطلقوهن لعدتهن اي لزمان عدتهن وهو الطهر
لانها تعتد بذلك الطهر من عدتها وتحصل في العدة عقيب الطلاق فلا يطول عليها زمان
العدة وكان ابن عباس وابن عمر يقرآن هذه الاية فطلقوهن في قبل عدتهن وهذا في المدخول
بها لان غير المدخول بها لا عدة عليها نزلت هذه الاية في عبد الله بن عمر كان قد طلق
امراته في حال الحيض (ق) عن ابن عمر انه طلق امراته وهي حائض فذكر ذلك عمر لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال مره
فليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر فان بدا له ان يطلقها فليطلقها
قبل ان يمسها فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النسا زاد في رواية كان عبد
الله طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها عبد الله كما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي رواية لمسلم انه طلق امراته وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي صلى الله عليه وسلم
فقال مره فليراجعها ثم ليطلقها طاهرا او حاملا ولمسلم من حديث ابي الزبير انه سمع عبد
الرحمن بن ايمن مولى عروة يسال ابن عمر وابو الزبير يسمع كيف ترى في رجل طلق امراته حائضا
فقال طلق ابن عمر امراته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ليراجعها فردها وقال اذا طهرت فليطلق او ليمسك قال ابن عمر
وقرا النبي صلى الله عليه وسلم يا ايها النبي اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن اي في قبل عدتهن

فصل اعلم ان الطلاق في حال الحيض والنفاس بدعة وكذلك في الطهر الذي
جامعها فيه لقول النبي صلى الله عليه وسلم وان شا طلق قبل ان يمس والطلاق السني
ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه وهذا في حق امراة تلزمها العدة بالاقرا فاما اذا طلق غير

المدخول بها في حال الحيض او طلق الصغيرة التي لم تحض والايسة بعدما جامعها او طلق الحامل
بعدما جامعها او في حال رؤية الدم لا يكون بدعيا ولا سنة ولا بدعة في طلاق هؤلاء لان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ليطلقها طاهرا او حاملا والخلع في حال الحيض او في طهر جامعها فيه
لا يكون بدعيا لقول النبي صلى الله عليه وسلم اذن لثابت بن قيس في مخالعة زوجته من غير ان
يعرف حالها ولولا جوازه في جميع الاحوال لاشبه ان يتعدى الحال ولو طلق امراته في حال
الحيض او في طهر جامعها فيه قصدا عصى الله تعالى ووقع الطلاق لان النبي صلى الله عليه وسلم
امر ابن عمر بالمراجعة فلولا وقوع الطلاق لم يامره بالمراجعة واذا راجعها في حال الحيض يجوز ان يطلقها
في الطهر الذي يعقب تلك الحيضة قبل المسيس كما رواه ابن يونس بن جبير وانس وابن سيرين عن
ابن عمر ولم يقولوا ثم تحيض ثم تطهر وما رواه نافع عن ابن عمر ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم
تطهر فامر استحباب استحب تاخير الطلاق الى الطهر الثاني حتى لا تكون مراجعته اياها
للطلاق كما انه يكره النكاح للطلاق ولا بدعة في الجمع بين الطلقات الثلاث عند بعض
اهل العلم كما لو طلق امراته في حال الطهر ثلاثا لا يكون بدعيا وهو قول الشافعي واحمد وذهب
بعضهم الى انه بدعة وهو قول مالك واصحاب الراي قوله تعالى واحصوا العدة اي عدوا اقراءها
فاحفظوها قيل امر باحصا العدة لتفريق الطلاق على الاقرا اذا اراد ان يطلق ثلاثا وقيل
للعلم ببقاء زمن الرجعة ومراعاة امر النفقة والسكنى واتقوا الله ربكم اي واخشوا الله ولا
تعصوه فيما امركم به لا تخرجوهن من بيوتهن يعني اذا كان المسكن الذي طلقها فيه الزوج للزوج
بملك او كرا او كان عارية فارتجعت كان على الزوج ان يكتري لها منزلا غيره ولا يجوز للزوج
ان يخرج المراة من المسكن الذي طلقها فيه ولا يخرجن يعني ولا يجوز للمراة ان تخرج ما لم تنقضي
عدتها لحق الله تعالى فان خرجت لغير ضرورة اثمت فان وقعت ضرورة بان خافت هدما
او غرقا جاز لها ان تخرج الى منزل اخر وكذلك اذا كان لها حاجة ضرورية من بيع غزل او شرا
قطن جاز لها الخروج نهارا ولا يجوز ليلا يدل على ذلك ان رجالا استشهدوا باحد فقالت
نساؤهم نستوحش في بيوتنا فاذن لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتحدثن عند احداهن
فاذا كان وقت النوم تاوي كل امراة الى بيتها واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالة
جابر طلقها زوجها ان تخرج لجداد نخلها فاذا لزمتها العدة في السفر تعتد ذاهبة وراجعة
والبدوية تتنوا حيث ينتوا اهلها في العدة لان الانتقال في حقهم كالاقامة في حق المقيم
وقوله تعالى الا ان ياتين بفاحشة مبينة قال ابن عباس الفاحشة المبينة ان تبدو على
اهل زوجها فيحل اخراجها لسوء خلقها وقيل اراد بالفاحشة ان تزني فتخرج لاقامة الحد
عليها ثم ترد الى منزلها يروى ذلك عن ابن مسعود وقيل معناه الا ان يطلقها على نشوزها
فلها ان تتحول من بيت زوجها والفاحشة النشوز وقيل خروجها قبل انقضا عدتها فاحشة
وتلك حدود الله يعني ما ذكر من سنة الطلاق وما بعده من الاحكام ومن يتعد حدود الله
اي فيطلق بغير السنة او تجاوز هذه الاحكام فقد ظلم نفسه اي ضر نفسه لا تدري لعل الله
يحدث بعد ذلك امرا اي يوقع في قلب الزوج مراجعتها بعد الطلقة والطلقتين وهذا
يدل على ان المستحب ان تفرق الطلقات ولا يوقع الثلاث دفعة واحدة حتى اذا ندم
امكنه المراجعة عن محارب بن دثار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما احل الله شيا
ابغض اليه من الطلاق اخرجه ابو داود مرسلا وله في رواية عنه عن ابن عمر عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ابغض الحلال الى الله الطلاق عن ثوبان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ايما امراة سالت زوجها الطلاق من ما باس به فحرام عليها رائحة الجنة اخرجه ابو داود

والترمذي قوله عز وجل فاذا بلغن اجلهن اي اذا قربن من انقضاء عدتهن فامسكوهن اي راجعوهن
بمعروف او فارقوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فتبين منكم واشهدوا ذوي عدل
منكم اي على الرجعة والفراق امر بالاشهاد على الرجعة وعلى الطلاق وعن عمران بن حصين
انه سئل عن رجل يطلق امرأته ثم يقع عليها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت
لغير سنة وراجعت لغير سنة اشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد اخرجه ابو داود وهذا
الاشهاد مندوب اليه عند ابي حنيفة كما في قوله واشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب
في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وفائدة هذا الاشهاد ان لا يقع بينهما التجاحد وان لا يتهم
في امساكها ولئلا يموت احد الزوجين فيدعي الاخر ثبوت الزوجية ليرث وقيل امر بالاشهاد
للاحتياط مخافة ان تنكر الزوجة الرجعة فتنقضي العدة وتنكح زوجا اخر واقيموا الشهادة
يعني ايها الشهود لله اي طلبا لمرضات الله وقياما بوصيته والمعنى اشهدوا بالحق وادوها على
الصحة ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الاخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا
قيل معناه ومن يتق الله فيطلق للسنة يجعل له مخرجا الى الرجعة وقال اكثر المفسرين نزلت
في عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى مالكا فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله اسر العدو ابني وشكى اليه ايضا الفاقة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اتق الله واصبر
واكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل الرجل ذلك فبينما هو في بيته اذ اتاه ابنه
وقد غفل عنه العدو فاصاب منهم ابلا وجاء بها الى ابيه وعن ابن عباس قال غفل عنه العدو
فاستاق غنمهم فجاء بها الى ابيه وهي اربعة الاف شاة فنزلت ومن يتق الله يجعل له
مخرجا اي في ابنه ويرزقه من حيث لا يحتسب يعني ما ساق من الغنم وقيل اصاب غنما
ومتاعا ثم رجع الى ابيه فانطلق ابوه الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر وسأله
ايحل له ان يأكل ما اتى به ابنه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم نعم ونزلت الاية وقال ابن
مسعود ومن يتق الله يجعل له مخرجا من كل شيء هو ان يعلم انه من قبل الله وان الله
رازقه وقال الربيع بن خثيم يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس وقيل مخرجا من
كل شدة وقيل مخرجا عما نهاه الله عنه ومن يتوكل على الله فهو حسبه يعني من يثق بالله
فيما نابه كفاه الله ما اهمه وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو انكم تتوكلون على
الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ان الله بالغ
امره اي منفذ امره وممض في خلقه ما قضاه قد جعل الله لكل شيء قدرا اي جعل لكل شيء
من شدة او رخاء اجلا ينتهي اليه وقال مسروق في هذه الاية ان بالغ امره توكل عليه ام لم
غير ان المتوكل يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا قوله عز وجل واللائي يئسن من المحيض من
نسائكم قيل لما نزلت والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن النعمان
ابن قيس الانصاري يا رسول الله فما عدة من لا تحيض واللاتي لم تحض وعدة الحبلى فانزل الله
عز وجل واللائي يئسن من المحيض من نسائكم يعني القواعد اللاتي قعدن عن المحيض فلا يرجون
ان يحضن وهن العجائز الايسات من الحيض ان ارتبتم شككتم في حكمهن فلم تدروا ما عدتهن
فعدتهن ثلاثة اشهر واللائي لم يحضن يعني الصغائر اللاتي لم يحضن بعد فعدتهن ايضا
ثلاثة اشهر اما الشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها قبل بلوغ سن الايسات
فذهب اكثر اهل العلم الى ان عدتها لا تنقضي حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة اقراء
او تبلغ سن الاياس فتعتد بثلاثة اشهر وهذا قول عثمان وزيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود
وبه قال عطاء واليه ذهب الشافعي واصحاب الرأي وحكي عن عمر انها تتربص تسعة
اشهر فان لم تحض فتعتد بثلاثة اشهر وهو قول مالك وقال الحسن تتربص سنة اشهر

وهذا

وهذا كله في عدة الطلاق واما المتوفى عنها زوجها فعدتها اربعة اشهر وعشر سواء
كانت ممن تحيض او لا تحيض واما الحامل فعدتها بوضع الحمل سواء طلقها زوجها او مات
عنها وقوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وعن سبيعة الاسلمية
انها كانت تحت سعد بن خولة وهو من بني عامر بن لؤي وكان ممن شهد بدرا فتوفي عنها
في حجة الوداع وهي حامل فلم تنشب ان وضعت حملها بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها
تجملت للخطاب فدخل عليها ابو السنابل بن بعكك رجل من بني عبد الدار فقال لها ما لي اراك
تجملت للخطاب ترجين النكاح وانك والله ما انت بناكح حتى يمر عليك اربعة اشهر وعشرا
قالت سبيعة فلما قال لي ذلك جمعت علي ثيابي حين امسيت واتيت رسول الله صلى الله عليه
وسلم فسألته عن ذلك فافتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي وامرني
بالتزوج ان بدا لي لفظ البخاري ومسلم نحوه وزاد فقال ابن شهاب ولا ارى بأسا ان تتزوج
حين وضعت وان كانت في دمها غير انه لا يقربها الزوج حتى تطهر ومن يتق الله يجعل له من
امره يسرا اي يسهل عليه امر الدنيا والاخرة ذلك اي الذي ذكر من الاحكام امر الله انزله
اليكم لتعملوا به ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا قوله تعالى اسكنوهن
يعني مطلقات نسائكم من حيث سكنتم من وجدكم اي من سعتكم وطاقتكم فان موسرا يوسع
عليها في المسكن والنفقة وان كان فقيرا فعلى قدر الطاقة ولا تضاروهن اي لا تؤذوهن
لتضيقوا عليهن يعني مساكنهن فيخرجن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن
حملهن اي فيخرجن من عدتهن فصل في حكم الاية اعلم ان المعتدة الرجعية تستحق على
الزوج النفقة والسكنى ما دامت في العدة ونعني بالسكنى مؤنة السكنى فان كانت الدار
التي طلقها فيها الزوج ملك الزوج يجب عليه ان يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وان
كانت باجارة فعلى الزوج الاجرة وان كانت عارية فرجع المعير فعليه ان يكتري لها دارا تسكنها
واما المعتدة البائنة بالخلع وبالطلاق الثلاث وباللعان فلها السكنى حاملا كانت
او غير حامل عند اكثر اهل العلم وروي عن ابن عباس انه قال لا سكنى لها الا ان تكون
حاملا وعن الحسن والشعبي واختلفوا في نفقتها فذهب قوم الى انه لا نفقة لها الا ان تكون
حاملا يروى ذلك عن ابن عباس والحسن والشعبي وبه قال الشافعي واحمد ومنهم من اوجبها
بكل حال يروى عن ابن مسعود وهو قول ابراهيم النخعي وبه قال الثوري واصحاب الرأي وظاهر
القران يدل على انها لا تستحق الا ان تكون حاملا كقوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا
عليهن واما الدليل على ذلك من السنة ما روي عن فاطمة بنت قيس ان ابا عمرو بن حفص طلقها
البتة وهو غائب فارسل اليها وكيله بشعير فسخطته فقال والله ما لك علينا من شيء فجاءت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ليس لك عليه نفقة فامرها ان تعتد
في بيت ام شريك ثم قال تلك امرأة يغشاها اصحابي اعتدي عند ابن ام مكتوم فانه رجل اعمى تضعين
ثيابك فاذا حللت فآذنيني قالت فلما حللت ذكرت له ان معاوية بن ابي سفيان وابا جهم
خطباني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه
واما معاوية فصعلوك لا مال له انكحي اسامة بن زيد فكرهته ثم قال انكحي اسامة فنكحته
فجعل الله فيه خيرا واغتبطت اخرجه مسلم واحتج بهذا الحديث من لم يجعل لها سكنى وقال
ان النبي صلى الله عليه وسلم امرها ان تعتد في بيت عمرو بن ام مكتوم ولا حجة له فيه وروي
عن عائشة رضي الله عنها انها قالت كانت فاطمة في مكان وحش فخيف على ناحيتها وقال سعيد
ابن المسيب انما نقلت فاطمة لطول لسانها على احمائها وكان في لسانها ذرابة واما المعتدة

من وطي بشبهة والمفسوخة نكاحها بعيب او خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وان كانت حاملا
واما المعتدة عن وفاة الزوج فلا نفقة لها عند اكثر اهل العلم وروي عن علي ان لها النفقة
ان كانت حاملا من التركة وهو قول شريح والشعبي والنخعي والثوري واختلفوا في سكناها
وللشافعي فيه قولان احدهما انه لا سكنى لها بل تعتد حيث شاءت وهو قول علي وابن عباس
وعائشة وبه قال عطاء والحسن وهو قول ابي حنيفة والثاني ان لها السكنى وهو قول عمر
وعثمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وبه قال مالك والثوري واحمد واسحاق واحتج
من اوجب لها السكنى بما روي عن الفريعة بنت مالك بن سنان وهي اخت ابي سعيد الخدري انها
جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله ان ترجع الى اهلها في بني خدرة فان زوجها خرج
في طلب اعبد له ابقوا حتى اذا كانوا بطرف القدوم لحقهم فقتلوه فسألت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلي في بني خدرة فان زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة
قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة ناداني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فنوديت قال كيف قلت فرددت عليه القصة التي ذكرت
له من شأن زوجي فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت فيه اربعة
اشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان ارسل الي فسألني عن ذلك فاخبرته فاتبعه وقضى به اخرجه ابو
داود والترمذي فمن قال بهذا القول اذن لفريعة اولا بالرجوع ثم صار منسوخا بقوله آخرا
امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله ومن لم يوجب السكنى قال امرها بالمكث
في بيتها آخرا استحبابا لا وجوبا قوله عز وجل فان ارضعن لكم يعني اولادكم فآتوهن
اجورهن يعني على ارضاعهن فيه دليل على ان اللبن وان كان قد خلق لمكان الولد فهو ملك للام
والا لم يكن لها ان تأخذ عليه اجرا وفيه على ان حق الرضاع والنفقة على الازواج في حق الاولاد
وأتمروا بينكم بمعروف اي ليقبل بعضكم من بعض اذا امره بالمعروف وقيل بتراضي الاب والام
على اجر مسمى والخطاب للزوجين جميعا يامرهم ان يأتوا بالمعروف وبما هو الاحسن ولا يقصد
الضرار وقيل المعروف هاهنا ان لا يقصر الرجل في حق المرأة ونفقتها ولا المرأة في حق الولد
ورضاعه وان تعاسرتم اي في حق الولد واجرة الرضاع فأبى الزوج ان يعطي المرأة رضاعها
وابت الام ان ترضعه فليس له اكراهها على ارضاعه بل يستأجر للصبي مرضعا غير امه وذلك
قوله تعالى فسترضع له اخرى لينفق ذو سعة من سعته اي قدر غناه ومن قدر عليه رزقه
اي ضيق عليه رزقه فكان بمقدار القوت فلينفق مما آتاه الله اي على قدر ما آتاه الله من
المال لا يكلف الله نفسا اي في النفقة الا ما آتاها اي من المال والمعنى لا يكلف الفقير مثل
ما يكلف الغني في النفقة سيجعل الله بعد عسر يسرا اي بعد ضيق وشدة غنى وسعة قوله
وكأين من قرية عتت اي عصت وطغت والمراد اهل القرية عن امر ربها ورسله اي وامر رسله
فحاسبناها حسابا شديدا اي بالمناقشة والاستقصاء وقيل حاسبها بعملها بالكفر فجازاها
النار وهو قوله وعذبناها عذابا نكرا اي منكرا فظيعا وقيل في الآية تقديم وتأخير مجازها
فعذبناها في الدنيا بالجوع والقحط والسيف وسائر انواع البلاء وحاسبناها في الآخرة حسابا
شديدا فذاقت وبال امرها اي شدة امرها وجزاء كفرها وكان عاقبة امرها خسرا اي خسرانا
في الدنيا والآخرة اعد الله لهم عذابا شديدا يخوف كفار مكة ان ينزل بهم ما نزل بالامم
الماضية فاتقوا الله يا اولي الالباب اي يا ذوي العقول ثم نعتهم فقال الذين آمنوا قد
انزل الله اليكم ذكرا يعني القرآن رسولا اي وارسل اليكم رسولا يتلوا عليكم آيات الله
مبينات قرئ مبينات بالخفض اي تبين الحلال من الحرام والامر والنهي وقرئ بالنصب ومعناه
انها واضحات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور اي من ظلمة

الكفر

الكفر الى نور الايمان ومن ظلمة الجهل الى نور العلم ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا قد احسن الله له رزقا يعني الجنة لا ينقطع نعيمها
وقيل رزقه الله طاعة في الدنيا وثوابا في الآخرة الله الذي خلق سبع سموات يعني بعضها
فوق بعض ومن الارض مثلهن اي في العدد يتنزل الامر بينهن اي الوحي الذي خلقه من السماء
العليا الى الارض السفلى وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره ينزل المطر ويخرج النبات ويأتي
بالليل والنهار وبالصيف والشتاء ويخلق الحيوان على اختلاف هيئاته وينقله من حال الى حال
فيحكم بحياة بعض وموت بعض وسلامة هذا وهلاك هذا وقيل في كل سماء من سمائه وارض من
ارضه خلق من خلقه وامر من امره وقضاء من قضائه لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله
قد احاط بكل شيء علما يعني انه سبحانه وتعالى عالم بكل شيء لا يخفى عليه خافية وانه قادر على
الانشاء بعد الافناء وكل الكائنات جارية تحت قدرته داخلة في علمه والله اعلم بمراده واسرار كتابه
[illegible]
[illegible]
[illegible]
مدنية وهي ثنتا عشرة آية ومائتان وسبع واربعون كلمة والف وستون حرفا بسم
الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبتغي مرضات ازواجك
والله غفور رحيم ذكر سبب نزولها ق عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يحب العسل والحلوى وكان اذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو
من احداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فعرفت فسألت
عن ذلك فقيل لي اهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت النبي صلى الله عليه وسلم منه شربة
فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك فانه سيدنو منك
فقولي له يا رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لا فقولي له ما هذه الريح التي اجد وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتني
حفصة شربة عسل فقولي له جرست نحله العرفط وسأقول ذلك وقوليه انت يا صفية فلما
فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والله الذي لا اله الا هو لقد كدت اباديه بالذي قلت
لي وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا قالت له سودة يا رسول الله اكلت مغافير قال لا قالت
فما هذه الريح التي اجد منك قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما
دخل علي قلت له مثل ذلك ودخل على صفية فقالت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت
يا رسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة لي فيه قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه
قالت لها اسكتي ق عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش
فيشرب عندها عسلا قالت فتواطيت انا وحفصة ان ايتنا دخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم
فلتقل اني اجد منك ريح مغافير اكلت مغافير فدخل على احداهما فقالت ذلك له فقال بل
شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن اعود له فنزل يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الى
قوله ان تتوبا الى الله لعائشة وحفصة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا لقوله بل شربت
عسلا ولن اعود له وقد حلفت فلا تخبري بذلك احدا زاد في رواية تبتغي مرضات ازواجك
شرح الفاظ الحديث وما يتعلق بها قولها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوى
والعسل الحلوى بالمد وهو كل شيء حلو وذكر العسل بعدها وان كان داخلا في جملة الحلوى تنبيها
على شرفه ومزيته وهو من باب الخاص بعد العام قولها في الحديث الثاني فتواطيت انا
وحفصة هكذا وقع في الروايات واصله فتواطأت بالهمز اي اتفقت انا وحفصة قولها

اني لاجد منك ريح مغافير هو بغين معجمة وبا بعدها را وهو صمغ حلو كالناطف وله
رائحة كريهة ينضحه شجر يقال له العرفط بضم العين المهملة والفا يكون بالحجاز وقيل
العرفط نبات له ورق عريض يفترش على الارض له شوكة وثمر بنت خبيث الرائحة
وقال اهل اللغة العرفط من شجر العضاه وهو كل شجر له شوك وقيل له رائحة كرائحة
النبيذ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره ان يوجد منه رائحة كريهة قولها جرست
نحلة العرفط هو بالجيم والراء والسين المهملتين ومعناه اكلت نحلة العرفط فصار منه
العسل قولها في الحديث الثاني فقال شربت عسلا عند زينب بنت جحش وفي الحديث الاول
ان الشرب كان عند حفصة بنت عمر بن الخطاب وان عايشة وسودا وصفية هن اللواتي
تظاهرن عليه قال القاضي عياض في الصحيح الاول قال النسائي اسناد حديث حجاج ومحمد
عن ابن جريج صحيح جيد غاية وقال الاصيل حديث حجاج يوقته قوله تعالى وان تظاهرا عليه
ثنتان لا ثلاثة وانهما عايشة وحفصة كما اعترف به عمر في حديث ابن عباس وسيأتي الحديث
قال وقد انقلبت الاسما على الراوي في الرواية الاخرى يعني الحديث الاول الذي فيه ان الشرب
كان عند حفصة قال القاضي عياض والصواب ان الشرب كان عند زينب بنت جحش
ذكره محيي الدين النواوي في شرح مسلم وكذا ذكره القرطبي ايضا وقال المفسرون في سبب
نزولها ان حفصة استاذنت النبي صلى الله عليه وسلم في زيارة ابيها فاذن لها فلما
خرجت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جاريته مارية القبطية فادخلها بيت حفصة
وخلا بها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقا فجلست عند الباب فخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم ووجهه يقطر عرقا وحفصة تبكي فقال لها ما يبكيك قالت انما اذنت
لي من اجل هذا ادخلت امتك بيتي ووقعت عليها في يومي وعلى فراشي اما رايت لي حرمة
وحقا ما كنت تصنع هذا بامراة منهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليس هي جاريتي
قد احلها الله لي اسكتي فهي علي حرام التمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امراة منهن
فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عايشة فقالت
الا ابشرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم عليه امته مارية وقد اراحنا الله منها
فاخبرت عايشة بما رأت وكانتا متصافيتين متظاهرتين على سائر ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم فغضبت عايشة فلم تزل بنبي الله صلى الله عليه وسلم حتى حلف ان لا يقربها عن
انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له امة يطاها فلم تزل به عايشة وحفصة
حتى حرمها على نفسه فانزل الله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الى اخر الاية اخرجه النسائي قال
العلما الصحيح في سبب نزول الاية انها في قصة العسل لا في قصة مارية المروي في
غير الصحيحين ولم تات قصة مارية من طريق صحيح قال النسائي حديث عايشة في العسل
جيد صحيح غاية واما التفسير فقوله يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك اي من العسل
او ملك اليمين على اختلاف الرواية فيه وهذا التحريم تحريم امتناع عن الانتفاع بها او بالعسل
لا تحريم اعتقاد بكونه حراما بعد ما احله الله فالنبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن الانتفاع
بذلك مع اعتقاده ان ذلك حلال تبتغي مرضات ازواجك اي تطلب رضاهن بترك
ما احل الله لك والله غفور رحيم اي غفر لك التحريم **قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم**
اي بين واوجب الله لكم تحليل ايمانكم بالكفارة وهو ما ذكره في سورة المائدة
فامره الله ان يكفر عن يمينه ويراجع امته فاعتق رقبة **والله مولاكم** اي وليكم وناصركم
وهو العليم اي بخلقه **الحكيم** اي فيما فرض من حكمه **فصل** اختلف العلما في لفظ التحريم

النزول ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فلما كان يوم ع

فقيل

فقيل ليس هو بيمين فان قال لزوجته انت علي حرام او قال حرمتك فان نوى طلاقا فهو طلاق وان
ظهارا فظهار وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة اليمين بنفس اللفظ وان قال ذلك
لجاريته فان نوى عتقها عتقت وان نوى تحريم ذاتها او اطلق فعليه كفارة اليمين وان قال
ذلك لطعام حرمته على نفسي فلا شيء عليه وهذا قول ابي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة والتابعين
واليه ذهب الشافعي وان لم ينو شيئا فعليه نعيه قولان للشافعي اصحهما انه يلزمه كفارة يمين
والثاني لا شيء عليه وانه لغو لا يترتب عليه شيء من الاحكام وذهب جماعة الى انه يمين فان قال
ذلك لزوجته او جاريته فلا تجب عليه الكفارة ما لم يقربها كما لو حلف انه لا يطاها وان حرم
طعاما فهو كما لو حلف ان لا ياكله فلا كفارة عليه ما لم ياكله واليه ذهب ابو حنيفة واصحابه
ق عن ابن عباس قال اذا حرم الرجل امراته فهي يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة وفي رواية اذا حرم امراته ليس بشيء وقال لقد كان لكم في رسول الله
اسوة حسنة لفظ الحميدي قوله عز وجل **واذا اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا** يعني ما اسر
الى حفصة من تحريم مارية على نفسه واستكتمها بذلك وهو قوله لا تخبري بذلك احدا
وقال ابن عباس اسر امر الخلافة بعده فحدثت به حفصة قال الكلبي اسر اليها ان اباك وابا
عايشة يكونان خليفتين على امتي من بعدي وقيل لما راى الغيرة في وجه حفصة اراد ان يترضاها
فاسر اليها بشيئين بتحريم مارية على نفسه وان الخلافة بعده في ابي بكر وابيها عمر **فلما نبات
به** اي اخبرت بذلك حفصة عايشة **واظهره الله عليه** اي اطلع نبيه صلى الله عليه وسلم
على قول حفصة لعايشة عرف **بعضه** قرئ بتخفيف الرا اي عرف بعض الذي فعلته حفصة
فغضب من افشاء سره وجازاها عليه بان طلقها فلما بلغ عمر ذلك قال لها لو كان في آل الخطاب
خيرا ما طلقك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء عليه السلام امره بمراجعتها وقيل لم يطلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة وانما هم بطلاقها فاتاه جبريل فقال لا تطلقها
فانها صوامة قوامة وانها من نسائك في الجنة وقرئ بالتشديد ومعناه عرف حفصة بعض
ذكر الحديث واخبرها ببعض ما كان منها **واعرض عن بعض** اي لم يعرفها اياه ولم يخبرها به قال الحسن
ما استقصى كريم قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن ذكر الخلافة لانه صلى الله عليه
وسلم بعض والمعنى ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر حفصة ببعض ما اخبرت به عايشة
وهو تحريم الامة واعرض عن ذكر الخلافة لانه صلى الله عليه وسلم كره ان ينتشر ذلك في الناس
فلما نباها به اي اخبر حفصة بما اظهره الله عليه قالت يعني حفصة **من انباك هذا** اي من
اخبرك باني افشيت السر **قال نباني العليم** اي بما تكتمه الضماير **الخبير** بخفيات الامور قوله عز وجل
ان تتوبا الى الله يخاطب عايشة وحفصة اي في التعاون على رسول الله صلى الله عليه وسلم
والايذاء له **فقد صغت قلوبكما** اي زاغت ومالت عن الحق واستوجبتما ان تتوبا وذلك بان
سرهما ما كره رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اجتناب مارية **ق** عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال لم ازل حريصا على ان اسال عمر بن الخطاب عن المراتين من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
اللتين قال الله عز وجل فيهما ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما حتى حج عمر وحججت معه
فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم اتاني فسكبت على يديه فتوضا
فقلت يا امير المؤمنين من المراتان من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله ان تتوبا
الى الله فقد صغت قلوبكما فقال عمر واعجبا لك يا ابن العباس قال الزهري كره والله ما سأله عنه
ولم يكتمه قال هما عايشة وحفصة ثم اخذ يسوق الحديث قال كنا معشر قريش قوما نغلب
النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال وكان

منزلهم في بني أمية بن زيد بالعوالي فغضبت يومًا على امرأتي فإذا هي تراجعني فأنكرت أن
تراجعني فقالت ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه
وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت أتراجعين رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم فقلت أتهجره إحداكن اليوم إلى الليل قالت نعم قلت
قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله
الله صلى الله عليه وسلم فإذا هي قد هلكت لا تراجعي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا تسأليه شيئًا وسليني ما بدا لك ولا يغرنك أن كانت جارتك أوسم وأحب إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم منك يريد عائشة وكان لي جار من الأنصار فكنا نتناوب النزول إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فينزل يومًا وأنزل يومًا فيأتيني بخبر الوحي وغيره وآتيه بمثل ذلك وكنا
نتحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي الأنصاري يوم نوبته ثم أتاني عشاء
فضرب بابي ثم ناداني فخرجت إليه فقال حدث أمر عظيم قلت ماذا أجاءت غسان
فقال لا بل أعظم من ذلك وأهول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه قلت قد
خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون حتى إذا صليت الصبح شددت
على ثيابي ثم نزلت فدخلت على حفصة وهي تبكي فقلت أطلقكن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قالت لا أدري ما هو ذا معتزل في هذه المشربة فأتيت غلامًا له أسود فقلت
استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلي فقال قد ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المنبر
فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم فجلست قليلًا ثم غلبني ما أجد فأتيت الغلام فقلت
استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلي فقال قد ذكرتك له فصمت فجلست إلى المنبر ثم غلبني ما أجد
فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج فقال قد ذكرتك له فصمت فوليت مدبرًا
فإذا الغلام يدعوني فقال ادخل فقد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فإذا هو متكئ على رمال حصير قد أثر في جنبه فقلت أطلقت يا رسول الله نساءك فرفع
رأسه إلي فقال لا فقلت الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما
قدمنا المدينة وجدنا قومًا تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امرأتي
يومًا فإذا هي تراجعني فأنكرت أن تراجعني فقالت ما تنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل فقلت قد خاب
من فعل ذلك منهن وخسر أفتأمن إحداهن أن يغضب الله لغضب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فإذا هي قد هلكت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قد
دخلت على حفصة فقلت لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم وأحب إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم منك فتبسم أخرى فقلت أستأنس يا رسول الله قال نعم فجلست فرفعت
رأسي في البيت فوالله ما رأيت شيئًا يرد البصر إلا أهبة ثلاثة فقلت يا رسول الله ادع
الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسًا
ثم قال أفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا فقلت
استغفر لي يا رسول الله وكان قد أقسم لا يدخل عليهن شهرًا من أجل ذلك الحديث
حين أفشته حفصة إلى عائشة من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله تعالى قال
الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت لما مضت تسع وعشرون دخل علي رسول الله
صلى الله عليه وسلم بدأ بي فقلت يا رسول الله إنك أقسمت لا تدخل علينا شهرًا وإنك
دخلت من تسع وعشرين يومًا أعدهن فقال إن الشهر تسع وعشرون

زاد

زاد في رواية وكان ذلك الشهر تسعًا وعشرين ليلة ثم قال يا عائشة إني ذاكر لك أمرًا فلا عليك
أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك ثم قرأ يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا
وزينتها حتى بلغ إلى قوله أجرًا عظيمًا قالت عائشة قد علم رسول الله أن أبوي لم يكونا يأمراني
بفراقه فقلت أفي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة زاد في رواية
أن عائشة قالت لا تخبر نساءك أني اخترتك فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم إن الله أرسلني
مبلغًا ولم يرسلني متعنتًا ولمسلم عن ابن عباس عن عمر نحوه وفيه قال دخلت عليه فقلت يا رسول الله
ما يشق عليك من شأن النساء فإن كنت طلقتهن فإن الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل
وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت وأحمد الله بكلام إلا رجوت أن يصدق الله قولي
الذي أقول ونزلت هذه الآية عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن وإن تظاهرا
عليه فإن الله مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير وفيه أنه استأذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخبر الناس أنه لم يطلق نساءه فأذن له وأنه قام على باب المسجد فنادى
بأعلى صوته لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه شرح بعض قوله فعدلت معه بالإداوة
أي ملت معه بالركوة فتبرز أي أتى البراز وهو الفضاء من الأرض لقضاء الحاجة والعوالي جمع عالية
وهي أماكن بأعلى أرض المدينة قوله ولا يغرنك أن كانت جارتك يريد الضرة وهي عائشة أوسم
منك أي أكثر حسنًا وجمالًا قوله فكنا نتناوب النزول التناوب هو أن يفعله الإنسان مرة
ويفعله الآخر بعده المشربة بضم الراء وفتحها الغرفة قوله فإذا هو متكئ على رمال حصير يقال
رملت الحصير إذا ظفرته ونسجته والمراد به أنه لم يكن على سرير وطاء سوى الحصير قوله ما رأيت
فيه ما يرد البصر إلا أهبة ثلاثة الأهبة والأهب جمع إهاب وهو الجلد قوله من شدة
موجدته الموجدة الغضب قوله تعالى وإن تظاهرا عليه أي تتعاونا على إيذاء النبي صلى الله عليه
وسلم فإن الله هو مولاه أي وليه وناصره وجبريل أي وجبريل وليه وناصره أيضًا وإنما
أفرده وإن كان داخلًا في جملة الملائكة تعظيمًا له وتنبيهًا على علو منزلته ومكانته وصالح المؤمنين
روي عن ابن مسعود وأبي بن كعب صالح المؤمنين أبو بكر وعمر وقيل هم المخلصون من المؤمنين الذين
ليسوا بمنافقين وقيل هم الأنبياء والملائكة بعد ذلك أي بعد نصر الله وجبريل وصالح المؤمنين
ظهير أي أعوان للنبي صلى الله عليه وسلم ينصرونه عسى ربه أي واجب من الله إن طلقكن يعني
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبدله أزواجًا خيرًا منكن ثم وصف الأزواج اللواتي كان يبدله
بهن فقال مسلمات أي خاضعات لله بالطاعات مؤمنات أي مصدقات بتوحيد الله تعالى
قانتات أي تاركات الذنوب لقبحهما تائبات أي كثيرات التوبة عابدات أي كثيرات العبادة
سائحات أي صائمات وقيل مهاجرات وقيل يسحن معه حيث ساح ثيبات جمع ثيب وهي التي تزوج
ثم بانت بوجه من الوجوه وأبكارًا أي عذارى جمع بكر وهذا من باب الإخبار عن القدرة لا عن
الكون لأنه قال إن طلقكن وقد علم أنه لا يطلقهن فأخبر عن قدرته أنه إن طلقهن أبدله خيرًا منهن
تخويفًا لهن قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم قال ابن عباس بالانتهاء عما نهاكم الله
عنه والعمل بطاعته وأهليكم يعني مروهم بالخير وانهوهم عن الشر وعلموهم وأدبوهم تقوهم بذلك
نارًا وقودها الناس والحجارة يعني الكبريت لأنه أشد الأشياء حرًا وأسرع اتقادًا عليها ملائكة
يعني خزنة النار وهم الزبانية غلاظ أي فظاظ على أهل النار شداد يعني أقوياء يدفع الواحد
منهم بالدفعة الواحدة سبعين ألفًا في النار لم يخلق الله الرحمة فيهم لا يعصون الله ما أمرهم
أي لا يخالفون الله فيما أمرهم به ونهاهم عنه ويفعلون ما يؤمرون أي لا تأخذهم رأفة
في تنفيذ أوامر الله والانتقام من أعداء الله يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم أي يقال

لهم لا تعتذروا اليوم وذلك حين يعاينوا النار وشدتها لانه قد قدم اليهم الانذار والاعذار فلا تنفعهم الاعذار لانه غير مقبول بعد دخول النار انما تجزون ما كنتم تعملون يعني انما لكم التبعة الزمتكم العذاب قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا اي ذا نصح ينصح صاحبها بترك العود الى الذنب الذي تاب منه قال عمر بن الخطاب وابي بن كعب ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى الضرع وقال الحسن هي ان يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على ان لا يعود فيه قال الكلبي ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وقال سعيد بن المسيب معناه توبة تنصحون بها انفسكم وقال محمد بن كعب القرظي التوبة النصوح يجمعها اربعة اشيا الاستغفار باللسان والندم والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الاخلاق والاخوان **فصل** قالت العلما التوبة واجبة من كل ذنب على الفور ولا يجوز تاخيرها سوا كانت المعصية صغيرة او كبيرة فان كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط احدها ان يقلع عن المعصية والثاني ان يندم على فعلها والثالث ان يعزم على ان لا يعود اليها ابدا فاذا اجتمعت هذه الشروط في التوبة كانت نصوحا وان فقد شرط منها كانت لم تصح توبته فان كانت المعصية تتعلق بحق آدمي فشروطها اربعة هذه الثلاثة المتقدمة والرابع ان يبرا من حق صاحبها فان كانت المعصية مالا ونحوه رده الى صاحبه وان كان حق قذف ونحوه مكنه من نفسه او طلب عفوه وان كانت غيبة استحله منها ويجب ان يتوب العبد من جميع الذنوب فان تاب من بعضها صحت توبته من ذلك الذنب وبقي عليه ما لم يتب منه هذا مذهب اهل السنة وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة م عن الاغر بن يسار المزني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس توبوا الى الله في اليوم مائة مرة خ عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله في اليوم اكثر من سبعين مرة ق عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لله افرح بتوبة عبده المؤمن من احدكم سقط على بعيره وقد اضله في ارض فلاة م عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر اخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله تعالى عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم هذا اطماع من الله تعالى لعباده في قبول التوبة وذلك تفضلا وتكرما لا وجوبا عليه ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه اي لا يعذبهم بدخول النار نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم يعني على الصراط يقولون ربنا يعني اذا طفئ نور المنافقين اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير تقدم تفسيره قوله تعالى ضرب الله مثلا اي بين شبها وحالا للذين كفروا امرأة نوح واسمها واعلة وامرأة لوط واسمها واهلة وقيل اسمهما والعة ووالهة كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين وهما نوح ولوط عليهما السلام وقوله من عبادنا اضافة تشريف وتعظيم فخانتاهما قال ابن عباس ما بغت امرأة نبي قط وانما كانت خيانتهما انهما كانتا على غير دينهما وكانت امرأة نوح تقول للناس انه مجنون واذا آمن به احد اخبرت به الجبابرة من قومها واما امرأة لوط فكانت تدل قومها على اضيافه اذا نزل به ضيف بالليل اوقدت النار واذا نزل به بالنهار دخنت لتعلم قومها انه قد نزل

انه قد نزل به ضيف وقيل انهما اسرتا النفاق واظهرتا الايمان فلم يغنيا عنهما من الله شيئا اي لم يدفعا عن امرأتيهما مع نبوتهما عذاب الله وقيل ادخلا النار مع الداخلين وهذا مثل ضربه الله تعالى للصالحين والصالحات من النسا وانه لا ينفع العاصي طاعة غيره ولا يضر المطيع معصية غيره وان كانت القرابة متصلة بينهم وان القريب كالاجانب بل ابعد وان كان القريب الذي يتصل الكافر نبيا كامرأة نوح وامرأة لوط لما خانتاهما لم يغن هذان الرسولان عن امرأتيهما شيئا فقطع بهذه الآية طمع من يركب المعصية ان ينفعه صلاح غيره وفي هذا المثل تعريض بامي المؤمنين عائشة وحفصة وما فرط منهما وتحذير لهما على اغلظ وجه واشده ثم ضرب مثلا آخر يتضمن ان معصية الغير لا تضره اذا كان مطيعا وان وصل المسلم بالكافر لا يضر فقال تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون يعني آسية بنت مزاحم قال المفسرون لما غلب موسى السحرة آمنت به امرأة فرعون فلما تبين لفرعون اسلامها اوتد يديها ورجليها باربعة اوتاد والقاها في الشمس فكانت تعذب في الشمس فلما انصرفوا عنها اظلتها الملائكة اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فكشف الله لها عن بيتها في الجنة وقيل ان فرعون امر بصخرة عظيمة لتلقى عليها فلما اتوها بالصخرة قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة من درة بيضا وانتزع روحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه ولم تجد الما وقيل رفع الله امرأة فرعون الى الجنة فهي تاكل وتشرب فيها ونجني من فرعون وعمله يعني وشركه وقال ابن عباس عمله يعني جماعه ونجني من القوم الظالمين يعني الكافرين ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها اي عن الفاحشة المحصنة العفيفة فنفخنا فيه اي في جيب درعها ولذلك ذكر الكناية من روحنا اضافة تشريف وتمليك كبيت الله وناقة الله وصدقت بكلمات ربها يعني الشرائع التي شرعها الله لعباده بكلماته المنزلة على انبيائه وكتبه يعني الكتب المنزلة على ابراهيم وموسى وداود وعيسى عليهم السلام وكانت من القانتين يعني كانت من القوم القانتين المطيعين وهم رهطها وعشيرتها لانهم كانوا اهل بيت صلاح وطاعة لله عن انس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نسا العالمين مريم ابنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح والله اعلم بمراده

تفسير سورة تبارك الذي بيده الملك

وهي مكية وهي ثلاثون آية وثلثمائة وثلاثون كلمة والف وثلاث مائة وثلاثة عشر حرفا عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من القرآن سورة ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك اخرجه الترمذي وقال حديث حسن ولابي داود نحوه وفيه تشفع لصاحبها عن ابن عباس قال ضرب بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خباه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا هو قبر انسان يقرا سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر انسان وانا لا احسب انه قبر فاذا هو قبر انسان يقرا سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل تبارك الذي بيده الملك اي له الامر والنهي والسلطان فيعز من يشا ويذل من يشا وهو على كل شيء قدير اي من الممكنات الذي خلق الموت والحياة قيل اراد موت الانسان وحياته في الدنيا جعل الله الدنيا دار حياة وفنا وجعل الآخرة دار جزا وبقا وانما قدم الموت لانه اقرب الى قهر الانسان وقيل قدمه لانه اقدم وذلك لان الاشيا كانت في الابتدا

في حكم الاموات كالتراب والنطفة والعلقة ونحو ذلك ثم طرأت عليها الحياة وقال ابن عباس خلق الموت على صورة كبش املح لا يمر بشي ولا يجد ريحه شي الا مات وخلقت الحياة على صورة فرس بلقا وهي التي كان جبريل والانبيا يركبونها لا تمر بشي ولا يجد ريحها شي الا حيي وهي التي اخذ السامري قبضة من اثرها فالقاها في العجل فخار وحيي وقيل ان الموت صفة وجودية مضادة للحياة وقيل الموت عبارة عن زوال القوة الحيوانية وابانة الروح عن الجسد وضده الحياة وهي القوة الحساسية مع وجود الروح في الجسد وبه سمي الحيوان حيوانا وقيل ان الموت نعمة لانه الفاصل بين حال التكليف في هذه الدار وحال المجازاة في دار القرار والحياة نعمة ايضا اذ لولاها لم يتنعم احد في الدنيا ولم يصل الى الثواب في الاخرة **ليبلوكم** اي ليختبركم اي فيما بين الحياة الى الموت **ايكم احسن عملا** روي عن ابن عمر مرفوعا احسن عقلا احسن عملا واورع عن محارم الله واسرع في طاعته وقال الفضيل بن عياض احسن عملا اخلصه واصوبه وقال ايضا العمل لا يقبل حتى يكون خالصا صوابا فالخالص اذا كان لله والصواب اذا كان على السنة وقيل ايكم ازهد في الدنيا **وهو العزيز** اي الغالب المنتقم ممن عصاه **الغفور** اي لمن تاب اليه رجع عن اسايته قوله عز وجل **الذي خلق سبع سموات طباقا** يعني طبقا على طبق بعضها على بعض كل سما مقببة على الاخرى وسما الدنيا كالقبة على الارض قال كعب الاحبار سما الدنيا موج مكفوف والثانية مرمرة بيضا والثالثة حديد والرابعة صفرا وقيل نحاس والخامسة فضة والسادسة ذهب والسابعة ياقوتة حمرا وما بين السما الى الحجب السبعة صحاري من نور **ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت** اي ما ترى يا ابن ادم فيما خلق الرحمن اعوجاج واختلاف وتناقض بل خلقهن مستقيمة مستوية **فارجع البصر** اي كرر النظر **هل ترى من فطور** اي شقوق وصدوع **ثم ارجع البصر كرتين** قال ابن عباس مرة بعد مرة **ينقلب اليك** اي ينصرف اليك فيرجع **البصر خاسئا** اي صاغرا ذليلا مبعدا لم ير ما يهوى **وهو حسير** اي كليل منقطع لم يدرك **ولقد زينا السما الدنيا** اي الادنى من الارض وهي التي يراها الناس **بمصابيح** اي بكواكب كالمصابيح في الاضاءة وهي اعلام الكواكب قال ابن عباس بنجوم لها نور وقيل خلق الله النجوم لثلاث زينة للسما وعلامات يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ورجوما للشياطين وهو قوله تعالى **وجعلناها رجوما للشياطين** قال ابن عباس يرجم بها الشياطين الذين يسترقون السمع فان قلت جعل الكواكب زينة للسما يقتضي بقاها وجعلها رجوما للشياطين يقتضي زوالها فكيف الجمع بين هاتين الحالتين قلت قالوا انه ليس المراد انهم يرمون باجرام الكواكب بل يجوز ان ينفصل من الكواكب شعلة نار يرمى بها الشيطان تلك الشعلة وهي الشهب ومثله كمثل قبس يوخذ من النار وهي على حالها **واعتدنا لهم** اي واعتدنا للشياطين بعد الاحراق في الدنيا **عذاب السعير** اي في الاخرة وهي النار الموقدة **وللذين كفروا بربهم** اي ما هو العذاب مختص بالشياطين بل لكل من كفر بالله من انس وجن **عذاب جهنم وبئس المصير** ثم وصف جهنم فقال تعالى **اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا** هو اول صوت الحمار وذلك اقبح الاصوات **وهي تفور** اي تغلي بهم كغلي المرجل وقيل تفور بهم كما يفور الما الكثير بالحب القليل **تكاد تميز** اي تتقطع **من الغيظ** اي من تغيظها عليهم **كلما القي فيها فوج** اي جماعة **سالهم خزنتها** يعني سوال توبيخ وتقريع **الم ياتكم نذير** اي رسول ينذركم **قالوا بلى قد جانا نذير فكذبنا وقلنا** يعني للرسل **ما نزل الله من شي** وهذا اعتراف بانزاح عللهم ببعثة الرسل ولكنهم كذبوا وقالوا ما نزل من شي ان انتم **الا في ضلال كبير** فيه وجهان احدهما وهو الاظهر انه من جملة قول الكفار للرسل والثاني يحتمل ان يكون من كلام الخزنة للكفار والمعنى لقد كنتم في الدنيا في ضلال كبير **وقالوا لو كنا نسمع او نعقل**

اي من الرسل

اي من الرسل ما جاوا به اي نفهم منهم قال ابن عباس لو كنا نسمع سمع الهدى او نعقله فنعمل به **ما كنا في اصحاب السعير** وقيل معناه لو كنا نسمع سمع من يعي ونعقل عقل من يميز وينظر ويتفكر ما كنا في اصحاب السعير **فاعترفوا بذنبهم** هو في معنى الجمع اي بتكذيبهم الرسل وقولهم ما انزل الله من شي **فسحقا** اي بعدا **لاصحاب السعير** قوله عز وجل **ان الذين يخشون ربهم بالغيب** اي يخافونه ولم يروه فيومنون به خوفا من عذابه **لهم مغفرة** لذنوبهم **واجر كبير** يعني جزا اعمالهم الصالحة **واسروا قولكم او اجهروا به** قال ابن عباس نزلت في المشركين كانوا ينالون من رسول الله صلى الله عليه وسلم فخبره جبريل بما قالوا فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم او اجهروا به كي لا يسمع محمد فاخبره الله انه لا يخفى عليه خافية فقال تعالى **انه عليم بذات الصدور** ثم اكد ذلك بقوله تعالى **الا يعلم من خلق** يعني الا يعلم من خلق مخلوقه وقيل الا يعلم الله من خلق والمعنى الا يعلم الله ما في صدور من خلق **وهو اللطيف** اي باستخراج ما في الصدور **الخبير** بما فيها من سر والوسوسة قوله تعالى **هو الذي جعل لكم الارض ذلولا** الذلول المنقاد من كل شي والمعنى جعلها لكم سهلة لا يمتنع المشي فيها لحزونتها وغلظها **فامشوا في مناكبها** اي امر اباحة وكذا قوله **وكلوا من رزقه** ومناكبها جوانبها واطرافها ونواحيها وقيل طرقها وفجاجها وقال ابن عباس جبالها والمعنى هو الذي سهل لكم السلوك في جبالها وهو ابلغ التذليل وكلوا من رزقه اي مما خلقه الله لكم في الارض **واليه النشور** اي واليه تبعثون من قبوركم ثم خوف كفار مكة فقال تعالى **اامنتم من في السما** قال ابن عباس يعني عقاب من في السما ان عصيتموه **ان يخسف بكم الارض فاذا هي تمور** اي تتحرك باهلها وقيل تهوي بهم والمعنى ان الله تعالى يحرك الارض عند الخسف بهم حتى يقلبهم الى اسفل ويعلو الارض عليهم وتمور فوقهم اي تجي وتذهب **ام امنتم من في السما ان يرسل عليكم حاصبا** يعني ريحا ذات حجارة كما فعل بقوم لوط **فستعلمون** اي عند الموت في الاخرة **كيف نذير** اي انذاري اذا عاينتم العذاب **ولقد كذب الذين من قبلهم** اي من قبل كفار مكة وهم الامم الماضية **فكيف كان نكير** اي انكاري عليهم اليس وجدوا العذاب حقا قوله عز وجل **اولم يروا الى الطير فوقهم صافات** اي باسطات اجنحتهن في الجو عند طيرانها **ويقبضن** اي ويضممن اجنحتهن اذا ضربن بهن جنوبهن عند البسط **ما يمسكهن** اي في حال القبض والبسط **الا الرحمن** والمعنى ان الطير مع ثقلها وجسمها وضخامته لم يكن بقاوها وثبوتها في الجو الا بامساك الله اياها وحفظه لها **انه بكل شي بصير** يعني انه تعالى لا يخفى عليه خافية **امن هذا الذي هو جند لكم** استفهام انكار اي لا جند لكم **ينصركم** اي يمنعكم **من دون الرحمن** اي من عذاب الله قال ابن عباس اي ينصركم مني ان اردت عذابكم **ان الكافرون الا في غرور** اي من الشيطان يغرهم بان العذاب لا ينزل بهم **امن هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه** يعني من ذا الذي يرزقكم المطر ان امسكه الله عنكم **بل لجوا** اي تمادوا **في عتو** اي تمرد وتكبر **ونفور** اي تباعد عن الحق ثم ضرب مثلا للمومن والكافر فقال تعالى **افمن يمشي مكبا على وجهه** اي كابا على راسه في الضلالة والجهالة اعمى القلب والعين لا يبصر يمينا ولا شمالا وهو الكافر اكب على الكفر والمعاصي في الدنيا فحشره الله على وجهه يوم القيامة **اهدى** اي هو اهدى **امن يمشي سويا** اي قائما معتدلا يبصر الطريق **على صراط مستقيم** اي وهو على صراط مستقيم يعني المومن يمشي يوم القيامة سويا **قل هو الذي انشاكم** اي خلقكم **وجعل لكم السمع والابصار والافيدة** يعني انه تعالى ركب فيكم القوى لكنكم ضيعتموها ولا اعتبرتم فلم تقبلوا ما سمعتموه ولا اعتبرتم بما ابصرتموه ولا تاملتم ما عقلتموه فكانكم ضيعتم هذه النعم فاستعملتموها في غير ما خلقتم له فلهذا قال تعالى **قليلا ما تشكرون** وذلك شكر نعم الله صرفها في وجه مرضاته

فلما صار فتموها فكأنكم ما شكرتم رب هذه النعمة الواهب لها قل هو الذي ذرأكم في الأرض أي خلقكم وبثكم في الأرض وإليه تحشرون أي يوم القيامة والمعنى أن القادر على الابتداء قادر على الإعادة ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين فهذا السؤال يحتمل وجهان أحدهما أنه سؤال عن نزول العذاب بهم والثاني أنه سؤال عن يوم القيامة فأجاب الله عن ذلك بقوله قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين أمره بإضافة العلم إلى الله تعالى وتبليغ ما أوحي إليه فلما رأوه يعني العذاب في الآخرة على قول أكثر المفسرين وقيل يعني العذاب ببدر زلفة أي قريبا سيئت وجوه الذين كفروا أي اسودت وعلاها الكآبة والمعنى قبحت وجوههم بالسواد وقيل لهم أي قالت لهم الخزنة هذا الذي كنتم به تدعون تدعون من الدعاء أي تتمنون وتطلبون أن يعجله لكم وقيل من الدعوى أي تدعون أنه باطل قل يا محمد لمشركي مكة الذين يتمنون هلاكك أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أي من المؤمنين أو رحمنا أي أبقانا وأخر في آجالنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم أي أنه واقع بهم لا محالة وقيل في معنى الآية قل أرأيتم إن أهلكني الله أي فعذبني ومن معي أو رحمنا أي فغفر لنا فنحن مع إيماننا خائفون أن يهلكنا بذنوبنا لأن حكمه نافذ فينا فمن يجيركم أو يمنعكم من عذاب أليم وأنتم كافرون وهذا قول ابن عباس قل أي قل لهم في إنكارك عليهم وتوبيخك لهم هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا أي نحن آمنا به وعبدناه وأنتم كفرتم به فستعلمون أي عند معاينة العذاب من هو في ضلال مبين أي نحن أم أنتم وهذا تهديد لهم ثم ذكرهم ببعض نعمه عليهم على طريق الاحتجاج فقال تعالى قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم قيل يريد زمزم وقيل غيرها من المياه غورا أي غائرا ذاهبا في الأرض لا تناله الأيدي ولا الدلاء فمن يأتيكم بماء معين أي ظاهر تراه العيون وتناله الأيدي والدلاء وقال ابن عباس معين أي جار والمقصود من الآية أن يجعلهم مقرين ببعض نعمه عليهم ويريهم قبح ما هم عليه من الكفر والمعنى أخبروني إن صار ماؤكم ذاهبا في الأرض فمن يأتيكم بماء معين فلا بد أن يقولوا هو الله تعالى فيقال لهم حينئذ فلم تجعلون معه من لا يقدر على شيء أصلا شريكا له في العبودية وهذا محال والله أعلم بمراده وأسرار كتابه

تفسير سورة ن والقلم

مكية وهي اثنان وخمسون آية وثلثمائة كلمة وألف ومائتان وستة وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ن قال ابن عباس هو الحوت الذي على ظهره الأرض وعنه أن أول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة ثم خلق النون فبسط الأرض على ظهره فتحرك النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فإن الجبال لتفخر على الأرض ثم قرأ ن والقلم وما يسطرون قيل اسم النون بهموت وقيل ليوثا وقيل لوتيا وعن علي بلهوت قال أصحاب السير والأخبار لما خلق الله الأرض وفتقها سبع أرضين بعث من تحت العرش ملكا فهبط إلى الأرض حتى دخل تحت الأرضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فأهبط الله تعالى من الفردوس ثورا له أربعون ألف قائمة وجعل قرار قدم الملك على سنامه فلم تستقر قدمه فأخذ الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور إلى أذنه فاستقر عليها قدما الملك وقرون ذلك الثور خارجة من أقطار الأرض ومنخاره في البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فإذا تنفس مد البحر وإذا رد نفسه جزر البحر فلم يكن لقوائم الثور قرار فخلق الله عز وجل صخرة كغلظ سبع

سموات

سموات وسبع أرضين فاستقر قوائم الثور عليها وهي الصخرة التي قال لقمان لابنه فتكن في فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة فكل الدنيا بما عليها حرفان قال لها الجبار سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس كوني فكانت قال كعب الأحبار إن إبليس تغلغل إلى الحوت الذي على ظهره الأرض فوسوس إليه فقال له أتدري ما على ظهرك يا لوثيا من الأمم والدواب والشجر والجبال لو نفضتهم لألقيتهم عن ظهرك فهم لوثيا أن يفعل ذلك فبعث الله دابة فدخلت في منخره فوصلت إلى دماغه فعج الحوت إلى الله منها فأذن لها فخرجت قال كعب الأحبار فوالذي نفسي بيده إنه لينظر إليها وتنظر إليه إن هم بشيء من ذلك عادت كما كانت وعن ابن عباس أيضا أن نون هو الدواة ومنه قول الشاعر

إذا ما الشوق برح بي إليهم ... ألقت النون بالدمع السجام

أراد بالنون الدواة وعن ابن عباس أيضا أن نون حرف من حروف الرحمن فإذا جمعت الر حم ن وقيل هو مفتاح اسمه نصير وناصر وقيل اسم للسورة والقلم هو القلم الذي كتب الله به الذكر وهو قلم من نور طوله ما بين السماء والأرض ويقال أول ما خلق الله القلم فنظر إليه فانشق نصفين ثم قال اجر بما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه وما يسطرون أي وما يكتب الحفظة من أعمال بني آدم وقيل إن جملة النعم على ذلك القلم المعين فيحتمل أن يكون المراد بقوله وما يسطرون به في اللوح المحفوظ ويكون الجمع في وما يسطرون للتعظيم لا للجمع ما أنت يا محمد بنعمة ربك هذا جواب القسم أقسم الله بنون والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وهو رد لقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون والمعنى إنك لا تكون مجنونا وقد أنعم الله عليك بالنبوة والحكمة فنفى عنه الجنون وقيل معناه ما أنت بمجنون والنعمة لله وقيل هو كما يقال ما أنت بمجنون والحمد لله وقيل إن نعمة الله تعالى كانت ظاهرة عليه من الفصاحة التامة والعقل الكامل والنبوة المرضية والأخلاق الحميدة والبراءة من كل عيب والاتصاف بكل مكرمة وإذا كانت هذه النعم محسوسة ظاهرة ووجودها ينافي حصول الجنون فنبه الله تعالى بهذه الآية على كذبهم في قولهم إنك لمجنون وإن لك لأجرا غير ممنون أي غير منقوص ولا مقطوع ومنه قول لبيد

عبس كواسب ما يمن طعامها

أي ما يقطع يصف بذلك كلابا ضارية وقيل في معنى الآية إنه غير مكدر عليك بسبب المنة والقول هو الأول ومعناه أن لك على احتمالك الطعن وصبرك على هذا القول القبيح وافترائهم عليك أجرا عظيما دائما لا ينقطع وقيل إن على إظهار النبوة وتبليغ الرسالة ودعاء الخلق إلى الله تعالى والصبر على ذلك وبيان الشرائع لهم أجرا عظيما فلا يمنعهم نسبتهم إياك إلى الجنون عن الاشتغال بهذا الأمر العظيم الذي قد حملته ثم وصفه بما يخالف حال المجنون فقال تعالى وإنك لعلى خلق عظيم وهذا كالتفسير لقوله ما أنت بنعمة ربك بمجنون لأن الأخلاق الحميدة والأفعال المرضية كانت ظاهرة عليه ومن كان كذلك لم يجز إضافة الجنون إليه ولما كانت أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم كاملة وأفعاله جميلة وأفرد وصفها الله تعالى بأنها عظيمة وحقيقة الخلق قوى نفسانية تسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الحميدة والآداب المرضية فيصير ذلك كالخلقة في صاحبه ويدخل في حسن الخلق التحرز من الشح والبخل والتشديد في المعاملات وتستعمل في حسن الخلق التحبب إلى

الناس بالقول والفعل والبذل وحسن الادب والمعاشرة بالمعروف مع الاقارب والاجانب
والتساهل في جميع الامور والتسمح بما يلزم من الحقوق وترك التنافر والتقاطع واحتمال الاذى
من الاعلى والادنى مع طلاقة الوجه وادامة البشر فهذه الخصال تجمع جميع محاسن الاخلاق
ومكارم الافعال ولقد كان جميع ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا وصفه الله
بقوله وانك لعلى خلق عظيم وقال ابن عباس معناه على دين عظيم لا دين احب الي ولا ارضى
عندي منه وهو دين الاسلام وقال الحسن هو اداب القران سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران وقال قتادة هو ما كان يأتمر به من
اوامر الله وينتهي عنه من نهي الله تعالى والمعنى وانك لعلى الخلق الذي امرك الله به في القران وقيل
سمى الله خلقه عظيما لانه امتثل تأديب الله اياه بقوله خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين

فصل في فضل حسن الخلق وما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك عن
جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله بعثني لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن
الافعال (م) عن النواس بن سمعان قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم البر حسن الخلق والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع
عليه الناس عن عائشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم اخرجه ابو داود وعنها قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا والطفهم باهله اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من شيء
اثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن وان الله يبغض الفاحش البذي اخرجه
الترمذي وقال حديث صحيح وله عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان من احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا عن البراء قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس وجها واحسنهم خلقا ليس بالطويل ولا القصير
(ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن فاحشا ولا متفحشا
وكان يقول خياركم احاسنكم اخلاقا (ق) عن انس رضي الله عنه قال خدمت النبي صلى الله عليه وسلم
عشر سنين والله ما قال لي اف قط ولا قال لشيء لم فعلت كذا وهلا فعلت كذا زاد
الترمذي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من احسن الناس خلقا وما مسست بيدي
خزا قط ولا حريرا ولا شيئا الين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا
ولا عطرا قط كان اطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم (خ) عنه قال كانت الامة
لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت زاد في رواية ويجيب اذا
اذا دعي وعنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع
يده من يده حتى يكون الرجل ينزع يده ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو
يصرفه ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له اخرجه الترمذي (ق) عن عائشة رضي الله
تعالى عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين قط الا اختار ايسرهما
ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم
لنفسه في شيء قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم زاد مسلم عنها ما ضرب رسول الله صلى
الله عليه وسلم شيئا قط بيده ولا امراة ولا خادما الا ان يجاهد في سبيل الله تعالى (ق)
عن انس قال كنت امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية
فادركه اعرابي فجبذه جبذة شديدة حتى نظرت الى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم قد اثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك
فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك وامر له بعطاء (ق) عنه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وكان لي اخ يقال له ابا عمير فطيم كان اذا جاءنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا عمير ما فعل النغير لنغر كان يلعب به النغير
طائر صغير يشبه العصفور الا انه احمر المنقار (م) عن الاسود قال سألت عائشة ما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته قالت كان يكون في مهنة اهله فاذا
حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج الى الصلاة والمهنة الخدمة عن عبد الله بن الحارث قال ما
رايت احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه الترمذي قوله تعالى
فستبصر يا محمد **ويبصرون** يعني اهل مكة اذا نزل بهم العذاب **بأيكم المفتون** قال ابن عباس
معناه بايكم الجنون في فريقهم او فريقك وقيل الباء بمعنى في مجازه فستبصر ويبصرون في اي
الفريقين المجنون وقيل في فريقك ام في فريقهم وقيل المفتون هو الشيطان الذي فتن بالجنون
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين معناه انهم رموه بالجنون والضلال
ووصفوا انفسهم بالهداية والعقل فاعلم الله تعالى انه هو العالم بالفريقين الضال والمهتدي
والمجنون والعاقل **فلا تطع المكذبين** يعني مشركي مكة وذلك انهم دعوه الى دين ابائه فنهاه الله
عن ذلك ان يتبعهم **ودوا لو تدهن فيدهنون** اصل الادهان اللين والمصانعة والمقاربة
في الكلام وقيل ادهن الرجل في دينه وداهن في امره اذا خان فيه واظهر خلاف ما ابطن
ومعنى الاية انهم تمنوا لو تترك بعض ما انت عليه مما لا يرضونه مصانعة لهم فيفعلون
مثل ذلك ويتركون بعض ما لا ترضى به فتلين لهم ويلينون لك وقيل معناه ودوا لو
تكفر فيكفرون وهو ان تعبد الهتهم مدة ويعبدون الله مدة **ولا تطع كل حلاف** اي
كثير الحلف بالباطل **مهين** اي ضعيف حقير وقيل هو من المهانة وهو قلة الراي والتمييز
قال ابن عباس كذاب وهو قريب من الاول لان الانسان انما يكذب لمهانة نفسه عليه
قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو الاسود بن عبد يغوث وقيل هو الاخنس بن شريق
هماز اي مغتاب ياكل لحوم الناس بالطعن والعيب وقيل هو الذي يغمز باخيه في المجلس
مشاء بنميم اي قتات يسعى بالنميمة ليفسد بين الناس **مناع للخير** اي بخيل بالمال وقال
ابن عباس مناع للخير اي يمنع ولده وعشيرته عن الاسلام يقول لئن دخل واحد منكم في دين محمد
لا انفعه بشيء ابدا **معتد** اي ظلوم يتعدى الحق **اثيم** اي فاجر يتعاطى الاثام **عتل** اي غليظ
جاف وقيل هو الفاحش الخلق وقيل هو الشديد الخصومة بالباطل وقيل هو الشديد
في كفره وقيل العتل الاكول الشروب القوي الشديد لا يزن في الميزان شعيرة يدفع الملك
من اولئك سبعين الفا في النار دفعة واحدة **بعد ذلك زنيم** اي مع ما وصفناه
به من الصفات المذمومة زنيم وهو الدعي الملصق في القوم وليس منهم قيل انما ادعاه
ابوه بعد ثماني عشرة سنة وقيل الزنيم هو الذي له زنمة كزنمة الشاة وقال ابن عباس
في هذه الاية نعت من لا يعرف حتى قيل زنيم فعرف وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها وعنه
ايضا قال يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال ابن قتيبة لا نعلم ان الله وصف احدا
ولا ذكر من عيوبه مثل ذنوب ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فالحق
به عارا لا يفارقه في الدنيا ولا في الاخرة **ان كان ذا مال وبنين** قرئ على الخبر
ومعناه ولا تطع كل حلاف مهين لان كان ذا مال وبنين اي لا تطعه لماله وبنيه
وقرئ اذا مال وبنين بالاستفهام ومعناه الان كان ذا مال وبنين **اذا تتلى
عليه اياتنا قال اساطير الاولين** اي جعل مجازاة النعم التي خولها من المال والبنين
الكفر باياتنا وقيل لان كان ذا مال وبنين تطيعه ثم اوعده فقال تعالى **سنسمه**

على الخرطوم اى على الانف والمعنى نسود وجهه فنجعل له علما في الاخرة وهو سواد الوجه
فعبر بالانف عن الوجه وقال ابن عباس سنخطمه بالسيف وفعل ذلك به يوم بدر وقيل معناه
سنلحق به شينا لا يفارقه اى سنسمه بميسم سوء يريد نلصق به عارا لا يفارقه كما ان السمة
لا تمحى ولا يعفى اثرها وقد الحق الله به مما ذكر من عيوبه عارا لا يفارقه في الدنيا والاخرة كالوسم
على الخرطوم الذى لا يخفى قط وقيل معناه سنكويه على وجهه قوله تعالى انا بلوناهم اى اختبرنا
اهل مكة بالقحط والجوع كما بلونا اصحاب الجنة روى عن ابن عباس في قوله انا بلوناهم كما
بلونا اصحاب الجنة قال بستان باليمن يقال له الضروان دون صنعا بفرسخين يطاه اهل
الطريق وكان غرسه قوم من اهل الصلاة وكان لرجل فمات فورثه ثلاث بنين له وكان يكون
للمساكين اذا صرموا نخلهم كل شئ تعداه المنجل فلم يجزه اذا طرح من فوق النخل الى البساط
فكل شئ يخرج من النخل الى البساط فهو ايضا للمساكين واذا حصدوا زرعهم فكل شئ تعداه
المنجل فهو للمساكين واذا داسوه كان لهم كل شئ ينتثر ايضا فلما مات الاب وورثه بنوه
هؤلاء الاخوة الثلاثة قالوا والله ان المال قليل وان العيال لكثير وانما كان هذا الامر
يفعل لما كان المال كثيرا والعيال قليلا فاما اذا قل المال وكثر العيال فانا لا نستطيع
ان نفعل فتحالفوا بينهم يوما ليغدون غدوة قبل خروج الناس فليصرمن نخلهم فذلك
قوله تعالى اذ اقسموا اى تحالفوا ليصرمنها اى ليقطعن ثمرها مصبحين اى اذا اصبحوا
قبل ان تخرج اليهم المساكين وقيل ان يعلم بها المساكين ولا يستثنون شيئا للمساكين من ثمر
جنتهم فطاف عليها طائف من ربك اى عذاب من ربك ولا يكون الطائف الا بالليل وهو قوله
وهم نائمون وكان ذلك الطائف نارا نزلت من السما فاحرقتها وهو قوله تعالى فاصبحت
الجنة كالصريم اى كالليل الاسود المظلم وقيل اى صرم منها الخير فليس فيها شئ ينتفع به وقال
وقال ابن عباس كالرماد الاسود وهو بلغة خزيمة فتنادوا اى فنادى بعضهم بعضا مصبحين
يعنى لما اصبحوا ان اغدوا على حرثكم يعنى الثمار والزروع والاعناب ان كنتم صارمين
اى قاطعين ثماركم فانطلقوا اى امشوا اليها وهم يتخافتون اى يتسارون يقول بعضهم
لبعض سرا ان لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد اى على قصد ومنع وغضب
وقيل معناه على جد وجهد وقيل على امر مجتمع قد اسسوه بينهم وقيل على حنق وغضب من المساكين
وقال ابن عباس على قدرة قادرين اى عند انفسهم على جنتهم وثمارها لا يحول بينهم وبينها احد
فلما راوها اى راوا الجنة محترقة قالوا انا لضالون اى لمخطئون للطريق اضللنا عن مكان
جنتنا وليس هذه جنتنا بل نحن محرومون اى قال بعضهم قد حرمنا خيرها ونفعها بمنعنا
المساكين وتركنا الاستثنا قال اوسطهم اى اعدلهم واعقلهم وافضلهم الم اقل لكم لولا
تسبحون اى هلا تستثنون انكر عليهم ترك الاستثنا في قوله ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون
سماه تسبيحا لانه تعظيم الله واقرار بانه لا يقدر احد على شئ الا بمشيئته وعلى التفسير الثانى
فان الاستثنا بمعنى لا يتركون شيئا للمساكين من ثمر جنتهم يكون معنى لولا تسبحون اى تتوبون
وتستغفرون الله من ذنوبكم وتفريطكم ومنعكم حق المساكين وقيل كان استثناؤهم سبحان
الله وقيل هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما اعطاكم من نعمه قالوا سبحان ربنا معناه
انهم نزهوه عن الظلم فيما فعل واقروا على انفسهم بالظلم فقالوا انا كنا ظالمين اى بمنعنا
المساكين حقوقهم فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اى يلوم بعضهم بعضا قالوا يا ويلنا
نادوا على انفسهم بالويل انا كنا طاغين اى في منعنا حق المساكين وقيل معناه طغينا نعم الله
فلم نشكرها ولم نصنع ما كان يصنع ابانا من قبل ثم رجعوا الى انفسهم فقالوا عسى ربنا
ان يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون قال ابن مسعود بلغنى ان القوم اخلصوا وعرف الله
منهم الصدق فابدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا قال الله تعالى

بعرفه
ع

الاهم لولا
انشاء الله
وقالوا ولا
ستثنون
ع

كذلك

كذلك العذاب اى كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا وخالف امرنا في الدنيا كما يفعل بالكفار ثم
قال تعالى ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون ثم اخبر الله بما اعد للمتقين فقال تعالى ان للمتقين
عند ربهم جنات النعيم اى عند ربهم في الاخرة لما نزلت هذه الاية قال المشركون انا نعطى في الاخرة
افضل مما تعطون فقال الله تعالى تكذيبا للمشركين افنجعل المسلمين كالمجرمين يعنى ان التسوية بين
المسلم والمجرم غير جائز فكيف يكون افضل او يعطى افضل منه قال تعالى على سبيل الاستبعاد له
ثم والانكار قال لهم على طريق الالتفات ما لكم كيف تحكمون يعنى هذا الحكم المعوج ام لكم كتاب
اى انزل من عند الله فيه اى في ذلك الكتاب تدرسون تقرؤن ان لكم فيه اى في ذلك الكتاب
لما تخيرون اى تختارون وتشتهون ام لكم ايمان علينا بالغة معناه الكم عهود ومواثيق
موكدة عهدنا اليكم عليها فاستوثقتم بها منا الى يوم القيامة اى لا تنقطع الايمان والعهود الى يوم القيامة
ان لكم اى في ذلك العهد لما تحكمون اى لانفسكم من الخير والكرامة عند الله ثم قال الله تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم سلهم ايهم بذلك زعيم اى ايهم كفيل لهم بان لهم في الاخرة ما للمسلمين ام لهم شركاء يعنى
ما كانوا يجعلون لله شريكا وانما اضاف الشركاء اليهم لانهم هم جعلوها شركاء لله وقيل يعنى شركاء يشهدون
يصدق ما ادعوه فلياتوا بشركائهم ان كانوا صادقين اى في دعواهم يوم اى فلياتوا بشركائهم
في ذلك اليوم لتنفعهم وتشفع لهم يكشف عن ساق اى عن امر فظيع شديد قال ابن عباس هو اشد ساعة
في القيامة تقول العرب للرجل اذا وقع في امر فظيع عظيم فظيع يحتاج فيه الى الجد ومقاساة الشدة
شمر عن ساقك اذا اقام في ذلك الامر ويقال اذا اشتد الامر في الحرب كشفت الحرب عن ساق وسئل
ابن عباس عن هذه الاية فقال اذا خفى عليكم شئ من القران فابتغوه في الشعر فانه ديوان العرب اما سمعتم
قول الشاعر ۝ سن لنا قومك ضرب الاعناق ۝ وقامت الحرب بنا على ساق ۝
ثم قال ابن عباس هو يوم كرب وشدة وانشد اهل اللغة ابياتا في هذا المعنى فمنها ما انشد
ابو عبيدة لقيس بن زهير ۝
اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا ۝ ربيع فلا نسام ۝
ومنها قول جرير ۝ الا رب ساه الطرف من ال مازن ۝ اذا شمرت الحرب عن ساقها شمرا ۝ وقد
كثر مثل هذا في كلام العرب حتى صار كالمثل للامر العظيم الشديد ق عن ابى سعيد الخدرى ان ناسا
في زمن النبى صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم نعم هل تضارون في روية الشمس بالظهيرة صحوا ليس فيها سحاب وهل تضارون
في روية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب قالوا يا رسول الله قال فما تضارون في روية
الله يوم القيامة الا كما تضارون في روية احدهما اذا كان يوم القيامة اذن مؤذن لتتبع كل امة
ما كانت تعبد فلا يبقى احد كان يعبد غير الله من الانصاب والاصنام الا يتساقطون في النار
حتى اذا لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغبر اهل الكتاب فيدعى اليهود فيقال لهم
ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد فماذا
تبغون قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى النار كانها سراب يحطم
بعضها بعضا فيتساقطون في النار ثم يدعى بالنصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد
المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولدا فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون
عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار اليهم الا تردون فيحشرون الى جهنم كانها سراب يحطم بعضها بعضا
فيتساقطون في النار حتى لم يبق الا من كان يعبد الله من بر وفاجر اتاهم الله في ادنى صورة من التى راوه
فيها قال فما ذا تنتظرون تتبع كل امة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا افقر
ما كنا اليهم ولم نصاحبهم فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله ولا نشرك بالله شيئا مرتين او ثلاثا

حتى ان بعضهم ليكاد ان ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها فيقولون نعم
فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه الا اذن الله له بالسجود ولا يبقى
من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة واحدة كلما اراد ان يسجد خر على قفاه
ثم يرفعون رؤسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها اول مرة فقال انا ربكم فيقولون
انت ربنا ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلم سلم قالوا يا رسول
الله وما الجسر قال دحض مزلة فيها خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة
يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل
والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكردس في نار جهنم حتى اذا خلص المؤمنون من النار
فوالذي نفسي بيده ما من احد منكم باشد مناشدة لله في استيفاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة
لاخوانهم الذين في النار فيقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم
اخرجوا من عرفتم فتحرم صورهم على النار فيخرجون خلقا كثيرا قد اخذت النار الى نصف
ساقيه والى ركبتيه ثم يقولون ربنا ما بقي فيها احد ممن امرتنا به فيقال ارجعوا فمن وجدتم
في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها
احدا ممن امرتنا به ثم يقال ارجعوا فمن وجدتم في قلبه ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون
خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا وكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني بهذا الحديث
فاقرؤا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا
عظيما فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة والا شفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق
الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما
فيلقيهم في نهر في افواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل
الا ترونها ما يكون الى الحجر او الى الشجر ما يكون الى الشمس اصيفر واخيضر وما يكون منها
الى الظل يكون ابيض قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء
عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه
فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين فيقول لكم عندي افضل من هذا
فيقولون ربنا اي شيء افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم ابدا انتهى لفظ مسلم وللبخاري نحوه
بمعناه **فصل** في شرح غريب الفاظ الحديث وما يتعلق به اما الرؤية وما يتعلق
بها فسبق الكلام عليها في موضعها ان شاء الله تعالى في قوله حتى لم يبق الا من كان
يعبد الله من بر وفاجر اتاهم الله في ادنى صورة رأوه فيها وفي رواية ابي هريرة فيأتيهم
الله في صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا
حتى يأتينا ربنا فاذا جاء عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون
انت ربنا فيتبعونه قال الشيخ محيي الدين رحمه الله وغيره اعلم ان هذا الحديث من احاديث
الصفات واعظمها وللعلماء فيه وفي امثاله قولان احدهما وهو معظم السلف او كلهم انه
لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا ان نؤمن بها ونعتقد ان لها معنى يليق بجلال الله
تعالى مع اعتقادنا الجازم ان الله تعالى ليس كمثله شيء وانه منزه عن التجسيم والانتقال
والتحيز في جهة وعن سائر صفات المخلوقين وهذا القول هو مذهب جماعة المتكلمين
واختاره جماعة من محققيهم وهو اسلم وقال الخطابي هذا الحديث تهيب القول فيه شيوخنا
فاجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقف عن تفسير
كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب والقول الثاني وهو معظم مذهب المتكلمين

انما

انما تاول على ما يليق بها على حسب مواقعها وانما يسوغ تأويلها لمن كان من اهله فعلى هذا المذهب
يقال في قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم الله ان الاتيان عبارة عن رؤيتهم اياه لان العادة ان
من غاب عن غيره لا يمكنه رؤيته الا بالاتيان فعبر بالاتيان والمجيء هنا عن الرؤية مجازا وقيل الاتيان
فعل من فعل الله تعالى سماه اتيانا وقيل المراد يأتيهم الله في بعض ملائكته قال القاضي عياض وهذا
الوجه اشبه عندي بالحديث قال ويكون هذا الملك هو الذي جاءهم في الصورة التي انكروها من سمات
الحدث الظاهرة على الملك والمخلوق قال او يكون معناه يأتيهم الله في صورة اي بصورة ويظهر لهم
من صور ملائكته ومخلوقاته التي لا تشبه صفات الاله ليختبرهم وهذا اخر امتحان المؤمنين فاذا
قال لهم هذا الملك او هذه الصورة انا ربكم رأوا عليه علامة من علامات المخلوق ما ينكرونه
ويعلمون بذلك انه ليس ربهم فيستعيذون بالله منه واما قوله صلى الله عليه وسلم فيأتيهم
الله في صورته التي يعرفون فالمراد بالصورة هنا الصفة ومعناه فيتجلى الله سبحانه وتعالى
على الصفة التي يعلمونها ويعرفونه بها وانما عرفوه بصفة وان لم تكن تقدمت لهم رؤية
له سبحانه وتعالى لانهم يرونه شيئا لا يشبه شيئا من مخلوقاته وقد علموا انه لا يشبه شيئا
من مخلوقاته فيعلمون بذلك انه ربهم فيقولون انت ربنا وانما عبر عن الصفة بالصورة
لمشابهتها اياه ولمجانسة الكلام فانه تقدم ذكر الصورة وقوله في حديث ابي سعيد اتاهم
الله في ادنى صورة من التي رأوه فيها يعني رأوه فيها اي علموها وهي صفته المعلومة للمؤمنين
وهي انه لا يشبهه شيء وقولهم نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا انما استعاذوا منه
لما قدمناه من كونهم رأوا سمات المخلوق قوله فيكشف عن ساق وفي رواية البخاري
يكشف ربنا عن ساقه ذكر هذه الرواية البيهقي في كتاب الاسماء والصفات قال ابو سليمان
الخطابي يحتمل ان يكون معنى قوله يكشف ربنا عن ساقه اي عن قدرته التي تكشف
عن الشدة وضبط يكشف بفتح الياء وضمها وقد تقدم تفسير كشف الساق وقيل المراد
بالساق في هذا الحديث نور عظيم وورد ذلك في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو
ما روي عن ابي موسى الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يوم يكشف
عن ساق قال نور عظيم يخرون له سجدا انفرد به روح ابن جناح عن مولى عمر بن عبد العزيز
وهو شامي يأتي باحاديث منكرة لا يتابع عليها ومولى عمر بن عبد العزيز كثيرون ففي اسناده
مجهول ايضا وقال ابن فورك ومعنى ذلك هو ما يتجدد للمؤمنين عند رؤية الله تعالى من
الفوائد والالطاف قال القاضي عياض وقد يكون الساق علامة بينه وبين المؤمنين
من ظهور جماعة الملائكة على خلقة عظيمة وقد يكون ساقا مخلوقة جعلها الله علامة
للمؤمنين خارجة عن السوق المعتادة وقيل معناه كشف الحزن وازالة الرعب عنهم
وما كان غلب على عقولهم من الاهوال فتطمئن حينئذ نفوسهم عند ذلك ويتجلى لهم فيخرون سجدا
قال الخطابي وهذه الرؤية في هذا المقام يوم القيامة غير الرؤية التي هي في الجنة لكرامة
اولياء الله وانما هذه الرؤية امتحان لعباده وقوله فلا يبقى من كان يسجد لله تعالى من تلقاء
نفسه الا اذن الله له في السجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء الا جعل الله ظهره طبقة
واحدة هذا السجود امتحان من الله تعالى لعباده ومعنى طبقة واحدة اي فقارة واحدة
كالصفيحة فلا يقدر على السجود وقوله ثم يرفعون رؤسهم وقد زال المانع لهم من رؤيته
وتجلى لهم فيقولون انت ربنا وقوله ثم يضرب الجسر على جهنم الجسر بفتح الجيم وكسرها
لغتان وهو الصراط وتحل الشفاعة بكسر الحاء وقيل بضمها من تحل معناه وتقع الشفاعة
ويؤذن فيها قوله دحض مزلة اي تزلق فيه الاقدام ولا تثبت قوله فيه خطاطيف

جمع خطاف وهو الذي يخطف الشيء وكلاليب جمع كلوب وهو الحديدة التي تعلق فيها
اللحم والحسك الذي يقال له السعدان نبت له شوك عظيم من كل جانب قوله فناج مسلم ومخدوش
مرسل ومكدوش في نار جهنم معناه انهم ثلاثة اقسام قسم يسلم فلا يناله شيء اصلا وقسم يخدش
ثم يرسل فيخلص وقسم يكدش اي يلقى ويسقط في جهنم وفي هذا اثبات الصراط وهو مذهب
اهل السنة واهل الحق وهو جسر يجعل على متن جهنم وهو ادق من الشعر واحد من السيف
فيمر عليه الناس كلهم فالمؤمنون ينجون على حسب منازلهم واعمالهم والاخرون يسقطون في
جهنم اعاذنا الله منها ومعنى مناشدة المؤمنين لله تعالى يوم القيامة في الشفاعة لاخوانهم
الذين في النار وقوله من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير ومثقال نصف دينار من خير
ومثقال ذرة قال القاضي عياض قيل معنى الخير اليقين قال والصحيح شيء زائد على مجرد الايمان
الذي هو التصديق لا يتجزى وانما يكون هذا الخير شيئا زائدا عليه من عمل صالح وذكر خفي او عمل
من اعمال القلب من شفقة على مسكين او خوف من الله تعالى او نية صادقة ومثقال الذرة مثل
لاقل الخير لان ذلك اقل المقادير وقول المؤمنين لم نذر فيها خيرا اي صاحب خير وقوله شفعت
الملائكة هو بفتح الفاء وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض
قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط هؤلاء هم الذين معهم مجرد الايمان فقط
ولم يعملوا خيرا قط وتفرد الله بعلم ما تكنه القلوب فالرحمة لمن ليس عنده الا مجرد الايمان
فقط ومعنى قبض قبضة اي جمع جماعة قوله قد عادوا حمما اي صاروا فحما فيلقيهم في نهر
من افواه الجنة جمع فوهة وهي اول النهر قوله فيخرجون كاللؤلؤ اي من الصفا في رقابهم
الخواتيم قيل معناه ان يعلق في رقابهم اشياء من ذهب او غير ذلك مما يعرفون بها والله اعلم قوله
تعالى **ويدعون الى السجود فلا يستطيعون** السجود يعني الكفار والمنافقين تصير اصلابهم
كصياصي البقر وكصفحة نحاس فلا يستطيعون الى السجود **خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة**
وذلك ان المؤمنين يرفعون رؤوسهم من السجود ووجوههم اشد بياضا من الثلج وقد علاها النور
والبهاء وتسود وجوه الكفار والمنافقين ويغشاهم ذل وخسران وندامة **وقد كانوا يدعون
الى السجود** يعني في دار الدنيا كانوا يدعون الى الصلاة المكتوبة بالاذان والاقامة وذلك
انهم كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون **وهم سالمون** يعني انهم كانوا يدعون
الى الصلاة وهم اصحاء فلا يأتونها قال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه الاية الا في الذين
يتخلفون عن الجماعة قوله عز وجل **فذرني ومن يكذب بهذا الحديث** اي دعني والمكذبين بالقرآن
وخل بيني وبينهم ولا تشغل قلبك بهم وكلهم الي فاني اكفيك اياهم **سنستدرجهم** سنأخذهم
بالعذاب **من حيث لا يعلمون** فعذبوا يوم بدر بالقتل والاسر وقيل معنى الاية كلما اذنبوا
ذنبا جددنا لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار والتوبة وهذا هو الاستدراج لانهم يحسبونه تفضلا
لهم على المؤمنين وهو في الحقيقة سبب اهلاكهم فعلى العبد المسلم قوله اذا تجددت عنده نعمة
ان يقابلها بالشكر فاذا اذنب ذنبا ان يعاجله بالاستغفار والتوبة **واملي لهم** اي امهلهم
واطيل لهم المدة وقيل معناه امهلهم الى الموت فلا اعاجلهم **ان كيدي متين** اي عذابي شديد
وقيل الكيد ضرب من الاحتيال فيكون بمعنى الاستدراج المؤدي الى العذاب **ام تسألهم اجرا**
اي على تبليغ الرسالة **فهم من مغرم مثقلون** المغرم الغرامة والمعنى اطلب منهم اجرا فيثقل
عليهم حمل الغرامات في اموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان **ام عندهم الغيب فهم يكتبون** اي عندهم
اللوح المحفوظ فهم يكتبون منه ما يحكمون به وهو استفهام على سبيل الانكار **فاصبر لحكم ربك**
اي اصبر على اذاهم لقضاء ربك وقيل انه منسوخ باية السيف **ولا تكن** في الضجر والعجلة **كصاحب**

الحوت

الحوت يعني يونس بن متى **اذ نادى** ربه اي في بطن الحوت **وهو مكظوم** اي مملوء غما **لولا
ان تداركه نعمة من ربه** اي حين رحمه وتاب عليه **لنبذ بالعراء** اي لطرح بالفضاء من بطن
الحوت على الارض **وهو مذموم** اي يذم ويلام بالذنب وقيل في معنى الاية لولا نعمة ربه
لبقي في بطن الحوت الى يوم القيامة ثم نبذ بعراء القيامة اي بارضها وصحرائها فان قلت
هل يدل قوله وهو مذموم على كونه فاعلا للذنب قلت الجواب عنه من ثلاثة اوجه
احدها ان كلمة لولا دلت على انه لم يحصل منه ما يوجب الذم الثاني لعل المراد منه ترك الافضل
فان حسنات الابرار سيئات المقربين الثالث لعل هذه الواقعة كانت قبل النبوة يدل
عليه قوله **فاجتباه ربه** والفاء للتعقيب اي اصطفاه ورد عليه الوحي وشفعه في قومه
فجعله من الصالحين اي النبيين قوله تعالى **وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم**
وذلك ان الكفار ارادوا ان يصيبوا النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فنظرت قريش اليه
وقالوا ما راينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني اسد حتى اذا كانت الناقة
او البقرة لتمر باحدهم فيعاينها ثم يقول لجاريته خذي المكتل والدراهم فاتينا من لحم هذه
فما تبرح حتى تقع بالموت فتنحر وقيل كان رجل من العرب يمكث لا ياكل يومين او ثلاثة
ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فما تذهب
الا قليلا حتى تسقط منها عدة فسأل الكفار هذا الرجل ان يصيب رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالعين ويفعل به مثل ذلك فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وانزل وان يكاد
الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم قال ابن عباس معناه ينفذونك وقيل يصيبونك بعيونهم
كما يصيب العاين بعينه ما يعجبه وقيل يصرفونك عما انت عليه من تبليغ الرسالة وانما
اراد انهم ينظرون اليك اذا قرأت القرآن نظرا شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد
يسقطك وشدة قولهم نظر الي نظرا يكاد يصرعني او يكاد ياكلني يدل على صحة هذا المعنى انه قرن
النظر بسماع القرآن وهو قوله **لما سمعوا الذكر** لانهم كانوا يكرهون ذلك اشد الكراهة
يحدون النظر اليه بالبغضاء **ويقولون انه لمجنون** اي ينسبونه الى الجنون اذا سمعوه يقرأ
قال الله تعالى ردا عليهم **وما هو** يعني القرآن **الا ذكر للعالمين** قال ابن عباس موعظة للمؤمنين
قال الحسن دواء من اصابه العين ان يقرأ الانسان هذه الاية **ق** عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق زاد البخاري ونهى عن الوشم **م** عن ابن عباس عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين
واذا استغسلتم فاغتسلوا عن عبيد الله بن رفاعة الزرقي ان اسماء بنت عميس قالت يا رسول
الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين افاسترقي لهم قال نعم ولو كان شيء سابق القدر لسبقته
العين اخرجه الترمذي قوله العين حق اخذ بظاهر هذا الحديث جماهير العلماء وقالوا ان
العين حق وانكره طوائف من المبتدعة والدليل على فساد قولهم ان كل معنى ليس مخالفا في نفسه
ولا يؤدي الى قلب حقيقة ولا افساد دليل فانه من مجوزات العقول واذا اخبر الشارع
بوقوعه وجب اعتقاده ولا يجوز تكذيبه ومذهب اهل السنة ان العين انما تفسد عند
مقابلة هذا الشخص الذي هو العاين لشخص اخر فيؤثر فيه بقدرة الله تعالى وفعله وقوله
ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين فيه اثبات القدر وانه حق والمعنى ان الاشياء كلها
بقدر الله ولا يقع الا على حسب ما قدر الله تعالى وسبق بها علمه ولا يقع ضرر العين ولا غيره
من الخير والشر الا بقدر الله وفيه صحة اثبات اثر العين وانما قوته الضرر وافقها
القدر والله اعلم بمراده واسرار كتابه العزيز

تفسير سورة الحاقة

مكية وهي اثنان وخمسون آية ومائتان وست وخمسون كلمة وألف وأربعمائة وثلاثون حرفاً مع صحة العدد والله أعلم **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **الحاقة** يعني القيامة سميت حاقة من الحق الثابت يعني أنها ثابتة الوقوع لا ريب فيها وقيل لأن فيها تحق الأمور فتعرف على الحقيقة وفيها يحق الجزاء على الأعمال أي يجب وقيل الحاقة النازلة التي حقت فلا كاذبة لها وقيل الحاقة التي تحق على القوم أي تقع بهم **ما الحاقة** استفهام ومعناه التفخيم لشأنها وتهويل لها والمعنى أي شيء هي الحاقة **وما أدراك ما الحاقة** أي إنك لا تعلمها إذ لم تعاينها وترى ما فيها من الأهوال على أنه من العظم والشدة أمر لا يبلغه دراية أحد ولا فكرة وكيف قدرت حالها فهي أعظم من ذلك **كذبت ثمود وعاد بالقارعة** قال ابن عباس القيامة سميت قارعة لأنها تقرع قلوب العباد بالمخافة وقيل كذبت بالعذاب الذي أوعدهم نبيهم حتى نزل بهم فقرع قلوبهم **فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية** الذي لو عذبهم أي بطغيانهم وكفرهم وقيل الطاغية الصيحة الشديدة المجاوزة للحد في القوة وقيل الطاغية الفرقة التي عقروا الناقة فأهلكت قوم ثمود بسببهم **وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر** أي شديدة الصوت في الهبوب لها صرصرة وقيل هي الباردة من الصرد الذي هو شدة البرد وكثرة فهي تحرق لشدة بردها **عاتية** أي عتت على خزانها فلم تطعهم ولم يكن لهم عليها سبيل وجاوزت الحد والمقدار فلم يعرفوا لها كم خرج منها وقيل عتت على عاد فلم يقدروا على دفعها عنهم بقوة ولا حيلة **سخرها عليهم** أي أرسلها عليهم وسلطها عليهم وفيه رد على من قال إن ذلك كان بسبب اتصال الكواكب فنفى هذا المذهب بقوله سخرها عليهم فبين الله أن ذلك كان بقضاء الله وقدرته ومشيئته لا باتصال الكواكب **سبع ليال وثمانية أيام** قال وهب هي الأيام التي تسميها العرب أيام العجوز لأنها أيام ذات برد ورياح شديدة وسميت عجوزاً لأنها تأتي في عجز الشتاء وقيل لأن عجوزاً من قوم عاد دخلت سرباً فتبعتها الريح فقتلتها **حسوماً** أي متتابعة دائمة ليس فيها فتور وذلك أن الريح المهلكة تتابعت عليهم في هذه الأيام فلم يكن لها فتور ولا انقطاع حتى أهلكتهم وقيل حسوماً شؤماً وقيل لهذه الأيام حسوماً لأنها تحسم الخير عن أهلها وقيل الحسم القطع والمعنى أنها حسمتهم بعذاب الاستئصال فلم تبق منهم أحداً **فترى القوم فيها** أي في تلك الليالي والأيام **صرعى** أي هلكى جمع صريع قد صرعهم الموت **كأنهم أعجاز نخل خاوية** أي ساقطة وقيل خالية الأجواف شبههم بجذوع نخل ساقطة ليس لها رؤوس **فهل ترى لهم من باقية** أي من نفس باقية قيل إنهم لما أصبحوا موتى في اليوم الثامن كما وصفهم الله تعالى أعجاز نخل خاوية حملتهم الريح فألقتهم في البحر فلم يبق منهم أحد قوله تعالى **وجاء فرعون ومن قبله** قرئ بكسر القاف وفتح الباء أي ومن معه من جنوده وأتباعه وقرئ بفتح القاف وسكون الباء أي ومن قبله من الأمم الكافرة **والمؤتفكات** يعني قرى قوم لوط ويريد أهل المؤتفكات وقيل يريد الأمم الذين ائتفكوا بخطيئتهم وهو قوله **بالخاطئة** أي بالخطيئة والمعصية وهو الشرك **فعصوا رسول ربهم** قيل يعني موسى بن عمران وقيل لوطاً والأولى أن يقال المراد بالرسول كلاهما لتقدم الخبر عن ذكر الاثنين جميعاً **فأخذهم أخذة رابية** يعني نامية وقال ابن عباس شديدة وقيل زائدة على عذاب الأمم **إنا لما طغى الماء** أي طغى وعلا وجاوز حده حتى علا على كل شيء وارتفع فوقه وذلك في زمن نوح عليه السلام وهو الطوفان **حملناكم في الجارية** يعني حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم فصح خطاب الحاضرين في الجارية أي السفينة التي تجري **لنجعلها** أي لنجعل

لكم

تلك الفعلة التي فعلنا من إغراق فرعون وقوم نوح ونجاة من حملناه معه **لكم تذكرة** أي عبرة وموعظة **وتعيها** أي تحفظها **أذن واعية** أي حافظة لما جاء من عند الله وقيل أذن سمعت وعقلت ما سمعت ووعت لما جاء من عند الله وقيل الأول لتحفظها كل أذن فتكون عظة وعبرة لمن يأتي بعد والمراد صاحب الأذن والمعنى ليعتبر ويعمل بالمواعظ قوله عز وجل **فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة** يعني النفخة الأولى **وحملت الأرض والجبال** أي رفعت من أماكنهما **فدكتا دكة واحدة** أي كسرتا وفتتا حتى صارت هباء منبثاً والضمير عائد إلى الأرض والجبال فعبر عنها بلفظ الاثنين **فيومئذ وقعت الواقعة** أي قامت القيامة **وانشقت السماء فهي يومئذ واهية** أي ضعيفة لتشققها **والملك على أرجائها** يعني الملائكة على أرجائها يعني نواحيها وأقطارها وهو الذي لم ينشق منها قال الضحاك تكون الملائكة على حافتها حتى يأمرهم الرب فينزلون فيحيطون بالأرض ومن عليها **ويحمل عرش ربك فوقهم** أي فوق رؤوسهم يعني الحملة **يومئذ** أي يوم القيامة **ثمانية** يعني ثمانية أملاك جاء في الحديث إنهم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخر فكانوا ثمانية على صورة الأوعال بين أظلافهم إلى ركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء الأوعال تيوس الجبل وروى السدي عن أبي مالك قال إن الصخرة التي تحت الأرض السابعة ومنتهى علم الخلق على أرجائها يحملها أربعة من الملائكة لكل واحد منهم أربعة وجوه وجه إنسان ووجه أسد ووجه ثور ووجه نسر فهم قيام عليها قد أحاطوا بالسموات والأرضين ورؤوسهم تحت العرش وعن عروة بن الزبير قال حملة العرش منهم من صورته على صورة الإنسان ومنهم من صورته على صورة النسر ومنهم من صورته على صورة الثور ومنهم من صورته على صورة الأسد وعن ابن عباس قال صدق النبي صلى الله عليه وسلم أمية بن أبي الصلت في شيء من الشعر فقال

رجل وثور تحت رجل يمينه ۞ والنسر للأخرى وليث يرصد

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق عن جابر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام أخرجه أبو داود بإسناد صحيح غريب عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كنت جالساً في البطحاء في عصابة ورسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم إذ مرت سحابة فنظروا إليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون ما اسم هذه قلنا نعم هذه السحاب قال والمزن قالوا والمزن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والعنان قالوا والعنان ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون كم بعد ما بين السماء والأرض قالوا لا والله ما ندري قال فإن بعد ما بينهما إما قال واحدة وإما قال اثنتان وإما ثلاث وسبعون سنة وبعد التي فوقها كذلك وكذلك حتى عدهن سبع سموات كذلك ثم فوق السماء السابعة بحر أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء والله عز وجل فوق ذلك أخرجه الترمذي وأبو داود زاد في روايته وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء عن ابن مسعود ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة كل سماء وأرض خمسمائة وقطر كل سماء وأرض خمسمائة عام وما بين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم أخرجه أبو سعيد الدارمي وابن خزيمة وغيرهما موقوفاً على ابن مسعود والاثنين الاختلاف في خبر العباس وابن مسعود في قدر المسافة على اختلاف السير سير الدواب وعن ابن عباس لحملة العرش قرون ما بين أخمص أحدهم إلى كعبه مسيرة خمسمائة عام ومن كعبه إلى ركبته مسيرة خمسمائة عام ومن ترقوته إلى موضع القرط مسيرة خمسمائة عام وعن عبد الله بن عمر

قال الذين يحملون العرش ما بين موق احدهم الى موخر عينيه خمسمائة عام وعن شهر بن حوشب
قال حملة العرش ثمانية اربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد
علمك واربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وروى
عن ابن عباس في قوله فوقهم يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم الا
الله عز وجل يومئذ تعرضون اي على الله للحساب لا تخفى منكم خافية اي فعلة خافية والمعنى
انه تعالى عالم باحوالكم لا يخفى عليه شيء منها وان عرضكم يوم القيامة عليه فيه المبالغة والتهديد
وقيل معناه لا يخفى منكم يوم القيامة فان كان مخفيا في الدنيا فانه يظهر احوال الخلائق
فالمحسنون يسرون باحسانهم والمسيئون يحزنون باساءتهم وعن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير
واما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله اخرجه
الترمذي وقال ولا يصح هذا الحديث قيل ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة وقد روى بعضهم
عن الحسن عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فاما من اوتي اي اعطي كتابه
بيمينه فيقول هاؤم اي تعالوا اقرؤا كتابيه والمعنى انه لما بلغ الغاية من السرور وعلم انه
من الناجين باعطا كتابه بيمينه احب ان يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا له وقيل يقول
ذلك لاهله واقربائه اني ظننت اي علمت وايقنت وانما اجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام
مقام العلم في العادات والاحكام اني ملاق حسابيه اي في الاخرة والمعنى اني كنت في
الدنيا استيقن اني احاسب في الاخرة فهو في عيشة راضية في جنة عالية رفيعة
قطوفها دانية اي ثمارها قريبة لمن يتناولها قائما وقاعدا او مضطجعا يقطفونها
كيف شاؤا كلوا اي يقال لهم كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم اي بما قدمتم لاخرتكم من الاعمال
الصالحة في الايام الخالية اي الماضية يريد ايام الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله
قيل تكون يده اليسرى خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى خلف ظهره
ثم يعطى كتابه بها وقيل تنزع يده اليسرى من صدره خلف ظهره ثم يعطى كتابه بها فيقول
يا ليتني لم اوت كتابيه وذلك لما نظر في كتابه ورأى قبائح اعماله مثبتة عليه تمنى انه
لم يؤت كتابه لما حصل له من الخجل والافتضاح ولم ادر ما حسابيه اي لم ادر اي
شيء حسابيه لانه لا طائل ولا حاصل له وانما كله عليه لا له يا ليتها كانت القاضية تمنى
انه لم يبعث للحساب والمعنى يا ليت الموتة التي متها كانت القاضية من كل ما بعدها
والقاطعة للحياة اي ما احيى بعدها قال قتادة تمنى الموت ولم يكن شيء عنده اكره اليه
منه اي من الموت في الدنيا لانه رأى تلك الحالة اشنع وامر مما ذاقه من الموت
ما اغنى عني ماليه اي لم يدفع عني يساري وما لي من العذاب شيئا هلك عني سلطانيه
اي ضلت عني حجتي التي كنت احتج بها في الدنيا وقيل ضلت عنه حجته حتى شهدت
عليه الجوارح بالشرك وقيل معناه زال عني ملكي وقوتي وتسلطي على الناس
وبقيت ذليلا حقيرا فقيرا خذوه اي يقول الله لخزنة جهنم خذوه
فغلوه اي اجمعوا يديه الى عنقه ثم الجحيم صلوه اي ادخلوه معظم النار لانه كان يتعاظم
في الدنيا ثم في سلسلة وهي حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة ذرعها اي مقدارها
والذرع التقدير بالذراع من اليد او غيرها سبعون ذراعا قال ابن عباس بذراع
الملك وقال نوف البكالي سبعون ذراعا كل ذراع سبعون باعا كل باع ابعد مما بينك
وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال سفيان كل ذراع سبعون ذراعا وقال الحسن

في حالة من العيش
مرضية وذلك بان
لقي الثواب وامن من
العقاب

الله اعلم اي ذراع هو وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لو ان رصاصة مثل هذه واشار الى مثل الجمجمة ارسلت من السما الى الارض وهي مسيرة
خمسمائة سنة لبلغت الارض قبل الليل ولو انها ارسلت في راس السلسلة لسارت اربعين خريفا
الليل والنهار قبل ان تبلغ قعرها او اصلها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن الرصاص الحصا
الصغار قوله واشار الى مثل الجمجمة الجمجمة قدح من خشب وجمعه جماجم والجمجمة الراس وهو اشرف
الاعضا وقال كعب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها وقوله تعالى فاسلكوه اي ادخلوه فيها
قال ابن عباس تدخل في حلقه وتخرج من دبره انه كان لا يؤمن بالله العظيم اي لا يصدق بوحدانية
الله وعظمته ولا يحض على طعام المسكين اي ولا يحث نفسه على اطعام المسكين ولا يامر اهله بذلك
وفيه دليل على الجزم في حرمان المساكين لان الله تعالى عطفه على الكفر وجعله قرينة قال الحسن
في هذه الاية ادركت اقواما يعزمون على اهليهم ان لا يردوا سائلا وعن بعضهم انه كان يامر اهله
بتكثير المرق لاجل المساكين ويقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان افلا نخلع النصف
الثاني بالاطعام فليس له اليوم هاهنا حميم اي ليس له في الاخرة قريب ينفعه او يشفع له ولا
طعام الا من غسلين يعني صديد اهل النار ماخوذ من الغسل كانه غسالة جروحهم وقروحهم
وقيل هو شجر ياكله اهل النار لا ياكله الا الخاطئون اي الكافرون قوله عز وجل فلا
اقسم قيل ان لا صلة والمعنى اقسم وقيل لا رد لكلام المشركين كانه قال ليس الامر كما
يقول المشركون ثم قال تعالى اقسم وقيل لا هاهنا نافية للقسم على معنى انه لا يحتاج
اليه لوضوح الحق فيه كانه قال لا اقسم على ان القران قول رسول كريم فكانه لوضوحه
استغنى عن القسم وقوله عز وجل بما تبصرون وما لا تبصرون يعني بما ترون وتشاهدون
اقسم بالاشيا كلها فيدخل فيه جميع المكونات والموجودات وقيل اقسم بالدنيا
والاخرة وقيل بما تبصرون يعني على ظهر الارض وما لا تبصرون اي في بطنها وقيل ما تبصرون
وما لا تبصرون يعني الاجسام وما لا تبصرون يعني الارواح وقيل ما تبصرون يعني
الانس وما لا تبصرون يعني الملائكة والجن وقيل ما تبصرون من النعم الظاهرة
وما لا تبصرون النعم الباطنة وقيل ما تبصرون هو ما اظهره الله من مكنون غيبه
لملائكته واللوح والقلم وجميع خلقه وما لا تبصرون هو ما استاثر الله بعلمه فلم
يطلع عليه احد من خلقه ثم ذكر المقسم عليه فقال تعالى انه يعني القران لقول رسول كريم
يعني تلاوة رسول كريم وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الرسول هو جبريل عليه السلام
فعلى هذا يكون المعنى انه لرسالة رسول كريم والاول اصح لانهم لم يصفوا جبريل بالشعر
والكهانة وانما وصفوا بهما محمد صلى الله عليه وسلم فان قلت قد توجه هاهنا سؤال
وهو ان جمهور الامة وهم اهل السنة مجمعون على ان القران كلام الله فكيف يصح اضافته
الى الرسول قلت اما اضافته الى الله تعالى لانه المتكلم به واما اضافته الى الرسول لانه
هو المبلغ عن الله تعالى ما اوحى اليه وهذا اكد تنزيل من رب العالمين لزوال هذا
الاشكال قال ابن قتيبة لم يرد انه قول الرسول المبلغ عن الله وفي الرسول ما يدل على
ذلك فاكتفى فيه من ان يقول عن الله وقوله تعالى وما هو بقول شاعر يعني القران
ليس بقول رجل شاعر ولا هو من ضروب الشعر ولا تركيبه قليلا ما تؤمنون اراد بالقليل
ايمانهم اصلا والمعنى انكم لا تصدقون بان القران من عند الله تعالى ولا بقول كاهن اي
وليس هو بقول رجل كاهن ولا هو من جنس الكهانة قليلا ما تذكرون يعني لا تذكرون
البتة تنزيل اي هو تنزيل من رب العالمين يعني القران من رب العالمين وذلك انه

تؤمنون ع

لما قال انه لقول رسول كريم اتبعه بقوله تنزيل من رب العالمين ليزول هذا الاشكال قوله تعالى
ولو تقول علينا اى اختلق علينا محمد بعض الاقاويل يعنى واتى بشىء من عند نفسه لم نقله نحن
ولم نوحه اليه لاخذنا منه باليمين اى لاخذناه وانتقمنا منه باليمين اى بالحق وقال ابن عباس
لاخذناه بالقوة والقدرة وقال الشماخ يمدح عرابة

اذا ما راية رفعت لمجد ۞ تلقاها عرابة باليمين

اى بالقوة فعبر عن القوة باليمين لان قوة كل شىء فى ميامنه والمعنى لاخذنا منه اليمين اى باليد
فعلى هذا المعنى الباء زائدة وقيل معنى الاية لاذللناه واهناه كفعل السلطان بمن يريد اهانته
يقول لبعض اعوانه خذ بيده فاقمه وانما خص اليمين بالذكر لانه اشرف العضوين ثم لقطعنا
منه الوتين قال ابن عباس يعنى نياط القلب وقيل هو عرق يجرى فى الظهر حتى يتصل بالقلب
فاذا انقطع مات صاحبه وقيل هو عرق يتصل من القلب بالراس قال ابن قتيبة لم يرد انا
نقطعه بعينه بل المراد منه لو كذب علينا لامتناه فكان كمن قطع وتينه والمعنى انه لو كذب
علينا وتقول علينا قولا لم نقله لمنعناه من ذلك اما بواسطة اقامة الحجة عليه بان نقيض له
من يعارضه ويظهر كذبه فيكون ذلك ابطالا لدعواه واما ان نسلب عنه قوة التكلم
بذلك القول الكذب حتى لا يشتبه الصادق بالكاذب واما ان نميته فما منكم من احد عنه
حاجزين اى ما منكم من يحجزنا عن عقوبته والمعنى ان محمدا لا يتكلم الكذب علينا لاجلكم
مع علمه انه لو تكلم لعاقبناه ولا يقدر احد على دفع عقوبتنا عنه وانما قال حاجزين
بلفظ الجمع وهو نعت واحد ردا على معناه وانه يعنى القران وذلك انه لما وصفه انه تنزيل
من رب العالمين بواسطة جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم بين ما هو فقال لتذكرة اى
لعظة للمتقين اى لمن اتقى عقاب الله وانا لنعلم ان منكم مكذبين فيه وعيد لمن كذب بالقران
وانه يعنى القران لحسرة على الكافرين يعنى يوم القيامة والمعنى انهم يندمون على ترك
الايمان به لما يرون من ثواب من امن به وانه لحق اليقين معناه انه حق يقين لا بطلان فيه
ويقين لا شك ولا ريب فيه فسبح باسم ربك العظيم اى نزه ربك العظيم واشكره على ان جعلك
اهلا لايحائه عليك والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه العزيز

تفسير سورة المعارج

مكية وهى ثمان وعشرون اية ومائتان واربع وعشرون كلمة وتسعمائة وتسعة وعشرون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سال سائل قرئ
بغير همزة وفيه وجهان الاول انه لغة فى السؤال والثانى انه من السيل ومعناه اندفع
عليهم واد بعذاب وقيل سال واد من اودية جهنم وقرئ سأل سائل بالهمز من السؤال بعذاب
قيل الباء بمعنى عن عذاب واقع اى نازل وكائن وعلى من ينزل ولمن ذلك العذاب فقال الله
تعالى مجيبا لذلك السائل للكافرين وذلك ان اهل مكة لما خوفهم النبى صلى الله عليه وسلم
بالعذاب قال بعضهم لبعض من اهل هذا العذاب ولمن هو سلوا عنه محمدا صلى الله عليه وسلم
فسألوه فانزل الله تعالى سال سائل بعذاب واقع للكافرين والباء صلة ومعنى الاية وطلب
طالب عذابا واقعا للكافرين وهذا السائل هو النضر بن الحرث حيث دعا على نفسه
وسال العذاب فقال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الاية فنزل به ما سال فقتل يوم
بدر صبرا وهذا قول ابن عباس ليس له دافع اى ان العذاب واقع بهم لا محالة سواء طلبوه
او لم يطلبوه اما فى الدنيا بالقتل واما فى الاخرة لان العذاب واقع بهم فى الاخرة لا يدفعه

عنهم دافع من الله اى بعذاب من الله والمعنى ليس لذلك العذاب الصادر من الله للكافرين دافع
يدفعه عنهم ذى المعارج قال ابن عباس ذى السموات سماها معارج لان الملائكة تعرج فيها وقيل
ذى الدرجات وهى المصاعد التى تعرج الملائكة فيها وقيل ذو الفواضل والنعم وذلك لان
افضاله وانعامه مراتب وهى تصل الى الخلق على مراتب مختلفة تعرج الملائكة والروح يعنى
جبريل عليه السلام وانما افرده بالذكر وان كان من جملة الملائكة لفضله وشرف منزلته وقيل
ان الله تعالى اذا ذكر الملائكة فى معرض التخويف والتهويل افرد الروح بالذكر وهذا يقتضى ان الروح
اعظم الملائكة اليه اى الى الله عز وجل فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة اى من سنى الدنيا
والمعنى انه لو صعد غير الملك من بنى ادم لما صعد من منتهى امر الله تعالى من اسفل الارض السابعة
الى منتهى امر الله من فوق السماء السابعة لما صعد فى اقل من خمسين الف سنة والملك يقطع ذلك
فى ساعة واحدة او اقل من ذلك وذكروا ان مقدار ما بين الارض السابعة السفلى الى منتهى العرش
مسافة خمسين الف سنة وقيل ان هذا اليوم هو يوم القيامة قال الحسن هو يوم القيامة واراد
ان موقفهم للحساب حتى يفصل بين الناس فى مقدار خمسين الف سنة من سنى الدنيا وليس معنى
ان مقدار طول ذلك اليوم خمسين الف سنة دون غيره من الايام لان يوم القيامة له اول وليس له
اخر لانه يوم ممدود لا اخر له ولو كان له اخر منقطعا وهذا الطول فى حق الكفار دون المؤمنين
قال ابن عباس يوم القيامة يكون على الكافرين مقدار خمسين الف سنة وروى البغوى بسنده عن
ابى سعيد الخدرى قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم كان مقداره خمسين الف سنة فما اطول
هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده انه ليخفف على المؤمن حتى يكون اخف
عليه من صلاة مكتوبة يصليها فى الدنيا وقال ابن عباس معناه لو ولى محاسبة العباد فى ذلك اليوم
غير الله لم يفرغ منه فى خمسين الف سنة قال عطا ويفرغ الله عز وجل فى مقدار نصف يوم من ايام
الدنيا وقال الكلبى يقول الله عز وجل لو وليت حساب ذلك اليوم الملائكة والجن والانس
وطوقتهم محاسبتهم لم يفرغوا منه فى خمسين الف سنة وانا افرغ فى ساعة من نهار وقال يمان
هو يوم القيامة فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنة فعلى هذا يكون المعنى ليس له دافع من
الله فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة وقيل معناه سال سائل بعذاب واقع فى يوم كان
مقداره خمسين الف سنة وقيل فيه تقديم وتاخير فاصبر اى يا محمد على تكذيبهم اياك صبرا جميلا
اى لا جزع فيه وهذا قبل ان يامر بالقتال ثم نسخ باية السيف انهم يرونه اى العذاب بعيدا اى غير
كائن ونراه قريبا اى كائنا لا محالة لان كل ما هو ات قريب وقيل الضمير فى يرونه يعود
الى يوم كان مقداره خمسين الف سنة والمعنى انهم يستبعدونه على جهة الانكار والاحالة ونحن
نراه قريبا فى قدرتنا غير بعيد علينا فلا يتعذر علينا امكانه يوم تكون السماء كالمهل اى كعكر الزيت
وقال الحسن كالفضة المذابة وتكون الجبال كالعهن اى الصوف المصبوغ وانما شبه الجبال
بالمصبوغ من الصوف لانها ذات الوان احمر وابيض وغرابيب سود ونحو ذلك فاذا بست
الجبال وسيرت اشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح وقيل العهن الصوف الاحمر وهو اضعف
فاول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم تصير هباء منثورا ولا يسال حميم
حميما اى لا يسال قريب قريبه لشغله بشان نفسه والمعنى لا يسال الحميم حميمه كيف حالك
ولا يكلمه لهول ذلك اليوم وشدته وقيل لا يسال له الشفاعة اى لا يسال له الاحسان اليه
ولا الرفق به كما كان يسال له فى الدنيا وذلك لشدة الامر وهول يوم القيامة يبصرونهم
اى يرونهم وليس فى القيامة مخلوق من جن وانس الا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل
اباه واخاه وقرابته فلا يساله ويبصر حميمه فلا يكلمه لاشتغاله بنفسه وقال ابن عباس يتعارفون

ساعة من النهار ثم لا يتعارفون بعد ذلك وقيل يعرف الحميم حميمه ومع ذلك لا يسأله عن حاله
وقيل يبصرونهم اما المؤمن فيعرف ببياض وجهه واما الكافر فيعرف بسواد وجهه يود المجرم
اي يتمنى المشرك لو يفتدي من عذاب يومئذ اي من عذاب يوم القيامة ببنيه وصاحبته اي زوجته
واخيه وفصيلته اي عشيرته وقيل قبيلته وقيل اقربائه الاقربين التي تؤويه اي تضمه ويأوي
اليها ومن في الارض جميعا يعني يتمنى لو ملك هؤلاء وكان تحت يده ثم انه يفتدي بهم جميعا ثم ينجيه
اي ذلك الفداء من عذاب الله كلا اي لا ينجيه من عذاب الله شيء ثم ابتدا فقال تعالى انها لظى يعني
النار ولظى اسم من اسمائها وقيل الدركة الثانية من النار وسميت لظى لانها تتلظى اي تتلهب نزاعة
للشوى يعني الاطراف كاليدين والرجلين مما ليس بمقتل والمعنى ان النار تنزع الاطراف فلا تترك
عليها لحما وجلدا وقال ابن عباس تنزع العصب والعقب وقيل تنزع اللحم دون العظام وقيل
تاكل الدماغ كله ثم يعود كما كان ثم تاكله فذلك دابها وقيل لمكارم خلقه ومحاسن اطرافه
تدعوا يعني النار الى نفسها من ادبر عن الايمان وتولى اي عن الحق فتقول له يا مشرك يا منافق
قال ابن عباس تدعوا الكافر والمنافق باسمائهم بلسان فصيح ثم تلتقطهم كما يلتقط الطير الحب
وقيل تدعوا اي تعذب قال اعرابي لاخر دعاك الله اي عذبك الله وجمع فاوعى يعني وتدعوا
من جمع المال في الوعاء ولم يؤد حق الله منه ان الانسان خلق هلوعا قال ابن عباس الهلوع
الحريص على ما لا يحل وقيل بخيلا وقيل ضجورا وقيل جزوعا وقيل ضيق القلب وقيل
الهلوع شدة الحرص وقلة الصبر وقال ابن عباس تفسيره ما بعده وهو قوله تعالى اذا
مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا يعني اذا اصابه الفقر لم يصبر واذا اصاب المال
لم ينفقه قال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويهرب مما يكره ثم تعبده بانفاق
ما يحب والصبر على ما يكره وقيل المراد بالانسان هنا الكافر وقيل هو على عمومه ثم استثنى
الله عز وجل فقال تعالى الا المصلين وهذا استثناء الجمع من الواحد لان الانسان واحد
وفيه معنى الجمع الذين هم على صلاتهم دائمون يعني يقيمونها في اوقاتها وهي الفرائض فان
قلت كيف قال على صلاتهم دائمون ثم قال بعده على صلاتهم يحافظون
قلت معنى ادامتهم عليها ان يواظبوا على ادائها وان لا يتركوها في شيء من الاوقات وان
لا يشتغلوا عنها بغيرها اذا دخل وقتها والمحافظة عليها ترجع الى الاهتمام بحالها
وهو ان ياتي بها العبد على اكمل الوجوه وهذا انما يحصل بامور ثلاثة منها ما هو
سابق للصلاة كاشتغاله بالوضوء وستر العورة وارصاد المكان الطاهر للصلاة وقصد
الجماعة وتعلق القلب بدخول وقتها وتفريغه من الوساوس والالتفات الى ما سوى الله
عز وجل واما الامور المقارنة للصلاة فهو ان لا يلتفت في الصلاة يمينا ولا شمالا وان
يكون حاضر القلب في جميعها بالخشوع والخوف واتمام ركوعها وسجودها واما الامور
الخارجة عن الصلاة فهو ان يحترز عن الرياء والسمعة وخوف ان لا يقبل منه مع الابتهال
والتضرع الى الله تعالى في سؤال قبولها وطلب الثواب والمداومة على الصلاة ترجع
الى نفسها والمحافظة عليها ترجع الى احوالها وهيئاتها وروى البغوي بسنده عن ابي الخير
قال سالنا عقبة بن عامر عن قوله عز وجل الذين هم على صلاتهم دائمون اهم الذين يصلون
ابدا قال لا ولكنه اذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه والذين في اموالهم
حق معلوم يعني الزكاة المفروضة لانها مقدرة معلومة وقيل هي صدقة التطوع وذلك
يوظف الرجل على نفسه شيئا من الصدقة يخرجه على سبيل الندب في اوقات معلومة
للسائل والمحروم يعني الذي يسال الناس والمحروم يعني الفقير المتعفف عن السؤال فيحسب

غنيا فيحرم والذين يصدقون بيوم الدين اي يؤمنون بالبعث بعد الموت والحشر والنشر والجزاء يوم
القيامة والذين هم من عذاب ربهم مشفقون اي خائفون ثم اكد الخوف فقال تعالى ان عذاب
ربهم غير مامون يعني ان الانسان لا يمكنه القطع بانه ادى الواجبات كما ينبغي ولا اجتنب
المحظورات بالكلية كما ينبغي بل قد يكون وقع منه تقصير من الجانبين فلا جرم ينبغي ان يكون
العبد بين الخوف والرجاء وقوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت
ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون تقدم تفسيره في سورة المؤمنون قوله تعالى والذين هم بشهاداتهم قائمون اي
يقومون فيها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وهذه الشهادة من جملة الامانات
الا انه خصها بالذكر لفضلها لان بها تحيى الحقوق وتظهر وفي تركها تموت وتضيع وقيل
اراد بالشهادة الشهادة بان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولهذا عطف عليها والذين هم
على صلاتهم يحافظون ثم ذكر ما اعد لهم فقال تعالى اولئك يعني من هذه صفته في جنات مكرمون
قوله تعالى فمال الذين كفروا اي فما بالهم قبلك مهطعين اي مسرعين مقبلين اليك مادي اعناقهم
ومديمي النظر اليك متطلعين نحوك نزلت في جماعة من الكفار يجتمعون حول النبي صلى الله عليه وسلم
يستمعون كلامه ويستهزئون به ويكذبونه فقال الله تعالى ما لهم ينظرون اليك ويجلسون عندك
وهم لا ينتفعون بما يسمعون منك عن اليمين وعن الشمال عزين يعني انهم كانوا عن يمينه وعن شماله
مجتمعين حلقا وفرقا والعزين جماعات في تفرقة ايطمع كل امرئ منهم ان يدخل جنة نعيم
قال ابن عباس معناه ايطمع كل رجل منهم ان يدخل جنتي كما يدخلها المسلمون ويتنعم فيها وقد
كذب نبيي كلا اي لا يدخلها ثم ابتدا فقال انا خلقناهم مما يعلمون اي من الاشياء المستقذرة
من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة نبه الله الناس على انهم خلقوا من اصل واحد وشيء
واحد وانما يتفاضلون بالمعرفة ويستوجبون الجنة بالايمان والطاعة روى البغوي
باسناد الثعلبي عن بسر بن جحاش قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبصق يوما في
كفه ووضع عليها اصبعه فقال يقول الله عز وجل يا ابن ادم انى تعجزني وقد خلقتك من
مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك ومشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت
حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق واني اوان الصدقة واخرجه ابن الجوزي في تفسيره بلا
اسناد وقيل في معنى الاية انا خلقناهم من اجل ما يعلمون وهو الامر والنهي والثواب
والعقاب وقيل معناه انا خلقناهم ممن يعلمون ويعقلون ولم نخلقهم كالبهائم بلا علم
ولا عقل فلا اقسم يعني واقسم وقد تقدم بيانه برب المشارق والمغارب يعني مشرق
كل يوم من كل السنة ومغربه وقيل يعني مشرق كل نجم ومغربه انا لقادرون على ان نبدل
خيرا منهم معناه انا لقادرون على اهلاكهم وعلى ان نخلق امثل منهم واطوع لله وما نحن بمسبوقين
اي بمغلوبين عاجزين عن اهلاكهم وابدالكم بمن هو خير منكم فذرهم يخوضوا في اباطيلهم
ويلعبوا في دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون نسختها اية القتال ثم فسر ذلك
فقال تعالى يوم يخرجون من الاجداث يعني القبور سراعا اي الى اجابة الداعي كانهم الى نصب
يعني الى شيء منصوب كالعلم والراية ونحوه وقرئ بضم النون والصاد وهي الاصنام التي
كانوا يعبدونها يوفضون اي يسرعون ومعنى الاية انهم يخرجون من الاجداث مسرعين الى
الداعي مستبقين اليه كما كانوا يستبقون الى انصابهم ليستلموها خاشعة ابصارهم اي ذليلة
خاضعة ترهقهم ذلة اي يغشاهم هوان ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون يعني يوم القيامة
الذي كانوا يوعدون به في الدنيا والله اعلم بكتابه واسراره

مكية وهي ثمان وعشرون آية وما يتان واربع وعشرون كلمة وتسعة وعشرون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر قومك اى بان خوف قومك وحذرهم من قبل ان ياتيهم عذاب اليم يعني الغرق بالطوفان والمعنى انا ارسلناه لينذرهم بالعذاب ان لم يؤمنوا به قال يا قوم اني لكم نذير مبين اى انذركم وابين لكم ان اعبدوا الله اى وحده ولا تشركوا به شيئا واتقوه اى وخافوه بان تحفظوا انفسكم مما يوبقكم واطيعون اى فيما امركم به من عبادة الله وتقواه يغفر لكم من ذنوبكم اى يغفر لكم ذنوبكم ومن صلة وقيل يغفر لكم ما سلف من ذنوبكم الى وقت الايمان وذلك بعض الذنوب ويؤخركم الى اجل مسمى اى الى منتهى اجالكم فلا يعاقبكم ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون معناه يقول آمنوا قبل الموت تسلموا من العذاب فان اجل الله وهو الموت اذا جاء لا يؤخر فاذا الزمخشري ان قلت كيف قال ويؤخركم مع اخباره بامتناع تاخير الاجل وعلى هذا الا تناقض قلت قضى مثلا ان قوم نوح ان آمنوا عمرهم الف سنة وان بقوا على كفرهم اهلكهم على راس تسع مائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى اجل مسمى اى الى وقت سماه الله وضربه امدا تنتهون اليه لا تتجاوزون وهو الوقت الاطول الى الالف ثم اخبر انه اذا جاء الاجل لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم يكن لهم حيلة فبادروا في اوقات الامهال والتاخير عنكم ولا يمكنكم الايمان قال يعني نوح عليه السلام رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاي الا فرارا اى نفارا وادبارا عن الايمان واني كلما دعوتهم لتغفر لهم اى ليؤمنوا بك فتغفر لهم جعلوا اصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا دعوتي واستغشوا ثيابهم اى غطوا وجوههم بثيابهم لئلا يروني واصروا اى على كفرهم واستكبروا اى عن الايمان بك استكبارا اى تكبرا عظيما ثم اني دعوتهم جهارا اى معلنا قال ابن عباس ثم اني اعلنت لهم اى كررت لهم الدعا معلنا واسررت لهم اسرارا قال ابن عباس يريد الرجل بعد الرجل اكلمه سرا بيني وبينه ادعوه الى عبادتك وتوحيدك فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما عليكم مدرارا وذلك ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله عنهم المطر واعقم ارحام نسائهم اربعين سنة فهلكت اموالهم ومواشيهم فقال لهم استغفروا ربكم اى من الشرك واطلبوا المغفرة بالتوحيد حتى يفتح عليكم ابواب نعمه وذلك لان الاشتغال بالطاعة سببا لاتساع الخير والرزق وان الكفر سبب هلاك الدنيا فاذا اشتغلوا بالايمان والطاعة حصل ما يحتاجون اليه في الدنيا وروى الشعبي ان عمر بن الخطاب خرج يستسقي بالناس فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فقيل له ما سمعناك استسقيت فقال طلبت الغيث بمجاديح السما التي يستنزل بها المطر ثم قرا استغفروا ربكم انه كان غفارا الاية قوله بمجاديح السما واحدها مجدح وهو نجم من النجوم قيل هو الدبران وقيل هو ثلاثة كواكب كالاثافي تشبيها بالمجدح الذي له شعب وهو عند العرب من الانوا الدالة على المطر فجعل عمر الاستغفار مشبها بالانوا مخاطبة لهم بما يعرفونه وكانوا يزعمون المطر انه من شانها المطر لا انه يقول بالانوا عن بكر بن عبد الله ان اكثر الناس ذنوبا اقلهم استغفارا واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا وعن الحسن ان رجلا اشتكى الجدب فقال استغفر الله وشكى آخر اليه الفقر وقلة النسل وآخر قلة ريع

ارضه فامرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح اتاك رجال يشكون انواعا فامرتهم كلهم بالاستغفار فتلى هذه الاية وقوله يرسل السما عليكم مدرارا اى يرسل ما السما وذلك لان ما المطر ينزل من السما الى السحاب ثم ينزل من السحاب الى الارض وقيل اراد بالسما السحاب وقيل اراد بالسما المطر من قول الشاعر ٭ اذا نزل السما بارض قوم ٭ رعيناه وان كانوا غضابا ٭ مدرارا اى كثير الدر وهو حلب الشاة حالا بعد حال وقيل مدرارا اى متتابعا ويمددكم باموال وبنين اى يكثر اموالكم واولادكم ويجعل لكم جنات اى البساتين ويجعل لكم انهارا وهذه كله مما يميل طبع البشر اليه ما لكم لا ترجون لله وقارا قال ابن عباس اى لا ترون لله عظمة معناه لا تخافون عظمة الله فالرجا بمعنى الخوف والوقار والعظمة من التوقير وهو التعظيم وقيل معناه ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة وقيل معناه ما لكم لا ترجون في عبادة الله ان يثيبكم على توقيركم اياه خيرا وقد خلقكم اطوارا تارة حالا بعد حال نطفة ثم علقة ثم مضغة الى تمام الخلق وقيل معناه خلقكم اصنافا مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا وهذا مما يدل على وحدانية الله وسعة قدرته الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا يعني بعضها فوق بعض وجعل القمر فيهن نورا يعني في السما الدنيا وقوله فيهن هو كما يقال اتيت بني تميم وانما اتى رجلا منهم وجعل الشمس سراجا يعني مصباحا مضيا قال عبد الله بن عمرو ان الشمس والقمر وجوههما الى السموات وضوؤهما الشمس والقمر جميعا واقفيتهما الى الارض ويروى ان هذا عن ابن عباس ايضا والله انبتكم من الارض نباتا يعني انه اراد مبدا خلق آدم واصله خلقه من الارض والناس كلهم من ذلك وقوله نباتا اسم جعل موضع المصدر اى انباتا وقيل تقديره انبتكم فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وهي انه لو قال انبتكم انباتا كان المعنى انبتكم انباتا عجيبا غريبا وهذا الثاني اولى لان الانبات ولما قال انبتكم نباتا كان المعنى انبتكم فنبتم نباتا عجيبا وهذا الثاني اولى لان الانبات صفة الله تعالى وصفة الله تعالى غير محسوسة لنا فلا يعرف ان ذلك الانبات انبات عجيب كامل الا بواسطة احيا الله تعالى وهذا المقام مقام الاستدلال على كمال قدرة الله جل جلاله فكان هذا موافقا لهذا المقام فظهر بهذا ان العدول عن تلك الحقيقة الى هذا المجاز كان لهذا السر اللطيف ثم يعيدكم فيها اى في الارض بعد الموت ويخرجكم اى منها يوم البعث اخراجا يعني اخراجا حقا لا محالة والله جعل لكم الارض بساطا اى فرشها لكم مبسوطة تتقلبون فيها كما يتقلب الرجل على بساطه لتسلكوا منها سبلا فجاجا اى طرقا واسعة قوله تعالى قال نوح رب انهم عصوني اى لم يجيبوا دعوتي واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا يعني اتبع السفلة والفقرا القادة والرؤسا الذين لم يزدهم كثرة المال والولد الا ضلالا في الدنيا وعقوبة في الآخرة ومكروا مكرا كبارا يعني كبيرا عظيما يقال كبير وكبار بالتشديد والتخفيف مبالغة والماكرون هم الرؤسا والقادة ومكرهم احتيالهم في الدين وكيدهم لنوح عليه السلام وتحريش السفلة على اذاه وصد الناس عن الايمان به والميل اليه والاستماع وقيل مكرهم هو قولهم لا تذرن آلهتكم وتعبدوا اله نوح وقال ابن عباس في مكرهم قالوا قولا عظيما وقيل افتروا على الله الكذب وكذبوا رسله وقالوا يعني القادة للاتباع لا تذرن آلهتكم اى لا تتركن عبادتها ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا هذه اسما آلهتهم وانما افردها بالذكر وان كانت داخلة في جملة قوله ولا تذرن آلهتكم لانهم كانت لهم اصنام هذه الخمسة المذكورة هي اعظمها عندهم قال محمد بن كعب هذه اسما قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح

فلما ماتوا وكانوا هم لا يقتدون ويأخذون بعدهم بأخذهم في العبادة فجاءهم ابليس وقال لهم
لو صورتم صورهم كان انشط لكم واشوق الى العبادة ففعلوا ذلك ثم نشأ قوم بعدهم
فقال لهم ابليس ان الذين من قبلكم كانوا يعبدونهم فابتدأ عبادة الاوثان كان من ذلك
وسميت تلك الصور بهذه الاسماء لانهم صوروها على صور اولئك القوم الصالحين من المسلمين
خ عن ابن عباس قال صارت الاوثان التي كانت تعبد قوم نوح في العرب بعد اما ود
فكانت لكلب بدومة الجندل واما سواع فكانت لهذيل واما يغوث فكانت لمراد ثم صارت
لبني غطيف بالجرف عند سبا واما يعوق فكانت لهمدان واما نسرا فكانت لحمير لآل ذي الكلاع
اسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا الى مجالسهم
التي كانوا يجلسون انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى هلك اولئك ونسخ العلم
عبدت الاوثان وروي عن ابن عباس ان تلك الاوثان دفنها الطوفان وطمها التراب
فلم تزل مدفونة حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب وكانت للعرب اصنام اخر فاللات
كانت لثقيف والعزى لسليم وغطفان وجشم ومناة كانت لخزاعة بقديد واساف
ونائلة وهبل كانت لاهل مكة ولذلك سمت العرب انفسهم بعبد ود وعبد يغوث
وعبد العزى ونحو ذلك من الاسما وقد اضلوا كثيرا اي ضل بسبب الاصنام كثير من الناس
وقيل اضل كبراء قوم نوح كثيرا من الناس ولا تزد الظالمين الا ضلالا يعني ولا تزد
المشركين بعبادتهم الاصنام الا ضلالا وهذا دعا عليهم وذلك ان نوحا عليه السلام
كان قد امتلا قلبه غضبا وغيظا عليهم فدعا عليهم فان قلت كيف يليق بمنصب النبوة
ان يدعو بمزيد الضلال له وانما بعث لصرفه عنهم قلت انما دعا عليهم بعد ان اعلمه
الله انهم لا يؤمنون وهو قوله تعالى انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن [illegible]
وقيل انما اراد بالضلال الامر الدنيا وما يتعلق بها لا في امر الدين مما خطيئاتهم اغرقوا
اي بالطوفان فادخلوا نارا اي في حالة واحدة وذلك في الدنيا كانوا يغرقون
من جانب ويحترقون من جانب واستدل بعضهم بهذه الاية على صحة عذاب القبر
وذلك لان الفا تقتضي التعقيب في قوله اغرقوا فادخلوا نارا هذا انما يدل على
انه انما حصل دخول النار عقيب الاغراق ولا يمكن حمله على عذاب الاخرة لانه
يبطل دلالة الفا وقيل معناه انهم سيدخلون نارا في الاخرة فعبر عن المستقبل
بلفظ الماضي لصدق الوعد في ذلك والاول اصح فلم يجدوا لهم من دون الله انصارا
يعني ينصرونهم ويمنعونهم من عذاب الله الذي نزل بهم وقال نوح رب لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا يعني احدا يدور في الارض فيذهب ويجيء من الدوران وقيل
اصله من الدار اي نازل دار انك ان تذرهم يضلوا عبادك قال ابن عباس وغيره كان
الرجل ينطلق بابنه الى نوح فيقول له احذر هذا فانه كذاب فان ابي حذرنيه فيموت
الكبير وينشا الصغير على ذلك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا انما قال نوح هذا حين اخرج
الله كل مؤمن من اصلابهم وارحام نسائهم واعقم بعد ذلك ارحام النساء وايبس اصلاب
الرجال وذلك قبل نزول العذاب باربعين سنة وقيل بسبعين سنة واخبر الله نوحا
انهم لا يؤمنون ولا يلدون مؤمنا فحينئذ دعا عليهم فاجاب الله دعوته فاهلكهم جميعا
ولم يكن معهم صبي وقت العذاب لان الله اعقمهم قبل العذاب رب اغفر لي
وذلك انه لما دعا على الكفار قال رب اغفر لي يعني ما صدر مني من ترك الافضل
وقيل يحتمل انه دعا على الكفار انما دعا عليهم بسبب تاذيه فكان ذلك الدعا عليهم

كالانتقام

كالانتقام منهم فاستغفر من ذلك لما فيه من طلب حظ النفس ولانه ترك الاحتمال ولوالدي
وكان اسم ابيه لمك بن متوشلخ واسم امه شمخا بنت انوش وكانا مؤمنين وقيل لم يكن بين
ادم ونوح عليهما السلام من ابائه كافر وكان بينهما عشرة اباء ولمن دخل بيتي مؤمنا اي داري
وقيل مسجدي وقيل سفينتي وللمؤمنين والمؤمنات وهذا عام في كل مؤمن امن بالله وصدق
الرسل وانما بدا بنفسه لانه اولى بالتخصيص والتقديم ثم ثنى المتصلين به احق بدعائه من
غيرهم ثم عمم جميع المؤمنين والمؤمنات ليكون ذلك ابلغ في الدعا ولا تزد الظالمين الا تبارا
اي هلاكا ودمارا واستجاب الله تعالى دعاءه فاهلكهم جميعا والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

مكية وهي ثمان وعشرون اية وعدد كلماتها مائتان وخمس وثمانون كلمة وثمانمائة وسبعون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قل اوحي الي انه استمع
نفر من الجن اختلف الناس قديما وحديثا في ثبوت الجن فانكر وجودهم معظم الفلاسفة واعترف
بوجودهم جمع منهم وسموهم بالارواح الفلكية الا انهم اضعف واما جمهورهم السفلية وزعموا
انهم اسرع اجابة من الارواح الفلكية الا انهم اضعف واما جمهور ارباب الملل وهم اتباع
الرسل والشرائع فقد اعترفوا بوجود الجن لكن اختلفوا في ماهيتهم فقيل الجن حيوان
هوائي يتشكل باشكال مختلفة وقيل انها جواهر ليست باجسام ولا اعراض ثم هذه
الجواهر انواع مختلفة بالماهية فبعضها خيرة كريمة محبة للخيرات وبعضها
دنية خبيثة شريرة محبة للشرور والافات ولا يعلم عدد انواعهم الا الله تعالى
وقيل انهم اجسام مختلفة الماهية لكن يجمعهم صفة واحدة وهي كونهم حاصلة في الحيز
موصوفة بالطول والعرض والعمق وينقسمون الى لطيف وكثيف وعلوي وسفلي ولا يمتنع
في بعض الاجسام اللطيفة الهوائية ان تكون مخالفة لسائر انواع الاجسام في الماهية
وان يكون لها علم مخصوص وقدرة مخصوصة على افعال عجيبة او شاقة يعجز البشر عن
ذلك وقد يتشكلون باشكال مختلفة وذلك باقدار الله تعالى اياهم على ذلك وقيل
ان الاجسام متساوية في تمام الماهية وليست البنية شرط الحياة وهذا قول الاشعري
وجمهور اتباعه وشذ ناس من المعتزلة من هذه الامة فانكروا وجود الجن وقالوا البنية
شرط الحياة وانه لا بد من صلابة البنية حتى يكون قادرا على الافعال الشاقة وهذا
قول منكر وصاحب هذا القول ينكر خرق العادات ورد ما ثبت وجوده بنص الكتاب
والسنة فصل واختلفت الرواية هل راى النبي صلى الله عليه وسلم الجن فاثبتها
ابن مسعود فيما رواه عنه مسلم في صحيحه وقد تقدم حديثه في تفسير سورة الاحقاف
عند قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن وانكرها ابن عباس فيما رواه عنه البخاري
ومسلم قال ابن عباس ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا راهم انطلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم في طائفة من الصحابة عامدين الى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين
خبر السما وارسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين الى قومهم فقالوا ما لكم فقالوا حيل
بيننا وبين خبر السما وارسلت علينا الشهب قالوا وما ذاك الا من شيء قد حدث فاضربوا
مشارق الارض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فانطلقوا
يضربون مشارق الارض ومغاربها فمر النفر الذين اخذوا نحو تهامة بالنبي صلى الله
عليه وسلم وهو بنخلة عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر

على الجن ع

فلما سمعوا القران استمعوا له وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فرجعوا الى قومهم
فقالوا يا قومنا انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله
على نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن زاد في رواية وانما اوحي اليه
قول الجن اخرجاه في الصحيحين قال القرطبي في شرح مسلم في حديث ابن عباس هذا معناه
انه لم يقصدهم بالقراءة بل لما تفرقوا يطلبون الخبر الذي حال بينهم وبين استراق السمع
صادف هؤلاء النفر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي باصحابه وعلى هذا فهو صلى الله
عليه وسلم لا يعلم استماعهم ولا كلمهم وانما اعلمه الله عز وجل بما اوحى اليه من قوله
قل اوحي الي واما حديث ابن مسعود فقضية اخرى وجن اخرون والحاصل من الكتاب
والسنة العلم القطعي بان الجن والشياطين موجودون متعبدون بالاحكام الشرعية
على النحو الذي يليق بخلقتهم وحالهم وان نبينا صلى الله عليه وسلم مبعوث الى الانس
والجن فمن دخل في دينه فهو من المؤمنين ومعهم في الدنيا والاخرة والجنة ومن كذبه فهو
من الشياطين المخذولين والنار مستقره وهذا الحديث يقتضي ان الرجم بالنجوم لم يكن
قبل المبعث وذهب قوم الى انه كان قبل مبعثه وذهب اخرون الى انه كان لكن زاد
عند المبعث وبهذا القول يرتفع التعارض بين الحديثين هذا اخر كلام القرطبي والله
اعلم عكاظ سوق معروف بقرب مكة كان العرب يقصدونها في كل سنة مرة في
الجاهلية واول الاسلام وتهامة معدودة ونخلة وتهامة كل ما نزل عن نجد من
بلاد الحجاز سميت تهامة لتغير هوائها ومكة من تهامة معدودة ونخلة وادٍ من اودية
مكة قريب منها واما التفسير فقوله تعالى قل اوحي الي امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم
ان يظهر لاصحابه واقعة الجن وكما انه مبعوث الى الانس فهو ايضا مبعوث الى الجن وتعلم
قريش ان الجن مع تمردهم لما سمعوا الذكر اي القران عرفوا اعجازه فامنوا به استمع نفر
من الجن النفر ما بين الثلاثة الى العشرة وقالوا كانوا تسعة من جن نصيبين وقيل
سبعة سمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اي لما رجعوا الى قومهم انا سمعنا
قرانا عجبا قال ابن عباس رضي الله عنهما بليغا ذا عجب يتعجب منه لبلاغته وفصاحته يهدي
الى الرشد اي يدعو الى الصواب يعني الى التوحيد والايمان فامنا به اي بالقران ولن نشرك
بربنا احدا اي ولن نعود الى ما كنا عليه من الشرك وفيه دليل على ان اولئك النفر كانوا
مشركين قيل كانوا يهودا وقيل كانوا نصارى وقيل كانوا مجوسا ومشركين وانه تعالى
تعالى جد ربنا اي جلال ربنا وعظمته ومنه قول انس كان الرجل اذا قرا البقرة وال عمران
جد فينا اي عظم قدره وقيل الجد الغنى ومنه الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد
اي لا ينفع ذا الغنى غناه وقال ابن عباس عظمته قدرة ربنا وقيل فعله وقيل امر ربنا وقيل
الاؤه ونعماؤه على خلقه وقيل على ملك ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا اي انه تعالى جل جلاله
ربنا عن اتخاذ صاحبة وعظمته ان يتخذ صاحبة او ولدا لان الصاحبة تتخذ للحاجة والولد للاستئناس
به والله تعالى منزه عن كل نقص وانه كان يقول سفيهنا يعني جاهلنا قيل هو ابليس
على الله شططا اي كذبا وعدوانا وهو وصفه الله تعالى بالشريك والولد والشطط هو
مجاوزة الحد في كل شيء وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا اي كنا نظن
ان الانس والجن صادقين في قولهم ان لله صاحبة وولدا وانهم لا يكذبون على الله في
ذلك فلما سمعنا القران علمنا انهم قد كذبوا على الله قوله تعالى وانه كان رجال من
الانس يعوذون برجال من الجن وذلك ان الرجل من العرب في الجاهلية كان اذا امسى

فامسى في ارض قفر قال اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في امن وجوار
منهم حتى يصبح روى البغوي باسناد الثعلبي عن كردم بن ابي السائب الانصاري قال خرجت
مع ابي الى المدينة في حاجة وذلك اول ما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فاوانا
المبيت الى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فاخذ حملا من الغنم فوثب الراعي فقال
يا عامر الوادي جارك فنادى منادٍ لا نراه يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد حتى دخل الغنم
ولم تصبه كدمة فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بمكة وانه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وذكر ابن الجوزي في تفسيره بغير سند ومعنى الاية
زاد الانس الجن باستعاذتهم رهقا قال ابن عباس اثما وقيل طغيانا وقيل غيا وقيل شرا
وقيل عظمة وقيل انهم كانوا يزدادون بهذا التعوذ طغيانا وعظمة ويقولون يعني عظماء
الجن سدنا الجن والانس والرهق في كلام العرب الاثم وغشيان المحارم وانهم ظنوا
يعني الجن كما ظننتم اي يا معشر الكفار من الانس ان لن يبعث الله احدا يعني بعد الموت وانا
يعني تقول الجن لمسنا السما اي طلبنا بلوغ السما الدنيا واستماع كلام اهلها فوجدناها ملئت حرسا
يعني من الملائكة شديدا وشهبا اي من النجوم وانا كنا نقعد منها اي من السما مقاعد للسمع
يعني كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرس والشهب والان قد ملئت المقاعد كلها فمن
يستمع الان يجد له شهابا رصدا اي ارصد له ليرمى به وقيل شهابا من الكواكب ورصدا
من الملائكة عن ابن عباس قال كان الجن يصعدون الى السما يستمعون الوحي فاذا سمعوا
الكلمة زادوا عليها تسعا فاما الكلمة فتكون حقا واما ما زادوا فيكون باطلا فلما
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم
يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الا من امر قد حدث في الارض فبعث جنوده
فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي بين جبلين اراه قال بمكة فاخبروه فقال
هذا الحدث في الارض اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن قتيبة ان
الرجم كان قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لم يكن مثل ما كان بعد مبعثه في شدة
الحراسة وكانوا يسترقون في بعض الاحوال فلما بعث منعوا من ذلك اصلا فعلى هذا القول
يكون حمل الجن على الضرب في الارض وطلب السبب انما كان لكثرة الرجم ومنعهم الاستراق
بالكلية وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض ام اراد بهم ربهم رشدا
ومعنى الاية لا ندري هل المقصود المنع من الاستراق هو شر اريد باهل الارض ام اريد بهم
صلاح وخير وانا منا الصالحون اي المؤمنون المخلصون ومنا دون ذلك اي دون الصالحين
مرتبة قيل المراد بهم غير الكاملين في الصلاح وهم المقتصدون فيدخل فيهم الكافر وغيره
كنا طرائق قددا اي جماعات متفرقين واصنافا مختلفة والقدد القطع واحدها قدة قال
مجاهد يعنون مسلمين وكافرين وقيل اهوا مختلفة وشيعا متفرقة لكل فرقة هوى
كاهوا الناس وذلك ان الجن فيهم القدرية والمرجئة والرافضة والخوارج وغيرهم
من اهل الاهوا فعلى هذا التفسير يكون معنى طرائق قددا كما هو بيان القسمة المذكورة
اي كنا ذوي مذاهب مختلفة متفرقة وقيل معناه وكنا في اختلاف احوالنا مثل الطرائق
المختلفة وانا ظننا اي الظن هنا بمعنى العلم واليقين اي علمنا وايقنا ان لن نعجز الله في
الارض اي لن نفوته ان اراد بنا امرا ولن نعجزه هربا اي ان طلبنا وقيل نعجزه اي ما كنا
وانا لما سمعنا الهدى امنا به اي لما سمعنا القران امنا به وبمحمد صلى الله عليه وسلم فمن
يؤمن بربه فلا يخاف بخسا اي نقصانا من حسناته وثوابه ولا رهقا يعني ظلما وقيل مكروها

بشاه وانا منا المسلمون وهم الذين امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ومنا القاسطون اي
الجائرون العادلون عن الحق قال ابن عباس هم الذين جعلوا لله اندادا فمن اسلم فاولئك تحروا
رشدا اي قصدوا طريق الحق وتوخوه واما القاسطون يعني الذين كفروا فكانوا لجهنم
حطبا يعني وقودا للنار يوم القيامة فان قلت قد يتمسك بظاهر هذه الاية من لا يرى للمؤمنين
الجن ثوابا وذلك لان الله تعالى ذكر عقاب الكافرين منهم ولم يذكر ثواب المؤمنين
منهم قلت ليس فيه تمسك له وكفى بقوله فاولئك تحروا رشدا فذكر سبب ذلك الثواب
والله اعلم واعدل واكرم من ان يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد فان قلت كيف يعذب الجن
بالنار وقد خلقوا منها قلت وان خلقوا من النار فقد تغيروا عن تلك الهيئة وصاروا خلقا
اخر والله تعالى قادر على ان يعذب النار بالنار قوله عز وجل وان لو استقاموا على الطريقة
اختلفوا فيمن يرجع الضمير اليه فقيل هو راجع الى الجن الذين تقدم ذكرهم ووصفهم والمعنى
لو استقام الجن على الطريقة المثلى الحسنة لانعمنا عليهم وانما ذكر الماء كناية عن طيب العيش
وكثرة المنافع وقيل معناه لو ثبت الجن الذين سمعوا القران على الطريقة التي كانوا عليها
قبل استماع القران ولم يسلموا لاسقيناهم ماء غدقا اي لوسعنا عليهم الرزق لنفتنهم فيه وقيل
الضمير راجع الى الانس وتم الخبر عن الجن ثم رجع الى خطاب الانس فقال تعالى وان لو استقاموا
يعني كفار مكة على الطريقة يعني على طريقة الحق والايمان والهدى فكانوا مؤمنين مطيعين
لاسقيناهم ماء غدقا يعني كثيرا وذلك بعدما رفع المطر عنهم سبع سنين والمعنى لو امنوا لوسعنا
عليهم في الدنيا ولاعطيناهم مالا كثيرا وعيشا رغدا وانما ذكر الماء الغدق مثلا لان الخير والرزق
كله اصله من المطر قوله لنفتنهم فيه اي لنختبرهم كيف شكرهم فيما خولوا فيه وقيل معنى الاية
لو استقاموا اي على طريقة الكفر والضلالة لاعطيناهم مالا كثيرا ولوسعنا عليهم لنفتنهم
فيه عقوبة لهم واستدراجا لهم حتى يفتتنوا بها فنعذبهم والقول الاول اصح لان
الطريقة معرفة بالالف واللام وهي طريقة الهدى والقول بان الاية في الانس اولى
لان الانس هم الذين ينتفعون بالمطر ومن يعرض عن ذكر ربه اي عن عبادة ربه وقيل
عن مواعظه نسلكه اي ندخله عذابا صعدا قال ابن عباس شاقا وقيل عذابا لا راحة
فيه وقيل لا يزداد الا شدة قوله عز وجل وان المساجد لله يعني المواضع التي بنيت
للصلاة والعبادة وذكر الله تعالى فيدخل فيه مساجد المسلمين والكنائس والبيع
التي لليهود والنصارى فلا تدعوا مع الله احدا قال قتادة كانت اليهود والنصارى اذا
دخلوا كنائسهم وبيعهم اشركوا بالله فيها فامر الله عز وجل المؤمنين ان يخلصوا الدعوة
لله اذا دخلوا المساجد كلها وقيل اراد بالمساجد بقاع الارض كلها جعلت مسجدا للنبي صلى الله
عليه وسلم فعلى هذا يكون المعنى فلا تسجدوا على الارض لغير الله تعالى قال سعيد بن جبير
قالت الجن للنبي صلى الله عليه وسلم كيف لنا ان نشهد معك الصلاة ونحن ناؤون عنك فنزلت
وان المساجد لله وروي عنه ايضا ان المراد بالمساجد الاعضاء التي يسجد عليها الانسان وهي
سبعة الجبهة واليدان والركبتان والقدمان والمعنى ان هذه الاعضاء التي يقع عليها
السجود مخلوقة لله فلا تسجدوا عليها لغيره م عن العباس بن عبد المطلب انه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سجد العبد سجد معه سبعة اراب وجهه وكفاه وركبتاه
وقدماه الاراب الاعضاء ق عن ابن عباس قال امرنا النبي صلى الله عليه وسلم ان نسجد على
سبعة اعضاء وان لا نكف شعرا ولا ثوبا الجبهة واليدين والركبتين واطراف القدمين
وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اسجد على سبعة اعظم على الجبهة واشار

بيده

بيده الى انفه واليدين والركبتين واطراف القدمين ولا نكفت الثياب ولا الشعر كف الشعر
عقصه وغرز طرفه في اعلى الضفيرة وقد نهي عن ذلك قوله عز وجل وانه لما قام عبد الله
يعني النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه يعني النبي صلى الله عليه وسلم يعبد الله ويقرا القران وذلك
حين كان يصلي الفجر ببطن نخلة كادوا يعني الجن يكونون عليه لبدا يعني يركب بعضهم بعضا
ويزدحمون عليه حرصا على استماع القران قاله ابن عباس وعنه ايضا انه من قال النفر من الجن الذين
رجعوا الى قومهم فاخبروهم من طاعة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم له واقتدائهم به في الصلاة
وقيل في معنى الاية لما قام عبد الله بالدعوة تلبدت الانس والجن وتظاهروا عليه ليبطلوا الحق
الذي جاءهم به ويطفئوا نور الله فابى الله الا ان يتم نوره ويظهر هذا الامر وينصره على من ناواه وعاداه
واصل اللبد الجماعة بعضهم فوق بعض قال يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقرئ على الامر انما ادعو
ربي وذلك ان كفار مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لقد جئت بامر عظيم فارجع عنه فنحن
نجيرك فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ولا اشرك به احدا قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا
اي لا اقدر على ان ادفع عنكم ضرا ولا اسوق اليكم خيرا رشدا وانما الضار والنافع والمرشد
والمغوي هو الله تعالى قل اني لن يجيرني من الله احد اي لن يمنعني منه احد ان عصيته ولن اجد
من دونه ملتحدا اي ملجا الجأ اليه وقيل حرزا احترز به وقيل مدخلا في الارض مثل السرب ادخل
فيه الا بلاغا من الله ورسالاته اي ففيه الجوار والامن والنجاة وقيل معناه ذلك الذي
يجيرني من عذاب الله يعني التبليغ وقيل الا بلاغا من الله فذلك الذي املكه بعون الله وتوفيقه
وقيل معناه لا املك لكم ضرا ولا نفعا ولا رشدا لكن ابلغ بلاغا عن الله فانما انا مرسل
لا املك الا ما ملكت ومن يعص الله ورسوله يعني ولم يؤمن به فان له نار جهنم خالدين
فيها ابدا حتى اذا راوا ما يوعدون يعني العذاب يوم القيامة فسيعلمون اي عند نزول
العذاب من اضعف ناصرا واقل عددا اهم ام المؤمنون قل ان ادري اقريب اي ما ادري
اقريب ما توعدون يعني العذاب وقيل يوم القيامة ام يجعل له ربي امدا اي اجلا وغاية
تطول مدتها والمعنى ان علم وقت العذاب غيب لا يعلمه الا الله عز وجل عالم الغيب اي
هو ما غاب عن العباد فلا يظهر اي فلا يطلع على غيبه احدا اي غيبه الذي يعلمه وانفرد به
ثم استثنى فقال الله عز وجل الا من ارتضى من رسول يعني الا من يصطفيه لرسالته ونبوته
فيظهره على ما يشاء من الغيب حتى يستدل على نبوته بما يخبر عن المغيبات فيكون ذلك معجزة
له واية دالة على نبوته قال الزمخشري وفي هذا ابطال الكرامات لان الذين تضاف
اليهم الكرامات وان كانوا اولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين
المرتضين بالاطلاع على الغيب وفيه ايضا ابطال الكهانة والتنجيم لان اصحابهما ابعد
شيء من الارتضاء وادخله في السخط قال الواحدي وفي هذا دليل على ان من ادعى ان النجوم تدله
على ما يكون من حياة او موت ونحو ذلك فقد كفر بما في القران فاما الزمخشري فانكره
كرامات الاولياء جريا على قاعدة مذهبه في الاعتزال ووافق الواحدي وغيره من المفسرين
في ابطال الكهانة والتنجيم قال الامام فخر الدين ونسبة الاية في الصورتين واحدة فان جعل
الله الاية دالة على المنع من احكام النجوم فينبغي ان تكون دالة على المنع من الكرامات قال
وعندي ان الاية لا دلالة فيها على شيء من ذلك والذي يدل عليه ان قوله فلا يظهر على غيبه
احدا ليس فيه صيغة عموم فيكفي العمل بمقتضاه ان لا يظهر الله تعالى خلقه على غيب واحد
من غيوبه بتحمله على وقت وقوع القيامة فيكون المراد من الاية انه تعالى لا يظهر هذا الغيب

لاحد فلا ينبغي في الاية دلالة على انه لا يظهر شيئا من الغيوب لاحد ثم ذكر انه يجوز ان يطلع الله على شيء من المغيبات غير الرسل كالكهانة وغيرهم وذكر ما يدل على صحة قوله والذي ينبغي ان مذهب اهل السنة اثبات كرامات الاوليا خلافا للمعتزلة وانه يجوز ان يلهم الله بعض اوليايه وقوع بعض الوقايع في المستقبل فيخبر به وهو من اطلاع الله اياه على ذلك ويدل على صحة ذلك ما روي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كان فيما كان قبلكم من الامم ناس محدثون من غير ان يكونوا انبيا وان يكن في امتي احد فانه عمر اخرجه البخاري قال ابن وهب المحدث تفسير محدثون ملهمون ولمسلم عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول قد كان يكون في الامم قبلكم محدثون فان يكن في امتي منهم احد فانه عمر بن الخطاب منهم ففي هذا اثبات كرامات الاوليا ولا يقال لو جازت الكرامة للولي لما تميزت معجزة النبي صلى الله عليه وسلم عن غيرها ولا نسد الطريق الى معرفة الرسول من غيره فنقول الفرق بين معجزة النبي وكرامة الولي ان المعجزة امر خارق للعادة مع عدم المعارضة مقرونة بالتحدي ولا يجوز للولي ان يدعي خرق العادة مع التحدي اذ لو ادعاه الولي لكفر من ساعته فبان الفرق بين المعجزة والكرامة وقد يظهر على يد الولي امر خارق للعادة من غير دعواه وهذا ايضا يدل على ثبوت نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لان الكرامة انما تظهر على يد من هو معتقد للرسول متابعا له فلو لم تكن نبوته حقا لما ظهر الخارق على يد متابعه واما الكاهن فليس بمتبع للرسول وقد انسد باب الكهانة بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم فمن ادعى منهم اطلاعا على غيب فقد كفر بما جاء به القران وكذلك حكم المنجم والله اعلم قوله تعالى فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه اي من بين يدي الرسول ومن خلفه وذكر البعض دال على جميع الجهات رصدا اي حفظة من الملايكة يحفظونه من الشيطان ان يسترقوا السمع من الملايكة ويحفظونه من الجن ان يستمعوا الوحي فيلقوه الى الكهانة فيخبروا به قبل الرسول وقيل ان الله تعالى كان اذا بعث رسولا اتاه ابليس في صورة ملك يخبره فيبعث الله من بين يديه ومن خلفه رصدا من الملايكة يحرسونه ويطردون الشيطان عنه فاذا جاءه شيطان في صورة ملك اخبروه بانه شيطان فاحذره واذا جاءه ملك قالوا له هذا رسول ربك ليعلم اي ليعلم محمد صلى الله عليه وسلم ان اي ان جبريل بلغ رسالات ربه وان الله قد حفظهم ودفع عنهم وقيل معناه ليعلم الله ان الرسل قد ابلغوا رسالات ربهم فيعلم الله ذلك ظاهرا موجودا يجب فيه الثواب واحاط بما لديهم اي اعلم الله ما عند الرسل فلم يخف عليه شيء من امورهم واحصى كل شيء عددا قال ابن عباس احصى ما خلق وعرف ما خلق لم يفته شيء حتى مثاقيل الذر والخردل والله اعلم بمراده واسرار كتابه العزيز

وقيل معناه ليعلم الجن ان الرسل قد ابلغوا رسالات ربهم

مكية غير اثنتين منها وهي قوله واصبر على ما يقولون وقيل غير اية وهي ان ربك يعلم انك تقوم وهي عشرون اية وما يتان وخمس وثمانون كلمة وثمانماية وثمانية وثلاثون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل يا ايها المزمل هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واصله المتزمل وهو الذي تزمل في ثيابه اي تلفف قال المفسرون كان النبي صلى الله عليه وسلم يتزمل في ثيابه اول ما جاءه جبريل خوفا منه فكان يقول زملوني زملوني حتى انس به وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم قد نام وهو متزمل في ثوبه وقيل خرج يوما

من البيت وقد لبس ثيابه فناداه جبريل يا ايها المزمل وقيل معناه متزمل النبوة حاملها والمعنى زملت هذا الامر فقم به واحمله فانه امر عظيم وانما لم يخاطب بالنبي والرسول لانه كان في اول مبتداه ثم خوطب بالنبي والرسول بعد ذلك وقيل كان صلى الله عليه وسلم قد نام وهو متزمل في ثوبه فنودي يا ايها المزمل قم الليل اي للصلاة والعبادة واهجر هذه الحالة واشتغل بالصلاة والعبودية وكان قيام الليل فريضة في ابتدا الاسلام الا قليلا اي صل الليل الا قليلا تنام فيه الثلث ثم بين قدر القيام فقال تعالى نصفه اي نم نصف الليل او انقص منه قليلا الى الثلث او زد عليه اي على النصف الى الثلثين خيره بين هذه المنازل وكان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه يقومون على هذه المقادير وكان الرجل منهم لا يدري متى ثلث الليل او متى نصفه او متى ثلثاه فكان يقوم الليل كله حتى يصبح مخافة ان لا يحفظ القدر الواجب واشتد ذلك عليهم حتى انتفخت اقدامهم فرحمهم الله وخفف عنهم ونسخها بقوله فاقروا ما تيسر منه فليس في القران سورة نسخ اخرها اولها الا هذه السورة وكان بين نزول اولها ونزول اخرها سنة وقيل ستة عشر شهرا وكان قيام الليل فرضا ثم نسخ بعد ذلك في حق الامة بالصلوات الخمس وثبت فرضيته على النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك م عن سعد بن هشام قال انطلقت الى عايشة فقلت يا ام المومنين انبئيني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الست تقرا القران قلت بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القران قلت فقيام الليل كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ام المومنين قالت تقرا المزمل قلت بلى قالت فان الله افترض القيام في اول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حولا حتى انتفخت اقدامهم وامسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السما ثم انزل الله التخفيف في اخر السورة فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضته وقوله تعالى ورتل القران ترتيلا قال ابن عباس بينه بيانا وعنه ايضا اقراه على هينتك ثلاث ايات او اربعا او خمسا وقيل الترتيل التوقف والترسل والتمهل والافهام وتبيين القراءة حرفا حرفا اثره في اثر بعض بالمد والاشباع والتحقيق وترتيلا تاكيدا في الامر وانه لا بد للقاري منه وقيل ان الله تعالى لما امر بقيام الليل اتبعه بترتيل القراءة حتى يتمكن المصلي من حضور القلب والتاويل والتفكر في حقايق الايات ومعانيها فعند الوصول الى ذكر الله تعالى وعظمته يستشعر بقلبه عظمة المشعور وجلاله وعند ذكر الوعد والوعيد يحصل الرجا والخوف وعند ذكر القصص والامثال يحصل الاعتبار فيستنير القلب عند ذلك بنور المعرفة والاسراع في القراءة لا يحصل فيها ذلك فظهر بذلك ان المقصود من الترتيل انما هو حضور القلب عند القراءة

وهو

فصل

خ عن قتادة قال سيل انس كيف كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرا بسم الله الرحمن الرحيم يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم عن ام سلمة وقد سالها يعلى بن مالك عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاته فقالت ما لكم وصلاته ثم نعتت قراءة مفسرة حرفا حرفا اخرجه النسائي وللترمذي قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته يقول الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وكان يقول مالك يوم الدين وفي رواية يقطع قراءته اية اية ق عن عبد الله بن مغفل قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة على ناقته يقرا سورة الفتح فرجع في قراءته ق عن ابي وايل شقيق بن سلمة قال جا رجل الى ابن مسعود فقال اني لاقرا المفصل في ركعة فقال عبد الله هذا كهذ الشعر ان اقواما يقرءون القران لا يجاوز تراقيهم ولكن اذا وقع في القلب فرسخ نفع

ان افضل الصلاة الركوع والسجود لاني لاعرف النظائر التي كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرن بينهن سورتين في كل ركعة وفي رواية فذكر عشرين سورة من المفصل الهذ
سرعة القطع والمراد به هنا سرعة القراءة والعجلة فيها وقوله لا يجاوز تراقيهم التراقي
جمع ترقوة وهي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق وعند مخرج الصوت والنظائر جمع نظير
وهو الشبه والمثل عن عائشة رضي الله عنها قالت قام النبي صلى الله عليه وسلم ليلة باية من
القران اخرجه الترمذي وللنسائي عن ابي ذر نحوه وزاد والاية ان تعذبهم فانهم عبادك وان
تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم عن سهل بن سعد قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن نقترئ فقال الحمد لله كتاب الله واحد وفيكم الاحمر وفيكم الابيض وفيكم الاسود اقرؤه
قبل ان يقرأه اقوام يقيمونه كما يقام السهم يتعجل اجره ولا يتاجله اخرجه ابو داود وزاد غيره
في رواية لا يجاوز تراقيهم عن جابر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نقرأ
القران وفينا الاعرابي والعجمي فقال اقرؤوا فكل حسن وسيجيء اقوام يقيمونه كما يقام القدح
يتعجلونه ولا يتاجلونه اخرجه ابو داود عن ابن مسعود قال لا تنثروه نثر الدقل ولا
تهذوه هذّ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم احدكم اخر السورة
قوله عز وجل انا سنلقي عليك قولا ثقيلا قال ابن عباس شديدا وقيل ثقيلا يعني
كلاما عظيما جليلا ذا خطر وعظمة لانه كلام رب العالمين وكل له خطر ومقدار فهو ثقيل
والمعنى فصيّر نفسك مستعدة لقبول هذا القران العظيم الثقيل الشاق وقيل سماه
ثقيلا لما فيه من الاوامر والنواهي فان فيه مشقة وكلفة على الانفس وقيل ثقيلا لما
فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام والحدود والفرائض والاحكام وقيل ثقيلا
على المنافقين لانه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم وقيل هو خفيف على اللسان بالتلاوة ثقيل
في الميزان بالثواب يوم القيامة وقيل ثقيلا اي ليس بالخفيف ولا السفساف لانه كلام
ربنا تبارك وتعالى وقيل معناه انه قول متين في صحته وبيانه ونفعه كما تقول هذا
كلام رصين وهذا قول له وزن اذا استجدته وعلمت انه صادق الحكمة والبيان وقيل
سماه ثقيلا لما فيه من المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وقيل ثقيلا في الوحي وذلك انه
كان صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه القران والوحي يجد له مشقة (ق) عن عائشة ان
الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهذا اشده
علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال واحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فاعي ما يقول
قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه
ليتفصد عرقا (م) عن عبادة بن الصامت قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل
الوحي عليه كرب لذلك وتربد له وجهه قوله مثل صلصلة الجرس الصلصلة الصوت الشديد
الصلب اليابس من الاشياء الصلبة كالجرس ونحوه وقوله فيفصم عني اي ينفصل عني ويفارقني
وقد وعيت اي حفظت ما قال وقولها ليتفصد عرقا اي يجري عرقه كما يجري الدم من الفاصد
قوله تربد وجهه الربدة في الالوان غبرة مع سواد قوله تعالى ان ناشئة الليل اي ساعاته
كلها وكل ساعة منه ناشئة لانها تنشأ عن التي قبلها وقال ابن ابي مليكة سألت ابن
عباس وابن الزبير عنها فقالا الليل كله ناشئة لانها وهو عبارة عن الامور التي تحدث
وتنشأ في الليل وقالت عائشة الناشئة القيام بعد النوم وقيل هي قيام اخر الليل
وقيل اوله وقيل اي ساعة قام لانسان من الليل فقد نشأ وروي عن زين العابدين

على

علي بن الحسين انه كان يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هذه ناشئة الليل وقيل كل صلاة بعد عشاء
الاخرة فهي ناشئة من الليل وقيل ناشئة الليل قيامه هي اشد وطاء قرئ بكسر الواو ومع
المد بمعنى المواطاة والموافقة وذلك لان مواطاة القلب واللسان والسمع والبصر
يكون بالليل اكثر مما يكون بالنهار وقرئ وطأ بفتح الواو وسكون الطاء اي اشد على
المصلي واثقل من صلاة النهار لان الليل جعل للنوم والراحة فكان قيامه على النفس
اشد واثقل وقال ابن عباس كانت صلاتهم اول الليل هي اشد وطأ يقول هي اجدر ان يحصوا
ما فرض الله عليهم من القيام وذلك ان الانسان اذا نام لا يدري متى يستيقظ وقيل اثبت
في الخير واحفظ للقراءة من النهار وقيل هي اوطأ للقيام واسهل على المصلي من ساعات
النهار لانه خلق لتصرف العباد والخلوة برب العباد لان الليل افرغ للقلب من
النهار ولا يعرض له في الليل حوائج وموانع مثل النهار وامنع من الشيطان وابعد
من الرياء وهو قوله تعالى واقوم قيلا اي اصوب قراءة واصح قولا من النهار لهدأة
الناس وسكون الاصوات وقيل معناه ابين قولا بالقران والحاصل ان عبادة الليل اشد
نشاطا واتم اخلاصا وابعد من الرياء واكثر بركة وابلغ في الثواب وادخل في القبول
ان لك في النهار سبحا طويلا اي تصرفا وتقلبا واقبالا وادبارا في حوائجك واشتغالك
وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك افضل من الليل واذكر اسم ربك اي
بالتوحيد والتعظيم والتقديس والتسبيح وتبتل اليه تبتيلا قال ابن عباس اخلص اليه
وقيل تفرغ اليه لعبادته وانقطع اليه انقطاعا والمعنى تبتل نفسك واقطعها عن كل شيء
سواه وقيل التبتل رفض الدنيا وما فيها والتماس ما عند الله وقيل معناه وتوكل
عليه توكلا واجتهد في العبادة وقيل يقال للعابد اذا ترك كل شيء واقبل على العبادة
قد تبتل اي انقطع عن كل شيء الا من عبادة الله وطاعته فان قلت كيف قال تبتيلا مكان
تبتلا ولم يجئ على مصدره قلت جاء تبتيلا على تبتل نفسك اليه تبتيلا فوقع المصدر موقع
مقارنه في المعنى ويكون التقدير وتبتل متبتلا نفسك اليه تبتيلا وهو كقوله انبتكم
من الارض نباتا وقيل لان معنى تبتل بتل نفسك فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل
وقيل الاصل في تبتل ان يقال تبتلت تبتلا وبتلت تبتيلا فتبتيلا محمول على معنى
تبتل اليه تبتيلا وقيل انما عدل الى هذه العبادة لدقيقة لطيفة وهي ان المقصود انما
هو التبتل واما التبتيل فهو تصرف والمشتغل بالتصرف لا يكون متبتلا الى الله تعالى لان
المشتغل بغير الله لا يكون منقطعا اليه لانه لا بد من التبتل حتى يحصل التبتيل فذكر
اولا التبتل لانه المقصود وذكر التبتيل ثانيا ايذانا واشعارا بانه لا بد منه رب المشرق
والمغرب يعني ان التبتل والانقطاع لا يليق الا الى الله تعالى الذي هو رب المشرق والمغرب
لا اله الا هو فاتخذه وكيلا اي فوض امرك اليه وتوكل عليه وقيل معناه معناه
اتخذه يا محمد كفيلا بما وعدك من النصر على الاعداء واصبر على ما يقولون اي من التكذيب
لك والاذى واهجرهم هجرا جميلا اي واعتزلهم اعتزالا حسنا لا جزع فيه وهذه الاية منسوخة
باية القتال وذرني والمكذبين اي دعني ومن كذبك لا تهتم به فاني اكفيك هو اولي النعمة
اي اصحاب التنعم والترفه نزلت في صناديد قريش المستهزئين وقيل نزلت في المطعمين
ببدر ومهلهم قليلا يعني الى يوم بدر فلم يكن الا يسيرا حتى قتلوا ببدر وقيل اراد
بالقليل ايام الدنيا ثم وصف عذابهم فقال تعالى ان لدينا اي عندنا في الاخرة
انكالا يعني قيودا عظاما ثقالا لا تنفك ابدا وقيل اغلالا من حديد وجحيما وطعاما

ذا غصة أي غير سائغ في الحلق لا ينزل ولا يخرج وهو الزقوم والضريع وعذابا أليما
يوم ترجف الأرض والجبال أي تتزلزل وتتحرك وهو يوم القيامة وكانت الجبال كثيبا
مهيلا يعني رملا سائلا وهو الذي إذا أخذت شيئا منه تبعك ما بعده إنا أرسلنا إليكم يعني
يا أهل مكة رسولا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم شاهدا عليكم أي بالتبليغ وإيمان من آمن
منكم وكفر من كفر كما أرسلنا إلى فرعون رسولا يعني موسى بن عمران عليه السلام قيل إنما خص
فرعون وموسى بالذكر من بين سائر الأمم والرسل لأن محمدا صلى الله عليه وسلم آذوه أهل
مكة واستخفوا به لأنه ولد فيهم كما أن فرعون ازدرى بموسى وآذاه لأنه رباه فعصى
فرعون الرسول فأخذناه يعني فرعون أخذا وبيلا أي شديدا ثقيلا يعني عاقبناه عقوبة
غليظة خوف بذلك كفار مكة ثم خوف كفار مكة بيوم القيامة فقال تعالى فكيف
تتقون إن كفرتم أي كيف لكم بالتقوى إذا وافيتم القيامة وقيل معناه فكيف تتقون
يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا المعنى لا سبيل لكم إلى التقوى إذا وافيتم القيامة وقيل معناه
فكيف تتقون العذاب يوم القيامة وبأي شيء تتحصنون من عذاب ذلك اليوم وكيف
تنجون منه إذا كفرتم في الدنيا يوما يجعل الولدان شيبا يعني شيوخا شمطا من هول ذلك اليوم
وشدته وذلك حين يقال لآدم عليه السلام قم فابعث بعث النار من ذريتك ق عن
أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل يوم القيامة
يا آدم فيقول لبيك وسعديك زاد في رواية والخير كله في يديك فينادى بصوت إن الله يأمرك
أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل ألف تسعمائة وتسعة
وتسعون فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن
عذاب الله شديد فشق ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم قالوا يا رسول الله أينا ذلك
الرجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم أبشروا فإن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة
وتسعون ومنكم واحد ثم قال أنتم في الناس كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود
وفي رواية كالرقمة في ذراع الحمار وإني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا ثم قال
ثلث أهل الجنة فكبرنا ثم قال شطر أهل الجنة فكبرنا أما ما يتعلق بمعنى الحديث فقوله
أن تخرج من ذريتك بعث النار معناه ميز أهل النار من أهل الجنة وأما الرقمة بفتح الراء وسكون
القاف هي الأثر في باطن عضد الحمار وقوله إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة ثم ثلث أهل
الجنة وشطر أهل الجنة ففيه البشارة العظيمة لهذه الأمة وجعلهم ربع أهل الجنة أولا
ثم الثلث ثم الشطر فله فائدة حسنة وهي أن ذلك أوقع في نفوسهم وأبلغ في إكرامهم فإن
إعطاء الإنسان مرة بعد مرة دليل على الاعتناء به ودوام ملاحظته وفيه تكرير البشارة
مرة بعد أخرى وفيه أيضا حملهم على تجديد شكر الله وحمده على إنعامه عليهم وهو تكبيرهم
لهذه البشارة العظيمة وسرورهم بها وأما ما يتعلق بمعنى الآية الكريمة والحديث في قوله
تعالى فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا وقوله صلى الله عليه وسلم ويشيب
الوليد ففيه وجهان الأول أنه عند زلزلة الساعة قبل خروجهم من الدنيا فعلى هذا
هو على ظاهره والثاني أنه في القيامة فعلى هذا يكون ذكر الشيب مجازا لأن القيامة
ليس فيها شيب وإنما هو مثل في شدة الأمر وهو كما يقال في اليوم الشديد يوم يشيب
نواصي الأطفال والأصل فيه أن الهم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان
أسرع فيه الشيب قال المتنبي

والهم يخترم الجسيم ... ويشيب ناصية الصبي ويهرم

فلما

فلما كان الشيب من لوازم كثرة الهموم والأحزان جعلوا الشيب كناية عن الشدة والهول
وليس المراد أن هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيبا حقيقة لأن الطفل لا تمييز له
وقيل يحتمل أن يكون المراد وصف ذلك اليوم بالطول وأن الأطفال يبلغون من
الشيخوخة والشيب السماء منفطر به وصف اليوم بالشدة أيضا وأن السماء مع عظمها
تنفطر وتنشق فما ظنك بغيرها من الخلائق وقيل تنشق لنزول الملائكة وقيل به
أي بذلك المكان وقيل إنها ترجع إلى الرب سبحانه وتعالى أي بأمره وهيبته كان وعده
مفعولا أي كائنا لا محالة فيه ولا خلف إن هذه أي آيات القرآن تذكرة أي مواعظ
يتذكر بها فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا بالإيمان والطاعة قوله تعالى إن ربك يعلم أنك
تقوم أدنى من ثلثي الليل أي أقل من ثلثي الليل ونصفه وثلثه أي وتقوم نصفه
وثلثه وطائفة من الذين معك يعني المؤمنين وكانوا يقومون معه الليل والله يقدر
الليل والنهار يعني أنه لا يعلم مقادير الليل والنهار وأجزائهما وساعاتهما إلا الله تعالى
لا يفوته علم ما يفعلون فيعلم القدر الذي يقومون من الليل والذي ينامون منه
علم أن لن تحصوه يعني أن لن تطيقوا معرفته على الحقيقة قيل فقاموا حتى انتفخت
أقدامهم ثم نزل علم أن لن تحصوه أي لن تطيقوا معرفته على الحقيقة قيل قاموا
وقيل كان الرجل يصلي الليل كله مخافة أن لا يصيب ما أمر به من القيام فقال
تعالى علم أن لن تحصوه أي لن تطيقوا معرفة ذلك فتاب عليكم أي فعاد عليكم
بالعفو والتخفيف والمعنى عفى عنكم ما لم تحيطوا بعلمه ورفع المشقة عنكم فاقرأوا
ما تيسر من القرآن فيه قولان أحدهما أن المراد بهذه القراءة القراءة في الصلاة وذلك
لأن القراءة أحد أجزاء الصلاة فأطلق اسم الجزء على الكل والمعنى فصلوا ما تيسر
عليكم وقال الحسن يعني في صلاة المغرب والعشاء قال قيس بن أبي حازم صليت خلف
ابن عباس بالبصرة فقرأ في أول ركعة الحمد وأول آية من البقرة ثم قام في الثانية
فقرأ الحمد والآية الثانية من البقرة ثم ركع فلما انصرف أقبل علينا بوجهه فقال
إن الله تعالى يقول فاقرأوا ما تيسر منه وقيل نسخ ذلك التهجد واكتفي بما تيسر ثم نسخ
ذلك أيضا بالصلوات الخمس وذلك في حق الأمة وثبت قيام الليل في حقه صلى الله عليه
وسلم بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك القول الثاني أن المراد بقوله فاقرأوا
ما تيسر من القرآن دراسته وتحصيل حفظه وأن لا يعرضه للنسيان فقيل يقرأ مائة آية
ونحوها وقيل بل قراءة السورة القصيرة كافية وروى البغوي بإسناده عن أنس أنه سمع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ خمسين آية في كل يوم وليلة لم يكتب من الغافلين ومن
قرأ مائة آية كتب من القانتين ومن قرأ مائتي آية لم يحاججه القرآن يوم القيامة ومن
قرأ خمسمائة آية كتب له قنطار من الأجر وذكر الشيخ محيي الدين في كتابه الأذكار ولم
يضعفه وقال في رواية من قرأ أربعين آية بدل خمسين وفي رواية عشرين وفي رواية
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ عشر آيات لم يكتب
ق عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألم أخبر أنك
تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة فقلت بلى يا رسول الله ولم أرد بذلك إلا الخير
قال فصم صوم داود وكان أعبد الناس واقرأ القرآن في كل شهر قال قلت يا نبي
الله إني أطيق أفضل من ذلك قال فاقرأه في عشر قال قلت يا نبي الله إني أطيق أفضل
من ذلك قال فاقرأه في سبع ليال ولا تزد على ذلك ثم ذكر الله سبحانه وتعالى حكمة

النسخ والتخفيف فقال علم ان سيكون منكم مرضى يعني المريض يضعف عن التهجد بالليل
فخفف عنه لاجل ضعفه وعجزه عنه وآخرون يضربون في الارض يعني المسافرين للتجارة
يبتغون من فضل الله اي يطلبون من رزق الله وهو الربح في التجارة يبتغون من فضل الله
وآخرون يقاتلون في سبيل الله يعني الغزاة والمجاهدين وذلك لان المسافر والمجاهد
مشتغل بالنهار بالاعمال الشاقة فلو لم يقم بالليل لتوالت عليهم اسباب المشقة عليهم
فخفف الله تعالى عنهم لاجل ضعفهم ولقد روي عن ابن مسعود قال ايما رجل جلب شيئا
الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء ثم
قرأ عبد الله وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل
فاقرؤوا ما تيسر منه اي من القرآن وانما اعاده للتأكيد واقيموا الصلاة يعني المفروضة
وآتوا الزكاة اي الواجبة واقرضوا الله قرضا حسنا قال ابن عباس يريد سوى الزكاة
من صلة الرحم وقرى الضيف وقيل يريد سائر الصدقات وذلك بان يخرجها على احسن
وجه من كسب طيب ومن اكثر الاموال نفعا للفقراء ومراعاة النية والاخلاص وابتغاء
مرضات الله سبحانه وتعالى بما يخرج والصرف الى المستحق وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه
عند الله اي ثوابه واجره هو خيرا واعظم اجرا يعني ان الذي قدمتم لانفسكم خير من
الذي اخرتموه ولم تقدموه روى البغوي بسنده عن عبد الله قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ايكم ماله احب اليه من مال وارثه قالوا كيف يا رسول الله قال
انما مال احدكم ما قدم ومال وارثه ما اخر واستغفروا الله اي لذنوبكم وتقصيركم
في قيام الليل ان الله غفور رحيم اي لجميع الذنوب والله اعلم بمراده واسرار كتابه

[illegible]

مكية قيل غير آية من آخرها وهي ست وخمسون آية ومائتان وخمس وخمسون كلمة
والف وعشرة احرف بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل
يا ايها المدثر ق عن يحيى بن كثير قال سألت ابا سلمة بن عبد الرحمن عن اول ما نزل
من القرآن قال يا ايها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك قال ابو سلمة سألت
جابرا عن ذلك وقلت مثل الذي قلت فقال لي جابر لا احدثك الا ما حدثنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء شهرا فلما قضيت جواري هبطت فنوديت
فنظرت عن يميني فلم ار شيئا ونظرت عن شمالي فلم ار شيئا ونظرت خلفي فلم ار شيئا فرفعت
رأسي فرأيت شيئا فاتيت خديجة فقلت دثروني فدثروني وصبوا علي ماء باردا فنزلت
يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر وذلك قبل ان تفرض
الصلاة وفي رواية فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي وذكر نحوه
وفيه فاذا هو قاعد على عرش في الهواء يعني جبريل فاخذتني رجفة شديدة ق
عن جابر من رواية الزهري عن ابي سلمة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يحدث عن فترة الوحي فقال لي في حديثه فبينما انا امشي سمعت صوتا من السماء فرفعت
رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض فجئثت منه
رعبا فقلت زملوني فانزل الله عز وجل ودثروني زملوني فانزل الله عز وجل
يا ايها المدثر الى والرجز فاهجر وفي رواية فجئثت منه حتى هويت الى الارض فجئت
الى اهلي وذكره وفيه قال ابو سلمة والرجز الاوثان قال ثم حمي الوحي وتتابع فان

قلت

قلت دل هذا الحديث على ان سورة المدثر اول ما نزل من القرآن ويعارضه حديث عائشة
رضي الله تعالى عنها المخرج في الصحيحين ايضا في بدء الوحي وسيأتي في موضعه ان شاء
الله تعالى وفيه فغطني الثالثة حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
يرجف فؤاده من الجهد ثم ارسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم فرجع
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده الحديث قلت الصواب الذي عليه
جمهور العلماء ان اول ما نزل من القرآن على الاطلاق اقرأ باسم ربك الذي خلق كما صرح
به في حديث عائشة ومن قال ان سورة المدثر اول ما نزل من القرآن فضعيف لا يعتد به
وانما كان نزولها بعد فترة الوحي كما صرح به في رواية الزهري عن ابي سلمة عن جابر ويدل
عليه ايضا قوله في الحديث وهو يحدث عن فترة الوحي الى ان قال وانزل الله تعالى يا ايها
المدثر ويدل ايضا قوله فاذا الملك الذي جاءني بحراء ثم قال وانزل الله تعالى يا ايها المدثر وايضا
قوله ثم حمي الوحي وتتابع فالصواب ان اول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه
وسلم سورة اقرأ باسم ربك الذي خلق وان اول ما نزل بعد فترة الوحي سورة المدثر
فحصل بهذا الذي بيناه الجمع بين الحديثين والله اعلم قوله فاذا هو قاعد على عرش
بين السماء والارض يريد به السرير الذي يجلس عليه وقوله يحدث عن فترة الوحي اي عن
احتباسه وعدم تتابعه وتواليه في النزول قوله فجئثت منه روي بجيم مضمومة
ثم همزة مكسورة ثم ثاء مثلثة ساكنة ثم تاء الضمير وروي بثاءين مثلثتين بعد الجيم ومعناهما
فرعبت منه وفزعت وقوله وحمي الوحي وتتابع اي كثر نزوله وازداد بعد فترته من
قولهم حميت الشمس والنار اذا ازداد حرهما وقوله فصبوا علي ماء فيه انه ينبغي لمن فزع
ان يصب عليه الماء ليسكن فزعه والله اعلم واما التفسير فقوله عز وجل يا ايها
المدثر اصله المتدثر وهو الذي يتدثر في ثيابه ليستدفئ بها واجمعوا على انه رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانما سماه مدثرا لقوله صلى الله عليه وسلم دثروني وقيل
يا ايها المدثر بدثار النبوة والرسالة من قولهم البسه الله لباس التقوى فجعل النبوة
كالدثار واللباس مجازا قم فانذر اي حذرهم من عذاب ربك ان لم يؤمنوا والمعنى قم من
مضجعك ودثارك وقيل قم قيام عزم واشتغل بالانذار الذي تحملته وربك فكبر
اي عظم ربك عما يقوله عبدة الاوثان وثيابك فطهر فيه اربعة اوجه احدها ان يحمل
لفظ الثياب على الحقيقة والتطهير على الحقيقة والثاني ان يحمل لفظ الثياب على
الحقيقة والثياب على المجاز والثالث ان يحمل الثياب على المجاز والتطهير على الحقيقة
والرابع ان يحمل الثياب والتطهير على المجاز اما الوجه الاول فمعناه وثيابك فطهر
من النجاسات والمستقذرات وذلك ان المشركين لم يكونوا يتحرزون عنها فامر
صلى الله عليه وسلم بصون ثيابه من النجاسات وغيرها الوجه الثاني معناه وثيابك
فقصر وذلك لان المشركين كانوا يطولون ثيابهم ويجرون اذيالهم على النجاسات
وفي الثوب الطويل الخيلاء والكبر والفخر ما ليس في الثوب القصير فنهي عن تطويل
الثوب وامره بتقصيره كذلك وقيل معناه وثيابك فطهر عن ان تكون مغصوبة
او محرمة بل تكون من وجه حلال الوجه وكسب طيب الوجه الثالث معناه
حمل الثوب على النفس قال عنترة

فشككت بالرمح الاصم ثيابه ... ليس الكريم على القنا بمحرم

يريد نفسه والمعنى ونفسك فطهر عن الذنوب والريب وغيرها وكنى بالثوب

بالثياب عن الجسد لانها تشتمل عليه الوجه الرابع وهو حمل الثياب والتطهير على
تقبيل معناه وقلبك فطهر عن الصفات المذمومة وقيل معناه وخلقك حسن وسئل
ابن عباس عن قوله وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على معصية ولا على غدر اما سمعت
قول غيلان بن سلمة الثقفي ٭ واني بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة اتقنع ٭
والعرب تقول في وصف الرجل بالصدق والوفا هو طاهر الثياب وتقول لمن غدر
انه لدنس الثوب والسبب في ذلك ان الثوب كالشيء الملازم للانسان فلهذا جعلوه
كناية عن الانسان كما يقال الكرم في ثوبه والعفة في ازاره وقيل من طهر باطنه
طهر ظاهره وقوله تعالى **والرجز فاهجر** يعني اترك كل ما اوجب لك العذاب من الاعمال
الاوثان ولا تقربها وقال ابن اترك المآثم وقيل الشرك وقيل اترك كل ما اوجب
لك العذاب من الاعمال والافعال **ولا تمنن تستكثر** يعني لا تعط مالك مصانعة لتعطى
اكثر منه هذا قول اكثر المفسرين وهذا النهي مختص بالنبي صلى الله عليه وسلم وانما
نهي عن ذلك تنزيها لمنصب النبوة لان من اعطى شيئا لغيره يطلب منه الزيادة عليه
لا بد وان يتواضع لذلك الذي اعطاه ومنصب النبوة يجل عن ذلك وهذا غير موجود
في حق الامة يجوز لغيره من الامة ذلك كما قال الضحاك هما ربوان حلال وحرام فالحلال
الهدية يهديها الرجل لغيره ليعطيه اكثر منها واما الحرام فالربا المحرم بنص الشرع
وقيل معناه لا تعط شيئا لتجازى في الدنيا اعط لله واردبه وجه الله وقيل معناه لا تمنن
على الله بعملك فتستكثره ولا يكون عملك في عينك فانه فيما انعم الله به عليك واعطاك
قليل وقيل معناه لا تمنن على اصحابك بما تعلمهم من امر الدين وتبلغهم من الوحي
كالمستكثر بذلك عليهم وقيل لا تمنن عليهم بنبوتك فتاخذ منهم على ذلك اجرا تستكثر
به وقيل معناه لا تمنن لا تضعف عن الخير تستكثر منه وقيل معناه لا تمنن على الناس
بما تنعم عليهم وتعطيهم استكثارا منك لذلك العطية فان المن يحبط العمل **ولربك فاصبر**
اي على طاعته واوامره ونواهيه لاجل ثواب الله وقيل معناه فاصبر لله على ما اوذيت
فيه وقيل معناه انك حملت امرا عظيما فيه محاربة العرب والعجم فاصبر على ذلك
لله عز وجل وقيل معناه فاصبر تحت موارد القضا لاجل الله **فاذا نقر في الناقور**
اي نفخ في الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه اسرافيل وهي النفخة الاولى وقيل الثانية
وهو الاصح **فذلك يومئذ** يعني يوم النفخة وهو يوم القيامة **يوم عسير** اي شديد
على الكافرين يعني يعسر عليهم في ذلك اليوم فيعطون كتبهم بشمائلهم وتسود وجوههم
غير يسير اي هين فان قلت ما فائدة قوله غير يسير وعسير مغن عنه قلت فائدة التكرار
للتاكيد كقولك انا محب لك غير مبغض وقيل لما كان على الكافرين غير يسير دل على
انه يهون على المؤمنين بخلاف الكفار فانه عليهم عسير لا يسر فيه ليزداد غيظ الكافرين
وبشرى المؤمنين قوله تعالى **ذرني ومن خلقت وحيدا** اي خلقته في بطن امه وحيدا
فريدا لا مال له ولا ولد وقيل معناه خلقته وحدي لم يشركني في خلقه احد والمعنى ذرني
واياه فانا اكفيكه هو نزلت هذه الاية في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يسمى الوحيد
في قومه **وجعلت له مالا ممدودا** اي كثيرا يمد بعضه بعضا دائما غير منقطع وقيل
ما يمد بالنماء كالزرع والضرع والتجارة واختلفوا في مبلغه فقيل كان الف دينار وقيل
اربعة آلاف درهم وقيل الف الف وقال ابن عباس تسعة آلاف دينار وقيل اربعة
مثاقيل فضة وعنه كان له بين مكة والطائف ابل وخيل ونعم وكان له غنم كثيرة

وعبيد

وعبيد وجواري وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره شتاء ولا صيفا وقيل كان له بستان
بالطائف يثمر شهر **وبنين شهودا** اي حضورا بمكة لا يغيبون عنه لانهم كانوا اغنياء غير محتاجين
الى الغيبة لطلب الكسب وقيل يعني شهودا يشهدون معه المحافل والمجامع قيل كانوا عشرة
وقيل كانوا سبعة وهم الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد
شمس اسلم منهم ثلاثة نفر خالد وهشام وعمارة **ومهدت له تمهيدا** اي بسطت له في العيش وطول
العمر بسطا مع الجاه العريض والرياسة في قومه وكان الوليد من اكابر قريش وكان يدعى ريحانة
قريش **ثم يطمع** اي يرجو **ان ازيد** اي ازيده مالا وولدا وتمهيدا **كلا** اي لا افعل ولا ازيده
قالوا فما زال الوليد بعد نزول هذه الاية في نقصان ماله وولده حتى هلك **انه كان لآياتنا
عنيدا** اي معاندا والمعنى انه كان معاندا في جميع دلائل التوحيد والقدرة والبعث والنبوة
وكان منازعا منكرا للكل وقيل كان كفره كفر عناد وهو انه كان يعرف هذا بقلبه وينكره
وينكره بلسانه وهو اقبح الكفر واخبثه **سارهقه صعودا** يعني ساكلفه مشقة من
العذاب لا راحة له فيها وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الصعود عقبة من النار يتصعد فيها الكافر سبعين خريفا ثم يهوي فيها سبعين
خريفا فهو كذلك ابدا اخرجه الترمذي وقال حديث غريب روى البغوي باسناد الثعلبي
عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله سارهقه صعودا
قال هو جبل من نار يكلف ان يصعده فاذا وضع يده ذابت فاذا رفعها عادت قال الكلبي
الصعود صخرة ملسا في النار يكلف الكافر ان يصعدها يجذب من امامه بسلاسل الحديد
ويضرب من خلفه بمقامع من حديد فيصعدها في اربعين عاما فاذا بلغ ذروتها احدر الى
اسفلها ثم يكلف ان يصعدها يجذب من امامه ويضرب من خلفه فذلك دابه ابدا قوله
تعالى **انه فكر وقدر** اي فكر في الامر الذي يريده ونظر فيه وتدبره ورتب في قلبه كلاما
وهيا لذلك الامر وهو المراد بقوله وقدر اي ذلك الكلام في قلبه وذلك ان الله تعالى
لما انزل على نبيه صلى الله عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله المصير
قام النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد يصلي والوليد بن المغيرة قريب منه يسمع قراءته فلما
فطن النبي صلى الله عليه وسلم لاستماعه قراءة الاية فانطلق الوليد حتى اتى مجلس قومه
من بني مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمد صلى الله عليه وسلم آنفا كلاما ما هو من
كلام الانس ولا من كلام الجن والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر
وان اسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى عليه ثم انصرف الى منزله فقالت قريش صبا والله
الوليد ولتصبون قريش كلهم فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق حتى جلس الى جنب الوليد
حزينا فقال له الوليد ما لي اراك حزينا يا ابن اخي فقال وما يمنعني ان لا احزن وهذه قريش
يجمعون لك نفقة يعينونك على كبر سنك ويزعمون انك زينت كلام محمد وانك تدخل على
ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة لتنال من فضل طعامهم فغضب الوليد وقال الم تعلم قريش اني
من اكثرهم مالا وولدا وهل يشبع محمد واصحابه من الطعام حتى يكون لهم فضل طعام ثم
قام مع ابي جهل حتى اتى مجلس قومه فقال لهم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه يخنق
قط قالوا اللهم لا قال تزعمون انه كاهن فهل رايتموه تكهن قط قالوا اللهم لا قال تزعمون
انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب قالوا لا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمى
الامين قبل النبوة لصدقه فقالت قريش للوليد فما هو فتفكر في نفسه ثم قال ما هو
الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل واهله وولده ومواليه فهو ساحر وما يقوله سحر يوثر

فذلك قوله عز وجل انه فكر اي في امر محمد والقران وقدر في نفسه ماذا يمكنه ان
يقول في محمد والقران **فقتل كيف قدر** اي عذب وقيل لعن كيف قدر وهو على طريق التعجب
والانكار والتوبيخ **ثم قتل كيف قدر** كرره للتاكيد وقيل معناه لعن على اي حال قدر من الكلام
ثم نظر اي في طلب ما يدفع القران ويرده **ثم عبس وبسر** اي كلح وكره وجهه كالمهتم المتفكر في
شيء يرده **ثم ادبر** اي عن الايمان **واستكبر** اي حين دعي اليه **فقال ان هذا** اي الذي يقوله محمد
ويقرؤه **الا سحر يؤثر** يروى ويحكى عن السحرة **ان هذا الا قول البشر** يعني يسارا وجبرا فهو يؤثره
عنهما فقال الله تعالى **ساصليه** ساادخله **سقر** وهو اسم من اسماء جهنم وقيل اخر دركاتها **وما
ادراك ما سقر** اي اعلمك ما سقر اي شيء هي سقر وانما ذكره على سبيل التهويل والتعظيم
لامرها **لا تبقي ولا تذر** قيل هما بمعنى كما تقول صد عني واعرض عني وقيل لا بد من الفرق
والا لزم التكرار فقيل معنى لا تبقي احدا من المستحقين للعذاب الا اخذته ثم لا تذر من لحوم
اولئك شيئا الا اكلته واهلكته وقيل لا يموت فيها ولا يحيى اي لا تبقي حيا من فيها حيا
ولا تذر من فيها ميتا كلما احترقوا جددوا واعيدوا وقيل لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما
وقيل لكل شيء ملال وفترة الا جهنم ليس لها ملال ولا فترة فهي لا تبقي ولا تذر عليهم
ولا تذرهم **لواحة للبشر** جمع بشرة اي مغيرة للجلد حتى تجعله اسود قال مجاهد تلفح الجلد
حتى تجعله اشد سوادا من الليل وقال ابن عباس محرقة للجلد وقيل تلوح لهم جهنم
حتى يروها عيانا **عليها تسعة عشر** اي على النار تسعة عشر من الملائكة وهم خزنتها
مالك ومعه ثمانية عشر اي على النار جابي الاشرار اعينهم كالبرق الخاطف وانيابهم
كالصياصي يخرج لهب النار من افواههم ما بين منكبي احدهم مسيرة سنة قد نزعت
منهم الرحمة يدفع احدهم سبعين الفا فيرميهم حيث اراد من جهنم وقال عمرو بن دينار
ان احدهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وقال ابن عباس لما نزلت
هذه الاية قال ابو جهل لقريش ثكلتكم امهاتكم اسمع ابن ابي كبشة يخبر ان خزنة النار
تسعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني وانتم الدهم يعني الشجعان افيعجز
كل عشرة منكم ان يبطشوا بواحد منهم يعني خزنة جهنم فقال ابو الاسود بن الاسود كلدة
ابن خلف الجمحي انا اكفيكم منهم سبعة عشر عشرة على ظهري وسبعة على بطني واكفوني انتم
اثنين ويروى عنه انه قال انا امشي بين ايديكم على الصراط فادفع عشرة بمنكبي الايمن
وتسعة بمنكبي الايسر في النار ونمضي فندخل الجنة فانزل الله تعالى **وما جعلنا اصحاب
النار الا ملائكة** يعني لا رجالا ادميين فمن ذا يغلب الملائكة وانما جعلهم ملائكة
لحكمة ليكونوا من غير جنس المعذبين واشد منهم لان الجنسية مظنة الرافة والرحمة
وما جعلنا عدتهم اي عددهم في القلة **الا فتنة للذين كفروا** اي ضلالة لهم حتى قالوا
ما قالوا وقيل فتنتهم هو قولهم لم يكونوا عشرين وما الحكمة في تخصيص هذا العدد وقيل
فتنتهم قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع من في النار واجيب عن قولهم
لو لم يكونوا عشرين بان افعال الله تعالى لا تعلل ولا يقال فيها لم وتخصيص الزبانية بهذا
العدد يجمع اكثر القليل واقل الكثير لامر اقتضته الحكمة وقيل وجه الحكمة في كونهم
تسعة عشر ان هذا العدد يجمع اكثر القليل واقل الكثير ووجه ذلك ان الاحاد اقل
اقل الاعداد واكثرها تسعة واقل الكثير عشرة فوقع الاقتصار على عدد يجمع اقل
الكثير واكثر القليل فهذه الحكمة وما سوى ذلك من الاعداد فكثير لا يدخل تحت الحصر
واجيب عن قولهم كيف يقدر هذا العدد القليل على تعذيب جميع اهل النار وذلك بان الله

جل جلاله يعطي هذا القليل من القوة والقدرة ما يقدرون على ذلك فمن اعترف بكمال قدرة
الله وانه على كل شيء قدير وان احوال القيامة على خلاف احوال الدنيا زال عن قلبه هذا الاستبعاد
بالكلية **وليستيقن الذين اوتوا الكتاب** يعني ان هذا العدد مكتوب في التوراة والانجيل
وانهم تسعة عشر **ويزداد الذين امنوا ايمانا** يعني من امن من اهل الكتاب يزدادون تصديقا
بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك ان العدد كان موجودا في كتابهم واخبر به النبي صلى الله عليه
وسلم على وفق ما عندهم من غير سابقة دراسة وتعلم علموا ان ما حصل له ذلك الا بالوحي
السماوي فازدادوا بذلك ايمانا وتصديقا بمحمد صلى الله عليه وسلم **ولا يرتاب** اي ولا يشك
الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون اي في عددهم وانما قال ولا يرتاب وان كان الاستيقان
يدل على نفي الارتياب ليجمع لهم بين اثبات اليقين ونفي الشك وذلك ابلغ واكد لان فيه
تعريضا بحال غيرهم كانه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من اهل الكفر والنفاق
وليقول الذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق **والكافرون** يعني مشركي مكة فان قلت لم
يكن بمكة نفاق فكيف قال وليقول الذين في قلوبهم مرض وهم المنافقون وهذه السورة
مكية قلت لانه كان في علم الله تعالى ان النفاق سيحدث فاخبر الله عما سيكون وهو كسائر
الاخبار بالغيوب فعلى هذا تصير الاية معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبار عن غيب
سيقع وقد وقع على وفق الخبر وقيل يحتمل ان يراد بالذين في قلوبهم مرض اهل مكة لان
فيهم من هو شاك وفيهم من هو قاطع بالكذب **ماذا اراد الله بهذا مثلا** يعني اي شيء اراد
الله بهذا المثل العجيب وانما سموه مثلا لانه استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من
الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبعادا له والمعنى اي غرض قصد في جعل
الملائكة تسعة عشر لا عشرين ومرادهم بذلك انكاره من اصله وانه ليس من الله
فلهذا اسموه مثلا كذلك اي كما اضل من انكر عدد الخزنة وهدى من صدق به **كذلك يضل
الله من يشاء ويهدي من يشاء** لان الله تعالى اليه الهداية والاضلال **وما يعلم جنود ربك
الا هو** هذا جواب لابي جهل حين قال اما لمحمد اعوان الا تسعة عشر والمعنى ان الخزنة
تسعة عشر ولهم اعوان وجنود من الملائكة ما يعلم عدتهم الا الله تعالى خلقوا لتعذيب
اهل النار وقيل لما ان مقدورات الله تعالى غير متناهية فكذلك جنوده غير متناهية
وما هي يعني النار **الا ذكرى للبشر** اي تذكرة وموعظة للناس وقيل وما هو يعني ايات
القران ومواعظه الا تذكرة للناس يتعظون بها **كلا** اي لا يتعظون ولا يتذكرون وقيل
معناه ليس الامر كما يقول من زعم انه يكفي اصحابه خزنة النار وقيل كلا هنا بمعنى حقا **والقمر
والليل اذ ادبر** اي ولى ذاهبا وقيل دبر بمعنى اقبل تقول العرب دبرني فلان اي جاء خلفي
فالليل ياتي خلف النهار **والصبح اذا اسفر** اي اضاء وتبين وهذا قسم وجوابه قوله تعالى
انها لاحدى الكبر يعني ان سقر لاحدى الكبر الامور العظام وقيل اراد بالكبر دركات النار
وهي سبعة جهنم ولظى والحطمة والسعير وسقر والجحيم والهاوية **نذيرا للبشر** قيل يجوز
ان يكون نذيرا صفة للنار والمعنى ان النار نذير للبشر قال الحسن والله ما انذر بشيء ادهى
من النار وقيل يجوز ان يكون نذيرا صفة لله تعالى والمعنى انا لكم منها نذير فاتقوها
وقيل هو صفة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه يا ايها المدثر قم نذيرا للبشر فانذر **لمن شاء منكم ان
يتقدم او يتاخر** اي يتقدم في الخير والطاعة او يتاخر عنهما فيقع في الشر والمعصية والمعنى
ان الانذار قد حصل لكل واحد ممن امن وكفر وقد يتمسك بهذه الاية من يرى ان العبد غير مجبور
على الفعل وانه متمكن من فعل نفسه واجيب عنه بان مشيئته تابعة لمشيئة الله وقيل اضافة

المشيئة إلى المخاطبين على سبيل التهديد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل هذه المشيئة لله تعالى والمعنى لمن شاء الله منكم أن يتقدم أو يتأخر قوله عز وجل كل نفس بما كسبت رهينة أي مرتهنة في النار بكسبها ومأخوذة بعملها إلا أصحاب اليمين يعني أنهم غير مرتهنين بذنوبهم في النار ولكن يغفرها الله لهم وقيل معناه فكوا رقاب أنفسهم بأعمالهم الحسنة كما يفك الراهن رهنه بأداء الحق الذي عليه واختلفوا في أصحاب اليمين من هم فقيل هم المؤمنون المخلصون وقيل هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم وقيل هم الذين كانوا على يمين آدم يوم أخذ الميثاق حين قال الله تعالى لهم هؤلاء في الجنة ولا أبالي وقيل هم الذين كانوا ميامين أي مباركين على أنفسهم وروي عن علي ابن أبي طالب أنهم أطفال المسلمين وهو أشبه بالصواب لأن الأطفال لم يكتسبوا إثما يرتهنون به وعن ابن عباس قال هم الملائكة في جنات أي هم في جنات يتساءلون عن المجرمين أي يتساءلون عن المجرمين وعن حالهم فيقولون لهم ما سلككم في سقر وقيل هذا يقوي قول من قال إن أصحاب اليمين هم الأطفال لأنهم لم يعرفوا الذنوب التي توجب النار وقيل معناه يتساءل بعضهم بعضا عن المجرمين فعلى هذا التفسير يكون معنى ما سلككم يقول المسؤولون للسائلين قلنا للمجرمين ما سلككم أي أدخلكم وقيل ما حبسكم في سقر وقيل هذا سؤال توبيخ وتقريع قالوا يعني مجيبين لهم لم نك من المصلين أي لله في الدنيا ولم نك نطعم المسكين أي لم نتصدق عليه وكنا نخوض مع الخائضين أي في الباطل وكنا نكذب بيوم الدين أي بيوم الجزاء على الأعمال وهو يوم القيامة حتى أتانا اليقين يعني الموت قال الله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال ابن مسعود تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى في النار إلا أربعة ثم تلا قالوا لم نك من المصلين الآية وقال عمران بن حصين الشفاعة نافعة لكل أحد دون هؤلاء الذين يسمعون روى البغوي بسنده عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف أهل النار فيعذبون قال فيمر بهم الرجل من أهل الجنة فيقول الرجل منهم يا فلان ما تريد فيقول أما تذكر رجلا سقاك شربة يوم كذا وكذا قال فيقول وإنك لهو فيقول نعم فيشفع له فيشفع فيه فما لهم عن التذكرة معرضين أي عن مواعظ القرآن كأنهم حمر جمع حمار مستنفرة قرئ بالكسر أي نافرة وقرئ بالفتح أي منفرة مذعورة محمولة على النفار فرت من قسورة قيل القسورة جماعة الرماة لا واحد له من لفظه وهو رواية عن ابن عباس وعنه أنها القناص وعنه قال هي حبال الصيادين وقيل معناه فرت من رجال أقوياء وكل ضخم شديد عند العرب قسورة وقسور وقيل القسورة لغط القوم وأصواتهم وقيل القسورة شدة سواد ظلمة الليل وقال أبو هريرة هي الأسد وذلك لأن الحمر الوحشية إذا عاينت الأسد هربت فكذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن هربوا منه شبههم بالحمير في البلادة والبلاهة وذلك أنه لا يرى مثل نفار حمر الوحش إذا خافت من شيء بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة قال المفسرون إن كفار قريش قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله أنك رسوله يؤمر فيه باتباعك وقيل إن المشركين قالوا يا محمد بلغنا أن الرجل من بني إسرائيل كان يصبح عند رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك كلا أي لا يؤتون الصحف وهو ردع لهم عن هذه الاقتراحات بل لا يخافون الآخرة أي لا يخافون عذاب الآخرة والمعنى أنهم لو خافوا لما اقترحوا هذه الآيات بعد قيام الأدلة لأنه لما حصلت المعجزات الكثيرة كفت في الدلالة على صحة الأدلة النبوية فطلب الزيادة يكون من باب التعنت كلا أي حقا إنه تذكرة يعني أنه عظة عظيمة فمن شاء ذكره أي اتعظ به فإنما يعود نفع ذلك عليه وما

يذكرون إلا أن يشاء الله أي إلا أن يشاء الله لهم الهدى فيتذكروا ويتعظوا هو أهل التقوى وأهل المغفرة أي هو حقيق بأن يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا به ويطيعوه وهو حقيق بأن يغفر لهم ما سلف من كفرهم وذنوبهم وقيل هو أهل أن يتقى محارمه وأهل أن يغفر لمن اتقاه وعن أنس رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في هذه الآية هو أهل التقوى وأهل المغفرة قال الله عز وجل أنا أهل أن أتقى فمن اتقاني فلم يجعل معي إلها فأنا أهل أن أغفر له أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وفي إسناده سهيل ابن عبد الله القطيعي وليس بالقوي في الحديث وقد تفرد به ثابت بن أنس والله تعالى أعلم

مكية وهي أربعون آية ومائة وتسع وتسعون كلمة وستمائة واثنان وخمسون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل لا أقسم بيوم القيامة اتفقوا على أن المعنى أقسم واختلفوا في لفظ لا فقيل إدخال لا على القسم مستفيض في كلام العرب وأشعارهم قال امرؤ القيس

لا وأبيك ابنة العامري ٭ لا يدعي القوم أني أفر

قالوا وفائدتها تأكيد القسم كقولك لا والله ما ذاك كما تقول تريد والله فيجوز حذفها لكنه أبلغ في الرد مع إثباتها وقيل إنها صلة كقوله تعالى لئلا يعلم أهل الكتاب وفيه ضعف لأنها لا تزاد إلا في وسط الكلام لا في أوله وأجيب عنه بأن القرآن في حكم السورة الواحدة بعضه متصل ببعض يدل عليه أنه قد يجيء ذكر الشيء في سورة ويذكر جوابه في سورة أخرى كقوله يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون وجوابه في سورة ن ما أنت بنعمة ربك بمجنون وإذا كان كذلك كان أول هذه السورة جاريا مجرى الوسط وفيه ضعف أيضا لأن القرآن في حكم السورة الواحدة في عدم التناقض لا أن تقرن سورة بما بعدها فقيل غير جائز وقيل لا رد لكلام المشركين المنكرين للبعث أي ليس الأمر كما زعموا ثم ابتدأ فقال أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة وقيل الوجه فيه أن يقال إن لا هي للنفي والمعنى في ذلك كأنه لا قال لا أقسم بذلك اليوم ولا بتلك النفس إلا إعظاما فيكون الغرض تعظيم المقسم به وتفخيم شأنه وقيل معناه لا أقسم بهذه الأشياء على إثبات هذا المطلوب فإن ثباته أظهر من أن يقسم عليه وروى البغوي في تفسير القيامة عن المغيرة بن شعبة قال يقولون القيامة وقيامة أحدهم موته وشهد علقمة جنازة فلما دفن قال أما هذا فقد قامت قيامته وفيه ضعف لاتفاق المفسرين على أن المراد به القيامة الكبرى لسياق الآيات في ذلك وقوله تعالى ولا أقسم بالنفس اللوامة قيل هي التي تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء وقيل اللوامة هي التي تلوم على الخير والشر ولا تصبر على السراء والضراء وقيل اللوامة هي التي تندم على ما فيه فتقول لما فعلت ولو لم تفعل وقيل ليس من نفس برة ولا فاجرة إلا وهي تلوم نفسها إن كانت عملت خيرا تقول هلا ازددت وإن عملت شرا تقول يا ليتني لم أفعل وقال الحسن هي نفس المؤمن إن المؤمن ما تراه إلا يلوم نفسه ما أردت بكلامي ما أردت بأكلي وإن الكافر يمضي قدما لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها وقيل هي النفس الشريفة التي تلوم النفوس العاصية يوم القيامة بسبب تركها التقوى وقيل هي النفس الشريفة التي تلوم لا تزال تلوم

نفسها وان اجتهدت في الطاعة وقيل هي النفس الشقية تلوم النفوس حين تعاين اهوال القيامة
فتقول واحسرتا على ما فرطت في جنب الله فان قلت اي مناسبة بين يوم القيامة وبين النفس
اللوامة حتى جمع بينهما في القسم قلت وجه المناسبة ان في يوم القيامة يظهر احوال
النفوس اللوامة من الشقاوة والسعادة فلهذا حسن الجمع بينهما في القسم وقيل انما وقع
القسم بالنفس اللوامة على معنى التعظيم لها من حيث انها ابدا تستحقر فعلها واجتهادها في
طاعة الله تعالى وقيل انه تعالى اقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة كانه
قال اقسم بيوم القيامة تعظيما لها ولا اقسم بالنفس اللوامة تحقيرا لها لان النفس
الكافرة او الفاجرة لا يقسم بها فان قلت المقسم به هو يوم القيامة والمقسم عليه هو
يوم القيامة فيصير حاصله انه اقسم بيوم القيامة على وقوع القيامة وفيه اشكال
قلت ان المحققين قالوا القسم بهذه الاشياء قسم بربها في الحقيقة فكانه قال اقسم
برب القيامة وقيل لله تعالى ان يقسم بما شاء من خلقه وجواب القسم محذوف تقديره
ليبعثن ثم ليحاسبن يدل عليه قوله تعالى أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه وقيل جواب
القسم قوله تعالى ايظن هذا الكافر ان العظام بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطة
بالتراب وبعد ما سفتها الرياح وطيرتها في اباعد الارض ألن نجمع عظامه اي لا يمكن جمعها
مرة اخرى فكيف خطر بباله هذا الخاطر الفاسد وما علم ان القادر على الابداء قادر على
الاعادة نزلت هذه الاية في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة وهو ختن الاخنس بن شريق
الثقفي وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم اكفني جاري السوء يعني عديا والاخنس و
وذلك ان عديا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد حدثني متى تقوم القيامة
وكيف امرها وحالها فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم فقال عدي بن ربيعة لو عاينت
ذلك اليوم لم اصدقك ولم اومن بك او يجمع الله العظام فانزل الله عز وجل أيحسب
الانسان يعني به هذا الكافر ان لن نجمع عظامه بعد التفرق والبلى فنحييه كما كان
اول مرة وقيل ذكر العظام واراد بها نفسه جميعها لان العظام قالب والا يستوي
الخلق الا باستوائها وقيل انما خرج على وفق قوله هذا المنكر او يجمع الله العظام كقوله
بلى قادرين يعني على جمع عظامه وتاليفها واعادتها الى التركيب الاول والحالة والهيئة
الاولى على ما هو اعظم من ذلك وهو ان نسوي بنانه يعني انامله فنجعل اصابع يديه
ورجليه شيئا واحدا كخف البعير او كحافر الحمار فلا يقدر على ان يرتفق بهما بالقبض والبسط
والاعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغيرها وقيل معناه ظن الكافر ان لن نقدر
على جمع عظامه بل نقدر على جمع عظامه حتى نعيد السلاميات على صغرها الى اماكنها
ونؤلف بينها حتى نسوي البنان فمن يقدر على جمع العظام الصغار فهو على جمع كبارها
اقدر وهذا القول اقرب الى الصواب وقيل انما خص البنان بالذكر لانه اخر ما يتم
به الخلق قوله عز وجل بل يريد الانسان ليفجر امامه اي ليدوم على فجوره فيما يستقبله
من الزمان ما عاش لا ينزع عن المعاصي ولا يتوب قال سعيد بن جبير يقدم الذنب ويؤخر
التوبة ويقول سوف اتوب سوف اعمل حتى يأتيه الموت وهو على اسوأ حالة واشر
اعماله وقيل هو طول الامل يقول اعيش فاصيب من الدنيا كذا وكذا ولا يذكر الموت
وقال ابن عباس يكذب بما امامه من البعث والحساب واصل الفجور الميل وسمي الكافر
والفاسق فاجرا لميله عن الحق يسأل ايان يوم القيامة اي متى يكون يوم القيامة
والمعنى ان الكافر يسأل سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة قال الله تعالى فاذا برق

البصر

البصر اي اذا شخص البصر عند الموت فلا يطرف مما رأى من العجائب التي كان يكذب بها
في الدنيا وقيل تبرق ابصار الكفار عند رؤية جهنم وقيل برق اي شق عينيه وفتحها من البرق
وهو التلالؤ وخسف القمر اي اظلم وذهب ضوءه وجمع الشمس والقمر يعني اسودين
مكورين كانهما ثوران عقيران وقيل يجمع بينهما في ذهاب الضوء وقيل يجمعان ثم يقذفان
في البحر فيكون نار الله الكبرى يقول الانسان يعني الكافر المكذب يومئذ اين المفر
اي المهرب وهو موضع الفرار كلا اي لا ملجأ لهم يرهبون اليه وهو قوله لا وزر اي
لا حرز ولا ملجأ ولا جبل وكانوا اذا فزعوا لجأوا الى الجبل فتحصنوا به فقيل لا جبل
لكم اليوم يومئذ تتحصنون به واصل الوزر الجبل المنيع وكلما التجأت اليه وتحصنت
به فهو وزر ومنه قول كعب بن مالك

الناس الب علينا فيك ليس لنا ... الا السيوف واطراف القنا وزر

ومعنى الاية انه لا ينجي بعضهم من امر الله تعالى ولا حصن ولا جبل يوم القيامة يسندون
اليه من النار الى ربك يومئذ المستقر يعني مستقر الخلق وقال عبد الله بن مسعود الى
المصير والمرجع وهو بمعنى الاستقرار وقيل الى ربك مستقرهم اي موضع قرارهم من جنة
او نار وذلك مفوض الى مشيئته فمن شاء ادخله الجنة برحمته ومن شاء ادخله النار بعدله
ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر قال ابن مسعود وابن عباس بما قدم قبل موته
من عمل صالح او سيئ وما اخر بعد موته من سنة حسنة او سيئة يعمل بها وعن ابن عباس
ايضا بما قدم من المعصية واخر من الطاعة وقيل بما قدم من طاعة الله واخر من حق الله
فضيعه وقيل باول عمله واخره وهو ما عمله في اول عمره وفي اخره وقيل بما قدم من ماله
لنفسه قبل موته وما اخر من ماله لورثته بل الانسان على نفسه بصيرة اي بل الانسان
على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه ويشهدون عليه بعمله وهي سمعه وبصره وجوارحه
وانما دخلت الهاء في البصيرة لان المراد من الانسان جوارحه وقيل معناه بل الانسان
على نفسه عين بصيرة وفي رواية عن ابن عباس بل الانسان على نفسه شاهد فتكون الهاء
للمبالغة كعلامة ولو القى معاذيره يعني ولو اعتذر بكل عذر وجادل عن نفسه فانه
لا ينفعه لانه قد شهد عليه شاهد من نفسه وقيل معناه ولو اعتذر فعليه من نفسه
من يكذب عذره وقيل ان اهل اليمن يسمون الستر معذارا وجمعه معاذير فعلى هذا
يكون معناه ولو ارخى الستور واغلق الابواب لا يخفى ما يعمل فان نفسه شاهدة
عليه وهذا في حق الكافر لانه ينكر يوم القيامة فتشهد عليه جوارحه بما عمل في الدنيا
قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل به ق عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما
في قوله عز وجل لا تحرك به لسانك لتعجل قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يعالج من
التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه فقال ابن جبير فقال ابن عباس انا احركهما كما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فانزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك
لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه قال جمعه في صدرك ثم تقرؤه فاذا قرأناه فاتبع
قرآنه فاستمع وانصت ثم ان علينا ان تقرأه قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اتاه جبريل بعد ذلك استمع فاذا انطلق جبريل قرأه النبي صلى الله عليه وسلم
كما قرأه وفي رواية كما وعده الله تعالى لفظ الحميدي ورواية البغوي من طريق البخاري
وقال فيه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل بالوحي كان مما
يحرك لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه فانزل الله عز وجل الاية التي في

لا اقسم بيوم القيامة لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه ان نجمعه
في صدرك وتقرأه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه فاذا انزلناه فاستمع ثم ان علينا بيانه
علينا ان نبينه بلسانك قال فكان اذا اتاه جبريل اطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده
الله تعالى وفي رواية كان يحرك شفتيه اذا انزل عليه يخشى ان ينفلت منه فقيل
له لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا ان نجمعه في صدرك وقرآنه ان تقرأه ومعنى الآية
لا تحرك بالقرآن لسانك وانما جاز هذا الاضمار وان لم يجر له ذكر لدلالة الحال عليه لتعجل
به اي بأخذه ان علينا جمعه اي نجمعه في صدرك وحفظك اياه وقرآنه عليك والمعنى
سنقرئك يا محمد حتى تصير لا تنساه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه اي لا تكن قراءتك
مقارنة لقراءة جبريل عليك بل اسكت حتى يتم جبريل ما يوحي اليك فاذا فرغ جبريل
من القراءة فخذ انت فيها وجعل قراءة جبريل قراءته لانه بامره نزل بالوحي ونظيره ومن
يطع الرسول فقد اطاع الله وقيل معناه اعمل به واتبع حلاله وحرامه والقول
الاول اولى لان هذا ليس موضع الامر واله باتباع حلاله وحرامه وانما هو موضع
امر باستماع حتى يفرغ جبريل من قراءته فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا
نزل عليه جبريل بالوحي استمع له فاذا فرغ من قراءته وعاه النبي صلى الله عليه وسلم
وحفظه ثم ان علينا بيانه اي نبينه بلسانك فتقرأه كما اقرأك جبريل وقيل اذا
اشكل شيء من معانيه فنحن نبينه لك وعلينا بيان ما فيه من الاحكام والحلال والحرام
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشكل عليه شيء سأل جبريل عن معانيه لغاية
حرصه على العلم فقيل له نحن نبينه لك قوله عز وجل كلا اي حقا بل تحبون العاجلة
وتذرون الآخرة اي تختارون الدنيا على العقبى وتعملون لها يخاطب كفار مكة وجوه
يومئذ يعني يوم القيامة ناضرة من النضارة والحسن قال ابن عباس حسنة وقيل مسرورة
بالنعيم وقيل ناعمة وقيل مسفرة مضيئة وقيل بيض يعلوها نور ربها وقيل مشرقة بالنعيم
الى ربها ناظرة قال ابن عباس واكثر المفسرين تنظر الى ربها عيانا بلا حجاب قال الحسن
حق ان تنظر الى الخالق سبحانه وتعالى وروي عن مجاهد وابي صالح انهما فسرا النظر
في هذه الآية بالانتظار قال مجاهد تنتظر من ربها ما امر لها به وقال ابو صالح تنتظر
الثواب من ربها قال الازهري ومن قال ان معنى قوله الى ربها ناظرة بمعنى منتظرة فقد اخطأ
لان العرب لا تقول نظرت الى الشيء بمعنى انتظرته انما تقول نظرت فلانا اي انتظرته ومنه
قول الحطيئة ٭ وقد نظرتكم ابناء صادرة ٭ للورود طال بها حوزي وتنساني ٭ فاذا قلت نظرت
اليه في الامر لم يكن الا بالعين واذا قلت نظرت في الامر احتمل ان يكون تفكرا فيه وتدبرا
وهذا آخر كلامه ويشهد لصحة هذا ان النظر الوارد في التنزيل بمعنى الانتظار كثير
ولم يوصل في موضع بالى كقوله انظرونا نقتبس من نوركم وقوله هل ينظرون الا
تأويله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله والوجه اذا وصف بالنظر وعدي بالى لم
يحتمل غير الرؤية واما قوله انظر الى الله ثم اليك على معنى اتوقع فضل الله ثم فضلك
ويكون النظر بمعنى نظر القلب انما يجوز هذا اذا لم يسند النظر الى الوجه لم يحتمل نظر
القلب والانتظار واذا ابطل المعتزلة لم يبق لنفاة الرؤية كلام وان شق ذلك عليهم
والاحاديث الصحيحة تعضد قول من فسر النظر في هذه الآية بالرؤية وسنذكرها
ان شاء الله تعالى فصل في اثبات رؤية المؤمنين ربهم سبحانه وتعالى في الآخرة
قال علماء اهل السنة رؤية الله سبحانه وتعالى ممكنة غير مستحيلة عقلا واجمعوا على

وقوعهما

وقوعهما في الآخرة وان المؤمنين يرون الله جل جلاله دون الكافرين بدليل قوله تعالى كلا
انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وزعمت طوائف من اهل البدع كالمعتزلة والخوارج وبعض المرجئة
ان الله تعالى لا يراه احد من خلقه وان رؤيته مستحيلة عقلا وهذا الذي قالوه خطأ صريح
وجهل قبيح وقد تظاهرت ادلة الكتاب والسنة واجماع الصحابة ومن بعدهم من سلف
من الامة على اثبات رؤية الله تعالى وقد رواها نحو من عشرين صحابيا عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وآيات القرآن فيها مشهورة واعتراضات المبتدعة عليها لها اجوبة مشهورة
في كتب المتكلمين من اهل السنة وكذلك باقي شبههم واجوبتهم مستقصاة في كتب الكلام
وليس هذا موضع ذكرها ثم مذهب اهل الحق ان الرؤية قوة يجعلها الله تعالى في خلقه
ولا يشترط فيها اتصال الاشعة ولا مقابلة المرئي ولا غير ذلك واما الاحاديث الواردة
في اثبات الرؤية فمنها ما روي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان ادنى اهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وازواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة
الف سنة واكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة اخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب وقال قد روي
عن ابن عمر ولم يرفعه ق عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى
القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته
فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وقوله لا تضامون
روي بفتح التاء وتشديد الميم وقد تضم التاء مع التشديد ايضا ومعناه لا يتضامون ولكم يتضم
بعضكم الى بعض ولا تزدحمون وقت النظر اليه وروي بتخفيف الميم ومعناه لا ينالكم ضيم
في رؤيته فيراه بعضكم دون بعض وقوله انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر معناه تشبيه
الرؤية بالرؤية في الوضوح وزوال الشك والمشقة لا تشبيه المرئي عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان ناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل تضارون في القمر ليلة البدر قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون في الشمس ليس
دونها سحاب قالوا لا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكم سترونه كذلك اخرجه ابو
داود واخرجه الترمذي وليس عنده في اوله ان ناسا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولا قوله ليس دونها سحاب قال الترمذي وقد روي مثل هذا الحديث عن ابي سعيد وهو
صحيح وهذا الحديث طرف من حديث طويل قد اخرجه البخاري ومسلم ومعناه تضارون
وتضامون واحد عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول الله اكلنا يرى ربه مخليا به يوم
القيامة قال نعم قلت وما آية ذلك في خلقه قال يا ابا رزين اليس كلكم يرى القمر ليلة البدر
مخليا به قلت بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله يعني القمر فالله اجل واعظم
اخرجه ابو داود م عن صهيب رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
اذا دخل اهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون الم
تبيض وجوهنا الم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار قال فيكشف الحجاب فما اعطوا شيئا
احب اليهم من النظر الى ربهم تبارك وتعالى والاحاديث في الباب كثيرة وهذا القدر كاف
والله اعلم قوله عز وجل ووجوه يومئذ باسرة اي عابسة كالحة متغيرة مسودة قد اظلمت
الوانها وعدمت آثار النعمة والسرور منها لما ادركها من اليأس رحمة الله تعالى وذلك
حين يميز بين اهل الجنة والنار تظن اي تستيقن والظن هنا بمعنى اليقين ان يفعل بها
فاقرة اي يفعل بها امر عظيم من العذاب والفاقرة الداهية العظيمة والامر الشديد

عن قوله فان استطعتم ان لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب: فافعلوا ثم قرأ
وسبح بحمد ربك قبل
طلوع الشمس
وقبل الغروب
ع

الذي يكسر فقار الظهر ويقصمه وقيل الفاقرة دخول النار وقيل هي ان تحجب تلك الوجوه
عن رؤية الله تعالى كلا اي حقا اذا بلغت يعني النفس كناية عن غير مذكور التراقي جمع ترقوة
وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الاشراف على الموت
ومنه قول زيد بن الصمة ❊ ورب عظيمة دافعت عنها ❊ وقد بلغت نفوسهم التراقي وقيل يعني
من حضره من راق يعني هل طبيب يرقيه ويداويه مما نزل به ويشفيه ويخلصه منه لكي برقيته
ودوايه وقيل لما انزل الله نزل به من امر الله تعالى ما نزل التمسوا له الاطبا فلم يغنوا عنه
من قضا الله شيا وقيل هذا من قول الملايكة الذين يحضرونه عند الموت يقول بعضهم لبعض
من يرقى بروحه اذا اخرجت من يصعد بها ملايكة الرحمة او ملايكة العذاب وظن اي ايقن
الذي بلغت روحه التراقي انه الفراق يعني الخروج من الدنيا وفراق الاهل والمال والولد
والتفت اي اجتمعت الساق بالساق اي الشدة بالشدة يعني شدة مفارقة الدنيا يعني شدة الموت
وكربه وقيل شدة الموت بشدة الاخرة وقيل تتابعت عليه الشدايد لا يخرج من كرب الا جاه ما
هو اشد منه وقال ابن عباس امر الدنيا بامر الاخرة فكان في اخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من
ايام الاخرة وقيل الناس يجهزون جسده والملايكة يجهزون روحه وقيل هما ساقا الميت
اذا التفتا في الكفن وقيل هما ساقاه عند الموت الا تراه كيف يضرب باحدى رجليه على
الاخرى عند النزع وقيل اذا مات يبست ساقاه احدهما بالاخرى الى ربك يومئذ المساق اي
مرجع العباد الى الله يوم القيامة ليفصل بينهم قوله عز وجل فلا صدق ولا صلى يعني ابا جهل
لم يصدق بالقران ولم يصل لله تعالى ولكن كذب وتولى اي اعرض عن الايمان والتصديق
ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر ويختال في مشيته وقيل اصله يتمطط اي يتمدد من التمطي اولى
لك فاولى هذا وعيد على وعيد من الله تعالى لابي جهل وهي كلمة موضوعة للتهديد والوعيد ومعناه
وليك الشر مرة بعد مرة وهو دعا عليه بان يليه ما يكرهه وقيل معناه انك اجدر بهذا العذاب
واحق واولى به يقال ذلك لمن يصيبه مكروه وقيل معناه يستوجبه قال قتادة ذكر لنا ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية اخذ بمجامع ابي جهل بالبطحا وقال له اولى لك فاولى
ثم اولى لك فاولى فقال ابو جهل اتوعدني يا محمد والله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا
بي شيا واني لاعز من مشى بين جبليها فلما كان يوم بدر صرعه الله شر صرعة وقتله اسوا قتلة
وكان نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل نبي فرعونا وان فرعون هذه الامة ابو جهل
ايحسب الانسان ان يترك سدى اي هملا لا يومر ولا ينهى ولا يكلف في الدنيا ولا يجازى في الاخرة
الم يك نطفة اي ماء قليلا من مني يمنى اي تصب في الرحم والمعنى كيف يليق بمن خلق من شي
قذر مستقذر ان يتكبر ويتمرد عن الطاعة ثم كان علقة اي صار علقة بعد النطفة فخلق
فسوى اي فقدر خلقه وسواه وعدله وقيل نفخ فيه الروح وكمل اعضاه فجعل منه اي من
الانسان الزوجين اي الصنفين ثم فسرهما فقال الذكر والانثى اي خلق من مايه اولادا
ذكورا واناثا اليس ذلك اي الذي فعل هذا وانشا الاشيا بقادر على ان يحيي الموتى اي على
اعادته بعد الموت عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا منكم
والتين والزيتون فانتهى الى اخرها اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى ومن قرا المرسلات فبلغ فباي
حديث بعده يومنون فليقل امنا بالله اخرجه ابو داود وله عن ابي موسى بن ابي عايشة قال كان رجل
فوق بيته فكان اذا قرا اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى قال سبحانك بلى فسالوه عن ذلك فقال
سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة هل اتى

ن اخرى
وانا على ذلك من
الشاهدين ومن
قرا لا اقسم بيوم القيامة
فانتهى الى اليس ذلك بقادر
على ان يحيي الموتى فليقل
بلى

وتسمى

وتسمى سورة الانسان ايضا مدنية في قول مجاهد وقتادة والجمهور وقيل مكية يحكى ذلك عن
ابن عباس وعطا وجابر وبها نزل وقيل فيها مكي ومدني فالمكي منها قوله ولا تطع منهم اثما
او كفورا وباقيها مدني قاله الحسن وعكرمة وقيل ان المدني من اولها الى قوله تعالى انا نحن
نزلنا عليك القران تنزيلا ومن هذه الى اخرها مكي حكاه الماوردي وهي احدى وثلاثون
اية ومايتان واربعون كلمة والف واربعة وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل هل اتى قد اتى على الانسان يعني ادم عليه السلام حين من الدهر مدة اربعين
سنة وهو من طين ملقى مر عن انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما
صور الله ادم في الجنة تركه ما شا الله ان يتركه فجعل ابليس يطوف به وينظر اليه
فلما راه اجوف علم انه خلق لا يتمالك قوله يطوف به يدور حوله فلما راه اجوف اي صاحب
جوف وقيل هو الذي داخله خال وقوله عرف انه خلق لا يتمالك اي لا يملك نفسه عن
الشهوات وقيل لا يملك دفع الوسواس عنه وقيل لا يملك نفسه عن الغضب ويروى
في تفسير الاية ان ادم بقي اربعين سنة طينا واربعين سنة حما مسنونا واربعين سنة
صلصالا كالفخار فتم خلقه بعد ماية وعشرين سنة لم يكن شيا مذكورا اي لا يذكر ولا يعرف
ولا يدرى ما اسمه ولا ما يراد به وذلك قبل ان ينفخ فيه الروح كان شيا ولم يكن شيا
مذكورا روي عن عمر انه سمع رجلا يقرا هذه الاية لم يكن شيا مذكورا فقال عمر
ليتها تمت يعني ليته بقي على ما كان عليه ويروى نحوه عن ابي بكر وابن مسعود وقيل المراد
بالانسان جنس الانسان وهو بنو ادم بدليل قوله انا خلقنا الانسان في الموضعين
واحد فعلى هذا يكون معنى قوله حين من الدهر طايفة من الدهر غير مقدر لم يكن شيا مذكورا
يعني انهم كانوا نطفا في الاصلاب ثم علقا ومضغا في الارحام لم يذكروا وانتهى انا خلقنا
الانسان يعني ولد ادم من نطفة يعني مني الرجل ومني المراة امشاج اي اخلاط قال
ابن عباس وغيره يعني ما الرجل وما المراة اصفر رقيق فايهما علا صاحبه كان الشبه
له فما كان من عصب وعظم فمن نطفة الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ما المراة
وقيل الامشاج اختلاف الالوان النطفة فنطفة الرجل بيضا ونطفة المراة صفرا
وكل لونين اختلطا فهو امشاج وقال ابن مسعود هي العروق التي تكون في النطفة
وقيل في النطفة مشج اي خلطت بدم وهو دم الحيض فاذا اجبلت المراة ارتفع
دم الحيض وقيل الامشاج اطوار الخلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم يكسوه
لحما ثم ينشيه خلقا اخر وقيل ان الله تعالى جعل في النطفة اخلاطا من الطبايع التي
تكون في الانسان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة فعلى هذا يكون التقدير
من نطفة ذات امشاج نبتليه اي نختبره بالامر والنهي فجعلناه سميعا بصيرا
قيل فيه تقديم وتاخير تقديره فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه لان الابتلا لا يقع الا
بعد تمام الخلقة وقيل معناه انا خلقنا الانسان من هذه الامشاج للابتلا والامتحان
ثم ذكر انه اعطاه ما يصح معه الابتلا وهو السمع والبصر وهما كنايتان عن الفهم
والتمييز وقيل المراد بالسمع والبصر الحاستان المعروفتان وانما خصهما بالذكر لانهما
اعظم الحواس واشرفها انا هديناه السبيل اي بينا له سبيل الحق والباطل والهدى
والضلالة وعرفناه طريق الخير والشر وقيل ارشدناه الى الهدى لانه لا يطلق اسم
السبيل الا عليه والمراد من هداية السبيل نصب الدلايل وبعثة الرسل وانزال الكتب
اما شاكرا واما كفورا يعني اما موحدا طايعا واما مشركا بالله في علم الله وذلك

خلقه

ان الله تعالى بين سبيل التوحيد ليتميز شكر الانسان من كفره وطاعته من معصيته وقيل في معنى
الاية اما مؤمنا سعيدا واما كافرا شقيا وقيل معناه الجزاء اي بينا الطريق ان شكر او كفر وقيل
المراد من الشاكر الذي يكون مقرا معترفا بوجوب شكر خالقه سبحانه وتعالى عليه والمراد من
الكفور الذي لا يقر بوجوب الشكر عليه ثم بين مآل الفريقين فوعد الشاكر واوعد الكافر
فقال تعالى انا اعتدنا اي هيأنا في جهنم للكافرين سلاسل اي يشدون بها واغلالا اي في
ايديهم تغل بها الى اعناقهم وسعيرا يعني وقودا لا يوصف شدته وهذا من اعظم انواع الترهيب
والتخويف ثم ذكر ما اعد للشاكرين الموحدين فقال تعالى ان الابرار يعني المؤمنين الصادقين
في ايمانهم المطيعين لربهم واحدهم بار وبر واصله التوسع فمعنى البر المتوسع في الطاعة يشربون من
كاس يعني فيه شراب كان مزاجها كافورا قيل يمزج لهم شرابهم به قلت بالمسك فان قلت الكافور
غير لذيذ وشربه مضر فما وجه مزج شرابهم به قلت قال اهل المعاني اراد كالكافور في بياضه
وطيب ريحه وبرده لان الكافور لا يشرب وقال ابن عباس هو اسم عين في الجنة والمعنى ان ذلك
الشراب يمازجه شراب ماء هذه العين التي تسمى كافورا ولا يكون في ذلك ضرر لان اهل الجنة
لا يمسهم ضرر فيما ياكلون ويشربون وقيل هو كافور لذيذ طيب الطعم ليس فيه مضرة
ككافور الدنيا ولكن الله سمى ما عنده بما عندكم يمزج شرابهم بذلك الكافور والمسك والزنجبيل
عينا بدلا من الكافور وقيل اعني عينا يشرب بها اي يشرب منها عباد الله قال ابن عباس اولياء
الله يفجرونها تفجيرا اي يقودونها الى حيث شاؤا من منازلهم وقصورهم تفجيرا سهلا لا يمتنع
عليهم قوله تعالى يوفون بالنذر لما وصف الله تعالى ثواب الابرار في الآخرة وصف اعمالهم
في الدنيا حتى يستوجبوا هذا الثواب والمعنى يوفون بما فرض الله عليهم فيدخل فيه
جميع الطاعات من الايمان والصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغير ذلك من الواجبات
وقيل النذر في عرف الشرع واللغة ان يوجب الرجل على نفسه شيئا ليس بواجب عليه وذلك
ان يقول لله علي كذا وكذا من صدقة او صوم او صلاة او حج او عمرة يعلق ذلك بامر يلتمسه
من الله وذلك بان يقول ان شفى الله مريضي او قدم غائبي كان لله تعالى علي كذا او كذا
ولو نذر في معصية لا يجب الوفاء به خ عن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه
يقول من نذر ان يطيع الله فليف بنذره ومن نذر ان يعص الله فلا يف به وفي رواية فليطعه
ولا يعصه م عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نذر في معصية وكفارته
كفارة يمين اخرجه الترمذي وابو داود والنسائي ق عن ابن عباس قال استفتى سعد بن
عبادة رسول الله صلى الله عليه وسلم في نذر كان على امه فتوفيت قبل ان تقضيه فامره
ان يقضيه عنها اخرجه الجماعة وفي الاية دليل على وجوب الوفاء بالنذر وهذا مبالغة في
وصفهم على اداء الواجبات لان من وفى بما اوجبه على نفسه كان لما اوجبه الله عليه اوفى
ويخافون يوما كان شره مستطيرا اي منتشرا فاشيا ممتدا وقيل استطار خوفه في اهل
السموات واهل الارض وفي اولياء الله واعدائه وقيل فشا شره في السموات فانشقت
وتناثرت الكواكب وفزعت الملائكة وكورت الشمس والقمر وفي الارض فنسفت الجبال وغارت
المياه وكسر كل شيء على الارض من جبل وبناء والمعنى انهم يوفون بالنذر وهم خائفون من شر
ذلك اليوم وهوله وشدته قوله عز وجل ويطعمون الطعام على حبه اي حب الطعام وقلته
وشهوتهم له والحاجة اليه فوصفهم الله تعالى بانهم يؤثرون على انه غيرهم على انفسهم بالطعام
ويواسون به اهل الحاجة وذلك لان اشرف انواع الاحسان والبر الاطعام لان به قوام
الابدان وقيل على حب الله عز وجل اي لحب الله مسكينا يعني فقيرا وهو الذي لا مال

له

له ولا يقدر على الكسب ويتيما اي صغيرا وهو الذي لا اب له يكتسب وينفق عليه واسيرا قيل
هو المسجون من اهل القبلة يعني من المسلمين وقيل الاسير هو من اهل الشرك امر الله بالاسرا
ان يحسن اليهم وان اسراهم يومئذ من اهل الشرك فعلى هذا يجوز اطعام الاسرا وان كانوا
على غير ديننا وانه يرجى ثوابه ولا يجوز ان يعطوا من الصدقة الواجبة كالزكاة والكفارة
وقيل الاسير المملوك وقيل الاسير المراة لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتقوا الله في النسا
فانهن عندكم عوان يعني اسرا وقيل غريمك اسيرك فاحسن الى اسيرك واختلفوا في سبب نزول
فقيل نزلت في رجل من الانصار يقال له ابو الدحداح صام يوما فلما كان وقت الافطار
جاءه مسكين ويتيم واسير فاطعمهم ثلاثة ارغفة وبقي له ولاهله رغيف واحد فنزلت
هذه الاية فيه وروي عن عطاء عن ابن عباس انها نزلت في علي بن ابي طالب وذلك انه عمل ليهودي
بشيء من شعير فقبض ذلك الشعير فطحن منه ثلثه واصلحوا منه شيئا ياكلونه فلما فرغ
اتى مسكين فسال فاخرجوا اليه ذلك الطعام ثم عمل الثلث الثاني فلما فرغ اتى يتيم فسال
فاعطوه ذلك الثلث ثم عمل الثلث الباقي فلما تم نضجه اتى اسير من المشركين فسال فاعطوه
ذلك وطووا يومهم وليلتهم فنزلت هذه الاية وقيل الاية عامة في كل من اطعم المسكين واليتيم
والاسير لله تعالى وآثر على نفسه انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا قيل
انهم لم يتكلموا به ولكن علم الله ذلك من قلوبهم فاثنى به عليهم وقيل قالوا ذلك بالسنتهم
منعا للمحتاجين من المكافاة وقيل قالوا ذلك ليقتدي بهم غيرهم في ذلك وذلك ان الاحسان
الى الغير تارة يكون لاجل الله تعالى لا يريد به غيره فهذا هو الاخلاص وتارة يكون لطلب
المكافاة او لطلب الحمد من الناس او لهما وهذان القسمان مردودان لا يقبلهما الله تعالى
لان فيهما شركا ورياء فنفوا ذلك عنهم بقولهم انما نطعمكم لوجه الله اي لاجل وجه الله لا نريد
منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما يعني ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم
لا لطلب مكافاتكم عبوسا وصف ذلك اليوم بالعبوس مجازا كما يقال نهاره صائم والمراد
اهله والمعنى تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته وقيل وصف اليوم بالعبوس لما فيه من
الشدة قمطريرا يعني شديدا كريها يقبض الوجوه والجباه بالتعبيس وقيل العبوس الذي لا انبساط
فيه والقمطرير الشديد وقيل هو اشد ما يكون من الايام واطوله في البلاء فوقاهم الله شر
ذلك اليوم اي الذي يخافونه ولقاهم نضرة اي حسنا في وجوههم وسرورا اي في قلوبهم
وجزاهم بما صبروا اي على طاعة الله واجتناب معصيته وقيل على الفقر والجوع مع الوفاء بالنذر
والايثار جنة وحريرا اي ادخلهم الجنة والبسهم الحرير متكئين فيها اي في الجنة على الارائك
جمع اريكة وهي السرير في الحجال ولا تسمى اريكة الا اذا اجتمعا لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا
يعني لا يؤذيهم حر الشمس ولا برد الزمهرير كما كان يؤذيهم في الدنيا والزمهرير اشد البرد وحكى
الزمخشري قولا ان الزمهرير هو القمر وعن ثعلب انه في لغة طيء وانشد فيه

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير ما زهر

والمعنى ان الجنة ضياء لا يحتاج فيها الى شمس وقمر ودانية عليهم ظلالها اي قريبة منهم ظلال
اشجارها وذللت اي سخرت وقربت قطوفها اي ثمارها تذليلا اي يأكلون من ثمارها
قياما وقعودا ومضطجعين ويتناولونها كيف شاؤا وعلى اي حال ارادوا ويطاف عليهم
بآنية من فضة واكواب قيل هي الكيزان التي لا عرى لها كالقدح ونحوه كانت قوارير
قوارير من فضة قال اهل التفسير اراد بياض الفضة في صفاء القوارير وهو الزجاج والمعنى
آنية اهل الجنة من فضة بيضاء في صفاء الزجاج والمعنى يرى ما في باطنها من ظاهرها قال الكلبي

ان الله تبارك وتعالى يجعل قوارير كل قوم تراب ارضهم وان ارض اهل الجنة من فضة فجعل فيها
قوارير يشربون فيها وقيل ان القوارير التي في الدنيا من الرمل والقوارير التي في الجنة من الفضة
ولكنها اصفى من الزجاج قدروها تقديرا اي قدروا الكؤوس على قدر ريهم وكفايتهم لا يزيد
ولا ينقص والمعنى ان السقاة والخدم الذين يطوفون عليهم يقدرونها لهم ثم يسقونهم ويسقون
فيها اي في الجنة كأسا كان مزاجها زنجبيلا قيل ان الزنجبيل هو اسم للعين التي يشرب منها
الابرار يوجد منها طعم الزنجبيل يشربها المقربون صرفا ويمزج لاهل الجنة جميعهم وقيل
هي الشيء المعروف والعرب كانوا يجعلون الزنجبيل في شرابهم لانه يحصل فيه ضرب من اللذع
للاخرى العسل والمثار المستخرج من بيوت النحل وقال المسيب معناه فكان طعم الزنجبيل
بما اذا اضافه وبلاء الخمر فلما كان الزنجبيل مستطابا عند العرب وصف الله تعالى شراب اهل
الجنة على برد الكافور وطعم الزنجبيل وريح المسك قال ابن عباس كلما ذكر الله تعالى في
القران مما في الجنة وسماه ليس له مثل في الدنيا وذلك لان زنجبيل الجنة لا يشبه زنجبيل الدنيا
عينا فيها تسمى سلسبيلا اي سلسة منقادة لهم يصرفونها حيث شاؤا وقيل حديدة الجرية
سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في طرقهم ومنازلهم تنبع من اصل العرش من جنة عدن الى سائر
الجنان وقيل سميت بذلك لانها في غاية السلاسة تتسلسل في الحلق ومعنى تسمى توصف لان اكثر
العلماء على ان السلسبيل صفة لا اسم ويطوف عليهم ولدان مخلدون اي في الخدمة وقيل مخلدون
مقرطون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا يعني في بياض اللؤلؤ الرطبة وحسنه وصفائه واللؤلؤ
اذا انتثر على البساط كان اصفى منه منظوما وقيل انما شبهوا بالمنثور لانتشارهم في الخدمة قوله
عز وجل واذا رايت قيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل لكل واحد ممن يدخل
الجنة والمعنى اذا رايت ببصرك ونظرت به ثم يعني الجنة رايت نعيما اي لا يوصف عظمه وملكا
كبيرا قيل هو ان ادناهم منزلة من ينظر في ملكه مسيرة الف عام يرى اقصاه كما يرى ادناه
وقيل هو ان رسول رب العزة من الملائكة لا يدخل عليه الا باذنه وهو استيذان
الملائكة عليهم وقيل معناه ملكا لا زوال له ولا انتقال عاليهم ثياب سندس خضر وهو
ما رق من الديباج واستبرق وهو ما غلظ منه وكلاهما داخل في اسم الحرير وحلوا اساور
من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا يعني طاهرا من الاقذار والادران لم تمسه الايدي ولم
تدنسه الارجل كخمر الدنيا وقيل انه لا يستحيل بولا ولكنه يستحيل رشحا في ابدانهم كريح
المسك وذلك انهم يؤتون بالطعام ثم يؤتون بعده بالشراب الطهور فيشربون منه
فتطهر بطونهم ويصير ما اكلوه رشحا يخرج من جلودهم اطيب من المسك الاذفر وتضمر
بطونهم وتعود شهوتهم وقيل الشراب الطهور هو عين باب الجنة من شرب منه نزع الله ما
كان في قلبه من غل وغش وحسد ان هذا كان لكم جزاء اي يقال لاهل الجنة بعد دخولهم فيها
ومشاهدتهم نعيمها ان هذا كان لكم جزاء قد اعده الله لكم الى هذا الوقت فهو لكم باعمالكم وقيل
اخبار من الله تعالى لعباده المؤمنين انه قد اعده لهم في الاخرة وكان سعيكم مشكورا اي
شكرتكم عليه واثبتكم افضل الثواب وقيل شكر الله لعباده هو رضاه عنهم بالقليل
من الطاعات واعطاؤهم الكثير من الخيرات قوله عز وجل انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا
قال ابن عباس متفرقا اية بعد اية ولم ينزل جملة واحدة والمعنى انزلنا عليك القران متفرقا
لحكمة بالغة تقتضي تخصيص كل شيء بوقت معين والمقصود من ذلك تثبيت قلب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وشرح صدره وان الذي انزله اليه وحي منه ليس بكهانة ولا سحر
لتزول تلك الوحشة التي حصلت له من قول الكفار انه سحر وكهانة فاصبر لحكم ربك اي

عن

عن العباد عن حكمة بحتة فقيل معناه فاصبر لحكم ربك في تاخير الاذن في القتال وقيل هو
عام في جميع التكاليف اي فاصبر لحكم ربك في كل ما حكم الله به سواء كان تكليفا خاصا كالعبادات
والطاعات او عاما متعلقا بالغير كالتبليغ واداء الرسالة وتحمل المشاق وغير ذلك ولا تطع
منهم اثما او كفورا يعني كفورا وقيل اراد به ابو جهل وذلك انه لما فرضت الصلاة على النبي
صلى الله عليه وسلم نهاه ابو جهل عنها فقال لئن رايت محمدا يصلي لاطان عنقه وقيل اراد بالاثم
عتبة بن ربيعة وبالكفور الوليد بن المغيرة وذلك انهما قالا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت
صنعت ما صنعت لاجل النساء والمال فارجع عن هذا الامر فقال عتبة انا ازوجك
ابنتي واسوقها اليك بغير مهر وقال الوليد انا اعطيك من المال حتى ترضى وارجع عن هذا
فانزل الله تعالى هذه الاية فان قلت هل من فرق بين الاثم والكفور قلت الاثم هو المقدم
على المعاصي اي معصية كانت والكفور هو الجاحد فكل كفور اثم ولا ينعكس لان من عبد غير
الله فقد اجتمع في حقه هذان الوصفان لانه لما عبد غير الله فقد عصاه وجحد نعمه عليه
واذكر اسم ربك بكرة واصيلا قيل المراد من الذكر الصلاة والمعنى وصل لربك بكرة يعني صلاة
الصبح واصيلا صلاة الظهر والعصر ومن الليل فاسجد له يعني صلاة المغرب والعشاء
فعلى هذا تكون الاية جامعة لمواقيت الصلاة الخمس وسبحه ليلا طويلا يعني صلاة
التطوع بعد المكتوبة وهو التهجد بالليل وقيل المراد من الاية هو الذكر باللسان ه
والمقصود ان يكون ذاكرا لله تعالى في جميع الاوقات في الليل والنهار بقلبه وبلسانه
قوله عز وجل ان هؤلاء يعني كفار مكة يحبون العاجلة يعني الدار العاجلة وهي الدنيا ويذرون
وراءهم يعني امامهم يوما ثقيلا يعني شديدا وهو يوم القيامة والمعنى انهم يتركونه فلا يؤمنون
به ولا يعملون له نحن خلقناهم وشددنا اي قوينا واحكمنا اسرهم اي خلقهم وقيل اوصالهم شددنا
بعضهم الى بعض بالعروق والاعصاب وقيل الاسر مجرى البول والغائط وذلك انه اذا خرج
الاذى انقبضتا واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا اي اذا شئنا اهلكناهم واتينا باشباههم
فجعلناهم بدلا منهم ان هذه اي السورة تذكرة اي تذكير وعظة فمن شاء اتخذ لنفسه في الدنيا
الى ربه سبيلا اي وسيلة بالطاعة والتقرب اليه وهذه مما يتمسك بها القدرية ويقولون ان
اتخاذ السبيل هو عبارة عن التقرب الى الله تعالى وهو الى اختيار العبد ومشيئته قال اهل السنة
ويرد عليهم قوله عز وجل في سياق الاية وهو قوله تعالى وما تشاؤون الا ان يشاء الله اي
لستم تشاؤون الا بمشيئة الله تعالى لان الامر اليه ومشيئة الله مستلزمة بفعل العبد فجميع
ما يصدر عن العبد بمشيئة الله جل جلاله وتعالى علاؤه وشانه ان الله كان عليما
اي باحوال خلقه وما يكون منهم حكيما اي حيث خلقهم مع علمه بهم يدخل من يشاء في رحمته
اي في دينه وقيل في جنته فان فسرت الرحمة بالدين كان ذلك من الله تعالى وان فسرت بالجنة
كان دخول الجنة بسبب مشيئة الله جل جلاله وتعالى علاؤه وعظم شانه وفضله واحسانه
لا بسبب الاستحقاق والظالمين يعني المشركين اعد لهم عذابا اليما والله اعلم بمراده ه

تفسير سورة المرسلات

مكية وهي خمسون اية ومائة وثمانون كلمة وثمانمائة وعشرون حرفا بسم
الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات
نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا او نذرا اعلم ان المفسرين ذكروا
في هذه الكلمات الخمس وجوها الاول ان المراد بها الرياح ومعنى المرسلات عرفا الرياح

ارسلت متتابعة كعرف الفرس وقيل عرفا اى كثيرا فالعاصفات عصفا يعنى الرياح الشديدة الهبوب والناشرات نشرا تفسير الرياح اللينة وقيل هى الرياح التى ارسلها نشرا بين يدى رحمته وقيل هى الرياح تنشر السحاب وتاتى بالمطر فالفارقات فرقا يعنى الرياح التى تفرق السحاب وتبدده فالملقيات ذكرا يعنى ان الرياح اذا ارسلت عاصفة شديدة قلعت الاشجار وخربت الديار وغيرت الاثار فيحصل بذلك خوف للعباد فى القلوب فيلجؤا الى الله تعالى ويذكروه فصارت تلك الرياح كانها القت الذكر والمعرفة فى القلوب عند حدوث هبوبها الوجه الثانى ان المراد بشرها الملائكة الذين ارسلهم الله تعالى ومعنى المرسلات عرفا هم الملائكة الذين ارسلوا بالمعروف من امر الله ونهيه وهذا القول رواية عن ابن مسعود فالعاصفات عصفا يعنى الملائكة تعصف فى طيرانها ونزولها كعصف الرياح فى السرعة والناشرات نشرا يعنى انهم اذا نزلوا الى الارض نشروا اجنحتهم وقيل هم الذين ينشرون الكتب ودواوين الاعمال يوم القيامة فالفارقات فرقا قال ابن عباس يعنى الملائكة تاتى بما يفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعنى الملائكة تلقى الذكر الى الانبيا وقيل يجوز ان يكون المراد من الذكر هو القران خاصة فعلى هذا يكون الملقى جبريل وحده وانما ذكره بلفظ الجمع على سبيل التعظيم الوجه الثالث ان المراد بشرها ايات القران ومعنى المرسلات عرفا ايات القران المتتابعة فى النزول على محمد صلى الله عليه وسلم بكل عرف وخير فالعاصفات عصفا يعنى ايات القران تعصف القلوب بذكر الوعيد حتى تجعلها كالعصف وهو النبت المنكسر والناشرات نشرا يعنى ايات القران تنشر انوار الهداية والمعرفة فى قلوب المؤمنين فالفارقات فرقا يعنى ايات القران تفرق بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا يعنى ان ايات القران هى الذكر الحكيم يلقى الايمان والنور فى قلوب المؤمنين الوجه الرابع ان المراد من هذه الكلمات الخمس شيا واحدا بعينه فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا الرياح ويكون المراد بقوله فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا فان قلت وما المجانسة بين الرياح والملائكة حتى جمع بينهما فى القسم قلت الملائكة روحانيون فهم بسبب لطافتهم وسرعة حركاتهم شابهوا الرياح فحصلت المجانسة بينهم من هذا الوجه فحسن الجمع بينهم فى القسم عذرا او نذرا للاعذار والانذار وقيل عذرا من الله ونذرا منه الى خلقه وهذه كلها اقسام وجواب القسم قوله تعالى **انما توعدون** لصادق اى من امر الساعة ومجيئها **لواقع** لكائن نازل لا محالة وقيل انما توعدون من الخير والشر لواقع ثم ذكر متى تقع فقال تعالى **فاذا النجوم طمست** اى محى نورها وقيل محقت **واذا السماء فرجت** اى شقت وقيل فتحت **واذا الجبال نسفت** اى قلعت من اماكنها **واذا الرسل اقتت** وقرئ وقتت بالواو ومعنى ذلك واحد اى جمعت لميقات يوم معلوم وهو يوم القيامة ليشهدوا على الامم **لاى يوم اجلت** اى اخرت وضرب الاجل لجمعهم كانه تعالى تعجب العباد من تعظيم ذلك اليوم والمعنى جمعت الرسل فى اليوم فقال تعالى **ليوم الفصل** قال ابن عباس يوم يفصل الرحمن فيه بين الخلائق ثم اتبع ذلك تعظيما وتهويلا فقال تعالى **وما ادراك ما يوم الفصل** اى وما اعلمك بيوم الفصل وهوله وشدته **ويل يومئذ للمكذبين** اى بتوحيد الله والمعاد والبعث والحساب قوله تعالى **الم نهلك الاولين** يعنى الامم الماضية بالعذاب فى الدنيا حين كذبوا رسلهم **ثم نتبعهم الاخرين** يعنى السالكين سبيلهم فى الكفر والتكذيب وهم كفار قريش نهلكهم بتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم **كذلك نفعل بالمجرمين** اى انا نفعل بهم ذلك لكونهم مجرمين **ويل يومئذ للمكذبين الم نخلقكم**

لتعريض كذبهم وتعظيم من امر يوم ... ذلك اليوم

من ماء مهين يعنى النطفة **فجعلناه فى قرار مكين** يعنى الرحم **الى قدر معلوم** يعنى الولادة وهو معلوم لله تعالى لا يعلم ذلك غيره **فقدرنا** قرئ بالتشديد من التقدير اى قدرنا ذلك تقديرا **فنعم القادرون** اى المقدرون له قرئ بالتخفيف من القدرة اى قدرنا على خلقه وتصويره كيف شئنا فنعم القادرون حيث خلقناه فى احسن صورة وهيئة **ويل يومئذ للمكذبين** اى المنكرين للبعث لان القادر على الابتداء قادر على الاعادة **الم نجعل الارض كفاتا** يعنى وعاء والضم والجمع **احياء وامواتا** يعنى تكفتهم على ظهرها يعنى تضمهم فى دورهم ومنازلهم وتكفتهم امواتا فى بطنها فى قبورهم وكذلك تسمى الارض اما لانها تضم الناس كالام تضم ولدها **وجعلنا فيها** اى فى الارض **رواسى شامخات** يعنى جبالا عاليات **واسقيناكم ماء فراتا** يعنى عذبا **ويل يومئذ للمكذبين** يعنى ان هذا كله اعجب من البعث فالقادر عليه قادر على البعث قوله عز وجل **انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون** اى يقال للمكذبين فى الدنيا انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون وهو العذاب ثم فسره بقوله **الى ظل ذى ثلاث شعب** يعنى دخان جهنم اذا سطع وارتفع الشعب وانفرق ثلاث فرق وكذلك شان الدخان العظيم فيقال لهم كونوا فيه الى ان يفرغ من الحساب كما يكون اولياء الله تعالى فى ظل عرشه وقيل يخرج عنق من النار فيتشعب ثلاث شعب على رؤسهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم **لا ظليل** اى ذلك الظل لا يظل من حر **ولا يغنى من اللهب** اى يرد عنهم لهب جهنم انهم اذا استظلوا بذلك الظل لا يدفع عنهم حر اللهب **انها** يعنى جهنم **ترمى بشرر** جمع شرارة وهى ما يتطاير من النار **كالقصر** اى كالبناء العظيم ونحوه وقيل هو اصول الشجر والنخل العظيم واحدتها قصرة وسئل ابن عباس عن قوله ترمى بشرر كالقصر فقال هى الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه وندخرها للشتاء فكنا نسميها القصر **كانه** يعنى الشرر **جمالات** جمع الجمال قال ابن عباس هى حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون كاوساط الجبال **صفر** جمع اصفر يعنى لون تلك الشرار واشد بعضهم

وعنهم باعلا صوتها ورمتهموا بمثل الجمال الصفر نزاعة للشوى

وقيل الصفر هنا معناه الاسود سوادها لانه جاء فى الحديث ان شرار نار جهنم اسود كالقير والعرب تسمى سود الابل صفرا لانه يضرب سوادها شىء من الصفرة وقيل هى قطع النحاس والمعنى ان هذا الشرار يرتفع كانه شىء مجموع غليظ اصفر **ويل يومئذ للمكذبين** قوله عز وجل **هذا يوم لا ينطقون** يعنى بحجة تنفعهم وقيل هذا فى بعض مواطن القيامة ومواقفها وذلك لان فى بعضها يتكلمون وفى بعضها يختصمون وفى بعضها يختم على افواههم فلا ينطقون **ولا يؤذن لهم فيعتذرون** عطف على يؤذن واختير ذلك لان رؤس الاى بالنون فلو قال فيعتذروا لم يوافق الايات والعرب تحب وفاق الفواصل وتحب وفاق الفقر فى القران نزل على النبى صلى الله عليه وسلم بلغة العرب كما يعلم من موافقة المقاطع والمعنى لا يكون اذن واعتذار قال الجنيد اى عذر لمن اعرض عن منعمه وكفر اياديه ونعمه فان قلت قد توهم ان لهم عذرا ولكن قد منعوا من ذكره قلت ليس لهم عذر فى الحقيقة لانه قد تقدم الانذار والاعذار فى الدنيا فلم يبق لهم عذر فى الاخرة ولكن ربما تخيلوا خيالا فاسدا ان لهم عذرا فلم يؤذن لهم فى العذر الفاسد **ويل يومئذ للمكذبين** يعنى انه لما تبين انه لا عذر لهم ولا حجة فيما اتوا به من الاعمال السيئة ولا قدرة لهم على دفع العذاب عنهم لا جرم قال فى حقهم ويل يومئذ للمكذبين **هذا يوم الفصل** يعنى بين اهل الجنة واهل النار وقيل هو الفصل بين العباد فى الحقوق والمحاكمات **جمعناكم والاولين** يعنى مكذبى هذه الامة والذين

اصله

يوم القيامة

كذبوا انبياهم من الامم الماضية فان كان لكم كيد فكيدون اى ان كانت لكم حيلة تحتالون
بها لانفسكم فاحتالوا ان الحيل يومئذ منقطعة لا تنفع وهذا فى نهاية التوبيخ فى
التقريع فلهذا اعقبه بقوله ويل يومئذ للمكذبين قوله عز وجل ان المتقين اى الذين
اتقوا الشرك فى ظلال جمع ظل وهو ظل الاشجار وعيون اى فى ظلالهم عيون ماء وفواكه
مما يشتهون اى يتلذذون بها كلوا واشربوا اى ويقال لهم كلوا واشربوا وهذا القول يحتمل
ان يكون من جهة الله تعالى بلا واسطة وما اعظمها من نعمة او يكون من جهة الملائكة على
سبيل الاكرام هنيئا اى خالص اللذة لا يشوبه تنغيص بما كنتم تعملون اى فى الدنيا من
الطاعات انا كذلك نجزى المحسنين قيل المقصود منه تذكير الكفار ما فاتهم من النعم
العظيمة ليعلموا انهم لو كانوا من المتقين المحسنين لفازوا بمثل ذلك الجزاء العظيم فلما لم يفعلوا
ذلك وقعوا فى قوله ويل يومئذ للمكذبين قوله عز وجل كلوا وتمتعوا قليلا اى يقال
لكفار مكة كلوا وتمتعوا قليلا فى الدنيا الى منتهى آجالكم وهذا وان كان فى ظاهر اللفظ
امرا الا انه فى المعنى نهى بليغ وزجر عظيم انكم مجرمون اى مشركون بالله مستحقون للعقاب
لاجرم اتبعه بقوله ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون قيل انما قيل لهم
صلوا مع محمد واصحابه لا يصلون فعبر عن الصلاة بلفظ الركوع لانه ركن من اركانها
وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا يوم القيامة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون
ويل يومئذ للمكذبين فباى حديث بعده يؤمنون اى بعد نزول القرآن اذا لم يؤمنوا
فباى شئ يؤمنون والله اعلم بمراده واسرار كتابه العزيز

تفسير سورة النبا وتسمى سورة عم والنبا

مكية وهى اربعون آية ومائة وثلاثة وسبعون كلمة وتسعمائة وسبعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل عم اصله عن ما يتساءلون اى
عن اى شئ يتساءلون يعنى المشركين ولفظه استفهام ومعناه التفخيم كقولك اى شئ زيد اذا
عظمت شانه وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى التوحيد واخبرهم
بالبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن جعلوا يتساءلون بينهم فيقول بعضهم لبعض
ماذا جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ثم ذكر عن ماذا تساءلوا فقال تعالى عن النبا العظيم
اى الخبر العظيم الشان قال الاكثرون هو القرآن وقيل هو البعث وقيل هو نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وما جاء به الذى هم فيه مختلفون فمن فسر النبا العظيم بالقرآن قال
اختلافهم فيه هو قولهم انه سحر او كهانة او نحو ذلك مما قالوه فى القرآن ومن فسر
النبا العظيم بالبعث قال اختلافهم فيه من مصدق به وهم المؤمنون ومن مكذب به وهم
الكافرون ومن فسره بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قال اختلافهم فيه كاختلافهم فى
القرآن كلا فى ردع وزجر وقيل بل نفى لاختلافهم والمعنى ليس الامر كما قالوه
سيعلمون اى عاقبة تكذيبهم حين ينكشف الامر يعنى القيامة ثم كلا سيعلمون وعيد
على اثر وعيد وقيل معناه كلا سيعلمون يعنى المؤمنين عاقبة تصديقهم وايمانهم ثم
ذكر ثانيا وقيل معناه سيعلمون يعنى الكافرين عاقبة تكذيبهم وكفرهم ثم كلا سيعلمون
يعنى المؤمنين عاقبة تصديقهم وايمانهم ثم ذكر اشياء من عجائب صنعه ليستدلوا
بذلك على توحيده وليعلموا انه قادر على ايجاد العالم وفنائه بعد ايجاده مرة اخرى
للبعث والحساب والثواب والعقاب فقال تعالى الم نجعل الارض مهادا اى فراشا

وبساطا

وبساطا لتستقر عليها الاقدام والجبال اوتادا يعنى للارض حتى لا تميد وخلقناكم ازواجا يعنى اصنافا
ذكورا واناثا وجعلنا نومكم سباتا اى راحة اى راحة لابدانكم وليس الغرض ان السبات الراحة
بل المقصود ان النوم يقطع التعب ويزيله ومع ذلك تحصل الراحة واصل السبت القطع
ومعناه ان النوم يقطع من الحركة والتصرف فى الاعمال وجعلنا الليل لباسا اى غطاء وغشاء
يستر كل شئ بظلمته الليل عن العيون اذا اراد هربا من عدو ونحو ذلك وجعلنا النهار معاشا
اى سببا للمعاش والتصرف فى المصالح وقال ابن عباس يبتغون من فضل الله وما قسم لهم من
رزقه وبنينا فوقكم سبعا شدادا يعنى سبع سموات محكمة ليس يتطرق عليها شقوق ولا فطور
من الازمان الى ان يأتى امر الله تعالى وجعلنا سراجا وهاجا يعنى الشمس مضيئة منيرة وقيل
الوهاج الوقاد وقيل جعل فى الشمس حرارة ونورا والوهج يجمع النور والحرارة وانزلنا من المعصرات
يعنى الرياح التى تعصر السحاب وهى رواية عن ابن عباس وقيل هى الرياح والمعصرات حينئذ ذوات
الاعاصير وعلى المعنى وفى الرواية يكون من بمعنى الباء اى وانزلنا بالمعصرات وذلك ان الريح
تستدر المطر وقيل هى السحاب وهى الرواية الاخرى عن ابن عباس قيل المعصرات السحائب
التى تتحلب بالمطر ولا تمطر وقيل المعصرات المغيثات والعاصر هو الغيث وقيل المعصرات
السموات وذلك ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ماء ثجاجا اى صبابا مدرارا متتابعا يتلو
بعضه بعضا ومنه الحديث افضل الحج العج والثج اى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى
لنخرج به اى بذلك الماء حبا اى ما ياكله الناس كالحنطة ونحوها ونباتا اى ما ينبت فى الارض
من الحشيش مما تاكله الانعام وجنات الفافا اى ملتفة بالشجر ليس بينهما خلال فدل على
البعث بذكر ابتداء الخلق ثم اخبر عنه بقوله تعالى ان يوم الفصل اى الحساب كان ميقاتا
اى لما وعد الله تعالى من الثواب والعقاب وقيل ميقاتا تجتمع فيه الخلائق ليقضى بينهم
يوم ينفخ فى الصور يعنى النفخة الاخيرة فتاتون افواجا يعنى زمرا زمرا من كل مكان للحساب
وفتحت السماء فكانت ابوابا يعنى فكانت ذوات ابواب لنزول الملائكة وقيل تنحل
وتتناثر حتى يصير فيها ابوابا وطرقا وسيرت الجبال اى عن وجه الارض فكانت سرابا
اى هباء منبثا كالسراب فى عين الناظر ان جهنم كانت مرصادا اى طريقا وممرا فلا سبيل
لاحد الى الجنة حتى يقطع النار وروى عن ابن عباس ان على جسر جهنم سبع محابس يسئل العبد
عند اولها عن شهادة ان لا اله الا الله فان جاء بها تامة جاز الى الثانى فيسئل عن الصلاة
فان جاء بها تامة جاز الى الثالث فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز الى الرابع فيسئل
عن الصوم فان جاء به تاما جاز الى الخامس فيسئل عن الحج فان جاء به تاما جاز الى السادس
فيسئل عن العمرة فان جاء بها تامة جاز الى السابع فيسئل عن المظالم فان خرج منها والا
يقال انظروا فان كان له تطوع اكمل به اعماله فاذا فرغ انطلق به الى الجنة وقيل كانت
مرصادا اى معدة لهم وقيل هو من رصدت الشئ ارصده اى اذا ترقبته والمرصاد المكان
الذى يرصد فيه الراصد العدو والمعنى ان جهنم ترصد الكفار اى تنتظرهم للطاغين اى
الكافرين مآبا اى مرجعا يرجعون اليها لابثين فيها اى فى جهنم احقابا جمع حقب وهو ثمانون
سنة كل سنة اثنى عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم الف سنة يروى ذلك عن على بن ابى
طالب وقيل الحقب الواحد سبعة آلاف سنة فان قلت الاحقاب وان طالت فهى متناهية
وعذاب الكفار فى جهنم غير متناه فما معنى قوله احقابا قلت ذكروا فيه وجوها احدها
ما روى عن الحسن قال ان الله تعالى لم يجعل لاهل النار مدة بل قال لابثين فيها احقابا
فوالله ما هو الا انه اذا مضى حقب دخل آخر الى الابد فليس للاحقاب عدة الا الخلود

وروى عن عبد الله بن مسعود قال لو علم اهل النار انهم يلبثون في النار عدد حصى
الدنيا لفرحوا ولو علم اهل الجنة انهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا الوجه
الثاني ان لفظ الاحقاب لا يدل على نهاية والحقب الواحد متناهي والمعنى انهم يلبثون
فيها احقابا لا يذوقون في تلك بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا فهذا توقيت لانواع
العذاب الذي يبدلونه لا توقيت للبثهم فيها الوجه الثالث ان الاية منسوخة بقوله فلن نزيدكم
الا عذابا يعني ان العدد قد ارتفع والخلود قد حصل لا يذوقون فيها بردا قال ابن عباس
البرد النوم وقيل بردا اي روحا وراحة وقيل لا يذوقون بردا ينفعهم ولا شرابا اي
يغنيهم عن العطش الا حميما وغساقا اي لكن يشربون حميما قيل هو الصفر المذاب وقيل
هو الما الحار الذي انتهى حره وغساقا قال ابن عباس الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده
وقيل هو صديد اهل النار جزاء وفاقا اي جازيناهم جزاء وافق اعمالهم وقيل وافق
العذاب الذنب فلا ذنب اعظم من الشرك ولا عذاب اعظم من النار انهم كانوا لا يرجون حسابا
اي لا يخافون ان يحاسبوا والمعنى انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث ولا بانهم يحاسبون ۞
وكذبوا باياتنا كذابا اي التي جاءت بها الانبيا قيل كذبوا بدلايل التوحيد والنبوة ۞
والبعث والحساب كذابا اي تكذيبا قال الفرا هي لغة يمانية فصيحة يقولون في مصدر
التفعيل فعال وقد سالني اعرابي منهم يستفتيني الحلق احب اليك ام القصار يريد
التقصير وكل شيء من الاعمال احصيناه اي بيناه واثبتناه كتابا اي في كتاب وهو اللوح المحفوظ
وقيل معناه وكل شي علمناه علما لا يزول ولا يتغير ولا يتبدل والمعنى انا عالم بجميع ما
فعلوه من خير او شر وانا نجازيهم على قدر اعمالهم جزاء وفاقا فذوقوا اي يقال لهم ذوقوا
فلن نزيدكم الا عذابا قيل هذه الاية اشد اية على اهل النار كلما استغاثوا من نوع من
العذاب اغيثوا باشد منه قوله عز وجل ان للمتقين مفازا اي فوزا اي نجاة من العذاب
وقيل فازوا بما طلبوه من نعيم الجنة ويحتمل ان يفسر الفوز بالامرين جميعا لانهم فازوا
بمعنى نجوا من العذاب وفازوا بما حصل لهم من النعيم ثم فسره فقال حدايق جمع حديقة
وهي البستان المحوط فيه كلما يشتهون واعنابا يدل على تعظيم ذلك العنب وكواعب
جمع كاعب يعني جواري نواهد قد تكعبت ثديهن اترابا يعني مستويات في السن وكاسا
دهاقا قال ابن عباس مملوة مترعة وقيل متتابعة وقيل صافية لا يسمعون فيها
اي في الجنة وقيل حالة شربهم لان اهل الدنيا يتكلمون بالباطل وفي حالة شربهم لغوا
اي باطلا من الكلام ولا كذابا اي تكذيبا والمعنى انه لا يكذب بعضهم بعضا ولا ينطقون
جزاء من ربك عطاء حسابا اي جازاهم جزاء واعطاهم عطاء حسابا اي كافيا وافيا وقيل
حسابا يعني كثيرا وقيل جزاء بقدر اعمالهم رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون
منه خطابا اي لا يقدر الخلق ان يخاطبوا الرب الا باذنه وقيل لا يملكون منه خطابا
لا يملكون شفاعة الا باذنه في ذلك اليوم يوم يقوم الروح والملايكة صفا قيل هو
جبريل عليه السلام وقال ابن عباس الروح من الملايكة ما خلق الله مخلوقا اعظم منه
فاذا كان يوم القيامة قام وحده صفا وقامت الملايكة صفا واحدا فيكون من عظم
خلقه مثلهم وقال ابن مسعود الروح ملك عظيم اعظم من السموات والارض
والجبال وهو في السما الرابعة يسبح الله كل يوم اثني عشر تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة
ملكا يجي يوم القيامة صفا وحده وقيل الروح خلق على صورة بني ادم وليسوا بناس
يقومون صفا والملايكة صفا هؤلا جند وهؤلا جند وقال ابن عباس الروح خلق على

صورة

صورة بني ادم وما ينزل من السما ملك الا ومعه واحد منهم وعنه انهم بنو ادم يقومون صفا
والملايكة صفا قيل يقومون سماطان سماط من الروح وسماط من الملايكة لا يتكلمون يعني ۞
الخلق كلهم اجلالا لعظمة الله تعالى وجلالته وتعالى عطاوه وشانه من هو لذلك اليوم
الامر الا من اذن له الرحمن اي في الكلام وقال صوابا اي حقا في الدنيا وعمل به وقيل قال لا اله الا
الله وقيل الاستثنا يرجع الى الروح والملايكة ومعنى الاية لا يشفعون الا في شخص اذن
الرحمن له في الشفاعة وذلك الشخص من كان يقول صوابا في الدنيا وهو لا اله الا الله ۞
ذلك اليوم الحق اي الكاين الواقع لا محالة وهو يوم القيامة فمن شا اتخذ الى ربه مابا
اي سبيلا يرجع اليه وهو طاعة الله وما يتقرب به اليه انا انذرناكم اي خوفناكم في الدنيا
عذابا قريبا اي في الاخرة وكل ما هو ات قريب يوم ينظر المرء ما قدمت يداه من خير او شر
مثبتا في صحيفته ينظر اليه يوم القيامة ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا قال عبد الله بن عمر اذا
كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم وحشر الدواب والبهايم والوحش ثم يجعل القصاص بين
البهايم حتى تقتص الشاة الجما من الشاة القرنا نطحتها فاذا فرغ من القصاص قيل لها كوني ترابا
فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل يقول الله عز وجل للبهايم بعد القصاص
انا خلقناكم وسخرناكم لبني ادم وكنتم مطيعين ايام حياتكم فارجعوا الى ما كنتم عليه كونوا ترابا
فاذا راى الكافر ذلك تمنى وقال يا ليتني كنت ترابا وفي الدنيا في صورة بعض البهايم وكنت اليوم
ترابا وقيل اذا قضى الله بين الناس وامر اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وقيل لساير
الامم سوى الناس ومؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون ترابا فحينيذ يقول الكافر يا ليتني كنت
ترابا وقيل معناه ان الكافر اذا راى ما انعم الله به على المؤمنين من الخير والرحمة قال يا ليتني
كنت ترابا متواضعا في طاعة الله في الدنيا ولم اكن جبارا متكبرا وقيل ان الكافر ههنا
هو ابليس وذلك انه عاب ادم كونه خلق من تراب وافتخر عليه بانه خلق من نار فاذا كان
يوم القيامة وراى ما فيه ادم وبنوه المؤمنون من الثواب والرحمة وما هو فيه من الشدة
والعذاب قال يا ليتني كنت ترابا قال ابو هريرة يقول التراب لا ولا كرامة لك من جعلك
مثلي والله اعلم بمراده واسرار كتابه

مكية وهي ست وقيل خمس واربعون اية ومائة وسبع وتسعون كلمة وسبعمائة وثلاثة ۞
وخمسون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والنازعات
غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا اختلفت عبارات المفسرين
في هذه الكلمات هل هي صفات لشي واحد ام لاشيا مختلفة على اوجه واتفقوا على ان المراد
بقوله فالمدبرات امرا وصف لشي واحد وهم الملايكة الوجه الاول في قوله والنازعات
غرقا يعني الملايكة تنزع ارواح الكفار من اقاصي اجسادهم كما يغرق النازع في القوس
فيبلغ بها غاية المد والغرق من الاغراق اي والنازعات اغراقا وقال ابن مسعود ان ملك
الموت واعوانه ينزعون روح الكافر كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل
فتخرج نفس الكافر كالغريق في الما والناشطات نشطا الملايكة تنشط نفس المؤمن
اي تحلها حلا رفيقا فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير انما خص النزع بنفس الكافر والنشط
بنفس المؤمن لان بينهما فرقا فالنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق والسابحات سبحا
يعني الملايكة يقبضون ارواح المؤمنين يسلونها سلا رفيقا ثم يدعونها حتى يستريح

ثم تسبح بها كالسابح في الما يتحرك فيه برفق ولطافة وقيل هم الملايكة ينزلون من السما
مسرعين كالفرس الجواد اذا اسرع في جريه يقال له سابح فالسابقات سبقا يعني الملايكة سبقت
ابن ادم بالخير والعمل الصالح وقيل هم الملايكة تسبق بارواح المومنين الى الجنة الوجه الثاني في قوله
والنازعات غرقا يعني النفس حين تنزع من الجسد فتغرق في الصدر ثم تخرج والناشطات نشطا
قال ابن عباس هي نفوس المومنين تنشط للخروج عند الموت لما ترى من الكرامة وذلك لانه يعرض
عليه مقعده من الجنة قبل ان يموت وقال علي بن ابي طالب هي ارواح الكفار تنشط من بين الجلد
والاظفار حتى تخرج من افواههم بالكرب والغم والسابحات سبحا يعني ارواح المومنين حين تسبح
في الملكوت فالسابقات سبقا يعني استباقها الى الحضرة المقدسة الوجه الثالث في قوله تعالى
والنازعات غرقا يعني النجوم تنشط من افق الى افق تطلع ثم تغيب والناشطات نشطا
يعني النجوم تنشط من افق الى افق اي تذهب والسابحات سبحا يعني النجوم والشمس والقمر يسبحون
في الفلك فالسابقات سبقا يعني النجوم يسبق بعضها بعضا في السير الوجه الرابع في قوله
والنازعات غرقا يعني خيل الغزاة تنزع في اعنتها وتغرق في عرقها وهي الناشطات نشطا
لانها تخرج بسرعة الى الميدان وهي السابحات سبحا في جريها وهي السابقات سبقا لانها تسبق
الى الغاية الوجه الخامس في قوله والنازعات يعني الغزاة حين تنزع في قسيها في الرمي والسابحات
سبحا فالسابقات سبقا فتبلغ غاية المد وهو قوله غرقا والناشطات نشطا اي السهام في الرمي والسابحات
سبحا فالسابقات سبقا يعني الخيل والابل حين تخرجها اصحابها الى الغزو الوجه السادس ليس
المراد بهذه الكلمات شيا واحدا فقوله والنازعات يعني ملك الموت ينزع النفوس غرقا حتى
يبلغ بها الغاية نشطا يعني النفس تنشط من القدمين يعني تجذب والسابحات سبحا يعني السفن
والسابقات يعني سبقا يعني سابقة نفوس المومنين الى الخيرات والطاعات اما قوله فالمدبرات
امرا فاجمعوا على انهم الملايكة قال ابن عباس هم الملايكة وكلوا باموره عرفهم الله عز وجل
العمل بها وقال عبد الرحمن بن سابط يدبر الامر في الدنيا اربعة جبريل واسرافيل وميكاييل
واسرافيل وملك الموت واسمه عزراييل فاما جبريل فموكل بالرياح والجنود واما
ميكاييل فموكل بالقطر والنبات واما ملك الموت فموكل بقبض الانفس واما
اسرافيل فهو ينزل عليهم بالامر من الله تعالى وهذه اقسام اقسم الله بهذه الاشيا
لشرفها ولله ان يقسم بما يشا من خلقه او يكون التقدير ورب هذه الاشيا وجواب القسم
محذوف على تقدير لتبعثن ولتحاسبن وقيل جوابه ان في ذلك لعبرة لمن يخشى وقيل هو قوله
قلوب يومئذ واجفة يوم ترجف الراجفة يعني النفخة الاولى يتزلزل ويتحرك لها كل
شي ويموت منها جميع الخلق تتبعها الرادفة يعني النفخة الثانية ردفت الاولى وبينهما اربعون سنة
قال قتادة هما صيحتان فالاولى تميت كل شي والاخرى تحيي كل شي باذن الله عز وجل وقيل
الراجفة التي تزلزل الارض والجبال والرادفة تنشق السما وقيل الراجفة القيامة والرادفة
البعث يوم القيامة روى البغوي باسناد الثعلبي عن ابي بن كعب قال كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام وقال ايها الناس اذكروا الله جات الراجفة تتبعها
الرادفة جا الموت بما فيه قوله عز وجل قلوب يومئذ واجفة اي خايفة قلقة مضطربة
وقيل وجلة وقيل زايلة عن اماكنها ابصارها خاشعة اي ابصار اهلها خاشعة ذليلة
والمراد بها الكفار بدليل قوله تعالى يقولون يعني المنكرين للبعث اذا قيل لهم انكم
مبعوثون بعد الموت اينا لمردودون في الحافرة يعني نرد الى اول الحال وابتدا الامر فنصير
احيا بعد الموت كما كنا اول مرة والعرب تقول رجع فلان الى حافرته اي رجع من حيث

ثنا

شا والحافرة عندهم لابتدا الشي واول الشي وقيل يقال رجع فلان في حافرته اي في طريقه التي جا
فيها يحفرها بمشيه تحفر باثر قدميه حفرا في محفورة في الحقيقة وقيل الحافرة الارض التي تحفر فيها
قبورهم سميت حافرة لانها يستقر عليها الحافر والمعنى اينا لمردودون الى الارض فنبعث خلقا جديدا
نمشي عليها وقيل الحافرة النار ائذا كنا عظاما نخرة اي بالية وقيل نخرة وهما بمعنى وقيل الناخرة
المجوفة التي يمر فيها الريح فتنخر اي تصوت قالوا يعني المنكرين للبعث اذا عاينوا اهوال القيامة
تلك اذا كرة خاسرة اي رجعة خائبة يعني ان رددنا بعد الموت لنخسرن بما يصيبنا بعد الموت فانما
هي يعني النفخة الاخرة زجرة واحدة اي صيحة واحدة يسمعونها جميعا فاذا هم بالساهرة يعني وجه
الارض سميت ساهرة لان عليها نوم الحيوان وسهرهم وقيل هي التي كثر الوطي عليها كانما سهرت
والمعنى انهم كانوا في بطن الارض فلما سمعوا الصيحة صاروا على وجهها وقيل هي ارض الشام وقيل
ارض القيامة وقيل هي ارض جهنم قوله عز وجل هل اتاك حديث موسى يعني هل اتاك حديث
موسى يا محمد وذلك انه صلى الله عليه وسلم شق عليه حين كذبه قومه فذكر له قصة موسى عليه
السلام وانه كان يتحمل المشاق من قومه ليتاسى به اذ ناداه ربه بالواد المقدس اي المطهر طوى
هو اسم واد بالشام عند الطور اذهب الى فرعون انه طغى اي علا وتكبر وكفر بالله فقل هل لك
الى ان تزكى اي تطهر من الشرك والكفر وقيل معناه تسلم وتصلح العمل وقال ابن عباس تشهد ان لا اله
الا الله واهديك الى ربك اي ادعوك الى عبادة ربك وتوحيده فتخشى يعني عقابه وانما خص فرعون
بالذكر وان كانت دعوة موسى شاملة لجميع قومه لان فرعون كان اعظمهم فكانت دعوته دعوة
لجميع قومه فاراه الاية اي موسى لفرعون الاية الكبرى يعني اليد البيضا والعصى فكذب يعني فرعون
بانها من الله وعصى اي تمرد واظهر التجبر ثم ادبر اي اعرض عن الايمان يسعى يعمل الفساد في الارض
فحشر اي جمع قومه وجنوده فنادى اي لما اجتمعوا فقال يعني فرعون لقومه انا ربكم الاعلى اي لا
رب فوقي وقيل اراد ان الاصنام ارباب وهو ربها وربهم فاخذه الله نكال الاخرة والاولى اي عاقبه
فجعله عبرة لغيره بان اغرقه في الدنيا ويدخله النار في الاخرة وقيل اراد بالاخرة والاولى كلمتي
فرعون وهو قوله ما علمت لكم من اله غيري وقوله انا ربكم الاعلى وكان بينهما اربعون سنة ان في ذلك
اي في الذي فعل بفرعون حين كذب وعصى لعبرة اي عظة لمن يخشى اي يخاف الله عز وجل ثم خاطب منكري
البعث فقال تعالى ءانتم اشد خلقا ام السما بناها معناه اخلقكم بعد الموت اشد ام خلق السما عندكم
في تقديركم فان كلا الامرين بالنسبة الى قدرة الله واحد لان خلقة الانسان على صغره وضعفه اذا
اضيف الى خلق السما مع عظمها وعظم احوالها كان يسيرا فبين تعالى ان خلق السما اعظم واذا كان
كذلك كان خلقكم بعد الموت اهون على الله تعالى فكيف تنكرون ذلك مع علمكم بانه خلق السموات
والارض ولا تنكرون ذلك ثم انه تعالى وصف كيفية خلق السما فقال تعالى رفع سمكها يعني علو
سقفها وقيل رفعها بغير عمد فسواها اي اتقن بناها فليس فيها شقوق ولا فطور واغطش اي اظلم
ليلها والغطش الظلمة واخرج اي اظهر وابرز ضحاها اي نهارها وانما عبر عن النهار في النور والضو
بالضحى لانه اكمل اجزا النهار في النور والضو وانما اضاف النهار والليل الى السما لانهما يجريان
بسبب غروب الشمس وطلوعها وهي في السما بدليل قوله بعد ذلك وقد قال تعالى ثم
استوى الى السما ثم وصف كيفية خلق الارض فقال تعالى والارض بعد ذلك دحاها اي بسطها
ومدها قال امية بن ابي الصلت دحيت البلاد فسويتها وانت على طيها قادر فان قلت ظاهر
الاية يقتضي ان الارض خلقت بعد خلق السما فكيف الجمع بين الايتين وما معناهما قلت خلق
الارض اولا مجتمعة ثم سمك السما ثانيا ثم دحى الارض بمعنى مدها وبسطها ثالثا فحصل بهذا التقرير
الجمع بين الايتين وزال الاشكال قال ابن عباس خلق الله الارض باقواتها من غير ان يدحوها قبل

السما ثم استوى الى السما فسواهن سبع سموات ثم دحى الارض بعد ذلك وقيل معناه والارض بعد ذلك دحاها
كقوله عتل بعد ذلك زنيم اى مع ذلك اخرج منها ماءها ومرعاها يعنى فجر من الارض عيونها ومرعاها
اى رعيها وهو ما ياكله الناس والانعام واستعير الرعى للانسان على سبيل التجوز والجبال
ارساها اى اثبتها متاعا لكم ولانعامكم اى الذى اخرج من الارض هو بلغة لكم ولانعامكم
قوله عز وجل فاذا جاءت الطامة الكبرى يعنى النفخة الثانية التى فيها البعث وقيل الطامة
القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شئ فتعلو عليه والطامة عند العرب الداهية التى
لا تستطاع يوم يتذكر الانسان ما سعى اى ما عمل فى الدنيا من خير او شر وبرزت الجحيم لمن يرى
يعنى انه تكشف عنها الغطا لينظر اليها الخلق فاما من طغى اى كفر وآثر الحياة الدنيا اى على الآخرة
فان الجحيم هى المأوى اى لمن صفته هذه واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى اى المحارم
التى يشتهيها وقيل هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر مقامه بين يدى الله جل جلاله للحساب فيتركها
لذلك فيمتنع فان الجنة هى المأوى اى لمن هذه صفته قوله عز وجل يسئلونك يعنى عن الساعة
ايان مرساها اى متى ظهورها وقيامها فيم انت من ذكراها اى لست فى شئ من علمها وذكرها حتى
تهتم بها وتذكرونها الى ربك منتهاها اى منتهى علمها لا يعلم متى تقوم الساعة الا هو وقيل
معناه فيم هذا السؤال ثم قال انت يا محمد من ذكراها اى من علاماتها لانك آخر الرسل وخاتم الانبيا
فكفاهم ذلك دليلا على دنوها ووجوب الاستعداد لها انما انت منذر من يخشاها اى انما ينفع
انذارك من يخافها كانهم يعنى الكفار يوم يرونها اى يعاينون يوم القيامة لم يلبثوا اى فى الدنيا
وقيل فى قبورهم الا عشية او ضحاها فان قلت العشية ليس لها ضحى فما معنى قوله او ضحاها قلت
قيل ان الها والالف صلة والمعنى لم يلبثوا الا عشية او ضحى وقيل اضافة الضحى الى العشية
اضافة الى يوم كانه قال الا عشية او ضحى يومها والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

مكية وهى احدى واربعون اية ومائة وثلاثون كلمة وخمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل عبس وتولى اى كلح
وقطب وجهه وتولى اى اعرض بوجهه ان جاءه الاعمى يعنى ابن ام مكتوم واسمه عمرو وقيل عبد الله
ابن شريح بن مالك بن ربيعة وقيل عمرو بن قيس بن زائدة بن الاصم بن زهرة بن رواحة القرشى
الفهرى من بنى عامر بن لؤى واسم امه عاتكة بنت عبد الله المخزومية وهو ابن خال خديجة بنت
خويلد اسلم بمكة قديما وذلك انه اتى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يناجى عتبة بن ربيعة وابا جهل
ابن هشام والعباس بن عبد المطلب وابى بن خلف واخاه امية بن خلف وهو يدعوهم الى الله يرجو
اسلامهم فقال ابن ام مكتوم يا رسول الله اقرئنى وعلمنى مما علمك الله وجعل يناديه ويكرر
الندا وهو لا يدرى انه مقبل على غيره حتى ظهرت الكراهة فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقطعه كلامه وقال فى نفسه يقول هؤلا الصناديد انما اتبعه العميان والعبيد والسفلة
فعبس وجهه واعرض عنه واقبل على القوم الذين كان يكلمهم فانزل الله هذه الآيات معاتبة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه اذا راه
ويقول مرحبا بمن عاتبنى الله فيه ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة ثلاث عشرة
مرة فى غزوات وانه من المهاجرين الاولين وقيل قتل شهيدا بالقادسية قال انس رايته يوم
القادسية وعليه درع ومعه راية سودا عن عائشة قالت انزل الله عبس وتولى فى ابن
ام مكتوم الاعمى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله ارشدنى وعند رسول

الله صلى الله عليه وسلم عظما قريش من المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل
على الآخرين ويقول أترى بما اقول باسا فيقول لا ففى هذا الحديث انزل الله اخرجه الترمذى وقال
حديث غريب وما يدريك اى اى شئ يجعلك داريا لعله يزكى اى يتطهر من الذنوب بالعمل الصالح
وما يتعلمه منك او يذكر اى يتعظ فتنفعه الذكرى اى الموعظة اما من استغنى قال ابن عباس عن الله
وعن الايمان بماله من المال فانت له تصدى اى تتعرض عليه وتصغى الى كلامه وما عليك الا يزكى
اى لا يؤمن ولا يهتدى انما عليك البلاغ واما من جاءك يسعى يعنى يمشى يعنى ابن ام مكتوم
وهو يخشى الله عز وجل فانت عنه تلهى اى تتشاغل وتعرض عنه كلا اى لا تفعل بعدها مثلها
انها يعنى الوعظ وقيل آيات القرآن تذكرة اى موعظة للخلق فمن شاء اى من عباد الله ذكره
اى اتعظ به يعنى القرآن ثم وصف جلالة القرآن ومحله عنده فقال عز وجل فى صحف مكرمة
يعنى الصحف انها فى اللوح المحفوظ مرفوعة اى رفيعة القدر عند الله وقيل مرفوعة فى السما
السابعة مطهرة يعنى الصحف لا يمسها الا المطهرون وهم الملائكة بايدى سفرة قال ابن عباس
يعنى كتبة وهم الملائكة الكرام الكاتبين واحدهم سافر ومنه قيل للكتاب سفر وقيل هم
الرسل من الملائكة الى الانبيا واحدهم سفير ثم اثنى عليهم بقوله كرام اى هم كرام على الله بررة
اى مطيعين له جمع بار قوله عز وجل قتل الانسان اى لعن الكافر وطرد ما اكفره اى ما اشد كفره
بالله مع كثرة احسانه اليه واياديه عنده وهذا على سبيل التعجب اى اعجبوا من كفره وقيل
معناه اى شئ حمله على الكفر نزلت هذه الآية فى عتبة بن ابى لهب وقيل فى امية بن خلف وقيل
فى الذين قتلوا يوم بدر وقيل الآية عامة فى كل كافر ثم بين من امره ما كان ينبغى منه ان يعلم ان
الله تعالى خالقه فقال تعالى من اى شئ خلقه لفظه استفهام ومعناه التقرير ثم فسر ذلك
فقال تعالى من نطفة خلقه فقدره يعنى خلقه اطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة الى آخر خلقه
وقيل قدره يعنى خلق راسه وعينيه ويديه ورجليه على قدر ما اراده ثم السبيل يسره
اى سهل له طريق خروجه من بطن امه وقيل سهل له العلم بطريق الحق والباطل وقيل يسر على كل
احد ما خلق له وقدره عليه ثم اماته فاقبره اى جعل له قبرا يوارى فيه وقيل جعله مقبورا
ولم يجعله ملقى للسباع والوحوش والطيور واقبره معناه ستره الله حيث يقبر وجعله ذا
قبر يدفن فيه وهذه تكرمة لبنى آدم على سائر الحيوانات ثم قال تعالى ثم اذا شاء انشره اى
احياه بعد موته للبعث والحساب لان وقت البعث وانما قال تعالى ثم اذا شاء انشره لانه
وقت غير معلوم لاحد فهو الى مشيئة الله تعالى متى شاء ان يحيى الخلق احياهم كلا ردع وزجر
للانسان عن تكبره وتجبره وترفعه وعن كفره واصراره على انكار التوحيد وانكار البعث والحساب
لما يقض ما امره اى لم يفعل ما امره به ربه ولم يؤد ما فرض عليه ولما ذكر خلق ابن آدم ذكر
رزقه ليعتبر فانه موضع الاعتبار فقال تعالى فلينظر الانسان الى طعامه كيف قدره ربه ودبره
له وجعله سببا لحياته وقيل مدخل طعامه ومخرجه ثم بين ذلك فقال تعالى انا صببنا الماء صبا
يعنى المطر ثم شققنا الارض شقا اى بالنبات فانبتنا فيها اى بذلك الماء حبا يعنى الحبوب التى يتغذى
بها الانسان وعنبا يعنى انه غذا من وجه وفاكهة من وجه فلهذا اتبعه الحب وقضبا يعنى القت
وهو الرطب سمى بذلك لانه يقتضب اى يقطع فى كل الايام وقيل القضب هو العلف كله الذى يعلف
به الدواب وزيتونا وهو ما يعصر منه الزيت ونخلا وحدائق جمع حديقة غلبا يعنى غلاظ الاشجار
وقيل الغلب الشجر الملتف بعضه فى بعض وقال ابن عباس طوالا وفاكهة يعنى جميع الوان الفاكهة
وابا يعنى الكلا والمرعى الذى لم يزرعه الناس مما ياكله الدواب وقال ابن عباس ما انبتت الارض
والانعام وقيل الفاكهة ما ياكله الناس والاب ما ياكله الدواب وقال ابن عباس ما انبتت الارض

مما ياكل الناس والانعام روى ابراهيم التيمي ان ابا بكر سئل عن قوله وفاكهة وابا فقال اي سماء
تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم خ عن انس ان عمر قرا وفاكهة وابا قال
فما الاب ثم قال ما كلفنا او قال ما امرنا بهذا اللفظ البخاري وزاد غيره ثم قال اتبعوا ما بين
لكم هذا الكتاب وما لا فدعوه متاعا لكم يعني الفواكه والحب والعشب منفعة لكم ولانعامكم
ثم ذكر اهوال القيامة فقال تعالى فاذا جاءت الصاخة يعني صيحة القيامة سميت صاخة لانها
تصخ اسماع الخلق اي تبالغ في اسماعهم حتى تكاد تصمها يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته
وبنيه يعني انه لا يلتفت الى واحد من هؤلاء لشغله بنفسه والمراد من الفرار التباعد والسبب في ذلك
الاحتراز عن المطالبة بالحقوق فالاخ يقول ما واسيتني والابوان يقولون قصرت في برنا
والصاحبة تقول لم توفني حقي والبنون يقولون ما علمتنا وما ارشدتنا وقيل اول من يفر هابيل
من اخيه قابيل والنبي صلى الله عليه وسلم من امه وابراهيم عليه الصلاة والسلام من ابيه ولوط من
صاحبته ونوح من ابنه وقيل يفر المؤمن من موالاة هؤلاء ونصرتهم والمعنى ان هؤلاء الذين كانوا يفرون بهم
في الدنيا ويتقوون بهم فانه يفر منهم في الدار الاخرة وفائدة الترتيب كانه قيل يوم يفر المرء من اخيه
بل من ابويه لانهما اقرب من الاخوة بل من الصاحبة والولد لان تعلقه بهم اشد من تعلقه بالابوين لكل
امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اي يشغله شان نفسه عن شان غيره عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه
عليه وسلم قال تحشرون حفاة عراة غرلا فقالت امراة ايبصر احدنا او يرى بعضنا عورة بعض
قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ولما
ذكر الله تعالى حال القيامة واهوالها بين حال المكلفين وانهم على قسمين منهم السعداء والاشقياء
فوصف السعداء بقوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة اي مشرقة مضيئة من اسفر الصبح اذا اضاء
وقيل مسفرة من قيام الليل وقيل من اثر الوضوء وقيل من الغبار في سبيل الله ضاحكة اي عند
الفراغ من الحساب مستبشرة اي بالسرور فرحة بما نالت من كرامة الله ورضوانه ثم وصف الاشقياء
فقال ووجوه يومئذ عليها غبرة اي سواد وكآبة للهم الذي نزل بهم ترهقها قترة اي يعلوها
ويغشاها ذلة والفرق بين الغبرة والقترة ان الغبرة ما كان من اسفل في الارض والقترة
ما ارتفع من الغبار فلحق بالسماء اولئك هم الكفرة الفجرة جمع كافر وفاجر والله اعلم بمراده

مكية وهي تسع وعشرون اية ومائة واربع كلمات وخمسمائة وثلاثون حرفا عن ابن عمر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة كانه راي العين فليقرا اذا الشمس
كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء انشقت اخرجه الترمذي وقال حديث بسم
الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا الشمس كورت قال ابن عباس اظلمت وقيل غورت وقيل
اضمحلت وقيل لفت كما تلف العمامة واصل التكوير جمع بعض الشيء الى بعض ومعناه ان الشمس
يجمع بعضها الى بعض ثم تلف فاذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها قال ابن عباس يكور الله الشمس
والقمر والنجوم يوم القيامة في البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضرمها فتصير نارا خ عن
ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الشمس والقمر يكوران يوم القيامة قيل ان
الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما في النار يكون سببا لازدياد الحر في جهنم واذا النجوم انكدرت
اي تناثرت من السماء وتساقطت على الارض قال الكلبي وعطاء تمطر السماء نجوما فلا يبقى نجم الا وقع
واذا الجبال سيرت اي عن وجه الارض فصارت هباء منبثا منثورا واذا العشار عطلت
يعني النوق الحوامل التي اتى عليها عشرة اشهر من حملها واحدتها عشراء ثم لا يزال ذلك اسمها

حتى تضع لتمام سنة وهي انفس مال عند العرب فاذا كان ذلك اليوم عطلت وتركت هملا بلا
راع اهملها اهلها وقد كانوا لازمين لاذنابها ولم يكن مال اعجب اليهم منها لما جاءهم من اهوال يوم
القيامة واذا الوحوش حشرت يعني دواب البر حشرت اي جمعت يوم القيامة ليقتص لبعضها من بعض
وقال ابن عباس حشرها موتها فالحشر كل شيء موته غير الجن والانس فانهما يوقفان يوم القيامة
واذا البحار سجرت قال ابن عباس اوقدت نارا تضطرم وقيل فجر بعضها في بعض العذب والمالح
حتى صارت البحار كلها بحرا واحدا وقيل صارت مياهها من حميم لاهل النار وقيل سجرت
اي يبست وذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة قال ابي بن كعب ست ايات قبل يوم
القيامة بين الناس في اسواقهم اذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك اذ تناثرت النجوم فبينما
هم كذلك اذ وقعت الجبال على الارض فتحركت واضطربت وفزعت الانس والجن وفزعت واختلطت
واختلطت الدواب والطير والوحش وماج بعضهم في بعض فذلك قوله اذا الشمس كورت
واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش حشرت واذا
البحار سجرت حينئذ تقول الانس والجن نحن ناتيكم بالخبر فينطلقوا الى البحر فاذا هو نار تاجج
فبينما هم كذلك اذ تصدعت الارض صدعة واحدة الى الارض السابعة السفلى والى السماء السابعة
العليا فبينما هم كذلك اذ جاءتهم ريح فاماتتهم وعن ابن عباس قال هي اثنا عشر خصلة ستة
في الدنيا وستة في الاخرة وهي ما ذكر بعد هذه وهو قوله تعالى واذا النفوس زوجت روى
النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب انه سئل عن هذه الاية فقال يقرن بين الرجل الصالح
مع الرجل الصالح في الجنة وبين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار وقيل الحق كل امرئ
بشيعته اليهود باليهود والنصارى بالنصارى وقيل يحشر الرجل مع صاحب عمله وقيل
زوجت النفوس باعمالها وقيل زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين
بالشياطين وقيل معنى زوجت ردت الارواح في الاجساد واذا الموءودة سئلت يعني الجارية
التي دفنت وهي حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيئدها فيثقلها حتى تموت
وكانت العرب تفعل ذلك في الجاهلية تدفن البنات حية مخافة العار والحاجة
وروي عن ابن عباس قال كانت المراة في الجاهلية اذا حملت وكان اوان ولادتها حفرت
حفيرة فتمخضت على راس الحفيرة فان ولدت جارية رمت بها في الحفيرة وان ولدت غلاما
حبسته وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا ولدت له بنت واراد بقاءها البسها جبة
صوف او شعر وتركها ترعى الابل والغنم في البادية واذا اراد قتلها تركها حتى اذا شبت
فاذا بلغت قال لامها طيبيها وزينيها حتى اذهب بها الى احمائها وقد حفر بئرا في الصحراء فيبلغ
البئر فيقول لها انظري فيها فاذا نظرت دفعها من ورائها ويهيل عليها التراب حتى يستوي
بالارض عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والموءودة في النار
اخرجه الترمذي ابو داود وكان صعصعة بن ناجية ممن يمنع الوأد ولم يئد فافتخر به
الفرزدق في شعره فقال وسنا الذي منع الوائدات واحيا الوئيد فلم يوءد سئلت باي ذنب
قتلت يعني تسال الموءودة فيقال لها باي ذنب قتلت ومعنى سؤالها توبيخ قاتلها
لانها قتلت بغير ذنب واذا الصحف نشرت يعني صحائف الاعمال تنشر للحساب واذا
السماء كشطت اي نزعت وطويت وقيل قلعت كما يقلع السقف وقيل كشطت وازيلت عمن
فيها واذا الجحيم سعرت اي اوقدت لاعداء الله تعالى واذا الجنة ازلفت اي قربت
لاولياء الله علمت نفس ما احضرت يعني عند ذلك تعلم كل نفس ما احضرت من خير او شر
وهذا جواب لقوله اذا الشمس كورت الى قوله عز وجل فلا اقسم لا زائدة والمعنى اقسم

وقد تقدم ذلك في قوله لا اقسم بيوم القيامة بالخنس الجوار الكنس يعني النجوم تبدا
بالليل فتظهر وتخنس بالنهار تحت نور الشمس ونحو هذا المعنى وروى عن علي بن ابي طالب
وقيل هي النجوم الخمسة زحل والمشترى والمريخ وعطارد وتخنس في مجاريها اي ترجع الى الفلك
وتكنس اي تستتر وقت اختفائها وقيل تخنس اي تتاخر عن مطالعها في كل عام ثم تتاخر بتاخره
عن تعجيل ذلك الطلوع تخنس عنه والكنس معناه انها لا ترى بالنهار وقيل هي الظبا وهي رواية
عن ابن عباس واصل الخنوس الرجوع الى ورا والكنوس هو ان تاوى الى كناسها وهو الموضع الذي
تاوى اليه الوحش والليل اذا عسعس اي اقبل بظلامه وقيل ادبر والعسعسة رقة الظلام
وذلك يكون في طرفي الليل والصبح اذا تنفس اي اقبل وبدا اوله وقيل اسفر وفي تنفسه
قولان احدهما انه في اقبال الصبح روح ونسيم فجعل ذلك تنفسا على المجاز الثاني انه شبه
الليل بالكوكب المحزون فاذا حصل له التنفس وجد راحة فكانه تخلص من الحزن فعبر عنه
بالتنفس فهو استعارة لطيفة ولما ذكر المقسوم به اتبعه بالمقسم عليه فقال تعالى انه يعني
القران لقول رسول كريم يعني جبريل عليه السلام والمعنى ان جبريل نزل به عن الله عز وجل
لانه تكلم به ابتدا ذي قوة وكان من قوته انه اقتلع قريات لوط الاربع من الما الاسود
وحملها على جناحه فرفعها الى السما ثم قلبها وانه ابصر ابليس يكلم عيسى عليه السلام على
بعض عقاب الارض المقدسة فنفخه بجناحه نفخة القاه الى اقصى جبل بالهند وانه صاح
صيحة بثمود فاصبحوا جاثمين وانه يهبط من السما الى الارض ثم يصعد في اسرع من الطرف
عند ذي العرش مكين اي في المنزلة والجاه مطاع ثم اي في السموات تطيعه الملايكة
ومن طاعة الملايكة له انهم فتحوا ابواب السموات ليلة المعراج بقوله لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وفتح خزنة الجنة ابوابها بقوله امين يعني على وحي الله تعالى الى انبيايه وما
صاحبكم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يخاطب كفار مكة بمجنون كما يقوله اهل مكة وذلك
انهم قالوا انه مجنون وان ما يقوله ليس هو الا عنده فنفى الله عنه الجنون وقيل هذا جواب
القسم اقسم على ان القران نزل به جبريل وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بمجنون ولقد راه
يعني النبي صلى الله عليه وسلم راى يعني جبريل عليه السلام في صورته التي خلق فيها بالافق
المبين يعني بالافق الاعلى من ناحية المشرق حيث تطلع الشمس وروى البغوي باسناد
الثعلبي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام اني احب
ان اراك في صورتك التي تكون فيها في السما قال لن تقوى على ذلك قال بلى قال فاين
تشا ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني قال لذلك قال فبمنى قال لا يسعني قال
فبعرفات قال لا يسعني ذلك قال فبحرى ان يسعني فواعده فخرج النبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك الوقت فاذا هو بجبريل قد اقبل من جبال عرفات بخشخشة وكلكلة قد ملا ما بين
المشرق والمغرب وراسه في السما ورجلاه في الارض فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم خر
مغشيا عليه فتحول جبريل عن صورته فضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رايت
اسرافيل وراسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وان العرش لعلى كاهله وانه
ليتضائل احيانا من مخافة الله تعالى جل جلاله وعلا علاوه وشانه حتى يصير كالصعو
يعني العصفور حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته وما هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم على
الغيب اي الوحي وخبر السما وما اطلع عليه مما كان غايبا عن علمه من القصص والانبا ه
بظنين قرئ بالظا ومعناه بمتهم والمظنة التهمة وقرئ بضنين بالضاد ومعناه ببخيل
يقول انه ياتيه علم الغيب ولا يبخل به عليكم ويخبركم به ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده

حتى

حتى ياخذ عليه حلوانا وهو اجرة الكاهن وقراة الظا اولى لانهم لم يبخلوه وانما اتهموه فنفى
الله عنه ذلك التهمة ولو اراد البخل لقال وما هو بالغيب وما هو يعني القران بقول شيطان
رجيم يعني ان القران ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش وقيل كانوا يقولون انه شيطان
يلقيه على لسانه فنفى الله ذلك عنه فاين تذهبون اي فاين تعدلون عن القران وفيه الشفا والهدى
والبيان وقيل معناه اي طريق تسلكون ابين من هذه الطريقة التي قد بينت لكم ان هو يعني ما
في القران الا ذكر للعالمين اي موعظة للخلق اجمعين لمن شا منكم ان يستقيم اي يتبع الحق ويقيم
عليه وينتفع به ثم بين ان مشية العبد موقوفة بمشيته فقال تعالى وما تشاون الا ان يشا الله
رب العالمين اعلمهم ان المشية في التوفيق للاستقامة اليه وانهم لا يقدرون على ذلك الا بمشية
الله تعالى وتوفيقه وفيه اعلام ان احدا لا يعمل خيرا الا بتوفيق الله ولا شرا الا بخذلانه والله
والله اعلم بمراده

مكية وهي تسع عشرة اية وثمانون كلمة وثلثماية وتسعة وعشرون حرفا بسم الله الرحمن
الرحيم قوله عز وجل اذا السما انفطرت اي انشقت واذا الكواكب انتثرت اي تساقطت واذا
البحار فجرت اي فجر بعضها في بعض واختلط العذب بالمالح فصارت بحرا واحدا وقيل معنى فجرت
فاضت واذا القبور بعثرت اي بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى احيا علمت نفس ما
قدمت واخرت يعني علمت في ذلك اليوم ما قدمت من عمل صالح او سي واخرت بعدها من حسنة
او سيئة وقيل ما قدمت من الصدقات واخرت من التركات وهو احوال يوم القيامة قوله
عز وجل يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم اي ما خدعك وسول لك الباطل حتى صنعت
ما صنعت وضيعت ما وجب عليك والمعنى ماذا امنك من عقابه نزلت في الوليد بن المغيرة
وقيل في ابي الاشرف واسمه اسيد بن كلدة بن خلف وكان كافرا ضرب النبي صلى الله عليه وسلم فلم يعاقبه
الله وانزل هذه الاية وقيل الاية عامة في كل كافر وعاص يقول لهما الذي غرك وقيل غره حمقه
وجهله وقيل تسويل الشيطان له وقيل غره عفو الله عنه حين لم يعاجله بالعقوبة في اول مرة بربك
الكريم اي المتجاوز عنك فهو بكرمه لك لم يعاجلك بعقوبته بل بسط لك المدة لرجا التوبة قال
ابن مسعود ما منكم من احد الا سيخلو الله عز وجل به يوم القيامة فيقول يا ابن ادم ما غرك بربك
الكريم يا ابن ادم ما عملت يا ابن ادم ماذا اجبت المرسلين وقيل للفضيل بن عياض لو اقامك الله
يوم القيامة فيقول لك يا ابن ادم ما غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال اقول غرني
ستورك المرخاة وقال يحيى بن معاذ لو اقامني بين يديه وقال ما غرك بي اقول غرني برك
بي سالفا وانفا وقال ابو بكر الوراق لو قال لي ما غرك بي قلت غرني بك انت الكريم الاكرمين
وقال بعض اهل الاشارة انما قال بربك الكريم دون اسمايه وصفاته كانه لقنه حجته الاجابة
حتى يقول غرني كرم الكريم الذي خلقك اي اوجدك من العدم الى الوجود فسواك اي جعلك
سويا سالم الاعضا تسمع وتبصر فعدلك اي عدل خلقك مناسبة الاعضا فلم يجعل بعضها اطول
من بعض وقيل معناه جعلك قايما معتدلا احسن الصورة ولم يجعلك كالبهيمة المنحنية في اي
صورة ما شا ركبك اي في اي شبه من اب او ام او خال او عم وجا في الحديث ان النطفة اذا
استقرت في الرحم احضر كل عرق بينه وبين ادم ثم قرا في اي صورة ما شا ركبك وقيل
معناه ان شا ركبك في صورة انسان او حيوان وقيل في اي صورة ما شا ركبك من الصور المختلفة
بحسب الطول والقصر والحسن والقبح والذكورة والانوثة وفي هذا دلالة على قدرة الصانع
المختار القادر وذلك انهما اختلفت الهيات والصفات دل ذلك على كمال القدرة والصانع

الصنعة وان المدبر المختار هو الله تعالى قوله عز وجل كلا بل تكذبون بالدين اى بيوم الحساب والجزا
وان عليكم لحافظين يعنى رقبا من الملايكة يحفظون عليكم اعمالكم كراما اى على الله كاتبين اى
يكتبون اقوالكم واعمالكم يعلمون ما تفعلون يعنى من خير او شر قوله عز وجل ان الابرار لفى نعيم
يعنى الذين بروا وصدقوا فى ايمانهم باداء ما افترض الله عليهم واجتناب معاصيه لفى نعيم يعنى الجنة
وان الفجار لفى جحيم روى ان سليمان بن عبد الملك قال لابى حازم المزنى ليت شعرى ما لنا عند الله
فقال له اعرض عملك على كتاب الله فانك تعلم ما لك عند الله قال اين اجد ذلك فى كتاب الله قال
عند قوله ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من
المحسنين يصلونها يوم الدين يوم القيامة لانه يوم الجزا وما هم عنها بغايبين اى عن النار ثم
عظم شان ذلك اليوم فقال تعالى وما ادراك ما يوم الدين قيل المخاطب بذلك هو الكافر وهو
على وجه الزجر له وقيل هو خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمعنى اى شى علمك به لولم يعرفك
احواله ثم ما ادراك ما يوم الدين التكرير للتعظيم فى ذلك اليوم وتفخيم شانه يوم لا تملك نفس لنفس شيا
اى لا تملك نفس لنفس شيا كافرة من المنفعة والامر يومئذ لله يعنى لم يملك الله تعالى فى
ذلك اليوم احدا شيا كما ملكهم فى الدنيا والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

وهى مكية فى قول ومدنية فى قول وقيل فيها ثمان ايات مكية وهى من قوله ان الذين اجرموا
الى اخرها وقيل فيها اية مكية وهى قوله اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين وقيل انما
نزلت بين مكة والمدينة فى الهجرة وهى ست وثلاثون اية وتسع وستون كلمة وسبعماية وثلاثون
حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل ويل اى قبح
وهى كلمة تذكر عند وقوع البلا يقال ويل له وويل عليه وقيل ويل اسم واد فى جهنم
للمطففين يعنى الذين ينقصون المكيال والميزان لانه لا يكاد المطفف يسرق فى المكيال
والوزن الا الشى الطفيف اليسير قال ابن عباس لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة
كانوا من اخبث الناس كيلا فانزل الله عز وجل ويل للمطففين فاحسنوا الكيل وقيل لما
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة ومعه صاعان يكيل
باحدهما ويكتال بالاخر فانزل الله عز وجل هذه الاية وجعل الويل للمطففين ثم بين ما هم
فقال تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون يعنى اذا اكتالوا من الناس اى اشتروا
شيا استوفوا عليهم واذا كالوهم او وزنوهم يعنى واذا كالوا لهم او وزنوا لهم يعنى للناس
كما فى نصحتك ونصحت لك يخسرون اى ينقصون الكيل والوزن وهذا الوعيد يلحق من
ياخذ لنفسه زايدا او يدفع الى غيره ناقصا وينال الوعيد القليل او الكثير لكن اذا لم يتب
منه فان تاب منه ورد الحقوق الى اهلها قبلت توبته ومن فعل ذلك واصر عليه كان مصرا
على كبيرة من الكباير وذلك لان عامة الخلق لا يحتاجون الى المعاملات وهى مبنية على
امر الكيل والوزن والزرع فلهذا السبب عظم الله امر الكيل والوزن قال نافع كان ابن عمر
يمر بالبايع فيقول اتق الله اوف الكيل والوزن فان المطففين يوقفون يوم القيامة حتى
يلجمهم العرق وقال قتادة اوف يا ابن ادم كما تحب ان يوفى لك واعدل كما تحب ان يعدل
لك وقال الفضيل بخس الميزان سواد يوم القيامة الا يظن اى الا يعلم ويستيقن اولئك الذين
يفعلون هذا الفعل وهم المطففون انهم مبعوثون ليوم عظيم يعنى يوم القيامة يوم يقوم
الناس يعنى من قبورهم لرب العالمين اى لامره وجزايه وحسابه ق عن نافع عن ابن عمر

كلا الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم
فى رشحه الى انصاف اذنيه وروى مرفوعا م عن المقداد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل زاد الترمذى او اثنين قال سليم
ابن عامر والله ما ادرى ما يعنى بالميل مسافة الارض او الميل يكتحل به العين قال فيكون الناس
على قدر اعمالهم فى العرق فمنهم من يكون الى كعبيه ومنهم من يكون الى ركبتيه ومنهم من يكون الى حقويه
ومنهم من يلجمه العرق الجاما واشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده الى فيه قوله عز وجل
كلا قيل انه ردع وتنبيه اى ليس الامر على ما هم عليه من نحو الكيل والميزان فليرتدعوا عنه فلهذا
تم الكلام هنا وقيل كلا ابتدا يتصل بما بعده على معنى حقا ان كتاب الفجار اى الذى كتب
فيه اعمالهم لفى سجين قال ابن عمر هى الارض السابعة السفلى وفيها ارواح الكفار وروى البغوى
باسناد الثعلبى عن البرا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سجين اسفل سبع ارضين وعليين
فى السما السابعة تحت العرش وقال شمر بن عطية جا ابن عباس الى كعب الاحبار فقال اخبرنى عن
قول الله عز وجل ان كتاب الفجار لفى سجين قال ان روح الفاجر يصعد بها الى السما فتابى السما
ان تقبلها ثم يهبط بها الى الارض فتابى الارض ان تقبلها فتدخل تحت سبع ارضين حتى ينتهى
بها الى سجين وهو موضع جند ابليس فيخرج لها من سجين رق فيرقم ويختم ويوضع تحت جند ابليس
بمعرفتها الهلاك لحساب يوم القيامة وقيل فى صخرة تحت الارض السابعة السفلى خضرا خضرة السما
منها تقلب ويجعل كتاب الفجار تحتها قال وهب هى اخر سلطان ابليس وجا فى الحديث الفلق جب
فى جهنم مغطى وسجين جب فى جهنم مفتوح وقيل معناه لفى سجين لفى خسار وضلال وقيل انه مشتق
من السجن ومعناه لفى حبس وضيق شديد وما ادراك ما سجين اى ذلك مما كنت تعلمه ولا قومك
وقيل انما ذلك تعظيما لامر سجين كتاب مرقوم ليس هذا تفسير للسجين وانما هو بيان للكتاب
المذكور فى قوله ان كتاب الفجار والمعنى ان كتاب الفجار مرقوم اى مكتوب فيه اعمالهم مثبتة
عليهم كالرقم فى الثوب لا ينسى ولا يمحى حتى يحاسبوا به ويجازوا عليه وقيل مرقوم رقم عليهم
بشر كانه اعلم بعلامة يعرف بها انه كافر وقيل مرقوم اى مختوم وهو لغة حمير ويل يومئذ للمكذبين
وقيل انه متصل بقوله يوم يقوم الناس لرب العالمين والمعنى ويل لمن كذب بهذا اليوم وقيل
مرقوم معناه رقم على الشقاوة ثم قال ويل يومئذ للمكذبين اى فى ذلك من ذلك الكتاب المرقوم
عليهم بالشقاوة الذين يكذبون بيوم الدين اى بيوم القيامة لانه يوم الجزا وما يكذب به اى بيوم
القيامة الا كل معتد اثيم اى متجاوز عن منهج الحق اثيم هو مبالغة فى الاثم وهو المرتكب للاثم
والمعاصى اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين اى اكاذيب الاولين قوله عز وجل كلا
اى لا يؤمن ثم استانف فقال بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون عن ابى هريرة عن النبى صلى الله
عليه وسلم ان العبد اذا اخطا خطية نكتت فى قلبه نكتة فاذا نزع واستغفر وتاب
صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى يعلو قلبه وهو الران الذى قال الله كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون اخرجه الترمذى وقال حديث حسن صحيح واصل الرين الغلبة ومعنى الاية ان الذنوب
والمعاصى غلبت على قلوبهم واحاطت بها وقيل هو الذنب على الذنب حتى يموت القلب قال
ابن عباس ران على قلوبهم طبع عليها وقيل الرين ان يسود القلب من الذنوب والطبع ان يطبع
الله على القلب وهو اشد من الرين ولا يقال اشد من الطبع وقيل الرين التغطية والمعنى انه
يغشى القلب شى كالصدا فيغطيه فعند ذلك يموت القلب كلا قال ابن عباس يريد لا يصدقون
وقيل معناه ليس الامر كما يقولون ان لهم فى الاخرة خيرا ثم استانف فقال تعالى انهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون قيل عن كرامته ورحمته ممنوعون وقيل ان الله تعالى لا ينظر اليهم ولا يزكيهم

وهذا التفسير فيه ضعف اما حمله على منع الكرامة والرحمة فهو عدول عن الظاهر بغير دليل وكذا الوجه الثاني فان من حجب عن الله فان الله لا ينظر اليه نظر رحمة ولا يزكيه والذي ذهب اليه اكثر المفسرين انهم محجوبون عن رؤيته وهذا هو الصحيح واحتج بهذه الاية من اثبت الرؤية للمؤمنين قالوا ولولا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة ووجه اخر حصوله في حق المؤمنين فوجب ان لا يحصل هذا الحجاب في حق المؤمنين قال الحسن لو علم الزاهدون والعابدون انهم لا يرون ربهم في المعاد لزهقت انفسهم في الدنيا وقيل كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الاخرة عن رؤيته وسئل مالك عن هذه الاية فقال لما حجب الله اعداءه فلم يروه تجلى لاوليائه حتى راوه وقال الشافعي في قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون دلالة على ان اولياء الله يرون الله جل جلاله وعنه كما حجب اقواما بالسخط دل ان قوما يرونه بالرضى ثم اخبر ان الكفار مع كونهم محجوبين عن الله يدخلون النار فقال تعالى عز من قائل **ثم انهم لصالوا الجحيم** اي لداخلو النار **ثم يقال** اي تقول لهم الخزنة **هذا** اي هذا العذاب **الذي كنتم به تكذبون** يعني في الدنيا **كلا** اي ليس الامر كما يتوهمه الفجار من انكار البعث وقيل كلا اي لا يؤمن بالعذاب الذي يصلاه ثم بين محل كتاب الابرار فقال تعالى **ان كتاب الابرار لفي عليين** جمع علي من العلو وقيل هو موضع على صفة الجمع لا واحد له من لفظه وتقدم من حديث البراء المرفوع ان عليين في السماء السابعة تحت العرش وقال ابن عباس هو لوح من زبرجدة خضراء معلق تحت العرش اعمالهم مكتوبة فيه وقيل هو قائمة تحت العرش اليمنى وقال ابن عباس في رواية عنه هي الجنة وقيل هي سدرة المنتهى وقيل معناه علو بعد علو وشرف بعد شرف وقيل هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة قد عظمها الله تعالى واعلاها **وما ادراك ما عليون** تنبيها له على عظم شانه **كتاب مرقوم** ليس تفسيرا لعليين والمعنى ان كتاب الابرار لفي عليين كتاب مرقوم قيل رقم لهم فيه بخير وهو ما اعد الله لهم من الكرامة وقيل مكتوب فيه اعمالهم وعليين محل الملائكة وضده سجين وهو محل ابليس وجنوده **يشهده المقربون** يعني الملائكة الذين هم في عليين يشهدون اي يحضرون ذلك المكتوب ومن قال انه كتاب الاعمال قال يشهد ذلك الكتاب اذا صعد به الى عليين المقربون من الملائكة لكرامة المؤمن قال تعالى **ان الابرار** يعني المطيعين لله **لفي نعيم** يعني نعيم الجنة **على الارائك** جمع اريكة وهي الاسرة في الحجال **ينظرون** الى اعدائهم كيف يعذبون في النار وقيل ينظرون الى ربهم تعالى **تعرف في وجوههم نضرة النعيم** يعني انك اذا رايتهم تعرف انهم من اهل النعمة لما ترى على وجوههم من النور والحسن والبياض وقيل النضرة في الوجه والسرور في القلب **يسقون من رحيق** يعني الخمرة الصافية الطيبة البيضاء **مختوم** يعني ختم ذلك الشراب ومنع من ان تمسه الايدي الى ان يفك ختمه الابرار فان قلت قال في سورة محمد صلى الله عليه وسلم وانهار من خمر والنهر لا يختم عليه فكيف طريق الجمع بين الايتين قلت يحتمل ان يكون المذكور في هذه الاية في اوان مختوم عليها وهو غير تلك الخمر التي في الانهار وانما ختم عليها لشرفها ونفاستها **ختامه مسك** اي طينته التي ختم عليه مسك بخلاف خمر الدنيا فان ختامها طين وقال ابن مسعود مختوم اي ممزوج ختامه اي اخر طعمه وعاقبته مسك وقيل يمزج لهم بالكافور ويختم لهم بالمسك **وفي ذلك فليتنافس المتنافسون** اي فليرغب الراغبون بالمبادرة الى الله عز وجل ليحصل لهم هذا الشراب المختوم بالمسك وقيل اصله من الشيء النفيس الذي يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل احد لنفسه وينفس به على غيره اي ويغضب ويبخل **ومزاجه من تسنيم** اي من شراب ينصب عليهم من علو في غرفهم ومنازلهم وقيل يجري في الهوى متسنما فينصب في اواني اهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلات امسك واصل هذه الكلمة من العلو

ومنه

ومنه سنام البعير لانه اعلاه وقيل هو شراب اسمه تسنيم وهو من اشرف شراب اهل الجنة وقال ابن مسعود وابن عباس هو خالص للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لسائر اهل الجنة وسئل ابن عباس عن قوله من تسنيم فقال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين **عينا يشرب بها** اي منها وقيل يشربها **المقربون** صرفا قوله عز وجل **ان الذين اجرموا** اي اشركوا يعني كفار قريش اباجهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل واصحابهم من اهل مكة **كانوا من الذين امنوا** اي من عمار وخباب وصهيب وبلال من فقراء المؤمنين **يضحكون** اي منهم ويستهزؤن بهم **واذا مروا بهم** يعني مر المؤمنون الفقراء بالكفار الاغنياء **يتغامزون** يعني يتغامز الكفار والغمز الاشارة بالجفن والحاجب اي يشيرون اليهم بالاعين استهزاء بهم **واذا انقلبوا الى اهلهم** يعني الكفار **انقلبوا فكهين** اي معجبين بما هم فيه وقيل يتفكهون بذكرهم كانهم يتفكهون بحديثهم **واذا راوهم** يعني راوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويرون انهم على شيء قال الله تعالى **قالوا ان هؤلاء لضالون** اي هم في ضلال باتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم ويرون انهم على شيء قال الله تعالى **وما ارسلوا** يعني المشركين **عليهم** يعني على المؤمنين **حافظين** اي لاعمالهم والمعنى انهم لم يوكلوا بحفظ اعمالهم قوله عز وجل **فاليوم** يعني في الاخرة **الذين امنوا من الكفار يضحكون** وسبب هذا الضحك ان الكفار لما كانوا في الدنيا يضحكون من المؤمنين لما هم فيه من الشدة والبلاء فلما افضوا الى الاخرة انعكس ذلك الامر فصار المؤمنون في السرور والنعيم وصار الكفار في العذاب والبلاء فضحك المؤمنون على الكافرين لما راوا حالهم وقال ابو صالح يفتح للكفار ابواب النار وهم فيها ويقال لهم اخرجوا فاذا انتهوا اليها اغلقت دونهم يفعل ذلك بهم مرارا والمؤمنون ينظرون اليهم ويضحكون منهم وقال كعب بين الجنة والنار كوى فاذا اراد المؤمن ان ينظر الى عدو له من الكفار كان في الدنيا اطلع عليه من تلك الكوى وهو يعذب ضحك منه فذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون **على الارائك** جمع اريكة وهو السرير تتخذ فيه الحجلة وهي الكلة يزين بها البيت والارائك الجنة من الدر والياقوت **ينظرون** يعني اليهم وهم في النار يعذبون قال الله تعالى **هل ثوب الكفار** اي جوزي الكفار **ما كانوا يفعلون** اي بالمؤمنين من الاستهزاء والضحك وهذا الاستفهام بمعنى التقرير وثوب واثاب واثيب بمعنى قال اوس ساجزيك ويجزيك عني مثوب وحسبك ان يثنى عليك وتحمد والله تعالى اعلم بمراده

مكية وهي خمس وعشرون اية وسبع كلمات واربعمائة واربعة وثلاثون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم** قوله عز وجل **اذا السماء انشقت** يعني عند قيام الساعة وهي من علاماتها **واذنت لربها** اي سمعت امر ربها بالانشقاق واطاعته من الاذن وهو الاستماع **وحقت** اي لها ان تطيع ربها **واذا الارض مدت** يعني مد الاديم العكاظي وزيد في سعتها وقيل سويت فلا يبقى فيها بناء ولا جبل **والقت ما فيها** اي اخرجت ما فيها في بطنها من الموتى والكنوز **وتخلت** اي من ذلك الذي كان في بطنها **واذنت لربها وحقت** واختلفوا في جواب اذا فقيل جوابه محذوف تقديره اذا كانت هذه الاشياء يرى الانسان الثواب والعقاب وقيل جوابه يا ايها **الانسان انك كادح** والمعنى اذا انشقت السماء لقي كل كادح ما عمله وقيل جوابه واذنت وحينئذ يكون الواو زائدة يا ايها الانسان انك كادح اي ساع اليه في عملك سعيا والكدح عمل الانسان وجهده في الامر من الخير والشر وقيل معناه عامل لربك عملا وقيل معناه انك كادح الى لقاء ربك وهو الموت والمعنى ان هذا الكدح يستمر بك الى الموت وقيل معناه انك كدوح

في دنياك كدحا تصير به الى ربك كدحا فملاقيه اي فملاق جزاء عملك خيرا كان او شرا وقيل فملاق ربك فاما من اوتي كتابه بيمينه يعني ديوان عمله فسوف يحاسب حسابا يسيرا سوف من الله واجب والحساب اليسير هو ان تعرض عليه اعماله فيعرف بالطاعة والمعصية ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لانه لا شدة فيه على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر فيه ولا الحجة عليه فانه من طولب بذلك لم يجد عذرا ولا حجة فيفتضح ق عن ابي مليكة ان عائشة كانت لا تسمع شيئا لا تعرفه الا راجعت فيه حتى تعرفه وان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حوسب عذب قالت فاما قال ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب عذب وينقلب الى اهله يعني في الجنة من الحور العين والادميات مسرورا بما اوتي من الخير والكرامة واما من اوتي كتابه وراء ظهره يعني انه تغل يده اليمنى الى عنقه وتجعل يده اليسرى وراء ظهره فيعطى بها كتابه فسوف يدعو ثبورا يعني عند عطاية كتابه بشماله من وراء ظهره يعلم انه من اهل النار فيدعو بالويل والهلاك فيقول يا ويلاه يا ثبوراه ويصلى سعيرا اي ويقاسي لهبات النار وحرها انه كان في اهله يعني في الدنيا مسرورا يعني باتباع هواه وركوب شهواته انه ظن ان لن يحور اي لن يرجع الينا ولن يبعث والحور الرجوع بلى اي ليس الامر كما ظن بلى يحور الينا ويبعث ويحاسب ان ربه كان به بصيرا اي من يوم خلقه الى ان يبعثه قوله عز وجل فلا اقسم بالشفق تقدم الكلام في تفسير لا اقسم في سورة القيامة واما الشفق فقال مجاهد هو النهار كله وحجته في ذلك انه عطف عليه الليل فيجب ان يكون المذكور اولا هو النهار فعلى هذا الوجه يكون القسم بالليل والنهار وانما النهار اللذين فيهما معاش العالم وسكونه وقيل هو ما بقي من النهار وقال ابن عباس واكثر المفسرين هي الحمرة التي تبقى في الافق بعد غروب الشمس وهو مذهب عامة العلماء وقيل هو البياض التي تعقب تلك الحمرة وهو مذهب ابي حنيفة والليل وما وسق اي جمع وضم مما كان منتشرا بالنهار من الخلق والدواب والهوام وذلك ان الليل اذا اقبل اوى كل شيء الى ماواه وقيل ما عمل فيه ويحتمل ان يكون ذلك تهجد العباد فيجوز ان يقسم بهم والقمر اذا اتسق اي اجتمع وتم نوره وذلك في ايام البيض وقيل استدار واستوى ولما ذكر المقسم به اتبعه بالمقسم فقال تعالى لتركبن قرئ بفتح الباء وهو خطاب الواحد والمعنى لتركبن يا محمد طبقا عن طبق يعني سماء بعد سماء وقد فعل الله معه ذلك ليلة اسرى به فاصعده سماء بعد سماء وقيل درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة في القرب من الله تعالى وقيل معناه لتركبن حالا بعد حال خ عن ابن عباس قال لتركبن طبقا عن طبق حالا بعد حال هذا لنبيكم صلى الله عليه وسلم ومعنى هذا ان يكون لك الظفر والغلبة على المشركين حتى يختم لك بجميل العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم في كفرهم وقرئ لتركبن بضم الباء وهو الاشبه ويكون خطاب الجمع والمعنى لتركبن ايها الانسان حالا بعد حال وامرا بعد امر وذلك في موقف القيامة فيتقلب بهم الاحوال فيصيرون في الاخرة على غير الحالة التي كانوا عليها في الدنيا وقال ابن عباس يعني الشدائد والاهوال ثم الموت ثم البعث ثم العرض وقيل حال الانسان حالا بعد حال رضيع ثم فطيم ثم غلام ثم شاب ثم كهل ثم شيخ وقيل معناه لتركبن سنن من كان قبلكم واحوالهم ق عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتتبعن سنن من كان قبلكم واحوالهم شبرا بعد شبر وذراعا بعد ذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقيل في معنى الاية انه اراد به السماء تتغير لونا بعد لون فتصير تارة وردة كالدهان وتارة كالمهل وتنشق مرة وتطوى اخرى فما لهم لا يؤمنون يعني

فقلت أوليس يقول الله عز وجل
فسوف يحاسب حسابا يسيرا
قالت فقال لها

بالبعث والحساب وهو استفهام انكار واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون يعني لا يصلون فعبر به بالسجود عن الصلاة لانه جزء منها وقيل اراد به سجود التلاوة وهذه السجدة اخر سجدات القرآن عند الشافعي ومن وافقه ق عن نافع قال صليت مع ابي هريرة العتمة فقرأ اذا السماء انشقت فسجد فقلت ما هذه قال سجدت بها خلف ابي القاسم صلى الله عليه وسلم فلا ازال اسجد فيها حتى القاه ولمسلم عنه قال سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرأ باسم ربك واذا السماء انشقت بل الذين كفروا يكذبون يعني بالقرآن والبعث والله اعلم بما يوعون يعني يجمعون في صدورهم من التكذيب فبشرهم بعذاب اليم يعني على تكذيبهم وكفرهم الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون

مكية وهي اثنان وعشرون اية ومائة وتسع كلمات واربعمائة وخمس وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والسماء ذات البروج يعني البروج الاثني عشر وانما حسن القسم بها لما فيها من عجيب حكمة الباري جل جلاله وهو سير الشمس والقمر والكواكب فيها على قدر معلوم لا يختلف وقيل البروج الكواكب العظام سميت بروجا لظهورها واليوم الموعود يعني يوم القيامة وشاهد ومشهود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والمشهود يوم عرفة والشاهد يوم الجمعة ما طلعت شمس ولا غربت على يوم افضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير الا استجاب الله له ولا يستعيذ من شيء الا اعاذه الله منه اخرجه الترمذي وضعف احد رواته من قبل حفظه وهذا قول ابن عباس ان الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وقيل الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم النحر وقيل الشاهد يوم التروية والمشهود يوم عرفة انما حسن القسم بهذه الايام لعظمها وشرفها واجتماع المسلمين فيها وقيل الشاهد هو الله تعالى والمشهود يوم القيامة وقيل الشاهد هو الملك والمشهود عليه هو ابن ادم وقيل الشاهد ادم وذريته والمشهود هو يوم القيامة وقيل الشاهد هي الاعضاء والمشهود عليه هو ابن ادم وقيل الشاهد هذه الامة ونبيها صلى الله عليه وسلم والمشهود عليهم هم الامم المتقدمة وقيل الشاهد الانبياء والمشهود له هو محمد صلى الله عليه وسلم لان الانبياء قبله شهدوا له بالنبوة وقوله والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود اقسام اقسم الله بها لشرفها وعظمها وجواب القسم قتل اصحاب الاخدود وقيل جوابه ان بطش ربك لشديد وقوله تعالى قتل اصحاب الاخدود اي لعن وقيل جوابه ان بطش ربك لشديد قوله قتل اصحاب الاخدود اي لعن والاخدود الشق المستطيل في الارض واختلفوا فيهم فروي عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك اني قد كبرت فابعث الي غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه وكان في طريقه اذا سلك اليه راهب فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه فكان اذا اتى الساحر مر بالراهب وقعد اليه فاذا اتى الساحر ضربه واذا رجع من الساحر قعد الى الراهب وسمع كلامه فاذا اتى اهله ضربوه فشكى الى الراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني اهلي واذا خشيت اهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذ اتى على دابة عظيمة حبست الناس فقال اليوم اعلم الراهب افضل ام الساحر فاخذ حجرا ثم قال اللهم ان كان امر الراهب احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فاتى الراهب فاخبره فقال له الراهب اي بني انت اليوم افضل مني قد بلغ من امرك ما ارى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام

يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس من سائر الادواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فاتى
له بهدايا كثيرة فقال ما هاهنا لك اجمع ان انت شفيتني قال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله عز
وجل فان آمنت دعوت الله عز وجل فشفاك فآمن بالله فشفاه الله عز وجل فاتى الملك فجلس
اليه كما كان يجلس فقال له الملك من رد عليك بصرك قال ربي قال او لك رب غيري قال الله
ربي وربك فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك اي بني قد بلغ
من سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص وتفعل فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله عز وجل فاخذه فلم
يزل يعذبه حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعى بالمنشار فوضع
في مفرق راسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فابى فدعى
فدفعه الى نفر من اصحابه فقال لهم اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم
ذروته فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال اللهم يا رب
العالمين اكفنيهم بما شئت فرجف بهم فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك
قال كفانيهم الله بقدرته فدفعه الى نفر من اصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسطوا
البحر فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت
بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله تعالى
فقال للملك انك لست بقاتلي حتى تفعل ما امرك به قال فقال وما هو فقال تجمع الناس
في صعيد واحد وتصلبني على جذع ثم تاخذ سهما من كنانتي فقال وما هو فقال ثم ضع السهم في
كبد القوس ثم قل بسم الله رب هذا الغلام ثم ارمني به فانك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس
في صعيد واحد وصلبه على جذع ثم اخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم
الله رب الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه فوضع يده على صدغه فمات فقال الناس آمنا
برب الغلام ثلاثا فاتي الملك فقيل له ارايت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك قد آمن
الناس فامر بالاخدود فخدت بافواه السكك واضرم النيران وقال من لم يرجع عن دينه
فاقحموه او قال فاقحموه فيها او قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امراة معها صبي لها فتقاعست
ان تقع فيها فقال لها الغلام يا امه اصبري ولا تقاعسي فانك على الحق هذا حديث صحيح
اخرجه مسلم وفي هذا الحديث اثبات كرامات الاولياء وفيه جواز الكذب في مصلحة ترجع
الى الدين وفي انقاذ النفس من الهلاك والاكمه هو الذي خلق اعمى والمنشار بالياء وتخفيف
الهمزة وروي بالنون وذروة الجبل بالضم والكسر اعلاه ورجف تحرك واضطرب والقرقور
بضم القاف الاولى السفينة الصغيرة وانكفأت اي انقلبت والصعيد هنا الارض البارزة
والسكك الطرق وافواهها والاخدود الشق العظيم في الارض واقحموه اي ارموه
فيها وتقاعست اي تاخرت وكرهت الدخول في النار قال ابن عباس كان بنجران ملك
من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل في الفترة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم
بسبعين سنة وكان في بلاده غلام يقال له عبد الله بن تامر وكان ابوه يسلمه الى معلم يعلمه
السحر فكره ذلك الغلام ولم يجد بدا من طاعة ابيه فجعل يختلف الى المعلم وكان في طريقه
راهب حسن القراءة حسن الصوت فاعجبه ذلك وذكر نحو حديث صهيب وقال وهب
ابن منبه ان رجلا كان قد بقي على دين عيسى فوقع الى نجران فاجابوه فسار اليه ذو نواس
اليهودي بجنوده من حمير وخيرهم بين النار واليهودية فابوا عليه فخد الاخدود واحرق
اثني عشر الفا ثم غلب ارياط على اليمن فخرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق
وقال محمد بن اسحاق عن عبد الله بن ابي بكر ان خربة احتفرت في زمن عمر بن الخطاب فوجدوا

وغيرهم

عبد

عبد الله بن التامر واضعا يده على ضربة في راسه اذا امسكت يده عنها انبعثت دما واذا تركت
ارتدت مكانها وفي يده خاتم من حديد فيه ربي الله فبلغ ذلك عمر فكتب ان اعيدوا
عليه الذي وجدتم عليه وقال سعيد بن جبير وابن ابزى لما انهزم اهل اسفيدهار قال عمر بن الخطاب
اي شيء يجري على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا باهل كتاب فقال علي بن ابي طالب بلى قد كان لهم
كتاب وكانت الخمر قد احلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فوقع على اخته
فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذي اتيت وما المخرج منه قالت المخرج
منه ان تخطب الناس وتقول ان الله قد احل نكاح الاخوات لكم فاذا ذهب في الناس
وتناسوه خطبتهم تحرمه فقام خطيبا فقال ان الله قد احل لكم نكاح الاخوات فقال
الناس باجمعهم معاذ الله ان نؤمن بهذا او نقر به ما جاءنا به من نبي ولا انزل علينا في كتاب
فبسط فيهم السوط فابوا ان يقروا فجرد فيهم السيف فابوا ان يقروا به فخد لهم الاخدود
واوقد فيها النيران وعرضهم عليها فمن ابى قذفه في النار ومن اجاب سيبه وروي عن علي
قال كان اصحاب الاخدود نبيهم حبشي بعث من الحبشة الى قومه ثم قرا علي ولقد ارسلنا
رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك الآية فدعاهم فتابعه اناس فقاتلهم الكفار فقتل
اصحابه واخذوا من انفلت منهم فاوثقوه ثم خدوا لهم اخدودا فملاوها نارا فمن تبع
ذلك النبي رمي به في النار ومن تابعهم تركوه فجاؤوا بامراة معها صبي رضيع فجزعت
فقال الصبي يا اماه مري ولا تقاعسي وقيل كانت الاخدود ثلاثة واحدة بنجران باليمن
والاخرى بالشام والاخرى بفارس حرقوا بالنار فاما التي بالشام فهو انطيانحوس
الرومي واما التي بفارس فبخت نصر ويزعمون انهم اصحاب دانيال واما التي باليمن فذو
نواس واما التي بالشام وفارس فلم ينزل الله فيهما قرآنا وانزل في التي بنجران اليمن
وذلك ان هذه القصة كانت مشهورة عند اهل مكة فذكر الله تعالى ذلك لاصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملهم بذلك على الصبر وتحمل المكاره في الدين وقوله تعالى
النار ذات الوقود هو تعظيم لامر تلك النار قال الربيع بن انس نجى الله المؤمنين
الذين القوا في النار بقبض ارواحهم قبل ان تمسهم النار وخرجت النار الى من على شفير الاخدود
من الكفار فاحرقتهم اذ هم عليها قعود اي جلوس عند الاخدود وهم يعني الملك الذي
خد الاخدود واصحابه على ما يفعلون بالمؤمنين اي من عرضهم على النار وارادتهم ان يرجعوا
الى دينهم شهود اي حضور وقيل يشهدون ان المؤمنين ضلال حين تركوا عبادة الصنم
وما نقموا منهم قال ابن عباس ما كرهوا منهم الا ان يؤمنوا بالله وقيل ما عابوا ولا علموا
فيهم عيبا الا ايمانهم بالله العزيز الحميد يعني ان الذي يستحق العبادة هو العزيز اي الغالب
القاهر الذي لا يغالب ولا يدافع الحميد يعني الذي يستحق ان يحمد ويثنى عليه وهو اهل
لذلك وهو الله جل جلاله الذي له ملك السموات والارض اي هو المستحق للعبادة والله على
كل شيء شهيد من افعالهم بالمؤمنين شهيد وفيه وعد عظيم للمؤمنين ووعيد عظيم للكافرين قوله
عز وجل ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بالنار ثم لم يتوبوا اي لم يرجعوا عما هم عليه
من الكفر وفيه دليل على انهم اذا تابوا وآمنوا يقبل منهم وخرجوا من هذا الوعيد وان الله
تعالى يقبل منهم التوبة وان توبة القاتل مقبولة وانهم ان لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم
عذاب الحريق يعني لهم عذاب جهنم بكفرهم ولهم عذاب الحريق بما احرقوا المؤمنين وقيل ولهم
عذاب الحريق في الدنيا وذلك ان الله احرقهم بالنار التي احرقوا بها المؤمنين ارتفعت اليهم من
الاخدود فاحرقتهم ولهم عذاب جهنم في الاخرة ثم ذكر ما اعد للمؤمنين فقال تعالى ان الذين

شيء

يوسف

امنوا

آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ذلك الفوز الكبير قوله عز وجل إن بطش ربك لشديد قال ابن عباس إن أخذه بالعذاب إذا أخذ الظلمة لشديد إنه هو يبدئ ويعيد أي يخلقهم أولا في الدنيا ثم يعيدهم أحياء بعد الموت ليجازيهم بأعمالهم في القيامة وهو الغفور يعني لذنوب المؤمنين الودود أي المحب لهم وقيل المحبوب أي يوده أولياؤه ويحبونه وقيل يغفر ويود أن يغفر وقيل هو المتودد إلى أوليائه بالمغفرة ذو العرش أي خالقه ومالكه المجيد قرئ بالرفع على أنه صفة لله تعالى لأن المجيد من صفات التعالي والجلال وذلك لا يليق إلا بالله تعالى وقرئ المجيد بالكسر على أنه صفة للعرش أي السرير العظيم إذ لا يعلم صفة العرش وعظمته إلا الله تعالى وقيل أراد حسنه فوصفه بالمجيد فقد قيل إن العرش أحسن الأجسام فعال لما يريد يعني أنه لا يعجزه شيء ولا يمتنع منه شيء طلبه وقيل فعال لما يريد لا يعترض عليه معترض ولا يغلبه غالب فهو يدخل أولياءه الجنة برحمته لا يمنعه من ذلك مانع ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم منه ناصر هل أتاك أي قد أتاك حديث الجنود أي خبر الجنود الكافرة الذين تجندوا على الأنبياء ثم بين من هم فقال تعالى فرعون يعني وقومه وثمود وكانت قصتهم عند أهل مكة مشهورة بل الذين كفروا يعني من قومك يا محمد في تكذيب يعني لك وللقرآن كما كذب من كان قبلهم من الأمم ولم يعتبروا بمن أهلكنا منهم والله من ورائهم محيط أي عالم بهم لا يخفى عليه شيء من أعمالهم يقدر أن ينزل بهم ما أنزل بمن قبلهم بل هو قرآن مجيد أي كريم شريف كثير النفع والخير ليس هو كما زعم المشركون أنه شعر وكهانة في لوح محفوظ قرئ بالرفع على أنه نعت للقرآن يعني أن القرآن محفوظ من التبديل والتغيير والتحريف وقرئ محفوظ بالكسر على أنه نعت للوح لأنه يعرف باللوح وهو أم الكتاب وفيه نسخ الكتب وسمي محفوظا لأنه حفظ من الشياطين ومن الزيادة والنقص وهو عن يمين العرش روى البغوي بإسناد الثعلبي عن ابن عباس قال إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله عز وجل وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة قال واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب وحافتاه الدر والياقوت ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه من نور وكلامه سرور معقود بالعرش وأصله في حجر ملك والله أعلم بمراده

مكية وهي سبع عشرة آية وإحدى وستون كلمة ومائتان وتسع وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والسماء والطارق قيل نزلت في أبي طالب وذلك أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأتحفه بخبز ولبن فبينما هو جالس يأكل إذ انحط نجم فامتلأ ماء ثم نارا ففزع أبو طالب وقال أي شيء هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا نجم رمي به وهو آية من آيات الله فعجب أبو طالب فأنزل الله والسماء والطارق يعني النجم يظهر بالليل وكل ما أتاك بالليل فهو طارق ولا يسمى ذلك بالنهار وسمي النجم طارقا لأنه يظهر بالليل قالت هند نحن بنات طارق نمشي على النمارق تريد أن أباها نجم في شرفه وعلوه وما أدراك ما الطارق قيل لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يعرفه حتى بينه له بقوله النجم الثاقب أي المضيء المنير وقيل المتوهج وقيل هو المرتفع العالي وقيل هو الذي ترمى به الشياطين فيثقب أي ينفذ والنجم الثاقب قيل هو الثريا لأن العرب تسميها النجم وقيل هو زحل سمي بذلك لارتفاعه وقيل هو كل نجم يرمى به الشيطان لأنه يثقبه فينفذ وهي أقسام أقسم الله بها وقيل تقديره ورب هذه الأشياء وجواب القسم قوله تعالى إن كل نفس لما عليها حافظ يعني إن كل نفس عليها

حافظ

حافظ من ربها يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكتسب من خير أو شر قال ابن عباس هم الحفظة من الملائكة وقيل حافظ من الله يحفظها ويحفظ قولها وفعلها حتى يدفعها ويسلمها إلى المقادير ثم يخلي عنها وقيل يحفظها من المهالك والمعاطب إلا ما قدر لها قوله عز وجل فلينظر الإنسان يعني نظر تفكر واعتبار مم خلق أي من أي شيء خلقه ربه ثم بين ذلك تعالى خلق من ماء دافق أي من مني دافق أي مدفوق مصبوب في الرحم وأراد به ماء الرجل وماء المرأة لأن الولد مخلوق منهما وإنما جعله واحدا لامتزاجهما يخرج يعني ذلك الماء وهو المني من بين الصلب والترائب يعني صلب الرجل وترائب المرأة وهي عظام الصدر والنحر قال ابن عباس هو موضع القلادة من الصدر وعنه أنه بين ثديي المرأة وقيل إن المني يخرج من جميع أعضاء الإنسان وأكثر ما يخرج من الدماغ في عرق في ظهر الرجل وينزل في عروق كثيرة من مقدم بدن المرأة وهي الترائب فلهذا السبب خص الله تعالى هذين العضوين بالذكر إنه على رجعه لقادر يعني أن الله تعالى قادر على أن يرد النطفة في الإحليل وقيل قادر على رد الماء في الصلب الذي خرج منه وقيل قادر على الإنسان كما كان من قبل وقيل معناه إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب إلى الصبي ومن الصبي إلى النطفة وقيل إنه قادر على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر وقيل معناه وإن الذي قدر على خلق الإنسان ابتداء قادر على إعادته حيا بعد موته وهو أهون عليه وهذا القول هو الأصح والأولى بمعنى الآية لقوله تعالى بعده يوم تبلى السرائر وذلك هو يوم القيامة وقيل معناه تظهر الخبايا ومعنى تبلى تختبر وقيل السرائر فرائض الأعمال كالصوم والصلاة والوضوء والغسل من الجنابة فكل هذه سرائر بين العبد وبين ربه عز وجل وذلك أن العبد قد يقول صليت ولم يصل وصمت ولم يصم واغتسلت ولم يغتسل فإذا كان يوم القيامة يختبر حتى يظهر من أداها ومن ضيعها قال عبد الله بن عمر يبدي الله يوم القيامة كل سر فيكون زينا في وجوه وشينا في وجوه يعني من أداها كما أمر كان وجهه مشرقا مستبشرا يوم القيامة ومن ضيعها أو نقص منها كان وجهه أغبر فما له أي لهذا الإنسان المنكر للبعث من قوة أي يمتنع بها من عذاب الله ولا ناصر أي ينصره من الله ثم ذكر قسما آخر فقال تعالى والسماء ذات الرجع أي ذات المطر سمي به لأنه يجيء ويرجع ويتكرر والأرض ذات الصدع أي تتصدع وتنشق عن النبات والشجر والأنهار وجواب القسم قوله تعالى إنه يعني القرآن لقول فصل أي إنه حق وجد يفصل بين الحق والباطل وما هو بالهزل أي باللعب والباطل إنهم يعني مشركي مكة يكيدون كيدا يعني يحتالون في المكر بالنبي صلى الله عليه وسلم حين اجتمعوا في دار الندوة وتشاوروا فيه وأكيد كيدا يعني أجازيهم على كيدهم باستدراجهم من حيث لا يعلمون فانتقم منهم في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالنار فمهل الكافرين أي لا تستعجل ولا تدع بهلاكهم وقال ابن عباس هذا وعيد لهم من الله عز وجل ثم لما أمره بإمهالهم بين أن ذلك الإمهال قليل فقال أمهلهم رويدا يعني قليلا فأخذهم الله يوم بدر ونسخ الإمهال بآية السيف والله أعلم بمراده وأسرار كتابه العزيز

مكية وهي تسع عشرة آية واثنان وسبعون كلمة ومائتان وإحدى وتسعون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل سبح اسم ربك الأعلى أي قل سبحان ربي الأعلى وهو قول جماعة من الصحابة والتابعين يدل عليه ما روي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ سبح اسم ربك الأعلى فقال سبحان ربي الأعلى ذكره البغوي بإسناد الثعلبي وقيل معناه نزه ربك الأعلى عما يصفه الملحدون فعلى هذا يكون الاسم صلة وقيل معناه نزه

تسمية ربك الاعلى بان تذكره وانت له معظم ولذكره محترم وقال ابن عباس سبح اى صل بامر ربك الاعلى عن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم اخرجه ابو داود **الذى خلق فسوى** اى خلق كل ذى روح فسوى اليدين والرجلين والعينين وقيل خلق الانسان مستويا معتدل القامة **والذى قدر فهدى** اى قدر الارزاق وهدى لاكتسابها وقيل قدر لكل شىء شكله فهدى اى فعرف كيف ياتى الذكر والانثى وقيل هدى الجنين في الرحم وهداه الى الخروج منه وقيل قدر السعادة لاقوام والشقاوة لاقوام ثم هدى كل فريق من الطائفتين سلوك سبيل ما قدر له عليه وقيل قدر الخير والشر وهدى اليهما وقدر اى اعطى كل حيوان ما يحتاج اليه وهدى الانعام وساير الحيوانات لمراعيها وهو قوله تعالى **والذى اخرج المرعى** اى انبت العشب وما ترعاه الانعام من اخضر واصفر واحمر وابيض وغير ذلك **فجعله** يعنى المرعى بعد الخضرة **غثاء** اى هشيما يابسا كالغثاء الذى تراه السيل **احوى** اى اسود بعد الخضرة وذلك ان الكلا اذا جف ويبس اسود قوله عز وجل **سنقرئك** اى نعلمك القران بقراءة جبريل عليك **فلا تنسى** يعنى ما يقرا عليك وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل جبريل بالوحى كان لم يفرغ من اخرايه حتى يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم باوله مخافة ان ينساها فانزل الله تعالى سنقرئك فلا تنسى فلم ينس شيئا بعد ذلك **الا ما شاء الله** يعنى ان تنساه وهو ما نسخ الله تعالى تلاوته من القران ورفعه من الصدور وقيل معناه الا ما شاء الله ان تنساه ثم تذكره بعد ذلك كما صح من حديث عايشة قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقرا فقال يرحمه الله لقد اذكرنى كذا آية كنت انسيتها من سورة كذا وكذا وفي رواية كنت اسقطتهن من سورة كذا اخرجاه في الصحيحين وقيل هذا الاستثناء لم يقع ولم يشا الله ان ينسيه شيئا **انه يعلم الجهر** يعنى من القول والفعل **وما يخفى** يعنى منهما والمعنى انه يعلم السر والعلانية **ونيسرك لليسرى** اى نهون عليك لان تعمل خيرا ونسهله عليك حتى تعمله وقيل هو متصل بتوفيقك للشريعة اليسرى وهى الحنيفية السمحة وقيل هو متصل بالكلام الاول والمعنى انه يعلم الجهر مما يقروه على جبريل اذا فرغ من التلاوة وما يخفى ما تقروه في نفسك مخافة النسيان ثم وعده فقال ونيسرك لليسرى اى نهون عليك الوحى حتى تحفظه ولا تنساه **فذكر** اى فعظ بالقران **ان نفعت الذكرى** اى مدة نفعت الموعظة والتذكير والمعنى عظ ان نفعت وذكر ان نفعت او لم تنفع انما عليك البلاغ **سيذكر من يخشى** اى سيتعظ من يخشى الله تعالى **ويتجنبها** اى الذكرى ويتباعد عنها **الاشقى** اى في علم الله تعالى **الذى يصلى النار الكبرى** اى هى نار الاخرة والنار الصغرى هى نار الدنيا **ثم لا يموت** اى في النار فيستريح **فيها ولا يحيى** اى حياة طيبة تنفعه قوله عز وجل **قد افلح من تزكى** اى تطهر من الشرك وقال لا اله الا الله قال ابن عباس وقيل قد افلح من كان عمله زاكيا وقيل هو صدقة الفطر **وذكر اسم ربه فصلى** قال خرج الى العيد فصلى وكان ابن مسعود يقول رحم الله امرا تصدق ثم صلى ثم يقرا هذه الاية وقال نافع كان ابن عمر اذا صلى الغداة يعنى يوم العيد قال يا نافع اخرجت الصدقة فان قلت نعم مضى الى المصلى وان قلت لا قال فالان فاخرج فانما هذه الاية في هذا قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى فان قلت فاوجه هذا التاويل وهذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطرة قلت يجوز ان يكون النزول سابقا على الحكم كما قال وانت حل بهذا البلد وهذه السورة مكية وظهر اثر الحل يوم الفتح وكذا نزل بمكة سيهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك يوم بدر وقال عمر بن الخطاب كنت لا ادرى اى جمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت النبى صلى الله عليه وسلم يثبت في الدرع يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر وجه اخر انه كان في علم الله

تعالى انه سيكون ذلك فاخبر عنه **وذكر اسم ربه فصلى** اى ذكر اسم ربه فصلى يعنى الصلوات الخمس وقيل اراد بالذكر تكبيرات العيد وبالصلاة صلاة العيد قوله عز وجل **بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى** يعنى ان الدنيا فانية والاخرة باقية والباقى خير من الفانى وانتم تؤثرون الفانى على الباقى وقال عرفجة الاشجعى كنا عند ابن مسعود فقرا هذه الاية فقال اتدرون لما اثرنا الحياة الدنيا على الاخرة قلنا لا قال لان الدنيا احضرت وعجل لنا طعامها وشرابها ونساؤها ولذاتها وبهجتها وان الاخرة تغيبت عنا وزويت فاحببنا العاجل وتركنا الاجل وقيل ان اريد بذلك الكافر فالمعنى انهم يؤثرون الدنيا على الاخرة لانهم لا يؤمنون بالاخرة وان اريد بذلك المسلمين فالمعنى انهم يؤثرون الاستكثار من الدنيا على الثواب الذى يحصل في الاخرة وهو خير وابقى **ان هذا** الذى ذكر من قوله قد افلح من تزكى الى هنا اربع ايات **لفى الصحف الاولى** اى الكتب المتقدمة التى نزلت قبل القران ذكر في تلك الصحف فلاح من تزكى والمصلى وايثار الدنيا وان الاخرة خير وابقى ثم بين ذلك فقال **صحف ابراهيم وموسى** يعنى ان هذا القدر المذكور في صحف ابراهيم وموسى وقيل انه مذكور في صحف جميع الانبياء التى منها صحف ابراهيم وموسى لان هذا القدر المذكور في هذه الايات لا يختلف في شريعة بل جميع الشرايع متفقة عليه عن ابى ذر قال دخلت المسجد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للمسجد تحية قلت وما تحيته يا رسول الله قال ركعتان تركعهما قلت يا رسول الله هل انزل الله عليك شى مما كان في صحف ابراهيم وموسى قلت يا رسول الله فما قال يا ابا ذر اقرا قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال عبرا كلها عجبت لمن ايقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمين عجبت لمن ايقن بالقدر ثم ينصب عجبت لمن ايقن بالحساب ثم لا يعمل اخرج هذا الحديث رزين في كتابه وذكره ابن الاثير في كتابه جامع الاصول ولم يعلم عليه شيئا عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يقرا في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد في ركعة اخرجه الترمذى والنساى عن عبد الرحمن بن جريج قال سالنا عايشة باى شى كان يوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يقرا في الاولى بسبح اسم ربك الاعلى وفي الثانية بقل يا ايها الكافرون وفي الثالثة بقل هو الله احد والمعوذتين اخرجه ابو داود والنساى والترمذى وقال حديث حسن غريب والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه العزيز

مكية وهى ست وعشرون اية واثنتان وتسعون كلمة وثلثماية واحدى وثمانون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **هل اتاك** قد اتاك يا محمد **حديث الغاشية** يعنى القيامة سميت غاشية لانها تغشى باهوالها وقيل الغاشية النار سميت بذلك لانها تغشى وجوه الكفار **وجوه يومئذ** يعنى يوم القيامة **خاشعة** يعنى ذليلة والمراد بالوجوه اصحابها فعبر بالجزء عن الكل ولان الوجه اشرف اعضاء الانسان فعبر به عنه **عاملة ناصبة** قال ابن عباس يعنى الذين عملوا ونصبوا في الدنيا على غير دين الاسلام ومن عبدة الاوثان وكفار اهل الكتاب مثل الرهبان واصحاب الصوامع لا يقبل الله منهم اجتهادا في صلاة بل يدخلون النار يوم القيامة ومعنى النصب الدوءب في العمل بالتعب ق عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث في امرنا هذا ما ليس فيه فهو رد وفي رواية من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد اما الرواية الاولى فانها تختص بمن احدث في دين الاسلام شيئا ابتدعه من عنده فهو رد مردود

عليه لا يقبل منه واما الرواية الثانية فانها تشمل كل عامل في دين الاسلام او غير دين الاسلام فانه
مردود عليه اذا لم يكن تابع لنبينا صلى الله عليه وسلم وقيل في الاية عاملة في الدنيا بالمعاصي
ناصبة في الاخرة بالنار وقيل عاملة ناصبة في النار لانها لم تعمل لله في الدنيا فاعملها وانصبها
في النار بمعالجة السلاسل والاغلال وهي رواية عن ابن عباس قال ابن مسعود تخوض في النار كما
تخوض الابل في الوحل وقيل يجرون في النار على وجوههم وقيل يكلفون ارتقاء جبل من حديد في النار
وهو قوله تعالى تصلى نارا حامية قال ابن عباس قد حميت فهي تتلظى على اعداء الله تعالى قوله عز وجل
تسقى من عين آنية اي متناهية في الحرارة قد اوقدت عليها جهنم مذ خلقت لو وقع منها قطرة على
جبال الدنيا لذابت فيدفعون اليها وردا عطاشا فهذا شرابهم ثم ذكر طعامهم فقال تعالى
ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن قيل هو نبت ذو شوك لاطئ بالارض تسميه قريش الشبرق
فاذا هاج سموه الضريع وهو اخبث طعام وابشعه وفي رواية عن ابن عباس فاذا يبس لا تقربه
دابة وقيل الضريع في الدنيا هو الشوك اليابس الذي ليس له ورق وهو في الاخرة شوك من نار
وجاء في الحديث عن ابن عباس يرفعه الضريع شيء في النار يشبه الشوك امر من الصبر وانتن من الجيفة
واشد حرا من النار قال ابو الدرداء ان الله تعالى يرسل على اهل النار الجوع حتى يعدل عندهم ما هم
فيه من العذاب فيستغيثون فيغاثون بالضريع ثم يستغيثون فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون
انهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالماء فيستغيثون فيعطشهم الف سنة ثم يسقون من عين آنية
شربة لا هنيئة ولا مريئة فاذا ادنوه من وجوههم سلخ جلدة وجوههم وشواها فاذا وصل الى بطونهم
قطعها فذلك قوله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم قال المفسرون لما نزلت هذه الاية قال
المشركون ان ابلنا لتسمن على الضريع وكذبوا في ذلك فان الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لا تاكله
فانزل الله تعالى لا يسمن ولا يغني من جوع يعني ان هذا الطعام لا تتغذى البهائم على اكله فكيف
يتغذى الانسان على اكله فهو اذا لا يسمن ولا يغني من جوع فان قلت قد ذكر الله تعالى في هذه
الاية لا طعام لهم الا من ضريع وذكر في موضع اخر ولا طعام الا من غسلين فكيف الجمع بينهما
قلت ان النار دركات فعلى مقدار الذنوب تقع العقوبات فمنهم من طعامه الزقوم لا غيره ومنهم
من طعامه الضريع ومنهم طعامه غسلين ثم وصف اهل الجنة فقال تعالى وجوه يومئذ ناعمة
اي متنعمة ذات بهجة وحسن في نعمة وكرامة لسعيها راضية اي لسعيها في الدنيا راضية في الاخرة
حين اعطيت الجنة بعملها في جنة عالية قيل هو من العلو الذي هو الشرف وقيل من العلو في المكان
وذلك لان الجنة درجات بعضها اعلى من بعض كل درجة كما بين السماء والارض لا تسمع فيها لاغية
اي ليس فيها لغو ولا باطل فيها عين جارية على وجه الارض في غير اخدود وقيل تجري حيث ارادوا
من منازلهم وقصورهم فيها سرر مرفوعة قال ابن عباس الواحها من ذهب مكللة بالزبرجد
والياقوت مرتفعة ما لم يجئ اهلها فاذا اراد اهلها الجلوس عليها تواضعت لهم حتى يجلس عليها
ثم ترتفع الى موضعها واكواب يعني الكيزان التي لا عرى لها موضوعة يعني بين ايديهم
وقيل موضوعة على حافات العين الجارية كلما ارادوا الشرب منها وجدوها مملوءة ونمارق مصفوفة
يعني وسائد ومرافق مصفوفة بعضها جنب بعض اينما ارادوا ان يجلسوا جلس على واحدة
واستند الى الاخرى وزرابي يعني البسط العريضة قال ابن عباس هي الطنافس التي لها خمل واحدتها
زربية مبثوثة اي مبسوطة وقيل متفرقة في المجالس قوله عز وجل افلا ينظرون الى الابل
كيف خلقت قال ابن عباس قال اهل التفسير لما نعت الله عز وجل ما في هذه السورة مما في
عجب من ذلك اهل الكفر وكذبوه فذكرهم الله صنعه فقال تعالى افلا ينظرون الى الابل
كيف خلقت وانما بدا بالابل لانها من انفس اموال العرب لهم فيها منافع كثيرة والمعنى ان الذي

صنع

صنع لهم هذا في الدنيا هو الذي صنع لاهل الجنة ما صنع وتكلمت علماء التفسير في وجه تخصيص
الابل بالذكر من بين سائر الحيوانات فقال مقاتل لان العرب لم يروا بهيمة قط اعظم منها ولم
يشاهدوا الفيل الا الشاذ منهم وقال الكلبي لانها تنهض بحملها وهي باركة وقال قتادة
لما ذكر الله تعالى ارتفاع سرر الجنة وفرشها قالوا كيف نصعدها فانزل الله تعالى هذه الاية
وسئل الحسن عن هذه الاية وقيل له الفيل اعظم في الاعجوبة فقال اما الفيل فان العرب بعيدة
العهد به ثم هو لا خير فيه لانه لا يركب ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب دره والابل اعز مال العرب
وانفسه تاكل النوى وغيره وتخرج اللبن ومن منافع الابل انها مع عظمها تلين للحمل الثقيل وتنقاد
للقائد الضعيف حتى ان الصبي الصغير ياخذ بزمامها فيذهب بها حيث شاء ومنها انها فضلت
على سائر الحيوانات وذلك لان جميع الحيوانات انما تقتنى اما للزينة او للركوب او للحمل او للبن
وللحمه ولا يوجد جميع هذه الخصال الا في الابل فانها زينة وتركب فتقطع عليها المفاوز
البعيدة وتحمل الثقيل وتحلب الكثير ويؤكل لحمها الجم الغفير وتصبر على العطش عدة ايام ومنها
انه يحمل عليها وهي باركة ثم تنهض بحملها بخلاف سائر الحيوانات ومنها انها ترعى كل نبات في
البراري مما لا يرعاه غيرها من الحيوانات وهي سفن البر يحمل عليها الثقيل ويقطع عليها المفاوز
البعيدة وكان شريح يقول اخرجوا بنا الى الكناسة حتى ننظر الى الابل كيف خلقت فان قلت كيف حسن
ذكر الابل مع السماء والارض والجبال ولا مناسبة بينهما ولم بدا بذكر الابل قبل السماء والارض والجبال
قلت لما كان المراد ذكر الدلائل الدالة على توحيده وقدرته وانه هو الخالق لهذه الاشياء جميعها
وكانت الابل من اعظم شيء عند العرب ينظرون اليها ليلا ونهارا ويصاحبونها ظعنا واسفارا ذكرهم
عظم نعمته عليهم فيها فلهذا بدا بها ولانها من اعجب الحيوانات عندهم والى السماء كيف رفعت يعني فوق
الارض بغير عمد ولا ينالها شيء والى الجبال كيف نصبت على الارض نصبا ثابتا راسخا لا تزول والى
الارض كيف سطحت اي بسطت ومدت بحيث يستقر على ظهرها كل شيء قال ابن عباس المعنى هل يقدر
احد ان يخلق مثل الابل او يرفع مثل السماء او ينصب مثل الجبال او يسطح مثل الارض غير الله القادر
على كل شيء ولما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد ولم يعتبروا ولم يتفكروا فيها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم
فقال تعالى فذكر انما انت مذكر اي فعظ انما انت واعظ لست عليهم بمسيطر اي بمسلط فتقتلهم
وتكرههم على الايمان وهذه منسوخة نسختها اية القتال الا من تولى وكفر استثناء منقطع عما قبله
معناه لكن من تولى وكفر بعد التذكير فيعذبه الله العذاب الاكبر وهو ان يدخله النار وانما
قال الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بانواع من العذاب مثل الجوع والقحط والقتل والاسر فكانت
النار اكبر هذا كله ان الينا ايابهم اي رجوعهم بعد الموت ثم ان علينا حسابهم يعني جزاءهم بعد الرجوع
على الله والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه العزيز

مكية وهي تسع وعشرون اية وقيل ثلاثون اية ومائة وثلاثون كلمة وخمسمائة وسبعة
وتسعون بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والفجر اقسم
الله بالفجر وما بعده لشرفها وما فيها من الفوائد الدينية وهي انها دلائل باهرة وبراهين
قاطعة على التوحيد وفيها من الفوائد الدنيوية انها تبعث على الشكر واختلفوا في معنى
هذه الالفاظ فروي عن ابن عباس انه قال الفجر هو انفجار الصبح في كل يوم اقسم الله به
لما يحصل فيه من انقضاء الليل وظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات في طلب
الارزاق وذلك يشبه نشر الموتى من قبورهم للبعث وعن ابن عباس ايضا انه صلاة الفجر

والمعنى انه اقسم بصلاة الفجر لانها تفتتح النهار ولانها مشهودة يشهدها ملائكة الليل وملائكة النهار وقيل انه فجر معين واختلفوا فيه فقيل هو اول فجر يوم المحرم لان فيه تتفجر السنة وقيل هو فجر ذي الحجة لانه قرن به الليالي العشر وقيل هو فجر يوم النحر لان فيه اكثر مناسك الحج وفيه القربات **وليال عشر** قيل انما ذكرها لما فيها من الفضل والشرف الذي لا يحصل في غيرها روي عن ابن عباس انها العشر الاول من ذي الحجة لانها ايام الاشتغال باعمال الحج واخرج الترمذي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من ايام العمل فيهن احب الى الله من هذه الايام العشر وذكر الحديث قال العشر الاواخر من رمضان لان فيها ليلة القدر ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل العشر الاخير من رمضان شد المئزر وايقظ اهله يعني للعبادة وقيل العشر الاول من المحرم وهو تنبيه على شرفه ولان فيه يوم عاشورا ﻫ **والشفع والوتر** قيل الشفع هو الخلق والوتر هو الله تعالى يروى ذلك عن ابن مسعود وابي سعيد الخدري وقيل الخلق كله كالايمان والكفر والهدى والضلال والسعادة والشقاوة والليل والنهار والسما والارض والشمس والقمر والبر والبحر والنور والظلمة والجن والانس والوتر هو الله تعالى وقيل الخلق كله فيه شفع وفيه وتر وقيل هما الصلاة فيها شفع وفيها وتر عن عمران بن حصين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الشفع والوتر فقال هي الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن ابن عباس قال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب وعن عبد الله بن الزبير قال الشفع العشر الاول والوتر العشر الاخير وروي ان رجلا سئل عن الشفع والوتر والليالي العشر فقال اما الشفع والوتر فقول الله عز وجل فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه فهما الشفع والوتر واما الليالي العشر فالثمان وعرفة والنحر وقيل الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيامة وقيل الشفع درجات الجنة لانها ثمان والوتر دركات النار لانها سبع فكانه اقسم بالجنة والنار وقيل الشفع اوصاف المخلوقين المتضادة مثل العز والذل والقدرة والعجز والقوة والضعف والغنى والفقر والعلم والجهل والبصر والعمى والموت والحياة والوتر صفات الله التي تفرد بها عز بلا ذلة وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وغنى بلا فقر وعلم بلا جهل وحياة بلا موت **والليل اذا يسر** اذا سار وذهب وقيل اذا جا واقبل واراد به كل ليلة وقيل هي ليلة المزدلفة وهي ليلة النحر التي يسار فيها من عرفات الى مزدلفة فعلى هذا يكون المعنى والليل اذا يسار فيه **هل في ذلك** اي فيما ذكرت **قسم** اي مقنع ومكتفى في القسم فهو استفهام بمعنى التاكيد **لذي حجر** اي لذي عقل سمي بذلك لانه يحجر صاحبه عما لا يحل له ولا يجمل لانه يعقل صاحبه عن القبائح وسمي نهى لانه ينهى عما لا يجمل ولا ينبغي واصل الحجر المنع ولا يقال لذي حجر الا من هو قاهر لنفسه ضابط لها عما لا يليق كانه حجر على نفسه ومنعها ما تريد والمعنى ان من كان ذا لب وعقل علم ان ما اقسم الله عز وجل به من هذه الاشيا فيه عجائب ودلائل تدل على توحيده وربوبيته فهو حقيق بان يقسم به لدلالته على خالقه قيل جواب القسم قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد واعترض بين القسم وجوابه قوله تعالى **الم تر كيف فعل ربك بعاد** وقيل جواب القسم محذوف تقديره ورب هذه الاشيا ليعذبن الكافر يدل عليه قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك الم تعلم وانما اطلق لفظ الرؤية على العلم لان اخبار عاد وثمود وفرعون كانت معلومة عندهم وقوله الم تر خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام لكل احد كيف فعل ربك بعاد **ارم ذات العماد** يعني ان المقصود من ذلك تخويف اهل مكة وكيف اهلكهم وهم كانوا اطول اعمارا واشد قوة من هولا فاما عاد فهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح ومنهم من يجعل عاد اسما

للقبيلة لقوله تعالى وانه اهلك عادا الاولى وارم هو جد عاد على ما ذكر في نسبه عاد وقيل ان المتقدمين على قوم عاد كانوا يسمون ارم باسم جدهم وقيل ارم هم قبيلة من عاد وكان فيهم الملك وكانوا بمهرة موضع باليمن وكان عاد اباهم تنسبوا اليه وهو ارم بن عاد بن شيم بن سام بن نوح وقال الكلبي ارم هو الذي يجتمع اليه نسب عاد وثمود واهل السواد واهل الجزيرة وكان يقال لعاد ارم وثمود ارم فاهلك الله عادا وثمود وابقى اهل السواد واهل الجزيرة وقال سعيد بن المسيب ارم ذات العماد دمشق وقيل الاسكندرية وفيه ضعف لان منازل عاد كانت من عمان الى حضرموت وهي بلاد الرمال والاحقاف وقيل ان عادا كانوا اهل عمد وخيام وماشية سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى منازلهم وكانوا اهل جنان وزرع ومنازلهم بوادي القرى قال الله تعالى **التي لم يخلق مثلها في البلاد** سموا ذات العماد لانهم كانوا اهل عمد سيارة وهو قول ابن عباس وقتادة ومجاهد والكلبي ورواية عن ابن عباس وقيل سموا ذات العماد لطول قامتهم يعني طولهم مثل العماد الشبه قال مقاتل كان طول احدهم اثني عشر ذراعا وقوله التي لم يخلق مثلها في البلاد يعني لم يخلق مثل تلك القبيلة في الطول والقوة وهم الذين قالوا من اشد منا قوة وقيل سموا ذات العماد لبنا بناه بعضهم فشيد عمده ورفع بناه قيل كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا بعده الدنيا وقهرا البلاد فمات شديد وخلص الملك لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراة الكتب القديمة فسمع بذكر الجنة وصفتها فدعته نفسه الى بنا مثلها عتوا على الله وتجبرا فروى وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له شردت فبينما هو يسير في صحاري عدن اذ وقع على مدينة في تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن قصور كثيرة فلما دنا منها وظن ان فيها احدا يساله عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب المدينة فاذا هو ببابين عظيمين وهما مرصعان بالياقوت الاحمر فلما راى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا فيها قصور في كل قصر منها غرف وفوق الغرف غرف مبنية بالذهب والفضة واحجار اللؤلؤ والياقوت واذا ابواب تلك القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهي مفروشة كلها باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير احدا هاله ذلك ثم نظر الى الازقة فاذا في تلك الازقة اشجار مثمرة وتحت كل شجرة من تلك الاشجار انهار مطردة يجري ماوها في قنوات من فضة فقال الرجل في نفسه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤها وبنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن واظهر ما كان معه وحدث بما راى فبلغ ذلك معاوية فارسل اليه فقدم عليه فساله عن ذلك فقص عليه ما راى فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما اتاه قال له يا ابا اسحاق هل في الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هي ارم ذات العماد بناها شداد بن عاد قال فحدثني حديثها فقال لما اراد شداد بن عاد عملها امر عليها مائة قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض ان يمدوهم بما في بلادهم من الجواهر فخرج القهارمة يسيرون في الارض ليجدوا ارضا موافقة فوقفوا على صحراء نقية من التلال واذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا هذه الارض التي امر الملك ان نبني فيها فوضعوا اساسها من الجزع اليماني واقاموا في بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما اتوه وقد فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصارا يعني سورا واجعلوا حوله الف قصر وعند كل قصر الف علم ليكون في كل قصر الف وزير من وزرائه ففعلوا وامر الملك وزراءه وهم الف وزير ان يتهيئوا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك واهله في جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كانوا منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليه وعلى كل من كان معه صيحة من السما فاهلكتهم جميعا ولم يبق منهم احد ثم قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك احمر اشقر

فصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال فخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر عبد الله بن قلابة فقال
هذا والله ذلك الرجل قوله عز وجل وثمود اي وفعل بثمود مثل ما فعل بعاد الذين جابوا اي قطعوا
الصخر بالواد يعني بواد القرى وكانت ثمود اول من قطع الصخر ونحته واتخذوا مساكن في الجبال بيوتا
وفرعون ذي الاوتاد وسمي بذلك لكثرة جنوده وكثرة مضاربهم وخيامهم التي كانوا يضربونها اذا
نزلوا وقيل معناه ذي الملك كما قيل في ظل ملك راسخ الاوتاد وقيل سمي بذلك لانه كان يعذب
الناس بالاوتاد وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس ان فرعون انما سمي ذي الاوتاد لانه كانت
امراة وهي امراة خازنه خزقيل وكان مؤمنا كتم ايمانه مائة سنة وكانت امراته ماشطة بنت
فرعون فبينما هي ذات يوم تمشط راس بنت فرعون اذ سقط المشط من يدها فقالت تعس من كفر
بالله فقالت بنت فرعون وهل لك اله غير ابي فقالت الهي واله ابيك واله السموات والارض واحد لا
شريك له فقامت فدخلت على ابيها وهي تبكي فقال ما يبكيك قالت الماشطة امراة خازنك تزعم
ان الهك والهها واله السموات والارض واحد لا شريك له فارسل اليها فسالها عن ذلك فقالت صدقت
فقال لها ويحك اكفري بالهك واقري ان الهك قالت لا افعل فمدها بين اربعة اوتاد ثم ارسل
عليها الحيات والعقارب وقال لها اكفري بالله والا عذبتك بهذا العذاب شهرين فقالت لو عذبتني
سبعين شهرا ما كفرت بالله وكان لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فيها ثم قال اكفري بالله
والا ذبحت الصغرى على فيك وكانت رضيعا فقالت لو ذبحت من في الارض على فيّ ما كفرت بالله عز
وجل فاتي بابنتها فلما اضجعت على صدرها واراد ذبحها جزعت المراة فاطلق الله لسان ابنتها
فتكلمت وهي من الاربعة الذين تكلموا اصغارا اطفالا وقالت يا اماه لا تجزعي فان الله قد بنى لك
بيتا في الجنة فاصبري فانك تفضين الى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت فلم تلبث الام الا ان ماتت
فاسكنها الله الجنة قال وبعث في طلب زوجها خزقيل فلم يقدروا عليه فقيل لفرعون انه قد رؤي
في موضع كذا في جبل كذا فبعث رجلين في طلبه فانتهيا اليه وهو يصلي وثلاث صفوف من الوحش
خلفه يصلون فلما راوا ذلك انصرفوا فقال خزقيل اللهم انك تعلم اني كتمت ايماني مائة سنة ولم
يظهر علي احد فايما هذين الرجلين كتم علي فاهده الى دينك واعطه من الدنيا سؤله وايما هذين الرجلين
اظهر علي فعجل عقوبته في الدنيا واجعل مصيره الى النار فانصرف الرجلان الى فرعون فاما احدهما
فاعتبر وامن واما الاخر فاخبر فرعون بالقصة على رؤوس الملا فقال له فرعون وهل معك غيرك
قال نعم فلان فدعي فلان فقال احق ما يقول هذا قال ما رايت مما يقول شيئا فاعطاه فرعون
فاجزل واما الاخر فقتله ثم صلبه قال وقد كان فرعون تزوج امراة من اجمل نساء بني اسرائيل
يقال لها اسية بنت مزاحم فرات ما صنع فرعون بالماشطة فقالت وكيف يسعني ان اصبر
على ما ياتي فرعون وانا مسلمة وفرعون كافر فبينما هي كذلك تؤامر نفسها اذ دخل عليها فرعون
فجلس قريبا منها فقالت يا فرعون انت شر الخلق واخبثهم عمدت الى الماشطة فقتلتها فقال فلعل
بك الجنون الذي كان بها قالت ما بي من جنون وان الهي والهها والهك واله السموات والارض
واحد لا شريك له فمزق عليها وضربها وارسل الى ابويها فدعاهما وقال لهما ان الجنون الذي
كان بالماشطة اصابها فقالت اعوذ بالله من ذلك اني اشهد ان ربي وربك الله ورب السموات
والارض واحد لا شريك له فقال ابوها يا اسية الست من خير نساء العالمين وزوجك اله العالمين
قالت اعوذ بالله ان كان ما تقول حقا فقولا له ان يتوجني تاجا تكون الشمس امامه والقمر خلفه
والكواكب حوله فقال لهما فرعون اخرجا عني ثم شدها بين اربعة اوتاد يعذبها ففتح الله لها
بابا الى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني
من فرعون وعمله فقبض الله روحها واسكنها الجنة قوله عز وجل الذين طغوا في البلاد يعني عادا

وثمود

وثمود وفرعون عملوا المعاصي وتجبروا ثم فسر ذلك الطغيان بقوله فاكثروا فيها الفساد يعني
القتل والفساد ضد الصلاح فكما ان الصلاح يتناول جميع اقسام البر فكذلك الفساد يتناول جميع اقسام
الاثم فصب عليهم ربك سوط عذاب يعني لونا من العذاب صبه عليهم وقيل هو تشبيه بما يكون في الدنيا
من العذاب بالسوط وقيل هو اشارة الى ما خلط لهم من العذاب لان اصل السوط خلط الشيء بعضه ببعض
وقيل هذا على الاستعارة لان السوط غاية العذاب فجرى ذلك لكل نوع منه وقيل جعل سوطه الذي
ضربهم به العذاب وكان الحسن اذا قرا هذه الاية يقول ان عند الله تعالى اسواطا كثيرة فاخذهم
بسوط منها ان ربك لبالمرصاد وقال ابن عباس يعني حيث يرى ويسمع وقيل عليه طريق العباد
لا يفوته احد وقيل عليه ممر الناس لان الرصد والمرصاد الطريق وقيل يرجع الخلق الى حكمه وامره
والى مصيرهم وقيل ارصد النار على طريقهم حتى تهلكهم قوله تعالى فاما الانسان اذا ما ابتلاه
اي امتحنه ربه بالنعمة فاكرمه اي بالمال ونعمه اي بما وسع عليه فيقول ربي اكرمني اي بما اعطاني
من المال والنعمة واما اذا ما ابتلاه يعني بالفقر فقدر عليه اي ضيق عليه وقيل قتر عليه رزقه
اي وقد اعطاه ما يكفيه فيقول ربي اهانني اي اذلني بالفقر قيل نزلت في امية بن خلف الجمحي الكافر
وقيل ليس المراد به واحدا بعينه بل المراد جنس الكافر وهو الذي تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال
والحظ في المال الدنيا وقلته فرد الله على من ظن ان سعة الرزق اكرام وان الفقر اهانة فقال
كلا اي ليس الامر كذلك لم ابتله بالغنى لكرامته ولم ابتله بالفقر لاهانته فاخبر ان الاكرام
والاهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وقلته ولكن الغنى والفقر بتقدير الله جل
جلاله وحكمته فقد يوسع على الانسان من اصناف المال ابتلاء ايصبر ام يتضجر ويقلق
الكافر لا لكرامته ويضيق على المؤمن لا لهوانه لكن لامر اقتضته حكمة الله تعالى وانما يكرم
المرء بطاعته ويهينه بمعصيته وقد يوسع على الانسان من اصناف المال ليختبره ايشكر ام يكفر
ويضيق عليه ليختبره ايصبر ام يتضجر ويقلق بل لا تكرمون اليتيم اي لا يعطونه حقه الثابت له
من الميراث قال مقاتل كان قدامة بن مظعون يتيما في حجر امية بن خلف وكان يدفعه عن حقه
ولا تحاضون على طعام المسكين اي لا يطعمون مسكينا ولا يامرون باطعامه وقرئ لا تحاضون
ومعناه لا يحض بعضهم بعضا على ذلك وتاكلون التراث اي الميراث اكلا لما اي شديدا
والمعنى انه ياكل نصيبه ونصيب غيره وذلك انهم كانوا في الجاهلية لا يورثون النساء والصبيان
وياكلون نصيبهم وقيل الاكل اللم الذي ياكل كل شيء يجده لا يسال احلالا ام حراما وياكل الذي له
ولغيره وتحبون المال حبا جما اي كثيرا والمعنى يحبون جمع المال ويولعون به ويحبونه وقيل
معناه لا يفعلون ما امروا به من اكرام اليتيم وغيره من المسلمين ثم اخبر عن تلهفهم على ما سلف
منهم وذلك حين لا ينفعهم الندم فقال تعالى كلا اي ما ينبغي ان يكون الامر هكذا من الحرص على
جمع المال اذا دكت الارض دكا دكا دقت وكسرت مرة بعد مرة وكسر كل شيء عليها من جبل وبناء
وغيره حتى لم يبق على ظهرها شيء وجاء ربك اعلم ان هذه الاية من ايات الصفات التي سكت
وعن مثلها عامة السلف وبعض الخلف فلم يتكلموا فيها وامروها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه
ولا تاويل وقالوا يلزمنا الايمان بها واجراؤها على ظاهرها وتاولها بعض المتاخرين وغالب
المتكلمين وقالوا قد ثبت بالدليل العقلي ان الحركة على الله محال فلا بد من تاويل الاية فقيل في
تاويلها وجاء ربك بالمحاسبة والمجازاة وقيل جاء امر ربك وقضاؤه وقيل وجاء دلائل ايات
ربك فجعل مجيئها مجيئا له تفخيما لتلك الايات والملك صفا صفا اي تنزل ملائكة كل سماء صفا
صفا على حدة فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس فيكونون سبع صفوف وجيء
يومئذ يعني يوم القيامة بجهنم قال ابن مسعود في الاية تقاد جهنم بسبعين الف زمام

كل زمام بيد سبعين الف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب على يسار العرش يومئذ يعني يوم
يجاء بجهنم يتذكر الانسان اي يتعظ الكافر ويتوب وانى له الذكرى يعني انه يظهر التوبة
ومن اين له التوبة يقول يا ليتني قدمت لحياتي اي قدمت الخير والعمل الصالح لحياتي في
الاخرة التي لا موت فيها فيومئذ لا يعذب عذابه احد اي لا يعذب احد في الدنيا كعذاب
الله الكافر يومئذ ولا يوثق وثاقه احد يعني لا يبلغ احد من الخلق كبلاغ الله في العذاب
والوثاق وهو الاسار في السلاسل والاغلال وقرئ ولا يعذب ولا يوثق بفتح الذال والثا
ومعناه ولا يعذب عذاب هذا الكافر احد ولا يوثق وثاقه احد وهو امية بن خلف وذلك
لشدة كفره وعتوه قوله عز وجل يا ايتها النفس المطمئنة اي الثابتة على الايمان والايقان
المصدقة بما قال الله الموقنة التي ايقنت بالله تعالى وبان الله ربها وخضعت لامره وطاعته
وقيل المطمئنة الموقنة وقيل هي الراضية بقضاء الله وقيل هي الامنة من عذاب الله وقيل
هي المطمئنة بذكر الله قيل نزلت في حمزة بن عبد المطلب حين استشهد باحد وقيل في حبيب
ابن عدي الانصاري وقيل في عثمان حين اشترى بير رومة وسبلها وقيل في ابي بكر
الصديق والاصح ان الاية عامة في نفس مومنة مطمئنة لان هذه السورة مكية
ارجعي الى ربك اي الى ما وعدك ربك من الخير والثواب قيل يقال لها ذلك عند
خروجها من الدنيا قال عبد الله ابن عمرو اذا توفي العبد المومن ارسل الله عز وجل
اليه ملكين بتحفة من الجنة فيقولان اخرجي ايتها النفس المطمئنة اخرجي الى روح وريحان
وربك راض عنك فتخرج كاطيب ريح مسك وجده احد في انفه والملك على ارجا
السما يقولون قد جا من الارض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب الا فتح لها
ولا بملك الا صلى عليها حتى يوتى بها الرحمن جل جلاله فتسجد له ثم يقال لميكاييل اذهب
بهذه النفس فاجعلها مع انفس المومنين ثم يومر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعا عرضه
وسبعون ذراعا طوله وينبذ له فيه الروح والريحان فان كان معه شي من القران كفاه نوره
وان لم يكن جعل له فيه نور مثل الشمس في قبره ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه الا
احب اهله واذا توفي الكافر ارسل الله اليه ملكين وارسل قطعة من بجاد اي من كسا انتن
من اي نتن واخشن من كل خشن فيقال ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى جهنم وعذاب اليم وربك
عليك غضبان وقيل في معنى قوله ارجعي الى ربك اي الى صاحبك وهو الجسد وانما يقال لها
عند البعث فيامر الله الارواح ان ترجع الى اجسادها وهو قول عكرمة وعطا والضحاك
ورواية عن ابن مسعود وقيل ارجعي الى ثواب ربك وكرامته راضية عن الله بما اعد لك مرضية
اي رضي الله عنها وقيل يقال لها في الدنيا ارجعي الى ربك راضية مرضية فاذا كان قيل لها
فادخلي في عبادي اي جملة عبادي الصالحين المصطفين وادخلي جنتي قال سعيد بن جبير مات ابن
عباس بالطايف فشهدت جنازته فجا طاير لم ير على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا
منه فلما دفن تليت هذه الاية على شفير القبر لا يدرى من تلاها يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي
الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي قال بعض العلما اهل الاشارة في
تفسير هذه الاية يا ايتها النفس المطمئنة الى الدنيا ارجعي الى ربك بتركها والرجوع اليه هو سلوك
سبيل الاخرة والله اعلم بمراده واسرار كتابه العزيز

تفسير سورة البلد

مكية وهي عشرون اية واثنان وثمانون كلمة وثلثماية وثمانون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله

قوله عز وجل لا اقسم بهذا البلد تقدم الكلام على قوله لا اقسم في اول سورة القيامة والبلد هو
مكة في قول جميع المفسرين وانت حل بهذا البلد اي مقيم بها وقيل حل به نازل فيه فكانه عظم حرمة
مكة من اجل انه صلى الله عليه وسلم مقيم بها وقيل حل اي حلال والمعنى احلت لك تصنع فيها ما تريد
من القتل والاسر ليس عليك ما على الناس من الاثم في استحلالها احل الله عز وجل مكة يوم الفتح
حتى قاتل وقتل وامر بقتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما فاحل
دما قوم وحرم دما قوم اخرين فقال من دخل دار ابي سفيان فهو امن ومن اغلق بابه فهو امن
ومن دخل المسجد فهو امن ثم قال بعد ذلك ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض لم تحل
لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار فهي حرام بحرمة الله الى يوم القيامة
والمعنى ان الله تعالى لما اقسم بمكة دل ذلك على عظمها وشرفها وحرمتها ومع ذلك فوعد الله نبيه
صلى الله عليه وسلم انه يحلها له حتى يقاتل فيها وان يفتحها على يده فهذا وعد من الله تعالى في الماضي
وهو مقيم بمكة ان يفتحها عليه في المستقبل بعد الهجرة وخروجه منها فكان كما وعده وقيل في معناه
قوله وانت حل بهذا البلد قال يحرمون ان يقتلوا به صيدا ويستحلون قتلك فيه واخراجك منه
ووالد وما ولد يعني ادم وذريته اقسم الله تعالى بمكة لشرفها وحرمتها وبادم وبالانبيا والصالحين
من ذريته لان الكافر وان كان من ذريته فلا حرمة له حتى يقسم به وجواب القسم قوله تعالى لقد
خلقنا الانسان في كبد قال ابن عباس في نصب وقيل يكابد مصايب الدنيا وشدايد الاخرة وعنه
ايضا قال في شدة خلقه وحمله وولادته ورضاعه وفطامه وفصاله ومعاشه وحياته وموته
واصل الكبد الشدة وقيل لم يخلق الله خلقا يكابد ما يكابد ابن ادم وهو مع ذلك اضعف
الخلق وعن ابن عباس قال الكبد الاستوا والاستقامة فعلى هذا يكون المعنى خلقنا الانسان
منتصبا معتدل القامة وكل شي من الحيوان يمشي منكبا وقيل منتصبا راسه في بطن امه فاذا اذن
الله في خروجه انقلب راسه الى اسفل وقيل في كبد اي في قوة نزلت في ابي الاشد اسيد بن كلدة بن
جمح وكان شديدا قويا يضع الاديم العكاظي تحت قدميه ويقول من ازالني عنه فله كذا فلا يطاق ان
ينزع من تحت قدميه الا قطعا ويبقى من ذلك الاديم بقدر موضع قدميه ايحسب يعني ابا الاشد
من قوته ان لن يقدر عليه احد يعني يظن لشدته في نفسه ان لن يقدر عليه الله وقيل
هو الوليد بن المغيرة المخزومي يقول يعني هذا الكافر اهلكت اي انفقت مالا لبدا اي
كثيرا من التلبيد الذي يكون بعضه فوق بعض يعني في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم ايحسب ان
لم يره احد يعني ايظن ان الله لم يره ولا يسأله عن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه وقيل كان
كاذبا في قوله انه انفق ولم ينفق جميع ما قال والمعنى ايظن ان الله لم ير ذلك منه فيعلم مقدار
نفقته ثم ذكره نعمه عليه ليعتبر فقال تعالى الم نجعل له عينين ولسانا وشفتين يعني نعم
الله على عبده مقدورة بها كيما يشكروه وجا في الحديث ان الله تعالى يقول ابن ادم ان نازعك
لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق عليه وهديناه النجدين قال ابن
عباس الطريقين قال اكثر المفسرين طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى والضلالة وقال
ابن عباس الثديين فلا اقتحم العقبة اي فهلا انفق ماله فيما يجوز به العقبة من فك الرقاب
واطعام السغبان فيكون ذلك خيرا له من عداوة من ارسله الله وهو محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل معناه لم يقتحمها ويجاوزها والاقتحام الدخول في الامر الشديد وذكر العقبة مثل ضربه
الله تعالى لمجاهدة النفس والهوى والشيطان في اعمال البر فجعله كالذي يتكلف صعود العقبة
يقول الله عز وجل لم يحمل على نفسه المشقة بعتق الرقبة والاطعام وقيل انه شبه ثقل الذنوب
على مرتكبها بعقبة فاذا اعتق رقبة واطعم المساكين كان كمن اقتحم العقبة وجاوزها وروي

عن ابن عمر ان هذه العقبة جبل في جهنم وقيل هي عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها
بطاعة الله ومجاهدة النفس وقيل هي الصراط يضرب على متن جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة
الاف سنة سهلا وصعودا وهبوطا وان بجنبيه كلاليب وخطاطيف كانها شوك السعدان فناج
مسلم وناج مخدوش ومكردس في النار منكوس فمن الناس من يمر كالبرق الخاطف ومنهم من يمر
كالريح العاصف ومنهم من يمر كالفارس ومنهم من يمر كالرجل يعدو ومنهم من يمر كالرجل يسير
ومنهم من يزحف زحفا ومنهم الزالون ومنهم من يكردس في النار وقيل معنى الاية هل لا سلك
طريق النجاة ثم بين ما هي فقال تعالى وما ادراك ما العقبة اي وما ادراك ما اقتحام
العقبة فك رقبة يعني عتق الرقبة وهو ايجاب الحرية لها وابطال الرق من العبودية عنها وذلك
بان يعتق الرجل الرقبة التي في ملكه او يعطي مكاتبا ما يصرفه في فكاك رقبته ومن اعتق
رقبة كانت فداوه من النار ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتق
رقبة مسلمة اعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار حتى فرجه بفرجه وروى البغوي بسنده
عن البراء بن عازب قال جاء اعرابي الى رسول الله فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة قال
لئن كنت اقصرت الخطبة لقد اعرضت المسالة اعتق النسمة وفك الرقبة قالا وليسا واحد
قال لا عتق الرقبة ان تنفرد بعتقها وفك الرقبة ان تعين في ثمنها والمنحة الركوب والفيء على
ذي الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فاطعم الجائع واسق الظمآن وامر بالمعروف وانه عن المنكر
فان لم تطق ذلك فكف لسانك الا من خير وقيل في معنى الاية فك رقبته من رق الذنوب
بالتوبة وبما يتكلفه من العبادات والطاعات التي تصير بها الى رضوان الله والجنة
فهي الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار او اطعام في يوم ذي مسغبة اي يوم ذي مجاعة
والسغب الجوع يتيما ذا مقربة اي ذا قرابة يريد يطعم يتيما بينك وبينه قرابة او مسكينا
ذا متربة يعني قد لصق بالتراب من فقره وضره وقال ابن عباس هو المطروح في التراب
لا يقيه شيء والمتربة الفقر ثم بين ان هذه القرب لا تنفع الا مع الايمان بقوله ثم كان من
الذين امنوا والمعنى انه كان مؤمنا نفعته هذه القرب ولا يقتحم العقبة وتواصوا
بالصبر يعني وصى بعضهم بعضا على الصبر على اداء الفرائض وجميع اوامر الله ونواهيه
وتواصوا بالمرحمة اي برحمة الناس وفيه الاشارة الى تعظيم امر الله والشفقة على خلق الله
يعني اولئك هذه الخصال اصحاب الميمنة والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشأمة عليهم
نار موصدة يعني مطبقة عليهم ابوابها لا يدخل فيها روح ولا يخرج منها غم والله اعلم بمراده

مكية وهي خمس عشرة اية واربع وخمسون كلمة ومائتان وسبع واربعون حرفا قوله
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والشمس وضحاها
اي وضوءها والضحى حين ترتفع الشمس ويصفو ضوءها وقيل الضحى هو نور الشمس وهو
في النهار كله وقيل الضحى هو حر الشمس لان حرها ونورها متلازمان فاذا اشتد نورها
قوي حرها وهذا اضعف الاقوال والقمر اذا تلاها اي تبعها وذلك في النصف الاول
من الشهر اذا غربت الشمس تلاها القمر في الاضاءة وخلفها في النور وقيل تلاها في
الاستدارة وذلك حين يكمل ضوءه ويستدير وذلك في الليالي البيض وقيل تلاها تبعها
في الطلوع وذلك في نصف اول ليلة من الشهر اذا غربت ظهر الهلال فكانه تبعها والنهار
اذا جلاها يعني جلا الظلمة بضيائه وكشفها بنوره وهو كناية عن غير مذكور لكونه معروف

والليل اذا يغشاها اي يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الافاق وقيل هذه الاقسام الاربعة ترجع
الى الشمس في الحقيقة لان بوجودها يكون النهار ويشتد الضحى وبغروبها يكون الليل ويتبعها القمر
والسماء وما بناها اي ومن بناها وقيل والذي بناها فعلى هذا كانه اقسم به وباعظم مخلوقاته
ومعنى بناها خلقها وقيل ما بمعنى المصدر اي والسماء وبنائها والارض وما طحاها اي بسطها
وسطحها على الماء ونفس وما سواها اي عدل خلقها وسوى اعضاءها هذا ان اريد بالنفس الجسد
وان اريد بها المعنى القائم بالجسد فيكون معنى سواها اعطاها القوى الكثيرة كالقوة الناطقة
والسامعة والباصرة والمفكرة والمخيلة وغير ذلك من العلم والفهم وقيل انما نكرها لانه اريد
بها النفس الشريفة المكلفة التي تفهم عنه خطابه وهي نفس جميع من خلق من الانس والجن فالهمها
فجورها وتقواها قال ابن عباس بين لها الخير والشر وعنه علمها الطاعة والمعصية وعنه عرفها
ما تاتي وما تتقي وقيل الزمها فجورها وتقواها وقيل وجعل فيها ذلك بتوفيقه اياها للتقوى
وخذلانه اياها للفجور وذلك لان الله تعالى خلق في المؤمن التقوى وفي الكافر الفجور م عن
ابي الاسود الديلي قال قال لي عمران بن الحصين ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشيء
قضي عليهم ومضى عليهم وبقي عليهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم صلى
الله عليه وسلم وثبتت الحجة عليهم فقلت بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم فقال افلا يكون ظلما قال
ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسئل عما يفعل وهم يسئلون
فقال لي يرحمك الله اني لم ارد بما سالتك الا لاحزر عقلك ان رجلين من مزينة اتيا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ارايت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه اشيء قضي
عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلون به مما اتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم
وثبتت عليهم الحجة فقال لا بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك في كتاب الله عز
وجل ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها م عن جابر قال جاء سراقة بن مالك بن جعشم
فقال يا رسول الله بين لنا ديننا كانا خلقنا الان ففيم العمل اليوم قال فيما جفت به الاقلام
وجرت به المقادير ام فيما يستقبل قال لا بل فيما جفت الاقلام وجرت به المقادير قال ففيم العمل
فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له وهذه اقسام اقسم بالشمس وضحاها وما بعدها لشرفها ومنافعها
العالم بها وقيل فيه اضمار وتقديره ورب الشمس وما بعدها فيورد على القول لانه قد دخل
في جملة هذا القسم قوله والسماء وما بناها وذلك هو الله تعالى فيكون التقدير ورب السماء
ورب من بناها وهذا خطا لا يجوز واجيب عنه بان ما ان فسرت بالمصدرية فلا اشكال
فيه وان فسرت بمعنى من فيكون التقدير ورب السماء الذي بناها وجواب القسم قوله تعالى
قد افلح من زكاها اي فازت نفس وسعدت زكاها الله اي اصلحها الله وطهرها من الذنوب
ووفقها للطاعة وقد خاب من دساها اي خابت وخسرت نفس اضلها الله تعالى وافسدها
واصله من دس الشيء اذا اخفاه فكانه سبحانه وتعالى اقسم باشرف مخلوقاته على فلاح من طهره
وزكاه وخسارة من خذله واضله حتى لا يظن احد انه يتولى تطهير نفسه او هلاكها بالمعصية
من غير قدر سبق وتقدير وقضاء سبق م عن زيد بن ارقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اللهم اني اعوذ بك من العجز والكسل والبخل والهرم وعذاب القبر اللهم ات نفسي تقواها
وزكها انت خير من زكاها انت وليها ومولاها اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع
ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها قوله عز وجل كذبت ثمود وهم قوم صالح عليه السلام
بطغواها اي بطغيانها وعدوانها والمعنى ان الطغيان حملهم على التكذيب حتى كذبوا اذ انبعث
اشقاها اي قام واسرع وذلك انهم لما كذبوا بالعذاب وكذبوا صالحا انبعث اشقى القوم

وهو قدار بن سالف وكان رجلا اشقر ازرق قصيرا قام بعقر الناقة (ق) عن عبد الله بن زمعة انه سمع النبي
صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انبعث اشقاها
انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في اهله مثل ابي زمعة لفظ البخاري قوله عارم اي شديد منيع قوله تعالى
فقال لهم رسول الله يعني صالح عليه السلام ناقة الله اي ذروا ناقة الله وانما قال لهم ذلك لانه
ذلك لما عرف منهم انهم قد عزموا على عقرها وانما اضافها الى الله تعالى تشريفها كبيت الله وسقياها وشربها
وذروا شربها ولا تتعرضوا للماء يوم شربها فكذبوه يعني صالحا فعقروها يعني الناقة فدمدم
عليهم ربهم اي فدمر عليهم ربهم فاهلكهم والدمدمة هلاك استئصال وقيل دمدم اي اطبق عليهم
العذاب طبقا حتى لم ينفلت منهم احد بذنبهم اي فعلنا ذلك بهم بسبب ذنبهم وهو تكذيبهم صالحا
عليه السلام وعقرهم الناقة فسواها اي فسوى الدمدمة عليهم جميعا وعمهم بها وقيل معناه فسوى
بين الامة وانزل بصغيرهم وكبيرهم وغنيهم وفقيرهم العذاب ولا يخاف عقباها اي لا يخاف الله تعالى
تبعة من احد في اهلاكهم قال ابن عباس هو راجع الى العاقر والمعنى لا يخاف العاقر عقبى ما اقدم
من عقر الناقة وقيل هو راجع الى صالح عليه السلام والمعنى لا يخاف صالح عاقبة ما نزل بهم من
العذاب ان يؤذيه احد بسبب ذلك والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه العزيز

[illegible]

مكية وهي احدى وعشرون آية واحدى وسبعون كلمة وثلاثمائة وعشرون حرفا بسم
الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والليل اذا يغشى اي يغشى النهار بظلمته فيذهب بضوئه
اقسم الله تعالى بالليل لانه سكن لكافة الخلق يأوي فيه كل حيوان الى مأواه ويسكن
عن الاضطراب والحركة ثم اقسم بالنهار بقوله والنهار اذا تجلى اي بان وظهر بعد الظلمة
لان فيه حركة الخلق في طلب الرزق وما خلق الذكر والانثى اي ومن خلق فعلى هذا يكون
القسم بنفسه تعالى والمعنى والقادر العظيم الذي قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد
اذا اريد به جنس الذكر والانثى وقيل هما حواء وآدم وانما اقسم بهما لانه تعالى ابتدع
خلق آدم من طين وخلق منه حواء من غير ام وجواب القسم قوله تعالى ان سعيكم لشتى اي
ان اعمالكم مختلفة فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها روى ابو مالك الاشعري عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها او موبقها قوله موبقها
اي مهلكها قوله تعالى فاما من اعطى اي انفق ماله في سبيل الله عز وجل واتقى اي ربه
وفيه الاشارة الى الاحتراز عن كل ما لا ينبغي وصدق بالحسنى قال ابن عباس صدق بقول لا اله
الا الله وعنه صدق بالخلف اي ايقن بان الله سيخلف عليه ما انفقه في طاعته وقيل
صدق بالجنة وقيل صدق بوعد الله عز وجل الذي وعده انه يثيبه فسنيسره اي فسنهيئه
في الدنيا لليسرى اي للخلة والعلة اليسرى وهو العمل بما يرضاه الله قوله عز وجل واما من
بخل اي بالنفقة في الخير والطاعة واستغنى عن ثواب الله تعالى فلم يرغب فيه وكذب بالحسنى
اي بلا اله الا الله او كذب بما وعده الله من الجنة والثواب فسنيسره للعسرى اي فسنهيئه
للشر بان يجريه على يديه حتى لا يعمل بما لا يرضى الله تعالى فيستوجب بذلك النار وقيل العسر
عليه ان يأتي خيرا وفي الاية دليل لاهل السنة وصحة قولهم في القدر وان التوفيق والخذلان
والسعادة والشقاوة بيد الله تعالى ووجوب العمل مع ما سبق له في الازل (ق) عن علي بن ابي طالب
قال كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله
ومعه مخصرة فنكس وجعل ينكت بمخصرته ثم قال ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من

النار ومقعده من الجنة زاد مسلم الا وقد كتبت شقية او سعيدة فقالوا يا رسول الله افلا نتكل
على كتابنا وندع العمل فقال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فسييسر
لعمل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فسييسر لعمل اهل الشقاوة ثم قرأ فاما من اعطى
واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى
المخصرة بكسر الميم كالسوط والعصا ونحو ذلك مما يمسكه بيده والنكت بالتاء المثناة فوق ضرب
الارض بذلك او غير ذلك فيه الضرب وهذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق وذلك انه اشترى
بلالا من امية بن خلف ببردة وعشرة اواق فاعتقه فانزل الله تعالى والليل اذا يغشى الى قوله
ان سعيكم لشتى يعني سعي ابي بكر وامية بن خلف وقيل كان لرجل من الانصار نخلة فرعها في دار
رجل فقير وله عيال فكان صاحب النخلة اذا صعد نخلته ليأخذ منها الثمرة فربما سقطت الثمرة
فيأخذها صبيان ذلك الفقير فينزل ذلك الرجل عن نخلته حتى يأخذ الثمرة من ايديهم وان وجدها
في فم احدهم ادخل اصبعه في فيه حتى يخرجها فشكى ذلك الرجل الفقير الى النبي صلى الله عليه وسلم
فلقي النبي صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له تعطي نخلتك التي فرعها في دار فلان ولك
بها نخلة في الجنة فقال الرجل ان لي نخلا وما فيها اعجب الي منها ثم ذهب فسمع بذلك ابو الدحداح
رجل من الانصار فقال لصاحب النخلة هل لك ان تبيعنيها بحش يعني حائطا له فيه نخل فقال هي
لك فاتى ابو الدحداح النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشتريتها مني بنخلة في الجنة فقال
نعم فقال هي لك فدعا النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الفقير جار الانصاري صاحب النخلة فقال
خذها لك ولعيالك فانزل الله هذه الاية وهذا القول فيه ضعف لان هذه السورة مكية وهذه
القصة كانت بالمدينة فان كانت القصة صحيحة فتكون هذه السورة نزلت بمكة وبالمدينة وظهر
حكمها بالمدينة والصحيح انها نزلت في ابي بكر الصديق وامية بن خلف لان سياق الايات تقتضي
ذلك قوله عز وجل وما يغني عنه ماله اي الذي بخل به اذا تردى اي اذا مات وقيل هوى في جهنم ان
علينا للهدى اي علينا ان نبين طريق الهدى من طريق الضلالة وذلك انه لما عرفهم ما
للمحسن من اليسرى وما للمسيء من العسرى اخبرهم ان بيده الارشاد والهداية وعليه تبيين طريقهما
وقيل معناه ان علينا للهدى والضلالة والاضلال فاكتفى بذكر احدهما والمعنى ارشد اوليائي الى
العمل بطاعتي واصرف اعدائي عن العمل بطاعتي وقيل معناه من سلك سبيل الهدى
فعلى الله سبيله وان لنا للآخرة والاولى اي لنا ما في الدنيا فمن طلبهما من غير مالكهما اخطأ الطريق
فانذرتكم اي يا اهل مكة نارا تلظى اي تتوقد وتتوهج لا يصلاها الا الاشقى يعني الشقي الذي
كذب يعني الرسل وتولى اي عن الايمان وسيجنبها الاتقى يعني التقي الذي يؤتي ماله يتزكى اي يعطي
اي يطلب عند الله ان يكون زاكيا لا يطلب بما ينفقه رياء ولا سمعة وهو ابو بكر الصديق في قول جميع
المفسرين قال ابن الزبير كان يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له ابوه اي بني لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك
قال منع ظهري اريد فنزل فيه وسيجنبها الاتقى الى آخر السورة وذكر محمد بن اسحاق قال كان
بلال لبعض بني جمح وهو بلال بن رباح واسم امه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب
وكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت الشمس فيطرحه على ظهره ببطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة
فتوضع على صدره ثم يقول لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد فيقول وهو في ذلك احد احد
قال محمد بن اسحاق عن هشام بن عروة عن ابيه قال مر به ابو بكر يوما وهم يصنعون به ذلك وكانت
دار ابي بكر في بني جمح فقال لامية الا تتقي الله في هذا المسكين قال انت افسدته فانقذه مما
ترى فقال ابو بكر افعل عندي غلام اسود اجلد منه واقوى وهو على دينك اعطيكه قال
قد فعلت فاعطاه ابو بكر غلامه واخذ بلالا فاعتقه وكان قد اعتق ست رقاب على الاسلام قبل

ان يهاجر بلال نسا بغنم وهم عامر بن فهيرة وشهد بدرا واحدا وقتل يوم بير معونة شهيدا وام عبيس
وزهرة فاصيبت بصرها حين اعتقها ابو بكر فقالت قريش ما اذهب بصرها الا اللات والعزى
فقالت كذبوا ورب البيت ما تضر اللات والعزى وما ينفعان فرد الله تعالى عليها بصرها واعتق
النهدية وابنتها وكانتا لامراة من بني عبد الدار فراهما ابو بكر وقد بعثتهما سيدتهما بطحين
لها وهي تقول والله لا اعتقهما ابدا فقال ابو بكر كلا يا ام فلان فقالت كلا انت افسدتهما
فاعتقهما قال فبكم فقالت بكذا وكذا قال قد اخذتهما وهما حرتان ومر بجارية بني مؤمل
وهي تعذب فابتاعها واعتقها فقال عمار بن ياسر يذكر بلالا واصحابه وما كانوا فيه من
البلاء واعتاق ابي بكر اياهم وكان اسم ابي بكر عتيقا فقال في ذلك

جزى الله خيرا عن بلال وصحبه ۞ عتيقا واخزى فاكها وابا جهل
عشية هما في بلال بسوءة ۞ ولم يحذروا ما يحذر المرء ذو العقل
بتوحيده رب الانام وقوله ۞ شهدت بان الله ربي على مهل
فان تقتلوني فاقتلوني ولم اكن ۞ لاشرك بالرحمن من خيفة القتل
فيا رب ابرهيم والعبد يونس ۞ وموسى وعيسى نجني ثم لا تملي
لمن ظل يهوى الغي من ال غالب ۞ على غير حق كان منه ولا عدل

وقال سعيد بن المسيب بلغني ان امية بن خلف قال لابي بكر في بلال حين قال له اتبيعه قال نعم
ابيعه بنسطاس عبد لابي بكر وكان نسطاس صاحب عشرة الاف دينار وغلمان وجواري ومواشي
وكان مشركا حمله ابو بكر على الاسلام على ان يكون ماله له فابى فابغضه ابو بكر فلما قال امية
ابيعه بغلامك نسطاس اغتنمه ابو بكر وباعه به فقال المشركون ما فعل ذلك ابو بكر ببلال الا ليد
كانت لبلال عنده فانزل الله عز وجل وما لاحد عنده من نعمة تجزى اي عند ابي بكر من نعمة تجزى
اي من يد يجازيه عليها الا ابتغاء وجه ربه الاعلى اي لم يفعل ذلك مجازاة لاحد ولا ليد كانت
له عنده لكن فعله ابتغاء وجه ربه الاعلى وطلب رضاه ولسوف يرضى اي بما يعطيه الله عز وجل
في الاخرة من الجنة والخير والكرامة جزاء على ما فعل والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

مكية وهي احدى عشرة اية واربعون كلمة واثنان وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل والضحى اختلفوا في سبب نزول هذه السورة على ثلاثة اقوال الاول ق عن جندب
ابن سفيان البجلي قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاثا فجاءت امراة
فقالت يا محمد اني لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك ليلتين او ثلاثا فانزل الله
عز وجل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى واخرجه الترمذي عن جندب قال كنت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غار فدميت اصبعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم هل انت الا
اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت قال فابطا عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمد ربه فانزل
الله عز وجل ما ودعك ربك وما قلى وقيل ان المراة المذكورة في الحديث المتفق عليه هي ام جميل
امراة ابي لهب القول الثاني قال المفسرون سالت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح
وعن ذي القرنين واصحاب الكهف فقال ساخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس الوحي عليه
القول الثالث قال زيد بن اسلم كان سبب احتباس الوحي وجبريل عنه ان جروا كان في بيته فلما نزل
عاتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابطائه فقال انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة واختلفوا
في مدة احتباس الوحي عنه فقيل اثنى عشر يوما وقال ابن عباس خمسة عشر يوما وقيل اربعين يوما فلما

نزل جبريل عليه السلام قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما جئت حتى اشتقت اليك فقال جبريل
اني كنت اليك اشد شوقا ولكني عبد مامور ونزل وما نتنزل الا بامر ربك وانزل الله هذه السورة
قوله عز وجل والضحى قيل اراد به النهار كله بدليل انه قابله بالليل كله في قوله والليل اذا
سجى وقيل يعني وقت الضحى وهي الساعة التي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحر والبرد في
الصيف والشتاء والليل اذا سجى قال ابن عباس اقبل بظلامه وعنه اذا ذهب وقيل معناه غطى كل
شيء بظلامه وقيل معناه سكن واستقر ظلامه فلا يزداد بعد ذلك وهذا اقسم الله تعالى
بالضحى والليل اذا سجى وجواب القسم قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى اي ما تركك ربك منذ اختارك
ولا ابغضك منذ احبك وانما قال قلى ولم يقل قلاك لموافقة رؤوس الاي وقيل معناه وما قلى احدا
من اصحابك ومن هو على دينك الى يوم القيامة وللاخرة خير لك من الاولى اي الذي اعطاك
ربك في الاخرة خير لك واعظم من الذي اعطاك في الدنيا وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اهل البيت اختار الله لنا الاخرة على الدنيا ولسوف يعطيك ربك
فترضى قال ابن عباس في الشفاعة في امته حتى يرضى م عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه
وسلم رفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله يا جبريل اذهب الى محمد وانا اعلم فسله ما يبكيك
وهو اعلم فاتاه جبريل وساله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو اعلم فقال الله
يا جبريل اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك ق عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته واني اختبات دعوتي شفاعة
لامتي يوم القيامة فهي نائلة ان شاء الله تعالى من مات من امتي لا يشرك بالله شيئا عن عوف بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتاني ات من عند ربي فخيرني بين ان يدخل نصف امتي الجنة
وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة فهي نائلة ان شاء الله تعالى من مات لا يشرك بالله شيئا اخرجه الترمذي
قال حرب بن شريح سمعت جعفر بن علي يقول انكم يا معشر اهل العراق تقولون ارجى اية في القران
قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وانا اهل البيت نقول ارجى اية في
كتاب الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وقيل في معنى الاية ولسوف يعطيك ربك من الثواب
فترضى وقيل من النصر والتمكين وكثرة المؤمنين فترضى وقيل حمل الاية على ظاهرها خير في الدنيا
والاخرة معا اولى وذلك ان الله تعالى اعطاه في الدنيا النصر والظفر على الاعداء وكثرة الاتباع
والفتوح في زمنه وبعده الى يوم القيامة واعلا دينه وان امته خير الامم واعطاه في الاخرة
الشفاعة العامة والخاصة والمقام المحمود وغير ذلك مما اعطاه في الدنيا والاخرة ثم اخبر
عن حاله صغيرا وكبيرا وقبل الوحي وذكره نعمه عليه واحسانه اليه فقال عز وجل الم يجدك
يتيما صغيرا حين مات ابواك ولم يخلفا لك مالا ولا ماوى فجعل لك ماوى تاوي اليه وضمك
الى عمك ابي طالب حتى احسن تربيتك وكفاك المؤنة وذلك ان عبد الله مات ورسول الله
صلى الله عليه وسلم حمل فكفله جده عبد المطلب فلما مات عبد المطلب كفله عمه ابو طالب الى ان
قوي واشتد وتزوج خديجة وقيل هو من قولهم درة يتيمة والمعنى الم يجدك يتيما واحدا
في قريش عديم النظير فاواك اليه وشرفك وايدك بنبوته واصطفاك برسالته ووجدك ضالا
اي عما انت عليه اليوم فهدى اي فهداك الى توحيده ونبوته وقيل وجدك ضالا اي عن معالم النبوة
واحكام الشريعة فهداك اليها وقال ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضل في شعاب
مكة وهو صبي صغير فراه ابو جهل منصرفا من اغنامه فرده الى جده عبد المطلب وقال
سعيد بن المسيب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابي طالب في قافلة ميسرة غلام خديجة
فبينما هو راكب ذات ليلة ظلماء جاء ابليس فاخذ بزمام ناقته فعدل به عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام

من الثواب
صح

فادى
صح

نفخ على ابليس نفخة وقع منها الى الحبشة ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الفافلة فمن الله
عليه بذلك وقيل ووجدك ضالا نفسك لا تدري من انت فعرفك نفسك وحالك وقيل ووجدك
من اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك الى الايمان والى ارشادهم وقيل الضلال هنا
بمعنى الحيرة وذلك لانه كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حرا في طلب ما يتوجه به حتى
هداه الله لدينه وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه فهذا ما قيل
في هذه الاية ولا يلتفت الى قول من قال انه صلى الله عليه وسلم وكذلك الانبيا قبله منذ ولدوا
على التوحيد والايمان قبل النبوة وبعدها وانهم معصومون قبل النبوة على ملة قومهم فهداه
الله الى الاسلام لان نبينا صلى الله عليه وسلم وكذلك الانبيا قبله منذ ولدوا نشاوا على التوحيد والايمان
قبل النبوة وانهم معصومون قبل النبوة من الجهل بصفات الله تعالى وتوحيده ويدل على ذلك
ان قريشا عابوا النبي صلى الله عليه وسلم ورموه بكل عيب سوى الشرك وامر الجاهلية فانهم لم يجدوا
لهم عليه سبيلا اذ لو كان فيه لما سكتوا عنه لنقل ذلك فبراة الله تعالى من جميع ما قالوه فيه
وعيروه به ويوكد هذا ما روي في قصة بحيرا الراهب حين استحلف النبي صلى الله عليه وسلم باللات
والعزى وذلك حين سافر مع عمه ابي طالب الى الشام فراى بحيرا علامات النبوة فيه وهو
صبي فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تسالني بهما فوالله ما ابغضت شيئا
بغضهما ويوكد هذا ايضا شرح صدره صلى الله عليه وسلم في حال الصغر واستخراج العلقة منه
وقال هذا حظ الشيطان منك وملاه حكمة وايمانا وقوله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى
وقال الزمخشري ومن قال كان على امر قومه اربعين سنة فان اراد انه على خلوهم من العلوم
السمعية فنعم وان اراد انه كان على دين قومهم فمعاذ الله والانبيا يجب ان يكونوا معصومين
قبل النبوة وبعدها من الكباير والصغاير الشاينة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان
لنا ان نشرك بالله من شي قوله عز وجل ووجدك عايلا فاغنى يعني فقيرا فاغناك بمال
خديجة ثم بالغنايم وقيل ارضاك بما اعطاك من الرزق وهذا حقيقة المعنى ق عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس العرض
بفتح العين والرا المال م عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قد
افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه وروى البغوي باسناد الثعلبي عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سالت ربي مسالة ووددت اني لم اكن سالته قلت يا رب
اتيت سليمان بن داود ملكا عظيما واتيت فلانا كذا وفلانا كذا قال يا محمد الم اجدك
يتيما فاويتك قلت بلى يا رب زاد في رواية قال الم اجدك ضالا فهديتك قلت بلى يا رب
قال الم اجدك عايلا فاغنيتك فقلت بلى يا رب زاد في رواية الم اشرح لك صدرك ووضعت
عنك وزرك قلت بلى يا رب فان قلت كيف يحسن بالجواد الكريم ان يمن بانعامه على عبده
والمن مذموم في صفة المخلوق فكيف يحسن بالخالق قلت انما حسن ذلك لانه سبحانه
وتعالى قصد بذلك ان يقوي قلبه ويعده بدوام نعمته عليه فظهر الفرق بين امتنان الله تعالى
الممدوح وبين امتنان المخلوق المذموم لان امتنان الله تعالى زيادة انعامه كانه قال ما لك
تقطع رجاك عني الست الذي ربيتك واويتك وانت يتيم صغير اتظنني تاركك ومضيعك
كبيرا بل لا بد وان اتم نعمتي عليك فقد حصل الفرق بين امتنان الخالق وامتنان المخلوق
ثم اوصاه باليتامى والمساكين والفقرا فقال عز وجل فاما اليتيم فلا تقهر اي لا تحقر
اليتيم فقد كنت يتيما وقيل لا تقهره على ماله فتذهب به لضعفه وكذا كانت العرب في
الجاهلية تفعل في امر اليتامى ياخذون اموالهم ويظلمون حقوقهم روى البغوي بسنده

وقال جبرئيل م

عن

عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت في
المسلمين بيت فيه يتيم يسا اليه ثم قال انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ويشير باصبعيه عن سهل
ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشار بالسبابة
والوسطى وفرج بينهما واما السايل فلا تنهر يعني السايل على الباب يقول لا تزجره اذا سالك فقد
كنت فقيرا فاما ان تطعمه واما ان ترده ردا لينا برفق وتكرمه بوجهك في وجهه قال ابراهيم
ابن ادهم نعم القوم السوال يحملون زادنا الى الاخرة وقال ابراهيم السايل بريد الاخرة يجي
الى باب احدكم فيقولون هل توجهون الى اهليكم بشي وقيل السايل هو طالب العلم
فيجب اكرامه واسعافه بمطلوبه ولا يعبس في وجهه ولا يلقى بمكروه واما بنعمة ربك فحدث
قيل اراد بالنعمة النبوة اي بلغ ما ارسلت به وحدث بالنبوة التي اتاك الله وقيل النعمة
هي القران امره ان يقراه ويقريه غيره وقيل اشكر لما ذكر نعمه عليه في هذه السورة من
جبر اليتيم والهدى بعد الضلالة والاغنا بعد العيلة والفقر امره ان يشكره على انعامه
والتحدث بنعمة الله تعالى وشكرها عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من اعطي عطا فليجز به ان وجد فان لم يجد فليثن عليه فان من اثنى عليه فقد شكره ومن
كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبي زور اخرجه الترمذي وله عن سعيد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لا يشكر الناس لا يشكر الله وله عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر بمنزلة القايم الصابر روى البغوي
باسناد الثعلبي عن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر
من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله
شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب والسنة في قراة اهل مكة ان يكبر من اول
سورة الضحى على راس كل سورة حتى يختم القران فيقول الله اكبر وسبب ذلك ان الوحي
لما احتبس على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المشركون هجره شيطانه وودعه فاغتم
النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فلما نزل والضحى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرحا بنزول
الوحي فاتخذه سنة والله اعلم بمراده واسرار كتابه العزيز

تفسير سورة الم نشرح

مكية وهي ثمان ايات وسبع وعشرون كلمة ومايه وثلاثة احرف الى اخرها والله اعلم
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الم نشرح لك صدرك استفهام بمعنى
التقرير اي قد فعلنا ذلك ومعنى الم نشرح الفتح بما يصدر على الادراك والله تعالى
فتح صدر نبيه صلى الله عليه وسلم للهدى والمعرفة باذهاب الشواغل التي تصد عن ادراك
الحق وقيل معناه الم نفتح قلبك ونوسعه ونلينه بالايمان والموعظة والعلم والنبوة
والحكمة وقيل هو شرح صدره في صغره عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل
عليه السلام وهو يلعب مع الغلمان فاخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرجه فاستخرج
منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست بما زمزم ثم لامه ثم اعاده
الى مكانه وجا الغلمان يسعون الى امه يعني ظيرة فقالوا ان محمدا قد قتل فاستقبلوه
وهو منتقع اللون قال انس وقد كنت ارى اثر المخيط في صدره ووضعنا عنك وزرك
اي حططنا عنك وزرك الذي سلف منك في الجاهلية فهو كقوله ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تاخر وقيل الخطا والسهو وقيل ذنوب امتك فاضافها اليه لاشتغال قلبه

عليه

ابي

بها وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة حتى يبلغها لان الوزر في اللغة الثقل تشبيها
بوزر الحمل وقيل معناه عصمناك عن الوزر الذي ينقض ظهرك لو كان ذلك الوزر حاصلا فسمى
العصمة وضعا مجازا واعلم ان القول في عصمة الانبيا قد تقدم مستوفى في سورة طه عند قوله
وعصى آدم ربه فغوى وعند قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر الذي انقض
ظهرك اي اثقله واوهنه حتى سمع له نقيض وهو الصوت الخفي الذي يسمع من المحمل والرحل فوق
البعير فمن حمل الوزر على ما قبل النبوة قال هو اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور كان فعلها
قبل نبوته اذ لم يرد عليه شرع بتحريمها فلما حرمت عليه بعد النبوة عدها اوزارا وثقلت عليه
واشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له ومن حمل ذلك على ما بعد النبوة قال هو ترك الافضل
لان حسنات الابرار سيئات المقربين قوله عز وجل ورفعنا لك ذكرك روى البغوي باسناد
الثعلبي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عن هذه الاية ورفعنا لك ذكرك
قال قال الله عز وجل اذا ذكرت ذكرت معي قال ابن عباس يريد الاذان والاقامة والتشهد والخطبة
على المنابر فلو ان عبدا عبد الله وصدقه في كل شيء ولم يشهد ان محمدا رسول الله لم ينتفع بذلك من شيء
وكان كافرا وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب
صلاة الا ينادي اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقال الضحاك لا تقبل صلاة الا به ولا تجوز
خطبة الا به وقال مجاهد يريد التاذين وفيه يقول حسان بن ثابت

اغر عليه للنبوة خاتم … من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الاله اسم النبي مع اسمه … اذا قال في الخمس المؤذن اشهد
وشق له من اسمه ليجله … فذو العرش محمود وهذا محمد

وقيل رفع ذكره باخذ ميثاقه على النبيين والزمهم الايمان به والاقرار بفضله وقيل رفع ذكره
بان قرن اسمه باسمه محمد رسول الله ونبي الله وفرض طاعته على الامة بقوله اطيعوا الله واطيعوا
الرسول من يطع الله ورسوله ونحو ذلك مما جاء في القرآن وغيره من كتب الانبيا ثم وعده اليسر
والرخا بعد الشدة والغنا وذلك انه كان في شدة بمكة فقال تعالى فان مع العسر يسرا اي مع العسر
يسرا اي مع الشدة التي انت فيها من جهاد المشركين يسرا ورخا بان يظهرك عليهم حتى ينقادوا
للحق الذي جئتهم به وانما كرره لتاكيد الوعد وتعظيم الرجا قال الحسن لما نزلت هذه الاية
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر يسرين قال ابن مسعود
لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه لن يغلب عسر يسرين قال المفسرون في معنى
قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله تعالى كرر لفظ العسر في ذكره بلفظ المعرفة وذكر اليسر
بلفظ النكرة ومن عادة العرب اذا ذكرت اسما معرفا ثم اعادته كان الثاني هو الاول
واذا ذكرت اسما نكرة كان الثاني غير الاول كقولك كسبت درهما فانفقت درهما فالثاني
غير الاول فالعسر في الاية مكرر بلفظ التعريف فكان عسرا واحدا واليسر مكرر بلفظ النكرة
فكانا يسرين فكانه قال فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وزيف ابو علي الحسن بن يحيى
الجرجاني صاحب النظم هذا القول قال وقد تكلم الناس في قوله لن يغلب عسر يسرين فلم
يحصل منهم منه غير قولهم ان العسر معرفة واليسر نكرة فوجب ان يكون عسرا واحدا ويسران
وهذا قول مدخول فيه اذا قال الرجل ان مع الفارس سيفا فهذا لا يوجب ان يكون الفارس
واحدا والسيف اثنين بجاز قوله لن يغلب عسر يسرين ان الله عز وجل بعث نبيه صلى الله
عليه وسلم وهو مقل مخف فكانت قريش تعيره بذلك حتى قالوا ان كان بك طلب الغنى جمعنا
لك مالا حتى تكون كايسر اهل مكة فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك وظن ان قومه

انما

انما كذبوه لفقره فقال تعالى ان مع العسر يسرا اي يجزنك الذي يقولون فان مع العسر الذي في
الدنيا يسرا عاجلا ثم انجز ما وعده وفتح عليه القرى العربية ووسع ذات يده حتى كان يعطي المائة
من الابل ويهب الهبة السنية ثم ابتدر فضلا اخر من امر الاخرة فقال تعالى ان مع العسر يسرا ان
مع العسر يسرا والدليل على ابتدائه تعريه بالفا والواو وهذا وعد لجميع المؤمنين والمعنى ان مع
العسر الذي في الدنيا للمؤمنين يسرا في الاخرة وربما اجتمع له اليسران يسر الدنيا ويسر الاخرة فيسر
الدنيا وهو ما ذكر في الاية الاولى ويسر الاخرة وهو ما ذكر في الاية الثانية فقوله لن يغلب
عسر يسرين اي ان عسر الدنيا اليسر في الاخرة الذي وعده الله للمؤمنين في الدنيا واليسر الذي وعدهم
الله في الاخرة انما يغلب احدهما وهو يسر الدنيا فاما يسر الاخرة فدائم ابدا غير زائل اي لا يجتمعان
في الغلبة فهو كقوله صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لا ينقصان اي لا يجتمعان في النقص قال القرى
كنت يوما بالبادية بحالة من الغم فالقي في روعي بيت شعر فقلت

ارى الموت لمن اصبح … مغموما له اروح

فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف في الهوى … الا يا ايها المرء الذي الهم به برح … وقد
انشد بيتا لم يزل في فكره يسنح … اذا اشتد بك العسر ففكر في الم نشرح … وقال اسحاق فعسر بين
يسرين اذا ابصرته فافرح … قال فحفظت الابيات ففرج الله عني وقال اسحاق بن بهلول القاضي

فلا تياس اذا اعسرت يوما … فقد ايسرت في دهر طويل
فلا تظنن بربك ظن سوء … فان الله اولى بالجميل
فان العسر يتبعه يسار … وقول الله اصدق كل قيل

وقال احمد بن سليمان في المعنى وقيل غيره … يرفع الله ربك الخطوب سرورا … سردها عنك يسرا
نزل الله لا يخلف ميعاده … وقال ان مع العسر يسرا … وقال غيره كل الحادثات اذا تناهت يكون
وراها فرج قريب … قوله عز وجل فاذا فرغت فانصب لما وعد الله عدد الله على نبيه نعمه السالفة
نبهه على الشكر وعمل الاجتهاد في العبادة والنصب فيها وان لا يخلي وقتا من اوقاته منها فاذا فرغ
من عبادة اتبعها باخرى والنصب التعب قال ابن عباس اذا فرغت من الصلاة المكتوبة
فانصب الى ربك في الدعا وارغب اليه في المسالة وقال ابن مسعود واذا فرغت من الفرائض
فانصب في قيام الليل وقيل اذا فرغت من التشهد فادع لدنياك وآخرتك وقيل اذا
فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك وقيل اذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب
في الاستغفار لك وللمؤمنين قال عمر بن الخطاب اني لاكره ان ارى احدكم فارغا سهللا لا في عمل
دنياه ولا في عمل آخرته السهلل الذي لا شي معه وقيل السهلل الباطل والى ربك فارغب
اي تضرع اليه راغبا في الجنة راهبا من النار وقيل اجعل رغبتك الى الله في جميع احوالك لا الى
احد سواه والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده وباسرار كتابه العزيز

تفسير سورة والتين مكية

وهي ثمان آيات واربع وثلاثون كلمة ومائة وخمسة احرف بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل والتين والزيتون قال ابن عباس هو تينكم الذي تاكلون وزيتونكم الذي تعصرون
منه الزيت قيل انما خص التين بالقسم لانه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص وفيه
غذا ويشبه فاكهة الجنة بلا عجم ومن خواصه انه طعام لطيف سريع الهضم لا يمكث
في المعدة يخرج بطريق الرشح ويلين الطبيعة ويقلل البلغم واما الزيتون فلانه من شجرة مباركة
فيه ادام ودهن يستصبح به وشجره في اغلب البلاد ولا يحتاج الى خدمة وتربية وينبت في الجبال

التي ليست فيهما دهنية ويمكث في الأرض ألوفا من السنين فلما كان فيهما من المنافع والمصالح الدالة على
قدرة خالقهما لا جرم أقسم الله بهما وقيل هما جبلان فالتين الذي عليه دمشق والزيتون الجبل الذي
عليه بيت المقدس واسمهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لأنهما ينبتان التين والزيتون وقيل
هما مسجدان التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وإنما حسن القسم بهما لأنهما موضع
الطاعة وقيل التين مسجد أصحاب الكهف والزيتون مسجد إيليا وقيل التين مسجد نوح الذي بناه
على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وطور سينين يعني الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام
وسينين اسم للمكان الذي فيه الجبل سمي سينين لحسنه ولكونه مباركا وكل جبل فيه أشجار مثمرة
يسمى سينين وسينا وهذا البلد الأمين يعني الآمن وهو مكة حرسها الله تعالى لأنه الحرم الذي يأمن
فيه الناس في الجاهلية والإسلام لا ينفر صيده ولا يعضد شجره ولا يلتقط لقطته إلا لمنشد
وهذه أقسام أقسم الله بها لما فيها من المنافع والبركة وجواب القسم قوله تعالى لقد خلقنا
الإنسان في أحسن تقويم يعني في أعدل قامة وأحسن صورة وذلك أنه تعالى خلق كل حيوان منكبا
على وجهه يأكل بفيه إلا الإنسان فإنه خلقه مديد القامة حسن الصورة يتناول مأكوله
بيده مزينا بالعلم والفهم والعقل والتمييز والنطق ثم رددناه أسفل سافلين يعني إلى الهرم
وأرذل العمر فيضعف بدنه وينقص عقله والسافلون هم الضعفاء والزمنى والأطفال والشيخ
الكبير أسفل من هؤلاء جميعا لأنه لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا لضعف بدنه وسمعه
وبصره وعقله وقيل ثم رددناه إلى النار لأنها دركات بعضها أسفل من بعض ثم استثنى
فقال تعالى إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات يعني فإنهم لا يردون إلى النار ولا إلى أسفل سافلين
وعلى القول الأول يكون الاستثناء منقطعا والمعنى ثم رددناه أسفل سافلين فزال عقله وانقطع
عمله فلا يكتب له حسنة لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولازموا عليها إلى أيام الشيخوخة
والهرم والضعف فإنه يكتب لهم بعد الهرم والخرف مثل الذي كانوا يعملون في حال الشباب والصحة
وقال ابن عباس هم نفر ردوا إلى أرذل العمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل
الله تعالى عذرهم وأخبرهم أن لهم أجرهم الذي كانوا عملوا قبل أن تذهب عقولهم فعلى هذا
القول السبب خاص وحكمه عام قال عكرمة ما يضر هذا الشيخ كبره إذا ختم الله له بأحسن
ما كان يعمل وروي عن ابن عباس قال إلا الذين قرؤوا القرآن ومن قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر
فلهم أجر غير ممنون يعني غير مقطوع لأنه يكتب له بصالح ما كان يعمل قال الضحاك أجر بغير
عمل ثم قال إلزاما للحجة فما يكذبك أيها الإنسان وهو خطاب على طريق الالتفات بعد
أي هذه الحجة والبرهان بالدين أي بالحساب والجزاء والمعنى فما الذي يجعلك أيها الإنسان
إلى هذا الكذب ألا تتفكر في صورتك وشبابك ومبدأ خلقك وهرمك فتعتبر وتقول إن
الذي فعل ذلك قادر على أن يبعثني ويحاسبني فما الذي يكذبك بالمجازاة وقيل هو خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى فمن يكذبك أيها الرسول بعد ظهور هذه الدلائل والبراهين
أليس الله بأحكم الحاكمين أي بأقضى القاضين يحكم بينك وبين أهل التكذيب يوم القيامة
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ والتين والزيتون فقرأ
أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أخرجه الترمذي عن البراء أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان في سفر فصلى العشاء الآخرة فقرأ في إحدى الركعتين بالتين والزيتون
فما سمعت أحدا أحسن منه صوتا أو قراءة منه صلى الله عليه وسلم والله تعالى أعلم بمراده

تفسير سورة اقرأ باسم ربك

مكية

مكية وهي تسع عشرة آية واثنتان وتسعون كلمة ومائتان وثمانون حرفا قال أكثر المفسرين هذه
السورة أول سورة نزلت من القرآن وأول ما نزل خمس آيات من أولها إلى قوله ما لم يعلم (ق) عن عائشة
أم المؤمنين أنها قالت أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة
ولمسلم الرؤيا الصادقة في النوم وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء
فكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود
لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وفي رواية حتى فجئه الحق وهو في غار حراء
فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ
فقلت ما أنا بقارئ فأخذني الثانية فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا
بقارئ فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق
الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف
فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة
وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي فقالت له خديجة كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل
الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فانطلقت
به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي وهو ابن عم خديجة وكان امرأ
تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن
يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة يا ابن عمي اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن
أخي ما ترى فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذي
أنزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أومخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وإن يدركني يومك
أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي زاد البخاري قال وفتر الوحي
فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق
الجبال فلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقا
فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة
الجبل لكي يلقي نفسه منه تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك

فصل في هذا الحديث
دليل صحيح صريح على أن سورة اقرأ أول ما نزل من القرآن وفيه رد على من قال إن المدثر
أول ما نزل وقد تقدم الكلام على ذلك والجمع بين القولين في أول سورة المدثر وهذا الحديث
من مراسيل الصحابة لأن عائشة لم تدرك هذه القصة فيحتمل أنها سمعتها من النبي صلى الله عليه
وسلم أو من غيره من الصحابة ومرسل الصحابي حجة عند جميع العلماء إلا ما انفرد به الأستاذ
أبو إسحاق الإسفرايني وإنما ابتدئ صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك فيأتيه بصريح
النبوة بغتة فلا تحتملها القوى البشرية فبدئ بأوائل علامات النبوة توطئة للوحي وأما
التحنث فقد فسر في الحديث بالتعبد وهو تفسير صريح صحيح لأن أصل التحنث من الحنث
وهو الإثم والمعنى أنه يفعل فعلا يخرج به من الإثم قولها فجئه الحق أي جاءه الحق بالوحي بغتة
قوله فغطني بالغين المعجمة والطاء المهملة أي عصرني وضمني ضما شديدا وهو قوله حتى بلغ مني
الجهد قال العلماء في الغط شغله عن الالتفات لغيره والمبالغة في إحضار قلبه ولهذا
كرره ثلاثا قوله زملوني زملوني كذا هو في الروايات مكرر مرتين ومعناه غطوني بالثياب
وقولها حتى ذهب عنه الروع أي الفزع قولها كلا أبشر فوالله لا يخزيك يروى بضم الياء
وبالخاء المعجمة من الخزي أي لا يفضحك الله ولا يكسرك ولا يهينك ولا يذلك وروي بفتح الحا والبا

المهملة والمنون لا يخزنك من الحزن الذي ضد الفرح قولها وتحمل الكل اي الثقل والحوائج المهمة
وتكسب المعدوم اي تعطي المال لمن هو معدوم عنده ومعنى كلام خديجة انك لا يصيبك مكروه
لما جعل فيك من مكارم الاخلاق وجميل الفعال وخصال الخير وذلك سبب السلامة من
مصارع الشر قولها وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله
تعالى وفي رواية مسلم وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب من الانجيل بالعربية ما شاء الله
تعالى وكلاهما صحيح وحاصله انه تمكن من دين النصرانية بحيث صار يتصرف في الانجيل
فيكتب اي موضع شاء منه بالعبرانية ان اراد او بالعربية ان اراد ذلك قوله هذا الناموس
الذي نزله الله على موسى وهو بالنون والسين المهملة يعني جبرائيل عليه السلام ومعنى الناموس
صاحب خبر الخير وانما سمي جبرئيل بذلك لان الله خصه بالوحي الى الانبياء قوله يا ليتني فيها
اي في ايام النبوة واظهار الرسالة جذعا اي قويا حتى ابالغ في نصرتك وهو قوله وان
يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا اي قويا بالغا قولها بلبث ورقة ان توفي اي فلم يلبث
ان مات قبل ظهور النبي صلى الله عليه وسلم قوله حتى يتردى اي لتردى لوقوع من علو وذروة
الجبل اعلاه تبدى له اي ظهر له قولها فيسكن لذلك جاشه اي قلبه وقيل الجاش هو ثبوت
القلب عند الامر العظيم وقيل الجاش هو ثبوت القلب وقيل هو ما ثار من فزعه وهاج
من حزنه والله تعالى اعلم بمراده واسرار كتابه العظيم بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل اقرأ باسم ربك قيل الباء زائدة مجازه اقرأ اسم ربك والمعنى اذكر اسم ربك
امران يبتدي القراءة باسم الله تاديبا وقيل الباء على اصلها والمعنى اقرأ القرآن مفتتحا
باسم ربك اي قل بسم الله ثم اقرأ فعلى هذا يكون في الاية دلالة على استحباب البداية
بالتسمية في اول القراءة وقيل معناه اقرأ القرآن مستعينا باسم ربك على ما تحمله من النبوة
واعباء الرسالة الذي خلق يعني جميع الخلائق وقيل هو الذي حصل منه الخلق واستاثره
لا خالق سواه وقيل هو الذي خلق كل شيء خلق الانسان يعني آدم وانما خص الانسان
بالذكر من بين سائر المخلوقات لانه اشرفها واحسنها خلقة من علق جمع علقة ولما
كان الانسان اسم جنس في معنى الجمع جمع العلق ولمشاركة رؤوس الاي ايضا اقرأ كرر
تاكيدا وقيل اقرأ في نفسك والثانية اقرأ للتبليغ وتعليم امتك ثم استانف فقال تعالى
وربك الاكرم يعني هو الذي لا يوازنه كريم ولا يعادله في الكرم نظير وقد يكون الاكرم
بمعنى الكريم كما جاء الاعز بمعنى العزيز وغاية الكريم اعطاؤه الشيء من غير طلب لعوض فمن طلب
العوض فليس بكريم وليس المراد ان يكون العوض عينا بل المدح والثواب عوض والله سبحانه
وجل جلاله وتعالى علاؤه وشانه يتعالى عن طلب العوض ويستحيل ذلك في وصفه لانه اكرم
الاكرمين وقيل الاكرم هو الذي له الابتداء في كل كرم واحسان وقيل هو الحليم عن جهل العباد
فلا يعجل عليهم بالعقوبة وقيل يحتمل ان يكون هذا حثا على القراءة والمعنى اقرأ وربك الاكرم
لانه يجزي بكل حرف عشر حسنات الذي علم بالقلم اي الخط والكتابة التي بها تعرف الامور
الغائبة وفيه تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بالكتابة ضبطت
العلوم ودونت الحكم وبها عرفت اخبار الماضين واحوالهم وسيرهم ومقالاتهم ولولا الكتابة
ما استقام امر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله تعالى عظيمة لولا القلم لم
يكن دين ولم يصلح عيش وسئل بعضهم عن الكلام فقال ريح لا يبقى فقيل له فما قيده
قال الكتابة لان القلم ينوب عن اللسان ولا ينوب اللسان عنه علم الانسان ما لم
يعلم قيل يحتمل ان يكون المراد علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فيكون المراد من ذلك

الاولى

معنى

معنى واحد وقيل علمه من انواع العلم والهداية والبيان ما لم يكن يعلم وقيل علم لآدم الاسماء كلها
وقيل المراد بالانسان هنا محمد صلى الله عليه وسلم قوله عز وجل كلا اي حقا ان الانسان ليطغى اي
يتجاوز الحد ويستكبر على ربه ان اي لان رآه استغنى اي رأى نفسه غنيا وقيل يرتفع عن منزلة الى منزلة
اخرى في اللباس والطعام وغير ذلك نزلت في ابي جهل وكان اذا اصاب مالا زاد في ثيابه ومركبه
وطعامه فذلك طغيانه ان الى ربك الرجعى اي المرجع في الآخرة وفيه تهديد وتحذير لهذا الانسان
من عاقبة الطغيان ثم هو عام لكل طاغ متكبر ارايت الذي ينهى عبدا اذا صلى نزلت في ابي جهل
وذلك انه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عن ابي هريرة قال قال ابو جهل هل يعفر محمد وجهه
بين اظهركم فقيل نعم فقال واللات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لاطأن على رقبته ولاعفرن
وجهه في التراب قال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ليطأ على رقبته قال فما فجئهم
منه الا وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له ما لك قال ان بيني وبينه خندقا من نار وهولا
واجنحة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوا عضوا فانزل الله
لا ندري في حديث ابي هريرة او شيء بلغه كلا ان الانسان ليطغى الى قوله كلا لا تطعه قال وامره بما امره
به زاد في رواية فليدع ناديه يعني قومه خ عن ابن عباس قال قال ابو جهل لئن رأيت محمدا يصلي عند
البيت لاطأن على عنقه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو فعل لاخذته الملائكة
زاد الترمذي عيانا ومعنى ارايت تعجيب للمخاطب وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وفائدة
التنكير في قوله عبدا يدل على انه كامل العبودية والمعنى ارايت الذي ينهى اشد الخلق عبودية في
العبودية وهذا دابه وعادته وقيل هذا الوعيد يلزم لكل من نهى عن الصلاة وعن طاعة الله
تعالى ولا يلزم منه المنع من الصلاة في الدار المغصوبة وفي الاوقات المكروهة لانه ورد النهي
عن ذلك في الاحاديث الصحيحة ولا يلزم من ذلك منع المولى عبده والرجل زوجته عن قيام الليل
وصوم التطوع والاعتكاف لان ذلك استيفاء مصلحة الا ان ياذن فيه المولى والزوج ارايت
ان كان على الهدى يعني العبد المنهي وهو النبي صلى الله عليه وسلم او امر بالتقوى يعني بالاخلاص
والتوحيد ارايت ان كذب يعني ابا جهل وتولى اي عن الايمان وتقدير نظم الآية ارايت
الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو على الهدى امر بالتقوى والناهي مكذب متول عن الايمان اي فما اعجب
من هذا الم يعلم يعني ابا جهل بان الله يرى يعني يرى ذلك الفعل فيجازيه به وفيه وعيد
شديد وتهديد عظيم كلا اي لا يعلم ذلك ابو جهل لئن لم ينته يعني عن ايذاء محمد صلى الله
عليه وسلم وعن تكذيبه لنسفعا بالناصية اي لناخذن بناصيته فنجره الى النار يقال سفعت
بالشيء اذا اخذته وجذبته جذبا شديدا والناصية شعر مقدم الراس والسفع الضرب اي لنضربن
وجهه بالنار ولنسودن وجهه ولنذلنه ثم قال على البدل ناصية كاذبة خاطئة اي صاحبها
كاذب خاطئ قال ابن عباس لما نهى ابو جهل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلاة انتهره
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل اتنهرني فوالله لاملان عليك هذا الوادي ان شئت
خيلا جردا ورجالا مردا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فجاء ابو
جهل فقال الم انهك عن هذا فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم فزبره فقال ابو جهل انك لتعلم ما بها
ناد اكثر مني فانزل الله تعالى فليدع ناديه سندع الزبانية قال ابن عباس والله لو دعا ناديه
لاخذته زبانية الله اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ومعنى فليدع ناديه اي عشيرته
وقومه فلينتصر بهم واصل النادي المجلس الذي يجمع الناس ولا يسمى ناديا ما لم يكن فيه اهله
سندع الزبانية يعني الملائكة الغلاظ الشداد قال ابن زيد زبانية جهنم سموا بذلك لانهم
يدفعون اهل النار اليها ماخوذ من الزبن وهو الدفع كلا اي ليس الامر على ما عليه ابو جهل لا تطعه

اي في ترك الصلاة واسجد اي صل لله واقترب اي من الله م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعا وهذه السجدة من عزايم سجود التلاوة
عند الشافعي فيسن للقاري والمستمع ان يسجد عند قراتها يدل عليه ما روي عن ابي هريرة قال سجدنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في اقرا باسم ربك واذا السما انشقت اخرجه مسلم والله تعالى اعلم

تفسير سورة القدر

مدنية وقيل انها مكية والاول هو الاصح وهو قول الاكثرين وقيل انها اول ما نزل في المدينة
وهي خمس ايات وثلاثون كلمة ومائة واثنا عشر حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل انا انزلناه يعني القران كناية عن غير مذكور في ليلة القدر وذلك ان الله تعالى
انزل القران جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى السما الدنيا ليلة القدر فوضعه في بيت العزة ثم
نزل به جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما متفرقة في مدة عشرين سنة فكان ينزل بحسب الوقايع
والحاجة اليه وقيل انما انزله الى السما الدنيا لشرف الملايكة بذلك ولانها كالمشترك بيننا وبين
الملايكة فهي لهم سكن ولنا سقف وزينة وسميت ليلة القدر لان فيها تقدير الامور والاحكام
والارزاق والاجال وما يكون في تلك السنة الى مثل هذه الليلة من السنة المقبلة يقدر
الله ذلك في بلاده وعباده ومعنى هذا ان الله تعالى يظهر ذلك للملايكة ويامرهم بفعل ما هو
من وظيفتهم بان تكتب لهم ما قدرته في تلك السنة ويعرفهم اياه وليس المراد منه انه يحدثه في
تلك الليلة لان الله تعالى قدر المقادير قبل ان يخلق السموات والارض في الازل قيل
للحسين بن الفضل اليس قد قدر الله المقادير قبل ان يخلق السموات والارض قال نعم
قيل فما معنى ليلة القدر قال سوق المقادير الى المواقيت وتنفيذ القضا المقدر وقيل
سميت ليلة القدر لعظم قدرها وشرفها على الليالي من قولهم لفلان قدر عند الامير اي
منزلة وجاه وقيل سميت بذلك لان العمل الصالح يكون فيها ذا قدر عند الله لكونه مقبولا
وقيل سميت بذلك لان الارض تضيق بالملايكة فيها **فصل في فضل ليلة القدر**
وما ورد فيها ق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر
ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه واختلف العلما في بقايها فقال بعضهم انها كانت
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لقوله صلى الله عليه وسلم حين تلاحا الرجلان
اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحا فلان وفلان فرفعت وعسى ان يكون خيرا لكم
وهذا غلط ممن قال بهذا القول لان اخر الحديث يرد عليهم فانه صلى الله عليه وسلم قال في
اخره التمسوها في العشر الاواخر في التاسعة والسابعة والخامسة فلو كان المراد رفع
وجودها لم يامر بالتماسها وعامة الصحابة والعلما من بعدهم على انها باقية الى يوم القيامة
روي عن عبد الله بن يحنس مولى معاوية قال قلت لابي هريرة زعموا ان ليلة القدر رفعت
وقال كذب من قال ذلك قلت هي في كل شهر رمضان استقبله قال نعم ومن قال ببقايها
ووجودها اختلفوا في محلها فقيل هي متنقلة تكون في سنة في ليلة وفي سنة اخرى في ليلة
اخرى هكذا ابدا قالوا وبهذا يجمع بين الاحاديث الواردة في اوقاتها المختلفة وقال
مالك والثوري واحمد واسحاق وابو ثور انها تتنقل في العشر الاواخر من رمضان وقيل
بل تتنقل في رمضان كله وقيل انها في ليلة معينة لا تنتقل عنها ابدا في جميع السنين
ولا تفارقها فعلى هذا هي في ليلة من السنة كلها وهو قول ابن مسعود وابو حنيفة وصاحبيه
وروي عن ابن مسعود قال من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك عبد الله بن عمر فقال رحم الله ابا

عبد الرحمن

ابا عبد الرحمن اما انه علم انها في شهر رمضان ولكن اراد ان لا يتكل الناس وقال جمهور العلما
انها في شهر رمضان واختلفوا في تلك الليلة فقال ابو رزين العقيلي هي اول ليلة من شهر رمضان
وقيل هي ليلة سبع عشرة وهي الليلة التي كانت صبيحتها وقعة بدر ويحكى هذا عن زيد بن ارقم وابن
مسعود ايضا والحسن والصحيح الذي عليه الاكثرون انها في الاواخر من رمضان **ذكر الاحاديث**
في ذلك ق عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور العشر الاواخر من رمضان
ويقول تحروا ليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان م عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم ايقظني بعض اهلي فنسيتها فالتمسوها في العشر الاواخر
من رمضان وذهب الشافعي الى انها ليلة الحادي والعشرين ق عن ابي سعيد قال اعتكفنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم العشر الاوسط فلما كان صبيحة عشرين نقلنا متاعنا فاتانا النبي صلى الله
عليه وسلم فقال من كان اعتكف فليرجع الى معتكفه واني رايت هذه الليلة ورايتني اسجد في
ما وطين فلما رجع الى معتكفه هاجت السما فمطرنا فوالذي بعثه بالحق لقد هاجت السما من
اخر ذلك اليوم وكان المسجد على عريش فلقد رايت على انفه وارنبته اثر الما والطين وفي رواية
نحوه الا انه قال حتى اذا كان ليلة احدى وعشرين وهي الليلة التي يخرج من صبيحتها من اعتكافه
قال من اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر وورد في ليلة القدر اثنين وعشرين حديثا عن عبد
الله بن انيس قال كنت في مجلس بني سلمة واني اصغرهم فقالوا من يسال لنا رسول الله صلى الله عليه
عن ليلة القدر وذلك في صبيحة احدى وعشرين من رمضان فخرجت فوافيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقلت ارسلني اليك رهط من بني سلمة يسالونك عن ليلة القدر فقال كم الليلة
قلت اثنان وعشرين قال هي الليلة ثم رجع فقال او القابلة يريد ثلاث وعشرين اخرجه
ابو داود وذهب جماعة من الصحابة وغيرهم الى انها ليلة ثلاث وعشرين ومال اليه الشافعي
ايضا خ عن الصنابحي انه سال رجلا هل سمعت في ليلة القدر شيا قال اخبرني بلال مؤذن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انها في اول السبع من العشر الاواخر وهذا اللفظ مختصر عن
عبد الله بن انيس قال قلت يا رسول الله ان لي بادية اكون فيها وانا اصلي فيها بحمد الله
فمرني بليلة انزلها الى هذا المسجد فقال انزل ليلة ثلاث وعشرين قيل لابنه كيف كان ابوك
يصنع قال كان يدخل المسجد اذا صلى العصر فلا يخرج الا لحاجة حتى يصلي الصبح فاذا
صلى الصبح وجد دابته على باب المسجد فجلس عليها ولحق بباديته اخرجه ابو داود ولمسلم
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اريت ليلة القدر ثم انسيتها واراني اسجد صبيحتها
في ما وطين قال فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف
وان اثر الما والطين على جبهته وانفه ويحكى عن بلال وابن عباس والحسن انها ليلة اربع وعشرين
خ عن ابن عباس قال التمسوها في اربع وعشرين وقيل هي ليلة خمس وعشرين فدليله قوله
صلى الله عليه وسلم تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الاواخر من رمضان وقيل هي سبع وعشرين
يحكى ذلك عن جماعة من الصحابة منهم ابي بن كعب وابن عباس واليه ذهب م عن زر بن حبيش
قال سمعت ابي بن كعب يقول وقيل له ان عبد الله بن مسعود يقول من قام السنة اصاب ليلة
القدر فقال ابي والله الذي لا اله الا هو انها لفي رمضان يحلف لا يستثني والله اني لاعلم اي
ليلة هي الليلة التي امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها وهي ليلة سبع وعشرين وامارتها
ان تطلع الشمس في صبيحة يومها بيضا لا شعاع لها عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة
القدر قال ليلة القدر سبع وعشرين اخرجه ابو داود وقيل هي ليلة تسع وعشرين لحديث تحروا
ليلة القدر وقيل هي ليلة اخر الشهر عن ابن عمر قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة

القدر وانا اسمع فقال هي في كل رمضان اخرجه ابو داود قال ويروى موقوفا عليه ذكر ليلة مشتركة
عن ابن مسعود قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر اطلبوها ليلة سبع عشرة
من رمضان وليلة احدى وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت اخرجه ابو داود وعن عيينة
ابن عبد الرحمن قال حدثني ابي قال ذكرت ليلة القدر عند ابي بكرة فقال ما انا بملتمسها لشيء سمعته
من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر واني سمعته يقول التمسوها في تسع يبقين
او سبع يبقين او في خمس يبقين او في ثلاث او آخر الشهر قال وكان ابو بكرة يصلي في العشرين من
رمضان كصلاته في سائر السنة فاذا دخل العشر اجتهد اخرجه الترمذي خ عن عبادة بن الصامت
قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اني خرجت لاخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى
ان يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة قوله فتلاحى رجلان
اي تخاصم رجلان وقوله فرفعت لم يرد رفع عينها وانما اراد رفع بيان وقتها ولو كان
المراد رفع وجودها لم يامر بالتماسها خ عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هي في العشر في سبع يمضين او سبع يبقين يعني ليلة القدر وفي رواية في تاسعة تبقى في سابعة
تبقى في خامسة قال ابو عيسى روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر انها ليلة احدى
وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وتسع وعشرين وفي رواية وخمس وعشرين وآخر ليلة من رمضان
قال الشافعي كان هذا عندي والله اعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجيب على نحو ما يسأل
عنه فيقال نلتمسها في كذا فقال التمسوها في ليلة كذا واقوى الروايات عندي فيها ليلة احدى
وعشرين قال البغوي في الجملة ابهم الله تعالى هذه الليلة على الامة ليجتهدوا في العبادة ليالي
رمضان طمعا في ادراكها كما اخفى ساعة الاجابة في يوم الجمعة واخفى الصلاة الوسطى
في الصلوات الخمس واسمه الاعظم في القرآن في اسمائه ورضاه في الطاعات ليرغبوا
في جميعها وسخطه في المعاصي لينتهوا عن جميعها واخفى قيام الساعة ليجتهدوا في الطاعات
ومن علاماتها ما روي عن الحسن انها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس
صبيحتها لا شعاع لها ق عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل
العشر احيا الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر ولمسلم م عنها قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر ما لا يجتهد في غيره ق عن ابن عمر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان عن عائشة قالت قلت
يا رسول الله ان علمت ليلة القدر ما اقول فيها قال قولي اللهم انك عفو تحب العفو فاعف
عني اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح واخرجه النسائي وابن ماجه قوله عز وجل
وما ادراك ما ليلة القدر اي اي شيء يبلغ درايتك قدرها ومبلغ فضلها وهذا على سبيل التعظيم
لها والتشويق الى خبرها ثم ذكر فضلها من ثلاثة اوجه فقال تعالى ليلة القدر خير من الف
شهر قال ابن عباس ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من بني اسرائيل حمل السلاح على عاتقه
في سبيل الله الف شهر فعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك وتمنى ذلك لامته فقال
يا رب جعلت امتي اقصر الامم اعمارا واقلها اعمالا فاعطاه الله ليلة القدر فقال ليلة القدر
خير من الف شهر التي حمل الاسرائيلي السلاح في سبيل الله لك ولامتك الى يوم القيامة
وعن مالك انه سمع من يثق به من اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري اعمار الناس
قبله او ما شاء الله من ذلك فكانه تقاصر اعمار امته اي لا يبلغون من العمل مثل الذي بلغ
غيرهم في طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر خير من الف شهر اخرجه مالك في الموطأ قال

المفسرون معناه العمل الصالح في ليلة القدر خير من العمل في الف شهر ليس فيها ليلة
القدر وانما كان كذلك لما يريد الله فيها من المنافع والارزاق وانواع الخير والبركة
الوجه الثاني من فضلها قوله عز وجل تنزل الملائكة يعني الى الارض وسبب هذا انهم لما قالوا
اتجعل فيها من يفسد فيها وظهر لهم الامر بخلاف ما قالوه وتبين حال المؤمنين وما هم عليه
من الطاعة والعبادة والجد والاجتهاد نزلوا اليهم ليسلموا عليهم ويعتذروا مما قالوه ويتقربون
ويعتذرون ويستغفرون لهم لما يرون من تقصير قد يقع في بعضهم والروح يعني جبريل عليه السلام
قال اكثر المفسرين وفي حديث انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كانت ليلة القدر
نزل جبريل في كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم او قاعد يذكر الله عز وجل
ذكره ابن الجوزي وقيل ان الروح طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة الا في تلك الليلة
ينزلون من لدن غروب الشمس الى طلوع الفجر وقيل ان الروح ملك عظيم ينزل مع الملائكة تلك
فيها اي في ليلة القدر باذن ربهم اي بامر ربهم من كل امر اي بكل امر من الخير والبركة وقيل
بكل امر وقضاء من كل امر الوجه الثالث من فضلها قوله سلام اي على اولياء الله واهل
طاعته قال الشعبي هو تسليم الملائكة ليلة القدر على اهل المساجد من حين تغيب
الشمس الى ان يطلع الفجر وقيل الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمنا او مؤمنة يسلموا عليه
من ربه وقيل تم الكلام عند قوله من كل امر ثم ابتدا فقال تعالى سلام هي يعني ليلة
القدر سلامة وخير ليس فيها شر وقيل لا يقدر الله في تلك الليلة ولا يقضي الا السلامة
وقيل ان ليلة القدر سالمة لا يستطيع الشيطان فيها سوءا ولا يحدث فيها اذى حتى مطلع
الفجر اي ان ذلك السلام او السلامة تدوم الى مطلع الفجر والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة البينة

وتسمى البينة مدنية قاله الجمهور وفي رواية عن ابن عباس انها مكية وهي ثمان آيات
واربع وتسعون كلمة وثلاثمائة وتسعة وتسعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى والمشركين اي ومن
المشركين وهم عبدة الاوثان وذلك ان الكفار كانوا جنسين احدهما اهل الكتاب وسبب
كفرهم ما احدثوه في دينهم اما اليهود فقولهم عزير ابن الله وتشبيههم الله بخلقه واما
النصارى فقولهم المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وغير ذلك والثاني المشركون اهل
الاوثان الذين لا ينتسبون الى كتاب فذكر الله الجنسين في قوله لم يكن الذين كفروا من اهل
الكتاب والمشركين منفكين اي منتهين عن كفرهم وشركهم وقيل معناه زائلين حتى تاتيهم
لفظه مضارع ومعناه الماضي البينة الحجة الواضحة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اتاهم
بالقرآن فبين لهم ضلالتهم وشركهم وما كانوا عليه من الجهالة ودعاهم الى الايمان فآمنوا
فانقذهم الله من الجهل والضلالة ولم يكونوا منفصلين عن كفرهم قبل بعثه اليهم والآية
فيها امر من الفريقين قال الواحدي في بسيطه وهذه الآية من اصعب ما في القرآن نظما وتفسيرا
وقد تخبط فيها الكبار من العلماء قال الامام فخر الدين في تفسيره انه لم يلخص كيفية الاشكال
فيها وانا اقول وجه الاشكال ان تقدير الآية لم يكن الذين كفروا منفكين عن كفرهم حتى
تاتيهم البينة التي هي الرسول ثم ان كلمة حتى لانتهاء الغاية فهذه تقتضي انهم صاروا منفكين
عن كفرهم عند اتيان الرسول ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم
البينة وهذا يقتضي ان كفرهم قد ازداد عند مجيء الرسول فحينئذ يحصل بين الآية الاولى

والثانية مناقضة في الظاهر وهذا منتهى الاشكال في ظني قال والجواب عنه من وجوه
اولها واحسنها الوجه الذي لخصه صاحب الكشاف وهو ان الكفار من الفريقين اهل الكتاب
وعبدة الاوثان كانوا يقولون قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم لا ننفك عما نحن عليه من ديننا
لا نتركه حتى يبعث النبي صلى الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله
عليه وسلم فحكى الله تعالى عنهم ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب انهم
كانوا يعدون اجتماع الكلمة على الحق والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا
اقرهم على الكفر الا مجي الرسول ونظيره في الكلام ان يقول الفاسق الفقير لمن يعظه لست
بمنفك مما انا فيه حتى يرزقني الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى
توسر وما غمست راسك في الفسق الا بعد اليسار فيذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما قال الامام
فخر الدين وحاصل هذا الجواب يرجع الى حرف واحد وهو ان قوله تعالى لم يكن الذين كفروا منفكين
عن كفرهم حتى تاتيهم البينة مذكور حكاية حالهم وهو قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب
اخبار عن الواقع والمعنى ان الذي وقع خلاف ما ادعوا وثانيها تقرير الاية لم يكن الذين كفروا
منفكين عن كفرهم وان جاءتهم البينة وعلى هذا التقرير يزول الاشكال الا ان تفسير حتى بهذا ليس
من اللغة في شيء وذكر وجوها اخر قال والمختار هو الاول ثم فسر البينة فقال تعالى رسول من الله
اي تلك البينة رسول من الله يتلوا اي يقرا الرسول صلى الله عليه وسلم يقرا عن ظهر قلبه لا عن كتاب
صحفا اي كتبا يريد ما تضمنه الصحف من المكتوب فيه وهو القران لانه كان صلى الله عليه وسلم يقرا
عن ظهر قلب لا عن كتاب مطهرة اي عن الباطل والكذب والزور والمعنى انها مطهرة من القبيح
وقيل مطهرة مكرمة معظمة وقيل مطهرة اي لا ينبغي ان يمسها الا المطهرون فيها اي الصحف كتب
اي الايات المكتوبة وقيل الكتب بمعنى الحكم قيمة اي عادلة مستقيمة غير ذات عوج وقيل قيمة
بمعنى قائمة مستقلة بالحجة من قولهم قام بالامر اذا اجراه على وجهه ثم ذكر من لم يؤمن من اهل الكتاب
فقال تعالى فقال تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب يعني في امر محمد صلى الله عليه وسلم
الا من بعد ما جاءتهم البينة يعني في كتبهم انه نبي مرسل قال المفسرون لم يزل اهل الكتاب مجتمعين
في تصديق محمد صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تعالى فلما بعث تفرقوا في امره واختلفوا فيه
فامن به بعضهم وكفر به اخرون ثم ذكر ما امروا به في كتبهم فقال تعالى وما امروا يعني هولاء
الكفار الا ليعبدوا الله قال ابن عباس ما امروا في التوراة والانجيل الا باخلاص العبودية له موحدين
له مخلصين له الدين الاخلاص عبارة عن النية الخالصة وتجريدها عن شوائب الريا وهو تنبيه على
ما يجب من تحصيل الاخلاص من ابتدا الفعل الى انتهايه والمخلص هو الذي ياتي بالحسنة والواجب
لوجوبه والنية الخالصة لما كانت معتبرة كانت النية معتبرة فقد دلت الاية على ان كل مامور به
فلا بد وان يكون منويا فلا بد من اعتبار النية في جميع المامورات قال اصحاب الشافعي الوضوء
مامور به ودلت هذه الاية على ان كل مامور يجب ان يكون منويا فتجب النية في الوضوء وقيل الاخلاص محله
القلب وهو ان ياتي بالفعل لوجه الله تعالى مخلصا له لا يريد بذلك ريا ولا سمعة ولا غرضا اخر
حتى قالوا في ذلك لا يجعل الله طلب الجنة مقصودا ولا النجاة من النار مطلوبا وان كان
لا بد من ذلك بل يجعل العبد عبادته لمحض العبودية واعترافا لربه عز وجل بالربوبية وقيل معنى
مخلصين له الدين مقرين له بالربوبية وقيل في معنى له الدين مقرين له بالعبودية وقيل قاصدين
بقلوبهم رضى الله تعالى م عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر
الى اجسامكم ولكن لا الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم حنفا اي مايلين عن الاديان كلها الى
دين الاسلام وقيل متبعين ملة ابراهيم عليه السلام وقيل حنفا اي حجاجا وانما قدمه على الصلاة

والزكاة

والزكاة لان فيه صلاة وانفاق مال وقيل حنفا مختونين محرمين كالحاج المحرم وقيل الحنيف الذي
امن بجميع الانبيا ومن لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فليس بحنيف ويقيموا الصلاة اي المكتوبة في اوقاتها
ويوتوا الزكاة اي المفروضة عند محلها وذلك الذي امروا به دين القيمة اي الملة المستقيمة والشريعة
المتبوعة وانما اضاف الدين الى القيمة وهو نعت لاختلاف اللفظين وانث القيمة ردا الى الملة وقيل
الهاء في القيمة للمبالغة كعلامة وقيل القيمة الكتب التي جرى ذكرها اي وذلك دين القيمة اصحاب
الكتب القيمة وقيل القيمة جمع القيم والقيمة والقايم واحد والمعنى في ذلك دين القايمين لله
بالتوحيد واستدل بهذه الاية من يقول ان الايمان قول وعمل لان الله تعالى ذكر الاعتقاد اولا
واتبعه بالعمل ثانيا ثم قال وذلك دين القيمة والدين هو الاسلام والاسلام هو الايمان بدليل
قوله فاخرجنا من كان فيها من المومنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ثم ذكر ما للفريقين
فقال تعالى ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين فان قلت لم قدم اهل الكتاب على المشركين
قلت لان جنايتهم اعظم في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لانهم كانوا يستفتحون به قبل بعثه
ويقرون بنبوته فلما بعث انكروه وحسدوه مع العلم به فكانت جنايتهم اعظم من المشركين فلهذا
قدمهم عليهم فان قلت ان المشركين اعظم جناية من اهل الكتاب لان المشركين انكروا الصانع
والنبوة والقيامة واهل الكتاب اعترفوا بذلك غير انهم انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
واذا كان كذلك كان كفرهم اخف فلم سوى بين الفريقين في العذاب قلت لما اراد اهل الكتاب
الرفعة في الدنيا بانكارهم محمدا صلى الله عليه وسلم اذلهم الله في الدنيا وادخلهم اسفل سافلين
في الاخرة ولا يمنع من دخولهم النار مع المشركين ان تتفاوت مراتبهم في النار في نار جهنم خالدين
فيها اولئك هم شر البرية اي هم شر الخلق والمعنى انهم لما استحقوا بسبب كفرهم فقالوا فهل الى
خروج من سبيل قال بل تبقون خالدين فيها فكانهم قالوا لم ذلك قال لانكم شر البرية ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية يعني انهم بسبب اعمالهم الصالحة واجتنابهم
الشرك استحقوا هذا الاسم جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
رضي الله عنهم ورضوا عنه قيل الرضى ينقسم قسمين رضى به ورضى عنه فالرضى به ان يكون ربا
ومدبرا والرضى عنه بما يقضي ويدبر قال السدي اذا كنت لا ترضى عن الله فكيف تسئله الرضى
عنك وقيل رضي الله اعمالهم ورضوا عنه بما اعطاهم من الخير والكرامة ذلك اي هذا الجزاء
والرضى عنه لمن خشي ربه اي لمن خاف ربه في الدنيا وتناهى عن المعاصي ق عن انس بن مالك قال
قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ان الله عز وجل امرني ان اقرا عليك لم يكن الذين كفروا من اهل
الكتاب وسماني قال نعم فبكى وفي رواية البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب
ان الله امرني ان اقريك القران قال الله سماني لك قال نعم قد ذكرت عند رب العالمين قال
نعم فذرفت عيناه شرح الحديث اما بكاء ابي فانه بكى سرورا واستصغارا لنفسه عن تاهيله لهذه
النعمة العظيمة واعطايه المنزلة الكريمة والنعمة عليه فيها من وجهين احدهما كونه منصوصا
عليه بعينه والثاني قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فانها منقبة عظيمة لم يشاركه فيها احد من الصحابة
وقيل انما بكى خوفا من تقصيره في شكر هذه النعمة واما تخصيص هذه السورة بالقراءة فانها مع
وجازتها جامعة لاصول وقواعد ومهمات عظيمة وكان الحال يقتضي الاختصار واما الحكمة في امر
النبي صلى الله عليه وسلم بالقراءة على ابي هي ان يتعلم ابي القراءة من الفاظه صلى الله عليه وسلم وصفة
اسلوب الوزن المشروع وقدره بخلاف ما سواه من النغم المستعملة في غيره فكانت قراءته على ابي ليتعلم
غيره التواضع والادب وان لا يستنكف الشريف وصاحب المرتبة العالية ان يتعلم القران ممن هو
دونه وفيه تنبيه على فضيلة ابي وحث على الاخذ عنه وتقديمه في ذلك فكان كذلك بعد النبي صلى الله عليه

اي معه لا ليتعلم
هو من ابي وقيل
ليقرا على ابي
ليتعلم غ

رأساً وإماماً في القراءة وغيرها وكان أحد علماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين والله أعلم

تفسير سورة الزلزلة

مكية وقيل مدنية وهي ثمان آيات وخمس وثلاثون كلمة ومائة وتسعة وأربعون حرفاً عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زلزلت تعدل نصف القرآن وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن
وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن أنس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ إذا زلزلت عدلت له نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت
له ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له ثلث القرآن وقال حديث غريب بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل إذا زلزلت الأرض زلزالها أي تحركت حركة شديدة واضطربت وذلك عند قيام الساعة
قيل تزلزل من شدة صوت إسرافيل حتى ينكسر كل ما عليها من شدة الزلزلة ولا تسكن حتى تلقي ما على
ظهرها من جبل وشجر وبناء وفي وقت هذه الزلزلة قولان أحدهما وهو قول الأكثرين أنها في الدنيا
وهي من أشراط الساعة والثاني أنها زلزلة يوم القيامة وأخرجت الأرض أثقالها قال أثقالها
كنوزها وما في بطنها من الدفائن والأموات فتلقيها على ظهرها يدل على صحة هذا القول ما روي
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان
من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت
رحمي ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً أخرجه
مسلم الأفلاذ جمع فلذة وهي القطعة المقطوعة المستطيلة شبه ما يخرج من باطنها بأفلاذ
كبدها لأن الكبد مستورة في الجوف وإنما خص الكبد لأنه من أطيب ما يشوى عند العرب الجزور
واستعار القيء للإخراج ومن قال إن الزلزلة تكون يوم القيامة قال أثقالها الموتى فتخرجهم
إلى ظهرها قيل إن الميت إذا كان في بطن الأرض ثقل لها وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها ومنه
سمي الإنس والجن بالثقلين لأن الأرض تثقل بهم أحياء وأمواتاً وقال الإنسان ما لها أي لما
زلزلت هذه الزلزلة العظيمة ولفظت ما في بطنها وفي الإنسان قولان أحدهما أنه اسم
جنس يعم المؤمن والكافر وهذا على قول من جعل الزلزلة من أشراط الساعة والمعنى أنها
حين وقعت لم يعلم الكل أنها من أشراط الساعة فيسأل بعضهم بعضاً عن ذلك والثاني أنه
اسم للكافر خاصة على هذا قول من جعلها زلزلة القيامة لأن المؤمن عارف بها فلا يسأل عنها
والكافر جاحد لها فإذا وقعت سأل عنها وقيل مجاز الآية يومئذ تحدث أخبارها فيقول
الإنسان ما لها والمعنى أن الأرض تحدث بكل ما عمل عليها وعلى ظهرها من خير أو شر فتشكو
على العاصي وتشهد عليه وتشكر الطائع وتشهد له عن أبي هريرة قال قرأ رسول الله صلى
الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله
ورسوله أعلم قال فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم
كذا وكذا فهذه أخبارها أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح بأن ربك أوحى لها أي
أمرها بالكلام وأذن لها تخبر بما عمل عليها قال ابن عباس أوحى إليها وقيل إن الله تعالى
يخلق في الأرض الحياة والعقل والنطق حتى تخبر بما أمرها الله به وهذا مذهب أهل السنة
قوله تعالى يومئذ يصدر الناس أشتاتاً أي عن موقف الحساب بعد العرض أشتاتاً أي متفرقين
فآخذ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار ليروا أعمالهم قال ابن عباس ليروا جزاء
أعمالهم وقيل معناه ليروا صحائفهم التي فيها الخير والشر وهو قوله تعالى فمن يعمل مثقال
ذرة خيراً يره أي وزن نملة صغيرة وقيل هو ما لصق من التراب باليد خيراً يره ومن يعمل مثقال

ذرة

ذرة شراً يره قال ابن عباس ليس مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شراً في الدنيا إلا أراه الله إياه يوم
القيامة فأما المؤمن فيرى حسناته وسيئاته فيغفر الله له سيئاته ويثيبه بحسناته وأما الكافر فيرى
حسناته وسيئاته فيرد حسناته ويعذب بسيئاته قال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة خيراً من كافر يرى ثوابه
في الدنيا في نفسه وأهله وولده وماله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة
شراً يره من مؤمن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وولده وأهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند
الله شر قيل نزلت هذه الآية في رجلين وذلك أنه لما نزل ويطعمون الطعام على حبه كان أحدهما
يأتيه السائل فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك ويقول هذا ليس بشيء إنما نؤجر
على ما نعطي ونحن نحبه وكان الآخر يتهاون بالذنب الصغير مثل الكذبة والنظرة
والغيبة وأشباه ذلك ويقول إنما وعد الله النار على الكبائر وليس في هذا إثم فأنزل الله هذه الآية
يرغبهم في القليل من الخير يعطوه فإنه يوشك أن يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فإنه يوشك أن
والإثم الصغير في عين صاحبه فإنه يصير مثل الجبل العظيم يوم القيامة قال ابن مسعود
أحكم آية في القرآن فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وسمى رسول الله
صلى الله عليه وسلم هذه الآية الجامعة الفاذة حين سئل عن زكاة الحمير فقال ما أنزل الله علي
شيء إلا هذه الآية فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره وتصدق عمر
ابن الخطاب وعائشة كل منهما بحبة عنب وقالا فيها مثاقيل كثيرة قلت إنما كان غرضهما تعليم
الغير وإلا فهما من كرماء الصحابة رضي الله تعالى عنهم قال الربيع بن خثيم مر رجل بالحسن وهو يقرأ
هذه السورة فلما بلغ آخرها قال حسبي الله قد انتهت الموعظة والله سبحانه وتعالى أعلم

تفسير سورة العاديات

مكية في قول ابن مسعود وغيره ومدنية في قول ابن عباس وهي إحدى عشرة آية وأربعون كلمة ومائة
وثلاث وستون حرفاً بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل والعاديات ضبحاً
فيه قولان أحدهما أنها الإبل في الحج قاله علي وابن مسعود قال علي كرم الله وجهه هي الإبل تعدو
من عرفة إلى المزدلفة ومن مزدلفة إلى منى وعنه قال كانت أول غزاة في الإسلام بدراً وما
كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود فكيف تكون العاديات فعلى هذا
القول يكون معنى ضبحاً صهيلها وهو مد أعناقها في السير وأصله من حركة النار في
العود فالموريات قدحاً يعني أن أخفاف الإبل ترمي بالحجارة من شدة عدوها فيضرب
الحجر الحجر فتوري النار وقيل هي النيران تجمع فالمغيرات صبحاً يعني الإبل ترفع ركبانها
يوم النحر من جمع إلى منى والسنة أن لا يدفع حتى يصبح والإغارة سرعة السير ومنه
قولهم أشرق ثبير كيما نغير فأثرن به نقعاً أي هيجن بمكان سيرها غباراً فوسطن به جمعاً
أي وسطن بالنقع جمعاً وهو مزدلفة فوجه القسم على هذا أن الله أقسم بالإبل لما فيها من المنافع
الكثيرة وتعريضه بإبل الحج للترغيب فيه وفيه تقريع من لم يحج بعد القدرة عليه قال الكنود
هو الكفور ومن لم يحج بعد الوجوب موصوف بذلك القول الثاني في تفسير والعاديات قال
ابن عباس وجماعة هي الخيل العادية في سبيل الله والضبح صوت أجوافها إذا عدت قال
ابن عباس وليس شيء من الحيوان يضبح سوى الكلب والثعلب وإنما تضبح هذه الحيوانات إذا تغير
حالها من تعب أو فزع ومن قول العرب ضبحته النار إذا غيرت لونه فالموريات قدحاً يعني أنها
توري النار بحوافرها إذا سارت في الحجارة وقيل هي الخيل تهيج الحرب ونار العداوة بين
فرسانها وقال ابن عباس هي الخيل تغدو في سبيل الله ثم تأوي بالليل فيورون أصحابها ناراً ويصنعون

طعامهم وقيل هو مكر الرجال في الحرب والعرب تقول اذا اراد الرجل ان يمكر بصاحبه اما
والله لافتلن لك ثم لاورينك فالمغيرات صبحا يعني الخيل تغير بفرسانها على العدو عند
الصباح لان الناس في غفلة من ذلك الوقت عن الاستعداد فاثرن به اي بالمكان نقعا اي غبارا
فوسطن به جمعا اي دخلنا به اي بذلك النقع وهو الغبار وقيل صرن بعدوهن وسط جمع العدو
وهم الكتيبة ومن القول في تفسير هذه الآيات اولى بالصحة واشبه بالمعنى لان الضبح
من صفة الخيل وكذا ايراء النار يحتمل قدحها واثارة الغبار ايضا وانما اقسم الله بخيل الغزاة لما
فيها من المنافع الدينية والدنيوية والاجر والغنيمة وتنبيها على فضلها وفضل رباطها في سبيل
الله عز وجل ولما ذكر الله تعالى المقسم به ذكر المقسم عليه فقال تعالى ان الانسان لربه لكنود
لكفور وهو جواب القسم قال ابن عباس الكنود الكفور الجحود لنعم الله تعالى وقيل الكنود هو العاصي
وقيل هو الذي يعد المصائب وينسى النعم وقيل هو قليل الخير ماخوذ من الارض الكنود وهي
التي لا تنبت شيئا وقال الفضيل بن عياض الكنود الذي انسته الخصلة الواحدة من الاحسان
الخصال الكثيرة من الاساءة الخصال الكثيرة من الاحسان وضده الشكور الذي انسته الخصلة
الواحدة من الاحسان الخصال الكثيرة من الاساءة وانه على ذلك لشهيد قال اكثر المفسرين
وان الله على كونه كنودا لشاهد وقيل انها راجعة الى الانسان والمعنى انه شاهد على نفسه
بما صنع وانه يعني الانسان لحب الخير اي المال لشديد اي لبخيل والمعنى انه من اجل حب المال
لبخيل وقيل معناه وانه لحب المال وايثار الدنيا لقوي شديد افلا يعلم يعني الانسان اذا بعثر
اي اثير واخرج ما في القبور يعني من الموتى وحصل ما في الصدور اي ميز وابرز ما فيها من خير
او شر ان ربهم بهم انما جمع الكناية لان الانسان اسم جنس يومئذ لخبير اي عالم والله تعالى خبير بهم
في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى انه يجازيهم في اليوم على كفرهم وانما خص اعمال القلوب
بالذكر في قوله وحصل ما في الصدور لان اعمال الجوارح تابعة لاعمال القلوب وانه لولا
البواعث والارادات في القلوب لما حصلت اعمال الجوارح والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

تفسير سورة القارعة

مكية وهي ثمان آيات وست وثلاثون كلمة ومائة واثنان وخمسون حرفا بسم
الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل القارعة اصل القارعة القرع الصوت الشديد ومنه
قوارع الدهر اي شدائده والقارعة من اسماء القيامة سميت بذلك لانها تقرع القلوب
بالفزع والشدائد وقيل سميت قارعة بصوت اسرافيل لانه اذا نفخ في الصور مات
جميع الخلائق من شدة صوت نفخته ما القارعة تهويل وتعظيم والمعنى انها فاقت
القوارع في الهول والشدة وما ادراك ما القارعة معناه لا علم لك بكنهها لانها في
الشدة بحيث لا يبلغها فهم احد فكيف ما قدرت امرها فهي اعظم من ذلك يوم يكون
الناس كالفراش المبثوث الفراش هذه الطير التي تراها تتهافت في النار سمي بذلك لتفرشها
وانتشارها وانما شبه الخلق عند البعث بالفراش لان الفراش اذا ثار لم يتجه لجهة واحدة
بل كل واحدة تذهب الى غير جهة الاخرى فدل بهذا التشبيه على ان الخلق في البعث يفزعوا
فيذهب كل واحد الى غير جهة الاخر والمبثوث المتفرق وشبههم ايضا بالجراد لكثرتهم
يموج بعضهم في بعض قال الفراء كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا فتشبه الناس عند البعث بالجراد
لكثرتهم يموج بعضهم في بعض ويركب بعضهم بعضا من شدة الهول وتكون الجبال كالعهن
المنفوش وذلك انه تتفرق اجزاؤها في ذلك اليوم حتى تصير كالصوف المتطاير عند النفش

فقال كانهم جراد منتشر وانما شبههم بالجراد

وانما

وانما ختم من حال الناس وحال الجبال كانه تعالى نبه على ان تاثير تلك القارعة في الجبال العظيمة
الصلدة الصلبة حتى تصير كالعهن المنفوش فكيف حال الانسان الضعيف عند سماع صوت
القارعة ثم لما ذكر حال القيامة قسم الخلق الى قسمين فقال تعالى فاما من ثقلت موازينه
يعني موازين حسناته قيل هو جمع موزون وهو العمل الذي له قدر وخطر عند الله تعالى وقيل
هو جمع ميزان وهو الذي له لسان وكفتان توزن فيه الاعمال فيؤتى بحسنات المؤمن في احسن
صورة فتوضع في كفة الميزان فان رجحت فالجنة له ويؤتى بسيئات الكافر في اقبح صورة فتخف
ميزانه فيدخل النار وقيل انما توزن اعمال المؤمنين فمن ثقلت موازينه حسناته على سيئاته دخل
الجنة ومن ثقلت سيئاته على حسناته دخل النار فيقتص منه على قدرها ثم يخرج منها فيدخله
الجنة بفضله ورحمته وكرمه واما الكافرون فقد قال في حقهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا
روي عن ابي بكر الصديق انه قال وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق
في دار الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان ان يوضع فيها الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت
موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان
ان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون خفيفا قوله تعالى فهو في عيشة راضية اي مرضية في
الجنة وقيل في عيشة ذات رضا يرضاها صاحبها واما من خفت موازينه اي رجحت سيئاته على
حسناته فامه هاوية فمسكنه النار وانما سمي المسكن اما لان الاصل في السكنى الامهات وقيل
معناه فام راسه هاوية في النار والهاوية اسم من اسماء النار وهي المهواة التي لا يدرك قعرها
فيهوون فيها على رؤوسهم وقيل كان الرجل اذا وقع في امر شديد يقال هوت امه اي هلكت
خوفا وثكلا وما ادراك ما هيه نار يعني الهاوية ثم فسرها فقال نار حامية اي حارة قد انتهى
حرها نعوذ بالله وعظمته منها والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه العزيز

تفسير سورة التكاثر

مكية وهي ثمان آيات وثمانية وعشرون كلمة ومائة وعشرون حرفا بسم
الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل الهاكم التكاثر اي اشغلكم المفاخرة والمباهاة والمكاثرة
بكثرة المال والعدد والمناقب عن طاعة ربكم وما ينجيكم من سخطه ومعلوم ان من اشتغل
بشيء اعرض عن غيره فينبغي للمؤمن العاقل ان يكون سعيه وشغله في تقديم الاهم وهو ما يقربه
من ربه عز وجل فالتفاخر بالمال والجاه والاعوان والاقرباء تفاخر باخس المراتب
والاشتغال به يمنع الانسان من الاشتغال بتحصيل السعادة الاخروية التي هي سعادة الابد
ويدل على ان المكاثرة والمفاخرة بالمال مذموم ما روي عن مطرف بن عبد الله بن الشخير
عن ابيه قال انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ هذه الآية الهاكم التكاثر
قال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فابقيت او اكلت فافنيت
او لبست فابليت اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح خ عن مالك قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتبع الميت ثلاث فيرجع اثنان ويبقى معه واحد يتبعه اهله وماله
وعمله فيرجع اهله وماله ويبقى عمله حتى زرتم المقابر اي حتى متم ودفنتم في المقابر
يقال لمن مات زار قبره وزار رمسه فيكون معنى الآية الهاكم حرصكم عن طاعة ربكم حتى اتاكم
الموت وانتم على ذلك قيل نزلت هذه الآية في اليهود قالوا نحن اكثر من بني فلان وبنو فلان
اكثر من بني فلان شغلهم ذلك حتى ماتوا ضلالا وقيل نزلت في حيين من قريش وهما بنو عبد مناف
وبني سهم بن عمرو وكان بينهم تفاخر فتعادوا السادة والاشراف ايهم اكثر فقال بنو عبد مناف

نحن أكثر سيدا وأعز عزيزا وأعظم نفرا وأكثر عددا وقال بنو سهم مثل ذلك فكثرهم بنو عبد مناف ثم قالوا نعد موتانا فعدوا الموتى حتى زاروا القبور فعدوهم فقالوا هذا قبر فلان وهذا فكثرهم بنو سهم بثلاثة أبيات لأنهم كانوا في الجاهلية أكثر عددا فأنزل الله هذه الآية وهذا القول أشبه بظاهر القرآن لأن قوله حتى زرتم المقابر يدل على أمر مضى فكأنه تعالى يعجبهم من أنفسهم ويقول تعجبا أنهم أكثر منهم عددا فماذا ينفع ثم رد الله تعالى عليهم فقال كلا أي ليس الأمر كما يتوهمه هؤلاء بالتكاثر والتفاخر وقيل المعنى حقا سوف تعلمون وعيد لهم ثم كلا سوف تعلمون كرره تأكيدا والمعنى سوف تعلمون عاقبة تكاثركم وتفاخركم إذا نزل بكم الموت فهو وعيد بعد وعيد وقيل معناه كلا سوف تعلمون يعني الكافرين ثم كلا سوف تعلمون يعني المؤمنين وصاحب هذا القول كان يقرأ الأولى بالياء والثانية بالتاء كلا لو تعلمون علم اليقين أي علما يقينا وجواب لو محذوف والمعنى لو تعلمون علما يقينا لشغلكم ما تعلمون عن التكاثر والتفاخر قال قتادة كنا نحدث أن علم اليقين أن يعلم أن الله باعثه بعد الموت لترون الجحيم اللام تدل على أنه جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وأن ما أوعدوا به لا يدخله شك ولا ريب والمعنى إنكم ترون الجحيم بأبصاركم بعد الموت ثم لترونها يعني مشاهدة عين اليقين وقيل إنما كرره للوعيد ثم لتسألن يومئذ عن النعيم كفار مكة في الدنيا في الخير والنعمة فيسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه لأنهم لم يشكروا رب النعيم حيث عبدوا غيره ثم يعذبون على ترك الشكر وذلك لأن الكفار لما ألهاهم التكاثر بالدنيا والتفاخر بلذاتها عن طاعة الله والاشتغال بشكره فيسألهم عن ذلك وقيل إن هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن وهو الأولى لكن سؤال الكافر سؤال توبيخ وتقريع لأنه ترك شكر ما أنعم الله به عليه والمؤمن يسأل سؤال تشريف وتكريم لأنه شكر ما أنعم الله به عليه وأطاع ربه فيكون السؤال في حقه تذكيرا بنعم الله عليه يدل على ذلك ما روي عن الزبير قال لما نزلت ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال الزبير يا رسول الله وأي نعيم نسأل عنه وإنما هما الأسودان التمر والماء قال أما إنه سيكون أخرجه الترمذي وقال حديث حسن واختلفوا في النعيم الذي يسأل العبد عنه فروي عن ابن مسعود رفعه قال لتسألن يومئذ عن النعيم فيقال له ألم نصحح لك جسمك ونرويك من الماء البارد أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب (م) عن أبي هريرة قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وليلة فإذا هو بأبي بكر وعمر فقال ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال وأنا والذي نفسي بيده لأخرجني الذي أخرجكما قوموا فقاموا معه فأتى رجلا من الأنصار فإذا هو ليس في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحبا وأهلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أين فلان قالت ذهب يستعذب لنا الماء إذ جاء الأنصاري فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما أحد اليوم أكرم أضيافا مني قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه بسر وتمر ورطب فقال كلوا وأخذ المدية فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إياك والحلوب فذبح لهم شاة فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما شبعوا ورووا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر والذي نفسي بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم وأخرجه الترمذي بأطول من هذا وفيه ظل بارد ورطب طيب وماء بارد وروي عن ابن عباس قال النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العبيد يوم القيامة فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وقيل يسأل عن الصحة والفراغ (خ) عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة

والفراغ

والفراغ وقيل الذي يسأل العبد عنه هو القدر الزائد على ما يحتاج إليه فإنه لا بد لكل أحد من مطعم ومشرب ومسكن وملبس وقيل عن تخفيف الشرائع وتيسير القرآن وقيل عن الإسلام فإنه أكبر النعم وقيل يسأل عما أنعم به عليكم وهو محمد صلى الله عليه وسلم أنقذكم من الضلالة إلى الهدى والنور وامتن به عليكم والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه العزيز

تفسير سورة والعصر

مكية قال ابن عباس والجمهور وقيل مدنية وهي ثلاث آيات وأربع عشرة كلمة وثمانية وستون حرفا

بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل **والعصر** قال ابن عباس هو الدهر قيل أقسم الله به لما فيه من العبر والعجائب للناظر وقد ورد في الحديث لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر وذلك لأنهم يضيفون النوائب والنوازل إلى الدهر فأقسم به تنبيها على شرفه وأن الله هو المؤثر فيه فما حصل من النوائب والنوازل كان بقضاء الله وقدره وقيل تقديره ورب العصر وقيل أراد بالعصر الليل والنهار لأنهما يقال لهما العصران فنبه على شرف الليل والنهار لأنهما خزانتان لأعمال العباد وقيل أراد بالعصر آخر طرفي النهار أقسم بالعشي كما أقسم بالضحى وقيل أراد صلاة العصر أقسم بها لشرفها ولأنها الصلاة الوسطى في قول بدليل قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى قيل هي صلاة العصر والذي في مصحف عائشة رضي الله تعالى عنها وحفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر وفي الصحيحين شغلونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر وقال صلى الله عليه وسلم من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله وقيل أراد بالعصر زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقسم بزمانه كما أقسم بمكانه في قوله لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد نبه بذلك على فضله أن زمانه أفضل الأزمان وأشرفها وجواب القسم قوله تعالى **إن الإنسان لفي خسر** أي لفي خسران ونقصان قيل أراد بالإنسان جنس الإنسان بدليل قولهم كثر الدرهم في أيدي الناس أي الدراهم وذلك لأن الإنسان لا ينفك عن خسران لأن الخسران هو تضييع عمره وذلك لأن كل ساعة تمر على الإنسان إما أن تكون تلك الساعة في طاعة أو معصية فإن كانت في معصية فهو الخسران المبين الظاهر وإن كانت في طاعة فلعل غيرها أفضل وهو قادر على الإتيان بها فكان فعل غير الأفضل تضييعا وخسرانا فبان بذلك أنه لا ينفك أحد من خسران وقيل إن سعادة الإنسان في طلب الآخرة وحبها والإعراض عن الدنيا ثم إن الأسباب الداعية إلى حب الآخرة خفية والأسباب الداعية إلى حب الدنيا ظاهرة فلهذا السبب كان أكثر الناس مشتغلين بحب الدنيا مستغرقين في طلبها فكانوا في خسران وبوار قد أهلكوا أنفسهم بتضييع أعمارهم وقيل أراد بالإنسان الكافر بدليل أنه استثنى المؤمنين فقال تعالى **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** فإنهم ليسوا في خسر والمعنى أن كل ما مر من عمر الإنسان في طاعة الله تعالى فهو في صلاح وخير وما كان في ضده فهو في خسر وفساد وهلاك **وتواصوا** أي أوصى بعض المؤمنين بعضا **بالحق** يعني بالقرآن والعمل بما فيه وقيل بالإيمان والتوحيد **وتواصوا بالصبر** أي على أداء الفرائض وإقامة أمر الله وحدوده وقيل أراد أن الإنسان إذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وتراجع إلا الذين آمنوا فإنه يكتب أجورهم ومحاسن أعمالهم التي كانوا يعملونها في شبابهم وصحتهم وهي مثل قوله لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون والله تعالى أعلم

تفسير سورة الهمزة

مكية وهي تسع آيات وثلاثون كلمة ومائة وثلاثون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل **ويل** اي قبوح وقيل هو اسم واد في جهنم **لكل همزة لمزة** قال ابن عباس هم المشاؤون
بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون البرآء العنت وقيل معناهما واحد وهو العياب والمغتاب
للناس في بعضهم قال الشاعر اذا لقيتك عن كره تكاشرني وان تغيبت كنت الهامز اللمزة وقيل يختلف
معناهما فقيل الهمزة الذي يعيبك في الغيب واللمزة الذي يعيبك في الوجه وقيل هو على ضده وقيل الهمزة
الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقيل هو الذي يهمز بلسانه ويلمز بعينه
وقيل الهمزة هو الذي يؤذي جليسه بسوء اللفظ واللمزة الذي يومض بعينه ويشير برأسه ويرمز بحاجبه
وقيل الهمزة الطعان على الناس واللمزة الطعان في انسابهم وحاصل هذه الاقاويل يرجع الى اصل واحد
وهو الطعن واظهار العيب واصل الهمز الكسر والقبض على الشيء بالعنف والمراد هنا هنا الكسر
من اعراض الناس والغض منهم والطعن فيهم ويدخل فيه من يحاكي الناس باقوالهم وافعالهم واصواتهم
ليضحكوا منهم ومما لغتان للفاعل نحو سخرة وضحكة كالذي يسخر ويضحك من الناس واختلفوا فيمن
نزلت هذه الآية فقيل في الاخنس بن شريق بن وهب الثقفي كان يقع في الناس ويغتابهم وقال محمد
ابن اسحاق ما زلنا نسمع ان سورة الهمزة نزلت في امية بن خلف الجمحي وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة
وكان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورائه ويطعن عليه في وجهه وقيل نزلت في العاصي بن وائل
السهمي وقيل هي عامة في كل من هذه صفته كائنا من كان وذلك لان خصوص السبب لا يقدح في
عموم اللفظ والحكم ومن قال انها في اناس معينين قال ان كون اللفظ عاما لا ينافي ان يكون المراد
منه شخصا معينا وهو تخصيص العام بقرينة العرف والاولى ان تحمل على العموم في كل من هذه
صفته ثم وصفه فقال تعالى **الذي جمع مالا** وانما وصفه بهذا الوصف لانه يجري مجرى السبب والعلة
في الهمز واللمز يعني باعجابه بما جمع من المال يستصغر الناس ويسخر منهم وانما نكر مالا لانه بالنسبة
الى ما له هو اكثر منه كالشيء الحقير وان كان عظيما عند صاحبه فكيف يليق بالعاقل ان
يفتخر بالشيء الحقير **وعدده** اي احصاه من العدد وقيل هو من العدة اي استعده وجعله ذخيرة
وعتاده **يحسب ان ماله اخلده** اي يظن انه يخلده في الدنيا ولا يموت بيساره وغناه قال الحسن
ما رأيت يقينا لا شك فيه اشبه بشك لا يقين فيه من الموت ومعناه ان الناس لا يشكون في الموت
مع انهم يعملون عمل من يظن انه يخلد في الدنيا ولا يموت **كلا** رد عليه اي لا يخلده ماله بل يخلده ذكره
والعمل الصالح ومنه قول علي مات خزان المال وهم احياء والعلماء باقون ما بقي الدهر وقيل معناه
حقا **لينبذن** واللام في لينبذن جواب القسم فدل ذلك على حصول معنى القسم ومعنى لينبذن ليطرحن
في الحطمة اي في النار وهو اسم من اسمائها مثل سقر ولظى وقيل هو اسم للدركة الثانية منها سميت
حطمة لانها تحطم العظام وتكسرها والمعنى يا ايها الهمزة اللمزة الذي يأكل لحوم الناس ويكسر
اعراضهم ان وراءك الحطمة التي تأكل اللحوم وتكسر العظام **وما ادراك ما الحطمة** اي نار لا كسائر
النيران **نار الله** انما اضافها اليه على سبيل التفخيم والتعظيم لامرها **الموقدة** اي لا تخمد ابدا عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها
الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة اخرجه الترمذي وقال
وروي عن ابي هريرة موقوفا وهو اصح **التي تطلع على الافئدة** اي يبلغ المها ووجعها القلوب
والمعنى انها تأكل شيء حتى تنتهي الى الفؤاد وانما خص الفؤاد بالذكر لانه الطف شيء في بدن الانسان
وانه يتألم بادنى شيء فكيف اذا اطلعت عليه واستولت ثم انه مع لطافته لا يحترق اذ لو احترق
لمات صاحبه وليس في النار موت وقيل انما خصه بالذكر لان القلب موطن الكفر والعقائد
والنيات الفاسدة **انها عليهم مؤصدة** اي مطبقة مغلقة **في عمد ممددة** قال ابن عباس
ادخلهم في عمد فمدت عليهم بعماد وفي اعناقهم السلاسل سدت عليهم بها الابواب وقال قتادة

بلغنا انها عمد يعذبون بها في النار وقيل هي اوتاد الاطباق التي تطبق على اهل النار والمعنى
انها مطبقة عليهم باوتاد ممدودة وقيل اطبقت الاوتاد عليهم ثم شدت باوتاد من حديد من نار
حتى يرجع عليهم غمها وحرها فلا يفتح عليهم باب ولا يدخل عليهم روح والممددة من صفة العمد
اي مطولة فتكون ارسخ من القصيرة نعوذ بالله من النار وحرها والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة الفيل

مكية وهي خمس آيات وعشرون كلمة وست وتسعون حرفا **بسم الله الرحمن الرحيم**
قوله عز وجل **الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل** وكانت قصة اصحاب الفيل على ما ذكره محمد
ابن اسحاق عن بعض اهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وذكره الواقدي ان النجاشي
ملك الحبشة كان بعث ارباط الى اليمن فغلب عليها فقام رجل من الحبشة يقال له ابرهة بن الصباح
ابن يكسوم فساخط ارباط في امر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت طائفة مع ارباط وطائفة
مع ابرهة فتزاحفا فقتل ابرهة ارباط واجتمعت الحبشة لابرهة وغلب على اليمن واقره النجاشي
على عمله ثم ان ابرهة رأى الناس يتجهزون ايام الموسم الى مكة لحج بيت الله عز وجل فبنى كنيسة بصنعاء
وكتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن لملك مثلها ولست منتهيا حتى اصرف
اليها حاج العرب فسمع به رجل من بني مالك بن كنانة فخرج اليها فدخلها ليلا فقعد فيها ولطخ بالعذرة قبلتها فبلغ
ابرهة فقال من اجترأ على فقيل صنع ذلك رجل من العرب من اهل ذلك البيت فسمع بالذي قلت
فحلف ابرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة ثم يهدمها فكتب الى النجاشي يخبره بذلك وسأله ان يبعث
اليه بفيله وكان فيلا يقال له محمود وكان فيلا لم ير مثله عظما وجسما وقوة فبعث به اليه فخرج
ابرهة في الحبشة سائرا الى مكة وخرج معه بالفيل فسمعت العرب بذلك فاعظموه ورأوا جهاده
حقا عليهم فخرج ملك من ملوك اليمن يقال له ذو نفر بمن اطاعه من قومه فقاتله فهزمه ابرهة
واخذ ذا نفر فقال يا ايها الملك استبقني فان بقائي خير لك من قتلي فاستحياه واوثقه ابرهة
رجلا حليما ثم سار حتى اذا دنا من بلاد خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في خثعم ومن اجتمع
اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم واخذ نفيلا فقال له نفيل ايها الملك اني دليل بارض العرب
وهاتان يداي على قومي بالسمع والطاعة فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج
مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقال ايها الملك نحن عبيدك ليس عندنا خلاف لك انما تريد البيت
الذي بمكة نحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه ابا رغال مولى لهم فخرج حتى اذا كان بالمغمس
مات ابو رغال وهو الذي يرجم قبره وبعث ابرهة رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مسعود على مقدمة
خيله وامره بالغارة على نعم الناس فجمع اليه الاسود اموال الحرم واصاب لعبد المطلب مائتي بعير
ثم ان ابرهة ارسل حناطة الحميري الى اهل مكة وقال له سل عن شريفها ثم ابلغه ما ارسلت
به اليه اخبره اني لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حتى دخل مكة فلقي عبد
المطلب بن هاشم فقال ان الملك ارسلني اليك لاخبرك انه لم يأت لقتال الا ان تقاتلوه انما
جاء لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب ما لنا عنده قتال ولا لنا عليه يدان نخلي
بينه وبين ما جاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه الصلاة والسلام فان
يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به قوة فقال فانطلق معي الى الملك
فزعم بعض العلماء انه اردفه على بغلة كان عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم العسكر وكان ذو
نفر صديقا لعبد المطلب فاتاه فقال يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال ما غناء رجل
اسير لا يأمن ان يقتل بكرة او عشية ولكن سابعث الى انيس سائس الفيل فانه لي صديق فاسأله

ان يشفع لك عند الملك ما استطاع من خير ويعظم خطرك ومنزلتك عند الملك فارسل الى انيس
فاتاه فقال له ان هذا سيد قريش وصاحب عير مكة يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس
الجبال وقد اصاب الملك له مائتي بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق
لي احب ما وصل اليه من الخير فدخل انيس على ابرهة فقال ايها الملك هذا سيد قريش وصاحب
عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال يستاذن عليك وانا احب ان تاذن
له فيكلمك فقد جاء غير ناصب لك ولا مخالف عليك فاذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما
فلما راه ابرهة اعظمه واكرمه وكره ان يجلس تحته فهبط الى البساط فجلس عليه ثم دعاه فاجلسه
معه وقال لترجمانه قل له ما حاجتك الى الملك فقال الترجمان ذلك له فقال عبد المطلب حاجتي
الى الملك ان يرد علي مائتي بعير اصابها لي فقال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت اعجبتني حين رايتك
ولقد زهدت الان فيك قال لم قال جئت الى بيت هو دينك ودين ابائك وهو شرفكم وعصمتكم
لاهدمه لم تكلمني فيه وتكلمني في مائتي بعير اصبتها لك قال عبد المطلب انا رب هذه الابل ولهذا
البيت رب سيمنعه منك قال ما كان ليمتنع مني قال فانت وذاك فامر له بابله فردت
عليه فلما ردت الابل الى عبد المطلب خرج فاخبر قريشا الخبر وامرهم ان يتفرقوا في الشعاب ويتحرزوا
في رؤوس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش ففعلوا واتى عبد المطلب الكعبة واخذ حلقة الباب وجعل
يقول

يا رب لا ارجو لهم سواكا ❊ يا رب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا ❊ امنعهم ان يخربوا قراكا

وقال ايضا

لاهم ان العبد يمنع رحله ❊ وحلاله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ❊ ومحالهم عدوا محالك
جروا جميع بلادهم ❊ والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم ❊ جهلا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكع ❊ بتنا فامر ما بدا لك

ثم ترك عبد المطلب الحلقة وتوجه في بعض الوجوه مع قومه واصبح ابرهة بالمغمس قد تهيأ للدخول
وعبأ جيشه وهيأ فيله وكان فيلا لم ير مثله في العظم والقوة ويقال كانت
اثنا عشر فيلا فاقبل نفيل الى الفيل الاعظم ثم اخذ باذنه وقال له ابرك محمودا وارجع
راشدا من حيث جئت فانك ببلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فابى فضربوه
بالمعول في راسه فادخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه فنزعوه ليقوم فابى فوجهوه
راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل
مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وابى ان يقوم وخرج نفيل يشتد حتى صعد الجبل وارسل
الله عز وجل طيرا من البحر امثال الخطاطيف مع كل طائر منها ثلاثة احجار حجران في رجليه
وحجر في منقاره امثال الحمص والعدس والحمص فلما غشيت القوم ارسلتها عليهم فلم تصب
تلك الحجارة احدا الا اهلكته وليس كل القوم اصابت وخرجوا هاربين لا يهتدون الى
الطريق الذي جاؤوا منه ويسالون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن
ونفيل ينظر اليهم من بعض الجبال وفي قول نفيل

الا ردي ركابنا ربيفا ❊ نعمناكم على الهجران عينا
فانك لو رايت ولن تريه ❊ لدى جنب المحصب ما راينا
حمدت الله اذ ابصرت طيرا ❊ وحصب حجارة تلقى علينا

وكلم

وكلهم يسال عن نفيل ❊ كان علي للحبشان دينا

وخرج القوم وماج بعضهم في بعض يتساقطون بكل طريق ويهلكون في كل منهل وبعث
الله على ابرهة داء في جسده فجعل تتساقط انامله كلما سقطت انملة اتبعتها مدة من قيح فانتهى
الى صنعاء وهو مثل فرخ الطير فيمن بقي من اصحابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم
هلك قال الواقدي واما محمود فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجا والفيل الاخر تشجع
فحصبوا اي رموا بالحصباء وقال بعضهم انقلب ابو يكسوم وزير ابرهة وتبعه طير يحلق فوق
راسه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما اتمها وقع عليه حجر من ذلك الطير فخر ميتا
بين يدي النجاشي وفي ذلك يقول امية بن الصلت

ان ايات ربنا ساطعات ❊ ما يماري فيهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى ❊ ظل يحبو كانه معقور

روي عن عائشة رضي الله عنها قالت رايت قائد الفيل وسائسه بمكة يستطعمان الناس وزعم
مقاتل بن سليمان ان السبب الذي جر اصحاب الفيل ان فتية من قريش اججوا نارا حين خرجوا تجارا
الى ارض النجاشي فدنوا من ساحل البحر وثم بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل فاججوا النار
واشتووا فلما ارتحلوا تركوا النار كما هي في يوم عاصف فهاجت الريح فاضطرم الهيكل نارا
فانطلق الصريخ الى النجاشي فاسف غضبا للبيعة فبعث ابرهة لهدم الكعبة وقال فيه ان كان
ابو مسعود الثقفي وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا
تستقيم الامور برايه وكان خليلا لعبد المطلب فقال له ما ذا عندك فهذا يوم لا يستغنى فيه
عن رايك فقال ابو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فقلدها نعلا واجعلها لله ثم
اثبتها في الحرم فلعل بعض السودان يعقر منها شيئا فيغضب رب هذا البيت فياخذهم ففعل ذلك
عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو
فقال ابو مسعود ان لهذا البيت ربا يمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن هذا البيت واراد هدمه
فمنعه الله وابتلاه واظلم عليه ثلاثة فلما راى تبع ذلك كساه القباطي البيض وعظمه
ونحر له جزورا فانظروا نحو البحر فنظر عبد المطلب فقال ارى طيرا بيضا نشات من شاطئ
البحر فقال ارمقها ببصرك اين قرارها قال اراها قد دارت على رؤوسنا قال هل
تعرفها قال لا والله ما اعرفها ما هي بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية قال ما قدرها
قال اشباه اليعاسيب بعضها في مناقيرها حصى كانها حصى الخذف قد اقبلت كالليل
يكسع بعضها بعضا امام كل رفقة طير يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق فجاءت
حتى جاذت عسكر القوم ركدت فوق رؤوسهم فلما توافت الرجال كلهم اهالت
الطير ما في مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها انصاعت راجعة
من حيث جاءت فلما اصبحا انحطا من ذروة الجبل فمشيا حتى صعدا ربوة فلم يونسا
احدا ثم دنيا فلم يسمعا حسا فقالا بات القوم ساهرين فاصبحوا نياما فلما دنيا من عسكر
القوم فاذا هم خامدون وكان يقع الحجر على بيضة احدهم فيخرقها حتى يقع في دماغه ويخرق
الفيل والدابة ويغيب الحجر في الارض من شدة وقعه فعمد عبد المطلب فاخذ فاسا
من فؤوسهم فحفر حتى عمق في الارض فملاه من الذهب الاحمر والجواهر وحفر لصاحبه مثله
فملاه ثم قال لابي مسعود هات فاختر ان شئت حفرتي وان شئت حفرتك وان
شئت فهما لك معا قال ابو مسعود فاختر لي على نفسك فقال عبد المطلب اني لم ال ان
اجعل اجود المتاع في حفرتي فهي لك وجلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب

في الناس حتى رجعوا واما ابو مسعود فصلبهما حتى ضاقوا به وساد عبد المطلب بذلك قريشا واعطته
المقاد فلم يزل عبد المطلب وابو مسعود في اهليهما في غنائم لما ان دفع الله عز وجل عن كعبته
واختلفوا في تاريخ الفيل فقيل كان قبل مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعين سنة
وقيل بثلاث عشرة سنة والاصح الذي عليه الاكثرون من علماء السير والتواريخ واهل التفسير انه
كان في العام الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم يقولون ولد عام الفيل وجعلوه
تاريخا لمولده صلى الله عليه وسلم واما التفسير فقوله عز وجل الم تر كيف الم تعلم وذلك ان هذه
الواقعة كانت قبل مبعثه بزمان طويل الا ان العلم بها كان حاصلا عنده لان الخبر بها كان
مستفيضا معروفا بمكة واذا كان كذلك فكانه علمه صلى الله عليه وسلم وشاهده يقينا فلهذا
قال تعالى له الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل قيل كان معهم فيل واحد وقيل كان الفيلة
ثمانية وقيل اثني عشر وانما وحده لانه نسبهم الى الفيل الاعظم الذي كان يقال له محمود وقيل
انما وحده لوفاق الاي في قصة اصحاب الفيل دلالة عظيمة على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته
ان يتخيل في العقل ان طيرا تاتي من قبل البحر تحمل حجارة وترمي بها ناسا مخصوصين وفيها
دلالة على شرف محمد صلى الله عليه وسلم ومعجزته ظاهرة وذلك ان الله تعالى انما فعل ذلك
لنصر من ارتضاه وهو محمد صلى الله عليه وسلم الداعي الى توحيده واهلاك من سخط عليه وليس
ذلك لنصر قريش فانهم كانوا كفارا لا كتاب لهم والحبشة لهم كتاب فلا يخفى على عاقل
ان المراد بذلك نصرة محمد صلى الله عليه وسلم فكانه تعالى انا الذي فعلت ما فعلت باصحاب
الفيل تعظيما لك وتشريفا لقدمك واذ قد نصرتك قبل قدومك فكيف اتركك بعد ظهورك
وقوله تعالى الم يجعل كيدهم يعني مكرهم في قصد وسعيهم في تخريب الكعبة في تضليل اي في
تضييع وخسار وابطال لما ارادوا واضل كيدهم فلم يصلوا الى ما ارادوا من تخريب البيت بل رجع
كيدهم عليهم بخراب كنيستهم واحترقت وهلكوا وهو قوله تعالى وارسل عليهم طيرا ابابيل
يعني طيرا كثيرة متفرقة يتبع بعضهم بعضا وقيل ابابيل جماعات في تفرقة قيل لا واحد
لها من لفظها وقيل واحدها ابالة وقيل ابيل وقيل ابول مثل عجول قال ابن عباس كانت
طيرا لها خراطيم كخراطيم الطير واكف كاكف الكلاب وقيل لها رؤوس كرؤوس السباع وقيل
لها انياب كانياب السباع وقيل طير خضر لها مناقير صفر وقيل طير سود جاءت من قبل
البحر فوجا فوجا مع كل طائر ثلاثة احجار حجران في رجليه وحجر في منقاره لا يصيب شيئا الا هشمه
ووجه الجمع بين هذه الاقاويل في اجناس اختلاف هذه الطير انه كانت فيها هذه الصفات
كلها فبعضها على ما حكاه ابن عباس وبعضها على ما حكاه غيره فاخبر كل واحد بما بلغه من
صفاتها والله اعلم قوله عز وجل ترميهم بحجارة قال ابن عباس صاحت الطير ورمتهم
بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت بالحجارة فزادتها شدة فما وقع حجر منها على رجل الا خرج
من الجانب الاخر وان وقع على راسه خرج من دبره من سجيل قيل السجيل اسم علم على الديوان
الذي كتب فيه عذاب الكفار واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال والمعنى ترميهم بحجارة
من جملة العذاب المكتوب المدون مما كتبه الله في ذلك الكتاب وقيل معناه من طين
حصى مطبوخ كما يطبخ الاجر وقيل سجيل حجر وطين مختلط واصله سنك وكيل
فارسي معرب وقيل السجيل الشديد فجعلهم كعصف ماكول يعني كزرع وتبن اكلته الدواب ثم
لاثته فيبس وتفرقت اجزاؤه شبه تقطع اوصالهم وتفرقها بتفرق اجزاء الروث وقيل العصف
ورق الحنطة وهو التبن وقيل كالحب اذا اكل فصار اجوف وقال ابن عباس هو القشر
الخارج الذي يكون على حب الحنطة كهيئة الغلاف والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده

تفسير

تفسير سورة قريش

مكية وقيل مدنية والاول اصح وهي اربع ايات وسبع عشرة كلمة وثلاث وسبعون حرفا
بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل لايلاف قريش اختلفوا في هذه اللام
فقيل هي متعلقة بما قبلها وذلك ان الله تعالى ذكر اهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما صنع بالحبشة
فقال تعالى فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش اي اهلك اصحاب الفيل لتبقى قريش وما الفوا من
رحلة الشتاء والصيف ولهذا جعل ابي بن كعب هذه السورة وسورة الفيل سورة واحدة ولم يفصل
بينهما في مصحفه ببسم الله الرحمن الرحيم والذي عليه الجمهور من الصحابة وغيرهم وهو المستفيض
المشهور ان هذه السورة منفصلة عن سورة الفيل وانه لا تعلق بينهما واجيب عن مذهب ابي بن
في جعل هذه السورة والسورة التي قبلها سورة واحدة فان القران كالسورة الواحدة يصدق
بعضه بعضا ويبين بعضه معنى بعض وهو معارض باطباق الصحابة وغيرهم على الفصل بينهما
وانهما سورتان فعلى هذا القول اختلفوا في العلة الجالبة للام في قوله تعالى لايلاف قريش
فقيل هي لام التعجب اي اعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة رب هذا
البيت ثم امرهم بعبادته فهو كقولك على وجه التعجب اعجبوا لذلك وقيل هي متعلقة بما بعدها
تقديره فليعبدوا رب هذا البيت لايلافهم رحلة الشتاء والصيف اي ليجعلوا عبادتهم
شكرا لهذه النعمة والايلاف من الفت الشيء الفا وهو بمعنى الايتلاف فيكون المعنى لايلاف
قريش هاتين الرحلتين فتتصلا ولا تنقطعا وقيل هو من الفت كذا اي لزمته والفنيه الله
اي الزمنيه الله وقريش هم ولد النضر فكل من ولده النضر فهو قرشي ومن لم يلده النضر
فليس بقرشي م عن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى
كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني هاشم عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في الخير والشر
ق عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الناس تبع لقريش في هذا الشان
مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم عن سعيد بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من يرد هوان قريش اهانه الله اخرجه الترمذي وقال حديث غريب عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اذقت اول قريش نكالا فاذق اخرهم
نوالا اخرجه الترمذي وقال حديث صحيح غريب النكال العذاب والمشقة والنوال العطاء
والخير وسموا قريشا من القرش والتقرش وهو الجمع والتكسب يقال تقرش لعياله ويقترش
لهم اي يكتسب وذلك لان قريشا كانوا قوما تجارا وعلى جمع المال والافضال حراصا
وقال ابو ريحانة سال معاوية عبد الله بن عباس لم سميت قريش قال لدابة تكون في البحر
من اعظم دوابه يقال لها القرش لا تمر بشيء من الغث والسمين الا اكلته وهي تاكل ولا
تؤكل وتعلو ولا تعلى قال تعرف العرب ذلك في اشعارها قال نعم وانشد شعر الجمحي

وقريش هي التي تسكن البحر ... بها سميت قريش قريشا
سلطت بالعلو في لجة البحر ... على سائر البحور جيوشا
تاكل الغث والسمين ولا ... تترك فيه لذي الجناحين ريشا
هكذا في الكتاب حي قريش ... ياكلون البلاد اكلا كميشا
ولهم اخر الزمان نبي ... يكثر القتل فيهم والخموشا
يملأ الارض خيله ورجال ... يحشرون المطي حشرا كميشا

وقيل ان قريشا كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب وانزلهم الحرم فاتخذوه
مسكنا فسموا قريشا لتجمعهم والتقرش التجمع يقال تقرش القوم اذا اجتمعوا وسمي قريشا مجمعا لذلك
قال الشاعر

ابوكم قصي كان يدعى مجمعا ... به جمع الله القبائل من فهر

وقوله تعالى ايلافهم هو بدل من الاول تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا لعظيم المنة فيه رحلة الشتاء
والصيف قال ابن عباس كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف فامرهم الله تعالى ان يقيموا بالحرم
ويعبدوا رب هذا البيت وقال الاكثرون كانت لهم رحلتان في كل عام للتجارة رحلة الشتاء الى
اليمن لانها ادفى ورحلة في الصيف الى الشام وكان الحرم واديا جدبا لا زرع فيه ولا ضرع وكانت
قريش تعيش بتجاراتهم ورحلتهم وكانوا لا يتعرض لهم احد بسوء وكانوا يقولون قريش سكان حرم
الله وولاة بيته وكانت العرب تكرمهم وتعزهم وتعظمهم لذلك فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام
ولولا الامن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف فشق عليهم الاختلاف الى اليمن والشام فاخصبت
تبالة وجرش من بلاد اليمن فحملوا الطعام الى مكة اهل الساحل حملوا طعامهم في البحر على السفن
الى اهل مكة واهل البر حملوا على الابل والحمير فالقى اهل الساحل الى جدة واهل البر بالمحصب
واخصب الشام فحملوا الطعام الى مكة والقوا بالابطح فامتار اهل مكة من قريب وكفاهم
الله مؤنة الرحلتين جميعا قال ابن عباس كانوا في ضر ومجاعة حتى جمعهم هاشم على الرحلتين فكانوا
يقسمون ربحهم بين الفقير والغني حتى كان فقيرهم كغنيهم وقال الكلبي وكان اول من حمل السمراء
يعني القمح الى الشام ورحل اليها الابل هاشم بن عبد مناف وفيه يقول الشاعر

قل للذي طلب السماحة والندى ... هلا مررت بآل عبد مناف
هلا مررت بهم تريد قراهم ... منعوك من ضر ومن اكناف
الرائشين وليس يوجد رائش ... والقائلين هلم للاضياف
والخالطين غنيهم بفقيرهم ... حتى يكون فقيرهم كالكافي
والقائمين بكل وعد صادق ... والراحلين برحلة الايلاف
عمرو العلى هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتون عجاف
سفرين سنهما له ولقومه ... سفر الشتاء ورحلة الاصياف

قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت يعني الكعبة وذلك ان الانعام على قسمين احدهما دفع
ضر وهو ما ذكره في سورة الفيل والثاني جلب نفع وهو ما ذكره في هذه السورة ولما دفع الله
عنهم الضر وجلب لهم النفع وهما نعمتان عظيمتان امرهم بالعبودية واداء الشكر وقيل انه تعالى
لما كفاهم امر الرحلتين امرهم ان يشتغلوا بعبادة رب هذا البيت فانه هو الذي اطعمهم من جوع
وآمنهم من خوف ومعنى الذي اطعمهم من جوع اي بعد جوع بحمل الميرة اليهم من البلاد في البر والبحر
وقيل في الآية انهم لما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين
كسني يوسف فاشتد عليهم القحط واصابهم الجهد فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مؤمنون فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخصبت البلاد واخصب اهل مكة بعد القحط والجهد فذلك
قوله تعالى الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف اي بالحرم وكونهم من اهل مكة حتى لم يتعرض
لهم احد في رحلتهم وقيل آمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم الجذام وقيل آمنهم بمحمد صلى
الله عليه وسلم وبالاسلام والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة ارأيت الذي

مكية وقيل نزل نصفها بمكة في العاصي بن وائل والنصف الثاني بالمدينة في عبد الله بن ابي سلول

المنافق

المنافق وهي سبع آيات وخمس وعشرون كلمة ومائة وخمس وعشرون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم
قوله عز وجل ارأيت الذي يكذب بالدين قيل نزلت في العاص بن وائل السهمي وقيل في الوليد بن المغيرة
وقيل في عمرو بن عائذ المخزومي وفي رواية عن ابن عباس انها في رجل من المنافقين ومعنى الآية هل
عرفت الذي يكذب بالدين بيوم الجزاء والحساب فان لم تعرفه فذلك الذي يدع اليتيم ولفظ
ارأيت استفهام والمراد به المبالغة في التعجب من حال هذا المكذب وهو خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم وقيل هو خطاب لكل احد والمعنى ارأيت ايها الانسان او يا ايها العاقل هذا
الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك فذلك الذي يدع
اليتيم اي يقهره ويدفعه عن حقه والدع الدفع بعنف وجفوة والمعنى انه يدفعه عن حقه وماله
بالظلم وقيل يترك المواساة له وان لم تكن المواساة واجبة وقيل يزجره ويضربه ويستخف به
وقرئ يدع بالتخفيف اي يدعوه ليستخدمه قهرا واستطالة ولا يحض على طعام المسكين
اي لا يطعمه ولا يامر باطعامه لانه يكذب بالجزاء وهذا غاية البخل لانه يبخل بماله وبمال غيره
فلا يامر غيره بالاطعام قوله تعالى فويل للمصلين يعني المنافقين ثم نعتهم فقال تعالى الذين
هم عن صلاتهم ساهون روى البغوي بسنده عن سعد قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الذين
هم عن صلاتهم ساهون قال اضاعة الوقت قال ابن عباس هم المنافقون يتركون الصلاة اذا غابوا
عن الناس ويصلونها في العلانية اذا حضروا معهم لقوله تعالى الذين هم يراؤون وقال تعالى في وصف
المنافقين واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤون الناس وقيل ساهون عنها لا يبالي صلى
او لم يصل وقيل لا يرجون لها ثوابا ان صلوا ولا يخافون عليها عقابا ان تركوا وقيل غافلون
عنها يتهاونون بها وقيل هم الذين لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها
وقيل لما قال تعالى عن صلاتهم ساهون بلفظة عن علم انها في المنافقين والمؤمن قد يسهو
في صلاته والفرق بين السهوين ان سهو المنافق هو ان لا يتذكرها ويكون فارغا عنها والمؤمن
اذا سها عن صلاته تداركه في الحال وجبره بسجود السهو فظهر الفرق بين السهوين وقيل
السهو عن الصلاة هو ان يبقى ناسيا لذكر الله في جميع اجزاء الصلاة وهذا لا يصدر الا من المنافق
الذي يعتقد انه لا فائدة في الصلاة واما المؤمن الذي يعتقد فائدة الصلاة وانها عليه
واجبة ويرجو الثواب على فعلها ويخاف العقاب على تركها فقد يحصل له سهو في الصلاة يعني
انه يصير ساهيا في بعض اجزاء الصلاة بسبب وارد يرد عليه بوسوسة الشيطان او حديث
النفس وذلك لا يكاد يخلو منه احد ثم يذهب ذلك الوارد عنه فثبت بهذا الفرق ان
السهو عن الصلاة من افعال المنافقين والسهو في الصلاة من افعال المؤمنين الذين هم يراؤون
يعني يتركون الصلاة في السر ويصلونها في العلانية والفرق بين المنافق والمرائي ان المنافق
هو الذي يبطن الكفر ويظهر الايمان والمرائي يظهر الاعمال مع زيادة الخشوع ليعتقد فيه
من يراه انه من اهل الدين والصلاح اما من يظهر النوافل ليقتدى به ويامن على نفسه الرياء
فلا باس بذلك وليس بمراء ثم وصفهم بالبخل فقال تعالى الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون
روي عن علي انه قال هي الزكاة وهو قول ابن عمر والحسن وقتادة والضحاك ووجه ذلك ان
الله تعالى ذكرها بعد الصلاة فذمهم على ترك الصلاة ومنع الزكاة وقال ابن عباس الماعون
الفاس والدلو والقدر واشباه ذلك وهي رواية عن ابن عباس ويدل عليه ما روي عنه كنا نعد
الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر اخرجه ابو داود وقال
مجاهد الماعون العارية وقال عكرمة الماعون اعلاه الزكاة المفروضة وادناه عارية
المتاع وقال محمد بن كعب القرظي الماعون المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم وقيل

أصل الماعون من القلة فسمى الزكاة والصدقة المفروضة والمعروف ماعونا لأنه قليل من كثير وقيل الماعون ما لا يحل منعه مثل الماء والملح والنار ويلتحق بذلك البئر والتنور في البيت فلا يمنع جيرانه من الانتفاع بهما ومعنى الآية الزجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة الحقيرة فإن البخل بها في نهاية البخل قال العلماء ويستحب أن يستكثر الرجل في بيته مما يحتاج إليه الجيران فيعيرهم ويتفضل عليهم ولا يقتصر على الواجب والله تعالى أعلم بمراده وبأسرار كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

تفسير سورة الكوثر

مكية قاله ابن عباس والجمهور وقيل إنها مدنية قاله الحسن وقتادة وهي ثلاث آيات وعشر كلمات واثنان وأربعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل إنا أعطيناك الكوثر نهر في الجنة أعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الكوثر القرآن العظيم وقيل هو النبوة والكتاب والحكمة وقيل هو كثرة أتباعه وأمته وقيل الكوثر الخير الكثير كما فسره ابن عباس (خ) عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير إن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة قال سعيد النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه وأصل الكوثر فوعل من الكثرة والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد أو كثير القدر والخطر كوثرا وقيل الكوثر الفضائل الكثيرة التي فضل بها على جميع الخلق فجميع ما جاء في تفسير الكوثر فقد أعطيه النبي صلى الله عليه وسلم أعطي النبوة والكتاب والحكمة والعلم والشفاعة والحوض المورود والمقام المحمود وكثرة الأتباع والإسلام وإظهاره على الأديان كلها والنصر على الأعداء وكثرة الفتوح في زمنه وبعده إلى يوم القيامة وأولى الأقاويل في الكوثر والذي عليه الجمهور أنه نهر في الجنة كما جاء مبينا في الحديث (ق) عن أنس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلت ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت علي آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر ثم قال أتدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله أعلم قال فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد نجوم السماء فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتي فيقول ما تدري ما أحدث بعدك لفظ مسلم وللبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي إلى السماء أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فإذا طينه مسك أذفر أو طيبه شك الراوي عن أنس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذاك نهر أعطانيه الله يعني في الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجزر قال عمر إن هذه لناعمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلتها أنعم منها أخرجه الترمذي وقال حديث حسن عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح (خ) عن عامر بن عبد الله بن مسعود قال سألت عائشة عن قوله تعالى إنا أعطيناك الكوثر فقالت الكوثر نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه در مجوف آنيته كعدد نجوم السماء (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم

السما من شرب منها لا يظمأ أبدا زاد في رواية وزواياه سواء (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أمامكم حوضي ما بين جنبيه كما بين جربا وأذرح قال بعض الرواة هما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاثة أيام وفي رواية فيه أباريق كنجوم السماء من ورده فشرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن ما بين ناحيتي وفي رواية لابتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة وفي رواية مثل ما بين المدينة وعمان وفي رواية قال إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء اليمن وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء (م) عن أبي ذر قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان إلى أيلة ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل (م) عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعصاي حتى يرفض عليهم فسئل عن عرضه فقال من مقامي إلى عمان وسئل عن شرابه فقال أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من الورق (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا فرطكم على الحوض وليرفعن إلي رجال من أصحابي حتى إذا رفعوا إلي اختلجوا دوني فأقول أي رب أصحابي فيقال لا تدري ما أحدثوا بعدك (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليردن علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رفعوا إلي اختلجوا دوني فلأقولن رب أصحابي فليقولن لي إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك وفي رواية ليردن علي ناس من أمتي الحديث وفي آخره فأقول سحقا لمن بدل بعدي (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي أو قال من أمتي فيحلؤون عن الحوض فأقول يا رب أصحابي فيقول إنه لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى ولمسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ترد علي أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله قالوا يا نبي الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لأحد غيركم تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء وليصدن عني طائفة منكم فلا يصلون فأقول يا رب هؤلاء من أصحابي فيجيبني ملك فيقول وهل تدري ما أحدثوا بعدك (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لأذودن رجالا عن حوضي كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض (م) عن حذيفة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن حوضي لأبعد من أيلة إلى عدن والذي نفسي بيده لأذودن عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن إبله قالوا يا رسول الله وتعرفنا قال نعم تردون علي غرا محجلين من آثار الوضوء ليست لأحد غيركم عن زيد بن أرقم قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلنا منزلا فقال ما أنتم جزء من مائة ألف جزء ممن يرد علي الحوض قيل كم كنتم يومئذ قال سبعمائة أو ثمانمائة أخرجه أبو داود

فصل في شرح هذه الأحاديث وذكر ما يتعلق بها بالحوض قال الشيخ محيي الدين النووي قال القاضي عياض أحاديث الحوض صحيحة والإيمان به فرض والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يتأول ولا يختلف فيه وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة فذكره مسلم من رواية ابن عمر وأبي سعيد وسهل بن سعد وجندب بن عبد الله وعبد الله بن عمرو وعائشة وأم سلمة وعقبة بن عامر وابن مسعود وحذيفة وحارثة بن وهب والمستورد وأبي ذر وثوبان وأنس وجابر والبخاري ومسلم من رواية أبي بكر الصديق وزيد بن أرقم وأبي أمامة وعبد الله بن زيد وسويد بن غفلة وعبد الله بن زيد الصنابحي والبراء بن عازب وأسماء بنت أبي بكر الصديق

وخولة بنت قيس وغيرهم قال محيي الدين ورواه البخاري ومسلم ايضا من رواية ابي هريرة ورواه غيرهما
من رواية عمر بن الخطاب وعائذ بن عمرو وآخرين وقد جمع ذلك كله الامام الحافظ ابو بكر البيهقي
في كتابه البعث والنشور باسانيده وطرقه المتكاثرات فان قلت فقد اتفقا على اخراج حديث
الحوض عن جماعة ممن تقدم ذكرهم من الصحابة على ما سبق ذكره في الحديث وفيه بيان ما اتفقا
وانفرد به كل واحد منهما واخرجا ايضا حديث الحوض عن اسما بنت ابي بكر الصديق وذكره القاضي
عياض فيمن خرج له من الصحيحين قال القاضي عياض وفي بعض هذا ما يقتضي كون الحديث
متواترا واما صفة الحوض ومقداره فقد قال في رواية حوضي مسيرة شهر وفي رواية
عرضه مثل طوله ما بين جنبيه كما بين جربا واذرح وفي رواية كما بين ايلة وصنعا اليمن وفي رواية
عرضه مثل طوله ما بين عمان الى ايلة وفي رواية ان حوضي لابعد من ايلة الى عدن فهذا
الاختلاف في هذه الروايات في قدر الحوض ليس موجبا للاضطراب فيها لانه لم يات في حديث
واحد بل في احاديث مختلفة الرواة عن جماعات من الصحابة سمعوها عن النبي صلى الله عليه
وسلم في مواطن مختلفة ضربها النبي صلى الله عليه وسلم مثلا لبعد اقطار الحوض وسعته وقرب
ذلك على اذهان السامعين لبعد ما بين هذه البلاد المذكورة لا على التقدير الموضوع
للتحديد لاعلام السامعين عظم المسافة وسعة الحوض وليس في ذكر القليل من هذه المسافة
منع من الكثير فان الكثير ثابت على ظاهره وصحت الرواية به والقليل داخل فيه فلا
معارضة ولا منافاة بينهما وكذلك القول في آنية الحوض ان العدد المذكور في
الاحاديث على ظاهره وانها اكثر عددا من نجوم السما ولا مانع يمنع من ذلك اذ قد
وردت الاحاديث الصحيحة الثابتة بذلك وكذلك القول في الواردين الحوض والشاربين
منه وكثرتهم وقوله صلى الله عليه وسلم ما انتم جزء من مائة الف جزء ممن يرد الحوض لم يرد به
حصرهم بهذا العدد المذكور وانما ضربه مثلا لاكثر العدد المعروف للسامعين ويدل
على هذا قوله صلى الله عليه وسلم من ورد شرب فهذا صريح في ان جميع الواردين يشربون وانما
يمنع منه الذين يذادون ويمنعون الورود لارتدادهم وتبديلهم وهو قوله صلى الله عليه وسلم
فيختلج العبد منهم فاقول رب انه من امتي فيقول انك لا تدري ما احدث بعدك وفي رواية وليرفعن
الي رجال منكم حتى اذا هويت لاناولهم اختلجوا دوني فاقول اي رب اصحابي فيقال لي
انك لا تدري ما احدثوا بعدك ونحو هذا من الروايات المذكورة في الاحاديث الثابتة
وهذا مما اختلف العلما في معناه والمراد به منهم فقيل المراد به المنافقون والمرتدون
في زمن النبي صلى الله عليه وسلم فيحتمل انهم اذا حشروا عرفهم النبي صلى الله عليه وسلم للسيما التي
عليهم فناديهم فيقال ليس هؤلا ممن وعدت بهم انهم قد بدلوا بعدك اي لم يكونوا على ما ظهر
من اسلامهم وقيل المراد بهم من اسلم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتدوا بعده في زمن ابي
بكر الصديق وهم الذين قاتلهم على الردة وهم اصحاب مسيلمة الكذاب فيناديهم النبي صلى الله عليه
وسلم لما كان يعرفه من ايمانهم في حياته فيقال له قد ارتدوا بعدك وقيل المراد بهم اصحاب
البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الاسلام واصحاب المعاصي الكبائر الذين ماتوا على التوحيد
ولم يتوبوا من بدعتهم ومعاصيهم الكبائر فعلى هذا القول لا يقطع لهؤلا المطرودين
عن الحوض بالنار بل يجوز ان يذادوا عنه عقوبة لهم ثم يرحمهم الله فيدخلهم الجنة من غير
عذاب وقال ابو عمر بن عبد البر كل من احدث في الدين كالخوارج والروافض وسائر اصحاب
الاهوا فهو من المطرودين عن الحوض قال وكذلك الظلمة المسرفون في الجور وطمس الحق
والمعلنون بالكبائر فكل هؤلا يخاف ان يكونوا ممن عني بهذا الحديث وقوله من شرب منه لم

يظما ابدا قال القاضي عياض ظاهر هذا الحديث ان الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة
من النار ويحتمل ان يكون الشرب من شرب منه من هذه الامة وقدر عليه دخول النار لا يعذب
فيها بالظما بل يكون عذابه بغير ذلك لان ظاهر الحديث ان جميع الامة تشرب منه الا من ارتد
وصار كافرا وقيل ان جميع المؤمنين ياخذون كتبهم بايمانهم ثم يعذب الله من شا من عصاتهم وقيل
انما ياخذ بيمينه الناجون منهم خاصة والشرب من الحوض مثله

شرح غريب الفاظ الاحاديث

قوله فيختلج العبد منهم اي ينتزع ويجتذب قوله ما بين جنبيه كجربا واذرح فجربا بجيم مفتوحة ثم را ساكنة
ثم با موحدة ثم الف مقصورة ووقع عند بعض رواة البخاري فيها بالمد والقصر اولى وهي
قرية من الشام واما اذرح فبهمزة ثم ذال معجمة ثم را ثم حا مهملة وهي مدينة في طرف الشام قريب
من الشوبك واما عمان فبفتح العين وتشديد الميم بلدة بالبلقا من ارض الشام واما ايلة
فبفتح الهمزة واسكان اليا المثناة تحت وفتح اللام مدينة في طرف الشام على ساحل البحر
متوسطة بين دمشق ومصر والمدينة وبينها وبين المدينة نحو خمسة عشر مرحلة وبين مصر
ثمان مراحل والى دمشق اثني عشر مرحلة وهي اخر الحجاز واول الشام واما صنعا فهي قاعدة
اليمن واكبر مدنه وانما قيده باليمن في الحديث لان بدمشق موضع يعرف بصنعا دمشق وقد
تقدم الكلام على اختلاف هذه المسافات والجمع بين رواياتها قوله يشخب فيه ميزابان هو
بفتح اليا المثناة وبالشين والخا المعجمتين اي يسيل فيه وفي الحديث الاخر يغت بفتح اليا
وبالغين المعجمة وكسرها وتشديد التا المثناة فوق اي يدفق منه ميزابان تدفقا شديدا
متتابعا قوله الى العقر حوضي وهو بضم العين المهملة واسكان القاف وهو موقف الابل
اذا وردته للشرب وقيل هو مؤخر الحوض قوله اذود الناس اي اضرب الناس لاهل اليمن
بعصاي حتى يرفض عليهم وفيه معناه اطرد الناس غير اهل اليمن ومعنى يرفض اي يسيل
عليهم وفيه منقبة عظيمة لاهل اليمن قوله انا فرطكم على الحوض الفرط بفتح الفا والرا على
هو الذي يتقدم على الوارد ليصلح لهم الحياض والدلا ونحوها من امور الاستقا والمعنى انا امامكم
على الحوض كالمهيئ له قوله فاقول سحقا اي بعدا وفيه دليل لمن قال انهم اهل الردة لانه لا يقال
للمؤمن سحقا بل يشفع قلت في حديث انس الاول دليل لمن يقول ان سورة الكوثر مدنية
وهو الاظهر لقوله بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا اذ اغفى اغفاة يعني نام نومة
ثم رفع راسه متبسما والله اعلم فصل لربك وانحر معناه ان ناسا كانوا يصلون لغير
الله فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي له وينحر له متقربا الى ربه بذلك وقيل معناه فصل
لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقيل معناه فصل الصلاة المفروضة بجمع وانحر
البدن بمنى وقال ابن عباس فصل لربك وانحر اي ضع يدك اليمنى على اليسرى في الصلاة
عند النحر وقيل هو رفع اليدين مع التكبير الى النحر حكاه ابن الجوزي ومعنى الاية قد اعطيناك
الكوثر ما لا نهاية لكثرته من خير الدارين وخصصناك بما لم نخص به احدا غيرك فاعبد ربك
الذي اعطاك هذا العطا الجزيل والخير الكثير واعزك واشرفك على كافة الخلق ورفع
منزلتك فوقهم فصل له واشكره على انعامه عليك وانحر البدن متقربا اليه ان شانئك
يعني عدوك ومبغضك هو الابتر يعني هو الاقل الاذل المنقطع دابره نزلت في العاص
ابن وائل السهمي وذلك انه راى النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من المسجد وهو يدخل
فالتقيا عند باب بني سهم وتحدثا واناس من صناديد قريش جلوس في المسجد فلما دخل
العاص قالوا له من الذي كنت تتحدث معه فقال ذلك الابتر يعني به النبي صلى الله
عليه وسلم وكان قد توفي ابن لرسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وقيل ان العاص بن وائل

وينحرون لغير الله ع

كان اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانه رجل ابتر لا عقب له فاذا هلك انقطع ذكره فانزل الله تعالى هذه السورة وقال ابن عباس نزلت في كعب بن الاشرف وجماعة من قريش وذلك انه لما قدم كعب بن الاشرف مكة قالت له قريش نحن اهل السقاية والسدانة ونحن وانت سيد اهل المدينة فنحن خير ام هذا الصنبور المنفرد من قومه فقال انتم خير منه فنزلت فيه الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الاية ونزلت في الذين قالوا انه ابتر ان شانئك هو الابتر المنقطع من كل خير فقولهم في النبي صلى الله عليه وسلم هو الصنبور ارادوا انه فرد ليس له ولد فاذا مات انقطع ذكره شبهوه بالنخلة المنفردة يدق اسفلها وتسمى الصنبور وقيل هي النخلة التي تخرج في اصل اخرى لم تغرس وقيل الصنبور سعفات تنبت من جذع النخلة تضر بها ودواؤها ان تقطع تلك الصنابير منها فاراد كفار قريش ان محمدا صلى الله عليه وسلم بمنزلة الصنبور نبت في جذع نخل واذا انقطع استراحت النخلة وكذا محمد اذا مات انقطع ذكره وقيل الصنبور الوحيد الضعيف الذي لا ولد له ولا عشيرة ولا ناصر من قريب ولا غريب فاكذبهم الله تعالى في ذلك ورد عليهم اشنع رد فقال ان شانئك يا محمد هو الابتر الضعيف الوحيد الحقير وانت الاعز الاشرف الافضل والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه

تفسير سورة الكافرون

مكية وهي ست ايات وست وعشرون كلمة واربعة وتسعون حرفا عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا اذا زلزلت عدلت له نصف القران ومن قرا قل يا ايها الكافرون عدلت له ربع القران ومن قرا قل هو الله احد عدلت له ثلث القران اخرجه الترمذي وقال حديث غريب وله عن ابن عباس نحوه وقال فيه غريب ووجه كون هذه السورة تعدل ربع القران ان القران يشتمل على الامر والنهي وكل واحد منهما ينقسم الى ما يتعلق بعمل القلوب والى ما يتعلق بعمل الجوارح فحصل من ذلك اربعة اقسام وهذه السورة مشتملة على النهي عن عبادة غير الله تعالى وهي من الاعتقاد وذلك من افعال القلوب فكانت هذه السورة ربع القران على هذا التقسيم والله تعالى اعلم بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل قل يا ايها الكافرون نزلت هذه السورة في رهط من قريش منهم الحارث بن قيس السهمي والعاص بن وائل والوليد بن المغيرة والاسود بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب ابن اسد وامية بن خلف قالوا يا محمد هلم واتبع ديننا ونتبع دينك ونشركك في امرنا كله تعبد الهتنا سنة ونعبد الهك سنة فان كان الذي جئت به خيرا كنا قد شاركناك فيه واخذنا حظنا منه وان كان الذي بايدينا خيرا كنت قد شركت في امرنا واخذت بحظك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ الله ان اشرك به غيره قالوا فاستلم بعض الهتنا نصدقك ونعبد الهك فقال حتى انظر ما ياتي من ربي فانزل الله تعالى قل يا ايها الكافرون الى اخر السورة فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المسجد الحرام وفيه اولئك الملا من قريش فقام على رؤوسهم ثم قراها عليهم حتى فرغ من السورة فايسوا منه عند ذلك واذوه واذوا اصحابه وقيل انهم لقوا العباس فقالوا يا ابا الفضل لو ان ابن اخيك استلم بعض الهتنا لصدقناه فيما يقول ولامنا بالهه فاتاه العباس فاخبره بقولهم فنزلت هذه السورة وقيل نزلت في ابي جهل والمستهزئين ومن لم يؤمن منهم ومعنى الاية قل ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مامورا بتبليغ الرسالة بجميع ما اوحي اليه فلما قال الله تعالى قل يا ايها الكافرون اداه النبي صلى الله عليه وسلم كما سمعه من جبريل عليه السلام فكا

صلى

صلى الله عليه وسلم قال امرت بتبليغ جميع ما انزل علي وكانه فيما نزل عليه قل يا ايها الكافرون ان النفوس تابى سماع الكلام الغليظ الشنيع من النظيرين ولا اشنع ولا اغلظ من المخاطبة بالكفر فكانه صلى الله عليه وسلم قال ليس هذا من عندي انما هو من عند الله عز وجل وقد انزل علي قل يا ايها الكافرون والمخاطبون بقوله قل يا ايها الكافرون كفرة مخصوصون قد سبق في علم الله انهم لا يؤمنون لا اعبد ما تعبدون في معنى الاية قولان احدهما انه لا تكرار فيها فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون لا افعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة الهتكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم فاعلون في المستقبل ما اطلبه منكم من عبادة الهي ثم قال ولا انا عابد ما عبدتم اي ولست في الحال بعابد معبودكم ولا انتم عابدون ما اعبد اي ولا انتم في الحال بعابدين معبودي وقيل يحتمل ان يكون الاول للحال والثاني للاستقبال وقيل يصلح كل واحد منهما ان يكون للحال والاستقبال ولكن نخص احدهما بالحال والثاني بالاستقبال لانه اخبر اولا عن الحال ثم اخبر ثانيا عن الاستقبال فيكون المعنى لا اعبد ما تعبدون في الحال ولا انتم عابدون ما اعبد في الاستقبال وما بمعنى من اي من تعبدون ويحتمل ان تكون بمعنى الذي اي الذي تعبدون القول الثاني حصول التكرار في الاية فعلى هذا القول ان التكرار يفيد التوكيد وكلما كانت الحاجة الى التوكيد اشد كان التكرار احسن ولا موضع احوج الى التوكيد من هذا الموضع لان الكفار رجعوا النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى مرارا فحسن التوكيد والتكرار في هذا الموضع لان القران نزل بلسان العرب وعلى مجاري خطابهم ومن مذاهبهم التكرار ارادة التوكيد والافهام كما ان من مذاهبهم الاختصار ارادة التخفيف والايجاز وقيل تكرار الكلام لتكرار الوقت وذلك انهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان سرك ان ندخل في دينك عاما فادخل في ديننا عاما فنزلت هذه السورة جوابا لهم على قولهم لكم دينكم ولي دين اي لكم كفركم ولي اخلاصي وتوحيدي والمقصود منه التهديد فهو كقوله اعملوا ما شئتم وهذه الاية منسوخة باية القتال والله اعلم بمراده واسرار كتابه العزيز

تفسير سورة النصر

مدنية وهي ثلاث ايات وسبع عشرة كلمة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح يعني فتح مكة على ما ذكره محمد بن اسحاق واصحاب الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما صالح قريشا عام الحديبية اصطلحوا على وضع الحرب بين الناس عشر سنين وقيل عشر سنين يامن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ومن احب ان يدخل في عقد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده دخل فيه ومن احب ان يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه فدخلت بنو بكر في عهد قريش ودخلت خزاعة في عهد محمد صلى الله عليه وسلم وكان بينهما شر قديم ثم ان بنو بكر عدت على خزاعة وهم على ماء لهم باسفل مكة يقال له الوتير فخرج نوفل بن معاوية الديلي في بني الديل من بني بكر حتى بيت خزاعة على الوتير فاصابوا منهم رجلا وتحاجزوا واقتتلوا ورفدت قريش بني بكر بالسلاح وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا حتى حازوا خزاعة الى الحرم وكان ممن اعان بني بكر من قريش على خزاعة ليلتئذ بانفسهم متنكرين صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو مع عبيدهم فلما انتهوا الى الحرم قالت بنو بكر يا نوفل انا قد دخلنا الى الحرم فقال كلمة عظيمة انه لا اله له اليوم يا بني بكر اصيبوا ثاركم فلعمري انكم لتسرقون في الحرم افلا تصيبون ثاركم فيه قال فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة واصابوا منهم ما اصابوا ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة وكانوا في عقده خرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم

بالفتح

على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكان ذلك مما هاج فتح مكة فوقف عليه وهو في المسجد جالسا بين ظهراني الناس فقال

يا رب اني ناشد محمدا ‌ ‌ حلف ابينا وابيه الاتلدا
قد كنتم ولدا وكنا والدا ‌ ‌ ثمت اسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا اعتدا ‌ ‌ وادع عباد الله ياتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا ‌ ‌ ان سيم خسفا وجهه تربدا
في فيلق كالبحر يجري مزبدا ‌ ‌ ان قريشا اخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا ‌ ‌ وجعلوا لي في كداء رصدا
وزعموا ان لست ادعو احدا ‌ ‌ وهم اذل واقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا ‌ ‌ وقتلونا ركعا وسجدا
انصرنا هداك الله نصرا ابدا ‌ ‌ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا عمرو قد نصرت يا عمرو بن سالم ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السماء فقال ان هذه السحابة لتستهل بنصر بني كعب وهم رهط عمرو بن سالم ثم خرج بديل بن ورقا في نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاخبروه بما اصيب منهم وبمظاهرة قريش بني بكر عليهم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس كانكم بابي سفيان قد جا ليشدد في العقد ويزيد في المدة فمضى بديل بن ورقا واصحابه حتى لقوا ابا سفيان قد بعثته قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشدد في العقد ويزيد في المدة وقد رهبوا من الذي صنعوا فلما لقي ابو سفيان بديلا قال من اين اقبلت يا بديل فظن انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سرت في خزاعة في هذا الساحل وفي بطن هذا الوادي قال وما اتيت محمدا قال لا فلما راح بديل الى مكة قال ابو سفيان لئن كان جا المدينة لقد علف بها النوى فقال الحلف بالله لقد جا بديل محمدا ثم خرج ابو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على بنته ام حبيبة بنت ابي سفيان فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه فقال يا بنية ارغبت بي عن هذا الفراش ام رغبت به عني فقالت بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت مشرك نجس فلم احب ان تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والله لقد اصابك يا بنية بعدي شر ثم خرج حتى اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه فلم يرد عليه شيا ثم ذهب الى ابي بكر فكلمه ان يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما انا بفاعل ثم اتى عمر بن الخطاب فكلمه فقال اانا اشفع لكم الى النبي صلى الله عليه وسلم فوالله لو لم اجد الا الذر لجاهدتكم به ثم دخل على علي ابن ابي طالب وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندها الحسن بن علي بن ابي طالب غلام بين يديها فقال يا علي انك امس القوم بي رحما واقربهم مني قرابة وقد جئت في حاجة فلا ارجعن كما جئت خايبا اشفع لنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ويحك يا ابا سفيان لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على امر ما نستطيع ان نكلمه فيه فالتفت الى فاطمة وقال يا بنت محمد هل لك ان تامري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب الى اخر الدهر قالت والله ما بلغ بنيي ان يجير بين الناس وما يجير احد على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا الحسن اني ارى الامور قد اشتدت علي فانصحني قال والله لا اعلم شيا يغني عنك ولكنك سيد بني كنانة فقم فاجر بين الناس ثم الحق بارضك قال او ترى ذلك مغنيا عني شيا قال لا والله ما اظن ولكن لا اجد لك غير ذلك فقام ابو سفيان في المسجد

فقال

فقال ايها الناس اني قد اجرت بين الناس ثم ركب بعيره فانطلق فلما قدم على قريش قالوا ما وراك قال جئت محمدا صلى الله عليه وسلم فكلمته فوالله ما رد علي شيا ثم جئت ابن ابي قحافة فلم اجد عنده خيرا ثم جئت ابن الخطاب فوجدته اعدى القوم ثم اتيت علي بن ابي طالب فوجدته الين القوم وقد اشار علي بشي صنعته فوالله ما ادري هل يغني ذلك شيا ام لا قالوا وما ذاك امرك قال امرني ان اجير بين الناس ففعلت قالوا فهل اجاز ذلك محمد قال لا قالوا ويلك والله ان زاد على ان لعب بك فما يغني عنك ما قلت قال لا والله ما وجدت غير ذلك قال وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالجهاز وامر اهله ان يجهزوه فدخل ابو بكر على ابنته عايشة وهي تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بنية امركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تجهزوه فقالت نعم قال فاين ترينه يريد قالت لا والله ما ادري ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم الناس انه ساير الى مكة وامرهم بالجد والتهيؤ وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها فتجهز الناس وكتب حاطب بن ابي بلتعة كتابا الى قريش يخبرهم بالذي اجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدمت قصته في تفسير سورة الممتحنة ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره واستخلف على المدينة ابا رهم كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لعشر مضين من رمضان سنة ثمان من الهجرة فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه حتى اذا كان بالكديد بين عسفان وامج افطر ثم مضى حتى نزل مر الظهران في عشرة الاف من المسلمين ولم يتخلف عنه من المهاجرين والانصار عنه احد فلما نزل مر الظهران وقد عميت الاخبار عن قريش فلا ياتيهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدرون ما هو فاعل وخرج في تلك الليالي ابو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقا يتحسسون الاخبار وينظرون هل يجدون خبرا او يسمعون به وقد كان العباس بن عبد المطلب لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق قال ابن هشام لقيه بالجحفة مهاجرا بعياله وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران قال العباس بن عبد المطلب ليلة واصباح قريش والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل ان ياتوه فيستامنوه انه لهلاك قريش الى اخر الدهر قال فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضا فخرجت عليها حتى جئت الاراك لعلي اجد حطابا او صاحب لبن او ذا حاجة ياتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخرجوا اليه فيستامنوه قبل ان يدخلها عنوة قال العباس اني لاسير عليها والتمس ما خرجت له اذ سمعت كلام ابي سفيان وبديل بن ورقا وهما يتراجعان وابو سفيان يقول ما رايت كالليلة نيرانا قط قال بديل هذه والله نيران خزاعة حمشتها الحرب فقال ابو سفيان خزاعة اذل واقل من ان تكون هذه نيرانها قال فعرفت صوته فقلت يا ابا حنظلة فعرف صوتي فقال ابو الفضل فقلت نعم قال ما لك فداك ابي وامي قلت ويحك يا ابا سفيان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جا بما لا قبل لكم به بعشرة الاف من المسلمين قال وما الحيلة قلت والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب هذه البغلة حتى اتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستامنه لك فردفني ورجع صاحباه فخرجت اركض على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما مررت بنار من نيران المسلمين ينظروا ويقولوا عم رسول الله على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا مررت بنار عمر بن الخطاب فقال من هذا وقام الي فلما راى ابا سفيان على عجز البغلة قال ابو سفيان عدو الله الحمد لله الذي امكن منك بغير عقد ولا عهد ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدابة البطية الرجل

البطحى قال فاقتحمت عن البغلة سريعا فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل عليه عمر فقال
يا رسول الله هذا ابو سفيان عدو الله قد امكن الله منه بغير عهد ولا عقد فدعني اضرب عنقه قال
فقلت يا رسول الله اني قد اجرته ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذت براسه فقلت
والله لا يناجيه الليلة احد دوني فلما اكثر عمر في شانه قلت مهلا يا عمر فوالله يا عمر ما تصنع هذا الا
انه رجل من بني عبد مناف ولو كان من بني عدي بن كعب ما قلت هذا فقال مهلا يا عباس فوالله لاسلامك
يوم اسلمت كان احب الي من اسلام الخطاب لو اسلم الخطاب وما ذاك الا اني اعلم ان اسلامك كان احب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب به يا عباس الى رحلك فاذا اصبحت فاتني به قال فذهبت به الى
رحلي فبات عندي فلما اصبح غدوت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اصبح قال ويحك يا ابا
سفيان الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله واني رسول الله قال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك
واوصلك والله لقد ظننت ان لو كان مع الله الها غيره لقد اغنى عني شيا بعد قال ويحك يا ابا
سفيان الم يان لك ان تعلم اني رسول الله قال بابي انت وامي ما احلمك واكرمك واوصلك اما هذه
فان في النفس حتى الان منها شيا فقال العباس ويحك اسلم واشهد ان لا اله الا الله وان محمد رسول
الله قبل ان يضرب عنقك فتشهد شهادة الحق واسلم قال العباس فقلت يا رسول الله ان ابا سفيان
رجل يحب الفخر فاجعل له شيا قال نعم من دخل دار ابي سفيان فهو امن ومن اغلق عليه الباب بابه
فهو امن ومن دخل المسجد فهو امن فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عباس
احبسه بمضيق الوادي عند خطم الجبل حتى يرى خيل جنود الله قال فخرجت به حيث امرني
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احبسه قال ومرت به القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة
قال من هولا فاقول مزينة فيقول ما لي ولمزينة حتى نفدت القبائل لا تمر قبيلة الا يسالني
عنها فاذا اخبرته فيقول ما لي ولبني فلان حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضرا
وانما قيل لها الخضرا لكثرة الحديد وظهوره فيها وفيها المهاجرين والانصار لا يرى منهم الا الحدق
من الحديد فقال سبحان الله من هولا يا عباس قلت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار
قال ما لاحد بهولا من قبل ولا طاقة والله يا ابا الفضل لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما
قلت ويحك انما النبوة قال نعم اذن فقلت الحق الان بقومك فحذرهم فخرج سريعا
حتى اتى مكة فصرخ في المسجد باعلى صوته يا معشر قريش هذا محمد قد جاكم فيما لا قبل
لكم به قالوا فمه قال من دخل دار ابي سفيان فهو امن قالوا ويحك وما تغني عنا دارك
قال ومن دخل المسجد فهو امن ومن اغلق عليه بابه فهو امن فتفرق الناس الى دورهم والى
المسجد قالوا وجا حكيم بن حزام وبديل بن ورقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلما وبايعاه
فلما بايعاه بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه الى قريش يدعوانهم الى الاسلام ولما خرج
حكيم بن حزام وبديل بن ورقا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عامدين الى مكة فبعث في اثرهما
الزبير واعطاه رايته وامره على خيل المهاجرين والانصار وامره ان يركز رايته باعلى مكة
بالحجون وقال لا تبرح حيث امرتك ان تركز رايتي حتى اتيك ثم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما انتهى الى ذي طوى وقف على راحلته معتجرا بشقة برد حبرة وان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ليضع راسه تواضعا لله عز وجل حين راى ما اكرمه به من الفتح حتى ان عثنونه
ليكاد يمس واسطة الرحل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وضرب قبته باعلى
مكة وامر خالد بن الوليد فيمن اسلم من قضاعة وبني سليم ان يدخل من اسفل مكة وبها بنو
بكر وقد استنفرتهم قريش وبنو الحارث بن عبد مناف ومن كان من الاحابيش امرتهم قريش ان يكونوا باسفل
مكة وان صفوان بن امية وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو كانوا قد اجتمعوا مع اناس بالخندمة

ليقاتلوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد والزبير حين بعثهما لا تقاتلا الا من قاتلكم وامر سعد
ابن عبادة ان يدخل في بعض الناس من كدى فقال سعد حين توجه داخلا اليوم يوم الملحمة
اليوم تستحل الحرمة فسمعها رجل من المهاجرين قيل هو عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله اسمع
ما قال سعد بن عبادة وما نامن ان يكون له في قريش صولة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعلي بن ابي طالب ادركه فخذ الراية فكن انت الذي تدخل بها فلم يكن باعلى مكة من قبل الزبير
قتال واما خالد بن الوليد فقدم على قريش وبني بكر والاحابيش باسفل مكة فقاتلوهم فهزمهم
الله ولم يكن بمكة قتال غير ذلك وقتل من المشركين اثنى عشر او ثلاثة عشر رجلا ولم يقتل من
المسلمين الا رجل من جهينة يقال له سلمة بن الميلا من خيل خالد ورجلان يقال لهما كرز بن جابر
وخنيس بن خالد بن الوليد فشذا عنه وسلكا طريقا غير طريقه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قد عهد الى الامرا من المسلمين حين امرهم ان يدخلوا مكة ان لا يقاتلوا الا من قاتلهم الا في نفر
سماهم امر بقتلهم وان وجدوا تحت استار الكعبة عبد الله بن سعد بن ابي سرح وانما امر بقتله
لانه كان قد اسلم فارتد مشركا ففر الى عثمان وكان اخاه من الرضاعة فغيبه حتى اتى به الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بعد ان اطمان اهل مكة فاستامنه له وعبد الله بن خطل رجل من بني تيم
ابن غالب وانما امر بقتله لانه كان مسلما فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا وكان له
مولى يخدمه وكان مسلما فنزل منزلا وامر المولى ان يذبح له تيسا ويصنع له طعاما فنام فاستيقظ
ولم يصنع له شيا فعدى عليه فقتله ثم ارتد مشركا وكانت له قينتان تغنيان بهجا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فامر بقتلهما والحويرث بن نقيذ بن وهب وكان ممن يوذيه ومقيس بن
صبابة وانما امر بقتله لقتله الانصاري الذي قتل اخاه خطا ورجوعه الى قريش مرتدا وسارة
مولاة لبني عبد المطلب كانت ممن يوذيه بمكة وعكرمة بن ابي جهل فاما عكرمة فهرب الى
اليمن واسلمت امراته ام حكيم بنت الحارث بن هشام فاستامنت له رسول الله صلى الله
عليه وسلم فامنه فخرجت في طلبه حتى اتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عبد الله
ابن خطل فقتله سعد بن حريث المخزومي وابو برزة الاسلمي اشتركا في دمه واما مقيس بن صبابة
فقتله نميلة بن عبد الله رجل من قومه واما قينتا ابن خطل فقتلت احداهما وهربت
الاخرى حتى استومن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فامنها فعاشت اوطاها رجل من الناس
فرسا له في زمن عمر بن الخطاب بالابطح فقتلها واما الحويرث بن نقيذ فقتله علي بن ابي طالب
قالت ام هاني بنت ابي طالب لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فر الي رجلان من
احماي من بني مخزوم وكانت عند هبيرة بن وهب المخزومي قالت فدخل علي علي بن ابي طالب
اخي فقال والله لاقتلنهما فاغلقت عليهما باب بيتي ثم جيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو باعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة وان فيها لاثر العجين وفاطمة ابنته تستره
بثوبه فلما اغتسل اخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثماني ركعات الضحى ثم انصرف الي فقال
مرحبا واهلا يا ام هاني ما جا بك فاخبرته خبر الرجلين وخبر علي بن ابي طالب فقال قد اجرنا
من اجرت وامنا من امنت فلا يقتلهما ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج لما اطمان الناس حتى
جا البيت وطاف به سبعا على راحلته يستلم الركن بمحجن في يده فلما قضى طوافه دعا عثمان بن
طلحة فاخذ منه مفتاح الكعبة ففتحت له فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان فكسرها بيده
ثم طرحها ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس في المسجد فقال لا اله الا الله وحده
لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده الا كل ماثرة او دم او مال يدعا
فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج الا وقتيل الخطا شبه العمد بالسوط

والعصا ففيه الدية مغلظة مائة من الابل اربعون منها في بطونها اولادها يا معشر قريش ان الله
قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالاباء الناس من ادم وادم من تراب ثم تلا هذه الاية
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الاية ثم قال يا معشر قريش ما ترون اني فاعل فيكم
قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم قال فاذهبوا فانتم الطلقاء فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد كان الله امكنه منهم عنوة فبذلك سموا اهل مكة الطلقاء ثم جلس رسول الله صلى
الله عليه وسلم في المسجد فقام علي بن ابي طالب ومفتاح الكعبة بيده فقال يا رسول الله اجمع
لنا بين الحجابة والسقاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين عثمان بن طلحة فدعي له فقال هاك
مفتاحك يا عثمان اليوم يوم وفاء وبر قال واجتمع الناس للبيعة فجلس اليهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم على الصفا وعمر بن الخطاب اسفل منه ياخذ على الناس فبايعوه على السمع والطاعة فيما
استطاعوا فلما فرغ من بيعة الرجال بايع النساء قال عروة بن الزبير خرج صفوان يريد جدة ليركب
منها الى اليمن فقال عمير بن وهب الجمحي يا نبي الله ان صفوان بن امية سيد قومي قد خرج هاربا
منك ليقذف بنفسه في البحر فامنه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هو امن قال يا رسول الله اعطني
شيئا يعرف به امانك فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل بها مكة فخرج
بها عمير حتى ادركه بجدة وهو يريد ان يركب البحر فقال يا صفوان فداك ابي وامي اذكر الله في
نفسك ان تهلكها فهذا امان رسول الله صلى الله عليه وسلم جئتك به فقال ويلك اعزب عني
لا تكلمني قال اي صفوان فداك ابي وامي افضل الناس وابر الناس واحلم الناس وخير الناس
ابن عمك عزه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك قال اني اخاف على نفسي قال هو احلم من ذلك
واكرم فرجع به معه حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صفوان ان هذا يزعم
انك امنتني قال صدق قال فاجعلني في ذلك بالخيار شهرين قال انت فيه بالخيار اربعة
اشهر قال ابن هشام وبلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها قام على الصفا
يدعو وقد احدقت به الانصار فقالوا فيما بينهم اترون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ فتح
الله عليه ارضه وبلده يقيم بها فلما فرغ من دعائه قال ماذا قلتم قالوا لا شيء يا رسول الله
فلم يزل بهم حتى اخبروه فقال النبي صلى الله عليه وسلم معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم
قال ابن اسحاق وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة الاف وكان فتح مكة لعشر ليال
بقين من رمضان سنة ثمان واقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمسة عشر ليلة
يقصر الصلاة ثم خرج الى هوازن وثقيف وقد نزلوا حنينا عن ابي هريرة ان خزاعة قتلوا
رجلا من بني ليث عام الفتح بقتيل لهم في الجاهلية فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس
في الناس فحمد الله واثنى عليه وقال ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسول الله
والمؤمنين الا وانها لم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي الا وانما احلت لي ساعة من نهار الا
وانها ساعتي هذه فلا ينفر صيدها ولا يختلى شوكها ولا تحل ساقطتها الا لمنشد ومن قتل له
قتيل فهو بخير النظرين اما ان يفتدي واما ان يقيد فقال العباس الا الاذخر فانا
نجعله لقبورنا وبيوتنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الاذخر فقام ابو شاة رجل
من اهل اليمن فقال اكتبوا لي يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتبوا لابي شاة
قال الاوزاعي يعني الخطبة التي سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم واما التفسير فقوله تعالى
اذا جاء نصر الله يعني اذا جاءك يا محمد نصر الله ومعونته على من عاداك وهم قريش ومعنى مجيء
النصر ان جميع الامور مرتبطة باوقاتها يستحيل تقدمها عن وقتها او تاخرها عنه فاذا جاء ذلك
الوقت المعين حضر معه ذلك الامر المقدر فلهذا المعنى قال اذا جاء نصر الله والفتح يعني فتح

مكة

مكة في قول جمهور المفسرين وقيل جنس نصر الله المؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم على الاطلاق و
والفرق بين النصر والفتح ان النصر هو الاعانة والاظهار على الاعداء وهو تحصيل المطلوب
وهو كالسبب للفتح فلهذا بدا بذكر النصر وعطف عليه بالفتح وقيل النصر هو كمال الدين والا
والفتح هو الاقبال الدنياوي الذي هو تمام النعمة ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا
يعني زمرا وارسالا القبيلة باسرها والقوم باجمعهم من غير قتال قال الحسن لما فتح الله عز وجل
على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قالت العرب بعضها لبعض اذا ظفر الله محمدا باهل الحرم وكان
قد اجارهم من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يدخلون في دين الله افواجا بعد ان كانوا
يدخلون واحدا واحدا او اثنين اثنين وقيل اراد بالناس اهل اليمن عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال قد اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افئدة الايمان يمان والحكمة
يمانية ودين الله هو الاسلام واضافه اليه تشريفا وتعظيما له كبيت الله وناقة الله قوله فسبح
بحمد ربك واستغفره انه كان توابا يعني فانك حينئذ لاحق به عن ابن عباس قال كان عمر
يدخلني مع اشياخ بدر فقال بعضهم لم يدخل هذا الفتى معنا ولنا ابناء مثله فقال انه ممن قد
علمتم قال فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم قال وما رايت انه دعاني يومئذ الا ليريهم
قال ما تقولون في قول الله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح حتى ختم السورة فقال بعضهم
امرنا ان نحمد الله ونستغفره اذا جاء نصر الله وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال
لي كذلك تقول يا ابن عباس قلت لا قال فما هو قلت اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه
فقال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة اجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا
قال عمر ما اعلم منها الا ما تعلم عن عائشة قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
بعد ان نزلت عليه اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول فيها سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي
وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك
اللهم وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران وفي رواية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه وقال اخبرني ربي اني سارى علامة
في امتي فاذا رايتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقد رايتها
اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك
واستغفره انه كان توابا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة علم النبي صلى الله عليه وسلم انه
نعيت اليه نفسه وقال الحسن انه قد قرب اجله فامر بالتسبيح والتوبة ليختم بالزيادة في العمل
الصالح قيل عاش النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه السورة سنتين وقيل في معنى السورة
اذا جاء نصر الله والفتح ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فاشتغل انت بالتسبيح
والتحميد والاستغفار فان الاشتغال بهذه الطاعات تصير سببا لمزيد درجاتك في الدنيا والاخرة
وفي معنى التسبيح وجهان احدهما نزه ربك عما لا يليق بجلاله ثم احمده والثاني فصل لربك لان
التسبيح جزء من اجزاء الصلاة ثم قيل عني به صلاة الشكر وهو ما صلاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم فتح مكة ثمان ركعات وقيل هي صلاة الضحى وفي الاية دليل على فضيلة التسبيح
والتحميد حيث جعل ذلك كافيا في اداء ما وجب عليه من شكر نعمة النصر والفتح فان قلت ما معنى
هذا الاستغفار وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر قلت انه تعبده الله بذلك ليقتدي به غيره
اذ لا يامن كل احد من تقصير يقع في عبادته واجتهاده ففيه تنبيه على ان النبي صلى الله عليه وسلم مع
عصمته وشدة اجتهاده ما كان يستغني عن الاستغفار فكيف بمن هو دونه وقيل هو من ترك
الافضل والاولى لا عن ترك ذنب صدر منه صلى الله عليه وسلم وعلى قول من جوز الصغائر على

الانبيا يكون المعنى واستغفر لما عسى ان يكون قد وقع من ترك الاولى منه وقيل المراد منه الاستغفار
لذنوب امته وهذا ظاهر لان الله تعالى امره بذلك في قوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله
سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه العزيز

تفسير سورة تبت يدا

مكية وهي خمس ايات وعشرون كلمة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم قوله
عز وجل تبت يدا ابي لهب ؤ عن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين صعد النبي
صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون من قريش حتى اجتمعوا
فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجا ابو لهب وقريش فقال ارايتكم لو اخبرتكم
ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال
فاني لكم نذير بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت
تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم
خرج الى البطحا فصعد الجبل فنادى يا صباحاه فاجتمعت عليه قريش الحديث وذكر نحوه ومعنى
تبت خابت وخسرت والتباب هو الخسار المفضي الى الهلاك والمراد من اليدين صاحبهما وجملة
بدنه وذلك على عادة العرب في التعبير ببعض الشي عن كله وجميعه وقيل رمى النبي صلى الله عليه
وسلم بحجر فادمى عقبه فلهذا ذكرت اليد وان كان المراد جملة البدن فهو كقولهم خسرت يده
وكسبت يده فاضيفت الافعال الى اليد وابو لهب هو عبد العزى ابن عبد المطلب بن هاشم
عم النبي صلى الله عليه وسلم وكني بابي لهب لحسنه واشراق وجهه فان قلت لم كناه وفي الكنية تشريف
وتكرمة قلت فيه وجوه احدها انه كان مشتهرا بالكنية دون الاسم فلو ذكره باسمه لم يعرف
الثاني انه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى الكنية لما فيه من الشرك الثالث انه كان من اهل
وماله الى النار نار ذات لهب وافقت حاله كنيته وذلك تحذيرا بان يذكر بها وتب قيل
الاول اخرج مخرج الدعا عليه والثاني اخرج مخرج الخبر كما يقال اهلكه الله وقد هلك وقيل
تبت يدا ابي لهب يعني ماله وملكه كما يقال فلان قليل ذات اليد يعنون به المال وتب يعني
اي وقد اهلك نفسه ما اغنى عنه ماله وما كسب قال ابن مسعود لما دعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم اقرباه الى الله تعالى قال ابو لهب ان كان ما يقول ابن اخي حقا فاني افتدي بمالي وولدي
فانزل الله تعالى ما اغنى عنه ماله اي اي شي يغني عنه ماله اي ما يدفع عنه عذاب الله ما جمع
وما كسب يعني من المال وكان صاحب مال ومواشي وما كسب من المال اي من ربح راس ماله وقيل
وما كسب ولده لان ولد الانسان من كسبه كما جا في الحديث ان اطيب ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم
من كسبكم اخرجه الترمذي ثم اوعده بالنار فقال تعالى سيصلى نارا ذات لهب اي نارا تلتهب عليه
وامراته يعني ام جميل بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان بن حرب عمة معاوية بن ابي سفيان وكانت
في نهاية العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حمالة الحطب قيل كانت تحمل الشوك والحسك والقتاد
بالليل فتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لتعقرهم بذلك وهي رواية عن ابن
عباس فان قلت انها كانت من بيت العز والشرف فكيف يليق بها حمل الحطب قلت يحتمل انها كانت
كثرة مالها وشرفها في غاية البخل والخسة وكان يحملها بخلها على حمل الحطب بنفسها او يحتمل انها كانت
تفعل ذلك لشدة عداوتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ترى ان تستعين في ذلك باحد بل تفعله
هي بنفسها وقيل كانت تمشي بين الناس بالنميمة وتنقل الحديث وتلقي العداوة بين الناس وتوقد نارها
كما توقد النار الحطب يقال فلان يحطب على فلان اذا كان يغري به وقيل حمالة الخطايا والاثام
في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لانها كالحطب في مصيرها الى النار في جيدها اي في عنقها حبل من

مسد قال ابن عباس سلسلة من حديد ذرعها سبعون ذراعا يدخل من فيها ويخرج من دبرها فيكون
سائرها في عنقها فتلت من حديد فتلا محكما وقيل هو حبل من ليف وذلك الحبل الذي كانت تحتطب
به فبينما هي ذات يوم حاملة الحزمة فاعيت فقعدت على حجر تستريح اتاها ملك فجذبها من خلفها
فاهلكها وقيل هو حبل من شجر ينبت باليمن يقال له المسد وقيل قلادة من ودع وقيل كانت
خرزات في عنقها وقيل كانت لها قلادة فاخرة قالت لانفقنها في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم
والله سبحانه وتعالى اعلم

تفسير سورة الاخلاص

مكية وقيل مدنية وهي اربع ايات وخمس عشرة كلمة وسبعة واربعون حرفا فصل في فضلها
عن ابي سعيد الخدري ان رجلا سمع رجلا يقرا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح جا
الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكان الرجل يتقالها فقال النبي صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القران وفي رواية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاصحابه ايعجز احدكم ان يقرا ثلث القران في ليلة فشق ذلك عليهم فقالوا اينا يطيق
ذلك يا رسول الله فقال قل هو الله احد الله الصمد ثلث القران عن ابي الدردا ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله جزا القران ثلاثة اجزا فجعل قل هو الله احد جزءا من القران
عن ابي هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرا عليكم ثلث القران فقرا
قل هو الله احد الله الصمد حتى ختمها وقد ذكر العلما في كونه صلى الله عليه وسلم جعل
سورة الاخلاص تعدل ثلث القران اقوالا متناسبة متقاربة فقيل ان القران
العزيز لا يعدو ثلاثة اقسام وهي الارشاد الى معرفة ذات الله وتقديسه او معرفة صفاته
واسمائه او معرفة افعاله وسنته مع عباده ولما اشتملت سورة الاخلاص على احد هذه الاقسام
الثلاثة وهي التقديس وازنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلث القران لان منتهى التقديس
ان يكون واحدا في ثلاثة امور لا يكون حاصلا منه من هو من نوعه وشبهه ودل عليه
قوله تعالى لم يلد ولا يكون حاصلا ممن هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله تعالى لم يولد
ولا يكون في درجته وان لم يكن اصلا له ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله تعالى ولم يكن
له كفوا احد ويجمع ذلك كله قل هو الله احد وجملته وتفصيله هو قولك لا اله الا الله فهذا
سر من اسرار القران المجيد الذي لا تتناهى اسراره ولا تنقضي عجائبه وقال الامام فخر
الدين لعل الغرض منه ان المقصود الاشرف في جميع الشرائع والعبادات معرفة ذات الله
جل جلاله وتعالى علاوه وشانه ومعرفة صفاته ومعرفة افعاله وهذه السورة مشتملة
على معرفة ذات الله تعالى فلهذا كانت السورة معادلة لثلث القران وقال الشيخ محيي الدين
النواوي رحمه الله قيل معناه ان القران على ثلاثة انحا قصص واحكام وصفات الله تعالى
وقل هو الله احد متمحضة للصفات فهي ثلث القران وجزء من ثلاثة اجزا وقيل معناه
ان ثواب قراءتها مرة يتضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث بغير تضعيف قوله يتقالها يقال
استقللت الشي وتقاللته اذا عددته قليلا في بابه ونظرت اليه بعين القلة قيل سميت
قل هو الله احد سورة الاخلاص اما لانها خالصة لله تعالى في صفته او لان قاريها
قد اخلص لله بالتوحيد ومن فوائد هذه السورة ان الاشتغال بقراءتها يفيد الاشتغال
بالله وملازمة الاعراض عما سوى الله تعالى وهي متضمنة تنزيه الله تعالى وبراءته عن كل
ما لا يليق به لانها مع قصرها جامعة لصفات الاحدية والصمدانية والفردانية
وعدم النظير عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا كل يوم مائتي مرة قل هو الله

احد يمحى عنه ذنوب خمسين سنة الا ان يكون عليه دين وفي رواية عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من اراد ان ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله احد مائة مرة فاذا كان يوم
القيامة يقول الرب جل جلاله يا عبدي ادخل الجنة عن يمينك اخرجه الترمذي وقال حديث
غريب وعنه ان رجلا قال يا رسول الله اني احب هذه السورة قل هو الله احد قال حبك اياها
ادخلك الجنة اخرجه الترمذي عن ابي هريرة قال اقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع
رجلا يقرأ قل هو الله احد الله الصمد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت وما وجبت قال الجنة اخرجه
الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قل هو الله احد عن
ابي بن كعب ان المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله قل هو الله
احد الله الصمد والصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شيء يولد الا يموت وليس شيء يموت الا يورث
وان الله تعالى لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا احد قال لم يكن له شبيه ولا عديل وليس كمثله
شيء اخرجه الترمذي وقال وقد روي عن ابي العالية ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر آلهتهم فقالوا
انسب لنا الهك فاتاه جبريل بهذه السورة قل هو الله احد وذكر نحوه ولم يذكر فيه عن ابي
ابن كعب وهذا اصح وقال ابن عباس ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعة اتيا النبي صلى الله عليه وسلم
فقال عامر الى ما تدعونا يا محمد قال الى الله قال صفه لنا امن ذهب هو ام من فضة ام من حديد
ام من خشب فنزلت هذه السورة واهلك الله اربد بالصاعقة وعامر بالطاعون وقد تقدم
ذكره في سورة الرعد وقيل جاء ناس من احبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صف لنا
ربك لعلنا نؤمن بك فان الله انزل نعته في التوراة فاخبرنا من اي شيء هو وهل يأكل ويشرب
وممن ورث الربوبية ولمن يورثها فانزل الله هذه السورة قل هو الله احد يعني الذي سألتموني
عنه هو الله الواحد في الالوهية والربوبية الموصوف بصفات الكمال والعظمة المنفرد عن الشبيه والمثيل
والنظير وقيل لا يوصف احد بالاحدية غير الله تعالى فلا يقال رجل احد ودرهم احد بل احد صفة من صفات
الله تعالى استأثر بها فلا يشركه فيها احد والفرق بين الواحد والاحد ان الواحد يدخل في الاحد ولا
ينعكس وقيل ان الواحد يستعمل في الاثبات والاحد في النفي تقول في الاثبات رأيت رجلا واحدا
وفي النفي ما رأيت احدا فتفيد العموم وقيل الواحد هو المنفرد بالذات فلا يضاهيه احد
والاحد هو المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه احد الله الصمد قال ابن عباس الصمد الذي لا جوف
له وبه قال جماعة من المفسرين ووجه ذلك من حيث اللغة الصمد المصمت الصلب الذي ليس فيه
جوف ولا رخاوة ومنه قيل لسداد القارورة الصماد فان فسر الصمد بهذا كان من صفات
الاجسام ويتعالى الله عن صفات الجسمية وقيل وجه هذا القول ان الصمد هو الذي ليس بأجوف
معناه هو الذي لا يأكل ولا يشرب وهو الغني عن كل شيء فعلى هذا الاعتبار هو صفة كمال والقصد
بقوله الله الصمد التنبيه انه تعالى بخلاف من اثبتوا له الالهية واليه الاشارة بقوله تعالى ما المسيح
ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا يأكلان الطعام وقيل الصمد
الذي ليس بأجوف وهو شيئان احدهما دون الانسان وهو سائر الجمادات الصلبة والثاني اشرف
من الانسان واعلى منه وهو الباري جل وعلا وقال ابي بن كعب الصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه
من يولد سيموت ومن يموت يورث منه وروى البخاري في افراده عن ابي وائل شقيق بن سلمة
قال الصمد هو السيد الذي انتهى سؤدده وهي رواية عن ابن عباس ايضا قال هو السيد الذي
كمل فيه جميع انواع السؤدد وقيل هو السيد المقصود في جميع الحوائج المرغوب اليه في الرغائب
المستعان به عند المصائب وتفريج الكرب وقيل هو الكامل في جميع صفاته وافعاله وقيل الذي
على ان المنتهي في السؤدد والشرف والعلو والعظمة والكمال والكرم والاحسان وقيل الصمد

الدايم

الدائم الباقي بعد فناء خلقه وقيل الصمد الذي ليس فوقه احد وهو قول علي وقيل هو الذي لا تعتريه الآفات
ولا تغيره الاوقات وقيل هو الذي لا عيب فيه وقيل هو الاول الذي ليس له زوال والآخر الذي ليس لملكه
انتقال والاولى ان يحمل لفظ الصمد على كل ما قيل فيه لانه محتمل له فعلى هذا يقتضي ان لا يكون في الوجود صمد
سوى الله العظيم القادر على كل شيء وانه اسم خاص لله تعالى تفرد به له الاسماء الحسنى والصفات العليا ليس
كمثله شيء وهو السميع البصير قوله عز وجل لم يلد ولم يولد وذلك ان مشركي العرب قالوا الملائكة بنات الله
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله فاكذبهم الله عز وجل ونفى عن نفسه بقوله
لم يلد يعني كما ولد عيسى وعزير ولم يولد معناه ان من ولد كان له والد فنفى عنه احاطة النسب من جميع الجهات
فهو الاول الذي لا يتقدمه والد كان عنه وهو الآخر الذي لم يتأخر عنه ولد يكون عنه ومن كان كذلك فهو
الذي لم يكن له كفوا احد اي ليس له من خلقه مثل ولا نظير ولا شبيه فنفى عنه بقوله ولم يكن له كفوا احد العديل
والنظير والصاحبة والولد عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل كذبني ابن آدم
ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس اول الخلق
بأهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد والله سبحانه وتعالى اعلم بمراده واسرار كتابه العزيز

تفسير سورة الفلق

مدنية وقيل مكية والاول اصح وهي خمس آيات وثلاث وعشرون كلمة واربع وسبعون حرفا
عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الم تر آيات انزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط قل
اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس فيه بيان عظيم في فضل هاتين السورتين وفيه دليل واضح على
كونهما من القرآن وفيه رد على من نسب الى ابن مسعود خلاف هذا وفيه بيان ان لفظة قل من القرآن وانه من اول
السورتين بعد البسملة وقد اجمعت الامة على هذا كله بعد خلاف ذكر فيه عن زر بن حبيش قال سألت
ابي بن كعب عن المعوذتين قلت يا ابا المنذر ان اخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال سألت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال قيل لي فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي رواية ولم يذكر
ابن مسعود عن عقبة بن حبيب قال اصابنا طش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي
بنا فخرج فقال قل فلم اقل شيئا ثم قال قل فقلت ما اقول قال قل هو الله احد والمعوذتين حين تمسي وحين تصبح
ثلاث مرات تكفيك كل شيء وفي رواية قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة فاصبت خلوة من
رسول الله صلى الله عليه وسلم فدنوت منه فقال قل فقلت ما اقول قال قل قلت ما اقول قال قل اعوذ
برب الفلق حتى ختمها ثم قال قل اعوذ برب الناس حتى ختمها ثم قال ما تعوذ الناس بافضل منهما
اخرجه النسائي عن جابر بنحوه ومعناه بسم الله الرحمن الرحيم قوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق
قال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود فلم يزالوا
به حتى اخذ مشاطة رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة من اسنان مشطه فاعطاها
اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت السورتان فيه عن عائشة
ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشيء ولم يصنعه وفي رواية انه يخيل اليه انه
فعل الشيء وما فعله حتى اذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله ودعاه ثم قال اشعرت يا عائشة ان الله
قد افتاني فيما استفتيته فيه قلت وما ذاك يا رسول الله قال جاءني رجلان فجلس احدهما عند رأسي
والآخر عند رجلي ثم قال احدهما لصاحبه ما وجع الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد
ابن الاعصم اليهودي من بني زريق قال فيماذا قال في مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر قال فاين
هو قال في بئر ذروان ومن الرواة من قال في بئر ذي اروان فذهب النبي

صلى الله عليه وسلم في اناس من اصحابه الى البير فنظر اليها وعليها نخل قال ثم رجع الى عايشة فقال والله لكان
ماؤها نقاعة الحنا ولكان نخلها رؤس الشياطين قلت يا رسول الله فاخرجه فقال اما انا فقد عافاني الله
وشفاني وخشيت ان اثور على الناس منه شرا وفي رواية البخاري كان يرى انه ياتي النسا ولا ياتيهن قال سفيان
وهذا اشد ما يكون من السحر اذا كان كذا عن زيد بن ارقم قال سحر رجل من اليهود النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى
ذلك اياما فاتاه جبريل فقال ان رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بير كذا وكذا فارسل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليا فاستخرجها فجا بها فحللها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكانما نشط من عقال فما ذكر لذلك اليهودي ولا راه في وجهه قط اخرجه النسائي
وروي انه كان تحت صخرة في البير فرفعوا الصخرة واخرجوا جف الطلعة فاذا فيه مشاطة من راسه صلى
الله عليه وسلم واسنان مشطه وقيل كان في وتر عقد عليه احدى عشرة عقدة وقيل كانت مغروزة بالابر فانزل الله
المعوذتين وهما احدى عشرة اية سورة الفلق خمس ايات وسورة الناس ست ايات فكان كلما قرا اية انحلت
عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبي صلى الله عليه وسلم كانما نشط من عقال وروي انه لبث ستة اشهر
واشتد عليه ذلك ثلاث ليال فنزلت المعوذتان عن ابي سعيد الخدري ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا محمد اشتكيت قال نعم قال بسم الله ارقيك من كل شي يؤذيك ومن شر كل نفس وعين حاسد الله
يشفيك بسم الله ارقيك **فصل** وقبل الشروع في التفسير نذكر معنى الحديث وما قيل فيه وما قيل في
السحر وجواز الرقى قولها في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان يخيل اليه انه يصنع الشي ولم يصنعه
قال الامام المازري مذهب اهل السنة وجمهور علما الامة على اثبات السحر وان له حقيقة كحقيقة غيره
من الاشيا الثابتة خلافا لمن انكر ذلك ونفى حقيقته واضاف ما يقع منه الى خيالات باطلة لا حقايق
لها وقد ذكره الله في كتابه وذكر انه مما يتعلم وذكر فيه اشارة الى انه مما يكفر وانه يفرق
بين المرء وزوجه وهذا كله لا يمكن ان يكون مما لا حقيقة له وهذا الحديث الصحيح مصرح باثباته
ولا يستنكر في العقل ان الله تعالى يخرق العادة عن النطق بالكلام ملفق او تركيب اجسام او المزج
بين قوى لا يعرفها الا الساحر وانه لا فاعل الا الله تعالى وما يقع من ذلك فهو عادة اجراها
الله تعالى على يد من يشا من عباده فان قلت المستعاذ منه هل هو بقضا الله وقدره ام لا فان كان
بقضا الله وقدره فكيف يامر بالاستعاذة مع ان ما قدر لا بد واقع وان لم يكن بقضايه وقدره
فذلك قدح في القدرة قلت كل ما وقع في الوجود هو بقضا الله وقدره والاستشفا بالتعوذ بل التعوذ
بالتعوذ والرقى من قضا الله وقدره يدل على صحة ذلك ما روى الترمذي عن ابي خزامة عن ابيه قال سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ارايت رقى نسترقي بها ودوا نتداوى به وتقاة نتقيها
هل ترد من قدر الله شيا قال هي من قدر الله قال الترمذي هذا حديث حسن وقول عمر نفر من قدر الله
الى قدر الله **فصل** وقد ذكر بعض المبتدعة حديث عايشة المتفق عليه وزعم انه يحط منصب
النبوة ويشكك فيها وان تجويزه يمنع الثقة بالشرع ورد على هذا المبتدع بان الذي ادعاه باطل لان الدلايل
القطعية العقلية والنقلية قد قامت على صدقه صلى الله عليه وسلم وعصمته فيما يتعلق ببعض امور الدنيا
وهو مما يعرض للبشر غير بعيد ان يخيل اليه من امور الدنيا ما لا حقيقة له وقد قيل انه يخيل اليه انه وطي زوجاته
وليس بواطي وهذا يتخيل الانسان في المنام فلا يبعد ان يتخيله في اليقظة ولا حقيقة له وقيل انه يخيل
انه فعله ولم يفعله ولكن لا يعتقد صحته فتكون اعتقاداته على السداد قال القاضي عياض وقد جا في
بعض روايات هذا الحديث تبين ان السحر انما تسلط على بدنه وظواهر جوارحه لا على قلبه وعقله واعتقاده
وليس في ذلك ما يوجب لبسا على الرسالة ولا طعنا لاهل الزيغ والضلالة وقوله لما وجع الرجل قال مطبوب
اي مسحور قوله وجف طلعة يروى بالبا ويروى بالفا وهو وعا طلع النخل واما الرقى والتعويذ فقد
اتفق الاجماع على جواز ذلك اذا كان باي من القران او اذكار وردت في الحديث ويدل على صحة ذلك

يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك لانه يجوز مما قام الدليل بخلافه بالمعجزة
ومثل
ذكر

الاحاديث الصحيحة الواردة في ذلك منها حديث ابي سعيد المتقدم ان جبريل رقى النبي صلى الله عليه وسلم ومنها
ومنها ما روي عن عبيد بن رفاعة الزرقي ان اسما بنت عميس قالت يا رسول الله ان ولد جعفر تسرع اليهم العين
افاسترقي لهم قال نعم فانه لو كان شي سابق القدر لسبقته العين اخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح
عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ ويقول اعوذ بالله من الجان وعين الانسان
فلما نزلت المعوذتان اخذ بهما وترك ما سواهما اخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب فهذه الاحاديث
تدل على جواز الرقية وانما المنهي عنه منها ما كان فيه كفر او شرك وما لا يعرف معناه ومنها البين فهذا لا
يجوز اذ فيه كفر والله اعلم واما التفسير فقوله عز وجل قل اعوذ برب الفلق اراد بالفلق الصبح وهو
قول الاكثرين ورواية عن ابن عباس لان الليل ينفلق عن الصبح وسبب تخصيصه في التعويذات القادر
على ازالة هذه الظلمة عن العالم قادر على ان يدفع عن المستعيذ ما يخافه ويخشاه وقيل ان طلوع الصبح
كالمثال لمجي الفرج كما ان الانسان ينتظر طلوع الصباح كذلك الخايف يترقب مجي النجاح وقيل ان
تخصيص الصبح بالذكر في هذا الموضع لانه دعا المضطرين واجابة الملهوفين فكانه يقول قل اعوذ برب
الوقت الذي يفرج فيه عن المهمومين والمغمومين وروي عن ابن عباس ان الفلق سجن في جهنم وقيل هو واد
في جهنم اذا فتح استغاث اهل النار من حره ووجهه ان المستعيذ قال اعوذ برب هذا العذاب القادر
عليه من شر عذابك وغيره وروي عن ابن عباس ايضا ان الفلق الخلق ووجه هذا القول ان الله
تعالى فلق ظلمات بحار العدم بايجاد الانوار وخلق منه الخلق فكانه قال قل اعوذ برب جميع الممكنات
ومكون جميع المحدثات من شر ما خلق قيل يريد ابليس خاصة لانه لم يخلق الله خلقا هو شر منه ولان هو
السحر لا يتم الا به وباعوانه وجنوده وقيل من شر كل ذي شر وقيل من شر ما خلق من الجن والانس
ومن شر غاسق اذا وقب عن عايشة قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى القمر فقال يا
عايشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب اخرجه الترمذي وقال حديث
حسن صحيح فعلى هذا الحديث المراد به القمر اذا خسف واسود ومعنى وقب دخل في الخسوف واخذ
في الغيبوبة وقيل سمي به لانه اذا خسف اسود وذهب ضوءه وقيل اذا وقب دخل في المحاق وهو اخر الشهر
وفي ذلك الوقت يتم السحر المورث للتمريض وهذا مناسب لسبب نزول هذه السورة وقال ابن عباس الغاسق
الليل اذا وقب اي اقبل بظلمته من المشرق وقيل سمي الليل غاسقا لانه ابرد من النهار والغسق البرد وانما
امر بالتعوذ من الليل لان فيه تنتشر الافات ويقل فيه الغوث وفيه يتم السحر وقيل الغاسق الثريا اذا
سقطت وغابت وقيل ان الاسقام تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها فلهذا امر بالتعوذ من الثريا
عند سقوطها ومن شر النفاثات في العقد يعني السواحر اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها
وقيل المراد بالنفاثات بنات لبيد بن اعصم اللاتي سحرن النبي صلى الله عليه وسلم والنفث النفخ مع ريح قليل وقيل
انه النفخ فقط واختلفوا في جواز النفخ في الرقى والتعوذ الشرعية المستحبة فجوزه الجمهور من الصحابة والتابعين
ومن بعدهم يدل عليه حديث عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه
بالمعوذات الحديث وانكر جماعة النفث والتفل في الرقى واجازوا النفخ بلا ريق قال عكرمة لا ينبغي للراقي
ان ينفث ولا يمسح ولا يعقد قيل النفث في العقد انما يكون مذموما اذا كان سحرا مضرا بالارواح والابدان
واذا كان النفث لاصلاح الارواح والابدان وجب ان لا يكون مذموما ولا مكروها بل هو مندوب ومن
شر حاسد اذا حسد الحاسد هو الذي يتمنى زوال نعمة الغير وربما يكون مع ذلك سعي في ازالتها فلذلك امر الله تعالى
بالتعوذ منه واراد بالحاسد هنا اليهود فانهم كانوا يحسدون النبي صلى الله عليه وسلم او لبيد بن اعصم وحده
والله اعلم

تفسير سورة الناس

مدنية وقيل مكية والاول اصح وهي ست ايات وعشرون كلمة وتسعة وسبعون حرفا بسم الله الرحمن الرحيم

905

٩٠٥

قوله عز وجل قل اعوذ برب الناس انما خص الناس بالذكر وان كان رب جميع المحدثات لانه لما امر بالاستعاذة
من شر الوسواس فكانه قال اعوذ برب الوسوس الى الناس بربهم الذي يملك امورهم وهو الههم ومعبودهم وهو
الذي يعيذهم من شرهم وقيل ان اشرف المخلوقات هم الناس فلهذا خصهم بالذكر ملك الناس اله الناس انما
وصف نفسه اولا بانه رب الناس لان الرب قد يكون ملكا وقد لا يكون ملكا فنبه بذلك انه ربهم وملكهم
ثم الملك لا يكون الها فنبه بقوله اله الناس بان الالهية خاص له سبحانه وتعالى لا يشاركه فيها احد والسبب
في تكرير لفظة الناس تقتضي مزيد شرفهم على غيرهم من شر الوسواس يعني الشيطان ذي الوسواس والوسوسة
الهمز والصوت الخفي الخناس يعني الرجاع الذي من عادته ان يخنس اي يتاخر قيل ان الشيطان جاثم على قلب
الانسان فاذا غفل وسهى وسوس فاذا ذكر الله تعالى انخنس الشيطان وتاخر وقال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم
الكلب وقيل كخرطوم الخنزير في صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس ويقال راسه كراس الحية واضع راسه
على ثمرة القلب يمنيه ويحدثه فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكر الله رجع ووضع راسه على القلب فذلك قوله
تعالى الذي يوسوس في صدور الناس بالكلام الخفي الذي يصل مفهومه الى القلب من غير سماع والمراد بالصدر
القلب من الجنة يعني الجن والناس وفي معنى الاية وجهان احدهما ان الناس لفظ مشترك بين الجن
والانس ويدل عليه قول بعض العرب جا قوم من الجن فقيل من انتم قالوا اناس من الجن وقد سماهم
الله تعالى رجالا في قوله يعوذون برجال من الجن فعلى هذا يكون معنى الاية ان الوسواس الخناس
يوسوس للجن كما يوسوس للانس والوجه الثاني ان الوسواس الخناس قد يكون من الجنة وقد يكون
من الانس وكما ان شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس تارة اخرى فكذلك شيطان الانس قد يوسوس
للانسان كالناصح له فان قبل زاد في الوسوسة وان كره السامع ذلك انخنس وانقبض فكانه تعالى
امر ان يستعاذ به من شر الجن والانس عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اوى الى فراشه
كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما فيقرا قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ثم يمسح
بهما ما استطاع من جسده يبدا بهما على راسه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات عن عايشة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرا على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرا
عليه وامسح عنه بيده رجا بركتها اخرجه مالك في الموطا ولهما بمعناه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله القران فهو يقوم به اناء الليل واناء النهار ورجل اتاه الله
مالا فهو ينفقه اناء الليل واطراف النهار عن ابن عباس قال قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى
الله تعالى قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال الذي يضرب من اول القران الى اخره كلما حل
ارتحل اخرجه الترمذي والله اعلم تم كتاب التاويل في معاني التنزيل بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي
العظيم وصلى الله
على سيدنا محمد
وعلى اله
وسلم

جميعا م



